

الطريق

طريق الناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

السنة الثامنة - يناير ١٩٧٢

حسابات ١٩٧١-٧٢ وآفاق ١٩٧٢

موقف ثوري في علم النفس الأمريكي: فييتنام

« ظاهرة » الملك حسين

الديموقراطية في دولة العالم الثالث

وثائق: أوراق حركات التحرير
الوطنية العالمية المعاصرة

الأدبي والفني

الفهرس

ص

٥

١٠

١٢

١٧

١٨

٢٠

٢١

٤٠

٤٥

٥٠

٥١

٥٥

٦٢

٦٨

٧٥

٧٨

٨٩

١٠٠

١٢٧

١٣٢

١٣٥

١٤٠

١٤٧

١٥٠

١٥٦

١٥٦

١٥٦

١٥٦

١٥٦

١٥٦

١٥٦

١٥٦

١٥٦

■ ((ظاهرة)) الملك حسين ((الافتتاحية)) لطفى الخولى

■ حسابات ١٩٧١ وآفاق ١٩٧٢

— الأبعاد الثلاثة للصراعات على
النطاق الدولي .

— السباق التكنولوجى فى خدمة
الصراع الطبقي .

— حركة التحرر الوطنى بين مواقع
الانتصار ومواقع الهزيمة .

— قضايا أربع أساسية : هى موضع
الخلاف .

— من الدفاع الى الهجوم على مواقع
الاستعمار الجديد .

— إعادة تنظيم الدولة ومشاكل البناء
الديمقراطى .

— حركة الوحدة والصراع فى التحالف
الوطنى .

— جوهر الصراع وجذوره الاجتماعية
السياسة الاقتصادية وضرورة دعم

الرقابة الشعبية .

— وقفة ثقافية عند نهاية عام ١٩٧١

● موقف ثورى فى علم النفس الأمريكى

● إسرائيل والنظام الدولى الناشئ :
المفردى الحقيقى لوثيقة السوق

● حول مشكلة الشرق الاوسط
الديمقراطية فى دولة العالم الثالث

● خطة مضاعفة الدخل القومى .

■ ٨٠ شهرا من حياة الطليعة :

■ تقارير الشهر وتعليقات :

■ مكتبة الطليعة :

— الاستعمار الايطالى لليبيا .

— عندها اتوا فى الصباح .

■ مناقشات مفتوحة :

■ وثائق : أوراق حركة التحرر — « توباماروس » — أوروغواى —

■ ملحق الادب والفن

منوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ١٥٠١٠

٥٦٥٦٠ —

الاشتراكات :

للسنة بالبريد العادى ج.ع.م دول اتحاد البريد العربى ودول السادن

البيضاء ١٢٠ قرشا .

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولى

مستشارو التحرير :

د . ابراهيم سعد الدين

أبو سيف يوسف

د . اسماعيل صبرى عبد الله

د . جمال السعيطى

د . رشدى سعيد

د . عبد الرازق حسن

د . لطيفة الزيات

د . محمد الخفيف

محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان

خيرى عزيز

د . رفعت السيد

عبد المنعم الغزالي

ان ((الطبيعة)) ميدان مفتوح لكل رأى
هر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الآراء
الحرّة على اختلافها هو وحده الذى
يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده
فكرة أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطبيعة))
صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها
— مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى
أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر
((قد اختلف معك فى الرأى ولستكنى
على استعداد لأن أدفع حياتى ثمنا
لحقك فى الدفاع عن رأيك)) ؟ .

«ظاهرة» الملك حسين

إذا كنا قد درجنا على أن نطرح على أنفسنا — من باب التقييم المستمر لحركة التحرير القومية في كل مرحلة من مراحلها — سؤالين رئيسيين : ماذا تريد إسرائيل؟ .. وماذا تريد أمريكا ؟ فإن الواقع الراهن بحصيلته من التجارب الدامية ، يحتم علينا أن نلحق بالسؤالين ، سؤالاً ثالثاً ، يرتبط بهما ارتباطاً عضوياً ، هو : .. وماذا يريد الملك حسين ؟ ..

لسنا نقصد — هنا — «شخص» الملك، وإنما نتجاوز ذاته الملكية — دون ما تغافل عن حجم دور الفرد في الحركة التاريخية — الى ما يمثله بمركزه وموقعه من قوى واتجاهات داخل الوطن العربي الجريح . وذلك في إطار المواجهة المعاصرة مع العدوان الاسرائيلي — الأمريكى . بمعنى أننا نخطى «الملك — الفرد» الى «الملك — الظاهرة» .

وقد أتاح «الملك — الفرد» ، أخيراً ، «الملك — الظاهرة» أن يتجسد ، عربياً ودولياً ، في موقف محدد بدقة من قضية المواجهة المعاصرة للصهيونية بعد أربعة أعوام ونصف العام من الاحتلال . ففي الثاني عشر من شهر ديسمبر الماضى ، صرح لجريدة «النيويورك تايمز» ، قائلاً :

« ان الجانب العربى ليس مستعداً للحرب . وليس من حقى أن أجر أى انسان الى الحرب ، كما أن أحداً لا يستطيع أن يجبرنا إليها . ونحن لسنا على استعداد للقيام حتى بمجرد خطوة واحدة إلا اذا اقتنعنا بسبب مثل هذه الخطوة ومنطقها » .

وجاء هذا التحديد الدقيق لموقف «الملك — الظاهرة» على صفحات «النيويورك تايمز» الوثيقة الاطلاع والصلات بالقوى الحاكمة والمسيطره بأمريكا ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه «أزمة الشرق الاوسط» مطروحة بناء على طلب مصر — ربما لآخر مرة — أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ويمكن القول — دون مغالاة — أن مناقشة الجمعية العامة للامم المتحدة ، كانت على درجة خطيرة من الاهمية . ذلك أنها كانت تجرى فى ضوء ما أصبح يعرف «بسياسة عام الحسم» . وهى السياسة التى تبناها المجلس المصرى وأكدها باستمرار الرئيس السادات ، وتجاوبت معها القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى بصورة عامة . وصار من المتعارفين أن «سياسة عام الحسم»

تعنى نهاية موقف الصمود السلبي ، اثر هزيمة ١٩٦٧ ، وبداية موقف الصمود الإيجابي . ويتحدد أدق استخدام الإرادة والقدرة على التحرك ضد الاحتلال ، عسكريا ، جنبا الى جنب مع التحرك السياسى .

والتحرك العسكرى ، فى هذا الاطار ، يعنى ممارسة عملية تحرير وطنية للارض العربية المحتلة . وذلك حق مشروع — بصفة مطلقة — لكل شعب احتلت أرضه .

وهكذا كانت — وما تزال — رسالة مصر عام ١٩٧١ قاطعة فى مبنائها ومعناها الى الراى العام الدولى : شعوبا ودولا ، ورغم كل المحاولات التى بذلت لقلوب هذه الرسالة — أمام المجتمع الدولى — بألوان تطمس حقيقتها ، فان الغالبية الساحقة لحت لونها الحقيقى ، وما يوحى به من أخطار . وشرعت — بدرجات متفاوتة — تتحسس مسئولياتها نحو أولئك الذين نقد صبرهم من استمرار الاحتلال ، وتشدد من أصابع اتهامها فى وجه المحتل .

من هنا نشطت القوى الصهيونية ، سجيئة استراتيجية العدوان والتوسع والتى يلائمها الى أقصى حد استمرار الاحتلال ، الى « العمل المضاد » . وذلك بأستلوبيين محددين :

الاستلوب الاول : يستهدف تصوير عملية التحرير المشروعة للارض العربية المحتلة فى صورة «حرب» تستعد مصر لشنها مهددة « السلام العالمى » ، موضع الاهتمام الاول للإنسانية المعاصرة . ذلك ان التهديد يتصل بموقع استراتيجى حساس من خريطة العالم ، هو بطبيعته مسرح محتمل لصدام دولى .

وانطلقت نغمة «الحرب الصغيرة» التى يمكن ان تتحول الى «حرب كبيرة» تتردد بالجان متنوعة ، خلال الاتصالات السياسية والدبلوماسية ، ومنابر الصحف ووسائل الاعلام المختلفة وتعليقات المراقبين الدوليين . وانصب الهدف على خلق «مناخ خاص» فى المجتمع الدولى يؤدى الى هزيمة مصر وسياساتها الحاسمة الجديدة فى الامم المتحدة . وذلك على أساس أنها تحضر لحرب عدوانية . وأمرخت الاجهزة المعادية المدربة تدريباً جيداً « جوا هستيريا معاديا للعرب » يستحضر الى ذاكرة الانسانية « جو مايو ١٩٦٧ » ويطل من هنا وهناك حكماء العالم برؤوسهم الوقورة محذرين من أن أى قرار يصدر من الجمعية العامة فيه ادانة للاحتلال الصهيونى وسياسة العدوان الاسرائيلية ، من شأنه أن يشجع المصريين على «المغامرة» بشن حرب .

فى هذا الجو ، بالدقة ، ينفجر « الملك — الظاهرة » بقنبلته على صفحات «النيويورك تايمز» ، فيضج « الحكماء » فى اسرائيل وفى أمريكا وفى غير اسرائيل وأمريكا « صارخين فى وجه العالم : «لم نقل لكم ؟ ها هو شاهد من أهلهم ! » . وذلك على اعتبار أن «الملك — الفرد» عربى اللسان والموقع والصورة .

و « الملك — الفرد » يعلم علم اليقين أن أحدا فى مصر أو فى غير مصر من الوطن العربى ، لا يتحدث — فى اطار سياسة الحسم — عن حرب . وإنما عن حركة تحرير قومية تستخدم فيها جميع الوسائل بما فى ذلك القوة العسكرية .

صحيح أن الحرب وحركة التحرير ، يشبه كل منهما الاخرى ، من حيث كونهما تعنيان القتال . لكن التشابه فى الحقيقة لا يعدو الشكل . تماما كالملاح والسكر ، يشابهان فى اللون ، غير أن كلا منهما يختلف اختلافا جذريا فى طبيعته ووظائفه وأهدافه . الحرب — مجردة — حركة عدوانية مدانة انسانيا ، أما حركة التحرير فهى حرب مشروعة تلقى التأييد والمساندة من شعوب العالم .

لكن «الملك — الظاهرة» — ككل ظاهرة سياسية اجتماعية — لم يتحرك بما يعلمه «الملك — الفرد» ، وإنما بما يمثله. فاستخدم في تصريحه المخطط عن عمد ، اصطلاح الحرب مجردا حتى لايشذ في عزفه عن النغمة المدونة في « النوتة السياسية » الموزعة دوليا .

ولا يقف «الملك — الظاهرة» في تصريحه عند حد عزف النغمة المطلوبة عن «الحرب» وإنما هو يقوم بدور اعلامي خاص ، عبر عنه بقوله : « ان الجانب العربى ليس مستعدا للحرب » .

هنا نواجه الاسلوب الثانى ، للعمل المضاد الذى نشطت اليه القوى الصهيونية — الامريكية للحد من الاثر الدولى لسياسة عام الحسم المصرية ، وهو أسلوب اعتمد على بذر الشكوك في سياسة الحسم ومحاولة تصويرها على أنها مجرد «نوع من الابتزاز العربى» لمشاعرا وعواطف الانسانية المسالمة . وأن العرب — ومن بينهم مصر طبعاً — غير قادرين أو غير راغبين في خوض معارك قتالية . وبالتالي فليس هناك من خطر يستوجب التحرك والتعبئة العالمية من أجله .

ونلاحظ أول ما نلاحظ أن التصريح الملكى استخدم تعبير «الجانب العربى» ، وليس الجانب الاردنى مثلا .

والسؤال — الان — لماذا اعطى «الملك — الفرد» لنفسه حق التحدث باسم العرب؟ الجواب المنطقى : أنه أراد أن يقول ، لكل من يهمهم الامر ، أنه لا يصدر في حساباته لاستعدادات العرب للحرب عن مجرد موقف ذاتى أو اقليمى ، وإنما كممثل لقوى كامنة في جيوب عربية ليست لديها الشجاعة — بعد — كى تعلن مثله عن حقيقتها . ويتعبير آخر فهو قد تحدث باسم «الملك — الظاهرة» ، ليقول ، أيضا ، لكل من يهمهم الامر : لا تتراجعوا عن مواقفكم التى تحتلونها أمام التهديد المصرى بسياسة هام الحسم. ذلك أن العرب غير مستعدين لمشاركة مصر مسئولية ممارسة سياسة الحسم .

ولكن ، ماذا لو مضى المصريون — رغم كل شيء — على طريق سياسة الحسم ؟ ثم تجاوبت معهم — خلال حركة الجماهير — قوى وطاقات عربية ؟

يسارع «الملك — الظاهرة» الى قطع العهد على نفسه ، أمام كل من يهمهم الامر بأن لا يسمح لاحد بأن «يجره» الى هذا الطريق .

والترجمة الواقعية لهذا العهد الملكى ؟ تكاد تعلن : اطمئنوا ، فلن يكون هناك تحرك ضد الاحتلال من الجبهة الشرقية . والجيش الذى أكونه — بمساعدة الولايات المتحدة — من مائة ألف جندى ، سيقف موقف المتفرج . وإذا قدر له أن يتحرك فسيتحرك في كل اتجاه ، إلا اتجاه تحرير الضفة الغربية والقدس .

و «الملك — الظاهرة» ، بهذا التصريح العلنى الدقيق — مضربونا وتوقيتنا — لصحيفة النيويورك تايمز ، ينظر تفظيرا محددًا للغاية لموقفه الاستراتيجى الراهن والذى وصل اليه من خلال مواقف تكتيكية تراكت على مدى السنوات الأربع الماضية عامة . ومنذ النصف الاخير من عام ١٩٧٠ بصفة خاصة .

من أبرز هذه المواقف التكتيكية ، ذلك الانقسام الذى أمكن زرعه ، بطريقة اللعبة التقليدية «فرق تسد» ، بين الجماهير الاردنية والجماهير الفلسطينية على الضفة الشرقية من شرق الاردن . الامر الذى أدى الى تفتيت وحدة نضال الشعبين

العربيين ، فى موقع استراتيجى من مواقع الصدام اليومى المباشر مع العدو : سياسيا وعسكريا . وقد مهد هذا الانقسام لشن حملة الإبادة الدموية ضد المقاومة الفلسطينية المسلحة ، بفرض اضعاف وزنها وتأثيرها المادى والمعنوى ، محليا وعربيا واسرائيليا ودوليا . واشغالها بحماية كادرها ، بدلا من الاستمرار فى عملياتها المتصاعدة ضد العدو المحتل . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ضرب وتصفية القوى الوطنية الاردنية وشلها عن الحركة وممارسة تأثيرها الصحى على نظام الحكم .

وقد أوصل هذا الموقف التكتيكى المعقد الى موقف تكتيكى آخر . هو العمل « بمعدل سرعة غير عادى وبدعم صريح ومكثف من جانب الولايات المتحدة ، لبناء جيش مسلح بأحدث الاسلحة الامريكية ومشحون بالعساء للوطن العربى عامة والفلسطينيين خاصة .

ولم يفت جميع المراقبين السياسيين فى المنطقة ، حتى الغربيين منهم ، ملاحظة ان مثل هذا البناء الخاص لجيش أردنى بالاسلحة الامريكي ، لا يتصور ان يكون مع هذا الحجم الضخم الذى يقرب من مائة ألف جندي وتعجز موارد الاردن عن تغطية نفقاته ، من أجل مواصلة حملة الإبادة ضد المقاومة الفلسطينية فحسب . كما أنه من المستبعد أصلا أن يستخدم هذا الجيش الخاص أسلحته الامريكية الحديثة ضد اسرائيل . ذلك لان اتفاق توريد الاسلحة الامريكي - الاردنى ، ينص صراحة على عدم استخدام « السلاح الامريكي » ضد اسرائيل سواء بطريق مباشر أو غير مباشر .

وإذن فلماذا هذا الجيش الخاص ؟ يجيب المراقبون بأن اهدافه لابد وان تكون عربية . وأكثر هذه الاهداف احتمالا هي سوريا ، وخاصة فى الاوقات الحرجة . والاقوات الحرجة ، فى مفهوم المراقبين تحين بالضرورة اذا ما تحركت سوريا ضد الاحتلال الاسرائيلى من خلال معركة تحرير وطنية .

ولكن ، هل يعنى ذلك أن النظام الاردنى قد اكتفى بتفوق المملكة داخل حدود الضفة الشرقية ، ولم يعد راغبا فى استرداد الضفة الغربية المحتلة ؟

بالطبع لا . هو راغب فى استرداد الضفة الغربية . ولكن ليس عن طريق حركة التحرير التى تطلق طاقات الجماهير وطموحها المكبوت فى التغيير ، حيث تلتحم من جديد القوى الوطنية الاردنية بالقوى الوطنية الفلسطينية .

بأى طريق إذن ، تسترد الضفة الغربية ؟ بطريق الاتفاق المباشر مع العدو تحت « المظلة الامريكية » .

بيد أنه لى يتم ذلك لابد من ازالة ، او على الاقل اضعاف « القوى المعادية لابرام الصفقة » فى الاردن أولا . و « الملك - الظاهرة » يتصور ان هذا قد تحقق بالفعل وحين ذهب للقاء « ايجال آلون » نائب رئيسة وزراء اسرائيل ، على الحدود فى السيارة الرئيسى للسوداء ، والذى لكنت الصحف الامريكية حدوثه أكثر من عشر مرات ، تبين أن نيران معارك إبادة المقاومة الفلسطينية لم تكن كافية لانضاج الطبخة .

وهكذا اتفق على القيام بعمل مشترك جديد . وهو المحافظة - بأى ثمن - على حالة اللأحرب واللاسلم الراهنة أطول مدة ممكنة . واغراق العالم العربى فى ضباب اليأس من الوصول الى « حل عادل » . سواء عن طريق سلمى بقوة الضغط الدولى أم عن طريق عسكرى بقوة التحرير العربية . . وأمام حالة « محلك سر » العاجزة ،

هذه ، يتقدم «الملك - الظاهرة» (بشجاعة واقعية ينظم لها تهليلا دوليا واسع النطاق) ويتفاوض مباشرة ومنفردا مع اسرائيل ، التي ترد له اجزاء من الضفة الغربية .
ويبدو الامر بالتالى - امام جميع الشعوب العربية - ان طريق «الملك - الظاهرة» هو الطريق الوحيد والممكن واقعيا من اجل الوصول الى «حل» . ويتعبير اكثر دقة : «الاستسلام النهائى» .

والحق ان «الملك - الظاهرة» فى هذا كله منطقى تماما مع مصالح القوى التي يمثلها . يجب ان نصارح انفسنا بالحقيقة مهما كانت مرعبة وقاسية . فهذا افضل من ان نحذو حذو النعامة المشهورة فى تراثنا الفلكلورى ، والحقيقة ، التي تؤكد لها مئات التجارب - تكشف عن ثمة قوى فى الوطن العربى ، ليس من صالحها ان يحسم الموقف الراهن ضد اسرائيل ، والغريب ان هذه القوى هي نفسها التي تبدو فى عدااء عنصري مقيت ضد اليهود واليهودية . لكن الغرابة تتبدد اذا انتبهنا الى ان استمرار قوة اسرائيل وقدرتها على العدوان ، ضمان موضوعى لها ، ازاء ما يمكن ان ينتج من آثار سياسية واجتماعية ، بفعل نمو وتفجر حركة التحرير العربية الوطنية خلال صدامها مع الاحتلال . وخاصة اذا سجلت انتصارات ، ولو تكتيكية صغيرة .

وبالتالى فان هذه القوى ، ذات المصالح المضادة لحركة التحرير العربية ، لا تحول عدائها العنصرى لليهودية واليهود ، الى عدااء لاسرائيل ، كقاعدة عدوان امبريالى فى المنطقة . وليس فى هذا تناقض فالمصلحة اقوى من العدااء العنصرى ، لذلك تبطلعه وتهضمه ، وتعود لاجتراره كلما شامت . ويكفى مثلا حيا على ذلك ، ظاهرة اخرى هي ظاهرة « الشيخ الجعبرى » فى الضفة الغربية المحتلة ، يصب كراهيته العنصرية على اليهود واليهودية فى نفس الوقت الذي يتعاون الى اقصى حد مع سلطات الاحتلال الاسرائيلى ، حتى ليستحق بجداره لقب « كويسلنج العرب » .

ورغم ان هذه « القوى الكويسلنجية » لاتمثل - من ناحية الكم - وزنا له اثره فى الوطن العربى ، الا ان حركة التحرير العربية ، وهي تتقدم بخطواتها ، على طريق الحسم اصبحت مطالبة اليوم ، وبالحاح يحتمه واقع المعركة ، ان تحسم موقفها معها ، بنفس الوقت والقدر ، الذي تحسم موقفها مع العدو .

وليس من شك فى ان حركة التحرير لا يهملها فى انطلاقتها تعقب افراد ، مهما كان وزنهم الذاتى . ذلك ان هذا الوزن نفسه يتحول الى لا شئ اذا ما امكن القضاء على « الظواهر الموضوعية » التي تفرخ عناصرها الذاتية .

ومن هنا فان حركة التحرير العربية مطالبة بتشديد نضالها ضد ظواهر الانقسام الاردنى الفلسطينى ، وعسلة الجيش الاردنى عن امته العربية ، وحالة محلك سر ، والاحتلال الاسرائيلى للارض العربية .

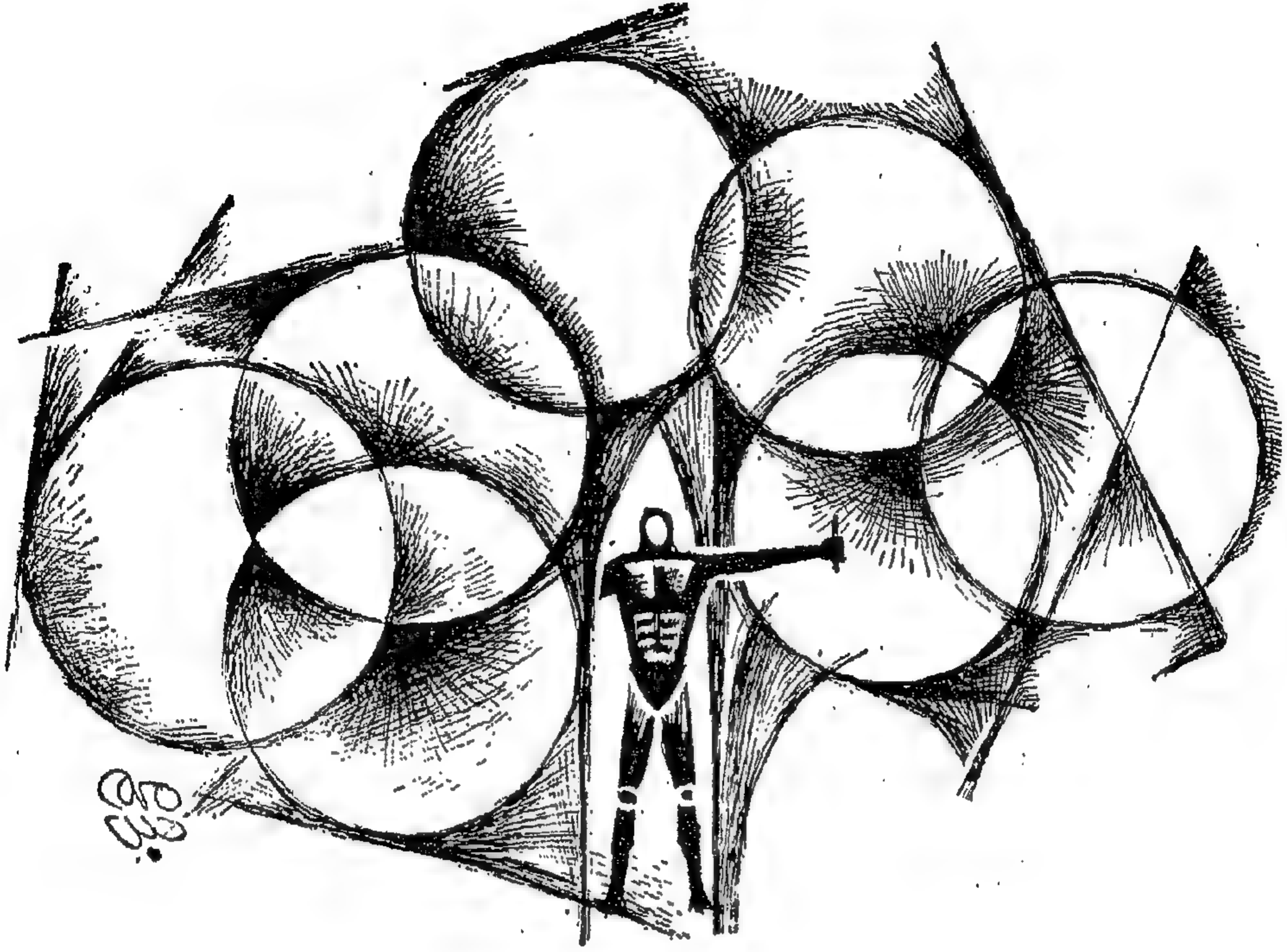
وحركة التحرير العربية ، قادرة بالفعل اليوم ، من خلال وحدة عمل مسئولة ، على خوض طريق الحسم ضد كل الظواهر المريضة فى الوطن العربى . بل وحتى ضد الظواهر السلبية فى قواها الذاتية نفسها .

لنحدد الهدف بدقة . ونتحرك فى اتجاهه بكل كثافتنا الواعية ماديا ومعنويا . ليس مهما ان يعمر «الملك - الفرد» مائة عام ، لكن المهم ان لا نسمح «الملك - الظاهرة» بالاستمرار او التكرار .

الحق الحقيقى

حسابات ١٩٧١ وآفاق ١٩٧٢

- الابعاد الثلاثة فى الصراعات على النطاق الدولى
- حركة التحرر الوطنى من مواقع الانتصار ومواقع الهزيمة
- من الدفاع الى الهجوم على مواقع الاستعمار الجديد
- اعادة تنظيم الدولة ومشاكل البناء الديمقراطى
- حركة الوحدة والصراع فى التحالف الوطنى
- السياسة الاقتصادية وضروره دعم الرقابة الشعبية
- وقفعة ثقافية عند نهاية عام ١٩٧١



أعادت « الطليعة » أن تقدم في مستهل كل عام جديد تقييما شاملا وحسابا موضوعيا ، لواقعنا المصري والعربي ، وللتطورات التي طرأت على المجتمع الدولي خلال عام مضى ، وتستكشف آفاق العام الجديد .

وقد حفل عام ١٩٧١ بالاحداث الهامة على المستويات الثلاث ، كما أن قضية الصراع العربي الاسرائيلي ، ونضالنا الوطني من أجل تحرير الأرض المحتلة يجتاز مرحلة حاسمة ، بعد أن أصبحت حالة «اللا حرب واللا سلم» مرفوضة من جانب الشعب والحكومة ، بعد مايزيد عن أربع سنوات ونصف من الدبلوماسية الدولية اللامجدية ، استنفدت خلالها كل سبل ما أصبح يسمى بالمساعي السلمية .

وفي ظل الواقع الجديد بعد عام حافل بالتغيرات في خريطة العالم ونضاريسها السياسية ، فإن حركة الاحداث تنبئ بالمزيد من التغيرات الجذرية ، بما يتسق مع هذا الواقع المتميز . وتتضمن الدراسة آراء واستنتاجات كتابها ، فإنها تطرح بعض المشكلات والتساؤلات ، وتثير عديدا من القضايا الخلافية . وأذلك فقد عرضنا المقالات على عدد من المختصين في كل فرع ، للتعليق عليها ، إذا تراءى لهم إضافة جديد أو نقد اتجاه أو تطوير فكرة .

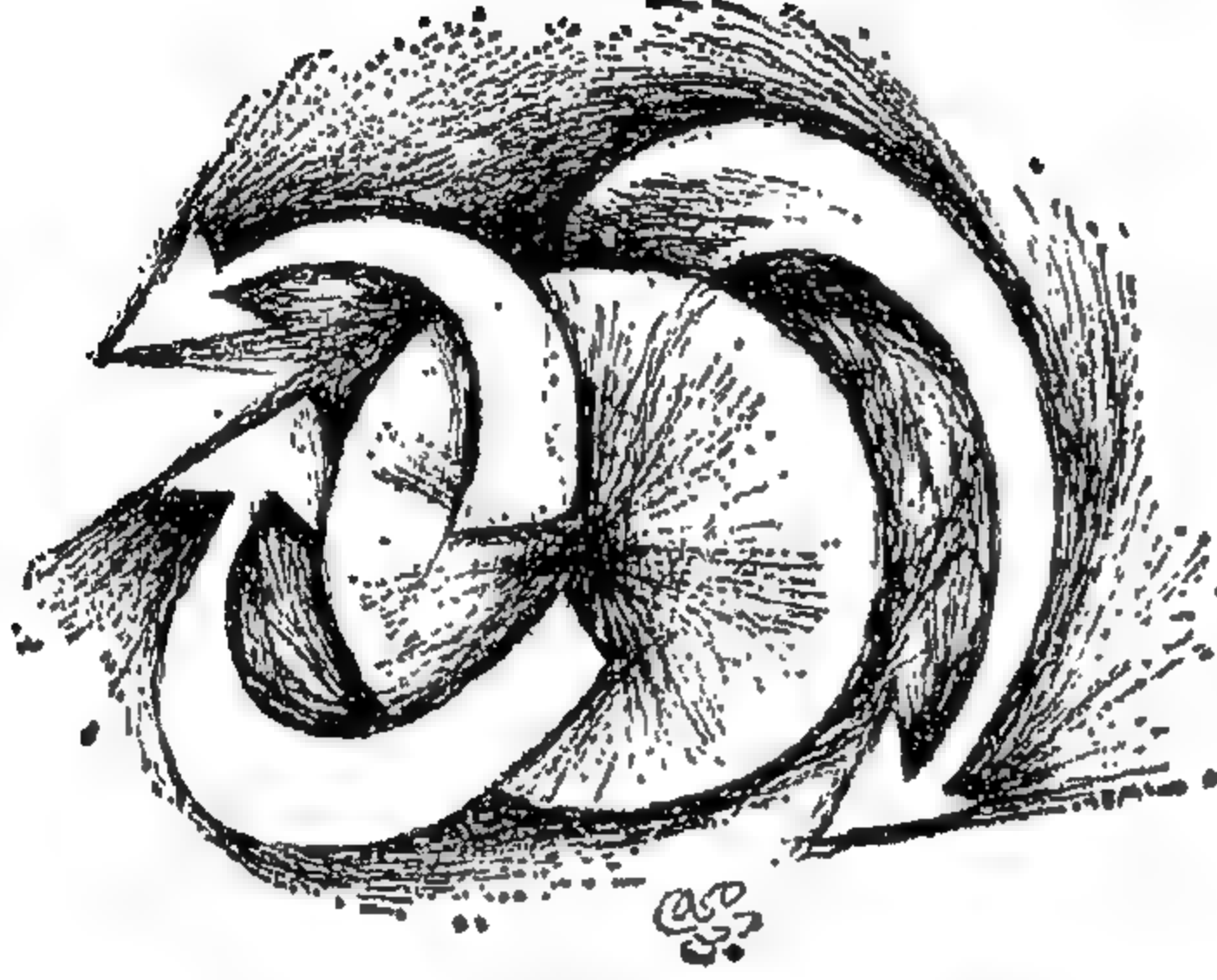
وتتعرض حسابات هذا العام بالرصد والتحليل لتطورات السياسة الدولية والعربية ، وتولى عناية خاصة لتطور الأوضاع المحلية في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية .

الأبعاد الثلاثة في الصراعات

على

النطاق

الدولى



محمد سيد أحمد

للسين في بداية العام القادم ، ثم ما جاء بعد ذلك من قبول الصين الشعبية عضوا في الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن ، مع طرد فورموزا من المنظمة الدولية .

٢ - اتفاق الدول الأربع الكبرى على الوضع الخاص ببرلين ، الذي وقف حتى ذاك الوقت عقبة أمام التوصل الى تسوية حول المشكلة الألمانية - ووقوع هذا الحدث في وقت يسجل مستشار ألمانيا الاتحادية - فيلي برانت - نجاحا مؤكدا في «سياسته الشرقية» سياسة الانفتاح على دول أوروبا الاشتراكية ، بما في ذلك جمهورية ألمانيا الديمقراطية . ومجموعة هذه الوقائع تنبئ بفرص مؤكدة لحدوث انفراج في أوروبا ، والتخفيف من حدة التوتر في هذه المنطقة التي ما زالت تمثل اهم تركيز في المعالم لقوات عسكرية مزودة بأحدث الاسلحة تواجه

أردنا تحسيدا « الجديد » في المجتمع الدولي ، يتعين علينا - منهجيا - ان نلتقط من مجموع الاحداث الجارية ، احداثا بالذات تتعدى دلالتها واثرها على بقية الاحداث ، ما تنطوي عليه من أهمية في حد ذاتها ، لتطبع حركة الاحداث عنوما ، في صورة تبرزها « كحركات رئيسية » فيها .

وفي تقديرنا ، هناك حدثان بالذات ، تلازما في الزمن منذ بضعة أشهر ، رغم انه قد لا يبدو بينهما - للوهلة الاولى - صلة عضوية مباشرة هما :

١ - الزيارة السرية الاولى التي قام بها مستشار الرئيس الامريكى ، كيسنجر ، للصين الشعبية ، واتفاق الطرفين على زيارة نيكسون

بعضها البعض ، وبالتالي تحمل أكثر من أية منطقة أخرى أخطار اشتعال حرب عالمية ثالثة — وليس من شك في أن هذه التطورات في أوروبا تزيل عقبات رئيسية طالما حالت دون تنفيذ مطمح الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الاشتراكية في توقيع معاهدة أمن أوروبي ، تمتد لكل دول القارة الأوروبية ، على اختلاف نظمها الاجتماعية .

وليس من شك في أن هذين الحدثين لهما أهمية « ذاتية » عظمى ، ذلك أن :

■ **الحدث الأول** ، هو أول اتصال مباشر بين **الولايات المتحدة والصين** ، وكانا طرفين أساسيين في كل استراتيجية المواجهة بين الاستعمار الأمريكي — أقوى استعمار معاصر ، وحركة تحرير شعوب آسيا ، وهي مواجهة بلغت حد الحروب المتعاقبة طوال السنوات التي تفصلنا عن الحرب العالمية الثانية ، (حرب الصين الأهلية حتى انتصار الثورة الصينية ، حرب كوريا ، حرب فيتنام) .

■ **والحدث الثاني** ، هو أول انفتاح له مغزاه بين **المانيا الاتحادية** ، ودول أوروبا الاشتراكية وعلى رأسها **الاتحاد السوفيتي** . ولتبيان كل ما ينطوي عليه هذا الحدث من أهمية ، يجدر بنا أن نذكر بأن ألمانيا الاتحادية أصبحت الآن أكبر قوة اقتصادية في أوروبا الغربية ، وقد بلغت شأنها الحالي « برعاية خاصة » من دول أوروبا الغربية ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة ، لتقف في وجه أوروبا الاشتراكية ، بعد هزيمة النازية ، ومن المعلوم أن النازية قد شجعت أوروبا الرأسمالية نشأتها ، وهيات لها مقومات قوتها ، بأمل أن تقف حاجزا دون انتشار الثورة الاشتراكية التي اندلعت في روسيا ، إلى بقية القارة الأوروبية .

أهمية الحدثين :

تفوق أهميتهما « الذاتية »

ولكن أهمية الحدثين لا تقتصر على ما ينطويان عليه من « أهمية ذاتية » . وللتدليل على أنهما مؤثران عن تغييرات كبرى تعمري في الوقت الراهن خريطة التوازنات العالمية كلها ، وهياكل العالم وملامحه كما برزت في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فيجوز لنا أن نستخدم كمقياس لتبيان هذا التغيير ، ما يحمله الحدثان من تغيير في هيكل منظمة الأمم المتحدة ، باعتبارها الهيئة الدولية التي تعكس في بنيانها خصائص المجتمع الدولي المعاصر ، وباعتبارها « الجهاز » الذي يجسد « الشرعية الدولية العصرية » أي « الهيئة » التي تحدد ضوابط التعامل بين الدول ، كتعبير

عن أشكال الصراع بين التيارات الكبرى المجسمة لحركة القوى الاجتماعية والطبقية على اتساع كوكبنا .. ومنظمة الأمم المتحدة في إنجازاتها ، وكذلك في أوجه قصورها ، هي تعبير عن هذه الصراعات . وأهميتها تكمن في أنها البديل الوحيد — على ما قنطوى عليه من أوجه قصور — لاندلاع حرب عالمية ثالثة ، تهدد — مع تطور أسلحة التدمير الشامل العصرية — ببادئة البشرية بأسرها .

وعلى نطاق المجتمع الدولي ، يترتب على الحدثين :

- ١ — إسقاط العقبة (بعد قيام أمريكا بالاتصال بالصين) التي طالما حالت دون دخول الصين الشعبية الأمم المتحدة .
- ٢ — إسقاط العقبة (بالاتفاق حول برلين) التي طالما حالت دون دخول اللمانيتين الأمم المتحدة .

وبدخول اللمانيتين المنظمة الدولية ، سقطت عقبة لها أهميتها الكبيرة في طريق حل آخر مشكلة معلقة في تثليل العالم بأسره داخل الأمم المتحدة ، وهو حل مشكلة الدول المتقسمة (ألمانيا ، كوريا ، فيتنام) — وبذلك تهيأت الظروف بشكل أساسي لتتسع المنظمة الدولية ، كي تشمل العالم بأسره جغرافيا ، ولتعكس داخلها كل تضاريس السياسة الدولية ، على الأقل في الصورة التي تعكس حكومات العالم ، وسياسات دول العالم رسميا وشرعيا .

والواقع أن المنظمة الدولية باتساعها لتثليل العالم كله جغرافيا تكتسب خواص تختلف نوعيا عن تلك التي ميزتها عند نشأتها في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة . ذلك أن منظمة الأمم المتحدة ، عند تأسيسها ، كانت تجسيدا « لتصور العالم » ، وللشرعية الدولية ، على النحو الذي فرضه انتصار الحلفاء على المحور في الحرب العالمية الثانية ، أي جسدت « شرعيتها » القدر الذي أمكن الاتفاق عليه بين كبار المنتصرين على النازية ، والمطلوبات الاجتماعية والطبقية التي كانت تمثلها . بعبارة أدق ، كانت الشرعية الدولية على النحو الذي جسده ميثاق الأمم المتحدة ، هو القدر من الاتفاق الممكن لتحديد مصائر عالم ما بعد الحرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، أكبر المنتصرين في الحرب ، وكان ينطوي هذا الاتفاق على القدر من الاتفاق الممكن بين قطب الرأسمالية الاستعمارية من جانب ، وقطب الاشتراكية من جانب آخر ، بعد هزيمة أكثر اتجاهات الرأسمالية الاستعمارية العصرية تعصبا ورجعية (الفاشية) ، وكان هذا الاتفاق هو البديل الممكن الوحيد لنشوب حرب جديدة — بعد هزيمة النازية ، بين قطبي الصراع الأيديولوجي على اتساع كوكبنا .

وقد تحدد في ميثاق الأمم المتحدة المركز «الممتاز»
المحول لهاتين الدولتين تحديدا ، بالاتفاق على
تحديد سلطات مجلس الأمن ، وحق النقض لدول
خمس كبرى ، الأعضاء الدائمين في المجلس ،
كان بينهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ،
وجسدا أكثر من غيرها قطبي المواجهة في عالم
ما بعد الحرب .

عنصر « التكنولوجيا » يفرض قيда

أعلى على الواجهة « الايديولوجية »

وكان من شأن المواجهة الايديولوجية بين
هذين القطبين أن تقضى إلى استقطاب مطلق على
اتساع العالم بأسره في أعقاب الحرب (فترة
الحرب الباردة في الأربعينات وبداية الخمسينات)
بين قوى الاستعمار العالی ، وقوى الشعوب في
نضالاتها التحريرية ، وأن ينتهي الأمر بحرب عالمية
ثالثة تمزق بنيان المنظمة الدولية ، وتترك للقوى
المتصارعة فرصة « الاندفاع الطليق » ، لولا تدخل
عنصر تكنولوجي وضع قيда أعلى على ممارسة
هذه الصراعات بكل الطرق المتاحة ، بما في ذلك
أسلوب الحرب الشاملة . هذا العنصر الذي
يتسبب في طبيعته إلى عنصر التكنولوجيا ،
لا الايديولوجية ، وتكنولوجيا السلاح بالذات ،
هو امتلاك طرف ، ثم الطرفين معا ، سر الأسلحة
النووية ، ثم النووية الحرارية ، وهي أسلحة
— إذا ما استخدمت — تحمل خطر إبادة ، لأطرفي
الصراع فحسب ، بل البشرية بأسرها كذلك .

وكان من شأن هذا القيد الأعلى أنه تذ الزم
طرفي المواجهة الايديولوجية في العالم ، بالبحث
عن وسائل تجنبها التصعيد بالمواجهة بينهما إلى
حد الحرب النووية الشاملة . وكان لابد أن
ينطوى هذا الحد من الاستقطاب بينهما ، على
فرص أصبحت متاحة لقوى أخرى على مسرح
السياسة الدولية ، كي تكتسب مزيدا من حرية
الحركة ومن حرية المناورة السياسية . وبالفعل
فقد لازم هذا الحد من الاستقطاب الدولي ، بروز
« منطلق عدم الانحياز » ، وكذلك ، نشأت ظروف
أكثر مواتاة كي تستعيد أوروبا ، واليابان والدول
عموما التي تعرضت لاهوال الحرب العالمية
الثانية ، استقلالية سياسية نسبية ، تناسب
بشكل أدق نمو قوتها الاقتصادية ، والمركز الدولي
الذي استردته كلما ابتعدت سنوات الحرب .

كما كان من شأن هذا الحد من الاستقطاب
الدولي أن اكتسبت منظمة الأمم المتحدة أهمية
أكبر كرجال يمكن داخله تسوية أكثر النزاعات
الدولية التهابا ، والبحث عن حلول لها تجنب
الدول العظمى المواجهة الساخنة فيما بينها .

وقد انفتحت المنظمة الدولية لتضم إليها الدول
الحديثة الاستقلال التي نالت استقلالها مع انهيار
النظام الكولونيالي [في إفريقيا بالذات] ، واتسعت
الشرعية الدولية لتستوعب داخلها تغييرات هامة
طرات على خريطة العالم مع استمرار تدفق
الحركة الثورية (في العالم الثالث بالذات) ،
غير أن الولايات المتحدة ، بسبب تمتعها بأقوى
مركز داخل المنظمة الدولية ، نجحت في أن تحول
دون دخول الصين الشعبية ، وكان بقاؤها خارج
الأمم المتحدة تجسيدا حيا « للحدود » التي ظلت
تميز الشرعية الدولية ، وعجزها عن أن تتسع
للتستوعب العالم بكل ما تنطوى عليه من منطلقات
تجد تجسيدها في دول العالم على تنوعها ومنها
دولة تعدادها ربع البشرية .

ظهور « قطب ثالث »

وكان من شأن بقاء الصين خارج المنظمة
الدولية ، بوزنها الذاتي الخطير ، أن استقطبت
حولها قوى سياسية عديدة لا تجد في الشرعية
الدولية — كما هي قائمة — تمثيلا لها ، وبهذه
الصفة ، برزت على مسرح السياسة الدولية
كقطب ثالث متميز عن القطبين داخل المنظمة
الدولية ، واستمرت تتسم بهذه الصفة خارج الأمم
المتحدة ، حتى لحقت — تكنولوجيا — وعلى
انخفاض مستوى المعيشة فيها — بالدول الأخرى
الأكثر تطورا التي تملك القنابل النووية ، والاقمار
الصناعية ، وأصبح في مقدورها أن توجه ضرباتها
النووية إلى أي مكان في العالم ، بما في ذلك
الولايات المتحدة ، وومثلا لم تجد أمريكا بدا من
أن تفتح باب التعامل المباشر معها .

● لقد استقطبت الصين حولها — بالقدر الذي
كان من شأنها أن تقف في مواجهة القطبين الآخرين
[الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي] داخل
المنظمة الدولية ، منطلق التيارات السياسية
والاجتماعية التي نشأت خلال سنوات ما بعد
الحرب ، ولا تجد ما يمثلها في الشرعية الدولية ،
كما هي مقرر داخل المنظمة .

● كما ظل يرمز بقاء ألمانيا خارج المنظمة الدولية
لاستمرار الادانة — بمنطق الشرعية الدولية —
للقوى التي أقيمت هذه الشرعية على أنقاضها .

أن دخول الصين الشعبية ، وألمانيا ، المنظمة
الدولية فوق ما ينطوى عليه من تغيير في مركز
الامتين الصينية والألمانية على الصعيد العالمي ،
يسقط عن المنظمة الدولية صفتها « ككيان دولي »
تحدد « احداثياته » بمقتضى ما كان عليه العالم
في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة (كل
التغييرات في المنظمة التي تسبق ما يجزى له من

تغيير الآن تعتبر مجرد تغييرات « كمية » لم تزل من وضعية الأمم المتحدة جوهريا .
 يكسب المنظمة الدولية « أحداثيات جديدة » ، أحداثيات « عالم اليوم » ، بما جرى له من تغيير على المسرح العالمى خلال ربع القرن الذى يفصلنا عن الحرب العالمية الثانية ، ولذلك نقول أن الحدثين اللذين بدأنا بهما تحليلنا ، هما تعبير عن « طفرة كيفية » فى العلاقات الدولية العصرية وفى مكونات وهياكل عالم اليوم .

سمات مميزة للموقف الجديد

ما هى السمات المميزة لهذه الطفرة الكيفية :
 □ **أولا -** انها لا تاتى بعد حرب عالمية وقعت ، كما حدث عند تأسيس الأمم المتحدة منذ ربع قرن ، أى فى أعقاب حدث انتهى ببروز طرف منتصر محدد المعالم ، وطرف مهزوم محدد المعالم ، بل تبدأ هذه الرحلة الجديدة فى وضعية عالمية يسودها « السلم » عموما ، بلا منتصر حاسم فيها ، ولا مهزوم حاسم فيها ، حالة « سلم » لا بديل شامل لها - - بالحرب - - الا الإبادة الشاملة لطرفى النزاع معا . ومن هنا كان من المحتم أن تكون المقاييس فى استطلاع معالم المستقبل أكثر سيوعة ، واستكشاف الاحتمالات الأكثر ترجيحا لتطورات الموقف يحيطه قدر أكبر من الصعوبة .

□ **ثانيا :** اتسمت الفترة السابقة ، بالمركز الأقوى الذى تمتعت به الولايات المتحدة على اتساع المجتمع الدولى ، بأن أمريكا استطاعت - - بقدرتها على أن تحول دون انتباء الصين الى المجتمع الدولى ، على الأقل فى كيانه الرسمى - - أن تحدث تصدعا فى صفوف القوى الاشتراكية العالمية ، دون أن يقابل هذا التصدع تصدعا مماثلا فى النظام الاستعماري العالمى ، ذلك أن أمريكا احتفظت طوال هذه الفترة بهيمنتها الأساسية وبمركزها القيادى على نطاق العالم الامبريالى كله ، ايا كانت التناقضات التى تلازم النظام الامبريالى ، وتنبع من صميم كيانه وطبيعته . إلا أن فشل الولايات المتحدة فى أن تبقى الصين بعيدة عن المجتمع الدولى ، بعد أن ثبت لها ضرورة اجراء اتصال مباشر بها ، وبعد أن سقطت قدرة أمريكا على استمرار ابعادها عن الأمم المتحدة كان مؤشرا عن أن أمريكا قد فقدت قدرتها على أن تحتفظ بهيمنتها - - فى المواجهة الايديولوجية بين العالم الاشتراكي والعالم الرأسمالى - - على كافة القوى الرأسمالية والاستعمارية فى العالم .

وكما جرى تصدع فى عالم الاشتراكية منذ عشرين من الزمان ، فنشهد الآن تصدعا مماثلا ، وتبايزا يتأكد بين أطراف ثلاثة فى عالم الرأسمالية : الولايات المتحدة ، وأوروبا - كوحدة ، واليابان . وليست أزمة النقد الدولية وأزمة الدولار بالذات الا صورة من صور الصراعات التى أصبحت تحدث بين الاقطاب الثلاثة ، كتعبير عن زيادة أوجه التباين بينهما ، وعن فقد أمريكا مركزها كالقوة المهيمنة وخدوها على مصائر الرأسمالية المعاصرة . وتغيير انجلترا موقفها من السوق الأوروبية المشتركة بدخولها السوق بعد تردد طويل ، مظهر آخر من مظاهر هذا الاستقطاب داخل نطاق العالم الرأسمالى ، وتعبير عن استحالة استمرار اعتماد انجلترا على « علاقاتها الخاصة » مع أمريكا فقط ، مع بقائها بمعزل عن كيان أوروبا الأوسع .

□ **ثالثا :** غير أن هذا التفسير فى ابعاد المواجهات الأساسية فى العالم ، باكتسابها سمة المواجهات بين اقطاب خمسة ، بدلا من اثنين فى الأربعينات وبداية الخمسينات [الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى] وثلاثة فى الستينات [الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والصين] ، وذلك بعلاقات معقدة فى تعامل هذه الاقطاب الخمسة فيما بينها ، من شأنه شد الانتباه العالمى الى القواعد التى تحكم العلاقات بين هذه الكيانات الدولية الجديدة ، ويترتب على ذلك الخوف من أن تثقل محاور التحرك فى العالم الى « اللعبة الدولية » المحكومة بعلاقات هذه الكيانات الدولية فيما بينها .

ولما كان أربعة منها تنتمى الى العالم المتطور ، فيخشى من هذه السمة الجديدة للتعاملات الدولية أن يترتب عليها ارتداد مشاكل ساخنة أخرى الى الخلف ، وبالذات المشاكل المتفجرة فى العالم الثالث ، أى فى قطاع العالم المتخلف تكنولوجيا ، ومما يستحق التأكيد فى هذا الصدد ، مع زيادة البون اتساعا بين العالم المتقدم والعالم المتخلف أن المشاكل المستحكمة فى العالم الثالث من شأنها أن تزداد التهابا خلال العقود القادمة ، مما لم تكتسب اهتماما مركزا من جانب المجتمع الدولى بأسره ، ومن الدول المتطورة بالذات ، والتغييرات التى تعترى عالم اليوم ليس من شأنها أن تولى هذه المشاكل ما تستحقه من اهتمام . ولا أن تكتسب لها فى الأولويات المكانة التى ينبغي أن تحتلها .

رابعاً : هذه الخواص الجديدة لعالم اليوم تضع المواجهة بين قضية التكنولوجيا وقضية الايديولوجية في اطار جديد . ذلك ان الثورة التكنولوجية من شأنها زيادة التباعد بين العالم المتطور والعالم المتخلف ، وتؤكد تقسيم العالم حسب خط افقى يفصل - بشكل عام - بين الشمال والجنوب . (هذا بينما كانت الثورة الاجتماعية ، والمواجهة الايديولوجية في العالم ، تحدد خطاً رأسياً يفصل الشرق عن الغرب) .
والان ، بانضمام الصين الى الامم المتحدة ، وبانتمائها الى المؤسسات التى تجسد « الشرعية الدولية » . فينبغى أن نتوقع بروز « بعد ثالث » (بالمعنى الهندسى للكلمة ، بعد الخط الافقى ، والخط الرأسى اللذين حددناهما فيما قبل) « بعد ثالث » يفصل بخط يمتد عمقا ، بين خريطتين للعالم : خريطة العالم كدول في مستوى أعلى ، ذلك بعد اتساع « الشرعية الدولية » لتحتوى داخلها كل سطح كوكبنا جغرافيا ، وخريطة اخرى للعالم في مستوى أدنى ، ترسم تضاريس العالم وملامحه « كحركات » . أى بعبارة اخرى ، بدخول الصين الشعبية الامم المتحدة ، سقط القطب الدولى القادر على استقطاب كافة « الحركات » المتمردة على الشرعية الدولية ، التى لا تجد فيها ما يحقق لها « حقها » فى الوجود . وبسقوط هذا القطب الدولى على نطاق « الدول » أصبحت ملامح العالم « كحركات » تتحدد على مستوى منفصل ، ومتميز عن المستوى الذى تبدو فيه خريطة العالم « كدول » ، واصبحت « حركات التمرد » ، بدلا من أن تحتل قطاعات بالذات من خريطة العالم جغرافيا ، وتتواجد متناثرة على اتساع العالم ككل (وأن كان ذلك بتضاريس متفاوتة فى هذا القطاع أو ذاك منه) ، وفى مستوى يختلف عن مستوى التعامل بين الدول « كدول » .

طبعا ، لا يعنى ذلك أن الصين ، بمجرد دخولها المؤسسات الدولية ، ستتخلى عن منطلقاتها السابقة التى وجدت فيها قوى سياسية مختلفة لم يعترف بشرعيتها دوليا ، عونا وتأيدا . وكذلك لا يعنى نشأة هذا « البعد الثالث » نفى تقسيم العالم الى « دول » تنتمى بعضها الى ايديولوجية تقدمية ، وينتمى بعضها الاخر الى ايديولوجية

رجعية واستعمارية . . . غير أنه أصبح من الممكن أن يقال أن هناك مقابلة بين المواجهات التى تتم على مستوى « الدول » وهى مواجهات تحكمها فى حساباتها التكنولوجية (بما فى ذلك تكنولوجيا السلاح) ، كأساس لتحديد العلاقات المتبادلة فيما بينها ، ذلك بينما تتسم ملامح العالم على مستوى « الحركات » ، بأن العنصر الغالب فيها هو عنصر « الايديولوجية » ، والمواجهات الايديولوجية ، وليس شرطا أن يبرز هذا العنصر فى العلاقات بين دول ، بل قد يبرز بالذات فى صورة مواجهات داخل كل مجتمع على حدة ، أى فى صورة مواجهات فى العمق بين شرائح وطبقات اجتماعية داخل مجتمع واحد ، أو بين الاجيال داخل مجتمع واحد . . . وعلى نحو نجد لها مقابلات تمتد بالتماثل على مسعده أكثر من مجتمع .

ان هذا « البعد الثالث » ذات أهمية بالغة فى التغييرات التى تعترى ملامح العالم اليوم . .

ويجوز هنا أن نشير الى حقيقة اضافية ينبغى أن تجذب انتباهنا ، وهى أن مجرد حدوث هذا التغيير الواسع على الصعيد العالمى وبهذا الشكل المفاجئ يحمل فى طياته حقيقة أن « حركات » عديدة ظلت خلال الفترة السابقة « نائمة » « ومكبوتة » بحكم « طغيان » الهياكل الدولية القائمة ، وتحت تأثير الاحساس . أو التصور باستقرار ورسوخ التوازنات بين القوى الدولية ، يمكن لها أن تنطلق فى مرحلة التفسير دون أن تملك قوة السيطرة عليها .

وليس من باب المصادفة ان تشهد هذه المرحلة تفجر قضايا دولية متنوعة ، يصعب نسبتها الى نوعيات الايديولوجية التى اكتسبت الاعتراف بشرعيتها دوليا . وهى قضايا فى أغلبها تخص دولة بعينها ، أو « مجموعة دول » كوحدة ، أو بالذات قضية الدول التى تم تقسيمها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية [فلسطين بعد اقامة اسرائيل الهند وباكستان ، فيتنام ، كوريا . .] قبل أن تخص المواجهة بين أكثر من دولة متميزة كل التمايز . . فهكذا من صميم خصائص العصر ، وليس من الظواهر « العرضية » التى يجوز اغفالها فى أى تحليل عام عن التغييرات التى تعترى عالم اليوم .

السباق التكنولوجي في خدمة الصراع الطبقي

التعدد في مراكز القوى الدولية الاشتراكية الصين والاتحاد السوفيتي مع أوروبا الاشتراكية والراسمالية أمريكا وأوروبا الغربية واليابان هي حقيقة العصر . وسوف يخدم هذا بلا شك مستقبل العلاقات الدولية لأنه قام على اثر نضال طويل ثبت نجاح سياسات وقشل بعضها، وسوف يؤثر ذلك كما قلت على مستقبل العلاقات الدولية إذ سوف ترى القوى الدولية مصلحتها بقدر الامكان والابتعاد عن استخدام القوة، واللجوء الى أشكال أخرى من الصراع في ظل الشرعية الدولية أي ان الصراع سوف يتخذ أساليب أخرى في ظل تعايش مسلح وتعاون دولي . وهذا سوف يخدم كفاح شعوب العالم الثالث وحكوماتها من أجل تصفية آثار الاستعمار الباقية والحقوق بركب التقدم ، وتحقيق التقدم الاجتماعي أو تهئية الظروف للثورات الاجتماعية .

أما الأبعاد الثلاثة للصراع الأفقي والرأسي والمبني فإني لا أنفقع وجهة نظرا لأخ محمد سيد أحمد في كل كلامه - لتداخل عوامل الصراع بصورة تجعل هذا التحديد ليس سليما - فالواجهة بين الأيديولوجية والتكنولوجيا ليست صحيحة تماما - فالمحوظ من تجارب الحقبة السابقة أن هناك سباقا وصراعا تكنولوجيا ، ولكنه أيضا يكون لخدمة الأيديولوجيا أو لخدمة الصراع الطبقي على المجال العالمي بل والمحلي أيضا فنجاح الصين والاتحاد السوفيتي تكنولوجيا قوة للشعوب المكافحة - لتقسيم العالم أفقيا الى شمال متقدم وجنوب متاخر هذا صحيح ولكن الصراع لا يتم من الجنوب عموما والشمال عموما . فالاتحاد السوفيتي وأوروبا الاشتراكية والصين يخدم كفاحهم في التقدم التكنولوجي شعب فيتنام ومصر والجزائر وكوبا وتشيلي وكل بلاد العالم الثالث المتخلفونوع العلاقات بينهما مختلف عن علاقات هذه البلاد مع أمريكا وأوروبا الغربية مثلا .

أما صراع العمق أو دور الحركات الاجتماعية خارج ما يسميه الأخ محمد سيد أحمد بالشرعية الدولية ، فإني أرى أنه كان موجودا في الفترة السابقة وأخذ دوره المتزايد . واعتراف العالم به بنحو حتى لقدصلنا اليوم الى حالة أصبح معها صراع العمق في بلد معين أو في مجموعة من البلاد يترك آثارا عالمية ، وتأييدا حيا من الشرعية الدولية ، والكفاح ضد العنصرية في أمريكا وأفريقيا يجد صدى من مجموعة الدول الأفريقية والبلاد الاشتراكية ومجموعة عدم الانحياز وكل الأمم المتحدة . كفاح شعب باكستان مثلا وإن كان كفاحا قوميا إلا أنه - في جوهره - صراع اجتماعي على وشك الحصول على الاعتراف مع كل الصعوبات - كفاح شعب فلسطين بلداد عدد المعترفين به - بل إن النفوذ في مراكز القوى الدولية واتساع رقعة الشرعية الدولية سوف يخدم هذا الصراع في المدى الطويل . إذا فجوهر الصراع الطبقي على المجال العالمي يتخذ وسائل متعددة أولها الصراع تحت مظلة الشرعية الدولية وثانيا السباق العلمي والتكنولوجي . ثالثا : الصراع من أجل اخراج العالم الثالث من دائرة النفوذ . ورابعا : مساعدة نضالات العمق لتخدم أهداف التقدم الإنساني .

ومهما حدث من اتفاقات قومية بين بعض القوى الاشتراكية وبعض القوى الرأسمالية قبل اتفاق وجهة النظر الصينية والأمريكية في بعض الأمور فإن هذه الاتفاقات ستبقى آثارها محدودة ولن توقف الصراع الطبقي على المجال العالمي أو اتجاه مسيرته . والا فإن القطب الذي يقبل وقف اتجاه هذا الصراع فإنا يعلن - تقريبا رغبة تخليه عن دوره العالمي . وهذا كما هو واضح يستبعد حتى الآن . ومهما برزت المصالح القومية في المكان الأول للقوى المتعددة فنستظل لمعامل مع الصراع الطبقي الاجتماعي قوة الشد الاقوى متفاعلة مع المصالح القومية على المدى الأطول للقوى المتعددة الاشتراكية والراسمالية على السواء .

خالد محي الدين

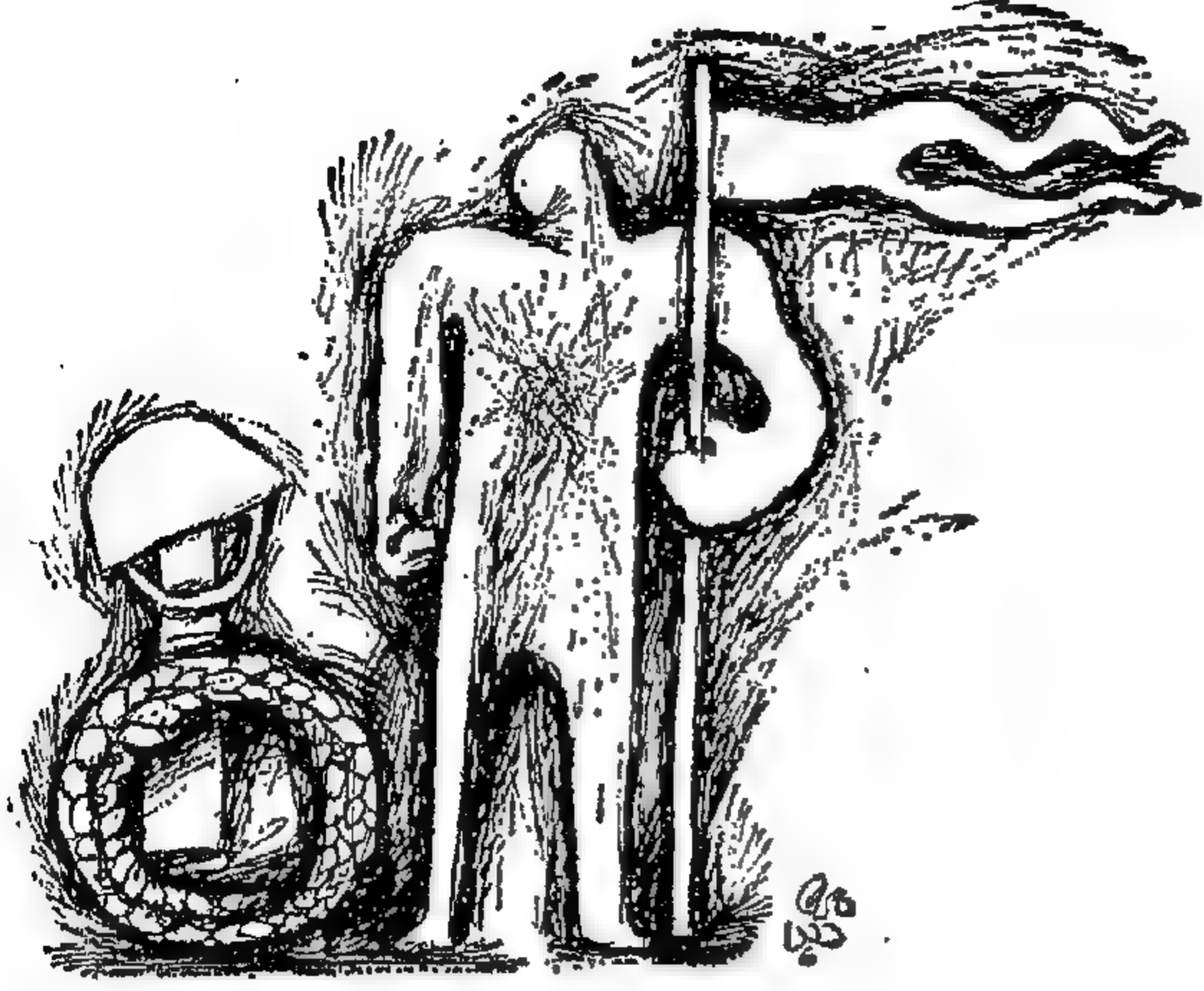
الجديد في المجتمع الدولي الذي كتبه الأخ محمد سيد أحمد للطليعة تحت عنوان « الأبعاد الثلاثة في الصراعات على النطاق الدولي » . هو أن علاقات القوى العالمية أو الصراع في مجال العلاقات الدولية قد تخطت نتائج الحرب العالمية الثانية وهي في طريقها الى تشكيل أشكال جديدة في علاقات القوى العالمية .

واستند في هذا الاستنتاج الى هذين لهما آثار بعيدة في المجال العالمي .

أولا : زيارة كيسنجر للصين ودخول الصين الأمم المتحدة . ثانيا : اتفاق برلين بين الدول الأربع واحتمال دخول الدولتين الألمانيتين الأمم المتحدة أي قبول الأمر الواقع في أوروبا .

حقا ان تدعيم الأمم المتحدة واتساع رقعة الشرعية الدولية المعاصرة لتشمل الأغلبية العظمى من الكرة الأرضية هو حدث يترك بغير شك آثارا بعيدة على مستقبل العلاقات الدولية وأنا أوافق على ذلك ، وإن كنت أرى أن الحدثين الهامين ليسا الا مظهرًا أو تنويجا لكفاح طويل استمر منذ الحرب العالمية الثانية الى اليوم - واتجاه هذا الصراع أو الكفاح سوف يحدد بلا شك شكل ومستقبل العلاقات الدولية الى حد كبير . فزيارة كيسنجر ودخول الصين الأمم المتحدة هو اقرار الولايات المتحدة بنجاح الصين الاشتراكية في بناء مجتمعها وفق ظروفها الخاصة وبأنها أصبحت إحدى الدول العظمى النووية والمتقدمة وكذلك وبالتالي اعتراف مبني بهزيمة فكرة الحروب المحدودة والحروب الخاصة - إذ أن الحروب المحدودة منذ الحرب العالمية الثانية التي تمت في آسيا لم تستطع أن تحقق فرضا واحدا للاستعمار الأمريكي - ونضال الشعب الفيتنامي البطولي وشعوب الهند الصينية ، والشعب الكوري لعبت دورا كبيرا في اثبات أنه من الصعب هزيمة الحركة الثورية المسلحة في أي بلد إذا تواجدت له قيادة ثورية استطاعت أن توحد أغلبية الأمة وراءها، وأن الأسلحة المتعددة تكنولوجيا عجزت من أنزال الهزيمة بقوات التحرير الوطنية الثورية . بل إن أمريكا وحلفائها يواجهون هزائم متكررة في الهند الصينية . وقد كانت مساعدات الانحساد السوفيتي والصين لشعوب هذه البلاد أحد العوامل الهامة في تمكين هذه الشعوب من الصمود - إذن فالاعتراف بالصين ودخولها الأمم المتحدة هو تنويج لصراع سوف ينعكس أثره على مستقبل العلاقات الدولية وخاصة بين أمريكا والأمم الناهضة ، هذا بغير الجوانب الاقتصادية التي تحسبها أمريكا لعلاقاتها المستقبلية مع سوق الصين الواسع وهو أمر سوف يترك آثارا هامة على أسلوب العلاقات الدولية بلا شك .

أما اتفاق برلين فهو تكملة للمعاهدة الألمانية السوفيتية والألمانية البولندية وهو اعتراف بهزيمة السياسة الأمريكية الألمانية منذ الحرب العالمية الثانية - سياسة الاطنطى وسياسة الحرب الباردة وسياسة عدم الاعتراف بالأمر الواقع الاشتراكي في أوروبا ، سياسة القيود التجارية مع العالم الاشتراكي - وظلت هذه الآمال تتراوح بين الصعود والهبوط في مواجهة سياسة التعايش السلمي والتعاون الدولي والامن الأوروبي الشامل وحل المشكلة الألمانية التي كانت ترفعها البلاد الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي - حتى اقتنعت ألمانيا الغربية في عام ١٩٧٠ بعد الدخول المسلح في تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ أنه لا يمكن للقوة أن تغير الأوضاع الاشتراكية في أوروبا . وأن ألمانيا الديمقراطية هي حقيقة حية متطورة فهي سابق أو ثامن دولة صناعية في العالم . وأنه ليس أمام أوروبا وألمانيا الغربية سوى التعامل على قدم المساواة مع الواقع الاشتراكي الأوروبي - إذا أرادت أوروبا أن تحافظ على مصالحها الخاصة .



حركة التحرر الوطني

من مواقع الانتصار ومواقع الهزيمة

حسين عبدالرازق

عاد يتدفق من جديد في جسم الثورة ، بعد سنوات طويلة من الركود والفشل . لقد سادت أمريكا اللاتينية مع نجاح الثورة في كوبا موجة من التفاؤل (الرومانسي) ، وأصبحت كوبا كاسترو وجيفارا ، نموذجا لاغلب القوى الثورية النشطة في المنطقة . وسرمان ما تضاعفت الآمال . ووصلت في لحظة الى حد التشبث بأن تبقى كوبا محصنة خاصة بعد انهيار ثورة حرب العصابات الثورية في بوليفيا ، وغياب أرستوخي جيفارا الى الابد فوق ترابها .

ولكن الصورة عام ١٩٧١ تبدو مليئة بأضواء وظلال الرفض والتمرد والثورة . ومهما بدا الطريق مغيرا للامح المحم القديم ، فلاشك أن أمريكا اللاتينية دخلت عام ١٩٧١ مرحلة جديدة في العمل من أجل تحريرها الوطني .

ويسجل « جون بارتز » كبير مراسلي نيوزويك ، بعد حضوره الاجتماع السنوي لوزراء خارجية

مسار حركات التحرر الوطني على امتداد القارات الثلاث « أفريقيا - آسيا - أمريكا اللاتينية » ، لعدد من التطورات والتغيرات خلال عام ١٩٧١ . ويقدر تنوع الدروب التي سلكتها على الطريق ، واختلاف القوى التي واجهتها وتعرضت لها ، تراوحت المحصلات بين السلب والإيجاب .

ورغم انتماء كثير من الملامح الرئيسية لحركة التحرر الوطني خلال عام ١٩٧١ ، لنفس المسار خلال الأعوام السابقة ، إلا أن هذا العام حمل معه بعض الظواهر الجديدة ، وإن امتدت بدايات منها الى العام السابق أو أبعد من ذلك قليلا .

رياح التغيير في أمريكا اللاتينية

في عام ١٩٧١ اكتملت صورة الرفض والثورة في أمريكا اللاتينية . واثبتت الأحداث أن الدم

دول أمريكا اللاتينية في كوستاريكا في شهر مايو الماضي ، هذه الحقيقة قائلا :

● ليست هذه أيام سعيدة لمواطني الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية . فابتداء من سفراء أمريكا المحكوم عليهم بالحياة في ظل اعتقال وقائي حقيقي ، محاصرين بجيش من الحراس الخصوصيين ، الى الزوجات المحكومين بقائمة من الواجبات والمحظورات . والحسب في جانب الأمريكيين اذا انتابهم شعور بأنهم قوم غير مرغوب فيهم من جانب جيرانهم اللاتينيين . لقد تعرض الرسميون الأمريكيون للاختطاف والقتل ، وانتزعت ملكيات الشركات الأمريكية (أممت) ، وأسرت سفن الصيد ، وألقيت القنابل على المكاتب والمصانع الأمريكية ، وتتجه حكومة تشيلي الماركسية بسرعة نحو تأميم صناعة النحاس التي تساهم فيها الولايات المتحدة الأمريكية بسبع مائة مليون دولار . واستولت الانظمة العسكرية اليسارية في بيرو وبوليفيا ، على أهم الاستثمارات الأمريكية في بلديهما ، وهي شركات البترول . وأصبح العداء لأمريكا هو الشعار الذي يرفعه اليمين واليسار في الأرجنتين في محاولة للوصول الى السلطة بعد انتهاء عدة سنوات من الحكم العسكري . حتى جنويانا البالغة الصغر ، وهي الدولة الوحيدة في أمريكا الجنوبية التي تتكلم الانجليزية ، قررت وضع يدها على صناعة البوكسيت المملوكة لرؤوس أموال أجنبية (وتساوي عدة ملايين) وإدفع قيمتها من الأرباح المستقبلية . والاستثناء الوحيد من هذه الظاهرة ، حيث يطعن رجال الأعمال الأمريكيين وساسة واشنطن ، الى عدم وجود مشاعر معادية لهم ، هي هذه البلاد المحكومة بانظمة تقوم على القمع والارهاب (كحكومة جنرال اميليو جارااستازو ميديكي في البرازيل) ، وهي نتيجة محزنة وشهادة محرجة ، لعشر سنوات و ١٢ بليون دولار كرست لبرنامج التحالف من أجل التقدم الأمريكي ... » .

وتقف وراء هذه الصورة الواعدة مجموعة من العوامل الهامة :

● فبرنامج « التحالف من أجل التقدم » الذي طرحته أمريكا كعلاج حاسم لسحب التمرد والثورة ، في أعقاب نجاح الثورة الكوبية ، انتهى الى فشل حقيقي . فلم يتحقق الهدف الاقتصادي الرئيسي للبرنامج ، وهو تحسين مستوى معيشة شعوب أمريكا اللاتينية ، وتحقيق معدل للنمو ٢٪ على الأقل كل عام . فطبقا للاحصاءات الرسمية لم تتجاوز الزيادة السنوية في المتوسط ١.٥٪ .

وازدادت شروط التجارة غير المواتية لدول أمريكا اللاتينية سوءا . فانتسعت الفجوة بين أسعار المواد الخام (التي تباعها أمريكا اللاتينية) والمواد المصنعة (التي تشتريها من الولايات المتحدة) . وفقدت شعوب أمريكا اللاتينية نتيجة لذلك حوالي ٢٠٠٠ مليون دولار في عام واحد فقط .

يقول الرئيس الأرجنتيني السابق روبرتو أيفنجهستون في افتتاح اجتماع بنك التنمية في الأمريكتين الذي عقد أخيرا في بيونس آيرس . . « يظهر التحليل الواقعي أن المعونة الأجنبية لدول أمريكا اللاتينية ، لم تكن غير كافية فحسب ، ولكن مراجعة حركة رؤوس الأموال تظهر بوضوح أن أمريكا اللاتينية — على العكس — هي التي ساهمت في تنمية المناطق الأكثر تطورا (الشمال الأمريكي) . .

ويذكر راؤول بريبيسك مدير معهد أمريكا اللاتينية للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة في تقريره للبنك أنه « خلال عشر سنوات من التحالف من أجل التقدم ، تحققت عكس النتائج المفروضة تماما . . برز للوجود نماذج جديدة من تركيز الدخل . فأصبح المتريعون على قمة الهرم الاجتماعي أكثر رخاء ، ولم تمس ثمار التنمية الجماهير العريضة المنتمية الى ذوي الدخل المنخفضة » .

فاذا أضفنا الى ذلك استثمارات الولايات المتحدة الخاصة في أمريكا اللاتينية وتعدل الى ١٣ بليون دولار ، يبدو منطقيا تصاعد الدعوة الى سيطرة دول أمريكا اللاتينية على اقتصاداتها ، وانتشارها بين العمال والطلبة والفلاحين ، والشريحة الجديدة من الاقتصاديين الشباب ، وضباط الجيش الوطنيين وشباب القساوسة .

وبعلق رئيس وزراء بربادوس على هذا الواقع قائلا : « اذا لم نلتفت الى نوع الاستثمارات النشطفية بلادنا ، فربما استيقظنا في أحد الايام لنفاجأ بأننا ما عدنا نملك وطننا ، فقد أصبح يخص مجموعة من الأجانب .

● وليست حقائق الاقتصاد وحدها وراء هذا المناخ الجديد . فالتميرات الاجتماعية الجوهرية التي حدثت داخل الجيوش في أمريكا اللاتينية ، بدورها المعروفة في الحركة السياسية (والانقلابية) التقليدية) ، لعبت دورا كبيرا في بعض بلاد القارة الأمريكية . وأهم هذه التغيرات ، تزايد ممثلي الطبقة الوسطى والبورجوازية الصغيرة في سلك الضباط ، ودخول عدد كبير نسبيا من

القمال والفلاحين الى صفوف الجيش ، بحيث أصبح من الخطأ اعتبار كل الجيوش في أمريكا اللاتينية مجرد وحدات من مرتزة الامبريالية الأمريكية .

ويشير تقرير روكفلر الشهير الى وجود عدد كبير من ضباط الجيش في هذه البلاد ، أبناء عائلات الطبقة الوسطى ، يختلفون تماما عن الجيل السابق لهم المعارض تماما للاصلاح الاجتماعي ، ويؤكد وقوع بعض العسكريين تحت تأثير الافكار الوطنية والماركسية أيضا .

• ومن اهم عوامل التغيير ، الاتجاه الى تكوين تحالفات واسعة بين الاحزاب التقدمية في عدد من البلدان ، تلعب فيها احزاب الطبقة العاملة دورا قياديا . ونجحت هذه التجربة في اقامة نظام تقدمي في شيلي ، وفي دعم النظام الوطني في بوليفيا قبل سقوطه .

• ومن القوى الجديدة التي دخلت الى ساحة النضال ، رجال الدين المسيحي . فبعض القساوسة ، قام بدور ايجابي في الكفاح ضد النظم القمعية في الداخل ، والسيطرة الامبريالية الخارجية . وهذا امر له دلالة هامة في أمريكا اللاتينية ، حيث تلعب العقيدة الدينية دورا هاما في تحديد مواقف الناس واختياراتهم .

ولم يكف القساوسة بمعارضة الدكتاتورية ، بل حمل بعضهم السلاح متتبعين خطى « كاميليو قوريز » الذي انضم لصفوف حرب العصابات منذ عام ١٩٦٦ .

وفرضت هذه الحقائق على الولايات المتحدة البحث عن منهج جديد لاجتواء (هذه التيارات الخطرة) ، وتبريرها . بعد أن اعترف نيكسون في رسالته للكونجرس الأمريكي (٢٥ فبراير ١٩٧١) بخطورة التحدي الذي تواجهه أمريكا قائلا : « هناك غليان في أمريكا اللاتينية ، والكاريبي . فالتطور حمل معه تغييرات وثاقصات حادة ومتكررة ، يصاحبها نمو للقومية . وينظر البعض في المنطقة للولايات المتحدة كعقبة ومنصر تهديد أكثر منها مصدر للمساندة . وفي الواقع فالقومية تبحث في جميع الاحوال عن استقلالية أكبر من تأثيرنا المحكم . وفي بعض المناطق اتخذت القومية موقفا معاديا للولايات المتحدة . »

ورغم العلامات المشجعة في مسار حركة التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية ، فمن المهم أن لا نخطأ في تقدير حجم واحتمالات تطور هذه الحركة ، كما حدث في بداية الستينات في أفريقيا .

أن ربح التغيير التي اجتاحت أفريقيا في بداية الستينات أثرت — نتيجة لطبيعة قوى الثورة والقوى الدولية — أقل كثيرا من الاوهام والاحلام التي اسقطت عليها وليس من مصلحة الثورة في أمريكا اللاتينية أن تكرر في السبعينات خطأ الرفاق في أفريقيا .

حرب المدن •• تتأكد

وتأكد خلال هذا العام ملامح حرب العصابات المسلحة ، خاصة حرب المدن . ويهدف هذا النوع من الكفاح الوطني في أمريكا اللاتينية غايتين جوهريتين :

١ — التصفية الجسدية للقوات المسلحة والشرطة

٢ — مصادرة الموارد الحكر المائدة الى كبار الرأسماليين وكبار الكبار ، والامبرياليين « ليدفعوا تكاليف الثورية ، وهي تكاليف باهظة » .

وبلغت هذه الحرب أوجها في أوروجواي حيث مارس رجال « التوبا ماروس » بنجاح مذهب ، ابتداء من اغتيال العناصر الفاسدة والتي تلعب دورا واضحا في الحياة السياسية في الاوروجواي ، وانتهاء بعمليات على أموال البنوك . ولكن أشهر العمليات التي أثارت ضجيجا حول التوبا ماروس في الخارج والداخل ، هي عمليات خطف الدبلوماسيين الاجانب ، والتي يعتبرها الثوار عملا من « الدعاية المسلحة » . وتحقق هذه العمليات من نتيجة ايجابية لرجال حرب المدن . . .

١ — فسيخدم المخطوفون في المساومة المسجونين السياسيين واطلاق سراحهم .

٢ — تعرى عمليات الخطف النظام السياسي وتبين مدى ضعفه وعجزه ، مما يفقد الدولة الاخرى الثقة في النظام .

٣ — تترك العمليات أصداء واسعة في الدول التي يخطف ممثلوها ، تشد أنظار الرأي العام في هذه البلاد الى ما يجري في أمريكا اللاتينية ، وتحرك بعضهم نحو مناصرة الحركة الثورية في مراحل تالية .

ولجوء الثوار وأغلبهم من خريجي الجامعات والطلاب السابقين الى حرب المدن ليس اختيارا ذاتيا ، بل يرتبط تماما بالتركيب الاجتماعي والسكاني في الاوروجواي .

فمن بين سكانها البالغ عددهم ٢٨٠٠٠٠٠ نسمة ، يعيش ٨٤٪ منهم في المدن ، و ٥٠٪ من هؤلاء في العاصمة «مونتفيدو» وحدها وفيها أيضا ٢٠٠ ألف عامل ، بينما لا يتعدى سكان الريف ٤٠٠ ألف نسمة ، من بينهم ١٠٠ ألف عامل .

وتتزايد تكاليف المعيشة في أوروغواي بشكل سريع ، وتتضاعف من عام لآخر . أما الأجور الحقيقية ، فقد انخفضت من ١٠٠ عام ١٩٥٧ إلى ٥٣ عام ١٩٦٧ ، وتتزايد البطالة ، وتبلغ الافلاسات التجارية أرقاما مخيفة .

وعلى الجانب الآخر ، فإن الاقلية المالية تتكون مما لا يزيد عن ألف أسرة ، تحتل كل المراكز الهامة في الاقتصاد والحكومة ، وترتبط بصلات وثيقة برأس المال الأمريكي ، كشركات **روكفلر ومورجان** . وهي ظروف كلها مواتية للثورة .

ولكن التجربة — رغم بريقها وانتشارها — مازالت مرفوضة من عديد من القوى الثورية في أمريكا اللاتينية ، خاصة الأحزاب الشيوعية التقليدية .

دلالات التجربة في شيلي

ومن أهم العلامات البارزة في مسار حركة التحرر الوطني ، التجربة الثورية التي تجرى في شيلي . فانتصار الجبهة الشعبية ، وتولي «اليندي» السلطة ، تغيير يحمل دلالات هامة . فلأول مرة في تاريخ القارة ، تختار الجماهير عن طريق صندوق الانتخاب ، حكومة يريدونها ويثقون فيها . وللمرة الأولى تقوم حكومة يرأسها زعيم ماركسي وتطرح الاشتراكية العلمية كمنهج للعمل والتغيير ، وبوسائل الديمقراطية البرلمانية التقليدية .

وأعتبر المعلقون الاشتراكيون هذه التجربة «انتصارا يعود لتعاظم قوة العمال والحركة الجماهيرية ، ولصلاحية الخط السياسي الذي اتبعته الأحزاب المكونة للجبهة الشعبية . ومن الواضح إمكانية تجميد مقاومة الدوائر الرجعية ، والتغلب عليها ، إذا نجحت الحركة الجماهيرية في تحديد أهدافها بوضوح وفي تطبيقها » .

ولكى نستطيع الوصول الى رؤية صحيحة وعملية ، لابد من اطلالة على ظروف التجربة ، انجازاتها وعثراتها .

لقد حددت الجبهة الشعبية أهدافها في خلق جمهورية للطبقة العاملة ، وتحقيق ثورة اجتماعية في شيلي . وعلى هذا الطريق حققت انجازات هامة في مقدمتها تنفيذ اصلاح الزراعي وتأميم صناعة النحاس أهم ثروات شيلي الضخمة ، ودفع أجور العمال وتجميد الاسعار ، وتأميم البنوك .

وفي الناحية المقابلة ، واجهت شيلي ظروفًا اقتصادية بالغة التعقيد . فوصلت البطالة الى حدود خطرة نتيجة تزايد البطالة التي ورثتها من العهد السابق والتي كانت تتجاوز المليون عاطل ، بصورة مفاجئة مع بداية السبعينات .

وتعود الازمة الى الدور الذي حاول اليمين المتطرف والشركات الاجنبية القيام به ضد اليندي .

وتركزت الجهود المعادية حول صناعة النحاس فبالاضافة الى الانخفاض الحاد في السعر العالي للنحاس من ٧٥ سنت عام ١٩٧٠ الى ٤٠ سنت عام ١٩٧١ ، انخفض الانتاج في شيلي مما أدى الى انخفاض الدخل بنسبة ٤٠٪ . ويعود هذا الانخفاض في الانتاج الى حملة الاستقالة الجماعية المدبرة للمهندسين والفنيين العاملين في مصانع النحاس بعد التأميم . ففي شركة واحدة من الشركات الأمريكية الثلاث الكبرى التي خضعت للتأميم (شركة كينكت للنحاس) ترك العمل أكثر من ٧٧٪ من كبار موظفيها .

ولم يكن غريبا ازاء ذلك انخفاض احتياطي النقد الاجنبي من ٣٤٩ مليون دولار الى ٢٠٠ مليون خلال الثمانية أشهر الاولى من ١٩٧١ ، وظهرت علامات التضخم من جديد مما اضطر الحكومة الى تخفيض الاسكيدو (عملة شيلي) بنسبة ٥٠٪ .

ونفس المصاعب ظهرت في الزراعة نتيجة لمقاومة كبار الملاك والمزارعين ، ومحاولاتهم لاقتال اصلاح الزراعي . فانخفض انتاج المواد الغذائية والتبونية ، مما حمل الحكومة زيادة في استيراد المواد الغذائية بنسبة ٥٠٪ .

وعندما طلبت شيلي من بنك الاستيراد والتصدير (الأمريكي) خلال شهر أغسطس ١٩٧١ منحها قرضا قدره ٢١ مليون دولار لتغطية وارداتها وقرضا آخر لشراء ٣ طائرات نفثة من الولايات المتحدة ، رفض البنك الاستجابة لطلبها مشهرا بأوضاعها الاقتصادية .

المناطق التي شهدت اضطرابات طبقية أثناء تطبيق الإصلاح الزراعى .

واستخدم كبار الملاك « الحرس الابيض » الذى نظموه أثناء الحملة الانتخابية ، لخلق مناخ من الارهاب فى الريف، بينما ممثلو اليمين فى البرلمان يركزون على اتهام الفلاحين بتكوين عصابات لحماية الاراضى التى استولوا عليها بقوة السلاح .

وفى نفس الوقت استفاد اليمين من طبيعة النظام القضائى فى شيلى . فاعترضوا أمام المحكمة العليا على رفع أجور العمال الزراعيين . وأصدرت المحكمة قرارها لصالحهم . وبدى الحكم منطقيا . . فثلاثة عشر من قضاة المحكمة ، هم أنفسهم من كبار الملاك . وعلق وزير الزراعة على قرار المحكمة بقوله « ان المحكمة لا تملك الحق للتدخل فى أمر يخص المحاكم العمالية . . وعلى المحكمة أن تتحمل نتائج تصرفاتها . . » . وهكذا فرض اليمين على الحكومة فى شيلى ضرورة المواجهة مع السلطة القضائية القائمة على نظريات تخدم مصالح الملاك ضد جماهير الشعب .

ولم يكن اليمين وحده فى الميدان . فبعض القوى اليسارية ألقت بثقلها أيضا ضد الحكومة الوطنية . وبدأت القصة عندما ثار المعسدين وحاولوا الاستيلاء على أراضى الملاك عنوة ، خاصة بعد قرار المحكمة العليا . فوقع مصادمات مع الملاك والعناصر اليمينية . وقررت حكومة اليندى الإسراع بتطبيق الإصلاح الزراعى، ووجهت نداءات متكررة لإنهاء عمليات الاستيلاء التى يقوم بها الفلاحون مباشرة ، ودعتهم للتخلى بالصبر ، والثقة فى حكومتهم الوطنية . وأيد **الحزب الشيوعى** الشيلى موقف الحكومة . . ولكن تنظيمها يساريا يحمل اسم « **الحركة الثورية للفلاحين** » أعلن تأييده لعمليات الاستيلاء واستمرارها . . . « فنحن الفلاحين والعمال لن نقبل أبدا القيادة السياسية لللايديولوجيين الذين يدعون أن على العمال أن لا يناضلوا أو يعبثوا أنفسهم ، ويتركوا مصالحهم الطبقيّة ومبادراتهم الثورية ، طالما هناك دولة ترعى مصالح العمال والفلاحين . . »

ووسط هذه الازمات والاضرابات من اليمين وبعض قوى اليسار . والشدة والجذب داخل الجبهة الشعبية نفسها ، ومحاولات التصفية من الرأسمالية الأمريكية ، سواء عن طريق الضغوط الاقتصادية أو التآمر الداخلى أو تحريك نظم موالية فى المنطقة ، خاصة بوليفيا بعد سقوط الحكم الوطنى فيها . . تقف التجربة التقدمية فى شيلى فى مفترق صعب . ليس من السهل

وتواجه الحكومة الاشتراكية فى شيلى مسؤولية معالجة هذه الازمات الاقتصادية فى ظل متاعب وازمات سياسية تداخل الجبهة نفسها ، ومن قوى يمينية ويسارية خارجها .

فى الداخل تعرضت الجبهة لانقسامات داخلية خلال شهر أغسطس الماضى . وبدأت الازمة مع نهاية شهر يوليو ، عندما انسحب عدد من أعضاء **حزب المعارضة الرئيسى « المسيحيين الديمقراطيين »** من الحزب احتجاجا على ارتباط الحزب بالجناح اليمينى من القوى الوطنية ، ووقوفهم معا وراء مرشح واحد فى الانتخابات الفرعية ضد مرشح الحكومة . وكون المنسحبون حزبا جديدا « اليسار المسيحى » ، وأعلنوا مساندتهم للحكومة .

وفتح هذا الانقسام (الإيجابى) الباب لانشقاق أوسع داخل الجبهة الشعبية الحاكمة . فبعض أعضاء الجماعة التى تسمى « **مابو Mapu** » وهى واحدة من الأحزاب الستة المكونة للجبهة، تكون نتيجة انقسام سابق فى الحزب المسيحى الديمقراطى ، أعلنوا معارضتهم لتزايد الاتجاهات الماركسية لدى قيادة حزب (مابو) . وقرروا الانسحاب والانضمام لحزب « اليسار المسيحى » الجديد .

وتلى ذلك انسحاب ١١ من الأعضاء البرلمانيين (**الحزب الراديكالى**) المشارك فى الجبهة ، رافضين التعريف الذى أقصره مؤتمر الحزب للبرجوازية الديمقراطية باعتبارها « أداة للسيطرة الاستعمارية الرأسمالية » .

وفقد حزب الرئيس اليندى نفسه ، عضوا برلمانيا ، استقال احتجاجا على ما أسماه فرق حرب العصابات التى تثير الارهاب فى جنوب شيلى .

وقدم ٥ وزراء استقالتهم من حكومة اليندى ، وكلهم من الأحزاب غير الماركسية الداخلة فى الجبهة .

ولجأ اليمين فى محاولته لافشال التجربة الاشتراكية الى كافة الوسائل المشروعة وغسيرة المشروعة . فلجأ للاغتيال السياسى . وكانت آخر محاولاته ، اغتيال وزير الداخلية السابق . وهدد « **الحزب الوطنى** » الذى يمثل كبار الملاك بتخريب انتاج المواد الغذائية . وطالب باستخدام القهر ضد الفلاحين عن طريق فرض حكم عسكري فى

استشرافة نهايته ؟ تلك النهاية التي يتوقع عليها الكثير بالنسبة لحركات التحرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية وخارجها .

نهاية الانقلابات التقدمية

وشهد هذا العام تعثر ظاهرة الانقلابات العسكرية الوطنية فى أمريكا اللاتينية . وقد أثارت هذه الانقلابات التى وقعت فى بوليفيا وبيرو موجة من التفاؤل . فالدول مرة يتعدل دور الجيوش فى أمريكا اللاتينية ، من جهاز قمع خاضع تماما لاحتكارات الولايات المتحدة الرأسمالية ، ليصبح جهازا وطنيا ، يطرح شعارات التقدم والتحول الاجتماعى . وقارن كثيرون بين الضباط الوطنيين فى بوليفيا وبيرو ، وبين ضباط ثورة ٢٣ يوليو فى مصر . وكانت المقدمات مبشرة واعدة .

ولكن هذا العام نعى للناس النظام الوطنى فى بوليفيا . كان الجنرال جوار جوزيه توريز قد أعلن أن نظامه يهدف الى تخليص بوليفيا من السيطرة الاستعمارية ، والسير فى اتجاه الاشتراكية . وقطعت بوليفيا خطوات لا بأس بها على الطريق . فأتمت البنوك والمناجم . وكان آخر خطواتها انشاء « جمعية شعبية » من ٢٤٠ عضوا . ٦٠٪ من عينتهم اتحدادات العمال ، ٤٠٪ من قوى أخرى أساسها المنظمات اليسارية ورغم أن قرارات الجمعية غير ملزمة إلا أنها شكلت مؤسسة هامة ، أثرت ايجابيا على حكم توريز . وأصدرت الجمعية عددا من التوصيات الهامة ، مثل طرد جيش السلام الأمريكى ، ووضع قيود اضافية على الاستثمارات الأجنبية ، واقامة علاقات مع كوبا ، وانشاء جيش شعبى (ميليشيا) لمعاونة الجيش النظامى . ومع أهمية التوصيتين الاخيرتين لم يقدر لهما أن يريا النور .

والمشكلة أن توريز لم يكن قاطعا فى انتمائه . وظل متارجحا بين اختياراته التقدمية المعلنة وما تتطلبه من اجراءات ، وبين الخضوع لضغوط القوى اليمينية . ومنذ صعود توريز للسلطة ، حددت القوى الاجتماعية والسياسية موقعها بشكل حاسم ، ووقف عدد من رجال الجيش وتحالف قوى من العمال والفلاحين والطلبة والمنظمات اليسارية المعبرة عنهم وراء توريز . وفى مواجهتهم العناصر اليمينية القوية فى الجيش ، والقوى الاجتماعية المرتبطة برأس المال الأمريكى والمخابرات المركزية ورغم الحاح القوى اليسارية المؤيدة لتوريز بضرورة تصفية العناصر اليمينية

التمركزة فى جيش بوليفيا المتخصص فى الانقلابات التى وصل عددها ١٨٧ انقلابا منذ الاستقلال ، لم يستجب توريز لها فى ظروف مواتية خاصة فى البداية ، وتأييد شعبى واسع له لحظة استيلائه على الحكم ، وتردد فى تجميد حركة العناصر العسكرية الفاشية وشل حركتها ، وعارض توريز فى تكوين الميليشيا الشعبية السلاح الوحيد فى يد الجماهير لمواجهة غدر مؤكد من الجيش المحترف .

وأختار توريز معاونه من عناصر أغضبت القوى المؤيدة له ، فمثلا وزير العمل للشئون الاجتماعية « ايزاك ساندوفال » كان على خلاف حاد مع المنظمات العمالية التى اتهمته بمحاولة تفتيتها واشاعة الانقسام داخلها .

ولم يحقق توريز وعوده بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع كوبا وشيلي .

ومن الغريب أن توريز وسط هذه التعقيدات والتأرجح الدائم بين الارتباط الكامل باليسار ، والحرص على عدم التصفية الكاملة لليمين ، كان يتخذ فى لحظات معينة قرارات بالغة الخطورة ، وآخرها قراره بتصفية قاعدة الاتصالات الأمريكية فى « جوانثاناميتو » والتى تديرها المخابرات الأمريكية والبنтажون ، وهى مركز رئيسى لعمليات المخابرات المركزية فى أمريكا اللاتينية ، واعتبرت العناصر اليمينية القوية فى الجيش وخارجه ، هذا القرار الذى صدر فى يوليو ٧١ ، بمثابة انذار بالتصفية النهائية للوجود الأمريكى فى بوليفيا . ويتنسق كامل مع كبار رجال الاعمال وملاك الاراضى الاغنياء وعناصر المخابرات الأمريكية ، وقع الانقلاب العسكرى رقم ١٨٨ للاطاحة بالتجربة الوطنية .

وعندما حاولت جماهير الطلاب والفلاحين والعمال التصدى للقوات المسلحة التى سيطر عليها اليمين ، كانوا بلا سلاح أو تنظيم فقد تركها توريز مكشوفة فى مواجهة يمين مسلح مدعوم بقوى المخابرات المركزية . وكانت النهاية المحتومة . سقوط توريز واستيلاء اليمين على السلطة فى بوليفيا فى ٢١ أغسطس ١٩٧١ .

ولم يختلف مصير الامسال التى عقدت على تجربة بيرو ، عندما استولى جوان فيلاسكو على الحكم فى ٣ أكتوبر ١٩٦٨ بانقلاب عسكرى وطنى . فالتطبيق تكشف عن واقع يختلف كثيرا عن الاحلام التى أسقطت على هذه التجربة ، متأثرة بتجارب أخرى خارج القارة .

وتشجيع الاستثمارات الخاصة ؟ حتى لو كان ذلك يعنى تجميد بعض الاصلاحات الاقتصادية الاساسية التى حظيت بترحيب الجماهير . وتأكد هذا الاتجاه فى الخطاب الذى ألقاه الرئيس جوان فيلاسكو فى ٢٨ يوليو ٧١ فى ذكرى استقلال بيرو . فالغزل للقطاع الخاص كان واضحا . وحدد للقطاع الخاص الدور الاكبر فى الخطة الخمسية الجديدة والتى تبلغ استثماراتها ٢٠٠٠ مليون جنيه استرليني . سواء فى ذلك الرأسمال المحلى أو الاجنبى .

وقد تمت ضمانات كثيرة للرأسمال الاجنبى فى اثر قرارات التأميم ، وتزايد اطمئنانه بعد صدور قرارات تنظيم الصناعة والمصايد والمناجم . فأعلنت شركة (بيلكويتروليام) استعدادها لانفاق ١٤ مليون دولار فى حفر ٥٦ بئر بترول ووقع عقد مع شركة SP.SS للنحاس لاستثمار ٤٠٠ مليون دولار .

فاذا أضف الى ذلك أن بيرو هى الدولة الوحيدة من الدول الاربعة الكبرى المنتجة للنحاس التى لم تؤمم صناعة النحاس بها ، على عكس الدول الاخرى (شيلي - زامبيا - زائيرى) أصبح مفهوما اطمئنان رؤوس الاموال الامريكية واجهزة الحكم الامريكية الى الوضع فى بيرو .

وبيرو بهذه السياسة التى فتحت فيها الباب أمام رؤوس الاموال الاجنبية والمحلية الخاصة رغم تحقيقها تقدما اقتصاديا يتمثل فى ارتفاع معدل التنمية الى ١٠ ٪ الى ١٣ ٪ - كفت عن تمثيل دور الدولة الملهمه للحركات الوطنية فى أمريكا اللاتينية ، ولم تستطع حتى الان حل المشكلة الاساسية لجماهير أمريكا اللاتينية ، وهى سيطرة رأس المال الاجنبى والقوى المحلية المرتبطة به .

وتضاءلت الامل التى أسقطت على الانقلابات العسكرية الوطنية فى أمريكا اللاتينية . انتهت فى بوليفيا ، وأوشكت أن تنتهى فى بيرو وأن اختلفت الاسباب والنتائج .

البيض يتحدثون أفريقيا

وعلى نطاق النظم العنصرية فى أفريقيا وقعا حدثين بالفا الاهمية فى روديسيا (زيمبابوى) ، واتحاد جنوب أفريقيا .

لقد شهدت روديسيا هذا العام تحركات ضخمة فى معسكر البيض، كان أبرزها سلسلة المباحثات بين

صحيح أن نظام فيلاسكو ، نظام وطنى قام باصلاحات هامة ، منها اصدار قانون متقدم للاصلاح الزراعى ، والزم الشركات الاجنبية ببيع نسبة لا تقل عن ٥١ ٪ من أسهمها لمواطنى بيرو وحدد دورا متزايدا للدولة فى الاقتصاد ، وأشرك العمال فى الارباح وملكية المشروعات الصناعية ، وأمم شركات البترول والبنوك الاجنبية واستولى على مزارع السكر وعدد من التوكيلات الاجنبية للسيارات . . ولكن فيلاسكو ورفاقه حرصوا منذ اليوم الاول على تأكيد هويتهم غير الاشتراكية ، وقدموا انقلابهم كحركة معادية للشيوعية ، موضحين أن هدفهم يتركز فى تحقيق تخطيط اجتماعى ماهر ينهى التناقضات الموجودة فى البناء الاقتصادى والسياسى لبيرو ، ويزيل الصراع الاجتماعى كخطر محتمل . وشرح أحدهم ايدولوجية النظام قائلا : « انها » ليست رأسمالية ولا شيوعية ولكنها قومية انسانية » .

وفى الممارسة شكل المركز القيادى للقوات المسلحة والطبيعة المتعسفة الجامدة للسلم الوظيفى فى المؤسسة العسكرية ضمانا أساسية، بأن التغيير لن يكون سريعا ولا جذريا . وأحست الطبقات التقليدية المسيطرة بالاطمئنان . وكان الخطر الوحيد بالنسبة لها هو الخوف من الصراع الذى قد يثيره التغيير الذى اندفع اليه النظام العسكرى » . وعجز العسكريون على السيطرة عليه . وتضاءل هذا الخوف عندما تفجر الصراع من تعاونيات انتاج السكر التى أقامها النظام نتيجة سعى العمال للسيطرة على تعاونياتهم ولجؤهم الى الاضرابات . فالسلطة العسكرية أصدرت احكاما بالسجن على القادة ، مؤكدة أن السلطة ستنتجه الى اليمين اذا تفجر مثل هذا الصراع .

ورغم تطبيق الاصلاح الزراعى فى المنطقة الساحلية حيث حولت مزارع السكر الضخمة الى تعاونيات لم تستقر الحكومة بعد على شكل البنية الزراعية التى تريدها . وبينما يأمل اليسار أن يأخذ الفلاحون المبادرة لانفسهم ، ويحولون التعاونيات الزراعية الى مؤسسات تسيير ذاتى، انتعشت آمال اليمين فى حسم المشكلة لحساب (الوحدات العائلية) ، واقناع الحكومة بالضرورة المعاجلة لزيادة الدخل الزراعى بالفاء تحديدا أسعار المنتجات الزراعية .

ويتحرك النظام فى انجازاته الاقتصادية على أساس تشجيع القطاع الخاص ، وفتح كافة المجالات أمامه . ويطالب بعض الوزراء بضرورة الوصول الى تفاهم تام مع القطاع الخاص ،

حكومة المحافظين في بريطانيا وحكومة ايان سميث في روديسيا والتي لعب الدور الاكبر فيها « لورد جودمان » ثم « سيرالك دوجلاس هيوم » الذي توجه رحلته الى سالسبورى باعلان الاتفاق بين الطرفين على صيغة تضمن الوجود الابيض دون أن تقضى (نظريا) على احتمال الوصول الى حكم الاغلبية الافريقية بعد عدة اجيال .

ولم تكن الاتفاقية مفاجئة لاغلب المراقبين ، فهناك مجموعة من العوامل كانت تقطع بهذه النتيجة .

(١) تعاني روديسيا موقفا صعبا بالنسبة لوضع العملات الاجنبية المتوفرة لديها منذ شهر يوليو ٧١ ، وكان واضحا أن هذا العام اصعب عام تواجهه روديسيا منذ فرض القيود على الواردات منذ ستة سنوات .

وما زالت الصادرات عام ٧١ تقل ١٦٪ عما كانت عليه عام ١٩٦٥ ، ولم تختلف الواردات الا قليلا . وتوقفت في الفترة الاخيرة الموافقة على أية مشروعات جديدة . يضاف الى ذلك مشكلة تزايد السكان الافريقيين بنسبة مرتفعة تصل الى ٣٦٪ في العام ، وهذا يعنى أن عدد الافريقيين ازداد خلال عام ٧١ بحوالى ١٧٠٠٠ نسمة . وهو رقم مخيف بالنسبة لعدد البيض الذى لا يتجاوز ضعف هذه الزيادة (٢٤٣٠٠٠) وكان هناك توقع أن أى تسوية مع بريطانيا ستحمل حلا لمشكلة البطالة الافريقية المتزايدة بصورة متفجرة .

(٢) فى المقابل كان معروفا رفض ايان سميث رئيس وزراء الحكومة البيضاء فى روديسيا لمبدأ حكم الاغلبية الذى وصفه بأنه « مجرد حصر للماشية » .

ومنذ تولى حزب « جبهة روديسيا » للحكم عام ١٩٦٢ ، تتحرك روديسيا فى اتجاه مناقض تماما لفكرة حكم الاغلبية . فالدستور من الناحية النظرية يسمح فى النهاية بالوصول الى حكم متماثل بين ٢٤٣٠٠٠ ابيض و ٥ مليون افريقى (٥٠٪ لكل) ، اذا دفع الافريقيون ٥٠٪ من الضرائب ، وهى حالة مستحيلة فى ظل الاوضاع الحالية واحتمالات تطورها العادية . وأكدت روديسيا موقفا أثناء الجولة قبل الاخيرة من المباحثات بقرارها الخاص بزيادة مرتبات المدرسين البيض عن زملائهم السود الذين يحملون نفس المؤهل فى حدود ٤٠٠ جنيه استرليني للفرد .

ولم تكن المصاعب الاقتصادية تسببا كافيا لتغيير الموقف الروديسى . ففى مقابل متاعب العملة والتصدير ، حققت الصناعة الروديسية خلال عام ٧٠ - ١٩٧١ نموا كبيرا يتراوح بين ١٩٪ و ٢٠٪ . ودخلت أمريكا لأول مرة سوق الدخان الروديسى مشترية ، مقدمة بذلك حلا لازمة المستعصية . وقررت الحكومة الامريكية رفع الحظر على استيراد الكروم من روديسيا اعتبارا من اكتوبر ١٩٧١ .

(٣) يضاف الى ذلك موقف هيئ المالء للبيض فى افريقيا . . . والذى ظهر بوضوح فى موقفه (الحازم) من قضية بيع الاسلحة للحكومة العنصرية فى جنوب افريقيا ، و « بروده » وعدم اتهامه بتحذيرات قادة افريقيا الثوريين أمثال كاوندى ونيريرى ، واهتمامه بالسوق المشتركة أكثر من الكومنولث . وقد عبر سميث عن رايه فى هيئ فى ١٤ مارس قائلا « اننى لا أتردد لحظة فى القول بأن رئيس الوزراء الحالى فاق كل التوقعات المتفائلة التى كانت لدى البعض منا عند وصوله للحكم . لقد كان موقفه فى سنغافورة (مشيرا الى مؤتمر الكومنولث الذى بحث فيه قضية السلاح لجنوب افريقيا) رائعا ومثيرا للاعجاب » .

(٤) وبينما كانت الصورة منذرة فى جبهة البيض كان الصراع يتصاعد بين الحزبين الوطنيين ، اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى (زابو) واتحاد زيمبابوى الوطنى الافريقى (زانو) ويستغرق جهدهم أكثر من مواجهة المستوطنين العنصريين وادى هذا الموقف الى اصدار لجنة التحرير المنبثقة عن منظمة الوحدة الافريقية قرارا فى يناير ٧١ بوقف كل مساعدة لهما .

وزاد من مصاعب حركة التحرير فى روديسيا ، المتاعب التى واجهتها النظم المساندة لها فى قواعد انطلاقها الخارجية ، مثل زامبيا التى عاشت فترة من القلاقل السياسية والقبلية .

ويعمق هذه الظاهرة فى روديسيا ما يحدث بالنسبة لقضية الحوار مع جنوب افريقيا والتى هزت القارة بعنف .

وتعود بدايات هذه القضية الى العام السابق عندما تحركت حكومة جنوب افريقيا التى كانت تعاني من احساس متزايد بالعزلة فى المجتمع الدولى وتحاول وصل خيوطها بالعالم الخارجى عن طريق التفتيش عن أنظمة متعاونة فى افريقيا السوداء وتجميد معارضيهما بتقديم عروص أخلاقى عدم اعتداء ، والضغط على الدول الافريقية

القضية الحيوية لأفريقيا ليست متحدة ؟ وأنه لا داعي لتقديم أى تنازلات لحركة التحرر الأفريقية . . وأعطى الحركات الوطنية فى جنوب أفريقيا وزامبيا شعورا مريرا باستعداد بعض دول أفريقيا للتخلي عنهم . وقد أدان زعمائهم اقتراح الحوار مع حكومة فورستر ، وطالبوا المنظمة بالاستمرار فى مساعدتهم بالمال والعناد . . . » « أو فلتتركونا وحدنا » .

مواجهة الانقلابات الرجعية

ومن الظواهر الايجابية التى عاشتها حركة التحرر الوطنى فى أفريقيا هذا العام الاسلوب الجديد الذى عاملت به الدول الافريقية انقلاب أوغندا العسكرية .

فبعد استيلاء الجيش بزعامة الجنرال عيىدى أمين على السلطة فى يناير ١٩٧١ ، ولجوء ميلتون أوبوتى الى تنزانيا ، أعلنت تنزانيا وزامبيا والكونغو برازافيل والصومال عدم اعترافها بالنظام الجديد ، مما دفع كثير من البلاد الافريقية الالتزام بالصمت وعدم المسارعة بالاعتراف بالسلطة العسكرية ، على عكس ما حدث من قبل عقب الانقلابات الرجعية فى غانا ومالى .

واتخذت منظمة الدول الافريقية موقفا جديدا تماما عندما عقد الاجتماع الوزارى لوزراء الخارجية . فقررت نقل الاجتماع الدورى لرؤساء دول المنظمة من كامبالا عاصمة أوغندا الى أديس أبابا . واجلت الاعتراف بالوفد الذى أرسله عيىدى أمين لحضور الاجتماع .

كان احساس غالبية الدول أن التغيير فى أوغندا لا يرتبط بأوضاع داخلية . صحيح أن أوبوتى اتبع فى الفترة الاخيرة لحكمه سياسة جديدة حولته من مصلح معتدل الى قائد أقرب لليسار بمقاييس اليسار فى أفريقيا ، وطرح كثير من الاتجاهات الاشتراكية ، مما أثار اعتراض كثير من القوى داخل حزبه وخارجه ، بالإضافة لمشاكل الصراع القبلى وميراث الحكم الاستعمارى . . الا أن بصمات القوى الاجنبية خاصة اسرائيل كان واضحا وراء الانقلاب . ولم يخف الغرب تبرمه بسياسة أوبوتى الخارجية التى تزايدت عداء للمعسكر الاستعمارى .

واستند المعارضون للاعتراف بنظام عيىدى أمين، الى وجود مقاومة للانقلاب العسكرى فى كثير من مناطق أوغندا ، وهى فى حد ذاتها ظاهرة جديدة .

بمساعدة عمليات التخريب فى داخلها ؟ وعينها على الحصول على الاعتراف بها وتقبلها . وكخطوة أساسية فى تحقيق هذه الاستراتيجية البيضاء ضفطت حكومة « فورستر » على بريطانيا لاستئناف مدها بالسلاح . تطبيقا للاتفاقية المعقودة بين البلدين عام ١٩٥٥ حول القواعد البحرية فى [سيموتى تاون] ، كعامل تدعيم لتفوقها العسكرى فى جنوب القارة . وتحطيم قرار الامم المتحدة بحظر تصدير الاسلحة اليها ، وعلى نفس الدرجة من الاهمية ، هدم أسوار العزلة ووصل ما انقطع من علاقات بالعالم .

وسرعان ما استجابت بريطانيا لمطالب بيض جنوب أفريقيا . وعندما أثرت فى بريطانيا ضجة حول قرار حكومة المحافظين ، دافع هيث عن مواقف حكومته ، وشرح الدوافع والاسباب ، وكان من بينها التقليل من قيمة رد الفعل الافريقى، استنادا الى أن (الافريقيين عاطفيين ، وسهوا العاصفة بعد قليل) . ولم يكن هيث يراهن على جواد خاسر . ولعله كان مطمئنا الى وجود أكثر من جوكى ماهر قادرين على شد لجام بعض الجياد الافريقية فى اللحظة المناسبة وبصورة تشير للخبرة فى صفوف القارة كلها ، وتدفعها الى التراجع بوقف هجومها على بريطانيا وحلفائها .

وبدأت الاحداث تتوالى مؤكدة صحة وجهة نظره . فاستقبلت مدغشقر الافريقية (السوداء) ، وفدا برئاسة وزير خارجية اتحاد جنوب أفريقيا، ووقعت اتفاقيات قروض ومعونات، داعية للحوار مع البيض .

وبعد مدغشقر جاء دور ساحل العاج ، فدعا هو فيه بوانيه الى جمهوريتها الى عقد اجتماع قمة خاص لمنظمة الوحدة الافريقية لمناقشة فتح حوار مع حكومة جنوب أفريقيا (بدم بارد) ، ووضع فيه كل الاوراق على المائدة، وتحتاج الاطراف المختلفة بسلاح الكلمة . وايدته « البرت يونجو » رئيس جمهورية الجابون وعدد من رؤساء الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية، ودكتور بوزيا رئيس وزراء غانا ، وليسوتو ، وسوزيلاند، وبوتسوانا .

وجتمت هذه المشكلة بعنف على الاجتماع الاخير لمنظمة الوحدة الافريقية ، وحاولت الدول المؤيدة جر المنظمة الى مناقشة القضية . واوشكت هذه المشكلة أن تقسم المنظمة وتثير نزاعا لا ينتهى منها . ولكن المناورة انتهت الى رفض فكرة الحوار بأغلبية واضحة .

ورغم ذلك حقق طرح هذا الاتجاه نتيجة سلبية . فأكد للعالم الاستعمارى أنه حتى فى مثل هذه

ولاشك أن هذا الموقف - وإن لم يستمر إلى
نهاية الشوط - علامة صحية وتطورا إيجابيا
لحساب حركة التحرر الوطني ، سيأخذه في
حسابهم الذين يفجرون الانقلابات المعادية
للاستعمار الغربي .

فشل الغزو المباشر

وواجهت حركة التحرر الوطني تجدد أسلوب
الغزو الاستعماري المباشر وامتداده من فيتنام
وكمبوديا إلى لاوس ، واستخدامه في أفريقيا
ضد غينيا ، وسجلت هزيمة هذا الأسلوب .

نقد تعرضت غينيا لهجوم استعماري سافر
في نوفمبر ١٩٧٠ ، وظل خطر العدوان قائما حتى
نهاية ١٩٧١ ، وبدأ العدوان يتسلل إلى عدد من
السفن البرتغالية في المياه الإقليمية الغينية في
مواجهة العاصمة كوناكري . وقامت السفن
بانزال عدد من المرتزقة البيض والأفريقيين
على شواطئها . وكان مفروضا أن يستولى
هؤلاء على وزارة الدفاع بمعونة بعض
الفنيين الموالين للغرب ، وقدر الغزاة
أن هجومهم سيؤدي إلى سحب القوات
الغينية من الشمال والوسط ، وبالتالي فتح الباب
أمام الجزء الأساسي من قوات الغزو للزحف من
مواقعها في غينيا بيساو الخاضعة للاستعمار
البرتغالي . ولكن المقاومة التي واجهها الغزو
في كوناكري من الجماهير أفشلت المحاولة كلها .
وكان ذلك انتصارا للحزب الديمقراطي الغيني
الذي نظم الجماهير وسلحها وقادها طوال هذه
السنوات .

لقد عانت غينيا مثل غيرها من دول أفريقيا من
مصاعب اقتصادية ضخمة ، وأمراض الطبقة
الجديدة ، والرشوة وفساد الإدارة ، والانحراف
القيادي ، أو من التهديد المستمر من انقلاب
القوات المسلحة ، وانعكس ذلك كله على الحزب
وآثار عديدا من المشاكل الداخلية .

ولكن وعى القيادات بكل النواقص والخطار ،
وقدرة الحزب على التجدد والإصلاح الوافي ،
دفعهم في يناير ٦٩ إلى إعادة تنظيم الحزب
والجيش واتحاد العمال . ونتج عن هذه التنظيمات
تشكيل لجان للحزب داخل معسكرات الجيش
لربطه بالعمل السياسي ، وتكوين رئاسات
منفصلة لاسلحة الجيش والطيران والبحرية
والدرك والبوليس يضمهم مجلس أعلى للدفاع

برئاسة ميكوتوري السكرتير العام للحزب .
وربط الميلشيا الشعبية بالدرك من ناحية التدريب
الفني ، وبالحزب إيديولوجيا وسياسيا ، ثم تحويل
الجيش إلى قوة منتجة يشترك في عمليات البناء ،
وله نفس حقوق وواجبات الطبقة العاملة
الغينية . وأصدرت القيادة قانونا يحدد قواعد
صارمة لمواجهة الفساد والرشوة .

وهذه الإجراءات التي دعمت بنساء ووحدة
الحزب ، تفسر صمود الجماهير ونجاحها في
هزيمة العدوان ، وهذا هو الدرس الحقيقي
لهذه التجربة .

ولم تختلف النتيجة في لاوس ، رغم اختلاف
الظروف والملايسات ، وانتهى العدوان بالفشل .
ويصف أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي
صورة الهزيمة قائلا .. وتخرج قوات سايجون
من لاوس بسرعة أكبر من تلك التي دخلت بها .
ويهرب المرتزقة الذين استأجرتهم فيتنام
الجنوبية ، تاركين القاعدة تلو الأخرى ، بينما
تخرج قواتهم ذهنة ومشتتة من لاوس . وتظل
طائرات الهليكوبتر الأمريكية عاجزة تماما عن
التقاط القتلى والجرحى ، بسبب القصف الأرضي
العنيف . ويمتلئ الطريق رقم ٩ بأشلاء القتلى
وحطام مئات الدبابات والعربات المدرعة ،
وتنشط قوات الباثيت لاو في مطاردة محموعة
لقوات العدو عبر الحدود . وهناك مثال على
ذلك ، أن إحدى الشركات الأمريكية للأخشاب
رفضت أن تصل إلى حدود المنطقة أو تقترب
منها . ورفض طيارو الهليكوبتر النزول في لاوس
لحمل وحدات سايجون المحاصرة . وقد قتل وجرح
وسجن ما يقرب من نصف القوات التي يصل
تعدادها إلى ٢٠ ألف جندي ، وكان من بين
الضحايا عدد من كبار القواد .

حروب داخلية في آسيا

وجثم على آسيا شبح تكرار الحروب الداخلية
بين دولها المستقلة . تلك الحروب التي
يستفيدونها في النهاية ، ومهما كانت الدوافع
والنتائج ، الاستعمار الغربي .

ومشاهدة المأساة التي تمثل على الحدود
المشتركة بين الهند وباكستان الشرقية ، تخلق
شعورا بأن هناك يدا مجهولة تحرك كلا الطرفين
وتدفعهم نحو مواجهة مخططة ، يخسران فيها
كلاهما ، وحركة التحرر الوطني .

الرئيسية في الشرق والغرب بصرف النظر عن نتائج الانتخابات .

وأصر كل من الزعيمين على موقفه ، متجاهلين أن الحل لكل المشاكل يكمن فيما يؤمنان به كلاهما من ضرورة الاشتراكية لباكستان . وانحاز الجنرال يحيى خان رئيس الجمهورية الى جوار على بوتو . وتطورت الأحداث الى مواجهة دموية بين الحكومة المركزية وسكان الاقليم الشرقي . ووقع مجيب الرحمن في خطأ اعلان انفصال البنغال عن الباكستان تحت اسم جمهورية « بنجالاويش » ونتيجة للمذابح الدموية التي نصبها الجيش الباكستاني لاهالي الشرق ، بدأت عملية هروب جماعية بالملايين من البنغال الشرقية من باكستان الى الهند . وواجهت الهند التي أعلنت تأييدها لاهالي باكستان الشرقية ، مشكلة صعبة نتيجة لتصاعد عدد اللاجئين ومشاكل الايواء والتموين ، والمشاكل العنصرية المتفجرة .

وسرعان ما تحولت المشكلة الى مواجهة اعلامية ، ثم مواجهة عسكرية ساخنة بين الهند وباكستان تهدد بحرب شاملة بين البلدين .

مشاكل « اليسار » الجديد

ومن أغرب الظواهر التي تعرضت لها آسيا التمرد « اليساري » الذي وقع في سيلان ضد حكومة السيدة « سيرامانو بندرانايكا » في أبريل ١٩٧١ ، بعد ٧ أشهر من صعودها للحكم فوق موجة ضخمة من الحماس الشعبي ، وانتصار ضخم في الانتخابات .

ويطرح هذا التمرد قضية « اليسار الجديد » في صفوف حركة التحرر الوطني ، وضرورة التفرقة بين القوى العديدة التي يطلق عليها هذا الاسم . فالاختلاف والتناقض بينهم عميق بدرجة كبيرة ، والاتشاح بشعارات اليسار الجديد ، لا يكفي وحده لاعتبار هذه الحركة أو تلك حركة يسارية صحيحة . وبصرف النظر عن النوايا والاهداف ، فالطفولة تؤدي أحيانا نفس الدور الذي يلعبه اليمين ضد حركة التحرر الوطني . وليس هذا ادانة لكل فرق اليسار الجديد . بل ربما كانت التفرقة لازمة في هذا المجال حماية لقوى اليسار الجديد الحقيقية ، والتي يرى فيها الكثيرون الطريق الوحيد لتحقيق ثورة كاملة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

وقد بدأت الأحداث في باكستان الشرقية ، التي كانت تنور بالسخط ضد الحكومة المركزية في رواليندي . وهو سخط يجد أسبابه في تمتع أهالي البنجاب (غرب باكستان) بالأغلبية المطلقة في أجهزة السلطة . بحيث لا يتجاوز عدد موظفي الحكومة المركزية المنتمين الى الشرق ١٥ ٪ ، وعدد العاملين في الجيش من البنغال ١٠ ٪ ، بالإضافة الى فجوة اقتصادية واسعة تفرق بين الاقليمين .

ففي خلال العشر سنوات عامي الماضية ، وجهت الحكومة المركزية ١/٥ الانفاق القومي للاقليم الشرقي ، ٤/٥ للاقليم الغربي . ونال الشرق ١/٢ اعتمادات الاستثمار ، و ١/٤ البضائع المستوردة ، و ١/٥ المعونات الأجنبية . رغم أن سكان الاقليم الشرقي يزيدون ٢٠ مليوناً عن سكان الاقليم الغربي ، ويعطى جوت الشرق للباكستان كل عملاتها الأجنبية تقريباً . وتبدو الصورة في مجال الاستثمارات الخاصة أكثر خطورة . فهناك ٢٠ عائلة من غرب باكستان تسيطر على ٦٠ ٪ من رأس المال الصناعي ، ٨٠ ٪ من رأس المال المصرفي ، ٧٥ ٪ من رأس مال شركات التأمين .

ولم يكن غريباً في ظل هذه الظروف أن تواجه باكستان اضطرابات اقتصادية وصفها رئيس الغرفة التجارية في « دكا » بأنها أسوأ ما واجهته باكستان في تاريخها . والازمات الاقتصادية ، مناخ طبيعي لتفريخ القلاقل والاضطرابات الاجتماعية والسياسية . ورغم هذه الظروف ففوز الشيخ مجيب الرحمن في انتخابات ديسمبر ١٩٧٠ بأغلبية المقاعد ، وفتح الباب أمام مشاركة واسعة لرجال الشرق في السلطة المركزية . . . كان من المفروض أن يخفف من حدة الازمة ، ويساعد على تهدئة الساخطين وعبور الفجوة بين جناحي باكستان . ولكن تمسك الشيخ مجيب ببرنامجه الذي طرحه في الانتخابات والذي يحول باكستان الى نظام فيدرالي ضعيف ، ويقصر دور الحكومة المركزية على النشاط الخارجي والدفاع ، ورفض على بوتو زعيم حزب الشعب حضور اجتماعات المجلس الوطني مالم تتأكد وحدة باكستان ، ويتخلى الشيخ مجيب عن برنامجه وتتكون حكومة وحدة وطنية من القوى

وتجربة سيلان ذريسا هاما ونافعاً في هذا المجال . وقد بدأت نذر التمرد تلوح في الأفق منذ بدايات شهر أغسطس ١٩٧٠ ، أي بعد صعود بندرانايكا والتحالف اليساري للحكم بثلاثة أشهر . وأصبح معروفاً في كولومبو ، وجود جماعة من الجيفاريين (أي هكذا أطلق عليهم) يتجمعون في تنظيم يحمل اسم (جبهة التحرير الوطني) ويطالب بتطبيق (اشتراكية نقية) ، وبأسلوب أكثر راديكالية في الحركة السياسية .

ولم تتخذ بندرانايكا وحكومتها أي إجراء ضدهم ، نتيجة لضغط بعض عناصر حزبها (الجبهة المتحدة) الذين رغم ادانتهم لأسلوب التحرك ، وجدوا من الصعب معارضة أهدافهم المعلنة .

ولكن الصمت شجعهم على اللجوء إلى هبة دموية استخدموا فيها تكتيك حرب العصابات والكفاح المسلح . وبدى الأمر في نظر كل العناصر التقدمية في سيلان أمراً يدعو للريبة والشك .

فهؤلاء لم يشكروا في التحرك ضد الحكومة الرجعية السابقة والتي تمتعت بسخط الجماهير ورفضها . بينما حملوا السلاح ضد حكومة بندرانايكا ، رغم اتجاهها الاشتراكي الواضح ، ومشاركة الشيوعيين والتروتسكيين فيها .

وأهم من هذا أن بندرانايكا نفذت أجزاء هامة من برنامجها الانتخابي في أقل من سبعة أشهر . خاضت الاحتكارات الأجنبية في مجال البترول في ٢٨ ديسمبر ١٩٧٠ (شل-اسوكالتكس) وسيطرت على كل عمليات صناعة البترول ، الاستغلال والتكرير والتسويق الداخلي والتصدير . وضمنت للموظفين كل الحقوق السياسية والنقابية . وأنشأت لجان استشارية ومجالس للموظفين في عدد من الإدارات الحكومية . وأعدت نسبة الارز التي خفضتها الحكومة السابقة . وسيطرت على أسعار عدد هام من البضائع الاستهلاكية . وأوقفت علاقاتها بإسرائيل ، وأقامت علاقات مع ألمانيا الشرقية وفيتنام الشمالية وكوريا الشمالية ، واعترفت

بالحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية وعبرت الجماهير عن تأييدها لممارسة الجبهة للحكم ، بمنحها الغالبية في كل المجالس المحلية التي أجريت فيها الانتخابات ، وفقد الحزب المعارض وحلفاءه وجودهم تماماً حتى في المناطق التي تعتبر احتكاراً لهم منذ عشرات السنين .

ورغم هذا وقع التمرد اليساري ونجحت بندرانايكا في هزيمته ، ولكن الثمن كان غالياً .

وهناك حقائق تثير الشك في حقيقة انتماءات الحركة وارتباطاتها اليمينية ، فالمعارضة اليمينية سبقتهم ازاء عجزها عن الحصول على تأييد جماهيري لمواقفها وأهدافها الرجعية ، إلى تبني مطالب بالغة التطرف والراديكالية في قضية البطالة مثلاً . وحاولت الاستفادة من ضياع وتشتت الشباب واستخدامهم في ضرب الحركة التقدمية .

ويشير بيلان الحكومة إلى عدة حقائق : « فبالرغم من أن أغلب أعضاء الحركة لا يأتون من عائلات ميسورة ، كان واضحاً أن الحركة كانت تتقدم بمعونات مادية متزايدة مكنها من تسيير عدد من السيارات ، وتنظيم فصول دراسية وتجمعات مختلفة في عديد من أنحاء الوطن ، ونقل أعضائها من منطقة لأخرى ، ونشر وتوزيع مواد دعائية . وفي معسكرات التدريب الخاصة بها درست الأعضاء على استخدام السلاح وطرق إنتاج القنابل اليدوية واستخدام المسدسات والأسلحة المختلفة » وفي بيان آخر لبندرانايكا قالت « أن الإرهابيين مدعومين بكبار الماليين ومنظماتهم الإجرامية » .

وقال أحد قادة الحزب الشيوعي : « أنها حركة فاشية إرهابية تخدم أهداف ومصالح خفية لم تكشف عن نفسها بعد » .

وبصرف النظر عن المناقشة التي يمكن أن تدور حول حقيقة أهداف هذه الحركة ، وحول انتمائها لليسر أو اليمين ، فمن المؤكد أنها حققت خدمة كبيرة لليمين ، ودفعت سيلان وحكومة بندرانايكا الوطنية إلى موقف حرج ، فعطلت كثيراً من خطط التطور الاشتراكي والتنمية الاقتصادية .

قضايا أربعة رئيسية - هي موضع الخلاف

نتاج هذه التجارب وهو : فشل « قوى الوسط » او مفاهيم « الطريق الثالث » او « الطراز القومى » فى انجاز لامهام التقدم الاشتراكى فحسب بل وفى انجاز الدعامة الرئيسية لسلطة ومجتمع « الديمقراطية الوطنية » . هذا الفشل الذى يمكن أن نفسر فى ضوءه كثيرا من المآسى التى نفاجا بها - بين يوم وآخر - فى مسار كثير من حركات التحرر الوطنى .

● عندما يتناول العرض قضية « النظم العنصرية » فى أفريقيا ، يدور فى إطار مفهوم شائع يحصر القضية - او يكاد - فى إطار خطر العنصرية والبعد الانسانى للمشكلة . وقضية النظم العنصرية - فى رأى - تجاوزت هذا الاطار وهذا البعد كثيرا ، وبخاصة فى جنوب أفريقيا . ان الخطر الذى يتهدد أفريقيا اليوم - ويمس هذا أيضا قضية الحوار مع النظم العنصرية - هو خطر - الزحف او التسلل الاقتصادى الذى بدأ بالفعل وتجاوز بالقضية حدودها « العنصرية » و « الانسانية » الى حدود « الاستقلال السياسى » و « الاستقلال الاقتصادى » لدول القارة تدريجيا .

على اننا يمكن أن نضيف بعض الملاحظات التفصيلية الهامة ، نعتقد بضرورة رصدها :

● فعندما يتناول العرض العناصر الموضوعية التى أدت الى تصاعد حركة التحرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية ، يتجاهل العرض ابراز الدور الهام الذى نتج عن بقاء كوبا وحماية المعسكر الاشتراكى لهذا « الوجود الثورى » ، فضلا عن دور كوبا نفسها . ولعل الدور الذى قام به جيفارا - أحد الدعائم الاساسية لثورة كوبا - سواء فى بوليفيا أو فى غيرها ، يغنى عن أى تكرار .

● عندما فشل « برنامج التحالف من أجل التقدم » فى أمريكا اللاتينية ، لم يكن فشله فى « تحقيق الهدف الاقتصادى الرئيسى للبرنامج » أى « تحسين مستوى معيشة شعوب أمريكا اللاتينية ... الخ » . وانما يتمثل فشله الرئيسى فى تركيز دور وبرامج المفاهيم الاصلاحية كبديل لمفاهيم الثورة الاجتماعية .

● قول الكاتب بان زائيرى (الكونجو كينشاسا سابقا) وزامبيا قد أهدت صناعة النحاس ، يفقد الى الدقة . فالمعروف أن هاتين الدولتين لم تؤمنا صناعة النحاس وانما حولته الى صناعة وطنية بمعنى أن الدولة - فيها - شاركت بنسبة تزيد عن النصف فى رموس أموال وإدارة هذه الصناعة .

حسين شعلان

يمكن حصر النقاط التى تتباين حولها وجهات النظر فى العرض التحليلى الذى قدمه الاستاذ حسين عبد الرازق ، فى قضايا عامة رئيسية أربعة هي :

● يقوم العرض التحليلى على أساس مفهوم فكرى نلمسه بوضوح - على طول المقال - يقول بان المهمة المطروحة أمام حركات التحرر الوطنى الآن هي مهمة انجاز الاشتراكية . يبرز هذا المفهوم بشكل خاص عندما يتناول الكاتب تجربة حركة التحرر الوطنى فى شيلي .

وفى رأى أن المطروح أمام حركات التحرر الوطنى الآن - تاريخيا وموضوعيا - هي مهمة تحقيق سلطة الديمقراطية الوطنية وانجاز مهامها . وليس مهمة « خلق جمهورية للطبقة العاملة » او اقامة « حكومة اشتراكية » - كما جاء فى العرض .

● فى الجزء الخاص بأمريكا اللاتينية يبرز العرض - عن قصد أو عن غير قصد - دور « اليسار الجديد » باعتباره القوى الطبيعية التى تقود حركة التحرر الوطنى فى نفس الوقت الذى يعمم فيه العرض - دون مبرر - قصور الأحزاب الشيوعية عن ادراك هذا الجديد وتفهمه وبالتالي عدم اتخاذ موقف تسليم منه . بينما يبرز العرض - عن قصد أيضا ، او عن دون قصد - دور « اليسار الجديد » فى آسيا مطعوناً فيه . وفى الحاليتين « يغمز » العرش فى اليسار - والشيوعى منه بشكل خاص - بشكل تمهيمى . وبدون الدخول فى التفاصيل أو ابراز دور « اتجاه » على « اتجاه آخر » او مناقشة « أخطاء » هذا أو « سلامة » مواقف ذلك ، يمكن القول بأن جذر المشكلة يبقى دائما عند ظاهرة حقيقية مفادها أن قوى التحرر الوطنى - فى القارات الثلاثة وفى غالبها الاعم وبمختلف اتجاهاتها الوطنية والديمقراطية والاشتراكية - فشلت حتى الآن فى ايجاد صياغة قادرة للوحدة الوطنية الديمقراطية - والصراع داخلها فى إطار المناقشات الثانوية - تواجه بها الخطر الاعظم الذى يتهدهما جميعا : تسلل الامبريالية الى صفوفها وحزبها الواحدة بعد الاخرى . ولا ينبغى ان نناول « اليسار » هنا على أساس أنه « مسيح العصر » « لتصلبه » على سلبيات البورجوازيات الوطنية وعدم عمق أصالة ثورتها الاجتماعية ورغبتها الدعومة فى الافراد بالسلطة بينما تحدث عن سلطة كل القوى صاحبة المصلحة فى التغيير الثورى .

● عندما يتعرض الكاتب لفشل بعض تجارب حركات التحرر الوطنى سواء فى أمريكا اللاتينية - بوليفيا بالذات - او فى أفريقيا - أوغندا مثلا - الخ ، ينبغى - فى رأى - ان ينتهى العرض فى هذا المجال الى صياغة



من الدفاع الى الهجوم على مواقع الاستعمار الجديد

أبوليف يوسف

الفلسطيني المسلح ، تمهيدا لدفن قضية فلسطين الى الابد .
مالذي حققه هذا الهجوم ، وماالذي حققه من نجاح ، وماهو - على وجه اصح - موقف توى الثورة العربية ، وماهى آفاق حركتها . هذا هو موضوع حسابات ١٩٧١ وآفاق عام ١٩٧٢ .
والاجابة على هذه الاسئلة تتطلب بداهة ان ندرس فى عام ١٩٧١ حركة الحلف الامريكى الاسرائيلى المعادى : استراتيجيته وتاكتيكاته فى المنطقة العربية .

عداء اصيل للثورة العربية

ان عداء الولايات المتحدة الامريكية لحركة التحرر الوطنى فى البلاد العربية عداء اصيل يرتبط بطبيعة واتجاهات هذه القوة الدولية التى تنزع قوى الامبريالية والاستعمار الجديد . ولن نعود هنا الى التاريخ ، والى التحليلات النظرية عن طبيعة الاستعمار . ولكن سنكتفى بما حدث خلال العام المنصرم .

فى بداية ١٩٧١ اعلن وزير الدفاع الامريكى « ملفين ليرد » ان واشنتون قد توصلت الى صياغة تصور استراتيجى جديد فى المجال العسكرى يسمى « بالاحتواء الواقعى » ووضح « ليرد » ان هذه الاستراتيجية العسكرية هى الجانب التطبيقى لنظرية الرئيس نيكسون المعروفة باسم « نظرية جوام » . وبعد ان نقد « ليرد » نظرية جون كيندى المعروفة باسم نظرية « الرد المرن » اعلن ان التصور الجديد يقوم على ثلاثة مبادئ قدمها نيكسون وهى :
١ - مبدأ المشاركة

دخلت حركة الثورة العربية ، حركة التحرر الوطنى المعادية للامبريالية والصهيونية ، والمناضلة من اجل التقدم الاجتماعى والاشتراكية ، عام ١٩٧١ ، كانت هذه الحركة قد بدأت تعاني من انحسار واضح ، بدأ بكيفية خاصة منذ تقديم امريكا لمبادرة روجرز ، وبلغ قمته فى مجازر سبتمبر ١٩٧٠ التى ادارتها الرجعية الاردنية ضدالعمل الفدائى الفلسطينى . ثم اتسع هذا الانحسار فى حركة الثورة العربية بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر .

هكذا ، وجدنا انه بعد مبادرة روجرز حدثت انقسامات حادة داخل صفوف القوى والاحزاب التقدمية على صعيد البلاد العربية كلها ، وانقسامات وخلافات على صعيد الدول الوطنية والتقدمية . وانقسامات وخلافات على صعيد منظمات المقاومة . ثم بين المقاومة وبين بعض الدول الوطنية والتقدمية .

وتحت وطأة هذه الانقسامات والخلافات أخذت بعض التناقضات الثانوية داخل حركة التحرر العربية تنمو وتستفحل ، وتهدد بأن تتحول - رغم طبيعة الاشياء - الى تناقضات عدائية .

فى ظل هذه التطورات السلبية التى بدأت تظهر فى الثلث الاخير من عام ١٩٧٠ ضاعفت الامبريالية الامريكية هجومها على حركة التحرر العربية ، وركزت هذا الهجوم وواصلته مع ابتداء عام ١٩٧١ ، وعلى امتداده فى اتجاهين رئيسيين :

● ضد مصر بهدف عزلها عن حركة التحرر العربى ، تمهيدا لاحداث انهيار داخلى فيها يصفى سياستها الوطنية والتقدمية .

● ضد الثورة الفلسطينية ، بتصفية النضال

٢ - مبدأ القوة

٣ - مبدأ الاستعداد للدخول في محادثات .

المبدأ الثاني هو مبدأ القوة، أو «القوى المجمع»
أن كل أمة - حليفة لأمريكا أو صديقة - يجب
أن تقدم الامدادات البشرية ، أما أمريكا فتقدم
المعدات الحربية والذخيرة والخبراء .

المبدأ الثاني هو مبدأ القوة، أو «القوى المجمع»
أو المكثفة . وهذا يعنى أقصى وافضل استخدام
لموارد «العالم الحر» . وهذا يعنى أيضا انه
يتعين على حلفاء أمريكا أن تكون لهم تشكيلات
عسكرية نظامية واحتياطية كافية . ونحن نعلم
انه تحت عنوان افضل استخدام لموارد «البلاد
الصديقة» ظهر تعبير فتنة الحرب في آسيا .
وتنفيذا لتصورها الاستراتيجى «الجديد»
خصصت أمريكا في ميزانية ٧١ / ٧٢ أكثر من
٨٠٠ ألف مليون دولار للدفاع الوطنى بزيادة قدرها
٦٠٠٠ مليون دولار عن ميزانية ١٩٧٠ .

ويعتبر السلاح الذرى العامل الحاسم في
تجاح استراتيجية «الاحتواء الواقعى» . وهذا
يفرض على أمريكا أن تصل الى حد «الكفاية»
في صنع الاسلحة الذرية ، ويشرح العسكريون
الأمريكيون معنى تحقيق «الكفاية» فيقولون
انه لا يتحتم على أمريكا أن تكون مستعدة لتخوض
حربا ونصف حرب (١) ومعنى هذا أن على
الولايات المتحدة أن تكون مستعدة لان تخوض
حربا عدوانية ضد البلدان الاشتراكية في أوروبا
أو في آسيا ، وأن تخلق حالة طوارئ في مكان
آخر . وهذا المكان الآخر يعنى قمع حركة
التحرر الوطنى في أكثر من مكان (١) .

ووفقا للنظرية الجديدة يتجه البفتاجون الى
انشاء قوات مسلحة محترفة مائة في المائة على
أساس استئجار المتطوعين . وتعمل الولايات
المتحدة وفقا لمخطط طويل المدى على خلق جيش
من المرتزقة معزول عن الشعب ، أى مستعد
لارتكاب أى جريمة من أجل الحفاظ على مصالح
الراسمالية الأمريكية .

وإذا صح ان هذه النظرية الجديدة لا تختلف
في الواقع في جوهرها العدوانى عن نظرية
أيزنهاور في «الردع الشامل» ونظرية كيندى
في «الردع المرن» إلا أن الجديد فيها هو أنها
انما تؤصل على عرض أسس تكنيكية وتنظيمية
عسكرية .

والنتيجة الأساسية التى نخلص اليها هي أن خطر
العسكرية الأمريكية يتفاقم أكثر فأكثر ، وهذا
يعنى أنه يجب أن نتوقع اشتداد الاتجاهات

العدوانية للامبريالية الأمريكية ، وهو اشتداد
يرتبط ارتباطا عضويا بتفاقم الازمة التى يتردى
فيها الاقتصاد الأمريكى .

فإذا نظرنا بعد ذلك الى واقع العلاقة الخاصة
بين واشنطن و تل أبيب في عام ١٩٧١ ، أمكن
أن نرى الاستراتيجية العسكرية الأمريكية في
التطبيق ، وفي دائرة الصراع العربى الاسرائيلى .
فوفقا لمبدأ المشاركة لميكف المسئولون في واشنطن
(منذ بداية ١٩٧١ حتى زيارة جولدا مائير في
ديسمبر الماضى) عن التأكيد القاطع بأنهم لن
يسمحوا باختلال ميزان القوة العسكرية بين
اسرائيل من ناحية وبين الدول العربية مجتمعة
من ناحية أخرى .

وإذا كانت اسرائيل ، تقدم العساكر (بسل
انها تضع المجتمع الاسرائيلى كله تحت السلاح)
فإن أمريكا خلال عام ١٩٧١ قد فعلت الاثى وفقا
لمبدأ المشاركة :

- ساعدت اسرائيل على تطوير افرع معينة
من الصناعات الحربية ، خصوصا الهندسة
الجوية ، وحدثت المعدات الالكترونية .
- قدمت لاسرائيل المساعدات الفنية لتحسين
الطائرة المقاتلة سوبر ميراج .
- امدت اسرائيل بالمزيد من الطائرات المقاتلة
القاذفة من طراز فانتوم .
- من هنا لا نبالغ اذا قلنا انه وفقا لتعاظم
المساعدات الأمريكية العسكرية لاسرائيل فإن
برنامج العسكرية الشاملة للاقتصاد الاسرائيلى
ينفذ بثبات واضطراد .

على ان المشاركة العسكرية الأمريكية
الاسرائيلية لم تقف في عام ١٩٧١ عند هذا الحد
وانما يمكن أن نرصد - أيضا - الوقائع الخطيرة
التالية :

- سماح اسرائيل لطائرات التجسس
الأمريكية يو - ٢ باستخدام المطارات القائمة
في الأرض العربية المحتلة . هذه الطائرات التى
تجمع المعلومات من سماء مصر وسوريا وليبيا .
- تعزيز التعاون والتنسيق بين المخابرات
المركزية الأمريكية ، وبين المخابرات
الاسرائيلية . وكانت زيارة ريتشارد هيلمز مدير
المخابرات الأمريكية لاسرائيل في صيف ١٩٧١
موضعا لتعليقات شتى . أما مصادر اوروبا الغربية
فقد اشارت الى أن هذه الزيارة ترتبط بمسعى
أمريكا الى ايجاد علاقات بين جهاز الحرب
الاسرائيلى وبين حلف شمال الاطلسي . أما
ديان فقد دعا صراحة الى تعاون بين اسرائيل
وبين حلف الاطلسي قائلا : « كيف يمكن لمخططى
الاستراتيجية الاطلسية ان يتجاهلوا قاعدة جوية

(١) انظر : استراتيجية مآلها الفشل - للماجور جنرال سيمونيان - الإرفاد ١٦ اغسطس ١٩٧١ - الترجمة الانجليزية

كتلك التي يحتلها الإسرائيليون في سيناء (يثر جعفة) خلال تقييمهم للقوات السوفيتية في الشرق الاوسط مواجهة القوات الاطلسية » (٢)

● ولكن لما كانت مهمة خلق روابط بين جهاز الحرب الاسرائيلي وبين حلف شمال الاطلسي لا تدخل بالمعنى المعروف في اختصاص رجل المخابرات «هيلمز»، بل انه يدخل — بالاحرى — في اختصاص رجال من امثال روجرز وسييسكو. الخ فان مدير المخابرات الامريكية الذي كان يرأس فيما مضى «قسم الدعاية السوداء» (٣) في وكالة المخابرات ، لابد وانه يكون قد بحث مع المخابرات الاسرائيلية قضايا محددة تستهدف مضاعفة عمليات التخريب داخل حركة التحرر الوطني ، والتركيز على ضرب علاقات الصداقة المتطورة بين الاتحاد السوفيتي وبين الدول التقدمية العربية . بل من الأرجح أن اجهاض آثار معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية كان موضع عنايته الخاصة . وكانت الجارديان البريطانية قد اشارت الى أن الولايات المتحدة تحتفظ منذ مدة في بلدان حوض البحر الابيض المتوسط ، وفي بلدان الشرق الاوسط بشبكة معقدة ومحكمة من شبكات الجاسوسية (٤) . ولم يكن من قبيل الصدفة انه بعد اسبوع من زيارة هيلمز لاسرائيل جددت قوات الملك حسين هجومها الدموي على الفدائيين ، ومن المعروف — وهذا ما دللت عليه مجازر سبتمبر ١٩٧٠ — أن واشنطن وتل أبيب كانتا توليان اهتماما خاصا بمضاعفة أوجه النشاط الهدام في الاردن . ان ايلول الحزين عام ١٩٧٠ يحكى القصة كلها .

واذا كانت الحياة قد اظهرت أن اعمال الجاسوسية وأوجه النشاط الهدام الاخرى قد ارتفعت الى مستوى السياسة الرسمية للولايات المتحدة . واذا كان الدعم العسكري الامريكي المكثف لقوى العدوان الاسرائيلي لايزال سلاحا رئيسيا من اسلحة واشنطن لردع حركة التحرر الوطني العربية ، فان هذه الاساليب مجتمعة ، انما تضاف اليها، وتكملها المناورات الدبلوماسية التي قامت ولا تزال تقوم بها الولايات المتحدة ضد الثورة العربية ، والتي بلغت ذروتها في عام ١٩٧١ ضد مصر بوجه خاص .

والواقع ، فانه كما اوضح الرئيس السادات في مجموع خطبه واحاديثه التي بدأت بخطابه في مجلس الشعب (١١ نوفمبر ١٩٧١) وانتهت باجتماعه باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ، ويتصريحاته الى مجلة نيوزويك الامريكية ... نقول ان القيادة السياسية في مصر قد صاغت

تجربتها مع الدبلوماسية الامريكية في نتيجة محددة وهي أن واشنطن قد ركزت كل جهودها من أجل ايجاد حل جزئي للقضية (فتح القناة) واسقاط القضية الرئيسية قضية الاحتلال .

كما اوضح أن الولايات المتحدة لا تريد ، وليست جادة في حل سلمى يطبق نصا وروحا قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . والحقيقة ان كل ما سعت الولايات المتحدة اليه هو أن تجر مصر الى مائدة المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ، ليملي الفزاة الاسرائيليون ، ومن موقع القوة ، شروط الصلح كما يريدونها . ان الولايات المتحدة تريد بهذا ، وباجاز ، ان تفرض الاستسلام على البسلاد العربية .

ففي خلال عام ١٩٧١ جاء روجرز وذهب ، وجاء سيسكو وذهب ، وجاء موظفون من وزارة الخارجية الامريكية ثم ذهبوا ، وبعث نيكسون برسائله ، وقدم الدبلوماسيون اسئلة واستفسارات وتلقوا الاجابات عليها . ثم وعود متكررة بأن واشنطن ستقوم بمبادرات ايجابية لزحزة اسرائيل عن موقفها . الا أن جميع هذه المناورات الدبلوماسية قد كشفت — في النهاية — عن الاهداف الحقيقية المستترة وراءها ، هذه الاهداف يمكن تلخيصها فيما يلي :

— ارادت امريكا باستمرار أن تبعد قضية الصراع العربي الاسرائيلي عن المجتمع الدولي لتتفرد بتقديم حل امريكي أي اسرائيلي في المضمون .

— ارادت امريكا باستمرار أن تعزل مصر والدول العربية عن صديقها الاساسي الاتحاد السوفيتي .

— ارادت امريكا باستمرار أن تعزل مصر والنظام القائم فيها عن حركة الثورة العربية ، وأن تغذي في صفوف الوطنيين والتقدميين العرب أن مصر تتراجع عن خط ثورة يوليو ، خط النضال ضد الامبريالية ومن أجل التقدم الاجتماعي والوحدة العربية .

هذه الاهداف المباشرة لنشاط الدبلوماسية الامريكية ، اذا كانت القيادة السياسية في مصر — بدافع من وطنيتها — لم تستجب لها ، وبالتالي لم تمكن الولايات المتحدة من تحقيقها ، الا أن هذا — على اهميته — لا يمنع ونحن نقدم حسابات ٧١ وآفاق ٧٢ من أن نقول انها تركت أثرا سلبيا على مجمل الوضع العربي ابرزها :

— ماحدث على الصعيد العالمي : عندما شرعت أجهزة الدعاية الامبريالية الصهيونية تقنع الرأي

(٢) جريدة النداء البيروتية — ١٩٧١/٧/١١ .

(٣) القسم المكلف بتنظيم اعمال التخريب داخل البلدان الاشتراكية .

(٤) سوفيتسكايا روسيا — ١٠-٨-١٩٧١ (الترجمة الانجليزية) .

العام الاوروبى وفى بلدان العالم الثالث بمازعمته من ان هناك اتفاقا « امريكا مصر » لحل قضية العدوان الاسرائيلى . ان ضرر هذه الدعاية لم يصب يقظة الراى العام فحسب بل وصل الى دوائر واسعة فى اليسار الاوروبى .

— ما حدث على الصعيد العربى : اذ استفادت قوى الرجعية العربية من المظلة التى نشرتها الدبلوماسية الامريكية فنشطت هذه القوى القبلية وثبته الاقطاعية ، التى عزلتها الثورة العربية وشرعت مرة اخرى تحاول ان تزكى نفسها كقيادات كان التاريخ قد وضعها منذ زمن بعيد فى متحفه . ولقد تمكنت هذه القوى الرجعية من ان تعاود تاثيرها السلبي والضار على حركة التحرر العربية سواء بالعمل المكشوف والسافر الذى اتخذ شكل تدخل واعتداءات مسلحة على الثورة فى جنوب اليمن او سواء عن طريق التسلل الاقتصادى فى بعض البلدان العربية .

— وعلى الصعيد المحلى ، وفى اكثر من بلد عربى ، ساعد نشاط الدبلوماسية الامريكية على انعاش ملحوظ لقوى اليمين الاجتماعى . هذا اليمين الذى راودته ، ولا تزال تراوده الامال فى تصفية اتجاهات الثورة الاجتماعية . والذى يركز آماله على « تحسن » فى العلاقات الامريكية العربية ، يستطيع معه ان يحى مصالحه الطبقية . غنى عن الذكر ، ان حركة اليمين الاجتماعى فى الوطن العربى هى الاساس المادى الذى تنمو وتترعرع عليه ايدىولوجية معاداة الشيوعية ، والعداء للاشتراكية وللاتحاد السوفيتى ، هذه الايدىولوجية التى هى سلاح رئيسى من اسلحة الامبريالية الامريكية والصهيونية .

حركة العدو الاسرائيلى

اذا صح ان الامبريالية الامريكية تدخل اسرائيل فى استراتيجيتها الشاملة باعتبارها قوة الردع الرئيسية ضد الثورة العربية ، فان حكام تل ابيب يدخلون فى استراتيجيتهم الشاملة . حقيقة انه لاهياة اسرائيل كدولة عنصرية وتوسعية الا اذا وثقوا ارتباط دولتهم بالعسكرية الامريكية ، والا اذا ضاعفوا من ارتباط الاتصاف الاسرائيلى بالاقتصاد الامريكى الى حد التبعية . واحتياج كل طرف الى الآخر يتضاعف كلما تبعت امريكا ان مواقعها فى مصالحها الوطن العربى تتآكل وتنقلص كما تآكلت وتقلصت معظم قواعدها العسكرية . وكلما تبين قادة اسرائيل — بمرور الايام — ان دون تحقيق اهداف عدوان يونيو صعوبات هائلة حقا .

وأيا ماكان نوع ودرجة « استقلال » حكام تل ابيب عن السياسة الامريكية ، فان طبيعة العلاقة التى تمت بين الامبريالية الامريكية وبين الدولة الصهيونية ، هى التى تفسر مواقف اسرائيل خلال عام ١٩٧١ من حل قضية الشرق الاوسط ، وهى التى تلقى الضوء على ما ستفعله فى المستقبل .

● فاولا استمرت اسرائيل ترفض كل مسعى لتنفيذ قرار مجلس الامن .

ثانيا : لم يتوقف قادة اسرائيل فى تصريحاتهم الرسمية عن رفض العودة الى حدود ٤ يونيو وأعلنوا ان لهم مطالب فى الاراضى التى احتلوها .

ثالثا : استمر حكام تل ابيب يوطدون مراكزهم فى الارض العربية المحتلة فيزيدون من بناء المستعمرات الحربية فى المرتفعات السورية وفى سيناء ، والضفة الغربية . وكانت اشد جرائمهم بشاعة هذا العام طرد عشرات الألوف من اهالى قطاع غزة الى الضفة الغربية والى العريش .

أما القدس فيبدو ان عملية تهويدها قد أصبحت واقعاً مادياً . . . لا لأن الاسرائيليين قد هدموا بيوت العرب واقاموا احياء جديدة فحسب ، بل لأنه لم يعد فى ١٩٧١ يسكن القدس غير سبعين ألف عربى من ٣٠٠ ألف عربى كانوا فى المدينة قبل عدوان يونيو (٥) . وفى موضوع القدس ترفض اسرائيل حتى ان تستمع الى اى اقتراح أو التماس ضعيف من قبيل السماح لممثلى يوثانت بزيارة المدينة المقدسة . ان هدف اسرائيل هو مواجهة الراى العام العالمى بالامر الواقع اى بانشاء القدس الكبرى ، بسكان اسرائيليين يبلغ تعدادهم فى المستقبل ٩٠٠ ألف نسمة (٦) .

لكن عملية « التهويد » لا تقتصر على الاماكن ، وانما تتجه بالتدريج الى تهويد اقسام من السكان العرب انفسهم . وهكذا وافقت اللجنة المركزية للهستدروت بالاجماع فى ١٤ يونيو ١٩٧١ على القرار الخاص بربط الدروز بالهستدروت ربطا كاملا . وستعطى من الآن صفة العمال للجان العمال فى القرى الدرزية .

ثالثا : ان جميع هذه المواقف تقرنها السلطات الاسرائيلية بمظاهرات القوة المسلحة ، وفى الربع الاخير من عام ١٩٧١ توالى تصريحات القادة الاسرائيليين عن احتمال « نشوب حرب جديدة فى الشرق الاوسط » (بارليف) . ودعا الجنرال وايزمان الى بدء عمليات عسكرية جديدة ، مطالباً « بتدمير شبكة الصواريخ المصرية » . واقترنت بهذه الصيحات عمليات تعزيز القوات الاسرائيلية فى منطقة قناة السويس ، وبمناورات تضم تشكيلات جوية ضخمة ، وتحويل قوات الاحتياطى من عمق اسرائيل الى المواقع المتقدمة .

ونحن اذا حللنا موقف المعتدين الاسرائيليين فسوف نجد تطابقا وتنسيقا كاملا بينهم وبين السياسة الامريكية في الموقف من أزمة الشرق الاوسط .

فاسرائيل رغبة تهما في الإبقاء على حالة اللاسلم وحالة اللاحرب . أولا : لأن هذه الحالة تسمح بالتوسع في الاراضي المحتلة، بفرض الامر الواقع . وثانيا : لأن هذه الحالة يمكن أن تساعد (في تصور اسرائيل) على تآكل الانظمة الوطنية التقدمية . وثالثا : لأن هذه الحالة تستنزف الاتحاد السوفيتي الذي تعلم اسرائيل انه متضامن مع العرب في ردع العدوان .

● وعلى اية حال ، فاذا كان لابد وأن تخلق اسرائيل الوهم في صفوف الرأي العام العالمي بأنها تريد حلا للأزمة ، فانها تقدم في هذه الحالة مبدأ المفاوضة مع العرب وقبول التسوية الجزئية . والمفاوضة هنا يجب أن تكون بدون قيد أو شرط ، أي من مركز القوة . أما الحل الجزئي فانه طريق اسرائيل لفرض نوع من هدنة ١٩٤٩ تحقق فيه اهدافها التوسعية في الارض المحتلة .

مما تقدم كله ، نخلص الى هذه النتيجة وهي ان اسرائيل سوف تواصل عام ١٩٧٢ تصلبها المعتاد . ولكن لما كانت واثقون تمدها — بدون توقف — بالاسلحة الهجومية ، فان هذه الاسلحة لا تطلبها اسرائيل للاحتفاظ بالارض العربية التي احتلتها بعد يونيو فحسب . بل للقيام في المستقبل بالمزيد من الاعمال العدوانية .

حركة الاحداث في الوطن العربي

ربما كان من المتعذر أن نرصد في هذا المقال بالتفصيل غالبية الاحداث التي مرت على الوطن العربي عام ١٩٧١ . غير اننا سنكتفي منها بأبرزها ، وبما يرتبط — خصوصا — بالصراع العربي الاسرائيلي ، وبالنضال ضد الامبريالية من أجل الاستقلال السياسي والاقتصادي ، وبمستوى الوحدة والتضامن بين الفصائل الوطنية والثورية داخل حركة التحرر العربي . ويمكن أن يقال أن رصيد حركة الثورة العربية في الثلث الأول من عام ١٩٧١ كان — بشكل عام — ايجابيا .

ففي يناير احتفلت مصر باتمام السد العالي بكل ما يرمز اليه سد اسوان من مقاومة عنيدة للامبريالية العالية ومخططاتها ، ومن تمسك الشعب بخط التطور المستقل ، وبالصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي .

وفي فبراير اعلن الرئيس السادات أن مصر ستد وقف اطلاق النار لمدة شهر . ولكن الرئيس عاد في مارس واعلن ان مصر لا تلتزم بوقف اطلاق النار أو الامتناع عن وقف اطلاق النار . وكان هذا القرار يستجيب لضرورات رفض التسليم بالواقع الذي يريد أن يفرضه العدو في المناطق المحتلة .

وفي الثلث الاول من عام ١٩٧١ . وفي نطاق استمرار النضال ضد السيطرة الامبريالية ، خاضت الدول العربية المنتجة للبترول معارك ناجحة ضد الاحتكارات الدولية . وفي فبراير قامت الحكومة الجزائرية ، من جانب واحد ، برفع اشتراكها في شركات البترول الفرنسية العاملة في البلاد الى ٥١ في المائة ، وأممت تأميمها كاملا كل مصادر الغاز الطبيعي ونايبب النقل في اراضي الجمهورية . وبذلك وضعت الجزائر تحت السيطرة الوطنية كل قطاع البترول والغاز .

وفي ابريل استطاعت ليبيا أن تجبر الشركات المنتجة للبترول (غالبيتها شركات امريكية) على أن ترفع سعر البرميل الخام الى ٣٤٥ دولار بزيادة ٩٠ سنتا . والزمّت الشركات بدفع فروق الاسعار منذ عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٧٠ مع زيادة الاسعار سنويا بنسبة ٢٥ في المائة . هذا فضلا عن تعهد الشركات العاملة باستثمار جزء معقول من الارباح في عمليات البحث والتقيب وإقامة صناعة بتروكيماوية في البلاد .

وعلى صعيد القوى الثورية شهد الثلث الاول من عام ١٩٧١ اجتماع الدورة الثامنة للمجلس الوطني الفلسطيني . وترجع أهمية هذه الدورة الى انها اول دورة بعد مجازر سبتمبر ، وبعد حركة النقد والنقد الذاتي التي جرت في صفوف منظمات المقاومة الرئيسية وتناولت اساليب المقاومة ، وعلاقتها بالحركة الوطنية الاردنية وبالقوى الوطنية والتقدمية على الصعيدين العربي والعالمي . وفي هذه الدورة أقر الاجتماع البرنامج السياسي للثورة الفلسطينية . وربما كان من أهم ماتحقق في هذه الدورة هو اتساع الصفة التمثيلية للمجلس فقد حضر الاجتماع لأول مرة ممثل لقوات الانصار التي نظمها الحزب الشيوعي الاردني وممثلين عن حركة الارض ، كما حضر الاجتماع في الجلسة الثالثة ثلاثون من الشخصيات السياسية الاردنية والفلسطينية البارزة .

فاذا أردنا بعد ذلك أن نقيم هذه الفترة من عام ١٩٧١ امكن القول بأن الوقائع التي اشرفنا اليها كانت تبشر بإمكان انتعاش ملحوظ على الصعيد العربي كله ، ضد الامبريالية وضد اسرائيل وضد الرجعية العربية ، لكن المنطقة شهدت للأسف في هذه الفترة بداية

فمواضع صراعات عدائية بين القوى الوطنية والتقدمية في السودان . ففي فبراير دعا النظام القائم في السودان الجماهير الى الهجوم على الحزب الشيوعي السوداني ، وتبع هذا اقتضاء بعض أعضاء مجلس الثورة السوداني . وبالإضافة يمكن أن نرصد في هذه الفترة بعض الظواهر السلبية التالية :

● تمادى الرجعية الأردنية في حملاتها الدهوية ضد المقاومة الفلسطينية .

● تزايد نشاط الأنظمة القبلية وشبه الاقطاعية المتعاونة مع أمريكا في الشرق العربي ، وقد امتد هذا النشاط الى منطقة الخليج ، والى اليمن ليستكمل حلقات أبعادها وعزلها عن ركب الدول العربية الوطنية والتقدمية ، وليحولها الى قاعدة للهجوم على الثورة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

الاستعمار الجديد يعاون هجومة

غير أن النهوض المأمول في الحركة المعادية للإمبريالية والذي لاحق تباشيره في الثلث الأول من ١٩٧١ قد هددته تراجعيات مثل بداية أزمة ، بل نكسة عميقة ، في صفوف القوى الوطنية والتقدمية على النطاق العربي . وهذه النكسة بلورتها بكيفية حادة أحداث يوليو في السودان . ففي ١٩ يوليو قادت بعض القوى التي تنسب الى الحزب الشيوعي السوداني ومعها بعض القوى القومية انقلابا عسكريا ضد حكم الرئيس جعفر النميري . غير أن هذا الانقلاب فشل بعد ثلاثة أيام من قيامه . واتبعت السلطة في تصفية آثاره أسلوب الأعدام الفوري لقيادات جماهيرية عمالية وسياسية لها تاريخها ووزنها في الحركة الوطنية السودانية . وادى أسلوب المحاكمات واعدام المعارضين الى حدوث صدع عميق في الحركة الوطنية والشعبية السودانية . وامتدت آثار هذا التصدع لتثير أعق الخلفات في أكثر من بلد عربي في داخل القوى الوطنية . بل أن هذه الأحداث قد واكبها انحراف بعض القوى الوطنية في حملة بالغة العنف معادية للشيوعية وللإتحاد السوفيتي .

وربما زاد من قتامة أحداث السودان أنها جاءت أيضا في أعقاب مذبحتين مروعتين : أحدهما حدثت في الأردن في ١٣ يوليو ، والآخر في المغرب في ١٠ يوليو . ففي الأردن شنت قوات الملك حسين هجوما واسع النطاق بالدبابات والمدفعية والطائرات على قوات المقاومة الفلسطينية المتمركزة في الشمال . وقطعت خطوط الإمدادات عن الفدائيين ،

وحاصرت كثيرين منهم في أماكن تخلو من المياه وطرق المواصلات . وقتلت وجرحت المئات من المقاتلين ومن سكان المخيمات .

أما مذبحة المغرب التي ادارها الملك الحسن عقب فشل انقلاب الجنرال مدبوح ، فإنها قد صدمت الرأي العام المتحضر لأن اعدام انصار انقلاب تم في جو من الاجراءات الاستثنائية (فالمغرب يعيش باستثمار في هذا الجو) وإنما لأن قتل المواطنين قد تم بدون محاكمات . وإذا جاز لنا أن نلخص الآثار السلبية التي تركتها هذه الأحداث أمكن أن نقول :

١ - أنها هددت بطمس التناقض الرئيسي بين حركة التحرر العربي وبين الإمبريالية والصهيونية وفجرت تناقضات عدائية بين فصائل الحركة الوطنية .

٢ - أنها أقرنت بمحاولات من قبل ممثلي الاستعمار الجديد خصوصا من الأمريكان والالمان الغربيين الذين بدأوا يتجولون في المنطقة ويقدمون الوعود بالمساعدات الاقتصادية .

٣ - أنه إذا كانت الحركة الوطنية قد استطاعت في الثلث الأخير من عام ١٩٧١ أن تبدأ في تجاوز آثار هذه الأحداث ، إلا إنها مع ذلك تركت في الواقع المحل - في الأردن - بؤر خطر لا تزال تتفاقم :

وفي الأردن أدت المذابح المتتالية ضد شعب فلسطين وطلائعه الوطنية والثورية الى أن يحدث تقلص واضح في حجم العمليات الفدائية على الحدود الأردنية الإسرائيلية (٧) ، وهو الأمر الذي يدخل في الرصيد السلبي لحسابات ١٩٧١ ، هذا من ناحية ، كما أنه أكد من ناحية أخرى حقيقة أنه لانسبيل الى اقامة ما يسمى بالجبهة الشرقية طالما ظل الأردن تحت سيطرة عملاء الاستعمار الجديد .

ومع ذلك ، وعلى الرغم من كل الرصيد السلبي للثلث الثاني من ١٩٧١ لانستطيع إلا أن نسجل أن ثمة حدثا هاما في شهر يوليو قد رمى بثقله الكبير في كفة الرصيد الايجابي للعام المنصرم ، ونعني بهذا الحدث توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين مصر وبين الاتحاد السوفيتي . أن عقد هذه المعاهدة في جو الهجوم الذي بداه المستعمرون الجدد في المنطقة بقيادة الإمبريالية الأمريكية يمكن أن نتضح أهميته فيما يلي :

١ - فقد أكد التزام الاتحاد السوفيتي بدعم القوة العربية من أجل دحر العدوان الإسرائيلي .

٢ - لقد أفسد كل المضاربات الاستعمارية وبدد كل التكهات الرجعية عن إرث مصر عن خط الصداقة مع البلدان الاشتراكية .

٣ - لقد ابرز لأول مرة وبوضوح تنبؤاته القيادات الوطنية واعلائها ورفضها لطعمهم إعادة الشيوعية .

٤ - في جو البلبلة والتراجع الذي بدا انه يكتسح المنطقة العربية جاء توقيع هذه المعاهدة ليوقف اتساع الهجمة الامبريالية على حركة التحرر العربي .

في الثلث الاخير

فاذا استعرضنا بعد ذلك اهم الاحداث التي وقعت في المنطقة العربية في الثلث الاخير من عام ١٩٧١ امكن القول بان ابرز الاحداث تدبداً يهدد الطريق امام الثورة العربية لتتوى مراكزها الدبلوماسية ثم لتهيناً - بعند ذلك (ووفقاً لتوافر شروط معينة) لمعاودة الهجـوم على اعدائها . وفي هذا الصدد يمكننا أن نرصد :

١ - الزيارة الهامة التي قام بها الرئيس انور السادات الى الاتحاد السوفيتي ، هذه الزيارة التي نجحت في تبديد سوء الفهم بين الجانبين المصري والسوفيتي ودعمت علاقات الصداقة والتعاون . وأكدت استعداد الاتحاد السوفيتي لمداخلة القوة العسكرية المضرة باحتياجاتها من السلاح .

٢ - قيام الرئيس السادات في خطابه الى مجلس الامة باستقطاب القناع عن الدبلوماسية السرية للولايات المتحدة واذانة قواطعها مسع المعتدين الاسرائيليين . بل ان اهم ما في هذا الصياغات الواضحة التي قدمها الرئيس تلخيصاً لاهداف الامبريالية الامريكية في المنطقة وهي :

- ان امريكا تريد اخراج الاتحاد السوفيتي من المنطقة .

- ان امريكا تريد عزل مصر عن الامة العربية .

- ان امريكا تريد ضرب التجربة الاشتراكية في مصر .

وقد رفض الرئيس هذه الاهداف واكد على ان مصر تلتزم بخط ثورة يوليو خط الصداقة مع الاتحاد السوفيتي او خط النضال من اجل الوحدة العربية ، والتمسك بطريق التطور المستقل .

٣ - ونضع ايضاً في الرصيد الايجابي للثلث الاخير من ١٩٧١ الزيارة التي قام بها في اكتوبر ياسر عرفات الى الاتحاد السوفيتي . هذه الزيارة التي يمكن اعتبارها ثروة لا تنصـار

الاتجاهات الموضوعية والعقلانية في الدورة التاسعة للمجلس الوطني الفلسطيني . وهي بداية تحول ايجابي في علاقة المقاومة الفلسطينية بالاتحاد السوفيتي . ان المساومة قد وعت دروس المحنة ، وانها تتطلب بالتدريج على كل الشعارات اليسارية المتشنجة التي تسببت في الاضرار بعلاقاتها بالدول العربية التقدمية ، هذا على الصعيد العربي ، وبقيادة المعسكر الاشتراكي المثلثة في الاتحاد السوفيتي ، على الصعيد الدولي .

٤ - ثم نثبت في الرصيد الايجابي لعام ١٩٧١ ما فعلته الحكومة الليبية عندما امنت شركة البترول البريطانية في ليبيا ، وما اعلنته من سحب ارسدتها الموجودة في انجلترا . تكمن الاهمية الخاصة لهذا الاجراء الوطني في انه جاء كضربة مضادة لتسليم بريطانيا جزر الخليج الى ايران . ان هذا الاجراء فوق انه يصفى مركزاً احتكارياً للامبريالية ، يقدم الدليل على ان القوى الوطنية تستطيع ان ترد ضربات الاستعمار ، ولا يزال امامها الكثير لكي تفعله في اتجاه تصفية مراكز الامبريالية والاستعمار الجديد .

وفي هذا الصدد ، ولتقييم المقاومة العربية ضد احتكارات البترول لابد وأن نشير ان المكاسب التي انتزعتها الدول العربية المشتركة في « الاوبك » قد وجهت في عام ١٩٧٠ - ١٩٧١ ضربة شديدة الى هيبة الكارتل الدولي للبترول هذا الكارتل الذي يتكون من غالبية من الشركات الامريكية والذي عرف في الشرق العربي كقوة جبارة خفية تنظم المؤامرات والانقلابات والاغتيالات . ولابد وان يتفق المرء مع تقدير جريدة « لوموند » تعليقاً على تراجع شركات البترول امام ضغوط الدول المنتجة بقولها : ان هذا رسخ في اذهان اوربا الغربية حقيقة ان الكارتل الدولي للبترول لم يعد قادراً على تأمين امداد اوربا بالبترول .

وعندما نرصد تلك الوقائع الاربعة السابقة في الثلث الاخير من عام ١٩٧١ يتحتم علينا ان نتوقف قليلاً عند حدث هام من الاحداث التي شهدتها المنطقة في هذه الفترة ، ونعني به اعلان الامارات العربية كدول مستقلة انضمت الى الجامعة العربية والى هيئة الامم المتحدة . وفي هذا يمكن ان نسجل مايلي :

١ - ان قيام دول عربية مستقلة من الناحية السياسية لاشك انه احد علامات عصرنا على انحسار ظاهرة الاستعمار . وهذه ظاهرة ايجابية .

٢ - انه بالنسبة الى الاوضاع الاجتماعية

تحقيق انتصارات مؤكدة في هذه المعركة وفي مقدمتها :

— فهم علمي بطبيعة واتجاهات حركة التحرر الوطني العربية ، وذلك من حيث انها حركة معادية للامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية ، ومن حيث انها حركة ذات محتوى اجتماعي يجذب الطبقات الشعبية وفي مقدمتها العمال والفلاحون والمتقنون الثوريون للنضال من اجل التقدم الاجتماعي والاشتراكية .

— فهم علمي للانجازات العظيمة التي حققتها هذه الحركة خلال ربع القرن الاخير وثقة كاملة بقوة الثورة على انزال بالامبريالية وعلى حساب قوى الرجعية الداخلية . وفي نفس السوقت الثقة بان حلفاء الثورة العربية على المستوى الدولي ثابتون في مواقعهم على دعم هذه الثورة واسنادها .

وفي ضوء هذا كله تستطيع بالرجوع الى حسابات ١٩٧١ أن تؤكد أن ماتحقق من ايجابيات يمكن أن يدعم بها يسمح لقوى الثورة العربية أن تنتقل الى مواقع الهجوم . وهكذا رأينا ، وعلى سبيل المثال : خلال العام الماضي :

● ان قوى الجماهير الشعبية تحركت في اكثر من مكان وفي اكثر من بلد عربي لتناضل من اجل حقوقها وتدافع عن مكاسبها الاقتصادية والاجتماعية وعن حرياتها الديمقراطية .

● ان قوى الثورة الفلسطينية قد صعدت عملياتها في داخل الارض المحتلة ، وفي اكثر من مكان وفي داخل اسرائيل نفسها وهذا ما اعترفت به وكالات الانباء الغربية .

● ان القوى الوطنية والتقدمية على صعيد الوطن العربي قد رفضت بحزم التصفيات الدموية التي جرت في السودان وفي المغرب .

● ان قوى الثورة في الخليج لم تستسلم لمؤامرات المستعمرين الجدد . وكما ذكرت لوموند في ٤ — ١٢ — ٧١ انه بعد استيلاء ايران على جزر الخليج قامت مظاهرات وطنية في معظم احياء المنطقة . « وقد تحولت هذه المظاهرات في الشارقة ، ورأس الخيمة ، الى ثورة الحق بالمنشآت الايرانية خسائر كبيرة » .

● ان القوى التقدمية والوطنية في اكثر من مكان في الوطن العربي تشعر رغم التمزق بحاجتها الى دعم وحدة الصف ، ومن هنا فان عام ١٩٧١ قد سجل رصيда ايجابيا في هذا الصدد . وعلى سبيل المثال الحوار والتعاون

والسياسية السائدة في امارات الخليج لا يمكن الا ان نلاحظ ان الطريقة التي اعلنت بهابريطانيا « الانسحاب » من هذه المنطقة ودعوتها للولايات المتحدة لتشارك معها في اعباء الدفاع عنها ، والمعاهدات التي سبقت اعلان الاستقلال ، ووجود قواعد عسكرية ، والسيطرة الكاملة من قبل احتكارات البترول على الثروة الاساسية في المنطقة كل هذا يبين ان بريطانيا قد لجأت في تعاملها مع هذه الامارات الى استبدال الاستعمار الجديد بالاستعمار التقليدي .

٣ — انه اذا وضعنا جانبا الطبقة التي تتعاون مع الاحتكارات الاجنبية في اقتسام عوائد البترول فان للثورة نصائل مناضلة وممتازة لاتساوم في النضال ضد الاستعمار وهذه الفصائل تتكون اساسا من الطبقة العاملة العمود الفقري للحركة الوطنية ومن المثقفين الثوريين .

آفاق المستقبل

عندما نتحدث عن آفاق الثورة العربية عام ١٩٧٢ لانقوم بعمل من أعمال السحر والعرافة ولكننا نتحدث من توقعات قد تتحقق او لا تتحقق وفقنا لتوافر الشروط الذاتية الخاصة بالثورة العربية . هذه الشروط المتعلقة بوحدة وتضامن القوى الوطنية والتقدمية .

وبعيدا عن التشاؤم ، وبعيدا ايضا عن التفاؤل الساذج ، يتعين علينا أن نبدأ من منطلقات موضوعية في الموقف . أحد هذه المنطلقات أن حركة الثورة العربية في خلال عام ١٩٧١ قد هددتها اخطار شديدة . ولاتزال تواجهها في عام ١٩٧٢ مخاطر جدية كامنة في اشتداد الهجمة الامبريالية الامريكية الصهيونية والرجعية . فإذا قلنا أن حركة الثورة العربية قد بدأت في اواخر العام تدافع عن نفسها ، فان عام ١٩٧٢ يلزمها بأن تعزز خطوط الدفاع ، بل الاصح انه يتعين عليها ان تنتقل الى خط الهجوم .

ولن يكون لهذا الهجوم غير استراتيجي محددة : هي خط الهجوم العام وعلى نطاق الوطن العربي ، وفي جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ، ضد الاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية . ان أي تردد ، وأي فقدان للاتجاه ، وأي وقوع في معارك فرعية وجانبية بين فصائل الثورة ، ان هذا كله يساوي ردة مؤكدة .

اما المنطلق الثاني والاساسي في هذا الصدد فهو أن يؤسس هجوم الحركة الثورية ضد الاستعمار الجديد على : العوامل التي تضمن

القائم بين الحزب التقدمي وحزب البعث والحزب الشيوعي في لبنان ، والحوار القائم حول مفهوم الجبهة في سوريا ، والحوار الذي لم ينقطع بين الجبهة القومية في اليمن الجنوبية وبين القوى التقدمية والوطنية الأخرى .
وهذه في الواقع أمثلة عما يحدث على مستوى الحركة الشعبية .

وعلى مستوى الدول الوطنية والتقدمية ، يتحتم أن نضع في الرصيد الإيجابي لعام ١٩٧١ إعلان دولة الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا . فهذا الاتحاد التعاهدي بين دول مستقلة ، مدعو إلى أن يرسى أسسه على مبادئ النضال الحازم والثابت ضد الامبريالية ، وضد قوى التخلف والردة ، ومن أجل الديمقراطية .

وعلى مستوى الدول الوطنية والتقدمية لأبد من أن نضع في الرصيد الإيجابي لعام ١٩٧١ صمود جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ضد كل أنواع التسلل والهجمات المسلحة التي قام بها المرتزقة على حدودها .

يبقى بعد ذلك القول بأنه أيا كانت الصعوبات والتعقيدات التي تعترض الثورة العربية ، فإن كثيرا من هذه الصعوبات يمكن تخطيها إذا أحسنت قوى الثورة العربية الاستفادة من الظروف الموضوعية المحيطة بها .

في مقدمة هذه الظروف التواجد السوفيتي في منطقة البحر الأبيض المتوسط . وإذا استشهدنا بما قاله معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن عام ١٩٦٩ فإن هذا التواجد يعمل على « تحييد » قوة الاسطول السادس الأمريكي العدوانية . وإذا استشهدنا بما تقوله مجلة « فورين أفيرز » الأمريكية فإن التواجد السوفيتي في البحر المتوسط لا يسهل على مشاة البحرية الأمريكية أو قوات المظلات البريطانية أن يكرروا عمليات الانزال التي حدثت عام ١٩٥٨ في لبنان والاردن (٨) .

وفي الوقت نفسه ثمة ظرفا موضوعيا هاما يتحتم على قوى الثورة العربية أن تستفيد منه . ونعني به التناقضات المتزايدة الحادة بين أمريكا وبين أوروبا الغربية .

ففي ظروف المنافسة الاقتصادية بين القوتين تظهر أوروبا الغربية (دول السوق الأوروبية) مقاومة متزايدة للسياسة الأمريكية المتمثلة في التأييد الكامل لإسرائيل . فلقد أدت هذه السياسة إلى أضرار حقيقية بالاقتصاد الأوروبي ، وهذه الأضرار،

لا ترجع فحسب إلى آثار إغلاق قناة السويس ، وإنما ترجع إلى أن هجوم الدول العربية على احتكارات البترول يحركها - فيما يحركها - سخط متزايد من قبل العرب على السياسة الأمريكية الموالية لإسرائيل . لكن هذا الهجوم الذي تقوم به الدول العربية على الكارتل الدولي للبترول يدفع أمريكا إلى أن تحمل أوروبا الغربية - المستهلك الأول والرئيسي للبترول العربي - فروق الأثمان . ومن هنا عبرت دول السوق الأوروبية المشتركة عن مقاومتها للسياسة الأمريكية على مستويين :
- المستوى السياسي وهو المطالبة بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ (٩) .

- المستوى الاقتصادي وهو السعي إلى دخول عالم البترول العربي عن طريق الحصول على امتيازات... الخ... فوق أن تحسين العلاقات مع العالم العربي يمكن أوروبا الغربية من الاستفادة من الامكانيات المتزايدة الاتساع للسوق العربية .

- على أن الاستفادة من هذا التناقض يجب أن يتم لا في نطاق الوقوع في شرك الاستعمار الجديد بل أساسا في اتجاه تعزيز النضال ضد الامبريالية الأمريكية وضد الصهيونية . وهذا يتحقق باقامة العلاقات مع أوروبا الغربية على أسس مبدئية وثورية تستهدف تقليص مواقع الاحتكارات الأمريكية للبترول، وتحويل منطقة البحر المتوسط إلى منطقة سلام لا مكان فيها للقواعد العسكرية .

فإذا اقتنعنا بعد هذا كله بأن الظروف الموضوعية التي تحيط بالثورة العربية هي في المدى القريب والمدى الاستراتيجي ملائمة لتحقيق مزيد من الانتصارات فإن شرط النصر ، وشرط الاستفادة من هذه الظروف كامن في هذه الحقيقة : وهي أن تكون القوى الذاتية للثورة العربية في مستوى الوحدة الذي يمكنها من قيادة نضال الجماهير العربية . وليست هناك مهمة ملحة سوى مهمة العمل على توحيد كل قوى الثورة العربية : قوى الاشتراكيين والوحدويين والبعثيين والشيوعيين .

وحتى تكون نقطة البدء هي بذاتها بداية تحقيق انتصارات حاسمة عام ١٩٧٢ ، فإن هذه القوى التقدمية - خاصة تلك القوى التي تتواجد في السلطة - يجب أن تنطلق في تعاملها مع بقية فصائل الثورة من ضرورة احترام الاستقلال وحل التناقضات من خلال حوار ديمقراطي بين كافة القوى والطبقات الاجتماعية التي تقف في الجبهة المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية .

[٨] مجلة ميرونايا ايسكونوميكا السوفيتية : مشكلات البحر الأبيض المتوسط والاستراتيجية الامبريالية -

الترجمة الانجليزية سبتمبر ١٩٧١ .

(٩) علينا أن نلاحظ هنا موقف ألمانيا الغربية يختلف بوضوح من موقف فرنسا وهذا ما أظهرته زيارة والتر شيل وزير خارجية بون إلى إسرائيل في صيف ١٩٧١ ، فقد أعلن أنه يعطى على « مطالب إسرائيل في الحدود الآمنة » ، وأكد استمرار التعاون الوثيق مع الدولة الصهيونية .

اعادة تنظيم الدولة

ومشاكل البناء الديمقراطى

طارق المشوى

عرفت

مصر فى السنوات العشرين الماضية ، عـددا من التنظيمات السياسية لمؤسسات الدولة تختلف عن بعضها البعض فى كثير من التفاصيل ، ولكنها تشترك جميعا فى أمر واحد جوهري ، هو قيام نظام الحكم على محور واحد . فكان هذا المحور أولا مجلس قيادة الثورة منذ ١٩٥٣ ، ثم تركز فى رئاسة الجمهورية ويظهر ذلك جليا فيما صدر من دساتير وإعلانات دستورية منذ ١٩٥٦ . ودارت أجهزة الدولة ومؤسساتها حول هذا القطب الثابت وحده ، الذى كان يمثل القوة الدافعة للنشاط العام بكل صوره وأشكاله التنظيمية . والتقت السلطات جميعا فى هذا المركز المفرد .

وكانت السلطة التنفيذية ، ببنائها الهرمى ومستوياتها المتعددة ، وما تتصف به العلاقات داخلها من الخضوع الرئاسى وهيمنة المستوى الأعلى على الأدنى ، كانت هى الاداة الاساسية لتحريك الدولة والمجتمع بأسره . وتكون الهيكل القانونى فى المجتمع على صورتها . ان السلطة التنفيذية تعتبر فى مصر ذات قوة وهيمنة كبيرة ، فهى أقدم السلطات تاريخيا ، وهى صاحبة المؤسسات التى كتب لها فى التاريخ المصرى دوام واستمرار غير منقطعين ، فغالبت الزمان وما طرأ فيه عبر حقبة التاريخ من تغييرات اجتماعية وسياسية عميقة . وكانت السلطة التنفيذية تقوى بهذه التغييرات ، ثم كانت هى السلطة التى تولت — فى غيبة ما عداها من

السلطات والتنظيمات الشعبية — أمر التغييرات الاجتماعية والسياسية بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وأكسبها هذا مزيدا من النفوذ والقوة والإيغال فى جميع تفاصيل الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ثم اكتسبت دعما وقوة هائلة بنشأة القطاع العام ونموه ، حتى صارت ذات الثقل الذى لاينازع ، ولايجد بما تقبض عليه من أعنة أجهزة الأمن ومؤسسات الانتاج والخدمات . وبهذا صار هذا البناء التنفيذى الذى تقف فى قمته رئاسة الدولة ، صار مركزا لكافة أوجه النشاط السياسى والتشريعى والتنفيذى . واندمجت سلطة التشريع فى السلطة التنفيذية ، وهيمن النشاط الادارى للدولة على النشاط السياسى وكانت صفة النيابة الشعبية التى يتدثر بها النظام السياسى فى البلاد ، تتوافر للبناء الدستورى للدولة من دفقة التغييرات الاجتماعية والانتصارات الوطنية التى تحققت خلال هذه السنوات ، ومن مبدأ انتخاب رئيس الجمهورية بالاستفتاء العام المباشر ، بحيث أصبحت رئاسة الدولة — فى الادب القانونى والدستورى الشائع — هى ممثلة السيادة الشعبية والمعبرة عن الإرادة الجماهيرية فيما يسلكه الجهاز التنفيذى من أساليب النشاط وما يتخذه من قرارات .

وخلال تلك السنوات أيضا ، عرفت مصر ثلاث تجارب للتنظيمات الشعبية ، كانت أولاها هيئة التحرير ، ثم ظهرت ثانيها باسم الاتحاد القومى الذى نص عليه دستور جمهورية مصر سنة ١٩٥٦ ثم كانت الثالثة هى الاتحاد الاشتراكى الذى بدأ بناؤه عقب اعلان الميثاق فى سنة ١٩٦٢ ، وعرف

الاتحاد الاشتراكي عددا من صيغ البناء ؟ تكون أولا بطريق الانتخاب ، ثم أعيد تكوينه باليقين ، ثم بالانتخاب مرة ثانية في ١٩٦٨ . وتكون على أساس أمانات نوعية ، ثم على أساس أمانات محلية ثم شكلت له لجنة مركزية ولجنة تنفيذية عليا . ولكن رغم كل هذه التعديلات التي طرأت على هيكله التنظيمي ، رغم كل ذلك كان يحظى بوضع سياسي ودستوري تتضائل من دونه كافة المؤسسات التشريعية وغيرها . وكان الاتجاه السائد في تعيين طبيعته السياسية يؤكد أنه من مؤسسات السلطة والحكم وأنه تجسيد للسلطة الشعبية أو هو السلطة العليا إزاء السلطات المختلفة في الدولة ، تنفيذية وتشريعية وقضائية . وأسبغ هذا التصور على النشاط العام للدولة ما دعم تركيز السلطة والتفرد الكبير في إدارة العمل العام ، كما دعم ما هو حاصل من اندماج سلطتي التشريع والرقابة في السلطة التنفيذية ، وامتصاص هذه الأخيرة للوظيفتين الأولتين ، إذ اعتبرت عضويته شرطا لازما للصلاحيات في الترشيح لمجلس الأمة ولاي من الهيئات النيابية والنقابية . واستمر الوضع كذلك حتى جاءت أحداث نكسة ١٩٦٧ وما طرحته من تساؤلات جذرية وعميقة تتعلق بمسدى الخطأ والصواب في البناء السياسي والتنظيمي للبلاد مجتمعا ودولة . وبعد النكسة بدأ ينكشف ما كان مستترا من قيام نظام الحكم على أساس مراكز القوى التي تعنى فيما تعنيه قيام حكومة الأشخاص بدلا من حكومة القانون ، وقيام التجمعات الشخصية داخل السلطة بدلا من التوزيع الموضوعي للسلطات بين المؤسسات المختلفة .

وقد انفجر الوضع عن هذه المراكز مرتين : الأولى عقب الهزيمة مباشرة في نهاية ١٩٦٧ ، والثانية في ١٩٧١ . وفي المرة الأولى ارتفع شعار الديمقراطية وسيادة القانون كبديل للوضع التنظيمي القائم يقضى على ما أظهر من مثالب . وأعلن بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ الذي كان حجر الزاوية فيه ما تضمنه من وجوب بناء الدولة العصرية وإشاعة الديمقراطية في تنظيم الدولة ونشاطها وتحقيق سيادة القانون ، ثم جرى استفتاء عام على البيسان أقر به كوثيقة رسمية واجبة التطبيق ، وأعيد بناء الاتحاد الاشتراكي بالانتخاب وجرى انتخابات جديدة لمجلس الأمة . وكان الظن أن تعاد صياغة أبنية الدولة بما يكفل تحقيق مبادئ ٣٠ مارس بتأكيد سيادة القانون وما توجبه من توزيع السلطات والحد من تركيزها وإطلاقها ، وما توجبه من تأكيد ضمانات الحريات الفردية والعامية . على أنه مالبث الوضع بصورته القائمة أن استتب

وتساندت أسسته من جذية . وتجهزت أمانة السلطة ، وتمثل ذلك فيما تمثل في الاعلان الدستوري الذي صدر في ٧ يناير ١٩٦٩ الذي نص على أن فقدان عضوية الاتحاد الاشتراكي تعتبر سببا لفقدان عضوية مجلس الأمة ، وهو أمر يعنى هيمنة الاتحاد كسلطة على السلطة التشريعية ، ثم صدرت قوانين الإصلاح القضائي في نهاية أغسطس ١٩٦٩ التي تضمنت حل الهيئات القضائية وإعادة تشكيلها مع إعادة تنظيمها بما يؤكد هيمنة السلطة التنفيذية على السلطة القضائية . وبدأت دورة جديدة من دورات تكوين ما اصطلح على تسميته بهياكل القوى ، وهي النتائج الضرورية لتركز السلطة .

ويمكن بشكل عام استعراض بعض أوجه النقص في التكوين السياسي والدستوري خلال تلك المرحلة ، في النقاط الآتية :

— تركيز السلطات جميعا وعدم توزيعها حسب الوظائف المختلفة لنشاط الدولة ، التنفيذية والتشريعية والقضائية ، واندماج سلطتي التشريع والقضاء في السلطة الأقوى ماديا وتاريخيا وسياسيا وهي السلطة التنفيذية .

— قيام السلطة الفردية المهيمنة على كافة مقدرات الدولة من خلال النشاط التنفيذي وحده — اعتبار التنظيم السياسي بنسب من أبنية السلطة في الدولة ، واعتباره السلطة الأم ، وسيطرة السلطة التنفيذية برجالها ورئاستها على مقدرات هذا التنظيم ، وما يؤدي إليه ذلك من تبعية النشاط السياسي للنشاط الإداري والتنفيذي للدولة .

— افتقاد مبدأ سيادة القانون ، وانطلاق النشاط التنفيذي من القيود التشريعية الكفيلة بضبطه ، وخروجه من الإطار القانوني القائم .

— نقص ضمانات الحريات الفردية والعامية .

إعادة النظر في أسس بناء الدولة

وقد حدث في مايو ١٩٧١ أن تفجر الوضع من جديد عن صراع لمراكز القوى ، وترتب على ذلك أن طرحت مشاكل تنظيم الدولة من جديد ، وطرحت مشاكل البناء الديمقراطي بها ، وكان طرحها في هذه المرة أشد سلفورا ووضوحا وأكثر حرصا على إعادة النظر الجاد في أسس بناء الدولة من جانب عرض الكتل التي تمثل الرأي العام المصري بأغلب تياراته .

وقد اشترعت الاقلام تطالب في تطلع مشوق باعادة بناء الدولة على مبدأ سيادة القانون وبتوزيع السلطات مع كفالة الضمانات الفعالة للحريات الفردية والعامّة واشاعة الديمقراطية في كافة مؤسسات الحكم وأجهزته . وشاهدت الاشهر التالية نشاطا سياسيا تمثل - بايجاز - فيما يلي :

- اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي من القاعدة الى القمة ، بمستوياته المختلفة .
- اعادة انتخاب الهيئة النيابية - وهو - مجلس الشعب ، مع اجراء انتخابات جديدة في جميع النقابات المهنية والعمالية ومع انتخاب الاعضاء المنتخبين في مجالس ادارة وحدات الانتاج .

- اعداد الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية وطرحه للاستفتاء الشعبي العام .
- الافراج عن جميع المعتقلين السياسيين .
- تأكيد سيادة القانون فيما نص عليه الدستور الجديد ، وفيما أصدرته المحكمة العليا من أحكام تقضى بعدم دستورية قوانين 'حظر التقاضي' .

- تكوين المجالس الشعبية للحكم المحلي .
ولاشك أن أخطر هذه الاجراءات هو اصدار الدستور الجديد ، باعتباره القانون الاساسي للدولة الذي يحدد العلاقات بين المؤسسات المختلفة ، ويعين ضمانات الافراد تجاهها .

الاتحاد الاشتراكي العربي

يبدو أن الدستور الجديد قدحاول أن يعدل من النظرة الى طبيعة الاتحاد الاشتراكي ، بالنسبة لعلاقته بمؤسسات الحكم . فقد نص دستور ١٩٦٤ على أن الاتحاد يمثل سلطة تحالف قوى الشعب العاملة . أما المادة الخامسة من الدستور الجديد فقد نصت على أن الاتحاد هو التنظيم الذي « يمثل » التحالف وهو « أداة » التحالف ، ثم استطردت تقول « ويؤكد الاتحاد الاشتراكي سلطة تحالف قوى الشعب العاملة عن طريق العمل السياسي الذي تباشره تنظيماته بين الجماهير وفي مختلف الأجهزة التي تضطلع بمسؤوليات العمل الوطني . » فهذه الصيغة أن لم تكن تختلف كثيرا عن صيغة ١٩٦٤ ، إلا أنها بالاقول تحمل بين طياتها أوجها للتفسير تتسع لعدد من وجهات النظر أكثر من سابقتها .

رئاسة الدولة

أوضح الدستور سلطات رئيس الدولة في

كونه حكما بين السلطات ينهر على تأكيد سيادة الشعب واحترام الدستور وسياده القانون وحماية الوحدة الوطنية ، ورعاية الحدود بين السلطات . وخولته المادة ٧٤ أن يتخذ اراء كافة السلطات الاخرى ما يرى من اجراءات سريعة لمواجهة « خطر يهدد الوحدة الوطنية أو سلامة الوطن أو يعوق مؤسسات الدولة عن أداء دورها الدستوري » ويتخذ هذه الاجراءات ببيان يوجه الى الشعب ثم يجري الاستفتاء على ما اتخذ من اجراءات خلال ستين يوما من اتخاذها ، كما أن له أن يستفتي الشعب في « المسائل الهامة التي تتصل بمصالح البلاد العليا » طبقا للمادة ١٥٢ .

واستعار الدستور الجديد من سلفه بيان طريقة اختيار رئيس الجمهورية ، اذ يتم الترشيح للرئاسة من مجلس الشعب بناء على اقتراح ثلث الاعضاء ، وبعد موافقة ثلث الاعضاء على الترشيح يعرض المرشح على الاستفتاء الشعبي العام وينتخب بالاغلبية المطلقة لمن أعطوا أصواتهم من الناخبين . ولا يرشح الا مرشح واحد يجري عليه الاستفتاء بغير تنافس انتخابي . ويسبغ الاستفتاء العام على رئيس الجمهورية صفة التمثيل الشعبي التي تمكنه دستوريا من ممارسة سلطته كحكم بين السلطات المختلفة ، ومن اتخاذ ما يرى اتخاذه من اجراءات لمواجهة ما يطرا من الاخطار التي أشارت اليها المادة ٧٤ ، ومن طرح أية مسألة للاستفتاء العام ان اتصلت بمصالح البلاد العليا .

ورئيس الدولة هو من يتولى - فضلا عن كونه حكما بين السلطات - السلطة التنفيذية طبقا للمادة ١٣٧ ويمارسها طبقا للدستور ويضع سياسة الدولة بالاشتراك مع مجلس الوزراء . ويعين نائبا له أو أكثر يحدد اختصاصه ، كما يعين رئيس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم ، ويعفى هؤلاء من مناصبهم .

ويمارس رئيس الدولة سلطته كحكم بين السلطات بما خوله الدستور من سلطة وقف جلسات مجلس الشعب وطرح الاستفتاء الشعبي لحل المجلس طبقا للمادة ١٣٦ ، وهو حكم يقيد سلطة رئيس الجمهورية في حل المجلس بوجوب الاستفتاء على ذلك شعبيا ، وهو حكم مختلف عن دستور ١٩٦٤ الذي لم يضع هذا القيد . أما اذا تنازع مجلس الشعب مع رئيس الوزراء ، فيتعين على المجلس أن يقرر مسؤولية رئيس الوزراء بالاغلبية ويرفع الى رئيس الجمهورية تقريراً بذلك ، ولرئيس الجمهورية أن يرد التقرير الى المجلس فان أصر المجلس على

موقفه جاز للرئيس طرح موضوع النزاع في استفتاء شعبي خلال ثلاثين يوما ، ويتوقف الامر على نتيجة الاستفتاء . (م ١٢٧)

وللرئيس أن يصدر قرارات لها قوة القانون في غيبة المجلس التشريعي . كما أن له أن يصدر هذه القرارات بتفويض يصدر من المجلس في حالة الضرورة لمدة محددة ، وعن موضوعات معينة . وله حق الاعتراض على القوانين التي يوافق عليها المجلس فترد اليه ولا تنفذ الا بموافقة ثلثي الاعضاء .

سيادة القانون

نص الدستور على ان سيادة القانون هي أساس الحكم في الدولة ، وعلى وجوب ان تخضع الدولة للقانون . ومن الجلي أن هذا الامر لم يكن في الظروف العادية يستدعي « نصا » في الدستور ، وهز أمر ينبغي أن يستفاد بالضرورة من حقيقة كون الدولة دستورية . ومن الجلي أن سيادة القانون هي مبدأ يحتاج الى « مسلك » لا الى « نص » فحسب ، لان المقصود به أن يكون النشاط العام صادرا عن القوانين والقواعد التشريعية الموضوعية المقررة ، وأن يكون التنفيذ في اطار التشريع القائم وطبقا له دون أن توجد ثمة فجوة بين التشريع والتنفيذ وبين القول والفعل . والتحقيق الامثل لسيادة القانون تكون من خلال وضع الضمانات الكفيلة بعدم جنوح الفعل عن الاطار التشريعي القائم ، وذلك عن طريق التحديد المنضبط لاختصاصات السلطات والاجهزة المختلفة ووجود الرقابة الفعالة على نشاطها وفرض العقوبات الرادعة على المخالفين ، وتأكيد الضمانات العملية لحسن تطبيق القوانين . ولعل الدستور قد شاء بهذا النص العام عن سيادة القانون أن يذكر به لتستهدى به أجهزة الدولة مستقبلا في تقنيناتها لتعيد صياغة البناء التشريعي وفقا له ، بعد أن اعترى البناء التنظيمي ما اعتراه من آثار شخصية الحكم ، وبعد ما أضنى التجربة الدستورية المصرية من اتساع الفجوة بين نشاط أجهزة التنفيذ والاطر القانونية الموضوعية .

وقد أورد الدستور النصوص التقليدية المتعلقة باستقلال القضاء والقضاة وعدم جواز تدخل أية سلطة في القضايا وعلمية جلسات المحاكم وغير ذلك . ثم كان أهم ما أورده جديدا في هذا الشأن هو النص على أنه يحظر حظرا مطلقا تحصين أي عمل أو قرار من أعمال الإدارة وقراراتها من رقابة القضاء ، وتأكيد حق كل مواطن في اللجوء الى قاضيه الطبيعي . على

أنه أشار الى تنظيم « محاكم أمن الدولة » كتكوين قضائي يحسد له اختصاص خاص عن الهيئات القضائية العامة التي تمثل السلطة القضائية .

وقد ترتب على ما تضمنه الدستور من حظر لمنع التقاضي ، ومن التزام مطلق بحرية التقاضي لجميع المواطنين ، ترتب على ذلك أن أصدرت المحكمة العليا أخيرا حكمين هامين ، يتعلق أولهما بعدم دستورية قانون حظر التقاضي بالنسبة للموظفين المفصولين بغير الطريق التأديبي ، ويتعلق الثاني بعدم دستورية ، حظر الطعن في قرارات لجان تقدير ايجارات المساكن ، وأشاع هذان الحكمان مناخا عاما بأن التقاضي حق مطلق ، وأن هذا المبدأ المقرر يأخذ طريقه الى النفاذ فعلا في الحياة العامة .

الحريات العامة

وقد تضمن الباب الثالث من الدستور الاحكام المتعلقة بالحريات والحقوق والواجبات العامة ، عن المساواة بين المواطنين وكفالة الحرية الشخصية لهم وحرمة المساكن وحياة المواطنين الخاصة وحرمة المراسلات وحرية الرأي في حدود القانون ، وحرية الصحافة والصباعة والنشر الا في حالة الطوارئ أو زمن الحرب وكل ذلك بالقيود القانونية الواردة بالدستور . ونص على أن « كل مواطن يقبض عليه أو يحبس أو يقيد حريته بأي قيد تجب معاملته بما يحفظ عليه كرامة الانسان » ولا يجوز ايداؤه بدنيا أو معنويا ، كما لا يجوز حجزه أو حبسه في غير الاماكن الخاضعة للقوانين الصادرة بتنظيم السجون » ، وأنه يتعين أن يبلغ كل من « يقبض عليه أو يعتقل » بأسباب القبض عليه أو اعتقاله فورا ، وأن يكون له حق الاتصال بمن يرى ابلاغه بما وقع أو الاستعانة به على الوجه الذي ينظمه القانون » مع كفالة حقه في التظلم الى القضاء من الاجراء الذي قيد حريته .

ومن الجلي ان هذه الاحكام ، وان ظهرت لغير من عايش التجربة المصرية ، كما لو كانت من المسلمات التي لا تحتاج الى تقرير خاص في المجتمعات المتحضرة ، فان سابق معاشة هذه التجربة في بعض تعقيداتها من شأنه أن يثير الاحاسيس بأن مثل هذه الاحكام على مستوى هام وخطير من الاهمية ، وهي من الضرورات الملحة لمعالجة ما أصاب الروح المصرية من جروح عميقة . ولا شك أن تقريرها صراحة لهو تسجيل شجاع لما شابه الحياة السياسية من أضرار ، على أن ما يستحق الإشارة أن الدستور قنن ما يمكن أن يلحق هذه الحقوق وضمائماتها من اجراءات

الطوارئ ؟ وانفتح لذلك في موضعه افساحا واضحا ، بحيث تجد هذه الاجراءات عند اتباعها اساسا لها في الدستور ، سواء بالنسبة للقيود على الحريات الفردية ، أو حرية الرأي والصحافة أو محاكم أمن الدولة أو غير ذلك .

الحكم المحلي

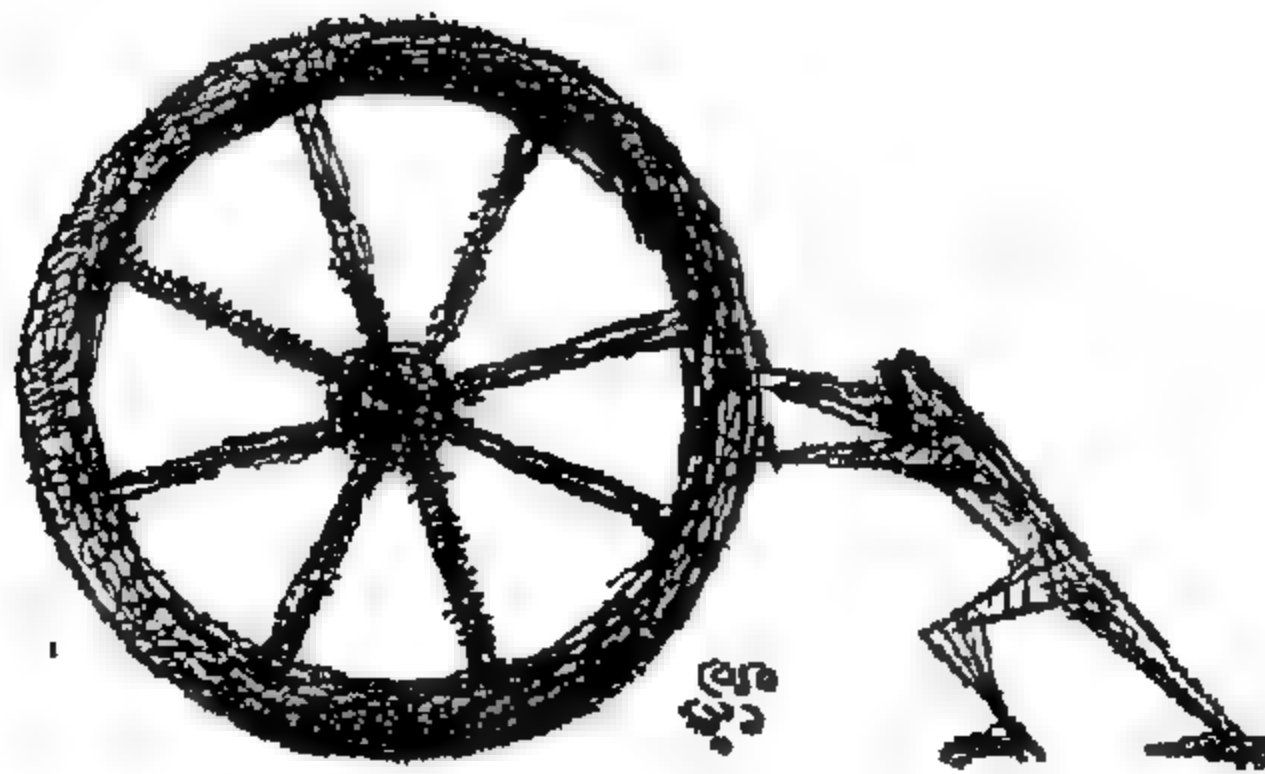
أشار الدستور الى تقسيم مصر الى وحدات ادارية تتمتع بالشخصية الاعتبارية ، أي بالوجود القانوني المتميز عن الحكومة المركزية ، وذلك في المحافظات والمدن والقرى . وأشار الى أن تشكل المجالس الشعبية المحلية تدريجيا على مستوى الوحدات الادارية وذلك بشرط أن تشكل بطريق الانتخاب المباشر (م ١٦٢) وأن يكون نصف أعضاء المجلس الشعبي على الأقل من العمال والفلاحين شأنه في ذلك شأن مجلس الشعب ، ثم نص الدستور على أن يكفل القانون نقل السلطة تدريجيا الى هذه المجالس . وأن يختار رؤساء ووكلاء المجالس بالانتخاب من الأعضاء .

ثم صدر في ٢٣ سبتمبر ١٩٧١ القانون ٥٧ بشأن الحكم المحلي نص على تشكيل المجالس الشعبية واختصاصاتها والمجالس التنفيذية واختصاصاتها والعلاقة بين النوعين من المجالس وطبقا لهذا القانون يشكل المجلس الشعبي للمحافظة برئاسة أمين لجنة الاتحاد الاشتراكي بالمحافظة وعضوية أعضاء لجنة الاتحاد وأمناء المراكز والاقسام وممثلين اثنين عن كل من الشباب والنساء . ويختص المجلس بمتابعة خطط تنفيذ برنامج العمل الوطني في المحافظة ودعم الدفاع

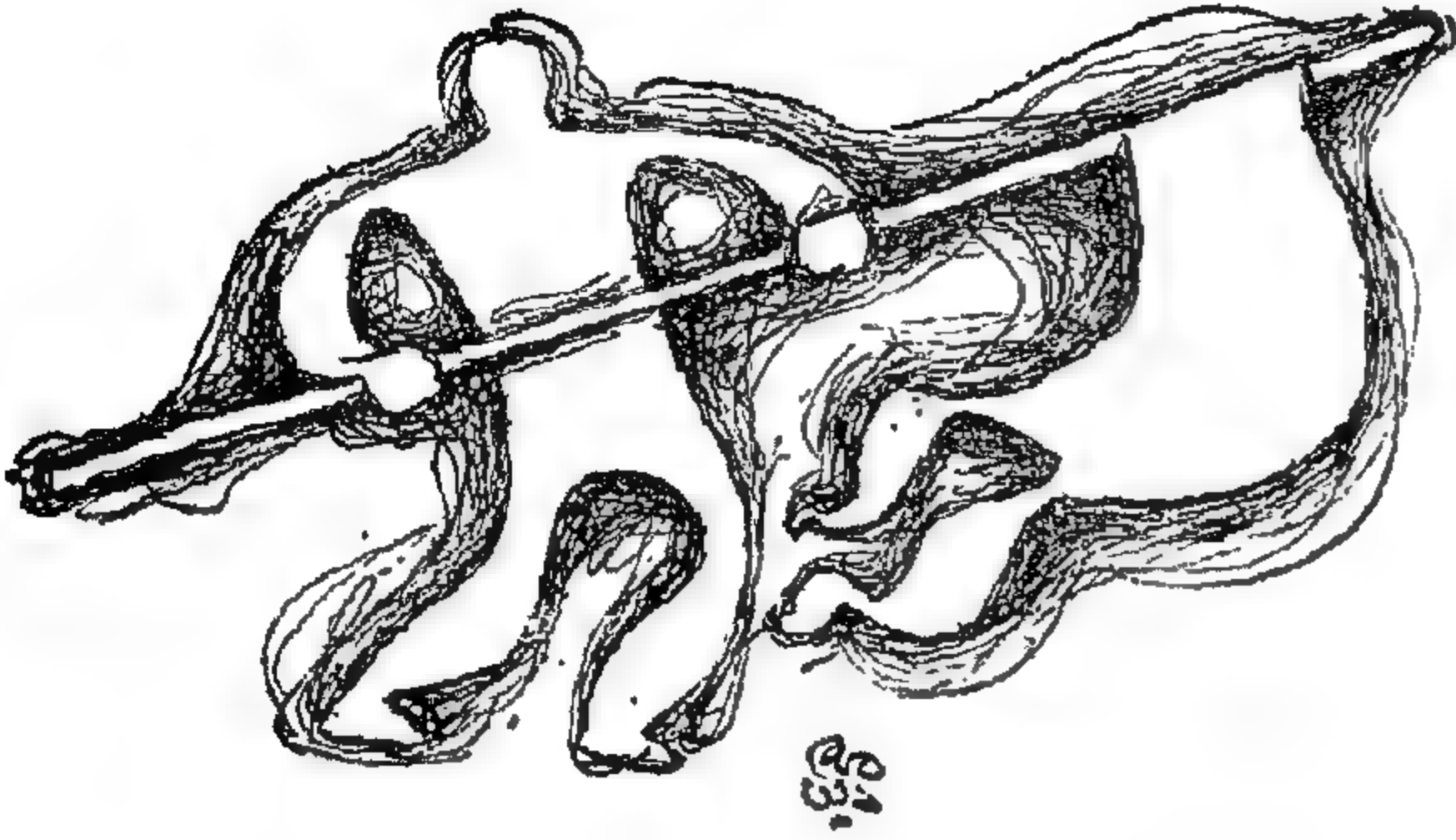
عن أرض الوطن واقتراح انشاء المرافق المختلفة بالنسبة للخدمات والانتاج وقرار مشروع موازنة المحافظة والهيئات التابعة لها . ويشكل المجلس التنفيذي برئاسة المحافظ وممثلين المصالح الحكومية بها . ويتولى المجلس الاشراف على حسن سير المرافق وادارة المشروعات وانشاء المشروعات الجديدة . وللمجلس الشعبي أن يوجه أسئلة واستجوابات الى أعضاء المجلس التنفيذي وأن يحدد مسؤوليتهم عما يقع من أعمال ويرفع قرار المجلس الى رئيس مجلس الوزراء لاتخاذ مايلزم .

ومن الجلي أن نظام المجالس الشعبية بهذه الصورة التي تحقق نوعا من الرقابة الشعبية على الادارة المحلية ، نظام مستحدث يرجى منه أن يحقق تنفيذه في جو من الديمقراطية بالمحافظات أن يشيع قدرا له أهميته من الممارسة الديمقراطية ، على أنه من الواجب ملاحظة أن تشكيل المجالس بالصورة الواردة بهذا القانون يخالف ما نص عليه الدستور في المادة ١٦٢ — التي أوجبت صراحة أن تشكل بطريق الانتخاب المباشر ، وأن يختار رئيس المجلس ووكيله بالانتخاب من بين الأعضاء ، في حين يشكل القانون المجالس من أمناء وأعضاء لجان الاتحاد الاشتراكي الذين تم انتخابهم داخل تنظيم الاتحاد الاشتراكي ، وبأكثر من درجة من درجات الانتخاب ، وقد ينص القانون ذاته (م ٥٥) على أن يعمل بأحكامه حتى يتم تشكيل المجالس الشعبية طبقا للمادة ١٦٢ من الدستور .

تلك اشارات عامة وموجزة لما أسفر عنه عام ١٩٧١ من انجازات في طريق الديمقراطية .



حركة الوحدة والصراع



في التحالف الوطني

زكي مراد

ضمن استمرار الثورة وتماسكها في أكتوبر سنة ٧٠ . وهكذا كان التحالف الوطني في أوجه عند نهايات عام ١٩٧٠ ومداخل عام ١٩٧١ .

وكان ذلك لازما وضروريا في مواجهة فساد شرس يتكون من تحالف ثلاثي مضاد من الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية .

وفي ظروف تلك المواجهة الحرجة بين الثورة من ناحية والثورة المضادة من ناحية أخرى ، كان طبيعيا وثوريا في نفس الوقت أن يرتفع صوت التحالف والوحدة بين كافة القوى الوطنية وأن يخفت صوت التناقض والتنافس بين تلك القوى الطبقة .

ولقد استمرت الثورة في اتجاهاتها الأساسية ، بفضل ذلك الاستعراض العظيم ، ولم تمكن أعداءها من محاولة الانقضاض . نجحت قوى الثورة الأساسية في هذا ، وبقي عليها أن تنجح في صيانة هذا النصر الجزئي لا بالمحافظة على التراث الثوري فحسب ، ولكن بتعزيز المسار الوطني والاجتماعي الثوري بخطى جديدة في الطريق إلى التحرر والاشتراكية والفد الأفضل لجماهير الشعب العامل .

تلك أولى المهام التي طرحتها بدايات سنة ١٩٧١ على قوى شعبنا الثورية ، بعد أن غابت شخصية البطل الوطني التاريخية عن الميدان ، وأصبح عليها أن تواجه هذا الامر الواقع .

عام ١٩٧٠ في ربيع الاخير بمستوى عال من وحدة القوى الوطنية لا تشهد البلاد له مثيلا الا عند الملمات الكبرى أو المعارك

توج

الفاصلة .

كانت الوفاة المفاجئة للزعيم جمال عبد الناصر دافعا مباشرا وحاسما لقوى الثورة الشعبية الاصيلية أن تنهض وتستعرض قوتها ووحدتها واستعدادها النضالي في مواجهة العدو الذي طالما منى نفسه بالاحلام والاهوام في مثل هذا الظرف ..

ولقد نجح الاستعراض بالفعل ، وأدى دورا تاريخيا لا يمكن انكاره في لحظة من أخطر لحظات التاريخ الثوري لمصر الحديثة . وكما يرجع الفضل الاول في نجاح استعراض ٩ ، ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ الى القوى الشعبية الاصيلية من عمال مصر وفلاحيهما والمتقنين من أبنائهم ، يرجع الفضل الاول كذلك في نجاح استعراض الايام الثلاثة الممتدة من ٢٩ سبتمبر الى ١ أكتوبر ، الى قوى العمال والفلاحين وأبنائهم من المتقنين .

حول وحدة هاتين القوتين احتشد التحالف الوطني العظيم ، الذي ضمن استمرار المعركة . وحول الانطلاقة الموحدة الحزينة المصرية على الطريق ، من هاتين القوتين احتشد أيضا ذلك التحالف الوطني العظيم الذي

ومن زاوية هذه المهمة ستعرض لتطورات قضية التحالف في مجرى أحداث سنة ١٩٧١ .

الوحدة والصراع في

في التحالف الوطني

ينبغي منذ اللحظة الاولى ان نطرح جانباً أي فهم رومانتيكي لمسألة التحالف الوطني أو الوحدة الوطنية . اعنى بالفهم الرومانتيكي ، ذلك التصور المجرد من فهم المحتوى الاجتماعي لقضية الوحدة والتحالف ، والذي يخيّل لصاحبه ان الطبقات والقوى الاجتماعية يمكن أن تنصهر تماماً وتنسى واقعها المادي وتتحد في سبيل الوطن دون وضع الاسس الواقعية المتينة لتلك الوحدة ، ودون وضع مطالبها واحتياجاتها الواقعية في الاعتبار . ذلك أن علاقة التحالف الوطني نفسها ، ومهما بلغت من القوة والمتانة بحيث تبدو وكأنها وحدة مطلقة ، إنما تتضمن في جوهرها أشكالاً وأنواعاً من الصراع والتناقض في نفس الوقت .

ان التحالف الوطني نفسه هو في الجوهر واحد من مقتضيات الصراع الرئيسي حول التناقض الرئيسي بين الامبريالية والرجعية في جانب والقوى الثورية التقدمية في جانب آخر . هو تحالف ضد الاعداء . ولكنه يتضمن في نفس الوقت تنافساً وتناقضاً وصراعاً داخلياً بين الاصدقاء والحلفاء .

غير أن هذا التنافس والصراع الداخلي يظل محتفظاً بطابع غير عدائي ، بحكم ادراك العناصر الواعية بين الطبقات المتحالفة ووعيتها السياسي بخطورة الظرف من ناحية وبالاضرار البالغة بالوطن من ناحية أخرى في حالة تحول التنافس غير العدائي الى صراع عدائي بين قواه الداخلية . هذه مسلمة نظرية لا بد من البدء بها في أي دراسة لحركة التحالف وتطوره . والاعتراف بالوحدة والصراع في جسد أي تحالف ، لا يعني التقليل من شأنه بقدر ما يضيف وعياً سلبياً بمكوناته ويؤدي بالتالي الى تعزيزه وتدعيمه على أسس علمية سليمة .

ان تبين عناصر الوحدة وعناصر الصراع داخل جسد التحالف هو الذي يساعد الطلائع والقيادات على تنمية التحالف ودمجه بتنمية عناصر الوحدة ودعمها على حساب عناصر الصراع . والغفلة عن تبنيها تؤدي بالقطع الى نمو عناصر الصراع نمواً تلقائياً قد يصعب وقفه فيهدد التحالف تهديداً جدياً .

فحينما تقدمت جماهيرنا في رحلتها الكبرى في الايام الثلاثة التالية لوفاة الرئيس الراحل تحت

شعارات « هكمل المشوار » ، « بالجيش والشعب .. بالروح والدم هكمل المشوار » .. كانت تنمى عناصر الوحدة في التحالف الوطني الثوري ، وتحول الحزن العميق الى قوة دافعة للاستمرار الثوري . وارتفع بذلك صوت التحالف وخفت صوته أي تنافس أو صراع جزئي داخل قوى الشعب السامل .

الوحدة والصراع في

حسابات سنة ١٩٧١

وما كان لذلك الاستعراض الرائع للوحدة الوطنية أن يستمر على وتيرة واحدة بعد أن شعرت كل قوى الشعب أنها تغلبت على خطر اللحظة الحرجة وتلافت مخاطرها . ذلك أن الحياة سرعان ما تعود الى مجراها الطبيعي بعد زوال الخطر أو حتى تصور زواله ، ولو الى حين .

كانت كل الطبقات والقوى الوطنية متراسة كتفا الى كتف أمام خطر الانقراض الاستعماري الصهيوني الرجعي ، وفي خلال فترة قصيرة حقا كانت المؤسسات السياسية قد أمسكت بزمام الموقف في البلاد بفضل ذلك التراص والمساندة الجماهيرية الهائلة .

وقبل أن ينتهي عام ١٩٧٠ كان هناك كل ما يبرر الاحساس الذي شاع بين الجميع بأن القوى المعادية قد حرمت من اغتنام الفرصة . وأن قوى الثورة السليمة قد خرجت ظافرة لا بفضل التحالف الثوري بين تلك القوى في الداخل فحسب ولكن بفضل تحالف قوى الثورة العالمية والعربية مع قواها المحلية كذلك .

بيد أن مجرد شيوع هذا الاحساس كان كفيلاً بتحريك عناصر الصراع داخل صفوف التحالف الوطني . وبين القوى الطبقيّة المختلفة فيه .

ومن الطبيعي حين تتحرك عناصر الصراع أن تتحرك تحت نفس المظلة العامة للتحالف الوطني ، أي تحت الشعارات العامة التي تقررها القيادة السياسية .

فحين أطلق الرئيس السادات شعارات سيادة القانون والديمقراطية والحريات بدأت كل طبقة أو فئة اجتماعية تعبر عن فهمها الخاص لهذه الشعارات ، وهو الفهم المتمشي مع مصالحها الخاصة بالطبع .

فمالك الارض أو العقار لا يرى في سيادة القانون شيئاً أقدم من سيادة حقه في التملك . وحامل السند أو السهم لا يرى فيها إلا تأمين

ذلك النشاط الذي قامت به بعض فئات الرأسمالية الوطنية الزراعية والتجارية والصناعية لتعزيز أوضاع ملاك الأرض في مجال الزراعة وتدعيم مراكز القطاع الخاص في مجال التجارة والصناعة .

كذلك لم يكن غريبا في وجه ذلك النشاط أن يتصدى له العمال والفلاحون الفقراء ومتقو هذه الفئات في حدود ما يستطيعون من وسائل وامكانات يتيحها لهم تواجدهم في الحركة السياسية العامة للبلاد ، ومن خلال الاشكال التنظيمية المعترف بها للتحالف الوطني العام .

ومن هنا ، كان ذلك الانطلاق النشط لحركة الطبقات والفئات الاجتماعية كلها تقريبا ، في ظل شعارات « التصحيح » « والتجديد » « والديمقراطية » « وسيادة القانون » التي رفعها الرئيس أنور السادات في حركته التصحيحية في ١٤ مايو . لقد بدأت عملية إعادة ترتيب شامل في البيت الكبير للتحالف الوطني العام . . ان الاتحاد الاشتراكي يعاد انتخابه وكذلك النقابات المهنية والنقابات العمالية والنوادي ثم مجلس الأمة الذي أصبح مجلس الشعب ، والدستور الدائم يعد بحيث يكفل الضمانات الدستورية للحريات الديمقراطية لقوى الشعب .

كل ذلك بعد فترة من الترقب بين مختلف القوى والفئات في المجتمع . . فكيف لا تبدأ كل قوة أو فئة اجتماعية نشاطا جادا لتأمين أكبر قدر ممكن من النفوذ والتأثير في هذا التشكيل الجديد لمختلف أوجه الحياة السياسية والنقابية والاجتماعية في البلاد ؟!

الانتخابات مجال واسع

لحركة القوى الاجتماعية

الانتخابات في أي بلد مجال واسع لحركة مختلف القوى الاجتماعية ومرآة لأوجه الصراع الطبقي في هذا البلد ، تستعرض فيه كل طبقة قدراتها وكفاءاتها . وقد فتحت حركة ١٤ مايو في بلادنا بابا عريضا للانتخابات العامة في مختلف الميادين السياسية والنقابية وامتدت هذه الانتخابات الى تشكيلات بعيدة تماما عن السياسة ، اذا شملت حتى النوادي الرياضية .

ولما كانت تلك الانتخابات قد أعد لها في ظل جو اعلامي واسع من الحرية والديمقراطية وحيدة

حقه في السند أو السهم وفيما يغله من ربح ؟ والعمال الكادح يرى في سيادة القانون حقه الحر المطلق في انتخاب ممثليه النقابيين والسياسيين وفي تأمين يومه وغده من غائلة الفئات الاستغلالية التي تحاول استنزافه . والفلاح المنتفع بالإصلاح الزراعي يرى في سيادة القانون تأكيد حقه فيما حصل عليه من أرض وفي مطالبة الدولة بمساعدته في استغلالها على أحسن وجه ، بينما يرى الفلاح الذي لم ينتفع بعد أن سيادة القانون تعني امتداد الثورة الى منطقته .

هذا مجرد مثل على الفهم المتباين للطبقات المختلفة حول كل شعار عام للقوى الوطنية .

ولقد دخلت بلادنا عام ١٩٧١ وهذا التباين في فهم الامور وتناولها يوجه نشاط القوى الطبقيّة المختلفة ويثير صراعات وتناقضات فيما بينها . فقد نشب مثالا صراع حول موضوع فرض الحراسة وتفسير سيادة القانون في هذه المسألة ، واستمر هذا الصراع حتى صدر القانون في صورة محاولة توفيقية تحسم المناقشة .

واذكر أنه مع أوائل العام ، ثارت مناقشات حادة حول مشروع قانون مقدم لمجلس الأمة يتعلق بحق المالك في طرد المستأجر من الأرض الزراعية في حالة التصرف فيها بالبيع . . استشعر فقراء الفلاحين نوعا من الخطر عليهم في المشروع وتحس عدد من مثقفي الريف للتعبير عن معارضتهم الحادة بمختلف الوسائل من الكتابة في الصحف الى النشاط في صفوف الاتحاد الاشتراكي وانتهى الامر الى وقف عرض المشروع بتصريح من الرئيس بأن المكاسب الشعبية لن تمس (في اجتماع السيد الرئيس برجال الاعلام) .

كانت تلك المناوشات الاجتماعية مع بدايات سنة ١٩٧١ مجرد ارهاص من ارهاصات النشاط الهائل الذي ساد فيها بعد على سطح الحياة الاجتماعية المصرية طوال عام ١٩٧١ .

كانت بداية تحرك العوامل الاجتماعية في الاطار العام للتحالف الوطني . . ان كل قوة من قوى التحالف تحاول ، بالطبع تعزيز مراكزها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتسعى الى ذلك بكل وسيلة ممكنة دون أن تخرج أو تنأى بنفسها عن الاطار العام للتحالف . . وتندمج كل قسوة في هذه المحاولة سواء بالوعي أو بال تلقائية .

لذلك لم يكن غريبا أو منافيا لطبيعة الامور

الإدارة ، فقد حُرمت جميع القوى والفئات أمرها ونزلت المعركة محاولة تدعيم مراكزها وزيادة تأثيرها في البناء الجديد للتحالف مع الحفاظ على وحدته العامة .

ومن هنا اشتد الصراع والتنافس في النقابات المهنية بين مختلف فئات المثقفين ثم في النقابات العمالية بين القديم والجديد ، ثم في الاتحاد الاشتراكي بمستوياته المختلفة . . وتبلورت في الواقع الفعلى اتجاهات يمينية واتجاهات يسارية ، وطرح كل شيء على مائدة المناقشة أمام الجماهير ، بما في ذلك طريق التطور الاجتماعى وأشكال النضال لتحرير الأرض المفتتحة وإزالة آثار العدوان .

ولقد حاولت الاتجاهات اليمينية لبعض فئات الرأسمالية الوطنية أن تنتهز الفرصة لتفرض نوعا من إعادة النظر في الخطوط الأساسية للطريق الذى اختارته البلاد منذ إمد طوليل ، فارتفعت نغمات مباشرة وغير مباشرة - معادية للطريق الاشتراكي للتطور ومعارضة بالتالى للدور الخاص للعمال والفلاحين فى الحياة السياسية ولتحالفنا الثورى مع حركة الثورة العالمية المعادية للاستعمار وحركة الثورة الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، وانتشرت دعوات الى الليبرالية المطلقة التى تؤمن كل حرية فردية بما فى ذلك حرية الاستغلال وحرية العدوان على مكاسب الشعب العامل التى تحققت فى ظل قيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

بيد أن جماهير العمال والفلاحين والمثقفين فى البلاد كانت بالمرصاد لثل هذه الاتجاهات الليبرالية ، فتصدت لها فكريا وسياسيا وعمليا حتى حملتها حملا على التراجع .

ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد دفاع الفلاحين عن حقوقهم الديمقراطية ومكاسبهم فى عدد من محافظات الجمهورية أبان التمهيد لانتخابات الاتحاد الاشتراكي . . ونضال العمال لحماية استقلاليتهم النقابية مع حرصهم على تجديدها تجديدا هائلا وتطهير صفوفها القيادية من العناصر الانتهازية النقابية .

وحين حاولت الفئات الرأسمالية اليمينية أن تدخل فى روع الجماهير أن الموقف بعد ١٤ مايو قد تغير لصالحها وأنها ستستطيع بذلك أن تعيد النظر فى كل شيء ، فشلت المحاولة وكان بيان الرئيس السادات فى ١٠ يونيو سنة ٧١ قاطعا وحاسما ومرضيا للجماهير الوطنية التقدمية . ولعل ذلك البيان المنهجى كان له فضل خاص فى تمكين الطلائع والجماهير التقدمية من صدهجمات

الرجعية والتخلف فى المعارك التالية . . ويقدر ما استقبل ذلك البيان بأطمئنان غامر من الجماهير ، كان مثار قلق واضطراب فى أوساط اليمين التى خاب سهرها . ولكن تلك الاوساط لم تستسلم . . وخاضت بكل ما تملك من قوة معركتها فى الانتخابات . أما الجماهير فقد استبسلت فى الدفاع عن مكاسبها الثورية وطريقها الثورى وعن حرياتها الديمقراطية فى عملية إعادة التشكيل .

وإذا عدنا اليوم بأبصارنا الى الوراء لنلقى نظرة على تلك العملية الكبيرة التى تمت فى سرعة غير عادية ، وفى حالة اشتعال بررتها ظروف المعركة الوطنية ، لا يمكن أن نسجل الملاحظات التالية :

أولا : أثبتت النتيجة حرص الشعب العامل فى مجموعه على الإطار العام للتحالف الوطنى ، ادراكا منه للظروف الخاصة التى تمر بها البلاد .

ثانيا : لم تتجح قوى الرجعية الداخلية واليمين الرأسمالى فى أضعاف مراكز القوى والعناصر التقدمية سواء فى مجال الفكر السياسى أو فى مجال التنظيمات الجماهيرية ، وذلك بفضل ارتفاع الاستعداد النضالى بين الجماهير الواعية من الفلاحين والعمال والمثقفين .

ثالثا : أثبتت الطبقة العاملة أنها تستحق بجدارة دورا طليعيا فى قيادة التحالف الوطنى . ذلك أن انتخابات الحركة النقابية التى طال أرجاؤها قد أسفرت عن أكثر النتائج ايجابية برغم كل محاولات القوى اليمينية التى اتخذت أشكالا مختلفة للتأثير فيها . لقد جدد العمال قياداتهم النقابية بمعدل يفوق الثمانين فى المائة وأتوا الى المراكز النقابية بعناصر نظيفة ومخلصة على حساب عدد ممن استمروا ملء تلك المراكز فترات طويلة بوسائل انتهازية وعلى حساب جماهير العمال .

رابعا : خاض الفلاحون المصريون نضالات جادة دفاعا عن حقوقهم الديمقراطية فى اختيار أفضل ممثلهم . ولم تكن المعارك الانتخابية هذه المرة صراعا بين العائلات بقدر ما اتخذت صورة اجتماعية واضحة بين جموع الفلاحين الفقراء فى جانب والرأسماليين الزراعيين وبقايا الإقطاع فى الجانب الآخر .

خامسا : برغم كل ما تعرضت له حركة الشباب والمرأة فقد فازت هاتان الحركتان بصوت مسموع فى كافة الانتخابات السياسية والنقابية ، ولعل صوت الشباب فى المؤتمر القومى الجديد كان أوضح وأقوى من أى وقت سبق . وفى نهاية هذا القسم من حسابات عام ١٩٧١ .

يمكننا أن نخلص إلى أن الانتخابات الشاملة وإن لم تسفر عن تغيير كفي في الأجهزة السياسية للاتحاد الاشتراكي ، فإنها لم تنجح لقوى اليمين ما كانت تريده من تأثير أقوى ونفوذ أكبر ، ومع ذلك فإن انتخابات النقابات العمالية بالذات أسفرت عن حركة نقابية أكثر تمثيلا للجماهير وأكثر قدرة بالتالي على العمل النقابي السليم سواء من الناحية الوطنية أو الناحية الطبقية . ولقد كان للاتحاد الجديد دور مستقل وقوى في حل مشاكل عمال حلوان التي حدثت في يوليو ثم في السيطرة على تحركات مثل حركة مسائقي التاكسي الأخيرة والمبادرة إلى تبنى ما هو جاد وعادل من المطالب العمالية ، تبينا لا يترك فرصة لاعداء العمال للعب على تلك المطالب . كما كان له دور مبادر في عدد من المواقف السياسية والوطنية الهامة فاجأته وهو ما يزال في بداية عهده .

ملاحظة أخيرة

أعطينا قدرا كبيرا من الاهتمام للانتخابات لكونها مرآة صراع .. ولكن هذا لا ينفي أن عنصرى الصراع والوحدة في حسم التحالف الوطنى الكبير يجدان دائما منفذا للتعبير عن وجودهما . ويؤكدان بذلك حيوية الحركة التاريخية في مجرى النضال الوطنى الاجتماعى الكبير الذى يخوضه شعبنا كقوة من قوى ثورة عالمية معادية للاستعمار والاستغلال .

وإذا كنا نلاحظ من استعراضنا لعام ١٩٧١ نشاطا غير عادى لأشكال الصراع فى ظل التحالف .. فإن ذلك النشاط فى جوهره يمثل ظاهرة ايجابية فى نضال شعبنا لانه ينتهى بالقطع إلى تحسين الاسس الرئيسية للتحالف ودعم قاعدته الفكرية والسياسية فى الاتجاه المتوافق مع حركة التاريخ . ولقد تعرضت البلاد بعد انتهاء عمليات الانتخاب لحملة سياسية تستهدف الاسيئة إلى العلاقات السوفيتية المصرية من ناحية ، والتأثير على معنويات الشعب

وانستعداداته النضالى من ناحية أخرى . كان هدف تلك الحملة أن تصور لشعبنا الامر وكأنه لا طريق أمامه سوى الاستسلام أمام قوى الامبريالية الامريكية وحليفاتها الصهيونية .

ولكن تلك الحملة بدورها قد فشلت على صخرة من نضال شعبنا وتضامن عالى الصوت من شعوب الاتحاد السوفيتى والشعوب الاشتراكية .

وإذا كان لنا أن نستخرج من استعراض حسابات ١٩٧١ فى شأن التحالف شيئا هاما ، فإن أهم ما يلفت النظر هو تلك الظاهرة : ذلك أنه قد يشكل استقرازا صارخا للجماهير فيهدد باحلال التناقض غير الرئيسى محل التناقض الرئيسى فى الصراع العام ، ويجر البلاد إلى صراعات جادة فى وقت يستوجب تعبئة الجبهة الداخلية كلها وعلى الاخص جماهير الشعب العامل من العمال والفلاحين ، فى وجه العدو الرئيسى الخطر المتمثل فى التحالف الامبريالى الصهيونى .

ولاسبيل الى وقف مثل هذه الاخطار الا بمزيد من الديمقراطية والحرية للشعب العامل ولجماهير العمال والفلاحين والشباب بصورة خاصة .

ان بلادنا فى ختام عام ١٩٧١ وبدايات عام ١٩٧٢ تدخل لحظات حاسمة من معركة التحرير الوطنى التى فرضتها نخسة سنة ١٩٦٧ . وإذا كان ذلك يقتضى وحدة وطنية على مستوى عال ، وتعبئة جماهيرية كاملة للبلاد شعبا وجيشا .. فإنه ينبغي الاعتراف بالدور الطليعى للطبقة العاملة فى هذه العملية التاريخية الكبرى . وينبغى ان ينتهى الى الابد أى تصور بأن قيادة النضال الوطنى حكر خالص للفئات الرأسمالية تنفرد به بعيدا عن جماهير الشعب التى تفرض عليها التضحية فى صمت . ان التعبئة الشاملة بوسيلة الديمقراطية ، تعنى فى جوهرها الايمان بحق جماهير العاملين فى ادارة كافة شئون الحياة فى وطنها بنفسها . وذلك وحده سلاح شعبنا الذى لا يستطيع اعتى الاعداء أن يقهره .

جواهر الصراع وجذوره الاجتماعية

والفئات الاجتماعية المختلفة من شعارات سيادة القانون والديموقراطية والحرية - وكذلك موقفها من الشعارات السياسية كالنضحية من أجل المعركة والمجهود الحربى - وانتهى الى ان التباين بين الفئات والطبقات الاجتماعية فهم الامور وتناولها يوجه نشاط القوى الطبقية المختلفة ويتفرع صراعات وتناقضات فيما بينها . ووضع القضية على هذا النحو - انها يأخذ مظاهرها وانعكاسات الصراع الاجتماعى فقط - ولكنه لا ينفذ الى جوهر

تعليق

قدم المقال عرضا سليا لنظرية الوحدة والصراع داخل التحالف كما تضمن المقال العديد من الامثلة الحية لظواهر الوحدة والصراع بين القوى الاجتماعية المختلفة التى يجمعها تحالف قوى الشعب العاملة . الا أن هناك بعض ملاحظات لكى يصبح الحديث عن الوحدة والصراع داخل التحالف - حديثا متكاملًا - ويعطى صورة شاملة عن الموقف الراهن . لقد طرح المقال العديد من الامثلة على موقف الطبقات

هذا الصراع ودوافعه — هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فلا يمكن الحديث عن حركة الوحدة والصراع عام ٧١ دون الرجوع لحصاد السنوات السابقة على ٧١ — ولا يغنى عن ذلك الإشارة العابرة لحركة الجماهير يومى ٩، ١٠ يونيو ٦٧.

لقد أعلن الميثاق « أن الوحدة الوطنية التى يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب هى التى تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة والحارس على قيم الديمقراطية السلمية » ومنذ ذلك الوقت وجوهر الصراع الدائر فى بلادنا هو محاولات متتالية لنقل سلطة الدولة الى تحالف قوى الشعب العاملة — هذه المحاولات التى فشلت واحدة بعد أخرى بسبب اصرار بعض التحالف على الأفراد بالسلطة وحرمان العمال والفلاحين من حقهم فى المشاركة الفعالة والطليعية فى هذه السلطة .

وبعد ان اخفق الاتحاد الاشتراكى الاول فى تحقيق الهدف الذى قام من أجله — وهو نقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة شرع الزعيم الراحل فى محاولة جديدة لنقل هذه السلطة من خلال بيان ٣٠ مارس وذلك تحت شعارات إعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالديموقراطية وسيادة القانون والدولة العصرية وإنشاء المجالس الشعبية المنتخبة والمجالس القومية المتخصصة ، كل هذا من أجل تأكيد وتثبيت دور قوى الشعب العاملة وتحالفها وقيادتها وتمكينها من تحقيق سيطرتها بالديموقراطية على العمل الوطنى فى كافة مجالاته .

الا أن بيان ٣٠ مارس جاء مثله مثل كل الانعطافات الحاسمة فى مسيرة ثورة ٢٣ يوليو — جاء دون تصفية للقوى الراضية لتقدم الثورة — وادى هذا الى أن الثورة تقدمت الى مواقع أمامية وفى صفوفها قوى عديدة راضية لهذا التقدم عاملة من خلال مواقعها فى صفوف الثورة على غريغ التقدم من مضمونه الثورى وتحويله الى تقدم شكلى .

وهكذا استطاعت فئات قوية من الرأسمالية الطفيلية التى لم تكون ثرواتها من المشاركة فى الإنتاج وإنما تكونت ونمت من أعمال السمسرة والمقاولات من الباطن ، واستطاعت أن تكون أعلى الطبقات صوتا داخل التحالف وأكثرها نفوذا داخل الاتحاد الاشتراكى وجهاز الدولة . وقاومت كل مسمى لاشراك العمال والفلاحين اشتراكا حقيقيا فى السلطة .

هذه القوى الاجتماعية التى قاومت أى مواجهة جديدة للأخطاء التى سببت كارثة ٦٧ — هى نفسها التى نجحت من خلال مواقعها التى تحتلها فى أجهزة الدولة والتنظيم السياسى — من أن تجد بيسان ٣٠ مارس وتفرغه من مضمونه الحقيقى وهو نقل السلطة بالديموقراطية الى تحالف قوى الشعب العاملة ..

وهكذا عجز الاتحاد الاشتراكى الثانى من تحقيق الاهداف المحددة له فى الميثاق وبيان ٣٠ مارس ولم تشكل المجالس الشعبية ولا المجالس القومية المتخصصة وظلت قضائية الديمقراطية السلمية مجرد شعارات لم تر سبيلا حقيقيا الى التنفيذ .

وكانت هذه هى حقيقة العلاقات الاجتماعية من فئات وقوى التحالف — عشية وفاة القائد .

وعدم وضع هذه الحقيقة فى الاعتبار هى التى جعلت الكاتب يرى « أن عام ١٩٧٠ فى ربيع الاخير » ، وبمستوى عال من وحدة القوى الوطنية لاتشهد البلاد له مثيلا وتجعله يؤكد أيضا التحالف الوطنى كان فى أوجه عند نهايات عام ١٩٧٠ ومداخل ١٩٧١ .

فالحقيقة ان العمال والفلاحين قد هبوا فى حركة جماهيرية عريضة ومذهلة رافعة شعار « حانكل المشوار » — وانعكس

ذلك فى الشعارات التى قدمتها الطلائع الواعية وهى شعار الاستقرار فى المسيرة عن طريق الشرعية الدستورية وبأسلوب المؤسسات السياسية والدستورية ورفض أى شكل انقلابى مهما كان لونه وشعاراته — كان جوهر هذه الشعارات هو المحافظة على الثورة بنسبته مواقعها وقفل الطريق على أى مغامرة .

أما القوى الأخرى فاتها لم تستطع فى ذلك الوقت المبكر وأمام التيار الجارف للجماهير الشعبية — لم تستطع إلا أن تقدم أفكارها على صورة اقتراحات لإعادة تشكيل الدولة وقيادة الثورة وطرح شعارات إعادة الاشكال القيادية التى تخلت عنها الثورة الى الاشكال الدستورية . كما طرحت شعارات حول هذا الشخص أو ذاك ممن تجاوزتهم الثورة خلال مسيرتها .

وكان ذلك يتم ومنذ اللحظة الاولى لإعلان الوفاة المفاجئة لجمال عبد الناصر — كان يتم فى إطار هجمة استعمارية ضارية على المنطقة بشكل عام وعلى مصر بشكل أساسى — هجمة سلاحها الأساسى شعار مرحلة جديدة فى البناء الداخلى والعلاقات الدولية تحت زعم [سد الفراغ] — إلا أن عمق واتساع حركة العمال والفلاحين والطلاب قد جددت محاولة قوى الرأسمالية الوطنية التى أرادت انتهاز الفرصة التى اتاحتها الوفاة المفاجئة ومنعتها من أن تحقق اهدافها .

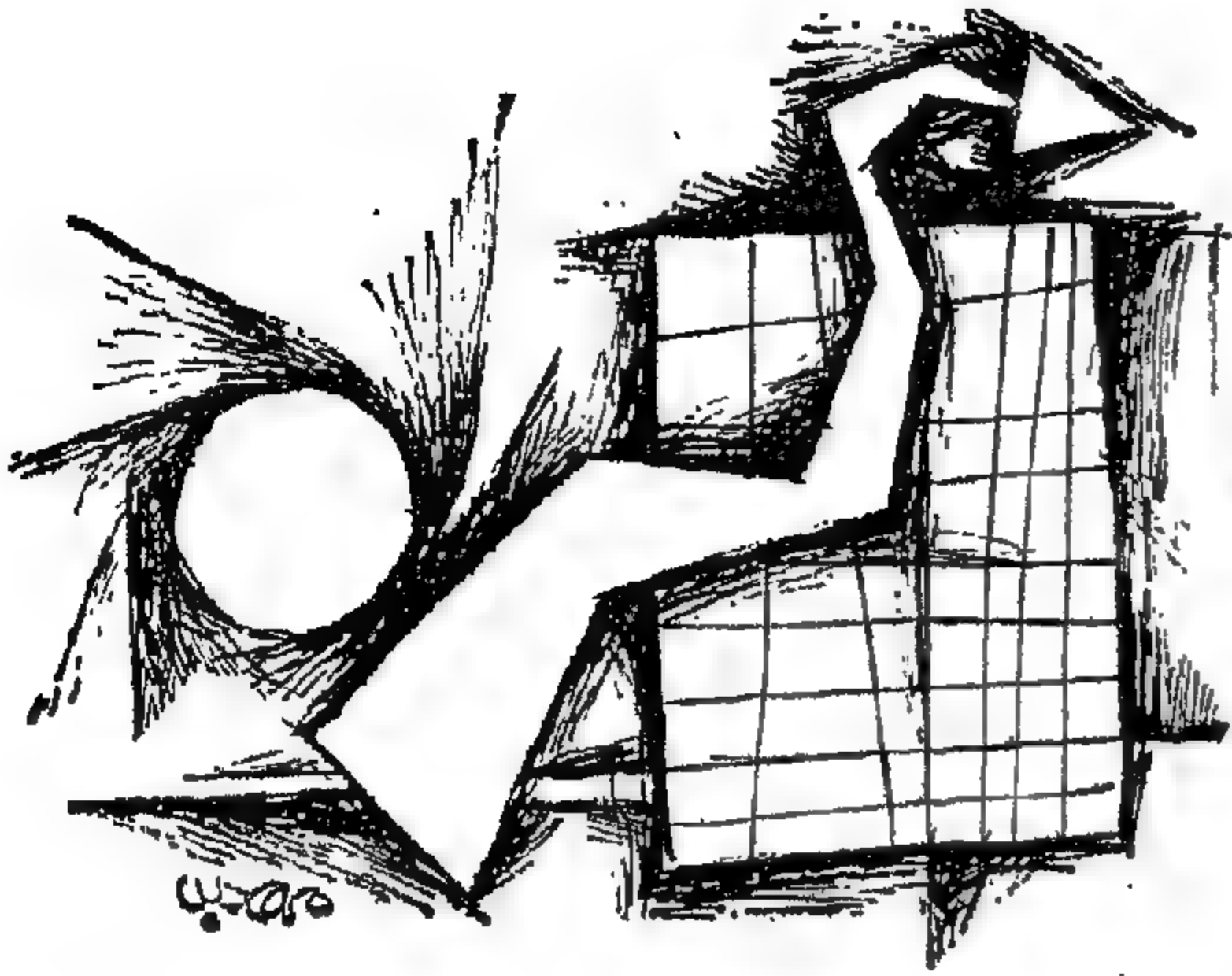
وبانتهاء المرحلة الاولى ونجاح المؤسسات السياسية والدستورية فى إعادة تشكيل القيادة طبقا للشرعية الدستورية بدأت القوى الرجعية تحركها للانقضاض على الثورة وصيغها الأساسية — وكانت تركز جهودها على محاولة استدراج القوى الأكثر قربا اليها طبقيا [فئات من الرأسمالية الوطنية] وإلى زعزعة ثقتها فى صيغ التحالف مستغلة أخطاء التجربة ونواقصها وكذلك تطالعات هذه الفئات وطرحت على الحياة السياسية للبلاد الشعارات والأفكار التى أوردتها المقال والتى تشكل فى مجموعها ضرب كل مقام التحالف لحمايته .

وفى الأيام القليلة التى أعقبت أحداث ١٥ مايو لم يعد الأمر همس أو إشاعات وإنما حركة واضحة أفصحت عن نفسها فى كل مجال ولم يصبح الأمر عندئذ تناقضات داخل الحلق الوطنى ، وإنما أصبح واضحا أن هناك محاولة من جانب الرأسمالية الوطنية لفض التحالف ذاته .

وكان لابد للرئيس السادات من أن يعيد الأمر الى نصابه — فكان بيانه التاريخى أمام مجلس الشعب يوم ٢٠ مايو وبيانه للامة يوم ١٠ يونيو — وأكد الرئيس السادات للشعب ان حركة ١٥ مايو هى حركة تصحيح لمسار ثورة ٢٣ يوليو وأن المكتسبات التى حققتها الثورة باقية ويجب أن تتطور وأكد على نسبة ال ٥٠٪ للعمال والفلاحين وأن صيغة التحالف مازالت صحيحة وقائمة، ورفض كل الشعارات التى رفعتها قوى اليمين على امتداد ثمانية شهور .

بقيت نقطة أخيرة وهى أن المقال لم يشر الى مستقبل حركة الوحدة والصراع داخل التحالف — إذ أن صدور برنامج العمل الوطنى — الوثيقة التالية لثورة يوليو — لاشك سوف يكون محور ومجال لأشكال الوحدة والصراع بين القوى الاجتماعية المختلفة — هل تستطيع القوى الثورية الاصيلية قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين أن تفرض — من خلال تبعية البرنامج — نقل السلطة لتحالف قوى الشعب العامل جميعا .

حلمى ياسين



السياسة الاقتصادية

وضرورة

دعم

الرقابة

الشخصية

د. عبدالرازق حسن

انشاء بنك مصرى يركز نشاطه على التعامل بالعملات الاجنبية ويسمح للاجانب بالمساهمة فيه ، الى اصدار صكوك على صندوق الاستثمار لاستخدام ودائع البنوك العاطلة لمواجهة المطالب الملحة ، الى انشاء هيئة عامة لكهربية الريف وضمان تنفيذ كهربية الريف فى اسرع وقت ممكن ، الى زيادة المعاشات والبدلات ودراسة حالة الفئات المنسية من العاملين فى الدولة .

ولعل من خلال تحليل سريع لبعض ما اتخذ من اجراءات يمكننا تصور الاتجاه العام واحتمالات المستقبل القريب منه أو البعيد، ومهما تكن التوقعات أو التيارات المتباينة التى يمكن أن تقودنا اليها تحليل بعض الاجراءات ، إلا أنه من المهم أن نشير الى ما أكدته برنامج العمل الوطنى من أن ثورة التحرير الوطنى لا يمكن أن تحقق هدفها الاصيل فى تحرير الشعب ، إلا اذا اختارت للتحرر طريق الاشتراكية وأن

عام ١٩٧١ بحدوث تغيرات كبيرة فى أوضاع البلاد السياسية والاقتصادية ، وتوازن الى حد ما مع ما اسناه من أحداث العالم الخارجى ، فمن اتخاذ خطوات حاسمة وقوية لتصحيح مسار الثورة ، الى هز الكثير من المفاهيم الاقتصادية واتخاذ أسلوب يتميز بالتحرر الاقتصادى والسياسى معا .

يتقسم

وهناك علامات واضحة المعالم على طريق العام المنصرم ، كبرنامج العمل الوطنى الذى قدمه السيد رئيس الجمهورية الى المؤتمر القومى العام الثانى ، وقيم فيه مرحلة العمل الماضية بايجابياتها وسلبياتها ورسم فيه صورة الدولة الحديثة . ومن هذه المعالم اصدار تشريع لتشجيع رأس المال الخاص الوطنى والعربى والاجنبى الى الاتفاق على مد خط لانباب نقل البترول من السويس الى الاسكندرية ، الى

الاستوائية ليست شعارات تزداد وإنما هي منجزات محددة ترد للجماهير التي طال حرمانها من حقوقها المشروعة التي سلبت منها . ولعلنا في حاجة الى استعراض كل ما جاء في البرنامج ويكفي أن نقتطف منه الإشارة الى اقامة دولة اتحاد الجمهوريات العربية، التي تمثل أملا أصيلا من آمال النضال العربي ووضع دستور دائم لحكم البلاد . وضرورة العمل على بناء الدولة الحديثة التي تتفاعل فيها قوى الشعب العاملة ، وليس فيها مجال للاستغلال ، وتزدهر فيها شخصية الإنسان ، ويمعم فيها الرخاء ، والعلم ولا تجد البطالة مكانا فيها ، وتسودها الديمقراطية ، ويشعر فيها الكل بقيمهم ودورهم . كما تضمن البرنامج المطالبة باعادة بناء قري الجمهورية في عشرين سنة ، وتطوير التجمعات الصناعية وشمول المرحلة الاولى من التعليم كل من سيلفوا سن الالتزام ، والعناية بصحة المواطنين وتخليصهم مما يصيبهم من أمراض تفت في عضدهم ، وفي النهاية مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات وقيمة البرنامج هو العمل له ، وتحقيق أهدافه ويتطلب ذلك جهودا ضخمة ، وتغييرات أساسية ليس في هيكل الادارة الحكومية من أعلى ، وإنما في العلاقات القائمة في أجهزة الدولة والقطاع العام ، التي تكاد تطبعه بطابع كهنوتي يحد من الانطلاق . والمتصور أن العمل على تحقيق البرنامج يتطلب اذن اتخاذ خطوات حاسمة وجذرية لتغيير فلسفته ، ومفهوم الدولة بشكل عام .

ولا نبالغ اذا قلنا ان من أهم القوانين الاقتصادية التي هزت الفكر الاقتصادي والسياسي وتدعو الى التفكير المتأني هو قانون استثمار رأس المال العربي والاجنبي ، وإنشاء المناطق الحرة . ويتضمن القانون اعفاء المشروعات التي يستثمر فيها المال الاجنبي والعربي في مصر أو المناطق الحرة من ضريبة الارباح لمدة خمس سنوات ، وعدم اخضاع المبانى التي تقام بأموال اجنبية لنظام تحديد الايجارات ، والسماح بتحويل صافي ارباح المشروعات الخاضعة للقانون الى الخارج ، وبذات العملة التي وردت بها ، وأنه لا تسرى على تلك الاموال قرارات التأميم أو الحراسة ، أو تلك التي تنظم الرقابة على النقد .

وليس هناك شك في حاجتنا الى المال الاجنبي ، وحاجتنا اليه في بعض المجالات كالصناعية والبتروولية مثلا ، وان حاجتنا اليه تفرض منحه بعض ميزات وضمانات ، والملاحظ أنه كان قد صدر في سنة ١٩٥٣ قانون لتشجيع رأس المال الاجنبي ، وعدل في سنة ١٩٥٤ ومع ذلك فلم يقد من رأس المال في خلال ثلاث سنوات من تطبيقه أكثر من

مليونين من الجنيهات ، والامر الذي يدعو الى الملاحظة أن القانون لم يحدد نسبة الربح التي يسمح بتحويلها منسوبة الى رأس المال المستثمر ، وتكاد تتفق القولين الصادرة في البلدان النامية في اشتراط تحديد النسبة التي يسمح بتحويلها ، وفرض ضرورة اعادة استثمار ما يزيد عن هذه النسبة . ومهما يكن من شيء فإن ضمان حسن تنفيذ القانون دون اساءة استغلاله يتوقف على الهيئة العامة لاستثمار المال العربي التي عليها أن تدرس المشروعات التي يقبل تطبيق القانون عليها . ويتصل بالاتجاه السابق انشاء البنك المصري الدولي للتجارة الخارجية والتنمية ، برأس مال قدره ١٠ ملايين جنيه ، والسماح للجانب بالمساهمة فيه ، ومنح الضمانات للأموال الاجنبية المساهمة ، وكذلك لما يضمه من ودائع ، واعفائه من قوانين الرقابة على النقد ومن الضرائب . ولعل انشاء هذا البنك قد تم بعد أن لوحظ نجاح انشاء البنك العربي الفرنسي ، وما قام بعدها من دعوة البعض لإنشاء بنك مماثل عربي ايطالي ، وكذلك ما تحقق في الاشهر الاخيرة لرأس المال العربي ان ما كان يتصوره من ضمانات في العالم الغربي لم تكن الا سراب ، كشفها الانهيارات النقدية ، وصعوبة التحكم فيها ، حتى من دولة عظمى كالولايات المتحدة .

وقد اقتضى التمشي مع هذا الاتجاه ، تنمية البنك العربي الافريقي عن طريق اعفائه من الضرائب لمدة سبع سنوات ، وذلك على أرباحه وتوزيعاته وفوائده ودائعه .

وقد أدت المشاكل البتروولية للدول العربية بعد اقفال قناة السويس ، وارتفاع أسعار بترول الدول المنتجة له الى الاتجاه نحو تنفيذ مشروع خط للأنابيب بين السويس والاسكندرية بطاقة تقدر بحوالي ٨٠ مليون طن ، أو موالى نصف الطاقة التي كانت تمر في قناة السويس قبل العدوان الاسرائيلي الامبريالي ، وذلك بتكلفة قدرها ٢٨٠ مليون دولار منها ٢٢٥ مليون بالعملة الاجنبية . ويقدر ربحه السنوي بحوالي ٣٠ مليون دولار ، وينفذ في مدى ثلاث سنوات ، ويمكن زيادة طاقته الى الضعف بعد ذلك . والملاحظ أن هذا الخط كان قد فكر فيه بعد الاقفال الاول لقناة السويس وبالتحديد في أوائل ١٩٥٧ ، ولكن صرف النظر عنه . وتشجيع بلاد غرب أوروبا المستوردة للبتترول انشاء الخط ، وقد عرضت أغلبها المساهمة في انشاءه ، بل وجعل طاقته مضاعفة من المبدأ . ويشترك في ضمان التمويل بنوك ٧ دول في أوروبا الغربية وأمريكا . ومهما كانت ربحية الخط وضمانها ، إلا أن قيمته الحقيقية ستتضح من خلال حل مشكلة الاحتلال الاسرائيلي ، وأنه اذا كانت الموافقة على انشاء الخط تدل بشكل قاطع على

حتمية مصرية؟ وعملها على تخفيف أزمة البترول العالمية التي تهز اقتصاديات أوروبا الغربية، فإن ذلك لا يعنى أننا يمكن أن نتصور أننا نقبل أن يكون الخط بديلاً لقناة السويس، أو يكون وسيلة لتلكو الغرب فى العمل على حل مشكلة انفصالها، ويطمئنا فى هذا المجال اصرار السيد الرئيس على أنه لا بديل هنا لانسحاب الاعداء من كل شبر من الارض العربية.

وفى مجال التيسيرات على القطاع الخاص التصريح له باستيراد بعض السلع دون تحويل عملة وذلك فى حدود ٧٥٠٠ جنيه وكذلك الحال بالنسبة لسيارات النقل ٠٠٠٠٠٠٠ الخ وهواتجاه سليم ولعل التوسع فيه لا يثير أى اشكال لحاجتنا الى كل طاقة انتاجية، وان كان علينا أن نزيد الرقابة على السلع الاستهلاكية والمعمرة، التى تفقد بشكل مثير وتصيب السوق المحلى بوباء، وتخل بالهدف من التصنيع.

وقد اتخذ وزير الخزانة قراراً بتحديد أنواع السيارات التى تستعملها الدولة والقطاع العام بعد أن تبين أن هناك حوالى ٥٠٠ نوع مستخدم. ولعل القرار يكون خطوة نحو قصر استخدام الاجهزة العامة على السيارات التى تنتج محلياً، لان ذلك كفيل بتدعيم هذه الصناعة الهامة، ويرتبط بهذا الامر الاتجاه السليم نحو منع استيراد السيارات القديمة وكانت هذه السيارات تسبب الكثير من المشاكل، وتزيد تكاليف الخدمة العامة، وتواجهنا بمشكلة تخطيط الطرق.

وللقضاء على البيروقراطية والسلبية التى تفشت فى القطاع العام فى السنوات الاخيرة عدل قانون المؤسسات وشركات القطاع العام بما يمنح الوحدات الانتاجية سلطات ومسئوليات أكبر، وعن هذا الطريق يمكن محاسبة أى مسئول عن التقصير، وتقدير المجددين.

والاتجاهات السابقة جميعاً والتى تتسم بالتححر لا يقصد بها اضافة الرقابة العامة، الامر الذى يوضحه انشاء جهاز لتخطيط الاسعار، الذى كانت قد طالت المطالبة بانشاءه، ومهمته اقتراح السياسات السعرية المناسبة لتخطيط التنمية، وتحقيق اهداف الخطة العامة، والعمل على رفع الكفاءة الاقتصادية للمشروعات، وكذلك تشكيل لجنة للسلع الاستثمارية لبحث طلبات الاستيراد من تلك السلع، حتى لا تجور السلع الاستهلاكية عليها، أو لا تجد المخصصات الكافية. وكذلك تنظيم حسابات العملات الاجنبية لمنع اساءة استخدامها وتصور البعض أن السوق قد أصبحت حرة بما يسمح بعمليات استغلال نقص العملة الاجنبية وبيعها للمواطنين بأسعار عالية.

فضلاً عن أن حالة عدم تنظيم استخدام العملات الاجنبية يؤدى الى تشجيع الاتفاقيات الاستهلاكية، واستنزاف الطاقات المادية للبلاد بشكل غير مقبول.

وكان هناك اهتمام واضح بالتنمية الاقتصادية التى زادت مخصصاتها فى الموازنة بنسبة ١٢ر٨ فى المائة مقارنة بالسنة السابقة. ومن استثمارات القطاع العام التى قدر لها فى السنة المالية الحالية ٣٥٠ مليون جنيه، خص الصناعة والبترول ١٢٢ مليون جنيه بنسبة ٣٥ فى المائة تقريباً. والصناعة هى قاعدة التحرر الاقتصادى، والقدرة على التحكم فى مساره، وهناك مشروع قيد التنفيذ لمجمع الصلب لزيادة طاقته. طاقة انتاج الصلب الحالية من ٣٠٠٠ طن الى ١٠٥ مليون طن وسيتم تعاملاً فى خلال خمس سنوات، والمجمع الفسفورى وينتج ٤ر١ مليون طن فوسفات، وكذلك مشروع الألمنيوم الذى كان قد طال الجدل حوله منذ ١٩٦٥، ولم تغفل سياسة التصنيع الاهتمام بتوفير مستلزمات الانتاج اللازمة للحرفيين والسماح باستيراد ما يمكن من معدات الصناعة الصغيرة دون تحويل عملة. وقد تطلب توسيع قاعدة الانتاج بشكل عام مع الاهتمام بتحرير الاقتصاد القومى اعطاء دفعة للإصلاح المالى والادارى، سواء باعادة النظر فى طريقة حساب الضرائب، أو تنظيم المشتريات والمخازن أو تنظيم معاهد الادارة المشتقة، أو اعادة النظر فى تركيب اجهزة القطاع العام، من مؤسسات وشركات، وحسم لكثير من التناقضات التى كانت قائمة فيها، وتصفية ما ثبت اتجاهه لاستنزاف الموارد العامة. وفى هذا النطاق تمت عملية اعادة تنظيم العمل بين البنوك، بما يضمن تحديد مجالات عمل كل واحد منها، حتى يكون دعامة للخطة العامة للتنمية وأداة الدولة فى تبين ما يجرى فى الاقتصاد القومى بشكل عام، وهذا الاتجاه كان هو النداء منذ خطونا خطوتنا الحاسمة نحو تحويل المجتمع الى المسار الاشتراكى فى سنة ١٩٦١.

واقضى تركيز الاهتمام بالتنمية مع عدم الاخلال بمتطلبات الدفاع القومى الى زيادة سلطة وزير الخزانة لتعبئة المدخرات المحلية الى التيسيرات التى رأيناها لتشجيع الاستثمار الخاص والاجنبى - وذلك بالاذن لوزير الخزانة باصدار صكوك على الخزانة فى حدود ٢٥ مليون جنيه بفائدة ٣ر٥ فى المائة مدتها ١٠ سنوات مقابل الودائع السائلة بالبنوك وشركات التأمين واجهزة الادخار المختلفة، وكذلك تفويض وزير الخزانة فى اصدار سندات الجهاد الوطنى للوقاء باحتياجات الجيش ومدتها ١٠ سنوات وفائدتها ٥ر٤ فى المائة. ونعتقد أنه من الممكن استخدام هذه

السندات في تقريرين نواع من الاندثار الاجباري وذلك بتحويل جزء من الزيادات السنوية في مخصصات الاجور بالترقيات والعلاوات والمكافآت لهذا الغرض لاسيما بعد تقرير زيادة المعاشات والبدلات وتحسين الحالة المالية لبعض الفئات العاملة في الدولة مما يقدر الرصيد اللازم له بحوالي ٣٦ مليون جنيه ، وهو مبلغ ليس بالهين في ظروفنا العامة ، التي تقتضي أن يخصص الجزء الاكبر من زيادة الانتاج القومي للتنمية من ناحية ولطالب الدفاع من ناحية أخرى .

واذا نظرنا الى الموازنة العامة للدولة نجد أن المصروفات لسنة ١٩٧١ - ١٩٧٢ قدر لها ٢٦٤١ مليون جنيه بزيادة ١١٧ في المائة عنها في العام الماضي ، كانت أهمها الزيادة في البندين الاساسيين فيها هما التنمية وزادت بنسبة ١٢٨ في المائة والدفاع بنسبة ١٢٥ في المائة ، ويبدو أننا في حاجة الى اعادة النظر في تشريعات الضرائب ، وطريقة توزيع الاعباء الضريبية ، بعد أن تبين البطء الكبير في نمو الموارد الجارية والسيادية للدولة التي قدر لها في الميزانية الجارية ٦٦٧ مليون جنيه بزيادة ٢ في المائة عنها في العام الماضي ، وهذا المبلغ يقرب من مخصصات الدفاع الوطني ، مع أن المفروض الاعتماد التنمية على فائض القطاع العام والقروض وحدهما ، بل يجب أن تساهم الضرائب العادية في ذلك بقدر معقول .

وقد كان اعلان السوفيت استعدادهم للمعاونة في كهربية الريف بعد انجاز السد العالي له اثره في تصور غد مشرق للريف الذي حرم طويلا من الخدمات الحديثة ، وقد أنشئ لهذا الهدف هيئة عامة ويقدر تكاليف المشروع بحوالي ١٢٠ مليون جنيه تصرف على خمس سنوات ، بعد أن كان المقدّر أن تتم كهربية الريف في فترة تمتد من ١٥ الى ٢٠ سنة .

واذا كانت سنة ١٩٧١ قد نقلتنا الى خط يتسم بالوضوح والصراحة ، غير أن الكثير من المسائل لم تحسم بعد وستحسمها المعركة الحربية أو السياسية من ناحية ، وكذلك ما تنكشف عنه قيمة قرارات التيسير التي اتخذت سواء لزيادة الطاقة الاستثمارية أو لزيادة الانتاج وذلك على ما نعتقد خلال العام القادم .

واستنادا الى خبرتنا في السنوات الماضية فإنه لا يجب الاعتماد على القرارات التنفيذية فحسب ، لأن هناك مجموعات متخصصة من الناس في مختلف الميادين مهمتها استغلال هذه التغيرات لصالحها ، دون أن تبذل جهدا متكافئا مع التغيير ، كما أن بعض من يمسهم التغيير يستخدمون

أساليب تضعف من اثر التغيير ، ويقتضي الأمر متابعة ومساءلة كل من وضعوا في مركزا المسئولية ، ومحاسبة كل من يعوق حركة المجتمع ، مهما كان منصبه ، وسواء كان في القيادة الانتاجية أو في قاعدتها .

ان تحرك القطاع العام ليكون أكثر فاعلية يتطلب دفع دم جديد اليه ، وقيام أجهزة الاقتصاد الاشتراكي بقدر كبير من النشاط ، لا سيما وأن البلاد ستواجه تحديا ضخما خلال العام القادم ، ليس في ميدان المعركة فحسب ، وإنما في المجال الاقتصادي أيضا إذ ستمتص المعركة قدرا طيبا من الانتاج القومي ، مما يخشى معه ارتفاع كبير في الاسعار ، ان لم يقابل ذلك الامتصاص زيادة في الانتاج أو الحد من الاستهلاك ، أو اعادة توزيع الانتاج بشكل يضمن تغطية الاحتياجات الاولى لمطالب الجماهير .

واستنادا الى الخبرة أيضا ، سواء في بلدنا أو في البلدان النامية ، علينا ألا نعلق آمالا كثيرة على مبادرات رأس المال الخاص أو الاجنبي ، فامكانيات الاول محدودة ، ومطالب الثاني كبيرة ، وكلاهما يحتاج الى مناخ لا يناسبه المنساج الاشتراكي بشكل عام لتناقضها مع الفلسفة التي يقوم عليها ، هذا بالإضافة الى أن المرحلة التي نمر بها يجب أن تدعونا الى الحذر الكبير ، لأن هناك اتجاهات واضحة بضرب كل حركات التحرر ، واحتواء كل الثورات الوطنية التي قامت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، والامثلة على ذلك عديدة في آسيا وافريقيا بل والشرق الاوسط نفسه .

ومهما كانت الايديولوجية التي نأخذها ، فإن علينا ان نبذل جهدا مضاعفا لفك الحصار الذي يريد أن يفرضه الاستعمار علينا ، سواء عن طريق استخدام اسرائيل ، أو اثاره التوتر في منطقة الخليج العربي ، ويمكن أن تلعب دولة الوحدة العربية دورا له أهميته في هذه الظروف . ان الظروف العالمية العامة تدعونا الى كثير من اليقظة ، فالعالم يمر بمقدمات حرب عالمية . فالموقف بين الهند والباكستان ، وفي جنوب شرق آسيا وفي الشرق الاوسط ، وفي القارة الافريقية يكشف عن محاولات لخلق نوع من الاستقطاب قد يؤثر في مسارنا الاقتصادي والسياسي ، وبالتالي فإن المعركة الاقتصادية لن تكون كل شيء ، ولكن كسبها لاشك سيعيننا كثيرا في مواجهة مشاكل المستقبل .

ان تقديرنا أن عام ١٩٧٢ سيكون عاما هاما وحاسما في حياتنا ، بعد أن مهدت له ظروف السنوات من ١٩٦٥ حتى ١٩٧١ وتبلور فيها نلمسه الان من وضوح أكثر للاتجاهات والتيارات المحيطة بنا .

وقفه ثقافية



عند
نهاية

عام ١٩٧١

أمير اسكندر

من الحق انها وقفه « مفروضة » ، لانها لا تمثل نهاية أو بداية مرحلة تاريخية تقوم بذاتها . فمراحل التساريخ لا تبدأ أو تنتهى لان دورة من دورات الفصول قد بدأت أو انتهت . ولكنها تبدأ مع التغيرات الكبرى التى تصيب المجتمعات وتؤثر على مسارها . ومع ذلك فلقد كان العام الماضى حافلا بالاحداث التى وان لم تشكل فى حد ذاتها تغيرا كيفيا جديدا فى مجرى حياتنا الثقافية ، فهى تستحق وقفة خاصة لتأمل مغزاها ، وتلمس أبعادها ، وقياس تأثيرها على التطور الثقافى فى بلادنا . ومن الخير لنا — على أى حال — أن نرفع رؤوسنا من خضم الوقائع الجزئية اليومية ، وأن نحاول البحث عن الخيط الذى يربطها ببعضها البعض ، والعلاقة التى تحكم حركتها مع بعضها البعض ، وأن نجتهد فى الكشف عن طبيعتها ، أو عن القانون الذى تخضع له . وليست هذه المحاولة مجرد انسحاق وراء البحث النظرى ، وابتعاد عن السواقع العملى — كما يحب البعض هنا أن يقول — فالواقع يتضمن دائما حشدا هائلا من التفاصيل الجزئية المتناثرة التى تفرق بداخلها من لا يملك هذه

تيار متصل ، لا يعرف التوقف أو الانقطاع . وكل لحظة من لحظاته هى فى ذاتها ماض وحاضر ومستقبل . ولكننا نحتاج دائما ، بين الحين والآخر ، الى وقفة نتأمل فيها تجربتنا ، ونستخلص عصارتها ، ونستلهم دروسها . ومن غير هذه الوقفات الضرورية لا يمكن للإنسان أن يتعلم ، ولا يمكن للحياة أن ترتقى وتتجدد . ومهما كانت قسوة أو مرارة بعض التجارب التى تختزنها الذاكرة الانسانية ، ، الفردية أو القومية ، فهناك على الدوام ذلك الامل الكامن فى الاعماق ، ذلك الجنين الجديد الذى يولد فى رحم الارادة من صراع الحلم مع الواقع ، والذى يمنح الكائن البشرى ، مثلما يمنح المجتمعات ، القدرة على المواصلة والاستمرار ، والايمان بأن اللحظة التالية سوف تكون أفضل من سابقتها ، وأنها سوف تدفع بالخطوات أكثر فأكثر على الطريق الذى لا نهاية له .

أيمكن لعام واحد أن يمثل بمفرده وقفه من تلك الوقفات الضرورية ؟

البوصلة النظرية . سيكون أشبه بانسان معصوب العينين اقتيد الى غرفة مغلقة ، فلما رفعت العصا عن عينيه لم يعرف فى أى بيت هو ، ولا فى أى طريق ، ولا فى أى مدينة ، ولا فى أى بلد من بلاد الارض !

واذا كان الامر كذلك ، فان ثمة بعض الاسئلة التى تحتاج الى اجابات محددة : اولها : ما هى أهم وأبرز الاحداث — ذات الدلالة — التى وقعت فى حياتنا الثقافية خلال العام الذى يوشك أن ينصرم ؟ : وثانيها : هل هناك مغزى خاص أو دلالة محددة لتلك الاحداث ، وما هو هذا المغزى أو هذه الدلالة ؟ وثالثها : نحو أى أفق نسير أو بتعبير آخر ما هى صورة المستقبل التى يمكن التنبؤ بها بناء على استقراء المغزى الخاص لتلك الاحداث ؟ .

مؤشرات على الطريق

غير أنه من المفيد لنا ، قبل أن نحاول الاجابة على هذه الاسئلة أن نتسلح ببعض المؤشرات الهامة التى تعيننا على فهم هذه الاحداث التى وقعت ، وتساعدنا على تقييمها . وهذه المؤشرات ليست أكثر من مجموعة المفاهيم التى تحكم التطور الثقافى السليم فى أى بلد متخلف يندرج تحت ما يسمى فى الكتابات الجارية بالعالم الثالث ، مع الالتفات بالطبع الى الظروف الخاصة فى بلادنا والتى تضى عليها سماتها المميزة .

● **وإلى هذه المؤشرات هو : ديمقراطية الثقافة ،** والمقصود بديمقراطية الثقافة هو أن تصبح الثقافة فى متناول كل جماهيرنا ، وليس قطاعا واحدا منها . وإذا جاز فى هذا المجال استخدام التعبيرات السياسية أو الاقتصادية .. فإننا نقول أن تؤمم الثقافة تأميما شاملا . ومعنى هذا فى الواقع العملى هو أن يكون بوسع الجماهير المصرية ، فى كل بقعة من أرض الوطن ، استهلاك السلع الثقافية المعروضة — أو بتعبير آخر — الاستمتاع بالخدمات الثقافية المتاحة . أن تكون الثقافة لكل الشعب . لكل الجماهير . ولا يعنى هذا — كما يفهم البعض أحيانا — صب كل الألوان الثقافية فى قالب واحد . لا يعنى قضاء على التعدد والتنوع والخصوصية . ولكنه يعنى أن كل ثقافة سوف تنبع من منابعها الحية ، وهى تجربة الشعب المتعددة والمتنوعة والخصبة ، وستصيب بين يديه . أنه يعنى أن الاعمال الثقافية تعكس فى محتواها النضال الاجتماعى والنفسى لقطاعات الجماهير المختلفة ، وأن تكون قادرة ، فى نفس الوقت ، على الوصول إليها .

● **وثانى هذه المؤشرات هو : الحرية الفكرية .** الحرية الفكرية التى تستمد انطلاقها من حتمية اللحاق بالعصر الجديد الذى تخطو فيه الإنسانية كلها خطواتها الواسعة . الحرية الفكرية التى لا تنسى أبدا أن هذا العصر هو عصر العلم ، أى عصر العقل ، عصر المنطق الواقعى ، عصر التحرر الحقيقى فى بقاع كثيرة من العالم بدومنيوسى من كل اغلاله . وليست هذه الحرية — كما لاحاجة الى القول — هى فوضى الاتجاهات والمذاهب والتيارات ، وإنما هى الفهم العلمى السليم لضرورات الواقع المحلى والعالمى ، وهى إمكانيات الاستجابة لمنطق التطور التاريخى ، وهى القدرة على استلزام تلك الضرورات والإمكانيات وقيادتها بحيث تتحقق أحلام الانسان المصرى فى ثقافة وطنية وقومية ، اشتراكية وإنسانية فى نفس الوقت .

● **وثالث هذه المؤشرات هو : وحدة المثقفين .** وهذه الوحدة لها وجهان : وجهها الاول هو وحدة المثقفين مع شعوبهم وجماهير بلادهم . فى كل مجتمع حى ، لا يمكن لمثقفيه أن يعيشوا بمعزل عن المصادر الغنية الوحيدة للإبداع وهى الشعوب التى تمارس تجاربها النضالية . فلا أحد يمكنه أن يسمح فى بلاد كفيتمان من يتحدثون عن الاغتراب وازمة الانسان المعاصر .. ليس هناك اغتراب الا فى أعماق أولئك الذين لا يقفون فى صف الثورة . أنهم جزر منعزلة سوف تغطيتها أمواج الفيضان اليوم أو غدا . أما الآخرون فانهم يستشعرون دائما تلك الرابطة العضوية الوثيقة التى تربطهم بشعوبهم وجماهيرهم وتدفع فى وجدانهم بتلك الدماء الحارة الدافئة ذات الصدق الإنسانى . أما وجهها الثانى فهو وحدة المثقفين مع بعضهم فى إطار الاستراتيجية الوطنية للمرحلة .. وغنى عن البيان أن هذه الوحدة لا تعنى إلغاء أو طمس الخلافات أو حتى التناقضات الفكرية فيها بينهم مادامت فى إطار هذه الاستراتيجية الوطنية ، وطالما أنها تستهدف الوصول الى أفضل السبل لتحقيقها .

ولعله يمكن بعد ذلك أن نتقدم لمحاولة الاجابة على الاسئلة السابقة . نبدأ بالسؤال الاول الذى يتعلق بأبرز وأهم الاحداث — ذات الدلالة — التى وقعت فى حياتنا الثقافية خلال العام الذى يوشك أن ينصرم .

أهم الاحداث الثقافية لعام ١٩٧١

كانت أهم هذه الاحداث بغير شك أو تردد هى دمج وزارة الثقافة مع وزارة الاعلام . وما ترتب على هذه التصفية من

تشكيل هيئات جديدة ٢ والقضاء مؤسسات ٣
وتعطيل بعض النشاطات الأخرى . فبعد أن ترك
الدكتور ثروت عكاشة وزارة الثقافة ، تولى
أمراها الاستاذ بدر الدين أبو غازی ، ثم أعقبه
الدكتور اسماعيل غانم ، ثم تولى — بعد عمليات
الضم — الدكتور عبد القادر حاتم مهمة الاشراف
على الثقافة الى جانب الاعلام .

واذا أردنا أن نفصل في هذا الحديث الهام فائنا
يجب أن نقول — كمجرد تسجيل هنا — أن ما
حدث يتمثل في النقاط الآتية :

- إلغاء الديوان العام لوزارة الثقافة .
- ضم هيئة المسرح الى مؤسسة السينما
وتشكيل هيئة جديدة تسمى الهيئة العامة
للمسرح والسينما والموسيقى .
- إلغاء هيئة النشر وما يتبعها من شركات
وتشكيل هيئة الكتاب التي تضم الى جانب
الهيئة السابقة دار الكتب أيضا .
- ضم الثقافة الجماهيرية الى الحكم المحلي،
وما ترتب عليه من تبعية نشاطها الاقليمي
للمحافظات .
- ضم المعاهد الفنية المختلفة في اطار
أكاديمية الفنون أو الهيئة العامة للفنون .
- وقف المجلات التي كانت تصدرها وزارة
الثقافة مؤقتا حتى تتم دراسة اوضاعها ،
وهي : المجلة ، الفكر المعاصر ، الكاتب ،
الفنون الشعبية، الفنون، تراث الانسانية .
- الاعلان من سياسة جديدة للانتاج السينمائي
تتلخص في قصر الانتاج العام الذي تشرف
عليه الهيئة الجديدة للسينما والمسرح
والموسيقى على ثلاثة أو أربعة أو خمسة
أفلام فقط في العام ، وترك المجال مفتوحا
أمام القطاع الخاص حتى يغطي الاحتياجات
الباقية للسوق المحلي . وتشجيع هذا
القطاع الخاص على الانتاج من طريق
تخفيض الرسوم الجبركية على الافلام
الخام ، وتخفيض اجور الاستوديوهات ،
ومنح كل من ينتج فيلما مصريا حق استيراد
ثلاثة أفلام اجنبية ، وتشجيع بناء دور
العرض السينمائي في القاهرة والاقليم .
- وبالإضافة الى هذا كله فقد وقعت بعض
الاحداث الأخرى التي لا تقل أهمية ، لعل
أبرزها :
- صدور برنامج العمل الوطني والنص
فيه على بنود ثقافية محددة أهمها :
- تشكيل اتحاد للكتاب والفنانين ، وكسر
احتكار العاصمة للثقافة، وتوصيل الخدمات
الثقافية الى الاقاليم ، والاتجاه الى تشكيل

المجالس القومية المتخصصة ٤ ومن بينها
المجلس القومي للثقافة .

● احتراق دار الأوبرا المصرية بعد أن صمدت
في وجه الزمن أكثر من مائة عام [١٠٢
عام] ، والاعلان عن بناء دار أوبرا جديدة
في نفس المكان الذي كانت تشغله الدار
القديمة طبقا لنص قرار الرئيس
أنور السادات .

● فضلا عن هذين الحدثين البارزين يمكن
الإشارة الى بعض الاحداث الأخرى التي
تقل عن ذلك أهمية مثل : زيارة المسرح
القومي السوري للقاهرة في نطاق التبادل
الثقافي بين البلدين ، وبدعوة من وزارة
الثقافة المصرية [قبل ضمها الى الاعلام]
والاحتفال بمرور مائة عام على أوبرا عابدة،
واقامة صندوق خاص لاهانة الكتاب
والفنانين [مازالت تقام الحفلات حتى الآن
لتدعيمه] .

هذه هي أبرز أحداث عام ١٩٧١ الثقافية ،
بلا زيادة أو نقصان . وهي أحداث هامة ومؤثرة
بغير شك على مجرى التطور الثقافي في بلادنا .
وسوف يكون لها آثارها البعيدة كذلك في
السنوات المقبلة . وقبل أن نتعرض لهذه الآثار
المقبلة ينبغي أن نعود الى السؤال الثاني الذي
طرح في البداية وهو : هل هناك مغزى أو دلالة
لتنك الأحداث ، وما هو هذا المغزى أو هذه
الدلالة ؟

ما وراء هذه الأحداث

يجب أن يقال بادئ ذي بدء أن مجرد ضم
وزارة الثقافة الى وزارة الاعلام لا يمثل في حد
ذاته حدثا كبيرا مادام المؤسسات أو الهيئات
التي كانت تتشكل منها وزارة الثقافة السابقة
ما زالت موجودة بصورة من الصور . فوزارة
الثقافة — في جوهرها — ليست هي ديوان عام
الوزارة ، وإنما هي المؤسسات والهيئات التي
تنتج الثقافة أو تنظم انتاجها . ويجب أن يقال
ثانيا أن « الاعلام » في البلدان المتخلفة أو النامية
يلعب دورا مزدوجا . فحيث ينخفض المستوى
التعليمي ، وتنتشر الأمية ، لا تصبح وسائل
الاتصال الجماهيرية مجرد أدوات لنقل الغذاء
الثقافي للجماهير الواسعة في مواقعها البعيدة،
في الاقاليم والقرى والكفور والافانث القصية .
فليس هناك إذن تناقض مبدئي بين الاعمال
كوسيلة أو كأداة والثقافة كمحتوى أو كمضمون .
ويجب أن يقال ثالثا أن كلمة الثقافة في استخدام
العام في بلادنا تشير الى مجموع الانتاج المسرحي
والسينمائي ، وما تخرجه مؤسسات النشر

مختصت . وهذا الاستخدام قاصر بغير شك ، ذلك لأن ثمة وسائل أخطر في تأثيرها من مجموع هذا الانتاج ، وهى الاذاعة والتليفزيون وما يتضمنان من برامج وأحاديث تصل بطبيعتها الى آفاق أبعد مما تصل اليه الوسائل الاخرى كالمرح والكتاب وحتى السينما . ولابد اذن من ان نضع فى اعتبارنا مضمون ما تقدمه الاذاعة والتليفزيون من أعمال مؤثرة ثقافيا ، ومؤثرة وجدانيا وفكريا على الجماهير الواسعة ، خصوصا فى ظل الازعاج المتخلفة التى يتسم بها المجتمع المصرى ، وهى التى اثيرت اليها فى البداية ، من انخفاض المستوى التعليمى العام ، وانتشار الامية .

غير ان هذا التفسير الذى تقدمه ، ويمكن فهم عملية الضم فى اطاره على أسس منطقية ومعقولة ، ليس هو التفسير الوحيد الذى قدم لذلك . ذلك أن بيانات كثيرة قد صدرت تشير الى « الخسائر الفادحة » التى منيت بها أجهزة وزارة الثقافة ، وترتب عليها الاتجاه الى هذا الضم ، وأهم من ذلك ، الاتجاه الى « الانكماش » فى بعض القطاعات الثقافية مثل السينما والنشر . وهنا يتبغى أن نتوقف لحظة لنناقش هذه القضية بشئ من التفصيل .

لن نتحدث عن فلسفة المكسب والخسارة فى العمل الثقافى . ولن نقول ان الثقافة فى مجتمع يتحول من سيطرة الرأسمالية الى مجتمع يرفع على اعلامه مبادئ الاشتراكية كأهداف له ، هى « خدمة » عامة ، لا سلعة تخضع لقوانين العرض والطلب ، فمثل هذه الاقوال تصطبغ تناقضات مفتعلة فى كثير من الاحيان ، وتظل تدور فى اطارها أو فى اسارها ولا تحاول الكشف عن أسبابها الحقيقية . والاعتراف بالواقع الحقيقى فى بلادنا الذى يشير الى مثل هذه الخسائر المادية ليس رذيلة على أى حال ولكن السؤال الذى يترتب عليه هو : لماذا خسرت وتخسر . ويمكن أن نخسر فى المستقبل أيضا — برغم الاستحكامات التنظيمية الجديدة — هذه المؤسسات الثقافية فى بلادنا ؟

الاجابة تتلخص فى مجموعة من العوامل الواضحة التى لا تحتاج الى جهد خارق لاكتشافها :

اولها - الانفجار الوظيفى : فالمؤسسات الثقافية تعاني تضخما وظيفيا يصل الى حد الانفجار . والذى يتحمل نفقات وأجور هذا الجيش الجرار من الموظفين هو الانتاج الفنى نفسه ، والانتاج الثقافى نفسه ، الصادر عن القطاع العام دون غيره .

ثانيها — ضعف كفاءة التشغيل : والانفجار الوظيفى ، لايسهل عمليات الانتاج كما قد يبدو لأول وهلة . فالعدد الضخم يساعد على زيادة حدة البيروقراطية فى المؤسسات الثقافية ، عن طريق خلق الادارات المصطنعة والمكاتب الوهمية التى لا تقوم بعمل حقيقى ، أو تقوم بعمل يمكن ببساطة الاستغناء عنه . فضلا عن ذلك فان سيادة منهج العمل الروتينى الحكومى فى مؤسسات انتاجية — كمؤسسة النشر على سبيل المثال — أدى الى عدم الاستفادة من الامكانيات الفعلية المتاحة بالفعل . ان مطبعة هيئة النشر تعمل من الساعة الثامنة حتى الثانية ظهرا وكأنها مصلحة حكومية . ومعنى ذلك أن هذه المطبعة التى يمكن أن تعمل بطاقة ثلاث وريديات ، تعمل بطاقة وريدية واحدة . وهذا ضياع واهدار للمال العام . ونفس الامر فى هيئة المسرح . فمسرح مثل مسرح الجمهورية يضم أكثر من سبعين ممثلا وممثلة ، لم يعمل خشبته سوى قلة من هذه المجموعة الكبيرة ، وبقي الجانب الاكبر منهم بلا عمل داخل مسرحه لمدة تبلغ عدة سنوات .

ثالثها - عدم ترشيد الانتاج : فكثير من القرارات التى تتعلق بالانتاج الثقافى كانت تتخذ بغير دراسة حقيقية ، وتخضع للتلقائية والارتجال ، فلا تصدر دون دراسة للسوق الثقافى ، ولا دراسة لاتجاهات القراء ، بل ولا دراسة للاحتياجات الحقيقية للبناء الثقافى فى مجتمع يتطور وينمو فى اتجاهات معينة . ومسرحيات تعد ، وتبدأ بروفاتها ، ويتم تنفيذ ديكوراتها ، ثم لا ترى النور أبدا . وأفلام تنتج ثم لاتجد دورا للعرض فتظل حبيسة المخازن . وهكذا . بل أن الامر وصل الى حد البدء فى مشروعات لم يكن لها ما يبررها وبعضها أعمال فنية مثل « الاوبرا المسماة حياة فنان » وقد تكلف انتاجها ما يزيد عن سبعة وثلاثين الفا من الجنيهات ثم لم تستطع أن تحصل على عائد يزيد عن الالف جنيه . . وبعضها الاخر مؤسسات وابنية مثل مسرح الجليل الذى عدل عن تنفيذه بعد ان قطع شوطا كبيرا فى عمليات التنفيذ . التلقائية والارتجال هما اذن الاساس فى فقدان هذا الترشيح للانتاج ، وتخطيطه وسط متاهة لا معالم لها .

رابعها - غياب الرقابة الحقيقية : ان الخسائر التى أعلن عنها فى الصحف منذ أسابيع قليلة والتى لحقت بالمؤسسات الثقافية ، لم تتحقق فى عام واحد بالطبع . وهى قد واصلت تراكمها وصعودها عاما بعد عام . وثمة ملفات مغلفة فى المؤسسات الثقافية عن عمليات اختلاس وسرقة للمال العام .

واذا كان من الممكن القول بأن الاسباب

السابقة تمثل القاعدة العامة للخسائر فى كل المؤسسات الثقافية ، فان ثمة أسبابا أخرى فى بعض القطاعات الثقافية تؤدي الى الخسائر التى تلحق بها . ونظرة سريعة على ميزانيات بعض المؤسسات ، وأسلوب عملها ، توضح هذه الحقيقة ، وتلقى ضوءا على الأسباب الحقيقية لخسائرها .

● مثلا ميزانية هيئة التأليف والنشر حوالى مليون ومائتى ألف جنيه فى السنة . تدفع الوزارة — أو الدولة — منها حوالى نصفها — أى ستمائة ألف جنيه — والباقى يأتى من دخل الهيئة عن طريق التوزيع ومعارض الكتب ، ودخل المطابع التى تملكها ومن بينها حوالى مائة وعشرين ألفا من الجنيهات يدفعها المجلس الأعلى للفنون والآداب لنشر الكتب التى يصدرها ضمن المكتبة العربية ، وهو ما يسمى بالتمويل الذاتى . وكل ما تدفعه الوزارة أو الدولة للهيئة أى الستمائة ألف جنيه ، هى مرتبات الموظفين الذين يعملون فى الهيئة ! وميزانية النشر وقدرها حوالى ثلثمائة ألف جنيه تأتى كلها من ذلك التمويل الذاتى . وهذه الميزانية هى كل ما ينفق على عمليات النشر . وإذا أضفنا حصة المجلس الأعلى للفنون والآداب يصبح الحاصل حوالى نصف مليون جنيه . وبعملية قسمة بسيطة على عدد سكان الجمهورية المصرية ، يكون نصيب الفرد الواحد من ميزانية النشر هو « قرشين صاغ » فقط لا غير كل عام ! ...

وحتى اذا قيل أن ثلثى الأمة أميون لا يقرأون ولا يكتبون لا تكون النتيجة أسعد حالا ، لأنها لن تزيد عن قطعة من ذات الخمسة قروش !

● مثال آخر ، ميزانية هيئة المسرح حوالى مليون وربع مليون جنيه فى السنة . تدفع الوزارة — أو الدولة — منها حوالى ثمانمائة ألف من الجنيهات مرتبات موظفين . والباقى وهو لا يكاد يصل الى نصف مليون جنيه ، هو كل ميزانية الانتاج الفنى كل عام .

هذان مثالان فقط ، يمكن أن نجد لهما نظائر كثيرة فى سائر المؤسسات الثقافية الأخرى . والأسباب توشك أن تكون واحدة .

غير أن الطريف فى الأمر أن هيئة النشر تعاني أسبابا خاصة فى خسائرها — بالإضافة الى الأسباب العامة — منها ارتفاع ثمن الورق ، لأن الهيئة لا تشتري كل الورق الذى تحتاج اليه من وزارة التموين ، بل عن طريق ما يسمى بالقطاع الخاص أو السوق الحرة أو بتعبير أدق السوق السوداء . وثمنه هنا ضعف ثمنه العادى الذى

تحددته وزارة التموين ! ومنها أرباح شركة التوزيع التابعة لها أو التابعة للوزارة التى تبلغ عمولتها حوالى ٣٠٪ من ثمن ما تقوم به بتوزيعه من مطبوعات الهيئة ! . ومنها بالطبع ارتفاع تكاليف الطباعة ، نظرا لعدم تشغيل طاقة المطابع بكاملها وهو ما اشرنا اليه فى البداية .

ومثلها فى ذلك هيئة المسرح ، التى تقتصر نشاطها على القاهرة ، ولا تكاد تطل على خارج أسوارها ، إلا فى فصل الصيف ولمدة محدودة حيث تزور بعض فرقها الاسكندرية أو مرسى مطروح أو رأس البر . والامكانيات الكبيرة التى تملكها — فنانيين وعمال وربيرتوار — تتجمد أو تتعطل أو تضيق فى النهاية هدرا ، لأن أحدا لم يفكر فى الاستفادة من كل هذا بخلق شعب كثيرة للمسرح المختلفة تعمل فى المحافظات أو حتى فى الأحياء البعيدة عن وسط القاهرة كشبرا الخيمة أو حلوان وغيرها !

ان هذه الكلمات السابقة كلها تمثل الخلفية الواقعية التى يجب أن ننظر من خلالها الى الإجراءات الجديدة التى اتخذت فى الشهور الأخيرة .

فهل يمكن أن تتخطى المؤسسات الثقافية الجديدة هذه الأسباب ؟ . سؤال هام ينبغي التعرض له فى شئ من الوضوح والصرامة .

ويجب أن يقال من البداية ، بغير لفت أو دوران ، أن الحل الحقيقى لا يمكن أن يكون بأى حال من الأحوال ، هو « الانكماش » .

ان مؤسسة السينما — التى تمثل القطاع العام السينمائى فى البلاد — لا يمكن أن تسلم نفسها للقطاع الخاص الذى نعرف طبيعة انتاجه ومواصفاته . وإذا أضفنا الى ذلك ما هو معروف عن ضعف التمويل المصرى فى القطاع الخاص السينمائى ، أدركنا أن النتيجة سوف تكون استيلاء الموزعين اللبنانيين على سوق الانتاج السينمائى المصرى . فهل يجوز هذا فكريا وسياسيا ، بل وفنيا ؟ وهل هذا هو الحل ؟ ان يتقلص الانتاج المصرى ، أو يخضع فى النهاية لمتطلبات السوق العربى المتخلف ، وينسى دوره الفنى ودوره السياسى لا فى بلادنا وحدها ، بل فى البلدان العربية كذلك ؟ . لقد كان الحل الطبيعى لخسائر المؤسسة — مهما كانت درجتها كبيرة أو محدودة — هو التوسع فى الانتاج السينمائى لا الانكماش . وهو غزو الاقاليم المصرية التى لم يشاهد أكثر من ٨٠ ٪ منها الافلام السينمائية قط ! . ان الفيلم الأمريكى

بدلاً من دفعها دفعا الى أيدى قد لا تكون في كثير من الأحيان على أنها ضارة والتقدم بها .

وإذا انتقلنا الى نقطة أخرى تمثل حدثا بارزا في حياتنا الثقافية هذا العام ، وهي صدور برنامج العمل الوطنى ، ومناص عليه من تشكيل اتحاد للكتاب والفنانين ، وكسر احتكار العاصمة للثقافة ، والاتجاه الى تشكيل المجالس القومية ومن بينها المجلس القومى المتخصص للثقافة ، فإننا نتصور أن هذه النصوص جميعا تمثل استجابة حقيقية للاحتياجات الموضوعية في حياتنا الثقافية التى طال أمد الاستجابة إليها .

فلقد ظلت بلادنا — لامر غير مفهوم — من بين البلدان القليلة ، التى لا ينظم كتابها وفنانوها في اتحاد يضم صفوفهم ويعبر عن اتجاهاتهم الفكرية والفنية والسياسية . وليس ثمة حاجة تدعو الى الحديث عن أهمية مثل هذا الاتحاد ، ولا عن الدور المنوط به . وربما أمكن أن نكتفى بالإشارة الى أن مثل هذه الاتحادات تلعب في البلدان المتقدمة — وخاصة ذات النظام الاشتراكي — دورا بارزا في الحياة الثقافية والسياسية معا . وتشكيل مثل هذا الاتحاد مسيرد الاعتبار للمثقفين المصريين الذين كانوا دائما — وما زالوا — كتيبة أمامية من كتائب النضال الوطنى .

وبقى أن نبدا . فهذه مسئوليتنا جميعا . ولنبدأ البداية الصحيحة بأن نناقش طبيعة هذا الاتحاد الجديد ، ومناهج تشكيله ، وأساليب عمله وأطواره ، وشروط عضويته ، ومصادر تمويله ، وعلاقاته بالدولة ، وبالاتحاد الاشتراكي العربى .. وغيرها من القضايا التى سوف يتعرض لها في حياته المقبلة .

أما عن كسر احتكار العاصمة للثقافة ، فهذه القضية هي محور القضايا الثقافية جميعا في مثل ظروفنا التى تتركز فيها كل المؤسسات الثقافية والإعلامية في العاصمة وحدها ، وتعيش الاقاليم في ظلام كثيف قاتل . ولكن كيف ؟ ان هذا يعود بنا الى ما سبقت الإشارة إليه ، المسارح الدائمة في الاقاليم . دور العرض السينمائى في المدن الصغيرة والقرى ، قصور الثقافة في كل مدينة صغيرة ، وكل مجموعة متقاربة من القرى . وغيرها من الوسائل التى تمهد لكسر الاحتكار « العاصمى » ، وتخطو الخطوات الاولى للقضاء عليه .

وليست قضية المجالس المتخصصة جديدة ، فقد أشار إليها بيان ٣٠ مارس ، أو بتعبير أدق :

تقتضى ذا الشهرة العالية يعتمد في تغطية تكاليفه على السوق المحلية وكل ما عداه ربح خالص . كان ينبغي علينا أن ننح التسهيلات الكبيرة لبناء دور العرض في الاقاليم . ولإقامة دور عرض أخرى بسيطة ومحدودة التكاليف في المدة الصغيرة والريف . وكان هذا جدير بأن يفتح سوقا محلية ضخمة أمام الفيلم المصرى ، ولا يجعله خاضعا لسيطرة ونفوذ التمويل الخاص الباحث عن الربح من اقصر طريق . بل وربما كانت التسهيلات التى منحت للقطاع الخاص في السينما المصرية والعربية جديرة هي أيضا بأن تقلل خسائره ، وتلك كثيرا من القيود المغل بها . وليس الحديث هنا عن جيش الموظفين ، وغياب الرقابة ، وكفاءة التشغيل ، وترشيد الانتاج ، التكرار لما سبق .

والنقطة الثانية الهامة في هذه القرارات هي الحاق الثقافة الجماهيرية بالحكم المحلى . فما من شك أننا نطمح جميعا الى أن يكون الحكم المحلى في بلادنا بديلا حقيقيا من المركزية المطلقة التى عاشت فيها مصر قرونا طويلة . غير أن الامر يحتاج الى تمحيص أدق لهذه القضية ، خاصة وأن البوادر تنذر ببعض المتاعب للعمل الثقافى في الاقاليم ، مثلما حدث في محافظة بنى سويف عندما رفض المحافظ عرض مسرحية « بفل البلدية » بعد أن منحها في البداية مائتين وخمسين جنيها ، بحجة أنها مسرحية متطرفة ! والمسرحية المشار إليها اجازتها الرقابة ، وعرضت في أكثر من اقليم ، وعرضت في مهرجان المحافظات . ان مغزى ذلك هو ما نريد الإشارة إليه هنا : فموضوع الثقافة الجماهيرية المحلية لا يعنى — ولا ينبغي أن يعنى — خضوعها فنيا وسياسيا لإشراف المسئولين الإداريين هناك . فالثقافة شأن التعليم والصحة وسائر الخدمات الأخرى تخضع للحكم المحلى إداريا ولكنها لا تخضع له من ناحية المضمون . فالمحافظون لا يتدخلون في مناهج التعليم أو أساليب الوقاية من الأمراض مثلا . هذه أمور تخضع للإشراف والتوجيه المركزى في القاهرة ، وإذا كان لابد من رقابة ، فهى رقابة الدولة العامة المتمثلة في « الرقابة على المصنفات الفنية » فقط ، وليس جديرا بكل مسئول إدارى في أى محافظة أن يقيم من نفسه رقيا سياسيا وفنيا . وليس المفروض فيه أنه خبير في شئون الفن ، وليس المفروض كذلك أنه يملك سلطة رقابية أعلى من السلطة الرقابية المركزية !

ان الثقافة الجماهيرية ، لعبت دورا بغير شك في حدود إمكانياتها التى اتبحت لها في نشر الثقافة في الاقاليم . أخطأت قليلا أو تعثرت في بعض الأحيان ؟ ليكن . ولكن المبدأ ينسب أن يظل قائما . ولتقوم الأخطاء ، ولتهد لها اليد ،

نص عليها . وبقي مرة أخرى أن تبدأ . ولانتوقف عند مجرد إصدار القرار . فهذه المجالس ليست ترفاً ينبغي الانتظار حتى تنتهي المعركة مع إسرائيل حتى تبدأ في بنائها أو تشكيلها . أنها حاجات ضرورية واقعية . وتكوينها ضرورة ملحة لا تحتمل التأجيل .

نحو أى أفق نسير

والآن ينبغي أن نتوقف لنسأل : وماذا بعد ؟ . نحو أى أفق نسير ؟ ماصورة المستقبل في ضوء هذه الأحداث ، وعلى هدى تلك المؤشرات التي المحنا اليها في البداية ؟

ان القاعدة البديهية هي ان التنظيم يخدم السياسة . وفي كل ميادين العمل الوطنى العام ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فان أى تنظيم ليس مقصودا لذاته ، وليس هدفا في حد ذاته ، وانما هو أداة أو وسيلة لتحقيق أهداف سياسة معينة ، والوصول الى غايات محددة .

والتنظيمات الجديدة التي تمت في الميدان الثقافى ، ليست هدفا في حد ذاتها أيضا . وانما هي — كما قيل أكثر من مرة — وسيلة للانطلاق الثقافى ، وكسب مواقع جديدة أكثر تقدما للثقافة في بلادنا . ولكن يبدو أن هذه الاهداف تعاني بعض العقبات في طريقها . واول هذه العقبات وأهمها هي مشكلة التمويل وما يسمى بفلسفة المكسب والخسارة . ومن غير المعقول أن نبخل على الثقافة — ودورها معروف ومعتترف به — ببضعة ملايين من الجنيهاات تضيق في ميادين أخرى دون أن يعلم بها أحد ! . ولا سبيل الى الانطلاق الثقافى الحقيقى بدون تخطيط علمى مدروس لكل مجال ، بعيدا عن

التلقائية والارتجال والمشروعات الوهمية . وهذا التخطيط قادر على أن يحقق ما نصبو اليه جميعا من توازن بين المكسب والخسارة . وتعادل بين النفقات المادية ، والعائد المادى والنفسى والسياسى والفكرى الذى لا يقدر بثمن .

هذا هو جوهر المشكلة الان ، وهو مفترق الطريق الذى تقف عنده حياتنا الثقافية أمام اختيارات صعبة . اما الانكماش أو التقلص . واما التوسع الأفقى والامتداد على نطاق الجمهورية كلها . اما تسليم الثقافة في بلادنا لاتجاهات القطاع الخاص ، وأذواق ورغبات المسؤولين الاداريين في المحافظات ، واما حقن القطاع العام بدماء جديدة ، وبعث الروح مرة أخرى في قطاعات ثقافية عانت طويلا من الاختناق :

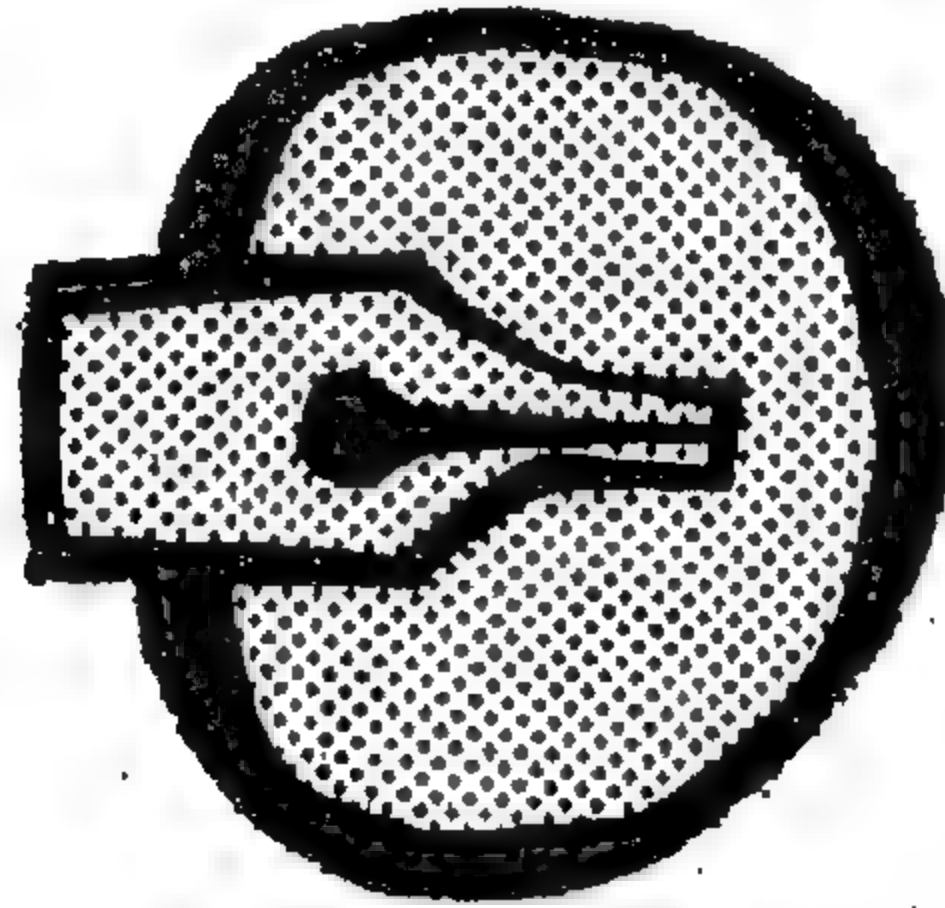
ان حريق الاوبرا يهدف رغم فداحته ، اذا قورن باحترق الامل في ثقافة وطنية وقومية ، اشتراكية - انسانية ، تنطلق من مصر مركز الاتساع ، وبؤرة الضوء . وكل الاخطاء التي ارتكبت في الماضى يمكن لها أن تراجع ، وكل النواقص التي فتحت أفواهاها في الماضى يمكن أن تسد ، وكل الاسباب التي عملت على الركود والتجمد والانكماش في حياتنا الثقافية يمكن لها أن تدرس وأن يتجاوزها المستقبل .

ونحن ينبغي علينا أن ندافع عن الامل .

ونحن ينبغي أن نساعد على تقديم الحلول الايجابية .

هكذا تريد جماهيرنا نفسها ، لان الانطلاق هو التعبير الوحيد الممكن عن احتياجاتها في هذه المرحلة .

وهكذا ينبغي أن نواجه تحديات المستقبل أيضا !





موقف ثوري
في علم النفس
الأمريكي :

فيتنام

قدري حتى

العديد من الاسباب : منها المتعلق بتاريخ العلوم الانسانية ذاتها ، ومنها المتعلق بطبيعة موضوعاتها وما تثيره احيانا من احساسيس قومية او شخصية . ولقد كنت حتى اسابيع قليلة في اسار احساسيس من هذا النوع حيال علماء النفس الامريكيين المعاصرين . كنت أشعر بالاسى - ولا أقول بالخجل - وابناء مهنتى من علماء النفس الامريكيين يضعون معرفتهم بالانسان ، وهى معرفة على قدر كبير من التقدم التخصصى ، فى خدمة اهداف الامبريالية الامريكية سواء فى داخل الولايات المتحدة او خارجها . كان يبدو لى وكأنهم جميعا مشتركون فى هذا الموقف حتى أن الاستثناءات القليلة او الاستثناء الوحيد الذى اذكره فى هذا الصدد وهو ايريك فروم عالم النفس التقدمى الامريكى المعروف قد ترك مهنة علم النفس وتفرغ للنضال السياسى تماما . وكان كل ذلك امرا مفهوما لدى تماما . وان كان الفهم لا يحول دائما دون الاسى والخجل .

وفى خضم تلك الاحساسيس كنت ذات يوم من ايام الشهر الماضى اتصفح المجلد الاخير من « الملخصات السيكولوجية » وهى مجلة شهرية تصدرها

العلم على التعميم ، والتعميم يقتضى بالضرورة تجاوزا عن الكثير من التفاصيل ، ولكن ذلك لا يعنى اهمالا للتفاصيل جميعا ، ومن هذا المنطلق بالتحديد تبرز مشكلة تواجه العلماء جميعا وعلماء الانسانيات على وجه الخصوص . . الى أى حد يجوز التعميم . وإلى أى حد ينبغى التخصص . او بعبارة اخرى أى التفاصيل نأخذ وايهاندع . وقد يتفق العلماء جميعا على انه لا بد وأن يولى قدر من الاعتبار للتفاصيل ، خاصة تلك التى تتناقض مع الخطالعام للتعميم العلمى حيال ظاهرة معينة باعتبار أن تلك التفاصيل بالتحديد تكون عادة بمثابة البدايات الاولى لتغير الظاهرة موضع البحث ، وبالتالي لتغير التعميمات العلمية الخاصة بها . قد نتفق على كل ذلك ولكننا كثيرا ما نفعل عنه او نتغافل خاصة اذا ما كنا بصدد ظاهرة تدخل فى نطاق العلوم الانسانية حيث تشعربنا التعميمات بدرجة قد تلهينا تماما عن ادراك الكثير من تفاصيل الظاهرة خاصة تلك التى تتعارض مع تعميماتنا المسبقة . وقد يرجع ذلك الاغفال او التغافل الى

يقوم

الرابطة السيكولوجية الأمريكية وتتضمن ملخصات لغالبية البحوث السيكولوجية المنشورة في كافة أنحاء العالم . واستوقف انتباهي عنوان لمقال نشره عالم نفسى أمريكى فى صيف عام ١٩٦٩ هو **نهرسترو • فيورشتاين وكسان العنصوان « الحالة : الولايات المتحدة • المظهر المرضى : قيتنام »** . ولم يكن المؤلف من الاسماء المعروفة لى فى علم النفس الأمريكى . كذلك فان المجلة لم تورد تلخيصا لذلك المقال مكتفية بالإشارة الى عنوانه .

وخطر للوهلة الاولى ان المقال لن يعدو ان يكون محاولة جديدة لتقديم مزيد من الخدمات السيكولوجية للسلطة الأمريكية ، واعادت النظر فى العنوان . إنه يتخذ الاسلوب الذى يتبعه الاطباء فى تسجيل المرضى الذين يعالجونهم . وخطر لى آنذاك أن المقال قد يكون جزءا من تلك اللعبة القديمة المستهلكة التى استخدمها - وما زال يستخدمها - علماء النفس الأمريكين وغيرهم بمحاولة تميع كافة قضايا الصراع الاجتماعى والدولى وعلى رأسها قضية الحرب بارجاعها الى أسباب سيكلوجية خالصة وبذلك يتحول « المعتدون » الى مرضى ينبغى معالجتهم بدلا من محاربتهم .

وحاولت - دون توقع لجديد - ان اختبر صحة ما انتهيت اليه فارسلت الى كاتب المقال اطلب نسخة من مقاله ، ولم يمض وقت طويل حتى تلقيت المقال مصحوبا بخطاب رقيق يطلب منى فيه أن أرسل له برأى فى مقاله . وتحفزت وبدأت القراءة فاذا بالمقال يبدأ هكذا :

« يكفى أن يتحدث المرء الى مناضل زنجى من أبناء الجيتو ، أو الى طالب ثائر ، أو الى أحد المترددين على هيئات المعونات الخيرية ، أو الى أحد الرافضين لأداء الخدمة العسكرية ، لكى تتضح له ضالة ما قدمه علم النفس لتلك القطاعات الكبيرة من أبناء امتنا • ترى أين كانت جهود علم النفس والعنصرية تتفشى لعشرات من السنين قبل صدور قرارات المحكمة العليا بشأن التفارقة العنصرية ؟ ترى ما طبيعة الدور الذى لعبه علم النفس من أجل محاربة الفقر ، والعنصرية ، والعسكرية ، ومن أجل إعادة ما احتل من ترويج للمصالح القومية حسب أهميتها ؟ ترى ماذا فى مقررات علم النفس التى نضعها ونقوم بتدريسها قد أدى الى مثل ذلك العجز عن التمكن من التأثير الفعال على المشكلات الاجتماعية المعاصرة الكبرى » ليست تلك سوى نماذج قليلة من تساؤلات عديدة تواجه علم النفس المعاصر .

« ان علماء النفس لا يحتلون مكانة بارزة بين قادة التحرك من أجل تقوية ودعم الفضال ضد

تفشى الظلم الاجتماعى • بل انهم أكثر ميلا الى العمل والتعاون مع المؤسسات التعليمية غير الديمقراطية ، والنظم الاجتماعية المتعصبية عنصريا ، والسلطة النامية للحالف الصناعى - العسكرى المعادى لتحالف الجماهير الشعبية ، دون وعى أو اهتمام كبير بما يتضمنه كل ذلك من أبعاد اجتماعية • ولعل الوقت لم يفتنا بعد ، ولعلنا ما زلنا نستطيع أن نتحرك لمجموعة من أجل تحسين الاستفادة بما لدينا من معرفة سيكلوجية بحيث تصبح تلك المعرفة أكثر صلاحية لتلبية كافة احتياجات المجتمع الملحة ، وبالنسبة من أجل الكف عن تدعيم ومؤازرة تلك البرامج والممارسات التى تؤدى فى النهاية الى اهدار الانسانية أو مجازفة العمل سيكلوجيا أو أخلاقيا ، ولعلنا بذلك نستطيع ادراك دلالة آلاف الاجبارات القهرية التى تمارس فعاليتها داخل مجتمعاتنا المعاصر ، ثباتا فى تقدير وفهم الاجبارات السيكولوجية التى تجرى داخل الفرد .

وقبل أن أمضى فى قراءة المقال احسست بأن تحفزى أخذ فى الخفوت ، واننى حيال لغة سيكلوجية جديدة غريبة تماما عما أعرفه عن علم النفس الأمريكى • لغة تدعو علماء النفس الأمريكين الى ضرورة اتخاذ موقف ثورى حيال قضايا المجتمع • ووجه الغرابة أنها صادرة من عالم أمريكى • ويمضى كاتب المقال مؤكدا دعوته مقررًا ، ان علماء النفس لديهم بالفعل قدرا كبيرا من المعرفة بالاثار المدمرة للظلم والجور ، والمناخ غير الديمقراطي وما الى ذلك • صحيح أن تلك المعرفة قد لا تكون متوفرة بالقدر المأمول ، ولكننا نستطيع استخدامها الآن فى الاسهام فى السعى من أجل ارساء مجتمع عادل وانسانى » .

واضح اذن ان فيورشتاين لا يدعو علماء النفس الى اتخاذ موقف ثورى بوصفهم مواطنين فحسب ، بل أساسا بوصفهم علماء نفس • وتلك قضية هامة وخطيرة حقا • فهى تعنى أن علماء النفس بحكم تخصصهم وخلال ممارستهم لعملهم يتخذون بالضرورة موقفا ما من قضايا الصراع الاجتماعى فى مجتمعاتهم • وسواء كانوا على وعى بموقفهم هذا أو على غير وعى ، مدركين له أو متجاهلين اياه ، راغبين فى اتخاذه أو عازفين عنه ، فهم يتخذونه بالفعل خلال ممارستهم لعملهم كمتخصصين فى علم النفس • ويبحث فيورشتاين عن مثال عملى يسوقه تديلا على قضيته فاذا به يلتمسه من مجال العلاج النفسى • واهمية اختياره لذلك المجال بالتحديد لا ترجع فيما نرى الى كونه شخصا أحد المشتغلين بالعلاج النفسى بقدر ما ترجع الى طبيعة الموقع الخاص الذى تشغله قضية العلاج فى مجال علم النفس • لقد وقر فى اذهان الكثيرين أن العلاج النفسى على تعدد مدارسه

وتختلفها أمر عملي « في المقام الأول • يبدأ ، وينتهي ، ويدور حول محور واحد هو المريض ، شفاؤه أو عدم شفاؤه • ووفقا لهذا القهم فانه اذا كان لنا أن « نقحم » القضايا الايديولوجية في فرع كعلم النفس الاجتماعي مثلا فان تلك القضايا تبدو بعيدة كل البعد عن مجال العلاج النفسي • ويعرض فيورشتاين مثاله كما يلي : « أن الحاجة الى توافر فهم عام للمحيط الاجتماعي والاقتصادي وما يترتب على طبيعة ذلك المحيط من نتائج تعد أمرا لا غنى عنه بالنسبة للمعالجين النفسيين ، وكمثال على مدى أهمية تلك القضية يمكن أن نسوق ذلك التساؤل الذي أثاره بعض نقاد التحليل النفسي ومؤداه : ألم يسهم المحللون النفسيون عمليا في شل النشاط السياسي للعديد من المثقفين في ألمانيا خلال بزوغ النازية ، وذلك بتناولهم لالخطار الاجتماعية الواقعية تماما في ذلك الوقت من خلال نظريات وتفسيرات تتعلق بداخلية النفس ودينامياتها ؟ أن المعالج النفسي الأمريكي الذي تعوزه اليقظة الاجتماعية يمكن أن يضع نفس الشيء بحجبه للتقييم الواقعي للحرب ، وللتهديد النووي ، وللعسكرية ، ولغير ذلك من الافات الاجتماعية كالعنصرية والتمييز الاجتماعي • • ان العلاج النفسي ليس كما كان يفترض بسداجة في البداية بعيد عن اتخاذ موقف قيمي أو انه يتخذ موقفا محايدا من القيم ، بل انه في الحقيقة جزء متكامل من سيكولوجية أشمل للمضبط السلوكي أو التأثير السلوكي » .

ولا يفوت فيورشتاين أن يستمد من خبرته الشخصية كمعالج نفسي ما يدعم به وجهة نظره في العلاج النفسي وموقعه من قضايا الصراع الاجتماعي • فيشير الى دراسة اجراها عام ١٩٦٥ بالاشتراك مع أحد زملائه اتضح فيها « انه أثناء تصاعد الذعر ببدء مرحلة جديدة في العدوان على فيتنام بالشروع في قصف فيتنام الشمالية بالقنابل ، وما يسببه ذلك الموقف من تهديد بالغ الخطورة والواقعية ، في ذلك الوقت لم نجد سوى قلة بالغة الضالة من المرضى ، يشعرون انه من المناسب مناقشة مخاوفهم ، أو همومهم حيال تلك الامور خلال علاجهم ، لقد قرر ١٦ مريضا فقط من بين ٣٩٩ مريضا انهم يشعرون بأهمية مثل تلك المناقشات ، رغم وجود ١٢٤ مريضا من بين هؤلاء يشعرون ان هناك احتمالا قويا بأن يؤدي تصاعد عمليات الولايات المتحدة في فيتنام الى حرب نووية شاملة ! » .

الى هنا والامر لم يخرج في تصويري عن كونه دعوة ثورية حقا ولكنها لا بد وأن تكون دعوة فردية • مجرد وجهة نظر يسوقها ذلك العالم الأمريكي أو موقف شخصي يتخذه ولا يلتزم به سواه • مجرد استثناء من بين علماء النفس

الأمريكيين يمكن أن يضاف مثلا الى أريك فروم استثناءين بدلا من استثناء واحد • أمر طيب حقا ، ولكن ليس بالامر الخطير •

ولكن ما ان مضت بي القراءة حتى ادركت أن الامر أضخم وأخطر من ذلك بكثير • ان فيورشتاين لا يعبر عن نفسه كفرد فحسب ، بل ان مقاله تعبير عن اتجاه منظم وعن حركة اجتماعية واضحة الخطوط محددة الاهداف • حركة لها تنظيمها الفعلي الذي يعبر عنها ، وهو « منظمة علماء النفس الأمريكيين من أجل النضال الاجتماعي » ويعرف فيورشتاين هذه المنظمة بقوله :

« ان منظمة علماء النفس الأمريكيين من أجل النضال الاجتماعي تعد تعبيراً عن محاولات علماء النفس الانطلاق من ذلك البرج العساجي الذي يفرضه انهم نسبيًا أو كليًا عن مجال احتياجات المجتمع المتصارعة • وتهدف المنظمة الى تجميع علماء النفس الذين يشعرون بأنه في تلك الحقبة المضطربة الحاسمة بما تتضمنه من تهديدات واقعية تماما باندلاع الحرب النووية ، وبما تتضمنه من اتساع لنطاق الفقر ومن عنصرية ، ومن الاف الافات الاجتماعية ، في تلك الحقبة ينبغي على علماء النفس أن يصنعوا شيئاً أكثر من مجرد الوقوف عند حد الدراسة والتفكير • ان أعضاء تلك المنظمة التي تنمو بسرعة فائقة يشعرون انه ينبغي علينا أن نبحث عن طرق لتطبيق معرفتنا وخبرتنا وهي على ما هي عليه من نقص في اتجاه حل المشكلات الملحة لعصرنا » .

ويمضي فيورشتاين بعد ذلك موضحا انه في ضوء اهداف المنظمة قام كل من هوارد جروير استاذ علم النفس في مركز الدراسات المصرفية بجامعة روتجرز ، ونائب رئيس المنظمة ، بالاتفاق مع ايثيل كوبساح رئيسة فرع نيويورك من المنظمة بدعوة فروع المنظمة في كافة انحاء الولايات المتحدة الى عقد وتنظيم مجموعة من المؤتمرات لبحث الجوانب السيكولوجية والاجتماعية المتعلقة بانتهاء الحرب في فيتنام • وقد وجهت الدعوة في يناير عام ١٩٦٩ على أن تعقد تلك المؤتمرات في يوم السبت الاول من مارس في نفس العام • وقد اختير ذلك اليوم بالتحديد تديما لقرار بالاضراب المؤقت عن البحوث اتخذه عدد كبير من العلماء الاجتماعيين والطبيين من معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا ، ومن جامعات يال وكورنل وغيرها احتجاجا على « سوء استخدام المعرفة » • وعلى « الاستخدام غير المسئول للبحث العلمي » وكان قد تحدد لذلك الاضراب يوم ٤ مارس وبالتالي فقد كان عقد المؤتمرات في الاول من مارس تعبيراً من المنظمة عن تضامنها وتأييدها للاضراب •

١٣ - الاسبقيات القومية *

١٤ - تمرد الشباب

١٥ - الصراعات العنصرية

ويشير فيورشتاين الى ان ابواب المؤتمر كانت مفتوحة لكل المهتمين من علماء النفس بحيث كان في استطاعة أية مجموعة من هؤلاء العلماء مهما كان اتجاهها الاجتماعي ان تشترك في المؤتمر . ورغم ذلك فان الاتجاه السائد لدى كافة المجموعات التي حضرت المؤتمر كان يشير بوضوح الى ضرورة ايقاف الحرب الفيتنامية بأسرع وسيلة ممكنة ، والى ان تلك الحرب في حد ذاتها انما تدل على حالة غير صحية - اذا لم تكن مرضية - يعانى منها مجتمع الولايات المتحدة *

ويمضى فيورشتاين فى نسبة لا تخلو من فخر واعتزاز مقررًا « ان الذين قبنوا الدعوة الى عقد المؤتمرات عن فيتنام فى طول البلاد وعرضها انما يعبرون عن تزايد الاهتمامات الاجتماعية لعلماء النفس البارزين على نطاق الامة بأسرها . ومن بين قائمة تضم ٦٥ اسما نجد : هاريت بار من جامعة نيويورك ، ومارتن دويتش من جامعة نيويورك أيضا ، وارنك اريكسون من جامعة هارفارد ، وجيروم ك . فرانك من جامعة جون هوبكنز ، وهيرتس كلمان من جامعة ميتشجان ، وكينيث كينستون من جامعة يال ، ودافيد كركش من جامعة كاليفورنيا بيركلى ، وروبرت ج . ليفتون من جامعة يال ، وزيل لوريا من جامعة تفت ، وروبرت ب . ماكلويد من جامعة كورنل ، ومونرو ميلر من جامعة كولورادو ، وهنرى ا . موراي من جامعة هارفارد ، وهارولد بروشانسكى من جامعة ستي - نيويورك ، وبرنارد ف . رايس من مركز الدراسات العليا للصحة العقلية ، وميلتون روكيتشى من جامعة ولاية ميتشيجان ، وجون ج . سوليفان من جامعة نيويورك ، و هـ . وينكين من جامعة ستيت - نيويورك » *

ولقد حرصنا على عرض تلك الاسماء جميعا لسببين : الاول انها تشير بوضوح الى أن المثمنين الى « منظمة علماء النفس الامريكيين من اجل النضال الاجتماعى » ينتمون الى كافة اتجاهات ومدارس وفروع علم النفس تقريبا . . منهم علماء النفس الاجتماعى ، وعلماء نفس الطفل ، ومنهم ابناء مدرسة التحليل النفسى ، واصحاب نظريات شهيرة فى الشخصية والقياس السيكلوجى . اما السبب الثانى فهو ان هؤلاء العلماء لا ينتمون الى جامعة واحدة ولا الى منطقة جغرافية واحدة فى الولايات المتحدة . والسببين معا يشيران بوضوح الى مدى شمول واتساع حركة تلك المنظمة . وبالفعل فلقد انعقدت مؤتمرات مماثلة لمؤتمر نيويورك فى عديد من الجامعات الاخرى ، من لوس انجيلوس ، وكاليفورنيا ، وايوجين واوريغون ، الى

ان تنظيم مؤتمر كبير فى نيويورك يضم العديد من الحلقات الدراسية ، والمناقشات العامة . فضلا عن توفير التيسيرات اللازمة لحضور عدد كبير من علماء وطلبة علم النفس ، ثم تنسيق كل تلك الجهود لم يكن بالامر اليسير بل كان « مغامرة بالغة الصعوبة » . ورغم ذلك ، فبعد مرور فترة لا تجاوز الشهر ، كان حجم وتشكيل المؤتمر المنعقد حدثا مذهلا من كافة النواحي . بل انه كان فى حد ذاته تعبيرا ملموسا عن مدى اهتمام وانشغال العديد من علماء النفس والمناضلين الاجتماعيين المساهمين فى المؤتمر بوسائل انهاء الحرب الوحشية الظالمة وتحقيق سلام انسانى وعادل . ويرى فيورشتاين ان برنامج المؤتمر يعد فى حد ذاته تشخيصا عاما لحالة الولايات المتحدة باعتبار ان مرضها هو فيتنام *

الحالة : الولايات المتحدة

المظهر المرضى : فيتنام

مكان انعقاد المؤتمر : المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية

فى اول مارس عام ١٩٦٩ *

جلسات المناقشة العامة :

خطاب رئيس فرع نيويورك لمنظمة علماء النفس من اجل النضال الاجتماعى ويتضمن ترحيبا بالحاضرين وعرضا موجزا لاهداف وغايات المؤتمر .
ندوة :

« حرب فيتنام المظهر المرضى الذى تعانى منه الولايات المتحدة » .
ندوة :

« النضالات من اجل التحرر : معناها ، ومشاكلها ، وفرص نجاحها »
الحلقات الدراسية :

١ - العنصرية *

٢ - العنف : موقف القمع الذى يتخذه القانون

والنظام الاجتماعى *

٣ الفقر : كسب ، وكمظهر مرضى *

٤ - الصحة العقلية والمرض العقلى *

٥ - القيم فى المجتمع الامريكى *

٦ - التربية فى مدارسنا

٧ - فيتنامات اخرى : اليونان مثلا

٨ - التمويل الحكومى للبحوث العلمية *

٩ - التجنيد العسكرى

١٠ - اتفاقيات السلام

١١ - حركات المقاومة

١٢ - الحريات المدنية

شيكافغو ، والينوس ، وبوستون ،
وماساشوستس ، وواشنطن ، وكولومبيا ، الى
روثرفورد ، ونيوجرسي ، ونيوهافن ، وكونكتيكت *

جهاز تكنولوجي صناعي

يفت من السيطرة

كانت الندوة الصباحية للمؤتمر بعنوان « حرب
فيتنام » المظهر المرضي الذي تعاني منه الولايات
المتحدة . وقد ضمت الندوة عددا من علماء النفس
المعروفين ، الذين كرسوا وما زالوا يكرسون الكثير
من وقتهم فكريا ونضاليا من أجل المشكلات المتعلقة
بالحرب الفيتنامية .

كان أول المتحدثين في الندوة هو مورتون
دويتش ، استاذ علم النفس بجامعة كولومبيا
والمختص في ديناميات الجماعة والعلاج النفسي
وقد عرض وجهة نظره قائلا « يبدو لي أن ما يميز
موقفنا هو أننا قد طورنا الجهاز التكنولوجي
الصناعي الهائل بدرجة تمكننا - إذا ما احسنا
استخدامه - من تحرير العالم من الجوع ، وتحرير
الإنسان من الشقاء . ولكن ذلك الجهاز لم يعد في
وسعنا السيطرة عليه ، ولم يعد في خدمة الحاجات
الإنسانية ، لقد أصبحت الحاجة الإنسانية تتشكل
لكي تلائمها . وهكذا فقد خلقنا باليعمل ما يميز مناخ
مجتمعنا المعاصر من تفش للقلق ولعدم الاستقرار
وللاحساس بالعجز . أن الحرب تخلق أولئك الذين
يفتقدون أية سيطرة حقيقية على بيئتهم أو على
المجريات الرئيسية لحياتهم .

ويعقب ا . روي جون استاذ علم النفس
الصناعي قائلا « فيما قاله الدكتور دويتش ما
يشير إلى أن مصدر مشكلتنا إنما يكمن في تطويرنا
للتكنولوجيا . وأظن أن ذلك أمر ثانوي تماما .
وأنى أميل إلى تشخيص المشكلة باعتبارها مشكلة
مجتمع مريض . وأن ذلك المرض يتسبب في إثارة
وايلا من جوانب معينة من المجتمع أكثر من غيرها .
فهو يتسبب في إثارة الشبائب الذين لا يرون
لحياتهم معنى ، وفي إثارة الزوج الذين لا يرون
سوى البؤس والشقاء . وهؤلاء هم الذين يقاتلون
المرض ويواجهونه ، وتلك علامة على الصحة .
ولكن مشاكلنا ترجع حقيقة إلى أسباب متعددة .
فمنذ الحرب العالمية الثانية ومقاليده توجيه أمور
ذلك المجتمع في أيدي اقلية صغيرة ضخمت من
حجم المخاطر الخارجية التي تتهددنا ، ومن
ضرورة التحرك لمواجهة ما يجعل الأمر فيما
يبدو لي أشبه بحالة البرانويا » .

أما ستيفان كوروفرا الاستاذ بمعهد ماساشوستس
للتكنولوجيا ، والمختص في علم النفس
السيولوجي ، فينظر إلى الأمر من زاوية مختلفة

قائلا « لم تعد الحرب هي المشكلة بل المشكلة هي
ازدهار جهاز الدولة ، وازدهار جهاز الدولة يعتمد
حاليا على الاستعدادات للحرب ، وبالتحديد على
مقتضيات ما يسمى بالحروب المحدودة . وذلك هو
السبب فيما نعانيه من ضياع لسلامكنايات
الاقتصادية الهائلة للولايات المتحدة في سبيل ذلك
الحفاظ على استمرار ازدهار جهاز الدولة من
خلال الاستعداد للحرب » .

ويتناول روبرت هولت استاذ علم النفس في
جامعة يويورت والمختص في قياس الشخصية
أفكار زملائه معقبا بقوله « أخشى أن يكون الدكتور
جون قد اقتفى حطى الكثيرين من زملائنا الاطباء
العقليين في استخدام مصطلحات مثل المرضي
والبارانويا مما قد يوحي بأن ثمة شيئا مرضيا في
المجتمع نفسه . واعتقد أن الدكتور كوروفرا قد طرح
بعض حقائق بالغة الفائدة والاقناع ، وهي تشير إلى
أن الدافع الكامن وراء ذلك الاتجاه نحو التركيز
الشديد على الدماغ في مواقف يكون فيها المرء قويا
بالفعل - وهو السلوك المميز لحالات
البارانويا - إنما هو دافع اقتصادي في جوهره .
بمعنى أن القوى غير المنظورة التي تحركه إنما
تتمثل في دافع الربح لدى صانع الأسلحة الذي
يحتل مكانة مرموقة في المجتمع » .

أما روبرت آلن المعالج النفسي واستاذ علم
النفس والتربية في جامعة ميامي فإنه يقدم نقدا
ذاتيا ثوريا حقيقيا حين يقول « لا أظن أن الذين
يشاركون بوعي في قتل تلك الاعداد الهائلة من
الرجال ، والنساء والاطفال في فيتنام سوى قلة
ضئيلة من أبناء هذا الوطن . ورغم ذلك فأننا نحن
جميعا الذين اعددنا لذلك الذي يحدث . أن ما
يجري اليوم إنما يتم باسمنا وبتدعيمنا وبدولاراتنا
التي ندفعها كضرائب ، وباصواتنا الانتخابية ، ولم
يكن ممكنا أن يحدث كل ذلك بدوننا . أنه لم يكن
ليحدث الا اذا اعددنا الناس ، واعددناهم جيذا ،
بحيث يرون انفسهم مجرد اشياء تؤثر في اشياء
أخرى . واعتقد أن علماء النفس ، والاطباء
العقليين ، وأولئك المشتغلين بالعلوم الإنسانية قد
اسهموا اسهاما جوهريا في هذه العملية ، وذلك عن
طريقين : الأول من خلال المشاركة الفعلية .
والثاني وهو الأكثر أهمية من خلال الصمت
والاذعان » .

حركة ثورية في العلوم الإنسانية

وكان موضوع الندوة المسائية « النضالات من
أجل التحرر » معناها ، ومشاكلها وفرص
نجاحها ، ويصف فيورشتاين من ضمتهم الندوة
بأنهم « من الذين لم يعطوا لقضايا نضالهم وقتهم »

وطاقتهم ، وجهدهم فحسب ، بلّ الذين كثيرا ما غامروا بحريتهم الشخصية وبسلامة اجسامهم ، بل وحتى بحياتهم نفسها فى بعض الاحيان »

ولقد اتفق المتحدثون فى تلك الندوة على اداة حرب فيتنام ، وعلى اداة الممارسات غير العادلة والتمييزية السائدة فى المؤسسات الاجتماعية القائمة . ولكنهم اختلفوا كثيرا فى اقتراحاتهم للحلول التى تراوحت من التغييرات الفردية الجزئية الى ضرورة تغيير النظام بكامله تغييرا ثوريا .

واستهل الندوة فرائد كولينز وهو من علماء النفس العاملين فى مجال الخدمة المدرسية ومن المتخصصين فى سيكولوجية النمو بكلمة بالغة العنف قال فيها « انكم يا علماء النفس قد بعتم انفسكم لشارع ماديسون افينيو . لقد بعتم انفسكم لكى يتمكن الجيش من دفع الشبان الصغار الى الشعور بانهم على ما يرام بعد استدعائهم للتجديد ووضعتهم انفسهم كلية فى خدمة العسكرية . لقد آن الوقت بالنسبة لنا جميعا لكى ندخل مرحلة سؤال النفس لننتبين ما الذى نفعله ، ولماذا نفعله ، ولنتأكد من أن ما نفعله يسهم حقا فى بناء عالم افضل » .

ولم تكن هذه الندوة قاصرة على علماء النفس المتخصصين ، فلقد ضمت عددا من المهنيين والطلبة . ولقد وقف الطالب جيف جوردون قائلا « اننى اريد السلطة . لا اريدها لنفسى ، بل اريدها باعتبارى جزءا من الجماهير الشعبية فى هذا العالم بأسره . اعتقد أن العالم ينقسم الى معسكرين رئيسيين : معسكر العمال ، ومعسكر مضطهديهم . وأظن انه يجب على علماء النفس التحالف مع الطبقة العاملة ومن خلال ذلك التحالف يمكن الاستيلاء على السلطة وتدمير المضطهدين . ان ذلك يعنى أنكم تقاتلون من أجل السلطة ليس على الناس أن يتوافقوا مع هذا المجتمع بل يجب عليهم القضاء عليه » .

واشتركت فى المناقشة فلورانس كيندى وهى محامية مدنية ، فقالت « اذا ما كان الجانب الاكبر من النقود يذهب الى غير مكانه الصحيح كفيتنام مثلا ، فانها لمضيعة للوقت أن نجلس لتتحدث بحثا عن المكان الصحيح الذى ينبغى أن تذهب اليه تلك النقود . ان علينا جميعا أن ننصرف الى البحث عن وسيلة تمكنا من قلب النظام بحيث يمكن أن تذهب الـ ٣٠ بليون دولار التى يأخذها البنتاجون الى مكان آخر أكثر ملاءمة . وانى لامل شخصيا أن يتزايد سعى الطلبة نحو السلطة أكثر فأكثر ، وأن يستخدموا قوتهم فى قلب ذلك النظام الذى يخضعهم للقمع ولغسيل المخ » .

ويتحدث الطالب قيل براون قائلا « ان جذور الاعراض المرضية انما تكمن فى الرأسمالية وشكلها الامبريالى المتطور . ان مناقشة الاشياء قد تكون امرا رائعا ، ولكنكم ما لم تضعوا كل ذلك فى صيغته الاقتصادية والسياسية فانه يصبح بلا جدوى على الاطلاق واذا ما كنا سيكلوجيون حقا ، فلنتجمع ولننظر معا الى الامور نظرة شاملة . ان الحل هو اسقاط النظام عن طريق الثورة ، وجعل المجتمع صالحا للحياة ، بدلا من البقاء فى مجتمع غير صالح للحياة . ان على المجتمع أن يتوافق مع الناس وليس العكس » .

ويختتم المؤتمر اعماله وينفض اعضاءه ، ويختتم فيورشتاين مقاله قائلا « ما زلنا فى حاجة الى تقييم دقيق لذلك المؤتمر التاريخي . ولعله من السابق لاوانه تقييم نتائجه تقييما دقيقا ، فليس لدينا حاليا سوى اسماء ما يقرب من ٢٥٠ مساهما من علماء وطلبة علم النفس الذين ابدوا تفهما للحاجة الى الربط الوثيق بين القضايا الاجتماعية الهامة كحرب فيتنام وبين القضايا والمشكلات السيكلوجية والاجتماعية الاخرى ، وللحاجة الى وضع معرفتهم فى خدمة الاستخدام البناء والمسئول من أجل صالح الجماهير . وفى وقت كتابة هذا المقال تستمر مجموعات دراسية عديدة فى مناقشاتها ، او فى وضع الخطط لتنظيم قادتها ، او فى تنفيذ مشروعات تتراوح من معارضة نظام الصواريخ المضادة للصواريخ الى النضال ضد العنصرية فى المدارس وفى المجتمع » .

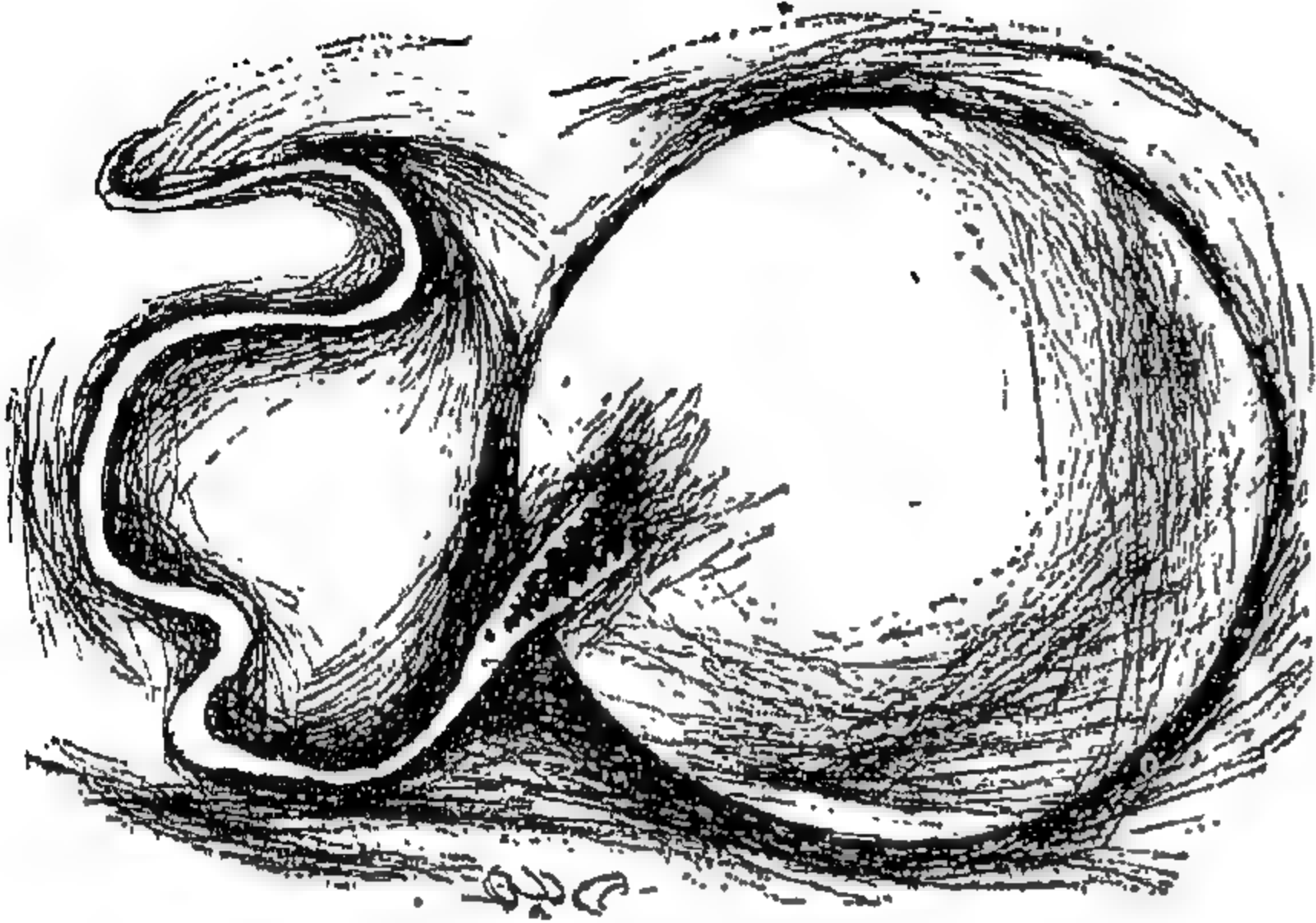
بقيت ملاحظات ثلاث :

اولا : ان تلك الحركة الثورية داخل صفوف علماء النفس الامريكيين لا يمكن فهمها اطلاقا بعيدا عن النضال الثورى المسلح للشعوب الفيتنامي . ذلك النضال الذى مازال يستنزف الولايات المتحدة دما ومالا . فمن الاحساس بعبء ذلك الاستنزاف انطلقت تلك الحركة الثورية وغيرها أيضا .

ثانيا : ان تلك الحركة الثورية داخل صفوف علماء النفس الامريكيين انما هى جزء من حركة ثورية اوسع نطاقا تشمل العلوم الانسانية جميعا ، وتسير على نفس النهج تقريبا .

ثالثا : ان ذلك كله لايعنى بحال ان اعضاء منظمة علماء النفس الامريكيين من أجل النضال الاجتماعى يمثلون اتجاه علماء النفس الامريكيين جميعا . فهم ليسوا سوى قلة ضئيلة منهم على اى حال ولكنها قلة تمثل ظاهرة تتعارض مع ما يمكن أن يكون لدى بعضنا من اتجاه نحو اطلاق التعميمات الشاملة على علم النفس الامريكى كله وعلى علماء النفس الامريكيين جميعا .

اسرائيل والنظام الدولي الراهن :



المغزى الحقيقى
لوثيقة السوق
حول مشكلة
الشرق الأوسط

د. جميل مطر

رئيس الوحدة السياسية
بمركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية
بالأهرام

يرى أن الوثيقة تعد نصرا سياسيا لوجهة النظر
العربية (٢) دفعت الى تبنيها المواقف الايجابية
للسياسة الخارجية المصرية ، الى اتجاه يمثله
رجال الحكم فى اسرائيل وأجهزة الاعلام فيها ،
ويقول بأن الوثيقة مزعجة وتأتى فى وقت غير
مناسب (٣) وأنها من احياء وضغط فرنسا (٤)

الاراء والتعليقات نحول النقاط
الاربع التى أقرها مجلس السوق
الاوربية المشتركة فى ١٤ مايو
سنة ١٩٧١ (١) ، وهى النقاط
التي تعرض الراى الموحد لدول السوق تجاه
مشكلة الشرق الأوسط . فمن اتجاه

تعددت

- (١) نشرت صحيفة « دى فيلت » التى تصدر فى ألمانيا الغربية فى عددها الصادر بتاريخ ٢١-٧-١٩٧١ النص
الفرنسى لما أسمته بوثيقة السوق الاوربية المشتركة ، وقالت ان الدول الستة قد اتفقت على النقاط الاساسية
التالية : -
أ - انشاء مناطق منزوعة السلاح بين اسرائيل وجاراتها . . ومناطق عازلة فى بعض المناطق ، ومراقبة وحدات من
قوات الأمم المتحدة على أن يعهد مجلس الأمن تشكيلها وأماكن مراقبتها فى هذه المنطقة لفترة أولية لا تقل عن خمس
سنوات .
ب - انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى التى احتلت فى النزاع الاخير على أن تجرى تعديلات طفيفة فى الحدود
التي كانت قائمة قبل هذا النزاع فى حالة توصل الاطراف المختلفة الى اتفاق .
ج - الموافقة على التدويل الإدارى لمدينة القدس داخل الاسوار والاماكن المقدسة .
د - اتخاذ اجراءات بصدد حل مشكلة اللاجئين وخاصة انشاء لجنة تعمل على أن توفر للاجئين حرية الاختيار بين العودة
وبين الإقامة فى دول أخرى وتشرف فى الحالة الاولى على شروط قبولهم فى اسرائيل وفى الحالة الثانية على دفع
التعويضات على أن يتم فى الحالين تعويض اللاجئين عن الاضرار التى لحقت بهم .
[راجع باب الوثائق - الطليعة عدد ديسمبر ١٩٧١ - مناقشات الجمعية الاستشارية للمجلس الاوروبى] .
[٢] انظر على سبيل المثال شوقي مصطفى « فرنسا تتعرض لحملة صهيونية عاتية بعد وثيقة السوق المشتركة عن
الشرق الأوسط » الاهرام « القاهرة ١٣-٨-١٩٧١ ص ٤ .
[٣] من تصريح لآبا ايبان [لوموند باريس ١٤-٥-١٩٧١] .
(٤) انظر دافار ١١-٥-١٩٧١ ، ٢١-٥-١٩٧١ ، هانسوفيه ١١-٥-١٩٧١ ، ها آرتس ٩-٥-١٩٧١ ، ميسارييفا
١٢-٥-١٩٧١ .

الى اتجاه يقول بأنها جاءت نتيجة تمسوية Compromise تمت بين محور ايطاليا وفرنسا من جهة ومحور المانيا ودول البنيولوكس من جهة اخرى . لعبت فيها قضيتا الامن الاوربي وانضمام بريطانيا الى السوق دورا هاما (٥)

الا ان الاخذ بواحد أو أكثر من هذه الآراء وحدها كأساس لشرح وثيقة السوق قد يؤدي الى استبعاد أو تجاهل اعتبارات أخرى لا تقل أهمية ، وبدونها قد يصبح من المتعذر تقييم جملة الدوافع والنتائج بالنسبة لجميع الأطراف التي تتعلق بها هذا القرار . لذلك يصبح من الضروري ان يبحث في الأبعاد الحقيقية لوثيقة دول السوق أن يتجاوز حد النظرة الضيقة والتفسيرات المبسطة ، رغم أهميتها في كثير من الأحيان ، وأن يقوم بدراسة دوافع صدور الوثيقة وأبعادها في إطار مجموعة التغيرات والتحولات التي يجتازها النظام الدولي والدور الذي تسعى المجموعة الأوروبية لتحقيقه داخل هذا النظام ، وهو نوع من الدراسة يسهل للباحث التكهّن بتحديات وبدائل الموقف الذي سيواجه إسرائيل نتيجة بزوغ هذا النظام الجديد . وبالتالي يساعد على اكتمال صورة الأوضاع المقبلة أمام المسؤولين عن عملية صنع القرار السياسي في مصر .

تطور النظام الدولي

النظام الدولي هو تعبير يطلق على مجموعة التفاعلات والقواعد الدولية (٦) . والنظام الدولي كغيره ، من الأنساق الاجتماعية نسق متكامل وتتربط أجزاؤه ، وبالتالي فأى تغيير جذري يطرأ على أحد أجزائه يتبعه بالضرورة تغيير في بقية الأجزاء أي في النظام ككل ، وبقدر حدة التغيير في هذا الجزء يكون عمق التحول في النظام الدولي ، فتغير ما في جزء من الأجزاء قد يؤدي الى تغيير وقتي في النظام يعود بعدها

الى حالته السابقة ؟ بينما يؤدي تغيير أشد عنفا الى تحول كامل للنظام الدولي (٧) . ويقدم القرن التاسع عشر العديد من الأمثلة عن الحالة الأولى ، فقد ظل نظام توازن القوى الدولي قائما رغم حدوث عشرات من التغيرات في كثير من أجزائه كالثورة الفرنسية وحروب نابليون والثورة الصناعية والتحولات الاجتماعية الكبرى (٨) . هذا بينما تضرب الحرب العالمية الأخيرة المثل على الحالة الثانية حين تسعها تحول كلي في النظام الدولي ، من نظام توازن القوى الى نظام الاستقطاب الثنائي الدولي ، وقد مر هذا النظام بمرحلتين ، مرحلة الحرب الباردة ومرحلة التعايش السلمي ، الأولى : بدأت ملامحها الرئيسية تبرز بأزمة برلين عام ١٩٤٨ وانتهت بانتهاء أزمة كوبا عام ١٩٦٢ (٩) وتتميز المرحلة الثانية بتقارب واضح بين القطبين الكبيرين ، وبدء ظهور علامات تشير الى أن النظام الثنائي قد دخل مرحلة تحول هامة . من هذه العلامات حدوث الصدع الخطير في العلاقات الصينية السوفيتية ونجاح عملية التكامل الاقتصادي لدول السوق الأوروبية المشتركة وتفكك دول عدم الانحياز وبدء الانحسار الثوري في دول العالم الثالث .

ومنذ ذلك الحين والجدل مستمر بين علماء السياسة حول مؤشرات مرحلة التحول التي يمر بها العالم بين نظامين وحول طبيعة النظام الدولي الناشئ . وقد دار أغلب الحوار في شكل دراسات نظرية اهتم بها علماء السياسة الذين رفضوا الدراسة الكلاسيكية للعلاقات الدولية القائمة على منهج القوة والتوازن والنظريات الاخلاقية والواقعية ، الا أنه بمرور الوقت ، وباقتناع صانعي السياسة في دول الغرب بأن نظاما دوليا جديدا يوشك أن يبرز وأن عددا من الدراسات النظرية قد استطاعت

[٥] لمعلومات مفصلة عن المراحل التي مرت بها مناقشات ممثلي دول السوق ومؤسسات المجموعة الأوروبية بهدف الوصول الى رأى موحد حول أزمة الشرق الأوسط انظر الاهرام [القاهرة] ١٩-١٢-١٩٧٠ . والوثائق المنشورة بالطبعة - عدد ديسمبر ١٩٧١ .

Jewish Chronicle (London), 21/5/1971.

[٦] راجع :

Morton Kaplan, System and Process in International Politics. (New York : 1957) ; ; Oran Young, Systems of Political Science. (Princeton : 1958).

Charles Mclelland, Theory And The International System (New York : 1966) .

Kaplan, op. cit.

[٧] انظر

[٨] انظر

Richard Rosecrance, Action and Reaction in World Politics : International Systems in Perspective. (Boston : 1963).

Oran Young, The Politics of Force (New Jersey : 1968).

[٩]

التنبؤ بالظروف التي ستدفع لنشأته اندفعوا يشجعون هذا النوع من الدراسات بهدف التنبؤ بأهم ملامح النظام الناشئ للاستعداد له ولتكييف سياستهم الخارجية وفقا لما قد يتطلبه هذا النظام .

ولا شك أن من أبرز الأمثلة على هذا التطور هو تحول كيسنجر ، عالم العلاقات الدولية ومستشار الرئيس نيكسون ، كمنظر ومناصر للحرب الباردة واستراتيجياتها (١٠) ، وأكثر المحذرين من خطورة تحول النظام الدولي القائم على الاستقطاب الثنائي ، ليصبح ليس فقط كعالم سياسة بل أيضا كواضع سياسة داعية لدخول الصين النظام الدولي مقدما بذلك الدليل الحاسم على اعتراف الولايات المتحدة ببدء تحول النظام الدولي .

النظام الدولي ومشكلة

الشرق الأوسط

يلفت النظر أن علماء السياسة العرب ، وخاصة هؤلاء الذين كتبوا عن أزمة الشرق الأوسط ، لم يحاولوا دراسة مشاكل المنطقة في ضوء مجموعة التفاعلات الدولية والتحويلات التي تجرى في النظام الدولي . والهدف الذي يمكن الحصول عليه من هذا النوع من الدراسة لا يكون بالضرورة البحث عن أنماط سلوك دولي تساعدنا على التنبؤ بالمستقبل بقدر ما هو محاولة فهم وشرح الأبعاد الحقيقية لمشاكل المنطقة ووضعها الصحيح ضمن إطار التفاعلات الدولية والاقليمية الأكثر شمولاً واتساعاً . فقد لا يختلف علماء السياسة في أهمية دراسة أوضاع النظام الدولي العربي وقت قيام دولة إسرائيل ، أو دور بريطانيا في هذا المجال ، إلا أنه من المهم أيضا دراسة طبيعة النظام الدولي الذي نشأت في ظله إسرائيل وكان نظاما في دور النشأة ولامحه

الرئيسية لم تكن قد برزت بعد . وبنفس الأهمية وبمقارنة هذا النظام الناشئ بشكله المكتمل خلال الخمسينات والذي حدثت في ظله أحداث عام ١٩٥٦ ، يتضح للدارس الآن أن عدم اكتمال شكل النظام الدولي خلال ظروف قيام دولة إسرائيل كان من أهم العوامل التي ساعدت على قيامها . إذ من ناحية لم توجد في ذلك الحين مجموعة الدول الصغرى التي لم تحصل على استقلالها إلا في الخمسينات والتي لعبت دورا هاما في الحقبة التالية .

ومن ناحية أخرى كان الاعتقاد السائد هو أن النظام الدولي الذي انبثق عن الحرب العالمية الثانية سيأخذ شكل نظام القطب الواحد Unipolar International System ، وهو الاعتقاد الذي ساد حتى تأكدت حيازة الاتحاد السوفيتي للقبلة الذرية وقامت النظم الاشتراكية في دول شرق أوروبا .

إن أحد الأخطاء الجسيمة التي ارتكبتها كل من فرنسا وبريطانيا في عام ١٩٥٦ ، هو أنهما خرقتا قواعد نظام دولي محدد وواضح المعالم ، فتجمعت ارادة القطبين الدوليين لاجبار الدولتين « المنحرفتين » على احترام هذه القواعد (١١) ، الأمر الذي دفع إسرائيل لأن تعيد على الفور رسم سياستها الخارجية لتتفق وقواعد النظام الدولي ملقية بثقلها تجاه الولايات المتحدة أحد القطبين العملاقين في ذلك النظام . ولم تمض أعوام قليلة حتى بدأ تغير في التفاعلات الدولية بين العملاقين وحل التعايش محل الحرب الباردة ، وهو التغير الذي أضر بشكل غير مباشر بالحركة الثورية العالمية التي كانت تجتاح دول العالم الثالث ، فبدأ مع بداية سياسة التعايش تفقر تدريجي لارادات الدول الصغرى وضعفت مجموعة دول عدم الانحياز وانهار عدد من قياداتها تحت ضغط الولايات المتحدة التي انتهزت فرصة سياسة التعايش

[١٠]

- Henry Kissinger, « American Strategic Doctrine and Diplomacy » in Michel HoWard, ed. The Theory and Practice of War (London : 1965).
- Nuclear Weapons and Foreign Policy (New York 1969) ;
 - The Necessity for Choice : Prospects of American Foreign Policy (New York, 1961) ; The Troubled Partnership (New York, 1966).
 - A Reappraisal of the Atlantic Alliance (New York, 1965).
- Kaplan, op. cit. E. Haas « Toward Controlling International Change : A Personal Plea » World Politics 17 (Oct. 1964) 1-12.

[١١] في هذا المعنى انظر « محمد حسنين هيكل » تأملات حول الصراع الكبير .
[٢] التضاريس في الطبيعة وفي السياسة - الإهرام [القاهرة] مارس سنة ١٩٧١ .

وتفكك الكتلة الاشتراكية في أعقاب الصدمة الذي أصاب العلاقات السوفيتية الصينية (١٢) .

في ظل هذه الظروف المواتية ضربت إسرائيل ضربتها ضد مصر والأردن وسوريا في عام ١٩٦٧. كما فعلت في فلسطين في عام ١٩٤٨ أي تحت نظام دولي يمر في مرحلة النشأة ، وهي مرحلة تنسم بالسيولة والميوعة ، مرحلة تنعدم فيها أو تكاد ارادات الدول الصغرى وتنشغل فيها الدول الكبرى في محاولات لتحديد اطرارات التفاعلات الدولية والاهداف السياسية ، ويسود العلاقة بين القطبين خليط من المنافسة والتواطؤ (١٣) ، تصعب عنده تحديد حقوق والتزامات أي منهما .

المعنى الحقيقي لوثيقة دول

السوق الأوروبية المشتركة

اختلفت الاراء حول مدى نجاح دول السوق الأوروبية المشتركة في تحقيق الوحدة السياسية وفي ابعاد بزوغها كقوة سياسية مؤثرة في النظام الدولي . وترجع هذه الاختلافات في الرأي الى اختلاف المناهج والتعاريف السياسية التي يأخذ بها أو يستعملها كتاب السياسة . فمن

ناحية يصل عالم السياسة الأمريكي كارل دوتش Karl Deutsch في دراسته عن غرب أوروبا

الى نتيجة مؤداها أن عملية التكامل الاوربي قد توقفت نهائيا في عام ١٩٥٨ (١٤) وذلك لان التكامل في نظره هو خلاصة التفاعلات Transactions التجارية والسياحية والثقافية ، أي ان التكامل حسب رايه هي مسألة علاقات تتم في اطار مغلق الأمر الذي لا يتفق وطبيعة العلاقات الدولية التي تتم داخل اطار أوسع من التأثيرات والتفاعلات المتبادلة والمتشابكة . من ناحية أخرى هناك علماء سياسة درسوا الوحدة الأوروبية بمقاييس مختلفة ، منها توحد تصور Unified Perception صانعي السياسة بالنسبة للمشاكل الدولية (١٥) أو تزايد الشعور بالأوروبية بين القادة السياسيين والجيل الناشئ (١٦) ، أو بمدى الاحساس بوجود خطر خارجي مشترك (١٧) .

ويقدم عالم السياسة الألماني Dahrendorf مقياسا جديدا ، وهو درجة التأثير في النظام الدولي (١٨) ، أي تأثير مجموعة التكامل أو الوحدة على جملة التفاعلات الدولية وأنماط السلوك الدولي ، ويضرب « داهر ندورف » المثل على ذلك بالاعلان الصادر عن دول أمريكا اللاتينية في بيونس آيرس ، والذي يوضح أن هذه الدول تجد في توثيق علاقاتها بدول مجموعة السوق ضمانا

[١٢] عن احتمالات الانتقال من مرحلة الحرب الباردة الى مرحلة من التقارب والتعايش السلمي من الخطاب الذي القاه الرئيس جمال عبد الناصر في المحلة الكبرى في ٨-٨-١٩٥٩ والذي قال فيه : « .. نحن حينما نأمل ان تنتهي الحرب الباردة .. من اجل الانسانية ومن جل مساعدة الدول المتخلفة نرحب بأي تقارب بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي على الا يكون هذا التقارب على حساب الدول الصغرى » مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر [القسم الثاني] فبراير ١٩٥٨ - يناير ١٩٦٠ [القاهرة ١٩٦٠ ص ٦٣٢ .

[١٣]

Couve de Murville, «A Role for Europe in the Shadow of the Giants», The Times (London), 8/3/1971.

[١٤]

Karl Deutsch et al, France, Germany and the Western Alliance, (New York 1967); Political Community Organization in the Light of Historical Experience (New Jersey, 1957).

[١٥]

Amitai Etzioni, «A Paradigm for the Study of Political Unification» World Politics, (15 Oct. 1962), 44-74; Stanley Hoffman «Obstinate or Obsolete» in J.S. Nye, International Regionalism, (Boston : 1968).

[١٦]

Inglehart, «An End to European Integration?» APSR, 61, No. 1 (March 1967), 91-105.

[١٧]

Stanley Hoffman, op. cit., E. Hass, The Uniting of Europe : Political, Economic and Social Forces 1950-1957 (Stanford : 1958); K. Deutsch et al, Political ...op. cit.

[١٨]

R. Dahrendorf, «Possibilities and Limits of an European Community's Foreign Policy world Today (April 1971)' 143 — 161 ,

المتضادين ورسم قاداتها سياستهم الخارجية على أساس ضرورة أحداث تحول جذري في النظام الدولي يضمن استقلال أوروبا ويجعل لها صوتا في المجال الدولي .

لقد كان تصور القادة السياسيين الاوروبيين الداعين لفكرة أوروبا الموحدة ، وعلى رأسهم **ديجول** ، يدور حول الاعتقاد بأن مصلحة أوروبا هي في أضعاف نظام الاستقطاب الثنائي الدولي خاصة بعد دخوله مرحلة التعايش السلمي ، وهي مصلحة تتفق مع مصالح الدول الناشئة في العالم الثالث . ولذلك فلم تكن سياسة فرنسا في منتصف الستينات ، سواء بالنسبة لشروط فرنسا لانضمام بريطانيا أو بالنسبة لدور ونفوذ حلف الاطلسي ، أو بالنسبة لانفتاحها على دول العالم الثالث ، سوى انعكاس لهذا التصور . لم تدع للاستغراب إذن الحملة السياسية التي شنتها الولايات المتحدة على سياسة ديغول وتعاطم الخلاف بين سياسة الديمقراطية المسيحية الألمانية الإيطالية من جهة والديجولية من جهة أخرى ، ولم يكن مستغربا كذلك تلاقى وجهات نظر الديجولية مع الكثير من الاتجاهات السياسية في العالم الثالث .

الا أن افتقار المجموعة الأوروبية الى وحدة تصور بالنسبة للنظام الدولي لم يستمر طويلا ، وبدأت وجهات نظر دول السوق تلتقى تدريجيا خاصة خلال العامين المنصرمين ، وساعد على ذلك استقالة **ديجول** من جهة وتولى **فيلي براندت** الحكم في ألمانيا الغربية من جهة أخرى . الأمر الذي خلق نوعا من تشابه التصور بالنسبة للنظام الدولي بصفة عامة ، وبالتالي مهد الطريق نحو وحدة الرأي بالنسبة لأهم المشكلات الدولية الراهنة (٢٢) ، وفي مقدمتها مشكلة فيتنام والأمن الأوربي والشرق الأوسط . ولم يكن من قبيل الصدفة أن تكون أزمة الشرق الأوسط هي

وتأكيدا لاستقلالها ، والمتتبع لعلاقات السوق بدول العالم الثالث بالذات يلحظ أن المثل الذي ساقه العالم الألماني ينطبق على كثير من دول هذه المناطق ، فهذه الدول ترى في ظهور أوروبا كقوة دولية وفي توثيق علاقاتها معها تحقيقا لهدف أساسي وهو الهروب من واقع الثنائية الدولية والسعى من أجل بزوغ نظام دولي جديد يحقق لهذه الدول حرية الحركة والأمن والاستقلال (١٩) ، ومما لا شك فيه أن مجموعة السوق قد استطاعت أن تؤثر بإيجابية وفاعلية ليس فقط في السياسات الخارجية لدول كثيرة بل في سياساتها الداخلية أيضا ، فقد اتخذ صانعو السياسة ومخططو اقتصاديات هذه الدول عدة قرارات تتعلق بالتركيب الاقتصادي لدولهم حتى يتمشى مع تطور اقتصاديات السوق ، والأمثلة كثيرة على هذا التدخل غير المباشر ، وقد تكفى هنا الإشارة الى « السياسة الاقتصادية الجديدة » **NEP** التي نفذتها حكومة إسرائيل في عام ١٩٦٣ (٢٠) ، وأثار محاولة انضمام بريطانيا الى السوق في داخل بريطانيا ذاتها والتغيرات الاقتصادية الأخيرة في استراليا ونيوزيلندة ويوغوسلافيا ورومانيا والأرجنتين والبرازيل .

خلاصة القول ، أن مجموعة السوق كقوة دولية ذات تأثير قد أصبحت حقيقة واقعة ، وأن السوق كوحدة صار له من القوة والنفوذ الدولي ما يفوق بمراحل قوة ونفوذ الأعضاء المكونين له . إلا أنه ظلت تنقصه حتى وقت قريب وحدة التصور ووحدة الرأي بالنسبة للمشكلات الدولية الراهنة ، وهي الصعوبة التي عانى منها السوق طويلا بسبب اختلاف وجهات النظر لقادة ألمانيا الغربية وقادة فرنسا ، إذ بينما لعبت ألمانيا دور « المستسلم » **Resigner** للسيطرة الأمريكية ، وما يتبع ذلك من اعتناق لمبادئ واستراتيجيات الحرب الباردة وسياسات التكتل والتحالف العسكرية لعبت فرنسا دور « المقاوم » **Resister** (٢١) لكلا المعسكرين

Ibid.

[[١٩]]

(٢٠) انظر :

S.Z. Abramov. « Israel's New Economic Policy » Midstream 8 (Spring 1962), 3-15 ; Shaul Zarchi, « Israel's New Economic Policy » New Outlook, (5 June 1962), 112-117.

انظر أيضا ترجمة لنص خطاب ليفي اشكول في الإذاعة الإسرائيلية في ٩-٢-١٩٦٢ عن السياسة الاقتصادية الجديدة وعلاقتها بالسوق الأوروبية المشتركة في :

Middle Eastern Affairs (13 March 1962), 84-89.

S. Hoffman, op. cit.

(٢١) انظر :

(٢٢) مازال فكرة الحرب الباردة تسيطر على عدد من القادة السياسيين في ألمانيا الغربية بالذات في الوقت الذي تم انحسارها أو كاد في أغلب دول الغرب ، انظر على سبيل المثال :

F.J. Strauss, « Assymetry and inequality Beetween the Forces of East and West Europe ». The Times (London) 29/3/1971.

المشكلة التي يختارها قادة ومفكر السوق ليتخذوا بشأنها موقفا محددا يكون بمثابة الاعلان عن بدء مباشرة المجموعة الأوروبية لمسئولياتها في النظام الدولي بإيجابية ، وفي نفس الوقت يكون بمثابة اثبات واقع ، أن النظام الدولي يتجه فعلا نحو تحول جذري سيغير من جملة قواعده وتفاعلاته . لقد تغيرت بالفعل الكثير من التفاعلات والقواعد الدولية خلال الاعوام الأخيرة ، وهي التغيرات التي أدت الى أن تصبح مشكلة فيتنام مشكلة ثانوية بالنسبة للمجموعة الأوروبية وأن تخطو مشكلة الأمن والتفاهم الأوروبي خطوات سريعة نحو الحل ، هذا بينما يزداد تعقد مشكلة الشرق الأوسط مقترنا في نفس الوقت بتبدل في اسبقيات اهتمامات القطبين الكبيرين في النظام الدولي ، إذ تفرض طبيعة مرحلة التحول أن يتركز اهتمامها بصفة أساسية حول التفاعلات والقواعد الدولية الناشئة .

اسرائيل والنظام الدولي الناشئ

ان عداء اسرائيل للتجمعات الإقليمية اقتصادية كانت أو سياسية أمر طبيعي . فاسرائيل نفسها لا تنتمي الى أي تصنيف دولي أو إقليمي أو حضاري واضح . ومحاولتها الانتماء الى تصنيفات متعددة ومتباينة في آن واحد يكشف هذه الحقيقة ، فقد حاولت وتحاول أن تنتمي حضاريا الى مجموعة الدول بالغة النمو ، في نفس الوقت الذي تقدم نفسها للدول النامية كدولة ناشئة في طريق النمو (٢٣) ، وبينما تحاول أن تثبت أحقيتها في عضوية نظام إقليمي يضم دول الشرق الأوسط

تطرح نفسها على مجموعة السوق الأوروبية كدولة أوروبية (٢٤) . ومن ناحية أخرى رسمت اسرائيل سياستها الخارجية على أساس مبدأ الضغط على كل دولة من داخلها أو باستخدام الولايات المتحدة كقطب دولي له نفوذ واسع على توابعه في النظام الدولي . هذا المبدأ يصعب تنفيذه بالنسبة للعلاقات مع المجموعات الاقتصادية والسياسية الدولية ، فهذه المجموعات تفرض بطبيعتها والأساليب المتبعة فيها في صنع القرارات على مستوى المنظمة أو المجموعة قيودا وقواعد تحد من نفوذ عناصر الضغط المحلية داخل كل عضو من الأعضاء المكونين للمجموعة ، وتنشئ بدلا من ذلك جماعات ضغط جديدة مرتبطة بمصالح المجموعة ككل ، وهي مصالح غالبا ما تكون أكثر شمولا وأبعد مدى عن المصالح داخل الدولة العضو (٢٥) وبالتالي يتركز اهتمام الدول الخارجية عن المجموعة على سياسة الكل وليس الجزء ، الأمر الذي يحتم بالضرورة انشاء مجموعات تكامل سياسي واقتصادي بين الدول الخارجية تستطيع بإمكانياتها أن تعمق قوة تأثيرها وضغطها .

لذلك فأيضا كانت طبيعة النظام الدولي الناشئ (٢٦) ، ومهما قيل من قوى الضغط الصهيونية في دول غرب أوروبا فالنظرة الأولى تؤكد أن التحول في النظام الدولي لن يكون في صالح اسرائيل . ان لحظة سريعة على الدول الخارجية التي سترتبط بمجموعة السوق اقتصاديا أو سياسيا بشكل مباشر أو غير مباشر تكفي للدلالة على أهمية هذا التحول بالنسبة لمشكلة الشرق الأوسط . فالى جانب الدول الست أعضاء السوق

[٢٣]

Michael Brecher, *The New States of Asia, A Political Analysis*, (London : 1968).

[٢٤] أنظر مثلا تصريح بنحاس سابير وزير التجارة والصناعة أثناء حفل أقيم تكريما للوفد الألماني الأوروبي في عام ١٩٦٢ ومنه قوله « ان روابطنا مع أوروبا روابط سياسية ، فسلوك هياتنا واتجاهاتنا الثقافية والاجتماعية تجعلنا جزءا من أوروبا .

Israel Digest, 2/3/ 1962.

[٢٥]

L.M. Lindberg, «Decision-Making and Integration in the European Market» in Nye, op. cit., — *The Political Dynamics Economic Integration*. (New Haven, 1963)

Andrew Shonfield, «Europe as a World Power», *Daily Telegraph*, (London) 10/8/1971, p. 12.

[٢٦] بالنظر الى طبيعة ودينامية المرحلة التي يمر بها النظام الدولي حاليا يمكن التكهّن — بحرص شديد — بشكل النظام الدولي الناشئ . لقد اندفع الكثير من المعلقين السياسيين الى الكتابة عن هذا النظام تحت تصور أنه نظام متعدد الاقطاب يشبه بشكل او باخر نظام توازن القوى الذي صار حتى بداية الحرب العالمية الثانية . ولكننا نميل الى تصور هذا النظام كنظام يجمع بين ملامح نظامي الاستقطاب الثنائي والاستقطاب المتعدد . يستند هذا التصور عدة اعتبارات أساسية أهمها ضخامة المخزون من الأسلحة النووية والمصاريف عابرة القارات لسدى كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبعد المسافة التقنية التي تفصلهما عن الاقطاب الناشئين . ان مدى ونوعية استقرار النظام الدولي الناشئ او احتمالات تحوله ستحددها عوامل حاسمة أهمها قدرة الاقطاب الناشئين على تضيق هوة التسليح والتقدم العلمي والتقني ، والدور الذي ستلعب به الاقطاب للدول الصغرى ان تلعبه او ترفضه .

المؤسسين تنقسم بريطانيا والدانمرك وأيرلندة والنرويج وهؤلاء سيريطنون بدورهم بعجلة السوق بقية أعضاء منظمة التجارة الحرة ، يضاف اليهم ٢١ دولة أفريقية مفتية الى السوق طبقا لاتفاقيتي باوندي الموقعة في ٢٩ - ٧ - ١٩٦٩ واروشا الموقعة في ٢٤ - ٩ - ١٩٦٩ . كل هؤلاء بالإضافة الى ٨ دول من الكومنولث ودول في منطقة البحر المتوسط حصلت على اتفاقيات تفضيلية مع السوق أى بمجموع كلى يزيد عن ٥٨ دولة .

وليس أدل على أهمية هذه القوة الناشئة من تتبع الحوار الذى دار فى بريطانيا حول مسألة الانضمام . اذ بينما كانت الحكومات البريطانية السابقة تدعو للانضمام مستخدمة حججا اقتصادية لتكسب تأييد الراى العام البريطانى ، نرى حكومة المحافظين الحالية تركز على المزايا السياسية للانضمام (٢٧) . ان صانع السياسة البريطانى فى هذه الفترة الحاسمة التى يجتازها النظام الدولى ليدرك تسام الادراك ان النظام الدولى الناشئ كنظام دول أو مجموعات « عملاقة » لن يحسب لبريطانيا المنعزلة حسابا ، وأنه من الأفضل لبريطانيا أن تصبح جزءا من مجموعة « عملاقة » عن أن تسيروها وتحكم تصرفاتها وسلوكها الدولى قواعد نظام لابد لها فى وضعه أو المشاركة فيه . لا غرابة اذن فى موافقة بريطانيا المسبقة على وثيقة السوق بشأن أزمة الشرق الاوسط قبل اقرارها فى مجلس وزراء السوق .

خاتمة

ان الضجة التى تثيرها اسرائيل حول وثيقة السوق اذا نظرنا اليها كرمز لمباشرة أوروبا لمسئولياتها الدولية فى ظل نظام دولى متطور ضجة لها ما يبررها للأسباب التالية :

(١) ان الوثيقة تضعف — ان لم تكن قد قضيت فعلا على — أمل اسرائيل فى الانضمام الكامل أو المنتسب الى المجموعة الأوروبية ، قدخول اسرائيل السوق يجعل المجموعة الأوروبية طرفا فى نزاع مع مجموعة اقليمية (مجموعة الدول العربية) لها وزنها الدولى مهما قبل عن عدم نضجها السياسى والاقتصادى .

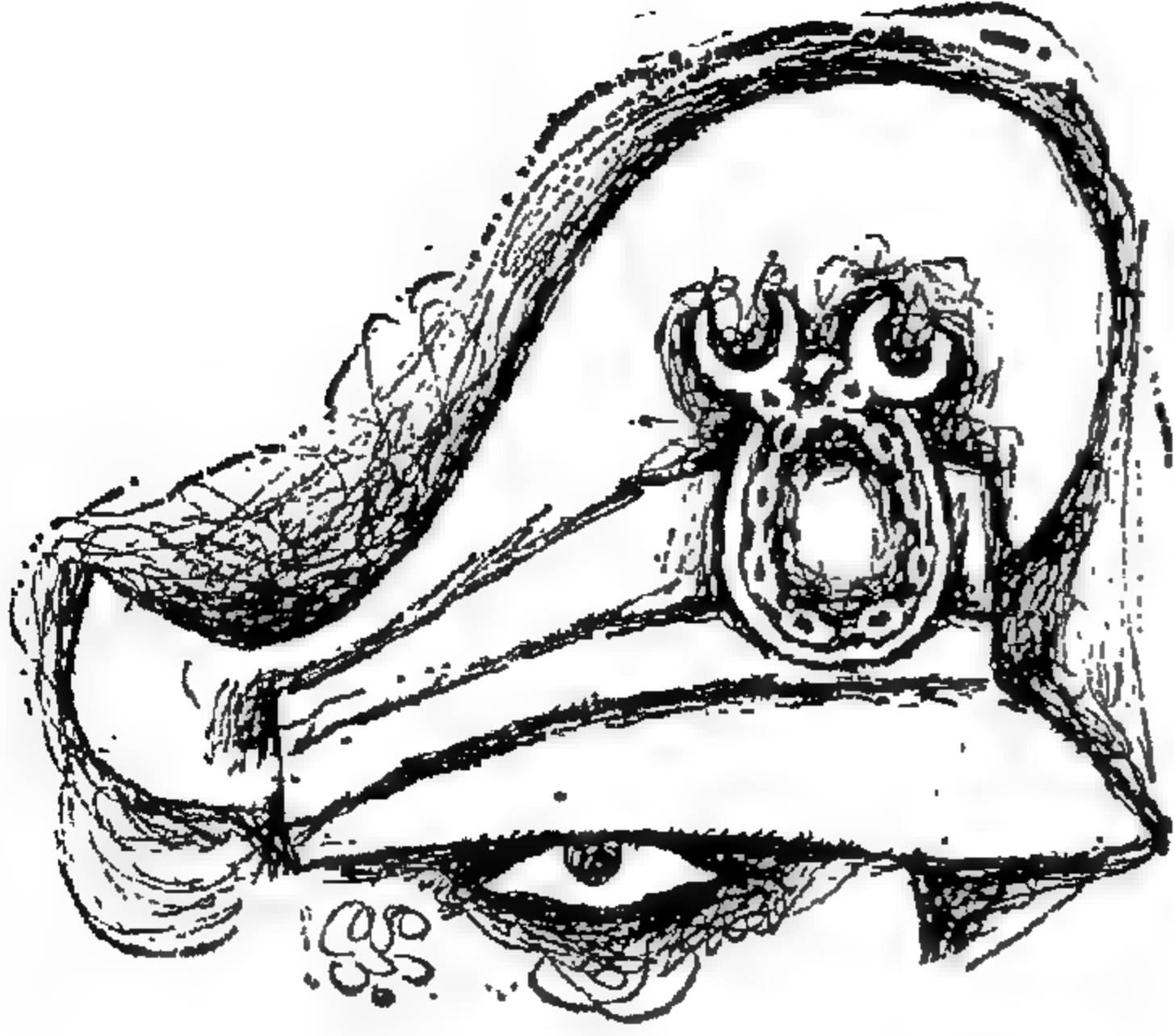
(٢) انها تعنى بدء عهد جديد فى العلاقات الدولية وهو عهد الدول « القارية » أو المجموعات

السياسية « العملاقة » كما أنه يعنى بالنسبة لاسرائيل بدء النهاية بالنسبة لعهد سيادة العلاقات الدولية الثنائية التى كانت ولا زالت أساس من أسس سياسة اسرائيل الخارجية ، واسرائيل فى ظل هذه الظروف تصبح فى وضع لا تحسد عليه ، فعزويتها مرفوضة لأسباب أساسية من النظم الاقليمية الدولية ، وخاصة النظام العربى الدولى وهو النظام الذى تنتمى اليه جغرافيا . ومن جهة أخرى فان نوعية علاقاتها الثنائية بدول ستصبح أو صارت بالفعل طرفا فى مجموعة اقليمية ستأخذ مركزا ثانويا تحت ضغط المصالح الكلية لهذه المجموعة . والمثل الذى يقفز الى الذهن فوراً هو الجدل الدائر فى ألمانيا حول مستقبل العلاقة القائمة بين اسرائيل وألمانيا الغربية .

(٣) ان الوثيقة فى حالة تأخر حل أزمة الشرق الاوسط — تمثل سابقة بالنسبة للقوى « العملاقة » الأخرى التى تشق طريقها الى مراكز الاقطاب فى النظام الدولى الناشئ فلن تتوقف الصين أو اليابان عند حد ابداء الراى فى المشاكل الدولية بل سيطالبان بحقوقهما فى المشاركة الايجابية، فهذه المشاركة تعنى بالنسبة لهذه الدول أمرين فى وقت واحد ، الامر الاول اثبات مركزها الدولى . والامر الثانى كسب امكانيات ومجالات نفوذ جديدة بين دول العالم الثالث . والنتيجة الطبيعية لهذا الاتجاه هو نقل مشكلة الشرق الاوسط من اطارها الحالى الى اطار جديد تخضع فيه لعمليات تسوية وتراض على نطاق أوسع من النطاق الراهن فى ظل نظام الاستقطاب الثنائى .

(٤) انها تجسد فشل محاولات اسرائيل ليس فقط فى كسب أوروبا الى صفها فى الصراع العربى الاسرائيلى ، بل حتى « تحييدها » بمعنى حرمانها الحق فى المشاركة الفعلية فى حل النزاع ، وهو الأمر الذى فشلت أيضا فى تحقيقه مع مجموعة الدول الافريقية .

لهذه المعانى والاعتبارات — وغيرها — حاولت اسرائيل قدر طاقتها أن تمنع صدور وثيقة دول السوق المشتركة حول أزمة الشرق الاوسط التى رأت فيها من الدلالات ذات الخطورة ما يتعدى ما احتوته من مبادئ وعبارات ، ليمس بصورة مباشرة مستقبل الكيان الاسرائيلى فى عالم يتجه نظامه الدولى نحو الكيانات السياسية الكبرى وما يستتبعه من تغيرات فى التفاعلات والقواعد الدولية .



الديمقراطية

في
دولة
العالم
الثالث

د. رفعت السعيد

برغم

كل ما كتب وما قيل حول تجربة الديمقراطية في دولة العالم الثالث ، تظل هذه القضية بكل ما تحمله من تعقيدات محط الاهتمام والتركيز ، ومحورا للكثير من النقاش .

ذلك ان استقراء النتائج - السلبية والايجابية - التي توصلت اليها الكثير من تلك الانظمة التي اصطلح على تسميتها بالعالم الثالث تدفعنا الى الاعتقاد الجازم بأن قضية الديمقراطية وتفهم السلطة لها وقدرة هذه السلطة على معالجتها معالجة صحيحة تبثل العنصر الحاسم في مستقبل هذه التجارب ، وتؤثر تأثيرا بالغ الخطر في مدى قدرة هذه الانظمة على أداء مهامها سواء الوطنية او الثورية

وثمة عوامل تاريخية وموضوعية قد جعلت من قضية الديمقراطية محطاً لتعقيدات شديدة في دولة العالم الثالث :

• فالكثير من هذه الانظمة قامت اما في مجتمعات خالية تقريبا من تقاليد العمل السياسي الحزبي والممارسة الديمقراطية ، مثل تلك الدول التي تفترز مباشرة من مستوى دولة مستعمرة

او تابعة الى دولة تقدمية وثورية تحاول ان تبني طريقا جديدا للتقدم الاجتماعي مثل بعض الانظمة التي قامت في افريقيا . واما ذات تقاليد للعمل السياسي والحزبي والديمقراطي تجسد بالنسبة للجماهير صورة اليمه وملينة بالتشوهات .

مثل مصر ... التي بالرغم من ان تاريخها الحديث يتضمن تجارب وخبرات غاية في الخصوبة والثراء حول الممارسة الديمقراطية ، وبالرغم من ان التيار الليبرالي فيها قد خط لنفسه - في وجه صعوبات بالغه - تقاليد هامة لحرية الصحافة وحرية الانتماء الفكري والحزبي والعقائدي الا ان عزلة هذه التقاليد عن جماهير الشعب المصري واقتصرها على دائرته الخاصة ، بالإضافة الى ما ارتكبه الكثير من الساسة القدامى من اخطاء على المستوى الشخصي والسياسي معا ، كل ذلك ادى الى نشوء احساس لدى البعض بالنفور من تجربة الماضي - محاولة لوصفها بالعقم والتكرار لما حققته من منجزات

• كذلك فان الكثير من هذه التجارب قد قام كنتاج لتمرد ثوري في البناء القوي للمجتمع ، اقصد انها قامت من خلال انقضاخ على شكل

السلطة القديمة قامت به إحدى مؤسسات هذه السلطة وهي القوات المسلحة .

ومثل هذا التكوين يفرض بذاته على القائمين عزله نابعة — ليس فقط من تكوينهم العسكري وإنما أيضا من انفرادهم بالقيام بالانتفاضة الثورية وتحملهم لمخاطرها وأعبائها وحدهم دون مشاركة من الجماهير أو من أى من القوى والأحزاب السياسية الأخرى .

• ثم أن الكثير من هذه الأنظمة كانت تتمسك على القوالب القديمة للحكم وترفض الانخراط فى سلكها ، لكنها وفى نفس الوقت — وربما بنفس القدر — لا تتقبل التطوير الجذرى والحقيقى لأنظمتها .

وينجم ذلك عن المنطق الطبقي لقادة هذه الأنظمة ، فهم ضد الامتاع وكبار الملاك العقاريين وكبار الرأسماليين وضد أسلوبهم فى الحكم وضد « ديمقراطيتهم » — أن صح هذا التعبير — وضد تسلطهم الطبقي ، لكنهم أيضا ليسوا من أبناء الطبقة العاملة ومن ثم تقوم لديهم — وهذا طبيعى تماما — تحفظات عديدة ضد أسلوب الطبقة العاملة فى الحكم وضد « ديمقراطيتها » .

إن مسافة — ما — تفصل بين قادة هذه الأنظمة وبين الطبقات الاستغلالية القديمة ، لكن ثمة مسافة أيضا تفصل بينها وبين الطبقة العاملة .

ولسنا بحاجة الى الإشارة الى أنه كلما تباعدت المسافة بينهم وبين الطبقات الاستغلالية كلما اقتربوا من فكر ومنهج واسلوب الطبقة العاملة . والعكس صحيح تماما .

ومن هذا الموضع الطبقي ، تنجم كل التعقيدات والتضخيمات التى تلف هذه التجارب وتحوطها بهالات من التعقيد والفوضى .

• ولأن قادة هذه الأنظمة يشعرون بالغربة عن الطبقات الحاكمة القديمة ، فانهم يزيحونها من السلطة ويطاردونهم ويصفنون نفوذهم السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، لكنهم وفى نفس الوقت يشعرون بنوع من « الالفة » و « التقارب » مع الكثير من « العناصر المساعدة » داخل الجهاز القديم .

ذلك أن التناقض الذى يبدو حادا وعنيفا ضد الطبقات الاستغلالية تخبو حذته أمام الجهاز البيروقراطى — الذى لا يختلف فى تكوينه الطبقي كثيرا عن القادة الجدد ، والذى اكتسب مهارات خاصة فى التلون ومسايرة كل جديد أو التظاهر بمساييرته .

وتبع من ذلك ؟ أن كثيرا من قادة هذه الأنظمة لم يدركوا الفارق الموضوعى بينهم وبين جهاز الدولة القديم واكتفوا بترميمه أو ترقيعه ، بضم أعداد من العسكريين السابقين الى صفوفه ، غير أن مثل هذا الضم — الذى يتم تحقيقا لأهداف شتى ليس من بينها على أية حال اصلاح الجهاز الإدارى أو تطويره — لا يؤدى الى اصلاح الجهاز القديم ، وإنما يؤدى الى تحويل هذه العناصر الوافدة اليه الى بيروقراطيين جدد كل اختلافهم عن البيروقراطيين القدامى انهم محصنون ، تحميهم علاقاتهم وارتباطاتهم القديمة .

وهكذا وفى ظل غيبة العمل السياسى المخطط والمنظم بهدف تغيير الجهاز الإدارى تغييرا جذريا ، اكتسب هذا الجهاز حصانة ومناعة ضد أية محاولات جماهيرية لاصلاحه أو تطويره ، ومن ثم فإنه وفى كثير من الأحيان يصبح واحدا من الحواجز التى تعوق التطوير الديمقراطى لهذه الأنظمة .

• كذلك فان عددا من العوامل التى سبقت الإشارة اليها ، وخاصة تصور التجارب الحزبية القديمة ، وطبيعة تكوين قادة الأنظمة الجديدة قد دفعت كثيرا من هؤلاء القادة الى عدم أدراك الأهمية القصوى للعمل السياسى بين الجماهير . لقد رفعوا شعارات جيدة ، وقاموا بأعمال مجيدة ، ولكن من خلال « قرارات سلطة » وليس من خلال تحركات جماهيرية .

ولقد ظلت مسألة العمل السياسى الجماهيرى وتحريك الجماهير على الدوام المحور الذى تحوم حوله كثير من هذه الأنظمة محاولة دوما أن تتفاداه

وفى بعض الأحيان كان تشكيل هياكل بديلة توحى بوجود النشاط السياسى دون أن تسمح بوجوده فعلا هو الحل الأمثل فى نظر عدد من هؤلاء القادة . ذلك أن هذا المعض قد وجد أن قيام مؤسسات سياسية أو تشريعية فعالة وذات نفوذ حقيقى سوف يسلبه — الى حد ما — حرية اتخاذ القرار .

ولما كان القرار — الذى يتخذه هو فى اغلب الأحيان — قرار ثورى — فقد كان من اليسير أن يقتنع القائد نفسه بأنه إنما يطبق نوعا جديدا من « الديمقراطية » تفنن الكثيرون فى إطلاق تسميات مغرية عليه ، لكنه ظل على الدوام نوع شاذ من الديمقراطية يرفض التفاعل مع القوى الطبقيّة القائمة .

ولقد شاع هذا النوع من « الديمقراطية » وأغضب الكثيرون أمينهم عن انتقاده بل تفننوا فى

ايجاد المبررات النظرية له طالما ان ما يقرره من قرارات كان ثوريا وتقديميا .

وهكذا تردد الدفاع عن هذا النوع من « الديمقراطية » كثيرا على السنة العديد ممن افترض فيهم الدفاع عن ضرورة ارساء قواعد ديمقراطية حقيقية ، ناسين ان مثل هذا الاسلوب « اللاديمقراطي » وان افرز في بعض الاحيان قرارا او قرارات ثورية ، فانه وبالضرورة سوف يفرز مناخا فاسدا سوف يؤثر على الشكل العام للسلطة وعلى علاقاتها بالقوى الثورية وبالجماهير وسوف يؤثر ايضا تأثيرا سلبيا على هذا « القرار الثوري » ذاته وعلى امكانيات تطبيقه . ذلك ان اهم اركان اي قرار ثوري هو المشاركة الحية للجماهير في صنعه ، وفي حمايته وفي وضعه موضع التطبيق .

نخلص من ذلك الى ما نتصور انه القانون الاول الذي يحكم قضية الديمقراطية في دولة العالم الثالث وهو « ضرورة تواجد المؤسسات وممارستها لسلطاتها الكاملة كبديل لفردية التصرف والحكم » . لكن هذا القانون يطرح تساؤلا هاما هو **مؤسسات لمن ؟**

والجواب النظري الذي يقدم على الفور ومن كافة الاطراف واضح وموحد « مؤسسات تمثل طبقات التحالف ، اي الطبقات المناهضة للاستعمار والرجعية والراغبة في بناء دولة حديثة ومتقدمة ومتطورة دوما في طريق التقدم الاجتماعي » .

لكن التعريف النظري شيء والتطبيق العملي شيء آخر ...

ذلك ان التكوين العام للسلطة الجديدة قد اتاح الفرصة في بعض التجارب لفئة من فئات هذا التحالف ان تستولي دون غيرها على كل او معظم ثماره وان تمتد نفوذها وسيطرتها وتفرض ممثليها على السلطتين التنفيذية والتشريعية والاجهزة السياسية والادارية معا . والحقيقة ان الاسلوب الذكي والبالغ الدهاء الذي انتهجته الطبقة الوسطى في كثير من هذه الانظمة يستحق دراسة متأنية وعميقة ، فهي لم تكن تقبل اسلوبا ولا منهجا ولا قرارات السلطة لكنها لم تقاوم ولم تعارض وانما اكتفت بالتظاهر بالرضاء والثناء وترديد كل شعارات السلطة الجديدة ، مدركة بذكاء نادر ان اية مقاومة منها لن تثمر الا المزيد من الالتحام بين النظام الجديد والجماهير الكادحة .

وهكذا كبتت الطبقة الوسطى معارضتها مكتفية بتسليق الجديد ومحاولة احتوائه .

وبدا الامر وكأنه سباق غريب ...

السلطة الجديدة بكل ما يجيش به صقورها من رغبة في التغيير تستصدر القرارات الثورية تلو الاخرى وتقترب بذلك اكثر فاكثرا من الجماهير الكادحة ، والطبقة الوسطى تتسلم هذه القرارات بين يديها لتفرغها من مضمونها او لتحولها الى مكسب خاص بها وحدها ...

وهكذا وفي البداية بدا ان هناك تناقضا خطيرا هو ان السلطة الجديدة تدعو للاستراكية وتحاول اقامة عدد من المنجزات المتلائمة مع دعوتها هذه لكن تسلط الطبقة الوسطى على اجهزة الادارة والتنفيذ والحكم والسياسة قد جعل المحاولة وكأنها « بناء للاستراكية بغير الاشتراكيين » ...

ثم استمر السباق ... ومع كل تقدم تحرره الطبقة الوسطى تنعزل عن صفوف التحالف اكثر فاكثر جموع العمال والفلاحين اكثر فئات هذا التحالف ثورية وايجابية وحرصا على مكتسبات النظام ، وتؤدي هذه العزلة بدورها الى مزيد من تفرد الطبقة الوسطى بالنفوذ الاكبر في المؤسسات ، الامر الذي يؤدي بدوره الى مزيد من اخساس جماهير العمال والفلاحين بالفربة من هذه المؤسسات ...

بل ويتطور الامر الى درجة ان كثيرا من القرارات الثورية التي اتخذتها السلطة قد اصبحت مرتعا خصبا لتحقيق مزيد من الثراء غير المشروع وغير المنطقي لهذه الطبقة الوسطى . وهكذا تدرج الامر ليصبح ائبه بمحاولة « لبناء الاشتراكية لغير الاشتراكيين »

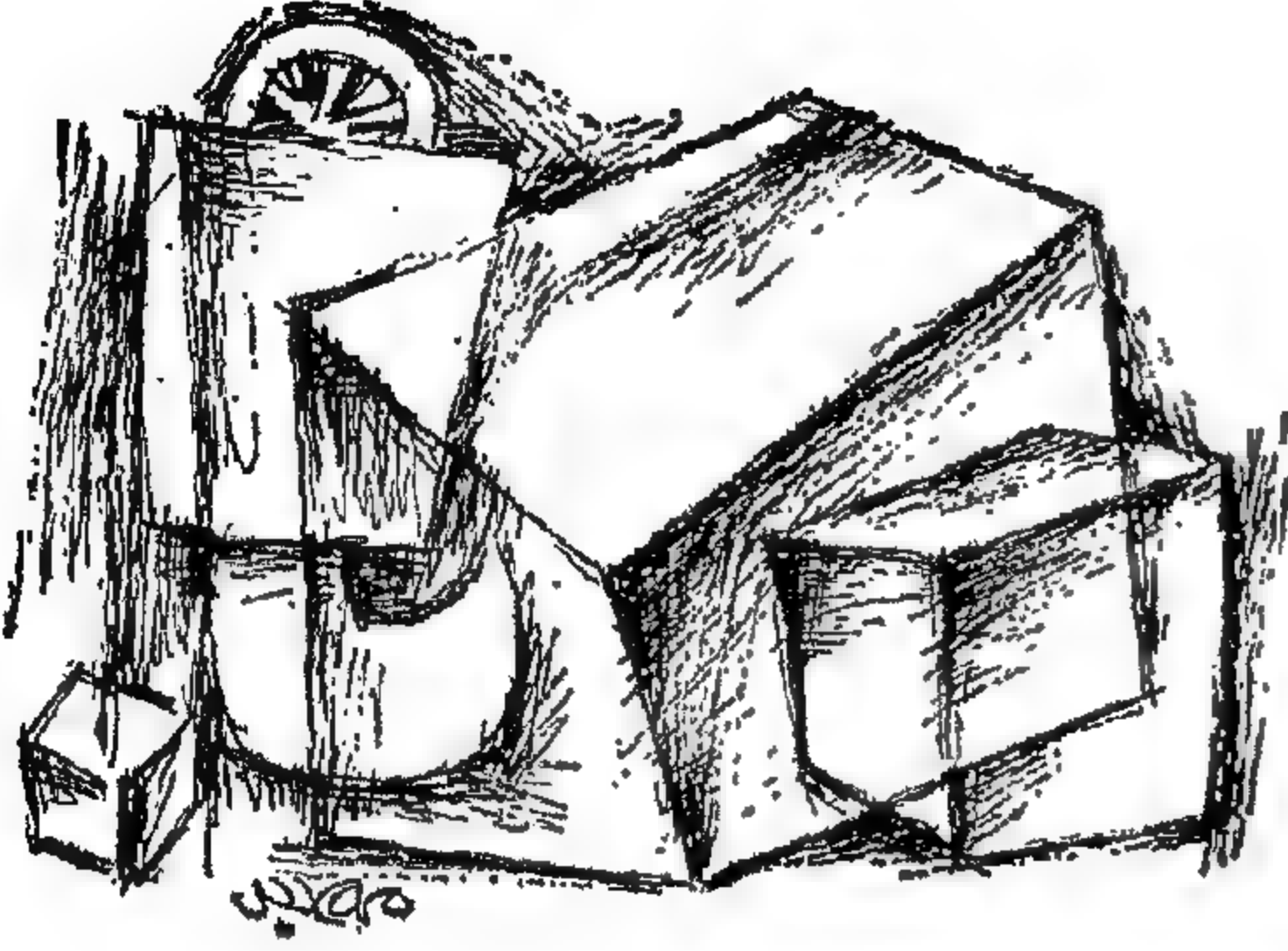
وهكذا نصل الى ما نتصور انه القانون الثاني في هذه القضية وهو « ضرورة ان تكون المؤسسات جميعا بما في ذلك المؤسسات التنفيذية والادارية ممثلة تمثيلا حقيقيا لقوى التحالف ، كل بقدر ثقلها الاجتماعي وبقدر مصلحتها في عملية التغيير الثوري » .

ويعنى ذلك بالتحديد المزيد من التمثيل للعمال والفلاحين الحقيقيين في مختلف منابر السلطة . ولست اعتقد اننا بحاجة الى تكرار كلمات سبق ان قيلت اكثر من مرة حول ضرورة « التمثيل الحقيقي للعمال والفلاحين » والاكان ذلك تعريزا لمواقع الطبقة الوسطى .

وبعد ...

فان مناقشة قضية الديمقراطية لم تعد ترفا فكريا يتداوله المثقفون فيما بينهم ، وانما اصبحت مسألة ملحة وحاسمة ومطلبا جماهيريا واسعا ، ذلك انه على الموقف منها يتحدد الى درجة كبيرة مستقبل الكثير من انظمة العالم الثالث ، وقدرتها على البقاء في الطريق الصحيح . □

خطة



مضاعفة

الدخل

القومي

في ضوء الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية

عادل حنين

الى التوقف طويلا ، فقد حسم في مصر هذا الامر ، وزالت ركائزه المادية والطبقية المتمثلة في الاحتكارات الامبريالية ، وفي كبار الملاك وكبار الرأسماليين المحليين .

● والنظرة الثانية لمسألة التنمية هي من خلال الاسلوب الاشتراكي . واصحاب هذه النظرة يزددون اصرارا على نظرتهم وموقفهم مع القفزات المذهلة للثورة العلمية والتكنولوجية في العالم . فهم يدركون آثارها الكبيرة على تطور الانتاج والادارة في الدول المتقدمة .. وهم يدركون ان تقاعسنا عن اللحاق بهذا الركب سيزيد الهوة بيننا وبين عالم الثلث الاخير من القرن العشرين .. وهو بالتالي يؤثر تأثيرا شديدا على قدرتنا في مواجهة التحديات الخارجية ، وعلى اسهامنا الحضارى .. وأخيرا على مستوى المعيشة .

وقد استخدمت كلمة « أخيرا » بالنسبة لمستوى المعيشة [رغم أهميته] ، لانه من الواجب ان نذكر ان ارتفاع متوسط الدخل السنوى للفرد لا يصلح

الآن دراسات حول تفاصيل الخطة العشرية لمضاعفة الدخل القومي . وفي الحقيقة كان قرار مضاعفة الدخل القومي خلال السنوات

العشر من أبرز الاهداف التي حددها برنامج العمل الوطنى ، وهو هدف ضرورى وممكن ، رغم ظروف العدوان .. ولكن من الحقائق المعروفة ان التنمية المخططة ليست مجرد مجموعة من المشروعات المتكاملة ، وليست مجرد حسابات متوازنة ، على الورق . فالبحث في خطط التنمية ثم ممارسة التنمية بالفعل ، مسألة لها جوانبها الاجتماعية والسياسية والايدولوجية .. ومالم تتناول نظرتنا ، ومالم يتناول نفسنا ، كل هذه الجوانب ، فان الاهداف الاقتصادية للتنمية تظل آمالا تقصر عن الوصول اليها .

فكيف ستكون نظرتنا الشاملة لكل هذه الجوانب خلال السنوات العشر القادمة ؟

● هناك نظرة تعبر عن نفسها في اسلوب التنمية الرأسمالية التقليدى .. وهي نظرة لا تدعو

— وحده — دليلا على أننا بلقنا مستقوى الدول المتطورة . ففي العالم العربى توجد بعض الدول المصدرة للبترول ، التى تنافس الولايات المتحدة فى ارتفاع متوسط الدخل السنوى للفرد . . ولكن لا يعنى هذا انها أقرب الى الدول المتطورة من مصر أو الهند . . بل الصحيح اننا أكثر اقترابا من هذه الدول .

فالدخل المرتفع فى الدول العربية المصدرة للبترول لا يتحقق بجهد انتاجى وتنظيمى ، ولكن باستنزاف الثروة القومية . . وهو أمر يشبه حال صاحب الارض الذى يحيا فى مستوى معيشى مرتفع من خلال بيعها فدانا فدانا . . انه لا يعيش على دخله ، ولكنه يأكل راسماله !

نحن نهدف الى الارتفاع بمستوى معيشة شعبنا ، ولكن من خلال استخدام مواردنا القومية فى استثمارات تزيد انتاجنا ودخلنا الحقيقى .

والان . . اذا كان الاسلوب الراسمالى عاجزا عن تحقيق هذا . . فلماذا ينجح الاسلوب الاشتراكى ؟ . . المسألة ببساطة اننا نواجه نقصا فى رؤوس الاموال المتاحة ، وفى الخبرة الفنية ، كما نواجه ضغوطا خارجية [عسكرية وسياسية واقتصادية] ، تسمى الى اعاقتنا ومحاصرتنا .

١ — واذا كان الفائض الاقتصادى — بحكم دخلنا المنخفض — محدودا . . فأننا لا يمكن ان نزيد معدلات الاستثمار الا باجراءات تمنع تبديد جزء من هذا الفائض المحدود فى أوجه الانفاق الترفى .

ومن المفروض ان اجراءات التأميم والاستيلاء على اراضى كبار الملاك تساعد على تحقيق هذا الهدف ، لان هذه الطبقات كانت مسئولة عن تبديد جزء من الفائض الاقتصادى ، فى أوجه انفاق ترفى (قصور — حفلات — أسفار — تحف . . الخ) ولذلك فانه من المفروض ان يؤدي استيلاء الشعب على المصادر الاساسية للثروة ، واستردادها لعوائد تملكها . . المفروض ان يؤدي ذلك الى زيادة الفائض الاقتصادى المتاح للاستثمار .

٢ — ولا شك ان الراسماليين لم يكونوا مجرد اناس يبنون القصور . . فقد عملوا أيضا لاقامة مشروعات انتاجية وخدمية ، ولكن اختيار هذه المشروعات كان يلهث خلف الربح السريع ، ولذلك تم التوسع — فى معظم الحالات — فى اتجاهات غير مطلوبة أو غير ملحة . واذا ظلت سلطة اتخاذ القرارات لتحديد مشروعات التنمية فى يد اصحاب رؤوس الاموال ، أو خاضعة لتأثيرهم . .

فان هذا الاتجاه لن يتغيرا جذريا . بحيث تحدد اولويات الاستثمار وفق نظرة قومية بعيدة المدى . . والطريق الاشتراكى — من خلال التأميم والقطاع العام — هو القادر على خلق مركز واحد يقرر ويطبق استراتيجيات قومية للتنمية ، تتجه الى المشروعات الكبيرة والصناعة الثقيلة ، رغم مصاعب التنفيذ والتشغيل . . ويغض النظر عن احتمالات الربح والخسارة فى المدى القصير .

٣ — ولا ينبغي ان ننسى انه حتى — فى حالة تعبئة كل المدخرات للتنمية — يظل حجم هذه المدخرات محدودا ، وفى حالة تعبئة واستخدام كل الكادر الفنى والإدارى استخدامها كاملا ، سيظل حجم هذا الكادر قليلا ، وهذا يؤكد ضرورة التخطيط الشامل والدقيق ، فهو وحده الذى يؤدي الى ترشيد الاستخدام للموارد المحدودة ، ويقلل الفاقد الى أدنى حد .

واسلوب التخطيط الشامل لا يمكن تنفيذه بدون نظام اقتصادى يضع فى يد الدولة امكانيات القيادة الفعلية لكافة أوجه النشاط الاقتصادى . وعلى رأس هذه الامكانيات قطاع عام يتحكم فى مفاصل الاقتصاد القومى .

٤ — تعبئة المدخرات وزيادتها لن يتحقق فقط من خلال التأميم والاستيلاء على ارض كبار الملاك . . ولكن ينبغي ان تفرض قيود على زيادة الاستهلاك ، سواء أثناء اجراءات نقل الملكية وما يصاحبها من اعادة لتوزيع الدخل ، أو أثناء التوسع الاقتصادى بالتنمية . . فاذا زاد الدخل القومى بمعدل سنوى قدره ٧ ٪ [على سبيل المثال] ، ينبغي ان يدخر جزء كبير من هذه الزيادة وينتجه الى الاستثمار .

ويعنى هذا [على سبيل المثال أيضا] ان معدل الاستهلاك السنوى لن يزيد أكثر من ٤ ٪ أو ٥ ٪ ، واذا أخذنا فى الاعتبار ان المعدل السنوى للزيادة السكانية ٢.٨ ٪ ، فان معنى هذا ان الزيادة السنوية لاستهلاك الفرد لن تكون كبيرة . . وهو اعتراف قاس لاننا نبدا من مستويات استهلاكية بالغة الانخفاض ، بالنسبة للجماهير الكادحة . ولكن لا يوجد حل لهذه المسألة الا بأن نحتمل . . بل ان شرح هذه الحقيقة أمام الجماهير المتطلعة الى تحسين معيشتها ، سيؤكد اقتناعها بأنها مطالبة بمضاعفة الجهد . . لانه بدون تنمية سريعة ، لا يمكن — بالحساب الواضح والارقام القاطعة — ان تحسن مستواها المعيشى تحسينا جذريا .

ومن الحقائق المعروفة ان كافة المجتمعات لم تعبر « عنق الزجاجية » فى التنمية ، الى « مرحلة

الطريق الثالث

● وقد ظهرت في مصر — خلال الستينات — أي بعد التأميمات — نظرة تختلف لمسألة التنمية ، وقد أعلن أصحاب هذه النظرة عن أنفسهم تحت اسم « الاشتراكية العربية النابعة من واقعنا » أو « الطريق الثالث » .

وأصحاب هذه النظرة من روافد مختلفة ، وأستبعد منهم هنا بعض حسنى النية الذين رفعوا شعارى « الاشتراكية العربية » و « الطريق الثالث » دون وعى بأهداف الاصحاب الحقيقيين لهذه الشعارات .. وقد حاول هؤلاء تصوير الخلاف بينهم وبين أصحاب النظرة الاشتراكية العلمية ، على انه يكمن — أساسا — في الخلاف حول دور القطاع العام ، فزعموا ان الاشتراكيين العلميين يطالبون بتأميم كل شئ ، بينما يطلبون هم بقاء مجال لنشاط القطاع الخاص .. وفي الحقيقة لم يكن هذا أبدا محلا لخلاف ، فالاشتراكيون العلميون لم يتكلموا أبدا عن تأميم الارض الزراعية ، وتصفية كل النشاط الخاص في الصناعة والتجارة . والخلاف الحقيقي يكمن في فهم طبيعة العلاقة بين « الانظمة » التي تحكم النشاط الاقتصادي ، وتعايش فيه جنبا الى جنب .

دعاة الطريق الثالث كانوا قلقين — بدرجة أو بأخرى — لتزايد الحجم والدور الذى مارسه القطاع العام ابتداء من شهر يوليو سنة ١٩٦١ ، وقد عملوا بأشكال مختلفة لتبسيط الدور القيادى للقطاع العام .. وعملوا بالتالى على اعاقا التخطيط الشامل للتنمية .. والحقيقة أن مثقفى هذا الفريق يدركون بمطالعاتهم ومشاهداتهم مدى التخلف الاقتصادى الذى يعيشه العالم النامى ، ومن بينه مصر ، ولكن رغم أنهم قد يجتروا حديثا مليئا بالامس من خطورة التخلف الاقتصادى ، فإنهم يصرحون بأننا لا نستطيع — من الناحية العملية — تحقيق معدلات التنمية التى نتحدث عنها [٧٢ ٪ سنويا] .. وقد عبروا عن هذا الرأى صراحة ، وتحت ضغوطهم ، وضغوط ممثلهم في الدولة ، سادت اتجاهات انكماشية في التنمية ، بعد الخطة الخمسية الاولى لعدد من السنوات .

ان ما يجمع هؤلاء الناس في نظرة واحدة — بعيدا عن التفاصيل التى قد يختلفون حولها — هو أنهم بأسلوب انتاجهم الفردى (في القطاع الخاص) أو بأسلوب حياتهم وتفكيرهم (في القطاع العام وبين المثقفين) لا يقدر — من تلقاء أنفسهم — على احتمال مشاق الطريق الطويل للتنمية الجادة ، وهم ينظرون الى القضية من

الانطلاق « ؟ بغير ضيق على الاستهلاك » . والفارق في تجارب المجتمعات هو : هل يتحمل الجميع — بدرجة أو بأخرى — مشاق هذه المرحلة ، أم تتحملها الجماهير الكادحة وحدها ؟ .. ان نوع الاجابة المقدمة لهذا السؤال حاسم في تحديد المسار . وهل هو اشتراكى أم رأسمالى [تقليدى أو غير تقليدى — وسأعرض لهذا الاخير بعد قليل] ، ذلك انه اذا كانت الاشتراكية تعنى الآن في المجتمعات المتقدمة المشاركة في الرفاهية وفي ثمار مجتمع « الاستهلاك الكبير » فان الاشتراكية في الدول النامية تعنى المشاركة في احتمال المصاعب وفي ثمار كل تقدم يتحقق — مهما كان صغيرا في المرحلة الاولى — حسب جهد كل فرد وعمله .

هذا البذا جزء لا يتجزأ من الاسلوب الاشتراكى في التنمية ، والاخلال به يمنع التنمية السريعة ، رغم أى تأميمات ، ومهما كان حجم القطاع العام ، ورغم أى محاولات للتخطيط .

x فهذا المبدأ له أهمية معنوية ، والاهمية المعنوية طاقة تتحول الى مزيد — يمكن حسابه — من الانتاج المادى .. فمرحلة التنمية الصعبة — كالمعارك العسكرية — تلعب المعنويات دورا أساسيا في حسمها .. فالإيمان بأن معركة التنمية معركة وطنية مصيرية .. والاحساس بالعدالة ، والتقدير الموضوعى لكل جهد يبذل .. عناصر بالغة الاهمية لاندفاع الجماهير الى الخلق والابداع والتضحية بلا حدود .. ولا يعنى هذا تحقيق مساواة كاملة ، هذه خرافة ، بل هو ظلم .. ولكن المطلوب هو ان يكون التفاوت في الدخول والامتيازات في نطاق معقول . ومن المطلوب كذلك ان يكون التفاوت فعلا على أساس الكفاءة والجهد .

x وبالإضافة الى الاهمية المعنوية لهذا المبدأ .. فإنه هام أيضا لتحقيق الاستقرار الاجتماعى والسياسى اللازم للتخطيط الطويل المدى .. بل وهو ضرورى في مواجهة المؤامرات الخارجية التى لا تغفل أبدا ، والتى تتربص لاي ثغرة من القلق والتوتر بين طبقات الشعب العامل ، كى تنفذ الى جبهتنا الوطنية وتخربها .

x ومن ناحية ثالثة ، فإن الاخلال بهذا المبدأ يعنى عودة تدريجية الى خلق طبقة تستأثر بجزء كبير من الفائض الاقتصادى لانفاقه في أوجه الترفيه ، وهو أمر يعجزنا عن احداث التراكم المطلوب للتنمية السريعة [رغم أى تأميمات] ، وستسعى هذه الطبقة الجديدة الى التأثير في كل المجريات السياسية .. ويصبح الحديث عن الطريق الاشتراكى عندئذ مجرد كلام يقال .

زاويتهم الضيقة .. من زاوية الحل السريع لمشاكل فئات محدودة .. ومع مرور الزمن ثبت أن الدعوة الى الطريق الثالث لا تخرج عن كونها محاولة لان يحل أصحاب هذه الدعوة محل الطبقات التي صفت أثناء تطورها الاجتماعي .. ولو حدث هذا .. فإن الطريق الثالث لن يكون الا طريقا رأسماليا غير تقليدي ، وهو غير تقليدي لان به قطاعا عاما كبيرا .. ولكن من المعروف أن ملكية الدولة لكثير من وسائل الانتاج لا يحدد - وحده - اتجاه المجتمع ، فملكية الدولة يمكن أن تقوم في مجتمع اقطاعي وفي مجتمع رأسمالي وفي مجتمع اشتراكي .

ان اصحاب النظرة الثالثة لمسألة التنمية ، دعوا منذ اليوم الاول الى زيادة معدلات الاستهلاك .. ومن الناحية العملية كان هذا يعنى مع مرور الزمن ، زيادة معدلات الاستهلاك لفئات معينة (لان الموارد المحدودة كما اوضحت لاتكفى لرفع مستوى المعيشة لـ ٣٣ مليوناً رفعا حقيقيا) .. وطالما أن هذه الفئات تزيد دخولها ، وتستمتع بكل كماليات مجتمعات الاستهلاك الغربية ، فإن الوضع في نظرها قد ازدهر .. واذا تعارض هذا مع ضرورة رفع معدلات الادخار ، فلتذهب التنمية ومعدلاتها السريعة الى الجحيم !

ولقد تذرع اصحاب « الطريق الثالث » بحجتين لتبرير الاندفاع نحو أنماط الاستهلاك الترفية :

الحجة الاولى : هي ما جاء في الميثاق من أن مضاعفة الدخل القومي في أقل من عشر سنوات ، مهمة ممكنة التحقيق « بالخطيطة الاقتصادية والاجتماعي ، ودون ما تضحية بالاجيال الحية من المواطنين لمصلحة الاجيال التي لم تولد بعد » .

الحجة الثانية : هي انفجار الامال والتطلعات - وقد أساء المتطلعون الى خلق طبقة جديدة مميزة ، تفسير عبارة الميثاق ، فالجيل الحالي هو كل أفراد قوة العمل الحالية ومن يعولونهم . والميثاق نفسه قال أن « الانتاج كله للمجتمع ، في خدمته ولتحقيق سعادته ولتأمين الرفاهية وتوفيرها لكل فرد فيه » .. وان المجتمع هو كل فرد يعيش على تربة الوطن وترتبط آماله مع آمال غيره من المواطنين من أجل غد عزيز لهم جميعا ، وللأجيال القادمة من أبنائهم وأحفادهم . وبالتالي فإن المقصود من عبارة الميثاق ، التي أسى استخدامها ، هو أن ظروفنا في التنمية أسهل نسبيا ، اذا قورنت بالتجارب الاشتراكية السابقة ، فنحن لا نعيش تحت حصار اقتصادي كهذا الذي عاشته التجربة السوفيتية ، بل ان عالمنا يتيح لنا الان أن نحصل على قروض وتسهيلات وخبرات

فنية تخفف أعباء التنمية ، وتمكن جيلنا الحالي من الاستمتاع ببشائر نتائجها أثناء حياته .

ولكن مهما كانت الظروف .. فإن الميثاق لم يصور التنمية أبدا على أنها نزهة سهلة ، وأن من حق البعض أن يحصل على كل الكماليات التي يتطلع اليها .. لان واضعي الميثاق كانوا يدركون أن الغالبية العظمى تنقصها سلع وخدمات ضرورية . - أما مسألة انفجار التطلعات والامال ، أو رغبة الافراد الملحة في الدول النامية في أن يزيديوا استهلاكهم ، وأن يتشبهوا في معيشتهم بمعيشة الافراد في الدول المتقدمة . فقد قيل انها نتيجة حتمية للسهولة الكبيرة في عصرنا الحالي للنقل والمواصلات والى سهولة التعرف على طريقة الحياة للسكان في كل جزء من أجزاء الارض ، وهذا يؤدي الى توسع سكان الدول النامية في الاستهلاك واعراضهم عن زيادة فدخراتهم ، رغم الاهمية البالغة للمدخرات المحلية لتمويل عمليات التنمية .

هذه الحجة - رغم أن بها جانبا من الصحة - لا تعنى أن هناك مانعا لا يمكن تجاوزه أمام الاتجاه الاشتراكي للحد من تطلع بعض الفئات الى أنماط الاستهلاك القرفية ، طالما أن هناك قواعد تطبق على الجميع ، وطالما أن هناك ضرورات موضوعية مقنعة أمام الجميع .. وفي كوبا - على سبيل المثال - يتقبل الناس هذا المفهوم ، رغم أنهم مطعون - باستمرار - على نمط الحياة الامريكية القائم الى جوارهم .

وفي أوروبا الغربية - بعد الحرب العالمية الثانية - تقبل الناس النقشف ونظام البطاقات ، وكانوا يعلمون كافة التفاصيل عن مستويات الحياة في الولايات المتحدة .

ولكن بعض الفئات استخدمت حجة وسائل المواصلات والنقل للتذرع بأنها لاتستطيع الانتظار الطويل .. ونسيت هذه الفئات أن الجماهير الواسعة ، تطلع كلها - عن طريق أجهزة الاعلام - على طبيعة الحياة في الدول المتقدمة .. فماذا لو قلنا جميعا أننا لا نستطيع الانتظار لا ليس امامنا - في هذه الحالة - الا أن نترك القضايا الوطنية المشتركة ، ونتقاتل مع بعضنا البعض ، لكي نحدد من الذي يفوز ومن الذي ينتظر !

اجراء السستينات

كما كانت في البداية

ينبغي أن نقول الان انه رغم وضوح الوثائق النظرية عندنا الى جانب الاسلوب الاشتراكي العلمي

في التنمية والحيوية... فإن المسألة لم تحسم بهذه البساطة في واقع المجتمع... فأصحاب « الطريق الثالث » حاولوا أن يحرفوا المسيرة ، وبذلوا كل جهد في هذا السبيل ، ومن الواجب أن نعترف بأنهم حققوا بعض النجاح ، فعطلوا كثيرا من نتائج التغييرات الاجتماعية المحققة أثناء الخطه الخمسية الاولى .

لقد تم في هذه الاجراءات نقل ملكية ثروات بلغت قيمتها ألف مليون جنيه (١) . وقد أدى هذا إلى إعادة توزيع الدخل القومي بطريقة تختلف على طبقات الشعب العامل ، بإعادة توزيع الثروة (عن طريق الإصلاح الزراعي ، أو نقل ملكية أدوات الإنتاج إلى القطاع العام ، أو نقل ملكية بعض العقارات السكنية إلى القطاع العام ، أو عن طريق الحراسة والمصادرة) .

كذلك تتضح إعادة توزيع الدخل عن طريق تقليل هوائد حقوق التملك وزيادة عائد العمل (عن طريق تحديد اجارات الاراضي الزراعية ، أو بتحديد حد أدنى وحد أقصى للاجور ، أو عن طريق اقرار نصيب للعمال في أرباح المنشآت ، أو بتخفيض الايجارات السكنية) .

وكذلك تمت إعادة توزيع الدخل بواسطة السياسة المالية (سواء من خلال الضرائب ، أو بتوجيه الانفاق العام نحو توفير الخدمات المجانية لطبقات الشعب المحرومة) .

ويقرر الدكتور حسين الفمري ان المستفيدين من اجراءات إعادة توزيع الدخل كانوا أساسا من الفئة التي يقل دخلها عن ١٠٠٠ جنيه سنويا . فهو يرى أن هذه الفئة حصلت على ١٤٢٦ مليون جنيه من إعادة توزيع الدخل ، التي تمت في صورة نقدية مباشرة . . . أما الفئة التي يزيد دخلها السنوي عن ١٠٠٠ جنيه ، فقد حصلت على ١٠ ملايين جنيه فقط (٢) .

ولاشك ان دراسة الدكتور الفمري تعتمد على كثير من الاجتهاد في التقدير بسبب نقص البيانات الرسمية ، ولكنها مؤشر حقيقي لنتائج إعادة توزيع الدخل في تلك الفترة .

ويمكننا أن نقول ان إعادة توزيع الدخل تمت بأسلوب منع تحقيق هدف أساسي في معركة التأميمات . وهو الارتفاع بمعدلات الادخار . وكذلك فان سياسة التوسع غير المخطط

للاستهلاك ، والتي عصفقت بأي تقديرات مستهدفة ، أدت هذه السياسة إلى ابقاء المدخرات المحلية (في نهاية الخطه وبعد التأميمات) بنفس النسبة التي بدأت بها . قبل الخطه ، وقبل الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية .

لقد أدت السياسة الاقتصادية التي سادت في هذه الفترة إلى زيادة كبيرة في معدلات الاستهلاك النهائي ، فقد بلغ معدل النمو السنوي لهذا الاستهلاك ١٠ في المائة (بالاسعار الجارية) في حين أن معدل الزيادة في الناتج المحلي الاجمالي ٨٫٥ في المائة سنويا (بالاسعار الجارية) (٣) .

وبالتالي كان طبيعيا أن تكون نسبة المدخرات المحلية إلى الناتج القومي ١٤٫٣ في المائة عام ١٩٦١ - ٦٠ . وكانت النسبة ١٠٫٦ في المائة في عام ٦١ - ١٩٦٢ ، ثم ١١٫١ عام ٦٢ - ١٩٦٣ ، و ١٢٫٧ في المائة عام ٦٣ - ١٩٦٤ (٤) .

ولكن اذا كانت سياسة الاستهلاك قد امتصت جزءا كبيرا من النتيجة المستهدفة ، وهي رفع معدل الادخار المحلي . . . فان هذه البداية من النظرة البورجوازية لم تلبث أن نمت . صحيح أن الطبقات المحدودة الدخل استفادت فائدة ملحوظة في الفترة التي تلت التأميمات مباشرة ، ولكن كما سبق أن ذكرت ، هذه الطبقات لن يتحسن مستواها المعيشي بشكل جذري في المدى القصير . . . والحل للمدى البعيد في تنمية جادة ذات معدلات مرتفعة . فاذا لم يتبع هذا الخط بشكل حاسم واذا فتحنا الشهية لزيادة عاجلة في الاستهلاك فان مواردنا لن تتمكن من سد الحاجات المتزايدة لكل الناس ، وبالتالي « فالشاطر الذي يلحق » . وتبدأ الفئات الساعية إلى التمايز والارتفاع تضغط وتتبلور ، وأكثر الناس فرصة ، هم في العادة من أصحاب الدخل الاعلى ، في القطاعين الخاص والعام . . . وهذا ما حدث فعلا منذ الستينات .

اتجاهات خطيرة

في السنوات الاخيرة

ومنذ عدوان ١٩٦٧ أضيفت مصاعب اقتصادية جديدة إلى المصاعب التقليدية للتنمية . وبينما عبرت

[١] جمال عبد الناصر : خطاب افتتاح مجلس الأمة [٢٥-٢-١٩٦٤] .

(٢) د . حسين الفمري : دراسة الطلب وتقدير الاستهلاك خلال خطة التنمية والتحول الاشتراكي في الجمهورية

العربية المتحدة ص ١٢٥ - ٢٢٠ .

[٣] و [٤] بيانات وزارة التخطيط .

الجماهير عن استعدادها لاحتمال الاعباء الإضافية التي تفرضها المعركة الوطنية بلا شكوى أو تذمر كانت فئات الطبقة الوسطى تضاعف سعيها من أجل مزيد من الدخول والامتيازات على حساب باقى طبقات الشعب العامل . ولا شك أن هذه الفئات استفادت من القيود التي فرضتها مراكز القوى على حياتنا السياسية ، والتي منعت تعريض هذه الاتجاهات المنحرفة للنقد والكشف .

● فى عام ٦٧ - ١٩٦٨ فرضت الدولة رسوم انتاج وفسروق أسعار وزيادات وأتاوات على بعض السلع . وقد حصلت الدولة - نتيجة هذه الاجراءات - على حوالى ١٥٠ مليوناً من الجنيهات، تضاف إليها حصيلة الزيادة فى ضريبة الدفاع والامن القومى ، وقد بلغت حوالى ٥٠ مليوناً . أى أن الدولة حصلت من المواطنين ٢٠٠ مليون جنيه زيادة عما كانت تحصله قبل عام ٦٧ - ١٩٦٨ (٥) . وقد أدى هذا الى نقص الاموال الموجهة الى الاستهلاك فى يد الجماهير . وينعكس ذلك فى نقص نصيب الفرد فى اليوم من المواد الغذائية . ويمكن تقدير ذلك بالنقص فى متوسط النصيب اليومى للفرد من السعرات الحرارية وهو منخفض - أصلاً - ويشكل كبير عن الدول المتقدمة) فقد انخفضت من ٢٩٤٢ سعراً (عام ٦٤ - ١٩٦٥) الى ٢٨٩١ سعراً (عام ٦٨ - ١٩٦٩) ، ويدخل فى هذا الرقم أن السعرات الحرارية اليومية للفرد من الحبوب انخفضت من ٢١٣٠ سعراً (عام ٦٤ - ٦٥) الى ٢١٠٨ سعراً (عام ٦٨ - ١٩٦٩) . والسعرات الحرارية اليومية للفرد من السكر والمواد السكرية انخفضت من ١٩١ سعراً (عام ٦٤ - ١٩٦٥) الى ١٧٥ سعراً (عام ٦٨ - ١٩٦٩) وفى اللحوم والدواجن من ٥١ سعراً الى ٤٨ ، وفى الاسماك الطازجة من ٢٠ الى ١٠ (٦) .

ومن البديهي أن نتصور أن معدل الانخفاض فى السعرات الحرارية للفرد كان بدرجة أكبر عند الطبقات المحدودة الدخل . رغم أنه كان - أصلاً - بالغ الانخفاض فى سنة ٦٤ - ١٩٦٥ .

● ويؤكد هذا أن الارقام القياسية لاسعار المستهلكين (وهى تمثل التغير فى نفقة المعيشة) شهدت فى السنوات التالية لحرب يونيو ارتفاعاً غير مخطط ، فإذا كان الرقم القياسى العام لاسعار المستهلكين فى كل الموارد يساوى ١٠٠ (عام ٦٦ - ١٩٦٧) فقد ارتفع الى ١٠٢ (عام

٦٧ - ١٩٦٨) والى ١١٠.٦ (عام ٦٨ - ١٩٦٩) والى ١٠٩.٢ (عام ٦٩ - ١٩٧٠) وآخر رقم متاح (حتى كتابة هذا المقال) هو لشهر مارس ١٩٧١ . وعند مقارنته بالشهر المقابل عام ١٩٧٠ نجد أن الرقم القياسى لاسعار المستهلكين فى عام ١٩٧٠ يساوى ١١٠.٢ ، وفى مارس ١٩٧١ أصبح الرقم ١١٥.٨ بزيادة ٥ فى المائة .

وفى الطعام والشراب (وهما يمثلان الجزء الأكبر من استهلاك الفئات محدودة الدخل) كان ارتفاع الرقم القياسى لاسعار المستهلكين أكثر وضوحاً ، وفى مارس ١٩٧٠ كان الرقم القياسى يساوى ١١١.٢ (على أساس أن ٦٦ - ١٩٦٧ يساوى ١٠٠) وقد ارتفع فى مارس ١٩٧١ الى ١٢١.٢ أى التغير هنا (فى الطعام والشراب) زائد ٨.٩ فى المائة مقابل زيادة ٥ فى المائة فى الرقم القياسى لكل المواد (والذى يشمل سواد الاستهلاك الضرورية والكمالية) .

وعلى سبيل المثال فإن السلع المعمرة (الثلاجات والتلفزيونات والبنوتاجازات الخ) . . والتي لا يشتريها أصحاب الدخول المحدودة بطبيعة الحال كان الرقم القياسى لاسعار المستهلكين فى مارس ١٩٧٠ يساوى ٩٠.٥ (بدلاً من ١٠٠ عام ٦٦ - ١٩٦٧) ثم انخفض فى مارس ١٩٧١ الى ٨٩.٦ (٧)

● والحقيقة أن السنوات التالية للعدوان شهدت توسعاً كبيراً فى مظاهر الانفاق الترفى ، وقد تبدو العبارة متناقضة أو غريبة ولكنها بالأسف حقيقة . لقد استطاعت الطبقة الجديدة بفئاتها المختلفة أن تحصل على دخول وتسهيلات أكثر كثيراً من تلك التى كانت تطالب بها قبل العدوان .

وهناك مثل ملموس وإن كان الاحصاء فيه مستحيلاً . وأقصد ظاهرة السلع الكمالية «المهربة» ! فقبل العدوان كان بعض البائعين يتاجرون - على استحياء - فوق الارصفة فى سلع من غزوة . أما الآن فإن البضائع المتنوعة مكسدة فى محال كبيرة فى أهم الشوارع . وإذا كان حجم هذه السلع يقدر بملايين الجنيهات فإن هذا لا يعكس الحجم الحقيقى للسلع الكمالية التى يجلبها البعض بشكل رسمى للاستعمال الشخصى ويبدو فى كل هذا قسم هام من مواردنا وبالنقد الاجنبى .

(ولكن هناك جانب يمكن قياسه ويقدم بالتالى مؤشراً جيداً عن هذا الاتجاه فعدد سيارات الركوب

[٥] د. فؤاد مرسى: مضبطة الجلسة الخامسة. مجلس الأمة المعقود فى ١٥ ديسمبر ١٩٧٠ .

[٦] استهلاك السلع فى ج.ع. م ٦٥ - ١٩٦٩ - دراسة للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء .

[٧] عن النشرة الشهرية للارقام القياسية لاسعار المستهلكين [الصادرة عن الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء] - اعداد عام ١٩٧٠ وعدد مارس ١٩٧١ .

الخاصة المستوردة عام ٦٧ - ١٩٦٨ كان ٥٦٩ سيارة ، فارتفع الرقم عام ٦٨ - ١٩٦٩ الى ٣١٩٨ سيارة ، وارتفع فى عام ٦٩ - ١٩٧٠ الى ٨٧١٩ سيارة ، وفى عام ٧٠ - ١٩٧١ وصل الى ١٣٥٦٠ سيارة ٠ ومن يوليو الى سبتمبر ١٩٧١ كان الرقم ٢٦٥٩ سيارة (٨)

وقد نذكر هنا أنه حدث فى نفس الفترة أن تفاقمت أزمة المواصلات العامة ، ووصلت الى درجة مقلقة للأفراد وللانتاج ٠

● وفى الاسكان هناك مثل آخر فهو مجال مجهد للنظرة البورجوازية التى تحصر اهتمامها بفئة محددة ٠ أن الاسكان مشكلة فى كل بلاد العالم ، ولكنها مشكلة أكثر حدة فى البلاد النامية ، حيث تضطر الى تركيز الاستثمارات فى قطاع الانتاج السلعى ، وحيث لا يستطيع بالتالى أن يوفر لكل مواطن مسكنا صحيا ٠

وعلى ذلك فمن المسلم به أن مشكلة توفير السكن الملائم ستظل مشكلة تعايشنا فترة طويلة ٠ ولكن فى نفس الوقت ينبغى أن نرسم خطة بعيدة المدى لمواجهة هذه المشكلة ، وينبغى أن تستهدف هذه الخطة خلق وحدات سكنية لاكبر عدد من الناس ووفقا لأولويات موضوعية مفهومة ٠ وبهذا الفهم لا يتصور أننا سنوجه الاهتمام الأكبر للفيلات والعمارات الفاخرة ٠ وإذا جاز أن نسمع ببعض التوسع فى هذا النوع من الاسكان فلا يمكن أن يتم هذا بأموال القطاع العام ، أو بقروض البنوك التابعة للقطاع العام ٠

وهناك رقم يوضح حقيقة الوضع الحالى . . هذا الرقم يقول أن حوالى ١٤٠ ألف أسرة (فى القاهرة وحدها) تعيش كل أربعة منها فى غرفة واحدة (وهى غرفة على سبيل التجاوز بطبيعة الحال) (٩) ولاشك أننا مطالبون بموضع أولوية لحل مشكلة هذا القسم الكبير من شعبنا العامل ٠

بالإضافة الى عشرات الآلاف الجدد الذين يضافون كل عام ٠

ولكن النظرة البورجوازية لم تبحث الامر على هذا النحو ، فهى لا تنتظر ، وهى تفضل أن تنفق الاموال فى المساكن الفاخرة ٠ حتى ولو أدى ذلك الى بقاء الاغلبية العظمى من المواطنين فى كهوف أو مبان آيلة للسقوط ٠ الى أجل غير مسمى ٠ وقد زاد بروز هذه النظرة فى السنوات الأخيرة وبالأرقام :

فإذا كان عدد الوحدات السكنية المحققة (فى الاسكان الاقتصادى عام ٦٥ - ١٩٦٦ = ١٠٠ فان العدد المتحقق عام ٦٨ - ١٩٦٩ انخفض الى ٧٤ ٠

وإذا كان عدد الوحدات السكنية المحققة (فى الاسكان المتوسط وفوق المتوسط) عام ٦٥ - ١٩٦٦ = ١٠٠ ، فإن العدد المتحقق عام ٦٨ - ١٩٦٩ قفز الى ١٦٨

وفى الاسكان فوق المتوسط بالذات تطور الرقم القياسى من ١٠٠ (عام ٦٥ - ١٩٦٦) الى ١٢٥ فى جنيها فى السنة (بمتوسط ١١٠ جنيها) يمثل عام ٦٨ - ١٩٦٩ (١٠) ٠

● وبشكل عام فإن الجدول التالى يشرح صورة مجتمعنا (عام ١٩٧٠) والتى تشكلت نتيجة للضغط المتواصل من القوى التى تسعى الى تشكيل طبقة جديدة مرفهة (١١)

— أرقام الجدول الاتى تدل على أن الاسر التى تمثل أدنى درجات الانفاق ، أى التى تنفق اقل من ٢٥٠ جنيها فى السنة (بمتوسط ١١٠ جنيها) يمثل أفرادها ٧٧٦ فى المائة من مجموع المواطنين ٠ — والاسر التى تنفق من ٢٥٠ الى ١٠٠٠ جنيها سنويا يمثل أفرادها ٢١٥ فى المائة من مجموع المواطنين ٠

والاسر التى تنفق سنويا أكثر من ١٠٠٠ جنيها يمثل أفرادها ٩ ٪ من مجموع المواطنين ٠

الاسر حسب انفاقها السنوى	عدد أفراد الاسر نسبة افراد الاسر عدد افراد الاسر نسبة افراد الاسر الى سكان المدن بالملايين	المدين	المجموع	الريف	عدد أفراد الاسر نسبة افراد الاسر الى سكان الريف بالملايين	الاسر حسب انفاقها السنوى
اقل من ٢٥٠ جنيها	١٧٥٩	٨٧٥٨ ٪	٨٢	٦٢٥٢ ٪	٢٦٥٣	٧٧٥٦ ٪
من ٢٥٠ الى ١٠٠٠	٢٥	١٢٥٢ ٪	٤٨	٢٥٦ ٪	٧٣	٢١٥ ٪
أكثر من ١٠٠٠	٢		٣	٢٥٢ ٪	٣	٩ ٪

[٨] الأرقام الرسمية لإدارة الاستيراد فى وزارة الاقتصاد ٠

[٩] بيانات الجهاز التخطيطى والتنفيذى للقاهرة الكبرى — دراسة لجيشال الشرقاوى : جريدة الاخبار — عدد ٩ سبتمبر ١٩٧١ ٠

[١٠] الأرقام القياسية معسوبة بناء على بيانات الكتاب : المستوى للاقتصاد العامة للجمهورية العربية المتحدة [٥٢ - ١٩٦٩] — ص ١٧٤ ٠

[١١] الجدول عن دراسة للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ٠

وفي الحقيقة ينبغي أن نطيل التأمل في هذه الأرقام لأنها تمثل الصورة القاسية لأوضاع مجتمعنا . فاستخدام متوسط الدخل السنوي للفرد (لا يصل الى ٧٥ جنيها) واضح الدلالة . ولكن هذا المتوسط هو حاصل قسمة الدخل القومي على عدد أفراد الشعب . وهو بهذا المعنى متوسط حسابي يخفي الفوارق في توزيع الدخل بين مختلف الطبقات ، ومن ناحية أخرى فإن الدخل القومي يشمل أرقام الاستثمار الى جانب أرقام الاستهلاك ، التي تشمل الاستهلاك الحكومي والاستهلاك العائلي .

وبالتالي فهما كان الرقم الدال على متوسط الدخل للفرد منخفضا ، فهو لا يعطي الصورة الحقيقية لمستوى معيشة طبقات الشعب . انه لا يعطي صورة رقمية عن المبلغ الذي تنفقه الاسر المصرية لأشباع حاجاتها .

ووفقا للأرقام السابقة عن انفاق الاسر اتضح أن متوسط انفاق الفرد (بين ٧٧٦ في المائة من المواطنين) لا يتجاوز ٢٢ جنيها في السنة ، أي أقل من جنيهين في الشهر ، يغطي بها احتياجاته من غذاء وملبس ومسكن الخ . . هذا اذا اعتبرنا أن الاسرة تتألف من ٥ أفراد في المتوسط .

هذه الحقيقة المفزعة ينبغي أن تؤرق ضمائرنا ، وينبغي أن تدفع الطبقة الوسطى (بفئاتها المختلفة) الى الحد من تطلعاتها . فأمامنا طريق طويل من التنمية قبل أن يصبح التطلع الى الكماليات أمرا مشروعاً .

● وفي دراسة أخرى لوزارة التخطيط (١٢) يتضح أن الاسر التي تنفق أكثر من ٤٠٠ جنيها سنويا يبلغ عدد أفرادها ٣ ملايين ، والاسر التي تنفق أكثر من ٨٠٠ مليون جنيها سنويا يبلغ عدد أفرادها ٧٠٠ ألف .

وهذه الأرقام ، بالإضافة الى المقارنة مع أرقام الجدول السابق ، تمكننا من أن نفصل أصحاب المراتب العليا من الاتفاق تفصيلا أدق :

١ - فالاسر التي تنفق سنويا من ٤٠٠ الى ٨٠٠ جنيها يبلغ عدد أفرادها ٢٣ مليونا .

٢ - والاسر التي تنفق من ٨٠٠ الى ١٠٠٠ جنيها يبلغ عدد أفرادها ٤٣ مليونا (٤٠٠ ألف) .

٣ - والاسر التي تنفق أكثر من ١٠٠٠ جنيها يبلغ عدد أفرادها ٣٣ مليونا (٣٠٠ ألف) .

الا أن دراسة وزارة التخطيط أضافت حقيقة هامة وهي أن الاسر التي تنفق أكثر من ٤٠٠ جنيها سنويا (الثلاث مجموعات السابقة) والتي يشكل أفرادها معا حوالي ١٠ في المائة من مجموع المواطنين ، تستهلك ٤٥ في المائة من استهلاكنا السنوي كله .

والاسر التي تنفق أكثر من ٨٠٠ جنيها (المجموعتان ٣ و ٢) والتي لا يتجاوز عدد أفرادها ٧٠٠ ألف (٢٣ في المائة فقط من عدد السكان) تستهلك ٢٣ في المائة أي حوالي ربع الاستهلاك السنوي تقريبا !

ولا ينبغي أن ننسى أن الاسرة التي تنفق ٨٠٠ جنيها سنويا تنفق ٦٧ جنيها شهريا تقريبا . . والاسرة التي تنفق ١٦٠٠ جنيها سنويا لا يتجاوز انفاقها الشهري ١٣٤ جنيها . . واذا كانت هذه الاسر تتألف في المتوسط من أربعة أشخاص فإنه لا يبدو أن مثل هذه الاسرة تحيا في بذخ شديد ، ومع ذلك فإن الانتشار النسبي لهذه الفئة أدى الى اختلال كبير في توازن الاستهلاك بين طبقات الشعب . . وهي نتيجة تؤكد أن أوضاعنا تفرض تحديد سقف منخفض للاستهلاك . فيكنى في مثل ظروفنا أن تمتلك الاسرة ثلاجة وتلفزيونا وتذهب الى السينما مرة في الاسبوع ، كي تصبح من الفئة التي تلتهم ربع الاستهلاك لكل الشعب !

ويبدو أننا كنا نستشعر هذا المعنى بقوة منذ سنوات . . فحين نوقشت في مجلس الأمة (عام ١٩٦٥) مسألة السلع المعمرة ، وحين قال المجلس أنها سلع ضرورية ، ثارت ضجة كبيرة في مختلف الأوساط ، ولكن أمام ضغوط الطبقة الجديدة ، أصبح الاندفاع نحو استهلاك هذه السلع (بل واستيرادها) أمرا عاديا ، وأصبح الاندفاع نحو الحصول على امتيازات كبيرة مسألة تمر بدون مراجعة أو حساب . . وقد عاد البعض - من جديد - الى بناء الفيلات التي تشبه القصور ، والمليئة بالتحف والاثاث المستورد ، وتزايد الانفاق الترفي في الحفلات والاسفار . . ولا حول ولا قوة الا بالله !

إيضاحات ونتائج

نضيف الان الى العرض السابق بعض الايضاح ونخلص الى بعض النتائج :

١ - الانحراف في المسار الاقتصادي والاجتماعي ، لم يصل بعد الى نهاية خطيرة . .

ولكن لا ينبغي أن نتهاون في النضال ضد الاتجاه نحو اتساع التمايز الطبقي داخل التحالف الوطني أن تصحيح المسار ضروري جدا للتحويل الى التنمية الاشتراكية .. وليس ضروريا أن يتم التصحيح طفرة واحدة ، ولكن المهم أن نتنبه ونبدأ في التصحيح .

٢ - انفجار الامال والتطلعات يحدث بمعدل يتسارع في الفترة الاخيرة ، ولم يحدث الانفجار بسبب سهولة وسائل النقل والمواصلات ، هذه ذريعة .. لم يحدث الانفجار لاننا « نقلد » ما يحدث في الخارج .. ولكنه حدث - في المقام الاول لاننا نقلد ما نراه داخل بلدنا ، فليس معقولا أن نطلب من أي انسان أن يضحى بجانب من تطلعاته اذا كانت كل الشواهد من حوله تدعو الى غير ذلك .. واذا كانت بعض القيادات الداعية لاحتمال المشاق لا تقدم نموذجا ومثلا .

وفي الحقيقة فان الدعاية لانماط الاستهلاك في المجتمعات المتقدمة لم تتسلل اليها من النافذة ، ولكننا فتحنا امامها كل الابواب ، وعبر كل وسائل الاعلام .

٣ - واذا كان من نتائج « انفجار الامال والتطلعات » سعى بعض الفئات الى الاستئثار بجزء كبير من الكعكة ، فان نتيجة أخرى هي ما نشاهده الآن من سعى الى ترك الوطن في ظروفه الصعبة .

وهذا طبيعي فما دامت التطلعات مشروعة بلا حدود .. وما دام الكل يتسابق من أجل حل مشكلته بطريقة خاصة ، ولو على حساب الآخرين ، فمن الطبيعي الا تسود نظرة التعاون لبناء الوطن وحل المشاكل بطريقة اجتماعية .. ومن الطبيعي أن تتجه الجهود الى خارج الوطن سعيا خلف حل عاجل وفردى لمشاكل انخفاض مستوى المعيشة .

يتضح هذا في ارقام المهاجرين (هجرة دائمة) ، كان العدد عام ١٩٦٥ = ١٤٧٩ مهاجرا ، وفي عام ١٩٦٩ وصل الى ١٥٧١٣ .. وبينما كانت نسبة اصحاب الكفايات العلمية عام ١٩٦٤ تساوي ١٢٥ في المائة من مجموع المهاجرين ، ارتفعت هذه النسبة الى ٥١٤ في المائة عام ١٩٦٨ ، وكان بينهم في عام ١٩٦٩ : ١٣ يحملون

الدكتوراه أو ما يعادلها و ٣٥ من الحاصلين على الماجستير و ٧٤ من الحاصلين على الدبلومات العليا (١٣) .

وتعلق نشرة الجهاز المركزي للتعينة العامة والاحصاء على ذلك بأن استمرار هذه الظاهرة بالمعدل المتزايد الذي تتقدم به يشكل استنزافا خطيرا لكافة البلاد من الكفايات العلمية الممتازة .

ونفس الظاهرة تمتد الى المسافرين عن طريق الاعارة وعقود العمل .. ففي عام ١٩٦٦ كان عدد الموظفين الحاصلين على تراخيص عمل بالخارج (جديدة أو مجددة) ٥٢٤٢ ، وفي عام ١٩٦٨ ارتفع الرقم الى ٩١٦٧ .. وفي عام ١٩٧٠ وصل الرقم الى ١٧٦٢٥ .. ويتوقع أن يبلغ الرقم عام ١٩٧١ حوالي ٢٨ ألفا ، أي بزيادة ٣٦٪ عن عام ١٩٧٠ (١٤) .

ولست أطلب اجراء بوقف الهجرة ، أو الاعارة فالمسألة لا تحل بقرار .. كما أن بعض المسافرين للعمل في الخارج يؤدون مسئوليات مهمة .. ولكنني أشير الى أن المسألة بدأت تتخذ شكل تيار جارف لا يخضع لأي ضابط ..

ومنذ سنوات كان هناك من يقول أن الشعب انفق أموالا طائلة لتربية الكوادر الفنية ، وأن من حق الشعب العامل أن يستفيد بعائد المبالغ التي أنفقها .. ومثل هذا الكلام كان يجد آذانا تصغي في أوائل الستينات .. أما الآن فقد تحول الكلام الى نصح سخيف .. حتى حين تقول الارقام أننا فقدنا ٤٥٠٠ طبيب ، وأدى هذا الى عجز خطير في أداء الخدمات الصحية .. وحتى حين تقول الارقام أيضا أن ١٠ آلاف مدرس قد غادروا مصر عام ١٩٧٠ ، دون اعداد وترتيب ، وأن هذا قد أثر في مستوى الخدمة التعليمية في مدارسنا ..

وامتدادا لنفس الظاهرة سنجد الهجرة الداخلية الى القاهرة والمدن الكبرى .. والسبب هو نفس السبب : التطلع الى المعيشة السهلة .. حتى الشباب الذي يملك الطاقة على تحمل الصعاب ، والذين نحتاجهم فعلا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في المناطق النائية وفي الريف .. لا يتحمسون لاحتمال الجهد والتضحية ، فيتكدسون بلا عمل مفيد في العاصمة والمدن ، والمناخ العام

[١٣] نشرة التعينة العامة والاحصاء - العدد ٥٤ ، تطور حركة الهجرة للخارج خلال عام ١٩٦٩ والسياسة الجديدة لتنظيمها .
[١٤] الارقام الرسمية لوزارة الداخلية .

الذى يلهث خلف التطلعات السريعة ؟ ويبعد عن مشاق التنمية الجادة ، لا يشجع على الزجر أو حفز الهمم . . فكيف تضاعف الدخل القومى فى عشر سنوات ، فى مثل هذه الظروف ؟

٤ - لا اعتقد انه يفهم من السرد السابق اننى اطلب باجراءات تأميم جديدة . . فأننا لا اعتقد أننا نحتاج فى المرحلة الحالية الى اجراءات تأميم جديدة ، أو على الاقل حل المشاكل التى تواجهنا الان لا يدعى الى ذلك . . والصحيح أننا نحتاج الى جهد البورجوازية الوطنية (القطاع الخاص) كقوة أساسية من قوى التحالف الوطنى . ونحن نحتاج الى مدخراتها وقدراتها الفنية والتنظيمية لرفع مستوى التنمية .

ولكن ينبغى أن نسلم بأن هناك تناقضات وخلافات داخل التحالف الوطنى . والقوى الاشتراكية تتناضل من أجل كسب جهد البورجوازية الوطنية فى اطار لا يودى الى سيادة فكرها ومصالحها ، وانما يودى الى قيادتها فى اتجاه التحول الاشتراكى ، وهذا يعنى اقتناع البورجوازية الوطنية من خلال الحوافز الايجابية والسلبية ، بأن اندفاعها المشروع لتحقيق الارباح ، ينبغى أن يتحقق بجهد حقيقى يضيف الى الدخل القومى ، وليس عن طريق الغش أو المضاربة أو السمسرة أو استغلال العمال .

القطاع الخاص ينبغى أن تولد له الامكانيات والحماية . . ولكن أيضا ينبغى أن يوجه وفق الخطة الشاملة للتنمية .

ومفروض هنا أن يكون القطاع العام وسيلة أساسية لتنظيم اقتصادى يحقق هذا الهدف . وهو دور لا يتأكد الا اذا استطاع القطاع العام تمثيل استراتيجية متميزة للتنمية وبناء المجتمع ، والا اذا أصبح القطاع العام نفسه تنظيما اجتماعيا أرقى ، يمارس دوره وفق تخطيط علمى يزد كفاءته ، ويرفع إنتاجيته ، كما أن القطاع العام ينبغى أن يعمل من أجل مصالح الشعب كله ، وليس من أجل مصالح جزئية ضيقة . . وأخيرا يجب أن تسود علاقات داخلية ديمقراطية .

والنضال السياسى والفكرى من أجل دور متميز نوعيا للقطاع العام لا ينبغى أن يتوقف . . لأن البورجوازية لا تتوقف بدورها عن محاولة التسلل الى داخل القطاع العام . . والاستيلاء عليه من

الداخل ، بحيث لا يصبح الفارق بينه وبين القطاع الخاص الا فارق كمى . والبورجوازية لم تتوقف فعلا عن محاولات الغزو . . ونجحت بالتحالف مع كثيرين من رجال الادارات العليا ، فى الانحراف بالمسار على النحو الذى أوضحت بعض شواهد .

٥ - التجارب الاشتراكية شهدت - فى معظم الحالات - ظاهرة نمو البيروقراطية كقوة متميزة ، تحتكر قدرا كبيرا من السلطة ، بحكم هيمنتها المباشرة على أجهزة التخطيط ومفاتيح الاقتصاد القومى . . وقد تسمى هذه البيروقراطية استخدام ما تملكه من مراكز المسئولية ، فتقرض جوارهايا ، نيكبت التعبير الديمقراطى ، وتحتسى بأسوار السلطة ، بعيدة عن النقد والحساب .

وقد شهدت مصر بعد التأميمات ، واتساع القطاع العام بالتنمية ، نموا هائلا فى حجم البيروقراطية وفى سلطاتها ، والدراسة التى نشرتها « الطليعة » عام ١٩٦٨ قدمت مؤشرا ذا دلالة واضحة . فعدد الوظائف العليا فى الحكومة زاد فى الفترة من ٦٢-١٩٦٣ الى ٦٦-١٩٦٧ بنسبة ٦١ ٪ بينما زادت الوظائف الأدنى فى نفس الفترة بنسبة ٣٢ فى المائة (١٥) . ورغم أن الأرقام لا تدخل فيها وظائف الكادرات الخاصة أو الشركات التابعة ، فإن الدلالة واضحة ، ويمكن أن تمتد الى هذه القطاعات .

ولا يمكن أن يقال هنا أن هذه الزيادة تحققت لحاجة التوسع فى العمل . لأن حاجة العمل لا يمكن أن تدعو الى زيادة عدد « الجنرالات » بمعدل يزيد عن معدل الزيادة فى عدد « الجنود » . أن هذه الزيادة تحققت رضوضا لأصحاب التطلعات لزيادة دخولهم وسلطاتهم (ولا ينبغى أن ننسى أن أجر الدرجة العليا فى سلم الاجور يساوى الحد الأدنى أربعين مرة) .

لقد شهدت بلادنا اذن ظاهرة النمو البيروقراطى عددا ونفودا ، بل وبشكل يزيد عن المعدل المتوقع . . ولكن اذا كنا قد أخذنا عن بعض التجارب الاشتراكية هذه الظاهرة السلبية ، فقد أضيف اليها هنا جانب سلبى آخر .

فبيروقراطية القطاع الاشتراكى ، فى الدول الاشتراكية رغم كل التحفظات كانت ملتزمة بتوجيهات القيادة السياسية ، وبالتالى فهى تعمل

مع الجماهير الكادحة لاتمام التحول الاشتراكي ،
وتحاصر مع هذه الجماهير احتمالات عودة ونمو
الاسلوب الرأسمالي في التنمية .

أما هنا فإن بيروقراطية القطاع العام والأجهزة
الحكومية جاءت - في كثير من الاحوال - من
أصول بورجوازية ، وبثقافة بورجوازية ، فكانت
أقرب في العلاقات والتفاهم الى رجال القطاع
الخاص . وليس الى الجماهير العاملة . وقد
تحصنت هذه البيروقراطية في مواقعها قبل تشكيل
تنظيم طليعي اشتراكي ، وحين أعلن عن تشكيل
مثل هذا التنظيم ، كان طبيعيا بحكم مواقعها في
السلطة أن تضعه تحت سيطرتها . رغم أن جهدا
بذل في عكس هذا الاتجاه .

وبالتالي تشكل ما يشبه المحور القوى داخل
التحالف الوطني . هذا المحور يتألف من قطاع
كبير من البيروقراطية السياسية وقطاع كبير من
بيروقراطية القطاع العام بالإضافة الى الرأسمالية
الوطنية . وتجاوز الأمر مجرد التجاوب
الفكري . فأساس المحور تكامل وتبادل
المصالح . فالقطاع الخاص (في المقاولات
والتجارة الداخلية والمكاتب الاستشارية ومكاتب
الخبرة والسبسة مع الشركات الأجنبية . الخ
كون علاقات مربية داخل القطاع العام ، وقد
لقيت هذه العلاقات رعاية وحماية من
البيروقراطية السياسية (مراكز القوى) التي
حبت الاستغلال بحكم مواقعها في السلطة ،
فبطشت بمن يتكلم ويكشف .

٦ - التصحيح المطلوب في المسار الاقتصادي
والاجتماعي . لا يعني اذن مزيدا من التأميم ،
ولكنه يعني شيئا أفعل وأعمق . وهو تصحيح
ضروري لدعم التلاحم في الجبهة الوطنية ،

ولمضاعفة الدخل القومي خلال عشر سنوات ٥٠
التي تتطلب أول ما تتطلب رفع نسبة المدخرات
المحلية الى ٢٠ في المائة على الأقل من دخلنا
القومي بدلا من النسبة الحالية (١١ في المائة
تقريبا) .

والتطور المطلوب لا يتحقق بوثيقة نظرية جديدة
تحدد وتشرح ، وهو لا يتحقق كذلك بنصح يوجه
الى المتطلعين لخلق طبقة جديدة . . ولكن الطريق
الى التصحيح هو أن يرتفع صوت ووزن الطبقات
التي طال حرمانها . . فهي الطبقات صاحبة
المصلحة الاصلية في تنمية جادة بعيدة المدى . .
وهي بضغطها السياسي تستطيع أن تحاصر
التطلعات ، وتوقف المنحرفين عن الانحراف .

ومن أجل هذا المعنى تقرر مبدأ الـ ٥٠ في المائة
للعمال والفلاحين ، ولكن بقي أن يتمكن أصحاب
هذه النسبة من ممارسة دورهم على نحو ايجابي
مؤثر ، كتيار وليس كأفراد . . والشرط الاول
لنجاح أي تخطيط بعيد التوازن بين طبقات الشعب
العامل . . هو أن يحتفظ ممثلو العمال والفلاحين
بجدورهم ضارية بين أبناء طبقاتهم . . فبمن
الظواهر التي سادت في المرحلة الماضية أن كثيرين
من ممثلي العمال والفلاحين فقدوا روابطهم
الطبقية ، واستوعبوا - فكرا ومعيشة - في
صفوف الطبقة الوسطى .

هذه المسائل ينبغي أن تبحث وتقرر مع
الدراسات حول خطة مضاعفة الدخل القومي في
عشر سنوات . فتحقيق الخطة هو - أيضا - نضال
فكري واجتماعي وسياسي . . وهو أمر لا ينحزل عن
معركة التحرير بأي حال . فطريق المعركة ، هو
طريق اقتصاد الحرب ، وهو نفسه طريق التنمية
الجادة .



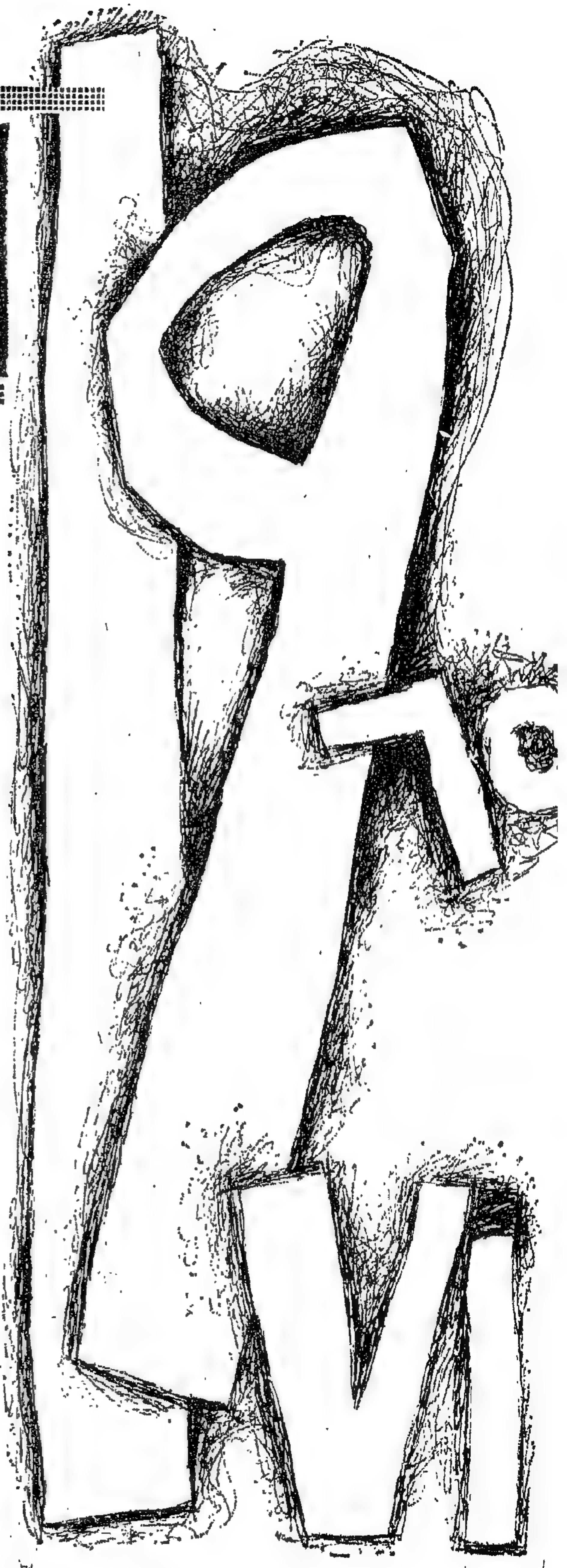
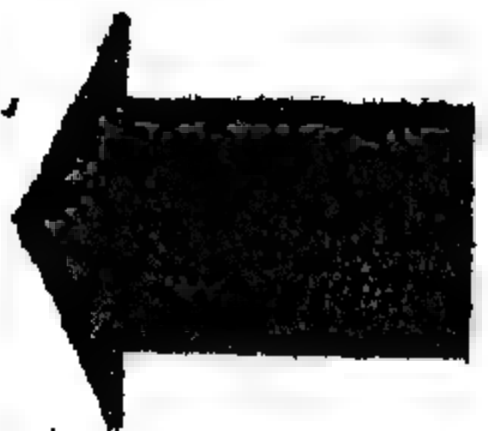
٨٠ شهرا من حياة الطبيعة

تقدم « الطبيعة » في هذا العدد عرضاً
للاتجاهات الاقتصادية التي عالجها مجموعة
من الكتاب على مدى ٨٠ شهراً .

وقد دارت معظم الموضوعات حول :

- (١) الاقتصاد والاشتراكية .
- (٢) التخطيط . (٣) التعاون . (٤) التعبئة
- الاقتصادية (٥) البترول العربي .
- (٦) الوحدة الاقتصادية بين الدول العربية
- (٧) الاقتصاد الاسرائيلي .

وقد سبق أن نشرنا ملخصاً للآراء
والاتجاهات حول قضايا « حركة التحرر
الوطني » ، « القضية العربية » ، « القضية
الفلسطينية » ، « الفكرة الصهيونية » ،
« طبيعة المرحلة الحالية من الثورة » .



المواقف والاتجاهات [العرض العام]

السياسة الاقتصادية والفكر الاشتراكي

عرض : محمد فتحي عافية

وأبرزت كل المقالات أهمية التخطيط القومي المركزي المسيطر الذي لا يمكن أن يعيش وينمو ويحقق تطوير الاقتصاد وتنميته إلا بالقضاء على المصالح الاقتصادية الأجنبية . وبالقضاء على الرأسمالية الكبيرة عن طريق تأميم ما يسمى بالقمم المسيطرة . ويستند التخطيط أساسا على قطاع عام كبير وقطاع تعاوني وكلاهما يمثل الملكية العامة . أما القطاع الخاص والرأسمالية الصغيرة فلا تعمل إلا من خلال الخطة . وبما يضمن عدم الانحراف عنها . ولكن الخطة تصبح مجرد أرقام على الورق ما لم تتوفر الديمقراطية المركزية حيث تتفاعل القيادة مع القاعدة وتكون الخطة تعبيرا عن هذا التفاعل الخلاق ، فتضمن بذلك المشاركة والتأييد والرقابة وفي النهاية النجاح في تحقيق الأهداف .

ووقفت الطليعة الموقف المنتظر منها ضد الاستعمار والامبريالية والرجعية ، فكشفت تاريخ الاستعمار بكل سيئاته ، وبيّنت كيف سيطر على الاقتصاد المصري والعربي خاصة عن طريق اعوانه ورجالاته ، وعن طريق بنوكه امناء الاستعمار ، وكيف حول الاقتصاد الى اقتصاد تابع يعمل في خدمة الاقتصاد الاستعماري لصالحه . وكشف عن النهب الذي كان بالنسبة لمصر ، والنهب الذي مازال بالنسبة للبلاد العربية بصورة تستنفر العرب ليهبوا - وعلى الاخص قسوى الشعب العاملة - لتنفذ بلادها من الاستعمار الذي يعوق تقدمها ، وينهب ثروتها .

ولم تكن عملية تلخيص وعرض المقالات والتعليقات والندوات التي جاءت في الطليعة خلال ثمانين شهرا بالعمل السهل في نطاق الحيز المطلوب ، لكنه ايضا لم يكن بالعمل الصعب حيث سادت وحدة الهدف وتقارب الاساليب . ولقد دارت معظم الموضوعات حول العناوين الرئيسية التالية : ١ - الاقتصاد والاشتراكية ٢ - التخطيط ٣ - التعاون ٤ - التعبئة الاقتصادية ٥ - البترول

شغل الاقتصاد بكل فروعِهِ ودروبه حيزا لا بأس به من مجلة الطليعة فيما يقرب من ألف ومائتي صفحة في مائة وأحدى وستون مقالة أو تعليق أو ندوة . ولقد كان الاهتمام الأكبر بالمجال الاقتصادي في السنوات الثلاث الأولى ، فكتب من الصفحات ما يقرب من ثلثي كل ما كتب خلال الفترة . ولم يحتل الاقتصاد نفس الأهمية في سنتي ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ إذ لم يزد ما كتب فيهما عن ٢١٥ صفحة .

وتنوعت دروس الموضوعات التي دارت حولها المقالات المختلفة ، كان أهمها على الإطلاق التخطيط فاحتل ما يقرب من أربع مائة صفحة في أربعة وخمسين موضوعا ، ثم يليه الاقتصاد والاشتراكية فاحتلت مائتين وثمانية عشرة صفحة في ستة عشر مقالا . فالتعاون في مائة وأحدى وخمسين صفحة في أربعة عشر مقالا ، فالحرب والتعبئة الاقتصادية في مائة وخمسة صفحات في سبعة عشر مقالا كما عالجت موضوعات أخرى تناولت السياسة الزراعية ، البترول العربي ، الوحدة العربية ، اقتصاديات إسرائيل ، وتناولت اقتصاديات بعض الدول العربية والقرية على السواء بالتحليل

وقد جمع بين ما كتب جميعه على اختلاف كتابته وتنوع موضوعاته وتباعد الفترات الزمنية ما يمكن أن يسمى بوحدة الهدف ، فالاشتراكية هي محور الدراسات ، أنه تطرح بأعتبارها ضرورة لمجتمع يسعى الى تحقيق تنمية تفوق معدل السكان ، ولا يمكنه ان يعيد عجلة الزمن فيستغل عماله وفلاحيه او يستعمر دولا أخرى خارجيا . ولا تستطيع فيه الرأسمالية الكبيرة الا ان تكون في خدمة الامبريالية وضالعة معها أو محقة لصالحها ، وهي مصالح طبقيلية تهتم بزيادة الارباح اكثر مما تهتم بزيادة الانتاج ، تهتم بالرسوم التي تحول دون المنافسة الأجنبية اكثر مما تهتم بتحسين الانتاج وتخفيض التكاليف .

العربي ٦ - الوحدة الاقتصادية بين الدول العربية
٧ - الاقتصاد الاسرائيلي * وتحت كل عنوان
جمعت أهم الاتجاهات والأفكار واختصرت المكرر
منها وربطت بينها * فكل ما سيرد هنا من صنع
كتاب الطليعة وهم أصحابه

الاقتصاد الاشتراكية

أوضحت المقالات كيف انتقلت البلاد - وهي
تسمى الى التحرر - الاقتصادي وتنمية الموارد -
من اقتصاد يتحرك وفقا لمصالح أجنبية وبرعوس
أموال أجنبية متعاوننا في ذلك مع الرأسمالية
الكبيرة والقطاع الى اقتصاد مخطط يؤمن بأن
الاشتراكية هي حتمية تاريخية * كما أوضحت
المقالات الى أي حد تعرضت البلاد للنهب
الاستعماري قبل الثورة ، وكيف وقف الاستعمار
متحديا في مواجهة الثورة حتى تحقق لها النصر *
وقد أثبتت التجربة أن رأس المال الخاص والاجنبي
لا يشارك الا فيما يعود عليه بالربح الوفير
والسريع * ولا يهتم بأعمال التنمية ان لم يكن -
وهذا هو شأن رأس المال الاجنبي - معيقا لها *
وبينت المقالات جميعها كيف أن الطريق الرأسمالي
في التنمية طريق مسدود (١) *

وتدور المقالات حول محاولة التعرف على
القسمات الرئيسية للمجتمع الذي يحقق معدلا
عاليا من النمو ، وهو - حينئذ - لابد وأن يكون
مجتمعا رافضا للرأسمالية وسالكا الطريق غير
الرأسمالي للوصول الى الاشتراكية (٢) *

اولا : لابد من القضاء على المصالح الاقتصادية
الاجنبية والرأسمالية الكبيرة الكومبرادورية التي
تتعاون مع الامبريالية وتعمل لحسابها * كما يلزم
ضرب القطاع الذي يعيش معتمدا على حماية
اجنبية والذي يستغل الفلاحين ابشع الاستغلال
ويحقق فائضا ينفقه على الوان الاستهلاك المترف *
وهنا تكشف المقالات كيف مارست الاحتكارات
الاجنبية متحالفة مع القطاع والرأسمالية المستقلة
استغلالها للكادحين ، وفي المحل الاول الفلاحين
على مدار السنين * وكيف استولت الاحتكارات
الاجنبية على جزء كبير من الدخل القومي ، في
شكل أرباح ذات معدل مرتفع زاد معها التبادل غير

المتكافئ ، ثم كيف صدرتها الى الخارج ، وقد
قدر ل * فريد مان الباحث السوفيتي الخسارة في
نسبة التبادل ما بين ١٨٨٣ الى ١٩١٤ وبين ١٩٢١
الى ١٩٣٨ بـ ٣٦٧ مليون جنيه ، وهو قدر يفوق
رءوس الاموال الاجنبية (٣)

اما البورجوازية فقد استخدمت ما حققته من
فائض في الاستهلاك المترف ، وشراء اكبر قدر
ممكّن من الاراضي الزراعية ، غير عابئة بتدعيم
قوى الانتاج القومي - كما أنها كانت ذات طبيعة
طفيلية ، ان هدفت الى تحقيق أقصى ربح احتكاري
عن طريق سيطرة الاحتكارات على السوق ، وليس
عن طريق تطور الانتاج * ومن هنا كان طابعها
الطفيلي * واخذ عبود كمثال ان يضارب على اسهم
شركاته ويجنى من وراء ذلك ارباحا طائلة على
حساب صغار المدخرين ، وشب صراع بين
البورجوازية المصرية والامبريالية انتهى باستيلاء
الرأسمالية الكومبرادورية على بنك مصر وذلك
قبل الحرب العالمية الثانية (٤)

ثانيا : التخطيط واقامة الملكية الاشتراكية في
كافة فروع الاقتصاد القومي * كانت الرغبة في
التنمية بمعدل يفوق معدل الزيادة السكانية ،
ويمكن معه اللحاق بالدول الاخرى التي اوصلت
المجتمع الى التخطيط ثم التأميم ، وأوضحت
المقالات ، كيف تعثرت الخطة بسبب كبر القطاع
الخاص ، وسيطرة الرأسمالية الكبيرة على المواقع
الاقتصادية الهامة حتى بعد تمصير ثم تأميم رأس
المال الاجنبي * وكان من أبرز مظاهر افلاس
الطريق الرأسمالي ، طريق المشروع الخاص في
ميدان التنمية الاقتصادية هو انخفاض وتدهور
معدل تكوين رأس المال الثابت بواسطة المشروع
الخاص * فقد هبط معدل تكوين رأس المال الثابت
في القطاع الخاص في الفترة من ٥٣ - ١٩٥٦ ،
بينما ارتفع نصيب القطاع العام في تكوين رأس
المال الثابت من ١٧ في المائة في السنوات الاربع
السابقة على الثورة الى ٣٥ في المائة في السنوات
الاربعة التالية لها (٥) *

كما أن القانون الذي يحكم حركة الانتاج
الرأسمالي (قبل تأميمات ١٩٦١) تنافس

(١) مفهوم وطريق الاشتراكية في الميثاق - ميشيل كامل - يناير ١٩٦٥

(٢) التطبيق العربي للاشتراكية في الواقع المصري - د . فؤاد مرسى - يوليو سنة ١٩٦٥

(٣) المميزات العامة للتركيب الطبقي في مصر عشية ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ - د . جمال مجدى حسنين - ابريل سنة ١٩٧١

(٤) المصدر السابق .

(٥) أسواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية - عادل فني - يونيو سنة ١٩٦٦

العالمية والتحكم في اقتصاديات البلاد المتخلفة ، من خلال هذا السوق . وهنا يرى الكاتب أن سبيل الدول المتخلفة هو تنمية الصناعة الثقيلة ، والتخلص من أشكال العلامات المشوهة التي فرضتها الامبريالية ، كما أنه يطالب بأن يكون التعاون مع الدول الاشتراكية وثيقا (٨)

ويحذر كاتب آخر العرب من السوق الاوربية المشتركة التي يعتبرها أداة الاستعمار الجديد . ويكشف عن محاولات هذه السوق للاستغناء عن البترول العربي ما أمكن ، وتوزيع مصادر الطاقة المحركة ، والحصول على البترول بأرخص الاسعار . ويؤكد أن هذا الاتجاه يحتاج تنفيذه إلى أمد زمن أطول ، إلا أنه يشكل منحنى معيناً ، ينحاه هذا السوق بإزاء مادة أساسية من منتجات البلاد العربية ، كذلك يكشف أن لدى السوق اتجاه لخفض أو الاستغناء نهائياً عن قمح سوريا وشعير العراق وتخفيض السوق الواردات من أرز مصر ، بسبب فرض ضريبة على الارز الوارد من الخارج ثم ينهى الكاتب هذه الفقرة محذراً من أن أحد مكامن الخطر تتمثل في محاولة الدول الاستعمارية استغلال التسهيلات داخل السوق المشتركة كضواغط سياسية واقتصادية على الدولة المستغلة الغنية (٩) .

وتتطلب معركة الشعوب العربية ضد الاستعمار الجديد أكثر من أي وقت مضى توحيداً للجهود الكفاحية في كل البلاد النامية التي تقع فريسة للنهب الاستعماري وللضغط الغربي الاقتصادي . والمعركة ضد الاستعمار الجديد ، هي آخر معركة يخوضها النظام الاستعماري برمته على أرضنا العربية ، وهي أكثر ضراوة بما لا يقاس مع المعركة السابقة المكشوفة ضد الاستعمار القديم ، لأن الكفاح الحالي هو في الحقيقة كفاح ضد قوى استغلالية أكثر تسترا ، ضد عدو أكثر خفاء ، وذلك يلقي في الواقع مسئوليات كبرى على عاتق القيادات الثورية للشعوب العربية (١٠) .

التخطيط

نال التخطيط من جانب الطليعة الاهتمام الأكبر ، وعلى الأخص في سنتها الاولى . ولا غرو فقد كانت سنة ١٩٦٥ بداية خطة خمسية ونهاية الخطة الخمسية الاولى ، وأثير فيها كل قضايا التخطيط ومشاكله وإيجابياته وسلبياته وما حققه

وتعارض مع التنمية ، لأنه يستهدف تحقيق أقصى ربح احتكاري ، عن طريق سيطرة الاحتكارات على السوق ، لا عن طريق تطوير قوى الانتاج . وأخذت تتحول قطاعات متزايدة من البورجوازية المصرية بعد سنة ١٩٥٧ من معسكر الثورة إلى معسكر اعداء الثورة . وأخذت تنمو التناقضات الطبقية والسياسية بين القوى الثورية التي تضم العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، وتلك الاقسام من البورجوازية التي لها مصلحة في استمرار الثورة . وكانت مؤامرة الانفصال عاملاً على وضوح الرؤية بالنسبة للمضمون الاجتماعي للصراع القادم . في سبيل التنمية . وتكشفت الأهمية المتزايدة للتأميم ، لا باعتباره عاملاً رئيسياً في سبيل النجاح في إنجاز خطة التنمية عن طريق السيطرة على المواقع الاستراتيجية للاقتصاد القومي فحسب ، بل لكونه ضرورة يملئها الصراع الطبقي ، لانتزاع سلاح الرأسمالية الذي تستخدمه بدهاء ومثابرة في سبيل المحافظة على مراكزها ومصالحها المتناقضة مع مصالح الجماهير : قوى الشعب العاملة (٦)

وأستهدف التأميم أحداث تغيير أساسي في علاقات الانتاج ، حتى تزول التناقضات في المجتمع ، ويرتقى معدل التنمية ، ويوزع فائض الانتاج الاجتماعي بشكل عادل . لهذا ارتبطت قوانين التأميم بخلخلة لمراكز الطبقات المستغلة في الريف ، وبالقضاء على عوامل التفاوت والتفرقة في المجتمع ، بتعديل الحد الأعلى للملكية فأصبح ٥ أفدنة للفرد ، ولقد غدا القطاع العام التجسيد المادي لانتصار النضال الوطني حتى ضم إليه الجزء الأكبر من أدوات الانتاج ، مقتحماً بذلك عصر الثورة الاجتماعية . ويعتبر القطاع العام ظاهرة وطنية واجتماعية معا ، فهي بداية لظاهرة استمرار الثورة وتطورها من ثورة وطنية إلى ثورة ذات مضمون اجتماعي متعاضد ، وأصبح قاعدة للتنمية ، فيقدم ٩٠ في المائة من حجم المدخرات المستثمرة . وقاعدة اقتصادية حاسمة للتوصل الاشتراكي ، يقوم على الملكية العامة لوسائل الانتاج ، ويؤمن بمبدأ مشاركة العاملين في الإدارة وفي ثمار الانتاج ، وهو بالتالي أساس لتحقيق أمل الشعب في تحولات اجتماعية جذرية (٧) .

ثالثاً : التحذير من الاستعمار الجديد : وفي سبيل تحديد الاستعمار الجديد عرف بأنه استغلال التفوق التكنولوجي والسيطرة المطلقة على السوق

- (٦) مفهوم وطريق الاشتراكية في الميثاق - ميشيل كامل - يناير سنة ١٩٦٥
(٧) جمال عبد الناصر وطريق التحول الاشتراكي - د . فؤاد مرسي و د . محمد عجلان - نوفمبر سنة ١٩٧٠
(٨) الاشكال الجديدة للاستقلال - محمد عبد الفتاح أبو الفضل - أغسطس ١٩٦٦ .
(٩) الاستعمار الجديد .. واقتصاد الوطن العربي - خيرى عزيز - مارس سنة ١٩٦٧
(١٠) المرجع السابق .

من نجاح وما اعترض طريقه من عقبات ، وقد اسهم في ذلك العديد من الكتاب - ومنهم اقتصاديين عالميين لهم خبرة عالمية بمشاكل التخطيط وفي الوقت نفسه يدينون بالاشتراكية العلمية وهما اوسكار لانج وشارل بتلهيم - في مناقشة الاطار النظري والعلمي للتخطيط ، والاطار العام والخاص ، واتسمت المناقشات بالصرامة والوضوح والموضوعية .

عرف اوسكار لانج (١١) التخطيط بأنه « ضمان قدر من الاستثمار الانتاجي يكفي لرفع الدخل القومي ، بمعدل يزيد كثيرا عن زيادة السكان بحيث يرتفع الدخل القومي في المتوسط لكل فرد من السكان » . والعامل الحاسم هنا هو الاستثمار او بتعبير أدق الاستثمار الانتاجي . وينتج عن ذلك ان مشكلة التخطيط التقدم تقتضي ضمان قدر كاف من الاستثمار الانتاجي ، وبعد ذلك توجيه ذلك الاستثمار الانتاجي الى تلك السبل التي تكفل اسرع معدل لنمو قوة الانتاج للاقتصاد القومي » .

وبتلهم (١٢) واضح تماما عند الكلام عن التخطيط وتعريفه . فهو يصر من البداية على ان الفروق الاساسية بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الاشتراكي ، او المتجه الى الاشتراكية ، لا بد وان تنعكس على شكل التخطيط ومضمونه ، اذا استخدم المجتمعان النقطة نفسها . ويرى ان المجتمع الذي يعتمد على القطاع الخاص الذي يحركه الربح في عملية التنمية لا تخرج عن كونها « برمجة » ولا يمكن ان تقوم بدور حاسم في مجرى الحياة الاجتماعية . . اما المجتمعات التي تعتمد على القطاع العام ولا تركز الى السوق ، فهنا يقوم التخطيط . ويستهدف اشباع الحاجات الاجتماعية للجماهير . وأكد في تفرقة بين التخطيط الاشتراكي والرأسمالي ان المسألة لا تتوقف على أفكار ونوايا حكامه ، والقائمين بالامر فيه ، وانما بحسب تركيبه الاجتماعي الذي يتميز به ، وبحسب طبيعة الطبقات التي تقوم بالعمل بالدور القيادي فيه .

ويعرف التخطيط بأنه نشاط تنسيقي ، عن طريقه يحدد العاملون في بلد اشتراكي الاهداف التي يريدون بلوغها . كما أنه يضمّن - من جانب آخر - تحقيق هذه الاهداف في احسن الظروف الملائمة ، وذلك مع اعتبار القوانين الاقتصادية الموضوعية وأولوية مجال على آخر من مجالات التطور الجماعي . وقد وضع مجموعة من الشروط للتخطيط الاشتراكي :

أولا : التخطيط الاشتراكي لا يمكن ان يتم الا في اطار تركيب اجتماعي لا يوجد فيه أناس يعملون وأناس لا يعملون ، ولا يوجد فيه مستغلون ، وتكون وسائل الانتاج والتبادل الاساسية في أيدي المجتمع لا في أيدي الافراد .

ثانيا : وجود المقومات التي تتيح امكانية مشاركة الجماهير بشكل ايجابي في وضع وتنفيذ ومتابعة الخطة . وهنا يؤكد هو وغيره من الكتاب على ، ضرورة تهيئة الظروف الملائمة لاقامة ديموقراطية حقيقية ، ولاتاحة التداول الحر للأفكار والاقتراحات . على ان تكون الجماهير مسلحة ايدولوجيا ، كما يؤكد على نشر الاشتراكية لانها اساسية في هذا الصدد .

كما يؤكد هو وغيره من الكتاب ان قضية التخطيط ليست قضية تقنية ، وليست قضية اقتصادية فحسب ، وانما هي قضية سياسية واجتماعية من الدرجة الاولى ، وتتطلب :

١ - اشراك الجماهير في وضع الخطة وتنفيذها . . . وتلك وسيلة توفير أعظم استخدام للمناخ الاقتصادي (١٣)

٢ - مشاركة التنظيم السياسي في جميع مراحل الخطة ، ولابد ان نحصل من الجماهير نفسها على آرائها وافكارها ومبادئها .

٣ - مصارحة الجماهير بالحقيقة حتى لا تقع ضحية للاشاعات .

٤ - وأوصى في الجانب التقني على ضرورة تحقيق تنمية متكاملة لتوفير الكادر المؤهل لإدارة الاقتصاد ، والانتقال من تخطيط الاستئثار الى التخطيط الشامل ، وضرورة اجراء حساب قومي يعتمد على الاساليب الاشتراكية ، ويجب الا يكون التخطيط الشامل تخطيطا لاهداف الاستثمار والانتاج ، بل يجب ان يشمل الاسعار والدخول النقدية .

التخطيط في مصر

وقد نالت الخطة المصرية على مدار الثمانين شهرا اهتماما من جانب الطبيعة في تحليل وتقييم وتقدير الجهود التي بذلت في اعدادها وتنفيذها

(١١) النماذج الثلاث للتطور الاقتصادي المعاصر - اوسكار لانج - يناير سنة ١٩٦٥

(١٢) التخطيط الاشتراكي والتخطيط الرأسمالي - شارل بتلهيم - فبراير سنة ١٩٦٥

(١٣) كيف تشترك الجماهير في اعداد الخطة (تعليق) - د. اسماعيل صبرى عبد الله - ابريل ١٩٦٦ .

الصناعي وأثرها على أخفاء الحقائق عن الطاقة والمخزون .

٤ - الجهاز المصري ليس من النضج ليقوم بمهمته في عملية التنمية .

وعلاجا لهذه السلبيات اقترح رفع دور مساهمة الطبقة العاملة ، ضرورة وجود حزب ثوري ذو نظرية ثورية ، اطلاق الحريات الديمقراطية ، ورفع وتطوير المنظمات الجماهيرية ، وتحسين التعاون مع القوى الثورية في الوطن العربي . وبالنسبة للشروط الاقتصادية فيلزم تعزيز دور القطاع العام ، وتوزيع واستخدام أمثل للدخل ، وأن تحتل الصناعة المركز الاول للتنمية ، اجراء تغيير ثوري في أجهزة الدولة وتحويلها من جهات خاضعة لأفكار البورجوازية الكبيرة وتقاليدها وللغنائم الجديدة التي تُنعم بخبرات المكاسب المخررة الى جهاز يخدم عملية التصويل الاجتماعي (١٥)

التعاون (١٦)

خضعت الطبقة راية الدفاع عن التعاون باعتباره ضرورة من صور الملكية الاشتراكية . وانتقدت بهراجة الاخطاء وتقدمت بمقترحات للعلاج وفي كل تلك المراحل كانت مع التعاون ضد المؤامرات التي تحاك من حوله ، والتي تريد أن تفرغه من مضمونه ، ليصبح باخطائه سوط عذاب على الفلاح الصغير ، ويصبح باخطائه في خدمة الفلاح الرأسمالي . وقد وقفت الطبقة ضد كبار الفلاحين هي محاولتهم السيطرة على الجمعيات التعاونية عن طريق مجالس اداراتها ، وعن طريق المشرف الزراعي ، ووقفت الطبقة ضد محاولة كبار الفلاحين الاستفادة من القروض التي تقدم هجانا للفلاح الصغير الذي لا تزيد ملكيته عن خمسة اقدنة ، وأسهمت في حل هذه المشاكل .

وأبانت كيف أن الملكية التعاونية في النظام الاشتراكي لا توزع الارباح وفقا للقاعدة الرأسمالية ، ولا يتحقق فيها لرأس المال الفائدة محدودة ، وتوزع الارباح على شكل خدمات اجتماعية وثقافية . وتوزع أرباح التعاونيات الانتاجية على العاملين حسب عملهم ، والاموال الاحتياطية غير قابلة للتجزئة أو التوزيع . وتوضع الجمعيات التعاونية في خدمة الاشتراكية : النهوض بالانتاج الزراعي ، حل مشاكل عمال

وكان واضحا من ذلك التقييم ، والفقد الموضوعي أن الخطة حققت انجازات ضخمة ، واستطاعت أن تنقل البلاد من معدل متذبذب ومنخفض للنمو ، الى معدل يصل الى ٧ في المائة سنويا ، كما أبرزت الطبيعة الدور القيادي الذي قام به القطاع العام في تحقيق ٩٠ في المائة من الاستثمارات التي بلغت في متوسطها في الخطة الاولى ٣٠٢ مليون جنيه سنويا بما يصل الى ١٩ في المائة من الدخل . وقد لخصت المقالات الصعاب التي اقترحتها الخطة في النقاط التالية :

- ١ - بعدت الصناعة حاجة الاستهلاك المحلي من السلع الاستهلاكية العادية .
 - ٢ - أفتشت بعض الاسواق الخارجية
 - ٣ - تمكنت من القضاء على جانب من البطالة
 - ٤ - تغيير العقلية الزراعية
- أما السلبيات التي أثيرت طريق الخطة فيمكن تلخيصها في النقاط التالية : (١٤) .

على المستوى القومي :

- ١ - اعدت الخطة مكتبيا ولم يسبقها خبر دقيق وشامل للأمكانيات ولا تعبئة للجماهير لتتكون على وعى بأهدافها .
- ٢ - الاتحاد الاشتراكي لم يلعب دورا ايجابيا .
- ٣ - لم يصاحب الاجراءات تغييرا ثوريا وجوهريا في أجهزة الدولة المختلفة .
- ٤ - التضييق على الحريات الديمقراطية للجماهير الشعبية وضعف تعبئتها ، وظهور تيار مكافحة الشيوعية ، وتخلف الوعي الاجتماعي والسياسي
- ٥ - توزيع المبالغ المخصصة للتراكم ما بين الانتاجي وغير الانتاجي في غير صالح الانتاجي .
- ٦ - السوق السوداء التي تعتبر من الخطر الاسلحة التي تشرعها الرجعية في وجه الثورة .

على مستوى الوحدة :

- ١ - التخطيط لم يكن ناضجا ، ومن الامثلة على ذلك نقص قطع الغيار
- ٢ - سوء توزيع المواد الخام ، ونقص بالذكر القطاع الخاص ، وكيف تتسرب المواد الأولية لغير المنتجين وعن طريق السوق السوداء .
- ٣ - مخلفات العقلية الفردية في القطاع العام

(١٤) حسابات ١٩٦٥ - ١٩٦٦ في التنمية - عبد التواب سليمان - يناير سنة ١٩٦٦
(١٥) كيف نواجه خطر الانحراف البيروقراطي للثوريين - د . محمد عثمان - يناير سنة ١٩٦٥
(١٦) التعاون .. النظرية .. التطبيق - سبتمبر سنة ١٩٦٥

التراخيل والحرفيين ، تقوم بالتأمينات الاجتماعية للمزارعين ، وخدمات التأمين الزراعية كالتأمين على المحاصيل والماشية والقطاع التعاوني مطالب في ظل الاشتراكية أن يراعى احكام الخطبة الاقتصادية * ومن هنا أدت الاشتراكية الى خلق رابطة مستديمة بين الحركة التعاونية والدولة بمقتضاها تشرف الدولة على توجيه القطاع التعاوني بما يتفق وتحقيق اغراض التخطيط الاقتصادي .

وأوضحت الطليعة دور التعاونيات في التطور غير الرأسمالي ، وركزت على الزراعة * وجاء في ذلك : تطوير الزراعة وتحولها من زراعة متخلفة الى زراعة متقدمة عالية الكفاءة ، تشكيل العلاقات الاجتماعية التي تعد من أكثر المهام الحاحا في كل البلاد النامية ، نظرا لاهمية الزراعة التي تعتبر المصدر الرئيسى لتراكم الموارد اللازمة لبناء اقتصاديات غالبية البلاد النامية . ولا يعنى ذلك استنزاف الفلاحين . ان النظرية الماركسية اللينينية للطريق غير الرأسمالي للتطور ، تبدأ من حقيقة ثابتة هي أن تطور المشروع الفردي أى تطور العلاقات الرأسمالية في الزراعة ، لا يمكن أن يحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد النامية . كما لا يمكن أن يكفل مستقبلا مأمونا لسكان الريف في هذه البلاد * وهناك امكانيات تطوير الزراعة على اسس اقتصادية واجتماعية تقدمية : أولها : تحويل الارض الى ملكية عامة ، أى ملكية الدولة ، وإنشاء مزارع حكومية يعمل فيها الفلاحون . والثاني : انضمام الفلاحين معا ليكونوا جمعيات تعاونية ، أو اقامة زراعة تعاونية حيث يحتفظ لكل فلاح بملكيتته أو تسود شكل الملكية التعاونية للأرض .

ولقد ثار نقاش في مقالتين متتابعتين (١٧) حول الديمقراطية والحركة التعاونية ودافعت المقالة الأخيرة (١٨) دفاعا حارا عن الديمقراطية حتى في فترة الانتقال . لان غير ذلك يعنى بالضرورة أن يظل جهاز الدولة الادارى لا تحالف قوى الشعب العاملة - أداة التغيير الاجتماعى ، وأن يبقى الاسلوب الادارى لا العمل السياسى والنضال الطبقي لقوى الشعب العاملة سبيل التحول زلاشتراكى لبلادنا . وهذا يعنى عدم ثقة بالجماهير وبقدرتها على صنع الثورة ، اذا ما سلحت بالوعى والتنظيم الثورى * وقد أبرز الكاتب أن الزعيم الخالد جمال عبد الناصر اعتذر في خطابه بمجلس

الامة في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٦٤ من أنه كان مضطرا الى الاستعانة بجهاز الدولة الادارى لغلبة التنظيم السياسى . وأكد أننا لن نستطيع ان ننقل آليا من المجتمع الرأسمالى أو من الرأسمالية المستغلة والاقطاع الى الاشتراكية . كما أكد أنه لا يمكن أن يتم الانتقال من الرأسمالية المستغلة والاقطاع الى الاشتراكية الا عن طريق العمل السياسى للشعب العامل ، وعن طريق نضالى الطبقة العاملة والفلاحين لاستخلاص السلطة من الرجعية ، ثم الاستفادة من السلطة لتغيير العلاقات الاجتماعية الرجعية تغييرا كاملا .

الجمعيات التعاونية في مصر

قبل الحرب كانت الجمعيات استهلاكية زراعية ، يسيطر عليها كبار الملاك . أما في ظل الثورة فلقد أصبحت تضم صغار الفلاحين وأغراضها : تنظيم زراعة الأرض ، تسويق المحاصيل ، إمداد الأعضاء بالماشية ورعايتها ، وإمدادهم بالالات الميكانيكية ، مقاومة الآفات الزراعية ، توفير البذور والتقوى والأسمدة والعلف والسلف النقدية لأغراض الزراعة ، الاشراف على العلاقات الايجارية ، تطبيق نظام الزراعة الموجهة ، التسويق التعاونى ، وعمل بطاقة جديدة للحيازة .

وقد نص القانون على ضرورة اشتراك المنتفعين الجدد في جمعيات تعاونية ، تقوم بما يلزم من عمليات التمويل ، وتنظيم الاستغلال الزراعى وتوفير وسائل الزراعة وبيع وتسويق المحاصيل الرئيسية ، والعمل على تقديم مختلف الخدمات الزراعية والاجتماعية للتعاونيات الزراعية ، وبالرغم من أن هذا الشكل من التعاون الزراعى لم يصل الى مستوى المزرعة التعاونية الانتاجية التي تنظم التعاون في كل نواحي الانتاج والعمل ورأس المال والتسويق وتوزيع الدخل ، الا أنها لا شك كانت بمثابة قفزة هامة بالنسبة للتعاونيات الائتمانية التي كانت قائمة قبل الثورة (١٩) .

ولخطورة الدور السياسى للملكية التعاونية فمن الضرورى العمل على تطوير العمل التعاونى والتنظيمات التعاونية بما يكفل لها القيام بالدور الخطير الذى أسنده اليها ميثاق العمل الوطنى لتقوم المنظمات التعاونية بتحريك الجهود الانسانية فى الريف ، لمواجهة مشاكله * . ولتصبح

(١٧) التعاون الزراعى - سعيد الخيال - يناير سنة ١٩٦٦

(١٨) الديمقراطية . . والحركة التعاونية - عادل غنيم -

(١٩) المؤسسات الجماهيرية وحركة الجماهير - فتحى عبد الفتاح - مارس سنة ١٩٧١

التعاونيات بحق : الخلايا التي تستطيع أن تنسج خيوط الحياة في الريف من جديد ، وتضع منها قماشاً حضارياً يقرب القرية إلى مستوى المدينة .

ولم تستطع الجمعيات أن تلعب دورها ، بسبب الوقوف موقف التردد إزاء إعطاء صفة انتاجية كاملة للجمعيات التعاونية مع ما يتطلبه ذلك من تكثيف شكل الملكية الفردية . وبالرغم من كل هذا فمن الواضح أن شكل الملكية التعاونية لوسائل الانتاج وخاصة الأرض هي المخرج الوحيد لاضفاء فاعلية حقيقية على العمل التعاوني ، وهو شكل يحافظ على الملكية الفردية من ناحية وأسس الانتاج والعمل الجماعي من ناحية أخرى (٢٠) .

وبالنسبة لاشراف الدولة على التعاونيات فالامر يتطلب اعدادا وخبرة واسعة ، وتطوير الاجهزة المشرفة على العمل التعاوني ، تحقيقا لغراضه وأهدافه ، مع التضييق من دور المشرف . بينما المفروض — نظريا — أن يكون تدخل الدولة واشرافها مرتبط بحد الجمعيات التعاونية بعيد من الامكانيات الفنية والالية ، لزيادة فاعلية العمل التعاوني . تحول الاشراف التعاوني نتيجة للتراث البيروقراطي الضيق في تعامل أجهزة الدولة مع الفلاح ، إلى قيد على العمل التعاوني نفسه ، مما أفقد الكثير من الفلاحين الثقة في تعاونيات الائتمان الزراعي ، وأفقدهم الحماس الضروري لدفع العمل التعاوني . ولم يوفق إلى ايجاد مجالس ادارة قوية وفعالة ، والامل معقود على الاتحاد التعاوني المركزي . ويجب أن يفرق عند تقديم الخدمة بين الفلاح الكبير والفلاح الصغير ، كما يجب أن يطور التعاون بحيث يوفر امكانيات لزراعة مساحات كبيرة .

التعبئة الاقتصادية

إذا كان اقتصاد السلم يهدف أساسا إلى اشباع الحاجات الاجتماعية في المجتمع الاشتراكي ، فيهدف اقتصاد الحرب في المقام الأول إلى تحقيق النصر . ومن ثم يصبح المجهود الاقتصادي أساس المجهود الحربي ، ويتعين الاسراع في بناء هذا الأساس ليقدم أهداف حرب التحرير في المرحلة الحالية ، ثم يصبح خادما لأهداف التطوير عندما يصبح (فيما بعد) المشكلة الأساسية . والهدف

العريض اذن لاقتصادنا هو التطور الاقتصادي من خلال حرب التحرير . وذلك يستلزم بالدرجة الأولى وضوح الهدف وبلورته وتعبئة النشاط الاقتصادي لتحقيقه ، وهذا ما يجعل اقتصاد الحرب اقتصادا مخططا بطبيعته ، مما يستلزم وجود جهاز تخطيطي قادر وخاصة على مستوى المركز حيث تستلزم حالة الحرب درجة أكبر من المركزية (٢١) .

ان نقطة البدء في اقتصاد الحرب ، هي اننا نواجه معركة طويلة ضارية ، العدو فيها هو الامبريالية العالمية ، بقيادة الولايات المتحدة ، والاداة المباشرة فيها هي اسرائيل ، التي تمثل أوقع صور العمالة في خدمة الاستعمار الجديد والقديم . وتحتل جزءا من أراضينا وتستولي أو تعطل بعضا من مواردها الطبيعية والبشرية (٢٢) .

وعند الكلام عن العلاقة بين الكليات الاقتصادية ودعائم السياسة الاقتصادية في اقتصاد الحرب ، أوضح أن الامر يستلزم زيادة الانتاج والحد من الاستهلاك وزيادة إيرادات الدولة ، وانقاص الانفاق العام ، وتحقيق استقرار الائمان وقيمة النقود وتنظيم تجارة الجملة ونصف الجملة . واتباع سياسة تدريجية لتنظيم القطاع الزراعي . وتهدف الزيادة في الانتاج ، إلى زيادة الجزء من الفائض الاقتصادي اللازم لمواجهة احتياجات المجهود الحربي في الداخل ، ولزيادة الصادرات لمواجهة احتياجات الحرب من الموارد المستوردة والمستلزمات العادية للجهاز الانتاجي .

ويطالب الجميع بالتعبئة العامة الشاملة وخاصة للفلاحين ، لضمان تعبئة الفسائض الاقتصادية . والتركيز على نوعين من الاجراءات لتعبئة الفائض الزراعي لخدمة الحرب التحريرية : النوع الأول يتمثل في الاجراءات الاقتصادية من سياسة تجارية إلى سياسة مالية ، ضريبة واحدة أو ضريبتين ، أحدهما على الإيراد الناتج من ملكية الأرض الزراعية ، والثانية من الاستغلال الزراعي ، وتكون كلاهما تصاعدية . والنوع الثاني يتمثل في مجموع الاجراءات التي تستهدف التعبئة السياسية والوطنية لمجموع الفلاحين وهناك أهمية لتعبئة الفلاحين سياسيا ، واشراكها اشراكا فعليا في المعركة كجماهير واعية .

(٢٠) المصدر السابق .

(٢١) حول اقتصاديات حرب التحرير — د . محمد دويدار — أغسطس ١٩٦٧ .

(٢٢) مهام التحول إلى اقتصاد حرب — د . فؤاد مرسى — يوليو ١٩٦٧ .

وتحقيق الاستقلال الاقتصادي والتطور الاجتماعي (٢٥) .

البتروال العربي

يلعب البتروال العربي دورا كبيرا في اقتصاديات بعض الدول العربية . كما يلعب دورا متعاظما يزداد تأثيره على اقتصاديات الدول الأوروبية والأمريكية والاسيوية . وتكشف مقالات الطليعة عن هذا الدور ، كما توضح الارباح غير المقبولة التي تحصل عليها الاستثمارات الأجنبية وعلى الاخص الأمريكية حيث تصل نسبة الارباح الى رأس المال في المتوسط ٨٥ في المائة ، في الوقت الذي لا تزيد فيه عن ١٢ في المائة في البلاد الأخرى (٢٦) . كما انها تبين المخطط الاستعماري في نهب هذه الثروة واستنزافها مع حرص الامبريالية الأمريكية على الاستئثار بالمنتج للبتروال الا في أدنى الحدود . كما تحرص على عدم اقامة الصناعات المرتبطة بالبتروال كصناعة التكرير ، والصناعات البتروكيمياوية . كما تبين كيف تساعد موارد البتروال على تحسين مراكز موازين المدفوعات في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة .

وقد قامت منظمة الاوبك بدراسة حول ثمن برميل البتروال تكشف عن الاستغلال ، واتضح منها ما يأتي : متوسط تكلفة انتاج البرميل (في دول الاوبك) ٢٨ر٥ سنت ، متوسط سعره الي الدول المستهلكة ٦٨ سنتا ، متوسط تكلفة تكرير البرميل ٣٥ سنتا ، متوسط تكلفة التوزيع والتسويق ٢٧٩ سنتا ، صافي ربح الشركة المنتجة ٦٨ سنتا ، متوسط عائد الدول المنتجة ٨٥ر٣ سنت ، متوسط الضرائب على برميل البتروال ٥١٠ سنتا . نتيجة لذلك يدفع المستهلك العربي ثمنا لبرميل البتروال ١٠ دولارات ، وحوالي أربعة وسبعون سنتا ، بينما لا تحصل الدول المنتجة منها الا على ٨٥ سنتا (٢٧)

ويزداد الغبن على البلاد العربية اذا ما أخذنا في الاعتبار انخفاض تكاليف البتروال الخام فيها عنها في أي بلد آخر من دول العالم :

والنضياء على الامية في الريف ، ولا بد ونحن نتحرك بهذه الصورة أن نعي أن نجاح الاجراءات اللازمة في الريف رهينة باتخاذها في جوهر الثورة ، وليس في جوهر الديمقراطية والتعقيد (٢٢) .

وعند الكلام عن تخطيط التجارة الخارجية في اقتصاد الحرب ، أوضح المقال انه من الضروري الأخذ بأشكال فعالة للتعاون الاقتصادي الدولي مع الدول الصديقة في ميدان الانتاج وليس فقط في مجال التبادل . ويمكن أن يجنبنا هذا الأسلوب من التعاون الكثير من الاختناقات ، ويعزز امكانيات كسب الحرب والمضي في التنمية . وهنا تركيز على سياسة احلال الواردات بدلا من زيادة الصادرات ، لان ذلك يؤدي الى وقوع البلاد في قبضة الدول الاستعمارية ، كما تزيد من حساسية الاقتصاد القومي . وهذا لا يعني اهمال الصادرات . وتنتهي المقال بأنه يمكن التوفيق بين الاعتبارات ، وهو احلال الواردات وزيادة الصادرات ، وذلك باتباع استراتيجية احلال الواردات بالنسبة لبعض السلع الرئيسية التي تستورد من البلاد المؤيدة للعدوان ، واتباع استراتيجية تنمية الصادرات بالنسبة لصناعات تصدير يمكن توجيهها للبلاد الصديقة ، وأشار الى التعاون الاقتصادي الدولي المتمثل في اتفاقيات الحصص ، الانتاج المشترك ، اتفاقيات التجارة والدفع طويلة الاجل (٢٤) .

ان تهئية البلاد للحرب في مثل هذه الظروف لا يعني الاختيار بين التنمية واقتصاد الحرب ، وانما يعني توجيه التنمية والانتاج لصالح الجهود الحربية . وعلى العكس من ذلك فان هذه الظروف ، بما تثيره من حماس للقضية الوطنية والقومية ، تعتبر انسب الظروف لمواجهة التضحيات الضرورية لمعالجة المشاكل التي تواجه اقتصادنا الذي نضعه مرة أخرى على طريق النمو والتقدم . وتسمح بالقتال بعد انتهاء معركة تحرير الارض المحتلة بمواصلة النضال من أجل تحقيق الرفاهية والتقدم . ان تحقيق الاقتصاد النهائي على اسرائيل يتطلب اذن تحقيق دولة عربية عصرية متطورة ، قادرة على مواجهة الاقتصادية ، وقادرة على القضاء على النفوذ الاستعماري في المنطقة .

- (٢٢) الزراعة واقتصاد الحرب - فؤاد الدهان - سبتمبر سنة ١٩٦٧
(٢٤) العلاقات الاقتصادية الخارجية في مواجهة الحرب - د . الفونسي عزيز - مارس سنة ١٩٦٨
(٢٥) الحرب والتنمية - د . ابراهيم سعد الدين - ديسمبر سنة ١٩٦٨
(٢٦) البتروال في خدمة التطور السياسي والاقتصادي للوطن العربي - د . امين حافظ - يناير سنة ١٩٦٥
(٢٧) معركة الاوبك وشركات البتروال - ولماذا حتمية انتصار الدول المنتجة فيها - مارس سنة ١٩٧١

تكاليف البرميل بالسنت : الولايات المتحدة ١٧ ، فنزويلا ٦٥ ، ليبيا ٢٢ ، الجزائر ٣٩ ، نيجيريا ٢٧ ، ايران ١٠ ، العراق ١٢ ، الكويت ١٨ ، السعودية ١٥

تتحقق الاقى اطار اشتراكى . وتتمثل الوحدة من واقع قرارات مؤتمر الاقتصاديين العرب الثانى المنعقد فى بغداد فى الفترة من ٨ الى ١٣ مارس سنة ١٩٦٩ (٢٩) فى :

١ - تكامل عناصر انتاج الصناعة على المستوى القومى ب - التنسيق الصناعى بين البلاد العربية . ج - التنسيق الصناعى على المستوى القومى للتغلب على التفاوت . د - التعاون المشترك بين الاقطار العربية .

وتهدف الوحدة الاقتصادية والسوق العربية المشتركة الى حرية انتقال الاشخاص ورعوس الاموال ، حرية تبادل البضائع والمنتجات ، حرية الاقامة والعمل ، حرية النقل والترانزيت ، حرية التملك والهبة . ويلزم لتحقيق هذه الاهداف انشاء منطقة جمركية واحدة ، توحيد سياسة التصدير والاستيراد ، توحيد أنظمة النقل والترانزيت ، عقد اتفاقات تجارية ، تنسيق السياسات المختلفة ، تنسيق تشريع العمل والضمان الاجتماعى ، تنسيق السياسات المالية والنقدية والتشريعات الضريبية (٣٠) .

واهم احكام السوق المشتركة هى : تثبيت القيود ومختلف الرسوم ، الغاء الرسوم على المنتجات الوطنية ، اعفاء المنتجات الزراعية ، تخفيض الرسوم الجمركية ، تحرير تبادل المنتجات . وبالنسبة للتنسيق الصناعى يقوم مركز التنمية الصناعية للدول بدراسات جادة فى هذا الموضوع .

ويرى الكاتب ان تنسيق الانتاج والاستثمار هو جوهر التعاون الاقتصادى الاقليمى .

وفى هذا الصدد يلاحظ ما يأتى (٣١) :

● ما اتخذ من قرارات حتى الان بخصوص انشاء السوق لم يتعد بعد مرحلة انشاء منطقة تجارة حرة .

● وحتى الجهود التى بذلت فى مجال تنسيق السياسة الجمركية ، من اعفاءات وتخفيضات مذبذجة لم يظهر لها بعد اى اثر على تنمية التبادل التجارى بين البلاد العربية . بل اظهرت

وناقش أكثر من مقال كيف أن الدول العربية لا تستفيد من بترولها الفائدة الكافية ، فمعظمه ينقل خاما ، والمصافى الموجودة قليلة ، وتستهدف الشركات الاجنبية الابتعاد عن البلاد العربية حيث تستحوذ اوروبا على ٥٠ فى المائة من هذه المصافى ، وحتى شرط اقامة مصاف تعالج ما بين ١٥ الى ٢٠ فى المائة من الانتاج التى أخذت بها فنزويلا لم تطبق فى البلاد العربية . وبين كيف أن عملية التصافى توفر مجالات عمل بنسبة أكبر من استخدام البترول الخام . ففي الوقت الذى يبلغ اذتاج الفرد من البترول الخام فى اليوم ٢٠٠٠ طن يصل الى ٥٠ فى المصافى . والمسألة هنا هى انشاء مصاف فى البلاد العربية واقامة صناعات بتروكيماوية ، وانشاء اسطول لنقل ورفع أسعار النقل بالانابيب ، ذلك هو الضمان لاستفادة العالم العربى من بتروله .

وعند الحلام عن التخطيط لمستقبل البترول العربى برزت خمسة مشاكل فى طريق القاميم وهى : اختلاف الراى بين الدول العربية ، ضخامة رأس المال المستخدم فى البترول ، ندرة الكادر الفنى الادارى ، عدم توفر وسائل النقل ، مشاكل التسويق . وتحدد كمهمة عاجلة اقامة معهد للبترول العربى ، تكوين شركات عربية للتنقيب عن البترول واستخراجه ، وأخرى لنقل البترول (٢٨) . وفى النهاية «لا بد من رسم سياسة بترولية تلائم مصالحنا الوطنية فى مختلف مراحل الانتاج والتكرير وتحديد الاسعار والنقل وانشاء الصناعات البتروكيماوية ، الصناعات الاخرى المتفرعة عن صناعة البترول والغاز او المكملة لها .

الوحدة الاقتصادية

تعتبر الوحدة الاقتصادية ضرورية فى عالم التكتلات لمواجهة هذه التكتلات من ناحية ولتوفير الاسواق اللازمة للصناعات ، ولتحقيق التنمية السريعة للمنطقة . ومن الراى ان الوحدة لن

(٢٨) التخطيط لمستقبل البترول العربى - د . اسماعيل هبى عبد الله - مايو سنة ١٩٦٥

(٢٩) مؤتمر الاقتصاديين العرب الثانى - تقارير الشهر - ابريل سنة ١٩٦٩

(٣٠) نقطة الانطلاق . . نحو تعاون اقتصادى حقيقى بين البلاد العربية - د . الفونسي عزيز - يوليو سنة ١٩٧٠

(٣١) المرجع السابق .

بعض الدراسات أن حجم التبادل لم ينخفض فقط بين البلاد العربية بشكل عام ، بل انخفض أيضا حجم التبادل التجاري الخاص ببعض المجموعات السلعية ، التي تقرر تحريرها من القيود الجمركية ، بعد سنة ١٩٦٥ بالمقارنة بما كان عليه الوضع قبل ذلك التاريخ .

● لا يمكن في الواقع البدء بالتنسيق بين تيارات التجارة الخارجية لتحقيق النتائج المرجوة إلا إذا سبقها تنسيق بين خطط الإنتاج وأنماط الاستثمار . ولا يخفى الكاتب صعوبة ذلك حتى بالنسبة للبلد الواحد .

الاقتصاد الاسرائيلي

كشفت الدراسات والمقالات والتعليقات التي تناولت هذا الموضوع أن الاقتصاد الاسرائيلي ذو طابع طفيلي . وتتزايد فيه القيمة المطلقة للعجز في ميزان المدفوعات ، رغمًا عن زيادة نسبة الصادرات الى الواردات ، التي تراوحت من ١٤ في المائة سنة ١٩٥٠ الى ٤٢ سنة ١٩٥٨ الى ٤٨ في المائة سنة ١٩٦١ مع تزايد العجز من ٢٨٢ الى ٣٢٣ ثم ٣٧٥ مليون دينار على التوالي . ويعتبر الاقتصاد الاسرائيلي اقتصاد غير منتج ، فالزراعة لا تمثل الا ١٨ في المائة قوى عاملة و ١١ في المائة

من الدخل ، والصناعة ٢٢ في المائة قوى عاملة ، و ٢٢ في المائة من الدخل ، والبناء ١٠ في المائة قوى عاملة و ٧ في المائة من الدخل ، والخدمات ٥٠ في المائة قوى عاملة و ٥٩ في المائة من الدخل . وتعتمد في علاقاتها التجارية على الولايات المتحدة بالدرجة الاولى ، حيث تبلغ صادراتها ١٥ في المائة و وارداتها منها ٢٩ في المائة ثم تليها دول أوروبا الغربية حيث تبلغ صادراتها اليها ٥٥ في المائة و وارداتها منها ٢٦ في المائة (٣٢) .

وتعتمد اسرائيل على الاغتصاب من حروبها التوسعية . وقد حصلت بهذه الطريقة على مئات الملايين من الجنيهاات الاسترلينية ، وتعتمد على المعونات ، وهي من نوعين غير مستردة وتبلغ ٣٧٠٦ مليون دولار ، وقروض واستثمارات وتبلغ ٢٢٥٦ مليون دولار ، أي باجمالي ٧ آلاف مليون دولار بعضها جاء من المؤسسات المالية ذات الطابع الاحتكاري ويمثل رأس المال الأمريكي ٦٠ في المائة (٣٣) .

واقتصاد هش وتابع بهذه الصورة لا يمكن إلا أن يكون في خدمة الامبريالية وتابع لها ، ومنقذ لسياساتها سواء كانت تسلا كما هو الحال في الدول الافريقية وغيرها أو حربا واغتصابا كما يحدث في البلاد العربية (٣٤) .



(٣٢) اقتصاديات اسرائيل ، واجهه مدييه المؤسسات العسكرية - سعد زهران - مايو سنة ١٩٦٦

(٣٣) خريطة الاقتصاد الاسرائيلي - احمد صادق سعد - يناير سنة ١٩٧١

(٣٤) المصدر السابق .

• جمهورية مصر العربية •

القرار الحاسم يعنى
أولا الحسم مع أنفسنا

• الخليج العربى •

المسلم العربى
يواجه عدوانا جديدا

• السودان •

اتفاقيات وعلاقات
اقتصادية جديدة

• فرنسا •

برنامج الحزب الشيوعى
من أجل حكومة ديمقراطية

• كوبا •

انهيار أسوار
العزلة حول كوبا

تقارير خاصة :

① الحساب الختامى لوصفى التل

② الحرب بين الهند وباكستان



تقارير
الشعر

« القرار الحاسم يعنى أولا الحسم مع أنفسنا »

تقبل اعلان الرئيس السادات لقرار مصر بالقتال لتحرير الارض وتحقيق السلام - اذاعت الامانة العامة للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي بياناً سياسياً للشعب - استعرضت فيه حقائق الموقف السياسى على ضوء حصيلة جهود اربعة سنوات من العمل المضنى على كافة الجبهات والمستويات ، واعلنت للشعب « أن محاولات السلام لم تحرك القضية قليلا ولا كثيرا وان الامة مدعوة الى أن تتحمل مسئوليتها التاريخية » وبرزت امانة اللجنة المركزية فى بيانها للشعب سبعة عناصر اساسية يتشكل منها اطار الموقف السياسى الراهن :

- ١ - ادانة العالم كله ممثلا فى الامم المتحدة للعدوان الاسرائيلى
- ٢ - الجهود التى بذلتها مصر للوصول الى حل سياسى
- ٣ - جهود اسرائيل لعرقلة مهمة يارنج ، ورفضها تنفيذ قرار مجلس الامن
- ٤ - دور الولايات المتحدة فى محاولة احتكار أو احتواء الجهود المبذولة للوصول الى حل سلمى مع استمرار تزويدها لاسرائيل بكل ما من شأنه أن يدعم عدوانها واحتلالها للاراضى العربية ودفعنا الى الاستسلام ، والرضا بالهزيمة .
- ٥ - موقف الاتحاد السوفيتى من الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى
- ٦ - رفض مصر رغم كل الضغوط قبول حلول جزئية. لا تكون جزءا من برنامج زمنى لتحقيق الانسحاب الكامل المنصوص عليه فى قرار مجلس الامن

٧ - رفض مصر التخلي عن أى قدر من الحق العربى أو حق الشعب الفلسطينى

ودعت الامانة العامة للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي فى ختام بيانها - كافة القيادات السياسية والشعبية والتنفيذية واجهزة الاعلام ببذل جهد مكثف وصدر يعمق فى وجدان الجماهير النقاط الجوهرية فى الموقف الراهن مؤكدة « أن الخلافات أو الاختلافات فى المجالات الفكرية لا تحول ولن تحول دون قيام تعاون وطيد ومشترك بين مختلف الاتجاهات وهذا درس التاريخ ووطنيا وقوميا ودوليا » . وفى اطار التحرك السياسى عقدت الامانة

العامة للجنة المركزية سلسلة من الاجتماعات الموسعة مع أعضاء المجلس التنفيذى لاتحاد العمال ورؤساء النقابات العامة ومع أعضاء مجالس ادارات النقابات العامة ثم اجتماع ثالث مع أعضاء اللجان النقابية ثم رابع مع مجالس ادارات النقابات المهنية

وحضر الامين العام عبد السلام الزيات وأعضاء الامانة العامة عدة مؤتمرات شعبية - وفى كل هذه الاجتماعات قدمت الامانة تحليلها للموقف السياسى وتقييمها للمرحلة الحالية مؤكدة على أن « اسرائيل والولايات المتحدة الامريكىة يقومان الآن بحملة تضليل واسعة لايهام العالم باننا نحن الذين نريد الحرب وهم الذين يريدون السلام ولفتح الطريق لمزيد من الاسلحة الامريكىة لتكريس الاحتلال الاسرائيلى ، وان « اسرائيل مستندة الى التأييد الواسع من الولايات المتحدة الامريكىة تريد أن تعيد شريعة الغاب وان تعيد عصر الاستعمار والاحتلال الاجنبى لاراضى الشعوب الاخرى »

وركز الامين العام فى كلماته على أهمية وحدة وتماسك الجبهة الداخلية « فالقوات المسلحة سلاحنا الاول فى المعركة لابد وأن تعمل ومن خلفها قوة شعبية واعية ومنظمة ، وقادرة فى جميع الاوقات على صيانة الجبهة الداخلية وعلى تأكيد ارادة الضمود تحت كل الظروف - وحذر عبد السلام الزيات « من أن العدو سيحاول أن ينال من جبهتنا الداخلية وسيضرب بعنف لينشر بيننا الخوف والفزع - ولكنه أكد أن العدو لن ينال من صلابة جبهتنا الداخلية واننا سنكيل له الضربة ضربات وان المحنة ستزيد تماسكنا »

وعلى مستوى العمل التنظيمى - أقرت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربى خطة العمل التى قدمها الرئيس أنور السادات - بعد مناقشة اشترك فيها ٣٠ عضوا يمثلون مختلف المستويات والمراكز والقوى الاجتماعية المشتركة فى تحالف قوى الشعب العاملة - وأكدت اللجنة فى قرارها أنه لا تفريط فى شبر من أرض مصر أو أى أرض عربية محتلة ، أو المساومة على حقوق شعب فلسطين .

واعلنت اللجنة المركزية « أن القرار الحاسم فى الموقف يعنى أولا وقبل كل شىء الحسم مع أنفسنا ، بضرورة ممارسة حقنا المشروع فى استخدام جميع الوسائل لتحرير الارض واننا يجب أن نشكل كل أجهزتنا وعلاقاتنا بما يخدم معركة التحرير داخليا وعربيا ودوليا - متيقظين كل اليقظة لمسئولياتنا تجاه العدل والسلام فى الشرة . الاوسط » .

وفى اجتماع الرئيس السادات مع الامانة العامة وامناء المحافظات - تقرر اعتبار كل لجنة

من لجان الوحدات الأساسية للاتحاد الاشتراكي لجنة للمعركة - على ان يضم اليها كل العناصر التي ترى اللجنة ضرورة الاستفادة بخبراتها مع فتح باب التطوع لجميع اعضاء الاتحاد الاشتراكي بالوحدة للانضمام لعضوية اللجنة لخدمة المعركة .

وقد تقرر ان تكون لجنة المعركة على مستوى المحافظة مشكلة من لجنة المحافظة للاتحاد الاشتراكي يضم اليها امناء لجان المراكز او الاقسام واعضاء اللجنة المركزية عن المحافظة وممثلون عن الشباب والتنظيم النسائي والنقابات المهنية والمالية والجمعيات التعاونية وممثلون للاتحادات الطلابية وجمعية النقل بالسيارات . أما في الوحدة الجماهيرية فتتشكل لجنة المعركة من لجنة رعدة الاتحاد الاشتراكي ومجلس ادارة المؤسسة الجماهيرية - ومجلس ادارة اللجنة النقابية بالمؤسسة ورؤساء الاقسام الانتخابية بالوحدة وممثلة للنشاط النسائي

وفي اتجاه اعداد الدولة للحرب، تم اتخاذ عدد كبير من الاجراءات استهدفت في الاساس - تخطي المركزية والروتين وتوفير كافة متطلبات مواجهة المعركة .

وقد اعطى الرئيس السادات المحافظين - كل المسئولية والسلطات للتصرف في ميزانية المحافظة دون الرجوع الى المركزية لمواجهة كافة المطالب التي تحتاج اليها المعركة داخل المحافظة .

ويشكل كل محافظ بالاشتراك مع امين الاتحاد الاشتراكي بالمحافظة مجلس حرب لمحافظتهما ولهما اتخاذ الاجراءات اللازمة لاعداد خطط الدفاع المدني والشعبى طبقا لمتطلبات المعركة - واقرن ذلك بدراسة الموقف بالنسبة للمخزون الاستراتيجي من كل سلعة وبشكل خاص المواد التهوئية والبتروولية وذلك لاستكمال اى نقص .

وتم تعيين مسئول عن الدفاع المدني والشعبى بكل محافظة لديه سلطات كاملة لحماية المرافق العامة والنهوض بها ومواجهة اية طوارئ . كما تم تعيين وكيل مسئول من وكلاء كل وزارة لمتابعة خطة الوزارة وتم تفريغ نائب المأمور كسل قسم او مركز للدفاع المدني

وقد تم اجراء حصر شامل لجميع المواطنين الذين سبق تدريبهم على خدمات الدفاع المدني لإعادة التدريب على مستوى متخصص - كما تنجح النية لاختيار نوعيات اقدر من المتطوعين لتسليح استخدام المعدات الحديثة التي لم يسبق استعمالها - كما يتم لأول مرة توعية المتطوعين بكل الحالات النفسية التي تنتاب الناس اثناء الغارات حتى يمكن لتطوع الدفاع المدني ان يحتويها فلا تتحول الى تصرفات ضارة

وبدا في خمس محافظات (القاهرة - الاسكندرية - الغربية - الجيزة - اسيوط) تدريب طلاب المدارس الثانوية - أما في الجامعات فقد تم تعيين مدير للتربية العسكرية بكل جامعة ، وسوف تختلف برامج التدريب في الجامعات من كلية لآخرى حسب التخصصات .

واعلن ممدوح سالم وزير الداخلية ان الشرطة سوف تتعاون مع قيادة الدفاع الشعبى بتدريب ١٢ الف طالب تدريباً عسكرياً الى جانب تدريبهم على أعمال الدفاع المدني حتى تتكون منهم قوة احتياطية تضاعف صفوف الجبهة الداخلية

وفي بور سعيد تقرر فتح باب التطوع للموظفين والعاملين المستقبين بالمدينة لإنشاء « قوة حماية الشعب » على أساس غير متفرغ ويطبق على المتطوعين جميع المميزات المقررة لرجال القوات المسلحة والدفاع الشعبى بشأن المعاشات والتغويض اثناء الحرب

هذا وقد صدر قرار جمهورى باعتبار اى اصابة لاحد المتطوعين في هرق الدفاع المدني اصابة حرب يعرض عنها

وبدأت كافة التنظيمات الشعبية والمساعدة تحرك بين قواعدها على ضوء خطط تهتم دراستها وتنسيقها في اطار الخطة العامة التي وضعتها الامانة العامة للجنة المركزية .

وتضمنت خطة الاتحاد العام للعمال - تشكيل لجان لقيادة وتنفيذ واجبات العمال في خدمة المعركة على مستوى الجمهورية وتتلخص هذه الواجبات كما حددتها الخطة - في استمرار العمل من أجل زيادة الانتاج وتحسين نوعه والحد من الاستهلاك وتحقيق الاستخدام الامثل للمواد والخامات والاسراع في اصلاح الاعطال والتعاون مع ادارة المنشأة في وضع وتنفيذ الخطط البديلة للانتاج في حالة تعرض المصنع للعمليات العسكرية .

كما تتضمن خطة اتحاد العمال واجبات محددة في مجالات الدفاع المدني ومواجهة الحسب النفسية والتبرع بالدم ورعاية المصابين من العمال وأسر الشهداء - كما تقرر تشكيل لجنة في كل مؤسسة لرعاية أسر المجندين من ابنائها .

وبدا الاتحاد العام في عقد سلسلة من المؤتمرات في مختلف المحافظات ومناطق التجمع العمالي - لتوعية الجماهير العمالية بابعاد المعركة .

كما قرر المجلس التنفيذي لاتحاد العمال إعادة تشكيل مجلس ادارة « صندوق التضامن العمالي » لرعاية العمال وأسرهم في المعركة، كما سيعيحد انصبة النقابات واللجان النقابية في ميزانية هذا الصندوق الذي كان قد أنشئ في

— تقارير الشهر —

تفرغا كاملا لأعباء مسئولياته الدستورية ومسئوليته بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة ولذلك فقد فوض الرئيس نائبه حسين الشافعي في القيام ببعض المهام المخولة له والمتصلة بهراسم الدولة .

وفي حديثه للضباط والجنود، على خط المواجهة فصح الرئيس السادات أهداف أمريكا معلنا «أن هدف الولايات المتحدة أن تعطى إسرائيل ما لم تستطيع الحصول عليه بالقتال — فأسلوبهم ومحاولاتهم وسياستهم — أن تحصل إسرائيل على ما لم تحصل عليه عام ١٩٦٧ » . وأوضح الرئيس السادات أنه «خلال الثمانية أشهر الماضية بذلنا أقصى جهد ممكن من أجل ١٪ أمل — أن تعبر قواتنا القناة بدون معركة اقتحام وبعدها تكون المعركة ونوفر الخسائر في الأرواح — كنا مقتنعين أن المعركة قادمة وإيماننا بذلك لم يتغير حتى تأكد لنا أن الـ ١٪ مات ولم يعد هناك مناقشة حوله . بعد أن عادوا إلى النقطة التي بدأوا منها بمبادرة روجرز وتراجعوا عن كل محاولاتهم وبعد أن نجحوا في تجميد مجلس الأمن واجتماعات الأربعة الكبار » . وأعلن الرئيس للضباط والجنود الرابضين على خط المواجهة — أن قرار مصر هو القتال لاسترداد الأرض المحتلة .

وفي حديثه للطيارين في إحدى القواعد الجوية المتقدمة أعلن الرئيس السادات « أن الولايات المتحدة كانت تراوغ طوال هذه الفترة وكنا نعلم أنها قد حددت موقفها مسبقا فهي دولة منحازة لإسرائيل وأنها تسعى بكل الأساليب لتحقيق أهداف إسرائيل — ولقد انتهى كل أمل لنا في الحل السلمي ولم يعد أمامنا سوى القتال لاستعادة أرضنا وشرقنا وكرامتنا » .

وبعد إعلان قرار مصر بالقتال ، عقد الرئيس السادات سلسلة من الاجتماعات الهامة — كان أولها مع الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي وأمناء المحافظات والمحافظين ثم رأس اجتماعا لمجلس الوزراء ثم اجتماعا آخر للهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي التي تضم كل أعضاء مجلس الأمة واجتماعا رابعا مع رجال الاعلام والصحافة واجتماعا مع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي واختتم هذه الاجتماعات بلقاءه مع أعضاء اللجنة المركزية ومجلس الشعب مجتمعين .

وفي كل هذه الاجتماعات قدم الرئيس السادات عرضا مفصلا للجهود التي بذلت من أجل الوصول إلى حل سياسي وأجاب على كل الأسئلة — وأوضح سيادته بالوقائع حقائق الاتصالات الأمريكية التي بدأت في ٢٤ ديسمبر عام ١٩٧٠ برسالة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات

اعتاب العدوان الإسرائيلي على مصنع أبي زعبل عام ١٩٦٩ .

وأعدت أمانة الفلاحين باللجنة المركزية خطة شاملة للتدريب في المجال التعاوني والتوعية الفكرية للعاملين في مجالات الدفاع المدني والشعبي أثناء التدريب .

وقررت أمانة الشباب تشكيل فرق من الشباب للخدمة العامة كل فرقة من ٤٠ شابا للمشاركة في أعمال صيانة الطرق والكباري وتوصيلات المياه وفرق أخرى بالوحدات الانتاجية تتولى مهمة المحافظة على وحدات الانتاج وتنفيذ خطة الطوارئ وقت الحرب .

ودعت أمانة المرأة إلى انشاء لجان لرعاية أسر المقاتلين والمهجريين والدفاع المدني الذي يتناسب مع النساء كالاسعاف والترييض . ولجنة للمشاركة في العناية لمعيشة الجنود ونظافة المستشفيات وأخرى لقضاء مصالح الجرحى

وقرر مجلس الشعب أن يعمل كمجلس حرب مركز على حل مشاكل الجماهير ويتجه المجلس إلى سرعة اصدار التشريعات الخاصة بالمعركة والتشريعات الخاصة بالقضاء على الروتين ، وسوف يركز المجلس جهوده على اصدار التشريعات التي طال انتظار الجماهير لها وفي مقدمتها قانون العمل وقانون الاجراءات الجنائية والقانون الجنائي والقانون التجاري وقانون التعاون الزراعي والتسويق التعاوني ، والعمال الموسمين .

وقررت نقابة المحامين أن تقوم بمعد اجتماعات جماهيرية تتخللها عروض سينمائية حول الحرب وتطورات الاحداث

ويشارك رجال الدين في توعية الجماهير بواجباتهم في المعركة وحثهم على الاشتراك في الفداء والتضحية ومواجهة شائعات العدو .

وأعلن مؤتمر جامعة القاهرة الذي ضم الطلبة والاساتذة « أن الجامعة تضع امكانياتها البشرية والعلمية في خدمة المعركة والجماهير لبناء دولة العلم والايمان — وقرر تشكيل كتائب تشارك بعملها وخبراتها في الاعمال الفنية التي يحتاج اليها المقاتلون .

حجم المعركة المقبلة ومسئوليياتها

اقتضى تطور الاحداث خلال الاسابيع القليلة الماضية . أن يتفرغ الرئيس أنور السادات

ثم التأييد الأمريكي للمبادرة المصرية وزيارة روجرز لمصر التي قال فيها أنه لا يستطيع أن يطلب من مصر شيئا آخر . ثم ما انتهى اليه كل هذا بتصريح روجرز الذي يطالب فيه مصر بتنازلات جديدة . الأمر الذي أوضح بما لا يقبل الشك — أننا يجب أن نفقد الثقة في أمريكا — وأكد الرئيس أنه ليست هناك اتصالات الآن مع الأمريكيين وأن الأمريكيين هم الذين يشيرون ذلك لتميع الموقف « ونفى الرئيس السادات في أحاديثه ما أشيع عن سفره إلى الولايات المتحدة لمقابلة نيكسون وأكد الرئيس السادات على أنه لم يعد ممكنا العودة لاتصالات يارنج إلا إذا قدمت إسرائيل ردا إيجابيا على رسالة يارنج وحددت موقفها من الانسحاب من الأراضي المحتلة .

وناقش الرئيس السادات في كل الاجتماعات حجم المعركة المقبلة ومسئولياتها وأسلوب مواجهتها والسلوك الذي يجب أن يسود حركتنا في مواجهة كل هذه المسئوليات وعلى كل المستويات .

والى جانب هذا الجهد في توعية وتعبئة المستويات القيادية والسياسية والتنفيذية — وجه الرئيس السادات حديثين للرأي العام الأمريكي والعالمي عن طريق النيويورك تايمز والنيوزويك الأمريكيتين . وكشف الرئيس في حديثه للصحيفتين الأمريكيتين مدى المرونة التي ذهبت إليها مصر ومحاولات التسوية والمراوغة الأمريكية .

أكد الرئيس في أحاديثه «أن الولايات المتحدة وصلت إلى نفس نقطة البداية التي اتخذتها الحكومة الأمريكية في عهد جونسون وهي أن على إسرائيل أن تحصل على ما تشاء ولها أن تفرض ما تشاء وأعني بذلك أن تستخدم احتلال أراضيها والأراضي العربية كوسيلة لتحقيق ذلك» وألح الرئيس أنه « واثق أبلغ الثقة من أن هناك ثمة اتفاقا أو شيئا «طبخ» بين حكومة جونسون وإسرائيل وسوف ينكشف لنا ونعرفه بعد بضع سنوات » .

وأستعرض الرئيس تطور المراوغات الأمريكية قائلا « لقد كان كبار المسئولين الأمريكيين يقولون لى دائما نرجو أن تثق فينا وأن تصبر معنا فنحن قوة عالمية وسوف نتحمل مسئولياتنا بصفتنا كذلك » ولكنهم بعد ثمانية شهور كانوا يلعبون معنا لعب «الاستغماية» .

وأوضح الرئيس السادات في حديثه للصحافة الأمريكية مدى المرونة التي اتسم بها الموقف المصري من أجل الوصول إلى حل سياسى — فخلال مرحلة الاتصالات مع البعثيين الأمريكيين أبدى الرئيس السادات استعدادة في المرحلة

الأولى من الانسحاب الاسرائيلى أن يكون مستوى التسليح متساويا على الجانبين واستعدادة لقبول قوات تابعة للأمم المتحدة أو للدول الأربع الكبرى بين خطى القوات — كما أبدى استعدادة لمدة فترة وقف إطلاق النار لمدة سنة بدلا من ستة شهور . كما أكد في أحاديثه أن المعاهدة المصرية السوفيتية ماهى إلا إطار جديد للعلاقات القائمة وأن الاطقم السوفيتية سوف تعود بعد المرحلة الأولى من الانسحاب وأن العلاقات مع أمريكا يمكن أن تعود بعد المرحلة الأولى أيضا . . وأن مصر وافقت على إرسال مندوب على مستوى عال إلى أمريكا للاشتراك فيما سمي المحادثات عن قرب التي أزمعت أمريكا أن سيسكو سوف يقوم بها .

« كل هذا وافقنا عليه بشرط واحد هو أن يكون عام ١٩٧١ هو عام الحسم وأن تكون المرحلة الأولى للانسحاب جزء من تسوية شاملة ولكن أمريكا عادت لتطلب منا تنازلات جديدة .

■ ليبيا ■

قرار ثوري لحماية استقلال الدول العربية



ان القرار الثوري الذي اتخذه العقيد معمر القذافي ، بتأميم الشركة البريطانية للبترول « بريتيش بتروليوم » وسحب الارصدة الليبية من بنوك بريطانيا يعتبر ضربة جديدة لاساليب الاستعمار في المراوغة والخداع . ويؤكد حق الدول العربية في الرد على أى موقف عدواني يتخذ ضدها ، وأن تحدد الدول العربية سياستها تجاه الدول الأخرى طبقا لمواقف هذه الدول من القضايا العربية .

لقد جاء هذا القرار ردا على مسئولية بريطانيا

تقارير الشهر

للحوم والغزل والنسيج، على أن يكون جزءاً من هذا القرض هو إنتاج مصنع سجاد الكويت المنتج من مخلفات البترول، وقد تم الاتفاق على إنشاء شركة لإنتاج هذا السجاد مع شركة لون رود وهي شركة رومانية براسمال انجليزى .

وتجرى مفاوضات مع سويسرا للحصول على استثمارات تقدر بحوالى ٥ ملايين دولار، وكان قد تم الاتفاق في سبتمبر الماضى مع الحكومة البريطانية لتمويل مشروعات بـ ١٠ ملايين جنيه استرلينى، وتدرس الحكومة السودانية الآن عروضاً من الدانيمرك واليابان .

وقدمت الصين قرضاً قدره ٤٠ مليون جنيه، وستقوم بإنشاء الطريق البرى - الخرطوم - بور سودان . ويقوم وفد التنمية الكويتى الآن بدراسات ميدانية لتمويل الزراعة الآلية بالسودان، وفى نفس الوقت صدر قرار جمهورى باعادة سواقى ومشاريع وادشريفى والسبيل لأصحابها سواء كانوا افراداً أو عائلات أو شركات . وعقدت مؤخراً اتفاقيتين مع بنك التنمية الأفريقى لتمويل شراء عربات سكة حديد بمبلغ مليونى وثلاثمائة ألف دولار وتمويل المشروعات البيطرية وإقامة ثلاث كرنيتيات لتطوير تصدير الماشية فى كل من بور سودان ووادى حلفا والخرطوم بحرى .

■ الخليج العربى ■

العالم العربى يواجه عدواناً جديداً

قامت ايران فى ٣٠ نوفمبر باحتلال جزيرتى طنب الكبرى وطنب الصغرى التابعتين لرأس الخيمة وجزيرة أبو موسى التابعة للشارقة، متحدية بذلك مشاعر الجماهير العربية وقوانين الأمم المتحدة التى تحرم الاستيلاء على اراضى الغير بالقوة . وقد لقي ٦ من رجال الحرس فى جزيرة طنب الكبرى مصرعهم على ايدي قوات الغزو الإيرانية التى قامت بهدم منازل السكان العرب وطردتهم من الجزيرة .

وقد بدأت ايران تطالب بالجزر العربية الثلاث منذ عام ١٩٦٩، وفقاً للمخطط البريطانى الأمريكى لترتيب الأوضاع الاقتصادية والعسكرية وتأمين المصالح البترولية الانجلو أمريكية فى منطقة الخليج، وذلك قبل إلغاء بريطانيا المعاهدات الثنائية القديمة مع حكام الامارات، وتوقيع اتفاقيات أخرى مع دولة اتحاد الامارات الجديدة فى الخليج .

وكان حاكم الشارقة قد وقع اتفاقية مع ايران بناء على طلب بريطانيا تنص على التنازل عن نصف جزيرة أبو موسى لإقامة قواعد وموانئ عسكرية وتطبيق القواعد الإيرانية عليها، كما

فى احتلال ايران للجزر العربية الثلاث فى الخليج العربى . لأن التوقيت الذى احتلته ايران لاحتلال الجزر العربية كان من الواضح أنه بالاتفاق بينها وبين الحكومة البريطانية، فالمعاهدة التى كانت تربط بريطانيا بدول الخليج كانت لاتزال سارية المفعول عند احتلال ايران للجزر العربية، وهذه المعاهدة تحمل بريطانيا مسئولية الدفاع عن كل شبر عربى فى الخليج حتى يتسلمه أصحابه الشرعيون .

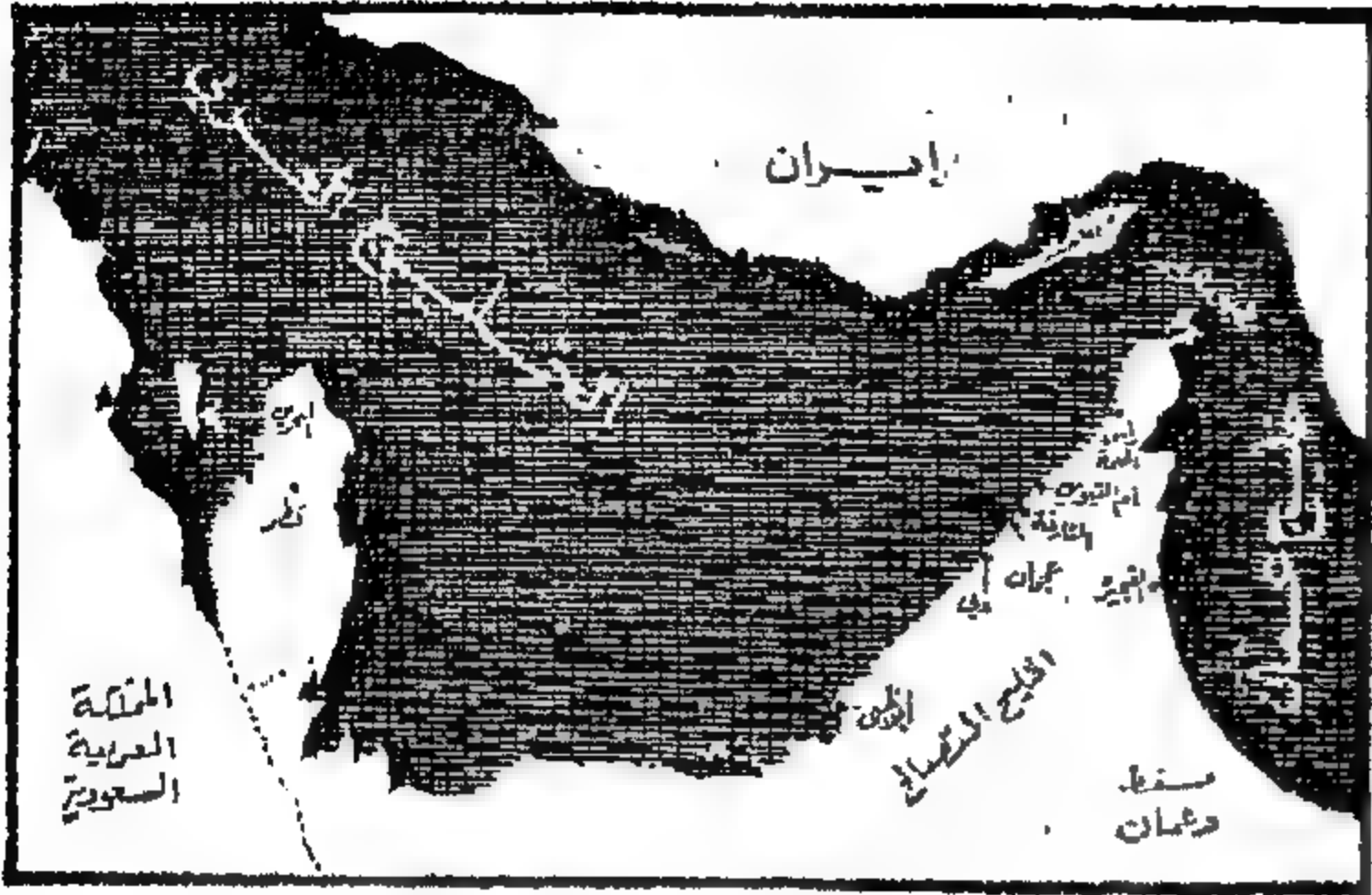
وتحتل الحكومة البريطانية ٤٨ فى المائة من اسهم هذه الشركة وتحصل سوق البترول فى بريطانيا على ٢٠ فى المائة من احتياجاتها من الشركات البريطانية والشركات الأخرى العاملة فى ليبيا، أما بالنسبة لارصدة ليبيا فى بريطانيا فتصل الى ٩٩٣ مليون جنيه استرلينى بخلاف ودائع النقد الأجنبى والاحتياطي الخاص بليبيا المودع فى البنوك البريطانية . وجاء رد الفعل المباشر للقرار الليبى فى انخفاض قيمة اسهم الشركة البريطانية المؤممة، كذلك انخفضت اسعار اسهم شركات البترول البريطانية الأخرى . وتعتبر هذه الشركة ثالث اكبر شركة بترول اجنبية تعمل فى ليبيا بعد شركتى « ستاندرد أويل أوف جيرس » و « كالكس » . وقد أصبح اسم الشركة البريطانية بعد تأميمها « شركة الخليج العربى للاستكشاف » .

ويعتقد بعض المعلقين الغربيين أن قرار ليبيا سحب أرصدها من بنوك بريطانيا يمكن أن يكون البداية بين بعض الدول العربية المصدرة للبترول لتكوين مجموعة تمويل مشتركة تكون أداة قوية للمساومة داخل منظمة « الأوبك » . وقد استقبلت الشعوب العربية القرار الثورى الليبى بالتأييد الواسع، وأشاد الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب فى برقيشة بعث بها الى العقيد معمر القذافى بالموقف الثورى الليبى وجاء فى البرقية « أن الامانة العامة لاتحاد العمال العرب تهنئكم على القرار البطولى الذى اتخذتموه ضد بريطانيا لمواقفها المتآمرة على عروبة الجزر العربية والخليج العربى »

■ السودان ■

اتفاقيات وعلاقات اقتصادية جديدة

بدأت السودان فى وضع مخططات اقتصادية جديدة، وفى الشهور الاخيرة عقدت اتفاقية مع البنك الدولى خاصة بشق الطرق وتمويل بعض المشروعات التى كان البنك الدولى قد توقف عن تمويلها. ووافقت الكويت على اقراض السودان ٥ مليوناً من الجنيهات لتمويل مشروعات



مسيرات جماهيرية ضخمة استنكرا للفوز
الایرانی للأراضي العربية . وفي العراق أعلنت
الحكومة قطع علاقاتها بكل من بريطانيا وإيران،
وفي ليبيا أعلن الرئيس معمر القذافي تأميم شركة
البتترول البريطانية وسحب الأموال الليبية من
البنوك البريطانية رداً على تسليم بريطانيا الجزر
العربية لإيران .

ويقارن المراقبون بين موقف بريطانيا الحالي
وموقفها في عام ١٩٤٨ ، وتسليم الأراضي
الفلسطينية إلى العصابات الصهيونية قبل نهاية
الانتداب وجلاء القوات البريطانية عن فلسطين
بمدة أسبوعين ، بدلا من تسليم الأراضي إلى
أصحابها الفلسطينيين .

ولا يتوقع المراقبون أن تؤدي الجهود التي
تبذلها الجامعة العربية إلى حل إيران على
الجلاء عن الجزر العربية في المستقبل القريب .
وهناك إحساس عام لدى الجماهير العربية
في الخليج بالخوف من تزايد الإطماع الإيرانية
في الأراضي العربية ، خاصة وأن الصحف
الإيرانية وهي تحتفل بهذه المناسبة أخذت تتحدث
عن مآذعيه يحقّق إيران التاريخية في منطقة
شط العرب التابعة للجمهورية العراقية والواقعة
عند مدخل الخليج من الشمال ، مما يشير إلى
خطوة إيران القادمة في منطقة الخليج العربي .

■ لبنان ■

القوى التقدمية واليسارية وتحديدي طبيعة ومهام المرحلة القادمة

في هذه الأيام التي تستعد فيها لبنان
لمعركة الانتخابات البرلمانية ، وتسرع مختلف
القوى والتجمعات السياسية والحزبية والطائفية
باستعدادها للمعركة من خلال اتصالات وجهات
وصراعات وتحالفات عديدة ، تشهد بيروت

تنص على استثمار البترول في الجزيرة وفي
مياهاها الإقليمية على أن تدفع شركة البترول
الانجليزية عائدات البترول مناصفة إلى إيران
والشارقة ، ومقابل أن تدفع إيران مبلغ ٥٠
مليون جنيه استرليني لمدة تسع سنوات لحاكم
الشارقة .

ويختلف الأمر بالنسبة لحاكم رأس الخيمة
الذي رفض باصرار الضغط البريطاني لبيع
الجزيرتين أو تأجيرهما لإيران كشرط لتأييد إيران
لاتحاد الإمارات العربية الجديد . ولقد كان
الدافع وراء رفض حاكم رأس الخيمة هو أنه
كان يتوقع اكتشاف البترول في أراضيه أو في
المياه الإقليمية ، مما يضعه على قدم المساواة
بالنسبة لحاكم أبوظبي الذي يرأس الاتحاد .
وامام اصرار حاكم رأس الخيمة على موقفه ،
لم تجد بريطانيا مفرًا من السماح لإيران باحتلال
الجزيرتين بالقوة العسكرية ، وذلك قبل موعد
الاعلان من قيام دولة اتحاد الإمارات في ٢-١٢ ،
وحتى تتجنب بريطانيا تعريض الاتحاد الجديد
للخطر أو الإحراج . وهو ما كشفت عنه صحيفة
الجارديان البريطانية في عددها بتاريخ ٢٠-١١
ومن دعوة الصحيفة لإيران إلى احتلال الجزر
العربية لأسباب استراتيجية باعتبارها الدولة
الجديدة الكبيرة التي تسيطر على الخليج بعد
انسحاب بريطانيا . .

وترجع أهمية هذه الجزر إلى موقعها عند
مدخل الخليج ، مما يكفل لإيران امتيازات
استراتيجية سوف تستخدمها في المخطط المرسوم
لها للقيام به في منطقة الخليج والذي تعد له
منذ سنوات طويلة في الاستراتيجية الامبريالية
لمواجهة حركة الثورة العربية .

وقد أثار احتلال القوات الإيرانية للجزر
العربية ردود فعل شديدة في الإمارات العربية،
أذ قام المتظاهرون بتدمير فرع البنك الإيراني
والممتلكات الإيرانية في رأس الخيمة، وفي الشارقة
أطلق المتظاهرون الرصاص على نائب حاكم الشارقة
الذي كان في استقبال القوات الإيرانية في جزيرة
أبو موسى ، كما شهدت أبو ظبي وعجمان
مظاهرات جماهيرية ضخمة وتدمير المؤسسات
الإيرانية فيهما ، وذلك رداً على التواطؤ البريطاني
الإيراني المكشوف .

وشملت ردود الفعل للغزو الإيراني بقية
البلدان العربية ، ففي مصر أعلن المتحدث
الرسمي احتجاج مصر على الغزو الإيراني واتهام
بريطانيا بالتفريط في الأراضي العربية قبل أن
يتم استقلالها وتسليمها إلى أصحابها ، ودعوة
إيران إلى سحب قواتها من الجزر العربية
الثلاث . وفي سوريا هاجم حزب البعث الحاكم
وكافة الأحزاب الوطنية والتقدمية التواطؤ
البريطاني الإيراني ، كما شهدت دمشق وبيروت

ثالثاً ((وتذكر أخيراً انه يجب ان يكون لكل نشاط
نضالي أهداف وشعارات اجتماعية يدعمها اليسار
والتقدميون في جميع أنحاء العالم . . لان اليسار
هو القوة الفاعلة في مصير الدنيا والتاريخ)) .
وحول ضرورة تلاحم الثورة العربية مع الثورة
الاشتراكية العالمية أكد جيبلاط ((انه لا يمكن
فصل الثورات العربية عن الثورة الاشتراكية
العالمية وعن الحقيقة العلمية الجدلية . .
والا وقعت هذه الثورات العربية في مصيدة
الحركات الاصلاحية ، ثم أكد ((أهمية احترام
حقوق وحريات الانسان العربي كاملة غير
منقوصة)) مسترشداً بما قاله ماركس وانجلز من
ان الهدف الاخير من الاشتراكية هو رفع كل قيد
جائر عن الانسان .

وحول الوضع الداخلي في لبنان وجه جيبلاط
انتقاداً شديداً لسياسة الحكومة الراهنة مشيراً
الى قيام ما أسماه ((بالالتزام بسياسة المحور
الأمريكي)) سواء في قضية التأخير في الاعتراف
بالصين الشعبية او المحاولات اليائسة لتأجيل
التوقيع على صفقة السلاح السوفيتي او منع
« الوطني والخير الكبير الشيخ عبد الله
الطريقي من العودة الى لبنان .

ثم تحدث جيبلاط عن الوضع الداخلي في
الحزب مشيراً الى النمو المضطرب في صفوفه
مؤكداً ضرورة ان يسعى الحزب لضم « عدد أوفر
من العمال والفلاحين والطلاب لتكريس يسارية
الحزب واشتراكية قاعدته بشكل ثابت » .

واختتم جيبلاط تقريره الى المؤتمر قائلاً
« وفي النهاية أعلن أننا نلاحظ بغبطة نجاح تعاوننا
مع الاحزاب التقدمية ، وخاصة الحزب الشيوعي
اللبناني . . والتعاون بين الحزبين في مناسبات
معيّنة وقرارات ظرفية هو أساس سياسة
الاشتراكيين المدركين لما يكمن في هذا التعاون
من قوة ومن تعجيل في نشر الفكرة الاشتراكية » .

ومن الناحية الاخرى يقوم الحزب الشيوعي
اللبناني باستعدادات واسعة لعقد مؤتمره
الثالث ، وقد طرح للنقاش وثيقة أساسية بعنوان
« موضوعات المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي
اللبناني »

والجديد في الامر ان الحزب لم يكتف بطرح
وثيقته للنقاش في صفوف قاعدته واصدقائه وانما
طرحها للنقاش العام وبالذات في صفوف الاحزاب
الثلاثة : الحزب الشيوعي والحزب التقدمي
الاشتراكي وحزب البعث . وتعد الان سلسلة
اجتماعات عديدة بين كوادر وأعضاء وجهاء
الاحزاب الثلاثة لمناقشة هذه الوثيقة .

وتتضمن الوثيقة ثلاثة أقسام — الوضع

استعداداً من نوع آخر تقوم به القوى التقدمية
واليسارية اللبنانية في محاولة لتحديد معالم طريق
نضالها ومن أجل وضوح أفضل لرؤيتها لطبيعة
المرحلة القادمة سواء على الصعيد العربي عامة
أو اللبناني خاصة .

ففي يومي ٢١ — ٢٢ تشرين ثاني (نوفمبر)
الماضي عقد الحزب التقدمي الاشتراكي مؤتمره
السبوعي الثاني والعشرين وقد القى كمال جيبلاط
تقرير الرئاسة في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر
وقد تناول فيه سلسلة من القضايا الهامة مشيراً
في البداية الى أهمية النقاش الحر في صفوف
الحزب ، وإلى ضرورة التمسك بالنقد والنقد
الذاتي كسبيل ديمقراطي لتصحيح الاخطاء .

وفي القسم الخاص بالسياسة الدولية أشار
جيبلاط الى العديد من القضايا الهامة مثل الحرب
الفيتنامية ودخول الصين الشعبية الامم المتحدة ،
ثم تناول قضية الدول النامية وضرورة تنظيم
علاقاتها بالدول الغنية على أسس أفضل ، فكرر
اقتراح حزبه بانشاء صندوق دولي عام
للمساعدات التي تتقدم بها الدول الغنية الى
الدول المتخلفة بغية تحرير هذه المعونات من
الطابع الاستغلالي ، كما اقترح انشاء صندوق
مماثل على الصعيد العربي .

ثم تناول جيبلاط الصراع الهندي الباكستاني
فقال ان سببها هو قضية « بنجالاديش » والعنف
المسلح الذي وجهته السلطات الباكستانية ضد
شعب باكستان الشرقية واعتقال مثليه الحقيقيين
وهجرة أكثر من تسع ملايين من سكانها . .

ومضى جيبلاط قائلاً « هذا مثال لما قد تجلبه
من مصائب الانقلابات العسكرية ، وقد رأينا
نتائجها المؤسفة المريرة في العالم العربي ،
حيث يتأكد في كل مكان أن لا خلاص للشعب
ولا ضمان للمواطن الفرد الا بالحرية السياسية »

وبعد أن تناول جيبلاط في تقريره احداث العالم
العربي مركزاً في الأساس على الاحداث الاخيرة
في المغرب والسودان تحدث عن الاردن مندداً
بالتصفيات التي قامت بها السلطات الاردنية ضد
المقاومة ، وأعلن تأييده الكامل « للمقاومة
الفلسطينية وحرصه على حرية عملها ضمن الانضباط
المشترك ، كوجه للشعب الفلسطيني الحقيقي ،
وكعامل أساسي لاجباط جميع المؤامرات على
القضية الفلسطينية ، وكقوة ، محررة وطلعية
للأرض المغتصبة »

ثم حيا تصاعد المقاومة في غزة والارض المحتلة
ودعا الى توحيد منظمات المقاومة وإلى قبول
متطوعين في صفوف المقاومة .

واختتم جيبلاط حديثه عن القضية الفلسطينية

العالمى — الوضع العربى — الوضع الداخلى .
وعلى الصعيد العالمى تسجل الوثيقة احترام
الصراع بين المجموعة الاشتراكية والطبقة العاملة
فى البلدان الرأسمالية وحركة التحرر الوطنى
العالمية من جهة وبين الامبريالية والرأسمالية من
جهة أخرى مشيرة الى ان تفاقم هذا الصراع
ناتج « عن تعاظم قوة ونضال الحركة الثورية
العالمية بفصائلها الثلاث والى تعمق أزمة نظام
الاستثمار والنهب الرأسمالى » .

ثم تحدثت الوثيقة تفصيلا عن كل فصيلة من
فصائل الحركة الثورية العالمية . . وفى حديثها
عن حركة التحرر الوطنى العالمية أشارت « الى
دورها المتعاظم فى العملية الثورية العالمية »
وقالت « ان هذه الحركة كانت حركة للتحرر
السياسى ومن ثم تطورت وأخذت تفتى بمضامين
اجتماعية جديدة » .

وأشارت الوثيقة الى ان البرجوازية الصغيرة
التي تشكل الاغلبية الساحقة فى بلدان العالم
الثالث قد تسلمت الحكم فى معظم هذه البلدان
وهى تتصدى لمهمة الاستقلال الاقتصادى بعد
ما تحققت الاستقلال السياسى سائرة بالمجتمع فى
طريق تقدمى للتطور يستجيب لمصالح البرجوازية
الصغيرة ويلتقى مع مصالح الطبقة العاملة
والفلاحين والجهاهير الشعبية الأخرى ويفتح
الآفاق للتحويل الاشتراكى للمجتمع .

ثم مضت الوثيقة لتعدد الثغرات والنواقص
والاخطاء التى يرتكبها ممثلو البرجوازية الصغيرة
فى السلطة والناجمة فى الأساس عن الطبيعة
الطبقية المزدوجة المتناقضة للبرجوازية الصغيرة ،
وقالت أن هذه النواقص والاطفاء هى السبب فى
النكسات والتراجعات التى تحدث أحيانا فى قلب
حركة التحرر الوطنى .

وحول هذه النواقص قالت الوثيقة أنه رغم
اقتناع فئات واسعة من البرجوازية الصغيرة
بأن التطور الرأسمالى لبلدانها لا يمكنه أن
يخلصها من أوضاع التخلف فاتها شديدة التأثير
بضغط الاستعمار الجديد سياسيا وفكريا
واقتصاديا ، وتلعب بعض اجنحتها على حبال
التوازن الدولى ، وتتخذ مواقف انتقائية تجريبية
لا تستند الى أى أساس علمى ، وتتميز بحذر
خاص من أحزاب الطبقة العاملة والفلاحين
والمثقفين الثوريين ، ومن النظرية الماركسية
اللينينية والاشتراكية العلمية ، وتخشى اطلاق
الديمقراطية للجهاهير الشعبية وانشاء تنظيمات
سياسية ونقابية طليعية لتعبئة الجاهير وتحقيق

مهام بناء الدولة الوطنية المستقلة . . الامر الذى
يؤدى الى انتعاش الاجنحة اليمينية وانتهاجها
خطا يشكل خطرا على تطور هذه الانظمة نفسها .

وتحدثت الوثيقة عن التناقض الاساسى فى
المنطقة العربية قائلة انه التناقض بين حركة
التحرر الوطنى للشعوب العربية كجزء من حركة
التحرر والتقدم العالمية وبين الاستعمار الأمريكى
خاصة والصهيونية والرجعية . وقالت أن المهمة
الاساسية فى المرحلة الراهنة هى اجبار المعتدى
على التراجع وازالة آثار العدوان وصيانة
الحقوق القومية للشعوب العربية وفى مقدمتها
الحقوق القومية للشعب العربى الفلسطينى .
وهذا يتطلب اوسع جبهة نضال تضم القوى
الوطنية والتقدمية على الصعيد العربى وعدم
طغيان التناقضات الثانوية بين فصائل حركة
التحرر الوطنى العربية على التناقض الاساسى .

وحول طبيعة النظام القائم فى لبنان قالت
الوثيقة انه نظام رأسمالى تابع للامبريالية يتميز
بهيمنة قطاع الخدمات وضعف القطاعات المنتجة
فيه وهو وسيط بين الدول الامبريالية .

وبعد ان حددت الوثيقة تصورها للبنان
الاشتراكى اكدت انه من أجل الوصول الى هذه
المرحلة فانه لا بد من المرور بمرحلة حتمية هى
مرحلة الحكم الوطنى الديمقراطى التى تزول فيها
سيطرة الطغمة المالية على الحكم وتحل محلها
مسألة التحالف الوطنى الديمقراطى التى تمثل
« الطبقة العاملة والاحراء وكادى الريف واوسع
اوساط البرجوازية الصغيرة والفئات المتوسطة
فى المدينة والريف والمثقفين الثوريين وفئات
البرجوازية المرتبطة بالانتاج الوطنى والسوق
المحلية والعربية » .

والمهام الاساسية المطروحة أمام هذا الحكم
هى فك تبعية الاقتصاد الوطنى للاستعمار
الجديد ، ووقف هيمنة رأس المال الاجنبى ،
وضمان تطوير متناسق لاقتصاد وطنى مستقل
يقوم اساسا على القطاعات المنتجة فى الصناعة
والزراعة وتطوير السياحة ، وتصفية الشركات
الاجنبية الاحتكارية ، وحصر التجارة الخارجية
بالقطاع العام ، وتأمين مؤسسات التمويل
والتأمين ، وتقوية القطاع الصناعى وتعزيز قطاع
الدولة والقطاع المشترك وتشجيع الرأسمال
الوطنى وتحقيق الاصلاح الزراعى وتأمين
ديمقراطية متطورة فى الحكم والادارة .

■ العراق ■

ميثاق العمل الوطني بين النص المعلن والتطبيق العملي

تثير التطورات التي تجرى في العراق حالياً انتباه المراقبين بخصوص المحاولات التي يبذلها حزب البعث الحاكم للخروج من سياسة العزلة الطويلة التي فرضها على نفسه داخلياً وعلى الصعيد العربي .

وكان الرئيس العراقي احمد حسن البكر قد اعلن في شهر نوفمبر الماضي عن مشروع ميثاق العمل الوطني ، دعا فيه الى بدء صفحة جديدة في تاريخ العراق ، وانهاء الظروف الاستثنائية التي ظل ينفرد فيها بالحكم منذ انقلاب ١٧ يوليو عام ١٩٦٨ ، والالتزام بتحقيق الوحدة الوطنية في الداخل ووضع الدستور الدائم وتشكيل المجلس الوطني والمجالس الشعبية ، والانفتاح على القوى الوطنية والتقدمية في العالم العربي .

وقد أوضح الرئيس البكر في المؤتمر الصحفي الذي عقده لشرح النقاط الأساسية في الميثاق « ان ميثاق العمل الوطني هو بمثابة صيغة جبهوية » تشكل حجر الأساس في الانقلاب الوطني المنشود ، وأن الجبهة الوطنية ستتسع لكل الفئات الوطنية والقومية والتقدمية التي توافق على ميثاق العمل الوطني باعتباره البرنامج العام للجبهة بعد ان تقر صيغته النهائية ويستكمل حوله الحوار الديمقراطي والنقاش الحر من الجماهير وقواها الوطنية والتقدمية ومن خلال أجهزة الاعلام المختلفة .

وقال الرئيس البكر « . . . ولقد انصبت مبادرتنا القومية الاخيرة على ضرورة خلق الاجواء الملائمة لقيام مواجهة عربية موحدة تصد أطماع واعتداءات أعداء العروبة وتحقق النصر الكامل » .

وقد عبر كل من الحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي الكردستاني (وهما القوتان السياسيتان الأساسيتان في العراق الى جانب بعض الاحزاب والتنظيمات الوطنية الاخرى الصغيرة) عن ترحيبهما المبدئي بالميثاق . واعلن الحزب الشيوعي في ملاحظاته بشأن الميثاق المقترح « ان التعاون بين الاحزاب والقوى الوطنية واقامة جبهة موحدة بينها بات ضرورة لا تحتمل التأجيل وذلك لمجابهة العدوان الاسرائيلي والمخططات الامبريالية والصهيونية والرجعية التي تفاقت مخاطرها مؤخراً سواء على صعيد حركة التحرر الوطني العربية ككل ام حركتنا الوطنية وبلادنا ولاتجاز المهمات الصعبة والمعقدة التي تواجه شعبنا العراقي وامتنا العربية . . .

وان النضال الظاهر ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية يتطلب تصفية كل مظاهر الاضطهاد ضد الجماهير ومؤسساتها السياسية وخصوصاً احزابها الوطنية ، اذ لا يمكن الجمع بين الدموه الى الكفاح ضد الامبريالية وبين اضطهاد أية قوة وطنية معادية للامبريالية . . . » وان الحزب يهيمه جدا ان يرى خاتمة نهائية وحاسمة لكل مظاهر الاضطهاد ضده وضد أية قوة وطنية اخرى . . . وانه لكي يتحقق تعاون وطني كفاحي وفعال يتطلب الامر بداهة ضمانات باطلاق كافة الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب وقواها الوطنية والتقدمية بما فيها حرية الاحزاب السياسية والجمعيات الاجتماعية والمهنية والنقابات وحرية الصحافة والرأي والمعتقد وغيرها من الحريات الاساسية .

وتبدو نقطة الخلاف الاساسية بين الحزب الشيوعي والاحزاب الوطنية والتقدمية الاخرى من جهة وبين حزب البعث الحاكم حول وضع الجيش العراقي . وقد اعلن الرئيس البكر بصراحة : « أنه لن تكون في الجيش صيغ جبهوية أو تنظيمات حزبية فيما عدا تنظيم حزب البعث العربي الاشتراكي ، ويمكن ان يكون هناك افراد كانوا ينتمون الى بعض الحركات السياسية واننا نقبلهم في الجيش بصفاتهم عسكريين افسرادا وليس بصفاتهم الحزبية أو السياسية ولن يسمح لاحد غير حزب البعث بالقيام بأي شكل من اشكال النشاط السياسي أو التنظيمي » . الامر الذي يعارضه الحزب الشيوعي العراقي . وتتلخص وجهة نظره في « ان الجيش العراقي الذي لعب دورا مجيدا في تفجير ثورة يوليو عام ١٩٥٨ ، قد سخر احيانا في انقلابات واعمال ضد مصلحة الشعب والزج به في اعمال قمع عسكرية ووشن الحروب المتكررة ضد الشعب الكردي . وانه من اجل تحويل الجيش العراقي الى جيش ديمقراطي ثوري يدين بالولاء للشعب والوطن ، يجب ضمان حرية النشاط السياسي لاهل الجيش ، واطلاق سراح السجناء والمعتقلين من رجال الجيش الوطنيين واعادة المفصولين منهم لاسباب سياسية ، ووضع حد لعسكرة الجهاز الحكومي والحياة السياسية وتأكيد مهمة الجيش وهي الدفاع عن استقلال الوطن وحرية الشعب » .

والجدير بالذكر ان حزب البعث قام بتعيين مسئول سياسي حزبي للجيش أخيراً ، كما حرص دائما على تحويل القوات المسلحة الى جيش يدين بالولاء لحزب البعث ، أي تحويله الى تنظيم حزبي .

وأيا كان الامر ، فان حل مثل هذه الخلافات متروك للحوار الذي سيتم في الفترة القادمة

الحزب الشيوعي بشأن إقامة حكومة ديموقراطية للاتحاد الشعبي في فرنسا . ويعد البرنامج الشيوعي الجديد في نظر اغلب المراقبين السياسيين — أكثر تطوراً من البرامج السابقة التي قدمها هذا الحزب ، من ناحية معالجته للقضايا العملية الأساسية التي تمس حياة المواطن الفرنسي كفرد والشعب الفرنسي كمجموع ، فبينما نجد أن الوثيقة الانتخابية التي أصدرها الحزب في فبراير ١٩٦٧ لم تخصص سوى ١٠ صفحات للمسائل الاقتصادية والاجتماعية، كما لم يخصص لها « بيان ثاميني » الصادر في ديسمبر ١٩٦٨ سوى ٥ صفحات ، نجد أن أكثر من ثلثي البرنامج الحالي مخصص لهذه المسائل .

وأوضح جورج مارشيه السكرتير العام المساعد ، أن مختلف قوى البرجوازية الفرنسية وأحزابها السياسية سواء كانت تتخذ شكل « الليبرالية الاجتماعية » أو « الوسط » أو « الإصلاحية » تستهدف في نهاية الامر نفس الهدف الذي يعمل من أجله الحزب الحاكم « الاتحاد الديموقراطي الجمهوري » ألا وهو المحافظة على النظام الاحتكاري ومواصلة ودعم سياسة الشركات الرأسمالية الكبرى ، وتوفير أساس اجتماعي أكثر اتساعاً لمساندتها . وإذا كانت هذه الأحزاب تختلف فيما بينها ، فإن ذلك يتم حول اختيار المناهج والرجال القادرين على تحقيق هذه السياسة !!

وأشار « جورج مارشيه » السكرتير العام المساعد للحزب الشيوعي الفرنسي الى أن نضال الحزب من أجل حياة أفضل للشعب الفرنسي يفترض القيام بمجموعة من الإجراءات الاجتماعية العاجلة التي تتعلق بزيادة القوة الشرائية وتحسين ظروف العمل ، وأمن العمال ، وضمان العمل ، وزيادة الرعاية الاجتماعية . كذلك فإن الديموقراطية السياسية ، والاقتصادية ، المتقدمة المطلوبة ، تحتاج أولاً وقبل كل شيء ، الى تصفية السلطة الشخصية . وأول وأكثر التحولات الاقتصادية الأساسية هو تأميم القطاعات الاستراتيجية في الاقتصاد بما فيها البنوك وشركات التأمين . ودعا مارشيه في مقدمة البرنامج الى عدم انضمام فرنسا لأي كتلة عسكرية وأوضح أن البرنامج لا يقدم ليقبل كله أو ليرفض كله ، وإنما أوضح استعداد الشيوعيين الفرنسيين لمناقشته في أي وقت مع الحزب الاشتراكي ومع الأحزاب الديموقراطية الأخرى من أجل التوصل الى اتفاق سياسي صلب ، والى « برنامج حقيقي مشترك للحكم »

فوضع مثل هذا البرنامج ينزع من السلطة

بين حزب البعث الحاكم وبين الأحزاب الوطنية والتقدمية للوصول الى اتفاق حول صيغة الجبهة الوطنية التقدمية ، بعد تنفيذ التعهدات التي قطعها حزب البعث الحاكم على نفسه بتوفير الحريات السياسية والمناخ الديموقراطي اللازم ، والعمل على تنقية الجو من آثار الماضي نتيجة سياسة الارهاب التي سادت العراق في الفترة الماضية وتدمير حوادث الاغتيالات والتصفيات الجسدية التي استهدفت العناصر القيادية من كافة الأحزاب الوطنية والتقدمية ، كما أدت من ناحية أخرى الى تدهور العلاقات بين الاكراد وبين حزب البعث في الفترة الأخيرة ، باتهام الملا مصطفى البرزاني زعيم الحزب الديموقراطي الكردستاني لحكومة العراق بالتسوية والمماطلة في تنفيذ البنود الأساسية في اتفاقية ١١ مارس عام ١٩٧٠ ، ومحاولة اغتياله في ٣١ — ٩ الماضي والتي يعزوها كثير من المراقبين الى تدبير من السلطة الحاكمة . ثم ما اشبع من اغتيال فؤاد الركابي في السجن قبل أيام من تاريخ الافراج عنه بعد تنفيذ مدة العقوبة التي أصدرتها ضده محكمة الثورة العراقية وهي ٣ سنوات .

ومما يثير قلق القوى غير البعثية والمتحالفة معها أن يقع الحادث الأخير بعد اعلان الميثاق والوعد بفتح صفحة جديدة من التعاون والعلاقات الايجابية مع القوى الوطنية الأخرى . ولاشك أن التجارب المريعة التي عانت منها هذه القوى تدعوها الى التحفظ في علاقاتها مع البعث ، والشك في نواياه ، فالكلمات لاتعني شيئاً والبرامج مهما كانت صياغتها براقية ، إلا أن الممارسة العملية هي المحك الأساسي لجدية السلطة الحاكمة في تشكيل تحالف حقيقي وتغيير منهجها في العمل ونيل أساليب الارهاب والتصفية الجسدية .

أن الخبرة بالمنهج التقليدي للسلطة الحاكمة تدعو البعض الى التشكك في أن القيادة البعثية تلجأ الى التحالف المؤقت مع طرف وطني لضرب طرف آخر . ولكن القوى التقدمية تمد يدها الى هذه القيادة على أساس الميثاق المعلن مع الاعتماد على الجماهير الشعبية كصمام أمن ضد الاتجاهات السلبية للحكم .

■ ■ ■
■ فرنسا ■

برنامج الحزب الشيوعي من أجل حكومة ديموقراطية

تواصل الصحف الفرنسية مناقشتها للمبادرة التي اتخذتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي في ٩ أكتوبر ١٩٧١ بإقرارها لبرنامج

— تقارير الشهر —

عنها في الحياة الحديثة . وبناء عليه يتعين أن يكون لكل فرنسي في المدينة والقرية مسكن مريح على أساس بناء ٧٠٠.٠٠٠ مسكن كل عام ، وأن تقدر الايجارات بشكل ثابت على أساس معقول .

وأوضح البرنامج ان الحكومة الديمقراطية وحدها هي التي ستكون قادرة على ضمان الاشتراك المتزايد للعمال في تحديد الاهداف والوسائل . . وسيكون ذلك تجديدا كبيرا في الحياة القومية ، سيستترك العمال في المؤسسات المؤممة في الادارة اشتراكا فعليا . وسينالون حقوقا اكثر اتساعا في المؤسسات الخاصة . كما نص على ان الاقتراع النسبي هو الوحيد السليم الذي يضمن لكل حزب تمثيلا يتفق مع قوته الحقيقية . »

ونص البرنامج على أن اجراءات القمع التي تقررته منذ ١٩٥٨ سوف تلغى وستصدر قوانين جديدة تضمن للجميع ممارسة حقوقهم وحياتهم . ولن ينتاب أي شخص القلق بسبب آرائه أو معتقداته الفلسفية أو إيمانه أو وضعه الاجتماعي أو جنسيته . وسوف يمنع أي نشاط أو تصرف عنصري أو معاد للسامية كما سيحظر القيام بأي نشاط أو تأسيس منظمات فاشستية . وسوف يكون تعدد الاحزاب وحرية الترشيح للانتخابات من عناصر الديمقراطية الفرنسية . وستضمن الحكومة الديمقراطية الحرية التامة للعمل النقابي وحق الاضراب في القطاعين العام والخاص .

وستتبع الحكومة الديمقراطية سياسة زراعية جديدة لصالح صغار ومتوسطي الفلاحين وستخفض الاسستقطاعات من دخول العمال ، وستفرض ضرائب عادلة على صغار الصناع والتجار . وستعمل الحكومة الديمقراطية على وضع حد للمضاربة وارتفاع الاسعار والتضخم . وتجهيد بعض الاسعار الاساسية مثل المساكن والسلع ذات الاستهلاك الواسع والادوية والنقل وستفرض رقابة عامة على اسعارها .

كذلك نص البرنامج على ضمان حقوق الجنود والكوادر بلوائح ديموقراطية ، وان تكون مدة الخدمة العسكرية قسرية من الفترة اللازمة للتدريب العسكري وتقدر عامة بستة أشهر ، وأعلن أن الحكومة في الديمقراطية ستتخلى عن القوة الضاربة النووية ، وستوقع على الفور المعاهدات الدولية التي تستهدف وقف سباق التسلح والتدمير الشامل للأسلحة النووية ، وستتخذ الاجراءات التي تهدف الى انسحاب فرنسا من حلف الاطلنطي كلية . وستساهم في

السلاح الممثل في عدم وجود اتفان دائم بين التنظيمات الديمقراطية . كما انه في صالح تنمية حركة الاغلبية الكبرى القادرة على ضرب سلطة رأس المال الكبير . ومن هذه الزاوية أوضح مارشيه «أن حزبنا لم يجعل لكفاحه قط مشروطا بسير المناقشات في «القيمة» بين الزعماء، وانما في تطوير العمل في القاعدة في المؤسسات والاحياء والمدن والقرى لان ذلك هو الذي سيثبد عضد وحدة القوى العمالية والديموقراطية ووحدة كل القوى الشعبية »

وقد أوضح برنامج الحزب من أجل الحكم ، أن الكفاح من أجل الحياة الافضل للشعب تعني أولا وقبل كل شيء امتلاك وسائل تلك الحياة الافضل . وأشار بهذا الصدد الى ان الاجور المنخفضة سوف تزداد على الفور ، ولن يكون هناك أي اجر يقل عن ١٠٠٠ فرنك شهريا ، كما سيعاد النظر في المنح العائلية، وستخفض نفقات العلاج الطبي واثمان الادوية الى ٨٠٪ من اسعارها الحالية على الاقل . أما بالنسبة للعمال فسيعهد بصناديق الضمان الاجتماعي الى ممثلهم المنتخبين بالاقتراع العام والنسبي . كذلك نص البرنامج على تخفيض سن التقاعد الى ٦٠ بالنسبة لرجال و ٥٥ بالنسبة للنساء وبالنسبة لساعات العمل قرر البرنامج العودة الى ٤٠ ساعة عمل خلال خمسة أيام دون تخفيض في الاجر . كما نص على توفير العمل ، وامتصاص البطالة ، ونقص الاستخدام كأهداف دولية ، وعلى الغاء أي تمييز بين الشباب ، والنساء ، والعمال المسنين ، والعمال الزراعيين ، والمهاجرين . كما نص على زيادة الحقوق النقابية لمندوبي العاملين . وأوضح البرنامج كذلك أن الحياة الافضل تعني بالنسبة للنساء والشباب احتلال دورهم في المجتمع . ولذا سيضمن البرنامج للنساء حقوقا مساوية للرجال في التشريع والعمل وبالنسبة للأسرة والمجتمع ، وتحسين ظروف عمل المرأة وحياتها . كما منح الشباب حق التصويت في سن الثامنة عشرة ، وحق الترشيح في الانتخابات في سن الواحد والعشرين . ونص البرنامج أيضا على أن الحياة الافضل للجميع تتطلب توفير اوسع الامكانيات للتعليم ، والتأهيل والارتقاء . ولذا ستقوم الحكومة باصلاح ديموقراطي وحديث للتعليم الوطني من الحضنة حتى الجامعة على أساس الهجوم على مبدأ التفرقة الاجتماعية . وسيكون أول الاجراءات في هذا المجال هو المجانية الحقيقية التي تضمنها الدولة للتعليم كله ، أي نفقات الدراسة والكتب . الخ . وأوضح البرنامج كذلك أن الحياة الافضل تعني امتلاك الوسائل الجماعية التي لا غنى

■ بولندا ■

زيادة الاجور والاستهلاك والديمقراطية بعد المؤتمر السادس

عقد في ٢٠ ديسمبر الماضي في وارسو الاجتماع الموسع الثاني للجنة المركزية لحزب العمال البولندي المتحد برئاسة ادفارد جيريك سكرتير اول الحزب لبحث نقطة واحدة هي : المهام التنظيمية لتنفيذ قرارات المؤتمر السادس ، وتسوية عدد من المشكلات التي اثارها مندوبو مؤتمر الحزب بالنسبة لادارة الحزب والدولة .

وكان حزب العمال البولندي المتحد قد عقد مؤتمره السادس في ٦ من نفس الشهر في قاعة الاجتماعات الكبرى بقصر الثقافة بوارسو اشترك فيه ١٨١٥ مندوبا عن اعضاء الحزب الذين يزيد عددهم عن ٢ مليون ، وممثلون لستين حزبا شيوعيا ، ماعدا الحزبين الصينيين والالباني من الاحزاب الحاكمة . وقد دعى المؤتمر

خلق نظام امن جماعي في اوربا عن طريق معاهدة امن اوربية عامة . كما ستعترف الحكومة الديمقراطية على الفور بجمهورية المانيا الديمقراطية ، وجمهورية فيتنام الديمقراطية ، والحكومة الثورية المؤقتة في فيتنام الجنوبية ، وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية وستعترف بحق تقرير المصير للممتلكات الفرنسية فيما وراء البحار . وستعاون مع الدول النامية بتقديم مساعداتها لها في الكفاح ضد التخلف والفقر والمرض والامية .

وجاء في ختام البرنامج ان تطبيقه سيكون خطوة في مسيرة فرنسا نحو الاشتراكية ، وان تحقيق ذلك لن يتم سوى بتجميع كل العاملين في مجال العمل اليدوي والعقلي في المدن والريف ، وبعملهم المشترك ، وباتحاد كل الفئات الاجتماعية التي تعاني من النظام القسائم وتأمل في التغيير والتقدم ، وفي حياة حرة سعيدة ، وباتحاد كل الاحزاب والمنظمات الديمقراطية حول برنامج مشترك للحكم يوضع بشكل مشترك وينفذ بطريقة مشتركة ..

تعليق

تخفيض الدولار ٠٠ والطبيعة العدوانية للاقتصاد الأمريكي

قد اعلنها نيكسون في اغسطس الماضي وذلك على شرط ان تقوم الدول صاحبة « العملات القوية » بتعديل اسعار التحويل لعملاتها . وفي ١٧ ديسمبر بدأ وزراء مالية الدول العشر اجتماعهم في واشنطن للتوصل الى اتفاق لتعديل اسعار التحويل لعملات هذه الدول . وفي اليوم التالي توصل وزراء المالية الى اتفاق لاعادة تحديد اسعار الصرف . وعلى اثر ذلك الاتفاق قررت الولايات المتحدة رفع سعر اوقية الذهب من ٢٥ دولارا الى ٢٨ دولارا ولفاء الرسوم الجمركية الاضافية وذلك بمجرد بدء العمل بالاتفاق الجديد . ويعنى رفع سعر الذهب بالنسبة للدولار المشار اليه خفض سعر الدولار بنسبة ٩٪ . وبناء على الاتفاق الذي تم التوصل اليه ارتفع سعر الين الياباني بنسبة ٨٨٪ وسعر المارك الالماني بنسبة ١٢٦٪ . أما سعر الفرنك الفرنسي وسعر الجنيه الاسترليني فلم يتغيرا مما يعنى ان سعر العملة بالنسبة للدولار سيرتفع بنسبة ٨٥٧٪ .

والواقع ان تخفيض الدولار كان حتميا وكان يجب ان يتقرر قبل ذلك . ان قوة عملة دولة ما تتوقف على الطاقة الانتاجية لهذه الدولة واثار ذلك على صافي حركة تعاملها مع الخارج ، فاذا زاد الطلب الاجنبي على منتجات وموارد بلد ما بنسبة اكبر من زيادة الطلب المحلي على المنتجات والموارد الاجنبية فان عملة هذا البلد تزداد قوة ومثانة والعكس صحيح . ولقد كانت قوة الدولار طوال الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية حتى اوائل الستينات تعكس مكانة مركز الاقتصاد الأمريكي في الاقتصاد العالمي ، ولكن مع تعاقب دور قوى اقتصادية اخرى كالاليان والمانيا الغربية والبلاد الاشتراكية تراجع مركز ووزن الاقتصاد الأمريكي في الاقتصاد العالمي ، الامر الذي لابد وان ينعكس على مركز الدولار . فمثلا في اعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة كانت الصادرات الامريكية تمثل حوالي ٢٢٪ من الصادرات العالمية وكان لديها

في ١٦ اغسطس الماضي اتخذ الرئيس نيكسون عدة اجراءات لحماية الدولار ، وكانت اهم تلك الاجراءات والقرارات وقف تحويل الدولار مؤقتا الى ذهب والبدء في مشاورات لتغيير معدل التحويل بين الدولار والعملات الاخرى دون المساس بسعر الدولار بالنسبة للذهب ، وفرض رسوم جمركية اضافية بنسبة ١٠٪ ، هذا بالاضافة الى عدة اجراءات داخلية اهبها تجويد الاجور والاسعار تجديدا تاما لمدة ٩٠ يوما ، وتخفيض نفقات الحكومة الاتحادية .

وقد كان هدف نيكسون من تلك الاجراءات مواجهة مشكلتي التضخم وعجز ميزان المدفوعات الامريكي مع محاولة تجنب تخفيض سعر الدولار الى المستوى الذي يعكس قيمته الحقيقية ، وبعد ان كانت قد فشلت مساعي الولايات المتحدة لاقناع بعض حليفاتها برفع قيمة عملاتها رسميا بالنسبة للدولار ولقد احدثت تلك الاجراءات ردود فعل عنيفة ، وعقد المسئولون سواء في المؤسسات المالية الدولية او في وزارات الخزانة والبنوك المركزية في البلاد « العشر الغنية » اجتماعات عديدة لمحاولة الوصول الى اساس مستقرة يتحدد بمقتضاها اسعار تحويل العملات بما يعكس قيمها الحقيقية ولحسم المشاكل النقدية والمالية التي تهدد استقرار النظام النقدي الدولي ، ولكن جميع تلك الاجتماعات فشلت ولم تحقق اى تقدم . واستمرت الاحتجاجات على الولايات المتحدة لقرضها الرسوم الجمركية الاضافية وخاصة من جانب فرنسا وكندا واليابان .

ازاء هذا الوضع المضطرب للنظام النقدي الدولي واحتمال تزايد الموقف تعقيدا واصرار الدول الغربية على ضرورة تخفيض الولايات المتحدة لقيمة الدولار واعادة النظر في سياساتها الجمركية ، تم الاتفاق - في لقاء نيكسون وبومبيدو في جزر الازور - على خفض قيمة الدولار ولفاء الرسوم الاضافية على الواردات بنسبة ١٠٪ وغيرها من الاجراءات التي كان

تقرير الشهر

بناء السفن من شقيتين في يناير الماضي . ومنذ ذلك الوقت ، أجريت المناقشات الواسعة في المؤسسات ومختلف التنظيمات ، وفي كل مكان ، حول كافة المشاكل الاقتصادية والإدارية والإيديولوجية والشفافية ، واشتركت الصحف نفسها في هذا الحوار . وفيه أكد جيريك ، وياروشفيتس رئيس الوزراء على الدور الذي يلعبه غير الحزبيين في إدارة الدولة والاقتصاد وأوضح جيريك أن المعيار الوحيد هو القيمة المهنية ، كما بذل مجهود كبير من أجل إزالة الحواجز بين المؤمنين وغير المؤمنين ، وتحسين العلاقات مع الكنيسة التي أعيدت إليها ممتلكاتها في أراضي الشرق والشمال ، وأجرت الحكومة محادثات مع الفاتيكان في روما في أبريل الماضي ، وفي وارسو في نوفمبر ، سهلت التطورات المطلوبة .

وقد بذل الحزب والحكومة مجهودا ضخما هذا العام لتحسين ظروف معيشة وعمل الشعب ، فازدادت الأجور المنخفضة والمعاشات والمنح العائلية . وفي منتصف فبراير الماضي الفت الحكومة الزيادات في الأسعار التي تقررته في

للاقتصاد وقبل حلول مواعده بعام ؟ ربما لمعالجة الآثار الناجمة عن الاضطرابات التي وقعت على ساحل بحر البلطيق في ديسمبر ١٩٧١ ، أو تهيدا لجعل موعد مؤتمرات الحزب متفقا مع موعد انتهاء الخطط الخمسية ، وهو ما اتفق عليه في المؤتمر الأخير ، أو تنفيذا لمبدأ الممارسة الديمقراطية الواسعة ، أو ربما لهذه العوامل الثلاثة مجتمعة .

وبحث المؤتمر مسألة أساسية هي مستقبل الاقتصاد البولندي الذي أصبح يواجه بعد ٢٥ عاما من اعطاء الأولوية للصناعة الثقيلة بمطلب جديد هو زيادة إنتاج السلع الاستهلاكية لتوفير احتياجات الشعب المتطلع إلى المزيد من الرفاهية ، خاصة بعد أن أعلن جيريك في المؤتمر ، أن الهدف الأساسي لسياسته ، هو أولا تحسين ظروف معيشة الشعب .

والحقيقة أن القادة البولنديين الحاليين بزعامه جيريك استطاعوا منذ حوالي عام أن يخلقوا المناخ الملائم لاقامة حوار قومي ، على نطاق واسع . وقد بدأ التحول منذ أن قام سكرتير أول الحزب بزيارة العمال المضربين في مصانع

أخيرا .
— مدى نجاح الولايات المتحدة في تخفيف هذه الضغوط التضخمية ، وهذا أمر مشكوك فيه طالما استمرت الطبيعة العدوانية للاقتصاد الأمريكي . ومالم تنجح الولايات المتحدة في مواجهة تلك الضغوط التضخمية فإن استمرار ارتفاع الأسعار في الداخل سيضيق الأثر المتوقع على تخفيض أسعار الصادرات الناجم عن تخفيض قيمة العملة . هذا ويجب أن نأخذ في الاعتبار أيضا أن تخفيض قيمة العملة في حد ذاته وما يترتب عليه من تنشيط للصادرات وأثر ذلك على أحداث زيادات متتالية في الإنتاج والاتفاق ، يحمل في طياته عناصر تضخمية .

لكل هذه الاعتبارات فإنه من المشكوك فيه أن يؤدي تخفيض قيمة الدولار إلى تحسين موقف العجز في ميزان المدفوعات الأمريكي ، ونؤكد مرة أخرى أن استمرار الطبيعة العدوانية للاقتصاد الأمريكي والسياسة العدوانية وما ينجم عن ذلك من استمرار للاتفاق العسكري المتزايد خارج الولايات المتحدة يزيد من الأعباء على ميزان المدفوعات الأمريكي مما يلقى أي أثر حسن على ميزان المدفوعات يمكن أن ينجم عن تخفيض قيمة الدولار .

وبالنسبة لاستقرار النظام النقدي الدولي ، فإن تخفيض قيمة الدولار وما صاحب ذلك من تعديل لأسعار بعض العملات قد يساعد جزئيا على إشاعة جو من الاستقرار للنظام النقدي الدولي ولكن ذلك لن يدوم إلا لفترة قصيرة ، ذلك لأن الأزمات النقدية المتعاقبة للعملات « القوية » والتي تعبت باستقرار النظام النقدي الدولي أن هي إلا انعكاس لتزايد هذه التناقضات في النظام الرأسمالي العالي . أن أزمات النظام النقدي الدولي هي أحد جوانب المظهر النقدي لتلك التناقضات التي هي جزء من طبيعة النظام الرأسمالي

د. الفونس عزيز

حوالي أربعة أخماس الذهب النقدي في العالم ، ولكن حاليا هبط نصيب الصادرات الأمريكية إلى حوالي ١٢٪ من الصادرات العالمية ، هذا بالإضافة إلى انخفاض الرصيد الذهبي للولايات المتحدة تدريجيا حتى وصل إلى ١ مليار دولار فقط في العام الماضي . وتهدد الإشارة في هذا الصدد إلى ظاهرة استمرار العجز في ميزان المدفوعات الأمريكي ، والذي تجاوز أخيرا ١ مليار دولار ، هذا بالإضافة إلى ظهور عامل جديد يتمثل في أن الميزان التجاري والذي كان يحقق فائضا باستمرار ظهر فيه عجز خلال عام ١٩٧١ وذلك لأول مرة منذ حوالي ٤٠ عاما .

ولتقييم تخفيض قيمة الدولار نتناول أثر ذلك على مواجهة العجز في ميزان المدفوعات الأمريكي — استقرار النظام النقدي الدولي .

بالنسبة لمواجهة العجز في ميزان المدفوعات فمن المعروف أن تخفيض قيمة عملة دولة ما قد يحسن من موقف ميزان المدفوعات ولكن تحقيق ذلك يتوقف على مجموعة من العوامل وليس هنا المجال لمناقشتها ولكن نكتفي بالإشارة في هذا الصدد إلى النقاط التالية :

— هل نسب تخفيض الدولار ورفع بعض العملات كالين المارك هي النسب الصحيحة والكافية التي تحقق النتيجة المرجوة من تخفيض الدولار ؟

— مدى مرونة الطلب الخارجي على مختلف السلع الأمريكية المصدرة ومدى مرونة الطلب المحلي الأمريكي على السلع المستوردة .

— طبيعة السياسات الجبركية ومختلف سياسات التجارة الخارجية والصرف الأجنبي التي تتبعها الدول التي تتعامل مع الولايات المتحدة .

— مدى استمرار الدول وخاصة اليابان وألمانيا الغربية في الاحتفاظ بمعدلات التمويل الجديدة للعملات التي اتفق عليها

نوفمبر ١٩٧٠، وجمدت اسعار السلع الغذائية لمدة عامين، وازدادت الدخول بنسبة ٩ في المائة، والاجور الحقيقية للعمال بنسبة ٥ في المائة خاصة بعد ان اوضح جان زيدلاك عضو المكتب السياسى امام تنظيم الحزب فى كاتوويس « ان تحقيق زيادة فى الاجور الحقيقية والاستهلاك اصبح هدفنا الرئيسى ».

وقد رسم ياروسيفيتش رئيس الوزراء فى المؤتمر الخطوط العريضة للخطة الخمسية الجديدة التى تستهدف تلبية احتياجات الشعب، واشار الى الجهود التى بذلت فى مجال الاستثمارات التى سوف تزداد بنسبة ٤٢ فى المائة فى الفترة من ١٩٧١ الى ١٩٧٥، كما سيزداد الدخل القومى بنسبة ٤٠ فى المائة، وقد اشار الى ان بولندا سوف تستخرج فى عام ١٩٧٥ - ١٥٧ مليون طن من الفحم، وسيبلغ انتاجها من الطاقة الكهربائية ٩٦٠٠٠ مليون كيلو وات ساعة اى بزيادة قدرها ٤٩ فى المائة مع عام ١٩٧٠، وسيصبح انتاج الصلب ١٤٧ مليون طن، اى بزيادة قدرها ٢٥ فى المائة وستنمو حمولة البحرية التجارية من ١٠٩ مليون طن الى ٢٥٠ مليون طن وسيزداد انتاج سيارات الركوب الى ١٣٥٠٠٠ سيارة سنويا. كما سيصل مجمل الزيادة فى الاستهلاك الى ٣٨ فى المائة على الاقل فى السنوات الخمس القادمة، وسيبقى ذلك زيادة بالنسبة للفرد قدرها ٣٣ فى المائة، وقد خطط لزيادة الاجور الحقيقية بنسبة تتراوح ما بين ١٧ و ١٨ فى المائة، كما سيزداد الدخل القومى بنسبة تتراوح ما بين ٣٨ و ٣٩ فى المائة بالمقارنة مع الزيادة السابقة وقدرها ٣٤ فى المائة، وسيحقق ذلك على أساس زيادة فى العائد الصناعى تتراوح ما بين ٤٨ الى ٥٠ فى المائة، وفى العائد الزراعى تتراوح ما بين ١٨ الى ٢١ فى المائة، كذلك يتمثل احد التغيرات للموسسة فى الانتاج الصناعى فى زيادة انتاج السلع الاستهلاكية من المجموعة « ب »، فيما بين ١٩٧١ و ١٩٧٥ بنسبة ٤٢ فى المائة على الاقل، بينما كانت الزيادة فى الخطة السابقة لا تتجاوز ٣٦ فى المائة.

وقد أجرى المؤتمر تغييرات ضخمة لا فى قيادة الحزب فحسب وإنما فى كيانه العام ايضا. اذ أسقطت اللجنة المركزية عضوية مكتبها السياسى عن « جوزيف سيراكوفيتش رئيس الدولة، الذى تولى رئاسة الوزارة طوال ٢١ عاما، واستيفان بيدريكوفسكى وزير الخارجية، وميشيسلاف موشرز رئيس لجنة الرقابة الحكومية، الذى يجذب اتباع « الاساليب الرقابية ». كما بلغت نسبة الاعضاء الجدد فى اللجنة المركزية حوالى ١٥ فى المائة وهى نسبة ضخمة وقد حصل على

عضوية اللجنة ٦٧ عضوا جديدا، واعيد انتخاب ٤٦ عضوا من أعضاء اللجنة القديمة، كما دخل اللجنة الجديدة ٢٢ من الأعضاء الاحتياطيين باللجنة المركزية القديمة، هذا فضلا عن زيادة عدد أعضاء اللجنة المركزية من ٩١ عضوا الى ١١٥ عضوا، كذلك حدث تجديد على نطاق واسع فى لجنى الرقابة والمتابعة، وفى أجهزة الحزب فى الاقاليم.

وفى مجال العلاقات الخارجية. دعا جيريك الى اقامة اشد انواع التنسيق بين السياسات الخارجية للدول الاشتراكية. واعتبر المسألة المحورية، هى دعم المجموعة الاشتراكية على اساس المعيار الاساسى وهو الصداقة مع الاتحاد السوفيتى، وادان الحزب البولندى بشدة الموقف الصينى، كما اتخذ المؤتمر موقف الادانة الحازمة للمراجعة فى نفس الوقت الذى عبر فيه بحرارة عن مشاعر الصداقة تجاه الاتحاد السوفيتى. وعلى اية حال فقد لفت المراقبون السياسيون النظر بصفة خاصة، الى الطريقة الودية الحساسة التى عبر بها ليونيد بريجنيف سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى فى المؤتمر عن تقدير الحزب السوفيتى لجيريك والعاملين معه وكذلك للبرنامج الماركسى اللينينى

تعليق

المكان : استاد القاهرة .. الزمان : الرابعة والثلاث من بعد ظهر يوم الجمعة الماضى .. الموضوع : ضربة جزاء ضد نادى الاهلى ، والسؤال : ما معنى ذلك كله ؟ كنت هناك ... سمعت الى مكافى مبكرا وتذكرت ايام كنا نهرب من المدرسة فى الحادية عشرة صباحا لنشاهد مباريات الاهلى والزمالك ... و ... وانطلقت صفارة الحكم محتسبة ضربة الجزاء ... وفى ثوان تطورت الاحداث سريعة .. نظرت الى اعلى : وجدت شابا نصف جسده فى الهواء يريد فى غيبة من وعيه ان يلقى بنفسه من شرفة الدور الملوى بالاستاد التى تبعد عن المتفرجين نحتها بما لا يقل عن عشرة أمتار .. كان يريد النزول لضرب الحكم ، ولكن العشرات من حوله أمسكوا به ومنعوه بهزم من محاولاته الجادة « للانتحار » ثم بدأت الموقعة حامية بين رجال الامن المركزى وبين الجماهير ... وسقط الجرحى من الجانبين .. وانطلقت سيارة الاسعاف الى داخل الملعب تحمل الجرحى من رجال الشرطة .

والان يثور السؤال : ما معنى ذلك كله ؟ لست مع الذين قالوا « انزلوا أقصى العقوبة بهروان حارس مرمى الاهلى » سواء كانوا من محترفى الكرة او من محترفى مشاهدتها ، او حتى ممن ليس لهم فى هذا أو ذاك ولكنهم يملكون اقلاما يكتبون بها وينشرون عن كل شئ وفى كل موضوع .. حتى فى كرة القدم .. فأى لاعب يمكن ان يخطئ ، وهناك حكم المباراة وعده الذى يمكن ان يطبق عليه قانون اللعبة : من لفت النظر الى الابتعاد عن اللعب ثلاث مباريات تالية .

ولست أيضا مع الذين يقولون : « الحكم اخطأ وهو السبب » .. فهذا بدأ الارسل التليفزيونى فى مصر عام

من أن الاستبعاد الضروري لبعض لبعض أخطاء الجهود العقائدية والخلفية ، وكذلك إعادة توطيد الشرعية الاشتراكية التي انتهكت من قبل ، كان مصحوبا بالتساهل مع المراجعة والاتجاهات الايديولوجية التي انتهكت من قبل ، كان مصحوبا بالتساهل مع المراجعة والاتجاهات الايديولوجية الاخرى الغربية عن بلادنا » وبرز جيريك حقيقة ايجابية لا بالنسبة لتطور الحزب الشيوعي في بلاده فحسب ، وانما بالنسبة لتطور الاحزاب الشيوعية الاخرى في اوروبا الشرقية عامة وهي ان « الكفاح ضد الجمود ، لا ينبغي ان يقود الى المراجعة » .

■ ■

■ كوبا

انهيار أسوار العزلة

لم تشعر الولايات المتحدة الامريكية — والدول التي تتبع سياسة الانقياد الاعمى على طول الخط لدبلوماسيتها وأهدافها في أمريكا اللاتينية — بفشل سياسة عزل كوبا الاشتراكية ومحاصرتها اقتصاديا وسياسيا — بقدر ما شعرت به خلال

الذين يعتزمون تطبيقه . ومن الجدير بالذكر كذلك ان جيريك اكد على ضرورة تعميق الديمقراطية الاشتراكية في بولندا ، جنبا الى جنب مع زيادة النظام في المجتمع . وقد دعا الى زيادة دور المجالس العمالية ، على ان تقوم بإعادة توزيع المكافآت ، وتهتم بالمشاكل الاجتماعية في المؤسسات ، ودعا جيريك الى « تحديد عدد مؤسسات الرقابة » والتقليل من اهميتها لصالح « الرقابة الذاتية في المؤسسات والادارات » . وفي المجال الايديولوجي دعا جيريك الى ما سماه « بإعادة التسلح الايديولوجي » ورفض « أي وقف لإطلاق النار في مجال الكفاح الايديولوجي » وأكد فيه على مواصلة عملية التجديد الجارية ، الا انه أشار بوضوح في تقريره ، الى حقيقة هامة ، وهي ان التجديد الذي يقوم به لعلقة له « بربيع اكتوبر ١٩٥٦ » أي ببعض التطبيقات التي تمت ممارستها في بولندا في اعقاب المؤتمر العشرين للحزب السوفييتي . اذ حلل جيريك نواحي الضعف الاساسية التي انتابت الحزب في تلك الفترة وبخاصة من ١٩٥٦ الى ١٩٥٩ فقال : « ان الضعف الاساسي للحزب في تلك الفترة ينبع

الشعب في مباريات الكرة ... ظاهرة اجتماعية

(٤) الم يكن الوقت لراكر البحوث الاجتماعية في بلادنا أن تهتم بالظواهر الجارية في مجتمعنا وخاصة في ظروف المعركة ؟ فبح أهمية أبحاثها عن مدني المخدرات ، وعن النسل الخ ... مما تعاني وشغل نعانى منه الى سنوات ، ألا يجدر الاهتمام بظاهرة اجتماعية خطيرة ولو كان ميدانها مباراة في كرة القدم ، ثم ان تقدم نتائج دراساتها الى من يرسمون السياسات في الداخل والخارج ، أم أن مهمة مراكز الدراسات هي أن يبدو لمن يتفكرون نقاشا حول قدرة للملائكة على المرور من « خرم الابرة » بينما الامسدام يدنون أبواب بيضة ؟

(٥) لماذا لا نقبل — نحن المواطنين — وفي كثير من الاحيان ، ما لا يعجبنا من قرارات ويكون موقفنا منها هو الانفعال الخاطف فقط ؟ لماذا ينقصنا عنصر الانضباط : ضبط النفس ، والالتزام بقواعد آية لمة ... بينا الحياة كلها — وفي مقدمتها الامور السياسية — هي لعبة لها قواعد تحكمها ؟

والسؤال الاخير في رأيي هو أخطر الاسئلة .. أتدبه لباثنا الفاضلين المسئولين عن تربية وتعليم اجيالنا والاحياء القادمة : المسئولين عن مصر المستقبل : هل التدريب والتعليم مع « الانضباط » تقل أهمية عن شحن العقول بمكونات الذرة ؟ والا تتطور سياسات التعليم حقا الا بالتغيير الموسمي في مناهجه ؟

يكنى أن نذكر أن دولة أرادت أن تبنى نفسها عظيمة ، وأن تقيم الصناعات الثقيلة والخفيفة — مثل اليابان — وجدت أن أول خطواتها نحو القوة هي : تدريب النشء على النظام ، والإشراف عليهم حتى وهم يعبرون الطرق العامة ليسيروا على الخطوط المحددة لمسير المشاة .

جمال صادق

١٩٦٠ ، وسبقنا الرياضي محمد لطيف يحرص على أن يذكرنا بأن الحكم هو سيد اللعب ، وهو صاحب الكلمة الوحيد فيه ، وهو المقاتل الأول الخ ... الى درجة أن كل متفرج — حتى الهواة منهم — أصبح يعي ذلك تماما ، وهو ان لم يسعه خلال الدقائق التسعين للمباراة فانه يبدأ في التشكك في شخصية بذيها .

لست مع هؤلاء أو أولئك لان الموقعة التي جرت على أرض استاد القاهرة منذ أيام لها دلالات أبعد وأعمق من مجرد البحث فيها عن « الفاعل » .. والسبب بسيط : فالفاعل ليس شخصا محددا .

ان هذه الموقعة — بكل الاسف الذي تثيره في النفوس — تطرح مجموعة من الاسئلة يجب أن نجيب عليها قبل أن نستطرد في أي اتهام أو تهمادي في أي اجراء ، أو حتى — وهو الاخطر — في عدم اتخاذ أي اجراء :

(١) لماذا أصبحت المباريات الهامة تتحول — بثورة المتفرجين — الى مواقع عسكرية ؟ لسنا أول المتحمسين لاندية ، ولا نحن أكثر المتحمسين لفرقها .. ففي أوروبا مثلا من هم أكثر حماسا منا .

(٢) هل انطلاق المشاعر الى الفوضى — نفعة واحدة — هو تعبير نفسي عن أوضاع عامة لها مظاهرها الاجتماعية والنفسية المعينة ؟

(٣) اذا ثبت أن ذلك عنصر له تأثيره الرئيسي ، أملا يكون من واجب المسئولين مراعاة المبدأ العلمي في الحرب النفسية الذي يقول : ان أهم وأخطر مشكلات الحرب النفسية هو السيطرة على درجة الحشد المعنوي والنفسى للجماهير وفق الهدف السياسي للدولة بحيث نتجنب الشحن المفاجيء ثم التبريغ السريع لدرجات الحماس القومي .



كاسترو

زيارة كاسترو لشيلي والنجاح الجماهيري الهائل الذي صاحبها كانت تعبيراً عن شعبية كاسترو في أمريكا اللاتينية ، وتعبيراً في الوقت نفسه عن التأييد الجماهيري العريض لحكومة شيلي الاشتراكية برئاسة الزعيم الماركسي سلفادور الليندي . وبالتالي فإن الزيارة كانت نتيجة — وليست مقدمة — لانتهيار جدران العزلة حول كوبا . كما أنها كانت تأكيداً بأنه لا وجود لاية تناقضات أساسية أو متصارعة بين النظام الثوري الكوبي الذي يمثله كاسترو والنظام الاشتراكي البرلماني الشيلي الذي يمثله الليندي . ولقد جاء وقت حاولت فيه القوى اليمينية في أمريكا اللاتينية — ووراءها الولايات المتحدة بالامكانيات وبالتوجيهات — أن توحى بوجود تناقضات أساسية وحادة بين القوى الثورية اليسارية في شيلي ، أو بين العناصر البرلمانية بزعامة سلفادور الليندي والعناصر الثورية ذات الاتجاهات الكاستروية المتطرفة (كما يحلو لليمين أن يصفها) . ولكن لقاء كاسترو والليندي أكد أنه لا وجود لمثل هذه التناقضات الأساسية وأن الوقت في أمريكا اللاتينية الآن هو وقت توحيد قوى وجهود الثورة واليسار في وجه الامبريالية الأمريكية وضد قوى اليمين المتشبهة بالبقاء .

وقد عبر كاسترو بنفسه — في أحد لقاءاته الجماهيرية العديدة في شيلي بالعمال وبالطلبة — عن معنى هذا اللقاء حين قال « أن هذا الالتقاء يمكن أن يوصف بأنه الالتقاء رمزي بين عمليتين تاريخيتين » . وهو يعني أن الالتقاء يرمز إلى الالتقاء بين الثورة الكوبية كعملية تاريخية تسير في اتجاه تقدمي محدد والثورة الشيلية كعملية تاريخية أخرى تسير في اتجاه تقدمي محدد آخر .

وقال كاسترو أيضاً — في آخر أحاديثه الصحفية خلال زيارته لشيلي — « لقد حاولت الامبريالية بكل قوتها طوال ١٢ عاماً أن توقفنا أن نسحق الثورة الكوبية ولكنها فشلت . أن تعريفنا للاستقلال حقيقة لا يمكن تحطيمها » .

ولم تكن طائفة كاسترو قد هبطت بعد في أرض شيلي حين كتبت صحيفة «نيويورك تايمز» لأمريكية تقول « ليس هناك شك في أن كثيراً — وربما معظم — حكومات أمريكا اللاتينية تشارك الآن الرئيس الليندي الرغبة القوية في أن تعود كوبا إلى النسق الأمريكي » . وفي الوقت نفسه أشارت الصحيفة إلى أن زيارة كاسترو لشيلي ثم اكوادور وبيرو جاءت في وقت تشترك فيه كوبا في مؤتمر ليما لمجموعة لدول الـ ٧٧ النامية . وقد اشتركت كوبا في هذا المؤتمر بموافقة اجماعية من دول أمريكا

فترة تغيب كاسترو رئيس وزراء كوبا عن وطنه في زيارته الطويلة والمدوية لشيلي وزيارتيه القصيرتين لبيرو واكوادور في طريق عودته . وإذا كانت آراء « المراقبين » (الغربيين) قد أجمعت على أن زيارة كاسترو لشيلي كانت نهاية لعزلة كوبا الدبلوماسية في أمريكا اللاتينية ، فإن الحقيقة التي يتجاهلها هؤلاء المراقبون هو أن أصوات المطالبة بوضع نهاية لهذه السياسة قد ارتفعت داخل منظمة الدول الأمريكية نفسها قبل أن يقوم الزعيم الكوبي برحلته العميقة الأثر إلى شيلي . بل أن أصوات المطالبة بإعادة العلاقات مع كوبا واتباع سياسة أكثر موضوعية وواقعية تجاهها قد ارتفعت داخل الولايات المتحدة نفسها قبل ذلك بوقت طويل .

وإذا كان هذا يعني شيئاً فهو أن القوة الفعلية للثورة الكوبية قد فرضت نفسها على مدى لسنوات الماضية رغم الحصار وحملات التشكيك والضغط الاقتصادي والدبلوماسي التي لم تنقطع عنها الولايات المتحدة طوال تلك السنوات .

وجاءت زيارة كاسترو لشيلي — حيث «فاق استقباله كل التوقعات » (على حد تعبير وكالات الأنباء الغربية نفسها) — فضافت الكثير إلى شعور الأمريكيين في الشمال وفي الجنوب بعدم جدوى تجاهل قوة الحقيقة الثورية الكوبية بعد فشل المحاولات المتوالية لضربها من الداخل أو الخارج والنتيجة الموضوعية التي يمكن الخروج بها أن

— تقارير الشهر —

الامم المتحدة ، بمشروع قرار يقضى بضرورة منح الشعب الفلسطيني حق تقرير المصير ، واشراكه في أية تسوية خاصة بالوضع في الشرق الاوسط وتقدمت ، في نفس الوقت ، بعض السدول الاسلامية (أفغانستان ، الصومال ، باكستان ، وأندونيسيا) الى اللجنة ذاتها بمشروع قرار يقضى بدعوة اسرائيل الى الكف عن نسف مساكن الفلسطينيين وطردهم خارج ديارهم .

وفي اليوم التالي اتخذت هذه اللجنة أربعة قرارات ضد اسرائيل . وصدقت عليها الجمعية العمومية . اذ وافقت اللجنة — بأغلبية ٧٥ صوتا ضد صوتين (اسرائيل ومالوي) وامتناع ٢٥ دولة عن التصويت — على قرار يدعو اسرائيل الى اتخاذ خطوات فورية وفعالة لتسهيل عودة اللاجئين الفلسطينيين .

ويدعو القرار الثاني اسرائيل الى وقف تدمير مساكن اللاجئين والكف عن نقل اللاجئين من معسكراتهم . وقد اتخذ هذا القرار بأغلبية ٦٦ صوتا ، ضد أربعة أصوات (اسرائيل ، هايتي ، اكوادور ، سانتو دومينجو) وامتناع ٣٢ دولة عن التصويت .

وصدقت اللجنة على «ضرورة مراعاة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين لاقرار سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط» وأعرب القرار عن «القلق الشديد ازاء حرمان الشعب الفلسطيني من هذه الحقوق ومنعه من ممارسة حقه في تقرير المصير» .

وأعربت اللجنة في قرارها الرابع عن اسفها العميق لعدم إعادة اللاجئين الى ديارهم أو تعويضهم . وفي هذا القرار كانت اسرائيل هي الدولة الوحيدة التي امتنعت عن التصويت . كما اقر — بالإجماع — ضرورة تعزيز المساهمات المالية في وكالة غوث اللاجئين .

اما النجاح الثاني فقد حققته الدبلوماسية العربية في الجمعية العمومية للامم المتحدة ، حين أصدرت الجمعية المذكورة قرارها الذي « يؤكد من جديد ان الاستيلاء على الاراضي بالقوة أمر لا يمكن قبوله ، وانه بناء على ذلك يجب ان تعاد الاراضي التي احتلت بهذه الطريقة الى أصحابها » وتطلت بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في نزاع يونيو ١٩٦٧ ، وبالرد ايجابيا على مذكرة السفير يارنج .

وقد سبق القرار المذكور تحركات متعددة الاطراف ... ففي السابع والعشرين من نوفمبر الماضي وصل محمود رياض ، وزير الخارجية المصرية ، الى نيويورك . وكان قد صرح اثناء مروره بمدير لندوب الاسوشيتدبرس ، انه « اذا فشلنا في استعادة ارضنا بالوسائل السلمية ، فلن يكون أمامنا بديل للحرب » .

اللاتينية ، بما فيها الدول التي تسيطر عليها حكومات مناهضة للاشراكية والكاستروية على وجه الخصوص . وقد عقب دبلوماسي من بيرو على هذا بقوله « ان كوبا جزء لا يتجزأ من أمريكا اللاتينية ، وعلى الولايات المتحدة ان تدرك هذا »

ولقد عبر كاسترو عن حقيقة هامة حين قال في مؤتمر صحفي في السفارة الكوبية في هافانا « ان العزلة حول كوبا قد بدأت تنكسر حينما انتخب الليندي رئيسا لشيلى » . فالواقع ان حكومة شيلى ساهمت في عام ١٩٦٤ مع الولايات المتحدة في قرار فرض الحصار الدبلوماسي والتجارة حول كوبا ، واليوم بوجود حكومة اشتراكية في شيلى نفسها يظهر للامبريالية الامريكية الى أين ينجه مؤشر التطور في قارة أمريكا اللاتينية . وهذا هو المعنى نفسه الذي عبر عنه الرئيس الليندي — في حديث لمراسل اذاعة كوبا — حين قال « ان مظاهر الصداقة والتضامن الرائعة التي أبدتها الشعب الشيلى تجاه فيدل كاسترو هي تأكيد حي لان شعب شيلى يفهم جيدا أهمية كوبا الثورة في حركة تحرير أمريكا اللاتينية » .

ان القلق يستبد الان بالدوائر الرسمية الامريكية المعنية بشئون أمريكا اللاتينية . انها تعرف — بعد اعترافها بانتهاء عزلة كوبا في أمريكا اللاتينية — ان الولايات المتحدة ستواجه في أول اجتماع لمنظمة الدول الامريكية موجة من المعارضة ضد استمرار فرض الحصار الدبلوماسي والتجاري والاقتصادي حول كوبا . وتجدر الولايات المتحدة نفسها في انتظار هذه الموجة أمام اختيارين كلاهما مر : اما ان توافق على ان تبطل اصرارها السابق على استمرار الحصار حول كوبا ، واما ان تقهيا لهزيمة داخل منظمة الدول الامريكية شسبية بهزيمتها داخل الامم المتحدة عند التصويت على عضوية الصين الشعبية .

■ ■

■ هيئة الامم المتحدة ■

المجتمع الدولي وقضية الصراع العربي الاسرائيلي

في ديسمبر الماضي حققت الدبلوماسية العربية نجاحا متلاحقا في الامم المتحدة .

ففي أول ديسمبر ، تقدم الاتحاد السوفيتي الى اللجنة السياسية الخاصة المنعقدة من

وعكست نصريحات المسؤولين الاسرائيليين القلق البالغ من الاتجاه السائد في الدورة الحالية للامم المتحدة ، اذ اجمعت هذه التصريحات على أن الامم المتحدة لن تتخذ قرارا موضوعيا بشأن أزمة الشرق الاوسط .

وحاولت اسرائيل تجميع المناقشات الدائرة في الجمعية العمومية ، بنشر الاوهام عن استعدادها للعودة الى اتصالات يارنج .

وفي الثامن والعشرين من نوفمبر ، وفي مدينة لندن ، أبدى أبا إيبان ، وزير الخارجية الاسرائيلي لمسير دوجلاس هيوم ، وزير الخارجية البريطانية استعداد حكومته لتوقيع شروط مسبقة ، ورفض أى تفسير جديد لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وعشية مناقشة أزمة الشرق الاوسط ، أكد محمود رياض أن مصر لا تعترم التقدم بأى مشروع قرار .

وفي اول ديسمبر ادلى يوثانت — السكرتير العام للامم المتحدة — بتقريره حول الأزمة ، أمام الجمعية العمومية . وقد طالب يوثانت اسرائيل بتقديم رد ايجابي على يارنج ، كما أشار الى رفضها التعهد بالانسحاب ، ودعا الى ضرورة احياء مهمة المبعوث الدولي .

وقد تأجلت المناقشة يوما واحدا ، في انتظار وصول ممثلى اللجنة الافريقية .

وواصلت اسرائيل مناوراتها ، فنشرت الشائعات حول موقف الصين من قضية فلسطين مدعية أن ليس لدى الوفد الصينى تعليمات من حكومته حول الموقف الواجب عليه اتخاذه ازاء الأزمة .

ومن خلال وفد كوستاريكا ، تقدمت اسرائيل بمشروع قرار الى الجمعية العمومية لا يخرج في جوهره عما قاله إيبان لهيوم .

وفي الثالث من ديسمبر القى رياض خطابه أمام الجمعية العمومية ، والذي طالب فيه بفرض عقوبات على اسرائيل ، بعد ان رفضت تنفيذ قرار مجلس الامن وكل المبادرات لحل الأزمة . وأكد أن «مصر مصممة على مقاومة عدوان اسرائيل كما فعلت مع الغزاة طوال تاريخها» .

وعقب خطاب رياض ، أصدر الوفد الاسرائيلي لدى الامم المتحدة بيانا اتهم فيه وزير الخارجية المصرية بوضع شروط لا يمكن لاسرائيل قبولها . وان خطابه يؤكد رغبة مصر فى القتال بعدد استصدار قرار من الامم المتحدة يبرر لها استئناف القتال .

وقد تقدمت اللجنة الافريقية بتقرير الى يوثانت بينت فيه أن اسرائيل رفضت استئناف مهمة يارنج بشروط مسبقة ، وانها اشترطت أن يتم (التفاوض) حول شروط الانسحاب الجزئى والحدود الامنة

وحرية الملاحة فى مضيق تيران . واحتمال تواجد قوات دولية فى شرم الشيخ . فى حين وافقت مصر على استئناف مهمة يارنج ، وعقد اتفاق مؤقت لاعادة فتح قناة السويس ، شريطة أن تلتزم اسرائيل بالانسحاب الكامل ، وان تتضمن التسوية الكاملة مسألة الحدود الامنة وحرية الملاحة فى مضيق تيران وامكانية تواجد قوات دولية فى شرم الشيخ .

ومعروف أن هذه اللجنة كانت قد انبثقت عن منظمة الوحدة الافريقية وأوفدت فى نوفمبر الماضى أربعة من رؤساء الدول الافريقية الى اسرائيل ومصر لجمع الزيد من حقائق الموقف ، الا أن مهمة الرؤساء الاربعة باءت بالفشل .

وفى ٦ ديسمبر القى أبا إيبان خطابه فى الجمعية العمومية كرر فيه مطالبه الى هيوم . واذر بأن الامم المتحدة ستخسر (الفرصة الذهبية) اذا هى اكتفت بتطبيق (قوة الاغلبية) .

وفي يوم ٨ ديسمبر هاجم مندوب الصين ثشن سياوكوان هوا ، بعنف كل من اسرائيل والولايات المتحدة . فى حين طالب بهاء الدين طوقان ، مندوب الاردن ، باعادة تنشيط مهمة يارنج وتطبيق قرار مجلس الامن . وطالب لازار موييسوف ، مندوب يوجوسلافيا بمنع تزويد اسرائيل بالاسلحة الهجومية . ووصف عبدالرحمن بازواك ، مندوب افغانستان أطماع اسرائيل بالاستعمار الدينى .

وفي اليوم التالى تقدمت أربع دول افريقية (نيجيريا والسنگال والكاميرون وموريتانيا) بمشروع قرار يطالب اسرائيل بالانسحاب وتنشيط مهمة يارنج ، وتسوية مشكلة اللاجئين . وسرعان ما تبنت ٢٧ دولة هذا المشروع . مما دفع اسرائيل للتحرك وسط بعض دول امريكا اللاتينية فى محاولة منها لتقديم مشروع مضاد لا يلزمها بالانسحاب . وعندما فشلت جهود امريكا واسرائيل فى هذا الصدد ، أدلى إيبان بتصريح عصبى قال فيه انه اذا أقر المشروع الافريقى فان اسرائيل لن تنفذه ، مما يؤدى الى فقدان الامم المتحدة لكل دور لها فى الأزمة .

وفي صباح ١٤ ديسمبر جرى التصويت فى الجمعية العمومية ونجح المشروع الافريقى بأغلبية ٧٩ صوتا ضد ٧ أصوات وامتنعت ٣٦ دولة عن التصويت ، ومما تجدر الإشارة اليه امتناع أربعة دول عربية عن التصويت وتغيب الوفد العراقى .

وهذا القرار هو — على حد تعبير السيد محمود رياض — تأكيد لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ويبقى أن «تستعمل مصر حقها المشروع فى تحرير الارض» كما قال وزير الخارجية المصرية فى معرض رده على أسئلة الصحفيين فى المطارات

العربية لا يمكن أن توافق على اعطاء أجزاء من أراضيها لدول معتدية

ومن بين النجاحات الكبيرة التي حققها المجلس العالمي للسلام مؤخرا تلك الزيارة التي قام بها وفد منه لمقابلة يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة ، وفي المقابلة أكد يوثانت على أهمية قيام تعاون وثيق بين الأمم المتحدة وبين المجلس العالمي للسلام وغيره من المنظمات العالمية الجماهيرية . وأعرب يوثانت « أن ثقته الكاملة في الدور الكبير الذي يلعبه المجلس العالمي للسلام في إعادة صياغة المجتمع الانساني وفي تحديد الاتجاهات السياسية العالمية والمحلية »

وقد اشار يوثانت في حديثه الى حقيقة هامة وهي أن ميثاق الاسم المتحدة يبدأ كلماته بعبارة « نحن شعوب العالم » بينما كان ميثاق عصبة الأمم السابقة يبدأ كلماته بعبارة « نحن الأطراف السامية المتعاقدة » وخلص من ذلك الى حقيقة أن شعوب العالم ومنظماتها الجماهيرية وكل أنصار السلام في العالم مدعوون لممارسة نضال جاد من أجل اقرار السلام والامن الدوليين . وتطرق يوثانت في حديثه الى عدد من القضايا الهامة ، فاشار الى تصميمه على عدم الاستمرار في عمله كسكرتير عام للأمم المتحدة ، وقال أنه يعتقد أنه قادر على مواصلة خدمة السلام من خلال نشر عدد من الكتب والدراسات والمذكرات التي يستطيع أن يكشف فيها بعضا من الحقائق التي لا يمكنه أن يتحدث عنها الآن .

وقال يوثانت أنه يعتقد أن من واجب الأمم المتحدة لكي تصبح منظمة عالمية بالفعل أن تدعم علاقاتها بالمنظمات الجماهيرية وخاصة المجلس العالمي للسلام . ذلك أنه يعتقد أن للمجلس العالمي للسلام أهدافا نبيلة يتفق — هو شخصيا — معها تمام الاتفاق ، ذلك أنها تسعى في النهاية الى إقامة مجتمع دولي يسوده السلام والعدل والتقدم .

هذا وقد قام الوفد بعد ذلك بحضور عدد من اجتماعات اللجان الفرعية للأمم المتحدة وعرض فيها وجهة نظر انصار السلام في المسائل المطروحة . كما وجه الدعوة الى عدد من هذه اللجان كي توفد مندوبين عنها لحضور اجتماع رئاسة المجلس العالمي للسلام المقبل ، بحيث يمكن إقامة جسور مستمرة وتعاون مثمر بين منظمات ولجان الأمم المتحدة ، وبين حركة انصار السلام العالمية . وقد قابلت هذه اللجان الدعوة التي وجهت اليها بترحيب شديد .

ثم طرح وفد المجلس العالمي للسلام فكرة الدعوة الى عقد اجتماع في جنيف يضم ممثلي المنظمات العالمية الجماهيرية ومندوبين عن الأمم

التي مر بها في رحلته الأخيرة من القاهرة الى نيويورك . وعندها فقط سيكتسب هذين النجحين قيمتهما الحقيقية . وبدون ذلك ستضاف هذه القرارات الى اكداش القرارات والاحتجاجات والادانات ضد اسرائيل ، في حين يبقى الواقع الاليم على ما هو عليه .

■ مجلس السلام العالمي ■

لقاءات دولية لمجلس السلام العالمي

يمارس المجلس العالمي للسلام في الآونة الأخيرة سلسلة من النشاطات الهامة من أجل شرح وجهات نظر انصار السلام في العالم في مختلف القضايا الهامة .

ومن بين هذه النشاطات الهامة المقابلة التي تمت مؤخرا بين أليكسي كوسيجين رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي وبين روميش شاندراسكرتير العام للمجلس العالمي للسلام . حيث ناقشا عددا من أخطر القضايا التي تجابه الانسانية المعاصرة .

وفي الوثيقة التي اصدرها المجلس العالمي للسلام حول هذه المقابلة أثبت شاندراس أجابة الرفيق كوسيجين على عدد من التساؤلات الهامة المتعلقة بقضايا الحرب والسلام .

فحول القضية الفيتنامية قال كوسيجين « ان شعوب الهند الصينية مستعدة لتسوية المشكلة سياسيا ، كذلك فان ثسمور الولايات المتحدة بوطاة الحرب يزداد ، وقد بدأ المعتدي يؤمن باستحالة فرض نفسه بواسطة القوة أو الخديعة على شعوب الهند الصينية الشجاعة . المشكلة اذن هي تحويل الامكانيات الى حلول ملموسة ، وأكد كوسيجين أيضا « ان الاتحاد السوفيتي يعمل من أجل السلام في فيتنام ونحن مستعدون لبذل كل الجهود في سبيل حل هذا النزاع » .

وحول أزمة الشرق الأوسط قال كوسيجين « ان اسرائيل لا تبحث عن السلام العادل والدائم ، ولكنها تريد المحافظة على استمرار الوضع الراهن معلقة آمالها على أن «تعتاد» الدول العربية مع مرور الزمن على احتلال اسرائيل للأراضي العربية وهذه الاوهام التي ادانتها كل الدول تجد صدى في واشنطن . ومن الواضح أن شعوب الدول

ومنظماته القومية في النضال من أجل سلام وموقف أنصار السلام من مختلف القضايا الدولية الهامة .

والذي لا شك فيه أن مثل هذا النشاط المتسع من جانب حركة السلم العالمية يمثل خطوة هامة في سبيل تعزيز الحركة العالمية للسلام وفتح آفاق جديدة أمام نشاط أنصار السلام في مختلف أنحاء العالم .

كذلك فإن التعاون المفيد الذي يقوم الآن بين الأمم المتحدة وبين المجلس العالمي للسلام هو بذاته دليلا كافيا وواقعا على أن حركة السلام العالمية قد أصبحت بالفعل قوة فعالة وإيجابية في دعم السلام العالمي ، وأنها قد أصبحت ذات نفوذ عالمي واسع سواء على النطاق الجاهري أو الحكومي .

المتحدة ولجانها المختلفة لبحث وسائل التعاون فيما بينها ، وقد تمت الموافقة أيضا على هذا الاقتراح .

كذلك تقدم الوفد بعدد من المقترحات الهامة من بينها أن يرسل يوفدات رسالة خاصة إلى اجتماع رئاسة المجلس العالمي للسلام المقبل يحدد فيها موقف المنظمة الدولية من القضايا الهامة . واقتراح بأن يتم نوع من التنسيق المستمر بين الجهاز الدائم للأمم المتحدة وبين سكرتارية المجلس العالمي للسلام . وقد استقبل السكرتير العام هذه المقترحات بترحيب شديد . هذا وقد قدم الوفد إلى يوفدات والى السكرتارية الدائمة للأمم المتحدة مذكرة تفصيلية حول أهداف ومبادئ الحركة العالمية للسلام ، شرحت فيها بالتفصيل دور المجلس العالمي للسلام

الحساب الختامي

لوصفي التل

تقرير

خاص



القصر التي كانت تدار منه المعارك ضد الفدائيين ، حيث كان يشارك في إدارة ومتابعة المعارك من غرفة العمليات الموجودة في القصر .

تاريخ أسود

ولد وصفي التل عام ١٩٢٠ ، في قرية من ضواحي أربد ، شمال الأردن . وبعد أن تخرج

في تمام الساعة الثالثة والدقيقة الأربعين من بعد ظهر الأحد ، الموافق ٢٨ نوفمبر ١٩٧١ ، وأمام فندق شيراتون بالقاهرة ، وضع أربعة من الشبان الفلسطينيين حداً لحياة وصفي مصطفى وهبه التل ، رئيس وزراء الأردن وصاحب التاريخ الدامي الطويل مع حركة المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطيني .

والشبان الأربعة هم : منذر خليفه ، عزت رباح ، جواد بغدادى ، زياد بدران .

وبعد الاغتيال بقليل ، اتصلت فتاة بوكالات الأنباء في بيروت ، تليفونيا ، لتخبرها أن (منظمة أيلول الأسود) هي التي نفذت عملية اغتيال التل .

وقد تسمت المنظمة بهذا الاسم نسبة لايول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وهو الشهر الذي نظمت فيه السلطة الأردنية المذبحة الشهيرة ضد العمل الفدائي والشعب الفلسطيني في الأردن ، والتي راح ضحيتها نحو عشرين الف شخص . وهي المذبحة التي لعب فيها وصفي التل دورا رئيسيا سواء في التمهيد والتخطيط لها أو متابعة تنفيذها . فرغم عدم اشتراكه في وزارة محمد داود العسكرية ، التي كانت قائمة في الأردن أثناء تنفيذ المذبحة ، إلا أن الوسطاء العرب ، الذين ذهبوا إلى عمان لوقف المذبحة المذكورة ، شاهدوا وصفي التل في قصر الحمير الملكي بعمان ، وهو

— تقارير الشهر —

من الحركة الفدائية والارتباط بها ، الا ان رغبته هذه قوبلت بالصد من قبل المقاومة .

واذكر انه كان يقبأه في مجالسه الخاصة ، بأنه القادر الوحيد على عقد صلح مع اسرائيل ، وأنه سيفعل ذلك بمجرد توليه الوزارة !

وبعد انتهاء مذبحة سبتمبر ١٩٧٠ ، استقالت الوزارة العسكرية . وكلف الملك حسين وصفي التل بتشكيل الوزارة ، في أكتوبر ١٩٧٠ . وبكل ما عرف عنه من شراسة ومعاداة لحركة الشعب ، بدأ وصفي التل في تنفيذ المخطط الرامي الى استثمار نتائج مذبحة سبتمبر ، والعمل على التصفية التامة لحركة المقاومة .

وفي ٢٠ يناير ١٩٧١ ، أصدر وصفي التل باعتباره الحاكم العسكري للاردن — قرارا ، ضمن تشريعات الطوارئ ، تضمن الاعسدام والسجن لمدة طويلة لكل من يحرز متفجرات أو أسلحة . ثم سرح المئات من الفلسطينيين من دوائر الحكومة ، وفرض قيودا مشددة على تعيينهم في الوظائف ، واشترط أن لا يتم التعيين في الوظائف العادية الا بموافقة شخصية منه . وذلك بهدف التضيق على الفلسطينيين . ثم أصدر التل قرارا يقضي بضرورة عودة أبناء غزة الى القطاع . وكان هذا القرار يعني اخراج أبناء قطاع غزة من الاردن الى الدول العربية الأخرى ، حيث من المعلوم أن اسرائيل ترفض هودتهم الى قطاع غزة .

وفي اليوم التالي لاعتقال التل تضاعفت عمليات المقاومة العسكرية في المناطق المحتلة ، وشهد قطاع غزة ليلة مجيدة من أيام المقاومة ، وصفتها المصادر العسكرية الاسرائيلية بأنها « أحلك ليلة في تاريخ احتلال القطاع » . وبعد أقل من أسبوع شهد القطاع معركة أخرى لاتقل عنفا عن سابقتها .

وفي الخامس عشر ديسمبر الماضي ، تعرض زيد الرفاعي ، سفير الاردن ، الى محاولة لقتله بالرشاشات . ونسبت [منظمة أيلول الاسود] المحاولة لنفسها .

وفي اليوم التالي انفجرت عبوة ناسفة في مركز البعثة الاردنية لدى المقر الاوربي للأمم المتحدة في جنيف بسويسرا . وتحملت [حركة التحرير الوطنية الاردنية] مسؤولية هذه العملية .

وبعد . . . لقد وقع مالم يكن يتوقعه التل نفسه ، ففي أعقاب مذبحة يوليو ١٩٧١ ، سأل أحد الصحفيين عما اذا كان يخشى قتله على أيدي الفدائيين ؟ فرد التل ببيت الشعر المعروف :
زعم الفرزدق أن سيقتل مريعا
أبشر بطول سلامة يا مريع

من الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٤١ ، حاملا بكالوريوس العلوم والفلسفة ، عمل مدرسا في الاردن ، ثم سرعان ما هجر التدريس ليلتحق بمدرسة صرغند العسكرية في فلسطين ، والتي كانت تديرها سلطات الانتداب البريطاني . وتخرج منها ليعمل ملازما في الجيش البريطاني عام ١٩٤٢ ، ثم عين ياورا ومستشارا سياسيا لكلايتون ، ضابط المخابرات البريطانية والمسئول غير المعلن عن السياسة البريطانية في الشرق العربي .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، عام ١٩٤٥ ، انتقل التل الى قبرس ليعمل في المخابرات البريطانية هناك . ثم عاد منها ليعمل في (المكتب العربي) في فلسطين ، والذي اقيم عام ١٩٤٦ بمبادرة من الجامعة العربية ، وكان على رأسه موسى العلمي ، وكان المكتب يضم عناصر مثقفة مؤمنة بضرورة الارتباط بالغرب والتعامل معه في سبيل الحصول على الاستقلال والحرية !! ثم كانت المفاجأة عندما انضم وصفي التل الى (جيش الانتقاذ) ، الذي دخل فلسطين عام ١٩٤٨ بقيادة فوزي باشا القاوقجي ، بحجة مؤازرة عرب فلسطين في قتالهم ضد العصابات الصهيونية . وتولى التل منصب مسئول التحركات الحربية ، ثم قيادة الفرقة الرابعة في الجليل .

وبعد انتهاء حرب فلسطين انضم وصفي التل الى الجيش السوري . وفي عام ١٩٤٩ القي حسنى الزعيم القبض عليه ، وقدمه للمحاكمة بتهمة التجسس ، وقد تدخل السفير البريطاني في سوريا وحال دون اعدامه ، وتمكن من الافراج عنه ! حيث عاد الى عمان ، ليعمل موظفا بدائرة الاحصاء ثم مساعدا لمدير ضريبة الدخل . وفي ١٩٥٥ عين مديرا للمطبوعات ، فمستشارا للسفارة الاردنية في بون بالمانيا الغربية ، وفي عام ١٩٥٧ عين مديرا للبروتوكول في القصر الملكي الاردني ، ثم قائما بالاعمال في طهران . وفي عام ١٩٥٩ عين مديرا للتوجيه الوطني ، ثم سفيراً للاردن في بغداد . وفي ١٩٦٢ تولى رئاسة الوزارة الاردنية للمرة الاولى . وبلغت المرات التي تولى فيها رئاسة الوزارة الاردنية خمس مرات .

وهذه هي المرة الثالثة التي يتعرض فيها وصفي التل لمحاولة اغتيال . وكانت المرة الاولى في أغسطس ١٩٦٦ ، والثانية في أكتوبر من نفس العام .

وكان التل بعد عدوان يونيو (حزيران) ١٩٦٧ يبدى تبرمه وسخطه ، من حين لآخر ، من نمو العمل الفدائي على ارض الاردن ، وذهبت محاولاته باقامة علاقات مع حركة المقاومة الفلسطينية أدراج الرياح ، ذلك أنه حاول التقرب

أصداء الاغتيال

ويمجرد اعلان نباء الاغتيال تسارع الناس في عمان الى منازلهم . وبدأت شوارع المدينة وكأنها خالية من الحياة . وساد التوتر المشوب بالخوف المدينة . ومرت اكثر من اربع ساعات ، قبل أن يوجه الملك حسين خطابه الذكي ، في الساعة الثامنة مساء نفس اليوم من اذاعة عمان ، مهددا النفوس التي ظلت تتوقع رد فعل عنيف وشرس لمقتل التل . وعاد للاهالي بعض الاطمئنان .

وفي اليوم التالي عين الملك حسين اللواء محمد رسول الكيلاني مستشارا لشئون الامن ، وهو الرجل المعروف بعدائه لحركة المقاومة والشعب الفلسطيني والاردني . والصقت السلطات الاردنية صورا كبيرة لوصفي التل على جدران عمان ، واصفة اياه بـ « الشهيد البطل » ، كما دعت السكان الى رفع الاعلام السوداء . واشترك حوالي ١٥٠٠ فرد في تشييع جنازة القتل ، وسط اجراءات أمن مشددة .

وفوجيء الناس صباح يوم ١٦ - ١٢ - ١٩٧١ ببيانات تشيد بمقتل التل ، وقد الصقت على جدران عمان .

وفي بيروت اصدرت الاحزاب التقدمية (التقدمي الاشتراكي ، الشيوعي ، البعث ، وحدة القوى الناصرية) بيانا مشتركا ، في ٣٠ - ١١ ، قالت فيه « ان تاريخ حكام الاردن الرجعيين هو تاريخ العداء للقضية الفلسطينية » وبعد ان عدد البيان جرائم الحكم الاردني ، حذر من محاولة استغلال حادث الاغتيال لفرض جو من الارهاب ضد الفدائيين في لبنان . واعتبر البيان « توحيد صفوف المقاومة الفلسطينية » هي المهمة الاكثر احاحا في الظروف الراهنة . اما تجمع الاحزاب والقوى التقدمية فقدا صدر في بيروت بيانا ، في نفس اليوم ، اعتبر اغتيال وصفي التل هو تنفيذ « لحكم الجماهير العربية والتاريخ بحق عميل امضى حياته في التآمر على قضايها ، والذي بلغت ذروة عمالته في تنفيذ مجازر ايلول والاحراش ، محاولا تصفية الثورة الفلسطينية وتوقيع الصلح مع اسرائيل » وانتهى البيان الى المطالبة بالافراج عن الفدائيين الاربعة .

اما كميل شمعون ، فقد ادلى بحديث خاص لجريدة (الشمس) - عدد ١ - ١٢ - ٧١ - قال فيه « ان مثل هذه الاعمال تدفع عجلة العرب الى الوراء ، وتحطم كل المنجزات الوطنية التي تهيئها الطاقات العربية من أجل الحرب لتحرير الاراضي العربية المحتلة ، وهي بالتالي تشوه السمعة العربية في الخارج الذي يتحسس امورنا بشكل ايجابي لم يعهده العرب من قبل

الا ان الهم من ذلك كله ان نشاط المقاومة وعملياتها العسكرية في تصاعد وتزايد مستمرين ، في الاراضي المحتلة بقطاع غزة والجليل بشكل خاص .

واخذت معدلات المضايقات في الارتفاع . مما اضطر المقاومة الى سحب اسلحتها ومقاتليها من عمان في مارس ١٩٧١ . ثم بدأ التل حملة شرسة للتفتيش عن الاسلحة في المدينة ، قام خلالها الجنود الاردنيون بنهب منازل المدينة وحوانيتها . ويوم تم انسحاب الفدائيين من عمان ، قال وصفي التل « ان هذه الخطوة تساوي في قيمتها وأثرها ، خطوة انطلاق العمل الفدائي » !! وفي فبراير ١٩٧١ . انسحبت اللجنة العسكرية العربية من الاردن احتجاجا على تصرفات السلطة الاردنية ، وهي اللجنة التي كانت قد عينت بقرار من مؤتمر القمة الذي عقد في القاهرة أثناء مذبحة سبتمبر (ايلول) الدامية . ثم نظمت السلطة الاردنية - في ١٢ يوليو (تموز) ١٩٧١ - غارة غادرة ضد الفدائيين المتواجدين في الاغوار على خط المواجهة مع القوات الاسرائيلية . وخرج التل في اعتاب انتهاء الحملة ليتباهى بأن العمل الفدائي قد انتهى !!

منظمة ايلول الاسود

وفي الثاني من ديسمبر الماضي ، اصدرت منظمة ايلول الاسود ، بيانها الاول ، تحملت فيه مسؤولية اغتيال وصفي التل . وقد وجهت المنظمة بيانها « الى جماهير شعبنا الفلسطيني المناضل » الى جماهير امتنا العربية المجيدة » واعتبر بيان المنظمة اغتيال التل بمثابة « تنفيذ حكم الاعدام الذي اصدره شعبنا الفلسطيني » وحيث المنظمة « أبطال المجموعة الشرفاء » ووعدهم « بملاحقة قضيتهم التي تفتتها جماهير شعبنا وامتنا » وحذر البيان « كل من تسول له نفسه ان يضع نفسه في خدمة الخونة والعملاء » وقد حاولت بعض الاوساط الصحفية الربط بين (منظمة ايلول الاسود) و (فتح) ، واعتبرت هذه الاوساط الاغتيال مجرد ازدواجية في الاسلوب تمارسه فتح . وقالت جريدة النهار البيروتية اليمينية - في عددها الصادر يوم ٣٠ - ١١ - ان منظمة ايلول الاسود هي في الواقع جزء من حركة فتح ، لكنه جزء غير معلن عنه رسميا .

وفي تفسير تبني فتح الفدائيين الاربعة ، قالت (حصاد العاصفة) النشرة الناطقة بلسان فتح - ان فتح لا تستطيع ان تتخلى عن دورها في تبني كل مناضل فلسطيني ، مهما كانت هويته ومهما كان اجتهاده .

— تقارير الشهر —

أما في القاهرة فقد استعرضت أجهزة الإعلام الحادث وملابساته وتاريخ القتل ، في موضوعية كاملة . أما جريدة الأخبار فقد نشرت كلمة لرئيس تحريرها ، موسى صبرى ، في صفحتها الأولى ، في اليوم التالي للحادث ، رأى فيها بأنه « ليس عملاً فدائياً بحال من الأحوال ، إطلاق الرصاص على انسان أعزل ، مهما كانت آراؤه السياسية ، ومهما كانت تصرفاته ، ومهما كانت الاتهامات الموجهة إليه .. » وأنهى موسى صبرى كلمته بقوله « نستنكر هذا الحادث » !!

ويعمد النظام الاردنى اليوم الى تشديد الهجوم على مصر ، كما يلجأ الى محاولة اقامة منظمة موازية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بهدف شق وحدة الشعب الفلسطينى ، وقد دافع النظام الاردنى بعملائه للتحرك في هذا الاتجاه ، باستغلال الهبوط الملحوظ في حركة المقاومة . ولخدمة هذا الغرض جرى تخفيف أحكام الأعدام الصادرة بحق ٦٠ فدائياً فلسطينياً ، كما جرى الإفراج عن آخرين .

وقد نشرت جريدة (جيو وساليم بوست) الاسرائيلية أن الدكتور قاسم الريماوى رجل وصفي التل — كان قد وصل الى الضفة الغربية واتصل بوجهائها ، كما أجرى مشاورات مع بعض وجوه التجمعات الفلسطينية الاخرى ، لتكوين المنظمة الموازية . وقد كشفت (اذاعة العاصمة) في نشرتها الاخبارية يوم ٨-١٢ : هذه المحاولة والقائمين بها ، وحذرت الشعب من .

عبد القادر ياسين

ان العرب أمام صراع وطنى ، يجب عليهم نبذ خلافاتهم على مذبح جهودهم المثمرة .. » وفي فلسطين المحتلة استقبل العرب هناك نبأ اغتيال التل بالابتهاج .

وفي لندن قال أبا أيان ، وزير خارجية اسرائيل « أن موت وصفي التل يشكل ضربة عنيفة للملك حسين »

أما جريدة التايمز اللندنية فقد قالت — في عددها الصادر في ٣٠ - ١١ - أن اغتيال وصفي التل « سسيو قد جمر حركة الفدائيين الفلسطينيين » وعزت الجريدة ابتهاج العرب الى أنهم رأوا في مقتل التل « نهاية رجعى معروف » . وترى (الدبلي تلجراف) اللندنية المحافظة أن اغتيال التل « سيبقى الخلاف العربى في حالة غليان » وقد جاء قولها هذا في اليوم التالى لاغتيال التل . وفى واشنطنون أبدى الرئيس نيكسون حزنه على فقد وصفي التل . واعتبرت جريدة نيويورك تايمز — في عددها الصادر في ٣٠ - ١١ - مقتل التل بمثابة « ضربة خطيرة للملك حسين الذى كان التل يخدمه بأخلاص وتصميم غير عاديين ، ان لم يكن دوماً بحكمة كاملة » واعترفت نيويورك تايمز بأن التل كان « يسعى الى تسوية عملية مع اسرائيل » وأبدت الجريدة الامريكية تخوفها من « أن يزدهر التطرف من جديد بين الفلسطينيين مهدداً السلام والامن للعرب والاسرائيليين على السواء » . و (التطرف) الذى تعنيه نيويورك تايمز ليس الا (العمل الفدائى)

الحرب التى قررت المصير « وسرقت الكاميرا » وغيرت موازين القوى

تقرير خاص

« بخيانة البلاد بشكل مهين » مما أجبر يحيى خان على الاستقالة ، ليتولى بعده ذو الفقار على بوتو رئاسة الدولة حيث أجرى عدة تغييرات في قيادات الجيش أعقبها خطوات تمهيدية انتهت بالإفراج عن الشيخ مجيب الرحمن زعيم رابطة عوامى على أساس إجراء حوار معه حول مستقبل التطورات في باكستان .

فهل كان الرئيس يحيى خان يتصور في أبريل الماضى عندما حل رابطة عوامى وحارب أنصارها وسجن الشيخ مجيب الرحمن ، أنه كان بذلك يحطم نظام حكمه نفسه ويحارب « الحرب الاخيرة » — على حد تعبيره — بالفعل ويسجن نفسه في خانة لا تزيد عن مساحة غرفة مكتبه لينتقل بعدها — كما هو متوقع — الى منزله

بعد مضي ١٣ يوماً على القتال ، منها ٣ أيام وقعت فيها مدينة « داکا » تحت الحصار ، استسلمت قوات باكستان الشرقية (٩٣ الف جندي) أمام القوات الهندية ، ووقع الجنرال نيازى — القائد الباكستانى — وثيقة الاستسلام ، بدون قيد ولا شرط ، في يوم ١٦ ديسمبر من عام ١٩٧١ ، بينما كان علم « البنجالاديش » يرفعه أحد الجنود فوق مقر القائد الباكستانى حيث وقعت الوثيقة .

ولم تكد تهض ساعات على بدء اجراء القوى المعنية لحساباتها عن الآثار المحلية والدولية المترتبة على نتائج الحرب ، حتى كانت المظاهرات الفاضية تملأ شوارع باكستان الغربية بينما تمثلىء صحفها بالافتتاحيات ساخطة تهاجم نظام الحكم وتتهمه

ويبقى فيه دون حراك سياسى الى الابد ؟ وهل كانت **انديرا غاندى** — رئيسة وزراء الهند — تتصور انها بمساندة حركة البنجالاديش ، سوف تتحمل عبء اقامة ومعيشة ١٢ مليون لاجئ وتدخل من أجلهم — وبسبب عداوات قديمة وتاريخية — الحرب ؟

وايا كانت حسابات كل منهما وتصوراته ، فان ذلك هو الذى حدث بالفعل .

ومع تداعى تطورات الاحداث وتوتر الموقف على الحدود الهندية الباكستانية ، وصودر البيانات السياسية العصبية من كلا الطرفين واتهاماتهما المتبادلة عن « تسلل بعض القوات » أو « تحليق بعض الطائرات فوق الاجواء المحلية » ، طرحت نتائج انتخابات ديسمبر ١٩٧٠ فى باكستان الشرقية — والتي ألغيت بعد ذلك — طرحت نفسها بالحاج حاد ، لا على باكستان والهند فحسب بل وعلى المجتمع الدولى . وسرقت المشكلة « الكاميرا » من عدد من المشاكل الدولية المتفجرة الاخرى .

« المتاريس السياسية »

بادرت كل من الدولتين الى دعم « متاريسها السياسية » ، بعد ان فشلت جهود ووساطة الرئيس السوفيتى **بودجورنى** والرئيس اليوغوسلافى **تيتو** ، فى حصر الخلاف فى اطار العمل على حله بالوسائل السلمية وبكل طرق التفاهم الممكنة .

ونشطت التحركات السياسية فى مختلف الاتجاهات .

فاعلنت حكومة الرئيس **يحيى خان** عن عزمها على اجراء انتخابات فى ديسمبر وأسرعت بعد ذلك بتعيين **نور الامين** (من باكستان الشرقية) رئيسا لوزراء باكستان . ثم قام وفد منها برئاسة **ذو الفقار على بوتو** — زعيم المعارضة — بزيارة الى بكين ، حيث نجح الوفد فى ان يعسود الى بلاده بتأييد الصين لباكستان واعلان المسؤولين فى بكين عن ان الصين سوف تقف الى جانب باكستان وتساندها وتقدم لها كل المساعدات اذا قامت الحرب بينها وبين الهند . ولم تغب عن حسابات الرئيس **يحيى خان** ، حقيقة ان بلاده عضو فى **الحلف المركزى** ، ومن ثم فان بلاده سوف تلقى مساعدة وتأييد أعضاء الحلف ، فضلا عن تأييد الولايات المتحدة الامريكية بحكم مصالحها من جهة وبحكم ارتباطات حلف جنوب شرقى آسيا من جهة اخرى .

وعلى الجانب الاخر ، قامت وفود سياسية هندية بزيارة كثير من العواصم العالمية ، ونشطت **انديرا غاندى** — على رأس وفد على مستوى عال — بزيارة كل من **واشنطن** و**لندن** و**بون**

وبروكسل و**فيينا** و**موسكو** . وبرغم ان الصحف الغربية كانت توحى بأن هدف رحلة رئيسة الوزراء هو « تأكيد ان الهند لم تتحول عن سياسة عدم الانحياز : السياسة التقليدية للهند ، برغم توقيعها لمعاهدة الصداقة الهندية — السوفيتية » — فى أغسطس الماضى — غير ان تعليقات هذه الصحف بعد ذلك ، قد اجمعت على ان موضوع « البنجال الشرقية » كان الموضوع الرئيسى لمحادثاتها . ويقول المراقبون ان **انديرا غاندى** كانت تهدف الى توضيح وجهة نظر الهند واقتناع رؤساء هذه الدول بها لكي يتخذوا موقفا محايدا أو بعيدا عن التورط فى ركاب اى من الطرفين . وقد صاحب هذا النشاط الدبلوماسى للهند ، التأكيد على « الدور الشرعى » لقوات البنجالاديش التى شكلتها حكومتهم فى المنفى — بكلكتا . هذا بالإضافة الى ان هجرة نحو ١/٤ السكان ، ثمانون بالمائة منهم من المسلمين أبرز الطابع القومى لمشكلة البنجال الشرقية . ومن جانب آخر ، كانت الحكومة الهندية تضع فى حساباتها الضمانات التى توفرها لها معاهدة الصداقة .

اما حركة البنجالاديش ، فبرغم ان أخطار مجريات الاحداث واصداؤها الدولية قد غطت على تصريحات حكومتها فى المنفى حول « شرعية مطالبها باستقلال البنغال الشرقية بعد ان فشلت كل المساعي التى بذلت من قبل لى تحظى بقدر من الحكم الذاتى يلائم المصالح القومية لشعبها المضطهد اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا من قبل باكستان الغربية » ، الا انها لم تضع الوقت فى العمل السياسى فحسب بل وفى تدريب قواتها وتنشيطها والتنسيق بينها وبين انصارها داخل باكستان الشرقية .

وعلى المستوى الدولى ، اتخذت أمريكا موقف الترقب الحذر — قبل القتال — على الرغم من علاقاتها بباكستان وانحيازها لها لاكثر من اعتبار وكما كشفت علانية عن ذلك بعدئذ . ويعتقد المراقبون ان ترقب الولايات المتحدة الحذر ، لم يكن سوى « تمنية للنفس » بأن تطفى الساحة مؤقتا انتظارا لصدام متفجر فى المواقف بين الاتحاد السوفيتى والصين ، يهيبها لها بالتالى هامشا أوسع من الحركة بالنسبة للمشكلة بشكل عام ويوفر لها عناصر نجاح اكبر لمحادثات نيكسون المرتقبة فى كل من بكين وموسكو بعد ان يتعمق الخلاف الصينى السوفيتى الى اوسع دائرة ممكنة .

اما **فرنسا** و**بريطانيا** ، فقد اكتفيا بالمطالبة بايجاد حل للمشكلة عن طريق اجتماع الدول الكبرى .

اما دول المعالم الثالث ودول عدم الانحياز ،

— تقارير الشهر —

السوفيتي الى الاقتراب من المنطقة في ضوء التزامات اطراف معاهدة الصداقة مع الهند . ومن الجدير بالذكر ان كوزنتسوف النائب الاول لرئيس الوزراء السوفيتي قد زار الهند اثناء اشتباكات الحرب ليجرى مشاورات مباشرة مع الحكومة الهندية بشأن الموقف وفق نص مواد معاهدة الصداقة .

وعشية سقوط « داکا » واستسلام القوات الباكستانية فيها ، أعلنت حكومة الهند اعترافها بدولة بنجالاديش وحقوق شعبها القومية . ويقول المراقبون أنه — بذلك — تكون الخريطة السياسية لعلاقات القوى في شبه القارة الهندية قد تغيرت تماما .

حسابات جديدة

وعلى الرغم من الآلام التي صاحبته الحرب والخسائر المادية التي تكبدتها شعوب المنطقة ، وعلى الرغم من تحفظات بعض المراقبين حول قصية نصره قومية مضطهدة عن طريق مساعدات خارجية « الى هذا الحد » ، الا أن المراقبين يجمعون على أن حركة البنجالاديش من جهة والهند من جهة اخرى والاتحاد السوفيتي من جهة ثالثة ، قد حققوا نجاحات كبيرة من وجهة نظرهم .

فقد مكنت الحرب حركة بنجالاديش من تقرير مصير شعبها واعلان دولة مستقلة .

أما الهند ، فبالإضافة لما تعنيه نتائج الحرب من اقامة دولة مستقلة للبنجالاديش يعود اليها اللاجئين دون اضطهاد ، فانها قد وجهت ضربة الى « الجار المتخاصم » — الصين في سياستها تجاه شبه القارة الهندية تضعف منه ، فضلا عن أنها ضمننت انكماش باكستان — الجار المتخاصم التقليدي أيضا — الى حدود « لا تخيف » ، وضمان وجود دولة على حدودها الشرقية — بنجالاديش — تحمل لها « جميل » المساعدة على اقامتها . وضمنت بذلك استقرارا معقولا في منطقة المتاعب « البنجال الهندية » التي كانت موطن ارهابات الكفاح المسلح التي شنتها حركة « الناكلا رست » المناوئة لحكومة أنديرا . غاندي والتي تتبنى الفكر الصيني .

وأما الاتحاد السوفيتي ، فقد استعاد — بمواقفه . وبناتج الحرب — زمام المبادرة الدولية حيث أن أمريكا — التي كانت ترفض من قبل الاستجابة الى الشرعية — أصبحت هي التي تطلب اجتماع مجلس الأمن بناء على طلب نيكسون للحديث عن الشرعية . كما أن نتائج الحرب تعنى اهتزاز وضع حلف جنوب شرقي آسيا والحلف المركزي وتدهورهما . فضلا عن ذلك بروز اخفاق السياسة الصينية في تقديراتها

فقد تباينت مواقفها — لاعتبارات عديدة — على أنها حاولت جميعها أن تدعو كلا الطرفين الى ضبط النفس والصبر حتى لا تقع الحرب .

وبينما اتخذت بكين موقف التأييد الكامل لباكستان منذ اللحظات الاولى لتوتر المشكلة ، اتخذ الاتحاد السوفيتي — بعد أن فشلت كل جهوده من أجل ايجاد حل سياسي راسلي للمشكلة — موقف تأييد الهند ومساندتها .

حرب الفقراء . . والمجتمع الدولي

وبقيام الحرب ، كان واضحا منذ أيامها الاولى تفوق القوات الهندية على القوات الباكستانية ، حيث اخترقت بسرعة واضحة مواقع الثانية . مما اضطر باكستان الى دفع قواتها في باكستان الغربية الى حدود كشمير (المنطقة المتنازع عليها بين البلدين) لتستولي على مساحة من الارض تساوم بها الهند لفك أسر الاراضي التي احتلت في باكستان الشرقية .

وفشل مجلس الأمن — الذي اجتمع في جلسة طارئة — في اتخاذ قرار لمواجهة الازمة التي انفجرت . وكانت مشروعات القرارات التي تقدمت بها الدول الغربية أو الصين ، تدعو الى وقف اطلاق النار وانسحاب القوات الى حدودها الاصيلة دون أن تتضمن أية اقتراحات لحل المشكلة التي تسببت في الحرب . وقد استخدم الاتحاد السوفيتي حق الفيتو ضد هذه المشروعات أكثر من مرة ، — بها تسوى — أيضا — بين الجانب الباكستاني « سبب المشكلة » وبين الجانب الهندي ولا تتضمن حلا لمصالح شعب البنجال القومية . وبفشل مجلس الأمن ، أحال المشكلة على الجمعية العامة التي شهدت عشرات من المناقشات الحادة وبخاصة بين مندوب الصين الذي طالب « بادانة الهند » « والامبريالية السوفيتية » ، وبين مندوب الاتحاد السوفيتي الذي طالب « بايجاد تسوية سياسية في باكستان الشرقية وأن توقف باكستان كل أعمال العنف » والذي وصف تعبير المندوب الصيني بأنه « تعبير سخيف » . ثم تمكنت الجمعية العامة من اصدار قرار [بأغلبية 104 أصوات] يدعو الى وقف اطلاق النار والعودة الى الحدود الدولية والعمل على ايجاد الظروف الملائمة لعودة اللاجئين وفقا لاختيارهم . لكن الهند رفضت تنفيذ القرار على أساس أنه « لا يحقق شيئا لباكستان الشرقية » . وكان الواضح أن قوات الهند على وشك أن تدخل « داکا » .

وخيم على الرأي العام العالمي ، شبح وخطر حرب عالمية ، عندما تحركت قطع من الاسطول السابع الأمريكي بالقرب من سواحل باكستان الشرقية ، ثم اضطرار قطع من الاسطول

بريطانيا لدى الحكومتين ورسمت خطا للحدود في المنطقة وافقت عليه البلدان ، ومن اهم المشاكل الباردة والتي لم تشتعل حتى الآن ، مشكلة « سد فرلكا » الذي اوشكت الهند على استكمال بنائه على بعد ١١ ميلا من حدود باكستان الشرقية . وترى باكستان أن هذا السد سوف يحول باكستان الشرقية الى صحراء لانه يقضى على مصدر حيوى للمياه التى تعتمد عليها فى الرى . هذا فضلا عن المناطق الصغيرة التى تختلف البلدان حول تبعيتها لاي منهما .

اما داخل باكستان نفسها ، فان سكان باكستان الشرقية التى تبعد ١٢٠٠ ميل عن باكستان الغربية ، يقيمون وجهة نظرهم على أساس أنهم مضطهدون قوميا . فهم يشكلون قومية مختلفة عن تلك التى تجمع سكان باكستان الغربية . وبرغم أن أرضهم هى المصدر الاساسى لصادرات المواد الخام الزراعية التى تدر النقد الاجنبى (صادرات باكستان الشرقية منها ١٥٠ مليون جنيه استرلينى فى السنة) الا أنهم يعاملون كمجرد سوق لمنتجات باكستان الغربية التى لا تستطيع الصمود فى المنافسة مع المنتجات الاخرى فى الاسواق الخارجية . فبينما كان الفرق فى نسبة الدخل الفردى بين المواطن فى باكستان الشرقية وبين المواطن فى باكستان الغربية تبلغ ٩ ٪ فى الخمسينات ، اصبح يبلغ الان ٦٠ ٪ فى المائة . وبينما يشكل سكان باكستان الشرقية اكثر من نصف تعداد سكان البلاد كلها (٧٥ مليون نسمة) الا ان ٨٠ ٪ من المناصب الحكومية فى ايدى سكان باكستان الغربية . وقد تفجرت المشكلة فى الداخل عندما أسفرت انتخابات ديسمبر ١٩٧٠ عن فوز رابطة عوامى (فى الشرق) بالاغلبية . وفى مارس ١٩٧١ واجهت حكومة يحيى خان موقفا فى غاية الحرج ، بفوز **محيب الرحمن** (زعيم عوامى) الذى لم يكن يخفى مطالبه فى توفير قدر ملائم من الحكم الذاتى لباكستان الشرقية . وبعد تردد قصير استخدم يحيى خان القمع العسكرى العنيف لتحطيم حركة عوامى وقطع الطريق على اى محاولة للحكم الذاتى . وعلى اثر اعمال القمع والبطش فى ملايين اللاجئين الى الحدود الهندية حتى وصل عددهم الى ١٢ مليون لاجئ كما تقول الهند .

وهكذا بين يوم وليلة ، انتقلت المشكلة الى داخل الهند نفسها لتصبح مطالبة بتوفير ٧٠٠ مليون دولار سنويا لاعاشة اللاجئين ، بينما حصلت على ٢٠٠ مليون دولار فقط من المعونات الدولية . وتوفير المبلغ الباقى يعنى الغاء برامج التنمية وفرض ضرائب على السكان الهنود . وهذا ما حدث بالفعل .

حسين شعلان

وسمعتها الدولية . ويضيف المراقبون العسكريون أن من أهم النتائج التى عنت الاتحاد السوفيتى هى استعادة سمعة السلاح السوفيتى أمام السلاح الأمريكى فى وقت كان ذلك فيه ضروريا . ويعتقد المراقبون أنه — رغم اية تحفظات — فان النتاج العام للموقف يضيف الى عناصر الاتجاه التقدمى ، عناصر جديدة تتمثل فيما سيجرب عليه من انهاء للشكل العنصرى للدولة فى باكستان القائم على أساس فطرى، والتغيرات السياسية والاجتماعية المرتقبة للصراع الاجتماعى الذى سيحدث كانعكاس للمشاكل الاقتصادية المترتبة على فقدان « الجزء الغنى » من البلاد ، وما يترتب على ذلك من تغيير فى الهياكل التى اقامتها القوى القديمة والقوى الاستعمارية . ويضيف المراقبون ، أن القوى التقدمية سواء داخل باكستان أو الهند — سوف تستفيد الى حد كبير من مواقف التضامن التى ترتبت على معاهدة الصداقة والتى تبذرت أمامها دعاوى قوى اليمين والرجعية المناوئة لحكومة انديرا غاندى بسبب عقد هذه المعاهدة .

٢٤ عاما من الصراع

ويعود الصراع بين الهند (٥٥٧ مليون نسمة) وبين الباكستان (١٣٧ مليون نسمة) الى ٢٤ عاما مضت أى منذ الاستقلال فى عام ١٩٤٧ حينما قسمت بريطانيا شبه القارة الهندية الى الهند وباكستان عشية الاستقلال ، وتركت ولاية كشمير ليدور الصراع بين الدولتين حولها . وقد احتلت كل منهما نصف الولاية . وفى عام ١٩٦٥ قررت الهند تطبيق دستورها على الجزء التابع لها من كشمير وعارضت باكستان هذا القرار ولجأت الى مجلس الأمن الذى اصدر عدة قرارات حث فيها الحكومتين على التفاوض لفض المشكلة . ولكن الهند رفضت مناقشة « مسألة كشمير » مع الباكستان ، وأوقفت اطلاق النار الذى كانت قد تبادلتها مع باكستان ، لكن باكستان عادت الى اطلاق النار على ولاية جامو فلجأت الهند الى مجلس الأمن الذى اصدر قرارا آخر بوقف اطلاق النار ولكن القتال كان قد اتسع حتى اعلنت الحرب الشاملة بين البلدين فى ٦ سبتمبر ١٩٦٥ . وفى يناير ١٩٦٦ نجح الاتحاد السوفيتى فى عقد اتفاق بين الهند وباكستان سسمى « باتفاق طشقند » وقعه كل من **ثياسترى** رئيس وزراء الهند وقتها (الذى مات بعد ١٢ ساعة من توقيع الاتفاق) و **أيوب خان** رئيس جمهورية باكستان وقتها .

وقد سبق هذه الحرب — بشهور ثمانية — حرب أخرى قامت فى يناير ١٩٦٥ ولمدة ثلاثة شهور حول منطقة « دان الكوتش » ثم تدخلت

الاستعمار الايطالى لليبيا
If they Come in the morning
« اذا أتوا فى الصباح »

مكتبة
الطلیعة

الاستعمار الايطالى لليبيا بواعثه وأسبابه التاريخية - أعماله وفتائجه

يقدم المؤلف فى هذا الكتاب - الذى صدر بعد عام من قيام الثورة الليبية ، ويعتبر من أهم وأعمق الدراسات عن ليبيا - دراسة لعهد الحكم الاستعماري الايطالى لليبيا ، ومن خلال هذه الدراسة يكشف حقائق كثيرة زيفها الاستعمار متعاوناً مع بعض الحكام فى هذه الفترة ، من أجل بعث وتأكيد أمجاد هذا الشعب وبطولاته متحدياً أعنف قوى استعمارية كانت تريد سحقه وإبادته . وقد تجنب المؤلف فى دراسته التاريخية أسلوب السرد والتقرير ، وعهد إلى استخلاص العبر والاستدلال بسيرته وقوانينه الموضوعية والجدلية ، والتصدى لمعالجة القضايا المعاصرة بربطها بجذورها القديمة وأصولها وأسسها التاريخية . واعتمد فى بحثه على التحليل العلمى التاريخى لا - بسبب ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ التى جاءت نتيجة للمواقف الثورية التى أعلنتها الجمهورية العربية الليبية ، بتصفية جيوب الاحتلال الاستعماري الايطالى وأدواته الباقية فى أرض ليبيا لامتصاص خيراتنا بعد أكثر من نصف قرن من الاغتصاب . وبدأ الكتاب بعرض لوثائق تتحدث عن طبيعة

■ تاليفه :

مفتاح السيد الشريف

■ عرض :

مصطفى سامى

■ الناشر :

دار النشر الليبية

- طرابلس - ١٩٧٠

الدول الاستعمارية الاوربية للبلاد المتخلفة والشعوب الضعيفة . وتمثلت عمليات التسلل الايطالى لليبيا قبل القيام بحملتها الكبيرة لغزوها فى عدة أمور :

١ - نشاط شبكات التجسس :

بدأت الحكومة الايطالية فى ايفاد جواسيسها، وبث عيونها فى ليبيا وحول حدودها ، وقد كشفت أخيرا وثائق سرية عن دور شبكات التجسس داخل البلاد وخارجها ، وكانت على صلة ببعض العناصر الليبية بما فيهم الزعماء السنوسيون . . . وقد نشرت هذه الوثائق عام ١٩٦٥ فى روما فى كتاب الفه المحامى « كارلو بورشينياري » وضمته الاوراق والمراسلات السرية للدكتور « انريكو انساباتو » الطبيب والمستشرق الايطالى الذى لعب دورا خطيرا فى التمهيد للغزو الايطالى - باعتباره مخبرا لرئيس الحكومة الايطالية جوليني - وفى هذه الوثائق المصورة توجد مراسلات بينه وبين الشيوخ السنوسيين ، وكذلك بينهم وبين صديقه المخبر الاخر لرئيس الحكومة الايطالية ، محمد على علوى بك ذلك الجاسوس الخطين الذى قام بالتجسس والتآمر وجمع المعلومات ، كما قام بدور التوسط لى تسلم البلاد للغزو والاستعمار مستترا وراء مسوح الدين .

قبل اقامة شبكات التجسس الرسمى ، كانت هناك حركة استكشاف واسعة النطاق للبلاد وأهميتها وأوضاعها التاريخية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية ، ويمكن اعتبار الكتابات والتقارير التى كتبها الرحالة الايطاليون والاوربيون تحريضا واضحا للاستعمار ، واغراء للبرجوازية الايطالية نحو التوسع والاستعمار والاستيطان فى ليبيا .

فمنذ اكثر من مائة سنة كتب جوزيبنى ماتريني مذكرا الايطاليين « بأهمية طرابلس وتونس كمنفذ لا يقدر بثمن للتوسع والامتداد » ، وقد كانت اعمال هؤلاء الرحالة وتقاريرهم مصادر غنية للكتاب الرجعيين الايطاليين الذين بدأوا حملتهم لتحضير لعملية الغزو .

وقبل الحملة الايطالية بسنوات قليلة قام فوج من الصحفيين والكتاب الاستعماريين برحلة الى الاراضى الليبية من بينهم الصحفى اندريكو كوراديمى الذى زار برقة ايضا وتجول فى مدنها وقراها بالاضافة الى طرابلس وأصدر كتابه الشهير بعنوان « ساعة طرابلس » ليلة الحملة على ليبيا ، وكذلك جوزيبي بينفيون الذى سافر الى طرابلس قبل الحملة بأيام ومعه بعض الصحفيين الايطاليين وأخذ يرسل جريدة

العلاقات الليبية الايطالية والمراحل التى مرت بها ، وهى علاقات - بحكم صراع القوى والنهم الاستعمارى الذى كان مسيطرا على القساسة الاوربية وعلى البحر الابيض المتوسط - اتسمت دائما بطابع العنف والوحشية للغزاة المتكررة التى كانت تشنها الدويلات الايطالية على الشواطىء الليبية . . ومن بين هذه الوثائق القانون الذى أصدره الدوق بيترو كاتديافو الرابع حاكم البندقية سنة ١٧١٩ م والذى فرض فيه على تجارها الذين كانوا يترددون على موانى افريقيا ومن بينها ليبيا ، حظر بيع المواد التى يمكن ان تتحول الى أسلحة ، وبما ان هؤلاء التجار كانوا يبيعون الاخشاب والمجاذيف ، فقد نص القانون « على ان لا يتعدى طول هذه الاخشاب ٢٥ سنتيمترا حتى لا تكون صالحة للاستعمال فى بناء القوارب » كما حرم القانون بيع الاوانى والكؤوس للاستعمال المنزلى وكذلك التهريب والتعامل مع سكان ليبيا الذين وصفهم القانون بأنهم « غير مخلصين » واخضع للعقاب الشديد كل من يخالف هذه الاوامر ويزود الليبيين بأية وسائل تساعد على محاربة المسيحية .

وقد ارتبط اتجاه ايطاليا الى الغزو الخارجى بظهور تطلعات ومطامع البرجوازية النامية فيها الى التوسع وفتح اسواق جديدة فى الخارج وموارد لتغذية صناعاتها ومصارفها ، وحل مشكلة ازدياد السكان عندها كغيرها من البرجوازيات الاوربية الاخرى وخاصة فى بريطانيا وفرنسا والمانيا ، وقد ساعد على تشجيع هذه الاطماع انهيار الحكم العثمانى الذى سيطر على الوطن العربى ، والذى ادى الى الصحوة القومية التى شهدتها الشعوب العربية حيث بدأت تتململ تحت وطأة الاستبداد التركى واستتعار الولاة العثمانيين وتفريطهم فى شئون الادارة والحكم مستسلمين للنزوات الشخصية دون نظر لمطالب الجماهير العربية .

وبينما تسالت بريطانيا الى مصر ، وسيطرت فرنسا على الجزائر ، فقد بدا لاطاليا منذ عام ١٨٧٨ أن الوقت قد حان لى تتسلل هى تحت ضغط البورجوازية النامية فى الداخل حتى يمكنها الحصول على جزء من غنيمة وأسلاب الامبراطورية العثمانية المريضة ، ودخلت محاولة التسلل الايطالى فى سلسلة التطاحن الاوروبى للاستيلاء على الولايات العثمانية ، وكان الهدف بالنسبة لاطاليا هو ليبيا .

ويشرح المؤلف - وهومن أبرز الكتاب الوطنيين فى ليبيا - مراحل هذا التسلل ومواقفه فى نطاق المساومات الدولية ، ويكشف تواطؤ الامبريالية الاوربية مع المطامع الايطالية فى لعبة المساومات ، واقتسام مناطق النفوذ والاحتواء بين

Laseambg فى تورينو ؟ وجميع بعد ذلك هذه الرسائل فى كتاب أصدره عام ١٩١٢ بعنوان « لماذا ذهبنا الى طرابلس » وقد استطاع ان يصف كشاهد عيان بدء عمليات الغزو بدقة . . وكل هذه الكتابات كانت تنادى صراحة بضرورة الاحتلال وتوطيد الاستعمار الايطالى فى اراضى « الشاطئ الرابع » كما لقبوا ليبيا ، وكانت تصورها للجهسات الاستعمارية وللبرجوازيين الايطاليين بأنها مليئة بالخيرات لخضرواتها وفواكهها ويقولها وخصوبة ارضها ، بالاضافة الى اهميتها الاستراتيجية والجغرافية لامتداد ايطاليا وتوسعها .

وانضم لهذه الحملة ايضا مجموعة من كبار اصحاب المصارف والراسماليين الذين شجعوا القيام بالغزو للتخلص من خطر حدة الصراع الطبقي الذى سيسببه انتشار البؤس والبطالة .

٣ - بعثات الاستطلاع :

سمعت الحكومة الايطالية منذ عام ١٩٠١ لايفاد بعثات استطلاعية للتتقيب عن المعادن الليبية ، ومن اوائل تلك المحاولات بعثة الدكتور هالبر والبروفيسور دى سانتس من معهد البحوث العلمية فى روما ، وعندما اتصلت بالاستانة طالبية السماح لها بأداء مهمتها وافقت الاستانة على ان يكون البحث فى نقطة محددة على الشاطئ الليبي ، ولكن الحكومة الايطالية لم تقتنع بذلك وفى سنة ١٩٠٩ عندما قامت بعثة امريكية بزيارة مناطق الاثار الليبية سارع «سان جوليانو» الذى كان سفيرا لاطاليا فى لندن بمقابلة اعضاء البعثة الامريكية ونهم منهم الامكانيات المتوفرة فى ليبيا وابلغ وزير خارجيته بذلك ، وبدأت بعد ذلك الحكومة الايطالية ضغوطها على الاستانة للسماح بايفاد البعثة ، وفى ٥ يونيو ١٩١٠ نزل العالمان الايطاليان فى بنغازى وزارت بعثتهما كل انحاء برقة لا سيما على الساحل من بنغازى حتى درنة وقد عاينت الصخور خاصة فى مناطق الاثار وحصلت على نتائج علمية هامة ناقشها البرلمان الايطالى فى ٢ ديسمبر ١٩١٠ ، وقد وصلت هذه المعلومات الى الدوائر الاستعمارية الايطالية واستغلتها فى تعميق الاعتقاد بثروات ليبيا وضرورة الاستيلاء عليها بطريق القوة .

التسلل الاقتصادى فى ليبيا

وبنك روما ونشاطه

كان التسلل الاقتصادى لليبيا هو القاعدة التى استندت عليها الجهات الاستعمارية لخلق الاسباب والحجج لاحتلال البلاد، واجمعت المصادر الايطالية على أن الدور الذى لعبه بنك روما فى موجات التسلل الاقتصادى كان دورا رئيسيا بارزا ،

وانطلق هذا المصرف فى نشاطه نحو ليبيا بعد أن فتح مركزه بالاسكندرية سنة ١٩٠٥ ودعم نشاطه فى ذلك الوقت عن طريق مشاركته فى بنك الحبشة سنة ١٩٠٦ وكذلك بنك الدولة فى مراكش ثم أقام غروعه فى طرابلس وبنغازى وبقية المدن الليبية فى ابريل ١٩٠٧ ، وكتبت مجلة راسينا ايتاليانا عن نشاط المصرف وصورت نجساحه : « لصناعاته العديدة ولمغازله ومحاجر مواد البناء التابعة له وبأكثر أهمية للحطفاء والحبوب والاسفنج وريش النعام والعاج والصوف ، وللمطحن الكهربائى ومرسم الخرائط الفنى فضلا عن معاصر الزيت فى الخمس ، ومسلاته التى جلبت فوائد نتيجة ادخال اليكنة على صناعة عصر الزيتون حيث كانت هذه الصناعة بدائية . . »

وقد شرح العميل الايطالى الدكتور انساباتو فى تقرير بعثته من طرابلس بتاريخ ١٢ اغسطس ١٩١٠ الى رئيس الحكومة الايطالية - وضع بنك روما ونشاطه فى مضاربات الاراضى والعقارات وبقية المشاريع فقال : « انه فى اعتقاد الاثراك وكثير من العرب أن بنك روما هو مؤسسة انشئت وقامت بتمويلها الحكومة الايطالية من أجل التحضير لاحتلال طرابلس وليس للقيام بأعمال مصرفية ونشر النفوذ الايطالى فقط ، ودليل على هذا . . وعلى حد قول الاثراك - ان القنصليات قامت دائما بدور المحامين عن بنك روما حتى ولو كان ضد رعاياها ، والدليل الثانى ان المصرف يحاول دائما ان يغير ويستولى على جميع النشاطات والمشروعات والاعمال ، وأعماله كانت دائما موجهة بصفة خاصة لتبتلع وتقتضى على التجارة والمشروعات ذات الحجم الصغير سواء كانت لعرب او ايطاليين . . »

بدأت السودان فى وضع مخططات اقتصادية جديدة . وفى الشهور الاخيرة عقدت اتفاقية مع البنك الدولى خاصة بشق الطرق وتمويل بعض المشروعات التى كان البنك الدولى قد توقف عن تمويلها . ووافقت الكويت على اقراض السودان

مطامع صهيونية فى برقة

لجعلها مستعمرة صهيونية

وسط المطامع الايطالية ، والخطط التى كانت تدبر لغزو ليبيا ، كانت هناك محاولات من عدة دول اوروبية اخرى للتسلل الى ليبيا ، ساعد عليها حالة الضعف الشديد الذى وصلت اليه الامبراطورية العثمانية فى ذلك الوقت، ومن أخطر هذه المطامع التى أشارت اليها المصادر الايطالية فى محاولة بحث اسباب التعجيل بالغزو ، هو البعثة الصهيونية التابعة لمنظمة I.T.O.

(المنظمة اليهودية للأراضي) ومقرها لندن التي جاءت الى برقة تبحث امكانياتها الزراعية في نطاق مخططات الصهيونية العالمية للحصول على وطن قومي لليهود كبديل اذا فشلت مساعيها في اغتصاب فلسطين ! .

للجراحة والعلاج نص في أهدافه على أنه « من أجل الفقراء من كافة الجنسيات والاديان ، كما أنشئت « لجنة دانتي اللجيري » بهدف « توسيع انتشار اللغة الإيطالية واعطاء الكساء لابناء المدارس الملكية » أي أبناء الجالية الإيطالية .

كل هذه المشروعات كان المقصود منها ترسيخ دعائم وجود الجالية الإيطالية واكسابها — مع الطائفة اليهودية — صبغة مميزة عن بقية أهالي البلاد .

الاستعداد لتفجير الموقف

وصداه في أوروبا وليبيا

ازداد التوتر في العلاقات بين إيطاليا وتركيا ، واجتاحت روح الكراهية إيطاليا بفعل الحملات الصحفية والتحركات القومية المتطرفة ، وتعلت اصوات كثيرة داخل إيطاليا تطالب باعلان الحرب، ووجدت الدوائر الاستعمارية أنه من الأفضل جس نبض الدول الأوروبية الحليفة لتأمين التأكيدات السابقة لها قبل الاقدام على العدوان . ومن ناحية أخرى فان دول التحالف الثلاثي اتفقت (على صيانة الوضع الراهن لتركيا الأوروبية) ولذلك فان نشوب أي اشتباك مسلح مع الامبراطورية العثمانية قد يقرب نار الحرب نحو دول البلقان مما يخل بالوضع التي نشأت بعد اتفاق برلين لسنة ١٨٧٨ وتم بموجبها اقتسام أسلاب الامبراطورية العثمانية في أوروبا ، وعلى هذا فقد نشطت الدبلوماسية الإيطالية لتأمين كافة الاحتمالات وتهدة روع الدول الحليفة تجاه هذه المخاوف ، وبعد ذلك لم يبق أمام إيطاليا غير اعلان الحرب وفي ٢٦ سبتمبر ١٩١١ أرسل الانذار النهائي لتركيا عن طريق السفارة الإيطالية في الاستانة لتسليمه لحكومة الباب العالي موقعا من سان جوليانو وزير الخارجية الإيطالية . . . ومنذ يوم ٢٨ سبتمبر اطلت الاساطيل الإيطالية على المياه الليبية ، وبدأت في قصف المدن ثم انزال الجنود الغزاة على الشواطئ الليبية ، وبدأوا بطرابلس ثم طبرق ودرنة واخيرا بنغازي فاحتلوها يوم ١٨ أكتوبر، وخاض الشعب الليبي كفاحا دمويا طويلا ومريرا استمر بلا انقطاع اكثر من عشرين سنة ، وقاد هذا الكفاح أبطال شعبيون جاءوا من الصحاري والوديان والمدن والقرى ، وأذهلوا ببطولاتهم المعلقين والمراقبين ووقعوا بالجنود الغزاة خسائر كبيرة .

لقد وصلت البعثة الى بنغازي في ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٩ وكانت تضم بعض أساتذة جامعة جلاسجو ومولتها المنظمة الصهيونية وبعد زيارتها لمنطقة الجبل الاخضر والشريط الساحلي المصاحب له عادت الى لندن في ٢٦ اغسطس من نفس العام وأصدرت تقريرها في ١٢ صفحة كتبت فيه انطباعاتها والمعلومات التي جمعتها ، وقسمت التقرير الى عدة اجزاء تناولت مهمة البعثة وحالة السكان وامكانيات استعمار المنطقة ثم خاتمة بآرائها ونتائج دراستها . وقد اشير الى هذا التقرير في عدة مراجع ايطالية ، ولكن مؤلف كتاب « كيف ذهبنا الى طرابلس » شرح خفايا هذه البعثة ، ورد على ما كتبه في تقريرها من ان ليبيا شحيحة المياه وان النتائج التي وصلت اليها كانت سلبية، ونقد في كتابه — وهو أحد المتحمسين للغزو — ما استخلصته من نتائج وبيانات ، وقال ان دراستها جاءت غير عبيقة ، لأنها قامت بمهمتها بسرعة خاطفة كأنها في اجازة، ثم ان هذه البعثة مولها اليهود الذين « لم يحبذوا ايجاد أرض أفضل تضارع فلسطين . . » ! .

الجالية الإيطالية

قبل الغزو

في فبراير ١٩٠١ جاء في تقرير لقنصل إيطاليا العام في طرابلس أن عدد الإيطاليين هناك يبلغ ٧٠٤ شخصا يكونون جالية مقيمة ويمتلك حوالي ٥٠ منهم بيوتا وحدائق قدرت قيمتها بمليون ومائتي ألف فرنك ، وفي برقة يقل عددهم عن طرابلس ، ويقول القنصل في تقريره : « ان السلطات المحلية لا تفضل هجرة الاجانب الى البلاد .

وقد كانت الدوائر الاستعمارية الإيطالية تبدي اهتماما خاصا بجالياتها هناك فافتحت لابنائهم المدارس الخاصة ، وارسلت البعثات التبشيرية من الفرنسيين للاحراف على هذه المدارس ، وانتشرت هذه المدارس بعد ذلك في كل من برقة وطرابلس ووصل عدد تلاميذها (الى سنة آلاف تلميذ أغلبهم من اليهود من رعايا الدولة العثمانية) . وهذه الظاهرة تصور ان الطائفة اليهودية كانت منذ البداية هدفا للمخططات الإيطالية لكي ينخرط افرادها تحت الرعاية الإيطالية ويدينون بالولاء لإيطاليا، كما قامت الحكومة الإيطالية بفتح ملجأ لليتامى من بنات جالياتها ، ومركزا طبييا

ويتحدث المؤلف بعد ذلك من خلال بعض المراسلات والوثائق السرية - عن جانب هام من تاريخ كفاح شعب ليبيا ، وهو موقف «الزعامات» التي قال المؤرخون أنها قادت نضال الشعب ضد العدوان منذ بدء الغزو ، وتكشف هذه الوثائق والمراسلات الستار عن حلقة التجسس ودور العملاء في ليبيا وقد قاموا بتضليل الشعب والتعاون مع الاستعمار الإيطالي وحك المظاهرات داخل البلاد .

قوات الغزو في مواجهة

المقاومة الشعبية المسلحة

مر الاستعمار الإيطالي في ليبيا بفترتين مختلفتين من ناحية الشكل ولكنها اتفقتا في الجوهر . . وهو إخضاع ليبيا وتحويلها إلى مستعمرة مملوكة لـإيطاليا ملكية مطلقة كولاية من ولاياتها .

أولا : من سنة ١٩١١ - ١٩٢٢ :

● الوضع العسكري ●

وتبدأ هذه الفترة من أيام الغزو الأولى حتى وقوع الانقلاب الفاشستي في إيطاليا وإقامة نظام موسوليني الديكتاتوري ، واتسمت في نهايتها بتوغل القوات الإيطالية في المناطق الرئيسية المصاحبة للشريط الساحلي وبعض مناطق الجنوب ، وقد صادفت القوات النازية فترات من التقهقر والانحذارات أمام حركة المقاومة الصلبة ، ولم تكن القوات الإيطالية بإمكانها تحقيق النصر لو لم تستسلم تركيا منذ البداية وتترك أبناء الشعب العزل يواجهون جحافل الغزو الذي جاء ومعه أحدث الأسلحة الميكانيكية ، وبلغ خنوع الدولة العثمانية قمته بتوقيع معاهدة أوشي (لوزان) في أكتوبر ١٩١٢ بين إيطاليا وتركيا التي نصت على أن تسحب تركيا قواتها من ليبيا (حوالي ٥ آلاف جندي) وتنتهي حالة الحرب مع إيطاليا (التي لم تعلنها في الواقع) .

● الموقف السياسي ●

عند خروج تركيا من البلاد رأت وفي مخيلتها مطامع المستقبل أن تبقى لها جيوبا داخل البلاد ، ووقع اختيارها على الطريقة السنوسية لكي

تقوم بهذا الدور . . . وعندئذ بدأت الحرب العالمية الأولى ، وانضمت إيطاليا فيها للحلفاء ، أوغدت تركيا وجليفتها ألمانيا بعض الضباط لاقتناع السيد أحمد الشريف لشن هجمات على القوات البريطانية على الحدود المصرية لفتح جبهة ضدها ، وفعلًا قام السيد أحمد الشريف بعملية عسكرية بمساعدة بعض الضباط الأتراك تمكنت من احتلال السلوم ومرسى مطروح في نوفمبر ١٩١٥ ، ولكن القوات البريطانية استطاعت في مارس ١٩١٦ أن تلحق الهزيمة بهذه القوات وأن تردّها ، ولم تحاول القوات البريطانية التوغل بعد ذلك في الأراضي البرقاوية محافظة على علاقتها مع صديقتها إيطاليا من ناحية ، ثم تمهيدا للعبة سياسية حبكت نسجها في لقاء سرى بين أدريس السنوسي وكتشنر في القاهرة ، واستطاعت تنفيذها بعد ذلك بالتعاون مع إيطاليا ، وتولى أدريس السنوسي زعامة عائلته بعد ذلك وبدأ يمارس سلطانه واتفاقاته مع سلطات الاحتلال ، وبعد التفاوض في «عكرمة» بالقرب من طبرق في أبريل ١٩١٧ وقع اتفاق مبدئي على هدنة وتصلح تراعى فيه مصالح كافة الأطراف ، وأدى هذا الاتفاق بعد ذلك إلى معاهدة «الدجمة» المعروفة في ٢٥ أكتوبر ١٩٢٠ وهي تعطي «الشرعية» لإيطاليا لاحتلال البلاد مع تجريد المجاهدين من سلاحهم ، أما بالنسبة لأدريس السنوسي فإنها منحتة لقب أمير «رمزي» ونصبته شيخا على أجدايا والجغبوب وحالو وأوجلة والكفرة مع مبلغ من المال دفع له منه ٢٠ مليون ليرة ذهب . أما في طرابلس فقد اشتدت حركة المقاومة الشعبية بانتصارات رمضان السويحلي الجبارة حتى تم إعلان الجمهورية الطرابلسية في ١٦ نوفمبر ١٩١٨ بمدينة مسلاتة ، وكان على رأسها قادة النضال الوطني الباروني - والسويحلي - والمريض - وبالخير . وحاول المستعمرون التقرب من الحركة الوطنية ومحاولة احتوائها بالدخول معها في مفاوضات ولكنهم لم ينجحوا .

ثانيا : من سنة ١٩٢٢ - ١٩٣٢

شهدت هذه الفترة أعنف معارك التحرير الشعبية وتبلورت خلالها قيادات وطنية مسلحة استطاعت أن تصوغ أروع ملاحم الفداء ، كما كانت هذه الفترة تأكيداً لايقبل الجدل أن «الطريقة السنوسية» التي لعبت دور المهادنة والمساومة مع الاستعماريين بقيادة «أدريس السنوسي» لم تكن تمثل قيادة النضال الوطني . . بل تمثلت هذه القيادة في عدد من أبناء الشعب بزعمامة عمر المختار الذي دخل مع المستعمرين في عدة معارك

وكتبهم خسائر كبيرة الى أن تربصوا به واعدموه
في النهاية بعد أن رفض الاتفاق معهم بأية وسيلة .

الاستعمار والاستيطان السكاني

لقد كان البطش والتقتيل والتشريد الوحشي
للسكان تصحبه ضمن الخطة التي أعلنها الفاشيست
لابادتهم مصادرة أملاكهم وأراضيهم ومواشيهم ،
وقد نشرت إحدى الصحف الفرنسية تصريحاً
لقائد قوات الغزو الإيطالي جراتزياني المعروف
« بالسفاح » فقد قال « حتى بداية ١٩٣٢
وقعت في برقة في عهدي — ثلاثة وخمسون
معركة مهمة و ٢.١.٠ معركة ثانوية ،

وقد قتل خلالها ١٦.٢ « متمرداً » وتم الاستيلاء
على ٢١٥٠٠ جمل ، وما يعادلها من الأغنام ، أما
عدد الخيل التي أصيبت أو نهبت من قبل قواتنا
فقد زادت عن ٦ آلاف حصان » ، وتقول الإحصاءات
الرسمية الإيطالية أن عدد المواشي في برقة عشية
الغزو الإيطالي سنة ١٩١١ كان قد بلغ أكثر من
مليون و ٤٠٠ ألف رأس ، في سنة ١٩٣٣ هبط
هذا العدد الى ١٣٩ ألف رأس .

والواقع أن مخططات إبادة السكان وسحق
وجودهم لتنفيذ برامج الاستعمار والاستيطان
الإيطالي مرت بعدة مراحل في كافة مجالات
الحياة وشملت جميع المرافق الإدارية
والاجتماعية .

« إذا أتوا في الصباح »

If they come in the morning

خلال شهر أكتوبر الماضي قامت لجنة الدفاع
عن انجلا ديفيز ، المناضلة الزنجية ، بالاشتراك
مع دار نشر أوربا أندتشمبرز بلندن ، بإصدار
هذا الكتاب الذي يكشف عن واقع اضطهاد
السلطة الأمريكية للزنوج . ويضم الكتاب مجموعة
من المقالات بقلم عدد من المناضلين والمسجونين
السياسيين السود في الولايات المتحدة الأمريكية .

وتبين المقدمة عمليات القمع والاضطهاد التي
يتحمل عبأها الاساسي السود والملونين ، وتفصح
عمليات الرقابة على تليفونات أعضاء الكونجرس ،
وتبرز أن ذلك كله يكشف عن الازمة العميقة
التي يتعرض لها النظام الاجتماعي في الولايات
المتحدة . وتطالب بأن تتخذ الحركة الجماهيرية
موقفاً هجومياً من السلطة ، تكون قضية إطلاق
سراح المسجونين السياسيين نقطة البدء فيه لأنها
قضية دقيقة تثير حرجاً شديداً للحكومة . وتطالب
بالغاء نظام السجون في شكله الحالي ، وتفصح
ازدياد حدة عمليات القمع التي تكشف عن
الاتجاهات الفاشية الموجودة في قلب السلطة .
وتطالب المقدمة كذلك بوحدة جميع القوى
الديمقراطية والراдикаلية مع الطبقة العاملة

■ تأليف ■

انجيلا ديفيز

■ عرض ■

جوزيف نادن

■ الناشر ■

دار نشر أوربا أندتشمبرز

— لندن — ١٩٧١



انجلا ديفيز

للأطفال من سن ٦ الى ٨ لمعرفة اذا كان لديهم اتجاهات إجرامية ، ثم اقترح اقامة معسكرات علاجية لمثل هؤلاء الأطفال . والمقالة تقسم المسجونين السياسيين الى اربعة اقسام :
١ - القادة السياسيون الذين دخلوا السجن بسبب نشاطهم السياسى ، ٢ - عناصر سياسية خرقت القانون المدنى ورفضت مثلاً الاشتراك فى حرب فيتنام ، ٣ - عناصر حكم عليها فى بعض الجرائم وهى بريئة منها تماماً ، ٤ - عناصر ارتكبت فعلاً بعض الجرائم .

وتبرز المقالة ازدياد وعى الجماهير ونمو حركتها لتحرير المسجونين السياسيين والوقوف ضد العنصرية والاتجاهات الفاشية . .

اما هوى ب . نيوتن ، وزير دفاع الفهود السود ، فيقسم فى مقالته المسجونين الى قسمين : ١ - هؤلاء الذين يحاولون الاثراء فى ظل النظام الرأسمالى القائم بطرق غير مشروعة ، ويسمىهم « رأسماليين غير شرعيين » ، ٢ - أولئك الذين يرفضون اسس النظام القائم على الاستغلال ، وهم المسجونون السياسيون . ويبين ان السجن ، وان كان يضم جسد السجين السياسى ، الا انه لا يستطيع ان يحبس افكاره التى تتخطى الاسوار والقضبان وتعيش بين الناس .

كما يشمل الكتاب نص بيان مسجونى الفولسوم الذى لا يعكس فقط مجرد احتجاجهم على ازدحام السجون وقذارتها ووحشية الحراس فيها ، بل يعكس وعياً سياسياً بالنظام الذى يخلق هذه الظروف ، والقائم على التمييز العنصرى . ويعرف

والاقلية القومية من أجل سبذ الطريق أمام ازدياد نفوذ الفاشية فى أمريكا . وتبين أن الحركة الشعبية حققت انتصارات جزئية عندما نجحت فى إسقاط تهم القتل والتآمر ضد عدد من قادة الفهود السود ، كما تطالب بربط حركة المقاومة الشعبية داخل الولايات المتحدة بحركات التحرير والحركات الثورية والديموقراطية فى العالم . أمامى الداخل فتطالب بتكوين جبهة وطنية متحدة من كل العناصر والقوى المعادية للفاشية .

ويضم الكتاب خطاباً مفتوحاً من جيمس بولدوين الى انجلا ديفيز ، يؤيد فيه مواقف الجيل الجديد من الزنوج الذين بدأوا ينتقلون من المقاومة السلبية الى المقاومة الايجابية بعد ان خيم اليأس على الاجيال السابقة التى جعلها الارهاب القائم تحتقر نفسها . كما يفضح القادة الامريكيين الذين يتلاعبون بارادة الشعب ويتدخلون فى الهند الصينية ، ويحذر من حرب اهلية تنشب بين البيض والسود اذا استمرت السياسة العنصرية ، ويختتم خطابه المفتوح موجهاً كلماته الى انجلا قائلاً : « اذا عرفنا ، عندئذ لابد وان نناضل من أجل حياتك ، كما لو كانت حياتنا . . لانهم لو اخذك فى الصباح ، فلسوف يأتوا ليأخذونا فى مساء نفس اليوم » .

ومن ابرز مقالات الكتاب مقالة انجلا ديفيز عن « المسجونين السياسيين والسجون ، وتحرير السود » وتستعرض فيها تاريخ نضال السود ضد العبودية فى الماضى وضد العنصرية فى العصر الحالى . ثم تتعرض لقضية السجين السياسى ، وتفرق بين خرق القانون من أجل مصلحة فردية ، وبين خرقه من أجل مصلحة الجماعة . وتوضح كيف تلجأ السلطات الى الصاق الجرائم بالمسجونين السياسيين للالتقاء بهم فى السجون كمجرمين عاديين كما كان يحدث مثلاً مع مارتن لوتر كنج .

وتكشف فى مقالتها دور البوليس والاجهزة القضائية فى ارهاب الاقلية القومية . وتحذر من الاتجاهات الفاشية فى البلاد ، وكذلك من الاتجاهات الانعزالية بين الزنوج . وتنادى بحركة جماهيرية موحدة وعريضة لمقاومة ازدياد النفوذ الفاشى فى المجتمع الأمريكى ، مع التركيز على محاربة العنصرية .

وفى مقالتها عن « دور السجون الاجتماعى » تقول « بتينا ابتكر » ان عدداً من علماء النفس الامريكيين يدعون ان سبب الجريمة نفسى وليس اجتماعى ، وعلى هذا يجب عزل المجرم عن المجتمع ، كما اقترح احد الاطباء البارزين ، وهو صديق شخصى لنيكسون ان يتم مسح شامل

البيان السجوني بأنها « معسكرات فاشية فى امريكا الحديثة » .

ويرى فليتا درمجو فى خطابه المنشور ان الشعب الامريكى يعيش فى ظل عبودية فاشية، كذلك يعبر جورج جاكسون ، وهو شيوعى مستقل ، عن وجهة نظره بأن امريكا دخلت مرحلة شبت فيها الفاشية اقدامها . وان كانت هذه الاراء تختلف عن رأى انجلاديفيز التى ترى ان المجتمع الامريكى لايعيش فى ظل الفاشية ولم تنجح الفاشية بعد فى تثبيت اقدامها فيه ، وان كان مجتمعا يتجه نحو الفاشية .

وينادى جورج جاكسون فى مقالته « نحو جبهة متحدة » بضرورة توحيد كل القوى المعادية لرأس المال الاحتكارى بفض النظر عن اختلافاتهم الايديولوجية ، وضرب مثالا على الوحدة التى تسود المسجونين السياسيين بل والمسجونين العاديين رغم اختلاف موقفهم الفكرى والتنظيمى واصلهم العنصرى . وطالب القوى اليسارية فى الولايات المتحدة بتوحيد جهودها ، على ان تكون قضية الدفاع عن المسجونين السياسيين هدفهم المباشر ، والصراع ضد العنصرية محور نشاطهم .

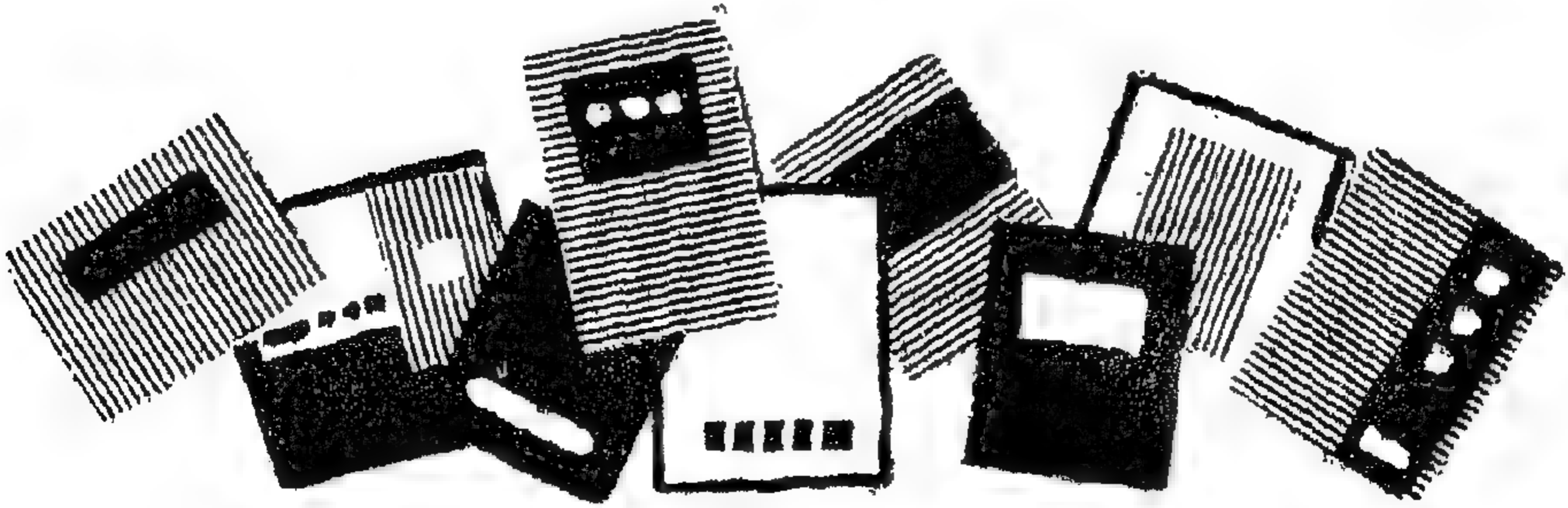
وتذكر جسيكا متفورد فى مقالتها عن سبجون كاليفورنيا ان نسبة غير البيض بين المسجونين تصل الى ٤٥ فى المائة وان سياسة الاحكام غير المحددة تستخدم للإبقاء على المسجون السياسى اطول مدة داخل جدران السجن . كما تعرض لشكوى المسجونين من عدم العناية الصحية بهم،

ومن المعاملة الوحشية التى يلقونها من حراس السجن ، ولقد ادانت بعض المحاكم مايجرى داخل عدد من السجون كما حدث بالنسبة لسجن سولدار فى كاليفورنيا .

وتلاحظ المقالة ان شكوى المسجونين من اوضاعهم السيئة داخل السجن بدأت تتحول الى هجوم على الدولة وسياساتها والاحكام غير المحددة ، وغير ذلك من القضايا ذات الطابع السياسى .

كما يضم الكتاب بعض الاحاديث الصحفية التى دارت مع انجلاديفيز . وتعلن فيها انها انضمت الى الحزب الشيوعى الامريكى لانه يناصر قضية تحرير الزوج ويهدف الى القضاء على اسس الاستغلال الرأسمالى فى المجتمع الامريكى . وتقول انها استقادت من جولاتها خارج الولايات المتحدة قبل ان تسجن ، ففى باريس قابلت العديد من الجزائريين الذين كانوا يناضلون وقتذاك (١٩٦٢) من اجل استقلال بلادهم ، وفى المانيا الغربية شعرت بضرورة المساهمة فى معركة تحرير السود فى امريكا من خلال اشتراكها فى مظاهرات « عصبة الطلبة الاشتراكيين » . وفى كوبا شاهدت مجتمعا ثوريا فى مرحلة البناء .

ويعرض الكتاب لعدد من برقيات وخطابات التأييد التى تصل الى انجلا ديفيز فى سجنها ، ومن بينها رسالة عليها توقيعات السيدة سيزا نيراوى ودكتورة حكمت ابو زيد ودكتورة عائشة راتب والسيدة امينة السعيد والسيدة مفيدة عبد الرحمن والسيدة نفيسة الغمراوى ، وغيرهم من الشخصيات المصرية والسودانية المعروفة .





وتتسع الى جانبه للنواحي التعليمية والا اذا توفي
لها أعضاء هيئة التدريس في كل التخصصات
التي تتطلبها الدراسة في كل كلياتها .

ولما كانت القاهرة بإمكاناتها الضخمة كعاصمة
للجمهورية - حيث يتواجد فيها ثلاث جامعات
كبيرة بالإضافة الى المركز القومي للبحوث وحيث
تنشر بيوت الاجهزة العلمية والمواد الكيماوية -
تجذب معظم المتخصصين للعمل في جامعاتها أو
بالقرب منها (في الاسكندرية ، طنطا ، المنصورة ،
الزقازيق) حتى تتاح لهم فرصة الاستمرار في
البحث والانتاج العلمي - وهو الذي يؤدي الى
الترقي في وظائف السلم الجامعي - فقد ظهر
العزوف جليا عن العمل في جامعة أسيوط .
ودليل ذلك الهجرة الواضحة من داخل الجامعة
الى فروع جامعات الشمال في طنطا والمنصورة
والزقازيق . ولا اغالى عندما اقول أن أكثر من
نصف أعضاء هيئات التدريس الحاليين في فروع
جامعات الشمال هم أصلا من جامعة أسيوط
نقلوا للعمل في هذه الفروع المشار اليها ، ولا
اغالى أيضا عندما اقرر أنه يندر أن يمر مجلس
من مجالس جامعة أسيوط دون أن تحتوى قراراته
على أحدها خاصا بالموافقة على نقل عضو أو
آخر الى مثل وظيفته في الأزهر أو المنصورة أو
طنطا ، وكذلك لا يخلو الأمر من قرار للندب الكامل
لأحد الأعضاء مع تحمل الجامعة للمرتب اثناء
الندب . وواجب الامانة يقتضى أن اقرر أن الجامعة
غير مخطئة في اتخاذ مثل هذه القرارات اذا
لا يعقل الا تكافىء الجامعة من قضى فيها أكثر من
ثمانى سنوات تعب وحرمان من متابعة البحث
الحقيقي لقلة الامكانيات المتاحة دون أن يتميز بأى
شيء عن زميله في جامعات الشمال سواء كان

هجرة أساتذة الجامعة . . من الجنوب الى الشمال

كتب الدكتور توفيق محمود بركات - رئيس
قسم الكيمياء وعميد كلية التربية بقنا - جامعة
أسيوط :

ان جامعة اسيوط لتختلف عن بقية الجامعات
في أنها تقع على بعد ٤٠٠ كيلو متر الى الجنوب
من العاصمة وهي مسافة ليست بالقصيرة في
ظل استخدام المواصلات المتاحة - وهي القطار
هذا الى جانب أن المهمة التي تضطلع بها هي مهمة
كبيرة وصعبة . فهي تقوم بنشر التعليم الجامعي
في جنوب الوادي كله . وقد انتشرت كلياتها
الاقليمية ابتداء من محافظة المنيا شمالا حتى
محافظة قنا جنوبا .

فاذا أخذنا في الاعتبار ضالة الامكانيات لديها
من جهة المال والضييق الذي تعانيه من جهة المباني
والقلة التي تعمل بها من جهة القوة البشرية -
واعنى بها أعضاء هيئة التدريس الذين على
أيديهم يقوم كل العمل التعليمي في الجامعة -
لأدركنا الى أى مدى تعاني هذه الجامعة .
فالجامعة لا تقوم بعملها الأمثل في تخريج الأجيال
المستوعبة لكل آفاق العلم الحديث الا اذا توفر
لها المال اللازم لتدعيم وتأكيد الأبحاث العلمية
والا اذا توفرت لها المباني التي تتسع لهذا العمل

هذا التميز ماديا أو كان تميزا أدبيا . وهو الامر الذى يؤدي بطبيعته الحال الى استهلاك كل عضو هيئة تدريس يكون من نصيبه أن يعمل فى جامعة أسيوط ولم تمكنه الظروف من التعيين فى الجامعات الواقعة شمال الجمهورية وأصبح كل عضو هيئة تدريس فى هذه الجامعة ينوء بما يحمل من ساعات عمل طويلة يوميا لان الظروف تفرض عليه الغاء الراحة الاسبوعية فجدول التدريس تمتد على طول الاسبوع لتشمل أيام الجمع والاحاد .

ولم تقف الصورة عند هذا الحد بل طولبت الجامعة تحت الحاح الظروف بفتح كليات اقليمية فى المنيا وفى سوهاج وفى قنا واقتضت بالفعل كليات جامعية فى هذه المحافظات بجرأة منقطعة النظير وزادت الاعباء على هيئة تدريس الجامعة وأثبتوا حتى الان قدرة وقوة نادرتين وعملوا باخلاص فى كفاح غريب وصبر طيب فى أصعب ظروف وأصبح لزاما على كل عضو أن يسافر أسبوعيا بين المنيا شمالا وقنا جنوبا يدرس تخصصه فى الشمال والجنوب دون أن تبقى لديه فرصة لاي مجال بحث أو حتى الاشراف عليها . ويرجع السفر والعمل فى هذه الكليات الى انشاء هذه الكليات دون أو يعد لها مسبقا أعضاء هيئة تدريس فى التخصصات المختلفة اللازمة لها .

لم يعط المسئولون جامعة أسيوط الفرصة المالية أو الاتساع اللازم فى البعثات لتجهيز العدد الكافى من أعضاء هيئة التدريس الذى به تتمكن الجامعة من مجابهة الزيادة المضطردة فى أعداد الطلاب الذين يلتحقون بها سنة بعد أخرى . وبدلا من ذلك يطلبون منها فى السنوات الأخيرة فتح كليات اقليمية فى المحافظات المشار اليها فتكون النتيجة وجود كليات خالية تقريبا من أعضاء هيئة التدريس ويتكدس العدد القليل الموجود بالجامعة الام مشقة السفر والتدريس فى هذه الكليات الى جانب عمله فى أسيوط . وبعد ذلك ترتفع الاصوات فى الصحافة وبعض المجلات تقول مسميات لا تليق باستاذ الجامعة فمن قائل يقول « استاذ التاكسى » وآخر يقول « استاذ الشنطة » وتحت هذه العناوين كلام كثير وهم معذرون وذلك لانهم بعيدون كل البعد عن المجال الجامعى ولا يهم بعضهم الا مجرد الكفاية من اى شئ دون استيعاب وبحث فى هذا الشئ .

الى متى يسير الحال على هذا المنوال ؟ ! ليس لصبر هؤلاء الجنود - السفين يبذلون من راحتهم ووقتهم ما لا يبذله مثيل لهم فى اى عمل آخر من أعمال الدولة على اتساعها حدود ! ؟

أنهم بشر من لحم ودم . والحكمة تقتضينا الا نسألهم الاستمرار فى هذا الجهد المضنى ولنبحث عن مخرج يزيد من عددهم ويزيل عنهم هذه المعاناة ويحقق لهم الاستقرار ويعطيهم فرصة العمل المثر فى التدريس والبحث فلهم على الدولة حق التكريم ازاء ما بذلوا فى الماضى وما يبذلون فى الحاضر دون ما كلل ولا شكوى .

واننى لاتقدم بالحلين التاليين :

الاول منهما عاجل وفورى ، وفيه تعمل الدولة على اجتذاب أعضاء هيئة تدريس لجامعة أسيوط عن طريق منح شهرية مالية مغرية اذ لا يعقل أن يتساوى عضو هيئة التدريس فى أسيوط بزميله فى الكليات الاقليمية المنشأة فى طنطا والمنصورة والزقازيق على أساس من الفهم أن كلها جامعات اقليمية وهو الاسلوب المعمول به فى الوقت الحاضر والذى يساوى بينهم فى كل شئ حتى فى المدد اللازمة للترقية الى الوظائف الاعلى . واذا كان صدور اعلان فى صحفنا اليومية عن حاجة دولة عربية شقيقة الى أعضاء هيئة تدريس لجامعاتها يجتذب اعدادا كبيرة من متخصصينا لتأكد لنا ان الاعلان عن منح مالية مجزية لمن يعمل فى جامعة أسيوط سوف يجذب اليها اعدادا غير قليلة على أن يراعى أن تتفاوت المنح حتى يصل اقصاه فى قنا .

الثانى طويل يؤخذ على خطط خمسية للبعثات على أن يخصص فيه لجامعة أسيوط العدد الاكبر والاوفر مع كتابة عقود تلزم العائد منهم بالعمل فى الجامعة وعلى أن ينفذ العقد بطريقة جدية لا استثناء فيها لاحد ليتحقق الغرض منه مثلا لا يقبل العائد فى اى عمل آخر بالدولة اذا اعتذر عن العمل فى جامعة أسيوط وهى الجامعة الموفدة الى جانب الالتزامات المالية التى يجب أن يدفعها للدولة نظير ما صرفته عليه فى الخارج ، بالإضافة الى مبالغ أخرى تدفع كتمويضات لما سببه من خسارة تنتج عن عدم قبوله العمل فى الجامعة .

وأود أن أشير الى أن توفر أعضاء هيئة التدريس سيزيل عنهم الارهاق الناجم من كثرة العمل فيعطون من وقتهم القدر الكافى من الارشاد والنصيحة لطلابهم ويتيح لهم فرصة البحث والاستمرار فيه والاطلاع على ما يدور فى بلاد العالم من أبحاث فيزول التخلف الراهن فى معامل أبحاثنا ويساعد ذلك على تخرج المتخصصين محليا فتستغنى بهم عن البعثات الى الخارج ويتحدد السفر الى الخارج عند اذن بالمشاركة فى المؤتمرات الدولية لتظل الصلة العلمية بيننا وبين كل بلاد العالم قائمة .

انها نظرة اطالب المسؤولين أن يشملوا بها
جامعة اسيوط - أولى الجامعات الاقليمية في
جمهورية مصر العربية .



التسويق التعاوني للقطن

كتب عبيد الله صابر قطب الطنساوي الموظف
بشركة النيل لحليج الاقطان بالمانيا تعقيا على
قرار مجلس الاتحاد التعاوني الزراعي المركزي
في ٦ أكتوبر ١٩٧١ الخاص بتغيير التسويق
التعاوني للقطن .

قرر مجلس الاتحاد التعاوني الزراعي المركزي
في اجتماعه يوم ٦-١٠-١٩٧١ تغيير نظام
التسويق التعاوني للقطن اعتبارا من الموسم
القادم ، وهو أن تقوم شركات التصدير بتسويق
القطن من المنتجين رأسا وارتن مجلس الاتحاد
في تغيير هذا النظام الحالي على سبب وجيه
وهو فتح باب المنافسة لصالح المنتج وايضا
رفع مستوى الرتبة .

وحيث أن النظام الحالي للتسويق التعاوني
للقطن فعلا به اخطاء ومما لاشك فيه أن مستوى
الرتبة قد انخفض فعلا ولكن هذا يرجع الى أن
المنتج اصبح وفي نظام التسويق المعمول به الآن
يهتم بالكم فقط ولايهتم بالكيف مطلقا لأن ثمن
الاقطان الذي يصرف له عند توريد الاقطان يكون
عن الكمية التي ترد منه دون النظر الى رتبته .
يضاف الى هذا عدم كفاية جرعة الوعي التي
يأخذها المنتج من مراقبة الارشاد الزراعي بوزارة
الزراعة وهي المختصة بذلك .

وحيث أن القرار الجديد الصادر من مجلس
الاتحاد التعاوني الزراعي المركزي يوم ٦-١٠-١٩٧١
له عيوبه ايضا والتي منها أنه في حالة
تطبيق هذا النظام سوف تتسع رويدا رويدا
تجارة القطن ويظهر المستغلون ثانيا بعد ان تكبدت
الدولة مبالغ طائلة في سبيل اخفائهم تماما من
طريق المنتج . حيث قامت الدولة بتوظيف جميع
تجار وسفاسرة القطن في الشركات والهيئات
والمؤسسات .

ورغم هذا فهو نظام لم يوصلنا الى الهدف
المطلوب وهو رفع مستوى الرتبة .

لذلك واذا اردنا حلا لمشكلة هبوط مستوى
رتبة القطن المصري والابقاء على الاطار العام
لنظامنا الاشتراكي اقترح الاتي :

١ - قسم شركات الحليج الى شركات التصدير
كما كانت عليه وهذا يوصلنا فعلا الى رفع
مستوى الرتبة لان شركات الحليج بوضعها
الحالي تضع كل امكانياتها على رفع مستوى
انتاجها كما ولا تهتم بالكيف لان عائد الربح لشركات
الحليج يرجع الى حليج اكبر كمية من القطن
وليس الى حليج أعلى رتبة من القطن، وأن العاملين
بهذه الشركات يعملون بكل جهد لرفع مستوى
الانتاج كما لكي يضمنوا لانفسهم ارباحا تحقق
لهم السير قدما مع سياسة ربط الاجر بالانتاج .

اما اذا كانت شركات الحليج مندمجة مع
شركات التصدير يتغير هذا المعنى تماما ويتحول
رفع مستوى الانتاج الى كم وكيف، وتقوم المحالج
بالعمل على رفع مستوى الرتبة أثناء الحليج
وهذا معروف جدا وواضح الآن بالمحالج .

٢ - يقوم المنتج بتوريد اقطانه الى الجمعية
التعاونية وتصرف له السلفة المبدئية عن كل
قنطار بعد قرزه وتحديد رتبته بمعرفة لجنة من
فرازي بنك التسليف الزراعي وهيئة التحكيم .
وفي هذه الحالة سوف يهتم المنتج بنظامه اقطانه
قبل توريدها .

٣ - تقوم شركات القطن بمعاينة اقطان كل
جمعية ثم تتقدم لمشتراها عن طريق جلسة مزاد
علنية مثل فيها بنك التسليف الزراعي ووزارة
الزراعة وهيئة التحكيم .

وهذا يوصلنا الى فتح باب المنافسة حقيقة
وهو المطلوب .

٤ - اضيف الى ذلك عامل مهم جدا وهو أن
شركات تصدير الاقطان عند دمجها مع شركات
الحليج نكون قد قمنا بتوفير مبالغ كبيرة للدولة
حيث سيكون بكل شركة اقطان مجلس ادارة واحد
وعمالة واحدة وسيارة واحدة وتليفون واحد
وبدل سفر واحد ، واستراحة واحدة ،
وساع واحد بدلا من ازدواج كل هذا ولا عائد
لكل هذا سوى القطن .



دولة لا أمية فيها

كتب ابراهيم عبد الله المسلمي . . بكالوريوس
تجارة بالقازيق، وممثل التنظيم الشبابي بالاتحاد
الاشتراكي بالقازيق ، تعليقا على ما جاء في عدد
الطلعة عن برنامج العمل الوطني :

«... دولة لا أمية فيها...» وإذا كانت الاشتراكية في معنى من معانيها نقول أنها «بيت سعيد لكل أسرة» فان محو الأمية هو أحد عوامل تحقيق هذا الهدف. لان السعادة الحقيقية لا يمكن ان تقوم مع الجهل والامية.



منظمة الشباب في سوريا

كتب خالد عز الدين ، طالب في ثانوية عبد الحميد الزهراوي حمص . سوريا يقول : ان صلاح زكي وهو يدرس المظاهر السلبيّة والايجابية لمنظمة الشباب الاشتراكي (الطليعة، سبتمبر ١٩٧١) قال وهو يتحدث عن المستوى العربي انه من الملاحظ في اغلب التنظيمات السياسية العربية عدم وجود تنظيمات سياسية خاصة بالشباب .

ويعلق خالد عز الدين على ذلك بأنه يود أن يشير الى وجود منظمة تربوية سياسية فعّالة تابعة لحزب البعث السوري تضم الشباب بين ١٤ - ٢٧ سنة من مختلف قطاعات الشعب بما اى تمثل وحدة الشعب وقواه المنتجة . وهي فيهم الطلاب . وتضم العامل والفلاح والطالب والمرأة والمهندس والطبيب والمعلم والحرفي . منظمة تعمل تحت قيادة الحزب واشرافه .



دعوة الى مساندة الشباب الاسرائيلي في مقاومة التجنيد للخدمة العسكرية

في الثاني من أغسطس ١٩٧١ اصدر اربعة من الشبان الاسرائيليين ، فتاة وثلاثة شبان، كانوا على وشك التجنيد للجيش بيانا اعلوائيه:

« اننا لم نولد احرارا لتصبح ظالمين . اننا نرفض ان ننزل بشعب آخر مائزل بابائنا واجدادنا » وقد تراجع اثنان من الاربعة تحت الضغوط العاطفية الشديدة من قبل آبائهم وأصدقائهم ومدرسيهم . وسجن ثالثهم - جيورا فيومان - في ١٨ نوفمبر الماضي . ومن المحتمل أن يقضى مدة عقوبة طويلة .

وحول هذه القضية اصدر توم تشوفسكي مع آخرين النداء الثاني الذي وصلنا بالبريد من لندن ونشر نصه فيما يلي :

« نحن الموقعين على هذا ثرقت باحترام وأمل النزوع المتزايد لدى عدد كبير من المواطنين في كثير من دول العالم نحو اتخاذ مواقف نقدية

نحن ننادي بدولة عصرية ؟ وبذون القضاء على الأمية فان الاساليب والوسائل المعدة لرفع مستوى البحث العلمي والتكنولوجيا وزيادة مستوى انتاج العامل والوحدة الانتاجية - كل ذلك يعتبر ضربا من ضروب الخيال . ومهمة محو الأمية لا يمكن أن تتولاها أجهزة الدولة وحدها أو يمكن تركها للمجهود الفردي للجماهير . ومن هنا كان واجب الاتحاد الاشتراكي كبيرا وقوميا وثوريا .

١ - على الدولة أولا ان تقوم بحصر اعداد الاميين وامكن تجمعاتهم ثم تقدم الامكانيات من مدارس وكتب وأدوات للمتطوعين لمحو الأمية .

٢ - على وحدات الاتحاد الاشتراكي الاساسية وضع خطة زمنية - سنوية او اقل - وتقوم على تطوع الشباب المخلص للقضية . ويكون تقييم أعضاء الوحدات الاساسية نظير ماقدموه من خدمات في هذا المجال .

٣ - وحدات الاتحاد الاشتراكي بالقري والمصانع تقع عليها مسئولية اكبر من تلك الواقعة في المدن نظرا لان الغالبية العظمى من سكان الريف والعمال اميين .

٤ - المسئولية العظمى لتنفيذ هذا البرنامج تقع على طلاب وطالبات الكليات الجامعية والمعاهد العليا - نظرا لان معظم هؤلاء ينتمون بحكم الموقع السكني او الانتباء الاسرى الى قري مصر .

٥ - وفي المنازل . تعيش الأمية والعلم في مكان واحد . فبينما يتعلم أبناء الأسرة ، فان « الشغالين » يرزحون تحت عبء الخدمة المنزلية - والامية . وهكذا في بيت واحد يعيش الجهل ، مع التكنولوجيا الحديثة : الثلاجة والتلفزيون ... الخ . فهل من الممكن وضع برنامج لمحو أمية هؤلاء الشغالين والشغالات ؟ .

٦ - يشترط لتعيين العاملين في الدولة قضاء فترة محددة في فصول محو الأمية .

٧ - مضاعفة توعية العمال الزراعيين والقرويات على الانضمام لفصول محو الأمية . ويثور التساؤل ، هل يستحسن كى يؤخذ الامر مأخذ الجد أن تكون هناك غرامة يدفعها الفلاح أو زوجته أو اولاده في حالة الانقطاع . .

لقد نادى عبد الناصر . . « يد تبنى . . ويد تحمل السلاح » وأعلن انور السادات . .

ضد العنصرية

ثمة تساؤل هام ترى « الطليعة » انه من الضروري أن تطرحه في هذه المرحلة من تطور صراعنا ضد اسرائيل .

والسؤال هو : « هل نسمح لانفسنا بأن تقع في أخطائنا السابقة ونحن نتحدث عن عدونا ؟ هل نسمح لانفسنا ان نستدرج الى أسلوب السباب والدعاوى العنصرية البغيضة .

ان حرب الكلمات والمتاجرة بها ، ليست فقط سلاح العاجز ولكنها بالدقة سلاح يرد الى صدر من يستخدمه ، ولقد جربنا هذا السلاح يوما ، وجربنا نتائجه ، وما جره علينا من خسارة .

ان الكلمات التي تطل برأسها الان في كتابات البعض واضعة عدونا بأنه « الشعب ملعون » وبأنه « بلد العاهرات والبغايا وفتيات الليل » وان المجتمع الاسرائيلي هو « المجتمع البغاء واللصوصية... » ان البغايا واللصوص لا يمكن ان يكونوا مختارين من الله « هي كلمات ضارة غاية الضرر فضلا عن أنها غير موضوعية .

هل من المفيد أن نردد مثل هذه المهاترات ، عن الذين نصمم الى آخر حد أن معركتنا ضد الصهيونية الاسرائيلية ليست معركة عنصرية ، ولا هي معركة ضد شعب ملعون وانما هي ببساطة معركة ضد عدو يحتل جزءا من أراضينا .

ان « الطليعة » بكل الحرص على المعركة التي نخوضها ، وبكل الحرص على شرف الكلمة العربية تدعو الى استخدامها كأداة في معركة شريفة ، وسلاحا للبناء والتوعية ، وليس لبث الروح العنصرية والدعاوى المتخلفة التي يروجها بعض اتجاهات وأقلام ليستغلها العدو أسوأ الاستغلال ، وتسيء الى موقفنا وقضيتنا ابلغ إساءة .

فلنكف عن ترديد الشعارات البالية المضادة التي لا يستفيد منها ويجنى ثمارها المسمومة غير العدو الامبريالي الصهيوني .

« الطليعة »

وأصدار أحكام سياسية مستقلة والالتزام بمواقف شخصية وسياسية . بوحى من ضمائرهم الفردية .

وهذه الانتقادات والالتزامات ترتبط غالبا بشاغل المجتمعات التي يعيش فيها هؤلاء الشاغلين . وهي موجهة في المحل الاول ضد مؤسسات السلطة التي يعيش في ظلها هؤلاء الرافضين للوضع القائم ، والذين ينظر اليهم — لأول وهلة — باعتبارهم خطرا يهدد سلامة مواطنيهم الآخرين . الا ان اللجوء للضمير الفردي والالتزام الجماعي يبدو شيئا لامناص منه اذا أردنا القضاء على المظالم واحترام كرامة الفرد والجماعة . وهو أمر ضروري ايضا لتشجيع اتخاذ مواقف مماثلة في أماكن أخرى .

من هنا فالتنا نحن الموقعين على هذا ، نؤيد تأييدا كاملا الاسرائيليين الاربعة الرافضين لتأدية الخدمة العسكرية في بيانهم الذي أصدره لمقاومة التجنيد بالجيش الاسرائيلي . وهم يصرون في هذه المقاومة عن معارضتهم للسياسة التي تشهدها المؤسسة الصهيونية بوجه عام . والسياسة المتبعة في المناطق المحتلة بوجه خاص . وعلى سبيل المثال — الاعتقالات التي تقوم بها الادارة ، ومصادرة الاراضي المملوكة للعرب ، ونسف المنازل ، وعمليات الطرد الجماعية للسكان الفلسطينيين ، والتعذيب ، والاجور التي تقبل عن خد الكفاف في غزة ، وعدم كفالة الحقوق السياسية والمدنية الكاملة للجميع على قدم المساواة .

ان الخطوة التي اتخذها مقاومو التجنيد العسكري خطوة شجاعة وضرورية لاحداث تغيير اجتماعي جذري وتحقيق عدالة اجتماعية كاملة بالنسبة لليهود الاسرائيليين والشعب العربي الفلسطيني وكذلك بالنسبة لكل شعوب الشرق الاوسط عامة .

وانا لنأمل مخلصين ان كل هؤلاء الذين يدفعهم ضميرهم ووعيهم السياسي لمقاومة السياسات الخاطئة ، وسياسات القهر من قبل حكوماتهم — ان يفعلوا ذلك — وسريعا سواء من بين اليهود الاسرائيليين او الفلسطينيين العرب وكذلك من بين الشعوب العربية الأخرى .

بوسطن ١٩ أغسطس ١٩٧١

وثائق

أوراق حركات التحرر الوطنى العالمية المعاصرة

«توباماروس»



تنشر «الطلیمة» ابتداء من عدد يناير ١٩٧٢ ، أوراق عن برامج
حركات التحرر الوطنى والمنظمات الثورية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا
اللاتينية ، المعاصرة .

ونبدأ فى هذا العدد بنشر ثلاث وثائق لواحدة من أشهر المنظمات
الثورية فى أمريكا اللاتينية وهى منظمة «توبا ماروس» حركة
التحرر الوطنى بأورجواى .

- أسس برنامج الجبهة ..
- برنامج الجبهة المقدم من منظمة توباماروس
- برنامج الحكومة الثورية لحركة التحرر الوطنى «توباماروس»

وسوف تواصل الطلیعة فى أعدادها القادمة تقديم عدد من
برامج المنظمات الثورية الهامة ، بما يتيح للقارئ العربى التعرف
على المواقع الثورية والنضالية لكثير من الحركات الوطنیة التقدمیة
كسبیل لتفهم منطلقاتها الفكریة والنظریة واستراتيجیاتها وتكتیکها
السیاسی .

- [١] أسس برنامج الجبهة
- [٢] موقع حركة التحرر الوطنى فى الجبهة
- [٣] برنامج الحكومة الثورية لحركة التحرر الوطنى

فيه الثقات والمنتجين والفنيين وتتمثل السلطة السياسية . على أن تشارك الجامعات في تحديد استراتيجيات التخطيط والتطوير .

ويمكن أن تأخذ سياسة التأمين شكل ملكية الدولة للصناعة وغيرها ، أو شكل مشاركة منتجي القطاع الخاص والعمال ، ويتوقف اختيار أى من الشكلين على مدى ما يقدمه أى منهما من فوائد من ناحية كفاية الانتاج وديناميكية الاقتصاد .

الدفاع عن استقلال قطاع الدولة في الصناعة والتجارة وتدميمه وتطويره ، واشتراك العمال في ادارة الصناعات التي تتمتع بالاستقلال الذاتي في اطار الخطة وأجهزة الخدمات غير المركزية ومؤسسات القطاع المختلط في الاقتصاد والرقابة عليها .

٥ تحقيق اصلاح زراعى يشر بتحول متكامل في الهيكل الزراعى للبلاد ، يتمشى مع التخطيط العام . وسيؤدى اصلاح الزراعى الى القضاء على نظامى اللاتيفونديا (الملكية الكبيرة للأرض) والنيفونديا (الملكية الصغيرة للأرض) ، واستبدالهما بنظام عادل للملكية الأرض واستغلالها ، يساهم في التطوير الاقتصادى والاجتماعى ويؤدى الى رفع مستوى الانتاج وزيادة الانتاجية ويزيد من أرباح المنتجين والعمال ، وبضمن تحقيق العدالة الاجتماعية بحيث تصبح الأرض لمن يفلحها وذلك كأساس لاستقرار ورخاء الانسان وضمان لحريته وكرامته . كما يوفر اصلاح الزراعى ضمانا لحماية الملاك الصغار والمتوسطين ،

مع مراعاة اولوية :

(ا) تقديم المساعدات والحلول التي توفر الاستقرار للمنتجين الصغار والمتوسطين والمستأجرين ، والتي تضمن لهم الاسواق وتحديد الاسعار وتوفير القروض لهم والمساعدات الفنية والتعليمية ، والقضاء على الوسطاء .

(ب) وضع نظام للاجور ومستوى المعيشة والعمل ، يساهم في تطوير التقدم الاجتماعى في أنحاء البلاد .

(ج) تطوير انشاء مزارع تعاونية زراعية ولتربية الحيوان ، وتقسيم التسهيلات لاقامة المنشآت وتوفير الآلات والبذور والسماد وغيرها من الاحتياجات وتوفير امكانيات تسويق منتجاتها .

(د) تطبيق القانون الذى يحظر قيام شركات لتملك واستغلال الأرض .

٦ تطبيق سياسة نشطة للتصنيع ، والحفاظ على الاممال القائمة وزيادة مصادرها وتأمينها ، اذا دعت الضرورة تحقيقا لهذا الغرض - ومشاركة الدولة في الصناعات الاساسية التي لا يشملها التأمين .

تصنيع المواد الخام والمنتجات الزراعية

للتضبات الدفاع عن مبدأ انتهاز سياسة خارجية مستقلة . وادانة الدور الذى مارسه في الماضي وفي الحاضر منظمة الدول الامريكية كأداة للامبريالية ، والنضال من أجل استقلال وتكامل دول امريكا اللاتينية وعملها المشترك من أجل التخلص من التبعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

تأييد قبول جميع الدول في هيئة الامم المتحدة ، واتامة العلاقات مع كافة بلدان العالم على اساس الاتفاق الحر بين الاطراف المعنية .

التضامن مع كافة شعوب العالم ، وبخاصة شعوب امريكا اللاتينية ، التي تناضل من أجل تحرير نفسها من قهر الاحتلال والامبريالية والاستعمار الجديد . وتأكيد حق الالتجاء السياسى عملا بالتقاليد والقواعد المرعية في جمهوريتنا . اعادة النظر في كافة المعاهدات والاتفاقيات والقرارات الدولية التي تتناقض مع المبادئ السالفة الذكر والغائيا .

اعادة تنظيم أجهزة وزارة الخارجية لتكون في خدمة المصالح الحقيقية للبلاد . توجيه السياسة الاقتصادية الخارجية للبلاد ، بما يتلاءم مع المصالح القومية والشعبية .

ورفض سياسة صندوق البنك الدولي وغيره من المنظمات الدولية التي تنهين نفس سياسته .

وإدانة سياسة التكايل التي تنتهجها منظمة التجارة الحرة لدول امريكا اللاتينية التي تؤدي الى تفانم تبعية هذه الدول . ومراجعة هذه السياسة وتغييرها بحيث تتجاوب مع مصالح الشعب .

والتفاوض من أجل تعديل الشروط الاحادية الجانب لاتفاقيات الديون الخارجية وتأجيل الدفع ، وذلك للفترة التي يقتضيها ضمان تحقيق قدرة ميزانية الدولة على مواجهة الاهداف الاقتصادية والاجتماعية لهذا البرنامج .

وفي حالة تعذر تعديل هذه الشروط ، تتخذ الدولة - من جانب واحد - الاجراءات الكفيلة بتحقيق هذه الاهداف . مطالبة المؤسسات التي تعمل في اراضي البلاد ، بن تسخير أرباحها في الداخل . مراقبة وحظر ارسال العائدات والارباح والديون المستهلكة الى خارج البلاد . واتخاذ الاجراءات التي تحول دون هروب رؤوس الاموال .

اقامة علاقات اقتصادية وتجارية مع كافة بلدان العالم .

اصلاح البناء

الاقتصادى والاجتماعى

٧ نخطيط الاقتصاد القومى المستقل ، في اطار الاهداف الاجتماعية التي تستهدف المساهمة في احداث التحولات الضرورية لتطوير البلاد تطويرا متكاملا . وذلك مع التأكيد على دور القطاع الخاص . انشاء جهاز لتوجيه التخطيط تشارك



الحريات والحقوق والضمانات :

١ الدم الكامل للحريات والحقوق والضمانات الدستورية المشروعة . وضمان اتاحة كافة وسائل النشر المناسبة ، الرسمية منها والخاصة ، دون استثناء أو ضغط من أى نوع ، وبخاصة الضغوط السياسية والاقتصادية . الالتزام الدقيق بمراعاة الاحكام الدستورية التي تنظم شئون التعليم والثقافة والحياة الدينية .

احترام الحقوق والحريات النقابية احتراماً كاملاً وتطويرها تطويراً شاملاً . انشاء سلطة ضبط قضائية مستقلة استقلالا عضوياً فعلاً اقتصادياً ووظيفياً . مع مراعاة الاولويات التالية :

(ا /) الغاء اجراءات الامن الطارئة . (ب) ويتصل بهذا ، اعادة الذين فصلوا الى اعمالهم مع اعطائهم كل حقوقهم ورد اعتبار من وقعت عليهم عقوبات .

(ج) الغاء وسائل العنف التي لازمت النظام الحاكم ، وتطبيق العفو السياسى كوسيلة تتيح لكافة قطاعات المجتمع العودة الى ممارسة حياتها السياسية المشروعة ، وذلك تسهيلاً لتحقيق التطور الطبيعى للحياة السياسية والاجتماعية للبلاد . وتحقيقاً لهذا الهدف ، ينبغي أن يشمل العفو كل أولئك الذين انتهوا - أو اقترنت أسماؤهم - بجرائم سياسية ارتكبت بفرض التخفيف من وطأة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية الراهنة .

(د) وضع حد للتدخل في التعليم العام وتوفير الشرعية لكيانه الخاص . والغاء كافة الاجراءات التعسفية التي اتخذت ضد المعلمين والطلاب خلال فترة هذا التدخل .

(هـ) اعادة الحقوق والضمانات الكاملة للصحف والاحزاب السياسية والجماعات التي حظر نشاطها بالمرسوم الذى أصدره السلطة التنفيذية القائمة .

السياسة الدولية

٨ الدفاع عن السيادة القومية . والتطبيق - غير حدود - لمبادئ تقرير المصير وعدم التدخل . المشاركة في المنظمات الدولية وفقاً

ومنتجات الالبان التي تشجعها من ازرع الدولة الى أقصى حد ممكن وعلى نطاق البلاد كلها ، وبخاصة تصنيع اللحوم والصوف والالبان والجلود وغيرها من منتجات تربية الحيوان . وتوفير رقابة شعبية واضحة على هذه المعايير والقضاء على كل أشكال الترسبات والتفلفل الاجنبي ، وتأمين عمليات صناعة اللحوم .

ولسوف يوفر التخطيط الاقتصادي توزيعا متناسقا للنشاط الصناعي على نطاق الامة كلها ، يكون أساسا لتطوير اقتصاد الجمهورية .

تطوير وتنسيق نقل الركاب والبضائع وفقا للاحتياجات المحلية والقومية واعتبارها من وسائل الخدمة العامة واسترداد AFE وإنشاء بحرية تجارية قومية .

٧ تأميم البنوك والاحتكارات الكبرى والفروع الأساسية للتجارة الخارجية تخليصا لها من عمليات الربا والمضاربة . والقضاء على الجبهومات المالية المتحكممة القومية والاجنبية ، ووضع حصصية الضرائب والائتمان والنقد الاجنبي في خدمة التطور الوطني .

٨ النهوض بالنظام التعاوني كأداة تهدف الى المساهمة في التطوير الاقتصادي والاجتماعي ، سواء في مجال الصناعة وتربية الماشية والسلع الاستهلاكية والخدمات ، وتأسيس نظام مالي والقضائي عادل وتواعد للتكامل والرقابة التي تضمن الدفاع عن الطابع الشعبي والتقدمي

لنظام وتجنب إمكانية الالتفاف من حوله . ٩ تطوير السياسة السكانية وفق تخطيط حكيم للفصل والهجرة الداخلية والخارجية ، بحيث تتوفر القوى البشرية التي لا غنى عنها في تطوير البلاد ، على اساس تحسين مستوى المعيشة وشروط العمل واستبعاد محاولات تفطيم التمسك وتحديده .

(١٠) اصلاح جذري للنظام الضرائبي حيث يؤثر تأثيرا فعالا على تراكم الثروة والراسمال الطفيلي ، والراسمال ذا الانتاجية المنخفضة والنشاطات المخربة للاقتصاد وآفاتا الاجتماعية والارباح الطائلة ويحد بشكل متزايد من الضرائب المباشرة .

تبسيط وتوحيد وتجانس النظام الضريبي ووضع سياسة منظمة لا كمجرد اساس لوارد الدولة ولكن كأداة للتبسيط الاقتصادي ومن أجل توزيع أكثر عدالة للارباح .

وضع نظام خاص لمعالجة الثروات المكتسبة عن طريق العمل وأيولتها طريق الارث .

السياسة الاجتماعية والاجتماعية والتعليمية (١١) وضع سياسة جديدة وعادلة للاجور العامة والخاصة ، على اساس مبدأ الاجر المتساوي للعمل المتساوي وعلى نحو يتلاءم مع تكاليف المعيشة . على أن تشارك القطاعات المعنية في

تخطيط هذه السياسة وتحديد الانضمار والارباح ، وينبغي أن تؤدي هذه السياسة الى توزيع عادل للارباح ، بما يتلاءم مع حاجات الشعب ومتطلبات الاستثمار .

وفذلك مع مراعاة الاولويات الاتية : (أ) الغاء قانون COPRIN (ب) وضع حد أدنى للاجور على المستوى القومي .

(١٢) وضع نظام معقول لمعدلات المعيشة يوجه نحو ضمان رفاهية واستقرار الفرد الذي لا غنى عنه في تطوير شخصيته تطويرا متكابلا يشمل دورة حياته من الميلاد الى الوفاة وتوسيع نطاق نظام التأمين الاجتماعي للعمل المأجور وللزراعيين .

مع مراعاة اولوية النضال من أجل : (١) تطبيق الاتجاه الدستوري الى نزع تكامل ادارة بنك التأمين الاجتماعي بمشاركة ممثلين عن الاطراف المسؤولة والمستفيدة . على أن يقوم المساهمون في تمويل البنك بسداد التزاماتهم فورا . كما تقوم الدولة والمؤسسات بسداد ديونها للبنك . واتخاذ الاجراءات التي تكفل القضاء على فرض التهريب من دفع الحصص ، والتي تكفل المساواة في المسؤولية والعناية باداء الخدمة دون منح الممولين الامتيازات أو التاجيل لهم . وضمان ربط المعاشات على اساس مرتبات العاملين .

(ب) توفير الامن في مجال الصحة

أورجواي

جوزيه باتل من حزب كولورادو « الاحمر » ، وفي هذه الفترة نشبت أولى معارك العمال ، وظهر الحزب الاشتراكي . وعاد باتل في انتخابات سنة ١٩١١ حيث قرر حق الانتخاب السري ومقرطة الحياة السياسية وفصل الكنيسة عن الدولة ، وتأمين الخدمات العامة ، وكثير من الصناعات والبنوك والتأمين ، ووضع نظاما للتأمين الاجتماعي ، وفي فترة ما بين الحربين حصل رأس المال الأمريكي محل الانجليزى ، وتأسيس الحزب الشيوعى في سنة ١٩٢٠ ، وسيطرت حكومات الاحمر ، وظل البيض في المعارضة ، وأخذوا بعض المواقف المعادية للامبريالية . وفي سنة ١٩٥٠ عرضت الولايات المتحدة على أوروجواي سياسة القروض وتخفيض العملة

التضال للقضاء على الحكم الاسباني حتى قضى عليهم في سنة ١٨١٤ ، وأصدر عدة قوانين متقدمة ووزع الاراضى . وسكن البرتغال فزت البلاد ، واستولت على العاصمة في سنة ١٨١٧ . ولكن التضال استمر ، وأعلن الاستقلال في ٢٥ أغسطس سنة ١٨٢٥ . وقامت الجمهورية بمقتضى دستور يوليو ١٨٣٠ . وبدأت الحرب بين « القسم الابيض » ويمثل القطاع الريفى و « القسم الاحمر » ويمثل سكان المدن ، واستمرت حتى سنة ١٨٥١ بسيادة محلى سكان المدن ، ولزاد تركيز ملكية الارض وتسرب رأس المال الانجليزى ، وبدأت التنمية الرأسمالية والهجرة الأوروبية ، وتطور التعليم ونفذت بعض اصلاحات ديموقراطية . وفي سنة ١٩٠٣ تولى الرئاسة

المساحة : ١٨٣٩٢٦ كم

عدد السكان : ٢٥٩٢٢٥٦٣ نسمة .

العاصمة : مونتفيدو .

اللغة : الاسبانية .

التطور التاريخي : في سنة ١٥١٥ غزاها الاسبان وقضوا على معظم سكانها من الهنود ، وبدأ الاستعمار بعد ذلك بحوالى قرن وتكفل الجبزووت والفرنسيسكان باقتناع الهنود بالخصوع . وأسس الاسبان العاصمة في ١٧٢٦ واهتموا بتربية الماشية وقد اتخذ التضال من أجل الاستقلال ، شكل الحركة الريفية التي يقودها مربو الماشية . وقاد جوزيه اريجاس وهو من المولدين

الغاية : الذي يضمن العناية المناسبة
لحاجة قطاعات الشعب وبخاصة الجماعات
الغنية في المدن والريف .

(د) إنشاء دور الحضالة ومراكز
رعاية الاطفال في المناطق السكنية وفي
المؤسسات الخاصة والعامة في الحالات
التي يبلغ فيها عدد السيدات العاملات
هذا يفرض ضرورة انشائها .

(١٣) اصلاح الديمقراطية للتعليم
بهدف رفع مستواه الانساني والعلمي
والفني بها يتلاءم مع الضرورات التي
تفرضها التحولات الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية المترتبة على تطبيق هذا
البرنامج ، مع اعطاء عناية خاصة للارتقاء
بالتعلم في الريف . واتخاذ الاجراءات
التي تيسر اتاحة العلم للجميع على اساس
هذه التحولات والقضاء على كل اشكال
التسلل الاستعماري في مجال التعليم .

حماية المؤسسات التعليمية وتدعيم
استقلالها الذاتي وتنسيق العمليات
التعليمية وتمثيل المدرسين عن طريق
الانتخاب المباشر في مجالس ادارة
المؤسسات التعليمية الابتدائية والثانوية
والتعليم الجامعي للعمال ومؤسسات
التربية البدنية . على ان تقوم الدولة
بسداد مديونيتها فوراً وأن تولى ميزانية
التعليم ثلثاً من العنايه .

الدعم الفعال لجهود الجامعات في
الاضطلاع بدور قيادي في مجال البحث
العلمي ونشر الثقافة والتعليم وتقديم

خدماتها للشعب كله .

حماية ودعم وتطوير الثقافة الوطنية
وعبادتها . وتوفير الحوافز المادية
والمنوية لتطوير العلوم والفنون ومشاركة
الجمهير في الخلق الثقافي والتمتع
بإنجازاته .

تشجيع وتطويع التربية الرياضية
والمشاركة الجماهيرية في كل المجالات
الرياضية .

المؤسسات السياسية :

(١٤) التطبيق المتكامل للديمقراطية
على اساس تعدد الاحزاب السياسية .
وضع قانون انتخابي ومنهجه لعمل
الاحزاب السياسية بها يضمن احترام
الارادة الحرة للناخب ، والمشاركة الحرة
والرقابة الفعالة للمواطنين وتوسيع نطاق
الدور الذي يمكن ان تلعبه مؤسسات
المبادرة الجماهيرية عن طريق الاستفتاء
العام .

(١٥) توسيع وتطوير الاستقلال الذاتي
الاداري والمباشر والمالي للمجالس
البلدية والمنظمات المحلية على الاسس
العامة التالية :

(ا) التحديد الدقيق لرقبة المجالس
البلدية من اجل دعم وتوسيع التزاماتها
الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

(ب) تقنين وتطوير لجان الاحياء
ومجالس العمل في المدن والريف باعتبارها
اجزاء للنشاط العام في خدمة المجتمع .

(ج) تطبيق المؤسسات الديمقراطية
المباشرة وتمثيل العمال والمنتجسين
والمستهلكين في مختلف أجهزة المجالس
البلدية .

(د) اختيار أعضاء المجالس المحلية
عن طريق الاقتراع العام المباشر ، بحيث
تتم انتخابات هذه المجالس في تواريخ
مختلفة من تاريخ الانتخابات التومية
العامة .

(هـ) تحقيق التجانس والانساق بين
عمل الاجزء الفرعية .

(١٦) وضع ضوابط قانونية للحيلولة
دون قيام أي شكل من العلاقة بين اداء
الواجبات العامة وتحقيق المصالح
الشخصية مثل استخدام الوظائف العامة
لتحقيق المنفعة الشخصية .

(١٧) اصلاح الاداري : تطبيق نظام
عادل وعمل للاجور والترقيات والسلم
الوظيفي وتأهيل الموظفين العموميين .
وتشكيل أجهزة على اسس حديثة .

(١٨) قصر مسئولية البوليس على
الحيلولة دون وقوع الجريمة اساساً .

(١٩) تأكيد الطابع القومي للقوات
المسلحة ، واحياء التقاليد التي ارساها
ارتجاس والسير على هداها ، على ان
تركز القوات المسلحة حولها الاممسي
في الالتزام بالدفاع عن السيادة القومية
ووحدة أراضي الجمهورية واستقلالها
وكرامتها . ويتكامل دور القوات المسلحة
في مجرى عملية التحرر الوطني والتطور

مما ادى الى تدهور أحسوال
العمال والفلاحين ، ومع استئداد
الصراع الطبقي زاد ارهاس
الحكام . وفي سنة ١٩٥٨ انتصر
البيض في الانتخابات ، وزال
حكم الحمر الذي استمر ٩ عاماً
وفي ظل البيض زادت السديون
الخارجية والتسلل الراسمالي ،
وعاد الحمر في ١٩٦٢ ، وتزايد
تأثير اليسار تحت تأثير الثورة
الكوبية وفي ١٩٦٥ نشبت أزمة
تقسدية ، وتعددت الاضرابات
واستحكمت الأزمة .

الاحزاب : يوجد بأوروغواي
الحزب الوطني « حزب البيض
الحكومي » وهو يضم عدة أقسام
متعارضة ، خاصة قسمين :
اتحاد البيض الديمقراطي
ويسانده سكان الريف ، والحزب
الابيض ذو الاتجاه الفبائي ،
ويمثل الرجعية الموالية للامبريالية

ويمثل حزب كولورادو « الاحمر »
مجموعة اتجاهات ، تبدأ من
البرجوازية الكبيرة الرجعية ،
الى البرجوازية الوطنية ، وكذلك
مجموعة من البرجوازية الصغيرة
الابرايية ، وبحظى بتأييد
جماهيرى .

وهناك أيضاً « قائمة الـ ١٥ »
وهي حركة ذات اتجاه وسط ،
ثم « اتحاد كولورادو » وهي
حركة يمينية .

أما « قائمة الـ ٩٩ » فتضم
بعض اتجاهات يسارية ،
والحزب الديمقراطي المسيحي
ممثل في البرلمان ويعمل على
محاولة جذب الجماهير .

أما أكبر تجمع فهو الحزب
الشيوعي وسكرتيره روننى
اريزمىدى وارئيساطاقه وثيقة
بالطبقة العاملة وقد شكل جبهة
اليسار من أجل التحرر الوطني .

الاقتصاد : رغم سيادة
القطاع الزراعى ، فان ٨٢ ٪
من السكان يقطنون المدن ، وتبلغ
نسبة العمالة ٤٠ ٪ من السكان
يعمل ٢٨ ٪ منهم في الزراعة
و ١٨ ٪ في الصناعة ونسبة
البطالة مرتفعة ، وميزان
المدفوعات مختل مما ادى الى
اغلاق عدد من المصانع ، وبلغ
الدين الخارجي ٤٤٧ مليون دولار
وتستثمر أمريكا في أوروغواي
٥٧ مليون دولار ، ٤٥ ٪ منها
في الصناعة التحويلية . والزراعة
هي اساس الاقتصاد ، وتتميز
بالتركز في رأس المال والارض
فهناك ١١٥٢ مالكاً يملكون ٦٥
مليون هكتار اي ٢٥ ٪ من
مساحة الارض . وأهم المنتجات
في أوروغواي القمح والبطاطس
وبوجه عام يعتبر نصف أوروغواي
في هوزة ٤٠٠ مالك كبير للارض

حركة التحرر الوطني «توباماروس»

نعتبر في الوقت الحالي أكثر منظمات حرب العصابات تماسكا وفعالية في أمريكا اللاتينية بعد النجاحات المشهورة التي حققتها وقد أحيط ثوارها « بهالة أسطورية » لوفائهم بالوعود الثورية التي يقطعونها على أنفسهم ضد الحكومة . صحيح أنهم يواجهون ضعف قوى القمع في أمريكا اللاتينية ، لأن القوات المسلحة في أوروجواي لا تزيد عن ١٢.٠٠٠ رجل ، تسليحهم واعدادهم رديئين ، إلا أن هذا لا يكفي وحده لتفسير الاحكام المذهل في العمليات المدوية التي يقومون بها .

وقد استمدت حركة «توباماروس» اسمها من «توبوك امارو» زعيم الاتكالا الذي قاد عام ١٨٧٠ تمردا زراعيا طالب فيه باستقلال شعبي بيرو ، ولكن المستعمرين الاسبان قبضوا عليه ، ومثلوا بجثته . وتنسب زعامة هذه المنظمة الى راؤول سنديك طالب القانون والعضو السابق في الحزب الاشتراكي باوروجواي والذي ترك حياته كطالب ليشارك العمال الزراعيين حياتهم وأصبح بالفعل واحدا منهم . ولم يتخذ نصاله في البداية الطابع المسلح . اذ نظم في سنة ١٩٦٢ أول مسيرة لعمال قصب السكر الى العاصمة ولكنها ووجهت بالرصاص . ومن هنا نشأت الحاجة لسدى عمال السكر لضمان دفاعهم الخاص ، ولذا يقال ان حركة توباماروس نشأت بواسطة حركة عمال قصب السكر .

وترى منظمة توباماروس فيما يتعلق بالكفاح المسلح أن المقاتل لا يمكن أن يخلق ارتجالا ، لأن النضال المسلح ظاهرة تقنية تتطلب معرفة فنية وتدريباً ومواداً واعداداً نفسياً . وهي تعمل على توثيق علاقاتها ببعض منظمات اليسار والنقابات في أوروجواي وقد أشارت في بياناتها الأخيرة الى حتمية مواجهة بين الطبقة العاملة من ناحية ، والاقليات التي تستحوذ على السلطة ووسائل الانتاج من ناحية أخرى .

الصحف جميعها (١٠٠ في المائة) لرقابتها . فالحكومة هي التي تقرر ما الذي ينشر والذي لا ينشر .

والاوليجاريون هم الذين يسيطرون على مصادر تمويل الحملات الانتخابية ، هؤلاء هم الذين يستطيعون من مواقع السلطة أن يقرروا مصير الالاف بعزلهم من وظائفهم ، وهم الذين يستطيعون أن يغفروا بارادة الجماهير بشعاراتهم الزائفة . وكل هذا يجعل تعبیر الجماهير عن ارادتها الحرة أمرا مستحيلا

١٠ ان الحكام الحاليين ، الذين لم يتوانوا عن ضرب وقتل أبناء الشعب ، وهم الذين خرقوا الدستور مئات المرات ، وهم الذين سجنوا أكثر من ٥٠٠٠ عامل في عام واحد لانهم مارسوا حقوقهم ، ان هؤلاء الحكام ليسوا على استعداد لان يسلبوا الحكومة دون مقاومة الى هؤلاء العمال في حالة كسبهم الانتخابات . فالدكتاتورية تقدم على اجراء الانتخابات من أجل إعادة الحياة الى حكومة مفلسة وسوف توافق حتى على تغيير الحارس بين صفوف الاوليجاريين . ولكننا نشك أنها سوف تسلم الحكومة دون مقاومة الى مسجونين أو الى أولئك الذين تعرضوا للارهاب على يدها بالامس .

١١ نرى ما الذي سيحدث عندما يصر هذا الشعب على تغيير أبنية المجتمع ، على أخذ أراضي «اللاتيفونديا» ، على الاطاحة بالراسماليين الاحتكاريين من البنوك والصناعة والتجارة ؟ ما الذي سيحدث عندما يصر الشعب على تصفية ، لا مجرد تحديد أو تخفيض ، أرباحهم المحرمة ؟ ترى ما الذي سيحدث عندما يصر الشعب على أن يستبدل سلطة القهرة بسلطة المقيمين ؟ ما الذي سيحدث عندما يرى الشعب أن يستولي على السلطة لا أن يجري مجرد تعديلات في السلطة ؟ ان هذه الاوليجاركية التي تسجن وترهب وتقتل دفاعا عن أرباحها ، سوف لا تسلم أراضيها وبنوكها دون قتال . ولا سبيل امام المقيمين لكي يهزموا السلطة سوى الكفاح المسلح فقط .

١٢ والاكثر من ذلك ، فاننا لا نؤمن - مخلصين - بأن الثورة في أوروجواي اليوم يمكن أن تتحقق من خلال الانتخابات . ان خبرة البلاد الأخرى ليست قانونا ملزما لنا كي نطبقها .

١٣ في أوروجواي اليوم ، تسيطر الرأسمالية على الاذاعة والتلفزيون و٩٠ في المائة من الصحف . وتخضع

الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للبلاد . والارتقاء هذه المؤسسة الى أعلى مستوى من الكفاءة المهنية والأخلاقية وفق المفهوم القومى لانجاز التزاماتها هذه .

[اثر نى الاجتماع الموسع للجبهة في ١٧ فبراير ١٩٧١]

موقع « حركة

التحرر الوطنى »

توباماروس

في الجبهة

١٤ خلال السنوات الثلاث الأخيرة ، اغلقت دكتاتورية الاوليجاركية في أوروجواي الصحف وحلت الاحزاب السياسية وخففت اجور العمال وقذفت بالالاف المواطنين فى السجون والمعسكرات الحربية وضربت واغتالت - بوحشية - الطلبة والعمال وقننت الارهاب خرسية عادية جارية ، وفرضت الرقابة على النشر والاجتماعات أو الاشارة الى مقتربات من أقوال البطل القومى ارتيجاس . ومنعت الخطب والافسانى وفرضت اسلوبا ارهابيا فى التعليم وكل وسائل الثقافة وقيدت البرلمان والدستور والحقوق الشخصية والعامة وباعت البلاد - بثمن بخس - لالاجانب . واغلقت مقار النقابات ومنعتها من مزاوله نشاطها . وقد اقدمت دكتاتورية الاوليجاركية على ذلك كله باسم « القانون » ، قانونها . قانون امتيازات الملاك العقاريين ورجال المال وكبار رجال الاعمال . وفي خدمة هذا « القانون » توظف الاوليجاركية كل أجهزة القمع وكل قوات المرتزقة .

وفي كل مرة يضرب العمال من اجل ادخال تحسينات متواضعة على حياتهم الاجتماعية ، أو من أجل رفع اجورهم التي جار عليها « قانون » اصحاب الامتيازات ، يكون الجواب الوحيد الذي ترد به الدكتاتورية - القهر . واليوم ، في مواجهة العنف الذي يمارسه النظام ، كان رد الشعب هو : العنف . العنف الطبقة والعمال في حشودهم الجماهيرية ومواجهتهم بالشارع واحتلالهم المصانع . العنف القوات المسلحة التابعة لصركة التحرر الوطنى . العنف الناجم عن الصراع الطبقي المتفاقم عندما يطالب العمال بهزيمات متواضعة لاجورهم التي لا

برنامج الحكومة الثورية

((لحركة التحرر الوطني))

توباماروس

وعلى هدى هذه
الايدولوجية ، استلهمت حركة
التحرر الوطني (توباماروس)
ملخصا للنقاط الأساسية لحكومة
ثورية .

ان تخطيط هذا البرنامج لا يمتنى أننا
قد كفنا عن تأييد أى برنامج آخر انتقالي
يستهدف نفس الاغراض ، كالبرنامج
الذى تبناه ONT (مركز العمال)
وبعض القوى الشعبية الاخرى .
لقد اقترت حركة التحرر
الوطني (توباماروس) خطه صغيرة من

نقاط ست يمكن تطبيقها ، وقد رفعتها
الحكومة وتتضمن الخطة : استعادة
الحريات وعدم تجميد الاجور واعادة
المفصولين لاسباب تتعلق بالامن الى
وظائفهم واطلاق سراح المسجونين
السياسيين . الخ .
والنقاط الاساسية لاعادة بناء البلاد
على ايدى حكومة ثورية ، هي :

الاصلاح الزراعي :

١ - نزع ملكية المزارع الكبيرة لتربية
الماشية والمزارع الكبيرة ومعامل الالبان
الكبيرة ، على أن يدير العمال عملية
استغلالها .

٢ - وبناء على فهم أن الزراعة هي
الثروة الرئيسية للبلاد ، يجب تمويل
عمليات استغلال الريف على أساس
« يمكنه » من أجل مضاعفة انتاجه
سريعا .

٣ - الابقاء على الصناعات الريفية
الصغيرة من أجل أولئك الذين يعملون بها
كأجراء : العمال الزراعيون الذين تبدو
حقوقهم في الأرض اليوم مزعزعة وغير
مستقرة على أن يعطى العمال والفئات
المتوسطة حقوقا ايجابية على أساس
مبدأ « الأرض لمن يطلعها » .

٤ - تقديم أفضل المساعدات الفنية
للمنتجين في الريف ، بما فيها المخصصات
والبذور وتسيير الأرض وكل الوسائل
لتحسين الانتاج .

الصناعة :

١ - ملكية الشعب للمصانع الكبيرة
على أن يديرها العمال .

٢ - دعم الصناعات الوطنية
وحمائيتها ، وبخاصة تلك الصناعات التي
تستخدم المواد الخام المحلية (اللحوم
الصوف ، الجلود ، الزيوت النباتية . الخ)
وتلك الصناعات التي لها مستقبل
في مجالات السوق الداخلي والخارجي .

التجارة :

١ - أن تدير الدولة مباشرة عمليات
التصدير والاستيراد والتجارة الخارجية
عموما

٢ - ملكية الشعب لتجارة
الجملة و « السوبر ماركت » الكبيرة
ومحلات البقالة الكبيرة ومخازن اللحوم
الخ . الخ وإدارتها بواسطة عمالها .

الاقتصاد :

تخضع المدخرات والفروض للإدارة
المركزية للدولة التي توجه استثماراتها
الى مجالات الانتاج أو البناء

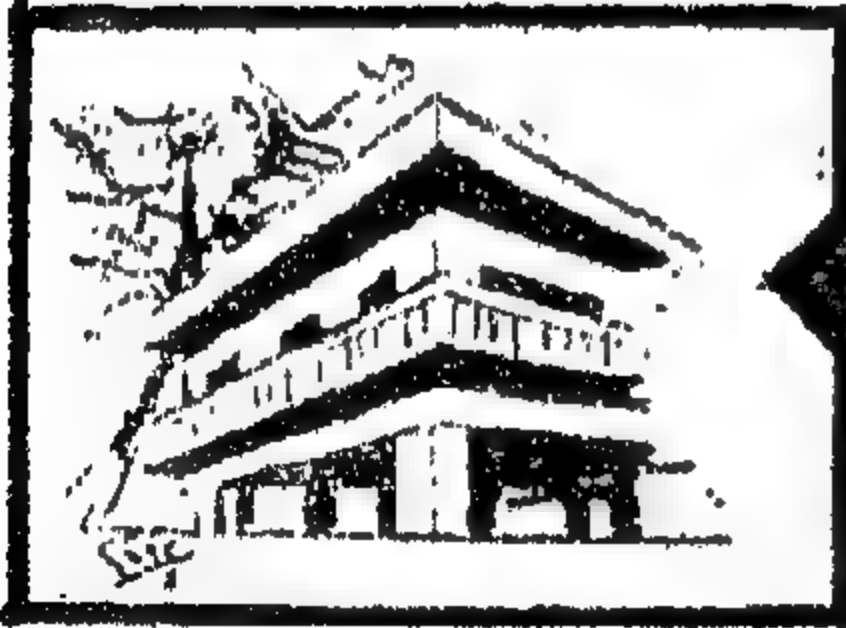
اصلاح المدن :

١ - نزع ملكية المساكن الفخمة من
الذين يحوزونها والتي تزيد على
احتياجات عائلاتهم الضرورية وتأكيد حق
المأوى للذين يعوزهم السكن .

٢ - نزع ملكية القصور الفخمة
واستخدامها في الأغراض الثقافية أو في
المصالح العامة الاخرى .

٣ - اعطاء الأولوية في التخطيط
الاقتصادي لبناء المساكن الصحية
للعائلات التي تعوزها مثل هذه المساكن .

لبناء وعمارة سكنية على أرضك



لتعليق عمارتك القائمة

البنك العقاري المصري

يقترضك بتيسيرات لأحدودها
وسيد تسديد الأقساط في المواعيد التي تناسبك

للاستعلام : اتصل بالمركز الرئيسي : ١١ من المسهرى ميدان مصطفى كامل - ٢٥ من عبد الحالى شروق / القاهرة

شركة القاهرة للأدوية

في مجال الجهود الذاتية

- ◆ تقوم الشركة بإنتاج بعض المستحضرات الطبية التي ثبتت فاعليتها على أعلى مستوى طبي وبرون آثار جانبية من بعض الأعشاب الطبية لزوجة مملتا
- ◆ أنشأت الشركة مصنعاً حديثاً بالجيزة الذاتية على أعلى مستوى ومجهز بأحدث الآلات العلمية والعملية لنظمية المجموعات الدوائية بمختلف أشكالها الصيدلانية.
- ◆ تنفذ الشركة بإنتاج المستحضرات الطبية الجيلاتينية كالمسحوق مطبوخ في صناعة الدواء.
- ◆ تقدم الشركة بفضل القائمين على إدارتها ومجموعة اللجنة الفنية المكونة من السادة أساتذة الطب في جمهورية مصر العربية كل ما لهو جدي في صناعة الدواء لصالح المواطنين.
- ◆ تفتي الشركة بإنتاجها الأسوان المحلية والعربية والإفريقية.
- ◆ هازت الشركة ثقة المصانع الأجنبية العالمية فتمت هو تصنيع بعض مستحضراتها ومنها شركة « ميرك » بشارب ودوم « وشركة سميت كالزيت وفرنش .
- ◆ تساهم الشركة بقسط كبير في نشر الثقافة الطبية فهي قاسم مشترك في جميع المؤتمرات والندوات العلمية محلياً وإقليمياً وقد شاركت في مؤتمرات أطباء العرب بدسور بأسلوب علمي مطبوع كما شاركت في الندوة العلمية التي أقيمت في تيرانا بألمانيا وشارك فيها الأستاذ الدكتور محمد الطوالقي أستاذ الأمراض الجلدية كما شاركت في الندوة العلمية التي أقيمت بالرياض في المملكة العربية السعودية وكذلك في الندوة العلمية التي أقيمت في نيقوسيا بقبرص فأينما وفي العالم والبحث وهدية القاهرة للأدوية .

• وأن يعنى تخطيط الصناعة والتجارة والائتمان والاقتصاد بشكل عام ، بتسهيل الانتاج والحد من المفاضة والقضاء بشكل كامل على عمليات الوساطة والمضاربة .

رأس المال الاجنبي :

مصادرة الصناعات الكبيرة والبنوك والتجارة التي يسيطر عليها - كلياً أو جزئياً - رأس المال الاجنبي دون تعويض .

مكافآت العمل :

- ١ - رفع مستوى معيشة كل العمال على أسس من التوزيع المتساوي لثروة البلاد وزيادة الانتاج القومي .
- ٢ - التوزيع العادل للانتاج بالقدر الذي تسمح به زيادة الانتاج وفق حاجته .

التعليم :

- ١ - توفر الدولة مجانية التعليم ونفقات ومستلزمات الدراسة للطلاب حتى يستكملوا دراساتهم .
- ٢ - توجيه التعليم الى التخصصات التي تكفل رفع المستوى الفني للانتاج .
- ٣ - اختيار الادارة التعليمية من بين المعنيين بالتعليم كما يحدث في كافة مجالات النشاط الأخرى .

الصحة العامة :

- تكريس خبرة الوسائل الفنية للعناية بالمرضى من أبناء الشعب دون تمييز . وعلى سبيل المثال الاستيلاء على المصحات الخاصة ومعامل الأدوية الكبرى .
- رعاية الشيخوخة والمرضى :
- ترقية احتياجات كل شخص غير قادر على مزاولة العمل

القضاء

- ١ - استبدال النظام القضائي الحالي الذي تحكمه قوانين تحمي حقوق الملكية الخاصة للرأسماليين برجه عام ، بقوانين تضع في اعتبارها القيم الانسانية في الاساس .
- ٢ - تأهيل المنحرفين للعمل قبل وبعد الافراج عنهم .

- ٣ - مراجعة الاحكام التي أصدرها القضاء البورجوازي ضد الاشخاص الذين نسبت اليهم بعض الجرائم ، مراجعته شاملة ، ومحاسبة المسؤولين في النظام عن الجرائم التي ارتكبوها .

- ٤ - معاقبة كل أولئك الذين تعاونوا مع الثورة المضادة ومحاكمتهم وجبرهم وفقاً لخطورة ما ارتكبوه من جرائم . وعلى سبيل المثال هؤلاء الذين ارتكبووا جرائم الاغتيال وغيرها من الجرائم خدمة للنظام ، هؤلاء الذين استولوا أجهزة الصحافة في نشر الأكاذيب والدعاوى الزائفة ضد قضية الشعب .

الدفاع المسلح عن الثورة :

- لا يمكن الوصول الى السلطة وتحقيق اهداف الثورة الا بتسليح الجماهير دفاعاً عن ثورتها ومصالحها .

مونتفيدو ٢٠ مارس ١٩٧١

حركة التحرر الوطني

(توبا ماروس)

النصر أو الموت .

الطبعة



المعدد الأول - يناير ١٩٧٢

الدولة والكتاب

من المسئول عن كساد الكتاب المصرى :
القطاع العام - المؤلفون - الجمهور ؟

يشرف على التحرير :

د. لطيفة الزيات

غالى شكرى

محمود درويش

سمير فريد

صبرى حافظ



شادى عبد السلام
.. والمومياء



د. عبد الرازق حسن
أين الاقتصاد ؟..



نجيب محفوظ
اكتشاف الواهب

في هذا العدد

« ملاحظات » : رغيف الخبر .. ورغيف الفن

الكلمة .. وحسب التحرير

« الدراسة »

الدولة .. والكتاب

● موقع الخطة المصرية بين الماضى والمستقبل

● شهادات واقعية

● خطة ٧٠ / ٧١ بين الفكر والتطبيق

● حركة النشر العام فى سطور

قصة قصيرة : « البيع والشراء »

قصيدة : « اشتهاء الملكة »

كتب جديدة : « محمد وهؤلاء »

• • رغيف الخبز • • ورغيف الفن

لطفى الخولى

أخيرا ، يولد « الملحق الادبى والفنى للطليعة » . لم تكن ولادة سهلة ، استهلكت سبع سنوات كاملة كي يخرج المولود من رحم الفكرة الى واقع الصفحات المطبوعة .

منذ حملنا — زملائى وأنا — مسئولية اصدار « الطليعة » فى يناير ١٩٦٥ ، وفكرة تخصيص حيز للاهتمام بقضايا الادب والفن : دراسة ونقدا وابداعا ، تلح على رؤوس عدد من الزملاء ، كنت واحدا منهم . لكننا ظللنا ، طوال هذه السنوات السبع ، سجناء دائرة الاقلية . وفى كل مرة طرحت الفكرة للنقاش خلال اجتماعات مجلس التحرير ومجلس المستشارين ، كانت الاغلبية بزعامه زميلنا الدكتور عبد الرازق حسن ، تفوز على اقلية تترعها زميلتنا الدكتورة لطيفة الزيات وكونت الاقلية النشطة « تكتلا ضاغطا » للعمل على تجنيد بعض الزملاء المترددين بين الاغلبية وبين الاقلية ، مثل الزملاء « ميشيل كامل » ، وهو كاتب مسرحى « خفى » ، و د . « اسماعيل صبرى عبد الله » و « أبو سيف يوسف » ، وهما ناقدان فنيان « فى السر » وعمد « تكتل الاقلية » الى تكتيك التسرب من « الباب الخلفى » ، مع استمرار الطرق على « الباب الامامى » الذى ظل صامدا فى حراسة ديدبان الاقتصاد والسياسة العتيد ، « عبد الرازق حسن » ، مسلحا بحراب الاغلبية .

وبطريق التسرب من الباب الخلفى ، قمنا بنشر دراسات ومقالات نقدية تتناول مشكلات الفن والادب ، ولكن كظواهر اجتماعية — ثقافية لها مدلولاتها السياسية ، بمعنى ان السياسة كانت المدخل الى الفن لا العكس . ومن هنا ظلت قضايا الادب والفن التكنيكية والجمالية ، فضلا عن اعمال الخلق والابداع بعيدة عن اهتمام الطليعة .

بيد انه من الامانة ان نسجل ، ان الاغلبية بديدبانها ، لم تكن معادية للفن والادب بشكل مطلق . كانت تسلم معنا — نحن الاقلية — بدورها البناء فى حياة الانسان والمجتمع . لكنها من ناحية ، درجت على تقييم هذا الدور تقييما ثانويا بالقياس لدور الاقتصاد والسياسة والفلسفة . ففكرا وتطبيقا . وتبلور رأى الاغلبية عن خط يقول : اذا كانت « الطليعة » قد استهدفت الاسهام فى عملية شق طريق الاشتراكية العلمية داخل المجتمع العربى المعاصر ، فعليها ان تركز كل جهودها على القضايا الفكرية والتطبيقية الاساسية لهذا الطريق . وعلى حد تعبير عبد الرازق حسن فى احدى جلسات النقاش : « كيف نوفر رغيف الخبز للمواطن دون استغلال ؟ سؤال اكثر الحاسا ومسئولية من سؤال : كيف نوفر موسما للوبرا الايطالية فى القاهرة ؟ » .

وكان للاغلبية — من ناحية ثانية — حجة اخرى ، تتلخص فى ان الادب والفن يجدان متنفسا فى عدد من المجلات المتخصصة والاسبوعية فضلا عن الصحف اليومية . فى حين ان هذه المنابر ما برحت تضيق بالدراسات العميقة حول قضايا الفكر والتطبيق الاشتراكى ، وتعتبرها « سلعا » غير رائجة صحفيا . فالى ان تتيقظ هذه المنابر لمسئولياتها نحو الاشتراكية : ففكرا وتطبيقا . فعلى « الطليعة » ان تكتف طاقتها لاثبات عدم صحة نظرية « السلع غير الرائجة صحفيا » . وباختصار فلا أدب أو فن فى « الطليعة » حتى يصيح ديك اليقظة الاشتراكية من فوق المنابر التقليدية .

لكن « الأقلية النشطة » لم ترفع راية التسليم . كانت تنطلق في دفاعها عن ضرورة اهتمام الطليعة بالادب والفن ، من نظرتها الشاملة نحو قضايا ومشاكل الحياة والمجتمع باعتبارها « كل لا يتجزأ » تتبادل العناصر المكونة له التأثير المتبادل باستمرار ، وإذا كان الادب أو الفن عنصرا من هذه العناصر ، فكيف يمكن أن نتجاهله ، ونزعم في نفس الوقت أننا اشتراكيون علميون . بل إن الاشتراكية العلمية نفسها هي التي صكت ذلك الاصطلاح الديناميكي عن دور الادب أو الفن عندما وصفته بأنه « هندسة الوجدان الانساني » .

ومن هنا كانت « لطيفة الزيات » تصيح في « عبد الرازق حسن » ، كلما لوح لها برغيف الخبز : « ليس بالخبز وحده يعيش الانسان ، انه يعيش أفضل ويحصل على رغيف حقيقى للحياة ، بالفن والادب » .

وكانت الأقلية ترى — أيضا — أن الادب أو الفن ، الذي يستحق كل ما في الكلمة السحرية من أبعاد ، لا يجد في واقع الأمر مبررا مفتوحا له — على حد تعبير غالى شكري بحماسة المطلق المعروف — أو على الأقل ليس أمامه مجالات كافية للتعبير . بل إن نظرية « السلع غير الرائجة صحفيا » تنطبق أيضا — في الميدان الصحفي — على الادب الجاد والفن الحقيقى ، مثلها مثل الفكر الاشتراكي في السياسة والاقتصاد والفلسفة والاجتماع . ومن هنا يأتى دور « الطليعة » في حقل الادب والفن .

لكن رأى الاغلبية ظل مسيطرا زمنا طويلا ثم راحت الاغلبية تفقد سيطرتها في مجلس التحرير أمام خطابات الاصدقاء والقراء التي نعت على « الطليعة » استمرار اهمالها للجانب الادبي والفنى . وجاءت هزيمة ١٩٦٧ بكل أبعادها . وتفجرت ينابيع النقد وإعادة النظر ، بشكل جذرى ، فى كل المسلمات التقليدية والابنية المادية والمعنوية في المجتمع . وكان ينبوع الفن والادب من أبرز الينابيع التي تفتحت بالتمرد والنقد والعطاء معا . وخلال ذلك كله قفزت من القاع الى السطح ، تيارات متلاحقة من ابداعات الشباب الجديد تصفع وتدين وتخلق وتحاول ، بصدق وحرارة ، التعبير عن الوجدان الجماهيرى . ربما صاحبها ضجيج التمرد حيناً ، لكنه — على أية حال — التمرد الذى يشكل نواة التفجير لطريق ثورى .

باختصار ، فرض هذا الوضع الجديد نفسه ، وبالضرورة ، على الطليعة . وارتفع صوت الأقلية النشطة من جديد يطالب الاغلبية بعدم الهروب من مواجهة المسؤولية . وهكذا أصدرت الطليعة عددين ، خصصت الدراسة الرئيسية فيهما عن « هكذا يتكلم الادباء الشباب » فى مصر والوطن العربى . وتغيرت موازين القوى فى الطليعة ، وتعادلت تماما كفة المطالبين بالاهتمام بالادب والفن مع كفة المعارضين . وكان يمكن لرئيس التحرير أن يرجح بصوته إحدى الكفتين . بيد انه ازاء اتهام ديدبان السياسة والاقتصاد العتيد له بالانحياز المسبق عن عمد وترصد ، لم يستخدم رئيس التحرير حقه ، وطرح الموضوع كله للاستفتاء فى « ورقة رأى » التي قدمتها الطليعة فى عددى أغسطس وسبتمبر ١٩٧١ .

وكان السؤال التاسع فى « ورقة رأى » يتجه الى الاصدقاء والقراء بصورة مباشرة قائلا : هل توافق على قيام الطليعة بنشر أعمال أدبية وفنية كالقصة القصيرة والشعر والنقد .. الخ ؟ وجاءت النتيجة بالإيجاب الكامل بنسبة ٤٧٪ ، وبالإيجاب بتحفظ بنسبة ١٨٪ ، أما المعارضون فلم تزد نسبتهم على ٣١٪ فى حين امتنع ٤٪ عن الإجابة . (راجع عدد ديسمبر ١٩٧١ من الطليعة)

وقفزت هذه النتيجة بأقلية الامس الى أغلبية . وهكذا يصدر الملحق الادبى والفنى من خلال معاناة ديمقراطية عنيفة . وطوى « ديدبان السياسة والاقتصاد » حرايه . وانطلقت الدكتورة لطيفة الزيات مع الزملاء محمود درويش وغالى شكري وسهير فريد وصبرى حافظ ، يقتحمون باب الطليعة الامامى ، ويعانقون مسؤولية المشاركة فى هندسة الوجدان الانساني فى عالمنا العربى .

غير أن صدور الملحق ، لا يجب أن يحجب عنا هذه الظاهرة المخيفة ، التي نرى بصماتها بوضوح على نشاط عدد كبير من مناضلينا الاشتراكيين — فكريا وعملا — فى وطننا العربى . ونعنى بها ظاهرة الخصام الغريب للادب والفن ، واعتبارهما نوعا من

الترف ، لا يجوز للمناضل من أجل الحرية والاشتراكية ان يضيع في سبيلة وقتنا او يصرف جهدا . وأعرف مفكرين اشتراكيين ومناضلين ، أكن لهم احتراما كبيرا في مجتمعنا العربي ، لا يتوقفون لحظة تأمل أمام لوحة أو تمثال . ويحسبون قراءة رواية أو قصيدة شعر أو التسمير في مقعد لمدة ساعتين أمام عرض مسرحي ، نوعا من العبث الذي لا طائل من ورائه .

ماذا ؟

بصدق لا أستطيع أن أمسك بإجابة محددة وأحيانا أقول لنفسي : ربما لان « الفن الرائج » في بلادنا مازال يبدو في « هز البطن » والمليودرامات السخيفة والابتذال في الاداء التمثيلي . ربما لان « الادب الرائج » في مجتمعنا ما برح يدور من حول محاور القصص البوليسية والادب المسطح بلا أعماق سيكولوجية ، أو أدب الجنس الرخيص . . أقول الرخيص لا الفن . ربما . . لكن هذا ليس بحجة مقنعة ، فثمة وجود لادب وفن حقيقيين نستطيع ان نستمتع بهما ونغتنى روحيا ، سواء في التراث أو في أعمال المعاصرين .

ماذا اذن ؟

مازلت أفكر بصوت مسهوع ، دون أن أصل الى تحديد واضح . واتساءل : هل ورث اشتراكيونا ضمن ما ورثوا من تاريخهم نوعا من الجاهلية ، فيقبلون على كل ما هو « سياسي » كأنه الولد . ويعرضون عن كل ما هو « فن أو أدب » ، فيأدونه كأنه البنت ؟

لكن الجاهلية أورثتنا ايضا فيما أورثتنا أبدع فنون الشعر وأعذبها . بل ومن خلالها تعلمنا عروضها وموسيقاها .

هل يتنافى مع الثورة ان نحلم مع الموسيقى ونشرد مع صورة شعرية وننفعل بقصة أو مسرحية . اذن لم يكن « لينين » ثوريا حينما كان يعد لاول ثورة اشتراكية في التاريخ ويهتم في نفس الوقت بنقد وتكوين أعمال تولستوى ويناكش جوركي وينقد شعر مايكوفسكي ، ويحذر الثوار ليلة الثورة — من المساس بأي لوحة من لوحات رمبرانت في قصر الشتاء . كذلك « هوشي منه » و « ماوتشي تونج » عندما غردا بشعرهما وسط أتون المعارك الضارية . من ناحية أخرى هل نستطيع أن ننفي ثورية قاص كجوركي أو نجيب محفوظ أو ميخائيل نعيمة . . مسرحي كبريشت وتوفيق الحكيم . . رسام كبيكاسو وحامد عبد الله . . شاعر كإيلوار ومحمود درويش والشرقاوي . . كل في مرحلته التاريخية . .

ان الثورة الاشتراكية . . ثورة شاملة تستهدف الانسان اولا واخيرا ، كي يصبح سيد الحياة . . سيد نفسه . . سيد مصيره . من هنا تنبت السياسة الاشتراكية والاقتصاد الاشتراكي . . وكذلك ينبت الادب والفن وينبت الاديب والفنان ايضا . والثورة الاشتراكية ، تظل ثورة ناقصة ، خاوية الروح ما لم تمنح الجماهير أدبها وفننا ، وتثور — ان صح التعبير — أدبنا وفننا .

وما لم تستطع الثورة الاشتراكية ان تنجز هذا التثوير الفني — شكلا وموضوعا — للابداع والخلق ، فسيظل فن وادب البرجوازية بقيمه المتخلفة ، حضاريا واجتماعيا ، وبصياغاته الرتيبة المكررة ذات الايقاع النائح الهزيل ، مسيطرا على وجدان الجماهير . وبالتالي نواجه هذا التناقض الذي نحسه جميعا . جماهير مفتحة ، مملا ، على الاشتراكية ، لكن وجدانها ما مرح سجين العطاء الروحي للبرجوازية ، ويتعثر الانسان في حركته خلال مسارنا الثوري بين التعلق بقيم الاشتراكية الجماعية وبين الاسترخاء الذاتي الاناني في احضان القيم البرجوازية الفردية .

بل وأحيانا تبدو الاشتراكية وكأنها تصادر حق الانسان في استمتاعه الحسن الصحي بالحياة . . معادية للحب . . ناقمة على الجمال ، وذلك رغم ان هدفها الاول والاخير هو أن يتمتع الانسان نفسه بخلقه الفني وبكل ما تزخر به الحياة من حب وجمال . والا فقدت مبرر ثورتها على البرجوازية التي تحصر المتسع الفنية في دائرة ضيقة من الممتازين طبقيا . فتحرير رغيف الخبز يعني في نفس الوقت تحرير رغيف الفن .

وبعد . . اذا استطاع الملحق الادبي والفني للطليعة أن يجذب الى حقل الفن والادب ديدانات السياسة والاقتصاد الثوريين . . اذا أمكنه أن يعالج ظاهرة الخصام الغريب بين المناضلين في مجتمعنا وبين الفن والادب . . أقول اذا حقق الملحق شيئا من هذا ، فان المعاناة الطويلة من أجل اخراجه الى الحياة ، لم تذهب عبثا .

الكلمة وحرب التحرير

حين تدب الحياة في شرايين شعب بأكمله ، وهو يخوض معركة من معارك التحرير ، أو يتأهب لخوض هذه المعركة ، يواجه صاحب القلم الحر اختياراً من اختيارين : أما أن يهجر الكلمة إلى الفعل ، وأما أن يحول الكلمة إلى فعل . والاختيار الأول ، إذا ما توافرت الظروف الموضوعية المواتية ، أسهل من الاختيار الثاني ، بالرغم مما يبدو فيما أقرره من غرابة .. فالاستشهاد يكون أحياناً أسهل من الشعور الممض بالعجز والقصور .

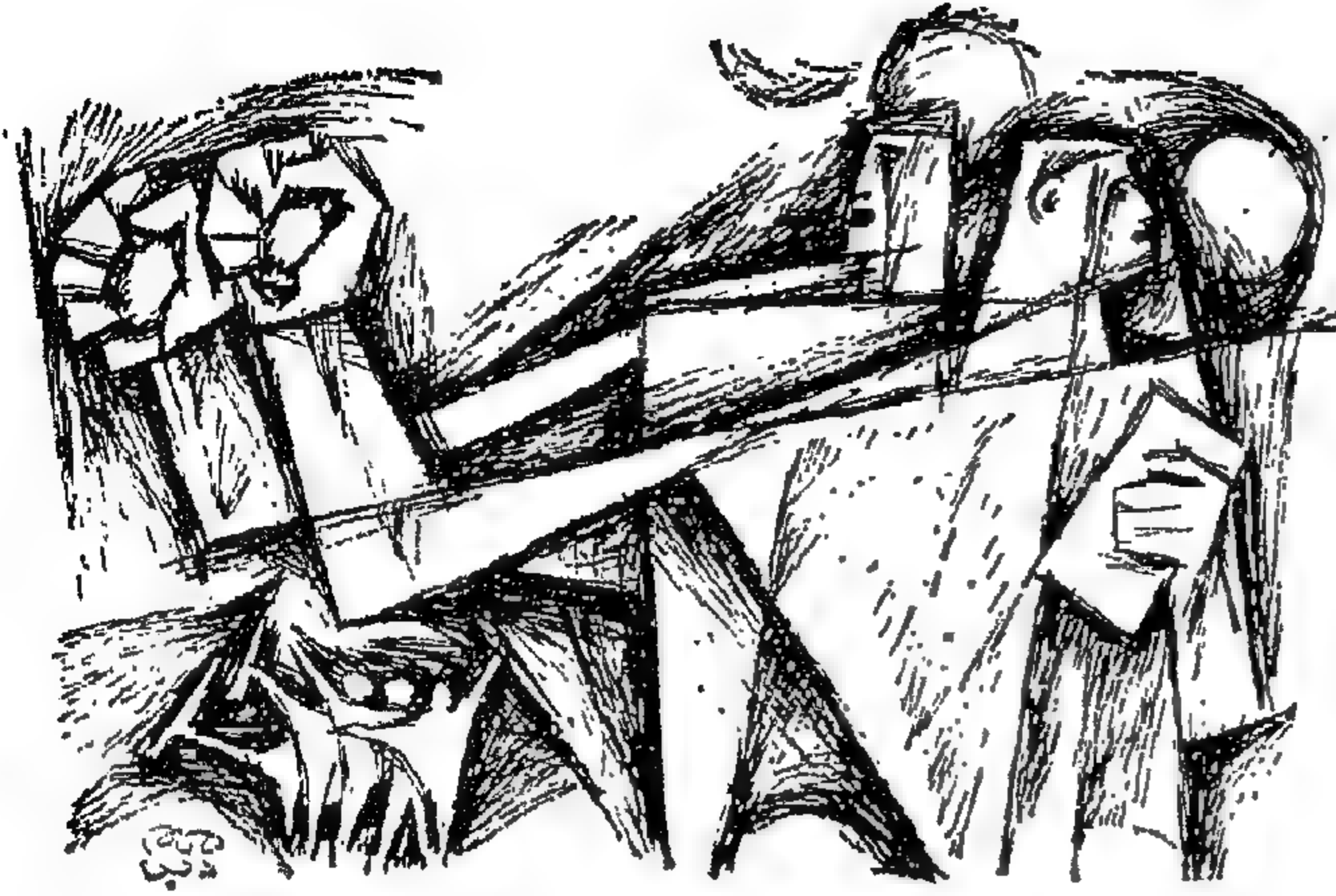
لطيفة الزيات

وتحت وطأة هذا الشعور بقصور الكلمة عن العمل هجر آلاف الكتاب في أنحاء العالم الكلمة ، وانضموا إلى معارك التحرير الوطني والاجتماعي ، في الحرب الاهلية الاسبانية ، وفي المقاومة الاوربية ضد النازي ، وفي معارك التحرير الوطني والاجتماعي ، في آسيا ، وأفريقيا ، وأمريكا اللاتينية . وتحت وطأة هذا الشعور سيهجر بعض كتابنا القلم بهدف الاشتراك بالفعل في معركة تحرير الارض من المحتل الاسرائيلي .

وطوبى لمن يملك ، لمن يستطيع ، لمن تواتيه الفرصة الموضوعية ليتخفف من هذا

وما أكثر ما يسقط القلم ، وصاحب القلم يتساعل عن جدوى هذا الذي يكتبه ، وعن معنى وجوده في ذلك المكان الملق ، والناس من حوله تتحرك . وما أكثر ما يضيق صاحب القلم بالكلمات أيا كانت قيمة هذه الكلمات ، والنار تتفجر من الارض والسماء ، والناس تدفع عن حقها في الحرية والخبز والسلام والحياة ، تحارب وتنتصر وتنهزم ، وتموت وتعيش ، وتحيا وهي تموت وتعيش ، تشيد وتعيد تشييد ما تهدم ، تحول دون الجراح وتضمد الجراح ، تعلو سنابل القمح فوق سفير النيران ، وتتشن بالدم انتاج المصانع . وتعيد حراثة الارض لغد أفضل .

وكل من يشتغل بالادب ، وربما بالكلمة عامة ، يعرف هذا الشعور المضني الذي يلزم الكاتب والبلد تعاني أزمة من الازمات أو تمر بمعركة من المعارك : الشعور بأن الكلمة تقصر عن الفعل ، وأن الكلمة أيا كانت قيمتها تبدو شاحبة وباهتة وعديمة الجدوى إلى جانب الفعل . وربما يستند هذا الشعور إلى واقع موضوعي ، وربما لا يستند ، وربما كان الفعل على المستوى الفردي أكثر فاعلية من الكلمة ، وربما كانت الكلمة على المستوى العام أكثر فاعلية من الفعل الفردي ، ولكن تبقى الحقيقة قائمة ، حقيقة الشعور الذي يلزم الكاتب ما اضطرمت الاحداث من حوله : الشعور بأن الكلمة تقصر عن الفعل .



الشعور . وطوبى لمن يستطيع
أن يحول الكلمة الى قذيفة .

على طول الجبهة كان الجنود
السوفيت يتلقفون مقالات ايليا
أهرفيرج الادبية والسياسية
كما يتلقفون امدادات جديدة من
القذائف النارية . ولقذائف
أهرفيرج وانطباعاته نفس
فاعلية القذائف . وما كان أشد
حاجة الجنود في الجبهة
السوفيتية اذ ذاك الى القذائف !
كان أهرفيرج قد تخطى عن الرواية
الى المقال ، عن اللا مباشرة ،
الى المباشرة ، عن التجسيد الى
التقريرية ، عن الحيادية الى
الذاتية ، عن الهمس الى الصوت
القاطع كحد السيف ، عن
التركيب الى الغنائية .

ما أتفه ما تبدو المعايير الفنية
التي نقدمها وقت السلم في
وقت الحرب !

امنحوني وقتا لاتأمل بلا
انفعال ، لاتباعد عن الاحداث ،
لاتنظر الى الاحداث من أعلى
كالآلهة ، لاكتب بحياد ، لاسجل
الحقيقة بكل ابعادها المتداخلة
المتشابكة المتناقضة المعقدة ،
لاخلق فنا : يقول الفنان وقت
السلم . ويحق له أن يقول ،
ويملك رفاهية أن يفعل ، ونفخر
بما يفعل ، ولا نعترف بغيره فنا

ولكن ما أتفه ما تبدو هذه
الرفاهية وأرض الوطن تتفجر
بالآلام المخاض ، ومصير شعب
بأكمله في الميزان !

أعطوني قلما لاتغنى : يقول
الفنان وقت المعركة ، بصرخة
المحارب يستشهد ، بشهقة الطفل
من الرماد يولد ، بزغرودة أم

لقتلة الكلمة . . ، لاعداء الانسان
على الارض فلتكن أغنييتي
وحشية . لاتعلم كيف أكره .
لاتمرس في فنون الكراهية انا
الذي غنيت الحب مبرى . مزيدا ،
من الكراهية لاعداء الانسانية ،
ولتفجر الكلمة كالقذيفة .

ولكن أما من مجال للفن كفن ،
بكل معاييره الفنية التي تواضعنا
عليها ، في وقت المعركة ؟ قد
يسأل سائل . . وعلى السؤال
اجيب . نعم كتب عباقرة الفن
الكثير من الروائع الفنية في
فترات اضطرام الازمات . ولكن
لسنا كلنا بعباقرة .

وعن نفسي أقول : لو خيرت
بين أن أكتب رائعة تخلد على
مدى الاجيال ، وبين أن أطلق
كلمة في فاعلية القذيفة ، لما
ترددت لحظة في الاختيار .
فالمواطن في والانسان ، يغلب
بلا أدنى صراع الفنان .

الشهيد تخنق الصرخة ، برعشة
الخوف ، بنشوة القوة تولد
والقامة فوق الخوف ترتفع ،
بالسواعد المرفوعة تدس بالقذيفة
في المدافع ، برغيف الخبز في
الاغران ، بالحديد في المصاهر ،
ببذور القمح في القربة ، بأنة
أرضي بالآلام المخاض تتفجر ،
بتباشير الخضرة تمسح على
حمرة الدم والنار ، ببسمة عيني
الولد العسلي ، بهذه الضفيرة
السوداء للبننت الشقية ، بالقيم
الجديدة تنزرع في أرضي مع
دانات القنابل ، بقرن ينطوى
في سنين ، بالانسان الجديد
يولد من المعاناة . ولتكن أغنييتي
وحشية .

لتكن أغنييتي وحشية . بمدى
ما أحمل من حب لأرضي وللارض ،
وللانسان على الارض ، بمدى
ما اضطرم بالكراهية لحاصدي
رؤوس الاطفال ، لحارقي خضرة
الزرع ، للصوصل لقمة الخبز ،
لمصاصي دم العمال والفلاحين ،
لنخاسي الشعوب ، لتجار الموت ،

إشراة الملاحه

■ محمد عفيفى مطر أحد الشعراء المصريين الشباب الذين برزت كتاباتهم منذ أواخر الخمسينات ، كان يقوم بتدريس الفلسفة بالتعليم الثانوى الى أن تفرغ لرئاسة تحرير مجلة « سنابل » التى تصدرها محافظة كفر الشيخ . صدر له ديوانه الاول « من دفتر الصمت » عن وزارة الثقافة السورية ، وديوانه الثانى « ملامح من الوجه الانبادوقليسى » عن دار الاداب اللبنانية .

شعر : محمد عفيفى مطر

علنى أدخل شباكك صوتا أو فرائشة ..
[كنت مسحورا بما فى جسد العالم من
بذر الطلوع
وصهيل الصيف بالخضرة اذ تغلى ،
وتيجان العناقيد ..
وأبكى
من نوافير اللقاح المختبئ
فى حبيبات الحصى والريح ، فى ديمومة
الصخر وأصوات السقوط] .

• • •

وأنا أبكى اليك
لابسنا أقنعة الاشياء فى رحلتها
خارجا حيا من الميت أو منسكبا بين توابع الهوى
راحلا فوق خيول الحلم .
[أمتد بأصوات الثياب
حينما تنفرط العقدة عن أرض الحقول الدموية
أبدأ الرحلة مابين أقاليم الحواس
كل صوت نخل مثقلة ، كل شهيق وزفير
نجمة تفتح عيني على كنز المساحات
وأفياء الرؤى بين صعود وهبوط
كل تاريخ الازاميل على طرف الاصابع
راعش يبدأ خلق الكائنات الوثنية .
كل مهوى من مهاويك مدينة
نسجت راياتها وارتحلت تحت شمس الانتظار
أقبلت منها الكتابات وأسرار القرايين الدفينة
وتواريخ النبيذ الحى فى صمت الجرار
وأنا ألبس من ماء ونار
وتراب وهواء

وجهى الاول، أغدو نطفة منعقدة .]

وأنا أبكى وأبكى
نازفا بين الدهاليز وأبواب الجوارى
خطوتى تعويذة فى صلوات الاشتها
سفر تكوينى سرير الملكة .

حينما أدخلنى اليأس بلاط الأمراء
والقصور الملكية
كنت وحدى ، برعما فى ورق الفقر ، أغنى
فى القرى والمدن الدامية القلب وفى
أرصعة الثلج على باب الموانى الداخلية
ظلمة البحر رقيقى ، والبكاء
لقمقى قبل طلوع الشمس ، وجهى ، وسريرى ،
غربتى ، أرض بلادى .
— حينما أدخلنى اليأس بلاط الأمراء —
فتشيت سرير الملكة

[كنت أمشى فى الدهاليز وأبواب الجوارى
جسدى يسترى السمع على صوت الدماء
وهى تغلى فى الحقول الدموية
وعلى صوت الثياب
حينما تنفرط العقدة عن أرض الحقول المرمرية
والزوايا والتنوءات ،
وموسيقى السفر
فى أقاليم الحواس ..]
خطوتى كانت حروفا فى كتاب الاشتها
كلما نقلت أقدامى تدلت كرمة الجوع وأمطار الظما
وهى خلفى مهرة الرعب أمامى غابة مشتبكة
[كانت الأرض كباقي الوشم ، أمشى
فى مساحات السطوح
مقشعر الكف من مس الزغب
أخذا من كل شىء بذرة الكون وميعاد الفساد
أخذا من غليان الدم فى ورد الجروح
كلمة السر الى أرض الشقوق
وأخاديد العطاء ..]

كل شىء كان — من عنف النزوع
طائرا نحوك — فى عمق الزمان الداخلى
عله يسقط ما بين يديك
زهرة راحلة فى سحب اللون وأطياف التداخل
وأنا أبكى اليك



من المسئول عن كساد الكتاب المصرى : ؟ القطاع العام - المؤلفون - الجمهور

ريب أن أجهزة النشر التابعة للقطاع العام من أهم منابر التعبير الفكرى فى بلادنا ، ذلك أن هذه الأجهزة بما لديها من قوى وامكانيات تملك ناصية التأثير على الكادر الثقافى والرأى العام الجماهيرى فى نفس الوقت . لذلك يخصص « المحق » دراسته الرئيسية فى هذا العدد لبحث هيئة نموذجية من اصدارات الهيئة المصرية العامة للتأليف - هيئة الكتاب الان - هى خطة النشر لعام ١٩٧١/٧٠ . وبالرغم من أن دراسة عينة جزئية بصورة تفصيلية يمنح البحث طابع التخصص ، الا أننا عمدنا الى تقديم الدراسة بمدخل تاريخى يضع ايدينا على حدود الاطار العام للنشر المؤم . كذلك فقد حرصنا بعد تبيان الاتجاهات الفكرية السائدة على الخطة ، ان نضعها تحت أعين أربعة من كتابنا تختلف مجالات تخصصهم بهدف الحصول على شهاداتهم الواقعية حول ما جاء فى الخطة . واخيرا فقد اخقنا الدراسة بتحليل موقع الخطة المصرية بين الماضى والمستقبل .

لا

١٩٤٤ - ١٩٧١

حركة النشر العام في سطور

● خلال عملية الجمع تلك انتقلت اليها أغلب اختصاصات إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم وانتقل معها أغلب موظفيها .

● اختصت هذه الإدارة الجديدة التي سميت بالإدارة العامة للثقافة بنشر الكتاب وتمويله بالخساسة لدى الناشر الخاص .

● خصص لهذه الإدارة في ميزانيتها الأولى (٥٨ - ١٩٥٩) مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه ، حاولت أن تمول منها لدى ناشري القطاع الخاص مجموعة من السلاسل الثقافية الجادة التي تشرف بنفسها على ترجمتها واختيار مادتها .

● في نوفمبر عام ١٩٥٩ بدأت أولى هذه السلاسل في الظهور وهي سلسلة (المكتبة الثقافية) .

● في عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ تبعها بقية السلاسل الأخرى وهي (روائع المسرح العالمي) ثم (أعلام العرب) ثم (تراث الانسانية) .

● انتظمت هذه السلاسل في الظهور طوال ستة أعوام لتقدم في معظم الأحوال خدمة ثقافية جادة ، وتعثر انتظامها بعد ذلك وان لم تتوقف كلية .

● في عام ١٩٦١ - عام ظهور المؤسسات - تحولت هذه الإدارة الثقافية إلى الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر .

● أخذت ميزانيتها في النمو والانتساع من ٢٠٠ ألف جنيه عام ١٩٥٩ ، إلى ٥٠٠ ألف جنيه عام ١٩٦٠ ، إلى ٥٥٠ ألف عام ١٩٦٢ ، إلى ٨٥٠ ألف عام ١٩٦٤ .

● أخذت تصدر إلى جانب السلاسل مجموعة من الكتب المفردة ، مترجمة ومؤلفة ، تتوخى في اختيارها الدقة والاهتمام بالكيف الثقافي قبل الكم . وذلك ابتداءً من عام ١٩٦١ .

● أصدرت مجموعة من السلاسل غير الدورية مثل سلسلة (من الفكر السياسي والاشتراكي) و (كتب أفريقية) و (الجوائز العالمية) وهي سلاسل ترجمت فيه مختارات من كتب الفكر السياسي والاشتراكي ودراسات عن القارة الأفريقية وبعض الروايات الحائزة على كبريات الجوائز العالمية .

● اتفقت خلال الأعوام الستة الأولى من أنشائها ٣٥ مليون جنيه . وأصدرت خلال نفس الفترة ٢٥٠ كتاباً وأعدت طبع ٦٠ كتاباً من كتب التراث ، وبلغ عدد صفحات هذه الكتب مجتمعة ٨٨ ألف صفحة .

بالتخطيط له والإشراف على تنفيذه مع وزارة الثقافة .

● استهدف المشروع تقديم مكتبة عربية كاملة ، تسد الفراغات الواضحة في مختلف فنون المعرفة من خلال الترجمة والتحقيق والتأليف حتى تقدم للقارئ العربي كل الأصول الهامة التي شاركت في صياغة العقل الحديث .

● أعدت لجان المجلس المختلفة قوائم طموحة بالكتب التي يجب ترجمتها أو تحقيقها وبالموضوعات التي يجب التأليف فيها ، كل لجنة في مجال تخصصها . وكانت هذه القوائم في حد ذاتها عملاً جيداً .

● رصد لهذا المشروع ميزانية كبيرة للغاية - إذا ما قيست بميزانية ألف كتاب - فقد رصد له في العام الأول من أعوام تنفيذه (١٩٦٣) مبلغ ١٢٠ ألف جنيه . وأندجت له هذه الميزانية كل عام منذ بدايته وحتى اليوم .

● لم يقدم هذا المشروع منذ أنشائه حتى اليوم ، وبرغم هذه الميزانية الكبيرة - سوى ١١٨ كتاباً ، بعضها إعادة طبع . وأغلب هذه الكتب لا يدخل في نطاق الخطة الطموحة التي قدمها من قبل .

● واجهت المشروع عند التنفيذ صعوبة الوفاء بالخطة ، فانصرف عن خطته الموضوعية وتحول إلى إصدار ما يقدم له من كتب ، ولم يصدر من الكتب التي أزمع تقديمها سوى عدد محدود للغاية .

بعد التخطيط . .

يجيء دور التنفيذ

● لم يكن التخطيط للكتاب والمساهمة في الاتفاق عليه هو السبيل الوحيد الذي انتهجته الدولة في هذا المجال .

● اقترن التخطيط في المشروع الثاني بالتنفيذ . لأن مشروع المكتبة العربية قد بدأ بعد أن أصبحت الدولة ناشراً .

● فبعد مشروع الألف كتاب الذي مولته الدولة لدى ناشرين من القطاع الخاص ، ظهرت عدة مبادرات من جانب الدولة للدخول إلى ميدان النشر بصورة كاملة . وقد تبلورت هذه المبادرات في عدة صور أو عدة أجهزة . ولكل جهاز من هذه الأجهزة قصة ومسار وتجولات وأطوار .

قصة الدار المصرية

للتأليف والترجمة

● في عام ١٩٥٨ أنشئت أول وزارة مستقلة للثقافة في مصر . وبدأت الوزارة الجديدة في جمع اختصاصاتها من الوزارات القديمة .

● في البدء كان الفراغ . . قلم تعرف مصر النشر الحكومي للكتاب قبل ثورة ١٩٥٢ إلا في أضيق الحدود .

● ففي عام ١٩٤٤ أخذت الإدارة الثقافية بوزارة المعارف في ترجمة بعض الكتب والمراجع الهامة ، بدأتها بكتاب كلوديرنار (مدخل إلى الطب التجريبي) . ثم واصلت إصدار بعض الكتب من هذا المستوى الرفيع ، ولكن ببطء شديد ، فلم يتجاوز ما أصدره هذا المشروع حتى قيام الثورة العشرين كتاباً .

● كانت أمور النشر في هذه الفترة موكلة إلى الناشر التجاري . . ومن ثم فقد عانت الكتب الثقافية والأدبية كثيراً خلال هذه المرحلة . . ويكفي أن نعرف أن يحيى حقي انتظر ما يقرب من عشرين عاماً حتى أصدر كتابه الأول ، وأن نجيب محفوظ انتظر تسع سنوات بعد اكتمال مجموعته الأولى حتى تمكن من نشرها ، وبتمويل خاص منه هو وبعض زملائه .

مشروع الألف كتاب

● في عام ١٩٥٥ ظهرت أول مبادرة حكومية بعد الثورة للاسهام في التخطيط للكتاب ونشره . وهي المبادرة التي عرفت باسم (مشروع الألف كتاب) .

● ظهر ذلك المشروع أيضاً داخل الإدارة الثقافية بوزارة التربية والتعليم . أراد تخطيط المشروع أن ينشر ٧٠٠ كتاب مترجم و ٣٠٠ كتاب مؤلف في خمس سنوات تكتمل بعدها مكتبة من ألف كتاب في شتى فروع المعرفة .

● اعتمد تمويل المشروع على ميزانية مكثبات المدارس التي بلغت عام أنشائه ٩٤ ألفاً من الجنيحات خصص له منها ٢٤ ألفاً كل عام .

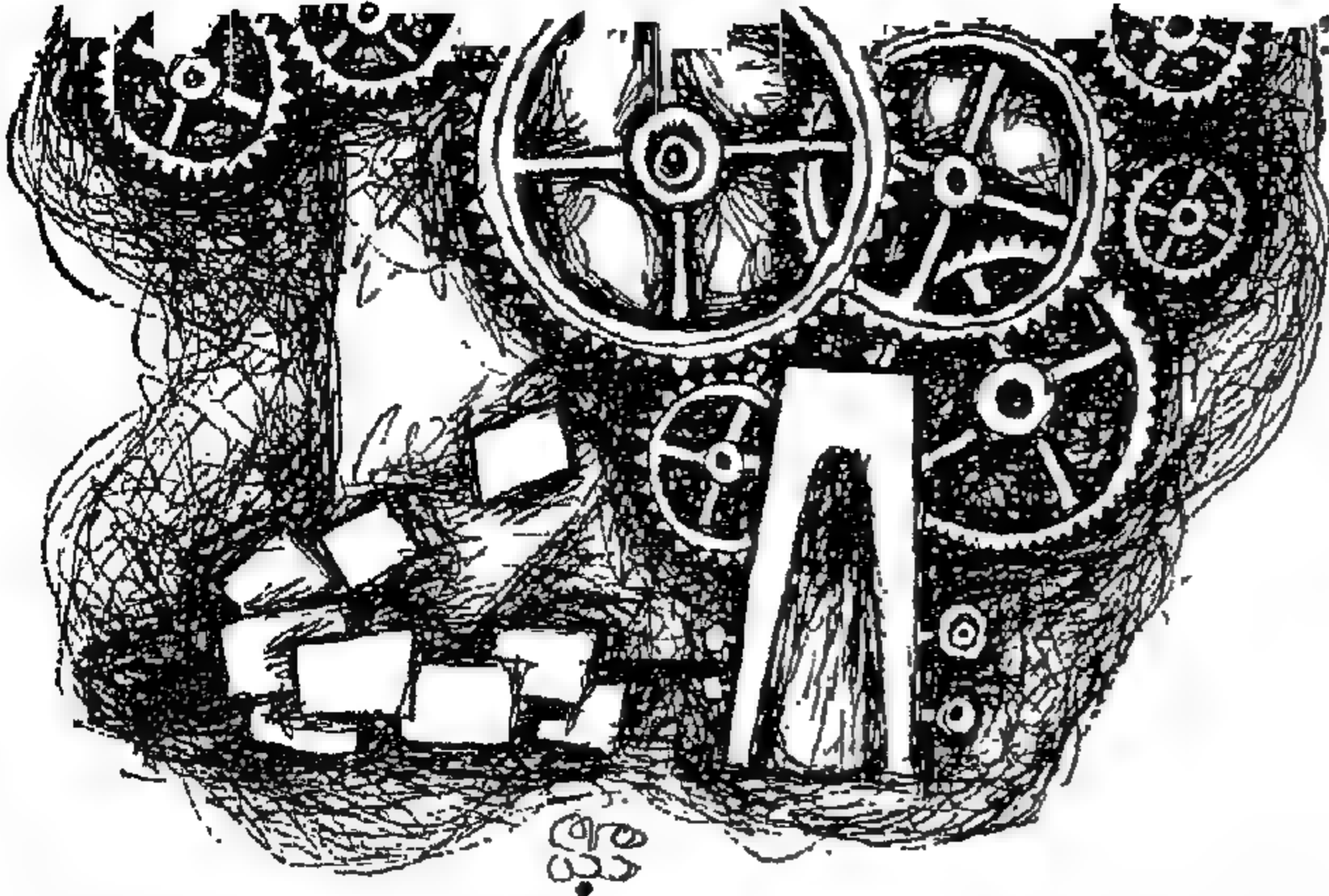
● استمر المشروع حتى عام ١٩٦٨ حيث توقف قبل أن ينجز كتبه الألف . وأن كان قد أصدر ٦٧٠ كتاباً مترجماً و ٨١ كتاباً مؤلفاً .

● كتب المشروع جيدة في معظمها ، وموزعة على شتى فروع المعرفة الإنسانية بصورة شبيهة عادلة . استطاعت بحق أن تسد فراغاً ملحوظاً في ميدان الترجمة على وجه أخص .

المكتبة العربية . . مشروع

طموح ولكن ؟ !

● كان المشروع الثاني للثورة في مجال التخطيط للكتاب هو مشروع (المكتبة العربية) الذي كلفت لجان المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب عام ١٩٦٢



• بلغت تكاليف نشر الصفحة من كتب هذه الدار ٣٠ جنيهاً في مقابل جنيهاً تتكلفهما الصفحة من نفس المستوى الثقافي لدى الناشر الخاص • (راجع • لويس عوض (الثورة والأدب) ص (٢١٤)

الدار القومية للطباعة والنشر

• أنشئت الدار القومية للطباعة والنشر كشركة من شركات القطاع الخاص عام ١٩٥٩ برأس مال قدره ٢٠٠٠ جنيه • حاولت أجهزة الإعلام أن تكون لها داراً للنشر تصدر من خلالها بعض مطبوعاتها فوقع اختيارها على هذه الشركة المتواضعة •

• أخذت وزارة الإرشاد القومي تمويل لدى هذه الدار مجموعة من السلاسل التي صدرت عنها تمويلًا كاملاً من خلال ميزانية الإذاعة • خلال أعوام ٦٠ - ١٩٦١

• اتاح هذا النظام الذي يمول الكتاب كاملاً لدى الدار القومية ويترك لها عائد توزيعه للدار أن تنمو بسرعة بالاهتمام بها أن انتصف عام ١٩٦٢ حتى تجاوزت رأسمالها ٧٠٠ ألف جنيه •

• في أول يوليو ١٩٦٢ كان من الطبيعي أن تتحول هذه الدار إلى شركة من شركات القطاع العام •

• تحت إدارة القطاع العام وفي مرحلة الاندماج التي بدأت مع اندماج وزارتي الثقافة والإرشاد القومي مرة أخرى عام ١٩٦٢ واصلت الدار نشاطها بتوسيع تحت شعار كتاب كل ست ساعات • حاولت الدار جاهدة أن تطبق بالفعل هذا الشعار ولكنها لم تتمكن من الوفاء به إذ أصدرت خلال الأعوام الستة الأولى من انشائها (٥٩ - ٦٥) ٣١٤٠ كتاباً في نحو ٣٢٠ ألف صفحة بواقع كتاب كل يوم •

• كانت تصدر إلى جانب ذلك مجموعة من المجلات الشهرية والأسبوعية ، بالعربية والإنجليزية والفرنسية •

• بلغ عدد السلاسل التي تصدرها ١٧ سلسلة أهدق عليها بسطاء • إذ يكفي أن نعلم أنها دفعت في عام واحد ٦٤ - ٦٥ في الإعلان عن هذه السلاسل وحدها ٨٠ ألف جنيه • لكنها ظلت دون رواج • إذ بلغ المطبوع من هذه السلاسل في (٦٥ - ٦٦) ١٧٩٦٦٩١ لم يوزع منها سوى ٥١٠٧٩٩ كتاباً •

الاندماج • • وبمباشرة التوسع • في عام ١٩٦٢ اندمجت وزارة الثقافة في وزارة الإرشاد القومي واختلط ما هو إعلامي بما هو ثقافي • ووجدت الوزارة الجديدة أن لديها أجهزة للنشر تابعة للإعلام وأخرى تابعة للثقافة ، فاندمجت كل هذه الأجهزة في مؤسسة كبيرة •

• وفي عام ١٩٦٤ أنشئت المؤسسة المصرية العامة للتأليف والبناء والنشر ، وضممت هذه المؤسسة مجموعة من شركات القطاع العام هي :

• الدار المصرية للتأليف والترجمة والتي كانت تسمى حتى هذا الوقت بالمؤسسة المصرية للتأليف والترجمة

في الوزارة الأولى للثقافة •

• الدار القومية للطباعة والنشر ، والتي استمرت في التوسع وضم المطابع إليها حتى تواصل تحقيق شعارها (كتاب كل ست ساعات) فبلغ ما تملكه من المطابع عام ١٩٦٦ ما قيمته ربع مليون جنيه • وتجاوزت رأسمالها العامل المليونين بقليل • دار القلم ، وقد ضمت إلى المؤسسة عام ١٩٦٦ نهائياً بعد أن كانت تشرف فقط عليها منذ عام ١٩٦٤ •

• الشركة القومية للتوزيع ، وقد ضمت للمؤسسة عام ١٩٦٤ حينما ظهرت الحاجة لجهاز دائم لتوزيع هذا الانتاج الكبير من الكتب •

• وضمت المؤسسة إلى جانب ذلك كله وكالة انباء الشرق الاوسط •

إلى وزارة الثقافة من جديد

• في عام ١٩٦٦ فصلت وزارة الثقافة عن وزارة الإرشاد القومي وبدأت الوزارة الجديدة عهداً بإعادة النظر في موقف الكتاب وعقدت مؤتمراً لدراسة قضاياها •

• بعد الدراسة أخذت الوزارة تغير من شكل مؤسسات نشرها واكتفت بشركة واحدة للنشر سُميت (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) عام ١٩٦٧ وشركة واحدة للتوزيع هي الشركة القومية للتوزيع • وبدأت لأول مرة في وضع خطة عامة للنشر عام ١٩٦٧ راعت فيها مجموعة من الأولويات والتوازنات بين فروع المعرفة وأن لم تتمكن من الوفاء بها كاملة •

• ظلت هناك ، فوق شركة النشر وشركة التوزيع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر • بعد أن تخلصت بالطبع من وكالة انباء الشرق الاوسط • وظل وجودها إشارة إلى التضخم الهيكلي الذي لا مبرر له وإلى مشكلة العمالة الزائدة • ورثت مؤسسة النشر الجديدة وشركاتها ميراثاً هائلاً من الكتب البائرة بلغ أكثر من تسعة ملايين نسخة وميراثاً أكبر من البيروقراطية والديون والعمالة الزائدة •

• فقد القارئ المثقف ثقته بمطبوعات القطاع العام الذي كان يمول بالخسارة كتباً لا تخدم سياسة الحركة الثورية العصرية ولا اتجاهها الفكري •

• ولما كانت الهزيمة عام ١٩٦٧ ، تقلصت ميزانية وزارة الثقافة بصورة حددت قدرة الدولة على تمويل نشر واسع بالخسارة • وأخذت العمالة وحدها تستنفذ معظم الميزانية المخصصة للكتاب •

ثقة القارئ • من تزويد المؤسسة بما يمكن دولاب العمل من الاستمرار ولو بإيقاع بطيء •

• أزاء تهديد حقيقي بالتوقف والانحيار حولت الدولة مؤسسة النشر عام ١٩٦٩ إلى هيئة عامة هي (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر)

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

• حاولت الهيئة بعد صدور قرار التحويل من مؤسسة تخضع لقوانين الربح والخسارة إلى هيئة عامة تستهدف خدمة الكتاب ، أن تتخلص من أعباء الموارث القديمة • فعمدت إلى :

• الاكتفاء بعدد محدود من المطابع الهائلة التي آلت إليها وتحولت بقية المطابع إلى شركة ذات طابع تجاري لا علاقة لها بالنشر الثقافي للكتاب ، ولا تتبع وزارة الثقافة في شيء •

• الاكتفاء بعدد محدود من المؤلفين ، تفصل رواتبهم في باب مستقل عن ميزانية النشر التي تستهدف الانفاق على الكتاب الثقافي ولو بالخسارة •

• وضع خطة للنشر في حدود ميزانيتها تحقق من خلالها مجموعة من الأهداف الفكرية والثقافية الواضحة • عملت الهيئة وفق هذه الأسس خلال عام ١٩٧٠ - ١٩٧١ وأصدرت ١٦٤ كتاباً من خطتها للنشر •

الهيئة العامة للكتاب

• مع إعادة تنظيم الدولة في سبتمبر ١٩٧١ أعيد من جديد اندماج وزارتي الثقافة والإعلام •

• وأدى هذا الاندماج إلى إعادة النظر في تقسيم مؤسسات وزارة الثقافة واندماج بعضها في البعض الآخر • وخلال ذلك أصبحت هيئة التأليف والنشر شيئاً آخر هو : الهيئة العامة للكتاب •

• والهيئة العامة للكتاب ، تضم وحدتين هما • دار التأليف والنشر ، وهي التي آلت إليها كل اختصاصات وممتلكات الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر • ودار الكتب والوثائق القومية ، وهي التي كانت وحدة مستقلة من وحدات وزارة الثقافة •

• أوقفت الهيئة العامة للكتاب العمل بالخطة التي أعدتها الإدارة السابقة للهيئة العامة للتأليف والترجمة والنشر وأخذت تعيد النظر في كل ما هو مكس لديها من كتب متعاقد عليها ، أو كتب مقدمة للنشر ولم يبت فيها تمهيداً لأعداد أسس جديدة •

بين الفكر والتخفيف

صبرى حافظ

إذا كان النشر الحكومى فى مصر قد مر بقعدة مراحل منذ اضطلاع الدولة بالنشر على نطاق ضيق فى الأربعينات وحتى الآن ، فإن قرار تحويل المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر الى هيئة عامة للتأليف والنشر فى أواخر عام ١٩٦٩ كان لابد أن يكون نقطة هامة فى تاريخ النشر الحكومى فى مصر ، لأن هذا القرار ينطوى على الاعتراف بخطورة النشر ، وبأهمية قيام الدولة به كخدمة من الخدمات التى تقدمها هيئاتها العامة . فهو قرار يحرم مؤسسة النشر من العمل وفقا لقوانين الربح والخسارة .

والتخلف من قيود السوق ليعنى الانفلات الكامل من كل قيد مسئولة بالدرجة الاولى أمام الضمير القومى والرأى العام الأدبى والثقافى عامة .

العربية ، فى العام الذى أنفقت فيه أكثر من مليون ونصف مليون جنيه . أى أنها أنفقت ٩٥٠٠ جنيه فى مقابل كل كتاب أصدرته . ماذا علمنا أن بعض هذه الكتب ردىء وأغلبها عادى ؟ وأن ليس فيها كلها كتاب واحد فذ يعجز أى ناشر فردى عن نشره ، وأن كان فى منشوراتها كتب لا يغامر أى ناشر فردى أو عام بنشرها ، لا لضخامة تكاليفها ولكن لرداءتها .

فإذا تناولنا خطة النشر أو بالاحرى إصداراتها بشيء من التفصيل لوجدنا أن هذه الخطة قد بدىء بتنفيذها بعد أكثر من ثمانية أشهر من صدور قانون تمويل المؤسسة الى هيئة . . وقد كان هذا وقتا كافيا لاعداد خطة تتناسب مع طبيعة المرحلة الجديدة ، بانطلاقها من قيود الربح والخسارة ، واتجاهها نحو الاضطلاع بدور ثقافى يشارك فى تكوين الانسان المصرى القادر على مواجهة شتى التحديات الحضارية والفكرية التى نعيشها فى ظل ظروفنا كبد يستعد لحوادث معركة التحرير ، لكن شيئا من هذا لم يحدث . لأن المؤسسة لم تطرح على نفسها

الهدف . وتكون النتيجة هذا الحصاد الهزيل .

ويمكننا أن ندرك مدى هزاله ، اذا علمنا ان الهيئة العامة للتأليف والنشر ، وقد بلغت ميزانيتها ما يقرب من مليون و ٤٠٠ الف جنيه عام ١٩٧١/١٩٧٠ لم تصدر فى نفس العام سوى ١٥٢ كتابا من الكتب العادية والردئية . . ليس بينها قاموس كبير او موسوعة يستند الاتفاق عليها والاعداد لنشرها مبالغ كبيرة من المال . . صحيح أن السباب الاول - المراتب والاجور - يستند من هذه الميزانية الكبيرة ما يقرب من ٤٠٠ الف جنيه . لكن يبقى بعد ذلك مليون جنيه للاستثمارات والمشروعات ، كان يمكن لو احسن استثمارها أن تقدم اضعاف اضعاف هذا العدد من الكتب كما وكيفا . هذا بالاضافة الى ١٢ كتابا أصدرتها الهيئة لحساب مشروع المكتبة العربية ، وهو مشروع لا يقل عن مشروعات الهيئة تذبذبا للأموال وهزالا فى الانتاج . فقد بلغت ميزانيته خلال العام [١٩٧١/٧٠] الذى أصدر فيه ١٢ كتابا فحسب ، ١٢٠ الف جنيه . أى ان الهيئة قد أصدرت ١٦٤ كتابا هي جملة إصداراتها هى ومشروع المكتبة

من هنا كان لابد أن يكون تساؤلنا لأول خطة وضعتها هذه الهيئة بعد أن صدر قرار تحويلها من مؤسسة الى هيئة عامة ، أو بالاحرى لإصدارات هذه الخطة الفعلية على مستوى هذه المسئولية . وقد أصدرت الهيئة فى أول عام مالى - ١٩٧١/٧٠ - من تكوينها حصدا غريبا بحق ، لا يمكن قبوله من حيث الكم ولا من حيث الكيف ، به بعض الكتب الجيدة . لكن السمة الغالبة عليه هى التخبط والرداءة . لا يمكن استشعار سياسة عامة خلفه ، أو الاحساس بأنه جزء من خطة كبيرة طموحة تسعى الهيئة لتنفيذها ، على عدة مراحل . فحينما سللت الهيئة من خطط المستقبل ان تضع لها لا تخطط لنفسها الا فى حدود عام واحد . وليس لديها تصور قريب أو بعيد لما تريد أن تفعله خلال أعوام خمسة ولا أقول عشرة . وهذا القصر فى مدى التخطيط يترك طابعا من الارتجال على إصدارات الدار ، ويدع للصدفة وحدها الدور الاساسى ، أن لم يكن الدور كله ، وهذا الاعتماد على الصدفة وحدها لا ينبج غير الارتجال والأزدواج والتكرار وفقدان

هذا السؤال .. ماذا على أن أفعل بعد أن تحولت إلى جهاز للخدمة العامة ؟ .. ما هو الهدف الكبير الذي الذي على أن أعمل له ؟ .. وما هي هذا الهدف ؟ وبدلاً من أن تطرح الهيئة المهام العاجلة والاجلة التي ينطوي عليها على نفسها مثل هذه التساؤلات وتحاول أن تجيب عليها بعقلية علمية وعصرية معاً .. أثرت أن تعمل بالعقلية الروتينية السقيمة . ولم تفهم من قرار تحويلها إلى هيئة عامة سوى أنه خلصها من التفكير المزعج في تدبير الخسائر وموثر ضمانات الاقتراض من البنك ، ومن التهديد بالعجز عن دفع مرتبات الموظفين . وقد كان هذا عبئاً أحست الهيئة أنه انزاح عن كاملها فاستنامت للكسل .

ماذا في حقل الترجمة ؟

ولم تفكر في التخطيط لميدان من أخطر الميادين التي عليها أن تنغم بالعمل العلمي المبرمج فيها ، وهو ميدان الترجمة . بل أن عملها في هذا الميدان ظل متنسماً بالتخطيط والهزال كما سنوضح فيما بعد . وقد كان على الهيئة أن تستفتي بعض الهيئات العلمية والتخطيطية ومراكز الأبحاث المختلفة - كالجامعات ومراكز البحوث القومية والمجالس العليا والوزارات العاملة في ميادين التربية والعلم والانسانيات - في شأن احتياجات المكتبة العربية لترجمات أساسية في مختلف الميادين . وأن تكلف هذه الهيئات بأعداد قوائم مقترحة للكتب الكبيرة والكتب العاجلة التي ينبغي ترجمتها .. ثم تحاول من مستوى عال من الخبرة والتخصص أن خلال لجنة من أكبر العقول التي على تقع عليها الأولويات . وأن تشرع الهيئة في تنفيذ ولو على مراحل متعددة . فهناك بعض الكتب التي تحتاج ترجمتها إلى سنوات ، بينما لا تحتاج الأخرى لغير شهور . وإذا لم تضطلع مثل هذه الهيئة بترجمة ونشر كتاب مثل (وصف مصر) لعلماء الحملة الفرنسية فبن تراه يفعل ذلك ١٩٨٠ . وإذا شرعت في ترجمة ونشر النسخة المختصرة من (الفصن الذهبى) لفريزر فهل ستترك للناسر الخاص ترجمة ونشر نسخته الأصلية ؟! وإذا لم تترجم وتشر النسخة الكبيرة من (دراسة في التاريخ) لتوينبى ، فهل تراها كانت تطمع في نشر النسخة المختصرة منه والتي نشرها ناشر خاص . وهناك عشرات الكتب من هذا النوع ومن هذا الحجم .. لقد شرعت دار نشر خاصة هي (لجنة التأليف والترجمة والنشر) بترجمة ونشر كتاب كبير مثل (قصة الحضارة) قبل عشرين عاماً .. وبدأت المشروع وحدها وأنعاونتها فيه بعد ذلك الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .. فهل من العسير على الهيئة العامة للنشر أن



تطمح إلى مشروعات كذلك التي شرعت دار نشر خاصة في تنفيذها منذ عشرين عاماً ؟

أقول كان على الهيئة عقب صدور قرار تكوينها أن تشرع في تغيير العقلية التي تفكر بها والأسلوب الذي تسير وفقاً له . وأن تنتهج سياسة علمية وأسلوباً عصرية في التفكير والتنفيذ معاً وأن لا تترك للمصادفة وحدها الحق في صياغة كل شيء فيها . ولا يعنى هذا أن تغلق الباب في وجه ما يقدم لها من أعمال . ولكنه يعنى أن تقرر الجيد مما يقدم إليها مكاناً إلى جوار ما تملكه هي على الكتاب والمترجمين من مشروعات . فإذا كان في استطاعة الهيئة أن تعد خطة محكمة للمترجمات فإنها لا تستطيع أن تفعل ذلك في مجال التأليف بنفس الدرجة . والإبداع منه بصفة خاصة . بل كل ما تستطيع فعله في هذا الصدد هو تحرير التمساح الجيدة من كتابات الشبان . والإغراض كلية عن أعمال الكتاب الذين رسخت أقدامهم في مجال التأليف دراسة وإبداعاً فهؤلاء عليها أن تتترك أعمالهم للناسر الخاص . لأن نشر مثل هذه الأعمال يدخل في باب التجارة لا في باب الخدمات .

.. وعلى الهيئة وقد تحررت من قبضة الربح والخسارة أن تعمل على اكتشاف الطاقات الجديدة والوقوف بجانبها حتى يشتد عودها ويتكون لها جمهور يستطيع أن يمول أعمالها فتتركها للناسرين التجاريين لتبحث عن طاقات أخرى جديدة وهكذا .

ولننظر الآن في إصدارات أول عام عملت فيه الهيئة بعد تحويلها لهيئة عامة وهو عام ١٩٧١/٧٠ بشيء من التفصيل

.. صحيح أننا لن نجد في هذه الإصدارات بعض الكتب المزاعة ككتاب روبرت مكنمارا وزير الدفاع الأمريكى السابق [جوهر الأمن] والذي ترجمته الهيئة ونشرته في العام السابق ٦٩ / ١٩٧٠ .. ومثل هذا الكتاب كان باستطاعة الهيئة أن تحصل عليه بالمجان مترجماً ومطبوعاً ومغلفاً بالسلفونان لو طلبته من الاسطول الأمريكى السادس . لكنها رأت أن ترجمه بنفسها وتنفق على ترجمته ونشره من المال العام ما يقرب من عشرة آلاف جنيه وهي متوسط ما ينفق مقابل إصدار كل كتاب كما ذكرنا من قبل .. فعلت المؤسسة هذا وبين أمريكا ما لا يخفى على رجل الشارح ، فما بالك برجل الفكر والثقافة الذى يشرف على مثل هذه المؤسسة .. أقول أننا لن نجد في إصدارات هذا العام كتباً زاعقة من هذا النوع وأن وجدنا كتباً لبالغة الرداءة فكرياً وموضوعاً .. لكى لنترك المجردات ولنحدث من خلال المحسوسات .

أول فقرة في إصدارات الهيئة هي تلك الخاصة بمشروع المكتبة العربية .. حيث نجد اثني عشر كتاباً ، منها خمسة كتب في تحقيق التراث وكتابان مترجمان وخمسة كتب مؤلفة . وإذا ما قارنا أياً من هذه الكتب ، وخاصة كتب الترجمة وتحقيق التراث بالقوائم الطموحة التي نشرت أكثر من مرة كإعلانات على ثلاث صفحات في الصحف اليومية الثلاث في بداية ظهور هذا المشروع ، لتعجبنا لتناقص المسافة بين الحلم والواقع .. فهنا هي قوائم المترجمات الكبيرة ننمض هذا العام عن كتابين هزيلين ، أحدهما مدرسى سقيم عن التمهيلية التليفزيونية والآخر عن السينا .. أما كتب التراث الخمسة فأننا نعتبر بينها على كتاب قافه الشأن من [البئر] يرفض أى من ناشرى التراث فى أى مكان فى الوطن العربى أن يعيره أدنى اهتمام لردائه الجالفة نصاً وتحقيقاً . ولا نجد فيها من الكتب الجديرة بالنشر سوى جزء من كتاب [الشفاء] لابن سينا . وأما الكتب المؤلفة الخمسة فمنها واحد [جماعة أبولو] سبق نشره من قبل ولم يضاف إليه كاتبه شيئاً يستلزم إعادة طبعه في مشروع كهذا . ولكنها العلاقات الشخصية قبحتها الله . وآخر [محمد تيمور ، حياته وأعماله] كان الاوفق أن تنشره لجنة المؤلفات التيمورية ضمن مطبوعاتها الخاصة . أما الكتب الثلاثة الباقية فهي كتب عادية ومتوسطة وإذا ما استأقينا « الشفاء » لم نجد في أى مكان من الكتب الاثني عشر ما يستحق النشر في مثل هذا المشروع الذى أغرقت عليه الدولة بلا حساب هذا إذا ما صدقنا ما جاء في ديباجة انشائه من أسس وأهداف لم يعمل بأى منها حتى اليوم .

وإذا ما تركنا مشروع المكتبة العربية ونظرنا في مطبوعات الهيئة سنجد أن كتبها تفتقر إلى الموقف الواضح أو الاتجاه الفكري الملتصق مع اتجاه دولة تحارب أشرس أنواع الاستعمار الاستيطاني . صحيح أنها خصصت ، ذرا للرماد في العيوم ، سلسلة لكتب المعركة علفت عليها لافتة زاعقة بعنوان « في المعركة » لكنها لم تصدر في هذه السلسلة سوى خمسة كتب ما بين رديء ومتوسط . وإذا بحثنا في هذه السلسلة بعد ذلك عن أي كتاب يبحث في طبيعة الاستعمار الاستيطاني أو في قضايا بعض نماذجه المختلفة في روديسيا أو جنوب أفريقيا لما وجدنا شيئا .

وربما قال قائل أن أعداد المواطنين للمعركة لا يتم كله من خلال الثقافة السياسية والنضالية ، ولكن من خلال تكوين انسان واع مثقف قادر على امتلاك الأسلوب الحضاري والرؤية الفكرية الصحيحة الذين يتناول بهما مختلف قضاياها بما في ذلك قضية المواجهة الشاملة مع العدو ، فكره وجيشه ودعايته . وأن الهيئة ترى أن جرملة سياسية صغيرة شيء كاف ما دامت قد قدمت لقارئها جرعات فكرية وثقافية أخرى لأن السياسة في منهجها الثقافي العام لون واحد ضمن مجموعة متكاملة من الألوان . لو قال قائل هذا لقننا له ليت الهيئة فعلت شيئا من هذا أو فكرت بأسلوب كذا . غير أن هذا لم يحدث . . ولو حدث لكنت أول المرشحين به والعارفين بفضل . وحتى لا يكون حديثنا تحريديا علينا أن نعود من جديد إلى بقية بنود الزاد الثقافي الهزيل الذي قدمته الهيئة .

الهدف من الدوريات المسلسلة

تنقسم إصدارات الهيئة إلى مجموعة من السلاسل ومجموعة من المشروعات ذات الطابع الخاص وعدد من الكتب التي يطلق عليها اسم البرنامج العام . وعدد السلاسل التي تصدرها الهيئة تسع ، وأما مشروعاتها ذات الطابع الخاص فنقسم إلى أربعة أقسام بينها يندرج برنامجها العام تحت تقسيم مكون من خمس أقسام كبيرة ينقسم بعضها إلى عدد آخر من الأقسام الصغرى . وإذا بدأنا بالسلاسل سنجد أنها « المكتبة الثقافية » و « أعلام العرب » و « الأدب العالمي المعاصر » و « في المعركة » و « مسرحيات عربية » ، و « العلم للجميع » و « مكتبة الطفل » و « روايات عالمية » . ومن هذه السلاسل التسع سلسلتان لم تصدر فيهما الهيئة أي كتاب هما « الأدب العالمي المعاصر » و « مكتبة الطفل » بالرغم من أنها كانت تزعم إصدار أربعة كتب في الأولى وثمانية كتب في الثانية . أما بقية السلاسل التسع فإن أكثرها احتراما . وربما لهذا السبب أكثرها توزيعا . هي سلسلة « المكتبة الثقافية » ففي هذه السلسلة

أصدرت أربعين وعشرين كتابا ، موزعة بصورة شبيهة عادلة بين شتى فروع المعرفة . فيها العلم والأدب والفكر والموسيقى والسياسة والفنون الشعبية والديانات والتاريخ والقانون وغير ذلك من المسارف المفيدة . وأما سلسلة « أعلام العرب » فلم تصدر سوى ست كتب ، وإذا قورنت الكتب التي صدرت في هذه السلسلة هذا العام بالكتب التي كانت تصدر فيها في سنواتها الأولى ، فوجدنا أن إنتاج هذه السلسلة له يتدهور كميًا فحسب ، ولكن كيفيا أيضا .

وإذا انتقلنا إلى سلسلتى المسرحيات سنجد أن الهيئة أصدرت في سلسلة المسرحيات العربية تسع مسرحيات بينها كان المقرر أن تصدر ستا فقط والمسرحيات الثلاث الزائدة هي [عسكر وحرامية] و [يا سلام سلم] ، وإذا كانت مسرحيات الفريد فرج وسعد الدين وهبه في حاجة إلى أن تصدرها هيئة النشر ، فما هي يا ترى المسرحيات التي نترك أمر نشرها للقطاع الخاص ؟ هل نترك له نشر الأعمال الجيدة للكتاب الشبان ؟

وإذا انتقلنا إلى السلسلة المسرحية الثانية وهي (مسرحيات عالمية) فإنا سنجد أن الهيئة لم تصدر منها سوى ست مسرحيات . بينما تضمنت الخطة ضعف هذا العدد . ومن المسرحيات الست أربع فقط هي التي كانت واردة بالخطة فأى خطة تلك التي تنتهك الجرد أن أنيس منصور ترجم بعض المسرحيات وليس على استعداد لانظار ادراجها في الخطة القادمة ١٩٠٠ .

بعد ذلك يجرى دور العلم . . وللعلم سلسلة واحدة هي « العلم للجميع » . لا نعرف أن كان اسمها هذا ينطوى على هدفها وهو تقريب العلم للجميع أم أنها سلسلة تخاطب القارئ المتخصص . فالكتب التي صدرت فيها وعددها تسعة كتب تتأرجح بين مخاطبة القارئ العادي والتوجه إلى القارئ المتخصص . ولقد كانت الخطة تزمع إصدار أربعة وعشرين كتابا في هذه السلسلة ، لكنها خفضتها بعد سبعة أشهر إلى اثني عشر كتابا ثم تفتتحت حتى في الوفاء بالخطة المخفضة فلم تصدر سوى تسع كتب . تبقى بعد هذا غير سلسلة المعركة التي تحدثنا عنها من قبل سلسلة واحدة هي « روايات عالمية » وينتهي حديثنا عن السلاسل . وقد كانت هذه السلسلة في بداية صدورنا تستهدف اشباع نهم القاعدة العريضة من القراء إلى قراءة القصص الانساني في ملخصات وافية وبسيطة معا . ولذلك فقد كانت تصدر عددا كل أسبوع . لكن المؤسسة غيرت من سياسة هذه السلسلة وحاولت في عام ١٩٦٧ أن تجعلها سلسلة ثقافية محترمة تقدم ترجمات كاملة للروايات الانسانية القصيرة والمتوسطة الطول بدلا من سبل الروايات البوليسية المستقيمة

الذي انجرفت فيه السلسلة . وقد كانت هذه الفترة التي لم تتجاوز العام إلا بقليل من أزهى الفترات في عمر هذه السلسلة . لكن حصاد السلسلة في العام الماضي يشير من جديد إلى تعثرها . فبعد أن فقدت السلسلة طابعها الشعبي والدوري معا ، وجنحت الخطة إلى تحويلها لسلسلة شهرية تصدر اثني عشرة مرة في السنة ، لم تتمكن من إصدار غير ست روايات . منها واحدة هي [كليوباترا] لأميل لودفيج سبق أن ترجمت ونشرت بصورة أجود من هذه الترجمة بكثير وبقلم كاتب عربي مشرق العبارة تخصصي في ترجمة أعمال لودفيج هو عادل زعير . وقد صدرت هذه الرواية عن دار المعارف في مصر حتى لا يقال أنها طبعت في مكان خارج مصر مما سوغ إعادة طبعها من جديد في مصر ولو بترجمة أقل مستوى .

المشروعات الكبيرة

وعندما تنتقل بعد ذلك إلى المشروعات ذات الطابع الخاص سنجد أنفسنا أزاء أكثر أقسام الخطة أو الإصدارات جدارة بالاحترام . والقسم الأول من هذه المشروعات هو [دوائر المعارف والقواميس والقوائم الجغرافية] وهي في الواقع أشياء من صلب عمل هيئة عامة للنشر وأن كان حصاد هذا القسم ضئيلا فإن ما صدر فيه جدير بالتشجيع .

أما القسم الثاني من هذه المشروعات فهو [الأعمال الكاملة في الفكر العالمي] وهذا شيء آخر من صلب عمل هيئة عامة للنشر . وقد صدر فيه ثلاث بدايات لأعمال كاملة لأفلاطون وفيرجيليوس وبرجسون ثم استمرار في إصدار بعض أجزاء من أعمال ديستوفسكي التي بدأتها الهيئة قبل سنوات . وإذا كنا نعترف بأهمية إصدار الأعمال الكاملة لأفلاطون وفيرجيليوس فإنا لا ندري ما هو سر اختيار برجسون بالذات . . ربما لأن الهيئة قفزت على عدد كبير من الفلاسفة الكبار فكان عليها أن تثري عن صاحب القفزة الحيوية . لكن السرفيما يبدو هو أن الدكتور سامي الدروبي مولع بهذا الفيلسوف ومترجم لاهل أعماله وهي صادرة بالفعل في مطبوعات « الأوبد » بدمشق . لكن هذا مبرر يحسب على الهيئة ولا يحسب لها . وقد كان على الهيئة وهي تختار فيلسوفا حديثا لإصدار أعماله الكاملة أن تفكر قليلا في هذا الأمر . وأن تضع في هذا المجال نوعا من الأولويات التي تستلزمها من اتجاه الدولة نحو السير في طريق التنمية والتطور الاجتماعي صوب الاشتراكية .

أما القسم الثالث من المشروعات ذات الطابع الخاص وهو المخصص لنشر الأعمال الكاملة في الفكر العربي فلم يصدر فيه شيء ، بحجة أن الكتب لم ترد من السادة المكلفين بتحقيقها . ولا يبقى بعد ذلك في هذه المشروعات سوى

تجاريّ بنشر أعمالهم . وينشر في باب الشعر ديوانا لسوى حجازى باللغة الفرنسية لا أدري لماذا . . فمن يجيد قراءة الفرنسية لن يقرأ شعر نسوى حجازى ، والقارئ العام الذى تتوجه اليه الهيئة فى المحل الاول لا يقرأ الفرنسية . . فما معنى طبع مثل هذا الديوان بمال الدولة العام . وفى باب الشعر أيضا يبدو الى جانب هذا الخطأ الفادح خطأ آخر يحتوى من نفس المنبع . فقد انتهجت الهيئة حيل الشعراء الشبان أسلوب اصدار ديوان مشترك لكل ثلاثة أو أربعة من الشعراء ، لكنها حادت عن هذه القاعدة مع الشاعر الناشئ حسن توفيق ، فأصدرت له ديوانا مستقلا . وان كنت أزعّم أن بعض الذين أصدرت لهم دواوين مشاركة يفوقونه شاعرية وموهبة . وفى الوقت الذى تصنف فيه رواية جيدة مثل [الصمت والصدى] ضمن باب الكتابات الجديدة أو بالاحرى الناشئة . . يوضع ديوان حسن توفيق [أحب أن أقول لا] ضمن باب [الادب العربية والعالمية] وجنبا الى جنب مع ديوان ناظم حكمت [أغنيات فى المنفى] .

يبقى بعد هذا القسم الخامس من البرنامج العام وهو [التراث] وكان الاولى بهذا القسم أن يقدم بعض أمهات كتب التراث فى طبعات علمية وشعبية معا . لكنه لم يقدم من الكتب الثمانية التى أزمع اصدارها سوى كتابين جديدين وكتاب ثالث أعاد طبع أو بالأحرى إعادة تصوير وهو [الاغانى] . . والحقيقة أن اختيار الكتب التى مازالت حية ومعاصرة من كتب التراث وتحقيقها ونشرها بأسعار تتيح للقارئ الاطلاع على ذخائر تراثه من أهم الادوار التى ينبغي أن تضطلع بها هيئة عامة للنايف والنشر .

وفى النهاية فأننى أحب برغم كل هذه الملاحظات أن أشيد بأهمية وجود هيئة عامة للنشر فى بلدنا . . تخلص الثقافة من ربكة التجارة . وتقدم للقارئ من الخدمات الثقافية ما يجعلها طاقة بطل منها الانسان المصرى على المعرفة الانسانية الرحيمة . وان قسوة ملاحظاتي لا يمكن ولا ينبغي أن تفسر على أنها هجوم على الهيئة لأنها فى الواقع بنت حلمنا جميعا بنشر ثقافى من طراز رفيع ، وهو حلم لا يمكن وان يمكن أن يتحقق الا من خلال هيئة عامة للنشر . . تحول بإمكانيات الدولة الكبيرة أمننا وصوباتنا فى مكتبة عربية متكاملة وعلى مستوى المكتبات المتوفرة فى اللغات الاخرى الى حقيقة ملموسة . . يطل عبرها الانسان المصرى بحق على كل منجزات العقل البشرى فى مسيرته العظيمة منذ فجر الحضارة المصرية وحتى اليوم .



التي ترجمت الى مختلف اللغات ولم تترجم الى العربية مثل [كتاب الموتى] أو [نصوص الاهرام] . أما القسم الثانى [التاريخ والاثار المصرية] والاسلامية [فقد صدر فيه أربعة كتب : منها كتاب كان الاولى به أن يصدر فى القسم الاول وهو (انقاذ آثار النوبة) لأن آثار النوبة التى جرى انقاذها فيما أعلم جزء من الحضارة المصرية ، وأما القسم الثالث فهو (الدراسات والتاريخ الحديث) ويضم أربعة كتب مترجمة ، بعضها سياسى وبعضها ديموجرافى ولكن الهيئة شاعت أن تنشرها تحت هذا العنوان أو تصنفها تحت هذا القسم .

ننتقل بعد ذلك الى القسم الثالث فى البرنامج العام وهو بعنوان [الفنون والموسيقى والسينما] وهو قسم ينقسم بدوره الى قسمين ، أولهما [الفنون] وكانت ترمع اصدار سبعة كتب فيه لكنها لم تصدر فى الحقيقة سوى كتاب واحد . والقسم الثانى [الموسيقى والسينما] وكانت ترمع أن تصدر فيه سبعة كتب أيضا لكنها لم تصدر شيئا . . كفانا حسن نيتها .

القسم الرابع فى البرنامج العام هو (الادب العربية والعالمية) وسأضم له [كتابات جديدة] حتى أمتع ذلك الازدواج فى التقسيم . . فى هذا القسم وخاصة الجانب العربى منه كان على الهيئة كجهاز يضطلع بالمسؤولية الثقافية العامة أن يقدم دون تحيز النماذج الجيدة من كتابات الكتاب الجدد وأن يترك أعمال الكتاب الذين رسخت أقدامهم فى عالم الكتابة للنائرين الخاصين لكننا نجد أنه يقدم فى باب الدراسات الادبية كتباً لمجهود العالم ورجاء النقاش وهما كتاب يرحب أى ناشر

الكتب الخاصة . وهى مترجمات من طراز ثقافى ثقيل . أصدرت الهيئة فيها أربعة أجزاء من أربعة كتب كبيرة ، وكتاب خامس . وهى الجزء الاول من الطبعة المختصرة من [الفصن الذهبى] والجزء الثانى من المجلد السادس من [تاريخ البشرية] ، والجزء الاول من كتاب مونرو [تطور الفنون] ، والجزء الثانى من كتاب هاويز (التاريخ الاجتماعى للفن) والذى ترجمته بالعنوان الخاطئ [الفن والاجتماع عبر التاريخ] هذا بالإضافة الى كتاب باثراف اليونسكو عن [أثر العرب والاسلام فى النهضة الأوروبية] . . وإذا كان لدينا من تعليق على هذا القسم فهو التقاعس والضمور فلا ندري مثلا ما هو سبب عدم اصدار الهيئة لجميع أجزاء كتاب مثل [الفصن الذهبى] دفعة واحدة ما دامت تترجم الطبعة المختصرة منه . وتكلف أكثر من مترجم واحد بترجمتها . فقد اشترك فى ترجمة الجزء الاول ثلاثة مترجمين . هذا بالإضافة الى كل ما طرحته حول موضوع المترجمات فى بداية هذه الدراسة من أفكار .

تراث العالم . . وتراثنا

ننتقل بعد ذلك الى القسم الثالث والآخر من اقسام الخطبة والمسمى بالبرنامج العام . وينقسم هذا البرنامج العام بدوره الى خمسة أقسام كبيرة . . أولها بعنوان [فى الاقتصاد والسياسة وعلم النفس والفلسفة] أصدرت فيه الهيئة ثمانية كتب [فى الاقتصاد والسياسة] منها كتابان كان الاولى أن يظهر فى سلسلة « فى المعركة » . . ومنها أيضا كتاب ليس واردا بالخطبة . وأصدرت سبع كتب فى [علم النفس والفلسفة] وكتب هذا القسم جيدة فى معظمها . وخاصة الكتب الخمسة المترجمة . . فبين هذه الكتب نعث على كتاب لهربرت ماركوز عن هيجل هو (العقل والثورة) تحاول به الهيئة أن تثبت أنها تواكب أحدث تيارات الفكر الفلسفى . هذا بالإضافة الى كتاب ليندازى عن [نظريات الشخصية] وهو من الكتب الهامة فى مجاله . وإذا انتقلنا الى القسم الثانى من البرنامج العام وهو [التاريخ والاثار] سنجد أنه ينقسم بدوره الى ثلاثة أقسام . . أولها [الحضارة والاثار المصرية] وقد صدرت فيه ثلاث كتب ليست فى مستوى خطورة هذا الباب وأهميته . . فالكتب الثلاثة تبحث فى جزئيات تغطيها كتب أخرى بصورة أشمل . . ومن هذه الكتب الثلاثة كتاب واحد مترجم والباقيان مؤلفان . وقد كنت أطمح فى أن يترجم هذا الباب بعض أمهات كتب الحضارة المصرية المعروفة . . أو يقدم بعض نصوصها

شعاع

عاجلة

● ٦٠ عاما

● يكتب القصة القصيرة والطويلة منذ خمس وثلاثين عاما ، ويعدده النقاد مرحلة كاملة في تاريخ الرواية المصرية ، من بين أهم أعماله « ثلاثية بين القصرين » و « أولاد حارتنا » و « ثرثرة فوق النيل » .

● كان رئيسا لمجلس إدارة مؤسسة السينما ، فمستشارا لنيا لوزير الثقافة حتى انتهت مدة خدمته الحكومية آخر العام الماضي . وقد انضم مؤخرا الى هيئة تحرير « الاهرام »



نجيب محفوظ

التي يستطيع القارئ العادي ان يتعرف من خلالها على منجزات العقل الانساني . وبالطبع فان التراث العربي او الاسلامي يندرج ضمن هذه الخطة . وعلى وجه التحديد الكتب التي اسهمت على هذا المستوى في صياغة العقل الانساني . اما ما عدا ذلك فيدخل في نطاق التخصص .

هذه هي اول سلسلة على الهيئة اصدارها . اما السلسلة الثانية فهي سلسلة للمترجمات ايضا تكون مهمتها متابعة كل الكتابات المعاصرة والجديدة في الفنون والفكر ما دامت مكتبتنا العربية مخلقة فسبيا في وجه استيراد الكتب الحديثة . ولا اطالب الهيئة باكثر من هذا لاني اريدها ان تقوم اساسا على الترجمة كما حدث في عصر المأمون او بالتأليف ان تعذر الترجمة في هذا . اني اريدها اساسا هيئة ترجمة ، ولا يحل التأليف فيها الا وقت تعذر الترجمة في موضوع ما .

اما التأليف فتقتصر فيه على نشر مؤلفات الاجيال الحديثة بغية اكتشاف المواهب وتدعيمها في مختلف اوجه النشاط من ادب وفكر وفن خاصة وأن التأليف في العلم والانسانيات ليس فيه شيء اسمه ناشئ ، وأن تكون لهذه الاجيال الجديدة عدة سلاسل احدها في الشعر والاخرى في القصة وهكذا . وهذا هو سبيل تثقيف القارئ المصري ثقافة عالمية .

عاجلة ، انما هناك خلط واضح وعشوائي بادية . كما ان العناوين احيانا تكون أكثر من الموضوع بدون مبرر . مثال ذلك ان تقدم روائع المسرح العالمي او الرواية . واذا بي لاأجد ، لا روائع ولا مسرح ولا رواية . ومن هنا يجب ان تكون المسميات في حدود الطاقة . ولا أحد يطالب الهيئة باكثر من ذلك . كما لاحظ ذلك ضعف الجانب النظري والتطبيقي السياسي في هذه الخطة ضعيف للغاية . ولست في حاجة الى الاشارة الى الاهمال الواضح للطفولة .

وانا شخصيا يهمني بالدرجة الاولى وضع خطة بعيدة المدى للثقافة تضع تحت يد القارئ عكل اساسيات التراث الانساني الكبير بصورة تمكن القارئ الذي لا يعرف غير اللغة العربية من استيعاب الجهود البشرية الذي وصل بالانسان الى الحضارة الحديثة . ولا يتأتى هذا الا من خلال لجان مختلفة تسوكلنا الى كل اساسيات الفكر في شتى فروع المعرفة من ادب أو علم وفلسفة وحضارة . الخ . وذلك بلجان من المتخصصين من كبار اساتذة الجامعة او من في حكمهم . تضع كل الاساسيات الموجهة والعلامات البارزة التي بلورت هذه المادة . بصورة يلخص من خلالها التراث الانساني في عدد من الكتب عليك ان تترجم في كل خطة عدد منها ، بحيث انه في عدد محدد من السنين تكون قد أنجزت كل هذه الخطة

اول شيء نلاحظه على هذه الخطة ان بها مجموعة من الكتب المفيدة في ابوابها المختلفة ، تسيطر عليها فكرة تقديم ثقافة عامة في كافة المستويات . وهي تقدمها على اساس انه في كل كتاب تقررا تستفيد . فلا يخلو كتاب منها من قيمة وفائدة للقارئ . واذا كانت هذه الكتب ميسرة من حيث الثمن فتكون الهيئة بذلك قد قدمت خدمة ثقافية جليلة يجب الاعتراف بها .

واما الملاحظة الثانية ، فهي ان التقسيمات في هذه الخطة ليست حاسمة وكثيرا ما تكون متداخلة .

واذا انتقلنا الى الجانب الفكري فانه من الصعب ان نستبين وجود منهج فكري واضح وراءها . بل أكثر من هذا انه ليس هناك توافق بينه وبين فكر الدولة المفروض انه فكر اشتراكي . ولم يكن ثمة مانع من ان يكون هناك منهج اشتراكي اساسا مع فتح النوافذ الاخرى لما هو انساني ، والا كنا سنبدأ ثقافتنا من منتصف القرن التاسع عشر . وكان يمكن ان يظهر هذا المنهج الاشتراكي في اختيار التراث والادب العالمي والمحلي . وليس ثمة بأس بعد استكمال الاشياء الاساسية من فتح النوافذ وخاصة انما صدرت عام ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، ان يجب ان تعمل المؤسسة على تربية المواطن بصورة تجعله منسجما مع الدولة .

وعندما نظرت في الخطة فاذني لم أحس بان هناك خطة بعيدة المدى واخرى السنين تكون قد أنجزت كل هذه الخطة



د. عبدالرازق
حسن

مدير عام وعضو مجلس ادارة بنك مصر • وشغل في السنوات الاخيرة عدة مراكز هامة في مجال النشر والسينما ، اذ كان عضوا بمجلس ادارة مؤسسة التاليف والترجمة والنشر ورئيسا لمجلس ادارة شركة القاهرة الانتاج السينمائي ، كما جواصل التدريس في الاقتصاد في الجامعة حاليا كعمل اضافي •

الاقتصادية في الخطة ؟ الكتب التي تعالج الموضوعات الاقتصادية والسياسية في الخطة ضئيلة بشكل ملحوظ والقسم الأكبر منها مترجمة وليست تأليفا ولم يراع حتى الانتقاء فيما ترجم ليكون أفضل أو أنسب ما تقوم به هيئة عامة في مرحلة تحول اشتراكي وفي ظروف معركة مصيرية .

ولا نجد الا موضوعا متواضعا عن القطن في الاقتصاد المصري وهو موضوع قتل بحثا ونماذج من القطاع العام في الاقتصاديات المختلفة وكان يمكن أن يفيد ذلك في أوائل الستينات وليس الآن . اما دراسة الصناعة في مصر ومشاكل التنمية الاقتصادية والتخطيط واقتصاديات العالم العربي واقتصاديات الحرب فهي موضوعات يبدو كما لو أنها غريبة على هيئة النشر العامة .

ويبدو لنا ان هناك خطأ في تصور ان مهمة هيئة النشر العامة هي طبع الاعمال الادبية او التاريخية او التراث وتجنب الموضوعات المعاصرة او انها جهاز لتشجيع الكتاب المبدعين او طبع ما يعمده بعض الكتاب ولا يتمكنون من نشره او لمواجهة طلب كبير على نوع

من القصص لا تحكمه فكرة ويبدو لنا ان المشكلة ترجع الى عدم وجود لجان متخصصة في الهيئة على مستوى يمكن ان تقترح ما يكتب او يترجم من موضوعات وتعتبر مسئولة مسئولة ادبية عما يصدر لان هيئة النشر في بلدنا لنحقق الاشتراكية ليست مكانا مناسباً لشغل وظائف ودرجات .

ولا يهم العاملين فيها الا ضمان العمل المريح او استغلال المنصب لغراض ليس منها التقدم الفكري على أي حال .

وارتباطاته بالعالم الخارجي ، وموضوعات البترول والدول النامية والاستعمار الجديد والافكار السياسية والاقتصادية المعاصرة ومشاكل افريقيا الخ ..

وقد نارت في السنوات الاخيرة مشكلة نقص أو حجز الدراسات التاريخية المصرية والعربية ومشاكلنا التربوية والاسكانية والنفسية وهناك من يمكنه مجالتها بكفاية لو رجعنا الى القسم الادبي في اهرام الجمعة .

والاتجاهات الفكرية التالية في خطة النشر هي الاتجاهات التقليدية وهي نفسها الاتجاهات السائدة في القطاع الخاص . ولا يلمس الانسان في الكتابات حتى الانبي منها الا اطيافا من الفكر التقدمي وبغض النظر عن الموضوعات المعالجة فنعتقد انه كان يمكن ان تعالج بفكر عصري تحليلي .

ولعله لسولا الكتب الست في « سلسلة في المعركة » لكان شكل الخطة قريب ، لا يعرف الانسان هل هي خطة في السبعينات او الثلاثينات ؟ وهل تصدرها هيئة عامة او مشروع خاص .

وبعض الكتب المنشورة كان يمكن ان تتولاها بدرجة اكبر من الكتابة اجهزة اخرى كالمجلس الاسلامي او الجمعية التاريخية .

واذا كان الامر كذلك فلنا ان نقدر الناقدين في الخارج اذا تصوروا انه لم يحدث تغيير نتيجة التحول الاشتراكي او ان القطاعات الثقافية تتحكم فيها عناصر بعيدة عن اسلوب العصر في المعالجة ولا نقول فلسفته الجديدة . والان ما هو حجم الدراسات

من دراسة خطة النشر لسنة ٧١/٧٠ لهيئة التاليف والنشر ، يتبين انه ليست لها اهداف واضحة فالموضوعات مشلطة ولا يبدو ان هناك فكرة فيها أكثر من طبع ما يقدم من كتب او ما سبق ان اتفق عليه بغض النظر عن وحدة الهدف او حتى الوحدة الفكرية . والخطة بهذا الوضع اوفى مما يمكن ان تقوم به دار نشر خاصة تهتم على الأقل بموضوعات الساعة لانها لا تكثر بطبع الا ما يكون عليه طلب ملح حتى يدور راسمالها . والملاحظ ان اكثر من ثلثي الموضوعات المنشورة ادبية ويقل نصيب الموضوعات العلمية والاقتصادية والاجتماعية عن الخمس مما يحدد اتجاه المشرفين على الخطة .

وبعض الموضوعات سبق ان قتل دراسة وبحثا ولا يبدو فيما صدر انه اتي بجديد مثل اعمال افلاطون ورجسون والمسرح الاغريقي وكليوباترا والحج الى بيت الله الحرام .

وبعض المسرحيات والقصص كان يمكن كتابها ان يصدرها على حسابهم او تتولى ذلك دور نشر القطاع الخاص ولا نعتقد انها تتردد في ذلك كمسرحيات فاروق خورشيد ونعمان عاشور والفريد فرج وتساعد وهبه ومعين بسيسو، الا اذا كان الهدف طبع المسرحيات التي تخرجها هيئة المسرح .

وهناك مجالات قد خلت تماما من الخطة كمكتبة الطفل التي تزخر بما يصدره فيها القطاع الخاص او تبعتها جهات اجنبية مشحونة بآراء وافكار متعارضة مع فلسفتنا العامة . كما خلت من الموضوعات التي تتصل باوضاع العالم العربي وما يدور فيه من صراعات

— من مواليد سبتمبر سنة ١٩٣٦
يعمل اخصائيا لأمراض الصدر بمستشفى صدر العباسية
— شارك في الحركة الوطنية والاشتراكية المصرية منذ ١٩٥٠
— مهتم بالقضايا الفكرية والسياسية ، فقد شارك في ترجمة كتاب « المخ والعمل » في سلسلة العلم للجميع بدار الكاتب العربي ، وكتب سلسلة من المقالات عن حقيقة اسرائيل والصهيونية بمجلة الكاتب ، وشارك في اعداد وكتابة دراسة تحليلية حول قضية الصراع العربي الاسرائيلي للمركز العربي للدراسات السياسية والاقتصادية بمؤسسة « الاهرام » وقد نشرت « الطبيعة » ملخصا له اخيرا •
— يساهم في تحرير « تقارير العلوم » بمجلة الطلبة



د. شكري
عازر

والمسرح . فاذا كان هناك اتجاه غير منظم لنشر التراث القديم في الادب والتاريخ والفكر فيجب أن يسيير الى جوار هذا الاتجاه كل ما تفيض به الانسانية من فكر جديد في كافة جوانب

والابواب ولم يتحدد لكل سلسلة أو مكتبة مقاييس معينة وكذلك يلاحظ تخلف الخطة عن نشر أحدث ما توصل اليه العلم والتكنولوجيا الحديثة ، وحتى الجديد في الادب والفن

من الصعب تحديد اتجاه فكري معين يسود هذه الخطة ويرجع ذلك في المحل الاول الى عدم تحديد هيئة النشر لهدف واضح تسعى لتحقيقه . فمن الملاحظ ان الخطة تحتوي على الكثير من السلاسل

الحياة العلمية والفنية والثقافية وهذا نادر الوجود في الخطة .

● حول النشر العلمي

وينعكس نفس الكلام السابق على الجزء الخاص بالعلم . فحجم العلم في الخطة لا يتناسب مع ما للعلم اليوم من أهمية عالية ودور هام وخطير بالنسبة لدول العالم وشبابها . هذا إلى جانب عدم وجود هدف واضح أو تخطيط ثابت للمكتبة العلمية ، فهل تناقش مثلا طالب الثانوي أم الطالب الجامعي أم الرجل العادي في القرية أو المدينة أم القارئ المخصص أم مخاطبهم جميعا ؟

ومشكلة النشر العلمي في بلادنا مشكلة كبيرة ومعقدة تحتاج إلى دراسة جادة . ويجيب على دور النشر أن تخصص أكثر من سلسلة تخاطب الفئات المختلفة تبدأ من الطفل وتقدم له القصص العلمية المسلية . وسلسلة أخرى

مبسطة تقدم للشباب تربط بين دراساتهم في المدارس والجامعات وبين أحدث التطبيقات العلمية في علوم الطبيعة والرياضة والكيمياء والطب وغيرها .

والجانب الآخر هو نشر المعرفة العلمية المتخصصة في الفروع المختلفة وتوفيرها للمتخصصين عن طريق تلخيص الأبحاث العالمية المتخصصة ونشر الإحصاءات العلمية المحلية التي تزخر بها المساهد والجامعات ولا تجد مكانا في دور النشر رغم أهميتها وارتباطها بكثير من مشاكلنا التي تبحث هيئات أخرى محلية عن حل لها فضلا عن جماهير القراء المهتمين بهذه المشاكل .

● هل هناك تخطيط واضح ؟

لاعتقد أن هناك تخطيطا واضحا وراء الخطة ، ولو كان هناك تخطيط لكان أبسط ماقيه أن يسير الاتجاه العام الذي يشغل

جماهير القراء وهو تحرير الأرض وبناء الاشتراكية وتخدم هذا الهدف كل أبواب الخطة من أدب وفن وموسيقى وعلم نفس وتراث وتاريخ وعلم الخ . .

وبينما يكثر الكلام هذه الأيام عن العلم والتكنولوجيا وضرورتها لبناء الدول الحديثة نجد أن الخطة لا تقدم شيئا ذو ثقل في هذا الاتجاه كما أو كنا نعيش في واد والعالم كله في واد آخر.

من هذا نرى أن الخطة ليست خطة بمعنى أنها مشروع مدروس طبقا للاحتياجات الفعلية للبلاد في هذه المرحلة بالذات، ولكنها مجموعة من الكتب التي تيسر جمعها ونشرها وفقا للظروف . هذا بينما تزخر مكتبات الدول المتقدمة بالكتب القيمة التي يمكن أن تقدم جديدا للقارئ العربي وتطلعه على آخر ما وصل إليه الفكر الانساني في المجالات المختلفة.

● ٣٧ عاما

● باحث اجتماعي بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية .
رئيس وحدة البحوث الاجتماعية بمركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالاهرام .

● من مؤلفاته « أسس البحث الاجتماعي » و « دراسات في السلوك الإجرامي » و « التحليل الاجتماعي للأدب » .



ياسين

الاعمال . فمن السهل إثارة الاعتراضات على نشر الاعمال الكاملة لروائي دون آخر ، أو لفيلسوف دون غيره . إذ يمكن أن يقال لماذا دوستويفسكي مثلا ، ولم لا يكون بلزاك ؟ ولماذا برجسون على وجه التحديد ذنق الجهد في ترجمة كل أعماله مع أنه يمثل فترة من فترات أزمة الروح الأوروبية وهبوطها ؟

قد يكون من الأنسب - من وجهة نظر البعض - الاكتفاء بالترجمة الكاملة لأبرز عمل من أعمال الأديب أو الفيلسوف مع الاهتمام بتأليف دراسة تحليلية تتناول بالعرض النقدي كل أعماله ، وذلك حتى يمكن الاطاحة بآثار عشرات الأدباء والمفكرين الذين يستحقون التعريف بهم وبأعمالهم .

ليس هناك اجابات جاهزة على كل هذه التساؤلات ، والمسألة تحتاج إلى وضع قواعد واضحة تحكم هذه العملية ، حتى لا تخضع للمزاج الفردي ، أو لتحمس المترجمين لمفكر أو لأديب دون آخر .

أما مسألة التراث فمن الصعب - من مجرد قراءة عناوين الكتب التي صدرت - معرفة ما هي المعايير التي تحكم الاهتمام بمؤلف دون غيره أو بكتاب معين لمؤلف دون سائر كتبه . وهي - كما أشرنا - في صدر هذا المقال لابد أن تعتمد على الموقف النقدي الذي ينبغي بلورته ميدانيا إزاء التراث قبل الخوض في عملية النشر .

٢ - ويبدو أن الهدف الثاني من أهداف الخطة كان هو الجمع بين التعمق من ناحية والتبسيط من ناحية أخرى .

نجد كتاب لطائف الاشارات للقشيري ومختصر تفسير الطبري ، والنجوم الزاهرة .

ويبدو الاهتمام بالانتاج العربي المعاصر في سلسلة مسرحيات عربية التي نشر منها تسع مسرحيات أي أن الخطة قد نفذت بالكامل . ويعزينا بوجه خاص بالنسبة لهذا الهدف الأول من أهداف الخطة مناقشة مسألتين : الأولى ترجمة ونشر الاعمال الكاملة ، والثانية الخاصة بالتراث .

وفيما يتعلق بنشر الاعمال الكاملة نجد أسماء دوستويفسكي وبرجسون ، ويثور هنا التساؤل : هل هناك تصور واضح لما ينبغي أن يكون عليه موقفنا من مسألة نشر الاعمال الكاملة للأدباء والمفكرين بوجه عام ؟

لقد تأخرنا تأخرا ملحوظا في نقل الآثار الفكرية والأدبية الكبرى التي أقرت بالفعل في مجرى تاريخ الفكر الانساني . فما هي الخطة المثلى التي ينبغي اتباعها بالنسبة لترجمة هذه الاعمال ، هل تكون الوحدة التي تعتمد عليها هي المؤلف بمعنى اقتناء المفكرين البارزين أيا كان معيار هذا الانتقاء أم يكون الأساس هو المدرسة الفكرية وبالتالي نقتع بعرض الاعمال البارزة الشاهدة على فكر المدرسة أم نعتد على فكرة الحقبة التاريخية التي شهدت التطورات ذات الدلالة في مجرى الفكر الانساني .

كل هذه أسئلة تثار على الفور بالنسبة لمسألة نشر الاعمال الكاملة للأدباء والمفكرين ، وإن لم يوضع إطار نظري واضح يحكم عملية ترجمة ونشر هذه

ليس من اليسير في الواقع . اذا اطعنا على قائمة الكتب التي أصدرتها هيئة التأليف والنشر أن تستخلص الاسر التي قامت عليها خطة النشر . فذلك مهمة تحتاج إلى الاطلاع على المذكرات والتقارير التي وضعت الخطة على أساسها . ولذلك فملاحظتنا على الخطة أنه ما تكون بالتعليق على قانون بغير الاطلاع على مذكرته الايضاحية . ومع ذلك نستطيع ببعض الجهد أن نضع أيدينا على الاعتبارات الأساسية التي وضعتها الخطة في الاعتبار .

١ - يبدو أن أول هدف للخطة كان محاولة التوفيق بين الاهتمام بالانتاج العالمي والتراث العربي ، وبالانتاج العربي المعاصر .

ويبدو الاهتمام بالانتاج العالمي من تخصيص سلسلة لسلاسل العالمية المعاصر (وإن كان لم يقدم منها للنشر بسوى كتاب واحد هو ١٠١ كمنجز تأليف د . زاهر غبريال) وسلسلة مسرحيات عالمية وقد صدر منها سبع مسرحيات من ١٢ مسرحية كان مقدرا لها الصدور ، وسلسلة روايات عالمية التي صدر منها ٦ روايات من ١٢ رواية كان مخططا لها .

كل ذلك بالإضافة إلى الاعمال الكاملة في الفكر العالمي والتي نرى فيها أسماء أفلاطون وفرجليوس وهنري برجسون ودوستويفسكي .

ويكشف عن محاولة الموازنة بين ثقافة الصوفية وثقافة الجماهير . تخصيص المكتبة الثقافية لتكون سلسلة جماهيرية ، وكذلك سلسلة العلم للجميع . بالنسبة للمكتبة الثقافية إذا اطلعنا على الموضوعات التي غطيت نجد من بينها موضوعات هامة بالفعل ، مثل : علم اللغة الحديث للدكتور محمود فهمى حجازي ، والنقد الانجليزي المعاصر لماهر شفيق فريد ، وعبد الرحمن شكرى للدكتور أنسى داود ، والقانون والقيم الاجتماعية للدكتور نعيم عطية ، والتعبيرية في الشعر للدكتور عبد القادر مكاوي ، ومع الموسيقى للدكتور فؤاد زكريا .

أما سلسلة العلم للجميع فقد صدر منها ١٢ كتابا تتضمن التعريف ببعض الموضوعات العلمية الهامة ، غير أنها توقفت للأسف نتيجة للتعتثر في

إصدارها . (كان مقررا أن يصدر منها ٢٤ كتابا) .

٣ - وكان من بين أهداف الخطة مراعاة نوعية الجمهور ومحاولة اقشاع الحاجات الثقافية للراشدين والصغار ، ويبدو ذلك من مكتبة الطفل التي كان مقررا أن يصدر منها ٨ كتب غير أنه لم يصدر منها ولا كتاب .

٤ - ويظهر أن الخطة هرفت الى مراعاة التكامل في النشر فحرصت على إقامة التوازن بين نشر المسرحيات المترجمة والمصرية وكذلك دواوين الشعر ومجموعات القصص والروايات والاهتمام بالنشر في مجال الفلسفة والاقتصاد وعلم النفس .

وإذا نظرنا للخطة نظرة اجمالية يمكن القول إنها أغفلت الاهتمام بدراسات علم الاجتماع اغفالا واضحا ، مع أن هناك رسائل ماجستير ودكتوراه عديدة في هذا العلم الذي يتطور في بلادنا بصورة

ملهوسة ، وكان يمكن السعى لنشرها توسيعا لدائرة الفهم العلمي لحركة مجتمعنا ولاتساقه ولقيمه في المرحلة التاريخية الحاسمة التي يمر بها في الوقت الراهن .

ولا نجد من ناحية أخرى أي أثر للاهتمام بمشكلات العصر كالثورة العلمية والتكنولوجية وقضايا العالم الثالث المتعددة .

غير أننا لكي نكون منصفين ، فلا بد أن نؤكد أن خطة النشر في القطاع العام للدولة ينبغي أن تبنى على سياسة ثقافية مدروسة يشترك في وضعها اعلام المفكرين والمتخصصين في بلدنا ، من خلال جهاز له سلطة التخطيط على أعلى مستوى ، ولعل ذلك الهدف يمكن تحقيقه من خلال المجالس القومية المتخصصة التي نأمل أن تستطيع أن تسد الثغرات الواضحة بين التفكير والتخطيط والتنفيذ .



محمد
أبو منة

- ٢٤ عاما
- أحد شعراء المدرسة الحديثة الشباب ، صدر له ديوانان « قلبى وغزالة الثوب الأزرق » و « حديقة الشتاء » ومسرحية شعرية « حمزة العرب » وكتاب « فلسفة المثل الشعبي » .
- يعمل محررا بالهيئة العامة للإعلامات .

القصصية المتقاربة في المستوى أو السن ، وهذا الأسلوب قد ظهر الملامح الأساسية والجيل الذي حظى بهذه الفرصة ولا يتناسب العدد الضئيل الذي صدر من المجموعات القصصية سواء المشتركة أو المفردة مع حجم الحركة القصصية الشبابية في مصر بل أن ضغط هذه الحركة في نماذج قليلة كان يراد به كبح جماحها أكثر مما قصد به التعبير عنها . وفي الشعر نرونا هذه القلة من الدواوين الشعرية التي صدرت للشعراء المصريين وهي ٧ دواوين منها ثلاثة مشتركة وأربعة مفردة وديوان واحد مترجم رغم أن حركة الشعر الحديث في حاجة ملحة لمروافد شعرية متجددة ولا تنقطع . أن الشعر رغم أنه كان القرن الأول الذي استوعب الأم المرحلة التي نعيشها منذ ١٩٦٧ ، وما يزال قادرا على أن يشحن وجدانا بمزيمه الصمود . هذا الشعر يعاني من إهمال هذه الخطة التي كان أجدر بها أن تعنى به . ورغم ما تعانيه الخطة من ذبول في الجوانب الأساسية منها ، إلا أنها حاولت أن تفنى وتوصل ثقافتنا بإصدار الأعمال الكاملة لكبار كتاب العالم . وبالمشروعات الخاصة بالأدب اليوناني والفلسفة اليونانية والموسوعات والمعاجم : وكتب التراث ولكن إذا كانت الخطة قد قصرت في الوفاء بالتزامات طموحها فقد عجزت كذلك عن إرضاء طموحنا .

فإن معظم البنود الأخرى تعجز عن الوفاء بالحد المقرر لها . ولعل البنود الآتية أوضح مثال على ذلك وهي « العلم للجميع » ، و « روايات عالية » و « الدراسات الأدبية » و « القصص العالمية » . ونلاحظ التداخل كذلك بين أبواب هذه الخطة ، فنجد أن المكتبة العربية وهو باب يفترض فيه أنه يختص بالموضوعات ذات الطابع العربي تضم كتابا مثل « التمثيلات التلفزيونية » ، و « السينما اليوم » ، رغم وجود بند للموسيقى والسينما والفنون لم يصدر منه شيء . ولعل الحاجة ملحة كذلك في خطة شاملة للنشر في البلاد إلى التعبير من حيوية الثقافة الجديدة التي يدعها الشباب ، هذه الثقافة التي تمثل رؤية للواقع أقرب مانكون إلى حقيقته ، لأنها رؤية مثقلة بالاهتمام به والطموح إلى نقله إلى أرفع مستوى له . وهذه الثقافة الجديدة تتطلع إلى التعبير الحر عن نفسها ، وذلك من خلال إبداعها لأشكال وأنماط جديدة لابد من طرحها على الوجدان القومي حتى تعثر هذه الأعمال على حياتها الحقيقية . ومن ناحية أخرى فإن حركة الثقافة الحديثة تنتظر من الخطة تلبية واقعية لحاجات نموها ونضجها . فاذا نظرنا إلى الشق الأول نرى أن الخطة قد لجأت إلى التراكم الكمي عن طريق الجمع بين المجموعات

أننى افترض دائما أن أية خطة قومية لنشر الثقافة العامة والخاصة في بلادنا لابد أن تستجيب للاحاح الظروف الاستثنائية التي نعيشها ولكن في إطار من الشمول يستوعب مفهوم هذه الظروف لا من جوانبها السياسية والعسكرية فحسب ، ولكن من جوانبها الحضارية بشكل أساسي ولقد نظرت لخطة وزارة الثقافة للنشر لعامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ كمواطن أولا قبل أن أحاول اشباع طموحي كأحد المهتمين بنوع متخصص من الأنواع الأدبية وهو الشعر . وقد لاحظت الفقر الواضح في هذه الخطة فيما يتعلق بالجوانب الملحة من ظروفنا وموقفنا الصعب . رغم أن البند الخاص بكتاب المعركة يضم ٦ كتب إلا أن الكتب التي ينتمى موضوعها مباشرة إلى هذا البند لا تزيد عن ثلاثة كتب . وقد راعى مثلا أن البند الخاص بكتب الأطفال لم ينفذ منه شيء ، وكذلك الأعمال الكاملة في الفكر العربي باستثناء « الطهطاوى » وكذلك البند الخامس بالموسيقى والسينما . ولانكاد نعثر على أكثر من كتاب واحد في الفنون العسكرية حيث ورد بالخطة كتاب « أصول المعرفة العسكرية » ولنا أن نسجل في أول ملاحظتنا أن الخطة تفتقر إلى التوازن الذي يملأ جوانب احتياجاتنا الأساسية ولعل الملاحظة الثانية هي المعجز الواضح في تنفيذ ما التزمت به الخطة ، فبالإضافة إلى وجود بنود كاملة لم ينفذ منها شيء ،

الخطوة المصرية

بين الماضى والمستقبل

غالى شكرى

عناصر الانتاج والاستهلاك ، وعليهم جميعا اتخاذ « القرار الثقافى » المتفق مع الاهداف العليا للتخطيط ، وهى انحياز الدولة هذه الناحية او تلك من نواحي الفكر والحضارة .. فالتخطيط ليس تلبية عاجلة لما تقوله الارقام والوقائع وانما هو ثمرة التفاعل الديموقراطى بين الراى والتوجيه والواقع الخام . هذا التفاعل وحده هو الذى يحدد لنا قبل التخطيط لعام واحد ، او حتى لخمس سنوات ، استراتيجيات القطاع العام للنشر فى بلادنا . وعلى ضوء هذه الاستراتيجية ذات الرؤية الشاملة لواقعنا الحالى والقومى والعالمى ، تتحدد مراحل التنفيذ فى اطار بالغ المرونة لاستيعاب الجديد فى ديناننا الدائبة التغير ، وامتنصاص الابداعات الفنية الخالقة التى لا يمكن ضبط ايقاعها المتوتر دوما ، والملمح ببصائر ترى احيانا ما هو ابعد من اللحظة العابرة

حوار : يسال والاستقبال

والفكر المصرى الحديث فى عصره الليبرالى مدين بثماره العظيمة للناسخ الخاص ، ولكن هذا الفضل للقطاع الخاص فى النشر قبل عام ١٩٥٢ او حوالها يرجع بالدرجة الاولى الى مجموعات المثقفين الذين اشرفوا او شاركوا او مولسوا دور النشر الخاصة بهم او بالاحزاب والهيئات التى ينتمون اليها .. وبالتالي فقد كانت اهم الاعمال الفكرية والفنية التى صدرت ابان تلك الاونة ، حصادا لتلك الجهود الجماعية المتضافرة من اجل هدف ما وغاية معينة . أما النشاط الفردى الخالص فى حقل النشر ، فقد كان — وما زال الى الان — اسيرا للنظرة التجارية الخالصة التى توجهه الى المطبوعات المدفوعة مقدما كالكاتب الجامعية او الكتب المضمونة على الدوام : فى الدين والجنس ..

الثقافة الذى يرفض الناشر الخاص ويعارض نشرها لانها لا تلتقى مع تفكيره السياسى ولا تتفق مع وجدانه الشخصى . والناشر الخاص رغم الحس التجارى الذى يعمل كالرادار فى التقاط الظواهر القريبة والبعيدة ، فانه لا يستبعد « التخطيط » من ادوات عمله التجارى ، لان عشوائية السوق من وجهة نظره تتطلب خطة سريعة الحركة تواجه الثابت والمتقلب من ظواهر القراءة . وهو الى جانب اعتباره الكتاب سلعة اساسا ، فانه فى واقع الامر يقدم من زاوية اخرى خدمة عامة لجماهير الاتجاه الذى يقبناه . اما الدولة النائرة فان التخطيط لديها يتخذ لنفسه مجرى آخر ، لانتحكم فيه — رغم الجانب السلى — قوانين السوق تحكما كليا ، فالربح والخسارة فى تخطيط القطاع العام للنشر لا يضع صوب عينيه سيولة رأس المال ، والعائد الى الخزينة ، بقدر ما يضع فى اعتباره شيوع الثقافة التى يستهدف الوصول بها الى اوسع رقعة جماهيرية قارئة من ناحية ، واكتمال لوحة الفكر الانسانى وتراث الضمير البشرى فى مخيلة العاملين فى كافة ميادين الفكر .

وتخطيط الدولة ، تبعا لذلك ، لا يابه كثيرا بقوانين العرض والطلب فى اشكالها الموروثة والمعدلة عن الاقتصاد الراسمالى وانما يخضع التخطيط فى القطاع العام للنشر ، للدراسات الميدانية الواسعة التى يقوم بها المتخصصون فى العمل الاحصائى ، بحيث يرصدون اتجاهات القواعد القارئة واحتياجاتها ، واتجاهات الابداع الحلى فى مختلف مجالات المعرفة واتجاهات الفكر العالمى المعاصر ، واتجاهات المكتبة المحلية القائمة بالفعل ، ثم تقدم نتائج هذه الدراسات والاحصائيات الى لجان فعالة يشارك فيها المثقفون وممثلو الشعب والدولة : امامهم جميعا صورة تقريبية للسواق الخسام بكافة

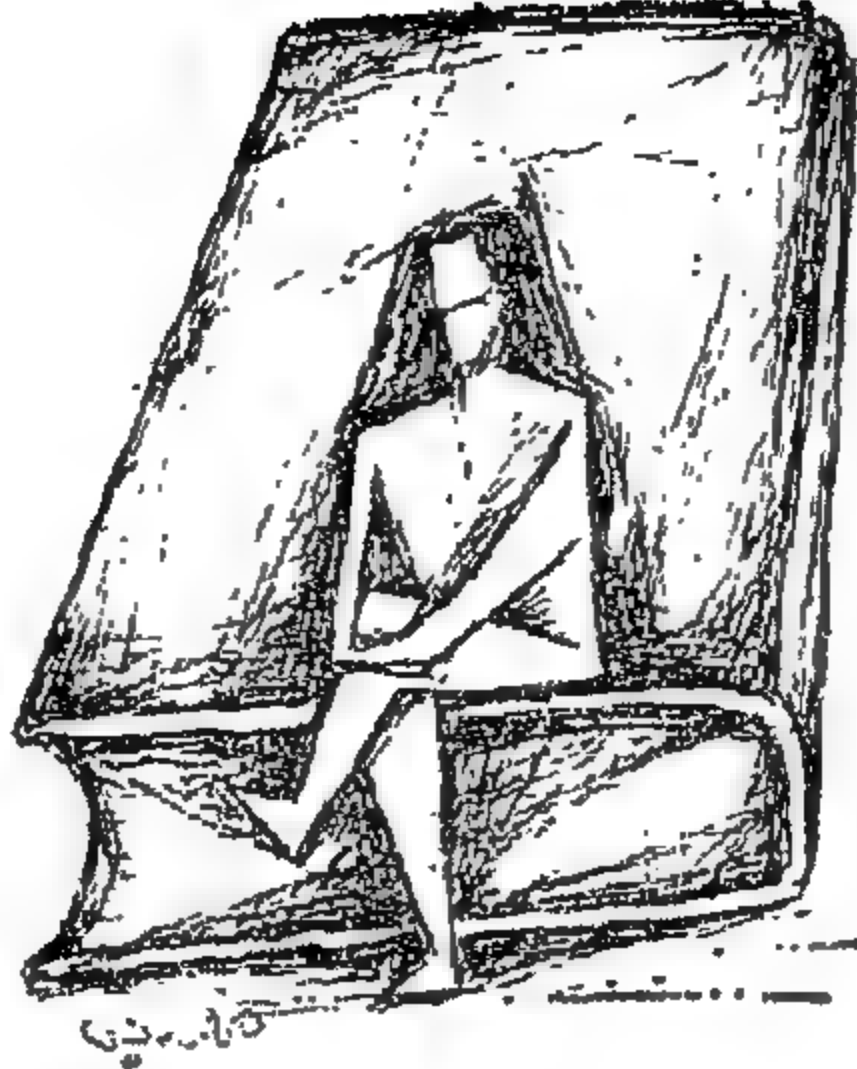
لعله من البديهيات المقررة سلفا ان تأميم الدولة لقطاع ما من النشر ، يعنى بالضرورة انحيازها من هذه الدولة لنوع معين من الثقافة ، ترى ان القطاع الخاص لا يستطيع او لا يرغب او يعارض فى القيام بدوره نحوها . ومن البديهيات ايضا ، ان البديل للحس التجارى عند القطاع الخاص هو التخطيط عند القطاع العام .. فالناشر الفردى ، ايا كان اتجاهه الفكرى وارتباطه الاجتماعى يستهدف الربح ويتعامل مع قوانين السوق بما يملك من قرون استسعار ، يتحسس بها التيارات الرائجة . ويتفاوت الامر بين ناشر وأخر حسب حجمه التجارى فى السوق وامكانياته الشخصية فى التعرف على اتجاهات القراءة ، وملكاته الخاصة من حيث طول النظر او قصره فى رؤية الظواهر الجديدة والمتقلبة . اما الدولة النائرة فانها تواجه بقطاعها العام مسألتين متوازيتين : الاولى هى ان الكتاب فى البداية والنهاية سلعة كبقية السلع ، تشترك فى صنعها وتقديمها للناس اطراف متعددة ، منها شركات الورق والمطابع والتوزيع . والمسألة الثانية هى ان تأميم النشر الذى يعنى انحيازها ضمينا من الدولة لنوع معين من الثقافة ، يستوجب النظر الى الكتاب على انه ليس سلعة فحسب ، وانما هو خدمة عامة ايضا . وقد عمدت الى استخدام تعبير « نوع معين من الثقافة » فيما نشره الدولة ، لاني لا اقصد بانحيازها تبنى اتجاه فكري وحيد ومحدد ، وانما اقصد بالضبط ذلك النوع من الثقافة الذى لا يستطيع الناشر الخاص ان يتحمل اعباءه المادية كالمراجع الكبرى فى تاريخ الثقافة الانسانية ، وذلك النوع من الثقافة الذى لا يرغب الناشر الخاص فى تحمل مخاطره التجارية كالاعمال الادبية عموما وكتابات البراعم الشابة خصوصا ، وذلك النوع من

تصور فيها المثقفون ؟ أن « هذه الخطوة » تكاد تكون تحقيقاً لآمالهم وتجسيدا لأحلام جماهير الثقافة ، ولكن هذه اللحظات سرعان ما كانت تخبو كالبرق ، لا تخلف وراءها سوى الحسرة والياس .. نعم فقد كانت تنقلات رؤساء مجالس إدارات النشر قريبة المشبه بلعبة الكراسي الموسيقية ، كما كانت تنظيمات هذه الإدارات المتقلبة من دور إلى مؤسسات إلى هيئات ، كنشرة جوية من مرصد متعطل .

في ظل هذه الفوضى المخيفة والعشوائية الضاربة أطنابها والارتجال ، تنكس طبيعة الحال ملايين النسخ من الكتب في المخازن العامرة بالفئران ، ولا تولد في النور الباهر مئات الأعمال التي تدق قلوبها مع نبض جماهيرنا ، وتموت في المهذأ أفكار ما أخصبها . ومن هنا تنشأ المسافة ، بل للهوة الواسعة ، بين الثقافة والحياة . ويزغ شبح ذلك الفصام في وضع النهار عندما تمر بنا لحظة صفاء عقلي وصدق مع النفس ونقارن بين « واقع » حياتنا والصورة الذهنية التي تشكلت في أدمغتنا عن هذا الواقع ، أي بين الحقيقة الموضوعية والصفة النظرية التي نتعامل بها معها .

بالطبع هناك عشرات الكتب الرائعة التي صدرت عن قطاعنا العام في النشر طيلة الفترة الماضية ، ولا أقول أنها من النادرة بحيث تمدنا بدليل جديد على ذلك المسافة المروعة بين ثقافتنا وحياتنا ، وإنما أقول أنها كانت هي الأخرى ثمرة العشوائية ، وأحياناً العلاقات الشخصية للأسف ، وأحياناً للمصدفة اليتيمة التي جاءت بهذا أو ذاك من الرجال الذين أتيح لهم البقاء في غرفة رئيس مجلس الإدارة شهوراً معدودة .

وليس من شك في أن الاضطراب الذي أصاب التفكير السياسي لنظام ٢٣ يوليو سواء من طبيعته الداخلية أو من جراء تلاحق الأحداث الحالية والقومية والعالمية ، وكذلك حرية الفكر والتعبير التي غابت آمداً طويلة ، قد تسبب هذان العاملان كلاهما في شل حركة النشر التي تقوم بها الدولة عن أن تكون تجسيدا حقيقيا لعقل الشعب وضميره .. ذلك أن البديل الحتمي لناخ الفكر المنظم وحرية التعبير هو الديماغوجية والنظرة الوحيدة الجانب والتفاهة . بالديماغوجية أغرقت الأسواق بآلاف الكتب تحمل خاتم الدولة بالشعارات الاشتراكية ، ومن داخلها العداء المتطرف للفكر الاشتراكي ، وآلاف الكتب التي تحمل عناوين الديمقراطية ، وبداخلها كافة صفوف الفكر المعادي للديموقراطية ، كان المهم أولا هو اغراق القارئ بسكم هائل من الكتب ، قبله وتزدرى عقله وتمزق وجدانه ، ولكنها تضيف إلى



الواحدة من الأخرى ببعض السمات الجزئية والعامية . وقد كانت الفلسفة التي تنشرها الدولة مدعوة بجسارة لأن توضح لنا العام والخاص في هذه المرحلة وتلك المراحل ، لو أنها كانت انعكاسا دقيقا لبناء الاقتصاد والاجتماعي ولو أنها كانت دفعا وتوجيها لنا في هذا الطريق من طرق التطور . ولكن الإحصاءات الدقيقة تدلنا للأسف ، على أن بعض ما نشر عام ١٩٧١ على سبيل المثال ، كان يتوجب نشره عام ١٩٥٢ ، وأن ما نشر عام ١٩٥٦ كان خليقا بالنشر عام ١٩٦٤ ، حتى تستقيم الصورة العاكسة للواقع المعكوس ، من وجهة نظر الدولة ذاتها ، وحتى يستقيم التفاعل والحوار بين الأفعال وردودها ، بين الأصوات والأصداء . غير أن الحقيقة المؤلمة هي أن الدولة أنفقت أموالا بغير حساب على اجزلة للنشر ترتبط بالحدود الدنيا لفكرة القطاع العام للنشر ، فأنحازت أحيانا كثيرة لأفكار وقيم تتعارض مع طبيعة المرحلة التاريخية التي تجتازها وشجعت من أصبح تشجيعهم عبئا ثقيلا على كاهل المال العام ، وتجاهلت من تحلق بصيرتهم الشباب إلى آفاق أكثر رحابة وعمقا ، وأخفقت في تنظيم العقلية المصرية بالتراث القومي والمكتبة العالية وتهافتت في حقها الإداري حين يتطلب هذا الحق التمهيد والمراجعة ، وتمسكت بحقوقها البيروقراطية حين أتاحت لها هذه الحقوق المنح والمنع . وأخيرا فقد أهملت من حسابها تماما ذلك الهدف المقدس من كل ثقافة مصرية : الشعب المصري .

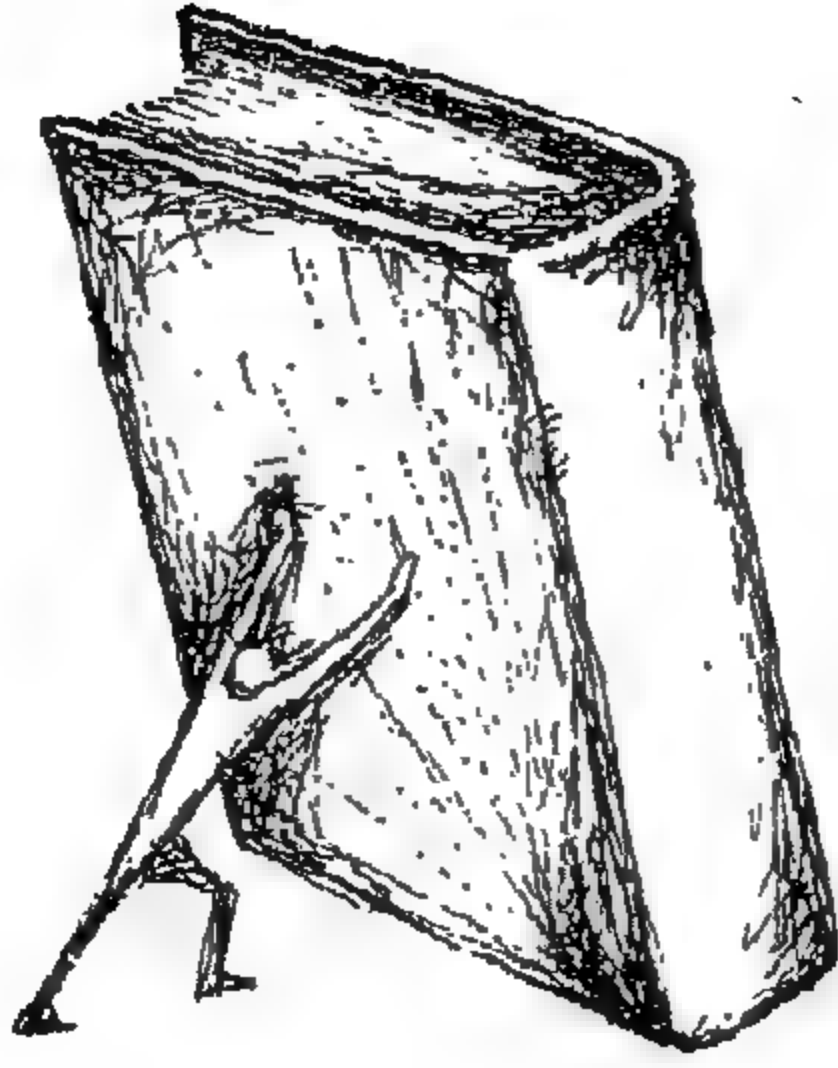
هكذا خلّت كل تنظيمات « النشر العام » من أية وثيقة استراتيجية لعملها ، على هديها يمكن أن نفسر — أو حتى ننقد — هذه الخطوة أو تلك ، وهكذا أيضا خلّت معظم الخطط السنوية من ذلك التصور الذي يحتم على الدولة أن تكون ناشرا . ولقد حانت بعض اللحظات الخاطفة التي

والدولة التي جاءت لتحلّ بنظيرتها السياسي الواحد وأجهزة إعلامها وثقافتها مكان الأحزاب والهيئات والجماعات القديمة مرشحة بالضرورة لأن تقوم بذلك الدور الكبير والخطير معا ، وهو إنجاز مهام المرحلة التاريخية التي قامت خلالها ، على صعيد الفكر والفن . وإذا كانت الدولة القديمة قد ساعدت ولو بقدر ضئيل في نشر الثقافة الرفيعة عن طريق الإدارة الثقافية التابعة آنذاك لوزارة المعارف ، فإن هذه المساعدة كانت على أهدالوجوه ترفا وديكورا اجتماعيا ، كما كانت على الوجه الآخر إبرازا للفكر الليبرالي وحماية للثقافة البرجوازية . أما الدولة الجديدة فلا تحتاج لاية ديكرات ولا لاي شكل من أشكال الترف والزينة الاجتماعية ، وإنما هي تحتاج في مرحلة نضالها ضد الاستعمار القديم والجديد ، ثم في مرحلة تأسيسها القواعد المادية للتقدم الاجتماعي إلى ذلك البناء العلوي من الأفكار والقيم التي تعكس من ناحية التكوينات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ، وتدفع بها من ناحية أخرى في طريق التطور .

ولا شك أن خلطا كثيرا قد وقع نتيجة الفهم المغلوط لفكرتي « الانعكاس » و « التوجيه » اللتين تصاحبان دوما قيام الدولة الجديدة — من هذا النوع — بدورها الثقافي .. فالانعكاس لا يعني مطلقا أن هناك مرآة مصقولة معلقة في الفراغ تلتقط صوراً تلقائية لما يحدث أسفلها فوق الأرض ، والتوجيه لا يعني على وجه البقين أن هناك آلة خفية كالعقل الإلكتروني تصدر أوامرها غير القابلة للنقض ، وما على البشر سوى الامتثال والتنفيذ الفوري الأعمى . أن عمليتي الانعكاس والتوجيه هما ذلك الحوار الحي الخلاق بين طرفين : أولهما جماهير الثقافة ومبدعيها — أي عنصرى الإنتاج والاستهلاك — والطرف الآخر هو وسائل الاتصال بينهما . وعندما تصبح الدولة هي ذلك « الطرف الآخر » فإن هذا يستلزم منها تجنيد كافة ما تملكه من إمكانيات في تشخيص ميدان عملها ، وهو الطرف الأول . ويستلزم منها ثانية توفير كل ما تستطيعه من إمكانيات في تسليح ذلك الميدان بما يكفل له النصر في المعركة التي تصدى لها . هذه المعركة التي هي في نهاية الامر معركتها ، ومن ثم فالنصر هو في الحقيقة نصرها .

ولقد واجهت بلادنا خلال السنوات العشرين التي تنتهي في يوليو القادم ، مجموعة من التحديات الكبيرة في الداخل والخارج . وبالرغم من أن التناقض الرئيسي طيلة هذه الفترة ظل بيننا وبين الاستعمار ، إلا أن تفرعات عديدة لهذا التناقض تحتم علينا ألا ننصوّر هذه السنوات العشرين وكأنها مرحلة تاريخية واحدة . أنها بغير شك عدة مراحل تتداخل فيما بينها ، ولكنها تتمايز

أما المسئولين عن النشر أمجاداً بالأرقام وكان الإغراق يتم في الأغلب الأعم من مياه بحر واحد تجدد المذاق والبصيرة في اتجاه ربح واحدة فتستحيل على العين المصرية حرية المقارنة وموضوعية التقييم . وكان هذا الإغراق أخيراً من أسباب « الارتباك » السريع ، وما يتسبب عنه من هرولة وسطحية لنحصر على القطاع العام



على أنه رغم ذلك كله ، فإن القطاع العام في النشر يشقى الاسماء التي اتخذتها شركاته ودوره ومؤسساته وهيئاته طيلة السنوات الماضية ، قد أنجز من حيث الكم والكيف ما يزيد أضعافاً مضاعفة عما أنتجه الناصر الخاص في بلادنا . . ان « القائمة » الغالبة على الصورة التي قدمناها ، هي نتيجة المقارنة بين مسئوليات نشر الدولة ، وبين واقع هذا النشر ، لا بينه وبين إنجازات القطاع الخاص التي اتجهت في معظمها إلى الكتب الجامعية المريحة ، والكتب الدينية والجنسية الرائجة ، وإلى الكتب التي مولتها الخزائن الأجنبية وفي مقدمتها مؤسسة فرانكلين . ان الكتب القليلة الجيدة التي أصدرتها أجهزة وزارات الثقافة والاعلام المتعاقبة لا تلبي مجمل الاحتياج الفعلي لجماهيرنا ، ولكنها تشير بالقطع إلى سلامة الاتجاه الوطني والتقدمي للذين أصدروها من ناحية ، وتدين من ناحية أخرى القطاع الخاص في النشر الذي اكتفى بأن يكون تاجراً شائته تبرير أية وسيلة ، ومن ثم كان تقاعسه عن أداء الدور الوطني الواجب أن يقوم به ، حتى من وجهة نظره الخاصة . ومن هنا كانت النتيجة الأولى التي يمكن استخلاصها ولا ينبغي أن تغيب عن بالنا قط هي ان القطاع العام في النشر ضرورة قومية وإنجاز وطني لا سبيل إلى التخلي عنها مهما كانت الظواهر السلبية كثيرة ومهما كانت العقبات أمام التغيير متراكمة . ان فشل احدى الشركات المؤممة ، ليس فشلاً لمبدأ التأميم ، الا عند أولئك الذين يفكرون — بالتواء — في الطريق الرأسمالي .

والنتيجة الثانية ، هي ان استراتيجية شاملة للنشر مهمة عاجلة أمام وزارة الثقافة والاعلام والمجلس القومي الاعلى للثقافة المقترح انشاؤه واتحاد الكتاب المفترض قيامه قريباً . ان هذه الاستراتيجية يجب ان تعنى — على المستوى الاقتصادي — من التزامات كشوف توزيع القوى العاملة حتى لا يضاف إلى سعر غلاف الكتاب الواحد مرتب موظف طفيلي في هام . ويجب ان تعنى هذه الاستراتيجية — على المستوى السياسي — من الرقابة القصيرة النظر والمريضة بمعنى الألوان أو الاسقاط الشخصي ، وإنما تشارك في صياغتها لجان متخصصة تجد تحت احدى يديها « الواقع الثقافي الضام »

خمسة عشر ألف نسخة ؟ ! تسوف تتداخل الاجوبة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والنفسية ، وسوف يتداخل جوابنا المحلي مع أجوبة غيرنا في بقية أرجاء الوطن العربي . ولكن علينا في جميع الاحوال أن نجد صيغة الجواب لاكثر شمولاً وموضوعية فعلية سوف تتحدد مهام وحسابات دقيقة .

● من التفرعات الرئيسية على المناقش بيننا وبين الاستعمار واختيارنا لطريق التقدم الاجتماعي ، تلك المسبة التي نشترك فيها مع معظم بلدان العالم الثالث . وأعني بها « التخلف الحضاري » الذي ترسب في وادينا مع أهوال الغزو الاجنبي وظلمات أنظمة الحكم الرجعية ، والتغلب عليه يحتاج — ثقافياً — إلى سلاح مزدوج : يحتاج من جهة إلى البحث عن الذات الحضارية المفقودة أو الفاتية من الوعي ، ويحتاج من جهة أخرى إلى أوثق الروابط والصلات بروح العصر الذي نعيش فيه . وتطرح هذه النقطة — باهتمام جاد — قضيتين على درجة كبيرة من الحساسية ، ومع هذا تتطلبان درجة مماثلة من الشجاعة والصراحة ، وهما : قضية التراث القومي وقضية التراث الانساني العام ، وخصوصاً أحدث مراحل الوافدة من الغرب [الاشتراكي والرأسمالي] . بالنسبة للقضية الأولى ، فإنه قد آن الاوان — ولعله من زمان — في ان نغربل هذا التراث غربة دقيقة مسلمين بالرؤية الموضوعية وحدها دون احتفال كبير بما تمليه العواطف الموروثة ، أو الانحيازات السياسية الموقوتة والسريعة الزوال . انه تاريخنا بكل ما فيه من بياض وسواد . وعلينا أن نقول للعالم ولانفسنا ولابنائنا من بعدنا : هذا أبيض وذاك أسود ، وعلينا أن نفتصل بكل ذرة ايجابية بناءة لروحنا مهما كانت تنسب لاقدم الاسلاف . اما القضية الثانية فتقابل بالحساسية — حسب الهوى — اما بدافع سياسي أو بدافع عنصري ، وكلاهما لا يتصل بالتقدم الحضاري من قريب أو من بعيد . فالذين يريدون فعلاً ردم الهوة بينهم وبين التقدم . عليهم الاتصال بأسبابه ونتائجه وخبراته وتجاربهم . قد لا نأخذ من الغرب هذه الرؤية أو تلك النظرة إلى الامور ، ولكننا لا نملك الاستغناء عن معرفة اصول هذه النظرة وجذور تلك الرؤية ، وبخاصة ونحن نعيش في عالم سريع التغير ، لا يترك فرصة للسلحفائيين من أبنائه أن يعطلوه عن سيره . لقد تعرفت الحضارة العربية في ازهى عصورها على حكمة غيرها من الاقدمين كاليونان والرومان . فما بالنا نحن الذين تخلفنا اكثر من عشرة قرون عن ركب الحضارة الانسانية ؟

● اننا ننتمى — خارج حدودنا — إلى أمة عربية تناضل شعوبها مع بقية

ممثلاً في الدراسات الميدانية الواسعة لاحتياجات ومستويات واتجاهات شعبنا الثقافية ، كما تجد تحت اليد الأخرى احصاء دقيقاً بالامكانيات الفنية والعلمية والادارية المتاحة ، بحيث يصبح قرارها اقرب التجسيدات الموضوعية لاهلام جماهيرنا ، وبحيث يصبح انعكاس ثقافتنا للحياة ودفعها لتطوير هذه الحياة حواراً حراً وخلقاً حقاً . ولا بد لهذه اللجان من أن تخرج عن الاطار الروتيني لاختيار اعضائها « بحكم وظائفهم » أو « بحكم شهرتهم » ، وإنما يجب أن تتشكل في صيغة اقرب ما تكون إلى الديمقراطية ، وذلك بأن يشترك في صنع القرار الثقافي جماهير الثقافة ومبدعوها ولا تقتصر على أولئك الذين لا يتجاوز دورهم « همزة الوصل » بين أجهزة الارسل وأجهزة المستقبل .

ولا بد لهذه الاستراتيجية أن تضع تخطيطاً بعيد المدى ، حتى ليصل إلى عشرين عاماً ، وتخطيطاً آخر متوسطاً ، وتخطيطاً ثالثاً سنوياً . . وذلك حتى تتوفر لدينا الرؤية الشاملة التي لا تحيد عنها ، والمرونة الكافية لاستقبال كل جديد . ومن ثم يتطلب الامر اعداداً ببلوجرافيا صبوراً لتراث المكتبة العربية قديماً وحديثاً ، مؤلفاً ومترجماً ، حتى لا نقع في تكرار يصعب تداركه ، كما حدث بالفعل أحياناً كثيرة ، يكلف الميزانية الفقيرة ما لا تطيق . ولا يبقى أمامنا — وأمام الاستراتيجية المرجوة — الا بعض الخطوط العامة .

● بالرغم من ان نسبة الامية في بلادنا تزيد على السبعين في المائة ، الا ان هذا يعني ببساطة أن لدينا أحد عشر مليوناً من البشر يعرفون القراءة والكتابة . هؤلاء يشكلون — موضوعياً — قاعدة القراءة في مصر وحدها ، فإذا اتسعت هذه القاعدة لتشمل الوطن العربي بأسره ، لاصبح الرقم مغرباً حقاً باعادة النظر في هذا السؤال : لماذا لا يبيع الكتاب العربي في أكثر من السلاسل الشعبية رواجاً ، أكثر من

كافة اشكال الامبريالية والاستعمار الجديد ان « اسرائيل » من أكثر هذه الاشكال ضراوة وشراسة ، ولكنها تنتهى فى خاتمة المطاف الى ذلك المعسكر المهادى للانسانية والتقدم . ومن ثم كانت تجاربنا المحلية وتجارب أممتنا العربية وتجارب العالم الثالث بأجمعه زادا نصاليا لا ينفد كلما أوغلنا فى نقل ثقافة غيرنا من المناضلين اليها ، وبالمثل كلما نقلنا اليهم ثقافتنا .

● وإذا كانت حركة التحرر الوطنى باكملها حليفا للمعسكر الاشتراكي ، فان ثقافة التجربة الاشتراكية فى النظرية والتطبيق ، تصبح رصيذا فنيا ما أوجدنا اليه ، طال حرماننا منه ، ولا يجوز الإبطاء فى الحصول عليه بكافة الوسائل غير البيروقراطية ، وتقديمه لجماهيرنا بإيسر الاساليب المتاحة لديها . ان الاشتراكية ليست بديلا اقتصاديا محسوب للبؤس فى ظل الرأسمالية ، وانما هى ايضا درع ضد التخلف .

● واقعنا الوطنى هو الالف والياء هو البداية والنهاية ، هو المنطلق وخاتمة المطاف . لذلك تصبح دراسته على كافة المستويات ومن مختلف الزوايا وغير العصور هى مهمة المهام الملقاة على عاتق استراتيجية الدولة فى نشر الثقافة . ودراسته على ضوء أحدث منجزات العلم وفى ظل مناخ ديموقراطى حقيقى هما الضمان الوحيد لان نقول : لقد خلفنا الصفر ورائنا ، وبدانا السير على الرقم الصحيح .

الوجه الإدارى للاستراتيجية :

ليست استراتيجية النشر مجرد أهداف فكرية عامة ، على هداها يتم اختيار المؤلفات والمترجمات التى ينبغى توفيرها للقارئ . . وانما لابد وأن تشمل هذه الاستراتيجية على أقدر الوسائل والاساليب التى يمكن بواسطتها إنجاز المهام الفكرية . على ذلك ، فأنى أقدم هنا خطوطا عريضة لما يمكن أن يكون عليه الوجه الإدارى للاستراتيجية .

١ - ان فصل إدارة المطابع عن إدارة النشر مهمة أولية وعاجلة ، فالتوحيد بينهما قد أضر فى الماضى وما زال يضر فى الحاضر ، بكليةهما معا . هذا لا يعنى بأية حال أن نلغى « المطبعة » من بين أجهزة الثقافة والاعلام ، فلابد أن تكون هناك مطابع للدولة . ولكن هذه المطابع - فى نفس الوقت - يجب أن تستقل بميزانياتها وإدارتها وقواها العاملة . انه من غير المعقول أن تتبع هذه المطابع إدارة النشر تبعية مطلقة فتعمل ست ساعات كأي مصلحة حكومية وتحقق بالنالى خسارة مؤكدة ، فى الوقت الذى يمكن للماكينات أن تعمل يوما كاملا ، وأن تستوعب من العمال أربعة أضعاف حجمهم الراهن . ومن ناحية

نتيجتين ايجابيتين : الأولى هى أن إدارة النشر لن تكون حينئذ مطالبة بأشباع نهم آلات الطباعة ، لدرجة التفريط فى الخطة وملء الفراغ بأية مطبوعات حتى لا يتوقف العمل ، ومن ثم يزداد الكم على حساب الكيف ، وتخسر المطبعة ويخسر النشر ، ويخسر قبلهما وبعدهما الفكر والثقافة . فى حالة الانفصال بين النشر والطباعة لن تقدم إدارة النشر الى المطابع التابعة لوزارة الثقافة إلا ما حددته الخطة سلفا ، وبالتالي لن يضاف الى سعر الكتاب نفقات الساعات الضائعة ولن يكون هناك مبرر لاضافة كتاب واحد ردىء . والنتيجة الإيجابية الثانية هى أن التشغيل الكامل للمطبعة سوف يستقبل أعمالا تجارية من الأفراد والهيئات والوزارات الأخرى - خصوصا التربية والتعليم - من شأنها أن تحقق أرباحا عالية ، تعوض ، بنظرية الاوائى المستطرفة ، الخسائر المحتملة فى النشر مادام الكل يتبع ويصعب فى البداية والنهاية من والى ميزانية وزارة الثقافة والاعلام .

٢ - ينبغى أن نتعلم من بعض المؤسسات الأجنبية ، حتى المعادية لنا ، بعض الدروس النافعة فى هذا المضمار . وأولها ذلك الدرس الذى نعرفه عن مؤسسة فرانكلين ، فهى تتعامل مع بعض دور النشر الخاصة وفق التخطيط الفكرى الذى تضعه هى لنفسها . انها حينئذ لا تفعل أكثر من أنها تتعاقد مع الناشر على شراء عدد من النسخ المطبوعة يبلغ حوالى ألف نسخة ، وتحمل المكافأة المالية للمؤلف أو المترجم ويضمن الناشر بذلك نقطة الجانب الأكبر من نفقات الطبع . لو أن إدارة النشر الحكومية تستطيع أن تختار بعضا من مخطوطاتها للنشر المشترك مع القطاع الخاص ، فانها تستطيع أن تجذب بعض الناشرين الى دائرتها الفكرية ، وهى بذلك تفسح المجال للجنة التخطيط فى التوسع تفكيريا وإنتاجا ، كما تتيح للقاعدة القارئة أكثر من نافذة تطل منها على الثقافة الجادة ، حيث أن خبرة الناشر الخاص وتجربته العريضة ، تفتح من النوافذ ما لا يخطر على بال المكاتب الحكومية المغلقة . وهذا لو امتدت نظرتنا فى هذا الصدد الى الناشر العربى فى بيروت وبغداد ودمشق ، وبقية أرجاء الوطن العربى ، اننا بذلك لا نحقق فحسب إحدى درجات الوحدة الثقافية ، ولانحقق فقط إحدى درجات التنسيق التى توفر علينا التكرار ، وانما نحقق للمكتبة المصرى أرضا واسعة الأرجاء ، لأن الناشر اللبناني - على سبيل المثال - يتقن أدوات التوزيع ووسائله أكثر كثيرا من ادارتى النشر والتوزيع الحكوميتين

٣ - تشمل الاتفاقيات الثقافية بين جميع الدول . على بنيد هام يقول

عن طريق الثقافة ، وأن كل دولة ستقوم من جانبها بتقديم ما تستطيع للدولة الأخرى من أجل تحقيق هذا الهدف النبيل . ولقد سلكت بعض الدول الرأسمالية وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية طريقا شاذا « لتعريف الشعوب بعضها بعضا » فأسست بموجب الاتفاقيات الثقافية المبرمة بينها وبين الدول الأخرى ، دورا للنشر تخصصت فى اهدار كافة القيم الثورية وتحطيم مختلف السبل المؤدية الى حياة أفضل للشعوب هذه « الدول الأخرى » وبخاصة ما يقع منها فى هذا الجزء من العالم المسمى بالعالم الثالث .

وقد سلكت الدول الاشتراكية ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى طريقا طبيعيا حين تعاونت مع بعض دور النشر الوطنية فى اصدار الكتب التى من شأنها أن تدعم العلاقات الثورية بين الشعوب . ولكن هذا التعاون ظل دوما فى أضيق الحدود ، اما للصعاب التى تصادف الثقافة الاشتراكية فى بعض البلدان ، وأما بسبب التركيز على القضايا السياسية التى يحتاجها النضال فى هذه المرحلة أو تلك ، وأما بدافع حرص على الدقة فيفضل الناشر السوفيتى أن يطبع كتبه فى موسكو مباشرة . وتستطيع إدارة النشر الوطنية فى هذا الصدد بالاشتراك مع لجنة العلاقات الثقافية الخارجية أن تصوغ موقفا موحدا من بنود الاتفاقيات التى من هذا القبيل ، فتعتمد الى اختيار مجموعة من المؤلفات التراثية أو المعاصرة التى تنتمى الى هذه الدولة أو تلك ، بحيث لا تخرج على الاطار العام لخطتنا الثقافية . . ثم نعرض على الدولة صاحبة هذا التراث أن تقوم بتحويل طبعه ونشره وتوزيعه ، اما فى مقابل المعاملة بالمثل أزاء بعض المختارات من فكرنا القديم والحديث ، أو فى مقابل كسبها العائد من البيع ان وجد .

٤ - اذا كانت وزارة الثقافة والاعلام وزارة خدمات حقا ، فلا بد أن تنظر الميزانية العامة الى نشر الثقافة نظرة جديدة تصررها من قيود الاستيراد والتصدير فى الحدود التى لا تتعارض مع ظروفنا الاقتصادية . فىر أن « الظروف الاقتصادية » التى ظلت أمدا طويلا مشجبا نعلق عليه كافة العوائق ضد الكتاب المصرى ، يجب أن تتحول الى « قوة دافعة » لهذا الكتاب الذى يستطيع أن يؤدى الكثير فى الحرب والمسلم . أرحموا الكتاب من القيود التى لا تفرضوها على سلع الرفاهية والترف ، يرحمكم المستقبل من حكم التاريخ .

تلك خطوط عريضة ، يعوزها التفصيل ولكن يعوزها قبله ، أن ندرك جسامه المسئولية وشرى حبلى .

المومياء ..

نقطة تحول في الفيلم المصري

أنهض
.. فن
تغنى



من الممكن أن تستمر حركة التجديد الوليدة في الفيلم المصري وتنتج وتؤتي ثمارها إلا بأموال القطاع العام .

وفيلم « المومياء » هو « عودة الروح » ولكن في السينما ، فمن خلال أزمة شاب ممزق بين تراث أجداده والمستقبل الممتد أمام بصره يدعو شادي عبدالسلام الإنسان المصري ليقوم من جديد : انهض فن تغنى . لقد نوديت باسمك . لقد بعثت . هو يعبر عن رؤيته هذه بأسلوب سينمائي متميز ، يستخلص من الواقع جوهره ويخاطب عقل المتفرج أكثر مما يخاطب قلبه ، وان كنا نشاهده بالعقل والقلب وكل الحواس معا .

وقد هوجم الفيلم الذي ظل في مخازن مؤسسة السينما ما يقرب من ثلاث سنوات هجوما ضاربا عندما عرض للمرة الاولى عرضا خاصا في قاعة ريفولي ، وكان لنقاد أوروبا فضيل اكتشافه في مهرجان فينيسيا عام ١٩٧٠ مما رد له الاعتبار في القاهرة بعد ذلك ، وقد كنت مع شادي عندما ذهب مع فيلمه الى فينيسيا خائفا مذعورا ، وعاد وفرحة النجاح تملأ صدره . ولم يلبث أن فاز الفيلم بجائزة جورج سادول لاحسن فيلم اجنبي عام ١٩٧٠ ، كما فاز بجائزة النقاد في مهرجان قرطاج ، وبجائزة خاصة من اكاديمية الفيلس البريطانى ، وأخيرا فاز بجائزة خاصة من المركز الكاثوليكي الدولي عام ١٩٧١.

سـهـيـل قـنـيـل

فنان السينما ، قامت كل حركات التجديد في السينما المعاصرة منذ الواقعية الجديدة في ايطاليا ، الى الموجة الجديدة في فرنسا ، الى السينما الحرة في بريطانيا ، الى السينما السرية في نيويورك . وهذه الاخيرة هي اقرب تلك الحركات الى هذه النظرية ، وهي لم تتحرر فقط من اللغة الملفقة وترجمة الادب وتنفذ افكار الادباء ، وانما تحررت ايضا من جيش الحرفيين الذي يقف وراء كل فيلم ، ومن الآلات الضخمة التي تحتاج الى عدة أشخاص لحملها ، وابتدعت فيلم المجموعة البسيطة التي تتكون من ثلاثة أو خمسة أشخاص على أقصى تقدير ، والكاميرا الصغيرة الخفيفة التي تلتقط الصوت والصورة معا . وبهذا أصبحت الكاميرا بالفعل مثل قلم الاديب وريشة الرسام وازميل النحات ، وتحققت الدعوة التي نادى بها المخرج الفرنسي الكسندر استروك في مجلة « كراسات السينما » الفرنسية عندما قال « لنكن الكاميرا قلما » .

وكما حدث بالنسبة لكل حركات التجديد في السينما المعاصرة ، كان لابد أن يتحرر رأس المال المستخدم في إنتاج الفيلم المصري حتى توجد في مصر سينما المؤلف أو فنان السينما ، ولهذا لم يكن من الممكن أن ينتج فيلم « المومياء » إلا بأموال القطاع العام ، ولن يكون

منذ فيلم « العزيمة » الذي أخرجه كمال اسليم عام ١٩٦٩ ، لا يوجد فيلم مصري يمكن أن نعتبره نقطة تحول الا « المومياء » وهو الفيلم الذي أخرجه شادي عبد السلام عام ١٩٦٩ ، فبعد ثلاثين عاما من بذور الواقعية التي غرسها كمال اسليم في فيلمه وتطورت ونضجت في بعض افلاح صلاح ابو سيف ويوسف شاهين وتوفيق صالح وبركات ، ها هو شادي عبد السلام يفرس بذور سينما المؤلف بعد الواقعية في الفيلم المصري أو سينما الواقعية بلا ضفاف على حد تعبير جارودي . ولقد كان من الطبيعي أن يكون أول فيلم يتجاوز الواقعية في الفيلم المصري هو أيضا أول فيلم يتجاوز سينما المخرج الى سينما المؤلف أو سينما فنان السينما ، وكان من الطبيعي أيضا أن يكون أول فيلم ينتمي الى سينما المؤلف ، هو أول فيلم يعبر مخرجه عن رؤيته للعالم بأسلوب سينمائي خاص متميز .

وراء عبارة « فنان السينما الذي يعبر عن رؤيته للعالم بأسلوب خاص متميز » نقف كل انجازات الفكر السينمائي المعاصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم . فقد أدرك منظرو السينما ومفكروها ونقادها من استقرار تاريخ تطورها ، أن السينما لم تصبح فنا الا عندما كانت سينما المؤلف ، أي عندما كانت لغة يعبر بها الفنان مثل لغة الادب ولغة التصوير ولغة الموسيقى : مستقلة وليست تركيبة من الفنون ، ووسيلة للتعبير ، وليست وسيلة لترجمة الادب أو تنفيذ افكار الادباء . وأدرك منظرو السينما ومفكروها ونقادها أيضا ، أن السينما لا تصبح فنا عندما تكون مجرد مجموعة من الفنون المتجاورة ، ومجرد وسيلة لترجمة الادب أو تنفيذ افكار الادباء ، وهذه هي سينما المخرج الذي ولدت في مطابخ استديوهات هوليوود الكبرى وانتشرت في العالم كله بعد ذلك بحكم الارتباط العضوي بين الابداع السينمائي ورأس المال .

وانطلاقا من نظرية سينما المؤلف أو



محمد .. وهؤلاء

تأليف : الشاعر احمد عبد المعطي حجازي

الناشر : مؤسسة روز اليوسف

عرض وتعليق : محمد عمارة

من جبل الرواد . ومن أتى بعد هذا الجيل د. طه حسين . والمقاد . والحكيم ثم عبدالرحمن الشوقى .. وهم الذين تناول الأستاذ حجازي أعمالهم التي عرضت لسيرة الرسول بالعرض والنقد في كتابه (محمد وهؤلاء) ..

ورغم التنوع الذي جعل لكل واحد من هؤلاء المفكرين والكتاب منهجه الخاص في كتابة السيرة والترجمة ، وموقفه المتميز من القصص الخرافية والخوارق والمعجزات التي شك في حدوثها بعض مؤرخي الإسلام . إلا أن الكتاب الخمسة قد التزموا الموقف العقلي المستنير الذي لا غناء منه لمفكر وكاتب يعيش في القرن العشرين .

صحيح أن الدكتور طه حسين قد حفل في كتابه [الوعد الحق] و [على هامش السيرة] بإيراد الكثير من الخوارق والمعجزات والقصص والحكايات ، ولكنه لم يقدمها تقديم المقتنع بها عقلياً ، وإنما عرض لها عرض الأديب الذي يرى فيها مادة بكر العمل الأدبي .. فهو لم يكن مؤرخاً ولا دارساً ولا محللاً . وإنما كان الأديب الذي يسوق هذه المادة ، لا للعقل ، وإنما هو « يقدمها إلى القلب والشعور على أنها مثيرة لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على انقائ الوقت واحتمال انقائ الحياة وتكاليف العيش » [ص ٦٤] .. أما معجزة محمد الحقيقة عند الدكتور العميد ، فهي أنه كان ثمة لتجربته ، واستجابة للعالم ، ومكملاً لرسالات من سبقوه [ص ٧٩] وهو قد استطاع أن ينجح ما أنجز بسبب قيادته لثورة الفقراء ضد الأغنياء ، والأرقاء ضد التباداة ،

هيكلاً عندما وجد سلطات الاستعمار البريطاني تقود حملة من التبشير ضد الإسلام مستهدفة زعزعة إيمان الشعب بقيمه ومعتقداته ، وعندما رأى في هذه الحركة موقفاً مناهياً لحرية الرأي والضمير ، لم يجابه هذه الحملة بالهجوم المباشر عليها والتشديد الصريح بها . وإنما عاد بفكره إلى التراث الإسلامي فعرض لحياة الرسول عليه الصلاة والسلام « عرضاً يشترك في تقديره المسلم وغير المسلم » . فجاء كتابه عن (حياة محمد) أول عمل فكري حديث يتناول سيرة النبي تناولاً لا يعتمد على الخوارق والمعجزات . ولا على القصص الخرافية الذي أضاعه القصاصون إلى تاريخ الرسول وتراث الإسلام .. والنزاهة الدكتور هيكل وهو المنطق البرجوازي المستنير . جانب العقل ، وانحاز لمعطياته ، فقدم نبى الإسلام إلى العقل ، باعتبار أن العقل هو معجزته الكبرى .. وكما يقول الشاعر احمد حجازي ، فإن الدكتور هيكل قد رأى في (محمد) « اكمل مثال للرجس الطبعي » مقتنياً في ذلك ما تعلمه من « جان جاك روسو »

من أن الإنسان خير بطبيعته « وأنه يقترب من فطرته الخيرة كلما اقترب من الطبيعة » (ص ٣٨) « فمحمد يمثل الحق الذي يأتي عن طريق الاتصال المباشر بالكون والطبيعة » (ص ٤٤) .. وفيما عدا القرآن لم يظمن عقل الدكتور هيكل إلى خارقة من الخوارق ولا إلى معجزة من المعجزات .. ففتح بذلك باباً جديداً في أدب السيرة التي تناول حياة الرسول .. ومن هذا الباب دخلت كوكبة

في العقد الأخير من القرن التاسع عشر كتب الشيخ محمد عبده (مشروعه) لإصلاح التربية في مصر . وتحدث فيه ضمن ما تحدث عن صلة « التربية والتعليم » بالدين .. ورغم أن الرجل كان يود - وفق كتاباته في غير هذا المشروع - أن يكون التعليم مدنيّاً خالصاً ، وأن تكون للتعليم الديني أماكنه الخاصة بالرافيين فيه ، إلا أن رايه في طبيعة المصريين والشرفيين قد جعلته يدمج إلى أن يكون الدين وسيلة التربية ، فكتب في «مشروعه» : « أن نفس المصريين اشربت الانقياد إلى الدين ، حتى صار طبعاً فيها . فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذراً غير صالح للتربة التي أودعه فيها ، فلا ينتت ، ويضيع تعب ، ويخفق سعيه ... »

وعندما أراد الدكتور محمد حسين هيكل تفسير اهتماماته الإسلامية ودراساته التي بعث بها جوانب من التراث العربي الإسلامي بعثاً عقلياً وعصرياً ومستنيراً ، أشار إلى أن الهدى من وراء ذلك إنما هو استخدام الأداة المثلى التي يستطيع الفكر من خلالها إدخال ثقافة العصر إلى عقول الجماهير . وقيادة هذه الجماهير إلى العالم الفكري للقرن العشرين . فكتب يقول : « أنني حاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية وحياته الروحية ... لكنني أدركت ... أنني أضاع البذور في غير منبتة ... فرايت أن تاريخنا الإسلامي هو وحده النذر الذي ينبت ويثمر . ففيه حياة تحرك النفوس ... » .. ولذلك فإن الدكتور

والمؤمنين بوحدة العرب ووحدة الجنس البشري على المتعصبين المتخلفين. ومحمد بهذا ليس في حاجة الى خارقة تعينه في اقتناع الناس بما يقول ، لانه بما يقول انما يستجيب لامال الناس واحلامهم» [ص ١٢٢] . . وليست هذه هي كل اضافات الشرقاوى الى مدرسة جيل الرواد في ميدان السيرة النبوية. فهناك تصويره للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمجتمعى «مكة» و« المدينة » (يثرب) ، وهو التصوير الذى يفسر لماذا كانت الهجرة مفتاحا للنصر (ص ١٢٧ ، ١٢٤) . . بل ويحول هذه الهجرة الى عمل عبقرى في السياسة والنضال ، بعد ان ظل الناس يفهمونها ، ولا يزالون ، كرحلة اضطرارية تقرب من عمليات الفرار !

وبعد . . فان الفصول الخمسة التى عقدها حجازى في كتابه [محمد وهؤلاء] . . وكذلك المقدمة المستفيضة التى قدم بها لهذه الفصول قد قاربت الوفاء بحق المهمة الكبرى التى اشار اليها عندما قال : اننى اكتب عن «سيرة الفكر العربى المعاصر في مصر من خلال تعرضه لسيرة النبى » . . اذ بالاضافة الى الموقف الفكرى الصائب تماما الذى وقفه المؤلف من القضايا التى عرض لها د. هيكل ، ود. طه حسين ، والعقاد ، والحكيم ، والشرقاوى . . يتجلى لنا حجازى عن ناقد ادبى ، وهى صفة تضاف الى ما اشتهر به كشاعر بين الناس .

والتي ظهرت في قوله وعمله كمسما انطبعت في صورته المادية « (ص ٧٩) . . والاستاذ حجازى ينقد موقف العقاد هذا ، ويرفض مذهبه الذى « يقدم شخصية الرسول مقطوعة الصلة بالزمان والمكان » [ص ٩٥] ويرى « ان العصر . . أى عصر ، لا يمكن تبسيطه في كلمة او كلمات . فلا يوجد عصر خلا من الشيء ونقيضه » [ص ٩١] وينحاز الى الذين يرون ان الاسلام قد سبقته وعاصرته محاولات ايجابية للإصلاح المادى والروحى وانه كان « العقييدة المثلى التى استوعبت هذه الاتجاهات الجديدة الناشئة وخلقتها خلقا جديدا . . وكان محمد هو البطل الفذ الذى استوعب العصر ، وحقق احلامه » [ص ٩٣] .

اما كتاب الشرقاوى [محمد رسول الحرية] فان الاستاذ حجازى يرى فيه . بحق « اول معالجة عربية للسيرة من وجهة نظر اشتراكية » (ص ١١٩) . . وان لم يمنعه ذلك من الاستفادة الكبيرة من جهود الرواد الذين سبقوه الى هذا الميدان ، على الرغم من تميزه الفكرى والمنهجى عن هؤلاء الرواد . . فلقد وقف ، مثل هيكل ، مع العقل ضد القصص والخرافات ، واستفاد كثيرا من جهود طه حسين ، وكان التطور الاشتراكى لموقف الدكتور العميد الذى قرر العلاقة الوثيقة بين انتصار الاسلام وقيادة رسوله للفقراء في الثورة « على الاغنياء ، والعبيد على السادة ، والمثقفين على الحمقى والجهلاء ،

والمثقفين ضد الجهل والجهلاء » [ص ٦٨] ونفسى موقف « الاديب » ، هذا الذى وقفه د. طه حسين من الخوارق كان موقف « الفنان » الذى وقفه توفيق الحكيم في مسرحيته عن [محمد] . . فهو يتناول سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فيعالجها معالجة الفنان المؤمن السدى يقبل كل ما فيها مما يقبله العقل او يعده من الخوارق على السواء . وكل مسادة في النهاية صالحة لتكون موضوعا الفن [ص ١٠١] . . فهو هنا فنان يحتضن حتى الخرافات ، لانه يكتب فنا صادرا من القلب ، وهى منطقة متميزة عن العقل ومغايرة لثمراته في العلم والتفكير . فالمعرفة الدينية ، كالجمال الفنى ، مكانهما القلب عند « الحكيم » وهى « معرفة حدسية تعصف بالقلب مرة واحدة » فهى ليست وليدة تأمل فكرى او خلاصة نظر عقلى ، وانما هى قبل كل ذلك يقين يتجلى للقلب كلما يتجلى الجمال (ص ٩٩) .

اما العقاد فلقد كانت ترجمته لحياة الرسول في [عبقرية محمد] نموذجا لمذهبه في البطولة والابطال ، فليست الخوارق والمعجزات هى التى ترجح كفته على كفة سواه من البشر ، ولا استجابة تعاليه للعقل ومنطقه وثمراته ، ولا تعبيره عن عصره ومجتمعه . بل ان بطولته كامنة في تحديه لعصره ومجتمعه ، ومتجلية في « ملكاته النفسية » وطبيعته التى فطر عليها .

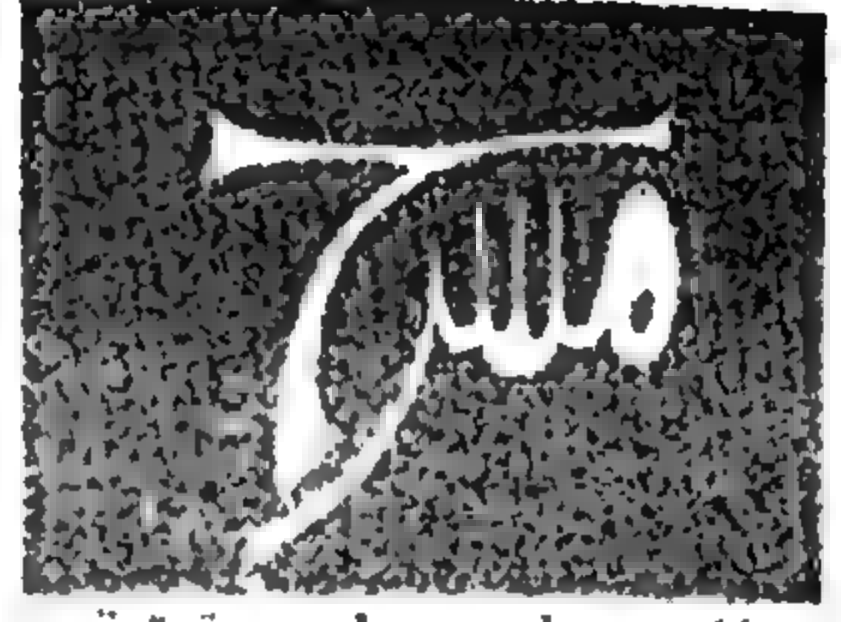
في العدد القادم

قامت الدكتورة لطيفة الزيات وغالى شكرى من هيئة تحرير « الملحق الادبى » الطليعة بحضور المؤتمر الثامن للادباء العرب الذى عقد في دمشق خلال الفترة من ١١ الى ١٥ الشهر الماضى . ولضيق الوقت ، وأهمية الموضوع ، فان « الملحق » سيقدم في العدد القادم تقييما شاملا للمؤتمر ، مع دراسة للمؤتمرات السابقة والصيغة التى يمكن توفيرها للمؤتمرات القادمة .

كذلك سينشر الملحق « رسالة من الموصل » حول مهرجان « أبى تمام » الذى أقامته وزارة الاعلام العراقية وحضره صبرى حافظ .

« بعض الأشياء »

تتحقق بالفعل



المسرح شعر وليس ترثرة . شعر بمعنى : لغة خاصة ، مختصرة تعبر عن رؤية شاملة . المقصود هو : روح الشعر ، وليس ذلك الكلام المنغم الذي ينتشر في بعض من مسرحياتنا [الشعرية] والذي لا علاقة له بالشعر أو بالمسرح . لغة المسرح لا يمكن ان تنطبق مع اللغة اليومية . لغة تحاول باستمرار ان تضع يدها على [الجوهري] عندئذ نكون على طريق الوضوح والفهم والمعرفة والتأثير . وعلى المسرح ان يحاول القفز فوق حواجز اللغة العادية ، حتى يكشف لنا ذلك الطريق . وفي الحقيقة ، احسست مفارقة غريبة عند مشاهدة مسرحية [نور الظلام] للدكتور رشاد رشدي ، فعند مشاهدة العرض احسست ان الحوار حوار عادي يكتظ بالثرثرة ، وعندما قرأت النص كان الانطباع مختلفا - وجدت فيه الكثير من اللغة المسرحية الحقيقية التي كان بإمكانها ان ادبت بفهم وحساسية اكثر ، ان تصل بسهولة وعمق . اين ضاع الشعر ؟ اقلب الظن ان الشعر قد ضاع على يد المخرج .

والمرحبة تعرض خطوطا متعددة ، متوازية ومتقاطعة ومتداخلة لمجموعة من الافراد يعيشون في حالة اجهاض دائمة - تلك الخطوط التي رسمت بعناية ودقة ، ونقلت بنفس العناية والرشاقة ، كانت تكرارا لفكرة او أزمة يعيشها الجميع - فكرة [استحالة الحب] واستحالة التواصل واللقاء . ذلك التكرار الذي منع الكاتب من الخروج للفكرة الصامدة التي اختارها كإطار للعمل الفني ، وكسبب مباشر وغير مباشر لذلك اجهاض المستمر للحلم البشري ؟ كما منعه من الدخول في صميم ذلك الخطا الجوهري ، الذي رأينا انعكاسه على تلك الارواح النائمة ، لكننا لم نتعرف على ذلك الخطا نفسه . تكلم الكاتب كثيرا عن الحب ، وأكد لنا استحالاته ، ورأينا الاحلام المحبطة ، والانسان الذي يعجز ان يعيش الواقع ، ليعيش في مستوى آخر من واقع كاذب وهمي خلقه لنفسه ، او في مستوى اللاواقع ، الذي سرعان ما يتهشم . ورغم كل محاولات الانسان التي يحاول فرضها على الواقع ، فان الواقع يجبره على الرضوخ لمقاييسه العادية الرديئة ، والاستمرار في الكذب والخداع حتى النهاية .

قلعوا الاشجار والورود . قطعوا شجرة الصفصاف التي كانت تظل حينا ، انقطع صوت السكروان الذي كان يملأ حياتنا بالنغم . ردموا الحديقة ، واقاموا مكانها حائطاً حجرياً عالياً لا معنى له . . . الفندق الجديد حجراته مريجة ومودرن ، لكنها مهجورة ولا لزوم لها . الجديد يحجب الشمس : الضوء ، الرؤية والمعرفة والفهم والقيم يحجب النيل : الخصوبة والحركة .

الصراع بين الجديد والقديم ، والخطا الذي ارتكب .

مرة أخرى : ما هو ذلك الخطا ؟ وما هي طبيعته ؟ واين نقف نحن ؟ واين يقف الكاتب ؟ اسئلة لا اقول لم نجد اجابتها ، ولكني اقول اسئلة لم تطرح اصلا . وهنا يتحدد الخلل الفني في ذلك الانفصال القائم بين الاطار العام ومحاولة تحميله دلالات سياسية غير



يوسف وهبي في مشهد من مسرحية « نور الظلام » .

لكن ماهو دور الانسان ؟ محاولة فهم الطبيعة الخارجية والطبيعة البشرية المعقدة ، حتى يمكننا ان نفهم معنى حياتنا . هذه هي المشكلة وليست [لاني يتحقق] فبعض الأشياء تتحقق بالفعل ، وبالفعل تتحقق .

د . يسرى خميس

لم تنبت ، كما حلم بها الانسان ان يصنعها بيديه ، لكنها نبتت من تلقاء نفسها ، صدفة عرضية ، التخيل والورود ، سافرة بكل محاولات الانسان وحلمه ، ملقية بها في وعاء ذلك التلخيص الفلسفي الغريب ان [لاشيء يتحقق] . الواقع رديء - حسنا . احتياجنا للحلم باستمرار ضرورة . محاولة السيطرة على الطبيعة

السبع والستون قصة

عبد الحكيم قاسم

■ عبد الحكيم قاسم أحد كتاب القصة الطويلة والقصيرة الذين تميزت أعمالهم بطابع خاص بين إنتاج الجيل الأدبي الجديد في مصر . روايته الأولى «أيام الإنسان السبعة» لفتت أنظار النقاد من مختلف الاتجاهات لما تقدمه من رؤية جديدة لواقع الريف المصري جمع قصصه القصيرة في كتاب عنوانه «الاشواق والأسى» تحت الطبع . ■

المحراث، وهو يجلس قبالة يفاصل جسماته الراسخة كمجذوب منسحق أزاء بهاء قبة السلطان .

رحمه الله، يوم مات طار الفزع في قلوب العيال والانفار والنساء، كما نظير النار في الحطب القصيم، وجثمان الشيخ مسجى في الغرفة المعتملة البعيدة، والعصا ملقاة مغبرة بتراب الأرض في ناحية من نواحي الدار، التقطها، مسح عفتها الناعمة، أخذها لنفسه .

لم يذرف في الجنازة دموع، كان قلبه مزدهم بهزيم النعال مضطرب غريب وهو يرى النعش الهائل ينقل أعناق الرجال، يتبادلون حملة منفلتين من تحته سراعا، والقرية كلها خلفه، النعال في الأيدي وذبول الجلابيب تحت الإسباط، الناس ذاهلون مضطربون حول النعش الذي يخر الجمع مترجعا ثقيلًا .

وهيما أدخل القبر قلز قلبه يستقبله وفي الجوف المعتم الرطب الطنان سجاه تحسس الجثمان الذي مازال طريا، حل منه الأريطة وفك الحياكة، تطلق الكيان الجسم مفرشًا الثرى في جلال تهدج صوته بالقراءة كأنه بين يدي الشيخ في ليلة من ليالي الحضرة، تقدم منه - تهوى من قلبه الدموع - ركز كفيه في الثرى على جانبي الرأس، هناك الكفن من الوجه، مغصص العينين مطبق الشفتين اكتسبت ملامحه صلابة جرانيتية لا تقهر، نهض وثيدا، مثقل الروح والقلب بيقين راسخ، عليه أن يخرج من هذا القبر يعنقل العصا ويمشي في الأرض تلك الخطى الثقيل، فما يجعل الثرى يتطامن في مواطن أقدام العلوج سوى خطو الرجال ذوي المزايم .

وها هو ينفذ العمامة ويشتمل عبادة الكشمير ويعنقل العصا ويندفع في منامة الليل الرصاصية، يتوثق العزم في حدة ظهره وعضلات بطنه، وثقل القوة

أواخر التساييح في أفواه الرجال الأيبين يخبون في الجلابيب، يقرئون السلام عجلائين مخافتين، يعرف اشخاصهم من هياكلهم الحالكة المرسومة على القامة، لكنهم يغيبون في الحارة المكبوسة بالليل .

قلبه ساكن سكون الماء في قنطرة صغيرة، يحمل على صفحته لسان نجيمات مخافته بعيدة، متوجس كأنما نمة جندب يخفر مثواه في طين الشط، فالمبيدات الحشرية قتلت الطيور، وأعشاش مالك الحزين على فروع الجميزة القديمة باردة مهجورة، وبين السماء والأرض تعلق كآبة ساهمة، وحول كومة الدور ينرسل امتداد الحقول اللباسع صامتا كقاع الجب، والرطوبة تتسلل إلى جذور العبدان القديمة تهلكها، ومن المثلوى الطينية تهجم جحافل الدود، تدفع أمامها رؤوسا سوداء قارضة مبيدة .

الأفق الغربي ينوء بأحتمال الفيوم الداكنة الجبهة، لكن نجيمات طفلة تفلت تنتثر على صفحة السماء، ينملى البريق الخافت، وعلى الجانبين تستضيء واجهات البيوت، وتبين رسوم الأبواب والكوى، اشراق ليلى أسيان تزعم القلب . مشى ومن العصا المعدنى يضرب قلب المسكة في وقع متحسس وثيد .

هذه العصا .. منذ متى يضرب سننها في الأرض موقعا علاماته الميفاتية على مسرب الزمن المتطاوول، كم توغل البداية بعيدا في غبش التسيان، لكنه - بهذا القلب المتقل - يرى الشيخ، حديثه متدفعة في عتامة المغرب، وهو يتبعه هزيل الجرم - في لحظة حذرة متشوقة ذليلة، يسيرون نحو المسجد، وشيئش الجلابيب ووقع الأقدام يحيط بنقرات عصا الشيخ الموجزة الحاتمة .

رحم الله الشيخ رحمة واسعة، كان شيخه وأباه ومولاه، كان بقرا البردة في ليالى الحضرة بصوت يشق القلوب كسلاح

● الليل

.. والمصباح على الدكة الواطئة الممتدة لسان أصفر مضى تنعكس هبالاته على الزجاج الشفيفة الغبشة، وعلى خزان الكيروسين الضمى الأبيض، والمرتلون يقدمون عبادة اليمه تحت أقدام الليل الهابط، ليل هاتور الجارد المعارى للجوم .

في امان هم داخل جدران المسجد الغليظة، لكن القلوب تدرك لذعة الريح السارية في غلائل الظلمة، وتسبح الوثنيش الكامن في هامات الشجر وحطب مرالش الدور، والعيون تطرف ناحية اجتياح العتامة الباردة تحت السقف العالي، يكبسون الطواقى الصوفية في الرؤوس الحليقة، ويحكون الملافح حول الوجوه الزيتونية المهولة الملامح بالظلال ويلفون الأقدام بفصول الجلابيب، ويتضامون حتى تتراكب السيقات المطوية ويقربون من العيون نسخ برودة الإباصير، لكن ذبالة المصباح تهوى، والعتامة الباردة تهبط آتية من السقف العالي، تتحشرج الأصوات منكسرة حتى تنتهي إلى بحات قلوب متزاحمة، يتصافحون في همس موجز، تمتد الأيدي تبحث عن النعال مترددة .

وهارت قدمه عبياء تبحث عن المدام، حتى إذا اصطدمت به تنسللت تطبا مستقرة، ذائقة لذعة البرد الكامن في النعل، يستند على عصاه ناظلا قدمه الأخرى من على حصيرا المسجد عابرا العتبة العالية، ميناه تصعدان وجلتين على جدار العتمة، وقديما تزحفان تتحتسسان أرض الطريق وعصاه تهمس في الأرض همسا معدنيا خافقا، يحتضن عفتها في كفه احتضانا قويا .

فالليل حل، لم الحياة والدفع والضوء هبسا في القيمان، باحات السدور والفرف المصينة الحيطان، وانبهمت



محم دحي

أوائل الماء تيرق عيونته في شقوق الأرض
الشرقة ، اشتعل عبايته ، لفها على
جسده ، ادخل يده في جيب جلبابه ،
باردة تتلمس الدفء في طيات الثياب
التحتية ، تنفرش على سفونة لحم بطنه
تنصب العضلات متصلة في قشعريرة
يلقى بنفسه متحمسا في عتامة الليل
الصموت .

ما كان الشيخ بالرجل الذي يزني بنساء
الخدمة في نواحي السدار ، كان يكبح
رغائيه كما يكبح الرجل الشديد سطوة
الثور العارم ، كانت جهامته هبسا شاربلا
على شهوس فحولته . لكن جسد الام
الشامخ كان يتطامن ذليلا بين يديه ،
تتعلق نظراتها به مفرجة الشفنين مفرجة
الساقين ، يتمزق ثوبها الوحيد عن كنوز
لحمها المباحة العريانه ، يزار بها الشيخ
كظيما ثم ينطلق خارجا .

وبقي المرأة قعيدة ركن قمى ثثن على

داعرا ، ظل يولد نساءه الأربع الى أن
مات ، ملا الدار الكبيرة بالعيال ، يجوس
فيها يسلط على لحوم النساء - زوجانه
أو نساء الخدمة - نظرات كسولاطير
الجزارة ، ثم يزار فيوزع المربع على
القلوب وينطلق خارجا .

وكانت أمه واحدة من نساء الخدمة ،
امرأة شامخة لحمة بيضاء ، اترى ركبها
الشيخ ذات ساعة ساخنة في كبد الليل
أو في صميم الظهيرة ، اتراه سحق
لحمها الوثير الأبيض بثقل جسده العضلي
العارم في عتامة قاع من قيعان الدار
هل كان أن ابعث الشيخ أمه الضريع
القوى الملول بيمينه الهائلة ونس في
رحم الام نقطة تخلقت هذا الكيان
الجسيم ذي الحذبة العضلية واليدبن
المقردتين الباطنتين .

ما أغرب ليل هاتور ، حينما تندفع
النساء الباردة في علائل الظلمة اندفاع

مساعديه وترسخ في مساقيه ، والسسكة
تسرب بين صفين من واجهات الدور ،
واجهات رمادية منصرفة صامنة .

الافق الشرقي زحام من النجوم ، نجوم
متلاثلة فرحة كعيال العيد ، تولد في القلب
البغنة الخافقة ، تطير الاشواق خيوط
عنكبوت مثلثة ، يستيقظ التوق الراجف
في نويات الخلايا ، وعلى البعد قطة تمرد
شوقا ، أو كلب يعوى وحده على سطح
دار ، امرأة تنادي نداء مبحوها مستطيلا
على جديها الابق .

لكن الوضوء يحصره بثقل على عرائس
جنينية في رحم اشتهاه تريد أن تتخلق
تطلق اجنتها وتخلق ، مال يبول عند
أسفل الجدار ، واذا يتعري تسفع وركبه
نسمة باردة ، وكركرة سيال البول في
التراب توقظ في جنبه وثوشة داعرة
مسرورة .

رحم الله الشيخ ، كان تيسا فحسلا

الشيخ أعضاؤها (6) قائلا ما تسلسل إليها
الاب في هداة الليل يسيل لعاب شهوته
على صدره ، أسلمت له لحما ساخنا
بلهب العذاب يزفر آهات حرى شوقا
للشيخ .

زنى الشيخ بالأم أن شوقا وإن مخالطة
عرقانة ، أسلمت المرأة رحمها للشيخ
أن تمنانا وأن انسحاقا تحت سخونة
لافتحة مجتاحة ، وفي الحالين تخلقت
نطفته من زنى نجس حرام ، وما هو
يتخذ العمامة ويشتمل العباءة ويعتقل
العصا ويخطو على الأرض تلك الخطا
النقال ، لكنه في نهاية الأمر فقيه القرية
الدائر بالقرآن على باحات الدور في
الأصابع ، هو في نهاية الأمر مؤذن
الجامع وحارس دورة المياه .

هذا الليل يحنى الهامة وينقل على
القلب كسجن ذى طيقان عالية بعيدة ،
والنجوم مرتجفة كميون العيال المرعوبين
كان أبوه يجرجه إلى احتفالات القراءة
الذليلة في المآتم وليالى التذوّر ، وجمع
الفقهاء العميان محبوبون في الفسوف
المفروشة بالحصير ، يمسحون على رأسه
بباركونه بأيد عرقانة ، يدسون في روحه
خنوما ، ثم يفرقون ، يطنون بالقرآن
كالذبابير الحمراء المسمومة ، يتلفنون توقعا
وتوجسا ، تسيل رغباتهم الصفراء على
صدرهم ، إلى أن يأتي صاحب الليلة يودع
في أيديهم القروش ، وإلى أن تأتي
صوائى الطعام ، يقبلون عليها أقبال
الكلاب الضالة على الجيفة المطروحة .

كان عليه أن يفر يلحق بالشيخ في
حقه الممدد تحت الشمس يقر بطنه بسلاح
المحراث وبسوط بالصراخ ثورية المعلمين
لكن ذلك مقدور ، قدرا نجسا خالط نطفته
ابتداء من ساعة زنى أسلمت فيها الأم
رحمها للاب القمى في حلال ذليل رغبم
أو أسلمت رحمها للشيخ في حرام وحشى
ملعون .

قدر كفه جثث الموتى يغمضها ويغسل
منها نجاستها ، كفه دورة مياه المسجد
ينظفها من روث قطيع البشريين الصفير
المعمودين ، قدر دار به حطه تحت شواهد
القبور يقرأ القرآن بثمن قليل كهكات أو
حفاة تمر ، زوجه بذلك المرأة - بنت
رفيق أبيه الفقيه الأعمى - امرأة شاحبة
هلوع زائفة العينين مخرقة ، مضبقة الحوض
بعيدة المآنى بلا رحم كالنحلة الشغالة .
لكنه أبدا ما خاف ، ما قبع ذليلا تحت
أقدام الحيطان ، ماضغ للكلمات الجوفاء
الحكيمة ما شبع من لحم المآتم ككلب الجيف
ما مشى حول القرية متضعضا كسيرا
في ثوب الفقهاء الطاهر الناصح بالعرق
الدسم عند الاكتاف ، لطخ بروت الدنيا
ثوبه وروحه ، حفر الأرض باظافره ،
حصد بيده وأسنانه ، حاش عن معاشه
بمخالبه كالحدادة ، ملا مخازنه بالفلل
وطيقان الدار بالمقروش ، ختم عليها بالطين
وبات إلى جوارها قميصا .

أصبحت له عباءة وصدار وحذاء ،
وحينما ورثه أبوه دارا في حارة الفقراء
هدمها وأعاد بناءها ، رفع عتبة من

غورها ، وتبع باحثها وقرقها ، قصوع
جوانبها ، عمرها بجاموسة وطفل وشياه
ودجاج .

فقد تزوج امرأة سوداء شامخة لحية
هائلة الانف والقم ، جسيمة الفخذين ،
يمخر عباها في الليل مبهورا بنخيرها
العارم الكظيم ، ابنة عبد هى ، ربما كان
ان ملك في تلك البلاد السوداء البعيدة
وإذا كانت روحه قد تمزقت بسوط
النحاس وورثت المرأة هذا التمزق الأليم
فانه هو يعانى تشوه جرثومته بفعل
نجس قديم .

وله حقل ممدد في الشمس يقر بطنه
بسلاح المحراث زائرا يسوط بهيمته ،
بالصراخ ، اسمه الشيخ أحمد ،
اسم جهم المحتوى ، مكتوم الرنين ،
شائق بدار وحقل وجاموسة فحلة ، مكتوب
على بطاقة الحيازة ، مرصود في دفاتر
الصراف .

وهو يرثل الآيات في الليل ، فسان
خضبها ليزخر بقوة يعلو هزيمها على
شموس قلبه الأبق القديم ، وهو يصرخ
في عيال الكتاب بالقرآن ، تملأه خدودهم
الفضة الملبوحة بالعصا احساسا داما
بابوة متعالية ذفينة .

وهو يدور بالنالوة على بيوت حارة
الفقراء ، وان قوة القراءة لتأتيه بالنساء
خوانع ذليلات ، تأتيه بعسل ، طفلة
الوجه والقلب والعيون .

- ورنى يا بت
وكشفت عن صدرها ، انزاحت خشونة
القماط عن خدود الانداء الطفلية ، ثديان
أدمجان ، حلمتان دقيقتان يدور حولهما
الأعراء والزغب ، أمسكهما الشيخ أحمد
بلء كفه طراوة ونعومة ، وملء قلبه
حنانا .

- بت ... انت حيلى .

- يا فضيحتى

- هوا مين

-

- فين

- فى الفيط

- يا هبله

وبكت عسل ، بكت وبكت ، أخذها
في حضنه ، ضمها إليه ، صارت له ،
تسأله وتنصت له مرتجفة وهو يقول .
وما هو يدب في العنامة مكينا وثيقا
له هذا الليل ، الليل حقله المسروى ،
زريته العامرة بانفاس البهائم الساخنة .
مال على الشباك المضيء المقسم بأعمدة
الحديد في صدر الحائط الرمادى المعتم
تشبث بالحديد البارد الصدى ، أطل
على الغرفة الخالية المدهوكة الحيطان
بالطين ، المضواة بشعاع اصفر كاب
ومن أسفل عتبة الشباك انبعث رأس
سليمان ، ومن وراء قضبان الحديد
أطل ، تنظر ملامحه الرمادية بكاء
أخرسا ذليلا ، وجه أحرقته السنون
والتكل ، صوحته كأنما هو شاهد طينى
منصوب على جثث قديم .

تناول سليمان القرشي ، أسقطه في

العلبة ، مذ يده الرقيقة المرتعشة
بالسيجارة ، تناولها الشيخ أحمد ،
وأراد سليمان أن يعود إلى رقوقه على
الدكة أسفل الشباك ، لكن عينا الشيخ
أحمد الشاتهتين بالعمى والمرضى - ظلنا
عليه ، بادله سليمان نظرات تعبى ،
متكسرة الجفن ، تثقل هامته على رقبة
التحيلة الواهنة ، وتهوى مع رتابه انفاس
قلبه .

أغمض الشيخ أحمد عينيه على هممة
تترسل في صدره ، تهجى مترتلة بكائية
الكلى ، تشبث بالحديد أن يتداعى ، أن
يبقى عند أسفل الشباك متضعضا ذليلا ،
محدودا منكشرا على نفسه ، جلسته
القديمة يرثل القرآن تحت شواهد القبور
لسكنه تماسك ، وبصوته المشروخ
بهواء الليلة الباردة طلب كبريتا ، أشعل
له سليمان سيجارته ومضى توارى إلى رقاده
المظلم ، ومضى الشيخ أحمد ، تسلسل
صكات العصا على الأرض متعثرة ،
يتتابع جذب الانفاس وزفر الدخان في
تهذبات كسيرة .

الخطى تلقى بالسارى في الخسافة
المتدة ، والليل مقبرة راكدة الصمت
والظلال ، ووقع الخطى يعصر القلب
بالقهر ، يحل وثاق الاطمئنان ، ينهار
العزم انهيار كومة الرمل الناعم ، ورث
سليمان من أبيه حقل وبهيمه ودار ،
وولدت له امرأته عيالا ، لكنه أبدا
مارقد على عشه ليدفنه ، أبدا ماسمدا
جذور عيادته الفضة ، ماأحاطها بقلبه
ليذود عنها الرياح ، كان دائما حزوا
منصرفا شاردا متفكرا نظيف الثوب
واليدى ، والحيوان الطفلة تموت في
حقله السبخ وداره الصامتة التى تهرق
من منافذها الاهواء .

مات سليمان من يوم أن شب ، من
يوم أن عزف عن الحياة ، من يوم أن
أعرض عن توسيع يديه وقلبه بروت
الدنيا ، كيف يبقى في هذه الدار الصامتة
الرطبة الطنانة كشاهد طينى مقبض ،
كيف تبقى عيانه مقروستان في القلب .
لم لايموت الرجال كما تموت الثيران
منحورين بسكاكين الجزارة ، يصارعون
حتى تتفجر الرقاب بالدم القانى ، لم
لايندرس الرجال كما تدرس الثيران ،
اليس نظاما فاسدا أن تنام شواهدالطين
على الأجداث وتبقى مظلة في الليل كميون
مكبوسة بالعمى ، وأن يحف هزيم قرى
الاحياء بصمت القبور الباردة الرمادية ،
تكبس على القلوب والأرواح ، على لفظ
الناس وسخونة تخالطهم وتزاحمهم
بالرغائب والشهوات .

لكن الناس يعيشون ، يخبون
بالجلايب وحفيف الاقدام في البهمة ،
راجعون في الليل كسباع الطير ،
مسارعين ، يقرئون السلام مخافتين ،
يسرى الهمس خلف غلائل العتمة يصبص
كلهظ السارقين ، كومض عيون القطاط
الخطافة ، وسوسة يفرها قلبه ،
تومض في عينيه جسارة تستانس الظلمة ،

يتوق في كيانه حولاً لم يتكسر تحت وطأة الأيام المجيدة .

يتسمع فيدرك قلبه مفاداً طفلياً بعيداً ، كأنها غيابة البهمة وجار كلبة سوداء والدّة تعبق بأنفاس الحياة الجديدة ، أنه مخاض بهيمة ، أنه عجل جنين ينقلب في رحم الأم يجهد ليخرج ، يسمى بخطمه الاسود المذلول على ريج ليل هاتور الدسم الرطيب .

ياليل هاتور الجهم الملامح كوجه الرجل الحكيم ، العامر بالثراء كقلب الرجل الحكيم ، الطرى كندى الرضع ، الحافل كندى الرضع ، ياليل اغذى على الاوائل الشنوية ، فحمل كورك البرسيم ، نسم كورك البرسيم ، مخلوط النسائم برائحة دم الولادة .

ياليل نائم تحت بطون الجواميس الحبالى ، راضع في اخلاف الجواميس الوالدة ، مباركة رؤوس العجول العمياء الباحثة عن فتحة الرحم لتخرج ، مباركة الاخلاق الثرة ، مباركة رائحة مسوائل الولادة ، وعبق الطيب ، ولزوجة السناج وجشاد الشبمي .

مباركة الدار العالية الحيطان وسط الدور القبيئة ، مباركة الكوى المدخنة واعلى الباب السود ، مبارك الدخان المتفصد من الفجاج واخلل الجدران وحزم الحطب على السطوح .

ارقد ياليل على الدار والقلب كدجاجة ام مقرقرة فواحة بالنتن ، ضم في حضنك الناعم الزغب الناعم بقلوب صاحبة ، المرأة الفارقة في الفرق ، الالء الناشع من حلماتها اللبن ، احلام البيع والشراء والشبع .

دفع باب داره انفتح ، امتلا قلبه بالباحة الدافئة الضيئة ، باخللاط الروائح والاصوات البغمة من البناني والافسان والزربية والغزى التي آوى اليها الميال ، ابتهج ابتهاجاً غصوباً ، رشح في مكانه راكزا عصاه متلفاً حوالبه ، اقبلت عليه امراته القديمة تظلع ، تهرفتولول ، لكزها في صدرها شامتها ، انقلبت تجري متخبطة الى الغرفة الداخلية ، صفقت الباب الثقيل وراها ، التحرس صخبها الايبين . زفر مرتاحاً ، القى بالعصا والعمادة والعمامة والجلباب على وتدا الحائط ، توقرت طاقانته تشمما ، يدفعه خيشومه المرهف ناحية الزربية ، مشى اليها حافيا حارى الراس في سرواله وصدره ، تفعم الرائحة رثيه ، يحدق في تهاويل الظلام وشحوب الضوء حتى يبين له هيسكل الجاموسة ، والمرأة السوداء تحمل على رأسها اللبنة ذات الشعلة ، تراجع الى الوراء قليلاً ، مشيت المرأة مفسحة له ، تهرت اللبنة على رأسها فتخالط الظلال ومناطق الضوء .

بطن البهيمه تنلى ، والضرع مزدهم ، تكاد الاخلاق المنتصبه المحمرة أن يتفجر منها اللبن ، والجاموسة تساعد بين خلفيتها ، وقف أزاءها يتأملها محدودباً كعباد البهائم القدامى ، والمرأة السوداء في مكانها جهمة لا تريم .



اغمض عينيه ، توثك أن تتحدر على وجهه دموع فرحة طفلية ، فغد او بعد غد تلد الجاموسة ويرتجف قلب الدار على نعار العجل الوليد ، يتدفق سيل اللبن وتتمرغ الابدى في الدسامة .

فتح عينيه ضاحكاً ضحكة وانية قريرة ، فان ملامح المرأة السوداء ضخمة غير متناسقة كأنها قطع من الطين المقيت على عجل ودونما اعتناء ، غير أن لمعة عرينها وومض عيونها معبأ بآنية عنيدة . مشيت امامه ، ترتدى قميصاً وحيداً بيدى تلاطم لحبها ، تبعها يفرس نظراته في عجزتها ، هند باب الزربية مالت عن طريقه ليسبقها ، اذا حاذها قبض على ثنيات لحم بطنها ، أنشبت فيسه أصابعه ، نحت يده بقوة مثنية فحلة ، قد تدلت شفتها السفلى وتحول سواد عينها مسفراً عن لمعة بيضاءهما في الضوء الخابى ، مشيت وعرامة تكوينها مفضوحة تحت قميصها الخفيف .

تبعها يحدق فيها بعينين محمرتين ورأسه نازلة عما بين كفيه كالسكلب ، تحس سخونته وراها لكتها لانبالى به ، تدور في الدار ، ترفع الاواني والمكائن والحبال من بعثرتها ، تعيدها الى أماكنها المعلومة ، قتل على الارانب في الاخوان ، تملا مساقيا وتزيد علفها ، تعد الدجاج في الصوامع .

زفر مغليظاً محنقاً ، ثم قفز على ظهرها حزم ساعديه حول بطنها معتصراً لحبها الوثير وقلبه يضرب كالطبل ، لكتها انفلتت من وثاق هجمته مبتعدة ، عاود الهجوم لاهناً ، وهى تنافح شرسه ، طردهما المكتوم وفحيح أنفاسهما المجهور يضطرد في اطار من همس الحمائم وتنهات القراخ في الصوامع وونبات الارانب الصارخة في الاخوان .

والرقصة الليلية الساخنة تزداد سعاراً ، يلاحقها ، تناضل مراوغة ، يدخلان مناطق الظل ، يندفعان الى شرائح النور ، يتلاطمان ، يرتطمان بالحيطان ، تند جنبهما الشبهقات أو الزفرات أو الصرخات المتبثرة .

كلما كبشها زاغت ، أصبح وجهها بشما ، وشعرها هائش منكوش ، القى

متقسة عليها مثنيهاً أصابعه في لحصم جنبها ، ملقياً بها على المصطبة ، بسحق صدرها صدره ، انقض على شفتيها مقمضاً بعض كتلتها بأسنانه ، ربقها بخالط ريقه مخالطة مبلولة .

انقلبت من تحته بساقطة على الارض ، لحق طرفي قميصها ، لواه على قبضته ، جرهما وراعه لاهثة الى الغرفة ، تمشى بلماعة الرأس الى الخلف ، تعمل في ظهره وأكتافه بأصابعها ، عارية حتى خاصرتها ، ساقها أسودان يديقان الارض ، ترتج كتل لحبها في سيرها المقاوم الرغبة .

دفع بها الى داخل الغرفة ، رفس الباب صفعة وراعه ، التفت اليها كالنمر وهي تخرش وجهه وتعضه وتشتبه بهيمتها الوحشية ، حمل ثقل جسمها والقى بها على ظهر القرن ، قفز لحقها ، ركبها كحجر الطاحون يلبس محكها في مجاله ، وجهها يتحرك بمنسة وبسرة وساقها يتبادلان رفس الهسواء وهو فوقها لايفلتها ، حتى بدأت تلين له ، تجاوبه ، تعطيه .

ثم جن جنونها ، لقت مساعديها الجسيمين حوله ، تدفع صدرها الى حضن صدره ، تمرغ وجهها في وجهه ، تقمص تحته ، تعض رقبتيه تحتضنه بساقها ، تضطرم عارية ساخنة غارقة في العرق .

انتابته رعدة . . رجع . . فتح عينيه على وجهها ، حائلة بياض العينين ، ملتوية الشفتين ، متقلصة الملامح بشعة ، أمسكت براحتيها وجهه الذي نبأ عن صدرها ، ضمته اليها بقوة ، مغمبة العينين بوله مجنون ، طاوعها عائداً ، يريج خده على نعومة ثديها ، لحظة حنان لم يجرب عمقها أبداً .

● النهار

. . مقدور أن نقوم ، أن نفتزع من حضن الليل بأيد النهار البرصاء التي تلج كن الغرف من فرج الشبائك ، مقدور أن نقوم ، تدفعنا من أعماقنا مخافة القوت ، نحمل قلوبنا مدفونة في الصدور كضفادع مدفونة في طين الشطوط ، نثق نقيقاً صارعاً أخيراً ، وبعد أن مسوف بعلو وضج النهار وتضيع ضراعة القلوب في الصخب المختلط .

يثقل الهم روحه وجسمه ، متوجس من الصبح توجسه من بهامة الليل ، يحدق في شقوق الشبائك الفضسية ، اشتبهت وضاعة الشروق بكابة الفسق ، وجفت دماء القلب ، أسود كجلدة كيرا الحداد .

يعرف قدومهم مع الليل البارح ، قطع من الظلمة ساخنة الأنفاس ، مثقلة عوانقهم وظهور دوابهم ، ركضهم اللاهث الساخن ناشب في عروق العتمة ، واصل الى كل قلب كأنهم الثقاب المفرداء ، والميل يراكم على ظهورهم وحزم بضائعهم بلولة الطل ، لكن قلوبهم تغمر كصفائح الشاي المسودة في حضن نيران قريبة . وإذا يعلو الضحى تحشد القرية في الباحة أمام المسجد دائخة مخدرة كسيرة .

شاة ضربها ذئب السوق فى أم رأسها بنابه ، فى وجوه الناس نشوة خوف ، وفى ضحكاتهم رجفة ، يحملون أشياءهم بأيديهم ، تفوشهم لعبة الموازين والصراخ والميون .

وفى العصر ، عند أقدام الحيطان ، فى الحسارات وباحات الدور ، تتكسر القامات والظلال ، وتتكرر الكلمات ، فى جرسها غنة أنثى كسيرة ، يحكون عن السوق ، عن البيع والشراء ، سنعلمين لذة الخضوع للافتراس .

لازال الصباح على الرف الطينى يضىء العتمة ، لكنه عجوز منكسر ، وبقايا الظلام معلقة ، من أرجلها فى الأركان القصية ، وبساط النهار يفرش أرض وسط الدار ، تتهدد هوائيه ترخف على الحيطان أكيدة باردة .

يتصنت ، يسمع سبال اللين يشخب فى الشلية ، يسمع همهمة العيال والفراخ والدمائم ، القلوب الملهوفة على الصبح تنقر شرافق الظلام ، بعد أن تاتى المرأة السوداء تطلقهم من الغرفة والاختان ، تطلق نهارها الذى تملكه لنفسها ، تطعمه وترعاه ، تحيط به وتحوش عنه ، وفى المساء تحبسه ، تغلق عليه وتنام .

المرأة القديمة تتهدر نازلة على درجات السلم الطينى ، يداها ملوتتان الى المرفقين ، جهة تكدة تولول وتهرف وتشتتم كل شيء ، ماعاد ينهاها ، أصبح يعرف امتلاء القلب بالذعر ، وكيف تخف رأس البشرى حتى يشابه دجاجة طائشة ، ماعاد ينهاها ، إنما يبقى إليها سمعه وهو قائم يراقب نوبة هياجها حتى تستفرغ طاقتها ، تتهدر دموعها وتتكوم على الأرض يهزها النشيج .

والبنت السكبيرة تدور فى وسط الدار ، تبدر الحبوب للدجاج النهم المتراحم الصخاب ، تأملها ، استراحت عيناه على نساء نديها واستدارة بطنها ، وانسحاب فخذيها فى قميصها الخلق الخفيف ، خطوط جسمها تنسرح فى حزن لين رقيق ، وجهها أسود قبيح ، لكن ملامحها تنطق بذلة تربت على القلب ، كم يحبها ، ابنته المبكر الفضة ، صحتها هامس منعزل فى صخب الدار ، وسط ضجيج الذكور الخارجين من الغرف مطبوس العيون بلطحات المشتم الابيض الشمل عباوته وأستند على عصاه ، لا يريد أن يقوم ، لكن ثمة يوم فى حياة الرجل يخرج فيه من داره راغما ، مدفوعا من دبره كالعجل .

وقف على الباب يتأمل الشمس المفروشة على الأشياء ، ذهبية متهدة كرش معارف الديوك ، دافئة ناعمة الحزن كالزغب فى بطن دجاجة أم ، من ذلك السكن الهدائم الخوافة .

الدفع يخرج المتسولون ، جردان ربما أفع ما فى الصباح متسولو الصباح ، الأغاني الكثيرة ، دفوف المداحين ، المذلة الدامعة فى عيني الحجار ، الشراسة الحقودة فى دعاء

المجذوب ، ينقر الباب ويمشى ، والاستئلة تنزع فى صميم القلب المبسوط كراحة اليد .

يسال عن اسماعيل ، طلاع النخيل القديم ، يدور بالابواب يجمع أرقفصة الصدقات الصباحية ، باب ثم باب ثم باب ، ملق على العكاز ، تيربش عيناه من تحت الأثمال ، هل يمضى ناحية الدار ، هل تنب خطواته تجاهه .

— حسنة لله يا سيادى .

روعت الشيخ خشخشة الصوت المكسور .

— صباح الخير يا سمعين

نكس اسماعيل عينيه ، خففساءان تبحنان تراب الأرض .

— حسنة لله

— أنت مش غريب

— أنا ماش

استطالت رقبة الشيخ أحمد من بين كتفيه مندفعة نحو اسماعيل ، يهتف به هنا حارا .

— ليه . . هو ايه . . هى الدنيا ماتت واسماعيل يتململ فى مكانه ، مذعور العينين ، يخفى ابتسامه جنوبية نحتت شاربته الأغبر الكثيف ، زفر الشيخ يائسا لا شيء يشغل اسماعيل سوى قرص الخبز ، ناوله الرغيف ، اختطفه وانطلق يطلع .

اسماعيل سقط ، طلاع النخيل القديم غدرت به النخلة الحمراء العالية فى الجرن بظاهر البلد ، وكم طلعا خفيفا عارفا يهرق شفتيه عقب سيجارته ويطلو شاربته الكثيف بالصفار .

وعسل طالعة ، تترتق قليلا على المنبة ، مطلية بالشمس الذهبية ، الشال والكحل والابتسام ، عقد باب دارها العالي منقوس حول بهاء وجهها واكتمال كنفها .

— صباح الخير يا شيخ أحمد

— خير يا عسل

والقلب لا يزال ، وفى القلب ما تزال يوم جامته ، رسوم اللحظة على امتداد جسده كالوشم لا يزيله مرور الاوقات .

لكن عسل ما عادت تسال ماذا تفعل تزوجت الوغد ، لوحت فى وجه الناس بالوثيقة ، ثم طلقته وعاشت بنفسها تسرح وتثوب ، تبيع وتشتري ، تعلو حيطان دارها قبالة داره ، تحب التلاميذ تضاحكهم على قارعة السكة ، تشرب سخونة انفاسهم فى ظلمة الأركان ، وهو ها هنا تقرئه السلام فى الصباح والمساء انشجبت كل الاشياء ، انشجعت الحقائق ، وعلى الفروع السارحة فى كل اتجاه يتراكم التراب ، وتعمر ما بيننا كتابة الغربة ، ويغشى صفاء التعارف لكنها الصباحية ، وذلك الحنين اللاهف المتسائل .

— بعت عجلك يا شيخ أحمد

الرجال تهرم ، والكلمات كالرجال تهرم ، يخبو بريقها وتتغصن ، وتصير حاقلة بالمندوب مشحونة بالكراهية .

— مستنى التجار . . وربنا كريم ولو أنصفت له لبكى ، وحلف حتى ترضى ، حتى تعود لعيونها طفولتها وينفك من حول قلبه أسار الرعب .

لكن عسل تضحك بلا سرور ضحكا مريوا ، يوجع ندوب القلب كاظافر القطعة عرف خروج المرأة السوداء من باب الدار خلف ظهره ، استدار لها دونما ارادة ، جمدا متقابلين لجزء من الثانية ثعبانان يترازمان بمقل عارية من الجفون زوجان متعارفان الى الزهد الموات الذى لا تنبض فيه رغبة ، لا يتكلمان منذ أن كف الكلام عن أن يكون اكتشافا ، ونضب من البداهة ومن ورقاق الطلاوة ، يموت مودودا فى القلب وتولد بينهما لغة خرساء صموت كلفة النمل .

الرجال يمرون بسبه محملة ملامحهم بكابة العزم ، ممثلون صمتا ومخافة وذاهبون الى السوق ، والنساء ببصم على السكة أقداما لينات كمخالب القطط ريح السوق الزخمة الترية ، القسوية كدغوف الزار ، تنشب فى أعماق الحارات والدور ، توقظ فى القلوب تحبا قديما ، ترزق فيها صرخات وأجرة لا تسمع .

يتقبل التحيات الصباحية ، ويخائن كارها بالاحابة ، ويعرف اقبال التجار ناهينه ، يهشون انساقهم ضحكا ، ويلوون وجوههم فى الجوانب ، تتجاوز عبونهم قلقة المتصام المكثوم ، طاوين جواندهم على أكياس نفودهم المنتفخة . يروعك الرجل الذى يشيل ثراه كله فى حافظة نفوده ، هى حقله وبهيته ، مبدولة بين يديه كالفخ ، هاضرة مرهفة كالخلب ، تخالس اليقظة والحرص . وهو كالصقر طائر محوم منقض .

— سلام عليكم يا شيخ أحمد

— عليكم السلام

لكنهم لن يسرقوه ، ولن يعرفوا عن مخافة قلبه .

وهكذا استولى لجلسته فاستند ظهره الى حائط وسط داره ، وركز عصباه فى الأرض محتضنا ركبتيه بساعده ، والتجار يفحصون العجل الطفل بغلظة وبلا تحرز ، ثم يعودون بتملقون حول الشيخ تبتسم العيون والشفاه فى فتور وفجأة يمتد واحد منهم ويطن العجوز بكلمة كالخنجر

— أنت هتبيع

تتحذى فرائضة ويحدث فى وجه المتكلم الفاضب غير فاهم شيئا .

— أمال هلعب

يتدخل آخر شارحا دينا هادئا باردا كالسم

— أصل أنت يا شيخ أحمد مرجعانى

.. ومالكش كلمة .

ينحل وثاق جلسته ، يتربع مفترشا الأرض ، والعصا ملقاة أمامه ، هكذا .. يشتمونه بلا مؤاربة ، وتحاصره وجوههم بالجهامة .

— جرى ايه يا جماعة

يضحك أحدهم مادا يده للشيخ ، ودون وعى تمتد يده ، خائف ككليب

مجلد تحاصره العيال

ثمانية جنبه .. بعث

لا

وأصابه تنملص في ارتباك من أسار اليد القابضة ، والرجل يعصر اليأس الهرمة بقسوة ثم يلقي بها زاهدا قرفانا

— الراجل ده مش بيع

ويتربس—آخر في الكلام غاترا حالم يتأمل أصابعه تلف ورقة البفرة حول حبة الدخان .

— ايوه .. حاجته غالية عليه .. مين في الجنة وعين في النار .. والبيعة اللي زي دي مافيهاش رايح .. ويضيف آخر

— ويتأخذ في سكتها

والمجل واقف قبالة الشيخ هشا تعبسا مفرق القوائم ، متدلى الهامة جاحظ العينين ، والبنت تدور من بعيد ترا من أباهما بعينين باكتيتين ، يستطيع أن يطردهم خارجا ، وينادي ابنه الله ، ويقول لها أن تعني بالعجل ، وسوف تفهم وتلزم الحيوان الطفل ، ولا تخرجه من قلبها أبدا ، لكن كابوسا يقهر ارادته بالجمود .

ينودد اليه أحدهم :

— العجل هزلان يا شيخ أحمد .. مرانك ما بتخليش في قومه حنان ابن يقونه

يعرفون عن سطوة امراته في الدار من تسحها على بهائمها ، وهوان حزمه عايبها ، بشمرون الى عورة حياته باصبع هجبة

— مانيش بايع

ويقهقه واحد

— ولا بتسعة

وكاد يبكي حقا وهو يقول

لا

وقاموا يخرجون تنسحب الضجة مع خطوهم ويفرش على أعقابهم الفراغ لكن على العتبة رجع أحدهم وحافظته في يده يقول في حزم صادق رصين

— اسمع .. العشرة آه .. فيها جنبه مش بتاعك .. هيه .. قلت ايه ؟ ويتبعه آخر ممثليء القم بالضحك ممثليء الكيان بالرقص يكلم زميله

— مملش .. بقرا به سورة البقرة على أبوك .

لكن المتكلم لا يبالي بالنكاهة ويصرخ بالشبح أحمد

— بعث .. ؟ قول يا أخى بقى .. ينعل أبو دى بيصه

وينصهر العجوز في لفحة الفضب

— بعث

يأتى إليه الذالك كأنها هو موشك على تمزيقه

— بعث دى كمياله .. ترجع في الكلام لا .. احنا مش عيال

والجنبيات العشرة في يده لا يميز جوابا ، وهم بأخذون العجل ، يدفعونه من دبره خارجين ، وإذا يصمت وسط الدار بعد خروجهم يدرك الشيخ أنه سرق ، سرق بدناة وبلا رحمة

انطلق يجرى على آثارهم : رابعة

من الأصوات تحمله كورقة ، تمصف به عصفا ، تملو في صخبها المختلط الغاضب قهقهات عسل كفرقات سوط ، وقهقهات عيال الكتاب الذين كبروا وأخذوا عسل الى كل الاركان ، قهقهات آتية من شقوق الأرض ، من أبعد أيام العمر ما عاد شيء ، ما كان شيء ، كل الأيام خرائب ينعب فيها اليوم ، يوم على رأسى كل يوم ، كان يجب أن يعرف أنه لا جدوى فيأخذ حبله وسكينه ويسرق : الان يسارك السارقين بصراخ مخلوط بالدم من قلب هرم ، هرم ، لكنه قادر على أن ينشب أظافره في حلقوم رجل ، ويموت وعلى نواجيزه أمشاج من لحم ودم .

وحالما تميزت ملامح تاجر البهائم في عينيه انشعب مخالفه في حلقومه ، تفور في غضاره لحم الرقبة ، والرجس المذمور أهوى على وجهه بصفعة هائلة فجرت برقاً في عينيه ، وصفرت في أنثيه صفيرا حادا مستقبلا كأنها في داخله بئر بلا قرار .

الناس محنقون ، وجوههم صفراء عطل من طلاوة القساوة ، بلبت ملامحها كما تباى دهابة الحيطان ، موصولة بقلوب عذبة ، تدفن الرؤى في أغوارها السحيقة تحت ركام ألف عمام من القهر والمخافة .

لكن الحدث فعل فذ ، نشعب في نويات الخلايا قبل أن يلحقه الإدراك ، ارتعدت الفرائص في غيبة الوعي ، تفجرت الرؤى من أعماق القلوب العذبة دامية شرسة ، عاوية متعاركة ككتاب جيع في ظلمة رائعة أعمت البصائر وأطلقت هبائس الامكانيات الجارحة .. الساقطة .. كبروق الليل الموجزة .

وغير الضحى هذه الكيانات البشرية الهزيلة وجلابيها المنسخة ، أمباء الوجوه الكابية تحت الطواقي المصقوفة ، بصنع لهم ظلالا منكسرة متفرقة ، قياما متباعدين أو قعودا مبعثرين على دك المقهى ، يمشرون بالرجلين بقفا منقابلين على وجه الاول صفعة وعلى رقبة الآخر آثار أصابع خانقة ، ينظرون اليهما ذاهلين ، غير فاهمين شيئا .. انما

— حصل خير .. حصل خير

ويدفع الشيخ بعيسدا ويدعى تاجر البهائم الى الجلوس وتناول الشاي ، الحركة والكلام بتقلها وجوم ، فقد كان حلما باهظا صحوا منه مشلولى الايدي والارادة .

والشيخ يجرى ، يحمل موته على عاتقه مبتعدا ، مرتعدا ككلب مسموم يبحث عن ركن قصي يموت فيه ، يدور بعينيه في الجوانب ، يروعه صخب السوق ، تتساقط على رأسه الصيحات والصرخات ، تلتزمه في جنبه الاندفاعات الفجائية ، وتهم عليه بشاعة الملامح وتشنجات حوار الايدي والأصابع دفع الباب ، الدار صامتة كالقبر ، دخل الغرفة ، كافح بكل طاقته ليصعد

ظهر القرن [٢] تسقطت عمامته وفضاله (٤) كافح بأظافره وأسنانه ، لحقت به ابنته الكبيرة ، أعانته حتى رقد ممددا على الحصير ودائرة فضية من كوة الصائط تسقط على وجهه .

ابنته تطل عليه ، وجهها غائم بلهفة خرساء وهي ترى تقلص ملامحه الاليم تأخذ يده بين يديها ، جامدة باردة كالثلج ، تنفج منادية أباه ، تمرغ وجهها في بسطة راحته الباردة ، تدعكها في دفء لحم رقبتها ، تدفنها في صدرها مغمضة العينين هالعة ، يدور وجهها في الجوانب جثوما على أبيها ، تحضن يده اليها ، تعطئها بكل طاقتها من دفء نديها الطفلين

وراحة اليد متصلة بخفقان قلبها وحزن صدرها ، مبللة بدموعها ، قدفا ، تمثني في عروقها حياة مرتجفة ، ندب الانامل الواهنة ، تحيط الراحة الكبيرة بتكور الثدي

ودائرة الضوء ساقطة على الوجهين المتقاربين ، على يدى البنية مضمومين الى صدرها تحتضنان اليأس الهرمة المدسوسة بين نديها في ضراعة مرتعبة سخونة تلهب وجهها ، تضرم في عروقها نارا لم تعرفها أبدا ، مخافة مضرجة بالمسرة ، تكاد تجحط عيناها في قبضة عماء مفزع .

لكن ملامح الوجه الهرم تسرخى من قبضة النقلص الابيمسة وتسفرج ، ويستضىء الوجه برضى قرر ، نزل دموعها دفيئة ، وتحتضن اليد الابوية من حنان وتحكم ببسطة راحتها على جماع نديها وتستسلم لحركة البكاء .

وفجأة يقسو الوجه ، تتصلب الملامح تتسع حدقتا العين في تركيز باتر غير مبصر ، تعبير لم تره على وجه بشرى أبدا ، تتدفق مخافتها منه آتية من أغوار عروقها ، تحس الالم الموجه لقبضة اليد المتشنجة على ثديها ، تصرخ صرخة فزعة .

من صوت انحطام عذرية البكر الباقي في قلب كل رجل ذكر ، من صراخ البنات بصنع الزهيج الحامى في أضاحى الأسواق الرجفة والترويع والجنون في صدر النهار المترب المنصوبة فيه قسداى الخيطان مجللة الرؤوس بالطب المصوح ، النهار الباهر الشرس الواصل الى أطواء السرائر والهواجس .

والشمس قحبة ، لطخت نفسها بالظلاء وازدهت في ضحى هذا اليوم من أيام هاتور ، أنشبت مخالبها في التماس الدائخين ، الخائفين مخائب الغبار ، المعذبين بالقلق والرغبة في البيع ، تلك الرغبة الانثى المهيضسة المفرقة الساقين في ساحة السوق .. في مرسى اللواط ، والشمس تضحك اذا تتخضب ايدى التجار وصدورهم كما ينخضب الحاصدون بدماء البرسيم . نجست الشمس والأرض ، نجست السكك وذبول الجلابيب ، نجس التراب والقتام ، نجس البيع والشراء .

..والآن...
نفرتيتي
...املأى

عبوتها الذهبية
الجديدة



٢٠ سيجارة
سوبر... املأى
٢٥ قرشا

إنتاج :
شركة النصر للدخان والسجائر

كتشاف الموضوعات لعام ١٩٧١

■ آسيا — عام :

— أنظر :

— قضايا اجتماعية — التطور غير الرأسمالي...
— حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ (يشتمل الجزء
الجزء الثالث منها على مسح للأحداث
السياسية الخارجية . والداخلية لدول آسيا) ١ ٨٠

■ إسرائيل — عام :

— أنظر أيضا :

قضايا فكرية وايدولوجية — الصهيونية...
— (كتاب) الماركسية والدولة الصهيونية . أدب
ديمترى . « مكتبة الطليعة » . ٦ ١٢٤
— الصهيونية ودولة إسرائيل . « من المجلات
الفكرية العالمية » . ٩ ١٦٧
— إسرائيل ، الكيان ، الايدولوجية ، الاستراتيجية
[دراسة موسعة قام بها] محمود حمدي
عبد الجواد ، أحمد صادق ، وديع وهيب ،
شكري عازر — أشرف عليها د. اسماعيل
صبري عبد الله ، أبو سيف يوسف . ١٢ ١٠
— الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ . [الكتاب الذي
أصدرته بريطانيا لتنظيم الحياة السياسية في
فلسطين] . ١٢ ٣٢

■ أراضي محتلة :

— مخططات إسرائيل لتهود الأرض المحتلة .
السيد عليوة . ٣ ٤٠

■ اقتصاد :

— خريطة الاقتصاد الإسرائيلي . أحمد صادق سعد .
— أنظر :

الولايات المتحدة — علاقات خارجية .

— أنظر أيضا :

شؤون عسكرية . (العالم)

■ شؤون عسكرية :

— ميزانية إسرائيل العسكرية لا تتأثر بحالة
السلم . « من المجلات الفكرية والعالمية » . ٧ ١٣٦
— الهاجاناة [المنظمة الصهيونية العسكرية] . ١٢ ١٦
— الأرجون [منظمة صهيونية عسكرية] — شتيرن
[منظمة إرهابية إسرائيلية] . ١٢ ٢٢
— نشأة الجيش الإسرائيلي . ١٢ ٤٤

■ علاقات خارجية :

— أوغندا :

— حول الهجمة الامبريالية الاسرائيلية ضد أوغندا
عبد المنعم الغزالي . ٢ ٤٣

(أوغندا — وأثيوبيا)

— بارليفيف بنفش عن « الامحاق » « تقارير الشهر » . ١ ١٥٤

(جنوب أفريقيا) :

— إسرائيل وجنوب أفريقيا . رجب البنا . ٤ ١٤٧

(ألمانيا الغربية) :

— الحلف الاسرائيلي الالمانى الغربى من عام ١٩٦٩
حتى بداية ١٩٧٠ . « وثائق » . ٥ ١٥٣

■ سياسية خارجية :

— الدبلوماسية الصهيونية . كيف تعمل ؟ مصطفى
النجار . ٢ ١٤٦

■ باكستان :

— فكرة « دولة البنغال » تبرز من قلب الخلاف
« تقارير الشهر » . ٤ ١٢٢
— التصدي لجذور المشكلة . . هو بداية الحل
« تقارير الشهر » . ٥ ١١٩

■ سيلان :

— تطورات خطيرة . « تقارير الشهر » . ٥ ١٢٢

■ الصين :

— أنظر :

العالم الشيوعى :

■ فيتنام الديمقراطية :

— أنظر :

العالم الشيوعى :

■ الهند :

— هزيمة ساحقة . للحلف اليميني الكبير
« تقارير الشهر » . ٤ ١٢٢

— معاهدة السلام والصداقة والتعاون بين الهند والاتحاد السوفيتي . « تقارير الشهر » ٩ ١٥١

■ الهند الصينية :

— غزو لاوس .. وثبوتات « كاوكي » « تقارير الشهر » ٣ ١٠٦

■ اليابان :

— ظهور التناقض الأمريكي - الياباني ، احياء العسكرية اليابانية .
— اتفاقية مودة أو كينا وحيية أمل الشعب الياباني « تقارير الشهر » ٨ ١٢٨

■ اتحاد الجمهوريات العربية — عام :

— رؤية عصرية للمشروع الوحدوي العربي د. حسن صعب .
— خطوة وحدوية ونشاطات سياسية واسمة « تقارير الشهر » ٥ ١١١
— اتحاد الجمهوريات العربية .. ومسئولياته تجاه الجماهير . « مناقشات مفتوحة » ٦ ١٤٧
— « وحدة » المواجهة قد اقتربت من الحسم « تقارير الشهر » ٩ ١٢٨

■ أزمة المشرق الاوسط :

— انظر :
— الصراع العربي الاسرائيلي

■ افريقيا — عام :

— انظر أيضا :

قضايا اجتماعية (العالم)
— حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ ، (يشتمل الجزء الخامس منها على مسح للاحداث السياسية الخارجية والداخلية لدولة افريقيا) ١ ٩٧
— التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية ، تجارب من القارة الافريقية . موزمبيق ، أنجولا ، غينيا بيساو . كمال السيد ، حسين شعلان ، وديع وهيب .
— لتاثير واهداف نشاط المرتزقة . « تقارير لشهر » ٣ ٣٠
— فرنسا .. « والعلاقات الخاصة » . « تقارير الشهر » ٤ ١٢٠
— حركة التحرر بين الدعوة الى « حوار افريقي » مع جنوب افريقيا .. والدعوة الى « حوار عربي » مع اسرائيل . حسين شعلان ٧ ٧٨
— المذهب الاستعماري في افريقيا . محمد الشحات قضايا اجتماعية . « التطور في الراسمالي .. » ٨ ١٠٨
— [كتاب] جذور الثورة الافريقية جاك ووديس ، ترجمة وتعليق : احمد فؤاد بليغ — عرض : اسماعيل عبد الحكم « مكتبة الطليعة » ١٢ ١٣٧

■ اثيوبيا :

— انظر :
اسرائيل — علاقات خارجية

■ أنجولا :

— التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية ، تجارب من القارة الافريقية — أنجولا — كمال السيد . ٢ ٣٢

■ أوغندا :

— انظر :
اسرائيل — علاقات خارجية .

■ جنوب افريقيا :

— انظر :
اسرائيل — علاقات خارجية .

■ — انظر أيضا :

افريقيا — عام

■ تانزانيا :

— انظر :
افريقيا — عام

■ زامبيا :

— انظر :
افريقيا — عام

■ السودان :

— انظر :
العالم العربي

■ غينيا بيساو :

— التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية ، تجارب من القارة الافريقية — غينيا بيساو — وديع وهيب . ٣ ٣٤

■ موزمبيق :

— التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية ، تجارب من القارة الافريقية — موزمبيق — حسين شعلان ٢ ٣٠

■ أمريكا اللاتينية — عام :

— حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ ، (يشتمل الجزء السادس منها على مسح للاحداث السياسية الداخلية والخارجية في أمريكا اللاتينية) ١ ١٠٢

■ بيرو :

— هل هناك ثورة في بيرو . « من الجلات الفكرية العالمية » . ٥ ١٤٣

■ تشيلي :

— تشيلي تجربة جديدة للأحزاب المعنانية في أمريكا اللاتينية . سمير كرم ٦ ٩٦

- الكوميونيه والاستلة التي تجيب عليها . كمال السيد . ٥٦ ٦
— كوميونيه باريس والحركة الثورية العالمية . ٦١ ٦
— ألبر آرييه . ٦٥ ٦
— شخصيات بارزة في احداث كوميونيه باريس . ٦٨ ٦
— التركيب الطبقي لصحايا الثورة المضادة . ٧١ ٦
— يوميات كوميونيه باريس .

■ قسبرص :

- رسالة من نيكوسيا : مشكلة المتوازن بين حقوق الاقلية التركية وفاعلية الحكومة . ١٣٠ ٢

■ ألمانيا الاتحادية : (الغربية)

- أنظر :
اسرائيل — علاقات خارجية .
— أنظر :
سياسة دولية — معاهدات .
مشكلة برلين
— أنظر :
أوروبا — عام .

■ ألمانيا الديمقراطية :

- أنظر :
أوروبا — عام .

■ مالطية :

- رباح جديدة تهب على الموانئ الخمس . « تقارير الشهر » . ١٣٤ ٨

تاريخ : أنظر : فرنسا

ثقافة — أدب — فنون — علوم — (العالم)

- الشاب المتمرد يموت عن ٧٣ عاما . . (حول موت هيربرت ماركيز) « تقارير الشهر » ١٥٨ ٩
— ماركيز : الشاب المتمرد
دراسة في الشرق الاوسط . « تقارير الشهر » ١٥٩ ١٠
— رسالة من موسكو : من بيكاسو . . الى دوستوفسكي . . الى يفتشسكو . سعيد حوراية . ١٢٩ ١٢

أدب

- [كتاب] الوجودية والاعتراب في الادب الامريكي سيدني فنكلنسين . « مكتبة الطليعة » . ١٢٣ ٣
— رسالة من موسكو : ١٥ عاما على ميلاد دوستوفسكي . سعيد حوراية . ١٢٧ ١١
— شيلي : بابلو نيرودا شاعر وطنه الحرية [تقرير خاص بمناسبة حصول شاعر شيلي على جائزة نوبل لعام ١٩٧١] صبرى حافظ ١١٥ ١٢

فنون

- رسالة من باريس : الفيلم فرنسي والقصة من من المغرب العربي . (عرض لفيلم « أسوار

- اختبارات قاسية لتجربة جديدة . « تقارير الشهر » . ١٣١ ٨
— (كتاب) شيلي . . الوحدة الوطنية . اكوفيفا وآخرون . « مكتبة الطليعة » . ١٤٣ ٨
— الضربة الاخيرة للاحتكارات الامريكية . « تقارير الشهر » ١٢٤ ١١
— شيلي : بابلو نيرودا . . شاعر وطنه الحرية [تقرير خاص] صبرى حافظ . ١١٥ ١٢

■ الأمم المتحدة :

- قرار الجمعية العامة . . انتصار جديد للعرب « تقارير الشهر » . ٩٢ ١
— هل يوفق مجلس الامن في التوصل الى حل ؟ « تقارير الشهر » . ١٢٠ ٢
— الصين الشعبية ، كسر طوق الحصار الامريكي (حول دخول الصين الامم المتحدة) . « تقارير الشهر » ١٢٢ ١١

■ أوروبا — عام :

- أنظر أيضا : اتحاد سوفيتي — علاقات خارجية
— أنظر أيضا :

- سياسة دولية — معاهدات
— حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ (يشتمل الجزء الاول منها على مسح للاحداث السياسية بين الدول الاوروبية) . ٧٢ ١
— موجة اضطرابات تجتاح الصالح الرأسمالي « تقارير الشهر » . ١٠٧ ٣
— الدولار والسوق الاوروبية المشتركة . « من المجلات الفكرية العالمية » . ١٤٣ ٥
— برلين : من الذي خسر الجولة ؟ « تقرير خاص » خيري عزيز . ١٦٠ ١٠

بريطانيا

- ماذا يعنى الانضمام للسوق المشتركة ؟ « تقارير الشهر » . ١٢٦ ٨
— قرار لمصلحة الرأسمالية الاحتكارية . [حول انضمام بريطانيا للسوق المشتركة] [تقارير الشهر] ١٢٥ ١٢

■ فرنسا :

- أنظر :
الجزائر — علاقات خارجية .

تاريخ

- كوميونيه باريس « ١٠٠ عام » على اول تجربة اشتراكية في التاريخ . (دراسة موسعة للطليعة)
— كوميونيه باريس بمناسبة ١٠٠ عام على اعلانها عبد الفتاح هيكل . ٣٠ ٦
— المرأة الفرنسية وكوميونيه باريس ٣٢ ٦
— الانجازات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكوميونيه باريس . خيري عزيز ٣٩ ٦
— كوميونيه باريس والازمة الحديثة . (مجلة الكومونيست السوفيتية) . ٤٧ ٦
— يوجين بوتيه . مقال للينين عن (مؤلف نشية الانترناسيونالي) ٥٠ ٦

■ معاهدات :

٧٢	١	— معاهدات عدم الاعتداء وتخفيف التوتر ،
		المعاهدة السوفيتية — الألمانية الغربية .
٧٤	١	— المعاهدة البولندية — الألمانية الغربية .
		« تقارير الشهر » .
٦٦	٧	— القاهرة وموقعها من النضال العربي ،
		أهمية معاهدة الصداقة والتعاون العربية
		المسوفيتية . د. محمد علي الشهازي .
١٥١	٩	— معاهدة السلام والصداقة والتعاون بين الهند
		والاتحاد السوفيتي . « تقارير الشهر »

■ الصراع العربي الاسرائيلي :

٥	١	— ملاحظات حول منهج العمل الوطني .
		« (الافتتاحية) » .
٩٠	١	— حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ ، الشرق الاوسط
١٢٥	١	— وماذا بعد كل تلك المأورات . « تقارير الشهر »
		هل يوفق مجلس الأمن في التوصل الى حل ؟
١٢٥	٢	« تقارير الشهر » .
٥	٣	— كلمتان من أخطار مرحلة مقبلة . « الافتتاحية »
		مواجهة العدو لتحقيق النصر . ابراهيم سعد الدين
١٢	٣	— مخططات اسرائيل لتهويد الارض المحتلة .
		السيد عليوة
٤٠	٣	— جهود دولية جديدة من أجل انسحاب اسرائيل .
		« تقارير الشهر » .
١٠٠	٣	— رؤية واضحة في ساعات الحسم . « الافتتاحية »
٥	٤	— بعض القضايا في مواجهة العدوان (دراسة
		موسعة لكتاب الطليعة) .
١٢	٤	— الولايات المتحدة الامريكية والعوامل التي تحدد
		موقفها . وديع وهيب .
١٣	٤	— مصر الهدف الاستراتيجي لاسرائيل . د. اسماعيل
		صبرى عبد الله .
١٩	٤	— انقضاء مصر العربي شرط تحقيق النصر .
		د. ابراهيم سعد الدين .
٢٣	٤	— فلسطين بين الثورة والثورة المضادة . ميشيل
		كامل .
٣٠	٤	— قضية المنهج في مواجهة العدوان . عادل حسين
٣٧	٤	— ملف خاص : فلسطين .. ثورة ١٩٣٦ ،
		التجربة القاسية . (دراسة موسعة) .
٨٦	٤	— موقف معركة الشرق الاوسط من حركة الصراع
		العالمي . د. محمد علي الشهازي .
٧٥	٥	— العمل السياسي العربي بين الامكانيات والاهام
		الخادعة . وديع وهيب .
٨٣	٦	— روجرز في القاهرة . « تقارير الشهر » .
١١٣	٦	— دولة فلسطين المستقلة ، آراء واتجاهات حول
		المشروع . اعداد عزيز احمد عزمي
١٥٠	٦	— حركة التحرر بين الدعوة الى « حوار افريقي »
		مع جنوب افريقيا والدعوة الى « حوار عربي »
		مع اسرائيل . حسين شعلان .
٧٨	٧	— حركة التحرر الوطني العربية والتحديات
		الاستعمارية الجديدة . « تعليق » وديع أمين
١٢٠	٧	— ٢ — القضية العربية . عرض : حسين شعلان
		« ٨٠ شهرا من حياة الطليعة » .
١١٧	٩	— حول القضية العربية ، لتواجه محاولات تطويق
		الارادة العربية . د. كلوفيس مقصود .
١٤٤	١٠	— ٣ — القضية الفلسطينية . عرض : د. رغبت
		المسعيد « ٨٠ شهرا من حياة الطليعة » .
١٣٤	١٠	— بأرييف يفتش عن « الاعمال » . « تقارير

١١٣	٣	من الطين « و « الحياة الحقيقية » (يوسف
		شريف رزق الله .
٨٠	٤	— الفن التشكيلي والمعاصرة . مختار العطار .
٨٧	٧	— الفن التشكيلي واللاموضوعية . مختار العطار
		الالتزام الثوري في أعمال وحياة بيتهوفن . طارق
		عزت .
١٤٥	١٠	— (كتاب) الواقعية في الفن . سيدنى فنكلشتين .
		« مكتبة الطليعة » .
١٢١	١١	

■ العالم العربي — أدب

١٢١	٤	— الربيع الغائب من سماء البصرة . « تعليق »
		غالي شكرى .
		— في طابور واحد معكم .. يا شعراء العراق .
١٢٥	٤	— معين بسيسو .
		— فنون تشكيلية : « الموسم الشامل » محليا
		وعالميا « تقارير الشهر » .
١٢٩	٤	— رسالة من دمشق : حفلة سمر من أجل
		حزيران . (مسرحية) فريدة النقاش .
١٢٧	٦	— الرواية العربية ننادى حزيران . غالي شكرى
٤١	٨	— رسالة دمشق : سينما تولد من خلال المقاومة .
		سمر فريد .
١٢٨	١١	— .. حتى لا تتبدد الكلمات دخانا في الهواء .
		[تعليق] حول عدم فعالية مؤتمر اتحاد الادباء
١٢١	١٢	العرب [غالي شكرى .

■ جمال عبد الناصر :

		— عبد الناصر والحركة الوطنية في اليمن ،
		د. محمد علي الشهازي .
٥٦	١	— يوميات الثورة : ١٨ عاما من نضال عبد الناصر
		(السنة السادسة الى التاسعة) .
١٥٠	١	— الندوة الطلابية العالمية حول دور عبد الناصر
		في حركة التحرر العالمي . « تقارير الشهر » .
١١٣	٢	— يوميات الثورة : ١٨ عاما من نضال عبد الناصر
		(السنة العاشرة الى الثانية عشرة) .
١٥٢	٢	— يوميات الثورة : ١٨ عاما من نضال عبد الناصر
		(من السنة الثالثة عشرة الى السابعة عشرة)
١٣٤	٣	— يوميات الثورة : ١٨ عاما من نضال عبد الناصر
		(السنة الثامنة عشرة)
١٥٢	٤	— عبد الناصر والنظرية الثورية . د. فؤاد مرسى
		٢٥ بحثا حول دور عبد الناصر . (حول الندوة
		العالمية التي عقدت في القاهرة في ٢٩ — ٣٠
		سبتمبر لاهياء ذكرى الزعيم الراحل) « تقارير
		الشهر » .
١١٨	١١	

■ سياسة دولية — عام :

		— انظر :
		الصين الشعبية
		علاقات خارجية — أمريكا .
		— حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ ، (دراسة عامة
		للشئون العالمية قامت بها الطليعة) .
٧٢	١	— ١ — حركة التحرر الوطني . عرض : حسين
		شعلان « ٨٠ شهرا من حياة الطليعة » .
١٠٧	٩	— برلين : من الذي خسر الجولة ؟ « تقرير خاص »
		حسرى مؤيد .
١٦٠	١٠	

- النصرك السوفيتي الخارجي على مسينوفى
القيادة الثلاثية . « تقارير الشهر » ١١ ١٢١
- محادثات باريس ، خلاف حول تحديد الدوافع .
[تقارير الشهر] ١٢ ١٢٤

علاقات خارجية

الهند :

— أنظر أيضا :

ج. م. ع. ٥٠

علاقات خارجية :

- معاهدة السلام والصداقة والتعاون بين الهند
والاتحاد السوفيتي . « تقارير الشهر » ٩ ١٥١

■ بلغاريا :

اتحاد سوفيتي .

- « كل شيء لصلحة الانسان » (اجتماع مؤتمر
الحزب الشيوعي البلغاري العاشر) « تقارير
الشهر » ٥ ١١٦
- ردع الصهاينة المتوسمين في أمريكا . (بيان
للمنظمة اليهودية ببلغاريا حول نشاط رابطة
الدفاع اليهودي) « مناقشات مفتوحة » ٥ ١٥٢
- أول انفصال عن المحرفين وأول انتفاضة ضد
الفاشية . « تقارير الشهر » ٩ ١٥٤

■ بولندا :

— أنظر :

سياسة دولية — مساهمات

- اصلاح اقتصادي وربط الحزب بالجمهير .
« تقارير الشهر » ٢ ١٢٨
- رسالة من وارسو : الأسباب الكامنة وراء
احداث البلطيق . سمير تادرس ٥ ١٢٩

■ تشيكوسلوفاكيا :

- تشيكوسلوفاكيا تخرج من الازمة . « من المجلات
الفكرية والعالمية » ٢ ١٤٣
- حول دروس أزمة تشيكوسلوفاكيا . محمد سيد
أحمد ٣ ٤٦
- المؤتمر الاول بعد هزيمة الثورة المضادة .
« تقارير الشهر » ٧ ١١٨

■ رومانيا :

- رسالة بوخارست : انطباعات رومانية .
أبو سيف يوسف ٢ ١٣٤
- « عما على بدء الحركة الثورية في رومانيا .
« من المجلات الفكرية العالمية » ٥ ١٤٢

■ الصين :

- الصين تفتح من جديد على العالم « تقارير
الشهر » ١ ٨٤
- نيكسون « يذهب الى حيث يجب الا يذهب » .
مراحل تقرب أمريكا من الصين منذ بداية
حكم نيكسون . « تقارير الشهر » ٨ ٢٧
- القارب الصيني — الأمريكي ، نيكسون يطوق

الشهر » . (حول زيارة بارليف لاوغندا

- وأثيوبيا) ١٠ ١٥٤
- الحسم . . والمطلوب جسمه . (الافتتاحية)
لطفى الخولى ١١ ٥
- خطوات مشتركة لازالة العدوان الاسرائيلي
(حول زيارة الرئيس السادات لموسكو)
« تقارير الشهر » ١١ ١١٥
- الحل الواقعي : معركة تحرير وطنية .
« الافتتاحية » . لطفى الخولى ١٢ ٥
- حصار امبريالى صهيوني حول حصن الثورة في
عدن . د. محمد علي الشهازي ١٢ ٦٠
- حول القضية الفلسطينية ، انها قضية العصر
حتى تجد الحل الامثل . [٨٠ شهرا من حياة
الطليعة ، المواقف والاتجاهات] عرض :
خيرى حماد ١٢ ٨٦
- الجديد في الجهود الدولية وزيارة عرفات لموسكو
[تقارير الشهر] ١٢ ١٢١

العالم الشيوعي — عام

نافذة على تجارب الدول الاشتراكية .

أولا : نظام التعليم العالي في الاتحاد السوفيتي
ثانيا : المدرسة البوليتكنيكية في ألمانيا
الديمقراطية .

ثالثا : التعليم الثانوي في المجر .

رابعا : بعض قضايا التعليم في رومانيا

خامسا : التعليم العام في بولندا .

سادسا : الصين الشعبية والثورة البروليتارية

- في التعليم (من اعداد الطليعة) ٢ ١٠٢
- حول دروس أزمة تشيكوسلوفاكيا . محمد سيد
أحمد ٣ ٤٦

■ ألمانيا الديمقراطية :

انظر : أوروبا — ألمانيا الاتحادية

■ الاتحاد السوفيتي :

■ استكشاف الفضاء :

- « ساليوت » أول محطة مدارية حول الارض .
« تقارير الشهر » ٥ ١٢٧

■ تنظيم سياسي :

- تسعة أشهر من المناقشات تمهيدا للمؤتمر
٢٤ « تقارير الشهر » ٤ ١٢٧
- المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي
السوفيتي ، رفاهية الشعب المهمة الرئيسية
للخطة الاقتصادية . د. ابراهيم سعد الدين ٥ ٩٥
- المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي
السوفيتي . « تقارير الشهر » ٥ ١٢٤
- موسكو : خروشوف . . بين الاصدقاء والاعداء
« تقرير خاص » . سمير كرم ١٠ ١٥٥

■ سياسية خارجية :

— أنظر أيضا :

سياسة دولية — مساهمات

- مؤتمر القرم ومواجهة التطورات الجديدة ٩ ١٥٢

١٥١	٥	العربية » . « مناقشات مفتوحة » . — القاهرة وموقعها من النضال العربي . د. محمد على الشهاري .
٦١	٧	(كتاب) مدخل السياسة الأمريكية للعالم العربي جون . س. بادو — « مكتبة الطليعة » .
١٣٩	٨	ليس بالآلم وحده . . يعيش الإنسان العربي « الافتتاحية » . لطفى الخولى .
٥	٩	٢ — قومية المعركة في التطبيق . « الافتتاحية » لطفي الخولى .
٥	١٠	— [كتاب] الأيديولوجية العربية المعاصرة . عبد الله العروى ، محمد عيقانى . « مكتبة الطليعة » .
١٣٣	١٢	

بستروول :

انظر أيضا :

		الخليج العربي
		— معركة الأوبك وشركات البترول ، ولماذا حتمية انتصار الدول المنتجة فيها ؟ صلاح منتصر .
٣٦	٣	— الأزمة البترولية العالمية وصحوة الأوبك . مصطفى النجار .
٧٠	٤	— معارك البترول في الوطن العربي « تقارير الشهر » .
١١٥	٥	— استثمار مائدات البترول في المشروعات الإنمائية في البلاد العربية . د. عبد الرازق حسن .
١٤٠	٦	« من المجالات الفكرية العالمية » .

■ الأردن :

— أنظر أيضا :

فلسطين — المقاومة

		— اشتباكات في الأردن ومؤتمرات في لبنان . « تقارير الشهر » .
١٢٨	١	— من رابطة الحقوق الديمقراطيين الى رئيس وزراء الأردن . « مناقشات مفتوحة » .
١٤٩	٦	— التضامن مع العمل الفدائي ومخطط الاستعمار الجديد . « الافتتاحية » .
٥	٨	— استكمال مؤامرة سبتمبر . « تقارير الشهر »
١٢٣	٨	

■ الجزائر :

		— رسالة من الجزائر : انتخابات المجالس الشعبية البلدية والتنظيم الديمقراطي للسلطة ميشيل كامل .
١١٠	٣	— الاحتفاظ بالحقوق مع استمرار التفاهم . (حول النزاع الجزائري الفرنسي) « تقارير الشهر » .
١١٥	٦	

■ جمهورية مصر العربية :

أنظر : رأس موضوع مستقل .

■ الخليج العربي :

		— البترول واتجاهات الاستراتيجية الامبريالية في الخليج العربي . سيف بن علي .
١٤	٦	— حول التطورات الجارية في الخليج العربي . « تعليق » . وديع أمين .
١٢٢	٨	

		ابواب « السور العظيم » . « تقرير خاص » (سمير كرم) .
١٤٤	٩	— كسر طوق الحصار الأمريكي . (حول دخول الصين الامم المتحدة) . « تقارير الشهر »
١٢٢	١١	— الخطأ الذي وقع فيه المراقبون السياسيون [تقرير خاص] خيري عزيز .
١١٠	١٢	

فيتنام الديمقراطية :

		— توسيع الحرب العدوانية تحت دعوى السعي للسلام .
٨٢	١	— التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية ، ذروة النضال الدموي في مواجهة اعلى قوى الامبريالية . خيري عزيز .
٢٦	٢	

كوبا :

		— العشرة ملايين طن تكشف نواقص الصناعة .
١٠٤	١	— التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية ، مثل ملهم في أمريكا اللاتينية . د. رفعت السعيد ، محمد رهمي .
٢١	٣	

كوريا الديمقراطية الشعبية :

		— كوريا الشمالية : البلد الذي يعيش في ساعة النصر . هيري عزيز .
٩٧	٨	

المجر :

		— رسالة من بودابست . « حول رسالة الرئيس المسادات الى المؤتمر العام للمجلس العالي للسلام » . رفعت السعيد .
١٣١	٦	

يوجوسلافيا :

		— « تيتو لم يصبح بندقية فارغة » خ.ع. « تقارير الشهر » .
١٢٣	٦	

العالم العربي — عام :

أنظر أيضا :

اتحاد الجمهوريات العربية

		— . « التجريبية الموجهة » — رسالة مواطن لبناني الى الطليعة وتعليق للطليعة عليها . « مناقشات مفتوحة » .
١٤٩	٢	— رؤية عصرية للمشروع الحدودي العربي . د. حسن صعب .
٥٤	٣	— التقاليد وعملية تكوين النقائيد ، نموذج مراكشي — د. عبد الله العروى .
٦٥	٣	— انتماء مصر العربي شرط تحقيق النصر . د. ابراهيم سعد الدين .
٢٣	٤	— الثورة (الفلسطينية) والوطن العربي . ثروت كاتبة .
٩٩	٤	— مسئولية القوى الثورية العربية . (مناقشات مفتوحة) .
١٥١	٤	— وجهة نظر حول دور الشباب (في العالم العربي) . « مناقشات مفتوحة » .
١٥٠	٥	— تعقيب حول . « مسئوليات القوى الثورية

■ السودان :

- رسالة الخرطوم ، مشروع الميثاق الوطني بقلم
- عبد المنعم الغزالي . « تقارير الشهر » . ١ ١٣٠
- الخطة الخمسية الاولى . « تقارير الشهر » . ٢ ١٢٥
- شتاينر واهداف نشاط المرتزقة « تقارير الشهر » ٣ ١٠٢
- مشكلة التنمية الاقتصادية في السودان .
- د. عبد الرازق حسن . ١١ ٥٢

■ سوريا :

- ميثاق طرابلس يمتد الى دمشق . « تقارير الشهر » . ١ ١٢٦
- وحدة القوى التقدمية في سوريا — رسالة من
- مواطن سوري . « مناقشات مفتوحة » ٢ ١٥٠
- الجبهة الوطنية — مجال الحوار — بين قوى
- التحالف . « تقارير الشهر » . ٤ ١١٩
- مجلة « الطليعة » السورية السياسية ..
- ودور الجبهة الوطنية التقدمية . « من المجالات
- الفكرية العالية » . ٥ ١٤٠
- رسالة من دمشق : سوريا .. وقضية الوحدة
- الوطنية . صلاح الدين حافظ . ٩ ١٥٩

■ عدن :

- حصار امبريالي صهيوني حول حصن الثورة في
- عدن . د. محمد علي الشهازي . ١٢ ٦٠

■ العراق :

- نداء من العراق الى المنفيين في كل مكان .
- « مناقشات مفتوحة » . ٨ ١٥٤
- بيان من ممثلي القوى الوطنية والتقدمية في
- العالم العربي . (الى الرئيس العراقي حول
- ملاحقة القوى الوطنية والتقدمية في العراق)
- « مناقشات مفتوحة » . ٧ ١٤١

■ فلسطين :

- ملف خاص / فلسطين .. ثورة ١٩٣٦ ،
- التجربة القاسية . (دراسة موسعة) . ٤ ٨٦
- المقدمات التاريخية لثورة ١٩٣٦ وديع أمين . ٤ ٨٧
- الثورة بين حركة الجماهير وتهاون القيادات .
- عبد العال الباقوري . ٤ ٩٣
- الثورة والوطن العربي . ثروت كاتبة
- دروس وخبرات الثورة . عبد القادر
- ياسين . ٤ ١٠٣
- يوميات ثورة ١٩٣٦ . عمر عبد الباري . ٤ ١٠٧
- فلسطين بين الثورة والثورة المضادة . ميشيل
- كامل . ٤ ٣٠
- دولة فلسطين المستقلة ، آراء واتجاهات حول
- المشروع . « وثائق » اعداد عزيز احمد عزمي
- ٣ — القضية الفلسطينية . عرض : د. رفعت
- السعيد . « ٨٠ شهرا من حياة الطليعة » . ١٠ ١٣٤
- الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ . [الكتاب الذي
- اصدرته بريطانيا لتنظيم الحياة السياسية في
- فلسطين] . ١٢ ٣٢
- حول القضية الفلسطينية ، انها قضية العصر
- حتى تجد الحل الامثل . [٨٠ شهرا من حياة
- الطليعة ، المواقف والاتجاهات] عرض :
- خيري حماد . ١٢ ٨٦

■ المقاومة :

— انظر أيضا :

- الاردن
- تحديات .. دعيت الوحدة . « تقارير الشهر » ١ ١٢٩
- نقد ذاتي واستقطابات جديدة . « تقارير الشهر » . ٢ ١٢٤
- مفترق الطرق . « تقارير الشهر » ٣ ١٠٢
- فلسطين بين الثورة والثورة المضادة . ميشيل
- كامل . ٤ ٣٠
- اقرار مشروع الوحدة والبرنامج .. بداية
- طريق . « تقارير الشهر » . ٤ ١١٧
- مذابح الاردن وقضية فلسطين . « الافتتاحية » ٥ ٥
- الهدف الاخير من « مؤامرة التصفية » .
- « تعليق » وديع أمين . ٥ ١١٦
- الثورة الفلسطينية « جاءت لتبقى » « مناقشات
- مفتوحة » . ٦ ١٤٨
- التضامن مع العمل المزداني ومخطط الاستعمار
- الجديد . « الافتتاحية » . ٨ ٥
- اتجاهات جديدة في المجلس الوطني الفلسطيني .
- « تقارير الشهر » . ٨ ١٢٠
- قراءة واقعية لنصوص دامية ، نصوص اتفايتي
- القاهرة وعمان والمذكرات الملحق بها بشأن
- المقاومة الفلسطينية . « ملف الطليعة » . ٩ ١٢٤
- الاردن : محاولة جديدة لشل صفوف المقاومة
- « تقارير الشهر » . ٩ ١٤٢
- المهمة المطروحة امام المقاومة الان « تقارير
- الشهر » . ١١ ١٢٠
- الحاجة الى الوضوح والتحديد في العلاقات
- الفلسطينية السوفيتية . « تعليق » فيصل
- حوراني . ١١ ١٣٥
- الجديد في الجهود الدولية وزيارة عرفات لموسكو
- [تقارير الشهر] . ١٢ ١٢١
- الجولة الثانية من مؤتمر جدة . [تقارير الشهر] ١٢ ١٢٣

■ الكويت :

- تطورات هامة تمكسها الانتخابات . « تقارير
- الشهر » . ٣ ١٠٥

■ لبنان :

- بيروت : التسليح لماذا ؟ وضد من ؟ « تقرير
- خاص » د. رفعت السعيد . ١٠ ١٥١

■ ليبيا :

- (كتاب) ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي (١٨٨٢
- ١٩١١) د. احمد صدقي الدجاني . « مكتبة
- الطليعة » . ١١ ١٣٠

■ المغرب :

- التقاليد وعملية تكوين التقاليد ، نهولج مراكش
- د. عبد الله العروى . ٣ ٦٥
- اسباب محلية للسلخ . « تقارير الشهر » . ٨ ١٢٤
- (الاتحاد الوطني المغربي للشغل) عشر سنوات
- من الكفاح والتضحيات من اجل التقدم
- الاجتماعي والنهوض الوطني . « من المجالات
- الفكرية العالمية » . ٨ ١٤٧

— المغرب غنى .. والمغربى فقير . « تقارير خاصة » . كمال السيد .
— (كتاب) المشاكل الراهنة للثورة الديمقراطية الوطنية في المغرب . على ياطا . « مكتبة الطلبة » .

اليمن :

— عبد الناصر والحركة الوطنية ، د. محمد على المشهاري .
— موقف البورجوازية الوسطى اليمنية من الثورة الوطنية الديمقراطية . « المقال يشمل دولتي اليمن » د. محمد على المشهاري . ٨

اليمن الديمقراطية :

— ملاحظات على : الوضع الاقتصادي في اليمن الجنوبي ، د. فؤاد مرسى .
— جهود ايجابية لتحقيق وحدة وطنية حقيقية . « تقارير الشهر » .

١ جمهورية مصر العربية — عام :

— برنامج العمل الوطنى ، الوثيقة الثالثة لثورة يوليو . (دراسة موسعة) .
— الموضع الفكرى والاجتماعى والسياسى للبرنامج : البرنامج قسماته .. وآفاق النضال من أجل تنفيذه . أبو سيف يوسف .
— موقع البرنامج من وسائل الثورة . عسادل سيف النصر .
— الاهداف المطروحة : الوسائل .. الضمانات . د. فؤاد مرسى .
— الصداقة العربية السوفيتية : سلاح مشترك ضد الامبريالية والعدوان . عبد اللطيف حنفى .
— التنظيم السياسى والمنظمات الجماهيرية .. فى البرنامج . (وزعت مقالات هذا القسم فى موضوعاتها وهى تنظيمات جماهيرية واتحاد اشتراكى) .
— بعض الاسئلة التى يطرحها البرنامج . (وزعت مقالات هذا القسم فى موضوعاتها وهى قضايا اجتماعية ، اقتصاد ، فنون ، علوم)
— حول مفهوم القيم فى البرنامج . (وزعت مقالات هذا القسم فى موضوعاتها وهى قضايا اجتماعية . قيم روحية .
— النص الكامل لبرنامج العمل الوطنى . « وثائق » ملاحظات حول منهج العمل الوطنى « الافتتاحية »
— البناء الجديد للدولة المصرية . « تقارير الشهر » .
— طبيعة المرحلة الحالية من الثورة ، قوى الثورة — موقعها من العملية الثورية . [٨٠ شهرا من حياة الطلبة ، المواقف والاتجاهات] عرض : همدى عبد الجواد .

■ الاتحاد الاشتراكى العربى :

— أنظر أيضا :

دستور

— أنظر أيضا :

تنظيمات جماهيرية .
— الاتحاد الاشتراكى العربى ، خطة جديدة للعمل السياسى . « تقارير الشهر » .
— رفع مستوى العمل التنظيمى كأساس لتعبئة الجماهير . محمد حلمى ياسين .
— بيلاك فى القاهرة . (حول زيارة وفد من الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى بدعوة من الاتحاد الاشتراكى العربى) « تقارير الشهر » .
— مؤتمر القيادات الصحفية يناقش قضايا التعبئة الشعبية . « تقارير الشهر » .
— قضية تنقيف الاعضاء فى الاتحاد الاشتراكى . فاروق على ناصف .
— نقاط سياسية لانتخابات الاتحاد الاشتراكى . « الافتتاحية » .
— المؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى العربى . « تقارير الشهر » .
— بناء الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة « تقارير الشهر » .
— التنظيم السياسى والمنظمات الجماهيرية فى البرنامج . (برنامج العمل الوطنى) .
— التنظيم الطليعى ضرورة بعد بناء الاتحاد الاشتراكى ، مصطفى طيبة .
— رحلة وفد اللجنة المركزية الى ايطاليا وفرنسا وبريطانيا . [تقارير الشهر] .
— ملاحظات حول مقال : التنظيم الطليعى « مناقشات مفتوحة »

اقتصاد — عام :

— التعبئة الاقتصادية الراهنة . د. فؤاد مرسى .
— لجان الانتاج بين الواقع والمستقبل . ليلى الشال .
— السد المالى يحكى قصته . « تقارير الشهر »
— الحرب والاستهلاك . د. اسماعيل صبرى عبد الله .

■ بترول :

— على طريق الخمسين مليون طن بترول سنويا « تقارير الشهر » .

■ تخطيط :

— بعض الاسئلة التى يطرحها البرنامج . (برنامج العمل الوطنى) .
— رؤية شاملة لقضايا التخطيط القومى . عطية مهدى سليمان ، احمد حسن ابراهيم .
— القطاع العام وديمقراطية الانتاج . د. اسماعيل صبرى عبد الله .

■ زراعية :

— حول التعديلات المقترحة فى السياسة الزراعية احمد حسن ابراهيم .
— دور القرية المصرية فى خطة التنمية . احمد حسن ابراهيم .

■ تاريخ :

— مصر .. وكرومر . عفاف لطفى السيد . « مكتبة الطلبة » .

١١	٧	أبو سيف يوسف .
٢٠	٧	— بناء النقابات بالديمقراطية . عبد المنعم الغزالي
٢٣	٧	— مشروع لائحة عمل للاتحاد العام للعمال .
		— عودة الى الحديث عن منظمات الشباب ، خبرة
		الماضي في ضوء واقع ما جسد بعد يونيو
٢٥	٧	١٩٦٧ . د. محمد الخفيف .
		— التنظيم النسائي وقضية تحرير المرأة . انجي
٣٠	٧	رشدي .
٣٥	٧	— الديمقراطية والثقافة . غالى شكرى .
		— الانتخابات النقابية والدرس المستفاد .
١٢٠	٨	« تعليق » عبد المنعم الغزالي .
		— حول لقاء الرئيس السادات مع قيادات النقابات
١٤٨	٩	العمالية . « تعليق » عبد المنعم الغزالي .
		— عن الشباب (رسالتين من قراء الطليعة حول
		قضية الشباب (شبابنا وكيف يعيش ظروف
		المعركة .
		— منظمة الشباب بين الضرورة والمستولية
١٧١	٩	والمستقبل .
		— التنظيم السياسى والمنظمات الجماهيرية في
		البرنامج (برنامج العمل الوطنى) .
		— الحركة النقابية المصرية وقضايا الوقت .
٤٦	١٠	عبد المنعم الغزالي .
		— السؤال الذى يطرحه البرنامج على النقابات
٥٠	١٠	المهنية . د. جمال العطفى .
		— قوة الراى العام كبديل شرعى لراى القوى .
٤١	١١	موفق أبو شنيف .
		— طريق واحد ، تضامن من القوى الثورية
		هو الطريق الوحيد للنصر . عبد الرحمن
٧١	١١	الشرقاوى
		— الجديد . . في المجلس النيابى الرابع . [تقارير
١١٨	١٢	الشهر] .
		— قوى الراى العام ليست هى البديل . [تعليق
		كتبه عطية الصيرفى على مقال قوة الراى العام
		كبديل شرعى لراى القوى] . « مناقشات
١٤٤	١٢	مفتوحة » .

ثقافة — أدب — فنون — علوم — عام

		— وحيد النقاش . [رثاء الطليعة لوحد النقاش
١٣٢	١٢	وتعريف بخطه وأعماله] .

ثقافة :

— أنظر أيضا :

ثقافة — فن — أدب علم — (العالم)

— أنظر أيضا :

تنظيمات جماهيرية

		— بعض الاسئلة التى يطرحها البرنامج (برنامج
		العمل الوطنى) حرية الابداع : جوهر الادب
١٠٠	١٠	والفن . غالى شكرى .
		— معرض الكتاب الدولى الثالث (بالقاهرة) .
١١٨	٢	« تقارير الشهر » .
٣٥	٧	— الديمقراطية والثورة . غالى شكرى .

أدب :

١٠	٨	— الرواية مرآة الشعب . (دراسة موسعة)
		— ١ — صورة الفلاح في الرواية المصرية .
١٢	٨	فؤاد دواره .

		— نظرة مصرية على تاريخنا الحضارى .
٧٤	٦	د. اسماعيل صبرى عبد الله .
		— سيناء التاريخ . . والاستراتيجية . محمود
٤٦	٧	عزى
		— تعليق حول : نظرة مصرية على تاريخنا
		الحضارى — د. منير شكرى . « مناقشات
١٣٩	٧	مفتوحة » .
		— الثورة العربية ، الفكر الصراعات الاجتماعية
		في الثورة الوطنية الاولى . (دراسة
١٦	٩	موسسة) .
		— ملامح من الخريطة الفكرية للثورة العربية ،
		القومية — العقلانية — الراديكالية . صلاح
١٨	٩	هيبى .
		— الواقع الطبقي للثورة العربية . د. رفعت
٤٣	٩	السعيد .
		— قيادة الثورة وفكرة السلطة . د. عبد العظيم
٥٥	٩	رمضان .
		— التيار الاصلاحى والثورة العربية . محمد
٧٥	٩	عمارة .
		— الثورة العربية والملوك العقاريون . فتحى
٨٤	٩	عبد الفتاح .
		— أضواء حول معارك الحرب العربية .
٩٢	٩	محمود عزى .
		— الشيخ على عبد الرازق ، معركة فكرية
٩٠	١١	« ملف خاص » — اعداد — محمد عمارة .
		— النص الكامل لكتاب الشيخ على عبد الرازق
		— الاسلام وأصول الحكم ، بحث في الخلافة
١٣٧	١١	والحكومة في الاسلام . « وثائق » .
		— عبد الرحمن الراسمى ، مؤرخا وسياسيا . [ملف
٨٨	١٢	الطليعة] اعداد : طارق البشرى .

تنظيمات جماهيرية :

— أنظر أيضا :

قيم روحية

		— الجبهة الداخلية والمؤسسات الشعبية .
١١	٢	(دراسة موسعة) .
		— بعض ملاحظات حول منهج العمل الدولى لدعم
١٢	٢	الجبهة الداخلية . ميشيل كامل .
		— نظرية التحالف بين الفكر والتطبيق . د. رفعت
١٨	٢	السيد .
		— التعبئة واطلاق الطاقات الخلاقة للحركة
٢١	٢	النقابية . محمد على عامر .
		— المؤسسات التعاونية وحركة الجماهير .
٦١	٣	فتحى عبد الفتاح .
		— الندوة الطلابية العالمية حول دور عبد الناصر
١١٣	٢	في حركة التحرر العالمى . « تقارير الشهر »
		— رؤية واضحة في ساعات الحسب .
٥	٤	« الافتتاحية » .
		— دور الطبقة العاملة في التحالف الوطنى .
		(تعليق للمواطن فاروق على ناصف على مقال
١٤٩	٤	سابق) « مناقشات مفتوحة » .
		— أول مايو : مسئوليات الحركة النقابية والطبقة
٨٣	٥	العاملة . محمد على عامر .
		— خطاب ٢٠ مايو والوحدة الوطنية . « تعليق
١٢٨	٦	لطليلة » .
		— الديمقراطية والمؤسسات الشعبية (دراسة
١٠	٧	موسسة) .
		— بنساء الاتحاد الاشتراكى بالديمقراطية .

■ علوم :

- بعض الاسئلة التي يطرحها البرنامج من برنامج العمل الوطنى .
- البحث العلمى : الواقع .. المشاكل .. العلوم .. د. محمد مجلان . ٨٨ ١٠

■ دستور :

- ج. م. ع. دستور « ملف الطبيعة » — ٩٣ ٧
- الدستور — (دراسة موسعة) .
- بعض أفكار أساسية للدستور الجديد .
- د. جمال العطيفى . ٩٤ ٧
- الاتحاد الاشتراكي هل يقنن بالدستور ؟ طارق البشرى . ٩٨ ٧
- الدستور والمقومات الاقتصادية . (الطليعة) ١٠٤ ٧
- آراء ومقترحات من مناقشات اللجنة التحضيرية عام ١٩٦٧ :
- ١ — نظام الدولة السياسى .
- ٢ — المقومات الأساسية للمجتمع .
- ٣ — الاسس الاقتصادية للمجتمع .
- (آراء ومقترحات طرحت في جلسات اللجنة التحضيرية الدستور في مارس ١٩٦٧)
- آراء ومقترحات حول الدستور الدائم . « تقارير الشهر » ١٠٦ ٧
- دستور ١٩٢٣ « وثائق » . ١١٥ ٧
- مشروع الدستور الدائم . « تقارير الشهر » . ١٤٢ ٧
- قضية التعليم الخاص والدستور . « كتابات جديدة » . ١٥٥ ٨
- ١٧٧ ٩
- ١١٨ ٨
- ١٥١ ٨

■ دين :

أنظر : قيم روحية

■ السد العالى :

أنظر ج. م. ع. — اقتصاد

■ سياسة خارجية :

— أنظر أيضا :

- وثائق ١٢ ١٤٦
- عبد الناصر والحركة الوطنية في اليمن د. محمد على المشهارى . ٥٦ ١
- لقاءات سياسية دولية واسعة . (تقارير الشهر) . ١٢٣ ١
- تحرك سياسى واسع داخليا وعالميا . « تقارير الشهر » . ١١٥ ٢
- رحلة وفد اللجنة المركزية الى ايطاليا وفرنسا وبريطانيا . [تقارير الشهر] . ١٢٠ ١٢

■ شئون داخلية :

- حوار بناء ومواجهة صريحة للمشكلات القومية . « تقارير الشهر » . ١١٦ ١
- الاعلام من أجل المعركة . محمد سيد احمد . ٤٢ ٢
- بعض القضايا الاساسية في إعادة التنظيم الادارى . د. علي السلمي . ٥٧ ٣

- (٢) الرواية المصرية والمقاومة الوطنية . احمد محمد عطية . ٢٢ ٨
- (٣) الموجة الجديدة في الرواية المصرية . صبرى حافظ . ٢٩ ٨
- الرواية العربية تنادى حيزران . غالى شكرى . ٤١ ٨
- ظلال أزمة ٥ يونيو والقصة القصيرة المصرية . عبد الرحمن أبو عوف . ٧١ ٣
- محمود درويش في القاهرة . (تقارير الشهر) . ٩٩ ٣
- (ديوان) ليلى والجنون . صلاح عبد الصبور . ١٢٨ ٦
- « مكتبة الطليعة »
- الجواهرى في القاهرة (حول اقامة الشاعمر العراقى محمد مهدي الجواهرى الى مصر)
- « تقارير الشهر » . ١١٩ ١١
- مناقشة الموجة الجديدة في الرواية المصرية . مصطفى فودة (مناقشات مفتوحة) ١٣٤ ١١

■ فنون :

- الفن التشكيلي والقاعات الخاصة . (تعليق) بقلم مختار العطار . ١٢٩ ١
- « الفول » على مسرح الجيب فريدة النقاشى . ١١٧ ٢
- تجارة الفن .. والفن التجارى . مختار العطار . « تعليق » . ١٢٤ ٢
- فن تشكيلي ، بداية الموسم بين الوحدة والتنوع (تقارير الشهر) . ٩٤ ٣
- تقرير شامل عن الموسم المسرحى ، الزهور تتفتح وسط الاعشاب السامة . غالى شكرى (تقارير الشهر) . ٩٦ ٣
- خريف مصرى معاصر « تعليق » مختار العطار . ٩٨ ٣
- المسرح وقضايا الشعب . (دراسة موسعة للمسرح المصرى) . ١٢ ٥
- حركة المسرح المصرى من الماضى الى المستقبل . فاروق عبد القادر . ١٤ ٥
- اتجاهات المسرح المصرى المعاصر . امير اسكندر . ٢٣ ٥
- المسرح وتراث الشعب المصرى د. على الراعى . ٣٥ ٥
- المسرح المصرى والطبقة المتوسطة . سامى خشبة . ٤١ ٥
- أين الغضب في مسرحنا الغاضب . غالى شكرى . ٥٩ ٥
- حول الحركة التشكيلية . « تعليق » مختار العطار . ١٢٣ ٥
- ماذا يقول العاملون في الحقل المسرحى . اعداد راوية المنسترلى . ١٠٢ ٦
- ليس من حقل ايها الرقيب « تعليق » غالى شكرى . (حول منع عرض فيلم المنفى اللبائى) . ١١٧ ٦
- حصاد موسم حافل (فنون تشكيلية) « تقارير الشهر » . ١٢٠ ٦
- ٨٠ عاما على ميلاد الفنان محمود مختار (١٨٩١ — ١٩٣٤) « تقارير الشهر » . ١٢٢ ٦
- مناقشة حول التراث . « تعليق » (حول زيارة الفنان التشكيلي الالماني القونس هوبى للقاهرة) مختار العطار . ١١٦ ٧
- معرض الانسان واسلحة الدمار . فن تشكيلي « تقارير الشهر » . ١٢٤ ٧
- المقتون التشكيلية بين تغيير القيم وتغيير اللجان « تعليق » فؤاد كامل . ١٣٠ ٨

- شهادة الخدمة الاجتماعية قبل تعيين خريج الجامعة « مناقشات مفتوحة » . ١٤٩ ٥
- تعليق على مقال : « المميزات العامة للتركيب الطبقي في مصر » « مناقشات مفتوحة » . ١٤٦ ٦
- بعض الاسئلة التي يطرحها البرنامج . (برنامج العمل الوطنى) .
- بناء المستقبل في « برنامج العمل الوطنى » . ١١٢ ١٠
- عبد التواب يوسف .
- حول مفهوم « القيم » في البرنامج . (برنامج العمل الوطنى) .
- بناء الانسان الجديد . لطفى فهم . ١١٩ ١٠
- نحو فهم أفضل للمراهق . د. عزيز أحمد رياض ٧٢ ١٢

أجور :

- الدرجة الحادية عشرة . (رسالة من مواطن يناقش عدم ملائمة دخل المعين على الدرجة الحادية عشرة) . « مناقشات مفتوحة » . ١٧٠ ٩

تعليم :

— انظر أيضا :

قضايا اجتماعية (العالم)

- ماذا يعنى الغاء الامتحان في المواد القومية ؟ تعليق بقلم ممدوح عبد الرحمن . ١٢١ ١
- وظائف التعليم الجامعى وسياسته العامة . د. رضى لبيب . ٩٦ ٢
- ملف خاص عن اتعليم ، نحو الامية ، التعليم الابتدائى ، التعليم الثانوى ، التعليم الجامعى ، عن تجارب الدول الاشتراكية . ٧٩ ٢
- مبادئ أساسية في تخطيط التعليم . د. اسماعيل صبرى عبد الله . ٨٠ ٢
- التعليم الابتدائى قضايا ومشكلات . ممدوح عبد الرحمن . ٨٧ ٢
- نحو مدرسة ثانوية مصرية شاملة . ابراهيم الابيارى . ٩٢ ٢
- نافذة على تجارب الدول الاشتراكية .
- اولا : نظام التعليم العالى في الاتحاد السوفيتى
- ثانيا : المدرسة البوليتكنيكية في ألمانيا الديمقراطية .
- ثالثا : التعليم الثانوى في المجر .
- رابعا : بعض قضايا التعليم في رومانيا .
- خامسا : التعليم العام في بولندا .
- سادسا : الصين الشعبية والثورة البروليتارية في التعليم . (من اعداد الطليعة) . ١٠٢ ٢
- حول قضية « التعليم في مصر » . (مناقشات مفتوحة) . ١٢٢ ٣
- مؤتمر التعليم في الدولة العصرية بين التنظيم السياسى والهيئات الفنية « تعليق » ممدوح عبد الرحمن . ١١٤ ٤
- ايضاح أكثر . . لقضية التعليم .
- المدرسة الثانوية الشاملة . (تعليقان على ما اثارته الطليعة من التعليم في مصر) « مناقشات مفتوحة » . ١٥٢ ٤
- الفلسفة والثورة . « تعليق » (حول مؤتمر مدرسى الفلسفة مع امانة القاهرة) د. مراد وهبة . ١٢٠ ٥

- المؤتمر السنوى للمجلس القومى للسلام . « تقارير الشهر » . ١١٢ ٤
- [كتاب] حرية الصحافة وفق تشريعات الجمهورية العربية المتحدة . د. جمال الدين العطيفى . « مكتبة الطليعة » . ١٣١ ٤
- اتجاهات العمل والمستقبل . (بعد حركة تصحيح ١٤ مايو) « تقارير الشهر » . ١١٢ ٦
- التنظيم السياسى والمنظمات الجماهيرية في البرنامج . (برنامج العمل الوطنى)
- مفاهيم أساسية للحكم المحلى . د. وليم سليمان قلادة . ٥٧ ١٠

شئون عسكرية :

— انظر أيضا :

تاريخ

- مواجهة العدو لتحقيق النصر ، (وسيلة الردع العسكرى) . ابراهيم سعد الدين . ١٦ ٣
- انظر أيضا :

قضايا عسكرية (العالم)

علاقات خارجية — عام :

- رسالة من بودابست . (حول رسالة الرئيس السادات الى المؤتمر العام للمجلس العالى للسلام) رفعت السعيد . ١٣١ ٦

■ الاتحاد السوفيتى :

— انظر أيضا :

العالم العربى — عام

- اهمية معاهدة الصداقة والتعاون العربية السوفيتية . د. محمد على الشهاوى ٦٦ ٧
- معاهدة الصداقة العربية السوفيتية قاعدة طويلة للتعاون الشامل « تقارير الشهر » . ١١٤ ٧
- الموقع الفكرى والاجتماعى والسياسى للبرنامج (برنامج العمل الوطنى) .
- الصداقة العربية السوفيتية سلاح مشترك للنضال ضد الامبريالية والعدوان . عبد اللطيف هنفى . ٣٢ ١٠
- خطوات مشتركة لازالة العدوان الاسرائيلى . (حول زيارة الرئيس السادات لموسكو) « تقارير الشهر » . ١١٥ ١١

عمال التراحيل :

— انظر :

ج.م.ع — قضايا اجتماعية

قضايا اجتماعية — عام

- موقع النضال العسالى من نضالنا الوطنى والاجتماعى « الافتتاحية » . ٥ ٢
- المميزات العامة للتركيب الطبقي في مصر عشية ثورة يوليو ١٩٥٢ . د. جمال مجدى حسنين ٥١ ٤

٦٧	٨	انتخابات البطريرك والتراث الديمقراطي المصري
١٧١	٩	د. وليم سليمان . انتخابات البطريرك . « مناقشات مفتوحة » حول مفهوم « القيم » في البرنامج . (برنامج العمل الوطني) أرض مشتركة للقيم الروحية والاشتراكية . محمد عمارة .
١٢٥	١٠	حول مفهوم « القيم » في البرنامج . (برنامج العمل الوطني) القيم المسيحية وقضية الاشتراكية . القصص : جرجس متى .
١٣٠	١٠	النص الكامل لكتاب الشيخ علي عبد الرازق : الاسلام واصول الحكم ، بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام . « وثائق » .
١٣٧	١١	

■ نقابات :

— أنظر :

ج . م . ع . — شئون داخلية .

تنظيمات جماهيرية

■ قضايا اجتماعية : (العالم)

٦٥	٣	التقاليد وعملية تكوين التقاليد نموذج مراكشي — د. عبد الله العروى .
٧٦	٨	المعلم والتربية الاشتراكية . د. عزيز حنا داود — ثغرات في جبهة الرأسمالية المالية ، من المطلب الاقتصادي الى التغيير السياسي والاجتماعي . عبد المنعم الغزالي .
٨٨	٥	أصل البورجوازية . ريجين برنو . « مكتبة الطليعة » .
١٢٨	٥	التطور غير الرأسمالي في آسيا وأفريقيا ، ماله وما عليه .. مشاكله .. وأبعاده . لوثر راثمان ، هارتموث شيلنج .
٥٧	١١	

■ قضايا اقتصادية : (العالم)

٣٦	٣	معركة الاوبك وشركات البترول ، ولماذا هتمية انتصار الدول المنتجة فيها ؟ صلاح منتصر .
٧٠	٤	الازمة البترولية العالمية ومسحوة الاوبك . مصطفى النجار .
١٤٢	٤	الامبريالية تغير جلدتها وتتشكل في مواجهة الاوضاع التاريخية الجديدة . « من المجالات الفكرية العالمية » .
١٢٧	٢	حول بعض المسائل النظرية في الاقتصاد الاشتراكي . كيم ايل سونج « مكتبة الطليعة » .
١٢٦	٧	(كتاب) مدخل الى الاشتراكية . ليوهيوبرمان ، بول سوزي — مقدمة : البورت اينشتين — عرض كمال السيد . « مكتبة الطليعة » .
٨٧	٦	جذور ازمة النقد في العالم الرأسمالي . يوسف الحجاجي .
١٥٦	٩	انقاذ « الدولار المريض » . بدماؤ الآخرين . « تقارير الشهر » .
١٢٧	١٢	بيرو : أخفق مؤتمر « الفقراء » في توحيد صفوفهم . [تقارير الشهر] .

٨١	٧	الاساس الاجتماعي للتعليم الخاص . ممدوح عبد الرحمن .
١٥١	٨	قضية التعليم الخاص والدستور . « كتابات جديدة » .
٨٢	١٠	بعض الاسئلة التي يطرحها البرنامج . (برنامج العمل الوطني) مشكلة التعليم وقضية التقدم الاجتماعي . أديب ديمتري .

■ الريف :

٤٧	٢	من أجل حماية مكاسب الفلاحين . د. علي النويجي ، د. جلال رجب .
٩٢	٣	خطوات حاسمة في مشروع كهرية الريف . « تقارير الشهر » .
١٠٧	١٠	بعض الاسئلة التي يطرحها البرنامج . (برنامج العمل الوطني) اعادة بناء القرية : معركة سياسية وجماهيرية . حسنى حسين .
٥١	١٢	اعادة بناء القرية ، القضية والخطة . جمال حمدان .

عمال التراحيل :

١٩	١	عمال التراحيل ، المشكلة والحل . (دراسة اشترك فيها حسن معاذ رميح ، حسنى حسين ، عطية الصيرفي ، كمال السيد) .
١١٩	٢	حول مشكلة « عمال التراحيل » — تعليق رفعت السعيد .
١٢٥	٣	قضية ملحة وحلول مطروحة — « من المجالات الفكرية العالمية »

المراة :

— أنظر :

تنظيمات جماهيرية

محو الامية :

٧٩	١٠	بعض الاسئلة التي يطرحها البرنامج . (برنامج العمل الوطني) محو الامية : مهمة لا تحتمل التأخير ممدوح عبد الرحمن .
----	----	---

المهجرون :

١٣٢	٣	المهجرون .. والعمل السياسي . (مناقشات مفتوحة) .
١٤٨	١	مسؤوليات مباشرة . (رسالة من مواطن مهجر) « مناقشات مفتوحة » .

هجرة :

١٣٨	٧	« هجرة العقول » ما هو الحل ؟ د. توفيق محمود بركات . « كتابات جديدة » .
-----	---	--

■ قيم روحية :

— أنظر ايضا :

ج . م . ع . — تاريخ

قضايا عسكرية : (العالم)

- التعبئة الشعبية : خبرات و تجارب ثورية
كوبا . فيتنام . أنجولا . موزمبيق . غينيا
بيساو . اشترك في الدراسة . د. رفعت
السعيد ، سعد رحى ، خيرى عزيز ، كمال
السيد ، حسين شعلان ، وديع وهيب .
— أضواء حول نكتيك عبور الموانع المائية .
محمود عزمى .
— العصبية العسكرية الصناعية في الولايات المتحدة
(من مجالات الفكرية والعالمية) .
— الفدائيون من الجو . محمود عزمى .

قضايا فكرية وايدولوجية :

- رسالة من لوفان — بلجيكا — بين الاصاله
القومية ومقتضيات التجديد والعصرية .
حسام هيسى . « تقارير الشهر » .
— الصدفة والضرورة . مقال في الفلسفة الطبيعية
للبيولوجيا الحديثة . « من المجالات الفكرية
والعالمية » .
— التطور التاريخي للتفكير (من المجالات العالمية) .
— الانسان والتكنولوجيا « من المجالات الفكرية
والعالمية » .
— حوار حول الايدولوجيا والعلوم الانسانية ،
علم الاجتماع بين الوحدة والتعدد . د. محمود
عودة (يليه تعليق بقلم لطفى فطيم عن
الايدولوجيا . . والانسان . . والمجتمع) .
— عندما توضع العربى امام الحصان نعلين على
مقال لاحسان عبد القدوس عن الوحدة
والاتحاد بقلم سمير تادرس .
— « الثورة التكنولوجية » هل تلغى المسافات بين
الراسمالية والاشتراكية ؟ سمير كرم .
— حوار حول الايدولوجيا والعلوم الانسانية ،
(علم النفس بين المادية والمثالية) د. فرج
أحمد فرج ، « الدراسة العلمية للانسان
والمجتمع » لطفى فطيم .
— علم الاجتماع بين الاشتراكية والراسمالية
د. سمير نعيم أحمد .
— الراسمالية وفكرة العودة الى الطبيعة .
د. عبد الوهاب محمد المسيرى .
— اتجاهات جديدة في حركات التحرر القومية .
(من المجالات الفكرية العالمية) .
— سنة مفكرين وجوديين . ه.ج. بلاكهام . « مكتبة
الطليعة » .
— الفيلسوف الماركسى المجرى جورج لوكاتشى
في آخر حوار فكرى معه . سمير كرم .
— (كتاب) نظريات الشخصية . ك. هول ج .
لندزى . مكتبة الطليعة .
— الديمقراطية والاشتراكية . مصطفى طيبة .
الصهيونية ، التاريخ — الحركة — الافكار
المصالح (دراسة موسعة قام بها) .
— د. اسماعيل صبرى عبد الله ، أبو سيف
يوسف ، أحمد صادق ، محمود حمدي
عبد الجواد ، وديع وهيب ، شكرى عازر .
— (٤) الفكرة الصهيونية . عرض : د. وليم
سليمان .
(٨٠ شهرا من حياة الطليعة » .
— لكم دينكم ولى دينى . (تعليق وتقد حول تناول

الطليعة لقضايا التحرر الوطنى (د. بطرس بطرس غالى .

- « ٨٠ شهرا من حياة الطليعة » .
فخ العمالة ، رد على الدكتور بطرس بطرس
غالى . « ٨٠ شهرا من حياة الطليعة »
— حول « لكم دينكم ولى دين » (تعليق لقارىء)
(مناقشات مفتوحة » .
— الماركسيون والاشتراكية غير الماركسية .
ر. أوليانوفسكى .
— [كتاب] الايدولوجية العربية المعاصرة .
عبد الله العروى ، محمد عيقانى . « مكتبة
الطليعة » .
— المسيحية والماركسية . جوزيم مايو . « من
المجالات الفكرية العالمية » .

الولايات المتحدة الأمريكية — عام :

حسابات ١٩٧٠ و اتفاق ١٩٧١
(يشتمل الجزء الثانى منها على مسح للأحداث
السياسية الخارجية والداخلية لأمريكا) .

استكشاف الفضاء :

- ابو لى ١٤ وبرنامج الفضاء الأمريكى (تقارير
الشهر) .
— بين برامج الفضاء والشركات الأمريكية الكبرى
(من المجالات الفكرية العالمية) .

اقتصاد :

- ازدياد عمق الازمة الاقتصادية .
— انقاذ « الدولار المريض » . بدماء الاخرين .
(تقارير الشهر » .
— أزمة الدولار . وصراعات العالم الراسمالي .
(تقارير الشهر » .

شئون داخلية :

- انجيلا ديفيز . . والهجوم الدموى الجديد .
(تقارير الشهر » .
— موجة اضرابات نحتاج العالم الراسمالي .
(تقارير الشهر) .
— وكالة المخابرات المركزية ، مشاكل السرية في
مجتمع ديمقراطى . يونج هوم كيم . « مكتبة
الطليعة » .
— النشاط التخريبى المعادى للسوفييت
(تقارير الشهر » .
— ردع الصهاينة المتوسسين في أمريكا . .
(بيان ليهود بلغاريا حول « رابطة الدفاع
اليهودى ») (مناقشات مفتوحة » .

شئون عسكرية :

- العصبية العسكرية الصناعية في الولايات
المتحدة . « من المجالات الفكرية والعالمية » .

قضايا اجتماعية :

- شباب أمريكا . . الهارب من حرب فيتنام . « من
المجالات الفكرية العالمية » .

عن المظاهرات الامريكية وواجبات حركة التحرر العربية « تعليق » . وديع امين .

١١٩ ٦

■ علاقات خارجية :

■ اسرائيل :

— الامبراطورية المالية للصهيونية . فلاديميروف « من المجالات الفكرية العالمية »

١٤٤ ٦

■ الصين :

— نيكسون « يذهب الى حيث يجب الا يذهب » .

مراحل تقرب امريكا من الصين منذ بداية حكم

نيكسون « تقارير الشهر » .

— التقارب الصيني — الامريكي ، نيكسون ، يطرق

ابواب السور العظيم . « تقرير خاص » (سمي

كرم) .

١٢٧ ٨

١٤٤ ٩

■ العالم العربي :

— جولة نيكسون ودور امريكا المشلوم « تقارير الشهر » .

— الولايات المتحدة الامريكية والموامل التي تحدد موقفها وديع وهيب .

— (كتاب) مدخل السياسية الامريكية للعالم العربي . جون . س. بادو « مكتبة الطليعة » .

٧٩ ١

١٣ ٤

١٣٩ ٨

■ اليابان :

— أنظر :

اليابان — علاقات خارجية .

■ عرض كتب « مكتبة الطليعة » :

— مصر . . وكرومر . عفاف لطفى السيد عرض : د. احمد عبد الرحيم مصطفى .

١٢٨ ١

— حول بعض المسائل النظرية في الاقتصاد الاشتراكي . كيم ايل سونج

١٢٧ ٢

— عرض خيرى عزيز .

— وكالة المخابرات المركزية ، مشاكل السرية في مجتمع ديمقراطى . يونج هوم كيم — عرض :

١١٥ ٣

كمال السيد .

— « المفكرون » قوة الصحراء الضاربة . آرثر سوينسون — عرض : محمود عزمى .

١١٩ ٣

(ينظر في موضوعه لرؤية امكانية احالة الموضوع)

— الوجودية والافتراق في الادب الامريكى . سيدنى فنكلشتين — عرض : سعد صموئيل .

١٢٣ ٣

— حرية الصحافة وفق تشريعات الجمهورية العربية المتحدة . د. جمال الدين العطيفى — عرض :

١٣١ ٤

مصطفى سامى .

— ستة مفكرين وجوديين . ه. ج. بلاكهام — عرض : ماهر شفيق فريد .

١٣٧ ٤

— الماركسية والتحليل النفسى . روبن اوسبورن — عرض وتعليق . لطفى فطيم .

١٣١ ٥

— اصل البورجوازية . ريجين برنو — عرض : سعد رحى .

١٣٨ ٥

— الماركسية والدولة الصهيونية . اديب ديمترى — عرض : مصطفى حسن كتوع .

١٣٤ ٦

— ليلى والمجنون — مسرحية شعيرية — صلاح عبد الصبور . تحليل نبيل راغب .

١٢٨ ٦

— مدخل الى الاشتراكية — ليويهوبرمان ، بول سويزى — مقدمة : البرت اينشتين — عرض :

١٢٦ ٧

كمال السيد .

— نظريات شخصية . ك. هول ، ج. لندزى — ترجمة : فرج احمد فرج ، قدرى حفى ، لطفى فطيم — مراجعة : د. لويس كامل مليكة —

١٣٠ ٧

عرض : شوقى جلال .

— مدخل السياسة الامريكية للعالم العربى . جون . س. بادو — عرض : مهدي عبد الرؤوف سليم .

١٣٩ ٨

— شيلى . . الوحدة الوطنية . . ا. اكوايفا ، ج. فورنيال ، ب. جيلود ، ج. مارسيلان .

١٤٣ ٨٨

عرض : كمال السيد .

— المشاكل الراهنة للثورة الديمقراطية الوطنية في المغرب . على ياطا — عرض : ممدوح عبد الرحمن .

١٦٣ ٩

— ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى (١٨٨٢ — ١٩١١) . د. احمد صدقى المدجاني . عرض : مصطفى سامى .

١٣٠ ١١

— الواقعية في الفن . سيدنى فنكلشتين . عرض : سمي كرم .

١٣١ ١١

— الايديولوجية العربية المعاصرة . عبد الله العروى ، محمد عيقاتى . عرض : عبد الحميد محمد على .

١٣٣ ١٢

— جذور الثورة الافريقية . جاك ووديس ، ترجمة وتعليق احمد فؤاد بلبغ — عرض : اسماعيل عبد الحكم . « مكتبة الطليعة » .

١٢٧ ١٢

وثائق

— يوميات الثورة ١٨ عاما من النضال لعبد الناصر (السنة السادسة الى التاسعة) .

١٥٠ ١

— يوميات الثورة : ١٨ عاما من نضال عبد الناصر (السنة العاشرة الى الثانية عشرة) .

١٥٢ ٢

— يوميات الثورة : ١٨ عاما من نضال عبد الناصر . (من السنة الثالثة عشرة الى

١٣٤ ٣

السابعة عشرة) .

— يوميات الثورة : ١٨ عاما من نضال عبد الناصر (السنة الثامنة عشرة) .

١٥٣ ٤

— الحلف الاسرائيلى الالمانى الغربى من عام ١٩٦٩ حتى بداية عام ١٩٧٠ « وثائق » .

١٥٣ ٥

— دولة فلسطين المستقلة ، اراء واتجاهات حول المشروع . اعداد عزيز احمد عزمى .

١٥٠ ٦

— دستور ١٩٢٣ . اعداد وتعليق طارق البشرى د. رفعت السعيد .

١٤٢ ٧

١٥٥ ٨

١٧٧ ٩

١٦٤ ١٠

— النص الكامل لبرنامج العمل الوطنى .

— النص الكامل لكتاب الشيخ على عبد الرازق — الاسلام واصول الحكم ، بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام .

١٢٧ ١١

— المجلس الاوروبى ، الجمعية الاستشارية [نص محاضر جلستى الجمعية الاستشارية للمجلس الاوروبى المخصصتان لمناقشة قضية الصراع العربى الاسرائيلى] .

١٤٦ ١٢

كشاف الأسماء لعام ١٩٧١

(١)

إبراهيم الأبيارى :

— نحو مدرسة ثانوية مصرية شاملة . ٩٢ ٢

إبراهيم سعد الدين :

— مواجهة العدو لتحقيق النصر . ١٢ ٣
— انتماء مصر العربى شرط تحقيق النصر . ٢٣ ٤
— المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى
السوفييتى ، رغبة الشعب المهمة الرئيسية
للخطة الاقتصادية . ٩٥ ٥

أبو سيف يوسف :

— رسالة من بوخارست : انطباعات رومانية . ١٢٤ ٢
— بناء الاتحاد الاشتراكى بالديمقراطية . ١١ ٧
— البرنامج (برنامج العمل الوطنى) : قسماته
وآفاق النضال من أجل تنفيذه . ١٧ ١٠
— الصهيونية ، التاريخ — الحركة — الأفكار —
المصالح . (دراسة موسعة مع آخرين) . ١٠ ١١
— [اشترك فى الاشراف على دراسة موسعة عن]
اسرائيل ، الكيان ، الايديولوجية ، الاستراتيجية ١٠ ١٢

احسان بكر :

— (اشترك فى ملف احداث « الشرق الاوسط »
الذى قدمته الطليعة تحت عنوان « حسابات
١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ » . ٩٠ ١

أحمد حسن إبراهيم :

— حول التعديلات المقترحة فى السياسة الزراعية . ١٢٩ ٣
— دور القرية المصرية فى خطة التنمية ٤٤ ٤
— رؤية شاملة لقضايا التخطيط القومى . ٦٥ ١٠

أحمد صادق (سعد) :

— خريطة الاقتصاد الاسرائيلى . ١١ ١
— الصهيونية ، التاريخ — الحركة — الأفكار —
المصالح (دراسة موسعة مع آخرين) . ١٠ ١١
— [اشترك فى دراسة موسعة عن] اسرائيل ،
الكيان ، الايديولوجية ، الاستراتيجية . ١٠ ١٢

أحمد صدقى الدجاني :

— (كتاب) ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى (١٨٨٢ —
١٩١١) . « مكتبة الطليعة » . ١٢٠ ١١

أحمد عبد الرحيم مصطفى :

— (عرض كتاب) مصر . وكرومر . ٢٨ ١

أحمد محمد :

— الرواية المصرية والمقاومة الوطنية . ٢٢ ٨

أديب ديمترى :

— (كتاب) الماركسية والدولة الصهيونية . « مكتبة
الطليعة » . ٢٤ ٦
— مشكلة التعليم وقضية التقدم الاجتماعى . ٨٢ ١٠

آرييه ، ألبير :

— كوميونة باريس والحركة الثورية العالمية . ٦١ ٦

اسماعيل صبرى عبد الله :

— مبادئ أساسية فى تخطيط التعليم . ٨٠ ٢
— مصر الهدف الاستراتيجى لاسرائيل . ١٩ ٤
— الحرب .. والاستهلاك . ٩ ٥
— نظرة مصرية على تاريخنا الحضارى . ٧٤ ٦
— القطاع العام وديمقراطية الانتاج . ٧٤ ١٠
— الصهيونية ، التاريخ — الحركة — الانكار
— المصالح . (دراسة موسعة مع آخرين) . ١٠ ١١
— [اشرف على دراسة موسعة عن] اسرائيل ،
الكيان ، الايديولوجية ، الاستراتيجية . ١٠ ١٢

اسماعيل عبد الحكيم :

— [عرض كتاب] جذور الثورة الافريقية ووديس
جاك . « مكتبة الطليعة » ١٣٧ ١٢

أنفري ، يورى :

— [ترجمة عنه] ١٤ ١٢

أكوافيفا ، أ . (وآخرون) :

— (كتاب) شيلي .. الوحدة الوطنية « مكتبة
الطليعة » . ١٤٣ ٨

أمير أسكندر :

— اتجاهات المسرح المصرى المعاصر . ٢٣ ٥

أنجى رشدى :

— التنظيم النسائى وقضية تحرير المرأة . ٣٠ ٧

وسبورن ، روبن :

— الماركسية والتحليل النفسى « مكتبة
الطليلة » .

١٣١ ٥

اوليانوفسكى ، روستيسلاف

— الماركسيون والاشتراكية غير الماركسية

٦٦ ١٢

ايفنستين ، ألبرت :

— (مقدمة كتاب) مدخل الى الاشتراكية .
ليوهيوبرمان ، بول سويزى . « مكتبة
الطليلة » .

١٢٦ ٧

(ب)

بادو ، جون س. :

— (كتاب) مدخل السياسة الامريكية للعالم
العربى « مكتبة الطليعة » .

١٣٩ ٨

برنال ، جون (ديزموند) :

— جون برنال فيلسوف العلم والسلام . « تقرير
خاص » سمير كرم .

١١٢ ١١

برنو ، ريجين :

— اصل البورجوازية . « مكتبة الطليعة » .

١٣٨ ٥

بطرس بطرس غالى :

— لكم دينكم ولى دين . (تمليق ونقد حول ماتضمنه
الطليلة من مقالات حركة التحرر الوطنى فى ٨
شهر) .

١٤٤ ١٠

بلاكهام ، ه. ج. :

— (كتاب) ستة مفكرين وجوديين . عرض : ماهر
شليق بريد .

١٣٧ ٤

بن جوريون ، دافيد :

— (ترجمة عن) دافيد بن جوريون .

٣٤ ١١

بوتيه ، يوجين :

— يوجين بوتيه . (مقال للينين عن مؤلف نشيد
الانترناشيونالى) .

٥٠ ٦

بيتهوفن ، أميل لودفيج :

— الالتزام الثورى فى أعمال وحياة بيتهوفن .
طارق عزت .

١٤٥ ١

بيريز ، شيمون :

— (ترجمة عن) شيمون بيريز .

٣٨ ١١

بيكاسو ، [بابلو] :

— رسالة من موسكو : من بيكاسو . . الى
دوستويفسكى . . الى يفتشنيكو ، رأى سوفيينى
فى بيكاسو . سعيد حورانية .

١٢٩ ١٢

(ت)

توفيق محمود بركات :

— « هجرة العقول » : ما هو الحل ؟ « كتابات
جديدة » .

١٣٨ ٧

تيتو ، جوزيب بروز :

— « تيتو لم يصبح بندقية فارغة » خ. ع « تقارير
الشهر » .

١٢٣ ٦

(ث)

ثروت كاتبة :

— الثورة (الفلسطينية) والوطن العربى

٩٩ ٤

(ج)

جرجس متى (القمص) :

— القيم المسيحية وقضية الاشتراكية .

١٣٠ ١٠

جلال رجب :

— من أجل حماية مكاسب الفلاحين .

٤٧ ٢

جمال حمدان :

— اعادة بناء القرية ، القضية والخطة .

٥١ ١٢

جمال الدين العطيفى :

— (كتاب) حرية الصحافة وفق تشريعات
الجمهورية العربية المتحدة . عرض : مصطفى
سامى .

١٢١ ٤

— بعض أفكار أساسية للدستور الجديد .

٩٤ ٧

— السؤال الذى يطرحه البرنامج على النقابات
المهنية .

٥٠ ١٠

جمال عبد الناصر :

— انظر كشاف الموضوعات :

جمال عبد الناصر .

جمال مجدى حسنين :

— المميزات العامة لتلريب الطبقي فى مصر عشية
ثورة يوليو ١٩٥٢ .

٥١ ٤

(ح)

حسام عيسى :

— رسالة من لوفان — بلجيكا — بين الاصاله
القومية ومقتضيات التجديد والمصرية . تقارير
(الشهر)

١٢٤ ١

حسن صعب :

- رؤية عممية للمشروع الوجدوى العربى . ٢ ٥٤

حسن فؤاد :

- رسالة من نيقيوسيا : مشكلة التوازن بين حقوق الاقلية التركية وفاعلية الحكومة . ٢ ١٢٠

حسن معاذ رميح :

- اشترك فى دراسة من عمال التراحيل ، المشكلة والحل . ١ ١٩

حسنى حسنين :

- [اشترك فى دراسة من] عمال التراحيل ، المشكلة والحل . ١ ١٩
— اعادة بناء القرية : معركة سياسية وجماهيرية . ١٠ ١٠٧

حسين شعلان :

- (اشترك فى اعداد ملف احداث العالم الذى قدمته الطليعة تحت عنوان) « حسابات ١٩٧٠ و آفاق ١٩٧١ » . ١ ٧٢
— التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية — موزمبيق . ٢ ٣٠
— حركة التحرر بين الدعوة الى « حوار افريقى » مع جنوب افريقيا والدعوة الى « حوار عربى » مع اسرائيل . ٧ ٧٨
— ٨٠ شهرا من حياة الطليعة
١ — حركة التحرر الوطنى . « عرض » ٩ ١٠٧
— فخ العمالة ، رد على الدكتور بطرس بطرس غالى (٨٠ شهرا من حياة الطليعة) . ١١ ٨٨

حسين طلعت :

- (اشترك فى ملف احداث « أمريكا اللاتينية » الذى قدمته الطليعة تحت عنوان) « حسابات ١٩٧٠ و آفاق ١٩٧١ » . ١ ١٠٢

حمدي عبد الجواد :

- (اشترك فى ملف احداث « الولايات المتحدة » الذى قدمته الطليعة تحت عنوان) « حسابات ١٩٧٠ و آفاق ١٩٧١ » . ١ ٨٠
— (اشترك فى ملف احداث « الشرق الاوسط » الذى قدمته الطليعة تحت عنوان) « حسابات ١٩٧٠ و آفاق ١٩٧١ » . ١ ٩٠
— الصهيونية ، التاريخ — الحركة — الافكار — المصالح (دراسة موسعة مع آخرين) . ١١ ١٠
— [اشترك فى دراسة موسعة عن] اسرائيل ، الكيان ، الايديولوجية ، الاستراتيجية . ١٢ ١٠
— طبيعة المرحلة الحالية من الثورة ، قوى الثورة — موقعها من العملية الثورية . [٨٠ شهرا من حياة الطليعة ، المواقف والاتجاهات] . ١٢ ٨٠

(خ)

خروشوف ، نيكيتاس :

- موسكو : خروشوف .. بين الاصداقاء والاعداء « تقرير خاص » سميح كرم ١ ١٥٥

خيرى حماد :

- حول القضية الفلسطينية ، انها قضية العصر حتى تجد الحل الامثل . [٨٠ شهرا من حياة الطليعة ، المواقف والاتجاهات] . ١٢ ٨٦

خيرى عزيز :

- (اشترك فى اعداد ملف احداث العالم الذى قدمته الطليعة تحت عنوان) « حسابات ١٩٧٠ و آفاق ١٩٧١ » . ١ ٧٢
— (عرض كتاب) حول بعض المسائل النظرية فى الاقتصاد الاشتراكى . ٢ ١٢٧
— التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية — فيتنام . ٣ ٢٦
— الانجازات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكومبونة باريس . ٦ ٣٩
— « تيتو لم يصبح بنذقية فارغة » « تقارير الشهر » . ٦ ١٢٣
— كوريا الشمالية : البلد الذى يعيش فى ساعة الصفر . ٨ ٩٧
— برلين : من الذى خسر الجولة ؟ « تقرير خاص » . ١٠ ١٦٠
— الخطا الذى وقع فيه المراقبون السياسيون (تقرير خاص) . ١٢ ١١٠

(د)

دوستوييفسكى ، (فيودور) :

- رسالة من موسكو : ١٥٠ عاما على ميلاد دوستوييفسكى . فيصل حورانية . ١١ ١٢٧

- رسالة من موسكو : من بيكاسو .. الى دوستوييفسكى .. الى يفتشنگو ، دوستوييفسكى وروح العصر . سعيد حورانية . ١٢ ١٣٠

ديفيز ، انجيلا :

- انجيلا ديفيز .. والهجوم الدموى الجديد . « تقارير الشهر » . ٢ ١٢٩

دينيكين ، [اينافونيتش] :

- [ترجمة عنه] . ١٢ ٣٩

(ر)

رائمان : لوثر :

- التطور غير الراسمالي فى آسيا وافريقيا . ١١ ٥٧

راوية المنسترلى :

- ماذا يقول العاملون فى الحقل المسرحى . ٦ ١٠٢

رجب البنا :

- اسرائيل وجنوب افريقيا . ٤ ١٤٧

رشدي لبيب :

— وظائف التعليم الجامعي وسياسته العامة . ٢ ٩٦

رفعت السعيد :

— (اشترك في ملف أحداث « أوربا » الذي قدمته

الطلبة تحت عنوان) « حسابات ١٩٧٠

وآفاق ١٩٧١ » . ١ ٧٢

— نظرية التحالف بين الفكر والتطبيق . ٢ ١٨

— حول مشكلة « عمال التراحيل » « تعليق » . ٢ ١١٩

— المتبعة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية —

كوبا . ٣ ٢١

— رسالة من بودابست . (حول رسالة الرئيس

السادات الى المؤتمر العام للمجلس العالي

للسلام) . ٦ ١٢١

— (اعداد وتعليق) دستور ١٩٢٣ . (وثائق) ٧ ١٤٢

٨ ١٥٥

٩ ١٧٧

٩ ٤٣

— الواقع الطبقي للثورة المراهية .

— ٨٠ شهرا من حياة الطلبة ٣ — القضية

الفلسطينية . ١٠ ١٣٤

— بيروت : التسليح لماذا ؟ وضد من ؟ « تقرير

خاص » . ١٠ ١٥١

(ز)

(س)

سسامي خشبة :

— المسرح المصري والطبقة المتوسطة . ٥ ٤١

سعد رحى :

— المتبعة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية —

كوبا . ٣ ٢١

— (عرض كتاب) اصل البورجوازية . « مكتبة

الطلبة » . ٥ ١٢٨

— ٨٠ شهرا من حياة الطلبة ٢ — القضية

العربية . « عرض » . ٩ ١١٧

سعد صموئيل :

— (عرض كتاب) الوجودية والافتراق في الادب

الامريكي . سيدني فنكلشتين . ٣ ١٢٣

سمعيد حورانية :

— رسالة . موسكو : ١٥ عاما على ميلاد

دوستوفسكي . ١١ ١٢٧

— رسالة من موسكو : من بيكاسو . الى

دوستوفسكي . الى يفتشكو . ١٢ ١٢٩

سمير نادرس :

— عندما توضع العربية امام الحصان . تعليق

(على مقال لاهسان عبد القدوس من الوحدة

والاتحاد) . ١ ١١٨

— رسالة من وارسو : الاسباب الكامنة وراء

احداث البلطيق . ٥ ١٢٩

سمير فريد :

— رسالة من دمشق : سينما تولد من خلال

المقاومة . ١١ ١٢٨

سمير كرم :

— « الثورة التكنولوجية » هل تلغى المسافات

بين الرأسمالية والاشتراكية . ٤ ٧٦

— شيلي : تجربة جديدة للاحزاب العقائدية في

امريكا اللاتينية . ٦ ٩٦

— الفيلسوف المجري جورج لوكاتش في آخر

حوار فكري معه . ٧ ٧١

— التقارب الصيني — الامريكي ، نيكسون يطرق

ابواب « السور العظيم » . « تقرير خاص » ٩ ١٤٤

— موسكو : خروشوف . بين الاصدقاء والاعداء

« تقرير خاص » . ١٠ ١٥٥

— جون برنال فيلسوف العلم والسلام . « تقرير

خاص » . ١١ ١١٣

— (عرض كتاب) الواقعية في الفن سيدني

فنكلشتين . « مكتبة الطلبة » . ١١ ١٣١

سمير نعيم أحمد :

— علم الاجتماع بين الاشتراكية والرأسمالية . ٢ ٦٩

سونج ، كيم ايل :

— (كتاب) حول بعض المسائل النظرية في

الاقتصاد الاشتراكي . عرض : خيرى عزيز ٢ ١٣٧

سويزى ، بول :

— (كتاب) مدخل الى الاشتراكية . (بالاشتراك

مع) ليوهويبرمان . « مكتبة الطلبة » . ٧ ١٢٦

سوينسون ، آرثر :

— (كتاب) « المفرون » قوة الصحراء الضاربة

عرض : محمود هزى . ٣ ١٩

السيد عليوة :

— مخططات اسرائيل لتحويل الارض المحتلة . ٣ ٤٠

السيد يسن :

— الدراسات الاجتماعية وتطوير المجتمع . ١٠ ٩٥

سيف بن على :

— البترول واتجاهات الاستراتيجية الامبريالية

في الخليج العربى . ٦ ١٤

(ش)

شتاينر ، رولف :

— شتاينر واهداف نشاط المرتقة (تقارير الشهر) ٣ ١٠٣

شكري ، عازر :

- الصهيونية ، التاريخ — الحركة — الافكار —
المصالح . (دراسة موسعة مع آخرين) .
— [اشترك في دراسة موسعة عن] اسرائيل ،
الكيان ، الايديولوجية ، الاستراتيجية .

شوقي جلال :

- (عرض كتاب) نظريات الشخصية . ك. هول ،
ج. لندزي . « مكتبة الطليعة » .

شيلينج ، هارتموث :

- التطور غير الرأسمالي في آسيا وأفريقيا .

(ص)

صبرى حافظ :

- الموجة الجديدة في الرواية المصرية .
— شيلي : بابلو نيرودا .. شاعر وطنه الحرية .
[تقرير خاص] .

صلاح الدين حافظ :

- رسالة من دمشق : سوريا .. وقضية
الوحدة الوطنية .

صلاح عبد الصبور :

- (ديوان) ليلي والمجنون . « مكتبة الطليعة » .

صلاح عيسى :

- ملامح من الخريطة الفكرية للثورة العربية .

صلاح منتصر :

- معركة الاوبك وشركات البترول ولماذا حتمية
انتصار الدول المنتجة فيها ؟

(ض)

(ط)

طارق البشرى :

- الاتحاد الاشتراكي هل يقنن بالدستور ؟
— (اعداد وتعليق) دستور ١٩٢٣ . « وثائق »

- عبد الرحمن الرافعي ، مؤرخا وسياسيا .
[ملف الطليعة] .

طارق عزت :

- الالتزام الثوري في أعمال وحياة بيتهوفن .

طيب تيزيني

- مجلة « الطليعة » السورية السياسية ..
ودور الجبهة الوطنية التقدمية .

(ظ)

(ع)

عادل حسين

- قضية المنهج في مواجهة العدوان .

عادل سيف النصر :

- موقع البرنامج (برنامج العمل الوطني) من
وثائق الثورة .

عبد الباسط محمد :

- ٢ — علم الاجتماع وضرورة العودة الى المتبع .

عبد التواب يوسف :

- بناء المستقبل في « برنامج العمل الوطني »

عبد الحميد بن باديس

- (ترجمة عن) عبد الحميد باديس .

عبد الحميد محمد علي :

- [عرض كتاب] الايديولوجية العربية المعاصرة .
عبد الله العروى ، محمد عيفاني « مكتبة
الطليعة » .

عبد الرازق حسن :

- استثمار عائدات البترول في المشروعات الانمائية
في البلاد العربية — « من المجلات الفكرية
العالية » .
— مشكلة التنمية الاقتصادية في السودان .

عبد الرحمن أبو عوف :

- ظلال أزمة ٥ يونيو والقصة القصيرة المصرية

عبد الرحمن الرافعي :

- عبد الرحمن الرافعي ، مؤرخا وسياسيا .
[ملف الطليعة] اعداد : طارق البشرى .

عبد الرحمن الشرقاوي :

- طريق واحد ، تضامن من القوى الثورية هو
الطريق الوحيد للنصر .

عبد العال الباقوري :

- الثورة (الفلسطينية) بين حركة الجماهير
وتهادن القيادات .

عبد العظيم رمضان :

- قيادة الثورة وفكرة السلطة .

عبد الفتاح هيسكل :

- كومونة باريس بمناسبة ١٠٠ عام على اعلانها

١١

١٢

٧

١١

٨

١٢

٩

٦

٩

٣

٧

٧

٨

٩

١٢

١

٥

جد القادر ياسين :

— دروس وخبرات الثورة (الفلسطينية) ١٠٣ ٤

عبد اللطيف حنفي :

— الصداقة العربية السوفيتية : سلاح مشترك للنضال ضد الامبريالية والعدوان . ٣٢ ١٠

عبد الله العروسي :

— [كتاب] الايديولوجية العربية الماصرة .
[بالاشتراك مع محمد عياني] « مكتبة الطبيعة » ١٣٣ ١٢

عبد الله الصروي :

— التقاليد وعملية تكوين التقاليد ، نموذج مراكش ٦٥ ٣

عبد المنعم الغزالي :

— رسالة الخرطوم ، مشروع الميثاق الوطني (تقارير الشهر) ١٢٠ ١
— حول الهجمة الامبريالية الاسرائيلية ضد اوغندا ٤٣ ٣
— ثغرات في جبهة الرأسمالية العالمية ، من المطلب الاقتصادي الى التغيير السياسي والاجتماعي . ٨٨ ٥
— بناء النقابات بالديمقراطية ، مشروع لاتحة عمل للاتحاد العام للعمال . ٢٠ ٧
— الانتخبات الثقافية والدروس المستفادة . « تعليق » ١٢٠ ٨
— حول لقاء الرئيس السادات مع قيادات النقابات العمالية . « تعليق » ١٤٨ ٩
— الحركة النقابية المصرية وقضايا الوقت . ٤٦ ١٠
— ملاحظات حول مقال التنظيم الطليعي . عبد المنعم الغزالي ، « مناقشات مفتوحة » ١٤٢ ١٢

عبد المنعم القصاص :

— كلمة للطليعة . . (بمناسبة سفره للعمل في مؤسسة الصحافة السودانية) ١٣٠ ١

عبد الوهاب المسيري :

— الرأسمالية وفكرة العودة الى الطبيعة . ٦٢ ٢

عزيز احمد رياض :

— نحو فهم افضل للمراهق . ٧٢ ١٢

عزيز احمد عزمي :

— دولة فلسطين المستقلة ، آراء واتجاهات حول المشروع . « وثائق » ١٥٠ ٦

عزيز حنا داود :

— المعلم والتربية الاشتراكية . ٧٦ ٨

عطيه الصيرفي :

— (اشترك في دراسة عن) عمال التراحيل ، المشكلة والحل . ١٩ ١

عطيه مهدي سليمان :

— رؤية شاملة لقضايا التخطيط القومي . ٦٥ ١٠

عفاف لطفى السيد :

— (كتاب) مصر . وكرومر . عرض . احمد عبد الرحيم مصطفى . ١٢٨ ١

على الراعى :

— المسرح وتراث الشعب المصرى . ٣٥ ٥

على السامى :

— بعض القضايا الاساسية في اعادة التنظيم الادارى . ٥٧ ٣

على عبد الرازق :

— الشيخ على عبد الرازق ، معركة فكرية « ملف خاص » اعداد محمد عمارة . ٩٠ ١١
— النص الكامل لكتاب الشيخ على عبد الرازق — الاسلام واصول الحكم ، بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام « وثائق » ١٣٧ ١١

على ماهر :

— (ترجمة عن) على ماهر باشا . ١٠١ ١١

على المنويجي :

— من اجل حماية مكاسب الفلاحين . ٤٧ ٢

على ياطما :

— (كتاب) المشاكل الراهنة للثورة الديمقراطية الوطنية في المغرب « مكتبة الطبيعة » ١٦٣ ٩

عمر عبد البارى :

— يوميات ثورة ١٩٣٩ (الفلسطينية) ١٠٧ ٤

(غ)

غالى شكرى :

— تقرير شامل عن الموسم المسرحى « الزهور تتفتح وسط الاعشاب السامة » ٩٦ ٣
— الربيع الغائب من سماء البصرة . ١٢١ ٤
— أين الغضب في مسرحنا الفاضل . ٥٩ ٥
— ليس من حقك ايها الرقيب « تعليق » ١١٧ ٦
— الديمقراطية والثقافة . ٣٥ ٧
— الرواية العربية تنادى حزيران . ٤١ ٨
— هرية الابداع : جوهر الادب والفن . ١٠٠ ١٠
— .. حتى لا تتبدد الكلمات دخانا في الهواء . « تعليق » ١٢١ ١٢

غليوم الثانى :

— [ترجمة عنه]

٣٩ ١٢

(ف)

فاروق عبد القادر :

— حركة اليسرى المصرى من الماضى الى المستقبل . ١٤ ٥

فاروق على ناصف :

— قضية تثقيف الاعضاء فى الاتحاد الاشتراكى . ١٤٧ ٥

فتحي عبد الفتاح :

— المؤسسات التعاونية وحركة الجماهير . ٦١ ٣
— الثورة الحزبية والملاك العقاريون . ٨٤ ٩

فرج أحمد فرج :

— علم النفس بين المادية والمثالية . ٨٠ ٣

فريدة النقاش :

— « الفول » على مسرح الجيب (تعليق) ١١٧ ٢
— رسالة من دمشق : حفلة سمر من أجل هـ
حزيران (مسرحية) . ١٢٧ ٦

فيلكشتين ، سيدنى :

— (كتاب) الوجودية والاشتراكية فى الادب
الامريكى . عرض : سعد صموئيل . « مكتبة
الطليعة » . ١٢٢ ٣
— (كتاب) الواقعية فى الفن . عرض : سمير كرم
« مكتبة الطليعة » ١٢١ ١١

فؤاد دواره :

— صورة الفلاح فى الرواية المصرية . ١٢ ٨

فؤاد كامل :

— الفنون التشكيلية بين تغيير القيم وتغيير اللجان
(تعليق) . ١٢٠ ٨

فؤاد مرسى :

— ملاحظات على : الوضع الاقتصادى فى اليمن
الجنوبية . ٦٦ ١
— التنمية الاقتصادية الراهنة . ٣٦ ٢
— عبد الناصر والنظرية الثورية . ١١ ٩
— الاهداف المطروحة : الوسائل .. الضمانات
(عن برنامج العمل الوطنى) . ٢٩ ١٠

فيصل حوراني :

— الحاجة الى الوضوح والتحديد فى العلاقات
الفلسفية السوفيتية « تعليق » . ١٢٥ ١١

(ق)

(ك)

كلوفيس مقصود :

— لنواجه محاولات تطويق الارادة العربية .
(تعليق ونقد حول ما تضمنته « الطليعة » من
مقالات حول القضية العربية فى ٨٠ شهرا) . ١٠

كمال السيد :

— (اشترك فى دراسة عن) جمال القراخيل ،
المشكلة والحل . ١
— اشترك فى ملف احداث « آسيا » الذى
قدمته الطليعة تحت عنوان (« حسابات ١٩٧٠ »
وآفاق ١٩٧١ » . ١
— (اشترك فى ملف احداث « افريقيا » الذى
قدمته الطليعة تحت عنوان (« حسابات ١٩٧٠ »
وآفاق ١٩٧١ » . ١
— التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية
انجولا . ٣
— (عرض كتاب) وكالة المخابرات المركزية ،
مشاكل السرية فى مجتمع ديمقراطى . يونج هوم
كيم . ٣
— الكوميونة والاشكالية التى تجيب عليها . ٦
— (عرض كتاب) مدخل الى الاشتراكية ليو
هيوبرمان ، بول سويسزى . « مكتبة الطليعة » . ٧
— (عرض كتاب) شيلى .. الوحدة الوطنية . ١٠
— اكمافينا وآخرون . « مكتبة الطليعة » . ٨
— المغرب غنى .. والمغرب فقير . « تقرير
خاص » . ٩

كيم ، يونج هوم :

— (كتاب) وكالة المخابرات المركزية ، ومشاكل
السرية فى مجتمع ديمقراطى — عرض :
كمال السيد . ٣

(ل)

لطفى الخولى :

— ليس بالآلم وحده .. يعيش الانسان العربى
(الافتتاحية) . ٩
— ٢ — قومية المعركة .. فى التطبيق « الافتتاحية » ١٠
— الحسم .. والمطلوب حسمه « الافتتاحية » . ١١
— الحل الواقعى : معركة تحرير وطنية .
(الافتتاحية) . ١٢

لطفى فطيم :

— الايديولوجيا .. والانسان .. والمجتمع (تعليق)
على مقال « حوار حول الايديولوجيا والعلوم
الانسانية » ، علم الاجتماع بين الوحدة والتعدد
الدراسة العلمية للانسان والمجتمع . ٣
— (عرض كتاب) الماركسية والتحليل النفسى
روبن اوسبورن . ٥

محمد عبد الرؤوف سليم :

- (عرض كتاب) مدخل السياسة الأمريكية للعالم
العربي . جون س. بادو . « مكتبة الطلبة » ٨ ١٢٩

محمد عبده :

- (ترجمة عن) الأستاذ الإمام محمد عبده . ١١ ١٠٢

محمد عجلان :

- البحث العلمي : الواقع .. المشاكل العلوم . ١ ٨٨

محمد علي الشهاري :

- عبد الناصر والحركة الوطنية في اليمن . ١ ٥٦
— موقف معركة الشرق الأوسط من حركة الصراع
العالمي . ٥ ٧٥
— القاهرة وموقعها من النضال العربي . ٧ ٦١
— موقف البورجوازية الوسطى اليمنية من الثورة
الوطنية الديمقراطية . ٨ ٨٥
— حصار امبريالي صهيوني حول حصن الثورة
في عدن . ١٢ ٦٠

محمد علي عامر :

- التنمية وإطلاق الطاقات الخلاقة للحركة النقابية
أول مايو : مسئوليات الحركة النقابية والطبقة
العاملة . ٢ ٣١
٥ ٨٣

محمد عماره :

- أرض مشتركة للقيم الروحية والاشتراكية . ١ ١٢٥
— الشيخ علي عبد الرازق ، معركة فكرية ،
« ملف خاص » . ١١ ٩٠

محمد عيقاتي :

- [كتاب] الايديولوجية العربية المعاصرة .
[بالاشتراك مع عبد الله العروي] « مكتبة
الطلبة » . ١٢ ١٢٣

محمد مهدي الجواهري :

- الجواهري في القاهرة . « تقارير الشهر » . ١١ ١١٩

محمود درويش :

- محمود درويش في القاهرة « تقارير الشهر » ٢ ٩٩

محمود همدى عبد الجواد :

انظر : حمدي عبد الجواد .

- (اشترك في ترجمة كتاب) نظريات الشخصية .
ك. هول ، ج. لندي — « مكتبة الطلبة » ٧ ١٣٠
— بناء الانسان الجديد . (حول برنامج العمل
الوطني) . ١ ١١٩

لندي ، ج. :

- (كتاب) نظريات الشخصية . (بالاشتراك مع)
ك. هول . « مكتبة الطلبة » . ٧ ١٣٠

وكاتش ، جورج :

- الفيلسوف الماركسي المجري جورج وكاتش في
آخر حوار فكري معه . سمير كرم . ٧ ٧١

ليلى الشال :

- لجان الانتاج بين الواقع والمستقبل . ٢ ٣٨

(م)

ماركيوز ، هيربرت :

- الشباب المتمرد يموت عن ٧٣ عاما . « تقارير
الشهر » . ٩ ١٥٨
— ماركيوز : الشباب المتمرد .. حتى ويستعد لجولة
دراسية في الشرق الأوسط . ١ ١٥٩

ماهر شفيق هريدي :

- (عرض كتاب) ستة مفكرين وجوديين . ه. ج.
بلاكهام . ٤ ١٣٧

مجدى الياس :

- (اشترك في ملف احداث « افريقيا » الذي
قدمته الطلبة تحت عنوان) « حسابات ١٩٧٠
وأفاق ١٩٧١ » . ١ ٩٧

محمد حسين هيكل :

- (ترجمة عن) د. محمد حسين هيكل . ١١ ٩٣

محمد حلمي ياسين :

- رفع مستوى العمل التنظيمي كأساس لتنمية
الجماهير . ٢ ٢٤

محمد الخضر حسين :

- (ترجمة عن) الشيخ محمد الخضر حسين . ١١ ٩٩

محمد رشيد رضا :

- (ترجمة عن) الشيخ محمد رشيد رضا . ١١ ١٠٧

محمد سيد احمد :

- الاعلام من اجل المعركة . ٢ ٤٢
— حول دروس أزمة تشيكوسلوفاكيا . ٢ ٤٦

محمود عزيمى :

- أضواء حول تكتيك عبور الموانع المائية . ٢ ٥٢
— (عرض كتاب) « المقيرون » قوة الصحراء
الضارية . آرثر سوينسون . ٣ ١١٩
— الفدائيون من الجو . ٥ ١٠١
— أضواء حول معارك الحرب العراقية . ٩ ٩٢

محمود عودة :

- حوار حول الايديولوجيا والعلوم الانسانية ،
علم الاجتماع بين الوحدة والتعدد . ١ ١٠٧

محمود مختار :

- ٨٠ عاما على ميلاد الفنان محمود مختار
(١٨٩١ - ١٩٣٤) « تقارير الشهر » . ٦ ١٢٢

مختار العطار :

- الفن التشكيلي والقاعات الخاصة . (تعليق) . ١ ١٢٩
— تجارة الفن . . والفن التجارى . « تعليق » . ٢ ١٢٤
— خراف مصرى معاصر « تعليق » . ٣ ٩٨
— الفن التشكيلي والمعاصرة . ٤ ٨٠
— حول الحركة التشكيلية « تعليق » . ٥ ١٢٣
— الفن التشكيلي واللاموضوعية . ٧ ٨٧
— مناقشة حول التراث . « تعليق » . ٧ ١١٦

مراد وهبـه :

- الفلسفة والثورة . ٥ ١٢٠

مصطفى حسن كتوع :

- (عرض كتاب) الماركسية والدولة الصهيونية .
أديب ديمترى . « مكتبة الطليعة » . ٦ ١٣٤

مصطفى سامى :

- (عرض كتاب) حرية — الصحافة وفق تشريعات
الجمهورية العربية المتحدة د . جمال الدين
العطيفى . ٤ ١٣١
— (عرض كتاب) ليبيا قبل الاحتلال الايطالى
(١٨٨٢ - ١٩١١) د . احمد صدقى الدجاني .
« مكتبة الطليعة » . ١١ ١٣٠

مصطفى طيـبة :

- الديمقراطية والاشتراكية . ٨ ٥٨
— التنظيم الطليعى ضرورة بعد بناء الاتحاد
الاشتراكى . ١٠ ٣٩

مصطفى النجار :

- الدبلوماسية الصهيونية . . كيف تعمل ؟ ٢ ١٤٦
— الازمة البترولية العالمية وصحوة الوبك . ٤ ٧٠

محمدين بسيسو :

- فى طابور واحد معكم . . يا شعراء العراق . ٤

ممدوح عبد الرحمن :

- ماذا يعنى الغاء الامتحان فى المواد القومية ؟
« تعليق » . ١
— التعليم الابتدائى قضايا ومشكلات . ٢
— مؤتمر التعليم فى الدولة المصرية بين التنظيم
السياسى والهيئات الفنية . « تعليق » . ٤
— الاساس الاجتماعى للتعليم الخاص . ٧
— (عرض كتاب) المشاكل الراهنة للثورة
الديمقراطية الوطنية فى المغرب . على باطا .
« مكتبة الطليعة » . ٩
— نحو الامية : مهمة لا تحتمل التأخير . ١٠

مندلسون ، وسيز :

- (ترجمة عن) وسيز مندلسون . (فيلسوف
يهودى المانى) . ١١

منصور فهمى :

- (ترجمة عن) منصور فهمى باشا . ١١

منسى شكري :

- تعليق حول : نظرة مصرية على تاريخنا
الحضارى . « مناقشات مفتوحة » . ٧
— انتخابات البطريرك . « مناقشات مفتوحة » . ٩

موسى جندى :

- (اشترك فى ملف احداث « افريقيا » الذى
قدمته الطليعة تحت عنوان) « حسابات ١٩٧٠ »
وآفاق ١٩٧١ » . ١

موفق أبو شنيف :

- قوة الراى العام كبديل شرعى لمراكز القوى . ١١

ميثيل كامل :

- بعض الملاحظات حول منهج العمل الوطنى لدعم
الجبهة الداخلية . ٢
— رسالة من الجزائر : انتخابات المجالس
الشعبية البلدية والتنظيم الديمقراطى للسلطة
— فلسطين بين الثورة والثورة المضادة . ٤

(ن)

نبيل راغب :

- (تحليل ديوان) ليلى والمجنون . صلاح
عبد الصبور . « مكتبة الميعة » . ٦

نجيب محفوظ :

- ظلال ازمة ٥ يونيو والقضية القصيرة المصرية
عبد الرحمن أبو عوف . ٢

(ن)

نيرودا ، بابلو :

— شيلي : بابلو نيرودا .. شاعر وطنه الحرية
[تقرير خاص] صبرى حافظ .

١١٥ ١٢

(هـ)

هرتزل ، تيودور :

— (ترجمة من) تيودور هرتزل . هوبى ، الفونسو ١١ ٢١

هوبى ، الفونسو :

— مناقشة حول التراث . « تعليق » (حول زيارة
الفنان التشكيلي الألماني الفونسو هوبى للقاهرة)
مختار العطار .

١١٦ ٧

هول ، ك. :

— (كتاب) نظريات الشخصية . (بالاشتراك مع)
ج. لندزى . « مكتبة الطليعة » .

١٣٠ ٧

هيوبرمان ، ليو :

— (كتاب) مدخل الى الاشتراكية . بالاشتراك
مع بول سيوزى . « مكتبة الطليعة » .

١٢٦ ٧

(و)

وحيد النقاش :

— [رثاء الطليعة لوحد النقاش]

١٢٢ ١٢

وديع أمين :

— المقدمات التاريخية لثورة ١٩٣٦ . (الفلسطينية) ٤ ٨٧
— الهدف الأخير من « مؤامرة التصفية » .
« تعليق » . ٥ ١١٦

— عن المظاهرات الأمريكية وواجبات حركة التحرر
العربية . « تعليق » . ٦ ١١٩

— حركة التحرر الوطني العربية والتحديات
الاستعمارية الجديدة . « تعليق » . ٧ ١٢٠

— حول التطورات الجارية في الخليج العربى .
« تعليق » . ٨ ١٢٢

وديع وهيب :

— التنمية الشعبية : خبرات وتجارب ثورية -
غينيا بيساو .

٢٤ ٣

— الولايات المتحدة الأمريكية والعوامل التي تحدد
موقفها .

١٣ ٤

— العمل السياسى العربى بين الامكانيات الحقيقية
والاوهام الخادعة .

٨٢ ٦

— الصهيونية ، التاريخ - الحركة - الافكار -
المصالح . (دراسة موسعة مع آخرين) .

١٠ ١١

— [اشترك في دراسة موسعة عن] اسرائيل ،
الكيان ، الايديولوجية ، الاستراتيجية .

١٠ ١٢

وليم سليمان :

— انتخابات البطريرك والتراث الديمقراطى المصرى

٦٧ ٨

— مفاهيم أساسية للحكم المحلى .

٥٧ ١٠

— ٨٠ شهرا من حياة الطليعة ٤ - الفكرة
الصهيونية . « عرض » .

٧٦ ١١

وودميس ، جاك :

— [كتاب] جذور الثورة الافريقية . ترجمة وتعليق
احمد فؤاد بليغ - عرض : اسماعيل عبد الحكم
« مكتبة الطليعة » .

١٣٧ ١٢

(ى)

يفتشنكو ، يفجينى :

— رسالة من موسكو : من بيكاسو .. الى
دوستوفسكى .. الى يفتشنكو ، يفتشنكو
والنقاد . سميد حورانية

١٣١ ١٢

يوسف أدريس :

— ظلال أزمة ٥ يونيو والقصة القصيرة .
عبد الرحمن أبو عوف .

٧٤ ٣

يوسف الحاجى :

— جذور أزمة النقد فى العالم الرأسمالى .

٨٧ ٦

يوسف شريف رزق الله :

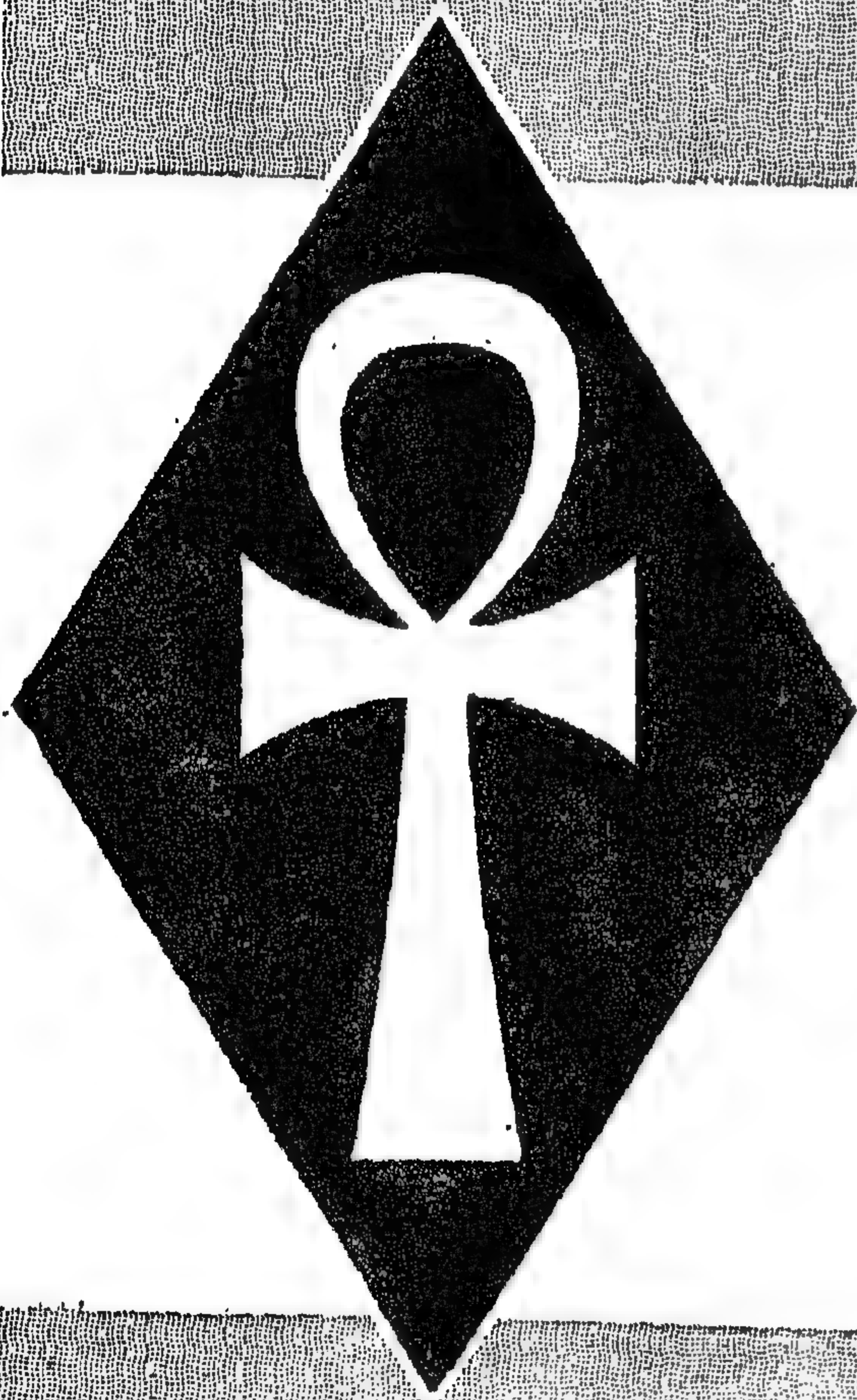
— رسالة من باريس : الفيلم الفرنسى والقصة من
المغرب العربى . عرض لفيلم « أسوار من
المطين » و « الحياة الحقيقية » .

١١٢ ٢

أعد الكشاف : عز الدين شوكت

جريدة الاهرام ، قسم المعلومات

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين



ر
ك
ل
و
ا

بانتاجها الجديد

ناتروكيما ٣١٪ آزوت

شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما»

أعلى نسبة في الأسمدة
غير أن ارتفاع القيمة
مستوى الإنتاج الزراعي

أحد الشركات المؤسسة المصرية
العام للصناعات الكيماوية

بنك مصر



أول بنك وطني بالبلاد

قرائن عديدة
لحفظ المقتنيات الثمينة

ودائع متضاعفة
بفائدة ٣%

ودائع ثابتة وبأجل
بفائدة ٤%

فتح حسابات
بالعملة الأجنبية
وبقوائم تجارية

دفاتر ترفيد
ذات الجوائز
وبفائدة ٣%
السحب أربعة مرات سنوياً

الانفراد بالتسليف
بضمان ذهب
ومجوهرات

تقاليد وخبرة العمل المصرفي على أرفع مستوى

الأمم المتحدة

طريق السلام من الأمم المتحدة

السنة الثامنة - فبراير ١٩٧٢

المشكلة الرئيسية التي تواجه حركة التحرر العربي

الذكرى الخامسة عشر للاتحاد العام للعمال

حركة التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية

« خبرات في الفكر والعمل السياسي »

جبهة الزراعة في معركة التحرير والبناء

١٩٧٢

الأمم المتحدة

المفهرس

العدد الثاني - السنة الثامنة - فبراير ١٩٧٢

- المشكلة الرئيسية التي تواجه حركة التحرر الوطني «الافتتاحية» لطفي الخولي ص ٥
- حركة التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية : خبرات في الفكر والعمل السياسي ١٢

- - الصراع ضد السيطرة الأمريكية البرلمان كطريق الى سلطة الديمقراطية الوطنية
- - سلطة وطنية في شكل عسكري أمريكا اللاتينية بين « البندقية » و « الانجيل » و « المنشور السري » - قاموس سياسي واقتصادي
- - الذكرى الخامسة عشرة للاتحاد العام للعمال
- - جبهة الزراعة في معركة التحرير والبناء
- - الخريطة السياسية والاجتماعية لنشأة جمهورية بنجلاديش
- - المير كرم ١٤
- - حسين شعلان ٢١
- - حمدي عبد الجواد ٣٠
- - خيرى عزيز ٣٦
- - كمال السيد ٥٢
- - عبد المنعم الغزالي ٦٠
- - د. على التسيوي ٦٤
- - د. جلال رجب
- - حسين عبد الرازق ٧٤

■ ٨٠ شهرا من حياة الطليعة :

- - الثقافة والمنقون عرض : غالى شكري ٨٢

■ ملف خاص :

- - المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني ٩٨

■ تقارير الشهر وتعليقات :

- ١١٤

■ مكتبة الطليعة :

- - النقابات والصراع الطبقي تأليف : هنري كراسوكي ١٢٩
- - نظريات الرأسمالية الموجهة تأليف : م.م. طيخنة ١٣٣

■ مناقشات مفتوحة :

- ١٣٦

■ وثائق :

- - برنامج جبهة التحرير الوطني الساندينية [نيكارجوا] ١٤٢

■ ملحق الادب والفن :

- ١٤٧

■ عنوان المراسلات :

- مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ - ٤٥٠١٠ - ٥٩٥٦٠

■ الاشتراكات :

- لسنة بالبريد العادي ج.ع.م دول اتصال البريد المصري ودول السودان البيضاء ١٢ قرشا .

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مستشارو التحرير :

- د . ابراهيم سميد السدين
- أبو سيف يوسف
- د . اسماعيل صبرى عبد الله
- د . جمال العطيفي
- د . رشدي سعيد
- د . عبد الرازق حسن
- د . لطيفة السزيات
- د . محمد الخفيف
- محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميثاق كامل

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

- حسين شعلان
- خيرى عزيز
- د . رفعت السيد
- عبد المنعم الغزالي

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى
حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الآراء
الحرّة على اختلافها هو وحده الذى
يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده
فكرة أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة))
صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها
— مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى
أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر
((قد اختلف معك فى الرأى ولكنى
على استعداد لأن أدفع حياتى ثمنا
لحقك فى الدفاع عن رأيك)) ؟ .

الافتتاحية

تفسح « الافتتاحية » مكانها في هذا
العدد للكلمة التي القاها لطفى الخولي
باسم وفد الاتحاد الاشتراكي العربي
في المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي
اللبناني الذي انعقد في بيروت من ٧
- ٩ يناير ١٩٧١

المشكلة الرئيسية التي تواجه حركة التحرر العربي

أيها الاصدقاء :

يسعدنا - زملائي وأنا - أن نقف اليوم على منبركم ، فوق أرض لبنان وتحت
سمائه حاملين اليكم من القاهرة - باسم اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي
العربي - تحية النضال المشترك على طريق التحرر الوطني والديمقراطية
والاشتراكية والوحدة .

لقد أثبتت التجربة التاريخية لحركة التحرر العربية ، وما تزال ، أن هذا
الطريق يتسع برحابة لزمالة صحية ومثمرة بين كل القوى الوطنية والتقدمية المعادية
لالإمبريالية والعنصرية والتخلف . وذلك على الرغم من اختلاف المنابع الاجتماعية
والفكرية لهذه القوى . بل أن التجربة ، ما برحت تؤكد مع شروق كل انتصار
وغروب كل هزيمة ، أن مواصلة التقدم على هذا الطريق - كما وكيفما - يتوقف
بالدرجة الاولى على مدى وحدة العمل التي يمكن أن تستقطب ، بوعي ومسئولية ،
جميع قوانا الوطنية والتقدمية ، سواء على مستوى البلد الواحد ، أم على مستوى
الوطن العربي كله .

والحق أن اصرار شعبنا المصري - العربي على السير بثبات على هذا
الطريق ، متخطيا كل الصعاب والازمات ، هو الذي قاد خطواتنا اليوم الى مؤتمركم
.. هذا المؤتمر الذي يهيئ لقاء من أهم اللقاءات في تاريخ النضال العربي ، بعد
هزيمة ١٩٦٧ ، وما صاحبها وتلاها من صراعات واحداث اليمه ودامية في الوطن
العربي . فلول مرة يتم مثل هذا اللقاء في وضوح النهار ومن خلال الابواب
الطبيعية - دون ما عقد أو حساسيات - بين تنظيمات وطنية تقدمية كالاتحاد

الاشتراكي العربي ، وبين تنظيمات ماركسية لينينية كالحزب الشيوعي اللبناني . لكل منها منطلقاته الفكرية ، وتكويناته الاجتماعية المتميزة . لكن نقاط الاختلاف لم تمنع من الجمع بينها في الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والعدوان الصهيوني والتخلف الاجتماعي والاقتصادي للشعوب العربية .

واذا كان المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني ، بتفتحه - اليوم - تحت الضوء في أحضان الشعب اللبناني بترائه الديمقراطي العريق ، يجسد ظاهرة ايجابية على جبين الكيان اللبناني المعاصر ، فان انعقاده - على هذه الصورة - يكشف في نفس الوقت عن علامة صحة لمسيرة حزبكم التاريخية ، الذي كان - وما يزال - وطننا لبنانيا ، بقدر ما هو عربي في قوميته ، وانساني شجاع في أمميته . واثبت حزبكم ان مثل هذه المعادلة السياسية للوطنية والقومية والاممية ، على عكس كل تصورات الفكر اليميني المتخلف أو اليساري المغامر ، ممكنة التحقيق نظريا وعمليا على السواء ، وخاصة في بلاد كبلادنا العربية .

أيها الاصدقاء :

ان شعبنا يقدر تقديرا عاليا ، اسهام حزبكم مع مجموع الاحزاب والقوى والشخصيات الوطنية والتقدمية في الحقل السياسي اللبناني ، مواقفكم الحاسمة والشجاعة في تأييد نضاله الوطني والقومي ، ترجمة للاخوة التاريخية العميقة الجذور بين الشعبين اللبناني والمصري . وهي الاخوة التي تشكل أرضية العلاقات الصحية الراهنة بين قيادة كل من البلدين ، بتقدير واع لظروف لبنان الخاصة ، كبلد عربي في حوض البحر الابيض المتوسط .

ونأتى لبيروت اليوم للقائكم ، ولقاء الشعب اللبناني كله ، ونحن ملتزمين بالقرار الحاسم الذي اتخذته القيادة السياسية في مصر - رئيسا ولجنة مركزية - في الثامن من ديسمبر ١٩٧١ ، بانه لا بديل - بعد كل الجهود السياسية - عن خوض معركة الشعب والجيش لتحرير الارض العربية من الاحتلال الاسرائيلي ، مع تقدير واقعي لجميع العوامل والظروف المعقدة وما تستلزمه المعركة من تضحيات جسيمة وشاقة ، وفي ضوء المساندة العالمية من الشعوب المحبة للسلام والحرية ، والشرعية الدولية ، والمصلحة القومية والصداقة الفعالة - ماديا ومعنويا - مع البلدان الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي .

وهو القرار الذي أعاد تأكيد مؤتمركم كل السلطات في المجتمع المصري ، الذي انعقد لأول مرة في تاريخنا ، تجسيدها للعمل الجماعي الشعبي والرسمي ، في الثامن والعشرين من ديسمبر عام ١٩٧١ .

وكلنا يعلم ، أيها الاصدقاء ، ان هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وان أدت الى ذلك الاحتلال العنصري لارض عربية جديدة ، الا أنها كشفت بوضوح أيضا عن النواقص والسلبيات الخطيرة في البناء السياسي والاجتماعي لحركة التحرر العربية . ومن هنا انطلقت القوى الاصيلية وصاحبة المصلحة في التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ترفض الهزيمة وتعري النواقص والسلبيات في نفس الوقت . وتركز أساسا على ضرورة الديمقراطية من أجل البناء التقدمي داخليا ، ومن أجل التعبئة القتالية ضد العدو المحتل . وكان رفعها لشعار تحرير الارض ، يعني في نفس الوقت التحرر من السلبيات والنواقص السياسية والاجتماعية .

ونستطيع أن نقول أن صمود مصر والتضحيات الغالية التي قدمها الشعب

البسيط 'بأبنائه' . ومن مأكله وملبسه وراحته ، كانت العامل الرئيسي في الصمود . كما أن وطنية الجنود والضباط قد ألهمتهم أن يبذلوا كل جهد ويتحملوا كل مشقة من أجل أن يعيدوا بناء القوات المسلحة في زمن قياسي . وكان لهم ما أرادوا .

وبفضل هذا كله ، وبفضل تضامن قوى الاشتراكية والتحرر والسلام ، تمكن شعبنا من احباط الاهداف الرئيسية من وراء عدوان يونيو ، والتي تركزت في تصفية حركة التحرر العربية باهدافها الحرة والديمقراطية والاشتراكية والوحدة . غير ان احباط هذه الاهداف لا يشكل في الواقع الا المقدمة اللازمة لمعركة تحرير الارض وتحرير حركتنا السياسية والاجتماعية من سلبياتها . ولقد بذلت قيادة البلاد الوطنية ، على المستوى السياسي والدبلوماسي ، كل جهد ممكن لتصل الى حل وفق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . لكن الامبريالية والقوى الصهيونية الاسرائيلية التوسعية العنصرية احبطت جميع المساعي السلمية ، وصممت على مواصلة العمل من أجل تحقيق اهداف العدوان ، وفي سبيل هذا لجأت الى كل الوسائل : تحويل اسرائيل الى ترسانة مسلحة بأحدث الأسلحة الأمريكية ، الحرب النفسية ، غارات العمق ضد المدنيين ، أعمال التخريب ، بناء المستعمرات والمؤسسات العسكرية في سيناء وشرم الشيخ والمرتفعات السورية .

لكن الهجمة القوية لهذه القوى ، بعد عدوان يونيو ، كانت تلك الهجمة التي بدأت في صيف عام ١٩٧٠ . فبينما أعلنت أمريكا استعدادها لحل سلمي يتفق مع قرار مجلس الامن ، كان الأمريكان في الواقع يضعون مخططا جديدا ضد حركة التحرر العربية ، وذلك في اطار ما أسموه بالدبلوماسية الهادئة . وعلينا أن نعترف بان هذا المخطط قد لقي بعض النجاح في بادئ الامر . لكن الذي يعيننا هنا أن الهجمة الأمريكية التي أشرنا اليها ظلت تشتد وتتفاقم . وقد اتجهت في المسارات الرئيسية التالية :

الاول : تمزيق وحدة الصف الوطني العربي ، وإثارة الانقسامات بين الدول الوطنية التقدمية من ناحية ، وبين الاحزاب والفئات الوطنية والتقدمية من ناحية أخرى .

الثاني : عزل مصر عن حركة التحرر العربي ، باعتبار انها تمثل في هذه الحركة ثقلا موضوعيا خاصا ، بشريا وقدره سياسية واجتماعية ، تقف ضد كل الحلول الانهزامية التي ترمي الى التفريط في الارض أو المساومة على حقوق شعب فلسطين .

الثالث : تصفية المقاومة الفلسطينية ، تصفية مادية وبدنية ، بهدف تصفية قضية شعب فلسطين الى الابد .

الرابع : اجهاض معاهدة الصداقة المصرية - السوفيتية ، وبالتالي عزل حركة التحرر العربية عن حلفائها الطبيعيين من البلاد الاشتراكية والاتحاد السوفيتي بوجه خاص ، وقوى التقدم والتحرر في العالم كله بوجه عام .

وعلينا أن نقرر مرة أخرى اذا كنا جادين في مواجهة التحديات الموضوعية البراهنة - ان هذه الهجمة الامبريالية قد حققت نجاحات مؤقتة ما تزال تعاني منها حركة التحرر العربي الى اليوم . وتمثلت هذه النجاحات في التصفيات الدموية الاجرامية التي مارستها الرجعية السوداء في الاردن ضد ثوار فلسطين . كما تمثلت في الانقسامات والتناقضات الضارة التي استشرت بين الدول العربية الوطنية والتقدمية من ناحية ، وبين فصائل الثورة العربية على اختلاف تنظيماتها واحزابها من ناحية أخرى . وفي ظل هذا كله انتعشت آمال قوى اليمين المتخلف عن حركة التقدم

العمامة في مجتمعه وعصره معا ، وأخذت تحشد أسلحتها بأمل الاجهاز على النظم التقدمية أو احتسوائها أو التسرب اليها بمخططات الاستعمار الجديدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

واخذت هذه القوى تلبس ثيابها الجديدة لكي تلتقي بالسيد الامريكى ، على صفقة جديدة تهزم بها حركة التحرر الوطنى . وربما بدا للامبريالية وحلفائها المحليين ان الاحداث التى شهدتها مصر فى صيف العام الماضى ، قد انضجت الثمره . لكن ثوره الشعب المصرى اثبتت مرة اخرى ، كما اثبتت مرات عديدة من قبل ، ان عداءها للامبريالية والاستعمار الجديد والرجعية عداء اصيل يرتبط بالمصالح الحيوية للعمال والفلاحين والمثقفين . ومن هنا كانت مبادرة السادات من موقعه القيادى فى تاريخ ثورة يوليو والابن لحركة التحرر المصرى منذ الاربعينيات ، يفضح فى خطابه الافتتاحى لمجلس الشعب الاهداف الحقيقية للمخطط الامريكى - الاسرائيلى فى ثلاث نقاط محددة :

أولا : ضرب التجربة الثورية للشعب المصرى واستمرارها على الخط التحررى والاشتراكى والوحدوى ، فى مناخ ديمقراطى .

ثانيا : عزل مصر عن الوطن العربى .

ثالثا : تخريب العلاقات المصرية - السوفيتية ، وبالتالي اضعاف القوة العربية فى مواجهتها لتحدياتها .

وقبل ذلك كان الرئيس ، ترجمة لارادة الشعب المصرى ، قسدا بادر الى قطع الطريق على كل الدعايات التى حاولت بنبغات متعددة الالوان ، أن تصور مواقف السادات باعتبارها مناقضة لاهداف ثورة يوليو الاجتماعية ، وفى هذا المجال ، أقر المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى فى يوليو ١٩٧١ برنامج العمل الوطنى الذى قدم مشروعه رئيس الاتحاد الاشتراكى . ان هذه الوثيقة ، التى ترتبط موضوعيا وتاريخيا بميثاق العمل الوطنى وبرنامج ٣٠ مارس ، تقدم برنامجا واقعيا واهدافا محددة لتوسيع البناء الاقتصادى والاجتماعى والثقافى على أسس تخدم الغالبية العظمى من الشعب .

ولقد كانت هذه المواقف بداية جادة لوقف التدهور الحادث منذ منتصف ١٩٧٠ ، فى الوضع العربى . ولصد الهجمة الامريكية الصهيونية التى ما زالت مستمرة . ونعتقد ان مصر قد خطت خطوة هامة الى الامام فى سبيل افشال المخطط الامريكى وتعميقه امام كل وطنى ، بقى حسن الظن بالسياسة الامريكية فى الوطن العربى . وذلك حين اتخذت القيادة السياسية قرارها الحاسم بخوض معركة التحرير بعد ان قدمت للرأى العام العالمى كل الأدلة المادية على تعذر تحقيق ما سُمى فى المجال الدولى « بالحل السلمى » ، نظرا لمواقف التوسعيين الاسرائيليين ، واهداف حماتهم فى واشنطن .

نعم ، أيها الاصدقاء ، انى استاذنكم فى ان اكرر هنا ، ان المواقف العمامة والاساسية التى اتخذتها القيادة السياسية لبلادنا ، من خلال مشاركة فعلية واساسية للاتحاد الاشتراكى ، تشكل عاملا هاما فى سبيل صد الهجمة الامبريالية الصهيونية . لكن علينا ان نعترف ان المعركة الدائرة فى الشرق الاوسط ، هى - بحكم طبيعتها وظروفها - احدى المعارك المصيرية فى تاريخ عالمنا . لانه على نتيجتها سيتحدد لفترة طويلة آفاق التطور التقدمى والديمقراطى والعصرى فى العالم العربى . ومن هنا لا خيار امام القوى الوطنية والتقدمية الا ان تخوضها لى

تكسبها . والمعركة ليست معركة مصر وحدها ، وانما معركة كل الشعوب العربية . وهى ايضا معركة كل القوى الوطنية والتقدمية العربية بوجه خاص .»

والسؤال الآن : كيف السبيل الى كسبها ؟ طبعا يمكن تقديم اجابة بسيطة وصحيحة فى نفس الوقت . وهى اننا سنكسب المعركة اذا اوقفنا حركة الجذور من مسار حركة التحرر العربى ، ووفرنا الشروط اللازمة لكى تنتقل حركة التحرر بالتدريج — وفى اقصر وقت — الى معاودة الهجوم الفعال على العدو الأمريكى — الصهيونى .»

بيد ان هذه الاجابة البسيطة والصحيحة شئ ، ووضعها موضع التنفيذ شئ آخر . اذ يقف دون ذلك تناقض غريب وشاذ فى وضع حركة التحرر العربية . ويتضح هذا التناقض بعرض مجموعتين متقابلتين من الوقائع :

المجموعة الاولى : « نلاحظ من ناحية ان حركة التحرر قد احرزت منذ عام ١٩٥٦ ، انتصارات متوالية على الامبريالية الامريكية . ويكفى ان نشير الى انه لم يعد هناك — تقريبا — قاعدة عسكرية فى جميع البلدان العربية الواقعة فى حوض البحر الابيض المتوسط . ثم نلاحظ ان عدوان يونيو ١٩٦٧ ، قد ردت عليه حركة التحرر فى البلاد العربية بالمضى خطوات اكبر فى تصفية المزيد نسبيا من المصالح الامريكية ، حتى بدأت أمريكا تعاني — سياسيا — من عزلة شديدة لم يسبق لها ان واجهتها فى وطننا .»

ان هذه الوقائع ، اذا كانت قد اثبتت ان الامبريالية الامريكية — على جبروتها الظاهرى — ليست قوة لا يمكن انزال الهزيمة بها والتغلب على مخططاتها ، فقد اقترنت فى ايماننا هذه على الصعيد العالمى ، بوقائع وتطورات تؤكد هذه الحقيقة :

— لقد هزمت السياسة العدوانية الامريكية هزيمة تاريخية بالفعل فى فيتنام ، نتيجة النضال البطولى للشعب الفيتنامى .

— يتردى الاقتصاد الأمريكى فى هوة الازمة الدورية ، وليست هناك قوة تستطيع ان تنقذ هذا الاقتصاد من استئصال هذه الازمة .

— تتزايد التناقضات بين غرب أوروبا وبين الولايات المتحدة الامريكية ، وقد بدأت تظهر بالفعل — وهذا ما اظهرته المواقف الاخيرة من الصراع العربى الاسرائيلى — علامات هامة على نوع من الانفصال ، ستكون له آثار بعيدة المدى دوليا .

ثم نلاحظ ، ايها الاصدقاء ، انه بعد عدوان ١٩٦٧ مارست السياسة السوفيتية دورها بكثافة متزايدة فى اتخاذ مواقف عملية لردع العدوان الاسرائيلى ، ولجم القوى العسكرية للولايات المتحدة فى البحر الابيض . . هذه القوى التى هددت أكثر من مرة بالتدخل المسلح فى البلاد العربية .

هذه المجموعة من الوقائع التى ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر ، تضعنا أمام حقيقة هامة : وهى ان النضال العربى التحررى تحيط به اليوم ظروف موضوعية مواتية لدعمه وتطوره وانتصاره ، وهى الظروف التى كانت موضع الحساب فى رسم مصر للسياسة التى عرفت باسم « عام الحسم » .

غير اننا اذا جئنا الى المجموعة الثانية المقابلة من الوقائع ، فلا بد لنا من ان نلاحظ :

— مواصلة الرجعية الاردنية تنفيذ مخططاتها لتصفية المقاومة الفلسطينية دون

أن تستطيع قوى التحرر العربية أن تقوم بعمل حاسم حتى اليوم لشل هذا المخطط تماما .

— غياب وحدة العمل الاستراتيجي التي تنسق مواقف القوى العربية الوطنية والتقدمية ونظمها . وهذا ما ينعكس على المواقف التكتيكية بالنسبة لاتخاذ مواقف مشتركة ازاء حركة الاحداث اليومية .

— ضعف الوحدة الداخلية اللازمة لمنظمات العمل الفدائي ، رغم الخطوات المحدودة التي تمت في هذا الاتجاه .

— التحفظات التي تبديها بعض القوى الوطنية بالنسبة للحلفاء الطبيعيين لحركة التحرر العربية وخاصة الاتحاد السوفيتي . وعدم تمييز هذه القوى بين واقع انها ليست شيوعية وبين الوقوع في المصيدة التي تنصبها القوى المعادية لحركة التحرر العربية .. مصيدة العداء للشيوعية .

ان هذه المجموعة الثانية من الوثائق تضعنا امام حقيقة هامة أخرى ، وهي : أن **التضال العربي التحرري تحيط به ظروف ذاتية غير مواتية تجد من تطوره وتضع العقبات في طريق تحقيق النصر .**

امام هذا التناقض الصارخ بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي في حركة التحرر العربية ، يجب أن تحشد كل الجهد لحله حلا سليما وواقعيا للخروج من مأزق خطير تتحمل مسؤوليته التاريخية كل قوى التقدم في الوطن العربي .

ولابد ان نعترف ، ايها الاصدقاء ، ان حل هذا التناقض لمصلحة حركة التحرر ، ليس من الامور السهلة التي تكفي فيها النيات الحسنة ، او الشعارات الحادة الرنين والمغامرة في مضمونها . ولكن ليس امامنا من خيار سوى التصدي الشجاع والموضوعي لهذه القضية . فان فشلنا في حل هذا التناقض ، يحمل خطر ردة مؤكدة .

ونعتقد — ايها الاصدقاء — انه لا يستعصى على القوى الوطنية والتقدمية أن تغثر على نقطة البدء . ونقطة البدء الصحيحة في رأينا ، ليست في أن نضع مخططات جميلة وضخمة على الورق عن واجبات ومهمات ، بقدر ما هي في الاتفاق على منهج مشترك لمواجهة التحديات .

اما المنهج ، فلن يكون سوى فتح حوار ديمقراطي وجاد بين القوى والتنظيمات والاحزاب الوطنية والتقدمية على اختلاف منابعها ومدارسها الفكرية والاجتماعية ، والحرص على أن يتصل هذا الحوار دون انقطاع ، حتى وان ظهر ان نقاط الاتفاق العملية — في بادئ الامر — قليلة ومتعثرة .

ووفق هذا المنهج فانه يمكن ان نبدأ في تقرير مواقف عملية محددة — مشتركة في جميع أرجاء الوطن العربي حول النقاط التالية :

— ما هي المهمة المحددة للقوى الوطنية والتقدمية في هذا البلد العربي أو ذاك خلال ممارسة معركة تحرير الارض التي لا ينيل عنها ؟

— ما هي المساعدات السياسية والمادية التي يمكن أن تقدمها هذه القوى للبلدان التي ستخوض المعركة وتتحمل تضحياتها الكبرى ؟

— ما هي المهمة المحددة للقوى الوطنية والتقدمية في هذا البلد العربي أو ذاك ،
لمساعدة ودعم العمل الفدائي وتمكينه من أداء دوره التاريخي كجزء لا يتجزأ من حركة
التحرر العربي .

وانطلاقاً من حوار ديمقراطي يحترم استقلالية كل تنظيم وحزب وطني تقدمي
يغلب عوامل الوحدة ، عوامل التفرقة . . واضعين في الاعتبار الظروف الخاصة لكل
بلد عربي ، نستطيع أن نخطو خطوة كيفية الى الامام . وهي الخطوة التي يمليناها
تطور الاحداث . فالامر المؤكد ان مواقف الاعداء تفرض علينا لا أن نوسع العمل
السياسي المشترك فحسب ، بل وان نقوم بالتعبئة الواقعية اللازمة لخوض معركة
التحرير .

أيها الاصدقاء :

هذه النقاط التي اقدمها الى مؤتمركم ، تشكل أهم النقاط السياسية التي تشغل
اهتمام التنظيم السياسي في بلادنا . واذا كنت قد اطّلت فيها بما لا يحتمله عادة تقاليد
النقاء الخطيب في هذه المناسبات ، فان عذري هو ان التنظيم السياسي في بلادنا
يرى « اخطاراً جدية » تحقيق بحركة التحرر العربية وبكل فصائلها ، دون ما تفرقة بين
وطنيين واشتراكيين وبعثيين وقوميين وشوعيين .

أيها الاصدقاء :

اسمحوا لي أن اقدم شكر اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي على دعوتكم
الاخوية لحضور مؤتمركم الثالث . ونتمنى لكم كل نجاح في خدمة الشعب اللبناني
وحركة التحرر العربية . واسمحوا لي ، ايضاً قبل أن اغادر منبركم ، أن أوجه الى
الشعب اللبناني الشقيق تحية الاعزاز والتقدير من الشعب المصري ، فان تاريخ
العلاقات العميق الجذور بينهما يؤكد أن حب مصر للبنان الموحد المستقل الحر لا
يعادله الا حب لبنان لمصر التي تعنى مسؤولياتها وواجباتها القومية نحو الوطن
العربي : حاضراً ومستقبلاً .

الطيف الحوري

برغم الدور البارز الذى تلعبه اليوم حركة التحرر الوطنى بأمريكا اللاتينية ، بالنسبة الى حركة التحرر الوطنى العالمية المعاصرة ، فكريا وتنظيميا ، الا انها لم تلق - حتى الان - حجم الاهتمام والمتابعة اللائمين من صحافتنا وأجهزة أعلامنا المصرية .

وتقديرا من « الطليعة » لهذا الدور البارز ولاهمية استكشاف حركة الثورة الوطنية الديمقراطية لأمريكا اللاتينية ، تقدم فى هذا العدد ، دراستها عن حركة التحرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية .

وبرغم أن قضية الثورة الكوبية ودورها والنموذج الذى قدمته وطرحته على شعوب القارة ، واردة بأقسام الدراسة جميعها تقريبا ، إلا أن القارئ سوف يلحظ بوضوح خلوع

حركة التحرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية

خبرات فى الفكر والعمل السياسى

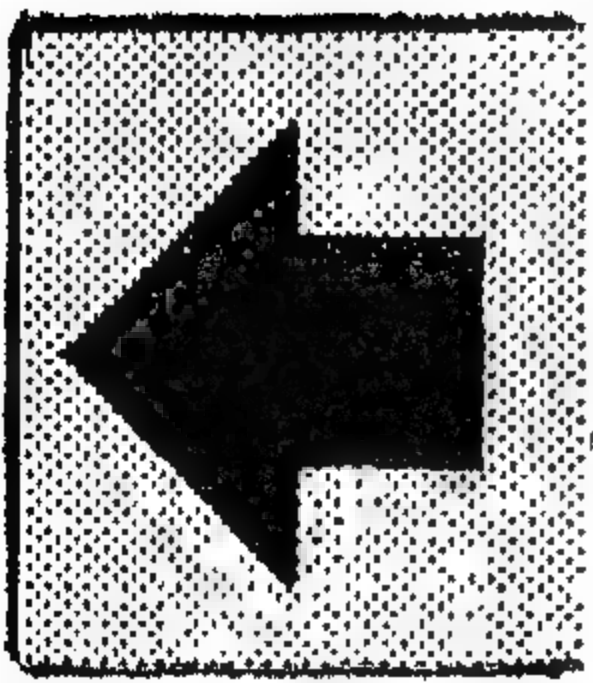
١ الصراع ضد السيطرة الامريكية من « مبدأ مونرو » حتى « التحالف من أجل التقدم »

٢ « البرلمان » .. كطريق الى سلطة « الديمقراطية الوطنية » « تجربة من شيلي »

٣ سلطة وطنية فى شكل عسكري « تجربتان من بيرو وبوليفيا »

٤ أمريكا اللاتينية .. بين « البندقية » .. « والانجيل » .. « والمنشور السرى »

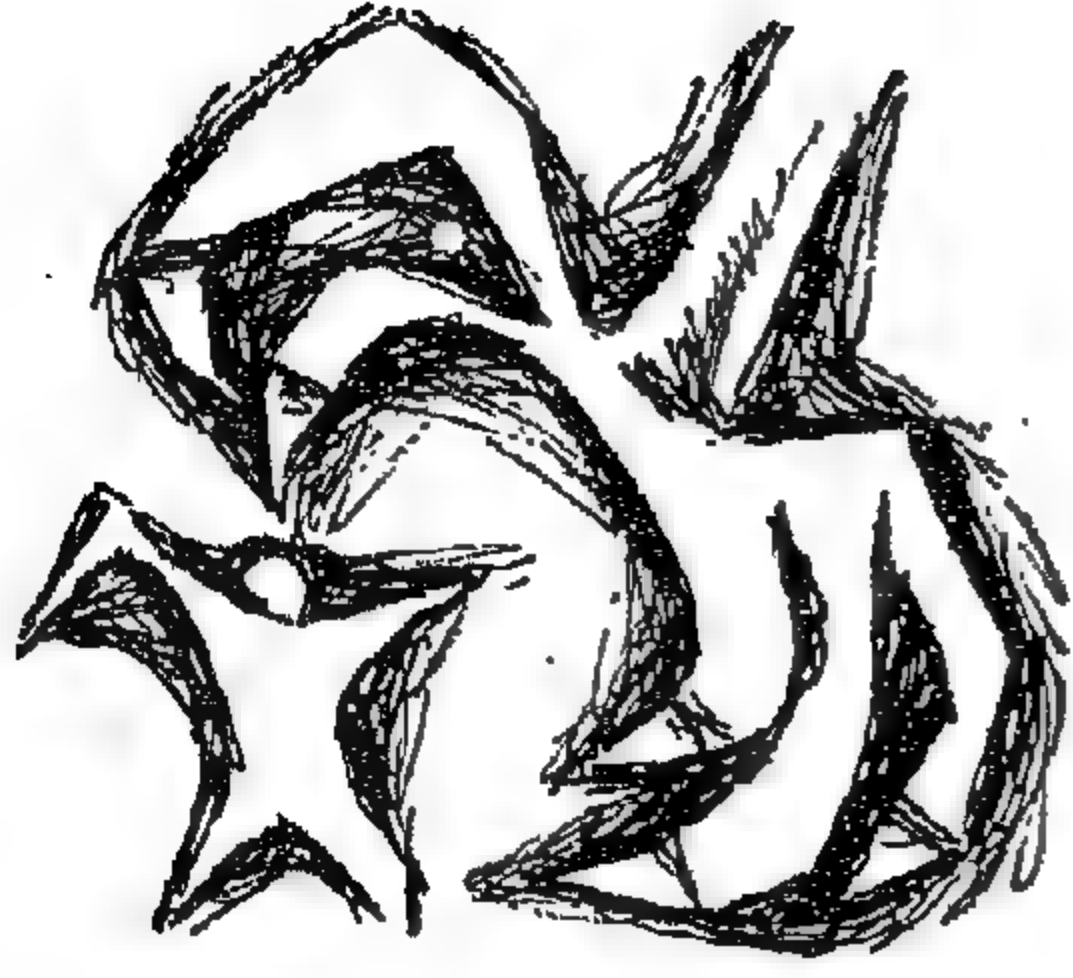
٥ قاموس سياسى واقتصادي



الدراسة عن قسم خاص بثورة كوبا • فقد قام تخطيط واعداد الدراسة على أساس معالجة قضايا حركة التحرر الوطني لأمريكا اللاتينية في وقتنا الراهن • ومن ثم فإن الثورة الكوبية وكل مايتعلق بها ، لم يكن واردا بحكم أن كوبا قد أنجزت مهام ثورتها الوطنية الديمقراطية — باختيارها الماركسية اللينينية طريقا لتطورها — لتصبح بذلك واحدة من أسرة المعسكر الاشتراكي العالمي •

وإذا كانت دراسة « حركة التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية » تتعرض بالتحليل لمسيرتها الراهنة وقواها الاجتماعية ونماذجها السياسية وحركات الكفاح المسلح على أرضها فإنها تخصص قسمها الأخير لرصد مختلف المعلومات والارقام التي تتعلق بكيان كل دولة من دول القارة على حدة •





الصراع ضد السيطرة الأمريكية

من «مبدأ مونرو» حتى

«التحالف من أجل التقدم»

سمير كرم

أن حركة التحرير الوطني في أمريكا اللاتينية قد دخلت مرحلة جديدة فيها وجهى النضال ضد سيطرة الامبريالية الأمريكية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية :

١ - نضال كل دولة من دول القارة على حدة - وهو نضال من مواقع الحكم في بعض هذه الدول مثل بيرو وتشيلي ، أو من خارج مواقع الحكم والسلطة مثل بوليفيا وكولومبيا وأوروغواي والارجنتين والبرازيل .

٢ - النضال الجماعى أو الاقليمى لمجموعة أو مجموعات متكاتفه من دول القارة ضد هذه السيطرة الأمريكية .

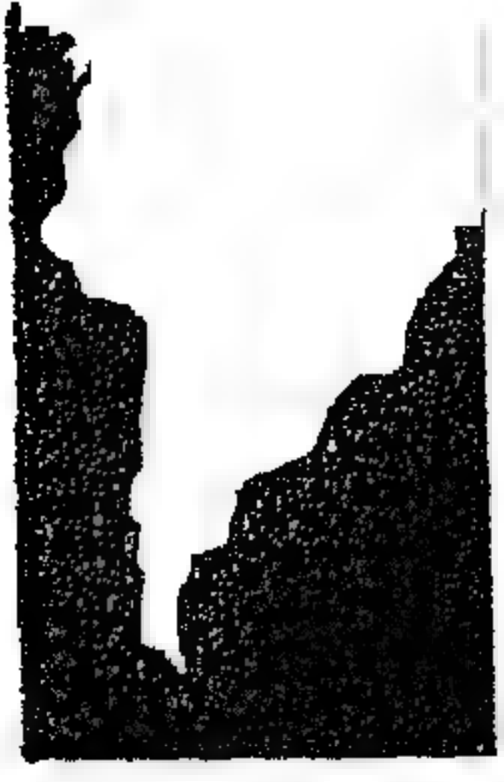
ولعل من أهم وأخطر مؤشرات النضال ضد الامبريالية الأمريكية في أمريكا اللاتينية ، امتداد مظاهر مقاومة السيطرة الأمريكية الاقتصادية والنقود الأمريكى على سياسة القارة الى داخل منظمة الدول الأمريكية نفسها التى كانت حتى

كانت بدايات الستينات قد تميزت بهبوب « رياح التغيير » على أفريقيا ، متمثلة في حركة الاستقلال السياسى الواسعة النطاق التى

شملت عشرات من دول القارة ، وتساقطت معها أعمدة الاستعمار القديم فيها ، فاننا يمكن الان أن نقول أن بداية السبعينات تتميز بهبوب « رياح التغيير » على قارة أمريكا اللاتينية ، ليس في صورة حركة الاستقلال السياسى هذه المرة - فان استقلال دول أمريكا اللاتينية السياسى قد أتى مبكرا عن ذلك في القرن الماضى ، وانما متمثلا في حركات التغيير الاجتماعى فى وجه سيطرة الامبريالية الأمريكية ، وهى فى الأساس سيطرة اقتصادية بالدرجة الاولى .

ان قارة أمريكا الجنوبية تموج اليوم بطاقة حركة التحرير الوطنى من الاستعمار الأمريكى على نحو لم يسبق له مثيل منذ بدايات حركاتها الاستقلالية في القرن التاسع عشر . وهو أمر يؤكد

إذا



أواخر الستينات أداة هذه السيطرة نفسها في الأساس .

تحرك جديد اليسار

لا تزال تتنازع السلطة في معظم بلاد القارة ، ورغم أن الولايات المتحدة تمكنت خلال هذه الحقبة الطويلة من سيطرتها من أن تملك مغاليتح الضغط الاقتصادي والسياسي والعسكري — في كثير من الأحيان — لصالح هذه القوى والطبقات الاجتماعية الملتقية مع مصالحها و ضد القوى والطبقات الاجتماعية المناهضة لها والتي تلتقي مصالحها مع التحرر والتغيير الاجتماعي الجذري .

من مبدأ مونرو . . .

الى التحالف من أجل التقدم

وربما اعتقدت الولايات المتحدة أنها نجحت في فرض العزلة على أمريكا اللاتينية القريبة منها بامتداد الأرض من أمريكا الشمالية الى الجنوبية والبعيدة عن باقى أنحاء العالم القديم بوجود المحيطين الاطلنطي والهادى على جانبي القارة . ولكن انتصارات حركة التحرر المتوالية في العالم طوال السنوات الماضية والهزائم المتوالية التي لحقت بالامبريالية ، وخاصة في آسيا على يد حركة التحرر الثورية الفيتنامية التي تقودها القوى الاشتراكية وتؤديها القوى الاشتراكية العالمية ، قد استطاعت أن تعبر بتأثيراتها الحواجز الجغرافية المحيطة بأمريكا اللاتينية ، واستطاعت أيضا أن تخسر حواجز العزلة التي ارادت الولايات المتحدة فرضها على القارة . حدث ذلك ابتداء من انتصار ثورة كوبا الاشتراكية ، وحدث على نطاق أوسع منذ التقاء القوى التحررية الاشتراكية في مؤتمر القارات الثلاث أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية الذي عقد في هافانا عام ١٩٦٦ .

لقد ظلت سياسة الولايات المتحدة تجاه أمريكا اللاتينية — بكل دولها بغير استثناء — مبنية على أساس التدخل المباشر أو غير المباشر في شئون هذه الدولة من ناحية ، وعلى إقامة نظم حكم دكتاتورية فيها تحمي السيطرة الامريكية عليها من ناحية أخرى . ومنذ عام ١٨٢٣ بنت الولايات المتحدة سياستها اللاتينية على أساس « مبدأ مونرو » كحجر زاوية في سياسة التدخل تحت شعار عدم السماح بالتدخل في شئون نصف الكرة الغربى . وكانت السياسة الامريكية تتلاعب بهذا

ومع انفجار واتساع حركة الصراع التحرري في القارة ضد السيطرة الامريكية ، بدأت قوى اجتماعية جديدة تنضم الى صفوف هذا النضال للاضطلاع بدورها فيه ، او حتى لاتخاذ مواقف القيادة الطليعية له في بعض الحالات . واذا كان من المستحيل القول بأن دور اليسار في أمريكا اللاتينية الان هو دور جديد — نظرا للتاريخ الطويل لنضال اليسار الماركسي والشيوعي بالذات في أكبر دول القارة وأكثرها أهمية مثل الأرجنتين والبرازيل وشيلي ، الا أنه يمكن القول الان بأن تحرك اليسار في دول القارة أصبح مرتبطا بحركة الجماهير الواسعة في بلادها أكثر مما كان في أى وقت مضى ، ويرجع ذلك الى ان الفترة الحالية من الصراع السياسي والاجتماعي في القارة ، تتميز بتحريك قطاعات عريضة من جماهير العمال والفلاحين — بتأييد واضح من المثقفين الثوريين — لتأكيد ارادتها وقوتها الاجتماعية وتأثيرها على مجريات الصراع الراهن .

في البدء كانت كوبا

بدأت قارة أمريكا اللاتينية تتحرك في الاتجاه العام الذي تتميز به حركة الصراع العالمي بين قوى الامبريالية وقوى التحرر العالمية في الوقت الحاضر ، وهو اتجاه التحول من النظام الرأسمالي الى الاشتراكية ، واذا كان هذا التحول قد بدأ منذ سنوات في دولة واحدة من دول القارة هي كوبا ، الا أنه في الوقت الذي تصورت فيه الامبريالية الامريكية أنها نجحت في حجز تيارات الاشتراكية داخل كوبا ومنعتها من الامتداد بتأثيراتها الى باقى دول القارة طوال السنوات الماضية ، فان الولايات المتحدة تفاجأ الان بتطورات تؤكد أنها كانت واهمة فيما اعتقدته من اختناق التيار الاشتراكي في القارة . وطبيعى أن تحرك أمريكا اللاتينية مع الاتجاه العالمي التحرري نحو الاشتراكية لم يحدث بين يوم وليلة . وهذا يؤكد أن كل الوسائل التي لجأت اليها الامبريالية الامريكية — التي انفردت بالسيطرة على القارة سياسيا واقتصاديا طوال قرنين كاملين وأكثر — لم تفلح في قتل حركة التحرر الوطني وتعويق تقدمها نحو هذه المرحلة الهامة التي تشهدها القارة الان . وذلك رغم أن القوى الاجتماعية التي وجدت مصالحها مع مصالح الامبريالية الامريكية

فكان ظهور برنامج « التحالف من أجل التقدم » ايذانا بأسلوب جديد في المحاولات الامريكية لمواصلة السيطرة ، ولكنه كان في الوقت نفسه - وكما أكدت تطورات القارة طوال السنوات العشر التالية - ايذانا بوهن قبضة السيطرة الامريكية على القارة ، اذ اضطرت الولايات المتحدة من خلال هذا البرنامج الى الاعتراف بتطلع القوى الاجتماعية الكبرى في القارة الى تحرير بلادها من بقايا الاقطاع التي كانت تقف عقبة أمام التنمية الاقتصادية الوطنية في كل دول القارة تقريبا والتي كانت تفرض البؤس والفقر والتخلف على الطبقات التي تمثل الاغلبية في تكوينها الاجتماعي . وحتى في داخل الولايات المتحدة نفسها لم تستطع الرأسمالية ان تتخذ موقفا موحدا متجانسا . فعلى حين كان كيندي متحمسا لناورة اقامة « التحالف من أجل السلام » كانت دوائر « الإنتاج » (وزارة الدفاع) تقف منها موقف المعارضة لانها تعتبر السيطرة من خلال الحكومات العسكرية وسيلة أكثر فاعلية . ومن هنا فان الولايات المتحدة اضطرت في الواقع الى انتهاز السبيلين معا . برنامج التحالف من أجل التقدم من ناحية . وتدير الانقلابات العسكرية باستمرار ضد الحكومات التي تبدو قدرا من الديمقراطية ، أو قدرا من الاستعداد للالتقاء مع الاماني الجماهيرية في التخلص من بقايا الاقطاع أو انتهاز سياسة خارجية ، استقلالية ، أو سياسة تنمية اقتصادية حقيقية داخلية . حتى ان الفترة التي أعقبت مباشرة بدء تنفيذ برنامج التحالف من أجل التقدم - وهي الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٣ شهدت ثمانية انقلابات عسكرية متتالية في القارة . بل أن فترة حكم كيندي القصيرة نفسها شهدت المحاولة الفاشلة لغزو كوبا لضرب القاعدة الوحيدة - في ذلك الوقت - للاشتراكية في أمريكا اللاتينية . وإذا كانت فترة كيندي تميزت بمحاولة أسلوب الدخول في اتفاقات مع الحكومات القائمة في القارة على اساس برنامج التحالف من أجل التقدم - جنبا الى جنب مع أسلوب الانقلابات العسكرية والانقلابات المضادة التي تخطط لها وتمولها وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، فان فترة ما بعد كيندي - أي فترة حكم الرئيس السابق ليندون جونسون - قد شهدت استمرار الانقلابات العسكرية لفرض حكومات دكتاتورية تسير بأمره الولايات المتحدة . وشهدت هذه الفترة حادثين على اسس بالغه من الاهمية أسهما بالدور الاكبر في اقناع شعوب القارة بزيغ كل ادعاء امريكي بالعمل من أجل تقدم القارة أو نموها الاقتصادي .

أولا - الاحداث الدموية في منطقة قناة بنما في يناير عام ١٩٦٤ حيث قصدت القوات الامريكية بوحشية لهبة الجماهير الوطنية - التي كان



كيندي



جوان بوش

المبدأ كما تشاء ، فهي تستخدمه مرة بأسلوب العصي الغليظة ضد شعوب القارة أو حركات التحرر فيها ، ومرة أخرى تستخدمه تحت شعار زائف من « حسن الجوار » وكان الهدف الاساسي الواضح مع اختلاف الاساليب منع أو على الأقل تعويق ، حدوث أية تغييرات في سيطرة الاحتكارات الامريكية على ثروات أمريكا اللاتينية .

والواقع ان الرأسمالية الامريكية تثبت في وقت مبكر الى بوادر التغييرات في الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في القارة التي تهدد سيطرتها على ثرواتها . وفي ظل حكومة جون كيندي عام ١٩٦١ أعدت فخا جديدا لأمريكا اللاتينية تضمن به استمرار سيطرة الاحتكارات الامريكية عليها ،



أكثر من ٨٠٠ مليون دولار . وقد أنفقت هذه الأموال على البعثات العسكرية الأمريكية في دول القارة ، وتملك هذه البعثات الخاصة سيطرة كاملة على جيوش دول أمريكا اللاتينية (طبقا باستثناء كوبا وشيلي ، وباستثناء المكسيك وبيرو أيضا) .

ويتضح لنا من خلال هذا أن قارة أمريكا اللاتينية تواجه نوعا واحدا متجانسا من السيطرة هو سيطرة الامبريالية الأمريكية ، أي أنها تواجه نفس الأساليب والوسائل من عدو يسعى لتحقيق نفس الأهداف . ومع ذلك فإن الظروف النوعية في دول القارة تختلف . . . تختلف بين المجموعات الإقليمية المتجاورة فيها ، كما تختلف بين كل دولة وأخرى من دول أمريكا اللاتينية على حدة . ومن هنا اختلفت خصائص كل من حركات التحرير في بلاد القارة المختلفة . كما اختلفت وسائل هذه الحركات التحررية — ابتداء من النضال البرلماني كما حدث في شيلي إلى النضال المسلح على طريقة حرب العصابات الحضرية في مدن أوروغواي (توباماروس) وجيش التحرير الشعبي في بوليفيا .

أبعاد الواقع السياسي

وبمعنى أوضح فإن الواقع السياسي والاجتماعي الذي يدور فيه النضال التحرري لأمريكا اللاتينية واقع متنوع ، وإن كانت تجمعها سمات مشتركة تمثل واقعا سياسيا عاما نتيجة لواجهه التشابه في ظروف القارة ككل ، ونتيجة لوحدة القوى الامبريالية المسيطرة عليها . ولا بد أن نبدأ بمحاولة تحليل الواقع السياسي والاجتماعي العام للقارة .

ونقطة بداية لابد أن نستثنى الاقاليم الصغيرة في شمال أمريكا اللاتينية التي لا تزال في وضع المستعمرات ، وهي بالتحديد سورينام وهندوراس وبورتوريكو (ومنطقة قناة بنما) وعدد من جزر الكاريبي الصغيرة . أما باقي دول القارة فإنها نالت استقلالها السياسي من الحكم الإسباني أو البرتغالي خلال الفترة من عام ١٨١٠ إلى ١٨٢٥ . ولقد تعرضت هذه الدول بعد ذلك في مسعى تاريخها كجمهوريات مستقلة لد الاستعمار الجديد الذي عمل في النهاية على افقارها استقلالها معظمها من العمال والطلبة التي كانت تطالب بإعادة القناة إلى سيادة بنما .

ثانيا - العدوان الأمريكي المسلح على جمهورية الدومينيكان ضد الثورة الشعبية فيها في ابريل عام ١٩٦٥ . هذا الانقلاب الدكتاتوري الذي اطيح بحكومة جوان بوش . فعندما كانت الثورة ترمي إلى استعادة الدستور ومواصلة العملية الديمقراطية التي كانت قد وضعت نهاية لحكم الدكتاتور تروجيللو ، لم يكن ذلك مرضيا للولايات المتحدة على الإطلاق ، وكان ذلك كافيا لكشف نواياها ضد التحرر السياسي والاجتماعي في القارة ، وكشف خوفها من اندلاع شرارة الاشتراكية — على النحو الذي حدث في كوبا قبل ذلك — واندلاع نيران الثورة الشعبية على نطاق واسع في القارة كلها . لقد رفضت الولايات المتحدة أن تقبل أنتصار الديمقراطية في جمهورية الدومينيكان ، فقررت التدخل ضد الثورة ، واستخدمت ، في الفجندى في احتلال هذا البلد الصغير في منطقة البحر الكاريبي ، وأغرقت أحلام الثورة في بحر من الدماء ، ولكنها أغرقت في الوقت نفسه أحلام واشنطن نفسها في أن تستمر في خداع شعوب أمريكا اللاتينية عن حقيقة نواياها . واضطر جونسون وقتها لأن يعلن عن نوايا أمريكا سافرة بالرغم بأن حكومته تحتفظ لنفسها بحق منسـم قيام « كوبا أخرى » في القارة .

دور القوات المسلحة

ومن أصرار أمريكا على استخدام القوة ضد كل حركة تحررية في أمريكا اللاتينية ، ينبع اصرار شعوب القارة على مقاومة السيطرة الأمريكية التي كانت قد نشرت أجهزتها في أنحاء القارة متمثلة في النظم العسكرية والمؤسسات والمعاهد الأمريكية والمنظمات الفكرية الرجعية والوسائل العسكرية والبوليسية للرقابة على الشعب .

وقد بذلت الولايات المتحدة أقصى جهودها لتجعل من القوات المسلحة في دول أمريكا اللاتينية ليس فقط عميلا خاضعا لها مرتبطا بمصالحها، وإنما لكي تكون العامل الأقوى بين كل العوامل المتصارعة في الحركة السياسية والاجتماعية للقارة ، فقد كان الهدف أن تسيطر القوات المسلحة في كل بلد على الشعب ، وتسيطر الامبريالية الأمريكية على هذه القوات المسلحة، ولهذا عملت طوال الستينات على نشر نظم الحكم الدكتاتورية العسكرية في أمريكا اللاتينية على أوسع نطاق ، أو على الأقل ضمان تدخل الجيش في السياسة والسيطرة على مجرياتها حتى في البلاد التي توجد بها حكومات بورجوازية دستورية . ولهذا لم يكن غريبا أن تبلغ قيمة النفقات التي وضعتها الولايات المتحدة في برامج عسكرية في أمريكا اللاتينية خلال الفترة من عام ١٩٥٢ إلى ١٩٦٤ .

انشاء جيش كبير تحت قيادتها وتحت تصرفها في القارة وليس مجرد قوة اغلبيتها من الامريكيين ، على النحو الذي جرى في كوريا في أوائل الخمسينات ولكنها فشلت في تحقيق هذا الهدف رغم تكرار محاولاتها ، واضطرت الى الاستعاضة عن هذه الفكرة ببث أجهزة مخابراتها العسكرية في جميع دول القارة لتدريس « وحدات خاصة » على مقاومة « حرب العصابات » للتصدي للحركات الشعبية بأحدث الاسلحة الامريكية وتكنيكاتها ، ولارهاب الجماهير في تلك البلاد، بل واغتيال زعماء الحركات الشعبية والزعماء الديمقراطيين .

انتصارات حركة التحرر

ورغم هذا فان الحركة المناهضة للامبريالية حققت عددا من الانتصارات الهامة في نضالها ضد السيطرة الامريكية خلال السنوات العشر الماضية ، فان ثورة كوبا قد خلقت تيارا قويا غريدا في نصف الكرة الغربي لم تستطع السيطرة الامبريالية الامريكية ان تحجز تأثيراته على باقى أنحاء القارة ، او أن تعزله في الجزيرة الصغيرة . لسبب محقق هو أن أماني شعوب القارة في التنمية وتحقيق التغيير الاجتماعي والتخلص من السيطرة من الاستغلال الاقتصادي الامريكي كانت تلتقي مع الاهداف التي من أجلها كانت ثورة كوبا ونجحت ونمت وانتشرت في معاركها ضد الامبريالية . ان ثورة كوبا تمثل علامة هامة على طريق حركة التحرر في أمريكا اللاتينية لانها أثبتت لأول مرة بشكل قاطع أن التخلص من السيطرة الاجنبية لا يكتمل الا بالتخلص من الاقلية المسككة بالثروات الاقتصادية للبلاد وباحداث التغيير الجذري في البنية الاقتصادية الاجتماعية فيها .

وقد وجدت الثورة الكوبية استجابات حقيقية مختلفة في أنحاء أمريكا اللاتينية ، برغم تصدى الامبريالية بكل الوسائل ، ابتداء من محاولة الغزو الى العزل الاقتصادي والسياسي وحرب الدعاية والحصار البحري والدبلوماسي ، فقد اسهمت الثورة الكوبية في حركة حرب العصابات في كثير من دول القارة ، وشهدت أمريكا اللاتينية في أوائل الستينات موجات اضراب عمالية عارمة بلغ عدد العمال وغيرهم المشتركين فيها في عام ١٩٦١ أكثر من ٢٠ مليوناً . على أننا يمكن أن نعتبر أن أكبر تأثيرات الثورة الكوبية على حركة الصراع ضد السيطرة الامريكية خلال السنوات العشر الماضية هو فشل برنامج التحالف من أجل السلام في تحقيق أي من أهدافه . فخلال السنوات العشر نفسها ظهرت نظم حكم تقدمية في بيرو وشيلي وبوليفيا ، وتعرضت الاخيرة في شهر أغسطس

الحقيقي وتحويل استقلالها السياسي - من خلال السيطرة الاقتصادية والهيمنة الثقافية - الى استقلال اسمي وشكلي تماما . وأصبحت أمريكا اللاتينية داخل شبكة من السيطرة الامريكية الاقتصادية المتشعبة النواحي ، والتي تهيمن بالتالي على سياسات دول القارة وتوجهها مستخدمة كافة الوسائل لتظل معتمدة على الولايات المتحدة عسكريا واقتصاديا وسياسيا ، وهو ما تطلب تعويق النمو الاقتصادي للقارة والتصدي لكل حركة تحررية فيها ، حتى وان اتخذت شكل الديمقراطية البورجوازية او الليبرالية .

وقد كانت ذروة السيطرة الامبريالية الامريكية على أمريكا اللاتينية تتمثل في انشاء منظمة الدول الامريكية عام ١٩٤٨ . فقد كان انشاء هذه المنظمة بمثابة وضع القارة داخل اطار الاستراتيجية الامريكية العالمية لما بعد الحرب العالمية الثانية . والملاحظ أن المنظمة انشئت بعد عام واحد من توقيع « معاهدة ريو » (١٩٤٧) وهي معاهدة المساعدة المتبادلة الامريكية التي كانت تهدف الى اقامة « تحالف عسكري للدفاع عن القارة ضد العدوان او التهديد بالعدوان » . وظهرت حقيقة دور منظمة الوحدة الامريكية في خدمة اهداف الولايات المتحدة ضد شعوب القارة في اضعافها الطابع الشرعي على التدخل الامريكي في جواتيمالا في عام ١٩٥٤ ، والعدوان العسكري على جمهورية الدومينيكان عام ١٩٦٥ ، وقبل ذلك موقف المنظمة السياسي والاقتصادي من حكومة الثورة الكوبية الذي انتهى بإبعادها من المنظمة عام ١٩٦٢ .

وقد أعقب « طرد » كوبا من منظمة الدول الامريكية - وفي ديسمبر من نفس العام على وجه التحديد - انشاء قوة السلام الامريكية المشتركة ، وكان من الواضح أن الولايات المتحدة انشأت بهذا جهاز قمع « رسمي » في اطار المنظمة استعدادا لضرب أية حركة تحررية أو ثورية تتخذ « طريق كاسترو » الذي سارت فيه كوبا في ثورتها ضد الدكتاتورية ، وضد الاحتكارات الامريكية .

ويمكننا الآن أن نقول أنه اذا كان الرئيس الامريكي الحالي نيكسون قد ابتدع « مبدأ جوام » الذي يهدف الى تخليص الامريكيين من مهام القتال في آسيا شيئا فشيئا ، ودفع الاسيويين الى محاربة الاسيويين فان نفس المبدأ كان وراء انشاء قوة السلام الامريكية المشتركة لدفع دول أمريكا اللاتينية الى محاربة بعضها لصالح الاحتكارات الامريكية وضد مصالح هذه الدول نفسها على وجه التحديد .

وقد كانت الولايات المتحدة ترمي في الحقيقة الى



دور الكنيسة ... اليوم

ولقد اعتد تأثير حركة التصريح الوطني - بوجهيها السياسي والاجتماعي - الى الكنيسة التي تقوم - تاريخيا - بدور مؤثر في الحياة السياسية والاجتماعية في معظم دول القارة . فظهرت بين صفوف زعماء الكنيسة ورجالها عناصر تقف في صف التغيير التقدمي الذي تطالب به الجماهير ، عناصر تؤيد حركة النضال بأشكالها المسلحة والسياسية والبرلمانية ، ولم يعد الامر قاضرا على الصورة التقليدية للكنيسة التي تقف ضد الحركة الثورية وضد الافكار التقدمية على طول الخط . ولا شك أن وجود نموذج بطولي مثل كاميلو توريث القسيس الكولومبي الذي انضم الى حركة حرب العصابات وسقط قتيلا في احدى عملياتها ضد الحكومة الدكتاتورية في فبراير عام ١٩٦٦ له تأثيراته الواسعة النطاق ليس في اطار الكنيسة وحدها وانما على الجماهير الكاثوليكية العريضة في انحاء أمريكا اللاتينية .

ونتيجة لاتساع قاعدة القوى المناهضة للامبريالية ، والواقفة في صف حركة التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية فان الاحزاب البورجوازية التقليدية تجد نفسها في محنة حقيقية منذ سنوات . ليس فقط لان الجماهير الشعبية تنصرف عنها أكثر وأكثر ، وانما لان الامبريالية الأمريكية نفسها لم تعد تجد فيها أحصنة قوية تلعب عليها لكسب السباق الى السيطرة على الحكم والابقاء على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة . فقد أصبحت هذه الاحزاب عاجزة تماما في واقع الامر عن الوفاء بأي مطلب وطني سواء في التنمية الاقتصادية أو في العدالة الاجتماعية حتى بمعناها العام .

نضال من أجل الاشتراكية

ونتيجة لهذا الوضع السياسي ، فان امكانية نشوب أزمات حادة في دول القارة أصبحت كبيرة للغاية في الفترة الأخيرة ، لان بلاد أمريكا اللاتينية تشهد بروز واتساع دور قوى اجتماعية جديدة قوية تسعى للتغيير وقادرة على تحقيق المطالب الشعبية . وتدهور قوى اجتماعية قديمة أصبحت لا تستطيع أن تستمر - فضلا عن أن تزدهر - في الظروف الموضوعية الراهنة في القارة أو في العالم . ولما كانت ظروف الازمة السياسية لا يمكن أن تستمر ولا بد أن تطل ، وأن تحل معها تناقضات

الماضي لانتكاسة خطيرة بانقلاب عسكري يميني انكشف فيه دور المخابرات الأمريكية واعترفت بهذا الدور دوائر واشنطن نفسها ، وهو ما بشرته صحيفة « نيويورك تايمز » الأمريكية في آخر اكتوبر الماضي حينما تحدثت عن تحسن العلاقات بين الولايات المتحدة وبوليفيا بعد استيلاء اليمين العسكري على السلطة .

بروز دور الطبقة العاملة

على أن هذه التطورات التي نضجت في بداية السبعينات نضوجا جعل أمريكا اللاتينية كلها مهية لمرحلة هامة جدا في تطور حركة التحرر فيها - هو بروز دور الطبقة العاملة في حركة التحرر في معظم دول القارة بصورة لم يسبق لها مثيل ، الى جانب المثقفين التقدميين والتنظيمات الحزبية والسياسية التقدمية .

لقد برز هذا الدور بشكل خاص في انتصار الاشتراكية في شيلي ، وأن كان هذا الانتصار قد تم بحكم ظروف شيلي الديمقراطية الخاصة - بالطريق الانتخابي ، وبرز أيضا في الاتجاه التقدمي الذي انتهجه حكومة بيرو التقدمية في الستينيات الاخيرتين لاستخلاص ثروات بيرو من بين براثن الاحتكارات الأمريكية . وبرز دور العمال بالمثل في قزارات حكومة فنزويلا - رغم عدم حدوث تغيير في السلطة الخاصة - بتأميم البترول فيها على مدى طويل ، والخاصة بخفض ارباح الشركات الأمريكية ، وتقوم الطبقة العاملة بدور يزداد قوة وتأثيرا في الأرجنتين والبرازيل وكولومبيا واكوادور والمكسيك .

واذا كانت أحداث بوليفيا الأخيرة قد نبهت الى حقيقة هامة ، فهي أن أمام حركة التحرير في أمريكا اللاتينية مهمة عاجلة هي ضم جماهير الفلاحين - بقوتها الاقتصادية والسكانية في معظم بلاد القارة - الى القوى المناهضة للامبريالية الأمريكية ، لتقوم بدورها كاملا الى جانب الطبقة العاملة والمثقفين الثوريين . ومن ناحية أخرى فان العمل السياسي في أوساط الجيش أصبح مهمة عاجلة أخرى أمام حركة التحرر في معظم دول أمريكا اللاتينية ، لانه يحقق تجريد الامبريالية الأمريكية من أهم أسلحتها في السيطرة على بلاد القارة والامساك بمفاتيح السلطة فيها . ولا شك أن موقف الجيش في كل من شيلي وبيرو يعطى نموذجا واضحا لتحول جذري هام ومؤثر في التكوين الاجتماعي للجيش في أمريكا اللاتينية . ويعطى في الوقت نفسه مؤشرا الى ان الامبريالية الأمريكية لن تستطيع الاعتماد على الدوام على اعتبار « كل » جيوش أمريكا اللاتينية جيوشا مرتزقة في خدمة أهدافها .

الاضاع الراهنة ، فان الامر مرهون بمقدرة حركة التحرر الوطنى - بالقوى المشتركة فيها وطلبتها الطبقة العاملة - على التقدم لحل هذه التناقضات بالثورة .

وتنبئ التطورات الاخيرة فى امريكا اللاتينية بأن التطور المستمر للحركة المناهضة للامبريالية بقواها الاجتماعية المختلفة ، تسير جنبا الى جنب وبسرعة مماثلة مع التطور نحو حركة التنمية الاشتراكية باعتبارها الوسيلة الحتمية الوحيدة لحل ازمات اقتصاد امريكا اللاتينية الذى يعانى من تناقضات التخلف والسيطرة الرأسمالية الاجنبية ووجود بقايا النظم الاقطاعية والانخفاض الخطير فى معدلات النمو الاقتصادى نتيجة لذلك كله .
واذا كان لا بد من التسليم بوجود تناقضات او نوعيات مختلفة بين اليسار فى دول امريكا اللاتينية المختلفة - بين الاتجاه نحو العنف او نحو العمل السياسى اليومى المنظم - الا أن اليسار فى امريكا اللاتينية يجمعه كله فكرا ايدىولوجيا يؤمن ايمانا علميا اكيدا بحتمية السير فى طريق الاشتراكية لحل التناقضات الاقتصادية الاجتماعية ولضمان التحرر من السيطرة الاجنبية فى الوقت نفسه .

بالمثل -

وهكذا يتضح فى حركة التحرر الوطنى فى امريكا اللاتينية عدم انفصال حركة الصراع الطبقي فى المجتمع عن اهدافه الوطنية فى التخلص من سيطرة الامبريالية الامريكية خاصة مع استمرار هذه الامبريالية فى محاولات التخريب ضد مكاسب التحرر الوطنى فى بيرو وشيلي وبوليفيا (حيث نجحت كما أوضحنا من قبل) . ولهذا فان حركة التحرر الوطنى قد تبدأ بمرحلة الثورة الديمقراطية الوطنية كما حدث فى شيلي ، ولكن استمرار حركة

الصراع الطبقي يدفع هذه الثورة الى تقديم مكاسب اشتراكية لجماهير العمال والفلاحين تتمثل فى تكوين قطاع عام كبير ، واشتراك العمال فى ادارة المصانع وأرباحها ، وتطبيق نظم الاصلاح الزراعى فى الريف .

ومن شأن هذا التطور فى مرحلته الاولى أن يساعد على ازدياد قوة حركة التحرر الوطنى ونموها وتقدمها نحو اهدافها ، مع توفر الظروف الموضوعية الفردية لهذا النمو :

١ - طبقة عاملة أكبر وأشد وعيا وأكثر التزاما ايدىولوجيا بأهداف تحقيق الاشتراكية ، ونمو اقتصادى منظم ، وخروج حثيث من سيطرة الاحتكارات الاجنبية او سيطرة الدكتاتوريات البورجوازية .

٢ - تحالف قوى بين الطبقة العاملة والفلاحين الذين يشكلون اكبر الجماعات السكانية فى معظم دول القارة .

٣ - استمرار جذب الفئات الثورية من المثقفين والطلبة الى صفوف حركة التحرير الوطنى واتجاهها الاشتراكى .

٤ - نمو العلاقات الطبيعية بين قوى التحرر فى امريكا اللاتينية - وخاصة تلك التى تصل الى السلطة - والقوى الاشتراكية المؤثرة فى العالم باعتبارها الدرع القوى المدافع عن حركة التحرير الوطنى فى العالم والذى يقدم لها التأييد الكامل بكل اشكاله فى نضالها ضد الامبريالية من ناحية ، ومن أجل تحقيق التقدم الاقتصادى من ناحية

« البرلمان »

كطريق الى سلطة

« الديموقراطية الوطنية »

تجربة من شيلي

حسين شعيلان

ظلت

أمريكا اللاتينية لفترة طويلة ، مسرحا للانقلابات العسكرية تقوم بمعظمها القوى الرجعية داخل القوات المسلحة مدفوعة بتأييد الامبريالية الامريكية ، اجهاضا للثورة في حالات المد الثوري للحركة الوطنية الديمقراطية ، أو لتقويض النظم التي لا تساير مطامع السياسة الامريكية واهدافها .

انها كانت أحد أساليب « العمل الوطنى » فى هذه القارة .

ولفترة طويلة ايضا ، ظل نموذج « الكسفاح المسلح » هو النموذج السائد فى فكر الحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية ، كطريق للخلاص من النظم الدكتاتورية . . . وكنناج لناخ « العنف العسكرى » الذى ساد القارة طويلا .

ثم شقت ثورة شيلى ، اخيرا ، طريقا فريدا ونادرا لم تشقه - حتى الان - ثورة أخرى فى

وفى الحالتين ، غالبا ما كانت تسيطر هذه الانقلابات عن اقامة نظم فاشية ودكتاتورية سواء فى شكلها المدنى أو شكلها العسكرى .

لكن ذلك لا يلغى أن القوى الوطنية الديمقراطية فى بعض الاحيان ، قد لجأت الى « الانقلاب العسكرى » من أجل تسلم السلطة وتحقيق اهدافها ، وبرغم قلة هذه « الانقلابات » الوطنية التى سرعان ما تصبح « ثورة » تواجه مهامها ، الا

أمريكا اللاتينية • وذلك حين تمكنت «جبهة الاتحاد الشعبي» ، التي تضم القوى الوطنية والديمقراطية والشعبية ، من أن تتولى السلطة في البلاد عن طريق «البرلمان» • ومن المتوقع أن يكون لهذا «الأسلوب الشيلي» - إذا صح التعبير - آثاره السياسية والفكرية على تطورات نضال حركة التحرر الوطني في القارة وربما في غيرها من القارات •

ولا يعنى ذلك بالتأكيد - أن «البرلمان» اليوم هو «بديل» القوات المسلحة أو «قوات الكفاح المسلح» في أمريكا اللاتينية • فلكل بلد ظروفه الموضوعية الخاصة ، التي تفرض على حركة التحرر الوطني فيه ممارسة هذا «الأسلوب» أو ذاك ، والاعتماد على «المؤسسة المدنية» أو «المؤسسة العسكرية» ، أو خلق «مؤسسة جديدة» ، من أجل تسلم السلطة وإنجاز أول خطوة في طريق إعادة بعث «الوطن» المعادى للإمبريالية ، والنهب الأجنبي والاقطاع •

ويخطئ من يظن أن «البرلمانية» - كطريق يمكن الجبهة الشعبية من الاستيلاء على السلطة - طريق سهل • بل العكس تماما هو الصحيح • لأن نجاح هذه التجربة ، إنما يعنى قبل كل شيء النجاح المقتدر في تنظيم الجماهير وحشدتها إلى الحد الذي يصبح فيه ثقلها وحجمها السياسيين هما بديل «المؤسسة العسكرية» التي أكدت التجربة التاريخية حجم الدور والأهمية الذي تلعبه في حياة دول العالم الثالث • هذا الحجم الذي نناق - بشكل مطلق - حجم الدور الذي لعبته حتى الآن المؤسسات الأخرى في هذه الدول ، ونستطيع أن نتصور صعوبة هذا الطريق ومشاقه بكيفية ملائمة ، إذا عرفنا أنه مطالب بأن تقوى حركة تنظيم الجماهير ونشاطها إلى الحد الذي نستطيع معه أن تشل قدرات «المؤسسة العسكرية» إذا ما فكرت - في ظل قيادة رجعية - في العمل على التدخل لتغيير مسار الأحداث وفق ما ترغب فيه هذه القيادة •

فما هو هذا «الواقع الخاص» في شيلي الذي نسج من أحداثه معالم هذا الطريق ، فصعب على الإمبريالية والقوى الرجعية ممارسة أسلوبها التقليدي : الانقلابات ، وسهل على القوى الثورية استخدام المؤسسة المدنية - البرلمان - لتسلم السلطة ، واتخاذ الإجراءات الثورية بعد ذلك ؟

«دراما شيلي»

يندر أن نجد بلدا واحدا في أمريكا اللاتينية وقد نجا في تاريخها الحديث والمعاصر من وقوع

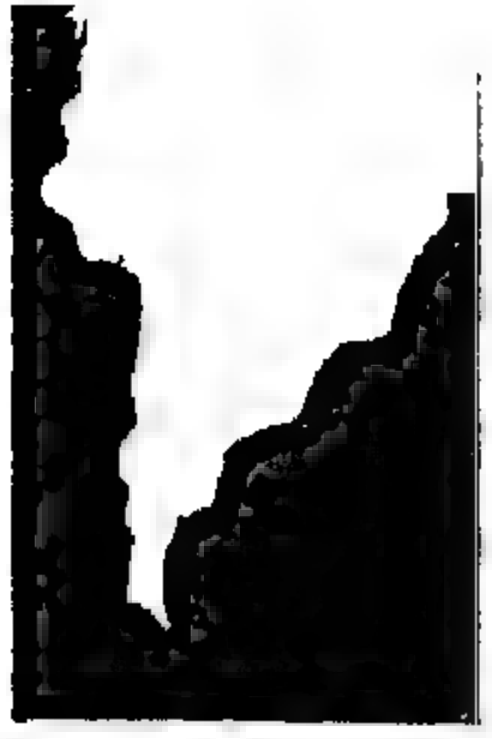
انقلاب به أو الغوص حتى الأعماق في هذه البئر - الانقلابات - التي «بلا قرار» • لكن تاريخ شيلي الحديث ، يوضح أنها كانت هذا «البلد النادر» • فمنذ عام ١٨٣٠ وجميع رؤساء جمهورية شيلي يكملون فترات رئاستهم المقررة في الدستور ، إلا باستثناء حالات نادرة كندرة ظهرو «رئيس دكتاتوري» بها. ومنذ عام ١٩٣٨ ترسخت التقاليد الدستورية والقانونية بالبلاد، إلى حد أن البرلمان قد أصبح من حقه - تقليديا - أن يؤكد انتخاب الشخص الذي حصل على أغلبية أصوات الناخبين • وتبلغ سلطات البرلمان في شيلي الحد الذي يصبح من حق البرلمان معه ألا يلتزم باختيار صاحب أغلبية الأصوات رئيسا • إذ في استطاعته أن يختار واحدا من بين المرشحين اللذين حصلوا على أكبر أصوات تلي ما حصل عليها المرشح الأول •

هكذا كان طابع الحياة السياسية في شيلي • وحتى في أكتوبر من عام ١٩٦٩ ، عندما استحكمت أزمة النظام الحاكم وقتها ، ونضجت الحركة الجماهيرية الثورية إلى الحد الذي «ينذر بالخطر» ، حاولت قوى اليمين الرجعي في الجيش - مستغلة مطالب الجيش المهنية التي لم تتحقق منذ عام ١٩٦٨ - القيام بانقلاب عسكري على السلطة المحافظة وقتها • لكن وقفة الحركة الجماهيرية ومؤسساتها بقيادة الأحزاب الوطنية والديمقراطية والشعبية ، وأدت محاولة الانقلاب هذه ، بأن شنت إضرابا شاملا شل الحياة الاقتصادية في البلاد إلى الحد الذي لم تستطع معه القيادة العسكرية لليمين ، إلا أن تسلم بعدم القدرة على «السباحة ضد التيار» •

التاريخ • نفوذ البرلمان التقليدي • قوة الحركة الجماهيرية • تلك هي مفاتيح الموقف الثلاثة في شيلي •

لقد كانت الفترة في عام ١٩٦٩ ، هي قمة «دrama شيلي» فالقوى الإمبريالية واليمين الرجعي ، قادرة على التأثير في الأحداث بقدر • لكنها غير قادرة على تغيير مسار الأحداث لمصلحتها ، والقوى المحافظة قادرة على الاحتفاظ بالسلطة ، لكنها غير قادرة على الاستمرار فيها بنفس النهج • والقوى الديمقراطية والشعبية قادرة التأثير إلى حد شل حركة الآخرين ورغبتهم في السيطرة ، لكنها غير راغبة في استمرار الأوضاع على ما هي عليه ، وتستجمع طاقاتها لأحداث التغيير الذي تطلبه •

الجميع هنا - وينسب مختلفة في القدرة - حريص على البقاء ، ولكن حريص أيضا ، وينسب مختلفة كذلك ، على عدم وضع البلاد على حافة البئر التي بلا قرار : طريق الانقلابات •



حالة توازن القوى العام والمؤقت .. هذه • كانت نتاج أزمة المنهج الاصلاحى التى بدت بوادر فشله التام واضحة فى أفق شيلى كلها •

« الاصلاحية » أجراً محاولة

منذ انتصار ثورة كوبا الاشتراكية ، والامبريالية الامريكية لم تتخل عن أعز أمانيتها وهدفها الاساسى لاستراتيجيتها تجاه أمريكا اللاتينية : خنق الثورة الكوبية ، وعدم السماح لاي دولة اخرى بانتهاج نفس الطريق ، مع المحافظة على استثماراتها الضخمة وارباحها الطائلة فى القارة • ولا تقتصر مساعي الولايات المتحدة من أجل تحقيق استراتيجيتها فى القارة ، على العمل العسكرى وحده ، بل تشمل أيضا جبهة العمل الفكرى والسياسى ، وخاصة بعدثورة كوبا •

ولقد تميز تاكتيك الامبريالية الامريكية فى شيلى عن غيره فى بلاد أخرى كفرنزويلا وكولومبيا - مثلاً - فالعنف الذى مورس فى هذين البلدين غير تكريس السياسة الاصلاحية فى شيلى • والاصلاحية هنا هى الاحتياطى الاستراتيجى والتاكتيكى معا • وهنا كان شعار « التحالف من أجل التقدم » أجراً محاولة للامبريالية فى أمريكا اللاتينية من أجل رفع أسهم أمريكا فى القارة - وهنا أيضا كان تبنى بعض القوى المحافظة لشعار « الاصلاحية » بهدف تزيين النظام الرأسمالى ورتق شفراته التى لا حل لها •

وعند تولي حكومة ادواردو فرارى (الحزب الديمقراطى المسيحى) السلطة (من ١٩٦٤ وحتى سبتمبر ١٩٧١) ، قدمت الصحافة الامريكية والمحافظة برنامجها الاصلاحى ، كبديل للطريق الذى سلكته ثورة كوبا ، وكحماية للرأسمالية من خطر « الحل » الكوبى ، ولحماية شعب شيلى من النظم الدكتاتورية كتلك التى فى البرازيل والاكوادور مثلاً •

وقد وصل الديمقراطيون المسيحيون الى السلطة فى شيلى ، فى وقت كانت فيه القوى الوطنية والديمقراطية ، وبخاصة العمال وهم أكثر القوى الاجتماعية نشاطاً فى الحياة السياسية فى البلاد ، ترغب فى التغيير خروجاً من الازمة العامة للحكم فى ذلك الوقت • ولم يكن أمام كبار ملاك الاراضى والاوليغاركية المالية ورجال المال الامريكيين ، الا أن يساندوا اتجاه « الاصلاح » للحزب الديمقراطى المسيحى باعتباره « أفضل الحلول السيئة » • ولكى تنجح هذه المساندة وتمردون ما شبهة ، شنت دوائر هذه القوى مجتمعة حملة ضخمة ضد الشيوعية ، وتلقف الحزب الديمقراطى المسيحى

الخيوط ، ودخل الانتخابات وقتها تحت شعار « الثورة على أسس من الحرية » رغم أنه ليس لسانديه الاقوياء أية مصلحة لا فى « الثورة » ولا فى « الحرية » ولا فى أية تغييرات •

فالزراعة فى البلاد قائمة على علاقات شبه اقطاعية • ان يسيطر كبار ملاك الاراضى على ٨٠ فى المائة من الاراضى • ومن بين ٢٨ ألف مالك أرض ، نجد ٦٣٢٦ مالكا يملكون ٤٠ فى المائة من مجموع الاراضى المنزرعة (تبلغ نسبة الاراضى المنزرعة فعلاً ٧٥ فى المائة من مجموع الاراضى القابلة للزراعة) • وبينما انفقت الحكومة فى عام ١٩٦٤ - مثلاً - مبلغ ١٦٠ مليون دولار على الواردات الزراعية ، لم تجن البلاد الا ٣٩ مليون دولار فقط من الصادرات الزراعية •

وامام هذه الوضعية ، وعد الحزب الديمقراطى المسيحى « باصلاح زراعى ، لتغيير نظام الملكية شبه الاقطاعى • • للاراضى •

والصناعة فى شيلى ، تقوم أساساً على انتاج النحاس ، العمود الفقرى لاقتصاديات البلاد - التى تحقق أكثر من ٧٠ فى المائة من الدخل القومى بالدولار • فشيلى واحدة من أولى ٥ دول منتجة للنحاس فى العالم وثانيتهما من حيث الاهمية • إذ تنتج سنوياً ٦٨٦ ألف طن قيمته ٨٠٠ مليون دولار • ومن هنا فان أى تغيير فى السعر العالمى للنحاس - وتحكم فيه الاحتكارات الاستعمارية - بسنت واحد ، زيادة أو نقصاً ، انما يعنى زيادة أو نقص ٨ ملايين دولار من الدخل القومى لشيلى • ولان الدخل من النحاس يمول التجارة الخارجية للبلاد ، فان اهتزاز أسعاره يعنى أيضا مشاكل معقدة لحاجة البلاد من الاغذية والماكينات وقطع الغيار ، فضلاً عن تأثيره على سياسات الاجور والمرتبات وخطة التنمية •

وتسيطر على عملية انتاج النحاس فى شيلى ، مؤسسة « فاكوندا » - وهى خليط من الشركات الاجنبية غالبيتها امريكى • وتستثمر هذه المؤسسة ١٦ فى المائة من استثماراتها العالمية (١٩٩٠ و ١٩٦٦ ١٠٠ مليون دولار) فى شيلى • وكان مجموع ارباحها العالمية فى عام ١٩٧٠ وحده ، ٩٩٣١٣٠٠٠ دولار ، منها ٧٨٦٩٢٠٠٠ دولار من شيلى • أى انها تجنى

٨٠ في المائة من مجموع أرباحها من شيلي مقابل
١٦ في المائة من مجموع استثماراتها .

والى جانب انتاج النحاس ، تقوم عدة صناعات
أخرى كالنسيج والجلود والسكر والزيت
والحديد ، فضلا عن انتاج الفحم وتترات
الصوديوم ، وهناك عشر شركات مساهمة رئيسية
تسيطر على هذه المجالات ، وتملك أكثر من ٩٠ في
المائة من رأس المال في كل الحالات تقريبا بالاضافة
الى مجال التجارة الخارجية .

وتحصل المؤسسات الاجنبية - ومعظمها
أمريكي - على ٣٠٠ مليون دولار سنويا في صورة
أرباح . ومن مجموع ارباح مؤسسات التعدين
والصناعة والتجارة الخارجية والبنوك ، يذهب
٦٣ في المائة منها الى الاحتكاريين الاجانب ورجال
المال المحليين ، بينما لا يزيد نصيب المرتبات
والاجور والخدمات الاجتماعية عن ٢٧ في المائة
منها . وطبقا لاحصاء ١٩٦٩ ، يتضح أن ما
يحصل عليه ٢٤٠ شخصا من المائتين كل شهر
يوازى ما يزيد على أجور ٦٧٠ ألف عامل في
البلاد .

وأمام هذه الوضعية ، وعد الحزب الديمقراطي
المسيحي باتخاذ اجراءات ضد الاحتكارات وفق
مفهوم دخول الحكومة كمساهمة في هذه المجالات
لاضفاء الطابع الوطني على الاقتصاد
(CHILEANIZATION)

الى العمل على اقامة علاقات مع كل الدول ،
واحراز تقدم صناعي وبناء مدارس واتباع سياسة
اسكانية لحل مشكلة الاسكان .

تحت وطأة معطيات هذا الوضع الاقتصادي
لسيطرة الاحتكارات الاجنبية ورجال المال المحليين
وكبار ملاك الاراضى ، برز اتجاه « الاصلاح » في
صفوف الحزب الديمقراطي المسيحي وقيادته .
هذا الاتجاه الذي كان تعبيرا - على نحو آخر -
عن فكر وصياغة « الرأسمالية الشعبية » السائدة
في برامج الاحزاب الديمقراطية الاشتراكية في
أوروبا . يزيد من شكله « اليسارى » عند الحزب
الديمقراطي المسيحي في شيلي ، حقيقة أن هذا
الحزب قد شارك طويلا مع الحركة الجماهيرية من
أجل عدد من القضايا العامة .

ويمكن أن نقول أن الحزب الديمقراطي المسيحي
يجمع خليط من الطبقات ، فكل الفئات الاجتماعية
ممثلة فيه . ففي صفوفه نجد بعض ملاك الاراضى
الى جانب احتكاريين صناعيين ورجال بنوك ،
وأساتذة جامعات ومهنيون والبورجوازية
المتوسطة والصغيرة والمدرسون والعمال المهرة
وفلاحون . ولكن يقود هؤلاء جميعا : البورجوازية

القومية يفكرها ومفاهيمها ونظرتها السياسية
والاجتماعية . ونفوذ الاساسى بين صفوف
المهنيين والبورجوازية المتوسطة والصغيرة وبعض
الصناعيين .

وقد بدأت البورجوازية تلعب دورا في مجالات
الاقتصاد في شيلي منذ بداية القرن الماضى . وبرغم
ارتباطاتها بالامبريالية ، الا أن مصالحها الخاصة
تتناقض معها . وفي ظل الحركة الوطنية المعادية
للاستعمار ، تدعم الدور الوطني لها وخاصة في
صفوف البورجوازية المتوسطة والصغيرة وعلى
الرغم من مخاوفها من تنامي الطبقة العاملة . هذه
المعادلة التى انعكست في نهج « الاصلاحية » من
جهة ، ومساومة الامبريالية من جهة أخرى .

الحركة الجماهيرية .. هي الاساس

ان الحركة الجماهيرية وقوتها هي اساس
تطورات كل أحداث تجربة شيلي والنتائج التى
أثمرتها ، فاذا اضفنا الى ذلك حقيقة حرص كل
القوى على عدم تعطيل المؤسسات السياسية
والاجتماعية أو النيل من سلطاتها - وهو حرص
اساسه قوة الحركة الجماهيرية ويقتطها - لوصولنا
الى المعادلة التى قادت شيلي الى
سلطة « الديمقراطية الوطنية » : حركة جماهيرية
قوية + تقاليد ديمقراطية راسخة .

فالصراع الذى حكم المجتمع في شيلي هو
التناقض بين الامبريالية والاحتكارات وكبار ملاك
الاراضى والاوليغاركية المالية من جهة وبين العمال
والفلاحين والموظفين والطلبة والمتقنين وصغار
ومتوسطى التجار وأصحاب الصناعات الصغيرة
والمتوسطة من جهة أخرى .

ففى خلال هذا القرن نمت الطبقة العاملة في
شيلي نتيجة لنمو التجارة وما تبعها من نمو سريع
في صناعات وانتاج النحاس والفحم التى خلقت
سوقا كبيرا للعمل . ونتيجة لضرب البورجوازية
الوطنية في نهاية القرن ١٩ على ايدي التحالف بين
الامبرياليين وبين ملاك الاراضى ورجال المال ،
لعبت الطبقة العاملة في شيلي دورا بارزا في
الحياة السياسية للبلاد كقوة رئيسية معادية
للاستعمار .

وقد خاضت الطبقة العاملة منذ نشأتها عددا من
المعارك التى دعمت من تنظيمها على ضوء
الخبرات التى استخلصتها من انتصاراتها
وهزائنها . حتى ان البورجوازية الوطنية لم تنجح
- برغم محاولاتها المتكررة - في أن تحول دون



الشعار الذي رفعه وطالب به الحزب الشيوعي في شيلي منذ أربعين عاما .

ولكى نعطي نموذجا لنضال هذا الاتحاد ، فاننا نذكر - كمثال - نشاطه بعد تطبيق حكومة قراي لبرنامجها في اصلاح الزراعى الذى اسس بعض مزارع القطاع العام ، كانت من أهمها مزرعة سانتا ماريا . فقد نجح بعض كبار ملاك الارض في دفع الحكومة الى التراجع ، على ان تكون هذه المزرعة قطاعا عاما وتطرح من جديد للملكية الخاصة . ونجح الاتحاد في ان يشن الفلاحون في هذه المزرعة اضرابا لمدة اربعين يوما ، وتسبب مظاهرات من ١٥٠٠ مضرِب ، الى سانتياجو (العاصمة) مطالبين الحكومة بالتدخل لحل المشكلة .

وقد نظم اتحاد العمال المركزى مؤتمرا جماهيريا للتضامن مع مسيرة الفلاحين ، واعد الترتيبات اللازمة لاقامة افراد المسيرة في صالة اتحاد العمال تعبيرا عن التحالف بين العمال والفلاحين . واجبر اتحاد الفلاحين - بمشاركة اتحاد العمال - هيئة اصلاح الزراعى على ان تجيب مطالب الحركة الجماهيرية بالابقاء على مزرعة سانتا ماريا كقطاع عام .

كان ذلك التحالف بين العمال والفلاحين ، هو محور التضامن بين مختلف القوى الشعبية والديمقراطية في نضالها من اجل تحسين مستوى معيشتها والمشاركة في الحياة السياسية للبلاد .

ولعل ابرز نجاحات هذا التحالف هو شلح محاولتين لاحداث انقلاب في البلاد - الاولى في اكتوبر ١٩٦٩ التى سبق الاشارة اليها - والثانية في اكتوبر ١٩٧٠ - بعد نجاح الليندى - عندما نظمت المخابرات المركزية الامريكية وحلفائها في شيلي ، محاولة لاستبعاد النائب السابق لرئيس الجمهورية من المسرح السياسى ، باغتياله ، وهو من الشخصيات الاساسية في الحزب الديمقراطي المسيحى معروفة بمواقفها الرجعية . وكان هدف المؤامرة هو تحميل قوى اليسار التى تولت السلطة مسئولية اغتياله واجبار الحزب الديمقراطى المسيحى على الدخول في معركة حادة مع الحكومة الديمقراطية الوطنية وخلق الظروف الملائمة لوقوع

تأسيس اتحاد مركزى للعمال له تاثير غالب في البلاد . وقد استرشد هذا الاتحاد بخط ثابت في سياسته يتلخص في الدفاع المستمر عن المطالب الاقتصادية والاجتماعية للعمال وربطها - في نفس الوقت - بالحركة العامة لنضال شعب شيلي من اجل احداث تحولات اقتصادية واجتماعية في البلاد . وقد طبق الاتحاد المركزى للعمال سياسته هذه على اساسين . اولاً: العمل الدائب على تطوير سياسته الوحيدة بين النقابات المتعددة ، وتطبيق اوسع ديمقراطية نقابية . ثانياً: العمل على المحافظة على استقلال الاتحاد عن الحكومات والحزاب السياسية .

ولكى نعطي نماذج لنضال الطبقة العاملة في شيلي ، فاننا نركز على نضالها في السنوات الاخيرة فحسب كمثال . ففي سبتمبر ١٩٦٩ وعندما لم تستجب مؤسستى « سومار » (للنسيج) و « فينسا » (للتعدين) لمطالب عمالها في رفع الاجور ، قام العمال « بمسيرة الجوع » الشهيرة والتي فرضت على المؤسستين الاستجابة لمطالب العمال .

وعندما رفضت مصانع الجلود والاحذية تحقيق مطالب عمالها الاقتصادية في فبراير ١٩٧٠ ، احتل عمال أحد المصانع (كاروزى) مصنعهم وتوقف عمال بقية المصانع عن العمل ، وتم في نفس الوقت تعبئة آلاف من المتقاعدين في كل مدن شيلي ، تطالب بزيادة معاشاتهم . وشاركت اتصالات الفلاحين ، مطالب الطبقة العاملة ، فشنت معارك مماثلة في عدد من الاقاليم (كوريكو - نوبل - مجلان) . ولم تلبث هذه المعارك ، أن ضمت لها - في مارس - عمال مناجم الفحم الحجري وعمال الموانى والعمال الزراعيين . ولم يقدم شهر ابريل حتى اضرِب ٩٠٠٠ آلاف عامل في مصانع الصلب والمناجم . وجنبا الى جنب ، اجتاحت كل انحاء شيلي مسيرات من النساء للتضامن مع المضربين .

اما الفلاحون في شيلي ، فيمثلون ثلث شعبها الا أنهم يحصلون فقط على ٨ في المائة من الدخل القومى . ولأن معظمهم يعمل من ١٨٠ الى ٢٠٠ يوما في السنة فقط ، فقد كانوا مصدرا دائما لزيادة صفوف الطبقة العاملة بهجرتهم الى المدن هربا من البطالة . حتى انه هاجر من عام ١٩٥٠ الى ١٩٦٠ ، اكثر من ٥٠٠ الف فلاح الى المدينة .

ومنذ عام ١٩٣٤ نجح الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي في تأسيس « الاتحاد الوطنى للفلاحين والهنود » الذى أصبح يضم اليوم ما يزيد عن ٣٠ ألف فلاح ، وقد ظل الاتحاد يشن نضاله من حول مطلب محوري : « الارض لمن يفلحها » . ذلك

انقلاب • ولكن التحالف الشعبي أحبط كل هذه المحاولات بتعبئة جماهيره ، وخاصة الطبقة العاملة

فشل « المحاولة الجريئة » للإصلاح

عندما سقط ادواردو فرأى في انتخابات الرئاسة كان ذلك يعنى سقوط « الإصلاحية » البورجوازية وفشلها •

فالبرنامج الإصلاحي للحزب الديمقراطي المسيحي كان يقوم على أساس محورين : أولاً : اتخاذ إجراءات ضد الاحتكارات لشق طريق بقاء اقتصاد وطنى ورفع مستوى معيشة السكان • ثانياً : تنفيذ إصلاح زراعى لازاحة النظام ثيبه الاقطاعى للملكية الأرض وتسمية الريف •

وعدم اتخاذ إجراءات جذرية فى هذين المجالين - أساساً - كان مصدر ركود الحالة الاقتصادية فى البلاد وشل زيادة الانتاج وانخفاض الأجور • فقد بلغ عدد العاطلين عن العمل بشكل كامل فى شيلي فى حكم الحزب الديمقراطى المسيحى : ٣٠٠ ألف شخص • وارتفعت أسعار ومستوى المعيشة ١٥٤ فى المائة من عام ١٩٦٥ ، بل أن الأسعار ارتفعت فى الفترة ما بين ديسمبر ١٩٦٩ وأكتوبر ١٩٧٠ وحدها ٣٤ فى المائة وعانت شيلي من مشاكل التضخم حتى أنها أصبحت ثانياً بلد فى العالم يعانى من هذه المشكلة بعد فيتنام الجنوبية •

وبدلاً من تأميم صناعة النحاس ، عقدت حكومة فرأى اتفاقاً مع مؤسسة (ناكوندا) أهم مؤسسة لاستثمار النحاس فى شيلي - تشارك الدولة بمقتضاه ملكية المؤسسة • لكن أحزاب اليسار رفضت هذه الاتفاقية فى البرلمان فى أغسطس ١٩٦٩ ، وطالبت بتأميم النحاس •

وفى الريف لم تحقق الحكومة وعداً بإصلاح زراعى ، بل أبقت من حيث الجوهر على نظام الملكية شبه الاقطاعى القديم مكثفية بتحقيق إصلاح زراعى « مبتور » مما أثار سخط قطاع الفلاحين عليها

والواقع أن شعار « الإصلاح » يولد آمالاً لدى الطبقات الشعبية ومن ثم تصبح هذه الآمال نفسها قوة فعلية تؤثر على تطورات الأحداث لتتجاوز - بعد ذلك - إطار « الإصلاحية » وتساهم فى تقديم

الثورة • فالديماجوجية « الإصلاحية » تبحث لدى الفلاح « الأمل فى الأرض » ولدى العامل « الأمل فى التخلص من الاستغلال » ولدى مختلف الفئات الديمقراطية والوطنية « الأمل فى رفع مستوى معيشتهم » •

أما « القشة التى قسمت ظهر البعير » فهى اقدام حكومة فرأى على محاولة « تجميد الأسعار » فى وقت تميز بتنامى العمل المشترك بين المنظمات الجماهيرية والأحزاب اليسارية • وكلما تعمقت أزمة السلطة ، زادت جبهات العمل المشترك اتساعاً بين العمال وفى الريف ، وحتى بين ربات البيوت اللاتى خرجن الى مسرح العمل السياسى •

كانت الحلقة الرئيسية للموقف فى شيلي - وقتها - هى وحدة التقدميين فى صفوف المعارضة لمواجهة الرجعيين والمعارضة اليمينية لتحقيق انعطافه نحو اليسار فى السياسة الوطنية للبلاد توقف السير نحو اليمين الذى يمكن - بل حاول بالفعل - أن يقود مغامرات عسكرية وانقلابات •

« جبهة الاتحاد الشعبى »

ظلت صياغة « الجبهة الشعبية » موضع جدل كبير فى أمريكا اللاتينية وبخاصة بعد انتصار ثورة كوبا • وبشكل عام يمكن أن نقول أن اتجاهين أساسيين قد عما الحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية حول « الجبهة الشعبية »

● قمع قيام الانقلابات العسكرية الدكتاتورية ، أخطأت بعض الأحزاب اليسارية - وبخاصة الشيوعية - فى القارة فى استنتاجاتها الخاصة بمعطيات ، حركة الأحداث وتقديراتها • ورفعت هذه الأحزاب شعار إسقاط الحكومات الدكتاتورية واليمينية الرجعى ، لإقامة الاشتراكية • وبهذا عزلت هذه الأحزاب نفسها عن البورجوازية الوطنية المعاد للدكتاتورية ، بل وعن قطاعات البورجوازية الصغيرة والفلاحين وقطاعات من العمال المتأثرين بايديولوجية البورجوازية عموماً ، والصغيرة منها بشكل خاص • هنا ساد هذه الأحزاب والحركة الثورية بشكل عام ، منطق « كل شئ أو لا شئ » • وفى غمرة حماس هذا المنطق ، غاب التحديد القاطع للعدو المشترك : الدكتاتورية واليمينية الرجعى فى خدمة الاحتكارات الأجنبية هذه القوى التى أسقطت - فى بعض المواقع - العناصر الراديكالية من السلطة •

وبذلك وجدت أرضية رفض أى تحالف مع اليسار الراديكالى •



العام الذى عقده الحزب فى يوليو ١٩٦٨ أكد ضرورة المساهمة مع الحزب الشيوعى فى تحقيق شعار « الجبهة الشعبية » الذى رفعه هذا الأخير كطريق لانقاذ البلاد من المأزق التى يجرها الحزب الديمقراطى المسمى اليه وحيث تقربص دوائر الامبريالية واليمينية الرجعى الفرصة للانقضاض على كل المكاسب التى حققتها الحركة الجماهيرية .

أما الحزب الشيوعى الذى يعد أقوى قوات الجبهة ، وهو أقوى حزب شيوعى خارج الدول الاشتراكية بعد الحزب الايطالى والحزب الفرنسى ، فقد استطاع بنضال شاق أن يواجه سياسة العداء للشيوعية التى شنتها قوى اليمين الرجعى بمساندة الامبرياليين . ونجح فى دعم مراكزه الجماهيرية سواء فى الريف أو بين صفوف الطبقة العاملة فى المدن . ويتمتع هذا الحزب بجماهيرية واسعة فى الريف كثرة للتضحيات التى قدمها الشهداء من أعضائه فى صدامهم مع كبار ملاك الاراضى بالريف عندما عملوا على تنظيم الفلاحين حول شعار « الارض لمن يفلحها » . ويسيطر هذا الحزب على ٥٠ قرعا من فروع اتحاد الفلاحين من القرى ، وعلى ١٢ فرع اقليمى من الاتحاد (٨٢ فرع وعضوية ٢٥ ألف فلاح) . وقد ظل هذا الحزب يدعو الى وحدة القوى الديمقراطية واليسارية لعزل الرجعية والامبريالية ويمارس من أجل ذلك سياسة نشطة يدعو بها الى معارضة ونقد حكومة قرأى فى كل اجراء رجعى ومحافظ تقدم عليه ، وفى نفس الوقت يدعو الى تأييد أى اجراء ايجابى تقدم عليه كنشاطها من أجل السلام العالمى ونزع السلاح والتعاضد السلمى ونقدها للعدوان على الدومنيكان . وقد اطلق الحزب على السياسة التى دعا قوى اليسار الى انتهاجها ازاء حكومة قرأى اسم : « معارضة نشطة ولكن ليست معارضة عمياء » . وفى المؤتمر الثلاثين للحزب (١٩٦٨) وجه نداء الى قوى اليسار من أجل تشكيل « الجبهة الشعبية » وفى كلمات لقد استطاع الحزب الشيوعى فى شيلى أن يتجنب - تاريخيا - خطأ غيره من الاحزاب الشيوعية فى القارة بصدد الجبهة الشعبية كما سبق وأشرنا .

ومن خلال المعارك اليومية التى خاضها العمال

● وبعد سيطرة الاتجاه الانعزالي هذا ثم انحساره ، ظهر اتجاه آخر تناسى دور الطبقة العاملة وحزبها الطليعى فى « وحدة عمل » القوى الشعبية والديمقراطية . ولم ير هذا الاتجاه فى تاكتيك الجبهة الشعبية ، سوى « انحياز » و « ذوبان » فى الديمقراطية البورجوازية . انتهى بتسليم هذا الاتجاه باستبعاد الاحزاب الشيوعية ، من الجبهة نفسها ، ففقدت الجبهة - بذلك - طبيعتها ومحتواها ، وأصبحت مجرد أداة للانتخابات .

لكن السنوات الخمس الماضية بالذات - فى أمريكا اللاتينية ، كانت قد خلقت مناخا جديدا فى القارة جدير بأن يفتح آفاقا عريضة أمام مستقبل الحركة الثورية بها ، وأمام صياغة الجبهة الشعبية

ففى خلال هذه السنوات كانت الاشتراكية قد انتصرت نهائيا فوق جزء من اراضى القارة (فى كوبا) وفى خلالها أيضا وجدت فى كل بلدان القارة احزاب شيوعية وعمالية ، لبعضها وزن كبير فى الحياة السياسية والاجتماعية بالبلاد .

فى ذلك الوقت ، وبينما تتردى « الاصلاحية » - على ايدى حكومة قرأى - فى سلسلة أزماتها التى انتهت باستحكام أزماتها العامة وسقوطها ، كانت احزاب اليسار الوطنى والاشتراكى والشيوعى فى شيلى ، تعيش تجربتها الخاصة .

فالحزب الراديكالى ، ونفوذه بين صفوف الموظفين والمدرسين والقطاعات الوسطى والارستقراطية العمالية ، ظل حتى سنوات عشر ماضية ، يتحالف مع الحزب الديمقراطى المسيحى وانغمس معه - بعد صدامه مع الحزب الشيوعى - فى سياسة العداء للشيوعية . لكن هذه السياسة بالاضافة الى مشاركته اليمين السلطة فى حكومة جورج اليساندري ، تركت انطبعا لدى الجماهير بأن الحزب قد وقع تحت سيطرة رجال المال ، ونظر اليه العمال باعتباره حزبا بورجوازيا . وسرعان ما وجد هذا الحزب أن السياسة التى انتهجها تفقده جماهيره بالتدريج وبات من الصعب عليه أن يكسب عن طريقها ، فتبنى الحزب سياسة أكثر ديمقراطية .

والحزب الاشتراكى ، المتأثر بالفكر الماركسى ، رفض دائما الوقوع فى خطأ سياسة العداء للشيوعية ونتائجها وكان يتبنى دائما مطالب العمال والفلاحين واستطاع أن يكون ركيزة هامة بينهم . ولأن قيادته وقاعدته معادين للامبريالية وللنظام شبه الاقطاعى فى ملكية الاراضى ولسيطرة الاوليجاركية المالية ، فقد عملوا دائما مع صفوف الحزب الشيوعى ونسقوا معها . وفى المؤتمر

والفلاحون وسائر الديمقراطيين والتقدميين ، كرسبت هذه الاحزاب الثلاثة « الاعمال الوجدوية » بين قواعدها الحزبية والجماهيرية . وسرعان ما دعا الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي الى ضرورة وضع « برنامج ثوري ، يكون مرشدا للنضال من أجل سلطة جبهة القوى الشعبية » .

ومع تحديد هذا البرنامج من خلال حوار هذه الاحزاب الثلاثة ، انضم الى « جبهة الاتحاد الشعبي » مع هذه الاحزاب - الحزب الاشتراكي الديمقراطي و « حركة العمل الشعبي المتحد » بالاضافة الى مجموعة من العناصر المستقلة .

عندما تسلم الليندي الرئاسة ، القى اول خطاب له قائلا : « لقد تحقق النصر بفضل كفاح العمال ، بفضل كفاح الشعب الذي ظل يتطلع ، منذ قرن ونصف ، الى الاستقلال ، وظل يعاني الاستغلال على ايدي طبقات حاكمة غير قادرة على تحقيق التقدم . واخيرا جاء اليوم الذي نستطيع ان نقول فيه : كفى . كفى استغلال اقتصادي . كفى لا مساواة اجتماعية . كفى قهر سياسي . لقد ملك الشعب مستقبله بين يديه من أجل التقدم خلال طريق الديمقراطية نحو الاشتراكية » . ثم اضاف : « اننا اقوياء طالما وعينا حقيقة اننا نمثل كل قوى اليسار في البلاد ، وطالما اكدنا وحدة هذه القوى وتمثيلها في الحكم » ، وقد تشكلت الحكومة على النحو التالي : وزارات الداخلية والخارجية والاسكان والتعمير ووزارة دولة للحزب الاشتراكي الذي يتزعمه الليندي ، ووزارات المالية والعمل والنقل والشئون الاجتماعية للحزب الشيوعي ، ووزارات الدفاع والمناجم والتعليم للحزب الراديكالي ، ووزارات الاراضي والصحة للحزب الاشتراكي الديمقراطي ، ووزارة الزراعة لحركة العمل الشعبي المتحد . ووزارة العدل للمستقلين .

ويتلخص برنامج « جبهة الاتحاد الشعبي » في الوصول الى السلطة وضمان وتوسيع الحقوق الديمقراطية وضمان حرية العقيدة والرأي وحقوق التنظيم ووضع دستور جديد وتنظيم جديد للدولة على أن يكون مجلس الشعب (البرلمان) هو السلطة العليا في الدولة ، وضمان استقلال القضاء ، والا تستخدم القوات المسلحة في القمع وانتهاج سياسة خارجية على أساس السلام والصداقة بين الشعوب .

وفي مجال الاقتصاد تتلخص اهداف البرنامج في : اقامة قطاع دولة يشكل من المؤسسات التي تسيطر عليها الدولة حاليا بالاضافة الى المؤسسات

وكان ذلك يعني عزل قوى اليمين والامبريالية والحزب الديمقراطي المسيحي . ولم تكن الجبهة الشعبية هنا ، مناورة تكتيكية لاي من هذه الاحزاب ، ولكنها منصرا ضروريا املته معطيات الموقف ومتطلبات حاجة شعب شيلي الى تغييرات تقدمية . وقد حرصت احزاب الجبهة الشعبية على التاكيد في وثائقها السياسية على طريق النضال بكل الاساليب الملائمة والضرورية من خلال البرلمان والمجالس البلدية والاجتماعات العامة « كقنوات » ملائمة في واقع شيلي الخاص . وقد فشلت كل المحاولات التي بذلتها الصحافة وأجهزة الاعلام البورجوازية اليمينية والامبريالية والمحافظة ، في أحداث انقسام بين صفوف الجبهة وخاصة محاولات بعث الحياة - التي خمدت - في سياسة معاداة الشيوعية .

اقوياء طالما وعينا الحقيقة

وفي خضم هذا المناخ الثوري الذي هيأته حركة الجماهير الشعبية ، وقياداتها اليقظة استطاعت « جبهة الاتحاد الشعبي » ان تكسب الى صفوفها قطاعا من شباب الحزب الديمقراطي المسيحي ، وما هو اهم ، الاتجاه الجديد بين رجال الدين الكاثوليك وغيرهم الذين كانوا قد تورطوا من قبل في سياسة العداء للشيوعية . ففي خلال انتخابات عام ١٩٧٠ للرئاسة التي انتهت بفوز الدكتور سلفادور الليندي - مرشح جبهة الاتحاد الشعبي - سعت الكنيسة الى تأمين نجاح الحزب المسيحي الديمقراطي . وهنا اختلط رجال الدين بجماهير الناخبين ودخلوا في حوار مع قوى الجبهة الشعبية حيث لعب الشبيوعيون والاشتراكيون دورا بارزا . وبدأ الجميع - رجال الدين ورجال الجبهة الشعبية - يدخلون من نفس المدخل : مساندة مطالب الجماهير وآمالها . ودعت قوى الجبهة رجال الدين الى مساندة بعض المسيرات التي نظمها والتي تطالب برفع مستوى



العامة التي قامت بها القوى الامبريالية والرجعية شكلت حكومة الجبهة في القطاع العام لجانبا لحماية المؤسسات ولرفع الانتاج هي «لجان اليقظة» سواء في المدن أو في الريف .

وعندما اجريت الانتخابات البلدية في أبريل ١٩٧١ وكنتيجة للتغيرات الهامة التي اقدمت عليها حكومة الجبهة حصلت قوى الجبهة على ٥٠٣ في المائة من الاصوات بينما كان الليندي قد حصل على ٣٦٢ في المائة في انتخابات الرئاسة مما يعنى زيادة رصيد الجبهة الجماهيرى .

وبقدر ما تترسخ اقدام سلطة « الديمقراطية الوطنية » في شيلي وتحرز انتصاراتها بقدر ما تتزايد الاخطار من حولها ، لقد كانت قوة الجماهير - حتى الان - هي حامية التطور الثورى العظيم الذى حدث في شيلي ، لكن الامبرياليون واليمينيون الرجعيون سوف يظلوا دائما يسعون من اجل تربص الفرصة للانقضاض على المكاسب الثورية لشعب هذه البلاد ، وهنا يكمن مغزى كلمات لويس كارفالان سكرتير الحزب الشيوعى في شيلي : « ان المعارك الكبرى سوف تبدأ الان فقط . ومن المتوقع حدوث صدامات طبقية . ان تاميم صناعة النحاس ووضع البنوك في ايدى الدولة ، وليس هذا الا مثالين سيشدد من حدة الصراع الطبقي ضد الامبريالية والاوليجاركية ومن المحتمل ان تحاول الامبريالية والاوليجاركية القيام بانقلاب لاجبار الشعب على مواجهة بعض اشكال الكفاح المسلح . وذلك هو الذى يدعونا قبل كل شيء لان نعمل كل مستحيل لتقييد الرجعيين » .

لقد ضيقت تجربة انتصار سلطة الديمقراطية الوطنية في شيلي - عن طريق البرلمان - ضيقت الخناق حول عنق الامبريالية الامريكية للمرة الثانية ، بعد ان ضيقته من قبل ، وللمرة الاولى ، انتصار ثورة كوبا الاشتراكية ، في المرة الاولى جربت الامبريالية الامريكية استخدام السلاح في خليج الخنازير - وفشلت في ضرب ثورة كوبا وانتصار قوى التقدم ، وفي المرة الثانية جربت أسلوب « الاصلاحية » وفشلت في اعاقه انتصار قوى التقدم ، من هنا توقع « التريص » الامريكى بتجربة شيلي بعد ان ضاقت عليها هوامش العمل المضاد لمسار حركة التحرر الوطنى في امريكا اللاتينية وانتصارها .

التي تؤمم ، مع اقامة قطاع مختلط من رأس المال الخاص والحكومى .

وفي مجال الزراعة ، تحقيق اصلاح زراعى جذرى وتنمية الريف .

كما تضمن البرنامج اهدافا اخرى خاصة بسياسة الاسكان والصحة والتأمينات الاجتماعية ورفع مستوى المعيشة .

وفي التطبيق - بتولى حكومة الجبهة السلطة - حرصت قوى الجبهة على التأكيد على « ضرورة احترام القانون والتراث الديمقراطى للبلاد » . حتى أنها استولت على شركة امريكية لصناعة الالات بموجب قانون صدر فى عام ١٩٤٥ يسمح للحكومة بالتدخل لمنع اغلاق أى مصنع . وكانت هذه الشركة قد اغلقت ابوابها بمجرد تولى حكومة الجبهة السلطة .

ثم اقدمت حكومة الجبهة - وهذا طبيعى - على تأميم صناعة النحاس فى البلاد بل وأعلنت بعد ذلك عن عدم تعويض بعض الشركات الاجنبية القائمة فى هذه الصناعة على أساس أن ديونها للدولة تساوى تقريبا نسبة التعويض المفترضة كما أممت مناجم الفحم الاساسية ومناجم الحديد والمصنع الرئيسى لانتاج الاسمنت والمصنع الرئيسى للمنسوجات واعادت الحكومة شراء أسهم البنوك الاجنبية حتى أصبحت تابعة للدولة وسيطرت على أهم بنوك القروض الزراعية فى حملتها بهدف تأميم الاراضى الزراعية الخاصة التى تزيد مساحتها على ٨٠ هكتارا . وشكلت الحكومة « مجلسا وطنيا للفلاحين » لاشراكهم فى التحضير لوضع « سياسة زراعية » للبلاد . وعلى اواخر عام ١٩٧١ ستكون الحكومة قد أتمت بناء ١٠٠ ألف مسكن للمساهمة فى حل مشكلة الاسكان من جهة وكوسيلة لتخفيض عدد العاطلين حيث استوعبت حركة البناء هذه ، ٣٥ ألف عامل كانوا بلا عمل .

وعلى صعيد السياسة الخارجية ، اقامت حكومة الجبهة علاقات دبلوماسية مع كوبا واعترفت بالصين الشعبية .

وقد نجحت الجبهة الشعبية فى أن تقاوم « رد فعل » الامبرياليين والرجعيين لانتصار سلطة جبهة الاتحاد الشعبى ، على نفس الاسس التى نجحت بها : الاعتماد على الحركة الجماهيرية ونشاطها ويقظتها .

ففى مواجهة اعمال التخريب التى وصلت الى حد تفجير القنابل فى البنوك وبعض المؤسسات



سلطة وطنية

في شكل

عسكري

تجربتان من بيرو وبوليفيا

حمدي عبد الجواد

للامبريالية ، اذا ما تمكنوا من السيطرة على جهاز الدولة ، ان يقاوموا التدخل الاجنبى ، وان يدعموا من سيادة البلاد على مواردها الاقتصادية ، وان ينتهجوا سياسة التنمية الاقتصادية المستقلة ، وان يعبروا عن أهداف القوى الوطنية ويجروا تغييرات هامة في الهيكل السياسى والاقتصادى والاجتماعى لبلدانهم تتفق ومطامع شعوبهم .

وتبدو تجربة الحكم العسكرى الوطنى في بيرو اكثر تحديدا ووضوحا في الاتجاه بالمقارنة مع تجربة بوليفيا التى لم تدم طويلا والتى انتهت الى الفشل .

كان يوم ٣ اكتوبر ١٩٦٨ هو بداية التجربة البيرونية . ففي صباح ذلك اليوم استيقظ شعب بيرو على انقلاب عسكرى جديد ، ورغم ما أعلنه قادة الانقلاب في بيانهم الاول من أن الجيش يريد أن يضع حدا لسياسة خيانة المصالح الوطنية التى سارت فيها كل الحكومات السابقة ، كان رد الفعل هو عدم مبالاة كاملة من جانب جماهير الشعب العريضة التى سبّحت الانقلابات العسكرية وبياناتها التى لم تغير شيئا في حياة

بلدان امريكا اللاتينية في تاريخها الحديث من الانقلابات العسكرية ما لم تشهده اى منطقة اخرى في العالم ، معسدة ما كانت اى ازمة سياسية في معظم بلدان امريكا اللاتينية تحسم عن طريق تدخل احدى الفرق ، أو المجموعات العسكرية كى تقضى خصومها وتتربع هي على حكم البلاد . وقد ارتبطت هذه الانقلابات العسكرية التى لا حصر لها في مختلف ارجاء القارة بالقطاعات العليا بين العسكريين ، وكقاعدة عامة ، بأشد الاتجاهات يمينية ورجعية ومعالجة للامبريالية . وغالبا ما لجأت الولايات المتحدة الى هذه الانقلابات العسكرية أو مساندتها للخروج من ازمة سياسية تهدد بفتح الطريق امام انطلاق القوى الوطنية أو بالقضاء على مصالحها الاستقلالية في هذا البلد أو ذاك من بلدان امريكا اللاتينية .

الا ان تجربتي بيرو وبوليفيا (أيام حكم توريث) كانتا خروجاً على تلك القاعدة العامة لطبيعة واتجاه الانقلابات العسكرية . فقد اوضحت تلك التجربتين أنه من الممكن للضباط الوطنيين ذوي المثل الديوقراطية والمصادية



الثورة الوطنية في هذه المرحلة من تاريخ البلاد ؟
 • ان تصاعد النضال الوطني الجماهيري ضد الاستعمار والاقطاع والرأسمالية قد امتد الى صفوف القوات المسلحة . وانضم بعض ضباط الجيش الوطنيين الى نضال الشعب المتعاضم ويكفي أن نشير الى أن أحد القادة العسكريين كان أول رئيس لجبهة الدفاع عن البترول ، ثم رئيسا مساعدا لجبهة التحرير الوطنية وعضوا في جبهة اليسار الموحد . وفي سبتمبر ١٩٦٨ احتج الجنرال فيلاسكو الفارادو باسم القوات المسلحة على تجديد امتياز شركة انترناشونال بتروليم .

• ان مبدأ « الحدود الايديولوجية » الذي فرضته الولايات المتحدة على القوات المسلحة في بلدان أمريكا اللاتينية واهتمامه بالقضاء على حركات التحرر الوطني بالقوة قد جذب اهتمام اعداد واسعة من ضباط الجيش بالسياسة وبدراسة المشاكل والقضايا الوطنية ، وادى الى اثارة مشاعر الضباط الوطنيين ضد هذا «المبدأ» .

• ادى اشتراك القوات المسلحة في برنامج الاعمال المدنية (بناء الطرق والمدارس والمستشفيات) بالإضافة الى اشتراكه في العمليات المعادية لرجال العصابات عام ١٩٦٥ الى اعطاء العسكريين صورة واقعية واضحة عن فقر الفلاحين وما يعانون من اضطهاد .

• تدهور مكانة العسكرية الأمريكية بعد فشل التدخل في كوبا والهزائم المتكررة في فيتنام .

• ان معظم ضباط القوات المسلحة ينتمون الى البرجوازية الصغيرة مما يساعد على أن يكون انعكاس كل الظروف السابقة عليهم في اتجاه تعاطفهم مع حركة الشعب .

• وكان العامل الحاسم والهاسم هو عجز القوى الشعبية عن أن تأخذ زمام المبادرة بين ايديها كي تخرج بالبلاد من الازمة الكامنة التي تردت فيها نتيجة لسياسة الحكومات الرجعية المائلة للاستعمار .

• ولقد كانت بيرو حتى انقلاب اكتوبر ١٩٦٨ بلدا متخلفا ، يخضع تماما لسيطرة الولايات المتحدة وتعتمد الاحتكارات الامبريالية ارباحا طائلة من استغلال ثروات البلاد ، وتحكم شركستان

بيرو طوال مائة وخمسين عاما من تساريتهما الحديث ، والتي لم تكن اكثر من ثورات قصور .

غير انه في ٩ اكتوبر حدث ما شدد اهتمام الشعب بأسره ففي ذلك اليوم احتلت القوات المسلحة منشآت شركة انترناشونال بتروليم الأمريكية الملحقة بستاندرداويل أوف نيو جرسى ، وأعلنت الحكومة العسكرية الجديدة تأميم الشركة الأمريكية والغاء كل العقود التي وقعتها الحكومات السابقة معها . وكان ذلك الاجراء ضربة قاصمة لا قوى احتكارات البترول الأمريكية التي نهبت البلاد لخمسين عاما .

وقد استخدم النظام الجديد العنف في الاطاحة بحكومة بيلوند اليمينية ، الا أنه قد تميز عن كل الانقلابات العسكرية التي سبقته في أنه لم يتخذ اى اجراءات للقمع السياسى وسمح لكل الاحزاب السياسية في بيرو بما في ذلك الاحزاب اليمينية والمائلة للامبريالية بان تعمل بحرية ، كما سمح للحزب الشيوعى ، والنقابات ، والمنظمات الديموقراطية التي كانت محرمة من قبل أن تعمل بشكل مشروع . وهكذا بدأت القوى الوطنية في بيرو تلتف حول النظام الجديد وبدأت تدرك أن ما حدث في ٣ اكتوبر ١٩٦٨ يختلف عن كل الانقلابات العسكرية السابقة . بدأت القوى الوطنية تدرك أن ما حدث لم يكن مجرد انقلاب عسكري وانما كان تعبيرا عن بداية مرحلة جديدة في ثورة بيرو الوطنية ، وصفحة جديدة في تاريخ نضال القوى الوطنية من أجل تحرير البلاد واستعادة سيطرتها على ثرواتها . وهكذا جاءت حكومة فيلاسكو الفارادو تعبيرا عن مطالب الجماهير العريضة لشعب بيرو وكمخرج طبيعي للثورة العارمة التي كانت تموج بها البلاد طوال عامي ٦٧ ، ٦٨ .

فخلال عامي ٦٧ ، ٦٨ واجهت بيرو أزمة اقتصادية وسياسية حادة ، وكشفت حكومة بيلوند القائمة حينذاك عن عجزها عن مواجهة الظروف الصعبة بل وسارت في اتجاه التضحية بالمصالح الوطنية . وبدأت كل القوى السياسية في البلاد تدرك الحاجة الملحة الى اجراء تغييرات عميقة للخروج من هوة الازمة الخائفة . غير أن القوى السياسية والشعبية لم تكن منظمة بما فيه الكفاية ، وبالصورة التي تسمح لها بالقيام بالتغيير المطلوب . وفي ظل تلك الظروف تمكن الضباط الوطنيون من أن يأخذوا زمام المبادرة بين ايديهم ويقوموا على رأس الجيش بالاطاحة بنظام بيلوند الرجعى ليدفعوا بثورة بيرو في طريق حل المهام التي تواجهها .

فما هي العوامل التي ساعدت العسكريين الوطنيين على رأس القوات المسلحة من قيادة

● الثروات الرئيسية والموارد الطبيعية يجب أن تملكها الدولة .

● التنمية الاقتصادية يجب أن تتفق مع المصالح القومية ، وليس مع مصالح أرباح مجموعات أو أفراد .

● يجب أن تخضع الاستثمارات الأجنبية للمصالح القومية .

● يجب أن تتجه كل هذه الاجراءات نحو تدعيم استقلال البلاد ورفع مستوى معيشة الشعب .
وسرعان ما تتابعته اجراءات الحكومة الوطنية في اتجاه تنفيذ برنامجها الذي أعلنته . ففي يونيو ١٩٦٩ صدر قانون الاصلاح الزراعي الذي وجه ضربة قوية الى ملاك الاراضي الاقطاعيين وقضى على الاقطاعيات الكبيرة واعاد توزيع الارض على الفلاحين ، وقد تم انتزاع اكثر من ٣ ملايين هكتار من ايدي كبار الملاك وتم توزيعها على الفلاحين .
وطبقا لقانون الاصلاح الزراعي نقلت ملكية زراعة السكر وصناعته الى التعاونيات (تعاونيات عمال الزراعة وعمال التكرير) ، وبذلك تم طرد الاحتكارات الامريكية والالمانية من صناعة السكر ، كما حرمت الشركات الامريكية من التحكم في اسواق القطن والسكر التي تسيطر عليها الان هيئة الاصلاح الزراعي .

وفي ديسمبر ١٩٦٩ أصدرت الحكومة قانون حرية الصحافة الذي حرم على غير البيرونيين بالمولد والذين يعيشون في البلاد ويتمتعون بكامل الحقوق المدنية حق اصدار الصحف والمطبوعات . كما فرضت رقابة صارمة على اموال دور النشر حتى لا تؤثر الشركات على سياستها . ووفقا لهذا القانون اتمت الحكومة صحيفة اكسبرسو واكسترا اللتين يملكهما رجل الصناعة الكبير لويس اولاد واصبحت هاتين الصحيفتين نواة لدار نشر تعاونية يملكها ويديرها العاملون بها .

وكانت صناعة الاسماك وهي من اهم الصناعات في البلاد في ايدي الشركات الاجنبية . وفي بداية ١٩٧٠ انشأت الحكومة وزارة للاسماك بهدف احتكار الدولة لصناعة الاسماك وشركات الدولة ، وقد عاد ذلك بفوائد حكومية للسيطرة على تجارة وتصدير الاسماك ومنتجاتها وبدأت العمل على تطوير المصايد والصناعات السمكية عن طريق تنظيم تعاونيات الاسماك وشركات الدولة . وقد عاد ذلك بفوائد ضخمة على البلاد ، اذ بلغ دخلها في عام ١٩٧٠ من تصدير منتجات الاسماك ٣٤٠ مليون دولار وتستفيد الحكومة من دخل هذه الصناعة لتطوير فروع الصناعة الاخرى وخاصة صناعة التعدين .

امريكتان كبيرتان هما شركة بيرو الجنوبية الملحقة بشركة امريكان سملتنج أند ريفيننج ، وشركة سيرو دي باسكو للنحاس على ٨٠ في المائة من انتاج النحاس في البلاد . كما تسيطر الشركة الاخيرة على حوالي ٥٠ في المائة من انتاج الرصاص والفضة والزنك ، بينما تتحكم شركة ملدكانو للتعدين في كل خامات الحديد ، وفي نفس الوقت كانت شركة انتر ناسيونال بتروليم الملحقة بامبراطورية روكفلر البترولية تتحكم في ٨٠ في المائة من استخراج البترول ، ٧٠ في المائة من تصنيعه .

● في عام ٦٧-٦٨ كانت البلاد تحصل على نصف دخلها من العملات الاجنبية من صناعة التعدين . وقد اصبحت بخسائر فادحة نتيجة لتدهور أسعار المواد الخام داخل الولايات المتحدة .

● بلغت الاستثمارات الاجنبية في بيرو ٦٤٥ مليون دولار يخص الاحتكارات الامريكية وحدها ٧٥ في المائة منها . كما تملك الاحتكارات الامريكية ٥٠ في المائة من اصول صناعة السكر ، ٣٦ في المائة من اصول صناعة السمك ومنتجاته ، ١٥ في المائة من استثماراته الاجنبية في الصناعات التحويلية . وقد استنزف رأس المال الاجنبي ثروات البلاد ففي الفترة ما بين ١٩٥٠-١٩٥٩ حصلت الشركات الاجنبية وارسلت الى الخارج ١٧٠٠ مليون دولار كفوائد وارباح على رؤوس اموالها .

● كانت الملكية الفردية هي السائدة في الزراعة وكانت ٩٢ في المائة من المزارع لا تزيد مساحتها عن ١٠ هكتار أي اقل من ٨٠ في المائة من كل الاراضي المزروعة ، بينما ٠.٤ في المائة من المزارع تزيد مساحتها عن ٥٠٠ هكتار وتصل الى ٧٥٦ في المائة من الاراضي المزروعة . ورغم ان مزارع السكر كانت تقوم على اساس رأسمالية فان ملكية الاراضي والايجار كانت تنقسم ببقايا اقطاعية في معظم انحاء البلاد .

برنامج فيلاسكو

وفي اعقاب استيلاء الجيش على السلطة وتأميم شركة انترتاشونال بتروليم اعلن الرئيس فيلاسكو الفارادو « ان جيش بيرو لم يستول على السلطة كي يتاجر بالسياسة ، وانما كي يغير تغييرا جذريا النظام القائم في البلاد ، وكي يحطم الاوضاع التقليدية ويدافع عن مصالح الشعب الذي كان يخدعه الحكام السابقون » . وسرعان ما حدد الرئيس فيلاسكو برنامجه في اربع نقاط رئيسية :



وأصدرت الحكومة قانوناً لاصلاح التعليم
يتمشى مع الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية
ويساعد على تدعيم الاستقلال وبناء بيرو
الجديدة (١٠)

تطبيق الاصلاح الزراعى ونقل ملكية الارض لمن
يزرعونها ، واعادة تنظيم التعليم ، وريادة
الانتاج الى اقصى حد ، والتوسع فى استخدام
الموارد الطبيعية وترشيدها والتوسع فى البحث
العلمى .

الا انه رغم كل ذلك لا تزال اثار الازمة الخائفة
التي واجهت البلاد عام ٦٧ - ٦٨ قائمة لم تحل
بعد . فنتيجة لتأميم البترول ومنتجات التعدين
والاجراءات المصرفية والمالية التي اتخذتها
الحكومة تم القضاء على العجز فى الميزان
التجارى وميزان المدفوعات لأول مرة منذ ست
سنوات . وبلغت احتياطات النقد الاجنبى ٤٠٠
مليون دولار ، لكن لا يزال هناك حوالى نصف
مليون عاطل يعانون من البطالة الجزئية او
الكاملة ، كما أن مستوى المعيشة قد انخفض فى
الفترة ما بين ١٩٦٧ ، ونوفمبر ١٩٦٩ .

ولقد أدت سياسة الحكومة الى دعم نفوذ
البلاد فى الخارج واثارت فى نفس الوقت غضب
الاحتكارات الامبريالية . واستخدمت الولايات
المتحدة كل وسائل الضغط والابتزاز ضد بيرو من
التهديد الى المقاطعة الاقتصادية الى التدخل فى
الشئون الداخلية من طريق العملاء بهدف اسقاط
الحكومة . وتحاول الاحتكارات الامريكية تخريب
اقتصاد بيرو . فمنذ فترة مضت اقترحت لجنة
الزراعة والغابات بمجلس الشيوخ الامريكى
تخفيض كمية السكر المستوردة من بيرو من ٣٩٩
الف طن الى ٣٥ ألف طن فى السنة وبذلك تفقد
بيرو ملايين الدولارات .

لكن لا مؤامرات الولايات المتحدة وابتزازاتها
ولا مؤامرات الرجعية المحلية بقيادة على وقف
تقدم بيرو فى الطريق الذى اختارته ، وقد قال
الرئيس فيلاسكو اخيرا « اذا ما كان لى أن أقدم
النصح لسترنيكسون فمن الافضل له أن يكف عن
تهديد أمريكا اللاتينية . ان أمريكا اللاتينية اليوم
منطقة ثائرة لا يجدى التهديد بالنسبة لها » .

وهذا الموقف الثابت لحكومة بيرو ثسانده كل
القوى الديمقراطية فى البلاد ويتزايد التحالف
وضوحا وعمقا بين كافة قوى الشعب الوطنية
وبين ضباط الجيش الثوريين لمساندة نظام
فيلاسكو الفارادو وتطويره . ويتشكل عصب تلك
الجيبة من اتحاد العمال ، والمركز النقابى
الجديد ، واتحاد الجنود والبحارة ، واتحاد

وفى ربيع ١٩٧٠ فرضت الحكومة رقابتها على
العمليات المالية والمصرفية لمنع المضاربة وتهريب
النقد الاجنبى ولوضع الاساس المالى لتنفيذ
مشاريع التنمية . وحددت الحكومة رأس المال
الاجنبى فى بنوك بيرو بما لا يزيد عن ٢٥ فى المائة
كما استبعدت ممثلى البنوك التجارية من مجلس
ادارة البنك المركزى وساعدت البنك الوطنى على
منافسة البنوك التجارية . وامتلكت الحكومة ٨٥
فى المائة من اسهم بنك الشعب الذى يعتبر البنك
الثانى فى البلاد . وادت تلك الاجراءات التى
اتخذتها الحكومة الى أن اجتمع اكثر من ٦٠ فى
المائة من اصول البنوك والعمليات المصرفية تحت
سيطرة الدولة ممهدة بذلك الطريق نحو احتكار
الدولة للقطاع المصرفى .

وفى يوليو ١٩٧٠ اصدرت حكومة فيلاسكو
الفارادو قانون الصناعة الذى وضع
الصناعات الرئيسية فى البلاد تحت ملكية
الدولة . ويهدف هذا القانون الى « تشجيع
التنمية الصناعية والاسراع بنقل السلطة
الاقتصادية والسياسية الى الاقسام العريضة من
الشعب وتحسين وزيادة توزيع الفوائد » .
ويحدد القانون نصيب رأس المال الاجنبى فى
المؤسسات الصناعية بما لا يزيد عن ٣٣ فى المائة
كما ينص على ضرورة أن توزع المؤسسة ١٠ فى
المائة من أرباحها سنويا على العاملين بها .

وفى يونيو ١٩٧١ اصدرت الحكومة قانون
المناجم الذى نص على أن الحكومة وحدها هى
التي تستغل المناجم وتصدر منتجاتها ، كما نص
كذلك على انشاء « جماعات المناجم » فى
المؤسسات بهدف اشراك العمال فى ادارة
المؤسسات وفى توزيع الارباح .

وقد ساعدت الاجراءات التى اتخذتها الحكومة
على تدعيم استقلال البلاد وعلى تحسين الاوضاع
الاقتصادية والاجتماعية . ففي عام ١٩٧٠ زاد
الناتج القومى ٧٣ فى المائة مقابل ٤٣ فى المائة
عام ١٩٦٩ . وانخفض الدين القومى كذلك
لدرجة كبيرة ، كما انخفض العجز فى ميزانية
الدولة من ٥٠٠٠ مليون مسول عام ١٩٦٧ الى
١٣٨ مليوناً عام ١٩٧٠ (١١)

وبدأت الحكومة فى تنفيذ مشروع السنوات
الخمس ١٩٧١ - ١٩٧٥ . يهدف الاسراع فى

الفلاحين ، واتحاد التعاونيات ، وكتيبة متطوعي
الإصلاح الزراعي ، واتحاد الصحافة التعاوني ،
كما ينضوي تحت لوائها كافة الأحزاب السياسية
الوطنية واليسارية في البلاد .

تجربة بوليفيا

تلك هي تجربة بيرو ، فماذا عن تجربة بوليفيا
التي لم يقدر لها أن تعيش لأكثر من عشرة
شهور .

في أوائل أكتوبر ١٩٧٠ بدأ الجنرال ميراندا
رئيس أركان حرب الجيش البوليفي واليميني
المتطرف يتحرك للأطاحة بحكومة أوفاندو بغرض
إقامة دكتاتورية عسكرية خاضعة للاستعمار في
بوليفيا . وتخاذل أوفاندو في وجه الانقلاب
فاستقال ، وأعلن ميراندا نفسه رئيسا لبوليفيا .
لكن سرعان ما تجمعت العناصر الوطنية في
القوات المسلحة حول الجنرال توريز الذي أخذ
زمام المبادرة لمقاومة الانقلاب العسكري اليميني ،
واعتمد على تأييد العمال والجماهير العريضة .
ونجح الجنرال توريز في القضاء على محاولة
الانقلاب اليميني وهرب الجنرال ميراندا من البلاد
وتمكن بذلك الجنرال توريز من أن يصبح رئيسا
للبلاد بعد أن وعد الشعب البوليفي بإجراء
تغييرات ثورية في أوضاع البلاد .

وعندما قام حكم توريز لقي تأييد كل القوى
الوطنية والتقدمية في البلاد أملا في أن يبنى ذلك
النظام بما وعد به الجماهير من تغييرات جذرية
وشاملة في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية
تخرج ببوليفيا من أزمتها الطاحنة . غير أن جيش
التحرير الشعبي البوليفي الذي أسسه ثي
جيفارا وحارب بين صفوفه كان هو القوة
السياسية الوحيدة التي تحفظت في إعطاء
تأييدها لحكم توريز الوطني واستطاع في البيان
الذي أصدره في أعقاب وصول توريز إلى السلطة
أن يتنبأ بدقة بالمصير المؤلم الذي انتهت إليه
تجربة الحكم الوطني في بوليفيا . وجاء في بيان
جيش التحرير الشعبي البوليفي :

« هل سيكون في مقدور الجنرال توريز
وحكومته أحداث تغييرات جذرية في البلاد ؟

ان كل الدلالات التي تحت أيدينا تجيب على
هذا السؤال بالنفي . . .

ان انعدام وجود تحديدات واضحة للتغييرات
الهيكليّة التي يريدونها ، وانعدام المحاولات

الجادة لتحطيم مراكز الرجعية وإعداد الشعب
والعسكريين المتطرفين لكاف في نظرنا للدلالة على
ان التدهور الذي عانت منه البلاد في ظل حكومة
أوفاندو سيستمر على الأرجح في ظل حكم توريز
الحالي . ان الرجعية التي لم تمس مراكزها
الاقتصادية والعسكرية ستزفع رأسها من جديد
لتضغط على حكومة توريز لتجبرها اما على
التخلي عن مبادئها واما لتطيح بها عندما ينحسر
الحماس الشعبي نتيجة لتلكؤ الحكومة في
الوقوف بصراحة الى جانب الشعب .

والدرس الذي يقدمه لنا التاريخ في هذه
المسألة حاسم . فالانظمة الاصلاحية دون
استثناء عاجزة عن أن تحطم الرجعية . وهكذا
فانها تنتهي اما الى السقوط واما الى خيانة
مطامحها الاصلاحية . ولدينا امثلة كافية على
ذلك : بيرون في الأرجنتين وفارجاس في
البرازيل ، وبازاستشوروف في بلادنا ، واربنز
في جواتيمالا ، وبوش في الدومينيكان ، ونكروما
في غانا ، وسوكارنو في اندونيسيا وسيهانوك
في كمبوديا . لقد واجهوا جميعا نتائج قسر
نظرهم السياسي .

ان بوليفيا رغم تخلفها ومقر شعبها تعتبر من
أهم بلاد العالم انتاجا للتصدير الخام الذي يعتبر
كذلك ثروة البلاد الرئيسية وتوفر صادراته ٧٦
في المائة من دخل البلاد من العملات الأجنبية .
وكانت مناجم التصدير في حوزة ملوك التصدير
المحليين المرتبطين بالاحتكارات الامريكية
والانجليزية . وقد امتت تلك المناجم عام ١٩٥٢
على اثر هبة شعبية وسلمت لشركة التعدين
الوطنية البوليفية .

ولم يؤد التأميم الى النتائج المتوقعة خلال حكم
الجنرال بارتوسالو الرجعي الموالي للولايات
المتحدة . فلقد حالت المصالح الأجنبية دون أن
تقف تلك الصناعة المؤممة على قدميها .
وامتنعت الولايات المتحدة عن شراء التصدير
للعمل على تدهور أسعاره ، كما امتنعت من
تقديم الآلات والمعدات لتجديد الصناعة واتبعوا
سياسة الاغراق لضرب الصناعة البوليفية .

وعندما وصل الجنرال توريز الى الحكم في
أوائل أكتوبر ١٩٧٠ بمساندة القوى التقدمية
اتخذت حكومته عددا من الخطوات الهامة لحماية
مصالح بوليفيا القومية . فقد وضعت مناجم
ماتيلدا التي تستغلها الولايات المتحدة والتي تعتبر
أكبر مناجم في أمريكا الجنوبية تحت سيطرة
الدولة ، كما عملت على تدعيم صناعة التصدير
وبناء صناعة صهر القصدير ببناء مصنع صهر
القصدير في فينتو ويهدف تطوير صناعة صهر



● مقاومة حكومة توريزا المستمرة لاي محاولات لتسليح الشعب تحت دعوى عدم توفر السلاح . بل انها دعت العمال والشعب الى مقاومة محاولات الانقلاب الرجعية بزجاجات مولوتوف . وكانت معارضة حكومة توريزا تسليح الشعب نابعة من خوفها من الجماهير الشعبية وترددتها في اتخاذ موقف صريح وحاسم الى جانبها وضد القوى الرجعية في البلاد ، مما افقد الجماهير حماسها في الدفاع عن الحكومة وتركها في حالة لا تسمح لها بمواجهة حقيقية للمؤامرات الانقلابية .

● كان بين مؤيدي الجنرال توريزا عدد من القادة العسكريين المعروفين بتاريخهم المعادي للشعب والمطخ بدماء الشعب البوليفي .

● كان أعضاء حكومة توريزا من عناصر غير معروفة للشعب ، كما كان بينهم عناصر معروفة باتجاهاتها الرجعية .

● كان الجنرال توريزا نفسه من بين الضباط الذين أشاعوا الاوهام في صفوف الرأي العام عند استيلاء اوفاندو على الحكم ، وهذا ما جعل كثير من القوى الشعبية تتحفظ كثيرا في تأييدها لحكمه .

● لم تتمكن الاجراءات التي اتخذتها حكومة الجنرال توريزا خلال حكمه القصير من احداث تغيير جذري في وضع البلاد ، او ان تخفف من عبء الازمة الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها بوليفيا .

وحيثما بدأ الانقلاب العسكري الرجعي يطبق على لا باز في أواخر أغسطس ١٩٧١ سارع الجنرال توريزا واعضاء حكومته الى الهرب ، بينما دعت المنظمات السياسية والجماهيرية الوطنية الى المقاومة المسلحة ، وتصدت للانقلابيين دفاعا عن ثورة الشعب البوليفي . وفي خضم النضال المسلح ضد الانقلاب اليميني تشكلت وتدعمت جبهة القوى اليسارية التي أعلنت في أعقاب نجاح الانقلاب العسكري اليميني « ان الوسيلة الوحيدة لفتح الطريق الى الاشتراكية في بوليفيا هو النضال المسلح والثورة » .

الا يعيد هذا الدرس الذي خرجت به جبهة القوى اليسارية ضرخة جيفارا لتدوى من جديد في أحراب بوليفيا .

التصدير الى صهر تلك القصدير البوليفي حتى يصبح في الامكان تصدير المعدن بدلا من تصدير الخام مع ما يترتب على ذلك من فارق في الدخل لصالح البلاد . كما طردت حكومة توريزا فرق السلام الامريكية وطلبت من الولايات المتحدة سرعة سحب القاعدة العسكرية التي تقع على التلال المشرفة على العاصمة والتي يستخدمها ذوى البيريهات الخضراء والمخابرات المركزية الامريكية في كل المؤامرات التي دبرت ضد الحركة الثورية في بوليفيا وفي المؤامرات التي دبرت ضد حكومة الجنرال توريزا كذلك .

وطوال الشهور العشر لحكم توريزا لم تكف القوى اليمينية داخل القوات المسلحة من تدبير المؤامرات ضد الحكم الوطني خاصة بعد الاجراءات التقدمية التي اتخذها ، وقد شن اليمين حملاته ضد توريزا تحت شعار « النضال ضد العدوان على مبدأ المؤسسات الخاصة » .

وفي مواجهة محاولات الانقلاب المتعددة لم يتخذ توريزا اجراء جادا من اجل تعبئة الجماهير الشعبية او تصفية مراكز الرجعية وترك العناصر المناصرة في مراكزها الحصينة داخل القوات المسلحة تحت دعوى تجنب اراقة الدماء . ورغم ان النقابات قد أعلنت تعبئة الطبقة العاملة وكونت ميليشيا شعبية مسلحة ، ورغم ان الجماهير العريضة أعلنت تأييدها لحكومته واستعدادها للدفاع عنها راوغ توريزا في تسليح الجماهير ودعاها الى مواجهة الانقلابيين عزلاء من السلاح ولم يتخذ خطوات جدية في هذا السبيل الا بعد بدء الانقلاب الذي اطاح بحكمه اي بعد فوات الاوان وحينها لم يكن امام الجماهير الفرصة الكافية لتنظيم نفسها لمواجهة القوات المسلحة تحت قيادة الجنرالات اليمينيين .

ودعمت حكومة الجنرال توريزا ثمن تردها حينما أطاحت بها قوات الكولونيل بانزر الذي كان يشغل منصب الملحق العسكري في واشنطن والذي سبق له ان قام بمحاولة انقلاب فاشلة في بوليفيا فر بعدها الى الأرجنتين ثم عاد الى بوليفيا ليشارك في الانقلاب الاخير .

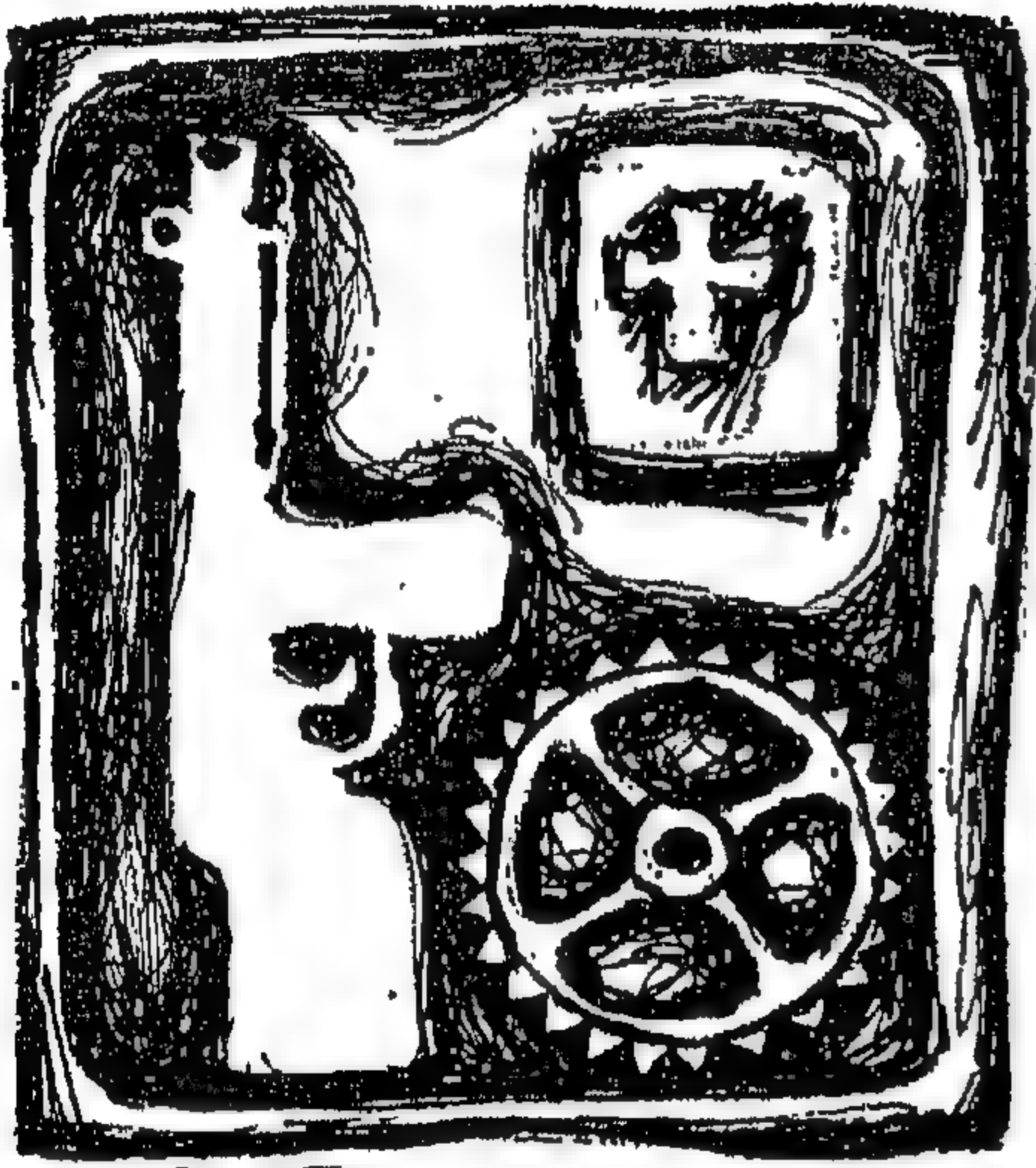
ويرجع فشل تجربة الحكم الوطني الذي تزعمه الجنرال توريزا في بوليفيا الى :

● محاولته التهادن مع القوى اليمينية ورفضه اتخاذ مواقف حازمة ضد الجنرالات اليمينيين في القوات المسلحة رغم تأمرهم عليه لاكثر من مرة تحت دعوى تجنب اراقة الدماء . لقد كان توريزا يعمل باستمرار من اجل تجنب المواجهة مع الجنرالات اليمينيين مما اتاح لهم الفرصة كاملة كي ينظموا صفوفهم من اجل الإطاحة بحكمه .

أمريكا

اللاتينية

بين «البندقية» و«الانجيل» و «المنتشور السرى»



هشام حنين

خيري عزيز

واضطرب مهاوى الانزلاق بعيدا عن أى حكم موضوعى فى هذه القضية، هو أن يتخذ المرء موقفا احادى الجانب، يقوم على اصدار «قرارات الحرمان» بالنسبة للآخرين، وعلى الاخلاص للذات والافكار المسبقة، اكثر من الاخلاص للحقيقة الموضوعية والمجديد الذى يمكن أن يسفر عنه التطور. وليس ثمة شك فى أن هذا المظهر الدرامى المريع الذى عانت منه الحركة الثورية العالمية فى الفترة الاخيرة، يعتبر اكثر بروزا وانطباقا على قارة امريكا اللاتينية بالذات، عن أى قارة أخرى فى العالم، لاننا نجد من ناحية أن مناضلى الاحزاب الشيوعية فى هذه القارة، وأغلب هذه

أثار نشاط الحركات الثورية المسلحة فى امريكا اللاتينية والموقف منها، مراعا سياسيا وايدولوجيا، بين من يطلق عليهم اسم «الكاسترويين» و «الجيفاريين» من جانب، وبين الاحزاب الشيوعية المكافحة فى القارة من جانب آخر. وكان لهذا الصراع الحاد والخصب فى الوقت نفسه امتداداته داخل صفوف قوى الثورة العالمية، وبوجه خاص فى القارات الثلاث، آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية التى تتركز فيها عواصف الثورة العالمية فى الفترة القارية الحالية والمقبلة.

لقد



على الثوار في هذا البلد أو ذاك ان يتبعوه، حتى وان كنا اكثر ميلا ، من الناحية النظرية على الاقل - وبحكم رؤيتنا للتطور الفاشي لنظم الحكم في هذه القارة - الى شكل من هذه الاشكال اكثر من الشكل الاخر . لكن الفاصل الحاسم بالنسبة لهذا الشكل، أو ذاك، ، أو لهذا الاختيار الثوري أو ذاك، لن يكون في الحقيقة ، سوى التطور التاريخي نفسه .

ضد الموقف الاحادي الجانب :

ونحن - كنقطة بدء لبحث مشكلة هذا الصراع المستعر الدائر - لا يمكن بحال ان نقبل الموقف الاحادي الجانب الذي يصف حركات الكفاح المسلح في أمريكا اللاتينية بالمغامرة والانتهازية والثورية البورجوازية الصغيرة ، وان يكن من الممكن لبعض هذه الحركات أو لفصائل الكفاح المسلح في هذا البلد أو ذاك ان تقع ، أو ربما تكون قد وقعت بالفعل في مثل هذه الاخطاء أو بعضها . لكن ذلك لن يكون قط في نظرنا ، مبررا لادانة خط الكفاح المسلح كشكل للتحرير ، لان هناك حقيقة بسيطة ، الاهمية في التطور الثوري لأمريكا اللاتينية ، وهي ان البلد الوحيد الذي استطاعت القوى الثورية انتزاعه انتزاعا من القبضة الوحشية للامبريالية الامريكية ، والديكتاتوريات الاوليجاركية الحاكمة ، واقامت فيه نظاما ثوريا ماركسيا لينينيا ، هذا البلد الوحيد - كانت الثورة فيه وليدة حركة كفاح مسلح ، ولم تكن وليدة تطبيق خط الحزب الشيوعي الحلي ، واقصد بهذا البلد كوبا طبعاً .

ان حركة الكفاح المسلح ، « حركة ٢٦ يوليو » التي قادها « كاسترو ، و « جيفارا » و « كاميلو » و « الميدا » و « راؤول » ضد ديكتاتورية باتيستا في كوبا ، هي التي فتحت طريق الثورة الماركسية اللينينية لأمريكا اللاتينية فحسب ، وانما في نصف الكرة الغربي عامة ، ولم يكن الحزب الشيوعي الكوبي القديم (الحزب الاشتراكي الشعبي) الذي وصف حركة كاسترو بالمغامرة ، وثورية البورجوازية الصغيرة ، واعتبر « الظروف لم تنضج بعد للقيام بالثورة » في الوقت الذي كانت طوابير كاسترو تمزق فيه اوصال الديكتاتورية ، نقول انه لم يكن لا هذا الحزب ولا الاحزاب الشيوعية الاخرى في أمريكا اللاتينية التي عملت في القارة وفق أساليب

الاحزاب بصفة عامة ، يديتون الحركات الثورية المسلحة هناك ، ويعتبرون نشاطها :

« مغامرات بلا مستقبل » و « انتهازية يسارية » و « ثورية بورجوازية صغيرة » وينفون عنها أي صفة ثورية أصيلة « ومن الناحية الاخرى ، يتهم المناضلون في صفوف الحركات الثورية المسلحة ، الاحزاب الشيوعية في أمريكا اللاتينية بأنها فقدت ثورتها ، ازاء النظم العسكرية الفاشية العميلة للامبريالية الامريكية ، ويعتبرون اعتماد هذه الاحزاب على النضال السياسي ، قبولاً بلعية البرجوازية البرلمانية الزائفة ، ووقوعاً في براثن العمل التكتيكي الدائم ، الذي لن ينجز ثورة ، وتضييعاً للاستراتيجية التي تستهدف الوصول الى السلطة ، وبالجمل ، تخلياً عن مبدأ تحقيق الثورة .

والحقيقة ان هذا الصراع الدرامي المرير الذي استفحل في السنوات الاخيرة في أمريكا اللاتينية ، انما هو صراع بين قوتين تنتميان في جوهر الامر الى معسكر واحد ، هو معسكر الثورة المعادية للامبريالية والاوليجاركيات الديكتاتورية الحاكمة في القارة ، ويسود لدينا الاعتقاد في الفترة الاخيرة انه من خلال صراع ووحدة هاتين القوتين في النضال المشترك ، سوف تبرز الى الوجود الصيغة الأكثر اكتمالا وملائمة لمواجهة متطلبات الوضع الجديد في أمريكا اللاتينية ، بعد نجاح الثورة الكوبية ، وتبنيها للماركسية اللينينية من ناحية ، وبعد ظهور الانقسام في الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ، ووقوع الخلاف العقائدي الصيني - السوفيتي من ناحية أخرى .

والواقع ان اكثر مشكلات الثورة في أمريكا اللاتينية الحاحا انما هي مشكلة ايجاد العلاقة الأكثر فعالية ، والاكثر اتساعا باستمرار بين الطبقات المضطهدة المقهورة ، وطلائعها السياسية الثورية بما فيها تلك التي يادرت الى الكفاح المسلح . فبدون ذلك لن يكون لأي كفاح معنى ، ولن يكتسب أي كفاح قيمته الحقيقية ، بل انه يخشى في هذه الحالة ان يؤدي العمل المسلح مثلاً لا الى تشجيع الجماهير على الانضال ضد انظمة الحكم الديكتاتورية وزيادة ثقافتها في امكانية النصر عليها ، وانما الى شعور لديها بالعجز في مواجهة قوى القمع .

وليس ثمة شك في الواقع في أن الحركة الثورية بعامة في هذه القارة ، تشهد طورا انتقاليا عنيفا صعبا من اطوار تطورها ، وليس بوسعنا أن نحدد سلفاً ، ومن موقعنا هذا ، الشكل الكفاحي الذي يتعين على الثوار في القارة بعامة ، أن يتبعوه ، أو

والشكك كفاحية أخرى طولاً
٣٠ أو أربعين عاماً هي التي نجحت
في إقامة أول بلد اشتراكي ماركسي لينيني في
نصف الكرة الغربي ، وليس معنى هذا إصدار حكم
إدانة ضد هذا الحزب ، أو هذه
الأحزاب ، لأن الحزب الاشتراكي الشعبي
(الحزب الشيوعي الكوبي القديم) شارك
بعد ذلك كفصيلة ثورية نشطة مع حركة ٢٦ يوليو ،
وحزب التوجيه الثوري في تأسيس « حزب الثورة
الاشتراكية المتحدة » الذي أصبح حالياً « الحزب
الشيوعي الكوبي » الحاكم . كما أن كاسترو نفسه
أشاد بمناضلي الحزب الاشتراكي الشعبي الذين
تربوا بروح بناء الاشتراكية » . وأشاد بعدد من
الشباب الثوري في هذا الحزب الذين انضموا إلى
قواته في جبال سيبيرا مايسترا أيام الكفاح ضد
ديكتاتورية باتيستا .

وإنما ما نريد قوله وإبرازه هنا من المثال
المذكور ، فهو ناحية هامة من نواحي عظمة النظرية
الماركسية اللينينية كمرشد للعمل ، ذلك أن
الأحزاب الماركسية اللينينية الموجودة في
المجتمعات البشرية ، كادوات للصراع الطبقي ، لا
يمكن أن تكون هي نفسها طبقاً للتطبيق الحي لهذه
النظرية بمنأى عن القوانين العلمية الحتمية
للماركسية . أن الأحزاب الماركسية اللينينية معرضة
هي الأخرى ، لقسوة قوانين الجدلية في هذا العالم
وأنه إذا أصبح أحد هذه الأحزاب ، أحد هذه
الادوات للصراع الطبقي ، غير قادر على التعبير
عن المتطلبات التاريخية الضرورية التي يحتمها
الصراع الطبقي ، أو هو بمعنى أدق ، إذا تخلف عن
القيام بدور طليعة الشعب . في مكان ما ، فإن
الصراع الطبقي لا يتوقف بأي حال من الأحوال
وإنما يخلق لنفسه أداة جديدة تكون تعبيراً تاريخياً
جديداً عن الطليعة ، وأداة جديدة لتحقيق مهماتها .
تلك هي الإضافة الحية التي أضافتها الثورة
الكوبية إلى الماركسية اللينينية ، فليس هناك أدنى
تعادل ميتافيزيكي مقرر سلفاً يفرض القول بأن
الطليعة = الحزب الشيوعي المحلي ، وإنما
توجد في نهاية الأمر ، حقيقة علمية أكيدة وهي أن
هناك تشابكاً جديداً محتملاً حقاً بين مهمة معينة ،
هي مهمة الطليعة في التاريخ ، وبين شكل تنظيمي
معين لابد أن تتحول إليه الحركات الثورية الشعبية
الأصلية ، ألا وهو شكل الحزب الماركسي اللينيني ،
وهو الشكل الذي آل إليه تطور حركة الكفاح
المسلح التي بدأها فيدل كاسترو في كوبا .

كما لا يمكن أن نقبل من ناحية أخرى الموقف
الأخرى الأحادي الجانب ، ونصنادر بجرة قلم
الأحزاب الشيوعية في أمريكا اللاتينية على أساس
دعوى القائمين على بعض حركات الكفاح المسلح

ونعتبرها أحزاباً فقدت ثورتها ، وننفى عنها أي
صفة ثورية أصيلة ونلقبها في متحف تاريخ حركة
الثورة في أمريكا اللاتينية ، في حين تكون هي حية
نابضة مؤثرة على أرض الواقع السياسي
والاجتماعي . أن أي نظرة ثورية منصفة لجماع
التطور الثوري في أمريكا اللاتينية لا يمكن بأي
حال من الأحوال أن تعزله عن النشاط الثوري
للأحزاب الشيوعية هناك ، ونخباتها المكتسبة عبر
سنى الكفاح الطويلة وتجاربها العميقة وتضحياتها
الجمة . ولا يمكن لأي مخطط لثورة قادمة على
مستوى القارة أو عدد من بلدانها ، أو أحدها ،
أن يتجاهل تلك الأحزاب ، والجماهير التي تلتف
حولها والتي تتقفت بروح بناء الاشتراكية
والكفاح من أجلها . قد يكون أحد أو بعض هذه
الأحزاب قد أظهر عجزاً ، أو قصوراً عن القيام
بالمهمة التاريخية التي يتعين عليه أو عليها القيام
بها ، كطليعة للشعب ، لكن ذلك لا يمكن أن يكون
مبرراً للمصادرة التاريخية المتعسفة لكل النضال
الكبير الذي حققته وتحققه هذه الأحزاب ، وعدم
قبول هذا التبرير لا ينبع قط من موقف عاطفي
مسبق ، بقدر ما ينبع من إدراك للقيمة الكبرى
للسياط الجماهيري الصبور الدائب المتأصل ،
والطويل المدى الذي قامت وتقوم به هذه الأحزاب
والذي لا يمكن أن يكون هناك غنى عنه لمن يريد أن
يقوم في أمريكا اللاتينية ، لا بمجرد مغامرة
عسكرية انتحارية معزولة ، وإنما بثورة شعبية
حقيقية لا يمكن قط أن تستغنى عن الانتفاضة
الشعبية الهامة التي أضحت قانون كل ثورة جذرية
أصيلة . وبعد فإن البندقية والمنشور السري كأداتان
لنضال سياسي لا يتعارضان على أرض أمريكا
اللاتينية ، وإنما هما يقفان على نفس الجانب من
المراس من أجل التحويل الثوري لهذه القارة .
فليس قط بمخض الصدفة ، أن عدداً كبيراً من
مناضلي وقادة الحركات الثورية المسلحة في أمريكا
اللاتينية قد نبعوا من صفوف الأحزاب الشيوعية ،
أحزاب الطبقة العاملة في هذه القارة .

وعلى أية حال ، فإن تجربة حكم الاتحاد
الشعبى في شيلي بزعامة سلفادور الليندي ،
وبمشاركة الشيوعيين ، إنما تقف دليلاً من هذه
الزاوية على المغزى التاريخي الذي يمكن أن يترتب
عن قوة حزب الطبقة العاملة الشيوعي في بلد من
البلدان ، وعلى ما تستطيع هذه القوة أن تحققه في
مضمار تقدم الثورة المعادية للإمبريالية
والأوليغاركيات الحاكمة . كما تثبت هذه التجربة
من ناحية أخرى قصر نظر الموقف الآخر الأحادي
الجانب الذي يقوم على التعميم ومصادرة الأحزاب
الشيوعية في أمريكا اللاتينية .

ألا أنه لا ينبغي أن يغيب عن نظرنا قط ، أن هناك
خواص مميزة لشيلي هي التي أتاحت الفرصة



التضحية بالنفس ، لكنه لن يعدو كونه شكلا سلبيا
ازاء الايجابية الاجرامية لقتلة الشعوب
ومستعبداتها وظالماتها في أمريكا اللاتينية . ومن
هنا يكون للكلمات الاخوية التي وجهها شي جيفارا
الشهيد العظيم للثورة في أمريكا اللاتينية والعالم ،
الى الرفاق الحزبيين من أعضاء الحزب الاشتراكي
الشعبي (الحزب الشيوعي الكوبي القديم) لها
مغزاها الكامل : حين قال « باستطاعتكم أن تخلقوا
كوادر تتمزق في ظلام السجون دون البوح بكلمة »
ولكن ليس باستطاعتكم أن تشكلوا كوادر تستولي
على مركز للمدفعية الرشاشة » . وهذه الملاحظة
ليست حكما قيميا ، وانما هي فيما نحن بصدد ،
تقييم سياسي . فليس الامر متعلقا في نظر « شي
جيفارا » باستبدال جبن بشجاعة ، ولا استبدال
أيديولوجية بأخرى ، وانما هو استبدال شجاعة ،
بشكل آخر من الشجاعة ، واستبدال أسلوب من
العمل والتطابق النفسي ، بأسلوب آخر .

وان ما نشاهده في واقع أمريكا اللاتينية اليوم ،
فهو تصاعد الفاشية ، حيث تحكم الانظمة
الدكتاتورية العسكرية الفاشية اليمينية السفرة
في الأرجنتين والبرازيل ، وجواتيمالا ،
وكولومبيا ، واكوادور ، وبساراجواي ،
ونيكاراغوا ، وهائتي : وحيت تحكم ديكتاتوريات
أخرى أكثر تغطية بالواجهات الليبرالية الزائفة ،
وان كانت لا تقل عنفا عن مثيلاتها الاولى في
أوروغواي وفنزويلا . وهذه الفاشية الجديدة التي
انبثقت في أمريكا اللاتينية ، هي في الواقع تعبير
عن أزمة الانظمة الاجتماعية والاقتصادية ،
والتناقضات التي تفجرت داخل الطبقات
البورجوازية . والحقيقة التي يجدر الإشارة اليها
هنا هي أنه اذا كانت الفاشية في أوروبا قد نشأت
نتيجة لازمة الرأسمالية الاحتكارية ، وفي الوقت
الذي هز فيه شبح ثورة أكتوبر السوفيتية السلطات
البورجوازية الأوروبية ، فإن الفاشية الجديدة في
أمريكا اللاتينية قد تطورت بعد الثورة الكوبية ،
وفي الوقت الذي أدت فيه الانظمة الاقتصادية
والاجتماعية الى ازدياد سحق شعوب القارة وبدء
تحرك جماهيرها . وهناك في الحقيقة عامل هام
من العوامل التي ساعدت على ظهور هذه الفاشية
الجديدة في أمريكا اللاتينية هي أن القوات المسلحة
قد برزت في أمريكا اللاتينية كقوة قمع داخلية أكثر
منها كقوة مواجهة لأي عدوان خارجي محتمل نظرا
لان هذه البلدان ليست عرضة لخطر الغزو
من الخارج ، أو لهجوم مفسجى من
جيرانها ، ولذا فإن جل نشاط القوات المسلحة لدول

لاتباع هذا السبيل ولوصول الاتحاد الشعبي الى
الحكم ، مثل : الثقاليد البرلمانية ، وغياب دور
الجيش ، وهامشية الاقطاع الزراعي . لكن ما يحدث
في شيلي لا يعدو حتى الان كونه في نطاق
التجربة التي تتابعها كل قوى الثورة في العالم
باهتمام وحذب . ولا يمكن لاحد الان أن يأخذ
على عاتقه المسؤولية النظرية ويقول بأن سلطة
الشعب ، دكتاتورية البروليتاريا قد قامت بالفعل
في هذا البلد الان .

تصاعد الفاشية

ليس ثمة شك في أن التعرف على الطبيعة العامة
للانظمة السياسية التي تسود القارة يتسم بكل
أهميته هنا ، لان الاساليب والمناهج التي يتعين
على الحركات الثورية اتباعها ، انما تكون عادة ،
مرهونة بالاساليب والمناهج التي يستخدمها العدو
ضدها . ولقد أوضح كل القادة الماركسيين الكبار
دائما أن الثوار الاشتراكيين لا يفضلون قط
استخدام العنف لذاته ، وانما هم يضطرون الى
سلوك سبيله ، بعد أن تذيبهم الرجعية كؤوس
ويلاته . وفي هذه الحالة لا يكون العنف الثوري الا
رد فعل العنف المضاد للثورة .

ان المناهج التي يتعين على الثوار اتباعها انما
تكون بداءة من تحديد العدو نفسه ، قبل أن تكون
من اختيارهم هم ، لان الطريق السلمي يكون عادة
أقل تكلفة ومشقة وقسوة وأكثر نعومة بالنسبة لأي
ثائر . ولا يمكن لمن لا يعاني بشاعة القهر
والتعذيب والقمع الدموي ، أن يسدئ لمن يعانون
النصح بالعمل السلمي ، لانه عندما يكون التعذيب
والاغتيال والقتل مصيرا يوميا ينتظر أي مناضل
وثائر ، فلا يمكن — الا من قبيل الرخاوة الثورية
التي نالت من لينين أعنف انتقاد أن يدعو أحد
لاتباع سبيل آخر غير العنف الثوري ، للرد على
العنف المضاد للثورة ، سبيلا آخر لن يعدو كونه في
حقيقة الامر سبيلا تولستويا للمجابهة . وفي نهاية
الامر « فإن الثائر التولستوي لا يضرب أبدا ،
وانما يسمح لنفسه بأن يكون مضروبا » . ان
صورة المناضل من أجل عقيدته السياسية الذي
يتقبل عذاب السجن وآلامه بترحاب من أجل مثله
الاعلى ، هذا المسيح الاعزل في صورة عضو
الحزب الذي يقاد في طواعية جبرية الى مصيره
الذي قد ينتهي بالموت أو الاغتيال في العديد من
الاحيان لم تعد هي الصورة المثلى المطلوبة بين
ثوار أمريكا اللاتينية اليوم ، لم تعد هي الصورة
القائدة على تحقيق التحرير للشعب المضطهد
المظلوم ، وتصدر حركته وسط عصابات حاكمة من
المجرمين وقتلة الشعوب . ان تحمل عذاب
السجون وآلامها قد يكون شكلا يطوليا من أشكال

هذه القارة التي تحتفظ بما يقرب من ٦٠٠.٠٠٠ جندي في الخدمة تنفق عليهم أكثر من بليون دولار سنوياً يضاف إليهم ٧٧٦ مليون دولار مساعدة من الولايات المتحدة للأغراض العسكرية، انمسا ينصرف إلى أعمال القمع والارهاب الداخلي، ويدون مثل هذه الاعمال سوف تعاني كل هذه القوات الضخمة من البطالة الزمنية. ولذا يقال في نهاية الامر وهذا امر طبيعي أن أكثر من ٣ أشخاص من كل أربعة أشخاص في أمريكا اللاتينية يعيشون في ظل الحكم الديكتاتوري.

ومن المظاهر الدالة على الفاشية في أمريكا اللاتينية، النمو المتزايد للسلطة التنفيذية، وضعف السلطين، التشريعية والقضائية، وقد استلزمت التحولات الفاشية المتزايدة في القارة في الفترة الأخيرة أعداد جماعات خاصة للقهر بدأت تحل تدريجياً محل أدوات القهر السابقة... وهي تعمل معها جنباً إلى جنب مثل جماعات «تونتس» و «ماكوتس» في هايتي، و «اليد البيضاء» في جواتيمالا، و «فرقة الموت» في البرازيل، تلك الجماعات التي كانت سرية إلى حد ما في البداية إلا أنها فقدت مع الوقت قناعها السري وأعلنت عن ارتباطها الوثيق بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، كذلك تقوم كلية التدريب ضد النشاط الثوري في بنما بتخريج آلاف من الضباط الشباب من شرطة أمريكا اللاتينية سنوياً، كما تقوم البعثات العسكرية الأمريكية بتدريب الافواج من القوات المضادة لحرب العصابات في كولومبيا، ومن المظليين في الاكوادور، والكوماندوز البيرونيين والشرطة الأرجنتينيين (المجهزين بأسلحة ثقيلة) وغيرهم من الوحدات العسكرية التي تقوم بأعمال القمع والارهاب. وكانت كل هذه القوات في حالة بدائية قبل انتصار الثورة الكوبية، أما اليوم فأصبحت على درجة عالية من التدريب والتجهيز. لكن السيطرة الارهابية للولايات المتحدة أصبحت أقوى ما تكون في حقل الاعلام والتسلل بوجه خاص، ففي البرازيل مثلاً لم يجرؤ أحد على ادانة سيطرة مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية، على الملفات السرية للشرطة السياسية البرازيلية، حتى في أوج حكم يمثل «البورجوازية الوطنية». أما الأرجنتين فلديها سبع تشكيلات مختلفة ومتنافسة للشرطة السياسية، وفي فنزويلا تتنافس أجهزة «السوفوبول» و «الديجيوبول» فيما بينها على أعمال القمع، فضلاً عن استخدام العملاء المباشرين لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية الخ.

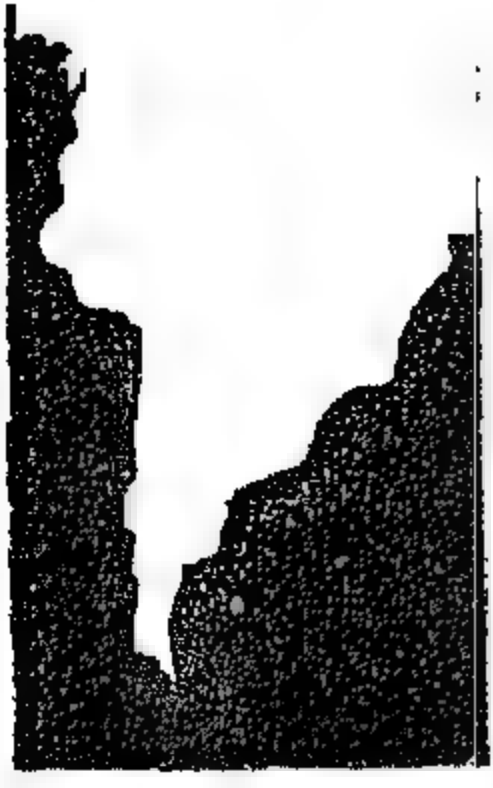
٨٠٠.٠٠٠ معتقل يساري

ويوجد في سجون ١٥ دولة من دول أمريكا اللاتينية حوالي ٨٠٠.٠٠٠ معتقل سياسي يساري.

وقد أصبحت أساليب التعذيب والتنكيل وقطع الرؤوس شائعة مألوفة في بعض هذه الدول حيث يعارض الحكام أدنى تغيير يطرأ على الوضع الراهن للاقتصاد والمجتمع. وقد بلغ عنف السلطات ضد الجماهير والحركة الثورية أبعاداً وحشية، في دول مثل جواتيمالا، حيث تعادى الطبقات الحاكمة أي اصلاح، أو في الدومينيكان التي تسيطر عليها الولايات المتحدة منذ انتفاضة ١٩٦٥، أو في نيكاراغوا حيث تتولى اسرة «سوموز» الحكم منذ ما يزيد على ٣٠ عاماً، أو في هايتي حيث تحكم اسرة «دوفالديه» بتعسف لدى الحياة. وقد أوضحت مجلة الايكونوميست البريطانية في عددها الصادر بتاريخ ١٣ - ٨ - ١٩٧١ «أن معدل الخسائر في الارواح في جواتيمالا والأرجنتين نتيجة للصراع مع الثوار المحليين، يزيد بنفس معدل خسائر الحروب الصغيرة في (بورنيو، والفلبين، وماليزيا، والبنغال الشرقية، واريتريا، وانجولا، وتشاد، وغينيا بيساو)».

«خطف شعوب بأكملها»

وفي مواجهة عمليات القتل والتعذيب والعنف من جانب السلطات، تقوم الوحدات الثورية بأعمال خطف الدبلوماسيين الغربيين والمستشارين العسكريين الأمريكيين، وكبار موظفي الحكومات الاوليغاركية، كما تقوم بمصادرة أموال المؤسسات الرأسمالية، والاستيلاء على بعض أموال البنوك، واغتيال ضباط وعملاء الشرطة السياسية، وعملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والمسؤولين عن البعثات العسكرية الأمريكية الذين يشرفون على تدريب الوحدات المقاتلة ضد حرب العصابات، كما تقوم الوحدات الثورية كذلك بمصادرة قوافل المواد الغذائية، وتوزيعها على سكان الاحياء والقرى الفقيرة، واحتلال محطات الاذاعة لفترات محدودة واخلالها بعد اذاعة عدة بيانات ثورية إلى آخر ذلك من أساليب ثورية. وقد برهنت هذه الأساليب على جدواها ضد أنظمة الحكم الفاشية في القارة، إذ أدت في العديد من المرات إلى انقاذ حياة عشرات من الثوار، والافراج عنهم من سجون الديكتاتورية، وأثبتت في أكثر من مناسبة أنها وسيلة فعالة لاذلال نظم الحكم البعميلة، وكشف مدى عجزها وامتنازها أمام الجماهير. يقول أندريه فونتيني المعلق الشهير في صحيفة «لوموند» الفرنسية معلقاً على عمليات الاختطاف في أمريكا اللاتينية «إنها سلاح الثوار المعزولين، ضد أنظمة حكم عزلت وخطف شعوب بأكملها» يقول فونتيني «أنظمة حكم خطفت شعوباً بأكملها». كما أشارت نفس الصحيفة في إحدى



نتيجة عمل مسلح • صحيح أن امكانية الانتقال السلمى الى الاشتراكية قد طرحت دائما كموضوعة نظرية يمكن تحقيقها فعلا ، الا ان الاعتراف بتلك الامكانية لاينبغى أن يتحول فى نهاية المطاف الى اتجاه مناقض للاتجاه الرئيسى لانجاز الثورات الاشتراكية ، والذي ثبت نجاحه • لا ينبغى للامكانية والاحتمال أن تصبح هى القانون الرئيسى الملزم والسيف المسلط على رقاب من يجرؤون بالعمل وحده لا بمجرد القول على مقاومة أنظمة الحكم الديكتاتورية ودق المسامير فى نعوشها • أفلا تؤكد الحقيقة التالية ما أوضحناه من قبل وهى : أنه حتى مع تعاظم قوة المعسكر الاشتراكى فى الظروف العالية الراهنة ، فسان الدول الجديدة التى اختارت طريق الماركسية اللينينية فى السنوات العشر الاخيرة ، كانت ثوراتها هى الاخرى نتيجة عمل مسلح (كوبا - الفيتنام) •

دروس لينين وسقاليين

ان هؤلاء الرفاق فى بلادنا وفى المناطق الاخرى من وطننا العربى الذين يأبون على من يجابهون القمع الدموى ، ان يقاوموه بالعنف الثورى ، أكثر الوسائل عدالة وملاءمة له ، أنما ينسون الدروس الملية بالعبء للثورة السوفيتية العظيمة التى يحلو لبعضهم ان يتشدد فى الكثير من الاحيان بأسمها • انهم ينسون ان عمليات مصادرة أموال البنوك الرأسمالية ، واغتيال عملاء الشرطة السرية ، والجواسيس ، ومضطهدى الشعب ، وكافة أشكال العنف الثورى الاخرى التى تتبع فى امريكا اللاتينية اليوم ليست جديدة ، ولم تكن قط جديدة على الاطلاق على من أنعموا النظر فى وقائع تاريخ التمهيد للثورات العظمى • ذلك أنه قبل قيام ثورة أكتوبر السوفيتية باثنى عشر عاما ، كانت العصابات المسلحة للحزب البلشفى تقوم بأعمال مماثلة تقريبا فى كافة أرجاء روسيا الفسيحة •

فبعد فشل ثورة ١٩٠٥ ، طرح لينين فى لندن مسألة « الانتفاضة المسلحة » وأوضح « ان القيصرية لن تتخلى عن الحكم بملء ارادتها ، لذا ينبغى الاطاحة بها عن طريق الانتفاضة المسلحة » • وكان عدد من الاشتراكيين الذين

افتتاحياتها ، اشارة مشوبة بالعطف حين قالت « ان كل ثورة حقيقية فى العالم ، هى بالدرجة الاولى انسانية ، ولكن البعض يعتبرون ان قتل سفير جريمة ، بينما قتل عشرات من الثوار عملا مشروعا ، وليس هذا دافعا عن قتل أى انسان » • وعلى أية حال فان النضال السرى يتعاظم فى القارة ، لان العمل السياسى الثورى فى ظل الأنظمة السياسية الفاشية التى تعتمد على القمع ، غالبا ما لايجد أمامه الا طريقا واحدا هو طريق النضال المسلح ، لو السرى •

ازدياد الهجوم على الكفاح المسلح

لكن الامر الذى لوحظ بشكل واضح فى الفترة الاخيرة ، هو ازدياد الهجوم بشكل عنيف على خط الكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية وبخاصة بعد استشهاد شى جيفارا فى بوليفيا ١٩٦٧ ، ووصول الاتحاد الشعبى الى حكم شيلى سنة ١٩٧٠ • فبدلا من أن يكون استشهاد شى جيفارا مثالا بطوليا ملهما لمقاومة أنظمة الحكم الاستبدادية الديكتاتورية ، اذ به يستخدم كحجة لمصادرة وتخطئة الخط الاستراتيجى الفعال لتصفية أنظمة الحكم الدموية الفاشية التى تغلق فرص النضال السلمى ، وكان استشهاد بعض المناضلين الكبار فى التاريخ ، يغدو دليل اذانة للسبيل البطولية الشجاعة التى اتبعوها • لقد تحققت الثورتان السوفيتية والصينية نتيجة عمل مسلح ناجح قطعا ، ولكن وقوع شهداء عظام على طريق كفاح الحزب البلشفى والحزب الشيوعى الصينى على سبيل المثال لم يعن أبدا فى تاريخ هذين الحزبين العظيمين ، انهما كانا يسيران باتجاه ثورة فاشلة ، أو انهما كانا يتبعان خطا فاشلا • كذلك لا يمكننا من ناحية أخرى ونحن نبحث مصير قارة تسودها أنظمة الحكم الفاشية أن نعثر ما تحقق فى شيلى هو القاعدة ، وانما هو فى الحقيقة محض الاستثناء ، وهو بالفعل استثناء فى الواقع السياسى والاجتماعى لدول امريكا اللاتينية وأنظمتها الديكتاتورية الفاشية المتباينة •

والمؤلم أن عددا محدودا من العناصر الماركسية والتقدمية فى بلادنا وفى مناطق أخرى من وطننا العربى ، تنسى فى انكارها النظرى لخط الكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية ومعارضتها له ، تلك الحقيقة الرئيسية التى ينبغى تدبرها جيدا وهى : ان الخط الرئيسى فى انجاز الثورات ، كان هو - حتى الآن - خط العمل المسلح • لقد كانت الثورة السوفيتية نتيجة انتفاضة مسلحة • وكانت الثورة الصينية نتيجة عمل مسلح • وكانت الثورة الكوبية نتيجة عمل مسلح • والثورة الفيتنامية الان هى

أزدرامهم لينين ووصفهم بأنهم «نواحي الثورة الرومانتيكيين»، يعتبرون الانتفاضة تمردا شعبيا عفويا لا يمكن تهيئته أو التخطيط له، مثلما لا يمكن التهيئة أو التخطيط لشروق الشمس أو غروبها. أما لينين فكان يرى على عكسهم تماما «ان الانتفاضة فن ينبغي تعلمه وممارسته» ولذا حدث انصاره على تأسيس فروع عسكرية خاصة بالحزب.

وقد ردنا الرفيق ستالين نفس دعوة لينين في مجلة «كفاح البروليتاريا» وقال: «ان عددا كبيرا من منظماتنا قد حل المشكلة عمليا، بتوجيه قسم من قواه وموارده نحو تسليح البروليتاريا. ان نضالنا ضد الحكم الاستبدادي الفردي قد بلغ مرحلة يعترف فيها الكل بضرورة تسليح أنفسنا، ولكن الاعتراف بهذه الضرورة ليس كافيا، ينبغي طرح المهمة العملية بصراحة أمام الحزب، ينبغي ان تعمل لجانبنا فوراً على تسليح الشعب وتوكل ذلك لفرق خاصة - وان تنشئ مراكز المناطق لتجميع السلاح، وتؤسس المعامل لصنع كل أنواع المتفجرات وترسم الخطط للاستيلاء على الأسلحة والذخيرة من مستودعات الدولة والمخازن الخاصة».

وقد شارك الرفيق «ستالين» بالفعل في تأسيس وتوجيه المنظمة العسكرية للحزب البلشفي التي كانت تمتلك معملاً سرياً بالغ الفعالية لصنع المتفجرات، وبعد ذلك تقدمت الفرق المسلحة الصفوف في الانتفاضات غير المنظمة التي اندلعت عام ١٩٠٥. وفي القوقاز، قاومت هذه الفرق، عصابات «المائة السود»، وحمت المناطق العمالية من القتال العشوائي. وظلت على اتصال بمقاتلي الريف.

أقلاً يقدم لنا تاريخ الحزب البلشفي نفسه مؤشراً بليغاً في دلالته، كذلك عندما نعلم ان لينين بالذات كان هو الذي تصدى في المؤتمر الرابع للحزب الاشتراكي الديمقراطي الديموقراطي الروسي (١)، وكانت اللجنة المركزية فيه يسيطر عليها المنشقيك للاستنكار الذي طالب به «إليخانوف»، والمناشفة للغارات التي تشنها الفرق المسلحة على المصارف، وأموال الخزينة، والقوات الحكومية أنه يقدم لنا ذلك بكل تأكيد، فلقد قاوم لينين المناشفة بكل قوة وأوضح ان الغارات التي يشنها الانصار، هي أفضل طريقة لتدريب

الفرق المسلحة على خوض الانتفاضة العسامة المنتظرة. ولم يستطع مؤتمر ستوكهولم ان يصدر حكماً مبرماً بصدد الغارات المسلحة. وحرم كل أنواعها باستثناء تلك الهادفة الى الاستيلاء على الأسلحة والذخيرة. وقد استغلت الفروع الفنية في الحزب هذه الثغرة الى ابعد مدى، واستمرت في شن الهجوم تلو الآخر على الموظفين القيصرين الكبار، والمصارف، ومصادرة أموال الخزينة، فضلاً عن غاراتها على مخازن الذخيرة. ويرى عديد من المؤرخين للثورة السوفيتية ان هذا الفصل كان هو الاكثر غموضاً بين فصول الثورة الاولى، وربما كان الاكثر رومانتيكية ايضاً. فقد غص بالاحداث الفاجعة والاعمال الخارقة، وكان ابطاله مثاليين لا يهابون شيئاً، وقديسين ومغامرين جسورين. أقلاً يذكرنا ذلك بالرومانتيكية الثورية المشهودة لابطال الكفاح ضد الديكتاتوريات الفاشية في امريكا اللاتينية هذه الايام. انه ليدكرنا بالقطع.

وبالنسبة للحزب البلشفي في تلك الفترة فان القوقاز كان هو المجال الرئيسي لنشاط الفرق المسلحة التي أحاطت بها من البدء هالة من الرومانتيكية. وفي الفترة ما بين ١٩٠٥ و ١٩٠٨ قامت هذه الفرق في القوقاز بـ ١١٥٠ عملية مسلحة اشهرها الاستيلاء على أموال الخزينة في أحد ميادين تفليس الرئيسية في ٢٨ يونيو ١٩٠٧، وعملية أخرى ليست أقل شهرة من الاولى على متن الباخرة «نيدولا الاول» في ميناء باكو. وكانت حصيلة غارة تفليس ربع مليون روبل نقلت فوراً الى الخزينة البلشفية في الخارج.

والحقيقة التي تحفل بمغزاها التاريخي الكامل، انه عندما أثارت هذه القضية ضجة في الصحافة الروسية والاوروبية، كان المناشفة هم أيضاً الذين شنوا حملة على لينين بشأنها، كذلك عندما طرح الموضوع على محكمة حزبية، كان تروتسكي هو الذي تولى الادعاء على لينين في الصحف الاشتراكية الديمقراطية الالمانية. أما ستالين، فكان يعمل كضابط اتصال بين المكتب البلشفي في القوقاز، وبين الفرق المسلحة. وكان القائدان الرئيسيان الاسطوريان للفرق المسلحة من تلاميذه وأتباعه وهمساثير بقروسيان (الملقب بكامو) وكوتى تسينسادزة (وكلاهما ضخم الجثة، طيب القلب، رومانتيكي محنك، لا يعرف الكلل). وقد لقيا أقطع تعذيب من البوليس السرى القيصرى بعد لقاء القبض عليهما دون أن يفشيا



مختلفة أن تحقق الضمانات السياسية والعسكرية التي استطاعت حركة كاسترو أن توفرها للنضال الثوري في كوبا . وكانت النتيجة أن تلاشت هذه المنظمات أو تغير تشكيل بعضها مثل « الحركة العمالية الطلابية الفلاحية » في كولومبيا ، و « الاتحاد الثوري للشباب الاكوادوري » في الاكوادور و « حركة اليسار الثوري » و « جبهة اليسار الثوري » في بيرو ، و « اشتراكية الطليعة » في الأرجنتين ، و « حركة تضامن الفلاحين » ويسار الحزب الاشتراكي في أروجوواي . والخلاصة أن الجبهة الثورية لا زالت حتى الآن قاصرة سواء في داخل الاحزاب الشيوعية باستثناء فنزويلا وكولومبيا حيث أخذ الحزب الشيوعي في كولومبيا ، بعد مباشرة النضال المسلح في منطقة ماركيتاليا يتخلى عن الخط السلمي ، ردا على الارهاب الذي يتعرض له ، وباستثناء شيلي أيضا التي نجح حزبها الشيوعي بتوحيد قواه مع الاشتراكيين في تمكين الاتحاد الشعبي من الوصول الى الحكم) ، نقول أن الجبهة الثورية لا زالت قاصرة سواء داخل الاحزاب الشيوعية أو في هذه المنظمات الجديدة التي لا ماضي لها ، عن الاستجابة الى الارتفاع الموضوعي الذي وصل اليه مستوى النضال الثوري بعد نجاح الثورة الكوبية . ولذا تحتفظ ملاحظة فيدل كاسترو التي أبداها في المؤتمر النسائي سنة ١٩٦٢ بكل قيمتها عندما قارن بين « توفر الظروف الموضوعية » في جميع دول أمريكا اللاتينية تقريبا ، وبين انعدام الظروف الذاتية التي تسمح للطلائع الثورية ، بأن تستغل الفرصة السانحة التي يقدمها الوضع التاريخي .

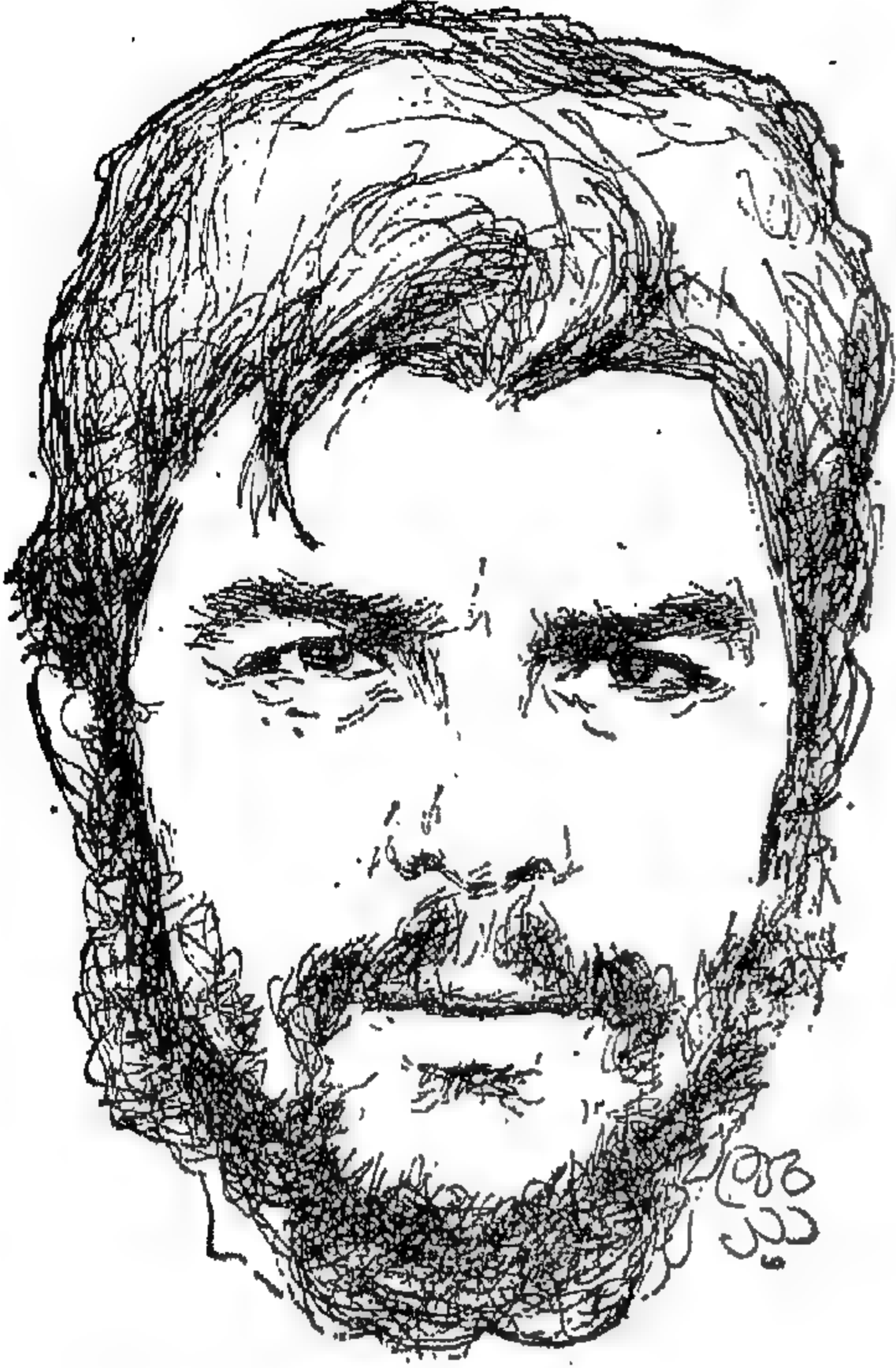
كذلك اوضح الفيلسوف الفرنسي الثوري ريجيس دوبريه في البحث الذي أعـمده بعنوان « قضايا الاستراتيجية الثورية في أمريكا اللاتينية » أن إحدى المصاعب التي واجهتها الحركة الثورية في أمريكا اللاتينية في الفترة الاخيرة إنما ترجع الى أن بعض المنظمات الثورية في أمريكا اللاتينية ، لا تزال واقعة تحت النفوذ العقائدي للحركة العمالية الأوروبية التي غالبا ما تعكس اوضاعا مختلفة عن الاوضاع الحقيقية في القارة اللاتينية .

اسرارهما) . وقد حاول المناشقة ، القوقازيون استصدار حكم من المحكمة الحزبية ضد ستالين لخرقه قرار المؤتمر الاخير القاضي بمنع الغارات المسلحة ، إلا أنه تمكن بطريقة ما من أن يتحاشى المشول امام المحكمة ، وانتقل من تفليس الى باكو . أما لينين الذي تعرض لتهجم مارتوف - المنحرف - عليه بهذا الصدد في عام ١٩٠٧ ، ولاستنكار تروتسكي الشديد لحرب الانصار ، فقد امتنع حتى النهاية عن التصويت على قرار منع الغارات والمصادرات المسلحة . وبعد : أفلا يوجد ولو بقدر يسير شيء من التماثل التاريخي ، مع الفارق طبعا ، بين هذا الصراع الذي دار في صفوف الحزب البلشفي ، وبين بعض الصراعات الدائرة اليوم فيما نحن بصددده . يا له من موقف بليغ الذي حدده الزعيمان العظيمان للثورة لينين وستالين .

مصاعب جديدة

بعد ثورة كوبا

ليس شمة شك في أن حركات الكفاح المسلح في أمريكا اللاتينية عامة واجهت صعابا متزايدة منذ نجاح الثورة الكوبية وفي السنوات الاخيرة بصفة خاصة . ويرجع ذلك في الحقيقة الى عدة عوامل منها : ان نجاح الثورة الكوبية دفع بغتة بالصراع الطبقي في أمريكا اللاتينية الى مستوى أرفع لم تكن الطبقات المضطهدة ولا طلائعها مستعدة له ، ولذلك جاء انعكاسه لديها متسما بالتسرع والارتجال والافتقار الى النظرة الاستراتيجية . إذ تشكلت بعد الثورة الكوبية - ودون تدبير من كوبا - خمسون منظمة ثورية على هامش الاحزاب الشيوعية ، كلها مصممة على العمل المباشر . بيد أن عدة سنوات من العمل الثوري بعد ذلك أوضحت أن البطولة ليست كافية بمفردها ، وأن هذه المنظمات كانت تفتقر الى النضج العقائدي ، والى الحس السياسي بالدرجة الاولى ، فضلا عن التحرر من التزمّت ، والجديّة في الاعداد للكفاح المسلح . وكان أحد المضار الكبرى التي أضيرت منها هذه المنظمات بدرجة كبيرة أنها حاولت بدرجات متفاوتة تقليد النموذج الكوبي ميكانيكيا . والاصح أن يقال أنها عجزت عن أن تصنع في بلادها كوبا أخرى لأنها لم تستطع لظروف ذاتية ، وموضوعية



جيفارا

ويرى « ريجيس دوبريه » فى التحليل الذى قدمه فى كتابه « ثورة فى المنورة » (٢) للوضع الذى آلت اليه الحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية « أن التقوير العكسى للقوى الحالية (أى دفع الطبقات المسيطرة فى أمريكا اللاتينية الى أقصى اليمين ، والطبقات المقهورة الى أقصى اليسار) يفيد الاستعمار فى المرحلة الراهنة بسبب التغيرات التى طرأت على التيارات التاريخية الثلاثة (تيارات القادة البرجوازيين للاحزاب الجماهيرية ، والقادة الشيوعيين ، والحركة الكاستروية الفتية بعد نجاح الثورة الكوبية اذ مجد : اولاً : ان القادة البرجوازيين للاحزاب الجماهيرية السابقة (كالتحالف الشعبى الثورى الاميرى - ابرا) فى بيرو ، وحزب العمل الديموقراطى فى فنزويلا ، والحركة الوطنية الثورية فى بوليفيا وغيرها) قد التحقوا عدة وعتادا بالمعسكر الاستعمارى ، حاملين معهم اليه قطاعات واسعة من الفلاحين ومن العمال احياناً . وثانياً : ان القادة الشيوعيين لفترة « ما قبل الثورة الكوبية » الذين عجزوا فى اوج تطور الاحزاب البورجوازية الصغيرة الجماهيرية ، عن منافستها

كذلك ترجع المصاعب الضخمة التى واجهتها الحركة الثورية المسلحة فى أمريكا اللاتينية بعد نجاح الثورة الكوبية الى حقيقة بالغة الاهمية وهى ان كوبا قد رفعت من المستوى المادى والعقائدى للردة الاستعمارية باسرع مما رفعته عند الطلائع الثورية . واذا كان الاستعمار ، على المدى القصير ، وبالنسبة لحركات النضال المسلح الاخرى فى أمريكا اللاتينية ، قد استفاد بشكل اكبر من ردة القول المترتبة عن نجاح الثورة الكوبية أكثر مما استفادته القوى الثورية الاخرى ، فليس مرد ذلك طبعاً فى نظر ريجيس دوبريه - ذكاء الاستعمار المتفوق ، وانما لان الاستعمار فى وضع افضل يسمح له بان يضع الدروس التى تعلمها من الثورة الكوبية موضع التنفيذ العملى الفورى ، لانه يسيطر على جميع الوسائل المادية للعنف المنظم ، فضلاً عن شراسته العصبية التى تحفزها باستمرار غريزة الدفاع عن النفس عنده . وقد قام الاستعمار بتعزيزات مذهلة لاجهزة القمع ابتداء من عام ١٩٦٠ . وفى يوليو عام ١٩٦١ تقدم « جون كينيدي » الى الكونجرس الأمريكى « بمشروع عسكرى جديد يستهدف ضمان الامن الداخلى لأمريكا اللاتينية ضد أعمال الشغب » . وتقول صحيفة نيويورك تايمز فى ٤ يوليو ١٩٦١ ان هذا المشروع « بشكل تحولا جذريا بالنسبة للمشروع العسكرية السابقة فى نصف الكرة الغربى ، فلقد كان الهدف الرئيسى حتى الآن هو تزويد الحكومات الموالية ببعض الوحدات الجوية والبحرية من أجل الدفاع المشترك عن الغرب ضد هجوم خارجى ، أما الآن فان الدفاع ضد أعمال الشغب يولى أهمية متزايدة » ، وسبق ان اشرنا الى أجهزة القمع الخاصة التى استحدثتها المستعمرات الأمريكيات الشماليون والاوليغاركيات التابعة لهم لدعم اجهزة الارهاب والقهر فى القارة بأسرها .

أما فى المجال السياسى ، فان انتصار الثورة الكوبية ادى الى دفع مختلف تيارات البرجوازية الى التطرف والى تعبئة قواها وتوحيدها فى جبهة موحدة ضد الثورة ، بوتيرة اسرع من الوثيرة التى دفع بها المنظمات الثورية الى توحيد وتعبئة وتكتيل قواها ضد الثورة المضادة . فقد استغلت الدعاية الاستعمارية تحول كوبا السريع نحو بناء دولة اشتراكية ماركسية ، من أجل نشر الذعر فى أوساط البرجوازية الوطنية والقطاعات المثقفة من الطبقات الوسطى . وادى ذلك بالطبع الى تزايد الصعوبات امام القادة السياسيين الذين يسعون الى التحالف مع البرجوازية الوطنية من أجل توجيه « الضغط الشعبى » باتجاه « الجناح التقدمى » من الحكومات البرجوازية .



كاسترو

على السيطرة على الحركة الشعبية لافتقارهم الى الوسائل النظرية والعملية لذلك ، لزالوا حتى الان عاجزين عن ذلك لاسباب شتى . وثالثا : لان الحركة الكاستروية الفتية التي انبثقت بسرعة ، وحاولت بشكل عفوي ، عقب الثورة الكوبية مباشرة ، ملء الفراغ الذي احدثه غياب القيادات الثورية ، نادرا ما تمكنت من الوقوف على رجليها . فالعفوية واستصغار التدريب ، والاستعداد والدراسة النظرية ، والمشكلات التنظيمية ، والثرثرة ، هي اسباب الفشل السريع الذي منيت به حركة « ابرا وييلدي » في بيرو ، و « الحركة الطلابية الفلاحية العمالية » في كولومبيا ، و « العصب الفلاحية » في البرازيل ، و « اشتراكية الطليعة » في الأرجنتين ، لكن العديد من هذه المنظمات الكاستروية بعد ان تعلمت من اخفاها الاول ، وبسبب احتفاظها بالاندفاع الثوري ، تعمل الان لبلوغ مستويات جديدة من العمل » .

لا مساعدة ليبرالية

وثمة صعوبة أخرى ، تبرز اليوم أمام حركات الكفاح المسلح في أمريكا اللاتينية ، وتتمثل في ان الثورة الكوبية قد كشفت بتحويل كوبا الى الشيوعية ، الهدف الاستراتيجي لكل نضال مسلح اصيل في القارة اللاتينية كشفتته أمام كل البورجوازيين الليبراليين الامريكيين ، الشماليين منهم أو الجنوبيين . وبذا تكون الثورة الكوبية -

من حيث لا ترغب ولا تريد - قد حرمت الحركات الجديدة من ظرف هام توفر لها هي سلفا وكان أحد الشروط التي ساعدت - دون شك - على نجاحها . ذلك ان الثورة الكوبية استطاعت ان تحظى بدعم مادي ومعنوي من السياسيين الليبراليين التقليديين ، الذين كان كاسترو يبدو لهم كمناضل من أجل الديمقراطية ضد نظام باتيستا الدكتاتوري ، ولم يدر بخلداهم قط انذاك انه سوف يتحول الى الماركسية والشيوعية . فقد استطاعت حركة « ٢٦ يوليو » في أشد فترات النضال السري شراسة ان تجمع التبرعات في نيويورك باسم « حقوق الانسان » ، وان تتلقى المعونة المالية « من بيبي فيجويريس » رئيس جمهورية كوستاريكا ، باسم الدفاع عن الديمقراطية ، ومن فنزويلا المتحررة لقوها من دكتاتورية بيسرين جيمينيز ، وان تتسلم طائرة محملة بالاسلحة من لارا زابال زعيم الانقلاب الديمقراطي ، وان تؤمن لنفسها دعاية عالمية ايجابية عن طريق صحف عالمية مثل « لايف » و « باري ماتش » . أما الان ، فقد أصبحت كل هذه الظروف مفقودة أمام أي حركة ثورية مسلحة في القارة ، وليس أبلغ في التعبير عن الظروف الراهنة التي تحيط بالحركات الثورية المسلحة من هذا التساؤل الذي قدمه لريجيس دويريه ، قائد جمهورية فلاحية مستقلة في كولومبيا : « هل تعتقد ان صحفيا مثل هيوبرت ماثيوز سيأتي لاجراء تحقيق صحفي معنا ، أو ان امثال فيجويريس يرسلون لنا المسدسات ؟ وكان الفلاحون آنذاك ، يتأهبون لصد هجوم يعبه الجيش النظامي منذ سنوات بالتعاون مع البعثة العسكرية الامريكية وهم يفتقرون الى كل شيء . والمراكز العالمية القادرة على مساعدتهم بعيدة جدا ، والمال والسلاح ينقصهم ، والحمالات المنظمة تشن عليهم من قبل الصحافة المحلية والعالمية لتشويه أهدافهم ، ومعنى نضالهم ، والعزلة والجوع . تلك هي ملامح الوجه المرير الآخر لنداء الشجاعة المفروض حتما ، على الثوريين المعاصرين » اعتمدوا على قواكم الذاتية » .

وهكذا ازدادت بعد الثورة الكوبية ، التضحيات بالارواح ، وطالت امام الحرب الثورية وازدادت تعقيدا . وأصبح من الصعوبة بما لا يقاس تشكيل جبهة تحرير عريضة ، حيث يوصم كل عمل مناوئ للاستعمار بتهمة « الكاستروية الشيوعية » فيضطر الى اللجوء الى النضال السري . كما ازدادت الان صعوبة بناء الجيوش الشعبية ، لان كل الجيوش

النظامية في القارة تتدرب عسكريا ونفسيا منذ سنوات عديدة على خوض حرب العصابات وتتسلل قوى الشرطة الى المنظمات السرية مكثفة نشاطها التجسسي والقمعي .

ضمانات وفرها كاسترو

وقد قدم الصحفي الشيوعي الفرنسي « جاك ارنو » (٣) تحليلا عميقا آخر للظروف الموضوعية والذاتية التي أدت الى نجاح الثورة الكوبية من ناحية وإلى تعثر أغلب حركات الكفاح المسلح التالية لها، وتزايد المصاعب أمامها من ناحية أخرى ، وذلك بعد قيامه بجولة واسعة ، في بلدان أمريكا اللاتينية . وكانت النتيجة التي وصل إليها جاك ارنو هي ان الشباب في أغلبية الحركات الثورية المسلحة في أمريكا اللاتينية نسقوا أعمالهم مع الأحزاب الشيوعية في هذه البلاد ، لان هذه الأحزاب كانت قد فكرت منذ وقت طويل بحل القضايا وتحقيق الاهداف التي خاض هؤلاء الشباب ، الكفاح من أجل تحقيقها . الا أنه أوضح ان هؤلاء المناضلين حاولوا اتباع طريق قصير لتحرير اعتقدوا انه يتمثل في الكفاح المسلح على غرار الثورة الكوبية . وسار أغلب القائمين بهذه الحركات الثورية على النهج الماركسي اللينيني - وأهم القادة الذين تصدروا الحركات الثورية المسلحة وقتلوا في ساحة المعركة هم «لوبيس دي لا يونتا» و « جافيه هيسرو » ، و « جيليرمو لوبادون » في بيرو ، و « جورج ريكاردو مازيتي » في الأرجنتين ، و « وكوكو » و « روبيرتو بيريدو » في بوليفيا ، و « كاميلو قوريس » في كولومبيا ، و « لويس توركيو ليما » في جواتيمالا ، و « فايريشيو او جيد » في فنزويلا وغيرهم ، هؤلاء جميعا كانوا من المثقفين وفي طليعة المجموعات المسلحة . ويعتبر السبب الرئيسي في فشلهم سياسيا بالدرجة الاولى ، بالنظر الى عدم لجوئهم لمخطط التحليل السياسي الذي تم في كوبا . ذلك ان كاسترو لجأ الى استغلال التوتر السياسي الذي كان سائدا في كوبا ، وانضمت اليه مجموعة صغيرة من البورجوازية الصغيرة واعترفت به ، وتمكن بعد ذلك من الحصول على دعم مجموعة أخرى من البورجوازية التي اسنطاع عزلها عن البورجوازية الوطنية الكبيرة في كوبا . وكانت هذه المجموعة تعمل مع بورجوازية استغلال مشروب الروم ، واستغلال السكر ، وقربية الماشية وزراعة البن ، وتمكن كاسترو من دفعها الى موقف العداء لحكم باتيستا وديكتاتوريته ، والاتجاه الى دعم موقفه هو بالذات دون أي قوة سياسية أخرى

في البلاد . ويشير جاك ارنو اشارة لها مغزاها حين يقول « اننا لم نجد اذذاك في اتجاه فيدل كاسترو أي أثر لليسارية » وذلك لئلا يخيف البورجوازية ، بل على العكس كانت تثق به تماما . وحدد كاسترو برنامجا بعد سقوط باتيستا على اساس تشكيل حكومة مؤقتة من ممثلين عن المنظمات المدنية (ليونز كلوب وروثاري كلوب) وعن اتحاد المهندسين والاطباء والجمعيات الدينية . الخ .

وكان الهدف الرئيسي لهذه الحكومة هو الاشراف على الانتخابات العامة بعد مرور عام واحد فقط . كما لجأ كاسترو في نفس الوقت الى التحويل الاقتصادي والاجتماعي التقدمي ، دون ان يخرج عن نطاق النظام الاقتصادي الرأسمالي . وأعطى أهمية بالغة للرأسمال الوطني ، دون ان يمنع الرأسمال الاجنبي من الدخول الى البلاد مع تمتع هذه الاموال الاجنبية بالضمانات وبحرية التدفق الى البلاد ، وانطلاقا من هذه القاعدة تمكن الرئيس كاسترو من عزل الولايات المتحدة أيضا . وقد دقق حينذاك في حساب خطواته السياسية والاقتصادية على ضوء المناخ السياسي الذي ساد الولايات المتحدة بعد سقوط الدكتاتوريين ماثوويل أودريا عام ١٩٥٥ ، وروجاس بينيلا عام ١٩٥٧ في كولومبيا ، وبيريث جيهمينيز عام ١٩٥٨ في فنزويلا ، واصرار الولايات المتحدة على عدم السماح بمس مصالحها بعد أي تغير سياسي جديد ، يمكن ان يطرأ في إحدى دول القارة .

هذا ، وكان « شي جيفارا » الشهيد العظيم للثورة في العالم ، قد تعرض في كتابه « المثال الكوبي » الذي صدر في عام ١٩٦٠ ، لتحليل المصاعب الجمة التي واجهت حركات الكفاح المسلح في القارة بعد الثورة الكوبية فأوضح « ان الفشل الذي منيت به المجموعات المسلحة يعود أيضا الى أسباب خاصة من وجهة نظر سياسية يحنة ، انه لم تتمكن أية مجموعة من أن توفر الضمانات السياسية الخاصة بحصولها على دعم البورجوازية الصغيرة ، وعلى دعم مجموعة صغيرة من البورجوازية ورجال الدين ، وما لهذه الفئات من أهمية ، وتأثير فعال ، واعتبارها عاملا رئيسيا في نجاح المهمة » .

ويستكمل « جاك ارنو » في بحثه السالف الذكر ، الصورة العامة للمصاعب التي واجهت الحركة الثورية بعامة في القارة فيشير الى أن كفاح الأحزاب الشيوعية يتم في دول أمريكا



أخرى من بلدان أمريكا اللاتينية سيغدو أصعب فأصعب ، خاصة وأن قادة الحركات الثورية قد غدوا يعلمون اليوم أكثر من أى وقت مضى أن نجاحها إنما يتعلق بتجهيز مجموع الطاقات الشعبية وتعبئتها وتوجيهها نحو المجرى العام للحركة الثورية .

أمريكا والعسكرية

القومية الصناعية

وإذا كنا قد بحثنا ونبحث فى هذا المقال ، القضايا المتعلقة بالكفاح المسلح وحرب العصابات فى أمريكا اللاتينية ، نحب أن نشير هنا الى النتيجة ذات الدلالة التى توصل اليها ارثر شليزنجر المستشار السياسى للرئيس الأمريكى السابق جون كيندى والتى أوردها فى مقال « سياسة الولايات المتحدة فى أمريكا اللاتينية » الذى نشره فى مجلة « اتلانتيك » فى يناير ١٩٧٠ ، والذى قدم فيه موجزا لحصيلة النتائج العامة التى توصل اليها من الجولة الاستطلاعية التى كان الرئيس كيندى قد كلفه بالقيام بها فى دول أمريكا اللاتينية بهدف تقديم صورة صادقة عن الاوضاع فى هذه القارة تسمح لواشنطن بوضع سياسة لاتينية جديدة .

وكانت النتيجة التى توصل اليها شليزنجر من بحثه المباشر لاطلاع أمريكا اللاتينية هى أن هناك تراجعا لكل من اتجاهى اليمين التقليدى واليسار التقليدى ، فى هذه القارة ، وتقدما للاتجاهات القومية فيها . وأوضح أن نمو القومية فى دول أمريكا اللاتينية سوف يؤدى الى إعادة صياغة العلاقات بين الولايات المتحدة والقارة اللاتينية ، سواء أرادت حكومة واشنطن ذلك أم لم ترد ، وأن على الولايات المتحدة أن تقابل هذا التيار الصاعد فى القارة اللاتينية بمزيد من الذكاء والكرم ، كى ينجح فى إقامة تضامن جديد أقوى واسلم من كل ما عرف فى تاريخ أمريكا حتى الآن ، ومعنى ذلك أن شليزنجر الذى توصل فى نفس مقاله « الى أنه لا مكان فى هذه القارة للثورة الإسلامية ، يسعى على هذا النحو الى توجيه النصح للحكومة الأمريكية ببحر الحركات الثورية المسلحة ، لا باستخدام اليمين التقليدى المفضوح الذى يتراجع باضطراب ، وإنما بالتنسيق مع البورجوازيات الوطنية الصناعية (وهل يمكن تحقيق ذلك فعلا ؟ »

اللاتينية ضمن شروط صعبة ، فمن الوجهة العملية تمكن الحزبان الشيوعيان فى شيلي وأوروغواى فحسب أن يعمل بمستويات عادية من النشاط ، أما الاحزاب الشيوعية فى كولومبيا ، وبيرو وكوستاريكا ، وبناما ، فكان نشاطها يتحدد حسب العراقيل التى تفرضها السلطات هناك ، فى حين كافحت الاحزاب الشيوعية بشكل سرى فى البرازيل ، والارجنتين ، وباراجواى ، وبوليفيا ، ونيكاراجوا ، وهندوراس ، وسلفادور ، وجواتيمالا ، بسبب الحظر الذى فرض عليها من قبل حكومات هذه الدول .

وأشار كذلك الى رغبة منظمات عديدة فى بعض دول أمريكا اللاتينية ومحاولاتها لأن تحل محل الاحزاب الشيوعية فى هذه الدول ، وكيف باءت هذه المحاولات بالفشل ، بسبب التجارب السطحية لتلك المنظمات اذا ما قورنت بتجارب الاحزاب الشيوعية الطويلة فى البلاد ، وما لها من جذور تاريخية ، وأشار الى أن المقاومة البريرة التى لقيتها هذه المنظمات من النظم الديكتاتورية التى تعمل بتنسيق مع أجهزة القمع والمخابرات الأمريكية كانت هى السبب الرئيسى فيما جابهته من صعاب وعوائق ، ولم يكن السبب كما تعتقد هى ، قلة عدد الرجال الذين انضموا الى صفوفها وكافحوا تحت لوائها .

وأوجز الصحفى الشيوعى الفرنسى « جاك ارنو » فى ختام رحلته الطويلة فى أمريكا اللاتينية النتيجة التى توصل اليها من تعرفه واطلاعه المباشر على اوضاع الحركة الثورية فى تلك القارة بعامية ، وقال فى نهاية المطاف : « وهنا يمكننا الاجابة على أصحاب الراى القائل بعدم اللجوء الى العنف ، والذين يصرون على عدم القيام بالثورة ، ويعتقدون أن مثل هذا العمل ليس فى صالح السلام ، لأن الولايات المتحدة لن تسمح أبدا بإجراء تغييرات اجتماعية جذرية فى بلدان أمريكا اللاتينية . أقول أن هذا يتنافى مع التعاليم الحديثة فى عصرنا الحاضر . واذكر بصورة خاصة الحرب الفيتنامية التى أكدت امكانية نجاح شعب متحد فى القيام بالمقاومة المسلحة الامر الذى وضع الولايات المتحدة فى موقف حرج بسبب تدخلها العسكرى فى فيتنام ، ومغامراتها ، والاضرار التى لحقت بها . أن الظروف الثورية الجديدة وخاصة عندما تتطور فى بلدان أمريكا اللاتينية ستشكل أفضل ضمان للشعوب ضد كل مغامرة جديدة ، وهذا لا يعنى أن تدخل الولايات المتحدة فى فيتنام وفى سان دومينجو سيكون منطلقا لتدخل جديد فى مكان آخر ، كما يذكر بعضهم ، ولكن على العكس من ذلك ، فإن وضع الظروف الجديدة فى الاعتبار ، سوف يؤكد للولايات المتحدة أن تدخلها فى المستقبل فى بلدان

التي ستواصل اتباع الأسلوب الدكتاتوري العسكري في الحكم . وعندئذ كما يرى شليزنجر سوف تنجح الولايات المتحدة في « إقامة تضامن جديد مع أمريكا اللاتينية أقوى واسلم من كل ما عرف في تاريخ أمريكا حتى الآن » والسبيل المباشر المحدد الى ذلك هو التنسيق مع الجناح العسكري القومي الذي يضم في صفوفه ضباطا أنحدروا من الطبقات الفقيرة « وتلقوا تعليمهم وتدريبهم في الأكاديميات العسكرية بالولايات المتحدة واكتسبوا أفكارا متشعبة بالمثل الأمريكية عن الحياة العصرية والمسؤوليات المدنية الخ . . ولكنهم في الوقت نفسه ، عكفوا عقب رجوعهم الى بلادهم على دراسة وسائل النمو ، واهتدوا الى أن الحل الوحيد الذي سيسمح لهم بإلغناء على حرب العصابات ، هو ضرورة الحصول على المساعدة والتأييد الشعبيين ، فأخذوا يطالبون بالبرامج الإصلاحية على المستوى القومي » مع العمل على أبعاد السيطرة الأمريكية المكشوفة كي يكتسبوا صفات الزعامة القومية .

وعلى أية حال ، فلا يمكن على الإطلاق ، استبعاد قيام القوى القومية بدور أكثر أهمية وفعالية في مستقبل أمريكا اللاتينية القريب . وفي هذه الحالة سوف تواجه الحركة الثورية بصعاب من نوع آخر ، لأنها سوف تكافح تبعا لهذا الوضع ضد أنظمة حكم ترقدى المسوح الوطنية ، وتعمل ، بالطرق الإصلاحية ، لتجميع الاستقطاب السياسي في هذه البلاد بين طبقات الأقلية المالكة ، وبين الأغلبية الشعبية المحرومة من ناحية ، ولتضييع معالم التوزيع الاستراتيجي لقوى الثورة وقوى أعدائها ، يخلق كتلة طبقية وسيطة من ناحية أخرى ، يضاف الى ذلك أن مثل هذه الأنظمة الوسيطة تنجح عادة ، والى حين ، في ضم قطاعات جماهيرية أكثر اتساعا ، الى صفوفها مما سيزيد دون شك - والى حين أيضا - من صعوبة العمل الجماهيري أمام رجل العصابات أو مناضل الحزب الثوري - في تلك البلدان .

ازدياد بروز دور الرهبان

هناك ظاهرتان ازداد بروزهما في صفوف الحركة الثورية في أمريكا اللاتينية في الفترة الأخيرة ، أولاهما : هي ازدياد بروز دور الرهبان والاكليروس الكاثوليكي بوجه عام ، في صفوف الحركة الثورية ، وحركة الكفاح المسلح بوجه خاص . إذ يقوم قسم من الاكليروس الكاثوليكي بدعم فعال لحركة التحرر والكفاح المسلح في

أمريكا اللاتينية ، ولا يتعلق الأمر بحالات متعزلة ، وإنما هو يعبر عن تيار عميق متزايد القوة ، يتطور الى الامام على الرغم من المعارضة ، ويدل بوجه من الوجود ، على نضج الازمة الثورية . ففي ساو باولو يشترك رهبان دومينيكان في حرب العصابات بالمدن . وفي مونتفيديو يقود أحد القساوسة مجموعة ثورية يسارية ، وفي بوليفيا ساند خمسون راهبا ، الكفاح المسلح مساندة علنية ، وفي ليما ، يوجد راهب عضو في قيادة جبهة التحرير الوطنية ، وفي بوينس آيريس هناك راهب آخر ، يربط حب المسيح بانتفاضة المسحوقين ، وفي جبال كولومبيا قاتل خوري اسباني في صفوف جيش التحرير ، وفي كل مكان في أمريكا اللاتينية يساهم الاكليروس الكاثوليكي في الثورة الاجتماعية . الا أن الرهبان الثوريين لا يزالون يشكلون اقلية برغم انتشارهم المتسع المتزايد في بلدان القارة . وهذه الظاهرة على أية حال ليست خاصة بأمريكا اللاتينية ، ذلك لان قسما من الاكليروس الكاثوليكي في العالم يهتم بالنضالات الاجتماعية التي يخوضها المسحوقون ، ولكن هذا الاهتمام لا يتجاوز في أغلب الاحيان ، حدود تقديم العون للطبقات الفقيرة ، أما في أمريكا اللاتينية فقط ، فقد وصلت الاقلية الثورية من الاكليروس الى مستوى المناداة علنا بالثورة المسلحة .

وظاهرة ثورة الرهبان الكاثوليك مع الفقراء ، ليست جديدة في أمريكا اللاتينية ، ففي غضون الحقبة الاستعمارية ، قاتل رهبان من امثال « كاميلو هنريكو » و « انطونيو اوريهنا » و « مورلوس هيدالجو » الى جانب الثوار .

ويعتبر الفيلسوف الفرنسي « أماتويل مونيه » من أبرز ممثلي الحركة المسيحية الجديدة ، فهو يرفض ادانة الماركسية مسيحيا ، وينادي بفتح حوار بين المسيحيين والماركسيين ويتنبا بفشل كامل للحزب الديموقراطية المسيحية الاوربية ، لأنها عاجزة عن ادراك السمة الاجتماعية للمسيحية .

والرأي الذي يقول به « مونيه » ، ينشد التقدم نحو ملكوت الله من خلال المساهمة في كفاح أفضل ابنائه : الفقراء والجوعى والمسحوقين ، وهو يرى أن التزاما كهذا لا يكون ممكنا الا بواسطة تجسيد مسؤولية الانسان الاجتماعية ازاء اخيه الانسان ، أي بواسطة الاشتراكية .

وقد أثر فكر مونيه وعمله على عدد من المثقفين الكاثوليك ، ولكن حركات التحرير المتزايدة النمو لدى شعوب « العالم الثالث » هي التي حركت بصورة خاصة تفكير وضمائر الصفوف الدنيا من رجال الاكليروس الذين يعيشون في هذه المنطقة من



١٩٦٦، خلال معركة حامية بين فصائله وبين قوات
الاوليجاركية الكولومبية .

وقد أعلن الاب « كارلوس بيريز هيريرا » خوري
« سانتا انا » حينذاك « أن الراهب توريز فتح
الطريق التي سيلتزم بها الآن عدد من المثاليين
المتعطشين للعدالة » ، وأكد الراهب الارجنتيني
جارسيا لوريو الذي انشأ مجلة اسمها
« المسيحية والثورة » : « أن موت كاميلو جعلني
أدرك أنني اذا لم أحارب الى جانب شعبي ، فلن
أكون الا مرتدا » . وقد جاء في أول مقال افتتاحي
لهذه المجلة : « نحن جميعا في حالة حرب . والامر
هو أن نعرف في أي معسكر نحن ، فليس ثمة طريق
ثالث . ينبغي مواجهة العنف الذي تستخدمه
الحكومة لقمع انتفاضة الشعب . واننا نعلن تحت
راية كاميلو ، الحرب الشاملة على الاستغلال
والامبريالية والتخلف ، وعلى جميع أولئك الذين
يخونون وطننا هنا وفي الخارج . اننا نؤكد
ضرورة الثورة - الوسيلة الفعالة الوحيدة لتحقيق
العالم الاخوي الذي يشترط به المسيحية » ، وجدير
بالذكر ، أن جيش التحرير الوطني في كولومبيا ،
اذاع في ١٤ فبراير ١٩٧٠ بيانا للاب دومينجو
لايين يعلن فيه : « لقد اخترت طريق الكفاح
المسلح ، لانه لا يوجد في مواجهة القمع والعنف
الرجعي من جانب الانظمة القائمة في كولومبيا
وأمرىكا اللاتينية حل آخر ، سوى العنف الثوري
والثوري » . وعلى هذا النسق ، يواصل الراهب
ورجال الاكليروس الثوريون في أمريكا اللاتينية ،
ويشكل متزايد ، تأييدهم ومساندتهم بل ومشاركتهم
المباشرة المشرقة في حركة النضال الثوري في
القارة .

انتقال حرب العصابات الى المدن

والظاهرة الثانية التي ازداد بروزها في صفوف
الحركة الثورية في أمريكا اللاتينية في الفترة
الاخيرة ، هي ازدياد نشاط حرب العصابات في
المدن على حساب الريف ، ذلك أن حوادث الفترة
الاخيرة ، وتطور الكفاح الثوري المسلح فيها
فرض بالفعل مزيدا من الانتباه والإهتمام الى
الدور الذي تضطلع به وحدات العصابات

العواصف والبؤس . فلاحظ الراهبان والمبشرون أن
الشعوب تعاني قمعا متواصلا متزايدا من جانب
الرجعيات المحلية والامبريالية الاجنبية ، وبدأوا
ينسحبون بـ « الفساد القائم » الذي
يسود « النظام » ، وأكثر فأكثر بشروا بأن الظلم
الذي يسود حولهم ، إنما هو ظلم ضد الله . ولم
يكن موقفهم هذا سهلا ، لانه بدأ يعرضهم لردود
قمل عنيفة من جانب الرجعيات الاوليجاركية
الحاكمة ، ولكنهم تحملوا اعباء الخطر والمسئولية
وبدأوا بمساندة الاضرابات الشعبية القائمة ضد
التروستات والاحتكارات المحلية والاجنبية .

وازاء هذا التطور الانساني المشرق لبعض
رجال الاكليروس في هذه القارة الغربية ، لم يعد
محلا للاستغراب قط أن تسمع أحد الراهبان
الكاثوليك - (الاب نجريروس) ، يخاطب أبناء
كنيسته في منطقة سانت كروز بشمال شرقى
البرازيل قائلا : « انكم تريدون عذرة لتعطوا حليبيها
لصغاركم ، واذا أقدم المالك على قتل عذرتكم فانه
يهدد حياة صغاركم ، فلا تتركوه يقتل عذرتكم ،
اقتلوه أولا » .

وقد بلغت مشاركة الراهبان في الحركة الثورية
بأمريكا اللاتينية ذروتها في كولومبيا على يد
الراهب كاميلو توريس ، الذي ولد في بوجوتا
العاصمة لاسرة بوجوازية ، وأنطلق في طريق
الكفاح المسلح لتحرير بلده ، كراهب وعالم اجتماع
وسياسي ثوري . وكان لتوريس شعبية كبيرة للغاية
وسط طلاب جامعة بوجوتا التي عمل بها . وقد
عين عميدا لمعهد علم الاجتماع والادارة
الاجتماعية ، فأتاح له ذلك فرصة أكبر للتعرف على
واقع كولومبيا ، فوجد أن ٣٦ في المائة من الملاك
يستحوذون على ٦٤ في المائة من الاراضي
المشجرة ، و ٥٦ في المائة من الفلاحين يملكون ٢٤
في المائة فقط من الاراضي . وكان الموقف الذي اتخذه
كاميلو ثوريا حقا ، إذ نادى بتكوين جبهة موحدة
مع اليساريين على أساس برنامج عمل واضح
وقال : « أن الاخلاق تأمرنا باستخدام العنف
للقضاء على العنف الذي تمارسه الاقطاعيات
الاقتصادية على شعبنا » والتقى كاميلو في يوليو
١٩٦٥ « بغايو فاسكنز كاستانو » القائد الاعلى
لجيش التحرير الوطني فاتفقا على استراتيجية
وتكتيك موحدين . واهتم الاب كاميلو بانشاء
الجبهة الموحدة ، فاتصل بالعمال والطلاب
والفلاحين والشباب الكاثوليك والليبرالي . وقد
اعتقله البوليس أكثر من مرة . وطاف كاميلو
انحاء كولومبيا وأسس وحدات لحرب العصابات ،
وغادر بوجوتا في عام ١٩٦٥ والتحق بصوف
القوات الثورية المسلحة ، واستشهد في فبراير

دائما ، فهو تحديد الاسلوب أو الشكل الحاسم الذى عن طريقه فقط يمكن للثورة أن تنتصر ، ذلك أنه مهما كانت النكبات والذكسات المؤقتة التى أصيب ويصاب بها الكفاح فى الريف ، فانها لا يمكن مطلقا أن تلغى تجربة عشرات السنين من النضال الثورى فى العالم ، وسنوات طويلة من النضال الوطنى فى أمريكا اللاتينية بالذات ، كما أنه مهما كان النجاح الملحوظ الذى تحقق فى المدن فى الفترة الاخيرة ، فانه لم يصل بعد مطلقا الى حد وضع اسلوب الكفاح المسلح المنطلق من الريف موضع الشك ، حيث لا تستطيع قوى القمع محاصرة الثوار ودك مواقعهم كما تفعل فى المدن التى تعتبر القلاع الرئيسية للحكومات .

وبعد ***

فان الامبريالية الامريكية تلعب فى أمريكا اللاتينية آخر أوراقها ، الورقة الحاسمة التى ستحدد نهايتها ، « وان ضرب الامبريالية الامريكية فى أمريكا اللاتينية يعد بالنسبة لها ، اصابة فى صميم وجودها ، كامبريالية دولية . فبعد أن تطرد هذا من آسيا ، لن تجد أرضا تشهد نهايتها غير أمريكا اللاتينية » (٤) . ولعل ذلك هو الذى يفسر ضراوة النضال الثورى فى تلك القارة التى دار ويدور وسيدور فيها هذا النضال ، فى ظروف بالغة الحدة والقسوة ، وأكثر الامور أهمية فى هذا الصدد هو ألا يكون الكفاح المسلح فى أمريكا اللاتينية مجرد مغامرات فردية معزولة بلا مستقبل وانما يكون حقا جزءا من التجهيز الاستراتيجى العام للثورة المقبلة الشاملة فى هذه القارة .

وعلى أية حال ، فهذا هو واقع هذه القارة ومستقبلها ، والتفسير لما دار وسيدور عليها من صراع عنيف هات ، هو قاسم مشترك أعظم ، فى نهاية الامر ، فى عمليات التحول التاريخى الكبرى كافة ، لأنه كما قال الزعيم العظيم للثورة الصينية ، موجزا كل حكمة الثورة وخبرتها : « ليست الثورة مادية ، ولا كتابة مقال ، ولا رسم صورة ، ولا تطريز ثوب ، فلا يمكن أن تكون بمثل تلك اللباقة والوداعة والرقعة ، أو ذلك الهدوء واللفظ والادب والتسامح وضبط النفس . ان الثورة انتفاضة ، وعمل عنف تلجأ اليه احدى الطبقات للطاحاة بطبقات اخرى » (٥) .

والجماهير فى المدن ، فى العملية الثورية فى أمريكا اللاتينية ، خاصة وان الانتصارات الاخيرة التى تحققت لحركات الكفاح المسلح فى هذه القارة ، قد تحققت فى المدن . تشهد على ذلك النجاحات المدوية المشهودة التى حققتها حركة « قوباماروس » فى أروجواي . وليس ثمة شك أن هناك تركيز ملحوظ الآن لنشاط حرب العصابات فى المدن ، بالمقارنة مع نشاطها السابق فى الريف فى الفترة التى تلت نجاح الثورة الكوبية مباشرة وحتى استشهاده شى جيفارا سنة ١٩٦٧ ، وقد أجمعت تقارير المخابرات الامريكية على أن « حرب العصابات قد انتقلت الى المدن » ، ووافق على هذا الرأى مؤتمر رؤساء أركان حرب جيوش أمريكا اللاتينية فى ريو دى جانيرو مؤخرا ، وبدأ انطلاقا منه ، تنظيم حملات العنف والمواجهة الدموية للطلاب والعمال والمتقنين فى المدن ، مثال على ذلك ما حدث فى نوفمبر ١٩٦٨ فى مكسيكو حيث قامت قوات الامن المكسيكية بمهاجمة اجتماع نظمته لجنة الاحزاب الوطنية ، بالذبايات ونار القناصة فاردت فى الاجتماع حوالى ٦٠ قتيلا ومئات الجرحى ، وهو الحادث الذى اشتهر باسم « مجزرة ساحة الثقافات الثلاث » ، وغيره من الحوادث المماثلة كثير .

على أنه اذا كان عدد من المراقبين السياسيين يرون أن النجاحات التى حققها ثوار أمريكا اللاتينية فى المدن فى الفترة الاخيرة ، ستعيد من جديد الاعتبار للامكانيات التى تقدمها المقاومة المدنية لقضية الثورة ، فان العدد الاكبر منهم يبدون تشككهم مع ذلك فى المدى العملى لهذه الامكانيات . ويرون انها لا تزال ضمن حدود النضال السلمى الذى يواجه بأقصى درجات العنف وسفك الدماء من قبل الانظمة العميلة للولايات المتحدة ، كما يرون أن مجزرة ساحة الثقافات الثلاث ، ليست شهادة للامكانيات التى تقدمها المدينة ، لأن مئات الضحايا راحوا لمجره المبادرة والدعوة الى عقد اجتماع عام يندد بالحكومة مما يؤكد دون شك عبارة كاسترو الشهيرة : « المدينة مقبرة الثوار والموارد » .

وعلى أية حال ، فالسؤال الجوهرى بالنسبة لهذه النقطة هو أنه اذا كانت كافة أشكال النضال الوطنى التحررى فى أمريكا اللاتينية لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار مجتمعة ، فان ما يبقى أساسيا

(٤) شى جيفارا : رسالة الى شعوب العالم « فلنخلق أكثر من قيتام واحدة »
(٥) مائوسى تونج : تقرير عن تحقيقات فى حركة الفلاحين فى خوان - مارس ١٩٢٧ - المؤلفات المختارة - المجلد الاول .



شهادتان

وفي النهاية ، فأننا سوف نقدم هنا شهادتين واقعتين تلونهما العاطفة ، وأن كانتا تحفلان في الحقيقة بمفراهما السياسي الكامل بصدد القضايا التي طرحها هذا المقال .

الشهادة الاولى ، فقرة من رسالة بعثت بها السيدة ليما بينا ساتاميني التي تعمل مترجمة في الولايات المتحدة الى البابا بولس السادس ، والثانية رسالة بعثت بها السيدة ديلما بيرجيس ليبرا زوجة الصحفي البرازيلي الثوري الشهير ماريو الفيس فييرا الى زوجة الوزير دياز جوميد ، قنصل البرازيل في اورجواي ، الذي اختطفه ثوار توباماروس .

وقد بعثت السيدة الاولى ليما بينا ساتاميني التي تعمل مترجمة بالادارة الدولية في الولايات المتحدة برسالتها الى البابا بولس السادس عن طريق الاب « كولونيسي » مدير القسم الأمريكي اللاتيني في المؤتمر الكاثوليكي بالولايات المتحدة . وهذه السيدة تعيش في أمريكا الشمالية منذ اثني عشر عاما . وقد ألقي بوليس ساوباولو في البرازيل (القبض على ابنها العالم الجيولوجي الشاب (ماركوس أرودا) (٢٩ سنة) في مايو ١٩٧٠ ، وبعد أن ترددت على عدة سجون ، وصلت في النهاية الى وزارة الحربية حيث استطاعت أن ترى ابنها . ونقول في رسالتها الى البابا : « كانت سائته اليمنى مشلولة . وعينه اليمنى مضمة

تاما ، وعينه اليسرى نصف مفتوحة . ويهتز جسده باستمرار بتشنجات قصيرة . ويجد صعوبة في ابتلاع الطعام . وقد استشرت اخصائيا في الامراض العصبية قال لي انها اعراض نزيف في المخ بسبب الضرب » وبعد ذلك طلبت مدام ساتاميني مساعدة المحامين للافراج عن ابنها . وقد جاء في رسالتها « قال لي المحامون ان هناك حوالي ١٢٠٠٠ حالة مثل ابني ، تحفظ البوليس على معظمهم دون ابلاغ المحاكم كما يقضي بذلك القانون » (٦) .

اما السيدة الثانية ديلما بيرجيس ليبرا زوجة الصحفي الثوري فقد قالت في خطابها الى زوجة القنصل البرازيلي المخطوف (٧) : « بوسعنا جميعا ان ندرك مدى شعورك بالآلم والقلق . ان التقارير الصحفية اليومية المكتوبة والمنطوقة عن ماساتك ، وعن زوجك الذي يتولى وظيفة هامة ، ويعمل في خارج البلاد قد اقعبت على اهدات ذات طبيعة سياسية ، ولكنك لا تصرخين بمفردك » .

« أما ألامى أنا ، وما أشعر به من آسى . فان اهدا لا يكتب عنها شيئا . بل اننى أصرخ وحدى ، فليست املك الوسائل التي تجعل صوتي مسموعا ملك ، كي اقول للصحف ان الما كبيرا قد أمضى قلبي ، واننى أريد ان يعود زوجي » .

« ان زوجك على قيد الحياة ولاشك انه سوف يعود . ولكن زوجي ذبح ولقى مصرعه تحت وطأة تعذيب شرطة الجيش ، وأعدم دون اجراءات قانونية ، دون محاكمة . واننى اطالب على الاقل بجثته . وحتى اللجنة البرازيلية لحقوق الانسان لم تعرنى اذنا صاغية ، وليست أدري ما الذى فعله البوليس بزوجي ، ولا أين القوا بجثته » .

« لقد كان اسمه « ماريو الفيس دى سوسا فييرا » ، وهو صحفي ، ألقي القبض عليه في ١٦ يناير ١٩٧١ في جواثيبارا بربو دى جاتيرو ، بواسطة الجيش وحمل الى مقر قيادة البوليس الخامس ، وضرب بوحشية ليلا ، وطعن بهراوة ذات اسنان ، وسلخ جلده بفرشاة من السلك لانه رفض الاجابة على اسئلة وجهها اليه معذوبه من رجال الجيش والبوليس السرى » .

« ان بعض المسجونين الذين كان عليهم ان يتوجهوا الى غرفة التعذيب لمسح الارض ، راوا زوجي يحتضر ، وقد سالت الدماء من فمه وانفه ، وهو ممدد على الارض ، ويطلب بعض الماء ، في حين كان معذوبه من العسكريين يضجون بالضحك ولا يسمحون لاحد بمساعدته » .

« اننى ادرك انك لست في موقف يسمح لك بتقدير مدى ما احس به من الآلم ، لان الآلام التي يعانيها كل منا ، لهى أشد على الدوام من الآلام التي يعانيها الآخرون . ولكن ، يحدونى الامل في أنك سوف تفهمين الظروف التي أدت الى اختطاف زوجك ، والى تعذيب زوجي الى ان مات » .

« فنحن نحس بنفس الآلام ، والمهم هو ان نتحقق مما اذا كان «العنف» في صورة الجوع ، والبؤس ، والقمع، والتأخر، والتعذيب ، ليس هو السبب في العنف الذي يأخذ صورة الخطف ، والارهاب ، واعمال رجال العصابات . وانه لامر بالغ الاهمية ان نكتشف من الذى يتسبب في العنف . اهم اولئك الذين يعيشون بمنأى عن البؤس ، ام اولئك الذين يتأتون ضده » .

« ان ماتعائنه من ياس وآلم يدل على ان زوجك ، كان رجلا صالحا ، وانه كان مطلوبا ، وانه كانت له اهمية كبيرة في حياتك » .

ولقد كان زوجي ماريو الفيس ، رجلا صالحا ايضا ، ولقد افقده كثيرا ، وكانت له ابنة يعبدها ، وكان ذكيا ومنقفا ، ولم يصب اى انسان باذى » .

« لقد مات من اجل اولئك الذين عانوا من الاضطهاد ، واولئك الذين يطالبون بالعدالة ، ومن لا يستمليون التعبير عن آرائهم ، ومن لا يملكون الفرصة لذلك . لقد تأهل من اجل ان تستغل الموارد البشرية والمادية الهائلة في بلادنا للمنفعة المشتركة . واننى اتمنى خاتمة سعيدة لهذه الحادثة ، لكل من زوجك وثوار «توباماروس» » .

ديلما بيرجيس فييرا

وكما هو معروف الان ، فان القنصل البرازيلي دياز جوميد ، قد عاد الى منزله ، الى زوجته وبنيه ، بعد ان اطلق ثوار «توباماروس» سراحه اما الصحفي الثوري ماريو الفيس فلم تعثر له على جثة ، حتى تقام له جنازة » .

(٦) عن مجلة « الحركة النقابية العالمية » ر عبد مارس ١٩٧١ .

(٧) عن صحيفة « تريبيون » البريطانية بتاريخ ١٩ - ٢٠

قاموس سياسي واقتصادي

أمريكا اللاتينية

يعتمد على تربية الماشية والصوف والحبوب ، وتنتج الماشية لسد حاجة أوروبا الغربية . والقمح هو المحصول الرئيسي . والصناعة تتركز أساسا في تعليب اللحوم ، وترتفع أسعار الحياة بصورة مضطربة منذ زادت ستة أضعاف في ١٩٦٩ عنها في ١٩٦٠ .

بوليفيا

■ المساحة : ١٠٩٨٠٨٠ كم^٢
■ السكان : ٤٠٠٠٠٠٠ نسمة
■ العاصمة : سوكرا . لا بازا متن الحكومة .
■ اللغة : الإسبانية .
■ التطور التاريخي : بدأ الإسبان في استعمارها في ١٥٣٥ مع اكتشاف مناجم الفضة فيها وفي ١٨٠٩ نشأت بها حركة الاستقلال بتأثير أفكار الثورة

يمنى بقيادة جران آونجايا الذي ألفى البرلمان والأحزاب .

■ الأحزاب : تعتبر البيرونية أو « الحركة العدلية » أكبر قوة سياسية في البلاد ، وهي ليست حزبا بالمعنى الحرفي ، إذ تضم عدة اتجاهات سياسية ، وتدخل الانتخابات بأسماء مختلفة مثل الاتحاد الشعبي . أما أهم أحزاب الوسط هي : الاتحاد المدني الراديكالي للشعب ، والاتحاد المدني الراديكالي ، وحركة التكامل والتنمية وقائده فرونديزي . أما أحزاب اليمين فهي : الاتحاد القومي لأحزاب الوسط [وهو محافظ تقليدي] واتحاد شعوب الأرجنتين والحزب الديمقراطي المسيحي [يمين] . وقد انبثق من الحزب الاشتراكي القديم : الحزب الاشتراكي الديمقراطي [يمين] والحزب الاشتراكي الأرجنتيني (وسط يسار) وأهم المجموعات الماركسية هي الحزب الشيوعي .
■ النقابات : يضم الاتحاد العام لعمال ٢ مليون .
■ الاقتصاد : الأرجنتين بلد زراعي

الأرجنتين

■ المساحة : ٢٧٧٦٦٠٦ كم^٢
■ السكان : ٢٣٣٧٥٠٠ نسمة .
■ العاصمة : بوينس آيرس .
■ اللغة : الإسبانية .
■ التطور التاريخي : اكتشفها الإسبان في ١٥١٦ وبدأ استعمارها في ١٥٣٧ . استقلت في يوليو ١٨١٦ .
■ تأسس الحزب الشيوعي في ١٩١٨ .
■ وفي ١٩٤٦ وصل جوان بيرون إلى السلطة بتأييد من العمال ، واستمر في الحكم حتى ١٩٥٥ حين أطيح به في انقلاب ، وفي ١٩٦٣ انتخب أرثوريو أيليا وسمح لانصار بيرون بالاشتراك في الانتخابات لأول مرة وظهر نفوذهم واضحا . وفي ١٩٦٦ حدث انقلاب

كولومبيا

- المساحة : ١١٣٨٠٣٣٨ كم .
- السكان : ٢١١٥٦٠٠٠ سنة ٢٠٠٠
- العاصمة : بوجوتا
- اللغة : الإسبانية

■ التطور التاريخي : اكتشفت في الفترة من ١٥٠٠ إلى ١٥٣٨ ووزعت الأرض على الغزاة والتجار والاعبان . ونشب الصراع بين المولدين والإسبان في ١٧٨١ . وأطلقت بها " صرخة الاستقلال " في يوليو ١٨١٠ خلال هبة شعبية ، وأعلن الاستقلال في ١٨١٢ ولكن أعيد حكم الإسبان في ١٨١٧ . وحررها بوليفار وأعلنت الجمهورية في ١٧ ديسمبر ١٨١٩ . واختير بوليفار رئيسا ومات في ١٨٢٠ . وصنّف الدستور في ١٨٨٦ ، وتميز القرن ١٩ بالحروب الأهلية بين الليبراليين والاحتفاظين وزاد تسلسل أنجلترا التي سيطرت على البن المحصول الأساسي . ولكن سرعان ما حلت أمريكا محلها .

وبين ١٩٤٨ ، ١٩٥٧ احتدمت الحرب الأهلية بين الليبراليين والمحافظين وفي ١٩٥٧ تكونت حكومة تضمها معا . ولم تعدل الدستور ١٩٥٩ بما يقضى بتبادل الرئاسة بين الحزبين كل أربع سنوات . وقد أعلنت الطوارئ في ١٩٦٥ واستمرت حتى ١٩٦٨ . وفي عام ١٩٦٩ زادت الاضطرابات السياسية وانفجرت حرب العصابات .

■ الأحزاب : في ١٩٥٧ وقع ميثاق بين الحزبين الليبرالي والمحافظ يقضى بتبادل الحكم بينهما حتى عام ١٩٧٣ وهذا الحزبان هما الوحيدان الذي يعترف بهما القانون .

أما الحزب الشيوعي فقد تكون في ١٩٣٠ وهو شبه شرعي في المدن ولكن أعضائه مطاردون في الريف . ويمثل الحزب المحافظ الذي أسس في القرن التاسع عشر ، مصالحي كبار الملاك والرأسماليين وينقسم إلى ثلاث تيارات أما الحزب الليبرالي فيمثل القسم الأقل تخلفا من البورجوازية .

■ النقابات : يشترك العمال في ثلاث اتحادات هي : الاتحاد المركزي لعمال كولومبيا المرتبط بالحكومة ، واتحاد عمال كولومبيا ، والاتحاد النقابي للعمال .

■ الاقتصاد : تبلغ العمالة ٣٣٪ من السكان يعمل مايزيد عن نصفهم في الزراعة وحوالي ١٠٪ في الصناعة . وتعتمد الحياة الاقتصادية على البن .

- العاصمة : برازيليا
- اللغة : البرتغالية

■ التطور التاريخي : نزل بها البرتغاليون في عام ١٥٠٠ وبدأوا استعمارها في ١٥٣١ وزرع بها كبر الملاك العقاريين قصب السكر بواسطة العبيد الذين تم جلبهم من أفريقيا . وفي القرن السابع عشر اكتشف بها الذهب وحل استغلال المناجم محل الزراعة . وفي ١٧٨٩ هبت حركة الاستقلال في قوية عنيفة ، وأعلن الاستقلال في ١٨٢٢ . وأعلنت الامبراطورية فيها برئاسة بيدرو الأول الذي استقل في ١٨٢١ . وفي نوفمبر ١٨٨٩ ألغيت الملكية وأقيمت الجمهورية الأولى التي استمرت حتى ١٩٣٠ وتميزت بالفساد وخضعت البلاد من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٥ لدكتاتورية فارغاس . وفاضل ضدها الشيوعيون والاشتراكيون . واميد فارغاس في ١٩٥١ ولكنه انتحر في ١٩٥٥ . وتولى كويتشيك الذي بنى برازيليا وأعطه كواروس ثم الإصلاح جولارت الذي أطاح به برانكو في ١٩٦٤ وتولى دي سيلفا الحكم في ١٩٦٦ . وفي ١٩٦٨ تولى الرئاسة داكوستا دي سيلفا ، وأصدر دستوراً يخوله كل السلطات ، وأعلن حالة الطوارئ في ١٩٦٩ وأُغتيل في عهده ٣٠٠ مناضل . وقام الجيش بانقلاب ضده . وفي ١٩٧٠ اتسعت حرب العصابات خاصة في المدن .

■ الأحزاب السياسية : يساند الاتحاد الديمقراطي القومي الذي تقوده بورجوازية الاممال وتؤيده الطبقة المتوسطة ، الدكتاتورية العسكرية . وفي ظل فارغاس نشأ في ١٩٤٦ الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي يمثل كبار الملاك . أما الحزب العمالي البرازيلي فيمثل البروليتاريا الصناعية تحت قيادة شعبية . وتسيطر هذه الأحزاب الثلاث على ٧٠٪ من الناخبين وهناك ١٢ حزبا آخر .

أما الحزب الشيوعي فقد تأسس في ١٩٢٢ وحصل على ٥٠٠ ألف صوت في انتخابات ١٩٤٥ واحتل المكانة الرابعة وقد تمتع بحرية نسبية في ظل حكومتى كويتشيك وجولار .

■ النقابات : يشترك العمال في النقابات والاتحادات بمقتضى القانون . ولكل خيس نقابات أن تكون اتحادا . ■ الاقتصاد : يقدم الانتاج الزراعي ٢٥ في المائة من الدخل القومي و ٧٠ في المائة من الصادرات ، ويعتمد أساسا على البن والكاكاو ، ويستخرج الحديد والمنغنيز ، وهناك صناعة للنسيج والبتروك والنحاس .

وتبلغ نسبة العمالة ٣٠.٧٪ من السكان يعمل بالزراعة ٤٨.٨٧ في المائة ، وفي النقل والمواصلات ٣٢.١٢٪ ، والصناعة ١٨.٨٪ . وتمثل البطالة ١٨ مليون . وتبلغ الاستثمارات الاجنبية ٣٦٧٢ مليون دولار منها ١٣٥٠ مليون دولار تملكها أمريكا .

الفرنسية ولكنها لم تتحرر الا مع وصول جيوش بوليفار ، وأعلنت الاستقلال في أغسطس ١٨٢٥ باسم جمهورية بوليفار وتولى الحكم المولدون أصحاب المناجم والمزارع وتكونت عدة حكومات محافظة دخلت في صدام مع الليبراليين الممثلين للتجار ، واستولى الأجانب على ثرواتها بعد اغراق البلاد في الديون . فقد زاد تسرب رأس المال الأمريكي فسي عشرينات القرن الحالي وفي ١٩٥٢ وصل استئسرو للحكم بتفويض شعبي وأمم مناجم التصدير وقام ببعض الإصلاحات . وعاد الى الحكم في ١٩٦٠ و ١٩٦٤ ولكن حربه « الحركة القومية الثورية » فقد تأييد الشعب . وفي ١٩٦٧ بذات حرب العصابات بقيادة شي جيتارا ولكنه قتل بمؤامرة أمريكية . وفي ١٩٦٩ تسلس رئيس الجمهورية وتولى نائبه وحاول القيام بعدة اصلاحات اجتماعية . وفي سبتمبر ١٩٦٩ اشتدت حرب العصابات . وتم انقلاب ذي اتجاه متقدم بقيادة أوفاندا ، صادر وأمم شركات البترول الأمريكية . وحاول اليمين في ١٩٧٠ القيام بانقلاب ولكن الضباط اليساريين استولوا على السلطة بقيادة جوان ثوريز . وفي أكتوبر ١٩٧١ نجحت المخابرات الأمريكية في الاطاحة بحكمه .

■ الأحزاب : أهم الأحزاب الشعبية الحركة القومية الثورية ونفوذه قوى في الاوساط الزراعية ، والحزب الثوري لليسار الوطني ونفوذه الأساسي بين جماهير العمال وجانب من الفلاحين . والحزب الشيوعي ونفوذه الأساسي بين بروليتاريا المناجم وعمال الصناعة . أما القوى البرجوازية فتتجمع في حزب الفالانج الاشتراكي البوليفي .

■ النقابات : التنظيم الأساسي هو اتحاد عمال بوليفيا ويضم ٢٥ ألفا من عمال المناجم ويعرض لطاردة الحكومات العسكرية .

■ الاقتصاد : الانتاج الأساسي هو التصدير ويمثل ٨٠٪ من الصادرات ويستخرج أيضا الرصاص والفضة والزنك والبتروك . وتبلغ نسبة العمالة ٥٠.٦٪ من مجموع السكان . يعمل ٦٥.٧٪ منهم في الزراعة وتربية الماشية و ٢.٧٪ في المناجم ، و ٢.٧٪ في الصناعة وتبلغ البطالة ١٢٪ من العمال ، وتبلغ الاستثمارات الاجنبية ٢٠٦ ملايين دولار تملكها الولايات المتحدة في الأساس .

البرازيل

- المساحة : ٨٥١١٩٦٥ كم مربع
- السكان : ٩٢٢٣٧٥٧ سنة ٢٠٠٠

كوستاريكا

- المساحة : ٥٠.٧٠٠ كم ٢ .
- السكان : ١.٨١.٥٠٠.٠٨١ نسمة .
- العاصمة : سان جوزيه .
- اللغة : الإسبانية .

■ التطور التاريخي : اكتشفها كولبس في رحلته الرابعة في ١٥٠٢ . وبدأ الإسبان غزوها في ١٥٠٩ وفي ١٥٢٩ الحقوها بجواتيمالا ثم استقلت في ١٨٢١ ، وفي ١٨٢٢ ضمت للمكسيك ، وفي ١٨٢٣ ضمت لاتحاد وسط أمريكا ، واستقلت في ١٨٢٨ . وزادت مساحة زراعة البن بها ، وبدأ التسرب الأمريكي . وفي ١٨٥٧ غزاها وليام ووكر الأمريكي بتحريض ملك العبيد في جنوب الولايات المتحدة الذين أرادوا إلحاقها بأراضيهم لتدعيم موقفهم في مواجهة الولايات الشمالية . وفي بداية القرن العشرين زاد التدخل الأمريكي واشتد النضال العمالي . وأصبح الموز يمثل ٤٦٪ من الصادرات والبن ٢٨٪ منه . وفي ١٩٤٨ أدى تزوير الانتخابات إلى الحرب الأهلية وتولى الحكم جوزيه فيجوير رئيس الحزب الاشتراكي للتحرير الوطني ، الذي تولى أيضا في ٥٣ - ١٩٥٨ ، وفي ١٩٧٠

■ الأحزاب : أحزاب البرجوازية هي : الحزب الليبرالي الوطني ، والحزب الجمهوري الوطني ، والحزب الاتحادي الوطني ، والديمقراطي المسيحي . أما القوى الثورية فتنظف في حزب الطليعة الشعبية الذي تكون في ١٩٤٣ وحزب العمل الديمقراطي الشعبي الذي تشكل في ١٩٦١ واشترك في انتخابات ١٩٦٢ مؤيدا من الشيوعيين ، وحزب التحالف الشعبي الاشتراكي الذي تأسس في ١٩٦٥ ، والحزب الاشتراكي الكوستاريكي تكون في ١٩٦٢ . وهو حزب غير شرعي .

■ النقابات : الاتحاد العام لعمال كوستاريكا ، وتكون في ١٩٤٣ وهو أقوى التنظيمات .

■ الاقتصاد : تبلغ نسبة العمالة ٣٠٪ من مجوع السكان يعمل منهم في الزراعة وتربية الماشية ، ١١٪ منهم في الصناعة ، و ٣٪ منهم في المناجم و ١٥٪ في الخدمات وتبلغ الاستثمارات الأجنبية ٦٣ مليون دولار معظمها تملكه أمريكا ، والإنتاج أساسا زراعي .

كوبا

- المساحة : ١١٤.٥٢٤ كم ٢ .
- السكان : ٨.٥٥٣.٣١٥ نسمة .

■ العاصمة : هافانا ■

■ اللغة : الإسبانية ■

■ التطور التاريخي : نزلها الإسبان

في ١٤٩٢ ووجدوا بها حوالي ١٠٠ ألف من السكان المحليين أخضعهم للعبودية وانخفض عددهم إلى ٥ آلاف فاحتل فجلب الإسبان الأفريقيين .

وقد احتلت إنجلترا هافانا في النصف الثاني من القرن ١٨ ، وبدأ الصدام بين المولدين الذين نما وعيهم الوطني وبين الإسبان ، وقد ساهمت حركة الاستقلال التي تفجرت في أمريكا الإسبانية في القرن التاسع عشر في بعث المقاومة في كوبا وانفجرت حرب الاستقلال في ١٨٦٨ ثم تفجرت مرة أخرى في ١٨٩٥ وعندما اتضح أن إسبانيا ستهزم أعلنت أمريكا الحرب عليها . وعندما انتصرت أمريكا احتلت كوبا في ١٩٠٢ وحصلت على امتياز قاعدة جواتيمالا . ورفضت أمريكا بالتعامل مع البرجوازية سيطرتها الاقتصادية وفي ١٩٢٥ تكون الحزب الشيوعي . وفي ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ بدأ التمرد ضد باتيستا بقيادة كاسترو وعندما قبض عليه القي في المحكمة خطبة عرض فيها البرنامج السياسي والاقتصادي والاجتماعي لحركة ٢٦ يوليو وخلال النضال توحدت حركة ٢٦ يوليو وحركة الإدارة الثورية وحركة ١٣ مارس ، والحزب الاشتراكي الثوري وأنسوا بعد النصر «الحزب الموحد للثورة الاشتراكية في كوبا» . وقد نظم كاسترو في ١٩٥٦ مجموعة مسلحة في المكسيك نزل بها على شاطئ جرافا وجبال سيرامايسترا وسقط باتيستا في أول يناير ١٩٥٩ وفي أبريل ١٩٦١ دبرت أمريكا عملية خليج الخنازير لغزو كوبا ولكن الشعب قضي عليها في ٧٢ ساعة .

■ الأحزاب : وتم خل الأحزاب الرجعية وتكوين الحزب الموحد للثورة الاشتراكية الذي أصبح حاليا الحزب الشيوعي الكوبي وهو قائد الدولة والحكومة . أما التنظيم النقابي فهو اتحاد عمال كوبا الثوري ويضم ٢ مليون عضو .

■ الاقتصاد : يبلغ عدد العاملين ٢ مليون . وليس هناك بطالة . وتبلغ نسبة العاملين بالزراعة ٣٣٪ وبالخدمات ٣٢٪ ، وبالصناعة والمناجم ١٥٪ ، وبالتجارة ١٠٪ ، وبالبناى ٤٪ . والاقتصاد أساسا زراعي تنظمه الدولة . وفي ١٩٦٨ تم تأميم تجارة التجزئة وكثير من المشر وعملت الخاصة .

تشيلي

- المساحة : ٧٤١.٦٧٦ كم ٢ .
- السكان : ٨.٨٣٤.٨٢٠ نسمة .
- العاصمة : سانتياجو .
- اللغة : الإسبانية .

■ التطور التاريخي : اكتشفها ماجلان البرتغالي في ١٥٢٠ ، وفي ١٥٤٠ غزاها الإسبان وأبادوا معظم سكانها من الهنود وبدأوا في استغلال الأراضي والمناجم وتربية الماشية . وفي القرن الثامن عشر نمت بها طبقة تجارية هامة من المولدين . وناضلت هذه البرجوازية التجارية في سبيل حرية التجارة . وتأثر شبابها بأفكار الثورة الفرنسية واتجهت حركتهم إلى المطالبة بالاستقلال . وأعلن أول حكومة في ١٨١٠ وتم تدبير الجيوش الإسبانية وبدأ التسلسل الإنجليزي بمنح القروض للدولة الجديدة والسيطرة على التجارة ، وحدث حذوها أمريكا . وكتب الحرب العالمية الأولى تضاعف التسلسل الأمريكي وبدأ نضال العمال وتمت مواجهته بقسوة ففي ١٩٠٦ ذبح ٢٠٠٠ عامل في أحد الاضرابات ، مما أدى إلى قيام تنظيمين : الاتحاد العمالي والحزب العمالي الاشتراكي والذي تحول إلى الحزب الشيوعي في ١٩٢٢ ، وتوالت الانقلابات وتبادل الحكم بين الليبراليين والمحافظين وفي ١٩٢٨ انتصرت الجبهة الشعبية المكونة من الشيوعيين والاشتراكيين والراдикаليين وأوصلت مرشحها لرئاسة الجمهورية . وبعد ذلك بعشر سنوات أيد الشيوعيون والاشتراكيون جونزالير في الانتخابات وعندما وصل إلى الرئاسة طاردهم . وفي ١٩٥٢ عادت الحركة الشعبية للازدهار . وفي ١٩٥٨ تكونت جبهة العمل الشعبي من الاشتراكيين والشيوعيين والديمقراطيين . واستمرت الجبهة تقوى صفوفها وأنشبت اليهسا تنظيمات أخرى حتى أوصلت مرشحها سلفادور الليندي إلى الرئاسة في سبتمبر ١٩٧٠ .

■ الأحزاب : هناك أحزاب كبيرة منها : الحزب المحافظ ويمثل أصحاب القطاعات الأشد رجعية ، والحزب الليبرالي ويمثل البرجوازية المالية المرتبطة بالمستثمرين الأجانب والبنوك وقد سيطر على الحكم منذ ١٩٢٨ ، والحزب الراديكالي ويضم البيروقراطيين وبه تيار يساري قوي ، الحزب الديمقراطي المسيحي وهو انقسام من الحزب المحافظ ، وهو حزب أملاحي به تيار يميني قوي . أما الحزب الشيوعي فقد ولد خلال نضال العمال ومشارك

جواتيمالا

- المساحة : ١٠٨٨٩ كم ٢
- عدد السكان : ٤٨٦٢٥٢٠ نسمة
- العاصمة : جواتيمالا .
- اللغة : الإسبانية .

■ التطور التاريخي : وجد بها الاسبان حضارة « المايا » الزاهرة التي شملت جنوب شرق المكسيك وشمال هندوراس ، وحصلت على استقلالها دون حرب في ١٥ سبتمبر ١٨٢١ . ولم يؤد الاستقلال الى أي نوع من الإصلاح بل تدعمت علاقات الاقطاع ، وسيطرت الملكية الكبيرة ، واستغل الهنود سكان البلاد الاصليين . تولى الحكم فيها من ١٨٧٣ الى ١٨٨٥ جوستورو فينو وأدخل عدة اصلاحات اجتماعية واقتصادية هامة . وبعده جاء عدة طغاة فتحوا الباب لرأس المال الأمريكي . وفي ١٩٣٠ تولى الرئاسة الجنرال جورج أوبيكو واستمر ١٤ عاما حول البلاد فيها الى صنيفة له وطرده الشعب في ١٩٤٤ . وفي ١٩٥٠ تولى الرئاسة الكولونيل جاكوبو أربنز جوزمان أحد قادة النضال ضد الديكتاتورية . واتخذ اجراءات ثورية ، خاصة الإصلاح الزراعي وتوزيع الاراضي على ١٢٠ ألف أسرة ، فأثار معارضة أمريكا لأنه اضر بمصالح « شركة النواكه المتحدة » . بائنته وكالة المخابرات المركزية والبنجابون أحد العسكريين وهو كارلوس كاستيلو أراماس ، وقلبت أربنز . وفي ١٩٥٧ اغتيل كاستيلو أراماس على يد شركائه . وتكررت الانقلابات من ذلك الحين ، وفي ١٩٦٤ اشترك الحزبان الرئسيان وهما الحزب الثوري وحزب حركة التحرير الوطني ، وتسودها القلائل فمن نوفمبر ١٩٧٠ الى فبراير ١٩٧١ وقع بها ٧٠٠ حادث اغتيال سياسي . وفي مارس ١٩٧٠ فاز في الانتخابات ممثل اليسين الكولونيل كارلوس أروانا أوسورو ، والذي قضى على ثورة الفلاحين في ١٩٦٦ و ١٩٦٨ .

■ الأحزاب : احزاب اليسين هي : الحزب الدستوري الديمقراطي وحزب حركة التحرير الوطني ، والحزب الديمقراطي المسيحي ، والحزب الثوري .

أما اليسار فيتكون من حزب الوحدة الثورية وهو غير شرعي . وحزب الاتحاد الثوري الديمقراطي وهو يسار وسط . حزب العمل الجواتيمالي [شيوعي] وقد تأسس في ١٩٤٩ من قوى النضال المسلح وهو غير شرعي .

■ النقابات : حاول أراماس تحطيم الاتحاد العام لعمال جواتيمالا ولكنه لم ينجح .

« الحزب الاشتراكي في اكوادور » وهو حزب يعني وكذلك الحزب الاشتراكي الثوري وهو حزب ماركسي .

■ النقابات : خلال المد الثوري في ١٩٤٤ تأسس اتحاد عمال اكوادور ويسيطر عليه الشيوعيون والاشتراكيون وهناك اتحاد عمالي كاثوليكي .

■ الاقتصاد : يبلغ عدد العاملين ٥٠ مليون . يعمل نصفهم في الزراعة و ١٤٪ منهم في الصناعة التحويلية ، و ٢٧٪ في الخدمات . أما العاملون فنصف مليون .

السلفادور

- المساحة : ٢١٣٩٢ كم ٢
- السكان : ٣٣٢٤٠٥٥٠ نسمة .
- العاصمة : سان سلفادور .
- اللغة : الإسبانية .

■ التطور التاريخي : نزل بها الاسبان في ١٥٢٢ ، وفي ١٥٢٩ تأسست العاصمة . وقد نزع الغزاة الارض وكونوا اقطاعيات واتبعوا سياسة الحصول الواحد ، وأعلن استقلالها في ٢١ سبتمبر ١٨٢١ .

وفي بداية القرن ٢٠ سيطرت رؤوس الاموال الأمريكية على اقتصادها ، وفي ١٩٣٢ اغرق الجنرال مكسيميليانو أوراندريد الحركة الشعبية في حمام من الدم وقتل ٢٠ ألفا بينهم عدد من القادة الشيوعيين : نرايوندومارتي ، ماريوزابانا ، النونسو لونا . وتعاقب عليها العسكريون الذين فتحوا الباب على مصراعيه للولايات المتحدة .

■ الأحزاب : تأسس الحزب الشيوعي في ١٩٢٩ ويعمل سرا منذ ١٩٣٢ . ويدعو لوحدة قوى المعارضة للنضال ضد السيطرة الأجنبية والاوليجاركية المحلية . وهناك « حزب ابريل ومايو الثوري » ويضم التقدميين وهو حزب غير شرعي . وكذلك الحزب الراديكالي الديمقراطي ويضم صغار الملاكين وأقسام من البورجوازية المتوسطة وهو غير شرعي . والحزب الديمقراطي المسيحي وهو حزب رجعي مؤال للامبريالية ويمثل كبار الصناعيين .

■ النقابات : التنظيم الاساسي هو الاتحاد العام لعمال سلفادور ، ولكن هناك نقابات توية مستقلة .

■ الاقتصاد : يبلغ عدد العاملين ٨٠٦ آلاف ، يعمل ٦٠٪ منهم في زراعة الحصول الواحد وهو البن . ويصل عدد العاملين الى ١٠٠ ألف . والاستثمارات الأجنبية معظمها مملوك للولايات المتحدة .

المناجم وهو أكبر حزب شيوعي في القارة . الحزب الاشتراكي وفصالية اعضاءه من العمال خاصة عمال النحاس والموظفين والمتقنين ، حزب جبهة العمل الشعبي .

■ النقابات : يضم اتحاد العمال ٦١٥ ألف عامل وهو الاتحاد الوحيد . ■ الاقتصاد : تبلغ العمالة ٧٣٢ من مجموع السكان ، يعمل ربعهم في الخدمات ، وثلثهم في الزراعة ، و ١٧٪ في المناجم . وقد بلغت الاموال الأجنبية قبل التأميم مليار دولار معظمها من أمريكا ، ٢٠٠ مليون دولار منها في المناجم ، ويعتمد الاقتصاد أساسا على استخراج المعادن من باطن التربة ، أما الانتاج الزراعي فهو غير كاف ، مما يجعلها تستورد اغذية سنويا بقيمة ١٢٠ مليون دولار .

اكوادور

- المساحة : ٢٧٠٠٦٧٠ كم ٢
- السكان : ٨٧٧٠٠٠٠ نسمة .
- العاصمة : كيتو
- اللغة : الإسبانية

■ التطور التاريخي : غزاها الاسبان في ١٥٦٣ . وفي بداية القرن ١٩ بدأ الملك المولدين نضالهم لازاحة الاسبان . وتم الحصول على الاستقلال في ١٨٣٥ واحتدم الصراع بين المحافظين الذين يمثلون كبار الملاك العقاريين وبين الليبراليين الذين يمثلون البورجوازية التجارية . وتعاقت عليها عدة دكتاتوريات طويلة الاجل مثل دكتاتورية جوان جوزيه ودكتاتورية جارسيلامورينو استمرت كل منهما ١٥ سنة . وقد انتصرت الاتجاهات الليبرالية في ١٨٩٥ بعد ٣ سنوات من النضال وتولى الحكم الفارو ، الذي أصلح المؤسسات الاجتماعية وان أبقى على الهيكل الاتحادي وساند كوبا في نضالها الاستقلالي واقتيل في ١٩١٢ . واستولت اقلية المالكين المربطة بمصدرى السكاكاو على الحكم وملاك الارض والامبريالية . وفي الثلاثين عاما الاخيرة سيطر عليها فيلاسكو أيبارا . ثم جاء العسكريون المرتبطون بالترسنتات البترولية الأمريكية .

■ الأحزاب : يمثل الحزب المحافظ مصالح كبار الملاك والكنيسة . أما الحزب الليبرالي فيتحدث باسم التجار والبنوك . وقد اختفى التناقض بينهما وضمند رأس المال والملاك استثمار حكمهم .

أما الحزب الاشتراكي فقد تكون في ١٩٢٥ وفي ١٩٣٢ انفصل عنه الجناح اليساري وأسس الحزب الشيوعي وهو غير شرعي . كما انفصل عنه أيضا

جمايكا

- المساحة : ١٠٩٦٢ كم
- السكان : ١٧٢٨٠٠٠ نسمة
- العاصمة : كنج ستن
- اللغة : الانجليزية
- التطور التاريخي : اباد الاسبان سكانها الاصليون . ثم احتلها الانجليز في ١٦٥٥ وقاومهم العبيد حتى ١٧٤٠ . وفي معاهدة مدريد ١٧٦٠ بين اسبانيا وانجلترا أصبح لهذه الاخيرة السيادة على الجزيرة . واستخدموا العبيد الافارقة في زراعة قصب السكر ، ثم ألغيت العبودية في ١٨٦٦ ، وصدر قانون من البرلمان البريطاني يجعلها مستعمرة من مستعمرات التاج لها حكومة داخلية . ويساعد الحاكم البريطاني لها مجلس تشريعي كان في البدء يعين بالكامل ثم أصبح يشكل بالتعيين والانتخاب ، وصدر دستور جديد وفي ١٩٦١ تم استفتاء اختارت فيه الاغلبية الاستقلال ، وتم الاستقلال في أغسطس ١٩٦٢ .
- الاحزاب : في أول انتخابات عامة بموجب دستور ١٩٤٤ تنافس فيها حزبان : حزب عمال جمايكا والحزب الوطني الشعبي ويقودهما قريبيان ونسبيان لبعضهما وهما الكسندر بوسقاوت ونورمان مانلاي ، وهما يتبادلان الحكم دون ان يكون بينهما اي تمايز سياسي .
- النقابات : هناك ٢٠٠ السف حامل منظومون في نقابات أهمها : اتحاد عمال الصناعة ، والاتحاد النقابي العمالي ، واتحاد النقابي واتحاد عمال جمايكا .
- الاقتصاد : تبلغ نسبة العاملين ٥٠٠ في المائة من مجموع السكان ، يعمل في الزراعة والصيد ٤٨ في المائة منهم ، وفي الخدمات ١٧ في المائة وفي الصناعة التحويلية ١٢٣ في المائة . والاقتصاد أساساً زراعي .

المكسيك «الولايات

المتحدة المكسيكية»

- المساحة : ١٩٧٢٠٥٤٦ كم
- السكان : ٢٩٦٤٣٠٠٠ نسمة
- العاصمة : مكسيكو
- اللغة : الاسبانية

حوالي مليون عامل . وقد بلغت رؤوس الاموال الاجنبية التي دخلت الى البلاد من ١٩٥١ الى ١٩٦٠ ٢١٥ مليون دولار . وتسيطر الاحتكارات الامريكية على الاقتصاد والانتاج اساساً زراعي : البن والقطن والكاكاو والسيغال .

هندوراس

- المساحة : ١١٢٠٨٨ كم
- السكان : ٢٠٢٨٠٠٠ نسمة
- العاصمة : تيجوسيغاليا
- اللغة : الاسبانية .

■ التطور التاريخي : نزل بها الاسبان في ١٤٩٨ ، ووجدوا سكانا يعيشون في «كميونات» زراعية ، وتربى الماشية فاستولوا على الارض ، وحولوا السكان الى عبيد ، وهرب هؤلاء الى الجبال من نظام العبودية فالتفتها اسبانيا وانتشأت نظاماً اقطاعياً . بدأ الاستعمار الفعلي في ١٥٢٤ ، وتدعم في ١٥٧٨ بعد اكتشاف النضة . واستقلت في ١٨٢٨ وخلال النصف قرن التالي بذلت عدة محاولات للاتحاد ، ودخلت في حرب مع كل من جواتيمالا ونيكاراجوا ، وفي الحرب التي خاضتها بلدان وسط امريكا ضد المخامر وليام ووكر الذي دعمته امريكا لغزوها . وقد بدأ التسرب الرأسمالي الامريكي اليها في بداية القرن ، واحتلتها القوات الامريكية في ١٩٢٤ . وتوالى عليها الانقلابات والحكومات العسكرية ، او التنظيمات الرجعية مثل الحزب القومي الليبرالي . وفي انتخابات مارس ١٩٧١ فاز الجنرال ازوالدو لفير .

■ الاحزاب السياسية : يحتكر العمل السياسي الحزب الليبرالي ، وهو حزب وسط يميني ، وكذلك الحزب الوطني وهو يميني متطرف وكذلك حزب الحركة الإصلاحية الوطنية وهو يميني ، والحزب الجمهوري الارثوذكسي الليبرالي ، والحزب الشعبي التقدمي ، والحزب الشيوعي وهو حزب غير شرعي ، وان استطاع رغم قسوة المعارضة نشر الوعي بين صفوف العمال . وقد تكونت جبهة المنظمات المتحدة للمعارضة وتضم منظمات سياسية ونقابية مختلفة .

■ التنظيم النقابي : اهم التنظيمات هو الاتحاد المركزي لنقابات العمال الحرة ويديره الليبراليون .

■ الاقتصاد : يمثل العاملون ٢٤٪ من مجموع السكان ، يعمل ٦٦٪ في الزراعة و ٧٧٪ في الصناعة و ٣٪ في المناجم ، ونسبة المتعطلين ٦٪ والانتاج اساساً زراعي . والاستثمارات الاجنبية معظمها من الولايات المتحدة .

■ السكان والاقتصاد : الاقتصاد : أساساً زراعي - القطن والذرة والبن والخشب . يتكون السكان من ٥٣٪ من الهنود ، ومن ٤٦٪ من المخلطين . وتبلغ نسبة العمال ٣٣٪ من مجموع السكان ، يعمل ٦٨٪ منهم في الزراعة و ١١٪ في الصناعة ، وعدد العاملون ٣٠ الفا . وقد بلغت الاستثمارات الاجنبية ١٢٢ مليون دولار اساساً في الخدمات العامة والبتروول .

هايتي

- المساحة : ٢٧٧٥٠ كم
- عدد السكان : ٤٥٥٠٠٠ نسمة
- العاصمة : بوراوبرنس
- اللغة : الفرنسية

■ التطور التاريخي : اكتشفها كولمبس في ٦ ديسمبر ١٤٩٢ واسماها هسبانيولا واستسلم الاسبان سكانها البدائيون من هنود الكاريبي ، وبداوا في استقدام العبيد من الانريقيين اليها . بدأت فرنسا تنشئ بها متاجر في ١٦٢٦ واحتلتها في ١٦٩٧ . واستوطنتها زراع القطن والقصب والبن الذين اعتدوا على العمل الامريكي ، وفي ١٧٩١ تهردهم هؤلاء العبيد وتدفقوا من الجبال واهرقوا مزارع المستوطنين الفرنسيين الذين هربوا الى كوبا وطوروا بها زراعة البن . و أعلن الاستقلال في يناير ١٨٠٤ واختير جان جاك ديسالين حاكماً مدى الحياة ولكنه قتل بعدها بستين وتوالى عدة حكومات مستبدية منها حكومة جان بيير لوبيير التي ألغيت العبودية في ١٨٢٢ وغزت سان دومنجو وتميز النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين باحتدام الصراع الداخلي وتعاقد على البلاد ٢٢ رئيساً منهم ١٠ جنرالات فتحوا الباب لرأس المال الامريكي . وقد فزتها الولايات المتحدة في ٢٨ يوليو ١٩١٥ وظلت بها ١٤ عاماً ونصبت عليها عملاءها

■ الاحزاب : حزب الوفاق الشعبي [شعوي] وهو أقوى التنظيمات الشعبية وهو غير شرعي . وهناك أيضاً حزب التحالف الشعبي ، والحزب الشعبي للتححر الوطني . وقد كوئت هذه الاحزاب في يوليو ١٩٦٣ الجبهة الديمقراطية الموحدة للتححر الوطني . وهناك أيضاً الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي وهما متنوعان .

■ النقابات : الاتحاد القومي لعمال هايتي ، وتسيطر عليه الحكومة .

■ الاقتصاد : عدد العاملين ٥١٪ من مجموع السكان ، يعمل ٨٢٪ منهم في الزراعة ، ٤٩٪ في الصناعة ، وهناك

نيكاراجوا

■ المساحة : ١٣٩٧٠٠ كم^٢

■ السكان : ١٥٩٧٠٠٠ نسمة

■ العاصمة : ماناجوا

■ اللغة : الإسبانية

■ التطور التاريخي : بدأ استعمارها

في ١٥٢٣ ، وألحقها الأسبانيون بجواتيمالا ، وأصبحت مستقلة في ١٨٢١ ، وتوحدت مع المكسيك أولا ثم في اتحاد وسط أمريكا واستقلت مرة أخرى في ١٨٣٨ ، ولكن الصراع الداخلي احتدم بين الليبراليين والمحافظين ، وفي ١٨٥٥ غزاها المفامر الأمريكي وليام ووكر ونصب نفسه رئيسا لها وفرض العبودية واعترفت بحكمه الولايات المتحدة ولكن الشعب طرده في ١٨٥٧ ، وقد سيطرت الولايات المتحدة في بداية القرن على اقتصادها، وغزتها في ١٩١٢ واحتلتها حتى ١٩٢٥ ، وحصلت منها بامتيانز على حفر قناة في ١٩١٤ لمدة ٩٩ عاما ، وبناء قواعد بحرية ، وفي ١٩٢٦ احتلتها من جديد واستمر النضال ضدها ٧ سنوات حتى ١٩٣٤ . ونصبت أمريكا عملاءها حكاما لها .

■ الأحزاب : الأحزاب التقليدية :

الحزب الليبرالي القومي وهو حزب حكومي يمثل البرجوازية المرتبطة بالاحتكارات الأمريكية ، والحزب المحافظ التقليدي ويمثل كبار الملاك العقاريين ، والحزب الليبرالي المستقل وهو حزب البرجوازية المعارضة .

■ الأحزاب التقدمية : الحزب الاشتراكي

النكارهوي تأسس في ١٩٣٠ باسم حزب عمال نيكارجوا ، ويضم الماركسيين وهو غير شرعي .

■ النقابات : تأسس الاتحاد القومي

لعمال نيكارجوا في ١٩٥٣ ، والاتحاد العام للعمال في ١٩٤٩ ، واتحاد النقابات الحرة في ١٩٥٩ ، واتحاد نقابات المعلمين في ١٩٤٧ .

■ الاقتصاد : تبلغ العمالة ٣١ في

المائة من مجموع السكان ، يعمل في الزراعة ٢٢٢٤١٠ عاملا وفي الصناعة التحويلية ٥٤٢٩٠ عاملا والصناعة الاستخراجية ٦٧٢٢ عاملا . والبلد أساسا زراعي وقد بلغت الاستثمارات الأجنبية التي دخلت إليه من ١٩٥١ إلى ١٩٦٠ ٤٦٠٤ مليون دولار ، ويسيطر على الاقتصاد مشروعين أمريكيين هما « شركة الفواكه المتحدة » و « أمريكيان رير » .

■ التطور التاريخي : اكتشفت في

عام ١٥١٧ وتم غزوها في العام التالي . وثبتت أقدام الاستعمار في القرن ١٧ ، وزادت عملية الاختلاط والتوالد وظهر المولدون كطبقة اجتماعية . وافتتحت فيها أول جامعة في القارة وأول مطبعة . وفي القرن ١٨ بدأ المولدون يشكلون مجتمعا أصيلا يزداد وعيه القومي ، وأعلن الاستقلال في ١٨٢١ ، وفي العام التالي أعلن توربيد الذي تولى الحكم وأعلن قيام امبراطورية مكسيكية ولكن السخط الشعبي أجبره على التنازل واستقلت أمريكا حالة عدم الاستقرار لتستولي في ١٨٤٦ على تكساس التي كانت جزءا من المكسيك وكذلك ولاية أويغونا ، وانهارت الملكية في ١٨٦٧ ولكن العنف تجدد حتى ١٨٧٦ حيث قامت دكتاتورية الجنرال بورفيرو دياز التي دعمت مراكز الملكية العقارية ، وفتحت الباب لرأس المال الأمريكي . ولكن أطاحت به الثورة المكسيكية « وهي الثورة البرجوازية الديمقراطية المعادية للإمبريالية في ١٩١٦ - ١٩١٧ والتي لعب دورا كبيرا في الإعداد لها الحزب الليبرالي المكسيكي والحركة العمالية التي أسست النقابات الحمراء » كما تمرد الفلاحون لعدم تحقيق الإصلاح الزراعي بقيادة إيميليانو زاباتا الذي طالب بمصادرة الإقطاعيات والإصلاح الزراعي . ونظمت الولايات المتحدة انقلابا عسكريا في ١٩١٣ ، وغزت البلاد في ١٩١٤ ، واجتاحت حدودها الشمالية في ١٩١٦ . ولم يطبق الإصلاح الزراعي إلا في ١٩٢٤ في ظل رئاسة لازار الذي طور التعليم وصادر ملكيات ترستات البترول الأجنبية في ١٩٢٨ وأمم السكك الحديدية . وتدعمت حركة الطبقة العاملة بانثشاء اتحاد شمال المكسيك . وتوالت عليها الحكومات العسكرية الموالية لأمريكا .

■ الأحزاب : هناك الحزب

الثوري الدستوري الذي خلف الحزب القومي الثوري الذي تكون في ١٩٢٨ ، وحزب العمل الوطني اليميني الذي تأسس في ١٩٤٠ ، والحزب الاشتراكي الشعبي ، والحزب الشيوعي الذي تأسس في ١٩١٩

■ النقابات : تأسس اتحاد عمال

المكسيك في ١٩٣٦ وهو أقوى الاتحادات ، ثم الاتحاد الإقليمي للعمال والفلاحين

■ الاقتصاد : تبلغ نسبة السكان

العاملين ٣٤ في المائة من مجموع السكان يعمل ٥٢٥ في المائة منهم في الزراعة ، ١٢٤ في المائة في الصناعة و ١٢ في المائة في المناجم ، ويبلغ عدد العاملين ١٨٨ ألفا ، ويبلغ رأس المال الأجنبي ١٥٠٠ مليون دولار ، ١٣٠٠ مليون منها من الولايات المتحدة ، تتركز أساسا في الصناعة التحويلية .

بنما

■ المساحة : ٧٥٠٠ كم^٢

■ السكان : ١٢٤٣٠٠٠ نسمة

■ العاصمة : بنما

■ اللغة : الإسبانية

■ التطور التاريخي : تحولت لمركز

تجاري ابتداء من القرن ١٧ لتوزيع العبيد على أيدي التجار الإنجليز . وفي ١٨٢١ انضمت إلى كولومبيا وفي ١٨٧٨ حصلت فرنسا على امتياز حفر قناة بها ولكنها فشلت فحصل الأمريكيون على الامتياز في ١٩٠٣ ورفض برلمان كولومبيا ، فحرضت أمريكا الأوليغاركية المحلية على الانفصال عن كولومبيا وأعلن الاستقلال في العام نفسه ، وكبدت أمريكا الدولة الجديدة معاهدة ، وبدأت حفر القناة في ١٩٠٦ حتى ١٩١٤ . كما استولت على مساحة تبدأ ١٤٣٣ أقامت بها قاعدة عسكرية يحكمها حاكم أمريكي يعينه الرئيس الأمريكي ويتولى كل السلطات حتى العدالة مقابل إيجار قدره ٢ مليون دولار ، ولكن القناة وحدها ندر لأمريكا ١٠٠ مليون دولار سنويا . وقد حكمها من ١٩٠٣ حوالي ٤٠ رئيسا تربطهم صلة القرابة ويعملون في خدمة أمريكا .

■ الأحزاب : تعددت الأحزاب

أخيرا لأغراض انتخابية [أكثر من ١٨ حزب] بينها الحزب الليبرالي الوطني ، والجمهوري والوطني .

وهناك أكثر من اتحاد نقابي أهمها الاتحاد النقابي لعمال جمهورية بنما الذي تأسس في ١٩٤٧ .

■ الاقتصاد : تبلغ العمالة ٢٨ في

المائة من مجموع السكان وهم ٢٣٠ ألفا ، يعمل ١٥٣ ألفا منهم في الزراعة ، و ٢٢ في الصناعة ويمثل العمال ٩٢ في المائة والإنتاج الزراعي هو الأساسي .

بارجواي

■ المساحة : ٤٠٦٠٤٥٢ كم^٢

■ السكان : ١٩٤٩٠٠٠ نسمة

■ العاصمة : أسوبسيون

■ اللغة : الإسبانية

■ التطور التاريخي : في ١٥٣٧

أسس الأسبان مدينة أسوبسيون فيها ، وأخضعوا سكانها للعبودية ، وأنشؤوا طريقهم في الزراعة وتربية الماشية ، وقد

لعبت بعثات الجيوش دوراً استعماريًا واضحاً وباشراً ، وقامت بها أول ثورة برجوازية ديمقراطية في التسارة في ١٥ مايو ١٨١١ للتخلص من سيطرة إسبانيا وحكومة الأرجنتين التي حاولت بعد استقلالها في ١٨١٠ ضمها إليها . وقد أقام جاسبار فرنشيد ككتاتورية وطنية ثورية في برجواي في ١٨١٢ معتمداً على البرجوازية الريفية ، وتنافس من أجل الاستقلال والتقدم الاقتصادي ، وصادر الاقلاميات ونشر التعليم ونظم حملة لحو الأمية . وحكمتها مصابات عسكرية عملت على انتار الفلاحين وكبت العمال . وبين ١٨٢٠ و ١٨٢٣ تدفق عليها رأس المال الأمريكي . وفي ١٨٢٦ قام ثورث شعبي لوصول إلى السلطة الكولونيل رانابيل فرانكو ، صاحب البرنامج الاملاحي البرجوازي ، الذي تردد آراء الامبريالية ولم يعتمد على الجماهير . وفي ١٨٢٧ لمدة عشر سنوات قامت عدة حكومات شعبية ثم قامت حبة شعبية نظمتها الشيوعيون ولكنها سقطت . وفي ١٩٥٤ تولى الحكم الجنرال الفريد سترونسر بانقلاب بمساعدة كولورادو وعمل لخدمة أمريكا التي سيطرت على الاقتصاد والسياسة الخارجية . ونشبت اضرابات العمال والفلاحين في ١٩٥٩ ، وفي ١٩٦٠ بدأت بها حرب العصابات ، واستمرت القلاقل والحكومات العسكرية .

■ الأحزاب : ينفرد حزب كولورادو الرجعي الحكومي بالعمل السياسي . أما باقي الأحزاب فمنوعة ، وهناك أيضاً الحزب الليبرالي وهو ثاني حيزب للاوليجاركية ويعمل سرا . وحزب فبراير الذي تكون بعد خيانة قيادة الحزب السابق وهو معاد للامبريالية ، أما اليسار فيمثل حركة كولورادو الشعبية والحزب الشيوعي الذي تأسس في ١٩٢٣ وهو ذو نفوذ قوي ويعمل سرا ويشترك مع حزب فبراير الثوري في الجبهة الموحدة للتحرير الوطني .

■ النقابات : اتحاد عمال براجواي ويخدم الحكومة .

■ الاقتصاد : تبلغ العمالة ٢٤٪ من مجوع السكان ، يعمل ١٥٢٪ منهم في الصناعة ، و ٥٢٪ في الزراعة ، و ١٪ في المناجم . والانتاج اساساً زراعي وتبلغ الاستثمارات الأمريكية ٤٠ مليون دولار .

بيرو

■ المساحة : ١٢٨٥٢٢٨ كم^٢ .
■ السكان : ١١٣٥٧٠٠٠ نسمة .
■ العاصمة : ليما .
■ اللغة : الإسبانية .

■ التطور التاريخي : نزل بها الأسبان في ١٥٣١ واستولوا على الأرض والمناجم وتمردت الجماهير عليهم في ١٧٨٠ وتم الحصول على الاستقلال في يوليو ١٨٢٢ بفضل بوليفار . وبعد رحيله نشب الصراع بين المدنيين والعسكريين وتأكدت سلطة كبار الملاك العقاريين المولدين . وتولى المارشال رامون كاستيلا الحكم ٣ مرات بين ١٨٤٥ و ١٨٦٢ وحسق بعض الإصلاحات كإلغاء العبودية والدستور . وفي ١٩١٩ زاد تسرب رأس المال الأجنبي وفي ١٩٢٤ أسس هايا دي لانوز [وهو موال لأمريكا] حزب «الابرا» الوطني وله برنامج اجتماعي وقاعدة شعبية . وقد هجرته الشخصيات الثورية عندما كشف انه موال لأمريكا ومعاد للشيوعية واستسوا في ١٩٢٨ الحزب الشيوعي . وتعاثت سلسلة حكومات عسكرية .

■ الأحزاب : أهم الأحزاب البرجوازية هي : حزب العمل الشعبي ، والاتحاد الوطني ، والابرا . والاثنان الاخيران متحالقان في البرلمان . وفي ١٩٤٥ نشأ حزب ديمقراطي مسيحي . وهناك في اليسار الحزب اليساري ذو النضال الطويل . وهناك أيضاً جبهة اليسار الثوري وجبهة التحرير الوطني .

■ النقابات : يسيطر اتحاد عمال بيرو الذي يسيطر عليه الابرا على الحركة العمالية .

■ الاقتصاد : تبلغ العمالة ٣٧٪ من السكان . معظمهم يعمل في الزراعة ، و ١٩٪ منهم في الصناعة و ٨٠٪ في المناجم ، وعدد العاطلين ٩٠ ألفاً . وأهم قطاعات الاقتصاد وهي المناجم في ايدي الأمريكيين وتستخرج النخسة والنحاس والبتروك .

بورتوريكو

■ المساحة : ٨٨١٧ كم^٢ .
■ السكان : ٢٥٠٠٠٠٠ نسمة .
■ العاصمة : سان جوان .
■ اللغة : الإسبانية .

■ التطور التاريخي : اكتشفتها كولبس في ١٤٩٣ . وأباد الاسبانيون سكانها بن الهنود في القرن ١٦ . وتم جلب الزوج للعمل في المناجم والمزارع ، ونشأ جيل من المولدين . وفي بداية القرن ٢٠ تكررت هجرات العبيد ، وتعد حاول

بوليفار استئصال السلطة الاسبانية منها ليضمها إلى أسرة الشسعوب التي حررها . وأعلنت الجمهورية في سبتمبر ١٨٦٨ . ولكن الأسبان هزموا في ١٨٩٧ . سبحت لها إسبانيا بالحكم الذاتي ، وغزتها أمريكا وأقامت نظاماً عسكرياً مازال سارياً . وفرض الكونجرس الأمريكي عليها احتكاراً تجارياً خاصاً في البن . ومنذ ذلك الحين تغرق أمريكا بطلعات الشعب للحرية في حمايات الدم . وفي ٢٥ يوليو ١٩٥٢ أعلنت أمريكا تحويلها إلى الولاية الحرة المتحدة .

■ الأحزاب : يمثل الراغبون في الانضمام إلى أمريكا الحزب الحكومي الجمهوري . أما الحزب الشعبي الديمقراطي فيرفع شعار الخبز والأرض والحرية ويتعاون مع الإدارة الاستعمارية . ويضم الحزب الاستقلالي البورتوريكي الذي أسس في ١٩٤٨ المعتدلين . أما الحزب الشيوعي البورتوريكي الذي يدافع عن مصالح البروليتاريا فيطالب بالاستقلال ويطارده المستعمرون .

■ النقابات : ليس لعمال بورتوريكو نقاباتهم الخاصة ، إذ تسيطر المنظمات النقابية في أمريكا عليها كاتحاد العمال الأمريكي .

■ الاقتصاد : عدد العاملين ٧٥٤ ألفاً أي ٣٠٪ من السكان ، منهم ١٥٦ ألفاً في الزراعة وعدد العاطلين ٨٠ ألفاً . والبلد يأكملها في ايدي رجال الأعمال الأمريكيين وتقدر الاستثمارات الأمريكية بألف مليون دولار تكسب ٢٠٠ مليون دولار سنوياً . والبلد أساساً زراعي .

الدومينيكان

■ المساحة : ٤٨٧٢٤ كم^٢ .
■ السكان : ٢٢٤٧٦٠٠ نسمة .
■ العاصمة : سان دومينجو .
■ اللغة : الإسبانية .

■ التطور التاريخي : اكتشفت الجزيرة في ١٤٩٢ بواسطة كريستوف كولبس وأسماها هيسبانيولا . وفي ١٤٩٦ تأسست العاصمة سان دومينجو وهي أقدم مدينة في العالم الجديد .

وفي القرن السادس عشر تم جلب العبيد الأفريقيين لزراعة قصب السكر . وفي ١٦٩٧ وبموجب معاهدة رايسفيك مفتحت إسبانيا فرنسا جزءاً من الجزيرة التي انقسمت إلى سان دومينجو والإسبانية

فنزويلا

- المساحة : ٩١٢.٥٠٠ كم
- السكان : -
- العاصمة : كاراكاس
- اللغة : الإسبانية

■ التطور التاريخي : نزل بهيما كوليس في ١٤٩٨ . وبدأ الأسبان استعمارها في ١٥٢١ ، وقد منح ملك إسبانيا امتياز استغلالها لبنك وملك الألماني ، مقابل مساعدته ، وترك الأسبان البلاد في سنة ١٨٢١ .

وشهد القرن ١٩ زيادة التدخل الأوربي ثم تدخل الولايات المتحدة خاصة في رئاسة جوميز [٢٢ - ١٩٣٥] التي منحت للفرنسات الأمريكية امتيازات لمدة ٥٠ عاما . وتوالت الانقلابات العسكرية وزاد التدخل الأمريكي فقد منح جوميز في ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ٨٠٠ ألف هكتار للشركات الأمريكية . وتم الانقلاب عليه في ١٩٥٨ وتوالى عليها عملاء أمريكا .

■ الأحزاب : بعد أن ناضل حزب العمل الديمقراطي الذي يقوده بيتانكور ضد جوميز تولى السلطة وتكرس الديمقراطية

وهناك الجبهة الديمقراطية القومية وهي عضو في التحالف الحكومي ويدافع عن انتهاكات البترول الأمريكية ، والاتحاد الجمهوري الديمقراطي التقليدي كان في البدء قريبا من الجماهير ثم تباعد عنها . وفي المعارضة يوجد الحزب الشيوعي الذي حرمه بيتانكور وغالبية لجنه المركزية في السجن بما فيهم السكرتير العام جيسوس غاربا . ويشترك في جبهة التحرر الوطني .

■ النقابات : يخضع اتحاد عمال فنزويلا ، وهو الاتحاد الرسمي ، لحزب العمل الديمقراطي .

■ الاقتصاد : تبلغ نسبة العمالة ٢٤٣ ٪ من السكان . تستخدم الزراعة منهم ٣٤ ٪ ، و ٢٠ ٪ في الخدمات و ١٠ ٪ في الصناعة التحويلية ، وتقدم المناجم ٩٠ ٪ من الدخل القومي وتستخدم ٢٦ ٪ من اليد العاملة وتبلغ البطالة ١٤ ٪ من العمال .

بلغت الاستثمارات الأمريكية المباشرة ٢٨٠.٤٠٠.٠٠٠ دولار تستثمر أساسا في البترول ٢١٦٦ مليوناً ، وفي الصناعة التحويلية ٢٠٢ ملايين من الدولارات .

■ التطور التاريخي : في ١٥٢٥ غزاها الأسبان وقضوا على معظم سكانها من الهنود . وبدأ الاستعمار بعد ذلك بحوالي قرن وتكاثرت الجزيوت والفرنسيسكان باقناع الهنود بالخضوع .

وقد اتخذ النضال من أجل الاستقلال شكل الحركة الريفية التي يقودها ماريو الماشية ، وقاد جوزيه أرتيجاس وهو من المولدين النضال للقضاء على الحكم الإسباني حتى قضى عليهم في ١٨١٤ ، وأصدر عدة قوانين متقدمة ووزع الأراضي ولكن البرتغال غزت البلاد واستولت على العاصمة في ١٨١٧ ، ولكن النضال استمر وأعلن الاستقلال في ٢٥ أغسطس ١٨٢٥ ، وتامت الجمهورية بمتنفي دستور يوليو ١٨٢٥ .

وفي فترة ما بين الحربين حل رأس المال الأمريكي محل الإنجليزي وتأسس الحزب الشيوعي في ١٩٢٠ ، وفي ١٩٥٠ فرضت عليها الولايات المتحدة سياسة القروض وتخفيض العملة مما أدى إلى تدهور أحوال العمال والفلاحين ، ومع اشتداد الصراع الطبقي زاد أرماب الحكام .

■ الأحزاب : يضم الحزب الوطني وهو «حزب البيض» الحكومي هذه أقسام متعارضة ، ويمثل حزب كولورادو «الاحمر» مجموعة اتجاهات تبدأ من البرجوازية الكبيرة الرجعية ، إلى البورجوازية الوطنية وكذلك مجموعة من البرجوازية الصغيرة الليبرالية ويحظى بتأييد الجماهير الشعبية .

وأكثر تجمع شعبي هو الحزب الشيوعي وسكرتيره رودني أرزمندي وأرابطاته وثيقة بالطبقة العاملة ، وكون جبهة اليسار من أجل التحرر الوطني .

■ النقابات : تتبع معظم النقابات العمالية ونقابات الموظفين اتحاد عمال أورجواي الذي يتعاون أيضا مع النقابات المستقلة . وفي ١٩٦٤ أقيم اقتصاد «الاتفاق الوطني للحركة النقابية» .

■ الاقتصاد : رغم سيادة القطاع الزراعي فإن ٨٢ ٪ من السكان يقطنون المدن . وتبلغ نسبة العمالة ٤٠ ٪ من السكان ، يعمل ٢٨ ٪ منهم في الزراعة و ١٨ ٪ في الصناعة . وتستثمر أمريكا فيها ٥٧ مليون دولار ، ٤٥ ٪ منها في الصناعة التحويلية ، والزراعة هي أساس الاقتصاد وتتميز بالتركز فهناك ١١٥٢ مالكا يملكون ٥٠ ٪ من مساحة الأرض .

■ التطور التاريخي : في ١٨٢١ أعلنت الدومينيكان الاستقلال ولكن غزاها سكان هايتي واستمر احتلالها حتى ١٨٤٤ . حيث تم طرد الغزاة ، وتم إعلان الجمهورية بقيادة الحركة الثورية التي حاكها عليها من ١٩٣٠ إلى ١٩٦١ . احتلتها البحرية الأمريكية حتى ١٩٢٤ . عندها أقيمت حكومة دستورية جديدة ، استمرت أمريكا في ظلها تسيطر على الاقتصاد . وفي ١٩٤١ أصبحت أمريكا تدبر الجمارك فيها وفرضت رفايل تريوجيالي حاكما عليها من ١٩٣٠ إلى ١٩٦١ . وفي ١٩٦٢ تكونت بها حكومة دستورية برئاسة جوان بوش وبعد ذلك بعام قام انقلاب عسكري وجهته السفارة الأمريكية ، وفي ١٩٦٥ قاد السيكلونيل فرانثيسكو كامانو انقلابا وأراد تطبيق دستور ١٩٦٣ ولكن أمريكا أنزلت بحريتها واحتلت البلاد في ١٩٦٥ بحجة حماية مصالحها فيها . وتم تكوين حكومة دستورية برئاسة كامانو .

وفي ٢١ أغسطس وقع كامانو ميثلا للدستور والعسكريين وأعضاء منظمة الدول الأمريكية ميثاق الصلح وميثاق الدستور أنشئ بموجبه في ٣ سبتمبر حكومة مؤتدة برئاسة هكتور جارسية جودي وزير الخارجية . وفي انتخابات ١٩٦٦ جاء بلاجوير ، وأعيد انتخابه في مايو ١٩٧٠ .

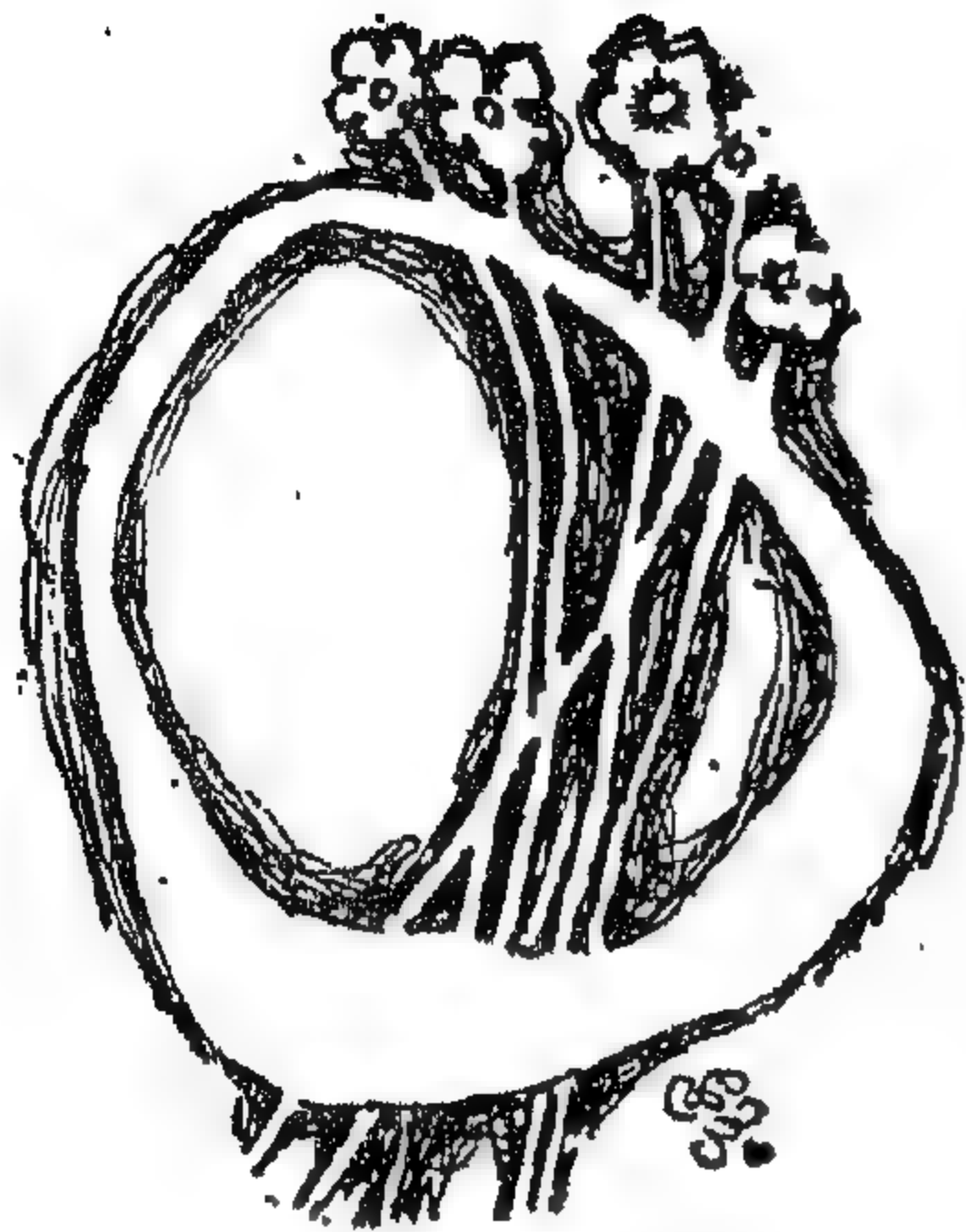
■ الأحزاب السياسية : الحزب الشيوعي الدومينيكي أنشئ في ١٩٤٥ . وفي ١٩٥٦ أنشئت مجموعة تقدمية أخرى هي الحركة الشعبية الدومنيكانية . أما أحزاب الاوليغارشية : فمن أهمها الحزب الديمقراطي الثوري ، والحزب الاصلاحى ، والحزب الثوري الاجتماعى المسيحى .

■ النقابات : اتحاد عمال الدومينيكان أنشئ في ١٩٢٠ وناضل ضد الاحتلال وفي ١٩٦١ نظمت الجبهة العمالية للنقابات المستقلة .

■ الاقتصاد : يعيش ٧٠ ٪ من السكان في مناطق ريفية ، وفي ١٩٥٠ كانت نسبة العاملين تمثل ٣٨٧ ٪ من السكان ٥٦ ٪ منهم في الزراعة ، و ٧ ٪ في الصناعة التحويلية . وبلغ الاستثمار الاجنبي من ٦٠-٥١ دخل ٥٦ مليون دولار استثمار أمريكي مباشر وفي ١٩٦٢ بلغ مجموع المستثمر من الاموال الأمريكية ١٤٣ مليون دولار .

أورجواي الشرقية

- المساحة : ١٨٣.٩٢٦ كم
- السكان : ٢.٥٩٢.٥٦٣ نسمة
- العاصمة : مونتيفيديو



الذكرى

الخامسة

عشرة

للاتحاد العام للعمال

عبد المنعم الغزالي

الوطني ١٩٦٢ انتهاج طريق التطور غير
الرأسمالي. وهذه الظروف الجديدة تطلبت من
الحركة النقابية المصرية تحركا جديدا سواء من
ناحية استراتيجيتها أو تكتيكاتها. على أن يكون
الاساس في هذه الحركة انطلاقها من واقع المصالح
الطبقية للطبقة العاملة في كافة مجالات حياتنا
الاجتماعية، على اساس الاتحاد مع السلطة
الوطنية الثورية الديمقراطية في ظل السياسة
الاقتصادية الجديدة حيث أصبح القطاع العام هو
محور وقلب التطور الاقتصادي، وحيث سادت
الاتجاهات المعادية للتطور الرأسمالي. أي أنه
بدخول الثورة المصرية المرحلة الثانية من حركة
التحرر الوطني أصبح التنظيم النقابي للطبقة
العاملة مواجه بتبين طريقه الجديد في ظل اوضاع
جديدة مختلفة عن مرحلة الحصول على
الاستقلال السياسي وعن مرحلة تمصير الاقتصاد
بعد العدوان. ان التنظيم النقابي في المرحلة
الجديدة أصبح في مركز المشاركة في المسؤولية
الاجتماعية وحركة المساهمة في بناء الدولة
الجديدة - وذلك باستخدام أشكال نضال نقابية

عشر عاما مضت على تأسيس
اتحاد العمال المصري منذ عام
١٩٥٧. وتقييم هذه الحقبة من
حياة الحركة النقابية المصرية على
جانب كبير من الاهمية، خاصة بالنسبة للتنظيم النقابي
الحالي، وقد حاولت قاعدته أن تحدد الدماء في
شرايين قياداته، منذ ستة شهور مضت وهذه التطورات
تمثل محاولة لمناقشة قضية التخلي الفكري
والسياسي والتنظيمي والنضالي للحركة النقابية
المصرية، منذ اجراءات يوليو ١٩٦١، وتطبيق قانون
النقابات الذي صدر في ١٩٦٤.

خمس

الحركة النقابية وطريق

التطور غير الرأسمالي

منذ اجراءات يوليو ١٩٦١ - وجدت ظروف
جديدة بالنسبة لتطور الثورة الوطنية الديمقراطية
المصرية عندما اعلنت قيادتها في ميثاق العمل

غير الاشكال التقليدي القديمة . وكما أعلن ميثاق العمل الوطنى : « ان الوضع الجديد لا ينهى دور التنظيمات العمالية وانما هو يزيدها أهمية دورها ، انه يمد هذا الدور ويوسعه من مجرد كونها طرفا مقابلا لطرف الادارة فى عملية الانتاج الى الحد الذى يجعل منها قاعدة طليعية فى عملية التطوير »

والذى حدث فى الواقع - ان التنظيم النقابى المصرى لم يكن مستعدا لتقبل هذا الوضع الجديد سواء من الناحية الفكرية ، أو السياسية ، أو العملية . وسبب عدم القدرة على مواجهة مثل هذا الوضع يمكننا أن نرجعه الى مجموعة من العوامل : أ - ضعف التكوين الفكرى والسياسى للحركة النقابية . ب - قصور دور التنظيمات الثورية فى حركة الطبقة العاملة المصرية ، وفقدان هذه الطبقة لقيادة سياسية موحدة لفترة طويلة سواء قبل حصول البلاد على الاستقلال أو بعده . ج - ان قيادة الحركة النقابية كانت فى ايدى عناصر بورجوازية صغيرة أو عناصر من المثقفين غير المرتبطين بحياة الجماهير العمالية العريضة . د - ان قطاعات رئيسية من القيادة النقابية والتي فرضتها الاوضاع السائدة والتي من بينها غياب تنظيم طليعى ثورى قائد للثورة وممثل للقوى الاجتماعية المطحونة - العمال والفلاحين والمثقفين - ان هذه القطاعات الرئيسية عرقلت عملية التوضيح الفكرى لدور الطبقة العاملة ، وتنظيمها النقابى الجديد ، لان توضيح هذا الدور كان يستلزم اشراك الجماهير العريضة فى البناء الجديد اشراكا حقيقيا مما يهدد استمرارها فى مراكز القيادة والمسئولية ، وكما قامت هذه القطاعات « بمدغ » التعبير الجديد للميثاق عن دور الميثاق وتزديده كشعارات للتضليل ، وعملها على اغلاق العملية الثورية ، والمحافظة على « التركيبات التقليدية » للبناء النقابى ، أبقت وحافظت على المبادئ « النقابية البحتة » ، والاصلاحية ، واستمرت فى الدعوة الى طريق ثالث وسط بين الاشتراكية العلمية والرأسمالية الليبرالية - طريق يمثل كل فكر البورجوازية الصغيرة بكل اتجاهاتها المحافظة وتطلعاتها الطبقيية ، فى نفس الوقت الذى ترفع فيه شعارات الميثاق الثورية التقدمية دون تحويلها الى منجزات فى التطبيق . وبذلك استمر التنظيم النقابى المصرى طيلة السنوات الماضية ويتأثر ونفذ القيادات البورجوازية الصغيرة مركزا لتلقى التعليمات والتوجيهات وبيغاء « بيروقراطيا » لا يقدم شيئا للثورة المصرية ، ولم يعد مركزا يعطى الثورة المصرية ويهبها كل قدراته وطاقات جماهيره الخلاقة المبدعة ، وضاعت كلمات الميثاق . التى ارادت له ان يكون « قاعدة طليعية فى عملية التطوير » وبذلك فشلت وعجزت هذه القيادات فى وضع برامج نقابية محددة للتنظيم النقابى ،

وعاشت فى عزلة تامة عن جماهيرها وتعالقت عليها - وحتى عندما أخرجت فى عام ١٩٦٥ لتعلن عن موقفها من معركة الانتاج صاغ لها أحد المثقفين الليبراليين ما سمي بدستور أو ميثاق العمى - النقابى - والذى أعلنته القيادة النقابية دون ارادة الجماهير العمالية العريضة ودون الرجوع اليها ومناقشته معها أو حتى مع القيادات فى المستويات الدنيا - فولد ميتا - وسريعا ما لقي حتفه فى أرشيف اتحاد عمال مصر ، شأنه شأن وثائق العديد من المؤتمرات العلوية التى نظمها الاتحاد لابداء الرأى فى قضايا الانتاج وتشريع العمل .

ان القيادات العمالية النقابية - وهى تردد الشعارات عن العمل والانتاج و... لم تضع فى اعتبارها أن جماهير العاملين ليست على استعداد لان تضع قواها فى خدمة « تقدم عام » دون أن يحقق لها مطالب اقتصادية واجتماعية ودون أحداث تحسينات فى وضعها ومستوى معيشتها وظروف عملها . وهو الامر الذى تنبه اليه ميثاق العمل الوطنى واستشعره عن وعى عندما قال : « ان النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسئوليتها القيادية عن طريق الاسهام الجدى فى رفع الكفاية الفكرية والفنية ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال . كذلك هى تستطيع ممارسة مسئولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادى والثقافى ويدخل فى ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاونى وتنظيم الاستفادة الجدية صحيا ونفسيا وفكريا من أوقات الفراغ والاحازات بما يساهم فى تحقيق الرفاهية للمجموع العاملة » .

وسجل السنوات الخمس عشرة الماضية منذ تأسيس الاتحاد العام المصرى للعمال خصال من « الاسهام الجدى » فى مجال الخدمات ، وفى مجال ممارسة مسئوليتها « لصيانة حقوق العمال ورفع مستواهم » . ووفقا لمفهوم هذه القيادات الليبرالى - البورجوازى الصغير - أن كل شىء قد تحقق للعمال فى يوليو ١٩٦١ ، وأنه قد تم الوصول الى الهدف - فان هذه القيادات لم تعمل فعلا من أجل تحويل التنظيم النقابى الى قوة دافعة ، وافقت البرامج النقابية الشاملة الواضحة لتحويل ما استهدفه ميثاق العمل الوطنى الى منجزات ، واتسمت بعدم النضج فلم تحدد الخطوات التالية للتخلى عن الرأسمالية ، فتحفظت « عمليا » من آفاق التطور غير الرأسمالى لبناء دولة الوطنية الديمقراطية ، وبلغ هذا التحفظ قمته فى موقفها من دعوة الميثاق الى بنى الاشتراكية العلمية « ، فخلقت « جوا من الهدوء الاجتماعى » الحافظ ، وتجاهلت أفكار الجماهير وتطلعاتها ورفضت اقتراحاتها بدون مبرر أو نشاط للتوعية ، وجمدت الوجود التى

يدور مؤثر وفعال في التمكين للديمقراطية السليمة . ان هذه التنظيمات لا بد أن تكون قوى متقدمة في ميادين العمل الوطني الديمقراطي ، وان نمو الحركة التعاونية والنقابية معين لا ينضب للقيادات الواعية التي تلمس أصابعها مباشرة أعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها .

● الى أى وضع قادت الاتجاهات البورجوازية الصغيرة التنظيم النقابي بعد ان تربعت على كراسى القيادة النقابية ؟

أولا : الى قيام تنظيم نقابي بلا برامج ومناهج بناء خاصة بالنقابات وبالمجتمع . ولقد أدى هذا الوضع الى عدم التوصل الى صيغة ملائمة للعمل المشترك بين التنظيم السياسى والنقابات ، واصبح التنظيم النقابي مركزا للتلقى ، يردد الشعارات ويهتف ويرغى ويزيد بها ، ولم يعد مركزا للأعطاء ، يعطى الثورة ويمنحها ، ويهبها طاقات الجماهير الخلاقة وقدراتها المبدعة .

ثانيا : الى - ابتلاع التنظيم النقابي بواسطة أبناء الطبقة الوسطى والبورجوازية الصغيرة والعناصر الليبرالية الغير عمالية - مكانت قيادة أفندية المكاتب ، الامر الذى أدى الى أن يفقد التنظيم الطبقي للطبقة العاملة . (أى تنظيمها النقابي) استقلاليته الحقيقية في العمل ، ونتيجة فقدان هذا التنظيم استقلاليته أصيب تحالف قوى الشعب العامل بضعف ، وانعدم الدور القيادي للتنظيم النقابي داخل الحركة الثورية العامة بشقيها : التحررى الوطنى الديمقراطى والاجتماعى ، وانعدم التوازن بين المصالح الطبقيّة والمصالح الوطنية العامة الحقيقية وبين المطالب النقابية الضرورية المشروعة . وقد أدى ذلك الى انعدام دور التنظيم النقابي العمالى فى الريف - من أجل خلق قواعد قوية لتكون ثمار التحالف فى الريف ليست لصالح طبقة الملاك الزراعيين المتوسطين (الرأسمالية الزراعية) ولكن لصالح مجموع الطبقات الكادحة التى من أجلها كان الاصلاح الزراعى ، وبذلك جاءت نقابات عمال الزراعة فى ريفنا غير ممثلة تمثيلا حقيقيا للعمال الزراعيين ، اذا تسلم زمام قيادتها كتبة الجمعيات التعاونية ومقاولى الانفار والعناصر الطفيلية فى العمل الزراعى . ولم تتحقق الوحدة بين العمل الصناعى والعمل الزراعى مما أضعف التركيب الداخلى للطبقة العاملة ، وحال دون بروز دور هذه الطبقة القيادية فى ثورة تتم وتتحقق فى بلد أكثريته الساحقة من الفلاحين ، الامر الذى أدى الى عدم تعبئة وتنظيم القوى البشرية صاحبة المصلحة الحقيقية فى التغيير والتى تستطيع على حد تعبير ميثاق العمل الوطنى - بدورها تغيير شكل الحياة

تعهدت بها أمام الجماهيرين . وبدلا من العمل مع القوى المتقدمة عن طريق الاقتناع والعمل الدعائى الجماهيرى الواسع من أجل حل كل المشاكل والقضايا المعقدة المتشابكة ، استخدم أسلوب « الفرض » والسيطرة على الحياة الداخلية للتنظيم النقابى بأساليب ووسائل علوية وببوروقراطية ، وقد ساعد على سيادة هذا المنهج فى العمل ، الضعف الداخلى للنقابات وانعدام الديمقراطية النقابية .

الحركة النقابية وصراع الطبقات

نقابات العمال هى منظمات طبقية خاصة بالطبقة العاملة - تعبىء هذه الطبقة فى حياتها اليومية ونضالها اليومى ودفاعا عن حقوقها - وهى تنظم أهم قاعدة طبقية فى الثورة الاجتماعية ، بصفتها القوة الاجتماعية الرئيسية المناضلة من أجل التقدم الاجتماعى ، ومن أجل التحرر الوطنى والديمقراطى ومن أجل نجاح التطور غير الرأسمالى . وهى على هذا الاساس قائمة فى مجتمعنا المصرى كمؤسسة لها دورها الطليعى فى بناء المجتمع الجديد ، وهى ليست مجرد أداة فى جهاز الإنتاج كما تريد القيادات النقابية البورجوازية الصغيرة ، أو كما تتصور قيادات مؤسسات الطبقات الوسطى ، والتى حاولت وتحاول دائما أن تجعل النقابات العمالية تتحرك بلا فكرية خاصة ، وان تتبنى واجبات غير سياسية وان تصبح حيادية اجتماعيا . وهذه تنطلق من منطلق يزعم بأنه لم يعد هناك مجال لوجود الطبقات فى مجتمعنا ، وأن الصراع الطبقي قد أمم ، وهى بذلك تتعارض حتى مع فكرية الميثاق - حيث يحدد الميثاق حتمية الصراع الطبقي وأن ما وجه من ضربات لكبار ملاك الارض والرأسمالية الكبيرة لم يزل المتناقضات بين بقية طبقات الشعب .

ان الحوار البورجوازى الصغير عن دولة خالية من التمايز الطبقي وعن الديمقراطية الحيادية طبقيا جعل النقاش حول دور الطبقة العاملة الطليعى لاداعى له ، وكذلك يؤدى الى انكار حقيقة ان اجراءات الثمر غير الرأسمالى والتطور الوطنى الديمقراطى تخلق وتوجد ظروفًا سياسية ملائمة للنشاط النقابى وتزيد من دور التنظيم النقابى فى بناء الدولة والسلطة الوطنية الديمقراطية - يقول ميثاق العمل الوطنى : « ان التنظيمات الشعبية وخصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية تستطيع أن تقوم

فيه تغييرا ثوريا حاسما . يقول ميثاق العمل الوطنى : « ان التعاون سوف يخلق المنظمات التعاونية القادرة على تحريك الجهود الانسانية فى الريف لمواجهة مشاكله . كذلك نقابات العمال الزراعيين سوف تكون قادرة على تجنيد جهود الملايين الذين ضيعتهم البطالة المقنعة وأهدرت بالسلبية طاقتهم . ان هذه القوى هى الخلايا التى تستطيع أن تنسج خيوط الحياة فى الريف من جديد وتصنع منها قمائشا حضاريا يقرب القرية الى مستوى المدينة » .

ثالثا : والى شكلية العضوية النقابية ، فانه رغم نمو العضوية العددية للتنظيم النقابى فان المستوى التنظيمى ضعيف والصلة بالجماهير العمالية غير قائمة حقا . ويوضح الجدول القالى هذا النمو العددي « الدفترى » للنقابات :

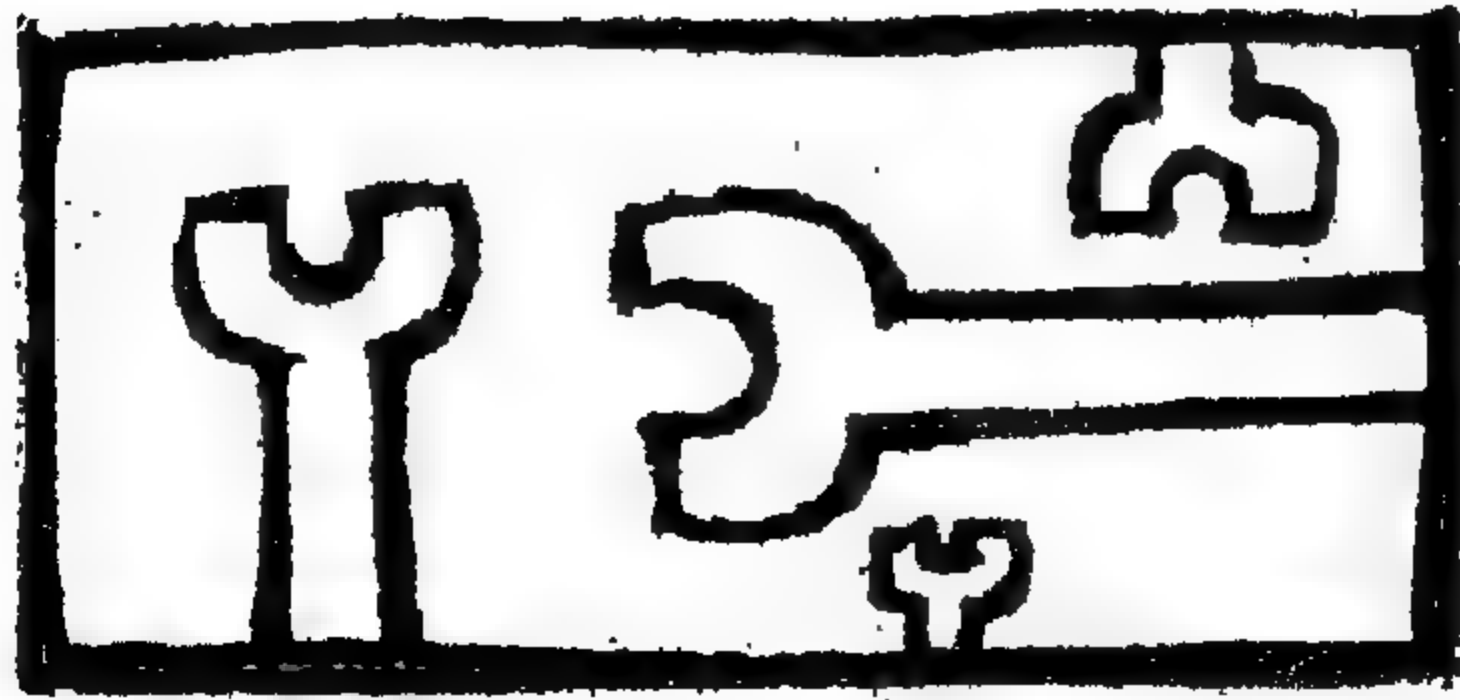
السنة	العضوية
١٩٥٢	١٥٩٦٠٨
١٩٥٥	١٩٤٢٤٥
١٩٥٦	٤٥٩٠٢٩
١٩٦٢	٣٠١٣١٠
١٩٦٣	٤٠٦٥٩٥
١٩٦٥	١٢٩٠٨١١
١٩٦٦	١٣٦٥٩٨٦
١٩٧١	حوالى ١٥٠٠٠٠

ان هذا النمو « الشكلى » لعضوية النقابات والذى جاء نتيجة لتطبيق القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ والذى استهدف قيام نقابات قوية ، ونتيجة لاشتراك العمال كتلة واحدة فى أغلب مشروعات القطاع العام بطريقة روتينية « تحصيل الاشتراك جملة عند تسليم المرتبات » - أى من الشباك - دون جهد نقابى أو نضالى ، والتسجيل الدفترى البحت لعمال الزراعة فى الريف - تماما مثلما يسجلون

فى دفاتر الصحة - لقد أدى هذا النمو الشكلى الى تفشى البيروقراطية فى العمل النقابى وسيادتها . وانه كنتيجة مباشرة لسيادة البيروقراطية والعناصر الليبرالية بكل تطلعاتها الطبقية الغير عمالية - انعدمت الديمقراطية النقابية ، وغدقت الجماهير ثقتها فى النقابات وأصبحت تعامل المسؤولين والقادة فيها كما تعامل الموظفين وكتبة المحاكم والمكاتب الحكومية . ان العامل البسيط وحتى النقابى من المستوى الأدنى عندما يتعامل مع رئيس نقابة عامة ، او مع عضو مكتب تنفيذى للاتحاد العام بتعبير « يا سعادة البك » انما يعبر عن هذه الحقيقة بواقعية مرة يصف بها حقيقة هذه القيادة .

والان ماذا بعد فى الذكرى الخامسة عشر لتأسيس الاتحاد العام للعمال ؟ اننا نريد من تنظيمنا النقابى أن يكون تنظيما طبقيا حقيقيا للطبقة العاملة - فى الصناعة والزراعة والخدمات - وأن يكون له برنامج وأهداف من أجل دعم التطور غير الرأسمالى وبناء الدولة الوطنية الديمقراطية ، وأن يكون مركزا للدفاع عن حقوق العاملين وعاملا لرفع مستوى حياتهم ، ومناضلا ضد كل تشويهات البيروقراطية وضد الاخطاء والسلبيات وضد المطامع الطبقية للرأسماليين ، وعاملا لاحداث تطور سياسى حقيقى للجماهير الكادحة والتضاء على تأخرها الثقافى ، ومركزا لنشر الفكر الاشتراكى العلمى - فكر الطبقة العاملة وسلاحها لبناء مصر الوطنية الديمقراطية - غير الرأسمالية .

ان مصر تريد التنظيم النقابى اليوم ديمقراطيا حقيقيا حتى يمارس دوره الطليعى فى اشرف معركة نخوضها لتحرير الارض من رجس الاحتلال الصهيونى الاستعمارى ، ولبناء مجتمع الرفاهية للكادحين .





جبهة الزراعة

في معركة

التحرير والبناء

د. علي النويجي
د. جلال رجب

لجنة الخبراء في مشروعات الري الكبرى بوزارة الأشغال أن الحد الأقصى للأراضي القابلة للزراعة يبلغ ١٠.٠٠٠.٠٠٠ فدان . أما الهيئة الدائمة لاستصلاح الأراضي فقد قدرت الأرض القابلة للزراعة بـ ١٣.٥٠٠.٠٠٠ فدان ، وهكذا تتغير مساحة الأرض القابلة للزراعة بزيادة القدرة على الدراسة والتقدم العلمي والفني في مجالات الزراعة .

وينتج الفلاحون المصريون بعملهم الكثيف طوال العام الذي لا تتخلله إجازات ولو كانت مرضية ما قيمته ١.٠٠٠ مليون جنيه ، أو ما يعادل ٥٥٪ من الانتاج القومي الحقيقي ، كما أنه من الصادرات التي بلغت جملتها عام ١٩٧١/٧٠ حوالي ٣٣٣ مليون دولار كانت الصادرات من المواد الزراعية الخام ونصف المصنعة والمواد الزراعية التامة الصنع تبلغ ٢٥٠ مليون جنيه أي حوالي ٧٣٪ من جملة الصادرات .

وهكذا يحقق الفلاحون المصريون بعملهم الشاق طوال العام المنجزات التي تصورها بعض المسئولين عن السياسة الزراعية حينما أعلنوا

الفلاحون المصريون البالغ عددهم نحو ١٨ مليوناً — ٤.٤٠ قرية و ٢٨٣٨١ عزبة ، كما يتولى هؤلاء الفلاحون زراعة ٩٧٤.٠٠٠ فدان ، ويقدر الزراعيون المساحة المحصولية التي يزرعها الفلاحون المصريون بـ ١٠.٧١٦.٠٠٠ فدان موزعة كالتالي :

يقطن

٤.٨٤٩.٠٠٠ فدان محاصيل حقلية وخضراواتية
٢.٤٥٥.٠٠٠ فدان محاصيل حقلية وخضراواتية
٥٩٠.٠٠٠ فدان محاصيل حقلية وخضراواتية
٢٣٢.٠٠٠ فدان حدائق

أما عن الأرض القابلة للزراعة فقد اختلف تقديرها باختلاف الأجهزة التي قدرتها واختلاف العهود التي جرى فيها ذلك التقدير :

ففي سنة ١٩٢٠ قدر خبراء وزارة الأشغال أن الحد الأقصى للأراضي القابلة للزراعة يبلغ ٧.٠٠٠ فدان — على أساس أن الضلحية الزراعية لن تكون إلا في الأراضي المكونة من رواسب طمي النيل . وفي سنة ١٩٤٢ قدرت

أن على الزراعة المصرية — دون مجرد ذكر
الفلاحين المصريين — أن تحقق أهدافا ثلاثة :

• توفير الغذاء للشعب .

• توفير الخامات اللازمة للصناعة المحلية .

• توفير فائض للاستثمارات الخاصة بالتنمية .

وقد تم ذلك فى ظروف بالغة الدقة والصعوبة
.. فالشعب المصرى يتعرض الآن لعدوان
استعمارى صهيونى يهدف الى استبعاد الشعب
المصرى والشعوب العربية ، وقطع الطريق
عليها فى محاولتها بناء حياتها المستقلة وتحقيق
استقلالها الوطنى . ولا شك أن الفلاحين المصريين

بما حققوه ، وما يحققونه قد جعلوا الصمود
امام العدوان الأمريكى الصهيونى ممكنا كما
انهم بما يحققونه سيجعلون الانتصار محتما .
غير أن الانتصار على العدوان وبناء الحياة
الوطنية المستقلة والخروج من التقسيم الدولى
الاستعمارى للعمل لا يمكن أن يتم بالامانى
والتمنيات ، وانما هو حصيلة عمل شاق يقوم
به الشعب — يستجيب الى متطلبات الحياة
اليومية ويخطط للمستقبل القريب منه والبعيد ،
وذلك كله لا يمكن أن يتم دون استعراض الواقع
ونقده نقدا ايجابيا يحاول نفي سلبياته فى الوقت
الذى يدعم فيه ايجابياته ، يقدم الاساسيات قبل
الفرعيات ويهتم بالجذور دون التشبث بالفروع
ويوضح اساس تطوير حياته . ذلك أن الانتصار
على العدوان الأمريكى الصهيونى لا يتطلب
تطوير الاسلحة والمعدات التى تستخدم فى القتال
فقط ، بل انه يستوجب بالدرجة الاولى تغييرا
جذريا فى علاقات الانتاج واساليبه كما يتطلب
أقصى حد من القدرة على العمل ومواكبة
التقدم .

فلنحاول هذه النظرة فى جبهة الزراعة والانتاج
الزراعى — التى تشكل أوسع اقسام الجبهة
الداخلية وأعمقها . ويمكن استعراض جبهة
الزراعة والانتاج الزراعى من دراسة اقسامها
الثلاثة :

١ — الارض وعلاقات الانتاج السائدة .

٢ — التسويق الداخلى والخارجى للمحاصيل
ومشاكل الائتمان والتعاون الزراعى .

٣ — الخدمات .

الارض وعلاقات الانتاج السائدة

سبق أن ذكرنا أن المساحة المحصولية فى مصر
تبلغ ١٦٠٠٠ ألف فدان ، وأن المساحة الفعلية
تبلغ ١٧٤٠٠ ألف فدان ، فسير أن الصورة

لا تكتمل إذا اكتفينا بالبيانات السابقة فالارض
المصرية تعاني من أمراض أساسية تقعد بالانتاج
الزراعى عن بلوغ الاهداف التى يمكن أن يحققها
الفلاحون المصريون بعملهم الشاق المتوالى طوال
العام ، كما أن علاقات الانتاج السائدة تهدر عمل
الفلاحين وتعوق الانطلاق نحو الافاق التى لابد
من ارتيادها حتى يتحقق النهوض الشامل بحياة
الشعب المصرى وتدعيم مستقبله . وسيتناول
فيما يلى ما يمكن أن نسميه بالامراض الأساسية
دون الاهتمام بالفرعيات المترتبة على هذه
الامراض :

أولا — فى مجال الارض :

— تفتت الارض : تعاني الارض الزراعية
المصرية من تفتت مبالغ فيه ، ويكفى للدلالة على
ذلك أن نذكر أن حصر المكلفات الزراعية والتكاليف
المشتركة فى ٤٠٩٨ قرية مصرية قد أوضح
حقيقتين خطيرتين :

— بلغ عدد المكلفات ٣٥٠٠٠٠٠٠٠ مكرمة .

— أن ثلاثة ملايين مكلف تقل مساحة كل منها
عن ثلاثة أفدنة .

وهذا يعنى أن ارض مصر المزروعة التى تبلغ
نحو ستة ملايين أفدنة تنقسم الى مزارع صغيرة
للغاية عددها — ٣٥٠٠٠٠٠٠ مزرعة — منها
ثلاثة ملايين مزرعة تقل مساحة كل منها عن ثلاثة
أفدنة . وإذا كنا جادين فى تطبيق الزراعة العلمية
الحديثة فلا نظن أن هذا التفتت يتيح أى فرصة
لذلك فالزراعة الحديثة وهى تعتمد على استخدام
الآلة تتطلب حجما للمزرعة لا يمكن بأى حال أن
يقارن به الحجم الحالى ، علينا أن نتذكر فى هذا
الصد أن صغر حجم المزرعة ليس ظاهرة جديدة
وانما هى من تراث الاقطاع المصرى الذى كان
يقسم ملكياته الى قطع صغيرة لتأجيرها للفلاحين
المصريين ، كما أنه علينا أن نذكر أن التفتت فى
الارض المصرية سيستمر بعجلة متزايدة نتيجة
لعمليات البيع والميراث وتزايد السكان فى الريف
.. أن ادخال الزراعة الحديثة التى تكلم عنها
السيد المهندس نائب رئيس الوزراء قائلا
[... تطوير الزراعة وفق أحدث الاساليب

العلمية والتكنولوجية ومسايرة التطور العلمى
والعالى] فى عرضه للتخطيط الجديد لقطاع
الزراعة والاصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى ،
لا يمكن أن يتحقق فى اطار هذا التفتت البالغ
للارض الزراعية . لقد عالجت الرأسمالية مشكلة
تفتت الارض بالمزرعة الرأسمالية الكبيرة ، كما
عالجت الاشتراكية المشكلة بالمزرعة التعاونية —
فإذا قمنا نحن لمعالجة هذه المشكلة . أن ما

يستجيب بالزراعة المنظمة لا يعود تنظيم دورات زراعية على نطاق واسع وهو ما سبق الفلاحون المصريون الى عمله من تلقاء انفسهم ، وهذه الزراعة المنظمة لم تستطع ان تقدم حلا صحيحا لمشكلة تفتت الارض وتخلف الزراعة المصرية .

— تدهور خصوبة الارض المصرية : نشر الاهرام الاقتصادي بالعدد ٢٢١ فى اول يونيو ١٩٦٩ — التقرير التالى : ٠٠٠ اظهرت عمليات الحصر والفحص الميكانيكى والكيمائى التى شملت ٠٠٠ ر ٢٥٠ فدان ، والتى استمرت خمس سنوات النتائج التالية :

أ — اراضى درجة أولى عالية الخصوبة ٤٩٪
ب — اراضى درجة ثانية متوسطة الخصوبة ٢٥٪
ج — اراضى متوسطة الخصوبة ٣٤٪
د — اراضى ضعيفة درجة رابعة ٨٪
هـ — اراضى درجة خامسة يمكن اصلاحها ١٩٪
ز — باقى المساحة منافع و اراضى غير صالحة للزراعة .

وعلى سبيل المثال فقد ذكر التقرير ان محافظة كفر الشيخ لا يوجد فيها فدان واحد يصلح ان يكون فى عداد الاراضى الممتازة ، بينما تبلغ الاراضى المتوسطة ٢٩٦ ر ٠٠٠ فدان — والاراضى البور والضعيفة ٢٠٠ ر ٢٠٠ فدان فى المساحة الكلية للمحافظة التى تبلغ ٨٤٠ ر ٠٠٠ فدان .

ولا شك ان تدهور خصوبة الارض المصرية مشكلة يجب ان تجند لها الكفاءات العملية والعلمية للتعرف على اسبابها ومعالجتها غير ان السيد نائب رئيس الوزراء للزراعة والاصلاح الزراعى قد اشار الى احد الاسباب الرئيسية ان لم يكن السبب الرئيسى فى تدهوره للاهرام الاقتصادي بالعدد ٣٧٢ الصادر فى ١٨/٢/١٩٧١ — فقد لاحظ سيادته فى جولة شملت ٧٢ ر ٠٠٠ فدان بكوم امبو سوء حالة الصرف الخطيرة وقال ان ما شاهده وما تلقاه من تقارير عن حالة الزراعات فى الوجه القبلى يشير فى مجموعه الى ان الجاصلات آخذة فى التدهور ، كما ذكر انه طلب اجراء دراسات عاجلة عن حالة الصرف فى اراضى الصعيد بوجه عام لصلة مشكلة الصرف بتدهور حالة الانتاج الزراعى — كما ذكر ان مركز كوم امبو أصبح يعوم على بحيرة من المياه الجوفية كما ذكر ايضا ان اللجنة الوزارية للزراعة والزى فى اجتماعها الاخير قد كلفت هيئة الصرف المغطى باعادة دراسة مشروعات الصرف على مستوى الدولة كلها خلال برنامج زمنى يستغرق ٥ سنوات . ولعل ذلك يوحى بأن مشكلة المياه الجوفية — وهى مشكلة رئيسية — لم تكتشف

الاغى السنة الاخيرة ، غير ان الحقائق تشير الى ان مشكلة الصرف العام والحقلى ظلت منذ امد بعيد تشغل اذهان الفلاحين ، والفنيين الزراعيين ، كما ان مشكلة الصرف الحقلى المغطى قد بدأت معالجتها بعد فشل المصارف المكشوفة بتجربة الصرف الحقلى المغطى منذ ١٩٤٢ حتى ١٩٤٥ . وبدأت التجربة فى مساحة تقدر بـ ١٨٥٠٠ فدان ، وفى سنة ١٩٥٣ أعيد تقييم هذه التجربة بالاستعانة بالتحليل الاحصائى للمحاصيل الزراعية ، وقد وجد حينذاك انه بعد ١٠ سنوات من بداية التجربة بلغت الزيادة فى المحاصيل ٤٧ فى المائة للقطن ، ٦٧ فى المائة للأذرة ، ٤٥ فى المائة للقمح ، ٥٠ فى المائة للارز — مع توفير فى الارض يبلغ ١٥ فى المائة . وقد اشار وزير الزى الاسبق السيد المهندس عبد الخالق الشناوى فى محاضراته التى نشرت فى المجلة الزراعية عدد مارس ١٩٦٦ الى مساهمة هيئة المعونة الفنية للامم المتحدة فى الدراسات التى تقوم بها الوزارة لمشروعات الصرف الحقلى المغطى ، وتم تنفيذ تجربة شبكات الصرف ابتداء من ١٩٦٢ فى ٢٥٠ ر ٠٠٠ فدان موزعة على بعض المحافظات الشمالية والوسطى والجنوبية ، واستعملت طريقة التنفيذ الميكانيكى فى بعض حقول التجارب ، وبلغت التكاليف من ٢٧ — ٣٣ جنيها للفدان ، وذكر السيد الوزير الاسبق فى محاضراته الخلاصة التالية :

١ — الصرف المغطى سيكسبنا زيادة فى الانتاج الزراعى تعادل انتاج مساحة لاتقل عن ثلاثة ملايين فدان دون اية زيادة فى تكاليف الانتاج والخدمات .

٢ — يسهل العملية الزراعية الحديثة .

٣ — يوفر مياه الري التى تذهب عبثا للمصارف المكشوفة .

٤ — ان الزيادة المتوقعة فى الانتاج الزراعى اذا نفذت مشروعات الصرف الحقلى المغطى تبلغ ٢٢٠ مليون جنيه .

ومن هذا نرى ان الامر لم يعد فى حاجة الى دراسات جديدة كتلك التى اشار اليها السيد نائب رئيس الوزراء ، ولا الى دراسات خبراء البنك الدولى للانشاء والتعمير التى اشارت اليها جريدة الاهرام يوم ٨/٥/١٩٧١ — حينما ذكرت ان خبراء البنك الدولى سيدرسون على الطبيعة مناطق مشروع الصرف فى الوجه القبلى ، تمهيدا لتقديم تقرير عنها تقيم على اساسه مساهمة البنك فى تمويل المشروع . ولا نعتقد ان سياسة البنك الدولى التى يديرها روبرت ماكنمارا ستختلف عن سياسة البنك الدولى سنة ١٩٥٦

الميكنة

لاتعدو الميكنة الحالية للزراعة المصرية استخدام الجرارات في حرق الأرض أو تهذيبها واستخدام الجرارات بطريقة بدائية وغير علمية في حراش القمح والأرز ، واستخدام ماكينات الري ذات الأداء المنخفض ، كما لا يعدو التخطيط لاستخدام الآلة في الزراعة إنشاء اللجان وأجراء التجارب غير عابئين بالحقيقة التي تقول أن الزراعة الآلية أصبحت من حقائق الحياة الزراعية وكان جهد وزارة الزراعة في هذا الشأن أن أنشأت لجسنا لدراسة خطة تطوير وتعميم الآلات الزراعية وقد اختارت هذه اللجان محلة موسى بمحافظة كفر الشيخ وقرية الجرن بمحافظة البحيرة لتكون مثلا أعلا في الميكنة الكاملة ، كما قامت كلية الزراعة بجامعة الاسكندرية بعمل تجارب مختلفة على الميكنة الكاملة . وعلى أي حال علينا أن نذكر في هذا الصدد أن نتائج إحدى التجارب قد أثبتت أن الميكنة الكاملة في مصر ممكنة وأن نتائجها لا تختلف عن نتائج الميكنة في أي بلد آخر : ففي قرية محلة موسى بمحافظة كفر الشيخ زراعة النطاف ثاب كانت زراعة القطن آليا ناجحة كما تقول الأرقام التي أذاقتها الهيئة العامة للإنتاج الزراعي :

١ - متوسط محصول الفدان بالزراعة الآلية ٧٠٢ قنطار ، بينما المتوسط في المنطقة لا يعدو ٤٦٠ قنطار .

٢ - تكاليف الزراعة الآلية [العمل] ١٨٦٢٥ جنيها للفدان ، بينما ترتفع تكاليف الزراعة اليدوية في نفس المنطقة إلى ٣٢٥٣٠ جنيها للفدان .

هذا ما تقوله بعض هيئات وزارة الزراعة بينما نجد بين فينة وأخرى الدعوات التي ترتفع داعية إلى استخدام الأساليب البدائية مثل استخدام الأيدي في مقاومة الآفات الزراعية بكتفية دودة القطن بالأيدي محتجين بالعلم المزيف حول مضار المبيدات الحشرية التي قد تتخل بالتوازن البيولوجي بين الآفة وأعدائها الطبيعية ومثل ذلك من الخرافات وتستغل بعض التطبيقات السيئة وهي مسئولة عنها في التدليل على إفضلية الوسائل البدائية في الزراعة .

ثانياً - في مجال علاقات الإنتاج السائدة : من الأرض المصرية البالغة ستة ملايين فدان مزروعة بزرع ٤٢٠٠٠٠٠ فدان بالايضان مشاركة ونقدا ، وقد كان اتجاه ثورة يوليو ١٩٥٢ . هو ضمان حق الفلاحين المصريين في الاستقرار وحمايتهم من الطرد مع ضمان حقوق الملاك ،

حينما ظل يرسل وقودا للدراسة وبيعنا بالبعثات حتى انتهى إلى رفضه المشهور للاشتراك في تمويل السد العالي في ظروف بالغة الصعوبة لا تختلف عن ظروفنا اليوم .

ان تدهور خصوبة الأرض التي أشارت إليها الإحصائية التي سبق ذكرها ستظل بدون حل حتى يتم حل مشكلة الصرف الحقل المغطى التي أثبتت التجارب أنها الحل الوحيد لها ، كما ان جميع المحاولات الأخرى الخاصة بمعالجة خواص التربة أو إضافة المخصبات الصناعية والطبيعية ستظل بدون جدوى طالما ظل مستوى المياه الجوفية بما يحمله من أخطار مرتفعاً إلى هذا الحد .

مشاكل الأرض الجديدة

حسم السيد المهندس نائب رئيس الوزراء سيد مرمي المشكلة التي طال الجدل حولها وهي كيفية التصرف في الأرض الجديدة ، والتي سبق أن قرر اتجاه حسمها القائد جمال عبد الناصر حينما أشار بان ما استصلح بأموال الشعب يجب أن يعود إلى الشعب كله وذلك بتكوين قطاع هام في الزراعة . وقد قدم السيد نائب رئيس الوزراء إلى مجلس الوزراء مذكرة بإنشاء ١١ شركة زراعية في الأراضي المستصلحة الجديدة في أوائل نوفمبر ١٩٧١ غير أن القرار الذي قدم لمجلس الوزراء قد ترك ثغرات واسعة تؤدي إلى مزيد من تفتيت الأرض المصرية تقطع الطريق على تكوين قطاع عام قادر وقوى في الزراعة يوجه الزراعة المصرية ، ويفتح أمامها الطريق نحو استخدام الأساليب الحديثة والعلمية في الإنتاج الزراعي - فقد أشار القرار إلى أن تركز من الشركات المصرية الكبيرة على التصرف في الأرض الجديدة بالتأجير والتملك ، وهي شركات الحفير واختصاصها ٥٥٠٠٠ فدان ، والحامول واختصاصها ٣٩٠٠٠ فدان ، والمنصورة الزراعية واختصاصها ٤٢٠٠٠ فدان ، وصان الحجر الزراعية واختصاصها ٣٥٠٠٠ فدان .

ان الزراعة الآلية هي البديل الوحيد للشقاء البالغ ، والمجهود البدني غير الإنساني الذي يبذله الفلاحون المصريون ، وهذه الزراعة الآلية غير ممكنة في المزارع الصغيرة التي سيؤدي إليها توزيع الأراضي الجديدة ، ولذلك فإن المفهوم الوحيد للنص على التركيز بالإيجار والتمليك هو استمرار تخلف الزراعة المصرية ، وازدياد شقاء الفلاحين المصريين .

٣ - ضمان استقرار المستأجرين وحمايتهم بتوجيه التعديلات نحو تفضيل علاقات الإيجار بالنقد .

٤ - الاتجاه الجدى نحو خلق قطاع عام فى الزراعة فى الشركات الجديدة .

التسويق ومشاكل الائتمان

التعاونى الزراعى

التسويق الداخلى :

يرتبط التسويق الداخلى للمحاصيل الزراعية بالائتمان الزراعى أو تمويل الانتاج الزراعى ارتباطا وثيقا - وليس ذلك ظاهرة حديثة ، بل أنها ملاحظة حتى قبل إنشاء وتعميم الجمعيات الزراعية فان المربين الذين كانوا يمولون الانتاج الزراعى فى الفترة السابقة على تعميم الجمعيات التعاونية كانوا لا يستردون نقودهم بعد احتساب سعر فائدة نقدا ، وانما كانوا يحصلون على مستحقاتهم وفوائدها التى كانت تصل الى ٦٠٪ فى مدة لا تتجاوز ثلاثة شهور مبادلة بالمحاصيل وحتى لا يقع المربى تحت طائلة القانون فان العملية تدبر وكأنها عملية بيع وشراء فيتعاقد الفلاح مع المقرض على بيع محصوله أو جزء منه ، ولما كانت البضاعة غير حاضرة لانها لم تنضج بعد فان ثمن البيع كان يتراوح بين ٥٠٪ أو ٦٠٪ من السعر الاصلى ، وعند نضج المحصول يكون لدى الفلاح مسئوليات أخرى هى مطلوبات الحكومة ومتطلبات الحياة اليومية فيعجز عن توريد ما تعاقد عليه ، وللخلاص من هذا المازق يتم بين المقرض والفلاح عملية تسمى بالتدبير ، وهى أن يقيم ما كان مفروضا أن يحصل عليه المشتري بالسعر الحقيقى ، ويكتب عقد جديد يبيع فيه الفلاح محصول السنة القادمة للمشتري السابق ، وفى هذه الحالة نظرا لطول المدة التى سينتظرها المشتري لا يزيد الثمن عن ٥٠٪ من الثمن الحقيقى ، وبهذه الطريقة لا يتجاوز الثمن الذى يبيع به الفلاح ٢٥٪ من الثمن الاصلى . وبهذه الطريقة يكبل الفلاح بديون لا يستطيع التخلص منها الا ببيع ما يملكه من ماشية أن كان يملك ماشية أو أرضا أن كان يملك منها شيئا . ذلك هو معنى ارتباط التسويق بالتمويل فيما قبل الائتمان الزراعى وذلك يضع قاعدة هى [أن من يمول المحصول هو المالك الحقيقى له وليس من ينتجه] وجاءت الجمعيات التعاونية ثم [جاء التسويق التعاونى لحماية الفلاح من المربى الذى استنزف جهد الفلاح ، ثم ما لبثت الشكوى أن ارتفعت من التسويق التعاونى ، مرة من الفرز وأخرى من تأخير الحصول على ثمن المحصول وثالثة من تضخم أعباء الانتاج والمديونية ، وسبعنا من

والأنتاج فى التشريع نحو تفضيل علاقة الإيجار بالنقد على علاقة الإيجار بالمشاركة ، وقد حاول الملاك مرات متعددة التحايل على القوانين التى تكفل استقرار الفلاحين المصريين مرة بالتهرب من تنفيذ القوانين بالشغرات الموجودة بالقوانين ذاتها ، وأخرى صريحة بمحاولة تعديل القانون ذاته - ذلك أن الزيادة فى تعداد الفلاحين المصريين تغرى الملاك بمحاولة الحصول على عملهم بأقل الاجور للتنافس الشديد على الأرض الضيقة الرقعة ، ويفضل الملاك المصريين فى الوقت الراهن علاقة الإيجار بالمشاركة وهى علاقة اقطاعية فى جوهرها نبذتها جميع الدول حتى تلك الانظمة العميلة التابعة للولايات المتحدة الأمريكية كفرنوزا والفلبين التى حرمت فيها المشاركة واعتبرت مخالفة للنظام العام للدولة . ولاشك أن الإيجار بالمشاركة يهدر قدرات الفلاحين المصريين ويجهض عملهم ، ويقلل من مساهمتهم فى زيادة الانتاج الزراعى . وقد حاول الملاك المصريون تعديل القوانين المنظمة للعلاقات بين المالك والمستأجر لصالحهم بمشروعات تعديل القوانين التى أشارت اليها جريدة الاهرام فى ١٢/٨/١٩٧٠ من طريق لجنة التنمية الزراعية بمجلس الأمة فى دورته الأخيرة - ورغم الفشل الذريع الذى لقيته هذه المحاولة فان الانباء تشير الى محاولة أخرى مجهولة الهوية فقد أشارت جريدة الجمهورية بتاريخ ١٠ - ٥ - ١٩٧١ - الى أن السيد حسين فهمى البدوى وزير العدل قد أصدر قرارا بتشكيل لجنة لتعديل قانون الاصلاح الزراعى فيما يختص بتحقيق العدالة بين المؤجرين والمستأجرين على أن تنتهى اللجنة من مهمتها قبل نهاية شهر يونيو ، ولا يعرف أحد على أى وجه اتجاه التعديل ولا ما تم فى ذلك . وكل الذى نستطيع أن نقوله فى هذا الشأن هو أن المستأجرين وهم المنتجون الحقيقيون للثروة الزراعية يجب أن يتمتعوا بأقصى الضمانات - كما أن علاقة الإيجار بالمشاركة تعتبر سبة القرن العشرين فهى تعيد الفلاحين المصريين الى قيود العبودية من جديد . ولم يعد فى العالم كله وجود لمثل هذه العلاقة الشاذة المتخلفة بين الملاك والمستأجرين . وعلينا أن نذكر فى هذا الصدد أن موضوع علاقة الإيجار بالمشاركة والنقد وما يدور حولها من مناقشات لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالاشتراكية ولا تدخل فى أبوابها .

ومن ذلك نرى أن هناك أربع محاور رئيسية يجب أن يدور حولها البحث لمواصلة التقدم والنهوض بالانتاج الزراعى فيما يختص بالأرض وعلاقات الانتاج السائدة وهى :

١ - معالجة تفتت الأرض المصرية وصفر وضيق وحدة الانتاج الزراعية الذى يجعل الزراعة العلمية فى حكم الخرافة .

٢ - معالجة تدهور خصوبة التربة المصرية .

فلاحين انتجوا وسلموا مخصصاتهم ثم عند الحاسبة قيل لهم لم يعد لكم شيء .

لقد تعددت أسباب الشكوى كما تعددت مظاهرها وكان آخر المتكلمين هو الاتحاد التعاوني المركزي الذي اذاع في جلسته يوم ١٠/١٠/١٩٧١ - أن نظام التسويق الحالي لا يحقق مصلحة الفلاح ولا الدولة . ولا يعرف أحد جهة درست المشكلة وإنما كل الذي نشر كان عفو الخاطر وقد قرر الاتحاد التعاوني المركزي أخيراً في اجتماع ١٠/١٠/١٩٧١ - أن تدخل الشركات متنافسة في شراء القطن من الفلاح ، كما قرر في نفس الوقت قراراً مناقضاً بأنشاء جمعية تعاونية عامة ، متخصصة في تسويق القطن . ذلك في الوقت الذي يشيد فيه السيد نائب رئيس الوزراء بما سمي بالتجربة الرائدة في تسويق القطن في جمعية سنديون الزراعية التي دعت السيد رئيس الوزراء لزيارة الجمعية ومعاينة عملها على الطبيعة ، وقد نشرت المجلة الزراعية في ابريل ١٩٧١ - الميزانية التي عرضت على السيد رئيس الوزراء وكانت خلاصة التجربة التي أشاد بها السيد نائب رئيس الوزراء لشؤون الزراعة هي : أن الجمعية قامت بعمليات التسويق للمحاصيل وخصوصاً القطن كجمعية تعاونية فأصبح مركز التجميع تابعاً للجمعية وهي التي تقوم بالصرف عليه وتخزن القطن في مخازن الجمعية ، وهي التي تتولى استلام ثمن القطن وصرف الثمن والفائض للفلاحين وحقت أرباحاً قيمتها ٣٨٨٩ جنيهاً و ٦٨١ ملياً ، كما أصبح حسابها الجارى بالبنك ١١.٣٢٧ جنيهاً و ٧٠٠ مليم . وفي نفس الوقت يعلن المسئولون عن الاستعداد لالغاء التسويق التعاوني اذا تبين انه لا يحقق مصلحة الفلاح وقد قيل هذا صراحة في اجتماع الاتحاد التعاوني المركزي الذي سبق ذكره ، ولم يذكر المسئول الذي صرح بذلك شيئاً من البديل الذي لانشك في انه النظام السابق على التسويق التعاوني بما يحمل من أخطار للفلاح . ومن واد آخر ارتفعت صيحة في قرارات وتوصيات مؤتمر الارز الذي عقد في ١٩٧٠/٥/٧ - للاسترشاد بتجربة تسويق القطن في تسويق محصول الارز - وفي نفس الوقت ارتفعت اصوات المدافعين عن القطاع الخاص حتى تقرر أن تطرح الاسمدة الكيماوية في الاسواق الحرة بزعم توافر انتاجها فاذا بها تختفي فجأة من الجمعيات التعاونية لتعاود ظهورها في متاجر القطاع الخاص ، واضطر الفلاح الذي لا يملك نقوداً كالعادة الى شراء الاسمدة من القطاع الخاص لا تقداً ولكن مبادلة بمحصوله كما سبق أن بينا ، وبدأت الرأسمالية الزراعية وتجار المحاصيل يستعدون لاستئناف نهيم المنظم للفلاح

يساعدهم في ذلك القائمون على شؤون الزراعة بوعى أو بغير وعى . وهكذا تضيق الحقيقة بين عدم الاكتراث وبين الطامعين في استنزاف الفلاح . ان تضارب تصريحات المسئولين وتعارض ما يذكر حول نجاح وفشل التسويق يؤكد الحاجة الى القيام بدراسة جادة لكل جوانب المشكلة واشراك جماهير الفلاحين الذين ترتكب بأسهم كل عمليات السلب والنهب المنظم في دراسة مشكلتهم .

ان حقائق التاريخ القريب والموقف الراهن تحتم علينا الالتزام بالقيود التالية :

١ - الا يعود القطاع الخاص بأية طريقة او بأية نسبة الى المعاملات الخاصة بتمويل العمليات الزراعية أو تسويق محاصيل الفلاحين . أن أزمة الفول وهو غذاء شعبي أساسي لتلقى الضوء على دور تجار القطاع الخاص ، لقد تسرب محصول الفول الى أيديهم ، ووصل بهم الامر الى حد تهديد وزير التموين السابق في اجتماع علني في الاتحاد الاشتراكي بالامتناع عن بيع ما لديهم من مخزون الفول الا اذا ألغيت تسعيرة الفول أو رفع سعره الى ١٩ جنيهاً للارديب في حين تعرض وزارة التموين تسعة جنيهاً للارديب ، مع العلم بأن السعر الذي اشترى به التجار محصول الفول هو ٦ جنيهاً . ولا نستطيع بعد ذلك تحت أي دعوى أن نترك تجار القطاع الخاص يتحكمون في محصول الفلاح وفي قوت الشعب .

٢ - ان تشترك جماهير المنتجين الفلاحين في دراسة وتقرير السياسة الملائمة للتسويق الداخلي .

التسويق الخارجى :

رغم كل المناقشات التي دارت في العام الماضى حول حق الشركات المتعددة في الاستقلال بسياسة تصديرية خاصة بها، ورغم كل التفاصيل التي وردت في هذه المناقشات حول دول الاتفاقيات ومنطقة التجارة الحرة والعملية الصعبة وغيرها من المسائل التي تعرض على الشعب في تعبيرات غامضة - رغم ذلك فإن حقيقة هامة أغفلت أو تغافل عنها الجميع وهي أن استقلالنا الوطنى مرتبط أشد الارتباط بالطريقة التي نشترك بها في سوق التجارة الدولية . أن الاستعمار ليس معناه وجود قواعد عسكرية، وإنما هو في صورته الحديثة أرغام الأمم الفقيرة والنامية على الاشتراك في التقسيم الدولي للعمل بحيث تنتج الخامات وتستورد السلع المصنعة - وبذلك تبقى دائماً أسيرة فقرها وتخلبها . لقد كانت المقولة الرئيسية لبير جباليه في كتابه

« مكانة العالم الثالث في الاقتصاد العالمي » هي (٠٠٠) أن دمج البلدان الرأسمالية غير المتطورة تطورا كافيا في السوق العالمية بصفتها منتجة للخامات من شأنه أن يجعلها خاضعة للاحتكارات الكبرى ولراقبتها الدائمة . وقد نقلت جريدة « لوموند » عن دايورى هامانى رئيس النيجر تعليقه على اتفاقية ياوندى بين الدول الافريقية الـ ١٨ والسوق الاوربية المشتركة بالعدد الصادر في ١٩٦٦/١١/١ قوله أنه لاحظ هبوطا مستمرا في أسعار الحاصلات الزراعية المصدرة الى السوق الاوربية وصل من ١٠٠ الى ٧٤، بينما ارتفعت أسعار المنتجات الصناعية من ١٠٠ الى ١٢٣ في خلال أربع سنوات . ولعل المفاوضات المصرية في المفاوضات مع السوق المشتركة يتذكرون أن المفاوضات كانت تتعثر حينما كانوا يقتربون من مناقشة موضوع المنسوجات المصرية ، بينما لم يكن هناك اعتراض على تصدير الخامات . أن ذلك يحمل في حقيقته الرغبة في إبقاء البلدان النامية ومنها مصر في أسوار الفقر والتخلف بقصرها على التخصص في إنتاج الخامات وتصديرها . وسبق أن أوضح « اجناسى زاكس » في « التجارة الخارجية والتنمية الاقتصادية » [٠٠٠] أن أهم العوامل المميزة لمثل هذا النموذج من « الاقتصاد التصديري » هو جيب من رأس المال الاجنبي المنتج للسلع الأولية المعدة للتصدير ، ومجموعة صغيرة من مستهلكي الواردات الكمالية [٠٠] ولعل القائلين على تصدير الارز يعلمون لماذا تعرض المانيا شراء الارز الشعير بسعر الارز الابيض ، ذلك لان القاعدة الاساسية للاستثمار ليس بالدرجة الاولى في أسعار المواد الخام — وأن كانت مهمة — وإنما في إبقائنا خارج حلبة التصنيع والتقدم الحقيقي [٠٠]

لقد جاء في المجلة الاقتصادية التي يصدرها البنك المركزي المصري — المجلد التاسع عدد ١١ و ٢ عام ١٩٦٩، عن صادرات القطن والمنسوجات الأرقام التالية :

قطن خام	١٢٠.٠٨٠.٠٠٠ جنيه
خيوط قطن	٢٩.٨٥٥.٠٠٠ جنيه
منسوجات قطنية	١٤.٨٧٠.٠٠٠ جنيه
ملابس جاهزة	٤.٢٧٠.٠٠٠ جنيه

وذلك رغم أن المستهلك الاوروبى يفضل الملابس الجاهزة لارتفاع أسعار التجهيز . ومن المثل السابق يتضح أننا نشترك في التجارة الدولية بطريقة تحقق خسائر مؤكدة — فأننا يجب أن نستغل كل الخامات المتوفرة لدينا

بتصنيعها ، وبذلك ننشأ لدينا صناعة قوية ونقدمنا تكنولوجيا مؤكدا . أن دولة كاليابان لا تملك مصادر للخامات ولا مناجم للطاقة ومع ذلك فقد اشتركت في معركة ضارية ضد الاحتكارات الامريكية فيما يسمى بحرب المنسوجات . وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن محصول الارز الذى تصدر منه ما يربو على ٥٠٠.٠٠٠ طن يجرى تجهيزه بطريقة بدائية . فنحن ننتج من ربيع الكون ١٢٠.٠٠٠ طن كناتج جانبي لضرب الارز، تصدر منه جزءا ونصنع الباقي في علف الحيوان، بينما تستطيع صناعة ضرب الارز الحديثة في أوروبا أن تستخلص منه نوعين يضاف أحدهما الى الخبز لتحسين مواصفاته ، بينما يستخدم الآخر في علف الحيوان . وقد أوصى مؤتمر الارز الاول في ١٩٧٠/٥/٧ بإجراء دراسة حول فصل ربيع الارز ناتج الكونين الاول والثانى كما أوصى بالتوسع في استخدام أجهزة التنقية الالكترونية وطرق ضرب الحديثة وخاصة طريقة الإذابة والاستخلاص التى ما زالت تحتكرها الشركة المنتجة لها ، نظرا لما تبين من تنوع منتجاتها ذات القيمة العالية مع إنتاج أرز خال من الكسر .

ونكتفى بهذا القدر من ذكر محصولاتنا التى تصدرها بشكلها الخام ونخسر من جراء ذلك خسائر فادحة ، ونخلص الى الحقائق التالية :

١ — أن تقدمنا الصناعى والفنى مرتبط أشد الارتباط بتصنيع خاماتنا الزراعية .

٢ — أن المحافظة على استقلالنا الوطنى ترتبط بالخروج من التقسيم الدولى الاستعمارى للعمل — وذلك بتصنيع خاماتنا وإعدادها للاستهلاك المباشر تفاديا للاختناقات والتحكم الذى تسببه الاحتكارات الصناعية الاستعمارية .

٣ — أن معركة الصمود تستدعى أن يحقق اقتصادنا الوطنى استقلالاً عن تأثير الاحتكارات الاستعمارية التى تشارك عدونا بإيقائنا فى حلقة التخلف .

التعاون الزراعى

أدت التعديلات التى أدخلت على التعاون الزراعى بصدر القانون الجديد فى ١٩٦٩/٨/١٨ الى ثلاث نتائج :

١ — سيطرة أغنياء الريف على مجالس إدارة الجمعيات التعاونية وما يليها من مستويات قيادية بعد إلغاء النسبة المنصوص عليها فى القرار الوزارى الصادر عام ١٩٦١، وهى ضمان

٨٠٪ من أعضاء مجلس الإدارة لصغار الفلاحين
مالكي وحائزي خمسة أفدنة فأقل .

٢ - دخول فئات جديدة لا صلة لها بالزراعة
كالتجار والمهنيين في مجالس الإدارة .

٣ - إهدار حق الفلاحين المصريين في
الاشتراك في التخطيط لما يخصهم . على أن
النتائج السابقة أصبحت لا قيمة لها بعد أن
وقعت الجمعية التعاونية في قبضة الجهاز
الحكومي ، ويكفى أن نشير إلى موضوع الرقابة
المفروضة على مجالس الجمعية حتى نرى كيف
أفرغ التعاون الزراعي من مضمونه ففي نص
القانون نرى :

١ - وجوب اعتماد قرار الجمعية لدى مفتش
التعاون التابع للهيئة العامة للتعاون الزراعي .

٢ - وجوب اعتماد قرار مجلس الجمعية من
المشرف الزراعي الممثل لوزارة الزراعة .

٣ - وجود لجنة رقابة من أعضاء الجمعية
العمومية لا تختارهم الجمعية ، وإنما
يختار الاتحاد الاشتراكي اثنين ، ويختار
الاتحاد التعاوني واحدا ، كما تختار المؤسسة
التعاونية ومجلس المحافظة المختص عضوين
آخرين . (مادة ٥٤ من قانون التعاون الزراعي)

٤ - جهاز المراقبة المعين من قبل الاتحاد
التعاوني الزراعي المركزي . (مادة ٥٧)

أن تعدد أجهزة الرقابة واختلاف الجهات
المستولة عنها يجعل من مجلس إدارة الجمعية وهو
الممثل الشرعي لأعضاء الجمعية العمومية مجلسا
صوريا . وأدى ذلك في الواقع إلى تجريد التعاون
الزراعي من صيفته الجماهيرية ، وعلى الطبيعة
نجد أن مجلس الجمعية يقرر قرارا يغير بعضه
مفتش التعاون ، ويغير بعضه الآخر المشرف
الزراعي - ثم يتولى التنفيذ رئيس الحسابات وهو
موظف تسابع لمؤسسة الائتمان الزراعي
والتعاوني (بنك التسليف سابقا) وبهذا أجهض
عمل الجمعية التعاونية تخطيطا وتشريعا وتنفيذا .
لقد تم ذلك كله بحجة حماية الفلاحين من السرقة
والإهمال وعدم الخبرة ، وهي صفات تتصف بها
بالدرجة الأولى المؤسسات المشرفة والمراقبة
للتعاون الزراعي على وجه العموم .

أن ذلك يطرح ثلاثة محاور يجب أن تدور حولها
الجهود من أجل إيجاد نظام تعاوني للفلاحين
المصريين ،

١ - استقلال الفلاحين في إدارة تعاونياتهم
بصفتهم منتجين - مع ضمان حق فقراء الفلاحين
في التمثيل الصحيح بتحديد أربع أخماس

العضوية في مجالس الجمعية لهم . وقصر المحاسبة
والرقابة على القضاء والمحاكم .

٢ - اشتراك الفلاحين في التخطيط للدورة
الزراعية والإنتاج الزراعي بوجه عام .

٣ - أن تمارس الدولة رقابتها واشتراكها مع
الفلاحين من خلال الاتحاد التعاوني الزراعي
المركزي .

ونكتفي بهذا القدر من محمولاتنا التي
نصدرها عامة بشكلها الخام وبكميات ضئيلة
للغاية بشكلها المصنع . ونخلص إلى الحقائق
التالية :

١ - أن تقدمنا الصناعي والفني مرتبط أشد
الارتباط بتصنيع خاماتنا الزراعية المنتجة .

٢ - أن استقلالنا الوطني مرتبط بالخروج عن
التقسيم الدولي الاستعماري للعمل - وذلك بتصنيع
خاماتنا واعدادها للاستهلاك المباشر تفساديا
للاختناقات والتحكم الذي تسببه الاحتكارات
الصناعية الاستعمارية .

٣ - أن معركة الصمود تستدعي أن يحقق
اقتصادنا الوطني استقلالاً عن تأثير الاحتكارات
الاستعمارية التي تشارك عدونا بإيقائنا في حلقة
التخلف .

الخدمات

سبق أن أشرنا إلى أن الفلاحين المصريين البالغ
عددهم نحو ١٨ مليوناً يقطنون في ٤٠٤٠ قرية ،
٢٨٣٨١ عزبة ، ولاشك أن ذلك يؤثر تأثيراً بالغاً
على نوع وقدرة الخدمات التي يمكن أن تؤدي لهم .
وعلى أن نشير هنا إلى العوامل التي أدت إلى هذا
التشتت السكاني البالغ فيه - لقد نشأ ذلك التشتت
تحت تأثير عاملين :

١ - أدى تجريد الفلاحين المصريين من حيازاتهم
للأرض بالتسويق المراسي للمحاصيل ، والتمويل
المراسي للانتاج الزراعي إلى انتزاع المراسين
والتجار والمهنيين عموماً الأرض من الفلاحين ،
وكون كل من الملاك الجدد نواة لتوسعه في
المستقبل ، وذلك بنقل الأجراء والمستأجرين إلى
وحدات سكنية بعيدة عن القرى الكبيرة التي كانوا
يقطنونها . وأدى ذلك بالضرورة إلى إضعاف
الحركة السياسية والاجتماعية للفلاحين .

٢ - أدى التسلط والارهاب الذي أوقعه كبار
الملاك والاقطاعيين على الفلاحين إلى هروبهم ،
بأنشاء وحدات سكنية جديدة بعيدة عن مراكز
التسلط والارهاب .

وأياً ما كان السبب فإن النتائج التي ترتبت على
هذا التشتت كانت وستظل بعيدة الأثر في حياة

الفلاحين المصريين - ذلك أنها ستعمل بالضرورة على الاقلال من حجم ونوع الخدمات التي يمكن أن تؤدي اليهم - كما أنها تشكل العائق الاساسى فى حركة الجماهير الفلاحية من أجل المشاركة فى الحركة السياسية العامة للشعب المصرى .

ويمكن لنا أن نتصور ما يجرى من خدمات للفلاحين المصريين اذا تذكرنا الارقام التى اذاعها الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء - فقد قسم البيان المحافظات الى محافظات حضارية ، هى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس قبل التهجير - أما باقى المحافظات - فقد أطلق عليها المحافظات غير المتحضرة .

١ - المحافظات المتحضرة يعمل بها ٨٧٩ فى المائة من الحقوقيين ، ٨٧ فى المائة من التجاريين ، ٦٥٤ فى المائة من الزراعيين ، ٦٠ فى المائة من البيطريين ، ٧١ فى المائة من خريجي العلوم ، ٧٣ فى المائة من المهندسين .

٢ - محافظات الريف ونسبها كالتالى : ١٢ فى المائة من الحقوقيين ، ١٣ فى المائة من التجاريين ، ٣٤٦ فى المائة من الزراعيين ، ٤٠ فى المائة من البيطريين ، ٢٩ فى المائة من خريجي العلوم ، ٢٦ فى المائة من المهندسين .

ويمكننا أن نقسم الخدمات الاساسية بالنسبة للفلاحين الى :

١ - الخدمات الصحية : من البسيدييات أن الغذاء الصحيح يمثل السور الاول الواقى من الامراض وبخاصة البروتينات ، وتشير احصائية مصلحة الاقتصاد الزراعى لعام ١٩٦٨ أن نصيب الفرد المصرى من البروتين الحيوانى بكل مصادره ، وهى اللحوم والالبان محلية ومستوردة ، والدواجن والاسماك محلية ومستوردة ، والبيض تبلغ ١٠٣ جرام يوميا ، وهى نسبة ضئيلة للغاية - فان الحد الوقائى الصحى اللازم توفره للفرد فى اليوم هو ٣٢ جراما ، غير أن نصيب المصرى وهو ١٠٣ جرام فى اليوم تنخفض فى الريف حتى تبلغ ٢ جرام ، وهى نسبة عديمة الاثر - ومن أجل ذلك فان المستوى الصحى فى الريف المصرى أخذ فى التدهور ، ولا يقف الامر عند هذا الحد فقد صرح السيد الدكتور أحمد السيد درويش وزير الصحة فى ١٦ - ١٠ - ١٩٧١ أن عدد الاطباء الواجب توافرهم على مستوى الجمهورية هو ١٠٠٠٠ طبيب - الموجود فعلا ٥٢١٤ - اما عدد الممرضات الواجب توافرهم ١٤٠٠٠ - يوجد منهم فعلا ٤٠٠٠ . واستطرد السيد وزير الصحة يقول « على أن أقول أن هذه الارقام قد تتغير غدا الى الاسوأ - لان عملية استنزاف الاطباء مستمرة فأمريكا تستورد منا كل عام ١٢٠٠ طبيب الى جانب الاطباء الذين يخرجون الى العمل فى

البلدان العربية والافريقية ، فقد أدى ذلك الى نتائج بالغة الخطورة منها أن نسبة الاطباء فى الريف المصرى قد انخفضت الى حد بعيد - فالاحصاءات الرسمية التى اذاعها الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء - ونشرت بالاهرام الاقتصادى - العدد ٣٨٦ فى ١٥ - ١٠ - ١٩٧١ تقول أنه فى القاهرة يوجد طبيب لكل ٩٠٠ من السكان - أما فى ريف الوجه البحرى فيوجد طبيب لكل ٣٤٢٠ من السكان ، وفى الوجه القبلى طبيب لكل ٢٩٩٠ من السكان ، غير أن الواقع يقول غير ذلك ، ففى محافظات ريف الوجه البحرى يوجد طبيب واحد لكل ٤٠٠٠ من السكان .

على أن هبوط الخدمات الصحية فى الريف المصرى ليس سرا من الاسرار ، فقد نشرت جريدة الاهرام فى ٢٣ - ١ - ١٩٧١ أن اللجنة الصحية بمجلس الامة تعد تقريراً ليناقدشيه المجلس عن مشاكل العلاج فى الريف ، والصعاب التى تعترض سبيله بعد أن تبين أن هناك أكثر من ٥٠٠٠ سرير شاغرة بالاقسام الداخلية فى المجموعات الصحية ، ٥٧٥ حجرة عمليات معطلة بسبب نقص عدد الاطباء

التعليم

رغم كل الجهود التى بذلت على مدار السنوات الماضية فأننا لا نزال نحافظ على نسبة من الامية تبلغ ٧٥ فى المائة من السكان وترتفع هذه النسبة فى الريف حتى تبلغ ٩٠ فى المائة وتشير الاحصائيات التى نشرتها جريدة الاهرام فى ٢٦ - ٢ - ١٩٧١ أن عدد الذين يتلقون التعليم من المرحلة الاعدادية الى الجامعة يقل عن ٥ ملايين بينما عدد المواطنين فى سن التعليم المذكور يبلغون ١٥ مليوناً يوجد منهم ٧ ملايين بالريف المصرى لا يتلقون أى نوع من انواع التعليم ، فى الوقت الذى اتهمت فيه مجانية التعليم بأنها من الاسباب الرئيسية فى تدهور التعليم ، وذلك فى مؤتمر التعليم العصرى الذى انهى مناقشاته غير المجدية حول التعليم فى مصر فى ٢٠ - ١ - ١٩٧١ . ولعله من المفيد أن نذكر فى هذا الصدد النقص البالغ فى عدد المدرسين الذى يلاحظ فى قرى الريف المصرى نتيجة لتهجير ٣٠ ألف مدرس من ذوى التقارير الممتازة بحجة حاجة البلدان العربية اليهم ، واستجلاب العملة الصعبة التى لا يرى الفلاحون آثارها أو يسمعون عنها .

الارشاد الزراعى

انشئت الوحدات الزراعية بمقتضى القانون رقم

٣٠ لسنة ١٩٤٤ (قانون الإصلاح الريفي) ونص القانون على انشاء وحدات زراعية فى دائرة مساحتها ١٥٠٠٠ فدان ، وتعمل على النهوض بالريف ورفع مستوى الانتاج وتنويعه ، وفى عام صدور القانون انشئت ٣ وحدات . وفى عام ١٩٤٦ اعتمد مبلغ ربع مليون جنيه لانشاء ٢٥ وحدة لم تنفذ لعدم وجود اعتمادات ، ثم فى سنة ١٩٤٧ انشأت الحكومة اللجنة العليا لمكافحة الفقر والجهل والمرض ، وسمى الاعتماد الذى كان مخصصا للوحدات الزراعية بـ « اعتماد مكافحة الفقر والجهل والمرض » . وكانت اللجنة العليا مكونة من الزراعة والصحة والشئون الاجتماعية ، وذلك لانشاء الوحدات الزراعية والمراكز الاجتماعية ، والوحدات الصحية — كل فى دائرة اختصاصه ، وبدى سنة ١٩٤٧ فى انشاء وحدة رئيسية كبرى فى سمرس الليان ، وعدلت سياسة الانشاء فتقرر ان تنشأ فى عواصم المراكز فقط . وبعد ثورة يوليو تقرر تعميم المراكز وخاصة بالوجه القبلى .

وتتكون الوحدة الزراعية من : حقل ارشادى مساحته من ٦ — ١٢ فداناً ، ومشتل لانتاج شتلات الفاكهة . ومشتل لانتاج شتلات الخضر . ومشتل لانتاج الاشجار الخشبية . وحظائر للطلائق ، وحظائر لانتاج السلالات الجيدة من الدواجن ، والارانب ، ومنحل تعليمى وتربية دودة القز .

وفيما يختص بالارشاد الزراعى لا توجد أية بيانات عن النتائج التى ادى اليها ذلك التنظيم الطموح ، غير ان تخلف الزراعة والانتاج الحيوانى يسمح لنا بالقول ان الارشاد الزراعى يؤدى الى نتائج رمزية مثلها مثل العلاج .

أما عن الاسكان والثقافة وخدمات الحكم المحلى فان ذلك ترف لا يصح الخوض فيه . ان الخدمات الاساسية التى يمكننا ان نطالب بها وب توفير حد أدنى منها تتلخص فى الرعاية الصحية والتعليم وفى هذا الصدد يمكننا ان نطالب بالحيولة دون استنزاف الاطباء والعلميين المصريين الذين وضعت الخطط لتعليمهم وتدريبهم وانفق عليهم من أموال الشعب الذى يكون الفلاحون الجزء الاكبر منه تحت أى دعوى من دعاوى الحصول على العملة الصعبة او مساعدة غيرنا من الدول المتخلفة .

خاتمة

مما سبق يتضح لنا ان عام ١٩٧١ والاعوام التى سبقته ستطرح على عام ١٩٧٢ عددا من المشاكل والمسائل التى لا مفر من مناقشتها او محاولة الاقتراب من حلها . ويمكننا ان نجمل هذه المسائل والمشاكل على الوجه التالى :

١ - فى مجال الارض وعلاقات الانتاج السائدة

١ - مشكلة تفتيت الارض وصغر حجم الوحدة الانتاجية الزراعية .

٢ - مشكلة تدهور خصوبة الارض ومشاكل الصرف الحقلى التى اثبتت التجارب عجز الجهود الفردية فى مواجهتها .

٣ - الميكنة الصحيحة للزراعة واستخدام الاساليب العصرية فى الانتاج الزراعى .

٤ - مشاكل الارض الجديدة ومواجهة المهام التى يجب ان تتحملها الشركات الزراعية الجديدة .

٥ - علاقات الانتاج ومواجهة الهجوم الذى يشنه كبار الملاك على الفلاح المصرى ووجوب تأمين مستقبل الفلاحين المصريين بالاتجاه نحو العلاقات الارقى وهى التاجير بالنقد مع تحريم طرد الفلاح .

٢ - فى مجال التسويق الداخلى والخارجى والاقتصاد الزراعى :

١ - التسويق الداخلى ووجوب المحافظة على التسويق التعاونى وابعاد القطاع الخاص عن كل ما يتعلق بتسويق المحاصيل ، وتمويل الانتاج الزراعى ووجوب الاحتفاظ بالتمويل التعاونى مع اشراك الفلاحين اشراكا حقيقيا فى معالجة المشكلات التى يتعرض لها الانتاج الزراعى .

٢ - تصنيع الانتاج الزراعى والعمل على الحد من تصدير المواد الخام الزراعية والاتجاه نحو تصنيع كل ما يمكن تصنيعه من منتجاتنا الزراعية .

٣ - اعادة صياغة قانون التعاون بحيث يؤدى الى اشراف صغار الفلاحين ، وهم المنتجون الحقيقيون للثروة الزراعية على التعاون الزراعى ، ووقف العبث الذى تسببه الاجهزة البيروقراطية فى مؤسسات الفلاحين التعاونية باسم التجارب الرائدة .

٣ - فى مجال الخدمات :

١ - الرعاية الصحية للفلاحين بصفتهم المنتجين الحقيقيين للثروة القومية ، ووضع الحلول الصحية لمشاكل الوقاية والعلاج الحقيقى .

٢ - مشاكل التعليم التى تفاقمت نتيجة للتهجين المبالى فيه للكوادر العلمية المصرية .



الخريطة السياسية والاجتماعية

لنشأة
جمهورية

بنجلاديش

حسين عيد الرازق

وحده سببا كافيا ، يل لابد من البحث عن أصول القضية في واقع باكستان نفسه ، وفي العوامل الخارجية التي لعبت دورا مساعدا ولكنه حاسم .

الحرس القديم

ولدت باكستان ولادة دموية عسرة . خرجت للوجود نتيجة انفجار مشبوه للتعصب بين المسلمين والهندوس في الهند . ومنذ اللحظة الاولى تنازعها تياران .

رجال الحرس القديم في حزب العصابة الاسلامية ، وكلهم من الاقطاعيين وأمرأ المسلمين ، وكبار الموظفين والضباط المتقاعدين المتعاونين مع بريطانيا . « يريدون باكستان للحفاظ على ثرواتهم الشاسعة وعلى سلطة الحكم التي تمتعوا بها طويلا ، وعلى ولائهم الذي قارب العقيدة للبريطانيين . »

والقادة « الجدد » نسبيا الذين تطلعوا الى باكستان « الحلم » . « دولة جديدة ثورية تقدمية اشتراكية اسلامية » تفوق ما سوف يحققه البورجوازيون والرأسماليون الهندوس . وتضرب مثلا في الديمقراطية والتسامح والثورة الاجتماعية . وترتبط بكل الشعوب الاسلامية الثائرة ، وبكل الحركات التحررية في العالم . »

في محاولات الانقسام والانفصال التي شهدتها العالم ، خاصة في افريقيا وآسيا ، فما زالت بعض الكيانات السياسية ، تحمل العديد من عوامل

كثيرة

التناقض والاختلاف ، بين مجموعات البشرية المختلفة . يفرق بينها التكوين القبلي والجنس والدين والانتماء الطائفي والماضي الحضاري والمصالح الاقتصادية ، كلها مجتمعة أو بعضها .

ولكن هذه المحاولات التي تصدت لها اقلية مختلفة هنا أو هناك لم يصادفها النجاح . استسلمت متراجعة أمام منطق القوة في يد السلطة المركزية ، وأمام تيار الوحدة الذي تجاوز في بعض الاحيان منطق الدولة القومية ، الى آفاق أرحب وأشمل .

وتبدو المحاولة الناجحة التي وقعت في باكستان الشرقية وأثمرت قيام « جمهورية بنجلاديش الديمقراطية » استثناء واضحا .

ولا شك أن هناك ظروفا مختلفة داخلية وخارجية صادقت أهالي البنجال ، كتبت لعملهم مصيرا مغائرا لمصائر الجماعات الاخرى التي رفعت شعار الانفصال أو الاستقلال في مراحل مختلفة . فكون أهالي البنجال الشرقية غالبية سكان باكستان « ٧٥ مليوناً من ١٢٠ » ليس



مجيب الرحمن

باكستان ، أن السلطة الفعلية في يد تحالف من العسكريين وموظفي الحكومة وخزبائهما الخفيين .

ونجح التحالف بزعامة أيوب خان في تحقيق إنجازات هامة . في المقدسة ، الاستقرار السياسي لمدة ١٠ سنوات متواصلة ، وتحقيق معدل للنمو في الدخل القومي يصل الى ٦ في المائة سنويا (في عام ١٩٦٧ وصل الى ٨.٣ في المائة) وزيادة في الدخل الفردي ٢٠ في المائة ، وفي الانتاج الصناعي ١٥٠ في المائة ، وفي الصادرات ٢٠٠ في المائة ، وزيادة ضخمة خلال عامي ٦٧ ، ١٩٦٨ في انتاج المواد الغذائية . ولكن هذه الانجازات التي تلالت على السطح لم تنجح في اخفاء عورات النظام . وتحققت نبوءة ماركس التاريخية : فازداد الاغنياء غنى ، والفقراء فقرا . وتباعدت المسافة بينهم في ظل حكم أيوب خان . وسيطرت ٢٢ من الاسر الغنية في غرب باكستان على ٦٦ في المائة من الثروة الصناعية في باكستان ، و ٨٠ في المائة من الودائع المصرفية ، و ٧٥ في المائة من رأس مال شركات التأمين . وساعدت اجراءات الجمارك والسياسة الضريبية والمالية والنقدية على نمو الاحتكارات الضخمة ، واتسعت الفجوة بين اقليمي باكستان لحساب الاقلية في الغرب .

وفشلت سياسة «ديمقراطية القاعدة» التي تعطي ٨٥٠٠٠ فقط يمثلون أقل من ١٠ في المائة

وواجه القادة الجدد - خاصة بعد موت محمد علي جناح في سبتمبر ١٩٤٨ - تصاعد نفوذ رجال الحرس القديم ، وتحركهم من أجل تصفية كل العناصر (الشاغبية) ، وضم باكستان الى الكتلة الغربية . وانطلق المثقفون الثوريون في باكستان ، بزعامة شاعرهما الكبير «فايز أحمد فايز» في محاولة يائسة لوقف الانهيار ، واتجهوا الى الجيش . وكان الجيش الباكستاني هو الاخر ميدان صراع لتيارين : الضباط التقدميون بقيادة «أكبر خان» ، وضباط الجيش البريطاني بقيادة «أيوب خان» . وتحالف المثقفون الثوريون والضباط التقدميون للقيام بانقلاب عسكري ينقذ باكستان «الحلم» من الوقوع في يد الاقطاع والاستعمار .

واكتشف الانقلاب قبل التنفيذ ، كل المشاركين فيه ، ولولا لياقت علي خان رئيس الوزراء ، الذي كان يقف في الوسط بين التيارين ويحاول ممارسة لعبة التوازن حفاظا على باكستان ، لواجه كل المشتركين في المحاولة ، حكم الاعدام مشمولاً بالنفاذ .

ولكن لياقت علي خان ، رجل هو الآخر ، اغتيل عام ١٩٥٥ ، وأحاط بالحادث كثير من الغموض وعلامات الاستفهام . وبدأ الجيش الباكستاني بعد تطهيره من العناصر الوطنية ، يمارس السلطة من وراء ستار . وتوالى على الوزارة ستة رؤساء خلال سبع سنوات . نظام الدين ، محمد علي ، وشودري محمد علي ، سهروردي : شندريجار ، ميرو خان ، وخلال هذه السنوات السبع ، أصبحت باكستان ناضجة تماما للسلطة المطلقة وحكم العسكريين المباشر ، وسيادة أبناء البنجاب ، الذين كونوا ثروات ضخمة من التجارة والصناعة ، وركزوا وجودهم في الحكومة والادارة . فالفساد السياسي ، والسرقات المنظمة والاستغلال ، وتعميق التخلف ، والصراعات الإقليمية التي هددت وحدة باكستان ، والارتباط بالاحلاف العسكرية في غرب آسيا وجنوبي شرقي آسيا «حلف بغداد ، والسنتو» ، خلقت مناخا ملائما .

ودعا الرئيس اسكندر ميرزا في عام ١٩٥٨ ، قائد جيشه «أيوب خان» ، ليفرض النظام ويسهر على تطبيق قانون الطوارئ ، وسرعان ما استولى الجيش على السلطة ، وتولى أيوب خان رئاسة الجمهورية ، مسجلا بداية الفصل الثاني من المساة .

العسكريون في السلطة

أصبح واضحا رغم وجود إجذاب سياسية في

من سكان الباكستان، حق التصويت المباشر، في استيعاب الحركة السياسية لاهالي الباكستان • وتحول أعضاء مجالس ديمقراطية القاعدة في المدن والقرى، الى لصوص (منتخبين)، مارسوا كل أنواع الاستغلال والنهب والسلب •

وجاءت الحرب الهندية الباكستانية حول كشمير في سبتمبر ١٩٦٥، ونقص المعونات الاجنبية، وزيادة الاتفاق العسكري، لتحمل معها زيادة حادة في الضرائب والاسعار، وقع عيبتها على الطبقات الفقيرة والوسطى • وأثارت المتاعب الاقتصادية موجة واسعة من المطالبة بالحريات السياسية في صفوف الطبقة الوسطى الحضرية • ولخص الجنرال أشقر خان، القائد السابق لسلاح الطيران، وأحد المعارضين لايوب خان، الموقف بعد عشر سنوات من حكم الجيش قائلاً: «لقد لاحظ الجميع تدهور الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في البلاد منذ فترة • وتأثرت حياة الملايين وسعادتهم بالفساد والتعفن والتسلط وعدم الكفاءة الادارية • وتعمقت الفروق الاجتماعية، وازداد التدهور الاقتصادي والفجوة بين الاغنياء والفقراء • وانتزع حق التعبير وحرية الصحافة، ولم تبق الحكومة في السلطة الا باستخدام القوة •»

نهاية ايوب خان

لم يكن غريباً انفجار الباكستان فجأة ضد نظام ايوب خان • وكالعادة، كانت البداية حادثة صغيرة متواضعة تبدو بعيدة عن الاهتمام العام، ولكنها سرعان ما مزقت ستار الهدوء الكاذب الذي يغلف السخط الكامن في باكستان •

اضرب الطلاب في رواليندي نتيجة بعض مشاكل محلية، مطالبين باصلاح النظام التعليمي • وسرعان ما تحولت المظاهرات الطلابية الى مظاهرات شعبية معادية للنظام • ورد ايوب خان على تحرك الجامعة باغلاقها واعتقال عدد من قادة الحركة الطلابية • وألقى القبض على وزير خارجيته السابق «ذو الفقار علي بوتو»، الذي استقال من الحكومة عام ١٩٦٦ نتيجة معارضته لاتفاقية طشقند والتفاهم مع الهند، وكون حزباً جديداً معارضاً «حزب شعب الباكستان» في نوفمبر ١٩٦٧ • وأتهم ايوب علي بوتو بالمسئولية غير المباشرة عن التحرك ضده •

واستفادت مجموعة احزاب معارضة من هذا المناخ • تجمعت ثمانية منها ذات تكوين واتجاهات محافظة في «لجنة العمل الديمقراطي»، وحددت اهدافها في ضرورة الغاء حالة الطوارئ، ونظام ديمقراطية القاعدة، وقرار نظام برلماني تقليدي على النمط الغربي •

وتجددت الاضرابات والمظاهرات، بشكل أعنف بعد اعادة فتح الجامعة التي ظلت مغلقة لمدة ١٤ اسبوعاً، ووصلت قممها في الاضراب العام الذي دعت اليه كافة القوى المعارضة، في منتصف فبراير ١٩٦٩ • وأشعل المتظاهرون خلال الاضراب النار في جريدتين حكوميتين • وشارك العمال في الاضراب بصورة تفوق أي مساهمة في الحركات السابقة • وزفت مظاهراتهم شعارات تنادي بسقوط الرأسمالية والاقطاع، وسقط عشرات من القتلى والجرحى •

وبدأ ايوب خان سلسلة من التراجعات • فأخرج عن «علي بوتو» وعدد من الشخصيات السياسية المعارضة، وأعلن عزمه على الغاء حالة الطوارئ • ودعا زعماء المعارضة للاجتماع للتشاور في وسيلة للخروج من الازمة السياسية التي تعاني منها البلاد، مستبعداً حزب الشعب الذي يتزعمه «علي بوتو»، وحزب رابطة عوامي بزعامة «الشيخ مجيب الرحمن»، الذي أودع السجن منذ منتصف ١٩٦٦ •

ولم تنجح محاولة الامتصاص • تزايدت موجة الاضرابات والعنف • وشارك في المظاهرات طبقات مختلفة ابتداء من عمال الموانئ الى الاطباء • • وللمرة الاولى يضطر المحامون في باكستان للنزول الى الشارع احتجاجاً على سياسة القمع التي تتبعها الحكومة • • كما قال دكتور اقبال نجل الشاعر الكبير محمد اقبال • وفي يوم واحد اضرب ٢٥٠٠٠٠٠ موظف وتركوا اعمالهم •

واضطر ايوب خان الى مزيد من التراجع، فدعا على بوتو الى حضور اجتماع أقطاب المعارضة ثم أعلن في ٢١ فبراير تخليه عن فكرة ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة المقبلة • وفي اليوم التالي، أطلق سراح الشيخ مجيب الرحمن، وأعلن أن جدول أعمال اللقاء مع زعماء المعارضة يتضمن نقطة واحدة • • كيفية نقل السلطة الى من يخلفه • والاسس السياسية العامة التي يقوم عليها هذا الانتقال •

ولكن المناخ السياسي في باكستان كان يفوح برائحة غريبة وبدأ الحديث يقوى ويشدد عن احتمالات تدخل الجيش وعن ترشيح أشقر خان، أو يحيى خان قائد الجيش كبديل مأمون للرئيس ايوب خان •

وازداد العنف في باكستان الشرقية «بنجلاديش» ولم يقتنع الشيخ «مجيب الرحمن»، ولا «مولانا عبد الحميد بها شاني»

الزعيم اليساري العجوز « ٦٧ عاما » بالتنازلات التي أعلنها أيوب خان .

وأعلن « مجيب الرحمن » الاضراب العام في باكستان الشرقية لمدة ٢١ يوما خلال شهر مارس، وبدأ مركز الثقل ينتقل من قصور المدن ومنازل الساسة الى اكواخ القرى حيث يعيش افقر فلاحى العالم وأتبعهم . وسيطر الفلاحون المواليون لبهاشاني على الريف وأزالوا وجود أى سلطة للحكومة المركزية وتشكلت محاكم شعبية أصدرت أحكامها بإعدام رجال أيوب خان وأعضاء مجالس «ديمقراطية القاعدة» الذين مارسوا أبشع أنواع الاستغلال والسرقة والارهاب . ونفذ حكم الاعداد فعلا في ٦٠ منهم على الأقل ، واحترقت مراكز البوليس والقصور وفي «دكا» نفسها حرق ٤ من دور السينما وتوقفت الحياة التجارية تماما . لقد سيطر العوام على الحياة في «بنجلاديش» بأكملها

وفي صباح ٢٥ مارس استولى الجيش على السلطة مرة أخرى . وأصبح الجنرال يحيى خان قائد الجيش رئيسا للجمهورية ، وفرض على باكستان حكم العسكريين مرة ثانية وأخمدت الهبة التي كادت تغير وجه باكستان .

وبدأ فصل جديد .

التحرك الى الديمقراطية

منذ اللحظة الاولى لاستيلاء يحيى خان على السلطة باسم القوات المسلحة أعلن عزمه على تحقيق الديمقراطية بعد فرض النظام والامن في البلاد ، وتشكك اغلب الزعماء اليساريين - أو المتشكين برداء اليسار في الحكام الجدد ووعودهم ، خاصة زعماء البنجال الذين شاهدوا حلم الثورة الشعبية يجهض على يد يحيى خان وجماعته .

ولكن « على بوتو » رحب بالانقلاب وقال « ان ما حدث كان لابد من وقوعه وهو شيء لا بأس به في الجملة ، لقد تخلصنا على الأقل من أيوب خان والاسرة المالكة (وهو مصطلح اطلق على أيوب خان وأقاربه العديدين) ، ومالم يستمتع العسكريون بمذاق السلطة ولا أظن هذا متوقعا فان احتمالات العودة للديمقراطية تبدو طيبة . ان دكتاتورا ثانيا يكون دائما أكثر ضعفا لقد كان أيوب يملك حزبا ، بينما يحيى خان ليس عنده أى تنظيم سياسى وكان أيوب حاكما مطلقا لمدة ١١ عاما ، وقاد أيوب باكستان بينما شعبها لم يكن مستنيرا كما هو الان، زادت القوة العاملة في المدن، تضاعفت قدرة القوى التقدمية . وفي النهاية فان

أيوب خان عندما استولى على السلطة عام ١٩٥٨، لم تكن باكستان قد رأت دكتاتورا بعد . وشرح بوتو موقفه ، مؤكدا أنه لا يقوم على ايمان بدور العسكريين (الديمقراطية) ولا بإمكانية تنازل حاكم عن سلطة مطلقة اكتسبها بقوة السلاح لمجرد تحقيق الديمقراطية ولكن قام على تقدير لطبيعة الظروف في باكستان ومدى عمق الرقض الشعبى للدكتاتورية مهما كان اسمها وشكلها .

فالمناخ العام في باكستان أيام استيلاء يحيى خان على الحكم يختلف بصورة أساسية عنه عام ٥٨ ، عندما خرجت الجماهير المرهقة من الساسة والسياسيين ، تهتف في الشوارع لأيوب خان وقانون الطوارئ فالجو السياسى منذ تولى يحيى خان السلطة كان مشحونا بالمواجهة بين اليمين واليسارى والنزاع الايديولوجى بين الاشتراكيين وأنصار حزب «جماعة الاسلام» اليميني والذي يمكن أن يتحول في أى لحظة الى قتال شوارع على النموذج الاندونيسى ، مالم يتم استيعاب العواطف الحادة الكامنة خلال الوسائل الديمقراطية بالإضافة الى حدة الصراعات الاقليمية والقضايا السياسية المختلفة التي جمدت مؤقتا بعد الانقلاب .

ورغم الهدوء الذى ساد باكستان بعد الانقلاب ، فان البلاد كانت تموج بالقلق والسخط ، وأضاف الوضع الاقتصادى المتدهور، وعجز الجيش عن اتخاذ أى قرار حاسم لحل المشاكل الاقتصادية المتزايدة ، والارتفاع المستمر فى أسعار الحاجيات الأساسية للمعيشة ، والنقص الحاد فى المواد الغذائية عاملا جديدا للتوتر والقلق .

وكما قال أحد المراقبين « الوقت يمر بسرعة ، ولا بد من الوصول الى مخرج قبل ديسمبر ١٩٧٠ ذكرى مرور عام على ثورة أهالى البنجال ضد الحكم السابق بما تحمله هذه الذكرى واحتمال الاحتفال بها من صدام لا يمكن تجنبه بين البنجاليين والجيش الذى ينتمى أغلب أفرادهم وقياداته الى البنجاب . » ويبدو ان يحيى خان لم تخدعه المظاهر ، ولم يغتر بقوة دباباته وطائراته ، واستطاع ان يرى السخط والثورة الكامنة فى أكثر من مكان . فأعلن فى يناير ١٩٧٠ عن تنفيذ المرحلة الاولى من برنامج لتطبيق الديمقراطية فى باكستان ويقوم البرنامج على اباحة الاجتماعات العامة ، والنشاط السياسى للأحزاب اعتبارا من اول يناير وفى ٣١ مارس يصدر القرار القانونى المؤقت الذى تقم على أساسه الانتخابات ، وفى يونيو يتم اعداد جداول الانتخابات الجديدة التى تضم ٦٠ مليون ناخب من سن ٢١ على أن تجرى الانتخابات العامة فى أكتوبر لاختيار ٣٠٠ عضو للجمعية العامة «ولجنة الدستور» وتنتهى اللجنة من وضع

الدستور خلال ١٢٠ يوما ٠ وإذا فشلت في ذلك تجرى انتخابات جديدة. وعندما يتم اقرار الدستور تشكل حكومة جديدة وتتحول اللجنة الى جمعية وطنية وطبقا لهذا البرنامج فسيتم اختيار أعضاء الجمعية للمرة الاولى في تاريخ الباكستان، عن طريق التصويت المباشر طبقا لقاعدة صوت واحد لكل شخص، وهذا الوضع يعطى اهالى البنجال قوة أكبر في تسيير الامور في البلاد فاذا أضفنا الى ذلك ما أعلنه يحيى خان من عزمه على تطبيق اللامركزية في باكستان ومنح الاقليم الشرقى أكبر قدر من الاستقلال الاقليمى وتقسيم غرب باكستان الى اقاليمها الاربع السابقة وهى السند، وبالششستان، والقليم الحدود الشمالى الغربى والقليم البنجاب ٠٠٠ لبدى الامر وكأنه تصفية كاملة لسيطرة اهالى البنجاب على الحياة المدنية والسياسية والنشاط الاقتصادى فى باكستان ٠

الا أن يحيى خان وقادة الجيش المنتمين لهذه النخبة حرصوا في تخطيطهم على تحقيق توازن بين التيارات المختلفة التى تنازعت الباكستان وهددت استمرار وحدتها ٠ لقد وجه هؤلاء بيدور تحالف قوى نوى وتأكد خلال اشهر الاضطرابات الشعبية الخمس بين الاقاليم الثلاثة الصغرى في الغرب وشرق الباكستان ٠ وخشى زعماء البنجاب أن يؤدى هذا التحالف الى اضعاف سيطرتهم على الحياة السياسية والتأثير على موقف باكستان من قضية كشمير التى يرتبط بها اهالى البنجاب عاطفيا اكثر من غيرهم، وليس هناك شيء يوقف نمو هذا التحالف مثل الاستجابة لمطالب اقاليم الغرب الثلاثة لتحقيق مطالبهم يمنع تطلعهم الى الشرق بحث عن التأييد وسيكون عامل توازن في أى مجلس تشريعى جديد ٠

فوز رابطة عواما

كان الفصل الجديد يبدو مغايرا تماما لكل ما سبق ٠ فيحى خان يوفى بوعوده وتجري الانتخابات فى موعدها ولكن النهايات اختلفت تماما عن المقدمات ٠

فى ٧ ديسمبر ١٩٧٠ اجريت الانتخابات متأخرة شهرا عن موعدها وانتخب ٣٠٠ عضو للجمعية الوطنية وفى ١٧ ديسمبر تمت انتخابات الجمعيات الاقليمية الخمس ٠

وفاز حزب رابطة عوامى بزعامة الشيخ مجيب الرحمن بأغلبية الاصوات ٧٥ فى المائة، و ١٦٧ مقعدا من ١٦٩ فى الشرق، ولم يفز بأى مقعد فى الغرب ٠ وحصل حزب الشعب بزعامة على بوتو على ٨٢ مقعدا من ١٣٨، ارتفعت الى ٨٨ بعد انضمام بعض المستقلين اليه، ولم يفز بأى مقعد فى الشرق وفى الانتخابات الاقليمية فاز حزب رابطة

عوامى ب ٢٨٨ مقعدا من ٣٠٠ وفاز حزب الشعب فى اقليمى البنجاب (١١٣ من ١٨٠)، والسند (٣٢ من ٦٠) ولم يحصل أى حزب على الغالبية فى اقليمى الحدود الشمالى الغربى وبالششستان ٠

وقاطع حزب عوامى الوطنى بزعامة مولانا بهاشانى الانتخابات مطالبا بالاستقلال عن باكستان الغربية ٠

وأعلن مجيب الرحمن فى خطابه له فى ٣ يناير أن نتائج الانتخابات بمثابة استفتاء بالثقة على المبادئ الستة التى صاغها وأعلنها حزبه منذ عام ١٩٦٦ وتنص هذه المبادئ على:

١ - يجب أن يقوم الدستور على أساس اتحاد فيدرالى لاقاليم الباكستان بالمعنى الحقيقى، وحكومة برلمانية تستند الى سيادة مجلس تشريعى منتخب انتخابيا حرا مباشرا على أساس التصويت العام ٠

٢ - يقتصر اختصاص الحكومة المركزية على الدفاع والشئون الخارجية فقط، وتنقل كافة الاختصاصات الاخرى للوحدات الفدرالية ٠

٣ - يكون لكل من الشرق والغرب عملة خاصة به، أو عملة واحدة بغطباء نقدى موزع بين الاقليمين ٠

٤ - مسئولية تحصيل الضرائب والدخل مسئولية الوحدات الفدرالية، وتلقى السلطة الفدرالية نسبة تغطى مصروفاتها ٠

٥ - علاج الفروق الاقتصادية بين شرق باكستان وغربها من خلال سلسلة من الاصلاحات الاقتصادية والمالية والقانونية حتى تختفى نهائيا ٠

٦ - تكوين وحدات عسكرية أو شبه عسكرية فى شرق باكستان لعلاج حرمانها الحالى من أى قوات دفاعية خاصة بها ٠

وطالب الشيخ مجيب أن يتطابق الدستور مع هذه المبادئ وباشتراك متساو للبنجاليين فى الجيش والحكومة الفدرالية والتجارة والصناعة وقال «نحن نريد العيش فى سلام مع الدول المجاورة لنا ٠ نريد التعايش السلمى والسلام العالمى، ونستطيع تسوية المشاكل مثل كشمير وغيرها، وحذر من العناصر اليسارية المتطرفة النشطة فى المناطق الريفية فى شرق باكستان، والمؤيدة لبهاشانى ٠ «الثورة لا تنجز بالسرقه وقتل شخص برىء أو اثنين» ٠ وأكد أن برنامجه ليس موجها ضد اهالى باكستان الغربية وإنما ضد هؤلاء الذين استغلوا جماهير الاقليمين ٠

انفجار الخلاف

ورغم انتماء الشيخ مجيب الرحمن وعلى بوتو لتيار سياسى واحد يمكن تسميته (يسار الوسط)

ذلك إلى عدوان هندي آخر: أن الموقف بين الهند وباكستان بالغ الخطورة * ولقد وقع العدوان الهندي سافرا في الماضي على حدود باكستان الغربية، وليس حدود باكستان الشرقية * وبسبب التوتر مع الهند على حدود باكستان الغربية، فمن سوء التقدير أن يذهب أعضاء الحزب بعيدا عن عائلاتهم لحضور اجتماع الجمعية الوطنية في ٣ مارس بمدينة دكا *

الشرق والغرب

ويبدو أن «على ذو الفقار بوتو» كان واثقا تماما من ورقه * فسرعان ما استجاب يحيى خان لضغوطه وأعلن في أول مارس - ودون مشاورة حزب الاغلبية (رابطة عوامي) - تأجيل اجتماع الجمعية الوطنية * وسبق اعلان القرار تغيير الحاكم العسكري للأقليم الشرقي * ورد الشيخ مجيب الرحمن بالدعوة للاضراب العام في الشرق، والعصيان المدني مع عدم استخدام العنف * ووجه نداء لزعماء الاحزاب بالاجتماع في دكا في ٨ مارس * واستجاب لندائه كافة احزاب الغرب باستثناء حزب الشعب، وعصبة المسلمين (جناح نيوم) *

وأثارت هذه التطورات كل عوامل السخط الكامنة في «بنجلاديش» * فجماهير البنغال يفصلهم عن شركائهم في الغرب ١٢٠٠ ميل، ويعانون منذ الاستقلال عملية استغلال قاسية * فالأقلية المنتمية للبنجاب الغربية، سيطرت على السلطة السياسية و٨٠ في المائة من الوظائف الحكومية، و٨٥ في المائة من العاملين في القوات المسلحة ينتمون إليها * وتتحكم ٢٢ من أسر البنجاب الثرية في ٦٠ في المائة من رأس المال الصناعي، و٨٠ في المائة من رأس المال المصرفي، و٧٥ في المائة من رأس مال شركات التأمين *

ومن هذا الموقع القابض عملت الأقلية في البنجاب الغربية لزيادة المسافة بين الشرق والغرب، وتعميق الفجوة الاقتصادية * ففي خلال العشرين عاما الماضية، وجهت الحكومة المركزية خمس الانفاق القومي للأقليم الشرقي وأربعة أخماس للأقليم الغربي، ونال الشرق ثلث اعتمادات الاستثمار، ربع البضائع المستوردة وخمس المعونات الأجنبية * رغم أن جوت الشرق يمنح باكستان كل عملاتها الأجنبية تقريبا *

ولم يكن غريبا انفجار الموقف في اليوم التالي لقرار الرئيس الباكستاني بتأجيل افتتاح الجمعية الوطنية * فسار في شوارع «دكا» مجموعات من الطلاب والعمال والمحامين وموظفي الحكومة يحملون العصي ويلوحون باللافتات، معلنين استقلال البنجال * واشعل طلبة جامعة دكا الناز في العلم الباكستاني وفي دار للسينما ومصنع للمنتجات ومحلات للأزياء في قلب المدينة *

واتفاق حزباهما على ضرورة تحقيق قدر من الاجراءات الاشتراكية واقامة اقتصاد مختلط، تتحول فيه القطاعات الرئيسية للملكية العامة * * كان الخلاف بينهما حول قضية الحكم الذاتي، وطبيعة العلاقة مع الهند واضحا، وكذلك اختلفت جذورهما * فعلى بوتو الذي انتقل من العمل في المحاماة في كراتشي إلى الوزارة عام ٥٨ بعد استيلاء أيوب خان على السلطة، وعمل معه كوزير للتجارة فوزير للبناء الوطني، فالاعلام فشئون كشمير وشئون الاقليات، فالطاقة والوقود والمناجم، وأخيرا وزيرا للخارجية عام ١٩٦٣ * ثم استقال عام ١٩٦٦، واتخذ موقف المعارضة للنظام انطلاقا من معارضته لاتفاقية طشقند ورفضه الصليبي للتفاهم مع الهند *

وعلى العكس فان مجيب الرحمن، دخل الحياة السياسية عام ٤٨ كزعيم طلابي متحمس للبنجال، وقاد حركة جماهيرية ضد أيوب خان لمساندة برنامج الحكم الذاتي، ووضع في السجن في منتصف عام ٦٦ بتهمة التآمر مع الهند لفصل باكستان الشرقية عن طريق التمرد المسلح *

وبعد الفوز الكاسح لحزب رابطة عوامي في الانتخابات، بادر على بوتو باعلان معارضته للمبادئ الستة خاصة النقطة المتعلقة بالضرائب وجبايتها * وطالب بحكومة مركزية قوية، ووزارة وحدة وطنية من الحزبين الرئيسيين في الشرق والغرب *

ولم تؤد المباحثات التي جرت بين الزعيمين خلال شهر يناير واستمرت ٣ أيام، إلى تقريب وجهات النظر بينهما *

وعندما حدد يحيى خان في ١٣ فبراير ٧١ يوم ٣ مارس موعدا لاجتماع الجمعية الوطنية في «دكا»، أعلن على بوتو بعد ٤٨ ساعة بالضبط مقاطعته لاجتماع الجمعية * وحذر قادة الاحزاب الغربية الاخرى من الذهاب إلى دكا قائلا: «على كل شخص يذهب إلى دكا، سواء كان يرتدي اللباس الكاكي (من العسكريين) أو اللباس الاسود والابيض (من المدنيين)، تحمل مسئولية عمله * * ان قرار حزب الشعب بمقاطعة الجمعية قرار نهائي لاربعة فيه * * كان على بوتو يخشى لعبة الديمقراطية التي بدأت تنقلب عليه * فالشيخ مجيب الرحمن في طريقه لفرض تصدده لباكستان المستقبل، بعد ان تأكد حصول حزبه على أغلبية الثلثين في الجمعية الوطنية نتيجة تأييد ما بين ٣٠ و٤٠ عضوا من احزاب الغرب لبرنامجها *

ولجا بوتو لاستخدام ورقة العداء بين باكستان والهند، واللعب على هذه المعزوفة الخطيرة، واتخاذها ذريعة لعدم الذهاب إلى «دكا» عاصمة باكستان الشرقية! فقال في ١٩ فبراير * * «تقف باكستان والهند كل في مواجهة الآخر» وقد يؤدي

وهاجموا المؤسسات المدعومة للباكستانيين
الغربيين .

وتدفقت قوات الحكومة المركزية من مطار
كادشي الى دكا ترتدى ملابس الميدان ، واعلن حظر
التجول لمدة ١١ ساعة وفرضت الرقابة العسكرية
على الصحف في دكا . واعلن الشيخ
مجيب . « ان الجيش يسلك كجيش احتلال . لقد
اطلقوا نيران مدافعهم على الجماهير العزل . »
وبلغ عدد القتلى في بنجلاديش حتى ٤ مارس
٧٠٠ ، والجرحى ٤٠٠٠ . ولم تعترف السلطات
العسكرية الا بـ ١٧٢ قتيلا ، بينما أقرت الحكومة
بـ ٣٠٠ قتيل .

اعلان الاستقلال

تراجع يحيى خان عن موقفه ، فاعلن في ٦
مارس دعوة الجمعية الوطنية للانعقاد في ٢٥
مارس ، دون تحديد للمكان . وقبل على بوتو
حضور الاجتماع هذه المرة . ولكن الشيخ مجيب
الذي لم يستشر في تحديد الموعد الجديد ، حدد ٤
شروط لمشاركة حزبه في هذا الاجتماع . .
١ - رفع قانون الطوارئ والغاء الاحكام
العرفية

٢ - عودة الجيش الى الثكنات

٣ - عودة الحكم المدني .

٤ - التحقيق في عمليات القتل أثناء
الاضطرابات .

وقال انه بالرغم من كل ما حدث لا نستطيع
العيش كأخوة وحل مشاكلنا سلميا . وهكذا حول
الشيخ مجيب من مواجهة بين الشرق والغرب ، الى
مواجهة بين الحكم العسكري وحزب الاغلبية .

ومارس الشيخ السلطة في بنجلاديش وأصدر
٣٥ مرسوما تغطي كافة جوانب الحياة .
واعلن « ان ما نريده هو ضمانات دستورية تنهى
الاستغلال الاقتصادي الى الابد . اننا نكون الجزء
الاكبر من سكان الباكستان . فكيف تنفصل
الغالبية عن الاقلية » .

وخطى يحيى خان خطوة أخرى للإمام سافر الى
دكا يوم ١٥ مارس . وبعد سلسلة من المحادثات
المرهقة أوشك الطرفان على الخروج من الطريق
المسدود الذي سادت الامور فيه منذ قرار الرئيس
يحيى خان بتأجيل اجتماع الجمعية الوطنية .
واعلن يحيى خان أن المباحثات حققت تقدما ، وأنه
وافق من حيث المبدأ على اقتراحات الشيخ مجيب
بشرط واحد ، وهو موافقة كافة الزعماء
السياسيين على مشروع الاتفاق . وهكذا قذف
يحيى خان الكرة الى زعماء الاحزاب في غرب
باكستان .

وتلقف على بوتو الكرة . سارع للاجتماع مع
بعض العسكريين من (الصقور) . واعلن بعد
وصوله الى دكا يوم ٢١ مارس رفضه لمقترحات

الشيخ مجيب الرحمن . والقى عرض الحائط
بتحذير أشقر خان الزعيم الغربي الذي قال انه ما
ثم تسلم السلطة بسرعة الى رابطة عوامي ،
فسيعلن الشرق الاستقلال . « فالشيخ مجيب
الرحمن هو الحلقة الوحيدة الباقية في سلسلة
تختفي بسرعة تربط شرق الباكستان بغربه » .
وعلى الناحية الأخرى ، كانت جماهير البنجال
ترفع علم « بنجلاديش » وتطالب بالاستقلال متحدية
٧٠٠٠٠ جندي من باكستان الغربية تمركزوا في
البنجال .

ومرة أخرى استجاب يحيى خان لضغط على
بوتو والجنرالات المتحالفين معه ، وغادر دكا يوم
٢٥ مارس بعد أن أصدر أوامره للجيش
الباكستاني بفرض سيطرته على باكستان
الشرقية . وفي فجر ٢٦ مارس وصل ١٠٠٠٠
جندي آخر عن طريق البحر كانوا قد أرسلوا سرا
من قبل ، واعتقل الشيخ مجيب وعشرات آخرين .

الهند . . الهند

كانت مراكز نشاط المثقفين هي الهدف الرئيسي
للقوات الباكستانية . فبعد تحطيم جامعة دكا في
أول أيام العمليات ، قصف الجيش جامعة
راجشاهي وقتل ٥٠ مثقفا من بينهم أساتذة جامعة
دكا .

وحتى أول ابريل كان هناك ٥٠٠٠ قتيل من
الرجال والنساء والاطفال على يد الجيش
والطيران والبحرية واستخدمت القوات الجوية
قنابل « النابالم » وحطمت مصانع الجوت الرئيسية
وتصف بعثة دولية الصورة المفزعة لهذه المواجهة
غير المتكافئة بين ٨٠٠٠٠ جندي من باكستان
الغربية وجماهير البنغال فتقول « ان تخريب
ال منازل في جيسور كان رهيبا لدرجة ان السلطات
الباكستانية قدرت وجود ٤٥٠٠٠٠ دون مأوى
ونصف مليون رحلوا الى الهند و ٢٠٠٠٠ قتيل من
سكان المدينة وعددهم ٢٥ مليون وانخفض عدد
السكان في مدينة أخرى من ٤٠٠٠٠٠ الى ١٥٠٠٠
وفي مدينة ثالثة من ٢٢٠٠٠ الى ١٠٠٠ ، وفي
كوشتيا حطمت ٩٠ في المائة من المنازل والمحال
والبنوك . وتبدو المدنية كواحدة من المدن الألمانية
بعد الحرب العالمية الثانية أو في الصباح التالي
لهجوم ذري .

ولم يكن هناك أمام أهالي البنجال الشرقية إلا
طريقين : اللجوء الى الهند وهو ما اختاره
٩٥٨٨٠٠٠ من أبنائها ، أو الالتحاق بجيش تحرير
البنجال الوليد ، وهو الطريق الصعب الذي سار
عليه عشرات ألوف آخرين .

واعلن زعماء باكستان الشرقية الذين أخطأهم
جيش الباكستان استقلال اقليمهم في ١٠ ابريل
١٩٧١ تحت اسم « جمهورية بنجلاديش
الديمقراطية » وأيد مولانا بهاشاني زعيم حزب

السياسية والعسكرية التي قدمتها وتقدمها الهند لها • خاصة والحركة الاستقلالية في باكستان الشرقية (بنجلاديش) تطرح منذ البداية ضرورة التعايش مع الهند •

٢ - تحويل باكستان الى دولة صغيرة مجبرة على العيش مع الهند في سلام ، بعيدا عن أى تهديد بالحرب ، او صدامات دينية عنصرية ، غارقة في مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية ، والتي ستفرض عليها نتيجة لغياب الدخل الناتج عن ثروات الشرق •

ولكن أنديرا - رغم ضغط اليمين الهندي - لم تلجأ الى استخدام القوة ، ومرة اخرى تتجاهل السلطة في باكستان حقائق الامور • وتغامر بشن هجوم مفاجيء على الهند ، فجر يوم ٣ ديسمبر • وكان واضحا أن النتيجة لن تكون لصالح باكستان •

فبالاضافة لتوقع الهند لمثل هذه المغامرة واستعدادها لها عسكريا ، وتفوقها على باكستان خاصة في الاقليم الشرقي حيث تحارب قواتها في أرض صديقة ، بينما الجيش الباكستاني يواجه شعبا معاديا له • نجحت الهند في الحصول على التأييد الحازم للاتحاد السوفيتي • فالسوفييت ايدوا الهند وقضية « بنجلاديش » على أساسين : أساس مبدئي يرتبط بحق الشعوب في تقرير مصيرها • وأساس عملي يرتبط بالاستراتيجية السوفييتية في آسيا والعالم الثالث • خاصة والهند جذبت الاتحاد السوفيتي الدورط في الحرب •

وعلى العكس عجزت باكستان عن الاستفادة من التأييد الامريكى والصينى لها • فالولايات المتحدة التي أمدت باكستان بأكثر من ٨٠٠ مليون دولار أسلحة لبناء جيشها ، ورفضت وقف شحنات الأسلحة اليها عقب انفجار أزمة بنجلاديش ، لم تكن في وضع يسمح لها بالتدخل فعجز الجيش الباكستاني أمام التفوق الهندي ، والتكتيك السوفييتي الناجح ، لم يترك أمام أمريكا خيار • فاما التراجع ، أو الانخراط في حرب جديدة على النمط الفيتنامي •

ولا يختلف موقف الصين عن أمريكا • فمهما كانت درجة التأييد الصيني للباكستان ، فالصين لا تغامر بمواجهة جديدة مع الهند وحلفائها • وهكذا ومع استسلام قوات باكستان في بنجلاديش ، ووقف إطلاق النار في ١٦ ديسمبر ١٩٧١ • كانت جمهورية البنجال الديمقراطية حقيقة واقعة • ولم يمض وقت طويل حتى كان الشيخ مجيب الرحمن في « دكا » يقود المسيرة •

ووقع على « على بوتو » في روالپنڊى عبء معالجة أخطاء عشرين عاما من الاستقلال في باكستان الغربية • • فهل ينجح ؟ !

عوامى الوطنى الاستقلال • وأرسل برقية الى كل من نيكسون وماوتسى تونج في ٢٢ أبريل يدعوهم للاعتراف بحكومة بنجلاديش ومساعدتها • ووقف عدد من مثقفى الغرب الى جوار اخوانهم في البنجال • فأذاع ١٠٠ من الصحفيين والفنانين وزعماء النقابات واتحادات الطلبة ، بيانا الى ٢٨ مارس يؤيدون فيه نضال أبناء بنجلاديش •

واختار على بوتو موقف التأييد ليحيى خان والعسكريين والهجوم على الهند والاتحاد السوفيتي • فقال في مؤتمر صحفى عقده يوم ٢٧ مارس انه يؤيد القرارات التي أعلنها الرئيس يحيى خان للقضاء على الحركة الاستقلالية في البنجال • • فكل الخطوات التي اتخذها الرئيس تحقق أفضل مصلحة للوطن • واتهم الشيخ مجيب الرحمن بأنه حاول اقامة « نظام فاشى عنصري مستغل » في شرق باكستان •

وعاد في ١٥ أبريل لممارسة عادته المفضلة ، فهاجم الهند « التي مزقت كل القواعد العسادية والمعترف بها للقانون الدولى • ولكن - وكما حدث في الماضى - سنقاوم ونرفض التدخل والعدوان الهندي • انى أعرف أن شعبي قادر على مواجهة هذه التحديات مرة أخرى • • »

الحرب والنهاية

كانت هذه بداية النهاية • فالمتصرفون في أمور باكستان الغربية ، عجزوا عن رؤية الواقع الذي أصبح يفصل بينهم وبين أهالى البنجال • وبدلا من مواجهة الحقيقة والتعامل معها ، أجريت انتخابات جديدة في الاقليم الشرقي بعد حظر نشاط حزب رابطة عوامى • وفاز حزب نور الامين بالاعلبية • وكان عدد المقاعد التي حصل عليها في الانتخابات السابقة مقعد واحد مقابل ١٦٧ لرابطة عوامى • وواصلت السلطة تجاهل الواقع ، فاختير نور الامين رئيسا للوزارة وعلى بوتو وزيرا للخارجية •

وتصاعدت نغمة الهجوم على الهند ، لتضيق عوامل دولية مساعدة لحركة بنجلاديش الاستقلالية • فاستقادت عناصر عديدة في الهند من الحملة الباكستانية ، ومن تدفق لاجئى البنجال الى الهند ، والاثار الضارة التي تحملها الاقتصاد الهندي نتيجة تكاليف اعاشتهم • واستيقظت كل رواسب العداء الهندي الباكستاني ، خاصة بعد اعلان أنديرا غاندى ، تأييد وتعاطف حكومتها مع نضال شعب بنجلاديش •

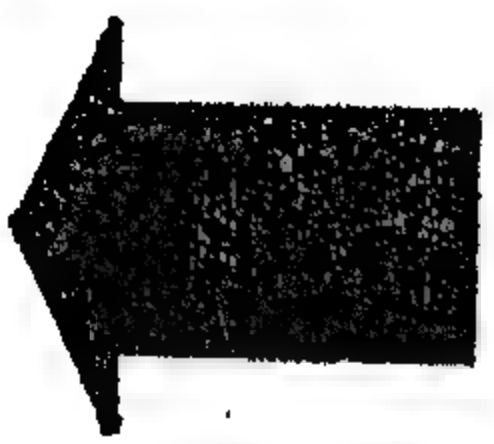
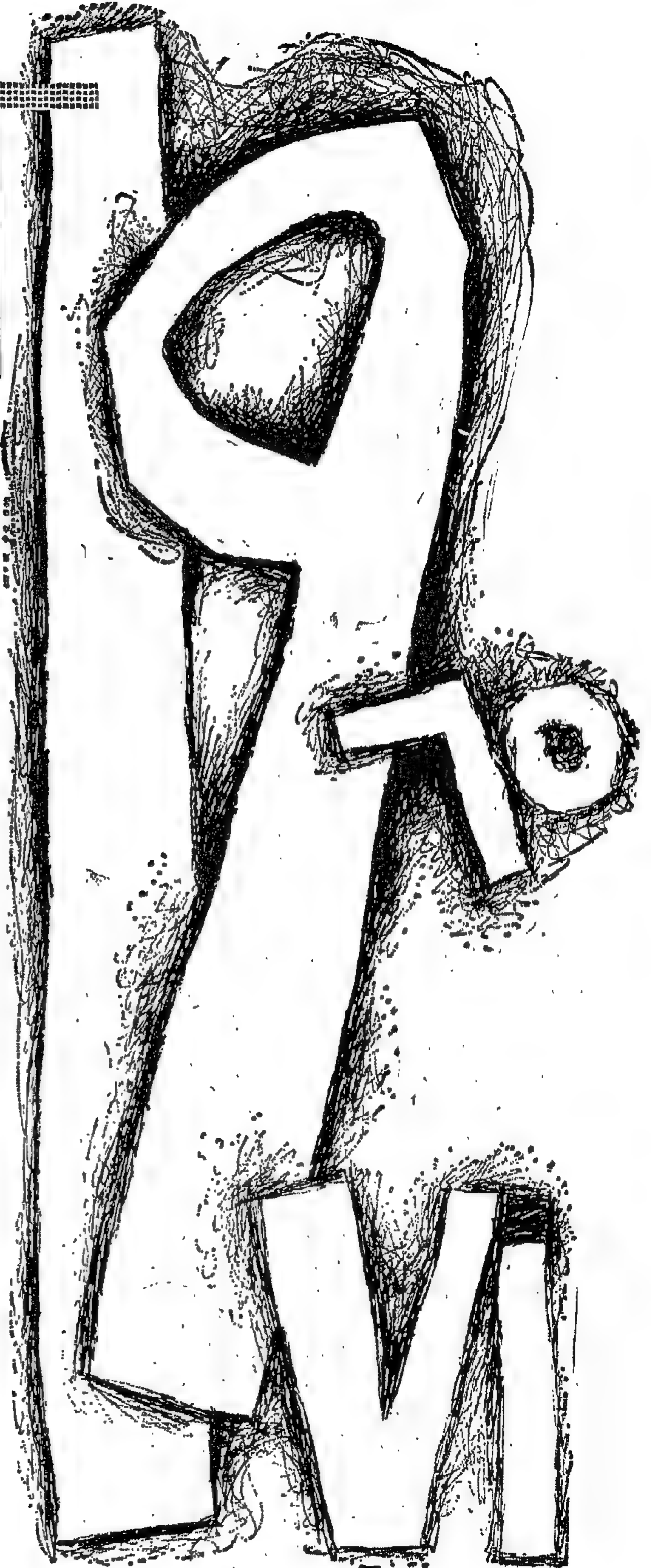
ووجدت الهند في استقلال البنجال تحديا لهدفين متكاملين :

١ - اقامة دولة علمانية في باكستان الشرقية تضم الجزء الاكبر من مسلمى باكستان ، على علاقة صداقة وتفاهم مع الهند بحكم المساعدة

٨٠ شهر من حياة الطبيعة

تقدم « الطبيعة » في هذا العدد
ملخصا للموضوعات التي عالجت قضية
« الثقافة والمثقفين » على مدى ٨٠
شهرًا •

وقد سبق أن نشرنا ملخصا للأراء
والاتجاهات حول قضايا « حركة
التحرر الوطني » ، « القضية
العربية » و « القضية الفلسطينية »
« الفكرة الصهيونية » ، « طبيعة
المرحلة الحالية من الثورة » ، ثم
« السياسة الاقتصادية والفكر
الاشتراكي » •



المواقف والاتجاهات [العرض العام]

الثقافة والمثقفون

أ - الوضع الثقافي العام

ب - قضايا الأدب والفن

عرض : غالى شكرى

البعض أن « المثقف ليس بالضرورة عالما ، ولا العالم بالضرورة مثقفا » قدنيا العلم تتميز عن دنيا الثقافة ، و « قد يتفوق عالم فى مجال تخصصه بدون أن تتسم نظرته الى باقى نواحي الحياة بالوان الثقافة وتهذيباتها » (١) بينما يرى اتجاه آخر أنه اذا كنا نتفق اليوم على أن المثقف هو فعلا هذا الانسان الذى لا يتفوق بعلمه ومعارفه فى اغوار ذاته ومهنته وتخصصه ، وانما يتجاوب سلبا وايجابا مع حركة الحياة وقضايا العالم وهموم العصر « الا أنه فى الواقع والحقيقة لم يعد هناك اليوم امكانية بسبب طبيعة وظروف عصرنا الحالى - وجود انسان حصل على قدر كبير أو صغير من العلم والمعرفة يسجن ذاته وتفكيره ونشاطه فى حدود المهنة والتخصص فحسب . وانما هو بحكم موضوعية الظروف المعاصرة يتخذ فى الواقع وباستمرار موقفا من حركة الحياة والعالم والعصر ، أيا كانت طبيعة هذا الموقف ومداه . أقصد - بتعبير أدق - أنه فى عالمنا المعاصر ، أصبح كل صاحب علم أو معرفة أو تخصص - مهما كانت درجته - مثقفا بالضرورة » (٢) ، وتعليل ذلك عند صاحب هذا الرأى يرجع الى المتغيرات التى يمر بها عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، كحركة التحرر الوطنى المعاصرة ، وانهيار وحدانية النظام الرأسمالى والثورة التكنولوجية المعاصرة وتقدم وسائل المواصلات . وبالنسبة للنقطة الاولى يبرز اتجاه

على مدى ثمانين شهرا ، ومنذ العدد الاول ، عنيت « الطليعة » بقضية الثقافة ومشكلات المثقفين ففي ٥٨ مقالا فرديا و ١٢ ملفا و ٨ دراسات رئيسية و ٣ لقاءات فكرية مع ثلاث شخصيات عالمية فى الفكر الانسانى المعاصر ، تصدرت « الطليعة » من وجهات نظر مختلفة للغالبية العظمى من المسائل المثارة فى ميدان الثقافة ، سواء بالنسبة لمصر ، او الوطن العربى عامة ، او العالم الخارجى . وسوف نعتمد هنا فى عرض التيارات الثقافية التى سادت على صفحات الطليعة خلال الثمانين شهرا الماضية الى التمييز بين الموضوعات التى تناولت الوضع الثقافى العام والموضوعات التى عالجت قضايا الادب والفنون .

١ - فى الوضع الثقافى العام

يتفق كتاب « الطليعة » منذ البداية حول أن المثقفين لا يشكلون فيما بينهم طبقة اجتماعية متجانسة ، ولكنهم فى نفس الوقت قوة اجتماعية ذات طبيعة متميزة هى اهتماماتهم العقلية بما يتجاوز حدود حرفتهم الخاصة ، غير أن هذه الاهتمامات بغاياتها ووسائلها هى التى تعود فتفرق بين فئات المثقفين وفق انتماءاتهم الطبقية وبيئاتهم الفكرية . الا ان خلافا ينشأ بعد هذا التعريف العام ، حين يطرح الكاتب على نفسه هذا السؤال القديم الجديد « من هو المثقف » فبينما يرى

(١) النسان من مقال محمد سيد أحمد «ثورة يوليو والمثقفون» عدد ٧ عام ١٩٦٥ .

(٢) لطفى الخولى فى مقاله «المثقفون والعمل السياسى» - عدد ٥ عام ١٩٦٧ .

فى «الطلیعة» ینسادی بحصر نفوذ المثقفین فى التنظيم السياسى لانهم شغلوا داخله حجما اكبر من الحیز الموضوعى الذى يشغلونه فى المجتمع ، وذلك بواسطة تعريف لجنة المائة فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية الذى سمح للمثقفین بأحتلال قطاع كبير من النسبة المخصصة للعمال والفلاحین . ويعود هذا الحجم كذلك الى القانون الاساسى للاتحاد الاشتراکى الذى جعل للمركز الوظیفى وزنا يفوق اعتبارات الكفاية والوعى السياسى ويعود هذا الحجم أخيرا الى تخلف النشاط السياسى والوعى الاشتراکى الذى یبرز دور « المتعلمین » وشاغلی المراكز الاجتماعية المتفوقة على حساب القوى العاملة (٣) وهؤلاء « المتعلمین » عند صاحب هذا الرأى - اکثرهم من أبناء البرجوازية الصغيرة وهم مصدر الاشعاع الرئيسى للسلبية « مما مكن هذا التيار من اغراق معظم القوى العاملة بدورها فى برائن السلبية » .

ولقد ركزت « الطلیعة » على ما يجب أن يكون عليه دور المثقفین فى مرحلة التحول الاشتراکى ، وكان تركيزها على الجوانب السلبية التى اتضحت خلال التجارب السابقة بارزا فى معظم الدراسات الرئيسية والمقالات الفردية التى تناولت هذا الموضوع . فبالنسبة للنقابات المهنية التى تضم رقبة واسعة من المثقفین وفق تعريفهم السياسى ، رأى البعض أن يتحول دور النقابات المهنية فى مرحلة الانتقال الى الاشتراکية من مجرد الدفاع عن المصالح الفئوية الضيقة الى المشاركة فى تدعيم اسس التحول الى الاشتراکية ، فمنذ ان قامت الدولة - عند صاحب هذا الرأى - بدور النقابة من الناحية الاقتصادية ، لا یبقى امام النقابات المهنية الا تخصيص الجزء الاکبر من نشاطها للعمل السياسى (٤) . . . والعمل السياسى بالنسبة للمثقفین هو فى جوهره « عملية التوعية بالاشتراکية » وهى الغاية التى اتفقت عليها اقلام « الطلیعة » اتفاقا تاما من زوايا متعددة تعدد التفاصيل النوعية ، اى اساليب التوعية وطرق ممارستها والضرورات التى تواكبها والقضايا التى تطرحها ، الى غير ذلك مما اختلف حول كتاب « الطلیعة » یقرر احد الاراء فى البداية أن الوعى الاجتماعى ليس انعکاسا سلبيًا للواقع وإنما له درجة من الاستقلال النسبى بحيث يمكن أن يكون متقدما على الواقع دافعا له ، او متخلفا عنه منکسسا به . ثم ینسادی بمنع الاراء

الرجعية الضسارة بمرحلة التحول والتى من شأنها اثارة البلبلة حول فكرة القطاع العام مثلا . وكذلك لابد من كشف وادانة الدعوة الى الحرية المطلقة ، لانها تعبر عن اتجاه ليبرالى لا یقل ضررا عن الاتجاه الرجعى . ولكن مواجهة هذه الافکار او تلت يتم عن طريق الحوار والجدل حتى يمكن تصعيثها فكريا لا عن طريق القرارات ، جنبا الى جنب البناء الخلاق للأفکار الجديدة « والفکر الرجعى يتشكل بصورة تناسب الظروف التى ينشأ فيها ، فهو رغم التمسك بمفاهيم معينة الا أنه یرددها بأساليب جديدة لتأخذ مظهر التغير دون مضمونه ، ومن هنا یبرز دور الکادر الاشتراکى فى استکشاف مظاهر ردود الفعل الرجعية ضد الاجراءات الثورية ، والتعرف على الاشکال الايديولوجية التى یصطبغ بها الفکر الرجعى للتخفى فى كافة المجالات السياسية والانتاجية والثقافية . . . فالفکر الرجعى لا یصادى الاشتراکية صراحة ، بل یحاول النیل من الانجازات الاشتراکية بطرق غير مباشرة » (٥) . ومن هنا كان لابد من تعديل البرامج التعليمية الموضوعية فى ظل السيطرة الاستعمارية وبقيادة الادمغة الفكرية الرجعية ، وكذلك النظر فى أجهزة الاعلام المتخلفة عن مستوى التطور الاجتماعى ، رغم ما قامت به الدولة - على الصعيد الاقتصادى - من تأميم للمصنف وتوسيع لمجالات الاداعة والتليفزيون . وفى هذه النقطة یرى كتاب « الطلیعة » أن أجهزة الثقافة والاعلام فى ظروفنا الحالية تحمل فوق کاهلها مسئولية كبرى « فوحدة الفکر والهدف الصادرة منها هى سبيل انجاح التعبئة الجماهيرية فى اتجاه خط الثورة ، وقبل أن نشکو من سلبية هذه الفئات او تلك يجب أن نتأمل ما نقدمه من وسائل قاتلنا الفکرى والمعنوى من مواد لهذه الفئات . . . والسؤال عن أسباب تخلف ثورتنا الثقافية ، أى هن بطء تحول جماهيرنا الفکرى مع واقع المجتمع الثورى ، ينبغى أن يسبقه البحث عن طبيعة القوى المحقة لهذا الغرض . . . فالثورة الثقافية تفترض وجود أجهزة ثورية تقود خطاها . وما دمننا لم نحقق هذا الهدف ، سنتزل حياتنا المعاصرة تعسدى هذا الانفصال والازدواج ، فالمجتمع یسائر قواه الاقتصادية وعلاقاته الاجتماعية ، یندفع ثوريا فى اتجاه آفاقه العظمى ، وبنائه العلوى بسائر مكناته الفکرية ومختلف وسائله الاعلامية یعیش عالما آخر » (٦) .

(٣) ميشيل کامل - العدد ٧ ص ١٦٥ والعدد ٣ من عام ١٩٦٦.

(٤) د. ابراهيم الشربینی - العدد ٢ عام ١٩٦٥.

(٥) ميشيل کامل - العدد ٦ عام ١٩٦٥ .

(٦) مجدى فهى - العدد ٣ - عام ١٩٦٦ .

ولا تغفل « الطليعة » عن أنه في فترة الانتقال حيث يتجاوز القديم والجديد وحيث يضطرم صراع مرير بينهما ، وحيث تعيش القيم القديمة جنباً إلى جنب مع القيم الجديدة الوليدة « لا مفاص من أن يتدخل المفكرون الثوريون بوعي في دفع عجلة التغيير . وهذا التدخل لن يكون من قبيل الأعمال التبشيرية بأخلاق مجردة ، ولن يكون من قبيل الوعظ والإرشاد ، ولكنه عملية نضالية » (٧) . ثم تدعو « الطليعة » إلى حملات جماعية للتوعية تكمن في أنها تخلق المناخ والبيئة السياسيين الملائمين لتفاعل المثقفين الثوريين مع قطاعات العمال والفلاحين وغيرها « وهو تفاعل ضروري وحيوي ليقضي على سلبية المثقفين وانعزالهم في اطرار العمل النظري والثقافي وعدم تطعيمه بمشاكل الواقع والعرق الانساني » (٨) . وتنفيذا لهذه الدعوة نشرت الطليعة دراسة رئيسية عنوانها « المثقفون والفلاحون » (٩) حول ثلاث تجارب لتفاعل المثقفين مع الفلاحين في سندوب ودرنكة ومريوط . وقد طرحت هذه الدراسة للرأي العام بعض الصعاب التي تقيمها المصالح والارتباطات والعلاقات والقيم والمؤسسات الرجعية في وجه التقدم ، كما انتهت إلى أن كهرية الريف ومكننته من أهم الأولويات في دفع القرية على طريق التطور الاجتماعي ، وكذلك أهمية تولى الفلاحين بأنفسهم الأجهزة العامة كالجمعيات التعاونية ، وضرورة تأسيس جهاز شامل للتخطيط والتنفيذ للأرض الجديدة .

على أن نضال المثقفين الثوريين لا يتحدد فحسب باندماجهم في المشكلات « العملية » ، وإنما هو أولاً نضال فكري مرير بين التقدم والرجعية بشكل عام ، ثم بين فكر كل طبقة في التحالف وبقيّة الطبقات وذلك بتوفير أرضية للصراع واعتماد الأسلوب العلمي في التفكير ، و « ضرورة منح كل طبقة من الطبقات المندرجة في صفوف الاتحاد الاشتراكي فرصاً متكافئة للأسهام في الصراع الفكري داخل نطاق الاتحاد الاشتراكي ، وألا استعصى استكمال مثل هذا الصراع ، واستعصى بالتالي الوصول إلى الوحدة الفكرية المطلوبة » . فالرأسماليون الوطنيون ، والمثقفون الذين ينتمون في معظمهم إلى الطبقة الوسطى احتكروا في الماضي الخدمات التعليمية والثقافية التي حرم منها العمال والفلاحون ومازالوا يحتكرون إلى حد كبير بعض الخدمات الثقافية إلى اليوم » (١٠) .

وقد خاضت « الطليعة » صراعاً فكرياً في مختلف مجالات الثقافة ، وكانت « الاشتراكية » ، في مقدمة موضوعات هذا الصراع ، حيث كانت مرحلة الانتقال ولا تزال سبباً رئيسياً فيما ناله مفهوم الاشتراكية من تحريفات مصدرها : التخلف العام في الرعي الطبقي ، تحول القادة الوطنيين إلى الاشتراكية وهم في قمة الحكم ، تنوع القوى المؤمنة بالاشتراكية . وكانت أهم التحريفات للاشتراكية هي : أنكار القوانين العلمية ، أنكار الصراع الطبقي ، أنكار نضج مصر للاشتراكية ، صياغة الحرية والضرورة (أو التلقائية والقصد) صياغة غير علمية ، وأخيراً القول بالاشتراكية الخاصة ، في هذه الظروف يبرز المثقفون كممثلين أساسيين للرأسمالية الصغيرة في الريف والمدن . ويلعب هؤلاء المثقفون في المدن دوراً أساسياً كقيادة فكرية وسياسية وإدارية . وبينما يعتقد عدد منهم قضية الاشتراكية العلمية باخلاص وأمانة ، ينزلق متحذلقوهم إلى مواقع اصلاحيّة بحيث يخشون الانفصال عن الرأسمالية ، يقفون عند حدود الثورة الوطنية أو حركة الفلاحين ، ويغطون اصلاحيّتهم أو نفاذ ثوزيتهم باستخدام العبارات الطنانة التي لا تعنى شيئاً . وينتقل هذا الفكر بالعدوى إلى صفوف الطبقة العاملة ذاتها . فهي تتلقى كل يوم بين صفوفها أعداداً لا تنتهي من الفلاحين ، وهي تتلقى قوتها الفكري على أيدي المثقفين أبناء الرأسمالية الصغيرة وحملّة أفكارها » (١١) .

الصراع على جبهة العلوم الانسانية

وإذا كانت « الاشتراكية » هي البلورة النهائية لمختلف أوجه الصراع بين التقدم والرجعية ، فإن « الطليعة » قد أولت عنايتها للخلفية الفكرية التي تبطن هذا الصراع في ميدان العلوم الانسانية . في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الجمال ، تابعت « الطليعة » كشفها لكامن الخطر الفكري بين جدران الجامعات وعلى أرصفة الطرقات على السواء . هكذا بدأت « الطليعة » صراعها في الفكر الفلسفي بأن عرضت لمفهوم الفلسفة عبر التاريخ ، وعلاقة الفلسفة بالعلم والمجتمع والانسان والوجود بأكمله ، وانتهت في هذا الصدد إلى أنه دوماً وفي كل عصر كان هناك اتجاهان في الفلسفة : أحدهما

(٧) أبو سيف يوسف — عدد ٦ عام ١٩٦٦

(٨) لطفى الخولى — العدد ٣ — عام ١٩٦٦

(٩) عدد ١٠ — عام ١٩٦٦ شارك في الدراسة د. أحمد حجي ورضا اسكندر — محمد حسنى محمد حسين

(١٠) د. لطيفة الزيات — عدد ٦ — عام ١٩٦٦

(١١) د. نؤاد مرسى — « انعكاسات الصراع الاجتماعى في الفكر الاشتراكي » — عدد ١٠ — عام ١٩٦٦

يعبر عن القوى التآمية واتجاهها المتقدم نحو المستقبل ، والاخر يعبر عن القوى المنتكسة واتجاهها المتخلف . تتباين أساليب الفلاسفة من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان ومن فيلسوف الى آخر ، وتبقى قضية الارتباط بمستقبل الانسان على ظهر هذا الكوكب هي « المحك » لثورية الفيلسوف أو رجعيته . حتى أولئك الذين يبدوون كما لو كانوا محايدين يصوغون في حياتهم الموصوم موقفا اجتماعيا محددا . وكذلك فإن الذين تبدو رؤاهم الفلسفية كما لو كانت فلسفات علمية لأنها تنهض على التجريب والحس ، فإن تجزيئها لمعطيات العلم وعزلها هذه المعطيات عن الخبرة الانسانية يضعها في خانة معاداة العلم لأنها واقعية فلسفات غير علمية . ولقد كانت الفلسفات البرجوازية المتعددة يوما ما تعبيرا ثوريا عن ميلاد القوى الاجتماعية الجديدة المعادية للقطاع والكنيسة ، ولكن أزمة المجتمع الرأسمالي المعاصرة ولدت هي الاخرى فلسفة مأزومة ، اما أنها تخلق الانسان بحبال التشاؤم ، أو أنها تسكره بخمر التفاؤل السطحي الساذج . وهي في كلا الحالتين تنشد الحرص على نظامها المأزوم ماديا وروحيا . غير أن هذا العصر الجديد هو عصر انتصار الانسان والاشتراكية ، عصر انتصار الفلسفة التي وضع ماركس وانجلز ولينين أسسها الاولى . وهي الفلسفة المؤمنة بالعلم وحركة التاريخ وتطور الوعي الانساني . ولكن هذه الفلسفة في موازاة المتغيرات المتلاحقة على عصرنا تتطلب جهدا كبيرا يضيف اليها ثمار هذا التغير حتى تصبح - كما كانت البذور الاولى - الصياغة الفلسفية الأكثر اقترابا من روح العصر ومتطلبات الانسان ، والأكثر ارتباطا بحركة التاريخ حقا « وفي تقديرى أن الفلسفة في البلاد الاشتراكية لم تتمكن بعد من استيعاب خبرة العصر ، خلاصة انتصاراته الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية » « أن الثورة الاشتراكية التي تقوم على أسس فلسفية وعلمية لم تتمكن بعد من تجميع حصيلة هذا العصر الثوري ، سواء من الناحية الاجتماعية أو العلمية أو التكنولوجية » (١٢) غير أن هذا الجزء من الرأي المنشور في « الطليعة » عام ١٩٦٥ يصيبه التغيير من واقع المشاهدة الحية لتجارب البلدان الاشتراكية في حقل الفلسفة وغيره من حقول المعرفة الاجتماعية والنفسية ، فقد دلت الخبرة المباشرة على أن ثمة انجازات حقيقية في العلوم الانسانية المختلفة بالبلدان الاشتراكية منذ

أواسط الخمسينات ونهاياتها ، أى على أثر ذوبان الثلوج وانتهاء فترة الجمود العقائدى (١٣) . على أية حال فإن بلادنا لم تصل بعد الى مرحلة البناء الاشتراكي للمجتمع بحيث تصبح المشكلة هي « تطوير معارفنا الفلسفية » وإنما المشكلة الرئيسية في هذا الصدد ، وكما طرحتها « الطليعة » هي مشكلة المناهج الفلسفية الرجعية السائدة على جامعاتنا وبرامج دور النشر الرسمية . ولقد حددها أكثر من مقال في « الطليعة » بأنها الوضعية المنطقية والبرجماتية والوجودية والواقعية الجديدة والجوانية والطبيعية والعقلية المعتدلة والتكاملية « ومكن الخطأ في كل هذه الفلسفات انها لا تعترف بالعمل المنتج مصدرا للفكر والوعي ، فالمعرفة لا تتم خلال الادراكات الجزئية، والانطباعات السلبية، ولاردود الافعال المعزولة كما تدعى الفلسفات البرجوازية الرجعية ، بل من خلال العمل وهو بطبيعته اجتماعي وايجابي . من خلال العمل والانتاج الاجتماعي يدخل البشر في علاقات انتاج ضرورية وتقوم طبقات ونظم سياسية واجتماعية، من خلالها ينبع الوعي والفكر والفهم ، ومن هنا فإن التفكير بالضرورة انعكاس طبقى يعبر عن مصالح طبقية ، وسمه بارزة في كل الفلسفات الرجعية اخفاء وطمس هذه الحقيقة الطبقية والمداول الطبقي للفلسفات ، حتى تخفى حقيقة الافكار والقيم التي تخدم مصالحها الاستغلالية ، والتي تقف عقبة في طريق تحرير العمل الانساني ، تعوق المنتج من امتلاك الوعي الكفيل بتحريره » (١٤) . وقد كان المثل البارز على الموقف الرجعي الذي تتخذه جامعاتنا في ميدان الفلسفة تشبها ببعض الجامعات الغربية هو تجاهلها لتراث لينين الفلسفي . كتجاهلها تراث ماركس وانجلز . وكان العدد الخاص الذي أصدرته « الطليعة » في الذكرى المئوية لميلاد لينين مناسبة هامة لاثارة هذه القضية وايضاح الموقف الطبقي المتخلف الذي يتخذه البعض منها . لقد اهتم لينين بدراسة الكلاسيكيات الفلسفية ، جنبا الى جنب مع دراسة للفلسفات المعاصرة ، ولعل الدرس الأكبر الذي ينبغى أن نعيه من « كراساته الفلسفية » و « المادية والنقد التجريبي » هو أنه أهتم بمواجهة الفلسفات المثالية في وقت واحد مع مواجهته للمادية المبتذلة و « الماركسيات » المغشوشة (١٥) .

(١٢) محمود أمين العالم - « ماهي الفلسفة » - عدد ٢ - عام ١٩٦٥
(١٣) راجع مقالات د. مراد وهبة و د. سيد هويس ولطفى فطيم بالعدد ١٢ - عام ١٩٧٠
(١٤) النص منقول عن مقال اديب ميترى « الفكر الفلسفي وصراعا اجتماعي » عدد ١٠ - عام ١٩٦٦ وفي نفس الموضوع كتب د. مراد وهبة « الفكر الفلسفي في جامعاتنا المصرية » عدد ١٢ - عام ١٩٦٩
(١٥) راجع مقال ابو سيف يوسف « لينين والفلسفة » بالعدد ٤ - عام ١٩٧٠

وقد تخصصت « الطليعة » دراسة رئيسية كاملة حول « الاشتراكية والعلوم الانسانية » ثم ادارت في الاعداد التالية حوارا خصباً حول أهم القضايا التي طرحها كتاب هذه الدراسة . وقد تبني الكتاب والمعلقون افكاراً تقاربت حيناً وتباعدت فيما بينها احياناً لدرجة التضاد . وكانت الافكار المتقاربة على النحو التالي : • ان الموضوعية والحياد لا مكان لهما في العلوم الانسانية ، لان السوسيولوجيا أحد أشكال الوعي الاجتماعي ، فعالم النفس او الاجتماع هو عضو في الاسرة الاجتماعية للوطن والطبقة والعصر (١٦) • ان موقف الباحث الاجتماعي في الغرب منحاز بشكل عام الى المجتمع الرأسمالي ، تستثنى من ذلك قلة قليلة انسلخت فكرياً عن قيم هذا المجتمع ، والباحث الاجتماعي في الشرق منحاز بشكل عام الى المجتمع الاشتراكي . والباحث الاجتماعي في العالم الثالث أمام هذين الاختيارين الفكريين ولا مفر من أن يختار بينهما ، فهو إما مع التقدم الاجتماعي لوطنه وإما مع التخلف (١٧) • ولا يمكن لعلم الاجتماع أن يشذ عن غيره من العلوم فلا يستخدم بصورة أو بأخرى في الصراع الايديولوجي الدائر بين الرأسمالية والطبقات العاملة المستغلة في العالم الرأسمالي . ولا يجوز في بلادنا أن نروج لنظريات علم الاجتماع الغربية أو نعمل على هديها كما يفعل معظم المشتغلين بعلم الاجتماع في مصر ، بل يجب أن نحدد موقفنا منها بوضوح ، إذ ليس هناك علم اجتماع واحد منفصل ومستقل عن أية ايديولوجية (١٨) • ولكن تياراً آخر كان يقول بغير ذلك ، ففي رأيه أنه ليست هناك علوم اجتماع متعددة سواء باسم القومية أو الطبقيّة أو الحدود الجغرافية ، وإنما هناك علم اجتماع واحد • وأن الواقع المصري هو الاصل في موضوعية علم الاجتماع في بلادنا ، بمعنى أن تكون الحقائق المدروسة ميدانياً في مجتمعنا هي البداية قبل تعميمها في شكل نظري مستعنيين بكافة ما وصل اليه علم الاجتماع عند الآخرين (١٩) • وكان هناك تيار ثالث يقول بأن لضرورة القول بأن هناك « علم اجتماع ماركسي » وإنما يمكن القول بأن هناك اتجاهاً ماركسياً في علم الاجتماع . ويسلم هذا التيار « بالانجازات العبقريّة للماركسية في فهم المجتمع » غير أنه يأخذ على الداعين المصريين الى الرؤية الماركسية في تحليل المجتمع وفهمه أنهم « لم يقوموا هم باختبار سوسيولوجي

للقضايا السوسيولوجية الماركسية في مجتمعنا » وبالرغم من أن قضية الايديولوجية وتأثيرها كانت الشغل الشاغل لانصار هذا الموقف فقد عالجوها علاجاً عاماً دون أن يبينوا لنا بوضوح المجالات التي يفصح فيها هذا التأثير عن نفسه ثم يقترح أن يكون الاطار النظري مستنداً بالضرورة الى تاريخ المجتمع المصري ، فاستقرائه وتحليله يساعدان في بناء اطار نظري للبدء في الدراسات السوسيولوجية ، اذا صيغ بدقة يمكنه توجيه البحوث والوصول الى شواهد واقعية تحقق هدفين : احدهما محلي يساعد في فهم المجتمع المصري ، والثاني عالمي لان المادة المجموعة سوف تتيح فرصة الاختيار بين الاتجاهات النظرية المعاصرة ، ومن ثم نسهم في التراث العالمي باختباره وتحقيقه دون أن نتخلف عنه تماماً . ونستطيع أن نختار بعد الاختبار من بين هذه الاتجاهات أو نرفضها (٢٠) •

وقد رد الاتجاه الاول على كلا الاتجاهين الآخرين بقوله « أن غموض وقائع المجتمع المصري وعدم وجود الابحاث التي تكشفها لا يبرر الاقبال على الوقائع (بقلب نقى) وليس الامر مسألة اختبار قبل الاختيار ، المسألة أنه في العلوم الانسانية لا انفصال بين موقف الباحث أو المفكر الطبقي وبين موضوع دراسته ، لذلك اصطبغت هذه العلوم بصبغة صراعية » (٢١) ، وما صدق على الفلسفة وعلم الاجتماع يصدق على علم النفس في « المعرفة العلمية » ، وفق النظرية المادية معرفة مادية ، أي أنها تكتسب من خلال الالتقاء المادي بالعلم ، وهي أيضاً اجتماعية اقتصادية ، أي أنها تكتسب من خلال العمل المنتج والمشيّع لاحتياجات المجتمع ، أو بعبارة أدق احتياجات الطبقة المسيطرة اقتصادياً • كما أنها كذلك تاريخية ، فكل عصر من عصور التاريخ ولكل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي الاقتصادي معارفها العلمية ، والتي تمثل تطورها ، والتي لا ينتقل منها المجتمع الى معرفة أرقى وأكثر تطوراً الا بانتقاله التاريخي الى مرحلة اجتماعية جديدة •

قصة التعليم • والثورة

لا موضع لمناقشة الوضع الثقافي العام لبلادنا

- (١٦) أمير اسكندر « الايديولوجيا والعلوم الانسانية » - عدد ١٢ - عام ١٩٧٠
- (١٧) السيدياسين « الباحث الاجتماعي والاختيار الايديولوجي » - عدد ١٢ - ص ١٩٧٠
- (١٨) د. سمير نعيم أحمد « علم الاجتماع بين الرأسمالية والاشتراكية » - عدد ٢ - عام ١٩٧١
- (١٩) د. محمود عودة « علم الاجتماع بين الوحدة والتعدد » - عدد ١ - عام ١٩٧١
- (٢٠) عبدالباست محمد « علم الاجتماع وضرورة العودة الى المنبع » - عدد ٢ - عام ١٩٧١
- (٢١) لطفي قطيم « الايديولوجيا والاشتراكية » - عدد ١ - عام ١٩٧١

انما لم يحتلّ التعليم في كافة مراحله مركز المقدمة من هذا الوضع ، وعلى ذلك نالت قضية التعليم من « الطليعة » اهتماما كبيرا في دراساتنا الرئيسية وملفاتنا ومقالاتها الفردية . بل انها عنيت على وجه الخصوص بقضيتين متميزتين وان كانا متوازيتين مع قضية التعليم عامة ، وهما ثقافة الطفل ومحو الامية . ففي دراستها الرئيسية « نظرة اشتراكية لعالم الطفل » دعت الى تأسيس جهاز مركزي لثقافة الاطفال تنتشر اداراته داخل كل مؤسسة لها علاقة بتكوين هذا الوافد الجديد الى دنيانا واعداده تربويا وثوريا للغد والمستقبل ، كمؤسسة السينما والمسرح ودور النشر ، كما دعت الى اعداد العيون الفنية الكبرى في ادبنا الحديث اعدادا يتناسب مع الاطفال ومستواهم العقلي والوجداني ، مثلما يفعلون في أوروبا شرقا وغربا وبعض بلدان آسيا وأمريكا اللاتينية حين يبسطون شكسبير وجوركي ومولك راج أناند ، بل ان بعض الكتاب العالميين توجهوا بادبهم مباشرة الى الطفل . وكذلك لابد من العناية بتراثنا من الحكايات الشعبية التي تستهوي الخيال الغض لاطفالنا ، بحيث نعتد في اعادة صياغتها على الاسلوب العلمي الذي يستبعد ويخفف ويعدل في الحكاية الشعبية بما يتلاءم مع الهدف الثقافي الذي نبغيه للطفل . كما ان العناية القصوى بصحافة الطفل واجب وطني عاجل وملح في مواجهة المايا الاستعمارية الوافدة اليها باسم صحافة الاطفال حيث لا يرون فيها أنفسهم وبلادهم بل جيمس بوند وزورو وطرزان وغير ذلك من « الابطال » الذين يحتلون ادمغة اطفالنا هزم الايام في غياب صحافتنا الوطنية الاشتراكية ، وفي غياب « ابطال » شعبنا عن اذهان الاجيال القادمة . وقدمت الطليعة في هذه الدراسة عرضا وتحليلا واسعا لبرامج الاطفال في الاذاعة والتلفزيون ، وكيف أنها رغم التقدم النسبي الذي أحرزته الا أنها لا تزال بحاجة الى مزيد من التطور والدعم الفكري والفني من الاقلام الراحية بقيمة الكلمة المسموعة والصورة المرئية في تربية العقل الغض والوجدان الرهيف . كما نالت افلام الكرتون ومسرح العرائس عرضا مماثلا ، تبينا منه أن السينما عندنا لم تعترف بعد بعالم الطفولة لارتباطها القديم بتقاليد القطاع الخاص الذي لم يفكر يوما في هذا الموضوع ، ولا حتى من زاوية تجارية كما تفعل السينما الامريكية . والنتيجة الحتمية أن اطفالنا يظلون نهبا لافلام الكرتون الامريكية ، اذا لم يبادر القطاع العام السينمائي

الى دراسة هذه المشكلة الحيوية ، مشكلة بناء انساننا الجديد . ويكاد الامر لا يختلف كثيرا في الموسيقى ، فلا تزال موسيقى « الكبار » لها الغلبة على وجدان الصغار واذانهم . وليست القضية هنا أن للكبار موسيقاهم وللصغار موسيقاهم ، بل ان المشكلة هي ان موسيقى الكبار أو « الموسيقى » عندنا لا تستطيع بحكم أشياء كثيرة القيام بدور ثوري في بناء انساننا عموما فضلا عن الطفل الذي يستجيب للنغم بسرعة مذهلة تطبع أعماقه بهذا الايقاع أو ذاك من ايقاعات اللحن الرديء . ويصعب من ثم حين يشب عن الطوق أن يتخلص من هذه الرواسب اللعينة . والحل هو التخصص في تقديم موسيقى جديدة لاطفالنا لا علاقة لها بالاشكال النغمية السطحية والسانجة التي تملأ برامج الاطفال في الاذاعة والتي تحشو كياناتهم الروحي بتصورات أبعد ما تكون عن العلم . وفي مجال الفنون التشكيلية لا ينبغي الاكتفاء بالصدفة قانرنا لاكتشاف الموهبة الفنية عند الطفل أو تربية الحاسة الفنية لتذوقه ، بل يتطلب الامر جهدا واعيا مدروسا في حقل التربية الفنية وإدارة الفنون الجميلة (٢٢) .

أما محو الامية ، فقد رأت « الطليعة » أن مجتمعنا تزيد نسبة الامية بين أبنائه على السبعين في المائة لهر مجتمع يصعب طريق حصوله الى الاشتراكية أضعافا مضاعفة . فهذه النسبة المروعة من الاميين هي دليل موقف طبقي من قضية الثقافة طيلة المرحلة الماضية . فالاميون ليسوا أبناء الطبقة المتوسطة بشرائعها المختلفة ، وانما هم أبناء العمال والفلاحين والجنود . وليس موقفا ثوريا ان نتركهم فريسة سهلة لوسائل الاعلام الميسورة . أو للبرامج الترفيهية لمحو الامية . ان هذه الاساليب كلها ، وفي أحسن حالاتها هي أساليب «اصلاحية» من شأنها دوما أن تجعل القضية معلقة . اننا حين « قرر » نسبة لا تقل عن الخمسين في المائة من العمال والفلاحين في كافة المجالس التشريعية والتنظيمات الشعبية ، يجب أن «نوفر» لجماهير هذه النسبة وعيا حقيقيا وموضوعيا بمصالحها لا وعيا براجماتيا وتجريبيا ، وعيا استراتيجيا ، لا وعيا موقوتا . ولن نتحقق هذه الرؤية العميقة للفلاحين والعمال الا بالثقافة الجادة والعميقة ، ولن تتوفر هذه الثقافة الا بمحو ثوري للامية لا من خلال النزعة والارتجال . ان هناك برامج بورجوازية لمحو الامية هي في جوهرها - خصوصا في البلدان المستعمرة والحديثة الاستقلال - برامج اصلاحية

(٢٢) راجع نظرة اشتراكية لعالم الطفل» من اعداد :د. نجيب اسكندر ، ود. علي الراعي ، ونعمان عاشور ، وجميلة كامل ، وهبد القادر التلبستاني وراجي عنايت ، وسليمان جميل ، وحسين جبعة - عدد ٤ - عام ١٩٦٦.

كما أن هناك أيضا برامج اشتراكية لمحو الأمية هي في جوامعها - خصوصا في البلدان المستقلة والتي أخذت الاشتراكية طريقا لشعوبها - برامج ثورية * ونحن محتاجون في هذه القضية الخطيرة بالذات ، أن نستعين بالخبرات الثورية للبلدان الاشتراكية التي قضت على أمية الملايين من عمالها وفلاحها بعمل سياسي منظم وفق جدول زمني محدد (٢٢) هذا بالإضافة إلى أن محو الأمية ضرورة اقتصادية ، فالعامل أو الفلاح الذي يقرأ ويكتب سوف يزيد العائد الانتاجي ، كما أنها ضرورة تربوية ، فمحو الأمية يخلق بيئة صالحة للتعليم واستنبات العلماء الممتازين * وليس صحيحا أن اقتصر التعليم على الصفوة يخلق العباقرة ، لأن هؤلاء ما لم يجدوا مناخا مهيئا لاستقبالهم بالادراك والفهم والتلقى لن تثمر عبقريتهم شيئا * والأسرة الأمية لا تشجع اولادها على التعليم ، وعلى العكس من ذلك فمحو أمية الكبار يشجع الصغار على التعليم النظامي * ومحو الأمية معركة شعبية على الصعيد القومي ، وليس معركة فنية من اختصاص وزارة التربية والتعليم * الاتحاد الاشتراكي يقود هذه المعركة بالتعاون مع الادارة واللجان النقابية في المصانع والمصالح الحكومية والجيش ، وعن طريق الجمعيات التعاونية ومنظمات الشباب في الريف والمدن الصغيرة (٢٤) *

فإذا انتقلنا من عالم الاطفال ومحو الأمية الى عالم المدرسة والمعهد والجامعة لم نر سوى اجراءات جزئية اتخذت في تفرق ، يناقض بعضها البعض أحيانا ، تتوالى كل سنة في غير منطق ظاهر ، مما أدى الى عدم استقرار نظم التعليم ، وبقاء شعارات ديموقراطية التعليم واشتراكيته وربطه باحتياجات المجتمع مجرد شعارات تردد ولا تترجم الى واقع عملي (٢٥) *

وقد اوضحت « الطليعة » مرارا أن العقبات الاساسية أمام تطور التعليم هي قصر مدة الالزام وقصر القبول بالجامعات على خريجي الثانوية العامة * وأن ٢٠ في المائة فقط من خريجي الاعدادية هم الذين يقبلون في الثانوى * والواقع أن هذه القيود والسدود هي بقية من خوف قديم وفكر طبقي خاطيء في المجتمع القديم ، فقد كان الشائع أن

المثقف لا يعمل بيديه ، فإذا علمنا الجميع فمن يبقى إذن ليعمل في المصانع والحقول ؟ وكانت المدرسة القبائية الرجعية على وجه الخصوص تروج لهذا المفهوم لتبرير نظمها وفلسفتها في حرمان الأغلبية الساحقة من أي فرص للتقدم إلى أعلى السلم * ، بينما المفروض أن المجتمع الاشتراكي يقلب الصورة تماما ، فقد أصبحت القيمة كلها للعمل والعمال المنتج ، بينما المثقف الذي يترفع عن العمل ولا يضع ثقافته في خدمة العمل والانتاج لا سعر له * والمفروض أن يستجيب نظامنا التعليمي لهذا المفهوم الثوري ويتيح كل الفرص وأرقاها للشعب العامل في مختلف ميادين الانتاج ويجند المثقفين من صفوف الشعب العامل (٢٦) * أن المهام الاستراتيجية في ميدان التعليم كما يراها كتاب « الطليعة » هي : ١ - الارتقاء بالمستوى الفكري والثقافي والروحي للشعب العامل في مجموعه * ٢ - في ظل الثورة التكنولوجية المعاصرة يقوم التعليم بدور رئيسي في زيادة معدلات الانتاج وتطوير أدوات وقوة العمل * ٣ - التعليم سلاح طبقي ، وفي ظل تحولنا إلى الاشتراكية لابد من اشاعة الديمقراطية الحقيقية في انظمة التعليم (٢٧) ويتم ذلك فيما لو قمنا أولا بتقييم تاريخ التعليم في مصر ، وتقييم المناهج التربوية السائدة على رجال التعليم ، وتقييم التجارب التي تمت في مجال التعليم بعد الثورة * أن تقسيم نظامنا التعليمي وتصنيفه الحالي (التعليم الابتدائي - التعليم الفني - التعليم الثانوي فاعالي - التعليم الخاص) يطابق التحديدات التي وضعها إلورد كرومر للتعليم المصري في ظل الاحتلال البريطاني (٢٨) : ويجمع كتاب « الطليعة » في هذه القضية على ضرورة احداث ثورة في مناهج ونظم وفلسفة التعليم في بلادنا تسير التحول الاجتماعي ان لم تسبقه وتمهد له ، فمن غير المعقول أن تظل هذه المناهج الى الآن اسيرة الفلسفة الاستعمارية والنظم الرجعية التي اودت بوطننا في مهاوى التخلف ، ولن يتم ذلك الا بأعادة النظر في التعليم الفني الذي ينظر اليه على أنه مأوى اولاد الفقراء ، واعداد النظر في التعليم الخاص الذي أنشئ أصلا بدافع التمايز الطبقي (٢٩) *

(٢٣) غالى شكرى « الديمقراطية والثقافة » - عدد ٧ - عام ١٩٧١

(٢٤) د. اسماعيل صبرى عبدالله « مبادئ أساسية في تخطيط التعليم » - عدد ٢ - عام ١٩٧٢

(٢٥) المصدر السابق *

(٢٦) أدبيديفري « الميثاق والسياسة التعليمية الجديدة » - عدد ٦ - عام ١٩٦٦

(٢٧) راجع دراسة « قضية التعليم والثورة » من اعداد زينب محرز وأحمد تركي وفاطمة زكي وأديب ديمتسري

ومحروس سليمان - عدد ١٠ - عام ١٩٦٨

(٢٨) مبدوح عبد الرحمن « حول تطوير التعليم في مصر » - عدد ١٠ - عام ١٩٧٠

(٢٩) المصدر السابق *

ولم تغفل « الطليعة » عنصرا هاما من عناصر قضية التعليم في هذه المراحل هو عنصر « المعلم » فطالبت بأن يكون لوزارة التربية والتعليم الاولوية المطلقة عند توزيع الخريجين عن طريق ادارة القوى العاملة « وخريجوا كليات الاداب والعلوم والتجارة والزراعة يمكن أن يصبحوا جميعا معلمين اذا تلقوا القدر المناسب من علوم التربية » (٣٠) . واذا توفرت لهم الحوافز المادية والمعنوية كاعتماد « بدل طبيعة عمل » لهم وتيسير سبل التحصيل في الدراسات العليا امامهم .

وبالنسبة للتعليم الجامعي ، فقد حددت « الطليعة » وظائفه الحيوية عند وضع سياسة عامة يتطور بمقتضاها على النحو التالي : اعداد الفنيين المتخصصين في اوجه النشاط المختلفة ، نشر الثقافة الانسانية وتطويرها ، الربط بين متطلبات البحث العلمي وبين الفلسفة العامة للتعليم ، تقديم الخدمات العامة على المستوى الرفيع ، تربية طلاب الجامعات على نظرة شاملة للحياة الانسانية ، ضمان حقيقى لتكافؤ الفرص التعليمية خاصة لابناء العمال والفلاحين ، التخطيط لهذا النوع العام من التعليم بما يكفل له الاتساق واهداف مرحلة التحول الاجتماعى لبلادنا (٣١) . وقدمت « الطليعة » نماذج عملية لنجاح النظم الاشتراكية في التعليم ببالاتحاد السوفيتى والمانيا الديمقراطية ورومانيا وبولندا والصين ، تصلح في مجموعها « خبرة ثورية » لتأسيس المدرسة الاشتراكية والجامعة الاشتراكية ، اي تربية الانسان الاشتراكي .

في مواجهة الثقافة الاستعمارية

كانت « الطليعة » واحدة من اهم المنابر التى تصدرت للسيل العارم من الثقافات الاستعمارية التى ازدحمت بها أسواق القراءة والنشر العربية خلال الفترة الماضية . وقد رأت أنه اذا كان من المستحيل أن يتحقق تعايش سلمى بين قوى الشعب التقدمية وبين قوى الاستعمار والرجعية ، فإنه من الطبيعى إذن « أن تكون فكرة التعايش السلمى بين الثقافة التقدمية سلاح الشعب والثقافة الرجعية سلاح أعدائه » ، هى أيضا خرافة وخدعة مهما اختلفت الصيغ التى توضع فيها والعبارات المنمقة التى تصطنع لأخفاء حقيقتها (٣٢) وقد ادركت القوى الاستعمارية والرجعية هذه الحقيقة منذ

وقت طويل ووضعت الخطط البارعة لفرض سيطرتها فى هذا الميدان عن طريق امكانياتها المادية الضخمة ، وعدم اكتمال الوعى التقدمى وبعض جوانب الضعف الانسانى تجاه المغريات كالمال والشهرة . لقد تكونت هيئات ضخمة ساهمت فيها الشركات الاحتكارية بسخاء بالغ ، ونظمت نفسها تحت شعارات براقية ، فهذه مؤسسة للدفاع عن حرية الفكر ، وتلك للصدقة مع العرب ، وثالثة لتطوير البحث العلمى ، وأخرى لنشر الثقافة الانسانية ، وما الى ذلك من واجهات وأسماء مستغلة فى ذلك انبل دوافع الانسان من قيم دينية وقومية وحتى انسانية ، هذا بالاضافة الى عشرات الاذاعات والجرائد والمجلات المفضوحة ، التى تنفث سمومها جهرا فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار حتى تصل الى ملايين القراء والمستمعين . وكان الشكل الاول الذى نفذت بواسطته الخطة الاستعمارية فى مجال الثقافة هو التعاون على الصعيد الرسمى مع الحكومات والمؤسسات الرسمية التى ترتبط بها عن طريق اتفاقيات التبادل الثقافى . وكان الشكل الثانى والاكثر خطورة هو العمل خارج النطاق الرسمى عن طريق المؤسسات المالية الكبرى مثل روكفلر * وفرانكلين وفورد * . واذا كانت الظاهرة الاقتصادية والسياسية للاستعمار الجديد هى « تبعية » الدول الحديثة الاستقلال ، ودورانها فى فلك الامبريالية ، فإن المؤسسات الفكرية والثقافية للاستعمار الجديد هى الاجهزة التنفيذية المتخصصة فى الترويج لايديولوجية « التبعية » ، والدوران فى فلك الامبريالية . وهى اجهزة تختلف عن مؤسسات الاستعمار القديم الدعائية شكلا ومضمونا . وكان عام ١٩٥٦ نقطة تحول خطيرة فى التاريخ العربى الحديث ، بل ان هذا العام من زاوية أخرى كان يمثل بداية المرحلة الجديدة فى علاقة الاستعمار بالدول المتحررة حديثا ، والتابعة على السواء . فقد بادر الاستعمار الى « خطة عمل جديدة » تخفى الانياب السامة فى اقنعة من ذهب ، والمخالب الوحشية فى قفازات حريرية . وأقبل التخطيط « الفكرى » للاستعمار الجديد يقدم « حلولا » لبعض الظواهر والازمات التى صادفت مسارنا الثورى فى لقاءه بالمتقنين . ولم تكن هذه « الحلول » سوى الشباك والطعوم التى ألقت بها اجهزة الاستعمار فى مرحلته الجديدة ، لتحاول الصيد فى الماء العكر . كانت ولا تزال لدينا العديد من الازمات التى يعانى منها المثقفون

(٣٠) د. اسماعيل صبرى عبد الله - المصدر السابق .

(٣١) د. رشدى لبيب « وظائف التعليم الجامعى وسياسته العامة » - عدد ٢ - ١٩٧١ .

(٣٢) د. ميلاد خالص « خطاب مفتوح الى المثقفين العرب » - عدد ٦ - عام ١٩٦٧ .

كأزمة الديمقراطية والتخلف الحضاري * وكانت مؤسسات الثقافة الاستعمارية على وعى كامل بهذه الازمات فقدمت لها الحلول البراقنة الالامعة من شعارات حرية الفكر والتقدم العلمي التي أخفت من ورائها المعانى الاعمق ، قهى تقصد حرية الفكر البرجوازي والاستعماري ، وتحيط التجزئة الاشتراكية فى مهادها ، أو فى الاراضى المهينة لاستقبالها بهالة العداء للحرية عموما ، ولحرية الفكر خصوصا * وأصبح التقدم العلمى مقصورا فيما تقدمه من مواد على التقدم الأمريكى ، على أشكال التقدم التكنولوجية دون مضامينها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (٣٣) *

وقد دعت « الطليعة » فى مقالات كتابها حول هذا الموضوع الى موقفين يتسكاملان فيما بينهما ، ويشكلان « جبهة عمل مضادة » لخطة الاستعمار الجديد فى مجال الثقافة : الموقف الاول هو امتناع المثقفين العرب ، كتابا وفنانين وناشرين وموزعين عن التعامل مع المؤسسات الثقافية الاستعمارية * أما الموقف الثانى وهو الموقف الإيجابى ، فهو العمل على قيام وحدة ثقافية عربية حقيقية ، بالتيسيرات الاقتصادية فى تسويق المطبوعات وحركة الفرق المسرحية والمعارض التشكيلية والافلام السينمائية والندوات الدورية للادباء والفنانين العرب ، وقىام مؤسسات النشر والاعلام الوطنية بواجبها القومى نحو قرائها وكتابها (٣٤) *

مسيرتنا الثقافية: التاريخ والمستقبل

وقد شاركت « الطليعة » فى تقييم المسيرة الثقافية لوطننا سواء من خلال ذلك المسح التحليلى الذى قامت به كل عام من أعوام صدورهما ، للانتاج الثقافى عموما ، والانتاج الادبى والفنى خصوصا * أو من خلال الملفات الفكرية التى عرضت فيها لبعض صفحات تراثنا القومى ، كما تتمثل فى فكر ونضال بعض الوجوه المشرقة فى ثقافتنا كرفاعة رافع الطهطاوى وجمال الدين الافغانى وشبلى شميل وأحمد شوقى وسلامة موسى وعباس محمود العقاد ومحمد مندور وعصام حفى ناصف . كذلك عمدت « الطليعة » الى تقييم عام بين الحين والآخر للثقافة المصرية فى مدهسها وجزرها خلال المرحلة الواقعة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى الان * وقد اختلف كتاب « الطليعة » فى

تقييمهم لهذه المرحلة ، ويمكن أن ترصد حول هذا الاختلاف تيارين واضحين : الاول يرى أن لحظات التحول الاجتماعى الكبرى تحدث ما يشبه الفجوة أو الهوة بين المثقف الثورى والثورة ، فالأوضاع الجديدة لم تكن مدرجة فى التصور المسبق للثورة عن المثقف الثورى * وقد كان المناسخ المعاصر للحظات التحول الاجتماعى الكبرى المعاصرة يتكون من : أ - انهيار النظام الاستعماري بالاستقلال المتزايد للشعوب * ب - نهاية مرحلة الجمود فى النظام الاشتراكى * ج - تفاقم التناقضات داخل النظام الاستعماري * د - الثورة التكنولوجية المعاصرة * وقد جاءت ثورة يوليو - عند أصحاب هذا الرأى - نموذجا للعلاقة المعقدة بين المثقف الثورى ولحظة التحول الاجتماعى الكبير غير المسبوق * وقد كانت علاقة المثقفين بالمجتمع السابق على الثورة علاقة هامشية ، لأن تحالف القوى الرجعية والاستعمارية لم يتج لهم أن يلعبوا دورا فى قيادة مجتمعهم ، إذ كانت دائرة المثقفين فى مختلف المراحل دائرة محدودة اتساعا وعمقا ونوعا * وكان التناقض بين أحلام المثقفين (أو نظرياتهم) ومنهج الثورة الجديدة الرائدة - وهو منهج قائم على التجربة والخطأ فى عالم يتحول - هو السبب فى اخفاق الغالبية الساحقة من المثقفين فى تفهم الثورة واستقبالها بما هى جديدة به من الترحيب * غير أن المنجزات الايجابية للثورة فى مرحلتها : التحرر الوطنى

والتحول الاشتراكى كانت الأساس الموضوعى للقائها بالمثقف الثورى وتناقضها مع الرجعية (٣٥) ويحدد هذا الاتجاه المنجزات الايجابية العديدة لثورة يوليو فى مجال الثقافة بأنها : ١ - تحرير التعليم من الامتيازات التطبيقية وتطوير المؤسسات التعليمية بشتى مستوياتها ٢ - الانفتاح الواعى على كل منابع الفكر الثورى العالمى ٣ - خلق مراكز جديدة للثقافة العامة والثقافة الجماهيرية والثقافة العمالية وتوسيع دائرة النشر والاصلام كما وكيفا * ٤ - عزل الفئات الرجعية من قطاعات المثقفين * ٥ - تحرير النقابات المهنية من التبعية للرأسمالية كنظام اقتصادى وسياسى (٣٦) وبالرغم من أن هذا التيار يرى أن الطريق أمامنا الى « الثقافة الوطنية الحرة » ما زال طويلا ، إلا أن تقييمه العام للتغيرات التى حدثت بعد الثورة هو أنه « مملا شك فيه أيضا أننا نجناز نهضة ثقافية فى كل المجالات الفكرية والفنية والادبية ، نهضة لم نعرف لها فى العصور الحديثة مثيلا » (٣٧) *

(٣٣) فالى شكرى « استراتيجيات الاستعمار الجديد » معركة الثقافة العربية » - عدد ٧ - عام ١٩٦٧ .

(٣٤) حسين مروة « قضايا التعاون الثقافى بين البلاد العربية » - عدد ٣ - عام ١٩٦٧ .

(٣٥) محمد سيد احمد « ثورة يوليو والمثقفون » - عدد ٧ - عام ١٩٦٥ .

(٣٦) مصطفى طيبة « جمال عبدالناصر والمثقفون » - عدد ١١ - عام ١٩٧٠ .

(٣٧) د. لطيفة الزيات « خصيلة الصراع الفكرى نواة الثقافة الجديدة » - عدد ٦ - عام ١٩٦٦ .

يتفق الاتجاه الثانى مع الاتجاه الاول فى أن المجتمع السابق على ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد اتخذ موقفاً محافظاً من المثقفين ، وأن الجزر الديموقراطى هو السمة الرئيسية لذلك المجتمع . ولكنه يعود فيختلف معه فى الحصاد الفكرى والثقافى لتلك المرحلة . ذلك أن الثغرات الدستورية والقانونية فى البناء السياسى للنظام القديم قد أتاحت - رغم الجزر - للثقافة المصرية أن ترسخ مجموعة من التقاليد ، أتاحت بدورها ازدهاراً نسبياً للفكر العلمانى ، وتطوراً نسبياً للفكر الدينى المستنير ، وظهوراً نسبياً للفكر الاشتراكى ، واستيعاباً نسبياً للاشكال الفنية الموافقة من الغرب كالمسرح والرواية والقصة القصيرة . ويتفق الاتجاه الثانى مع الاتجاه الاول فى أن نظام ٢٣ يوليو قد أنجز بعض الظواهر الايجابية التى أشارت اليها أقلام الاتجاه الاول ، ولكنه يضيف فى هذا الصدد نقطتين : الاولى هى أن هذا الجانب الايجابى ظل الى حد كبير « شكلياً » فالفلسفة السياسية للتعليم والثقافة - رغم انشاء المؤسسات واتساعها ورغم التسييرات الاقتصادية - لم تتغير بعد جذرياً لتخلق مناخاً فكرياً جديداً مشبعاً بروح الثورة . وما زالت الرموز البشرية والعقلية للفلسفات الرجعية القديمة على رأس التنظيمات والمؤسسات والقرارات الجديدة . والنقطة الثانية هى أنه الى جانب الايجابيات « الشكلية الى الآن » ظهرت فى الحقل الثقافى سلبيات كثيرة (٣٨) .

ب - قضايا الادب والفن

أولت « الطليعة » منذ تأسيسها عناية كبيرة بقضايا الادب والفن باعتبارها قضايا الوجدان الانسانى الذى تهدف الى تغييره الى مرحلة ارقى كافة الاجراءات المادية للتحويل الاجتماعى ، فاذا كان دور الكاتب السياسى والباحث الاجتماعى أن يقوم بربط بين الفكر والممارسة بحيث يحقق توازناً عقلياً بين الاجراءات الثورية والتصورات الايدىولوجية ، فإن دور الاديب والفنان هو نقل هذه الصياغة التجريدية للواقع الى المستوى التفصيلى للحياة اليومية ، انهما يقدمان « صورة الواقع فى حركته بتفاصيل الحياة وهى تتصارع » فى القلب (٣٩) . ولعل مراحل التحول الاجتماعى هى أكثر عصور الادب والفن

احتياجاً للتحليل العلمى المنظم ، ذلك أن عديداً من الاخطاء قد حدثت فى ظل التجارب الاشتراكية الاولى باسم هذا التحول ، وبخاصة فيما يمس حرية الكاتب والفنان فى الابداع . لذلك حرص كتاب « الطليعة » حتى الليبراليين منهم (٤٠) الى ايضاح الفروق الدقيقة بين الالتزام والالتزام ، وسجلوا اعتراضهم على المرحلة الجداشوفية فى الفن الاشتراكية ، واكدوا على البعد الانسانى والحضارى العام للفنون ، وأنها لا ينبغي أن تخاطب الجماهير العريضة - باسم الاشتراكية - من موقع الاسفاف وابتذال المعنى السامى الرفيع للفن ، ذلك أن الفن العظيم ، وهو الفن الحقيقى ، يخدم التقدم الاجتماعى حتى ولو لم يقصد صاحبه الى ذلك . وقد واكبت « الطليعة » الصراع الدائر حول الواقعية الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ، حيث ناقشت المؤتمرات والجامعات مشكلات البحث فى قيم جديدة للجمال فى ظل الاشتراكية ، وضرورة ادراك القوانين الداخلية للابداع الفنى الجديد ، ذلك ان هناك - بالضرورة - تناقضات جديدة داخل الاشتراكية تنعكس بدورها على العمل الادبى (٤١) . وظل الرأى الغالب على كتاب « الطليعة » هو أن قضايا الادب والفن بما تنسم به من تعقيد بالغ وخصوصية بالغة ، لا ينبغي أن تعامل من جانب السلطات السياسية بالقهر والمصادرة لما يمكن أن يراه الرقيب أو يسقطه من معادلات سياسية يصعب فى واقع الامر استخلاصها بسهولة من داخل العمل الفنى . ولقد كانت السلطة الاشتراكية الاولى بقيادة لينين مثلاً رائعاً على الموقف الديموقراطى من مشكلات الادب والفن ، وقد كان هذا الموقف عاملاً رئيسياً فى ازدهار الفنون والاداب فى عصره ، بينما العكس كان صحيحاً فيما تلاه من فترات الجمود العقائدى (٤٢) .

ثم ناقشت « الطليعة » بعض القضايا النوعية الخاصة بفنون تنمتع بانتشار واسع بين الجماهير كالسينما ، أو بفنون تعاني نوعاً من العزلة فى المجتمع كالفنون التشكيلية ، والتفرقة اللازمة بين الفن الذى تدخل عمليات الصناعة والتجارة فى صلب انتاجه ، والفن الذى يعتمد أساساً على الموهبة الفردية . فالسينما - وهى فن جماهيرى واسع الانتشار - لها تأثير خطير على الوعى الاجتماعى للشعب . وقد ظلت السينما المصرية

(٣٨) غالى شكرى « الديموقراطية والثقافة » - مدد ٧ - عام ١٩٧١

(٣٩) صبحى شفيق « دور الادب والفن فى مرحلة الانتقال الى الاشتراكية » - مدد ١ - عام ١٩٦٥

(٤٠) د. حسين فوزى « الفن فى المجتمع الاشتراكى » - عدد ٣ - ١٩٦٧

(٤١) د. سعد محمد خضر « حول الادب والفن فى المجتمع الاشتراكى » - عدد ٥ - ١٩٦٧

(٤٢) غالى شكرى « الموقف اللينينى من الادب والفن » - عدد ٤ - ١٩٧٠

أمدًا طويلاً في خدمة الأيديولوجية البرجوازية في أكثر أشكالها تخلفاً . وقد آن لها - في مرحلة التحول الاشتراكي - أن ترتبط فكرياً وجمالياً بجماهيرها الحقيقية التي تتطلع إلى وعى سينمائي مثقف (٤٣) . وبالنسبة للفنون التشكيلية ، فإنها بإزاء تغير حقائق الـامس ، فإنها بدأت تغير من أساليبها ورؤاها . ولكن المشكلة هي أن الاكتشاف العلمي يمكن التثبت منه ، أما الاكتشاف الفني فإن معايير تولد معه . ولا شك أن الجديد ثورة على القديم ، ولكنه مولود من صلبه وليس من الفراغ ، هكذا الأمر في العلم والفن معا . غير أن وحدة رد الفعل إزاء الاكتشاف العلمي يقابلها تعدد ردود الفعل إزاء الاكتشاف الفني . وكذلك تعدد استجابات الفنانين للموقف أو الظاهرة الواحدة ، بينما لا يختلف العلماء في تحديد موقفهم من نتيجة برهنت عليها التجربة ، ومن هنا كانت إطلاقية الحكم على العمل العلمي ونسبته على العمل الفني وتدلنا مسيرة الفنون التشكيلية الحديثة على أن اصطدامها بالذوق التقليدي كان سبباً في عزلتها حتى في بعض البلدان المتقدمة ، ولكن هذه العزلة في تلك البلدان كانت مؤقتة فسرعان ما يلتقي الذوق العام من الخلق الفني الجديد ، وذلك لرسوخ التقاليد العريقة في محبة الفن والتجاوب معه . ويصبح الجديد هو لغة العصر ، سابقاً عليه أو مواكباً له ، فالمعاصرة في الفن التشكيلي هي «تجانس وتناسق مع مظاهر العصر في كل الميادين العلمية والفنية الأخرى» ، فالمعاصرة أسلوب وليست موضوعاً ، والفنان المعاصر «مطالب بالكشف عن وجهة نظر وفلسفة ومضمون تسير آخر المكتشفات العلمية والفنية الأخرى» (٤٤) .

من الهزيمة إلى المقاومة

على أثر هزيمة ١٩٦٧ بدت في الحقل الأدبي مجموعة من الظواهر الفكرية والجمالية ، بعضها امتداد للمرحلة السابقة على الهزيمة مباشرة ، وبعضها الآخر من نتائجها السلبية والإيجابية . وقد كانت أهم هذه الظواهر ، هو الأجيال الجديدة الشابة من الأدباء ، وكانت الظاهرة الثانية هي أدب المقاومة . لذلك سادت أعداد «الطليعة» التالية لهذا التاريخ الدراسات الرئيسية والمقالات الفردية حول هاتين الظاهرتين .

وفي البداية رصدت «الطليعة» أوضاع الهزيمة في الأدب السابق على وقوعها ، ذلك أن روائياً كنجيب محفوظ استطاع أن يرى الكثير مما كان يشكل مناخ السقوط ، ففي روايته «ثرثرة فوق النيل» و «ميرامار» على سبيل المثال قد احاط بالجو السلبي المهيمن على الحياة المصرية . وكذلك بعض الأعمال المسرحية التي كتبها توفيق الحكيم «السلطان الحائر» والفريد فرج «حلاق بغداد» وسعد الدين وهبه «بير السلم» وعبد الرحمن الشرقاوي «الفتى مهران» وميخائيل رومان «الدخان» وغيرهم من الكتاب الذين استشرفوا الهول قبل وقوعه . وفي الشعر نلاحظ أن أعمالاً قليلة لصالح عبد الصبور «مأساة الحلاج» وبعض قصائد محمد إبراهيم أبو سنة «غزة مدينتنا» و «أمل دنقل» حديث مع أبي موسى الأشعري «كانت نبوءات فنية بما حدث . ولم يتغير الأمر كثيراً عند هؤلاء الكتاب بعد الهزيمة ، فقد ظلت غالبيتهم ترى أن الحال لا يزال كما هو عليه ، بالإضافة إلى المرارة التي سدت الحلق بطعم العلقم ، حتى أن اللون الأسود أصبح سيد الموقف الفني ، ومن هنا كانت التأثيرات الواضحة عند أدبائنا بكتاب العبث واللامعقول في الأدب الغربي المعاصر . ولكي يقول كتابنا كلمتهم السوداوية الغاضبة هذه ، لجأوا إلى استعارة أشكالهم الفنية من التراث الشعبي والتاريخ والرموز المغمورة في جوف الأساطير . ومع هذا فقد برز الهدف السياسي والاجتماعي لهذه الأعمال ، مما أدى في أحيان كثيرة إلى تعطيلها رقابياً (٤٥) . على أن القصة القصيرة من بين كافة الأشكال الفنية هي التي عرفت ما يشبه الثورة على القوالب الفنية التقليدية في موازاة التجديد الأمر الذي أصاب رؤى الكتاب وأخيلتهم الفكرية ، سواء كان هؤلاء الكتاب من أجيال سابقة كنجيب محفوظ ويوسف ادريس أو من الأجيال الجديدة كجمال الغيطاني وإبراهيم أصلان ومحمد روميš ومحمد البساطي ومجيد طوبيا . أن كل القلق والمحاولة والتجريب في تحولات القصة القصيرة المصرية ، ليس سوى الخطوة الأولى . الشرط الأول للخلاص من كل ندوب وتآكل الركود الفكري الذي يعانيه لحد ما أدبنا الحديث ، غير أنها في النهاية ادراك واستبصار لكل الامكانيات المحدودة لحاضرنا من أجل تخطيها إلى واقع أرحب أكثر إنسانية وبكارة ونقاء» (٤٦) .

(٤٣) صلاح أبو ستيف «نحو فن سينمائي اشتراكي» - عدد ٦ - ١٩٦٥

(٤٤) مختار العطار «الفن التشكيلي والمعاصرة» - عدد ٤ - ١٩٧١

(٤٥) غالى شكرى «الأدب المصرى والخامس من يونيو» - عدد ٥ - ١٩٦٩

(٤٦) عبد الرحمن أبو عوف «ظلال أزمة ٥ يونيو والقصة القصيرة المصرية» - عدد ٣ - ١٩٧١

أما أدب المقاومة فقد نال من « الطليعة » عناية كبيرة ، سواء من الناحية النظرية بتعريف الأصول الفكرية والجمالية لهذا اللون من ألوان الأدب عبر التاريخ ، أو بتقديم دراسات تطبيقية لهذا الأدب عند مختلف الشعوب وبخاصة في التراث العربي القديم والمعاصر . في الجانب النظري حدد أحد كتاب « الطليعة » أبعاده بأنها ثلاثة هي البعد القومي والبعد الاجتماعي والبعد الانساني ، ثم فرق بين ثلاثة أشكال لأدب المقاومة هي : الأدب الذي « يقاوم » قبل حدوث المحنة وهو الأدب الذي يرتفع إلى مستوى النبوءة ، والأدب الذي يقاوم « أثناء » المعركة ، وبعد الهزيمة ، والأدب الذي « يؤرخ » للآزمة بعد وقت طويل ، أي عندما تصبح هناك مسافة موضوعية بين الكاتب والحدث (٤٧) ، وفي معرض التطبيق قدمت « الطليعة » عدة مقالات متتابعة ، ناقشت الأبعاد القومية والاجتماعية والانسانية في أعمال مالمرو وشتاينيك واهرنبورج وشولوخوف وايفو أندريتش في الأدب الغربية ، وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوي واحسان عبد القدوس ويوسف ادريس ولطيفة الزيات في الأدب المصري الحديث ، وفي السيرة الشعبية المعروفة في تراثنا القومي كآبي زيد الهلالي وذات الهمة والظاهر بيبرس وحمزة البهلوان وغيرهم ، وفي الأدب الجزائري عند محمد ديب ومالك حداد وكاتب ياسين ، وفي الأعمال المسرحية المصرية عند لويس عوض والفريد فرج وعبد الرحمن الشرقاوي وستعد الدين وهبة ويوسف ادريس .

هكذا يتكلم الأدباء الشباب

تحت هذا العنوان خصصت « الطليعة » دراستين رئيسيتين قوامها « الشهادات الواقعية » التي أجاب فيها الأدباء المصريون والعرب من أبناء الجيل الأدبي الجديد على ثلاثة أسئلة هي : ١ - متى قامت العلاقة بينك وبين فنك الذي تمارسه الآن ، ومتى بدأت الانتاج فيه ؟ ٢ - ماهو المناخ الذي يسيطر على ممارستك لفنك من حيث (١ - العلاقة بينك وبين زملائك الفنانين والاهلزة والمؤسسات المتصلة بهذا الفن ب - العلاقة بينك وبين المجال الذي تعمل فيه سواء كان مجالاً فنياً أو غير ذلك . ج - الموقف من الاجيال الفنية السابقة على جيلك وعلاقتك بها) ٣ - ما هي المؤثرات

الاجتماعية والفكرية والفنية التي تشارك في ابداعك الفني . وأين بهذه المؤثرات من قضية التغيير الاجتماعي في بلادك بشكل عام ، قضية العدوان الاسرائيلي ، وقضايا العالم المعاصر . وبالنسبة للأدباء المصريين تفاوتت التعليقات على اجاباتهم بين التعاطف والرفض والتحفظ . فقد رأى معلق ينتمي الى هذا الجيل بأن الفقر المادي وطبيعة العمل والوضع الوظيفي وصعوبة الحصول على الثقافة المتخصصة وظاهرة الشللية هي أهم السمات التي يتصف بها هذا الجيل (٤٨) . بينما انقسم المعلقون من الاجيال السابقة الى اتجاهين على وجه التقريب : أحدهما يرى أن هذا الجيل ليس تياراً فنياً ويفتقر الى الثقافة وأنه في غالبية زوابعه في فئان (٤٩) .

والثاني يرى بأنه ليس جيلاً منقطع الجذور ، وهو جيل ملتزم ويتميز بأنه يرى الفن في وحدة مع بقية الفنون (٥٠) . وان التخاصم مع الحياة هو دافعهم الى الكتابة ، وأن خطيئتهم في رفض القديم هي التعميم فهم لا يميزون كثيراً بين الاجيال والكتاب ، ذلك أن التجديد لا يرتبط بسن معينة ، وأن تفاعل التراث مع الثقافة الاجنبية هو مصدر الاصال الحقيقية التي ينبغي أن تميز التجارب الجديدة ، جنباً الى جنب الالتزام الذي لا يتعارض

في تعليق حلل الوضع الاجتماعي للجيل بأنه الانتماء الطبقي الى البورجوازية الصغيرة الريفية . وأن ذلك الانتماء هو الاب الشرعي لتضخم « الانا » والتجريد المثالي للوسائل والغايات والالتزام الذي يتراوح بين الماركسية والوجودية . وهو - عند صاحب هذا الرأي -

جيل متطور عن جيل الخمسينات وامتداد له ، ولكن الجيلان يشتركان في الرؤية التقدمية للمجتمع . وما زال الجيل السابق قادراً على أداء دور لا يقل أهمية عن دور الشباب ، ولكن بينما كان دور الجيل الماضي هو ارساء دعائم نظرية الوحدة بين الشكل والمضمون (من الناحية النظرية فقط) الا أنه في الواقع كان يميل الى النغمة الزاعقة ، أي التركيز على المضمون . فان الجيل الجديد - على العكس - رغم اتفائه النظري مع الجيل السابق يركز على الاشكال والاساليب الفنية . ويتفق صاحب هذا التعليق في أن التكوين الثقافي للجيل ناقص ، ولكنه قد أحدث رغم هذا النقص تغييراً كبيراً في بناء القصة القصيرة . وهو يرجع

(٤٧) غالى شكرى «أدب المقاومة» عدد ٣ - ١٩٦٧

(٤٨) سامي خشبة - عدد ٩ - ١٩٦٩

(٤٩) د. سبيلر القلملى و د. لويس عوض - عدد ٩ - ١٩٦٩

(٥٠) د. على البراعى - عدد ٩ - ١٩٦٩

(٥١) د. لطيفة الزيات - عدد ٩ - ١٩٦٩

كله ، مرهون بتقديم الطبقات الأدنى كى تأخذ مكانها
الحقيقى فى تحالف الطبقات (٥٥) .

وعرض مقال آخر لاتجاهات الفكر والفن فى
« حاضر المسرح المصرى » فكانت قضايا العدل
الاجتماعى والصراع ضد القهر وضد عزلة
السلطان وضد الاغتراب والتعبئة من أجل المعركة
الوطنية هى القضايا التى شغلت أهم كتاب هذا
المسرح . وكذلك كانت قضايا اللغة والشكل
المسرحى والعودة الى التساريخ والتراث هى
القضايا الفنية التى شغلت معظم هؤلاء الكتاب
وهم يبحثون عن قالب جديد يتواءم مع رؤاهم من
ناحية ، ويفلتون به من عمليات « الاسقاط »
السياسية التى طاردت أعمالهم سواء من جانب
النقد القصير النظر ، أو النقد الاستعدادى ، أو
الرقابة (٥٦) .

وعرض مقال ثالث لمشكلة قديمة جديدة هى
علاقة فننا المسرحى بتراثنا القومى - الشعبى على
وجه أدق - فقال أن مصر كانت مهياة أكثر من
غيرها من البلاد المجاورة لتقبل فكرة المسرح
عامة ، والمسرح « البشرى » بصفة خاصة ، حين
أخذت الفرق المسرحية والأفكار المسرحية ذاتها ترد
الى بلادنا ابتداء من نهاية القرن الثامن عشر « ان
خيال الظل قد دار دورة كاملة من مصر الى تركيا
الى سوريا الى مصر قبل أن يحقق الاتصال المباشر
بالتمثيل البشرى ، أى قبل أن يخطو الخطوة
المنطقية التالية لقيام فن تمثلى متكامل عن طريق
الدمى أو الخيال ، وهى : نبذ التمثيل بالوساطة ،
وبروز الفنان المحرك للدمى أو الصور ، ليمثل
بالاصالة عن نفسه وليس نيابة عن احد » (٥٧) .

وعرض مقال رابع للطبقة المتوسطة فى البناء
الفكرى والفنى للمسرح المصرى عبر تاريخه
الحديث ، حيث انتهى الى أن « هذه الطبقة فى
مسرحنا ، وربما فى حياتنا الثقافية كلها هى
المشكلة ، مثلما أنها هى المشكلة فى حياتنا
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والمشكلة لا
تنبع من وجودها ، ولا من كيفية الافلات منها ،
وانما فى كيفية الوصول الى ما ورائها ، أو الى ما
تحتها فى الحقيقة الاجتماعية ، وفى العناصر التى
يمكن أن تصل الى ذلك الجمهور - البعد المطلوب -
لا أن تعبر عنه فقط ، وانما أن تجتذبه ، وأن تؤثر
فيه » (٥٨) . وعرض المقال الاخير لمنفعة الغضب

الغضب الظاهر فى انتاج الجيل الى عدة مصادر
أهمها : هزيمة ١٩٦٧ ، غياب الحياة الادبية
والفنية ، الشعور بالعجز عن المشاركة فى بناء
الحياة الجديدة ، الشعور بالتخلف عن مستوى
العصر ، خيبة الامل فى بعض نماذج الجيل الماضى
التي بدأت حياتها بالفكر الثورى وانتهت
براجماتية (٥٢) . ويقتررب من هذا الاتجاه رأى
يقول بأن تساقط الاحلام القديمة وانقطاع الحوار
بين الاجيال من الاسباب الهامة فى غضب هذا
الجيل ، وأن شهاداتهم الواقعية لا تعبر تماما عن
رؤاهم الجديدة التى ينبغى البحث عنها فى
انتاجهم الفنى . ولا ينبغى ان ننتظر منهم منهجا
فكريا متسقا فى الوقت الحاضر لان رؤاهم ما زالت
فى مرحلة التخلق والتكوين ، وهى رؤى لا تمت
بصلة قرابة حميمة الى رؤى الاجيال السابقة . ولا
ينبغى أخيرا أن نفرض عليهم انسجاما مفتعلا مع
الواقع ، ولنبق لهم على بكاره الرؤيا وشرف
المغامرة (٥٣) .

تراثنا المعاصر : المشكلات والتقييم

رأت « الطليعة » أن كثيرا من قضايا آدابنا
وفنوننا تحتاج الى تغطية تحليلية من وجهة نظر
جديدة . وقد رأت أيضا أن هذه التغطية يجب أن
تتم فى « دراسات رئيسية » شاملة الى جانب
المقالات الفردية التى تتناول بين الحين والحين
هذه الجزئية أو تلك . لذلك خصصت ابان تلك
المرحلة دراستين لكل من المسرح المصرى والرواية
العربية ، الى جانب المقالات المتفرقة حول هذين
الفنين . فحول قضية فلسطين عرضت
« الطليعة » لما تم تقديمه على خشبة المسرح المصرى
من أعمال الشرقاوى ومعين بسيسو وسهيل أدريس
والفريد فرج ، وهى أعمال تشترك فى ظاهرة سلبية
واحدة « هى جهود الشخصيات الفنية على لون
واحد من ألوان السلوك والفكر والتعبير ،
فغالبيتها شخصيات وحيدة الجانب ، سواء فى
رؤيتها للحياة أو رؤية الآخرين لها » (٥٤) .
وحول « المسرح وقضايا الشعب » تناول كتاب
« الطليعة » بعض المشكلات الخاصة بالمسرح
المصرى . وقد عرض أحد الكتاب لتطور حركتنا
المسرحية ، وانتهى الى أن مستقبل المسرح المصرى
- كماضيه وحاضره - مرهون بحركة المجتمع

(٥٢) لطفى الخولى - عدد ٩ - ١٩٦٩

(٥٣) غالى شكرى - عدد ٩ - ١٩٦٩

(٥٤) غالى شكرى «فلسطين على خشبة المسرح المصرى» - عدد ٦ - ١٩٧٠

(٥٥) فاروق عبد القادر « حركة المسرح المصرى من الماضى الى المستقبل » - عدد ٥ - ١٩٧١

(٥٦) أمير اسكندر « اتجاهات المسرح المصرى المعاصر : الفكرية والفنية » - عدد ٥ - ١٩٧١

(٥٧) د. على الراعى « المسرح المصرى وتراث الشعب » - عدد ٥ - ١٩٧١

(٥٨) سامى خشبة « المسرح المصرى والطبقة المتوسطة » - عدد ٥ - ١٩٧١

الزاعقة في الانتاج المسرحي مؤلفينا فقال أنه بالرغم من الهموم السياسية الواضحة في تفكير كتابنا ومخرجينا ، الا أن أبنيهم المسرحية لا تخرج عن كونها استعارات مشتتة من مختلف عصور واتجاهات المسارح الغربية والشرقية ، لانهم لا يطابقون بين الفكر العاكس والفن المنعكس . . . وإنما هم يحاولون صياغة فكر بسيط صياغات بالغة التعقيد ، وأحيانا ، الافتعال « هذا لا ينفى أنهم بهذه الاستعارات المشتتة جددوا الى حد ما في بنية الفن المسرحي ، ولكن هذا التجديد ما يزال بحاجة الى التأسيس (٥٩) » .

وقد أهتمت « الطليعة » بالفن الروائي اهتماما مماثلا لعنايتها بالفن المسرحي ، فقدمت بعض المقالات الفردية حول بعض الروائيين العرب ، سواء تم ذلك في السياق العام لادب الهزيمة وأدب المقاومة ، أو في السياق التفصيلي لانتاج هذا الكاتب أو ذلك . . . فحول الروائي المصري الراحل محمد عبد الحليم عبد الله نشرت مقالا استعرضت فيه الكاتب مراحل تطوره وانتهى الى أن محمد عبد الحليم عبد الله في مرحلته الاخيرة كان أكثر تقدما من حيث البناء الروائي المتناسك ولغة التخصيص التي مال اليها ، ولن يجد فيها طلبة المدارس « مقتبسات » يردون بها على رسائل حبيباتهم . ذلك أنه في أخريات حياته كان يلتمس جمهورا جديدا جذبه خيوط الاتجاهات الواقعية الجديدة جذبا شديدا ، حيث مال الخط البياني لجدول التوزيع لمصلحة هذه الاتجاهات منذ أواسط الستينات ، على أن هذا لا ينفى الاثر الجاد والحقيقي لتجارب عبد الحليم عبد الله وأبناء جيله من كتاب الرواية (٦٠) . وحول ادب الروائي السوري حنا مينة نشرت « الطليعة » مقالا تابع فيه الكاتب تطور الرواية العربية في سوريا ، حيث لا تزال عملا فرديا مبعثرا لا ينتظمه تيار أدبي يسود أو يصارع ضمن بقية تيارات الحركة الفنية . . . فالشعر والقصة القصيرة يستحوذان على اهتمام الاجيال والاتجاهات المختلفة ، بينما تظل الرواية في الادب السوري الحديث عملا أقرب الى الهواية بالنسبة للبعض ، وعملا ثانويا بالنسبة للبعض الآخر ، وعملا جادا بالنسبة للقلة القليلة . ولكن جدية هؤلاء تلازمها ندرة في الانتاج تبلغ أحيانا درجة الانقطاع سنوات طويلة « ولعل حنا مينه في مقدمة أولئك الذين لا ينتمون الى جيل روائي ، ولكنه لا يتخذ من الكتابة الروائية إحدى هواياته ، ولا يجعل منها عملا ثانويا ، رغم اقلاله الشديد في الانتاج وتباعد الزمن بين رواية وأخرى » فروايقه

الأولى « المصابيح الزرق » صدرت عام ١٩٥٤ وروايته الثانية « الشراع والعاصفة » ظهرت عام ١٩٦٦ ، وروايته الثالثة « الثلج يأتي من النافذة » عام ١٩٦٩ . ومن المفيد القول - تفسيرا لهذه الظاهرة - أن العمل الأدبي في حياة حنا مينه جزء لا ينفصل عن هذه الحياة ، فهي تمده بالخامة البكر وهو يمدّها بالمعاناة ، والفكر ، والنتيجة هي هذه الوحدة العميقة والاصيلة بين الكاتب وأدبه . ولكنها ليست وحدة من ذلك النوع الذي يدفعك الى تبين تفاصيل الحياة الشخصية للفنان بين سطور فنه ، أو تبين خريطة الواقع الحرفي فوق الصفحات . كلا ، فإن حنا مينه ليس ناقلا فوتوغرافيا ولا كاتب ذكريات ، وإنما هو فنان واقعي بأرحب معاني الواقعية وأكثر صسورها خصوبة وغنى : إنه يعاني الواقع بكل ذرات دمه ، الواقع بأبعاده الخفية والظاهرة ، الحياة والمتطورة . ثم هو يعاني في الوقت نفسه رؤيته لهذا الواقع بكل ما تشتمل عليه هذه الرؤية من تقليب لكافة وجهات النظر ومحصلات المعرفة وخبرات الثقافة ، ثم هو يعاني أخيرا مشقة الحصول على همزة الوصل بين الفكر الذي اطمأن اليه والواقع الذي أقلقه وأرقه ، همزة الوصل الواعية والملاوافية ، أو ذلك الرباط غير المرئي بين العقل والمخيلة الذي يصل بين الفكر والواقع في صياغة جمالية واحدة نسميها الإبداع الفني » (٦١) .

ثم قدمت « الطليعة » تحت عنوان « الرواية مرآة الشعب » دراسة رئيسية احتوت على ثلاث مقالات عالجت بعض محاور الرواية المصرية ، ومقال عن الرواية العربية الجديدة التي تناولت أبعاد الهزيمة في حزيران ١٩٦٧ . وقد كان المحور الأول الذي عولج في القسم الخاص بالرواية المصرية هو « الفلاح » كما رآه كتابنا الروائيون ابتداء من محمود خيرت ومحمود طاهر حقي (بين عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٦) الى أعمال الدكتور هيكل وطه حسين وتوفيق الحكيم وعبد الحليم عبد الله ويحيى حقي وفتحي غانم ويوسف ادريس وثروت أباظة وعبد الرحمن الشرقاوي وشوقي عبد الحكيم وعبد الحكيم قاسم ومحمد خليل قاسم وعبد الوهاب الاسواني . . . وقد انتقلت الرواية المصرية - عبر هذه الاجيال والعصور - بصورة الفلاح المصري من مجرد الملامح الرومانسية الى المعالم الواقعية لهذا الانسان الكادح المقهور على مر الزمان (٦٢) . ودار المحور الثاني من هذا القسم حول المقاومة الوطنية في الرواية المصرية حيث

(٥٩) غالى شكرى « أين الغضب في مسرحنا الغاضب ؟ » - عدد ٥ - ١٩٧١

(٦٠) غالى شكرى « محمد عبدالحليم عبد الله وتطور الرواية المصرية » عدد ٨ - ١٩٧٠

(٦١) غالى شكرى « الغربية والانتعاش أدب حنا مينه » - عدد ١٠ - ١٩٧٠

(٦٢) فؤاد دواره « صورة الفلاح في الرواية المصرية » - عدد ٨ - ١٩٧١

تناول الكاتب نموذج المقاومة الفدائية في رواية احسان عبد القدوس « في بيتنا رجل » ونموذج المقاومة بالكلمات في رواية عبد الرحمن الشرقاوي « الشوارع الخلفية » والتأرجح الذي أصاب يوسف ادريس بين روايتيه « قصة حب » و « البيضاء » ، والتأرجح بين الايجابية ، والاستسلام ، والريادة الفردية والفنية في « عودة الروح » لتوفيق الحكيم ، والبانوراما الاجتماعية الهائلة التي تمت المقاومة في إطارها بثلاثية « بين القصرين » لنجيب محفوظ ، والرؤيا التاريخية لمقاومة الثورة العربية كما تجسدت في « عبد الله النديم » البطل الروائي عند أبو المعاطي أبو النجا في روايته « العودة الى المنفى » (٦٣) وكان المحور الاخير في القسم الاول حول الاتجاهات الجديدة في أعمال الروائيين المصريين الشباب والكهول ، وهي اتجاهات تتمثل فيما أسماه الكاتب « اسقاط الميراث التاريخي » و « الوعي الحاد بالذات » ، و « وطأة الصمت والرعب ولكن هذه السمات لا تتحقق في الغالبية الساحقة - الروايات الجديدة الا في صورة باهتة تفتقر الى الخبرة بالحياة والنضج الفني والعمق الفكري . غير أن هذا لا ينفي تحققها في قلة ممتازة من هذه الروايات مثل « أيام الانسان السبعة » لعبد الحكيم قاسم ، و « الصمت والصدى » لأمين العيوطي ، و « تلك الرائحة » لصنع الله ابراهيم ، و « العودة الى المنفى » لأبي المعاطي أبو النجا » (٦٤) .

وكان القسم الثاني من الدراسة في مقال واحد حول الرواية العربية الجديدة والهزيمة . وقد رأي كاتب المقال انجازات الروائيين العرب في هذا الصدد ، نجت الى حد كبير من المآزق التقليدية الذي يحاصر الكاتب غالباً وهو يكتب عن « مناسبة » أو « حدث سياسي » . وربما كان من الاسباب الهامة لنجاة الرواية العربية من هذا المآزق أنها ظلت طيلة الستينيات ، تحاول برفقة القصة القصيرة أن تثور على المفاهيم التقليدية للفن الروائي . فلما أقبلت هزيمة عام ١٩٦٧ لم تكن في انعكاساتها الوجدانية والعقلية أكثر من امتداد علني لما كانت تكتوي به الصدور في السر قبل هذا التاريخ بزمان طويل . وظلت الرواية العربية الجديدة بعد ٦٧ تنادي حزيناً بين الحين والآخر ، تفتش بين الانقراض عن حقائق الماضي ، وتتوقف طويلاً على أرض الحاضر الخراب ، تستعير أحياناً عيني زرقاء اليمامة تكتشف بهما آفاق المستقبل . وهي تجد نفسها في ذلك كله مضطرة لأن تخرج عن نطاق الجاذبية للرواية التقليدية ، فتجرب من أدوات التكتيك ورؤى الفكر ما يتواءم مع الاحاسيس والمدرجات الجديدة التي تطارد

وجدانات الكتاب وعقولهم بلا هوادة ، وهم يخلقون في أجواء محفوفة بكل مخاطر المجهول . ومن الطبيعي أن تختلف انجازات الرواية الجديدة من كاتب الى آخر اختلافاً تجريبية والثقافة والفطرة ، ولكنهم - أولئك الروائيين - يعودون فيلقون في انحزبان كان ينبع رؤياهم ، من قبل أن يقع وبعد أن وقع . ثم يعودون فيلقون في أنحسار الهزيمة المشترك بينهم قد شارك بنصيب فعال في صهر الوعي القومي للرواية العربية . . . فربما كانت هذه الاعمال التي اتخذت من مأساة ٦٧ محوراً لها هي أكثر الاعمال الروائية التي رسخت كياناً « عربياً » للفن الروائي ، لا بمعنى الانفصال عن مؤثرات القرب الفنية ، ولا بمعنى البحث عن أصول تاريخية لهذا الفن في كهوف التراث القديم . ولكن بمعنى وحدة العقل والوجدان بين الكاتب المصري والكاتب السوري والكاتب الفلسطيني والكاتب الاردني والكاتب اللبناني . تجتمع غالبية أولئك الروائيين أيضاً ، مهما اختلفت أعمارهم وتواريخهم الفنية ، حول ناصية التجديد في بنية الرواية العربية تجديداً ثورياً . من شأنه أن يتجاوز بهذا الفن الجماهيري اعتبار المرحلة التقليدية . ويقسم الكاتب مجموعة الروائيين العرب الذين تناولوا رؤيا الهزيمة بالتعبير الفني الى تيارين رئيسيين : أولهما وصلت به تخوم التجربة الى تخوم اليأس المطلق نتيجة قصور في تصور الحركة التاريخية ، ونتيجة انتماء فكري متعال على الحركة الاجتماعية ، ونتيجة تكوين طبقى بالغ القلق والذنبية والتأرجح . وإلى هذا التيار تنتمي بشكل عام روايات حليم بركات وتيسير سبول وأمين شنار . أما التيار الثاني فقد وصلت به التجربة الى حدود الامل المطلق نتيجة استبصار واع بالحركة التاريخية ، ونتيجة انتماء فكري مرتبط بالحركة الاجتماعية ، ونتيجة تكوين طبقى مرتبط بالاتجاه القومي ومدغم في المجرى الرئيسي للوجدان الانساني . وإلى هذا التيار تنتمي بشكل عام روايات أميل حبيبي وغسان كنفاني وأديب نحوي وممدوح عدوان . وربما كانت نقطة اللقاء السلبية بين هذين التيارين هي المطلق « الذي يتوزعها بين اليأس والرجاء ، رغم أنهما على طرفي نقيض . . . لقد اكسب هذا « الاطلاق » أعمالهم بدرجات متفاوتة قدراً من السكونية في تمثيل أبغاد الهزيمة بحيث جاءت الرؤيا اليائسة بأرض خراب لا يعرفها واقعا على وجه التمام ، كما جاءت الرؤيا المتفائلة بيوتوبيا الفردوس الارضي الذي لم يعرفه واقعا - بعد - على وجه التمام (٦٥) .

(٦٣) أحمد محمد عطية «الرواية المصرية والمقاومة الوطنية» - عدد ٨ - ١٩٧١.

(٦٤) صبرى حافظ «الموجة الجديدة في الرواية المصرية» - عدد ٨ - ١٩٧١.

(٦٥) غالى شكرى «الرواية العربية تنادي حزيناً» - عدد ٨ - ١٩٧١.

ملف

خاص

المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني

في

بيروت ، وفي صباح يوم الجمعة
٧ يناير ١٩٧٢ انعقدت أولى جلسات
المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي
اللبناني (١) .

وكان لانعقاد المؤتمر ، بشكل علني ، وفي
فندق من أشهر فنادق العاصمة اللبنانية ، اصداء
بعيدة المدى في لبنان ، وفي البلدان العربية ،
وفي كثير من عواصم العالم .
ويعزى اهتمام أوساط الرأي العام المحلي
والعربي والدولي بهذا الحدث الى أنه :

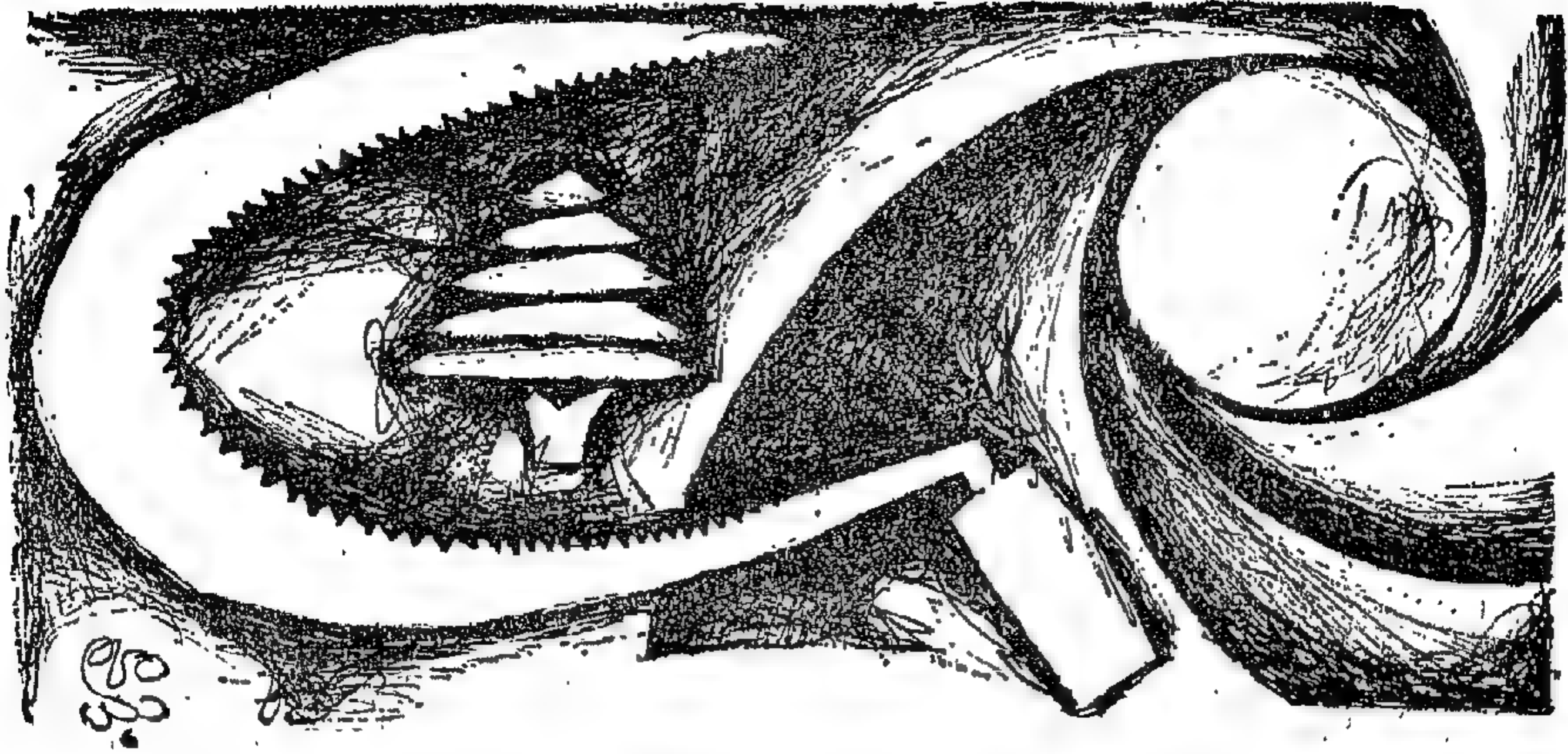
١ - أول مؤتمر يعقده الحزب بعد أن أجازت
علنيته رسميا في أغسطس عام ١٩٧٠ ، وبعد أن
فرضت عليه حياة السرية لمدة ٢٥ عاما .

٢ - انه أول مؤتمر يعقده حزب ماركسي لينيني
في البلاد العربية ويدعى اليه ، ويحضر جلساته
عدد ضخم لأمم ممثلي الاحزاب الشيوعية والعمالية
والاجنبية فحسب (اكثر من ٢٥ حزبا) . بل
وعدد كبير من الاحزاب والتنظيمات العربية غير
الشيوعية (٢٥ حزبا وتنظيما) وعدد ضخم من
النقابات العمالية والمهنية والمنظمات الاجتماعية
الوطنية والتقدمية . كما حضر جلساته عدد من
الشخصيات السياسية المؤثرة في حياة لبنان من
رؤساء وزارات ووزراء ونواب سابقين وحاليين .

٣ - ان المؤتمر انعقد في ظروف بالغة الدقة
تحيط بالقضية الرئيسية التي تواجه حركة التحرر
الوطني العربية قصة العدوان الاسرائيلي ، وما
يفرضه من ضرورة دعم وتنسيق العمل بين مختلف
فصائل الثورة العربية المعادية للامبريالية
والصهيونية والرجعية .

٤ - ان المؤتمر انعقد في ظروف بالغة الدقة
تحيط بلبنان داخليا حيث تنضج في المجتمع
اللبناني ، وبكيفية متزايدة السرعة ، عملية
استقطاب واسعة ، سياسية واجتماعية ، تتحدد
فيها الجبهات التي يقف فيها معسكران : معسكر
القوى والاحزاب الوطنية والتقدمية التي تطالب
بسياسة عربية شكلا ومضمونا للبنان تربطه
بشقيقاته العربيات ، وتباعد بينه وبين علاقات
التبعية للمصالح الامبريالية ، وتضعه على طريق
التطور والبناء الاقتصادي المستقل ، وبين معسكر
الاحزاب والقوى التي تعمل على ابقاء اقتصاد
لبنان وسياسته في فلك التبعية للسياسات
الامبريالية .

لهذه الاسباب وغيرها أحدث انعقاد المؤتمر دويا ،
واسعا . وحول انعقاده تعددت وتباينت الآراء في
الاطراف الرسمية وغير الرسمية . فبينما صرح
الرئيس قروقي بانه « لا ضرر من انعقاد المؤتمر
بغض النظر عن الناحية العقائدية ، وبينما رحب



مضيفي العريس فرحب بالضيوف . ثم وقفة
المؤتمرون حدادا على ارواح شهداء الحزب
والحركة الشيوعية والثورية العربية والعالمية
وكبار القادة الثوريين الذين غابوا في السنوات
الماضية وفي مقدمتهم الرئيسين هوشي منه وجمال
عبد الناصر . وقدم الرفيق جورج حاوي الوفود
التي اشتركت ، وعرض جدول الاعمال وطريقة
عمله . وافر المؤتمر بالاجماع تشكيل هيئة رئاسة
المؤتمر ، وهيئة التفويضات ، ولجنة سياسية . ثم
قدم رئيس الجلسة الرفيق نقولا نسادى الامين العام
لحزب الذي القى تقرير اللجنة المركزية عن نشاطها من
المؤتمرين الثاني والثالث . ثم تتالى على الكلام طوال
ثلاثة ايام ممثلون عن الاحزاب والمنظمات التي
دعيت الى المؤتمر واعضاء ومندوبون منتخبون من
الحزب الى المؤتمر ، واعضاء من قدامى المجاهدين
في الحزب ، كما نعت قرينة الشهيد فرج الله الحلو
في اليوم الثالث - كلمة تحية مؤثرة وجهتها الى
الحزب والى مؤتمره .

وقد استرعى المؤتمر انظار الوفود المشتركة
بفضل العناية والجهود الضخمة التي بذلت من
اجل اعداده وانجاحه . وكان ابرز ما في هذا
كله ، أن جميع الاعمال قد تمت على أساس من
التطوع الاختياري من قبل أعضاء الحزب في جميع
المستويات . فالسيارات التي كانت تقل الوفود كان
يقودها اصحابها من أعضاء الحزب ، واعمال
الترجمة الفورية الى اللغات الفرنسية والانجليزية

رئيس لبنان بالضيوف ، رفض رئيس الوزراء أن
يحضر جلسات المؤتمر . وبينما أطلقت الصحف
الناطقة بلسان أقصى اليمين في لبنان صرخات
الحرب ضد المؤتمر . وهدد حزب الكتائب
باستخدام القوة لمنع ، وطالب زعيمه بيلير الجميل
بمنع انعقاده ، وحذر الرئيس السابق شمعون من
أن العواصم الغربية بدأت تنظر الى لبنان نظرة
الريبة والحذر . . . نقول بينما حدث هذا ، أخذت
الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية والصحف
المستقلة موقفا معاكسا : فكتبت « الدنيا » في مقال
افتتاحي تقول « ان القول بأن الدول الغربية
مستاءة من انعقاد المؤتمر الشيوعي على أرض
لبنان هو قول يعطى أقوى الحجج بأن الدول
الغربية الاستعمارية تفرض « وصاية » سياسية
ونوعا من الحجر الفكري على النظام اللبناني
واربابه » وكتبت « بيروت » « أن المؤتمر ينعقد
وسط ترحيب كافة القوى التقدمية وتهجمات القوى
الرجعية واليمينية » . بل ان جريدة « النهار » رغم
رقضها التام للماركسية ، ورغم أنها تنطق بلسان
البورجوازية الليبرالية ، كتبت تقول « أيها
الشيوعيون ، أهلا وسهلا بكم . فالانسان الذي
فيكم ، الانسان الذي لا بد في النهاية أن تؤمنوا به
معنا أكثر من أيماكم بالنظريات التي تخرع » .

في هذا الجو عقد المؤتمر الثالث وتابع جلساته
العشرة على مدار ثلاثة أيام كاملة ، والقى كلمة
الافتتاح نقابى قديم ومعروف ، هو

والروسية وغيرها قام بها شباب الحزب * ونفقات المؤتمر قدمها الاعضاء في شكل تبرعات مادية وعينية * وهكذا

وانذا صح التقدير القائل بأن المؤتمر قد نجح في اعماله فان هذا يعزى الى عدد من الاسباب في مقدمتها :

١ - الخط العام الذي عكسته التقارير الرئيسية، والتي قامت على دراسة علمية ومتعمقة في الواقع اللبناني *

٢ - الخط الذي التزمه الحزب في النضال ضد الامبريالية ، ومواقفه في الدفاع عن مطالب الجماهير اللبنانية ، وكفاحه لاسناد المقاومة الفلسطينية ، ونزول اعضائه في الكفاح المسلح على الحدود الجنوبية التي تتعرض لاعتداءات اسرائيل *

٣ - خط توحيد القوى والاحزاب الوطنية

تختلف ايدولوجيتها عن ايدولوجية الحزب * وموقف الحزب العملي في الحياة اليومية المتمثل في حرصه على تعزيز الجو الديموقراطي في لبنان وحرصه على حرية التنظيم ، وحرية الاعتقاد ، وحرية القول ، واحترامه للتقاليد القومية ، والخصائص المميزة للبنان *

٤ - اهتمام الحزب بتطوير الديموقراطية وتعزيزها في حياته الداخلية ، وحرصه الشديد على تشجيع الحوار ، والاستماع الى الاراء المختلفة ، ومناقشتها والرد عليها * واستعداده العملي لنقد اخطائه امام الرأي العام ، ودعوته المستمرة للقوى والاحزاب الوطنية ، واشراكها في مناقشته ، ونقد خطه السياسي *

٥ - نضاله الذي لا يتوقف مع الاحزاب الوطنية والتقدمية في لبنان من اجل ربط حركة الجماهير اللبنانية بحركة الجماهير العربية في كل انحاء الوطن العربي ، على اساس واضح من الدفاع عن قضايا الاستقلال الوطني ، والتقدم الاجتماعي ، والوحدة العربية .



الاتجاهات الرئيسية في تقرير

اللجنة

المركزية

والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ، والتي الجهود الايجابية التي بذلتها بعض البلدان الاشتراكية في التغلب على صعوباتها الداخلية (تشيكوسلوفاكيا وبولندا) ، وهي الصعوبات الناشئة اثناء تطبيق الاشتراكية *

وبالمقابل ، عرض التقرير للامزمات التي شهدتها البلدان الرأسمالية والامبريالية ، فأسأله الى أنها «أزمات من أعماق ما مرت به في تاريخها الحديث ، أزمات اقتصادية ، واجتماعية وسياسية» * وتحت وطأة هذه الامزمات قامت الامبريالية الامريكية بهجمات ضارية على حركة التحرر الوطني في مختلف البلدان * ولا بد من الاعتراف بأن هذه الهجمات قد حققت بعض النجاحات * لكن نجاح قوى الامبريالية والرجعية في هذه المنطقة أو تلك لا يعني انهيار الحركة

يقدم تقرير اللجنة المركزية الذي القاه نقولا شاموي الأمين العام للحزب عرضاً للفترة التي انقضت منذ المؤتمر الثاني للحزب (١٩٦٨) حتى انعقاد المؤتمر الثالث (يناير ١٩٧١) *

ويبدأ التقرير بتأكيد صحة الاستنتاج الذي توصل اليه مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية (موسكو ١٩٦٩) والقائل بأن الحركة الثورية تواصل سيرها الى الامام ، رغم المضاعف والتعقيدات التي منى بها بعض فصائلها ، وذلك في عصر ميزته الاساسية هي الانتقال الى الاشتراكية ، كما أن الوزن السياسي والاقتصادي والعسكري للبلدان الاشتراكية قد تعزز الى درجة كبيرة ، كما تعزز بالمثل تأثير هذه البلدان *

وتطرق التقرير الى تقييم نتائج المؤتمر الرابع

وزعيمته امريكا، وبين المعسكر الاشتراكي وفي مقدمته الاتحاد السوفيتي . و اشار التقرير الى ان الحزب، منذ مؤتمره الثاني، وهو يضع يديه على المفاتيح الرئيسية لنجاح كفاح الشعوب العربية . هذه المفاتيح هي : (١) موقف واضح وصريح وثابت ضد الامبرياليين، ولا سيما ضد الامبريالية الامريكية حامية اسرائيل (٢) موقف واضح وصريح وثابت في التعاون والصداقة والتحالف مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية وسائر قوى التحرر والتقدم في العالم (٣) موقف مبدئي وعملي لصالح قضية وحدة القوى الوطنية والتقدمية في كل بلد عربي وعلى صعيد العالم العربي، مع الاخذ بعين الاعتبار جميع الفروق والخلافات بين هذه القوى، ومع التاكيد على ان هذه الخلافات تظل تناقضات ثانوية لا يجوز دفعها الى مستوى التناقض الرئيسي .

واشار التقرير الى ان هذه المنطلقات قد مكنت الحزب من ان يوسع ويوطد صلاته، في العالم العربي مع عدد كبير من الاحزاب والقوى والتنظيمات الوطنية والتقدمية، وذلك بهدف توحيد النضال التحرري المعادي للاستعمار والصهيونية . وقد ساعدت هذه اللقاءات على تعزيز التعاون والتفاهم بين الحزب وبين هذه القوى . وتاكيدا لاهمية تطوير اللقاءات مع الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية، دعا التقرير جميع هذه القوى الى تشكيل لجنة تحضيرية لبحث كيفية مواصلة العمل لاجاد صيغة للتعاون والعمل المشترك فيما بينها . (اقرأ نص النداء الذي وافقت عليه التنظيمات والاحزاب التي حضرت المؤتمر) .

الموقف من أهم القضايا المطروحة

ثم عرض التقرير لمواقف الحزب المبدئية من أهم القضايا التي تشغل حركة التحرر الوطني العربية : من الانظمة الوطنية التقدمية ودورها - والوحدة العربية - والمقاومة الفلسطينية - وتصفية آثار العدوان الاسرائيلي، وتحرير الارض المحتلة . واستعادة الحقوق القومية المشروعة لشعب فلسطين .

وفيما يتعلق بالانظمة الوطنية والتقدمية قيم التقرير تقييما ايجابيا نشوء هذه الانظمة، والانجازات الاقتصادية والاجتماعية التي حققتها بالتعاون مع البلدان الاشتراكية، وفي معاركها منذ الاستعمار الجديد . كما قيم الخط العام المعادي للامبريالية في سياستها الخارجية . في الوقت نفسه وضح التقرير الثغرات والنواقص في هذه الانظمة . وفي مقدمتها : انفراد ممثلي

الثورية وتدهورها، وانما يعزى الى السياسات اليسارية المغامرة التي تزعمها القادة الصينيون وشارك فيها الفوضويون والتروتسكيون . ورغم كل شيء فقد حافظت الحركة الثورية في مسارها العام - على المكاسب الاساسية، بل استطاعت ان تحقق مكاسب جديدة (تقدم الحركة الثورية في بلدان امريكا اللاتينية - تدعم مواقع احزاب الطبقة العاملة في اوربا الغربية - انتصار سياسة البلدان الاشتراكية في فرض الوضع الناشئ بعد الحرب العالمية الثانية - الضربات التي يتلقاها المعتدون الامريكان في فيتنام) .

وعرج التقرير بعد ذلك على مواقف الصين فأكد ان مواقف قيادة بكين بأعمالها الانقسامية لم تلحق الضرر بمجمل الحركة الثورية العالمية فحسب، ولكنها انتقلت من حيز الشعارات الطنانة الى حيز الالتقاء العملي والتقارب مع الامبريالية الامريكية .

الوضع العربي

ولكن كيف استجابت بعض الفصائل الوطنية في العالم العربي لهذه التطورات الكبرى ؟ اجاب التقرير على ذلك بأن هذه الفصائل لم توفق في حل القضايا التي طرحها تطور العملية الثورية في العالم، وذلك بسبب الاخطاء التي وقعت فيها ويمكن تلخيص هذه الاخطاء فيما يلي :

● ان بعض القوى الوطنية عانجت قضية التناقض الاساسي على اعتبار انه بين الشعوب المتخلفة والشعوب المتقدمة، على الصعيد العالمي . وبين الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة على صعيد كل بلد من بلدان العالم الثالث .

● وطرحت فصائل أخرى مهمات لم تكن الحركة التحريرية، لا ذاتيا « ولا موضوعيا »، قادرة على تنفيذها، عن طريق الكفاح المسلح بصفته الاسلوب الوحيد للكفاح .

● وبعض الفصائل وضعت سياستها على اساس اللعب على تناقضات الدول الرأسمالية، وعلى التناقضات بين المعسكر الامبريالي وبين المعسكر الاشتراكي، وعلى الخلافات بين الاتحاد السوفيتي من جهة وبين الصين من جهة أخرى . وفي هذا تغافلت عن حقيقة أن حركة التحرر الوطني العربية لا يمكن الا أن تكون طرفا في هذه الخلافات والتناقضات .

وعاد التقرير ليؤكد على أن الرؤية الصحيحة انما تبدأ انطلاقا من الاقتناع بأن التناقض الرئيسي على الصعيد العالمي هو بين المعسكر الامبريالي

والعراق والاردن لتشديد التضامن مع المقاومة والمساهمة في صفوفها بما في ذلك انشاء قوات الانصار .

● وفيما يتعلق بالقضية الرئيسية التي تواجه حركة التحرير العربي وهي تصفية آثار عدوان يونيو . فقد انطلق الحزب في تحليله لعدوان يونيو من واقع انه مظهر من مظاهر ازدياد عدوانية الامبريالية التي استهدفت ، ولاتزال ، حزب حركة التحرير العربية ، وتصفية الانظمة التقدمية ، واضعاف مواقع القوى التقدمية العربية ، وضرب الصداقة السوفيتية العربية ، وتحقيق مطامع اسرائيل في التوسع وتصفية القضية الفلسطينية . وانطلاقا من اخذ الواقع الموضوعي بعين الاعتبار ، وتقدير الحزب لعلاقات القوى على صعيد المنطقة ، واخذا للوضع الدولي المعقد في الحسبان فقد وافق الحزب على قرار مجلس الامن (نوفمبر ١٩٦٧) .

وايد الحزب عددا من جهود مصر ومبادراتها . وأكد أن هذا القرار لا يتناقض مع النضال من أجل استعادة الحقوق القومية للشعوب العربية ولا سيما حقوق شعب فلسطين . غير أن الحزب أعلن أن تحقيق هذا كله مشروط بتعزيز القدرة القتالية للدول العربية التقدمية ، وتحقيق التنسيق فيما بينها ، والاعتماد على الجماهير ، وتمكينها من ممارسة حرياتها ، وتنظيمها وحشدتها في المعركة ، ودعم ومساندة المقاومة الفلسطينية . وأن يتم هذا كله في إطار سياسة حازمة معادية للامبريالية الامريكية لتصفية مواقعها السياسية والاقتصادية في المنطقة وتوطيد علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية .

على ضوء هذا كله ، نظر التقرير الى مجمل الاحداث والمواقف التي شهدتها المنطقة العربية . فبالنسبة لمشروع روجرز وقف الحزب موقفا متعيزا ففضح أهداف المشروع الاستعماري والنوايا الخبيثة للاستعمار الامريكي من وراء تقديمه . ودعا الحزب الى نبذ الخلافات التي بدأت تمزق الصف العربي بعد تقديم مشروع روجرز ، وحذر المقاومة من الانزلاق في تعميق الانقسامات ، الامر الذي يوقعها في مخططات الامبريالية الامريكية . الا أن هذا لم يمنع أن الانقسام كان قد وقع فعلا في حركة التحرير العربي . ودفعت حركة التحرير ثمنها باهظا لهذا كله تمثل في مجازر أيلول ، وما أعقبها من مجازر ضد المقاومة في الاردن ، ثم فيما بعد في مجازر السودان .

● وبالنسبة لوفاة عبد الناصر فقد قدر الحزب تقديرا موضوعيا الدور الذي لعبه هذا القائد العربي خلال ١٨ عاما من المارك التي خاضتها الشعوب العربية ضد أعدائها . وأشار التقرير الى أن مجموعة من المكاسب التي حققتها حركة التحرير قد ارتبطت باسمه . وتوقع الحزب أن غيابه سيترك

البرجوازية الصغيرة بالسلطة ، وما سببته الطبيعة المزدوجة لهذه الطبقة من فتح الطريق أمام انتعاش الاجنحة اليمينية في المجتمع . هذه الاجنحة التي تعززت مواقعها ، واتجهت الى عرقلة وتجميد التحولات الاقتصادية والاجتماعية ، وتقديم قنازلات للامبريالية ، والتشكيك في الصداقة العربية السوفيتية ، وانتهاج سياسة العداء للشبيوعية . على أن التقرير قد لاحظ أنه ايا ما كان نشاط الاجنحة اليمينية ، فإن مظاهر احتدام الصراع الطبقي في البلدان العربية ، واتساع القاعدة الاجتماعية التي استفادت من الانجازات الاقتصادية والاجتماعية ، كل هذا يؤكد أكثر فأكثر على أن الاتجاه اليميني يمكن وقفه وردده ، لاسيما وأن العوامل الذاتية تنضج سياسيا وفكريا وتنظيميا لمجابهته وضربه ، وتعميق الخط التقدمي .

● وفيما يتعلق بقصة الوحدة العربية ، أوضح التقرير ما سبق أن أكدته الحزب من قبل ، وهي أن « طموح الجماهير العربية الواسعة الى الوحدة هو وليد الواقع الموضوعي لتطور العالم العربي ، ولروابط التاريخية بين مختلف أجزائه » وانها انطلقت مع بدء الحركة المعادية للسيطرة الاجنبية وكان مفهومها يتطور مع تطور هذه الحركة في مختلف مراحلها . وأشار التقرير الى أن برنامج الحزب ينص على « أن الوحدة العربية تعبر عن تطلعات جميع الفئات الشعبية الطامحة للتقدم الاجتماعي والاقتصادي التي تنعطف أكثر فأكثر نحو الاشتراكية » . وهذه القرى أخذت تصبح العنصر الاساسي المحدد لعملية تطور العالم العربي نحو الاشتراكية والوحدة » . ثم عرض التقرير لتقييم الحزب لتجارب الوحدة التي تمت ، وعند الحديث عن الاتحاد الثلاثي أكد التقرير على أن الحزب رحب بقيامه ودعا الى أن يبني الاتحاد بالطريقة التي تجعل منه تجسيدا لاماني الجماهير في العداء للاستعمار وفي الديمقراطية .

● وفيما يتعلق بموقف الحزب من المقاومة الفلسطينية . فقد شرح التقرير المبادئ التي حكمت نظرته الى المقاومة . وتتلخص في (١) أن حركة المقاومة جزء لا يتجزأ من حركة التحرير والتقدم والاشتراكية في العالم ، ومن ثم فإن لها جوهرها تقدميا معاديا للامبريالية (٢) نقد الحزب اخطاء المقاومة ، والخلل الخطير في تركيبها الطبقي البرجوازي الصغير ولكن نقده كاد يتم من مرقف التعاطف معها ومساندتها (٣) رفض الحزب باستمرار اعتبار المقاومة طليعة لحركة التحرير العربية ككل ، أو اعتبارها بديلا عن هذه الحركة (٤) نقد الحزب بجرأة المسؤولية التي يتحملها الشيوعيون في عدم تأديتهم منذ البداية دورا أكثر ايجابية في هذه الحركة (٥) صرح الحزب هذا الموقف بالتعاون مع الاحزاب في سوريا

مشترك لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية من أجل استعادة الاراضى العربية المحتلة ، ودفع عملية التطور فى طريق التقدم الاجتماعى .

الوضع الداخلى

فى ختام تحليل الحزب للوضع الداخلى يذكر التقرير أنه خلال الثلاث سنوات ونصف سنة الماضية اتخذ النضال الوطنى والاجتماعى فى لبنان صفة الاستمرار ، بحيث أنه لم يمر أسبوع بدون مظاهرة أو اضراب أو معركة مطلبية أو سياسية . وهذه الحقيقة تلقى الضوء على طبيعة التناقضات التى تحكم المجتمع اللبنانى والازمة العامة التى تنشعب فى النظام السياسى والاقتصادى . أما التناقضات ففى مقدمتها التناقض الاساسى بين البورجوازية الكبرى وبين الطبقة العاملة اللبنانية . والتناقض الثانى هو بين العلاقات الرأسمالية القائمة وبين القوى المنتجة فى المدينة . وهذه العلاقات الرأسمالية تعرقل نمو الصناعة وتفسح المجال أمام نمو أسرع وأكثر اتساعاً لقطاع الخدمات . والتناقض الثالث هو بين هذه العلاقات الرأسمالية التى تتميز بالتبعية للامبريالية وبين متطلبات الاستقلال الاقتصادى ، الامر الذى يقيم الحواجز أمام أى تنمية حقيقية اقتصادية واجتماعية وفقاً لاقتصاد مخطط . والتناقض الرابع هو بين هذه العلاقات الرأسمالية وبين القطاع الزراعى . وهنا يمثل ارتباط سياسة البورجوازية الكبرى بالسوق الرأسمالية العالمية عائقاً دون تصريف المنتجات الزراعية . فضلاً عن أن احتكار الطبقة البورجوازية الكبرى لتجارة الادوية والاسمدة والتسليفات يعوق تطور الانتاج الزراعى ويزيد من اعبائه . والتناقض الخامس هو بين هذه العلاقات الرأسمالية وبين القضايا القومية ، فالرأسمالية اللبنانية الكبرى ترتبط مصالحها بالامبريالية ، وهى تلعب دور الشريك الصغير للامبرياليين ومن ثم فإن من مصلحتها بقاء النفوذ الاجنبى فى المنطقة ، ومن الطبيعى أن تكون ضد أى حركة وطنية وتقدمية تمس مصالح الامبريالية .

« الحلف » و « النهج »

ومع أن هذه البورجوازية الكبرى تقبض على السلطة الحقيقية، ومع أن اقسامها تعمل على اتخاذ مواقف مشتركة ضد حركة الجماهير بالاعتماد المتزايد على الأجهزة ، الا أن فى داخل هذه الطبقة أكثر من تناقض يعرضها راجع الى ارتباط اقسامها

انعكاساته على الوضع فى ظروف الازمة التى تجتازها كل حركات التحرر العربية .

وازاء هذه الازمة المستحكمة طالب الحزب فى كل مواقفه باقامة تحالف واسع ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، تحالف يشمل كل فصائل حركة التحرر على اختلاف انتماءاتها الطبقية والسياسية . وفى الوقت نفسه فضح الحزب اتجاهين خطرين فى حركة التمرر : اتجاه المساومة مع أمريكا والاتجاه الذى حاول عزل الشعوب العربية عن حلفائها وأصدقائها . أما الاتجاه الاخر فهو الاتجاه اليسارى المغامر الذى يدفع الى اصطناع معركة بين قوى طبقية لها مصلحة فى التحالف : الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة ، ويدفع حركة التحرر العربى الى معارك غير ناضجة ، يمكن أن تؤدى الى هزائم أشد خطورة من هزيمة يونيو .

وكانت أحداث السودان النتيجة الطبيعية لهذا الوضع الذى تنبأت به قيادة الحزب فى أكتوبر ١٩٧٠ . وهذه الأحداث هى ثمرة العداة للديموقراطية والشيوعية والتقدم الاجتماعى . أما المجازر التى حاقت بقيادات الحزب السودانى والقيادات العمالية فقد عارضتها وأدانتها أحزاب وقوى وطنية وتقدمية عديدة وجماهير واسعة لما رأت فيها من مخاطر على الكفاح المعادى للامبريالية والصهيونية ، وعلى الديموقراطية بالذات .

ولخص التقرير نتائج تلك الهجمة الامبريالية والرجعية على حركة التحرر الوطنى العربية فأشار (١) الى أنها - رغم شراستها لم تحقق أهدافها فى اسقاط الانظمة التقدمية . (٢) وأن الظاهرة التى برزت على الصعيد العربى هى اشتداد عزلة الامبريالية الأمريكية فى العالم العربى . (٣) وأظهرت الوقائع أن سياسة ممالة أمريكا والبحث عن حل أمريكى لقضية الشرق الاوسط سياسة قصيرة النظر . (٤) أكدت الأحداث أن الصداقة العربية السوفيتية لها أسس وطيدة تستطيع معها أن تتغلب على الازمات العارضة .

وفى ختام تحليل الوضع العربى أكد التقرير على عدد من القضايا المتعلقة بدعم وحدة النضال بين كافة فصائل حركة التحرر العربية ، وفى هذا :

- طالب بتطوير ودعم التعاون والتنسيق مع أحزاب الطبقة العاملة العربية ودعم وحدة العمل بينها كأساس يضمن نجاح وتقدم التعاون والعمل بين جميع القوى والأحزاب الوطنية والتقدمية .
- دعا التقرير كافة القوى التقدمية الى ندوة مفتوحة ، لبحث قضايا التعاون وإيجاد عمل

المختلفة بالدوائر الامبريالية المختلفة (الامريكية والفرنسية والالمانية الغربية واليابانية والانجليزية) . وبعضها راجع الى التناقض بين كبار التجار وكبار الصناعيين ، وإلى الخلافات الناجمة عن الصراعات التقليدية العائلية .

وفى مواجهة سياسة البورجوازية الكبرى تصاعد النضال الشعبى . فعلى صعيد النضال الاقتصادى اتسع النضال المطلبى اتساعا لم يسبق له مثيل سواء فى المؤسسات الخاصة أو العامة ، من أجل تنفيذ الضمان الصحى ورفع الحد الأدنى للأجور ، ومن أجل خفض ايجارات المساكن وتخفيض أسعار الكهرباء ، ومن أجل المطالب بالخاصة بهذه المنطقة ، أو تلك من مناطق لبنان .

وعلى صعيد المواجهة السياسية خاضت الجماهير بقيادة قواها التقدمية معارك واسعة ضد الاتجاهات المعادية للديمقراطية والمعادية للمقاومة الفلسطينية ولحركة التحرر العربية وضد الاتحاد السوفيتى . وطالبت الحركة الشعبية بوقف الاعتماد على حماية الدول الامبريالية ، وبالتعاون مع الدول العربية التقدمية ، وبتسليح الشعب وتحسين قوى الجنوب وإشراك ابنائه فى الدفاع عنه . وحاولت الرجعية اللبنانية بمنجزة ٢٣ أبريل أن تفرق البلاد فى خضم الحرب الطائفية ، ولكنها لم تفلح . وبفضل انتفاضة ٢٣ أبريل ، وإصرار الحركة الشعبية على اقامة حكم وطنى ، تشكلت حكومة جديدة اشترك فيها كمال جنبلاط حيث لعب كوزير للداخلية دورا هاما فى حماية المقاومة ، وتحقيق مكاسب هامة فى مجال الحريات الديمقراطية ، والحد من أزهاب الأجهزة العسكرية . ولكن هذا التقدم لم يستمر . ذلك أن ظروف المجتمع اللبنانى لم تتضح بعد لاحداث تغييرات عميقة وجذرية . هذه التغييرات التى تتم بفضل نضال الجماهير لتعديل ميزان القوى لصالح القوى التقدمية .

الا أن هذا كله لا ينفى حقيقة أن الوحدة المتعاضدة بين الحزب وبين القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان وفى مقدمتها الحزب التقدمى الاشتراكى قد سجلت على صعيد الحركة الشعبية المدافعة عن الحريات الديمقراطية أكثر من نجاح ، كان من بين نتائج تفكك الكتلتين الرئيسيتين للبورجوازية الكبرى « الحلف » و « النهج » الامر الذى ظهر بوضوح فى انتخابات رئاسة الجمهورية .

وفى غمرة النضال الذى تخوضه الجماهير الشعبية سجل تقرير اللجنة المركزية الوزن والدور المتزايدين اللذين تلعبهما الطبقة العاملة ، واتخاذ نضالها طابعا وطنيا شاملا يعكس تبلور ونضوج كيانه المستقل كطبقة اجتماعية ، كما سجل ازدياد الميل نحو وحدة الحركة النقابية والعمالية .

وتتضح أهمية حركة الطبقة العاملة اللبنانية فى أن نضالها يتخذ أبعادا سياسية ، ويتعزز دورها القيادى فى الحركة الجماهيرية بفضل دفاعها عن مصالح ومطالب الفئات الأخرى التى تعاني من وطأة الأزمة الاقتصادية .

وعلى أساس تحليل حركة الطبقات الاجتماعية المختلفة يؤكد التقرير على عدد من المهام التى يلتزم الحزب بالنضال من أجلها ، فى مقدمتها : النضال من أجل صيانة وتطوير الحقوق الديمقراطية وفى هذا يطالب الحزب بدستور ديموقراطى علمانى وتقدمى يلغى الطائفية ، ويقر حق التنظيم السياسى والنقابى للجماهير كما يقر الحقوق والحريات الديمقراطية والضمانات الاجتماعية . وعلى أساس هذا الدستور يجب أن يتم تعديل قانون الانتخاب بما يكفل للقوى الشعبية تمثيلا فى البرلمان وفى المجالس البلدية . الخ .

وفى مقدمة المهام التى يحددها التقرير : النضال من أجل صيانة استقلال لبنان وتعزيزه ويتطلب هذا دعم علاقات لبنان مع الدول العربية الشقيقة ، واحداث تغيير جذرى فى سياسة لبنان الخارجية تقطع ارتباطه بسياسة التبعية للامبرياليين وانتهاج سياسة تحرر وطنى تنسجم مع اهداف حركة التحرر الوطنى العربية ، وتساند حركة الشعب العربى الفلسطينى ، وتقيم أوسع علاقات التعاون مع الاتحاد السوفيتى وبلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

على أن تحقيق هذه الشعارات الوطنية والديمقراطية منوط فى النهاية بنوع الوحدة والتحالف الذى يجب أن يقوم ويتعزز بين جميع القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان . ويعتبر التقرير أن التعاون الوثيق بين الحزب الشيوعى اللبنانى وبين الحزب التقدمى الاشتراكى يشكل قاعدة رئيسية لتحالف القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان . وتقع على عاتقهما المسئولية الرئيسية فى صياغة برنامج حد أدنى للقاء القوى الوطنية والتقدمية . وفى الوقت نفسه يؤكد التقرير على حرص الحزب على تطوير تعاونه مع حزب البعث فى لبنان ، ومع الناصريين التقدميين ، ومع سائر القوى الوطنية والتقدمية ، كل ذلك فى إطار جبهة وطنية ديموقراطية .

وفى النهاية فإن التقرير اذ يجدد الاتجاه العام لنشأة الحزب للسنوات المقبلة ، يؤكد الاستنتاج الاساسى فى برنامج الحزب السياسى ، وهو الاستنتاج القائل بأن أى حلول جدية للازمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لا تتم الا باحداث تغييرات تتناول البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للنظام الرأسمالى

القائم • والشرط الأول لاجراء هذا التغيير يكمن في ازالة سيطرة البورجوازية الكبرى عن الحكم ، من اجل اقامة حكم وطني ديمقراطي يمثل تحالف الطبقة العاملة والفلاحين والبورجوازية الصغيرة في المدينة ، والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصناعية والزراعية المرتبطة بالانتاج المحلي •

اما القسّمات الاساسية في برنامج هذا الحكم

فتتلخص في : تصفية الشركات الاحتكارية الاجنبية - تأميم مؤسسات التمويل والتأمين - وضع التجارة الخارجية في مؤسسات تسابعة للقطاع العام - دعم القطاع الصناعي - اصلاح زراعي لصالح العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء والصغار ، لا يمس الملكيات الصغيرة بل يصفى الملكيات العقارية الكبرى ، ويضمن تطور القطاع الزراعي •



البرنامج الزراعي

استهل التقرير الزراعي بنقد ذاتي لسياسة الحزب فيما يختص بالعمل في الريف الذي كان « يتسم بالكثير من العشوية ، وعدم الاستثمارية ، وغياب الخط الواضح للنضال وأهدافه » لذلك فان المؤتمر الثاني للحزب اتخذ قرارا بتشكيل لجنة خاصة وضمت مشروع البرنامج الزراعي •

وفي اطار تنفيذ الشعار الاساسي بتحصيل الحزب الى حزب جماهيري ، وإعمالا لمبدأ الديمقراطية والتفاعل مع اوسع قطاعات من الجماهير طرح هذا المشروع (٧٢ صفحة) على مختلف المستويات وبين جميع الشيوعيين ، كما نوقش على نطاق واسع مع العاملين في قطاع الزراعة على تباين منطلقاتهم الفكرية وانتماءاتهم الحزبية •

ويرى الحزب ان القضية الزراعية في لبنان هي من القضايا الاساسية التي يرتبط بحلها مجمل قضايا استقلال لبنان وتطوره وتقدمه •

ويؤكد البرنامج في مقدمته ان ما يعانيه القطاع

الزراعي والطبقات والفئات الاجتماعية المرتبطة به من ازمات وصعوبات هو النتيجة الحتمية للقوانين الاقتصادية الاجتماعية في علاقات الانتاج لنظام الاقتصاد « الحر » السائد في لبنان •

لقد حافظت الرأسمالية اللبنانية على العلاقات الانتاعية وشبه الانتاعية في الريف ، فابقت على العقبات أمام الانطلاق الحز لتطور القوى المنتجة في الريف ، كما ولدت تناقضات جديدة في هذا القطاع تكبح تطوره •

فبسبب احتكار ملكية الارض الكبرى تبقي مساحات شاسعة دون استصلاح ولا استثمار ، وتفرض الملكية الاحتكارية على المجتمع جزية الريع العقاري التي تمثل حوالى نصف الانتاج الزراعي •

وبسبب تغفل اسلوب الاستثمار الرأسمالي الى القطاع الزراعي وربطه بالسوق الرأسمالية تزداد وتتفاقم شدة استثمار العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء والصغار والمتوسطين •

باتجاه رفع معدل الربح العقاري ومعدل ربح
الرأسمال الموظف في الزراعة .

ومن بين جميع التناقضات يبقى التناقض
الاساسي في الزراعة من احتكار ملكية قسم هام
من اجور الاراضي الزراعية ، من قبل حفنة
من كبار الملاك العقاريين ،
وحرمان عشرات الالوف من الفلاحين والعمال
الزراعيين من الارض . ويؤكد ذلك ما جاء في
التقارير الرسمية لعام ١٩٧١ من أن ٥١ في
المائة من المزارعين يملكون فقط ٧٣ في المائة من
مجل المساحة الزراعية وأن ٢ في المائة من
المزارعين يملكون ٤٠ في المائة من الاراضي
الزراعية .

ان الربح العقاري الذي يبتزّه كبار الملاك
العقاريين يبلغ في لبنان حوالى ٤٠ في المائة من
انتاج القطاع الزراعي كله ، وهو ضريبة طفيلية
بكل معانى الكلمة .

ويشير التقرير الى ارتفاع تكلفة الانتاج رغم
انخفاض اجور العاملين مما يعرقل تصريف
المنتجات الزراعية في الداخل والخارج . وتتفاقم
هذه المشكلة نتيجة التطور العنوي الفوضوي
للزراعة في ظل سياسة الاقتصاد « الحر » .
كما تتسع الشقة باستمرار بين حاجات لبنان
الغذائية الاساسية وما يغطيه الانتاج المحلي
منها (يستورد لبنان الان ٧٥ في المائة من حاجته
من الحبوب و ٨٠ في المائة من اللحوم ، و ٦٠ في المائة
من الحليب (ومشتقاته) .

ويتطرق التقرير الى معالجة تفصيلية لمشكلة
الغابات والري والتكنيك الزراعي ، ويخلص الى
نتيجة أن أزمة الاقتصاد الزراعي شاملة وانها
جزء من أزمة الاقتصاد العامة ، ولذلك نجدها
تبرز فيها الى :

● الذين لا يقومون بأي عمل ملموس في
الزراعة يستأثرون بالقسم الاكبر من عائدات
الزراعة ، ومنتجى الغذاء اقل الناس تغذية .

● الاف الناس بلا أرض وآلاف الهكتارات
مهلة دون اصلاح او استثمار .

● مصادر هائلة للمياه ومساحات هائلة
تروى .

● ودائع نقدية بمئات الملايين والزراعة تحرم
من التوظيفات الضرورية .

● المزارع يعاني أزمة انخفاض الاسعار
وكساد الموسم ، والمستهلك يعاني ارتفاع
الاسعار الجنوني .

وفي ضوء هذا كله يرى الحزب الشيوعي
اللبناني أن الحل الجذري للقضية الزراعية هو
اجراء اصلاح زراعي يتوخى : ضرب احتكار الملكية
الكبرى للارض والعمل من أجل استثمارها لصالح
العاملين عليها ولصالح المجتمع كله .

ويرفض الحزب الحلّول «الاصلاحية»
الجبروتية ، ولأن أساس القضية
اقتصادي - اجتماعي - سياسي - فلا يمكن
أن تحل جذريا الا « بازالة السيطرة الطبقية
لتحالف الطغمة المالية وكبار الملاك العقاريين »
بقوة الجماهير ، و « اقامة سلطة وطنية
ديمقراطية حقيقية » وبذلك تأخذ القضية ابعادها
الكاملة « بوصفها قضية جميع اللبنانيين . وعلى
هذا الصعيد « يجد التحالف بين العمال
الزراعيين والفلاحين الفقراء والصغار ، وجميع
كادحي الريف وبين الطبقة العاملة وشغيلة المدن
أساسه الموضوعي » .

والبنية الحالية للزراعة اللبنانية هي وليدة
الظروف التاريخية الاقتصادية - الاجتماعية
والسياسية التي حددت وجهة تطور الاقتصاد
اللبناني بمجمله ، لذا اهتم التقرير بتقديم لمحة
تاريخية عبر القرنين الاخيرين مرت خلالها القضية
الزراعية بأربعة مراحل رئيسية : أزمة النظام
الاقطاعي السائد بفعل التغييرات التي طرأت على
وضع القوى المنتجة - عهد المتصرفية الذي تميز
بأحكام ربط لبنان واقتصاده بالاحتكارات
العالمية - فترة الانتداب الفرنسي - مرحلة ما
بعد الاستقلال - وتزايد التطور وحيد الجانب
للاقتصاد اللبناني ، بازدياد تخلف القطاعات
المنتجة بالمقارنة مع قطاع الخدمات .

ويحدد التقرير السمات الاساسية لبنية
الاقتصاد الزراعي الراهنة بالاتي :

● تشابك واسع لعلاقات الانتاج شبه
الاقطاعية على علاقات الانتاج الرأسمالي .

● تحول أسلوب الانتاج الرأسمالي الى
أسلوب سائد في الزراعة دون اجراء تطور
ديمقراطي جدي لصالح كادحي الارض وسكان
الريف عامة .

● خضوع الزراعة والعاملين فيها لنير مثلث
من الاستئثار أطرافه كبار ملاك الارض وشبكة
الرأسمال المحلي والاحتكارات الاجنبية نتيجة كون
الرأسمالية اللبنانية رأسمالية مرابية أساسا
ومرتبطة بعلاقات تبعية مع الاحتكارات
الامبريالية .

● تعرض القطاع الزراعي لضغط مستمر

المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني

أسسها عامة لتشريع خاص بالعمال الزراعيين
ولتشريع ديمقراطي للعلاقات الزراعية .

كما يقدم البرنامج سلسلة من الاقتراحات للحد
من التطور العفوي للزراعة واستصلاح الاراضي
ولزيادة الانتاج الزراعي وخفض تكلفة واستخدام
التكنيك الحديث وحماية المواسم الزراعية وتطوير
الثروة الحيوانية وتصريف المنتجات . الخ .

والفصل الاخير مكرس لسبل واشكال النضال
لتحقيق البرنامج ، ويدعو الى تعزيز التعاون
والتحالف بين الاحزاب الوطنية والتقدمية كشرط
لتحقيق - مزيد من السرعة - النضال المطلبى
والديمقراطي العام .

ويتعهد الحزب بأن يكافح - من اجل تأمين
الشرطين الرئيسيين الضروريين لكي يصبح نضال
كادحي الريف قوة مادية فاعلة ومؤثرة : اولاً
بنشر الوعي الطبقي بينهم وتبيان وحدة المصالح
التي تربط العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء
والصغار والمتوسطين ، والشغل على جميع
الغقبات الفكرية والطائفية والعشائرية التي
تقسم صفوفهم وتطمس مصالحهم الحقيقية . ثانياً
ايجاد الاشكال التنظيمية الملائمة لتوجيه نضالات
كادحي الريف المتدافقة مع مستوى وعيهم الطبقي
واستعدادهم الكفاحي .

ويتناول الفصل الثاني سياسة الدولة في
الميدان الزراعي ويوضح اشكال تدخل الدولة
ونتائجها، ويفضح المحتوى الطبقي لسياسة الدولة
الضرائبية وفي ميادين التسليف واستصلاح
الاراضي والري وموقفها من حماية المواسم من
ضربات الطبيعة . ويعالج بالتفصيل مشكلات
التجارة الخارجية وتصنيع المنتجات الزراعية .
ويعرض لهذه السياسة بصورة تكشف عن
تعارضها مع مصالح تطور هذا الفرع من الانتاج
ومع المصالح الحيوية للعاملين في الزراعة .

ويتضمن الفصل الثالث دراسة للفئات
الاجتماعية والنضال الطبقي في الريف وتأثير
الرأسمالية على البنية الطبقيّة للعاملين في
الزراعة وقضايا البطالة والهجرة والايضاح
الصحية والتعليمية ويشمل تحديدا للخريطة
الاجتماعية ومطالب الفئات المختلفة ، وينتقل الى
تتبع النضال الطبقي في الريف في مساحله
المتتابعة وذلك كأساس لصياغة البرنامج الزراعي
في الفصل الرابع من البرنامج .

والبرنامج المطلبى هو المشمول بحيث
يتناول معظم القضايا التي تواجه العاملين في
الزراعة ويقدم اقتراحات متكاملة لتحسين
اوضاعهم وللمنهوض بالاقتصاد الزراعي ، ويقترح



تقارير

عن

الأوضاع الداخلية

الحزب الانتخابية، وتقريين عن الطائفية ، وتقريين عن
الحزب وقضايا الشباب .

وقد استعرض التقرير العمالي انطلاقا الحزب
في الميدان العمالي خاصة بعد ان كان المؤتمر
الثاني للحزب قد انتقد بجرأة نواقص العمل في

أن استمع المؤتمر الثالث للحزب
الشيوعي اللبناني الى تقرير اللجنة
المركزية، استمع الى مجموعة من
التقارير الخاصة من بينها التقرير
العمالي ، وتقريين عن الوضع الداخلي وسياسة

بعد

هذا الميدان • وأشار التقرير الى نزوح الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في لبنان من أجل توحيد الطبقة العاملة اللبنانية وحركتها النقابية : ١ - النضالات السياسية والديمقراطية والوطنية العامة التي خاضها الشعب اللبناني وفي مقدمته قواه التقدمية ، والتي أدت الى تعزيز الحريات العامة • ٢ - تفاقم الازمة الاقتصادية والاجتماعية وشمولها مختلف القطاعات الامر الذي أدى الى ادراك الطبقة العاملة والمستخدمين ، في القواعد بوحدة المصالح التي تربط بينها • ٣ - تعزيز التعاون والتنسيق بين القوى التقدمية في الحركة النقابية - الشيوعيين والتقدميين الاشتراكيين والناصريين المستقلين والكسادرات النقابية الشابة • ٤ - تجربة النضالات المشتركة والتي ساعدت على ازالة بعض أجواء التشكيك المتبادلة بين قوى نقابية وعملية مختلفة • ٥ - فقدان بعض القوى السياسية التي استمرت في الحكم مدة طويلة الكثير من تأثيرها فسي القيادات النقابية •

وقد أكد التقرير - على ضرورة العمل من أجل قيام حركة نقابية موحدة على أسس سليمة وطيدة الجذور بين العمال ، الامر الذي يتطلب الخلاص من الشكل التنظيمي الراهن الشديد التخلف للحركة النقابية واستبداله بهيكل تنظيمي جديد يعتمد على الديمقراطية والتمثيل الحقيقي للعمال والمستخدمين • الامر الآخر هو ضرورة العمل في صفوف العمال الزراعيين ، والسعى لايجاد تنظيم نقابي خاص بهم وربط نضالهم بنضال كادحي المدينة - واعتبار هذه القضية - من أهم القضايا •

وأكد التقرير أهمية توحيد الحركة العمالية والنقابية في لبنان كعنصر يساهم في تعزيز وحدة الطبقة العاملة العربية ، وأهمية تحقيق هذه الوحدة لتقوم الطبقة العاملة العربية بدورها الاساسي في المعركة الكبرى ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية •

وناقش التقرير الخاص بالوضع الداخلي وسياسة الحزب الانتخابية ، اتجاهات البورجوازية اللبنانية الكبيرة تجاه المعركة الانتخابية والتي يبرز منها اتجاهان اساسيان : الاتجاه الاول يدعو الى قيام ما يسمى بـ « الحكم القوي » ، أي حكما ديكتاتوريا سافرا أو مقنعا • والاتجاه الثاني ، يدعو الى شيء من الليبرالية ، تستند الى المحافظة على حد أدنى من الحريات الديمقراطية •

ويؤكد التقرير على أهمية النضال من أجل الحريات الديمقراطية وتعزيزها ليس من وجهة نظر تكتيكية تمليها ظروف النضال الآن ، بل كقضية ترتبط مباشرة بنضاله الاستراتيجي من أجل حكم وطني ديمقراطي ، ولذلك يدعو التقرير الى وحدة كل القوى التقدمية الوطنية والديمقراطية حول برنامج عام لتحقيق مجموعة من المهام الاساسية :

أولاً : عدم تمكين أبرز غلاة الرجعية من الوصول بقوة الى المجلس النيابي مع التركيز على أركان « الحلف الثنائي » الطائفي والعناصر الأخرى العميلة للاستعمار والرجعية العربية •

ثانياً : الوصول الى زيادة ملحوظة لتمثيل الاتجاه الوطني التقدمي داخل المجلس النيابي •

ثالثاً : تمثيل الحزب الشيوعي اللبناني في المجلس •

رابعاً : وصول عدد واسع نسبياً من العناصر المستقلة والديمقراطية •

ومن التقارير ذات الأهمية الخاصة التي عرضت على المؤتمر تقرير وفد جبل لبنان من الطائفية • فبأثارة النبرة الطائفية منذ القرن التاسع عشر تمكنت قوى التخلف والظلم وبالتعاون مع الاتراك ومع الدول الأوروبية من ضرب الانتفاضات الشعبية - مثل علمات أطانيوس شاهين - للحفاظ على امتيازاتها الطبقية والاستعمارية • وأصبح النظام الطائفي بما يحمله من دستور متخلف وفساد اداري وعلاكات يجري اختيارها على أساس التوزيع الطائفي والمصوبية والعائلية بدلا من الكفاءات العلمية والادارية • وأن هذا النظام كان ولا يزال عقبة جوهريّة في طريق تفتح وازدهار كفاءات اللبنانيين وحاجزا في وجه الشباب وفي وجه العمال والحرفيين ومتوسطي الحال • كما كان هذا النظام ولا يزال ، بأزماته المستعصية ، مصدرا لتخلف الريف وضعف الصناعة وهزلة ميادين التوظيف في قطاع الخدمات الضخمة •

ويسجل التقرير التطور الايجابي ضد اشارة الفتن الطائفية ، وادراك الجماهير لحقيقة التحالف الشيطاني الذي يجمع بين قوى الظلم والاستثمار والعدوان ، من مختلف الطوائف ، في العمل لضرب كل نسمة تحررية وكل عمل مطلبى أو فكري ايجابي تقوم به جماهير الكادحين والمثقفين

المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني

تعطى بشكل مستمر ودائم دليلا على افضلية النظام الاشتراكي .

وقد اشار التقرير الى ان البورجوازية حريصة على تطوير حركة الشبيبة في الحياة الاجتماعية والسياسية ، واقامة وصايتها عليها وسلخها عن مجتمعها ، وطمس الصراع الطبقي تحت ستار « أزمة الشباب المعاصر » ونزاع الاجيال .

ثم استطرد التقرير الى توضيح ان برنامج الحزب قد حدد بوضوح قطاع الشبيبة كقطاع جماهيري له استقلال نسبي يحدده بالاساس عامل السن ، وتنعكس فيه بنية المجتمع الطبقي ، كما لحظ فيه محورين أساسيين : الشبيبة العاملة ، والطلاب والتلامذة والقضايا الاساسية الكبرى لهذا القطاع ترتبط بقضايا الجماهير الشعبية ، والنضال في سبيل قضايا الشبيبة الفتوية هو جزء من البرنامج الديمقراطي العام للحزب . وأشار التقرير الى ان الحزب قد واجه خلال السنوات الاخيرة ، الهجوم الايديولوجي الذي شنته البورجوازية على حركة الشبيبة بنشرها نظريات « صراع الاجيال » و « الثورة الطلابية » وان الحزب قد رفض التيارات اليسارية المغامرة والتي استهدفت استبدال التنظيم الطلابي الجماهيري ذو الطابع النقابي ، بما سمته « النقابة الطلابية الثورية » .

واكد التقرير : ان العمل الديمقراطي في صفوف الشبيبة ينطلق بالاساس من مصالح جماهير الشبيبة الواسعة ، وتبرز في هذا المجال ضرورة التوجه الى قضايا الشبيبة الخاصة . حقوقها السياسية والقضايا الاجتماعية من بطالة وسكن وتميز في الاجور وغيرها ، والنشاطات الثقافية والرياضية والترفيهية ، والسياحة الجماهيرية للشباب ، والاهتمام بتطوير النشاطات الفتوية من خلال صياغة برامج خاصة لكل فئة من فئات الشبيبة (شبيبة عاملة ، شبيبة ريفية ، مثقفين شباب ، تلامذة ، طلاب ، شباب) .

واكد التقرير ضرورة ابراز أهمية التركيز على الديمقراطية في العمل الجماهيري المستقل في صفوف الشبيبة ، وعلى اشتراك الجماهير الراسعة في كل النشاطات وفي مناقشة البرامج واقرارها ، وذلك من خلال تشجيع الاشكال التنظيمية الجماهيرية الواسعة التي تتجنب الوقوع في التزمّت والجمود وتساعد على اطلاق المبادرة وحب العطاء لدى الشبيبة .

المتحررين . لقد زاد الانطلاق أكثر فأكثر من الفهم العلمي لحقيقة الصراع الاجتماعي ، ولكيفية تغيير الواقع الذي تعيشه ، وبناء مجتمع لا يعرف التفرقة والتعصب لانه لا يعرف الاستقلال الطبقي .

ويؤكد التقرير على مجموعة من الحقائق التي تجيب على كل التساؤلات وترد على جميع التشويهات التي تحاول أن تطمس أو تحرف حقيقة الصراع الاجتماعي وطبيعته :

أولاً : أن منطلق الحزب في العمل ضد الطائفية ليس ضد الايمان الديني ، انما هو ضد استقلال الايمان الديني لتحويله الى تعصب طائفي تستفيد منه قوى الظلم والفساد وان الايمان الديني حق لجميع المواطنين ، ثم انه لا يعرقل اطلاقاً النضال الشعبي والفكر التقدمي

ثانياً : ان الوحدة المتزايدة للجماهير المحرومة والمضطهدة من جميع الطوائف في مقابل الوحدة بين رجالات الاقطاع والرأسمالي من جميع الطوائف ، تكسب الصراع مضمونا طبقياً اجتماعياً .

ثالثاً : ان التطور الموضوعي لحياة المجتمع اللبناني ونمو الوعي الاشتراكي اظهر ان الطائفية لم تستطع ان تقف حجر عثرة في طريق التطور الاقتصادي والاجتماعي

رابعاً : ان النظام القائم يمكن ان يتغير ، وان يتغير بنسبته الطائفية ، دون ان يزول لبنان .

خامساً : ان الحياة أصبحت تفرض ان يكون للبنان دستور عصري ، تقدمي ، وان يكون التوجيه العام ولاسيما التوجيه التعليمي والاعلامي ، معتمداً على أسس اجتماعية علمية لا على أساس زرع التناوب والتفرقة على أساس طائفي ، وعلى أساس برامج موروثة عن المستعمرين .

وعن « الحزب وقضايا الشباب » اشار التقرير الخاص بالشباب الى أن ظروف العالم الجديدة التي تسهل مجيء الشبيبة الى الفكر الاشتراكي : الرأسمالية بتناقضاتها وأزماتها ، وعدوانها المتكرر على الشعوب (العدوان على فيتنام والعدوان الامبريالي الصهيوني على البلدان العربية) وعجزها عن اعطاء الحلول لقضايا الشبيبة وعن الرد على تساؤلاتها وأمانيتها ، كمعجزات المعسكر الاشتراكي في حقول التعليم والاعداد والعمل والثقافة والضمانات الاجتماعية التي



كلمات الوفود العربية في المؤتمر

— انه أول ندوة سياسية في العالم العربي منذ ما يزيد على ١٠ سنوات تحقق هذا اللقاء الواسع بين ممثلي الاحزاب والمنظمات الوطنية والتقدمية والديمقراطية في الوطن العربي .

— يكتسب قيمته من حقيقة انه لأول مرة منذ أكثر من ربع قرن ينعقد مؤتمر علني لحزب شيوعي عربي على أرض عربية يحضره هذا العدد الكبير من ممثلي الاحزاب الوطنية والتقدمية والاشتراكية والشيوعية من الوطن العربي والعالم .

— ان انتزاع علانية الحزب وانعقاد المؤتمر ، مكسبان ثوريان يتعديان اطار الحزب ليكون لهما أثرهما العربي . هذه العلانية التي كانت نتيجة لنضال الحزب في مصاحبة الجماهير ، ومن أجل تحقيق المهام الوطنية المطروحة أمام البلاد .

— ان حزبا يبقى ٢٤ عاما يناضل بلا هوادة قبل أن يستطيع الوصول الى حقه المشروع في النضال العلني ، والتعبير عن رأيه بكل الوسائل . ان حزبا كهذا لجدير بأن يوضع في مقدمة المناضلين من أبناء الأمة العربية

● تقييم الظروف الراهنة لحركة التحرر العربي :

— يعيش الوطن العربي — وحركة التحرر العربي — ظروفا دقيقة للغاية . فالعدوان الاسرائيلي الامبريالي لا يزال قائما ، ولا زالت اسرائيل تتمسك بالمواقع التي احتلتها مدعمة بشكل متزايد من الامبريالية العالمية وخاصة الامبريالية الامريكية .

— لقد كشفت الامبريالية الامريكية عن نفسها نهائيا بصفقتها عدوا للشعوب ولطموحها المشروع في التحرر والتقدم . واكدت بكل الاشكال عداءها لحركة التحرر الوطني العربية . ومما زالت

والقيت في المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني ، كلمات وفود الاحزاب والمنظمات والهيئات العربية التي بلغت مجموعها ٢١ حزبا ومنظمة وهيئة وطنية وديمقراطية وتقدمية وشيوعية .

فقد حضر المؤتمر مندوبون عن كل من :

الاتحاد الاشتراكي العربي (مصر) — حزب البعث العربي الاشتراكي (سوريا) — الحزب الشيوعي السوري (سوريا) — الاتحاد الاشتراكي العربي (سوريا) — الحزب التقدمي الاشتراكي (لبنان) — حزب البعث العربي الاشتراكي (القيادة القومية في بيروت) — وحدة القوى الناصرية (لبنان) — اكراد لبنان — حزب البعث العربي الاشتراكي (العراق) — الحزب الشيوعي العراقي (العراق) — الحزب الديمقراطي الكردستاني (العراق) — حزب العمل الاشتراكي العربي (العراق) — الحزب الشيوعي السوداني (السودان) — منظمة التحرير الفلسطينية (فلسطين) — الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (فلسطين) — الاتحاد العام لعمال فلسطين (فلسطين) — اتحاد طلاب فلسطين (فلسطين) — الحزب الشيوعي الاردني (الاردن) — اتحاد عمال الاردن (الاردن) — الحزب الشيوعي التونسي (تونس) — حزب الطليعة الاشتراكية (الجزائر) . كذلك حضر وفد يمثل مجلة الطليعة المصرية

وقد تناولت كلمات الوفود — في مجموعها وبشكل عام — قضايا رئيسية ثلاثة :

● تقييم انعقاد المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني ودور الحزب :

وحدة القوى التقدمية في المنطقة وتشكيل جبهة قومية على اساس من جبهات وطنية على مستوى الاقطار يناضل فيها جنباً الى جنب الناصريون والقوميون والاشتراكيون والشيوعيون والبعثيون وسائر الفئات الوطنية والديمقراطية . وتعزيز هذا التحالف الثوري مع حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة كمحور لتحالف .

ومن هنا تستوجب الظروف تلاحم اليسار العربي من جهة وقوى اليسار العالمي من جهة أخرى

وأشارت كلمات الوفود الى المقاومة الفلسطينية على أساس :

— ان أزمة المقاومة لم أضعنا النظر فيها لوجدنا انها أكثر ما تكون تأسلاً في حركة التحرر العربي والعالمي منها في المقاومة الفلسطينية .

— لا بد أن نعترف بأنه كان ثمة أخطاء تكتيكية وتنظيمية ارتكبتها حركة المقاومة في السنوات الأخيرة ، لكن هذا لا يمكن أن يوضع في مقابل المؤامرة البشعة المخططة التي اشترك في حياكتها أكثر من طرف أجنبي وعربي عميل .

— ما كان للمؤامرة الامبريالية والرجعية على حركة المقاومة لتنجح بهذا الشكل وبهذه السهولة ، لولا غياب وحدة القوى الثورية وتفرق فصائل المقاومة ولولا بعض الشعارات والممارسات المغامرة والخاطئة التي تبنتها وحيث وجدت نفسها في تعارض مع القوى الأساسية لحركة التحرر والسلام والاشتراكية .

● تقييم لبعض أوجه الاوضاع الداخلية :

— ففي كلمة وفد الحزب الديمقراطي الكردستاني (العراق) أشار المتحدث الى بروز بوادر سلبيّة — « نأسف لها ونرغب في التجاوز والحل » — في العلاقة مع حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم « نتيجة لازدياد نشاط العناصر التي ترغب في الحد من تطلعات الشعب الكردي الديمقراطية » ونسف أعظم مكتسبات « سنى عملنا الممتلئة في اتفاقية آذار . . . واعادة القتال مما يستدعي العمل الجدي الجاد من كل الاطراف المؤمنة بالديمقراطية » لتدارك الكارثة .

وفي كلمة وفد الحزب الشيوعي العراقي (العراق) أشار الى أن البلاد ما تزال تعيش أوضاعاً داخلية صعبة وطريق الخروج منها هو طريق وحدة كل الاحزاب والمنظمات والقوى الوطنية والتقدمية — عربياً واكراداً — المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية ، ولقد اتخذ الحزب موقفاً ايجابياً من الميثاق الذي أعلنه قيادة حزب البعث والذي تعلن فيه « الانحياز الكامل والحازم الى معسكر الشعوب » ويرسم برنامجاً تقدماً للتحويلات الاقتصادية والاجتماعية ويرفض الرأسمالية . وان اهم مستلزمات النضال في العراق

الامبريالية الامريكية تشدد هجومها على حركة التحرر العربي . ولا بد من ان تضع الامة العربية معركتها معها في موقها الصحيح .

— بعد نجاح الهجمة العسكرية في يونيو ١٩٦٧ ينشط الاستعمار الجديد من خلال تغلغل رءوس الاموال الغربية والامريكية وتنشيط القوى اليمينية وتغذية السياسات المعادية للجماهير وللغوى التقدمية والديمقراطية .

— ان المهمة الرئيسية أمام حركة التحرر العربي اليوم — وخاصة النظامين التقدميين في مصر وسوريا — هي مجابهة الهجمة الامبريالية الصهيونية ، واجبار المعتدى الاسرائيلي على التراجع وازالة آثار العدوان وصيانة الانظمة الوطنية والتقدمية ومنجزات حركة التحرر العربية وتوطيدها واسترداد الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني .

— ان الصراع القائم في الوطن العربي ، جزء من الصراع العالمي بين قوى التحرر والاشتراكية والسلم في جانب ، وقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية في الجانب الاخر .

— ان واقع التناقض على النطاق المحلي العربي ، يضع القوى الوطنية والتقدمية في جانب ، والقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية في الجانب الاخر .

ومثل هذا التحليل هو الذي يجعل حركة التحرر العربي قادرة على تحديد القوى الحليفة والعدوة — عالمياً ومحلياً — وعلى تحديد المهمات التي تواجهها .

— ان معركة ازالة آثار العدوان وتحرير الارض المحتلة لا تنفصل عن معارك البناء والتقدم التي تخوضها حركة التحرر العربي في المجالات الاخرى .

— ان هزيمة يونيو ووفاة القائد العظيم جمال عبد الناصر وضرب المقاومة الفلسطينية في الاردن ، اضطرت حركة التحرر العربي للانحسار في بعض مواقعها . لكن الازمة ليست في المبادئ أو الاهداف بل في الاداة الثورية قوى واسلوباً وظروفاً .

— يدل التاريخ المعاصر على انه عندما كانت تتوحد جميع القوى الوطنية والتقدمية على نطاق كل بلد عربي وعلى نطاق الوطن العربي وعندما كانت تتوثق صداقتها وتحالفها مع قوى السلام والاشتراكية في العالم وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، كانت تنجح في هزيمة أعدائها وفي تحقيق أهدافها العادلة . وكان العكس يحدث في كل مرة ارتفع في سماء الوطن العربي راية العداء للاتحاد السوفيتي والشيوعية .

— ان الحلقة الرئيسية في عملية المواجهة هو

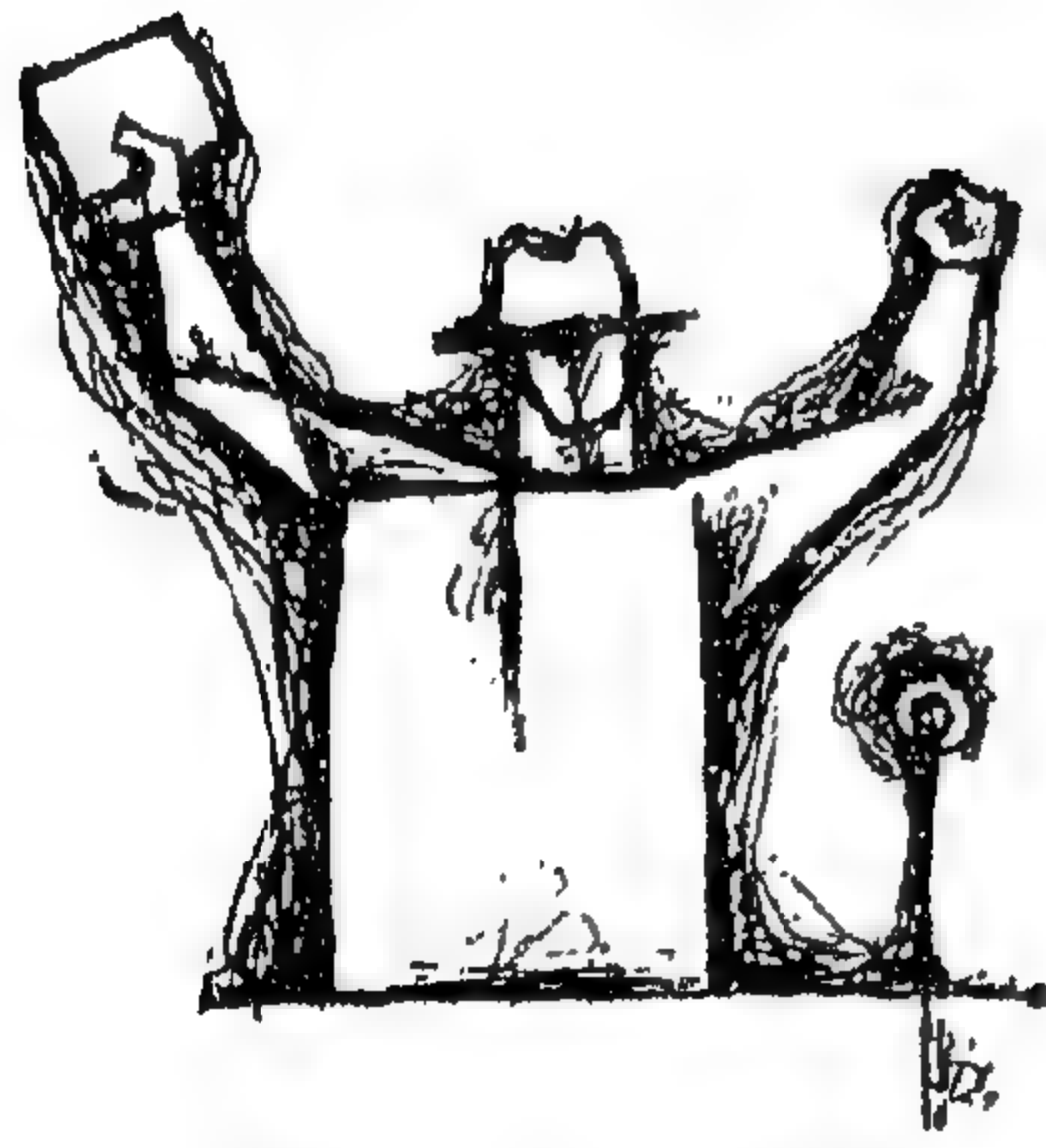
الحاكمة التقدمية، عراقيل جدية ومعقدة تحدثها الامبريالية والرجعية الداخلية ويسهلها عدد من العوامل الموضوعية والذاتية». ولهذا مازال من الضروري بذل مزيد من الجهود لتوحيد وتجنيد الجماهير للتغلب على هذه العراقيل واحباط محاولات التضليل والاستفزاز الامبريالية والرجعية.

— وأشار وفد الحزب الشيوعي السوري الى اهمية دفع التنمية الصناعية وحماية القطاع العام وتعميق الاصلاح الزراعي ونشر التعاونيات وتحقيق المطالب الاساسية للعمال والفلاحين والجماهير الشعبية، باعتبار أن تلك مهام أساسية في مجال الاقتصاد. وقد حققت اللجنة المكلفة بانجاز الجبهة الوطنية التقدمية وبناء وحدتها، نجاحات هامة بفضل روح التعاون بين حزب البعث والاتحاد الاشتراكي العربي والوحدةويين والاشتراكيين العرب والحزب الشيوعي السوري وتتعاون هذه الاحزاب الان من اجل انجاز «ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية».

اليوم هي تصفية كل مظاهر الاضطهاد ضد الجماهير ومؤسساتها السياسية وخصوصا احزابها الوطنية واطلاق كافة الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب بما فيها حرية الاحزاب والنقابات وحرية الصحافة والرأي والمعتقد. وفي مجال القضية الكردية اقدمت السلطة على بعض الخطوات التي لا تنسجم وروح مشروع الميثاق ومن هنا يسود القلق الاوساط السياسية بسبب الفتور الذي اصاب العلاقات بين حزبي البعث والحزب الديمقراطي الكردستاني ويتبغى تجاوز هذه الصعوبات.

— ومن الاردن أشار وفد اتحاد عمال الاردن الى الظروف القاسية التي يعانيها العمال هناك وتعرضهم للفصل والسجن وسائر اعمال البطش والارهاب.

— ومن الجزائر تحدث مندوب حزب الطليعة الاشتراكية عن أن البلاد تعمل من أجل تشييد اقتصاد وطني مستقل على أساس تعزيز قطاع الدولة. وفي هذه المهمة يلقى وتلقى الاوساط



كلمات
وفود
الاحزاب
الشيوعية
والعمالية
غير العربية

والسياسية، وعلى زيادة تلاحم صفوف القوى الوطنية والتقدمية في لبنان». وعرض رئيس الوفد السوفيتي لموقف الاتحاد السوفيتي الثابت والحازم من مشكلة الشرق الاوسط القائم على مساندة الشعوب العربية لازالة آثار العدوان الصهيوني، ومساندة الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه المشروعة، كما عرض لمنجزات المؤتمر الرابع والعشرين للحزب السوفيتي من

وحضر المؤتمر عديد من وفود الاحزاب الشيوعية العمالية، وعلى رأسها وفد الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي. وقد جاء في خطاب رئيس الوفد السوفيتي في المؤتمر «ان الاعتراف بشرعية الحزب الشيوعي اللبناني، جاء نتيجة لنضال الشيوعيين اللبنانيين، وجميع القوى الديمقراطية في البلاد، ودليلاً على الاعتراف بدوره الايجابي الهام في الحياة الاجتماعية

فأشار في كلمته الى اسباب أزمة ١٩٦٨ في تشيكوسلوفاكيا التي تتمثل في نجاح بعض الانتهازيين اليمينيين في التسلل الى قيادة الحزب وبقاء الطبقة العاملة والشعب لفترة بدون حوجه سياسى . كما أشار الى المصاعب التي يلاقها الشيوعيون العرب في نضالهم . والى أن القيادة الجديدة في تشيكوسلوفاكيا منذ ١٩٦٩ أخذت على عاتقها النضال في جميع الميادين ضد القوى المعادية للاشتراكية والقوى اليمينية .

وأعرب وفد حزب العمال الاشتراكي المجري عن رفض حزبه « للمفهوم القائل بأن العداء للامبريالية والعداء للشيوعية يمكن التوفيق بينهما » وأوضح ان الذي يحارب الشيوعيين لا يقوى أبدا النضال ضد الامبريالية وانما يضعف هذا النضال ، وهو يمد يده للعدو المشترك قصد ذلك أم لم يقصد . وأشار وفد الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الى الازمة التي تعاني منها الامبريالية الامريكية في جميع الميادين ، والى ازدياد الملايين من العاطلين ، وتجميد الاجور ، وانخفاض مخصصات الصحة ، والتعليم ، والضمان الاجتماعي ، وعجز ميزان المدفوعات اعلى من أى وقت خلال ٧٧ عاما . وأشار الى الاضرابات العمالية المتزايدة والى التناقضات المريرة لدى المثقفين ، وغضب الاجيال الشابة والاقليات المضطهدة وبروز ظواهر جديدة مثل الاحتجاج داخل القوات المسلحة ومقاومة العسكرية . والى وفد الحزب الشيوعي الفرنسي كلمة أشار فيها الى الازمة الحادة في فرنسا والى برنامج الحزب الفرنسي من أجل حكم ديموقراطي للوحدة الشعبية وأشار الى مواقف الحزب الفرنسي وتضامنه مع الشعوب العربية منذ كانت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي كما القيت كلمات تحية وتضامن ايضا من وفد رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف ، وحزب الشعب التقدمي القبرصي ، والحزب الشعبي الثوري المنغولي . كما تحدث في المؤتمر كذلك وفد جبهة تحرير اريتريا ، وفد مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » وبعث اكراد لبنان برسالة تحية وتقدير الى المؤتمر ، الذي تحدث فيه أيضا مندوب الحزب الشيوعي الهندي الذي أشار الى دور حزبه في تدعيم الجهود الدفاعي لحكومة الهند واعطاء الحد الأقصى من المساعدات لحركة النضال التحرري لشعب بنجلاديش . والى ان الانتصار الذي تحقق ضد العدوان الامبريالي الامريكي في شبه القارة الهندية ، قد فتح ظروفًا جديدة في الهند لتوحيد اليسار والاحزاب والقوى الديموقراطية بما في ذلك أولئك الذين يعملون في حزب المؤتمر الحاكم الذي تقوده انديرا غاندي رئيسة الوزراء .

ناحية ازدياد الدخل الوطني في النخلة الخمسية السابقة بمقدار ٤١ في المائة والانتاج الصناعي بمقدار ٥٠ في المائة وانتقال أكثر من ٥٠ مليون شخص الى شقق جديدة ومجانية السكن ، وبذل الايجار والخدمات البلدية (الغاز الكهربائي التدفئة المياه بما فيها المياه الساخنة) التي لا يزيد متوسطها عن ٤ في المائة من مجمل نفقات العائلة كما أوضح رئيس الوفد السوفيتي ان السياسة الخارجية اللينينية للاتحاد السوفيتي انما تجمع أبدا ودائما بين الرد الحازم على الامبريالية ومساندة الحركة الثورية التحررية ، وبين النهج المنسجم الهادف الى التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة . كما أشار الى حقيقة هامة تتعلق بالبلاد العربية وهي ، ان وحدة البلدان العربية على اساس العداء للامبريالية وتلاحمها ، وتضافر جهودها ، انما هي شرط لاغنى عنها للنجاح في النضال ، من أجل تصفية عواقب عدوان اسرائيل الامبريالي .

أما رئيس وفد الحزب الاشتراكي الالماني الموحد فقد أشار فيما يتعلق ببلاده الى انطلاقهم من مبدأ أساسى هو « ان عملنا سيزداد تأثيره الدولي ، فيما لو جمعنا كل قوائنا من أجل تقوية جمهورية ألمانيا الديمقراطية سياسيا واقتصاديا وعسكريا » وأعرب عن شكره للرفاق اللبنانيين لمساعدتهم النشيطة من أجل اقامة علاقات عادية بين الجمهورية اللبنانية وجمهورية ألمانيا الديمقراطية . وعن « اقتناعه بأن تحالف جميع القوى الوطنية والتقدمية في جبهة وطنية على رأسها الحزب الشيوعي اللبناني سيتوطد وسينتصر في النهاية » .

وأشار وفد حزب العمال البولندي المتحد الى أن علنية الحزب الشيوعي في لبنان جاءت نتيجة « نضال صعب تطلب صلابة ايديولوجية مجربة وحكمة سياسية في الحزب ومناضليه وقيادته » . كما أشار الى البرنامج الذي رسم المؤتمر السادس للحزب البولندي الذي يجمع ما بين النمو الديناميكي للاقتصاد الوطني والارتفاع في مستوى حياة الشغيلة . وأوضح رئيس وفد الحزب البولندي ان « قاعدة التطور في العالم المعاصر هي أن معاداة الشيوعية ومعاداة قوى التقدم يؤديان موضوعيا الى اضعاف الجبهة المعادية للامبريالية ، وبالتالي الى ضرب المصالح الحيوية للشعوب ويسهل تحركات الامبرياليين اعداء حرية واستقلال الشعوب واعداء السلام وان معاداة الشيوعية لا تتفق أبدا مع النضال الحقيقي ضد الامبريالية . »

أما وفد الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي

● غانا ●

الانقلاب :
فشل سياسة الهجوم
ضد الاشتراكية

● مالطة ●

مؤامرات الاسـتعمار
للضغط على سكان الجزيرة

● بنجالوريش ●

« ارادوا شنقى يوم
الاستيلاء على دكا »

تقارير خاصة

① البترول والخبرة الفنية
ودورهما فى تنمية
الاقتصاد الوطنى

② برنامج سياسى من قلب المعركة

تقارير
الشهر

الدولة السابق جوزيف انكراه ، فاستقال . وكانت هناك مطالب عامة وجمهورية تطالب باجراء تحقيق شامل فى الظروف المحيطة باستقالة الجنرال انكراه ، الذى اعترف فى استقالته بأنه تلقى أموالا « من عدة شركات أجنبية لأغراض سياسية » . كذلك تكررت اشتباكات قوات البوليس بعمال المناجم [عام ١٩٦٩] ، حين قاموا بعدة مظاهرات يطالبون فيها بأجورهم التى لم يتسلموها منذ ٣ أشهر . وكان عام ١٩٦٨ قد شهد عدة مظاهرات عمالية أخرى ، احتدمت عام ١٩٧١ ، حين انضم إلى العمال قطاعات الطلبة والمزارعين . وفى المجال الأفريقى الغيت كل المساعدات التى كانت تقدمها غانا لحركات التحرير الأفريقية ، بل ونادت الحكومة باجراء حوار مع حكومة جنوب افريقيا .

أما على المستوى الاقتصادى ، فقد انخفض الدخل الفردى من ١٠٨ جنيهات استرلينية عام ١٩٦٥ [فى ظل حكومة نكروما] ، إلى ٩٩ جنيه استرليني عام ١٩٦٩ . وذلك برغم ارتفاع السعر العالمى للكاكاو [الانتاج الرئيسى] ، واكتشاف كمية كبيرة من الذهب فى يوليو عام ١٩٧٠ .

لكن حكومة بوزيا فشلت فى تحقيق وعودها بالإصلاح الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة . وعلى العكس من ذلك ، الغيت التأميمات والإجراءات التقدمية التى كانت حكومة نكروما قد اتخذتها ، وارتفعت نسبة البطالة ، ليصبح هناك عامل متعطل من كل ٤ عمال ، فضلا عن زيادة الاسعار . وقد ارتفعت الديون الخارجية حتى وصلت إلى ٢٥ مليون جنيه استرليني . وعلى العكس من المصاعب الاقتصادية للجماهير ، نمت الطبقة المتوسطة والفئات الجديدة ، بسبب استثناء الفساد والرشوة والاختلاس .

وقد أثارت كل هذه التطورات — وقتها — نقد النقابات والطلاب والتعاونيات والمثقفين ، وأقدمت الحكومة على مطاردة العمال والنقائين ، واستصدرت القرارات التى تحد النشاط العام ، واعتقلت عناصر المعارضة .

وترى الدوائر التقدمية فى أفريقيا ، أنه أيا ما كانت ستتطور إليه أحداث غانا ، فإن الانقلاب فى حد ذاته ، دليل على فشل الاتجاه الذى يتردد فى بعض الدول النامية ، القائل بأن سياسة إقامة القطاع العام والتخطيط والتأميم ... الخ ، سياسة خاطئة . وتلك هى وجهة النظر التى ردها مدبرو الانقلاب ضد نكروما . وهى التجربة تثبت أن إعادة تمليك القطاع العام للرأسمال الخاص ، وتشجيع النشاط الرأسمالى وتطبيقاته السياسية ، لم تنجح على الإطلاق فى حل مشاكل غانا ، برغم ارتفاع أسعار الكاكاو ، وبرغم اكتشاف الذهب .

■ غانا ■

الانقلاب :

فشل سياسة

الهجوم ضد الاشتراكية

برغم اتجاه المراقبين الأفريقيين إلى الاعتقاد بأن ما حدث فى غانا ، فى منتصف الشهر الماضى ، هو تغيير لا يخرج كثيرا عن إطار النظام السابق ، إلا أنهم يتحفظون فى إبداء استنتاج أخير ، ويميلون إلى مراقبة التطورات ، وما يمكن أن تسفر عنه من مفاجآت .

والملاحظ أن وكالات الأنباء والصحافة فى كثير من بلدان العالم ، قد أثرت متابعة تغطية أنباء الانقلاب الذى تزعمه الكولونيل اشيا مبونج ، دون تعليق يلقى الضوء على اتجاهه السياسى . وبرغم أن الدوائر الأفريقية تعتقد أنه من السابق لأوانه تحديد الاتجاه الحقيقى للحكم الجديد فى أكرا ، إلا أنهم تلقوا باهتمام ، تصريح اشيا مبونج حول تبنيه لسياسة « الحياد الإيجابى وعدم الانحياز » . كما لفت انتباههم أنباء ارتفاع سعر العملة المحلية فى غانا فى الأيام القليلة التى أعقبت الانقلاب ، بعد أن تدهورت فى خلال السنوات الأخيرة ، بعد الانقلاب الذى قام ضد حكومة نكروما فى أبريل سنة ١٩٦٦ .

ومن المعروف أنه قد تم القبض على كواسى أفريقيا [قائد الانقلاب ضد نكروما] ، وعلى عدد من المسؤولين الآخرين . كما جمدت أموال بوزيا [رئيس الحكومة السابقة] ، وأموال زوجته ، وأموال أعضاء حكومته وزوجاتهم ، وأموال مديري مكاتب الوزراء ، ومعظم المديرين الآخرين وكبار زعماء حزب التقدم ، الذى يتزعمه بوزيا ، وأموال نائب رئيس البرلمان . وقد تم الانقلاب الأخير ، بينما كان بوزيا يتعالج فى لندن ثم باريس ، وانتقل منها — فى تكتم شديد — إلى أبيدجان [عاصمة ساحل العاج] . ولم يلق الانقلاب أية مقاومة إلا فى منطقة كوماسى ، التى سرعان ما استسلمت . وشكل اشيا مبونج لجنة للإصلاح الوطنى برئاسته وتتكون من ٦ ضباط جيش ومدنى واحد ، تقوم بأعمال الحكومة . وكانت وكالة اليونيتدبريس الأمريكية قد أشارت — فى عجلة — فى إحدى برقياتنا إلى أن مبونج « كان أحد الذين لعبوا دورا هاما فى الانقلاب ضد نكروما » .

ومن الجدير بالذكر أن غانا قد عانت خلال الفترة بين عامى ١٩٦٦ — ١٩٧٢ ، أزمت سياسية واقتصادية ضخمة . فقد تعرضت البلاد لعدد من محاولات الانقلاب الفاشلة على أيدى قائد الطيران ، ثم قائد المظلات وغيرهما ، حيث استحكمت أزمة النظام ، بسبب ثبوت تهمة « الفساد السياسى والانحراف المالى » على رئيس

■ مألطة ■

مؤامرات الاستعمار للضغط على سكان الجزيرة

احتلت أخبار الجزيرة الصغيرة ، التي لم تتعد مساحتها ٢٤٦ كيلو مترا ، ولا يتجاوز عدد سكانها ٣٥٠ ألف نسمة ، أعمدة كثيرة من الصحف ، خلال هذا الشهر ، فالانذار الذي وجهه رئيس مألطة دوم منتوف الى حكومة بريطانيا ليلة عيد الميلاد ، بأن تسحب قواتها من الجزيرة قبل ١٥ يناير ، اذا لم تدفع بقية المبلغ المطلوب منها ، وهو حوالي ١٨ مليون جنيه ، يؤكد حق الجزيرة الشرعي في استخدام أراضيها ، دون التتيد أو الخضوع لاي دولة أو لاي حلف .

وقد بدأت حكومة المحافظين في بريطانيا محاولة جديدة ، لممارسة ضغط شديد على مألطة ، ولندن — وهي ترفض تلبية طلب شعب

مألطة بزيادة حجم التفويض عن استخدام القاعدة — ترفض في نفس الوقت المطالبة بإجلاء القوات البريطانية من الجزيرة . . . وهي تهدف بذلك الى احراج الحكومة العمالية في مألطة ، التي يرأسها دوم منتوف ، والمعروف أن الحزب القومي المعارض في مألطة ، والذي يعتبر مواليا لبريطانيا ، أثار في البرلمان مسألة عدم الثقة في حكومة منتوف ، وأحبطت المسألة العظمى من الاصوات في البرلمان هذه المناورة التي أوعزت بها الدوائر البريطانية .

ويرفض أعضاء حلف الاطلنطي تقبل الهزيمة التي الحقها بهم ممثلو شعب مألطة الصغير ، الذي يرغب في أن يعيش في سلام ، بعيدا عن المناورات ، ويؤيد العلاقات الطيبة مع جميع الدول .

وللدلالة على درجة الهزيمة التي منيت بها لندن في البحر المتوسط ، فإن صحيفة « الديلي اكسبريس » كتبت ، بلهجة التحريض ، عندما طالبت سكان الجزيرة وأعضاء البرلمان بالتمرد

تعليق

هزيمة الاستعمار من صنع الشعوب

الجيش الاردني من تصفية العمل الفدائي من الاراضي الاردنية ثم ما تكشف من اعترافات رجل المخابرات الاردنية الذي قبض عليه في لبنان في الشهر الماضي عن دور المخابرات الاردنية في خلق « مذبحه سبتيمر » ضد المقاومة الفلسطينية في لبنان . اننا مقلون ولا شك على معركة طويلة الامد وهو ما أوضحه الرئيس أنور السادات أخيرا من أن المعركة شاقة وعظيمة . وأن التحدي الأمريكي لا يخيفنا ولا يجعلنا نتردد في مواجهته ، ان العامل الأساسي في المعركة والذي تخشاه الامبريالية الأمريكية نتيجة تجاربها السابقة في فيتنام وكوريا الشمالية ولاوس وكمبوديا وكوبا الخ وتعمل له ألف حساب هو الجماهير العربية التي لم يتح لها حتى الانطلاق من قوة كاملة الى طاقة متفجرة لاستخلاص حقوقها بنفسها . ولقد كان هدف المخطط الاستعماري الصهيوني الرجعي حتى الان هو ضرب الحصار حول الجماهير العربية وعزلها عن المعركة وشل طاقاتها النضالية ، والوقية بين القوى الوطنية والتقدمية في أجزاء الوطن العربي وتبديد طاقاتها في معارك ثانوية بهدف عرقلة مسيرة الثورة التحررية والاجتماعية في العالم العربي ، ولا شك أن خلق الظروف التي تسمح للجماهير التي يتهددها الخطر بالاشتراك في المعركة للدفاع عن أرضها ومصيرها ومكاسبها من شأنه أن يزيد من فاعلية الجماهير ويضعف من قدرتها وصمودها

ان كل ما يحدث الآن قليل بأن يدعونا نحن العرب الى التفكير والتعلم من تجاربنا السابقة ، وهو أن اعداءنا لا يعملون مفردين ويعرفون ما ما يريدونه ويخططون له ويسعون الى تنفيذه عن طريق التنسيق وتوزيع الادوار بين اسرائيل وأمريكا ومن استخدام الرجعية العربية في التمهيد له تدريجيا . ولكن الشيء المهم في مقابل ذلك هو أن نعرف نحن العرب ما نريده ونخطط له ونسعى الى تحقيقه وأن تنتهي وضع استراتيجيتنا الواضحة المحددة والمعلنة والعمل بكل الوسائل على تحرير الاراضي العربية المحتلة وتحقيق التلاحم بين القوى الوطنية والتقدمية والاشتراكية في الوطن العربي . الامر الذي من شأنه أن يكفل للمعركة رصيدها الثوري المكفاحي على المدى القريب والبعيد ، والكفيل بتحقيق النصر النهائي .

وديع امين

كشفت التطورات الاخيرة بشأن الاتفاق السري بين امريكا واسرائيل في شهر نوفمبر الماضي لانتاج بعض الاسلحة الامريكية الكبيرة في اسرائيل ، وماتبعها من قرار امريكا في اواخر يناير بإعطاء اسرائيل ٤٠ طائرة من طراز فانتوم و ٨٠ طائرة سكاي هوك ، بما لا يدع مجالا للشك خدعة « الوساطة الامريكية » بين العرب واسرائيل .

وفي الواقع أن هذه التطورات لم تكن مفاجأة بالنسبة للمراقبين في سياسة الامبريالية الامريكية ، التي تعتبر صاحبة المصلحة الاولى في استنزاف ثروات الشعوب العربية ، وتخطيط حركة التحرر الوطني والاجتماعي في العالم العربي وأن خدعة الوساطة الامريكية طوال الفترة الماضية لم تكن سوى لكسب الوقت لتمكين قبضة اسرائيل على الاراضي العربية المحتلة . ان كل الدلائل تشير الى المخططات التي يتم تنفيذها حاليا لربط اسرائيل باستراتيجية حلف الاطلنطي الذي تزعّمه الولايات المتحدة ، بعد تزايد الدعوة داخل مجلس الشيوخ الأمريكي في اواخر عام ١٩٧٠ لقبول اسرائيل في عضوية الحلف الاستعماري وهو ما كشفت عنه زيارات روجرز وزير خارجية امريكا ومساعد سيسيكو لاسرائيل في شهر مايو عام ١٩٧١ وزيارة ريتشارد هيلمز مدير المخابرات الامريكية لاسرائيل في اواخر شهر يوليو ، ثم تصريحات موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي في ١٠-٧-٧١ عقب مغادرة هيلمز لاسرائيل عن الاهمية الخاصة للقواعد الجوية في سيناء بالنسبة لحلف الاطلنطي واهتمام الصحافة الاسرائيلية بإبراز هذا المعنى وقد ذكرت صحيفة « النيويورك تايمز » في أول أغسطس الماضي ان البيت الابيض يدرس امكانية تجديد السلاح الجوي الاسرائيلي خلال السنوات الاربع القادمة ثم ما كان أخيرا بشأن الاتفاق السري الخاص بانتاج الاسلحة الامريكية في اسرائيل وتزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم والسكاي هوك .

ولا يمكن النظر الى هذه التطورات بعيدا عن ما يجري حاليا في الاردن ، وما تقوم به امريكا من تزويد الجيش الاردني بالاسلحة الحديثة ، وتوسيع قواته المسلحة والوصول بها من ٦٥ ألف الى ١٠٠ ألف جندي ، وتصفية العناصر الوطنية التي تعطف على المقاومة الفلسطينية ، مما لا علاقة له بتحرير الاراضي العربية المحتلة بل يعتبر تهديدا لسوريا وبعد أن فرغ

— تقارير الشهر —

كانت الجماهير الجاهلة هي صاحبة الاختيار في شيلي ، فان الأمر في إيطاليا كان في أيدي البرلمانيين أنفسهم ..

أما كيف كان جيو فاني ليونى المنقذ من مأزق انتخابات الرئاسة الإيطالية ، والمنقذ من «خطر» قدوم رئيس يسارى ، فقد حصل ليونى على ٥١٨ صوتا بزيادة ١٣ صوتا فقط عن عدد الاصوات اللازمة لانتخابه . بينما حصل بفرونيني — المرشح البديل للأحزاب اليسارية الذى حل محل دى مارتينو فى الاقتراع الأخير — على ٤٠٨ اصوات ، وهو نفس العدد من الاصوات التى ظل دى مارتينو رئيس الحزب الاشتراكى و نائب رئيس الوزراء يحصل عليه — فى المتوسط — خلال عمليات الاقتراع الاحدى والعشرين الاولى .

وكما نرى فان العامل الاساسى الذى تحكم فى نتائج كل الاقتراعات الفاشلة الاثني والعشرين ، وايضا فى الاقتراع الناجح الاخير الذى انتهى بانتخاب ليونى ، هو تكتل الاحزاب اليمينية والمعتدلة — من أقصى طرفها الى أقصى اعتدالها — للحيلولة دون صعود مرشح اليسار الى الرئاسة .

وقد كان الشيء المؤكد — طوال الوقت الذى استغرقته عمليات الاقتراع على مدى ١٦ يوما — انه لا امل لمرشح اليسار فى الفوز بالرئاسة رغم انه ظل متقدما على جميع المرشحين الآخرين بفارق كبير فى الاصوات . وكان هذا التأكيد يمسك المقاومة العنيفة بين اليمينيين ضد تقديم أى تأثير يلزم مرشح اليسار دى مارتينو ليحصل على الأغلبية التى يقتضيها الدستور . و أصدر الحزب الديمقراطى المسيحى أوامره الى أعضائه (٥٢٣ عضوا) . بالامتناع عن التصويت طوال ٢٤ عملية اقتراع ، وبعدها رشح ليونى بدلا من امثورى فانفانى الذى أخفق فى أن يكون منافسا قويا لمرشح اليسار دى مارتينو .

الا ان انتخابات الرئاسة الإيطالية كانت مناسبة لائتلاف قوى بين الحزب الاشتراكى مع الحزب الشيوعى ، أما الاحزاب الاخرى اليمينية والمعتدلة : الحزب الليبرالى والحزب الاشتراكى الديمقراطى والحزب الجمهورى ، وكذلك حزب الحركة الاجتماعية الإيطالية (الحزب الفاشيىستى الجديد) فقد أعطت أصواتها فى النهاية لجيو فاني ليونى .

وقد أكد جيورجيو الميرانتى زعيم الحزب الفاشيىستى الجديد — بعد انتخاب ليونى — أن حزبه أسهم بدور كبير فى انتخاب ليونى ، وهى ظاهرة ملفتة للغاية ، ومن الطبيعى أن تحدث

على سياسة الرئيس دوم منتوف ، ووصفته بأنه متطرف ..

لقد وصلت حكومة العمال فى مالطة الى الحكم فى يونيو الماضى ، بعد الانتخابات التى أجريت ، وأدت الى هزيمة الحزب القومى الذى كان يحكم قبلها ، والمعروف باتجاهاته الموالية لحلف الاطلنطى ، والحكومة الجديدة ، وهى تنفذ برنامجها الانتخابى ، أصرت على جلاء القوات العسكرية البحرية المتحالفة التابعة لحلف شمال الاطلنطى ، ومنعت زيارة سفن الاسطول السادس الأمريكى لميناء « لافاليتى » ، وألغت اتفاقية « الدفاع المشترك » مع بريطانيا ، كما طالبت باعادة النظر فى الاتفاقيات التى تقيد حركتها .

ويرى شعب مالطة ان انجلترا ، التى فرضت سيادتها على الجزيرة خلال ١٧٠ عاما ، يجب أن تزيد ما تدفعه لقاء استخدام أراضيها ، وهى تعزم استخدام هذه الاموال من أجل تنمية مواردها ، وفى نفس الوقت تحاول حكومة مالطة اتخاذ اجراءات تهدف الى خروجها من عزلتها ، واقامة علاقات مع الدول الاخرى . وفى الشهور الاخيرة عقدت عدة اتفاقات تجارية مع الاتحاد السوفيتى ورومانيا وبولندا وكوريا الشمالية .



■ إيطاليا ■

السنوات السبع القادمة بعد انتخاب ليونى

ظل المرشح الاشتراكى الذى أيده الحزب الشيوعى الإيطالى فى المقدمة بين كل المرشحين للرئاسة الإيطالية طوال ٢٢ اقتراعا ، وكان فارق الاصوات بينه وبين مرشحى الاحزاب الاخرى كبيرا باستمرار . ومع ذلك فان الاحزاب اليمينية اتخذت موقفا استطاعت من خلاله ان تحول دون حصول فرانثيسكو دى مارتينو على الأغلبية اللازمة لانتخابه — وهى ٥٠٥ أصوات من مجموع ١٠٠٨ أصوات لأعضاء المجمع الانتخابى الإيطالى (الذى يضم جميع أعضاء مجلسى البرلمان والمجالس الإقليمية) .

واستطاعت الاحزاب اليمينية فى النهاية أن تتغلب على ذلك الاحتمال « الخطير » بان يرقى كرسى الرئاسة فى إيطاليا «مرشح الاشتراكيين والشيوعيين» . وقد قيل أن شبّح تجربة شيللى التى وصل فيها مرشح الاشتراكيين والشيوعيين دكتور سلفادور الليندى بالطريق الانتخابى الى رئاسة شيللى كان يلوح لليمن . ولكن على حين

تعليق

الدور ٢٦ للجمعية العامة نجاح للقوى الاشتراكية رغم النزاع الكبير

كانت الدورة السادسة والعشرون للجمعية العامة للأمم المتحدة واحدة من أبرز الدورات التي عقدتها المنظمة الدولية في السنوات الأخيرة . وان كانت هذه الدورة قد تميزت فحسب بانها الدورة التي شهدت استعادة الصين الشعبية حقوقها المشروعة فيها . وطرد ممثلي حكومة تشيانج كاي تشيك (فورموزا) ، لكن ذلك كافيا لأعضاء أهمية كبيرة عليها . ولكن الواقع ان الدورة السادسة والعشرين حملت قدرا أكبر من الايجابيات .

ومن وجهة نظر اهداف الدول المحبة للسلام والعوى المناهضة للامبريالية العالمية - وعلى رأسها الامبريالية الامريكية - فان كل القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة في هذه الدورة تمثل غلبة الاتجاه المعادي للامبريالية والتمييز العنصري والمناهض لسياسة استخدام القوة . وبعبارة أدق فان الدول الاشتراكية ومعها الدول المتحررة والمؤيدة للاتجاهات التحررية في العالم قد تركت بصماتها على كل قرارات الجمعية العامة .

وقد كان قرار الجمعية العامة في ٢٥ أكتوبر يرد حقوق جمهورية الصين الشعبية وطرد ممثلي فورموزا اهم هذه القرارات جميعا . وكان - برغم كل التفسيرات المتلوية اللاحقة - ضربة عنيفة لسيطرة الولايات المتحدة ونفوذها الضاغط على الأمم المتحدة ، وفي الوقت نفسه انتصارا للدول الاشتراكية والقوى المعادية للامبريالية في العالم الثالث . كذلك فقد انعكست آراء الدول الاشتراكية والمناهضة للسيطرة الامريكية في قرار الجمعية العامة الأخير الخاص بالشرق الاوسط . والذي دعا الى اتخاذ كل الاجراءات الضرورية لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ . وقد وصف هذا القرار بأنه قد زاد من عزلة اسرائيل عن الرأي العام العالمي ، وأظهرها على حقيقتها باعتبارها القوة التي تعوق اقرار السلام في منطقة من أخطر مناطق التفجر في العالم .

وهكذا فان الجمعية العامة في دورتها السادسة والعشرين قد عكست ازدياد نفوذ وقوة العالم الاشتراكي وجبهة الدول المناهضة للامبريالية والمحبة للسلام ووعي معظم دول العالم لمسئولية التصدي لمحاولات القوى التي ترتبط مصالحها بالنفوذ الامبريالي وسياسة استخدام القوة والعدوان . وقد اتضح ازدياد نفوذ هذه الجبهة العالمية التي تقودها - بحكم قوتها وموقعها في ميزان القوة العالمي - الدول الاشتراكية . برغم ما شهدته الدورة السادسة والعشرين لأول مرة من انتقال مشاحنات الخلافات السوفيتية الصينية الى الأمم المتحدة وما شهدته - أكثر من ذلك - من وقوف الولايات المتحدة والصين الشعبية معا في جانب ضد الاتحاد السوفيتي في بعض المناقشات وخاصة اثناء أزمة الحرب الهندية الباكستانية .

وقد تجاوز دور الدول الغربية في مواجهة مظاهر الصدام السوفيتي الصيني داخل الأمم المتحدة مجرد دور المتفرج - الذي حاولت أن توحى بانها تلزمه - فان كل ما تردد عن صراع على زعامة العالم الثالث ، بين موسكو وبكين ليس سوى جزء من حملة اذ كان نيران الصراع السوفيتي الصيني لحساب القوى الامبريالية وضد مصلحة كل الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي والصين . وايضا ضد مصلحة دول العالم الثالث .

واذا كانت محاولة القوى الامبريالية وخاصة الولايات المتحدة لاستعادة نفوذها قد فشلت حتى الآن ، الا أن كل الدلائل تشير الى أنها سوف تستمر . وان استمرار المصادمات السوفيتية الصينية في الأمم المتحدة يفر لها تربة خصبة للعمل ضد السلام ضد تقدم الشعوب وحريتها .

سمير كرم

تقارير الشهر

أثارا عنيفة في تكوين الائتلاف الحكومي الراهن في إيطاليا، لان الاحزاب اليسارية بوجه عام لن تفتقر صعود سياسي الى الرئاسة بتأييد الفاشستين الجدد.

ان الدوائر السياسية في ايطاليا تبدى منذ فترة مخاوفها من أن يؤدي استياء الجماهير من ضعف الحكومات الائتلافية المتتالية وعجزها عن حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية العديدة التي يعاني منها الشعب الايطالي، الى حدوث تحول يحقق خلاله الفاشستيون الجدد مكاسب انتخابية كبيرة في الانتخابات العامة التي ستجرى في عام ١٩٧٣ . وهذا في الواقع واحد من أكبر الاخطار السياسية التي تواجه الجماهير الايطالية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

ولهذا فان صعود دور النقابات العمالية الايطالية في الحياة السياسية في الفترة الأخيرة يشكل الضمان الاساسي لاستجابة الاحزاب السياسية لحاجات الجماهير الايطالية في قطاعاتها العريضة - العمال والفلاحين والمثقفين - التي تطالب بالتغيير الجذري.

لقد اصبحت نقابات العمال - خاصة في غضون السنوات الثلاث الأخيرة من تسوالي الحكومات الائتلافية الضعيفة - أكثر مظاهر الحياة السياسية الايطالية دينامية ، واصبحت هذه النقابات أقوى تنظيمات العمال في أوروبا الغربية على الإطلاق . ولاشك ان الحزب الشيوعي الايطالي يقوم بدور قيادي كبير في اضطلاع نقابات العمال بهذا النشاط الكثيف من أجل حياة أفضل للملايين العمال الايطاليين - ليس فقط داخل اسوار المصانع - وانما خارجها وخاصة في مجالات الاسكان والتعليم والرعاية الصحية والنقل .

وهكذا يمكن القول بان فترة رئاسة جيوفاني ليوني - على مدى السنوات السبع القادمة - ستكون فترة صراع اجتماعي متبلور بين القوى المتقدمة للشعب الايطالي ممثلة في طبقة العاملة وتنظيماتها النقابية والسياسية ، وبين القوى الرجعية التي تجد مصليحتها اما في تجميد الأوضاع على احوالها الراهنة ، بكل التناقضات والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تعانيها ايطاليا ، واما في محاولة دعم قوة اليمين المتطرف المتمثل في حركة الفاشيستيين الجدد والاعتماد عليها مرة والتهديد بها مرة أخرى .

« ارادوا شنتقى يوم الاستيلاء على دكا »

رفض الشيخ مجيب الرحمن ، رئيس وزراء بنجالاديش ، ما اقترحه الرئيس الباكستاني على بوتو ، من التنازل له عن الرئاسة لانقاذ وحدة باكستان ، وأوضح له ان بنجالاديش أصبحت واقعا ، وانه يريد ان تظل الدولة الجديدة مستقلة . وما يشغل بال الشيخ مجيب الرحمن الان في الواقع ، هو إعادة تنظيم بلاده في الحقل الداخلي ، ودعم مركزها الدولي ، بعد ان اعترفت بها حتى الان تسع دول ، ويتردد ان لندن على وشك ان تتخذ قرار الاعتراف بها ، وان الاتحاد السوفيتي قد يعلن اعترافه بنجالاديش في وقت قريب .

وقد أشاد الشيخ مجيب الرحمن بالاتحاد السوفيتي ، للمساعدة التي قدمها لقضية بلاده ، كما وجه الشكر للمسؤولين السوفيت ، على مساعيهم من أجل اطلاق سراحه من سجون باكستان . وقال الشيخ مجيب الرحمن لمراسل وكالة « تاس » في دكا ، في ١٦ يناير الماضي :

« اننى باسم خمسة وسبعين مليوناً — هم سكان بنجالاديش — أعرب عن شكرى لشعب وحكومة الاتحاد السوفيتي ، لمساندتهم لقضية بنجالاديش العادلة . كما يجدر التنويه بالدور العظيم الذى قام به الاتحاد السوفيتي في مجلس الأمن ، دفاعاً عن كفاح التحرر الوطنى في بنجالاديش » . وقال : « لقد علمت بعد خروجى من السجون الباكستانية ، ان الزعماء السوفيت ، ومن ورائهم الهيئات والعمال في الاتحاد السوفيتي ، طالبوا باطلاق سراحى . . وائنى أعرب عن شكرى لهم وعن ايمائى بأن الصداقة بين شعبى بنجالاديش ، والاتحاد السوفيتي ، ستزدهر بنجاح وقوة . وأوضح الشيخ مجيب الرحمن الخطوط الرئيسية للسياسة الخارجية لبنجالاديش ، التى تتمثل في عدم الاشتراك في الاحلاف العسكرية والحياد والتعايش السلمى ، على أساس الاستقلال والالتزام بمبادئ الصداقة بين الشعوب » .

هذا ، ومن ناحية أخرى ، أعلن أوتو فينزر وزير خارجية ألمانيا الديمقراطية : أثناء زيارته لبنجالاديش ، التى استغرقت يوماً واحداً ، انه أكد للمسؤولين فيها أن بلاده ستقدم لهم كل ما يمكنها من معونة للتغلب على المشاكل التى نجمت عن « الأعمال التخريبية التى قام بها الجيش الباكستاني في بنجالاديش » ، كما أوضح أن لبنجالاديش وجمهورية ألمانيا الديمقراطية وجهات

نظر متطابقة فيما يتعلق بغالبية المشكلات الدولية والثنائية .

ويعمل الشيخ مجيب الرحمن في الفترة الحالية على إعادة الاوضاع الى حالتها الطبيعية في بنجالاديش ، وحل المشكلات الصعبة التى تواجهها ، وبخاصة من الوجهة الاقتصادية . وقد قرر أخيراً نزع سلاح الفشكيلات المسلحة في بنجالاديش ، والتي ساعدت على تحرير البلاد ، وفي مقدمتها جيش التحرير « الموكتى باهينى » ، الذى يطلق عليه أيضاً « مجيب باهينى » ، والذي انبثق عن الرابطة السابقة للطلبة ، والموازية لرابطة عوامى ، بالإضافة الى منظمين يساريين أقل أهمية ، تتكونان من العمال الشباب ، ومنح الشيخ مجيب الرحمن هذه القوات جميعاً مهلة عشرة أيام لتسليم ما في حوزتها من أسلحة وذخيرة . .

هذا ، وقد بدأ المهاجرون البنغاليون طوال الشهر الماضى في العودة الى بلادهم ، بمعدل مائتى ألف لاجئ يومياً ، وبخاصة النصف الثانى من يناير الماضى ، وقد عاد الى بنجالاديش — حتى كتابة هذا التقرير — ٤ ملايين لاجئ .

ويعتقد المراقبون انه حتى نهاية الاسبوع الاول من الشهر الحالى ، سوف يكون جميع مهاجري البنغال الشرقية قد عادوا الى بلادهم ، وبذا تحل المشكلة التى واجهت الهند في موعد ملائم . وقد طلب وزير زراعة بنجالاديش من جميع دول العالم تقديم مساعدات كبيرة لبلاده لتعويض المنتجات الزراعية التى تلفت في بلاده ، والتقى بالقنصل العام للاتحاد السوفيتي ، الذى عرض عليه تقديم مساعدات بلاده بهذا الصدد .

وفيما يتعلق بالفترة التى قضاها الشيخ مجيب الرحمن في المعتقل ، أوضح في حديث أدلى به في ١٧ يناير الماضى الى وكالة الأنباء الهندية ، أن الرئيس الباكستاني السابق « يحيى خسان » كان قد دبر مؤامرة لاغتياله بعد فشل المفاوضات التى دارت بينهما يوم ٢٥ مارس الماضى . وأورد الشيخ مجيب الرحمن تفاصيل هذه المؤامرة . كذلك أوضح في نفس الفترة لمراسل مجلة « نيوزويك » الأمريكية ، ان الرئيس الباكستاني السابق يحيى خسان كان يريد شنتقه في نفس يوم الاستيلاء على دكا ، « ولكن بوتو تدخل ، وقال ان هذا غير ممكن ، طالما ان هناك اسرى باكستانيين في أيدي الهنود » . وأضاف الشيخ مجيب الرحمن قائلاً : « ولا أنكر ان بوتو حاول حمايتي ، وان الله قد أنقذنى » . ولكي يضمن بوتو حماية الشيخ مجيب الرحمن ، فإنه قام باخراجه من السجن ليلاً ونقله الى شاليه بالقرب من رواليندى في ٢٦ ديسمبر الماضى ، والتقى مجيب الرحمن بعلى بوتو في اليوم التالى » .

لاوس - قاعدة « لون تشين » والمنطقة المحيطة بها في أيدي الثوار .

ويميل بعض المراقبين الى تفسير مغزى تلك الغارات الأمريكية المكثفة ضد فيتنام الديمقراطية استنادا الى اراء المصادر العسكرية في سايجون فيقولون انها تعتبر ردا على التحدى الذى اظهرته طائرات الميج « ٢١ » الفيتنامية خلال النصف الاخير من ديسمبر الماضى ضد التفوق الجوى الأمريكى فى سماء الهند الصينية حيث اسقطت « الميج » فى غضون يومين فقط ثلاث من طائرات الفانتوم الأمريكية المقيمة على مناطق الحدود الفيتنامية .

ويضيف المراقبون أن ضراوة هذه الغارات الأمريكية تعود الى أن عنصر التفوق الجوى الأمريكى هو ركن اساسى من اركان السياسة الأمريكية الجديدة فى الهند الصينية المعروفة باسم سياسة الاحتواء الواقعى أو « مبدأ جوام » . ومن ثم فمن الطبيعى أن يعد الأمريكيون أى احتراز فى عنصر التفوق الجوى بمثابة إشارة خطر تهدد سياستهم الجديدة بأكملها .

ويدعم المراقبون هذا الرأى بقولهم أن تحدى طائرة « الميج » للطائرات الأمريكية قد مكن بالفعل ثوار لاوس من اجتياح منطقة سهل القوارير خلال النصف الاخير من ديسمبر الماضى أى قبل أيام قليلة من الاحتفال بالذكرى السادسة عشرة لتأسيس الجبهة الوطنية اللاوسية « لاوهاكسات » فى يناير الاخير .

وينظر بعض المراقبين الى تلك الغارات الأمريكية من زاوية أخرى هى زاوية الانتخابات المقبلة للرئيس الأمريكى فى نوفمبر القادم وعلاقة هذه الانتخابات بالزيارتين اللتين ينوى نيكسون القيام بهما الى كل من بكين وموسكو فى فبراير ومايو من هذا العام .

فمن المعروف أن كثيرا من الخبراء الأمريكين قد انتقدوا نيكسون لانه خطط لزيارته لكل من بكين وموسكو مدخلا فى اعتباره المعركة الانتخابية وهذا يجعله الطرف الأكثر احتياجا الى نجاح هاتين الزيارتين ، كما يعطى للطرف الاخرى فرصة الضغط عليه . ويرى المراقبون أن نيكسون أراد بهذه الغارات أن يذهب الى بكين ثم الى موسكو بعدها من موقع قوى . . . موقع الطرف الذى يضرب بعنف ، ويفاوض فى آن واحد ، وهو ما يعد امتدادا لسياسة الاحتواء الواقعى التى تحدثنا عنها منذ قليل .

ومن زاوية ثالثة يرى بعض المراقبين أن ثمة علاقة هناك بين الحرب الهندية - الباكستانية وبين تلك الغارات الأمريكية على فيتنام الديمقراطية . فهى من ناحية تعويض عن الفشل الذى منيت به

وعلى أية حال ، فقد عقدت بنجالاديش والهند انفاقية أخيرا ، تقدم بمقتضاها الهند لبنجالاديش ما قيمته ٣٤ مليون دولار من السلع الاستهلاكية لسد احتياجاتها العاجلة ، وقرضا بخمسة ملايين جنيه استرليني ، لتنشيط مبادلاتها التجارية الخارجية . وجدير بالذكر أن سكرتير أول وزارة الخارجية الهندية قد أشار فى ١٧ يناير الماضى إشارة لها مغزاها ، بالنسبة لمحاولات استقطاب القوى فى القارة الآسيوية وفى جنوبها وجنوب شرقها بصفة خاصة ، وأوضح أنه « لو أدركت اسلام آباد [باكستان] حقيقة الموقف فى شسبه القارة الهندية ، لأمكن أن يفتح منذ الآن أمام الهند وباكستان وبنجالاديش ، عهد جديد يسوده السلام والتعاون . وأضاف أن هذا الاتحاد الجديد يمكن أن يمتد ، فيما بعد ، فى اطار من التعاون الاقتصادى ، ليشمل بلادا أخرى فى المنطقة .

■ الهند الصينية ■

الفعلة الاستعمارية . .

والفعل الثورى المضاد

خلال خمسة أيام من ٢٥ الى ٣٠ ديسمبر الماضى ، وباستخدام نحو ٣٥٠ طائرة قاذفة مقاتلة وصل مجموع طلعاتها على امتداد تلك الفترة الى أكثر من ألف طلعة ، هاجم سلاح الجو الأمريكى فى فيتنام الجنوبية قواعد ومراكز الدفاع الجوى لجمهورية فيتنام الديمقراطية فى محاولة هستيرية ، لتدمير مقدرة الدفاع الجوى الفيتنامى . وبلغت ضراوة هذا الهجوم الأمريكى حدا دفع وكالات الانباء الى وصفه بأنه : « هجوم لا يفوق القوة التدميرية التى استخدمت فيه الا استخدام الاسلحة الذرية » وبأنه يمثل كما قالت مصادر البنتاجون ذاتها « أقصى مجهود ممكن » للقوات الأمريكية الموجودة فى فيتنام الآن .

وبينما كان الكثير من المراقبين ما يزالون حائرين فى تفسير مغزى هذه الفعلة الاستعمارية الأمريكية منقسمين على بعضهم فى تحديد أهدافها كان الفعل الثورى المضاد من جانب ثوار الهند الصينية قد جاء واضحا وحاسما ، متمثلا فى سلسلة من الهجمات الفعالة شنها الثوار خلال يناير الماضى ضد القواعد الأمريكية وقواعد القوات الحكومية العميلة فى كل من لاوس وكامبوديا وفيتنام الجنوبية . وقد كبدت هذه الهجمات العدو خسائر كبيرة فى المعدات والجنود وأدت الى سقوط أكبر وأهم القواعد الاستراتيجية فى شمال

من الاستخدام الامثل لطاقة الشمس مما يمكن السكان من العيش فى مدن متحضرة وبذل جهد أقل فى انتاج أكبر يرفع مستوى المعيشة الى وضع أرقى ، كما يمكن الحصول على وسائل تكنولوجية أحدث باستمرار تساعد على حسن استعمال الطاقة الزائدة المتاحة . وتأتى هذه الطاقة الزائدة حتى الان من البترول ومساقط المياه والانشطارات النووى ، وكلها لها حدودها النهائية التى يمكن أن تنفذ ، ويسير الانتاج الصناعى فى العالم الان فى « اتجاه مستقيم » سيؤدى بمرور الوقت الى نفاد جزء كبير من ثروة المجتمع بالحدود الاجبارية التى تضعها الطبيعة ، ولا يبدو لاول وهلة أن هناك حلا الا بتقليل الانتاج والاستهلاك ، ولكن الذى يحدث فعلا هو زيادة هائلة فى الانتاج ، ذلك أن مصدر الانتاج يأتى من الطبيعة المحيطة مما يؤدى الى الجذب ، وكذلك فإن العادم الناتج عن العملية الانتاجية يصب فى الجو المحيط مما يؤدى الى التلوث ، كما أن العادم الناتج عن استخدام الطاقة نفسه يؤدى الى مزيد من التلوث .

ويفكر العلماء الان فى استحداث الوسائل الصناعية التى تقوم بتشغيل مجتمع دائرة المواد الانتاجية المغلقة ، الذى قدور فيه المنتجات بين الاستخدام واعادة الاستعمال وباستعمال الطاقة التى لا ينتج عنها عادم يحدث كثيرا من التلوث .

ومن الطريف ان عملية الطاقة الرئيسية التى تدور فى الافلاك والنجوم تعتمد على « الالتحام النووى » ، وقد تم التوصل اليها على الارض سنة ١٩٣٢ لاول مرة أثناء تجربة تناولت الاصطدام بين نوايا ذرات عنصر الديتيريوم المعجل . ثم حدث أن تفجرت طاقة من الالتحام النووى مرة ثانية فى سنة ١٩٥٢ أثناء احدى تجارب التفجير الذرى ، فأثبت ذلك امكانية احداث « طاقة التحام » على نطاق واسع ، وذلك يرفع درجة الحرارة لاحد الغازات ذات الكثافة العالية (ويسمى البلازما) الى حوالى خمسين مليون درجة مئوية ، على احتمال أن يؤدى ذلك الى التحام بين ذرات الغاز . وبالوصول الى التفجير الهيدروجينى اندفع العلماء فى امريكا وفى الاتحاد السوفيتى وبريطانيا نحو العمل على الوصول الى طاقة التحام نووى «منظمة ويمكن التحكم فيها والاستفادة منها » واتجهت البحوث الى ابقاء البلازما ذات الكثافة المنخفضة فى درجة حرارة من الارتفاع بحيث تكون الطاقة الناتجة عن الالتحام أكثر من الطاقة المستعملة فى تسخين البلازما . ولما كان البشر لا يملكون عناصر صلبة تستطيع ان تتصدى لارتفاع فى الحرارة يصل الى مائة مليون درجة مئوية فقد ركزت البحوث على استعمال المجالات المغناطيسية للتحكم فى البلازما .

السياسة الامريكية فى شبه القارة الهندية ، وهى من ناحية أخرى اشارة امان الى حلفائها الاسيويين بأنها لا تنوى التخلّى عنهم ، وبأن ماحدث بالنسبة لفرموزا وباكستان منذ عدة أسابيع لم يكن مقصودا كله .

واذا كان هذا هو مجمل آراء المراقبين فى تحليل هدف الفعلة الامريكية ضد فيتنام الديمقراطية ، فإن للمراقبين أيضا آراء حول الفعل الثورى المضاد الذى قام به ثوار الهند الصينية خلال الاسابيع القليلة الماضية . ويرى المراقبون ان هجمات الثوار قد جاءت دليلا على وحدة العمل المتينة بين القوات الثورية فى كل من لاوس وكمبوديا وفيتنام وهى الوحدة التى أرست دعائمها منذ مؤتمر القمة لشعوب الهند الصينية الذى انعقد فى جنوب الصين الشعبية فى ابريل عام ١٩٧٠ ، كما يرون أيضا أنها دلالة على فشل الارهاب الامريكى فى الحد من عمليات الثوار بل ويرون ان العكس هو الصحيح تماما . ويرى بعض المراقبين من جهة ثالثة أن هجمات الثوار هذه ليست الا مقدمة لهجمات أكبر واشمل سوف يقومون بها خلال هذا العام بل وربما خلال الاسابيع القليلة القادمة بهدف احراج مركز نيكسون فى انتخابات الرئاسة المقبلة . وذلك بفضح النتائج الهزيلة التى حققتها سياسة فتنمة الحرب امام الراى العام الامريكى واقناعه بأنه اذا كانت فتنمة الحرب قد مكنت نيكسون من سحب جزء كبير من الجنود الامريكين فى فيتنام فإن الحرب الفيتنامية ما تزال تستنزف الاقتصاد الامريكى الذى اصبح من المحتم عليه ان يمول الحرب فى منطقة الهند الصينية باكملها وليس فى فيتنام فحسب .



■ علوم ■

مستقبل التحام الذرة يهد البشرية بطاقة هائلة

تجرى الجهود دائبة من أجل الحصول على مفاعل ذرى عملى - لا فى مجال انشطارات الذرة - وانما فى مجال اخطر اثرا ، وهو مجال الطاقة الناتجة عن الالتحام الذرى . ومن المتوقع أن تحقق الطاقة الناتجة عن هذا الالتحام مصادر جديدة سيكون لها أبلغ الاثر على كل نواحي النشاط الانتاجى والصناعى والحضارى للمجتمع البشرى . ومصدر الحرارة الرئيسى لكل المجتمعات هو الشمس . واذا كانت المجتمعات المتخلقة تبذل الكثير من الجهد فى تحويل طاقة الشمس - عن طريق الزراعة - الى طعام يقيم أودها ، فإن المجتمعات المتطورة تستعين «بطاقة زائدة» تمكنها

الناتج عن الانشطار النووي ، وتقليل اخطار المولد الذرية الملوثة . وكذلك فان استعمال « الالتحام النووي » لا يحتاج الى حرق مصادر الاكسوجين والمواد الهيدروكربونية اللازمة للبشر ، وبالتالي لا ينتج عنها غاز ثاني اكسيد الكربون او غيره من منتجات الاحتراق التي تلوث الجو . ولا يحدث عن الالتحام النووي اى امكانية (لحدوث نووى مروع) على عكس الانشطار النووي المدمر . أما التريتيوم المستعمل فى الالتحام النووي فهو ذو اثر سام بالغ الضعف اذا قورن بالنظائر المشعة المستعملة فى الانشطار النووي ، والتي تعتبر من اقوى السموم . ان الطريق الى ترويض واستئناس وتشغيل عملية الالتحام النووي لا يزال طويلا ، ولكنه طريق تسلكه الدول الكبرى باصرار وببرامج طويلة مكلفة من اجل الحصول على مصادر للطاقة ستغير من كثير من اساليب حياة البشر فى مستقبل ليس بعيدا .

وقد اتجهت معظم البحوث على اصناف الوقود اللازمة لاحداث هذه الدرجات العالية من الحرارة الى استعمال مزيج من الديتيريوم والتريتيوم كوقود . وتصدر الطاقة الناتجة عن الالتحام داخل البلازما على هيئة نيوترونات ذات طاقة عالية يمكن امتصاصها فى درع من سائل الليثيوم الذى يدور بهذه الطاقة الهائلة الى جهاز يستبدل الحرارة ويقوم بتسخين الماء وتحويله الى بخار يدير بدوره مولدا بخاريا معقولا يعمل بدوره فى ادارة محطة للطاقة الكهربائية !!!

بل انه يمكن استعمال النيوترونات المعجلة (الرخيصة) المنتجة بهذه الطريقة فى تصنيع ذرات ثقيلة قابلة للانشطار ، اى ان جهاز الالتحام النووي يصبح « محصنا » نربى فيه عملية الانشطار النووي !! ويمكن ايضا باستعمال النيوترونات الرخيصة الجديدة « حرق » العادم



برنامج سياسى من قلب المعركة



على كون الحركة الوطنية الفلسطينية جزء من حركة التحرر الوطنى العربية والعالمية .

وبعد ان يتحدث البرنامج عن سمات حركة التحرر الوطنى العالمية اليوم ، يحدد الاسس التى ينطلق منها الحزب فى تقييمه للقضية الفلسطينية وفى مقدمتها كون « اسرائيل دولة قامت على الاغتصاب وهو امر لا يمكن تبريره » ومن هذا المنطلق يستخلص الحزب هدفه الاستراتيجى وهو « التحرير ، وبناء فلسطين المستقلة الديمقراطية » .

وينبى البرنامج الى ضرورة « ألا تصرفنا قضية عدوان عام ١٩٦٧ عن قضية التحرر الشامل » معتبرا « الوجود الاسرائيلى هو المحور الاصلى للمسألة » .

ويرى الحزب فى برنامجه ان « الصهيونية عميلة للامبريالية وشريكة لها ، واسرائيل كيان استعمارى كما ان التلاحم بين المصالح الامبريالية والصهيونية لا ينفى وجود مصالح وأهداف ذات استقلال نسبى . خاصة بعد ان استكملت دورتها ، وأصبحت يدورها دولة استعمارية » ومن هذا يصل

فى احد عشرة صفحة من الحجم الصغير ، صدر (البرنامج السياسى للحزب الشيوعى الفلسطينى بقطاع غزة) متضمنا ستة أبواب ، تتحدث عن « طبيعة قضيتنا الوطنية » و « قوى الثورة » و « معسكر الاعداء » و « الاهداف المرحلية » وأهداف الحزب وتكتيكاته فى المجالين العربى والعالمى

ومن المعروف ان هذا هو البرنامج الثانى الذى يصدره الحزب فى الفترة التى أعقبت عدوان ١٩٦٧ ، ان كان قد اصدر برنامجه الاول فى ديسمبر ١٩٦٧ ، كما كان قد شارك قوى سياسية أخرى (البعث وجبهة تحرير فلسطين) فى اصدار (ميثاق الجبهة الوطنية المتحدة فى قطاع غزة) فى اول سبتمبر ١٩٦٧ .

والبرنامج الحالى هو اكثر وضوحا وتحديدا من برنامج ديسمبر ١٩٦٧ ، كما انه اكثر تقدما من ميثاق الجبهة . ومنذ البداية يحدد البرنامج طبيعة القضية الفلسطينية بأنها قضية تحرر وطنى « تتميز عن غيرها من قضايا التحرر الوطنى ، بكون الاستعمار فيها استيطانيا ، ويقوم فى نفس الوقت على طرد السكان وتشتيتهم » . ويؤكد البرنامج

تقارير الشهر

والفلاحين الكادحين هي النواة الصلبة التي تستقطب حولها الشرائع الاجتماعية الاخرى .
أما أسس هذا التحالف الوطني فهي « الحوار والصراع المحكوم والديمقراطي ، حول برنامج مشترك » ويتحفظ البرنامج في هذا الشأن حين يطالب بأن « لا يقيد هذا التحالف حق التنظيمات اليسارية الفلسطينية في التعاون وفق (برنامج أقصى) »

ويرى الحزب ضرورة تدعيم التحالف « بالعمل السياسي القائم على أساس ديمقراطي شعبي ، بتوسيع مشاركة الجماهير في قيادة العمل الوطني بجميع أشكاله ، وتحميل الجماهير مسئولية اوسع ، وفتح باب المناقشة الحرة في كفاءة مستويات التحالف ومؤسساته » .

وفي تحديده للهدف الاستراتيجي لهذا التحالف ، يؤكد البرنامج على أن « يكون هذا التحالف ملتزماً بالمضي في طريق التحرير والكفاح ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية » .

أما وعاء هذا التحالف ، فيرى الحزب ان يكون منظمة التحرير الفلسطينية « على الاقل لاكتسابها المشروعية في البلدان العربية » وبعد ذلك يطالب الحزب ، ضمن اهدافه المرحلية « بوضع شعار (الحرب للجميع) و (الشعب المسلح) موضع التطبيق . وتعبئة الشعب الفلسطيني سياسياً وعسكرياً وتنظيمياً وفكرياً ، وكفالة الحقوق الديمقراطية للجماهير الفلسطينية ، وحل سليم للمسألة الزراعية بعد التحرير بتطبيق شعار (الاراض لمن يحررها) »

وعند حديثه عن التسوية السلمية يرى برنامج الحزب أنها « مرفوضة ، مالم تتضمن ما يضمن عدم نسف وتصفية قضيتنا الوطنية أولاً ، وعدم الاعتراف بإسرائيل ثانياً . وهي مقبولة مرحلياً مادامت - ثالثاً - تحقق ازالة عدوان ١٩٦٧ وتصفيته » وينبه الحزب الى أن التسوية السلمية لن تتحقق في هذا الاطار « الا باستشعار العدو الامبريالي الصهيوني للخطر من جدية استعداداتنا وقدراتنا » وفي اطار مثل هذا الحل ، فإنه يمكن لحركتنا الوطنية تحويل الواقع الجديد الى منطلق لافاق أبعد ، مستفيدة من وجودها على أرضها ، ومن التلاحم مع حركة التحرر الوطني العربية والعالمية ، ومن الميل المضطرب في ميزان القوى - عالمياً - لصالح قوى التقدم والاشتراكية » .

ولا يهمل البرنامج الحديث عن الشئون العسكرية ، إذ نجده يقول في إحدى فقرات الباب الرابع أنه « في مواجهة الحرب النظامية ، الخاطفة ، والمحدودة ، التي دأبت إسرائيل على شنها ضدها ، علينا ان نلجأ الى الحرب الشعبية ، طويلة الامد ، والشاملة ضد كل مصالح الاستعمار

الحزب الى ضرورة « عدم فصل النضال ضد الصهيونية عن النضال ضد الامبريالية » .

وبالنسبة للصهيونية يرى البرنامج انها « كأيديولوجية ، وحركة ، عنصريتان توسعيتان وفاشيتان ، ويلفت الحزب الشيوعي النظر الى ضرورة « التمييز بين الصهيونية والديانة اليهودية » ويحذر من « الانزلاق الى مناقشة ما اذا كان اليهود يمثلون قومية أم لا . فحق تقرير المصير لأي شعب لا يجب أن يكون على حساب أرض ومصالح أي شعب آخر ، هذا اذا سلمنا - جدلاً - بكون اليهود يمثلون قومية »

(أما عن تصفية هذا الكيان المغتصب « فيرى البرنامج أنه لا يمكن أن تتم « الا عبر معارك سياسية واقتصادية وعسكرية وفكرية مستمرة ، متصلة وطويلة الامد مع الملاءمة والمراج الصحيح بين اشكال النضال المختلفة مع التسليم بأن هناك حتمية للكفاح المسلح ، الذي سيكون له ، في النهاية حسم المسألة » .

ولدى تحديده قوى الثورة يشدد البرنامج على كون « قضيتنا الوطنية هي قضية عربية حسمها من مهام قوى الثورة العربية ، بأنظمتها الوطنية ، وتنظيماتها التقدمية وشعوبها وفي مقدمتها شعبنا العربي الفلسطيني ، الذي يأتي العمل الفدائي تعبيراً عن طليعيته في التحرير ، ويضيف البرنامج الى هذه القوى « مساندة دول وشعوب المعسكر الاشتراكي - والرأي العام التقدمي في العالم »

أما الاعداء « فالامبريالية العالمية ، وعلى رأسها الامبريالية الامريكية ، عدونا الرئيسي . والصهيونية ورببتها إسرائيل - عدونا المباشر ، والرجعية العربية ركيزة للامبريالية وعميلة لها بين صفوفنا » .

ثم ينتقل البرنامج الى تحديد الاهداف المرحلية للحزب ، وهي : انتزاع الحرية للعمل الفلسطيني والتمسك باستقلاليتة في اطار حركة التحرر ، وتحقيق وحدته .

ويلج البرنامج على ضرورة تحقيق الوحدة الوطنية ، المستندة « الى أساس طبقي عريض ... من العمال والفلاحين الكادحين والمثقفين والجنود والرأسماليين الوطنيين . وان كان هذا لا يعني ايصاف الباب في وجه أي عناصر من فئات أخرى عصف الاحتلال الاسرائيلي بمصالحها ، أو تستشعر مهانة الاحتلال ، وترغب في النضال ضده » وكضمان لاستمرار هذا التحالف ونجاحه يطالب البرنامج ان تكون « قيادة هذا التحالف في أيد تقدمية واعية ، وقادرة على حماية اهداف العمل الوطني بوعي وحسم » . ويزيد البرنامج هذه النقطة وضوحاً حين يذكر أن « وحدة العمال

بهدف رآب الصدع الذي أصاب المعسكر الاشتراكي .

وبالرغم من كون هذا البرنامج أكثر تورية ووضوحا من سابقة ، الا ان مصدره قد خصصوه لمعالجة القضية الفلسطينية في حين كان يجب عليهم أن يبدأوا بالاهتمام بقطاع غزة ، ماداموا قد أصدروا برنامجهم فيه ، ثم الانتقال الى تحليل المسألة الفلسطينية ، فالوضع في الاردن باعتباره أكثر الدول العربية تأثرا وتأثيرا على فلسطين . ومن الاردن ينتقل البرنامج الى البلدان العربية مبتدئا بالمحيط منها بفلسطين ، وينتهي بالوضع العالمي . ومن كل ذلك يستخلص النتائج والمواقف .

ومن الناحية الاخرى نكاد نرى البرنامج خلوا من البعد الطبقي هذا اذا استثنينا مسألتي التحالف الوطني و (الارض لمن يحررها) وكان ينتظر لمثل هذا البرنامج أن يخاطب طبقات قطاع غزة صناعها ، ومزارعيها ، وطلابها ، ومثقفوها ، وتجارها ، ويحدد لكل طبقة مهامها في مرحلة الاحتلال الاسرائيلي على الاقل .

ومهما يكن من أمر فان هذا البرنامج يتميز عن غيره من برامج فصائل اليسار الفلسطيني بالثورية والجرأة مما جنبه السقوط في الانحراف اليساري وجعله ، بحق ، مؤهلا ليصبح الاستراتيجية السياسية للثورة الفلسطينية في فترة الاحتلال الاسرائيلي .

ثروت كاتبة

في وطننا العربي ، وتدعيم الارتباط بين العمل العسكري والعمل السياسي . مع بناء وتطوير قوانا العسكرية والسياسية والمليشيا والعصابات ، والموازنة بشكل سليم بين الحكم والكيف ، كل ذلك بهدف الوصول بالنضال الى مستوى الحرب الشعبية المتسمة بالتنسيق الوثيق بين الجيش والشعب ، وبين المدينة والريف حربا شعبية تتواءم مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لفلسطين .

وفي المجال العربي يرى البرنامج انه « مادام انتصارنا مرتبط بحدوث تغيير جذري في الاقطار العربية فاننا مع كل خطوة تقدمية تتم في أي بلد عربي ، ومع أية خطوة وحدوية عربية ديمقراطية تتصدى للمهام الوطنية والقومية والاجتماعية التي تواجه الامة العربية . هذا مع العمل بدأب من اجل التلاحم مع كافة القوى التقدمية العربية ، لتحريك الطاقات العربية واشراكها في المعركة » .

وينتهي البرنامج الى ما يجب اتخاذه في المجال الخارجي ، في « تعزيز التحالف مع اليسار العالمي وشل ذبذبة الوسط والعمل على كسبه » مع عزل اليمين ، ومساندة « جهود كافة الشعوب والحكومات التي تسعى الى صيانة السلم » . و « تطوير علاقات الصداقة بين جميع البلدان » . ويمنح الحزب تأييده لكل « النضالات المعادية للاستعمار والاستغلال في العالم » وينادي بضرورة مضاعفة الجهود الرامية الى اعادة الوحدة للمعسكر الاشتراكي عن طريق اجراء حوار رفاقي بين الاحزاب الشيوعية المختلفة

دراسات اشتراكية

تلقت الطليعة صدور العدد الاول من مجلة « دراسات اشتراكية » - في أول يناير - بترحاب عميق .

فهي أولا : اضافة تقديمية الى مجال الفكر التقدمي في مصر .

وهي ثانيا : دلالة على الانفتاح الديمقراطية التي أقدم عليها الفكر السياسي المصري سعيا منه - وبمثابرة ودأب - الى مواكبة روح العصر وآفاقه : الفكر الاشتراكي التقدمي .

وهي ثالثا : اضافة جادة من كتاب مصريين - شرفاء وجادين - الى تراث الفكر الثوري المصري .

أن صدور « دراسات اشتراكية » ، التي يتعاون على اصدارها مجلة السلم والاشتراكية [براغ] ودار الهلال [مصر] ويرأس تحريرها ابراهيم عبد الحليم . اجديرة بترحيب كل وطني وثوري من أبناء شعب مصر العربية الذي يتوق دائما الى التعرف على كل ما هو تقدمي وشريف في الفكر الانساني .

البترول والخبرة الفنية ودورها في تنمية الاقتصاد العربى

تقرير خاص

الدلتا للانابيب ، والخبير السعودى عبد الله
الطريقى .

كما حضر جلسات الندوة الدكتور صلاح هدايت
مستشار رئيس الجمهورية للبحث العلمى ، وسفير
الجمهورية الجزائرية ، واديب الجادر وزير النفط
العراقى السابق ، وعبد اللطيف الشواف وزير
الاقتصاد العراقى السابق ، واکرام دبرى الوزير
السورى السابق .

وفى افتتاح اعمال الندوة اكد الدكتور عبد
المحسن حموده : « ان اهمية وضخامة مواردنا
البترولية ، تقرر ليس مستقبل بلدنا فحسب ، وانما
مستقبل المنطقة العربية ككل من الناحيتين
الاقتصادية والصناعية . وهذا هو ما دفع جمعية
مهندسى البترول والمناجم والفلات الى بحث
ومناقشة موضوع الثروة البترولية ودورها » .

والواقع ان دور البترول واهميته لم يتم بحثهما
بالعمق الكافى على النطاق العربى ، بالقدر الذى
يتم به فى البلاد الاوربية غير المنتجة للبترول .
ومع ذلك فقد كان انشاء منصب وزير دولة
للبترول ، وكذلك انشاء جمعية مهندسى البترول
والذى تواكب معه فى الوقت نفسه ، بداية اهتمام
حقيقى بمشاكل البترول والتعمق فى بحث مجالات
وامكانيات استخدامه فى مجال تحقيق التقدم
الاقتصادى للعرب وحماية استقلالهم الوطنى .

وقد شارك فى اعمال الندوة المهندس على والى
وزير البترول واسهم كثيرا فى التعليق على كل ما
اثير من مناقشات . وفى بداية اعمال الندوة
اكد : « ان المخاطر التى تحيط بالوطن تفرض على
الفنيين ان يكرسوا جهودهم للنضال الوطنى بشقيه
القتالى على الحدود والانمائى فى الداخل .
وبترول هو اكثر العوامل اهمية فى الاقتصاد
العربى ، كمطلق لتحقيق التطور والتعاون
والاستثمار ، بنقل منطقتنا الى مرحلة تنمية متكافئة
مع ضخامة هذا المورد الضخم والهام » .
وطرح وزير البترول سؤالا حول الطريقة التى

عقدت جمعية مهندسى البترول والمنساجم
والفلات فى ديسمبر الماضى ، ندوة عن دور
البترول والخبرة الفنية فى تنمية اقتصاديات الدول
العربية . وتضمن جدول الاعمال البنود التالية :

- دور البترول كمصدر اساسى للتنمية
الاقتصادية .
- الصناعات البترولية المباشرة .
- الصناعات التى تستخدم البترول كمورد
للطاقة ومادة خام .
- الخبرة الفنية والايجابيات والسلبيات التى
عاقبت استخدامها بين الدول العربية .
- دور البترول كمحرك سياسى واداة للضغط .
- التوصيات والقرارات .

واشترك فى اعمال الندوة خبراء البترول
والاقتصاد ورجال السياسة والصحافة . فقد
اشترك فيها الدكتور عبد الفتاح نجيب مستشار
وزارة الصناعة الجزائرية ، والدكتور مصطفى
شعبان مستشار وزارة الصناعة فى مصر ،
والدكتور حلمى مراد رئيس اتحاد الاقتصاديين
العرب ، والمهندس مصطفى موسى مستشار شهكة
سوناتراك الجزائرية ، والدكتور عبد الرزاق حسن
عضو مجلس ادارة بنك مصر ، والاستاذ لطفى
الخولى رئيس تحرير الطليعة ، والمرحوم الدكتور
عزت سلامة مدير المنظمة العربية للتنمية
الصناعية ، والدكتور عبد المحسن حموده
المستشار بمؤسسة البترول ، والمهندس تونى
شوقى عضو مجلس ادارة شركة بترول خليج
السويس ، والدكتور مصطفى العيوطى نائب مدير
عام مؤسسة البترول ، والدكتور محمد على صالح
استاذ الكيمياء الصناعية بهندسة القاهرة ،
والدكتور محمود امين رئيس مجلس ادارة شركة
ويبكو ، ومحمد الامين عرايى مدير ادارة البترول
بالهيئة ، والدكتور يوسف اسماعيل مفوض
مشروع الامونيوم والدكتور سمير طاهر رئيس

الدول العربية • وأكد انه ان لم تهتم الدول العربية بتنمية الخبرات الفنية اللازمة ، فانها لن تحقق تقدما اقتصاديا حقيقيا • واقترح انشاء اقسام متخصصة في الجامعات لخدمة انتاج البترول •

وأكد لطفي الخولي ان الخبرة المصرية قد اثبتت فاعليتها وجدواها عند تصديرها الى البلاد العربية • وقال اننا لم نستطع حتى الان لاسباب كثيرة منها تباين النظم الاجتماعية والسياسية في المنطقة ، ان نستخدم البترول كأداة للعمل السياسي ، رغم كل ما رفعناه من شعارات في هذا الصدد • وتسائل عن السبب في انه رغم توافر البترول بكميات هائلة وتوافر الخبرة الفنية العربية ، لم تتم تنمية علمية مخططة لهذه الصناعة الهامة والحيوية ، وطالب بتكوين كتلة بترولية عربية واحدة • وركز طويلا على اهمية دور الفنيين وضرورة الوصول الى الصيغة التي تكفل تفاعل الفني مع الإدارة في الوصول الى أفضل القرارات ، وتتيح التوفيق بين اهمية توفير مناخ صحي يردهر فيه الفني ويتقدم ، وجسامة التضحيات المطلوبة من كل العاملين • ونادى بدعم الرجل الفني حتى يستطيع مواجهته كل السلبات بشجاعة •

والغريب انه في بداية الندوة عدد الدكتور عبد المحسن حمودة المتاعب التي يعاني منها الباحثون في مجال البترول بسبب ندرة البيانات أو حجب الهيئات المسؤولة لها • ولكنه في نهاية الندوة عاد فقال بتوافرها ، والسبب في ذلك أن الهيئات العاملة في مجال البترول قدمت مع سير اعمال الندوة كثيرا من البيانات ووعدت بالمزيد •

وركز المهندس مصطفى موسى على أن الثروة الأساسية هي الانسان ، والحل على ضرورة البحث العلمي وقال أن امريكا تصرف على البحث العلمي ٢ مليار دولار سنويا • واعلن أن عمل الخبراء المصريين في البلاد العربية لا يدخل تحت باب تأجير الخبرة ، بل انه اداء لدور تفترضه الاخوة ولمصلحة المنطقة كلها • وطالب مصطفى موسى بالتكامل الاقتصادي لتلبية الاحتياجات العربية ، فالقمح الذي تستهلكه المنطقة يمكن توفيره من زراعة المساحات المهملة في العراق وسوريا والسودان • وأكد الدكتور طاهر الحديدي أن القفاهم العربي يجب أن يتم في مستويات ثلاث هي مستوى الدولة والمؤسسات والافراد • وقال ان استغلال كافة طاقات البترول يفيد المجالات الاقتصادية الاخرى ، فالاستزراع مثلا يعتمد في

يمكن بها تحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال الفنيين اللازمين لاستثمار البترول العربي ، وكذلك توفير الاموال اللازمة لاستغلاله ذاتيا • واعلن الوزير ان طريق الاستثمارات الاجنبية يحفزها احتياج الدول المتقدمة للطاقة ، وعدم وجود رؤوس الاموال المنتجة لدى دول البترول • ولكن يعوقه خوف الدول الغنية من الثورات الوطنية ، وتوردها في استثمار رؤوس أموالها • أما استغلال البترول بالاستثمارات الداخلية ، فيقف دونه سوء توزيع الدخل بين سكان الوطن العربي ، وتدفق الدخل الكبيرة الى الغرب ، وكذلك ضعف القدرة الاستيعابية للسوق العربي ، ونقص الكوادر • أما الاستثمار الاشتراكي فقد أكد المهندس على والى انه « يخفف من مظاهر الاستغلال المباشر الناشئ عن ضعف الجهاز الانتاجي في البلاد العربية ، كما انه يساعد في بناء قاعدة صناعية ثقيلة » • وللتغلب على نقص الاستثمارات اللازمة لاستغلال البترول دعا وزير البترول الى التنسيق المالي والاقتصادي وتحقيق التكامل الانتاجي بين البلاد العربية ، وأورد احصائية نشرها صندوق النقد الدولي عام ١٩٧٠ عن الاموال العربية المستثمرة في الخارج • وهذه الاحصائية تبين ان هذه الاموال كافية تماما للتغلب على مشكلة ندرة رؤوس الاموال المنتجة في البلاد العربية ، وهي على النحو التالي :

٧٥٠ مليون دولار ودائع مصرفية ومستندات وعقارات وذهب للافراد في سويسرا •

١٤٢٠ مليون دولار ودائع فردية في امريكا وبريطانيا •

٣٥٠ مليون دولار استثمارات عربية خاصة أخرى •

٧٠٠ مليون دولار لدى الشركات الخاصة •

١٥٠٠ مليون دولار لدى المصارف العربية •

٤٣٠٠ مليون دولار لدى الحكومات والمصارف المركزية •

٩٠٠٠ مليون دولار قيمة الاجمالي •

وفي الندوة تحدث المهندس مصطفى شعيبان عن دور الاسمدة والبتروكيماويات من الناحيتين المباشرة وغير المباشرة • وقال ان هناك عدة وسائل يمكن عن طريقها زيادة عائد البترول ، منها الاستفادة عن طريق تصنيع الخام قبل تسويقه ، ثم عن طريق تصنيع الكيماوى لبعض المنتجات • وطالب بالتركيز على الغازات الطبيعية ، واستغلال مجال انتاج الاسمدة وهو مجال رحب وواسع أمام

— تقارير الشهر —

٢ - توجيه البحوث العلمية نحو المشكلات التطبيقية التي تخدم صناعة البترول .

٣ - الربط بين معهد بحوث البترول التابع لأكاديمية العلوم والتكنولوجيا ، وبين وزارة البترول وبين الكليات والمعاهد الفنية المعنية بهندسة البترول .

٤ - اصدار نشرة علمية تضمن آخر البحوث المحلية والاجنبية في البترول .

٥ - تشجيع الباحثين وتمكينهم من حضور المؤتمرات الدولية .

٦ - تيسير استيراد الكتب والدوريات العلمية في شتى الموضوعات البترولية .

■ في مجال اعداد الاطارات الفنية :

١ - يقوم قطاع البترول بتحديد احتياجاته من مهندسي البترول والفنيين العاملين في مجاله وفقا لحطة موصوعة لرحلة قادمة .

٢ - اعادة النظر في وضع اقسام هندسة البترول والتعدين بالجامعات والمعهد العالي للبترول بما يكفل دعمها بالامكانيات اللازمة لحسن اعداد الخريجين ، ويقترح في هذا الشأن انشاء معهد متكامل يتولى تدريس كافة جوانب صناعة البترول : الجيولوجية والالية والاقتصادية ، والتكرير والتصنيع والبتروكيماويات على غرار معهد باكو للبترول بالاتحاد السوفيتي .

٣ - الحرص على الحفاظ على الثروة البشرية الفنية بتوفير المناخ الملائم لانطلاقها لخدمة التنمية .

٤ - ضرورة مشاركة الجهات القائمة على صناعة البترول في تخطيط برامج التعليم في الكليات والمعاهد التي تعد المهندسين والفنيين في البترول .

٥ - عقد ندوة لدراسة مشكلات التعليم الفني بكافة مستوياته في مصر العربية ، واسباب تزايد هجرة الكفايات الفنية وعلاجها .

٦ - اعتبار تدريب الكوادر الفنية من العاملين في البترول ، وطلبة اقسام هندسة البترول بالجامعات والمعاهد ، من مسئولية شركات البترول .

٧ - محو الامية لاعداد العمال المؤهلين للعمل في مجال البترول وغيره .

نجاحه على البترول ومنتجاته . وطالب وفيق عبد الرحمن بانشاء بنك عربي للانشاء والتعمير ومنظمة عربية للبترول . واكد الدكتور عبد الفتاح نجيب ، ان كل العرب حتى التجار منهم مؤمنون فعلا بضرورة الوحدة الصناعية بين البلاد العربية واهمية التعاون العربي ، على الرغم من تباين اتجاهات حكوماتهم .

واعلن المرحوم الدكتور عزت سلامة - الذي توفي بعد الندوة - ان الموقع الجغرافي المتميز للعرب ، وموقعهم البترولي الممتاز لن يؤتي ثماره الا بالتجمع . وفي هذا الصدد قال الدكتور حلمي مراد ان التجمع العربي لابد وان يقوم على اساس المصالح لا العواطف . وتسائل عن السبب في ان علاقاتنا ومصالحنا العربية تتأثر كثيرا بخلافاتنا السياسية ، في حين ان علاقاتنا الخارجية تظل رغم الخلافات السياسية . وحذر من سعي شركات البترول الاجنبية للايقاع بين الدول العربية واثارة التنافس بينها . واكد اهمية التفاهم والتعاون العربي في مجال استخراج البترول .

والواقع ان القرارات التي توصلت اليها الندوة ، تصلح اطارا سليما وفعالا لسياسة بترولية يمكن ان تسهم حقا في تحقيق تقدم العرب ورفعتهم ، وقد نصت هذه التوصيات على مايلي :

■ في مجال صناعة البترول :

١ - توجيه العناية نحو تصنيع خامات البترول ، والاستفادة من الغازات بدلا من حرقها .

٢ - النظر الى البترول باعتباره مصدرا للنشاط الاقتصادي في الاقطار العربية المنتجة له وليس مجرد مصدر للتمويل .

٣ - المبادرة باقامة الصناعات البتروكيماوية .

٤ - وضع الرجل المناسب في المكان المناسب في صناعة البترول .

٥ - الاستماع الى رأى المستخصصين وطرح المشروعات الهندسية للمناقشة في نقابة المهندسين والجمعيات الهندسية وكليات الهندسة ، ومناقشة الجوانب الاخرى غير الهندسية خاصة الصناعية .

■ في مجال البحث العلمي :

١ - تخصيص نسبة من ارباح شركات البترول للبحث العلمي .

■ في مجال التعاون البترولي العربي :

١ - استخدام رأس المال العربي في إقامة المشروعات البترولية العربية بدلا من الاقتراض الاجنبي على ان يكفل له عائد لا يقل عما تقدمه له المصارف الاجنبية وتأمينه من المخاطر غير الاقتصادية .

٢ - التنسيق العربي في مجال تسويق البترول ومنتجاته .

٣ - اقامة مركز لبحوث البترول على مستوى

الدول العربية ، يدعم بنسبة من عوائد البترول العربي .

٤ - ابعاد تأثير الاعتبارات السياسية عن ميدان التعاون الفني والاقتصادي بين البلاد العربية .
٥ - التوصية بتكوين لجنة تحضيرية مؤقتة تقوم بالعمل على استمرار الحوار وتوسيعه .
وقد شكلت هذه اللجنة بالفعل ، وبدأت اجتماعها . كما قررت جمعية مهندسي البترول عقد ندوة أخرى في اوائل الشهر القادم لبحث مشاكل الطاقة عموما .

أحمد حجي .. وداعا



فقدت « الطليعة » في اول العام الجديد ، واحدا من زملائها المناضلين الشباب ، هو الدكتور أحمد حجي . وقد اقترن اسم أحمد حجي بالتجربة الثورية التي عرفتها قرية « مسندوب » ، المتاخمة لمدينة المنصورة .. وهي تجربة العمل السياسي وسط الفلاحين ، عن طريق محو الامية .. فقد رأى أحمد حجي في وقت مبكر أن امية الملايين من الفلاحين المصريين تشكل عقبة ضخمة أمام وعيهم بدورهم الثوري .. كذلك رأى أن هناك أسبابا اجتماعية وطبقية لتنشأة هذه الظاهرة وتطورها الخطير . ومن ثم فقد وضع في اعتباره منذ البداية أن العمل السياسي بين الفلاحين ، لابد وأن يبدأ بمحو جاد للامية ، اذا أريد لهذا العمل أن يكون ثوريا .

وقد كان من الطبيعي أن تصطدم تجربة أحمد حجي بكثير من الصعاب التي تمتد جذورها الى أعماق التكوين البيروقراطي للقرية في مختلف الاجهزة الادارية المهيمنة على مصائر الفلاحين . ولكنه ، بنضاله الدؤوب ، وإيمانه الذي لا يكل ، افتتح بسندوب مدرسة لتعليم الرجال ، ضمت ١٥٠ دارسا ، ومدرسة أخرى للنساء ، ضمت ٣٠٠ دارسة ، ومدرسة ثالثة للعمال ، ضمت ٧٥ دارسا .. وبعد فترة من مواصلة التعليم ، أصدر أحمد حجي مجلة حائط طولها ٢٠ مترا ، وعرضها ٣ أمتار ، وقد ظلت توالى الصدور من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٩ ، حين أمر سكرتير عام محافظة الدقهلية السابق بوقف هذا النشاط بالقوة .

وكان الدكتور أحمد حجي ، الذي ولد عام ١٩٤١ ، وتخرج في كلية الطب البيطري عام ١٩٦٧ ، قد جند بالجيش عام ١٩٦٨ ، ولكن دوره العسكري كجندي خدمات طبية ، لم يشغله عن متابعة القضية التي نذر لها عمره ، فلم يكف عن

دراساتها وتعبئة الشباب من أجلها في كتاباته المستمرة عن القرية ومحو الامية في معظم منابر الصحافة المصرية ، وفي مقدمتها « الطليعة » .

ولقد كان « محو الامية » مجرد مدخل — عند أحمد حجي — للعمل الثوري ، ولكنه في نفس الوقت اهتم اهتماما كبيرا بالادب والفن الذي يغذى وجدان الملايين من أبناء الشعب بروح الثورة . وقد ترك أحمد حجي قبل وفاته أربعة مخطوطات ، ندعو الى سرعة نشرها ، هي : « كلمات حول الادب والفن » ، و « دراسات حول محو الامية ومجلة الحائط » ، و « أدب الحرب » ، و « مذكرات جندي » .. ولكنه ترك قبل وبعد ذلك كله ، المثال الفريد الذي ضربه في حياته حتى الموت

« الطليعة »

مكتبة
الطليعة

■ النقابات والصراع الطبقي
■ نظريات الرأسمالية الموجهة

النقابات والصراع الطبقي

لكتاب هنري كراسوكي أهمية خاصة في توضيح كثير من المفاهيم الأساسية التي يحاول « الثوريون جدا » طمسها والمزايدة عليها ، بما يؤدي في نهاية الامر الى اشاعة البلبلة ، وحرمان الطبقة العاملة من وضوح الرؤيا ومن تنظيماتها القوية والقادرة فعلا على اجراء تغيير حقيقي في المجتمع وقطع الطريق على تلك التغيرات الشكلية التي تؤدي في التحليل الاخير الى تخليد الاوضاع القائمة .

وفي المقدمة التي كتبها جورج سيجوي « السكرتير العام للاتحاد العام للعمال الفرنسي » يوضح ان البرجوازية كانت تعتمد من قبل على العنف أساسا لسحق النضال العمالي ، ولكنها الان لم تعد قادرة على اللجوء الى مثل تلك الوسائل ، وبالطبع لايعنى هذا ان الطبقة العاملة وتنظيماتها قد أصبحت بمنجاة من التعرض .

« لاختبارات مأساوية تؤدي الى دكتاتوريات فاشية وعسكرية » .

ومع ذلك فانه في ظروف الصراع الطبقي ، تكسب « معركة الافكار » أهمية متزايدة في وقتنا الراهن . ذلك ان القابضين على السلطة ، في دفاعهم عن ايدولوجيتهم القائلة بتعاون الطبقات ، يهتمون كثيرا بوسائل الاعلام الحديثة ، خاصة

■ تأليف :

هنري كراسوكي

■ عرض :

كمال السيد

■ الناشر :

المنشورات الاجتماعية

باريس ١٩٦٩

المسموعة والمرئية مثلما يهتمون بوسائل القمع التقليدية : البوليس والجيش ، الخ ..

ويؤكد سيجوى أن البرجوازية خوفا من التفاف الجماهير المقهورة حول افكار الصراع الطبقي والاسهام فيه ، تحاول استخدام من يسمون باليساريين ، حيث انها لا تستطيع استخدام اليمين اiban المد الثورى ، فتجند الفوضويين والتروتسكيين ومن على شاكلتهم ، كعملاء استفزازيين ومخربين لصفوف العمال . ويكفل هذا لها مكسبا مزدوجا ، اذ يؤدي الى اشباع البلبله بين العمال ، وتقسيم صفوفهم ، وجرحهم الى الاستفزازات وعزلهم عن الفئات الاخرى من السكان العاملين . وهكذا رفعت شعارات مثل : السلطة العمالية ، والادارة المشتركة ، والذاتية ، والمشاركة ، وتسم تصوير المطالب الاقتصادية العمالية بأنها « ردائل جبانة » لمجتمع الاستهلاك . واستخرجوا من أرشيف النقابية الفوضوية ، افكارا كانت قد اديننت فى حينها ، تقول بأن النقابات يمكن أن تنهض بكل المهام ، السياسية والاقتصادية ، وأن الاقلية المتحركة يمكن أن تحل محل الاجهزة النقابية المتحجرة .

ولكل هذا يصبح توضيح المفاهيم السلبية مهمة أساسية لانتصار الطبقة العاملة . وفى هذا الصدد تعبير المقالات التى كان قد نشرها هنرى كراسوىكى فى « الحياة العمالية » و « الوضوح الجديد » ، نموذجا للأسلوب الذى يمكن به تناول الموضوعات الأساسية بأسلوب سهل ، ومفهوم للجماهير التى تفكر فى هذه الموضوعات وتتساءل حولها وتسعى لفهمها . ورغم أن الموضوعات التى تناولها الكاتب ذات أهمية خاصة ، فإن الحجج التى ساقها وطريقة الشرح ، هى فى متناول الجميع وخاصة العمال والطلاب . ويؤكد سيجوى أن هذا الكتيب . يرد على عديد من الاسئلة التى تشغل بال العمال فى الفترة الراهنة ، ومن هنا تتأكد أهميته ، حيث إن مستقبل الحركة النقابية يتوقف على تطور الوعى الطبقي للعمال الذى يؤدي الى القضاء على العقبات التى مازالت تعوق توحيدهم .

وفى القسم الاول من كتابه وعنوانه « الكلمات والاشياء » يؤكد كراسوىكى أن الازمة قد دفعت كثيرا من العمال وغيرهم من الفئات الاجتماعية ، الى أن يفكروا فيما يتجاوز

المطالب الاقتصادية الفئوية ؟ وأن يبحثوا عن حلول أطول أجلا لمشاكل مجتمع رأوه مريضا ليس له شفاء .

وازاء هذا روجت البرجوازية وعمالها لشعارات مثل « السلطة النقابية » ، بل وصف البعض ديجول بأنه ثورى على طريقته الخاصة . وعلى أية حال فإن كل هذا يبين ان المجتمع الرأسمالى ، قد أصبح وجوده ذاته محل بحث ونقاش عام ، باعتباره مسئولا عن كافة المظالم والصعوبات والخوف من الغد .

ولكن كما يقول كراسوىكى : لا يكفى أن يزعم احد الناس انه يغير المجتمع ليصبح هذا حقيقيا ، ولا يكفى أن يقول انسان عن نفسه انه ثورى ليصبح كذلك . فالامر الجديد والاكثر أهمية والذى يتعين ابرازه ليس هو البلبله التى يحاولون اثارها ، وليس افتقاد الرؤيا الواضحة لدى كثيرين ممن بدأوا يكتشفون الواقع الاجتماعى كما هو . وانما الامر الاكثر أهمية هو انه ليست الاقلية المتقدمة وحدها هى التى تهتم بهذه المسائل ، ولكن جماهير عريضة تبحث وتنقب عن طريقها .

واذا كانت قضية تغيير المجتمع ، قضية يطرحها الجميع فالسؤال هو : تفسيره الى أى شيء ، وكيف ، وعن ؟ وفى فصل من « الصراع الطبقي » يؤكد الكاتب الحاجة الى وضوح المفاهيم الاولى والتعريفات ، فقد كثر الحديث عن المجتمع الصناعى ، وعن مجتمع الاستهلاك ، والاسم الحقيقى لهذين هو : المجتمع الرأسمالى « فمن الجنون ألا تسمى القطة باسمها » . والنقد الموجه اليه من « الثوريين جدا » يقتصر على انه يقرط فى الاعلان ، والتأثير فى الروح وانه حضارة ميكانيكية . وكل هذا حسن ولكن يجب أن نضيف انه يشمل أيضا : البطالة ، الغبن الاجتماعى ، الحرب ، الخ ، فالامر الذى يحدد نظاما اقتصاديا واجتماعيا ما ، هو ملكية وسائل الانتاج والتبادل ، ومن ثم طبيعة العلاقات الانتاجية القائمة فيه . فالذى يميز الرأسمالى ، ليس انه طيب أو شرير ، مؤدب أو وقح ، بل « وظيفته » فى النظام . اذ لا يمكنك أن تكون رأسماليا دون استغلال للعمال أو أن تستغلهم بقدر ، بل بأقصى ما تستطيع .

كذلك يروج البعض لافكار تثير البلبله حول الطبقة العاملة . فالبعض يقول انها لم تعد

موضوع الصراع والنضال لا المكائات الانسانية
أو ما يسمونه حوافز .

وعن الاشتراك في الادارة يقول الكاتب أنها
تعنى « الادارة مع .. » مع من ؟ ذلك هو
السؤال : بالطبع مع الرأسماليين . وفي فرنسا
يتحدثون كثيرا عن « سلطة أرباب الاعمال »
ووجوب تأكيدها ، بحجة ضمان وحدة
القيادة (السلطة لا تنقسم) وبحجة ضمان
مبادرة المشروع . ان « الادارة مع أو الادارة
المشتركة » لا تكون بين العمل والرأسماليين ، بل
بين هؤلاء الاخيرين وبعضهم البعض ، ليتمكنوا
من السيطرة على الاقتصاد كله . وليس هناك
مجال للاشتراك في الادارة الا بعد القضاء على
الملكية الخاصة ، مصدر الانفراد : بالارباح
وبالادارة وباتخاذ القرارات ، الخ .

كذلك يكثر الحديث عن « الادارة الذاتية » .
ففي مايو - يونيو ١٩٦٨ ، قامت حملة ضد
الاتحاد العام للعمال تلومه على الاهتمام
بالمطالب « الغذائية » و « الكمية » ، أي ما
نسميه تحسين مستوى معيشة العامل . واشتد
النقد لذلك التنظيم الذي يهتم بهذه التفاهات .

وإذا كانت الادارة المشتركة تعنى الادارة مع
الرأسماليين ، فان الادارة الذاتية تعنى الادارة
بدون هؤلاء الرأسماليين ، ولكن كيف يتسنى هذا
والشاريع ووسائل الانتاج جميعا مملوكة لهم
بأكملها ، فضلا عن سيطرتهم على جهاز الدولة
والحكم ؟ هل بأن نرجوهم أن يدعونا نفعل ذلك ؟

ان انصار الادارة الذاتية صم بكم لا يسمعون
هذا السؤال . ان المشكلة الحقيقية هي تغيير
النظام كله ، لترقيمه بحلول غير واقعية . ان
الامر لا يتعلق بطرح أسلوب الادارة ، بل بمسألة
ملكية وسائل الانتاج الرئيسية وسلطات
الدولة ، « ان المجتمع منذ أن يكف عن أن يكون
خاضعا لقلّة من السادة تسيطر عليه ، يتحول
تدريجيا الى مجتمع يدير نفسه ، ويدبر شئونه
بنفسه : بطريقة جماعية ، أي مجتمع يدير
نفسه ذاتيا » وحتى في مجتمع اشتراكي متطور ،
قد لا تكون هناك ادارة ذاتية حقيقية
للمشروعات ، بمعنى ادارتها بطريقة مستقلة
تماما بواسطة الذين يعملون بها ، لان الاقتصاد
الحديث لن يترد الى التجزئة . ومن ثم فعلى
نطاق المجموع يمكن الحديث ذات يوم عن الادارة
الذاتية للمجتمع .

وبوضح الكاتب أن هناك عبارات يعتبر
تبريدها من قبيل « الموضة » ، مثل كلمة

قائمة ؟ ويقول آخرون انها « تبرجّزت » وذلك
لأنها « انتقلت من استخدام مصباح البترول الى
استخدام المصباح الكهربائي » . ولكن الذي يميز
الطبقة العاملة هو دورها ووضعها في الانتاج ،
انها طبقة محرومة من ملكية وسائل الانتاج
ومضطرة الى أن تباع قوة عملها لكي تعيش ،
وثمرتها لا ترجع لها ، أو للمجتمع . بل ترجع
لأقلية من المستغلين .

وبوضح كراسوكي أن الصراع الطبقي ليس
اختراعا أو اختيارا ، بل انه واقع قائم ، انه
أسلوب حياة حتى في مجتمع مقسم الى طبقات
ومصالح متعارضة .

ومع تسليم الجميع بضرورة التغيير ، يقدم
البعض فكرة « المشاركة » ، خاصة أولئك الذين
في السلطة . ويمكن تلخيص مقولة دييجول
وخلفائه في هذا الصدد كالآتي : الرأسمالية
ليست طيبة (وهذا اعتراف حديث)
والاشتراكية ليست احسن حالا منها . (وليس في
هذا ما يدعو للاندهاش) ومن ثم يتعين البحث
عن طريق ثالث ، وهو « المشاركة » . ولكن
الرأسمالية والاشتراكية نظامين اجتماعيين
واقتصاديين يقوم أولهما على الملكية الخاصة ،
والثاني على الملكية الجماعية ، فما الذي تقوم
عليه « المشاركة » ؟ اننا جميعا نعرف أنه
المستوى القومي ، تتحدد أمور الاقتصاد بواسطة
مثل الشركات الرأسمالية وممثل السلطة ممن
يعملون لحسابهم . ولا يختلف الامر كثيرا على
نطاق المشروع . فالمشاركة على نطاق المشروع
حسب تصريحات دييجول ، هي نظام للحوافز التي
تحدد لائحة ، واستطلاع رأي العاملين ، وحق
تقديم الاقتراحات « وهذا الاختراع الجميل
موجود منذ مدة طويلة في أمريكا ، لقد اصموا به
آذاننا منذ ما يزيد عن عشرين عاما . أنهم
يبدعونه « الرأسمالية الشعبية »
أو « الديمقراطية » والعلاقات الانسانية
فماذا كانت النتيجة ؟ هل أصبح الرأسماليون
الأمريكيون أقل رأسمالية ؟ وأقل سيطرة ؟ هل
أصبح العمال مالا ومديرين
للمشروعات ؟ « كذلك ليس هناك ما يسمى باستطلاع
الرأي ، فالعمال في هذا لن يكونوا احسن حالا
من المساهمين ، وايضا فان حق تقديم الاقتراحات
مجرد لغو وكلام ، ما دام الرأسماليون هم
السيطرون وهم الذين يقررون . أما الحوافز
فهى ان وجدت تكون تافهة وضئيلة
ومعقدة . وفيما يتعلق بمكافأة العاملين ، فان
الشيء الاساسى هو الاجر نفسه ، ذلك هو

السلطة . والسلطة هي أو لا سلطة الدولة ؟
 أى إدارة الجهاز السياسى ، والإدارى ،
 والقمى والايديولوجى ، والاقتصادى والمالى .
 وسلطة الدولة هي الوسيلة الحاسمة فى إقامة
 نظام اجتماعى محدد والحفاظ عليه . ولقد أضفت
 البورجوازية على الدولة درجة من الكمال
 والفاعلية لم يكن لها مثيل من قبل ، وذلك
 بهدفين : سحق الاغلبية ، ومواجهة مقتضيات
 التدخل الاقتصادى . واعتراض بعض
 الرأسماليين على أفعال للدولة ، ليس موجها الى
 الجهاز ذاته ، وإنما الى توضيحها بمصالحهم
 لحساب رأسماليين آخرين . وأنفراد
 الرأسماليين بالسلطة السياسية ، يؤدي الى
 تجميع قوى معارضة كبيرة تبدأ فى الوعى
 بمصالحها المشتركة فى التصدى لهذه السلطة .
 وليس هناك أى مجال للحديث عن تغيير المجتمع
 دون تغيير السلطة فيه .

أما الاشتراكية فقد أصبحت « مطلباً »
 للجميع . لقد أصبحت هي الفكرية الشعبية
 السائدة ، واكتسبت انتشاراً واسعاً . ولكن هذا
 ليس سبباً لاعتبار « أن كل ما له رنين نقوداً » .

ويذكر الكاتب أنه فى صباح أيام الجبهة
 الشعبية كان يشاهد لافتات مثل « محل أنتل ضد
 غلاء المعيشة » يبيع بنفس الأسعار
 طبعاً . « فى النضال الاجتماعى هناك دائماً
 تجار التضليل والبلبل ، على استعداد لتبنى أى
 شعار « ليكونوا فى الصورة » ولكن على العمال
 فحسب هؤلاء »

ان الاشتراكية الحقيقية مرحلة ضرورية فى
 مسيرة المجتمع ، لابد وأن تخلف الرأسمالية
 والشرط الأساسى لقيام الاشتراكية هو الملكية
 الجماعية لوسائل الإنتاج والتبادل وتولى الطبقة
 العاملة لسلطة الدولة فى تحالف مع غيرها من
 الفئات الاجتماعية التى لها مصلحة فى
 الاشتراكية ، وبدون هذا لن تقوم لها قائمة ، ومن
 المفهوم طبعاً أن طرق واساليب بنائها لابد وأن
 يتفق تماماً مع الظروف السائدة فى البلد الذى
 يأخذ بها ومع تقاليده . ويقول الكاتب أنه رغم
 الإيمان بالاشتراكية فإن اتحاد العمال
 هو « تنظيم نقابى جماهيرى ، لا يشترط اعتناق
 الاشتراكية للانضمام اليه . وأن كنا ندرك جيداً
 أن الحركة النقابية الفرنسية ، بأصالتها وطابعها
 المستقل ستساهم حتماً فى بناء ذلك المجتمع »

أما فكرة « السلطة العمالية » فلها عنده
 معنيان : فهي تعنى عند البعض السلطة
 العمالية فى المشروع الى جانب السلطة الطلابية
 فى الجامعة ، الخ . وعند البعض الآخر لها

معنى أكثر عمومية . وهو أن تكون سلطة الدولة
 عمالية ، وعمالية فقط ، وهذا هو ما يركز عليه
 فيقول ان الاشتراكية وان كانت سلطة الطبقة
 العاملة ، لكنها ليست سلطتها وحدها .
 والقول بهذا يؤدي الى تجاهل واقع المجتمع
 المعاصر وشروط وضرورات الاستيلاء على
 تلك السلطة . أن المجتمع يضم فئات أخرى
 عاملة ، غير العمال ، فعدد الاجراء يتزايد دوماً ،
 انهم يمثلون ثلاثة ارباع العاملين فى البلاد فقد
 تزايد عدد الذين يخشون الرأسمالية والذين
 يضطرون استعدادهم للعمل ضدها ، من المهنيين
 والموظفين والمتقنين وكذلك صغار الفلاحين
 ومتوسطيهم . والطبقة العاملة هي القوة
 الرئيسية فى عملية التغيير التقدمى للمجتمع ،
 وفى تحويله الاشتراكى ، ولكنها ليست القوة
 الوحيدة التى تهتم بهذا . فالطبقة العاملة فى
 مواجهتها للاحتكارات ودولتها لن تستطيع
 وحدها ، وهي معزولة عن بقية السكان
 العاملين ، أن تصل الى هدفها . لقد تحدث
 ماركس عن ضرورة التحالف للطبقة العاملة
 مع « كورس دونه يصبح عزفها المنفرد اغنية
 جنائزية » كما تمكن هتلر بالاعتماد على الطبقة
 المتوسطة ، فى مواجهة طبقة عاملة مقسمة من
 ان يقيم نظامه الفاشى . أن الهدف ليس إقامة
 سلطة عمالية منفردة بل سلطة مشتركة
 ديمقراطية شعبية قائمة على أساس الوحدة
 الضرورية لا الاستيلاء على السلطة بحسب بل
 للبناء المشترك .

وعندما يتحدث ديجول ومن بعده بومبيدو عن
 ضرورة تغيير المجتمع ، يقدمون حلولاً على
 حساب الطبقة العاملة ، طالما بقي الاقتصاد
 خاضعاً لقلة من الرأسماليين . . وهناك سؤال
 جوهري ، لماذا تصدر أقلية ضئيلة كل هذه
 الثروات والطاقات وتستخدمها لحسابها ؟ أن
 المجتمع لا يستطيع دون الاستيلاء على « هذه
 الروافع » أن يصبح سيد نفسه . ولهذا
 السبب يطالب الاتحاد العام للعمال بالتأميم ،
 حتى يصبح فى مقدور الأمة أن تدير الاقتصاد وفق
 خطة حقيقية تكفل لها التقدم الاجتماعى
 والاقتصادى . ومن المفهوم طبعاً أن تأميم القطاعات
 السائدة لا ينفصل عن ادارتها ديمقراطياً ،
 يمكن أن تقوم إدارة ثلاثية تمثل الدولة والعمال
 والمستهلكين . كذلك لابد من مقرطة الخطة ،
 مقرطة وضعها وتنفيذها ومتابعتها ، وضمان
 مشاركة فعالة للنقابات . ويقول الكاتب أنه لمنع
 الاحتكارات الرأسمالية من السيطرة ، يتعين
 أيضاً منعها من التسلط على الحياة السياسية ،

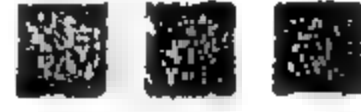
واقامة سلطة موجهة لخدمة الجماهير ومنعمدة عليها وفي رأيه أن مثل هذا التغيير متاح فمن زاوية القوى الاجتماعية هناك الطبقة العاملة ، بعمـالها اليـدويين والذهنيـين ، والطبقات الاجتماعية التي تقهرها السياسة الحالية — والطبقة المتوسطة في المدينة وفي الريف . . . أما التعبير السياسي لتحقيق ذلك ، فيتمثل في تحالف الاحزاب اليسارية والنقابات وهذا أمر ممكن تماما وضروري للانتصار وللبناء ، وهذا التحالف يتم على أساس برنامج مشترك لا لبس فيه ولا غموض ، موجه ضد الاحتكارات الرأسمالية ومن أجل سياسة اجتماعية تخدم العمال ويؤكد كراسوكي ان الاتحاد العام للعمال على استعداد تام للمشاركة في هذا الحلف ، بل انه في هذا لا يدخر جهدا أو طاقة .

على أساس الصراع الطبقي ، أنه على خلاف الحزب السياسي ، الذي لا يريد ولا يستطيع ان يضم في صفوفه كل أو غالبية الطبقة يحاول تجميع كل من لهم نفس المصلحة حتى ولو كانت بينهم خلافات أيديولوجية » .

وبالطبع هناك جوانب أيديولوجية في عمل النقابة فهي تعبر عن المصالح التي قامت عليها فالنقابة العمالية مثلا ، عليها ان تدافع عن المطالب الاقتصادية للعمال أولا . . . وهذا يقتضي المما بواقع المجتمع الرأسمالي ، صراع الطبقات فيه ، وعلاقات الانتاج الخ . . . كذلك فان للعمل النقابي جوانبه السياسية ، فالنضال ضد أرباب الاعمال يقتضي التصدي لدولتهم والنضال في سبيل المطالب الاقتصادية لا يؤدي بذاته الى الغاء الاستغلال .

والحق أن الكتاب مليء بنقاط المناقشة والجدل ، التي توضح بحق ويغلق كثيرا من المفاهيم الأساسية ، التي تسمى الرأسمالية الفرنسية بكل طاقاتها لطبقتها مستعينة في ذلك « باليساريين جدا » .

وفي فصل عن الاتحاد العام للعمال الفرنسي ، يقول الكاتب ، انه تنظيم جماهيري ، تنظيم طبقي ، تنظيم ديمقراطي أساس وجوده هو المصالح المشتركة وليس الاشتراك في عقيدة . ومن البديهي أن المصالح المشتركة تقوم



نظريات الرأسمالية الموجهة

مجموعة دراسات بإشراف أ. غ. بليومين
الحاصل على درجة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية

ان نقد ودحض النظريات الاقتصادية الميتافيزيقية يشكلان عنصرا من أهم عناصر النضال ضد الايديولوجية المعادية للعلم .

فالنظرية المتعلقة باقتصاديات الرأسمالية الراهنة تتمتع برواج كبير ليس فقط لدى البورجوازيات بكل شرائحها الكبيرة منها والصغيرة ، بل هي أيضا منتشرة بين قطاعات من الطبقة العاملة عبر نشاطات الاشتراكيين اليمينيين . ومثل هذه النظريات تروج على نطاق واسع في البلدان الرأسمالية ، وتغذي أوهاما تزعم بأن البطالة الكثيفة والازمات الاقتصادية لفائض الانتاج هي شيء من متاع الماضي ، وأن تغييرا « أساسيا » قد حدث في توزيع الملكية ، وخاصة في « انتشارها » و « اشاعة الديمقراطية »

ترجمة :

م. م. طيخة

عرض وتحليل :

أسعد صموئيل

الناشر :

دار الفارابي ١٩٦٩

فيها ، وأن الدول البورجوازية الراهنة تهدف الى ايجاد « الرقابية العامة » الخ .

بحد ذاته دليلا واضحا على الازمات التي تسلك اليوم بخناق السياسة الاقتصادية للبورجوازية .

وهذا الوهم يبنى على التجاهل والتخريف الواعى للوجه الاساسى والاهم للرأسمالية المعاصرة ، لاشد جذورها الاقتصادية عمقا وهو سيطرة الاحتكارات ، وان مختلف النظريات الاقتصادية الموجودة فى الكتابات البورجوازية ، تخدم فقط هدفا عاما واحدا هو تبرير وتزيين للرأسمالية الراهنة من أجل تضليل وعى الطبقة العاملة وتقويض نشاطها وإرادتها فى النضال دفاعا عن حقوقها وحريتها .

ان احدى الوسائل الاساسية لتزيين الصورة التى تعطىها الرأسمالية المعاصرة هى اطرء التدخل الاقتصادى للدولة البورجوازية .

فى فترة رأسمالية ما قبل الاحتكارية ، أى حوالى نهاية القرن ، اجمع مادحو الرأسمالية ، بصورة أساسية ، على تمجيد القوة الداخلية للرأسمالية . وقد أعلنت الاغلبية الكبرى للاقتصاديين البورجوازيين ان المنافسة الحرة تشكل أفضل ضابط تلقائى للإنتاج . وقد صورت الازمات والبطالة بأنها اضطرابات عرضية فى عملية الآلية « المثالية » للرأسمالية . وكانت غالبية الاقتصاديين البورجوازيين تنظر الى تدخل الحكومة فى الاقتصاد باعتباره شرا يجب أن يحصر الى ادنى حد .

وقد أفلست النظرية المتفائلة افلاسها تاما فى مواجهة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية التى لم يسبق لها مثيل ، تناقضات فترة الازمة العامة للرأسمالية ، وهى فترة وقع فيها النظام الاقتصادى العالى فى عزلة . وفى مثل هذه الظروف أصبح من المستحيل اخفاء ظاهرات وخيمة العواقب مثل الازمة الاقتصادية والبطالة . واضطرب الاقتصاديون البورجوازيون للاعتراف بأن العملية التلقائية للقوى الداخلية للرأسمالية لا تستطيع القضاء على الازمات والبطالة . وقد اضطروا للتخلى عن الآراء السابقة التى نادى بها مادحو الرأسمالية . وكان عليهم ايجاد مبالغاة جديدة لا تمجد القوى الداخلية للرأسمالية ، بل دور الدولة البورجوازية كمنقذ للاقتصاد الرأسمالى . وقد أصبح الثناء على تدخل الدولة فى الشؤون الاقتصادية واحدا من اكبر الاتجاهات فى السياسة الاقتصادية للبورجوازية الحديثة .

ان اللجوء الى الدولة باعتبارها قوة قادرة على ايجاد تطور طبيعى للاقتصاد الرأسمالى ، يشكل

ويبين التاريخ ان البورجوازية قد استخدمت استخداما واسعا تدخل الدولة فى الاقتصاد فى فجر التطور الرأسمالى ، فى فترة التراكم الرأسمالى الاولى . ولم تكن تنشأ القواعد المادية والتكنيكية المرتبطة بالرأسمالية ، ولم تكن البورجوازية تتحصن بقوة ، حتى نبذت الاشكال القديمة لتدخل الدولة التى اتسمت بها فترة المتاجرة ، واتجهت نحو سياسة ترك الامور تجرى على طبيعتها (سياسة التجارة الحرة) ، وقد كانت معارضة السياسة الاقتصادية الكلاسيكية لتدخل الدولة فى الاقتصاد انعكاسا ليقين البورجوازية بأنها تستطيع ادارة شئونها بصورة جيدة تماما دون اللجوء الى مساعدة الدولة . وقد عكس الدفاع عن سياسة ترك الامور تسير فى مجراها ، « يقين فى تفوق القوانين الاقتصادية للرأسمالية التى كانت تتحقق فى التنافس العفوى للرأسمالية ، وعملت بصورة مستقلة عن السياسة الاقتصادية للدولة .

وفى عهد الامبريالية والازمة العامة للرأسمالية ، اعادت البورجوازية النظر فى الوظيفة الاقتصادية للدولة . وقد ضربت عرض الحائط بمعارضة تدخل الدولة ولجأت الى تدخل أعظم من قبلها . ان اعادة النظر هذه هى دليل ضعف أكثر مما هى دليل قوة ، لأنها برهنت على أن البورجوازية لم تعد تعتبر نفسها قادرة على التغلب على مصاعبها الاقتصادية بمفردها ، بل يتوجب عليها اللجوء الى تدابير استثنائية .

وتشكل النظريات الاقتصادية الراهنة محاولة لتنسيق السياسة الاقتصادية البورجوازية مع ظروف رأسمالية الدولة الاحتكارية . ويشكل ذلك انعكاسا مباشرا لوظيفة الدولة البورجوازية التى اتسعت اتساعا كبيرا . ومع ذلك فان الاقتصاديين البورجوازيين يزيفون هذا الاتجاه الحقيقى . فهم يخفون الواقع الاساسى والحاسم : الصلة بين التدخل المتعاظم للدولة فى الاقتصاد وبين الاحتكارات الرأسمالية الكلية القدرة . ولا يقول مادحو الرأسمالية شيئا عن استخدام الاحتكارات لمكنة الدولة من أجل تشديد استثمار (المشغلة) داخل بلدانها وخارجها . وهم يتجنبون أية اشارة الى استخدام الطغمة المالية لميزانية الحكومة باعتبارها مصدرا اضافيا للارباح الاحتكارية الضخمة بوساطة الضرائب والاعانات . فضلا عن ذلك فهم يتفاوضون عن الممارسات الامبريالية النموذجية فى التوسع الخارجى فى البلدان

التابعة، كفرض شروط اعتماد مجحفة وشروط
تجارة قاسية، وكذلك انتزاع تنازلات وامتيازات
أخرى .

الرأسمالية، والقضاء على تناقضاتها»
و«تحويلها» إلى نظام اجتماعي أكثر عدلاً .

ويلق الاقتصاديون البورجوازيون أهمية كبيرة
على التوجيه الاقتصادي للدولة من أجل التغلب على
أزمات فائض الانتاج . وهم حين يعتبرون رغباتهم
كحقيقة واقعة، ويصورون «القضاء» على الأزمة
الاقتصادية بساعاته «الانجاز» الرئيسي
لرأسمالية اليوم، الانجاز الذي يميزها حسب
زعمهم عن رأسمالية الماضي . وهم يعلنون حلول
عهد جديد لرأسمالية «بلا أزمات» . ويقدم ر .
حفيظوف في الدراسة الأولى من هذه الدراسات
نقداً للاقتراحات النظرية التي تستند إليها مختلف
البرامج المضادة للاثزمات قس دراسة
بعنوان «انقراض بعض الاقتراحات الأساسية التي
تستند إلى نظريات «الرأسمالية الموجهة» .

وبالإضافة إلى الخطر الذي تشكله أزمات هائض
الانتاج، فإن رأسمالية اليوم تواجه قضية التضخم
النقدي . فإن الأوجه العامة في الحياة
البورجوازية اليوم تقع بين نارين، نار الأزمة ونار
التضخم النقدي . وفي أوقات مختلفة (وفقاً
للظروف الاقتصادية) فإن البرامج المضادة
للاثزمات، والبرامج المضادة للتضخم النقدي، تعطى
الأولوية بالتناوب .

وتقدم أي . أوساد شايلا في الدراسة الثانية
دراسة بعنوان «قضايا وقف التضخم النقدي كما
يعالجها الاقتصاديون الأمريكيون، نقداً للنظريات
البورجوازية حول التضخم النقدي وحول البرامج
المضادة للتضخم النقدي» .

ويعطى الاقتصاديون البورجوازيون أولوية كبرى
في برامجهم للتداول النقدي وليمزانية الحكومة .
وهم يشددون بصورة خاصة على نفقات الحكومة
من أجل التعويض عن الطلب غير الكافي من قبل
الأفراد، باعتبار ذلك وسيلة أساسية لمكافحة
الاثزمات الاقتصادية . إن المسائل المتعلقة بالنقد
وسياسة الموازنة تعطى اليوم الأولوية الكبرى .
فإن هانش مثلاً، يصف السياسة المالية
والضرائبية باعتبارها «جهاز القيادة» في المجتمع
الحديث (٣) والبرامج النقدية والضريبية

إن ايدولوجيي الرأسمالية المعاصرين يعطون
للدولة البورجوازية وظيفة غريبة عنها تماماً :
إدارة الاقتصاد كله . وهم يزرعون الوهم بين
الجماهير بأن الدولة ودعوة إلى
اصلاح «نواقص» العملية التلقائية للآلية
الرأسمالية . . أن الاقتصادي الأمريكي . باتون
يعطى للدولة المهمة التالية : «يتوجب على الدولة
أن تأخذ على عاتقها وظيفة التعويض عن نواقص
الاقتصاد الخاص بنشاطات تقوم بها مثل زيادة
دينها بوساطة الانفاق، وتوظيف مبالغ أكبر مما
يتمتعها الحصول عليه من دخلها العادي (١) .
ويشير الاقتصاديون البورجوازيون بصورة خاصة
إلى أنه يتوجب على الدولة أن تعالج العجز في
القوة الشرائية بالنسبة للإنتاج، بوساطة زيادة
النفقات . وقد كتب جون . م . كلارك مثلاً : « . .
إذا كان الانفاق الخاص غير كاف »، فإن أبسط
وأوضح وسيلة هي أن «تسد الحكومة الثغرة بأن
تخلق مبالغ أكبر

ويعتقد عدد كبير من ايدولوجيين
البورجوازيين أنه يتوجب على الدولة أن تتكفل
بالخسائر الناتجة أثناء الأزمة، وبصورة عامة تلك
التي تنتج عن فوضى الإنتاج الرأسمالي . وقد ذكر
الاقتصادي الأمريكي جورج ستاينر، في بحث
خاص، حول دور الحكومة في الحياة
الاقتصادية، أن أهم وظيفة للدولة البورجوازية
هي : «تحميل الاخطار للمجتمع» . وهو يعني
بذلك «تحمل الحكومة بدلاً من الأفراد الخطر
المرتبط بعملية النظام الاقتصادي» (٢) .

ويرسم ايدولوجيون البورجوازيون صورة
مشوهة تماماً لتدخل الدولة في الاقتصاد، فهدف
مثل هذا التدخل بزعمهم هو القضاء على البطالة،
وتحقيق «الاستخدام الكامل»، وتخفيض اللامساواة
في الملكية، ومكافحة الاحتكارات .
ويصور تدخل الدولة كوسيلة من أجل «اتقان»

[١] . باتون، الاقتصاد الأمريكي ١٩٥٢ ص ٣٦٥ .

[٢] ج . أ . ستاينر، دور الحكومة في الحياة الاقتصادية، نيويورك ١٩٥٤، ص ١٢٧ .

[٣] ه . هانش، نظرية النقد والسياسة الضريبية، نيويورك ١٩٤٩، ص ١٨٣ .

مناقشات مفتوحة

التكنولوجيا والخطوط المتقاطعة

فخرى لبيب

وبذلك تبدو أمامنا « طفرة كيفية » دون مقدمات ، أى تغيير كیفى دون تغييرات كمية أدت إليه . ثم تظهر هذه « الطفرة الكيفية » فى ظروف شديدة الميوعة ، فى حين أن التغيير الكيفى يتم عندما تبلغ العوامل المحيطة قمة موافاتها حتى تصل التغييرات الكمية الى مستوى التغيير الكيفى . وحدث التغيير الكيفى انتصار ، انتصار للقوى التى أدت اليه وهزيمة للقوى التى حاولت تعويقه . وتحقيق التغيير الكيفى ، لا يعنى نهاية العوامل التى أدت اليه ، بل أنه هو نفسه يغدو اضافة جديدة وهائلة ، تدفع بتيار التغييرات الكمية الى التقدم ، أى أنه مؤشر للمستقبل .

وعلى ذلك فإن دخول الصين الشعبية الامم المتحدة ، كذا التوصل الى حل مشكلة برلين وقضايا الحدود ، إنما هى بعض ثمار نضالات لم تتوقف منذ انتهت الحرب العالمية الثانية ، واعلان قيام الصين الشعبية عام ١٩٤٩ . ان نهاية الحرب العالمية الثانية لم تكن نهاية للصراع الحاد العنيف بين قوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى فى مواجهة القوى الاستعمارية . لقد توقفت هذه الصورة من صور الصراع ، وبدأت صور متعددة تعبر عنه . من كوريا الى فيتنام ، الى مصر عام

جاء فى مقال للاستاذ محمد سيد أحمد تحت عنوان « الابعاد الثلاثة فى الصراعات على النطاق الدولى » بعض الافكار ، التى وجدت أنه يجب تناولها بالمناقشة ، حيث أنها تشكل من وجهة نظرى ، منطلقا منهجيا أو فلسفيا جانبه الصواب .

انه يبدأ تحليله للأحداث بمنهج الالتقاط أو الالتقاط بطريقة منهجية . وفى ذلك الصدد يلتقط حدثين : هما دخول الصين الشعبية والمانيا المنظمة الدولية ، ثم يتناول « السمات المميزة لهذه الطفرة الكيفية » على أنها تتم فى « وضعية عالمية يسودها السلم عموما بلا منتصر حاسم فيها ، ولا مهزوم حاسم فيها » . أى حالة تحكمها « الميوعة » والضباب فلا تبين منها احتمالات ترجيح التطورات المستقبلية .

ومنهج الالتقاط ينتزع الحدث قسرا من بيئته ، يمزق مقدماته ومكوناته وينهى امتداداته المقبلة ، أى يلغى حركة الحدث ، وهو بذلك يقدمه بطريقة تعسفية تخدم فكرة مسبقة ، بدلا من المنهج الجدلى الذى يقوم على التحليل العلمى للحقائق القائمة بالفعل فى حركتها وترابطها .

٣ - خط العمق أو البعد الثالث وهو يفصل بين « الدول » كمستوى أعلى ، و « الحركات » كمستوى أدنى .

ويميز هذا الخط أن التكنولوجيا هي أساس المواجهة بين « الدول » ، في حين أن الأيديولوجيا هي التي ترسم ملامح عالم « الحركات » .

لقد ألغى منهج الالتقاط في فقرته الأولى حركة الحدث وتطور هذه الحركة ، وفي فقرته الثانية هذه يلغى ترابط الأحداث وتفاعلها .

فلم يحدث أبدا خلال العراك التحريري العالمي ، أن وجدت مثل هذه الخيوط الوهمية ، أنها مرة أخرى خطوط مفروضة قسرا على الواقع وليست منبثقة منه .

فمثلا هذا الخط الأيديولوجي الذي يفصل الشرق عن الغرب والذي يمتد رأسيا من الشمال إلى الجنوب من أين بدأ وأين انتهى ؟ حيث أنه « كان » مرتبطا بالثورة الاجتماعية . هل بدأ على حدود حلف وارسو وحلف الأطلسي شمالا ، وإلى أين جنوبا ؟ وماذا عن الحركات الثورية الاجتماعية التي أوقعها الخط غربه ؟ ماذا كان يحكم نضالها ؟ وكيف يمكن أن يوجد خط - ولو وهمي - يحكم النضالات في أرجاء الكرة الأرضية ، وهي جميعا نضالات مترابطة تحكمها أيديولوجيات ، حتى وإن اختلفت ، فهي تجمع على موقف معاد للاستعمار . كما أن القوى الاستعمارية والرجعية والعميلة تدين بنفس الأيديولوجية في أي موقع تحتله على سطح الكرة الأرضية .

متى وجد هذا الخط ؟ وكيف ولماذا ومتى أصبح في خبر « كان » ؟

ثم الخط التكنولوجي وهو الذي يعكس « الخواص الجديدة لعالم اليوم » . ويتضح فهم هذا الخط عند الحديث عن مجلس الأمن الذي به « أربعة دول تنتمي إلى العالم المتطور » ، والدول المقصودة هنا هي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرنسا وإنجلترا . ويعنى هذا الخط أن المواجهة العالمية تتم اليوم بين دول متخلفة ودول متطورة . وبدأ وضع الاتحاد السوفيتي في نفس السلة التي وضعت فيها الولايات المتحدة ، على أساس تكنولوجي بحث . وبدأ يتضح كم يخالف هذا الفهم الواقع والحقائق .

١٩٥٦ إلى المجر إلى سقوط حلف بغداد إلى كوبا ، إلى الجزائر ، إلى اليمن شمالا وجنوبا ، إلى الشرق الأوسط عام ١٩٦٧ إلى تشيكوسلوفاكيا . من باندونج إلى مؤتمرات التضامن للشعوب الآسيوية والأفريقية ، إلى دول عدم الانحياز والحياد الإيجابي . والعرض في هذا المجال متشعب بلا حدود ، تثبثق روافده العميقة من كل أنحاء المعمورة ، تتجمع تتساند تتماسك لتواصل العراك ، هناك المعسكر الاشتراكي ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي ، بما يملك من قوة اقتصادية وعسكرية ورصيد سياسي يردع به القوى الاستعمارية ويحبط مخططاتها ، والصين الشعبية بما حققته من إنجازات مبهرة ، ودور متزايد الفعالية في المجال الدولي . وهناك حركة التحرير الوطنية الممتدة من آسيا عبر أفريقيا حتى أمريكا اللاتينية . وهناك حركات النضال الطبقي كذا النضال الديمقراطي التقدمي والسلامي داخل المجتمعات الاستعمارية ذاتها . يضاف إلى كل ذلك أزمة النظام الرأسمالي العالمي ، وازدياد التناقضات بين القوى الاستعمارية .

ان هذا يوضح بشكل قاطع أننا لسنا في « حالة من السلم عموما بلا منتصر حاسم فيها ، ولا مهزوم حاسم فيها » . أننا نمر بمرحلة من الصراع الحاد العنيف الذي تستخدم فيه القوى المتصارعة كل أسلحتها المختلفة التي تتناسب وموقع الصراع . وليست القنابل الذرية وحدها هي التعبير عن عنف الصدام أو اتساع رقعته . وإن حل مشكلتين من المشاكل الجوهرية المدرجة في جدول أعمال القوى الثورية التقدمية ، إنما يعنى أن هذه القوى قد حققت انتصارا على القوى المعادية التي عارضت وعرقلت حل تلك المشاكل . كما أن هذه الانتصارات تعطى للقوى التي ناضلت من أجل تحقيقها مواقع أكثر تقدما في مسيرتها النضالية ، وبالتالي فهي تضيف لصورة المستقبل خطوطا جديدة تحدد اتجاهه بمزيد من الوضوح ، وليس بمزيد من الميوعة والضبائية .

ويعمق منهج الالتقاط ذاته بتقديم فقرة أخرى من قوانينه . أنه يعطى لصور النضال العالمي أبعادا آلية ، ميكانيكية ، جغرافية :

١ - خط أيديولوجي يفصل الشرق من الغرب ، وهو خط رأسى « كان » مرتبطا بالثورة الاجتماعية .

٢ - خط تكنولوجي ، يفصل الشمال عن الجنوب ، وهو خط أفقي يمثل « الخواص الجديدة لعالم اليوم » .

ان هذه الدول الآن يصنع متقدمة ومتطورة تكنولوجيا ، وهذا حق . ولكن الوقوف عند هذا الحد منطق شكلي بحت . فالقوى التي تتحكم في التكنولوجيا في كل من هذه الدول ، تحكمها هي نفسها في ذات الوقت ايدولوجية معينة هي التي تحدد توجيه هذه التكنولوجيا . ولهذا كانت التكنولوجيا الاشتراكية معنا ، والتكنولوجيا الاستعمارية - وخاصة الامريكية - ضدنا .

ان الحكومات ليست أشياء معلقة في الفضاء يحكمها التقدم أو التخلف التكنولوجي وفقط . فكل حكومة في العالم تحكمها ايدولوجية معينة ، هي التعبير السياسي والاجتماعي والفلسفي الذي يعكس مصالح الطبقة أو الطبقات التي يمثلها هؤلاء الحكام . وهذه المصالح هي التي تحدد الخط الاستراتيجي العام لهذه الدول ، فتحدد مواقفها على هذه ، معطية لنفسها حق المناورة السياسية أو مرونة الحركة التكتيكية ولكن في إطار لا يتعدى الخط العام . وهذه المصالح والايدولوجيات والخطوط السياسية العامة هي التي تؤدي الى التقاء قوى الاشتراكية بقوى التحرر الوطني بالقوى التقدمية الديمقراطية الإسلامية داخل الدول الاستعمارية والراسمالية ذاتها وهو التقاء أساسي ، في مواجهة التقاء أساسي آخر يجمع القوى الاستعمارية بالقوى الرجعية والعميلة . وهذه اللقاءات تتداخل في العالم كله من شماله الى جنوبه ، من شرقه الى غربه . وليس هناك من خطوط طولية أو عرضية ، أفقية أو رأسية ، تحدد حدوده ، وتشكل بديلا افتراضيا عن الواقع الموضوعي الذي نعيشه بالفعل .

ويستمر هذا المنهج في تحديد معالمه ، فيقدم خط العمق أو البعد الثالث ، وعلى ضوءه يقسم العالم الى « دول » و « حركات » . الدول تتصارع بالتكنولوجيا ، والحركات تتصارع بالايدولوجية - وهنا يثور سؤال هام : اذا كانت الدول تتصارع بالتكنولوجيا ، وانها هي القيد الاعلى على الايدولوجية ، فمسلما تتصارع هذه الدول المتطورة ؟ لابد وأن يكون الجواب الصحيح ، أنها تتصارع على مناطق نفوذ لها في الدول المتخلفة وليس هناك خلط أشد هولا من هذا الخلط . فخطوط هندسية وهمية وبالنتائج التي لابد وأن تترى خلفها ، تداخلت الجبهات العالمية وزالت ملامحها .

ويعمق هذا المنهج ذاته مرة أخرى ، فيضيف على الحركات النضالية سمات الايدولوجية ولكن ماذا يحدث عندما تصبح هذه الحركات حكومات ودول ؟ هل تنازل عن الايدولوجية التي ناضلت من أجلها وانتصرت بسببها ؟ وربما ظلت هذه

الحكومات « حركات » حتى تمنح التشريعية الدولية ، بدخول الامم المتحدة ، وهنا تنضم الى بند « الدول » . ويدرك صاحب المنهج غرابة هذا الخلط فيحاول التقليل منه « طبعا لا يعني ذلك ان الصين بمجرد دخولها المؤسسات الدولية ، ستتخلي عن منطلقاتها السابقة » . أي أنها ستظل ، ربما بدافع القصور الذاتي ، فترة ما تحمل سمات الايدولوجية ، ثم تدخل في باب « الدول » والمواجهات التكنولوجية .

وبذلك يطرح هذا المنهج محوره وجوهره . ان الالتزام العقائدي مجرد وسيلة في يد الثوار ، يتلاشى ويزول عندما يصبحون رجال سلطة ودولة . الايدولوجية شيء ما مرتبط ، بالحركات ، قاصر عليها ، يزول بانتصارها وتحولها الى « دول » ، هنا للتكنولوجيا القيد الاعلى على الايدولوجية . أي لم يعد الالتزام الطبقي والاجتماعي هو الاساس . واذا كان الامر كذلك ، فأى رباط يحكم البشر لشيء هذا غير رباط الناب التكنولوجي القوى أيا كان يأكل الضعيف أيا كان ، السمك الكبير يأكل السمك الصغير . والدول المتطورة تكنولوجيا أيا كانت تلتهم الدول المتخلفة تكنولوجيا أيا كانت .

ان منهج الخطوط الثلاثة يحاول ان يقدم بديلا لنظرية الجبهة العالمية المعادية للاستعمار بقواها النضالية الثلاثة .

١ - الدول والحركات الاشتراكية .

٢ - الدول والحركات الوطنية التحررية .

٣ - حركة الطبقات العاملة والحركة التقدمية الديمقراطية السلامية في الدول الاستعمارية والراسمالية .

ان فرضية الخطوط الثلاثة بدلا من نظرية القوى الثلاث ، تقود بالفعل الى عملية تداخل يختلط فيها الحابل بالنابل ، وتتملا الطريق بغير كالمخاضين يجعل النهار ظلاما أصفر - يدمى العيون فلا تبصر ، ويخنق الانفاس فتضيق بكل شيء .

ان الشعوب خلال نضالها الباسل والبعيد عن التعقيدات والتركيبات الذهنية ، تصل الى شعار بسيط ، هو أنها « تصادق من يصادقها » وتعادى من يعادىها . وعلى درب نضالها تتشابك أيديها مع من يلتقون بها خلال مسيرتها - سواء بإمكانياتهم التكنولوجية والعقائدية ، أو حتى بمجرد قبضاتهم الصديقة ، - لاستكمال مقوماتها الانسانية الحضارية التقدمية . هو نهر واحد متعدد الروافد والمنابع ، يشق مجراه خلال ركاب من القديم ، حتى وان ارتدى ثوبا صنع على أحدث طراز تكنولوجي .

**وصلنا من السيد على يعته الأمين
العام لحزب التحرروالاشتراكية الرسالة
التالية التي أرسلها الى المؤتمر الخامس
لحركة تضامن شعوب أفريقيا وآسيا ***

ايها الاصدقاء الاعزاء :

علمنا عن طريق الوكالات الاخبارية بانعقاد
المؤتمر الخامس لحركة تضامن شعوب أفريقيا
وآسيا بمدينة القاهرة *

وقد اثلج خبر انعقاد لقائكم هذا صدورنا نظرا
لما تتسم به المرحلة الراهنة من تعقيدات وأحداث
على الصعيد العالمى *

اننا لنتمنى من صميم قلوبنا لمؤتمركم أن ينجح
نجاحا تاما، وأن تتوج أعماله بملتمسات
واضحة، تثير الطريق للمكافحين، وترفع من
معنوياتهم، وتزيد فى نشاطهم، حتى يتمكنوا
جميعا من تسديد أقسى الضربات للامبريالية
والرجعية العالميتين، ويضمنوا تحرير بلدانهم
تحريرا كاملا *

لقد طرأت تغيرات عديدة فى العالم منذ المؤتمر
الرابع لحركة التضامن الافروآسيوى، وبسررت
عناصر جديدة فى ساحة النضال، ولاسيما فى
قارتى آسيا وأفريقيا الشاسعتين، ولكن الشئ
الذى بقى ثابتا هو أن العدو الاساسى لشعوب
هاتين القارتين مازال هو الامبريالية الدولية،
وعلى رأسها الامبريالية الامريكية، التى تسخر
لخدمة مطامعها والذود عنها كلا من الصهيونية
والرجعية *

فالحرب الطاحنة التى تدور فى الهند الصينية،
فى عقر بيوتات الشعوب البريئة الامنة، ما كانت
لتندلع لولا الامبريالية المعتدية، هذه الامبريالية
نفسها التى تصر على استمرار الحزب لابقاء
المنطقة تحت نفوذها الاستغلالى البشع، رغم
البطولات الاسطورية التى أظهرتها شعوب الهند
الصينية وحركات تحررها الوطنى، وفى طليعتها
الشعب الفيتنامى الباسل *

وحرب المشرق العربى هيات لها، وشنتها
الامبريالية الدولية أيضا، معتمدة على حليفتيها
وعميلتيها، الصهيونية، والرجعية العربية. ولقد
رأت هذه القوى الغاشمة أن أول ماينبغى البدء به
فى المشرق العربى هو تشريد شعب فلسطين، وطرده
من دياره، معتقدة انها بذلك ستحصل على قاعدة
قارة فى قلب العالم العربى. لكنها اصطدمت،

ومنازالت، تصقتكم بمقاومة عنيفة، لا من قبل
الشعب الفلسطينى وحده، بل ومن سائر الشعوب
العربية *

والحروب التى تجرى هنا وهناك فى القارة
الاfrيقية، إنما الامبريالية هى التى تشجع عليها،
وتدفع لها، مستعينة بالاستعمار البرتغالى
وبعنصرى جنوب افريقيا وروديسيا. وهل يتصور
أحد أن الاستعمار البرتغالى المحتضر كان بإمكانه
أن يبقى فى موزمبيق، وأنغولا، وغينيا بيساو، لو
لم تكن وراءه الامبريالية العالمية، وعلى رأسها
الامبريالية الامريكية *

وان الصحراء المغربية ليتطبق عليها نفس
الواقع، فالعدو الاساسى المشترك لكل الشعوب
العربية، وكل شعوب العالم، الامبريالية، هو
الذى يأبى أن يرى المغرب مستكملا لوحده الترابية
ولسيادته الوطنية، وأنه ليقف بمختلف الاساليب
خلف الاستعمار الاسبانى، يسانده ويدعمه
عسكريا وسياسيا واقتصاديا *

وهكذا ترون، ايها الاصدقاء المؤتمرون، أن
الامبريالية الدولية تشكل فى ظروفنا الحالية عدونا
الاساسى جميعا، عدوا لا بد من اعداد العدة،
والتحلى بالحزم والقوة والاتحاد، لمواجهة
وتشطيه من خارطة الوجود. وليس ذلك حلما:
ان قوة الشعوب لفى وحدتها وتضامنها. واذ ما
اتجدت، وتضامنت، وانطلقت للنضال، فلن تقوى
على قهرها اية قوة على الاطلاق *

ونحن نملك من ضمانة للنصر، والتغلب على
علمية موحدة، توجه ضربتها الرئيسية الى العدو
المشترك، الامبريالية العالمية وأعوانها، وفى
مقدمتها الامبريالية الامريكية. وبواضح كل
الوضوح ان الاجهاز على العدو الاساسى الشرس
لن يتحقق ما لم تتكثل الجهود، جهود كل القوى
المعادية للامبريالية والرجعية، والمحبة للسلام
والحرية والعدالة، بغض النظر عن تركيباتها
الاجتماعية، وخلافاتها الايديولوجية، وما لم
تنسق الاعمال النضالية تنسيقا متقنا وناجعا *

ونحن نملك اكثر من ضمانة للنصر والغلب على
العدو الامبريالى، ضمانة يوفرها لنا حلفاؤنا
الافياء، الذين يحسب لهم حساب فى ميدان القوة
فى العالم، وهم: البلدان الاشتراكية، والحركة
العمالية، وجميع أعداء الامبريالية *

اننا نعبّر لكم وللمؤتمر الخامس من جديد عن
شعورنا بالغبطة بمناسبة انعقاده، ونأمل أن تكون

أعماله في مستوى نظورة ودقة المرحلة التي نعيشها .

ونحييكم تحية أخوية حارة .



جاءتنا الرسالة التالية من محمد سعيد
دووين موجهة الى والده وزير العمل
والشئون الاجتماعية ، والامين العام المؤقت
للاتحاد الوطني الاردني :

لا اريد أن أتطرق هنا الى التاريخ الاسود
للعرش الهاشمي في عمان ، فالشعب العربي
الاردني يعرفه كل معرفة ، وتاريخ هذا الشعب
وثيقة نضال للاطاحة بهذا النظام العميل .

تحاول حكومة عمان - بعد انقضايتها الاخيرة
على القوى الوطنية في الاردن وطلانها
المسلحة - أن تخرج من العزلة المشددة التي
فرضها الشعب العربي الاردني على اعدائه .

وما الاتحاد الوطني الاردني واللقاءات التي
يسمىها النظام « شعبية » الا نتائج لهذه المحاولات
اليائسة .

والحراك الاساسي لهذه المحاولات هو أنت يا
والدي . . . تقف اليوم أمام أبناء شعبك لتقول
وباسم حكومة العملاء « ان التناقض لا يكون بين
الاهل » ، وانه « لن يصل الى درجة التناقض
المصيري كالتناقض القائم بيننا وبين
الصهيونية » .

حقيقة : ان طبيعة التناقض بين حكومة العملاء
في عمان والشعب العربي الاردني يختلف عن
طبيعة التناقض القائم بين الصهيونية قاعدة
الاستعمار الاساسية على الارض العربية .

لكن هذا لا يغير من كونه تناقضا مصيريا
لا لانه قائم بين طبقة من المستغلين وطبقات
الشعب المستعبدة وحسب بل وقبل هذا لان حكومة
العملاء في عمان جعلت منه تناقضا مصيريا .

- فهي التي حرمت الشعب الفلسطيني في
الضفتين الغربية من السلاح وسلمته بذلك الضيقة
الغربية لقمة سائغة للغزاة الصهاينة .

- وهي التي قامت بعمليات الابادة الجماعية
لخيرة أبناء الشعب العربي الاردني ، لطلانها
المسلحة .

- ويد النظام العميل هي التي اغتالت ثقابات
همال الاردن والتنظيمات الوطنية .

ان عشرات الاف القبور ، اعداد المشانق ، عذاب
السجون رمزا حيا ابدًا للتناقض المصيري القائم
بين النظام الذي تمثله أنت وبين الشعب العربي في
الاردن والذي املك شرف الانتقام اليه .

وتصرح يا والدي بأن « الاردن على استعداد لان
يفتح كل اراضيهِ ويؤتته لمن يريد أن يقاتل
الاستعمار والصهيونية » .

انسيت يا وزير اعداء العمال أن المكان الوحيد
الذي تفتحه حكومة الاردن العميلة لابناء الاردن
المناضلين ضد الصهيونية والاستعمار - هي القبور
والسجون

أنا لن أنسى ذلك .

والشعب العربي في الاردن يعرف اعداءه . .
فلتخرج من صفوف اعداء الشعب . .

عاشت الوحدة الوطنية الاردنية
عاشت المقاومة الفلسطينية .

محمد سعيد مصطفى دووين

دبلوم العلوم السياسية

برلين الغربية



رسالة من الصديق المقاتل محمد الكاشف من القوات المسلحة

هأنذا اكتب ثانية الى مجلتكم العزيزة الى
نفسى . . . وأقول ثانية لأننى قد كتبت اليكم - أيام
ان كنت طالبا بقسم الصحافة بكلية آداب
القاهرة - تعليقا حول حادثة كمشيش فيما أذكر
الآن في أبريل من عام ٦٥ نشرتموه لى تحت
باب « صوت من القاعدة » . . . وبعدها فى عام ٦٦
كنت قد أنهيت دراستى بالجامعة وأصبحت جنديا
من جنود الصحافة من العاملين بمؤسسة دار
التعاون بقسم التحقيقات الصحفية . . .

واذ اكتب الآن من موقع فى النضال أصبح مختلفا
منذ نحو أربعة أعوام مضت بدخولى جنديا فى
القوات المسلحة أشارك مباشرة فى معركة تحرير
الوطن ، الا اننى أشعر أن المعركة واحدة فى النهاية
معركة تحرير الوطن والمواطن أيضا .

ان جماهير الامة العربية وفى طليعتها الشعب
المصري تواجه فى وطننا العزيز مسؤوليات المرحلة

المقبلة من النضال وأمامها ذلك السؤال المصيري :
حرب أم لا حرب ؟ وحين تواجه الشعوب
مسئولياتها المصيرية لا يكون أمامها إلا أن تعد
العدة الكاملة حتى تختار طريقها الحاسم الذي لا
مناص منه ، حتى تصل الى مرحلة النصر النهائي
على عدوها .

وإذا كانت البيانات التي أعلنتها القيادات
السياسية تؤكد على أنه لم يعد هناك من سبيل لقهر
العدو وإرغامه على الانسحاب سوى المعركة
العسكرية واللجوء الى قوة الحديد والنار فإنه لا بد
أن تكون واضحة تماما في أذهاننا جميعا البداية
الطبيعية لمرحلة النصر النهائي على العدو . هذه
البداية تتمثل في أساسين :

● الأعداد المتواصل الشاق للقوات
المسلحة . نوعيا وعدديا . فنيا ومعنويا
وإداريا ، وفي النهاية قتاليا بحيث يكون لدينا أكفأ
القادة وأشجع المقاتلين الذين يتفوقون على العدو
من جميع النواحي .

● تنظيم قوى الشعب ومؤسساته واقتصاده
وأعداده نفسيا وماديا لمواجهة متطلبات الحرب
وتضحياتها .

وإذا حاولنا أن نقيم الجهد الذي بذلناه خلال
الاعوام الماضية نجد أننا قطعنا شوطا طويلا على
الطريق في هذا الصدد ، وإن كان هناك في رأيي -
ما ينبغي أن نعمل على استكمالها قبل وصول المعركة
الى نقطة الصدام الحاسمة .

- فمن ناحية أعداد القوات المسلحة استطعنا
بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء أن نصل الى أعداد

أقوى جيش في تاريخ مصر من الناحية الفنية ومن
ناحية نوعية المقاتل ومن ناحية العدد أيضا .
لكن مع ذلك . .

ينبغي على القيادات المسئولة - أن تتحرى
وتتابع النواقص لديها في وحداتها لتستكملها
وأن تعمل على إشاعة روح القتال الشرسة لدى
الجنود ، وأن تقيم علاقاتها وأسلوب عملها دائما
على أساس علمي لا ينظر إلا الى مصلحة الوطن
والامة .

- ومن ناحية أعداد الشعب للمعركة ، نرجو من
تكون حركة التصحيح التي جرت في أرجاء مصر
قد أشاعت جوا من الديمقراطية الحقيقية
والإحساس بالطمأنينة حيث الآن قد زالت الرقابة
البوليسية التي كانت سيفا مسلطا على رقاب
وحرية المواطنين .

ولعل هذا يؤكد تلك الحقيقة التي تقول : أن
الشعب الذي يدخل حربا لا بد أن يشعر بالأمان في
داخله أولا . . فهو لا يستطيع أن يواجه العدو من
الامام وهو ينظر خائفا الى الخلف متطلعا الى
طعنات من الظهر . .

أن المواطن وهو يدافع عن حرية وطنه لا بد أن
يستشعر بالحرية في ذاته ، فالمواطن الحر هو الذي
يناصر ويحارب ويموت مؤمنا بوطنه وهو
مطمئن . أما المواطن المستغل والمستعبد فهو في
الحقيقة لا يحارب إنما يحرب . . يدفع الى
الحرب . . الأحرار فقط يحاربون . أما العبيد فلا
يمكن أن يكسبوا حربا . أما عن كيفية هذا الأعداد
ونوعيته فإنني أعتقد أن المؤسسات الفكرية
والشعبية وكافة المواطنين مطالبون جميعا بأن
يطرحوا فكرهم حول هذا الموضوع .



ثاني



برنامج جبهة التحرير الساندينية [نيكاراغوا]

استقلت جمهورية نيكاراغوا عام ١٨٣٨ ، ولكنها ظلت مسرحا لصراع طويل وحاد بين القوى « الليبرالية » في مقاطعة ليون والقوى المحافظة المسيطرة في مقاطعة جراتادا . وتعتبر معاهدة برايان - شامارو التي وقعت بين نيكاراغوا والولايات المتحدة في ٥ أغسطس عام ١٩١٤ الوثيقة الأساسية للسيطرة السياسية والاقتصادية الأمريكية على نيكاراغوا ، فقد حصلت الولايات المتحدة بمقتضاها على حق السيطرة بصفة دائمة على منطقة تمر بها قناة « لابرا » في نيكاراغوا وحق السيطرة لمدة ٩٩ عاما على قاعدة بحرية في خليج « فونسيكا » المطل على المحيط الهادئ وعلى جزيرة كورن المطة على المحيط الاطلنطي ، وذلك كله مقابل ٣ ملايين من الدولارات .

وتبلغ مساحة نيكاراغوا ١٤٨ ألف كيلومتر مربع (تشمل البحيرات) ويقدر عدد السكان بنحو مليوني نسمة . ومعظم السكان من أصول اسبانية وهندية مخلطة عاصمتها ماناغوا ، ويبلغ عدد سكانها ٣٠٠ ألف نسمة .

يقوم « الحرس الوطني » في نيكاراغوا بدور الجيش والبوليس معا ، ويضم نحو ٥٦٠ ضابطا و ٤٨٥٠ من الرتب الاخرى ، الى جانب ٤ آلاف احتياطي . ويمارس « الحرس الوطني » سلطات ارمابية ضد السكان ، وهو يعد اداة الحكم الرئيسية .

مقدمة *

نشأت جبهة التحرير الوطني الساندينية من حاجة شعب نيكاراغوا الى تنظيم طليعي يكون قادرا - عن طريق الصراع المباشر مع اعدائه - على ان يستولي على السلطة السياسية وان يقيم نظاما اجتماعيا يحدو الاستغلال واليؤس للذين عانت منهما بلادنا طوال وجودها *

وجبهة التحرير الوطني تنظيم سياسي عسكري هدفه الاستيلاء على السلطة السياسية عن طريق تحطيم الاجهزة البيروقراطية والعسكرية السدكتاتورية ، واقامة حكومة ثورية مبنية على اساس تحالف العمال والفلاحين وتأييد جميع القوى الوطنية المناهضة للاستعمار في البلاد *

لقد عانى شعب نيكاراغوا نحت سحر العصابة الرجعية والفاشية التي فرضتها الامبريالية الامريكية منذ عام ١٩٣٢ وهو العام الذي عين فيه اناستازيو سوموزا جارتيا مديرا لما يسمى بالحرس الوطني . فلقد حولت عصابة سوموزا نيكاراغوا الى حالة مستعمرة جديدة تستغلها الاحتكارات الامريكية وجماعات الاقلية الوطنية المتسلطة *

ان الحكم القائم حكم غير شعبي من الناحية السياسية وغير شرعي من الناحية القانونية . وان الاعتراف به ومساعدته من جانب الامريكيين الشماليين يشكل دليلا لا يدحض على التدخل الاجنبي في شؤون نيكاراغوا *

لقد حلت جبهة التحرير الوطني الموقف الوطني تحليلا جادا ومسئولا وقررت مواجهة الدكتاتورية بالسلاح في اليد طالما اننا توصلنا الى نتيجة بان ثورة الشعب السانديني وتحطيم الحكم المعادي للشعب سوف يحدثان نتيجة لتطور حرب شعبية شاقة وطويلة *

وايا كانت المناورات والاساليب التي تستخدمها الامبريالية الامريكية ، فان دكتاتورية سوموزا محكوم عليها بالفشل في مواجهه النمو المطرد والسريع للقوى الشعبية بقيادة حركة التحرير الوطني السانديني *

ولمواجهة هذه الفرصة التاريخية فان الجبهة قد وضعت خطوط هذا البرنامج السياسي بهدف تقوية وتطوير تنظيمنا ، والهام وتنبية شعب نيكاراغوا للتحرك قديما نحو القتال حتى اسقاط الدكتاتورية ، ومقاومة تدخل الامبريالية الامريكية من اجل خلق امة حرة يسودها الرخاء وثورية *

١ - الحكومة الثورية : سوف تقيم الثورة الساندينية الشعبية حكومة الشعب الثورية ، وسوف تخلق امة بلا استغلال : وبلا قهر . وبلا تخلف ، بلدا حرة ومستقلة وتقدمية ، وسوف تتولى الحكومة الثورية الاجراءات التالية ذات الطابع السياسي :

١ - سوف تصفى بتيان الدولة الرجعية القائم على المهازل الانتخابية والانقلابات العسكرية ، وتقيم نظاما للمشاركة الكاملة لكل الشعب ، على

اساس وطني واساس محلي (للمحافظات والبلديات والاقاليم) *

ب - سوف تحرم من الحقوق السياسية اولئك الافراد الذين يحتلون مراكز عامة عليا نتيجة للمهازل الانتخابية والانقلابات العسكرية التي تمت في البلاد ، بعد نشر هذه الوثيقة *

ج - سوف تقيم ممارسة كاملة لحقوق الانسان وجميع الضمانات الفرعية *

د - سوف تضمن حرية التعبير عن الفكر التي تؤدي قبل كل شيء الى اطلاق نشاط لحقوق الشعب وللمسؤوليات الوطنية *

هـ - سوف تضمن حرية تنظيم حركه النقابات العمالية في المدينة وفي الريف حرية تنظيم الحركات الثقافية الفلاحية و - سوف تضمن حق المهاجرين والشبابية والطلابية والنسائية وغيرها * والمنفيين النيكاراغويين في العودة الى البلاد *

ز - سوف تضمن حق اللجوء لرحايا البلاد الاخرى الذين يتعرضون للاضطهاد بسبب اشتراكهم في نضال ثوري *

ح - سوف تعاقب بشدة الجالدين المسؤولين عن اضطهاد الثوريين والشعب او الابلاغ عنهم او تعذيبهم او اغتيالهم *

٢ - اقتصاد اساسي ومستقل : سوف تتخذ الحكومة الثورية الاجراءات الاقتصادية التالية :

١ - سوف تؤمم ممتلكات شركات التعدين والتشجير .. وغير ذلك من الثروات التي اغتصبها الاحتكاريون الامريكيون في نيكاراغوا *

ب - سوف تؤمم ملكيات الاراضي الضخمة والمصانع ومعامل السكر ووسائل المواصلات وغيرها من الممتلكات التي اغتصبها أسرة سوموزا *

ج - سوف تؤمم ملكيات الاراضي الضخمة والمصانع ووسائل النقل وغيرها من الممتلكات التي اغتصبها الساسة والعسكريون وجميع المواطنين في الفساد والادارة الذي كرسه الحكم المعادي للشعب *

د - سوف تؤمم البنوك وتضعها في خدمة التنمية الاقتصادية للبلاد دون غيرها *

هـ - سوف تفرض رقابة الدولة على التجارة الخارجية بالوسائل التي تكلل تنويعها وجعلها مستقلة *

و - سوف تخطط الاقتصاد الوطني وتزيل بذلك الفوضى التي تحكم الانتاج في ظل الحكم الراهن *

ز - سوف تراقب التنقيب عن المصابير الطبيعية واستغلالها ، وتنشئ لهذا الغرض المؤسسات الحكومية الخاصة . وسوف تحتل الكهرباء مكانة خاصة في التنمية المتكاملة للبلاد *

ح - سوف تفرض رقابة ومشاركة من العمال في ادارة الصناعة وغيرها من الممتلكات المؤممة (المصانع والمناجم الخ) ط - سوف تحمي صغار ومتوسطي

الملاك الذين اiment ممتلكاتهم (المنتجون والحرثيون) *

ي - سوف تطور خطوط الاتصال (وسوف تعددها الى الطرق التي امتت في الماضي نتيجة نضال ثم خربها الحكم الخائن) *

ك - سوف تضمن نقدا مستقرا ومستقلا *

ل - سوف تنتهج سياسة مالية عادلة ومتوازنة *

م - سوف ترفض الاعتراف بالقروض المنطوية على الاغتصاب والتي فرضها الاحتكاريون الامريكيون على البلاد *

٣ - الثورة الزراعية : سوف نضع ثورة الشعب الساندينية موضع التطبيق سياسة زراعية تصفى الملكيات الضخمة والصغيرة عن طريق توزيع عادل للارض على الفلاحين الذين يفلحونها *

١ - سوف تصادر الصناعات الزراعية للرأسمالية وجميع اوجه اللاتيفونديا بهدف تصفية السيطرة الطفيلية على الارض من جانب المستغلين *

ب - سوف تسلم الارض للفلاحين دون مقابل وفقا للمبدأ القائل بان الارض لمن يفلحها *

ج - سوف نحفز وتبني تنظيم التعاونيات في الريف *

د - سوف تسهل كل نوع من المساعدة للفلاح ، وسوف تقدم له القروض بفوائد قليلة لشراء المعدات الزراعية والالات والحبوب والاسمدة الخ *

هـ - سوف تلغى كل الديون التي وقع الفلاحون عليها لملاك الاراضي وغيرهم من المغتصبين *

و - سوف تقوم بثورة تكنولوجية في الانتاج الزراعي عن طريق ميكنة معقولة ، واستخدام للنظم الحديثة (الهوائية ، والتبخير والتلقيح الصناعي ، والري الخ) .. *

ز - سوف تنوع الزراعة بهدف اثناء زراعة المحصول الواحد التي تسود الزراعة في نيكاراغوا . وسوف تدعم اقتاج وتنويع الماشية في الريف طبقا لخصائص كل منطقة *

ح - سوف تحمي صغار ومتوسطي ملاك الاراضي الذين صودرت اراضيهم *

ط - سوف تحمي ملاك الاراضي الذين يتعاونون مع النضال الثوري المسلح ، وسوف تشتري منهم اراضيهم التي تتجاوز الحد الذي تنص عليه القوانين الزراعية التي تصدرها الثورية لتوزيعها على الفلاحين المحتاجين اليها *

ي - سوف تصفى موقف العمل الاجباري الذين يقاسى منه الفلاح معظم اوقات السنة وسوف تخلق مصادر عمل لسكان الريف *

و - سوف تضمن اسواقا للمنتجات الزراعية ومنتجات اللحوم والالبان *

٤ - تشريع العمل والضمان الاجتماعي : ان ثورة الشعب ستضع نهاية للظروف غير العادلة للحياة والعمل التي يعانيها العمال تحت الحكم الراهن *

١ - سوف تصدر قانون عمل وقوانين أخرى للضمان الاجتماعي لفائدة الجماهير العريضة من العمال دون غيرها .

ب - سوف تضع موضع التنفيذ حرية نقابات العمال في إنشاء الفروع والتنظيمات .

ج - سوف تفرض احتراماً مطلقاً لكرامة العامل وتمنع المعاملة غير العادلة له خلال عمله .

د - سوف تصفى البطالة التأديبية .

هـ - سوف تمد الضمان الاجتماعي بحيث يغطي كل العمال والمستخدمين في البلاد ، وسوف تشمل أيضاً المرضى والحوادث ، والعجز البدني والتقاعد ، الخ

و - سوف توفر الرعاية الطبية المجانية للشعب كله ، وسوف تبني العيادات والمستشفيات في جميع أنحاء الأقليم الوطني .

ز - سوف تقضى على التسول المهين عن طريق تطبيق المبادئ المنصوص عليها في هذا البند .

ح - سوف تصدر قانوناً للإصلاح البلدي لمنفعة جماهير الحضر .

ط - سوف توفر الإسكان الكافي لكل أسرة . وعلاوة على ذلك سوف تضع الخطط للإسكان الحضرى والخطط لإنشاء المساكن لسكان الريف .

ي - سوف تخفض الضرائب على الماء والكهرباء والصرف والمرافق العامة وسوف تضع البرامج لهذه الخدمات الى كل المناطق الحضرية .

٥ - خطة خاصة لشاطئ الاطلنطي : سوف تضع ثورة الشعب موضع التنفيذ خطة خاصة لشاطئ الاطلنطي والمناطق الأخرى من نيكاراغوا المهجورة تماماً .

١ - سوف تنفذ برنامجاً خاصاً يطبق على شاطئ الاطلنطي - وهي المنطقة من البلاد التي عانت باستمرار من الاستغلال الأمريكى القاسى . وفي الوقت نفسه سوف تمد هذا البرنامج الى مناطق البلاد التي تشارك في موقف شاطئ الاطلنطي . وتضم مثل هذه المناطق جزءاً كبيراً من سيجوفياس وشسونتاليس وريوسان جوان .

ب - سوف تنمي صناعة التعدين لتحول الى كابوس ينتمي للماضى ، ويركز التعدين في شاطئ الاطلنطي التي لم تكن شيئاً يقل عن معسكرات ابادة أمريكية .

ج - سوف تعد الاراضى في هذه المنطقة الصالحة للتنمية الزراعية ولتربية الماشية .

د - سوف تستفيد من الظروف الملائمة لتنمية صناعة صيد الاسماك .

هـ - سوف تستفيد أيضاً من ظروف هذه المنطقة الملائمة لتنمية صناعة الأخشاب .

و - سوف تعمل من أجل ازدهار الثقافة المحلية على شاطئ الاطلنطي النابعة من التقاليد التاريخية للمنطقة .

ز - وعن طريق هذه الاجراءات المذكورة سوف تزيل التمييز المخزى الذي يتعرض له الوطنيون الموسكيون والسومو والزامبو والسود وكل قطاعات الشعب في شاطئ الاطلنطي .

٦ - تحرير النساء : ان ثورة الشعب سوف تزيل التمييز البغيض الذي عانت منه النساء بالمقارنة بالرجال وسوف تقيم مساواة اقتصادية وسياسية وثقافية بين النساء والرجال .

١ - ستقرر مبدأ ان المرأة مساوية للرجل في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

ب - ستضع نهاية للتمييز الذي عانت منه المرأة والذي ينعكس في التخلي عن الطبقة العاملة الام .

ج - سوف تولى اهتماماً خاصاً للام والطفل .

د - سوف تمنح اجازة وضع لمدة شهرين قبل وبعد الوضع للنساء العاملات .

هـ - سوف توفر حق الحماية المتساوية من المؤسسات الثورية للأطفال المولودين خارج اطار الزواج .

د - ستقيم حضانات ومراكز أخرى لرعاية الاطفال والاهتمام بهم .

ز - سوف تصدر قوانين تقدمية فيما يتعلق بالاسرة والزواج .

ج - سوف تقضى على البغاء وأشكال الشرور الاجتماعية الأخرى لترفع كرامة النساء .

ط - سترفع المستوى السياسى والثقافى والمهنى للمرأة خلال اشتراكها في العمليات الثورية .

٧ - نزاهة الإدارة : ان ثورة الشعب سوف تزيل الفساد الإدارى الحكومى التقليدى وستقيم نزاهة إدارية حازمة .

١ - ستزيل حرفة الرذيلة الاجرامية (الدعارة والمقامرة وبيع المشروبات الكحولية والعقاقير المخدرة الخ) التي يستغلها الحرس الوطنى بوضعه المميز . (وهو ما يتم أحياناً جنواطى الطفيليين الأجانب) .

ب - سوف تفرض رقابة دقيقة على جميع الضرائب التي تجبى بهدف منع الموظفين الحكوميين من تحقيق الأرباح وهو ما سينهى الوضع السائد بين معظم الإدارات الرسمية في ظل الحكم المعادى للشعب .

ج - ستضع نهاية للعمل التعسفى لأعضاء الحرس الوطنى الذين يجلدون الشعب عن طريق فرض الضرائب المحلية .

د - ستضع نهاية للأعمال التي يذهب عن طريقها القادة العسكريون اعتمادات الميزانية المخصصة لرعاية المسجونين العاديين ، وسوف تنشئ مراكز رعاية هدفها تقويم الجانحين .

هـ - سوف تزيل أعمال التهريب التي تمارس على نطاق واسع عن طريق العصابة السياسية والعسكرية وغيرهم من

المتواطئين في الحكم المعادى للشعب .
و - سوف تعاقب بشدة الافراد الذين يشتركون في جرائم ضد النزاهة الادارية (الاختلاس والتهريب وارساخ وراء استغلال الرذيلة ، الخ) ؟ ، وستكون شدة العقوبة أكبر عندما يكون أحد مناضلى الثورة مشتركاً .

٨ - الثورة هي الثقافة والتعليم : ستضع ثورة الشعب الاساس لتطوير الثقافة الوطنية وتعليم الشعب والاصلاح الجامعى .

١ - ستحفز النهوض بالثقافة الوطنية وستضع نهاية للتغلغل لسلامبريالية الامريكية .

ب - سوف تقضى على الامية .

ج - سيكون التعليم مجانياً في جميع مراحل (ويشمل ذلك الحاجات المدرسية والغذاء والنقل) . وسوف تقدم المنح الدراسية للطلاب المدارس الابتدائية والعليا في كافة المستويات التي تعيش في مستوى اقتصادى منخفض .

د - سوف تمد كل المدرسين الذين يحتاج اليهم تعداد الطلاب في المدارس لانهاء «وقف العيث» الذي يوجد فيه طلبة بغير مدرسين ومدرسين بغير طلبة ، وفي الوقت نفسه فانها ستعمل على تشييد وإنشاء المراكز المدرسية الضرورية .

هـ - سوف تكيف البرامج التعليمية مع احتياجات البلاد ، وسوف تطبق المناهج التجريبية والعلمية في التدريس .

و - سوف تخلص برامج التدريس من تغلغل الاستعمار الجديد لتلقى الضوء على النضالات الوطنية والعالمية من أجل العدالة والحرية ولتوجه الشباب بروح المثل العليا النبيلة وضد الاستغلال والقهر .

ز - سوف تخرج المثقفين التقدميين من على النسيان الذي دفنهم فيه الحكم المعادى للشعب وكذلك أعمالهم التي ظهرت خلال تاريخنا الوطنى الماضى .

ج - سوف تحرر المثقف من القهر الرجعى حتى يمكن وضع عمله الخلاق في خدمة الأمة والشعب .

ط - سوف تنفذ اصلاحاً جامعياً ثورياً - يتضمن - بين ما سينضمه من اجراءات ما يلى :

- تحرير الجامعة من سيطرة الطبقات المستغلة حتى تخدم المبدع والمنتج الحقيقى للثقافة وهو الشعب ؟ وينبغى دفع الجامعة الى وضع التعليم في خدمة الانسان ، ان الجامعة لا ينبغي ان تستمر في العمل كجهاز تفريخ للبيروقراطيين المتفوقين على أنفسهم .

- تصفية التمييز الذى قاسى منه الشباب من أبناء الطبقة العاملة والفلاحين وغيرها من الجماعات الفقيرة فيما يتعلق بالالتحاق بالجامعة ، وتصفية هذا التمييز عن طريق تقديم المنح الدراسية واقامة البيوت وقاعات الطعام للطلبة .

- زيادة ميزانية الدولة لجامعة حتى يمكن أن تمول المشكلات المختلفة التي تواجهها .

- إقامة تمثيل لأغلبية الطلبة في اجتماعات الكليات والاعتراف بأن الطالب هو القطاع الأساسي بين الجامعيين .

- نصفية تغلغل الاستعمار الجديد في الجامعة وخاصة ذلك الذي يمارسه من خلال التبرعات التي تقدمها المؤسسات الخيرية الزائفة التابعة لاحتكاريين الأمريكيين

- دعم البحث الحر التجريبي العلمي حتى يساهم في حل المشكلات الوطنية والعالمية .

- تقوية وحدة الطلبة والاساتذة والباحثين مع كل الشعب وتأكيد النموذج السامي للطلبة والمثقفين الذين يضحون بحياتهم من أجل المثل الأعلى الثوري .

٩ - احترام المعتقدات الدينية : ان ثورة الشعب سوف تضمن للشعب حرية التعبير الديني .

١ - سوف تحترم حق المواطنين في الانتماء لاية عقيدة دينية .

ب - سوف تؤيد عمل القساوسة وغيرهم من رجال الدين الذين يؤيدون الشعب العامل .

١٠ - سياسة خارجية مستقلة : سوف تصفى ثورة الشعب سياسة الفسزغ للامبريالية الامريكية وسوف تقيم سياسة خارجية وطنية لتأييد الاستقلال الوطني والسلام العالمي الحقيقي .

١ - ستضع نهاية للتدخل الامريكي في مشكلات نيكاراغوا الداخلية وسوف تنتهج سياسة احترام مقابيل وتعاون اخوي مع شعوب جميع البلاد الاخرى .

ب - سوف تطرد البعثة العسكرية الامريكية وما يسمى بفسزق السلام (الجواسيس الامريكيون متخفون في صورة فنيين) والعناصر العسكرية والسياسية المماثلة التي تشكل تدخلا سافرا في البلاد .

ج - سوف تقبل المساعدة الاقتصادية والفنية من أي بلد طالما أنها لا تنطوي على أية شروط سياسية .

١١ - إلغاء معاهدة شامورو

- إريان سسوف تلغي ثورة الشعب معاهدة شامورو - برايسان التي وقعتها حكومة الولايات المتحدة وحكومة ايمليانو شامورو ، والتي صدق عليها الحكام ديجو مانويل شامورو ، وجوزيه ماريانو مونكادا ، وجوان

بوتستاساكاسا ، واناستازيو سوموزا جارنيا ، ولويس سوموزا ، ورينيه شيبك ، واناستازيو سوموزا ديبايلى . ان هذه المعاهدة المنهكة تحول نيكاراغوا وبلاد أمريكا الوسطى الاخرى الى مستعمرات للامبريالية الامريكية عن طريق منحها حقوقا استثنائية لبناء قناة تربط بين المحيطين (الهادى والاطلنطى) وحق انشاء قواعد عسكرية .

١٢ - جيش الشعب الوطني : سوف تزيل ثورة الشعب القوات المسلحة المعادية للشعب المعروفة باسم الحرس الوطني وسوف تخلق جيشا شعبيا ثوريا ووطنيا .

١ - سوف تلغي الحرس الوطني . القوة المسلحة عدوة الشعب التي خلقتها قوات الاحتلال الامريكية في عام ١٩٢٧ لاضطهاد واغتيال الوطنيين الساندينيين الذين حملوا الأسلحة دفاعا عن السيادة الوطنية . وسوف يحل محل الحرس الوطني جيش شعبي ثوري ووطني ، وفي الجيش الجديد يمكن أن يشترك اجنود المحاربون من الحكم القديم :

- أولئك الذين أيدوا حرب العصبيات الشعبية .

- أولئك الذين أيدتهم نظيفة من دماء الثوريين والذين لم يدانوا باضطهاد الشعب .

ب - سوف تسلح العمال والفلاحون والطلبة والقطاعات الاخرى التي يمكن تنظيمها في ميليشيا شعبية للدفاع عن الحقوق التي اكتسبت ضد الهجمات العنيفة التي ستشنها الطبقات المستقلة عندما يطاح بها . ولن نكرر نزع السلاح الذي فرض على المتساقطين الشعبين في عام ١٩٢٧ بواسطة الامريكي هنري ل . ستيمسون والخائن الليبرالي جوزيه ماريانو مونكادا ، والمحافظ المتخاذل أدولفوريان .

ج - سوف تحصن جيش الشعب الجديد ، وتوسع قدرته القتالية ومستواه الفني والتكتيكي .

د - سوف تؤكد في وعي اعضاء جيش الشعب مبدأ الاعتماد على قوتهم الذاتية لتنفيذ المهام القتالية وتطوير مبادرتهم الخلاقة .

هـ - سوف تعمق المثل العليا الثورية داخل جيش الشعب بهدف توسيع الروح الوطنية وتعزيز التصميم على القتال حتى

النصر والتغلب على العقبات وتصحيح الاخطاء .

و - سوف تحسن نظام جيش الشعب باستمرار وسوف تقيم علاقة وثيقة واخوية بين الجنود ، وكذلك بين المتساقطين والشعب .

١٣ - التضامن بين الشعوب : سوف تمارس ثورة الشعب تضامنا قاتاليا حقيقيا مع الشعوب المناضلة من أجل تحريرها .

١ - سوف تؤيد ايجابيا نضال شعوب أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد .

ب - سوف تؤيد نضال السود الامريكيين الشماليين لكسب حقوقهم الانسانية .

ج - سوف تؤيد نضال كل الشعوب ضد إقامة القواعد العسكرية الامريكية في البلاد الاجنبية .

١٤ - وحدة شعوب أمريكا الوسطى : سوف تناضل ثورة الشعب من أجل الوحدة الحقيقية لشعوب أمريكا الوسطى في بلد واحد .

١ - سوف تؤيد وحدة اصيلة مع الشعوب الشقيقة في أمريكا الوسطى . وسوف تبدأ هذه الوحدة بتعاون القوى من أجل تحقيق التحرير الوطني وإقامة نظام اجتماعي جديد دون سيطرة امبريالية او خيانية وطنية .

ب - سوف تصفى ما يسمى بالتكامل الذي يسعى الى مضاعفة خضوع أمريكا الوسطى للاحتكارات الامريكية والطبقة المحلية الرجعية .

١٥ - تخليد الشهداء : سوف تنشر ثورة الشعب العرفان بالجميل والتبجيل الخالد لشهداءها . وسوف تواصل ضرب مثل البطولة والكرم المنع الذي خلفوه .

١ - سوف تعلم العمال والفلاحين والطلبة وقطاعات الشعب الاخرى العرفان بالجميل والتبجيل الابدي لأولئك الذين سقطوا شهداء حتى تصبح نيكاراغوا وكل الشعوب حرة .

ب - سوف تظهر عرفانها وتبجيلها للشهداء المقدسين والدفاع عن المثل العليا الثورية حتى انتصارها .

الوطن الحر أو الموت
جبهة التحرير الوطني الساندينية
من مكان ما في نيكاراغوا

..والآن... نفرتي

١٠٠ مللى

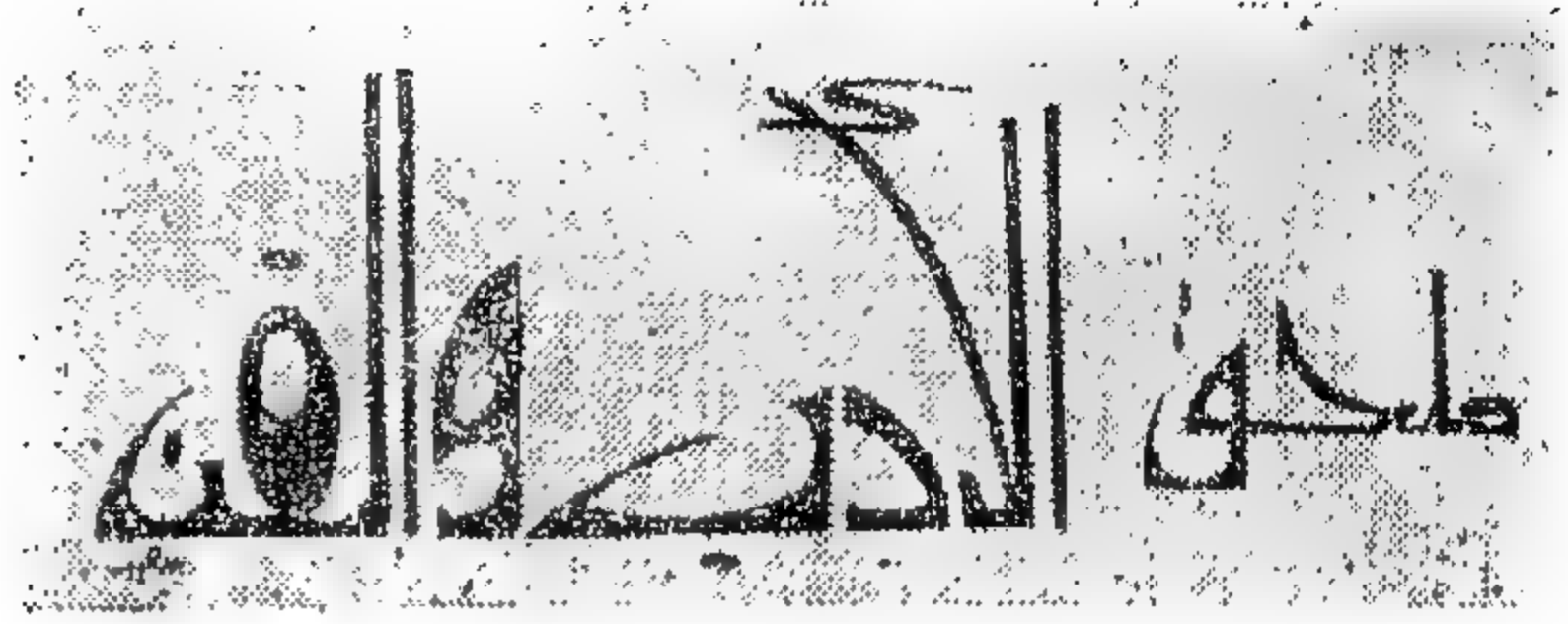
عبوتهما الزلفية
الجديدة

٢٠ سيجارة
سوبر ١٠٠ مللى
٢٥ قرشا



إنتاج :
شركة النصر للدخان والسجائر

الطليعة



المعدد الثاني — فبراير ١٩٧٢

مؤتمرات الأديباء العرب
التاريخ .. والمستقبل

يشرف على التحرير

د. لطيفة الزيات
غالي شكري
محمود درويش
سمير فريد
صبري حافظ



د. عبد القادر القط
الاصالة والتجديد

أبو تمام
التراث المعاصر

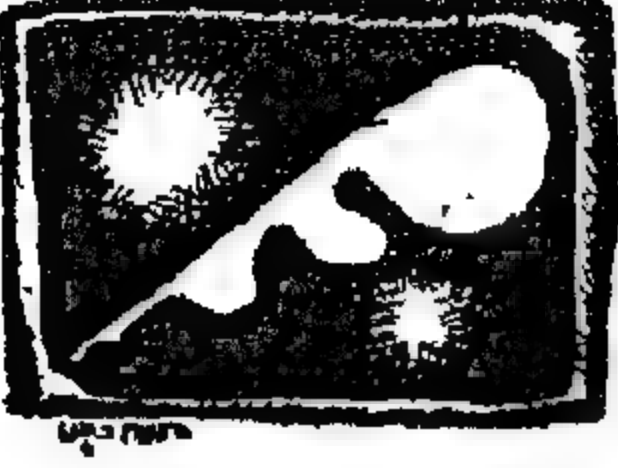
د. سهير القلماوي
.. ومسئولية النشر

في هذا العدد

نحو صيغة جديدة لمؤتمرات الأدباء العرب « الدراسة »

- نظرة على التاريخ ورؤية للمستقبل
- الاديب العربي بين الحرية والالتزام
- الاداء والتعبير الفني في معركة المصير
- الاديب العربي بين التراث والمعاصرة

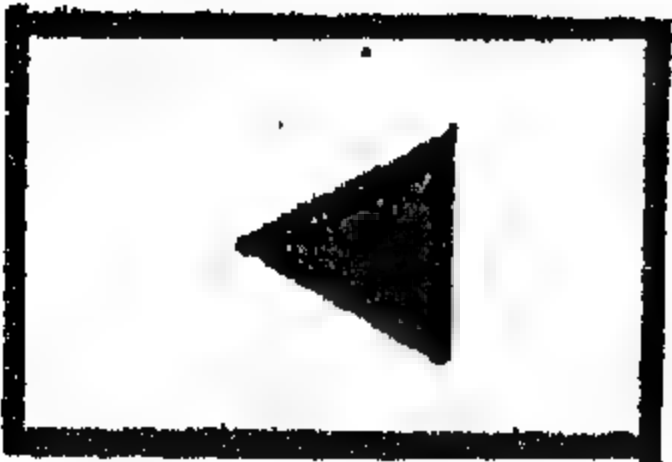
سينما : ابنة رايان .. آخر افلام الانتاج الكبير في هوليوود
فن تشكيلي : محيي الدين حسين وقمة التراث
رسالة من الموصل - كتب جديدة - قصتان قصيرتان
حوار الشهر : مع د. عبد الرازق حسن و د. سهير القلماوي



يفرد « الملحق » دراسته الرئيسية في هذا العدد ، لبحث الصيغة الراهنة لمؤتمرات الأدباء العرب على ضوء الواقع التاريخي لهذه المؤتمرات ، ووثائق المؤتمر الثامن على وجه الخصوص .

لقد طرح المؤتمر الأخير ثمانى موضوعات ، اخترنا منها هنا الموضوعات الرئيسية الثلاثة ، وهى « الاديب العربى بين الحرية والالتزام » و « الاداء والتعبير الفنى فى معركة المصير » و « الاديب العربى بين التراث والمعاصرة » . . . وذلك لانها كانت أكثر القضايا جذبا للانتباه ومدعاة للنقاش . والتقليد المتبع نظريا حتى الآن هو أن يقدم كل وفد بحثا فى كل موضوع ، ولكن من الناحية العملية لم يتيسر هذا فى أغلب الموضوعات . لذلك فنحن نناقش هنا مجموعة البحوث التى قدمت فعلا فى هذه القضايا الثلاث .

ومن جهة أخرى، فقد رأينا أن نسبق تقييمنا التفصيلي لبعض ما أثير فى المؤتمر الثامن الذى عقد بين ١١ و ١٣ ديسمبر عام ١٩٧١ بدمشق ، بمدخل تاريخي يطل على المؤتمرات السابقة، ويستشرف آفاق المؤتمرات القادمة .



نحو
صيغة
جديدة

المؤتمرات

للأدباء العرب

الأمم المتحدة

نظرة على التاريخ ورؤية للمستقبل

غالى شكرى

فى

المؤتمر الاول للادباء العرب ، الذى عقد فى لبنان عام ١٩٥٤ ، تمنى الدكتور سهيل ادريس « لو أن المؤتمر قصر أعماله هذا العام على موضوع حرية الفكر ، الذى هو أخطر موضوع نواجهه ، لا سيما وأنه يتصل اتصالاً وثيقاً بعدد من قضايانا الكبرى ، ومعنى هذا أن دراسته دراسة تفصيلية مدققة ، كان جديراً بها أن تيسر لنا كثيراً من هذه المشكلات الأخرى » . وفى المؤتمر الرابع الذى عقد فى الكويت عام ١٩٥٤ ، قال الدكتور محمد يوسف نجم : « من الغريب أن نبحث فى مؤتمر أدبى عن كل شيء . . عن القومية ، عن المجتمع ، عن التاريخ ، ثم نضن على الأدب نفسه ، بمعناه الحقيقي الأصيل ، بمعناه الفنى ، بإشارة واحدة » .

للاعتقاد من قبل جمعية « أدبية » ، وكان المؤتمر مدعوبين بصفاتهم الشخصية ، قد أثمر ذلك أن « تعدد » الموضوعات المطروحة للبحث — وهذه هي الظاهرة السلبية الرئيسية — وأن تقترب الأبحاث من روح الأدب ومعناه — وهذه هي الظاهرة الإيجابية الرئيسية — وأن تمثل الشخصيات المدعوة للحياة الأدبية فى أكثر رموزها شهرة وديراً — وهذه هي الظاهرة التى يتجاوز فيها السلب والإيجاب ، ولكنها فى جوهرها ظاهرة موضوعية تجسم إلى حد كبير « واقع » حياتنا الأدبية — فخصائص كطه حسين ومحمد حسين هيكل ، وفؤاد الشايب ، وممر أبو ريشة ، لا يختلف حول قيمتهم أحد ، إلى جانبهم — بطبيعة الحال — شخصيات أخرى ، تحتل النقاش والتساؤل : لماذا هم وليس غيرهم ؟ ولعل المعيار البديل هو مدى مساهمة هذه الشخصية أو ذلك لقيادة الحوار فى الموضوع المناقش ، إلا أن هذا المعيار تلده الظروف التى أحاطت بالمؤتمر الاول .

وقد جاءت توصيات ذلك المؤتمر امتداداً لتكوينه وصفه المشار إليها ، نهى توصيات « عامة » حول حرية الفكر والتعبير ، والنضال من أجل فلسطين ، وتيسير اللغة ، وتدميق المصطلحات ، بنشر المخطوطات . . . والغناء الضرائب الجبركية على المطبوعات الأدبية ؛

غير المقصودة بمعنى أدق — طيلة المؤتمرات الثمانية التى مقدت خلال السبعة عشر عاماً الماضية . . فى ذلك المؤتمر الاول « القيت » عدة أبحاث على المجتمعين ، تدور حول « الأدب العربى وازدواجية اللغة » ، « الأدب والدولة والمجتمع » و « المصطلحات العربية يهاجمات المجتمع » و « الفنان بين الواقع والالهام » و « حرية الفكر » و « توثيق العلاقات بين أدباء الإقطر العربية » . وهكذا خلا المؤتمر من محور واحد تدور حوله الأبحاث ، ولكنها ، بالرغم من ذلك ، كانت وثيقة الصلة بموضوع « الأدب » ، إلا أن غياب « المحور الواحد » ، كان منارا لاعتراض الدكتور سهيل ادريس ، الذى رأى أن قضية حرية الفكر « تستحق أن يفردها لها مؤتمر بكاملة » ، يناقش تفاصيلها المرتبطة بالأدب والادباء . وربما كان اختيار حرية الفكر « بالذات مجرد مثال أمثلته ظروف المنطقة المرهقة بالبطش والقهر والسجون والمشايق وأحدث آلات التعذيب . . غير أن الحقيقة من زاوية أخرى ، هى أن مؤتمرا يعقد لايام معدودة يتحمل أكثر من قضية واحدة يناقشها المؤتمرين تفصيلاً وبرحابة وموضوعية . . على أية حال ، كان المناخ الذى ولد منه التجمع الاول « أدباء العرب » ، هو « الب الشرعى لهذه المجموعة من الظواهر الإيجابية والسلبية » كان المؤتمر مدعوا

والحق أن هذين الرايين اللذين جاء بصداقة فى معرض التعليق ، لا فى صلب الدراسات المقدمة لهذا المؤتمر أو ذلك ، يستحقان التأمل الطويل ، لأنهم يصوغان نقطتى الارتكاز الرئيسيتين لرؤيته تاريخ مؤتمرات الادباء العرب ومستقبلها أيضاً .

التجمع وسيلة لا غاية

كان أمراً طبيعياً أن « يتحرك » الادباء العرب مع بداية الخمسينات ، حركة جماعية موحدة ، فالوطن العربى كله كان يمور بصراعات حادة من أجل الاستقلال القومى . . وقد انتظمت هذه الصراعات منذ أواخر الأربعينات ، التى توجتها مأساة فلسطين فى شكل تيارات فكرية ملوثة فى مجموعة من الصور الحزبية والهيئات السياسية . وكان بديها أن يفكر الادباء من كافة الاتجاهات فى « التجمع » كحركة ثقافية على الصعيد القومى ، فى موازاة الحركة السياسية المضطربة ، وفى « تفاعل » معها أيضاً . وجاء المؤتمر الاول للادباء العرب ، بين ١٨ و ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٥٤ فى لبنان ، تجسيدا لفكرة « التجمع » هذه ، وتعبيراً من رغبة حقيقية أصيلة فى « فعل شيء ما » . ولم يكن من المتوقع أن تكتمل « صيغة » مؤتمر عام للادباء من اجتماعه الاول الذى أقيم بدعوى من جمعية « أهل القلم » اللبنانية . ولكن الغريب حقاً أن « تستقر » هذه الصيغة المرتجلة — أو

وتعميم المكتبات ، وحماية حق الملكية الأدبية ، وتنظيم الحركات الأدبية في الوطن العربي ، بتأسيس اتحادات مهنية للادباء .. وهي توصيات بعضها موجه الى الادباء ، وبعضها الآخر الى الحكومات . وقد كان أهمها جميعا هو الدعوة الى قيام اتحادات فرعية للادباء ، ينبثق عنها في المستقبل الاتحاد العام للادباء العرب . كانت هذه اهم التوصيات في تقديري ، لانها من ناحية ، هي التدخل السليم لعقد مؤتمرات الادباء العرب ، ولانها من ناحية أخرى « مهمة قابلة للتنفيذ » ، فهي تدخل في اختصاص الادباء ومقدورهم .

« حركة » أدبية

أم حركة أدباء ؟

إذا كان المؤتمر الاول تعبيرا عن « حركة » الادباء اتوازية لحركة الواقع الاجتماعي والسياسي ، فقد اقتضت هذه الحركة على مجرد التجمع . وكان لابد من انسروح الجاد في التحرك الفعال من اجل مؤتمر حقيقي للادباء العرب ، تسبقه في الاغلب مؤتمرات اقليمية تمهد له وتخطط وتعد . على ان المفارقة المؤسسية هي ان اهم التوصيات التي اتخذت منذ سبعة عشر عاما ، لم تنفذ الى الان ، فلا زالت الغالبية الساحقة من الاقطار العربية خالية من الاتحادات فرعية للادباء . والمفارقة ليست « بسيطة » الى هذا الحد ، فبينما هناك اتحاد عام قانوني للادباء العرب ، تقول مادته الثانية : « يتكون الاتحاد العام للادباء العرب من اتحادات الادباء المعترف بها في البلاد العربية » ، لا نجد ابرا لهذه الاتحادات في معظم ارجاء الوطن العربي . ومن هذا لا تزال الدعوات الشخصية من جهة والتمثيل الرسمي للدولة من جهة ثانية . حتى ان احدي الدول انضمت للمؤتمر الثامن بان مندوبها سيكون وكيل الوزارة لشئون الآثار دون ان تسميه [، والتوازنات العربية من جهة ثالثة هي الصفات الغالبة على تشكيل الوفود وتكوين اللجان وصياغة القرارات .

لقد تبقى من المؤتمر الاول اكثر نتائجها سلبية ، وضاعت اكثر ظواهر ايجابية ، بالرغم من غياب الظروف التي خلقت السلبيات ، وكثافة الظروف التي صنعت الإيجابيات . كان عام ١٩٥٦ ، مثلا - حين عقد المؤتمر الثاني - من الاعوام ذات الدلالة في تاريخ المنطقة ، وقد انعكس ذلك الى حد كبير في تشكيل الوفود ، حيث اقبلت الى ساحة المؤتمر في « بلودان » ، بين ٢٠ و ٢٧ سبتمبر وجوه جديدة ، كبدور شاكر السياب ، ونيازك الملائكة ، ويوسف ادريس ، والفريد فرج . ولكن الموضوعات المطروحة لم يكن بينها رابط داخلي عميق ينبسج من حولها راية قضية معينة تحتاج الحياة الادبية الى مناقشتها . كان هناك بحث « الاديب والناقد » ليخائيل عيعة ،



د. سهيل ادريس

« الاديب والدولة » لفؤاد الشنايب ، و « الادب والفنون الجميلة » لمحمود أمين العالم ، و « تعريف العرب بنتاجهم الحديث » لبدر شاكر السياب ، و « الادب العربي بين الاداب العالمية » لطفه حسين . وكان من الطبيعي ان تنادي توصيات مثل هذا المؤتمر بالتعاون بين الاديب والناقد ، وهربة الكاتب ، وضرورة الاهتمام بالتراث ، واعتبار اللغة العربية الفصحى هي الاساس في مناهج التعليم ، والاهتمام بوسائل نشر الفنون الادبية ، وتكرار الدعوة الى قيام جمعيات أدبية - لا اتحادات - في كل قطر عربي . وكان المؤتمر لم ير فائدة من الالاح على تأسيس اتحادات فرعية ، فاكفى ، متواضعا ، بالدعوة الى قيام جمعيات أدبية ، وهذا اضعف الإيمان . وكان المؤتمر متسقا مع نفسه ، فلم ير نمة فائدة في الالاح على قيام اتحاد عام للادباء العرب ، فاكفى متواضعا بانشاء مكتب دائم للادباء العرب يتكون - طبعا - من رؤساء الوفود الحاضرة ! كان قد مضى عامان على المؤتمر الاول حين انتهى المؤتمر الثاني الى هذه التوصيات التي تؤكد ان احدا لم يشغل ناله طيلة العام في ان حركة « التجمع » وحدها لا تكفي ، وانه لابد من حركة جديدة نحو صميمه مؤتمرات الادباء العرب . ان التغير الذي اصاب الواقع المحيط بالادباء ، والتعب في ظروف ومناخ المؤتمر الاول ، لم يصب المؤتمر الثاني ، بل انه ، رغم الوجهه الجديدة التي انشقت على « بلودان » ، جاء المؤتمر في واقع الامر تركيزا صيغة المؤتمر الاول التي لم تكن الا جنينا قابلا للتشكيل والتعديل والاضافة . تلك الصيغة المرتجلة الباكورة هي التي رافقت للاسفل خطوات الادباء العرب نحو مؤتمراتهم التالية .. حتى الظواهر الإيجابية القليلة التي صاحبت المبادى الاول لفكرة المؤتمر . اجتماعات « بيت مري » ، اخذت في التضاؤل بالتدرج ، واذنت بالتلاشي . ومن ثم تكونت الصيغة الحالية من العناصر التالية :

① استبعاد « المحور الواحد »

استبعادا تاما .. وقد اضيفت احيانا كثيرة من قبيل الترميم ، بعض الشعارات السياسية الى البحوث المقدمة كموضوع « الادب والقومية العربية » في المؤتمر الثالث المنعقد بالقاهرة ، بين ٩ و ١٦ ديسمبر عام ١٩٥٧ ، وموضوع « البطولة في الادب العربي » في المؤتمر الرابع المنعقد بالكويت ، بين ٢٠ و ٢٨ ديسمبر عام ١٩٥٨ ، و « دور الادب في معركة التحرير والبناء » ، في المؤتمر الرابع المنعقد ببغداد ، بين ١٥ و ٢١ فبراير عام ١٩٦٥ .. الى غير ذلك من عناوين « المؤتمرات التالية » . ولكن الواقع هو انه لم يكن هناك موضوع واحد ، بل كان كل باحث مهتما بموضوع ما ، وقد « الصق » في نهاية العنوان شعار المؤتمر ، حتى لا يقال انه خرج على الموضوع المدعو من اجله .

② استبعاد « الادب » من قضايا المؤتمر ومحاور اهتمامه .. فلقد أدى تعدد الموضوعات المطلوب مناقشتها في ايام معدودة ، الى استسهال التعميم والثثرة السياسية .. ولا شك ان المؤتمرات الثمانية قد حظيت ببعض البحوث الادبية الجادة والعميقة والمسئولة ، ولكن هذه البحوث القليلة لم تمل ما تستحقه من انتباه ومتابعة وحوار ، في شجرة المزايدات والمناقضات والتوازنات السياسية التي يحتملها الشعار السياسي المرفوع على اعلى لافتات المؤتمر .. بل لقد أدى طوفان الشعارات السياسية الى فرق الباحثين مؤتمرا بعد مؤتمر في لغة التكرار الميت . فهو ليس تكرارا لنفس المعاني في

المؤتمر الواحد من عدة باحثين في موضوع واحد ، وانما هو تكرار الالفاظ والتعابير من مؤتمر الى آخر . وماذا يفعل الكاتب حين تكلفه هذا العام ببحث « الادب والقومية العربية » ، وفي العام الذي يليه « الادب ومكافحة الامبريالية » ، وفي العام الثالث « الادب ومعرفة » ، وفي العام الرابع « الادب ومعارضة الصهيونية » ، وفي العام الخامس « الادب وقضية فلسطين » .. ان تكرار الشعار بالفاظ متقاربة من عام الى آخر ، ينتهي حتما الى هذا الفقر والعقم وانوار . ان ناربخا الادبي القديم والحديث ملء الى حد التخممة بالقضايا الفكر التي تحتاج الى حوار علمي مستفيض . ان كافة الاجناس الادبية في لغتنا تحتاج الى مؤتمرات عديدة لبحث مشكلاتها . وحين نلتقي حول قضية النقد أو المسرح أو الشعر و الرواية ، فاننا لا نبتعد كثيرا عن السياسة ، ولكن السياسة في الفن أحد عناصره وليست عنصره الوحيد . الادباء - كجميع البشر - سياسيون ، ولكن وظيفتهم في الحياة هي الابداع الفني . وكتاب السياسة ومفكرها أولى وأجدر منا وأكثر قدرة على مناقشة قضاياها

المباشرة • وليس كريمة المؤتمر يعقده الأدباء أن يزوغ من مناقشة قضايا الأدب والفن الحقيقية نشداننا ليس والراحة في ظل الشعارات السياسية لاننا حينئذ نخسر الأدب ولا نكسب السياسة •

٧ ولعل التوصيات التي خرجت من المؤتمرات الثمانية هي أبلغ الشواهد على أننا نسود في حلقة مفرقة • فالدعوة إلى الاهتمام بالتراث والترجمة واللغة الفصحى وقضية فلسطين وحرية الفكر ، هي القاسم المشترك الأعظم بين هذه التوصيات • وفي كل مؤتمر يوجه الجميع هذا النقد : لماذا لم تنفذ التوصيات : وفي كل مؤتمر لا يجيب أحد : لأنها غير قابلة للتنفيذ ، لأنها تدخل في نطاق اختصاصات غيرنا ، لأن غالبيتها شعارات عامة يتصل تنفيذها من عدمه بوضع المجتمعات العربية وحكوماتها • وما كان في مقدورنا القيام به نقله من حسابنا ، فلذلك مرة ينادى المؤتمر عام ١٩٥٧ ، بإنشاء اتحاد عام للأدباء ، ولم تنفذ التوصية إلا عام ١٩٦٨ تنفيذا ناقصا ، لأنه لم يتم إنشاء اتحادات فرعية سابقة عليه • منذ عام ١٩٥٤ ، نادى المؤتمر الأول حرية الفكر ، ولم يجرؤ مؤتمر واحد على تشريح وضع الحريات في الوطن العربي ، لم يعط مثلا واحدا من مئات الأمثلة الحسية المباشرة على غياب الحرية ، هذا القطر أو ذاك ، لم يقدم نموذجا واحدا لاغتيال حرية الفكر والتعبير ، لدرجة التصفية الجسدية لبعض الكتاب والفنانين • لقد وصلت بعض التوصيات إلى حد الإهانة للأدباء أنفسهم ، كان يوصى المؤتمر بأن يأخذ الأديب في اعتباره - وهو يكتب - قضايا التحرر الوطني ، وأن يكون تعبيرا صادقا عن الأمة العربية ، وأن يحرص على محاربة الصهيونية إلى غير ذلك من وصايا - ولا أقول توصيات - لا يمكن أن تقال لكتاب لم يفقد بعد قواه العقلية • ان هذه التوصيات البلهاء هي البديل السليبي للمناقشات الخصبة المثمرة فيما لو كان هناك « موضوع » حقيقي مطروح للبحث على مائدة الأدب والفن ، على بساط السياسة وسجاجيد الشعارات المزركشة •

٨ وقد كان التجسيد البشري لصيغة مؤتمرات الأدباء العرب ، وما يزال هو هذه الوفود التي تتشكل وفق الوضع السياسي لكل بلد على حدة • من نقطة البداية هذه ، فإن التشكيل العام لأي مؤتمر لا يمثل « الحركة الأدبية العربية » وإنما هو أقرب ما يكون إلى التمثيل الرسمي للحكومات • لذلك فإن وجوها مشرقة تصير فجأة في هذا المؤتمر ، وتختفي فجأة في مؤتمرات تالية ، لجرد أن أوضع السياسي في القطر الذي تنتهي إليه هذه الوجوه قد تغير • ويحدث العكس أيضا ، فتستقر بعض الأسماء في لوحات جميع المؤتمرات ، بالرغم من



د. محمد يوسف نجم

ان العصر قد تجاوزها ولم تعد بقادريه على تحمل أعباء العصر الجديد ، ولكن التقليد « و » العرف « في أحسن الظروف » و « العلاقات الشخصية » « المجاملات » و « المصالح » ، في أسوأها ، لا تعترف بالزمن ، وتجيء مرة أخرى وأخرى ، رغم أنف المؤتمر والمؤتمرين • والنتيجة هي أن تكرار الموضوعات ، وتكرار التوصيات ، وتكرار الشخصيات ، جعل من المؤتمر الأخير مسخا مشوها لكافة المؤتمرات السابقة • وبسبب سيطرة النخبة السياسية في جميع المؤتمرات ، فإنها تشبه منذ لقاء البحوث والمناقشات قاعة جامعة الدول العربية • كل وفد يعرف مقدما ما سيقوله الوفد الآخر ، مينحرف أو يصمت أو يصفق حسب العلاقات السياسية بين بلديهما • وليس هذا بأية حال ، الوضع الراهن لاتجاهات الأدب العربي • ولكن بين هو « الأدب » العربي في مؤتمرات الأدباء العرب •

رؤية للمستقبل

غير أن ذلك كله لا ينفي الأهمية البالغة لفكرة مؤتمرات الأدباء العرب ، ولا ينفي أن ثمة إنجازات حقيقية للمؤتمرات التي عقدت بالفعل ، أهمها تأسيس الاتحاد العام ، والقللة القليلة من البحوث الممتازة ، والكيان المعنوي للأدباء كقوة لها أثرها الفعال في المجتمع والتعارف الشخصي بين أجيال لم يكن لتتاح لها أن تلتقي بمعة واحدة • كذلك كانت هذه المؤتمرات - رغم السلبيات والثغرات التي شابنها - نجما وطنيا ، مهما كان الاختلاف بين تيارات هذا التجمع واتجاهاته • إلا أنه يتبقى بعد ذلك كله وقبله ، أن النصيغة المراهنة لمؤتمرات الأدباء في حاجة ماسة إلى تغيير جذري في بنائها ورؤيتها حتى تصبح قادرة على اتجاز المهام والأهداف المرجوة من حشد مجموعة هائلة من أبنائنا في مكان واحد وزمان معين • ومن واقع الاخفاقات التي منيت بها المؤتمرات السابقة ، تبرز العدميات التالية نحو إيجاد صيغة جديدة بها :

• أن قيام اتحادات فرعية للأدباء في كافة أرجاء الوطن العربي ، ضرورة

عاجلة • لأن هذه الاتحادات تكفل الحد الأدنى من تمثيل الحركة الأدبية تمثيلا ديموقراطيا لا يخضع - غالبا - لاهواء العلاقات الشخصية والوسمية • وبمجرد ارتباط هذه الاتحادات بالاتحاد العام ، تصبح عضويتها فيه هي الصورة الشرعية الوحيدة لتمثيلها في المؤتمر •

• اختيار موضوع واحد للمؤتمر قبل انعقاده بعام كامل • • تناقشه الاتحادات الفرعية على مراحل طيلة العام ، بحيث تجيء « ورقة العمل » التي يتقدم بها الاتحاد القرعي إلى المؤتمر العام تجسيدا موضوعيا أميناً للرأي العام في هذا الاتحاد ، وبحيث يلتزم جميع أعضاء الوفد بالرأي المعلن في ورقة عملهم • لذلك من الأفضل أن يمثل الاتحاد القرعي في المؤتمر أعضاء الذين شاركوا بإبداءهم الفكري في ورقة العمل ، بالانتخبات الحر المباشر من جانب بقية الأعضاء الذين حضروا مناقشة الموضوع في الاتحاد القرعي •

• أن « ورقة العمل » هي البديل الأكثر قدرة على الوفاء بمتطلبات المؤتمر من البحوث المتعددة التي تتقدم بها الوفود المختلفة • • فهي تتيح لكل وفد فرصة التركيز على نقاط محددة ، تصلح مدخلا إلى النقاش الواسع داخل المؤتمر • على أن توزع ورقة العمل الخاصة بكل وفد على جميع أعضاء المؤتمر العام قبل عقده بشهر واحد على الأقل ، وذلك حتى يتسنى لهم تدوين ملاحظاتهم عليها بعد طول تأمل وتمعن للنظر • ولا يبقى أمام المؤتمر حينئذ سوى حصر نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف من ناحية ، والمحوار الموضوعي العميق والواسع حول القضايا المختلف حولها ، أن هذا الحوار - وليست كلمات الافتتاح ، أو التوصيات - هو الذي يستحق مجلدا في نهاية المؤتمر ، يطبع وينشر ويوزع على نفقته ، لأنه يعطي صورة شاملة وأقرب إلى الدقة لفكر الأدباء العرب حول القضية المطروحة في ورقة العمل •

• يجب أن تكون هذه القضية « أدبية » من ناحية ، ومثارة من ناحية أخرى • أن الثورات والمشكلات والقضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية توازيها ثورات ومشكلات وقضايا أدبية لها نوعيتها وخصوصيتها ، أن ترابط جميع الأشياء وتفاعلها الجدلي لا يمنع ، بل يؤكد ، استقلال كل منها نسبيا • لهذا فإن الشعر الحديث والرواية الجديدة والقصة القصيرة والنقد والمسرح العربي كلها قضايا بحاجة إلى دراسات « نوعية » خاصة بها • ومؤتمر الأدباء العرب هو الساحة العظمى لإدارة حوار حي وخصب وخلاق حول كل منها على أفراد •

وبعد ، فإن هذه المؤشرات ليست أكثر من عينة مقترحات كثيرة يختزنها أولئك الذين لا يرون في مؤتمرات الأدباء العرب مجرد نزعة سياحية أو مظاهرة سياسية •



[١] الأديب العربي

بين الحرية
والالتزام

في معركة المصير

فاروق عبد القادر

في مؤتمر يمثل الأديباء
تمثيلاً رسمياً ، وتحت عنوان
يحمل تناقضاً وثسبها
أرهاب : « الأديب العربي
بين الحرية والالتزام في
معركة المصير » ، يعني :
أن الأديب إما أن يكون
حراً أو يلتزم... وفي وجه
معركة المصير من يجرؤ
على الجهر بعدم الالتزام ؟

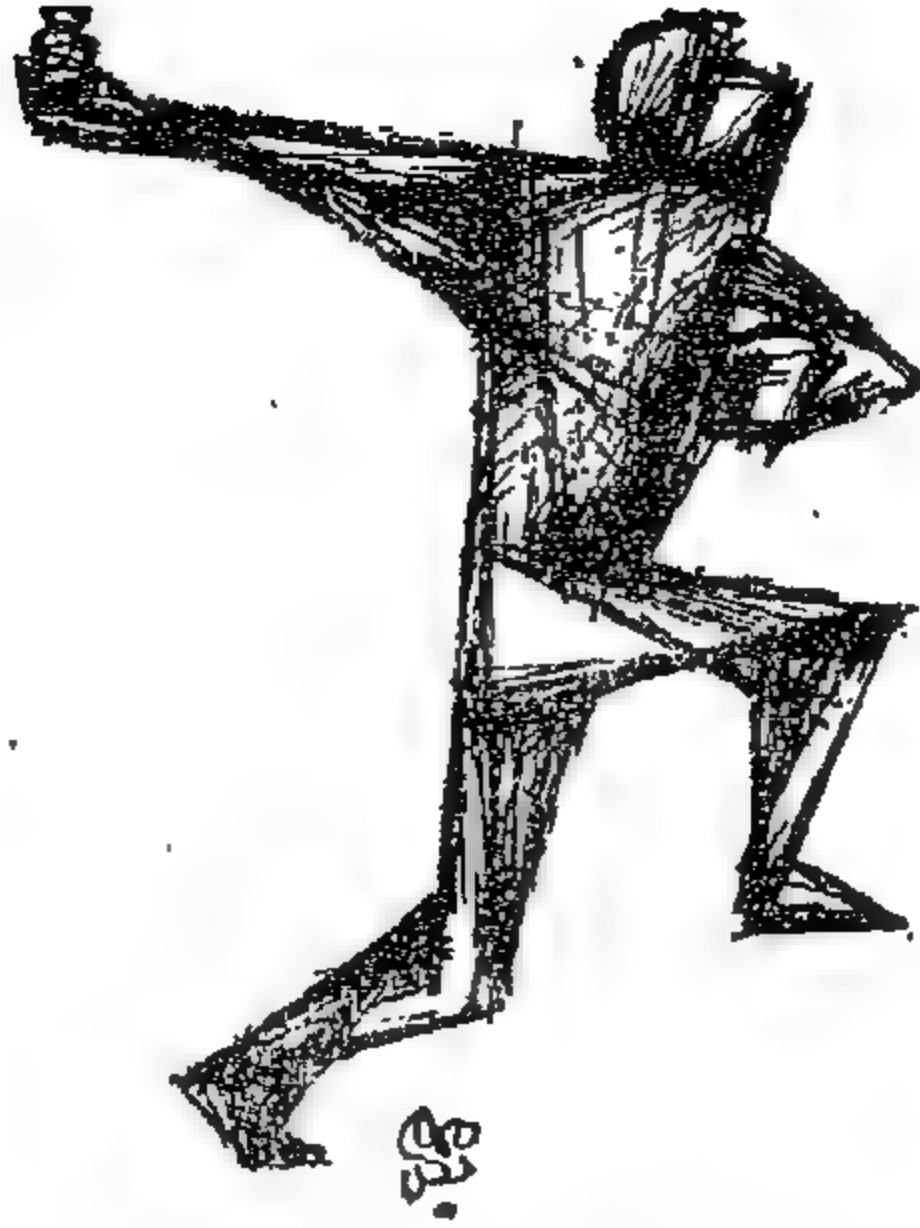
اليوم الأول في سطر التكوين (ونحوه)
هنا وعد بلغور (ويستمرض « أبرز »
الوقائع » كي ينتهي إلى أن فلسطين -
أرضاً وشعباً - هي جزء من الوطن
العربي ، والعدوان الواقع عليها واقع
بالتالي على الوطن كله ، وهو كذلك ،
يستهدف هذا الكل ، ويؤكد الكاتب
ذلك من خلال الوقائع أيضاً ، فرغم أن
الجزء الأول الخاص بمعركة المصير
وجاء الجزء الثاني الخاص بالأديب
العربي : أنه مواطن قبل أن يكون
أديباً ، وهو من ثم مطالب بالالتزام ،
التزام أن يكون أدبه في خدمة المعركة
برفض واقع التجزئة والاقليمية والتحكم
الطبقى القهري المستغل والدعوة
بإستمرار إلى التغيير الثوري التقدمي
... الخ » ، وإقامة دولة عربية
وحدوية اشتراكية هي السبيل للانتصار
في معركة المصير (وهذه أيضاً بحاجة
لتدليل من خمس نقاط) ، لكن نتائج
الأدب العربي كله كان « دون المستوى
المطلوب » ، ولدى هذا الكاتب وصلة
لتلامي هذا في المرة القادمة : أن
يلتزم الأديب خط الثورة وأن يتبنى الكفاح
المسلح الفلسطيني ، وأن يتنهم القضية
الفلسطينية وأن يلهم بالجمهير ...

والإمة كلها ، ورغب بعضهم في التبرؤ
منها : تاريخاً وتراثاً ولغة وحضارة .
واليوم ، بعد ستة وخمسين شهراً ،
وبعد تسويد آلاف الصفحات مما حدث ،
وكيف حدث ولماذا حدث لازالت الدهشة
قائمة تطالعنا بين الحين والحين .
تطالعنا هنا في بحث الدكتور مسهير
القلماوي التي لا تجد تبريراً لحقيقة أننا
لم ننصر بعد سوى أن المعركة
« براوغة » وأن السياسة الدولية لم
تعد تعترف بحق أو عقل ، ولا تتحكم
فيها « معطيات علم السياسة كما
عرفناه » ، وجه آخر هو ملو الصوت
وارتفاع النبرة ... ومن ثم « المزايدة »
هكذا يتحول بحث الكاتب الفلسطيني
عودة بطرس عودة إلى بيان سياسي
لا يضيف لنا شيئاً : يبدأ بأن يطرح
السؤال : هل المعركة ضد العدو
الصهيوني معركة دولة عربية واحدة
أم هي معركة الدول العربية دون
تمييز ؟ ويتبعه بسؤال آخر : هل
يمكن للواقع الراهن - المتمثل في تعدد
القطار - مواجهة المعركة أم لابد من
استبداله بواقع « وحدوي تقدمي » قادر
على تحمل المسؤولية والانتصار ؟ رغم
بداية الإجابة إلا أن الكاتب يبدأ من

في مؤتمر كهذا ، وتحت عنوان كهذا
طبيعي أن تتسدم الانبكار المسكورة
والكليشيات وكلمات الباطل تلبس أردية
الحق ، وطبيعي أن يبد الكتاب أيديهم
لبداية كرة الخط فتتداعى الكلمات :
أن قلت الالتزام قلنا نعم ، أما الالتزام
فلا . وأن قلت الحرية تعني بهذا
توفير الظروف الملائمة للإبداع قلنا
نعم ، أما غيرها فلا . (يجب أن
نستثنى من البداية بحث الكاتب السوري
صدي أسماعيل) . وإذا كان كاتب
السياسة يستخدمون كلمة « التبرير »
بمعنى تظهير أعمال السياسة اليومية
فإننا نستطيع أن نستخدم الكلمة نفسها
لإسباغ تعبيرات ومصطلحات أدبية على
تسمية الكتاب والأديب لمسا بحدث ،
ووتوهم « بعد » الحادث أو النظام أو
الوقت .

والدهشة التي أصابت الكتاب بعد
٦٧ أحد وجوه هذا التبرير : تنادوا
فأسرموا يعمدون المؤتمرات ويكتبون
الإبصاات يحلون ويناقشون أدب
الهيبة أو أدب النكسة - الشاطر من
يتبقى غيره - ، وبالف الشعراء في
انتمالهم (وهذا متوقع) فلبطوا الخدود
وشقوا الجيوب وادأوا ذات والآخرين

رصدًا لظواهر الواقع - موضوع البحث - ثم محاولة تحليلها في إطار « فكر ثوري » . أمام البيان السياسي الذي يكتب على عجل ، ويلقى أمام من يعرفون كل ما فيه - فليس في معرفته مناء لقارئ متوسط المعرفة - فلن يضيف شيئاً : يأتي ويبقى دون أثر .



تقوم مقام الأيديولوجية المستوحاة من واقعنا [من جديد : هذا الغمز للأيديولوجيات المستوردة : أية أيديولوجية هذه ؟ . سنرى أية أيديولوجية تعود الدكتوراة لفهمها دون أن تسميها] . ان شعارات الكفاح والهاب الحساس الجماهيري - جملة اعتراضية : على أهميتها وخطرها - ليست كل شيء . استدراك : صحيح أنها ليست مما يترفع عنه الأديب أو المفكر ، لكنها وحدها لن تؤدي [إلا] الى أعمال موقوتة ومحددة وانجازات صغيرة مشكوك في فعاليتها . ماذا إذن ؟ لابد أن نتذكر تكامل الفلسفة العربية التي تنظم هذه الأعمال الانية في كل شامل .

هل يمكن أن يرد أحد ويقول ان ثمة فلسفة انسانية متكاملة أثبتت خبرات الشعوب وتجارب الشوار في عصرنا صلاحيتها لممارك الداخل والخارج . . ويمكن ان تكون عربية كذلك ؟ لكن الدكتوراة ستهير تسارع فتؤكد اختلاف تاريخنا - الوسيط والحديث - من حيث علاقة الانسان بوسائل الانتاج - عن تاريخ أوروبا الوسيط والحديث [هكذا تسقط دعوى القائلين بنظرية ما تقوم على الربط بين المجتمع ووسائل الانتاج] ولا بد من دراسة الواقع العربي ، تفصيلاً ، كي نصل مستقيدين « بكل الفلسفات المعاصرة والأيديولوجيات المختلفة - لاحظ التعمية المقصودة - الى فلسفتنا العربية » .

هذا هو الأساس النظري . هيا الى التطبيق . نتابع الدكتوراة فكرتها : ان التطورات التي حدثت في آداب العالم « لا تمت الى واقع ادبنا الا بصلاط محدودة » ونضرب مثلاً بهدف لاسقاط الأيديولوجية نفسها التي تربط الادب بالطبقة السائدة في مجتمع ما : « هنا كانت عندنا مذاهب أدبية تتبنى الفن البرجوازي وتدافع عنه ، فهل كانت عندنا ثورة برجوازية على الانتطاع اوجدت رومانسية شائرة ثم ندامت القيم الرجوازية أمام واقع جديد ؟ » .

وتصل أخيراً الى نقطة من أخطر نقاط بحثها هي العلاقة بين الادب والدعاية . تقول الدكتوراة سبهر : « ان المباشرة التي ظهرت على أعمالنا الفنية عقب النكسة - بل قبلها أيضاً - مسئولة ولا شك عن تعطيل دور الادب وفقدانه السحر الذي يجب له ليؤثر في الجماهير » ، ثم تورد أسماء نعبان عاشور والفريد فرج ويوسف ادريس وعبد الرحمن الشرقاوي ، ومعين بسيسو ، ومحمود درويش ومسيح القاسم وتوفيق زياد وفدوى طوقان كمأذج [شيء واحد غير المباشرة التي

المحفور على قاعدة صب في هيروشبما وشعار منظمة اليونسكو « ما دامت الحروب تثبت اصلاً في عقل الانسان ففي عقل الانسان يجب أن نبني معساقلاً السلام » ، هكذا يجب ان تكون عالية الجهاد من أجل السلام هي نبراس الأديب العربي . بعد براعة الاستهلال دخلت الدكتوراة صلب القضية : أما قضية الالتزام فقد حسمها النقاد شرقاً وغرباً لكنهم ما زالوا مختلفين : من الذي يبلور القضية ؟ ومن يضع الاهداف القريبة والبعيدة ؟ الاجابة : انهم المفكرون [والادباء بعض منهم] ، أما حين نخشى القوة التي توحد بين الناس وتبدو تناقضات المجتمع وكأن لها كيانه مستقلاً تتضخم بمرور الزمن وسلبه أفراد المجتمع لنشأ الحاجة الى فلسفة للتغيير » .

فلنتوقف لحظة قبل أن نرى ما نقوله الدكتوراة عن مجتمعا العربي وأدبنا العربي ، ولنحتفظ بهذه الملاحظات : ان الحديث عن السلام هنا أمر مدهش حقاً ورغم انه شعار اليونسكو - وهي منظمة تعليمية ثقافية علمية - الا انه قابل للمناقشة : هل نشأ الحروب حقاً في عقل الانسان ؟ وحربنا هذه : هل نشأت في عقولنا وعقول اعدائنا ام نشأت في أرض الواقع بمعطياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية - الحضارية بوجه عام ؟ ثم : ما هذه القوة التي توحد بين الناس والتي اذا غابت تبدو تناقضات المجتمع لا لم الانحاز هنا ولاي هدف لا وهل تنشأ الحاجة لفلسفة ما أم تنشأ الحاجة لحفر دعامم مجتمع ما ونقويضها ؟ .

فلتواصل . ومجتمعا العربي مملوء بالتناقضات [لا بد ان هذه القوة التي لا تعرف لها الدكتوراة اسماً قد اختفت منه] ، وهو من تم بحاجة لفلسفة سياسية واجتماعية واقتصادية متكاملة هي « خلاصة فكر المفكرين العرب » يتفاعل في تكوينها التراث والواقع « فلا يمكن لأية أيديولوجية مستوردة أن

وعلى العكس بدأ الكاتب السوري أحمد علي حسن يتغنى بالحرية : فهي الربيع الاخضر وهي الواحة الظليلة وهي كلمة مطربة ضاحكة . . الى آخره . ومن السطور الاولى لامتلك نفسك من الابتسام : هذا رجل لا ينقصه حس الفكاهة ، يعيش في بلهفية هادئة ، فلسفتهم اليه : «أما فلسفة الحرية - وقد اختلفت الآراء فيها - فما زالت من التعقيد بحيث لا يتجلى فيها الوضوح ولا يتجلى عنها الاشكال » - شكراً ياسيدي ، أفادكم الله - لكنها تنقسم الى ماهو مام وماهو خاص ، وما هو موضوعي وما هو شكلي . وسنكتفي من هذه التحديدات بمعرفة ماهو عام وماهو خاص : «هي في لغة السياسة ترك الشعوب تمارس حقها في السيادة والاستقلال بحرية تامة . . والمناخ الصالح لها هو استعداد الشعوب لتقبلها ، والجو الاخلاقي والحضاري الذي يتوفر لها » . ألمست ترى هنا سدى الفكرة الاستعمارية البالية : ان ثمة شعباً ليست على استعداد لتقبل الحرية ؟ ، «وهي عند الأفراد قاصرة على مايلهمون به من رغبات ، كأن يترك الفرد لممارسة أمور تخل بالاعراف والتقاليد، واذا كنا نسدننا على الاخلاق في كل شيء فلاننا نؤمن أنها مقياس حضارة الشعوب وعنوان رقيها ونهضتها» - مرة أخرى : نشكرك لهذه الوعظة - ، أما عن حرية الأديب فهو يقول : « ان الأديب الحر هو المنسابة التي اركزها الله في الشعوب لتستهدى بها في ظلمات الحياة ، واذا أشار الأديب باصبعه الى موطن العلة شمر بأنه ماثل الحرية في أعلى درجاتها» .

كفانا فكاهات . فلننظر فيما قدمته الدكتوراة سبهر القلماوي . هنا موقف فكري متسق ومتكامل ، يبدو واضحاً وراء الصياغات الذكية والاسنطرات والجمال الاعتراضية . نبعد ان عرضت الدكتوراة بعض هذه الدراسات التي تناولت ادب ما بعد ٦٧ طرحت السؤال : « كيف يمكن للادباء والشعراء أن يقوموا بدور أقوى وأشد فعالية في معركة المصير ؟ » ، ثم بدأت اجابتها بحدث من هذا الذي يدعونه بالسلام ، والنقش

الممارسة قد تقف بهؤلاء عند حد ما هو مرحلي وراهن ، أما العمل الأدبي والفني « فيمارس وظيفة الكشف الجريء عن كل الجسذور الدفينة في الواقع التاريخي الذي تعمل الثورة على تعرية تناقضاته وتبديل بنيته الاجتماعية من الأساس » .



د. سهير القلبي

لكن ما هو مصيري لا يمكن أن يكون كذلك الا بقدن صلته بما يتبدل في مصائر الناس المعاصرين ، هكذا تستقط دماوي الالتزام الكاذبة : المعاناة ، الحفاظ على أصالة التراث ، التجديد في الأداء .. الخ ، مما يحدد الجدارة الحقيقية للاديب هو الارتباط الوثيق بين تجربته الفنية وبين ما يمكن أن تعنيه في صنع المصير الثقافي في المرحلة الراهنة ، وفي واقع ذي طابع مرحلي يزدهم صراع المتناقضات تبقى مسألة الحرية على الصعيد الأدبي « مسألة معلقة » شأنها في ذلك شأن الحقوق السياسية في حياة الشعب ، والرؤية الموضوعية لموقع الاديب الاجتماعي الراهن وتاريخية واثمة الاديب يكثف الصيغة الأساسية لازمة الحقيقة مع الحرية والالتزام ، هذا يعني ضرورة إعادة النظر في كثير من التساؤلات المألوفة : الحرية لمن ، ولماذا ؟

أما الحرية لمن فهذا هو الجواب الذي يفرضه المناخ الثقافي : « الحرية للذين يكتبون عن الشعب في معاناته المبررة لشروط الواقع ، أو للذين يرسمون بالقصة والرواية رؤية إنسانية جديدة للحياة العربية ، أو للذين يضعون اتهامات شعرية صادقة للتجارب التي تحمل ارادة التحرر في الكفاح القومي والجدارية الانسانية والحب والاحساس الفني بالطبيعة وما الى ذلك .. »

أما الحرية لماذا ، فالاجابة من واقع شروط المرحلة الراهنة : « هي لمصلحة الكلية دورها المزدوج : بناء الصيغة المعاصرة الجديدة لاداء اللغة العربية ، ثم امتلاك الرؤية المصيرية للواقع العربي من من طريق المعرفة الفنية » .

ان بحث الاساذ صدقي اسماعيل أفضل البحوث الاربعة ، من حيث طرجه للقضية بجانبها الفني والاجتماعي ، ومن حيث الاجابات التي يقدمها كذلك [1] الى آخر مايمكن أن تطالب به أي مواطن عربي يريد أن يفهم ماحوله ويكون له دور فيه .

في هذا البحث خلط واضمح بين ما نطلبه من الكاتب ومايمكن أن يؤديه المثقف والمتأصل السياسي والمنظم الجماهيري والمواطن العادي . ان الثورة ليست حدثا كبيرا قد يمكن من كلمات الثورة والتضال ومرادفاتها ، لكن المهم هو

على وجهين : الأول هو الافتراء الكفوي الكامل في بعض الاقطار العربية والثاني هو هذا التيار الجارف من « الهجنة والارتباك » في الاداء الفني في بعضها الآخر . أزمة التعبير أحد جناحي الموضوع ، الجناح الآخر هو التعرف على « الارضية الاجتماعية التي تتحرك فيها المبادرة الادبية » ، أو هي بتعبير أكثر تحديدا « علم اجتماع الادب العربي » ، والدراسات التلية التي أجريت في مباحث هذا العلم تنتهي دائما الى غياب « النظرية » النقدية أو « المنهج » النقدي أو « النائد » الكبير .. لكن النظرية أو المنهج لن ينبثق من فراغ ، ان أيا منهما هو امتداد موقف عقائدي تمليه الرؤية الشاملة للحياة العربية .

هكذا يضعنا الكاتب مباشرة أمام كل مظاهر الفراغ في حياتنا الثقافية . البداية عنده هي البحث عن خصائص الادب العربي في هذه المرحلة ، ويبدوها يمكننا أن نبحث بمسائل الادب في ملامتها بالقضايا المصيرية أو الكبرى ، والحوار حول قضية الحرية والالتزام عند صدقي اسماعيل يجب أن يأخذ شكل « الصراع الثقافي الجاد » ، الصراع لا الحوار ، لأن الحوار يؤدي في النهاية الى « مساومة الواقع » ، وهكذا يتم التمثل من مسئولية الالتزام في العمل الأدبي [راجع ما نقوله الدكتور سهر عن الادب والدمية - نموذجاً لمساومة الواقع] ، وما هو أخطر : التجاهل التام للشروط الوحيد الذي يفرضه المناخ الثقافي الراهن كنقطة انطلاق لصيرية العمل الأدبي والالتزام المصير القومي في الوقت نفسه : « الايمان العميق بأن هذا المناخ يحمل روح الثورة قبل كل شيء » ، فسدور الاديب بتجاوز دور المثقف أو السياسي أو المناضل العقائدي [راجع قائمة الشروط التي يتطلبها الاساذ صدوقه بطرس في الاديب العربي] ، لأن حدود

تعتيقها الدكتور يجمع بين كل هذه الاسماء : انهم جميعا - رغم التنوع والتفاوت - هم الواقفون تحت لافتة الفن للحياة أو للناس] ، لكن هذا لا يعني انصراف الادباء العرب من الدعاية ، بل هم مطالبون « بأن ينزلوا بكل ثقلهم ليطوروا أساليب الدعاية وأشكالها على أن يعرفوا ويعترفوا بان هذا ليس هو الادب المتعارف عليه » وهم مطالبون بأن ينتج الواحد منهم لسولين من الادب : أدب الدعاية [= التسلط = أدب الجماهير] والادب الخالص [= الاستراتيجية = أدب الخاصة] ، وعلى هذا الادب الخالص أن يطور أسلوبه : لبدل أن كان الفنان يهرب من تناقضات مجتمعه الى الطبيعة عليه أن يهرب منها أيضا .. لا الى الطبيعة بل الى أخيه الإنسان أو حبيبته .. واقعية كانت أو متخيلة .

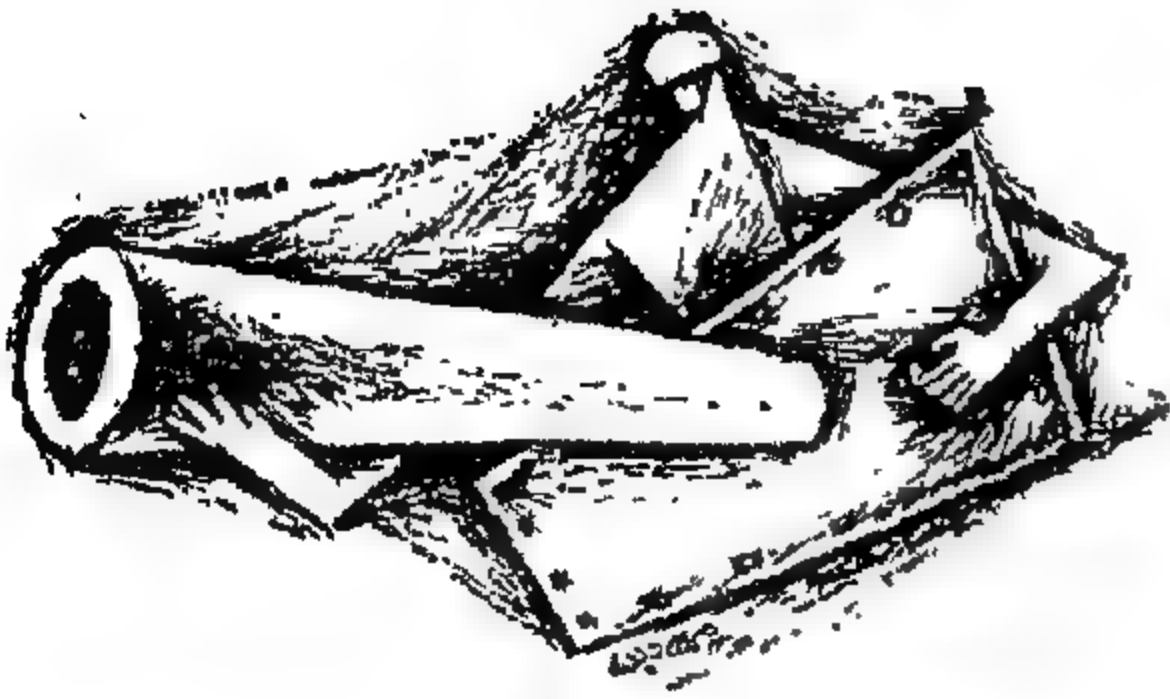
هذا ما نقوله الدكتور سهر القلبي عن الاديب العربي أمام معركة المصير : يجب أن يضع الاديب نصب عينيه عالمة النضال من أجل السلام ، ومجتمعا العربي بحاجة لفلسفة متكاملة تنبع عن تراثنا وواقعنا وهي تفكر الايديولوجيات المستوردة ، وتعارض بوضوح نظرية تربط بين الإنتاج والمجتمع ، وبين الادب من ناحية والمجتمع وتطلعات الجماهير من الناحية الثانية ، وترى أن ثمة أدبا للخاصة وأدبا للدعاية ، وتنصح الادباء بأن ينتجوا الاثنين معا وأن يلقوا بكل ثقلهم في إنتاج ادب الدعاية « على أن يعترفوا بأنه ليس الادب المتعارف عليه »

ان الدكتور سهر تريد أن تصل الى الاديب العربي عن معركة المصير ، وتحتفظ له بالدور « الفوغالي » رغم انه لا شك أفضل من المذيعين ومقدمي البرامج .

[●]

من عهد جعلت التعرض لبحث الاساذ صدقي اسماعيل في النهسية ، لانه سيتولى الرد على كثير من النقاط التي أثارها الأبحاث السابقة . يبدأ الاساذ صدقي بحثه بوضوح : ليس هناك كاتب الا وهو ملتزم على نحو ما . اليس يكتب بلغة توبه ويعمل على تطويرها ؟ لكن هناك حوارا دائما بين الحرية والالتزام في الادب العربي ، ولا بد من تحديد الجوانب الجديدة التي تتيح طرح الموضوع القديم .

أولى هذه الجوانب هي « محنة اللغة العربية أمام الحضارة الحديثة » أو هي : كيف يجسد الاديب العربي تجربة الاتعاق من بني الاداء اللغوية أو الشكلية أو المتمثلة أو الركيكة ، ورغم ما تحقق في هذا المجال الا أن المحنة لا تزال عالمة



الاداء والتعبير الفنى

فى معركة المصير

د. لطيفة الزيات

تقدمت كل من العراق ولبنان وسوريا للمؤتمر بأبحاث فى موضوع « الاداء والتعبير الفنى فى معركة المصير » . القسى البحث الاول باسم وفد العراق الاستاذ الفريد سمعان ، وقدم البحث الثانى الاستاذ محمد دكروب (لبنانى) تحت عنوان « نقاط وملاحظات حول دور الاداء والتعبير الفنى فى معركة المصير » ، بينما كتب البحث الثالث الاستاذ خلدون الشبعة (سوريا) تحت عنوان « فى حرية التعبير » .

مفرداته التى تميل الى البساطة والنأى عن التخريب انما هى فى الواقع تسعى الى توسيع دائرة التفاعل بين الفنان ومجموعة المتلقين ، وتوسيع دائرة المتلقين ذاتها ، ويتوقف البحث عند اللغة التى تستخدم حالياً فى الشعر وغيره من ألوان التعبير الادبى ، ويرى فيها ظاهرة ايجابية ، من حيث انها تقترب من واقع الجماهير ولا تعمق فى ذات الوقت واقع تجزئة الوطن العربى ، ومن ثم فهى كلفة عربية فنية بسيطة وسليمة تفى بالواقع الجماهيرى والواقع القومى العربى . ويسجل البحث ازدهار المسرحية والفن القصصى كواحدة من ايجابيات المرحلة ، فالفن المسرحى والبروائى بما يتيح من

بضرورة التعبير فى أنماط وأشكال التعبير كضرورة حتمية لخدمة متطلبات كل مرحلة وكل بيئة على حدة ، وذلك فى إطار التطور العام للادب ومتطلبات الثورة العالمية المتجددة ، كما يريان فى التجديد اكتشافا وفى ذات الوقت امتدادا ، أى اضافة واسهام فى تراث حتى دائم التجدد والحيوية .

ويرى بحث الوفد العراقى أن الادب قد استطاع فى الوطن العربى الوفاء بمتطلبات المرحلة ، لا فى المضامين فحسب بل فى الصيغ والأشكال أيضا ، فالشعر الحديث كظاهرة انما جاء تعبيراً عن رؤية جديدة أكثر تركيبيًا وأكثر شمولاً من تلك التى عبر عنها الشعر العمودى ، كما أن

وبينما ينفرد كل بحث من الأبحاث بصفته المميزة وقيمتها الموضوعية الخاصة ، يتشابه الباحثان العراقى واللبنانى من حيث التركيز على العلاقة بين العمل الفنى والمتلقى ، أو على مشكلة الاتصال ، وينفرد البحث السورى بمناقشة المشكلة من زاوية مختلفة ، وهى علاقة الفنان بالعمل الفنى ، ومدى ما تتيحه أشكال التعبير المستخدمة فى الوطن العربى للفنان من فرص للتعبير الحقيقى عن الذات ، ومن حرية فى هذا الاتجاه .

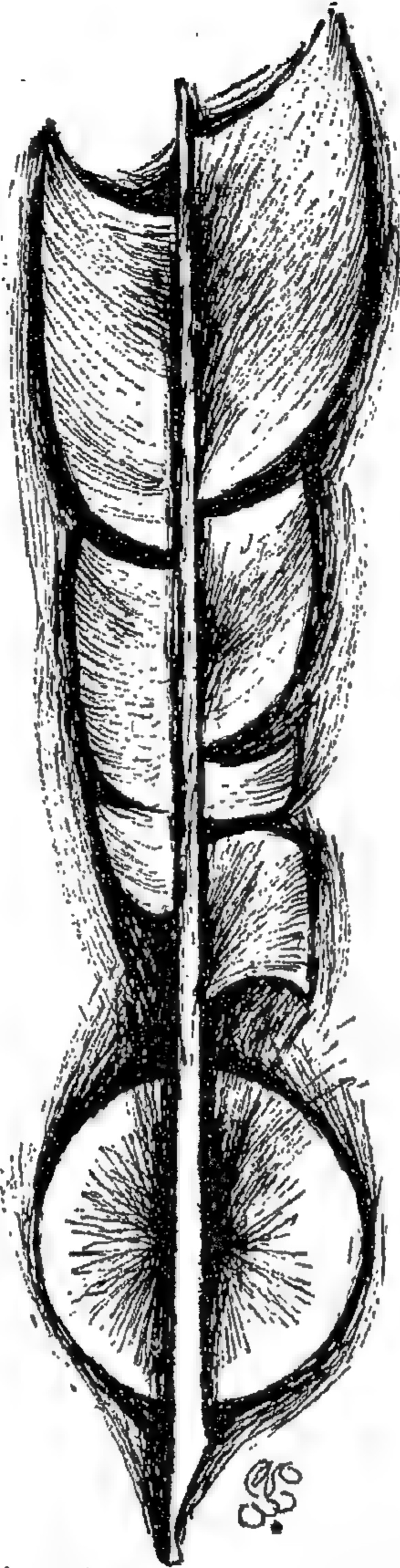
ويقر البحث العراقى ، كما يقر البحث اللبنانى ، بالدور الذى يمكن أن يقوم به الادب فى التغيير الاجتماعى ، آخذين المنطق الماركسى كنقطة انطلاق ويقران

تركيبية ومن موضوعية في الرؤية قد خدم متطلبات المرحلة ، بل ان الشعر نفسه قد أدرك قصور التعبير الذاتي عن الوفاء بهذه المتطلبات ، فاتجه الى استخدام العنصر الروائي والدرامي . ويرى البحث في استخدام ألوان الادب للبطل الفاعل الذي يرى في نفسه امتدادا للآخرين ، وجزءا لا يتجزأ من الآخرين ، دون البطل الوجردى الذي يقف وحيدا منفيا ، ظاهرة أخرى من المظاهر الصحية في الادب العربي . ولا يدين البحث التعبير عن القلق والتغرب في الادب العربي المعاصر بل يعتبره تعبيرا ثوريا من حيث هو يرفض الواقع بقصوره . غير أنه يحذر من الاتجاهات العالمية المعاصرة التي تتبدى فيما يسميه «بالعدمية والنهلستية والميكانيكية» وتاليه الشكل على حساب الموضوع ، أو فيما يعبر عنه أحدهم بقوله بأن مهمة الادب هي تفجير الثورة داخل اللغة لا أكثر ولا أقل .

ويعتبر البحث ان الدعوة الى المدارس الشكلية انما هي في الواقع دعوة الى اسقاط دور الفن والادب وسلب الثورة سلاحا من أهم أسلحتها . وينتهي برفض هذه الاتجاهات الشكلية ، كما ينتهى برفض التجرد أيضا ،

ويعتبر ان قبول أيهما انما هو انتقال من اليمين الى اليمين .

وبينما يرسى الباحث العراقي عموميات ، يقصر دون الدخول في الخصوصيات ، وبينما يشير الى ظاهرة الابهام والتغريب والتجديد المحموم في التجريب الشكلي في الوطن العربي ، ويقف منها موقف التحفظ ، فهو لا يردّها الى جذورها في الواقع العربي . وبينما يرسى الجوانب السياسي والاجتماعي للمشكلة يقصر عن التركيز على المشاكل التقنية للفنان ذاته ، تلك المشاكل التي تتصل برؤيته الخاصة للحقيقة الموضوعية وبتطورات هذه الحقيقة



الموضوعية . ونحن باختصار نفتقد في هذا البحث العلاقة الجدلية بين الظواهر الفنية والاجتماعية ، تلك العلاقة التي تكاد تبلغ مرحلة الاكتمال في البحث الذي قدمه الاستاذ محمد دكروب (لبنان) .

يرى الاستاذ دكروب ان التفاعل المنشود بين الادب من جهة وبين القوى الأساسية للثورة من جهة أخرى تفاعل يحول بينه وبين التكامل ضيق الدائرة القارئة (الامية) ووجود ظروف معينة تحول دون تحقق الاتصال بين الادب من ناحية وبين الجانب المحدود القارئ من ناحية

أخرى . ويركز البحث على العامل الثاني ، حيث أن العامل الاول وهو ارتفاع المستوى الثقافي للجماهير الواسعة لن يتحقق الا في المدى الطويل .

ويتوقف الكاتب عند العامل الثاني الذي يتمثل في الظاهرة التي تفشت في أدب السنوات العشر الأخيرة ، وهي ظاهرة الابهام والتغريب المحموم والاغراق في الرمز والتشكيك والرؤيا الضبابية والاشكال الكابوسية وأجواء الرعب والضباب ، ويرجع هذه الرؤيا الى محتواها في تطور أدبنا وذلك في نطاق الادب العالمي ككل . ولكنه يعزو تفاقم هذه الظاهرة في المقام الاول الى التغيرات العميقة التي اجتازها الوطن العربي في الفترة الأخيرة . تلك التغيرات التي شكلت انحرافات بسدت كانتصارات ، وتبدت في ألوان من القهر والعسف انتهت بهزيمة يونيو ١٩٦٧ .

ويطالب الاستاذ دكروب الناقد الادبي بالقيام بدوره تجاه هذه الظاهرة من حيث ارجاعها الى أسبابها في الواقع العربي ، ومن حيث تفسير العمل الابداعي ذاته والقيام بدور همزة الوصل بين الكاتب الابداعي والمتلقي ، وهو يعتقد ان التمهيد لتغيير ذوق المتلقي بحيث يتقبل الاشياء الأكثر تركيبية وبحيث ينفذ عنه حالة التعود السهلة على الاشكال التقليدية يشكل مهمة من المهمات الأساسية للنقد الادبي في المرحلة الحالية .

ويرى الاستاذ محمد دكروب ان ظاهرة التغريب المحموم التي اتضحت في أدب السنوات العشر الأخيرة تطرح عدة قضايا :

١ - ان الاضالة من عدمها هي المقياس الحقيقي لقيمة هذا الادب ، فالادب اكتشاف وما دام يمثل اضافة حققة ، وبالتالي امتدادا لتراث حي متجدد فهو أدب جيد ، أيا بلغت درجة ابهامه . ومثل هذا الادب يؤدي دورا في المرحلة الحالية من حيث

هو يمدد الأدب الذي يصل إلى الجماهير بالادوات التعبيرية الجديدة، كما أن من شأن هذا الأدب أن يؤدي دوره مستقبلا في نطاق تطور الأدب ككل، وذلك في ظل ارتفاع المستوى الثقافي للقارئ، وارتفاع قدرته على تذوق الأدب الأكثر تركيبية وتعقيدا.

٢- وبالرغم مما في أدب الستينيات من صعوبة وغموض، فإنه من العسف القول بأن هناك تناقضا بين الحداثة في التعبير وبين الوصول إلى الجماهير العريضة، فقد تمكنت فعلا بعض الأعمال الفنية التي تعتمد على أشكال جديدة ومعقدة من الوصول إلى الجماهير والتأثير فيها. وهذه الأعمال كتبها رواد من بين أدباء الخمسينيات وأدباء الستينيات على السواء.

٣- أن الرؤيا الكابوسية في الأدب ليست مجرد وسع بالتجديد، ولا بالتقليد، وإنما لها جذورها الثابتة في الأدب العربي، ومن ثم فهي تعبر عن واقع صحي من حيث هي تشكل صيحة غضب ودعوة مقاومة وإعلان رفض للواقع القائم. على أن هذا النزوع إلى الإغراق في الرمز واللفائزي والغموض أدى بكثير من هذه التجارب شعرية كانت أم قصصية أم مسرحية إلى الوقوع في دائرة شبه مغلقة على الجماهير وانتقص بالتالي من الدور الذي كان يمكن أن تقوم به في معركة المصير.

والسؤال الذي يثيره هذا الوضع وفقا لمحمد دكروب هو: ما هو موقف الأديب المبدع من الأحداث ومن معركة المصير؟ أن هذا الأديب يعبر عن الغربة والضيق، وهذا في حد ذاته شيء صحي ولكنه أحيانا يؤكد لنا بطريق أو آخر: أن الأوضاع هكذا وانها ستبقى هكذا دائما، أي لا سبيل إلى تغييرها. وليس المطلوب من الكاتب أن يعطينا حلولاً للمشاكل ويكفي أن يفتح أعيننا على السلبات. وهذا في

حد ذاته عمل ثوري. ولكن تأكيد الفنان على أن الطريق مسدود هو في الواقع ينفع من قصور في رؤية التاريخ في حركته الدائبة والصاعدة دائما وأبدا رغم ما يشوب هذه الحركة من تعثرات.

ويرى الكاتب أن في ارتفاع وعي الفنان الفلسفي والسياسي إلى مستوى موهبته خروجاً من هذا المسأق، فتسلح الكاتب بالوعي الفلسفي والسياسي يمكنه من تجاوز الحاضر إلى إمكانيات المستقبل. ولو تحقق مثل هذا الوعي لانتقل أدب الشباب في مجموعه من مستوى التمرد إلى مستوى الثورة، أو من مستوى الفردية إلى الأفق الجماعي. ولتغير وضع الإبداع لا كموقف فحسب، بل كمضمون إذ أن الإبداع سيصدر لآعن رؤية ذاتية فحسب بل عن رغبة ملحة في توصيل هذه الرؤيا الذاتية إلى أكبر دائرة ممكنة من المتلقين.

وبصدد معالجة ظاهرة التعقيد في الأدب، يبدى الكاتب ملاحظة على جانب كبير من النضوج والتفهم، فهو يعتقد أن أحادية النظرة في أدب الخمسينيات التي تقوم على تفاؤل غير مبرر جدليا لا توازيها إلا أحادية النظرة في أدب الستينيات التي تقوم أيضا على تشاؤم غير مبرر جدليا. وهذه الأحادية تعبر عن قصور في النظرة الجدلية إلى الأمور في الحالتين فأدب الستينيات ليس في الواقع إلا الوجه الآخر لأدب الخمسينيات ويرى الكاتب أن ثمة تباشير لظهور حركة أدبية جديدة تعبر عن الرؤية الجدلية المتكاملة للأمور، غير أن هذه الظاهرة في اعتقاده ما زالت ظاهرة محدودة للغاية.

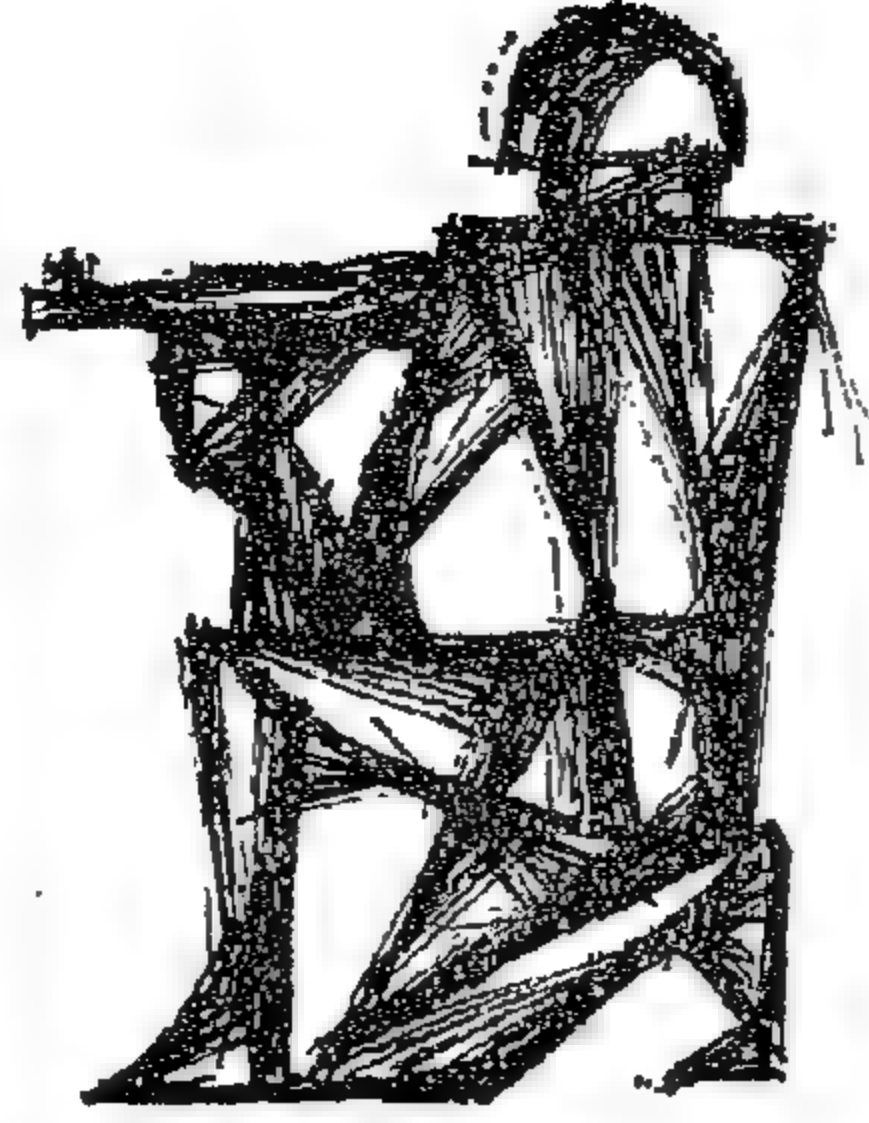
وربما كان شمول بحث محمد دكروب وامتيازه يدعونا إلى إضافة نقطة تساهم بعض المساهمة في هذا الشمول. ودكروب يجمع الكتاب كل الالتزامات، ويهمل إلى حد كبير

التفاعل الضروري بين الكاتب من جهة وبين الواقع الذي يعيش فيه من جهة أخرى. أن الكثير من المهام التي تقع على المناضل الثوري والشعوب والقيادات والمنظمات الثورية تلقى على كاهل الكاتب، فالتعبير الأصيل للكاتب يرتبط ارتباطا لا ينفصم بمدى تصاعد المد الثوري وانحساره وضبابية الرؤية وتعقدها تزايد بمدى ما ينحسر هذا المد الثوري، وتتناقص بمدى ما يتصاعد. ووعي الكاتب الفلسفي والسياسي ذاته مرتبط بمدى هذا التصاعد. فتصاعد المد الثوري كقيل بأن يجر المزيد من الكتاب إلى دائرة الالتزام، وأن يخرجهم من الدائرة الفردية إلى دائرة المجموع.

إن انعدام دور الكثير من الأعمال الأدبية في التأثير في معركة المصير إنما هو نتيجة حتمية لعزلة الكاتب، ولانحسار المد الثوري في الواقع العربي. يقول محمد دكروب: «أن الفنان الأصيل يستطيع أن يوازن بين المعاصرة وبين ضرورة الوصول إلى الجماهير». خصوصا إذا انطلق أصلا من الإيمان بضرورة الاتصال، وضرورة أن يؤدي العمل الفني دوره في المعركة الشرسية التي تجابهنا الآن جميعا في مختلف الأصعدة الوطنية والاجتماعية والفكرية معا. ومطلب الاستقاء دكروب ليس رهنا بإرادة الفنان وحده. فالفنان الأصيل يعبر عن رؤيته الذاتية الأصيلة، وهذه الرؤيا هي حصيلة التفاعل بين الحقيقة الذاتية والحقيقة الموضوعية أو بين الفنان والمجتمع الذي يعيش فيه.

ووقت أن نهى للفنان المناخ الثوري الذي تتضح فيه الرؤية ويتضح فيه هدف الحركة يتأني لنا أن نسأل هذا الفنان كيف ولم تخلف عن الركب. أن الفنان المسلح بالرؤية الاشتراكية يرى التاريخ في حركته الصاعدة رغم

ما قد يعترى هذه الحركة من تعثرات • ولكننا من خلال تهيئة المناخ الثورى ، نهىء لمزيد من الكتاب سهولة تبني الرؤية الاشتراكية ، ونمهد لكثير من الكتاب امكانية التصالح اللازم للخلق الابداعى ، اى التصالح بين الرؤية الذاتية وبين الواقع • واعنى الواقع لا فى تخطيطه بل فى خطه الثورى الصاعد •



يصنعه ، أستوعبه ولم يكتشفه ، رزق فيه من حيدته السائبة ولم يمارس اكتشاف حريته من خلال تجربته البديعية فى تشكيله ... أنه يرنج تحت وطأة طغيان (الصيغة) على الرغم من أنه لم يملك بعد مفاتيح هذه الصيغة وطريقة السيطرة عليها • وهكذا ينقسم معنى حرية التعبير لديه عن معنى الحرية الفنية من حيث هى نشاط عفى •

يشكل الحجة التى لا تدحض فى وصف هذه المخيلة •

وتنبت المفارقة التى تسم الادب العربى الحديث ، وفقا لكاتب البحث من اصطدام مثل هذه المخيلة بالاشكال الفنية التى تستخدمها فى التعبير • فهذه الاشكال تتمثل فى صيغ مستقرة لم تصنعها المخيلة العربية ، بل فرضت عليها من الخارج فرضا وهى اشكال جردت من مهادها التاريخية والاجتماعية ، وذلك بالرغم من أنها اكتسبت الان طابع التقنيات العالمية • واكتساب الاشكال المستخدمة فى الادب العربى للطابع العالمى قد يحد من الاستحياء الذى يستشعره الكاتب العربى وهو يستخدمه غير أنه لا يغير بحال من حقيقة أنها تمثل خبرة ناجزة ليست من صنع الكاتب العربى وأنها نتاج حضارة لا يمكن بحال أن تعتبر امتدادا لحضارته • كما أن هذا الوضع لا يغير من حقيقة أن هذه الاشكال تتعارض تعارضا كليا مع نوعية المخيلة العربية التى تتسم بالعفوية والجموح والاضطراب على حد قول الكاتب •

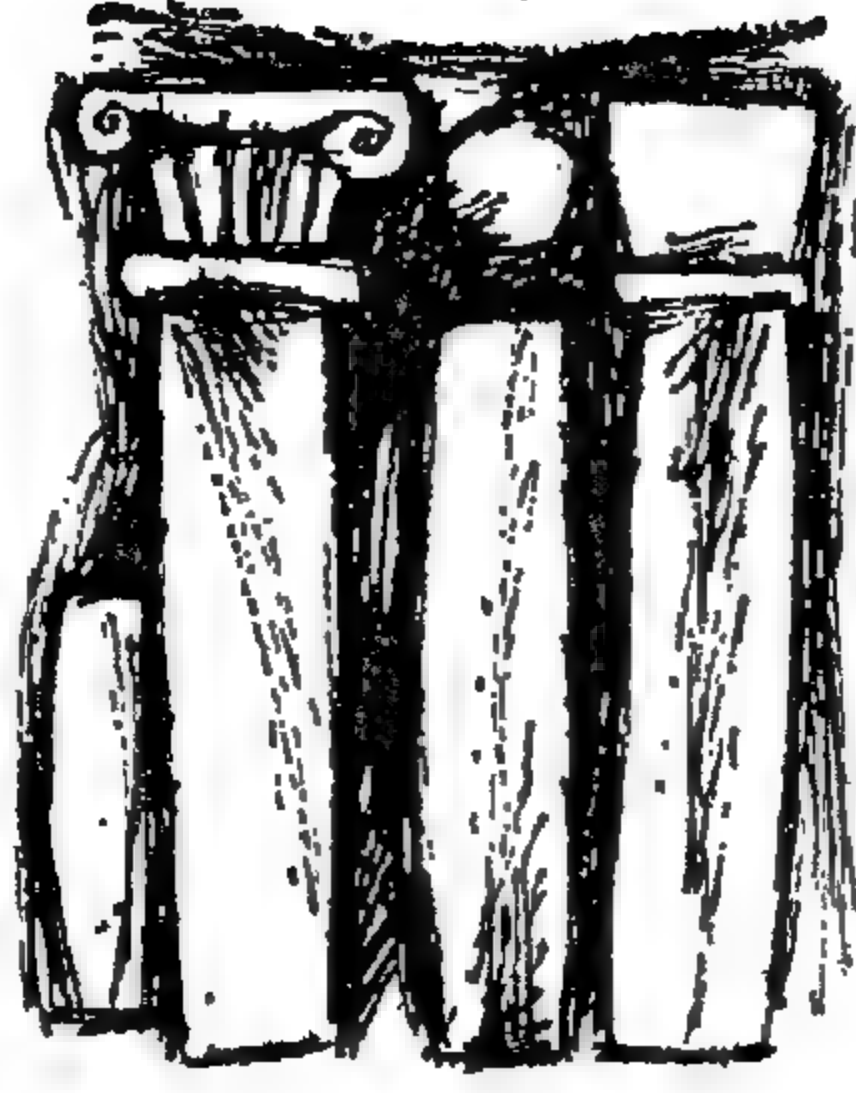
ويكتسب الادب العربى نتيجة لهذه المفارقة ذلك الطابع الذى يسميه السكاتب « بالطفولة المكتهلة » ويصبح الكاتب العربى وفقا له « طفل مستحوذ تماما على المخيلة المنطلقة بالاضافة الى انه خبير مكتهل حذق القالب الفنى الذى تعرف عليه ولم

أما بحث الاستاذ خلدون الشمعة « فى حرية التعبير » فيطلب انطلاقا لا حدود له لمخيلة الفنان • غير أن تصويره لهذا الانطلاق تصور غريب للغاية • والكاتب يحلم بمدينة أدب عربى حديث ، « لا يبهظ روحها الفنى عسف المعايير التاريخية والسياسية والسيكولوجية ، ولا تمنح نفسها الا لمفاتيح الموهبة ، والخلق والابداع » • وكأنما مخيلة الفنان هى نبت شيطانى معزول عن بيئته ، وكأنما الابداع الفنى ليس هو حصيلة التفاعل بين المخيلة او الحقيقة الذاتية من ناحية والحقيقة الموضوعية من ناحية أخرى التى تتمثل فى عدة عوامل منها المعايير التى يشير اليها الكاتب • أن مدينة خلدون الشمعة المثالية ليست مدينة مستحيلة فحسب ، بل هى ايضا مدينة لا انسانية ، مدينة أصنام لا تفعل ولا تتفاعل • وبداية من هذا المنطلق يذهب الكاتب الى أن الاشكال التعبيرية التى يستخدمها الاديب العربى انما تشكل قيودا على مخيلته وتحول بينه وبين حرية الابداع • ويرجع الكاتب هذه الدعوة الى اسبابها فى نوعية المخيلة العربية أولا • وفى طبيعة الاشكال التعبيرية التى تستخدمها هذه المخيلة • والمخيلة العربية وفقا لخدون الشمعة تنقسم بالخيال الجامح والعفوية وبالاضطراب وبالميل الى المغامرة • وهو يدعم دعواه بالاستشهاد بالفيلسوف كانط وكأنما رأى كانط فى المخيلة العربية

ولما كان الكاتب يرى أن هدف الادب هو اكتشاف الذات ، ولما كان يسرى أن كل الاشكال المستخدمة فى أدبنا العربى الحديث تحد من انطلاق عملية الابداع ، وبالتالي من تحقيق الهدف من الادب وهو اكتشاف الذات ، فهو يقترح حلا معينا للخروج من هذا المأزق ، أن يطالب الفنان العربى أن « يقصر آفاق التزامه على استغوار طريقة معينة فى النظر الى العالم » • ويرى فى « الاسلوب » الطريق الى التوصل الى تحقيق الذات أو تحقيق مهمة الادب • وبالاسلوب يعنى كاتب البحث العفوية الكاملة فى التعبير والتحرر تحررا كاملا من الاشكال الادبية المتعارف عليها • والاسلوب بهذا المعنى لازم فى الفترة الانتقالية التى يمر بها أدبنا العربى ولا ينبغى أن تخيفنا العفوية المطلقة طالما لا تحول الى التزام سياسى تدفع بالكاتب الى التسوتر المشحون •

ولا يبين لنا كاتب البحث على وجه الدقة أن كان التحلل المطلوب من الاشكال الفنية تحلا يقتصر على الشعر أم يتجاوزه الى ألوان الخلق الأخرى من فنون قصصية ومسرحية ، وأن كانت الامثلة التى يقودها تدعونا الى الاعتقاد أنه يدعو الى رفض نظرية الانواع الادبية والتمهيد لنظرية جديدة للتعبير تعتمد على الاسلوب بالمعنى المبين أعلاه (وهو نفس الموقف المعلن لادونيس) •

والنلاحظ أن البحث يتناول الموضوع من زاوية واحدة هي علاقة الفنان بعمله الفني متجاهلا لبقية العوامل المتشابكة التي يطرحها هذا الموضوع ، وإن هذا العلاج القاصر يقصر بدوره عن تناول هذه المشكلة الاحادية . فالفنان قبل أن يكون فنانا إنما هو انسان ، وهو كائنات لا يعيش في جزيرة معزولة بل في بيئة يتفاعل معها ، وابداعه هو حصيلة التفاعل بينه وبين هذه البيئة ، او محصلة التفاعل الدائم بين الحقيقة الذاتية والموضوعية . وليس ثمة فن او ابداع دون هذا التفاعل . وإن نحصر الفنان من « المعايير التاريخية ، والسيكولوجية » لعصره يعنى أن نحرم الفنان من الوجود ذاته ، وأن نجرب في اللغة وأن نفجر فيها الثورة بشيء ، وأن نقصر الابداع الفني على هذا او على ما يسميه الكاتب بالاسلوب شيء آخر . فالتفجير في اللغة إنما يستهدف ايجاد صورة معينة او فكرة معينة الى المتلقي . وأن يطمح الفنان الى المفوية في التعبير شيء وأن يتحول « بمخيلة طفل » الى انسان يجرب في اللغة لاكتشاف ذاته والحوادث تضطرم من حوله شيء آخر . انه شيء غير مستحب بل لعله مستحيل ، لان الابداع الفني كما قلت حصيلة التفاعل بين الحقيقة الذاتية والحقيقة الموضوعية . والاستاذ خلدون الشمعة يقطع بأن هدف الادب هو اكتشاف الذات ، وكأنما هذه مسلمة من المسلمات . والواقع أن اكتشاف الذات قد يشكل طبيعة الادب لا مهمته . فالفنان يعيش في مجتمع معين ، وفي عالم معين ، واكتشافه لذاته هو في نهاية الامر اكتشاف لرؤية ذاتية معينة لهذا المجتمع او العالم المعين الذي يعيش فيه . وهذه الرؤية المعينة والفريدة تؤرق الفنان وتدعوه الى اشراك الآخرين فيها ، حتى تصبح للرؤية الفريدة رؤية عامة .



وهذه الحقيقة تشكل الحافز الى الخلق ، ومن ثم فطبيعة الادب هي اكتشاف الرؤية الفريدة ، ومهمة الادب هي اعادة خلق العالم وفقا لهذه الرؤية الفريدة . ولا أحسب أن التجارب المفوية للمخيلة ، (او الاسلوب كما يسميه الكاتب) كفيلة بتأدية هذه المهمة . أن دعوة الاستاذ الشمعة تشكل بدورها صيغة مسبقة ، مجردة بدورها من مهادها التاريخية والاجتماعية . أن الدعوة الى تفريغ الادب من محتواه بحيث يقترب من الموسيقى ، والى تفجير الثورة في الادب كالمهدف الاوحد للادب ، دعوة بدأت بفلوبير ومازالت تطفو الى السطح في العالم الغربي من حين الى حين .

وفكرة الاستاذ خلدون الشمعة عن الاشكال الفنية المستخدمة في الادب العربي ، فكرة تستحق بدورها المناقشة ، ونحن لا نعرف على وجه التحديد ان كان يستهدف محاربة نظرية الانواع الادبية ، كالمرح والقصيدة والرواية السخ ، أم الاشكال المختلفة التي تدخل في نطاق هذه الانواع الادبية ، وإن كان الاحتمال الاول أرجح . ويدعونا هذا الشك الى مناقشة الاحتمالين . ولست أحسب أن من صالح أحد أن تحارب نظرية الانواع الادبية في الوطن العربي ، بعد أن قضينا ما يقارب القرن في ارسائها ، وبعد أن أصبحت تشكل لغة مشتركة ومؤثرة ، يتعارف عليها الجميع ، ويتعامل على أساسها الجميع .

أي أن نظرية الانواع الادبية قد أصبحت نقطة تثبيت واستمرار لتراث قد لا يكون أصلا تراثنا ، ولكنه أصبح بمرور الزمن جزءا لا يتجزأ من تراثنا . وازضافة وامتدادا لهذا التراث .

ومفهوم الاستاذ خلدون الشمعة عن الشكل او الاشكال التعبيرية داخل النوع الادبي الواحد مفهوم متخلف أيضا ، فالشكل يعد قيما اذا ما شكل صيغة مسبقة ، ولكن الشكل بمعناه الحق لا يشكل أبدا قيما (حتى لو دخل في نطاق الانواع الادبية) وهذه حقيقة يستشعرها كل من يمارس الخلق الفني ، فالشكل ليس بقالب تصب فيه الرؤية ، وإنما هو وسيلة الكاتب لاكتشاف هذه الرؤية ، وللتعرف على أبعادها ، وهو وسيلته الى تقييمها أيضا ، فالشكل هو وسيلتنا الموضوعية لاكتشاف وتقييم رؤيتنا الذاتية والشكل هو عملية خلق تتجدد مع كل عمل فني جديد ، ولكل عمل فني شكله الفريد المميز ، عن بقية اعمال الكاتب ، وعن بقية الاعمال الفنية قاطبة ، وأيضا كانت اجتهادات النقاد لتصنيف الاشكال في مدارس ، فهذه الاجتهادات تبقى محصورة في نطاق التبسيط والتقريب . ولست اعرف ولا غيري يعرف عملا فنيا واحدا يشترك مع آخر في شكل واحد .

ان بحث الاستاذ خلدون الشمعة ينصب كما يقول على السؤال « من أين نبدأ » ؟ ولكن البحث في اعتقادي يمهّد الطريق الى الاجابة على السؤال : من أين وكيف ننتهي ؟ أن دعوة الاستاذ خلدون الشمعة لا تشكل حتى دعوة كدعوة الفن للفن ، بل هي تتجاوزها الى مرحلة اسقاط كامل للفن .

ان هذه الدعوة لا تشكل حتى رغبة ، بل استحالة ، طالما الفنان انسان حي لا يملك سوى التفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه .

[٣] الأديب العربي

بين

التراث

والمعاصرة

د. عبد القادر القط

القيت في هذا الموضوع أربعة أبحاث للاستاذ عبد العزيز الدسوقي من مصر ، والاستاذ أحمد يوسف داود من سورية ، والاستاذ حنفي بن عيسى من الجزائر ، والدكتور عباس الجراري من المغرب .

وكان من الطبيعي أن يقدم كل باحث صورة لمفهومه الخاص للتراث تكون أساسا لمناقشة القضية المطروحة ، فلا شك أن كثيرا من الخلاف بين الدارسين حول هذه القضية ينبع في جوهره من خلافهم حول مفهوم التراث . لذلك كان تعريف هذا المفهوم ضروريا كنقطة انطلاق تجنب الكاتب كثيرا من التشعب والمتاهات .

والتجدد . فما قد يكون كاملا ناضجا عند الاجداد قد يصبح في عصر من العصور واضح المفاجأة أو النقص . وقد يجد الأديب المعاصر في بعض جوانب التراث — مما لا ينطبق عليه « غاية الكمال والنضج » — عناصر أصلح لعصره من الجوانب التي بلغت في الماضي تلك الغاية .

ومن الانصاف للاستاذ عبد العزيز الدسوقي أن نذكر أنه لم يقتصر في رسم مفهومه للتراث على هذا التصريف بل أضاف إليه ما يوضح الصورة وينص على مدلول التجدد والامتداد فيقول « .. فالصراع بين القديم والجديد قد حسم في الماضي بانتصار هذه التيارات التي كانت تجمع بين الماضي والحاضر في مركب جديد متطور ، وانتهت كل البدع الشاذة والنزوات المنحرفة ، وتجمدت كل الدعوات التي حاولت وقف الحياة بكل مظاهرها الحضارية ، واختفى كل ذلك في قبو الزمن الرهيب ، وسار الفكر العربي في طريقة التجدد ، وشارت الآداب والفنون في طريق التطور الخلاق الذي قاده هؤلاء المبدعون والمفكرون الذين يتذوقون تراث الماضي ويدركون عمق ما فيه من كنوز ، وفي الوقت نفسه

وليس ينبغي لنا أن نفهمه إلا في ضوء مراحل انجازه .. » .

ومن هذه المفاهيم الأربعة مفهوم ينسب إلى التراث صفة الثبات والانتهاه في الماضي ، على اختلاف بينهما في الدرجة — ولعل هذه الفكرة أوضح ما يكون في تعريف الاستاذ حنفي بن عيسى الذي يرى أن التراث يمثل « القيم الثابتة التي لا تتغير » وتوضح الفكرة — بمرونة أكثر — في رأي الاستاذ عبد العزيز الدسوقي الذي يقول بأن التراث « أكمل وأنضج » ماورثنا عن الآباء والاجداد .

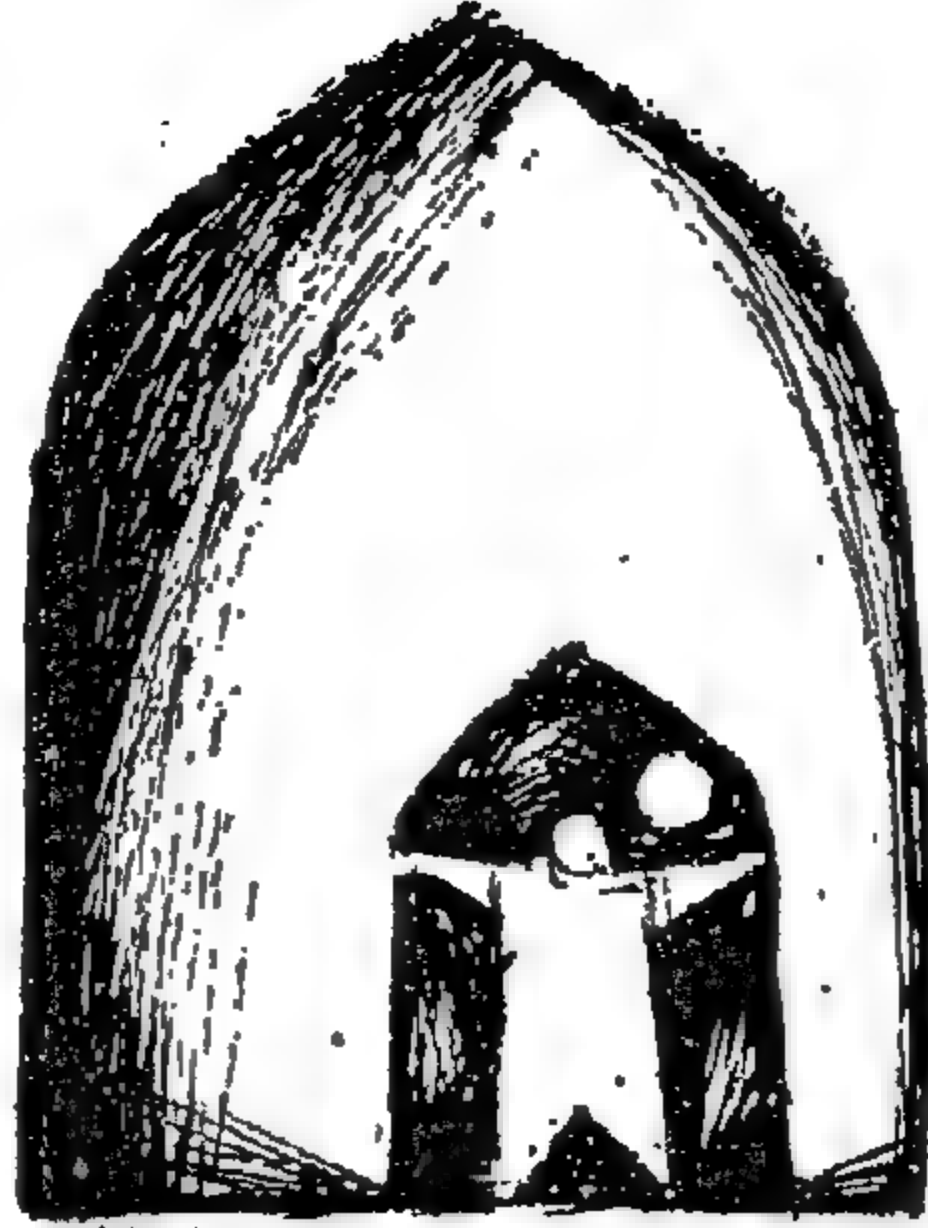
وكلا الرأيين لا يصلح — في رأيي — نقطة بدء صالحة لعرض القضية .. لأنهما يفترضان وجودا مستقلا ثابتا للتراث غير متصف بالحركة والامتداد والتجدد . وكان الأديب المعاصر يجد نفسه محدودا بين قطبين مختلفين أحدهما التراث والآخر المعاصرة . وعليه أن ينجح في الوصول إلى وضع ملائم بينهما . ومع أن تعريف الاستاذ الدسوقي للتراث بأنه « أكمل وأنضج » ماورثنا عن الآباء والاجداد يوحي بضرورة الاختيار . فإن التعبير نفسه يدل على الانتهاء في الماضي ولا يلج على ضرورة الامتداد والحركة

والتراث عند الاستاذ عبد العزيز الدسوقي هو « أكمل وأنضج ماورثنا عن الآباء والاجداد في مجال الأدب والفن والعلم والحضارة » . وهو عند الدكتور عباس الجراري « .. ليس كل الماضي أو ما صدر عن الاجداد دون تحديد ، ولكنه الجوانب المضيئة منه الذي يكشف عن الظواهر الثقافية والحضارية التي وصلت

على مر الأجيال عبر فترات طويلة تطورية كانت تتجدد فيها وتتجدد وتتغير بخصوصية وثقافية متأثرة بما تعانق أو يعانقها من ظواهر ثقافية وحضارية أجنبية » أما الاستاذ حنفي بن عيسى فيقول رابطا بين « بناء » الفعل الماضي في النحو العربي وطبيعة التراث العربي « وكما

أن الفعل الماضي في عرف النحاة مبني — أي ملازم لحالة واحدة — فكذلك التراث الثقافي ، يمثل القيم الثابتة التي لا تتغير ، ومن واجب الإنسان أن يحافظ عليها وأن يقاوم كل محاولة لطمس معالمها ، لأنها بمثابة الأساس في بناء صرح الحضارة .. » . ولما الاستاذ أحمد يوسف داود فيرى أن تراثنا « كان صورة صادقة عن المعطيات التاريخية المستجدة والعقلية المتراكبة من جماع التأثيرات الناجمة من تلك المعطيات »

يقفون على ثقافة العصر ويدركون ما يجيش به من تيارات واتجاهات .



هذه هي

طريقها . وليست هذه التيارات مع ذلك خالية من عناصر التراث ولا ناثرة على كل ما فيه ، ولكنها تختار منه - في مرحلة صراعها الأخير مع القديم على الأقل - ما تراه صالحا لروح العصر . ولاشك أن التلقائية واللاشعورية لا يمكن أن تكون وسيلة في معركة أبدية دائمة التجدد في المجتمع الانساني ، بل لابد أن يكون هناك وعي كامل بطبيعة التراث والمعاصرة ووسائل « المزج » بينهما .

ولاشك أن ما ورد في حديث الاستاذ عبد العزيز الدسوقي ينطبق على بعض « المتطرفين » في هذه الخصومة ، ولكن الخصومة في صورتها العامة تنشأ من اصطدام مفهومين حضاريين ولذيقان وجهها أوجه في نهاية مرحلة طويلة من مراحل التطور . ومع تسليمنا بصحة قول الباحث بأن « الحاضر ليس منفصلا عن الماضي وليس منقطعا عن المستقبل فالجميع تيار متدفق دائم الجريان » فأننا لا نستطيع أن نفترض قيام المعاصرة على نوع من الاستسلام التلقائي لللاشعوري لذلك التيار الذي قد يجري الإنسان إذا لم يدرك طبيعة سيره واتجاهه إلى بحار من التيه والتخبط .

أما رأي الاستاذ حنفي بن عيسى الذي يقول بأن التراث « يمثل القيم الثابتة التي لا تتغير » فإنه يحبط القضية منذ البداية . وهو مفهوم ظاهر البطالان على ضوء التطور الحضاري للمجتمعات الإنسانية ، فإن تلك القيم ليست قيما « توفيقية » مفروضة على المجتمع الانساني ولكنها حصيلة تطور حضاري عبر التاريخ . وهي لذلك دائمة التراكم والتجدد ممتدة بين الاجداد والابناء أو السلف والخلف خلال صلات قد نسميها أحيانا روحية أو وجدانية أو فكرية أو غير ذلك ، ولكنها جميعا أسماء ترمز إلى جوهر ما يتسرب من الماضي إلى الحاضر من قيم ، على اختلاف المظاهر المادية والمدنية في الحياة من عصر إلى عصر . والأهمى بدأت هذه القيم ومتى ثبتت ؟ أن مجرد الانتقال من البداية نحو الثبات

هو في ذاته حركة وتبو وليس في طبيعة الحياة ما يجعل مرحلة ما في تاريخ الانسانية نهاية حاسمة تتحدد فيها القيم وتثبت على صورة لا تقبل التغير .

وقد اكتفى الاستاذ حنفي بن عيسى بهذا التعريف الحاسم للتراث وركز بحثه حول بعض ما يراه في حياتنا الادبية المعاصرة من عيوب لأن مثل هذا التعريف يحسم القضية منذ البداية . . فإمام التراث قيما ثابتة لا تقبل التغير فليس يملك الاديب المعاصر الا الخضوع المطلق لها والانتفاع بها بلا وعي ولا اختيار .

وخلاصة رأي الباحث أن الامة العربية تقصف فسي هذا العصر موقف « المستهلك » من الحضارة الاوربية ، وهذا الموقف له عواقب وخيمة في مجال الادب . فهذه العقلية السائدة في التباهي بمصنوعات غيونا والتنافس على كسبها جعلت منا شعبا يستهلك منتجات الحضارة . وقد أصبح سلوكنا خاضعا في كثير من مظاهره لهذه العقلية الاستهلاكية . وأخوف ما أخافه أن يكون الادب نفسه قد تحول إلى ادب استهلاكي بآتم معنى الكلمة . . . أن الشيء الأهم بالنسبة إلى عقلية المستهلك هو اللحظة الراهنة . فكما أن الجائع مشغول بأشباع بطنه فكذلك الكاتب يتحول إلى شخص همه الوحيد حشو الأدمغة ، ويعنى بالسفاسف من القول والنوادر من الحكايات التي ليس القصد منها سوى التسلية وقضاء الوقت فيما لا يعني !! والترجمة هي الأخرى عند الباحث « لا تخلو من جانب استهلاكي ، لأنها عملية استيراد للفكر الاجنبي بقصد الاستهلاك المحلى على غرار ما نستورد السيارات تماما !! » .

والحل الأمثل للخروج من هذا الوضع - في رأي الباحث - أن يتجه الانباء إلى ما يسميه « ادب الظروف الطارئة » أو ادب الاحداث الجسام . فإن المؤكد « أن معركة المصير في حاجة إلى أن يساندها الكتاب والشعراء والفلاسفة والمفكرون لأن الاحداث التي يمر بها الوطن العربي تحتم على الاديب أن ينهض بمسئولية عظيمة في التوعية ، وفي معركة المصير بالذات » .

ويكاد الكاتب يلغى مفهوم المعاصرة والاحظة المعاصرة قاصرا طبيعة التطور بين الماضي والمستقبل « أن مفهوم المضارعة عند العرب شيء طريف حقا ، وذلك أن العرب لا يقيدون أنفسهم بالحاضر ما دام هذا الحاضر صائرا إلى المستقبل بموجب حتمية التاريخ الزاحف وبمقتضى تلك الدائس والزمان المتجدد المسائر . . فالواحد منا لا يكاد يعي نفسه في اللحظة الراهنة حتى تكون اللحظة قد انقضت وحلت محلها اللحظة التالية . ومعنى ذلك أن فلسفة العرب قائمة على الصيرورة أي على تحقيق

وبرغم هذا الرأي السليم الذي رده الاستاذ الدسوقي في أكثر من موضع ، فإنه انساق بدافع من فكرة « النضج والكمال » بمفهومها المطلوق إلى « تبسيط » القضية أكثر مما ينبغي ورأى أن « الاديب المبدع مجهز بحاسة فنية تمزج الماضي بالحاضر وتصور ماينفعل به من ثقافة العصر وقيمه بصورة دائمة لاشعورية فتتحول الاصاله والمعاصرة إلى مزاج جديد يصوغه عقله وذوقه وشعوره . . وقد عرفت الحياة العربية على امتداد تاريخها الطويل أدياء وشعراء يملكون تلك « الحاسة الفنية » التي تمزج الماضي مع الحاضر وتصور التراث مع الثقافة المعاصرة فيخرج من ذلك مزاج جديد . . . فالحياة العربية كانت دائمة التجدد والتنوع والغنى بفضل هؤلاء المبدعين الذين كانوا يمتصون من رحيق الماضي ما يشبع شوقهم الفكري ويروى ظمأهم الروحي ثم يتحول من خلال حاستهم إلى زاد فني يتفاعل مع ثقافتهم المعاصرة . . . هؤلاء جميعا جددوا ولم يفتوا حائرين بين التراث والمعاصرة لأن الله زودهم بتلك « الحاسة الفنية » التي تعمل بطريقة لا شعورية . هذه العملية المعقدة المستمرة وهي مزج الماضي بالحاضر واستخراج مركب جديد مختلف عن الاثنين » .

والقول بأن مزج الماضي بالحاضر يتم من خلال حاسة فنية بطريقة لاشعورية قد يصح في لحظة الإبداع الفني عند الاديب ، ولكن الاتجاه إلى التجديد نفسه وإلى خلق هذا التركيب الجديد من التراث وروح العصر لابد أن يقوم على وعي بطبيعة التراث واختيار ما يصلح منه لطبيعة العصر الذي يعيش فيه الاديب بغض النظر عن وفيع ذلك التراث وقيمه في المرحلة التاريخية التي وجد فيها . أما هذا المزج اللاشعوري فقد يتحكم فيه مزاج الاديب وطبيعة تعليمه وثقافته التي قد

تقوده إلى تأثر غير صالح بجوانب عتيقة من ذلك التراث . لذلك لا نستطيع أن نقر الباحث على رأيه أن الخصومة بين القديم والجديد « قضية وهمية » . . أثارها اناس لم يتذوقوا التراث ولم يدرسوه بعمق ، ولم يدركوا تيارات العصر وثقافته ادراكا حقيقيا ، أو اناس تنقصهم القدرة على مزج ثقافة الحاضر بتراث الماضي أو لا يدركون النسب التي تشكل المركب الجديد الذي يضم عناصر الماضي والحاضر والمستقبل » .

فالخصومة بين القديم والجديد خصومة حقيقية ومعركة تحدث كلما اجتاز المجتمع مرحلة من مراحل تطوره الحضارية الحاسمة تتجمع فيها تيارات التطور الممتدة حتى لتقف وجهها لوجه أمام التيارات القديمة تحاول أن تكتسحه من

المصير 7 انطلاقاً من الماضي الذي يحمل القيم الثابتة وانطلاقاً كذلك من الحاضر الذي يتضمن المستقبل وينصب فيه ، على أن الحاضر إنما يمثل في عصر الزمان نقطة تحفز إلى المستقبل لأن العربي إنسان لا يرضى بحاضره... » .

وقد شغل الباحث نفسه بالحديث عن عيوب الأدب العربي في العصر الحاضر وتطلع العربي إلى مستقبل أفضل وافترض أن الانتفاع بالتراث وقيمه الثابتة أمر مفروغ منه فلم يناقش قضية البحث الأساسية وهي « موقف الأدب العربي بين التراث والمعاصرة » واستند الجانب الأكبر من بحثه في معنى المعاصرة المطلقة ورأى أنها « تفرض علينا أن نتبع باستمرار ما يجري في العالم من أحداث وأن ندرس القضايا المعروضة علينا وأن نستزيد من العلم حتى لا نتخلف عن ركب الحضارة » وأن نرفعه عن أنفسنا بمطالعات جذابة !! .

وهكذا نرى الواحد من أبناء هذا العصر يطالع الجرائد والمجلات وينكب على دراسة التقارير والملفات ويقرأ القصص والروايات والمسرحيات ويقبل على كتب الثقافة والعلم . أضف إلى ذلك كل ما تتلقاه من رسائل وما تصادفه في الطريق من لافتات وما تراه ملصقا على الجدران من إعلانات فلا يجد مناصاً من قراءة كل ذلك . وهذا الأمر يستوجب على من يريد أن يكون ابن عصره أن يتوخى طريقة في القراءة تمكنه من أن يطالع أكبر قدر ممكن !! » .

وواضح أن معالجة المعاصرة — حتى بمعزل عن قضية التراث — تستلزم دراسة أكثر تعمقا ووعياً من هذه الآراء . وإذا صح أن المشكلة الأولى للأدب المعاصرة ضخامة ما يطرح للقراءة فعمل الحل الأفضل أن « يتوخى طريقة » لاختيار الصالح وقراءته قراءة واعية لا قراءة « تمكنه من أن يطالع أكبر قدر ممكن » .

أما المفهومان اللذان قدمهما الدكتور عباس الجراري والاستاذ أحمد يوسف داود للتراث فانهما يضعانه في إطاره الحضاري الدائم الحركة والتطور تطوراً يجمع بين الثقافية التي ركز عليها الاستاذ عبد العزيز الدسوقي وعياً من الفرد بطبيعة الواقع الذي يعيشه ووجوده الفردي والاجتماعي عبر التاريخ . يقول الدكتور الجراري « ... وهو كذلك الجانب الذي يمثل أنماطاً من وعي الإنسان العربي ومراحل من واقعه ووجوده الفردي والاجتماعي خلال التاريخ . ويعبر عن الذات العربية وتجربتها ويعطيها مميزاتاً ويذكر بوجودها ويبرز ملامح شخصيتها وأصالتها الذاتية ، ويحدد منظورها القومي الخاص . هو بهذا ملك للامة وجزء من وجدانها ، به نستطيع التعرف إلى التغيرات التي طرأت عليها وإلى الشروط التي يمكن أن تصنع فيها تاريخها أو تستمر في صنعها » .

ويقول الاستاذ أحمد يوسف داود « أن التراث الذي هو حصيلة الماضي موجود فينا ومستمر الوجود ولكن ليس بكل حيثياته وجزئياته . والتراث الأدبي لم يتكون بمعزل عن بقية أشكال التراث . أنه مرتبط جنسياً بالمراحل التاريخية المختلفة التي تكون من خلالها العقل العربي . والعقل العربي حر في الأساس حتى سيطرت عليه الأرستقراطية وسخرته لمصالحها . ومع ذلك فقد ظل هذا العقل ينتفض دائماً محاولاً إزاحة القيود التي فرضت على حريته ، معبراً عن حريته من خلال الحركات الشعبية الكثيرة التي قامت في الماضي ، ومن الوعي الكامل بالارتباط الوثيق « بين الماضي والحاضر والمستقبل في علاقة جنسية حتمية تجعل الماضي منعكساً على الحاضر ومؤثراً في المستقبل » وتجعل بذلك حركة التاريخ حركة كلية لا تتجزأ » يحاول الدكتور الجراري أن يوضح معالم الطريق للملازمة بين التراث والمعاصرة فيقترح أن نعي ذاتنا ونعرف من نحن ونحصر قدراتنا وإمكاناتنا ونرسم على ضوء ذلك الأهداف والوسائل إلى تحقيقها من خلال تحليل فكري لواقعنا وللرحلة التاريخية والحضارية التي تجتازها أمناً ، ومن خلال البحث عن الأصول من تراثنا ، « ليس بما يجعله عامل تجميد لنمونا الحضاري والثقافي ، بل لدعمه وتطويره وادماج الصالح منه مع حاضرنا في وحدة تكيف بها المستقبل ونشرف منه عليه » . وكذلك يرى الكاتب أن نأخذ من فكر الغرب ومن جميع ثقافات العالم وحضاراته القديمة والحديثة ما هو إيجابي ، وما من شأنه أن يقوى فكرنا الثوري ويدفع بنا إلى الامام » . ويمضي الكاتب فيحدث عن معوقات التقدم في أدبنا وفكرنا المعاصر ، فيذكر منها أننا لم نسنطع بعد أن نجد نقطة التقاء تكون في الوقت نفسه نقطة توازن بين فكرنا والفكر الأوربي والعالمي ومنها أننا منعزلون بعضنا عن بعض وعن الجماهير « منقسمون سياسياً وفكرياً » . وينتهي الباحث إلى أن السبب الأول لكل هذه المعوقات أننا « لم نتمكن بعد من الحرية الكافية لمعاملة تراثنا والاختيار من الفكر العالمي نفسه » لوقوعنا تحت تأثير « القوى الأجنبية التي تسيرنا من قريب أو بعيد » .

ويخلص الباحث من هذا إلى أن « الحرية ينبغي أن تكون هي الهدف الأول الذي يجب أن نناضل من أجله ، وأن تكون قضايانا المصرية مرتبطة بالتحرك من الاستعمار والتبعية الأجنبية ومن الأنظمة الرجعية والدكتاتورية » . وينبه الباحث إلى ما في تراثنا من عوامل إيجابية لا نكاد نرونها في نفوسنا . أفراداً وجماهير . وفي هذا التراث كثير من الفكر الثوري الذي يلائم طبيعة التغيير الثوري في عالمنا الحديث « وليس من شك في أن الكشف عن التراث الفلسفي والفكر السياسي والنظريات الديمقراطية

وعن العقلية العربية وأطوار تجربتها لما يعطى هذه الأيديولوجية منطلقات ويضفي عليها ملامح أصيلة » .

أما الاستاذ أحمد يوسف داود فيحدث حديثاً طويلاً قبل أن يصل إلى موضوع التراث والمعاصرة في الأدب عن تاريخ الإنسان العربي ، وما قاساه من « استلاب مادي ومعنوي » عبر العصور رابطاً ذلك بالأوضاع الطبقة في العالم العربي من وجهة نظر ماركسية واضحة . وحين ينتهي إلى لب القضية المطروحة يركز حول مفهوم المعاصرة أكثر من اهتمامه بمفهوم التراث فيسرى أن « المعاصرة ليست موضوعة . إنها أبداع مستمر لقيم جديدة أصيلة دافعة لمسيره التقدم إلى الامام . أن كلمة المعاصرة لا تعني العيش في مرحلة زمنية بشكل مجرد بل تعني ببساطة استيعاب هوم المرحلة المعاشية انسانية وقومية وفردية والتعبير عنها بالأسلوب المناسب . أنها ليست إطلاقاً ارتداء ثياب الآخرين وبالتالي ليست سرقة قيم الآخرين ومفاهيمهم وأساليبهم الأدبية والفكرية وحشرها في أمكنة لم تخلق لها .. » ويمضي الباحث فيقول « انني أؤكد على توظيف الأدب ضد كل شكل من أشكال الجمود والتخلف ولصالح حركة البشرية الساعية وفلسفتها المستقبلية » .

ثم يعرض الكاتب لظهور الإسلام وكيف جاء محققاً للشاعر التوحد السائدة في الجزيرة العربية ، ولروح العدالة التي كان يطمح إليها الإنسان فيما أسماه « مجتمع العبيد » . ويبرز بعض جوانب من التراث الإسلامي تدعو إلى قيم إنسانية صالحة ينبغي أن ننتفع بها في حاضرنا ، وأن اختلفت صور التطبيق المادية بين الماضي والحاضر .

والأبحاث الأربعة — على اختلاف في الدرجة — تؤكد أن حياة الإنسان لا يمكن أن تقتصر على الحاضر وحده بل هي امتداد للماضي والحاضر والمستقبل ، وتدين كل من يتعصب للقديم وحده أو للحاضر وحده ، وتدعو إلى إقامة توازن نافع بين الماضي والحاضر . على أن هناك إبحاراً قد التفتت إلى حقيقة ينبغي أن نؤكد مرة أخرى ، هي أن هناك فرقاً واضحاً بين الماضي والتراث ، فالماضي هو كل ما وقع لامة في تاريخها وحضارتها ، والتراث هو ذلك الجزء الباقي الممتد الصالح لأن يكون جزءاً من الحاضر ، وأن اختلفت صورته المادية باختلاف أنماط المدنية على مر العصور . وما يغتبط له القارئ أن هذه الأبحاث — باستثناء بحث الاستاذ حنفي بن عيسى — قد قدمت مفهوماً عسرياً للتراث لا يمثل فيما شاع على أعلام بعض من تعرضوا لقضايا التجديد في أدبنا المعاصر من أنه « إطار ثابت لا يقبل التغير » فجعلت مفهومه على قدر كبير من الرونة والحركة والامتداد المتجدد ، شأنه في ذلك شأن كل نشاط انساني .

ابنة رايان

آخر أفلام
الانتاج الكبير
في هوليوود

« ابنة رايان » هو أحدث أفلام المخرج البريطاني دافيد لين، وآخر أفلام الانتاج الكبير في هوليوود، إذ بلغت تكاليفه ١٢ مليون دولار في الوقت الذي أدى فيه فشل « دكتور دوليتل » و « نجمة » و « هالو دوى » وغيرها من أفلام الانتاج الكبير الى أزمة اقتصادية عنيفة في مدينة السينما الأمريكية المشهورة، قررت على اثرها الشركات الكبرى التوقف عن انتاج هذا النوع من الافلام، وقد قيل أثناء انتاج هذا الفيلم أنه إذا فشل فسوف تكون هذه آخر مرة نسمع فيها زئير أسد مترو، وهو شعار الشركة التي أنتجته.

لين عن موقفه هذا من خلال قصة حب روزي حسناء القرية المراهقة واستاذها مدرس القرية الارمل الذي يعتنق الموسيقى ويهوى جمع الزهور، وهي قصة حب تتحول بالزواج الى مأساة، إذ يعجز تشارلس عن ممارسة الجنس منذ ليلة الزفاف مما يدفع روزي الى خيانتها مع ضابط بريطاني شاب أصيب في ساقه أثناء الحرب فنقل الى القرية للراحة والعلاج، وفي النهاية ينتحر الضابط الشاب هرباً من حياة يحياها عاجزاً، ويغادر المدرس القرية مع زوجته تلاحقهما لعنات أهل القرية الذين لا يعرفون غير أن روزي أخطأت، ولا يعرفون أن ظروفها الخاصة هي التي دفعتها الى ذلك الخطأ دفعا.

هذا هو « الخط العاطفي » . اما الخط السياسي فيتمثل أول ما يتمثل في شخصية ريان والد روزي الذي يعمل لحساب القوات البريطانية ضد حركة المقاومة التي يقودها نيم اولاري ونحن نتعرف على اولاري في مشهد عنيف يقتل

من الجوائز يحصل عليها واحد من هذه الافلام .

و « ابنة رايان » هو الفيلم الثالث الذي يخرج لين على التوالي عن سيناريو للكاتب المسرحي والسينمائي الأمريكي روبرت بولت بعد « لورانس » و « جيفاجو » وهو من ناحية أخرى أول سيناريو يكتبه بولت للسينما مباشرة، وفي هذه الافلام الثلاثة تعاون لين مع مدير التصوير فريدي يونج ومؤلف الموسيقى موريس جار مما جعل هؤلاء الاربعة (لين - بولت - يونج - جار) يشكلون مجموعة فنية متجانسة من اهم المجموعات الفنية في السينما المعاصرة .

في « ابنة رايان » يعبر دافيد لين مرة ثالثة عن موقفه المتخلف من الثورات الشعبية من خلال تناوله للثورة الايرلندية ضد بريطانيا أثناء الحرب العالمية الاولى، تماماً كما فعل من قبل في « لورانس » عندما تناول الثورة العربية وكما فعل في « جيفاجو » عندما تناول الثورة السوفيتية . وقد عبر

و « ابنة رايان » هو الفيلم الخامس عشر لدافيد لين الذي ولد في لندن عام ١٩٠٨، وبدأ حياته الفنية مونتييرا، وأخرج أول أفلامه « هنسك حبت تخدم » عام ١٩٤٢، وهو من ناحية أخرى فيلمه الرابع خلال خمسة عشر عاماً بعد « جسر على نهر كراي » ١٩٥٧، « لورانس العرب » ١٩٦١، و « دكتور جيفاجو » ١٩٦٦، وكلها من أفلام الانتاج الكبير التي تكلف كل منها ملايين الدولارات، وربحت أضعاف ما تكلفته، بل أن « جيفاجو » الآن هو الفيلم الثالث في تاريخ السينما الأمريكية من حيث كثرة الأرباح بعد « ذهب مع الريح » و « صوت الموسيقى »، وقد حصلت أفلام لين الاربعة هذه على ٢٥ جائزة من جوائز الاكاديمية الأمريكية المعروفة باسم الاوسكار منها جائزتان فاز بهما مدير التصوير فريدي يونج والممثل جون مايلز عن « ابنة رايان » وهو اقل عددا



حركة الجماهير: هل هي عمياء؟

ممثل في تشارلس ، والجنس ممثل في الضابط البريطاني الشاب ، والدعوة متمثلة في أولاري ، والتي حد ما الدين ممثل في قسيس القرية فهو كسيح مثل مايكل ومثل الضابط البريطاني الشاب - ولا يعبر لين عن هذا العجز من خلال المواقف الدرامية فقط ، وإنما من خلال العجز الجسدي أيضا .

أن « ابنة رايان » من أكثر أفلام الانتاج الكبير اكتمالا من حيث السيناريو والخراج والتصوير والموسيقى والديكور والتمثيل بل أنه يكشف عن عبقرية ساره مايلز - وهي زوجة روبرت يولت في دور روزي ، وعن غنى موهبة روبرت ميتشوم في دور تشارلس رغم الأدوار العديدة التي مثلها من قبل ، ويؤكد من جديد عظمة تريفورد هاوارد في دور القسيس وجون مايلز في دور مايكل وليو ماكيرن في دور رايان ، ويقدم ممثلا جديدا موهوبا هو كريستوفر جونز في دور الضابط البريطاني الشاب ، ولكن كل هذا لا يمنعنا من أن نرفض رؤية الفيلم المتخلفة .

مختصر قصير

تحت سمع وبصر والدها الخائن ، ولا ينقذها من الموت غير وصول قسيس القرية ، في اللحظة المناسبة وهو الوحيد الذي يودع الزوجين التعيسين في النهاية مع مايكل الكسيح المشوه الذي لا يسمع ولا يتكلم ويحب روزي دون أمل .

أن « ابنة رايان » هو أوضح الأفلام السينمائية تعبيراً عن الفكرة القائلة بأن حركة الجماهير حركة عمياء أشبه بحركة القطيع ، فحركة الجماهير في هذا الفيلم مثل حركة القطيع سواء وهم ينقذون الأسلحة أو وهم يعاقبون روزي على خطأ دفعتها ظروفها اليه ، وعلى جرم لم ترتكبه وإنما ارتكبه والدها الذي يتقون فيه كل الثقة ، أما قائد المقاومة فهو أقرب إلى الحماسة منه إلى الشجاعة ، ولا قيمة له إذا قورن بالقسيس ، فهو القائد الحقيقي لأهل القرية .

ويمتاز الخطان الدراميان العاطفي والسياسي في هذا الفيلم ليقدما رؤية متخلقة وقائمة إلى أقصى درجات المقامة في نفس الوقت . فالكل عاجز في « ابنة رايان » العبي ممثل في مايكل والين

فيه أحد الجنود البريطانيين في الخلاء ، ثم يتقدم نحوه وهو يزحف على الأرض جريحا ويطلق عليه رصاصة ثانية ، ثم يلتقي بجثته في بئر عميق ، وفي الثالث الأخير من الفيلم ينقل أولاري إلى القرية مجموعة من الأسلحة الألمانية ، ولكن عاصفة هرجاء تفرق السفينة فيربط صناديق الأسلحة إلى الشاطئ ويلجأ إلى الحماية منه إلى الشجاعة ، ولا تقي رجلا لانقاذ الأسلحة ، وهنا يبلغ رايان القائد البريطاني ، ويخرج أهل القرية جميعا تحت قيادة قسيس القرية وينقذون الأسلحة إلا أنهم يجدون القوات البريطانية في انتظارهم في النهاية ، ويحاول أولاري أن يهرب ولكن الضابط البريطاني الشاب يصيبه في ساقه ، ويقبض عليه ويمضي في سيارته ، ويتحول أهل القرية إلى روزي ويهتموها بأنهم رشت بهم إلى عشيقها البريطاني ، وفي مشهد هو أكثر مشاهد الفيلم تعبيراً عن رؤية داغيد لين يتجمع أهل القرية حول الحساء البائسة يمزقون ملابسها ويقصرون شعرها بعنف ووحشية بينما يجثمون فوق زوجها ويضغطون بأحذيتهم على جسده وعلى وجهه ، يحدث هذا كله

« في هذه الرسالة لا يعرض الكاتب
لمهرجان أبي تمام من جميع زواياه ، وإنما
هو يقتصر على تقييم الحصاد الشعري
للمهرجان »



أبو تمام الثرات المعاصر

صيري حافظ

لاشك أن وزارة الاعلام العراقية قد وفقت خير التوفيق في اختيار الشاعر
العربي الكبير حبيب بن اوس الطائي المعروف بابي تمام للاحتفال بذكره
الالفية ... فابو تمام واحد من أعظم الشعراء العرب القدامى . لمع كالشهاب
في أفق العصر العباسي الاول فانار من حوله اخصب حركة واوسع نقاش في
تاريخ النقد العربي القديم . وطرح بشعره وباهتیاراته معا مجموعة من اهم
قضايا الشعر والتجديد في عصره وفي كل العصور . يتصل بعضها بجماليات الشعر
وبعضها الآخر بدوره وماهيته . وليس هذا بغريب على أبي تمام فقد كان مثقفا
من طراز فريد ، اطلع على الفلسفة اليونانية وعلى ميراثها العقلي ، والم
بالشعر العربي حتى قيل انه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة عدا المقاطع
الشعرية والقصائد ، وحتى قال الحسن ابن رعاء « ما رأيت قط أعلم بجيد الشعر
قديمه وحديثه من أبي تمام » .

قسما آخر في التعميل الدائب والعمل
المستمر على تجويد انتاجه الشعري .
لانه كان دائم الاحتكاك بأعمال فطاهل
الشعراء والانصات الى اصواتهم .
دائم الرغبة في تجاوزهم وفي تخطي
مفهومهم للشعر والابداع . وهو من هذه
الناحية واحد من اكبر المجددين في تاريخ
الشعر العربي القديم ، ومن اكبر
الثائرين على عمود الشعر ، وأن أنجز
ثورته داخل إطاره . طرح مجموعة كبيرة
من القضايا الجمالية والمضمونية في
الشعر العربي ، عن الاغراب وبعد
الاستمارة والجمال والقيح ونقل الالفاظ

لابداعه ويحك على رؤاه واكتشافاته
فيثير من حوله الزوابع . وأبو تمام
شاعر عظيم بحق ، استطاع ورغم
سنوات عمره التي لم تتجاوز الأربعين أن
يبدع عددا كبيرا من القصائد الجيدة .
فقد ترك ستمائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة
من الشعر الجيد . . والردى منه انما
هو شيء يستغلق لفظه فقط على حد تعبير
ابن المعتز في [طبقات
الشعراء] . . ويمكن أبو تمام من أن
ينجز هذا الكم الوفير من الشعر بالرغم
من انه انفق قسما كبيرا من عمره في
البحث عن عمل وعن طريق ، وانفق

واستطاع أن يرفع شعره بخير ما في هذا
الثقافة العقلية وهذا الموروث الشعري
الوفير . فتفرد شعره وتميز وانار من
حوله اللفظ والمخلاف لعدة قرون . فرفع
الى مصاف الالهة حتى قال عنه ابن الاثير
في [الملل السسانر] انه « لاشك
الشعر » وخفض الى حضيق المدعين حتى
قيل عنه انه مجرد « مداح نواحة »
واستمر اختلاف اللقاد والشعراء حوله
مستمرا طوال القرنين الثالث والرابع
الهجريين ، ولم ينطفئ بعد ذلك الزمن
طويل .

وهكذا الحال مع كل شاعر عظيم يخلص

وتوحيدها والمائلة والجناس والطباق وحسن الابتداء والعقلانية والتشبيه والعمل والسرقات وأغراض الشعر والمعاني المبتدعة وغير ذلك من القضايا .

أقول : كان توفيق وزارة الاعلام العراقية في اختيار أبي تمام للاحتفال به كبيرا . لأنه احتفال بشاعر عربي يتميز بالعمق والحيوية وي طرح العديد من قضايا الشعر والواقع ، واحتفاء بقيمة التجديد والثورة التي يمثلها أبو تمام ، وتكريم للحركات التجديدية في الفن والثقافة ، وتأكيد على أن الاعتراف بها أت حتى ولو بعد حين من الدهر - كما يقول الأستاذ عبد الجبار داود البصري في تقديمه لجريدة المؤثر - ثم جاء توفيقها الثاني في اختيارها لمجموعة طيبة - اذا استثنينا أغلب مهتلى الوفد اللبناني - من الكتاب والشعراء العرب للمشاركة في هذا المهرجان الذي عقد في الموصل - مثوى رفات أبي تمام من ١١ - ١٤ ديسمبر الماضي . وهي مجموعة من كتاب وشعراء مصر والسودان وسوريا ولبنان واليمن والكويت والمغرب ، يتميز عدد كبير منهم بالأصالة والجدية ، وتشارك معهم في المهرجان رهط من الأدباء والشعراء العراقيين . وقد أتيج للمشاركين في هذا المهرجان أن يتعرفوا على الوجه الحقيقي للحركة الثقافية في العراق بتياراتها المتعددة وطابعها التقدمي الواضح . وأن ينجزوا مهرجانا ثقافيا ناجحا في الوفاء بأغلب الامال المعقودة عليه . أتاج لمجموعة من الكتاب الأمنين بقيمتي الثورة والتجديد الفرصة للتعارف وتبادل الآراء وتمييق الصلات . وأعطى قيمتي الثورة والتجديد بعض حقهما المفقود في عالمنا العربي . وأثار جدلا عميقا وحوارا نابضا حول عدد من قضاياها وهمومنا الراهنة . فقد كانت القصائد التي تحفل بقيمة ثورية أو تجديدية كقصائد حجازي والفيتوري وخوري ومطر من أكثر قصائد المهرجان حظوة بالتقدير والاهتمام .

الاتجاهات الشعرية في المهرجان:

ولقد ألفت في المهرجان مجموعة كبيرة من القصائد على مدى أمسياته الثلاثة ، حاول بعضها أن يحتفي بقيمتي التجديد



تمثال
أبي تمام

والثورة التي نحتفي بهما في شخص أبي تمام . وحاول بعضها الآخر أن يبلور مجموعة من الخصائص الشعرية المميزة التي ابتدعها أبو تمام وجدد بها القصيدة العربية القديمة . بينما حاول بعضها الآخر أن يشد المهرجان إلى حماسة المظاهرات السقيمية والمنظومات الشعرية الفارغة لكن المهرجان استطاع أن يفلت من قبضة هذا البعض الأخير في أمسيته الأولى والأخيرة وأن وقع في قبضته في الأمسية الوسطى التي خصصت برمتها لشعراء الموصل .

أما الأمسية الأولى فكانت قصائدها المتميزة ثلاث هي [مراثية للعمر الجميل] لأحمد عبد المعطي حجازي ، و [أبو تمام وعروبة اليوم] لعبد الله البردوني و [قلبي على وطني] لأحمد الفيتوري وكانت (مراثية للعمر الجميل) لحجازي هي أول قصائد الأمسية الأولى المتميزة فقد احتوت هذه القصيدة إلى جانب رؤاها الفكرية الناضجة على

مجموعة من القيم البنائية الجديدة . غامرت بها مع شكل القصيدة الحديثة ثم خرجت من المغامرة وقد بلورت رؤية جيل ومعاينة شاعر قطع مع جيله رحلة الحلم والأمنية وساخت أقدامه في رمال الواقع وحاول الخلاص من أحبولة الانسياق مع السراب لكنه فوجيء بأن كل محاولة للتملص لا تزيده إلا اشتباكا بحبال الشراك الخادعة ، ثم صحا على الخواء والخديعة وظل يكتب بنيران السؤال الدامي الملح . .

من ترى يحمل الان عبء
الهزيمة فينا

المفتى الذي طاف يبحث للحلم
عن جسد يرتديه

أم هو الملك المدعى أن حلم
المفتى تجسد فيه

هل خدعت بملكك حتى
حسبتك صاحبي المنتظر

أم خدعت بأغنيتي وانتظرت
الذي وعدتك به ثم لم تنتصر

أم خدعنا معا بسراب الزمان
الجميل ؟ !

وهو يعلم أن الإجابة على السؤال صعبة ومراوغة . لأن تشابك المصائر في رحلة العمر جعل من الصعب أن نقذف في وجه واحد بعبء الدينونة الثقيل وبقتلها الفادحة فكلنا مشارك في الذنب وعلى أصابعنا جميعا خيوط من دماء ، لن يستطيع أي منا معها أن يدعى لنفسه حق الشهادة . فالشهادة براءة وكلنا ينوء كاهله بعبء الجسد المستباح ، وتبقى القضية بلا شاهد ولا دينونة الجميع فيها يبغي لنفسه الخلاص . ولن يكون ثمة خلاص بغير الانفلات من قبضة الخديعة وتطابق الحلم مع حقيقة الجسد الذي يرتديه والعودة الحقيقية إلى القيئارة التي توقع أصفى الألمان في مناخ من المبادرة والحرية وقصيدة حجازي تلك قصيدة طويلة . تضم بين سطورها عالما مكتملا من الرموز والرؤى بنى بطريقة شعرية خالصة ، وصيغت مادته عن نسيج مفارق لعالم الواقع ولكنه قادر على استيعاب كل تفاصيله والاستحواذ على كل صبواته

توضح هذه العلاقة بطريقة شعريا
ناضجة .

العام والخاص في القصيدة الجديدة

أما الامسية الاخيرة للمهرجان فلم تقدم
لنا سوى قصيدتين بعد أن عجزت الامسية
الوسطى عن تقديم شيء ، هما قصيدة
خليل خوري التي قدمها على شكل رسالة
او اعتراف ذاتي الى أبي تمام ، وقصيدة
محمد عفيفي مطر [وشم النهر على
خرائب الجسد] . أما قصيدة خليل
خوري فقد كانت اعترافا شعريا على
درجة عالية من الكثافة والتعقيد. تنطوي
نبرته الذاتية على رؤية سياسية وحضارية
تمزج بين معاناة الشاعر ومعاناة الجيل
والوطن ، وبين الرفض والتسرد
واستشراف المستقبل ، وبين الصوت
الخاص والصوت العام . وبين الموقف
السياسي والموقف الانساني .. ان
الشاعر يقدم من خلال اعترافه قصة جيل
بأكمله عاش التمزق وذاق مرارة
المعاناة . واكتوى بنيران الهزيمة
والغربة والسكران . لكنه لم يفقد أمله في
النصر والعودة والتحقق لأنه لم يفقد
شجاعته ولا اقتداره على التحدي
والمبادرة ، ولم يفقد حلمه بمستقبل
يبتغيه ورغبته في تجاوز حاضره لا يرضى عنه
.. ولذلك فإنه يقول :

أقول لكم ؟ !

الشاهد حي ولتسقط كتب
التاريخ

الشاهد حي ولتذهب للنوم
قصائدنا

أقول لكم

ان لم يجتمع الفقراء %
الايتام ، الجوعى

المحرومون ، البرص %
المعونون

ان لم يأتلف الاطفال
ان لم ترفض شوق المحروم
الى الترف القتال

ان لم ينقسم البيت الى بيتين
ولم يقم الابداء على الابداء

ان لم نهدم هذا الجسد
الواهي بين القصر وبين الكوخ

ان لم نرجع للينبوع الاول ،
فلندفن أنفسنا أحياء



نزار قباني



أحمد حجازي

فوق حوائط تاريخه المائلة
وابذل قمحي للطير والسابلة

وعن رعب الطفلة وهم يشهدون روح
الشهيد وقد صنعت من جديد تواهل
المسيرة وتعبر الفصول ، نائرة بذور
الثورة في رحم الارض الجديدة ، متعده
اجنتها حتى في كن الطاقة انفسهم .
فالشاعر يوحد في قصيدته بين الشهيد
والقضية . ويرى ان دماء الشهيد لاتذهب
بددا بل تنسرب في عروق القضية فتزيدها
توهجا وقوة .. ومن هنا فإنه يصرخ
مندهشا .

لماذا يظن الطفلة الضغار

وتشحب ألوانهم

ان موت المناضل مسوت
القضية ؟ !

فالعلاقة بين المناضل والقضية اكثر
تعقيدا وثراء من مجرد الترابط الطردى
الذي يحسب ان الاجهاز على المناضل
اجهاز على قضيته .. وقصيدة الفيتوري

ونزوعاته . وهو عالم مثقل بالاحالات الى
سقوط غرناطة آخر دويلات الاندلس ايام
بنى الاحمر ، والى مأساة العرب
المورييسيين وتجرعهم لمذاببات
المنفى . والى مأساة الشاعر المعاصر
وهو يعيش اغترابا اقسى من غربة
العرب المورييسيين واشد مرارة .

البردونى . . صوت أبي تمام

واذا انتقلنا بعد ذلك الى قصيدة
الشاعر اليمنى الضريع عبدالله البردونى
[ابو تمام وعروية اليوم] فاننا سنجد
انها كانت أبرز القصائد العمودية التي
القيت في المهرجان واكثرها اقترابا من
جوهر الشعر . لانها كانت اخلصها لروح
أبي تمام الشعرية ولنهجها في بناء
القصيدة ولطريقته في التعامل مع الالفاظ
والمعاني . وقد نظمها الشاعر على
غرار قصيدة أبي تمام الشهيرة عن فتح
عمورية والتي مطلعها :
السيف اصدق انباء من الكتب
في حدة الحد بين الجد واللعب

واجرى فيها مقابلة تماهية ناضجة بين ما
دار ايام المعصم بن الرشيد وما يدور
الان . وقدم فيها مجموعة من الصور
الشفيفة المزهفة . وان اثقلها ببعض
المعاني الساذجة والصياغة الواضحة
العمل .

أما القصيدة الثالثة التي تميزت في
قصائد الامسية الاولى فهي قصيدة
[قلبى على وطنى] للشاعر السوداني
محمد الفيتوري . وهي قصيدة تحتفى
بقية الثورة وتنسم بالجسارة . يتحدث
فيها الشاعر عن البطل الفاتر في تغطيه
الدائم للقيود وفي تجاوزه الابدى للمحن
وفي ديمومته الثورية التي يرتفع فيها الى
مصاف الظاهرة الطبيعية ..

أخطوت على القيد

لا تحفروا لي قبراً

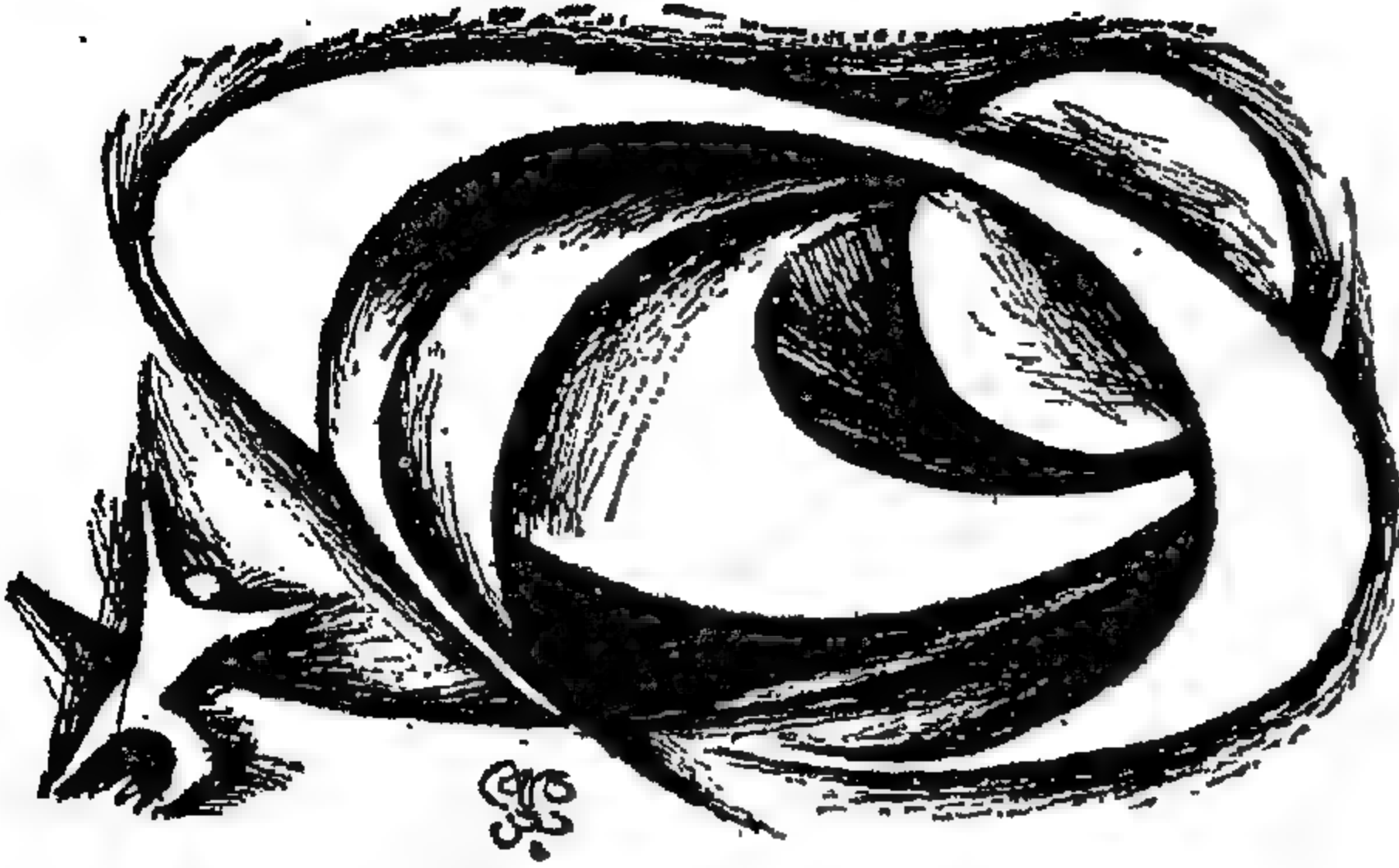
منأبعد مشتقتى

وسأغلق نافذة العصر خلفي

وأغسل بالسدم رأسي

وأقطع كفى

وأطبعها نجمة فوق واجهة
الخصي



في هذه الابيات البالغة الحدة والوضوح يقدم لنا خليل الخوري رؤياه وحلمه وصورة الواقع المرتجى . وهو لا يقدم لنا هذه الصورة - الرؤيا الا في نهاية قصيدته وبعبارة يقودنا تشابك عالمه الشعري الى هتية بلوغها وتكون لهفتنا اليها قد صاغتها تفاصيل الواقع الطافح بالتمزق والمذاب المشوق الى حل وخلص . و خليل الخوري بذلك يؤكد لنا انه شاعر محنك يجمع الى وضوح رؤيته الشعرية والفكرية مقدرة بنائية واضحة .

كون شعري خاص

قصيدة محمد عفيفي مطر هي آخر القصائد الجيدة التي القيت في المهرجان . . وهي تجرس نفس نفس الارض التي غامر فيها هجاري والخوري ولكن بطريقة الخاصة ، واسلوبها المتميز ، ومن خلال مجموعة فريدة من الرموز المثقلة بالدلالات ، فعفيفي مطر مقدم باهالة جزليات الحياة المألوفة الى مفردات كونية تسبح في مدارات متعددة حتى توسع من افق القصيدة دون ان تنأى بها عن الواقع الذي صدرت منه والذي تنفى ممارسة لماليته فوق أرضه . فالشعر عند عفيفي مطر ليس تعبيراً عن الواقع بقدر ما هو رؤيا له ، وليس تعليقا على ما حدث أو يحدث كل يوم تحت نظر الشاعر ، ولكنه سبر لاغوار هذه الاحداث والوقائع بغية استشراف المستقبل . لذلك فشعره يطرح اول ما يطرح قضية علاقة الشعر بالواقع لانه يقدم حلا جديدا لهذه القضية . . وقصيدته في مهرجان ابي تمام واحدة من قصائده التي تطرح حلا جديدا لهذه القضية دون ان تلتقي علاقتها بالواقع . . فعندما يقول:

وانا فزاعة الطير بارض
القتراء

علني آخذ رأسي بعدد أن
يضر به السيف وأمضي

خارجا من ملكوت الخوف ،
من أرض ممالك الدم الواحد

أطوى في خلياه بساط
الارض

أبنى وأقيم

وطنا ، أنشر ما يحمل من كنز
النقوش الدموية

أطرد العالم ، أمحو زمن
الصوت وأمحو طينة الموت

وشوك الأبدية

أنشء القلعة بين الشفتين

أشحن الريح على تقطيع
الجبهة ، أرمي

ظبية الشهوة والذكرى وأرمي
بومة الرؤية ، أنشق على
الرائس عدوا وصديقا .

لا يمكن أبدا أن ننكر على هذه الابيات تحويمها بالقرب من وجه الواقع دون أن نلجأ الى الالتصاق اللزج به ، ودون أن نضحي برغبتها في صياغة عالم له استقلاله الخاص عن تفاصيل اللحظة الموقوتة وله قدرته على ديومة المفعالية والاستمرار .

حصاد المهرجان

هذه هي القصائد التي القيت في المهرجان - بالطبع القيت عشرات القصائد التي لا ترقى لأن تكون شعرا - وخمس قصائد جيدة في مهرجان شعري ليست بالشئ القليل . خاصة وأن المهرجان لم يقتصر على القصائد فحسب ، بل قدم مجموعة من المقالات والابحاث النقدية عن حياة ابي تمام وشعره . . وقد نشرت معظم هذه الدراسات في العددين الخاصين من مجلتي [الجامعة] التي تصدرها جامعة الموصل و [آداب الراشد] التي تصدرها كلية الآداب بنفس الجامعة . لكن أهم المطبوعات أو الدراسات التي قدمها المهرجان كانت الدراسة البيولوجرافية الجيدة [أبو تمام الطائي - حياته وشعره في المراجع العربية والاجنبية] التي أعدها كوركيس عواد وميخائيل عواد ، والتي كان على المشرفين على المهرجان أن يبعثوا بها الى المشتركين في المهرجان من الدارسين والنقاد قبل موعد المهرجان بشهر أو شهرين حتى يتمكنوا من الاستفادة بها في أعداد دراسات قيمة عن ابي تمام . لأن هذه القائمة كانت ستضع تحت أيديهم كل ما كتب عن ابي تمام وكانت استدعواهم الى عدم تكراره أو اجتراره وتحفزهم الى ابداع شيء جديد قادر على أن يكون في مستوى الشاعر العظيم الذي نهض في غير أن

المشرفين على المهرجان لم يفعلوا ذلك . وجاءت الابحاث أو بالاحرى المقالات السريعة التي قدمت في قاعة المؤتمر ، أو في جامعة الموصل هزيلة وردية ولم تضاف الى الدراسات القيمة عن ابي تمام أي شيء ذا بال . وافترقت فيها الدراسة الخلاقة التي تعيد قراءة شعر ابي تمام أو تكشف عن منهجه الشعري من خلال دراستها لاختياراته في الحماسة [أو [الوحشيات] .

وكان مقرا ان يزاح الستار في اليوم الاخير من المهرجان عن تبال ابي تمام اقيم في احدى ميادين الموصل لكن ذلك تاجل لأسباب فنية . وفكرة اقامة التنايل لشخصيات الادبية الكبيرة فكرة جييلة في حد ذاتها . وهي في العراق مظهر من مظاهر الحركة التشكيلية الناشطة التي بلغت ذروتها في الجدارية المدهشة التي أقامها جواد سليم في ساحة التحرير ببغداد والتي تعبر عن قيمة تشكيلية وفكرية ناضجة . والتي يلمسها الزائر للعراق منذ الوهلة الاولى في واجهات المبائر وتخطيطات الميادين ودور العبادة والتنايل المعيدة المتناثرة في كل مكان .

واذا كان المهرجان قد احتفى في شخص ابي تمام بقيمتي الصورة والتجديد . . فانه قد أتاح لمجموعة طيبة من الكتاب والشعراء أن يتعرفوا على الوجه الحقيقي للتيارات الثقافية التقدمية في العراق . وعلى الشواهد الحية للتاريخ الحضاري للعراق القديم وهي تحكي قصته مع العراق والتقدم في بابل وسنحاريب والحضر والفرودوسليمان باك والنجف وكربلاء وغيرها من بلدان سهل كنديا الفيض العريق . ولكن أكثر ما أدهشهم هو تلك الشهوة العارمة للمعرفة وذلك التفتح المتابع لكل ما يدور في واقع الثقافة العربية عامة والمصرية بصفة خاص والذي تلمسه في قطاع عريض من الشباب . . وذلك الانتشار الجماهيري للفكر الثوري والتقدمي بتياراته القومية والانسانية . كما أتاح المهرجان فرصة طيبة للقاء حي وتعارف بناء بين عدد من الكتاب والشعراء الشباب . . وهذا في حد ذاته شيء كبير يحسب للمهرجان ويدعم عوامل نجاحه وتوقيفه .



محيى الدين حسين وقصة التراث

عندما تحول الإنسان ، من جامع للغذاء الى منتج له ، كان لابد له ان يكتشف صناعة الفخار . فلا بيضة النعامة التي استعملها الانسان في مصر كوعاء ، ولا الجمجمة بكافية ان تبقى باستعماله وخن طعامه وشرابه . . وربما كان اكتشاف حرق الفخار قد أتى بالصدفة مع احتراق سلة مكسوة بالطين . . وكثيرا ما كان الانسان البدائي يغطى سلتة بالطين ، حتى لا يتسرب الماء اليها . هذا الاكتشاف جعله يحصل على وعاء يقاوم الحرارة ويحتوى الماء ويخترن الحبوب ، وعاء يحافظ على شكله سريان كان مبتلا أوجافا . اذن شكل الانسان قطعة الطين واعطى لها البقاء الابدى بحرقها .

كشكل يلتصق بالفراغ لا ثقل له ولا ابعاد ، اما بالنسبة لمحيى فالاناء كتلة تثبت من الفراغ وكانها تتصاعد من العدم ، تثبت متماسكة ومتكاملة وكذلك تشعر بحركة الدولاب ومرونة أصابعه راقعا الاناء الى اعلى ، بالضبط كصورة تبيض بالحياة وحرارة الازفعال ولم تتلفها الصنعة . معه تشعر بالنمو الطبيعي للشكل ، يضايقه التماثل فيقضى عليه بضغطة بسيطة من أصابعه هذا أو هناك ، يقضى عليه برفق وحنو دون أن يجرح هذا التماثل يحتفظ به دون أن يدع له الفرصة كي يقضى على حرية الحركة في الخط الخارجى للاناء . أما الزخرفة واللون في الاناء فهي كالوشى الهامس ، تتماسك مع الحجم وتدع للخط الخارجى المتصاعد الى اعلى ، تدع له الفرصة كي يقول كل شيء متممة له لا متناقضة .

بقيت اذن المشكلة : كيف نستطيع ان نربط فنانا مثل محيى الدين بالنسب والجماهير . والطبقة المتوسطة لازالت عندها عقدة الخواجة ، نريد كل شيء مستوردا حتى أثينا كنوع من الحضلة والادعاء والتطلعات . ان المسألة عرض وطلب واحتياج كيف يتأتى لنا أن نخلق جيلا من الطبقة المتدوقة يفكر تفكيراً مصرياً ، شرقياً ، ضميمياً ، وفى الوقت ذاته متطوراً مع اندفاع القرن العشرين .

حسن سليمان

يبدعها افراد لكن الحضارة يصنعها مجتمع بأسره ، لانها فى النهاية نتاج عدد لا يحصى من الافراد والاجيال . فالحضارة عمل ينتج عن نشاط اجتماعى وادى نشاط اجتماعى يبنى على الناس فى مجموعهم ، فلا يوجد عمل فنى دون أن يكون خالقه مدينا بالكثير للاخرين ولمن سبقوه . ولا غرابة أن نجد اذن فى آنية محيى الدين امتدادا للتقاليد المملوكية فى الاشكال - ونحن حينما نقول آنية محيى الدين حسين فقد حددنا هنا ذلك الاناء الذى فى الامكان أن تمسكه فى يدك وقد تستعمله أو لا تستعمله ولكنك تشعر به كأنه جزء منك . تشعر مع آنية محيى بنفس ذلك الحس المرفق الرقيق ، والنبالة التى نجدها فى الآنية المملوكية ولا أثر على الإطلاق لبداءة أو غلظة . فالحاضر المملوكى هو الذى بدأ فيه الفنان المصرى يستمتع بتذوقه لاسرار صنفته بعد أن انتهى من تطويعه لبيئته وفقا للعقيدة الاسلامية وامتداده الحضارى فصول عقيدته الى مثالية فنية . وكذلك نجده قد تجاوز مشاكل الصنعة مستوفيا للاحتياجات التى من أجلها يشكل الخامة بسهولة وليونة . والفن حينما يكون كاملا ومتكاملا يتعدى أى عصر كتيار متدفق مستمر والاناء لدى محيى الدين لا عصر له لكنه مصرى صميم .

ولدى بعض الخزافين قد نجد الاناء

وصناعة الفخار والخزف لم تكن بالسهولة التى نتصورها ، وكان على أجدادنا أن يحسبوا مدى التغيير الذى سيحدث فى الألوان حتى يضمنوا أن تخرج رسوماتهم واضحة . ثم كان الدولاب والافران التى تزداد حرارتها يوما بعد يوم ، ويتكامل فن الخزف مرتبطا بحياتنا اليومية وباحتياجاتنا .

قد يتعلم الرجل البدائي كيف يصنع شيئا أو يبدع اشكالا ، لكنه يبقى بدائيا ويظل تفكيره واحساسه كما هو ، أما الانسان الذى يشعر دائما بالظلم للتغيير فهو على استعداد كي يتقبل أى تعليم فى سبيل أن يصل الى الشيء الخاص به والذى يعبر ويفي باحتياجاته . وأن استطاع أن يحقق ذلك ففي هذه الحالة سيستطيع ان يعبر عن ذاته وأن يخلق اشكاله الخاصة به والناجمة عن ثقته بنفسه ووعيه بأسرار صنفته وأدراكه لمقدرته وهكذا كان الخزاف المصرى عبر التاريخ . ومحيى الدين حسين خزاف ينطبق عليه ذلك التقييم الذى يمتاز به الفنان القديم فى وادى النيل . وميزة أخرى تربطه بالتقليد المصرى للفخار عبر التاريخ ، هى الاحساس باليد : أى شعورنا أن هذا الفخار صنع باليد لكى تستعمله اليد .

الحضارة فى مجموعها تيار فنى أو عمل موحد ، حقيقة أن الاعمال الفنية



□ السفينة « رواية »

□ الرعد « مجموعة قصص »

■ عرض وتحليل : سامي خشبة

السفينة

تأليف : جبرا إبراهيم جبرا
النشر : دار النهار - بيروت

أمريكا ! .. ولكن هذه الرواية ليست من « جيل الضياع العربي » أو ما يشبه ذلك من تسميات . وهي أيضا ليست مجرد رواية فلسفية أو سيكولوجية تطرح قضية تمزق أصحابها في « هذا العصر » .

إنها ببساطة رواية « اعترافات » صادقة وكاذبة ، يتبادلها هاربون يحتاجون إلى الاعتراف ، إلى تعرية وجوههم الحقيقية لمن لا يعرفونهم ، وإلى التظاهر بامتلاك وجوه من نوع معين أمام من لا يعرفون وجوههم الحقيقية . أنهم « سواح » في بحر غريب على سفينة غريبة . يحملون معهم ما سيهم وعذاباتهم وما يطاردتهم في الواقع الحقيقي : خيبات الحب والرهبة من السلطة واليأس من البشرية والرغبة في انتهاء موقف اختيار مميت لا مفر منه .

هناك عامم السلطان . المهندس العراقي ، عاشق الهندسة الحديثة ، وعاشق « لي » القديم . الهارب من وطنه ومن عشقه . اللامنتسى دون رغبة ، العاجز قبل المحاولة ، الذي لم يقف في وجه شيء وهرب قبل المواجهة .

وهناك الدكتور فالح ، الذي أخذ ما لم يكن له حين تزوج « لي » ، وحصل على ما لم يكن يرغبه حين أدرك عتامة مصير الإنسان وحلقة عصره بالوعي ، وتبنى بالرفض المطلق ما كان بسبب دماره ، وخاض بعد تمنع في البحر الذي كان لابد مغرقه حين لعب لعبة الاعتراف والكشف . ولذلك كان لابد أن يعجز نفسه ، تاركا ما لم يكن له أن يأخذ ، معرضا عما كان قد أصبح موقفا له مساويا لذاته ، منسجبا من المعركة التي فرض نفسه عليها .

وهناك لي زوجة فالح . عاصفة الجنس والحب والتطلع إلى التمتع بالمجنوس وبالمجردات . بهيرة الخواء

إن أحد الصوتين الرئيسيين في الرواية ، لوديع عساف ، الفلسطيني الذي حارب دفاعا عن القدس واستشهد صديقه بين يديه فاقسم على جفته أن يعود : « غازيا أو متسللا .. » .

ولكنه ذهب إلى الكويت وأصبح تاجرا وجمع ثروة . وما هو يشرع في العودة بشراء مزرعة بجوار القدس [واضح أن الزمن الفني للرواية قبل حزيران ١٩٦٧] وبذلك « يضرب بجذوره في الأرض من جديد » ، علاوة على أنه ، فيما يبدو ، يشارك في عمل فدائي من نوع ما . ولكنه لا يملك أي تصور عن كيفية عودة « شعبه » وليس عودته هو ، ولا مضمونها . ولكن هذه الرواية ليست عن فلسطين ، ولا عن وسائل الكفاح العربي ، كما أنها لا تدبر هذا « التبرجذ » الذي لم يعش مأساة شعبه في خيام اللاجئين ، وهي أيضا لا تدافع عنه .

وأحد الشخصيات الرئيسية في الرواية لطبيب عراقي لا يؤمن بغير العلم ، ومن أسرة عريقة اقطاعية . ولكنه يرفض الواقع المؤلم الذي يعيشه شعبه من فقر وفوضى . ورغم هذا فهو يسكر باستمرار ولا يرى جدوى من أي عمل . « أرفض زمن القتل . أرفض زمن الخيبة . أرفض اليأس . وما أنا أخيرا أرفض الأمل » . مع هذا فالمؤلف يحذرنا على لسان الطبيب نفسه . من أنه لا يمثل الطبقات القديمة التي أذرى عالمها ينهار ومستقبلها تجلله الظلمة ، فأنها تملأ انتهاء العالم وأنهيار الحضارة وتدعو إلى الانتحار . ورغم هذا فإن الحكم الأخير على هذا الطبيب المتحجر يصدر على لسان صاحب الفكر الطبقي ، الفكر في الثورة والمدير لمستقبلها في أثناء إقامته الطويلة كاستاذ جامعي في

هذه رواية ممتازة ، رغم كل ما قد تثيره من خلاف ، أو ما قد يثور حولها من علامات الاستفهام أو ما قد تستدعيه أحيانا من رفض أو شكوك .

الاعترافات المتبادلة ، تلقائية أو متسزعة ، هي نسيج رواية « السفينة » لجبرا إبراهيم جبرا . ولهجة الاعتراف هي ما تحكم لغة لغتها ودرجة الحدة في انفعالاتها . بل إنها تتخلق بالفعل من خلال مساهمة « عامم السلطان » و « لوديع عساف » أساسا ، ثم « أميليا فرنيزي » عن أنفسهم واعترافاتهم وتأملاتهم ، وعن رفاقهم الآخرين وما يعترفون به أو يبوحدون به من أفكار ، في انسياء رحلة السفينة اليونانية « هيركيوليز » البطيئة بين موانئ البحر الأبيض المتوسط ، حيث تجمعوا بتدبير أقرب إلى تدابير القدر الأغريقي القديم ، الذي يبدأ بالنبوءة وينتهي بالموت .

إن ما قد يدفع إلى التساؤل والشك حول رواية « السفينة » هو « الاحتمالات » المتعددة سواء لضمونها ، الفكري أو الموضوعي ، أو لمعاني الخطوط النفسية الحادة في كل من شخصياتها ، أو للطريقة « المتباعدة » عن عهد التي دفع المؤلف شخصياته إلى التعبير بها عن أزماتها المتعددة . ولكن ألا تكن أسباب قوة الأدب الدرامي دائما في قدرته على احتواء أكثر من بعد وإثارة أكثر من احتمال ، تدفع كلها على الأقل - إلى التفكير في إمكانية صدقها مع الواقع من خلال صدقها الفني المؤثر والمتأسس ؟ وسيكون من العبث أن نبحث عن موقف صريح للمؤلف في رواية لا يعترف هو فيها أبدا بشيء ، وإن كان يدفع شخصياته دائما إلى الاعتراف .

ويتذكرون « الرقص على السفينة » .
 فهل يقصد المؤلف أن « زمان الرقص »
 قد انتهى بالنسبة لهؤلاء الذين ظهرتهم
 المساة أو تحقق لهم التوازن بالحب أو
 باللقاء والمشاركة في أحزان واحدة ،
 بصرف النظر عما يمثلونه وما يحملونه في
 عقولهم ومشاعرهم ؟

هنا تنتهي الرواية ، بعد أن فقدت في
 صفحاتها الأخيرة [بعد انتحار فالخ]
 بنيانها « اللاروائي » حين أصر المؤلف
 على أن يقول قصة كاملة . فقدت توازن
 بنيانها اللاروائي ، ولكنها لم تفقد ثراء
 معناها وتعدد أبعادها وقدرتها على إثارة
 المزيد من الأسئلة ، وإثارة الرغبة في
 متابعة الكثير من الشكوك ، والبحث عن
 معنى لبقاء من بقوا على قيد الحياة ،
 ولوت من أشر أن يعدم نفسه ! *

الحقيقة . وكان صديقه الشاعر
 يوسف ، موردا للبطانة الوجدانية التي
 يحتاجها المؤلف لتكثيف مجموعة الخيوط
 المتشابهة عن طريق الشعر . وهؤلاء
 الأربعة هم من سيقون على السفينة :
 المرأتان الأجانبان لصيرهما بعد أن
 شاركا لومضة خاطفة في مناساة قصيرة لا
 يدركان أبعادها . والرجلان العربيان إلى
 طريقهما الغامض المشكوك في نهايته
 وجدواه .

كان على المؤلف أن ينتهي بسفينته إلى
 الفرق . ولكنه دفع أكثر أبطاله حدة
 ومرارة ، الوعي الراضى المتشائم ،
 دفعه إلى الانتحار . فسانح
 بذلك « الصوت النقدي » الوحيد من
 بينهم . مات آخر نذير . وهرب الباقيون
 إلى البحر ينتظرون الجثة ويسهبون

الخالية من أي صيد ، وهي نفسها صيد
 ثمين . فقدت زوجها ولم تكن تملكه ،
 ولم تأخذ عاصم الذي وهبها نفسه وكان
 يفر منها رغم أنها طارده غير البجر .
 أما ما دون ذلك من شخصيات الرواية
 فهي كالحواشي التي لا يكتمل البناء ، ولا
 تنفجر الأحداث بدونها . أميليا وجاكولين
 كانتا كالزناد المستعار لقصد الشرارة
 التي ستلهب مناساة عاصم وفالخ ، والتي
 نسلى « وديع » حتى تملئه حبيته
 اللبانية المزددة باستعدادها للحاق
 به . وكان محمود ، الثوري الراحل إلى
 أمريكا لكي يعمل في جامعة ويفكر في خطط
 الثورة إضافة بصوت موضوعي يلجأ إلى
 التعميم الخاطئ [ويثبت - في الوقت
 نفسه - خطأ التعميم الموضوعي] في
 وسط كل الأصوات الذاتية التي يقدمه كل
 منها - باعترافه - جانباً من

الرعد

تأليف : زكريا تامر
 الناشر : اتحاد الكتاب العرب بدمشق

أو في قراءة الكتب وكتابة الشعر خطرا
 يهددها *

ومع هذا فهناك قصص تحاول أن
 تستوعب من حياة الإنسان علاقة أعمق من
 علاقته بالمؤسسة الاجتماعية . ففي
 قصة « الشرطي والحصان » يكون الموت
 جزء التمرد والحلم بالحرية . والقتل في
 قصة « آخر الرايات » جزء لتجاهل
 الحقيقة الاجتماعية نفسها إلى حد
 الغباء . وفي قصة « خضراء » يقع
 الموت جزء للعقم ، أو يبدو العقم مساويا
 للموت . والحياة في قصة « الكذب »
 هي - وليس هذا النخاع الذهني في
 تجويف الدماغ - أثنى ما يملكه
 الإنسان ! *

ولكن الدهش أن قصة « الرعد »
 نفسها تعلن أن « الكراهية » المطلقة لكل
 ما في العالم وما يتكون منه العالم ، هي
 الموقف الذي تستند إليه رؤية العنف
 كجوهر لهذا العالم الصحراء . أن المبرر
 الوحيد لهذه العلاقة بين عنف العالم
 وكراهيته ، بين الرؤية والموقف ، هي
 التصور الغنائي الذي يغلف بتيان الحكاية
 في قصص المجموعة كلها . فالفنان لا
 يكره العالم في الحقيقة بقدر ما يكره
 تصوره الذهني عن هذا العالم ، وهو
 التصور الذي رسمه في خطوطه التجريدية
 ولم يملاء بلحم الحقيقة الخام ، ولخص
 في رسمه ما أحب أن يحتفظ به ، ولفظ
 منه ما لم يتفق مع عالم الفرائس
 والصيادين في الصحراء . فالفرائس
 أيضا ، يستحقون عنده ما نزل بهم ،
 بصرف النظر عن أنهم ضحايا العنف
 والغباء الذي يدينه المؤلف بعد أن يسلم
 بأنه هو « جوهر الحقيقة » في صورة
 العالم التي رسمها ، ثم هب عليها
 كراهيته ونقمته ! *

الحكاية يصيب فيه قصصه . فهذا القالب
 يكتسب قيمة جمالية جديدة حينما يتم
 تطويعه لموقف المؤلف من
 عالمه « الحقيقي » . بل إن استعارة
 قالب الحكاية ربما لا تمثنا - حتى من
 الناحية الجمالية - بأكثر من تلك الهزة
 العاطفية حين نقاها بذلك الموقف العنيف
 الذي تعبر عنه أشكال حكاياتنا الطفولية
 القديمة .

مفتاح عالم زكريا في
 قصص « الرعد » مفتاح عاطفي ، وربما
 كان هو الإحساس بالعنف ، فإذا كان
 العالم صحراء رمزية لا يسكنها سوى
 الفرائس والصيادين ، فإن العنف هو
 جوهر هذا العالم الذي يسيل منه الدم
 وقانون القتل ، والقتل ، باعتباره المباشر ،
 أو بالمعنى الذهني الذي تفرضه كل
 حكاية ، عمل شائع وخاتمة طبيعية لكثير
 من قصص زكريا تامر . أن الحرمان من
 الحياة لا يعني إلا الحرمان من كل ما هو
 حسي ، ومن الحرية ، ومن دعة البيوت
 الدافئة ، ومن الرغبات البسيطة .

وفي قصص مثل « السجين » و « المصقر » ،
 « الذي أحرق السفن » و « النهم » يقع
 القتل كأنه اغتيال ، ويقع باسم حماية
 النظام والقانون والعرف السائد .
 حقيقة الإنسان ، يكونها كذلك ، تتناقض
 مع النظام والقانون ومع المؤسسة
 الاجتماعية التي تستند اليهما . وحقيقة
 الإنسان ، تتحدد نسبتهما في هذه
 القصص : أنه في « الحقيقة » الفنية ،
 جائع أو مريض أو حزين أو حافي
 القهمن أو مجرد راغب في قراءة الكتب
 أو كتابة الأشعار أو الاستمتاع بحضن
 زوجته . وهذه الحقيقة النسبية تتناقض
 مع مؤسسة الدولة التي تؤكد الجوع أو
 المرض أو خلق الجفاء أو ترى في الجبن

..... « وكانت الصحراء أثقل في
 مخيلة الطفل أرضا مسيحة جداره تغطيها
 رمال صفراء ، ولا يعيش فيها سوى
 الغزلان والصيادين » .

بهذه السطور تنتهي آخر « الجواثيت »
 التي وضعها زكريا تامر في مجموعته
 القصصية الثالثة : « الرعد » تحت
 عنوان : « الأبطال » . وهذه السطور
 نفسها هي ما نعتقد أنها تلخص نظرة
 زكريا إلى العالم ، وإلى مكانه : نظرة
 تجمع عالم القاض السوزي ومخلوقاته ،
 عالم الفرائس والصيادين ، تلخصه
 عينان ، يجعلهما الخوف والدهشة
 والتصور الساذج أقرب إلى عيون
 الأطفال ، الخائفة ، المندهشة ،
 الساذجة .

العالم الصحراء ، فحين قصص
 مجموعة « الرعد » . صحراء ذهنية ،
 الأشياء فيها متشابهة حتى يمكن أن
 تصبح الريح « بدا » مرقشة الأصابع ،
 أو يصبح الحزن « خاتمة » ترتدي ثيابا
 الحداد وتطير هلعة تحت أمطار غزيرة ،
 والخطوط حادة والخفاف طبيعي غير
 مصنوع . وليس هناك واقع بعينه في
 هذه القصص ، وليس هناك مفتاح جمالي
 أو فكري لذلك التصور الذهني عن عالم
 الناس فيها ، رغم أنه تصور يجعلك تشعر
 باحتمال التشابه مع أي واقع مفترض ،
 دون أي واقع حقيقي . والعالم الصحراء
 يسكنه فرائس وصيادون . وليس من
 الضروري أن يكون السكان جيرانا ، رغم
 سكانهم علما واحدا .

ربما كان بناء الحكاية الشعبية
 أو « الحدوتة » وأصولها السردى ، هو
 المفتاح إلى عالم « الرعد » ، لا من حيث
 التقييم الجمالي لاستعارة زكريا لقالب

■ ينشر « الملحق » في هذا العدد قصصتين قصيرتين ، تعبر كل منهما عن وجهة نظر مختلفة عن الأخرى في الفكر والتعبير الفني . . القصة الأولى لإبراهيم أصلان أحد الكتاب المصريين الشباب ، صدرت له مجموعة « بحيرة المساء » عام ١٩٧١ ، والقصة الثانية للكاتب الفلسطيني محمود الزيماني ، وهو أيضا من أبناء الجيل الجديد ، وقد نشرت معظم قصصه في المجلات اللبنانية .

رياح الشمال

إبراهيم أصلان



في تلك الأيام ، كنت قد ارتديت
حلتى الوحيدة ، ووقفت وراء نافذة
حجرتي الأرضية التي استأجرتها قبل
أن يصيبني المرض ، هناك عند الطرف
البعيد من الميدان ، ورجت أرى الميدان
الصغير الذي خلفته الأمطار عابقا
بالرطوبة والصمت ، وأسفلت الشوارع
القليلة المتقاطعة الذي بدا مبتلا ومتالفا
في ذلك الضوء الغارب ، وكان البخار
يتصاعد فوق سطح النهر ، وفيل من
العربات الخشبية وأقفاص الخضر
والبرتقال مغطاة بقطع الخيش ومهجورة
على الطوار ، عند انحراف السور الحجري
القصير ، الذي يعلو الجسر المنحدر .

لقد كنت أفعل ذلك ، وبينما كنت
أفعله ، رأيته وهو يلوح هناك في الجانب
الأخر من الميدان ، وسمعته وهو يصيح
صياحا مبها ويطوح بذراعه الأخرى .
تحسست العصا التي اتكئ عليها ،
وفكرت أن في مقدوري الآن أن أراجع
وأغلق النافذة ، وأراه من فتحات الشيش
المطلي باللون الأزرق . إلا أنه بدأ
يوصل خطواته ، ولم يلبث أن صعد
الطوار الموحد الضيق ، ووقف أمامي
وهو يمسك في يده اليمنى زجاجة مائلة ،
ورفع جفنيه الثقيلين عن عينيه الكبيرتين
الصافيتين ، وأثنى صوته العميق
الواضح .

— « مساء الخير يا محترم » .
قلت :
— « أهلا » .
هز رأسه الضخم الذي يغطيه الشعر
المبتل الأبيض ، ثم ابتسم :
— « ياسلام » . وصمت . « تريد
أن تشام ، فتشام . ولا تريد أن تشام ؟ »
فلا تشام . « وقرب وجهه من وجهي :
« لم تعد هناك فائدة . سلام عليكم » .
وظل واقفا . قلت وأنا أبتعد بوجهي
قليلا :
— « عليكم السلام ورحمة الله » .

وضع الزجاج على قاعدة النافذة ؟
وأخرج جريدة اجنبية من جيبه مستقره
وقربها مني :

— « ما هذه ؟ »

قلت :

— « جوفال » .

تراجع قليلا وقد رفع حاجبيه الكثيفين :

— « قريبة . هل تعرف اللغة
الانجليزية ؟ »

قلت :

— « آه » .

قال :

— « خسارة » . وراح يمزقها ويلقي
بها الى الارض : « خسارة فعلا » .
وانكأ بمرقته على قاعدة النافذة : « لو
كانت المانية كنت قرائها لك » . وهمس :
« اننى اتحدث الالمانية » . ومال برأسه
قليلا ، وبدأ جلد رقبته يمتدحيا : « هل
تعرف اللغة الالمانية ؟ »

قلت :

— « المانى ؟ لا » .

قال :

— « خسارة » . وفكسر قليلا :
« تريد ان تقول ، فتقول . ولا تريد
ان تقول ، فلا تقول » . ومد ذراعيه
أمامه : « لم تعد هناك فائدة . سلام
عليكم » .

وتركنى وانصرف .

لمت وراءه . كان يعتمد بشامته المديدة
المائلة وهو يتكى بيسراه على الجدار
المائل . وعندما رايتة وهو يخنق هناك
داخل الدرب الصغير ، أرحت نفسي .
فقد هبط الظلام الآن . ولم يكن هناك
سوى نقطة ضوء تبعث من لمبة صغيرة
معلقة في طرف أحد الأعمدة الخشبية
العمالية . وكان الجفاف قد عاود شفتى ،
وبدأت الحرارة تحرق عيني وثقلها ،
ورحمت أفقر في انتظار الرعشة الدقيقة
التي دابت على المجيء من داخلي .
وعلى الرغم من ذلك فقد كنت أسمر
بالوهن ، وبأن دقائق بعيدة قد ارتفعت
على مدخل حجرتي الأرضية التي
استأجرتها قبل أن يصيبني المرض ،
وبأننى أخذ عصاتي تحت ابطيني وأتقدم
الى الخارج ، وبأن الرجل طويل القامة
يقف أمامي ويقول :

— « السلام عليكم » .

— « عليكم السلام ورحمة الله » .
انحنى قليلا :

— « لو سمحت ، أريد الزجاج » .
ابتعدت وهو يأتى الى . كان الهواء
الذى يأتى باردا وله رائحة مغبرة ،
ولكننى ظلمت في مكاني . ومرت فترة
من الوقت قبل أن أسمعه يزهر ، ثم
يقول :

— « تريد ان ترى ، فترى . ولا تريد
ان ترى ، فلا ترى » . ثم استدار .

« لم تعد هناك فائدة » . وتصدق الى
القراش العالي : « هل تريد ان تعرف
كيف تعلمت الالمانية ؟ »

كنت ما أزال في مكاني . قال :

— « لماذا لا تجلس ؟ »

انجبت الى السور الحجري القصير
وجلست ، ثم أرحت العصا الى جوار
ساقى الاخرى . كان يجلس هناك وقد
أدلى ساقيه ، وأراح يديه على ركبتيه ،
تأملنى قليلا ثم قال :

— « يا سلام . كانت أيام . معك
سجائر ؟ »

أخرجت علبة سجائري المسمنية
وفتحها . رفع رأسه المغطى بالشعر
الابيض :

— « لا . انها سيجارة واحدة ،
يجب ان تحتفظ بها » . وأخرج علبة
سجائره ، وأشعل واحدة ، وأعاد
العلبة الى جيبه : « لا تعط سيجارتك
الاخيرة الى أحد ، أبدا ، حتى لو كنت
انا » . وعندما نظرت الى خذائه المغطى
بالاوحال ، قال : « لا مؤاخذه » .
وخلع الحذاء ، وأراح جسده كله على
القراش : « هل تريد الآن ان تعرف كيف
تعلمت اللغة الالمانية ؟ »

ونظر الى ساقى الاخرى ، قلت :

— « هل تعلمتها ؟ »

— « طبعا » . وثبى ذراعه تحت
رأسه ، وتطلع الى أعلى ، وقال
بصوته العميق الواضح وهو يميل ناحيتي
بغيتته القشرية الواسعة ويسرائى :
« أتريد ان تعرف كيف ؟ » هزرت رأسى
موافقا ، قال : « تعلمتها من زملائى
اللمان » .

وجذب نفسا من السيجارة ، وصمت .

— « هل زلأوك من اللمان ؟ »

— « ضرورى . عندما كنت أعمل
في السفارة الالمانية » .

— « كنت تعمل في السفارة
الالمانية ؟ »

— « كثيرا جدا » . وربت يده على
صدره : « الا ترى هذه البذلة ؟ انها
من المانيا » . وبصت فترة : « وعندى
قبعة أيضا » .

— « قبعة ؟ »

— « بيضاء » .

— « هل ترتديها ؟ »

جذب نفسا أخيرا من السيجارة ،
ومال بجسده ، وألقى بها في المكان
البعيد ، ثم أعتدل :

— « اننى احتفظ فيها الآن بالاوراق
والرسائل الهامة » . وثقل صوته :

« ولكننى طبعا كنت ارتديها ، عندما
كنت أعمل في السفارة الالمانية » .

وشبك ذراعيه على صدره ، وأخفض
عينيه : « في يوم ، عندما كنت أعمل
في السفارة الالمانية ، وجدت واحدا
قد طبع علينا ، يا سلام . أيام . هل

تعرفها من هو ؟ »

— « لا » .

— « لقد كان هتلم » .

— « هل جاء هتلم عندكم ؟ »

— « جاء ياسيدي ، ولم يكن وحده » .

هل تعرف من الذى كان معه ؟ »

— « من ؟ »

— « ايفا » .

— « من ؟ »

— « ايفا ، حبيبته » .

فردت يدي على السطح المبلى الناعم ،
وضم هو ذراعيه الى صدره أكثر :

— « يا سلام . كانت حلوة جدا ،
وانا كنت شابا وصغيرا ، وكان هتلم
قد خلق شأبه حتى لا يعرفه أحد ،
وراح يتجول في مصر ويقوم بعمله .
ولما كان يعرف اننى لست من هؤلاء ،
فقد قال لى خذ ايفا وفرجها على البلد .
وقد أخذتها وفرجتها على البلد . وفى
هذه الاوقات كنا قد حكينا لبعضنا عن
كل شيء . وأخيرا ذهبنا الى النيل
وركبنا قاربا ، وسبحنا ، وكان شعرها
ذهبيا في الليل ، وجسدها مثل الفضة
الصفية » .

ورفع نصفه الاعلى قليلا ، وراح
يقرا من الورقة البالية :

اننى استلشق الهواء العذب الخارج
من فمك ..

واتأمل كل يوم في جمالك ..

وأمنيتى هي أن أسمع صسوتك
الحبيب ..

الذى يشبه حفيف ريح الشمال ..
ان الحب سيعيد الشباب الى أطرافى ..

اعطنى يدك التى تمسك بروحك ..

وسوف احتضنها وأعيش بها ..

نادئى باسمى مرة أخرى ، والى
الابد ..

ان يصدر نداؤك أبدا دون اجابة عنه
وطوى الورقة ، وشرع ييكى كثيرا .
وقبل ان يذهب ، كان يسدعك عينيه
بقبضته ، مثلما يفعل الاطفال ، وفى
ذلك الحين كان على ان أقول ، ولكن
الجفاف كان قد عاود شفتى ، وبدأت
الحرارة تحرق عيني وثقلها ، وكانت
الرعدة الدقيقة التي دابت على المجيء
من داخلي قد جسات الآن ، وأخذت
الاشياء تتأرجح عبر مسطرة رقيقة من
الدموع ، وانعكست نقطة ضوء بعيدة
داخل مقلتي . وعلى الرغم من ذلك فقد
كنت أشعربأننى وحيد ، وبأنه يجب على الان
ان أقنول عصاتى واتكى عليها وأهود .
ولقد فردت أصابعى على السور الحجري
القصير ، الا اننى انحدرت ، وقبل ان
أغيب ، شعرت بجسدى الملقى وهو
ينبض بقوة ، وبأن مياه الأمطار ، كانت
ماتزال تقطر على من أوراق الاشجار
المائلة ، على حافة الشاطئ ..



ليلى الحبيب

محمود الريماوى

١ - فى هذه الاثناء
« سيدى • ارجوك سيدى ، لا تفعل
ذلك »

ولم يسمع العسكرى • اطلق رصاصة
واحدة ، فسكت الطفل • وظل الرصاص
يزخ على الطفولة التى تتلو الضراعة ،
فخجل الالباء حتى استثيرت فى بعضهم
الرجولة ، ولم تبق قابلة الا واحست
الانتم •

وفى هذه الاثناء ••

فى هذه الاثناء ، التقط الاب
الصبيحة ، فدخل ملهواشاعرا انه اصبح
اثنين ، فمسح على الطفل بقبلة ، وجبين
المرأة • تطلع اليها بتحنان ، وتطلعت هى
الى الطفل الذى صارت به اثنتين ،
فغمغمات بانتشاء ، ثم قال لها :

كان ذلك شاقا ؟

• ذلك لا يكون الا شاقا •
فضاحكها •

• ففعلها ثانية ؟
فضحكت •

• ليكن الحب دائما •
ثم حدق بها •

• تحملت الالم بشجاعة ، حقا ؟

• فرفعت عنه عينيها •
• كانما تكتب قصة ، تحب كتابتها •

• فابتسم الصمت بينهما •
وهنا جاء الاعداء ، فحمل بشرفيته ،
وذهب الى الحرب ثلاثين يوما ، رجع
منها متعبا وفارسا ، فاستراح فى
احضانها •

• اشتقته كثيرا ؟

• كان يكبر فى خاطرى كل يوم •
• كنت تخاف الموت ؟

• من اجله •

• كان ذلك مروعا ؟

• ذلك لا يكون الا مروعا •

• وتفعلها لو جاءوا مرة اخرى ؟ •

• ليكن الوطن دائما •
فسكنت اليه مشدوهة ، وفى عينيها

سؤالات •

• اقدمت عليها حقا ؟

• فاخضع عنها عينيها •

• كانما تقدمين على لوحة ، ترغمك
عليها •

• فنظر صوب الطفل ، واتجهت الى
وجهة اخرى •

• لكننا قتل •

• فجاءت الى ذاكرته صور الجثث
والموتى ، فتشهد ببطء •

• كنت لا اتمنى ذلك •

• فضاقت ملامحها •

• كنت لا اتمناك عسكريا •

• فشعر بفداحة اللغة • شرع الطفل
بيكى ، فاخذه اليه ونغغه ، ثم وضعه
فى السرير الصغير • ونام الجندى مع

امراته ، اصبحا واحدا •

وفى الصباح روت له الحلم : انها فى
شوارع المدينة رأت رجلا بسلامح صلفة ،
ينفقون من كل مكان ، لا ينتسبون الى
مكان ، ولا تنتظرهم النساء فى البيوت •
مدججين بالرصاص ويطاردون كل
الاشخاص ، وهم فى عجلة من امرهم ،
وانهم قتلوا لها صغيرها •

وفى هذه الاثناء ••

• فى هذه الاثناء ضربت القابلة ، خد
الطفل الوليد بقوة ، وقالت له : هذا هو
العالم • • فسمع منها وقال :

• ذهبت اليهم ثلاثين يوما ، وفى المرة
القادمة لن اتردد •

• فقالت ملهوفة :

• سيكبر الصغير •

• فاطرق الرجل وقد اتسعت عيناه •
• انهم يصلون الى السرير ايضا •

بيننا ••

• فتشبثت به المرأة ويدها على القلب ،
وكانما سمعت فى داخلها « اذن •• هذا هو
العالم ؟ » •

تتوجه هيئة تحرير «الملحق» بالشكر الى جميع الاقلام التي رحبت بصدوره في الصحافة العربية والاذاعات والرسائل ، وترجو في ظل التعاون المشترك بينها وبين اصدقاء «الملحق» من الكتاب والقراء ان تحقق الاهداف المرجوة من صدوره .

حول ورغيف الخبز ورغيف الفن

د . عبد الرازق حسن

ونعمان عاشور ورشدي صالح وغيرهم ممن تلمع اسماءهم في مختلف المجالات الادبية .

غير ان المشكلة في رأيي التي يواجهها غالبية كتابنا هي نقص الدراسات والكفايات التي تكشف وتحلل واقع المجتمع المصري ، بل والمجتمع العربي ، وشكل التغيرات التي تحدث فيه واتجاهاتها ، الامر الذي ادى الى شعورنا بالضعف حينما نحاول ان نتصدى لتحديد علاج ما ولعل اقربها الى ذهننا هذه الازمة التي واجهنا بها الاستعمار وتكاد تحقق الفاسا . واننا بالرغم من مساندتنا بالوحدة العربية لا نعرف عن (وضع العالم العربي ، وتركيبه الاجتماعي ما يمكننا من ادراك صعوبات الوحدة العربية ، وبالرغم من مطالبتنا بان تكون دولة عربية قوامها العلم فان الكثيرين منا لا يدرك ، طبيعة هذه الدولة العصرية وشكل العلاقات فيها ، اذ ليست المسألة مسألة مكننة او تعليم الرياضيات الحديثة ، في الوقت الذي تنسم فيه معاملاتنا ياساليب لا تتفق مع التطور والمجتمع الحديث في شيء .

واذا كنا في مجتمع مخطط ، وما يعنيه ذلك من تحديد هدف يسعى لتحقيقه وبرنامج واضح المعالم تعبى له الامكانيات والموارد وتحدد فيه مجالات الانتاج والاستهلاك بل ودور الاجهزة الثقافية ايضا . ويرجع ذلك اساسا الى ان المطالب عادة كثيرة والموارد محدودة والطاقة محدودة ومطلبة الجماهير بالانتظار امر له حدوده ايضا . وعلينا ان ندرك ان نستفيد بكل ما هو تحت ايدينا ولا نعمل على تبديد ما ليس هناك جديد اذا قلنا ان هناك حالة من عدم التوازن في المجتمع يبدو مظهرها من الاختلاف المبين في مستوياتنا المعيشية والحضارية ، وفي مجال الصحافة والاعلام مثلا يمكن ان نلمس هذه الحالة

ومجالا للمسرح الطليعي ، واصدار مجلة المسرح .

وقد جرى وقتذاك حوار هريح بيني وبين الاستاذ لطفي انكر انني قلت له فيه انه مع تقديرى للادب فهو ليس محرك التاريخ ، وعلينا ان ندرك وزنه الحقيقي في مراحل التطور ولا تغالي في ذلك . وما كان يلقي على اسماعنا ونحن صغار حول دور بعض الادباء لا يستند الى اساس علمي او واقعي فكتابات جان جاك روسو وفولتير ومونتسكيو لم تعد للثورة الفرنسية كما لم تؤد كتابات ريكتر الى ثورة المجتمع الانجليزي ، ولم تمهد كتابات تولستوى ودستوفسكي وجودسكي للثورة السوفيتية ، ونقد المجتمع المصري في مسرحيات الريحاني ومسرحيات الحكيم وقصص نجيب محفوظ . لم تكن هي العنصر الفعال في اشعال ثورة ٢٣ يوليو . لان الثورات انما تنشب كنتيجة لتناقضات معينة وتحتاج الى تجمعات مادية ذات مصلحة في التغيير لعدم للسيطرة على السلطة لتطبيق النظام الذي يتمشى مع فلسفتها في العمل والحركة .

لقد كانت اول مسألة تعرضت لها صفحة الراي في ربيع سنة ١٩٦١ هي أزمة المثقفين العرب ودار الحوار فيها اساسا حول بعد غالبية المثقفين عن واقعنا المعاش وعدم ادراكهم للتغيرات التي تصيب المجتمع وطبيعة التفاعلات التي تتم وكانت الحجة وقتذاك ان العمل الثقافي يحتاج الى مناخ معين وان المثالية التي يعيش البعض او الخيالات المنطلقة من ابراج عاجية انما ترجع لصاله ما يصل اليه ومع ذلك قاننا لا نذكر ان هناك مجموعة من الادباء تترك مشاكل المجتمع ومطالبه ، وتعمل جهدها لاثارة الفكر تحوها من خلال ما يكتب للمسرح ، او للصحف وما نؤلفه من قصص ، امثال توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشراوى ولويس عوض ولطفي الخولي ،

يثير الاستاذ لطفي الخولي في افتتاحية للملحق الادبي للطليعة - عدد يناير سنة ١٩٧٢ الكثير من القضايا التي تحتاج منا الى دراسة وتامل ، وليست المسألة مسألة اقلية كانت تريد الانطلاق ليكون للطليعة دور في الادب ، واغلبية عديدة ، حالت دون ذلك لسبع سنوات ، وان الاقلية تحقق لها ما تحقق بصيرها وجلدها وضغطها المستمر ، ولا اريد ان ادخل في الوسيلة الفعالة لاتخاذ قرار ما حتى يكون هذا القرار ممثلا لمطلب عام ، او محققا لامل مرغوب . وهل يتم ذلك باستفتاء ، واذا كان فما هي نوعيته ؟ وطريقة اجرائه ؟ وكيف نحلل نتائجه ؟

وليسمح لي الاستاذ لطفي لاذكره ببعض الوقائع ، فقصة مناقشة قضايا الادب في الطليعة كانت مرحلة لمناقشة سابقة عليها حينما وافقت جريدة الاهرام مشكورة على تخصيص صفحة للراي الحر يشرف عليها مجموعة متطوعة ، لا تسعى الا لمناقشة قضايا مجتمعنا وكان في حالة مخاض سبقت ميلاد مرحلة من تطورنا نحو الاشتراكية ، وكان الرد على المطالبة بمناقشة قضايا الادب في صفحة الراي ان في ذلك تضيق على مجال الدراسات الملحة التي لا تجد لها سبيلا آخر لا سيما ان الادب يجد الكثير من المناير والاجهزة التي تخدمه فضلا عن ان الكثير من قضايا الادب كثيرا ما تنحو نحو الفردي فيطول فيها الجدل دون الوصول الى نتيجة وانكر في هذا المجال على سبيل المثال لا الحصر ، قضايا الكفاية والعربية او العامية ؟ والتمسك بموازين الشعر او التخلص منها ؟ والواقعية او الرمزية والالتزام او الحرية ؟

ولم يمنع الاقتناع بوجهة النظر هذه ان يدور الحوار بين مستشاري صحيفة الراي حول بعض القضايا الادبية بل وتأييدهم لبعض الخطوات البناءة كانشاء مسرح الحكيم تكريما للاديب الكبير

ويكون اقبل لحكم القرعة ، ويكون مهينا للثورات . ان الثورات الفرنسية والروسية والمصرية لم تقم الا لضمان رغيف العيش وليس لرغيف الفن ، والفن هو كالجأته الذي تساءلت ماري

انطوائيت عن سبب عدم اكل الناس له وهم يصيحون يطلبون الخبز . والخبز في مفهومنا هو العيش الكريم ، من مأكول وملبس ، ومسكن ورعاية صحية وتعليم يناسب العصر ، وما يزيد عن ذلك فهي

غير مرقوض وانما يأتي في الدرجة الثانية في الاولوية واذا كان نقاش الادب هو كيف توفر رغيف الخبز بهذا المعنى فاهلا به . لانه في صميم المعركة ولنفتح له الابواب على مصارعها .

خطاب من الدكتورة سهير القلماوى الى لطفى الخولى

تحية طيبة وبعد :

فلقد قرأت الاعلانات من الملحق الادبي لجله الطليعة فاستبشرت خيرا ورجوت أن يكون للادباء والمثقفين منبر جديد يلتقون فوقه ليقولوا كثيرا مما يجب أن يقال وليفتحوا أمام الكلمة العربية الحرة مجالها الحق لتحريك جماسير القارئ نحو الثورة التي ستغير حال الأمة العربية الى ما نرجوه لها .

ولكن خاب ظنى بعض الشيء لما وجدت محكمة منصوبة لا يحضرها أحد عن المتهم تحاكم الهيئة العامة للتأليف والنشر التي شرقت بالعمل رئيسا لمجلس ادارتها احواء ، فلقد كان المتهم بادىء ذي بدء سيزيل الكثير من الفروض التي فرضتها حسن النية . وأول هذه الفروض هي أن الهيئة في لحظة من لحظاتها قد تحررت من السيف المسلط عليها وهو سيف الربح والخسارة . انها ما زالت كما كانت منذ نشأتها والى اليوم تعامل كشركة تجارية أو اقتصادية معانة . ولقد تضاعفت الاعانة عاما بعد عام حتى وصلت الى اقل من مرتبات العاملين بها بخمسين ألف جنيه عدا ما هي مكلفة بسداده من ديون .

والعاملون بها ظاهرة غدة في تورم العمالة الزائدة وتضخمها وعدم الدراية أو الكفاية . ولقد تفضل بعض المهاجمين التحيزين بشكل واضح دون مبرر الى عمل عملية حسابية -عجيبة وهي أن ميزانية الهيئة مليون جنيه واربعمئة ألف فما دامت الاجور تبطل اربعمئة ألف جنيه فإن ذهبت المليون مضحك والله . ان المليون ليست موجودة لتذهب ، انها ميزانية خاضعة للتمويل الذاتي أى خاضعة لحصيلة بيع الكتب وايراد المطبعة التي لم تنته بعد من مراحل الانشاء والتخبط في رسالتها فمرة هي مطبعة لاتقسان اخراج الكتاب الثقافى وعلى هذا الاساس تأسست ، وهي تارة اخرى تجارية لابد من أن تعطى للهيئة ايرادا تقدره الخزانة بحساباتها كما تشاء .

ان الهيئة باعت في آخر عام حضرت ميزانيته وهو ٧٠/٦٩ بنصف مليون جنيه

كتب ، وللامانة نصفها كتب اجنبية أو كتب القير مما يشتري ليبياع ترويجا لكتاب المؤسسة وتوخيا للربح . وبذلك تكون الهيئة قد باعت من كتبها بما يساوى مائتين وخمسين ألفا على الاقل مع العلم بانها رخصت الكتاب بحيث أصبح متوسط ثمن الكتاب أو المجلة بين العشرين والخمسة وعشرين قرشا . ماذا يمكن في ظروفنا الامية والحال الاقتصادية ومصادرة الكتب في بعض البلاد العربية [ان نبيع بأكثر من هذا . ولا ننسى انها هيئة حكومية خاضعة لقوانين التصدير التي يعرف القطاع الخاص كيف يتحلل منها . أما تحليل الخطة فما أفدح الظالم الذي منبت به الهيئة . وما كان يجدر بهذا الحشد الطيب الذي جمع أن يتال منها قبل أن يعرف وأن يتحرى . هجوم اننا لم ننشر الاصل لكتاب الفصحى الذهبي لفريرز والمهمة تقول اقرأوا المقدمة . ان الكتاب الاصلى أصبح لخاصة الخاصة الذين يعرفون الانجليزية دون ريب . والمختصر وهو أكثر من ألف وخمسمائة صفحة هو الذى يقرأ المثقف في كل البلاد ذلك أن الكتاب بعد التقدم الهائل في علم الانثروبولوجيا أصبح متخلفا لا يعنى به الا العلماء . وكم هم في العالم العربى !

هجوم آخر على ان الخطة لم تعن بكتب الاطفال والمهمة تقول : هل اطلعتم على محصول ما نشرت الهيئة في هذا الصدد وخاصة عام ٧٠/٦٩ لقد كانت اول دار نشر تتبنى فكرة الموسومة الجميلة الطبع للاطفال [٥٦ مجلدا صغيرا] فهل رأى المهاجمون كيف ارتقى كتاب الطفل المحلى والمطبوع عربيا في الخارج ؟ ألم يروا أن دور نشر كثيرة منها الاهرام والمعارف قد انتظمت الخط ونشرت على نفس النهج بل بالتعاون مع نفس الناشرين الاجانب . المهم أن الطفل العربى أصبحت عنده مكتبة لا تقارن بحال من الاحوال عما كانت لديه قبل اقتحام الهيئة الميدان بكل ما استطاعت لقد ارتقى كتاب الطفل كما وكيفا واخراجا وتسويقا .

أما الهجوم السزاعق على كتاب جوهر الامن لكتنمارا وزير الدفاع الامريكى فلقد كان من حسنات الهيئة البائسة انها كانت اول من اقام معرضا للكتاب الذى يعرفنا باسرائيل « اعرف عدوك » ولقد نشرت الهيئة اول كتاب روسى عن فكرة وزراء دفاعها وخبرائها عن الحرب بعنوان « الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفيتية » تاليف مجموعة من القادة وترجمة العقيد محمد عبد الحليم أبو غزالة . غير كتب اخرى كثيرة تعرف القارئ كيف يفكر المسؤولون عن الحروب دفاعا وهجوما في عالمنا المملوء بالحروب المحلية . ولقد تفضل الكتاب مشكوراً بأن دلنا على مصدر كنا نستطيع ان نحصل منه على نسخة عربية في سلوفان كما يقول ، ولكننا لم نجد الكتاب يقينا في هذا المصدر . وان يكن الكتاب قد ترجم ترجمة رديئة في بيروت فلقد ظهرت والكتاب في المطبعة .

وتعرض الكاتب لديوان صغير للسيدة سلوى حجازى تعاقده عليه معها الاستاذ محمود العالم من باب الدعاية لادبائنا الذين يكتبون بلغة اجنبية . وقد تكلف اقل من ثلث ألف [ثلاثمائة] لا تسعة آلاف كما تفضل المهاجم بحساباته الطيبة النية ولكنها للأسف جاهلة . كذلك هاجم ديوانا صغيرا لشاعر ناشئ وما كان أجدره أن يشجع شابا شاعرا تنطق ارقام التوزيع بأن الهيئة لم تكن مخطئة انها شجعته .

والهيئة المتهمة تعترف بالنقص وبالتقصير الكبير في ميادين كثيرة أهمها عجزها عن ايجاد الطاقة البشرية التي تقوم بالاعمال الهامة التي كان يجب رغم ظروف الميزانية أن تقوم بها مثل ما يسمى بمفاتيح العلوم والقواميس ودوائر المعارف يكفى أن تعرف انها بدأت قاموسا انجليزيا عربيا للمترجمين لا للقارئ العادى وسارت ثلثي المسافة في انجازه رغم نزوح هيئة الترجمة فيه الى الكويت ولبنان مرات ومرات . والهيئة فرغت من اعتماد بلوجرافيا لجميع الكتب

الترجمة بدأت بعشر سنوات ٥٨ - ١٩٦٨ في المطبعة بدأت فيها الطبع وأرجو ألا يكون قد توقف لأي سبب . هذا عدا قواميس أصدرتها ومعجم تيمور في العمامة الذي أصدرته ليكون وثيقة أمام دارسي هذا الموضوع الخطير في أدبنا وثقافتنا وهو ثنائية اللغة .

أما الترجمة فأين المترجمون الذين على مستوى ، وترجمة كتب التبادل الثقافي حسب ما يقترح الأستاذ غالى شكرى لها قائمة على أساس أفضل استقيانه من التجربة الفعلية وهو ينفذ فعلا وروسيا تدفع ثمن الترجمة ويوغوسلافيا تشجع وترعى الشترت نسخا من كتاب من أدبها المعاصر الخ .. الخ .

لقد أطلت وما أردت أن أكتفى . فقد حقق الملحق بصدوره أملا تؤمن به كلنا ، وهو بقاء القطاع العام في النشر . لبقاء الحرج وإنما البقاء اللائق برسائله بحيث يقتنع وزراء الخزانة أن القطاع العام في النشر خدمة أساسية وليس ربحا أو تجارة فالربح والتجارة بسل الخدمة الثقافية يفهمها غير الثوري قد حققها القطاع الخاص وأصبحنا في ثورتنا في مرحلة تتطلب نزول القطاع العام في النشر والثقافة بعامة إلى أرض الواقع بكل ثقله ليحرك ويغير ويضيء لنا من جديد أفق الآمال . قطاع عام لا يسألني عنه وزير الخزانة متى سيتوقف عن الحاجة إلى امانة لا يضطر أن أرى بصوت غير زاعق كما كنت أفعل مع كل

منهم ولكي ياستبدى الوزير أسالك متى ستزاد الاعانة ومتى ستخلصني من العمالة الزائدة ومتى ستتيح لي لتدريب العمالة الصالحة الخ .. »

نعم متى ، ثم متى نجد الكادر الصالح ولو نصف صلاحية للعمل ومتى نبرأ من العمالة العاطلة والزائدة وغير المدربة . ومتى نخلص من القول بأنه لا يمكن تحقيق هذا [مثل دائرة المعارف العربية] لأنه لا ميزانية هناك .. نعم متى ..

مرة أخرى لقد أطلت ولكن ليس من حق الختم أن يرد بعشر ما قد هوجم به دون حضوره ولك ياسيدي أخلص التحيات وأصدق الدعاء بالتوفيق

سهيير القلماوى

ملاحظات على الرد

ينطلق الرد من تصور خاطئ ، بأننا نهجم شخص الكاتبة ، باعتبار أنها كانت رئيسة لجلس إدارة الهيئة في الفترة التي تناولناها بالدرس . لكن هذا لم يكن هدفنا ، ولم يخطر لنا على بال . فلم ننصور - كما تزعم - أننا قضاة وأنها متهمة .. بل كل ما نستطيع أن ندميه ، هو أننا نحاول جميعا أن نشارك بجهد متواضع في خدمة بلادنا ، وفي تصويب بعض الأوضاع الخاطئة التي تدور في مجال اهتمامنا .. وهو اجتهد بحتمل الخطأ والصواب . لكن الكاتبة تصورت المسألة وكأنها محاكمة ، فحاولت أن تنفض يدها من اتهامات تتصور أننا نوجهها لها . وهي في ذلك تسوق ما تشاء من الحجج ، وتلوى هلق ما تريد من الحقائق .

فلما لم تستطع أن تخطيء الأرقام التي ذكرناها حول ميزانية الهيئة ، عمدت إلى تفسيرها وفق هواها . وهو تفسير يتعارض مع أبسط الحقائق عن تاريخ الهيئة وعن واقعها . ثم عمدت بعد ذلك إلى اتهامى بأننى أردد الأسطورة الحبيبة لكل تغير في الرئاسة ، وهي أسطورة الخسائر ، وذهاب الكتب من المطابع إلى المخازن . ومن يقرأ مقالى يعلم اتنى لم أشر إلى هذه الفكرة . ولا أريد أن أقول أن السيدة الكاتبة هي التي بالغت في ترديد هذه الأسطورة ، ومن يرجع إلى تقريرها المقدم إلى لجنة تقييم أعمال وزارة الثقافة في مجال الانتاج الثقافي والنشر منذ عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٧ ، والتي كانت هي مقررتها ، يجد أنه مبنى

كلية على هذه الأسطورة .. وربما كانت مقالاتها في ترديد هذه الأسطورة ، حينما تسلمت مقاليد الأمور في الهيئة ، هو السبب في توجهها أن السلاح الذي بدأت به عهدها في المؤسسة قد ارتد اليها .. وربما لهذا لجأت إلى المفارقة ببمعيناتها من الكتب ، لتؤكد لنا أنها تاجرة ماهرة وهذا شيء لم نطعن فيه .

وربما لهذا السبب أيضا قالت أنها رخصت الكتاب ، وأنا أزعم أن كتساب القطاع العام لم يرتفع ثمنه كما ارتفع في عهدها .. وأى مقارنة بين ثمن طبعة [الأغاني] أو [صبح الأمشى] أو [النجوم الزاهرة] ، التي أصدرتها الدار المصرية للتأليف ، وبين الطبعة المتشابهة من كتاب [الأغاني] أو [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي] التي أصدرتها المؤسسة في عهدها ، يؤكد ما في هذا الادعاء من مغالطات واضحة .

بعد ذلك نجسأهلت الكاتبة كل اعتراضاتى على ما نشر في مشروع المكتبة العربية ، مع أنها كانت عضوا باللجنة التنفيذية للمشروع ، ثم بدأت ترد على اعتراضى على نشر جزء واحد من الطبعة المختصرة للفصن الذهبى ، بأن الطبعة الكاملة أصبحت لخاصة الخاصة .. وأن خاصة الخاصة هذه ثجيد الانجليزية ، لكنها بعد ذلك بسطور ، لا ترى بأسا من أن تنشر ديوانا بالفرنسية لخاصة الخاصة التي تهجد الفرنسية ، وهي أقل عددا ممن يجيدون الانجليزية . والقول بأن هناك كتابا للخاصة وآخر

للعمامة ، تماما كالقول بأن هناك كهرباء للخاصة وأخرى للعمامة ، أو مياه صالحة للشرب للريف وأخرى للمدينة .

وعندما نورد حقيقة استقيانها من قائمة إصدارات الهيئة التي حصلنا عليها مكتوبة على ورق الهيئة المطبوع ، ومن الهيئة نفسها .. وهي أنها لم تصدر أى كتاب في مكتبة الطفل .. ترد علينا بأنها أصدرت كتابا في العام الماضى . وكان إصدار كتاب للأطفال في العام الماضى يبرر التوقف عن إصدارها هذا العام .. وعلى هذا لقد أصدرت الهيئة كتابا في العام الماضى ، فلماذا تصدر كتابا هذا العام ؟

وتسمى اعتراضى على ترجمة كتاب [جوهرا لمن] ، لوزير الدفاع الأمريكى روبرت مكنارا « الهجوم الرخيص الزاعق » ، لأننى اترغضت على ترجمة كتاب يستهين بمصر ، ويشكك في أصديقاتها ، ويحيز لإسرائيل .. وهو كتاب ملىء بالسموم لا بالحقائق ، حرصت السيدة الكاتبة على أن تصدره الهيئة في عهدها قبل أن تهول المخابرات الأمريكية ترجمته في بيروت . ولكنها فشلت السباق مع المخابرات الأمريكية فصدرت طبعتها العربية وطبعة الهيئة في المطبعة كما تقول . وتسأوى الكاتبة في ترجمتها لكتاب يبرر حروب أمريكا العدوانية ، وينفك في عقل القارىء مسموم دعايتها بكتاب عن الاستراتيجية العربية من وجهة النظر السوفيتية . وكان علينا أن نكيل للأصدقاء والأعداء بنفس المكيال ، أو كان الحروب الاستعمارية تتساوى مع حروب التحرير ..

لم ترد الكاتبة على اعتراضى على نشر ديوان بالفرنسية ، بأن الاستاذ محمود الفاسم هو الذى تعاقد عليه ، وكأنها بذلك قد القيتى حجرا . فانا اعترض على المبدأ ، سواء اكان الذى عمل به الاستاذ العالم أو غيره من الاساتذة . ولكن الم يكن الاستاذ العالم يعمل تحت رئاسة الكاتبة ؟ ثم نقول ان الكتاب تكلف [ثلاثمائة جنيه] ، لا تسعة آلاف كما نفضل المهاجم بحساباته الطبية النية ، ولكنها للأسف جاهلة . هي تسبني طوال الوقت بالمهاجم ، وها هي تصف حساباتى بالجهل . وحساباتى للأسف ليست جاهلة . ولكنى أرجو منها ان تستشير اى تلميذ يعرف مبادئ الحساب ليقسم لها اجمالى ميزانية الهيئة ومشروع المكتبة العربية . وهى مليوناً و ٥٢٠ الف جنيه ، على عدد الكتب التى أصدرتها ، وجملتها ١٦٤ كتاباً ، ليعرف كم انفقت الهيئة مقابل كل كتاب أصدرته . ولكن حديث الكاتبة عن التكليف الحقيقية للكتاب يفتح باباً لا

أغضبها أرادت له أن يفتح ، لأن الروائع التى تهب منه تزكم الأنوف . . . وترد السيدة الكاتبة على اشبارني لعدم امانة الهيئة عندها حاذت عن سياستها فى تشجيع الكتاب الشباب بنشر دواوين مشتركة ، ونشرت ديواناً كاملاً للشاعر الناشئ حسن توفيق ، لا فى باب الكتابات الجديدة ، ولكن فى باب [الاداب العربية والعالية] ، وجنبا الى جنب مع ديوان ناظم حكمت ، بقولها ما كان أجدره بأن يشجع شباباً شاعراً . . . ودراستى تنادى فى أكثر من مكان بتشجيع الكتاب الشباب وتدعيم المهويين منهم . ولكن الكاتبة تجاهلت المعنى الذى قصده ، والذي تعرفه هي جيداً من اشبارني لواقعة الشاعر الناشئ . فالهيئة لم تنشر ديوانه تشجيعاً للشباب شاعر كما تدعى . فلو كانت هذه سياسة الهيئة ، لشجعت من هم أفضل منه من شعراء الشباب ، وفى ادراج الهيئة دواوين لشعراء مهويين ، مثل محمد عفيفى مطر ، ومجاهد عبد المنعم مجاهد وشوقي خبيس ، ومحمد أبو بسنة ،

ومحمد العزب ، وغيرهم ممن يفضلونه عشرات المرات . لكن الهيئة لم تشجعهم لان ايا منهم ليس سكرتيراً لمدير النشر كحسن توفيق ، وليس خدوما مثله . ولو كان اياهم كذلك لنشرت له الهيئة شعره مهما كان رديئاً ، وكتبه النقدية مهما كانت ساذجة ومليئة بأبشع الأخطاء والمغالطات كما فعلت مع السيد حسن توفيق هذا . واخيراً ، تشير الكاتبة الى افتقاد الهيئة للكفايات البشرية ، ولكن كيف افسر موقفها من الشاعر الموهوب كامل أيوب عند تقسيم الهيئة الى شركة تجارية وهيئة عامة والحاقها اياه بالشركة التجارية . . . ولو كانت الهيئة تهتم بساعتها بالطاقت البشرية ، اما كان الاجدر بها ان تحتفظ بطاقة كهذه ، بدلا من جيوش الموظفين الذين لا علاقة لهم بالادب أو الثقافة ، والذين احتفظت بهم الهيئة لاسباب لا ندرها . . . ثم بعد ذلك نستمر فى الشكوى من تورم العمالة وتضخمها .

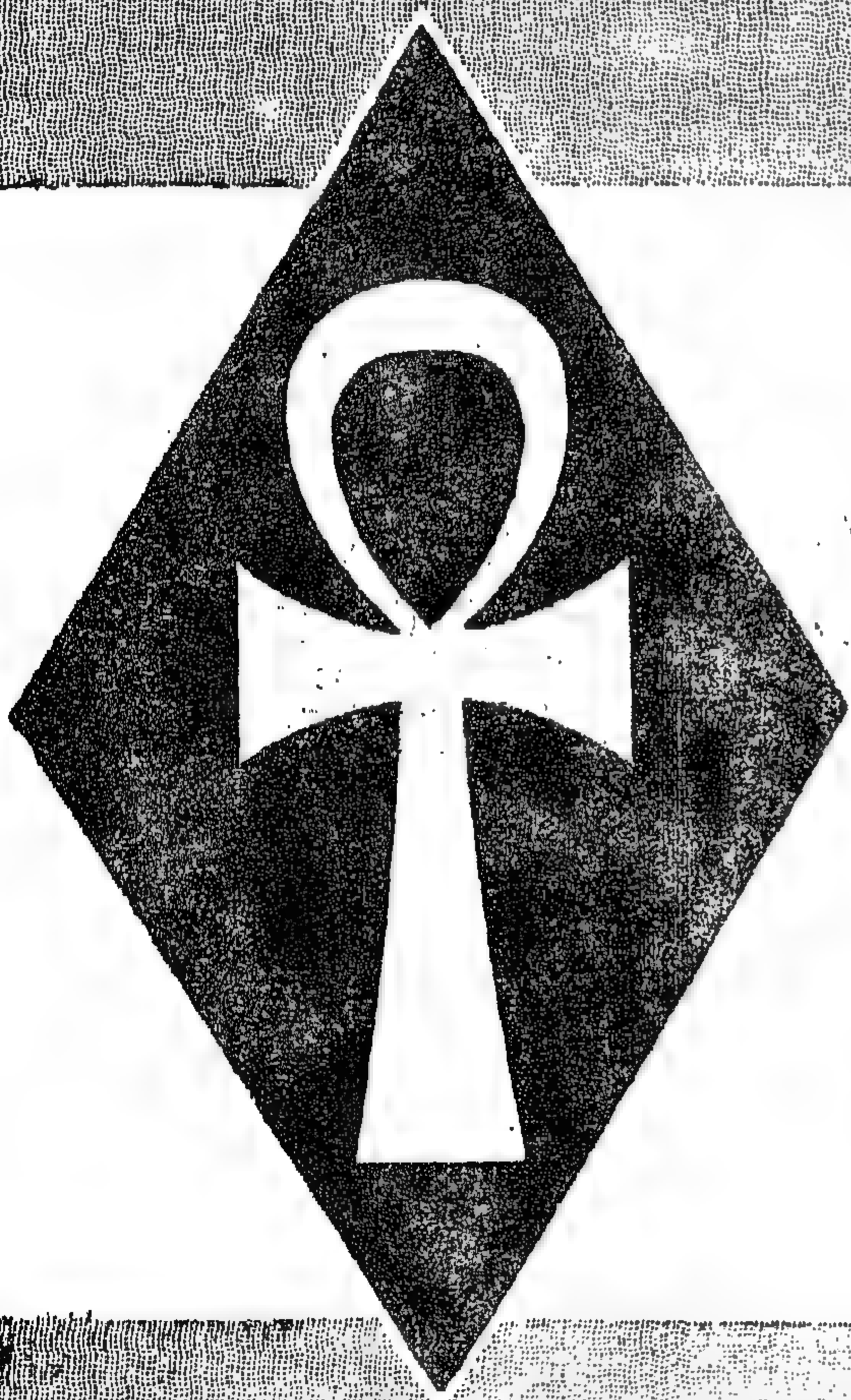
صبرى حافظ

شركة القاهرة للأدوية

هدف قديم ومسئوليات جديدة تضطلع بها الشركة :

ان تاريخ الشركة رغم قصره الا انه يشبه تلك النذرة الطيبة التى وجدت العناية والرماية فأعطت من الثمار الكثير ، وهو فى الوقت ذاته سجل واثق لاهدى وشيات صناعة الدواء وانتصاراته الزائفة فى صراعه الدائب لدفع المرض والحفاظ على الحياة . وفى خلال هذه الفترة الوجيزة استطاعت الشركة ان تكون من ناحية المبيعات فى مقدمة شركات المؤسسة ومرجع ذلك الى التخطيط السليم وحسن استغلال الطاقات الانتاجية مع تطويرها . كما ان الشركة بجانب انتاجها لكافة انواع الاشكال الصيدلانية داخل الاقسام الانتاجية بها تعد الشركة الوحيدة التى تنتج مصانعها مجموعة من المستحضرات الطبية لانتج فى سواها داخل جمهورية مصر العربية وما من شك انها بذلك تسير قدماً نحو تحقيق الاكتفاء الذاتى وهو هدف كبير من أهداف المؤسسة المصرية العامة للأدوية . والشركة تساهم بنصيب كبير فى دفع عجلة التطور فى عالم صناعة الدواء بجانب قيامها بحل الكثير من المشكلات التى تواجه الانتاج . وقد أسهم قسم الابحاث فى الشركة فى تقدم العلوم الطبية وهم من أول من يعرفون التقدم العلمى الذى يحوزه علماء البحث فى دول العالم المختلفة . ونتخرج الشركة نتائج الابحاث الى وسائل عملية فى الصناعة واتاحة الحدث التطورات الدوائية فى شكل ادوية لراحة المرضى . حقاً لقد حققت الشركة وثبة كبيرة لاتزيد على عظمتها الا ان تكون حلقة فى سلسلة ودرجة من سلم وخطوة على طريق ■

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين



ر
ك
ل
والانتطلاق

بانتاجها الجديد

نتر وكيميا ١١٪ آزوت

أعلى نسبة في الأزوت في صناعة
غبار أرض الطير وتحتفظ
مستوى الإنتاج الزراعي

أعيدت تركيبات الرتبة المصرية
العامرة للصناعات الكيماوية

شركة الصناعات الكيماوية المصرية، بأكملها، بأسرها

مطابق الاحكام التجارية

البيان

طريق للناسخين الى الفكر الثوري المعاصر

٣

السنة الثامنة - مارس ١٩٧٢

الخليج العربي: التاريخ الحديث • النضال الوطني • الصراعات الاجتماعية
مذكرات « طالب بعثة » حول اقتصاديات الحرب
الطبقة الوسطى • • ودورها في المجتمع المصري

التفخ في قرية مثقوبة

الصراع الثقافي في لبنان

معركة موسكو: الهزيمة الأولى للحرب الخاطفة

١٩٧٢

البيان

الطلیعة

العدد الثالث - السنة الثامنة - مارس ١٩٧٢

■ النفخ في قـرية مثقوبة
« الافتتاحية »
ص لطفى الخسولي ٥

● من مذكرات طالب بعثة حول
اقتضائيات الحرب
د عبد الرازق حسن ١٣

■ الخليج العربي :
٢٠

التاريخ الحديث - النضال الوطني
- الصراعات الاجتماعية

● - المطامع الاستعمارية في الخليج
- الواقع الاجتماعي والنضال السياسي
- التوسع الإيراني في الخليج -
المخطط والاستراتيجية
د ويسمع أمسين ٢٢
أحمد السوادى ٢٨
فهي هويدي ٤٥

● - الاتجاهات الرئيسية في برامج
التنظيمات الوطنية والتقدمية
٥٦

● الطبقة الوسطى ودورها في
الاجتماع المصري
د رفعت السعيد ٦١

● الصراع النقابي في لبنان
● معركة موسكو - الهزيمة
الاولى للحرب الشافطة
حسنين مسرو ٧٢
محمود عزمي ٨٠

■ ٨٠ شهرا من حياة الطليعة :
٨٠

● - الحركة العمالية والنقابية
عرض: عبد المنعم الغزالي ٩٦

■ تقارير الشهر وتعليقات :
١١٠

● - ماذا تريد أمريكا ؟ [تقرير خاص]
- مؤتمر تشريع العمل [تقرير خاص]
سمير كرم ١٢٤
عطيسة الصبرفي ١٢٩

■ مكتبة الطليعة :
١٣١

● - كيف صممت الامية
في الاتحاد السوفيتي ؟
عرض: د احمد حجي ١٣١

■ مناقشات مفتوحة
١٣٧

■ وثائق :
١٤١

● البرنامج السياسي لجمعية الاتحاد الوطني السكندرية
ملحق الادب والفن
١٤٧

● عنوان المراسلات :
٩٥٠١٠ - ٤٦٤٦٤ : تليفون
٥٩٥٦٠ -

● الاشتراكات :
سنة بالبريد العادي ج.ع.م دول اتحاد البريد العربي ودول الدار
البيضاء ١٢٠ قرشا .

الطلیعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخسولي

مستشارو التحرير :

د . ابراهيم سعيد السدين

أبو سيف يوسف

د . اسماعيل صبرى عبد الله

د . جمال الخطيب

د . رشدي سعيد

د . عبد الرازق حسن

د . لطيفة الزيات

د . محمد الخفيف

محمد سعيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسنين شعلان

خيرى عزيز

د . رفعت السعيد

عبد المنعم الغزالي

وديع امين

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى
حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الآراء
الحرّة على اختلافها هو وحده الذى
يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده
فكرة أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة))
صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها
- مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى
أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر
((قد اختلف معك فى الرأى ولكنى
على استعداد لأن أدفع حياتى ثمنا
لحقك فى الدفاع عن رأيك)) ؟ .

النفخ في قرية مثقوبة

أتيج لى ، فى منتصف فبراير الماضى ، أن اشارك من خلال عضويتي بالاتحاد الاشتراكي ، فى أعمال مؤتمره القومى - غير العادى - ومناقشات لجنته السياسية العسكرية .

وطرحت على المؤتمر - وهو تجمع وطنى فى جوهره - مجموعة الحقائق الاساسية للوضع الراهن، ونتائج الرحلة الاخيرة التى قام بها الرئيس السادات الى موسكو ، وتفاصيل قضية المنشورات المعادية التى أصدرتها الجبهة الامبريالية الاسرائيلية الرجعية بهدف توزيعها فى مصر عن طريق بعض العملاء الاجانب .

وانطلاقا من هذه الارضية ، كان المؤتمر ، معبرا عن ارادة جماهيره الوطنية ، دقيقا وحاسما فى تحديده لموقفه تجاه كل من الولايات المتحدة الامريكية من ناحية ، والاتحاد السوفيتى من ناحية اخرى ، وذلك فى ضوء معركة التحرير ، التى قيمها المؤتمر بأنها « الوسيلة الطبيعية والحتمية لاسترداد جميع الاراضى المحتلة وانهاء حالة الملاحرب واللاسلام التى حاولت - وما تزال - كل من اسرائيل والولايات المتحدة اغراق مصر والامة العربية كلها فى دوامتها » .

عن موقفه من الولايات المتحدة ، قرر المؤتمر القومى : « ان الولايات المتحدة الامريكية قد اقلت بكل تأييدها ودعمها السياسى والعسكرى والاقتصادى بصورة تجاوزت كل مائتته لها من عون وتأييد فى مراحل الصراع السابقة ، وتقف الولايات المتحدة اليوم موقف الخصم » .

وعن موقفه من الاتحاد السوفيتى ، أكد المؤتمر القومى : « ان الاتحاد السوفيتى ، فى مقدمة الدول الاشتراكية والقوى المعادية للامبريالية العالمية ، قد وقف منذ الساعات الاولى للعدوان الاسرائيلى وحتى الان، الى جانب الحق العربى . ومازال يدعمنا سياسيا وعسكريا واقتصاديا . وهو موقف لم تفرضه فلسفته ومبادئه

فحسب ، بل عززه ايمان مشترك بقضية السلام الدولى وعداء مشترك للامبريالية العالمية » .

ولم يكتف المؤتمر بهذا التأكيد العام بل حرص — على وجه خاص — بأن يقرر فى وضوح خطه فى : « ان الصداقة العربية السوفيتية ، قاعدة صلبة تمثل موقفا استراتيجيا لا مرحليا . ويجب أن نتسلح بكل اليقظة والوعى ضد محاولات الاعداء للتشكيك فى هذه الصداقة أو النيل منها » .

ماذا يعنى هذا ؟ ..

إذا تمثلنا بالقاعدة العامة التى تقول ، بأن مامن شئ فى الحياة ، الا وله جوانبه الايجابية والسلبية معا وفى نفس الوقت . فان سلوك اسلوب ما سمي « بالحل السلمى لازمة الشرق الاوسط » ، طوال مايقرب من خمس سنوات ، كان له بجانب آثاره السلبية — وطنيا وقوميا — آثاره الايجابية أيضا . وخاصة فى مجال تعميق الوعى القومى باستراتيجية وابعاد مجمل الصراع والمعرفة ، لدى الجماهير الوطنية . وخاصة القطاعات الوسطية منها .

ولعل قمة هذه الآثار الايجابية ، تتركز فى تصفية أفكار وشعارات وقواعد تلك « القوى » التى نشطت فى المجتمع المصرى وبقية المجتمعات العربية ، بعد هزيمة ١٩٦٧ لتبشر بإمكانية تصفية احتلال توسعى عنصرى — كالاحتلال الاسرائيلى — عن طريق الدبلوماسية الهادئة ، أو الصاخبة .. الثنائية أو الجماعية ، دون ما حاجة الى قتال هذا الاحتلال .. أو تلك « القوى » التى راحت تؤكد على أن « باب حل القضية الوطنية » وطرد الاحتلال يقع — جغرافيا وسياسيا — فى «واشنطن» . وأن العقل والحكمة يحتمان الحصول على مفتاح هذا الباب ، بأى ثمن ، ولو كان بعضا من الاستقلال السياسى والاقتصادى . وبلغ المدى ببعض اصوات هذه « القوى » الى « تأصيل حكمتهم سياسيا » ، على اساس أن الشعوب العربية فى مجموعها شعوب صغيرة ، فقيرة ومتخلفة . وبالتالي فان جموحها نحو الاستقلال الكامل وطموحها نحو تخطى فقرها وتخلفها على طريق التنمية الوطنية ذات الافاق الاشتراكية ، اشبه ما يكون بعملية « النفخ فى قربة مثقوبة » . ومن هنا فلابد لنا من صديق كبير ، قادر على أن يعطى أنفاسه معنا فى نفخ القربة ، بعد أن يساعدنا على رتق ثقوبها ، مقابل شروط معقولة « فالدنيا : مهما تغيرت ، تظل دنيا تجارة ، بيع وشراء وسمسرة » . وأنه اذا كان علينا أن نختر هذا الصديق فليس هناك غير « أمريكا » .. لماذا ؟ لأنها أكبر وأغنى قوة اقتصادية فى العالم ، ولأنه ليس لها تاريخ استعمارى قديم معنا مثل بريطانيا . هذا فضلا عن وجود سوايق لها فى مساعدة بلدان مقهورة أو متخلفة حتى وصلت بها الى درجة عالية من التقدم مثل ألمانيا الغربية واليابان واليونان . واخيرا — وهذا هو المهم فى رأى هذه الاصوات — فان جذب أمريكا إلينا يبعدها عن اسرائيل وبالتالي يقوى موقفنا ويضعف موقف العدو .

وطرحت هذه القوى — تأييدا لرأيها — معادلة سطحية ومبسطة للامور ، تقول أن هزيمة ١٩٦٧ ، كشفت عن أن اسرائيل مع أمريكا كسبت .. والعرب مع الاتحاد السوفيتى ، خسروا .

والواقع ان طرح هذه المعادلة ، كانت محاولة ذكية ، لحجب الحقيقة الجوهرية فى الهزيمة التى تتصل اتصالا وثيقا بأفكار ومصالح هذه القوى ، صاحبة نظرية « النفخ فى قربة مثقوبة » . ونعنى بهذه الحقيقة ، سلبية الواقع العربى . سياسيا واجتماعيا ، واخطائه الرهيبة فى ادارة الحرب والصراع مع الامبريالية والصهيونية ، واقصاء الجماهير العربية عن توظيف طاقاتها ومبادراتها فى المعركة .

وإذا كانت إسرائيل قد استفادت الى أقصى حد من الدعم الأمريكى ، فاننا أهدرنا الى أقصى حد ، العون السوفيتى .

ولعله ، لم يعد سرا ، ذلك التقرير الرسمى للجيش المصرى عن هزيمة ١٩٦٧ ، الذى شدد على اهمال وجهل وانهيار اعصاب القيادة العسكرية فى ذلك الوقت وعدم ثقتها فى جنودها . كما ان التقرير اكد على ان استمرار القتال فى ١٩٦٧ ، لانزال خسائر جسيمة بقوات العدو ، كان ممكنا على الرغم من افتقاد الفطاء الجوى .

بيد ان حركة الاحداث فى المنطقة — على مدى خمس سنوات تقريبا — قد تكفلت بالرد العملى ، على حجج وآراء اصحاب نظرية « النفخ فى قربة مثقوبة » . وتعرى الوجه القبيح والدموى للامبريالية الامريكية امام الجماهير الشعبية فى الوطن العربى ، حتى لمن كان يعير بعض آذانه لاصوات هذه القوى — بين حين وآخر — نتيجة الاثار المادية والنفسية المعقدة التى يولدها استمرار الاحتلال .

ان ابسط مواطن عربى ، اليوم ، قد رأى رأى العين بصمات امريكا على جثث آلاف الشباب الفلسطينيين الذين قتلوا فى الاردن لمنعهم من مقاومة الاحتلال الاسرائيلى . فنتيجة للمخطط الأمريكى ، وبقوة السلاح الثقيف الذى امد به نظام حكم الملك حسين — النذل ، نصبت المذابح البشعة لقتل المقاومة الفلسطينية ومعنويات وشرف الامة العربية كلها .

وبسبب التخريب الأمريكى ، الظاهر والخفى ، جنباً الى جنب مع القوى الصهيونية الاسرائيلية ، ضربت كل الجهود الانسانية التى حاولت أن تحقق السلام فى منطقة الشرق الاوسط على اساس الانسحاب من الاراضى المحتلة والإعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى . وأهدرت كل فاعلية لقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن ، حتى فيما يتعلق بقراره المطاطى رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ . وانطلقت امريكا فى مؤامرتها الدبلوماسية الجديدة منذ عام ١٩٦٩ تفكك ما سعى بالحل السلمى الشامل ، كصفقة واحدة — حسب التعبير الأمريكى نفسه — الى حل منفرد يفرض على كل دولة عربية ، ثم الى حل جزئى مع مصر بهدف عزلها عن امتها العربية ، وأخيرا استقر بها المطاف الى حل جزئى للحل الجزئى ، ينحصر فى إعادة فتح قناة السويس .

ولم تكف الولايات المتحدة بما قدمته بالفعل من دعم اقتصادى وسياسى وعسكرى لإسرائيل ، بل مضت فى اوائل هذا العام ، وبعد الصراع الهندى الباكستانى الذى انتهى بانتصار بنجالاديش ، الى زيادة القدرة العدوانية للسلاح الجوى الاسرائيلى بما يوازى ثلث قدرته المعلنة حتى نهاية عام ١٩٧١ . فضلا عن عقد اتفاقية تصنيع الاسلحة الامريكية فى إسرائيل ، وبذلك أصبح جهاز العدوان الاسرائيلى امتدادا صريحا ومباشرا لجهاز الحرب الأمريكى . وتم هذا كله ، رغم اعتراف البيت الابيض — رسميا — بأن ميزان القوى العسكرية فى المنطقة ما زال فى صالح إسرائيل .

وهكذا جف «غصن الزينون الأمريكى» وتساقطت اوراقه من بين ايدي القوى التى ظلت تحمله فى المجتمع العربى . وصار المواطن العربى العادى ، على يقين عميق ، بأن باب واشنطن ، لا يؤدى الى الاستسلام والموت البطىء لحركة التحرر العربية فحسب ، بل للانسان العربى نفسه كائنسان . وأن الولايات المتحدة الامريكية ، فى واقع الامر ، تضع البلاد العربية — بدرجات متفاوتة — امام الخيار بين امرين محددين : ان تقبل التحول الى بلاد تابعة من نوع فيتنام الجنوبية وكوريا الجنوبية فى آسيا ، وهائيتى والاكوادور فى أمريكا اللاتينية . . والا فان العدوان الصهيونى والاحتلال الاسرائيلى قائمان ومستمران ، بقوة الدعم الأمريكى ، لاستنفاد كل الطاقة

العربية ومنعها من البناء والتطوير لمجتمعاتها ، وخاصة تلك المجتمعات التي انتهجت طريق الاستقلال السياسى والاقتصادى وترنو نحو الاشتراكية .

وهكذا ضيقت الولايات المتحدة الامريكية — بنفسها — الخناق على القوى المرتبطة مصالحها بها فى الواقع العربى . ولم تعد بالتالى قادرة — بعد فترة انتعاشها النسبية منذ اطلاق مبادرة روجرز المشهورة فى اواخر ١٩٦٩ — على استمرار العزف على نغمات « الكاوبوى » الصريحة . ومن هنا عمدت الى قلب « الاسطوانة » على الوجه الاخر: التشكيك فى صداقة واخلال الاتحاد السوفيتى للقضية العربية عامة، ومصر بصفة خاصة .

ويبدأ الوجه الاخر للاسطوانة ، بكائية تنوح على « مصر المسكينة » التي اعتمدت على الاتحاد السوفيتى فاذا به لا يمد لها الا بالنذر اليسير من السلاح والذي لا يكفى لمواجهة السلاح الوفير الذى تفدقه الولايات المتحدة على اسرائيل نتيجة اعتمادها عليه .

ويصفع هذه البكائية بدموعها الزائفة ، حقيقة ان الاتحاد السوفيتى قد امد مصر — خلال الاربع سنوات الماضية بسلاح بلغت قيمته — يوميا — ما يقرب من ٢ مليون جنيه استرلينى .

وتتحول « الاسطوانة » الى العزف على نغمة ان السلاح السوفيتى فى مجموعه سلاح دفاعى وليس هجوميا . بمعنى انه لايفيد فى معركة تحرير الارض وانما يقتصر اثره فحسب ، على توقى هجوم اسرائيلى جديد . وتستغل اسطوانة « التشكيك » فى ذلك عدم ذبوع الثقافة العسكرية بين الجماهير ، وبالتالي امكانية اقامة تصور زائف يفرق فى عملية الحرب بين سلاح دفاعى مجرد وآخر هجومى مجرد .

ولقد تصدى الرئيس السادات بنفسه لهذه النغمة فى المؤتمر القسومى عندما قال : « يا ناس ! هل المدفع سلاح دفاعى .. هل الدبابة مجرد آلة دفاعية .. هل الطائرة الميج لا تستطيع الا الدفاع » .. !

وفى مناقشات اللجنة السياسية والعسكرية بالمؤتمر حرص الفريق اول محمد صادق على ان يوضح بجلاء ان القيادة السياسية والعسكرية قد « قطعت شوطا كبيرا فى انتقاء الفئة القادرة من ابنائنا لاستيعاب الاسلحة الجديدة التي يمدنا بها صديقنا الاتحاد السوفيتى ، نتيجة التغير الجذرى فى معدات القتال — واضعين فى اعتبارنا المعدات الجديدة التي يحصل عليها العدو من امريكا وكذلك قدراته المتطورة » .

وتردد « الاسطوانة » امام ثقل ووزن حقائق كم السلاح السوفيتى ومدى دفاعيته او هجوميته ، الى التشكيك فى نوعه ، وكيف انه اقل مستوى من السلاح الامريكى . ولكن هذا التشكيك سرعان ما ينهار امام الانتصارات المتوالية التي يحققها الكفاح الفيتنامى المسلح بالاسلحة السوفيتية ضد السلاح الامريكى . وعدم قدرة هذا السلاح الاخير على الرغم من كثافته وحدائته على تسجيل نصر عسكري، منذ ان تورطت العسكرية الامريكية فى حربها ضد الشعب الفيتنامى المستبسل فى القتال دفاعا عن حريته ووحدته وتقدمه الاجتماعى .

وتعود « الاسطوانة » — بعد شحوب نغماتها التقليدية عن التأثير — لتدور بكلام كثير من أن سياسة الاتحاد السوفيتى — فى الشرق الاوسط — تقوم على اساس استمرار حالة الاحرب واللاسلم .. لماذا ؟ لان ذلك هو السبيل الوحيد لاستمرار

التواجد السوفيتي في المنطقة . أما اذا انتهت الازمة سلما أو حربا ، فإنه يخسر تواجده ، ولذلك فإن من مصلحة الاتحاد السوفيتي بقاء الوضع الراهن في الصراع العربي - الاسرائيلي ، على ما هو عليه ليحفظ تواجده . ومن هنا فإنه يحول بين القوى العربية الوطنية وبين خوض معركتها لتحرير الأرض المحتلة .

والواقع ان جانبا من هذا التشكيك موجه في حقيقته الى القوى العربية الوطنية قيادتها ، قبل ان يكون موجها الى الاتحاد السوفيتي . ذلك ان هذا التشكيك يحاول الايهام بأن قرار خوض معركة التحرير لم يعد ملكا خالصا للقوى الوطنية وقيادتها تتخذها بملء حريرتها ومسئولياتها بعد حساب لجميع الاعتبارات والظروف والاحتمالات المحلية والقومية والعالمية .

أما بالنسبة للتواجد السوفيتي في المنطقة ، فإن اول ماثيره هذه النقطة هو تحديد طبيعة هذا التواجد وماهيته واهدافه . من الواضح ان التواجد السوفيتي يختلف اختلافا جذريا عن التواجد الأمريكي حاليا أو التواجد البريطاني والفرنسي من قبل . فالتواجد الأمريكي مثله مثل التواجد البريطاني أو الفرنسي القديم ، تواجد استعماري ، وان كان بصور جديدة ، يتحدد في عدد من القواعد العسكرية العدوانية وفي احتكارات بترولية ، وغير بترولية تستلزم الموارد الوطنية وتخرب الاستقلال السياسي والاقتصادي للبلاد . وهذا طبيعي لانه يتصل بدولة امبريالية في كيانها واهدافها . أما التواجد السوفيتي فهو تواجد دولة اشتراكية بهدف مساعدة بلدان المنطقة على تحقيق استقلالها السياسي والاقتصادي في مواجهة الاطماع الامبريالية واستغلالها وعدوانها . ولذلك فهو « تواجد » متطهر من أية قواعد عسكرية ، وعامل على بناء وتقوية الجيوش الوطنية لمواجهة الهجوم العدواني من القوى الامبريالية والعنصرية . وهو « تواجد » يدعم القدرات الاقتصادية للبلاد الوطنية وينميها لصالح شعوبها ، وبدلا من الاحتكارات يبنى مع القوى الوطنية السد العالي ومصانع الحديد والصلب والصناعات الثقيلة .

والتواجد السوفيتي ، قادر بحكم قوة الاتحاد السوفيتي نفسه ، على القيام والاستمرار في أي بقعة من بقاع العالم ، مهما كانت الصعاب أمامه . ولكنه يركز تواجده ، في المناطق المهددة بالعدوان الامبريالي ، وبناء على طلب القوى الوطنية نفسها . كما هو الوضع في منطقة الشرق الاوسط عامة وحوض البحر الابيض المتوسط خاصة . وبالتالي فالتواجد السوفيتي ، ممكن في المنطقة ، حتى اذا لم نطلبه أو نرضى به . تماما مثل التواجد الأمريكي عن طريق أسطوله السادس في البحر الابيض المتوسط ، برغم عدائنا ورفضنا له .

المهم في النهاية ، ان التجربة الحية ، تثبت ان التواجد السوفيتي مثير وبناء ، وذلك على عكس التواجد الأمريكي المدمر العدواني .

ورغم هذا كله يبقى التساؤل : هل يتفق وسياسة - أي مصلحة - الاتحاد السوفيتي استمرار حالة الاحرب واللاسلم في منطقة الشرق الاوسط ؟

لا اعتقد ان من مصلحة الاتحاد السوفيتي استمرار وضع يتقل كاهله بمسؤوليات عسكرية - مالية متزايدة الى مالا نهاية ، نتيجة تصعيد حرب التسلح التي تشنها كل من اسرائيل وأمريكا في المنطقة . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن استمرار حالة الاحرب واللاسلم معناه استمرار هزيمة ١٩٦٧ . وفي هذا اضعاف خطير لحركة التحرر العربية عامة ولوزن التجربة المصرية ذات الافاق الاشتراكية خاصة . الامر الذي يؤدي الى ترايد النفوذ الامبريالي - الصهيوني في منطقة حساسة من العالم وتمثل استراتيجيا « بطن الاتحاد السوفيتي » . وهو وضع يهدد أمنه ، فضلا عن آثاره السلبية على مجمل حركة التحرر العالمية ككل .

ومن هنا تتفاعل مصلحة الشعوب العربية في حسم موقف اللاسلم واللاحرب ، مع مصلحة الاتحاد السوفيتي تماما . وذلك بواد بؤرة العدوان وانهاء الاحتلال وقرار حقوق شعب فلسطين . وهذه كلها أهداف تشكل الخط السياسي للاتحاد السوفيتي مع جماهير شعوبه ، وازاء العالم الخارجى ، اكدتها اكثر من مرة وثائق حزبه وحكومته وبيانات مندوبيه لدى الامم المتحدة .

واذا ما اتضحت كل هذه « الحقائق الموضوعية » ، فان «الاسطوانة» تهرب منها الى اثاره الزوابع حول ما يسمى بسماع الاتحاد السوفيتي بهجرة واسعة النطاق منه الى اسرائيل . الامر الذى يزيد من القوة البشرية القادرة على العدوان او على الاقل انهاء الخبرات الصهيونية في حربها ضد العرب .

ومن الحق ان نقرر هنا ان اثاره هذه القضية لا يصدر فحسب عن القوى صاحبة نظرية « النفخ في قربة مثقوبة » ، وانما أيضا عن بعض القوى الوطنية التي اغرقتها الصحف والاذاعات الامريكية والغربية عامة بالاضافة الى الاسرائيلية ، بطوفان من البيانات والاحصاءات تتزايد بلا انقطاع .

ولعل اول ما يثير الملاحظة في هذه القضية ، هو ان هجرة يهود الخارج او الشتات — على حد التعبير الصهيونى — تعتبر من المسائل ذات السرية المطلقة في اسرائيل ، التي تحرم الحكومة الاسرائيلية نفسها اذاعتها باعتبارها في حكم المسائل العسكرية . ولكن الحكومة الاسرائيلية تراعى السرية تماما في كل ما يتعلق بهجرة يهود العالم الى اسرائيل ، في حين تعتمد الى الاعلان والتهويل فيما يتعلق بهجرة اليهود السوفيت . وليس لهذا من تفسير الا انه جزء من المخطط الدعائى لتخريب الصداقة العربية — السوفيتية .

ورغم التضخيم المصطنع حول هجرة اليهود السوفيت ، فالثابت ، ان ٥٠ فى المائة فقط من اليهود السوفيت ، الذين يتراوح مجموعهم بين ٢ و ٣ مليون نسمة ، هاجروا الى خارج الاتحاد السوفيتي ، سواء لاسرائيل او لغيرها من البلدان الاخرى . وذلك على مدى السنوات العشر الاخيرة . وهذا ما يفسر الحملة الواسعة النطاق التي تشنها اسرائيل والصهيونية ضد الاتحاد السوفيتي ، والتي وصلت الى حد تكوين عصابات مسلحة في امريكا برئاسة الحاخام الراهبى « كاهن » للاعتداء على الرعايا السوفيت في الخارج ، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية .

ومما يزيد الحملة الصهيونية ضراوة ضد الاتحاد السوفيتي ، هو اتساع وعمق الحملة السوفيتية ضد الصهيونية باعتبارها أداة الامبريالية وحلا عنصريا غير انساني للمشكلة اليهودية ، واقتناع غالبية اليهود السوفيت بهذا الموقف المبدئى ، وتمسكهم بالبقاء في وطنهم السوفيتي . بل وتأييدهم لحركة التحرير العربية ضد العدوان الاسرائيلي .

واذا كان الاتحاد السوفيتي ، كدولة اشتراكية ، تسمح لمن يريد الهجرة بمغادرة البلاد بغض النظر عن اصوله الدينية ، الا انه اشترط ، في الظروف الراهنة للصراع العربى — الاسرائيلي — بالنسبة لليهود شرطين اساسيين :

الاول : ان تكون الهجرة لدافع انساني بحث هو جمع شمل الاسر المبعثرة .

الثاني : ان لا يكون المهاجر في سن وقدرة تسمحان له بحمل السلاح والقتال في الجيش الاسرائيلي العدوانى ضد العرب
ولكن الخبراء الاسرائيليين يزيفون الواقع عن طريق الاعلان بأن متوسط عمر المهاجر السوفيتي هو ٣٢ عاما ليصوروه في صورة القادر على حمل السلاح ، وهم

يصلون الى هذه النتيجة عن طريق جمع عمر المهاجر العجوز الذي يبلغ الستين عاما مع عمر الطفل ابن اربع سنوات الذي صاحبه فيكون المتوسط فعلا - احصائيا - هو ٣٢ عاما . والاحصاءات المجردة عن الواقع الموضوعى خادعة ومضللة . فبنفس الاحصائيات يمكن ان تصنع « فيلا » كما يمكن ان تصنع « فأرا » .

وقد صرح « كوسيجين » رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي بالتزام هذين الشرطين - للصحفيين ، خلال زيارته لكندا في العام الماضي . مؤكدا بذلك وفي قلب العالم الغربي سياسة الهجرة السوفيتية .

على أن الضغط الصهيوني من أجل السماح بهجرة اليهود السوفيت قد بدأ يتحول - وهذه هي الظاهرة الجديدة والتي لا تقلل بعض الصحف الاسرائيلية نفسها من خطرهما - الى ضغط من اليهود السوفيت المهاجرين الى العودة من جديد الى الاتحاد السوفيتي ، بعدما تكشف لهم ان احلامهم في اسرائيل كانت سرايا خادعا . ونشرت الصحف الامريكية أخيرا أن « عشرات من الاسر اليهودية السوفيتية » قد بعثت برسالة الى « بودجورني » رئيس مجلس السوفيت الاعلى تطلب فيها العودة الى وطنها من جديد . وتناشده انقاذها من « جحيم اسرائيل » . وعاد بالفعل الى الاتحاد السوفيتي بعض من كانوا قد هاجروا . وعقدوا مؤتمرات صحفية وتليفزيونية على اوسع نطاق ، كثفوا فيها حقيقة المجتمع الاسرائيلي العنصري ، حتى فيما يتعلق بالطوائف اليهودية نفسها .

بل لقد اعترفت الصحف الاسرائيلية نفسها بان احد المهاجرين السوفيت الذين رفضت السلطات الاسرائيلية طلبه بالعودة الى الاتحاد السوفيتي اقتحم مكتب وزير الهجرة الاسرائيلي « ناتان بيليد » محاولا الاعتداء عليه بسكين . وعندما سأل مندوب صحيفة « تريبيون دي جنيف السويسرية » (عدد ٢ فبراير ١٩٧٢) الوزير عن هذه الواقعة قال : - كان يريد أن ينتحر امامي .. لا أن يقتلني (١)

ووصف الوزير الاسرائيلي هجرة اليهود السوفيت بأنها « هجرة صعبة » . وعندما سألته الصحفي السويسري :

- هل عثرتم على الذين هربوا رسالة الى بودجورني يطالبونه فيها بانتسابهم من جهنم الصهيونية ؟

اجاب الوزير الاسرائيلي :

- لقد عثرنا على اثنين من الموقعين على هذه الرسالة ، وانكرا بشدة مسألة التوقيع هذه ، وقالوا ان هذه مسألة من عمل المخابرات السوفيتية . وقد عبرت عائلتان فقط من بين الموقعين على الرسالة عن عدم رضائهما عن الحياة في اسرائيل .

والواقع أن حديث « ناتان بيليد » الوزير الاسرائيلي المسئول عن الهجرة ، يكشف بين سطورهِ عن أن هناك جوانب خفية ذات خطر على اسرائيل نفسها من هجرة اليهود السوفيت . بيد أنه لا يوضح بدقة ماهية هذا الخطر ، ويكتفى بتوجيه اتهام الى المخابرات السوفيتية .

ولعل آخر ما في جعبة « اسطوانة التشكيك » من نغمات ، هي تلك النغمة التي تلح على ما تسميه بالخطر السوفيتي على طريق حركة التحرر العربية عامة والتجربة المصرية خاصة نحو التحرر والاشتراكية ، وعلى القيم الروحية والدينية للجماهير الشعبية .

ومن الامانة أن نسجل أن جانبا من القوى الوطنية المخلصة في عدائها للامبريالية والصهيونية والتخلف الاقتصادي والاجتماعي يساورها ايضا بعض هذه الهواجس ، التي يساعد عليها مناخ التشكيك .

ونقطة البدء فى طمأنة هذه الهواجس وتبديد ضباب الشك ، هو فى اللجوء الى واقع التجربة التاريخية . وهذا الواقع يؤكد — نظريا وعمليا — أن حركات التحرر الوطنى تنفجر أساسا ضد الامبريالية والاستعمار وتلقى المساندة والتأييد من الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية .

ومعنى هذا ، أن البلدان الاشتراكية تقبل وتتعاون مع حركات التحرر الوطنى ، كما هى ، والى المدى الذى تستهدف هذه الاخيرة الوصول اليه . فى حين أن البلدان الاستعمارية هى التى ترفض وتعادى حركات التحرر الوطنى وتعتمد الى العدوان عليها ومحاولة خنقها .

فالواقع الموضوعى لحركة التحرر الوطنية ، هو الذى يحدد لها منذ خطواتها الاولى ، جبهة الاعداء وجبهة الاصدقاء .
واذا كانت حركات التحرر الوطنى فى سعيها نحو الاستقلال الاقتصادى والتنمية بمعدل سريع ومكثف تعوض به حيازة التخلف الطويلة ، بالضرورة تنبذ طريق التطور الرأسمالى وتلجأ الى الطريق المعادى للرأسمالية والمنفتح نحو الاشتراكية .

والذى يتصور أن بناء الاشتراكية فى بلد كمصر أو أى من بلاد حركة التحرر الوطنى ، سوف يحاكي النموذج السوفيتى ، فإنه لا يخطئ فحسب خطأ فادحا بالنسبة للتجربة الاشتراكية فى بلده . وانما هو — وقبل كل شيء — يرتكب جرما فى حق الاشتراكية نفسها . ذلك أنه، اذا كانت القواعد العلمية للاشتراكية واحدة ، إلا أنها عند التطبيق تتجسد فى نظم متعددة ومتنوعة ، بلا حصر ، وذلك نتيجة اختلاف الظروف الخاصة والتراث القومى والنفسى والروحى للمجتمعات . وقد أكدت الاحداث فشل نقل تجربة أو نظام اشتراكى من مجتمع الى آخر . فالنظام السوفيتى — ككل نظام آخر — ليس صالحا للتصدير خارج الاتحاد السوفيتى . وان كان هذا لا يعنى الاستفادة من خبراته وتجاربه ، مثلها مثل كل الخبرات والتجارب فى عالمنا المعاصر .

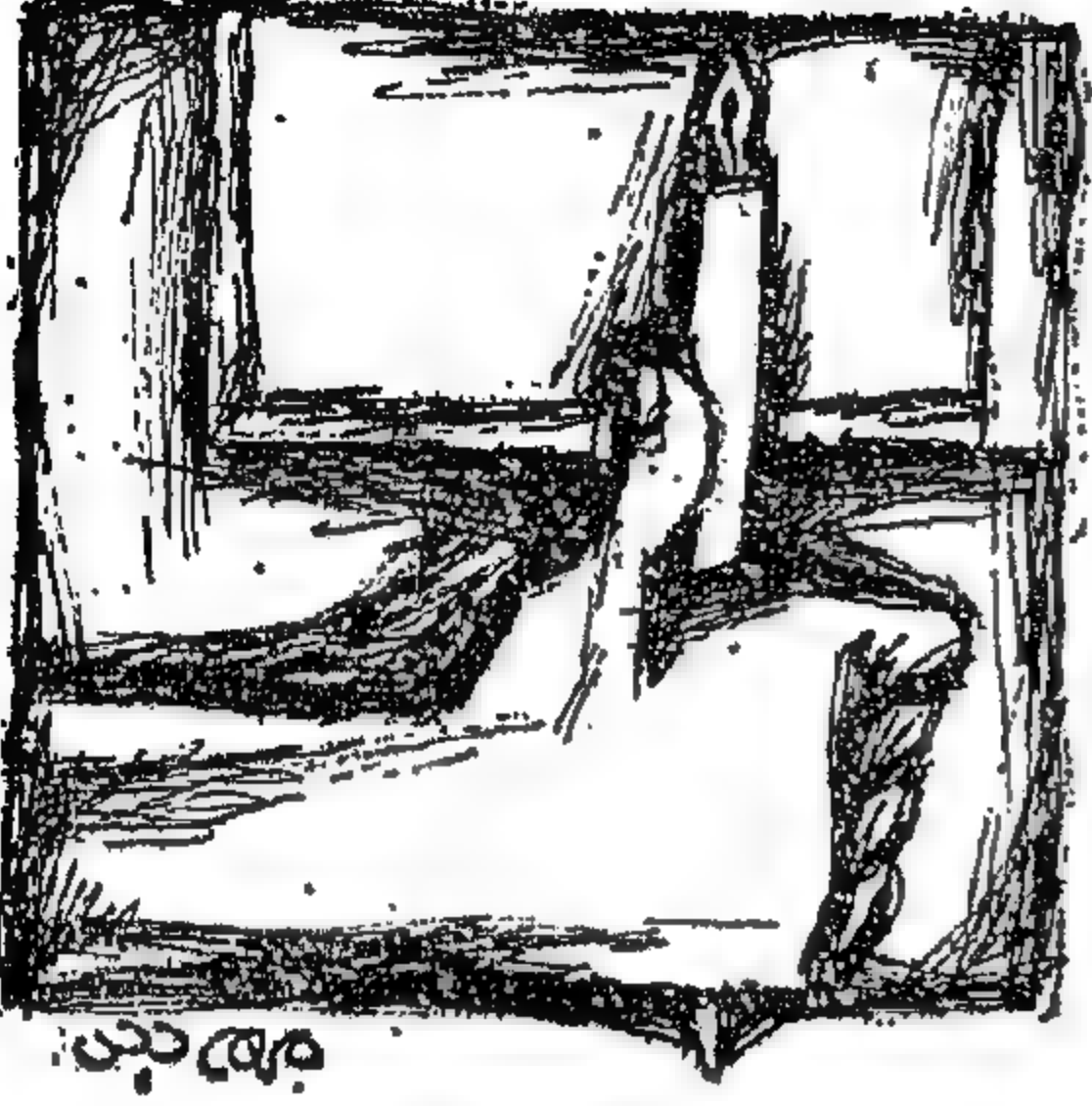
والاشتراكى المصرى أو العربى الذى لا يحترم ولا يقدر القيم الدينية والروحية التى تعمّر وجدان الملايين من الجماهير ، والتى لا يمكن بناء الاشتراكية بدون ايمانها وارادتها ، يتحول فى الحقيقة الى عدو فعلى للاشتراكية العلمية . ذلك أن العقيدة الدينية التى تؤمن بها الجماهير ، هى قوة مادية قادرة بقيمها النضالية والتقدمية أن تدفع — فى جو صحى وديمقراطى — حركة البناء الاشتراكى الى الامام ، وتثريها .

فالمسلم أو المسيحى ، المخلص لاستقلال وطنه وتقدمه ، ولحق جماهير شعبه فى حياة انسانية متطورة من الاستبداد والاستغلال ، يستطيع أن يكون ، فى الواقع الحى ، اشتراكيا حقيقيا ، بقدر ما هو مسلم حقيقى أو مسيحى حقيقى .

من هنا ، يغدو اصرارنا على السير ، رغم كل التضحيات — على طريق التحرر الوطنى بأفائه الاشتراكية ضد الامبريالية والصهيونية والتخلف ، وفى تحالف الند للند مع الاتحاد السوفيتى وبقية البلدان الاشتراكية ، ليس نفخا فى قربة مثقوبة ، بل قهر للتخلف وتصفية للعدوان والاحتلال .

لطفى الحولى

■ عاشى الدكتور عبد الرزاق
حسن مواجهة المجتمع البريطانى
لفترة ما بعد الحرب فى المرحلة
ما بين ديسمبر ١٩٤٥ حتى
يوليو ١٩٥٢ ، وهو يروى هنا
تذكرياته عن الخطبوات التى
اتخذت لتعبئة المجتمع البريطانى
واعياده للحرب ■



من مذكرات طالب بعثة حول

اقتصاديات

الحرب

د. عبد الرزاق حسن

الحرب • والقدرة على تحمل ما تفرضه من
تضحيات مادية وبشرية • وانى فيما أكتب لادرك
تماما أن القدرة على تحمل أعباء أى حرب تزيد
كلما قلت التناقضات الاجتماعية ، والصراعات
الطبقية ، وحينما يملك المجتمع الاشتراكى مثلا
ادوات الانتاج فيه ، تكون قدرته على ادارة هذه
الادوات لمواجهة هذه الحرب اكبر منها فى مجتمع
رأسمالى •

وسأعتمد فى كتابتى على الذاكرة التى ارجو الا
تخوننى ، وعلى بعض ما كنت قد دونت من
ملاحظات يرجع بعضها الى ربع قرن مضى ، حينما
كنت طالب علم فى بريطانيا ، وكان على أن اتفهم
طبيعة الحياة حولى ، لعلنى استفيد من خبرة الغير
ما يفيد البلد الذى تحمل فى سبيل تعليمى الكثير •

السهدف من كتابة هذه المذكرات
اجترار الماضى ، ولكن اعطسأه
صورة سريعة عن مفهوم اقتصاديات
الحرب فى بلد متسم بالصراعات
الاجتماعية نتيجة تركيبه الرأسمالى ، وهو
بريطانيا التى عاشت اكثر من عشر سنوات ما بين
حرب ضروس ، واعادة بناء ما خربته هذه الحرب
وقد دعائى الى كتابتها كثرة الجدل فى مجالسنا
العامة والخاصة ، حول ما يجب وما يمكن اتخاذه
من اجراءات لمواجهة معركتنا المصيرية تجاه
الصهيونية والامبريالية ، اللتان تهددان الى تقويض
بنياننا الاجتماعى ، والتهام اجزاء من بلدنا ، ومن
وطننا العربى •

ليس

وكسب معارك الحرب على مدى التاريخ كانت
تتركز حول الايمان بالقضية التى تقوم من اجلها

في جو الحرب

على التراكات وكان قد طال الاخذ والرد بالنسبة لها .

ولم تغفل الحكومة خلال الحرب بعض النواحي الاجتماعية ، ففرضت نظاما لغلاء المعيشة لصالح عمال الصناعة والتجارة ، وحثمت تقديم وجبات لهم بأسعار مخفضة ، والزمتم ملاك الارض بدفع حدود دنيا لاجور عمال الزراعة ، وذلك بالاضافة الى تخصيص بنود في الميزانية لخفض تكاليف المعيشة ومنح اعانة غلاء للموظفين .

ولسنا في مجال الحديث عن مدى فاعلية كل هذه الاجراءات ، في الحد من التفاوت في الثروات والدخول الذي ترتب نتيجة ظروف الحرب ، ولكن ما يهتما الاشارة اليه هنا ، انه كان هناك تحرك ما ، وادراك بأن ظروف الحرب تقتضى اجراءات غير عادية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية .

في الطريق الى أحد ميادين الحرب

لم تكند تنتهي الحرب حتى عملت الحكومة على ارسال بعض المبعوثين لاستكمال دراساتهم في الخارج ، وبالاخص بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، وكان من نصيب السافر الى البلد الاول .

وقد أحسست بمعنى الحرب حينما ركبت حاملة الجنود « باستير » وعليها بضعة آلاف من الجنود العائدين الى وطنهم ، من النوم على « الهاموك » وهو شبكة من الخيوط السميكة تعلق من طرفيها بخطافين ، الى تناول وجبات من الطعام يصعب تحديد نوعها الى شرب الشاي دون سكر من جردل ، الى استعمال دورات مياه مكشوفة ، ولم يكن هناك من مجال للنشاط على ظهر السفينة غير دعوتنا من وقت الى آخر للاصطفاف وقد تمنطقنا بأحزمة النجاة ، وكانت تقفل الابواب الحديدية بين الادوار الدنيا من وقت الى آخر ولم أكن أدري الحكمة من ذلك الا حينما وصلت الى لندن وعرفت ان السبب كان مرور السفينة في حقل الغام ، ولو حدث وأصاب السفينة لغم فيمكن التضحية بمن وما في القاع لسلامة الآخرين .

كنا في منتصف ديسمبر سنة ١٩٤٥ حينما وصلنا الى لندن ، والمساء مظلم الا من أضواء خافتة وكانت الحرب لم تنته بعد ، والجو ممعن في البرودة ، وكنا في المحطة كآليتامى ، ليس هناك من ينتظرنا ، ولا نعرف الى أين نتجه ، ولم ينقذنا

وقد يكون من المناسب أن أرجع بالذاكرة الى ما اتخذ من اجراءات في مصر حينما نشبت الحرب العالمية الثانية ، لمواجهة النتائج المترتبة عليها ، وما زال بعضها قائما حتى وقتنا الحاضر ، ولو ان مصر لم تشترك في تلك الحرب بشكل مباشر ، اذ لم يكن - كما صرح أحد كبار المسئولين في ذلك الوقت - لا ناقة لنا فيها ولا جمل - . ومن تلك الاجراءات فرض قيود على انتاج بعض المواد وتداولها واستهلاكها ، كتحديد المساحة المنزرعة قطناً ، ووضع احكام لاستخراج الدقيق وصنع الخبز . وتنظيم استهلاك وتسعير السلع التموينية كالحبوب الغذائية ، واللحوم والسكر والزيت وورق الجرائد ووضع قواعد لتداول الخيوط والاقمشة قطنية كانت او صوفية ، وتسعيرها وتسعير الملابس الداخلية ، وضمان وجود مخزون سلعي في مختلف المديریات والمحاافظات ، ووضع قيود على نقل مواد التموين فيما بينها ، وفرض نظام للرقابة على النقد في دخوله وخروجه من البلاد والاحتفاظ بحسابات اجنبية ، وتنظيم عمليتي الاستيراد والتصدير وتحديد الاجارات . الخ .

وفي المجال الضريبي زيدت اسعار الضرائب على فروع الدخل والدمغة ، التي كانت قد فرضت قبل الحرب بشهور ، زيدت اسعار ضريبة الارباح الصناعية والتجارية والقيم المنقولة من ٨ في المائة (الذي كان مقدرا فرضه في سنة ١٩٤٠) الى ١٠ في المائة ثم الى ١٢ في المائة بعد ذلك بسنتين ، وفرضت ضريبة اضافية للدفاع في سنة ١٩٤٠ ، زيدت في السنة التالية ، ثم تزايدت بالتدريج ، وبعد أن كانت ١ في المائة من الضرائب على فروع الدخل والاطيان والرسوم الجمركية تراوحت بين ٥ في المائة من الضريبة على كسب العمل ، الى ١٠ في المائة على ايرادات القيم المنقولة والارباح ، وتدرجت بالنسبة لضريبة المبانى ما بين ٨ في المائة على الـ ٢٠ جنيه الاولى من الضريبة الى ٥٠ في المائة على ما يزيد عن ١٠٠٠ جنيه من الضريبة وذلك في سنة ١٩٤٤ . كما فرضت ضريبة استثنائية على الارباح الصناعية والتجارية في سنة ١٩٤١ وزيدت بعد ذلك في سنة ١٩٤٣ وتدرجت من ٢٥ في المائة الى ٧٥ في المائة من الربح الاستثنائي . كما فرضت اقاوة خاصة على الربح الناتج من عمليات القطن في سنة ١٩٤٢ تمتص نصف ما يزيد عن ١٢ في المائة من الربح وقبل انتهاء الحرب بستة أشهر فرض رسم ايلولة

مقسمة الى ١٣ قسما ، وكل قسم يضم أربع خانات
ممتلئة بالأساييع .

ولم يكن مفهوم عدالة توزيع مواد التموين شىء
مطلق ، وإنما يراعى بعض الظروف ، فقد كانت
مقررات الزبد والجبن واللحم للعمال أعلى منها
بالنسبة للفئات الأخرى من الشعب . وكان يمكن
للنباتيين الاستعاضة عن اللحم بالفول السوداني
واللوز مثلا ، أما الرضع والأطفال فقد كانت
امهاتهم يحصلن بالإضافة الى التموين العسائى
على قدر أكبر من اللبن بسعر أرخص ، والألبان
الصناعية ، وعصير البرتقال ، وحينما كان يصل
الى البلاد بعض البرتقال والموز نجد أن الفاكهه أو
بائع الخضر لا يبيعه الا بقدر للأطفال والمسنين .

وكانت المقررات التموينية تتغير من فترة الى
أخرى وتأخذ الحكومة فى اعتبارها ضمان حد
أدنى من المخزون فى البلاد حتى لا تتعرض البلاد
الى مشاكل . وقد اضيف الخبز الى التموين الذى
يوزع بالبطاقة فى أغسطس سنة ١٩٤٦ حينما تبين
أن المخزون السلى لم تزد كميته عن حاجة البلاد
فى ٨ أسابيع .

وكان النظام المتبع بالنسبة للملابس هو نظام
الكوبونات ، فيحدد لكل فرد عدد معين ، فتمثل ياقة
القميص أو الكرافت كوبون ويمثل الجورب ٢
والفانلة ٦ والقميص ٨ والبنتلون ١٢ وهكذا . ولم
تكن الكوبونات المسموح بها للفرد فى السنة بكافية
لتمكنه من شراء واحدة من كل بند من بنود
الملبوسات ، وبالتالي كان على الفرد أن يفاضل بين
احتياجاته ، أو ينسق بينها وبين أسرته . ولهذا كان
من الطبيعى أن نجد المحلات تعرض رقعا من الجلد
لتغطية الاجزاء المعروضة للتلف من البديل التى
تمثل أكبر رقم فى الكوبونات . وفى نفس الوقت
كانت هناك حرية تامة فى شراء الاقمشة غير أن
الاستفادة بها كان محدودا فالمعروض من الاقمشة
محدود الاصناف والاسر التى تمتلك مساكنات
خيطة كانت قليلة وتكاد تخلو البلاد من التريزة .

لم تكن مقررات التموين بكافية لتغطية
الاستهلاك الكامل للأفراد ، وكان من الطبيعى أن
يلجأ الناس الى المطاعم لتناول بعض الوجبات ،
ولم يكن الفرد فى هذه المطاعم حرا فى طلب ما
يشاء وإنما عليه أن يتناول ثلاثة أطباق فقط .
وليختارها بين الحساء والكروسة والخضار مع
شريحة صغيرة من اللحم أو السجق والسمنك
والحلوى ، واعتبر الخبز بمثابة طبق حينما نقصت
كميته كما ذكرنا . ومن التصور نظريا أن

مما نحن فيه الا مزدوجين من بلدية لندن ، عرفت
بعد ذلك أن مهمتهم استقبال القادمين من الجنود
أو المدنيين لارشادهم الى أين يتجهون ، أو
توجيههم الى استراحات مؤقتة يبيتون فيها ليلتهم
حتى يكتشفون أمرهم ، فقد تكون الغارات قد دمرت
مساكنهم ، وقتلت أو شردت أسرهم .

وكان قد اتبع فى أثناء الحرب نظام محكم
لتهجير الأطفال وكبار السن من مناطق الخطر الى
داخلية البلاد ، أما العمال فكان عليهم أن يواجهوا
مصيرهم فلا تشيهم الغارات عن العمل والانتاج ،
ولا يلجأون الى المخاض عادة حتى لا يتأثر الانتاج
وهو عنصر اساسى فى الصمود لكسب المعركة .

وحيثما أصبح علينا الصباح ، أدركنا معنى
الحرب ، فالتدمير قد شمل الكثير من المناطق ،
وأقيمت مساكن مؤقتة فى بعض الحدائق لايواء من
دمرت مساكنهم ، وكانت أغلب الاسوار الحديدية
للمنازل والحدائق منزوعة لان الدولة قد
استخدمتها فى الصناعة . وكانت بعض المساكن
الدمرة قد حولت الى احواض للمياه لتكون بمثابة
خزانات للمعاونة فى عمليات اطفاء الحرائق .

تنظيم الاستهلاك بين اجراءات

الدولة ووعى الافراد

كان أول هم للمبعوث منا بعد وصوله ،
الاطمئنان على مكان مناسب يقيم فيه ، ثم
استخراج بطاقة التموين التى تمكنه من الحصول
على بعض المواد الاساسية . فلم يكن من المتصور
مثلا أن تترك للسوق الحرية فى ظروف المجتمع غير
الطبيعية ، لان ذلك كان يمكن أن يؤدي الى فوضى
واختلال فى المجتمع .

كانت بطاقة التموين فى شكل دفتر يوزع
بمقتضاه الجبن والمواد الدهنية والبيض والسكر
والحلوى والشاي واللحم ، وكلما زاد عدد صفحات
الدفتر كان ذلك ايدانا بتوقع ادخال أى سلعة يشح
المعروض منها فى البطاقة ، وكان يلحق بدفتر
التموين دفتر آخر به عدد من الكوبونات تستخدم
للملابس والاحذية .

ودفتر التموين يحدد سنويا ، ويضم عددا من
الصفحات ، كل واحدة لمادة تموينية ، والصفحة

الشخص كان يمكنه أن يتناول أكثر من وجبة في أكثر من مطعم ، غير أن طول المدة التي كانت تمر بين الوقوف في الطابور ، وتناول الوجبة والفترة المسددة في المطاعم لتناول الغذاء كانت تجعل من غير الممكن عمليا الانتقال من مطعم الى آخر لتناول أكثر من وجبة وبالتالي كان على الفرد أن يوازن فيما يطلب من غذاء بين ما يعطيه أكبر قدر من الطاقة الحرارية .

كان نصيب الفرد في الاسبوع لا يتعدى نصيب رطل من المارجرين « الزبد الصناعي » وربيع رطل من الزبد ، وأقل من ذلك من الشحم ، وشريحة من اللحم تعادل ما يتناوله الانسان العادي في وجبة واحدة في القاهرة ، ولا يصيب الواحد غير بيضة واحدة في الاسبوع ، وان كان يمكنه الحصول على باكو من مسحوق البيض . وإذا كانت الاسرة تربي دواجن في الريف أو في أطراف المدينة فتحرم من مقررات البيض مقابل منحها قدرا من الحبوب كغذاء لدواجنها .

وكان يسمح للوافدين من بلاد حارة بالحصول على عدد كبير نسبيا من كوبونات الملابس وقد أثار هذا الامر بعض النواب في مجلس العموم ، باعتباره ميزة تتناقض مع عدالة التوزيع ، وأذكر أن وزير التموين رد على ذلك بأن الهدف الأكبر هو زيادة تصريف الملابس مقابل الحصول على نقد أولئك الوافدين وذلك بمثابة صادرات .

وقد اخضعت السلع المختلفة لنظام التسعيرة لضمان عدم العبث بالسوق ، واستغلال نقص السلع بتكوين أرباح استثنائية ، وإثارة مشاكل اجتماعية لا داعي لها . وان كانت التسعيرة تتغير من وقت الى آخر تبعا لتغير التكاليف ، وقد يحدث أن ترفع الدولة سعر سلعة ما ، وفي هذه الحالة لم يكن ليسمح لتاجر أن يرفع أسعار ما قد يكون لديه من مخزون ، بل عليه أن يبيع ما يبقى لديه بالأسعار القديمة . وللحد من التلاعب في الأسعار ، فرضت التسعيرة أيضا على ما قد يعرض للبيع من الملابس القديمة .

ولم يكن من السهل أحيانا ادخال بعض السلع التي يصيب عرضها نقص مؤقت في البطاقة وكان يعتمد في عدالة توزيعها على التجار أنفسهم الذين كانوا يدركون معنى حسن التصرف . فعند نقص السجائر في بعض الاوقات مثلا ، لم تكن تجد من يخفي السلعة بهدف بيعها في السوق السوداء لأنه كان من الصعب أولا وجود من يشتريها بأعلى من سعرها المحدد ، ورعاية لمصالح المشتريين كنا نجد البائع يوزعها بمعدل 5 سجائر على كل مشتر وله

الحق في رفض البيع لفرد يعتقد أنه سبق أن حصل على نصيب منها . وكان يسئ الناس تشدق بعضنا بالقول أنه يمكنه أن يحصل على نصيب أكبر من طريق دفع « بقشيش » للبائع لأنهم كانوا يعتبرون أن ذلك عمل غير أخلاقي .

واعتمدت الحكومة على حسن ادراك المواطنين حينما ووجهت بأزمة الفحم في شتاء سنة ١٩٤٦ إذ أدى تساقط الجليد لاسابيع طويلة الى نقص المستخرج من الفحم وصعوبة نقله ، فطلبت الحكومة من الناس الاقتصاد في استعمال الوقود بإيقاف استخدام وسائل التدفئة والطبخ بضع ساعات في النهار لتوفير حاجة المصانع من طاقته ، ولم تكن الحكومة في حاجة الى اجراءات تفتيشية أو بوليسية لضمان طاعة الناس لقرارها .

وكان يطبق نظام التموين على ترميم المساكن وبنائها ، بمعنى أن يحدد للفرد قيمة ما يمكنه القيام به من اصلاحات خلال السنة ، فإذا كان المبلغ المقدر له لا يكفي لاتمام العملية فيمكنه ترحيل المستحق من سنة الى أخرى ، أي يجمع ما يسمح له ليكون رصيذا يسمح بالاصلاحات المطلوبة . ومن الطريف مثلا أن القصر الملكي كان قد طلب التصريح بترميم جناح كان قد سمر من قصر باكنجهام ولكن الطلب لم يحظ بالموافقة لان اللجنة رأت أن ذلك غير هام ، وصدر حكم بالحبس والغرامة على ابن لاهد الوزراء كان يشغل مديرا لمحطة كهربائية عامة ، كلف مقاولا باقامة مبان للمحطة بمبلغ أكبر من المخصص لها .

وحتى مع السماح للفرد بقدر من السلع التموينية ، إلا أنه لم يكن مطلق الحرية في العبث بها ، فقد حوكت بعض طالبات جامعة لندن بتهمة تبديد مواد التموين لأنهن أردن اثبات ارتفاع درجة الحرارة بشكل غير عادي في شهر أغسطس عن طريق كسر بيضة على سور بناء وبيان أن الحرارة ستتضجها ، وكان مما قاله القاضي في حكمه ان هناك وسائل علمية معروفة لمعرفة درجة الحرارة ، وليست منها مواد التموين التي تعتبر غذاء للشعب ومن لا يريد ما خصص له عليه أن يتركه لغيره . وحذر وزير التموين سكان أحد المناطق ذات الدخل العالي حينما نشرت الصحف صورة لأكوام من فضلات الخبز ضمن القمامة ، هذا في نفس الوقت الذي كانت تجمع فيه فضلات الطعام لتقديمها غذاء للمواشي .

وبالرغم من صرامة نظام البطاقات الذي استمر خمس سنوات بعد نهاية الحرب ، إلا أنه قد خفف كثيرا من المشاكل التي كان يمكن أن تترتب لو

الإسعار ، هذا وتزيد معدلات الضريبة عن ذلك إذا كان مصدر الدخل وأسمال *

وفرضت ضريبة على المشتريات تراوحت بين ٢٣١/٢ في المائة على الأجهزة الكهربائية والثلاجات و ١٠٠ في المائة على أدوات التجميل والسجاد وغيرها من السلع غير الضرورية * وزيدت هذه المعدلات عن ذلك بعد الحرب * وبالإضافة الى ذلك تضاعفت الرسوم الجمركية أو الانتاج على السجائر والبن والشاي والكافور والبيرة وغيرها وحرمت الدولة استيراد بعض السلع أو حتى هبؤها كهدايا كالسيارات الكبيرة *

وكان منطق وزير الخزانة حينما أثير الجدل حول رفع أسعار الضريبة على المسجائر انه اذا كانت الضريبة لن تحد من الاستهلاك فان إيراد الخزانة سيزيد والقوة الشرائية للأفراد ستقل ويخف بذلك طلبهم على السلع الأخرى * وإذا أدت الضريبة الى انخفاض الاستهلاك ففي ذلك مصلحة عامة لانه يساعد على توازن ميزان المدفوعات لانه يقلل المستورد من الدخان *

ولم تكتف الدولة بالضرائب التي يتحملها الأشخاص ، بل فرضت ضريبة على الأرباح الاستثنائية وهي التي تزيد عن نسبة معينة الى رأس المال ، أو الربح المتحقق قبل الحرب وكان سعر الضريبة ١٠٠ في المائة أي المصادرة ، وحينما خشيت الحكومة أن يؤدي ارتفاع سعر هذه الضريبة الى لجوء أصحاب الأعمال الى رفع أجور العمال أصدرت قرارا بتجميد الأجور ، ولم تسمح بزيادتها الا اذا ترتب على ذلك زيادة في الانتاج *

ولم تترك الدولة أولئك المستفيدين من الهبات أو الميراث فزادت أسعار الضريبة على التراكات حتى بلغت عند نهاية الحرب ٣ في المائة اذا كانت قيمة التركة ٣٠٠٠ جنيه ، ويصل السعر الى ٥٨٥ في المائة للتراكات التي تصل الى ١٥ مليون جنيه *

وبالرغم من الارتفاع الواضح في أسعار الضرائب الا انه كان من الواضح بعد انتهاء الحرب أن هناك من أفاد نسبيا منها وبالذات أولئك الذين لم تصب استثماراتهم أي تدمير ، ولهذا فرضت الحكومة في سنة ١٩٤٨ ضريبة خاصة تدفع مرة واحدة وذلك على الربح المتولد من عملية استثمار ، وتراوح سعرها بين ٥ في المائة اذا كان الدخل ٥٠٠ جنيه ، ويصل الى أكثر من ٤٨ في المائة اذا وصل الدخل ٥٠٠٠٠ جنيه ، وذلك بالإضافة الى ضريبة الدخل * وبحسبة بسيطة اذا جمعت الضريبتان فائنا نجد أن مجموع ما يسدده الشخص يبلغ ٦٨ في المائة من الدخل اذا كانت

تركت الحرية لعوامل السوق وقد عاون النظام في استخدام الأسلوب العلمي في تنظيم الحياة ، وتحديد أولويات السلع في الاستهلاك ، واذكر انني كنت أرفض أن ترسل لي اسرتي أي أغذية من مصر خلال تلك المدة ، التي تحسنت فيها صحتي كثيرا *

توزيع أعباء الحرب

توزيع أعباء الحرب

بين الضرائب والقروض

يعتمد الفكر الاقتصادي الانجليزي في تمويل الحرب اساسا على الضرائب ، وعدم اللجوء الى القروض المحلية الا في اضيق الحدود ، والاعتماد في الاحتياجات الخارجية على حق الدولة في السيطرة على ما يملكه مواطنوها في الخارج بالدرجة الأولى ، وعلى القروض الأجنبية بالدرجة الثانية * ويستند هذا الفكر على مبدأ العدالة في توزيع أعباء الحرب * ففي الحرب المصرية يعتبر ما يفيض من الحاجة الضرورية للاستهلاك أو لتدعيم أجهزة الاستثمار والحرب في المجتمع هو الرصيد الأساسي الذي يمكن السحب عليه لمواجهة مطالب الحرب المتزايدة ، وليس من الطبيعي أن تحمل أجيال المستقبل بأعباء نتيجة ظروف أو مواقف ليس لهم يد في خلقها ، فضلا عن انه ليس هناك من يعرف كيف ستكون مطالب وأعباء المستقبل للجيل القادم * وبالتالي فإن الاعتماد في تمويل الحرب على القروض لا يعنى علميا الا تدعيم مركز القلة ممن لديهم فائض على حساب الغالبية التي تكون وقود المعركة * والتحكم في فائض الدخل بعد تحديد الاستهلاك يعطى قدرة أكبر للدولة على توجيه الانتاج للمعركة ، فضلا عما يشيعه من احساس بالمساواة في تحمل اعباء الحرب *

ومن هذا المنطلق يمكن أن ندرك السر في كثرة الضرائب التي فرضتها بريطانيا خلال الحرب ، وفي سنوات التعمير التالية لها ، وارتفاع أسعارها بشكل يبدو لنا انه غير عادي * فنجد أن أسعار ضريبة الدخل من العمل كانت تتراوح عند قيام الحرب بين ١ في المائة على الدخل البالغ ١٥٠ جنيه في السنة ، ويرتفع السعر الى ١١ في المائة حينما يصل الدخل الى ٥٠٠ جنيه ، ويزيد الى ٢١ في المائة اذا بلغ الدخل ٢٠٠٠ جنيه والى ٦٧ في المائة اذا كان الدخل ١٠٠٠٠٠ جنيه ، ونتيجة لرفع أسعار الضريبة عند نهاية الحرب نجد أن النسب تراوحت بين ١٢ في المائة ، ٣١ في المائة ، ٤٣ في المائة ، ٩٤ في المائة من الدخول السابقة على الترتيب ، مع ملاحظة ان القيمة الحقيقية للدخول قد انخفضت كنتيجة طبيعية لارتفاع

إنفاظ الاستهلاك وأساليب الحياة ، بما يؤدي إلى حسن استغلال الموارد والإمكانيات المتاحة دون اسراف أو تبذير .

حينما قامت الحرب . توجهت الحكومة للناس لاستخدام الحدائق لزراعة الخضر ، ويسرت عليهم الامر باصدار كتيبات مما يمكن زراعته ، وطريقة الزراعة وكسنت المحلات مستعدة لبيع البذور وادوات الزراعة .

واعدت مواصفات لبعض المنتجات بما يمكن يمنع اى تبذير للمواد ، فالتعليمات لترزية البذل بالغاء تنية رجل البنطلون والثنيات الجانبية فيه واستخدام قاذبة ياقة الجاكت من قماش رخيص ، وعدم استخدام ازرار فى اكمام الجاكت ، والحد من عدد ما هو موجود منها فى الصدر . وملاحظة الا تزيد طول كعوب احذية السيدات عن طول معين ، وقد وفرت مثل هذه الاجراءات البسيطة ملايين الجنيهات سنويا .

وشملت المواصفات طبع الكتب ، تحدد بموجبه عدد الكلمات فى الصفحة ونوع الورق ، واللجنة الفنية والعملية المسئولة فى المطبعة تحديد العدد المناسب ، من الصفحات بمعنى ان الكاتب لم يكن حزا فى تصميم حجم الكتاب . اما الجرائد فكانت فى اربع صفحات فقط ، فيما عدا ذات الحجم الصغير فكانت فى ٨ صفحات على الاكثر .

وكانت التوجيهات والتنبيهات تواجه الانسان فى كل مكان من المدينة مما كان يثير ضيقنا بالمبدأ وتشعرنا كما لو كنا فى ثكنة عسكرية ، ثم لم يمض الوقت حتى تعودنا هذه الحياة لما تعنيه من تنظيم . فى أماكن تجمع الناس وركوب الاتوبيس أو شراء مواد التموين أو دخول السبنا لوحة تنبيه بضرورة الوقوف فى صف ، وفى محطة المترو تواجه الانسان يافطة بضرورة السير على الشمال وهى الفنادق والاماكن العامة تتعدد اللوحات الموجهة ، فجوار صنبور المياه تنبيه بعدم ترك الماء يجرى دون ضرورة واقفال الصنبور فور الانتهاء من استخدامه ، وفى دورة المياه تنبيه بعدم القاء اعواد الكبريت او امواس الحلاقة المستعملة فيها والى جوار مفتاح الكهرباء اشارة الى ضرورة اطفاء النور عند الخروج . امور قد تبدو عادية ولكنها توفر الكثير من المواد والطاقة التى يحتاجها المجتمع فى حربه ، وفى حركة التعمير .

كانت دور الملاحى تستمر حتى العاشرة مساء ، ووسائل المواصلات العادية تسير حتى الحادية عشرة ، ثم تتوقف الا من نظام خاص تسير بموجبه بعض سيارات الاتوبيس كل ساعة . ولم يكن

قيمه ٢٥٠٠ جنيه ، ويصل السعر الى ١٠٠ فى المائة اذا بلغ الدخل ٨٠٠٠ جنيه . ويقفز الى ١٢٨٥ فى المائة اذا وصل الدخل الى ٥٠٠٠ ر جنيه ، ومعنى ذلك ان على الفرد ان يبيع جزءا من رأسماله ليسدد الضريبة ويواجه مطالب المعيشة .

ولم تكثف الحكومة بذلك بل رفعت أسعار ضريبة الشركات لتصل بعدها الأقصى الى ٨٠ فى المائة اذا بلغت قيمة الشركة ١٥ مليون جنيه وذلك فى سنة ١٩٥٠ . وقد جذب كثير من الاقتصاديين رفع هذه الضريبة ، ليس لتأييدهم اهمية تضيق الفجوة بين الطبقات فحسب ولكن لضعاف شأن الطبقات التى تعتمد على ثروة ليس لها دور فى تكوينها ، وكانت الفئة التى تعتمد على ايراد ليس مصدره العمل فتسمى « بالقراصنة » .

وقد لجأت الحكومة البريطانية فى تمويل حوالى نصف الانفاق خلال الحرب بالقروض المحلية او الخارجية ، ولم تكن القروض المحلية مشكلة فكان يصدر اما سندات حرب او سندات على الخزانة . وكانت المشروعات وشركات التأمين والبنوك تكتتب فى الجزء الاكبر منها . وبالنسبة للقروض الاجنبية لجأت فى ذلك الى حلفائها وبالاخص الولايات المتحدة ، أو باصدار سندات سحبت عليها من المستعمرات أو البلدان التى كانت تفرض نقودها عليها كاستراليا وكندا . اما بالنسبة للهند ومصر وغيرهما ، فكانت تغطية الديون يتم عن طريق السندات الاولى .

وقد بلغ مجموع الدين العام المحلى فى مارس ١٩٤٧ حوالى ٢٥ بليون جنيه أما الدين الاجنبى فلم يتعد ٧٦٩ مليونا .

وبالرغم من الحرب وأثرها التدميرى والضرائب العالية الا ان الحوافز على الانتاج كمقاومة النازية كان كبيرا فزاد الدخل القومى بين سنتى ١٩٣٨ ، ١٩٤٥ بنسبة ٧٢ فى المائة ، ويمكن ذلك الدولة من زيادة عبء الضريبة التى امتصت ٣٠ فى المائة من الدخل القومى بعد أن كان عبئها لا يتعدى ٢١ فى المائة .

بين التقشف وترشيد الاستهلاك :

لم يكن اقتصاد الحرب والتعمير بعدها مجرد اجراءات لتنظيم الاستهلاك ، او ضرائب تفرضها الدولة لتضمن تمويل مطالب الحرب واعادة التعمير ، ولكن تعدى ذلك الى اثاره الاهتمام بتغيير

وركزت وزارة التموين على ارشاد الناس كيف يطبخون اطباقا من الخضر المتوفرة ، وكيف يطهون السمك ولحم الحوت وهكذا .

وبشكل عام كان الانسان منا يحس ان الاسلوب العلمي هو السمة البارزة في تصرفات الناس وان الدولة تبذل جهدا لتضمن عدالة توزيع الاعباء العامة في اطار النظام الاجتماعي ، وبشكل يقلل التناقضات ، لان ظروف الحرب ومرحلة اعادة البناء كانت تتطلب جهدا خاصا ، ولم تكن تسمح بتدرف الصراعات . ومن الطبيعي ان ذلك ان نجد ان التفاوت في الدخل خلال تلك الفترة كان ادنى نسبة في اى فترة سابقة . وقد مكن هذا التنظيم من الاحتفاظ للناس بالجزء الاكبر من الطاقة الحرارية في طعامهم ، فلم يتعد النقص في نهاية الحرب عنه عند قيامها على ٥ في المائة مقابل نقص بلغ ٦٧ في المائة في القسم الاكبر من المانيا ، وبالرغم من ان الاخيرة كانت تتميز بكبر الاجزاء الزراعية فيها .

وقد خرجت من هذه التجربة بايمان صادق ان كسب اى حرب يقضى تنظيم علمي وبذل وتضحية وعدالة في توزيع الاعباء ، وان الحياة تكتب لمن ترخص في حسابه ما فيها من مباديات .

يسمح بفتح البارات او تقديم المشروبات الروحية الا بين الساعة الخامسة والحادية عشرة مساء . ويرتبط بذلك الاخذ بالتوقيت الصيفي بتقديم الساعة . وحينما كان يحلو لنا ان نناقش البعض في هذه القيود كان الرد الحاسم انه لصالح الانتاج ان يذهب الناس الى بيوتهم في وقت مقبول ليناموا ويستيقظوا لاداء اعمالهم مبكرين نشطين .

ونتيجة لقلة مواد التموين ضاق نطاق الحفلات العامة والخاصة واذكر انه حينما اقيم احتفال النصر في سنة ١٩٤٦ ، واحتفال تدوير الملكة في سنة ١٩٥٢ كانت هناك اسئلة في مجلس العموم عن تكاليف تلك الحفلات ، ونصيب الدولة فيها . وفي حفلات الجامعة كان على كل فرد يشترك فيها ان يدفع تكاليفها التي لم يكن ليتعدى ما يناله الفرد أكثر من كوب من الشاي وقطعة من الكعك . وكان من العادى اذا دعى فرد لزيارة ان يطلب اليه ان يحمل معه حاجته من السكر ، وكانت الوزارات المختلفة توالى الناس بالانشورات عن الموضوعات المختلفة ليكون الناس على بينة من امورهم ، نشرة عن مشكلة الخبز حينما حدثت ، دراسة عن الدخل القومي وتوزيعه قبل وبعد ضريبة الدخل سنويا ، مشاكل ميزان المدفوعات ، التعاون الاوربي .



الخليج العربي

التاريخ الحديث

النضال الوطني

الصراعات الاجتماعية

قضية الخليج العربي تشد انتباه جميع القوى الثورية العربية ، خاصة بعد أن تفجر الموقف بالعدوان الايراني على الجزر العربية الثلاث *

والواقع أن الرجعية العربية والدوائر الرجعية في الشرق الاوسط بالتعاون مع الامبريالية العالمية استغلت أزمة الصراع العربي الاسرائيلي وانشغال القوى الوطنية بمهام تصفية آثار العدوان الاسرائيلي وسياسة التهادن مع الرجعيات العربية والتفكك داخل تيار الحركة الوطنية الثورية عامة ، استغلت كل ذلك لتوجيه ضربات في منطقة الخليج تستهدف تصفية القوى الثورية وتدعيم مراكز التحالف الامبريالي فيها *

« والطلبة » تقدم هذه الدراسة بهدف فضح المخططات المعادية والخطرة ، والدعوة الى دعم الوحدة داخل حركة التحرر العربية الواحدة والتصدي للمؤامرات الاستعمارية واليقظة تجاه تحركات الرجعية العربية *



المطامع الاستعمارية

في

الخليج



وديع أمين

الطبيعية الثلاث وهي مسقط وتوابعا ، وعمان الداخل ، وامارات الساحل المهادن باماراته السبع وهي : [رأس الخيمة ، الشارقة ، عجمان ، أم القيوين ، الفجيرة ، دبي ، أبو ظبي] ، ثم يمتد شمالا حيث اماره قطر وجزر البحرين واقليم الاحساء السعودي حتى دولة الكويت عند حدود العراق الجنوبية ، وتعتبر منطقة الخليج الحدود الشرقية للعالم العربي وتبلغ مساحتها أكبر من مساحة الهند .

وقد احتلت منطقة الخليج مركزا هاما في العالم القديم ، واستخدم السومريون والبابليون والآشوريون والاعريق والرومان والفرس هذه

منطقة الخليج العربي الى فترة قريبة مجهولة لدى الجماهير في بقية أنحاء العالم العربي . وكان لا يذكر اسم الخليج الا مقرونا

ظلت

بالغموض ، ولقد نجح الاستعمار البريطاني في اسدال ستار من العزلة حول المنطقة ، وفي قطع كل علاقة لها ببقية أجزاء العالم العربي . وتشمل منطقة الخليج تلك الاراضي الواقعة داخل الشريط الساحلي الذي يحيط بالجزيرة العربية جنوبا وشرقا ، وتبدأ من اقليم ظفار في جنوب عمان الواقعة على حدود جمهورية اليمن الجنوبية الديمقراطية الشعبية ، وتمتد شرقا فشمالا على بحر العرب ثم داخل خليج عمان فالخليج العربي ، حيث تقوم عمان بأقسامها

التابعة لامارة الشارقة . والسبب الطبيعي ويوجد في مناطق متعددة وخاصة في جزائر كوربا موربا على بحر العرب . والملح ويوجد في مناطق متعددة وخاصة في جزيرة الصبر ، والمياه المعدنية في منطقة خيت التابعة لرأس الخيمة وعين غبور التابعة للشارقة ، كما تحتوي سواحل عمان والخليج العربي على كميات هائلة من الاسماك واللؤلؤ والاسفنج والاصدف والعنبر [٣] .

اما الصناعة في معظم مناطق الخليج باستثناء البحرين ، التي تعد من ارقى مناطق الخليج بوجه عام . فهي صناعة يدوية بدائية بسيطة مثل ، صناعة غزل خيوط القطن والصوف التي تستخدم في صنع العباءات والملابس وغطاء الرأس ، وشباك الصيد ، واشربة السفن ، والخيام ، وصناعة الحلوى والوانى وابريق القهوة النحاسية ، والسيوف والخناجر المعنونة وصناعة الخزف ، وبناء السفن الخشبية الشراعية .

وهذه الصناعات البسيطة توثق على الانقراض بسبب منافسة البضائع الاجنبية ، وعلى الاخص صناعة الخزف في عمان الذي كان يصدر منه الى الخارج في الماضي ، وكذلك صناعة السفن الشراعية حمولة [١٠٠ - ٣٠٠ طن] التي كانت تنتشر على طول ساحل عمان وفي رأس الخيمة والشارقة ودبي ، بمناسبة صناعة السفن الحديثة [٤] .

ان وضع منطقة الخليج الجغرافي جعل منه مركزا تجاريا هاما على مر التاريخ . وكانت التجارة تشكل موردا اقتصاديا رئيسيا من موارد المنطقة وحكرا خاصا لابنائها من التجار وهم اصحاب السفن كذلك ، الذين كانت تربطهم علاقات تجارية واسعة مع الهند وباكستان وجنوب شرق آسيا وشرق افريقيا ويران وسواحل البحر الاحمر . وان هناك موانى هامة مازالت تتمتع بنفس المكانة القديمة مثل مسقط ومطرح والبحرين ورأس الخيمة والشارقة ودبي ولقد أخذت هذه العلاقات التجارية تضعف على مر الزمن ، نتيجة السيطرة الاستعمارية ، وتحطيم بريطانيا لاسطول عمان التجاري الضخم ، ومنافسة السفن البريطانية الحديثة التي تحترق الان معظم عمليات الشحن الى البلدان الاسيوية الافريقية .

البحار في ملاحظتهم . وكانت موانئها مراكز هامة وملتقى الحضارات القديمة ومراكز التبادل الفكرى والفنى [١] وهي تشغل الان بموقعها الفريد أهمية استراتيجية كبيرة لوقوعها عند ملتقى الطرق البحرية والبرية ومركزا حيويا في خطوط المواصلات والتجارة العالمية البحرية والجوية الرئيسية الى العالم الاسيوى الافريقى .

اقتصاديات الخليج

وعلى عكس ما يعتقد الكثيرون تعتبر منطقة الخليج من اغنى المناطق العربية بثرواتها الطبيعية وكانت الزراعة تعد موردا رئيسيا لبعض امارات الخليج ، قبل ظهور البترول . وتعد عمان الداخل من اهم المناطق الزراعية في الخليج وتتميز بسهولها ووديانها الخصبة وتعتبر مراعى طبيعية لتربية الماشية ، وتشتمل على اجود الاراضى الزراعية في العالم العربى نظرا لمناخها الملائم ووفرة المحاصيل وتنوعها مثل الحبوب والفاكهة والخضروات والنباتات العطرية والقطن والتبغ وقصب السكر . كما توجد مناطق زراعية أخرى في البحرين ورأس الخيمة والشارقة وان كانت تشتمل على مساحات صغيرة .

وتعتمد الزراعة في عمان ومناطق الخليج الاخرى على الري أساسا وتوفر المياه الجوفية . وهي تقوم على الاساليب البدائية . « ومعظم المساحات المزروعة تأخذ شكل بساتين [اقطاعيات] يملكها افراد الاسر الحاكمة والاقطاعيين » (٢) .

وتحتوى اراضي عمان على ثروات هامة من المعادن المتنوعة التي تؤكد وجودها بوفرة في باطنها ، فضلا عن البترول الذي يتفجر الان بكثرة في معظم أنحاء المنطقة . وتشمل هذه المعادن الذهب ويوجد في منطقة الجبل الاخضر ، والنجم الحجرى ويوجد في جوان مسقط ورأس الخيمة وجعلان وجبال الحجر والمناطق المتاخمة للربع الخالى على حدود السعودية ، والنحاس [ويستخرج الان قليل منه بالوسائل اليدوية] ، ويوجد الحديد بالقرب من حضرموت ، وفي أماكن أخرى من عمان الداخلية والرصاص والكبريت والتصدير ، واكسيد الحديد ويوجد في الجزر

[١] عمان قديما وحديثا ، تأليف : محمد على الزرقا ، ج ١ ، كتب سياسية ص ١٢
[٢] ماذا يجرى في خليجنا العربى ، مطبوعات الاتحاد الوطنى لطلبة الكويت مارس ١٩٦٧ . ص ٤٥
[٣] عمان قديما وحديثا ، تأليف : محمد على الزرقا ، ج ١ ، كتب سياسية ص ٢١ - ٢٢
[٤] المصدر السابق ص ٢٢

الخليج بعد ذلك صراع رهيب بين الهولنديين والفرنسيين والبريطانيين من أجل السيطرة على الخليج .

ومنذ بداية القرن السابع عشر أخذت « شركة الهند الشرقية التجارية البريطانية » ترسل بعثاتها التجارية الى سواحل اليمن ، وكانت السفينة « أسنثون » البريطانية هي اول سفينة تأتي الى اليمن في عام ١٦٠٩ ، وتمكنت بريطانيا من أن تقيم لها وكالة تجارية في « المخاء » أهم ميناء في اليمن ، وان تحتكر الشطر الأكبر من تجارة اليمن وبالذات البن . وكان ذلك قبل أن تتمكن بريطانيا من احتلال عدن بالقوة بسنة ٢٣٠ [٦] .

ومنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر أخذت بريطانيا تبسط نفوذها وسيطرتها الاستعمارية رسمياً على المنطقة ، وأن تقيم المراكز التجارية في الموانئ الهامة وتزرع القواعد العسكرية الى جوارها لحراسة وتأمين عمليات النهب التي تمارسها شركاتها ، وذلك على امتداد الساحل الجنوبي والشرقي لمنطقة الخليج ، بما في ذلك جزر البحرين .

ولم يأت القرن العشرين حتى كانت بريطانيا قد تمكنت من القضاء على كل أثر للمناسفين الاستعماريين البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين والأتراك والبرانيين وأن تنفرد بالمنطقة . وأن تبسط سلطانها على امتداد الطريق الى امبراطوريتها التي تضم الهند وسيلان وبورما وماليزيا وسنغافورة والفلبين حتى هونج كونج في الشرق الأقصى .

احتلال عسكري ومعاهدات هزلية

ففي عام ١٧٩٨ قامت بريطانيا باحتلال دولة عمان الكبرى وتوقيع معاهدة مع سلطان بن أحمد ابن سعيد آل بورسعيد سلطان مسقط . وفي عام ١٨١٠ وقع سعيد بن سلطان تنازلاً بدون مقابل عن ملكية جزائر كوريا موريا للملكة فيكتوريا ولم يخلها . وفي عام ١٨٢٠ تمكنت بريطانيا نتيجة تفوقها البحري من احتلال ساحل عمان واخضاع قبائلها بعد حروب طويلة استمرت منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر وانتهت بتحطيم اسطولها البحري الضخم ، وتفتيت دولة عمان الكبرى الى سبع امارات صغيرة هي

وأهم صادرات امارات الخليج هي التمور والفواكه والتبغ وقصب السكر والقطن والعطور والاسماك واللؤلؤ والصدف ، ومن المعادن أكسيد الحديد والملح والفحم والبتروول ، والماشية والسجاد الطبيعي [٥] .

حملات الغزو وراء قوافل التجارة

ان تاريخ الاحتلال الاجنبي لمنطقة الخليج يرتبط أوثق ارتباط بتاريخ تطور النظام الرأسمالي في أوروبا . ولقد احتل الخليج أهمية بالغة في استراتيجيات الدول الأوروبية منذ فجر العصر الاستعماري . وبعد الاكتشافات الجغرافية التي عجلت من قيام الثورة التجارية في أوروبا ، فقد كان الباعث وراء حركة الاكتشافات الجغرافية وارتياح البحار المجهولة للمستكشفين أمثال « فاسكو دي جاما » البرتغالي ، « وكريسستوف كولومبس » الأسباني وغيرهما هو البحث عن مجالات وأسواق تجارية خارج حوض البحر الأبيض المتوسط ، الذي كان في ذلك الوقت حكراً خاصاً لتجار البندقية .

وبعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح حول أفريقيا في عام ١٤٩٩ الى الهند وبلدان الشرق الأقصى والخليج العربي ، أخذت الدول البحرية التي تملك الاساطيل التجارية تتطلع بنهم الى ثروات الشرق ، فكانت سفن التجار البرتغاليين وغيرهم من الأوروبيين تأتي حاملة البضائع الى البلدان الآسيوية وتعود محملة بالسلع والمنتجات الشرقية الى أوروبا ، ثم سرعان ما كانت تعود وراء هذه القوافل التجارية حملات الغزو العسكرية الأوروبية للسيطرة على الموانئ التجارية ومراكز الثروات في الشرق ، الامر الذي ساهم بدرجة كبيرة في نمو وازدهار الطبقة الرأسمالية التجارية في أوروبا .

وكان المستعمرون البرتغاليون هم أول من وضعوا أقدامهم من الأوروبيين على شاطئ الخليج في عام ١٥٠٨ ، حيث قاموا باحتلال مضيق هرمز وبعض الجزر عند مدخل الخليج ، وبنوا القلاع الحربية هناك ، غير أن نشاط القراصنة الأوروبيين الذين اجتذبتهم الغنائم الكثيرة على هذا الطريق البحري التجاري الجديد ، جعل من اقامة البرتغاليين في الخليج أمراً متعذراً غير مستقر ، وشهدت مياه

[٥] المصدر السابق ص ٢٤

[٦] صحيفة « ١٤ أكتوبر » العددية ١٩/١/١٩٧١

في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وهزيمة الامبراطورية العثمانية ، ودخول الدول الامبريالية الثلاث المنتصرة مجال المساومة والصراع الخفي فيما بينهم حول تقسيم التركة العثمانية .

وقد شهدت هذه الفترة تنازل فرنسا عن حصتها في ولاية الموصل التي عثر فيها على البترول وفي عمليات البترول المستقبلية ، في مقابل سحب بريطانيا تأييدها للامير فيصل في تولي عرش سوريا . ومن ناحية أخرى كانت الدولتان في حاجة الى تأييد الولايات المتحدة وموافقتها على انتداب بريطانيا على العراق وفلسطين ، وانتداب فرنسا على سوريا ولبنان . وكانت الولايات المتحدة من ناحيتها تتهم بريطانيا بأنها تحاول السيطرة على بترول العراق ، وطالبت الولايات المتحدة بأن تشترك معها على أساس المساواة ببناء على مبدأ [الباب المفتوح] وانتهى الخلاف بدخول شركة ستاندارد أويل الامريكية في بترول العراق وغيرها من المناطق [١٠] .

ولم تكن هذه سوى البداية ومنذ ذلك التاريخ أخذت الولايات المتحدة ترمي بثقلها في منطقة الشرق الاوسط ، وفي وقت أخذ يشتد الطلب فيه على البترول كمصدر جديد للطاقة في العالم . وقد اضطرت بريطانيا فيما بعد الى تقديم تنازلات وامتيازات الاستغلال الخاصة للولايات المتحدة من أجل وقف المنافسة بينهما ، وفي مقابل تأييد الولايات المتحدة للسياسة الاستعمارية البريطانية في الخليج العربي ، كما استطاعت الولايات المتحدة أن تحصل في ذلك الوقت على امتياز استغلال البترول في السعودية . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وتراجع بريطانيا عن زعامة الاستعمار العالمي وحلول الولايات المتحدة محلها ، وخروج بريطانيا من الحرب مديونة للولايات المتحدة ، تم توقيع اتفاقية أخرى للبترول في نهاية عام ١٩٤٥ بين بريطانيا والولايات المتحدة وتعديل انصبة البترول لصالح الاحتكارات الامريكية .

وتجمع تقارير خبراء البترول العالميين على أن منطقة الخليج تقوم فوق بحيرة من البترول ،

[رأس الخيمة ، والشارقة ، وعجمان ، وأم القيوين ، ودبي ، وأبو ظبي ، والفجيرة] وفرض الهدنة على شيوخها وتوقيع معاهدات منفردة مع كل منهم ، وأصبحت محميات بريطانية . وفي سنة ١٨٩٨ وقعت بريطانيا معاهدة دفاعية مع حاكم مسقط ، وتضمنت عدم منح امتياز الفحم لغير بريطانيا ، وفي سنة ١٩٠٥ حصلت شركة بريطانية على امتياز صيد الاسفنج ، وفي سنة ١٩٢٣ حصلت بريطانيا على امتياز استغلال البترول [٧] . وفي عام ١٨٣٩ قامت بريطانيا باحتلال ميناء عدن عند مدخل البحر الاحمر والمحيط الهندي ، وذلك ضمن استراتيجية السيطرة على الموانئ والممرات البحرية واستخدامها كقاعدة عسكرية لتأمين تجارتها مع امارات الخليج وشرق افريقيا وسائر البلدان الواقعة على البحر الاحمر [٨] .

وفي عام ١٨٩٩ وقعت معاهدة بين المقيم السياسي البريطاني في ايران وبين حاكم الكويت يتعهد بموجبها حاكم الكويت بعدم استقبال أي وكيل أو ممثل لأي حكومة في منطقته أو التنازل أو البيع أو التاجير أو الرهن أو اعطاء أي امتيازات لأي حكومة أخرى بدون موافقة الحكومة البريطانية . وفي عام ١٨٨٨ وقعت بريطانيا معاهدة مماثلة لمعاهدة الكويت مع شيخ البحرين وفي عام ١٩١٦ وقعت بريطانيا معاهدة مماثلة أخرى مع قطر [٩] . وأصبحت جميع امارات الخليج بموجب هذه المعاهدات والاتفاقيات الجائرة محميات بريطانية ، وتضمن لبريطانيا حق الاشراف عليها وتصريف شئونها واحتكار ونهب ثرواتها الاقتصادية وسوقا لتصريف منتجاتها . وقد ظلت المنطقة حتى الى ما بعد الحرب العالمية الثانية تابعة من الناحية الادارية لمكتب الحاكم العام البريطاني في الهند .

وقد أخذت أهمية الخليج السياسية والاقتصادية والعسكرية تتزايد بعد افتتاح قناة السويس ثم ظهور البترول في الشرق الاوسط في ايران والعراق والكويت في مطلع القرن الحالي ، فشهدت المنطقة صراحا حادا في مجال المنافسة على البترول بين الاحتكارات الامبريالية الامريكية والبريطانية والفرنسية ، وخاصة

[٧] مطبوعات الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل .

[٨] صحيفة « ١٤ أكتوبر » العدد ١٩٧١/١٩٧١ .

[٩] مطبوعات الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل .

[١٠] البترول والاستعمار في الشرق تاليف د. م. بروكس ، ترجمة د. محمود الشفيطي ، الناشر : مكتبة الشريعة الحديثة ص ٩٨ ، ١٩٧٣ .

وانها تعتبر المستودع الرئيسي لاستخراج البترول في العالم الرأسمالي ، ويتركز فيها ما يزيد عن ٦٣٪ من احتياطي البترول في العالم كله ، وان احتياطي البترول في الخليج ليس من المنتظر أن ينفذ قبل ٧٠ أو مائة سنة أخرى ، في حين أن معدل البترول المستخرج حاليا في الولايات المتحدة سيبدأ في الهبوط بعد ١٢ أو ١٥ سنة القادمة على الأكثر حسب تقدير الخبراء الأمريكيين

ويقدر حجم المصالح البترولية الأمريكية في منطقة الخليج [حسب كمية البترول المنتج فعلا] حاليا كالآتي :

١٠٠٪ من بترول السعودية	—
٤٠٪ من بترول إيران	—
٢٣٧٥٪ من بترول العراق	—
١٠٠٪ من بترول البحرين	—
٥٠٪ من بترول الكويت	—
٢٨٪ من بترول المنطقة المحيطة [بين الكويت والسعودية]	—
٥٠٪ من بترول دبي .	—
٢٣٧٥٪ من بترول أبو ظبي [المناطق البرية والمياه الإقليمية]	—
١٣٪ من بترول قطر .	—

وتبلغ حجم المصالح البترولية البريطانية في الخليج كالآتي :

٢٣٧٥٪ من بترول العراق .	—
٤٠٪ من بترول إيران .	—
٥٠٪ من بترول الكويت .	—
٣٣٪ من بترول قطر .	—
٦٦ ١/٢٪ من بترول أبو ظبي [المناطق البحرية المغيرة] .	—
٨٥٪ من بترول مسقط وعمان .	—

ويوجد بالمنطقة مصالح بترولية أخرى تختلف من حيث الحجم حسب ترتيب البلدان التالية : وهي فرنسا وهولندا وإيطاليا واليابان والمانيا الغربية .

والجدير بالذكر أن مدة عقد الامتياز لاستغلال البترول في السعودية تمتد إلى سنة ١٩٩٩ ، وفي الكويت والعراق إلى عام ٢٠٠٠ ، ويشكل عام ٢٠٠٠ معظم امتيازات الشركات تمتد إلى ما بعد سنة ٢٠٠٠ .

وفي خلال السنوات العشر الماضية كان أكثر من ٩٠٪ من البترول المستخرج من المنطقة يخضع لسيطرة الاخطبوط العالي المتمثل في الشركات الثمانية الامبريالية وهي : « شركة ستاندارداويل أوف نيوجرسي » الأمريكية و « شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا » الأمريكية . و « شركة تكساس أويل » الأمريكية . و « شركة سوكوني موبيل أويل » الأمريكية . و « شركة جولف أويل كوربوريشن » الأمريكية . و « شركة بريتش بترولسيوم » البريطانية . و « شركة أويل دوتش شل » البريطانية - الهولندية . و « شركة البترول الفرنسية » .

ووفقا للبيانات الرسمية لوزارة التجارة الأمريكية ، فإن حجم الاستثمارات الأمريكية في بترول الخليج عام ١٩٦٨ بلغ ١٦٥٤ مليون دولار في حين بلغ صافي الأرباح من عوائد البترول في نفس العام ١٠٧٩ مليون دولار . وان الشركات البريطانية قد حققت أرباحا في نفس العام تقدر بحوالي ٣٠٠ جنيه استرليني .

وقد ارتفعت قيمة أسهم شركات البترول الأمريكية في عام ١٩٦٨ بمعدل ١٦ دولارا للسهم الواحد ، أي بنسبة ٢٦٪ بينما لم تحقق أسهم الشركات الصناعية الأخرى عموما ارتفاعا أكثر من ٣٪ فقط [١١] .

وقد ذكر « جيمس إي . كنز » رئيس مكتب الوقود والطاقة في وزارة الخارجية الأمريكية في حديث له أمام إحدى لجان مجلس النواب الأمريكي « أن احتياطي البترول في السعودية حسب تقديرات وزارة الخارجية الأمريكية [٣٠٠ بليون برميل] ، وفي العراق [٧٥ بليون برميل] ، وفي إيران [٦٠ بليون برميل] ، وفي الولايات المتحدة بما فيه احتياطي الاسكا [٤٠ بليون برميل] . وان الاكتشافات الحديثة من كميات النفط في الاسكا . وبحر الشمال لا تجعلنا نستعاض بهذه المناطق عن نفط الخليج ، ولن نستطيع اجابة الزيادة في طلب النفط في البلاد الخارجة عن مدار المعسكر الاشتراكي ، وسنظل نعتمد على نفط الشرق الأوسط وخصوصا البلاد العربية لمدة طويلة . وأوضح كنز أن تكلفة انتاج برميل النفط في الشرق الأوسط بعشرة سنتات ، وفي الولايات المتحدة بـ ٢٥٠ سنتا [١٢] .

[١١] مجلة « بتروليمبريس سيرفيس » البريطانية • يناير ١٩٦٩ .

[١٢] مجلة « أويل اند جازورنال » الأمريكية ١٩٧١/٨/٢ . نقل عن « نفط العرب » عدد سبتمبر ١٩٧١ .

جزيرة أبو موسى

تقع الجزيرة اماره الشارقة ، وتبلغ طولها حوالي ٥ أميال وعرضها ٣ أميال وهي محاطة ببياه عميقة نسبيا وتصلح لرسو السفن - وعدد سكانها حوالي ٨٠٠ نسمة معظمهم من العرب - وأراضيها صالحة للزراعة ، وتكثر فيها النابغ العذبة ، ويعيش سكانها على الزراعة وخاصة النخيل وتربية الماشية ، ويوجد بها مناجم أكسيد الحديد الأحمر ، ويستخدم في صناعة الأصبغة والطلاء غير القابل للصدأ وتحترق استغلاله « شركة ألوان الوادي الذهبي » البريطانية منذ أكثر من ٨٠ عاما ، كما تشير الأبحاث الى احتمال وجود البترول ، حيث تتولى إحدى الشركات الأمريكية البحث عن البترول في أراضي الجزيرة ومياهها الإقليمية .

جزيرتا طنب الكبرى والصغرى

تقع الجزيرتان اماره رأس الخيمة ، وأراضيها صغرى ، ويبلغ عدد سكان طنب الكبرى نحو ٢٠٠ نسمة ويستغلون بصيد الأسماك ، أما طنب الصغرى فهي قاحلة لا يسكنها أحد ، وتلجأ إليها سفن صيد اللؤلؤ والفواصون طلبا للراحة أثناء موسم الصيد .

وتبلغ نفقات الاجور في حقول البترول في منطقة الخليج أقل بكثير عن مثيلاتها في العالم كله ، إذ أن أجر العامل العربي يقل ١٤ مرة عن العامل الأمريكي .

والمعروف أن الولايات المتحدة لا تستفيد من بترول الخليج ، أو النفط العربي عموما في احتياجاتها الخاصة بخلاف تمويل أساطيلها الحربية مثل الاسطول السابع في المحيط الهندي والاسطول السادس في البحر الابيض المتوسط وان معظم البترول العربي ليس له حاجة الطلبات العالمية على البترول [خارج المعسكر الاشتراكي] وتجنن من ورائه الارباح الخيالية .

ان الاستغلال الذي تمارسه الاحتكارات الأمريكية والبريطانية في الامارات العربية ومعظم مناطق الخليج ، لا يقتصر على البترول وحده ، فان البنوك والشركات البريطانية والأمريكية تهيمن على كافة مقدرات الامارات بالخليج وتسيطر على المجالات المالية والاقتصادية سواء التجارة والنقل البحري والطيران والمواصلات والبريد والتلغراف والتليفون ، والاعمال المصرفية ، والانشاءات والصيانة ، كما تعد المنطقة سوقا هاما لتصريف السلع والمنتجات البريطانية والأمريكية .

استراتيجية شرقى السويس

اقتراع أمريكي

ان النهوض الجديد لحركة التحرر الوطنى في قارات آسيا وأفريقيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وظهور المعسكر الاشتراكي ، وحصول كثير من الدول على الاستقلال ، قد ساهم بدرجة كبيرة في بلورة الوعى القومى المعادى للاستعمار والرجعية في الخليج ، كما أن غزو الافكار التقدمية والاشتراكية لعقول المثقفين والعمال ، زاد من احساس شعوب المنطقة بمدى الاستغلال والتخلف الاجتماعى . وقد انعكست هذه التطورات العالمية على الحركات الوطنية التى شهدتها المنطقة خلال هذه الفترة ومن الاصطدام العنيف بالوجود الاستعماري البريطاني والأمريكي والذي شمل منطقة الخليج والجزيرة العربية ، مثل الانتفاضات العمالية والشعبية في البحرين عام ١٩٥٦ و ١٩٦٥ ، وفي عمان عام ١٩٥٧ ، وفي عدن عام ١٩٥٦ ، وفي السعودية عام

١٩٥٦ ، وفي الكويت عام ١٩٥٩ و ١٩٦١ ، وفي قطر عام ١٩٦٣ ، وقيام الثورة في اليمن الشمالي عام ١٩٦٢ ، واندلاع الثورة المسلحة في اليمن الجنوبي عام ١٩٦٣ .

وكانت ثمة اسباب قوية تدفع القوى الامبريالية والرجعية الى القزع ، حيث ادركوا أن الاراضى التى عاشوا فوقها عشرات السنين يستنزفون ثرواتها وعرق أبنائها ، أخذت تهيد من تحتهم ايدانا بزوال عهد السيطرة والنهب الاستعماري الطويل . وقد تجلت هذه الحقيقة فيما تفتقت عنه عقلية خبراء الاحتكارات والمخابرات الأمريكية فيما اصطلح على تسميته بـ « استراتيجية شرقى السويس » وكان ذلك في عهد الرئيس الأمريكى جون كيندى وحكومة المحافظين في بريطانيا . والمقصود بـ شرقى السويس هو : شرق افريقيا والجزيرة العربية وجنوب آسيا ،

التائهة فى المحيط الهندى التى تستعمرها بريطانيا وتقع فى منتصف الطريق بين كينيا على الشاطئ الشرقى لافريقيا وبين سنغافورة فى جنوب آسيا ، وهى جزر شاجوس وفاركوارد وديروش والادبرا وديجو جارسيا ، وهذه الجزر يجرى اعدادها فى الوقت الحالى لتكون قواعد انجليزية وأمريكية مشتركة ومراكز للمواصلات والتدريب على الطيران والصيانة والتكوين للاسطول البريطانية والاسطول السابع الأمريكى فى المحيط الهندى ، واعداد جزيرة ديوجوجارسيا لاقامة أحدث قاعدة للطائرات والغواصات الذرية ، ومحطة لاسلكية وأجهزة رادار ، وذلك بهدف تعزيز الحزام العسكرى الذى يمتد من القواعد الأمريكية فى الحبشة داخل البحر الأحمر شرق القارة الإفريقية ويحيط بالجزيرة العربية وجنوب القارة الآسيوية حتى القواعد البريطانية فى هونج كونج فى الشرق الأقصى . وأيضاً العمل على ربط شرقى السويس بالاستراتيجية العامة لحلف الأطلسى [الحلف الأم] وبقيّة الأحلاف العسكرية الأخرى لمحاصرة البلدان الاشتراكية وحركات التحرير الوطنية فى العالم .

الازمة الاقتصادية فى بريطانيا

لقد ارتبط مولد استراتيجية شرقى السويس بتفاهم الازمة الاقتصادية فى بريطانيا ، والتى تمثلت فى التدهور المستمر فى قيمة الجنيه الاسترلى فى أسواق النقد العالمية ، والعجز فى ميزان المدفوعات ، وذلك نتيجة تفتت الإمبراطورية البريطانية القديمة ، وازدياد قوة النظام الاشتراكى العالى ، ووجود السوق الاشتراكى ، وحصول عدد كبير من المستعمرات السابقة على الاستقلال ، وكذلك العزلة التى أرغمت عليها بريطانيا ، وحيل بينها وبين الانضمام الى مجموعة السوق الأوروبية المشتركة .

وكان على حكومة العمال الجديدة أن تبحث عن حلول للمشاكل والازمات الداخلية التى أخذت تلاحقهم ، ومعالجة أمراض شيخوخة النظام الرأسمالى الاستعمارى . وقد اضطرت قبل مضى شهر واحد على استلام الحكم أن تمد يدها لاستجداء أكبر قرض دولى حتى الآن وقدره [٣٠٠٠ مليون دولار] لانقاذ الجنيه الاسترلى . وكان الاتجاه العام داخل حزب العمال يرى أن الوسيلة الوحيدة أمام حكومة ويلسون للخروج من الازمة هو : التخفيف قدر المستطاع من تركة وأمتعة الإمبراطورية القديمة ، وتخفيض النفقات العسكرية فى الخارج التى ترهق الاقتصاد البريطانى ، وأن مصلحة بريطانيا

وتوحيد السياسة الاستعمارية الانجلو - أمريكية فى هذه المناطق ، والتعاون بين الدولتين فى نفقات الدفاع ، وذلك بهدف تطويق وتهديد الاتحاد السوفيتى ، ومحاصرة وتحطيم حركات التحرير الوطنية فى آسيا وأفريقيا بما فى ذلك الخليج العربى . . غير أن ذهاب المحافظين على أثر الانتخابات العامة فى بريطانيا وحلول العمال محلهم فى الحكم فى أكتوبر عام ١٩٦٤ قد عرقل المضى فى دراسة المشروع واستكمال عناصره .

ولم ترغب حكومة العمال المشروع من حيث المبدأ ، وإن كانت قد أبدت تحفظاً فيما يتعلق بالوجود البريطانى شرقى السويس ، شرط أن تتحمل الولايات المتحدة العبء الأكبر من النفقات الدفاعية ، وعلى هذا الأساس تكونت لجنة مشتركة تمثل الجانبين لوضع التفاصيل النهائية للمشروع ، وقد استمرت اللجنة فى عملها لمدة عام ونصف تقريباً ، وانتهت من وضع الأساس العامة النهائية لاستراتيجية شرقى السويس ، وذلك على النحو التالى :

● تخفيض نفقات الدفاع البريطانية بحوالى ١١٠٠ مليون دولار ، عن طريق تصفية وألغاء عدد من القواعد الكبيرة وتعديل البعض الآخر بما يتلاءم مع متطلبات التسليح الذرى الحديث .

● فرض الحصار حول الصين الشعبية والحيلولة دون انتشار نفوذها فى المناطق المجاورة . وتصفية حركات التحرير الوطنية من الداخل عن طريق الانقلابات والاضطرابات الداخلية بالاستناد الى قوى الثورة المضادة فى الداخل ، من أجل المحافظة على المصالح الاستعمارية وفى مقدمتها البترول . وتقوية الانظمة الرجعية التى تعيش أيامها الأخيرة ، وحثها على إجراء إصلاحات داخلية لكى تطيل من أجلها ، وتقوية العلاقات فيما بين الانظمة الرجعية العربية وجذب بلدان أخرى إليها .

● الاعتماد على الجزر القليلة السكان القائمة فى البحار كخط دفاع أول ، بقصد الابتعاد عن القواعد الأرضية الثابتة وسط الكثافة السكانية مما يجعلها محاطة بالعداء من كل جانب ، وتكون فى وضع يسمح لها بمراقبة الحركات الثورية والتحرك السريع لضربها .

وقد تقرر التركيز على مجموعة الجزر العربية مثل جزيرة مصيرة وجزر كوريا موريا فى جنوب الجزيرة العربية ، وبعض الجزر الأخرى فى مدخل الخليج العربى . وكذلك مجموعة الجزر

قاعدة الجفير البحرية

تنص المعاهدة بين البحرين وأمريكا على تسليم قاعدة الجفير البحرية الى الاسطول الأمريكى . وحلول القوات الأمريكية محل القوات البريطانية ، كما تعطى المعاهدة تسهيلات للاسطول الأمريكى باستخدام القاعدة لمدة ٣٠ عاما . وقد أكدت صحف الكويت النبا معززا بالقرائن وقد زاد عدد خبراء القاعدة من ٣٠٠ خبير أثناء وجود الإنجليز الى ٦٦٠ خبيرا أمريكيا فى الوقت الحالى .

وقد وافقت عملية تسليم القاعدة حركة كبيرة لإنشاء البنوك الأمريكية . ويشاهد عشرات الأمريكين وهم يتجولون يوميا فى شوارع وأسواق البحرين .

شرقى السويس ، كشفت الولايات المتحدة عن أطماعها فى الخليج بصراحة وذلك فيما أعلنه « يوجين روستو » مستشار البيت الأبيض فى مؤتمر صحفى بتاريخ ١٩٦٨/١/٢٠ عن « دعوة الولايات المتحدة دول الخليج العربى والشرق الاقصى لإنشاء حلف عسكري لملء الفراغ الذى سينشأ عن انسحاب بريطانيا .. وفيها يتعلق بالخليج فهناك دول قوية ونشطة تبدي اهتماما بأن تتحمل مسئولية الأمن الاقليمى مثل ايران وتركيا وباكستان والسعودية والكويت ، وأنها سوف تكون النواة التى تقوم من حولها تنظيمات أمن اقليمية ، وأن الاجراءات التى تتخذ من أجل عقد اتفاق للأمن تتم بالتعاون بين الولايات المتحدة وبريطانيا وبعض دول أخرى فى هذه المناطق » [١٣]

وقد أثار تصريح روستو وقتئذ ردود فعل شديدة فى أوساط الجماهير العربية من المحيط الى الخليج ، بسبب استمرار المؤامرات الأمريكية الصهيونية المشتركة ضد الشعوب العربية — مما أعاد الى الأذهان مشروع أيزنهاور فى مطلع سنة ١٩٥٧ لملء الفراغ فى الشرق الاوسط ، وكذلك مشروع الحلف الإسلامى المشبوه فى عام

الاساسية تكمن فى أوروبا ، وأنه لم يعد هناك ما يبرز تحملا نفقات نحو ٥٥ الفا من العسكريين فى آسيا ، خاصة بعد زوال الخطر الكبير الذى كان يمثله الرئيس الاندونيسى السابق سوكارنو فى سياسة المواجهة العسكرية ضد ماليزيا .

غير أن تلاحق الازمات الاقتصادية فى بريطانيا جعل الولايات المتحدة تسارع فى ١٩٦٦/٩/١٣ بتقديم قرض كبير الى حليفتها قيمة ٦٠٠ مليون دولار فى محاولة أخرى لإنقاذ الجنيه الاسترلى . ولكن تصاعد ازمات الامبريالية البريطانية نتيجة اغلاق قناة السويس ، وهزيمتها العسكرية على أيدي الثوار فى الجنوب اليمنى ، وفشلها فى تحطيم الثورة المسلحة فى إقليم ظفار ، كانت أكبر من أن تفيد معها المقويات وحقق القروض الأمريكية فى بعث القوة والنشاط فى الكيان الاقتصادى البريطانى المريض ، فقد جاءت القروض الأمريكية أقل من التى وعدت بها حليفتها من قبل ، وذلك بسبب ما يعانى اقتصادها من الأخرى من أخطار التضخم نتيجة تماديها فى الحرب الفيتنامية وتقلص رصيدها من الذهب ، وقد اضطرت بريطانيا فى ١٩٦٧/١/٢٥ الى خفض سعر الفائدة على الجنيه الاسترلى من ٧٪ الى ٦.٥٪ ، ثم الى خفض قيمة الجنيه الاسترلى فى ١٩٦٧/١١/١٨ بنسبة ١٤.٣٪ بالنسبة للدولار الأمريكى ، وكذلك تخفيض نفقات الدفاع بما يزيد عن ١٠٠ مليون جنيه فى العام ، كما حصلت على قرض كبير من منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية الأوروبية قيمته ١٤٠٠ مليون دولار لمواجهة أزماتها المالية والاقتصادية .

ووسط هذه الظروف أعلنت حكومة هارولد ويلسون العمالية رسميا بتاريخ ١٩٦٨/١/١٦ برنامجا يقضى باعادة تقييم دور بريطانيا فى العالم ، على ضوء تعهداتها المالية ، واعتزامها سحب القوات العسكرية البريطانية من شرقى السويس ومن الخليج العربى ، والتأكيد فى نفس الوقت على الاحتفاظ بقوات عسكرية فى المناطق الاستراتيجية .

أمريكا تحاول ملء الفراغ

وبعد أيام من اعلان انسحاب بريطانيا من

١٩٦٥ لاستقطاب القوى الرجعية في المنطقة لمواجهة حركات التحرر الوطنية والقوى الاشتراكية في الشرق الاوسط ، الا ان المقاومة العنيفة التي ووجه بها الحلف الاسلامي من جانب الجماهير العربية ، وتصدى الزعيم الراحل جمال عبدالناصر لفضح ابعاد هذا المخطط الرجعي الاستعماري الذي يتستر بالدين أدت في النهاية الى تراجع اصحابه في انتظار فرصة أخرى - وكانت أن سارعت كل من باكستان والكويت وتركيا والسمودية باستثناء ايران ، الى الاعلان عن عدم اعترافها بالاشتراك في هذا الحلف العسكري المقترح .

وتكشف هذه الخملوة الامريكية في الواقع عن الصراع بين الاحتكارات الامريكية والبريطانية في مناطق معينة من الخليج ، وهو شيء لا يدعو الى الغرابة ، بل هو امر طبيعي داخل النظام الرأسمالي ، الا ان هذا الخلاف الثانوي والتنافس في المصالح الاقتصادية يقابله من الجانب الآخر اتفاق تام في الهدف الرئيسي الا وهو المحافظة بكل الوسائل على استمرار نهب بترول الخليج . وهو ما اوضحه الرئيس الامريكي جونسون عقب اجتماعه بهارولد ويلسون رئيس الحكومة البريطانية في واشنطن بتاريخ ١٠/٢/١٩٦٨ بقوله : ان الولايات المتحدة وبريطانيا لا يزالان وثيقي الصلة ببعضهما رغم الخلافات العائلية [١٤] .

الاستعمار الجديد ..

الرحيل من اجل البقاء

وحين اعلنت حكومة ويلسون العنالية عزيمتها على سحب القوات البريطانية المربطة شرقي السويس ، لم تكن تعنى في الواقع الانسحاب التام من استراتيجيات شرقي السويس ونفص يدها منها نهائيا كما تصور البعض ، فقد كانت حكومة العمال تبني حساباتها ، وتخطط لما يجب القيام به في اطار استراتيجية الدفاع عن المصالح الاستعمارية ، وذلك في حدود موارد الفعلية والاستفادة من تطور تكتيك الحرب الحديثة الذي أدى الى خفض المسافات . وعلى هذا الاساس فقد تقرر تصفية بعض القواعد الكبيرة في الشرق الاقصى والخليج العربي واستبدالها بفرق طوارئ

تتكون من قوات بحرية وجوية متحركة ، وفي نفس الوقت الاحتفاظ ببعض القواعد في المناطق الاستراتيجية مثل قاعدة تنج الجوية والبحرية وقاعدة بقرورث الجوية في سنغافورة ، وقاعدة سلتار الجوية وقاعدة شانجى الجوية ، وقاعدة جان الجوية والبحرية في جزر المالديف ، وشبكة الرادار في جزيرة بينانج في ماليزيا ، وهذه القواعد ضرورية كمراكز للتدريب على الطيران والنقل والصيانة للأسطول في الشرق الاقصى ، على ان يعهد بالإشراف عليها وادارتها لعشرات من الخبراء والعسكريين لتكون في حالة استعداد لاستخدامها في أى وقت . . كما تقرر كذلك ان يكون لبريطانيا وجود عسكري من نوع معين بعد عام ١٩٧١ عن طريق اشتراك بريطانيا في ادارة مدرسة التدريب على حرب الغابات التابعة للكونولث في جوهور في سنغافورة بحيث يرسل اليها سنويا ٣٠٠٠ جندي بريطاني للتدريب ، ومركز التدريب على حرب الغابات في سونجى بالاني في شمال ماليزيا ، وكذلك زيادة الوجود العسكري والبحري البريطاني في هونج كونج [١٥] .

وهذا التعديل والتغيير الشكلي كما يتبين فرضته الظروف والاضغاع العالمية الجديدة وتغير ميزان القوى العالمى لصالح النظام الاشتراكي ، واشتداد ساعد حركة التحرر الوطنى في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، واستبدال الوجود العسكري البريطانى المباشر الذى يستفز المشاعر الوطنية ، وذلك عن طريق التويه والتخفى وراء صورة الاستعمار الجديد ، وضمان مواصلة استغلال الشعوب المستعمرة سابقا تحت شعار الاستقلال الصوري . . أما بالنسبة للخليج العربى فقد تقرر تجسيد صيغة الاستعمار الجديد على النحو التالى :

● قيادة المجتمع العربى في الخليج في الاتجاه الرأسمالى ، واعداد المنطقة لاستقبال رؤوس الاموال البريطانية والامريكية لاستغلال الموارد والثروات الطبيعية بطريقة منظمة ، والاستعانة بالفئات البورجوازية المحلية لتلعب دور الشريك الاصغر لرأس المال البريطانى والاجنبى ، واستخدامها كواجهات وطنية لعمليات الاستغلال الاستعماري ونهب موارد المنطقة وجهود ابنائها .

[١٤] اعضاء على مايجرى في الخليج ، اعداد : سيف بن على . مارس ١٩٦٨ .

[١٥] الفايانسيال تايمز البريطانية ٢٦/٢/١٩٧٠ .

الاتفاقيات والمعاهدات

- ١٧٩٨ معاهدة الدفاع والهجوم بين مسقط وشركة الهند الشرقية .
- ١٨١١ معاهدة الصداقة والتجارة والملاحة بين بريطانيا ومسقط . [١]
- ١٨٢٤ المصك الذي أصدره سلطان مسقط بالنفازل من جزر كوربا موربا .
- ١٨٢٩ اتفاق تجاري وملاحة بين بريطانيا ومسقط .
- ١٨٤٥ اتفاقية الرقيق بين بريطانيا ومسقط .
- ١٨٩١ الاتفاق المتعلق بالنفازل من المناطق الذي أبرمه سلطان عمان في ٢٠ مارس ١٨٩١ .
- ١٩٠٢ تمهد سلطان عمان نجباء العميد السياسي البريطاني في مسقط فيما يتعلق بحوض البترول في صور .
- ١٩٢٢ الالتزام الخاص بالبترول الذي اتخذته على نفسه سلطان مسقط .
- ١٩٣٧ معاهدة التجارة والملاحة بين بريطانيا ومسقط .
- ١٩٥١ معاهدة صداقة وتجارة وملاحة بين بريطانيا ومسقط . [٢]
- ١٩٥٣ معاهدة صداقة وتجارة وملاحة بين بريطانيا ومسقط . [٣]
- ١٩٥٨ تبادل رسائل بين الملكة المتحدة وسلطان مسقط ، المتعلقة بقوى السلطان الجوية بالطيران المدني وبتوطيد القوى الجوية الانجليزية في عمان .
- ١٩٥٨ الاتفاق بشأن قاعدتي مصيرة وصلالة ومنحهما لبريطانيا لمدة ٩٩ سنة .

ويختص بوضع دستور الاتحاد ورسم سياسته العليا ويصدر القوانين الاتحادية ، وأن مهمة الاتحاد المحافظة على الأمن والاستقرار في المنطقة .

وبعد أن انتهت بريطانيا من هذه الترتيبات وعلان قيام اتحاد الامارات ، قرر مجلس العموم البريطاني في جلسته بتاريخ ١٩٦٨/٧/٢٦ الموافقة على مشروع انسحاب القوات البريطانية من شرقى السويس ، وكذلك الانسحاب من منطقة الخليج العربي ، وذلك في موعد أقصاه نهاية عام ١٩٧١ .

وهو ما أفصح عنه وقتئذ : « بأن الهدف تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية في الامارات لمواجهة النشاط التخريبي الذي تقوم به القوى الاشتراكية » [١٦] .

• تجميع الامارات الصغيرة في وحدة سياسية أكبر ، وتكوين منظمة الدفاع الاقليمي . وتكشف صحيفة **الصنداي تايمز** البريطانية النقاب عن تعاون الولايات المتحدة وبريطانيا بهذا الخصوص بقولها : « أن هناك الحاج مستمر من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا في اقناع امراء الخليج بأن يكونوا نظام أمنهم الخاص متحدين كي يعملوا لليوم الذي يجب على بريطانيا أن ترحل فيه ، وأن هناك علامات على أي حال تدل على أنهم أخذوا الفكرة بجدية أكثر » [١٧] .

• تكوين جيش اتحادي تكون نواته « فرقة كشافة ساحل عمان » ، بناء على الخطة التي وضعها « الجنرال سير جون ويلوبي » المستشار العسكري البريطاني لاتحاد الامارات ، ومركزها حاليا اماره الشارقة ، وهي تتكون من البلوش الذين ينتمون الى اصول ايرانية وباكستانية وغيرهم من المرتزقة ، وهذه القوة يبلغ عدد أفرادها الآن ١٧٠٠ جندي وتقوم بريطانيا بتسليحها والانفاق عليها ، ويمكن أن تتحرك بحرية في أي من امارات الساحل السبع ، وهي تعمل على تسوية منازعات الحدود وتنتهي عمليات القتال بين القبائل ، وتتأكد من صيانة وحسن سير استغلال آبار البترول ، وضباط هذه الفرقة يبلغ عددهم ٩٢ ضابطا وصف ضابط ، وهم جميعا من البريطانيين » [١٨] . ويتضح أن هدف بريطانيا من وراء ذلك هو تحصيل الامارات اعباء وتكاليف الدفاع عن المصالح الاستعمارية ، وتشجيع الامارات الفنية على تكوين قوات مسلحة خاصة بها ، مما يساعد بريطانيا على التخلص من أسلحتها القديمة وبيعها الى الامارات ، وقد باعت بريطانيا الى أبو ظبي في عام ١٩٦٩ أسلحة قيمتها ٥٠ مليون جنيه استرليني .

وفي ١٩٦٨/٢/٢٧ ، أعلن حكام امارات الخليج التسع تأسيس « الاتحاد الفيدرالي لامارات الخليج العربية » وقد تضمن الاتفاق على تشكيل مجلس أعلى من الحكام التسعة ،

- [١٦] « جلاسجو هيرالد » البريطانية ١٩٦٨/٥/٢٩ .
- [١٧] « الصنداي تايمز » البريطانية ١٩٦٨/١/١٤ .
- [١٨] الدبلي تلجراي البريطانية ١٩٧١/٢/١٢ .

استراتيجية شرقى السويس

بين حزبى المحافظين والعمال

ولكن حدث بعد ذلك ما لم يكن متوقعا ، اذ ان المحافظين الذين كانوا يمارضون استراتيجية شرقى السويس ، ويعتبرونها تصفية للبقية الباقية من الامبراطورية البريطانية القديمة ، انقلبوا فجأة الى مدافعين بشدة عن هذه الاستراتيجية .

ان النظرة الفاحصة الى الخطوات التى اقدمت عليها حكومة العمال سواء فى التخلص من القواعد العسكرية الكبيرة فى الشرق الاقصى والخليج ، او تجسيد صيغة الاستعمار الجديد فى الخليج ، لا تمثل فى الواقع خروجاً على استراتيجية شرقى السويس ، بل هى تتم فى نطاق الترتيبات اللازمة لتحقيق هذه الاستراتيجية ووضعها موضع التنفيذ العملى ، ذلك ان الانسحاب مع البقاء هو جوهر استراتيجية شرقى السويس . ولقد كان من الواضح ان الخلاف بين المحافظين وبين العمال لا يتعلق بجوهر استراتيجية شرقى السويس ، انما الخلاف كان على التفاصيل وكيفية توزيع الوحدات العسكرية المختلفة فى اطار المخطط العام للتحالف الغربى ، الامر الذى لا يتناسب مع الضجة الشديدة التى اثارها المحافظون فى ذلك الوقت . وهو ما يوضحه جيوفرى ريبون عضو البرلمان عن حزب المحافظين : « ان الاستراتيجية البحرية جزء اساسى فى الدفاع عن شواطئنا وحماية طرق تجارتنا ومصالحنا التجارية ، ولم يعد فى استطاعتنا ان نحرس البحار وحدها ولكننا نستطيع ويجب علينا ان نقوم بمساهمة كبيرة فى حلف الاطلنطى والعالم الحر من طريق القوة البحرية » ، ووفقا لذلك فان الحكومة المحافظة سوف تستفيد اقصى فائدة وتستند على اتفاقية سيمونستانون مع جنوب افريقيا والاحتفاظ بوجود بحرى بريطانى فى جنوب الاطلنطى والمحيط الهندى والشرق الاقصى وفى الخليج العربى [١٩] .

أما وجهة نظر المحافظين بشأن الخليج فيعرضها ادوارد هيث زعيم حزب المحافظين بنفسه فى مقال له بعنوان « العودة الى الخليج »

وذلك عقب جولته فى منطقة الخليج العربى فى شهر ابريل عام ١٩٦٩ ، يقول فيه : « ان فكرة انشاء دولة عصرية موحدة فكرة جديدة وغريبة على هؤلاء القوم ، وفى الوقت الحالى تقوم فرقة كشافة عمان الى حد كبير بالاشراف على الامن الداخلى ، وتتمتع هذه القوات بدرجة عالية من الكفاءة والتدريب . ان التزام بريطانيا بالانسحاب لن يكون معقولا وراذعا لمثيرى القلاقل الا اذا احتفظت بريطانيا بقوات متواضعة فى مكان ما من المنطقة ، كما يريد كل من شاه ايران والملك فيصل التاكيد من أن مثيرى الاضطرابات لن يقيموا لانفسهم قواعد فى الخليج بعد انسحاب بريطانيا ، وبعد محادثات الطويلة مع الشاه والملك فيصل ، اقتصعت بأن أية حكومة للمحافظين سوف تكون قادرة على التعاون بصورة مرضية مع هذه البلاد ، طالما اننا نشترك جميعا فى هدف واحد ، وهو المحافظة على الاستقرار » [٢٠] .

وفى ١٨/٦/١٩٧٠ ترك حزب العمال الحكم اثر سقوطه فى الانتخابات العامة فى بريطانيا وفوز حزب المحافظين . ومع حلول المحافظين فى الحكم أخذت تتضح حقيقة الخلاف بين المحافظين والعمال حول موضوع استراتيجية شرقى السويس ، بعد اتجاه المحافظين الى تبني خطة العمال مع ادخال بعض التعديلات البسيطة فى الشكل ، وذلك على عكس موقفهم السابق خارج الحكم من خطة العمال ، ذلك ان معارضة المحافظين لم تكن فى الواقع سوى تكتيك سياسى بارع المقصود به ، تمرير المشاريع الاستعمارية ، والضغط على الحكومات الرجعية والعميلة لقبول التعديلات التى تدخلها بريطانيا على سياستها فى الشرق الاقصى والخليج العربى واجبارهم على تحمل العبء الاكبر من نفقات الدفاع عن المصالح الاستعمارية البريطانية ، وكذلك الضغط على حكام الخليج العربى لتصفية الخلافات فيما بينهم والتعجيل ببناء اتحاد الامارات .

وقد أخذت الصحافة الاستعمارية فى بريطانيا تمهد لهذا التراجع من جانب المحافظين وتبرره مما أسمته « بالموقف الجديد » الذى ووجه به المحافظون بعد مجيئهم الى الحكم والتأييد الذى اكتسبه اعلان بريطانيا الجلاء عن الشرق الاقصى والخليج لدى الراى العام العربى والعالمى . « وانه من الصعب الان تعديل خطة الانسحاب »

[١٩] الديلى تلجراف البريطانية ١٩٧٠/٤/٢٣ .

[٢٠] الصنداي تايمز البريطانية ١٩٦٩/٤/٢٧ .

[٢١] الفينانشيال تايمز البريطانية ١٩٧٠/٦/٢٦ .

عدد السكان

البحرين	٢١٦.٠٠٠ نسمة
قطر	١٠٠.٠٠٠ نسمة
دبي	٦٠.٠٠٠ نسمة
أبو ظبي	٥٠.٠٠٠ نسمة
الشارقة	٣٠.٠٠٠ نسمة
رأس الخيمة	٢٠.٠٠٠ نسمة
الفجيرة	٩.٠٠٠ نسمة
عجمان	٤.٠٠٠ نسمة
أم القيوين	٤.٠٠٠ نسمة
المجموع	٤٨٣.٠٠٠ نسمة

البريطاني في ١٩٧١/٣/١ عن اعتراف بريطانيا إلغاء معاهدات الحماية السابقة مع إمارات الخليج التي تنص على مسئولية الدفاع عن إمارات الخليج التسع قبل نهاية عام ١٩٧١ - وتحفظ بريطانيا في الإمارات التسع بحوالي ٦ آلاف جندي - كما تمت الموافقة بين جميع حكومات الإمارات والحكومات المجاورة على المشروع البريطاني ذي النقاط الخمس ، ويتضمن عقد اتفاقية صداقة مع الإمارات ، وتنص على تقديم المعونات العسكرية لها والإبقاء على بعض القوات بها للقيام بمهام الاتصال والتدريب [٢٤] .

وقد عرضت مجلة «أخبار دبي» للمشروع البريطاني الذي تم الاتفاق عليه بشيء من التفصيل وذلك على النحو التالي :

١ - معاهدة صداقة تتضمن تعهدا بالتشاور المتبادل عند الحاجة .

٢ - بريطانيا مستعدة لتقديم الضباط والموظفين

بعد الدفعة التي اكتسبها منذ عام ١٩٦٨ ، وأن حزب المحافظين سيقبل في حقيقة الأمر سياسة العمال . ولكنه لن يرجع فيها » [٢١] .

وهذا التعديل أو الإضافة إلى المشروع الأصلي وفقا لاسلوب المحافظين : « أن تقام في جنوب شرقى آسيا قوة دفاعية تتألف من خمس دول [استراليا ، وماليزيا ، وسنغافورة ، ونيوزيلاندا] كما تشترك معها بريطانيا ، وبذل محاولة للتوصل إلى تفاهم أفضل مع القوى البيضاء في جنوب أفريقيا » [٢٢] .

وقد بادرت حكومة المحافظين بتعيين السير ويليام لوس الحاكم السابق لعدن كممثل شخصي لدوجلاس هيوم وزير الخارجية البريطانية ليبحث مع حكام الإمارات الإجراءات الخاصة بترتيب الأوضاع في منطقة الخليج قبل انسحاب بريطانيا في نهاية عام ١٩٧١ . وكانت النقطة الأساسية في مهمة ويليام لوس هي : « العمل على اقناع مشايخ الإمارات بأقامة الاتحاد السدين ظلوا يختلفون عليه طوال مايزيد على سنتين » [٢٣] .

تطور مشروع اتحاد الإمارات

وقد قام ويليام لوس بزيارات عديدة إلى المنطقة وأجرى مشاورات واسعة مع حكام الإمارات ، بهدف التوصل إلى صيغة مناسبة لاستمرار الوجود البريطانى في المنطقة بعد عام ١٩٧١ . ولقد أظهرت زيارات ويليام لوس حرص بريطانيا على تدعيم مصالحها الخاصة في الاسراع بقيام اتحاد الإمارات ، باعتباره البديل للوجود البريطانى في تحقيق أمن المنطقة .

كذلك اهتم الرئيس الأمريكى نيكسون بإرسال « أيرون » مبعوثه الخاص إلى منطقة الخليج في شهر يناير عام ١٩٧١ ، للدعوة إلى ملء الفراغ بعد انسحاب بريطانيا ، وتأييد الولايات المتحدة لكل من إيران والسعودية بالنسبة للدفاع عن الخليج ، باعتبارهما الدولتان القويتان في المنطقة ، كما أن الدولتين تعارضان استمرار الوجود البريطانى في المنطقة بعد عام ١٩٧١ .

وقد تمخضت محادثات ويليام لوس فيما أعلنته حكومة ادوارد هيث في مجلس العموم

[٢٢] الفينانشيال تايمز البريطانية ١٠/٧/١٩٧٠

[٢٣] الديلى تلجراف البريطانية ١٢/٢/١٩٧١ .

[٢٤] جريدة الاهرام ٢/٣/١٩٧١ .

على سبيل الاعارة لقوات الاتحاد وللمساعدة على تزويدها بالاسلحة .

٣ - يمكن لعناصر من القوات البريطانية بها فيها فرق تدريب أن توضع هناك على أساس مستمر اذا رغب الاتحاد في ذلك بغية القيام بدور ارتباط وتدريب .

٤ - مناورات تدريبية منتظمة تشترك فيها وحدات من الجيش وسلاح الطيران البريطانية .

٥ - زيارة منتظمة للمنطقة من قبل سفن الاسطول البريطاني [٢٥] .

ولقد كان من المقرر أن يتم تكوين دولة اتحاد الامارات العربية من الامارات التسع في الخليج ، حسب الاتفاق السابق في ١٩٦٨ . ولكن تجربة السنوات الثلاث الماضية أظهرت أن هناك عددا من المشاكل والخلافات بين الامارات ، وبعض هذه المشاكل والخلافات قديم قدم الاستعمار البريطاني في المنطقة نتيجة سياسة « فرق تسد » ، وبسبب المنازعات على بعض المناطق لعدم وجود تقسيمات ومعالم واضحة للحدود بين امارات الساحل ، وكذلك الخلاف بين الامارات وبين الدول الكبرى في المنطقة مثل الخلاف بين السعودية وأبو ظبي حول واحة البويريمي ، ومطالبة السعودية بطريق بري الى الخليج عبر أراضي أبو ظبي ، والخلاف بين البحرين وقطر على ملكية احدى الجزر الصغيرة ، وكذلك الخلاف بسبب ما تدعيه ايران من ملكية بعض الجزر العربية الواقعة بين امارتي رأس الخيمة والشارقة ، كما كانت تطالب من قبل بجزر البحرين .

وقد أخذت هذه الخلافات تظهر على السطح بعد أن بدأ البترول يتفجر في بعض امارات الساحل ونشوء امارات غنية وأخرى فقيرة ، مما زاد من مشاعر الحسد والريبة بين حكام الامارات أنفسهم ، ومن ناحية أخرى خووف أبو ظبي من أن تبتلعها السعودية ، وخووف حاكم الشارقة من فقدان مبلغ الـ ٤٠٠.٠٠٠ جنيه استرليني الذي تدفعه له بريطانيا قيمة ايجار للقاعدة الجوية البريطانية ، كما أن الامارات الصغيرة مثل الفجيرة وعجمان وأم القيوين ترى في الوجود البريطاني ضمانا لاستقلالها واستمرار الحصول على المعونات الاقتصادية والمالية من بريطانيا . ولكل هذه الاسباب والدوافع المختلفة

كان اصرار جميع الامارات على استمرار الوجود العسكري البريطاني في المنطقة ، الى درجة أن عرضت اماره أبو ظبي في اوائل عام ١٩٦٨ على بريطانيا مبلغ ٢٥ مليون جنيه قيمة نفقات الوجود العسكري البريطاني ، وذلك من أجل تشجيعها على البقاء .

ولقد انعكست كل هذه المشاكل والخلافات بشكل غير مباشر أو صريح داخل الاجتماعات التي عقدت بين حكام الامارات التسع لاستكمال مشروع الاتحاد ، وكانت وراء الخلافات بينهم حول منصب الرئيس ونائب الرئيس للاتحاد وتوزيع المقاعد الهامة في وزارة الاتحاد ، وحول مقر العاصمة الدائمة للاتحاد ، ونسبة مساهمة كل منهم في ميزانية الاتحاد ، وكذلك حول نسبة التمثيل في مجلس الاتحاد ، كما طالبت اماره البحرين بنسبة تمثيل أكبر داخل مجلس الاتحاد يتناسب مع حجم سكانها ويقدر بحوالي ٢٠٥ آلاف ، أي أكبر من تعداد الامارات الأخرى مجتمعة . ثم عادت البحرين وأعلنت بعد ذلك تخليها عن فكرة الاتحاد بعد أن حلت مشكلتها مع ايران وتخلي الأخيرة عن المطالبة بجزر البحرين في نظير حصولها على امتيازات اقتصادية وافتتاح فروع لبنك ملي الإيراني في البحرين . وأعلنت البحرين أنها تستعد لإعلان الاستقلال ، ثم تبعتها قطر في الخروج من الاتحاد ، وأن تحذو حذو البحرين في الاستعداد لإعلان الاستقلال ، واتباع طريق مستقل ، وتدعيم علاقات الامارتين بكل من السعودية وايران .

وقد أعلنت كل من البحرين وقطر استقلالهما في الفترة الأخيرة وحصولهما على عضوية الجامعة العربية وعضوية الأمم المتحدة ، كما حصلت سلطنة عمان كذلك على عضوية الجامعة العربية والأمم المتحدة . . وكانت أن اضطرت بريطانيا الى تركيز جهودها على امارات الساحل السبع الصغيرة لتكوين اتحاد مصغر ، وتم الاتفاق على أن تتولى اماره أبو ظبي وهي من أغنى امارات الساحل الاشراف على قيادة الاتحاد الجديد ، الأمر الذي لم تعارضه اماره دبي ، كما تؤيده الامارات الأخرى مثل الشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة التي تعتمد في حياتها الى حد كبير على المعونات المالية التي تقدمها لها أبو ظبي . هذا ولم يتخلف عن توقيع ميثاق الاتحاد في ٧/١٨ الماضي سوى اماره رأس الخيمة ،

القوات والاسطول البريطاني في عام ١٩٢٤ ، وقام حينئذ بحملة إبادة رهيبة ضد الأهالي ومذابح ضد زعماء القبائل الوطنيين ، وعمل على طمس المعالم العربية في الاقليم واحلال اللغة الفارسية في المدارس وفي التخاطب واستبدال أسماء البلاد والقرى والانهار بأسماء فارسية . ومنذ ذلك التاريخ لم تتوقف الثورات العربية في البلاد ، وتتولى اليوم « جبهة تحرير عربستان » التي تكونت في عام ١٩٥٦ قيادة الثورة المسلحة لتحرير البلاد من الاستعمار الإيراني .

ومنذ بدأ الاعداد لتنفيذ استراتيجية شرقى السويس عام ١٩٦٥ ، أخذت الولايات المتحدة تعد إيران العضو في الحلف المركزى [بغداد سابقا] لى تلعب دورا أساسيا في الخليج وقامت بتسليح إيران بأحدث أنواع الأسلحة ، حتى أن إيران تملك اليوم أكبر سلاح جوى وبحرى في المنطقة مزود بطائرات الفانتوم والمدمرات حاملات الصواريخ والفواصات ، وقد قامت إيران خلال السنوات الأخيرة بتوسيع وبناء القواعد الجوية والبحرية في بندر عباس ، وجاسك ، وبوشير المواجهة للأراضى العربية في الخليج .

وقد سعت إيران خلال السنوات الماضية الى مد نفوذها الى داخل الامارات العربية ، من طريق توسيع مصالحها الاقتصادية وفتح فروع لبنوكها مثل « بنك ملي إيران » و « بنك صادرات إيران » وشركات التأمين ، وتشجيع رأس المال الخاص على غزو المنطقة . وقد حصل رأس المال الإيراني خلال عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ على ٧٣٤ تصريحاً لاقامة منشآت صناعية تبلغ تكاليفها نحو ١٥٠٠ مليون دولار ، والعمل على غزو الاسواق بالبضائع الإيرانية .

وتقوم إيران بتسريب رجال مخابراتها الى كافة أجزاء المنطقة ليلعبوا أدواراً خطيرة بين المهاجرين الإيرانيين الى المنطقة بحثاً على العمل وخاصة بين الجاليات الإيرانية الكبيرة العدد في بعض الامارات لتجنيدهم للعمل لحساب المخابرات الإيرانية ، ويشغل بعضهم الآن مناصب كبيرة في أجهزة الامن والجيش والمصالح في عدد من الامارات .

ويقدر عدد الإيرانيين في الخليج العربى ، وامارات ساحل عمان ، وفقاً لاحصائيات عام ١٩٦٨ ، بحوالى ٩٠ ألفاً موزعين على الشكل الآتى : الكويت وبها حوالى ٣٥ ألف إيراني ، والبحرين ٢٠ ألفاً ، وقطر ٢٠ ألفاً ، وفي امارات ساحل عمان السبع بحوالى ١٥ ألف إيراني .

وتتضح الاسباب الحقيقية لهذا التواطؤ

بسبب مطالبتها بأن يكون لها حق الاعتراض [الفيتو] داخل مجلس الاتحاد اسوة بأبى ظبي ودبى - ثم عادت رأس الخيمة بعد قيام الاتحاد في ١٩٧١/١٢/٢ واعلنت عن رغبتها في الانضمام الى الاتحاد وتنازلها عن شروطها السابقة .

الرجعية الإيرانية والخليج

وكانت آخر حلقة في هذه الترتيبات الاستعمارية هو قيام ايزان في ٣٠ نوفمبر باحتلال جزيرتى طنب الكبرى وطنب الصغرى التابعتين لرأس الخيمة وجزيرة أبو موسى التابعة للشارقة في مدخل الخليج ، وتدمير منازل الاهالى العرب وطردهم من جزيرة طنب الكبرى بالقوة . وكان حاكم الشارقة قد وقع بناء على طلب وليم لوس المبعوث البريطانى في الخليج اتفاقية مع إيران تنازل بموجبها عن نصف أراضى جزيرة أبو موسى ، وذلك لاقامة قواعد وموانى عسكرية وتطبيق القوانين الإيرانية عليها ، وأيضاً اقتسام عائدات البترول المكتشف في الجزيرة والمياه الإقليمية .

وكشف هذا الحادث عن تلاعب بريطانيا بمصير الاراضى العربية التى كانت تحتلها . وقد أعاد هذا الحادث الى الازهان ذكرى تاريخ تسليم بريطانيا أراضى فلسطين العربية للصهيونيين ، وذلك قبل موعد انتهاء الانتداب وجلاء القوات البريطانية عن فلسطين في عام ١٩٤٨ ، بدلا من تسليم الاراضى الى أصحابها الفلسطينيين ، والتي كانت مقدمة لاحتلال اسرائيل لبقية أراضى فلسطين والاراضى العربية الأخرى فيما بعد .

ويثير موضوع الاحتلال الإيراني تاريخ وحقيقة الاطماع الإيرانية المتزايدة فى الاراضى العربية بالخليج ، والدور الذى تقوم به إيران فى خدمة المخططات الاستعمارية ، والذى لا يمكن مقارنته الا بالاطماع الاسرائيلية التوسعية فى الاراضى العربية ودورها هى الأخرى فى خدمة المخططات الاستعمارية .

ومن المعروف أنه فى الوقت الذى كانت بريطانيا تعد فيه لاغتصاب وتجزئة الاراضى العربية فى أعقاب الحرب العالمية الاولى والتمكين لاحتلال الصهيونية لفلسطين ، فانها قد قامت فى نفس الوقت بتمكين إيران من غزو واغتصاب اقليم عربستان الغنى بالبترول والثروات المعدنية والحاصلات الزراعية ، والذى يعد امتداداً طبيعياً للاراضى العراقية الجنوبية ويقطنه حوالى ٣ ملايين من القبائل العربية ، وذلك بمساعدة

مصوع ، وأسمره بالقرب من مضيق باب المندب للسيطرة على باب المندب وتهديد الأراضي العربية وتحول البحر الأحمر الى بحيرة اسرائيلية أمريكية .

وتكمن خطورة وأبعاد هذه المؤامرة في الاعتماد على اسرائيل لتدعيم استراتيجيتها شرقى السويس ومد السيطرة الاستعمارية من الأراضي الحبشية جنوب البحر الأحمر حتى اسرائيل ، وأنه عن طريق سيطرة اسرائيل على مدخل البحر الأحمر في الشمال وتواجدها في شرم الشيخ ومضائق تيران حتى باب المندب في الجنوب ، وكذلك وجود ايران وسيطرتها على الحدود الشرقية للوطن العربي ، تستطيع الولايات المتحدة وبريطانيا ان تضعها شبه الجزيرة العربية داخل كماشسة ومحاصرة حركة التحرر العربية واجهاضها وتهديد الأراضي العربية الواقعة في شرق القارة الافريقية حتى جمهورية مصر العربية .

ان كل الترتيبات التي قامت بها بريطانيا حتى الان في الخليج لا تخدم في الواقع سوى بريطانيا نفسها ، وتوفير الامن والاستقرار لمصالحها هي وحليفتها الولايات المتحدة ، ولكنه لن يوفر الاستقرار والامن لاستقلال الامارات العربية ، او يفتح الطريق امام التطور المستقل لشعوبها طالما بقي هناك ظل لعسكري بريطاني او أمريكي واحد في المنطقة . ومن الملاحظ كذلك ان بريطانيا ما زالت حتى الآن تتجنب الاشارة الى قواتها وقواعدها ، مثل قاعدة مسقط البحرية والجوية ، وقاعدة البويمى الجوية ، وفي رأس الجبد ، وصحار ، ونزوى ، وعبرى ، وفي جزيرة مصيرة وجزر كورينا موريا في مسقط وعمان ، والى قواتها التي تشن الهجمات ضد الثوار في اقليم ظفار من قواعدها العسكرية في صلالة عاصمة الاقليم ، وهو ما يتحدث عنه صحيفة الوبزرفر البريطانية فتقول : « ومن الناحية العملية لاتزال بريطانيا متورطة بصورة غير مباشرة في نشاط عسكري في الجزيرة العربية ، فالبريطانيون يقدمون الاسلحة والضباط والجنود للتدريب بل وقيادة القوات العربية المحلية في اتحاد الامارات وامامة مسقط وعمان . كما ان سلاح الجو الملكي البريطاني في جزيرة مصيرة يقدم تسهيلات بهذا الشأن . وأن وزير دفاع سلطان عمان بريطاني ، والضباط والموظفون السابقون البريطانيون يشكلون جزءا قويا من حاشيته . ومع ذلك لاتوجد بعد معاهدة دفاع رسمية بين

البريطاني الايراني المكشوف فيما ذكرته احدى الصحف الايطالية اليمينية بقولها : « ان التوقعات الخاصة بأن تسحب بريطانيا كل قواتها العاملة في المنطقة خلال العام الحالي ترتبط بأن بريطانيا تنظر الى القوات الايرانية الموجودة في الجزر العربية الثلاث على أنها بداية معركة ضد التيارات الثورية المتولدة في الخليج » [٢٦] وتؤكد هذه الحقيقة مرة اخرى احدى الصحف البريطانية بقولها : « ولهذا السبب كغيره من الاسباب فان بريطانيا وأمريكا يسعدهما أن تريا ايران والعربية السعودية توسعان في هدوء دوائر نفوذهما ويقتسمان الخليج ، وذلك بشرط ان تظل ايران والسعودية على ما هما عليه من استقرار ، وبشرط ان يظل اى نظام مقبل فيهما صديقا للغرب » (٢٧)

اسرائيل واستراتيجية

شرقى السويس

لقد أدت هذه التطورات الى خلق وضع متفجر في الخليج ، تمثل أخيرا في الغضبة الجماهيرية العنيفة التي شملت معظم الامارات العربية ، وتدمير فروع البنوك الايرانية في رأس الخيمة ، واطلاق المتظاهرين الرصاص على نائب حاكم الشارقة وهو شقيقه في نفس الوقت واصابته في صدره ، والذي كان في استقبال القوات الايرانية في جزيرة أبو موسى ، واصطدام المتظاهرين بقوات الامن في أبو ظبي ودبي وعجمان .

وفي الواقع أنه لا يمكن النظر الى الاحتلال الايراني للجزر العربية او مايجرى في الخليج عموما ، بعيدا عن المخطط الأمريكى الاسرائيلى الذى يجرى تنفيذه حاليا عند « باب المندب » للسيطرة على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر . وقد اوضحت زيارة **حاييم بارليف** رئيس اركان الجيش الاسرائيلى للحبشة في أغسطس الماضى أنها كانت بهدف استئجار وشراء بعض الجزر لإقامة قواعد اسرائيلية في الأراضي الاريترية الواقعة تحت النفوذ الحبشى ، كما كشفت هذه الزيارة عن وجود قواعد عسكرية لاسرائيل في جزيرتى « حالب ، وفاطمة » وتعمل هذه القواعد الاسرائيلية بالاشتراك مع القواعد الامريكية في

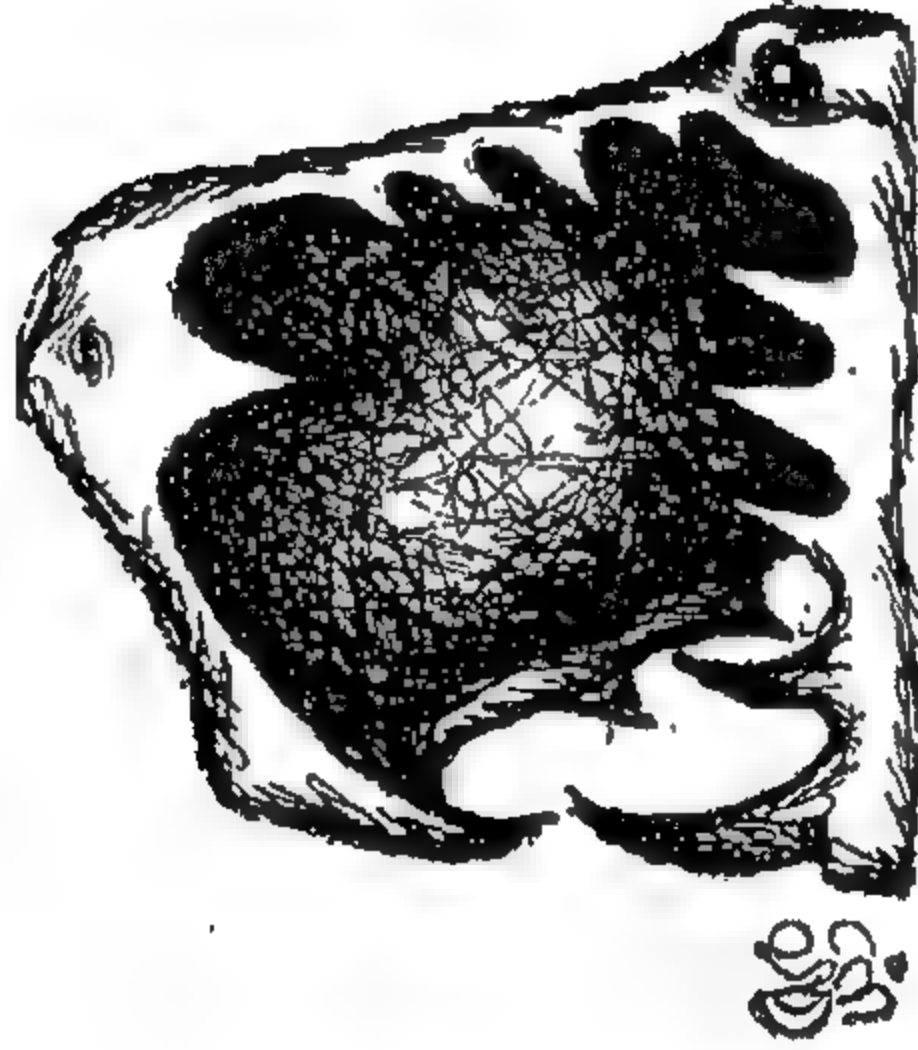
[٢٦] كوردير ديلاسييرا الايطالية ٢ / ١٢ / ١٩٧١ .
[٢٧] الدبلى تلجراف البريطانية ٢ / ١٢ / ١٩٧١ .

من السيطرة الاستعمارية ، ولقد أظهرت تجربة البلدان النامية التي سقطت في براثن الاستعمار الجديد ، أن تحقيق الاستقلال الاقتصادي هو الضمان الحقيقي لتعزيز الاستقلال السياسي وتدعيمه ، الأمر الذي لن يتحقق الا بتصفية كافة مظاهر الوجود الاستعماري واستعادة الاراضي العربية المغتصبة ووضع حد لعمليات النهب التي تمارسها الاحتكارات الامبريالية للثروات الوطنية .. باعتبار أن الثروات الوطنية هي السبيل للقضاء على أسباب التخلف الاقتصادي والاجتماعي .

بريطانيا وعمان ، وانما توجد معاهدة صداقة وتعاون يرجع تاريخها الى عام ١٩٥١ « [٢٨]

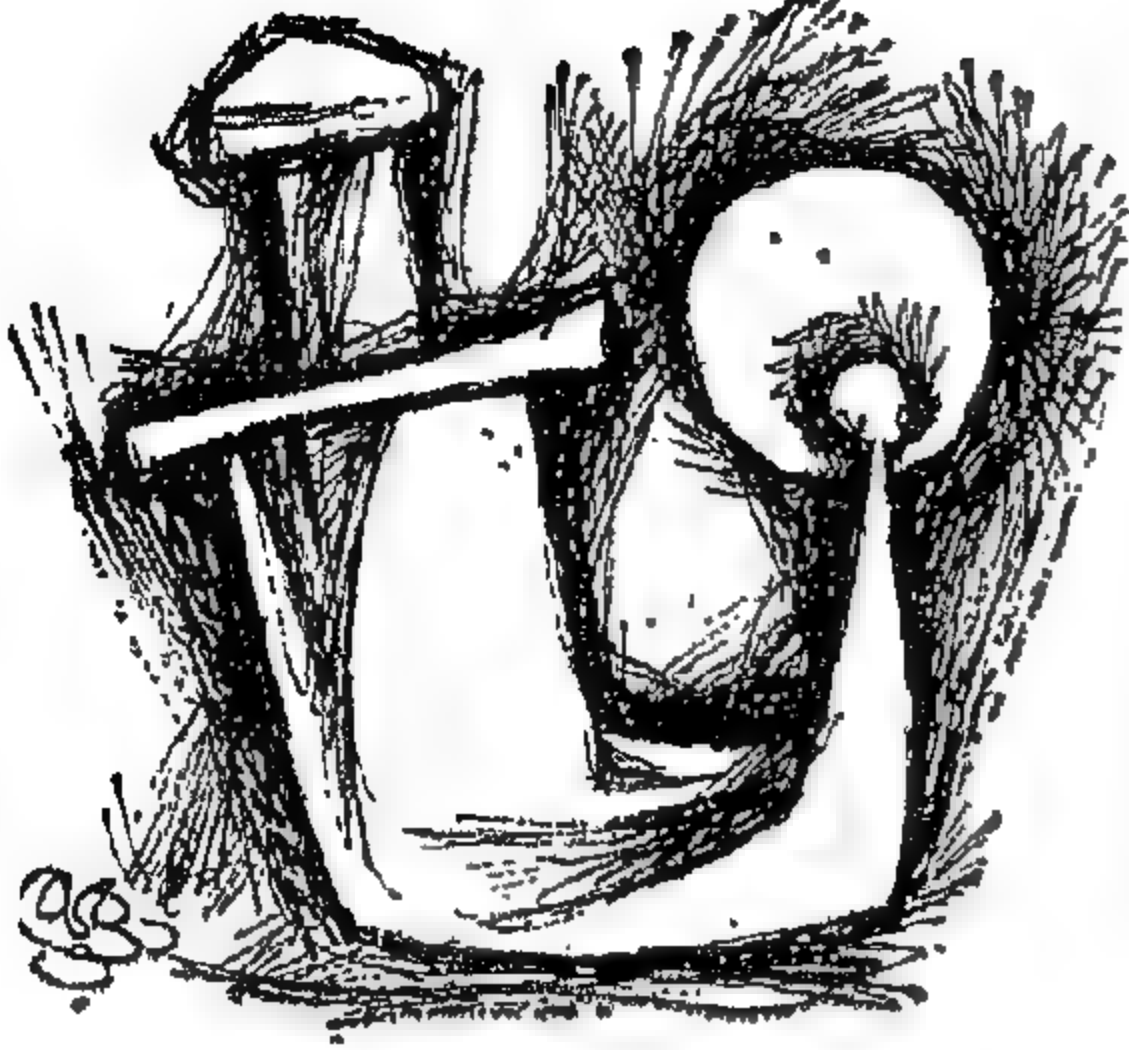
كذلك أعلنت وزارة الخارجية الامريكية ، أنه تم توقيع اتفاق مع حكومة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين - في ٢٣ ديسمبر الماضي - تقضى بالابقاء على قوة بحرية تتكون من طائفة بحرية ومدمرتين في إحدى الجزر التابعة للبحرين [٢٩]

ان حصول الامارات على الاستقلال السياسي، ليس سوى مرحلة أولى على طريق التحرر الكامل



[٢٨] الاوبرفر البريطانية ١٩٧٢/١/٩ .

[٢٩] . الاهرام ١٩٧٢/١/٧ .



الواقع الاجتماعي والنضال السياسي

أحمد الذواوي

والزراعة يمارسها الفلاحون - وهم أيضا من القبائل إلا أن العلاقات القبلية قد ضعفت على مر السنين - في الأراضي الخصبة المتواجدة في مناطق محدودة لا تتعدى الشريط الضيق المحصور بين الجبال والبحر على ساحل عمان وفي ساحل الباطنة وفي الجزء الشمالي من جزيرة البحرين وفي أجزاء من أمارتي رأس الخيمة والفجيرة .

ولا تشكل الأراضي المزروعة أو الصالحة للزراعة إلا نسبة ضئيلة من مساحة أراضي منطقة الخليج ، وهي ملك للأقطاعيين من الشيوخ وأتباعهم . وأهم المزروعات هي أشجار النخيل والخضروات والتبغ وبعض أنواع الفواكه .

أما البحر فإنه كان يمثل مركز النشاط الانتاجي . وقد كان هذا النشاط واسعا ومهما بقدر اتساع وأهمية منطقة الخليج . فموقع الخليج المركزي على أحد الطرق الرئيسية بين الشرق والغرب ، ووجوده كأحد الامتدادين العظيمين للمحيط الهندي ، حيث يشكل البحر الأحمر الامتداد الآخر ، جعل منه أهم طريقين يوصل بين

مجتمع الخليج العربي مجتمعا قبليا لفترات طويلة من التاريخ ، وكانت العلاقات القبلية هي التي تتحكم في علاقات الانتاج التي كانت تتركز في ثلاث نواحي : هي الرعي والزراعة والبحر .

والرعي والزراعة محدودان ولا يكاد انتاجهما يسد رمق السكان ، وتمارس الرعي قبائل البدو التي تعيش في الصحراء ، وتتنقل بين الواحات القليلة المتناثرة في تلك الصحاري القفراء ، مثل واحة « البريمي » في أبو ظبي ، وواحة « المسافي » في رأس الخيمة ، وواحة « الذيد » في الشارقة .

وتكاد هذه القبائل أن تعيش على هامش الحياة ، وبسبب وضعها الانتاجي ، الذي لا يساهم في حياة المجتمع إلا بالقدر الضئيل جدا ، فإنها لا تؤثر بشكل محسوس في تطور المجتمع . وتستغل السلطات الحاكمة كون هذه القبائل تعيش على هامش الحياة فتستخدم بعضها كأدوات قمع ضد الفئات الأخرى من السكان

نصفى العالم ويربط بينهما وينقل خيرات وتقدم كل منهما للآخر .

لقد كان حريز فارس وتوابل الهند ولؤلؤ البحرين يجذب أنظار التجار والغامرين باستمرار، وكانت القوة الشرائية التي يشكلها الشرق، من سواحل افريقيا الشرقية الى القارة الهندية وجزر الهند الشرقية والصين مروراً بجزيرة العرب والخليج . . مركز اهتمام تجار الغرب من برتغاليين وهولنديين وفرنسيين وانجليز . . الخ .

وكانت كل تجارة الشرق والملاحة، قبل الاحتلال البريطاني، تحت سيطرة عرب الخليج، وكانوا يديرونها على أحسن ما يكون . وبرعوا في تحديد الممرات المائية والطرق البحرية البعيدة المدى . وكانوا أول من ثبتت العلامات البحرية، المضاعة ليلاً، لتأمين سلامة الملاحة (١) .

وقد استخدم عرب الخليج خبرتهم الواسعة في شؤون البحر والملاحة في المواجهة العنيدة للغزاة على اختلاف أجناسهم وقدراتهم .

وقد تكبدوا في مواجهتهم للاحتلال البريطاني الخسائر الفادحة في الأرواح والسفن والمعدات، التي سببها القصف المدفعي الكثيف . وفيما بين ١٨٠٠ - ١٨٢٠ فقط، أحرقت البوارج البريطانية موانئ الخليج في رأس الخيمة ولنجة والمنامة عدة مرات ودمرت وأغرقت مئات السفن (٢) .

وقد تمكن الغزاة الانجليز الذين تحصنوا في مداخل الخليج، واستخدموا على نطاق واسع البوارج الحربية، تمكنوا من فرض احتلالهم على المنطقة، والاستسلام على حكامها، والتسلط والقهر على سكانها . ساعدهم في ذلك التخلف المريع الذي كانت شعوب المنطقة تعيشه سواء في مجالات الانتاج أو العلم أو الثقافة .

ولم تكن الطبقات الاجتماعية في ذلك الوقت قد تبلورت، ذلك لأن علاقات الانتاج لم تتعد شكل العمل من أجل الحفاظ على الحياة . وتركز ذلك كما ذكرنا في الرعى بالنسبة للقبائل البدوية والزراعة البدائية في بعض أجزاء المنطقة وركوب البحر بالنسبة لأجزاء أخرى .

كان النشاط البحري سواء في نقل البضائع أو في صيد اللؤلؤ هو الذي جذب أوسع قطاعات المجتمع (٣) . وباتساع سوق اللؤلؤ التي شملت العالم وخاصة القارة الهندية وأوروبا تطورت واتسعت عمليات صيد اللؤلؤ (٤) . وبالتبعية اتسعت وتطورت علاقات الانتاج في هذا المجال، بل بمعنى أدق تحددت علاقات الانتاج وأخذت شكل علاقات الرق بين أصحاب السفن مالكي أدوات الانتاج وبين البحارة الذين لا يملكون الا قوة عملهم . وقد حلت هذه العلاقات الانتاجية محل العلاقات القبلية التي كانت سائدة في هذا القطاع .

ورغم أن من المتعارف عليه في توزيع الدخل من اللؤلؤ، أنه كان يتخذ شكل المحاصصة، حيث يذكر النبهاني في « التحفة النبهانية » أنهم « يجعلون جميع ما يتحصلون عليه من اللؤلؤ عند النوخذا (صاحب سفن صيد اللؤلؤ) وهو يتولى بيعه ويأخذ من جميعه الخمس ثم يقسم الباقي عليهم بعد أن يخرج منه قيمة ما أكلوه من الطعام زمن الغوص فيعطى الغايص ٦٠ في المائة والسيب ٤٠ في المائة والرفيف ٢٠ في المائة أي أن كل رظيفين يعد عن سيب واحد » (٥)

الا أن هذا النظام بقي اسمياً، والذي حصل أن النوخذا يستحوذ على كل انتاج الغوص ويتصرف فيه حسب هواه، ويدعى باستمرار أن انتاج الموسم لم يغط مصاريفه .

- [١] أرنولد ويلسون « الخليج الفارسي » ص ١٢٣
[٢] ج.ج. لوريمر « دليل الخليج » ص ٢٨٤ و ٩٧٩ و ٩٨٤ و ١٠٠٧
[٣] يذكر محمود بهجت سنان في كتابه « البحرين ذرة الخليج العربي » ص ٢١٤ أن سفن الغوص في القرن التاسع عشر كانت تقدر ب ٢٠٠٠ سفينة وفي العشرينات [حوالي ١٩٢٣] من هذا القرن كانت تقدر ب ١٠٠٠ سفينة ويظهر اللؤلؤ الصناعي وظهور البترول انخفضت أعدادها باستمرار . ففي عام ١٩٣٠ كانت ٥٠٨ سفينة يعمل على ظهرها ١٩٣٠٠ بحار، في ١٩٤٠ صارت ١٩١ سفينة عليها ٧٥٠٠ بحار، حتى وصلت في عام ١٩٥٤ إلى ١٢ سفينة يعمل عليها ٤٥٠ بحاراً .
- [٤] يورد لوريمر في كتابه « دليل الخليج » - طبعة عربية ص ٢٥٨ أن قيمة تجارة اللؤلؤ التي كان مركزها جزر البحرين بلغت نصف مليون روبية سنة ١٧٩٠ ومليون روبية سنة ١٨٠٠ . بينما يذكر النبهاني في « التحفة النبهانية » [ص ١٣] أن دخل الخليج من اللؤلؤ بها فيه دخل الساحل الشرقي من السعودية - حالياً - الكويت [بقدر ب ٧٠ مليون روبية ودخل البحرين وحدها ٣٠ مليون روبية] .
- [٥] السيب : هو البحار المخصص لسحب الغايص [أو الغيص كما هو معروف في المنطقة] من البحر متى ما بشد الحبل الذي يتدلى به لقاع البحر لجمع الصدف . والرفيف : مساعد للغايص والسيب : وعند توزيع الدخل يحتسب نصيب كل رظيفين عن سيب واحد .

الغوص

وهذه الكلمة تطلق على عمليات صيد اللؤلؤ . وكان الغوص يشكل العامل الاساسى فى مقومات الحياة الاقتصادية فى الخليج . ويقدر تاريخ الغوص بحوالى اربعة آلاف سنة . وحتى الثلاثينات من هذا القرن كان يشتغل فى أعمال الغوص حوالى ١٩٣٠٠ بحار يعملون على سطح ١٠٠٠ سفينة ، وبسبب الازمة المالية العامة (١٩٢٩) واكتشاف اليابان طريقة عملية ضئيلة التكاليف لزراعة اللؤلؤ وانتاج انواع شبيهة تماما باللؤلؤ الطبيعى ، واجهت صناعة اللؤلؤ كسادا وتدهورا . وجاء ظهور البترول لبوجه ضربة قاصمة أخرى لعهد الغوص .

مضت . وفى حالة وفاة أحدهم تنتقل أعباء تسديد الديون الى أبنائه .

الانتقال من البحر الى الايام

لقد جاء عصر البترول ليجد أمامه أيذا عاملة فقيرة رخيصة ومحطمة . فقد جهزها عصر اللؤلؤ بكل عبوديته وتحطيمه للجماهير الفقيرة .

وقد شعر هؤلاء المسحوقون باشتغالهم فى استخراج البترول بقفزة فى حياتهم ، فصاروا يحصلون على جزء أكبر وثابت من قيمة عملهم وان كان هو الآخر جزءا يسيرا — اذ لم يكن يدور فى خلدكم أن يحصل الانسان على جزء من نتاج عمله .

وقد استغلت شركات البترول الاستعمارية والسلطات الاستعمارية البريطانية هذا الواقع الى أبعد حدود الاستغلال ، وشغلت « عبيد البحر » هؤلاء بأزهد الاجور ، وفسى أكثر ظروف العمل سوءا ، فكانت أجرة العامل فى بداية العمل فى البترول لا تتعدى . آتات اى ما يعادل ستة قروش مصرية .

واتبعت شركة نفط البحرين « بايكو » ، وهى أول شركة نفط عملت فى المنطقة ، سياسة الابقاء على هذا الشكل من الاستغلال لاطول مدة ممكنة . وذلك بعدم فتح المجال أمام أبناء البلاد

ويبقى البحارة الذين استدانوا من الترخا مبلغا من المال لتموين عوائلهم طيلة فترة غيابهم فى البحر ، والتي تستغرق حوالى الخمسة أشهر ، يبقون مدينين للتوخذا ، وتتراكم الديون موسما بعد موسم .

وبهذا الاسلوب حول أسيااد الغوص البحارة من مشاركين وبائعين لقوة عملهم الى عبيد لهم ، لا يستطيع الواحد منهم الحراك أو حتى الانتقال من سيد الى آخر .

لقد صار الفواص والسيب والقباب عبيدا للساداة أصحاب السفن ، وصاروا يعملون ولا يتحصلون على أى أجر مقابل عملهم سوى ذلك المبلغ الضئيل الذى يستلفونه من السادة فى بداية الموسم لتموين عوائلهم ، ويضاف الى مجمل الديون التى تراكمت وتحولت الى قيود ثقيلة تشدهم الى « اقطاعى البحر » .

ولكى يحافظ « اقطاعيو البحر » على ابقاء هؤلاء الناس أسرى عبوديتهم وبالإضافة الى التسلط الرهيب الذى لا مثيل له الا فى عصر العبودية فى تاريخ البشرية والمتمثل فى التحكم الكامل بحياة الفرد من هؤلاء بما فى ذلك حياته الشخصية (كان اقطاعيو البحر يقتلون ويسجنون ويلقون بالناس الى البحر وهم أحياء . الخ) . بالإضافة الى ذلك ابتدعوا لهم اللهو المطلق فى غير موسم الغوص .

كانت هذه الجماهير فى غير موسم الغوص تقضى وقتها بين العمل طوال النهار تقريبا فى الاعداد للموسم القادم وذلك بتجهيز معدات الغوص من اصلاح السفن ودهنها ونسج الاشرعة وترميمها وصناعة معدات صيد الاسماك . وبين قضاء الليل فى اللهو فى أماكن أعدت خصيصا لذلك وتسمى « الدور » حيث يغنون ويرقصون حتى وقت متأخر من الليل .

وهذا اللهو هو المتنفس الوحيد الذى يجدونه أمامهم ، وهو الوسيلة التى وجد فيها اقطاعيو البحر السلاح ذا الحدين — بل فى الواقع ذو الحد الواحد — وهو الهاء هؤلاء المستغلين الى أبعد حدود الاستغلال بالطريقة التى تريحهم فى نفس الوقت .

وبعد ظهور البترول وانتقال أغلبية البحارة للعمل فيه ، ظلوا يسددون الديون شهريا طوال عشرات السنين منذ الثلاثينات وحتى سنين قليلة

افشال كل عمليات الاستفزاز والتخريب التي مارستها السلطات الحاكمة والشركات الاحتكارية ضد حركتها ووحدةها .

وأهمية هذا التطور تتمثل في كونه يعطي الدلالة على أن الطبقة العاملة ، وهي العمود الفقري لحركتنا الوطنية ، قد بدأت تلعب دورها في مقارعة الوجود الاستعماري واحتكاراته . ومن ناحية أخرى فإنه يثبت القدرة على افشال مخططات المستعمرين لبقاء هذه المنطقة - كما كانت - خاضعة لنفوذهم وأسيرة للتخلف والقهر .

فطوال السيطرة الاستعمارية البريطانية على منطقة الخليج والامتدة لأكثر من قرن ونصف من الناحية الرسمية ، أي منذ توقيع ما سميت بمعاهدة الصلح الشاملة في عام ١٨٢٠ ، حاولت سلطات الاستعمار البريطاني الحفاظ على تخلف هذه المنطقة بكل طاقاتها ، ووقفت بحزم وعنف ضد أي محاولة مهما كانت صغيرة ، لتطويرها . وكانت تضيق بأي من الحكام إذا ما حاول مجرد مناقشتها فتسارع إلى استخدام « دبلوماسية البوارج » . وكانت القاعدة التي على أساسها أن يتصرف الحاكم ويجب أن يفهمها جيدا هي « الخضوع التام يعني التحسن في العلاقات مع بريطانيا ، وعدم الخضوع التام يعني القطيعة » .

ويعني القطيعة في سياسة بريطانيا ، أن تخلع الحاكم الغير خاضع تماما وتأتي بأخر يفهم هذه القاعدة أحسن من سابقه ويتصرف بمقتضاها . وهكذا استجمعت السلطات الاستعمارية كل زمام الأمور وكل مقدرات هذه المنطقة وشعوبها في يدها . ولا يستطيع أحد من عملائها أن يتحرك قيد أنملة إلا بأوامر المقيم البريطاني أو الممثل البريطاني ، ووفق مخططات الاستعمار البريطاني .

ومحرم على المواطنين الاتيان بأي عمل يفتح ولو ثغرة بسيطة في جدار تجميد الأوضاع . وهكذا حاربت بريطانيا محاولة الاهلين لاقامة مدارس لتعليم ابنائهم القراءة والكتابة .

وعندما نجح أهالي البحرين في اقامة أول مدرسة أهلية بعد نضال شاق ، لم تنج هذه المدرسة الابتدائية من ملاحقة السلطات الاستعمارية فقامت باعتقال مدرسيها السوريين ، وفتتهم خارج البحرين . واحتجاجا على هذا الاعتداء السافر على حق المواطنين في التعليم قامت أول مظاهرة

لدخول هذه الصناعة الا في حدود معينة وتحت الحاج حاجتها لتسيير عمليات الانتاج ، وبالقدر الذي يوفر عليها الاجور الباهظة للأيدي العاملة الاجنبية .

وحتى الان ، فان العامل الفني البحراني في شركة بابكو يتقاضى خمس الراتب الذي يتقاضاه الاجنبي نظير نفس العمل ، وفي احسن الحالات يتقاضى الربع .

وتسير مختلف الشركات الاحتكارية العاملة في منطقة الخليج على نفس النهج . وعلى سبيل المثال فان أحدث شركة احتكارية وصلت الى المنطقة وهي « شركة الومنيوم البحرين » (ألبا) ، وهي احتكار يضم شركات بريطانية وألمانية غربية وأمريكية وسويدية ، تعطى عامل المصهر وهو يواجه درجة حرارة تصل الى ٣٠٠٠ درجة فهرنهايت ، ويعمل في ظروف عمل تنعدم فيه تماما شروط الامن الصناعي . وتعطيه اجرا مقداره ٤٥ دينارا . وهذا المبلغ في قيمته الفعلية يعادل ١٥ جنيها مصريا . أي أنه لا يوفر من الحاجيات الامقدار ما يوفره الـ ١٥ جنيها في مصر بسبب ارتفاع نفقات المعيشة وغلاء اجور السكن والمواد الاستهلاكية الضرورية .

ان الخريطة الاجتماعية لمجتمعات الخليج ، تتغير بسرعة متزايدة . ففي أهم مناطق الخليج ، مثل البحرين وقطر ودبي تلاشت العلاقات القبلية ، وانعدمت تماما في البحرين . وصارت الطبقة العاملة الفتية تحتل الجزء الأكبر من الخريطة الاجتماعية ، وبدأت تعي حقيقة وضعها ، وتناضل بصبر وجلد من أجل وضع حد لاستغلالها الرهيب ، ومن أجل تحسين شروط العمل ورفع مستوى الاجور .

ومنذ الستينات شهدت منطقة الخليج اتساعا كبيرا في عدد الاضرابات التي يشنها العمال في مختلف الشركات وفي مختلف أجزاء المنطقة . وفي بداية هذا العقد شهدت عمان أول اضراب عمالي في تاريخها . وضربت البحرين رقما قياسيا في عدد الاضرابات في عام واحد . ففي العام الماضي ١٩٧٠ وحده شهدت البحرين أربعة اضرابات كبيرة في شركة طيران الخليج وشركة البرق واللاسلكي ولدى مقاولي انشاء مصنع الالومنيوم وفي دائرة الصحة . وكان أهمها اضراب شركة طيران الخليج والالومنيوم ، اللذين تميزا بمستوى مرتفع من التنظيم ووحدة العمال وتماسكهم ، وقبل كل شيء - بوعي الطبقة العاملة الذي مكنها من

قوى تاريخ البحرين ، وكان ذلك عام ١٩٢٨ (٦) •

ان شعب الخليج العربي ، والبحرين نموذج حي له ، ومنذ بدء الاحتلال البريطاني ، كان يقاوم هذا الاحتلال بكل ما يملك من امكانية وتحت ظل التخلف والقهر والتسلط •

وفي عام ١٩١٠ بدأت مقاومة هذا الشعب تأخذ طابعا منظما ومدرسا ، ويروي الريحاني في « ملوك العرب » قصة هذه الحركة وكيف ان المعتمد البريطاني كان ضد أي مطلب من مطالب الاهالي التي يصفها الريحاني بأنها ولا شك عادلة وعندما اضطر الشيخ عيسى بن علي على الموافقة على هذه المطالب لم يغفر له الانجليز اضطرابه فعزلوه ونصبوا ابنه مكانه •

ان عام ١٩١٠ يحق لنا ان نصفه بأنه عام بداية قيام الحركة الوطنية في الخليج العربي • وقد شهد هذا العام عقد أول مؤتمر وطني من نوعه يشهده الخليج ، عقد في البحرين ، وأجمع الحاضرون فيه على عدة قرارات كان من بينها المطالبة بانتخاب مجلس شوري من عموم أهل الوطن ينظر في مصالح البلاد ، وتشكيل محكمة من أربعة أعضاء ، عاملين بأمر الغوص للنظر في جميع دعاوى الغوص ، ووقوف القنصل عند نص الاتفاق بين الحكومة البريطانية وحكومة البحرين فلا يتدخل في الامور الداخلية • وانتخبوا لجنة من ١٢ شخصا « لاجل القيام بهذا الامر والمطالبة بتحقيقه بكل الوسائل المشروعة » (٧) •

وكان أول رد فعل للاستعمار البريطاني أن اعتقلت سلطاته الشيخ عبد الوهاب الزباني زعيم الحركة وأحمد بن لاجج ونفتهما الى الهند دون محاكمة •

وفي عام ١٩٢٤ أتت الحكومة البريطانية الى البحرين باستعماري عريق ، خدم في واحة سيوه وفي جنوب السودان وتنجانيقا في أفريقيا الشرقية هو تشارلس بلكريف واختارت له منصبا جديدا هو مستشار حكومة البحرين . وعميت الفكرة بعد ذلك على بقية الامارات •

وسرعان ما أصبح هذا المستشار الضاكم المطلق ، مستلما في يده جميع شئون البلاد ، فهو

معاهدة ١٨٢٠

وتسمى هذه المعاهدة بالمعاهدة العامة مع القبائل العربية وقد فرضتها بريطانيا على شيوخ الخليج بعد قيام الاسطول البريطاني بقيادة رأس الخيمة وحرق السفن العربية الراسية في موانئها ، ويوجب هذه المعاهدة وتحت ستار مكافحة القرصنة ، أخضعت بريطانيا مشايخ الخليج بشكل نهائي ، وفرضت عليهم العلم الاحمر بالحاشية البيضاء ، وأن تشرف السلطات البريطانية على كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالبحار • وقد فتحت هذه المعاهدة الباب لفرض عشرات المعاهدات الاسترقاقية الاخرى فيما بعد •

قومذانا للشرطة ورئيسا للمالية ورئيسا للتضام في الحاكم ومشرفا عاما على جميع الدوائر الاخرى كالصحة والعارف والاشغال العامة والقاصرين والاقواف والجمارك والبلديات • الخ •

واتجه الاستعمار البريطاني ، ممثلا في المستشار ، نحو تطبيق سياستهم العتيقة « غرق تسد » فعمل على بذر بذور التفرقة بين الطائفتين الطائفة السنية والطائفة الشيعية ، وكانت قبل ذلك تعيشان في وئام وسلام •

لقد أجح الاستعمار البريطاني الصراع الطائفي ، فتطور الى « حرب » طائفية لعينة وصلت لحد الاصطدامات الدموية في الاسواق ٥٠ - ١٩٥٤ • وكان المستعمرون الانجليز يعتقدون ان الحرب الطائفية ستشغل الجماهير وستحرف أنظارها عن الاوضاع السيئة التي تعيشها والظلم والنهب الذي تعانيه في البحر والبر (في البحر على ايدي اقطاعيي البحر ، وفي البر على ايدي اقطاعيي البر من آل خليفة وأشكالهم ، والذي وصل في البر لحد تعميم السخرة) •

واذا نجح المستعمرون مؤقتا في زرع وتطويع الصراع الطائفي ، معتمدين على التخلف الاجتماعي ، وتدني الوعي ، وانعدام القيادة

[٦] يوسف الفلكي « قضية البحرين بين الماضي والحاضر » ص ٦١

[٧] يوسف الفلكي « قضية البحرين بين الماضي والحاضر »

المس بمركز حاكم البلاد ، كما أنها لا تتعارض مع مصالح الدولة البريطانية والعلاقات الودية معها ، وكانت مطالب الهيئة تتلخص في تأسيس مجلس تشريعي ، ووضع قانون عام للبلاد جنائي ومدني واصلاح المحاكم ، وتأسيس محكمة عليا للنقض والابرار وتأسيس مجالس للصحة والنفار والبلديات .

ولكن السلطات الاستعمارية رفضت هذه المطالب رفضا باتا منذ البداية . وأمام وحدة الشعب واصراره والتفافه حول حركة الهيئة ، وقد عبر عن ذلك في الاضرابات الشاملة التي نفذها بناء على طلب الهيئة ، تراجعت السلطات الاستعمارية قليلا وأخذت تنهج أسلوب المروعة والتسويق تجاه قيادة الهيئة التنفيذية العليا ، فيستقبلهم الحاكم ويحيلهم على المستشار بلكريف ، ويستقبلهم بلكريف ويحيلهم الى الحاكم وهكذا .

وأمام تزايد الضغط الشعبي ، اضطرت السلطات الاستعمارية الى التراجع قليلا ، واعترفت بالهيئة كمؤسسة سياسية على أن تغير اسمها فغيرته الى « هيئة الاتحاد الوطني » واستمرت في المماطلة والمروعة بالنسبة لتحقيق مطالب الحركة بهدف كسب الوقت لاعداد أجهزة قمعها وتهيئتها للمواجهات الساخنة مع حركة الشعب الوطنية .

وانتهز الاستعمار البريطاني ظروف العدوان الثلاثي على مصر ، وانفجار حقبة الشعب ضد المصالح الاستعمارية البريطانية ، فقام بانزال عسكري واحتل مدن وقرى البحرين ، فقامت قوات الاحتلال بحملة اعتقالات واسعة شملت مئات من الوطنيين وفي مقدمتهم قيادة هيئة الاتحاد الوطني . فنفوا ثلاثة منها الى جزيرة « سنت هيلانة » وسجنوا اثنين آخرين لمدة عشر سنوات ودفوا عشرات آخرين الى المناطق المجاورة .

وهكذا ضربت حركة الهيئة ، وانتهى بذلك عهد المطالبات العلنية . أو النضال العلني ، وبدأت تقوم في البحرين المنظمات السرية .

لقد كانت حركة الهيئة ، بكل سلبياتها ، حركة وطنية ، مؤيدة تأييدا كبيرا من قبل أوسع جماهير الشعب . وكونها حركة وطنية ومؤيدة شعبيا ، فرض عليها أن تكون معادية للاستعمار سواء أعلنت ذلك أم لم تعلنه ، وبالرغم من تصريحات بغض قادتها - بل وبيانها رقم ١ - بأنها حركة سلمية وغير معادية لبريطانيا .

السياسية لدى الجماهير ، فانهم قد غفلوا عن حقيقة أساسية وهي أن أسس هذا الصراع واهية ومختلفة وانه كان على نقيض تام مع المصالح الاقتصادية والحياتية لكلا الطائفتين . فالمصالح الاقتصادية لآبناء الطائفتين متداخلة ويكمل بعضها البعض فهذا يزرع وهو من طائفة ، ومستهلكو انتاجه من الطائفة الاخرى ، وهذا تاجر من طائفة وزبائنه من الطائفة الاخرى . ويلتقي آبناء الطائفتين في العمل الواحد ويواجهون نفس الاستغلال والاضطهاد ، ويجلس آباؤهم على نفس المقاعد في المدارس ، أضف الى ذلك أن آبناء الطائفتين وخاصة في المدن يتجاورون في السكن . إن ذلك كله حتم على الجميع التساؤل لمصلحة من يجري هذا الصراع ؟

وقد لمس الكل أن الاستعمار البريطاني هو الذي وراء هذا الصراع وهو الذي يغذيه ويقوره . وشعروا أن مصيرهم ومصير وطنهم مهددان بالخطر والدمار .

ونتيجة لاجتماع الشعب على ضرورة وضع حد للصراع الطائفي وكذلك للاستبداد الاستعماري ، قامت حركة ٥٤ - ١٩٥٦ المعروفة باسم « حركة الهيئة » .

فبعد اجتماع شعبي كبير في أحد مساجد العاصمة « المنامة » أقسم الحاضرون فيه يمين الاخلاص للوطن ونيل التفرقة والطائفية والتضحية لنيل المطالب مهما كلف الثمن « (٨) » وتمخض هذا الاجتماع عن اختيار مائة من أفراد لتمثيله في هيئة تأسيسية دائمة . وانتخبت هذه الهيئة ، هيئة تنفيذية عليا من ثمانية أعضاء . ومن هذا جاء اسم الحركة « حركة الهيئة » نسبة الى قيادة هذه الحركة وهي « الهيئة التنفيذية العليا » التي تغير اسمها فيما بعد الى « هيئة الاتحاد الوطني » .

لقد كانت حركة الهيئة ممثلة لكل طبقات الشعب البحراني ، وهي وإن كانت تتربع على قممها طبقة البورجوازية إلا أن جميع الفئات الاخرى كانت مشاركة فيها ، ومدعمة لها .

وبرغم التفاف الشعب بكامله حول الهيئة ودفعه لها لاتخاذ مواقف أكثر ثورية وأكثر تحديدا في معاداة الاستعمار ، إلا أن قيادة الهيئة بتركيبها الطبقي لا يمكنها إلا أن تكون حركة اصلاحية ، ففي أول خطوة اتخذتها وهي ارسال رسالة لحاكم البحرين ضمنيتها مطالبها ، جاء فيها « نود أن نؤكد أن المطالبة بهذه الاصلاحات لا ترمى الى

للشباب من الطلاب والعمال ، وكانت المشاركة الشعبية فيها أوسع بكثير عن ١٩٥٦ . وقد شاركت فيها بشكل نشط وواسع - ولأول مرة - الفتاة والمرأة البحرانية . وكانت رؤيا هذه الانتفاضة وأهدافها أكثر وضوحا ، ومعاداتها للوجود الاستعماري والحكم القبلي أكثر تحديدا وحسما . وأظهرت بوضوح تخلي البرجوازية التي تحولت كاملا الى برجوازية كمبرادورية . عن الحركة الوطنية .

ان حديثنا عن الحركة الوطنية في البحرين لا يعني ان الاجزاء الاخرى من الخليج لم تقم فيها حركات وطنية ، وانما لان الحركة الوطنية في البحرين كانت اوضح من غيرها وتوفر المعلومات عنها كان أكثر .

ولقد شهدت كل أجزاء الخليج انتفاضات وهبات وطنية لم يسجل منها الا تلك الحركات الكبيرة مثل حركة المجلس في الكويت ، وحركة ١٩٦٣ في قطر ، وثورة الشعب العماني ودفاعه المسلح المستميت أمام الغزو البريطاني المسلح في عام ١٩٥٧ . وثورة التاسع من يونيو سنة ١٩٦٥ والتي لاتزال تتحدى الوجود الاستعماري وتناضل من جبال ظفار .

أما حركة قطر في عام ١٩٦٣ والتي قادها ناصر المسند ورفاقه فانها شبيهة لحد كبير بحركة الهيئة في البحرين . نفس الطبقة . نفس العقليّة ويكاد يكون نفس الاسلوب ، مع فارق ان الانجليز قد استفادوا من تجربة حركة الهيئة ، على عكس قادة حركة قطر الذين لم يستفيدوا من هذه التجربة ، فضربت حركتها بسرعة ، وأجهضت في فترة زمنية قصيرة ، في الوقت الذي امتدت فيه حركة الهيئة في البحرين الى ثلاث سنوات . مع فارق جوهري آخر وهو مدى التفاف الشعب حول الحركة فكان في البحرين أوسع بكثير عنه في قطر .

وحركة المجلس في الكويت هي الاخرى تماثل حركة عبد الوهاب الزباني في البحرين عام ١٩٢٨ .

وان التفاوت في قوة واتساع أي من هذه الهبات والانتفاضات يرجع الى التفاوت في درجة تطور كل جزء من أجزاء المنطقة . وقد لعبت التجزئة التي فرضها الاستعمار البريطاني على المنطقة ، وعزل بعضها عن بعض ، لعبت الدور الاول في ايجاد التفاوت والاختلاف فيما بين أجزاء المنطقة الخليج .

ان التفاف الشعب المعادي للاستعمار حولها ، قد حاربها رغما عنها الى حركة معادية للاستعمار ، وعرضها للتغيير وهياها لان تلعب أدوارا تختلف عن تلك التي رسمتها لنفسها . وكان ممكنا ان تستلمها عناصر أخرى ، تكون أكثر تعبيرا عن موقف الشعب المعادي للاستعمار . وقد بدأ هذا التطور يأخذ مجراه ، وذلك بالاتصال بمضرب وبالارتباط بشكل أو بآخر بالثورة العربية ، وبمظاهرات ١٩٥٦ التي فقدت الهيئة سيطرتها عليها تماما منذ اليوم الاول .

ومن هنا أحس الاستعمار البريطاني بأن الامور بدأت تأخذ منحى آخر ، وتتجه في الطريق الذي يصعب عليه بعد ذلك منعها من المضى فيه . ولكي لا تتطور الامور وتخرج من أيدي القادة الحاليين « الغير خطرين نسبيا » بالنسبة للاستعمار ، فالمهمة العاجلة هي ضرب هذه الحركة . ووجد في ظروف العدوان الثلاثي الفرصة الملائمة لتحقيق ذلك . وفعل .

وبالاضافة لهذا السبب الرئيسي في ضرب حركة الهيئة ، فان هناك عدة أسباب أو عوامل ذاتية ساعدت على ضربها ، مثل عدم الوضوح الفكري وعدم وجود برنامج سياسي ، وعدم وجود خطة عمل حتى لاسبوع قادم ، ثم الخلط في قيادة الهيئة . تلك التشكيكية - التي ضمت فيما ضمت عناصر على اتصال بالمخابرات أو بالسلطات الاستعمارية .

وعلى أي حال ، فان حركة الهيئة هي ابنة مرحلتها . ففي تلك المرحلة من نضال شعبنا لا يمكن أن تكون الا حركة الهيئة بتكوينها وطبيعتها وبانطباق التي تربعت على قممتها وهي البرجوازية السمسار للامبريالية (الكمبرادور) .

ولذلك فانه في أحداث عام ١٩٦٥ التي شهدتها البحرين والمعروفة بانتفاضة مارس ، لم تقم « حركة هيئة » أخرى . بل قادت انتفاضة مارس الشعبية الواسعة ، المنظمات الوطنية السرية التي قامت على أنقاض حركة الهيئة .

وان من عايش الحركتين ليدرك بكل وضوح الفرق الكبير بينهما . فمع أن الفاصل الزمني بين ١٩٥٤ و ١٩٦٥ أكثر من عشر سنوات ، ومع أنه خلال هذه السنوات عاشت البحرين في ظل حالة الطوارئ - وحتى الان - مارس جهاز القمع خلالها شتى أنواع الارهاب والقمع والتشريد والتنكيل ضد الشباب الوطني البحراني ، وظن أنه تمكن من القضاء على الحركة الوطنية وقتل الحس الوطني . مع كل ذلك فان انتفاضة مارس جاءت أكثر نضجا وأعمق وعيا ، وكان الدور الاول فيها

This is a historical map of the Arabian Peninsula and surrounding regions. The title at the top is 'سيرات' (Siraat), which likely refers to the Hijaz region. Below the title, 'الخليج العربي' (Arabian Gulf) is written. The map shows the Red Sea to the west, the Persian Gulf to the east, and the Indian Ocean to the south. Key locations marked include Mecca (مكة), Medina (مدينة), and various tribal territories. The map is oriented with North at the top.

— فرہمی ہونیدی

أكثر من قرن ونصف قرون من
 الزمان. وعيون إيران على أمارات
 الخليج العربي ، لم تغض مسرة
 واحدة . بل كلما مضت السنوات ،
 كلما ازدادت هذه العيون تركيزًا على منطقة
 الخليج ورصدًا لما يجري فيها . ويكفي هنا أن
 نستعيد بعض كلمات المذكرة التي قدمتها إيران إلى
 بريطانيا في سنة ١٨٤٤ ، على لسان رئيس
 وزرائها « حاجي ميرزا » ، أثناء جدل أثير
 بين « فارس » والمملكة المتحدة ، حول ملكية إمارة
 البحرين . يكفي أن نستعيد بعض هذه الكلمات

هزيمة ٦٧ وانعكاساتها

على الموقف في الخليج

غير أن هناك ظروفًا أخرى ينبغي أن نضعها في الاعتبار ، شكلت في مجموعها « اغراءات » لإيران لكي تنفذ مخططاتها ، وتكشف جانبًا من أوراقها ، بغير حرج ولا تردد . وهذه الظروف هي :

أولاً : الهزيمة التي لحقت بالعرب في يونيو ٦٧ ، والتي قربت عليها أن شغلت القوى العربية الحقيقية - وعلى رأسها مصر - بالاعداد والسعي لتحرير الأرض العربية من الاحتلال الاسرائيلي . وبقدر ما كان ذلك عملاً ايجابياً هنا في المنطقة التي تواجه العدو الاسرائيلي ، فقد اعتبر انشغال القوى العربية بالاعداد لمعركة التحرير ، عاملاً سلبياً في منطقة الخليج .

ونعني بذلك أن الهزيمة فضلاً عن أنها ايقظت اطماع إيران في الخليج ، فإنها أدت في الوقت نفسه إلى غياب الوجود العربي الحقيقي في تلك المنطقة البعيدة عن ساحة الصراع العربي الاسرائيلي .

ثانياً : عدم وجود سياسة عربية واضحة تجاه قضايا الخليج العربي ، ليس فقط لأن بعض الدول العربية لها مصالح وآمال في منطقة الخليج (مثل المملكة العربية السعودية) ولكن أيضاً بسبب تفتت الجبهة العربية ، واختلاف مواقفها .

ثالثاً : انسحاب القوات البريطانية من منطقة الخليج ، تنفيذاً للعهد الذي قطعته حكومة العمال على نفسها ، بأن يتم الانسحاب قبل نهاية عام ٧١ . وقد تصورت إيران أن الانسحاب البريطاني سوف يترك فراغاً في المنطقة ، يتعين عليها أن تسده على الفور ، باعتبارها أقوى الدول المطلة على الخليج العربي .

وقد اعتبرت صحيفة « الفايانانشيال » تسايمن البريطانية في عددها الصادر يوم ٢ ديسمبر ٧١ ، أن إيران باحتلالها للجزر العربية الثلاث قد « سبقت بمدافعها مدافع الآخرين » .

رابعاً : التزام بريطانيا بتنفيذ السياسة التي اتبعتها في معظم المناطق التي احتلتها ، ونعني بذلك « مسمار المشاكل » الذي تدقه بريطانيا قبل رحيلها ، والذي رأيناه في كل بلد تركته بريطانيا . من الهند إلى نيجيريا ، إلى فلسطين ، إلى قبرص .

خامساً : التفتت العربي الظاهر في منطقة

تلاحق جزر البحرين بالحاج وامران ، وبعد ما سقطت كل ادعاءات إيران في البحرين ، اضطر الشاه لأن يعلن أن بلاده « تنازلت » عن حقوقها في جزر البحرين ، ثم انتقل التركيز الإيراني إلى الجزر الثلاث في مدخل الخليج (أبو موسى - طومب الكبرى وطومب الصغرى) . وبدأ أن إيران مصرّة على أن تثبت حقوقها التي زعمتها في تلك الجزر ، وبلغت المسألة - بل المهزلة - ذروتها عندما قامت القوات الإيرانية باحتلالها وسط مظاهرة عسكرية كبيرة في يوم ٢ ديسمبر الماضي ، عشية اعلان قيام دولة اتحاد الامارات العربية .

ماذا تريد إيران من الخليج العربي ؟ وماذا وراء هذا الاصرار الغريب على ادعاء « الحقوق » والمطالبة بفرض السيادة على جزر هذه المنطقة ؟ أن كل المصادر - حتى الغربية منها - تجمع على أن إيران تطمح في مزيد من النفوذ والثروة ، وتريد فرق ذلك ، أن تشغل الرأي العام الداخلي بقضايا ومنازعات خارجية ، لتلهيه عن واقعه ، الذي يشن تحت وطأة الاقطاع واستغلال الاحتكارات الغربية والأمريكية .

أقرب ما نرى إيران أيضاً أن تؤمن نفسها ، والمداخل المؤدية إليها ، من التأثير بتيارات الثورة الزاحفة في منطقة الخليج ، وخاصة تلك الرياح التي تهب على منطقة مسقط وعمان ، حيث يتجمع الثوار في ظفار ويسعون إلى تحرير بلادهم من حكم السلاطين ، والتبعية الأجنبية . وتعتبر إيران هذه التيارات خطراً ينبغي أن تصده ، خاصة وأنها ليست بعيدة عن مضيق هرمز - في مدخل الخليج العربي - الذي تهر فيه كل ١٢ دقيقة تقريباً ، ناقلة بترول إيرانية . ومنه يعبر كل عام حوالي ٢٢٠ مليون طن من « الذهب الاسود » الإيراني إلى العالم الخارجي .

« وربما كان هذا الاعتبار ، هو الذي دفع صحيفة « آين دنيا » الإيرانية إلى أن تقول في اليوم التالي لاحتلال الجزر العربية الثلاث : أن إيران تملك الآن في يديها مفتاح « الخليج الفارسي » .

وبهذا التصور لاهداف إيران في الخليج العربي ، فالتنازع لا يرقى إلى يد شاك ، أن اطماع إيران في منطقة الخليج لن تقف عند حد . وأن احتلالها للجزر الثلاث لن يشبع رغبتها أو يرضى طموحها . بل أن السهولة التي قوت بها تلك المهزلة ، قد تشجعها على تنفيذ مخططاتها بغير ابطاء . أين ؟ ومتى ؟ ذلك ما ستكشف عنه الشهور أو السنوات المقبلة .



المنصور الذي ألقته طائرات البلقوتير الإيرانية على
الجزر الثلاث قبل انزال القوات .. بالبرانية كتب ،
ولا أحد في الجزر يعرفها .

تقريباً ، تحت تصرف الشاه ما يزيد على ٥٠٠ ضابط ، أكثرهم من كبار العسكريين . وذلك فضلاً عن أن بريطانيا بدورها قد وافقت على التنازل ل طهران عن ألف دبابة تقريباً من مختلف الأحجام . وهي الدبابات التي رفضت بيعها للجمهورية الليبية . وقد خصصت إيران في العام الماضي نصف دخلها من البترول ، أي نحو مليار دولار ، للنفقات العسكرية (لوموند الفرنسية - عدد ٢ ديسمبر ٧١) .

هذه القوة الإيرانية ، التي تستعرض نفسها في كل مناسبة أمام حكام أمارات الخليج ، أو في أثناء زيارتهم ل طهران ، عززت بغير شك الاتجاه التوسعي لإيران في الخليج . حيث لن تواجه أكثر من بندق من بقايا الحرب العالمية الثانية ، أو مدافع رشاشة ، أو طائرات « هنتر » البريطانية ، على أحسن الفروض .

بصمات التواطؤ الأمريكي

البريطاني مع إيران

على أن هذه الاعتبارات كلها في جانب ، و « التصريح » الأمريكي البريطاني لإيران « بالعمل » في الخليج ، في جانب آخر . وقد كانت صحيفة لوموند الفرنسية صريحة في

الخليج العربي ، حيث يوجد ١٢ كيانات سياسية ، سواء كانت هذه الكيانات أمارات صغيرة ، أو دولا أكبر منها بقليل . ولبت هذه الكيانات منفصلة بحسب ، بل إنها مختلفة ومتنازعة فوق ذلك .

لم ندخل في التقدير هنا اتحاد الإمارات العربية ، الذي يضم الآن ٧ أمارات ، باعتبار أنه حديث التكوين ومحدود التأثير نتيجة لذلك ، خاصة وأن إعلان قيامه قد تم في ٣ ديسمبر الماضي .

فلا زالت هذه الإمارات على خلاف فيما بينها بالنسبة للحدود . ذلك أن ظهور البترول في الخليج أثار مشكلة جديدة في المنطقة ، ألا وهي ملكية مئات الجزر غير المسكونة التي كان يتردد عليها الصيادون والغواصون ، دون أن يهتم أحد بإثبات حقه في ملكيتها . بعد البترول أصبح من الضروري تحديد ملكية كل شبر في منطقة الخليج ، لأن بشراً واحدة غنية في ذلك الشبر يمكن أن تغير من حال أية أمانة ، وتقلب أوضاعها .

مثلاً ، هناك نزاعات بين البحرين وقطر حول جزيرتي زبارة وحوار . وثمة نزاعات وحزانات قديمة بين أبو ظبي ورأس الخيمة . وقطر تطالب أبو ظبي بمنطقة خور العديد ، بينما تطالبها دبي بخور غفانة .

أيضاً هناك نزاع لم يحسم بين السعودية وأبو ظبي حول واحة البوريمي ، بل أن السعودية أعدت خريطة جديدة - عرضتها في آخر مفاوضات جرت مع أبو ظبي - تطالب فيها بحوالي ٦٠ في المائة من مساحة الإمارة الحالية . (النزاع له صلة بالمنافسة بين شركة أرامكو الأمريكية التي تنقب عن البترول في السعودية ، وشركة بابكر الانجليزية العاملة في أبو ظبي ، حول مناطق التنقيب وحدود امتياز كل منها) .

الخلاصة : أنه في مواجهة هذه الكيانات السياسية المتعددة بل والمتنازعة تقف إيران ككيان سياسي واحد ، محاولة الاستفادة من هذا الوضع المعزق لصالحها .

وينبغي هنا ، أن نسجل دور بريطانيا في الإبقاء على هذه الكيانات الممزقة ، بل وتعميق خلافاتها ، طوال ١٥٠ عاماً ، هي عمر الاحتلال الإنجليزي لتلك المنطقة .

سادساً : ثمة اعتبار آخر له قيمته في « اغراء » إيران بتنفيذ مخططاتها التوسعية في الخليج ، ألا وهو القوة الإيرانية ذاتها . فقد تلقت إيران من الولايات المتحدة عدداً من طائرات الفانتوم يزيد على العدد الذي حصلت عليه إسرائيل ، وهي الدولة الوحيدة - إلى جانب فورموزا - التي حصلت على هذا النوع من قاذفات القنابل . وقد وضعت واشنطن ، التي تزود الطيران الإيراني بكل احتياجاته ، وكذلك القوات البحرية بشكل لوازمها .

مثال لـ دبلوماسيية البوارج الحربية ، تفسح الطريق
الآن لدولة جديدة يبدو أنها آثرت ان تتولى الدور
نفسه !

وقد تم احتلال الجزر العربية الثلاث ، بواسطة
القوات الايرانية ، وبالصورة التي تناقلتها وكالات
الانباء ، والتي سنقف امامها بعد قليل .

ولسنا بحاجة الى ان نؤكد ان بريطانيا كانت
تظلم مسبقا بما ستتخذها ايران من خطوات ، سواء
كان ذلك نتيجة للاتفاق مع حاكم امارة الشارقة ،
او رغما عن حاكم رأس الخيمة ، الذي رفض صيغة
الاتفاق الذي عرضه وليام لوس .

وفي تقدير كل المراقبين ، فان بريطانيا بموقفها
هذا قد خرقت التزاماتها تجاه الامارتين ، خاصة
وان اتفاقية الحماية لم تكن قد الغيت بعد .
وبمقتضى هذه الاتفاقية ، فقد كان عليها - نظريا
على الاقل - ان تمنع القوات الايرانية من احتلال
جزيرتي طومب بالقوة ، لو انها ارادت ذلك . ذلك
ان حاملة الطائرات البريطانية « ايجل » وعلى
ظهرها وحدات من الكوماندوز ، كانت تقف غير
بعيدة خارج الخليج ، وبصحبته الطراد
الانجليزي « اكيون » وكلاهما جاء قادمين من
الشرق الاقصى . وفي « البحرين » ايضا تقف
احدى سفن الاسطول البريطاني . كما ان
في « الشارقة » نصف سرب من طائرات « هنتر » .

على مرأى ومسمع من ذلك كله ، تقدمت القوات
الايرانية ، فدخلت جزيرة أبو موسى ، واقتحمت
بالقوة المسلحة جزيرتي طومب !

هل نحن في حاجة ، بعد ذلك ، لنندلل على
التواطؤ البريطاني مع ايران ؟!

وبغير الاطمئنان الى هذا التواطؤ ، هل كان
يستطيع شاه ايران ان يعلن صراحة قبل شهر من
احتلال الجزر : « اننى سأرسل عند الضرورة
مدفعية البحرية لاحتلال الجزر الثلاث ، لان ذلك
ضرورى لامن ايران ، ولحماية مضيق هرمز الذي
تتحكم هذه الجزيرة فى مدخله » . والمدهش هنا
ان شاه ايران لم يستند فى مطالبته بالجزر الى أية
ادعاءات تاريخية أو جغرافية ، تعطى قدرا
من الشرعية لمطالبه امام المجتمع الدولى ، ولكنه
كشفت عن بعض دوافعه بصراحة ، وقال ان احتلال
الجزر مطلب مرتبط بأمن ايران !

الجزر بين التبعية ونصف الاحتلال

وتحتاج منا قصة الاحتلال هذه الى متابعة
مثنائية لوقائعها ، فضلا عن ملابساتها التي تثير

كشفت هذا الموقف ، عندما كتبت فى عددها الصادر
فى ٢ ديسمبر أيضا ، ما نصه : ان المساندة القوية
التي تقدمها امريكا والدول الغربية لايران ، لاطمئنها
اعتبارات اقتصادية تتعلق بايران ذاتها ، بقدر ما
تنبع من مصالح اقتصادية وسياسية للندن
وواشنطن فى منطقة الخليج .

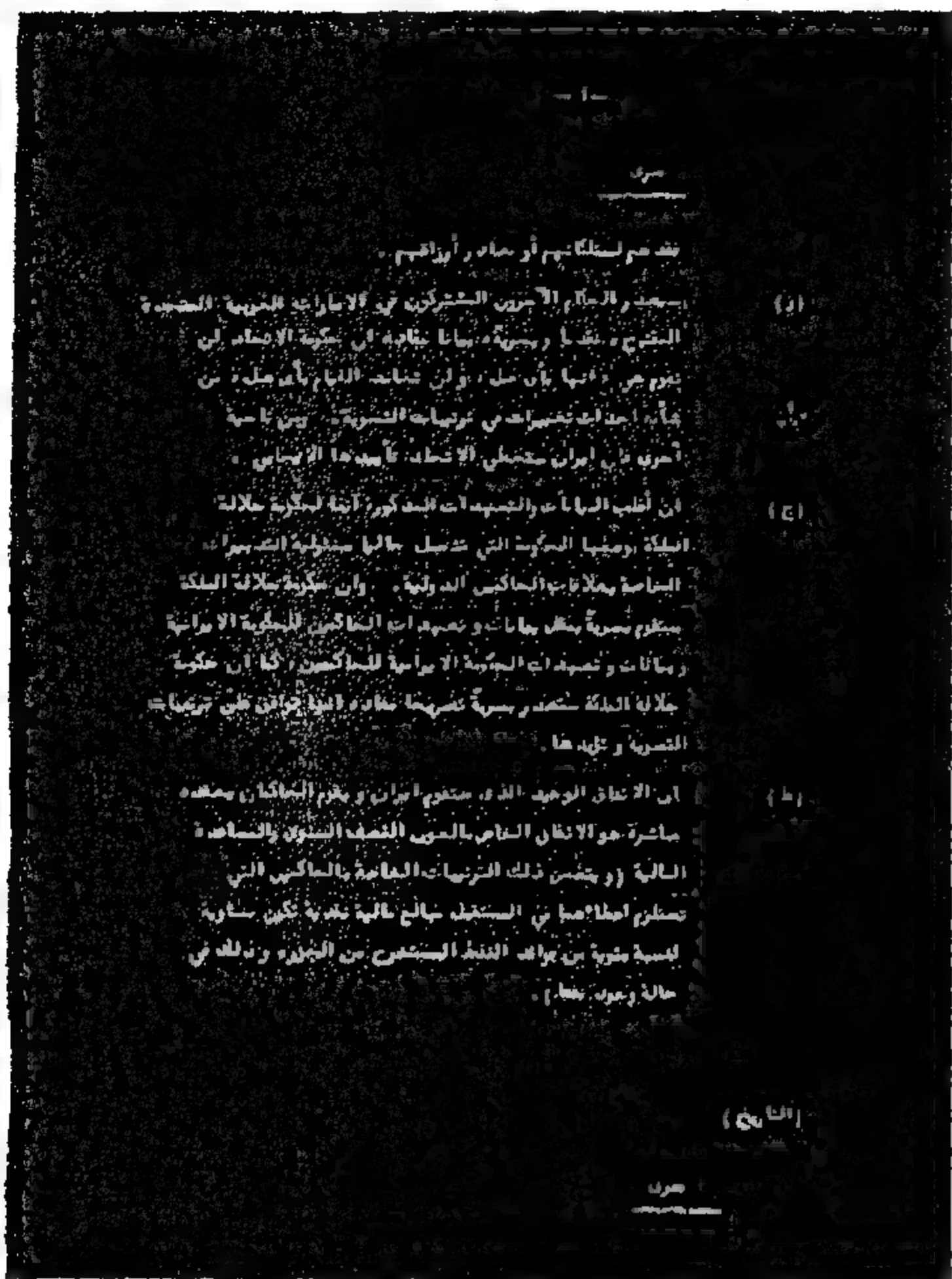
ويشير كاتب المقال الى تصريح لاحد كبار
الدبلوماسيين الامريكيين قال فيه : ان منطقة
الخليج « الفارسي » تعد أكثر أهمية بالنسبة
للولايات المتحدة ، مما كانت عليه منطقة السويس
قيما مضى .

والمعروف ان منطقة الخليج تحتوى على أكبر
احتياطي من البترول فى العالم . وتضمن لاروبا
واليابان امكانيات الحفاظ على صناعاتها .
{ تنتج المنطقة حوالى ٢٧ فى المائة من بترول
العالم اذا اضيفنا اليها انتاج السعودية } . ومن
الخليج تحصل الشركات التي تتمتع بامتياز
التنقيب عن البترول - ومعظمها امريكية - على
أرباح مذهلة . خاصة وان تكاليف التنقيب عن
البترول تقل عشر مرات عن تكاليفها فى المنطقة
الفربية ، وذلك فضلا عن ان امارات الخليج تقدم
للدول الصناعية الكبرى عوائد كبيرة من العملات
على هيئة استثمارات وشراء المواد الاستهلاكية .
وتضيف « لوموند » : ان امارات الخليج
العربية قليلة السكان ، وضعيفة من الناحية
العسكرية والسياسية (يلاحظ هنا أن الدعم
العربى لامارات الخليج لم يوضع فى الاعتبار)
وذلك يعرض الامارات للوقوع تحت
سيطرة « حركات سياسية معادية لهذا النوع من
الوجود الغربى » . الامر الذي تطلب دعم ايران ،
الدولة الوحيدة فى تلك المنطقة ، التي لها الابعاد
والموارد و « الرغبة » اللازمة للقيام بدور الحرس
بعد انسحاب القوات البريطانية .

وما جرى فى شأن الجزر العربية الثلاث ، التي
احتلتها ايران مؤخرا ، يؤكد وجود التواطؤ
البريطانى بالذات مع ايران ، واتفاقهما الكامل
على كل الخطوات التي تمت .

فى أواخر نوفمبر الماضى - قبل احتلال الجزر
بحوالى أسبوع - اشارت الانباء الواردة من لندن
وطهران ، الى ان وليام لوس ، المبعوث البريطانى
الخاص الى الخليج ، قد توصل الى اتفاق بشأن
مستقبل الجزر الثلاث مع شاه ايران ، بعد ان قام
بدور الوسيط بينه وبين حاكمى امارتى الشارقة -
التي تتبعها جزيرة أبو موسى - ورأس الخيمة ،
التي تتبعها جزيرتا طومب والصغرى والكبرى .

وقال احد المعلقين الغربيين ، وهو يعقب على
هذه الانباء ويشير بطرف خفى الى ما سوف يجرى
بعد ذلك ، ان بريطانيا التي اشتهرت طويلا بأنها



مسودة الاتفاق الذي وقع بين حاكم الشارقة السابق وبين حكومة ايران .. هل يمكن ان يقال حقيقة ان الرجل انفذ نصف جزيرة ابو موسى ؟

يظل أهلها تابعون للإمارة ، وان يكون ترخيص التقييب عن البترول فيها صادرا عن حكومة الشارقة .

وقال حاكم الشارقة أيضا : دبروني ماذا كان بوسعني ان افعل ؟ ان الاحتفاظ بالسيادة على البعض أفضل من خسارة السيادة على الكل . ان الدول العربية لم تساعدنا حتى نستطيع مواجهة تهديدات ايران ، وكان علينا ان «نقلع اشواكنا باصابعنا» ، ان البعض يتهمنا بأننا أضعنا نصف جزيرة ابو موسى . وانا أقول اننا انقذنا نصف الجزيرة .

هذا ما قاله الشيخ خالد ، المعروف بميوله التقدمية نسبيا بين حكام الامارات .

لكن موقف حاكم رأس الخيمة لا يزال محل شك من جانب الكثيرين . ومصدر الشك ان الشيخ صقر القاسمي يؤكد الولاء لبريطانيا ، ومعروف بارتباطاته الخفية مع ايران ، رغم كل الادعاءات التي تحيط به . وبالإضافة الى ذلك فان امارته فقيرة ، ليست لها اية موارد طبيعية بترولية أو غير بترولية . وهي تعتمد الى حد بعيد على المساعدات العربية ، خاصة من السعودية وقطر و ابو ظبي والكويت . فهل يعقل ان يرفض العرض الايراني بدفع مساعدة مالية تبلغ مليون ونصف مليون جنيه استرليني سنويا لمدة ٩ أعوام ، عن جزيرتين مهجورتين ، ولا بترول فيهما الى الان .

قضية الحلول التي تستطيع الكيانات السياسية الصغيرة التي تقبلها ، حلا لفزاعاتها مع الدول الاقوى ، وخشية الدخول معها في مواجهة غير متكافئة .

فمنذ أعلنت ايران عزمها على احتلال الجزر الثلاث بالقوة . قام المبعوث البريطاني وليام لوس بعملية الوساطة بين شاه ايران وحاكمي أمارتي الشارقة ورأس الخيمة .

وانتهت هذه المحاولات بتوقيع اتفاق مع الشيخ خالد القاسمي ، حاكم الشارقة الذي قتل قبل أسابيع ، في محاولة استعادة ابن عمه المخلوع لحكمه في الامارة . بينما رفض الشيخ صقر القاسمي حاكم رأس الخيمة - وابن عمه أيضا - توقيع هذا الاتفاق . وقال الشيخ خالد في تبريره لقبول الاتفاق ، انه «اضطر» الى توقيعه قسرا النهائية لانه لا يستطيع ان يواجه ايران ، التي كانت مصرة على احتلال جزيرة ابو موسى بالقوة المسلحة .

ثم قال حاكم الشارقة في مؤتمر صحفي عقده ، انه بحث الى كل الدول العربية من المحيط الى الخليج يستشيرها فيما يفعل ، ويطلب منها العون ، لكنه لم يجد تجاوبا من أكثر هذه الدول . فلم يجد مفرأ من قبول توقيع الاتفاق ، كحل وسط للمشكلة . واضاف الشيخ خالد : لقد حرصت على ان يظل علم الشارقة مرفوعا ، على الجزيرة ، وان

وعلى كل ، فاننا اذا اخذنا كلام حاكم رأس الخيمة بظاهره ، الذى اعلن فيه تمسكه بعروبة جزيرتى طومب ، وحتى تتكشف لنا أية أسباب خفية أخرى ، فينبغى ان نقرر ان الرجل اختار موقفا شريفا ، وجديرا بالتقدير .

المهم ، ان الاتفاق وقع من جانب الشارقة ، ورفض من رأس الخيمة

وقبل ٢٤ ساعة من الانزال الايرانى فى الجزر العربية الثلاث ، أعلن حاكم الشارقة الشيخ خالد القاسمى اتفاه مع الحكومة الايرانية بالنسبة لجزيرة أبو موسى . ونص الاتفاق ، وفقا لما جاء فى بيان حكومة الشارقة ، على انه « لا يمس نظرة الشارقة فى سيادتها على جزيرة أبو موسى ، حيث يبقى علم الشارقة مرفوعا عليها . » وبحيث يبقى كذلك على مركز الشرطة ، وعلى الدوائر الحكومية . كما يبقى المواطنون تحت سلطة واختصاص حكومة الشارقة » ، ونص ايضا على ان تقوم شركة « بيوتس جاز آند اويل » بالكشف والتنقيب عن البترول والمصادر الطبيعية فى جزيرة أبو موسى ومياهاها الإقليمية البالغ ١٢ ميلا بحريا ، حيث يجرى تقسيم دخل المصادر الطبيعية المستخرجة من هذه المنطقة مناصفة بين الشارقة وايران .

ونص كذلك على ان تدفع ايران للشارقة مساعدات مالية سنوية قدرها مليون ونصف مليون جنيه ولدة ٩ سنوات ، على ان تتوقف هذه الدفعات عندما يبلغ دخل الشارقة من البترول ثلاثة ملايين جنيه استرلينى سنويا .

ثم يأتى النص المهم فى هذا الاتفاق ، وهو يقضى « بأن تحصل القوات الايرانية الى منطقة متفق عليها فى الجزيرة بين الطرفين » .

وقبل قليل من انزال قوات المظلات الايرانية فى الجزر الثلاث ، القت طائرات الهليكوبتر الايرانية منشورات فوق جزيرة طومب الكبرى (طومب الصغرى مهجورة) ، تدعو السكان الى « ان يفخروا بأنهم سيصبحون جزءا من أمة من ثلاثين مليونا ، وليس من ثلاثين الفا » .

وتعمدت ايران كتابة المنشورات باللغة الايرانية . مع انها تدرك تماما انه لا يوجد احد من السكان يفهم هذه اللغة .

والواقع ان بعض مشايخ الجزيرة كانوا فى الاصل من سكان جزيرة « قشم » التى تملكها ايران فى الوقت الحاضر ، والتى تقع فى مدخل خليج هرمز (سميت الجزيرة بهذا الاسم نسبة الى

القواسم الذين ينحدر منهم حاكما رأس الخيمة والشارقة ، عندما كانت دولتهم تشمل غرب ايران على طول ساحل الخليج الشمالى الشرقى) . وبعد ان احتل الايرانيون جزيرة قشم ، هاجر بعض سكانها العرب الى طومب الكبرى .

تتابعت الاحداث بعد ذلك :

تم انزال قوات المظلات الايرانية فى الجزر الثلاث ، فى الساعة الخامسة والنصف من صباح الثلاثاء ٣١ نوفمبر ١٩٧١ .

لم يحدث قتال فى جزيرة أبو موسى ، التى يعيش فيها الف نسمة ، يعملون بالصيد . فقد كان دخول القوات الايرانية متفقا عليه . وتوجهت الى الجزيرة لجنة من حكومة الشارقة ، للتأكد من المواقع التى ستشغلها القوات الايرانية .

ووسط استقبال « حار » من جانب القوات الايرانية ، جرى تحديد المواقع التى للشارقة ، والتى للقوات المحتلة .

لكن الصورة اختلفت فى جزيرة طومب الكبرى ، التى يعيش فيها ٦٠٠ شخص . فقد قاومت حامية الجزيرة التى تضم ٦ جنود ، قتل اربعة منهم ، وجرح الخامس . وأسر السادس وهو عامل اللاسلكى . بينما قتل اربعة جنود ايرانيين ، أحدهما ضابط .

ودمرت القوات الايرانية المحتلة مركز الشرطة بالمدفعية . كما هدمت المدفعية الايرانية عددا من منازل الجزيرة بينها « المدرسة القاسمية الابتدائية للبنين » ، الامر الذى اضطر سكان الجزيرة الى اللجوء الى امانة رأس الخيمة .

ثم أعلنت الحكومة البريطانية ان جزيرتى طومب ، أصبحتا جزءا من « الاميراطورية الايرانية » .

وكان رد فعل الموقف الايرانى عنيفا فى امارات الخليج العربى ، التى اجتاحتها موجة من المظاهرات ، هاجمت المؤسسات الايرانية ، وحاولت احراق بعضها . وفى العالم العربى تفاوتت اصدااء الاحتجاج ، ولعل أشدها كان قرار مجلس الثورة الليبى بسحب الارصدة الليبية من البنوك البريطانية . احتجاجا على مسئولية بريطانيا فيما جرى . ثم قرار الحكومة العراقية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع انجلترا . وأصدرت بقية الدول العربية بيانات الاحتجاج ، التى طالبت فيها بأنسحاب قوات ايران من الجزر .

ولم تنتهِ القصة بعد .

البحرين : فريسة اقلنت

من قبضة الشبائ

منذ عام ١٨٢٢ ، وايران تحاول عبثا ادعاء تبعية البحرين لها ، ولكن هدفها في السيطرة على البحرين لم يتحقق ، ولم تعدل ايران عن موقفها الا في عام ١٩٧٠ ، عندما اعترفت بحق شعب البحرين في تقرير مصيره ، ولم يكن الوجه العربي للبحرين محل شك ، فاعلنت استقلالها في العام التالي .

وقد كان لاصرار شعب البحرين العامل الاول الذي ادى الى هذه النتيجة . يضاف الى ذلك الضغط الذي مارسته الحكومة الامريكية على ايران ، لتفسيح المجال للمخططات الامريكية في المستقبل ، التي كان من بين اهدافها اتخاذ البحرين كقاعدة بحرية للأسطول الامريكي .

وخلال القرن ونصف قرن الذي انقضى ، كانت بريطانيا تسعى الى صد الاطماع الايرانية في البحرين ، لا حرصا على عروبتها ، ولكن دفاعا عن مصالحها ، وابقاء على الوضع الراهن في المنطقة .

ففي سنة ١٩٢٩ ، اصدرت الحكومة البريطانية قانونا يلزم الفرس الذين يزورون البحرين بحمل جوازات سفر . وقابلت ايران ذلك بأن ألزمت البحارة الذين ينزلون الى اراضيها بحمل الجنسية الايرانية . ولم تترك ايران مناسبة دولة الا وحاولت اثبات حقها في ملكية البحرين . ففي سنة ١٩٢٧ ، عندما وقعت معاهدة « الصداقة » البريطانية السعودية وذكرت البحرين على انها امانة عربية - في معرض تأكيد السعودية بعدم التدخل في شئون امارات الخليج - احتجت ايران لدى عصبة الامم ، وقدمت مذكرة تثبت اسانيدها .

وعندما حصلت احدى الشركات الامريكية على امتياز التنقيب عن البترول في البحرين عام ١٩٣٢ ، قدمت ايران احتجاجا الى واشنطن على هذا التصرف .

وفي سنة ١٩٤١ ، تعرضت البحرين لغارة جوية ايطالية ، بسبب وجود وحدات من قوات الحلفاء فيها أثناء الحرب الثانية ، فاقحمت ايران نفسها في المشكلة ، وقدمت احتجاجا الى روما ! بل انه عندما أمم الدكتور محمد مصدق رئيس وزراء ايران البترول في بلاده سنة ١٩٥١ ، تذكر « حقوق ايران في البحرين » ، فاعلن ان قرار التأميم يسري على الشركة العاملة هناك . وأثيرت القضية أمام الامم المتحدة .

وبعد ما ارتبطت ايران بحلف بغداد في سنة ١٩٥٧ ، وتصورت أن ذلك قد يخفف من معارضة بريطانيا لها في الخليج ، أعلنت أن البحرين أصبحت المديرية الرابعة عشرة في « الامبراطورية » وخصصت لها مقعدين في مجلس النواب بتهران !

وفي العام التالي أعلنت حكومة ايران أن المراسلات والبرقيات المتبادلة مع البحرين ، ستعامل معاملة المراسلات الداخلية ، من حيث القيمة !

وقد سقطت كل ادعاءات ايران - من الناحية القانونية - منذ سنة ١٩٧٠ ، وان كانت فاخرة القيمة من الناحية الواقعية ، قبل ذلك بسنوات طويلة .

هل يصبح «تسلا عربيا» الى دبي؟!

لكن الاطماع الايرانية في امارات الخليج لا تقف عند حد . فمازالت أفواج المتسللين الايرانيين تتدفق في صمت الى مختلف الامارات . ويثير الانتباه في هؤلاء المتسللين أن معظمهم من الشبان ، الذين قضوا مدة التجنيد في الجيش الايراني ، ثم « سرحوا » - وتوجهوا الى امارات الخليج . وتشير الشك ايضا هذه الظاهرة ، الى أن بعض الذين يتابعون تحركات الايرانيين في الامارات يشيرون الى أن هؤلاء الشباب يمكن استخدامهم في تنفيذ أية اهداف بعيدة مستقبلا ، وهم منديون عسكريا على كل حال .

ان ٩٠ في المائة من الايرانيين الذين يعيشون في الخليج من المتسللين ، الذين جاءوا في قوارب بحرية تحت الظلام ، وألقتهم القوارب على الشاطئ ، ثم اختفت لتعود بغيرهم . وكانت سرقة اعداد المتسللين في السنتين الاخيرتين ، عندما لاحت في الافق بوادر انسحاب القوات البريطانية من الخليج . ومن الثابت أن عمليات التسلل لا تتم بصورة عفوية ، وان الايرانيين في الامارات تربطهم صلات وثيقة ، وهم منظمون الى حد بعيد ، كما سنرى بعد لحظات .

بالتسلل الذين تحاول ايران أن تفرض وجودها في الامارات . . .

وثمة محاولة أخرى عن طريق الزحف الاقتصادي ، الذي يقف في طليعته بنك الصادرات الايراني . ويمول هذا البنك نشاط التجار الايرانيين بصفة دائمة ، وبصورة تمكنهم من مواجهة أية منافسة من التجار العرب . ولهذا

البنك ٣ فروع في منطقة الساحل : في دبي ،
والشارقة ، وفي المنطقة بين امارتي رأس الخيمة
والفجيرة المتلاصقتين .

ويتمثل أبرز وجود للإيرانيين في الخليج في
امارة دبي ، حيث السواحل مفتوحة ، ولفترة
ليست قصيرة كان هناك تساهل كبير من جانب
الشرطة المحلية ، مع المتسللين . وتكاد تصل أفواج
المتسللين بمعدل ثلاث مرات كل أسبوع .

وحاكم دبي - الشيخ راشد المكتوم - على علاقة
وثيقة بالحكم الإيراني ، وهو يذهب مع أولاده بمعدل
أربع أو خمس مرات سنويا الى إيران في رحلات
للزيارة ، أو القنص وهناك يلقي ترحيبا وحفاوة
بالغب ، لا تخفى اهدافها على احد .

في دبي تتعدد مظاهر الوجود الإيراني ، ومن
أبرز هذه المظاهر :

- الكميات الهائلة للسلع الإيرانية التي تملأ
الأسواق .

- أقاموا مدرسة للبنين تضم أكثر من ألفي
طالب ، وكان يشرف عليها حتى قبل اعلان الاتحاد
والغناء معاهدة الحماية ، سفير إيران السابق في
لندن ! واسمه مستر فاروقي . وللمدرسة أتوبيس
خاص ينقل أبناء الإيرانيين المقيمين في امارة
الشارقة ، التي تبعد بحوالي ١٧ كيلومترا عن
دبي . وأغلب الظن أن الإيرانيين قد انتهوا الآن من
بناء مدرسة أخرى للبنات .

- ولا يخفى على أحد سر تعيين سفير سابق لإيران
لدى دولة كبرى مثل بريطانيا ، مديرا لمدرسة في
امارة صغيرة كدبي !

والحقيقة أن هذه المدرسة كانت تقوم مقام
السفارة ، في الظاهر ، فقد كان مديرها هو الذي
يمنح تأشيرات الدخول الى إيران . والمدرسة تقدم
الطعام بالمجان للتلاميذ . واليها يذهب العمال
الإيرانيون كل مساء ، لتناول وجبة عشاء
مجانية .

- بنوا أيضا مستشفى كبيرا بلغت تكاليفه
حوالي مليون جنيه استرليني ، وهو يعد أضخم
مستشفى في منطقة الساحل كلها .

- في كل الدوائر الحكومية توجد أعداد كبيرة
من الإيرانيين ، الذين يحصلون على جنسية
الامارة ، ويرتدون العقال ، ولا يعرفون حرفا
باللغة العربية . وعلى سبيل المثال فإن مكتب
البريد الرئيسي في دبي ليس فيه شخص واحد
يعرف اللغة العربية . كلهم إيرانيون .

أثار هذا التغلغل الإيراني الواضح تساؤلات
عديدة في الأوساط العربية في دبي والامارات

المجاورة ، وفي أحد اللقاءات التي ناقشت هذه
القضية قال أحد الشخصيات العربية في الامارة ،
انه اذا استمر التغلغل البشري والاقتصادي بهذه
الصورة ، فليس مستبعدا بعد سنوات أن يصبح
العرب أقلية في دبي ، ويثور الحديث حول « تسلل
عربي الى الامارة » ! .

ومن دبي يستمر الزحف الى الامارات الاخرى
المجاورة لها : الشارقة - رأس الخيمة - عجمان -
والفجيرة - وأم القيوين . وتعد دبي هي المنفذ
الطبيعي الى هذه الامارات ، التي يربطها بها
طريق بري ممهد .

وقد أقام الإيرانيون مستشفى آخر في امارة
عجمان ، يمنح الادوية بالمجان لاسلامى .
ويحاولون انشاء مدرسة في الامارة أيضا . لتعد
المستشفى والمدرسة وفرع بنك الصادرات ، ركائز
التغلغل في بقية الامارات .

وفي أبو ظبي يحتكر الإيرانيون كل تجارة
الاعذية ، بينما يشتركون مع الهنود والباكستانيين
في الاعمال الصغيرة والحرف . غير أن تسللهم
مستمر ، ومحاولات فرض سيطرتهم على
اقتصاديات الامارة مازالت في بدايتها .

بقيت بعد ذلك قطر والبحرين والكويت :

فقطر تضع قيودا شديدة على دخول الإيرانيين
اليها عن طريق البر ، بينما يصعب التسلل اليها
عن طريق البحر . ولذلك فإن الوجود الإيراني
محدود من حيث العدد . لكنهم يسيطرون أيضا
بشكل بارز على معظم تجارة الامارة ، والاعمال
الحرفية فيها ، التي يألف العرب من أبناء الامارة
من الاشتغال بها .

والبحرين تضع قيودا مماثلة . لكن أعداد
الإيرانيين فيها أكبر ، ربما لان تعدادها
أكبر (حوالى ٢٥٠ ألفا) . ويقدر عدد الإيرانيين
بعشرة آلاف نسمة . لهم وجودهم الاقتصادي
الملموس ، وبينهم أعداد كبيرة حصلت على
الجنسية البحرينية ، واقتحمت دوائر الحكومة
ومصالحها .

ونفس الوضع في الكويت ، حيث توجد جالية
إيرانية غنية وقوية ، لها من يمثلها في مناصب
الحكومة ، بل ان اثنين من ذوي الاصل الإيراني
دخلوا مجلس الامة الكويتي السابق بالانتخاب .

ومنذ سنوات قليلة ، عندما أعلن عن زيارة شاه
إيران للكويت ، عرض التجار الإيرانيون هناك أن
يغطوا المسافة بين المطار ومدينة الكويت بالسجاد
ترحيبا بالشاه . وتبلغ هذه المسافة حوالى ١٥
كيلو مترا . ولكن الحكومة الكويتية سألتهما عما

وازدهرت الحياة فيها ، مما أثار أطماع الإيرانيين والعثمانيين . فحاولوا بشتى الطرق الإطاحة باستقلال هذه الإمارة الفتية المتطورة . فقامت القوات العثمانية عام ١٨٢٧ م بتجريد حملة عسكرية على الإمارة ، وأنزلت بها خسائر فادحة رغم صمودها الباسل .

وأثار ذلك الذعر فى قلوب الإيرانيين ، الذين خشوا أن تطوقهم القوات العثمانية فى الغرب والجنوب معا . فبادرت بالاحتجاج ، وطالبت بتأييد من الحاج جابر ، بالتعويض عن الخسائر التى لحقتها الجيش التركى بالإمارة العربية . وكانت النتيجة أن اجتمع أطراف النزاع بالاشتراك مع ممثلين من الحكومتين الروسية والبريطانية ، ومنخفضت المفاوضات التى استمرت ثلاث سنوات عن عقد معاهدة « أرض الروم » التى وقعت سنة ١٨٤٧ م ، و « خصت فيها المحمرة وعبدان وبعض المناطق الأخرى بالدولة الإيرانية ، وألحقت مدينة السليمانية وتوابعها بالدولة العثمانية » .

وبذلك تكون الدولتان الكبيرتان قد قسمتا الإمارة الى منطقتى نفوذ ، وكانت الدولة العثمانية تدعى أنها تابعة لأقليم البصرة ، ردا على ادعاء إيران بأنها جزء من أراضيها .

ومنذ ذلك الوقت أطلق الفرس على إمارة المحمرة اسم « عربستان » التى ظلت محتفظة بكيانها الذاتى .

وفى عام ١٨٥٧ ، تحرك الاسطول البريطانى للسيطرة على « عربستان » ، مما دفع الشام الإيراني الى الاعتراف باستقلال الإمارة العربية . وتعهدت كل من فارس والإمارة أن تقفا صفًا واحدًا ضد كل اعتداء أجنبى .

وبلغت عربستان أوج عظمتها فى فترة حكم الشيخ خزعل ، ابن الحاج جابر ، الذى تولى الحكم سنة ١٨٩٧ . إذ بسط نفوذه على كافة أرجاء الاقليم ، وكانت قواته العسكرية تفوق قوى الدولة الإيرانية .

وعزز الشيخ خزعل استقلال عربستان ، مما أثار حفيظة شاه إيران وقتئذ - أحمد القاجارى - وحساسيته .

وفى عام ١٩٣٦ ، أرسل الشاه رسالة الى الشيخ خزعل ، يطلب فيها السماح لوفد إيراني برئاسة وزير الدفاع الجنرال رضا بهلوى ، الامبراطور الحالى ، بزيارة عربستان ، لفتح صفحة جديدة فى العلاقات بين البلدين .

رحب الشيخ خزعل بضيوفه ، واستقبلهم فى ميناء المحمرة ، الذى وصلوا اليه على متن طراد بريطانى . وأمضى الوفد الإيراني فى ضيافة

إذا كان ذلك تقليد سيتبع مع كل الرؤساء الذين يزورون الكويت . وعندئذ فقط عدل التجار عن اقتراحهم . وأقاموا أقواس نصر على طول الطريق من المطار الى العاصمة ، وقيل وقتئذ أن هذه الاقواس تكلفت ٢٠ ألف دينار كويتى . أى حوالى ٣٥ ألف جنيه مصرى .

تذكرنا هذه الصورة بما جرى فى فلسطين ، عندما قدمت اليها « طلائع » المجموعات الصهيونية فى الثلاثينات ، تسلا ، وقرضت فى البداية وجودا بشريا واقتصاديا - مدعما من الخارج - ثم استطاعت فى النهاية أن تفرض بالقوة والاغتصاب وجودا شرعيا فى المجتمع الدولى .

« المحمرة » .. إمارة

عربية ابتلعها إيران

ويفيدنا هنا بغير شك ، ونحن نسترجع الماضى ، أن نذكر أول إمارة عربية استولت عليها إيران فى القرن الماضى ، وبذلت - وما زالت تبذل - جهدا مركزا لطمس معالمها العربية . ونعنى بذلك إمارة « المحمرة » ، التى أطلقت عليها إيران اسم « عربستان » ، ثم « خوزستان » . ثم جرى لها ما جرى .

فقد أسست قبيلة كعب العربية هذه الإمارة فى الشمال الشرقى للخليج العربى . وحدودها تمتد شمالا حتى جبال روستان ، ويحدها من الشرق مجموعة سلال جبال كردستان التى تشكل حدودا طبيعية فاصلة عن إيران . وتمتد صوب الغرب حتى شرقى شط العرب . أى جنوبى شرق العراق ، وتبلغ مساحة هذه الإمارة العربية حوالى ٣٩ ألف ميل مربع ، وتعداد سكانها الآن حوالى ٣ ملايين نسمة .

وهى بلاد شديدة الخصوبة ، باعتبارها سهولا رسوبية شاسعة ، غنية بمواردها المائية . فضلا عن انها غنية بحقول البترول ، وتقع فيها حقول عبدان التى تعتبر أغنى حقول إيران البترولية . اتخذت إمارة المحمرة شكلا واضحا فى القرن التاسع عشر ، وكانت بمثابة قطر حاجز بين دولتين كبيرتين هما فارس والدولة العثمانية .

وقد استطاع بنو كعب طوال حكمهم أن يصدوا كل المحاولات التى بذلت للسيطرة على بلادهم ، والتى كانت تصدر فى ثلاث قوى اثلت ضدّهم فى حملات عديدة . وهذه القوى هى : الإيرانيون ، والعثمانيون ، والاسطول البريطانى فى الخليج العربى .

وفى عهد الحاج جابر يوسف اخذ حكام المحمرة - تطورت الإمارة تطورا عظيما ،

الشيخ خزعل ثلاثة أيام ، لقي خلالها حفاوة بالغة ، وحمل بالهدايا الثمينة .

وعندما جان موعد الرحيل ، تعمد الشيخ خزعل مرافقة ضيوفه حتى ميناء الحمرة تكريما لهم . وعلى رصيف الميناء ، دعاه الجنرال رضا بهلوي للصعود الى الطراد ، والقيام بجولة تفقدية في ارجائه فلبى الشيخ الدعوة شاكرا ، الا انه ما كاد يدخل احدى الغرف حتى اعتقله الجنود الايرانيون . وبدأت مدفعية الطراد تقصف المودعين ورجال الحرس الذين اصطفوا لوداع الضيف .

وفي اليوم التالي اقتحمت قوات ايرانية عربستان واحتلتها ، واعتقلت الشيخ مزعل شقيق خزعل ، ونقلته الى طهران ، وبقي معتقلا حتى اعدم هو وشقيقه في ٢٢ مايو سنة ١٩٣٦ .

توالت الاحداث بعد ذلك ، اذ رفض اهل عربستان الخضوع للحكم الايراني . وتمردوا أكثر من مرة ، وثاروا أكثر من مرة ، ولكن ثوراتهم كانت تقمع بكل قسوة وعنف .

والمثير هنا ان ابن الشيخ خزعل واسمه حاسب حمل الوثائق التي تثبت استقلال بلاده في اوائل الاربعينات ، وقرر ان يعرضها على الامم المتحدة في نيويورك ، وتوقف في لندن وهو في طريقه الى المنظمة الدولية . وهناك اختطف وقتل وصاعت الوثائق ، وقالت مصادر اسكوتلانديارد انها اسفة لانها لم تتمكن من معرفة الفاعلين ، او المحرضين على هذه الجريمة .

وفي عام ١٩٤٦ تكون في عربستان حزب « السعادة العربي » الذي رفع لواء الدعوة الى الاستقلال الذاتي ، ومارس الحزب نشاطه سرا ثم علنا . ولكنه ضرب بعد قليل وأعدم قاداته .

وفي سنة ١٩٥٦ شكلت جبهة تحرير عربستان ، التي ما زالت تمارس نشاطها حتى الآن ، والتي اعدم الكثيرون من اعضائها ، ولكنهم يواصلون نضالهم لتحرير بلادهم .

اللغة العربية ممنوعة

في « عربستان »

من بين عمليات الاعداء التي تمت ، ذلك الحكم الذي صدر ضد ثلاثة من قادة جبهة تحرير عربستان ، واعدوا على اثره في ١٤ يونيو سنة ١٩٦٤ ، والثلاثة هم : عيسى منخور البضاري ودهراب شميل الناصر ، ومحيي الدين الناصر .

بعد هذه العملية ، اراد الشاه ان يقضى على أي طابع عربي في عربستان ، فدعا الحكومة الى وضع خطة تهدف الى نسف كل جسر يربط بين

عربستان وماضيها العربي . واجتمع مجلس الوزراء الايراني برئاسة حسن علي منصور ، وقرر اتخاذ الاجراءات العشرة التالية :

● إلغاء التعليم باللغة العربية ، واغلاق المدارس الاهلية العربية في عربستان ، ومنع التحدث باللغة العربية ، او القاء الخطب بها في المناسبات او المهرجانات .

● إلغاء اعطاء جوازات السفر الدراسية التي تمنحها وزارة التربية والتعليم الى الطلاب العرب الراغبين في اتمام دراستهم العليا في المعاهد الاجنبية او الجامعات العربية . ومنع الطلاب العربي من متابعة دراسته الاعدادية والعالية . وانما عليه فقط التوقف عند نهاية المرحلة الابتدائية فقط ، علما بان هذه الدراسة باللغة الفارسية .

● يمنع اعطاء جوازات سفر للمواطنين العرب في عربستان ، خاصة اذا كان احدهم يرغب في السفر الى احدى الدول العربية ، ماعدا المملكة العربية السعودية وفي موسم الحج فقط . وتحدد صلاحية الجواز بشهر واحد . ويلزم كل حاج بأن يدفع ثامينا ماليا قدره ٢٠ الف ريال تودع في البنك المركزي الايراني .

● تعطى جوازات السفر للمواطنين العرب اذا ارادوا السفر الى احدى الدول الاوروبية او الامريكية او الافريقية - غير الاسلامية - ويؤشر على الجواز انه ممنوع على حامله دخول احدى الدول العربية . ولا يعطى الجواز الا بعد موافقة أجهزة المخابرات .

● اذا كان المتقدم لطلب الجواز من ابناء عربستان عمره أكثر من ٦٠ سنة ، يسمح له بزيارة المعتبات المقدسة في العراق ، لمدة ٢٥ يوما فقط . ويشترط الا يكون صاحب الجواز او احد افراد أسرته ينتمون الى « جبهة انفصال خوزستان الارهابية » . ويقصد بها جبهة تحرير عربستان .

● تعطى جوازات السفر للتجار العرب الى جميع الدول العربية والاجنبية باستثناء مصر . ويجب ان يحدد التاجر الدولة التي يقصدها ، ومدة اقامته فيها . وبعد ذلك يقدم تعهدا مكتوبا بان سفره لاهداف تجارية لا سياسية . وفي حالة المخالفة ، يكون متنازلا عن امواله المنقولة وغير المنقولة ويحال الى المحاكم الجنائية .

● ممنوع على العرب شغل الوظائف الحكومية ، او الانتساب الى الكلية الحربية ، كما يسرح كل موظف يشتبه في عرويته . امسا العسكريون من ضباط وظيف ضباط ، فيجسرى قسريتهم او اجالتهم الى التقاعد دون تعويض .

والبريطانية ما زالت موجودة ، ولها مصالحها وارتباطاتها ، « المستشارون » الانجليز للحكام ما زالوا يؤدون دورهم ، خصوصا في قيادة وحدات القوات المسلحة - التي يطلق عليها هناك وصف « قوة الدفاع » وفي الشرطة ، بل ان الوجود العسكري الامريكى قد تسلسل واختار له موقعا في البحرين ، التي وقعت اخيرا اتفاقية مع الحكومة الامريكية بمقتضاها حصل الاسطول الامريكى على قاعدة هناك .

هؤلاء جميعا لهم مصالح ومطامع ، وهى كلها تقف فى خط معاكس تماما لمصالح وطموح الشعب العربى فى الخليج ، ان لم تكن الامة العربية كلها

وينبغى ان نقرر هنا ان ما يجرى فى الخليج العربى لم يأخذ مكانه فى اطاره الصحيح ضمن خطوط السياسة العربية . لم تعالج اطماع ايران ومخططاتها باعتبارها قضية عربية ، تضاف الى قائمة القضايا التي تشغلنا وعلى رأسها احتلال الارض العربية ، واطماع اسرائيل التوسعية فى العالم العربى .

وربما كان رد الفعل العربى ، والمتفاوت الاصداء لاحتلال ايران للجزر العربية الثلاث ، دليل على ذلك .

ان اهتماما هربيا مركزا ينبغى ان يوجه لما يجرى فى تلك المنطقة يبدو ذلك الاحساس الذى يراود الطامعين ، بأن الوجود العربى غائب عن الخليج ، والاهتمام العربى قد اسقطها من حسابه انشغالا بما هو اهم .

فى هذا النطاق أيضا فان المعالجة العربية لاسلوب دعم اتحاد الامارات العربية الوليد ، ربما تسهم فى تثبيت احد الحواجز التي يمكن ان تصد احلام الطامعين ، حتى ولو بعد سنوات

ومن السابق لاوانه الان ان نقول ان جبهة تحرير الخليج تستطيع ان تفعل شيئا فى مواجهة الخطر الزاحف ذلك ان الجبهة ذاتها ما زالت تخوض معركة فى ظفار ، ضد السلطان قابوس حاكم عمان ومسقط . فضلا عن ان ملامحها السياسية وامكانياتها كقوة ثورية ، لم تتضح بصورة يمكن ان تفرض وجودها المؤثر فى ساحة الصراع .

لكن الثابت فى كل الاحوال ان الشوط مازال بعيدا ، سواء فى اساليب الزحف الى الخليج العربى ، او فى وسائل صد هذا الزحف وايقافه .

ونحن مطالبون بان ندرك حدود الخطر وذلك اضعف الايمان !

● تمنع قراءة القرآن باللغة العربية . كما يحظر على حاملى شهادة الحقوق ممارسة المحاماة امام المحاكم أو الدوائر باللغة العربية .

● ينقل الضباط العرب غير المشبوهين سياسيا من المنطقة العربية الى الولايات الفارسية . كما يطرد من الجيش ٣٠٠ من الضباط العرب دون تعويض أو معاش .

● يمنع اعطاء جوازات سفر الى العرب الفارين خارج البلاد ، والذين لم تتمكن الحكومة الايرانية من القبض عليهم . سواء كانوا عسكريين أو مدنيين .

والغريب انه بينما كانت الدول العربية تواجه نكسة ١٩٦٧ ، أصدرت الحكومة الايرانية قانونا جديدا اعتبرت بموجبه « جميع الاراضى المزروعة وغير المزروعة ، وكذلك الاراضى السكنية فى منطقة عربستان ، ملكا للدولة الشاهنشاهية » ودعا الفانسون الى تغيير جميع المستندات الرسمية للملكية باللغة .

والزم القانون اصحاب المنازل والاراضى فى عربستان بالحصول على سندات ملكية جديدة ، بعد ان تكون لجان خاصة قد قدرت اثمانها ، لسداد هذه الاثمان مقابل الحصول على السندات الجديدة .

معنى ذلك ان القانون فرض على سكان عربستان ، دفع ثمن ما يملكون من عقارات باراض ، والا جردوا منها !

وقد اضطر كثيرون هجرة اراضيهم ، لانهم لم يستطيعوا دفع المال الكافى ، لسداد قيمة المنازل والاراضى التي يملكونها !

آخر الاسئلة : ما العمل ؟

حقيقة ، ما العمل ؟

اننا لم نعد بحاجة الى دليل يؤكد ان ايران مخططات واطماعا لا تقف عند حد فى منطقة الخليج العربى ، وانها ترصد كل حركة فى تلك الساحة العربية الغنية بالبتروى ، المليئة بكل عوامل الاغراء ، الايجابى منها والسلبى .

أيضا لم نعد بحاجة الى ما يثبت لنا ان ايران ماضية فى مخططاتها ، سواء استخدمت فى ذلك اسلوب الاستعمار القديم او الجديد ، ونعنى بذلك الاحتلال العسكرى او السيطرة الاقتصادية .

كذلك فان كل الشواهد تشير الى ان ايران برغم مطامعها الخاصة - فانها ليست « اللاعب الوحيد » فى المنطقة . شركات البتروى الامريكية

الاتجاهات الرئيسية في

برامج التنظيمات الوطنية والتقدمية في الخليج

وفي هذا المجال نعرض للاتجاهات الرئيسية في برامج القوى الوطنية، ومواقفها تجاه مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتصوراتها حول آفاق ومستقبل المنطقة .. وفي مقدمة هذه القوى الوطنية: الجبهة الشعبية لتحرير الخليج، والجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج، وجبهة التحرير الوطني بالبحرين.

وهناك اجماع بين كل القوى الوطنية والتقدمية في المنطقة على: « رفض الوجود البريطاني الذي يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية، ويواصل النهب المنظم لخيرات المنطقة وتحويل البلاد عن طريق زرع القواعد العسكرية الى بؤرة توتر بالنسبة لشعوب المنطقة، وتهديد الشعوب الاخرى، والسعي بكل الوسائل غير المشروعة لضمان استمرار تدفق النفط، واستمرار السيطرة

منطقة الخليج العربي منذ عدة سنوات حركة وطنية نامية ضد الوجود الاستعماري الانجلو-امريكي المتمثل في احتكارات البترول ومئات الشركات الرأسمالية، التي تستنزف ثروات المنطقة، وتجعل منها سوقا لتصرف منتجاتها، كما يتمثل ايضا في وجود القواعد العسكرية الموجهة لكبت وقمع شعوب المنطقة.

وهذا الصراع ضد الوجود الاستعماري يتخذ شكل الكفاح المسلح في اجزاء عديدة من المنطقة، كما يتخذ شكل النضال السياسي في اجزاء اخرى كما هو الحال في البحرين، ونضال شعوب الخليج في جوهره انعكاس للنمو والتصاعد المستمر في حركة التحرر العربي وتطورها والتفاعل معها، كما يتخذ المضمون الذي يتفق والابعاد الوطنية والاجتماعية التي يتخذها التطور العام للمجتمع العربي.

تشهد

السياسية والاقتصادية والعسكرية على هذه المنطقة الحساسة من العالم ، بالنظر لما تمثله من أهمية استراتيجية في حروبها العدوانية ضد الشعوب المناضلة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية » .

« ... وان الاستعمار البريطاني راح يدخل في السنوات الاخيرة اساليب جديدة للتمكين من قبضته على شعوب المنطقة والقوى الوطنية والتقدمية تعتمد على اجهزة القمع البوليسية والجاسوسية ، والمطاردات والاغتيالات للعناصر الوطنية والتقدمية ، وشن حملات الاعتقال الجماعية ، والسعي الى شق صفوف الجماهير بجميع وسائل التأثير الفكري ، ومحاولة زرع روح العداء للافكار الوطنية والتقدمية » .

وتشير برامج القوى الوطنية بالمنطقة الى : « اشتداد هجمات رؤوس الاموال الاستعمارية وخصوصا الامريكية والبريطانية على المنطقة في الفترة الاخيرة لبناء المشاريع الاستغلالية » . وتسوق جبهة التحرير الوطني بالبحرين الامثلة على ذلك مثل : « مشروع مصنع الانميوم الذي انشئ في البحرين اخيرا برأس مال ٦٠ مليون جنيه استرليني وتشترك فيه بشكل اساسي رؤوس اموال امريكية وبريطانية ، وزيادة عدد البنوك عن عشرة كالبانك الشرقى ، والبنك البريطاني للشرق الاوسط ، وتشيس مانهاتن بنك ، وهيرست ناشيونال بنك الذي نقل مركزه الرئيسى من بيروت الى البحرين اخيرا ، وباكستاني حبيب بنك ، ويوناييد بنك ، وبنك صادرات ايران ، عدا شركات التأمين وورش تصليح البواخر وشركات الطيران « بواك » وغيرها ، وشركات البواخر والمشاريع الفندقية (هيلتون - مون - سالزا - الخليج) » .

كما تشير الجبهة الشعبية لتحرير الخليج الى : « افقتساح خمسة فروع جديدة للبنوك الاستعمارية في اماره راس الخيمة في السنوات الاخيرة وهى : بنك صادرات ايران ، والبنك العربى المحدود ، وناشيونال اندجريندليس بنك وباكستاني حبيب بنك ويوناييد بنك باخسانى بالاضافة الى البنك البريطانى للشرق الاوسط القديم » . وتنبيه القوى الوطنية الى الدور النموذجى للبنوك الباكستانية كوسيطه للاستعمار الجديد » .

وتحذر القوى الوطنية من : « الاخطار الناجمة عن فتح الباب على مصراعيه امام الشركات

الامبريالية ، الذى يعطى مقدرات البلاد للاستعمار الجديد ، وان تصبح الشركات الاستعمارية المالك الاساسى للبلاد ، كما سيؤدى من ناحية اخرى الى نمو الطبقة البورجوازية الكومبرادورية (التى تقوم باعمال التوكيلات وتصريف المنتجات الاستعمارية) . ذلك ان مجتمع الخليج بثرواته النسبية ، وبوجود طبقتين (اقطاعية ، وكومبرادورية) يخلق شرائح المجتمع التى تستهلك البضائع الاجنبية ، وينمى الطبقة الكومبرادورية المرتبطة بالاستعمار والمستعدة للدفاع عنه بشراسة ، ويضغط باستمرار للحفاظ على وضع اقتصادى يعتمد على السوق الرأسمالية العالمية ويرتبط بها » .

وتتفق وجهات النظر للقوى الوطنية المختلفة حول الاسباب الحقيقية التى دفعت بالامبريالية البريطانية : « الى انتهاج سياسة استعمارية جديدة تتمثل فى تحديث وجودها الامبريالى فى الجزء الشمالى من المنطقة ، عن طريق سحب بعض قواعدها وقواتها من الامارات الشمالية وخداعها باعطائها استقلالاً شكلياً زائفاً كدول مستقلة قائمة بذاتها » . وان الباعث من وراء دعوة بريطانيا لانشاء اتحاد الامارات العربية ، هو خدمة مصالح القوى الامبريالية والرجعية » . كما تعتبره الجبهتان الشعبية والديمقراطية : « تشويه فظ لرغبة جماهير الشعب ونضالها من اجل انهاء مأساة التمزق وتحقيق الوحدة بين شعوب المنطقة . وان كل ادعاءات ومظاهر الانسحاب البريطانى العسكرى من الاجزاء الشمالية من الخليج . وكذلك المحاولات والمخططات الامبريالية الرامية الى اصفاء الطابع الوطنى والديمقراطى على الاقاليم المحتلة وشبه المحتلة ، فان القوى الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية تحاول ان تشدد قبضتها أكثر على هذه الاقاليم بأشكال وطرق متعددة » . وانهم فى الوقت الذى يمهدون فيه لسحب بعض القواعد العسكرية المكشوفة والفرق العسكرية ، يعززون ويوسعون الجيوش المرتزقة وخضوعها للتربية العسكرية الاستعمارية ، وكذلك زيادة وكثافة القوات البحرية الامريكية فى مياه الاقاليم ، وتعزيز الامبريالية الامريكية للجيوش والقواعد العسكرية فى ايران والعربية السعودية » .

وتحدد القوى الوطنية والتقدمية طبيعة المجتمع فى الخليج . بأنه « مجتمع مستعمر فى الاجزاء الجنوبية ، وشبه مستعمر وشبه اقطاعى فى الاجزاء الشمالية » كما تحدد : « اعداء الحرية

ولذا فهي تعتبر حليفا أساسيا للعمال والفلاحين » .

وان كانت جبهة التحرير الوطني في البحرين ترى : « بالنظر الى الظروف الخاصة ، والتطور النسبي المتميز للبحرين عن بقية الامارات الاخرى - فان العمال والفلاحين والمتقنين والبورجوازية الصغيرة ، هم القوى الاساسية للثورة صاحبة المصلحة في التقدم » . كما توضح « ان طبقة البورجوازية الوطنية بالمعنى التقليدي ليس لها وجود في البحرين » .

تعدد أشكال الكفاح

اما بالنسبة لشكل واسلوب الكفاح من اجل الاستيلاء على السلطة السياسية ، فيختلف الرأي وجهة النظر بين القوى الوطنية في المنطقة ، ان

والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي هم طبقة الاقطاعيين والبورجوازية الكومبرادورية ، وجميع عملاء الاستعمار من كبار الموظفين والجواسيس والخونة الذين يشتركون في عمليات النهب والاثراء على حساب النجماهير وممارسة السقم والارهاب ضد المواطنين » .

وحول تحديد من هي الطبقات الوطنية ، ترى الجبهتان الشعبية لتحرير الخليج والوطنية الديمقراطية : ان طبقتي العمال والفلاحين اللتين تمثلان الغالبية الساحقة من الشعب (حوالي ٨٠ في المائة) والتي تعاني أكثر من غيرها من اضطهاد واستغلال الامبريالية والاقطاعيين والبورجوازية الكومبرادورية ، هما القوة الاساسية المحركة للثورة وتشكلان جسمها الاساسي والغالب ، وان البورجوازية الصغيرة في المدن والريف تعاني من الاستغلال والاضطهاد ،

ظفار

تقع ظفار على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، وتشكل الجزء الغربي لسلطنة مسقط وعمان ، كما تربطها بجمهورية اليمن الجنوبية حدود مشتركة ، وتبلغ مساحتها حوالي ٥٤ ميلا مربعا ، ويقدر تعداد السكان بحوالي ٣٠٠ الف نسمة . وفي عام ١٨٨٠ سقطت ظفار تحت سيطرة بريطانيا التي ضمتها الى سلطنة مسقط وعمان الخاضعة للاحتلال البريطاني ، وقامت بريطانيا بعزل ظفار عزلا تاما عن بقية الامة العربية ، والصراع السياسي والاجتماعي والفكري للتخلص من السيطرة الاستعمارية ، وهجبت عن الرأي العام العربي حقيقة الاوضاع السيئة في المنطقة .

والمجتمع الظفاري هو مجتمع زراعي يتميز بالتخلف الاقتصادي والاجتماعي والفكري الشديد ويرتكز اقتصاده على الزراعة والرعي والصيد والتجارة ، بالاعتماد على وسائل انتاج بدائية ، مع استمرار ظاهرة الرق والعبودية التي ترجع الى التخلف الشديد في الانتاج ووسائله ، ويشكل الكادحون من عمال المبانى والطسوق والحراسة والعمال الزراعيين ، والفلاحين والصيدان والرعاة الغالبية الساحقة من الشعب .

وقد أدت هذه الاوضاع الى هجرة الكثيرين من شباب ظفار الى مناطق الخليج العربي والمملكة السعودية بحثا عن لقمة العيش ، حيث أتيج لهم الاتصال بالعالم الخارجي ، والتفاعل مع الاحداث السياسية والتحررية والقضايا العربية .

وفي عام ١٩٦٤ تكونت جبهة تحرير ظفار ، بالنقاء التنظيمات السرية الثلاثة من بين الشباب التقدمي الظفاري وهي : حركة القوميين العرب ، وجمعية ظفار الخيرية ، ومنظمة الجنود الظفاريين ، بهدف التحضير للثورة المسلحة ضد الاستعمار البريطاني .

وفي ٩ يونيو عام ١٩٦٥ ، أعلن بدء الكفاح المسلح من فوق جبال ظفار ، بقيادة جيش التحرير الشعبي الظفاري ضد الاستعمار البريطاني وحكم السلطان سعيد بن تيمور . ويعتمد جيش التحرير في كفاحه على استراتيجية حرب التحرير وبكتيكات حرب العصابات ، والانطلاق من الريف والجبال ومحاصرة المدن وتطويقها .

وقد استطاع ثوار ظفار خلال السنوات الماضية الصمود في مواجهة القوات العسكرية والطيران البريطاني ، وكتائب المرتزقة الاجانب من قسوات مسقط وعمان بقيادة الضباط البريطانيين ، ونجحوا في تحطيم جدار الصمت الذي فرضته بريطانيا على المنطقة . وتبلغ نسبة المناطق المحررة حتى الان ثلثي الاقليم ، ويتولى هيأتها فصائل من جيشنا الفلاحين .

والطبقات الاجتماعية صاحبة المصلحة في التقدم والمدعون لاحداث التغيير المنشود . . الامر الذي يفسر موقف الجبهتين الشعبية لتحرير الخليج الوطنية الديمقراطية اللتين تعتمدان اسلوب الكفاح المسلح في اقليم ظفار وعمان الداخل ، وتدعوان اليه في بقية اجزاء المنطقة ، وموقف جبهة التحرير الوطني في البحرين التي تقصر نشاطها فقط داخل حدود بلادها وتعتمد اسلوب النضال السياسي لتحقيق اهدافها .

ومن هنا تتفق وجهتي النظر للجبهتين (١) بشأن طبيعة المرحلة وهي : « ان الثورة في الخليج هي ثورة ديمقراطية شعبية ، ولايد من حل مهام الثورة الديمقراطية من مداخل اكثر تقدمية واكثر جذرية . وان الديمقراطية التي تناضل من اجلها الثورة ، هي ولا شك ديمقراطية من طراز جديد وديمقراطية جديدة وثورية » .

وعلى العكس تعتبر جبهة التحرير الوطني في البحرين ، ان طبيعة الثورة في المرحلة الحالية والمدعوة لاحداث التغيير المنشود . . الامر الذي الاستقلال والتحرر الوطني وتدعيمه ، والنضال من اجل ان يصبح الاستقلال الذي أعلن في ١٤ اغسطس ١٩٧١ استقلالا حقيقيا .

ولقد انعكس هذا التباين في وجهتي النظر حول طبيعة المرحلة وبالتالي المهام الاساسية في هذه المرحلة وخاصة على الصعيد المحلي ، وهذه المهام حسب رأي الجبهتين الشعبية والوطنية الديمقراطية هي : « تحرير المنطقة من كافة اشكال الوجود الاستعماري وتحقيق الاستقلال الناجز ، والقضاء على أنظمة الحكم العشائرية والوتوقراطية ، والقضاء على التجزئة وتحقيق وحدة المنطقة السياسية والقضاء على الاقطاع بكافة اشكاله ، والقضاء على العبودية وتصفية بقايا علاقات الرق ، وبناء نظام سلطة الديمقراطية الشعبية ، وانهاء سيطرة استغلال الطبقة الكومبرادورية وتصفية الاحتكارات الاجنبية ، وتحرير السوق الوطنية من الارتباط بعجلة السوق الرأسمالية العالمية ، وبناء اقتصاد وطني مستقل وقاعدة زراعية وصناعية ثقيلة ، واطلاق حريات ومبادرات الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في

بينما ترى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج : « انه في مواجهة اعداء شرسين متعددين كالامبريانية البريطانية والامريكية وحلفائهما الرجعيين ، لابد للثورة ان تكون ثورة شعبية واسعة طويلة الامد ، وتبنى استراتيجيتها وتكتيكاتها السياسية والعسكرية على هذا الاساس ، ولا بد للثورة ان تكون ثورة مسلحة ، تستخدم بشكل جيد العنف الثوري في تحطيم العنف الامبريالي الرجعي . ان طريقة الحرب الشعبية طويلة الامد تستطيع تحويل قوة العدو المؤقتة الى ضعف ، وضعفنا المؤقت الى قوة متعاضمة باستمرار ، وان التأكيد على خط الكفاح المسلح باعتباره الشكل الاساسي والاستراتيجي في النضال في كل الاقاليم لا يعني اطلاقا الاعراض عن الاشكال الاخرى في النضال »

كذلك ترى الجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان الداخل : « ان تصفية الاستعمار والاضاع المرتبطة به واقامة سلطة الشعب تعتمد أولا وأخيرا على آلاف البنادق التي تحملها آلاف الايدي المخلصة والثورية » .

وكما يتبين ، لا يوجد تمة خلاف بين الجبهتين فيما يتعلق بهذه النقطة ، غير ان الامر يختلف في رأي جبهة التحرير الوطني بالبحرين . اذ تقول : « ان شعبنا يناضل من اجل ايجاد حكومة وطنية تمثل جماهير شعبنا ، وتطهير جهاز الادارة من الإداريين الانجليز واعوانهم وتقيم نظام ادارة وطني ديمقراطي ومؤسسة ديمقراطية تكفل الحريات الديمقراطية لمجموع الشعب البحريني (برلمان ومجالس ادارة وبلدية ينتخبها الشعب وتمثله حقا) وتضع دستوراً يقوم على أساس ديمقراطي يأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية لوطنا . وكذلك تصفية جهاز المخابرات البريطانية والمتعاملين معه ومغادرة البلاد بدون رجعة ، وان لا يسمح شعبنا مرة اخرى بوجود (القسم الخاص) وان تلغى حالة الطوارئ التي اعلنت منذ ١٩٥٦ واطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين والمعتقلين وارجاع جميع المنفيين واعادة الجنسية لمن سحبت منهم » .

ان هذا الخلاف الواضح في وجهتي النظر لا يعد خلافا نظريا ، بل ينبع من الخط الاستراتيجي العام ، لكل من هذه القوى الوطنية ، ومن نظرتها التحليلية الشاملة للوضع ، والظروف الخاصة ، ومن ثم تحديد طبيعة المرحلة والمهام المطروحة

[١] أعلن في الفترة الأخيرة انه تقر دمج الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل والجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي في جبهة واحدة باسم «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي » .

الثورة، وتعبئة طاقات الشعب سياسياً وعسكرياً، وبناء جيش ثوري قوي، والعمل على إلغاء فوارق التخلف بين الريف والمدينة، ومكافحة الثقافة الاستعمارية والرجعية وبناء ثقافة وطنية ثورية، وتحرير المرأة من كافة أشكال الاضطهاد السياسي والاجتماعي والعائلي، والقضاء على الظلم الاجتماعي وتوفير العيش الكريم لكل مواطن ومحاربة أسباب الفساد الخلقي والاداري والسياسي ومحاربة الفقر والجهل والمرض وكافة أسباب التخلف في المجتمع وضمان الحقوق الكاملة للأقليات والجماليات الاجنبية وحرية العقائد والمذاهب الدينية».

كذلك فان المهام على الصعيد المحلي كما تراها جبهة التحرير الوطني في البحرين هي : « تنمية الاقتصاد باقامة صناعة وطنية لاستثمار مواردها وثرواتها الطبيعية لغرض سعادة ورفاهة شعبنا، واقامة نظام ضرائبي يجمي الصناعة الوطني وتخفيض الضرائب غير المباشرة عن كاهل الشعب، وتخليص شعبنا من شركات الاحتكار الاجنبية وبنوكها، وضد سيطرتها الاحتكارية على تجارتنا الخارجية، وحل مشكلة النهمين بالصرع على ايدي المضاربين والمحتكرين لقوت الشعب وتمكين الشعب من شراء قوته باثمان تناسب دخله، وان لا يكون ثلث الدخل خاص بفئة صغيرة، والسماح للعمال بانشاء نقابات للدفاع عن مصالحهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والصحية والثقافية، ومن اجل ضمان اجتماعي يقيهم عوز المرض والبطالة والشيخوخة وتطوير

وفيما يتعلق بالمهام على الصعيد العربي والعالمي، فان وجهات النظر بين القوى الوطنية المختلفة تكاد تكون متطابقة تماماً وهي : « النضال تحت راية النضال المشترك لحركة التحرير الوطني العربية من اجل تحرير جميع الاقطار العربية، ومن اجل استقلالها وسيادتها الوطنية وجرياتها الديمقراطية، ومن اجل انتصارات جديدة لحركة التحرير العربي ضد الاستعمار والصهيونية والوقوف الى جانب المقاومة الفلسطينية والعمل على توحيد كافة القوى الوطنية والتقدمية في الساحة العربية» واعتبار الثورة في منطقة الخليج العربي جزء من حركة الثورة الوطنية العالمية، والوقوف الى جانب القوى الاشتراكية والتقدمية العالمية في صراعها التاريخي ضد قوى الامبريالية والراسمالية العالمية».





الطبقة الوسطى

ودورها

في المجتمع المصري

د. رفعت السعيد

المقدرة على تحويل هذا التراكم الى استثمارات رأسمالية .

ان عصر « البرجوازية الكبيرة » بمعناها العلمى قد اختفى من أفق مصر بصدد قرارات التساميم عام ١٩٦١ . ولسنا نعنى بذلك اختفاء « الاثرياء الكبار » فثمة عناصر برجوازية تستطيع الان ومن خلال مسالك مأمونة وقانونية أن تحقق ثروات ضخمة قد تصل بها من حيث « المظهر » والقدرة على التظاهر بالثراء سواء فى المسكن أو مستوى المعيشة أو الملبس أو كمية الانفاق الى حد قد يدنو بها الى مستوى قريب من المستوى الذى كانت تعيش فيه بعض فئات البرجوازية المصرية الكبيرة القديمة . لكن ذلك لا يكفى على الاطلاق كى نسميها « بالبرجوازية الكبيرة » فهى ومهما بلغت من ثراء لا تزال

تسمية ما ، لم تشغل اذهان الباحثين مثل اسم « الطبقة الوسطى » الذى يعنينا الان هو تحديد ما نقصده بالضبط من هذه العبارة التى فقدت مضمونها القديم فقداننا يكاد ان يكون تاما ، وتحولت من حيث تعبيرها عن موقع اصحابها فى سلم الطبقات الاجتماعية فى مصر لتصل بهم الى أعلى درجات هذا السلم .

لعل

ومن هنا فان عبارة « الوسطى » تصبح غير ذات مدلول ، بل ومضللة فى أحيان كثيرة .

كذلك فاننا لا نستطيع ان نسميها « بالبرجوازية الكبيرة » فهى أيضا تسمية توحى بمدلول مختلف تمام الاختلاف من حيث القدرة الاقتصادية والقدرة على تحقيق التراكم الرأسمالى والاهم من ذلك هو

محكومة بقيود قوانين تمنعها من « الانطلاق الرأسمالى » وتفرض عليها التمسك بطابع الانتاج الصغير خوفا من مخاطر مستقبلية .

وقد يلجأ البعض للتصايل فيقيم عددا من الوحدات الصغيرة المتناثرة بدلا من وحدة انتاجية كبيرة واحدة ، لكن ذلك لا ينفى ان طابع « الوحدة الصغيرة » يظل مسيطرا على عملية الانتاج ذاتها .

وباحتصار فان المجتمع المصرى يحتوى الان من القيود القانونية والقيود السياسية ، بل والقيود الطبقة ما يعوق من نمو هذه العناصر البرجوازية الاستغلالية الى مرتبة البرجوازية الكبيرة . كذلك فان تسمية « الرأسمالية الوطنية غير المستغلة » هى مجرد تسمية سياسية .

فمن الناحية النظرية المجردة يصعب تصور قيام اى استثمار رأسمالى « كبير كسان أم صغير ، وطنى أم غير وطنى » مع نفى صفة الاستغلال عنه .

فالاستغلال من الناحية النظرية والعملية صفة ملازمة لعملية الاستثمار الرأسمالى . . كذلك فان عبارة الرأسمالية الوطنية غير المستغلة « هى عبارة عامة وغير محددة من ناحية المضمون الاجتماعى ، ويبدو ان الميثاق « قد تعمد التعميم مؤملا ان يفسح المجال أمام المزيد من التغييرات الاجتماعية المتقدمة فى المستقبل من ناحية ، ومن ناحية أخرى كى يحدد الاطار السياسى للجبهة الوطنية نافيا عن اى طرف من أطرافها حق « الاستغلال » الاقتصادى للآخرين .

لكن هذه التسمية السياسية العامة والمتقدمة لم تنف من الناحية الموضوعية قيام أشكال من الاستغلال الرأسمالى فى المجتمع ، كما أنها فى غيبة الحرص الطبقي والسياسى لم تنف امكانيه انطلاق فئات عريضة سريعا فى طريق تحقيق

تراكمات رأسمالية لا بأس بها وايتكار أشكال مختلفة ومسارب مختلفة لتحقيق ارباح غير قليلة . كذلك يفضل البعض اطلاق اسم « الطبقة الجديدة » أو « الفئات الجديدة » وهذه التسمية تصلح أساسا للإشارة الى فئات البروهراطيين الجدد الذين احتلوا مراكز القيادة فى قطاعات الاقتصاد والانتاج عقب التأميمات ، وربما عبرت أيضا عن جماعات ممن استفادوا من صلاتهم وعلاقاتهم للانخراط فى سلك العمولات والتوكيلات والتصدير محققين أرباحا حيالية . .

لكنها تتجاهل بشكل اساسى عناصر الطبقة الوسطى التقليدية وفئات المنتجين الصغار القدامى الذين كانوا يعيشون حياتهم تحت وطأة فقر ومنافسة وضغوط المشاريع الرأسمالية الكبيرة ، ثم فجأة وبعد التأميمات وجدوا أنفسهم فى أعلى درجات سلم « القطاع الخاص » محققين أرباحا كبيرة سواء من خلال تعاملهم بوسائلهم واساليبهم الخاصة مع القطاع العام أو من خلال انفرادهم بانتاج مفردات سلعية قد تبدو تافهة لكنها تحقق ربحا عاليا ، او من خلال استمتاعهم بتشجيع وتمويل الدولة وبشكلها الصناعى لمشاريعهم . . . أو من خلال عشرات الوسائل والاساليب الأخرى القانونية وغير القانونية . .

وهذه الفئة قديمة - كما قلنا - ومتواجدة منذ ما قبل الثورة واستمر تواجدها حتى الان مع المزيد من التوسع فى حجم نشاطها والمزيد من الأرباح ومن فرص الربح .

ان النشرة الاقتصادية للبنك الاهلى تشير الى ان القطاع الخاص « لا يزال يلعب دورا هاما فى النشاط الصناعى على العكس من الظن الشائع »

ثم هى تقدم الاحصائية التالية تدليلا على صحة وجهة النظر هذه .

الحصة النسبية للقطاع الخاص من اجمالى الانتاج الصناعى (١)

القطاعات	عام ٦٤/٦٣	عام ٦٥/٦٤	عام ٦٦/٦٥	عام ٦٧/٦٦	عام ٦٨/٦٧
صناعة الغزل والنسيج	٢٧ر٤	٢٩ر٣	٣٠ر٨	٥٧ر٨	٥٣ر٩
الصناعات الغذائية	١٨ر٥	١٧ر٧	٢٠ر٥	٢٣ر٦	٢٥ر١
الصناعات الكيماوية	١٥ر٦	١٤ر٧	١٤ر٢	١٣ر٤	١٢ر٧
الصناعات الميكانيكية	—	٢٢ر٣	٢٣ر٨	٢٤ر١	٢٥ر٦
الصناعات الخشبية	٨٥ر٠	٨٥ر٠	٨٤ر٠	٨٦ر٠	٨٧ر٠

[١] البنك الاهلى - النشرة الاقتصادية - العدد الرابع [عام ١٩٦٩] مقال افاق النمو الصناعى الحديث فى ج.ع.م ص ٣٦٣ - نقلا عن - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء - نشرة احصاءات عامة ودراسات تحليلية رقم ٦٨ - سبتمبر ١٩٦٩ .

وخاصة هؤلاء الذين تمكنوا من تكوين ثروات ليست بالقليلة من خلال السيطرة على الجمعيات التعاونية في القرى وتحويل مشاريع الدولة لخدمة الفلاح ، والتيسير عليه الى مجالات للرياح غير المشروع .

● اغنياء الريف وهي فئة استفادت من اراحة كابوس كبار الملاك عن كاهلها لتحتل هي مكان الصدارة في القرية وتهيمن بنفوذها على مختلف مجالات العمل السياسي والتعاوني والاقتصادي في القرية .

وهي الفئة التي تجثم الان « سياسيا » ر « اقتصاديا » الى حد ما على كاهل القرية المصرية ، مستعدة من كل ما يقدم للريف من خدمات ، وهذه الفئة تعتبر أنها وحدها المعنية بكل ما يحدث عه الميثاق وبرنامج العمل الوطني والدستور والمواثيق من ضرورة تمثيل الفلاحين في العمل السياسي والتشريعي . وهي فئة لا تكتفى بما تملكه من اراض زراعية ، لكنها تمارس الان تسيطا « تجاريا » و « ريسويا » « والتاجيا » واسعا . فهي تتجر في الحاصلات الزراعية وخاصة بعد ان اتاحت لها ذلك بعض التعديلات الاحيرة من فرض الافلات من قوانين التسويق التعاوني وهي تفرض على سوق القرية نوعا من الاحدكار في عدد من الضروريات الاساسية مكونة سوقا سوداء تنهب الفلاحين الفقراء نهبا حقيقيا ، وانفسات المستنيرة منها تشتغل الان بساعات محاصير للتصدير ، وبعضها بدأ ينتهز أيضا بعض التعديلات التي طرأت على القوانين ليقوم بعمليات « ربوية » وشراء المحاصيل مقدما الخ . وبعضها ينشط في مجالات تربية الماشية ، والصناعات الغذائية المختلفة ٠٠٠ الخ .

وباختصار فانها فئة نشيطة شديدة النهم تتحرك في مجالات مختلفة وعديدة وتمارس نشاطا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا واسعا . ومن هذه الفئة تبرز الغالبية الساحقة من ممثلي « الفلاحين » سواء في مختلف مستويات الاتحاد الاشتراكي وهي مجلس الشعب وفي المجالس الشعبية المحلية وتستفيد هذه الفئة من قواجمها في هذه الاماكن ، ومن علاقاتها الاسرية وصادقاتها مع قيادات الأجهزة الحكومية المحلية لتحقيق المزيد من المكاسب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

في مجال الانتاج الصناعي

نقدم لنا الاحصائية السابق الاشارة اليها بصورة كافية عن مدى نشاط القطاع الخاص في مجال الصناعة ، وعن مدى الاتساع المستمر لهذا

ان نظرة واحدة على هذه الاحصائية توضح على الفور حجم الدور الذي تلعبه هذه الفئات في عمليه الانتاج الصناعي . بل وتوضح أيضا مدى الازدهار الذي تحققه ، ذلك أنه بالرغم من تزايد المشاريع الصناعية العامة سواء من ناحية العدد أو الضخامة أو الانتاجية ، فان الحصة النسبية للقطاع الخاص من اجمالي الانتاج الصناعي تزايدت في أكثر من موضع .

ولا شك ان احصائيات اعوام ٦٩ - ٧٠ - ١٩٧١ سوف تحمل هي أيضا مزيدا من مؤشرات الزيادة .

فاذا أضفنا الى مجالات الصناعة المجالات الاخرى مثل الزراعة والمقاولات وتجارة الجملة ونصف الجملة والتجزئة وهي مجالات كلاسيكية بالنسبة للطبقة الوسطى منذ أمد طويل يتضح لنا مدى الخطأ الذي يمكن أن نقع فيه لو اكتفينا باطلاق اسم الطبقة « الجديدة » على هذه الطبقة المكونة من فئات متعددة وغير متجانسة من بينها فئات واسعة تمثل « الطبقة الوسطى القديمة » بكامل صفاتها الكلاسيكية المتعارف عليها في حقل الدراسات النظرية وفئات واسعة اخرى شتات وتكونت من خلال عملية التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي شهدتها المجتمع المصري منذ قيام ثورة يوليو . وهي فئات جديدة بالفعل من حيث منطلقاتها الفكرية والسياسية ودورها في مجالات الانتاج ومن ثم فانه يتعين اخضاعها لقاييس نظرية مختلفة عند تناول دورها بالتحليل .

نخلص من ذلك كله ان التسمية الأكثر دقة والاكثر علمية لهذا القطاع من الفئات الذي بصطلح سياسيا على تسميته احيانا باسم « الطبقة الوسطى » وأحيانا اخرى باسم « الرأسمالية الوطنية غير المستغلة » ، وأحيانا ثالثة باسم « الطبقة الجديدة » هي « الفئات الاجتماعية العليا في المجتمع المصري الجديد » . وعبر هذه الدراسة فأننا عندما نتحدث عن « الطبقة الوسطى » فانما نستخدم مجرد اصطلاح سياسي متعارف عليه يعنى من الناحية العلمية هذه « الفئات الاجتماعية العليا في المجتمع » .

ملاحظات حول التكوين الاجتماعي

ممن تتكون اذن هذه المجموعة . من « الفئات العليا في المجتمع » ؟

في الريف . تتكون من :

● الشرائح العليا من متوسطى الفلاحين

النشاط بحيث يبدو القطاع الخاص في بعض المجالات في وضع المسيطر سيطرة شبه تامة على هذه المجالات

وثمة بيانات أخرى بالغة الأهمية توضح حقيقة الدور الذي تلعبه هذه الفئة في مجالات الصناعة المختلفة .

لكننا نثمين علينا أن نلفت النظر إلى حقائق غاية في الخطورة نجمت عن هذا « الثقل الاقتصادي » ففي الوقت الذي تحقق فيه هذه الفئات أرباحا كبيرة فإنها تفرض على عمالها أجورا منخفضة إلى حد يثير الدهشة ، بل وتثير التساؤل أيضا حول مدى تطبيق قوانين الحد الأدنى للأجر .

والجدول التالي يوضح مقارنة بين الأجر الشديد الانخفاض الذي يحصل عليه عامل القطاع الخاص وبين ارتفاع القيمة المضافة التي يحققها بجهد وعرقه

ونظرة واحدة على الإحصائية المبينة في الجدول التالي نوضح أن ثمة عاملا مصرياً لا يزال حتى الآن يتقاضى أجرا قدره ١٦ جنيه سنويا أى بالتحديد (١٣٣ قرشا في الشهر) بينما يحقق المشروع الذي يعمل فيه قيمة مضافة قدرها ٢٤٠٠ في المائة

كذلك تستخلص الدراسة المشار إليها عددا من الحقائق الهامة :

● فهذا القطاع يحقق حوالي ١١ في المائة من القيمة المضافة التي يحققها قطاع الصناعة ككل بينما لا تزيد الأجور المدفوعة في هذا القطاع عن ٢٠ في المائة من اجمالي الأجور في قطاع الصناعة (٤) .

● ونلاحظ أيضا أنه بينما يتراوح نصيب الأجور في القيمة المضافة بين ٩٢ في المائة و ١٤٨ في المائة فإن نصيب عوائد التملك في هذه القيمة بين ٨٥٢ في المائة و ٩٠ في المائة (٥)

ويهمنا أن نلاحظ أن فئة المنتجين الصناعيين في

فإذا أخذنا قطاعا محدودا من هذه الفئة وهم أصحاب المشاريع الصناعية التي تستخدم عشرة عمال فأقل (واضعين في الاعتبار الضعف النسبي للأوضاع الاقتصادية لهذه الفئة من المستثمرين وأن هناك وحدات للقطاع الخاص كثيرة العدد تضم عمالا يزيدون عن عشرة ومن ثم تحقق ربحية أعلى وأنتاجية أزيد) ، فإننا نجد أمامنا الحقائق الرقمية التالية : (٢) .

● عدد المنشآت ١٤٤٥٥٦ منشأة

● يعمل بها ٢٨٥٠٠٠ مشغل

● تستخدم ٣٣ في المائة من القوة العاملة في قطاع الصناعة كله .

● قيمة الانتاج اجمالي الذي تحققه ١٤٢٠٤ مليون جنيه .

● القيمة المضافة التي تحققها هذه المنشآت ٥٦٠ مليون جنيه .

وهذه الأرقام كافية بذاتها للدلالة على حقيقة الثقل الاقتصادي ومن ثم الثقل الاجتماعي لهذه الفئة .

الأجر والقيمة المضافة في وحدات القطاع الخاص (عشرة عمال فأقل) (٣)

القطاع	متوسط الأجر السنوي بالجنيه	متوسط نسبة القيمة المضافة إلى رأس المال
صناعة المواد الغذائية وتشمل المشروبات والتبغ	٤٤	٢٠٦ ٪
صناعة الأحذية والملابس والصناعات من الأقمشة	١٦	٢٤٤ ٪
صناعة الأثاث والتركيبات	٢١	١٠٥ ٪

[٢] الإحصاءات التالية نقلت عن : المجلة الاقتصادية - البنك المركزي المصري - العدد ٣ - ٤ لعام ١٩٦٩ - دراسة - العمال والانتاج في الصناعات الصغرى .

[٣] المرجع السابق ص ١٧٣ ، ١٧٤

[٤] المرجع السابق - ص ١٦٨ - [محسوبة على أساس بيانات عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧] ومشتقة أيضا من دراسة المختبرات الإحصائية - الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء - عام ١٩٦٨ .

[٥] المرجع السابق - ص ١٧٦ .

وعلاقات استغلالية ، بل أنه يمارس عملية استيلاء منظمة على كل ما تقدمه الدولة من فرص ومساعدات لدعم التطور الصناعي في مصر .

والغريب في الأمر أن هذه الفئة لا تكتفى بذلك كله بل أنها ترفع صوتها باستمرار مطالبة بمزيد من « التشجيع » و « التسهيلات » ، و « الإعفاءات » . . . وكلما قدمت لها الدولة « مساعدة » ما ، كلما رفعت عقيرتها مطالبة بالمزيد .

وقد وصل الأمر ببعض الباحثين الذين تولوا الدفاع عن مصالح هذه الفئة المطالبة بإعفاءها من الضرائب لمدة ٥ أو ٧ سنوات (في بعض المجالات السياحية) (٨) .

في مجال الاسكان والتشييد

نلاحظ نموا متزايدا وسريعا لفئة المقاولين وخاصة المقاولين من الباطن الذين يعملون من خلف لافتات القطاع العام . أن كثيرا من شركات المقاولات في القطاع العام تستسهل عملية الحصول على مقاوله ما ثم منحها من الباطن لواحد أو أكثر من مقاولي القطاع الخاص مقابل عمولة . . . وكان كل الهدف من إنشاء شركات المقاولات في القطاع العام هو الحصول على بعض العمولات ، وليس تقديم نماذج ايجابية في الأداء والتشغيل والانتاجية وعلاقات العمل . وإذا كنا لا نملك احصاءات واقية عن نسبة ما حصل عليه القطاع الخاص من مقاولات فاننا نقطع بأن النسبة عالية بل وأكثر مما يتوقعه الكثير من الباحثين .

القطاع الخاص ويرغم كل ما تحققه من أرباح وما يفرضه من استقلال على عماله ، فإنها أيضا تستحوذ بنهم شديد على كل ما تحققه الدولة من تسهيلات أو خدمات في مجالها ، مثلها تماما مثل أغنياء الفلاحين في الريف . والنموذج الحي على ذلك هو عملية « الاستحواد » المنظمة والمتزايدة التي تقوم بها فئة المستثمرين الصناعيين في القطاع الخاص على معظم مخصصات البنك الصناعي .

ويشير الدكتور فؤاد مرسى - وكان في ذلك الحين - رئيس مجلس إدارة البنك الصناعي الى هذه الحقيقة قائلا : « وهكذا ظلت قروض البنك وتسهيلاته تلعب دورا انشائيا بالنسبة للقطاع الخاص ، فتمويل هذا القطاع لم يكن يعنى مجرد تقديم أموال التشغيل بل كان يعنى أيضا تمكينه من الاستثمار الجديد وذلك بالمساعدة على اقامة الورش والمصانع وشراء الآلات الجديدة ، ونتيجة لذلك ارتفعت جملة التسهيلات الائتمانية المقدمة للقطاع الخاص من ١٦٧.٠٠ جنيه في عام ٦٤ - ١٩٦٥ الى ٨٠٥ مليون جنيه في عام ٦٩ - ١٩٧٠ بنسبة ٧١٦ في المائة من جملة تسهيلات ، وانكمش بالتالي نصيب القطاع العام منها ، هذا عدا عمليات بيع الآلات بالتقسيط التي ذهبت بالكامل للقطاع الخاص » (٦) .

ويوضح الجدول التالي مدى السرعة التي زاد بها القطاع الخاص من استحواده على مخصصات البنك الصناعي على حساب كل من القطاع العام والقطاع التعاوني .

وهكذا فإن القطاع الخاص لم يكتف بكل ما يحققه من أرباح وما يفرضه على عماله من أساليب

التسهيلات الممنوحة من البنك الصناعي بحسب القطاعات (بملايين الجنيهات) (٧)

السنة	جملة التسهيلات	القطاع العام		القطاع الخاص		القطاع التعاوني	
		المبلغ	النسب المئوية	المبلغ	النسب المئوية	المبلغ	النسب المئوية
٦٧/٦٦	٤٦	٢٣٨	٨٢.٤	١٢.٩	٢.٧	٢.٧	٤.٧
٦٨/٦٧	٢٩	٢٤٤	٥٩.٨	٢.٣	٢.٤	٢.٣	٦.٠
٦٩/٦٨	٥٩	١٣٣	٣٢.٢	٤.٦	٧.٦	٦.٦	١.١
٧٠/٦٩	٨٢	٢٣٣	٢٧.٨	٥.٨	٧.٢	٥.٨	١.٠

[٦] د. فؤاد مرسى - مقال - تطوير البنك الصناعي - مجلة مصر المعاصرة - أبريل ١٩٧١ - ص ١١

[٧] المرجع السابق - ص ١٢

[٨] سيد أنام محمد - مدير بحوث التمويل بوزارة الخزانة - مقال - الإعفاءات الضريبية بقصد تشجيع الاستثمار والانتاج - مجلة مصر المعاصرة - يوليو ١٩٧١ - ص ٢١٤

كذلك لابد لنا أن نشير إلى أن اقتحام مقاولي القطاع الخاص لهذا الميدان قد فرض بالضرورة المنطق الرأسمالي في السعي للحصول على أقصى حد من الربح ، دون ما نظر للالتزام بدقة المواصفات أو حسن الاداء .

وفي مجال الاسكان يحقق المستثمرون ارباحا خيالية ، وسوف نكتفى في هذا الصدد بنموذج واحد يوضح حجم هذه الارباح . وهذا النموذج هو اعلان صغير نشرته الاهرام يقول : « مطلوب مالك أرض ، موقعها مهم يشترك معنا بالأرض فقط لإنشاء عمارة للمليك ، يصل الربح إلى ٨٠ في المائة » (٩) ، ولكي لا يشك القارئ ان ثمة خطأ مطبعيا فان الربح كما يقول الاعلان يصل إلى ثمانين في المائة من رأس المال) .

ولعل هذه الأرقام كافية بذاتها للدلالة ليس فقط على ضخامة استثمارات القطاع الخاص في مجال الاسكان وإنما أيضا على مدى الثراء الذي حققته الطبقة الوسطى عموما بحيث أصبح بإمكان فرد من أفرادها أن يشتري عمارة قيمتها ٢٠٠.٠٠٠ جنيه أو فيلا قيمتها ١٠٠.٠٠٠ جنيه ولعلها أيضا دليلا على الجراة التي بدأت هذه الطبقة تتسم بها في تصرفاتها فلقد مضت فترة من الزمن كان هؤلاء الذين يمتلكون مبالغ كهذه يترددون كثيرا قبل الافصاح عن ملكيتهم لها . كذلك فان كثيرا من المستثمرين في مجال الاسكان يلجأون إلى تملك الشقق أو تأجيرها مفروشة محققين أيضا أرباحا خيالية .

في مجال التجارة والتوكيلات

وهو واحد من المجالات التقليدية التي ساد فيها نفوذ مستثمري الطبقة الوسطى لفترة طويلة من الزمن بغير منافسة تذكر من القطاع العام

ان ضخامة حجم الاستثمارات الخاصة والأرباح التي تحققها في هذا المجال تتضح من ارقام مستقاة من مصدر رسمي تقول : « أنه في عام ١٩٦٧ كان « هناك ٢١٩ تاجرا يتجرون وحدهم في بضائع لا تقل أثمانها عن ١٣٠ مليون

ولعل هذا الربح الكبير هو الذي دفع كثيرا من تراكمات رأس المال المصري للاتجاه إلى الاسكان بحيث تزايدت الاستثمارات في قطاع الاسكان محققة دخولا مرتفعة لأصحابها .

وتوضح الاحصائية التالية حجم الدخول المحققة في قطاع الاسكان وسرعة تزايد هذه الدخول بصورة ملفتة للنظر .

تقدير الدخل المحلي من قطاع الاسكان بالاسعار الجارية (مليون جنيه) (١٠)

عام ٦٠/٥٩	١٩٦٥/٦٤	١٩٦٦/٦٥	١٩٦٧/٦٦	١٩٦٨/٦٧	١٩٦٩/٦٨
٧٢٠	٧٤٩	٧٦١	٧٩٠	١١٣١	١١٥٦

جنيه كل سنة ، ولا تقل أرباحهم منها عن ٢٥ مليون جنيه كل عام » (١٣) .

ولم تكن المسألة مجرد ارباح فاسحشة ، أو استثمارات كبيرة ، بل لقد تعدت ذلك إلى أن هذه الفئة قد أقامت سوقا سوداء تستند إلى نوع من الاحتكارات الصغيرة التي تستحوذ على معظم المتواجد من سلعة ما في السوق ، ثم تضارب بأسعارها صعودا إلى غير ما حد وفي تصريح صحفي أدلى به وزير التموين قال « لقد

ولعل ضخامة رؤوس الاموال التي يستثمرها القطاع الخاص في مجال الاسكان تتضح من نظرة سريعة أخرى على الاعلانات المبوبة .

فالشركة الاشتراكية (!) لتسييم وبيع الاراضى تطلب شراء عمارات على النيل قيمة كل منها من ١٠٠.٠٠٠ إلى ٢٠٠.٠٠٠ جنيه (١١) .

ونفس هذه الشركة الاشتراكية (!) تطلب في اعلان آخر شراء فيلات . قيمة الفيلا الواحدة ١٠٠.٠٠٠ جنيه (١٢)

[٩] الاهرام : ١٩٧٠/٦/٢٩ [الاعلانات المبوبة] .
[١٠] البنك الاهلى المصرى - النشرة الاقتصادية - العدد الثانى لعام ١٩٧١

[١١] الاهرام ١٩٧١/١١/٢٣ [الاعلانات المبوبة] .

[١٢] الاهرام ١٩٧١/١١/١٢ [الاعلانات المبوبة] .

[١٣] الاهرام - ١٩ أكتوبر سنة ١٩٦٧ - سوق الجهلة بكل اسراره - تحقيق عبد الوهاب مطاوع

تبين أن تاجرا يختزن بنصف مليون جنيه قطع غيار سيارات بينما السوق في أشد الحاجة إليها ، وتاجر آخر يختزن بـ ١٢٠ ألف جنيه أقمشة شعبية ، وآخر عنده بـ ٢٢٠ ألف جنيه أدوات كهربائية وهو يبيع القطعة التي ثمنها أربعة قروش بأربعين قرشا « (١٤) » .

وحتى بعد تصفية نفوذ هذه الفئة في بعض مجالات تجارة الجملة ، فإنها قد استمرت في استغلالها بصورة أو بأخرى مستطية دوما أن تجد لنفسها طريقا للربح غير الحدود . وبعض هذه الطرق هو سوق البضائع المهربة . وقد بدأت في أول الأمر كنوع من جس النبض ، فعندما أغمض المسئولون أعينهم عنها تحولت إلى تجارة كبيرة منظمة أعيت الحيل في مطاردتها . وتشير تصريحات المسئولين أيضا إلى أنه خلال عامي ٦٧-١٩٦٨ « تدفقت على مصر كميات من البضائع المهربة تقدر دوائر وزارة الاقتصاد قيمتها بعشرة ملايين جنيه ، ويؤكد مدير جمارك القاهرة من خلال مراقبته لمحاولات التهريب أنها تزيد كثيرا عن هذا الرقم » (١٥) .

وتشير هذه التصريحات أيضا إلى وجود ٤٢ ملكا لسوق البضائع المهربة يتعاملون في ١٠ ملايين من الجنيهات وإلى أن ٩ فقط من هؤلاء التجار يصل إليهم كل شهر بضائع قيمتها ٥٠ ألف جنيه (١٦) .

ولنا أن نتخيل حجم الأرباح التي تجنى من عمليات التهريب هذه والتي يقطع الكثير من المختصين بأن نسبتها تزيد على ١٠٠ في المائة وأنها تصل أحيانا إلى ٢٠٠ في المائة .

ولنسمح لأنفسنا بأن نقطع الطريق على الحديث بالأرقام لنشير إشارة عابرة إلى المخاطر المعنوية التي تهدد المجتمع من سيادة الاتجاه للبحث عن المصنوعات الأجنبية ، واعتبارها معيارا وحيدا ولا بديل له للاحترام والارستقراطية والثراء ، منبهين أيضا إلى خطر ذلك على سوق المنتجات المحلية .

وحتى في مجال العلاقة بالقطاع العام وبرؤوس أموال قليلة نسبيا يمكن للإنسان أن يحقق نسبة عالية من الربح .

ولنكتف في هذا الصدد بإعلان صغير يقول : « لسعة العمل - مطلوب شريك بالنصف لتوكيل شركة مصر للالبان والاعذية قطاع عام . يحقق التوكيل ربحا صافيا أكثر من ٦٠٠ جنيه شهري ، والتعاقد مع الشركة مقابل ٨٠٠٠ جنيه ، تحصلها الشركة لحساب التوكيل » (١٧) أي أن الربح السنوي $600 \times 12 = 7200$ جنيه ، أي ما يعادل كن راس المال المستثمر تقريبا ، ونعتقد أن في هذا المثال الكفاية .

في مجال الاستيراد والتصدير

وهنا نصل إلى مجال تحقق فيه الرأسمالية المصرية أرباحا تفوق الوصف . ومرة أخرى أود أن أكرر أن الوقائع والحقائق الرقمية تفوق الحصر ، وإننا سنكتفي فقط ببعض النماذج ، والأرقام الرسمية وحدها تكفي دليلا على نسبة الربح العالية في مجال تصدير الحاصلات « تمن طن الثوم في أسواق ميونخ وباريس وروما ٨٠٠ جنيه استرليسي ، بينما ثمنه في القاهرة لا يتجاوز ١٧٠ جنيهها مصرياً ، وثمان طن دهن الياسمين في مصر ٥٠٠ جنيه مصري بينما تشتري فرنسا الطن منه بـ ٩٠٠ جنيه استرليسي ، والطن من زهور البابونج ثمنه في ألمانيا الغربية ٧٠٠ جنيه استرليسي وفي القاهرة ٢٨٠ جنيه مصرياً » (١٨) . أن هذه النسب العالية من الأرباح قد اجتذبت الكثيرين من أبناء هذه الطبقة إلى مجال التصدير والاستيراد بادئين في أول الأمر في التحايل للحصول على الحصص المخصصة للقطاع العام عن طريق تقديم رشاوى ضخمة لبعض موظفيها

ولنتأمل - كالعادة - نمودجا واحدا هي قضية التلاعب في أذون الاستيراد المعروفة باسم قضية بيسيوني جمعة ، فقد كشفت التحقيقات فيها عن حقائق خطيرة سواء في كمية الأرباح التي يحققها المشتغلون في هذا المجال ، أو كمية الفساد الذي ينشروه ولنر الأمثلة :

● ● « استطاع المتهم المعترون الحصول على نسبة ٥ في المائة من مليون جنيه قيمة أذون حصل عليها من شركة لتجارة السيارات لصالح بيسيوني جمعة ، ثم عاد بيسيوني جمعة فأعطاه فوق هذه الخمسة بالمائة مبلغ ١٥ ألف جنيه هدية متواضعة » .

[١٤] الاخبار - ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٦٧ - حديث مع وزير التموين - أجواه أحمد زين

[١٥] الاهرام - ٨ ديسمبر ١٩٦٨ - تحقيق عبد الوهاب مطاوع ، آدم النواوي ،

[١٦] الاهرام - ٧ ديسمبر سنة ١٩٦٧ - تحقيق عبد الوهاب مطاوع .

[١٧] الاهرام - ١١ نوفمبر سنة ١٩٧١ - الاعلانات المبوبة .

[١٨] الاهرام - ٨ أكتوبر ١٩٦٧ - تحقيق عزت السعدني

● ● « خضعت شركة واحدة (قطاع خاص) على عمليات بمليون ونصف جنيه ، وقد اشترك شخصان يعمل لحساب بسببوني جمعة في العمليات نظير عمولة قدرها ٤٥ في المائة من الأرباح » (١٩).

● ● « موظف في شركة قطاع عام وافق على منح تراخيص استيراد أدوات كهربائية قيمتها عشرة آلاف جنيه مقابل عمولة قدرها ١٥ في المائة من أصل المبلغ » .

● ● « مساعد شلبياية كاتب في مصلحة الاستيراد حاصل على الابتدائية مرتبه الشهري سبعة جنيهات ، استقال من عمله وعمل في الاستيراد ، وإذا به ينتهي بثروة تصل إلى مليون جنيه وعزبة مساحتها ٢٠٠ فدان » (٢٠) .

وبعد عام واحد من هذه القضية تنشر الصحف خبراً يقول : « القبض على أربعة موظفين في شركة حصلوا على ٦ آلاف جنيه رشوة ، الموظفون تلاحقوا في أذن الاستيراد وفكروا تاجراً من تحقيق ٥٠٠٠ جنيه ربح » (٢١) .

وبرغم ذلك فإن الدولة قد وافقت تقديم تسهيلات متبالية للقطاع الخاص في هذا المجال ، وإذا جاز لنا أن نستخدم أسلوب السينما فائناً سنكتفى باستعراض شريط سريع من عناوين الصحف كلها تؤكد اهتمام الدولة بمنح تيسيرات وتسهيلات وخدمات لهذا القطاع من المصدرين والمستوردين .

● «فتح باب التصدير للمنتجين في القطاع الخاص» (٢٢) .

● « إلغاء نظام تفضيل القطاع العام عند التسويق أو التصدير » (٢٣) .

وإذا كانت المسافة الزمنية بين نشر هذين

الخبرين عاماً كاملاً فإن المسافة الزمنية تقارب بعد ذلك بحيث تكاد تجد في كل يوم خبراً جديداً لصالح القطاع الخاص . . .

● « تذليل مشاكل القطاع الخاص لضمان انطلاقه في التصدير » (٢٤) .

● « تسهيلات ائتمانية للمصدرين والمنتجين بالقطاع الخاص » (٢٥) .

● « السماح للقطاع الخاص باستيراد آلات وخامات في حدود ١٠٠٠ جنيه بدون تحويل عملة » (٢٦) .

● « تسهيلات جديدة لتشجيع تصدير منتجات القطاع الخاص - السماح بسفر المصدرين لإعادة العلاقات مع عملائهم » (٢٧) .

● « جميع السلع المصرية تصدر للخارج بغير رسوم ولا تراخيص » (٢٨) .

● «فتح باب التصدير أمام القطاع الخاص ومنحه الخامات للتشغيل - تعويضه عن العمليات الخاسرة واعفاؤه من تصاريح التصدير » (٢٩) .

● « إعفاء المصدرين من رسوم الفحص والنظر » (٣٠) .

● « زيادة المبالغ المعتمدة لمصانع القطاع الخاص لاستيراد الخامات أو مستلزمات الإنتاج من ١٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ جنيه لكل مصنع » (٣١) .

● « اصحاب مصانع القطاع الخاص يطلبون شراء خامات ومستلزمات إنتاج قيمتها مليون جنيه بدون تحويل عملة » (٣٢) .

● « القطاع الخاص يقوم بتصدير المواد دون شروط » (٣٣) .

[١٩]	الاهرام	٤ ٤ ٦	سبتمبر ١٩٦٢
[٢٠]	الاهرام	٤ ٤ ٦	سبتمبر ١٩٦٢
[٢١]	الاهرام	٨	نوفمبر ١٩٦٤
[٢٢]	الاهرام	٢٦	أكتوبر ١٩٦٦
[٢٣]	الاهرام	٢٥	أكتوبر ١٩٦٧
[٢٤]	الاهرام	١٣	نوفمبر ١٩٦٧
[٢٥]	الاهرام	١٩	نوفمبر ١٩٦٧
[٢٦]	الاهرام	١٧	ديسمبر ١٩٦٧
[٢٧]	الاهرام	٥	مارس ١٩٦٨
[٢٨]	الاهرام	٨	مايو ١٩٦٨
[٢٩]	الاهرام	١٩	أغسطس ١٩٦٨
[٣٠]	الاهرام	٩	نوفمبر ١٩٦٨
[٣١]	الاهرام	٢٥	نوفمبر ١٩٦٨
[٣٢]	الاهرام	٢٠	نوفمبر ١٩٦٨
[٣٣]	الاهرام	١	ديسمبر ١٩٦٨

الموظفين * وإذا ما تجاهلنا القمة العليا في الجهاز الإداري وهبطنا درجة أو درجتين بحيث تصل إلى مستوى رئيس مجلس إدارة شركة من شركات قطاع الاقتصاد وجدنا أن مرتبه الشهري كما يلي :

مليم جنية

المرتب الاصلى	١٦٦٠٠٠
بدل التمثيل	١٢٥٠٠٠
بدل انتقال	١٥٠٠٠
مكافأة سنوية	٥٠٠٠٠
ارباح سنوية	١٠٠٠٠٠



وثمة فئات أخرى تندرج في إطار هذه الطبقة منها على سبيل المثال كبار المهنين أطباء ومحامين ومحاسبين وصحفيين ومهندسين * الخ ومنها عدد كبير من أساقفة الجامعة وهؤلاء بالرغم من أنهم لا يلعبون دورا مباشرا في عملية التراكم الرأسمالي لهذه الطبقة ، إلا أنهم يمثلون طلائعها المتقنة ومحور آمالها في فرض وخلق مناخ فكري وسياسي ملائم لنمو عملية التراكم هذه .

وكان طبيعيا بعد ذلك كله أن تتضاعف ثروات هذه الطبقة وأموالها السائلة ، وأن تجوز على سطح المجتمع ثروات رأسمالية صرفة تتميز بمستوى معيشي مرتفع غاية الارتفاع بالنسبة لظروف المجتمع المصري .

وإذا أردنا نماذج لهذا الثراء الفاحش فإن الأمثلة عديدة وأكثر من أن تحصى ، لكننا سنكتفى ببعض المؤشرات :

وأهم هذه المؤشرات هو تزايد عدد السيارات الخاصة ، وتزايد عدد السيارات لدى الأسرة

● « زيادة صادرات القطاع الخاص إلى خمسة أمثالهنا ، بحيث تصل إلى ١٠ ملايين من الجنيهات قبل يونيو القادم (٣٤) »

● « القطاع الخاص سوف يصدر هذا العام ما قيمته ١٠ مليون جنيه بينما كان رقم العام الماضي ٣٠ مليون جنيه ، والعام الذي قبله ٢ مليون جنيه فقط (٣٥) »

● « رفع حد الاستيراد بدون تحويل عملة إلى ٣٠٠٠ جنيه للأفراد » (٣٦)

● « رفع حد الاستيراد بدون تحويل عملة للمصانع إلى ٧٥٠٠ جنيه » (٣٧)

● « بلغت صادرات القطاع الخاص في العام المالي ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، ١٦٢ مليون جنيه بعد أن كانت في العام الماضي ١٢٣ مليون جنيه » (٣٨)

والذي نود أن نؤكد هنا هو أننا لسنا ضد بعض ما اتخذ من إجراءات اقتصادية للتيسير على بعض مستثمري الطبقة الوسطى في هذا المجال أو ذاك ، لكننا فقط نسجل ملاحظات عامة مؤكدين أن مثل هذه التيسيرات يتعين عليها أن تضع في الاعتبار حقيقة ما تتمتع به الفئات من امتيازات ، ومقدار ما تحققه من أرباح .

كـيـار الموظفـين

وليس لنا هنا أن نتحدث طويلا ، فإن أرقام المرتبات معروفة للجميع ، والجديد في الأمر هو مضاعفة بدلات التمثيل التي يحصل عليها كبار

[٣٤] الأهرام - ١٢ ديسمبر ١٩٦٨

[٣٥] الأهرام - ١٧ مايو ١٩٦٩

[٣٦] الأهرام - ٤ سبتمبر ١٩٦٩

[٣٧] الأهرام - ٢٣ مايو ١٩٧١

[٣٨] الأهرام - ٢٣ يوليو ١٩٧١

الذي بلغ في عام واحد ٧٠ - ١٩٧١ مليون جنيه (٤٢)

كذلك تقرر مضاعفة انتاج سيارات الركوب
رسمييس بحيث يتم انتاج ألف سيارة سنويا ابتداء
من هذا العام (٤٢) *

وهكذا وفي ظل اقتصاديات الحرب فان الطبقة
الوسطى قد ضاعفت مقتنياتها من السيارات عدة
مرات ، ونجحت في ان تجمع من قضية استيراد
السيارات وتيسير استيرادها مشكلة تشغل
قطاعات كاملة من أجهزة الدولة ...

ولم تكن السيارات هي المظهر الوحيد ...
فهناك البذخ والانفاق اللامحدود على
الكليات ، وبروز تقاليد جديدة كانت قد اختفت

الواحدة بحيث أصبح طبيعيا ان تجد لدى الامرة
الواحدة سيارة للزوج واخرى للزوجة وثالثة وربما
رابعة للأولاد ...

ان تزايد عدد السيارات الخاصة (بما تعنيه
السيارة الخاصة من اعباء مالية مستمرة) يوضح
مستوى الثراء الذي وصلت اليه هذه الطبقة
ويوضح أيضا اتساع قاعدة هذه الطبقة ، ويوضح
ثالثا ، كيف استطاعت ان تفرض على المجتمع ككل
تطلعاتها الطبقية بحيث أصبحت مهيمنة على فكرية
قطاعات كاملة من المجتمع *

ولنعد مرة أخرى الى الارقام ، ففيها دلالات
كافية ...

سيارات الركوب المستوردة (٣٩)

السنة	عدد السيارات	الدين بالالف جنيه
١٩٦٦	١٨١١	١٥٦٤
١٩٦٧	١٨٢٣	١٥٦٩
١٩٦٨	٣٥٢٨	١٥٦٦
١٩٦٩	٥٩٤٤	٢٥١١

او على الاقل توارث من المجتمع المصري منذ تصفية
الطبقات المالكة القديمة ...

فقد رأينا كيف ان هناك اعلانا يطلب شراء فيلا
ثمها ١٠٠٠٠٠ جنيه ، وثمة اعلان آخر يعرض
شقة واحدة للتعليل ثمها ١٩٠٠٠ جنيه (٤٤) *

والخطير في الامر ان هذا الثراء ليس ناتجا عن
نمو اقتصادي صحي في المجتمع ككل ، بل هو على
العكس نتيجة لتشوهات والتواءات صاحبت تطبيق
الخطط الاقتصادية ... انه ثمرة التحايل والافساد
لمشاريع الخطة ، وليس ثمرة سعية لها *

لكن المخاطر الاقتصادية ليست هي كل ما تجنيه
مصر من تزايد ثراء الطبقة الوسطى وانتشار
تطلعاتها الطبقية وسيادتها في المناخ العام لفئات
البرجوازية الصغيرة والوسطى ...

ونجاة تتضاعف حتى استيراد السيارات ،
وخاصة بعد التيسيرات القانونية المتتالية لتصل
الى ارقام تبدو ارقام الاحصائية السابقة - برغم
ضخامتها - متواضعة تماما اذا ما قسورت
بها ...

وتكتب الجمهورية في ٢ يونيو ١٩٧١ « ان
متوسط السيارات الجديدة التي يستقبلها ميناء
الاسكندرية كل يوم قد وصل الى ٥٥٠
سيارة (٤٥) *

ويبلغ عدد السيارات التي تم استيرادها في
ثمانية اشهر فقط من عام ١٩٧١ من يناير حتى
أغسطس عشرة آلاف سيارة (٤٦) *

هذا بالإضافة الى انتاج شركة النصر للسيارات

- [٣٩] نقل عن النشرات الاقتصادية للبنك المركزي اعداد اعوام ١٩٦٨ - ١٩٦٩ - ١٩٧٠
[٤٠] الجمهورية - ١٥ يوليو ١٩٧١ - تحقيق فوزى دسوقي
[٤١] الاهرام - ٤ سبتمبر ١٩٧١ - تحقيق سامي دسوقي
[٤٢] الاهرام - ٧ أغسطس ١٩٧١ تحقيق عبد الوهاب مطاوع
[٤٣] الاهرام - ١٢ فبراير ١٩٧١
[٤٤] الاهرام - ١٢ نوفمبر ١٩٧١ [١] الإعلانات الجارية [٢]

ان التطلعات الطبقيّة البورجوازية قد فرضت نفسها في المناخ العام للمجتمع وأصبح الطموح الى الفيلا والسيارة والاصطياف بالخارج وهو العملة السائدة بين افراد الفئات البورجوازية عموما .

ولسنا بصدد دراسة الجانب الاخلاقي لثل هذه التطلعات في مجتمع مغير مثل المجتمع المصري ، يجابه احذياجات التطور الضرورية بصعوبة بالغة ويعد بؤسه للقتال ، لكننا نشير فقط الى ان انتشار الفساد والرشوة والانحراف هي بعض الانعكاسات الطبيعيّة لثل هذه التطلعات . هذا يمكن ان يفسر التسبب وبطءه ازاء مثل هذه التطلعات ؟ لا سبيل سوى الجريمة . ان سجل الحوادث لدى أجهزة الامن يشير الى ترايد الجرائم التي يرتكبها الشباب من ابناء الاسر الغنية ، تلاميذ صغار كل ما يريدونه هو المال لكي ينفقوا بكميات متلائمة مع مقاييس الطبقة التي ينتمون اليها او يتطلعون للانتماء اليها . « وتفسير الدراسات الى ان الكثير من مرتكبي الجرائم في الفترة الاخيرة ابناء عائلات طيبة وتربية .. ولهم عارب في وظائف كبيرة ومحترمون » (٤٥) .

واذا اردنا نماذج من الفساد الذي يعكسه مثل هذا المناخ على نشاط القطاع العام فاسا مقدم نموذجا واحدا لعله كافيا بذاته للدلالة على الانعكاسات على القطاعات الاخرى ..

والنموذج السافر هو مدى الفساد الذي غرسه القطاع الخاص وعلاقاته واساليبه في صناعه السيئنا المصريه ومؤسستها العامة . فقد استولى منتجوا القطاع الخاص على ٢١١ ألف جنيه من اموال المؤسسة (وهي اموال عامة) لحساب انتاج افلام لم تنتج .

ولقد بلغ اجمالي الديون المشكوك فيها التي حصل عليها القطاع الخاص من مؤسسة السيمما ٧٧٣ ألف جنيه .

وهناك ١١ شخصا مدينون للمؤسسة بمبلغ يصل الى ١٢٠ ألف جنيه ومع ذلك لم تطالبهم المؤسسة بتسديدها واستمرت في التعامل معهم مانحة اياهم سلفيات جديدة (٤٦) .

واذا اردنا نموذجا آخر للفساد الذي يقرسه القطاع الخاص عند احتكاكه بالقطاع العام فان هناك سلسلة القضايا الشهيرة والخاصة بعمليات التصدير والاستيراد . وقد اشرنا الى القضية المعروفة باسم قضية بسيوني جمعة . لكننا لم نشر الى كل ما تضمنت من حقائق ، واذا اردنا المزيد فاننا نجد ان موظفا عاما كان يشغل منصب مدير ادارة الاستيراد كان يحصل من مجموعة من التجار المستوردين رشوة اسبوعية قيمتها ٥٠٠٠٠ جنية ، وان مجموع المبالغ التي حصل عليها منهم خلال ثلاثة اشهر فقط تزيد على ٥٠٠٠٠٠ جنية (٤٧) .

ويشير قرار الاتهام الذي اصدرته النيابة العامة في هذه القضية ضد ٢٠ متهما منهم ٧ موظفين الى ان هؤلاء الموظفين قد تلقوا رشوى قيمتها ١٥٠٠٠٠ جنية في عمليات غير شرعية تقدر قيمتها بحوالى ٤ ملايين من الجنيها (٤٨) .

واذا كانت هذه التطلعات الطبقيّة الضارة قد دفعت البعض الى الانحراف فانها قد دفعت بالآلاف من الاطباء والصيادلة والمهندسين والمدرسين الى الهجرة للخارج بحثا عن التطلعات التي يعجز مرتبهم عن تحقيقها ..

ان هذه الالاف من المهاجرين هي ثروة قومية تقدر على صخرة التطلعات الطبقيّة البورجوازية فالجميع يهاجرون بحثا عن المال والسيارة والفيلا .. الخ .

ولسنا بطبيعة الحال ضد الهجرة ، ولكن ان يصل الامر الى حد يشبه الرغبة في الهجرة الجماعية او الافلات الجماعية من المجتمع المصري فان ذلك يحول الى كارثة قومية ..

ولناخذ مثالا مثيرا هو مثال المدرسين الذين هاجروا باعداد غفيرة مسببين أزمة قومية بالفعل .

ولم يكن من الممكن دعوة هؤلاء المدرسين البقاء حوفا على مصالح الوطن ، فلمساذا يقع عبء مصالح الوطن عليهم وحدهم .. ولماذا يحرمون هم وحدهم من حقهم في السيارة والثروة .. الخ .

وهكذا فان ما يزيد عن ٢٠٠٠٠ مدرس قد اعيروا الى الدول العربية ، وقد ادى ذلك ان اضطر

[٤٥] الاهرام - ٢٣ نوفمبر ١٩٧١ - تحقيق - محمود مراد
[٤٦] لمزيد من التفاصيل ارجع الاهرام ٢٣ نوفمبر ١٩٧١ - أزمة السيمما - ابراهيم عمر
[٤٧] الاهرام - ٤ سبتمبر ١٩٦٢ - تحقيق - القصة الكاملة لقضية اللاعب في الدور، الاستيراد .
[٤٨] الاهرام - ٦ سبتمبر ١٩٦٢ .

لشراء أصوات الناخبين وهى وسائل أثبتت أنها لم تنجح فى هذه الانتخابات « (٥٠) •

كذلك فانه يتعين علينا أن نشير الى المخاطر الايديولوجية التى يعكسها نمو هذه الطبقة وتواجدها فى مختلف القمم من أجهزة السلطة ، ذلك أن هذه الطبقة لا تعلن عداؤها لبرامج وشعارات ثورة يوليو ، لكنها تلتف حولها ، وقد استطاعت أن تحقق من حركات الالتفاف هذه نتائج خطيرة •



• • • وبعد

فان هذه الدراسة قد استندت فى الاساس على الارقام والاحصاءات الرسمية والوقائع المحددة • دون ما نزوع الى التحليلات ، أو الاستنتاجات الشخصية ، بهدف تقديم الصورة الواقعية لوضع الطبقة الوسطى فى إطارها الحقيقى دون ما مبالغة أو اسراف ••

كذلك فان الكاتب يهيمه فى ختام هذه الدراسة أن يؤكد أن ما جمعه من معلومات وأن ما ساقه من أدلة على تزايد ثراء الطبقة الوسطى لا يعنى على الإطلاق أنه يقف موقف العداء من هذه الطبقة أو من ممثليها ، وهو لا يشك قط فى أن هذه الطبقة لا زالت تمثل قطاعا من التحالف الوطنى المناهض للاستعمار والإقطاع والتخلف ، ولا زالت قادرة على أن تلعب - فى إطار محدد - دورا بناء فى التجربة المصرية ، بشرط أساسى هو أن نفهم حدود هذه الطبقة ، وأن نفهم هذه الطبقة حدود نفسها • وأن نتوصل معا الى صياغة ملائمة ومعقولة للتحالف الوطنى المناهض للاستعمار والصهيونية والرجعية ، الذى يسعى لبناء مصر الاشتراكية المناهضة •

نظار المدارس الى قسم القمصون المتشابهة فى فصل واحد حتى يستطيع سد الفراغ فى المدرسين ويصل عدد تلاميذ الفصل الواحد الى سبعين تلميذا • والشكوى عامة من نقص المدرسين نقصا خطيرا يهدد المستوى التعليمى كله بالتدهور •• والسبب هو هجرة العشرين ألف مدرس .. (٤٩)

والنماذج عديدة ، بل هى كما قلت أكثر من أن تحصى ، ولهذا فاننا نكتفى بهذا القدر ، كذلك فان تراكم الثروة فى جانب ونزوحها عن الجانب الاخر يضع هؤلاء الاثرياء فى مواقع تمكنهم من الاستحواذ على مزيد من السلطة •••

ان الدستور يكفل - على سبيل المثال - نسبة الخمسين بالمائة للعمال والفلاحين فى مجلس الشعب •

ولعل الانتخابات الاخيرة قد أتاحت الفرصة سياسيا ونظريا للكثيرين من ممثلى العمال والفلاحين لدخول ميدان الانتخابات ، لكن نتيجة الممارك الانتخابية قد تشكل فى بعض الاحيان نتيجة لكمية

اتفاق المرشحين وامكانياتهم المادية •• لقد روى الدكتور جمال العطيفى تجربته الخاصة كمرشح خاض انتخابات مجلس الشعب الاخيرة بنجاح فقال : « ويعنى هذا أن اقل نفقات ممكنة هى سبع مائة وخمسون جنيها ، وقل تصل الى ألف وخمسمائة جنيه ، كما أنها تنضاعف حتما فى الحالتين اذا أعيدت الانتخابات لعدم حصول أحد المرشحين على الاغلبية المطلقة فى المرحلة الاولى ، او نتيجة ولع بعض المرشحين بالدعاية والاعلانات •

وأود أن أنبه الى أن هذه النفقات هى النفقات المشروعة اللازمة للدعاية الانتخابية ولتمثيل المرشح فى اللجان المختلفة ، ولا تدخل فيها النفقات غير المشروعة التى قد يلجأ اليها بعض المرشحين

قدم حسين مروة الموضوع
التالى كتقرير عن الثقافة
للمؤتمر الثالث للحزب
الشبيوعي اللبناني - ننشره
فيما يلى للاهمية التى يمثلها
فى تشخيص الاوضاع الثقافية
ومشكلاتها فى لبنان

الصراع الثقافى فى لبنان

حسين مروة

والفن والفلسفة وسائر العلوم الانسانية [هى
الميدان الذى يجرى الصراع الايديولوجى
على صعيده . ومن هنا ازدادت المكانة النعلية
للتقافة فى مجال النضال الثورى واصبح الدور
الذى يؤديه المثقفون فى هذا المجال ، اكبر
حجما وابعد تأثيرا .

وفى لبنان وجد الصراع الايديولوجى ميدانا
نشيطا يسر له شروطه وضع لبنان الخاص
فى المنطقة دون ان نغنى هنا - طبعا - ما
يعنيه الانعزاليون اللبنانيون بما يسمونه الوضع
الخاص للبنان بل نغنى بذلك ان طبيعة النظام
القيائم هنا ، مع طبيعة العلاقات التى تربط اهل
هذا النظام اقتصاديا وسياسيا وثقافيا بالعالم
الخارجى ، قد اتاحت لمختلف التيارات الفكرية

صار من بديهيات الثلث الاخير
للقرون العشرين ان نقول ان
النضال الايديولوجى أصبح
رجها من الوجوه البارزة للنضال

وبها

الطبقي . فانه منذ بدا عصرنا يتخذ سيمته
الاساسية سمة الانتقال من الرأسمالية الى
الاشتراكية ، ومنذ احتل التناقض بين قوى التقدم
وقوى الرجعية ، بين قوى الاشتراكية وقوى
الامبريالية ، مكان التناقض الاول والرئيسى فى
عصرنا ، منذ ذاك برزت الظاهرة الكبرى لهذا
العصر ، ظاهرة احتدام الصراع الطبقي اكثر
فاكثر على صعيد واحد يشمل العالم بأسره ، بذلك
كان لابد ان يزداد الصراع الايديولوجى احتداما
وحدة على صعيد العالم كله كذلك - فاصبحت
الثقافة بمختلف اشكالها وظواهرها [الادبي

ذات المحتوى الايديولوجي أن تجسد لها مكانا في لبنان ، وأن تجسد لها فيه دعاة وممثلين واحزابا .

وهذا الواقع أوجد للنضال الايديولوجي مكانة هامة في هذا البلد الصغير . ولذلك نجد على الصعيد اللبناني جملة من القوى المتنوعة ، وجملة من القضايا المعقدة فهنا على هذا الصعيد قوى وقواعد فكرية لختلف دول الامبريالية ولمختلف الدول العربية ، وحتى لمختلف الاحزاب السياسية العربية ، فضلا عن القوى الرجعية المحلية والقوى التقدمية والوطنية والديمقراطية . وهنا على هذا الصعيد ذاته تنعكس قضايا الصراع العالمي كلها تقريبا ، فالهجمة الاستعمارية على المنطقة ، مثلا تجد لها هنا من يدعمها ويخدم قضيتها بأشكال من التوجيه الخفي والمعلن . والمشاريع الاستعمارية التي تدبر ضد شعوب المنطقة تلتقي بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وحتى النفسية ولا سيما منها ، المشاريع التي تتآمر على القضايا العربية التحررية بالذات . وفي الوقت نفسه ، وعلى هذا الصعيد بعينه ، تجد قضايا التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي والفكر الثوري مكانا تتحرك فيه وقوى تدعمها ونضالات تشق أمامها الطريق الى صفوف الجماهير .

وخلال هذا الوضع المتناقض بلبنان ؟ نتفح البورجوازية اللبنانية الكبيرة ، المهيمنة على النظام الاقتصادي - الاجتماعي ، موقفا متناقضا كذلك : فهي من جهة تكابد بعناء شديد هموم الازمة التي يعانيها هذا النظام ، دون أن تستطيع علاجا شافيا لازمتها ، ولا أن تستطيع دفاعا حاسما عنه بوسائل مادية كرفع مستوى الحياة المعاشية للجماهير الشعبية . . . وهي - من جهة ثانية - تدارى عجزها عن حماية نظامها ذلك باللجوء الى السلاح الايديولوجي تتخذ منه وسيلة لتبرير نظامها المتأزم ومنطلقا لمجابهة نظامها ، الافكار التقدمية والاشتراكية بمفاهيم ايديولوجية تحاول أن تقدمها للناس بأشكال جذابة قادرة على التضليل . . . وهي تستعين في فرض ايديولوجيتها بما تملك من سيطرة سياسية واقتصادية ، ووسائل ارهاب أو اغراء في شئون العيش والتشغيل وغيرها . ولكن جو الازمة الحادة التي يعانيها النظام الاقتصادي - الاجتماعي القائم ، كشف كل ما يمكن من مفاهيم اهل هذا النظام وتقاليدهم البورجوازية والاقطاعية من عجز فاضح عن فرض الهيمنة التامة الايديولوجية الطبقة المسيطرة في هذا النظام .

غير أن هذا العجز لايعنى أن المفاهيم الايديولوجية التي تقدمها البورجوازية اللبنانية ، وفي الحقبة الأخيرة بالخاص ، لاتجذب اليها ، أو لاتخدع بها ، كثيرا من الناس ، في أوساط المثقفين وغير المثقفين ، ولا سيما ذوو النزعات الليبرالية ، وذوو الاتجاهات الوطنية المثالية الفاقدة للوعي الطبقي . . . ومصدر هذه الظاهرة كون البورجوازية اللبنانية المسيطرة تحاول ، في الممارسة الايديولوجية لصراعها الطبقي ، اظهار مصلحتها الطبقية الخاصة وكأنها المصلحة الوطنية العامة هذا أولا . . . واما ثانيا ، فإن البورجوازية هذه ، إذ تدرك أن سيطرتها الايديولوجية ضرورية لاستمرار سيطرتها الطبقية ، تحاول ، بكل ماديها من وسائل ، أخفاء واقع الصراع الطبقي من جهة ، وتحاول من جهة ثانية - قطع تبلور الوعي الطبقي لدى الفئات والطبقات الخاضعة لسيطرتها الطبقية ، رغم أن قاعدة تحرر هذه الفئات والطبقات من تلك السيطرة تتسع الآن بصورة موضوعية .

وهنا لابد من الإشارة ، دون تفصيل ، الى أبرز المفاهيم الايديولوجية التي تستخدمها البورجوازية اللبنانية المسيطرة طبقيا في محاولتها السيطرة ايديولوجيا كذلك :

١ - مفهوم الطائفية :

تستخدم البورجوازية المسيطرة هذا المفهوم سلاحا ايديولوجيا تواجه به الفئات والطبقات الكادحة ذات الانتماءات الدينية المختلفة ، لابقائها جميعا في اطار السيطرة الطبقية لهذه البورجوازية ، التي تحاول أن تظهر التقسيم الطائفي بلبنان وكأنه مرادف للانقسامات الدينية ، مع أن الامر ليس كذلك ، وإن كان قائما على أساسي تلك الانقسامات من الناحية الفكرية المخض .

٢ - مفهوم التمييز اللبناني :

يدخل في اطار هذا المفهوم العام عددا من المفاهيم الخاصة ، مثل الفينيقية ، والمتوسطية [نسبة الى حوض البحر المتوسط] ، والقومية اللبنانية والازدواجية اللغوية [العربية - الفرنسية] ، واللهجة اللبنانية المحلية [الخ . . .]

اما الوظيفة الايديولوجية لهذا المفهوم بمختلف وجوهه المشار اليها ، فهي اظهار كون لبنان مغايرا لكل بلد آخر في العالم العربي . . . وذلك بغية استخدام هذه المغايرة المزعومة في تبرير

فزل لبنان عن حركة التحرر العربية . وأصحاب هذا المفهوم يحاولون الإيهام بأن الاختلاف في الظروف التاريخية بين لبنان والبلدان العربية الأخرى ، هو اختلاف في الجوهر لافي الظروف التاريخية المتحركة دائما . . مع أن هذا الاختلاف في الظروف التاريخية هذه قائم بين كل بلد عربي وآخر غير لبنان .

٣ - مفهوم العصرية والحداثة :

يقوم هذا المفهوم عند البورجوازية على ركنين :

١ - تحسين إدارة الأعمال أولا ، والتنمية والتخطيط ثانيا . . فالأول يعنى عندهم ضرورة اسناد المسؤولية الى أفراد من الاختصاصيين ذوي الكفاءات العالية ، والثاني يعنى عندهم شكلا من التنمية الاقتصادية الخالصة المحدودة غير الشاملة .

أما الوظيفة الايديولوجية لهذا المفهوم ، فيمكن ايجازها بما يلي :

١ - الإيهام بأن أزمة النظام الرأسمالي الاقتصادية ترجع الى أسباب ذاتية فردية . . وهذا مما يؤكد عند المثقفين الفنين وهما بأنه اذا تحقق مفهوم العصرية بالمعنى البورجوازي المشار اليه ، يمكنهم الوصول الى المراكز الملائمة بكفاءاتهم ، ان ذلك لا يتطلب أكثر من ان يتباح لبعض رجال السياسة القيام باصلاحات ادارية .

ب - محاولة توجيه الوعي العلمى لدى المثقفين الفنين نحو أفق التفكير الذاتى القائم على فقدان رويتهم الموضوعية لحركة تطور المجتمع من جهة . . ونحو أفق التفكير الاصلاحى الادارى ، القائم على طمس التناقضات الاقتصادية الحقيقية ، وعلى ابقاء النظام القائم ، أى علاقات الانتاج الرأسمالية المحتضرة ، من جهة ثانية .

ج - ايجاد التبرير النظرى للوهم الذى يعزل التنمية الاقتصادية عن الصراع الطبقي وعن ضرورة التحويل الاجتماعى فى علاقات الانتاج القائمة .

د - الإيهام بأن أزمة السيطرة الطبقيّة للبرجوازية اللبنانية ، ليست سوى أزمة عارضة - لا تتجاوز نطاق البناء الفوقى للنظام القائم ،

وليس تهمس البناء التحتى بشئ ، وأن اصلاح البناء الفوقى كاف لمعالجة أزمة البرجوازية بكاملها .

هـ - اما فى الميدان الثقافى ، فان مفهوم العصرية - عند البرجوازية الكبيرة اللبنانية - لا يتناول مسألة تجديد انتاج الثقافة الوطنية ، أو إعادة امتلاك تاريخنا الثقافى ، أو مسألة مجابهة الايديولوجيات الاستعمارية المعادية لروح الثقافة الوطنية والقيم الحية من تاريخنا الفكرى . . بل انه اذا كان من علاقة لمفهوم العصرية عند هذه البرجوازية بقضية احياء الماضى الوطنى الثقافى ، فان هذه العلاقة تتجه الى احياء ما هو رجعى وميت من ذلك الماضى ، وطمس ما هو تقدمى . وعلى هذا الاساس نجد أن العصرية فى هذا المفهوم موجهة لتثويبه التراث الوطنى اللبنانى الخاص بقدر كونها موجهة لتثويبه التراث القومى العربى على الصعيد الثقافى . وفى سياق هذا المفهوم ينبغى الاشارة الى محاولة هذه البرجوازية الظهور بمظهر كونها تدعو الى الانفتاح على الحضارة العالمية ، وادعاء ضرورة هذا الانفتاح الذى يتميز به لبنان عن العالم العربى . . والواقع ان البرجوازية لا تقصد سوى الانفتاح على الايديولوجية البرجوازية الامبريالية ، وعلى كل ما هو رجعى فى الحضارة العالمية ، فى حين تبذل جهدا محمولا للانغلاق على كل ما هو تقدمى فى هذه الحضارة نفسها .

٤ - مفهوم العدمية :

لهذا المفهوم البورجوازى وجود تاريخى بعد فى لبنان ، غير أنه أخذ يزداد انتشارا بعد حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، اذ استغل دعاة العدمية من صنائع البورجوازية المسيطرة أثر الهزيمة وردود فعلها العفوية فى مشاعر الجماهير العربية . فآخذوا يفسلون هذه الجماهير بارجاع الهزيمة الى أسباب طبيعية قائمة فى تكوين الانسان العربى ، لا الى الشروط والظروف التاريخية المعنية التى يمر بها الانسان العربى فى هذه المرحلة .

وقد حاولت البرجوازية المسيطرة استخدام مفهوم العدمية ، ايدىولوجيا ، بتحويل عداة الجماهير العربية للامبريالية ، ولا سيما الامريكية ، من كونه عداة طبيعيا نابعا من وطنية هذه الجماهير ، الى كونه عداة غير طبيعى نابعا من مرض مصابة به الذات العربية . . ان البورجوازية اللبنانية المسيطرة تتوجه بمفهوم العدمية هذا - بالاكتر - الى فئات البرجوازية الصغيرة

ولا سيما المثقفين منها « كما يحمله هذا المفهوم من معنى « الرقض » الذي يبدو أن له ظاهراً « ثوريا » وأن كان ينطوى — فى الواقع — على مضمون فوضوى تخريبى ، لا « ثورى » ذلك بقصد إبعاد هذه الفئات عن الحركة الثورية الحقيقية ، وصرف انظارها عن العدو الطبقي الحقيقي ، المتمثل بالامبريالية وبالطبقية المحلية المسيطرة التابعة للامبريالية ».

٥ - مفهوم صراع الاجيال :

يبدل مفكرو البورجوازية اللبنانية الكبيرة ، واجهتها الاعلامية ، جهدا جاهدا لاشاعة هذا المفهوم فى اوساط الشبيبة والطلبة ، فى الوقت الذى تشدد أزمة نظامها ويشتد كذلك ضغط هذه الأزمة على الطبقات والفئات الاجتماعية الكادحة ، وتنضج الظروف الموضوعية لاحتدام الصراع الطبقي أكثر فأكثر .. ومن هنا تصبح الوظيفة الايديولوجية لمفهوم صراع الاجيال ، كما لمفهوم « الثورة الطلابية » هى محاولة هذه البورجوازية صرفا الانتظار عن واقع الصراع الطبقي الموضوعى وطمس هذا الواقع ، واحلال صراع الاجيال محله . ولاينكر ان فئات من البورجوازية الصغيرة « فى اوساط المثقفين بخاصة ، قد خدعتها أجهزة الاعلام الرسمية الخاصة ، والبورجوازية بهذا المفهوم المعادى بروحه ومضمونه للحركة الوطنية الشعبية فضلا عن الحركة الثورية ».

٦ - مفهوم العداء للشيوعية والسوفييات :

إذا صح اطلاق صفة « المفهوم » على تيار العداء للشيوعية والسوفييات ، فان البورجوازية المسيطرة تتخذ منه الإطار العام الذى يجمع فى داخله كل ما سبق من مفاهيم ايديولوجية . ان العداء للشيوعية هو — بالطبع — عداء طبقي مباشر يحمل فى مضمونه كل الحقن الطبقي لدى البورجوازية المسيطرة . أما العداء للسوفييات فهو الى جانب كونه يحمل العداء للشيوعية بصورة مضاعفة لكون الاتحاد السوفيتى يمثل طليعة الحركة الشيوعية ، يحمل مع ذلك جزءا من حقد الطغمة المسالية على حركة التحرر العربية لكون الاتحاد السوفيتى هو الصديق الاوفى لهذه الحركة والسند القوى لها لمساعداته الاقتصادية والعسكرية والسياسية والفنية لها .

هذه هى — بايجاز — أبرز المفاهيم التى تستخدمها البورجوازية اللبنانية فى ممارستها

الايديولوجية للصراع الطبقي .. أما الادوات التى تستعين بها على هذه المفاهيم ونشرها فى اوساط المواطنين ، فهى سلسلة من الأجهزة الايديولوجية التى يمكن القول أنها مراكز الانتاج الايديولوجية المسيطرة وتجديدها .. ونذكر من هذه السلسلة على سبيل المثال ، ما يلى :

— أجهزة الاعلام : [من اذاعة وصحافة ، وتلفزيون ، ومسرح ، وسينما الخ ..] فهذه الأجهزة تكمن اهميتها فى كونها تتوجه — بوعى وتنظيم — الى الوعى واللاوعى الاجتماعيين فى وقت واحد لتصهرها فى ايديولوجية البورجوازية المسيطرة ، مستندة الى قدرتها المادية فى استخدام أحدث الوسائل الفنية التى توصل اليها الاعلام فى البلدان الرأسمالية الامبريالية . فى حين أن القوى التقدمية والديمقراطية لاتستطيع منافسة البورجوازية الكبيرة بأجهزتها الاعلامية المتطورة .

— أجهزة التعليم : هذا النوع من الأجهزة الايديولوجية يقوم بالدور الرئيسى فى بناء الهيكل الجهازى للبورجوازية اللبنانية ، ذلك ان نظام التعليم فى لبنان يقوم على مبدئين اساسيين :

أ — مبدأ التصفية الطبقية فى مراحل التعليم ، مرحلة مرحلة لمنع وصول أبناء الطبقات الكادحة الى مواقع يؤدى وصولها اليها أن يقع الخلل فى عملية تجدد علاقات الانتاج انتاج الرأسمالية القائمة .

ب — مبدأ أخضاع الوعى الاجتماعى ، خلال تطوره ، لسيطرة الايديولوجية البورجوازية المسيطرة .. لان ذلك شرط ضرورى للبقاء على السيطرة الطبقية لهذه البورجوازية .

ولكن ، لابد من القول أن أجهزة التعليم ، بالرغم من كونها ذات دور رئيسى فى سلسلة الأجهزة الايديولوجية للبورجوازية — هى ، مع ذلك تعد الحلقة الضعيفة فى هذه السلسلة كما ان المدرسة الرسمية بالذات هى حلقة الضعف فى أجهزة التعليم الايديولوجية .. ذلك أن التوسع النسبى فى نشر التعليم الرسمى ، بضغط متزايد من نضالات الجماهير الشعبية ، قد أوجد داخل أجهزة التعليم قاعدة بشرية بإمكانها فى شروط تاريخية معينة ، أن تؤدى دورا معاكسا لما تريده البورجوازية المسيطرة .. بإمكانها أن تقف فى مواجهة بعض المفاهيم الايديولوجية البورجوازية ، وأن تعرقل آلية العملية القائمة الآن ، أى إعادة انتاج علاقات الانتاج الرأسمالية الحاضرة ».

المثقفون وأوضاعهم

والمفاهيم الاجتماعية التي جاءت بها الثورة
البورجوازية الكبرى الفرنسية تكون هذا الفوج
الثقافي الطليعي المؤسس من اليازجيين
والبستانيين وأمثالهم .

وميزة المرحلة الثانية كونها شهدت انقسام
المثقفين : احدهما الفئة التي كانت جزءاً من
البورجوازية الوطنية المرتبطة بالانتاج الصناعي
الحرفي الوطني التي انقطع عليها طريق التطور
في ظل التفلغل الاستعماري بعد قيام نظام
البروتوكول [١٨٦٤] . والفئة الثانية ، هي التي
ارتبطت بالطبقة البورجوازية التجارية الجديدة
التي أصبحت وسيطة للبعثات التجارية
الراسمالية في الغرب ، ثم الشركات الصناعية
الراسمالية والاحتكارية .

غير أن انقسام المثقفين الى هاتين الفئتين في
تلك المرحلة لم يكن انقساماً حاسماً ، لأن عوامل
ثقافية عدة ، غير العامل الاقتصادي ، كان لها
دورها في تحديد اوضاع المثقفين . وذلك جعل
مكانهم غير ثابت وغير نهائي من حركة تطور
المجتمع ، وغير تابع تبعية حاسمة ومطلقة لاصول
انتماءاتهم الطبقية ، أو لاصول ارتباطاتهم بعملية
الانتاج .

وفي المرحلة الثالثة ، مرحلة الانتداب بكاملها ،
فرض تطور الراسمالية بشكلها اللبناني المتميز
تطوراً معيناً في حاجاتها ، ومنها الحاجة الى نوع
من المثقفين لا لإدارة أعمال البورجوازية الوسيطة
وحسب ، بل للتعبير كذلك عن مظالمها وأفكارها
وايديولوجيتها على الصعيد الاجتماعي والسياسي
والثقافي ، كما أن أجهزة سلطة الانتداب احتاجت
الى خلق نوع آخر من المثقفين المحدودي الثقافة
للماء كادراتها الصغيرة والدنيا . وبسبب هذه
الحاجات كلها حدث توسع كمي من فئة المثقفين
رافقه — بالطبع — مزيد من الارتباط النوعي
بين البورجوازية الوسيطة وبعض المثقفين ، وهم
الذين ارتبطت تكونهم بتكوينها هي ذاتها ، كما
ارتبطت تبعيتهم للايديولوجية الامبريالية
بتبعيتها هي أيضاً ، اقتصادياً وسياسياً
وايديولوجياً .

وفي المرحلة الرابعة ، مرحلة الاستقلال
الوطني ، توسعت حاجة البورجوازية الوسيطة
الى المثقفين ، فتوسع — لذلك — التعليم الرسمي
لسد هذه الحاجة ولكن التوسع بقي كمي ، لأن
البورجوازية المسيطرة لم تأخذ بسياسة التوسع
النوعي في حقل التعليم ، بل — بالعكس —
فرضت على التعليم نوعاً معيناً محدوداً من
الثقافة بواسطة البرامج التعليمية لختلف مراحل

في خضم هذا الصراع الايديولوجي المحتدم ،
الذي يعتمد الثقافة ميدانه الاساسي بل الاوحد ،
لا يمكن اغفال المادة البشرية للثقافة ، نعني
المثقفين أنفسهم . فما شأنهم في المعركة ؟
وما مواقفهم ؟ . وما اوضاعهم الاجتماعية
والمعيشية ؟ . وما مكانهم في عملية الانتاج
الايديولوجي والابداع الثقافي ؟

١ - المنشأة التاريخية للمثقفين :

للإجابة من هذه الاسئلة نحتاج أولاً الى عرض
لمحة تاريخية موجزة لنشأة فئة المثقفين في لبنان :

يمكن القول بإيجاز أن بدء التكون الاجتماعي
لفئة المثقفين كفئة اجتماعية متميزة يرجع الى بدء
التكون التاريخي للبورجوازية اللبنانية بوصف
كونها طبقة نامية ارتبطت تكوينها ونموها بعامل
تطور نظام الانتاج من جهة ، وبعامل الاتصال
التاريخي بين مرحلة نشوئها والمرحلة السابقة
من مراحل تطور الانتاج والمجتمع اللبناني ، من
جهة ثانية . ذلك لأنه لم يكن لفئة المثقفين وجود
خاص متميز في المجتمع الاقطاعي الذي سبق نشوء
الراسمالية في لبنان . بل كان الطابع الغالب
للمثقفين ، في المجتمع الاقطاعي كذلك ، هو كونهم
من رجال الدين أساساً . ولذا كانت الثقافات
الدينية هي العنصر الغالب في تكونهم الثقافي .

بعد نشأة فئة المثقفين ، تبعها نشأة
البورجوازية اللبنانية ، يمكن أن نلاحظ ، خلال
المسار التاريخي لتطور هذه الفئة ، أربع مراحل
متميزة مربها هذا التطور . اذ نلاحظ أن كل مرحلة
منها تميزت بأحداث وظواهرات وعلاقات طبعت
وضع فئة المثقفين بطابعها المتميز . أما هذه
المراحل الأربع فهي :

- ١ — مرحلة ما قبل ١٨٦٠
- ٢ — مرحلة ما بين ١٨٦٠ — ١٩٢٠
- ٣ — مرحلة ما بين ١٩٢٠ — ١٩٤٣
- [الاستقلال الوطني] .
- ٤ — مرحلة ما بعد ١٩٤٣ حتى اليوم

ان فضل المرحلة الاولى من هذه المراحل
كونها احتضنت أول فوج من المثقفين اللبنانيين
واكب النهضة العربية الحديثة التي بدأت أوائل
القرن التاسع عشر ، وعبر عن هذه الدعوة
الارتباط بالتراث الثقافي العربي ، الى جانب
الدعوة للاخذ بعلوم الغرب الحديثة وبلافسكار

التعليم وذلك بقصد صهر المثقفين بهذا النوع المعين من الثقافة ، ليتكفروا فكريا وفق ما تقتضيه المصالح الطبقية للبورجوازية المسيطرة ومصالح تبعيتها للامبريالية .

فى عرض هذه المراحل التاريخية تطور وضع المثقفين فى لبنان ، ينبغى أن نذكر واقعا تاريخيا آخر هاما ، هو أنه لم تزل مرحلة واحدة من هذه المراحل من المثقفين الوطنيين والديموقراطيين المناضلين ضد الأيديولوجية البورجوازية أو الإقطاعية أو الاستعمارية ، أمثال فرح أنطون وجبران والريحاني وعمر فاخوري ورثيث خوري وأبى شبكة الخ .

ب - الوضع الحاضر للمثقفين :

أولا - يتميز المثقفون فى مجتمعنا بصفة ثلوية فقط ، لأنهم ينتمون بالأصل الى أكثر من طبقة واحدة . . . وهم من حيث وضعهم - بوجه عام داخل علاقات الاستثمار الطبقي ، يخضعون غالباً - ولأنسياً جماهيرهم الصغيرة لاستثمار النورجوازية المسيطرة . . . فهم - بغالبيتهم - جزء من القوى المنتجة الكادحة بادمغتها التى تستثمرها البورجوازية الكبرى فى سياق عملية الاستثمار العامة لاختلاف القوى الاجتماعية المنتجة ، سواء بقوتها الجسدية أم بقوتها العقلية .

وفى ظروف المرحلة الحاضرة ، إذ يخضع تطور الانتاج الرأسمالى للمصالح الطبقية الانانية للطغمة المالية ، يتجلى بوضوح ، أكثر فأكثر ، أن ذلك يشكل قيدا رئيسيا يلجم تطور فئة المثقفين من حيث الكم والنوع معا . واطهر ما يتجلى هذا القيد فى حقل التعليم بوجه خاص . . . وعلى هذا يتضح أن أزمة تطور المثقفين ستبقى فى حداثها مادامت أزمة النظام القائم أو أزمة الطبقة المالية تزداد حدة وتفاقما . . . وهذه الأزمة تنعكس على أوضاع المثقفين اللبنانيين بأشكال مختلفة ، فهى مثلا بشكلها البارز فى الوضع التعليمى ، وفى وضع المثقفين الاقتصادى والمعاشى ، وفى أزمة التشغيل الحادة ، وفى حرياتهم الديموقراطية ، وفى انعدام التشجيع المادى لحياتهم العلمية والفنية وفقدان تشجيع البحث العلمى . . . وهذه الاشكال كلها تتعاون على كبح دوافع الابداع الفكرى ، والادبى والفنى ، والعلمى . فضلا عن تأثيرها العميق فى سحق شخصية المثقف من حيث هو انسان ومثقف معا ، وفى اشاعة أسباب الاغتراب الروحى والمادى فى صفوف المثقفين .

ثانياً - أن أشكال انعكاس الأزمة هذه على غالبية اوساط المثقفين قد هأت الشروط الملائمة لأن يتلاقى قطاع واسع من المثقفين ، على اختلاف اتجاهاتهم وتياراتهم الفكرية ، عند اطار عام من القضايا الرئيسية ، اللبنانية أو العربية بعمامة . ويمكن أن يكون الموقف من الطبقة المسيطرة هو الاطار العام الذى يجمع هذا القطاع الواسع من المثقفين ، بما يتضمنه هذا الموقف من الوعى بضرورة تغيير ما - بأقل تقدير - فى السياسة الطبقية التى تمارسها هذه الطبقة تجاه الثقافة والمثقفين ، بالمعنى الحقيقى للثقافة ، أى المعنى المرتبط بالمعرفة الحضارية البناءة وبالابداع الانسانى الحر الخلاق .

ويمكن أن نحدد ذلك الاطار العام أيضا بالموقف من الحريات الديموقراطية ، أو من حرية الابداع الفكرى والفنى . . . بل يمكننا القول أن ظروف أزمة النظام القائم تخلق ظروفها لبلورة مفاهيم عامة لكثير من القضايا الاخرى ، يلتقى عندها اوسع فئات المثقفين ، ومنها - مثلا - القضايا القومية والاجتماعية التى تضطلعها الظروف اللبنانية والعربية الراهنة قيد البحث والمعالجة بالحاج .

على أن هذا التلاقى بين المثقفين عند هذه القضية العامة أو تلك ، وعند هذا المفهوم العام أو ذاك ، لا يعنى التلاقى المطلق الذى يتجاوز الفروق القائمة بين تيارات المثقفين بل لابد أن يكون فى الحسبان أن هناك منظورات مختلفة لكل من هذه القضايا والمفاهيم ، وأن هناك منطلقات طبقية تتحكم فى هذا الاختلاف ، وهو اختلاف جدى أحيانا ، ولكنه يبقى فى اطار التناقضات الثانوية ، وتبقى نقطة التلاقى هى نقطة التناقض الرئيسى بين المثقفين بوجه عام وبين الطغمة المهيمنة على النظام القائم . . . هذا التناقض الذى يصل بغالبية المثقفين الى استنتاج أن النظام اللبنانى هذا يسد أمام المفكرين والباحثين والموهوبين طريق الابداع والمبادرات الخلاقة ، كما يقف حاجزا دون تطور الثقافة الوطنية ، واتساعها لصالح تطور المجتمع كله ، ويقيم العقبات أمام المطالب الاجتماعية لجماهير الشعب ، بقدر ما يمارس سحق شخصية المثقف تحت ضغط الحاجات المادية والمعاشية . .

ثالثا - ان الظروف التى سبقت الإشارة اليها ، والتى أخذت تبلور بعض المفاهيم العامة لدى المثقفين الى حد جمع الكثيرين منهم حول هذه المفاهيم ، رغم الفروق بين تياراتهم المختلفة

تفرص نفسها على المثقفين ؟ وأن المثقفين هؤلاء ليسوا هم اليوم من كانوا — قبل — يعدون الفئة المنعزلة المتعالية على يوميات الحياة العسامة ، بل هم الذين يعانون مشكلات هذه الحياة ويومياتها معاناة مباشرة ، كما وصفنا أوضاعهم فيما سبق .

وفي هذا السياق نفسه ، نجد مجالاً لتسجيل ظاهرة أخرى ، هي أن كثرة المثقفين ، ولاسيما المثقفين الفنانين ، لم تبق علاقاتهم بالمشكلات الاجتماعية القائمة وبالحركات الثورية ، علاقات تأثر بها وحسب ، أو كعلاقة الرآة بالاشياء ، بل أصبحت هذه العلاقات في الغالب ، تتجه شيئاً فشيئاً الى أن تكون علاقة فاعلة ، وأن يكون المثقفون والفنانون جزءاً حياً ارادياً من العملية الثورية .

وهذا الواقع يطرح أمام المثقفين اليوم جملة من القضايا الراهنة ، منها مثلاً ، نضج نوع من العلاقات التنظيمية بين المثقفين ، كما نرى في قيام « اتحاد الكتاب اللبنانيين » وتتابع ظهور كثير من الاندية والمجالس الثقافية والتجمعات الفنية ولاسيما المسرحية (انظر : الخ :) ، ومنها ما أشرنا اليه سابقاً من نضج الظروف لبلورة مفاهيم عامة حول اهم القضايا الاجتماعية والوطنية والقومية يتلاقى عندها قطاع واسع من المثقفين رغم وجود الفروق بينهم في النظر الى هذه المفاهيم تبعاً لاختلاف الاصول أو المنطلقات الطبقية .

هي نفسها الظروف التي أوجدت بعض الظواهر الجديدة بين المثقفين في بلادنا ، وهي بجملة ما ظاهرات ايجابية هامة . نذكر منها — على سبيل المثال — تراجع نظريات المثالية والانعزالية غير الواقعية . وإذا كان قد رافق هذا التراجع بروز تيار التحليل النفسي الذي يدعو لتفسير الواقع الاجتماعي تفسيراً نفسياً ، فإنه ينبغي تحديد الموقف من هذا التيار النفسي ، لا على أساس الرفض المطلق له ، بل على أساس التفريق بين التحليل النفسي بقصد عزل الذات الانسانية عن الواقع الموضوعي كلياً ، وبين التحليل النفسي بقصد بحث القضايا النفسية من حيث هي أحد الاشكال المعقدة لانعكاس الواقع الاجتماعي في الحياة النفسية للانسان . فما كان من قبيل القصد الاول لابد من رفضه ، وما كان من قبيل القصد الثاني ليس من الصحيح رفضه ، بل هو جدير بالاهتمام والتطوير ، وهو ما يدعى اليوم بعلم النفس الاجتماعي .

وفي سياق الظواهر الجديدة لدى المثقفين اللبنانيين ، نذكر أن هناك نماذج عدة من الابداعات العلمية والفنية والادبية والفكرية ترتبط أكثر فأكثر بحياة المجتمع سواء في ميدان الشعر أم القصة والمسرح أم الرسم والتطوير الموسيقى ، على اختلاف وتفاوت في كيفية هذا الارتباط .

أن مصدر هذه الظواهر هو أن المشكلات الاجتماعية ، تحت وطأة للنظام القائم أخذت



معركة موسكو ١٩٤١

الهزيمة الاولى للحرب الخاطفة

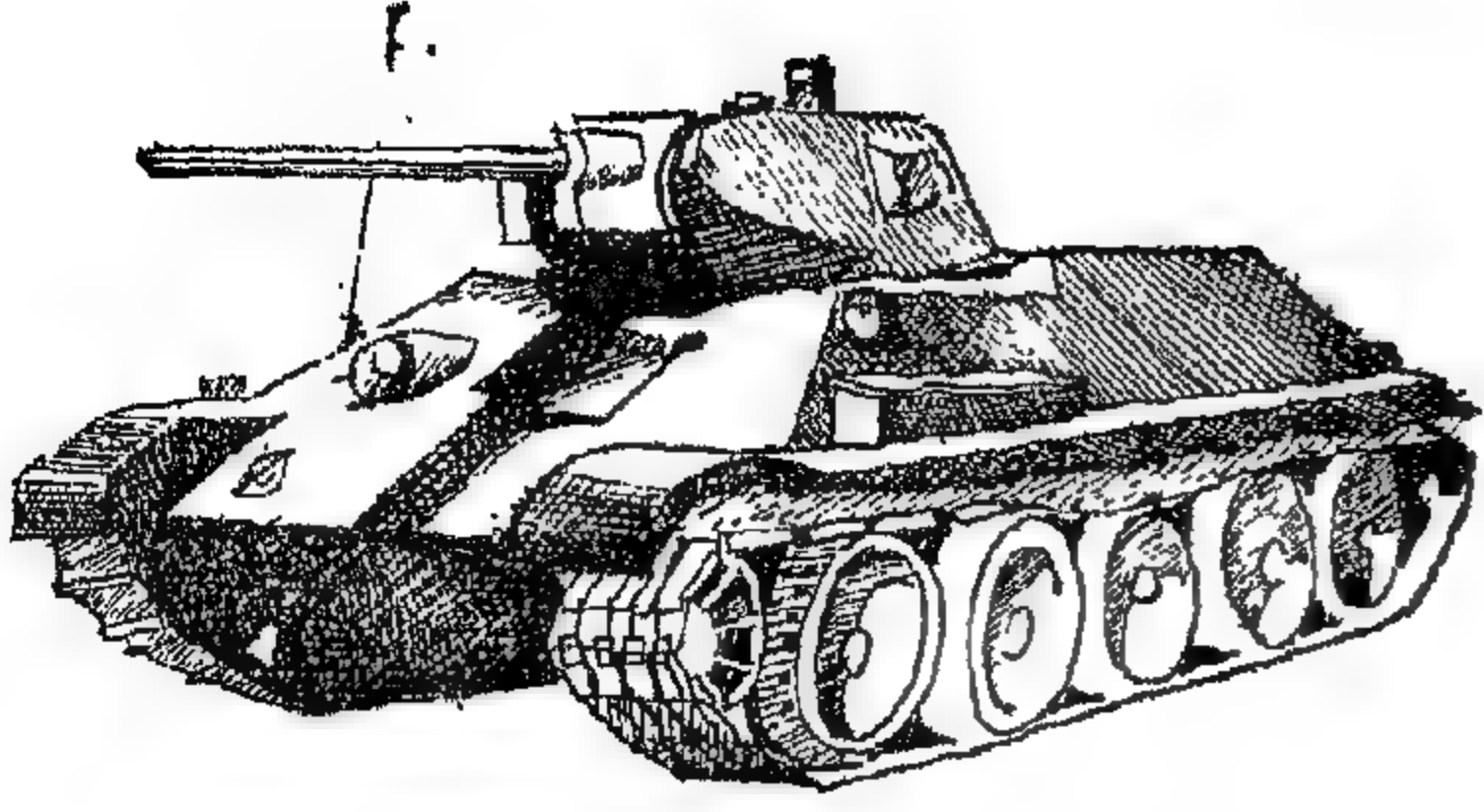
— محمود عزى —

الانتصارات السهلة المدوية التي حققتها الجيوش
الهتلرية في « بولندا » و « النرويج » و « هولندا »
— بلجيكا — نورمندا « عام ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، وفي
البلقان وليبيا عام ١٩٤١ .

واليوم رغم انقضاء ثلاثون عاماً على أحداث
هذه المعركة فان الدروس والخبرات المستفادة
منها مازالت لها قيمتها الثمينة الجوهرية من
النواحي العسكرية والسياسية ، خاصة بالنسبة
لأساليب الحرب المعتمدة على الأسلحة التقليدية
(أى غير الذرية) ، رغم ما طرأ على مثل هذه
الأسلحة من تطورات تكتيكية حديثة ، وعلى وجه
أكثر خصوصية وأهمية تمثل « موسكو » وغيرها
من معارك المرحلة الاولى من « الحرب الألمانية —
السوفييتية » خبرة تاريخية تستحق الدراسة

في
تسهيور اكتوبر ونوفمبر
وديسمبر عام ١٩٤١ دارت عند
مشارف « موسكو » معركة من
أكبر معارك التاريخ العسكري
الحديث وأكثرها تأثيراً في مجرى الحرب العالمية
الثانية بما ترتب عليها من نتائج عالمية . فقد تم
في هذه المعركة الحاق الهزيمة للمرة الاولى
بجحافل جيش « هتلر » النازي الذي شاعت عنه
أسطورة الجيش الذي لا يقهر !

عند أبواب « موسكو » في خريف وشتاء
١٩٤١ تمت الهزيمة الاولى الحاسمة لنظرية
« الحرب الخاطفة » الألمانية المسماة
« البليتزا كريبج » بعد أن شاع اعتقاد عالمي كبير
بشبه استحالة هزيمتها ، نتيجة لسلسلة



الدبابة الروسية « ت - ٣٤ » . وكانت تزن نحو ٢٨ طنا من الصلب ويبلغ سمك درعها الامامي ٤٧ مم ، ومسلحة بمدفع عيار ٧٦٢ مم تزن طاقته ١٤ رطلا ورشاشان عيار ٧٦٢ مم ، وتبلغ سرعتها ٣٣ ميلا في الساعة ، ويتألف طاقمها من ٤ أفراد .

للمناطق المتاخمة لحدود الاتحاد السوفياتي الغربية .

مجموعة جيوش الشمال بقيادة المارشال « فون ليب » وكانت مؤلفة من جيشين مشاة يضمن ٢٠ فرقة ومجموعة مدرعة « البانزر ٤ » بقيادة الجنرال « هوبنر » وتتألف من فيلقين مدرعين يضمن ٣ فرق مدرعة و ٣ فرق مشاة ميكانيكية . ويمرر المجموعة الاسطول الجوي الاول البالغ عدد طائراته من الخط الاول نحو ٤٠٠ طائرة (ومقتل تقدير المؤرخين الغربيين) . (٤) وكان هدف هذه المجموعة تحطيم الجيوش السوفياتية في الشمال واحتلال دويلات البلطيق و « ليننجراد » . مجموعة جيوش الوسط بقيادة المارشال « فون بوك » (وهي التي تعيننا في هذه الدراسة المتعلقة بموسكو) وكانت مؤلفة من جيشين مشاة ، التاسع بقيادة الجنرال « ستراوس » والرابع بقيادة الجنرال « فون كلوج » ، ويضمنان معا ٢٣ فرقة مشاة ، بالإضافة الى مجموعة « البانزر ٣ » بقيادة الجنرال « هوث » وتعمل تحت قيادة الجيش التاسع ، وهي مؤلفة من الفيلقين المدرعين ٣٩ ، ٥٧ ويضمن ٤ فرق مدرعة و ٣ مشاة ميكانيكية . ومجموعة « البانزر ٢ » بقيادة الجنرال « جوديريان » وتعمل تحت قيادة الجيش الرابع ،

الواشنة « (١) وهكذا قرر « هتلر » تحت نشوة انتصاراته الخاطفة في الغرب أن يشن حربا خاطفة أخرى في الشرق تخضع الاتحاد السوفياتي أو على الأقل الجزء الاوروبي منه حتى الاورال تقريبا ، لسيطرته الكاملة وبالتالي تصبح المانيا النازية سيده اوروبا كلها بلا منازع ، وتضطر بريطانيا أيضا في هذه الحالة الى قبول الصلح معها بشروطها . وكان لابد له أن يلجأ الى أسلوب « الحرب الخاطفة » هذه المرة أيضا حتى يتسنى له تحطيم القوة العسكرية الضخمة للاتحاد السوفياتي في وقت سريع قبل أن تعبى قواها ومواردها البشرية والاقتصادية بالكامل ، وحتى لا يضطر الى خوض حرب طويلة في جبهتين مثلما حدث في الحرب العالمية الاولى .

وتحقيقا لذلك فقد تم حشد قوة عسكرية ضخمة لتنفيذ أهداف هذه العملية الخاطفة الهائلة بلغ مجموعها ١٥٣ فرقة المانية من بينها ١٩ فرقة مدرعة ، ١٤ فرقة مشاة ميكانيكية تضم ٣٧١٢ دبابة ومدفع مدرع ذاتي الحركة ، ولديها جميعا نحو ٤٧٢٦٠ مدفع وهاون من مختلف الانواع ، وتدعمها قوة جوية تتألف من نحو ٤٩٥٠ طائرة من مختلف الانواع من بينها نحو ٢٠٠٠ طائرة للخط الاول . بالإضافة الى ١٤ فرقة رومانية و ١٨ فرقة فنلندية وفرقتان مجريتان ، وجميعها كانت دول حليفة لمانيا النازية وقتئذ . (٢)

وقد كانت الـ ١٥٣ فرقة المانية هذه تمثل نسبة ٧٠٣٪ من جملة عدد فرق الجيش الالمانى البالغ عددها حينئذ ٢١٧٥ فرقة ، ولم يكن لهذا الجيش قوات تقاتل في جبهات أخرى في ذلك الوقت سوى فرقتين في ليبيا مع « روميل » ضد البريطانيين ، وكانت الـ ٦٢٥ فرقة المتبقية موزعة في أنحاء المانيا وأوروبا المحتلة . (٣) وقد قسمت هذه القوات الى ثلاث مجموعات جيوش رئيسية بالإضافة الى قوات الجبهة الفنلندية (وكان ملحقا بها ٨ فرق المانية) تبعاً للتقسيم الذي فرضته الظروف الجغرافية والطبوغرافية والتنظيم الادارى والسياسي

[١] Shirer, William, «The Rise and Fall of the Third Reich», New York, Cest Book, 1964, p. 1063.

[٢] « هذه البيانات مأخوذة من مذكرات المارشال زوكوفى « ذكريات وافكار » - الترجمة العربية - القاهرة «Soviet Military Review, June, 1969 p. 42» من دان التحريين - صفحة ١٧٤ ومن
وتتفق معظم الارقام المذكورة مع مثيلاتها الواردة في المراجع الغربية تقريباً باستثناء عدد الطائرات فان الأخيرة تذكر انه كان ٢٠٠٠ طائرة فقط للخط الاول .

وهي مكونة من الفيالق المدرعة الثلاثة ٢٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ وتضم ٥ فرق مدرعة ، ٣ مشاة ميكانيكية . (٤)

ويعزز جيوش الوسط هذه ، البالغ جملة عدد فرقها ٥٠ فرقة من بينها ١٥ فرقة مدرعة وميكانيكية ، الاسطول الجوى الثانى البالغ عدد طائراته من الخط الاول نحو ١٠٠٠ طائرة . وتهدف هذه المجموعة الى تحطيم القوات السوفييتية الموجودة فى « بيلوروسيا » غرب « الدنيبير » و « الدفينا الغربى » والاستيلاء على « سمولنسك » تمهيدا للزحف بعد ذلك نحو قلب البلاد ومركزها الرئيسى العاصمة « موسكو » .

ثم مجموعة جيوش الجنوب بقيادة المارشال « فون رونشتد » وكانت مؤلفة من ثلاثة جيوش مشاة المانية وجيشين رومانيين ، وتضم هذه الجيوش جميعا ٤١ فرقة المانية ، ١٤ رومانية ، فضلا عن مجموعة « البانزر ١ » بقيادة الجنرال « فون كليست » وتضم ٥ فرق مدرعة و ٣ فرق مشاة ميكانيكية . ويدعم هذه المجموعة الجنوبية الاسطول الجوى الرابع وكان لديه نحو ٦٠٠ طائرة من الخط الاول . وتهدف هذه المجموعة الى تحطيم الجيوش السوفييتية الموجودة هناك غرب « الدنيبير » والاستيلاء على « كييف » و « اودسا » تمهيدا لاحتلال أوكرانيا كلها وشبه جزيرة القرم وحوض « الدونتر » ثم « القوقاز » وحتى الفولجا .

وبالاضافة الى ذلك كانت هناك ٢٤ فرقة مشاة وفرقتان مدرعتان وفرقتان ميكانيكيتان فى الاحتياطى العام ، فضلا عن الجبهة الفنلندية التى كانت تضم ١٨ فرقة فنلندية ، ٨ فرق المانية كما سبق أن ذكرنا . وقد بلغت جملة القوة البشرية الالمانية المعدة « لبارباروسا » نحو ٣ مليون ، ٢٠٠ ألف جندى وضابط (٤) . وكان يواجه هذه القوات من الجانب السوفييتى وقت وقوع الغزو الخاطف المفاجىء فجر يوم ٢٢ يونيو ١٩٤١ وفقا لما أورده « زوكوف » فى مذكراته . . . وكان يشغل منصب رئيس هيئة أركان الحرب وقتئذ ١٤٩ فرقة ومجموعة من ألوية المشاة المستقلة موزعة على النحو التالى :

— فى منطقة البلطيق ١٩ فرقة مشاة ، ٤ فرق

مدرعة ، فرقتان ميكانيكيتان ، ومجموعة ألوية واحدة .

— فى المنطقة الغربية (بيلوروسيا) ٢٤ فرقة مشاة و ١٢ فرقة مدرعة ، ٦ ميكانيكية ، وفرقتان خيالة .

— فى منطقة « كييف » (أوكرانيا) ٣٢ فرقة مشاة ، ١٦ مدرعة ، ٨ ميكانيكية ، ٢ خيالة .

— فى منطقة « اودسا » (أقصى الجنوب عند البحر الاسود) المواجهة لرومانيا ١٣ فرقة مشاة ، ٤ مدرعة ، ٣ خيالة ، وفرقتان ميكانيكيتان . وهذا بالاضافة الى ٢١ فرقة مشاة ومجموعة ألوية مشاة كانت ترابط فى أقصى الشمال المواجه لفنلندا على جبهة طولها ١٢٧٥ كيلو مترا . أما طول الجبهة الممتدة من البلطيق حتى البحر الاسود عند « اودسا » فكان يبلغ نحو ٢١٠٠ كيلو متر . (٥)

وبهذا يكون مجموع القوة السوفييتية الموجودة فى المناطق التى تعرضت للهجوم الالمانى ١٧٠ فرقة ومجموعتان ألوية ، منها ١٤٩ فرقة فى المناطق الرئيسية للهجوم والممتدة من « البلطيق » حتى « اودسا » ، تضم ٨٨ فرقة مشاة ، ٣٦ فرقة دبابات ، ١٨ فرقة ميكانيكية ، ٧ فرق خيالة . ومن بين الـ ١٤٩ فرقة هذه كانت ٨ فرق ترابط فى خط الدفاع الامامى الممتد على مسافة تتراوح بين ١٠ ، ٥٠ كيلو مترا من الحدود (المشاة فى النسق الاول والدبابات فى الثانى) أما القوات الرئيسية المتبقية فكانت ترابط على مسافة تتراوح بين ٨٠ ، ٢٠٠ كيلو متر من الحدود . (٥) أما على الحدود نفسها فكانت توجد وحدات صغيرة نسبيا من حرس الحدود التابع لوزارة الداخلية . ولكى تكون الصورة موضوعية وواضحة لاجراء مقارنة سليمة بين القوى العسكرية المتجابهة فى ٢٢ يونيو ١٩٤١ وطوال الشهور الاولى من الحرب ، لابد لنا أن نوضح ان التشكيلات السوفييتية لم تكن موازية لمثيلاتها الالمانية سواء من حيث عدد الجنود أو كمية ونوعية الاسلحة فى معظم الحالات ، وكذلك من حيث درجة استيعابها للاسلحة الحديثة والتنظيم الملائم للحرب السريعة ، فضلا عن

[٤] بيانات توزيع القوات الالمانية واجمالى قوتها العددية مأخوذة اساسا من عدد من المراجع الغربية وأهمها : «Seaton, Albert. «Russo — German War 1941 — 45», London, Barker, 1971, p. 61, 62»

F

وهي تتفق مع ما ورد فى المراجع السوفييتية باستثناء اجمالى القوة البشرية إذ تقدرها الاخير بـ خمسة ملايين رجل بما فى ذلك قوى حلفاء ألمانيا .

[٥] زوكوف — المرجع السابق — صفحات ١٥٧ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٦٠

اختلاف مستوى تدريبها وبطبيعة الحال خبراتها العملية وتفهمها لأساليب القتال الحديث . فلقد فاجأت الحرب الجيش السوفيتي وهو في حالة إعادة تنظيم وتسليح كاملة لم تتم بعد . والأكثر أهمية من ذلك أيضا أن هذا الجيش لم يكن في حالة تاهب للقتال الفوري ولم يكن لديه انذار مسبق بوقت كاف لاحتمال وقوع هجوم الماني ، اذ أن أمر التاهب والاستعداد التام للحرب الذي أصدرته وزارة الدفاع وهيئة أركان الحرب ليلة ٢٢ يونيو (على أثر وصول ضابط صف الماني عبر الحدود مساء ٢١ يونيو عند منطقة « كييف » وتأكيد بشدة استعداد القوات الألمانية للهجوم) والذي أورد « زوكوف » نصه في مذكراته لم يكن قد وصل الى كثير من الوحدات في الوقت المناسب بسبب قلة أجهزة اللاسلكي والاتصال المباشر . (٥)

وقد ساهم بطبيعة الحال سوء تقدير الموقف سياسيا من جانب « ستالين » لاحتمالات الحرب مع ألمانيا النازية في هذا الوقت بالذات ، على مضاعفة آثار عدم التاهب للقتال هذه (٦) ، وبالتالي ضخم من آثار عنصر المفاجأة الذي تحقق بالكامل تقريبا وعلى النحو النموذجي المطلوب لأسلوب « البليتز كزيغ » . وكانت النتيجة أن أحرزت القوات الألمانية المهاجمة تفوقا كبيرا في نقاط الهجوم سواء كما أو كيفا أو معنويا . فانطلقت مجموعات بانزر الضخمة في هجومها المركز الهادف الى تحقيق اختراق استراتيجي عميق الى مؤخرة القوات السوفيتية تسبقها غارات الطيران الذي أحرز تفوقا جويا كاملا في الأيام نتيجة لتدمير نحو ١٢٠٠ طائرة معظمها على الأرض في الضربة الأولى للهجوم وخلال اليوم الأول فقط ! كما يقول « زوكوف » في مذكراته (٧) . وسهل لها مهمتها اضطراب القيادات السوفيتية وعدم معرفتها السريعة لحقيقة تطورات القتال بسبب عمليات التخريب لخطوط التليفون والتلغراف وقتل راكبي الدراجات البخارية حاملي الرسائل بواسطة

جماعات خاصة معظمها من العناصر الأوكرانية والليتوانية البيضاء (٨) ، وقلة أجهزة الاتصال اللاسلكي لدى الوحدات . (كانت نسبة نقص الأجهزة لدى هيئة أركان الحرب ٦١ ٪ وفي منطقة « كييف » ٦٨ ٪ وفي منطقة البلطيق ٤٨ ٪) . وحققت عمليات بانزر نجاحا أكبر في قطاع مجموعة جيوش الوسط في « بيلوروسيا » نظرا لأن القيادة الألمانية كانت قد حشدت قواتها الرئيسية هناك بينما لم تكن القيادة السوفيتية تتوقع ذلك في مخططاتها قبل الحرب وإنما توقعت في حالة نشوب حرب مع ألمانيا أن تكون الضربة الرئيسية في « أوكرانيا » حيث الثروة الزراعية والصناعية ، ضخمة ولذلك حشدت في مواجهة جيوش الجنوب في منطقتي « كييف » و « أودسا » ٤٥ فرقة مشاة ، ٢٠ فرقة مدرعة ، ١ ميكانيكية ، ٥ خيالة ، ولذلك تعثر زحف « فون رونشتد » هناك فترة أطول نسبيا من باقي القطاعات . أما في الوسط فلم يكن لها سوى ٢٤ فرقة مشاة ، ١٢ مدرعة ، ٦ ميكانيكية ، ٢ خيالة في مواجهة ٣٣ فرقة مشاة ألمانية ، ٩ فرق بانزر ، ٦ فرق مشاة ميكانيكية . ورغم التقارب في عدد التشكيلات المدرعة والميكانيكية لدى الطرفين فقد كان للألمان ميزة التفوق في أسلوب استخدام المدرعات في حشود مركزة تعمل في تعاون تام بينها وبين الطيران (خاصة طائرات الهجوم الأرضي مثل « شتوكا ») ومع بقية الوحدات المعاونة لها من مدفعية متحركة ومشاة ميكانيكية ، فضلا عن تفوق دباباتهم نوعيا بالنسبة لمعظم الدبابات الروسية وقتئذ والتي كان جزء كبير منها من أنواع قديمة مثل الت-٣٦ ، ت-٢٧ ، ت-٣٧ ، ت-٦٠ ، ب.ت-٥ ، ب.ت-٧ الخ (٩) ، بينما كانت الأنواع الحديثة القوية والمتفوقة على الدبابات الألمانية وهي الت-٣٤ و « ك.ف.١ » لم ينتج منها بعد سوى ١٨٦١ دبابة فقط (١٠) ، تسلمت منها الوحدات قبل نشوب الحرب نحو ١٠٠٠ « ت-٣٤ » ، ٥٠٠ « ك.ف.١ » فحسب وكانت الوحدات لا تزال تتدرب

[٦] سبق لنا أن أوضحنا تفصيلا بعض جوانب سوء التقدير السياسي هذان جانب ستالين وعوامله المختلفة في دراستنا عن « حرب الهوب في الاتحاد السوفيتي » المنشورة بمجلة « الطليعة » - العدد ٤ سنة ١٩٦٨ - صفحات ٤٩ ، ٥١

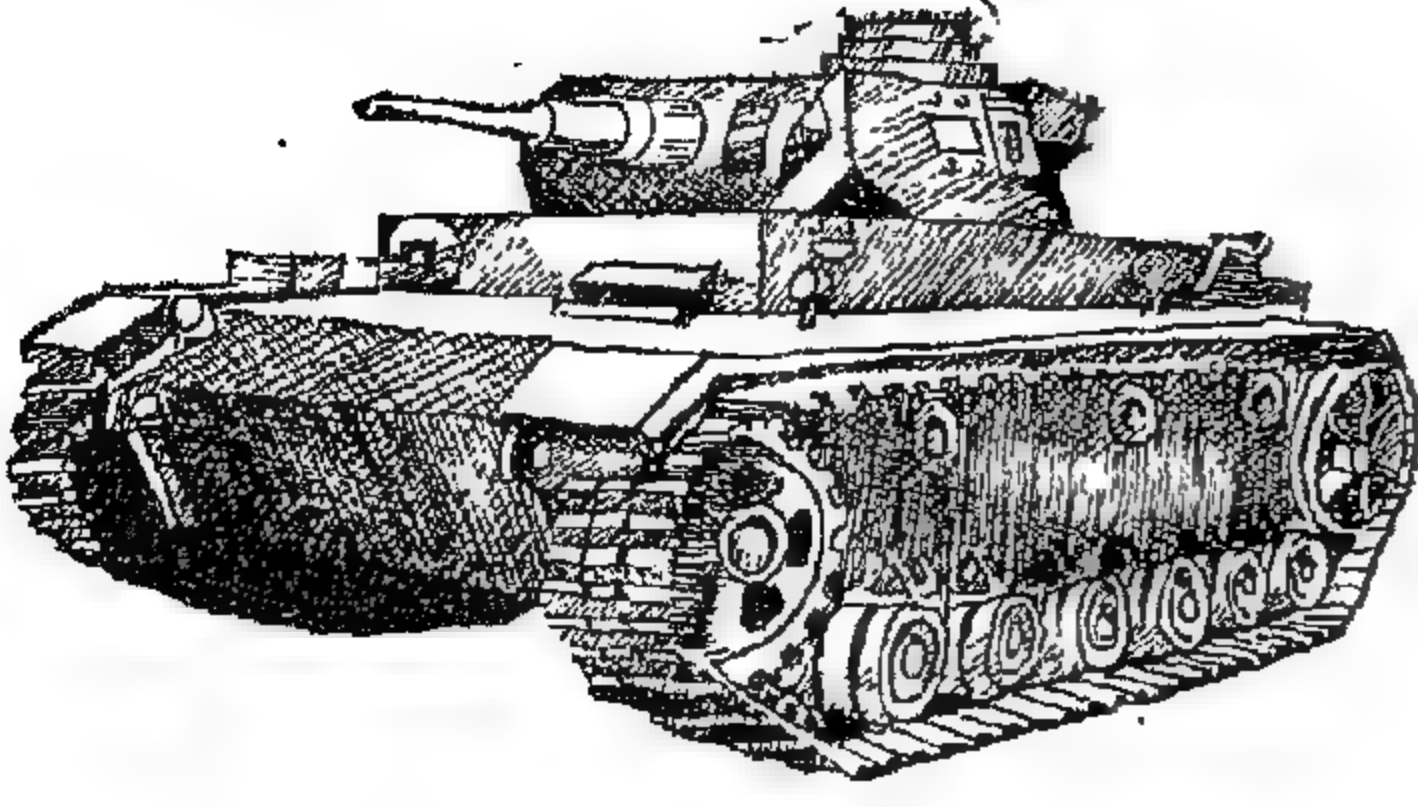
[٧] زوكوف - المرجع السابق - صفحة ٢١٨ ، ١٢٩ . هوجبت ٦٦ قاعدة جوية سوفيتية في يوم ٢٢ يونيو ١٩٤١ وتذكر المراجع السوفيتية أنه نتج عن ذلك تدمير ١٢٠٠ طائرة حتى الظهر منها أكثر من ٨٠٠ طائرة على الأرض ، بينما تذكر المراجع الألمانية أن جملة خسائر اليوم الأول للسلاح الجوي السوفيتي كانت ١٤٨٩ طائرة دمرت على الأرض و٣٢٢ طائرة أخرى أسقطت من الجو بواسطة المقاتلات والمدفعية فتكون الجملة ١٨١١ طائرة مقابل ٣٥ طائرة ألمانية وقد وردت هذه الأرقام في كتاب

«Bekker, Cajus: «The Luftwaffe War Diaries», London, Macdonald, 1967, p. 221»

Seaton, Albert. «The Russo - German War 1941 - 45», p. 98.

Eremenko A. «The Avduous Beginning», Moscou, Progress Published, 1966, p. 56. [٩]

[١٠] زوكوف - المرجع السابق - صفحة ١٢٧



الدبابة الألمانية المتوسطة الرئيسية « مارك ٣ » .
وكانت تزن نحو ٢٠ طنا من الصلب ويبلغ سمك درعها
الامامي ٣٠ مم ، ومسلحة بمدفع عيار ٥٠ مم قصير
المسورة تزن طاقته ٥٥ رطل ورشاشان عيار ٧.٩٢
مم ، وتبلغ سرعتها ١١ ميلا في الساعة ، ويألف
طاقمها من ٥ افراد ..

بهجوم لا تستطيع القيام به فعليا ، وحتى يمكن
لها أن تحشد قواها الاحتياطية الكاملة . واختيار
اللحظة المناسبة للتحويل إلى الهجوم المضاد العام
لانتزاع المبادرة الاستراتيجية من أيدي العدو .
ولضمان نجاح خطة الدفاع الاستراتيجي هذه
حددت القيادة العليا أهم أهداف الدفاع في
« وقف القوات الألمانية على الخطوط الدفاعية
أطول زمن ممكن لكسب أكبر قدر من الوقت تنقل
اثناء القوات الموجودة في أعماق البلاد إلى
منطقة القتال ويتشكل خلاله الاحتياطي الجديد
ويتم توزيعه بالطريقة المناسبة . وتكبيد العدو
أفدح الخسائر وانهكه بهدف تحقيق التوازن في
القوى إلى حد ما . وضمان التدابير التي اتخذها
الحزب والحكومة لإجلاء السكان والمنشآت
الصناعية إلى أعالي البلاد وكسب الوقت اللازم
لتحويل الصناعة إلى احتياجات الحرب » . (١٢)
لقد قامت مغامرة الحرب الخاطفة الألمانية ضد
الاتحاد السوفيتي على أمل تحطيم قوته العسكرية
الاساسية والقضاء على روح القتال والرغبة في
الاستمرار فيه بسرعة ، قبل أن يستطيع الشعب
السوفيتي وحكومته تعبئة قواه بالكامل المادية
والمعنوية ، ورغم عنف الضربة الغادرة الاولى
وشدة الخسائر المادية والبشرية المترتبة عليها ،
وظهور بعض حالات الانهيار النفسي وعدم
التماسك لدى بعض الوحدات والافراد في الايام
الاولى ، فقد فقدت « البليتزكريج » أحد مقومات
نجاحها وهو الانهيار المعنوي . إذ اشتدت روح
المقاومة والعناد في القتال . وساعد ذلك فضلا
عن توفر العمق الجغرافي الكبير الذي أنهك

عليها ، ولذلك لم تستخدم في الايام الاولى ولم تظهر
فاعليتها المرجوة الا فيما بعد . ولذلك كله أحرزت
قوات « فون بوك » سلسلة من الانتصارات
والنجاحات الكبرى في بدء الامر بواسطة
عمليات التطويق المزدوج التي قامت بها مجموعات
البانزر ٣ ، ٢ بقيادة « هوث » و « جوديريان »
والتي أدت إلى احتلال « مينسك » عاصمة
« بيلوروسيا » في ٢٩ يونيو وأسر عدد كبير من
قوات الجيش ١٠ ، ٣ حولها وحول « بيلوستوك » ،
ثم واصلت تشكيلات المدرعات الألمانية زحفها نحو
« الدنيبير » فبلغته يوم ١٠ يوليو وعبرته أيضا
وحدات « جوديريان » في نفس اليوم ، وفي يوم
١٥ يوليو كانت « سمو لنسك » الواقعة على
عمق ٤٠٠ ميل تقريبا داخل الحدود السوفيتية
مهددة بالحصار . ولكن رغم خطورة هذه الهزائم
بالنسبة للجيش السوفيتي إلا أن روح المقاومة
كانت تتزايد ولم تنقطع محاولات الهجوم المضاد
على أجنحة طرفي الكماشة الألمانية . ولم تؤد
عمليات التطويق الضخمة إلى انهيار معنوي
كبير للقوات المحاصرة بل كانت تصمد وتقاتل
وتفلت أجزاء منها من حلقة الحصار . وحول
هذه الظاهرة الجديدة بالنسبة للجيش الألماني
يقول المؤرخ العسكري الألماني « والتر جورليتزر »
« لقد وجد الألمان الآن ، على النقيض من تجربتهم
الفرنسية الحديثة ، أن عدوهم لا يميل إلى التأثر
إلا قليلا بتهديدات الدبابات لأجنحته ومؤخرته ،
وأنه بالرغم من هذه التهديدات يبذل مجهودات
كبيرة حتى لا يفقد المبادرة . وأنه قد يخلو الأرض ،
ولكن فقط كي يكسب الوقت ويعاود الهجوم ،
وأنه يقوم بمهاجمة الدبابات من كافة الجوانب .
وهو بهذه الطريقة يستطيع عادة اختراق حركة
التطويق الألمانية !

« سمو لنسك » تكسب

الوقت « لموسكو »

بعد سقوط « مينسك » والحاق خسائر
ضخمة بقوات الجبهة الغربية خلال الاسبوعين
الاولين من الحرب الخاطفة ، وفشل سلسلة
الهجمات المضادة التي تمت على عجل وبدون
تنسيق سليم وفي ظل عدم احاطة دقيقة بحقيقة
الموقف العسكري الناجم عن الضربة المفاجئة في
٢٢ يونيو ، اضطرت القيادة السوفيتية العليا
إلى اتباع مبدأ الدفاع الاستراتيجي على طول
الجبهة حتى يمكن أن تجنب قواتها مزار القيام

حركة المدرعات المتقدمة بسرعة على رءسها الى المؤخرات ، ساعد القيادة السوفيتية على دفع اجزاء كبيرة من احتياطياتها العام ، والبدء في تعبئة ٥ ملايين و ٣٠٠ ألف رجل للقوات المسلحة في الفترة من ٢٣ يونيو حتى ١ يوليو ١٩٤١ (١٣) وهكذا تمكنت هذه القيادة من الحاق خمسة جيوش مشاة (١٤) من احتياطياتها بقيادة الجبهة الغربية (التي أصبح « تيمو شينكو » وزير الدفاع يرأسها) في الفترة من ٢٧ يونيو حتى ١٠ يوليو ١٩٤١ ، كما قامت بالبدء في اعداد سلسلة متوالية من خطوط الدفاع في اتجاه « موسكو » منذ منتصف يوليو وصل عمقها الى ٢٥٠ - ٣٠٠ كيلو متر من « الدنيبر » حتى خط موجايسك ، وفي اتجاه « ليننجراد » في الشمال بلغ عمق الخطوط الدفاعية ١٠٠ - ١٢٠ كيلو مترا (١٤) .

وصاحب ذلك كله شن بعض الهجمات المضادة الأكثر اعدادا وتنسيقا من قبل الامر الذي اكسب الدفاع الاستراتيجي العام ايجابية وفعالية أكثر . ولذلك كله انخفض معدل تقدم الجيوش الالمانية المهاجمة ، فبعد ان كان معدل هذا التقدم يبلغ في المتوسط اثناء الـ ١٨ يوما الاولى من الحرب ٢٠ - ٣٠ كيلو مترا في اليوم ، أصبح هذا المعدل بعد ذلك في سبتمبر وأكتوبر من نفس العام ١٩٤١ ٥ كيلو مترات في المتوسط يوميا في اتجاه « ليننجراد » ، ٢٥ كيلو متر / يوم في اتجاه « موسكو » ، ٦ كيلو متر / يوم في اتجاه الجنوب الغربي ، بعد ان كان هذا المعدل في الجبهات الثلاث ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ كيلو مترا على التوالي (١٤) .

وقد كانت سلسلة المعارك الدفاعية الشديدة ، والتي تخللتها مجموعة قوية من الهجمات المضادة ، التي دارت عند وجول « سمولنسك » في الفترة من ١٠ يوليو حتى ١٠ سبتمبر ١٩٤١ أحد النماذج البارزة الناجحة في تحقيق الهدف العام المتمثل في كسب الوقت وارهاق العدو ، رغم الخسائر التي لحقتها القوات السوفيتية في هذه المعركة وسقوط عدد كبير من الاسرى في

حصار المدينة بعد تطويقها بقوات « هوث » ، و « جوديريان » المدرعة ، وفشلت محاولات استرداد المدينة بعد سقوطها في ١٦ يوليو . وذلك نظرا للتفوق الذي كان لدى القوات الالمانية المهاجمة والذي بلغت نسبته ٢ الى ١ في عدد الرجال ، ٤ الى ١ في عدد المدافع ، ٤ الى ١ في عدد الطائرات عند بدء المعركة في ١٠ يوليو (١٥) ، وبالنسبة للمدرعات فقد كان لدى الالمان تفوق واضح فيها مكثهم من حشد ٣٠ دبابة أو مدفع ذاتي الحركة في كل كيلومتر في مناطق هجماتهم المدرعة الاساسية . وقد استخدمت القوات السوفيتية في هجماتها المضادة اثناء هذه المعركة بعض بطاريات المدفعية الصاروخية (١٦) الجديدة التي عرفت باسم « الكاتيوشا » لأول مرة ، وكان لها تأثير شديد على جنود العدو في منطقة « رودينا » الذين هوجبوا بسقوط ٣٢٠ قذيفة من قذائفها عليهم خلال عشر ثواني فقط فانطلقوا هاربين من مواقعهم ! (١٦) ويعلق « زوكوف » على معركة « سمولنسك » فيقول « لقد لعبت معركة « سمولنسك » دورا هاما في المرحلة الاولى من الحرب على الرغم من أن قواتنا لم تستطع تحطيم قوى العدو طبقا للخطة التي وضعتها القيادة العليا . . . ولكنها استطاعت أن تكبد العدو خسائر فادحة ، فطبقا لاعتقافات الجنرالات الالمان فقد الهربون في « سمولنسك » ٢٥٠ ألف جندي وضابط . وفي ٢٣ يوليو أمرت القيادة الالمانية مجموعة جيوشها بالقطاع الاوسط أن تتخذ مراكز دفاعية في مواجهة الجيوش السوفيتية التي كانت ترابط على خط « فيليكي لوكي - يارتسفو - كريشف » . لقد اظهرت قوات الجيش الاحمر التي كان يعاونها سكان مدينة « سمولنسك » خلال المعركة بسالة وصلابة ، فكانت المعارك تدور عند كل دشمة وفي كل شارع وفي كل منزل وكل قرية ، وقد حققت قواتنا التي كانت تدافع عن « سمولنسك » نجاحا استراتيجيا كبيرا ، فأتاحت بذلك الفرصة

(١٣) مجلة انباء موسكو - ملحق العدد ١٩ [١١٠] - ١٩٧١ - صفحة ٩

[١٤] س. ب. لوفسكي وآخرون - الاستراتيجية الحربية السوفيتية - القاهرة - الكاتب العربي - صفحة ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

* كان جيش المشاة السوفيتي اوجيش الاسلحة المشتركة كما سار يعرف بهذا الاسم بعد ذلك ، يتكون في صيف ١٩٤١ ، بعد حل نظام تشكيل الفرق في فيالق مؤقتا ، من ٦ فرق فحسب بدلا من ٩ ، ١٢ فرقة سابقا ، وكانت فرقة المشاة مفروض ان تبلغ قوتها سولفا للتنظيم المقترح قبل الحرب - في ظروف الحرب ١٤٥٠٠ جندي ، ٧٨ مدفع ميدان ، ٥٤ مدفعا مضادا للدبابات عيار ٤٥ مم ، ١٢ مدفعا مضادا للطائرات ٦٦٤ مدفع هاون عيارات ٨٢ - ١٢٠ مم ، ١٦ دبابة خفيفة ، ١٣ عربة مصفحة ٣٠٠٠٤ حصان [زوكوف] - صفحة ١٣٦ ، ولكن ظروف الحرب الاولى جعلت عدد الفرق لا يزيد عن ٨٠٠٠ جندي فقط ، بينما كانت الفرقة الالمانية تضم نحو ١٥ الى ١٥ جندي في ذلك الوقت .

[١٥] Kurochkin, p. «Battle of Smolensk», Soviet Military Review, April 1968, p. 41. [١٦] Bremenko, A. «The Arduous Beginning», Moscow, Progress Publishers, 1966, p. 163.

* كانت المدفعية الصاروخية ابتكار سوفيتي جديد ولدت تجربتها قبل نشوب الحرب ولكن انتاجها على نطاق واسع لم يبدأ الا في يونيو ١٩٤١ ولذلك استخدمت لأول مرة في ١٥ مايو ١٩٤١ في معركة سمولنسك ، وكان النوع المستخدم يسمى « ب-١٣ » وهي من عيار ١٢٢ مم وعبارة من مجموعة متعددة من المواسير المركبة على سيارة وتنطلق منها الصواريخ دفعة واحدة ويصل مداها الى ١٠٠٠ ياردة تقريبا

لقواتنا الاحتياطية الاستراتيجية لأقامة ومساند
الدفاع عن (موسكو) . (١٧)

وقد قاد « زوكوف » بنفسه أكبر هجوم مضاد
خلال هذه المعركة ، وهو الهجوم الذى قام به
الجيش الرابع والعشرين أساسا ابتداء من ٢٠
أغسطس حتى ٦ سبتمبر من أجل إزالة رأس
الجسر القوى الذى أقامته القوات الألمانية عبر
نهر « دسنا » حول مدينة « يلينا » استعدادا
للزحف نحو « موسكو » ، وقد تمت فعلا تصفية
رأس جسر « يلينا » هذا ، واستردت المدينة يوم
٦ سبتمبر ، نظرا لأن الهجوم أعد له جيدا لمدة
١٢ يوما قبل البدء فيه ، كما أن معظم الوحدات
المدرعة الألمانية كانت قد حولت لمساعدة مجموعة
جيوش الجنوب والشمال كما سيأتى ذكره فيما
بعد . ويقول « زوكوف » أن الألمان فقدوا فى
خلال معارك « يلينا » هذه عددا يتراوح ما بين
٤٥ — ٤٧ ألف جندى ما بين قتل وجريح
وأسير (١٧) . وقد اعترف الجنرال الألمانى
« بلومنتريت » مدير عمليات الجيش الرابع وقتئذ
فى كتابه « قرارات هتلر المميتة » بعد الحرب
بشدة وطأة معارك « سمولنسك » و « يلينا »
حيث قال « ولعدم وجود مساندة قوية مسن
المدرعات اضطررنا لاتباع طريقة الخنادق بحذاء
نهر « الديسنا » مما أزهق قواتنا للغاية ، فقد
هاجمنا الروس بعنف ونجحوا فى اختراق
خطوطنا المفتقرة للعمق ، مما اضطرنا لاستدعاء
وحدات من الدبابات لسد الشغرات الناجمة عن
الاختراق ، وقد تعلمنا من هذه العمليات أن المشاة
فى الحرب الحديثة لا تحتاج لمعونة المدرعات فى
الهجوم فقط وإنما فى الدفاع أيضا . وعندما
أقول أن خطوطنا كانت رقيقة فإن هذا أقل من
الواقع بالفعل فقد خصصت للفرق مواجهاة تزيد
عن عشرين ميلا ، ويضاف الى هذا أنه خلال
تقدمنا تكبدنا خسائر مما أدى الى أن الفرق
أصبحت غير كاملة المرتب من حيث الأفراد
وتفتقر تماما لاي قوات تعمل كاحتياطى تكتيكى .
واثناء القتال وخاصة فى المنطقة المحيطة « بيلينا »

تكبدت تشكيلاتنا خسائر جديدة فادحة ! (١٨)
وقد أدت معارك « سمولنسك » وغيرها من
المعارك الدفاعية العنيفة التى كانت تدور فى
نفس الوقت عند « كييف » و « أودسا » وفى
منطقة البلطيق على مشارف « ليننجراد » الى
زيادة خسائر الألمان الى حد كبير هدد باستنزاف
احتياطياتهم بالكامل تقريبا من الرجال والتشكيلات
القتالية والوقود وكثيرا من العتاد . وبالتالى
أصبحت مقامرة « البليتز كريج » على حافة هاوية
الفشل لأن ميزان القوى فى الموارد البشرية
والمادية بدأ يميل تدريجيا لصالح الجيش
السوفييتى ، بعد أن فشل سباق الزمن الذى
بنيت عليه عملية « بارباروسا » فى منع أو عرقلة
بناء واعداد الاحتياطيات البشرية والمادية أو فى
تحطيم قوى الانتاج الحربى الرئيسية التى جرى
نقل معظمها الى المؤخرة البعيدة لتدعيم القاعدة
الصناعية الموجودة أصلا هناك من قبل الحرب .
ذلك لأن هذه الخسائر أدت الى أن يصبح العجز
فى عدد الجنود اللازم فى تشكيلات المشاة فى
أوائل سبتمبر ١٩٤١ كالاتى : أكثر من ٤٠٠٠
رجل فى ١٤ فرقة مشاة (بالنسبة لكل فرقة)
وأكثر من ٣٠٠٠ فى ٤٠ فرقة أخرى ، وأكثر من
٢٠٠٠ فى ٣٠ فرقة ، وأقل من ٢٠٠٠ فى ٥٨ فرقة
(بالنسبة لكل فرقة فى الجميع) وقد انخفض
احتياطى القيادة العامة من ٢٨ فرقة الى ٣ فرق
عند نهاية صيف ١٩٤١ . وبلغت جملة خسائر
الأفراد فى ٢٦ أغسطس ١٩٤١ ، ٤٤٠ ألف رجل
من بينهم ٩٤ ألف قتيل ، تم استبدال ٢١٧ ألف
رجل منهم فقط فى نهاية أغسطس من جملة الـ
٤٠٠ ألف رجل الذين كانت تتكون منهم قوات
احتياطى الاستبدال فى ألمانيا التابعة للجنرال
« فروم » (١٩) . كما بلغت نسبة قوة الدبابات
الصالحة للقتال بالنسبة لقوتها المفترضة الأصلية
فى نهاية أغسطس ١٩٤١ ، ٥٣ ٪ فى مجموعة
السانزر الاولى (فى الجنوب) و ٢٥ ٪ فى
المجموعة الثانية ، ٤١ ٪ فى المجموعة الثالثة
(فى الوسط) و ٧٠ ٪ فى المجموعة الرابعة
(فى الشمال) وتزايد هذه النسب بنفس الترتيب
على التوالى عند نهاية سبتمبر ١٩٤١ الى ٧٠ —

[١٧] زوكوف المرجع السابق — صفحة ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٢

[١٨] بلومنتريت ، جونثر . « قرارات هتلر المميتة » الجزء الثانى — معركة روسيا — ترجمة فتحى النمر — القاهرة

— ١٩٦٩ — صفحة ١٤٤ ، ١٤٥

Seaton, Albert. «The Russo-German War 1941 — 45», p. 171, 172.

[١٩]

٨٠ ٪ ، ٥٠ ٪ ، ٧٠ - ٨٠ ٪ ، ١٠٠ ٪ ! (١٩) وذلك كله وفقاً للارقام الألمانية التي أوردتها « هالدر » رئيس هيئة أركان حرب الجيش الألماني وقتئذ . ويذكر « جوديريان » في مجال شكواه من شدة الاجهاد والخسائر التي لحقت بتشكيلات البانزر (*) التابعة له ، ان الوحدة المدرعة السادسة بقيادة « مونزل » على سبيل المثال ، قد انخفضت قوة دبابتها الصالحة للقتال في ١٤ سبتمبر ١٩٤١ الى ١٠ دبابات فقط من جملة نحو ١٥٠ دبابة كانت لدى تشكيلها الاصلى ! (١٩) كما أن سرايا المشاة الميكانيكية أصبحت تتكون من ٥٠ رجلاً محسباً ! ولقد أدت شدة معارك « سمولنسك » واستمرار صمود « كييف » في الجنوب و « ليننجراد » في الشمال الى انتهاء مرحلة الزحف السريع الخاطف ، وفشل الهدف الرئيسي لعملية « بارباروسا » وهو تحطيم الكتلة الرئيسية للجيش السوفيتي غرب « الدنيبير » . فكان لابد لهتلر أن يعيد النظر في حساباته الاستراتيجية وضرورة الاهتمام بمراعاة بعض الاعتبارات الاستراتيجية التقليدية والضرورية والتقليل الى حد ما من نزعات المقامرة في المراحل التالية من الحملة . ولذلك أظهر « هتلر » تردداً شديداً بشكل واضح في تقرير استمرار الزحف نحو « موسكو » عندما اجتمع بكبار قادة مجموعة جيوش الوسط في مقر قيادة المجموعة يوم ٤ أغسطس ١٩٤١ في « بوريسوف » (٢٠) ورأى ضرورة التوقف قليلاً - بناء على رأى « براوخيتش » القائد العام للجيش - لاصلاح المدرعات واستكمال بعض النقص الذي لحق بقوتها ، ثم التركيز على تصفية المقاومة السوفيتية في « كييف » و « أوكرانيا » عامة ، بالإضافة الى تشديد الهجوم على منطقة « ليننجراد » لتطويقها والالتقاء بالقوات الفنلندية الزاحفة من أقصى الشمال ، وبذلك يأمن تهديد الجيوش السوفيتية لاجنحة مجموعة الوسط قبل الاندفاع الى موسكو ، خاصة جناحها الايمن من ناحية الجنوب ، ويوفر لها في نفس الوقت امكانية تدعيمها بقوات اضافية من الجنوب والشمال تساعد على اختراق خطوط الدفاع القوية التي تواجهها في

الطريق الى « موسكو » خاصة وأنه لم يعد هناك اية احتياطات عامة ذات قيمة . وقد عارض قادة مجموعة الوسط فكرة « هتلر » الاستراتيجية هذه لأنها كانت تفرض عليهم توجيه مجموعة « جوديريان » الثانية المدرعة الى الجنوب للاشتراك في حركة كماشة ضخمة مع مجموعة « فون كليست » المدرعة الاولى ، فضلاً عن توجيه بعض قوات مجموعة « هوث » الثالثة المدرعة الى الشمال لمعاونة مجموعة « هوبنر » في تطويق « ليننجراد » . وانضم كل من « براوخيتش » و « هالدر » أيضاً الى هذا الرأي الأخير واستمرت المناقشات فترة تزيد عن أسبوعين ، ثم حسمها « هتلر » بتوجيهه رقم ٣٤ الذي أصدره يوم ٢١ أغسطس مقررًا فيه اولوية « كييف » مؤقتاً عن « موسكو » . وقد شعرت القيادة العليا السوفيتية بخطورة حشود « جوديريان » في الجزء الجنوبي من الجبهة الغربية عند « موجليف » ، وخشيت ان توجه هذه القوات ضربة قوية تجاه « بريانسك » لتزحف نحو « أوريل » ثم « موسكو » من الجنوب الشرقي . ولذلك سارعت بتشكيل مجموعة جيوش جديدة ذات قيادة مستقلة عن الجبهة الغربية أطلقت عليها اسم « جبهة بريانسك » في ١٤ أغسطس وتولى الجنرال « يرمينكو » قيادتها . وكلفتها بالقيام بهجوم مضاد لاحتياطوايا « جوديريان » في المنطقة ، الا ان الهجوم الذي شنته الجبهة المذكورة في ٢ سبتمبر لم يؤت نتائج المطلوبة لنقص القوى اللازمة لانجازه خاصة من المدرعات ولاصطدامه بمقاومة الجيش الرابع الشديدة الذي كان مكلفاً بحماية جناح ومؤخرة « جوديريان » ، الذي انطلق في ٩ سبتمبر في طريقه نحو الجنوب والتقى فعلاً « بكليست » عند نقطة تبعد ١٥٠ ميلاً شرقي « كييف » يوم ١٦ سبتمبر ، وقد سقطت المدينة نفسها يوم ٢٠ سبتمبر ووقع نحو ٤٥٠ الف جندي سوفيتي (٢١) في الاسر من قوات الجيوش ٥ ، ٢١ ، ٣٧ ، ٢٦ ولم يتمكن من الفرار من التطويق سوى ١٥٠ الف تقريباً . وكان اصرار « ستالين » والقيادة العليا بصفة عامة على الاحتفاظ بكييف

* كانت الفرقة المدرعة الألمانية « البانزر » في بدء الحملة على روسيا تتألف أصلاً من وحدة دبابات « الاي » يضم ٣ كتائب بها جميعاً نحو ١٩٠ دبابة، وملحق بها لواء مشاة ميكانيكية محمل في عربات مدرعة نصفي جنزير او لوريات عادية ويضم هذا اللواء الالبيين كل منهما يتألف من كتيبتين بكل منهما نحو ٦٠٠ جندي ، بالإضافة الى وحدات معاونة من المدفعية بمختلف انواعها بعضها ذاتي الحركة وكتيبة مهندسين واخرى من راكبي الموتوسيكلات . اما فرقة المشاة الميكانيكية فكانت تتألف من الالبيين بكل منهما ٣ كتائب ولديها مدفعتها ووحداتها المعاونة . وكان الفيلق المدرع يضم فرقتين مدرعتين وفرقة ميكانيكية ، والمجموعة او الجيش المدرع يتألف من فيلقين او ثلاثة

Eremenko, A. «The Arduous Beginning», Moscow, Progress Publishers, 1966, p. 204. [٢٠].

Seaton, Albert. «Russo-German War-1941-45», London, Barker, 1971, p. 147, [٢١].

أطول فترة ممكنة هو سبب هذه الهزيمة الكبيرة . (٢٢)

«الأعصار» في طريقه الى موسكو

قبل أن تنتهي معارك «أوكرانيا» والشمال أصدر «هتلر» التوجيه رقم ٣٥ الذي تضمن الأوامر الخاصة بأعداد الهجوم الجديد على «موسكو» ، ذلك الهجوم الذي أعطى الاسم الكودي «عملية الأعصار»! «Typhoon» والتيفون كما نعلم هو اسم يطلقه الجغرافيون على أعصار استوائي شديد يهب على بحر «الصين» و «الفلبين»! وحتى يكون للهجوم قوة اندفاع «التيفون» فعلا ، كان لابد للتنفيذ العملي أن ينتظر حتى تتم تصفية «كييف» في ٢٠ سبتمبر وتطويق «ليننجراد» تقريبا في ١٥ منه، حتى يمكن سحب مجموعة «جوديريان» من الجنوب ومجموعة «هوبنر» من الشمال خاصة وأنه لم تكن توجد تعزيزات احتياطية لدى القيادة العامة بعد أن ارتفع رقم جملة الخسائر الألمانية البشرية إلى ٥٣٤ ألف رجل في ٢٦ سبتمبر وهو رقم يمثل نسبة نحو ١٥٪ من جملة القوات الألمانية في الجبهة كلها (٢٣)! هذا وقد بلغت قوة مجموعة الوسط عند بدء تنفيذ العملية في ٣٠ سبتمبر ١٩٤١ ، المؤلفة من جيوش المشاة ٩ ، ٤ ، ٢ ومجموعات البانزر ٢ ، ٣ ، ٤ (باستثناء فيلق مدرع واحد من المجموعة ٤ بقي في الشمال) ، بلغت في جملتها ٧٧ فرقة من بينها ١٤ فرقة مدرعة ، ٨ مشاة ميكانيكية تضم جميعا نحو ١٧٠٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة مدرع ، ولديها نحو ١٤٥٠٠ مدفع وهاون ، وتعززها قوة جوية تشمل الاسطول الثاني والفيلق الثامن المأخوذ من مجموعة الشمال تبلغ جملتها نحو ١٠٠٠ طائرة من أصل الـ ٢٤٠٠ طائرة التي كانت موجودة في الجبهة الروسية كلها (٢٣) ولم يكن لدى قيادة «الوسط» سوى فرقتين احتياطيتين من هذه الفرق ، أما القيادة العامة فلم يكن لديها أي احتياطي! وقد بلغت أطوال خطوط المواجهة التي حشدت فيها هذه القوات ابتداء من «أندريابول» في الشمال حتى «كونوتوب» في الجنوب أكثر من ٤٠٠ ميل ، كما بلغ مجموع عدد رجال هذه القوات نحو مليون جندي وضابط (٢٣) .

هذا ولقد تم حشد هذه القوى بفضل سحب

بعض قوات «فون ليب» في الشمال (٥ فرق مدرعة ، ٢ مشاة ميكانيكية وفيلق جوى) وبعض قوات «فون رونشتد» في الجنوب أيضا بخلاف مجموعة جوديريان (٢ فرقة مدرعة ، ٢ ميكانيكية ، ٥ فرق مشاة) . وهكذا قام «هتلر» بأضعاف قواه الضاربة في الشمال والجنوب على أمل كسب «موسكو» بضربة سريعة! وكان يواجه هذه القوى في ٣٠ سبتمبر من الجانب السوفيتي ثلاث مجموعات جيوش «جبهات» هي كالآتي :

«الجبهة الغربية» بقيادة «كونيف» وتتألف من الجيوش ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٩ ، ١٦ ، ٢٠ التي ترابط بهذا الترتيب من الشمال عند «أوستاشكوف» — نقطة اتصالها بالجبهة الشمالية الغربية — حتى «يلينا» تقريبا في الجنوب .

و «الجبهة الاحتياطية» (التي كان قد بدى في تشكيلها في مؤخرة الجبهة الغربية منذ ١٤ يوليو أثناء معركة «سمولنسك») بقيادة «بوديني» وكانت تتألف من الجيوش ٣١ ، ٤٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٢٤ ، ٤٣ وكان هناك جيشان فقط من جيوشها هذه يرابطان على خط القتال الأمامي وهما الـ ٢٤ ، ٤٣ عند «يلينا» وإلى الجنوب منها حتى نقطة الاتصال بالجبهة الثالثة «جبهة بريانسك» وتوزع الباقي في عمق مؤخرة الجبهة الغربية .

ثم «جبهة بريانسك» بقيادة «يرمنكو» وتتألف من الجيوش ٥٠ ، ٣ ، ١٣ ومجموعة «يرماكوف» وكانت ترابط من شمال «بريانسك» حتى نقطة مواجهة «كونوتوب» في الجنوب حيث نقطة اتصالها بالجبهة الجنوبية الغربية . وقد بلغت القوة الاجمالية للجبهات الثلاث ٩٥ فرقة من بينها ٨٣ فرقة مشاة ، ٩ فرق خيالة ، ١٣ لواء دبابات وكانت تضم نحو ٨٥٠٠٠ جندي مقاتل «Effectives» ، ٧٨٢ دبابة ، ٦٨٠٨ مدفع وهاون وقاذف صاروخي (يقصد دائما في احصاء عدد المدافع الهاون المدافع عيار ٧٥ مم فنكثر فقط) و ٥٤٥ طائرة . وذلك على مواجهة طولها ٤٥٠ ميلا . وقد كانت هذه القوى تمثل نحو ٤٠٪ من مجموع جنود الجيش السوفيتي وقتئذ ، و ٤٠٪ من مدفعيته ، ٣٥٪ من مجموع دباباته وطائراته في ذلك الوقت ، الذي كانت فيه المصانع الحربية المنقولة الى الاورال وغيرها من أماكن المؤخرة البعيدة لا تزال في طور التركيب والاعداد، ولذلك

[٢٢] زوكوف — المرجع السابق — صفحة ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥

[٢٣] ارقام القوة الألمانية مأخوذة أساسا من

«Seaton, Albert. «Russo-German War 1941 — 45» p. 177, 178»

ومن Zverevsky, A. The «Mirkrrieg» That Misfired, Soviet Military Review, October 1971, p. 39»

* كان لواء الدبابات السوفيتي يتكون من نحو ٧٠ دبابة وبطارية مدفعية، كتيبة مشاة ميكانيكية . الحرب الروسية

الألمانية ٤٥ ، ١٩٤١ ، صفحة ٩٢

لم تستطع الصناعة أن تعوّض بسرعة الخسائر الشديدة خاصة في الدبابات والطائرات في هذه الفترة الوجيزة التي انقضت منذ ٢٢ يونيو حتى ٣٠ سبتمبر ، هذا وقد بلغت النسبة العامة لتفوق الألمان عند بدء عملية الإحصاء على ضوء الأرقام المذكورة آنفا كالاتي : ١٤ إلى ١ في المشاة ، ٢٢ إلى ١ في الدبابات ، ٢ إلى ١ في المدفعية ، ١٧ إلى ١ في الطائرات (٢٤) .

ولقد وضعت الخطة الألمانية على أساس توجيه الضربات الرئيسية بواسطة حشود مركزة من مجموعات البانزر على جبهة ضيقة ، ولذلك بلغت نسبة عدد الدبابات المستخدمة في العملية ٦٤٪ من مجموع الدبابات في الجبهة كلها ، ولذلك أيضا كانت نسب التفوق المحلي في معظم قطاعات الهجوم أكثر بكثير من النسبة العامة للتفوق المذكورة آنفا خاصة في نقاط الاختراق غير المتوقعة مثل قطاع الجيش ١٣ من جبهة « بريانسك » حيث وجهت مجموعة « جوديريان » أولى الضربات القوية المركزة يوم ٣٠ سبتمبر مستخدمة نحو ٥٠٠ دبابة وربما أكثر (٢٥) .

هذا وكانت القيادة العليا السوفيتية عندما استشعرت خطورة الموقف في الجبهة الغربية في أوائل يوليو قد شرعت ، كما سبق أن قلنا في موضع آخر ، في إقامة مجموعة من خطوط الدفاع لحماية طرق الاقتراب من « موسكو » خلف خط الجبهة في « سمولنسك » ، أولها كان خط « فيازما » الذي امتد نحو ٢٠٠ ميل من الشمال إلى الجنوب على مسافة تتراوح بين ٢٠ — ٨٠ ميلا في المؤخرة ، وقد ساهم في بناء هذا الخط عشرات الآلاف من متطوعي « موسكو » وسكان المنطقة ، وفي ١٦ يوليو تقرر إنشاء خط دفاعي آخر عرف بخطة « موجايسك » امتد نحو ١٦٠ ميلا من شمال « فولوكولامسك » حتى جنوب « كالوجا » على مبعده ٨٠ ميلا إلى الغرب من « موسكو » . وقد ساهم في أعداد هذا الخط أيضا نحو ١٠٠.٠٠٠ من سكان العاصمة ، كان نحو ثلاثة أرباعهم من النساء (٢٦) ! ثم انشأ بعد ذلك في أوائل أكتوبر خط دفاعي ثالث امتد من « كلين » شمال غربي « موسكو » حتى « سريكوف » إلى الجنوب الغربي منها على مسافة تتراوح بين ٥٠ — ٦٠ ميلا وكان يلي ذلك الدفاع المباشر عن

المدينة نفسها وضواحيها المكون من ٣ خطوط تحيط بها على شكل شبه دائري ، وفي ٣٠ سبتمبر بدأ « الأخصار » يهب بعنف في الجنوب الغربي حيث وجهت مجموعة « جوديريان » المدرعة الثانية ، المؤلفة من ٣ فيالق مشروعة وفيلقين مشاة تضم جميعا ٥ فـسـرق مدرعة و ٤ فرق ميكانيكية ، ٧ فرق مشاة ، فرقة خيالة ضربتها القوية في قطاع الجيش ١٣ متجهة إلى الشمال الشرقي نحو « أوريل » ، وحيث نسبة تفوقها في هذه المنطقة مطلقة في الدبابات ونسبة ٤ إلى ١ في المدفعية ، ٢٦ إلى ١ في الرجال . ولذلك أمكن لها أن تزحف بمدركاتها في اليوم الأول إلى عمق ٥٠ ميلا بينما كانت المشاة تتقدم حامية أجنحتها وتقوم بتطهير جيوب المقاومة الموجودة . كما استطاعت أن تحتل مدينة « أوريل » يوم ٣ أكتوبر على عمق ١٣٠ ميلا ، وأن يطوق جناح منها بالاشتراك مع قوات جيش المشاة الثاني قوات من الجيش الثالث حول « ترويشفسك » ، كما سقطت مدينة « بريانسك » نفسها يوم ٦ أكتوبر ، وحوصرت قوات الجيش ٥٠ بعد ذلك شمال المدينة ، وهكذا أصبح الموقف في هذا الجزء من الجبهة خطيرا للغاية خاصة وأن اتصالات « برمنكو » وقيادته قد انقطعت بالقيادة العامة منذ مساء ٥ أكتوبر بسبب تحطم عربات اللاسلكي بل تعرضت قيادته لهجوم مجموعة من الدبابات الألمانية مساء يوم ٦ أكتوبر وكادت أن تحتل لولا اشتباك حرس القيادة مع المشاة الميكانيكية ووصول نجدة سريعة من لواء دبابات قريب . انقذت الموقف ! وقد استمرت قوات جبهة « بريانسك » المطوقة تقاتل بعنف ومعها قائدها الذي ظنت القيادة في « موسكو » أنه قد قتل في الهجوم السابق ذكره ، إلى أن استطاعت أجزاء كبيرة منها أن تشق طريقها قتالا عبر طوق الحصار في أيام ١٧ ، ١٨ ، ٢٢ أكتوبر ولكن بعد أن تحملت خسائر شديدة ، وكبدت العدو أيضا خسائر فادحة ، إذ أن فرق الجيش الثالث عشر مشلا وصلت وليس لدى كل فرقة غير عدد يتراوح بين ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ جندي ، وبلغ جملة الجنود الناجين من الحصار ١٠ آلاف فقط وليس معهم سوى بنادقهم وقليل من الرشاشات و ١١ مدفع ميدان وكذلك كان الجيش الثالث ، ووصل الجيش ٥٠ أيضا إلى خطوط دفاعه الجديدة عند نهر « أوكا » في منطقة « بيليف » يوم ٢٣ أكتوبر ، ولدى عدد من

[٢٤] المراجع السابقة صفحة ١٧٩ بالنسبة لأول ، صفحة ٢٩ بالنسبة للثاني ، زوكوف ب المرجع السابق =

صفحة ٢٤١ ، وانباء موسكو — عدد ١٩٧١ — ١٩٧٠ [٢٥] Eremenko, A. «The Arduous Beginning, Moscow, 1966, p. 236, 238, 242, 257, 258. [٢٦] Vassilevsky, A. «The Turning Point of The War», Moscow, Prog-Publ., 1970, p. 12, 15.

فرقة السابعة نحو ٣٠٠٠ جندي و عدد من المدافع والدبابات ، وذلك بعد ان اسر بعض رجاله وقتل قائده « بتروف » . وفى هذه الاثناء كانت القيادة العليا قد أرسلت فى ١١ أكتوبر فيلق الحرس الخاص بقيادة « ليليوشنكو » ومعه لواء مدرع مجهز أساسا بدبابات « ت - ٣٤ » ، « ك-١٠ » وبعض بطاريات صواريخ « كاتيوشا » حيث اوقف اندفاع فيلق البانزر ٢٤ نحو « تولا » عند بلدة « ميسنسك » يوم ٦ أكتوبر (٢٦) .

وفى وسط الجبهة الغربية وجهت مجموعة « هوبنر » المدرعة الرابعة ، المكونة من ثلاثة فيالق مدرعة تضم ٥ فرق مدرعة ، و ٢ ميكانيكية ، ضربة قوية يوم ٢ أكتوبر ، تساعدها فى ذلك قوات مشاة الجيش الرابع « فون كلوج » المكونة من ١٥ فرقة ، تستهدف تطويق « فيازما » تجاه الشمال الشرقى والزحف شرقا نحو « كالوجا » ونهر « أوجرا » فى شعبتين أخريتين تستهدفان الاستيلاء على « كالوجا » و « ماليوروسلافيتس » إلى الجنوب الشرقى من « موسكو » . ومن الشمال اندفعت مجموعة « هوث » المدرعة الثالثة المؤلفة من فيلقين مدرعين يضمن ٣ فرق مدرعة ، ٢ ميكانيكية ، يعاونها الجيش التاسع « ستراوس » بفرقة الـ ١٨ من المشاة ، للالتقاء بطرف الكماشة الجنوبي « هوبنر » عند « فيازما » ثم مواصلة التقدم بشعبة أخرى من القوات إلى « كالينين » فى شمال غربى « موسكو » . وقد تم بالفعل التقاء طرفى الكماشة فى ٧ أكتوبر غربى « فيازما » وحوصرت الجيوش ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٢ من قوات الجبهتين الغربية « و » الاحتياطية « ، كما اضطرت الجيوش ٢٢ ، ٢٩ ، ٣١ إلى التراجع إلى خط يمتد من « أوستاشسكوف » إلى « سيخوفكا » وفى ٥ أكتوبر استدعى « ستالين » « زوكوف » من قيادة جبهة « ليننجراد » : التى كان قد عين قائدا لها منذ ٩ سبتمبر ١٩٤١ ، كى يعود إلى « موسكو » ويتولى قيادة الجبهة الغربية كلها بما فيها جبهة « بريانسك » يعاونه « كونيغ » قائد الجبهة الغربية الاصلى ، وقد وصل « زوكوف » إلى « موسكو » وتولى القيادة الجديدة يوم ٧ أكتوبر ، وعلى ضوء المعلومات التى توفرت له على الطبيعة فى مقر أركان حرب الجبهة تبين له « أن الكارثة التى حدثت فى منطقة فيازما » كان

من الممكن تجنبها ، لانه بالرغم من تفوق العدو فى الافراد والمعدات ، فان قواتنا كان يمكنها تفادى التطويق اذا كان فقط قد تم تحديد اتجاه ضربات العدو الرئيسية فى الوقت المناسب ، ومن ثم القيام بحشد القوى اللازمة لصدها من المناطق الهادئة ولكن هذا لم يحدث ، وكان دفاعنا أضعف من أن يصمد فى وجه مثل هذه الهجمات المركزة . ولذلك فتحت ثغرات كبيرة فى خطوطنا ولم يكن هناك ما يمكن سددها به ، حيث أن القيادة لم يكن لديها قوات احتياطية « (٢٧) » .

وقرر « زوكوف » ضرورة تجميع كل القوات المتيسرة لديه عند خط « موجايسك » الدفاعى ابتداء من مساء ٧ أكتوبر ، حتى يمكن « ضمان » عدم ظهور قوات العدو المدرعة فجأة واندفاعها نحو « موسكو » على حد قوله لستالين تليفونيا مساء يوم ٨ أكتوبر ، وقد تم تجميع قوات من احتياطى القيادة العليا ومن الجبهات المجاورة واعيد بالتالى تشكيل وتنظيم الجيوش ١٦ ، ٥ ، ٤٣ ، ٤٦ . وقد بلغت جملة هذه القوات فى منتصف أكتوبر ١٤ فرقة مشاة و ١٦ لواء مدرعا ، وأكثر من ٤٠ وحدة مدفعية ، ولكن مجموع هذه القوات كلها لم يكن يزيد عن ٩٠ ألف جندي مقاتل ! ولما كانت هذه القوات لا تكفى لتنظيم خط دفاعى متصل يعتمد عليه عمليا فى صد الهجوم ، ولم تكن احتياطات القيادة العليا الجارية تدريبها وتسليحها فى المؤخرة البعيدة عند الأورال و « الفولجا » و « أسقراخان » ، (تسعة جيوش) ، (٢٨) ، منذ ٥ أكتوبر قد تم اعدادها ، وكذلك تأخر نقل القوات التى تقرر نقلها من الشرق الأقصى [٣ فرق مشاة وفرقتان مدرعتان] على ضوء تقرير رجل المخابرات السوفيتى الشهير « سورج » الذى أرسله من « طوكيو » فى ١٤ سبتمبر ، يفيد فيه الحكومة السوفيتية بعدم وجود نوايا حالية لدى « اليابان » لخوض حرب ضد الاتحاد السوفيتى (٢٨) ، لما كان ذلك كله فقد قرر « زوكوف » تركيز القوى الأساسية فى الاتجاهات التى يتوقع اتجاه هجمات العدو إليها أكثر من غيرها ، وهى « فولوكولامسك » و « موجايسك » و « ماليوروسلافيتس » و « كالوجا » هذا وقد استمرت القوات المحاصرة داخل « جيب فيازما » تقاوم مدة أسبوع تقريبا مثبتة حولها نحو ٢٨ فرقة للعدو ، الأمر الذى سهل بعض الشيء حشد القوات الجديدة عند خط « موجايسك »

ومنح « زوكوف » بعض الوقت ثم وقعت معظم هذه القوات المحاصرة في الأسر ولم تستطع الافلات من حلقة الحصار سوى بعض المجموعات المنفردة . وابتداء من ١٢ أكتوبر اشتد الزحف الألماني وأصبح الموقف حرجا ، ففي ١٤ أكتوبر احتلت مجموعة البانزر الثالثة مدينة « كالينين » في الشمال الشرقي من « موسكو » ، فشككت القيادة العليا السوفيتية جبهة جديدة هناك سميت بجبهة « كالينين » بقيادة « كوفيف » ضمت الجيوش ٢٢ ، ٢٩ ، ٣١ لتدعيم الدفاع هناك ، فلقد أصبح من الواضح أن القيادة الألمانية تهدف إلى تطويق « موسكو » من الشمال من المنطقة الواقعة بين « فولوكولامسك » و « كالينين » ومن الجنوب عبر منطقة « تولا » و « كالوجا » ، فضلا عن الهجوم من الوسط عند « موجايسك » والمناطق المجاورة ولكن الضربات الرئيسية كانت عند طرفي الكمامة وفي ١٨ أكتوبر اخترقت دبابات فيلق البانزر ٤ التابع لمجموعة « هوبنر » خط « موجايسك » بعد قتال عنيف للغاية قرب مدينة « بورودينو » حيث دارت معركة كبرى منذ ١٣ عاما بين الجيش الروسي وجيش « نابليون » وأصبحت بذلك على بعد ٦٠ ميلا إلى الغرب من « موسكو » . كما وصلت إلى الخط قوات الفيلق ٥٧ بانزر قرب « بوروفسك » و « ماليوروسلافتس » ، وفيلق المشاة ١٣ وصل أيضا إلى مشارف « كالوجا » ، وهكذا أصبحت المواصلات بين « موسكو » و « تولا » مهددة بالقطع فضلا عن تهديد مسدن « ناروفومينسك » و « بودولسك » ، فقامت القيادة العليا بإرسال جيش جديد رقم ٣٣ وعززت الجيش ٤٣ ، كما جرى تعزيز خطوط الدفاع الدائرية حول موسكو بالتاريس والنقاط القوية المضادة للدبابات ، وأرسلت إلى المناطق المهددة ثلاث فرق من متطوعي محال « موسكو » ، ثم أعلنت حالة الحصار في العاصمة يوم ٢٠ أكتوبر ، وتم اجلاء كثير من المصالح الحكومية وجميع هيئات التمثيل الدبلوماسية يوم ١٦ أكتوبر وجزء من هيئة اركان حرب الجيش ، وبقى « ستالين » وأعضاء المكتب السياسي والقيادة العسكرية العليا في المدينة . ولكن المقاومة السوفيتية كانت تزداد عنفا مع ازدياد اقتراب العدو من « موسكو » ودارت معارك عنيفة للغاية في منطقة « فولوكولامسك » بين الجيش ١٦ بقيادة « روكوسوفسكي » ومجموعة « هوبنر » المدرعة في الفترة من ١٦ أكتوبر حتى ٣٠ منه حيث أجهدت القوات الألمانية واضطرت إلى التوقف بعد أن احتلت محطة سكة حديد

« فولوكولامسك » . وفي الجنوب أيضا أمكن منع مجموعة « جوديريان » من احتلال « تولا » بضربة خاطفة في ٢٩ أكتوبر بواسطة الفيلق ٢٤ مدرع الذي كان قد احتل « متسك » مؤخرا في ٢٤ أكتوبر بعد قتال عنيف استمر منذ يوم ٦ منه . وفي ٣٠ أكتوبر توقف الزحف الألماني كله لإعادة التنظيم والاستعداد بعد أن حقق تقدما بلغ نحو ١٥٠ ميلا وكانت الخسائر الشديدة التي لحقت بالقوات الألمانية وسوء الجو بعد بدء نزول الثلوج وامتلاء الطرق بالوحل والاجهاد العنيف الذي لحق الجنود خاصة وحدات المشاة ، هي العوامل التي أوجبت ضرورة ايقاف الهجوم قليلا .

المرحلة الأخيرة من « الاعصار »

انتهزت القيادة السوفيتية فرصة الهدوء النسبي الذي ساد جبهة القتال ودعمت خطوطها الدفاعية ، وعززت قواتها بامدادات جديدة بلغ مقدارها في الفترة من ١ حتى ١٥ نوفمبر نحو ١٠٠ ألف جندي مقاتل ، ٣٠٠ دبابة ، ٢٠٠٠ مدفع (٢٩) . وأصبحت الجبهة الغربية « زوكوف » بعد أن ضمت إليها بقايا جبهة « بريانسك » في ١١ نوفمبر واصابة قائدها يرمينكو بجراح - تتألف من الجيوش ٣٠ ، ١٦ ، ٥ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٥٠ التي كانت تضم جميعا ٢٩ فرقة مشاة ، ١٣ لواء دبابات ، ٨ فرق خيالة . وكانت جبهة « كالينين » تتألف من الجيوش ٢٢ ، ٢٩ ، ٣١ وتضم جميعا ١٧ فرقة مشاة ، ١ لواء دبابات ، ٢ فرقة خيالة . هذا فضلا عن جيشي الجبهة « الجنوبية الغربية » ٣ ، ١٣ (بريانسك أصلا) وكانا يواجهان الجيش الثاني مشاة ولديهما معا ١٤ فرقة مشاة و ٣ ألوية دبابات ، ٤ فرق خيالة (٣٠) .

أما القوات التابعة لمجموعة جيوش الوسط المعدة لمعاودة عملية الاعصار في ١٥ نوفمبر فكانت (باستثناء الجيش الثاني مشاه في أقصى الجنوب والذي لم يكن له دور مباشر في الهجوم وانمسا حماية الجناح الايمن) تتألف من الجيشين ٩ ، ٤ ومجموعات البانزر ٣ ، ٤ ، ٢ « رينهاردت » بدلا من « هوث » ، « هوبنر » ، « جوديريان » . وكانت جميعا تضم ٣٨ فرقة مشاة ، ١٣ مدرعة ، ٧ ميكانيكية . ولكن الشيء الجدير بلفت النظر في حقيقة علاقات القوى عند بدء المرحلة الثانية والأخيرة من « الاعصار » أن الجهد الألماني كان قد وصل إلى ذروته القصوى وأن الاحتياطات كانت قد شارفت النفاذ أن لم تكن قد نفدت خلال

لم نورد المراجع السوفيتية أرقاما محددة عن عدد الاسرى في « فيازما » وذكرت المراجع الألمانية أرقاما مبالغ فيها بالقياس لجملة قوات ومعدات الجبهة الغربية المذكورة آنفا إذ ذكر « هوث » أن الاسرى في ١٥ أكتوبر بلغوا ٥٥٨٠٠٠ ، ١٠٠٠ دبابة ، ٤٠٠٠ مدفع وذكر « فون بوك » في ١٩ أكتوبر أنهم بلغوا ٦٧٣٠٠٠ جندي ١

Seaton, Albert, «Russo-German War, London, 1971, p. 184).

Zhukov, G. «The Battle of Moscow,» Moscow, Prog-Publ., 1970, p. 45.

Seaton, Albert. «The Russo-German War 1941-45,» London, Barker, 1971, p. 203.

[٢٩]

[٣٠]

مراحل قتال الاستنزاف التي أعقبت مرحلة الحملة الخاطفة الأولى ابتداء من ١٠ يوليو عند « سمولنسك » حتى ١٥ نوفمبر عند مشارف « موسكو » ، بينما كانت الاحتياطات السوفيتية في طريقها إلى التزايد المستمر بعد بدء تشغيل الصناعة بالكامل في المؤخرة في الإنتاج الحربي وبدء انتهاء عمليات تدريب المجندين الجدد ووصول تعزيزات فعالة من قوات الشرق الأقصى . ولذلك بدأ ميزان القوى يميل جزئيا لصالح الجانب السوفيتي ، وبما يكفي لوقف مقامرة « هتلر » وقادته المسماة « بليتزكريج » تماما بل والحق الهزيمة بجيشه للمرة الأولى منذ بدء الحرب العالمية الثانية . فقد بلغت جملة القوات السوفيتية المقاتلة وذات الفاعلية في بداية ديسمبر ١٩٤١ ٤ ملايين ، ٢٠٠ ألف مقاتل ، وأكثر من ٣٢ ألف مدفع وهاون ، وما يقرب من ٢٠٠٠ دبابة ونحو ٣٧٠٠ طائرة . بينما كان لدى المانيا وحلفائها في الجبهة الشرقية نحو ٥ ملايين رجل ، وما يقرب من ٣٦٥٠٠ مدفع وهاون ، وحوالي ١٥٠٠ دبابة ، ٢٥٠٠ طائرة . وهكذا فقد الألمان تفوقهم نسبيا في الدبابات والطائرات وهما جناحا « الحرب الخاطفة » الأساسيان ! (٣١) .

وفي أول ديسمبر أيضا أصبح لدى القيادة السوفيتية العليا احتياطي استراتيجي مؤلف من ٨ جيوش تضم ٥٨ فرقة مشاة وخيالة و٧ لواءات . ركزت معظمها في وسط البلاد عند « موسكو » والبعض في الشمال عند « ليننجراد » وفي الجنوب على أبواب القوقاز عند « رستوف » . ولهذا كان الهجوم الألماني في ١٥ نوفمبر محاولة سباق مع الزمن حادة وعنيفة . محاولة تتم في ظروف يتزايد عدم تناسبها لنجاح الهجوم ، فالقوة السوفيتية تتزايد كميًا بدرجة تقترب بها من بدء مرحلة التغير الكيفي ، وانتزاع المبادأة الاستراتيجية ، والقوة الألمانية تتزايد ضعفها الداخلي وان بدت في لحظة الهجوم هي الأقوى وهي المسيطرة ، إذ جفت احتياطاتها ، وطالت خطوط مواصلاتها إلى مسافة ١٠٠٠ ميل من قواعدها ، بينما كانت « موسكو » على بعد ٤٠ ميلا فقط وراء الجيوش السوفيتية . وتزايد نشاط « الانصار » في مؤخرتها وعلى امتداد طريق إمدادها تقريبا ، هذا فضلا عن أنها لم تكن مجهزة جيدا لحرب الشتاء الروسي نظرا لاعتقاد « هتلر » والقادة الألمان بأن قواتهم كانت ستكون في منتصف أكتوبر في

« موسكو » تنعم بدفع أبنيتهما ! هذا كله إلى جانب أن المقاومة السوفيتية عند هذه الأميال القليلة من « موسكو » كانت عنيفة مستبعدة حتى الموت يحكمها شعار أطلقه أحد المفوضين السياسيين يقول « ان روسيا فسيحة ، ولكن ليس هناك مكان نراجع إليه ، لأن وراءنا « موسكو » (٣١) ولذلك كله أمكن إيقاف المرحلة الثانية من « الأعصار » في أوائل ديسمبر على بعد ٣٠ كيلو مترا تقريبا في الشمال الغربي في منطقة قناة « الفولجا » على مقربة من مدينة « كلين » و « استرا » ، وعلى بعد نحو ١٢٠ كيلو مترا في الجنوب عند منطقة « تولا - كاشيرا - مورديفس » . وخلال هذه المرحلة الثانية من الهجوم التي استغرقت ٢٠ يوما ، أي من ١٥ نوفمبر حتى ١٥ ديسمبر ١٩٤١ ، فقدت القوات الألمانية المهاجمة أكثر من ١٥٥.٠٠٠ قتيل وجريح ، ونحو ٨٠٠ دبابة ، وأكثر من ٣٠٠ مدفع ، وحوالي ١٥٠٠ طائرة . وانخفضت نتيجة لشدة الخسائر هذه قوة كبيرة من سرايا كتائب المشاة الألمانية إلى ٢٠ أو ٣٠ جنديا فقط ! (٣٢)

وخلال هذه المعارك ضربت القوات السوفيتية أمثلة نادرة من البطولة منها مثلا صمود فصيلة من ٢٨ جنديا مشاة في وجه هجوم ٥٠ دبابة ألمانية . عند ملتقى السكة الحديد في « دوبوسيكوفو » وتحطيمهم ١٤ منها بقنابلهم اليدوية وزجاجات « مولوتوف » خلال معركة استغرقت ٤ ساعات أدت إلى موتهم جميعا وكان على رأسهم المفوض السياسي كلوشكوف صاحب شعار « ان موسكو وراءنا فلا مجال هناك للتهتير » الذي أشرنا إليه من قبل [٣٣] ، وكان هؤلاء الجنود تابعين للفرقة ٣١٦ إحدى فرق الجيش ١٦ . وفي ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ديسمبر بدأ الهجوم المضاد العمام على امتداد الجبهات الثلاثة بعد أن ثبت للقيادة السوفيتية أنه ليس لدى القيادة الألمانية أية قوات كبيرة جديدة تستطيع أن تدفع بها إلى جبهة القتال وأن قوات « فون بوك » قد وصلت إلى الحد الأقصى من الاجتهاد والاستنزاف الممكن الحاقه بها بالمعارك الدفاعية ، وأنه يجب طردها في هذا الوقت بالذات إلى أبعد مسافة ممكنة عن « موسكو » وقبل أن تتمركز في مواقعها التي يصل بعضها إلى مسافة ٢٠ ميلا منها فحسب وتدعمها استعدادا لانطلاقة ثالثة جديدة ، مع تحطيم قوتها الضاربة خاصة عند الأجنحة والحق أكبر قدر ممكن من الخسائر

Vassilevsky A. « The Turning Point of the War », Moscow, Progress Publishers, 1970, p. 19 (٣١)

Zhukov, G. « The Battle of Moscow », Moscow, Progress Publishers, 1970, p. 52 (٣٢)

Rokossovsky, K. « The Volokolamsk Directions », Moscow, Progress Publishers, 1970 p. 84. (٣٣)

بها في الوقت نفسه تلك كانت أهداف الهجوم السوفيتي المضاد في شتاء ٤١ - ١٩٤٢ .

نتائج الهجوم السوفيتي المضاد

عند بدء الهجوم المضاد في ٥ ديسمبر ١٩٤١ كان لدى القيادة السوفيتية في الجبهات الثلاثة « الغربية » و « كاليين » و « الجنوبية الغربية » ١٦ جيشا ، ١٠ منها في الاولى ، ٣ في كل من الجبهتين الاخرتين . ضمت جميعا ٧٨ فرقة مشاة ، ١٩ لواء مشاة مستقل ، ٣ فرق دبابات ، ١٥ لواء دبابات مستقل ، ٢٢ فرقة خيالة . وبها جميعا نحو ٧٢٠ ألف رجل ، ٨٠٠٠ مدفع وهاون ، ٧٢٠ دبابة ، ١١٧٠ طائرة [٣٤] .

وكان لدى « فون بوك » ٧٤ فرقة تضم ٨٠١٠٠٠ رجل ، ١٤٠٠٠ مدفع وهاون ، ١٠٠٠ دبابة ، ٦٠٠ طائرة تقريبا (٣٥) .

وقد اسفر الهجوم الذي استمرت عملياته في مختلف الجبهات حتى نهاية فبراير ١٩٤٢ [والذي لا يتسع مجال هذه الدراسة لتناوله تفصيلا] عن تحطيم ٢٥ فرقة المانية أي نسبة ٣٤٪ من الفرق المشتركة في الاعمال القتالية ، و ١٣٪ من جملة عدد الفرق الالمانية الموجودة في الجبهة السوفيتية كلها . [٣٦] كما اضطرت القيادة الالمانية العليا ان ترسل الى الجبهة المذكورة نتيجة العمليات الحربية فيها من ديسمبر ١٩٤١ حتى ابريل ١٩٤٢ نحو ٨٠٠٠٠ رجل ، كما بلغت جملة التشكيلات العسكرية التي حولتها الى هذه الجبهة من اوربا في نفس الفترة لتعويض العجز في تشكيلاتها ٣٩ فرقة و ٦ ألوية . وفي تقرير قدمه « هالدر » - رئيس اركان حرب الجيش - الى « هتلر » في ٢١ ابريل ١٩٤٢ عن الخسائر التي لحقت بالقوات الالمانية بالجبهة الشرقية وواجه النقص والعجز التي أصبحت تعانيها ، يتبين لنا ان القتلى بلغ عددهم نحو ١٨٧٠٠٠ ، والجرحى ٥٥٥٠٠٠ في الفترة من ٢٢ يونيو حتى ٢٦ نوفمبر ١٩٤١ ، ١٠٨٠٠٠ قتلى و ٢٦٨٠٠٠ جرحى في الفترة من ٢٧ نوفمبر ١٩٤١ حتى ٣١ مارس ١٩٤٢ ، وان اجمالي خسائر الضباط والجنود من جميع الانواع في الفترة من ١ نوفمبر ٤١ حتى ١ ابريل ٤٢ بلغ نحو ٩٠٠٠٠٠ ، جرى ارسال ٤٥٠٠٠٠ رجل بدلا منهم في نفس الفترة ، وان اجمالي النقص في الرجال بمختلف التشكيلات بلغ في ابريل ١٩٤٢ ، ٦٢٥٠٠٠ رجل ، وفي المركبات الميكانيكية

[سيارات وخلافه] بلغ ٦٦٢٠٠ مركبة وفي الخيول ١٦٠٠٠٠ وفي مدافع الميدان ١٩٠٠ ، والمدافع المضادة للدبابات ٧٠٠٠ وفي المدافع الرشاشة ١٤٠٠٠ ، الخ . ! ويقدر « زوكوف » خسائر الالمان في معركة « موسكو » بنصف مليون رجل ، ١٣٠٠ دبابة ، ٢٥٠٠ مدفع . ومن الجانب السوفيتي فقد اسفر الهجوم أيضا عن رد القوات الالمانية مسافات تتراوح بين ١٠٠ - ٢٠٠ ميل ، واستردت بذلك مساحات من الارض المحتلة تبلغ ٦٠٠٠٠ ميل مربع ، وحررت ٦٠ مدينة مختلفة الحجم ، ١١٠٠٠ قرية وكان من الممكن لهذا الهجوم ان يؤدي الى نتائج اكبر واكثر حسما على مصير مجموعة « فون بوك » لو كان لدى القوات السوفيتية تفوق اكبر في العتاد والذخيرة وخاصة من التشكيلات المتكاملة من المدرعات والوحدات الميكانيكية [فيالق وجيوش مدرعة] لان تجارب الحرب قد أكدت عمليا كما يقول « زوكوف » أنه « بدونها لا يمكن تنفيذ عمليات هجومية على نطاق واسع حاسمة الاهداف ، فليس من المستطاع سبق تحركات العدو وتطويق اجنحته بسرعة وقطع خطوط تراجعه ، وتطويق قواته وتشتيتها ، الا بمعاونة وحدات قوية من الدبابات والقوات الميكانيكية فحسب ، هذا وقد ترتب على نجاح الهجوم السوفيتي المضاد ان استشاط غضب « هتلر » وأقال كثير من القادة الالمان وعلى رأسهم « فون براوخيتش » و « فون بوك » و « جوديريان » ، وكان قد أقال « فون رونشستد » أيضا من قبل بسبب هجوم « روستوف » !

عوامل هزيمة «البليتز كريج»

امسـام «موسـكو»

لقد تمت النجاحات الاولى لقامرة « الحرب الخاطفة » الالمانية ضد الاتحاد السوفيتي بسبب تحقق المفاجأة شبه الكاملة استراتيجيا وتكتيكيا ، نتيجة لاساليب الخداع الالمانية الناجحة على المستوى الدبلوماسي والدعائي ، ونتيجة لسوء التقدير السياسي للموقف العام من جانب القيادة السياسية العليا السوفيتية [« ستالين » أساسا] ، ولسوء تصور ظروف الحرب الحديثة وبطء اجراءات اعداد الوسائل الملائمة لمواجهة من جانب القيادة العسكرية والسياسية السوفيتية العليا [من حيث قصر الفترة الزمنية الابتدائية

(٣٤) Seaton, Albert. « Russo - German War 1941-45 », London, Barker, 1971, p. 226-228.

(٣٥) Vassilevsky, A. « The Turning Point of the War », Moscow, Progress Publishers, 1970, p. 20, 22.

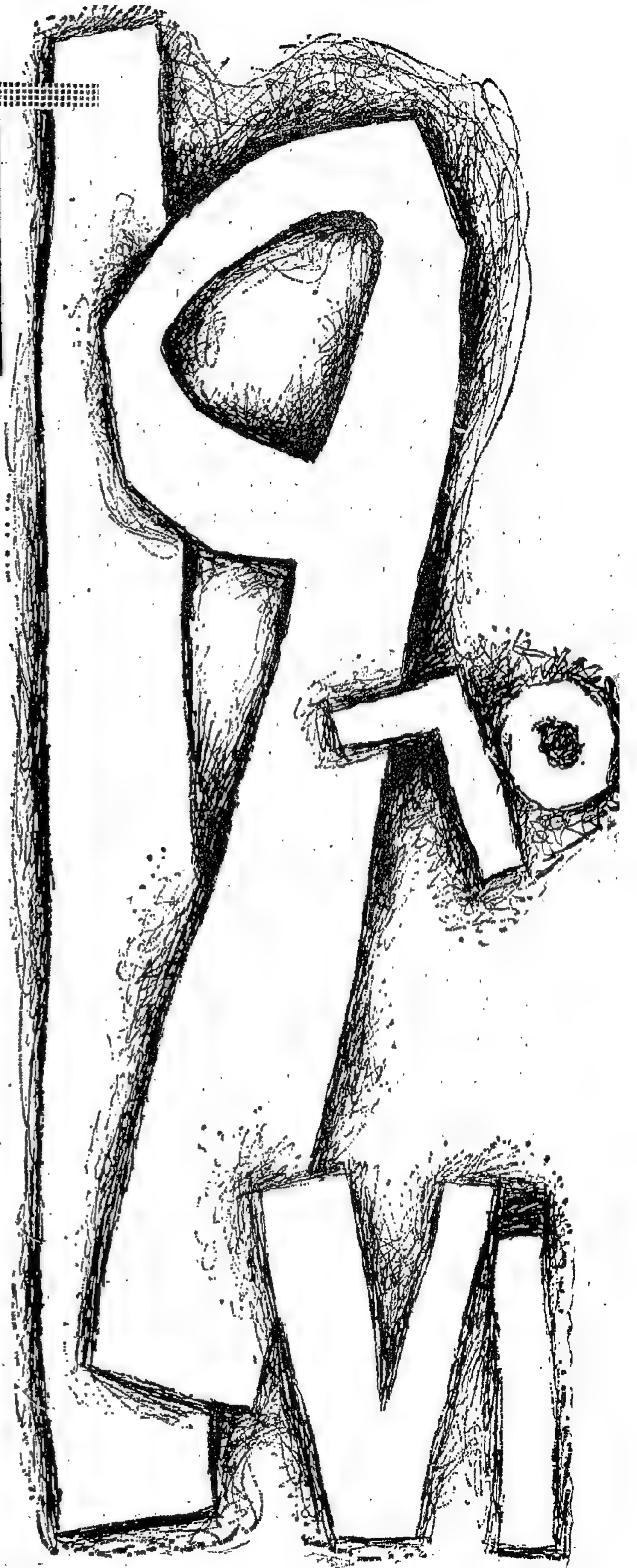
(٣٦) / (سوكولوفسكي وآخرون - الاستراتيجية الحربية السوفيتية - القاهرة - الكاتب العربي)

للحرب وتأثيرها على سرعة التعبئة العامة وحشد القوى الاحتياطية في الوقت المناسب ، ومن حيث ضرورة سرعة ايجاد التشكيلات العسكرية القوية التي تعتمد عليها حرب الحركة «مدرعات وطيران» وتمت هزيمة « الحسرب الخاطفة » عند أبواب « موسكو » نتيجة لسوء تقدير القيادة الألمانية العليا لقوى الشعب والجيش السوفيتي المعنوية التي استعادت توازنها بسرعة اثر الضربة الاولى وتماسكت وصممت على القتال [وتمثل ذلك في تزايد المقاومة النظامية وظهور وتعظيم دور المقاومة الشعبية في مؤخرة العدو ، وتماسك الجبهة الداخلية وتطبيق شعار كل شيء من أجل النصر بجدية وحماس ، وفي عدم مبالاة القوات المحاصرة نتيجة لتحركات القوات الميكانيكية السريعة ومحاولاتها دائما الافلات من الحصار لمعاودة القتال مع القوات الرئيسية] هذا بالاضافة الى سوء تقدير هذه القيادة لاحتياطيات الجيش السوفيتي وطاقات الانتاج الاقتصادي وسرعتها . وساعدت الاعماق الكبيرة نسبيا لاراضي الاتحاد السوفيتي ، وكثرة الموانع المائية والغابات ، وقسوة وسوء المناخ الروسي في الشتاء الذي لم يحسن المفارون الفاشيست الاستعداد له ، ساعدت كل هذه العوامل بشكل ثانوي على نجاح عوامل النصر والصمود السوفيتي وتفاقم عوامل الهزيمة او عدم النجاح الألماني . ولكن المساحات الشاسعة لسهوب وقابات روسيا والوحل والثلوج ودرجة الحرارة تحت الصفر ، لم تكن وحدها كفيلا بوقف الزحف الألماني وفشل « البليتزر كريج » لانها تعمل ايضا على الجانب السوفيتي ، ولان وجودها لم يمنع في حد ذاته وصول الدبابات الألمانية الى مسافة ٢٠ ميلا من « موسكو » في اوائل ديسمبر ١٩٤١ وكانت الحرارة ١٠ تحت الصفر ! أما من الناحية العسكرية الصرفة فقد لخص « زوكوف » اسباب هزيمة « فون بوك » أمام « موسكو » فقال

ضمن ما قال « ولكن القيادة العليا الهتلرية عندما خططت لهذه العملية الاستراتيجية الضخمة والصعبة « الاعصار » وقعت في اخطاء كبيرة وهي تحسب القوى والامكانيات ، اذ لم تقدر امكانيات الجيش الاحمر حق قدرها ، كما ملقت آمالا على امكانياتها تزيد على حقيقتها . فقد كانت القوات التي حشدتها هذه القيادة كافيية فقط لاقتحام دفاعنا في مناطق « فيازما » و « بريانسك » ولارغام قواتنا على التقهقر الى خط دفاعي يمتد عبر « كالينين » حتى « تولا » و « كاشسيرا » و « ميخائيلوف » وقد استطاع العدو في بداية اكتوبر ان يحقق هدفه الاول . . ولكنه لم يتمكن من تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة وهي محاصرة « موسكو » . . . وفي بداية نوفمبر تمكنا في الوقت المناسب وقف تركيز العدو وقواته الضاربة على الاجنحة بحكم اننا استطعنا ان نحدد على نحو دقيق اتجاهات الضربات القادمة . . . وفي هذه الاتجاهات الخطيرة حشدنا القوة الرئيسية للدبابات . . وفي بداية ديسمبر كانت القوات الألمانية الفاشية تد تكبدت خسائر ضخمة ، وفي الوقت نفسه كانت خطوط مواصلاتهم التي امتدت اكثر من ١٠٠٠ كيلو متر تحت رحمة « الانصار » الذين قطعوا هذه الخطوط بهجماتهم البطولية . . الخ « (٢٧) » تلك هي الخطوط العامة لمعركة « موسكو » وموقعها الخاص في مجرى المراحل الاولى من الحرب ضد النازية وعدوانها الغاشم على الاتحاد السوفيتي على ضوء النواحي الاستراتيجية فقط . لقد كانت ابرز نتيجة لمعركة « موسكو » تلك التي لخصها الكاتب العسكري البريطاني « فولر » حين قال « لم يستعد الجيش الألماني بعد هزيمة شتاء ٤١ - ١٩٤٢ ، قوته التي فقدتها ، ولم يعد بعد في نظر الصالح ، ذلك الجيش الذي لا يقهر » .

٨٠ شهرا من حياة الطبيعة

تقدم « الطبيعة » في هذا
العدد ملخصا للموضوعات التي
عالجت قضية العمال والحركة
النقابية على مدى ٨٠ شهرا •
وقد سبق أن نشرنا ملخصا
للأراء والاتجاهات حول قضايا
« حركة التحرر الوطني » ،
« القضية الفلسطينية » ، والفكرة
الصهيونية ، « طبيعة المرحلة
الحالية من الثورة » و « السياسة
الاقتصادية والفكر الاشتراكي »
ثم « الثقافة والمثقفون » •



الحركة النقابية والعمالية

عرض : عبد المنعم الغزالي

فرضتها هزيمة يونيو ، وقد تضمن هذا الفصل الى جانب عرض عام عن الحركة النقابية وضعها وحركتها وسبلاتها ، برنامجا لاعادة بناء الحركة النقابية يهتم الطليعة أن تشير اليه كجهد ساهمت به الطليعة في صياغة برنامج للعمل الوطني منذ ١٩٦٨ ، والمهم أن تشير الى ان هذا البرنامج ما زال يطرح نفسه كبرنامج للحركة النقابية المصرية .

١ - عن التاريخ

في الطليعة عدد مايو ١٩٦٥ اجابت الطليعة على سؤال من أين وكيف نشأت الطبقة العاملة المصرية ؟ (١) .

فاولا : جاءت من جماعات الفلاحين المعدمين ، وثانيا : من الصناع الحرفيين . وحدد هذا المقال المسمى الحقيقي لنشوء الطبقة العاملة المصرية بأنه : ١ - اضافة قوى اجتماعية جديدة الى المجتمع تتطلع لتأخذ مكانها فيه وأن تحدد من خلاله علاقاتها ببقية القوى الاجتماعية القديمة . ٢ - ان العلاقة بين الطبقة العاملة المصرية والفلاحين الذين كانوا بمثابة الخلية البشرية لميلادها سيضعها موضع التحالف الطبيعي مع الفلاحين . ٣ - ان نشأة الطبقة العاملة المصرية في كنف المشاريع الرأسمالية الاجنبية جعلها منذ ميلادها قوة ضاغطة ضد الاستعمار ومعادية له على مستوى المشروع والمستوى القومي . ٤ - ان نشأة الطبقة العاملة واطراد نمو وعيها بوجودها ووحدة مصالحها دفعها بالضرورة نحو خلق تنظيماتها الخاصة (النقابات) . لدعم كفاحها ضد الاستغلال الرأسمالي بشقيه الاجنبي والمحلي . ٥ - ارتباط المثقفين المصريين بالطبقة العاملة المصرية باعتبارها اكثر القوى الاجتماعية قبولاً للفكر الثوري من أجل تغيير المجتمع . وفي مقال آخر يناقش الكاتب (٢) نشأة

على مدى الثمانين عددا التي ظهرت من « الطليعة » منذ يناير ١٩٦٥ حتى يوليو ١٩٧١ ، اولت « الطليعة » قضايا الطبقة العاملة وحركتها النقابية اهتماما جعلها في الصدارة بالنسبة لمعالجة هذه القضايا . واعتمدت الطليعة في كل ما قدمته في هذا المجال على دراسة الواقع وحركته والتناقضات الكامنة في هذا الواقع مستهدفة الوصول الى وضع الاسس لجعلها في بلادنا .

وقد قدمت « الطليعة » دراسة عن الحركة النقابية المصرية (مايو ١٩٦٥) عن التاريخ والحركة النقابية والحركة السياسية والبناء الاشتراكي ، وقدمت اربع دراسات معتمدة على اسلوب التقارير والشهادات الواقعية والدراسة الميدانية ، كانت موضوعاتها : تقارير وشهادات واقعية عن سياسة ربط الاجر بالانتاج (ابريل ١٩٦٧) - ورؤية الطبقة العاملة للموقف الراهن (يناير ١٩٦٨) ورؤية العمال لمشكلات الحركة النقابية (نوفمبر ١٩٦٨) والثقافة العمالية (أغسطس ١٩٦٩) .

وبلغ مجموع المقالات والتعليقات على الشهادات الواقعية والدراسات الميدانية التي نشرت في « الطليعة » ٤٧ مقالا ، وقد شملت هذه المقالات والتعليقات على الشهادات الواقعية موضوعات : التاريخ ، والتنظيم النقابي وحركته الديمقراطية والسياسية ، ودوره في معارك التحرير والبناء ، والتشريع العمالي ، وقضايا الاجور ، والمشاركة في الادارة ، والثقافة العمالية ، والحركة النقابية عالميا وعربيا وأفريقيا وخبرات وتجارب دولية .

وفي يوليو ١٩٦٨ افردت « الطليعة » فصلا خاصا في « الدوسيه » الذي قدمته للمؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي عن التنظيمات الجماهيرية والديمقراطية : وقد جاء هذا الدوسيه ثمره لدراسات جماعية ومناقشات

[١] مقال أمين عز الدين من « نشوء الطبقة العاملة المصرية » مايو ١٩٦٥
[٢] مقال أمين عز الدين « فجر الحركة النقابية في مصر » - نوفمبر ١٩٦٥ .

الضلع الجماعى للطبقة العاملة المصرية وتطوره على مدى خمسة عشر عاما من ١٨٩٩ حتى ١٩١٤ .

وفى مقال عن « دور الطبقة العاملة فى الحركة الوطنية » (٣) يتفق كاتب المقال مع أمين عز الدين فى النتائج التى توصل اليها فى دراسته عن النشأة المبكرة للطبقة العاملة المصرية وحركتها - ولكنه يواصل دراسته لوضع الطبقة العاملة فى المراحل التالية لمرحلة النشأة المبكرة فىرى - أنه فى المرحلة الثانية - ثورة ١٩١٩ وما بعدها - قد تحدد وضع الطبقة العاملة داخل جبهة الثورة كطبقة أساسية ، الى جانب البورجوازية الوطنية والفلاحين ، وفى خلال حركة هذه الثورة تجاوزت حركة الطبقة العاملة حدود الشعارات الوطنية ووضعت لنفسها برنامجا مستقلا عن برنامج القيادة البورجوازية - والتى كان يعبر عنها حزب الوفد .

وفى عدد فبراير ١٩٦٨ نشرت الطليعة مقالا تاريخيا عن الحركة النقابية والعمالية المصرية بعد الحرب العالمية الثانية (٤) واتجاه الكاتب فى مقاله هو أن الكفاح الطبقي للعمال هو البوتقة التى شكلت فى الأساس الموقف الاستقلالى للحركة العمالية بعد الحرب ، ولقد كانت أهداف هذا النضال : تغيير ظروف حياة الطبقة العاملة الاقتصادية والاجتماعية . أن كفاح العمال المصريين طيلة المرحلة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٥٢ ، وقد عبرت الطبقة العاملة المصرية عن ذاتها كطبقة اجتماعية رئيسية فى النضال من أجل التغيير الجذرى والثورى للمجتمع ، وذلك باشتراكها الطليعى فى النضال الوطنى التحريرى - ٢١ فبراير ١٩٤٦ - الكفاح ضد قوات الاحتلال ١٩٥١ - الكفاح من أجل الحريات الديمقراطية العامة والنقابية - وعدم قصرها النضال على الاهداف والمطالب الاقتصادية البحتة الخاصة بحياة العمال اليومية - اضرابات عمال النسيج والنقل والسكر والميكانيكيين العسكريين فى سلاح الطيران . الخ . لقد أصبحت - الحركة اليومية - الاضرابات الاقتصادية جزءا من حركة المجتمع العامة الثورية ، وجزءا من النضال العام من أجل مجتمع مستقل حر ديموقراطى .

٢ - التنظيم النقابى ودوره

فى معارك التحرير والبناء

١ - ثورة يوليو والحركة العمالية :
فى يوليو ١٩٦٥ نشرت « الطليعة » مقالا عن « ثورة يوليو والعمال » (٥) ، ويحدد الكاتب ثلاث مجالات التقت فيها ثورة يوليو بالعمال ، المجال الاول ، مجال العلاقات الصناعية والمطالب العمالية ممثلا فى تعديلات لتشريعات العمل الاساسية المنظمة لعقد العمل الفردى والنقابات العمالية والتوفيق والتحكيم وفى منازعات العمل فى حدود الوسائل المتاحة للطليعة الثورية فى مراحل الثورة الاولى . والمجال الثانى ، مجال النضال ضد الاستعمار ، وقد تجسد هذا النضال فى انخراط العمال فى هيئة التحرير وتصدى العمال للثورة المضادة فى ١٩٥٤ ، واشترك عمال « قاعدة الاحتلال » فى المعركة المسلحة ضد الاحتلال البريطانى ، والمشاركة النشيطة فى معركة العدوان الثلاثى . والمجال الثالث ، هو التحام الطبقة العاملة مع الطليعة الثورية وهى تندفع فى الاتجاه الحتمى للتاريخ نحو اقامة مجتمع اشتراكى فى أسسه وعلاقاته .

وفى مايو ١٩٦٥ نشرت الطليعة مقالا عن الطبقة العاملة بين الحركة النقابية والحركة السياسية (٦) . ويرى الكاتب - أن الطبقة العاملة فى المجتمع المصرى الحالى تسلك فى صراعها أربعة اتجاهات فى وقت واحد : أولا : صراع ضد كل محاولة من جانب الرأسمالية الوطنية لتتحول الى رأسمالية كبيرة تعاود سيطرتها ، وثانيا : صراع ضد القيم والافكار والعادات البورجوازية ، وثالثا : صراع ضد التخلف الاقتصادي ، ورابعا : صراع ضد تيار الانغلاق على الحركة النقابية والنضال الاقتصادي ومن أجل الانفتاح الواعى على المجتمع .

ولهذا رأى الكاتب - بعد أن ناقش العيوب والسلبات فى الحركة النقابية ضرورة العمل من أجل اعداد كادر سياسى عمالى على درجة كبيرة من الوعى بقضية الاشتراكية ودور الطبقة العاملة الطليعى فيها ، عدم الاكتفاء بالقيادات التقليدية وتصعيد قيادات جديدة باستمرار ، تنظيم مؤتمرات لجهاهير العمال فى اطار سياسى لمناقشة سياسة الاجور ومشاكل التخطيط والادارة والانتاج لتعيش الطبقة العاملة الصورة العامة لحياة المجتمع ، تنظيم تفاعل مستمر بين الطبقة العاملة والمثقفين الثوريين لتنمحي الفروق التقليدية داخل التنظيم السياسى بين العامل والمثقف . وتصفية الكيان النقابى للطبقة العاملة من كل العناصر البورجوازية وشبه البورجوازية

[٣] مقال مجدى فهمى « دور الطبقة العاملة فى الحركة الوطنية » مايو ١٩٦٥

[٤] مقال عبد المنعم الغزالى « الحركة النقابية والعمالية المصرية بعد الحرب العالمية الثانية » - فبراير ١٩٦٨

[٥] مقال أمين عز الدين - « ثورة يوليو والعمال » يوليو ١٩٦٥ . و « تاريخ ومستقبل الاتجاهات الثورية للحركة النقابية فى مصر » - مايو ١٩٦٥ .

[٦] مقال لطفي الخولى « الطبقة العاملة بين الحركة النقابية والحركة السياسية » - مايو ١٩٦٥ .

التي تضعفت من فوزية الحركة النقابية وانطلاقها كقوة بناءة منفتحة على المجتمع الاشتراكي . والعمل على تصفية الفروق التقليدية - المادية والثقافية والمعنوية - بين العمال الصناعيين والزراعيين من ناحية وبين العمال غير اليدويين والعمال اليدويين من ناحية أخرى .

وفي نوفمبر ١٩٧٠ نشرت الطليعة مقالا عن جمال عبد الناصر والحركة النقابية (٧) وفي هذا المقال يرى الكاتبان أن جمال عبد الناصر حدد للنقابات أركان أساسية لعملها الوطني والاجتماعي . أولها ، أن التغيير الثوري في الحقوق العمالية لابد أن يقابله تغيير ثوري في الواجبات العمالية ، وأن الوضع الجديد لا يلغى دور التنظيمات العمالية وإنما هو يزيد من أهمية دورها . وثانيها ، أن الحركة النقابية لابد أن تقوم أولا وأخيرا على حماية حقوق أعضائها . وثالثها ، يكمن في ديمقراطيتها . ورابعها ، أن التنظيمات الشعبية ، وخصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية ، تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعال في التمكين للديمقراطية السلمية ، وأن تكون معينا لا ينضب للقيادات الواعية .

ب - الحركة النقابية المصرية اليوم * المشاكل والحقوق والواجبات :

في يونيو ١٩٦٦ نشرت الطليعة مقالا استعرضت فيه المعوقات التي تحول دون قيام النقابات بدورها الذي حدده الميثاق (٨) . وخلص الى أن هذه المعوقات تتركز في :
١ - ضعف العضوية النقابية ٢٠ - قوعية القيادة العمالية ، حيث ما زال يسيطر على المراكز الرئيسية في الحركة النقابية المصرية انصار النقابية البحتة ٣٠ - عدم جماهيرية الحركة العمالية ٤٠ - سيطرة الأجهزة الادارية .
٥ - تخلف تشريع العمل عن الوفاء بمتطلبات المرحلة .

ويحدد مقال نشر في الطليعة في مايو ١٩٦٥ (٩) مجموعة من الملاحظات عن الوضع الحالي للطبقة العاملة المصرية وحركتها النقابية ، الملاحظة الاولى ، أنه رغم أن العمود الفقري للطبقة العاملة يتكون أساسا من العمال الصناعيين بصفة خاصة وعمال المدن بصفة عامة ، إلا أننا نلاحظ في مصر ظاهرة الوزن التنظيمي والسياسي - بدرجات متفاوتة -

للعمال الزراعيين منذ أواخر العشرينات ، وبعد ثورة ١٩٥٢ وبانفجار حركة اجتماعية تقدمية في الريف نتيجة قوانين الإصلاح الزراعي انتهت مؤخرا الى قيام التنظيم النقابي للعمال الزراعيين محتضنا ٣٥٤٩٤٥ عاملا زراعيا موزعين على ٤.٤٦ لجنة نقابية ، مما قرب وضعية العمال الزراعيين نقابيا - من وضعية العمال الصناعيين داخل نطاق الطبقة العاملة .
والملاحظة الثانية ، أن الاوضاع والنظم والعادات الرأسمالية ولدت تناقضات ثانوية داخل الطبقة العاملة بين العمل اليدوي والعمل غير اليدوي ، وفي مصر لوحظت هذه التفرقة ، وانعكست على قوانين العمل التي راحت تقرر حقوقا وامتيازات أكثر نسبيا للعمال غير اليدويين ، بالقياس للعمال اليدويين ، وأثر ذلك على الحركة النقابية فانقسمت الى نقابات للعمال ونقابات للمستخدمين . ورغم تنبه الفريقين الى خطورة هذا الانقسام فإن رواسته ما تزال باقية تحول دون التفاعل الكلي الموحد بين هاتين الطائفتين من العمال . والملاحظة الثالثة ، لما كان الصدام اليومي للطبقة العاملة مع رأس المال المستغل لا يولد في ذاته أكثر من حركة نقابية ، تنحصر أهدافها في مطالب اقتصادية بحتة - ولما كان النضال من أجل إلغاء الاستغلال الرأسمالي ، هو نضال ضد النظام الاجتماعي السائد وطبيعة سلطته السياسية ، فإن حركة العمال لابد أن تمتد وتتسع لتتطرق من الاطوار النقابية الى الاطوار السياسية والاجتماعية الثورية . وهذا بدوره يستلزم وعيا وادراكا من جانب الطبقة العاملة بالنظرية الثورية لتغيير المجتمع وفقا لقوانين علمية تقوده نحو الاشتراكية . وهذا الوعي والادراك بحكم الظروف الموضوعية الاجتماعية لا يتوفر داخل الطبقة العاملة نفسها فان النظرية الثورية لحركة الطبقة العاملة السياسية الشاملة تأتي لها من الخارج من المثقفين الثوريين . الأمر الذي يوجب على التنظيم السياسي الثوري أن يحقق على أوسع وأعمق نطاق تفاعلا خصباً بين الطبقة العاملة والمثقفين الثوريين .

وفي مايو ١٩٦٨ نشرت الطليعة مقالا عن « بيان ٣٠ مارس ، واعادة بناء الحركة النقابية » . حدد وجود اتجاهين أساسيين في الحركة النقابية المصرية (١٠) ، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، الاتجاه الاول ، وهو اتجاه تولت قيادته بصفة رئيسية القوى الاشتراكية الجديدة ، وتشكل هذا الاتجاه من نقابيين وفديين ووطنيين مستقلين

[٧] مقال أمينة شفيق وعبد المنعم الفزالي - « جمال عبد الناصر والحركة النقابية » نوفمبر ١٩٧٠ .
[٨] مقال عبد الرؤوف أبو علم - « الحركة العمالية من المفهوم الاقتصادي الى المفهوم السياسي »
يونيو ١٩٦٦ - ومقال أحمد رفاعي « الانتخابات النقابية ودورها في دعم الانتاج والديمقراطية » ديسمبر ١٩٦٦ .
[٩] مقال لطفى الخولي السابق الإشارة اليه .
[١٠] مقال د. عبد الرؤوف أبو علم وعبد المنعم الفزالي - بيان ٣٠ مارس واعادة بناء الحركة النقابية - مايو ١٩٦٨ .

وشيوخ وعيّن ، وفاد هذا الاتجاه الحركة العمالية الجماهيرية بعد الحرب العالمية الثانية سواء في مجال النضال ضد الاستعمار أو ضد الاستقلال الرأسمالي ، أو من أجل وحدة الحركة النقابية المصرية . والاتجاه الثاني ، ويمثل امتدادا لكل العناصر والقوى اليمينية والرجعية والتي كانت قد تربت وتكونت في علاقات مع الأحزاب السياسية اليمينية ومكتب العمل والسراى والجمعاعات الرأسمالية التي كانت مسيطرة على الاقتصاد . ويرى الكاتبان ان الاتجاه الثانى ، ولظروف خاصة بانثورة المصرية تمسك بوسائل بيروقراطية وإدارية وشكلية أن يسيطر على التنظيم النقابى ، وبصفة خاصة بعد ١٩٦٤ . ويمثل هذا الاتجاه عقبة أساسية في وجه تطور الحركة النقابية المصرية الى أرحب الأفاق التي أرادها لها ميثاق العمل الوطنى وبيان ٣٠ مارس .

الطلبة تناقش مع العمال

مشكلات الحركة النقابية

انه بعد انعقاد المؤتمر القومى الاول للاتحاد الاشتراكى العربى ، وتنفيذ بيان ٣٠ مارس ، كان مقررا أن تجرى الانتخابات للنقابات العمالية ، فوجهت الطلبة مجموعة من الأسئلة بأسلوب الشهادات الواقعية لعدد من أبناء الطبقة العاملة يمثلون قطاعات وأعمار ومسئوليات مختلفة . وقد استجاب منهم ٢١ عاملا ، وقام بالتعليق على هذه الشهادات الواقعية أبو سيف يوسف ، وعبد المنعم الغزالى من « الطلبة » .

وتعرضت أسئلة الطلبة لأربع قضايا رئيسية :
١ - دور النقابات كأدوات للصراع الطبقي في مرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية .
٢ - استقلالية الحركة النقابية .
٣ - الشروط الواجب توافرها لتحقيق ديمقراطية الحركة النقابية .
٤ - الضمانات الديمقراطية والتنظيمية التي تكفل انتخابات حرة (١١) .

والشئ الأساسى في التعليق الاول (١٢) ، كان يدور حول استقلال التنظيم النقابى - حيث أثار قضيتين رئيسيتين : الأولى : العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين التنظيم النقابى . حيث يقول عنها : « فى اعتقادنا أن التنظيم الاشتراكى يمثل تحالف قوى الشعب العامل وقيادته المباشرة هي

تنظيم الطلائع الاشتراكية ، وعلى هذا فإن من رأى كتاب هذه السطور أن يمثل التنظيم النقابى (الاتحاد العام مثلا) كمنظمة شعبية داخل الاتحاد الاشتراكى وفي أعلى مستوياته . والقضية الثانية : العلاقة بين التنظيم السياسى (الطلائع الاشتراكية) وبين التنظيم النقابى : وعنها يقول : « هذه العلاقة هي فى جوهرها تعبير عن المجهود الواعى الذى يبذله الاشتراكيون داخل النقابات كأعضاء فيها ليقودوا النقابات قيادة اختيارية ، تقوم على اقناع جماهير النقابات بصحة خطهم السياسى ولا يمكن أن تتحقق هذه القيادة بالتدخل المباشر بالقرارات العلوية » . ومن المسائل الأساسية فى التعليق الثانى (١٣) ، ضرورة وجود التنظيم واستمراره واضطلاله بدوره الطليعى فى الثورة المصرية ، فان الذين يقولون بعدم ضرورة وجود التنظيم النقابى هم العناصر النقابية القانونية وتلك التى سبق لها التعاون مع رأس المال وشركاته والعناصر الادارية والبيروقراطية والمهنية ، والتي تتزاحم على مراكز القيادة فى التنظيم النقابى العمالى ، ومصدر هذا الرأى هو الدعوى التى تزعم بانتهاء الصراع بين الطبقات لانه على حد قولهم لم تعد هناك طبقات مختلفة المصالح متميزة عن بعضها اقتصاديا واجتماعيا ، وأنه لم يعد هناك ثمة عدو تكافح النقابات ضده لاستخلاص حقوق العمال . وهم يفكرون بالنظرية الرأسمالية عن « الوفاق بين الطبقات » وهو تفكير ينتهى بالجمم والضرورة الى انكار دور الطبقة العاملة وحركتها ومكانتها الطليعية فى عملية الانتقال بالمجتمع الرأسمالى الى المجتمع الاشتراكى .

الواجبات والمهام

فى مايو ١٩٦٥ نشرت الطلبة مقالا عن مسئوليات العمال فى مرحلة الانطلاق (١٤) ، وقد حدد الكاتب خمس مسئوليات فى مقاله : الأولى : التوعية الجماهيرية بتطورنا الاشتراكى وأهداف الاشتراكية وأسسها ودور العمال ومنظماتهم فى المجتمع الجديد . الثانية : مسئولية الانتاج الثالثة : تدعيم الديمقراطية النقابية داخل التنظيم النقابى لضمان اشتراك القاعدة النقابية فى كل نشاط . الرابعة : خلق قيادات نقابية جديدة وتمكينها من مراكز القيادة . الخامسة : مسئولية التنظيم النقابى فى المجال الدولى ، وخاصة فى المجالين العربى والافريقى .

[١١] الطلبة : نوفمبر ١٩٦٨ برؤية العمال لمشكلات الحركة النقابية وشهادات وتقارير واقعية والتعليق عليها

[١٢] « عن الاستقلال الذاتى للحركة النقابية وبعض شروط الديمقراطية » - أبو سيف يوسف بعد نوفمبر ١٩٦٨ .

[١٣] « النقابات بين العمل المكتبى والنشاط الجماهيرى » عبد المنعم الغزالى نوفمبر ١٩٦٨ .

[١٤] مقال أحمد فهمم « مسئوليات العمال فى مرحلة الانطلاق » مايو ١٩٦٥ .

١٥٠ عضواً الى جانب المجلس التنفيذي حتى يمكن محاسبة اعضاء الاتحاد وتقييم الانحراف كل فترة .

وفي اغسطس واكتوبر ١٩٦٧ نشرت الطليعة مقالين عن تعبئة الشعب العامل ديمقراطيا والواجبات الرئيسية التي تواجه الطبقة العاملة (١٧) يرى الكاتب انه في مواجهة العدوان الصهيوني الامبريالي على وطننا تصبح التعبئة الديمقراطية لجمهير الشعب العامل شرطا ضروريا في هذه المعركة الحاسمة بين قوى الثورة والقوى المضادة للثورة - الاستعمار والصهيونية والرجعية . وتوجب هذه التعبئة مثل كافة اساليب القيادات البيروقراطية - هذه الاساليب التي كشفت عزلتها عن جماهيرها وعدم تفاعلها مع المعركة وعن عزلتها عن القيام بدورها في المجالات الدولية . ان هذه التعبئة توجب انحياز هذه القيادات انحيازاً تاماً الى صف القوى الاشتراكية والقوى المعادية للاستعمار محلياً وعالمياً ، كما انها توجب ضرورة مواجعتنا لعيوبنا بصراحة ثورية، وان نبذل كل جهد ونعبيء كل طاقة للتغلب عليها باعتبارها عيوب ومسابك طبقات اجتماعية منهارة تقاوم التقدم والتطور .

ويحدد الكاتب واجبين رئيسيين للطبقة العاملة لمواجهة العدوان على الثورة العربية والذي يستهدف في الاساس الحد من تحررنا الاقتصادي وسد الطريق في وجه الاتجاه الى الاشتراكية - الواجب الاول : زيادة الانتاج وتطويره . والواجب الثاني : ممارسة الديمقراطية، وازاحة القوى المعطلة والمعوقة لحركة الطبقة العاملة الديمقراطية .

وفي مقال في ديسمبر ١٩٦٧ عن كيفية استعادة النقابات لمسيرتها الاولى كمدارس للنضال الثوري فيرى الكاتب (١٨) انه عليها ان تحقق الامور التالية : اولاً : تسريح عناصر الارستقراطية العمالية من مراكزها النقابية ، ومساءلتها بشدة عن كل تغيير غير عادي في دخولها . ثانياً : توسيع قاعدة الحريات النقابية . ثالثاً : تأكيد الرقابة العمالية على القيادات العمالية . رابعاً : الاخذ بمبدأ الانتخابات في بعض الوظائف القيادية

وفي يونيو واكتوبر ١٩٦٦ (١٥) يحدد الكاتب مجموعة من الواجبات التي تواجه التنظيم النقابي المصري : ١ - اعداد ميثاق نقابي يكون دليلاً للعمل النقابي ٢ - تنمية وتعميق المفهوم الاشتراكي والسلوك الجماعي لدى العاملين وتعبئة طاقاتهم لخدمة اهداف الانتاج او تنمية الاحساس لديهم بالملكية العامة لوسائل الانتاج ، وملاءمة سلوكهم في العمل مع هذه الملكية العامة ٣ - تدعيم العضوية النقابية وجماهيرية حركتها وديمقراطيتها ٤ - تقييم نشاط التنظيم النقابي بصفة دائمة ومستمرة واشراف القاعدة على هذا التقييم ٥ - انهاء كل أنواع الوصاية الادارية على التنظيم النقابي ، والبدء في نقل بعض الاختصاصات التي تمارسها وزارة العمل الى التنظيم النقابي ٦ - اعداد القيادة النقابية الاشتراكية - وتمكينها سياسياً - من تدعيم مواقعها القيادية النقابية ، ووقف الاجراءات غير النقابية التي من شأنها دعم القيادات التقليدية ٧ - دعم الاجهزة الفنية للاتحاد العام للعمال ٨ - انشاء مؤسسة عمالية من حصيلة النسبة المخصصة للخدمات المركزية تمارس تقديم الخدمات التي يستهدفها هذا التخصيص ٩ - المشاركة في خطة التنمية .

وفي ديسمبر ١٩٦٦ ، نشرت « الطليعة » عن : « الانتخابات النقابية ودورها في دعم الانتاج (١٦) » ، وفي هذا المقال يطالب الكاتب بأن يكون التنظيم : مثلاً مع الهدف منه وهو تعبئة جماهير العمال خلف خطة التنمية ، وبالتالي فاللجان النقابية يجب أن تكون ممثلة لمجالاتها تمام التمثيل .

وطرح الكاتب في مقاله هدفاً يجب العمل من أجله لضمان تمثيل الاتحاد العام للعمال القاعدة وكما . . . وذلك العمالية كيفاً بأنه يجب اطلاق الحد الأقصى في التمثيل للنقابات حتى لا يسوى بين صناعات لا يتجاوز عدد العاملين فيها بضعة آلاف بصناعات يتجاوز العاملون فيها المليون . ومن ثم يجب تمثيل كل النقابات العامة في الاتحاد العام حتى يعبر بصدق عن القاعدة العمالية ، فان الوضع التمثيلي الحالي - ٢١ عضواً في المجلس التنفيذي للاتحاد - فيه مجافاة للديمقراطية النقابية ، انه يجب وأن يوجد مجلس عام لا يقل عدد أعضائه عن

[١٥] مقال الدكتور عبد الرؤوف أبو علم « الحركة العمالية من المفهوم الاقتصادي » الى المفهوم السياسي

يونيو ١٩٦٦ بـ ، ومقالة « القاعدة النقابية ومرحلة الانجاز » أكتوبر ١٩٦٦ .

[١٦] مقال احمد الرفاعي - « الانتخابات النقابية ودورها في دعم الانتاج والديمقراطية » ديسمبر ١٩٦٦ .

[١٧] مقال عبد المنعم الفزالي - « التعبئة الديمقراطية لقوى الشعب العامل » اغسطس ١٩٦٧ ، ومقالة عن

« واجبان رئيسيان يواجهان الطبقة العاملة » أكتوبر ١٩٦٧ .

[١٨] مقال عطية الصيرفي - « كيف تستعيد النقابات دورها كمدارس للنضال الثوري » - ديسمبر ١٩٦٧ .

رؤية الطبقة العاملة

للموقف الراهن [١٩٦٨]

قدمت الطليعة فى عدد يناير ١٩٦٨ تقارير وشهادات واقعية لرؤية الطبقة العاملة للموقف الراهن . وتناولت الشهادات الواقعية نقطتين أساسيتين :

الاولى : الموقف الراهن ، واقعه - المشكلات والقضايا الرئيسية - اقتراحات العلاج .
الثانية : الحركة النقابية : نشاطها ودورها

- المشاكل وأساليب العلاج .

وقد نشرت الطليعة ٢٢ شهادة واقعية علق عليها ، كمال رفعت وزير العمل حينئذ ، والدكتور عبد الرؤوف أبو علم ، وميشيل كامل (٢٠) .

وفى المقال الاول - أكد الكاتب فى تعليقه على اجماع الشهادات الواقعية على : أولا : لا أمل فى حل سياسى طالما أن الاستعمار الأمريكى خلف المشكلة . ثانيا : ضرورة التركيز على الجبهة الداخلية فى قطاعاتها المختلفة باعتبارها مفتاح الموقف كله سواء اتخذ الحل السياسى أو الحل العسكرى . ثالثا : مواجهة الجبهة الاقتصادية - بالعمل على زيادة الانتاج ، والتخطيط السليم لاقتصاد الحرب . والتقليل من زيادة الاستهلاك ودعم الديمقراطية والحرية واطلاقها بلا قيود لتساعد فى المشاركة الجماهيرية ، وضرورة التمسك بالمكاسب التى حققها الشعب من خلال ثورته ضد الاقطاع والرأسمالية .

وفى المقال الثانى - يستخلص الكاتب من الشهادات الواقعية مجموعة هامة من الملاحظات والاستنتاجات : أولا : ان استفحال الخطر الاستعمارى يصحبه دائما انتعاش القوى الرجعية والمضادة للثورة ، ومن ثم فإن الاجراء الطبيعى فى مواجهة هذا الخطر ينصب على : تعميق وتدعيم الثورة الاشتراكية بما يزيد من صلابة وتماسك الجبهة الداخلية ويرفع مستوى التعبئة بين قوى الشعب العاملة وفى مقدمتها الجيش العظيم الذى لا يقهر من العمال والفلاحين والجنود المثقفين الثوريين . ثانيا : ضرورة توسيع المساعدة الديمقراطية للحكم ، فمفهوم المشاركة فى السلطة

بالشركات والمؤسسات . خامسا : تعميل بعض المراكز الهامة فى المؤسسات والشركات وهيئات الحكم المحلى . سادسا : وحدة العمل وحرية لكل العناصر الاشتراكية فى الحركة النقابية .

سابعا : تغيير تعريف العامل والفلاح بمفهوم علمى صحيح .

ونشرت الطليعة ثلاث مقالات فى مايو ١٩٦٨ ، وديسمبر ١٩٦٨ ، وفبراير ١٩٧١ عن اطلاق الطاقات الخلاقة للنقابات ، وبناء تنظيم نقابى قوى متطور (١٩) .

وفى المقال الاول - عالج الكاتبان قضية اطلاق الطاقات الخلاقة على الاسس التالية : أولا : ضرورة اجراء انتخابات نقابية حرة تصعد قيادات نقابية جديدة مؤمنة بالفكر الاشتراكى ، ويقع عليها مهمة تطهير التنظيم النقابى من سلبياته وابرار الدور الطليعى للطبقة العاملة . ثانيا : سيادة ديمقراطية نقابية - تحول دون تحكم اقلية من العناصر فى شئون التنظيم وتمكين جماهير العمال العريضة من المشاركة فى العمل النقابى . ثالثا : وجود قيادات نقابية متفرغة واجهزة فنية على درجة عالية من الكفاءة فى جميع مستويات التنظيم النقابى .

وفى المقال الثانى - رأى الكاتب ، ١ - ضرورة اخراج تعبير الميثاق عن مسئولية الحركة النقابية كقاعدة طليعية من نطاق النظرية الى ميدان التطبيق . ٢ - توفير مناخ ديمقراطى للحركة النقابية . ٣ - تماسك البنيان التنظيمى للحركة النقابية على اساس ارتباط حقيقى بين القاعدة والقيادة . ٤ - قيادة واعية وملزمة تستطيع ادراك طبيعة المرحلة التى تعيشها ومتطلباتها .

وفى المقال الثالث - رأى الكاتب : ١ - اعادة صياغة علاقة الحركة النقابية العمالية بكافة المؤسسات الاخرى ، وكذلك بالاجهزة الادارية فى الدولة . ٢ - فصل قانون النقابات عن قانون العمل . ٣ - تحقيق ديمقراطية حقيقية للتنظيم النقابى . ٤ - اعادة النظر فى البناء التنظيمى للحركة النقابية فتعود الى الوجود وتنظم النقابات الفرعية لتشكل قوى ديمقراطية جادة وفعالة فى كل محافظة .

[١٩] مقال دكتور عبد الرؤوف أبو علم وعبد المنعم الفزالى : « بيان ٣٠ مارس واعادة بناء الحركة النقابية » ومقال عبد الهادى ناصق : « نحو حركة نقابية قوية » - ديسمبر ١٩٦٨ ، ومقال محمد على عامر « التعبئة واطلاق الطاقات الخلاقة - فبراير ١٩٧١ .

[٢٠] ١ - كمال رفعت : « الجبهة الداخلية هى مفتاح الموقف » يناير ١٩٦٨ - ٢ - ميشيل كامل « حماسة وتعبيق الثورة مسئولية الشعب » يناير ١٩٦٨ - ٣ - عبد الرؤوف أبو علم « الوصاية الادارية على الحركة النقابية يناير ١٩٦٨ .

لدى العمال يختلف عنه عند الفئات الاخرى ، اذ أنه لايعنى الحشد داخل المنظمات الجماهيرية وليس مجرد الانتماء اليها وتشكيل قواعدها ، ولا يقتصر على الخضوع للقرارات العلوية وتطبيقها والالتزام بها وتنفيذ ما هو موكل بالعمالين فى مجالات الانتاج ، بل يعنى المشاركة الايجابية والاسهام الحقيقى فى صياغة القرارات ، ووضع الخطة وتحديد السياسة العامة « وكل الامور التى تمس توتره »

وفى المقال الثالث - يستخلص الكاتب من مجموعة الشهادات الواقعية ، اجماع أصحاب الشهادات على ضرورة رفع الوصاية الادارية عن الحركة النقابية واعطائها الحرية والديمقراطية واسقاط كل القيود التى تجد حركتها واجراء انتخابات نقابية دون تدخل من أى جهة كانت .

٣ - التشريع العمالى

وفى مجال التشريع العمالى نشرت الطليعة فى مايو ١٩٦٥ مقالا عن تطور القوانين العمالية خلال الثورة (٢١) .

ويرى الكاتب . . أن تشريع العمل يجب وأن يستكمل تطويره ، فمن الضرورى مد الحماية التى يسطر على العاملين بالشركات التى تسهم فيها الدولة على العاملين فى القطاع الخاص ، واعادة النظر فى اجراءات التقاضى ، وادخال العنصر القضائى فى اللجان الثلاثية ، وتوحيد لوائح الجزاءات للمهنة الواحدة مع عدم التفرقة بين القطاعين العام والخاص ، وتوحيد القواعد التى تحكم العاملين فى كل من القطاع العام والدولة فى مجالى الاجور والتأمينات الاجتماعية . ويرى الكاتب أن التطبيق العملى قد كشف عن ضرورة تدخل المشرع لتوسيع اختصاص اللجان النقابية فى مباشرة المنازعات الفردية والجماعية باعتبارها أقرب الى القاعدة العمالية من النقابة العامة .

وفى أكتوبر ١٩٦٥ نشرت الطليعة (٢٢) مقالا عالمج فكرة ضرورة اجراء تعديل جذرى فى قانون العمل يحطم الاطار القديم ، ويتناول الاسس التى كان

يقوم عليها تشريع العمل القديم بالتفصيل الكامل . . وكما يرى الكاتب : فان قانون العمل الجديد يجب الا يكون دوره قاصرا على حقوق العاملين بل أن يصبح كذلك قانونا للانتاج الذى يفتح الباب واسعا لتحديد قوى العمل من أجل تحقيق أهداف الخطة الانتاجية . وتأكيد حقوق العاملين فى القانون الجديد يصبح ضمانا لقوى العمل ضد العناصر البيروقراطية وبقياء الرجعية التى لا زالت تقبع فى بعض مراكز الانتاج فى القطاعين العام والخاص وتحاول أن تفرض مفاهيم العمل الرأسمالى وتعوق التقدم ، وتعرق انطلاق الجماهير .

وعن الايجابيات والسلبيات فى مشروع قانون العمل الموحد الجديد نشرت الطليعة مقالا فى مايو ١٩٦٨ ، ويرى الكاتب هذه السلبيات فى :
١ - عدم اذابة الفوارق بين الطبقات . الفرق الشاسع بين الحد الأدنى والحد الأقصى للاجور .
٢ - عدم توزيع الاجور وفق مبدأ كل حسب عمله .
٣ - اهمال تطبيق مبدأ الاجر المتساوى للعمل المتساوى .
٤ - عدم اعطاء العمال الحق الكامل فى المشاركة المتساوية فى مسئولية ادارة مؤسساتهم .
٥ - عدم خضوع كبار الموظفين للرقابة .
٦ - عدم توفر استقلالية التنظيم النقابى . وعن الايجابيات فيرى الكاتب أنها تتمثل فى اقرار الاشراف الادارى من قبل وزارة العمل على تطبيق القانون على القطاعين العام والخاص على السواء ، ومحاسبة المخالفين مهما كانت مراكزهم فى كلا القطاعين ، وتنظيم القانون الجديد لعمل عمال التراحيل .

٤ - الثقافة العمالية

فى أغسطس ١٩٦٩ نشرت الطليعة دراسة ميدانية عن الثقافة العمالية - وأشارت الطليعة فى مقدمة دراستها الى أن نشر هذه الدراسة لايعنى أن هناك ما يسمى بثقافة خاصة بالعمال وثقافة خاصة بالفلاحين . . الخ انما هناك ثقافة المجتمع ككل . . وقد تضمنت الدراسة : مقالات عن مهام الثقافة العمالية (٢٤) وعن الثقافة العمالية فى المجال العربى (٢٥) ، ثم دراسة ميدانية سجلت لقاءات الطليعة مع الدارسين والمشتغلين بالثقافة العمالية ثم تعليقات على اللقاءات ، ثم ملاحظات الطليعة حول الثقافة العمالية فى ج . ع . م .

[٢١] مقال حسن البسيونى - أعضاء على القوانين العمالية منذ ١٩٥٢ حتى ١٩٦٤ - مايو ١٩٦٥ .
[٢٢] مقال بولس لطق الله « قوانين العمل بين النظام الرأسمالى والتحول الاشتراكى » - أكتوبر ١٩٦٥ .
[٢٣] مقال عطية الصيرفى - « الايجابيات والسلبيات فى قانون العمل الموحد » مايو ١٩٦٨ .
[٢٤] مقال نور الدين حسن . . « مهام الثقافة العمالية فى مرحلة التحول » أغسطس ١٩٦٩ .
[٢٥] مقال الدكتور عبد الرؤوف أبوهم - الثقافة العمالية فى الدول العربية - أغسطس ١٩٦٩ .

وفى المقال الأول - وبعد أن يقدم الكاتب تعريفا للثقافة العمالية - يرى أن برامج الثقافة العمالية يجب أن تكون برامج مرتبطة بمشاكل الواقع - مستهدفة أن تعي قوى الثورة الأساسية - العمال والفلاحين - أولا : حركة المجتمع الجديد ، ومساره وحركتها هي داخل هذا المجتمع • وثانيا : مشاكل المجتمع الجديد الداخلية والخارجية ومشاكلها هي داخل هذا المجتمع • وثالثا : وسائل ودوات حل هذه المشاكل •

ثم يحدد الكاتب أن أمام الثقافة العمالية مجالين هامين هما : محو الأمية ، والتدريب المهني • وأن امتداد نشاط الثقافة العمالية إلى هذين المجالين سوف يمد العمال والفلاحين بأدوات فضائية ثقافية صالحة للانطلاق لتغيير الواقع والمناخ ، هذا التغيير المستمر والذي سيحقق عدلا إنسانيا يتمتع به الإنسان المصري ، وينمي فيه قدرة الخلق ، هذه القدرة التي توجد الحياة •

وفى المقال الثانى عن الثقافة العمالية فى الدول العربية يقدم الكاتب فكرته عن الثقافة العمالية بأنه لما أدى التناقض بين العمال ورأس المال فى النظام الرأسمالى إلى ظهور التنظيمات النقابية لتقود العمل الجماعى من جانب العمال فى صراعهم مع رأس المال ، وحيث تبلور الفكر الرأسمالى فى أيديولوجية واضحة ، كان على الطبقة العاملة أن تصوغ فكرها العمالى ، وقد ساعدها فى صياغة فكرها وأيديولوجيتها بعض المثقفين الثوريين الذين اكتشفوا القوانين التى تتحكم فى النظام الرأسمالى مثل قانون فائض القيمة والتى تتسبب فى النهاية فى استغلال الإنسان (الرأسمالى) للإنسان (العامل) ، ومن حصيلة هذا كله صاغت الطبقة العاملة فكرتها وأيديولوجيتها على أساس من الاشتراكية العلمية • وكان على الطبقة العاملة وتنظيماتها النقابية والسياسية أن تعمل على نشر هذا الفكر ، وأن تدرب قياداتها على العمل والقيادة على أساس من هذا الفكر • ولتحقيق هذا لجأ العمال وتنظيماتهم النقابية إلى الثقافة العمالية •

ثم تبدأ التعليقات على الدراسة الميدانية فيستخلص التعليق الأول (٢٦) مجموعة من الاتجاهات من مجموعة اجابات العاملين بالثقافة العمالية : - اجماع على أهمية الثقافة العمالية • احساس بأن هناك بعض ألوان القصور التى تعوق أداء الثقافة العمالية لهذا الدور على النحو

المرضى • • اجماع على ضرورة وجود منهج يكفل متابعة النمو الثقافى للعامل ويضمن انعكاس ذلك على عمله وعلاقته بمجتمعه • موقف متراوح بين الرفض والتحفيز نحو دور النقابات فى مجال الثقافة العمالية مع التسليم - من حيث المبدأ - بأهمية هذا الدور •

ويلخص الكاتب المطالب الأساسية لتطوير جهاز الثقافة العمالية فى مجموعة من النقاط : • اعداد مركزى لمادة البرامج مع المرونة والتنوع ليتناسب مع كل مستوى • الدقة فى اختيار المحاضرين • عناية أكبر ببرامج تأهيل المثقفين العماليين • أن يتولى المواد السياسية كمواد مؤهلة للتثقيف السياسى • أن يتزايد باضطراد دور النقابات والاتحاد العام للعمال حتى تؤول اليها مسئولية الثقافة العمالية بالكامل •

ثم يجيء التعليق الثانى (٢٧) مستخلصا من مناقشة اجابات الدارسين والعاملين بالثقافة العمالية النقاط التالية : أولا : أن البرامج تقدم بطريقة وأساليب لا تراعى ظروف مجتمعنا • ثانيا : أن اختيار المحاضرين يتم فى أغلب الاحيان من كبار موظفى الحكومة والقطاع العام والجامعة دون مراعاة للتخصص والالتزام الثورى بفكر الطبقة العاملة • ثالثا : خلق نمو وتطوير المثقف العمالى حتى لا يزاحم أفندية الثقافة العمالية وإيعا : تجاهل « الثقافة العمالية » كمؤسسة لعمال الزراعة والتراحيل • خامسا : ضعف دور النقابات وانعدامه - فى الغالب فى العمل الثقافى •

ثم يجيء التعليق الثالث (٢٨) - عن محو الأمية والثقافة العمالية - حيث ترى الكاتبة أن مشكلة الأمية تتميز بخطورتها على تطورنا وعلى الانتاج بسبب حجمها المتضخم بين المنتجين • ورغم تنبه الجميع لخطر الأمية فإن مؤسسة الثقافة العمالية لم تولها أى اهتمام •

واختتمت الدراسة بملاحظات الطليعة - بعنوان : « ملاحظات حول الثقافة العمالية » : ١ - قصور الثقافة العمالية على أسلوب المحاضرة ، وعدم استخدام الأساليب الأخرى والهامة - الندوات والمناظرات والمناقشة وأعمال المجموعات والدراسات الميدانية الخ • • وعن المحاضرين فهم غير متفرغين لعملهم ، واعداد كبيرة غير مؤمنة برسالتها ، ولا علاقة لهم بالفكر الاشتراكى

(٢٦) عبد الهادى ناصف - أغسطس ١٩٦٩ •

(٢٧) عطية الصيرفى - أغسطس ١٩٦٩ •

[٢٨] أمينة شفيق « محو الأمية قادمة الانطلاق للثقافة العمالية » أغسطس ١٩٦٩ •

بالنسبة للأمور شخصية لا تمت لوظيفة مجلس الإدارة بصلة .

ومع بروز هذه التناقضات - فان التجربة الاولى - كما يرى الكاتب قدمت مجموعة من الفوائد انعكست على التجربة الثانية : الفائدة الاولى : ان القول بالانتظار حتى يتم للطبقة العاملة الوعي أو الخبرة الكافية للقيام بمسؤوليات الإدارة فهذا قول لا يستقيم مع الفكر العلمى السليم ولا مع الايديولوجية الاشتراكية التى تؤكد ضرورة ارتباط الفكر بالتجربة ، والفائدة الثانية : ضرورة التمسك بالديمقراطية والقيادة الجماعية فى العمل . وقد انعكس ذلك على التعديلات التى صدرت فى أكتوبر ١٩٦٣ بخصوص اشتراك العاملين فى مجلس الإدارة - زيادتهم الى أربعة اعضاء دون تمييز بين عمال وموظفين ، وتوفير الحماية للاعضاء المنتخبين .

٦ - عن الأجور

قدمت الطليعة فى عدد أبريل ١٩٦٧ دراستها الرئيسية عن سياسة ربط الاجر بالانتاج مستخدمة اسلوب التقارير والشهادات الواقعية من مختلف مواقع الانتاج ، ومقدمة التعليق عليها (٣٠) ، (٣١) .

ففى التعليق الاول يرى الكاتب انه من أخطر الامور أن يستخدم ربط الاجر بالانتاج مجردا عن التوعية والعمل السياسى بحيث يذكى فى نفس العامل عوامل الفردية والانانية ، وعدم المبالاة بالمصلحة العامة . فالعامل الذى تحكمه مثل هذه العقلية التى لا تسعى الا وراء الكسب المادى يمكن أن يخرب الانتاج اذا وجد طريقا آخر ، ولو كان غير مشروع يحقق له كسبا اكبر . وعليه فان من الضرورى أن يؤخذ فى الاعتبار بعض « القيم السلوكية » عند تقرير العامل المثالى ، وعند اجراء الترقيات . ويرتبط بهذا أيضا ما جاء فى واحدة من الشهادات الواقعية ، من أن ديمقراطية الإدارة من أهم الحوافز الادبية وأن تلاحم الإدارة مع العمال وتنمية روح المسؤولية الجماعية وتعاون الإدارة مع التنظيمات الشعبية امور تلعب دورا أساسيا فى زيادة الانتاج ورفع الكفاءة الانتاجية .

وقضاياها النضالية . ٢ - القصور فى استعداد المثقف العمالى باعتباره عنصرا هاما من عناصر العمل فى مجال الثقافة العمالية ، فيجب أن يعد اعدادا اشتراكيا ، ويجب ألا يكون محور اعداده أن يكون مجرد مدرس للكبار ، أو كعنصر ادارى فقط . ٣ - يجب أن تتجه الثقافة العمالية الى جماهير العمال العريضة . ٤ - ان عملية نشر الثقافة العمالية يجب وأن ترتبط بعملية محو الامية ، فيجب أن تحتوى جميع مراكز الثقافة العمالية على قاعات لمحو الامية ومخطط جدى لتحقيق هذا الغرض . ٥ - ثم انه يجب العمل على : ا - عدم تركيز المعاهد المتخصصة فى العاصمة . ب - التفكير الجدى فى انشاء جامعة عمالية لتكوين القيادات العمالية العليا . ج - الاهتمام بصفة خاصة بقطاعات العمال الصناعيين غير المؤهلين . د - الاهتمام بتكوين قيادات العمال الزراعيين .

٥ - مشاركة العمال فى الإدارة

حول اشتراك العاملين فى مجالس الإدارة نشرت الطليعة ثلاث مقالات رئيسية لمناقشة التجربة (٢٩) فى مايو ١٩٦٥ ومايو ١٩٦٧ .

وقد قدمت مجموعة من الملاحظات عن التجربة الاولى لاشتراك العاملين فى مجالس الإدارة . أولا : التناقض القائم على الآثار المترتبة عن العلاقات الانتاجية القديمة التى تعكس احساس العاملين بان الإدارة التقليدية سواء أكانت هى صاحبة رأس المال ، أو ممثلة له تستهدف استغلالهم مستعينة فى ذلك بشتى الاساليب والاجهزة الحكومية والمناصب الادارية أو الفنية فى الشركة . ثانيا : التناقض بين الاعضاء المنتخبين والاعضاء المعيّنين فى المجلس ، واختلال التوازن بين الجانبين سواء من حيث العدد أو النفوذ فضلا عن الخبرة فى الاعمال الادارية مما جعل دور الاعضاء المنتخبين محفوفا بالمصاعب . ثالثا : التناقض بين العضو المنتخب عن الموظفين والعضو المنتخب عن العمال لما بين الاثنين من تفاوت فى المركز بالشركة ، وتفاوت فى أجور الجمهور الذى يمثله كل منهم . رابعا : التناقض خارج المجلس ، بين اعضاء مجلس الإدارة معينون مقابل منتخبين ، وخارج المجلس بين جمهور العاملين وقد أدى التناقض الاخير الى ضغوط من الناخبين

[٢٩] مقال د. نجيب اسكندر « حول تجربة اشتراك العاملين فى مجالس الإدارة » - مايو ١٩٦٥ .

● مقال د. عبد الرؤوف أبو علم « اشتراك العاملين فى مجلس الإدارة » - مايو ١٩٦٧ .

● مقال ابراهيم غباشى - « مع بداية دورة جديدة للعضوية المنتخبة فى مجالس الإدارة » - مايو ١٩٦٧ .

[٣٠] تعليق د. اسماعيل صبرى عبد الله « تقييم قوة العمل ، المشاكل ، ومنهج العلاج » - أبريل ١٩٦٧ .

[٣١] مقال د. ابراهيم سعد الدين « ربط الاجر بالانتاج فى المجتمع الاشتراكي » - أبريل ١٩٦٧ .

وفي التعليق الثاني - يؤكد الكاتب أن الربط بين مساهمة كل فرد من أفراد المجتمع في الانتاج وبين دخله قاعدة أساسية في النظام الاشتراكي تضمن تحقيق الكفاية والعدل . وهذا الربط هو وسيلة المجتمع الاشتراكي في توفير الحوافز لمجموع العاملين تحقيقا لاهداف المجتمع . ولكن هذا الربط يثير صعوبات منها : صعوبة قياس مساهمة كل العاملين في الانتاج الجماعي ، واختلاف ظروف العمل وأثر ذلك على الاجور ، والارتباط بين تكاليف المعيشة في المناطق المختلفة والاجر .

ويرى الكاتب ، أن تأمين أدوات الانتاج يثير ضغط العاملين من أجل تطبيق قاعدة الاجر المتساوي للعمل المتساوي ، وتحقيق ميزات عينية موحدة لكافة العاملين . ومن ثم قد تنشأ مشاكل واتجاهات خاطئة أثناء ذلك . لقد ورث مجتمعنا أوضاعا تتميز بانتشار العديد من الوحدات الانتاجية متفاوتة في الحجم وفي الانظمة وفي الاجور وفي الميزات العينية . ولذلك فإنه اذا كان هناك ما يبرر وجود نظام للاجر على أساس الوقت والعلاوة الدورية في بعض الوظائف الادارية والاشرفية التي يصعب قياس الاداء فيها ، فإن الامر يختلف في مجال الانتاج . فامكانية قياس الاداء تمكن من الاعتماد على نظم للاجور تربط مباشرة بين الجهد الفردي لكل منتج أو جماعة محددة من المنتجين ، وبين ما يمكنه أو يمكنهم الحصول عليه من زيادة في الدخل . ومن ثم لابد من وضع نظام يتيح للعاملين الحصول على زيادة ولو بسيطة في الاجر مقابل زيادة ولو بسيطة في الانتاج ، ويتم ذلك خلال النظام الاساسي للاجور نفسه ، لا خلال المكافآت أو العلاوات الاستثنائية .

٧ - الحركة النقابية عالميا

وعربيا وأفريقيا

بمناسبة مرور عشرة أعوام على تأسيس الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب نشرت الطليعة مقالا عن الحركة النقابية العربية (٣٢) . وبعد أن استعرض الكاتب الإنشاء التاريخي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، ودوره منذ تأسيسه في معركة التحرير ، أبدى مجموعة من الملاحظات : أولا : ضعف العضوية النقابية في

الوطن العربي ، والذي يمثل أكبر تحد للحركة النقابية العربية خاصة في هذه الفترة التي يخوض فيها العمال العرب معارك وطنية ، وأخرى اجتماعية . ثانيا : تخلف اتحاد العمال العرب والاتحادات الاعضاء به في مجال التوعية والثقافة العمالية . ثالثا : ضرورة توحيد أسس تشريع العمل في البلاد العربية . رابعا : مسا زالت القوانين في بعض البلاد العربية تحرم العمال من حقهم في التنظيم . خامسا : أن نشاط اتحاد العمال العرب ما زال نشاطا علويا لم ينزل كثيرا الى مستوى القاعدة الثقافية العريضة في الوطن العربي .

وفي مجال العلاقات الدولية للاتحاد يرى الكاتب - أنه بدراسة موقف الاتحاديين العالميين - الاتحاد العالمي للنقابات والاتحاد الدولي للنقابات الحرة ، نجد أن الاتحاد العالمي أكد طيلة حياته موقفه الحاسم المعادي للاستعمار والمناصر لقضايا الشعوب العربية والتحرر الوطني ، بينما كان موقف الاتحاد الحر دائما في خدمة المخططات الاستعمارية والصهيونية ، ويرى الكاتب ضرورة أن يحدد اتحاد العمال العرب مخططا عماليا عربيا دوليا تنطلق منه سياسة دولية واضحة للاتحاد تخدم أهدافه الوطنية والدولية .

كما نشرت الطليعة مقالا عن الهستدروت (٣٣) « الاتحاد العام للعمال العبريين » . وأزاء النشاط الكبير والضخم للهستدروت في افريقيا - فإن الكاتب يضع أمام الحركة النقابية العربية والافريقية مهامها واجبات : أولا : التنسيق الكامل بين اتحاد العمال العرب واتحاد نقابات عموم افريقيا لمواجهة نشاط الهستدروت المتزايد . وثانيا : أنه أصبح على الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب أن يحسم قضية الانحياز في الحركة النقابية الدولية - وخاصة بعد أن اتضحت العلاقة العضوية بين الهستدروت والاتحاد الحر ودور كليهما في دعم مخططات الاستعمار الحديث . وخاصة أن سياسة الاتحاد العالمي للنقابات المعادية للاستعمار والصهيونية بثبات قد تأكدت في جميع مواقفه . وثالثا : يجب على اتحاد نقابات عموم افريقيا والاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب أن يعمل على انشاء عدد من المعاهد النقابية والعمالية لتدريب وتعليم الكوادر العمالية والفنية التي تحتاجها القارتان الافريقية والاسيوية . ورابعا : أنه على الاتحاد الدولي لنقابات العمال

[٣٢] مقال د. عبد الرؤوف أبو علم « اتجاهات الحركة النقابية والعمل السياسي للطبقة العاملة العربية » .

مارس ١٩٦٦ .

[٣٣] مقال عبد المنعم الفزالي « الهستدروت لائحة نقابية للرأسمالية » مايو ١٩٦٦ .

الحزب. بصفة خاصة أن يحدد واجبات عملية مباشرة لمواجهة الهستدروت مواجهة حاسمة .
وهنا يصبح على اتحاد عمال الجمهورية العربية المتحدة مهمة خاصة بحكم موقعه الطليعى فى العمل جدياً لمواجهة النشاط الصهيونى فى الحركة العمالية .

ونشرت الطليعة مقالا عن تطور النضال العمالى الافريقى (٣٤) .

ويناقش الكاتب فى مقاله عناصر الضعف فى التنظيم النقابى الافريقى ويحددها فى : ١ - أن ٧٠ فى المائة من العمال الافارقة ما زالوا غير منظمين بحكم انهم عمال زراعيون وخدم منازل وعمال رحل وأشبهاء عمال . ٢ - ضعف عضوية التنظيم النقابى فى القارة ، وانتشار النقابات الصغيرة المفككة والمحدودة العضوية وسيادة الروح الحرفية وضيق الافق وضعف الوعي السياسى ، وسيادة عنصر الخلافات اللغوية والبيئية والقبلية والذى يعرقل قيام تنظيمات نقابية موحدة على أساس وحدة كل الكادحين . ٣ - تغفل النشاط الاستعمارى فى الحركة النقابية الافريقية وبثه الفرقة بين صفوفها ، وخاصة النشاط « النقابى الأمريكى » . الامر الذى أدى الى وجود مركزين رئيسيين للحركة النقابية الافريقية على نطاق القارة وهما الاتحاد النقابى الافريقى والخاضع للاتحاد الدولى للنقابات الحرة (الاصفر) والاتحاد المسيحى الدولى ، واتحاد نقابات عموم افريقيا ، وما زال الاتحاد الاول يمثل مركزا قويا ومحور نشاطه « البعد عن السياسة » وترجمتها العملية لا نضال ضد الاستعمار بكل أشكاله ، والبقاء « للشيوعية » .

ثم يحدد الكاتب مجموعة من الواجبات والمهام التى تواجه العمال الافارقة وحركتهم النقابية :
١ - تنظيم العمال الزراعيين وتوحيدهم وعمال المدن والصناعة . ٢ - القضاء على الاشكال المتخلفة للتنظيم النقابى . ٣ - تنظيم القوى العمالية الغير منظمة ، وتوحيد الحركة النقابية على النطاق القومى بإنشاء مراكز توحيدية - اتحاد عمال واحد فى كل قطر - ٤ - تشديد النضال من أجل التوحدة على نطاق القارة لتوحيد المواجهة العمالية للزحف الاستعمارى الشرس على القارة .

ونشرت الطليعة مقالا عن الدبلوماسية الامريكية والحركة النقابية (٣٥) ، يتتبع فيها الكاتب أسس هذا النشاط وقواعده - ويصل الكاتب الى أن الهدف النهائى لكل نشاط أمريكى فى الحركة النقابية هو الحفاظ على مصالح الاحتكارات الامريكية .

وفى مايو ١٩٦٩ نشرت الطليعة مقالا عن وحدة الطبقة العاملة ضد الاستعمار والصهيونية . والفكرة الاساسية التى يدعو اليها الكاتب فى مقاله ، هى ضرورة وحدة الطبقة العاملة العالمية - فما من عامل يشعر حقيقة بالانتماء الى الطبقة العاملة ، ويؤمن ايمانا صادقا بوحدة نضالها ووحدة مصيرها ، الا ويعى دوره فى مكافحة الاستغلال والعدوان ، ويدرك ابعاد هذا الدور فى اطار النضال العمالى المشترك لوضع حد نهائى للمظالم الاجتماعية والتفرقة العنصرية ، ومختلف مظاهر استغلال الانسان لاختيه الانسان بوجه عام .

وفى مايو ١٩٦٩ نشرت الطليعة مقالا (٣٦) يسجل تجربة النقابات المجرية فى البناء الاشتراكى وقد كتب هذا المقال خصيصا للطليعة :

فالاول : تشترك النقابات المجرية فى تحديد أهداف البناء الاشتراكى بمالها من قدرة تنظيمية مستخدمة نفوذها السياسى ، وتعبئ اعضاءها - ثلاثة ملايين عامل منظم - لانجاز الاهداف وهى تتعاون لتحقيق الانسجام بين مصالح المجتمع والمجموعات والافراد على اكمل وجه ممكن . وهى تشبع المتطلبات الاجتماعية المتعددة والحقيقية فى المجتمع الاشتراكى .

ثانيا : وللنقابات فى المجر دور فريد فى تطور العلاقات بين الحزب والجماهير . فبسبب صلاتها الوثيقة بالجماهير تكون لديها القدرة على ادراك مصالح وأفكار العمال ، وهى فى وضع يمكنها من التعرف على قدرات البلاد المالية فيمكنها أن تتدخل للمطالبة بوضع مطالب العمال الواقعية ومقترحاتهم فى الاعتبار .

ثالثا : وعن علاقة حزب العمال - المجرى بالنقابات ، فقرارات الحزب ملزمة للشعبيين العاملين فى النقابات ولكنها ليست ملزمة للنقابات

[٣٤] مقال عبد المنعم الفزالى - « تطور ومهام الحركة النقابية الافريقية » - أغسطس ١٩٦٩ -

[٣٥] مقال عبد المنعم الفزالى - « الدبلوماسية الامريكية والحركة النقابية بعد الحرب العالمية الثانية » - ابريل ١٩٦٨ -

[٣٦] مقال شاندرجا شبار - عضو المكتب السياسى لحزب العمال الاشتراكى المجرى ورئيس الاتحاد العام للنقابات المجرية - « النقابات المجرية والبناء الاشتراكى » - مايو ١٩٦٩ -

والصراع الطبقي بل يجب أن يكون مهتدياً بنظرية
ثورية علمية .

وصاغ لينين نظريته ضد الدعوة لحساد
النقابات - فالقضية عنده : « ... ليست على
الاطلاق كيف يتشكل الحزب وأى نضال وأى
انقسامات تحدث فى العملية ... » . إنها قضية أن الحزب
الاشتراكي والنقابات موجودة بالفعل فى كل بلد
رأسمالى ومهمتنا تحديد العلاقات الأساسية بينها .
إن المصالح الطبقيّة للبرجوازية تدفعها بالضرورة
الى محاولة حصر النقابات فى حدود نشاط ضيق
وصغير فى إطار النظام الاجتماعى القائم لابعادهم
عن أى ارتباط بالاشتراكية . ونظرية الحساد هي
الغطاء الايديولوجى لهذه المحاولات
البرجوازية » .

ثم يقدم الكاتب فكر لينين عن النقابات وبناء
الاشتراكية . وقال عالج لينين مهمة وأجبات
النقابات فى ظل المجتمع الجديد وهو يحارب فى
جبهتين : واحدة منهما جبهة الثروتسكيين ، والثانية
الاتجاه السندكالى . والجبهة الاولى كانت تريد
تحويل النقابات الى مراكز تابعة للدولة واعتبارها
مجرد هيئات انتاجية . والثانية تنكر دور الحزب
السياسى وترى تبعية كسافة الاجهزة الادارية
والاقتصادية للنقابات . وعارض لينين كل هذا الفكر
وأعلن أن أى محاولة من قبل الدولة - وهى دولة
ثورية - لامتصاص النقابات إنما ستكون نتيجتها
أن تصبح النقابات أجهزة بيروقراطية ، وستفقد
المحور الأساسى فى بنائها باعتبارها منظمات
جماهيرية عامة غير حزبية . وأكد لينين دور
النقابات فى فترة البناء الاشتراكي فى الدفاع عن
مصالح العمال ، الى جانب قيامها بوظائفها
العادية ، ولكن فى ظروف جديدة . وحدد لينين دورا
هاما للعمال والتنظيم النقابى يتمثل فى زيادة
الانتاجية وتنظيم العمل ، وأكد لينين أن زيادة
الانتاجية تتطلب درجة عالية من النظام
والضبط والربط الثوريين فى العمل . وحدد لينين
واجبا هاما للنقابات فى مرحلة الانتقال من
الرأسمالية الى الاشتراكية هو أن تهتم النقابات
بالاخصائيين المهندسين والعلميين والتكتيكيين
القدامى :

لقد كان لينين واضحا فى صياغته لفكره عن
النقابات ومهامها ودورها فى مرحلة الانتقال
ومنحها الكثير من جهده باعتبارها أجهزة نضالية
وتربوية - مدرسة للاشتراكية والديمقراطية
والادارة .

نفسها ، وعلى الشيوعيين أن يقنعوا زملائهم فى
النقابات بصحة موقف الحزب وقراراته . أن الدور
القيادى للحزب يتأكد بطريقة لا تنتهك مبدأ
الاساسى الذى بمقتضاه تكون النقابات مستقلة
تعمل وفق لوائها كما وأن نشاطها اليومى يسير
ويدار بواسطة أجهزتها القيادية المنتخبة

رابعا : وعن علاقة النقابات بأجهزة الدولة ، فإن
أجهزة الدولة الاشتراكية ملزمة باحترام استقلال
النقابات ولا تتدخل فى نشاط أو عمل النقابات
ولا فى حريتها ، ولا فى وضع لوائها ، أو نظام
الانتخابات - والدولة الاشتراكية لا تشرف على
أجهزة النقابات القيادية ولا تطلب منها تقديم
حساب عن عملها .

وفى ابريل ١٩٧٠ ، نشرت الطليعة مقالا فكريا عن
لينين والنقابات (٣٧) .

يستعرض الكاتب فى مقاله هذا فكر « لينين »
عن النقابات ، والذى صاغه « لينين » منذ أن خطا
خطواته الاولى فى العمل بين حركة الطبقة
العاملة ، صاغه من خلال الممارسة للعمل اليومى ،
ومن خلال مواجهة الفكر الانتهازى فى الحركة
العمالية ، ومن خلال النضال من أجل اقامة
الاشتراكية وبنائها فى الاتحاد السوفيتى .

ففى مواجهة الفكر الاقتصادى ، هذا الفكر
الذى دعا الى أن تكون مهمة النقابات والنضال من
أجل تحسين الحالة الاقتصادية للعمال فى ظل
النظام القائم - « والعمال للعمال » وأن « زيادة
كوبيك على روبل أعلى وأعز من كل اشتراكية
وسياسة وأن « العمال يناضلون لانفسهم وليس
لاجيال واشتراكية فى طيات الغيب » . فى مواجهة
هذا الفكر قدم لينين وجهة نظر الاشتراكية العلمية
عن العمل النقابى : أن الصراع بين العمال
وأصحاب الاعمال حول المطالب الاقتصادية هو
نضال طبقي جينى يقود نضال العمال فقط لتحقيق
ظروف أفضل لبيع قوة عملهم - ومن المهم أن
يتحول الى نضال مع كل النظام السياسى
والاجتماعى القائم من أجل القضاء على النظام
الاجتماعى الذى يرغب المعدمين على بيع أنفسهم
للاغنياء . وقدم لينين فكره عن التنظيم النقابى
داخضا المفهوم الاقتصادى التجريبي عن تلقائية
التنظيم والايديولوجية بالنسبة للنقابات ، وأوضح
لينين أن النقابات يجب أن تكون ذات بناء قوى
وقيادة مركزية ونظوية واعية وأن التكوين الواعى
للطبقة العاملة لا يمكن أن يترك لتلقائية الحركة

وفى مايو ١٩٧٠ نشرت الطليعة مقالا عن أول
مايو التاريخ والواقع المعاصر .

ويحدد الكاتب مجموعة من الواجبات للعمال فى
عيد أول مايو ، والوطن العربى يعانى الاحتلال
الصهيونى ، أولا : تقديم قضية المصير العامة على
ما عداها من القضايا الخاصة . ثانيا : بمعنى أن
يفرض العامل على نفسه فى هذه الظروف
الحاسمة من تاريخ بلادنا . واجبات سياسية
اضافية يلتزم بتنفيذها من تلقاء نفسه ويحاسب
نفسه بنفسه على أدنى تقصير بالنسبة لها .
ثالثا : تنقية التنظيمات السياسية والنقابية
ومنظمات الشباب ومجالس ادارات القطاع العام
عن طريق الانتخابات من العناصر الوضولية ونقد
الكسل والميوعة فى العمل السياسى .

ويحدد الكاتب دور النقابات فى المعركة فالولا :
على مستوى الجمهورية العربية المتحدة ، تعبئة
جماهير العمال وتنظيمهم استعدادا للمعركة ، وعقد
المؤتمرات والاجتماعات ، وعرض أفلام المقاومة ،
واعادة النظر بالنسبة لمؤسسة الثقافة العمالية ،
واعادة النظر فى اسلوب تثقيف العمال لاحتلال
التربية الاشتراكية العلمية محل التربية
الرأسمالية . وثانيا : على المستوى العربى ، العمل من
أجل وحدة الطبقة العاملة العربية ، وان تكون النواقل لها
وحدة العمل بين عمال الجمهورية العربية المتحدة
وعمال السودان وعمال الجمهورية العربية
الليبية . وثالثا على المستوى العالمى ، زيادة توثيق
العلاقات الاخوية والارتباطات النقابية بيننا وبين
الاتحاد العالمى لعمال العالم واتحادات العمال فى
البلدان الاشتراكية .

ونشرت الطليعة مقالا فى مايو ١٩٧١ عن
النضال العمالى العالمى (٣٨) ، وفى هذا المقال
يستعرض الكاتب الحركة الاضرابية فى عام ١٩٧٠.
والربع الاول من عام ١٩٧١ فى دول غرب أوروبا
وبريطانيا والولايات المتحدة . ومن خلال دراسته
لتزايد هذه الموجة الاضرابية يصل الكاتب الى
مجموعة من الاستنتاجات : ١ - اتساع الحركة
الاضرابية لتشمل قطاعات أعرض من الطبقة
العاملة ، من المستخدمين والموظفين والفنيين
والمهندسين والاختصاصيين والباحثين العلميين
والاساتذة والمدرسين والمثقفين والفلاحين
والمنجمين الصغار والطلاب . ٢ - أدى التركيز
الاحتكارى والتكامل الاقتصادى فى منطقة السوق
الاوربية المشتركة الى وضع المطالب المشتركة من
قبل الحركة النقابية عالميا . ٣ - أن هذه الحركات
الاضرابية لم تعد تستهدف المطالب اليومية
فحسب - وانما أصبحت تستهدف تغييرات
اقتصادية وسياسية ضد احتكار رأسمالية
الدولة . ٤ - ان الرأسمالية العالمية وقد اخذت
تصعد من استغلالها للطبقة العاملة مستخدمة كل
مقدرات التطور الاقتصادى الحديث ، والثورة
العلمية والتكنيكية ، وازدياد دور الدولة
الرأسمالية الاقتصادى وتربطه مع الاحتكارات
وخدمته لها ، وعمليات التجميع
الاقتصادى - كالسوق المشتركة - قد زادت من
حدة تناقضات النظام الرأسمالى فى أكثر من أى
وقت مضى بامتداد الاستغلال المصعد والمتزايد
ليشمل فئات أوسع من الشعب العامل - منها فئات
كبيرة كانت تعتبر احتياطيا دائما للاستغلال
الرأسمالى . وبذلك خلقت وامت قوت جديدة
معادية للرأسمالية .

[٣٨] مقال محمد على عامر « أول مايو التاريخ والواقع المعاصر » مايو ١٩٧٠ .
[٣٩] مقال عبد المنعم الغزالى - ثغرات فى جبهة الرأسمالية العالمية - مايو ١٩٧١ .

● جمهورية مصر العربية ●

جلسات غنية

بحوار ساخن

● تونس ●

ما وراء الصراع

على السلطة ..

● الصين الشعبية ●

زيارة كان يمكن أن

تكون أكثر فائدة

تقارير خاصة :

ماذا تدبر أمريكا

في شرق البحر المتوسط

■ ■

خطوة نحو

توسيع الحريات النقابية

تقارير
الشهر

مشاركة المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائى فى المعركة المصيرية .

وهى مجال السياسة الداخلية طالب المؤتمر بضرورة تحقيق التوازن بين متطلبات المعركة وضرورات التنمية - لان التنمية دعامة من دعائم المعركة اليوم - ولبنة من لبنات اعادة البناء بعد المعركة كما عبر المؤتمر عن « ادراكه لاهمية تدعيم خطبا الاشتراكي » .

كما طالب المؤتمر بضرورة تسليح مختلف مجالات العمل السياسى والشعبى والتنفيذى والعسكرى بالوعى والمسئولية فى كل ما يمس وحدة جماهير شعبنا وأمن تحركاتنا السياسية والعسكرية ، واكد المؤتمر من جديد ضرورة النهوض بشباب مصر باعتبارهم عدة المستقبل فى حركة المجتمع كله وتقدمه نحو أهدافه .

وعلى ضوء ما انتهى اليه المؤتمر من « ان العمل الاساسى والجوهري الذى يجب ان تركز عليه جميع طاقات العمل الوطنى فى هذه المرحلة شعبيا ونظيميا وحكوميا هو اعداد الدولة والمجتمع لتطلبات الدولة لمعركة التحرير الشرسة والطويلة النفس بأكثر قدر من الفاعلية والخبرة والحيوية » .

قرر المؤتمر تكوين تنظيم شبابى ينبع ديمقراطيا من الشباب أنفسهم ويصبح أحد أجنحة الاتحاد الاشتراكي . كما عهد المؤتمر الى السكرتير الاول للجنة المركزية باتخاذ ما يلزم من اجراءات لتعديل القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكي العربى حتى يكون الاطار التنظيمى قادرا على تحقيق المضمون وبحيث تشارك الجماهير فى صنع القرارات المنصلة بمشاكلها ومتطلباتها وذلك على ضوء ما كشفت عنه الممارسة الفعلية خلال المرحلة الماضية من قصور الاطار الحالى عن مجابهة المتطلبات المتزايدة للمرحلة القادمة وتلبية احتياجات الجماهير .

وقرر المؤتمر فتح أبواب التنظيم السياسى أمام قوى الشعب العاملة كلها بالشكل الذى يجعله الاداة الشرعية القادرة على التعبير كما قرر المؤتمر تشكيل لجنة عمل من أعضاء اللجنة المركزية والمؤتمر القومى وأعضاء خارج هذين المستويين . لاعداد دليل للعمل السياسى فى مختلف المستويات فى اطار وثائق الثورة الاساسية (الميثاق - ٣٠ مارس - الدستور - برنامج العمل الوطنى) . كما قرر المؤتمر اعادة تقييم العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والمنظمات النقابية والمهنية والهيئات المساعدة .

ولما كان المؤتمر قد عقد دورته الطارئة بناء على دعوة من الرئيس أنور السادات « للنظر فى التطورات السياسية والعسكرية التى تحيط بقضية

مناقشات وقرارات الدورة الطارئة للمؤتمر القومى

فى البيان الذى أصدره المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكي العربى فى نهاية دورته الطارئة التى عقدت من ١٦ الى ١٨ فبراير الماضى - وجه المؤتمر نداء الى كل شعوب العالم المحبة للسلام وخاصة شعوب البحر الابيض المتوسط - لكى تشارك المؤتمر « فى ادانة ومقاومة المخططات العدوانية الامريكىة التى تسعى الى اقامة قواعد للأسطول السادس فى شرق البحر المتوسط - فى هذا الوقت بالذات - تهديدا لشعوب تلك المنطقة وتدعيمًا لاطماع اسرائيل التوسعية وتأكيدا لمحاولات الولايات المتحدة الامريكىة فرض سيطرتها على المناطق العربىة » .

وفضح بيان المؤتمر « المناورات التى تعرضت لها فكرة الحلول السلمية وتحطيم كل دعوة بناءة لتطبيق قرار مجلس الامن على صخرة سياسة التوسع والغامرة القائمة على الصلف والغرور التى تنتهجها اسرائيل مستندة فى ذلك الى الدعم العسكرى والسياسى والاقتصادى الذى تقدمه لها الولايات المتحدة الامريكىة - وبصورة تجاوز كل ماقدمته لها من عون وتأييد فى مراحل الصراع السابقة ، وتقف الولايات المتحدة من اليوم موقف الخصم » .

وكشف المؤتمر الهدف من وراء هذه المناورات بأنه « اغراق مصر والامة العربىة كلها فى دوامة حالة اللاحرب واللاسلم » .

وأكد المؤتمر فى بيانه الختامى على أن الاتحاد السوفيتى « فى مقدمة الدول الاشتراكية والقوى المعادية للامبريالية العالمية قد وقف منذ الساعات الاولى للعدوان الاسرائيلى وحتى الان الى جانب الحق العربى ومازال يدعمنا سياسيا وعسكريا واقتصاديا - وهو موقف لم تفرضه فلسفته ومبادئه فحسب بل عززه ايمان مشترك بقضية السلام الدولى وعداء مشترك للامبريالية العالمية » .

وشدد المؤتمر فى بيانه على أن الصداقة العربىة السوفيتية « قاعدة صلبة تمثل موقفا استراتيجيا لا مرحليا ، ويجب أن نتسلح بكل اليقظة والوعى ضد محاولات الاعداء للتشكيك فى هذه الصداقة أو النيل منها » .

كما دعا المؤتمر كل القوى العربىة على اختلاف نظمها لوضع استراتيجية عربية موحدة تضع فى اعتبارها واقع اليوم وحساباته ومبرزا أهمية

● يجب أن نرتب أنفسنا على صراع سياسي وعسكري طويل .

● يجب أن نتقبل على أنفسنا تكاليف الصبر والصمت .

وأعلن الرئيس السادات في خطابه قراره بإطلاق سراح الطلاب المحتجزين جميعا وإحالة التحقيقات إلى الجامعات ، وأعلن كذلك قراره بإعادة تشكيل منظمة الشباب على أسس جديدة .

وقدم المهندس سيد مرعى السكرتير الأول للجنة المركزية وأمين عام المؤتمر القومى - تصور قيادة التنظيم لاسلوب عمل الاتحاد الاشتراكى فى الفترة القادمة مؤكدا على أن الاتحاد الاشتراكى مسئول مسئولية كاملة عن تقديم المنبر الحر لجميع قوى الشعب العاملة باعتباره التنظيم السياسى الوحيد فى مصر - الأمر الذى يؤكد ضرورة تدعيم الطابع الديمقراطى للتنظيم بمزيد من الانفتاح على الجماهير ، وأوضح المهندس سيد مرعى على أن اتصالاته خلال الأسابيع السابقة للمؤتمر قد أكدت له أن الاوعية التنظيمية قد أصبحت تضيق بعد مرور عشر سنوات على بناء الاتحاد الاشتراكى عن استيعاب وتعبئة كل القوى الجديدة والشابة الصاعدة فضلا عن طاقات أخرى وطنية ومناضلة - وأن الحركة الطلابية الأخيرة قد أكدت أن كل الأجهزة الشعبية والتنفيذية على حد سواء تحتاج بالفعل إلى مزيد من الانفتاح على الجماهير .

كما طلب السكرتير الأول للجنة المركزية « بان يحتضن الاتحاد الاشتراكى دون عقد أو حسابات أفكار القوى المتحالفة وينظم الحوار فيما بينها ديمقراطيا على أساسين : تحديد المصالح الموحدة ذات الوزن القومى الشامل التى لا خلاف عليها بين مختلف قوى التحالف ، وتحديد أهم المصالح الخاصة لكل قوة اجتماعية فى التحالف وترتيب أولويات تحقيقها بحيث لا تتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومى الشامل .

كما حذر سيادته من أن التنظيم السياسى لا ينبغى أن يصادر الحركة الذاتية للنقابات واتحادات العمال وتعاونيات الفلاحين والتنظيمات الأخرى المساعدة فى مجالاتها الخاصة ، وإنما على الاتحاد أن يعمل على تنسيق حركته مع حركتها وأن يمد إليها كل جسور التعاون .

واستمع المؤتمر خلال دورته الطارئة إلى تقريرين هامين . قدم أولهما الدكتور مراد غالب وزير الخارجية - وقدم الثانى الفريق محمد أحمد صادق نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية .

وقد أكد الدكتور مراد غالب فى تقريره على أن هدف العمل السياسى أن يظل حقا واضحا أمام المجتمع الدولى ولكننا لا نأمل فى الحل السياسى -

تحرير الأرض العربية واستمرار العدوان الاسرائيلى عليها منذ الخامس من يونيو ٦٧ على ضوء التغييرات الدولية والاحداث العالمية الأخيرة والظروف التى يتطلبها الوضع الداخلى .

فقد قدم الرئيس أنور السادات للمؤتمر فى بداية دورته الطارئة تقريرا سياسيا شاملا تضمن شرح الاحداث السياسية العالمية والعربية والمحلية خلال الشهور السابقة للمؤتمر - وفى شرحه لاسباب إعادة تقييم الموقف حدد الرئيس السادات أربعة عناصر أساسية لعبت دورا حاسما فى فرض إعادة الحساب :

١ - أن الولايات المتحدة الامريكية أكملت شرط الاشتراك فى التآمر الى مده .

٢ - أزمة الهند والباكستان وانعكاساتها علينا بسبب ضخامة حجم المشكلة وعلاقة الاطراف المختلفة بها .

٣ - الدعم الأمريكى الجديد لسلاح الجو الاسرائيلى .

٤ - تعزيز مركز الاسطول السادس بحصوله على ميناء بيريه فى اليونان ومحاولات اسقاط مكاريوس للسيطرة على قبرص .

وأوضح الرئيس السادات فى تقريره أن هذه العناصر الأربعة فرضت علينا إعادة الحساب ولكنها لم تفرض علينا ولا يمكن أن تفرض علينا العدول عن الهدف ، مؤكدا أن أهدافنا التى لا يمكن التنازل عنها هى إزالة آثار العدوان عن كل الأرض العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وعدم المساس بالحقوق التاريخية لشعب فلسطين .

وحدد الرئيس السادات أمام المؤتمر القومى مهام المرحلة القادمة فى عشرة نقاط أساسية :

● تعزيز وتأكيد وحدة قوى الشعب العامل فى مصر عن طريق التفاعل الثورى .

● اتحاد الجمهوريات العربية نواة صلبة لوحدة القوى الثورية العربية .

● الانفتاح على كل قوى العالم العربى .

● الصداقة العربية السوفيتية حجر أساس فى تضالنا .

● أماننا جهد مركز لكى نستوعب اسلحة متطورة . تلتقى مع التصاعد الخطر الذى فرضته أمريكا واسرائيل .

● يجب أن تكون مستعدين لخسائر كبيرة - داخل الوطن .

● يجب أن نتنبه للمقامرات الامريكية بوجه خاص .

● ضرورة مواصلة الصلة باوروبا الغربية وقلبها باريس وآسيا وقلبها بكين .

جلسات غنية بحوار ساخن

يعطى المراقبون - فى العادة - أهمية خاصة لعملين أساسيين من أعمال مجلس الشعب - وهما مناقشة السياسة العامة للحكومة والمناقشة السنوية للميزانية العامة للدولة - لأن المسألتين تشتملان كافة مناحى الحياة وتمسان فى نهاية الأمر كافة القوى والفئات الاجتماعية .

وعكست مناقشات مجلس الأمة للبيان الذى تقدم به الدكتور عزيز صدقى متضمنا سياسة وزارته واتجاهاتها عكست كل ما يدور فى المجتمع من مواقف وآراء واتجاهات .

وعلى امتداد ثلاث جلسات تحدث فيها ستة وخمسون عضوا من بين ٩٥ عضوا تقدموا بطلب الاشتراك فى المناقشة ، ويرى المراقبون أن ثمة اتجاهات محددة قد برزت خلال المناقشة .

فبالرغم من أنه كان هناك اتفاق عام حول قضية حرية الصحافة إلا أنه بالنسبة لأعداد الجبهة الداخلية لمرحلة المواجهة الشاملة كان هناك اتجاهان متقابلان :

اتجاه اتخذ موقفا واضحا ومحددا بتأييد الحكومة والدعوة لمساندتها والعمل على انجاح سياستها ، فى أعداد الجبهة الداخلية ، وقدم للحكومة العديد من الاقتراحات والأفكار التى تساعد على شق طريقها أو تضع يدها على مواقع التخلف والتسيب ومظاهر الاسراف القائم على انعدام التخطيط والرقابة .

وكانت كلمات الدكتور جمال العفيفى - أبو سيف يوسف - أحمد طه - عبد الحميد عطية - زهرة رجب - الفت كامل - عطا سليم - د . صفوت محيى الدين - سيد أحمد القاضى - فتحي الوكيل - حسين مهدى - محمد صلاح توفيق - كانت كلمات فى مجموعها تأييد ايجابى لسياسة الحكومة وقراراتها على أساس أنها جاءت استجابة لموضوعية لمطالب الجماهير والخاصة فى أعداد الجبهة الداخلية لتواجه مرحلة الحسم ، وأن إجراءات توزيع اعباء المعركة جاءت متأخرة - ودعوة الحكومة لضرورة الإسراع فى تنفيذ برنامجها وأن تكون الإجراءات التى أعلنتها ليست إلا خطوة على الطريق وبداية لإجراءات أخرى .

وفى هذا الاتجاه طرحت اقتراحات بفرض ضريبة على اجمالى الثروة لكل مواطن وهى الضريبة التى طبقت فى فرنسا خلال الحرب وضرورة أسهام رقبوس الاموال جميعها فى اعباء المعركة وكذلك التأمين الإجبارى ضد أخطار الحرب والغاء بدلات التمثيل بجميع أنواعها وتحويل جزء من العلاوات والبدلات التى يحصل عليها كبار الموظفين إلى

وأن الحل الوحيد لما يمكن أن تسميه بإزالة اثنان العدوان هو أن تصبح قواتنا المسلحة قادرة على معركة التحرير بإبعادها الجديدة وأن تصبح الجبهة الداخلية على استعداد كامل للمعركة - كما حذر وزير الخارجية من أنه إذا استطاعت الولايات المتحدة أن تفصل بيننا وبين الاتحاد السوفيتى فإنها تكون قد كسبت المعركة دون أن تطلق رصاصة واحدة .

وبعد أن استعرض الفريق صادق الجهود المبذولة لرفع مستوى الكفاءة القتالية لقواتنا أكد على أنه من خلال الاسلحة المتطورة لن تكون القضية الأساسية للجبهة المصرية هى قضية عدد المقاتلين وإنما نوعياتهم ومدى قدرتهم على استيعاب السلاح .

وقدم أعضاء المؤتمر عشرات من الاسئلة والتساؤلات على ضوء التقارير التى قدمت للمؤتمر - وتولى الرئيس السادات الاجابة عليها بعد تجميعها وتنسيقها وكانت اجاباته كلها تأكيد على المعانى التى أوردها فى خطابه وأعلن خلال اجاباته نقطتين هامتين :

أولهما انه يرى تأجيل انتخابات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى وتشكيل التنظيم الطليعى العلنى الى ما بعد المعركة حتى يكون معيار الاختيار هو مدى مشاركة كل فرد فى المعركة .

ثانيهما انه سوف يحيل الى اللجنة المركزية بحث قضية ما اذا كان من الممكن أن يعود الى الذين فرضت عليهم الحراسة جزءا من أراضيه .

وسجل المراقبون الذين تابعوا الدورة الطارئة للمؤتمر القومى حيوية المناقشات التى دارت فى مؤتمرات المحافظات وداخل اللجان الخمسة التى شكلها المؤتمر لدراسة وتنقيح مقترحات وآراء الاعضاء .

وقد عبرت غالبية الاقتراحات والتساؤلات عن اتجاه عام نحو المزيد من الانفتاح ، والتغيير الحقيقى للعلاقات السائدة داخل التنظيم وبين التنظيم والمنظمات المساعدة وحول قضية حرية الصحافة - وقد أحال المؤتمر توصيات اللجان الى اللجنة المركزية .

وأكد المؤتمر فى نهاية بيانه الحادى بنتائج الدورة الطارئة « انه يؤكد الثقة بالرئيس السادات ويقف صفا واحدا من خلفه رائدا لكفاحه وقائدا لنضاله لما يعرفه له من عراقة فى الوطنية وأصالة فى الجهاد وصلابة فى النضال وعمل دائم لتدعيم الحريات » .

أحمد القاضي - أحمد الجبالي - بكر - عبد الواحد - سعد بشير - عبد الله سليمان - رزق - أبو سيف يوسف - فتحي سلمان - محمد خليل حافظ *

وتركزت الشكوى حول ما يعانيه الفلاحين من عدم دقة حساباتهم وأن البطاقة الزراعية لم تستعمل كسند للمحاسبة حتى الآن بالرغم من نص القانون على ذلك ، ومن الأسلوب المتبع في نظام التسويق التعاوني ، والنقد الموجه إلى الجمعيات الزراعية على أنها تحولت إلى محلات بقالة تتاجر في مستلزمات الإنتاج . وأن هناك الفئ جمعية لا توجد بها آلات زراعية - ومشكلة تعدد الأجهزة التي تشرف على الجمعيات التعاونية مثل وزارة الزراعة وبنك التسليف وهيئة التعاون الزراعي وكذلك ضعف الرقابة على الحركة التعاونية .

وطالب البعض بحل الاتحاد التعاوني الزراعي لأنه لم يقيم بنزول ، كما طالب بدوره التعاون الاستهلاكي للقريبة وتصنيع الريف ، والبحث عن محاصيل بديلة للمحاصيل التقليدية ، وتصنيع المحاصيل الحقلية والبستانية وتحديد ثمنها جبريا للأذرة الشامية وهي الغذاء الرئيسي للفلاح وأبناء الريف وطالبوا بإسقاط سلف بنك التسليف وكذلك تشكيل الجمعيات التعاونية في الريف - لتكون ممثلة فعلا لمصالح ٩٣ في المائة من الملاك الذين لا تزيد ملكيتهم عن خمسة أفدنة ، وهم قطاع الفلاحين والزراع العاملين بأيديهم ، وأن تكون هناك هيئة واحدة تشرف على التعاونيات بمختلف أنواعها .

وفيما عدا عضو واحد (أحمد الجبالي) الذي طالب بالغاء التسويق التعاوني نهائيا - فإن الاتجاه كان هو البحث عن أسلوب للتطبيق يتفادى السلبيات التي يشكو منها الفلاحين في نظام التسويق التعاوني الحاضر وبشكل خاص مشكلة تحديد الرتب .

وتناول محمد خليل حافظ والفت كامل ومنير الفتى مشكلات الحرفيين والتي تتركز في ضرورة حصولهم على الخامات المطلوبة ، لهم وبالمقاسات والاحجام المطلوبة لعملهم ، والا يفرض عليهم شراء خامات لا تصلح لهم ، وضرورة العناية بتسويق انتاجهم وخاصة بالنسبة للتصدير . والمطالبة بإيجاد جهاز مركزي للإشراف عليهم والاهتمام بتأمين مستقبلهم في حالات الشيوخة والعجز .

وكانت مشكلات التعليم والمواصلات والتموين والشباب ومشكلات عائلات المجندين والمهجرين موضع اهتمام القمص يونس باسيلي ومحمد صالح النبع وعبد الرؤف شبانة ورفاعة القليسي وإبراهيم السيد الشويخي والسيد البيلي ومحمد عطية ومحمد عقل وعبد القادر النحراوى وإيهاب مقلد *

ولم يتركز في المناقشة أن العضو غبده عبد المنعم

سندات جهاد - وعدم جواز أن يتجاوز مرتب أي موظف مرتب الوزير حيث تصل بعض المرتبات والمعمولات والبدلات إلى ١٠ آلاف جنيه . ودعا إلى مواصلة الحد من الاسراف وضرورة تقديم المزيد من الخدمات للجماهير وعدم رفع الاسعار . وحذر هذا الاتجاه من أن بيان الحكومة سوف يثير القوى المضادة - وأن كل مشروع ثوري يواجه دائما باعتراضات قد تبدو في ظاهرها سنيعة من الوجهة الفنية - كما حدث عندما صدر قانون الإصلاح الزراعي الأول - كما دعا الاتجاه الرأسمالية الوطنية لتقبل هذه الإجراءات والمزيد منها لأن الاعباء المفروضة عليها أقل بكثير من الاعباء التي فرضت إبان الحرب العالمية الأخيرة في دولة رأسمالية كإنجلترا .

وفي الناحية الأخرى من المناقشة ، كان هناك اتجاه عبر عنه مصطفى كامل مراد ومصطفى كامل أبو ريه وأحمد أبو زيد طنطاوى ونصر عبد الغفور وعبد المجيد العشري ومحمود أبو وافية وحسين حمدي سالم وأحمد يونس وعبد مراد تراوح مواقفهم بين المعارضة الصريحة لفرض ضريبة على الحدائق أو تقديم اعتراضات فنية وبيانات وصلت بانتاجية الفدان من الحدائق إلى عشرة جنيهات . وانتقد البعض التشكيل الوزاري من ناحية الشكل وتجاهل البعض الآخر بيان الحكومة كلية . وانتقد البعض إنهاء برامج التليفزيون الساعة ١١ مساء وطالب البعض الآخر بالسماح بتمليك السفن الكبيرة (أكثر من ألف طن) للأفراد وانتقد الأستاذ مصطفى كامل مراد أسلوب عمل الوزارة وعلاقتها بالمجلس مخاطبا الحكومة « أن المجلس سلطة أعلى منكم فهو يراقبكم ويحاسبكم ويمنحكم الثقة أو لا يمنحكم أياها » .

وبقدر التباين الذي ظهر حول الموقف من بيان الحكومة فإن تجمعها واسعا من مختلف الاتجاهات تبلور حول مشكلة حرية الصحافة - اشترك فيه مصطفى كامل مراد ، وزكريا لطفي جمعه ومحمود أبو وافية ومحمود أحمد نافع والبرت برسوم سلامة وعبد القادر البحراوى وأبو سيف يوسف . وقد أكدوا جميعا على أهمية حرية الصحافة وضرورة رفع الرقابة عنها فيما عدا ما يخص الأخبار العسكرية - وأنه إذا رفعت الرقابة عن الصحف فإن هناك مشكلات كثيرة يمكن حلها . واعطى أبو سيف يوسف بعدا أعمق لقضية الديمقراطية عندما دعا إلى توسيع الديمقراطية داخل الأجهزة الإدارية وداخل القطاع العام - وأن ذلك سوف يساعد على الحد من الانحراف .

وكل مناقشة دارت من قبل في مجلس الشعب كان الريف والتعاون الزراعي ومشكلاته موضع اهتمام الكثيرين أمثال : عطا سليم - أحمد يونس - مهدي شومان - السيد البيلي - إيهاب مقلد - أبو الفتوح الجندي - السيد علي أحمد مكاوي سيد

الوزارة الجديدة وأعداد الدولة للحرب

استهلت الوزارة الجديدة التي تشكلت في الأسبوع الأخير من شهر يناير الماضي - برئاسة الدكتور عزيز صدقي - استهلت عملها بإصدار مجموعة من القرارات الهامة - اعتبرها الواقفون خطوة جادة في الاتجاه الصحيح نحو خلق مناخ جديد - يجعل الجبهة الداخلية على مستوى مواجهة الشاملة

والاساس الذي أعلنت الوزارة الجديدة أنه حكم الاتجاه العام لهذه القرارات هو أن يتوفر فيها الاتجاه الى تحويل اقتصادنا الى اقتصاد حرب يخدم المعركة - وتقوم القرارات على أن يكون للاستثمارات التي تخدم المعركة الأولوية - وألا ينفق أى مال فيما لا يخدم المعركة وفيما ليس له ضرورة - ووقف استيراد ما هو كمالي وليس ضروريا للمعركة وتجنب التبذير والاسراف وتحقيق التشف - على أن يكون تحقيق ذلك كله يعنى في المقام الاول توزيع اعباء المعركة توزيعا عادلا على جميع الفئات بحيث تتناسب مع دخول كل منها وأن من اعطاهم الوطن الكثير عليهم أن يكونوا أكثر عطاء في هذه المرحلة من تاريخ وطننا وألا يكون معنى اعداد الدولة للمعركة - هو اهمال المشاكل الحقيقية للجماهير

وفي اتجاه خفض نفقات الجهاز الحكومي ومؤسسات وشركات القطاع العام تقرر :

● اخلاء ثلاثة آلاف شقة مؤجرة لمصالح حكومية ومؤسسات قطاع عام

● خفض ٢٠ في المائة من عدد التليفونات المردية في الوزارات والمؤسسات

● خفض وقود السيارات بنسبة ٢٠ في المائة

● خفض نفقات الاعلان والحفلات والاستقبالات بنسبة ٥٠ في المائة

● حظر شراء سيارات ركوب جديدة أو اثاثات للمكاتب وقصر سفر المسؤولين الى خارج البلاد للضرورة القصوى

● إلغاء امتيازات كبار المسؤولين في الحكومة والهيئات التي لا تستند الى قانون أو لائحة ومنها السيارات الخاصة واشتراكات السفر المجانية والمخفضة

وبالنسبة لهذه المجموعة من القرارات فقد تقرر عدم السماح بتأجير الشقق التي تم اخلائها الا بعد وضع قواعد منظمة لذلك لمنع الاستغلال - كما تقرر متابعة أسبوعية لمسدى تنفيذ هذه القرارات في مختلف المجالات

كما اصدرت الوزارة مجموعة أخرى من القرارات في محاولة للقضاء على مظاهر الشراء

مران قصر حديثه على قانون الاحكام العسكرية وان العضوين سيد احمد ادريس ومحمد تهمام الشجني قصر حديثهما على مسائل محلية خاصة بمناطقهم - وأكد الدكتور عزيز صدقي في كلمة امام المجلس تعقيبا على المناقشات التي دارت ، أن طسريق الاشتراكية حقيقة وفعلا لا دولا أو شعارا هو طريق هذه الحكومة ولن تحيد عنه تحت أى ضغط ولن تصرفنا عنه معارك جانبية يحاول أن يخلقها البعض

ووضح الدكتور عزيز صدقي محاولات التشكيك في الاصدقاء الذين يقفون معنا في الحرب والسلم، والتشكيك في قدرة الجبهة الداخلية على الصمود والتشكيك حتى في هذه الوزارة التي جاء تشكيلها بتكليف واضح ومحدد من الهافت بأعداد الجبهة الداخلية لمواجهة الشاملة مع العدو الاسرائيلي المدعم بالقياد الكامل من الولايات المتحدة احاطتها ابواق الدعاية المضادة بالتشكيك فيها ، وفي جديده عدلها ووصفتها بأوصاف متناقضة

وأعلن الدكتور عزيز صدقي في كلمته الختامية تعهد الحكومة بحل مشاكل تعامل الفلاحين مع بنك التسليف والجمعيات التعاونية في فترة زمنية محددة وان تضع من الاجراءات ما يكفل ضبط حسابات الفلاحين والقضاء على الشكاوى التي ترد من الجمعيات التعاونية وقصورها بما يكفل قيام الجمعيات بدورها التعاوني الصحيح في خدمة الفلاح والزراعة - كما أكد على أن الحكومة سوف تتخذ اللازم لكي تنقى برامج أجهزة الاعلام من كل ما لا يحقق الهدف الصحيح في هذه المرحلة سواء في البرامج أو المعاني أوفى الجدية

وبعد انتهاء مناقشة بيان الحكومة والموافقة عليه واصل مجلس الأمة جذب الاضواء وشده انتباه المراقبين والمواطنين وذلك خلال مناقشته للقانون الخاص بالحكم المحلي وتشكيل المجالس الشعبية التي تمت تشكيلاتها بالتعيين في سبتمبر الماضي - والذي طرح على المجلس طبقا للدستور - لصدوره خلال فترة غيبة المجلس

لقد عارض المجلس القانون على اساس مخالفته للمادة ١٦٢ من الدستور التي تنص صراحة على تشكيل المجالس الشعبية تدريجيا بالانتخاب وان يكون نصف اعضاء كل مجلس على الاقل من العمال والفلاحين - فقد تم تشكيل المجالس الشعبية بالتعيين ولم تتوافر فيها النسبة المقررة للعمال والفلاحين

وقد أحال المجلس القانون الى اللجنة التشريعية لاعادة نظره على ضوء رأى المجلس

الواجبات علينا ان نؤكد دوما وباستمرار على الوجه الاجتماعي لثورتنا - وان نؤكد دوما وباستمرار على اشتراكيته وان نحافظ على كل مكاسبنا الاشتراكية وعلى كل انجازاتنا الاشتراكية وان ندعمها ونتوسع فيها لانها كانت السبب في العدوان وهي مصدر قوة لنا في المعركة الشاملة وهي السبيل الى تأكيد وحدتنا الوطنية القادرة على التصدي لكل التحديات مهما كانت شراستها وضرارتها » .

سوريا

جبهة وطنية ديمقراطية

تقبل نبا اعلان ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا بترحاب حار من جانب القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي . وكان حزب البعث الحاكم في سوريا قد توصل في اوائل الشهر الماضي الى اتفاق مع التنظيمات الوطنية الاخرى والتي تشترك معه في الوزارة بشأن صيغة الميثاق ، وهذه التنظيمات هي : الاتحاد الاشتراكي العربي ، والحزب الشيوعي ، وحركة الوجوديين الاشتراكيين ، وحركة الاشتراكيين العربى .

وكانت اللجنة التحضيرية التي تضم ممثلين عن التنظيمات الوطنية والتقدمية الرابع ، والتي تشكلت في شهر مايو الماضي برئاسة محمود الايوبى نائب رئيس الجمهورية قد انتهت من مناقشة صيغة الاتفاق لقيام الجبهة وتحديد مهمتها واساسها التنظيمى الداخلى . . . وقد استطاعت اللجنة بمهارة ووعى ان تغلب على جميع العقود والحساسيات وسلبات المراحل الماضية وان تنمى وتدعم حصيلة ايجابيات التاريخ النضالى للشعب السورى ، وقد اظهرت المناقشات الصريحة التي جرت بين ممثلى التنظيمات ، وتعرضت لمختلف القضايا والمشاكل ايمان وحرص الجميع على تجنب سوريا اسباب الضعف الناتج عن تفكيت وحدة القوى الوطنية وبعثرة جهودها وذلك باقامة الجبهة على اسس ديمقراطية تمثل انجازا وطنيا هاما .

وكانت القيادة الحالية لحزب البعث بزعامة حافظ الاسد والتي جاءت الى السلطة في ١٦ - ١١ - ١٩٧٠ قد تعهدت منذ اليوم الاول بقيام الجبهة الوطنية التقدمية ، ودعوة جميع التنظيمات الوطنية التقدمية في سوريا الى المشاركة في السلطة الى جانب حزب البعث ، ولقيت تجاوبا متزايدا . وتحققت هذه المشاركة في السلطة

غير المشروع ، وحالات التهريب والتسيب وعدم الجدية وفي مقدمة هذه القرارات :

- حظر استيراد وعرض أو بيع السلع الكمالية الاستهلاكية المستوردة وقصر بيعها في محلات البيع بالعملة الصعبة للاجانب
- زيادة الرسوم الجمركية مع السلع الكمالية الواردة للاستعمال الشخصى بنسبة ٥٠ في المائة .
- رفع رسم القمغة على المراهضات بأنواعها الى ٢٠ في المائة بدلا من ١٠ في المائة والى ٢٥ في المائة من ايرادات الكازينوهات .

● قصر تجارة الجملة في الداخل بالنسبة للسلع التموينية الاساسية وهي الدقيق والزيت والسكر والشاي والبن والصابون والمسلى والاقمشة الشعبية على شركات القطاع العام

● اتخاذ الاجراءات الحازمة للقضاء على وسائل الكسب غير المشروع وعلى حيل الوسطاء ووسائل الدخول الطفيلية التي تنتزع جانبا لا يستهان به من الدخل القومى دون اسهام في عملية الانتاج

● تقرر قصر الارسال التليفزيونى على قناتين فقط وانهاء الارسال التليفزيونى الساعة ١١ مساء وكذلك العروض المسرحية والسينمائية .

● زيادة الاعتماد المخصص لرعاية أسر المقاتلين من ٦٥٠ الفا الى مليون و ٤٨ الفا وبالنسبة للعاملين تقرر :

- المساواة بين عمال القطاع الخاص والقطاع العام في الحد الأدنى للأجور وفي الاجازات
- تعميم بدل طبيعة العمل على كل العاملين في الانتاج

● تخصيص حصيلة الـ ١٥ في المائة من ارباح الشركات في كل منطقة لتطوير الخدمات للعاملين في المناطق الصناعية بالاضافة الى اعتمادات الدولة الاخرى

كما اتخذت الوزارة قراراتين هامتين :

الاول : ان تتحمل الحكومة نصف تكاليف مقاومة الافات الزراعية بدلا من الفلاحين - على ان يتم توفير الاعتمادات اللازمة لذلك من حصيلة فرض ضريبة قدرها عشرون جنيها على كل فدان مزروع حدائق .

الثانية : حظر استيراد السيارات التي تعمل بالديزل وفرض ضريبة اضافية قدرها عشرة جنيهات على السيارات التي تعمل بالديزل وتلك التي تعمل بالبنزين وسعة سلندراتها اكثر من ١٥٠٠ سم على ان تخصص الموارد التي تتحقق من هذا القرار لاصلاح الطرق .

ولقد حرص الدكتور عزيز صدقي وهو يقدم برنامج وزارته على ان يؤكد « انه من اوجب

■ المقاومة الفلسطينية ■

المقاومة تعود للعمل

فى قلب تل أبيب

بعد اجتماعات دامت ثلاثة أيام (من ٨ - ١٠ فبراير) ، قررت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية تشكيل لجنة سباعية من بين قادة العمل الفدائى لوضع « برنامج عمل » لتحقيق أهداف المقاومة فى المرحلة الحالية . وقد وضع أمام اللجنة اقتراح بالدعوة لمجلس وطنى فلسطينى موسع يعقد بالقاهرة . وبعد عدة اجتماعات أعدت اللجنة السباعية مقترحات تهدف الى تحقيق وحدة فصائل المقاومة سياسيا وعسكريا وتنظيميا وأعلاميا . وذلك بإلغاء المكاتب الاعلامية للمنظمات المختلفة ، واستبدالها بمكاتب اعلامية موحدة ، وإنشاء مجلس أعلى للاعلام .

وفى لبنان تفجرت أحداث خطيرة فى مجال العلاقة مع المقاومة ، بدأت بتقصيع اسرائيل لهجماتها على جنوب لبنان . ثم وقعت عدة انفجارات فى مبنى صحيفة لسان الحال فى بيروت ومقر حزب الكتائب اللبنانى ، وانفجارات أخرى فى بيروت وصيدا وطرابلس بلبنان .

وفى التاسع عشر من يناير الماضى وجهت اسرائيل انذارا شديدا الى لبنان طالبت فيه بوقف النشاط الفدائى المنطلق من لبنان ، وهددت اسرائيل بالاقامة « بصورة دائمة فى جنوب لبنان » . وفى رسالة الى الملوك والرؤساء العرب قال الرئيس اللبنانى سليمان فرنجية « ان كل الدلائل تحمل على الظن بأن العدو يعتزم القيام بعملية عسكرية فى المستقبل القريب جدا » . وعلى المستوى الدولى وجه لبنان الى مجلس الامن والى أعضائه الدائمين احتجاجا وتحذيرا بهذا الشأن .

وفى حديث له الى الاهرام قال ياسر عرفات أن الانذار الاسرائيلى يهدف الى « جر حركة المقاومة الى معركة مع الجيش اللبنانى » . وأن التهديدات الاسرائيلية ما هى الا انعكاس واضح لقوة الضربات التى وجهتها المقاومة ضد سلطات الاحتلال فى الاسابيع الاخيرة . وتحدث عرفات عن قصف الاسرائيليين لقرى الحدود اللبنانية ، فقال أنها تهدف الى أحداث « ثغرة بين المواطن اللبنانى والعمل الفدائى » ، ولاحداث الخلاف بين الجيش اللبنانى ورجال المقاومة توقعا لحدوث الصدام بين الجانبين .

وفى ٣٠ يناير الماضى كانت قد جرت محاولة لاغتيال ياسر عرفات فى لبنان . وفى طريقه الى

التنفيذية ثم فى تشكيل مجلس الشعب فى فبراير ١٩٧٨ اذ ضمت ائتلافا حزبيا احتفظ البعث داخله بالاغلبية كما فعل فى الوزارة ، فمن بين مجموع أعضاء المجلس (١٧٣) له ٨٥ ولل قوى السياسية الاربع ٤٠ وللقطاعات الاخرى كالهيات المهنية والنقابية والحكومية ٤٨ عضوا من بينهم ضباط جيش و ٤ سيدات والمفتى السورى

وينص الميثاق على حرية النشاط السياسى لكل من التنظيمات المشتركة فى الجبهة الى جانب حزب البعث ، وذلك باستثناء القطاع العسكرى الذى يقتصر النشاط فيه على حزب البعث وحده ، « باعتباره الحزب القائد للجبهة الوطنية التقدمية » ، كما ينص الميثاق على قفل باب العضوية للتنظيمات السياسية الاخرى بالنسبة لقطاع الطلبة على الاعضاء الحاليين . وقد تقرر تشكيل مكتب سياسى للجبهة من ١٦ عضوا ، منهم ٨ أعضاء من حزب البعث و ٨ من التنظيمات اربع الاخرى ، برئاسة الفريق حافظ الاسد ، رئيس الجمهورية السورية ، ويمثل الاتحاد الاشتراكى العربى الدكتور جمال الاتابى امين عام الاتحاد الاشتراكى العربى ، وراغب قطان الامين المساعد ، ويمثل الحزب الشيوعى السورى خالد بكداش امين عام الحزب ويوسف فيصل ، ويمثل حركة الاشتراكيين العرب ، عبد العزيز عثمان وعبد الفنى قنوت ، ويمثل الوندويين الاشتراكيين فايز اسماعيل ومحمود ممتاز .

وبحدد الميثاق أن مهمة الجبهة الوطنية الديمقراطية هى : اقرار مسائل الحرب والسلام ، وتوجيه الخط السياسى والاعلامى والاقتصادى للدولة ، وتعبئة الجماهير الشعبية من أجل المعركة ، وتحقيق الوحدة العربية ، واستكمال المؤسسات الدستورية ، والبناء الديمقراطى للمنظمات الشعبية والمهنية .

وقد تقرر أن يدخل حزب البعث والاحزاب الاخرى المشتركة فى الجبهة انتخابات المجالس المحلية ، التى ستجرى فى جميع المدن والمحافظات السورية فى ٣ مارس الحالى ، بقوائم موحدة ، والعمل على توفير المناخ الديمقراطى العام والفرص المتكافئة للمرشحين المستقلين ، ومهمة هذه المجالس الاشراف على تنفيذ الخدمات العامة ومشاريع التنمية وتحقيق الرقابة الشعبية على الاجهزة التنفيذية .

هذا ويلقى ميثاق الجبهة دعما وتأييدا كبيرا داخل البلاد من جانب الجماهير الشعبية غير المنتمية الى الاحزاب ، على أساس أنه الطريق الديمقراطى الواقعى لتعبئة القوى الاجتماعية المختلفة من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة .

معسكر للاجئين في شمال لبنان ، حدث أن انقلبت فجأة سيارة الحراسة التي تتقدم سيارته ، إلا أن سيارة عرفات تقادتها ونجا أبو عمار من الموت . وفي ١٢ فبراير افتعل بعض المتفكرين في زى فدائيين فلسطينيين من منظمة الصاعقة ، صداما بالمدافع الرشاشة مع رجال البوليس اللبناني أصيب فيه فدائيان بجراح خطيرة . وسرعان ما اكتشفت المقاومة أن هؤلاء المتفكرين ليسوا الا عملاء « للاستخبارات الاردنية » . وقد قامت المقاومة بتسليمهم الى السلطات اللبنانية . وقد تلقت السلطات اللبنانية معلومات من السلطات السورية ، تربط بين حوادث القاء المتفجرات التي جرت في بيروت وبين حصادات الانفجار الذي وقع في جامعة دمشق في يناير الماضي . وتؤكد المعلومات أن منفذي هذه الحوادث قد أرسلتهم اسرائيل من الضفة الغربية للاردن ، بعد الحصول على تسهيلات من السلطات الاردنية ، بهدف احداث صدام بين السلطات اللبنانية وحركة المقاومة .

وقد شهد فبراير الماضي تصعيدا ملحوظا في حركة المقاومة ، سياسيا وعسكريا ، داخل الارض المحتلة . فكد فعل على اعلان الحكومة الاسرائيلية عن عزمها اجراء الانتخابات للمجالس البلدية في ٢٤ مدينة وقرية في الضفة الغربية ، غمرت الضفة الغربية ، صباح يوم ٣٠ يناير ، المنشورات الموقعة باسم « الحركة الشعبية للمقاومة في الضفة الغربية » ، تندد بمؤامرة الانتخابات وتحذر الجماهير من أنها تهدف الى اضعاف صفة الشرعية على الاحتلال الاسرائيلي ، ومن المعروف أن هذه الحركة لم تكن قد مارست نشاطا قبل ذلك التاريخ .

كما تضاعفت عمليات المقاومة العسكرية داخل اسرائيل . فشن الفدائيون عدة هجمات فدائية في مناطق مختلفة من المرتفعات السورية وسيناء وغزة . ولوحظ ان تركيزا شديدا قد جرى على العمليات العسكرية داخل المدن الرئيسية في الارض المحتلة . فقد القيت قنبلة ، يوم ٥ فبراير ، على مطعم بمدينة « هولون » جنوبي تل أبيب ، أدت الى تدمير المبنى . كما نسف الفدائيون ، في اليوم التالي ، مبنى الحكومة في حيفا ، ودمروا عمارة ضخمة بشوارع هرتزل بتل أبيب تضم مستودعات ومحال تجارية . كما قاموا بهجوم مفاجيء بالقنابل اليدوية على مطعم في تل أبيب . وفي العاشر من فبراير ، اشتعلت النيران في بعض مخازن الجيش الاسرائيلي في حيفا ، نتيجة انفجار عبوات ناسفة وضعها الفدائيون . كما دمر الفدائيون في نفس اليوم أحد نوادي الطلبة في حيفا . وفي فجر الخامس عشر من فبراير جرى

نسف مطعم كبير في تل أبيب . وفي دمشق أعلنت قيادة المقاومة أن رجالها هاجموا مطعمي « نيكى » و « بارفيو » في تل أبيب بالقنابل . وفي مساء اليوم التالي شب حريق ضخم التهم مصنع « أميا » للاجهزة الكهربائية ، وهو أكبر مصنع لهذه الاجهزة في تل أبيب ، وقد قدرت الخسائر بملايين الليرات الاسرائيلية .

وتحمل الايام القليلة القادمة امتحانا لقدرة حركة المقاومة وفعاليتها ، وذلك باجراء المرحلة الاولى من انتخابات الضفة الغربية المحتلة يوم ٢٦ مارس الحالي ، كما أن نجاح المقاومة في توحيد فصائلها سيحدث تغييرا كبيرا في حركة المقاومة مما يزيد من تأثيرها ويعيدها لها حيويتها وقوتها .

القدس

المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون

فيما بين ١٨ و ٢٨ يناير الماضي ، وتحت شعار « مواجهة التحديات التي تواجه اليهود والحركة الصهيونية » انعقد المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون في القدس .

وقد اشترك في المؤتمر ٥٢٥ مندوبا اتوا من ٢٦ دولة . الا أن النصيب الاكبر في المندوبين كان لاسرائيل والولايات المتحدة ، إذ خص الاولى ٢٨ في المائة من المندوبين ، في حين خص الولايات المتحدة ٢٩ في المائة ، هذا بالاضافة الى ما تبقى مراقب من مختلف انحاء العالم الغربي .

وقبل انعقاد المؤتمر ، عقد اجتماع خاص ضم المندوبين الاسرائيليين والامريكيين بالاضافة الى ٦٠ من المراسلين والصحفيين من ٢٠ دولة رأسمالية . وجرى الاتفاق في هذا الاجتماع على أن يكون الخط الاساسي في المؤتمر الصهيوني هو : تشديد الهجوم على الاتحاد السوفيتي .

وتمهيدا لهذا الخط ، زادت محطات الارسل الاذاعي الموجهة ضد الاتحاد السوفيتي ، بلغات اليديشي والعبرية والروسية ، من برامجها وساعات ارسالها .

وعند افتتاح المؤتمر وعلى مقربة منه ، وقع صدام بين المتظاهرين المعادين له وبين البوليس الاسرائيلي . حيث كان قد تجمع أكثر من اربعمائة متظاهر ينتمى معظمهم الى منظمة « الفهود السود » ومجموعات اليسار الجديد الاسرائيلية . وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات أهمها القرار

— تقارير الشهر —

البرلمان على هذا القرار ، في قول وزير التربية والتعليم ، ان حركة الطلاب ترتبط « بالهستيريا الايديولوجية » ، وترمى الى « خلق موقف ثوري على اساس من صراع الطبقات » ، أما رئيس الوزراء فقد ركز حججه سواء في البرلمان أو الصحافة على :

● ان أيد أجنبية في الشرق العربي وفي أوروبا ، تقف وراء حركة الطلاب الأخيرة .

● ان هذه الحركة ليست ذات طابع فتوى أو نقابي ، تتعلق بمطالب طلابية ، بل ان لها أهدافا سياسية واضحة ومحددة .

● أنه سيستخدم كل الحسم اللازم حتى « لا يمد هذه الجريمة فعلا الى المدارس الثانوية » ، على حد تعبيره .

ولكن سبق السيف العزل وامتد الاضراب فعلا الى طلاب الثانوي ، واستمر اضراب طلاب الجامعة ، رغم اعلان الحكومة انها سحبت المنح الدراسية والرواتب التي تمنحها لهم للضغط عليهم . الامر الذي يؤكد ان مصير البلاد ومستقبلها ، هو القضية التي تشغل بال الطلاب ، لا مصالحهم كفتة ضيقة ، وانهم في هذا يعبرون عن ضمير ووجدان أمتهم ، وانهم على استعداد لتحمل كل النتائج المترتبة عليه . وبالفعل فقد رفع الطلاب شعارات سياسية — ذكرها الهادي نويرة في البرلمان — وهي : ان ١٤ عاما من الحكم البورقيبي يساوي ١٤ عاما من القهر والارهاب ، وان المسؤولين باعوا البلاد لأمريكا مقابل الدقيق (أشارة الى المساعدات الأمريكية لتونس) .

والواقع ان غضبة الطلاب ، واضرابات العمال المتكررة والتي قمعتها الحكومة بعنف وقسوة ، تعكس حالة من « اليأس » من اصلاح نظام الحكم ، خاصة بعد المؤتمر الثامن للحزب الذي عقد في أكتوبر الماضي والذي اتضح فيه الانشقاق الكامل بين المجموعة الحاكمة ، وتكون تياران ذهبا في عدائهما لبعضهما كل مذهب . ومما مجموعة الهادي نويرة رئيس الوزراء ومحمد المصمودي وزير الخارجية ، ثم مجموعة المستيري وزير الداخلية والدفاع السابق والباهي الادغم رئيس الوزراء السابق . ورغم ان الحكومة ، وبورقية شخصيا ، قد أشرفا على اختيار مندوبي المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الدستوري (١٠٠٠ مندوب) بحيث يكون ولاؤهم للكتلة التي تحظى بتأييد بورقبيية وهي كتلة الهادي نويرة ، ورغم تدخل الرئيس في أعمال المؤتمر بإعلان تأييده « وثقته » في الهادي نويرة ، فان النتيجة جاءت على عكس ما يشتهي . فقد فازت الكتلة الأخرى (الادغم — المستيري) بأغلبية اللجنة المركزية

الخاص بضرورة دعم القدرة العسكرية لاسرائيل في مواجهة الدعم السوفييتي لمصر . وقرار آخر يلح على الزعماء الصهيونيين بضرورة الانتقال الى اسرائيل أو الاستقالة من الحركة الصهيونية . ولعل أخطر قرارات المؤتمر هو ذلك القرار القاضي بضرورة هجرة كل الصهيونيين الى اسرائيل ، وفصل كل من يتخلف عن الهجرة بعد ستة أعوام من عضوية المنظمة الصهيونية العالمية . وهي المنظمة التي تضم ٩٠٠.٠٠٠ عضو في اسرائيل وأنحاء العالم .

ومن الأمور ذات الدلالة ، ان معظم القرارات قد أجزت بأغلبية ضئيلة ، وان التناقضات قد اجتمعت بين المؤتمرين الى درجة الاشتباك بالأيدي أكثر من مرة . وانسحاب وفد « هراسا » الأمريكي الصهيوني من الجلسة الختامية احتجاجا على اقرار مشروع الهجرة .

ويعد هذا المؤتمر ، في التحليل الأخير ، نجاحا ساحقا للاتجاه الأكثر تشددا داخل الحركة الصهيونية ، والذي يقترعه حكام اسرائيل .

ومن المعروف ان هؤلاء قد نجحوا في منع ناحوم جولدمان — الرئيس السابق للمتمر الصهيوني — من حضور جلسات المؤتمر . وقد عرف عن جولدمان — الرئيس السابق للمؤتمر الصهيوني — العربي الاسرائيل ، ومطالبته بخضوع اسرائيل للمنظمة الصهيونية ، وهو عكس ما ينادي به حكام اسرائيل . مما فجر الخلاف بينه وبينهم ، علنا ، منذ حوالي ثلاث سنوات .

وبهذا المؤتمر تكون الحركة الصهيونية قد انتهت الى السير في الطريق الأكثر تشددا من الناحية العدوانية في مجال الصراع العربي الاسرائيلي والهجرة اليهودية الى اسرائيل .

■ تونس

ما وراء الصراع

على السلطة في تونس

بعد اجتماع دام خمس ساعات لمجلس الوزراء التونسي ، أعلن الهادي نويرة رئيس المجلس اغلاق كليات الاداب والحقوق والعلوم الاقتصادية بجامعة تونس الى نهاية شهر سبتمبر القادم . وبعد مناقشة هذا القرار في الجمعية الوطنية التونسية ، صدر قرارها بتأييد موقف الحكومة وتحية مبادرتها في هذا الصدد . وتتلخص الحجج التي قدمها المسؤولون الحكوميون للحصول على موافقة

وبالمراكز الاولى فيها . فقد جاء ترتيب الادغم الاول والمستيري الثاني . أما رئيس الوزراء فقد جاء ترتيبه السادس . ثم حدثت معركة بين بورقيبة الذي أراد أن يختار هو المكتب السياسي وأمين الحزب ، وبين اللجنة المركزية (٥٨ عضوا) التي رأت أن ذلك من حقها ، وأعلن بورقيبة أنه سيختار ٢٠ شخصا تختار اللجنة المركزية منهم ١٦ عضوا للمكتب السياسي ، وهو ما حدث . ولم يختار بورقيبة من جاء ترتيبهم متقدما في انتخابات اللجنة المركزية ضمن العشرين الذين اختارهم ، فقد أسقط الادغم والمستيري واختار بدلا منهم من كان ترتيبهم الأخير في الانتخابات . ولم يسكت المستيري فقد أعلن لجريدتي « الفيجارو » و « الموند » الفرنسيتين ، أن المؤتمر كان تأييدا لرجالته ولخطه السياسي ، وأنه لن يستسلم للعدوان ، وأن أمين الحزب يختار ، ولن يرضى بفرضه .

وحاول بورقيبة تهديد المستيري واستمالته ، ولكنه لم يردع ، فأصدر بورقيبة بيانا بأقالته من الوزارة وتجميد وضعه الحزبي لأنه يهدد وحدة البلاد والامة .

والغريب أن المستيري ، الذي أخرج من الحكم مرات من قبل ، قد اختلف موقفه هذه المرة ، واختار التشدد والصراع ، مما يؤكد ضعف موقف بورقيبة وتجرؤ اتباعه على الخروج عليه علنا وصراحة لاحساسهم بضعفه . ويلمح المراقبون لاحوال تونس أن المستيري ، يحظى بتأييد الولايات المتحدة ، في حين أن الكتلة الاخرى تحظى بتأييد فرنسا . كذلك فإن المستيري يحظى بمساندة ملاك العاصمة من التجار والبيروقراطيين وملاك العقارات ، أما الكتلة الاخرى ، فتكمن قوتهم في مدن الساحل ، في ملاك الاراضي فيه والسماسة والموظفين أيضا .

وفي صراعه على السلطة ، يعمد المستيري أن ارتداء زي « ليبرالي » يدعو فيه الى الديمقراطية في الحزب والحرية السياسية ، ويتهم خصومه بأنهم محافظين . ويقول المراقبون المحايدون في تونس أن حقيقة الامر أن المستيري لا يختلف كثيرا عن خصومه ، فهو بطل الاطاحة يا محمد بن صالح وزير التخطيط السابق وصاحب سياسة « الاشتراكية الدستورية » والتخطيط على الطراز البورقبي ، فضلا عن مسئوليته عن مطاردة وتعقب الضباط المعارضين ابان توليه وزارة الدفاع ، مما يوضح أن السلطة فقط هي عاينته وهدفه . حتى اثارته للتناقضات الاقليمية « الجبهوية » لا تستهدف تحقيق مصالح سكان العاصمة على حساب سكان الساحل ، بل استخدامها كأداة في صراعه ضد المجموعة الاخرى وهي من الساحل أساسا .

والصراع الحالي يعكس أن حلفاء الامس في الاطاحة بين صالح ، قد بدأوا في التناحر على اقتسام التركة ، وقد أعلن بورقيبة ندمه على عقد مؤتمر الحزب . وهو أول مؤتمر يعقد من ٧ سنوات . لأنه كما يقول بدلا من أن يقضى على الخلاف فقد فاقمه ، وأكد « أن المزيد من الديمقراطية يخلق عدم الاستقرار والفوضى ، كما يحدث في البلاد الاخرى » . وأعلن أنه يمنح كل ثقة للحرس القديم بقيادة « فويره » . وهو رفيق بورقيبة من عام ١٩٣٦ . وساعده في مواجهة « صالح بن يوسف » وكان المستيري وهو أصلا من انصار بن صالح ، قد انقلب عليه بدوره تحت اغراء الفرص التي اتاحها له بورقيبة .

■ المغرب

دوامة المغرب الجديدة

بدأت في المغرب محاكمة ١٠٨١ من المتهمين في قضية التحرك الانقلابي ضد الملك الحسن في قصر « الصخيرات » في يوليو الماضي أثناء احتفاله بعيد ميلاده الثاني والاربعين . ولكن الانقلاب فشل نتيجة الخلاف بين قادته في اللحظات الحرجة حول مصير الملك . فقد رأى بعضهم ضرورة التخلص منه ، في حين فضل الجنرال مدبوح السماح له بمغادرة البلاد في سلام ، وأخير زملاءه - غير صادق - أن الحسن غادر البلاد فعلا في حين أن هذا كان حبيب الحمام في القصر الملكي ، مما استثار أحد القواد الاخرين فأطلق النار على مدبوح ورد هذا الأخير بالمثل ، وبدأ كذب للحسن حياة جديدة .

وابسط ما يمكن استخلاصه من هذه الواقعة هو أن الانقلاب لم يكن له خط واضح حتى في المسائل العملية ، وبالطبع لم يكن له خط واضح في المسائل الاجتماعية ، وبالطبع لم يكن له خط سياسي وبرنامج يجعلها مؤثرة ومحقة لنتائجها .

والواقع أن الحركة كانت اساسا نوعا من « السخط التلقائي » اختلط باغراض خاصة للبعض وأن لم يكن هذا هو التيار الغالب والسبب الاساسي لهذا السخط هو الفساد الذي استشرى في البلاد ، فقد وجد في منزل الجنرال مدبوح عند تفتيشه بعد الانقلاب صندوقا مليئا بمظارييف بكل منها مبلغ مكتوب عليه تاريخ اهدائه من الملك الحسن لمدبوح ، ووجدت هذه المبالغ كما لم تمس ، مما يؤكد نزاهة الرجل .

سواء بتعيين الاتباع فى القيادة ، أو مراعاة الاصل الطبقي للضباط ، وكذلك تدعيم أجهزة المخابرات والمتابعة والاستعانة فى ملاحقة المعارضة فى الجيش بمخابرات الولايات المتحدة وفرنسا ، فان روح التذمر والسخط وعدم الرضاء تستشرى فى الجيش بفعل :

● الدعاية السياسية التى تروج لها الاحزاب المعارضة خاصة ذات الاتجاه الاشتراكى والقومى (الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية ، وحزب التحرر والاشتراكية ، ومجموعات الدراسة ، والبحث من الطلاب والدارسين فى الخارج) .

● صور الفساد التى استشرت حتى أصبحت ظاهرة عامة ملحوظة لكل ذى عينين :

● الخط اللاقوى الواضح للحكم المغربى ، وابتعاده عن أى عمل جاد فى سبيل القضايا القومية المشتركة كالقضية الفلسطينية أو غيرها ، وكذلك مناوئتها لفكرة وحدة المغرب العربى

ويتوقع بعض المراقبين لاحوال المغرب ، أن الحسن لو توصل الى اتفاق مع حزبى الاتحاد والاستقلال - وهو لن يكون اتفاقا مبدئيا يقوم على أسس راسخة بل على اعتبارات مؤقتة حتى فيما يتعلق بتحالف الحزبين نفسيهما - فان هذا الاتفاق يتوقع له الفشل بسبب أن ظروف المغرب تستدعى قلبا ثوريا لهياكله الاقتصادية والاجتماعية ، ومن ثم فان الجيش سيصبح حينذاك مدعوا للتدخل وتولى الامور بنفسه . والصحافة الغربية نفسها تطرح هذا الامر كاحتمال قائم .

والنقطة الاخرى فى سياسة الحسن ، هى ما اسماه مقاومة الفساد والظلم . ففى خطاب تكوين الحكومة الجديدة فى ٤ أغسطس الماضى - أى بعد الانقلاب بأيام أعلن الحسن انه « يجب القضاء على ذلك النظام الذى يجعل الاغنياء أشد غنى والفقراء أشد فقرا » ، ويجب اصلاح الاقتصاد والتعليم والقضاء والادارة ، وان كل الامور يجب إعادة تنظيمها على أساس المساواة . وفى ٢٠ أغسطس القى خطابا آخر أكد فيه أن كل مواطن يجب أن يتمتع بمستوى معيشى ملائم ، مسكن مناسب صحى ووسائل مواصلات سهلة ، وبلغ استهلاكية حديثة . وانطلق وزراء الحسن ينشرون هذه الاقوال ، وتم تخفيض لبعض الضرائب غير المباشرة على بعض السلع الاستهلاكية ، خاصة السكر والدراجات والراديو الترانزستور ، ولكن هذا التخفيض كان يقل كثيرا عن الزيادة التى طرأت فى الفترة الاخيرة على أسعار هذه السلع . وأدخل نوع من الضرائب التصاعدية ، فالدخل السنوى الذى يقل عن ٢٠ ألف درهم (١٦٠٠ جنيه استرلينى) لا يدفع ضرائب ، والذى يبلغ من ٢٠ الى ٣٠ ألف يدفع ٣ فى المائة ، اما الذى يزيد دخله عن مليون درهم فيدفع ٣٠ فى المائة .

ويؤكد المراقبون المطلعون أن الملك الحسن كان قد قتل ٤٥٠ شخصا من ضمنهم معظم قواد جيشه الكبار وضباطه العظام بعد محاولة الانقلاب . وكان ذلك بمثابة صدمة له فالجيش الذى بذل الملك كل جهده ليجعله أداة للحفاظ على عرشه ونظامه ، وجعله حكرا على ابناء الارستقراطية ، قد انقلب عليه وتحرك ضده فى وقت لم يكن الملك فيه يتوقع ذلك .

ورغم أن الملك أدلى عقب الانقلاب بسلسلة من التصريحات العنيفة هدد فيها الشعب عامة والمعارضة خاصة وخيرهم بين الملكية والشيوعية والفوضى ، فان الدرس الذى تلقاه بعدم الامكان الاعتماد كثيرا على الجيش ، جعله يسير فى ثلاثة خطوط متوازية ، هى الحوار مع الاحزاب ، ومحاصرة الجيش ، وما اسماه مقاومة الفساد

ورغم أن المحاكمة الحالية قد تقلل من الانطباع برغبة الملك فى مهادنة المعارضة ، فانه قد يجعل من هذه المحاكمة ورقة فى المساومة مع الاحزاب ، خاصة الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية (حزب الشهيد بن بركة) وحزب الاستقلال (حزب علل الفاسى) ، واللذان لم يشتركا فى الحكم منذ حل برلمان ١٩٦٥ واخراجهما من الوزارة ، وقد دأب الحزبان من مواقع مختلفة منذ ذلك التاريخ على مقاطعة الانتخاب ودأبت السلطة على مطاردة اعضائهما ، بل وقتل بن بركة واختطاف آخرين من قادة الاتحاد ، وتحريم صدور صحف الحزبين وتلفيق المحاكمات لعضائهما . وقد بدأ الحسن فى شهر اكتوبر الماضى عملية جس نبض للحزبين ، وعقد بالفعل اجتماعين مع عبدالرحيم بو عبيد من قيادة الاتحاد ومع علل الفاسى رئيس حزب الاستقلال وسمح الملك لصحيفة حزب الاستقلال ، وهى « الراى » بأن تصدر من جديد دون مصادرة ، كذلك عادت الى الظهور صحيفة « استعلامات المغرب » المستقلة والتى توقفت عام ١٩٦٨ .

ويقال أن الملك يحاول تكوين وزارة مع هذه الاحزاب ، يحتفظ لنفسه فيها بالوزارات القابضة « وهى الداخلية والدفاع » ، ويترك للحزبين الاخرين وزارات الاقتصاد ليحقق على حسابها نوعا من الشعبية ولتتحمل هذه الاحزاب مسئولية اقتصاد متدهور فعلا .

ومع الاهتمام بالاحزاب السياسية لم يغفل الحسن الجيش فهو يصر على أن يتولى وزارته ووزارة الداخلية بنفسه ، يعاونه فى ذلك رجال من أمثال أوفقيير . كما أنه مازال يستخدم سلاح « الرشوة » فميزانية ١٩٧٢ زادت الانفاق على الجيش والداخلية لرفع المرتبات فيها (فى حين خفضت ميزانية الخدمات)

والواقع انه رغم محاولات التطويق والحصان ،

هناك اختلافات أساسية بين النظامين الاجتماعيين الصينى والأمريكى وخلافات كبرى بين الحكومتين، إلا أن هذه الخلافات لا ينبغي أن تحول دون إقامة علاقات طبيعية بين الدولتين على أساس المبادئ الخمسة للتعايش السلمى . واقتُرحت الصين علاقات طبيعية بين الدولتين على أساس المبادئ الخمسة للتعايش السلمى . واقتُرحت الصين الشعبية على الولايات المتحدة عن طريق شواين لاي فى ٢١ - ٢ الماضى إقامة علاقات طبيعية بين الدولتين ، ويعنى ذلك إقامة علاقات دبلوماسية بين واشنطن وبكين ، وهى مسألة لا بد وأن تحتل مشكلة فورموزا مكانة حاسمة بالنسبة لها .

وقد أكد هذا المعنى ادجار فور رئيس وزراء فرنسا السابق والخبير بالشئون الصينية فى حديث أدلى به فى ٢٠ فبراير الماضى لصحيفة «لوسوار» البلجيكية ، أوضح فيه « أن مسألة فورموزا هى أهم المسائل التى سيجرى بحثها بين الرئيس نيكسون والمستولين فى الصين . ولا يعنى هذا أن الصينيين يرغبون فى استعادة فورموزا غدا وإنما التأكيد على أنهم لن يقبلوا مطلقا ألا تصبح هذه الجزيرة صينية . ويرى فور أنه من الممكن أن يقترح الصينيون على الرئيس نيكسون خطوة أولى الغاء بعض أشكال المساعدة الاقتصادية والمالية والعسكرية التى تقدمها الولايات المتحدة لحكومة تشيانج كاي شيك .

وفىما يتعلق بالمشكلة الفيتنامية يعتقد فور أن الصينيين سوف يصرون فيها على موقفهم المقاتل بأن « فييتنام هى مسألة تخص الفيتناميين » وأنهم قد يشيرون على الرئيس نيكسون بسحب الجيش الأمريكى من جنوب آسيا .

ومن الناحية الاقتصادية اعتبر ادجار فور فكرة « مشروع مارشال » بين الولايات المتحدة والصين فكرة « غير معقولة » ، لا بسبب وجود اعتراضات عاطفية أو عقائدية من جانب الصينيين على التعامل اقتصاديا مع الولايات المتحدة ، وإنما لاعتقاد فور بأنه من غير الممكن للصين أن تطلب أو تقبل ما يسمى « بمساعدة مجانية أو قرض لا يسهل » . وبالإضافة إلى ما أوضح فور فلا توجد لدى الولايات المتحدة مصلحة فى الاتفاق على الصين الشيوعية مثلما فعلت بعد الحرب العالمية الثانية مع أوروبا الغربية لأهداف سياسية واضحة تتعلق بالسيطرة الأمريكية على أوروبا . ولكن ليس من المستبعد بأى حال مراعاة الولايات المتحدة على تنفيذ بعض المشاريع الصناعية التى تحتسبها الصين اسوة بما تم فى بداية عمليات التصنيع البربرى فى الاتحاد السوفىي .

كما أعلن الحسن زيادة أجر عامل الزراعة من ٣٧٥ درهم فى اليوم إلى ٥ دراهم ، وكذلك أن يكون أجر العامل الصناعى ٩٥٠ درهم فى الساعة ، ولكن هذه أجور « رسمية » خاصة فى الزراعة ، فضلا عن أنها حتى مع تطبيقها لا تكفل مواجهة الارتفاع المضطرب فى تكاليف المعيشة ، مما جعل الاتحاد المغربى للشغل ، والاتحاد العام لعمال المغرب يرفضانها .

وفىما يتعلق بالفساد وما يسمى بالحملة عليه ، فقد قبض الحسن على ٩ وزراء منهم عبد الكريم الأزرق وزير المالية حتى أبريل ١٩٧١ ويحيى الشنتاوى وزير الأشغال ، علاوة على عدد من كبار موظفى الدولة ورجال الأعمال بعد افتراسهم أمرهم وتقاضيهم رشوى ، كالرشوة التى دفعتها شركة « بان أميركان » وقدرها ١٨ مليون دولار للحصول على امتيازات لا تستحقها ، وتمت محاكمة ١٤٦ آخرين ، منهم عدد من ضباط الجوليس بتهمة الفساد ، وقالت جريدة «المكواليس» المغربية أن الحسن استعاد من بنوك سويسرا ٢٥٠ مليون درهم من أموال المتهمين المهربة . ويقول المراقبون أن هدف الحسن من هذه الأعمال يتمثل فى تحقيق شعبية على حساب قلة من عمد الفساد ، وأعداد « ملفات » للباقي لتهديدهم بها حتى لا يشاركوا فى أى عمل ضده ، وأنه لا يستطيع أن يمضى بعيدا فى حملة الفساد ، والا قبض على كثيرين من أعضاء الأسرة الحاكمة ومعظم وزرائه وخلصائه .

الصين الشعبية

زيارة كان يمكن أن

تكون أكثر فائدة

ركز عدد كبير من المراقبين السياسيين على الدلالة السياسية للكلمة التى القاها شواين لاي رئيس وزراء الصين الشعبية فى المائدة التى أقيمت فى ٢١ فبراير الماضى تكريما للرئيس نيكسون فى بكين ، وقد جاء فى هذه الكلمة : « أن زيارة الرئيس نيكسون تتيح لزعماء الدولتين فرصة اللقاء بصفة شخصية للعمل على إعادة العلاقات بين الدولتين إلى مجراها الطبيعى وتبادل وجهات النظر بشأن المشكلات ذات المصلحة المشتركة . وهذا التطور الإيجابى يتلاءم مع رغبة الشعبين الأمريكى والصينى ، وهو حدث لم يسبق له من قبل فى تاريخ الولايات المتحدة والصين » .

— تقارير الشهر —

وانج يون دو كبير المستشارين السياسيين **لتشيانج كاي شيك** فاضح « أنه إذا ذهب الرئيس نيكسون الى أبعد مما يجب في مباحثاته مع المايين ، فإنه من المرجح أن تؤدي المخاوف التي ستحس بها الدول الآسيوية الأخرى ، الى طلب المساعدة العسكرية السوفيتية . كذلك يبدى انصار شيانج كاي شيك في فورموزا مخاوفهم من أن يطالب ماو بالغاء معاهدة الدفاع بين الولايات المتحدة وتايوان » وإن كان من المعتقد أن الظروف لم تنهيا بعد لقبول الولايات المتحدة لمثل هذه الخطوة المتقدمة .

ويرى عدد من المراقبين أن هناك عدة عوامل لعبت دورها في تطور السياسة الخارجية الصينية في الفترة الأخيرة هي حوادث الحدود مع الاتحاد السوفيتي في ربيع ١٩٦٩ ، وإعلان نيكسون في صيف ١٩٦٩ عن اتباع « سياسة جديدة » تجاه آسيا وتزايد بروز دور اليابان والعسكرية اليابانية وتقارب اليابان مع الاتحاد السوفيتي في الفترة الأخيرة .

وليس ثمة شك في النهاية في أن عددا من تعليقات الصحف الشيوعية الأوروبية يمكن أن يلقي ضوءا موضوعيا على الموقف من زيارة نيكسون التاريخية للصين . فقد أوضحت صحيفة « لومانتيه » الفرنسية أنه « لا يسعنا إلا أن نبدي ارتياحا ازاء الحد من التوتر في العالم وقيام علاقات أفضل بين الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة والصين ، ولكن ماذا ينتظر الرئيس الأمريكي ليقدم دليلا على حسن نيته في الهند الصينية حيث لم يعد الاطفال يعرفون سوى عالم يدوي فيه قصف القنابل ويخيم عليه شبح الموت » وأشار مراسل وكالة تاينوج البرجوسلافية في بكين من ناحية أخرى إشارة ذات مغزى حين قال عن زيارة نيكسون في ٢١ فبراير الماضي « حسينا يبدو في الوقت الحالي أن الأمور بدأت بداية حسنة . إلا أنه لا ينبغي الانسحاق وراء أوهام كبيرة نظرا للخلافات الضخمة والاختلاف التام في المبادئ » بين الجانبين ، أما صحيفة « مورنج ستار » الشيوعية البريطانية فتري في زيارة الرئيس نيكسون لبكين « فضلا لمحاولات الامبريالية التي استهدفت عزل الصين عن الشؤون العالمية » . كما ترى « أنه كان من المحتمل أن يكون التقارب الصيني الأمريكي أكثر فائدة لو أن موسكو وبكين قد استطاعتا أن تعيدا العلاقات الطبيعية بينهما طبقا للرغبة التي أعرب عنها الاتحاد السوفيتي » .

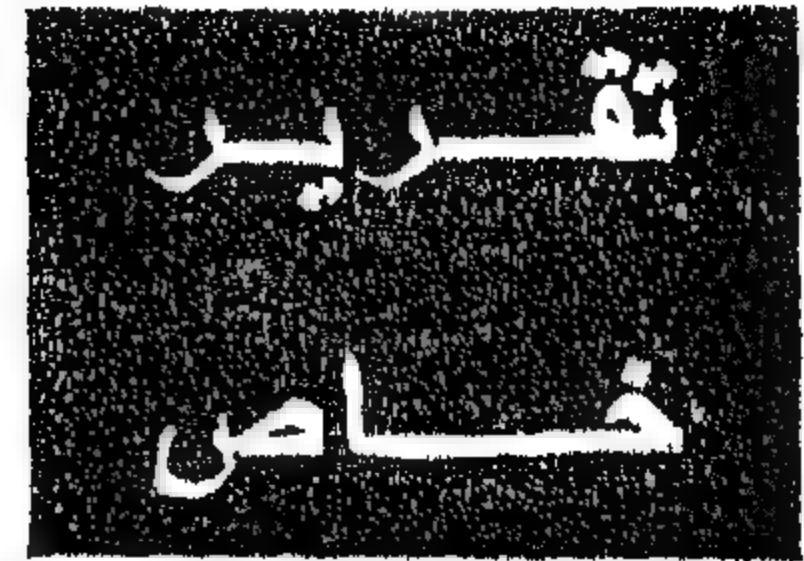
وعلى أية حال فليس ثمة شك في أن الأمريكيين أهينوا بخيبة أمل لعدم مشاركة الشعب الصيني في استقبال الرئيس الأمريكي ، وعدم ظهور أي أثر للجماهير الصينية في الطريق الذي قطعه الموكب الرسمي لنيكسون . لأن الاستقبال الرسمي البحت الذي لقيه نيكسون في الصين يختلف كلية عن الاستقبال الجماهيري الحافل الذي حظي به في دولة شيوعية أوربية (رومانيا) أثناء زيارته لها في أغسطس ١٩٦٩ ، حيث احتشد مئات الألوف من الرومانيين لتحيته بحماس كبير وكان ذلك الاستقبال حسبما أوضح عديد من المراقبين السياسيين من أكثر أحداث رحلة نيكسون حول العالم ، إثارة في ذلك الحين .

وجدير بالذكر أنه في الوقت الذي كان فيه الرئيس نيكسون يقترب من أراضي الصين ، شنت وكالة انباء الصين الجديدة هجوما عنيفا على رسالة نيكسون الى الكونجرس الأمريكي أعلنت فيه مساعدة الصين بحزم « لشعوب العالم في نضالها ضد العدوان الامبريالي الأمريكي . وطالبت فيه قوات العدوان » بأن تنسحب من الهند الصينية وكوريا الجنوبية وتايوان ومن كل المناطق التي غزتها واحتلتها ، لأن هذا هو موقفنا الذي لا يتزعزع » . وأشارت الوكالة الصينية الى أن رسالة نيكسون وتقرير ليرد وزير الدفاع الأمريكي يعكسان خصائص السياسة الأمريكية التي سما زالت وترتكز « على العدوان الشامل وعلى السلطة التي تساندها القوة » . كذلك ورح الصينيون على الصحفيين الأمريكيين عشية وصول نيكسون الى بكين كتابا يتضمن قائمة بالاتهامات ضد الامبريالية الأمريكية .

أما فيما يتعلق بموقف الانجاد السوفيتي من زيارة نيكسون لبكين . فقد أوضح يوري جوكوف معلق صحيفة « برافدا » في ١٧ فبراير الماضي أن الصحف البورجوازية قد نشرت عدة اختلافات حول موقف الاتحاد السوفيتي من زيارة نيكسون لبكين . ومن المعروف أن الاتحاد السوفيتي يرى أن الخطوات التي تمت من أجل إعادة العلاقات بين الولايات المتحدة والصين الشعبية الى حالتها العادية ، هي خطوات طبيعية ولكن بشرط ألا يتم ذلك على حساب مصالح الدول الأخرى . واضاف « أنه سيكون منطوقا أن يتم تحديد مغزى هذه الزيارة في ضوء مضمونها الحقيقي ونتائجها » .

أما موقف الهند فقد عبرت عنه « أنديرا غاندي » رئيسة وزرائها عندما أعربت عن ارتياحها للزيارة وأملها في نفس الوقت « ألا يجري في بكين اتخاذ موقف لا يتسم بالصدقة أزعنا » أما البروفيسور

مؤتمر تشريع العمل خطوة نحو توسيع الحريات الثقافية



السابق وينظر لقضيتهم على أنها قضية نضالية .
فمن الاغراق في الشكلية أن ندين وجوده في
التنظيم . . .

وجهة النظر هذه تؤكد أن زحفا من الطبقات
الوطنية قد حظ رحاله في قلب النقابات العمالية
التي هي في جوهرها تنظيمات طبقية خالصة
للعمال . وقد أدى ذلك بالضرورة أن أصبحت النقابات
العمالية وعاء لتحالف قوى ديمقراطية عبر عن
نفسه من خلال مؤتمر تشريع العمل الذي أثبت أن
ضريفة الطبقة العاملة للمثقفين والشخصيات غير
العمالية قد جعل البعض منهم ليسوا مجرد وطنيين
يعادون الاستعمار فحسب بل ثوريين يعادون
الاستعمار والاستغلال والتخلف . يشهد على ذلك
مناقشات المؤتمر وتوصياته .

العداء للاستعمار والاستغلال والتخلف

جاءت أوراق عمل المؤتمر ومناقشاته وأعماله
لتعكس طبيعة المشاكل القومية التي نواجهها ،
حيث ساعد على ذلك التوقيت الموفق لانعقاد
المؤتمر خلال فصل الربيع السياسي الذي يعم مصر
العربية هذه الايام ، مما وفر للمؤتمر وأعداده
مناخا ديمقراطيا الى حد كبير .

وأوراق عمل هذا المؤتمر كان من الممكن أن
تكون أكثر نضجا وحيوية ، وبالتالي أكثر قوة
ووضوحا في الموقف تجاه الثالوث المعادي لو لم
تكن الدراسات المقدمة للمؤتمر حكرًا لمجموعة من
المثقفين والفنيين من كبار موظفي وزارة العمل ومن
المحاميين البارزين في القضايا العمالية دون
مشاركة المثقفين من العمال الذين كان ينبغي أن
تتاح لهم الفرصة لتقديم اجتهاداتهم الخاصة
بتشريعات العمل الى المؤتمر . هذه الاجتهادات
المعبأة بمعاناة العمال وانفعالاتهم .

الديمقراطية الكاملة . .

وقد تجلّى المؤتمر كحدث هام من الناحية
السياسية والعمالية من خلال لجنة التنظيم النقابي
التي وصفها عدد العظم المغمري سكرتير عام
المؤتمر بأنها اللجنة الهامة والحيوية في المؤتمر . .
ولذا وفد على هذه اللجنة عدد من الشخصيات
النقابية البارزة مثل كامل العقيلي وحلمي فرج
وأحمد طه وإسماعيل الدملواوي وفتحي فودة
وجزرها المحامي العمالي زكي مراد والفكر
العمالي المعروف أمين عز الدين .

وأوضحت المناقشة أن الحريات النقابية
واتفاقياتها التي صدقت عليها بلادنا تدعو الى حق

بغض النظر عن البذخ الذي صاحب مؤتمر
تشريع العمل الذي عقد بالاسكندرية في بداية
فبراير سنة ١٩٧٢ . وبغض النظر كذلك عن حشود
الذهنيين والمهنيين التي وفدت بكثرة على المؤتمر
وذلك ممن يتمتعون بالعضوية النقابية العمالية
ويتربعون فوق قمم النقابات العمالية ، فقد كان
مؤتمر تشريع العمل يمثل محاولة جادة لزراعة
الديمقراطية من جديد لا في الوجود النقابي فقط بل
في الحياة العامة المصرية كذلك .

والشيء الذي يشد انتباهنا بشأن مؤتمر تشريع
العمل هو ما تفجر بداخله من روح ديمقراطية
تشير الى أن الجماهير الكادحة في عمومها توافقة
الى الديمقراطية لتستعيد عافيتها النفسية
والروحية استعدادا لمواجهة الاستعمار والاستغلال
والتخلف وخاصة بعد أن تأكد لهذه الجماهير أنه لا
يمكن أبدا مواجهة هذا الثالوث المعادي وهزيمته
بغير اشاعة الديمقراطية بعمق في كل نواحي
الحياة والمجتمع . .

والاجزاء المهمة من قوى الثورة التي اخصها
هنا تجلّى في العمال والمثقفين وعناصر من
الراسمالية الصغيرة ممن تمكنوا من الوصول الى
مواقع قيادية في الحركة النقابية بسبب الافتقار
الى الديمقراطية وتفشي التعسف الاداري في مجال
العمل والانتاج مما أدى الى تراجع المؤهلات
النضالية أثناء الانتخابات النقابية عموما . بينما
تصدرت المؤهلات الادارية مجسدة في شخص
المدير والرئيس والمحقق الاداري . وبالتالي وصل
بعض اصحاب هذه المؤهلات بسهولة الى قيادة
النقابات العمالية ، وخير شاهد على ذلك أن
مجلس ادارة الاتحاد العام للعمال يضم عددا كبيرا
من المهنيين « محامين تجاريين مهندسين »
والمديرين والرقساء . .

ولذا تحدث عبد العظيم المغربي السكرتير العام
الى جريدة « العمال » الصادرة في ٣ فبراير سنة
١٩٧٢ أثناء انعقاد مؤتمر تشريع العمل فقال
« وباعتباري محاميا فان رأيي في اشتغال المثقفين
بالحركة العمالية هو الترحيب بأن يظل التنظيم
النقابي عماليا بالمعنى العلمي للكلمة . . لكن مجال
الخدمة العامة ليس قاصرا على صنفه الشخص
وكونه عاملا أو غير عامل فالعبرة بمدى ارتباط
الشخص بمصالح ومشاكل وفكر الطبقة العاملة .
هنا كان المثقف مرتبطا بالطبقة العاملة بالمفهوم

— تقارير الشهر —

• وناقشت اللجنة التفرغ النقابي وانتهت الى تأكيد مبدأ التفرغ على حساب جهة العمل، وذلك بقصد مباشرة النشاط النقابي أو للقيام بمهام نقابية أو لحضور دورات تثقيفية وتدريبية • وبالنسبة للمسائل المالية وما يترتب عليها من مشاكل طالبت اللجنة بنقل الاختصاصات المتعلقة بمحاسبة التشكيلات الى التنظيم النقابي نفسه •

وقد ثار جدل حاد بخصوص ما ورد في ورقة العمل المقدمة الى اللجنة بشأن ان تختلف مدة الدورات النقابية حسب مستوى التشكيل ويقترح في ذلك أن تكون الدورة سنتين للجنة النقابية وثلاث سنوات للنقابة العامة وأربع سنوات للاتحاد العام للعمال ، وقد رفض اغلب أعضاء اللجنة هذا الرأي رغم ما فيه من جانب ايجابي يتمثل في سد الابواب أمام تدخل الجهات الادارية بقصد الاشراف على الانتخابات النقابية حيث يظل المستوى النقابي الاعلى يشرف على انتخابات المستوى الأدنى ، فالاتحاد يشرف على انتخابات النقابات • والنقابات بدورها تشرف على انتخابات اللجان النقابية • ولذا اوصت اللجنة برفع مدة الدورة النقابية الى أربع سنوات بالنسبة لكافة المستويات بدون أية تفرقة في المستويات النقابية •

علاقات تعاقدية :

تتضمن علاقات العمل في الحكومة والقطاعين العام والخاص كل هموم العمال ومشاكلهم ولذا كانت لجنة علاقات العمل ذات أهمية خاصة بدليل أنها اختصت بستة دراسات ترشدها في العمل • • وقد بدأت أعمالها بمناقشة العلاقة الملائحية والعلاقة التعاقدية وأيهما أفضل وأوفر حماية للعامل ، ووصل النقاش الى حد التساؤل عن اختيار الطريق الاشتراكي وهل يترتب عليه ضرورة النخلى عن الطبيعة والعلاقات التعاقدية. وقد برهن البعض على أن البلدان الاشتراكية تعتبر علاقات العمل علاقات تعاقدية • وفي تشيكوسلوفاكيا تعتبر علاقة تعاقدية حتى بالنسبة لموظفي الدولة! وانتهت اللجنة في هذا الشأن الى توصية مؤداها المطالبة بوجوب تحرير عقود عمل لكل العاملين في القطاعين العام والخاص وبذلك انتصرت فكرة العلاقة التعاقدية حيث يمكن حماية العاملين في رعاياها حتى في حالة الفصل وفقا للمطابع التعاقدية وانتقلت المناقشة الى تحديد فترة الاختبار ووقف أي تلاعب بشأنها في القطاعين العام والخاص والقطاع الحكومي • ولذا اوصت اللجنة بتحديد مدة ثلاثة أشهر في القطاعات الثلاثة على أن لا تتكرر في المنشأة الواحدة أو المهنة الواحدة • ولا يجوز إنهاء الخدمة أثناء فترة الاختبار الا اذا ثبت عدم صلاحية العامل ، وثبتت عدم الصلاحية بقرار من اللجنة الثلاثية •

وفي مجال الحقوق ناقشت اللجنة عددا من

العمال وحريتهم في الترشيح والانتخاب بغض النظر عن الجنس والدين والعقيدة السياسية • وهذا سأل البعض هل المقصود بذلك الغاء شرط عضوية الاتحاد الاشتراكي في الترشيحات النقابية ؟ فاجيب « بنعم » ، ومن ثم تطور النقاش بخصوص الحريات النقابية وتوفير الضمانات الديمقراطية لحامل العضوية النقابية وحمايته من التعرض المفاجيء « للمحو والكشط » وذلك باقرار التوصيات التالية :

١ - حق الاضراب وتنظيم المراكب السلمية كاسلوب مؤثر وفعال لتحقيق مطالب العمال العادلة •

٢ - حق العمال وحريتهم في الانتخاب والترشيح بدون قيود بها في ذلك التحرر من شرط عضوية الاتحاد الاشتراكي

٣ - عدم الجمع بين المنصب التنفيذي والمنصب النقابي •

وهذا ما دعا جاد رضوان صاحب ورقة العمل المقدمة الى اللجنة الى القول ، لا داعي لانص على حق الاضراب لعدم وجود نص في التشريع العمالي بمنع الاضراب • •

وبصدد عضوية الاتحاد الاشتراكي كشرط في الترشيحات النقابية قال عبد العظيم المصري سكرتير الاتحاد العام ان هذا المطلب يمثل امنية سوف تتحقق بمضي الايام بفضل كفاح العمال ونضالهم • اما المطلب الملح في نظري هو حماية حملة عضوية الاتحاد الاشتراكي أنفسهم من التعرض للشطب والمنع عند الترشيحات النقابية •

اللجنة الام :

لا خلاف على أن لجنة التنظيم النقابي كانت بمثابة اللجنة الام في مؤتمر تشريع العمل لانها اللجنة التي اختصت باعداد تنظيم نقابي ديمقراطي وثرى ، أي تنظيم يكون الوسيلة الكفاحية والنضالية للطبقة العاملة لبلوغها غايتها الاجتماعية في التحرر والتقدم والرفاهية •

وقد استقر رأي اللجنة على تأكيد وضع الحركة النقابية ومسئولياتها وخاصة حرية الانضمام للتنظيم النقابي وحقه أي التنظيم • في المفاوضة الجماعية واهرام العقود ، والغاء الروابط العمالية باعتبارها شكلا متخلفا من التنظيم العمالي • وفي هذا الاتجاه اوصت اللجنة بضرورة حماية النشاط النقابي وذلك بحصانة أعضاء مجالس ادارة النقابات العمالية ضد اجراءات السلطة الادارية وجعل هذه الاجراءات من اختصاص الجهات القضائية على أن تمتد هذه الحصانة الى عدم جواز نقل العضو أو نديه أو اعارته الا بعد موافقته على ذلك كتابيا مع معاقبة كل من يخالف ذلك جنائيا •

الاقتراحات أبرزها النص على تقييد سلطة المنشأة فى وضع لوائح النظم الداخلية الا بمعرفة الجهة الادارية المختصة وذلك باعتبار أن هذه اللوائح من الشروط المتممة للعقد ، ولم توافق اللجنة على هذه الفكرة .

ولكن سياسة « التأديب » شددت اهتمام اللجنة حيث طالبت بوقف تفشى ظاهرة الاحالة للاستيداع التى تهدد العاملين بالحكومة باعتبارها عقوبة قاسية ولهذا اوصت بإلغاء نظام الاحالة الى الاستيداع وانتقلت الى مناقشة العقوبات السارية فى القطاع العام . وانتهت الى إلغاء عقوبة خفض المرتب والوظيفة على السواء . وكذلك إلغاء المادة ٤٩ التى تعتبر مخالفة للدستور لانها تحرم العمال من حق التقاضى وفى الوقت نفسه تحض قرار رئيس مجلس الإدارة بالبت فى التظلم المقدم من العامل بخصوص الجزاء الموقع عليه وتجعل هذا القرار غير قابل للنقد .

وقد تعرضت الدراسات المقدمة للمؤتمر لموضوع اللجنة الثلاثية أكثر من مرة ، حيث اوصت اللجنة بجعل قراراتها ملزمة وأن تتوسع اختصاصاتها فى التى تقرر صلاحية العمال الجدد أو عدم صلاحيتهم وتنظر فى تظلمات الاجور والترقيات والدرجات وكل ما يمس حياة العامل المعيشية .

وانتهت اللجنة بتوصية تشكيل مجلس أعلى للاجور والاسعار يمثل فيه العمال وأصحاب الاعمال يختص برسم سياسة الاجور على المستوى القومى . وان تشكل من خلاله لجان فرعية لرسم سياسة الاجور على المستوى الصناعى ، ووصت كذلك بالتقريب بين الحد الأدنى والأعلى للاجور التى تبلغ نسبتها وللأسف كما اوضحت المناقشات واحد الى ستة وثلاثين وان كان يبدو انها واحد الى خمسة وخمسين وفقا لتقدير أحمد فهميم الرئيس الاسبق للاتحاد العام .

وبصدد علاوة غلاء المعيشة طالب ممثلو عمال القطاع الخاص بضرورة اصدار توصية بشأن استمرار علاوة غلاء المعيشة وفقا للأمر العسكرى رقم ٩٩ لسنة ١٩٥٠ ، وبخاصة أن العلاوة الدورية التى اوصت اللجنة بسريانها على عمال القطاع الخاص هزيلة ولا تزيد على ٥ فى المائة من جملة أجر العامل ولكن اللجنة لم تستجب لهذا الرأى .

تنظيم العمل :

تكافح الطبقة العاملة المصرية تاريخيا من أجل تخفيض ساعات العمل . ولهذا ناقشت « لجنة تنظيم العمل » تطور تحديد ساعات العمل فى مصر منذ بداية هذا القرن حيث بدأ تحديدها بالنسبة للاحداث العاملين فى محاليج القطن وذلك سنة ١٩٠٩ - كما تعرضت الدراسة المقدمة بهذا الشأن للاتفاقيات الدولية الخاصة بساعات العمل وأصدرت توصية بتحديد المستوى العام لساعات

العمل باثنين وأربعين ساعة فى الاسبوع . وبالنسبة للاجر الاضافى رأت احدىة العامل فى الاجر الاضافى وعدم تقييده بحد اقصى معين أو نسبة معينة . وطالبت تحقيق المساواة فى المعاملة بالنسبة للاجازات وذلك بين القطاع الخاص والقطاع العام والحكومة .

التشاور والتعاون :

يؤكد تاريخ العمال المصريين الاهتمام الزائد بالعمل الجماعى ومدى الفائدة المرجوة منه ولذا خصص المؤتمر لجنة « للتشاور والتعاون وعلاقات العمل الجماعية » ، حيث رأت هذه اللجنة أن التشاور والتعاون فى مجال الانتاج يمثل ضرورة فى القطاع العام وفى القطاع التعاونى كذلك . ولهذا اقترحت اللجنة انشاء مجلس أعلى للعمل يمثل فيه الاتحاد العام للعمال والنقابات العامة بنسبة لا تقل عن ٥٠ فى المائة من أعضائه . وبالإضافة الى ذلك ناقشت اللجنة موضوع التوفيق والتحكيم ووصت أن تختص هيئة التحكيم بالمنازعات التى تنشأ عن تطبيق عقود العمل الجماعية على أن يتم تسوية المنازعات فى ظرف ثلاثين يوما .

قضايا متروكة

رغم أن الدراسات المقدمة الى المؤتمر ومناقشاته رددت ألف مرة ومرة عبارة التحول الاشتراكى ، والانتاج الاشتراكى ، والادارة الاشتراكية . و « قوة العمل لم تعد سلعة » . لم يذكر المؤتمر شيئا عن الاجر الاشتراكى ولم يصدر توصية بشأن الاخذ بمبدأ الكفاية والعدل فى توزيع الاجور وفقا للصيغة الاشتراكية القائلة . من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله . ولم يوص أيضا بالاخذ بمبدأ الاجر المتساوى للعمل المتساوى بغض النظر عن الجنس والدين والعقيدة السياسية . وذلك تطبيقا للاتفاقية رقم ٩٠ الصادرة من هيئة العمل الدولية بشأن الاجر المتكافىء للعمل المتماثل والتى صدقت عليها مصر العربية وجاء فى مادتها الاولى . ضمان تطبيق مبدأ تكافؤ الاجور بين العمال الرجال والعاملات عند تماثل العمل ، وذلك على جميع الأشخاص العاملين فى مصالح الحكومة والبلديات . وجاء فى مادتها الثانية . يطبق مبدأ تكافؤ الاجور عند تماثل العمل بين العمال الرجال والعاملات المستخدمين فى كل المهنة غير الواردة فى المادة الاولى ، وذلك عند تحديد معدلات الاجور الدنيا أو غيرها فى الصناعات أو المصالح التى تقوم فيها السلطة العامة بتحديد هذه المعدلات . وفى الصناعات التى تملكها الدولة وفى الاعمال التى تنفذ بموجب عقود تبرمها سلطة عامة .

ولقد فات على المؤتمر أيضا أن يؤكد بشكل بارز

— تقارير الشهر —

حدود الالتزام التام بالخطة العامة للدولة . وفي حدود الالتزام الشديد بمصالح الشعب والعمال .
(ب) مناقشة واتخاذ موقف في قرارات الفصل والنقل والتنزيل من الدرجة . وكذلك تعديل قرارات الترقية والعائها وتثبيتها . وتعديل تقارير النشاط السنوي للعاملين .

(ج) انتخاب وعزل أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين بعد عملية تقييم لنشاطهم ونقدهم . .
(د) الاقتراح بعزل ونقل وإبعاد أعضاء مجلس الإدارة المعينين وكبار الموظفين . وكذلك الاقتراح ببقائهم وتثبيتهم وترقيتهم . ووضع تقارير النشاط السنوي الخاصة بهم على ضوء فعاليتهم في تنمية الانتاج وزيادته . وعلى ضوء علاقاتهم العامة بالعاملين . .

مادة ٣ - : يستمر مجلس الإدارة في حالة انعقاد طول السنة ، ويرشح من بين أعضائه رئيساً ومنذوباً لعضوية مجلس إدارة المؤسسة النوعية على أن يرشح واحد من الأعضاء المنتخبين وواحد من الأعضاء المعينين . وذلك للتصديق على هذا الترشيح من الجهة المختصة .

ويختص مجلس الإدارة بمباشرة سلطات مؤتمر العاملين ، ويكون مسئولاً بشكل جماعي عن إدارة الوحدة الانتاجية طوال السنة .

مادة ٤ : من حق أعضاء التنظيمات الشعبية . . النقابات . . النقائش والاطلاع على سجلات ووثائق الوحدة الانتاجية وكذلك حضور جلسات مجلس الإدارة كأعضاء مراقبين ومستمعين .

وبخصوص هذا الاقتراح وغيره فمن الواجب دراسة كافة الاجتهادات التي سوف تثرى تشريع العمل الجديد وتجعله عادلاً وديمقراطياً .

ختام سياسي . .

واختتم المؤتمر أعماله ببيان سياسي أكد فيه أن المواجهة الشاملة مع الامبريالية الامريكية ثم الصهيونية العالمية وأداتها اسرايل وكل قوى التسلط والاستغلال . وحدد بعض الحقائق كان من أبرزها :

● أن هدف العدوان الاستعماري هو الحيلولة دون حق الشعب العربي في بناء نظمه الثورية والتقدمية .

● أن الولايات المتحدة الامريكية هي قيادة الثورة المضادة في العالم . ومن ثم يقضى حشد كل طاقات الأمة العربية وضرب وتصفية كل أنواع النفوذ الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والفكري للامبريالية الامريكية فوق التراب العربي .

● نظراً لان هذه المعركة هي جزء من معركة الشعوب ضد الاستعمار والاستغلال . فإن العمال

على ضرورة ربط الاجور بالاقدمية والخبرة وبكل زيادة في الدخل القومي ، وبكل زيادة تطراً على الاسعار ، وبتقليل فوارق الاجور بنسبة يمكن تحديدها ، ويستثنى من ذلك العلماء والمخترعين وأصحاب العبقريات والمواهب العلمية والفنية . .

وفي كل أعمال المؤتمر وفي نصوص وثائقه ما يؤكد ملكية العمال لوسائل الانتاج . وهذا يشير الى أن المجتمع أعطاهم سند هذه الملكية وحجتها وبالتالي قد حملهم واجبات ومسئوليات التملك دون أن يعطيهم حقوق هذا التملك ومباشرة كافة شئون الملكية . وحتى مسئولية هذه الملكية لم تعط سلطة مباشرتها للعمال ، وخاصة انه لا توجد مسئولية بغير سلطة ، حيث تركزت كل السلطة في شخص الرجل الفرد . . رئيس مجلس الإدارة الذي يحيى ويميت ويرزق من يشاء بغير حساب . يشهد بذلك مما ورد في الدراسات المقدمة الى المؤتمر بشأن تمتعه بحصانة حتى ضد التقاضي أي اللجوء الى القضاء كأنه ملك اقطاعي لا يوجه اليه نقد ولا يسرى عليه قانون . كما يشهد أيضاً الواقع الذي يعيشه أعضاء مجالس الإدارة المنتخبين الذين أصبحوا مجرد أعضاء شرفيين وليسوا تقريريين . . ولهذا كانت أمنية الجماهير العاملة أن يتبنى المؤتمر مثل هذا الاقتراح وهو . .

(١) من أجل اشاعة الديمقراطية في الورشة والمكتب على السواء ينبغي تمكين العاملين عموماً من مباشرة حقهم المتساوي في حرية التصرف في شئونهم المشتركة بوحدة عملهم ، باعتبار « أن قوى العمل أصبحت هي المالكة لعملية الانتاج ذاتها شريكة في ادارتها » . كما ينص الميثاق . يجب « جمهرة » المسئولية والسلطة معا من خلال توسيع قاعدة الإدارة . وذلك بضرورة اضافة فصل جديد في مشروع القانون باسم الديمقراطية في مجال الانتاج ويتضمن المواد التالية :

مادة ١ : أن ينشأ في كل وحدة انتاجية يزيد عمالها على خمسين عاملاً تنظيمان رئيسيان للإدارة

(أ) مؤتمر جميع العاملين بالوحدة الانتاجية . .

(ب) مجلس إدارة نصف أعضائه على الأقل من العمال المنتخبين . .

مادة ٢ : يعقد مؤتمر جميع العاملين مرة كل سنة بدعوة من التنظيمات الشعبية في الوحدة الانتاجية أو بدعوة من ثلث عمال الوحدة الانتاجية ويختص بالنظر في المهام التالية :

(أ) مناقشة نشاط الوحدة الانتاجية عموماً من النواحي الانتاجية ، والاقتصادية والوظيفية . . العمالية . . عن السنة المنتهية وتحديد السياسة العامة لهذا النشاط في السنة المقبلة . وذلك في

ويعتبرون التشكيك في هذا الدور النضالي العظيم ، جزءا من المخطط الاستعماري لضعاف وحدة الجبهة الداخلية .

عطية الصيرفي

المصريين يدركون بوعي وتقدير دور الشعوب المحبة للسلام ومعسكر الاشتراكية العالمية وخاصة الاتحاد السوفيتي الصديق ، باعتباره الخليف الاساسي لشعبنا في معركة التحرير والمصير .

تقرير

خاص

ماذا تريد أمريكا في شرق البحر المتوسط ؟

اسرائيل ، ولا لمجرد أن تكون محطة لتزويد اسرائيل بالأسلحة والذخيرة والتسهيلات والمعلومات ، وإنما لتكون نقطة وثوب حقيقية على أي موقع في المنطقة تهب عليه رياح الثورة ضد المصالح الأمريكية عندما يحين وقت توجيه الضربات لهذه المصالح مباشرة .

والواقع أن اسرائيل لم تخف ارتياحها لاتفاق أمريكا واليونان على إقامة قاعدة بيرييه . وقال المعلقون العسكريون الاسرائيليون بوضوح أن هذا الاتفاق « يدل في الواقع على رغبة الولايات المتحدة في أن تكون موجودة ليس في غربى البحر المتوسط فحسب ، بل في شرقه أيضا . أي بالقرب من أحداث الشرق الأوسط » ، ولهذا فإن للاتفاق من وجهة النظر الاسرائيلية مغزى سياسيا واهمية استراتيجية .

المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط :

ويدل ما أذيع من الجانب الأمريكي واليوناني عن هذا الاتفاق الخطير - من أن أكثر من ٥ آلاف من مشاة الاسطول السادس سيقيمون بصفة دائمة في اليونان - على أن الولايات المتحدة إنما تعمل لأهداف بعيدة وذات طابع عسكري في الأساس في المنطقة . وإذا سلمنا بهذه المقدمة لابد أن نستنتج أن الولايات المتحدة تستشعر خطرا على أعمالها الاحتكارية في الشرق الأوسط مع ازدياد تازم مشكلة الشرق الأوسط ، وهي لهذا تريد أن تكون قريبة - بقوة عسكرية كبيرة وذات قدرة ضخمة على الحركة السريعة - من مسرح الأحداث في هذه المنطقة .

ويمثل التحرك الأمريكي السريع من أجل إقامة قاعدة بحرية دائمة في شرق البحر المتوسط واحدا من انعكاسات الفشل الاستراتيجي الذي واجهته الولايات المتحدة في شبه القارة الهندية في أحداث ديسمبر الماضي . فقد تصور خبراء « البنتاجون » (وزارة الدفاع الأمريكية) أن عدم وجود قاعدة دائمة لقوات أمريكية متحركة في منطقة أحداث الهند وباكستان وبنجالاديش قد حرم الولايات المتحدة من التدخل العسكري الفعال أو على الأقل حرمها من التأثير في سير الأحداث الخطيرة التي شهدتها شبه القارة الهندية . وعندما حركت الولايات المتحدة قوة بحرية ضخمة من أسطولها

في وقت ملأت فيه الولايات المتحدة جو العالم كله بحملة واسعة عن « الحشد البحري السوفيتي » و « ازدياد قوة البحرية السوفيتية » و « تغلغل النفوذ البحري السوفيتي » في المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط ، وحتى في المحيط الاطلسي جاءت مفاجأة اتفاق الولايات المتحدة مع الحكومة اليونانية على إقامة قاعدة للأسطول السادس الأمريكي في ميناء بيرييه اليوناني ، وهو متاخم للعاصمة اليونانية أثينا .

ولم يكن من شأن هذا الاتفاق أن يكشف الأغراض الدعائية من وراء حملة الشكوى من ازدياد قوة البحرية السوفيتية فحسب ، بل كان من شأنه أن ينبه شعوب منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط إلى أن للولايات المتحدة أهداف استراتيجية عسكرية في المنطقة تجعلها حريصة على أن يكون لها وجود عسكري دائم قريب من « النقاط الساخنة » في هذه المنطقة ، وقريب في الوقت نفسه من أراضي الاتحاد السوفيتي .

ويعيد اتفاق « قاعدة بيرييه » إلى الانهيار التجارب السابقة لمسلك الاسطول السادس الأمريكي في أزمات المنطقة . في أواخر الخمسينات - في لبنان والاردن - وفي فترة العدوان الاسرائيلي على الدول العربية في عام ١٩٦٧ . ومعنى هذه التجارب السابقة أن قاعدة جديدة دائمة للأسطول السادس في شرق البحر الأبيض المتوسط لن تكون إلا نقطة انطلاق لقوات التدخل العسكري الأمريكي في دول المنطقة بينما حدثت تطورات لا تلائم المصالح الامبريالية من الاحتكارية الأمريكية .

ولهذا السبب نفسه لا يمكن الفصل بين اتجاه الولايات المتحدة نحو اكتساب قاعدة بحرية دائمة لقواتها في اليونان وبين الموقف الراهن في الشرق الأوسط حيث تقوم اسرائيل بدور مخلسب القطب للأمبريالية الأمريكية . وقد بدا بوضوح أن الولايات المتحدة أدركت أن دورها في أزمة الشرق الأوسط لم يعد يحتمل الإدارة أو التمويه ، وأن الارتباط المباشر بين مصالحها والوضع الراهن الذي يخلقه الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية يستلزم إقامة هذه القاعدة ليس فقط لتكون أداة ضغط وتهديد وتلويح مستمر بالتدخل في صف

جزء يتبع تركيا .

نصيب العالم العربي من الخطة الامريكية
وهذا فان اتفاق « قاعدة بيريه » لستونول
السادس الامريكى هو جزء من مخطط امريكى
جديد لمنطقة شرق البحر الابيض المتوسط ، وربما
لحوض البحر المتوسط كله . ويرمى المخطط الى
زيادة ركائز الوجود العسكرى الغربى - الامريكى
فى الاساس - فى هذه المنطقة ، وهو ما يكفله اتفاق
قاعدة بيريه ، وخلق ضمانات لاستمرار الوجود
العسكرى التقليدى للغرب فى القواعد
القديمة - وهى قواعد مالطة وقبرص اساسا .
ولابد عند هذا الحد من وضوح المخطط الامريكى
واهدافه بالنسبة لهذه المنطقة التى ينتمى اليها
معظم العالم العربى - بامتداد السواحل العربية
على البحر المتوسط من المغرب الى لبنان - من آن
نضع هذا السؤال فى اعتبارنا : ما هو نصيبنا
ونصيب قضيتنا الخاصة بتحرير الارض العربية
من هذا المخطط ؟

والاجابة على هذا السؤال تؤكد ان موقفنا لا
ينفصل باى حال عما يجرى الان فى اليونان
وقبرص ومالطة ، ومصالحنا القومية لا تنفصل عن
الصراع الذى يخوضه شعب مالطة وقبرص ضد
الضغوط العسكرية والسياسية والاقتصادية
للولايات المتحدة وحلف الاطلسى لفرض حلول
واوضاع اطلنطية امريكية على شعوب المنطقة
كلها . وبنفس المعنى فان مصالح شعوب المنطقة
المباشرة او مايسمى بسياسة الزوارق المسلحة ،
مرتبطة فى هذا الصراع بمصالح الدول
الاشتراكية - وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى التى
تعمل المخططات الغربية فى هذه المنطقة
الاستراتيجية على محاصرتها بسلسلة من القواعد
العسكرية ان لم يكن لضربها فعلى الاقل للتأثير على
قدرتها على مساندة فضال الشعوب من اجل
استقلالها وتحررها ، وتطورها الاجتماعى ،
وتخليص ثرواتها من الاحتكارات الاجنبية .

وقد أكدت الدول الاشتراكية تنبئها الى اهداف
هذه التحركات الخطيرة الجديدة لأمريكا وحلف
الاطلسى فى شرق البحر الابيض المتوسط وخاصة
فى الاحتجاج الرسمى الذى وجهه الاتحاد
السوفيتى الى حكومتى الولايات المتحدة واليونان
ضد اقامة قاعدة للاسطور السادس فى بيريه .
وهو الاحتجاج الذى وصف هذا التطور بأنه اجراء
خطير لثرب عليه تعقيدات بالغة فى منطقة البحر
الابيض المتوسط والبلقان . وقد أكد الاتحاد
السوفيتى فى بيانه فى هذا الصدد « ان مثل هذه
الاعمال التى تقوم بها الولايات المتحدة لن تؤدي
الى شىء سوى الى قيام الاتحاد السوفيتى برد فعل
يتناسب معها » .

سمير كرم

السابع فى الشرق الاوسط نحو خليج البنغال ابان
حرب الهند وباكستان بدت حركه هذه القوة
البحرية الامريكية تهديدا مظهريا فاقد الفاعلية
حتى انه لم يثر سوى سخريه العالم . .
ان الولايات المتحدة تسجل بنشاطها الجديد فى
منطقه شرق البحر الابيض المتوسط عودتها الى
اسلوب ارسال السفن الحربية فى مهام قتراح
بين « استعراض العضلات » على سبيل التهديد
والفزع ، والتدخل العسكرى المباشر والسافر
لفرض حلول امريكية لمشاكل الدول الاخرى .

ضغط حلف الاطلسى

على مالطة وقبرص

ولهذا أيضا . فانه لايمكن الفصل بين
اتفاق « قاعدة بيريه » وبين استمرار حملة الضغط
الغربى - من خلال بريطانيا وحلف الاطلسى -
على مالطة لاجبارها على قبول شروط الحلف
لاستمرار استخدام قواعدها البحرية ضمن
استراتيجية الابقاء على البحر الابيض المتوسط
بحيرة غربية ، او بالتحديد بحيرة امريكية .

ومن المؤكد ان الولايات المتحدة - وهى الامر
الناهى فى شئون حلف الاطلسى كله - تخشى ان
تتكرر « أزمة مالطة » فى قبرص ليجد الغرب نفسه
مههدا بفقد قواعد البحرية والجوية فيها ، ولهذا
فانها - فى نفس الوقت الذى عقدت فيه اتفاقها مع
حكومة اليونان العسكرية لاقامة « قاعدة بيريه » -
دفعت هذه الحكومة الى الضغط بصورة لم يسبق
لها مثيل على حكومة الرئيس مكاريوس فى
قبرص . فدبرت دخول جنرال جريفاس سرا الى
الجزيرة وتزويده وتزويد اتباعه من انصار ضم
قبرص الى اليونان - اى ضمها رسميا الى حلف
الاطلسى بالاسلحة لاثارة المتاعب فى وجه حكومة
الاسقف مكاريوس التى ترى الاستقلال الكامل
الطريق الوحيد لتأمين مصالح الشعب القبرصى
وامنه أيضا .

وعلى الرغم من ان ضغط اليونان على حكومة
قبرص يتخذ اتجاه ضرورة ضم قبرص الى
اليونان - وهو ما تعارضه تركيا عضو حليف
الاطلسى لمصالح طائفية معروفة ، الا ان صوته
تركيا لم يرتفع هذه المرة باى نقد ضد الضغط
اليونانى على حكومة الاسقف مكاريوس . واذ
كان هذا الصمت التركى المريب يؤكد شيئا فانه
يؤكد وجود اتفاق وتنسيق داخل حلف الاطلسى
يجعل تركيا تسكت هذه المرة على خطط الضم ضد
قبرص . وهكذا يكون الاحتمال القائم الان - من
وراء اثار التوتر والمشاكل فى وجه حكومة قبرص
وسياستها الاستقلالية ان حلف الاطلسى - بزعامة
العسكرية الامريكية - يخطط لتقسيم قبرص بين
اليونان وتركيا . . اى الى قواعد تتبع حلف
الاطلسى سواء كانت فى جزء يتبع اليونان او فى



خيرى حماد

خيرى حماد

الثانية « فى مقدمة انجازاته فى حق الترجمة »
كما كان كتابه « الوحدة العربية فى المفهوم
الاشتراكى » آخر مؤلفاته حول هذا الموضوع
الهام

وبالرغم من المرض الذى هاجمه فى وقت
مبكر ، فقد ظل خيرى حماد مثابراً دؤوباً فى عقد
المؤتمرات لكتاب فلسطين والاشتراكيين مؤتمرات
الادباء العرب واجتماعات المجلس الوطنى
الفلسطينى ومؤتمر نصره الشعب العربى ..
وغير ذلك من اعباء تطلبت منه العمل الجاد
المواصل حتى لفظ انفاسه الاخيرة .

و « الطليعة » التى اسهم خيرى حماد بمقالاته
الوطنية على صفحاتها - ومن قبلها « صفحة
الرأى » فى الاهرام - تستشعر الالم العميق
لفقد هذا القلم الحر فى وقت ما احوجنا اليه ،
وتدعى كافة الجهات الى نشر تراثه غير المنشور
واعادة طبع ما نفذ من كتاباته المنشورة ، وتقييم
هذا التراث تقييماً موضوعياً أميناً .. فلعل هذه
تحية لخيرى حماد .

تعددت الثقافة العربية هذا الشهر كاتباً
ومترجماً كبيراً هو الاستاذ خيرى حماد رئيس
اتحاد كتاب فلسطين والسكرتير العام المساعد
لاتحاد الادباء العرب .

وقد ولد خيرى حماد عام ١٩١٧ فى نابلس
بالضفة الغربية ، حيث تلقى تعليمه الاول بالكلية
العربية بالقدس ، ثم تابع دراساته العليا بالجامعة
الامريكية فى بيروت . وقد امضى مرحلة من عمره فى
التعليم بمختلف أنحاء الوطن العربى ، ولكن ارتباطه
بالعمل السياسى دفعه بعد فترة للتفرغ نهائياً للقضية
الفلسطينية ، خاصة وأن الحكم الاردنى لم يتح
له العمل فى الاردن ، فقرر الإقامة نهائياً بالقاهرة .

وخلال العشرين عاماً الماضية تمكن خيرى
حماد بنشاط مؤبور وجهد متواصل من أن ينقل
الى اللغة العربية سستين كتاباً من عيون الفكر
السياسى الغربى ، مركزاً على ما اقترب منها من
قضية وطنه المملوك ، او ما كان ثمرة التجارب
النضالية لشعوب العالم الثالث أو شعوب العالم
الاشتراكى . وقد كان « سقوط الرايخ الثالث »
و « الاستراتيجية السوفيتية فى الحرب العالمية

كيف صفيت الامية في الاتحاد السوفيتي

مكتبة
الطلیعة

في العدد الماضي نعت الطليعة الى قرائها واحد من ألمع
كتابها الشبان .. د. أحمد حجي .

وأحمد حجي لم يكن مجرد كاتب مقائل ، يقتطع من
مشاغله كجندى على خط النار لحظات يكتب فيها للطليعة .
لكنه كان أيضا كاتباً مناضلاً ، يسعى لتحقيق ما يكتب
عنه .

وقد كتب أحمد حجي الكثير عن محو الامية ، لكنه لم
يكتف بذلك ، بل خاض بالفعل في قرينته سندوب تجربة
رائدة لمحو الامية هناك .

■ تاليف :

م . زيفوفيف
أ . بيشاكوف

■ عرض وتقديم :

د . أحمد حجي

■ الناشر :

دار الطبع والنشر
باللغات الأجنبية - موسكو

يحكى هذا الكتاب فصولا من ملحمة النضال
العظيم للشعب السوفيتي وتصميمه رغم ظروف
الحرب الاهلية ، واشتعال ثورة اكتوبر
الاشتراكية .. وما كان يعاينه الشعب السوفيتي
من فقر ومن متاعب القتال دفاعا عن الثورة ..
على ضرورة تصفية الامية وثقافة الشعب وتنويره
بقوانين الدولة الجديدة .. فقد كان لينين بين تلك
الاعباء الجسيمة يؤكد للكادحين انه (في الوقت
الحاضر ستصبح جميع معجزات التكنولوجيا وجميع
منجزات الثقافة في متناول الشعب) .. وعلى هذا
الاساس كان من الضروري أن تكون الى جوان
الثورة البروليتارية ثورة ثقافية أيضا تزرع المعرفة
وتجثث سخافات الماضي وحماقاته والتي سيطرت
على الكادحين زمنا طويلا وكانت اولى الخطوات
لثورة الثقافة هي تصفية الامية بين سكان
البلاد .. ففي ديسمبر سنة ١٩١٩ وقع فلاديمير
ايليتش لينين مرسوما بشأن تصفية الامية بين سكان
جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية
السوفيتية .. وأسند عبء العمل بدرجة اولى الى
كوادر الحزب والنقابات والمثقفين في أرجاء البلاد
والى اتحاد الشبيبة الشيوعي .. ذلك لاعتبار أن

تصنيفية الامية هو عمل سياسي بالدرجة الاولى
ايضا .

لكن لماذا تصنيفية الامية أولا ؟؟ . ذلك لان الشعب وفي نخاله دفاعا عن ثورة أكتوبر الاشتراكية كان متعطشا الى المعرفة والى اخضاع عدايات الماضى ومخاوفه وشكوكه . الى جانب ان وسائل الانتاج وعلاقات الدولة الاشتراكية الجديدة تقوم على التكنيك والعلم الحديث فأصبح من الضرورى رفع مستوى الفلاحين الثقافى والتكنيكى لتدعيم الزراعة التعاونية والنهوض بها وتدعيم الاقتصاد الاشتراكى وحمايته . وعلى العمال أيضا أن يفهموا القوانين الجديدة والعلاقات الجديدة فى الانتاج وأن يفهموا التكنيك ، ويسدوا على أعداء الثورة الطريق حتى لا يعودوا بالشعب الى الوراء وحتى لا يخربوا مؤسسات الدولة واقتصادها .

انه يكفى تأكيداً لاهمية تصنيفية الامية ما قاله لينين (ما بقيت عندنا فى البلاد ظاهرة كالامية يصعب جدا الحديث عن التثقيف السياسى ، أن هذا شرط لا يمكن بدون الكلام عن السياسة بدون ذلك لا يمكن أن يكون للسياسة وجود . بدون ذلك لا توجد السياسة ، بل توجد الشائعات والنمائم والافاصيص والاهام) .

وزارة التجهيل العام

ولكى يمكن استغلال الكادحين والشفيلة . . كان يلزم أن يعيش الشعب فى جهل تام حتى لا يبدى أية مقاومة . . ولذلك لم يكن فى برنامج الحكومة القيصرية تعليم الشعب وكان كبار الملاك والرأسماليين يعملون على ترسيخ هذه الحقيقة حتى بلغت الامية فى روسيا سنة ١٨٩٧ - ٧٦٧ فى المائة وبين النساء ٨٧٦ . . ولذلك أطلق لينين على وزارة المعارف القيصرية (وزارة التجهيل العام) . . قالى جانب هذه الملايين المحرومة من العلم كان المعلمون يعانون الضنك ويعاملون معاملة سيئة . . وكان هذا ما أراده الرأسماليون وكبار الملاك ، فالعمال والفلاحون يجهلون القراءة والكتابة ، ويجهلون بالطبع معرفة قوانين البلاد ، ومن السهل قيادهم واستنزاف جهودهم . . ونتيجة لما تسببت فيه (وزارة التجهيل العام) وكبار الملاك ، فقد تحملت ن . ق . كروبسكايا زوجة لينين ورفيقتة جهوداً فذة فى تعليم الاميين وتثقيفهم سياسياً وثقافياً عملاً بما قاله لينين (الامى يقف خارج السياسة . . وينبغى البدء بتعليمه الالف باء) .

فلتسقط الامية ؟

وبدأت فصول الملحمة . . فقد حدد المرسوم

اللينينى تصنيفية الامية بين المواطنين الذين تتراوح أعمارهم من ٨ الى ٥٠ سنة . . كما راعى المرسوم ايضا أن تهىء المصالح والهيئات والمزارع والمصانع الفرصة للاميين ليتعلموا دون أن يؤثر ذلك على أجورهم . وفى الفقرة الخامسة من المرسوم كتب لينين (للذين يتعلمون القراءة والكتابة من العاملين بالاجرة باستثناء العاملين فى المؤسسات الخاضعة للنظام العسكرى بخفض يوم العمل مدة ساعتين طيلة مدة التعليم مع الاحتفاظ بالاجرة كاملة) وذلك ما دفع كافة العاملين الى الاسراع للانضمام لمراكز تصنيفية الامية . . بل وساعد فى تزايدها قامت مدارس وفصول محو الامية الى النوادى والبيوت والمصانع والكنائس . . وكان ضمن برنامج المزارع التعاونية والتقى أعلنت تقول (فى سبيل مزرعة تعاونية انعدمت فيها الامية) تسهيل الفرصة على الاميين للدراسة . . وتقديم الكتب والاقلام والاشباب لفصول ومراكز محو الامية . .

وفى كل مكان على الجدران وفى الشوارع وعلى الارصفة كتبت الشعارات الثورية تثير حماس المثقفين والمتطوعين للعمل وتجذب الاميين الى الدراسة . . مثل (فلتسقط الامية) (الامية احتياطى أعداء الثورة) (القراءة والكتابة سيف يقهر قوى الظلام) .

(تصنيفية الامية قضية حيوية للشفيلة) (أيها المتعلم ساعد فى تعليم الامى وانضم الى جمعية فلتسقط الامية) (فلينهض الجميع لمكافحة الامية) .

ودخلت الى ميدان المعركة ضد الجهل والامية أجهزة الاعلام من اذاعة وسينما ومسرح . . وخصصت الصحف أعمدة ثابتة تشرح الموقف وما يجب عمله ، والعيوب التى يمكن اجتثاثها . . بل وصدرت جرائد خاصة للاميين مثل (مساعد التلميذ) و (جريدة الفلاحين المبتدئين فى القراءة) و (جريدة التهجية) . . ذلك الى جانب الاهتمام باعداد الكادر القادر على تصنيفية الامية وعلى تعليم الشعب وتثقيفه ، ولهذا الغرض أعدت اللجنة الاستثنائية لمكافحة الامية دورات دراسية للمدرسين والمتحمسين للقضية وقد بلغت تلك الدورات ٨٠٠٠ دورة .

لكن الاميين أنفسهم كانوا يعرفون من تلك الحركة النشطة للحزب والنقابات والمثقفين وتأكيد لينين بأنه (ينبغى لقضية النضال ضد الامية ضد الجهالة أن تصبح قضية الشفيلة أنفسهم) . . ما لتصنيفية الامية من أهمية . . لذلك ففى أى مكان وتحت أى ظروف كان الدارسون حريصون على تلقى العلم . . واليك ما قاله مارشال الاتحاد السوفيتى س . م . بوديونى بهذا الصدد (فى فوج من أفواج جيش الخيالة الاول رأيت المشهد

الثالثي : المفوض السياسي خلق على ظهور
الخيالة المتوجهين في صف منتظم الى خط
الجبهة اوراقا كتبت عليها الاحرف بخط كبير وكان
بين الفينة والفينة يرفع الحرية ويشير بها الى
ظهور الخيالة السائرين في المقدمة ويسأل الجنود
السائرين خلفهم - (أي حرف هذا ؟) . وتمضى
القافلة الى الجبهة ويحفظ الجنود حروف الالفباء
وفي آلاف المراكز المعدة لتصفية الامية يحفظ
الشغيلة أيضا حروف الالفباء تحت ظروف صعبة
.. لكن القائمين على التعليم وتصفية الامية كانوا
يتخذون ذلك الشعار الثوري (العمل مهما كانت
الظروف وتعليم الناس القراءة والكتابة مهما كلفنا
الامر) .. وحقا تكبدوا صعابا ومشاق كثيرة ..
ولكن قبل أن نعرض لها فلنعرض أولا لاشكال
التنافس والتعجيل بتصفية الامية وتطهير المناطق
منها .. في ليننغراد (انتشرت على نطاق واسع
الالواح الحمراء والسوداء فالمعلم أو الحى المتأخر
يسجل في اللوح الاسود فيتجه اليه الانتباه العام
وينتقد أعنف الانتقاد .. فقد صدرت مثلا في
بضعة ألوف من اللافتات الخضراء الصارخة
عبارة (معمل اليكتروبريبور في اللوح الاسود
لأحباطه تصفية الامية) ولصقت هذه اللافتات على
جدران المعمل وفي حاملات الترام . وقد جرح ذلك
عزة عمال المعمل وكانت الرغبة في الحفاظ على
سمعة المعمل حافزا على تنظيم عمل مكافحة الامية
في فترة قصيرة .. وفي معمل اليكتروايات اثناء
مداولات عامة لشغيلة المعمل قدمت لورشة احبطت
عمل تصفية الامية سلحفاة ترمز الى البطء صنعها
طلبة معهد الفن البروليتارى وبعد ذلك أنصرف
شغيلة الورشة بهمة الى تصفية الامية) بل ان
القوى كانت تتنافس فيما بينها حتى تنتهى من
تصفية الامية فتمنح العلم الاحمر وتقام المهرجانات
والاحتفالات بتطهير القرية من الامية والجهل .

الجديد في محو الامية في التجربة السوفيتية

- اضافة الى ما سبق تكونت فصائل الثقافة
وكانت من مجموعات المثقفين من المعامل والمصانع
والمدارس العليا .. وكان المثقفون يذهبون الى
القرى ويتنقلون بين واحدة وأخرى يلقون
المحاضرات وينقلون خبرة العمل في محو الامية من
قرية الى قرية وكان من بينهم اخصائون في الطب
والزراعة ومشكلات الريف - الى جانب ذلك فقد
اعتمدت التجربة السوفيتية في محو الامية على
اشراك العمال المتعلمين في تعليم الاعميين ونقل
الخبرة اليهم .

اما الاضافة الهامة التي قدمتها التجربة
السوفيتية في مجال تصفية الامية بحق هي ربط
تعليم الاعميين بمشاكل الحياة وقضايا الوطن ..
فقد كانت كتب التهجى القديمة تقول للاميين

« غداؤنا شوربة ملفوف وعصيدة » « صابون
ترابى غسيله أبيض » ولم تكن تهتم بتثقيف
ال جماهير سياسيا أو بتوسيع مداركهم العلمية
والفلسفية .. وكانت هذه المادة لا تجد اقبالا من
الاعميين .. تقول د . ي . بلكينا عضوة اللجنة
الاستثنائية لمكافحة الامية (عند قراءة الجملة
الاولى « ماشا طعمت العصيدة » ارتفع صوت
جمهورى ساخر ، كانت ماشا وكانت العصيدة ، اما
نحن فليس لدينا عصيدة ولا ماشا) ومن تلك
الملاحظة وضعت نصوصا جديدة للتدريس تعبر عن
مرحلة الثورة ودور الشعب الكادح فيها .. كتاب
(فلتسقط الامية) وحينما قال لها أحد الجنود
(نحن لسنا عبيدا .. والنصر لنا) أصبحت قولته
هذه أول جملة في كتاب التهجى (وتعلق ن . ق .
كروبسكايا قائلة (انها طريقة ربط التعليم بالحياة
الامر الذى كان ايليتش يطلبه على الدوام) ..
فالامى كان يحس بالحرية وبالرغبة في التعلم وهو
يقرا (نحن لسنا عبيدا .. والنصر لنا) وكان
يجهد نفسه في أن يتخلص من قيود الجهل ليتعلم
قوانين الدولة الجديدة وليتحمل دوره بسوى
ومقدرة في الانتاج ، وفي الحفاظ على السلطة
الاشتراكية .. وقد انفردت التجربة السوفيتية
بأشكال جديدة للمهرجانات الخاصة باحتفالات
الشعب بتصفية الامية من مؤتمرات ومهرجانات
واقامة متاحف لمخلفات الامية .. وكانت المراكب
تطوف الشوارع حاملة الشعارات التى تندد بالامية
والتي تطالب (ينبغي أن لا يبقى أى أمى أو شبه
امى خارج مدارس مكافحة الامية) .

وتتمثل الصعوبات في التمويل والقوى المعادية
لشعب والتقاليد .. ونتيجة لما أحدثته الحرب
الإهلية من متاعب .. وما قام به كبار الملاك
والرأسماليون من تخريب وتدمير للاقتصاد
كانت البلاد تمر بمرحلة فقر شديدة ، حتى ان بعض
مراكز تصفية الامية أغلقت أبوابها وتوقفت عن
تأدية مهمتها ففي سنة ١٩٢١ كانت بكل مديرية
١٦٠٠ مركز لتصفية الامية انخفض هذا العدد الى
١٥٠ مركزا سنة ١٩٢٢ .

واذا تناولنا كل مشكلة ، على حدة . فلنبدأ :
أ - التمويل : وقد حدد المرسوم اللينينى كيفية
توفير المواد اللازمة لمراكز تصفية الامية حيث يقول
في البند السابع (دوائر التمويل ملزمة بأن تؤمن
حاجات المؤسسات التى تستهدف تصفية الامية
وبأن تفضلها على المؤسسات الاخرى) .

وفي سنة ١٩٢٣ تكونت جمعية (فلتسقط
الامية) لهذا الغرض وكان لينين من بين أعضائها
البارزين وكانت لها فروع عديدة في المدن والقرى
لدراسة مشاكل تصفية الامية وتذليل الصعاب ، وفي

الفرصة لحضور الدروس في مدارس مكافحة الامية .

جوركي وماياكوفسكى بين الاميين :

واشتراك الكتاب والفنانين في تصفية الامية في الاتحاد السوفيتي يضيف الى الملحة فصلا آخر . . . فقد اشترك من الكتاب والشعراء امثال (ف . بيختريف وف . ماياكوفسكى . . . و . سيرافيموفيتش وديميان بيسدني وف . بريوسوف و . نيفيروف ومكسيم جوركي) وقد نظم ماياكوفسكى وهو من اعظم الشعراء السوفيت كتاب (الابجدية السوفيتية) في شكل اشعار ثورية . وكان جوركي يزور مدارس الاميين ويتحدث اليهم حول الدراسة والكتساب والثورة الاشتراكية ، واهمية الثقافة في مقاومة مخلفات الماضي الرجعية . . . وفي سنة ١٩٢٠ كتب مقالا بعنوان (كيف تعلمت) قال في نهايته (احبوا الكتاب ينزوع المعرفة . . . المعرفة هي وحدها طريق الخلاص وهي وحدها التي تستطيع ان تجعلنا اقوياء النفوس شرفاء وعقلاء) وكان جوركي صاحب فكرة ان تسجل للعاملات التي تعلمن القراءة والكتابة الاحاديث حول الثورة . . . والحياة المظلمة في عهد القيصر . . . وما أحدثه التعليم من تقدم في حياة الشعب (كما اقترح ف . م بيختريف تنظيم مدارس متنقلة يعلم فيها معلمون ينتقلون بين القرى وفي سنة ١٩٢٧ توفي بيختريف . ولكن المدرسة التي اقترحها كانت تعمل وكسان المعلمون المتنقلون يحملون المعرفة الى القرية) .

وقد أدى الشعر دورا عظيما في حماس المثقفين وفي دفعهم للمزيد من الجهد والتضحية كما كان يدعو الاميين في ثورية الى العلم والى اجتناب مخلفات الماضي مثل اغنية الشاعر ١ .

بيزيمينسكى :

هلموا اخوتي هلموا اشرعوا الرماح
على السكر على الفودكا والاقداح . . .
على الظلمة والوحل والاتراح
هلموا اخوتي وشدوا الخيل
ولنزحف على الظلمة والوحل . . .
ونستمد في يومنا والغد
من حب الناس
العزم والنجد
في استئصال جذور الماضي الوغد
وهذه الربايعيات والتي تمجد العلم وتندد بالظلام
والعار الامية
فليسقط الظلام
وعبيء الجهال والاهام
ولتشهر النقابة
على الامية حربا غلبة
الامية .

سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ تم فتح أكثر من ١٢ ألف مركز لمكافحة الامية . وفي سنة ١٩٢٨ دعت البرافدا الى ضرورة انشاء صندوق لتصفية الامية .

ساهمت التعاونيات والنقابات والتبرعات في تكوين رصيده لتوفير الاضاءة والاقلام والاوراق وأماكن الدرس والمقاعد . . . بل لقد خصصت قطع من الارض الزراعية يجرثها الفلاحون ويزرعونها لهذا الغرض وحده . . . ولك ان تتصور كيف كان التعطش الى المعرفة يذل تلك الصعاب وذلك الكساد . . . ففي دسكرة فاسسيورينسكايا (ظهر مكافحون في سبيل تصفية الامية من امثال القوزاقى دميتري بروكودا الذي جذب الى مدرسة مكافحة الامية أكثر من مائة شخص ، وقد نال جائزة . . . ففي اجتماع جماهيري قدمت له هدية كانت تعتبر فاخرة في تلك الايام . قميص وقطعة قماش ليننطال) . . . وهذه الجائزة ليست في حاجة الى تعليق عن مدى الفقر الذي خلفه كبار الملاك والراسماليون للشعب .

ب - اعداء الثورة : كانت مقاومة الكولاك وكبار الملاك والراسماليين لتصفية الامية مقاومة شرسة فتصفية الامية تعنى نهايتهم تماما وتعنى ترسيخ اقدام السلطة الجديدة (سلطة الشعب) لذلك فقد تولوا عملية تشويه للقضية ولإثارة الشكوك والريبة من حولها ، واخيرا لجأوا الى العنف (فنى مقاطعة التربة السوداء المركزية وقع عدد كبير من حوادث ضرب المعلمين ومحاولات اغتيال مصفى الامية وحرق مراكز تصفية الامية ومن حوادث اباداة الكتب) .

وفي خريف سنة ١٩٢٩ قام الكولاك بزهاء مائةتى عمل اجرامى ضد المناضلين من أجل الثقافة منها ٦٠ حادثا من حوادث الارهاب) . . . لسكن الاصران الدائم لتصفية مخلفات الماضي الرجعية قطع الطريق أمام تلك المحاولات الشريرة لوقف حركة التعليم .

ج - تعليم المرأة : وهي من أهم الصعوبات التي واجهت حركة تصفية الامية في الاتحاد السوفيتي ، وقد كانت الامية بين النساء عالية ، وكانت تواجه قضية تعليم المرأة صعوبات مثل التقاليد والاسرة والزواج . . . وقد بذل الحزب دورا كبيرا من أجل أن تجد المرأة فرصتها للتعليم عملا بقول ليتين (ينبغي لكل طامية أن تتعلم ادارة الدولة) . . . ومن أجل توفير الوقت أمام المرأة كانت هناك محاولات ناجحة ، منها ما قام به سكان حي بساومن بموسكو (تعاون سكان الحي وفتحوا ٦٧ روضة للاطفال و ٢٧ ساحة للاطفال في باحات البيوت ، ٧٢ غرفة مسائية للاطفال لدى مراكز مكافحة الامية وكان الاطفال يوضعون تحت رعاية فتيان الطلائع وطلبة دور المعلمين الابتدائية وجرى جمع كتب الاطفال واللعب . . . بذلك كانت الامهات تجسدن

نكبة البلاد السوفيتية
أيها العامل والفلاح
مع الامة لا فلاح

وقد كان لفضل الثقافة أثر كبير في ترسيخ هذه
الحقيقة .

الامة .. والثورة الثقافية

في سنة ١٩١٣ كانت المدرسة يليزافيتا
نيقولا ييفينا تجد في عهد القيصر صعوبة وعنتا من
البوليس والسلطة عندما كانت تنوي أن تجمع
الفلاحين لتحديثهم عن منشأ الارض والانسان ..
وكان لينين يشير الى أن ما يعوق الثورة
الثقافية (مصاعب لا تصدق ، مصاعب ثقافية
صرفة (فنحن اميون) ومصاعب مادية أيضا ، فلكي
نصبح اناسا مثقفين ينبغي أن تكون وسائل الانتاج
المادية قد بلغت درجة معينة من التطور ، ينبغي
امتلاك أساس مادي معين) .

ولذلك فالى جانب تصفية الامة وتثقيف الشعب
كانت حركة التعليم بمراحلها المختلفة تتخذ مسارا
ثوريا يشمل عامة روسيا حتى لا يخرج الى المجتمع
اميون جدد . أيضا الاهتمام بأن تدخل الى القرية
وسائل العلم والتكنيك والثقافة وأن يكون بكل قرية
مكتبة عامة وفي كل بيت .. هي من لوازم الحياة
الجديدة حيث تكون الفرصة أمام العمال والفلاحين
دائمة لتوسيع مداركهم ووعيهم السياسي والثقافي

وخلال سنتي ١٩٣٦ - ١٩٣٧ أعلن الحزب
ومجلس مفوضي الشعب للاتحاد السوفيتي أنه قد
تم تصفية الامة تماما من الاتحاد السوفيتي ..
وكانت الخطوة التالية وكما قال لينين أنه (ليس
بكاف أن نصفي الامة .. نحن بحاجة لرفع الثقافة
الى درجة كبيرة) . ولذلك فقد أتاحت الفرصة
أمام الذين تعلموا من العمال والفلاحين في مراكز
تصفية الامة لدراسة الجغرافيا والحساب واللغة
في مدارس أشباه الاميين والتي أن وصلوا الى
كليات العمال ويصبح من بينهم الخبراء والعلماء
ورجال الدولة .. وأن يتعلموا كل شيء .. حتى
الفضاء .

ان الفترة ما بين كفاح - المدرسة - يليزافيتا
نيقولا ييفينا سنة ١٩١٣ وذلك التقدم العلمي الهائل
للاتحاد السوفيتي يرجع الى كفاح هذا الشعب
واصراره ، والى عبقرية لينين .. ان فصول الملحمة
التي بدأت بمحو الامة ووصلت الى الفضاء ما
زالت تتوالى فقد أصبحت دولة العمال والفلاحين
الفقراء والاميين أقوى دولة اشتراكية في العالم
تقدما في العلم والاقتصاد والعلاقات الانسانية ..



وكان خاي يتولى ابرشية كويته لو في اقليم نجه
آن في فيتنام الشمالية ، عندما اسره الجيش
الشعبي ابان النضال ضد الاستعمار الفرنسي
واتهم بالتعاون مع الاجانب . وبعد أن امضى في
السجن ٢٣ شهرا و٧ أيام اطلق سراحه عندما
تحقق انتصار ديان بيان فو ، وقرر الانتقال الى
سايجون في جنوب فيتنام . وقد عرف خاي بأنه
القس المعادي للشيوعية .

وقد بدأ خاي الحديث مع مندوب المجلة بقوله
بأن الناس يحاربون في فيتنام الشمالية من أجل
بلادهم ، في حين أن أهل سايجون يفعلون ذلك من
أجل دولارات امريكا ومن أجل السلطة .

مجلة دوى دين

سايجون - العدد ٢١ مارس ١٩٧١

اعترافات قس معاد للشيوعية

نشرت مجلة تصدر في سايجون تدعى دوى
دين (وجهها لوجه) لقاء اجراه مندوبها مع القس
نجوين فيت خاي تحت عنوان « اعترافات قس
معاد للشيوعية » .

■ ماهى صورة الشيوعيين فى رأيك وماذا يشبهون ؟

● حسب ما تقدمه لنا وسائلنا الاعلامية فان الشيوعيين اناس بلا عقيدة ، وبلا وطن ، وبلا أسرة ، وهم لا يهتمون الا بالمبدأ القائل من كل حسب جهده ولكن حسب حاجته .

■ هل ترى ان للناس فى جنوب فيتنام اسر ؟

● فى جنوب فيتنام يوجد كثيرون جدا بلا اسر . فمن الشائع تماما ان يكون للملازم او الرائد او حتى اللواء او رجل السياسة أسرة والى جوارها ثلاث او خمس او سبع خليلات وثمانى اطفال آخرين فى أماكن مختلفة .

وقد توفى مؤخرا فى سايجون احد جنرالاتها فى منزل عشيقته التى وصفتها الصحف بأنها بغى ، واشتركت فى جنازته ثمانى زوجات كل منهن تدعى أنها زوجته الشرعية .

وفى مواجهة مثل هذا الوضع يحق لنا ان نسأل هل لدينا أسرة ؟ اننا لم نحس ابدا بمثل هذا الهوان ، ونحن نرى مئات الاسر وهى تتحطم . وفى جنوب فيتنام يوجد حاليا حوالى ٥٠٠٠٠٠ جندي اجنبى ، وهذا يعنى انه ليس الشعب وحده هو الذى يفقد زوجاته وبناته بسبب هؤلاء ، بل ان كبار الموظفين ايضا فى ادارة وحكومة جنوب فيتنام يفقدون نساءهم تحت اغراء الاجانب ، وذلك هو السر فى ارتفاع معدل الانتحار فى مجتمعنا .

■ ما الذى تستطيع ان تقوله لنا عن الوطن ؟

● لدى شكوك عديدة حول هذا الموضوع . هل هناك وطن بعد ان بعنا للولايات المتحدة ولمدة ٩٩ عاما ، اجزاء من ترابنا الوطنى مثل شولاى ، كام رانه ، آن خى ، دانانج ، فوج ثاو ، بعضها علانية والاخر سراً ؟

■ وماذا عن الحرية فى جنوب فيتنام ؟

● ان كل الموظفين الكبار ابتداء من زعماء البلاد الى حكام المدن ، خاضعين للسيطرة الامريكية . وكل وحدة عسكرية لها رقيب امريكى يتحكم فيها .

واذا حدث خطأ فى احدى المناطق من وجهة نظر الامريكيين ، ابدلوا المسئولين فوراً وجاءوا بمن يخدمونهم أكثر .

■ هل يمكن ان توضح الامر اكثر ايها الاب خاى ؟

● بالطبع ، مثلاً اذا فتحنا السجون فى جزئى فيتنام ، سنجد فى الجنوب ، خاصة فى جزيرة فوكوك ، ٤٠ ألف سجين فى سجن واحد من جنود الفيتكونج النظاميين ، او من رجال العصابات ، او كما يسميهم الشعب : رجال جبهة التحرير الوطنى فى جنوب فيتنام . ولن نجد بينهم صينياً واحداً او روسياً واحداً . ولكن اذا فتحنا سجوناً فى هانوى فلن نجد سوى الجنود الامريكيين ، من البحارة ورجال الاسطول او من يسمون قراصنة البحر .

وهناك امر آخر . فقد صدر اخيراً فى باريس كتابان ، احدهما صدره شيوعيو فيتنام الشمالية ، والاخر صدره ديمقراطيون فيتنام الجنوبية . فماذا نجد فى الكتابين ؟

فى الكتاب الاول نرى فى الصفحة الاولى صورة الرئيس هوشى منه ، أما كتاب الجنوب فتوجد سحنة نجوين فان ثيو فى صفحته الاولى . وفى الصفحة الثانية من كتاب الشمال نرى مجموعة من الرجال العجائز يحملون المدافع والبنادق دفاعاً عن قريتهم ، ويطلقون النيران على طائرات الولايات المتحدة ، أما الصفحة الثانية فى كتاب الجنوب فتتشر صورة زوجة نجوين فان ثيو ، وهى بكل تأكيد قبيحة تماماً .

وفى الصفحة الثالثة من الكتاب الاول نرى جنوداً يتدربون على اطلاق النيران ، ثم صورة فتاة اسقطت اخيراً طائرة امريكية ، واخرى ذات ضفائر تمسك بندقيتها بيدها تقود اسيراً امريكياً . أما الصفحة الثالثة من الكتاب الثانى الصادر عن فيتنام الجنوبية ، فنرى زوجات الوزراء يزرن اعضاء مجلس الشيوخ يطلبن الصدقات وصدناديق الصابون لتوزيعها على فقراء سايجون .

اننا حين نتحدث عن الحرية ، يجب ان نقول ونعترف بأنه فى حين يقاتل الناس فى الشمال دفاعاً عن وطنهم وبلادهم ، فانهم فى الجنوب يجاربون من اجل الدولارات والسلطة .

مناقشات مفتوحة

يظهر الطبقات ، وقيام سلطة الدولة ، ونشوء العلاقات الانتاجية والاجتماعية المبنية على الاستغلال والقهر من الطبقات المسيطرة على أجهزة الدولة لبقية الطبقات الاخرى .

ويتحدد مفهوم الرشوة في أنها « فعل يرتكبه شخص ذو صفة عامة عندما يستغل السلطات المخولة له ، ويطلب لنفسه أو لغيره أو يقبل وعدا أو عطية لاداء عمل من أعمال وظيفته أو لامتناع عن اداء ذلك العمل ، أو للاخلال بواجبات وظيفته » (مصر المعاصرة العدد ٢٨٨) .

ولقد نشأت ظاهرة الرشوة في مصر على اعتبار أنه كان مجتمعا طبقيا اقطاعيا رأسماليا ، وهي ما زالت موجودة به بالرغم من انقضاء عشر سنوات على بداية التحول الاشتراكي .

والواقع أننا لو حاولنا تتبع الاسباب التي أدت الى وجودها ، والتي تهيئ المناخ لاستمرارها لوجدنا أنها اسباب اقتصادية واجتماعية في المقام الاول تعكس نفسها في قيم وسلوك ، هذه الاسباب تتحدد فيما نعتقد في الآتي :

● سوء توزيع الثروة في مصر والذي نتج في الاساس عن طريق سيطرة فئة قليلة على وسائل الانتاج - كبار الملاك - البورجوازية - وحصولها

كتب حسام الدين بهي الدين ريشو
المدرس بمدرسة كفر السودان الابتدائية
بدسوق عن :

ظاهرة الرشوة في مصر

في برنامج العمل الوطني الذي قدمه الرئيس « السادات » الى المؤتمر القومي للفتة خاصة الى أهمية بناء الانسان ، ففراه يقول بوضوح « ان بناء الدولة الجديدة لا يمكن ان ينجح بدون بناء الانسان الجديد » . وينوه البرنامج الى « اننا يجب ان نقف بشدة ضد الجشع والرشوة والطفيلية » وهذه كلها أمور تتعلق بالانسان ذاته ، وان كانت بالطبع نتيجة انعكاسات لاشياء موجودة في المجتمع ككل ، ونحن هنا نود أن نركز على دراسة « ظاهرة الرشوة » بالذات باعتبارها من أهم السلبيات التي يجب أن يتخلص منها مجتمعنا .

الرشوة تاريخيا

ظاهرة الرشوة ليست ظاهرة حديثة ، وانما لها جذورها التاريخية ، إذ أنها ترتبط في نشأتها

على غالبية الدخل القومي ، وانتفاخ مستوى المعيشة لدى السواد الأعظم من الشعب ، مما ترتب عليه محاولة اصحاب الدخل المحدودة الاثراء عن طريق اللجوء الى مثل أسلوب الرشوة .

● سيطرة الاستعمار على مصر فترة طويلة وحده لها عن طريق مجموعة من العملاء الذين باعوا بلادهم نتيجة حصولهم على وظائف ما وصلوا اليها الا عن طريق الرشوة أو التبعية ، فانعكس هذا على عملهم ، فكانوا لا يؤدون واجباتهم الا اذا ارتشوا أيضا .

● القيم البالية والتي ما تزال موجودة حتى الان مثل النظرة للانسان بما يملك لا بما يعمل ، مما يدفع البعض الى الجري وراء هذه القيمة ليكسبها لنفسه وتكون الرشوة هي الوسيلة لذلك . وننوه في هذا المجال أن برنامج العمل الوطني يؤكد على ضرورة « أن تقديس العمل واحترامه لابد أن يكون القيمة الاولى في حياتنا » ومن قبله أكد الميثاق الوطني « أن العمل واجب . . والعمل حق . . شرف . .

● الشعور بالاغتراب الذي ينتاب البعض نتيجة رؤيتهم لبعض القطاعات التي تحصل على امتيازات مادية كثيرة - مرتبات عالية ، مكافآت - بدلات تمثيل ، تسهيلات عينية . . الخ - في الوقت الذي يحصلون فيه على ما لا يكفي حاجتهم ، لذلك لا يعملون الا اذا حصلوا على ما يستطيعون الحصول عليه ممن يهملهم انجاز هذا العمل أو ذاك ولذلك نرى برنامج العمل الوطني في حديثه عن القيم التي يجب أن تسود المجتمع الجديد يؤكد « أن القيمة الثانية هي حب الوطن » .

● مظاهر الترف الفاحش التي يعيش فيها البعض مما يدفع البعض الى الطموح والتطلع الطبقي بالرغم من أن دخولهم قد تحقق مطالب أسرهم الأساسية .

ثورة ٢٣ يوليو والرشوة

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ، فانها كانت بدون تنظيم سياسي اشتراكي ، ولذلك فقد اعتمدت على جهاز الدولة القديم بما فيه من عفونة وبما يمثله من سلطة تسيطر عليها الافكار والمفاهيم البورجوازية ، وبالتالي حدث التناقض بين الثورة ومفاهيمها وقيمها الجديدة ، وجهاز السلطة بقيه المتخلفة ، ولذلك أهملت مطالب الجماهير وتفتشت البيروقراطية ، وساعد هذا المناخ على استمرار

الرشوة واستمرار أسبابها بالرغم من التحول الاشتراكي .

ولقد واجهت ثورة ٢٣ يوليو هذه الظاهرة بمجموعة من التشريعات القانونية والاجراءات الاقتصادية والاجتماعية ، ولكن يلاحظ انها لم تحد من انتشار الظاهرة .

كيف نقضي على هذه الظاهرة ؟

وانطلاقا مما جاء في برنامج العمل الوطني من « أننا يجب أن نقف بشدة ضد الجشع والرشوة والطفيلية » فانني أرى :

١ - ضرورة العمل على رفع مستوى المعيشة وإذابة الفوارق بين الطبقات ، فالملاحظ أنه رغم كل الاجراءات التي اتخذتها الثورة للتقريب بين الطبقات فما زالت نسبة الدخل للفئات العليا بالدولة تعادل ٤٠ ضعفا من أدنى دخل ، ولقد كان هذا أحد أهداف برنامج العمل الوطني .

٢ - العمل الدائب على احلال القيادات الشابة التي تربت في ظل الثورة في جهاز الدولة وتطوير هذا الجهاز عن طريق إتاحة الفرصة للجماهير لتنفذ وتقول كلمتها بحرية وتمارس دورها في الرقابة ، والامل معقود على ممارسة « المجالس الشعبية » لمسؤولياتها كاملة بما يؤدي أيضا الى القضاء على البيروقراطية .

٣ - أن تتحقق للتنظيم السياسي أيضا الرقابة الفعالة على جهاز السلطة عن طريق كوادره الثورية المدربة ، على أن يقوم التنظيم بتربية الافراد والقيادات تربية سليمة تمكنهم من خدمة وطنهم . ويرى برنامج العمل الوطني « أن بناء الدولة الجديدة لا يمكن أن ينجح بدون بناء الانسان الجديد الامر الذي يحتاج الى عمل تربوي مستمر من قبل الاتحاد الاشتراكي بكافة مستوياته وتنظيماته المساعدة » .

٤ - التوعية المستمرة للجماهير واحلال القيم والافكار التي تخدم المجتمع الجديد محل « القيم البالية التي فرضتها على حياتنا العلاقات الاقطاعية والراسمالية » .

كلمة أخيرة

وانذا تم ذلك فأنه بالقطع لن تحل المشكلة حلا نهائيا ، وفي رأينا أن ظاهرة الرشوة لا يمكن أن تنتفي كظاهرة الا في وجود مجتمع اشتراكي ، مجتمع تقرب فيه الفوارق بين الطبقات ، لا يميز

فيه أخذ عن الآخر إلا بما يقدمه للمجتمع ... مجتمع ينتفى فيه الاستغلال ، استغلال الإنسان لآخره الإنسان .

١ - إقامة «صناعة تكريرية كبيرة» تزيد عن احتياجات الاستهلاك المحلي ويذهب للتصدير منها جزء كبير ...

ب - أنشأت صناعات بتروكيميائية واسعة ...

ج - أمدت شبكة من خطوط أنابيب النفط الخام والمنتجات المكررة واسطولها من ناقلات البترول ... وقد ساهمت في إنشاء هذا الاسطول شركات اسرائيلية خاصة وكذلك شركات اسرائيلية حكومية لكي تضمن المشاركة في الرقابة والاشراف والتوجيه للناقلات ... وبينما نلاحظ ذلك في اسرائيل ... نلاحظ أيضا أن النشاط البترولي في البلاد العربية المنتجة للبترول هو في جزءه الأكبر تابع لشركات أجنبية احتكارية ... وأن الحكومات العربية لا تساهم ماليا في هذه الشركات ، ولا تمارس عليها رقابة حقيقية ، ولا توجهها أية وجهة معينة ... بذلك فما زالت هذه الشركات المستغلة تعاملنا على أننا مجرد منابع لاستخراج النفط الخام ! ويتم التصدير ليل نهار ليطور صناعة الغرب الرأسمالي !!

٢ - اسرائيل والبترول الإيراني :

انه منذ عام ١٩٥٧ والبترول الإيراني يصدر لاسرائيل ... وقد تزايدت هذه الكميات بعد عام ١٩٦٠ حتى أصبح الآن المصدر شبه الوحيد لواردات اسرائيل البترولية بعد أن كان - البترول الفنزويلي - هو المصدر الرئيسي لامداد اسرائيل بالبترول ... ولعلنا نتساءل : لماذا فضلت اسرائيل استيراد البترول الإيراني عن البترول الفنزويلي ؟ والإجابة على ذلك تتمثل في امرين هما :

١ - رخص أسعار البترول الإيراني ...

ب - انخفاض تكلفة الشحن بالنسبة للبترول الإيراني نظرا لقربه من اسرائيل ... هذا ... وقد بلغ مقدار الوفر من هذين المصدرين حوالي ٢٠ مليون دولار سنة ١٩٦٧ وحدها والملاحظة الهامة هنا : أن هذه الملايين التي توفرها اسرائيل كل عام إنما توفرها لشراء مزيد من اسلحة الدمار التي توجهها الى صدور العرب والمسلمين ، وتمكن لها من مواصلة العدوان وتشديد قبضتها على فلسطين ... ومن ضمنها (بيت المقدس) وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين ... والذي تقجه اليه أفئدة المسلمين في العالم بما فيهم مسلمي ايران ...

كتب إبراهيم عبد الله المسلمي
بكالوريوس تجارة عين شمس
- فرع الزقازيق عن :

اسرائيل والبترول الإيراني

١ - اسرائيل بلد مستورد للبترول :

في البداية : لابد من الإشارة الى أن اسرائيل تدعم حركتها التنقيبية عن البترول في فلسطين المحتلة يساعدها في ذلك رأس المال اليهودي في العالم كله وشركات ومؤسسات صناعية غربية خاصة الامريكية منها ومع ذلك فإن هناك ملاحظتين هامتين :

١ - أن الانتاج المحلي - لاسرائيل - لا يزيد في أحسن حالاته عن ١٠ في المائة من احتياجات الاستهلاك المحلي ... ومعدله العادي لا يتجاوز ٧٥ في المائة من هذه الاحتياجات المحلية .

ب - نظرا لحركة التصنيع الدائبة في اسرائيل وارتفاع مستوى المعيشة فيها فقد بلغ استهلاك اسرائيل من المنتجات البترولية عام ١٩٦٧ حوالي ٢,٣ مليون طن وبذلك فنسبة استهلاك الفرد في اسرائيل للمنتجات البترولية تعتبر اعلى نسبة استهلاك في بلدان الشرق الاوسط .

وعلى ذلك فإن اسرائيل سوف تظل بلدا مستوردا للبترول - وبكميات كبيرة - وقد بلغت قيمة واردات اسرائيل من البترول عام ١٩٦٧ وحده أكثر من ٦٠ مليون دولار .

٢ - اسرائيل والصناعة البترولية :

ورغم كمية البترول المنتجة في اسرائيل ، فقد استطاعت أن تدخل ميدان الصناعة البترولية - من بابها الواسع - بالطرق الآتية :

والذي يزيق من بشاعة هذا الموقف الإيراني المحابي لإسرائيل - بتزويلا - أن شركة النفط الوطنية الإيرانية التي تملكها الحكومة الإيرانية ملكية تامة هي التي تصدر النفط لإسرائيل !! .. وقد هيا البترول الإيراني لإسرائيل ما يلي :

١ - توفيراً مالياً سنوياً كبيراً ..

٢ - ازدهاراً لصناعة التكرير ، والبتروكيماويات ..

٣ - مكنها من إقامة خط للأنابيب من إيلات إلى حيفا وتشغيله ..

٤ - امتلاك أسطولها من ناقلات البترول ..

٥ - الإقدام على مشروع خط الأنابيب الضخم الجديد الذي تنوي إسرائيل منذ سنوات إلى إقامته من إيلات الميناء إلى عسقلان أو (أشدود) لأغراض التصدير ، والمعتمد اعتماداً كبيراً على بترول إيران .. وبذلك تدعم مركز إيران الدولي وفي نفس الوقت تلحق الضرر بالمصالح العربية الوطنية ..

٦ - فلنحدد موقفنا العربي ..

أن إسرائيل تستورد حاجتها البترولية من أقرب المصادر وأرخصها ، والمصدر الآن هو (إيران) . ومتى استطاع العمل العربي الجاد أن ينفذ إلى نقطة الضعف الإسرائيلية هذه ويحرمها من استيراد البترول الإيراني ، ويجعلها تعتمد على الاستيراد المضطر للبترول الفنزويلي - حيث فنزويلا بعيدة عن إسرائيل في الموقع وبالتالي يستلزم نقل هذا البترول رفع التكاليف - فإن ذلك سوف يزيد العبء المالي على إسرائيل بشكل كبير ويؤثر على أمنها القومي ..

ولا شك أن العلاقات العربية الإيرانية اليوم هي في حالة تحسن وتقدم خاصة بعد زيارة الرئيس

المصري «أنور السادات» لتهران في شهر أكتوبر من العام الماضي .. وبذلك يمكننا من اطلاع الشعب الإيراني المسلم على حقيقة شركته الوطنية للنفط ، ليؤكد سيادته على شركاته الوطنية .. وإذا أمكن اقناع المسؤولين الإيرانيين بقطع البترول الإيراني عن إسرائيل فسوف يشكل هذا مشاكل مالية واقتصادية وسياسية .. وسوف تنقطع الفوائد السابقة التي تجنيها إسرائيل من استيراد البترول الإيراني .. فإذا أمكن ذلك فسوف تكون صفقة قاسية لغرور إسرائيل ، ولصالحها وعجرفتها التي لا تعرف الحدود ..

أن هناك الآن منظمة تسمى (منظمة الأوبك) وهي تضم البلاد المنتجة والمصدرة للبترول وفيها بلاد عربية بالإضافة إلى إيران وفنزويلا .. فهل يمكن للبلاد العربية هذه أن تضع ضمن جدول أعمالها مثل هذا العمل الرائع .. وتدافع عنه مثلما تدافع عن مصالحها البترولية ؟

وهل يمكن لجامعة الدول العربية ومجالسها المتخصصة أن تساهم - مجتمعة أو فرادى - بالاتصال بالمسؤولين الإيرانيين وطرح فكرة توقف ضخ البترول الإيراني لإسرائيل لا أن الحرب التي تدور بين العرب وإسرائيل ليست حرباً لمعارك عسكرية فقط بقدر ما يمكن تحويلها إلى حرب مشروعة سياسية واقتصادية وعسكرية في نفس الوقت .. وإذا كان من الممكن لنا أن ندير حواراً جديداً مع إيران .. أو أمكن لإيران - ذاتها - أن تفتح صفحة بيضاء مع العرب تعود فيها الثقة والمحبة والسلام بيننا وبينهم وإذا تم التقارب فعلاً بين وجهات نظرنا .. فهل من الممكن أن ندير حرباً اقتصادية - في مجال البترول هنا - ضد إسرائيل

إنها كلها مازالت تساؤلات مطروحة ..

... ولنترك المستقبل .. والعمل العربي الموحد .. ليضع النقاط فوق الحروف وليضع تصوراً لما يمكن أن تكون عليه الحال في شأن وقف ضخ البترول الإيراني لإسرائيل ..



وثائق



البرنامج

السياسي لجبهة الاتحاد الوطني الكمبودية

(تبناه بالإجماع المؤتمر المنعقد في بكين في ٢ مايو ١٩٧١)

تواصل الطليعة نشر برامج حركات التحرر الوطني والمنظمات الثورية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، المعاصرة .
وفي هذا العدد، تنشر البرنامج السياسي لجبهة الاتحاد الوطني السكمبودية .

وسوف تواصل الطليعة في اعدادها القادمة ، تقديم عدد من برامج المنظمات الثورية الهامة ، بهدف ان يتعرف القارئ العربي على المواقع الثورية والنضالية في حركة التحرر الوطني المعاصرة ، لفهم منطلقاتها واستراتيجيتها وتكتيكها السياسي ، باعتبارها حصيلة تجربة نضالية لشعب شحذ ارادته للتخلص من الاستعمار والتصدي لمشكلات التخلف والانطلاق في طريق التحرر والتقدم .

لقد شيد الشعب الكمبودي منذ أكثر من ألفي عام ماضياً مجتمعاً منظماً وتلقى نور حضارة أنجكور على كل ربوع جنوب شرق آسيا لقرون عديدة وقدم مساهمة يمتد بها في الحضارة العالمية .

لقد بجل المجتمع الكمبودي خلال تلك الفترة القيم الأخلاقية والثقافية وبت تقاليد النضال وشعور الشرف والكرامة ونظر إلى سلطة الدولة باعتبارها مسئولية لخدمة الشعب وأعلى المصالح العامة فوق المصالح الخاصة للأفراد . وكانت رغبة الشعب وسعادته هي هدف كل أجهزة الدولة . ويمكن للمرء أن يتلمس شواهد هذه الحضارة وعلامات المفهوم الشعبي لمسئوليات الدولة والتحميص الفلسفي في كل مكان . على قواعد الآثار التاريخية ، في المخطوطات ، والحفريات الحجرية ، على بقايا المستشفيات والقناطر والجسور والكباري . . وغيرها . وفي كل تفاصيل العادات والسلوك في حياة شعبنا .

ومر الشعب الكمبودي مثل غيره من الشعوب ، عبر القرون ، في مجرى تطوره التاريخي بالآزمات والأحداث والتكتسات كما مر أيضاً بفترات الازدهار والانحسار والنضالات المنتصرة . وخلال القرن الماضي عانى الشعب الكمبودي مثلما عانت شعوب شبه جزيرة الهند الصينية من حكم الاستعمار الفرنسي . ولكن الشعب الكمبودي مخلصاً لتقاليد النضالية الطويلة ومستلها تراث أمجاد أنجكور لم يكف أبداً من شن حرب عنيدة ضد الاحتلال الاستعماري حتى في أكثر لحظات التاريخ ظلمة ، ولقد تحمل الشعب الكمبودي تضحيات عالية لكي يفقد استقلاله الوطني . أن تاريخنا مغمم بالصفحات المحيدة وشجرة أجدادنا غنية بالأبطال . إن هذا هو السبب في أن شعب كمبوديا

بأجمعه توجهه التقاليد النبيلة لإجداده مستلها تراثهم الوطني القوي ، أقصد كرجل واحد في نضال بطولي ضد المستعمرين الفرنسيين الذين كانوا مدعومين بالفعل بالمتدخلين الأمريكيين ، وكسب الشعب الكمبودي في النهاية استقلالاً وطنياً كاملاً اعترفت به وضمنته اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ .

ومنذ ذلك الوقت اختار الشعب الكمبودي في توافق مع طبيعته ومطامحه العميقة سياسة للاستقلال الوطني والسلم والحياد ، وتبنى مبادئ باندونج الخمس للتعايش السلمي في العلاقات الدولية في عام ١٩٥٥ . ولكن التجربة قد أثبتت أن الإمبرياليين الأمريكيين هم العدو الأشد خطراً والأكثر حقداً وخيائنة لشعبنا وسياستنا . وفي الواقع فلقد دبوا عدداً من المؤامرات كان أكثرها أهمية تلك التي حدثت في عام ١٩٥٩ بمشاركة الجنرال الكمبودي داب شيون وسام ساري وعدد من أعضاء سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في بنوم بنه والتي تبعها قذف قبلة زمنية على القصر الملكي ثم ثورة ١٩٦٣ التي نظمها سونجسك وهو مصرفي وعمل لوكالة المخابرات المركزية بالمشاركة مع سيريك ماثاك ، كانت تهدف إلى تخريب اقتصادنا وسياستنا . وخلال العشر سنوات الماضية شنت القوات المسلحة لحكومة سايجون التي تخدم الولايات المتحدة والمدممة غالباً بالفرق والطائرات الأمريكية شنت بشكل صريح وعلى نطاق واسع الاعتداءات على قرى حدودنا وسكانها متسببة في وقوع خسائر فادحة في الممتلكات ، وفي قتل مئات من المواطنين غاليبتهم العظمى من المدنيين العزل من الرجال والنساء والأطفال وعندما رأى عملاء الإمبرياليين الأمريكيين

وأتباعهم الذين تضمهم مجموعة من الحوكة على رأسهم لون نول وسيريك ماثاك النضج السياسي لشعب الكمبودي الذي كان قادراً على هزيمة كل مؤامرات وأفعال المعتدين تأمروا على أن ينسفوا بشكل مفتوح القطاع المؤم من اقتصادنا واندفعوا في اعتقال وسجن واغتيال الوطنيين وفي تزوير وتشويه الحقيقة ضد عناصر المثقفين ورجال الدين والانصار الشريفة الذين يساندون سياسة الحياد بقوة وضد الوطنيين التقدميين وقاموا بإبعادهم عن أجهزة الدولة . وكانت قمة هذه المؤامرة هي الانقلاب العسكري في ١٨ مارس ١٩٧٠ الذي سمح للإمبرياليين الأمريكيين بأن يقيموا في بنوم بنه نظاماً فاشستياً عنصرياً يرأسه الخونة لون نول وسيريك ماثاك والواقع أنه لم يمض شهر واحد على وقوع هذا الانقلاب حتى عرف العالم أجمع أن سياسة بلادنا للاستقلال الوطني والسلم والحياد قد قضى عليها وأن الخونة لون نول وسيريك ماثاك يربطون أنفسهم أكثر فأكثر باتباع الإمبرياليين الأمريكيين في الهند الصينية وآسيا حتى يفرضوا على الشعب الكمبودي دكتاتورية فاشستية عنصرية . ويعرف العالم كله أيضاً أن كمبوديا قد أصبحت « فيتنام » جديدة تتدخل فيها القوات الأمريكية بشكل صريح ووحشي لقمع شعبنا .

واستجابة للنداء التاريخي لسامديخ نورودوم سيهانوك رأس الدولة في ٢٣ مارس ١٩٧٠ شن الشعب الكمبودي بحماس أشكالاً من النضالات السياسية المسلحة وغيرها سواء في داخل البلاد أو خارجها ، في العاصمة والمدن والريف بما في ذلك أكثر المناطق النائية مما هن معنويات السلطة المتداعية للخونة في البلاد . وهدف البرنامج السياسي الحالي لجهة الاتحاد الوطني الكمبودية (فوتك) هو تحقيق أوسع

كمبوديا

لنظام الحزب الواحد . وانتهج سياسة خارجية تدعو إلى الصداق الإيجابي وسياسة داخلية تدعو إلى التضخم الاقتصادي . وقد تعرضت كمبوديا نتيجة لذلك لعداء الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد تجربة رفض سيهانوك الانضمام إلى التحالف العدواني في آسيا . ووصل هذا العداء قمته في عام ١٩٦٥ عندما اتهم سيهانوك الولايات المتحدة بالتدخل في شؤون بلاده فقطع العلاقات الدبلوماسية معها بعد أن اعتدت الطائرات الأمريكية على قرى الحدود الكمبودية بحجة « ضرب الثوار الفيتناميين » وكان الأمير سيهانوك قد اعترف بالصين الشعبية وفيتنام الشمالية والحكومة

كمبوديا عام ١٩٤٦ . وفي عام ١٩٤٩ تم إنهاء الحماية الفرنسية ، عندما تولى الأمير نورودوم سيهانوك الحكم ، وأصبحت كمبوديا جزءاً من الاتحاد الفرنسي . وفي ٩ نوفمبر ١٩٥٣ انسحبت القوات الفرنسية من البلاد ، ثم اشتركت كمبوديا في ١٩٥٤ في المؤتمر الأول بجنيف ، كدولة مستقلة ذات سيادة . وفي عام ١٩٥٥ تنازل الملك نورودوم سيهانوك عن العرش ليعلمه أبوه ، وتولى هو منصب رئيس الوزراء ، وفي عام ١٩٦٠ أصبح رئيساً للدولة .

ودعا الأمير نورودوم إلى تكوين « المؤتمر الاشتراكي الشعبي » كجمعية يقيم التنظيمات السياسية وفق مفهومه

المساحة : ٦٩٨٦٨ ميلاً مربعاً .
عدد السكان : ٧٠٠٠٠٠٠ نسمة
[إحصاء ١٩٧٠] .

العاصمة : بنوم بنه .
الديانة : يدين معظم السكان بالبوذية
اللغة : اللغة القومية هي الكمبودية
واللغة الفرنسية منتشرة .

التطور التاريخي : كانت تكون مع الهند وسيام وفيتنام ، إمبراطورية كمبوديا . وفي ١٨٦٣ خضعت للحماية الفرنسية وسيطرت الاحتكارات الفرنسية على اقتصادياتها . وفي أثناء الحرب العالمية الثانية احتلتها اليابان عام ١٩٤٥ وأعلنت استقلال كمبوديا من فرنسا ، وبانتهاء الحرب هزمت اليابان ، عادت فرنسا إلى

وحدة وطنية للنضال ضد مناورات وعدوان الامبرياليين الامريكيين والاطاحة بديكتاتورية عملائهم الذين يرأسهم لون نول وسيريك ماثاك والدفاع عن الاستقلال الوطني والسلم والحياد . وسيادة البلاد ووحدة أراضيها داخل حدودها الحالية ومن أجل بناء نظام حر ديمقراطي للشعب يتقدم نحو تشييد كمبوديا المزدهرة التي تتوافق مع المطامح العميقة لشعبنا .

الجزء الاول

توحيد كل الشعب للصراع ضد مناورات وعدوان الامبرياليين الامريكيين والاطاحة بديكتاتورية اتباعهم وعلى رأسهم لون نول وسيريك ماثاك . ومن أجل بناء كمبوديا المستقلة المسالمة المحايدة الديمقراطية المزدهرة .

خلال الخمسة عشر عاما المنصرمة كان شعب الكمر قادرا على حماية كمبوديا المستقلة المسالمة والمحايدة ، لقد هزم كل مناورات الحصار والاستفزاز والعدوان من جانب الامبرياليين الامريكيين التي كانت تهدف الى اقامة سلسلة من القواعد العسكرية من جنوب فييتنام الى تايلاند بما في ذلك لاوس وكمبوديا وتحويل بلدنا الى مستعمرة من النوع الجديد . ولقد حطم انقلاب ١٨ مارس ١٩٧٠ والذي خطط له الامبرياليون الامريكيون حطم بشكل وحشي استقلال وحياد وسلام بلادنا . وهذا هو السبب في استجابة شعب الكمر متمسكا بقوة بهذه المبادئ وبمقاليدته للتدافع التاريخي الذي وجهه رئيس الدولة سامدينغ نوردوم سيهانوك في ٢٣ مارس ١٩٧٠ هب بشكل واسع لتشن النضالات السياسية والسلمية وكل الانواع الاخرى من النضال ضد الامبرياليين الامريكيين

وتوايهم وخاصة عملاءهم في جنوب فييتنام وعصياتهم في كمبوديا التي يرأسها لون نول وسيريك ماثاك وفي هذه الظروف فان جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية رغبة منها في تطوير اعلان سيهانوك ذو النقاط الخمس تقترح المهام التالية :

— توحيد وتحريك كل الطبقات والفئات الاجتماعية وكل الاحزاب السياسية ، كل التنظيمات المهنية او العقائدية ، كل الشخصيات الوطنية مسواء في داخل البلاد او خارجها بغض النظر عن آرائها السياسية ومعتقداتها الدينية في سبيل حماية استقلال كمبوديا الوطني وسلامها وحيادها ووحدة أراضيها في اطار الحدود الحالية ، ومعارضة مشروعات الامبريالية الامريكية واعتداءاتهم والاطاحة بالديكتاتورية الفاشية العنصرية لعصابة اتباع الامبرياليين الامريكيين التي يرأسها لون نول وسيريك ماثاك .

— الترحيب الاخوي بجهايز الشعب وكل الموثقين ورجال البوليس والضباط والضباط المتقاعدين ورجال القوات المسلحة لعصابة لون نول وسيريك ماثاك والمثقفين والطلاب وغيرهم من الشخصيات الذين قرروا الانخراط في جبهة الاتحاد الوطني . ويمكن لاولئك الذين لم يستطيعوا لسبب او لآخر ان يفرطوا بعد في صفوف جبهة الاتحاد الوطني ان ينسقوا جهودهم مع اولئك المنضمين اليهم ، ولسوف ترحب بهم الجبهة بنفهم كامل .

— ولا كان العدوان الامريكي ضد كمبوديا هو جزء من خطة توسيع الحرب التي يخسرها الامبرياليون الامريكيون في جنوب فييتنام ولاوس فان جبهة الاتحاد الوطني تنسق نضالها مع نضال الشعوب الثمينة في فييتنام ولاوس على اساس ان

التحرر وحماية كل بلدهم اذ يخص شعبه نفسه وعلى اساس ان المساندة المتبادلة بين هذه الشعوب الثلاث يجب ان تقوم على الاحترام المتبادل والمطامح الشرعية لكل شعب معنى .

— خلق وتدعيم جيش التحرير الوطني (MLA) الذي يضم وحدات حرب العصابات والانتصار وتلك العناصر من جيش وكمر الملكي التي رفضت الرضوخ لديكتاتورية لون نول وسيريك ماثاك عملاء الامبريالية الامريكية ، وتلك العناصر الموجودة في القوات الفيتنامية للخدمة لون نول وسيريك ماثاك التي سوف تقرر في المستقبل الانضمام لصفوف جيش التحرير الوطني .

— ان مهمة جيش التحرير الوطني هي ان تحطم نهائيا القوات المسلحة المعادية وان تحمي وتوسع المناطق الحرة التي هي المؤخرة الصلبة لنضالنا . وفي مجرى النضال يجب ان يطور جيش التحرير الوطني روح الوطنية وان يرفع مستواه السياسي وان يرفع عاليا روح التضحية من أجل قضية الشعب .

— ويمكن لتلك الوحدات المسلحة التي تخدم حاليا النظام الرجعي والتي لم تستطع لاسباب مختلفة الانضمام لجيش التحرير الوطني ولكنها تناضل ضد الامبريالية الامريكية ، ان تنسق اعمالها مع اعمال جيش التحرير الوطني في الانقضاض على الامبريالية الامريكية وعملائها .

— ازالة اقصى العقوبات بالرجعيين المدانين بارتكاب الجرائم ضد الشعب مع

من الاقاليم لصالح الملاك وتدخل الجيش الذي كان لون نول قائده بالقوة ضد الفلاحين واستخدم سلاح الطيران في ذلك . وفي هذه الفترة تمكنت جماعة « كمبوديا الحرة » من العمل داخل البلاد . وفي يونيو ١٩٦٩ أعادت كمبوديا علاقاتها مع واشنطن .

ثم تولى لون نول رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع في أغسطس ١٩٦٩ ، وواصل سياسة اضطهاد اليسار ثم اتجه بعد ملاحقة اليسار الى ملاحقة ماسمي « بالوسط » من انصار الامير ، حتى قام في ١٨ مارس ١٩٧٠ بانقلاب عسكري اطاح بسيهانوك الذي كان خارج البلاد

الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية . وعلى اثر ذلك كونت الخابرات المركزية الامريكية جماعة « كمر سراي » كمبوديا الحرة للاطاحة بنظام سيهانوك . وفي مواجهة اعمال التخريب ، طالب الحزب الشيوعي في كمبوديا بأن تنعكس السياسة الخارجية التقدمية على الداخل بمواجهة اليمن الرجعي الذي يترجم بالنظام .

وبدا سيهانوك في الذي مارس سياسة التوازن بين اليمن واليسار في وجهه انتقاداته الى اليسار ثم واجهه بالاضطهاد والاعتقال ، حتى اضطره الى اللجوء الى المعايير دفاعا عن وجوده ، وحمل السلاح وبعثه اليمن الى السلطة ، طرد الفلاحون عام ١٩٦٧ من الارض في عدد

للملاج في باريس . وانشاء عودته من موسكو وقبل ساعات من سفره من موسكو ، قام الانقلاب ، فانتجه الى يمين واقام هناك وشكل حكومة في المنفى لبلاده وشكل جبهة وطنية .

الاقتصاد : اقتصاد زراعي . ويعمل بالزراعة ٨٨٪ من السكان وتمثل الزراعة ٤٠٪ من الدخل القومي [١٩٧٠ مليون دولار حسب احصاء ١٩٦٦] . اما الصناعة فتتمثل ٩٪ ، والتجارة ٢٠٪ ويمثل التعدين [الحديد اساسا] النسبة الباقية . الدخل القومي بلغ ١٢٠ دولارا [احصاء ١٩٦٦] . اهم المنتجات : الدخان - الارز - القطن - الاخشاب - المطاط - الاسلاك .

إبداء الرأفة بأولئك المجرمين الذين
عادوا إلى الصواب بشكل جاد .

— مراعاة الجرحى وأسرى الحرب
ومعاملتهم معاملة إنسانية .

الجزء الثاني

بناء كمبوديا الديمقراطية المزدهرة

إن الشعب الكمبودي بأجمعه قد صمم
على تحرير البلاد من ديكتاتورية لون نول
وسيريك ماثاك من خدم الإمبرياليين
الأمريكيين ، ومن كل الأشكال الأخرى
من السيطرة الإمبريالية الأمريكية .
إن المجتمع الكمبودي الذي سوف
يجري تشييده في المناطق الحرة ، ثم
بعد ذلك في كل البلاد سوف
يتخلص من كل النواقص التي تعوق
ازدهاره السريع والكامل .
بإلغاء الضرائب الفاحشة ، والانتهاك وكل
أنواع التجارة المشوشة والتشهير
ووسائل الاستغلال غير الإنسانية
لشعب . إن جبهة الاتحاد الوطني
لتعلن أن « السلطة هي وسوف تظل
دائما في أيدي الشعب العامل التقدمي
والمجيد الذي سوف يضمن لوطنا مستقبلا
باسمها على أساس من العدالة
الاجتماعية والمساواة والأخاء بين كل
شعب الكمر » من بيان رئيس دولة
كمبوديا سامديخ سيهانوك في ٢٣ مارس
(١٩٧٠) . الشعب كله مصدر كل
السلطات .

إن مخرطة المجتمع الكمبودي تجري في
الوقت الحاضر في المناطق المحررة
ولسوف تنفذ في كل البلاد بالوسائل
الآتية :

— أن يضمن كل كمبودي ، فيما عدا
الخونة المعروفين للبلاد ، حرية
التصويت وحرية الترشيح للانتخاب وحرية
الكلام والصحافة والرأي والاجتماع
والتظاهر والإقامة والترحال داخل البلاد
أو إلى الخارج . . وغيرها من
الحريات ، وحماية حرية الفرد والمتاع
والثروة وسرية المراسلات .

— ضمان المساواة الحقيقية بين
الجنسين ، والتخلص من التكاليد
المتخلفة لاضطهاد النساء . وتشجيع
التطور الثقافي والمهني للنساء بكل الطرق
وتمكنهم بشكل كامل من المشاركة في
النضال المشترك . واعطاء أهمية أولى
لتدريب وتعليم الكوادر النسائية على كل
مستويات الحياة القومية . وإلغاء تعدد
الزوجات .

— أن البوذية هي وسوف تظل عقيدة
الدولة الدينية . ولكن جبهة الاقتصاد
الوطني تعترف وتضمن الحرية لكل الديانات
والمعتقدات الأخرى ، الإسلام والكاثوليكية
والبروتستانتية . . الخ . . وحماية أماكن
المعبادة .

— ضمان الرعاية الكاملة لرجال قواطنا
المعاجزين وعائلات محاربينا الذين يقدمون
حياتهم من أجل البلاد ، وضمان معاملة
متميزة لهم .

— ضمان حماية الحقوق والمصالح
الشرعية للأقليات الأجنبية الذين يحترمون
قوانيننا وعاداتنا واستقلال وسيادة
كمبوديا .

— التأكيد على احترام الحقوق
والمصالح الشرعية للأقليات القومية
والحقوق والمصالح الشرعية للجنسيات
الكمبودية في الخارج .

أن جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية
مكرسة لبناء وتطوير اقتصاد وطني مستقل
بالاعتماد أساسا على الموارد والقوى
الانتاجية في كمبوديا .

وتجد هذه السياسة الاقتصادية
تعبيرا مجسدا لها فيما يلي :

— تحرير الاقتصاد الوطني من
المضاربين والمهرمين وتجار السوق
السوداء ، ومن الاستغلال اللاإنساني
لشعب .

— حماية وضمان حقوق ملكية الأرض
والمتاع طبقا لقوانين الدولة .

— مصادرة أراضي وملكيات الخونة
التنشيطيين في التعاون مع الإمبرياليين
الأمريكيين والذين قد ارتكبوا جرائم ضد
الشعب وسوف توزع الأراضي والملكيات
التي تصادر بين الفلاحين المحتاجين .

— أن يضمن للفلاحين حق ملكية الأرض
التي يفلحونها ، وإقامة نظام عادل لإيجار
الأراضي ومعدلات الفائدة على السلف .

— مساعدة الفلاحين على حل المشكلة
الزراعية من خلال حل عادل لمشكلة الديون
غير المقبولة .

— مساعدة الفلاحين على زيادة الإنتاج
وانتاجية العمل . وحماية وتطوير التعاون
والعادات الطيبة للمساعدة المتبادلة في
قرى الريف .

— ضمان ظروف الأمن والإدارة
المعقولة في الريف وضمان تسويق
المحصولات ونقلها بشكل اقتصاديا .

— تشجيع تكوين النقابات ، وضمان
الأمن للموظف وزيادة دخول الطبقات
العامة وتحسين ظروف العمل ونشر نظام
التأمينات الاجتماعية .

— تطوير تصنيع البلاد والتابع سياسة
صناعية معقولة لكي يوفي الإنتاج تماما
بالاحتياجات الأساسية للشعب .
ودراسة الإجراءات الضرورية للتخلص
من الأخطاء في إدارة مشاريع الدولة
والمشاريع المشتركة .

— تشجيع البورجوازية الوطنية على
إقامة مشروعات مفيدة للشعب تتماشى مع

القوانين الخاصة بالإجور والماملين .
ضمان مبيعات رشيدة وثابتة للبضائع
المصنعة .

— مساعدة الحرفيين على زيادة
انتاجية عملهم وتنويع منتجاتهم وتصريفها
بأفضل الشروط .

— تطوير خطوط المواصلات ووسائل
النقل .

— حماية مصالح تلاميذ المدارس
والجامعات والمثقفين والموظفين ، وكفالة
الوظائف للمتقاعدين بما يتفق مع مؤهلاتهم
وكفاءتهم ، ومساعدتهم على تطوير
مكائهم من أجل خدمة الوطن الأم .

— الحفاظ على سياسة تأميم البنوك
والتجارة الخارجية .

— فيما يتعلق بالتجارة الخارجية ،
العمل على تشجيع وتطوير التصدير ،
وتحديد الواردات بالمعدات الانتاجية
والمنتجات الضرورية للاقتصاد الوطني .
حماية المنتجات الوطنية من المنافسة
الأجنبية .

— حماية القوة الشرائية للبريل
[العملة الكمبودية] ، والعمل على
تحسين المالية العامة .

وبالإضافة إلى دعم الديمقراطية ،
وانجاز السياسات الاقتصادية سابقة
الذكر ، فإن جبهة الاتحاد الوطني
الكمبودية تولي عناية خاصة لتدريب
الأشخاص المؤهلين لتطبيق هذه
الأهداف بأسلوب سليم .

أن السياسة التعليمية والثقافية لجبهة
الاتحاد الوطني الكمبودية تستند إلى
المبادئ التالية :

— إضفاء الطابع القومي لشعب كمير
على البرامج التعليمية في مختلف
مستوياتها بما في ذلك الدراسات العليا .

— تبني اللغة القومية باعتبارها اللغة
الرسمية الوحيدة في الخدمات العامة .

— تبني برامج تعليمية ومناهج
واساليب تتفق مع احتياجات البلاد .

— تشجيع ومساعدة البحث العلمي
وتشجيع كل من يريد مواصلة التعليم .

— تطوير البحوث المتعلقة بالتاريخ
الوطني التي كثيرا ما يشوهها المؤلفون
الأجانب . كذلك العمل على أن تتضمن
البرامج التعليمية تاريخنا الوطني .

— ضمان استمرار التعليم في مراحله
المختلفة بالمدارس النظامية أو التدريب
المعالي .

- الجبهة - في أي حلف عسكري ولن تسمح لأي بلد أجنبي بإقامة قساعات عسكرية أو جيوش ورجال عسكريين على أراضي كمبوديا بهدف العدوان على البلاد الأخرى .

ان جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية لا تقبل الحماية من أي بلد أو من أي حلف عسكري . وفي الكفاح المشترك ضد الامبريالية الامريكية تتبع جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية سياسة الصداقة والتضامن العسكري والتعاون مع لاوس وفيتنام وفكالبندا القائل بان تحرير أي بلد والدفاع عنها انها هو من اختصاصي شعبيها ، وان الشعوب الثلاثة تبذل كل ما في وسعها لتساند بعضها البعض وفقا لرغبة أي بلد على أساس الاحترام المتبادل . وعلاوة على ذلك فان كمبوديا مستعدة للتشاور مع لاوس وفيتنام لتصبح الهند الصينية منطقة للاستقلال والسلام والتقدم بحق ؛ وحيث يحتفظ كل شعب بسيادته الكاملة وبعطف وتأييد شعوب وحكومات البلدان الاشتراكية ،

الخلقية والشرف والكرامة الوطنية والروح القومية والتعاون ومثل العمل الجماعي ، وروح الفداء والابتنار والاستعداد لتقديم التضحيات دفاعا عن مصالح الشعب ، والاقبال على العمل بروح المسؤولية والاقتصاد والتوفير واحترام الملكية العامة .

المقسم الثالث

السياسة الخارجية

وتعمل جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية في مجال السياسة الخارجية من اجل الاستقلال الوطني ، السلام ، عدم الانحياز ، والتضامن والصداقة مع كل الشعوب والحكومات المحبة للسلام والعدالة . وتحتفظ جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية بعلاقات صداقة وتعاون مع كل البلدان وفقا لمبادئ التعايش السلمي الخمس ولروح ميثاق الامم المتحدة ، بغض النظر عن نظمها السياسية وايدولوجياتها ، ولن تشترك

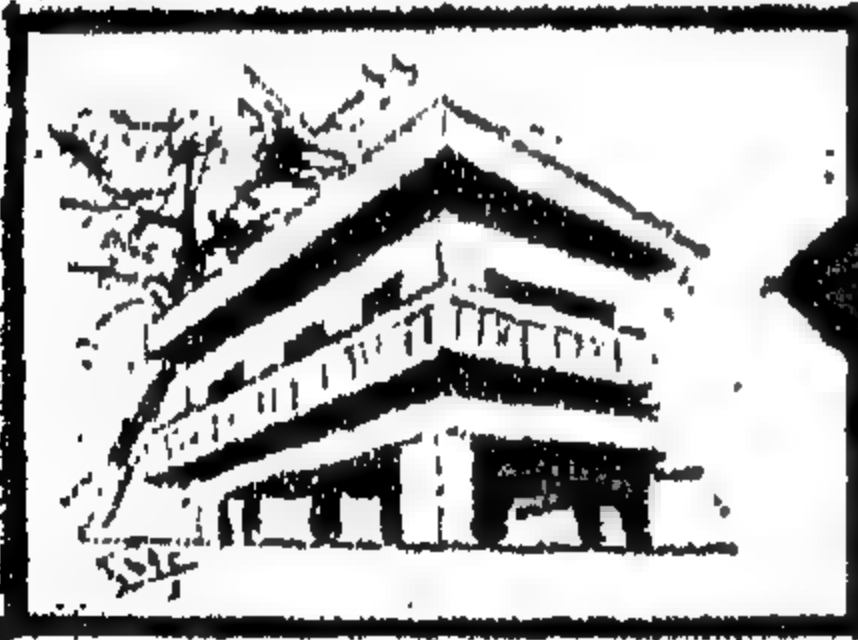
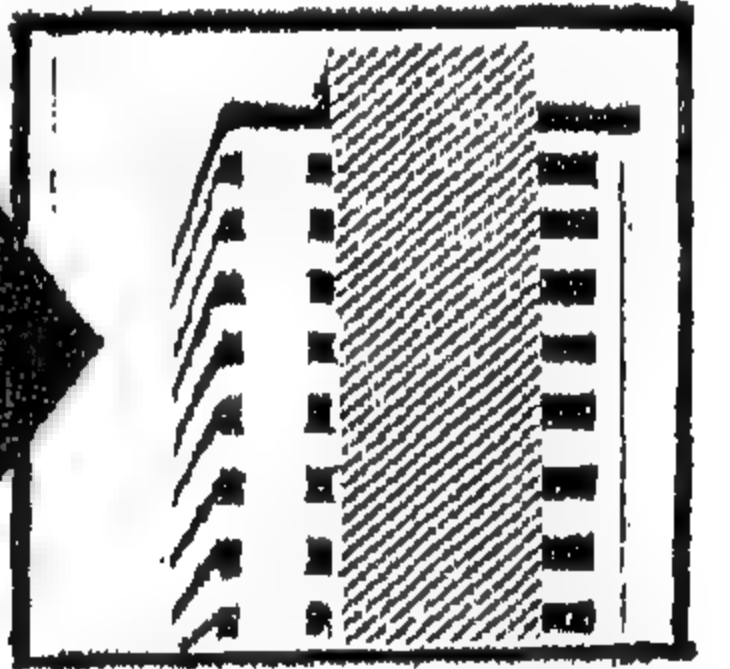
- تطوير التعليم ما قبل الانتظام بالمدارس ودور الحضانه والطفولة وفصول ما قبل الالتحاق بالمدارس .

- كفالة التعليم المجاني والمنح الدراسية للمحتاجين من الاطفال والشباب .

- ضمان ودعم تعليم ثقافي ومدني وسياسي شامل بين الجماهير وللشباب . مساعدة كل مواطن على الوفاء بواجباته تجاه نفسه وازاء المجتمع وللشعب ، والعمل بنشاط على بث روح الجماعة والمصلحة العامة وحب خدمة المجتمع وان يجعل كل انسان نفسه مفيدا للجماهير الشعبية .

ويجب ان يمتد التثقيف السياسي والمدني والثقافي الى جميع المستويات في الوزارات وهيئات الخدمة العامة والادارات والمصانع والنورش والتعاونيات في العاصمة والاقاليم والاحياء والقرى والمائلات ، تطوير القيم

لبناء عمارة سكنية على أرضك



لتعليق عمارة القائمة

البنك العقاري المصري

يقترضك بتيسيرات لا حدود لها
وسيد تسديد الأقساط في المواعيد التي تناسبك

للاستعلام : اتصل بالمركز الرئيسي : ١١ من المسهرى ميدان مصطفى كامل - ٢٥ من غير الخالوت روت / القاهرة

عاشت جبهة الاتحاد الوطني
الكمبودية .
عاشت كمبوديا في ظل الاستقلال
والسلام والحياد والديمقراطية والرخاء .

وسوف تثبت جبهة الاتحاد الوطني
الكمبودية انها جديرة بثقة وتماطف كل
الوطنيين الكمبوديين واصدقائهم الاجانب
في العالم .

وبلدان . عدم الانحياز . والبلدان
المحبة للسلام والعدالة في العالم ، بما
فيهم الشعب الامريكي .

ان جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية
تعبر عن تأييدها الكامل لنضال شعوب
العالم من اجل السلام ، والاستقلال ،
والديمقراطية والتقدم الاجتماعي ، ضد
الامبرياليين الامريكيين والغزاةيين محبي
الحروب ، ضد الاستعمار القديم
والحديث بكل اشكاله ، وتعبر عن تأييدها
الكامل لشعوب آسيا وافريقيا وامريكا
اللاتينية من اجل الاستقلال والحرية ،
ونضال الشعب الصيني لاستعادة
تايبوان ، كجزء لا يتجزأ من جمهورية
الصين الشعبية ، ونضال الشعب الكوري
ضد الامبرياليين الامريكيين ولتحرير الجزء
الجنوبي من بلادهم . واعادة توحيد
كوريا ، وكفاح الشعب العربي ،
والشعب الفلسطيني بخاصة من اجل
حقوقهم القومية الاساسية ضد المعتدين
الاسرائيليين مهلاء الامبرياليين
الامريكيين ، وكفاح الشعب الامريكي
ضد الحرب العدوانية وضد التمييز
العنصري ومن اجل السلام ومصالحه
الحقيقية الخ ..

والشعب الكمبودي مستعد تحت قيادة
جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية لان يقدم
كل التضحيات لاهراز النصر النهائي على
الامبرياليين الامريكيين وعملائهم ،
عصابة لون نول - سيريك ماتاك لان
الكفاح الحالي من اجل حرية وكرامة
اجيالنا القادمة ، كفاح حاسم ،
واساسي من اجل الاستقلال والحرية وتقدم
شعوب الهند الصينية وباقي شعوب
العالم .

ووفق هذه الروح ، تؤيد جبهة
الاتحاد الوطني الكمبودية بحرارة
التنظيمات السياسية ومختلف المنظمات
الدينية والثقافية والوطنيين والتقدميين
التي وافقت او ستوافق على بيان النقاط
الخمس الذي أصدره سامديش توردوم
سيهانوك رئيس الدولة في ٢٣ مارس
١٩٧٠ او انضمت او ستنضم الى تنظيمات
جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية او ستظل
خارج هذه التنظيمات لتتأرب عدوان
الامبرياليين الامريكيين وعملائهم
المحليين .

وتعمل جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية
من ناحيتها على دعم وتعزيز نشاطاتها
السياسية بهدف الارتقاء بالمستوى
الوطني وتصميم الشعب الكمبودي في
الكفاح الحالي من اجل الخلاص القومي .
وان شعبنا بأسره سوف يهب كرجل واحد
ويلتقدم بشكل ظافر نحو النصر النهائي على
المعتدين الامريكيين وعصابة لون نول -
سيريك ماتاك العميلة للامريكيين .



• من أهل الحياة والبقاء ..
• من أجل مستقبل أفضل ..
لأسرتك ولأولادك

كتب اليوم في

سنة الجراد

- مساهمة ايجابية في المعركة
- استثمار ٤٠٪ فائدة صافية
- معفاة من جميع الضرائب والرسوم
- لا يجوز الجزاء
- السندات لها مزايا ويتم تداولها بسهولة ويسر ..
- يمكن الاقتراض بضمائم من البنوك التجارية
- رصد بفئات ٥٠ قرشا ، جنيه واحد ،
- ٥ جنيهات ، ١٠ جنيهات ، ١٠٠ جنيه .

يتم الاكتتاب عن طريق البنوك التجارية وفروعها

شباب السينما المصرية
يدخلون الحركة

الطلعة

ملحق الأدب والفن

المعد الثالث — مارس ١٩٧٢

الأدب الإسرائيلي المعاصر
نموذجان واتجاهان في الأدب الصهيوني

يشرف على التحرير :

د. لطيفة الزيات

غالى شكرى

محمود درويش

سمير فريد

صبرى حافظ



أغنية على المر : القتال حتى النصر أو الموت

في هذا العدد

ملاحظات : التحالف الوطنى فى حقل الأدب والفن

الأدب الاسرائيلى المعاصر بعد ١٩٦٧

« الدراسة »

- نموذجان واتجاهان فى الادب الصهيونى
- قصة : « مآخذ الشيطان على فاوست »
- قصة : « العشب الاحمر يشتعل فى بطناء - النهر الاخضر يتدفق الى الابد »
- أدب الرفض - قصصيتان

سينما : شباب السينما المصرية يدخلون المعركة

مسرح : الجيل الطالع : مرافعة ادعاء نقيضها الواقع

فن تشكيلى : مساحات الظلال الجافة

قصيدة : آخر القراصنة من العصافير

كتب جديدة : تلويحة الايدى المتعبة



التحالف الوطني .. في حقل الأدب والفن

لطفي الخولي

يمكن أن نقول أن الفنان أو الأديب في بلادنا ؟ قد كسب ماديا ، بتدخل الدولة في حقل الفن والأدب . . لكن هل نستطيع أن نقر - خارج إطار التقارير الدعائية الرسمية - بتحقيق كسب فني مواز للكسب المادي ؟ . . وهل يمكن القول بأن الحركة الأدبية والفنية - عامة - قد واصلت مسيرتها - وبمعدل أسرع - على طريق الخلق الإبداعي للإنسان في عصر الثورة الاشتراكية والسيادة على القمر ؟ أن تدخل الدولة في حقل الأدب والفن ، لم يبدأ بصورة مباشرة وواسعة ، إلا منذ حوالي نصف قرن . وذلك مع تفجر الثورة السوفيتية ، وميلاد أول نظام اشتراكي في العالم . وجاء تدخل الدولة ، ترجمة للمبدأ الاشتراكي القائل بضرورة تنظيم المجتمع من أجل اشباع الحاجيات المادية والمعنوية للشعب . والأدب والفن يندرج - بالضرورة - في إطار الحاجيات المعنوية . وبقيام سلطة اشتراكية تستند إلى دكتاتورية البروليتاريا ، التي يمثلها حزب محدد ، أمكن التوصل إلى خط فكري عام يسيّر أجهزة محددة للعمل والإنتاج في حقل الأدب والفن . وتواجد الفنانون والأدباء الاشتراكيون داخل هذه الأجهزة . ورغم منطقية هذا التنظيم للحياة الإبداعية ، فقد تعرض باستمرار للهزات والانتقادات ، ولم يسلم من ذلك الخط الفكري العام نفسه ، والذي تبلور عما يسمى « بالواقعية الاشتراكية » .

وفي بلادنا ؟ برعنا براعة خاصة في نقل وتقليد الجوانب السلبية من تجارب الغير ، حتى بعد أن يعدل عنها ، وذلك تحت أعلام الاشتراكية . ولم ننتبه أيضا إلى حقيقة بسيطة وجوهرية ، وهي أننا لم نصبح بعد بلدا اشتراكيا ، وإنما نحن بلد صغى الاقطاع والرأسمالية الكبيرة ، وأقام تحالفا كميا بين الرأسمالية الوطنية [المتوسطة والصغيرة] ، والعمال والفلاحين مع فئتي المثقفين والجنود ، وراح من خلال بناء « القطاع العام » ، يتطلع نحو آفاق اشتراكية . وبالتالي فسلطة الدولة أساسا ، يجب أن تكون سلطة هذا التحالف .

صحيح ، لابد من تدخل الدولة في حقل الأدب والفن . . ذلك لأن التغيير الذي حدث بالمجتمع ، جراء نتيجة حركة الجماهير المحرومة من الحياة الانسانية لاسترداد حقوقها . والتمتع الأدبي والفني هو أحد حقوق الإنسان . وواجب دولة التحالف الوطني أن توفره للمواطنين ، بعد أن كان مجرد ترف للطبقات المتميزة اجتماعيا .

ولكن كيف يكون التدخل ؟ .. هذا هو السؤال الذى لم تستطع ان توفق بعد الى صياغة اجابة واقعية وصحيحة له . واظن لست فى حاجة الى سوق ادلة على ذلك . يكفينى فقط الاشارة الى ذلك التناقض بين رفع المستوى المادى للفنساتين والادباء نسبيا ، وبين ما يعانونه من تمزق وضيق . او الى التناقض بين غلبة الانتاج التجارى السطحى والرخيص على الانتاج الجاد والانسانى والانسانى التقدمى ، تحت مظلة الدولة .

نقطة البدء الخاطئة فى تدخل الدولة عندنا ، هى — برأى — فى محاولة فرض خط فكري عام على الحقل الفنى والادبى ، كما هو الحال فى البلاد الاشتراكية . رغم ان طبيعة التحالف الوطنى الذى يحكم بلادنا يعنى بالضرورة تنوع وتعدد الخطوط الفكرية ، وبالتالي الفنية ، وذلك نتيجة تنوع وتعدد القوى المتحالفة . واذا كان التحالف يعنى بتوحيد المواقف السياسية لهذه القوى ، الا ان ذلك لا يمكن ان يعنى الغاء او انكار اختلافاتها الفكرية . ومنع الاسف فان هناك من حاول — فى حقل الادب والفن عندنا — ان يسود خطا فكريا واحدا . وساهم فى ذلك بعض الاشتراكيين . ولما كان الطابع الغالب على التحالف — كقوى اجتماعية وقيما وفكرا وعادات — هو طابع الرأسمالية الوطنية ، وخاصة الصغيرة منها ، فقد انعكس هذا بدوره على جميع الاجهزة العاملة فى حقل الادب والفن ، وبالتالي على الخط الفكرى المعتمد . ولا يفيد فى شيء ان يتم ذلك تحت اعلام الاشتراكية ، ما دام المضمون والشكل فى غالبية الاحيان ، هما — لحبا ودما — من نبع البرجوازية الصغيرة .

وهكذا ، باسم امتاع الشعب ، بمعنى اضحاكه بهلوانيا ودغدغة غرائزه ، ساد الانتاج الرخيص والمبتذل . ولقد حاول عدد من الفنانين والادباء الوطنيين التقدميين المقاومة . بيد ان اغليبيتهم لم تستطع الاستمرار . اما بسبب استعابهم فى مناصب بيروقراطية ، واما نتيجة الاغراءات المادية . لكن يظل السبب الرئيسى كامنا ، فى عدم وجود حماية مسئولة وواعية من الدولة ، ومن جماهير الحقل الادبى والفنى معا .

ومن هنا ، فان المطلب الملح لانقاذ حياتنا الفنية والادبية من الرخص والابتذال ، يتبلور فى ضرورة ان تنعكس بامانة طبيعة التحالف ، على تكوين جميع اجهزة الدولة فى حقل الادب والفن . وان يعترف بحق جميع الاتجاهات الفكرية والفنية داخل التحالف فى ان تعبر عن نفسها بحرية . وذلك عن طريق دور نشر ومسارح ووحدات انتاج سينمائية وتليفزيونية مستقلة استقلاليا ذاتيا ، وتتجسد كمدارس فكرية وفنية ، تتصارع ، من خلال الخلق والنقد مع بعضها البعض .

ان السيادة المطلقة للفكر والقيم الفنية البرجوازية الصغيرة ، يجب ان تواجه بحسم ، ليس فقط لصالح تطوير الحياة الفنية والادبية ، ولكن اولا واخيرا لهندسة الوجدان الانسانى ، هندسة عصرية وتقدمية ، تؤهله لان يكون ابنا حقيقيا للثالث الاخير من القرن العشرين ، وقادرا على مواجهة التحدى الصهيونى العنصرى والتخلف الحضارى والاجتماعى معا .

وحول هذه القضية بالتحديد ، فاننا نقترح الاعداد لمؤتمر حقيقى — لا شكلى — فى اطار الاتحاد الاشتراكى ، تشترك فيه جميع اجهزة الدولة المتصلة بالادب والفن والثقافة بوجه عام مع جمهور الادباء والفنانين . وافساح مجال واسع نسبيا للطاقت الشابة .

هل تبينطيع امانة الفكر والدعوة فى الاتحاد الاشتراكى ان تتصدى لهذه المهمة التى تتصل اتصالا وثيقا بواجباتها ؟

مساحات الظلال الجافة

(..... ندع جانباً سيدة تظن أن الغنى بطاقسة مرور للفن ، فتمضي عابثة تارة ، وأخرى تستعرض إمكانات ومهارات سطحية في « التكنيك » . ونفعل قسماً في بينالي الإسكندرية لولا اللافة التي تشير بأنه القسم المصري ما استطعنا تحديده ، ونعتذر عن معرض كان يجب أن نؤفيه حقه وهو معرض سناء الببسي ، ومن الظلم مناقشة أعمال سناء كقيمة تصويرية بكل ما تحمله تلك القيمة من بناء تشكيلي وصراع درامسي وأحاسيس بالإنسانية ، ولو أنصفناها ، نضعها جانب أعمال كبار مصممي طبع النسيج في العالم ، وكما نحن محتاجون لمثل هذا النوع من الفن . لذا سأحدث مقتضياً ، ودون انفعال في قضية لا يمكن الاسترسال فيها ، كمالاتكم المقدرة على كتبها في أعماقنا) .

زاد من حدة الفراغ في نفوس الفنانين هنا أن السلطة لا تطلبنا ، معينا ، كما في بعض الدول التي مرت بالتجربة الاشتراكية ، كما أنه لا وجود لسوق يفرض نوعية ما من الفن ، إذ أن في مثل هذه الحالة يكمن الصراع بين ما يريد الفنان تحقيقه ، وبين ما تحاول العوامل الخارجية أن تفرضه ، لكن في وضعنا الراهن ضياع كامل ووحدة تفرصها حرية لا معنى لها لأنها دون ارتباط بما . وعلى الفنان أن يحسن نفسه جيداً بعوامل من النمو الذاتي الباطني ، وكيف يحدث هذا أن فقد ثقته بنفسه أو شعر أن من حوله قد فقدوا الثقة فيه . أن الذي يحصل المبتدئ عن الرسام ذي المواهب الضحلة ليس أكثر من الإحساس بالثقة بالذات والرغبة في أنه لا يريد أن يخدع نفسه . لا أحد يطلب من الفنان احترام السياسة . فقط عليه أن يتخذ موقفاً محدداً ، وبعد ذلك من خلال ممارسة العمل الفني بصدق سيكتشف أنه حقق كل شيء ، حتى ارتبطت بالماضي والمستقبل . لكن أية محاولة لجر الفنان للسياسة المجردة سوف تزيد من التناقض الذي يمزقه في أعماقه .

لقد كنت بينهم حتى أتحرق من عذاب الضمير . . حتى أنفخ من شموعهم بالمسؤولية والعجز . أنا موجود بينهم سيان أردت أو لم أرد . لا أنكرهم ، حتى لو أنكروني . . وأسمع أنني ولدت ثانية من جديد بينهم . أردت مع جون رانسون :

« أنا بالذات - طفل ، كبرت فجأة - مع صرخة

من إحدى الحناجر البيضاء المخفية

بينهم » .

حسن سليمان

يأتي إلى أحدهم يجر مع خطواته المتعثرة ثقله وجوده ، وأحباطه وعجزه . قال أن الوقت ليس وقت الفن وأن لا قيمة مطلقاً لأي عمل فني ، وأن الموقف يشلنا . قلت له أنه المسئول عن هذا الجود ، كما أنه المسئول كذلك عن نكران الجيل الجديد له . هو المسئول إذ عزل وفصل نفسه عن وضعنا الراهن . أن هذا الجود لا يمكن أن يؤدي سوى إلى حالة واحدة ، وهي أن ينقد الفنان احترامه لنفسه نتيجة عدم اتخاذ موقفاً صريحاً صارماً . فني أعيا كل منا أرتب جانباً يندفع إلى جحره طلباً للسلام ، أرتب . يحصل كل تطلعات الطبقة المتوسطة والرغبة في مكاسبها . فان أراد الفنان أن يحيا حياة حقيقية ومتجددة عليه أن يقتل ذلك الأرتب في أعماقه .

أنا جربنا لأنفسنا العار بتخاذلنا وتباؤنا حتى مع تضايقات الفنية ، فهل كان مطلوباً أن نفرض على الجيل الذي بعدنا مصيره ، دون أن ندعه حتى ينتفض انتفاضة بريئة . وما هو ذا ينتفض دون قيادة ، أو كما قلت دون أنشودة أو تصيدة أو صورة . هو في سن ، التجربة فيه أصغر من أن تصوغ فناً أو تصبغه بصيغة ثورية . ونحن نظن أننا لا نستطيع الهامه أو اقتناعه أو مشاركته أفكاره . أن ميأقنا لفن متحجر أثبتت أنها لا تكفي . . وحينها وجدنا أنفسنا منفصلين عن حولنا ، عاجزين من أن نخلق للجيل الذي بعدنا فناً حولنا فننا إلى محاولات وتجارب نسطوا عليها من تجارب فنانيين خارج حدودنا . فنانيين لا نربط بهم ولا يمكن لهم أن يرتبطوا بنا . والتوايا الحسنة أو الجادة في حد ذاتها لا تكفي . أي عمل لابد أن يقاس بمدى صراعه مع الظروف المضادة حتى يحققه . أن الذي

يختلف الفنان عن العالم ورجل الفكر والسياسي تحدده حدة الانفعال وسرعة المبادرة وعندها مثل الفنان الكبير جان لوى بارو من تركه للملحة تحتل مسرح الأوديون بباريس ، قال لسائله : « لقد نسيت يا سيدي أنني جان لوى بارو الفنان قبل أن أكون جان لوى بارو مدير مسرح الأوديون ، والموظف لدى سيادتكم » .

لقد كنت بينهم ولم أكن أملك سوى أن أكون بينهم . وماذا سيكون مصيري أن اكتشفت أنني تركت وحدي ، وبضعت الأجيال عبري . . مضوا كلهم مدانين أو مستذنبين . . على حق كانوا أو على خطأ . أن ما يحدث الآن لا يمكن له أن يحدث ثانية . . وسرعان ما سأكتشف أنني أنا الذي تركت في منظور صارغ ذي مساحات ظلال جافة ، وإبعاد لا نهائية . . عاجز حتى عن إعلان براعتي لنفسى ، فلا وجود لبرر كاف لإنتاجي الفني ، كما أنني غير مقتنع بأن لا يحدده ارتباط بالآخرين أو انفعال بهم . وهل نقف احتراماً ، أو ننحنى مستسلمين لجيل يتقود نفسه دون قيادة منا . نحن الجيل الذي سبقه . . بغير ، أن لمنحه أنشودته أو موسيقاه أو لوحته أو قصيدته أو حتى أرضية ثقافية حسلية يقف عليها . أن نكرانه لنا ليس أكثر من تأكيد لطلبه العادل ، وهو أن نقوده فكراً لنرجع احترامه لنا . هذا أو ننزوي كالآرانب في جحورنا معلقين . جبيننا أو أنانيتنا على حد سواء ، أو في جملة واحدة « أملاطنا » . فقط بصدق التجربة وانفعال بها وإيمانه بسلامة موقفه . بهذا فقط يستطيع الفنان أن ينصب من سقطته وأن يجدد نفسه معلناً من ذاته من جديد . لكن المخزي أن

آخر القراصنة من العصفير

شعر : معين بسيسو



فسوف يبدأ الحصار
والمطاردة ..

٢

أبحث عن مغارة جديدة ،
عن قافيه ..
« غار حراء أين ؟ »
عنكبوت هذا العصر واشيه
ثرثارة ،
وهذه اليمامة البيضاء ،

أصبحت عاجزا عن الكتابه
الاخرون كيف يكتبون ؟
يجرد العصفور من نيشانه ،
ويكتبون :
(زور أشعار امسرى -
القيس ،

ونشرة الطقس ،
ويكتبون ..)
تصادر الورود من هوامش
الكتب ..
ويكتبون : (قد أصابها
الجرب)
ويجلد التمثال في الميدان
- عاريا -

ويكتبون : (حاول الهرب)
أصبحت عاجزا عن
الكتابه ..

تموت في المحبرة النحلة ،
تكبر في المحبرة الذبابه ..
أصبحت عاجزا عن
الكتابة ..

قد سقطت أصابعي ..
الصقتها بالصمغ ، سقطت
أصابعي ..

لكنني سأدفع الثمن ..
اكتحلي حبيبتى سأدفع
الثمن ..

ليس قصيدة عن المقاومة ..
ليس قصيدة عن الوطن ..
لم يبق في محفظة
النقود - غيرها -
خارطة الوطن
اكتحلي حبيبتى وأسرع
قد سقطت أصابعي ..
وحطمتي الكأسين فوق المائدة



تكتب بالعصى والسياط

٥

اعترفى بفمك المحشو بالماء ،
وأنت فى القاع ،
بأنه الغرق ..
اعترفى بأنه الغرق ..
لم اعترفت ربما ستنقذين ،
شيئا ،
ربما ستنقذين مركبا من
الورق ..

٦

تنطفئ النساء مرة واحدة
فى المدفاه ..
تنطفئ الاكذوبه ..
تنطفئ العروبه ..
يخرج حاجب السلطان ،
يدعو الناس للجهاد ضد
الزندقة ..
فلا يرون عند باب القصر
غير مشنقه ..
يخرج حاجب السلطان ،
يدعو الناس للجهاد ضد
طفل ،
يكتب الاشعار فوق ساق
زنبة ..
مشنقة وزنبة ..
زنبة ومشنقة ..

٧

هذا أنا ..
آخر متراس هوى
وآخر الاسرى أنا
وآخر الجرحى أنا
وآخر القتلى أنا ،
وآخر القراصنه ..
لكن بعدى البحار لن تكون
آمنة ..

علمت موجة صغيرة هناك
فى أعالي البحر ،
أن تكون عاصيه
لا تدفع الضريبه ..
لحرس الشواطىء
لحرس الموانىء
للحرس القديم والجديد
للحرس الذى سوف يجىء ..

ذات الطوق والخلخال زانيه
تبيع بيضها وعشها ،
لقاء ملء حوصله ..
ومن يلومها اليمامة
المطوقه ..
زنت ..
أجل زنت ،
ولكن فوق حبل مشنقه ..

٨

كرهت اسم السنبله
كرهت اسم القنبله
كرهت كل الكلمات السهلة
المرتجله
كرهت هجرة الاسماء
والرايا والصور
من حائط لحائط ،
وهجرة القصيده ..
من جريدة الى جريده ..
كرهت هجرة الطيور من
مصيدة ،
الى قفص ..
من قفص لمصيده ..
كرهت هجرة الاجراس
من كنيسة الى كنيسة ،
كرهت هجرة المسيح بين
كأس الخل والصليب ،
فى طريق الجلجله ..
أيتها الرمانه ..
كرهت هجرة البطانه
من قصر ملك لقصر ملك
كرهت هجرة العنقود
بين الكلاب البيض والكلاب
السود

٩

أتعرفيننى الان بالصورة
والتهمة والاسم واللقب
حين الجميع انتسبوا ،
رفضت انتسب ..
هذا أنا لا قاتل ولا مقتول
هذا أنا لا سائل ولا
مستؤل ..
ضد الصليبيين ضدهم ،
ضد صلاح الدين ..
ضد الجرائد التى من المطاط

الصهيونية.. والأدب

اتجاهات الفكر والوجدان
الاسرائيلي بعد ١٩٦٧

كيف

يفكر الانسان الاسرائيلي ؟ وكيف يشعر ؟ خاصة في ظلّ الاوضاع المتوترة التي يعيشها يوما فبوما ، منذ تأسيس « دولة اسرائيل » ؟ .. أن الأدب الاسرائيلي المعاصر يقدم جوابا ، ربما كان أعمق من الاجوبة السياسية المباشرة ، لأنه يسجل ذبذبات الوجدان الاسرائيلي لحظة ف لحظة ، ازاء المتغيرات التي تتجاذبه من الداخل والخارج .

ونحن لن نستطيع ان نتعرف على عدونا معرفة عميقة ، الا اذا وضعنا اليد والاذن على القلب الاسرائيلي ، كيف يدق ، متى يسرع نبضه ، ومتى يبطئ .. ان حزيران سنة ١٩٦٧ لم يكن شهرا خاصا بالعرب وحدهم ، وانما كان « تاريخا » في حياة اسرائيل أيضا . لذلك فقد عني « الملحق الادبي والفني » للطليعة ، أن يقدم هذه الدراسة لابعاد الأدب الاسرائيلي وتياراته المختلفة بعد سنة ١٩٦٧ ، ذلك ان هذا الأدب ليس وحدة متجانسة ، وانما هو يصوغ عدة استجابات متباينة ، ما أحوجنا للتمييز بينها وتشخيصها بالدقة اللازمة حتى لا نقع في انشودة التعميم .

وقد قام باعداد الدراسة ، وترجمة النماذج ، ابراهيم البحراوى المعيد بالقسم العبري بجامعة عين شمس ، ويقوم بتحضير رسالة الدكتوراه ، حول الأدب الاسرائيلي المعاصر .

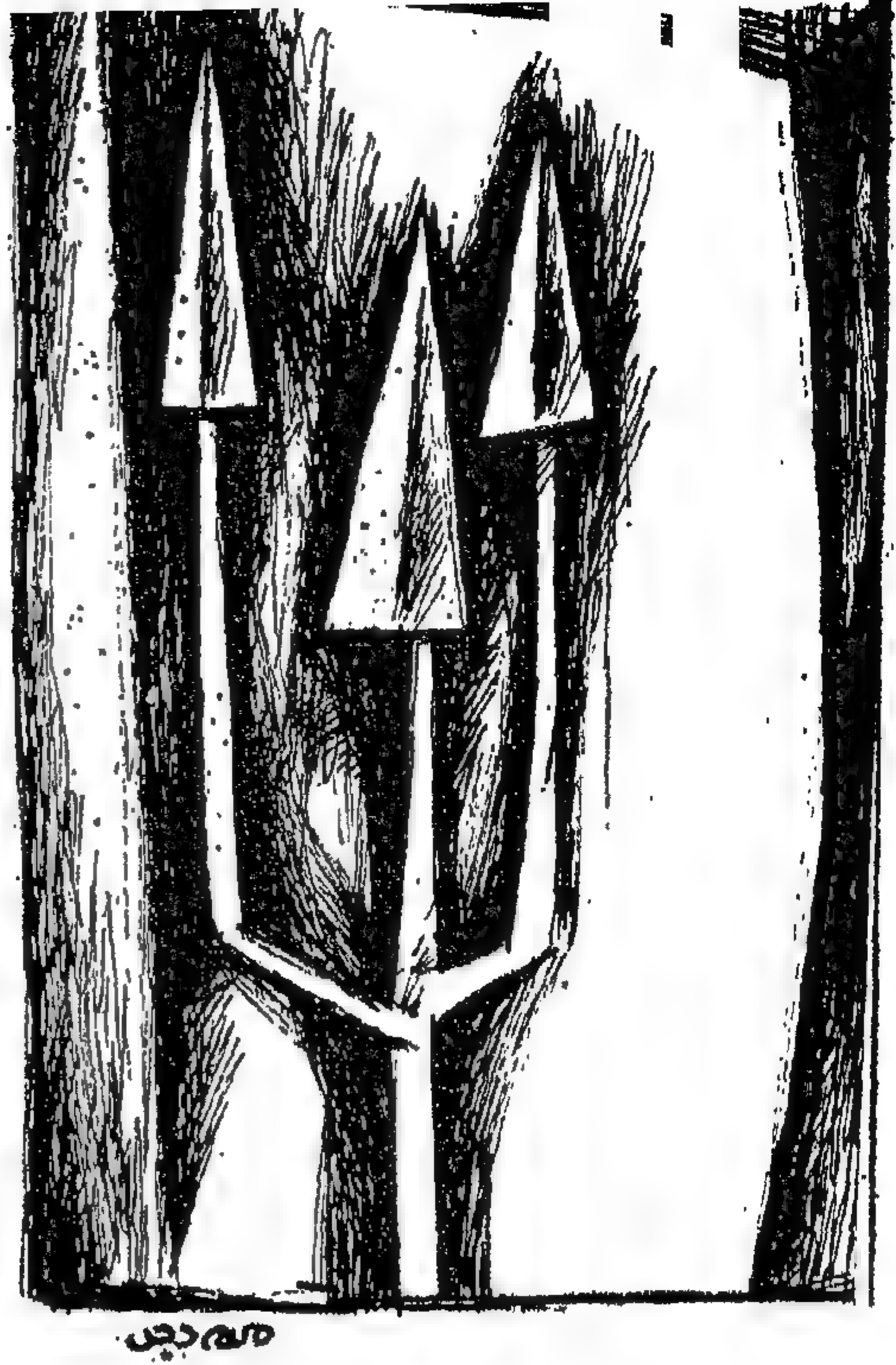
وتنقسم الدراسة ووثائقها الى الاقسام التالية :

- مدخل تحليلي حول اتجاهات الأدب الاسرائيلي بعد سنة ١٩٦٧ .
- قصة « مأخذ الشيطان على فاوست » .
- قصة « العشب الاحمر يشتعل في بطن » النهر الاخضر يتدفق للابد »
- قصيدتان : الحرب المقبلة » و « اشعار احتضار » .
- تعقيبات نقدية على النماذج .





اتجاهات الأدب الاسرائيلي بعد عام ١٩٦٧



صمد

الفرات الى النيل، حتى أصبحت تسمى في تعبيرهم الدارج « الأراضي المحررة » ورقعوا شعارا دعائيا لهم في انتخابات الكتينست الاخيرة هو « حتى ولا شبر واحد » تدليلا على تمسكهم بهذه الارض وعدم استعدادهم للتخلي عن أي جزء منها .

ومن الواضح أن هذا الموقف المعلن لا يختلف في شيء عن الاهداف الاساسية العلنية قديما من جانب الحركة الصهيونية في اقامة وطن قومي لليهود . . الا من حيث اتجاهه الى ضم مزيد من الارض العربية الى رقعة هذا الوطن وبسط سيطرته عليها .

ومثلما واكب أدب الاحياء القومى هدف تجميع اليهود وانشاء وطن قومي يهودى في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ فإن الادب الاسرائيلي يمارس اليسم دورا اساسيا - كعنصر من العناصر الراقية في الاعلام والدعوة - في مهمة قرع الطبول لنداء تجميع يهود العالم ، واستجلابهم ليعمروا الاراضى المحررة .

يقول حاييم هزآن أحد اعلام الادب في اسرائيل والذي منح أخيرا لقب مواطن شرف مدينة القدس تقديرا لمكانته الادبية وانتخب فوق ذلك رئيسا لاتحاد الادباء العبريين « أن عبقرية الشعب اليهودى تكمن في ذاكرته التى ظلت تنعى على امتداد عشرين قرنا كونه وحدة غير قابلة للتفتت » (فى حديث مع محرر معاريف ١٩٦٩-٧) . وهزآن حينما يقول هذا إنما يريد أن ينفذ منه الى دور الاديب الصهيونى وتخليده . . أن هذا الدور الذى يعيه جميع الادباء الصهاينة دون أن ينحس عليه هزآن يتحدد فى العمل على تغذية هذه الذاكرة الجماعية لسدى الجماهير اليهودية . . الذاكرة التى تعمر

وعلى الرغم من أن هذه الصفة تميز الادب الصهيونى فى مجموعه عبريا كآ : أم غير عبرى منذ نشأته ، مبعدا للحركة الصهيونية السياسية ومصاحبا لها . . فإن الادب الاسرائيلي قد أصبح اليوم أشد لصوقا بهذه الصفة بفعل الظروف والاحتياجات المادية والنفسية التى نجمت عن الحرب وماتلاها من استمرار القتال . . حتى بدأ يجانى اسهالا كتابيا بكل ما تنطوى عليه الكلمة من لجاجة أدبية وضعف فى اسلوب الكتاب . . وهى قضية تثار حولها مناقشات واسعة على أعمدة الملاحق الادبية بالصحف الاسرائيلية بين النقاد والادباء وأحيانا ما يشرك فيها القراء أيضا .

والادب الاسرائيلي بهذه الصفة الغالبة ادب ملتزم بدعوى معينة تمثل لب العقيدة الصهيونية . . وهى دعوى الشعب اليهودى الواحد المتميز الذى ينبغى له أن يتجمع فيما يسمى « بأرضه التاريخية » وهذه هى القضية المحورية التى قام عليها ادب الاحياء القومى فى الفترة ما بين ١٨٨٠-١٩٤٨ والتى يقوم عليها اليوم الادب الاسرائيلي الملتزم فى حدود اتساعها وتشعبها فى مواكبة سير الاحداث وتطورها .

بعد عام ١٩٦٧ أصبح الحلم الأزهى لكل القوى الملتزمة بالفكر الصهيونى فى اسرائيل هو جانب ما يسمى بيهود الشتات من مواطنهم فى أنحاء العالم من أجل تثبيت الانتصار الاسرائيلي وتوفير القوى البشرية اللازمة للاحتفاظ بالاراضى العربية التى تم الاستيلاء عليها ، والتي اعتبرت لدى القوى السياسية المجهرة بالاهداف الصهيونية الحقيقية « أحزاب اليمين والمتدينين وحركة اسرائيل الكاملة » جزءا من أرض اسرائيل التاريخية « اسرائيل

من حق القارىء أن يحيط بشكل هذه الدراسة ابتداء حتى يكون على فهم كامل للاعتبارات المؤثرة فيما نحن بصدد من دراسة تستلزم بعطبيتها عودا تاريخيا الى مراحل سابقة على الواقع الاسرائيلي الذى نواجهه اليوم والذي ينبغى أن تركز كل جهودنا لهمة فهمه ومتابعة ما يعتمل فى اطواره من عوامل مؤثرة على مجرى صراعنا معه . . خاصة وأننا قد تلكأنا طويلا فى مهمة رصد تحركاته المختلفة عبر مراته الادبية العاكسة لهذه التحركات . هذا بالإضافة الى احساسى الشخصى بأن عقلية القارىء العربى قد اختلفت موجه عام فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧ بحيث أصبحت أقرب الى العقلية الوثيقية النزاعة الى التشكك فيما يساق اليها من احاديث وتحليلات حول واقع العدو دونما سند وثيقى مؤيد ومدعم .

وانطلاقا من هذين الاعتبارين - اعتبار اللهفة على ملاحقة ما يجد على الحياة الاسرائيلية فى عمومها من تغييرات واعتبار الحاجة الملحة الى الوثيقة الكاملة فى الحديث والتحليل - يجىء شكل هذه الدراسة قائما على تناول آخر ما لحق بواقع الفكر الصهيونى وانعكاساته الادبية فى اسرائيل من لمسات الى جانب ارفاق النصوص الادبية المثلثة والمؤيدة ، ومع عدم اهمال الإشارة التاريخية العاجلة الى مسار التعبير الادبى الصهيونى بما يضئ واقعة الراهن ويكفل فهمه فى سياقه التاريخى العام .

سمات عامة :

ان قطاعا كبيرا من الانتاج الادبى فى اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ . . تنطبق عليه صفة أدب الدعوة أو ما يسمى لدى النقاد الاسرائيليين الادب المجند والادب الوليد الفورى للحظة والحدث .

وحدثهم كشعب وليس كجماعة عقيدة بحيث لا تسنح لهم الفرصة لحظة واحدة للانفلات من أسوار العزلة والانحصار في شعوب البلدان التي يعيشون فيها ، وهذا هو جوهر الرسالة في الادب الصهيوني مهما تغايرت موضوعاته وأشكاله .

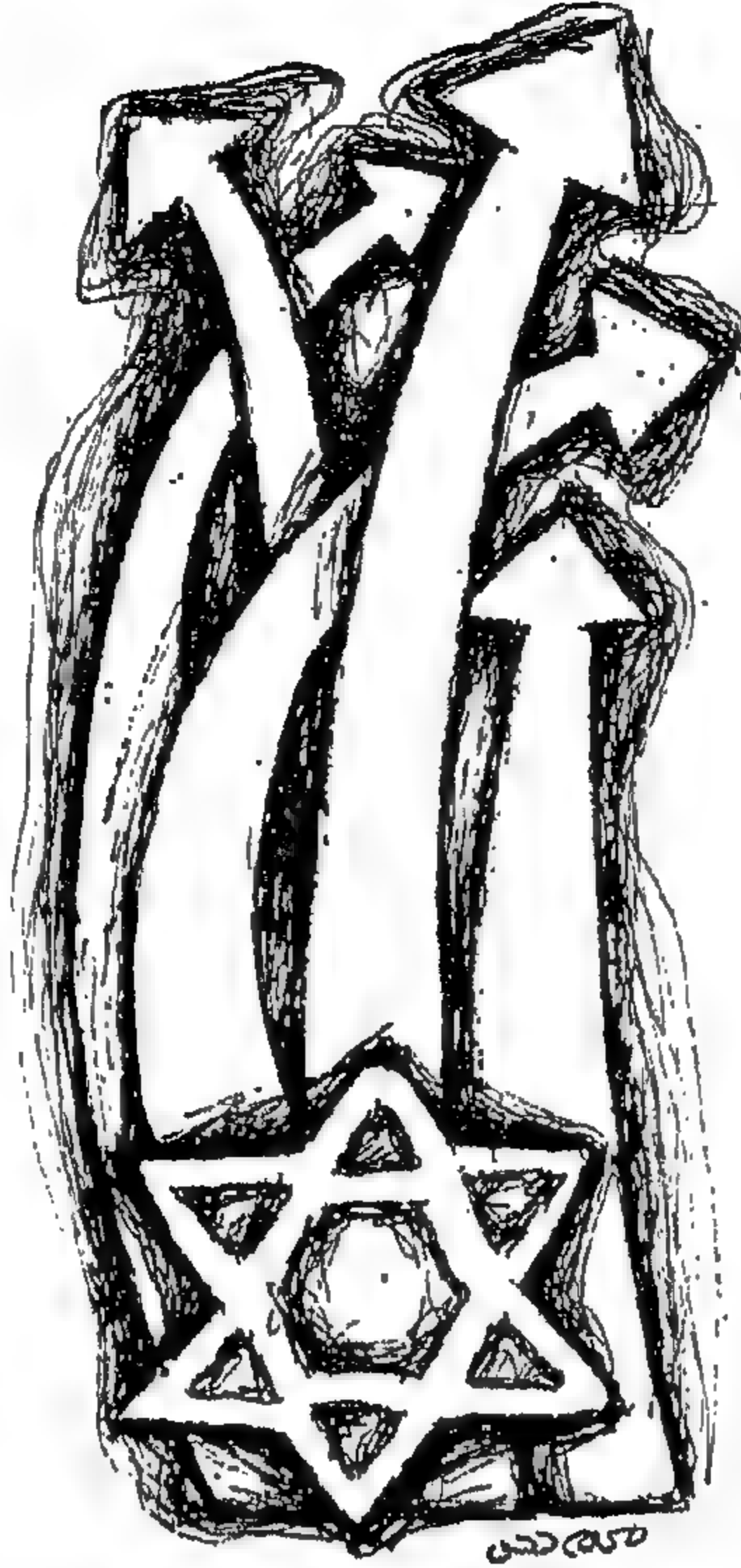
أساليب التعبير الادبي الصهيوني :

قبل قيام إسرائيل كان الأسلوب الرئيسي الذي يتبعه ادباء الدعوى الصهيونية للوفاء بدورهم هذا هو أسلوب الاحياء القومي للوجدان اليهودي . ويتمثل هذا الأسلوب في الكتابات الادبية التاريخية التي تستمد مادتها من التاريخ الاسرائيلي القديم وتنسج اساطير التمجيد والبطولة حول الشخصيات التاريخية القديمة في صور ادبية حديثة . أو تصوغ أحداث الحياة اليهودية الحديثة في اطار تاريخي قديم يرمز اليها وينتهي بها الى خاتمة التجمع والانتصار السعيدة . وذلك لتحريك النوازع القومية واذكاء آمالها لدى اليهود في العالم . هذا الى الكتابات الادبية الساعية الى تمجيد تراث الحياة اليهودية المنعزلة في الجيتو والاحياء اليهودية الخاصة في اوربا خلال العصور الوسطى وتقابل حارة اليهود في الشرق ، وتؤثر نموذج هذه الحياة اليهودية الخالصة باعتبارها العنصر الاساسي الذي كفل للجماهير اليهودية امكانية عدم الذوبان في المجتمعات المختلفة . هذا فضلا عن الكتابات العازقة على وتر الوشيجة التاريخية التي تربط بين الشعب اليهودي والارض الفلسطينية . بالإضافة الى الكتابات الهادفة الى خلق الميثاق اليهودي المعصوم من الزلل ومن التعرض لنوازع الخوف والتردد وما الى ذلك مما يميز البشر في مجموعهم .

واليرم ، وبعد قيام الدولة ببضع وعشرين سنة ، وبعد انتصار ١٩٦٧ نجد أن هذه الأساليب كلها ما زالت قائمة . وان كان الأسلوب التاريخي قد تضاعف حجمه ، ويبدو معينه قد نضب في أذهان الادباء الاسرائيليين ، أو أن ظروف العصر قد تجاوزته في نظرهم ، فلم يعد قادرا على الوفاء بالدور المطلوب . لذلك يلاحظ أن الاقبال عليه كاد أن يتوقف بحيث لم يعد هناك سوى عدد قليل جدا من الادباء يمارسون الكتابة به ومعظمهم من المخضرمين .

وفي مقابل هذا نجد الغلبة اليوم لأسلوب آخر يقوم بالدور الأكبر في مهمة استيلاد مشاعر الانتماء القومي لدى الجماهير اليهودية في العالم بما يحقق في المرتبة الاولى العنصر الاول والاساسي من عناصر العقيدة الصهيونية وهو عنصر الشعب اليهودي الواحد .

ولهذا الأسلوب اراءاضات قديمة غير ان التركيز عليه بدأ بعد انشاء الدولة . وهو أسلوب يتمثل في ذرف الدموع وإقامة المناحات على الضحايا اليهودية في تجارب العذاب القديمة . مناحات ودموع على كل لون وفي جميع الاشكال . قصائد أبياتها من الدموع ، مسرحيات حوارها نحيب وموسيقاها الحان جنائزات ، روايات شخصياتها وأحداثها مكللة بالسواد ، أقاصيص كل ما فيها ينطبق بمشاعر الاسى والحزن .



عالم كامل من السواد والصرخ والاهات .

كتلة ادبية ضخمة تتزايد اتساعا ويطلق عليها اسم . . ادب التوبة ولكن ما المراد من كل هذا ؟

أمر انفعال مفاجئ بالعذاب القديم وتمثل ادبي للانفعال ؟

في نهاية عام ١٩٦٦ قامت باحثة اجتماعية اسرائيلية اسمها جنولة هكاهين باجراء مسح اجتماعي بين طلبة المدارس الثانوية في تل ابيب حول المفاهيم القومية . وجاءتها الشريحة الكبرى من الاجابات عن سؤال حول ما يعتقد الطالب الاسرائيلي أنه يربطه بيهودي العالم ، تقول : « يهودي المنفى اجنبي بالنسبة لي . . غير أنه اخي في المعاناة » .

وأثارت نتيجة الاستفتاء هذه التي تبرز الشعور بالانتماء الاسرائيلي في انعزال عن الصهيوني العالي قضية ومشكلة . . ودارت المناقشات وجرى استجواب وزير التعليم في الكنيسيت . وانتهت المجادلات الى توصية تتحدد في ضرورة الاقلال من التركيز في المقررات الدراسية الادبية على عنصر العذاب والمعاناة باعتبارها من عناصر الوحدة بين ابناء الشعب اليهودي مع الاتجاه الى التركيز على سائر الرشائخ « المصطنعة » التي تلج عليها أساليب الدعاية الصهيونية من وشائج تاريخية ودينية وعرقية . تلك الوشائج التي لا يعيها الجيل الاسرائيلي الجديد ونتيجة اهتمام الادب بإبراز دور العذاب المنفصل عن الانتماء الصهيوني العالي ، ونتيجة اهتمام الادب بإبراز دور العذاب في تجميع اليهود والمبالغة في التأكيد عليه بعد أن ثبت نجاحه في بعض المراحل . مخطط إذن ، هو أسلوب الدموع . .

مخطط يشمل جميع أوجه النشاط التعليمي والتربوي والفكري والثقافي ويلعب فيه الادب دوره المرسوم .

من الحق أنه ستترفع في إسرائيل أصوات بالاحتجاج ضد هذه النتيجة التي توصلنا اليها بحجة أن هذه ليست طبيعة الادب . . وأن الادب لا يتأتى بالتخطيط الجماعي ، وأنه أي الادب ، ظاهرة ذاتية يتحدد موضوعها وأبعادها بإحساس الكاتب وحده خاصة في مجتمع يكتسب بثوب ديمقراطية التعبير مثل إسرائيل .

ولكن ما رأى أصحاب هذه الأصوات في دلالة السؤال التالي :

● « هل تعتقد أن أدبنا يخضع لضغوط صريحة أو مستترة تؤثر على طريقة كتابة الادباء ؟ » .

كان هذا أحد الاسئلة التي وجهت الى مجموعة كبيرة من الادباء الاسرائيليين ضمن استفتاء ادبي عام أجرته صحيفة « على ههشمار » في شهر سبتمبر ١٩٦٩ حول ظروف الادب في إسرائيل تحت عنوان « الادب والعصر » وما رأى أصحاب أصوات الاحتجاج في اجابة على هذا السؤال . للماديب داغيد لازار (بالملحق الادبي لصحيفة «ل ههشمار» من ١٨ عدد ١٢-٩-١٩٦٩) تقول : « لم أسمع قط عن وجود ضغوط صريحة أو خفية . ولكن اذا تحدثنا عن كل النوع « الاغراءات » هذا اذا استخدمنا لفظا محاذا فإني أقول نعم انها موجبة سودة « الخ . . والجوائز . . والرحلات الخارجية . . والامكان . . ومناشر « الصدقات » التي من هذا النوع . . ولا يمكن في رأيي أن تتوفر ظروف من حرية الانتاج الادبي الا اذا استطاع الاديب أن يكون مستقلا من الناحية المادية غير محتاج لصدقات الكرماء من « المؤسسات والهيئات المختلفة وما الى ذلك . . » .

والهيئات المختلفة التي يشير اليها داغيد لازار في اجابته قد تكون المؤسسات الحزبية التي تسعى الى تجنيد الادباء . والتجنيد عادة يكون بالاغراء وليس بالضغط . من أجل الدعوة الى مبادئها والترويج لها داخل إسرائيل في الصراعات الحزبية . . كما أن هذه المؤسسات قد تكون - فيما يتعلق بالترويج للمعتقدات الصهيونية العامة - المنظمة الصهيونية العالمية التي تقوم بالدور الاساسي في دفع يهود العالم نحو الهجرة الى إسرائيل من الخارج وقد تكون وزارة الهجرة والاستيعاب الاسرائيلية التي تقوم بدور الاحتفاظ بالمهاجرين الجدد والقضاء على ميلهم الى النزوح ثانية من الداخل .

ومع ذلك فإنا الادباء الاسرائيليين في مجموعهم من تهمة الاستجابة للاغراءات التي يقرن أحدهم حقيقة وجودها - وما كنا لنستدل عليها دون شهادته - فإنه لا يمكن لاحد أن يعترض على حكم صدره بأن ادب المناحات الاسرائيلي في الداخل والصهيوني في الخارج متأثر فيما يذرفه من دموع بحالة سيئان الدموع العامة التي يفرضها ضغط الرأي العام كوسيلة ناجحة لاجتذاب يهود العالم . . بالإضافة طبعا الى ما يثيره من أساسيس العطف لدى شعب اليهود .

نطرح بعد ذلك السؤال التالي : كيف يلعب أسلوب الدموخ الأدبي هذا دوره بالنسبة ليهود العالم ، وتجاه هدف تجميع أحاسيسهم حول الشعائر الصهيونية الداعية إلى التجمع والاحتشاد على الأرض العربية ؟

والاجابة على السؤال بسيطة متاحة لكل من يخوض في دهاليز هذا الأسلوب الأدبي . أن هذا الأسلوب يخاطب اليهودي العالمي قائلا : أيها اليهودي ! العذاب والنكال قدركم المحتوم . أن ما تنعم به اليوم من طمأنينة ليس سوى حدث عارض قد يختفي في أي لحظة . والدليل على ذلك كل تجارب العذاب القديمة واليك تفاصيلها . هكذا يخاطب أدب المناحات الإنسان اليهودي خارج إسرائيل وداخلها ، وهو يقص عليه عادة بطريقة ميلودرامية فاقعة صورا من العذاب اليهودي القديم . يقول هذا الأسلوب لليهودي : إذا أردت طمأنينة دائمة لك ولابتائك من بعدك فليس أمامك الا طريق واحد ، هو أن تلجأ إلى أسرار القلعة الإسرائيلية . وإذا لجأت إليها فلا تتراجع فهي كفيلة - رغم كل الصعاب - بحمايتك وتوفير الأمن الدائم لك .

أسلوب آخر لتحقيق الهدف :

ومع أن أسلوب المناحات الأدبي هذا يسعى في سياق واحد نحو تحقيق هدفين الانتماء اليهودي الواحد واتصال هذا الانتماء بالأرض العربية . . الا أن هناك أسلوبا آخر من التعبير الأدبي يركز على عنصر الاتصال بالأرض العربية ويتخذ موضوعا أساسيا له . ومع أن هذا الأسلوب الثاني ليس أسلوبا مستحدثا في الأدب الصهيوني ، فلقد بدأ بعد حرب ١٩٦٧ يشق لنفسه مجرى جديدا في طريقة تعبيره عما يسمى بالرباط المقدس بين اليهودي والأرض العربية . . مجرى يخالف ما تعرّفناه قبل الحرب من اللجوء إلى التراث الثقافي الديني اليهودي من كتابات توراتية وتلمودية وكتابات للحكماء الدينيين في العصور الوسطى لاستعارة مواقف وأحداث وأمثال وأماثل تدرج في سياق التعبير الأدبي الحديث للتدليل على قيمة الارتباط بالأرض المقدسة ، مع توجيه السياق إلى ما يفيد تحويل مدلول تلك التراثيات المستعارة من الارتباط الديني والروحي بالأرض الفلسطينية إلى ارتباط عضوي مادي . ذلك أن أسلوب التعبير الأدبي الذي شاع بعد الحرب بدأ يقصر نفسه على الدعوة إلى التثبث بالأرض - نتيجة لاتساع رقعة الأرض المحتلة التي اعتبرت جزءا من الوطن الإسرائيلي - التاريخي - وعلى استنقاء مدده وزاده العاطفي من الموقف الراهن وحده بما يحيط به من ملايسات سياسية وواقعية دونما استنجاد بالتراثيات المؤيدة المؤازرة .

ولا شك عندي في أن هذا المنحى الغالب الجديد في مسلك التعبير الأدبي الصهيوني الداعي إلى الارتباط بالأرض . . انما يكشف من زاوية ما عن فداحة الازمة الحياتية التي يعيشها الإنسان الإسرائيلي في ظل ظروف الحرب المستمرة بما لا يتيح له فرصة التمتع في تلك التراثيات واستلها المدة النفس منها في

أزمته الراهنة . الامن الذي يدفع التعبير الأدبي الموجه بالتالي إلى أسعاف حمى هذه الازمة بوضع الموقف الراهن المباشر موضع الاهتمام الذي لا يستطيع القارئ الإسرائيلي التحويم بعيدا عنه في تاريخيات وتراثيات تبدو عنده عقيمة بالنسبة لسواق اللحظة وضغوطها وآمالها .

ويؤكد ذلك عندي ما يتردد كثيرا في حلقات الفكر التي تنشر على أعمدة الصحافة الإسرائيلية على السنة النقاد والمفكرين الإسرائيليين من انصراف القارئ الإسرائيلي عن متابعة الكتابات الأدبية المتحدقة في محاولة الاستقصاء التاريخي ، والاحالة إلى التراث وميله إلى الكتابات الأدبية المباشرة للسواق الراهن - الوليدة الفورية للحدث - والمليئة لاحتياجات اللحظة ومقتضياتها النفسية .

ويحيلنا هذا الاستطراد إلى ذلك الكم الهائل الفج في نوعيته من الانتاج الأدبي العبري بعد الحرب والذي أشرنا إليه من قبل . ذلك أن هذا النوع من الانتاج الهادف بوجه عام إلى رفع العنويات الإسرائيلية وتبشيرها بالنصر النهائي وامتصاص أحاسيس السخط والتمليل تجاه ضغوط الواقع ، يمثل قطاعا غالبا من الأدب المنشور رغم ما يبديه النقاد الجادون من تحفظات تجاهه ورغم ما يثار ضده من أدلة الدحض - على المعايير الجمالية والانسانية العامة - في حلقات النقاش وعلى صفحات الملاحق والمجلات الأدبية . ويبدو أن ما يضع هذا النوع الرديء من الانتاج الأدبي موضع الغلبة والسيادة بالإضافة إلى إحساس الكاتب برواجه لدى القارئ كما ذكرنا - هو الدفع الرسمي له من قبل الهيئات والمؤسسات الرسمية المسئولة عن التوجيه والاعلام .

وتشجع الهيئات الرسمية هذا النوع من الأدب لكي يوفر لدى القارئ الإسرائيلي - بما يحمله من نماذج البطولة الفردية والجماعية في حرب ١٩٦٧ وما يقسمه من تمجيد للروح العسكرية والحضارية الإسرائيلية ، وتسفيه للقوى العربية ، وحط من شأن الإنسان العربي في ميدان القتال - حالة من التعادل السيكولوجي تجاه ضغوط الواقع اجتماعيا وحربيا من جانب ، ولكي يواجه في ذات الوقت سيل آخر من التعبير الأدبي الواقعي الحر - الموصوم لدى النقاد الدعاة بأنه فردي غير قومي - والمعبر في مرارة عن رفض طبيعة الواقع الاجتماعي الإسرائيلي والكاشف عن السخط على ميول التوسع وسياسة الحرب التي تتمسك بها السلطة الإسرائيلية وأصحاب الأوامر التاريخية تجاه العالم العربي بما يجلب القناسة والشقاء على الفرد الإسرائيلي .

ومما يؤكد وجود الدفع الرسمي لأدب البطولات الإسرائيلي الفج ، ذلك الخطاب الذي يعثه يجال ألون نائب رئيسة وزراء إسرائيل إلى مؤتمر الأدباء العبريين عندما كان وزيرا للتعليم يناشدهم فيه التنادي بالعمل على تغيير النغمة الأدبية التي تلتقط ألوان السواد في الواقع الإسرائيلي وتجاوبها بمثل لونها دون محاولة لتبديد

هذه الألوان على أرض الواقع بجزيء أدبي بهيج مستبشر يشيع الأمل في النفس الإسرائيلية . وكان مما قاله ألون في معرض المقارنة بين موقف جيل الأدباء الساخطين اليوم والأدباء في جيله القديم خلال حرب ١٩٤٨ : « في الحرب القديمة كان من أصدقائنا من يسقطون صرعى ، وكافت وطاة الحرب مريرة وتكاليفها باهظة . ومع ذلك كانت تتردد على ألسنتنا أشعار الأمل التي كانت تخرج تلقائية من شعرائنا المحاربين » .

ويتأكد لدينا وجود هذا الدفع الرسمي لو علمنا أن حوارا واسعا يجري في الأوساط الأدبية الإسرائيلية حول دور الأدب في حالة الحرب الراهنة تحت شعار « قومية الأدب » ، وأن المحرك الأساسي لهذا النقاش وما يتضمنه من دعوى تكريس الأدب هي حركة « أرض إسرائيل الكاملة » ، وهي تضم في صفوفها أعضاء من كل القطاعات والفئات ، وبين أعضائها وزراء في الحكومة الإسرائيلية ينتمون إلى أحزاب تعلن سياسة ذات شكل معتدل تجاه العرب مثل المايام . وهم يحضرون مؤتمرات هذه الحركة وإن كان يشار إليهم في بياناتها وما ينشر عنها إشارات خفية حتى لا يدان موقف أحزابهم ويقرن بأهداف الحركة .

ولعله من المفيد الآن أن نقدم بعض النماذج التي تحدد على المصعيد الفني - هذين الاتجاهين ، وهما :

● الاتجاه الصهيوني بشقيه : أدب المناحات وأدب التوحد مع الأرض العربية .
● اتجاه الرقص للعنصرية العدوانية .

ويمكن في سر لمن يتابع مجريات الأمور في المجتمع الإسرائيلي أن يكتشف أن الاتجاه الأول يمثل المضمون الفكري للحركة الصهيونية العالمية ومموليها ومستثمريها في أن واحد من الرأسماليين اليهود وحلفائهم في العالم ، والسلطة الإسرائيلية التي سقط بعضها في أحابيل هذه السلطة والتي ابتلعت الشعي المسود بزخارف القومية اليهودية والتي أمن بعضها بخرافة الوطن التاريخي أن كلا أو جزءا .

هذا في حين يمثل الاتجاه الثاني جماعات الشباب الإسرائيلي المصق الجانح إلى التشرد على نمط الهيبيز بفعل الواقع الاجتماعي الضاغط وحسره المستمرة وجماعات التمرد والسخط العنيف على ذلك الواقع مثل جماعة الفهرد السوداء المنادية بحقوق الطوائف اليهودية الشرقية ، وجماعات التمرد والسخط السياسية على الواقع الاجتماعي بل وعلى الصيغة الصهيونية لهذا الواقع وما يتبناه من معتقدات على رأسها عقيدة الشعب اليهودي الواحد في العالم . مثل جماعات اليسار الجسديد الإسرائيلي - وكلها جماعات سرزت وتبلورت على شكل ظواهر اجتماعية وسياسية بعد حرب ١٩٦٧ . تماما مثل ظاهرة الأدب الساخط الراقص الذي عمق مجراه واتسع بعد الحرب .

نموذجان من القصة الاسرائيلية

بعد هذه الصورة التخطيطية العامة لوضوح الادب في اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ يصبح ضروريا ان نقدم بعض النماذج الدالة على الاتجاهين ، الصهيوني وغير الصهيوني ، في الادب الاسرائيلي .

وبالنسبة للاتجاه الصهيوني فقد ترجمنا نموذجين من القصة القصيرة يؤيدان ما ذهبنا اليه من وجود اسلوبين احدهما يسمى الى تعبيد النفس اليهودية وتهيئتها للانتفاف حول عقيدة الشعب الواحد المختار ، اسلوب استثارة مشاعر الخوف والاحساس الدائم بالاضطهاد بينما يسعى الاسلوب الاخر الى غرس احساس الارتباط بالارض العربية متوسلا الى ذلك بملايسات الموقف الراهن واحداثه .

والقصة الاولى التي نقدمها هنا « مأخذ الشيطان على فاوست » من افضل نماذج ادب المناجات فنيا ، وهو ذلك النوع من الادب الذي يستغل العذابات التي وقعت باليهود على يد النازية ويكرسها لخدمة متطلبات صهيونية راهنة ومخطط صهيوني دقيق . . امسا القصة الثانية « العشب الاحمر يشتعل في بء » ، النهر الاخضر يتدفق للابد » فانها من افضل التجسيديات الفنية للدعوة الى الارتباط بالارض العربية والتمسك بالنصر الاسرائيلي تمسكا شخيصيا .

ولعل من الافضل ان نترك النص للقارئ ليكشف بنفسه اولا ذلك التفاعل بين الشكل ومحتواه . . . وسوف نتبع القصتين كليهما سائتمتع بأكبر تخصصا .

مآخذ الشيطان على فاوست

١

ش . د . بوئين

وعن عنابر التعذيب وعما يدور هناك .
وصمت النائب ولم يجب .

كان الشيطان مندفعاً في ثورته مع
علمه الواضح بأنه لا جدوى من الثورة
لذا أنهى حديثه بقوله أنه سائد إلى
أوشفيص ليواصل أداء مهمته .

نظر إليه النائب نظرة فاحصة وطلب
منه أن يحدّثه عن مهمته في أوشفيص
وعما وجد أنه يستوجب التصحيح هناك
من وجهة نظره الشيطانية . أملاً من
الشيطان ببسمة كبيرة ثم تقلصت خطوط
وجهه لرسم تعبيراً من اللوعة والنفور
لم يكن واضحاً من المقصود به ، النائب
الجالس على العرش الإلهي ، أم
أوشفيص وجلادوها أم ضحاياها .
لا أحد يعرف . وعاد النائب يتساءل :
أوشفيص ؟ ماذا ستفعل في أوشفيص ؟
وساد صمت راح يتضخم ويرتفع حتى
تحول إلى حاجز ينصب ما بين النائب
والشيطان .

في نهاية الفصل الرسمي من الاجتماع
قامت جوقة من الملائكة بانشاد البتتين
الأخيرين من الجزء الثاني من (فاوست)
في أصلهما الألماني .

تقدم الشيطان مبدياً اعترافه على
لقاء أشعار في اللغة الألمانية حتى ولو
كانت في جمال وروعة ذاتيكما البتتين ،
بعد أن تحولت الألمانية لغة للجلادين .
وراح يقدم أمثلة عديدة من التعبيرات
السامة الجارية على السنة الجلادين في

منذ سنتين في أوشفيص (معسكر
الاعتقال النازي لليهود خلال الحرب
العالمية الثانية)

فاجاب : هناك رجال كثيرون يتعذبون
منذ سنتين في أوشفيص .

قال النائب : أعنى الرجل الذي لا يكف
عن الاستشهاد بسفر أيوب .

اجاب الشيطان : هو لا يستشهد
بسفر أيوب كله ، أنه لم يستشهد بإجابة
(أيوب) خلال العاصفة . بل أنه لم
يستشهد بما قاله أصحاب أيوب .
قال النائب : خبرني عنه على الرغم
من ذلك .

وهنا وقع تحول مفاجيء في الحديث ،
فقد سأل الشيطان النائب قائلاً : اليس
يهمك في العالم كله سوى ذلك الرجل ؟
وتباطأ النائب في الإجابة
واستطرد الشيطان :

وذلك الطفل ابن الثامنة الذي فر من
يدي أمه والجلادين على حد سواء وقفز
من فوق الأسوار الحادة المدببة ونجح
في الاختفاء عن أعين الجلادين السذّين
استغاثوا بموقع أوشفيص . فأعلن الموقع
حالة التاهب إلى أن قبضوا على الطفل
واقادوه في تجلة واحترام [حيث كانت
قلوبهم تخفق له بالاحترام] إلى غرفة
الغاز . هذا الطفل الم تره ؟ ألم يكن
أمام عينيك ؟

وتباطأ النائب في الإجابة
وراح الشيطان يتحدث عن أوشفيص

الديكور هنا سحب وضباب ، نفس
الديكور الظاهر في افتتاحية (فاوست)
والذي يبدو كنوع من المحاكاة أو الصياغة
الأدبية الفنية لسفر أيوب . ضباب
هائى ينبعث من داخل السحاب ،
كانها الشمس على وشك الشروق وقد
توسطتها صورة بطريقية مهيبه كذلك التي
نراها في لوحة «خلق الإنسان» ليخايل
أنجلو . خلف الضباب يمكننا أن نلمح
بصعوبة الشخصية الأولى المترعبة في
أطار العرش الإلهي المغلف بالضباب .

زرافات الملائكة تأتي متتابعة لتمثل
أمام الشخصية الأولى . تقع الملائكة
في أسار الدهشة إذ تكتشف أن من
تمثل أمامه ليس سوى النائب . يتخذ
القادمون الأماكن المحددة لهم ، نقاب
الدهشة ينحسر عن وجوههم ليكسوها
ثوب من الجمود والأذعان .

يبدو الشيطان أكثر الجميع دهشة .
أنه لا يحاول أن يحد من اندهاشه ،
لا بد أنه سيثور معرباً عن موقفه
بوضوح . غير أنه لمعجب الجميع — فيما
عدا النائب — لا يفعل ذلك .

ما زال الشيطان على حاله الأولى ،
ضامناً منبراً لأنه لم يجد أمامه سوى
النائب ولكن يبدو أن دهشته الكبيرة لم
تكن بالقدر الكافي لإخراجه عن صمته .
سأله النائب عن الرجل الذي يتعذب

الامانية بل اوضح ان لديه ما يأخذه على كبير شمسراء الالمانية ذاته . . ارفع النائب سمعه ليستنى ما عند الشيطان من مأخذ على معشوقه جيته العظيم .

قال الشيطان انه يعاف قراءة مشهد فاوست الذى يقدم فيه جيته وصفا لفاوست وهو ينام على بساط مزركش من الزهور ، بينهما فلة من الملائكة والمخلوقات السماوية الرقيقة ترف من حوله وهى تغنى اغان والحن سريية تنفذ خلال حجاب نومه لتكسبه مذاقا حلوا ونصبغ احلامه بالوان زاهية . تعجب النائب من احساس الشيطان هذا ويسأل عن سببه . غير ان الشيطان اصيب بالدهشة لهذه المسألة افلا يدرك النائب بداهة ماينطوى عليه الفنايع المبانير بين المشهد السالف والمشهد او المشاهد التى تصور مقتل اربعة اشخاص على يد فاوست ، ذلك من قصور فى معايير الفن والذوق والجمال والاخلاق على حد سواء ؟

وبغض النظر عن الظروف وعن دور الشيطان نفسه فى هذه الجرائم - الا بعد فضيحة من زاوية الذوق والفن والجمال والاخلاق ، ان يعامل الشاعر قائلا على هذا النحو فيهيء له بساطا من الزهور ينام عليه ويدعو اليه جماعات من الملائكة تهدده بالحن سماوية ؟ وافقت دهشة النائب كل حد . كانت الدهشة تملك زمام نفسه للشاعر الذى تصرف على هذا النحو ، وللشيطان الذى ابدى هذه المأخذ على الشاعر . على هذه الصورة انتهى اجتماع الشيطان مع النائب .

● ● ●
فيما يلى مذكرة تضم تلخيصا موجزا للاجتماع السابق ونضيف بعض المعلومات اليه .

سعد الشيطان ليمثل امام العرش ، لم يجد امامه سوى النائب يجلس على العرش . دهش الشيطان ولم يدهش . دهش لان غريبا يجلس على العرش ولم يدهش بعد ان رأى ما حدث فى الارض . توقع ان يسأله النائب عن ذلك . غير ان النائب لم يسأله . تعجب لان النائب لم يسأله على الاطلاق . ولم يعجب بعد ان رأى النظم والعادات الجديدة فى السماء .

حقيقة كانت الملائكة بضعة مهتلة ، الا ان قبة السماء - كائى لوحة ارضية - كانت قد فقدت بعض رونقها وحال بهاؤها . تسأل الشيطان فى دخيلة نفسه . . ماذا ومن بقى لى هنا فى السماء ؟ اننا به احساس بالثقافة من نفسه ومن كل ما يحيط به هناك ولذا عمد الى اختزال الاجتماع بقدر المستطاع .

احاط به الملائكة وراحوا يتفرسون فيه وكانهم جماعة من الريفيين يستقبلون احد ابناء قريتهم وقد عاد من رحلة طاف خلالها بكبريات المدن . كانت عيونهم البريلة الواسعة معلقة به ، ويقدر

ماكانت عيونهم البريلة الواسعة معلقة به ، ويقدر ما كانت تشع معانى البراعة كانت تطفح بحب الاستطلاع . وفى الحقيقة كان الشيطان ميالا لان ينقع غلتهم ويروى ظمأهم الى اخبار الدنيا . ولكن مالدبه من انباء لم يكن مما يصلح لهم . ويبدو ان النائب نفسه لم يكن مستعدا لسماع هذه الانباء ولو من قبيل الذوق وحده . لقد كان بكل ما فيه نقاجا لثقافة عصر النهضة . كان يبدو كنسخة من احدى لوحات ميخائيل انجلو ، نسخة جانبها التوفيق الى ابعاد الحدود اذا لم تعد فى احط دركات الفشل . صورة بطريفة هرمة ، علها بدت مغلفة بالضباب لضعف الضوء المنبعث من القبة السماوية ، حتى لم يعد يضيئها ويظهرها سوى بياض شعرها الذى يكشف عن هرمها .

راح الشيطان يسائل نفسه . . ما لصاحب الصورة . . هذا اليهودى القديم الذى تحول الى المسيحية والانباء التى احملا ؟ كيف سيكتفها ؟ ماذا سيخون تعليقه عليها . ان شان هذا اليهودى شان شاهد القبر الحجرى الموضوع على قبره . وماذا يعنى حجر الشاهد من الانباء الجديدة التى تصل كل لحظة من « اوشفيص » او من عنابر الاعتقال ؟

على حين فجأة اهتزت قبة السماء ثم انهارت على الشيطان ، واختفى العرش الالهى واختفت الشخصية التى كانت تربع عليه ووجد الشيطان نفسه داخل احد عنابر المعتقلين وقد صور فى هيئة معتقل جائع مصاب بالدوسنتاريا واكوام من الحشرات تزحف على جسمه وتتغذى على دمه .

راح الشيطان بحك رأسه الخلق ويحدث نفسه ، يا للشيطان ! متى أمكنهم خلق شعري ؟ او لم يسعهم على الاقل ان يلقوا على الماء فيزيلوا حمولة جسدى وعطن الخرق التى البسوى . نظر الى ما بغطى جسده من اثمال وراح يحاول انتزاعها بما تحمله من حشرات فى حلق من على جسده ولكنه لم ينجح . ليكن اذن ما يكون . لنحن الان فى عام ١٩٤٤ والامان على اعقاب الهزيمة ولبن تمتد الحرب لاكثر من سنة او سنتين او حتى ثلاث . وخلال هذه الفترة سيكون امامى متسع من الوقت للتأمل والتدبر . اننى ارى على البعد شىء ما . شىء يكساد الا يكون انسانا . فلاقرب منه .

● ● ●
صبدلى كان له ولدان . سمم ولديه قبل ان يبعثوا بهما الى اوشفيص . سمم نفسه كذلك غير انهم استطاعوا انفاذه . تناولت امراته السم هى الاخرى وماتت . فى نفس اليوم ارسل الى اوشفيص ضمن الشحنة الاخيرة من يهود الجنو . وصل هناك وحيدا . لم ينظر حوله ولم ير احدا ممن يحيطون به .

عندما وقف امام الظابط الذى اشار اليه بالاتجاه ناحية اليمين ، تحرك الى اليمين دون ان يعنى بالنظر الى الرجال والنساء والاطفال الذين وجهوا ناحية اليسار . فى ذلك الوقت لم يكن يفهم معنى ان يواجه المرء الى اليمين او الى اليسار . بعد ذلك وجد نفسه وسط مجموعة لم يشعر ان له بهم أى صلة .

فى ذلك الصباح المصيرى عندما وجد امراته وطفليه موتى ووجد نفسه على قيد الحياة . لم يتعجب لان الجهود التى بذلت لاعاده الاربعة الى الحياة لم تنجح الا بالنسبة له ، ولم يدن الاخرين لان جهود اعاده الحياة الى امراته وطفليه لم تنجح - ان شيئا من هذا لم يطرا له على بال ، لقد كان ذاهلا دهشا دون ان يدرك معنى او تفسيرا لذلوله ودهشته . كان حوله رجال مستفرقين فى العمل بينما كان هو وحيدا فى عزله عنهم . حزموا الجثث ونقلوها امام عينييه وهو معها .

ومن القابر نقل هو والمشيوعون الى حربة الحيوانات المنصلة بمؤخرة القطار . قضى نهرا وليلة فى العربة حتى وصل القطار الى اوشفيص . كان الرجال المكسبون وقوا فى العربة يخبثون طيلة الوقت وجهة القطار على اساس ما يمر من مناظر يشاهدونها من خلال القضبان . فقط وقبل ان يطلع الصباح أمكنهم ان يدركوا ان القطار يقترب من اوشفيص .

● ● ●
ظهرت اثار الجرى خلال طرققات اوشفيص الملتهبة على من يعدون وعلى من يسوقونهم على حد سواء .

كان رجال الفرماخت والس . س . يسوقون افراد الشحنة منذ نزلوا من عربات القطار فى صفوف يضم كل منها خمسة دون ابطاء او وقفات للراحة . ولولا اسوار الذبائنات الوارقة الخضراء التى تسبح فى طرققات اوشفيص لما لقيت العيون هى الاخرى فرصة للراحة . على الاقل كانت العيون فى راحة .

كانت الشفاه المنحرفة تمتد الى الاوراق المائنة الرطبة وتنجح احيانا فى لمسها بينما السيفيان تعدو على وهم اطفاء جذوة الظلم المتأججة فى الحلق .

بعد نصف يوم من الركض امر الجمع بأن يوقف على مقربة من الحمام . كان قد فقد قبعته خلال الجرى وكان العدو والقيظ والضربات التى تلقاها على وجهه ورأسه قد اصابته بالذهول الكامل وخنقت الالام فى جسده قبل ان يبدأ احساسه بها . وفيما كان وعيه يستيقظ . كان بعض الرجال يزحفون من حوله من الاعياء . وعلى مقربة كانت عائلات عديدة مكسدة بعجائزها ونسائها واطفالها داخل اكشاك مقوسة ، بينما الاطفال ينفذون الى خارج الاكشاك ليلعبوا حولها .

لقد كان اولئك جميعا فى غرف الغاز والاfran ولكنهم لم يكونوا يعترفون .



لعله كان أفضل . على الأقل كنت أشعر
أننى واحد من أولئك الذين كنت أرافقهم
ثم أودعهم . كنت استقبلهم وأرافقهم
ثم أودعهم كواحد منهم كائى قريب لهم .
عل احساسى المعتل الآن يرجع الى
مرضى وضعفى . فى ذلك الوقت كنت
سليما معافى . كما قلت لك كان ضابط
الـ س.س.س. وشيخى ويبدو انه كان
يعطينى مما يطعم .

كنت أعمل وفى نفس الوقت انظر
وارقب ما يجرى على بعد ، وبمرور
الوقت أصبح النظر والمراقبة عسيرين
على نفسى وتحول الى احساس بالغثيان .
تقبات عدة مرات على العشب ، ولعل
ذلك لاني كنت أكل حتى أتبع . عندما
كنت أتذكر واتصور منتهى رحلة أولئك
السايرين الذين لا تفهم صفتهم الى
الافران .

هل رأيت طابورا من النمل الاسود ؟
انه يسير ممندا دون أن ينهى تماما
كهؤلاء الرجال من العجائز والضعاف
والاقوياء والاصحاء والصبية المعافين .
فى احدى المرات وجدنى ضابط
الـ س.س.س. وقد تقبات الطعام الذى
اعطانيه على العشب الأخضر المرتوى .
« انك أخضر ومرتوى كهذا العشب »
راح يردد هذه العبارة وهو يدق
جسدى ووجهى بحذائه فى عنف وقسوة
حتى فقدت وعيى . ولم أعد الى الكوخ
للنوم . بحثوا عنى ووجدونى غارقا فى
القيء والدم . سكبوا على الماء . كثيرا
من الماء . أجبرونى على أن ألعق القيء
والدم لانتظف العشب الأخضر الذى رويته
بقيتى ودمى . ولم يرخص ضابط الـ س.س.
عما فعلوه بى وعما لم يفعلوه .

وهكذا لم أعرف للحياة سوى وجهه
واحد . أننى أصغر من أن أعيش على
ذكريات وعلى ماضى يرجع الى سنوات
أعطينى بعض الماء .

أننى جائع ولكنى لا أستطيع أن أكل
ان اللقمة نفرس فى حلقى كالوئد وإذا
ما ابتلعته خرجت من الناحية الاخرى قبل
أن أشعر بحاجتى الى ذلك .

ان هذا هو وجه الحياة الوحيد .
فهل لها وجه آخر ؟ انك لاتفعل شيئا
سوى انك تحملق فى . . هل أنت نقيسنى
او تدرسنى ؟ لو لم يكن والداى قد
مانا لانتيت معهما بعمل عنيف لانهما
انجباني .

الـ شيطان : يا فتى . . يا فتى . .
الفتى : هل حدث ان لاطفتنى من
قبل ؟

ان ملاطفك تشبه ملاطفة ضابط
الـ س.س.س. خلال الايام الاولى من
خدمتى آياه .

الـ شيطان : لست ضابط الـ س.س.س.
الفتى : ان يمكنك . .

واستغرق الفتى ابن الثامنة عشرة
والذى يبدو وكأنه فى الرابعة عشرة فى
سبات عميق .

الفتى : اننى أصغر من أن أعيش
على الذكريات . اننى احيا ولا أفكر الا
فى الماضى القريب الذى يرجع الى شهر
او شهرين .

الـ شيطان : منذ متى وانت فى
الـ شفى ؟

الفتى : منذ حوالى ستة اشهر
الـ شيطان : هل جئت وحدك ؟

الفتى : وحدى ؟ مع الاسرة جميعها .
أخذونى وحدى للعمل . اما الباقون فقد
ذهبوا . اننى أعيش هذه الحياة
الكريهة دون ذكرى واحدة . كل مالى
احساس بالفرف والغثيان يملككنى من
الصباح الى المساء . لابد أن انخلص
من هذا الاحساس . الديك حبة أوشى
ما يزيل هذا الاحساس الكريه الفير
مخمل .

الـ شيطان : ماذا حدث لك أيها الولد ؟

الفتى : ولا ؟ اننى فى الثامنة
عشرة . لقد أخذنى ضابط الـ س.س.س.
من حفل عرس لأعمل مساعدا وبسبانيا
وخادما فى بيته .

كانت زوجته منفرة . . ولكن كانت
لديه بنان رقيقتان ، غاية فى البراءة
والنقاء . كانت المرأة تشبعنى ولكنها
كانت منفرة . بعد ذلك استبعدنى من
بيته وضمنى الى جماعة . كانت الجماعة
يقوم بأعمال مختلفة . اما أنا فقد قصرنى
على أعمال الحدائق . كان واجبى
الاساسى أن ارعى اسوار النباتات .
كنت اعود كل مساء الى الجماعة لابلت
معها فى الكوخ . كنت أرى الصفوف
الممتدة تتجه الى الافران . كنت أراهم
جميعا من بعيد خلف اسوار السلك ،
لم تكن أحاديثهم وصرخاتهم . ان كانت
لهم أحاديث وصرخات . تبلغ سمعى .
كانوا يبدون لى كقوم يذهبون الى النزهة ،
نزهة لاتنتهى . كل يوم كان هناك من
يذهبون للنزهة . رجال من جميع البلدان
ومن كل الشعوب .

كثيرا ما تمنيت لنفسى أن أذهب معهم
للنزهة حتى نهايتها . لم يكن احساسى
فى ذلك الوقت أفضل منه اليوم . بل

كذلك لم يكن الصيدلى يعرف .

مشهد واحد كان يلاحقه سواء فى
وقت العمل او خلال وجوده فى العنبر .
ذلك مشهد الاطفال وهم يلعبون فى
انتظار دورهم لدخول غرف الغاز . . .
على اى حال لم يكن مصير ولنيه
كمصيرهم .

قطع عليه الـ شيطان تفكيره وبأدبه
بالقاء السلام . رد الصيدلى السلام
وراح يهدج الـ شيطان بنظرات كأنه
يقول . . من أنت . أجاب الـ شيطان على
سؤاله الصامت اجابة أبعد مانكون من
السؤال فقال :

لم يحدث أن طرا على ذهنى مثل هذا
التفكير

الصيدلى : ماذا إذن ؟ هل كان ينبغي
أن اتى بهما الى أوشفى ؟

الـ شيطان : هل أنا بديل عن الرب
كى تسألنى عن ذلك ؟

الصيدلى : مادام الامر كذلك فلماذا
تقول انك لم تفكر مثلى قط ؟

الـ شيطان : أردت أن أقول اننى لم
أجرب موقفك قط .

الصيدلى : إذن لا تناقش صاحبك
حتى تجرب موقفه .

رأى الـ شيطان بين المعتقلين صيبا .
أتجه اليه وانحنى عليه وجعل يتأمل
وجهه الشاحب برهة .

— أيها الفتى . . أيها الفتى
فتح الفتى عينيه

— من ينادينى ؟

شاهد الـ شيطان جرابا مليئا بالخبز
معلقا برقبة الفتى . سألته

لماذا لا تأكل . . علك غير جائع ؟
كم عمرك يا فتى ؟

الفتى : ثمانى عشرة

الـ شيطان : ثمانى عشرة ؟ ان مظهرك
كأين الرابعة عشرة .

الفتى : كنت كذلك يوما

الـ شيطان : كان الحال طيبا . .
اطيب من الآن على اى حال

نلاحظ في ضوء ما أشرنا إليه في المقدمة أن هذه القصة تدق على وتر المعاناة اليهودية بصورة ميلودرامية مؤثرة لتحرز هدف الشعور الدائم بالاضطهاد لدى الإنسان اليهودي في إسرائيل وخارجها . وهي تمثل في الواقع نموذجاً متقدماً لأدب المناجات الإسرائيلي . نموذج لقي عناية كافية من كاتبه ولذا يبدو بارعاً في طريقة صياغته الأدبية سواء من حيث اللغة المكتوبة في اتقان [في العبرية] أو من حيث الحيلة الأدبية الواسعة في الربط ما بين دور الشيطان في مسرحية هاووست لجوته وما بين دوره في سفر أيوب من أجل تقديم صورة أدبية مؤثرة للعذاب اليهودي على أيدي النازيين . صورة يقول عنها الكاتب . . « أنها تستنفر في هولها وبشاعتها أعنى قوى الشر ممثلة في الشيطان مصدر عذاب البشر في التصور الأنساني العام » .

ويبدو لي أن كاتب هذه القصة كاتب غير متدين يهودي حسبما يظهر من روح كتابته ، وعلى أساس المصدر الذي نقلت عنه قصته « صحيفة عل همشمار لسان حال حزب المابام ماركسي الصورة » . . وهذا ما يتيح للكاتب أن يتناول القوى السماوية بالتجريح ويوجه إليها اتهاماً بالتبذير تجاه عذاب اليهود على أيدي النازي . ومن المعروف أن الشيطان في سفر أيوب يلعب دور الشر الذي يتميز به . . والسفر من كتابات التأمل اليهودية المتأثرة بروح الحكمة والفلسف اليوناني خـسـلال فترة الوجود اليوناني في الشرق فيما قبل الميلاد . وهو يناقش مشكلة الشر في العالم . . وي طرح تساؤلاً محددًا حول مبررات الشر الذي يلحق بالآخر من الناس ، وهو موضوع ما كان لي طرح قبل التأثيرات اليونانية في الكتابات اليهودية . ولقد حاول كاتب سفر أيوب أن يفسر هذا الشر على أنه ابتلاء تنزله القوى السماوية العليا بالاختيار لاختبار إيمانهم وصمودهم . وما يعنينا هنا هو دور الشيطان .

فالشيطان يظهر في سفر أيوب على أنه أحد ملائكة البلاط الإلهي الذين يقومون بتقديم التقارير إلى الإله عن أحوال الأرض وسكانها . وهو يظهر حاقداً في سعيه ضد أيوب . فهو يحسده على ما ينعم به من خير ، ولذا يوعز إلى الرب بانزال ضربات متلاحقة به بدعوى أن هذا سيكشف عن ضعف إيمانه وزيف عقيدته . هذا هو دور الشيطان في سفر أيوب . دور محرض القوى السماوية العليا على انزال العذاب بالناس . ودوره في مسرحية فارست كما يفهمه كاتب القصة بسيط . . - بغض النظر عن أية تفسيرات فلسفية له - فهو ببساطة دور الشرير الذي يغوى البشر بمغريات معينة ليفرض عليهم ممارسة الشر والوقوع في الخطيئة .

فما هو الدور الذي ينيطه كاتب القصة بالشيطان هنا ؟
أن الشيطان هنا يتحول أمام هول العذاب اليهودي الذي يسوقه الكاتب في صورة مبالغة إلى قوة للخير تستنكر هذا العذاب . فالشيطان يصعد إلى السماء كعادته في سفر أيوب ليقيم تقريرا عن سير الأحوال في الأرض ، وهو في هذه المرة لا يصعد ليشتي بأنسان ما كما فعل مع أيوب بل هو يصعد ليحفز القوى السماوية على التدخل لرفع هذا العذاب . غير أنه يصاب بخيبة أمل فهو يواجه بالقوى السماوية وقد سرت فيها روح البلادة والسترهل والتخلف حتى ما عاد يعنينا ما يجري على الأرض . تلك القوى السماوية التي طالما قررت الكتابات اليهودية الدينية أنها تساند اليهود وتحميهم - يقول الكاتب - أنها قد تخلت عن دورها القديم هذا وما عاد لها شأن بما يتول إليه حال اليهود . هذا هو المضمون الأساسي للقصة .

فما الذي يريد الكاتب قوله بين السطور ومن خلف الصور الأدبية ؟ ما من شيء يقال سوى أنه ينبغي على اليهود أن يفهموا أن العالم كله حتى القوى السماوية فيه لاتعاب بعذاب اليهود بل أنها تنتقم ممن يتصدى للدفاع عنهم فتضعه مثلهم موضع العذاب كما يحدث للشيطان في القصة .

وبالطبع ، فإن الدعوة تكون : أنه ينبغي لليهود أن يتجمعوا في مواجهة هذا العالم الشرير . هي بعينها الدعوة الصريحة إلى مغادرة المجتمعات العالمية والاحتفاء بأسوار الحصن الإسرائيلي .

השגותיו של השמן על פאוסט

סיפור

العشب الأحمر يشتعل في بطن النهر الأخضر يتدفق للأبد

بنحاس سادية

ضيقه طويلة يجدها حاتطان حجريان
رماديان يكشف عنهما ضوء حائل في
جزء من سماء العطفة كانت تسبق بعض
الأشجار تغطي العطفة كالسحاب عندما
بلغا هذا الجزء اطبق عليهما الظلام
ثانية بدرجة حالت بين افضالوم الذي
ادار رأسه في تلك اللحظة الى افيجيل
وبين رؤية ملامح وجهها .. وعندها
سألها ..

- قيم تفكرين يا افيجيل ؟
- انني لا أفكر .. فقط شيء ما يقول
في داخلي شيئا ما ..
كان صوتها يحمل رنة غريبة ربما
مثل رنة الفرح ... رنة لم يفهمها
افضالوم ، وبلا قصار تسمت بسمة خفيفة
على شفاهه .. شعرت افيجيل بعنقه
فراحت أن من واجبه ان توضح له ..
قالت : شيء ما في داخلي يغني .. لكن
دون نغم ..

- لماذا يغني ..
- أنه يغني هكذا ...
« العشب الأحمر يشتعل في بطن »
النهر الأخضر - النهر الأخضر يتدفق
النهر الأخضر - النهر الأخضر يتدفق
للأبد ..

- وماذا بعد ذلك ؟
- ليس بعد ذلك شيء فما قلته يتكرر
ثم يتكرر ..
- هذا لطيف ..

كان من الممكن في تلك اللحظات
ادراك أنها في سعادة الأطفال .. وكان
من الممكن سماعه وهو يطير الأغنية
التي « يغنيها شيء ما » بداخلها ..
عندما وصلا الى طرف العطفة حيث
يضيء احد مصابيح الطريق لسوق
واضحت ويدات تحمل اربطة نعلها ..
خلعت احد نعلها ، ثم خلعت الثاني
وحملتها في يدها ..

- هل سيرى جافية اذن صائب ؟
نظر إليها جزلا بعض الشيء ومتريدا
بعض الشيء وكأفه يحدث مدى الصواب
في الامر .. استقرت نظراته على

تولاني .. تمتد الخياط المسن قدما بشبه
النواح ..
انه يتلو المزامير .. قال افضالوم
وكانه يفكر لها .. واصلا السير ..
خرجا من الممر وهبطا على السلم
الحديدي الدائري ..

لم يكن في العطفة المواجهة للبيت ..
كانت حتى واحد .. كانت البيوت الواطئة
المعتمة بقف وكان كلا منها يستند الى
الآخر في سباته ..

كان القمر المنخفض قد توارى خلف
الاسطح وتسرب كل شيء برداء من
الظلام الثقيل الساخن ..

في تلك اللحظة اقترب انبا من عل
من جهة الجنوب سرب يضم ستة او
سبعة طيور هبراء سود الاجنحة من
فصيلة الكراكي .. كانت تطير على هيئة
رأس سهم في اتجاه الشمال وهي تنهب
افاق الفضاء في سكون وسرعان ما
ابتعدت وابتلعها الظلام ..

عندما خرج افضالوم وافيجيل من
الازقة المتداخلة المتساكنة كحروف
الكتابة العربية .. كانا قد وصلا الى
سوق .. محنية يهودا ، الفقرة ، سارا
وسط الطريق بين الارصفة الخالية
والدوانيت المهجورة لم يكن هناك سوى
عدد قليل من مصابيح الطريق مضاء
ينتشر مساحات ضئيلة من الضوء
الخافت .. كانت بعض القطط المتباعدة
تنقب هنا وهناك في اكوام الزبال في
طرف السبوق والى جوار شارع بافا
وعلى مدخل احد البيوت جلس
عجوزان على قطعة سجاد بالية
واحدهما يتحدث في صوت مكتوم ..

« ان هذا الفتى يعمل في المكتب منذ
عام .. وهو نائب مدير ممتاز »
مرا بهما وعندما وصلا الى شارع بافا
انصرفا يمينا نجاه وسط المدينة .. سارا
على مهل والصمت يخيم عليهما ..
متقاربين حتى كانت يداهما تتلامس كل
بضع لحظات .. عندما عبرا ميدان
مزدحم اتجها شمالا ودلفا الى عطفة

بدت من خلال النافذة التي كان يقف
الى جوارها افضالوم بعض اشجار
الزيتون وسياج يحيط بفناء ، ومجموعة
من الاسطح الاجرية .. كان قمر
منخفض اصفر مغلف بالضباب يسدل
ضوءه الشاحب خارج النافذة لم تكن
الرياح تتحرك وكان الهواء الساخن
اللافح محملا بمذاق الغبار ..

الصمت محلق !

راحت افيجيل تتطلع الى الظلمة من
فوق كتف افضالوم وهي تقف خلفه تكاد
تلاصقه .. كانت اللجوم القليلة التي
تلوح خلف الضباب تومض في شخوب
في سكون .. كانت كأنها ترقبهما وتنظر
اليهما ..

على حين غرة سألت افيجيل ..
انني .. انني أشعر وكأن النجوم
جميعها تنظر الى الان .. ولم يجب
افضالوم .. انقضى بعض الوقت .. مدت
ذراعها فلمست يده باطراف اصابعها
نظر اليها فسحبت يدها وقالت هامسة :
- تعال نخرج ..

- الى اين ؟
- الى اي مكان .. نذهب
خارجا ..

- الى اي مكان ؟
- ليس هاما .. نذهب الى اي
مكان ..
- اي مكان ؟

- نذهب الى مكان به اعشاب ..
الى اي نهر ..
- لكن .. ليس هنا اي نهر في
القدس ..

- صحيح .. ليس هنا اي نهر ..
تحركا على مهل وخرجا من
الحجرة .. كان الممر غارقا في
الظلام .. لكن خيطا من الضوء
الاصفر الباهت كان ينفذ من حجرة
الخياط صاحب الشقة عبر فتحة الباب
الموارب وتمتمة خافتة تتردد ..
توقفا للحظة عن السير ..
« نزع الميت حمل بي .. وعشة

نشرت هذه القصيدة بالمحق الابني لجريدة ها ارشس بتاريخ ٢٢ - ٩ - ١٩٦٨

وجهها • وجهه نحيف الى هذا ما يبدو وكأنه مشحون بالآلم • شفتان ممثلتان • مكنزتان تقريبا • لونهما كلون فاكهة صفراء نادرة • عيان صافيتان مشرقتان • موجتان من الشعر الاصفر تنسدان على كتفيها •

عندما وقع الضوء الشاحب الرفيق المنبعث من أحد مصابيح الشوارع على وجهها • بدا له وجهها جميلا ذا جمال عميق وحشي بدرجة جعلته لا يقدر • على رفع عينيه عنه لبرهة طويلة • نكس نظراته فرأى قدميها العاريين القوين اللذبتين • لاح بذهنه ان بهما شيئا وذنبا • قال :

— لماذا تريدان السير حافية ؟
— تشعيران بالحرارة لهذه الدرجة ؟
— ليس الى هذه الدرجة ولكني أريد ان أحس •

— ان تحسى ؟
— ان أحس بالتربة •
— ليس هنا أي تربة • • ليس هنا سوى الطريق

— صحيح ليس هنا تربة •
واصلا سيرهما • قالت :
لكني اشعر احيانا انني أستطيع ان أحس بالتربة تحت الطريق • • ليس دائما • • لكن أحيانا •
— متى مثلا ؟

— الليلة • • الليلة أستطيع •
ساد الصمت بينهما • • بعد لحظات سألت الفيجيل :

— أحقا تظن انني مضحكة ؟
— لماذا ؟
— لانني اتحدث دون ملق
— لا •
— نعم • لكنك لا تسخر مني مجرد انني اخذك • لكن فلتعلم ان لسدي منطقا •
— انني اصدقك •

— انني عندما افكر يكون لدى منطقي • غير انه عندما أبدأ في الكلام تتخذ الأفكار فجأة كل أنواع أشكال • أشكال الاعشاب مثلا •

— لهذا اردت الذهاب الى مكان به اعشاب • • الى مكان تكون فيه مفهومة ؟

— ربما •
— لكنني افهمك •
— نعم • ولذلك جئت اليك •
وساد الصمت ثانية •

— هل تسير طويلا ؟
— لماذا تسالين ؟ هل تعبتي ؟
— كلا • كلا • • مطلقا • لكني اردك ان تقول لي •

— لماذا ؟
— لانك اذا قلت تسير طويلا • فاننا تسير طويلا • واذا قلت تقصر السير قصرنا السير •
لكنه لا يقول شيئا • فقط ياخذ نظريها من يدها ويحملها باحد اصابعه ويهضيان على هذا الحال لفترة دون كلمة واحدة •

هما الآن يسيران في شوارع الانبياء • على ناصية شارع • الربى قول • وامام مقهى • بساط • وقف شخص بجوار جذع احدى الاشجار

العالية وكأنه في حالة تريض • كان من المستحيل تمييز وجهه في الظلام لكنه بدا كأنه شاب نحيف غاية في الطول لم يعرفه افسالوم اهتماما • الا ان الفيجيل لسبب ما أخذت بعض الشيء عجب مرورها الى جانبه • • • •

سارا الى بعيد • • عندما لاحت لهما قباب المعبد الروسى التي تشبه حبات البصل سالها افسالوم :

— قولي لي يا فيجيل • • ما هو هذا • العشب الاحمر ؟
— أي عشب أحمر ؟

— العشب المشتعل في بطاء • • العشب الذي في اغنيته •
— ليست هذه باغنية • • اننى لم ادع اننى الفت اغنية •

— اذن • • العشب الذي في قصيدك • • اننى لا افهم ما هو •
— لكنني افهم •
— اشرح لي اذن •
— لا •
— لم لا ؟

ابتسمت الفيجيل وقالت • • لانك أثت الآخر تخفى عني اسرارا •
اية اسرار ؟

في هذه اللحظة كانا يجتازان ساحة الروس • عند وصولهما الى المعبد توقفا برهة متحيرين بين الاتجاه الى شارع يافا أو التوجه صوب منطقة الاشجار وصوب حديقة دار البلدية • واخيرا صوباً شاحية الاشجار •
قالت الفيجيل :

عندما وصلت الى حجرتك كانت الشمس اخذة في الغروب • • وعندما دخلت رايتك راقدًا على السرير وعلى وجهك • • على وجهك ضوء ما • • ربما كان ذلك ضوء الغروب • جلست في صمت ورحت ارقبك وانتظر صحوك • جلست ساعة وربما أكثر • كان غريبا ان ارى وجهك دافقا بالحياة على تلك الصورة التي بدا بها • في البداية كان مقطبا تكسوه سحابة من الكدر • • بل وغيره للحظة رداء من السخط والغزع حتى ارتعبت وكدت اوقظك • بعد ذلك • • اذكر ان تعبيرات وجهك اتخذت سمة التفكير كما لو كنت تصغى لشيء ما وتقول شيئا ما • وفي النهاية خيم على وجهك تعبير رائع من • • من الرضا والخبطة • • لكنك نمت كل ذلك الوقت • احقا كنت نائما ؟
— كلا •

— كنت يظن اذن • • اكننت تتظاهر بالنوم ؟
— كلا •

صمتت الفيجيل لحظة كما لو كانت تفكر في الامر • جلست على حجر تحت احدى الاشجار •
واخيرا قالت • • اننى أستطيع ان افهم هذا •

جلس افسالوم الى جوارها على الارض • • على العشب الجاف •
قالت :

احك لي عما كان يحدث لك بينما كنت راقدًا مغفوس العينين ؟
— احقا تريدان ان تسمعي ؟ •
— نعم •

• سأقص عليك • • بدأ الامر على النحو التالي :

علمت ان فتاة كنت اعرفها تقيم في دار للدعارة على ساحل البحر في تل أبيب •

كان وقع الخبر اليها على نفسي • • وعلى الرغم من انه لم تكن لي جريرة فيما حدث للفتاة فقد حدثتني نفسي بضرورة الذهاب لانقاذها من ذلك المكان • فممت متوجهها الى هناك •

قالت الفيجيل التي كانت تصغى في اهتمام بالغ • • عل ما بدا على وجهك من سخط كان في تلك اللحظة •

لم يجب افسالوم • • وواصل حديثه :
وصلت الى المكان ساعة الغسق بينما كان الساحل مقفرا تماما •

رايت بيتا قديما من طابق واحد تاكل طلاؤه الاخضر بفعل الرياح المالحة • لا اذكر ما اذا كانت على القرب بيوت اخرى ام لا • • ولكن على أي حال فمن داخل ذلك البيت وحده • كان ينبعث ضوء أصفر حائل • كان الضوء خارجا من باب كان صغير لبيع السجائر وأدوات الكتاية • ويبدو انه كان غطاء لباب الدعارة • كان هناك ضوء آخر غاية في الضعف • ينبعث من بين فتحات الشيش في أعلى السطح حيث كانت الفتاة هناك كما فهمت •

دخلت الى المكان • كان يجلس خلف منضدة البيع رجل يهودى خائر القوى • راسه مقلع على صدره وعيناه مغمضتان • كان يتظاهر بالنوم الا اننى ادركت انه يرمقنى بنظرات احدى عينيه التي يفتحها بدرجة بسيطة •

انقضت فترة من الوقت وكل هذا ينظر الى الآخر بهذه الصورة • كان يدرك السبب الذي من اجله جئت • غير اننى لم اكن اخشاه على الإطلاق • ظل يتجاهلنى الا انه في النهاية فتح عينيه وقال :

ماذا يريد السيد ؟
اجبته باننى أريد شراء ظرف كي ارسل خطابا الى فتاة • اهتز هزة خفيفة لدى سماعه اسلوبى الساخر وخاصة كلمة فتاة فلفد كانت تحمل تهديدا واضحا • قدم لي كراسية صغيرة لم اطلبها ولم تكن بي حاجة اليها • وضعت على منضدة البيع ورقة مالية من فئة خمس ليرات •

قال الرجل انه ليس لديه فكة • وخرج يستبدل الورقة بعملات أصغر • كان قصده واضحا لي • • فلفد ذهب ليستنجد براعي المومسات • كنت أعلم ان حربا قاسية تنتظرني •

خرج في خطى سريعة منفرة • ولم اضع انا وقتا فاسرعت بارتقاء السلم الخشبية المؤدية الى أعلى السطح • عندما وصات رايت انه لا باب هناك بل مجرد حاجز • اذحت الحاجز جانبا فانكشفت أمام عيني حجرة غاية في الصغر ذات مظهر بائس • • بها سرير ومندوق ومنضدة صغيرة عليها كوب به بعض الورود الذابلة • كانت الحجرة بكل ما فيها ملوثة في رداء من الضوء الياهت المائل الى الجمرة ينبعث عن



« هذا الرسم لفنان من « اسرائيل » نشر مع القصة »

- الراعى ؟
- راعى المومسات .. لكن لسبب ما
سميته بيثي وبين نفسي الراعى هو
رؤيتي له .
- غريب .
نعم .. ولكن لم تكن في ذلك آية غريبة
في تلك اللحظات . لقد كان كل ما حدث
قبل رؤيتي له وما حدث بعد ذلك واضحا
ومفهوما فهما غاية في العمق . حدث
كل شيء ، كما لو كان وقاء بقدر ، كان
كانه .. كأنه صلاة .
- نعم . قالت انجيل في همس ..
اهتقد انني افهم هذا .

التي طعنت بها حتى الموت ملقاة تحت
قدميها .
شملتني حالة من الذعر . خرجت
من الحجرة اتخبط بين اليمين واليسار
حتى وجدت نفسي على سطح البيت .
كان الليل قد اسدل ستاره وساد الظلام
التام . من اسفل كان يرتفع هدير
البحر وشظايا الزيد تتناثر الى اعلى .
لكن من فوقني انبسطت سماء تطيح
بفيض من النجوم .. فيض لم ار مثله
من قبل . وفي طرف السطح وقف
شخص يستند الى السور .. عرفت انه
الراعى .

لهيئة مصباح صغير من مصابيح
الجزان .

والفتاة .. سألت انجيل هامة :
الفتاة .. كانت تجلس على
الكرسي . وجهها الى الشباك وظهرها
تجاهي .

عندما دخلت لم تتحرك وظلت جالسة
كما هي .. منحنية بعض الشيء
ورأسها مائلة على صدرها . اقتربت
منها ، وعندما درت حولها ووقفت في
مواجهتها رايت دما يغطي رقبتها ويديها
وثوبها . وعلى الارضية كانت السكين

عندئذ اقتربت ملة * لست أعلم ما إذا كنت في تلك اللحظة انوى نزاله * ربما نعم وربما لا * لم أكن أعلم ما إذا كان هو القاتل حقيقة * لم أكن أعرف حتى ذلك الوقت أمورا عديدة وكان على أن أعرفها * عندما اقتربت منه وجديته شابا كاتب الثلاثين * كان يقف وهو يدخل سيجارة في هدوء * أشار الى بيده أن أنظر الى النجوم وكأنه يشير الى شيء مملوك له أو على أي حال شيء قريب اليه للغاية *

رفعت عيني ونظرت الى النجوم : بدت كبيرة ، بصورة عجيبة ، قريبة للغاية ، برافة ، منها الأزرق ومنها الأصفر ومنها الأحمر ، لبعضها ذيول هائلة من النور وجميعها دافقات بالحياة * تسكب ضياءها في كل اتجاه * تختلط وتمزج وتتفجر لثملا فضاء الكون كله *

وقال الشاب : هذه سوسنة الرب * ولم أحبه فأضاف : أن الأوراق تتفتح * التجووم * تتباعد * الكون يتفجر * هذا هو الأزهار * وعندما يصل الأزهار الى غايته تعود زهرة الرب الى الانحباس * حينئذ يعود كل شيء من جميع الأبعاد اللانهائية ليتوحد في نقطة واحدة * يتجمع كل شيء في ذاته * في قلب السوسنة * كل الأشياء التي ضاعت وكل الاوقات التي انقضت وكل ما كان وكل من كان * كل ما ذهب * يعود وكل ما أنتظر يصل وكل ما أعطي يؤخذ وما مات يبعث *

لأن الكل واحد * أصبحت اليه وعندما أنهى كلامه أدار وجهه عنى وعاد يحمق في النجوم * كان وكأنه ينتمى الى عالمها * واستندرت أنا سائرا وعندما وصلت الى مدخل الحجرة توقفت ونظرت الى الداخل * وعندئذ رفعت الفتاة رأسها في بطاء وفتحت عينيها ونظرت الى وعلى محياها ابتسامة سعادة مشرقة * صمت أفسالوم * كانت أفيجيل تجلس غارقة في أفكارها وهي ترسم بأصبعها دون وعي خطوطا على التراب * وفي النهاية قالت في همس : من كانت تلك الفتاة ؟

لم يجب أفسالوم * لقد قلت أنك كنت تعرفها * اذن فانت تعرفها * لم يكن ذلك مجرد حلم * اننى أعرف من هي * إذا كنت تعلمين فلماذا تسالين ؟ * كى تقول لى * ولم يجب أفسالوم * هل هذا صحيح ؟ * نعم *

في تلك اللحظة وبصورة فجائية رفعت أفيجيل رأسها كما لو كانت حيوانا يسمع صوتا غريبا * نظر اليها أفسالوم * انظر * همست * انه يقف هناك *

من ؟ * الشاب * وفي الحقيقة كان شخص ما يقف الى

جوان جدران المعبد * كان يقف في الظلام * لأول وهلة كان يبدو كظل أو كبقعة كبيرة * لكنه يتدقيق النظر فيه كان يمكن تمييز شكله كرجل * ربما كان شابا طویل القامة صلب العود * كان يقف دون حراك ولم يكن وجهه ظاهرا *

هذا هو الفتى الذي كان يقف الى جوان الشجرة أمام مقهى بباط * همست أفيجيل :

كيف تعرفت ؟ * لست أدري * هيا بنا نذهب * ومالك وإياه ؟ ليقف كما يشاء * قال أفسالوم في دهشة : لست أعلم * في الحقيقة لست أعلم * قالت وهي تنهض من مكانها *

عندما خرجا من ساحة الروس توجهوا يمينا ومرا أمام مبنى البريد المركزي ووصلا الى شارع يافا *

كانت هناك بعض واجهات المحال ما تزال مضادة بينما بدا في الشارع بعض عابري السبيل * تلكات أفيجيل أمام بعض الواجهات * أمام واجهة محل للمجوهرات ، وأمام واجهة محل للقبعات *

فجأة طلبت من أفسالوم : أن يحتل بها فيقدم لها أي نوع من الحلويات العربية *

— أين اجد لك الآن حلوى عربية ؟ * — أن بحثنا * وجدنا * — أنك بذاتك حلوى عربية * قال أفسالوم :

اجالا النظر فيما حولهما * كانت كل المحال مغلقة * من ناحية ميدان هبيون كانت تبيع بعض الاضواء الملونة * بعضها ثابت وبعضها يضاء ويطلقا كل حين * لكن هذه الاضواء كانت لوحات اعلانات على أسطح بعض المباني بينما بدا الميدان نفسه مهجورا خاليا *

عندما وصلا الى ميدان هدياه ، رأيا محلا واحدا مفتوحا رغم الساعة المتأخرة * بدا كأنه يوفيه أو مقهى صغير وضوء غير جريء * ضوء كهربائي باهت ينتشر أمام مدخله *

عندما دخلوا الى المحل وجدا نفسيهما في حجرة ضيقة بها منصة للبيع وثلاث أو أربع مناضد صغيرة * خلف منصة البيع وقف صاحب المكان * رجل هرم متيبس وليس صديريا * كان يقف صامتا وكأنه قد ذرع في مكانه وعيناه الضيقتان تحمقان في غير اكتراث بل وفي بريق ساخط في جوف الغضاء *

الى إحدى المناضد جلس رجلان وامرأتان من أبناء الطوائف الشرقية * كان الرجلان في حوالى الأربعين أو أكثر بقليل * كانا يجلسان وكل منهما ينظر الى الآخر في صمت * كان كلامهما أصلع الرأس مستديرا وقد ارتسم على وجهيهما تعبير مغموس الملامح * أما المرأتان فكانت كل منهما ترتدى هستانا ورديا وكانتا أصغر بقليل من زوجيهما * كانت كل منهما تجلس في مواجهة الأخرى على أحد طرفي المنضدة وهي تنحني تجاه الأخرى وهديت في

صوت يقط يدور بينهما * في تلك اللحظة كانت أحدهما تقول : هل تذكرين الابن الذي كان أتيا لزيارة أبيه والذي كان شكله مربعا ؟ * — نعم * قالت الثانية * — هيا نلناه ؟

— لقد تغير * — انه الآن لا يشبه أباه بوجه عام *

في عمق الحجرة والى المنضدة الأخيرة جلس منفردا رجل مسن في حوالى السبعين من العمر * نحيف * عظامه بارزة * عظمته رجنتيه مشقوقتان وشاربيه دقيق * كانت أمامه زجاجة من العرق لم يبق بها الكثير وكوب من الماء * ربما كان تاجرا من أبناء الطائفة اليونانية أو البلغارية * كانت تبدو عليه علامات الثقة في عظمته الشخصية كأن منتصبا في جلسته وعيناه مغروستين في زجاجة الشراب وهو يتمتم أو يغنى في صوت خفيض *

في إحدى الزوايا كان يتكور على احد المقاعد قمارمادى *

اشترى أفسالوم لأفيجيل كوبا من اللبن ونوعا من الفطير المغموس بالعسل * أقرب الأشياء بالمحل للحلوى العربية * بينما طلب لنفسه كوبا من القهوة وجلسا الى المنضدة المجاورة لمنضدة التاجر المسن * بعثت أفيجيل العسل بلسانها وفتت الفطيرة الى قطع صغيرة راحت تضعها على مهل في فمها بينما انهمك أفسالوم في احتساء القهوة *

كانت هناك ذبابة كبيرة تحوم في بلدة في قضاء الحجرة وتضطرم بين الفتنة والأخرى بأحد الجدران فتلتكأ عليه كالمذمولة ثم تعود الى التحويم * في الخارج وخلف الفتنة الزجاجية كانت الظلمة سائدة ولم يكن من أضواء سوى لافتات النيون الملونة تضئ هنا وهناك بلا معنى * فلم يكن بالخارج أحد *

أما في الداخل فقد كان نور وكذلك نوع من الحرارة يشعل الجالسين * حتى أفسالوم وأفيجيل اللذان كانا قد دخلا على الفور أحسا وكأنهما يستقبلان بروح الأخوة من الجالسين *

في تلك اللحظة كانت الامراتان تتحدثان في مسائل صحية * قالت الاولى :

— اننى كما يقولون * حساسة جدا * عندما أكل الموز تظهر في جلدى على الفور بقع حمراء * استغرقت في التفكير برهة ثم عادت تقول :

— اننى حساسة جدا * أومات الثانية برأسها ولم تجب بشيء * لم يكن يتربد في المكان سوى طنين الذبابة الموحمة وتمتمة التاجر المسن * فجأة قال أحد الزوجين للثاني :

— الاتراك * هم الاتراك * لا يفهمون شيئا * كنت مسافرا على إحدى السفن التركية * طلبت أوراق اللعب فأحضر الجرسون ماء * قلت له * أوراق لعب * فأحضر لى خبزا *

احضر لى كل الاشياء عدا ما كنت
أريد .

قال الثانى .. كل شيء لديهم ..
ايكمال . (معناها فى التركية خير)
المترجم

- ايكمال ؟

- ايكمال .

وخيم الصمت مرة ثانية . تناول
التاجر المسن جرعة من العرق وبدأ يغنى
لنفسه فى صوت خفيض وبانفعال
سعادة .. تجشأ وأخرج من جيبه علبة
صغيرة تناول منها قطعة من السكر راح
يمصها ثم عاد يغنى .

ومضى وقت على هذا الحال . وفجأة
فتح الباب فى بطاء ودخل رجل الى
المحل . كان رجلا فى حوالى
الستين .. قصير القامة مجعد الوجه
وعلى رأسه طاقية حائلة اللون . كان
سرواله أكبر من مقاسه . وعلى الرغم
من أنه كان محزوما بحزام فقد بدا
وكانه على وشك السقوط . كانت تحلق
على وجهه ابتسامة حية . من هيئته
فهم الجميع أنه حارس ليل فى المنطقة .

عندما دخل اختلعت الأمور بعض
الشيء . فقد سارع صاحب المحل الذى
كان واقفا حتى هذه اللحظة فى جمود
وعدم اكتراث وقدم للضيف على الفور
بعض الخيار المخلل ثم ألحق به كأسا
من الصودا . تناول الحارس قطعة من
الخيار وكانه يتناولها سهوا ثم تكلم
موجها حديثه الى صاحب المكان وحده
متجاهلا بصورة كاملة سائر
الحاضرين .

- ماذا تقول إذن فى
الامريكيين ، بتوعلك ؟

لم يدرك صاحب المكان الذى استيقظ
الى حد ما من ذهوله ما الذى تشير إليه
عبارة الحارس . راح الحارس يقص
مجموعة معقدة من الاخبار التى سمعها
من الراديو قاطعا بان الامريكيين هم
الذين « يحركون القدر » فيما يرويه
من أحداث .

كان يتكلم بحماس شديد دون ان
يتراجع عن رايه :

- انهم يريدون ان يبيعوا كل شيء
لناصر كي يتوددوا اليه .. هذا
الكنيدى .. صديقك .. أه ؟ أنظر الى
اصدقاءك .

كان صاحب المكان فيما يبدو معتادا
على مثل هذه المناقشات مع الحارس
وكان يبدو عيبا ثقيل اللسان ولذا كانت
تظهر عليه دلائل الحيرة . حاول ان
يلقى المسئولية فى تلك الاحداث على
وزير الخارجية راسك غير ان محاولته
اشارت حمية الحارس بصورة اكثر :

- راسك .. ترأسك ! انك لا تعرف
ماذا تقول .. انه مجرد صفر . مجرد
مذلل للأوامر .

كان قد أتى على الخيار . رفع كأس
الصودا وتناول جرعة كبيرة ثم واصل
حديثه :

سأشرح لك سياسة الامريكيين ..
وراح يتحدث فى هذا الموضوع لفترة من
الوقت واجابه صاحب المكان بما
اجاب . ثم انتقل الاثنان بعد ذلك الى
الجديد عن محاولة جرت فى الليلة



بنحاس ساديه

السابقة للسوط على محل للمجوهرات
فى المدينة .

فى تلك اللحظات أصبح حديثهما
هادئا يحمل رقة التأسى . وفى النهاية
نظر الحارس فى ساعته وأفرغ ما تبقى
فى الكأس فى حلقه دفعة واحدة ثم
خرج من حيث أتى .

طيلة الوقت .. كان الحاضرون
يتسمعون الحديث فيما عدا التاجر
المسن الذى لم يتعطف على المتحدثين
ولو حتى بنظرة وبقي جالسا كما كان
وعيناه مغروستان فى الزجاجاة
الموضوعة امامه وهو يغنى بنفس
الصوت الخفيض . تجشأ وتناول قطعة
من السكر . استقرت عيناه على الفتى
والفتاة الجالسين الى المنضدة
المجاورة . بدا كما لو كان لم يلاحظ
وجودهما من قبل . جعل يتأملهما
بعينه الهائيتين المشحونتين بالكبرياء
للحظة طويلا ثم لاح على محياه ما
يشبه ظل ابتسامة . فتجشأ عليه ثانية
ونظر فيها بتدقيق .. اختار قطعة من
السكر قدمها الى افيجيل وقال :

- خذى .. فهذا طيب .. ضد
الزكام . واقى للحلق .. ضد كل
شيء .

ابتسمت افيجيل ووضعت قطعة
السكر فى فمها .. رد الرجل لها
الابتسامة بمثلها وعندئذ سالت فى لطف
ان يترجم لها معانى الكلمات التى كان
يتغنى بها . بدا ان طلبها قد بعث فيه
احساسا بالارتياح والرضا .

- انها اغنية اسبانيولية .. لادنيو .
هى اغنية يغنيها الشباب . يقولون :

فى الساعة السادسة مساء
سأذهب .. مع رفائى .. مع
رفاقه .

وامام شباكك سائق .. سيقف
امام شباك فتاته .

وسأعزف على الماندولين .. سيغزف
على الماندولين .

ارتسمت ابتسامة رفيعة على وجه
الرجل المسن المتكبر ولزم الصمت يضع

لحظات وكأنه غارق فى افكار بعيدة ثم
واصل شرحه للاغنية :

- الان يشرح الفتى لماذا يعزف ..
قللمولى فلما نادى .. يعنى
حساده .

اشاعوا اننى مت .. راحوا يشعلون
الشموع . يعنى شموع الذكرى لمن
يموت غير انه لم يكن قد مات .

وسلبونى الفتاة الحلوة . سلبوه ..
سلبوا الفتى عندما كانت نائمة عنده ..
أى انهم سرقوها دون ان يشعر ..
هكذا فعلوا به .

فى هذه اللحظة مرت افيجيل يدها
وامسكت بذراع افشالوم .. فنظر اليها
مشاقا لرؤية شحوب وجهها .

- انظر الى الخارج .. همست .
التفت تجاه الشارع غير انه لم ير
شيئا .

لقد كان نفس الرجل الشاب ..
تمتت .. لقد نظر اليها .

- لماذا شحبت وجهك . قال افشالوم
- وهل شحبت ؟

- نعم . وكل هذا لان شخصا نظرت
اليك لحظة ؟

- كلا . وانما لانه ذو شفتين
حمراوين .

- شفتين حمراوين .
- نعم . استطعت الان ان ارى
وجهه . كانت شفتاه مكتسيتين
بالحمرة .

- غريب .
- ربما طلاهنا باحمر الشفاه . لم
تكونا هكذا من قبل .

- ماذا تعنين بقولك .. من قبل ؟
- لست ادري .. لقد رايت وجهه
من قبل لكنى لا اذكر أين ومنى .

ربما .. ربما منذ بضعة ايام .
نظر اليها افشالوم متفكرا . خرج
صاحب المحل من خلف منضدة البيع .

وراح يدور على الجالسين . دفعوا له
ونهبوا من اماكنهم وبينما هم فى
طريقهم للخروج بدا يضع الكراسى
مقلوبة على المناضد .

فى البداية خرج الموظفان وزوجتهما
وبعدهم التاجر المسن وفى النهاية خرج
افشالوم وافيجيل .

انبسط الميدان امامهما مهجورا
خاليا . حتى الغريب صاحب الشفتين
المطليتين بالحمرة لم يظهر فى اى من
اركان الميدان . لا هو ولا غيره .

سارا على مهل تجاه الشرق . وعندما
وصلا الى حي « نحت شقعا » دخلا
الى عطفة مظلمة . كانت العطفة ضيقة
وطويلة كالمر . ظلت افيجيل مضطربة
لفترة . ولكن عندما بدأ افشالوم
يضاحكها تبدت ضيقها دفعة واحدة .

كان افشالوم يسألها مضاحكا عما
اذا كان لذلك الشخص الغريب ذيل
وقرنان بالاضافة الى شفتيه المحمرتين
وربما اتف صنعية كذلك .

كان السكون العميق الذى يلغهما من
كل اتجاه يسدل عليهما ستارا من
السحر الغريب . كان يغشاهما نوع من
الجزل المتزايد . نظرت افيجيل الى
افشالوم وطلبت اليه ان يخبرها ما اذا
كان الوقت غير متاخر . ثم بيغت له

الذي 7 تقوى على الإطلاق العودة إلى البيت لكنها تريد فحسب أن تعرف الساعة .
قال افسالوم . . الساعة طيبة وموفقة .

— كلا . . قل لي الحقيقة .
نظر في راحة يده فلم تكن لديه ساعة لم قال . . الواحدة بعد منتصف الليل .

— الواحدة بعد منتصف الليل . . . قالت في فرح . . أن هذا ما كنت اعتقده بالضبط . نظرت في ساعتها على ضوء النجوم الباهت ثم قالت . . نعم الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . كيف عرفت ؟
— من راحة يدي .
— هل تعلم أنك إنسان مضحك ؟
— نعم .

لكن موافقه لا ترضيها . . . فتقول . . كلا إذا كنت إنسانا مضحكا فإن هذا علامة على أنك إنسان غير مسئول . وما دام الأمر كذلك أعد إلى نعلي ، فمن الحق أنك ستضيعهما .

في هذه اللحظة توقفت في منتصف العطفة المظلمة العسرية ، وبدأت تضحك . . تماما كالاطفال . وفي النهاية يقول لها افسالوم أنها إذا لم تتوقف عن الضحك كمن « قرصته ذبابة مجنونة » فإنه سيمضي ويدعها وحدها في الظلام .

— كلا . . أنك لن تتركني .
— سأتأكد .
— كلا لن تتركني . . قالت وهي تضع ذراعها في ذراعه .
— حسنا . . إذن تمسكينني بالقوة . ليس هذا من الحكمة . عندما نقابل شرطيا سأقول له فيخلصني .
— ربما لا يعرف الشرطي العبرية .
— إذن أحاطبه بالإشارة .
— اعمل لي إشارة صغيرة إذن .

بعدا السير وخرجا من العطفة ووصلا إلى حديقة المدينة . على يسارهما وعلى مسافة معينة كانت تمتد جبانة المسلمين . كانت تربض هنا وهناك يضيع شجيرات قائمة وتنتصب مجموعة من الأشجار قصيرة القامة وفي الوسط يمتد طريق واسع مترب .

قال افسالوم . . نعم أنتي أريد أن اعمل لك شيئا . ليس إشارة . أن الإشارة لا تساوي شيئا . كنت أود أن أقدم لك هدية . بعد اطراقه لحظة سالها .

— هل أنت في حاجة إلى الصفاق شيء ؟
— الصفاق شيء ؟

— نعم إن لدى لاهق في الحجرة . اشتريته بسعر رخيص . . أنبوية . . يلصق كل شيء . . الخشب . . الجلد . . الزجاج . . ربما انكسرت لك مرآة صغيرة . كان تقريبا يحفظها على القبول .

غير أنه لم تكن بها حاجة للصفاق أي شيء فراحت تضحك وضحكاتها ترن .

وترن في الحاء الحديقة المهجورة .
— كلا . . لم تكن هذه فكرة موفقة . . لكنني أستطيع أن أعمل لك شيئا آخر .
— ماذا ؟

— أركبك على ظهري من هنا وحتى نهاية الحديقة .
— لكنني لا أريد الركوب .
— خير لك أن تفعل .
— لا .

ويمضيان في السير . . . لو كنت تستطيع الطيران لوافقت .
— إلى أين تريدان الطيران ؟
— أريد الطيران إلى إسبانيا . . إلى سبيليا .
— ألم أقل لك مرة أنه يمكن أن يقبض عليك هناك .

— إذن نطير إلى لندن .
— ما الذي تريدان رؤيته في لندن ؟
— أريد رؤية معرض تلك المرأة . اسمها إيه دي ، . يقولون أن هناك تماثيل من الشمع لكل أنواع الناس .

جعل افسالوم يفكر قليلا ثم قال . . نعم ولكنني لا أستطيع الطيران .

— ليس مهما . . قالت وهي تلمس ذراعها في رفق . . لا تحزن . خير لنا أن نسير فحسب . هكذا مجرد السير في الليل . فلنسر أكثر .

— إلى أين ؟
— حتى نصل إلى أي مكان .
بعد أطراف قصيرة قالت . . ما اسم هذا المكان ؟

— حديقة الاستقلال .
— إذن نواصل السير حتى نصل إلى أي مكان .
لكنهما بعد أن قطعا مسافة من الطريق وعلى مقربة من باب الحديقة تراجعت عن رأيها وقالت .

يوجد هنا عشب . . تعال نجلس . وأضافت في لهجة تفسيرية . . من المحقق أن الأعشاب حزينة الآن في الليل . ستسعد إذا بقينا هنا قليلا .
جلسا على العشب إلى جوار الطريق في صمت . . من مكان ما كان ينبعث صفير صرصار . ومضى بعض الوقت على هذا الحال .

قالت . . قصص على قصة .
سأعرف قصصا .
— أنك تعرف وأنا أحب القصص .
فكر افسالوم بضع لحظات ثم بدأ يقص .

في ذات مرة كانت هناك ثلاث دبة . الدب الأكبر والدب الأصغر والدب الأوسط . . .

— كلا . . أنك تحدثني كما لو كنت طفا عبيطا . .
وساد الصمت .

تسلطت الفجيلة على ظهرها وهي تقول :

رأيت أمس في الحلم طبقا طائرا كبيرا كله من القصة . كان اليوم جميلا مشرقا واقترب الطبق وهبط تجاهي

وعندما وصل إلى الأرض انفتحت به طاقة ورأيت رجلا خلف منصة وعلى المنصة أطباق مليئة بالفطائر والكمثرى وفواكه متنوعة . أخذت بعضها من كل صنف وعلى الفور عاد الطبق الطائر فحلقت وابتعدت حتى بدا كنجمة صغيرة لامعة .

أغلقت الفجيلة عينيها وبدأ وكأنها قد نامت . لكنه بعد مرور بعض الوقت سألت في تمتمة :

— كم تقطن الساعة الآن ؟
— لست أعلم . . انظري في ساعتك .

— لكنني لا أريد أن افتح عيني .
— لماذا ؟
— لأنني أرى وجهك هكذا . . أرى وجهك طيلة الوقت .

مدت له يدها . . قرب يدها من وجهه مدققا النظر في عقارب الساعة . تصل إلى أذنيه دقائق الساعة ، يدها مسترخية في يده والساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل .

لحاجة أفاقت الفجيلة وهبت واقفة ، جعلت تصيح السمع . وراحت تنظر فيما حولها دون أن ترى شيئا عدا يضع أشجار هنا وهناك ، وافسالوم ينظر إليها مشدوها .

قالت في صوت خافت . . أشعر أنه هنا . .

— من ؟ أنك مريضة بالالوهام يا الفجيلة .

— كلا أنه يختبئ . . ربما خلف أحد الأشجار .

— سأبحث عنه . . قال افسالوم وهو ينهض من مكانه .

— كلا . . دعه . . فلنذهب نحن من هنا .

— ماذا . . ليست خائفة ؟
— بلى . . ومع هذا فلنذهب .
— إلى أين ؟
— نذهب بعيدا .

سارا على الطريق المتجه جنوبا لم يلتقيا بأي شخص طيلة سيرهما . كل فترة من الزمن كانت تمر إلى جوارهما سيارة . في البداية كان سيرهما في شوارع متسعة وطويلة وبعد ذلك دخلا إلى حي مشتجر بالعوارى الضيقة . وبعد مرور ساعة كانا قد تجاورا الأحياء السكنية ووصلا إلى المنطقة الخلاء .

على أحد جانبي الطريق كانت تسمق مجموعة من أشجار السرو ومن خلفها بستان وعلى الجانب الآخر كان ينسبط حقل مقفر . إلى جوار الطريق كانت تمتد فناء قري مليئة بالأشواك ، وشجيرات السنط . التحنى افسالوم على قدمي الفجيلة واليسها نعليها . ثم أمسك بيدها ووثبا معا فوق القناة . وراحا يخطوان على أرض الحقل . من اتجاهات مختلفة ومن جوف الظلام كانت تتردد أصوات المراهير والجنادب في نغمة رتيبة عنيدة .

أخذ سطح الأرض الخالي من أي أثر لطريق أو مدق يرتفع بصورة تدريجية . وصلا في صعودهما إلى الهضبة وتجاورا أنبساطها ، ثم بدأ في

الهبوط • بالتدريج كان المنحدون يزدادون وعورة وحدة هي انحداره • كان المنحدر يهبط الى خندق ضيق مزروع بالصخور والشجيرات • خندق ظل يطول ويمتد امامهما وكأنه سرداب • لم يكن هناك طريق آخر يقود الى أعلى • ولأنهما لم يكونا يريدان العودة من حيث أتيا فقد كانا مضطرين الى الهبوط في الخندق •

مضيا على هذه الصورة زمنا طويلا بين أسوار الصخور المنتصبة عن يمين وعن يسار • كانت الأرض تحت اقدامهما مفروشة بالصخور المتشابكة وامامهما كانت مجموعة مشنجرة من الأغصان النابتة من بين الصخور تسد الطريق وتغلقة • من فوقهما كانت تظهر بعض النجوم المضيئة بينما غمر الغلام ما حولهما • فجأة انبعث من داخل الأغصان طائر مفزوع • ثم مالبت ان اختفى •

— هل نريد طريقك يا افيجيل ؟
— نعم يا افشالوم •

جعلتا يشقان طريقهما • يتعلق بهما غصن نارية وتعترضهما صخرة نارية أخرى •

— الى أين نذهب يا افشالوم ؟
— الى الامام •
— حسنا يا افشالوم •

الآن بدا الممر يتسع وياخذ في الصعود • أصبحت الأغصان اقل تشابكا وبدأت السماء فوقهما أكثر اتساعا • بات السير أكثر سهولة • بعد فترة من الوقت خرجا من الممر • تسلفا سلسلة الصخور واعتليا بضع درجات حجرية قبلها قمة الهضبة •

سارا فترة طويلة في صمت خلال المنطقة البسيطة المليئة بالأحجار الصغيرة والشجيرات الشوكية • من حولهما كانت الجبال شامخة كالظلال النقية • منها البيضاء ومنها المستدير • من داخل الجبال كان ينبعث عواء ابن أوى وكأنه صوت ضحك كئيب • غريب • مجنون • لكنه كان ضعيفا أتيا من بعيد وسرعان ما انقطع • بعد قليل من السير لاحظا لهما في جوف الليل أضواء باهتة قليلة •

— هل هذه هي القدس يا افشالوم ؟
— كلا • • القدس خلفنا • اننا نتجه جنوبا •

— هل تميز الاتجاهات بالنجوم ؟
— نعم • انظري • • هذه نجمة الشمال والنجم القطبي خلفنا • من فوقهما وفي قبة السماء كانت النجوم تضيء في هدوء وشحوب • كانت كل نجمة عالم بذاتها • عالم بعيد معزول غامض •

— اذن فما هي هذه الاضواء ؟
— ربما كانت بيت لحم • • انها تبدو كالعروس المحلقة على سطح الأرض متعالية الى السماء • •

— لماذا كالعروس ؟
— لأنها تتحلى باللالية •
عندما وصلا الى ركن الهضبة شعرا بالتعب فتوقفا • كان يحيط بهما بستان

صغير مهجور به بضعة أشجار من التين والزيتون وبضع كرمات متناثرة •
— نحن الآن وحدنا • • قال افشالوم •

— هل نحن قريبان من الحدود ؟
— لست أدري •
— هل يمكن أن نكون قد عبرنا الحدود ؟
— يمكن •

— اذا وقعنا في يد العرب فهل يقتلوننا ؟
— ربما يقتلوننا •

— نعم • ومع ذلك فان هذا لا يهمني الليلة • انني لم أكن بمثل هذه السعادة قط •

في تلك اللحظة ظهرت جماعة من الكراكي اتية من الجنوب ومصوبة الى الشمال • كانت اكبر قليلا من تلك التي ظهرت لهما من قبل • كانت تضم حوالي اثني عشر طائرا • كانت الجماعة جزءا من القافلة المرتحلة الى بلاد الشمال وقد تفرقت الى جماعات عديدة صغيرة تطير على مسافات متباعدة دون أن تخشى أن تضل واحدة منها الطريق • ظلت الكراكي تحلق في سكون • حتى اختفت في جوف الظلام •

انقضى بعض الوقت • زحف شيء ما بين الشجيرات ربما كان حرباء • وقف افشالوم وافيجيل متلاصقين وهما ينظران في صمت الى أعماق الليلة الساحرة التي تكتنفهما • كانا يصيحان السمع للهدوء •

بدا لبعض لحظات ان كل ما يدور ليس سوى حلم • • حلم عميق • لمس افشالوم بلا وعى ذراع افيجيل باصبعه كما لو كان يريد أن يحس بانها حقيقة الى جواره • ابتسمت هي • عليها فهمت •

— هل أردت ان تراني ؟ سألت في صوت خفيض •

— متى ؟
— قبل أن اني اليك •

— نعم انتظرت طول الليل طلوع الفجر لاني كنت أريد رؤيتك •

— لكن لماذا كنت تعتقد اني ساتي مع طلوع الفجر •

— لم أكن اعتقد انه ستاتين • انتظرت طلوع الفجر لانني لم أكن استطيع رؤيتك الا عند طلوعه • وعندما طلع الفجر ذهبت الى حديقة البلدية • •

— نعم ولم أكن انا هناك • •

— نعم عندما وصلت الى الحديقة بدا كل شيء يتألق بالنور في بقاء • عندئذ ظهرت الزهور التي في الحديقة وهو ما كنت أنتظره طيلة الليل • كانت هناك ورود صفراء وحمراء وزرقاء ووردية • • غير أن نظري تركز على وردة كبيرة بيضاء كالثلج • كان في بياضها الرائع بريق لا يستطيع وصفه بالكلمات ولا يمكن فهمه • • بريق كأنه علامة عميقة سرية وثنية • • علامة لاحظتها مرة في إحدى لوحات ليوناردو • • لوحة العذراء مع وليدها وأنا المقدسة • هي

تلك المرة لم تجذبنني وتشد انتباهي وأنا اطل في اللوحة • • هيئة الوجوه المتبسمة المتألقة ولا حتى المنظر الطبيعي الخيالي المحيط بهما بل شدني • ولعل هذا غريب • • فحسب منظر قدم العذراء • • البيضاء • • العارية • • •

كان احساسي وأنا أقف في الحديقة في تلك اللحظات • • لحظات التنوير • • لحظات السكون • • لحظات تجدد الكون هو نفس احساسي بينما كنت أرقب قدم العذراء • • رقت النظر في تلك الوردة البيضاء ولمستها اصبعي فرأيت • • • • •

— ماذا رأيت ؟
— رايتك يا افيجيل • • رايتك أنت • • كلا • • لا تقل هذا يا افشالوم • همست في صوت مختنق • مدت يدها الى وجهه وكأنها تريد أن تسكنه لكنها دون وعى راحت تداعب شعره • • تلمسه ثم تتراجع عنه • كانت يدها كالضالة لا تعرف ماذا تفعل • اكتنفها الصمت للحظات طويلة بعدها قالت في همس • •

— نعم • • قل لي ماذا رأيت • رايتك يا افيجيل • • كنت انظر الى داخل الوردة وكأنني اطل داخل عينيك داخل نفسك • • انك جميلة يا افيجيل • • (أضاعها • • كالماء الذي سقاها • • • • •)

لاحظت الدموع في عينيها • أمسك وجهها بين يديه فاحس بمدى سخونه وجنتيها • أحس برائحة جلدها وشعرها المسكرة • كانت شفاتها ترتعشان وعيناها المشرقتان تطفحان بتعبير من الألم والرضا في نفس الوقت • كانت بكل ما فيها في تلك اللحظات جزءا من حلم •

مدت ذراعها فطوقت بها جسده • وبعينين مخمضتين وفي بقاء وعذوبة وانقياد احتضنته • وفقا هكذا برهة طويلة • بعد ذلك فتحت عينيها وعندما نظرت في عينيها تمتمت : أن روصي تحتضن جسدي الآن يا افشالوم •

فجأة بدأت ترتعش • أراد أن يطمئنها فضمها اليه وجعل يداعب شعرها وكنتفها العاريتين في رقة • أحس بانفاسها الحارة على وجهه وعنته وسممها تتمم بكلمات مختلفة • • كلمات غريبة ربما قالها في اوقات أخرى وطلعت الآن على سطح ذاكرتها المضطربة •

عدوت طول الطريق • • طول الطريق اليك • • هي الشوارع • • لا تدعني اذهب عنك ثانية • • لا تدعني اذهب مطلقا • • ساكون لك • • ساكون معك دائما • • انني احبك • • انك بداخلي • • انك تتدفق داخلي كالنهر • • وتشتعل • • تشتعل داخلي كالعشب • • ساحضر لك زهورا • • ساحضر لك زهورا حمراء • • زهورا زرقاء وصفراء • • ساحضر لك ثمرات • • حبضا تذهب ساكون • • دائما ساتي اليك ودائما ستجذبنني • • ان نزلت الى الماء ساكون في الماء • • ان قطفت ورقة شجر ساكون في ورقة

الشجون .. ان اكلت الخبز ساكون في الخبز .. ان فتحت الشباك في الليل ساكون في الظلام

تحول حديثها الى مهمة غير مسموعة ثم انتهى الى الصمت . ولم يقل هو شيئا فقد أدرك انه لم يعد يمكن الحديث بالكلمات . في بطن خفت الرعشة التي تولتها . كان وجهها يواجه باشعاعات من نشوة العرفان . خلعت قميصها وسوتياها في بطن والقتلها على الارض . بدت لافشالوم في وقفها عارية الفخذين والصدر مديدة القامة قوية للذبة وكأنها تنطوي على شيء ما من صورة الهة وثنية . وكما لو كان في حلم بسط يده يريد أن يلمسها غير أنها بركة لا توصف أمسكت بيده وبعد أن طبعته عليها قبلت تركتها لتنهبط .

خل افشالوم واقفا في سكون . جثت تحت قدميه . أمسكت يديه بيديها والصقت شفثيها بهما . راحت تلتئمهما في لهفة وصمت . قبلات طويلة متكررة .

من حولهما كان كل شيء ملفوفا في الظلام . كان جسدها العاري . جسدها المشع الوضاء هو الشيء الوحيد الساطع في جوف الظلام .

التصقت شفثاهما الملتهبان براحتي يديه للحظة . كانت كأنها تنطوي على بعض من جوهر اللانهاية . جذبه في ترفق اليها فركع الى جانبها واحتواها بين ذراعيه . ضمها الى قلبه . قبل ما بين عينيها وفمها ورقبتها وقدميها الوثنيتين . بعد ذلك تمدا على الارض بين الاعشاب الذابلة وشجيرات المسط .

من فوقهما وفي كبد السماء كانت تمر في تلك اللحظات جماعات جديدة من الكراكي . اعناقها منحنية ورؤوسها مصوبة للامام تفرد اجثتها السوداء ، بينما سيقانها ملتصقة وممدودة للخلف . كانت تبصر في بحر الظلام السماوي كظلال قاتمة كبيرة داخل المظلمة الشاحبة . مرت اسراب واسراب من الكراكي متتابعة متلاحقة . كانت هذه الاسراب فيما يبدو قوام الجماعة المهاجرة الرئيسي . اما ما كان قد ظهر منها قبل ذلك فلم يكن سوى طلائع للقوة الاساسية . على فترات متباعدة كان يتردد صوت اشبه بنداء قصير . وفيما عدا هذا كان السكون مخيما ، من اسراب الكراكي ما كان صغيرا يضم خمسة او ستة طيور ، ومنها ما كان يضم عشرين او اكثر . غير انهم جميعا كانوا يتحركون على شكل رأس سهم صوب هدف لا يحدون عنه . مرت رووس السهام الاولى على ارتفاع عال . ابتعدت واختفت في الظلام . وجاءت أخرى وابتعدت واختفت ، ومرة ثانية وصلت رؤوس سهام جديدة تسبح على امواج الصمت والظلام تشق طريقها الى الامام وكأنها رسل او مبشرون ترف فوق الهضاب والوديان . فوق الارض الغارقة في السهات الى بعيد تجاه الشمال .

فجأة اعتدلت افيجيل كالمعمورة . بين الاشجار وعلى مسافة ما ظهر شخص رجل كأنه شيع الفرع وقد تولد من العدم ، لم يكن وجهه ظاهرا في الظلام ، الا أن افيجيل عرفتة على الفور . كان ذلك هو الشاب ذا الشفتين المسوختين بالحمرة . كيف وصل الى هنا ؟ هل يمكن أن يكون قد تعقبهما في تكتم متخفيا على طول الطريق ؟ والامر الغريب أنه لم يكن يقف ساكنا ، بل كان يتحرك وكان به رعشة او كأنه يتقبا . ومع ذلك فان صوتا لم يكن يصدر عنه .

تصور افشالوم للحظة ان ما يراه ليس سوى خداع بصر . غير انه أدرك ان الامر غير ذلك . كان شخص الرجل واضحا جليا للعين وعلى بعد حوالي عشرين خطوة منهما . نهض افشالوم على مهل وانتصب على قدميه .

لا تقترب منه . همست افيجيل .

... عليه مريض ؟ تساعل افشالوم . وفي تردد اتجه نحوه . وقبل ان تستطيع افيجيل التي سارعت بارتداء قميصها أن تستوقفه كان قد ابتعد عنها بضع خطوات . راته وهو يسير في الظلام الى ما بين الاشجار مقتربا من الشخص الذي أصبح يقف وكأنه قد سمر في مكانه دون حركة او صوت .

لم يستغرق ما حدث هناك في الظلام بين الاشجار الا لحظة غاية في القصر ولم يكن واضحا لافيجيل من المكان الذي تجلس فيه . ففي لمح البصر بدا الشخصان وكأنهما يمتزجان في جسد واحد غير واضح المعالم . تحرك شيء ما ثم انبعث صوت غامض قبيح وتلته اهة خاطفة . انسل أحد شطري الجسد بين الاشجار واختفى كأنه لم يكن . اما الثاني فقد انحنى فجأة وركع على الارض قفزت افيجيل على قدميها وقلبها يدق في وحشية وهزلت الى المكان وعندما انحنت على الارض رأت افشالوم يجلس منكشما دون حراك . يدها مسبقتان ورأسه ملقى على صدره . كم كانت جلسته هذه غريبة .

نادته افيجيل فلم يجب . . .

تحرك شيء ما بين الاشجار وانبعث من نفس المكان صوت كأنه فحيح صادر اما عن حجرة كائن بشري . او عن حجرة حرباء ركعت افيجيل على ركبتيها ووضعت يدها على كتف افشالوم . مست اطراف اصابعها شيئا لرجا . كان ذلك دما . خيط دقيق من الدم ينشع ويسيل من تحت عظمة الترقوة على صدره وذراعه .

لم يكن ذلك الا ان السكين قد اصابته احد الشرايين . سرت الرعشة في جسد افيجيل كله وتولاهما الفرع . ظل الدم يفيض ليس في غزارة ولكن دون توقف . ما الذي كان عليها أن تفعله ؟

ضغطت باصبعها على الجرح لتقلل من فيض الدماء تسال الدم على اصابعها . . . على راحة يدها . كانت تعلم ان ذلك ليس اسعافا للمريض . خلعت عنه قميصه مزقته خلقا وحاولت

أن تضمن صدره . فجأة سرت رعدة شديدة في جسد افشالوم ، وفي بطن وجهه غاية في العسر مد يده اليسرى فامسك بذراع أخته وبدأ ينهض من مكانه . في النهاية نهض ووقف وخطى خطوات او ثلاث للامام في تراخ . . . توقف وبفظة واحدة وبلا صوت مال بجسده ليسقط بين ذراعي أخته . أمسكت به بكل قواها وأرقدته في ترفق على الارض . تمدد على ظهره يتنفس في بطن دون أن يتاوه ، او يصدر صوتا . كان يرقد وعيناه مفتوحتان ، ينظر اليها في صمت .

ما الذي كان عليها أن تفعله ؟ نظرت اليه ونظرت فيما حولها متحيرة . من حولها كانت تمتد روابي وهضاب . حقول وصخور وادغال والصمت والظلام مخيمان . بينما هي في حيرتها اذا بنجاح كلب ينبعث من مكان ما غير قريب وغير بعيد .

الغيس هذا دليلا على وجود مستوطنة . . . على وجود اناس في مكان قريب ؟ عليها أن تصل اليهم لتشد المساعدة وتحضرهم الى هنا . او على الاقل يمكنها ان تحضر بعض الماء لتغسل به الجرح وترطب وجهه وتسقيه فلا شك أنه غاية في الظلما .

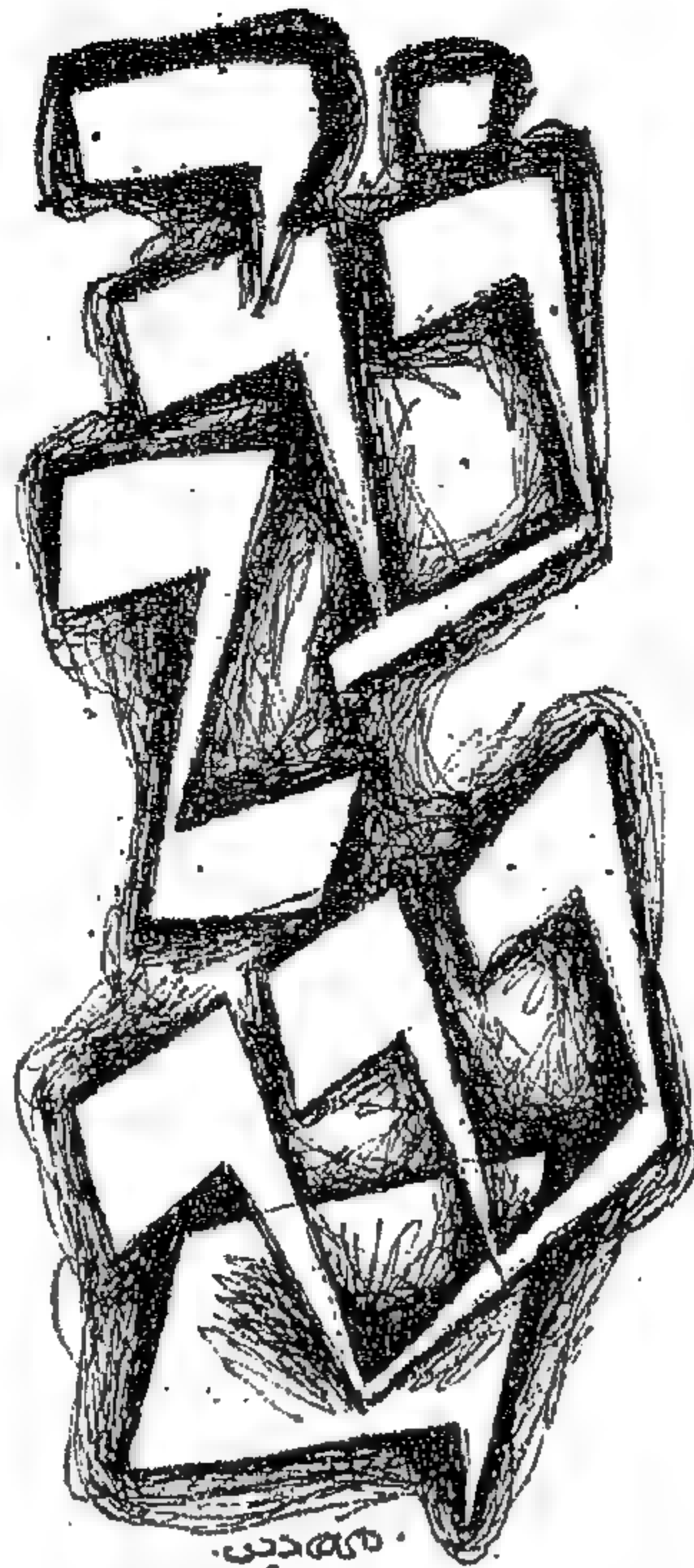
ربما كانت هنا على مقربة من البستان بئر مهمة . ربما كانت هناك بعض المساكن خلف هذه الهضاب . لكنه كان من العسير رؤية شيء او معرفة شيء . تكرر النباح ، اتجهت افيجيل الى الناحية التي صدر منها الصوت . مرت على سور من الحجارة ووصلت الى منطقة من الصخور مليئة بالاحجار الصغيرة التي بدت رمادية على ضوء النجوم الخافت ، عثرت قدميها في حجر فانقطع سير حداثها . المقت به وراحت تعدو حافية الى بعيد . . . لكن ما هذا . . من أين انبعث الصوت ؟

فلقد تردد النباح ثانية ولكن من اتجاه آخر هذه المرة . توقفت افيجيل في مكانها تتسمع في تردد . بدا لها أن الصوت قد جاء من الجانب الاخر . . من ناحية تل قائم مغطى بالشجيرات .

اتخذتها انناها ؟ او ربما كانت هذه اصدااء تتردد وتاتي من اتجاهات مختلفة

دارت على عفيبيها وعادت فعبرت البستان . مرت امام افشالوم الذي كان يرقد ساكنا وجرت صوب التل . اصابتها الشجيرات المشوكية بجروح في ساقيها غير انها لم تشعر بذلك . . لم يكن بد من الاصطدام بالاشواك وهي تقفز هنا وهناك . . لكن . . الى أين يؤدي هذا الطريق اللاتريق ؟

لم يكن يمكن تمييز شيء على بعد عشر خطوات . ولم يكن امامها سوى مجموعة من الاشجار القصيرة القائمة تعلوها شجرة زيتون وحيدة منفلقة على هيئة قرنين تتدلى منهما الخصلات . ظلت تثب مواصلة سيرها .



لم يعد ثباح الكلب يتربد • لم لبق
امامها آية علامة تسير على هداها •
ليست بمسيرها هذا تصل في هذا التيه
من الاشجار والظلام • كان عليها
أن تخرج من هذا المكان وأن تصل الى
أى مكان ماهول • ولكن ليست هي في
ابتعاد عن المكان الماهول بدلا من أن
تقريب منه • لم تكن في حقيقة
الامر قد ابتعدت عن البستان الا بحوالى
مائة خطوة أو أكثر بقليل • الا أن
الظلمة طمست تفكيرها • اختلفت
الاشكال في نظرها واضطربت المقاييس
وبدا لها بعيدا ما كان قريبا • وصلت
الآن تقريبا الى قمة التل • يمكنها الآن
رؤية ما في الجانب الآخر من أعلى •
مدت يدها لتتعلق بأحد الأغصان
الجرداء في شجرة الزيتون وإذا بنظرها
يقع فجأة على الشاب •

كان واقفا في مواجهتها الى جوار
الشجرة تماما وكان هناك شيء لا يصدق
في مراه وجهه الذي كان غاية في
القرب وظاهرا في وضوح تام •

كانت الحمرة قد اختفت من على
شفتيه وابتنسامة تفيض عليهما •
ابتنسامة خجل • ابتنسامة اعتذار كان
يبدو معها على وشك أن يتفوه بكلمات
حببيه • كان الموقف مرعبا وانقضت
دقيقة تقريبا والاثان يقفان في
تحجر • وعندئذ وقع الامر الذي لا
يصدق فلقد راحت ابتنسامة تتسع على
وجه الفتى أكثر وأكثر لدرجة الضحك
لكن دون صوت • ضحك عقيم مصطنع
بصعوبة انفرجت شفاهه وتملم • اغفرى
لى • ربما • خطأ في تردد خطوة
صغيرة للامام • اغفرى لى • عاد
يكسور • ربما تريدان • أن
تجلسي • على • معطفى •

في هذه اللحظة فقط اهتزت كمن يفيق
من حلم • تراجعت خطوة أو خطوتين
وبدأت تعدو على المنحدر • لم يتعقبا
الرجل • بدا فقط وكأنه يتمم بوضع
كلمات • وراحت هي تعدو تجاه
البستان الذي كان يبدو وكأنه الشيء
الوحيد الواضح البارز في الطبيعة
الحديثة مطموسة ومحتشدة الملامح •

عندما وصلت وجدت افشالوم واقفا
في مكانه عيناه مخمضتين كأنه غارق في
النوم • انحنت عليه ونادته ففتح عينيه
في بقاء ناظرا اليها • كانت تعلم جيدا
أنه لا ينبغي لها أن تدعه ينام فريما لا
يصحو بعد ذلك الى الابد • عندما ينطلق
الصباح سيتغير كل شيء • ستظهر
عن قرب أو عن بعد آية بيوت أو طرق
أو حدائق • وحتى ذلك الوقت لا ينبغي
له أن ينام • انحنت عليه وبدأت تداعب
شعره وجبهته بأصابعها • كان يبدو في
تلك اللحظات غاية في البعد • وربما
كان يستحيل الوصول اليه بعد ذلك •
لم تكن تحس بانفاسه تقريبا • كانت
بداه مقرورتين • وحاولت أفيجيل أن
تدفعهما بالتدليك • كانت تتحدث اليه
طيلة الوقت تهمس في أذنه •

لا تنم يا افشالوم • لا تنم الآن •

اغنية أخرى عن العشب • انني أعلم
أنك تحب الخضرة يا افشالوم • عشب
أخضر • بحر أخضر • لهر أخضر
أحقا تسمعتني يا افشالوم • ساغنى
لك • ها هنا وسادة العشب
حريرية • ها هنا ينبت عشب • ها
هنا ينبت عشب • ها هنا وسادة
عشب بهذا القدر حريرية • ها هنا
ينبت عشب رقيق وعال • احقا
تسمعتني يا افشالوم • لا تقن انني
أبكي فهو الندى يتساقط • ندى
السحر • ندى غزير يتساقط على عيني
الست تعلم انني لست بكاءة • فقط لا
تنم يا افشالوم • لابد أن تظل يقظا •
بعد قليل يبرز الفجر • وبعد ذلك سيعد
ذلك تشرق الشمس • ما هو الوقت
يمضي • ان الساعة الآن • سأنظر
قورا في ساعتى • انني لا أستطيع أن
أرى الآن بسبب الندى • لكنني سأرى
قورا • لن أسالك كم الساعة •
قلبت لديك ساعة • ولحق هذا فانت
تهذر دائما • ستجيبني ان الساعة طيبة
ومؤففة • ها انا الآن أستطيع • احقا
تريد أن تعرف الساعة بدقة يا
افشالوم • سأقول لك بدقة ماثامية •
الساعة • الساعة • كالا لم أعد
أستطيع ثانية • بعد قليل • الآن أدرك
قليل يا افشالوم أن يدرك باردتان يا
افشالوم ذلك لأن الهواء يصبح باردا
ورطبا في السحر • هذا طبيعي • ولكن
بعد قليل عندما تطلع الشمس
ستدفا • ان الشمس ستدفئنا
جميعا • ستدفئ الأرض والاعتساب
والزهور • كلنا ستصحو وستقف
ونلبس ثيابا ملونة • فقط انتظري
قليل • من العسير عليك أن تتنفس الآن
انني اسمع هذا • لو استطعت ان
اعطيك هوائى • ان اعطيك كل شيء •
الست انت أنا يا افشالوم • والست
انا أنت وساكون لك دائما وستكون
لى • وسأنتي اليك دائما وستجدينى •
فقط لا تقفل عينيك من فضلك يا
افشالوم • الست ولدا طيبا • ولدا
مجتهدا • أنت تعرف كيف لا تقفل
العينين • حسنا اذا كنت حقا مضطرا
فلا بأس • انني أعلم أن هذا سيكون
لدقيقة فقط • لكني تستريح قليلا • رب
انتي تعبتي للغاية • انني الأخرى أريد أن
اغلق عيني لدقيقة • يبدو لي انني نمت
للحظة • ما كان ينبغي أن أفعل ذلك •
الا ينبغي على أن أراك يا ولدى • أى
نوع من الامهات انا فانام • يبدو لي
أنني قد حلمت • جاء بعض الحازقين
من البحر • واحد معه دف والثاني معه
ثاى والثالث • رقص • رقص • رقص
الثالث • ما أجمل الالمان والاردية
الاردية الملونة كالاشجار •
كالزهار • أنك الآن صامت •
صامت هكذا • أنك • ولكنك ماعدت
ترتغن • الآن يطلع الفجر •
العصافير تغرد • الندى يتساقط •
عيناي ثقيلتان للغاية • مقولتان •
انني اطفو • سارقد قليلا بجانبك يا
افشالوم • هل توافق حقا • هكذا راسي
على صدرك • انني اطفو • اطفو •

بعد قليل يطلع الفجر يا عزيزى وتشرق
الشمس • الشمس يا افشالوم يا
حبيبي • كلا لا تقفل عينيك • انظر
يا افشالوم • هل تراني • انني
أفيجيل • انظر الى أعلى ان السماء
ملينة بالنجوم • انها تنظر اليك يا
افشالوم • انها لا تريد أن تنام •
كواكب كثيرة كما حكيت لى • حمراء
وصفراء وزرقاء • انني أذكر كل شيء
سواء عن الكواكب أو عن الزهور •
لا تنم يا افشالوم • في الصباح احضر
لك زهورا • هل تذكر أنك قلت لى
انني زهرة بيضاء • كنت اريد أن أبكي
لكنني لست بكاءة • ساحضر لك
زهورا في الصباح • ساحضر لك
زهورا • ساحضر لك شيكولاته ومياه
وعصير ليمون • اتريد عصير ليمون
يا افشالوم • ساحضر لك كل ما
تريد • ان شفتيك يابستان الآن •
ها انا اربطهما • الآن اربطهما
بلساني • ها انا قد لعقتهما • اليس
هذا مضحكا حقا • انني كالكلية •
انتي اعرف أنك تريد أن تضحك كما
ضحكت عندما قذفتك بوسادة • هل
تذكر تلك المشاجرة التي وقعت بينما في
حجرتك وكيف وقعت • وكيف تظاهرت
امامى بانك قد هزمت • انني أعلم أنك
تظاهرت فحسب كي تضحكني • لانك
تحب أن تضحكني يا افشالوم • أنك
مثل أبى • وأنا مثل مطلق العبيط •
لذا لا تنم الآن يا افشالوم • لا تنم •
بعد قليل يطلع الفجر • سيأتى أناس
• سيعالجونك • سيضعون لك اليد
والضمادات فتصبح معافى •
وسأشترى لك أنا كل أنواع الاشياء •
كل ما تريد • عليك تريد أن اغنى لك
آية أغنية يا افشالوم • ساغنى لك
العشب الأحمر • العشب الأحمر
يشتمل فى بسطة • النهر
الأخضر • النهر الأخضر • كلا ليست
هذه أغنية فليس لها لحن • ساغنى لك

تَعْقِيْب

نلاحظ أن هذه القصة ذات الصنفاة الرمزية تمثل محاولة علاج وتضميد للشاعر، الانفلات من الارتباط بالأرض لدى الإنسان الإسرائيلي بعد أن تحول الكسبب العسكري السريع إلى معاناة ثقيلة ممتدة . . .

[يذكر القارئ أن عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩ كانا أخصب فترات العمل الفدائي الفلسطيني داخل الأرض المحتلة ، وفيها شبت حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية - القصة منشورة في أواخر عام ١٩٦٨] . . . فيها يحاول الكاتب بث توحيد صومى فى النفس الإسرائيلية بالأرض العربية . وهو يقدم محاولته فى إطارى فنى رمزى لا جدال فى أحكامه وقوته . . . يسوق خلاله شحنة عاطفية ايجابية لشحن النفوس التى تضاعف رصيدها العاطفى من التعلق بالأرض . وهو يجسد بالشخصيات الثلاثة الأساسية فى القصة بناء التصووير الصهيونى لعلاقة ما يسمى بالشعب اليهودى بالأرض العربية والعرب حتى هذه اللحظة . . . وهو يستمد رموزه وتراكيب الحدث فى القصة من الموقف الراهن المباشر دونما استنجاد بتراثيات أو خوض صريح فى دهاليز ما يسمى بالعلاقة التاريخية . . . وان كان العمل فى النهاية يرسم سياقاً يوحى بتاريخية هذه العلاقة . . .

أفجيل الأرض تتطلع إلى أفشالوم الشعب اليهودى الذى تصلها به وشيجة الدم . هى محرومة منه بلا ارادة منها أو منه . . . لكنها لا تنشفل عنه ، فى أعماقها تتردد دائما أغنية التوحيد به . . . أغنية العشب الأحمر . . . الأغنية تدوى فى باطنها رغم الاضواء الحائلة والرياح الساخنة والدور الواطئة القائمة الغارقة فى السنبات والقمر الأصفر الباهت . وكلها تمثيلات أدبية لما يقال صراحة فى وصف حالة الأرض المقدسة عبر ما يسمى بسنوات النفى اليهودى . هى لانتباس من عودة أفشالوم . . . فالنجوم البعيدة التى تومض من خلف الضباب تشدها إلى خيوط الأمل وطيور الكراكى القليلة المهاجرة . . . رمز طلائع الهجرة اليهودية . . . تبشرها بقرب وصوله . . .

أفشالوم الشعب . . . راقداً بين اليقظة والنم تطلعه رؤيا التوحيد بأفجيل التى التحقت بدار الدعارة وفقدت طهارتها . . . لأنها تعيش فى كنف العرب . . . يعيش أفشالوم وأمل تطهرها من الدنس يحدوه ويرأوده تجسده له رؤيا تطهرها بدمائها عندما تذبح لتبعث نظيفة من جديد . . . أى عندما تغسلها الدماء من آثار العرب فيمكن بعد ذلك أن يتم التوحيد .

وخلال مسيرة أفشالوم وأفجيل فى الطريق الطويل . . . نحو اللحظة المرجوة

لتحقق الرؤيا يظهر لهما الشخص الغريب المفزع يعترض المسيرة ممثلا للمعرب . ولعل الكاتب يشير به أيضا الى خطر المعارضة اليهودية الداخلية للحركة الصهيونية واقامة الدولة أو الى احساس الانصراف النفسى عن الارتباط بالارض . فالرمز يحتمل كل هذه التأويلات التى تشترك جميعها فى اتجاه واحد .

الشخص الغريب يظهر ملتصقا عن بعد . . مثيرا مراقبا فى الظلام . وتجرى أحداث رامزة عديدة ومختلفة على طول طريق المسيرة . . الا أن هذا يغذى احساس التقارب ولا يضعفه . . فرؤيا التوحد تزداد اعتمادا فى نفس افشالوم رغم وحشة الطريق واقفاره . هو يتطلع الى تحقيق الرؤيا يشده ويحفزه ما فى قدمى افيجيل من فطرة وثنية قدسية . ويقطع الاثنان أشق مراحل الطريق وعورة حيث تنتصب الصخور وتزداد المنحدرات حدة والاغصان المعوقة اشتجارا . . ومع ما فى هذه المرحلة من مشقة فان افشالوم يؤكد اصراره على الالتصاق بأفيجيل فيما يرويه من رؤيا جديدة يشاهدها فيها داخل الوردة البيضاء قدسية ناصعة تجذبه وتصاعده من وجدده الصوفى . . وفى نهاية المرحلة يصلان الى منطقة البستان المستوية الهادئة الآمنة حيث يتم لهما التوحد ممثلا فى اتحادهما الجنى . . ولحظتها . . تعبر فوقهما اسراب الكراكي المهاجرة فى قوتها الاساسية اشارة الى تمام الاستيلاء على الارض وتدفق موجات الهجرة اليهودية اليها .

غير ان السعادة لا تكتمل ، فائشاء عملية الاتحاد الجنى يظهر الشخص الغريب . . ويندفع نحوه افشالوم ليتلقى طعنة تصيبه بجرح ينزف فى استمرار ولكن دون غزارة . . اشارة الى امتداد الصراع والاستنزاف العربى .

ومع ذلك يقول الكاتب أن الارض لن تتخلى عن الشعب ، وستظل تحتضنه فى حنان رغم امتداد الليل والوحشة . فهى على ثقة من أن الصباح سيطلع وسيأتى آخرون يؤيدونه ويضمّدون جراحه كيما تحل ساعة الفرح والالوان الزاهية والنجوم الساطعة والازهار البهية .

هكذا يزف الكاتب فى قصته بشرى الانتصار النهائى . . بشرى عاطفية تعينه على احتمال آلام النزيف وتبعث الامل فى توقيه .

فهل يتوقف ؟

والاجابة على هذا السؤال متروكة للقارئ .

فى العدد القادم

حوار الاصدقاء « حول التراث والمعاصرة »

عبد العزيز الدسوقي يرد على الدكتور عبد القادر القط

أدب الرفض

لا يتوقف الشاعر الاسرائيلي عن مؤازرة النثر في التعبير عن
الفكرة الصهيونية ، ولكن الشاعر كفن يفاير أسلوب القصيدة القصيرة
والرواية ، يتخذ لنفسه طريقا خاصا في صياغة الوجدان الاسرائيلي
.. ويكاد — بالرغم من تعدد اتجاهاته الفنية — أن يكون تجسيدا
لنغمة الرفض الذي يطبع جانبا من جوانب الادب العبري بطابع مميز
بالغ الخصوصية . وسنقدم هنا نموذجين من هذا الشعر .. النموذج
الاول اقرب ما يكون الى النظرة الواقعية .. والنموذج الثاني اقرب
ما يكون الى النظرة الرومانسية .

القصيدة الاولى : الحرب المقبلة (١)

الحرب المقبلة ..
ننشئها .. نربيها
ما بين حجرات النوم
وحجرات الأولاد ..
النعاس
أخذ في الاصطباغ بالسواد
وتحن من متساريتها في فزع
ذراع الكهرباء تتحرك
على محورها الملقوف بالصمت .
تجاه الحرب التي تخطر
على أحاديث المطابخ .
في حكمة الحجرات ..
نسمع وقع خطاها
وتحن مقيمون على اغفلة
الظهرة .
وفي قاع الميرون
جمالان في لون الليل البهيم
يرشف كلاهما من فم الآخر
مياه الرعب الخضراء ..
ذلك لاننا نستثبت في تأن وثقة
زهرات الحديد للحرب المقبلة ..
ما بين حجرات النوم
وحجرات الأولاد .

تعقيب :

في هذه القصيدة ، والقصيدة التالية ،
للتقى بموقفين يمثلان زاويتين مختلفتين
من التعبير عن رد الفعل ، الرفض
لصناعة الحرب ، وسيطرة الفكر
الصهيوني التوسعي في الارض العربية
لدى بعض قطاعات المثقفين الاسرائيليين .
في قصيدة « الحرب المقبلة » ، يقدم
الشاعر يعقوف باسار وثيقة أدلة هريجة
للمجتمع الاسرائيلي كله على موقف صنع
الحرب وشن العدوان . وهو في سياق
تعبيره الشعري ، يطلق صيحات التحذير
واضحة ، يشير بها الى السبيل الصحيح
الذي ينبغي على المجتمع الاسرائيلي
انتهاجه اذا شاء ان يعنى نفسه من
قوارص الحرب والامها وهولها . انه
عند الشاعر سبيل التخلي عن بث روح
العدوان في الاجيال الجديدة وتنشئتهم
على مسلك الحرب لتحقيق الاهداس
القارية .

في الفقرة الاولى من القصيدة ، يحدد
الشاعر مسئولية صنع الحرب في الجانب
الاسرائيلي ، ليس على مستوى حجرات
السياسة والحرب فحسب ، بل على
مستوى غرق الحياة الخاصة ، حيث
ينبغي ان يهجع الانسان ويركن الى
التفكير في امان .. وعلى مستوى غرق
الاطفال ، حيث يربون وينشئون على
حبيب الحرب وعصارات الغلظة والتهجم .
وفي نفس الفقرة ، يشير الشاعر الى
ما يوقع فيه هذا الموقف أصحابه ، وما العنصرية العدوانية .

يؤدي بهم الله من مشاعر المقلق والتوتر
في الصحو وفي المنام .

وفي الفقرة الثانية ، يوالي الشاعر
تقريره لمسئولية صنع الحرب على كل
المستويات ، فذراع الكهرباء التي يفترض
انها تتحرك على محورها لتوليد الضياء
وتبديد الظلمات ، تتحرك تجساء الحرب
وفي سبيلها ، بينما الحرب المقبلة تنضج
شسنا فشنينا على أحاديث المطابخ مع
الطعام ، ووقع خطاها لا يفارق اسماع
القوم وهم يأوون للراحة من شنى العمل
في قبط الظهرة .

وفي الفقرة الختامية من القصيدة ،
يطلق الشاعر صيحة التحذير ، فالحصار
من جنس الزرع .. لاننا نزرع الحرب
ونستثبت زهورها الحديدية بكل الثاني
والثقة ، فليس امامنا الا ان نجنى الفزع
والخوف الدائم ، وليس لميونا ان
نصر في اليقظة او في المنام سوى
مشاهد الروع والفزع ، يستولد بعضها
بعضا ، ويتساقى بعضها من أفواه بعض
.. ان الثمار التي نحصدنا من بذرنا
— يقول الشاعر — هي ثمار كربهة نروى
بمياه الرعب الخضراء الاسنة ، ولن
نحصد سواها ، ما دونا على هذا النحو
سائرين .

بهذه البصيرة الشجاعة ، التي تمنح
الانسان رؤية واضحة نفاذة ، يجرى هذا
التعبير الشعري محيطا بعناصر أزمة
الانسان الاسرائيلي ، ومشيرا بصورة
قاطعة الى حلها .. الكامن في نبذ الفكرة
العنصرية العدوانية .

(١) للشاعر يعقوف باسار ، وقد نشرت القصيدة في الملحق الادبي لجريدة « معاريق » بتاريخ ١٨/١٠/١٩٦٨

القصيد الثانية أشعار احتضار [1]

[أ]

أنا احتضر .
لولدى عينا أبى
ويدا أمى
وفى .
لا ضرورة لى . . .
شكرا جزىلا .
بدأت التلاجة تزوم تاهبا
لسفرة طويلة .
كلب غريب يعوى لفقد شخص
آخر .
أنا احتضر .

[ب]

دفعت ضرائب لكذا وكذا من
الخزائن .
أنا مؤمن على تماما .
لى ارتباطات تعامل مع كل
الخزائن .
أى تغيير فى حياتى سيكلفهم
مالا كثيرا
أى حركة من جانبي ستحل بهم
الآلم
موتى سينزل عليهم بالخراب .
وصوتى يمضى مع السحب .
يدى الممدودة تحولت الى ورقة :
وثيقة تأمين أخرى .
اننى أرى العالم خلال زهرات
سوسن مصفرة
لأن شخصا نسيها . . على
المنضدة
سجوان النافذة .

[ج]

افلامى !
انى أشهر العالم كله
على أنه رحم .
من هذه اللحظة . . أحلّ نفسي
وأودعها داخله !
كيما يتبنانى .
انى أشهر رئيس الولايات المتحدة
على أنه أبى
وأشهر رئيس وزراء الاتحاد
السوفيتى

على أنها الآله

كى يعملوا لى جميعهم معا
مالم أصدق أنهم سيعملون .

تعقيب

تقدم هذه القصيدة تمثيلا لموقف رفض
حاد وعنيف لواقع الحياة الاسرائيلية . .
موقف يشق له فى التعبير رافدا رومانسيا
فى عمقه السحيق ، رغم أنه ينطوى فى
ظاهره على أمل عظيم يراود أحلام الكثير
من البشر فى الشبيوع العالى والمواطنة
العسالية . أما لماذا تبدو الرؤية لدى
الشاعر رومانسية ؟ . . . فأنما هذا لأنها
مستولدة بفعل ضغط الواقع الموضوعى
وحده ، دون أن تبدو فيها آثار لنظرة
فلسفية اجتماعية تكون منطلقا ثابتا
وقاعدة راسخة للتفكير فى هذا الامل ،
وتمثل شرطا لازما واساسيا لامكانية
تحقيقه .

يبدأ الشاعر تعبيره بصرخة ، يعلن
فيها احتضاره وغيابه عن الواقع ، ثم
يعود ليثبتها مرة ثانية فى نهاية الفقرة
الاولى . . وبين الصرخة الاولى والثانية
يوسد علة انفصاله وغيابه هذا عن
واقعه . . . وهى ممثلة فى عجزه عن
احداث ما يتمناه من تغيير . فكل شيء
على حاله ، حتى ولده الذى كان يرجو
له خصيلا أخرى تميزه عن الواقع
المرفوض ، يكتب صفات هذا الواقع
وينحول الى نسخة جديدة من النسخ
النمطية الشائعة فيه . فقد ورث الولد
عبنى جده ويدي جدته وفم أبيه . . . أى
ان هذا النثر الجديد قد أصبح يرى
بمنظار الجيل القديم ويأتى أفعاله وينطق
بلسانه .

وهو أمر كان الشاعر يتمنى عدم
حدوثه . وبما أنه قد أصبح واقعا ، فإنه
يحس بأن جدواه الشخصية قد انعدمت ،
فلم يعد لوجوده ضرورة ، وقد فشل فى
تحقيق ما يرجوه .

أنه يتطلع بعد ان خلع جلد
الانتماء الضيق الذى يستولد الحرب
والعدوان والدمار . . الى انتماء أوسع
وأشمل ، انتماء الى رحم يستوعب
الإنسانية كلها ويحتويها فى حنان الرحم
ودفئه .

لكنه بمحتوى الفقرة الثالثة ، يجنح
بصورة حادة الى الرومانسية وخيالاتها
المحلقة بعيدا بلا جدوى ، تحت وطأة
حمى الرفض والانسلاخ عن واقعه . .
فهو يجمع فى جوف الرحم العالى الذى
يتطلع اليه ، أطراف متناقضة تماما ،
بعضها يمثل أمل البشرية ، وبعضها يمثل
كابوس الاستغلال والعدوان فيها ، وهو
ذو مسئولية مباشرة عن ذبول سوسنات
الشاعر وخفقها فى واقعه .

יהודה עמיחי

שירי התפניות

אני מחזיר
לולדי עיני אבי
וידא אמי
ופי .
לא צורך לי . . .
תודה جزילה .
بدأت التلاجة تزوم تاهبا
لسفرة طويلة .
كلب غريب يعوى لفقد شخص
آخر .
أنا احتضر .

دفعت ضرائب لكذا وكذا من
الخزائن .
أنا مؤمن على تماما .
لى ارتباطات تعامل مع كل
الخزائن .
أى تغيير فى حياتى سيكلفهم
مالا كثيرا
أى حركة من جانبي ستحل بهم
الآلم
موتى سينزل عليهم بالخراب .
وصوتى يمضى مع السحب .
يدى الممدودة تحولت الى ورقة :
وثيقة تأمين أخرى .
اننى أرى العالم خلال زهرات
سوسن مصفرة
لأن شخصا نسيها . . على
المنضدة
سجوان النافذة .

افلامى !
انى أشهر العالم كله
على أنه رحم .
من هذه اللحظة . . أحلّ نفسي
وأودعها داخله !
كيما يتبنانى .
انى أشهر رئيس الولايات المتحدة
على أنه أبى
وأشهر رئيس وزراء الاتحاد
السوفيتى

أنا احتضر .
اننى أشهر السماء

محرر : ع.م. ١٩٦٨/١٢/٦

على أنه حارس أملاكى وجامعها
وأشهر الوزارة البريطانية
على أنها أسرته .
وأشهر ماوتسى تونج
على أنه جدى .
كلهم ملزمون بمساعدتى
أنا احتضر .
اننى أشهر السماء

شباب السينما المصرية

يدخلون

المعركة

الجديدة التي تولد بصعوبة وعنت وتواجه نحو نصف قرن من السينما المتخلفة .

وعلى عبد الخالق ليس وحده . فقد تم منذ هزيمة يونيو حتى الآن انتاج ١٥ فيلما تسجيليا عن المعركة مع العدو الصهيوني الامبريالي اغلبها من اخراج شباب السينما ، و « لسنا وحدنا » اخراج سعد نديم و « النصر للشعوب » اخراج صلاح التهامي عام ١٩٦٧ ، و « ثورة المكن » اخراج مذكور ثابت و « اعداء الحرية » اخراج سعيد مرزوق عام ١٩٦٨ ، و « السويس مدينتي » عام ١٩٦٩ ، و « لماذا » اخراج احمد راشد و « لن نموت مرتين » اخراج فؤاد التهامي عام ١٩٧٠ ، و « بحر البقر » اخراج سعد نديم و « ابو زعل » اخراج صلاح التهامي و « يسوع سعيد » اخراج احمد راشد و « المدفع رقم ٨ » اخراج فؤاد التهامي و « الحياة لا تموت » اخراج سمير ندا عام ١٩٧١ ، واما الافلام التسجيلية الطويلة فهي « رسالة الى العدو » اخراج احمد كامل مرسى عام ١٩٦٧ و « عدوان على الوطن العربي » اخراج سعد نديم عام ١٩٦٩ وهو الوثيقة الأساسية التي سجلت العدوان في مصر وسوريا والاردن .

وبالطبع فان عدد هذه الافلام هو ليس حد ذاته فضيحة بالنسبة للسينما المصرية ، فلا يعقل في هذه المرحلة أن

الجماعة فيلم « ظلال على الجناح الآخر » ايضا وهو الفيلم الروائي الاول للمخرج الشاب غالب شعث (٢٢ سنة) هو النظام الامثل لتحقيق احلام الشباب في سينما مصرية جديدة ، والنظام الواجب على الهيئة العامة للسينما والمسرح والموسيقى ان تستمر فيه وتسانده بعد تصفية مؤسسة السينما .

وليس غريبا أن يكون اول فيلم روائي طويل ينتج بنظام المشاركة هو ايضا اول فيلم روائي طويل عن هزيمة الخامس من يونيو ، فقد ظل الانتاج السينمائي المصري طوال السنوات التي مضت منذ الهزيمة بامتناء عدد قليل جدا من الافلام غارقا في الميلودراما والفارس كأن شيئا لم يكن ، بينما شباب السينما يتهقرون ضوقا الى التعيين من هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ بلادنا .

وليس غريبا ايضا أن يكون هاتح هذا الفيلم هو على عبد الخالق وهو الذي بدأ حياته الفنية بفيلم تسجيلي قصير عن « مدينة رشيد » وتاريخها الفضالي عام ١٩٦٨ ، ثم اخرج فيلما تسجيليا قصيرا آخر عن السويس بعد العدوان عام ١٩٦٩ وهو فيلم « السويس مدينتي » ، كما اخرج في نفس العام فيلما دعائيا عن مكافحة الجاسوسية . أن على عبد الخالق نموذج لشباب السينما المصرية

تشاهد الجماهير هذه الايسام فيلم « أغنية على المعر » وهو اول فيلم روائي طويل للمخرج الشاب على عبد الخالق (٢٧ سنة) وأول فيلم مصري عن هزيمة الخامس من يونيو ، كما أنه اول فيلم مصري تم انتاجه بنظام المشاركة مع مؤسسة السينما ، وهو نظام تعاوني يماثل الانظمة التعاونية المختلفة التي تقف وراء كل حركات التجديد في السينما المعاصرة من الواقعية الجديدة في ايطاليا بعد الحرب العالمية الثانية الى الموجة الجديدة في فرنسا والسينما الحرة في بريطانيا والسينما السرية في نيويورك .

« وأغنية على المعر » هي الثمرة الاولى لكفاح جماعة السينما الجديدة التي تكونت على ضوء بيان المؤتمر العام الاول للسينمائيين الشباب الذي انعقد في مايو عام ١٩٦٨ ، والسبب اعلن فيسه شباب السينما المصرية وفضهم لواقع السينما المصرية المتخلفة وهبوا عن احلامهم في سينما مصرية جديدة ، فقد ظلت جماعة السينما الجديدة نحو عامين تبحث عن الاسلوب الملائم للانتاج الذي يحقق اهدافها في ظل سيطرة المفاهيم التجارية ، واخيرا توصلت الى نظام المشاركة مع مؤسسة السينما حيث تدفع المؤسسة تكاليف الفيلم الخام والمعدات والاستديوهات والمعامل ويعمل جميع الفنانين والفنيين المشتركين في الفيلم باجرور مؤجلة تسدد من حصيله ايرادات الفيلم بعد عرضه .

ولا شك أن هذا النظام الذي انتجت به



القتال حتى النصر أو الموت

تأخذها عليه محاولة ساذجة من هذا المخرج الشاب للاقترب من الواقع الذي نعيش فيه .

أما الذين حاولوا استغلال مناظر مدن القناة المهدمة في فيلم « الحب الضائع » وفي فيلم « ثروة فوق النيل » لاستشارة عواطف جمهورهم على نحو مبتذل ، فهم أشبه بنساء طرودة ، ومن سيكون على اطلاعها ، برقم اتنا لسنا في طرودة ، ورغم أن هذا ليس وقت البكاء .

سمير فريد

تكن فيها السينما بالنسبة إليه غير وسيلة لسرد الحوادث وتسليية البورجوازية الصغيرة ودغدغة عواطفها المبتذلة ، وما كان لفشل هذا الفيلم أن يؤثر عليه إلى هذه الدرجة وهو الفنان الذي قدم العديد من الافلام الواقعية الجيدة .

كما لا يجب أن ننسى « الخوف » الذي أخرجه سعيد مرزوق هذا العام والذي عبر فيه عن رؤيته للواقع اليوم من خلال قصة حب بين مصور صحفي شاب وفتاة من السويس فقدت أهلها في إحدى الغارات ، فهو رغم المآخذ الكثيرة التي يمكن أن

يقتصر عند الافلام التي تعبر عن المعركة على ثلاثة افلام كل عام تقريبا اغلبها ينتج بالصدفة ، ولا يجد طريقه إلى العرض بسهولة ، وبعضها لم يعرض على الجماهير منذ إنتاجه حتى هذه اللحظة .

ولا يجب علينا أن ننسى في قمار ادانة الفيلم المصري أن صلاح أبو سيف قد قدم عام ١٩٦٨ « القضية ٦٨ » الذي يعتبر من الافلام السياسية الهامة ، ولكن فشل هذا الفيلم على الصعيد التجاري دفع به إلى العودة إلى مرحلة مبكرة من حياته لم

الجيل الطالع

مرافعة الادعاء نقيضها الواقع

بعد ١٩٦٧ وقع نعمان عاشور في « حوض درامي ضيق » - هكذا كتب - ، والمخرج منه زان معرض شخصياته القديمة - من « المغاميس » إلى « بلانة برة » - وانتقى بعضهم ليرى ما يمكن أن يحل بهم في واقع متغير : هكذا جاءت مسرحيته « سن الكون » . وربما لو قدر له أن يعيد المحاولة فلن يجد ما أضيف له عرضه سوى توفيق الهادي بطرس ، أمين المخذن ، زوج السيدة انجيل ، ووالد الطفلة فيكتوريا ، السالم المستسلم ، المتأخر ، خبطة من حصر وحذر ، الواقع في الخطأ خشية الخطأ وفي الذل خشية الذل ، المتصل لكل شيء من أجل شيء واحد : أن يستمر في أبنائه ، فهم رده الوحيد على شتى ضروب القهر والتحدى . أما بقية شخصيات « الجيل الطالع » ، فربما لن نجد لها حياة بعد انقضاء أوان المسرح ، كلها ملامح لم تكتمل ، نثار متساقط من مبادئه القديمة .

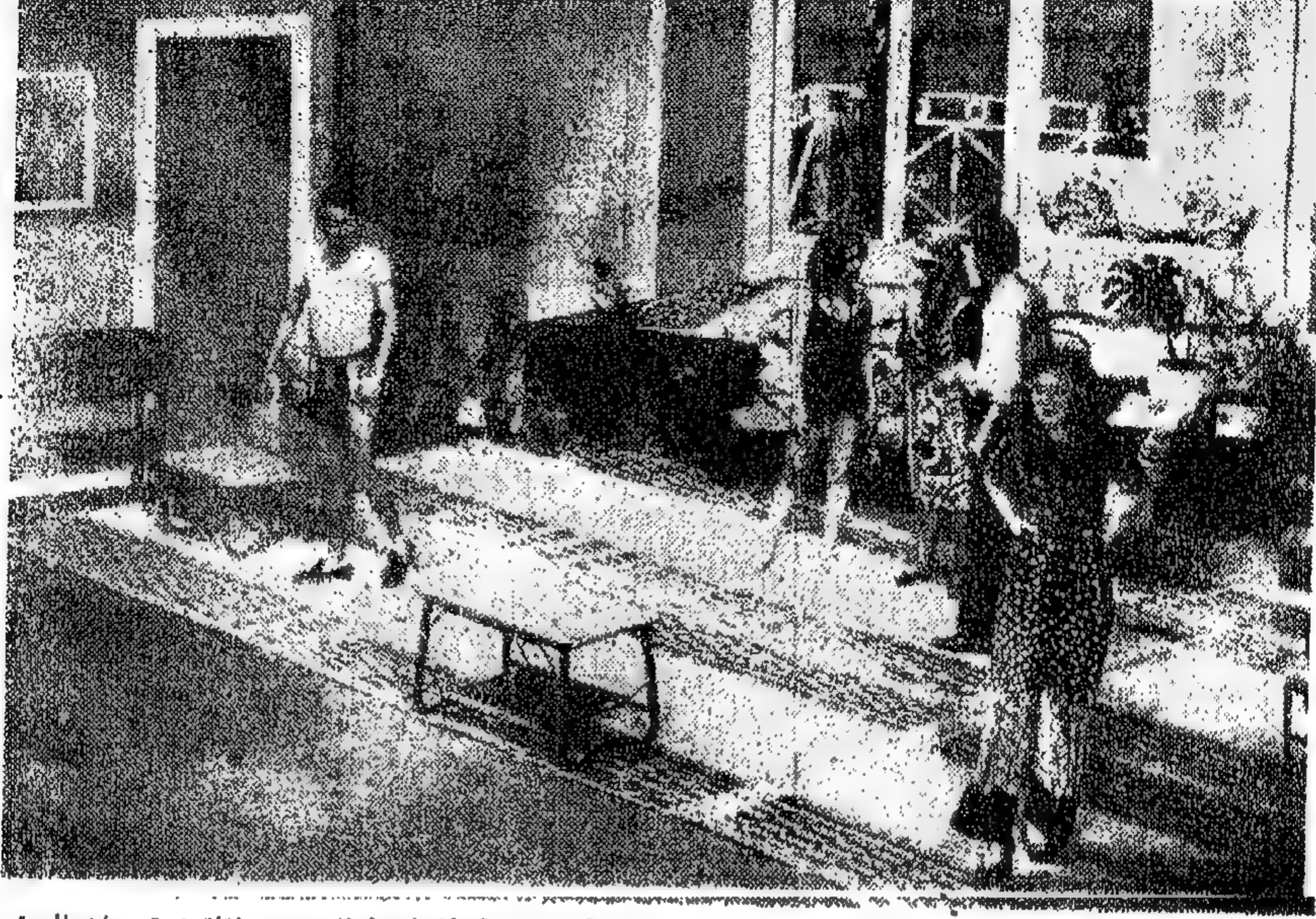
ولأن نعمان قد عودنا إلا نبحث في مسرحياته عن فعل « له أول ووسط ونهاية » ، بل عن وضع عام يحيط بالشخصيات كلها ، وهي تتحدث من خلاله متناقضة مع ذاتها ومع بعضها ومع هذا الوضع نفسه ، مفجرة بحركتها نبض الحياة في العمل كله ، ولأنه قد عودنا أن تكون هذه الشخصيات كائنات اجتماعية

في المقام الأول : كل يدخل الصراع محددا انتماءه الطبقي (راجع عناوين معظم أعماله) ، ثم تأتي التفاصيل واللامح تكسو باللحم والدم شرط قيام الشخصية ، وميز وجودها - لهذا كله فإن الشخصيات حين تفقد تفردا وملامحها الخاصة تهتز دعائم العمل كله ، وتحتج مناقشته على نحو آخر .

في « الجيل الطالع » ، لا تجد فرقا بين حسين عبد الجواد - المراقب السالي للمؤسسة وعبد الحميد مفتاح المهندس بها : كلا الرجلين يحمل ممدوم هذا القطاع من الطبقة الوسطى ويعبر عنها ، وكلاهما ضائق بأبنائه و « تمردهم » ، ولا تجد فرقا بين فاطمة زوجة الأول وفهيمه زوجة الثاني : كلاهما لا تكف عن النقار والمناكفة والضيق بالأبناء وباللامعات التي تتم بينهم في السر والعلن (كلاهما نسخة يساهمة لزيّن الدغري أو للسبت رحمة ، لكن أيا منهما لا ترتفع لمستوى هاتين الشخصيتين من أعماله القديمة) ، والأمن كذلك بالنسبة للأبناء : في أكثر من مشهد مزيج يتم واحد من الأبناء ما يبداه الآخر . هذا يعني أن ثمة معسكرين متواجهين : الآباء والأمهات في جانب والأبناء في جانب آخر . هذا جوهر

المسرحية دون تردد ، فمالمح الصراع الدائر بين المعسكرين ؟ إن الأبناء يطالبون بحريتهم ، حرية لا تتجاوز أبعادها الرقص والاستماع إلى الأغاني الأجنبية واللامسة . (وما تقوله إحدى الفتيات من أنها تفكر بجسدها لا بعقلها تكذب أفعالها من نفسها) . إذا كانت هذه أبعاد حرية الأبناء فإن المشكلة كلها كامنة في نفوس الآباء . استمع إلى هذه القائمة من الأوصاف بعد أن تكتسب عموميتها مرتين : الأولى من اختيار الكاتب لهذه النماذج المتطابقة ، والثانية لأن هؤلاء حين يتحدثون عن أبنائهم فهم يصرون على الحديث عن جيل بأكمله : جيل سايب ، مانع ، فاسد ، أما الدفاع عنه فيقول : « جيل غليان » ، ماقدوناشي نعمل جواهرهم قيم ومثل ، وعصرهم ماداهم في الفرسه يبقى جواهرهم حاجلة في عصرنا ، جيل معاصر ، واقع تحت رحمة تيارات مختلفة من الشرق والغرب ، من الماضي والحاضر ، النقطة الوحيدة في صفهم يقولها أحد الآباء على استحياء : إن لديهم إحساسا بالمسؤولية ، لكن هذا الأب نفسه - ويوحى إلينا المؤلف بأنه يحظى أكثر من غيره برضا الأبناء - لا يتردد في أن يحبس ابنه في المطبخ لأنه رقص على البلاج ، وهو لا يبنى يتحدث عن أن جسم المرأة حرة كله عدا وجهها وكنيتها ، ويتفق الآباء معاً على أن أفضل

الجيل الجديد
هل هو... بهذه
السطحية ؟



فتاتين تبيعان البيض والدجاج ، وهما من البداية تتحدثان عن أخ لهما مجند في الجبهة ، لولا غيابه لما قامتا بأى عمل ، وهذا الانحسار فجأة لبحول دون ان تعمل اختاه شادمتين . لكن : هل كان من الضروري أن يراكم المؤلف كل الفواجع حولهما فيجعل لهما اما صبياء ، واما عمدا ، وما يستولى على ايراد الارض التي يملكونها ؟ .. أكل هذا من أجل أن يكشف انتهازية هذه الطبقة واستغلالها لبؤس الآخرين ؟ أم أنها هي - تلك « التعويذة الجديدة » التي تستدر مشاعر الجمهور أكثر من أى شيء سواها : صورة المقاتل على الجبهة ؟

في القضية الرئيسية للمسرحية يقبض نعمان عاشور وجهة نظر فكرية خاطئة تقوم على اتهام الجيل الجديد بالسطحية والفاهة والضياع ، وتعتبره مسئولا عما هو ليس مسئولا عنه ، وفي القضية الجانبية تبني المؤلف - ذو الحس الطبقي - الراجح والمرتب - الموقف الفكري الصحيح لكنه عبر عنه تعبيرا ميلودراميا دون ضرورة ، حصيلا في النهاية شخصية واحدة جسدها لنا ببراعة واتقان هي شخصية توفيق بطرس تتقدم لتحل مكانها في معرض شخصياته ، ولحادث نادرة من الحوار تردنا الى أفضل ما قدمه في مسيرته الدرامية الممتدة في مسرحنا المعاصر .

قاروق عيد القادر

وغير المبرر : أن يصوغ الأبناء هم على مثالهم ، وأن يهتموا بحياتهم كي يمتدوا من خلالهم ، مفسفين الى دوافع الثورة الطليعية والمشروع للأبناء مزيدا من الدوافع .

ولا اعتقد أننا بحاجة للتدليل على خطا هذه النظرة ، فليس شباب العالم هم الهيبيز ، حين لا تعرف عنهم سوى أنهم القذرون ، متسخو الملابس ، مطيلو الشعور ، مدخنو المخدرات ، لكنهم هم الذين لقحهم عصرهم ببذور الثورة : على نظم القهر والمؤسسات الفاسدة والنفاق والقرصنة ، حتى الاخلاقيات الجديدة التي يطالب بها شباب العالم - فيما يتعلق بالجنس - هي جزء من كل أشمل : أن عصرنا كان يرادف الجنس بالخطيئة يجب ان ينتهي الى غير رجعة ، أما في مصر .. فأننى اعتقد أن الواقع الموضوعي خلال الايام الاولى من عرض « الجيل الطالع » كان يحمل نقضا لرافعة الادعاء ، ولعل في هذا الواقع ما يغير نظرة نعمان عاشور الى هذا الجيل ، وما يجعله أكثر حرصا على أن يرى جنائبه المضيفة قبل المعزاة .

الى جانب هذه القضية الرئيسية ثمة قضية أخرى جانبية تتمثل في صراع يقوم بين أبناء هذه الطبقة الوسطى من ناحية والطلقات الأدنى من الناحية الأخرى . وهو يتجسد في محاولة الاسرتين استخدام

وصف لهذا الجيل هو أنهم لصوص « يسرقون عرق الأبناء وشقاءهم وصحتهم » ، ثم يضيف الأب الأكثر تحررا انه « جيل ضائع ومضيع مصر معاه ، !

هي إذن مراغة الادعاء في قضية الجيل الجديد ، شيء أكثر من مجرد دفاع الكاتب عن جيله ، غير أن العمل كله يكشف تناقض جيل الأبناء ورغبته في التسلط أكثر مما يكتسب « ضياع » جيل الأبناء ، هذا التناقض الخاص الذي تحتفظ به هذه النماذج من الطبقة الوسطى نتيجة نفاقها وترددتها : فماذا يتوقع رجل حمل أبناءه الى المصيف سوى أن يرتدوا المايوهات ويسبحوا ويرقصوا ويستمتعوا الى الاغاني ؟ أين أجل هذا يستحقون ثورة الأبناء وضرب الامهات ؟

لقد اكتفى نعمان عاشور بأن يعرض علينا بعض المظاهر والقشور الخارجية والأفكار الجامدة حول هذا الجيل دون محاولة النفاذ الى جوهره الحقيقي : كيف يحس ويفكر ويمارس حياته وسط مختلف الضغوط الواقعة عليه ومن حوله ، ولم يكن ممكنا له هذا النفاذ مادامت نقطة انطلاقه هي ادانة هذا الجيل والمسح على رموس أبناء جيله ، وجاء موقفه مع هؤلاء الذين يطالبون بالاستحيل



تلويحة الأيدي المتعبة

للشاعر : ممدوح عدوان

نشر : اتحاد الكتاب العرب بدمشق

من بين مختلف المواقف الممكن ان يتخذها شعراؤها في مواجهة العدوان على أرض أمتنا العربية ، يتخذ الشاعر السوري « ممدوح عدوان » موقف التحدي الرومانسي للعدوان في ديوانه الأخير « تلويحة الأيدي المتعبة » . فقد أصبح الصراخ سلاحه الوحيد في عالم تتحول فيه المدن الى متاحف كما بدا له في قصيدة « لعبة الاشارات الضوئية » .

وعظاما وجذورا تربطها بالأرض كما في قصائده « سقطة وحشي » و « يوميات الحطينة » ، « د و خارجي قبل الأوان » و « رسالة الى أسماء بنت أبي بكر » . ففي هذه القصائد تختفي الذات الرومانسية نسبيا وراء الصورة التاريخية الواقعية أو التخيلية ويرتفع مستوى التعبير .

ولكن اذا كان الموقف الغنائي الرومانسي هو السائد في قصائد الديوان فان في « تلويحة الأيدي المتعبة » قصائد مثل « مصطفى البدوي » و « ابن حرام » يمتزج فيها العنصر الذاتي بروية واقعية وذهنية تؤكد قدرة ممدوح عدوان على السيطرة على احساسه ودمجها في الرؤية المناسبة لقالب القصيدة الحديثة وهو الطريق الذي نرجو ان يتقدم فيه شاعرنا لانه الطريق الذي تتحول فيه الاحاسيس المنظومة الى رؤية فنية تميز بين الاحساس والعقل والواقع في بناء جديد يزيد معرفتنا بالحياة وبنفسنا . ويجرنا لا نعود مثلما كنا ذات يوم في عصر ذهبي مضى وحسب فهذا مستحيل وانما لنصبح كما يجب أن يكون الاحرار في عالم مختلف ، عالمنا نحن .

تسوقي خميس

بذوب الثورة . فقد استبدل ممدوح عدوان امكانيات التحرر والخالص الممكن استنباطها من الواقع نفسه بحلم رومانسي يتفق مع مزاجه الحاد . يجسد ما تمناه في مقامة الديوان ان - يجمع من ركاب الناس ألف فارس ويحرق الباقي ليزيد احقاد الفرسان . ليصنعوا امة نقية .!! وبصرف النظر عن قيمة المثال الفروسي المرتكز على القوة البدنية والشجاعة المطلقة والمرتبطة بأدواته العتيقة مثل السيف والرمح والخيول . بصرف النظر عن تناقض هذا المثال مع متطلبات الانضال وأدواته في عصرنا - العمل الجماعي المنظم والعقل والتكنيك المتطور - فان عصر الفروسية قد مضى . واذا كان الشاعر يتصور على نحو دون كيشوتي حالم امكان عودته ، وحيث انه لا يمكن صناعة الفرسان المخلصين ، فان دورنا نحن ينحصر في انتظار قدومهم . الانتظار بدلا من العمل الجماعي المنظم . ويؤكد الشاعر حلمه بربطه بصور فرسان امتنا في العهود السالفة . صور من الماضي أكثر صلابة من الحالم نفسه . بها تكتسب احساس الشاعر الهائلة لصها

ولا يثير اعجابنا أن يرى الشاعر ذلك العالم على نحو معاكس تماما في قصيدة أخرى مثل « اسكتشات عربية » بدلا من أن يجمد العدوان طاقاته ويحوطه الى متاحف يهزه ويفجر فيه طاقة الحياة

كنا كوما لانعرف ان كنا موتى او احياء

حين أتت طائفة الامعاء
قصفتنا - القت كل قنابلها فتفجر نبع الماء

لا يثير عجبنا ذلك التناقض في الاحساس بنفس العالم فشاعرنا بموقفه الرومانسي من العالم لا يبالي كثيرا بصورته الخارجية بل ولا يحاول الا في القليل من قصائده ان يقدم لنا رؤية خاصة يكون طرفها ذلك العالم . وانما يكتفي الشاعر بالتعبير عن احساسه النهائي خالصا من كل العناصر الموضوعية التي كونته وفجرته . والاحاسيس كما تعلم قابلة للتغير السريع والمفاجيء بعكس الواقع الخارجي الذي يخضع في تغيره الى عوامل معقدة ومتداخلة لعل الزمن والعمل الانساني الجماعي اهمها شيانا .

وهكذا نفس اختفاء صورة الواقع في قصائد الديوان وراء تعميمات الذات الرثائية الضائعة أو الهجائية المتشحة

مطابع الأهـرام التجارية

السلامة

محقق للناسخين في الفكر والسير

السنة الثامنة - أبريل ١٩٧٢

◆ مفتاح الحل : وحدة العمل العربي

◆ الأردن الملك .. الوجه الآخر لاسرائيل

◆ ميثاق الحرية

« برنامج العمل الوطني لجنوب أفريقيا »

◆ المؤسسة الحاكمة في اسرائيل

◆ قضية جنوب السودان .. واحتمالات المستقبل

السلامة

السلامة

الفهرس

العدد الرابع — السنة الثامنة — أبريل ١٩٧٢

- ١٨ مفتاح الحل •• وحدة العمل العربي
« الافتتاحية »
- ١٨ قضية جنوب السودان
واحتتمالات المستقبل
- ١٨ أردن الملك •• الوجه الآخر لاسرائيل
- ٢٠ — الحركة الوطنية في مواجهة
المخططات الامبريالية
- ٣٠ — قصص التكوين
- ٣٤ — ملامح الخريطة الطبقة في الاردن
- ٤٣ — الضفة الغربية •• الواقع والافاق
- ٥١ — الاردن والمقاومة •• وجهها لوجه
- ٦٠ — المملكة العربية المتحدة في اطار
المخطط الامبريالي الصهيوني
- ٦٢ — لماذا نرفض « المملكة
العربية المتحدة » ؟
- ٧١ • المؤسسة الحاكمة في اسرائيل :
- ٧٦ • اليمن بين طريق التطور الراسمالي
والاراسمالي

تقارير الشهر وتعليقات :

- تقارير خاصة :
- ١١٨ — الانشقاق الثالث في الجبهة الشعبية
- ١٢٧ — مؤامرة اطلنطية جديدة للقضاء
على استقلال قبرص

مناقشات مفتوحة

مكتبه الطليعة :

- ١٢٧ — الطرق الاقتصادية لرفع
كفاية الانتاج القومي

وثائق

- ١٤٢ — ميثاق الحرية — برنامج المؤتمر
السوطني لجنوب افريقيا

ملحق الادب والفن

١٤٧

• • • • •

عنوان المراسلات :

بنى مؤسسه الاهرام لشوارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠
٥٩٥٦٠ —

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العائلي ج.ع.م دول اتصالات البريد العربي ودول الدوا
البيضاء ١٢٠ قرشا .

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مستشارو التحرير :

د . ابراهيم سعيد السجين

ابو سيف يوسف

د . اسماعيل صبرى عبد الله

د . جمال السمطيفي

د . رشدي سعيد

د . عبد الرازق حسن

د . لطيفة الزيات

د . محمد الخفيف

محمد سعيد احمد

مدير التحرير :

ميشال كامل

سكرير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسين شعلان

خيرى عزيز

د . رفعت السعيد

عبد المنعم الفزالي

وديع امين

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى
حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الآراء
الحرّة على اختلافها هو وحده الذى
يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده
فكرة أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة))
صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها
— مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى
أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر
« قد اختلف معك فى الرأى ولكنى
على استعداد لأن أدفع حياتى ثمنا
لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ .

مفتاح الحل : وحدة العمل العربي

في غياب وحدة العمل العربي ضد الامبريالية والصهيونية والرجعيات المحلية ، كانت هزيمة ٦٧ ، واستمرار الاحتلال الاسرائيلي ، واشغال مجازر الاردن البربرية ضد المقاومة الفلسطينية . . . وأخيرا قيام الملك حسين ، علانية ، بطرح مشروع تكوين ما اطلق عليه اسم « المملكة العربية المتحدة » . وهو مشروع يعكس الخطوط الرئيسية لمشاريع امريكية واسرائيلية سابقة . مثل مشروع «ايغال آلون» نائب رئيسة وزراء اسرائيل ، ومشروعات عدد من الباحثين العاملين لدى وكالة المخابرات الامريكية وذلك بهدف تصفية القضية الفلسطينية خاصة ، وحركة التحرر العربية عامة .

وبتعبير آخر ، فان غياب وحدة العمل العربي الوطنية التقدمية قد أتاح أرحب الفرص للقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية المحلية ، كي تأخذ زمام المبادرة والاقدام على افعال . في حين تجددت القوى الوطنية والتقدمية — متنافرة على المستوى القومي ومفككة على المستوى المحلي — عند موقف الانتظار المشلول وردود الاعمال ، التي لا تتخطى حيز المقالات والبيانات الانشائية المهددة بالويل والثبور وعظائم الامور .

ولاننا ظللنا نطلق التهديدات ، من موقف الانتظار ، عشرات المرات دون أن نترجمها الى افعال ، فقد ارتدت اليها قيودا وعجزا عن الحركة . وصار « التهديد » سلاحا مثلما ، لا يجدي حتى في ميدان المناورات السياسية وما اسميناه « بالحل السلمي »

واليوم ، نواجه مع مشروع الملك حسين بأبعاده الامريكية والاسرائيلية ، بداية مرحلة جديدة من « الفعل الامبريالي — الصهيوني — الرجعي » لتنفيذ خطة فرض « الحل الامريكي الاسرائيلي الرجعي » على الوطن العربي بالطريقة الهاشمية المعروفة تاريخيا . وذلك بعد فشل سياسة « الدبلوماسية الهادئة » التي بدأتها واشنطن « بمبادرة روجرز » حتى اقتراح « محادثات الفندق » ، في محاولة لاحتواء مصر واغرائها بحلول جزئية على حساب الحل الكلي لتحرير الارض العربية المحتلة ، وتجسيد الحقوق القومية للشعب الفلسطيني .

أمام هذا الفشل لسياسة الدبلوماسية الهادئة تجاه مصر من ناحية ، واستغلالها لغياب وحدة العمل العربي الوطنى التقدمى من ناحية أخرى ، ورغبة فى تعميق الاحساس بالعجز العربى عن مواجهة التحالف الأمريكى - الصهيونى من ناحية ثالثة ، تم إطلاق تذيعة المملكة العربية المتحدة بأيدى الملك حسين .

وهنا ، كان الخطأ القاتل فى التكتيك الأمريكى - الاسرائيلى - الرجعى الراهن . ذلك أن الملك حسين ونظامه يفتقدان - بحكم التجارب الدامية - لى رصيد من الثقة لدى الجماهير العربية . بل ان الادانة العربية الشاملة سرعان ما تصيب أى نظام عربى آخر يظهر ارتباطا أو تعاطفا ما ، مع الملك حسين ونظامه . وهكذا واجه مشروع « المملكة العربية المتحدة » رفضا عربيا اجماعيا .

وهذا الرفض الجماعى ، قد بلور نوعا من الارادة العربية الموحدة ، حتى أن الملك حسين نفسه اضطر الى أن يعقد مؤتمرا صحفيا فى أواخر الشهر الماضى ، بعد أقل من أسبوع من اعلانه لمشروعه ، يحاول فيه أن ينفى ارتباط مشروعه بالقوى الامبريالية والصهيونية ، ويعلن أن وضع المشروع موضع التطبيق العملى يرتبط بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ عام ١٩٦٧ .

ورغم هذا التراجع النسبى والتكتيكى من الملك حسين ، الا أننا يجب أن نحذر المبالغة فى حجم وأثر هذه الارادة العربية الجماعية الراضية . ذلك أنها ما تزال فى إطار رد الفعل . وبالتالى اقرب الى السلب منها الى الايجاب . فضلا عن عفويتها وطبيعتها الجينية الهشة . ومع ذلك كله ، فقد أثبتت بمجرد هذا التواجد العفوى أنها قادرة على أحداث ضغط سياسى ما . الامر الذى يكشف عن مدى الامكانيات النضالية المؤثرة والفعالة التى يمكن أن تفجرها وتحركها وحدة العمل العربى الوطنية والتقدمية ، اذا ما تم بناؤها وتنظيمها بأسلوب ديمقراطى ومضمون تقدمى ، من حول المصلحة الوطنية التاريخية ، لجميع فصائل ونظم وأحزاب وتنظيمات حركة التحرر العربية المعاصرة .

لقد ظللنا ، طوال ما يقرب من خمس سنوات تحت ثقل الهزيمة ، نجهد الذهن بحثا عن مفتاح لحل القضية . وتصور البعض المفتاح ضغطا على امريكا من أجل الحصول على ضغط أمريكى ضد الاحتلال الاسرائيلى . وتصور البعض الآخر أن المفتاح يتحقق بكسب ود الاربعة الكبار والامم المتحدة . وتصور بعض ثالث أن المفتاح هو فى شن حرب انتحارية . . ولكن ايا من هذه « المفاتيح المتصورة » لم يستطع أن يفتح بابا أو حتى نافذة . وكان طبيعيا أن يولد هذا كله مناخا مريضا يشوبه القلق والعجز ونفاذ الصبر والتهور وعدم الثقة ، فى خليط من الشعارات الطوبائية النابعة عن أحلام اليقظة والابتهاال الى معجزة من المعجزات . وكأننا أول شعب فى التاريخ يواجه مسئولية تحرير أرض بلاده من احتلال اجنبى عنصرى . ولم نتنبه الى أننا بتصوراتنا الطوبائية عن مفاتيح الحل ، بعدنا عن المفتاح الحقيقى الذى يقدمه لنا الواقع وهو وحدة العمل العربى .

وهو مفتاح حقيقى ، أولا : لأن معطيات الواقع العربى تمكننا من صنعه بأنفسنا وامتلاكنا له .

وهو حقيقى ، ثانيا : لأنه هو التعويض الممكن للتفوق التكنولوجى الذى يتميز به العدو فى وقتنا الراهن .

وهو حقيقى ، ثالثا : لأنه يجسد الطاقة اللازمة لمواجهة التحالف الامبريالى الصهيونى بكل ما يستند اليه من دعم مالى وعسكرى .

وهو حقيقى ، رابعا : لانه يسمح لنا من ناحية بالاستفادة الى اقصى حد من عون
الاصدقاء ، ومن ناحية أخرى الاستخدام الرشيد لامكانياتنا ، ومن ناحية ثالثة
الاستغلال الكيفى المؤثر ، للتراكم الكمي من مساندات الراى العام العالمى .

وهو حقيقى ، خامسا : لانه يخلق الظروف المواتية موضوعيا لقيام حرب
تحريرية ، طويلة النفس ، ضد الاحتلال الاسرائيلى ، والتي بدونها لن نستطيع أن
نتحول من موقف الانتظار المشلول ، ورد الفعل الى موقف المبادرة والفعل .

والحق أننا بعدم امتلاك مفتاح وحدة العمل العربى ، نهدر - ببلاهة وعدم
تقدير للمسئولية - السلاح الاستراتيجى الحاسم ضد الامبريالية والصهيونية
والرجعية المحلية . وهو سلاح حاسم ، بمعنى أنه بعدم توفره - فى ظروفنا
وعالمنا - لا نستطيع أن نحقق نصرا استراتيجيا على العدو ، مهما توافر لدينا
من أسلحة أخرى بما فى ذلك هذا العون الضخم من السلاح السوفيتى . بل أن
طاقة السلاح السوفيتى تتضاعف - كما ونوعا - اذا ما استخدمت فى اطار وحدة
العمل العربى .

والسؤال الآن : هل وحدة العمل العربى ممكنة التحقيق اليوم ؟

ان نظرة تحليلية عميقة الى الواقع الحى ، تؤكد أنه لم تتوافر ظروف تاريخية
وموضوعية مواتية لبناء وحدة العمل العربى كما هى الآن . فالوطن العربى
بجميع اجزائه يعانى - وان كان بدرجات متفاوتة - من مواجهة ساخنة ومباشرة مع
العدو الامبريالى الصهيونى ، وصلت الى درجة احتلال اجزاء جديدة من اراضى تدخل
فى الحدود الدولية لبعض الدول العربية . وذلك كمرحلة من مراحل التوسع
الصهيونى . وتتداخل القوة الامبريالية الامريكية مع القوة الصهيونية الاسرائيلية
فى جهاز عسكرى عدوانى واحد ضد حركة التحرر العربية . وهكذا تنبثق من اعماق
الشعوب العربية جميعا مصلحة قومية حادة وشاملة فى درء العدوان وتمصيف
الاحتلال . ويتولد عن المواجهة بين مصالح العدو الامبريالى الصهيونى والمصلحة
القومية الحادة والشاملة ، الصراع الجوهرى المحرك لبناء وحدة العمل
العربى .

ورغم هذا الوضوح الموضوعى ، فاننا نواجه تفتتا لا مسئوليا بين القوى الوطنية
والتقدمية العربية . ليس فقط على المستوى القومى ، بل وعلى المستوى المحلى
أيضا . فالانقسامات المتوالية تعصف بالكيانات الحزبية والتنظيمية لهذه القوى
دون انقطاع .

ما معنى ذلك ؟

ليس لهذا من معنى الا اننا نتهرب ، بلعبة اليمين واليسار بطريقة تجريدية ، عن ممارسة
مسئولياتنا فى محاربة العدو الراهن والمقيم لحركة التحرر الوطنى . وهذا يكشف اما
عن قصور فى الوعى السياسى والاجتماعى بمهام المرحلة . واما عن تغليب المصالح
الذاتية فى السيطرة والحكم ، على المصالح الموضوعية لحركة التحرر الوطنى ،
العربية بآفاقها التقدمية .

وهذا بالصدقة ما يجب أن نقف ضده ونعريه ونخطى مزالقه الثالثة . والا
استمر الاحتلال الى عشرات السنين فارضا « الامر الواقع » بل وتوسع على ارض
عربية جديدة دون ما حدود .

صحيح ، ان هناك خطوات قد اتخذت في مجال بناء وحدة العمل العربي مثل اتحاد الجمهوريات العربية ، ومثل الوثيقة العربية الهامة التي تمخض عنها المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني في نيسان الماضي ، ودعت فيها الاحزاب الوطنية التقدمية في الوطن العربي نحو مؤتمر لتوحيد قواها . لكننا يجب ان نعترف ان كل هذه الخطوات ما برحت جزئية وغير كافية لمواجهة حجم الخطر الذي نواجهه ، خاصة اذا لاحظنا العراقيل التي بسدت وتوضع في الطريق بهدف منع التقدم في هذا الاتجاه .

وبناء وحدة العمل العربي يجب ان تؤسس على جبهات وطنية حقيقية تمثل تصالفا ديمقراطيا شعبيا داخل كل بلد عربي . وذلك انطلاقا من واقع ان الظروف الراهنة في الوطن العربي تؤكد من خلال العديد من التجارب ، ان طبقة اجتماعية واحدة او بلدا واحدا - مهما تكن قوتها النسبية - غير قادرة بمفردها على التصدي الاستراتيجي الحاسم للمعدو الامبريالي الصهيوني الرجعي .

ان المدخل الطبيعي والديمقراطي لبناء وحدة العمل العربي هو قيام الجبهات الوطنية الحقيقية داخل البلدان العربية وذلك من حول برنامج محلي نشالي موحد ، تشارك في وضعه وصياغته جميع القوى الوطنية والشعبية صاحبة المصلحة في معاداة الامبريالية والصهيونية والتخلف الاجتماعي والاقتصادي . وبحيث تصب هذه البرامج المحلية في برنامج قومي شامل يمتلك أدوات مشتركة قادرة على الفعل المؤثر بما في ذلك حرب التحرير .

ويلاحظ المرء بمزيد من التقدير بوادر مشرقة لمحاولات ، تتسم بطابع الجسدية النسبي ، لبناء جبهات وطنية في عدد من البلاد العربية مثل سوريا والعراق واليمن الديمقراطية والجزائر والمغرب وفلسطين ولبنان . . . واخيرا الاتجاه في مصر نحو صياغة جبهوية لتصالف قوى الشعب من خلال الاتحاد الاشتراكي العربي .

والمهم الان ، وبعد خمس سنوات من العجز المقيد بحركة محلك سر ، ان نكثف كل الجهد من اجل تحويل هذه الظواهر الجزئية الى ظاهرة عامة وتعميقها في حقل السياسة العربية ، من اجل الوصول الى امتلاك السلاح الاستراتيجي الحاسم ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية في عالمنا المعاصر . هذا السلاح هو - وحدة - المفتاح لحل القضية حسلا وطنيا تقديما ، وكفانا ضياعا للوقت واهدارا للجهد فيما لا طائل من ورائه .

الحق في الحق



جنوب السودان

واحتمالات المستقبل

عبد المنعم الغزالي

اغسطس ١٩٥٤ والذي قامت به الفرقة العسكرية في المديرية الاستوائية والتي أدت الى قتل عدد كبير من الشماليين، وقد تحول المبشرون المسيحيون الى دعاة للذبح والقتل والتخريب * واشتركت كل قوى الاستعمار في افريقيا في الوثفوف خلف المتمردين - بريطانيا - الولايات المتحدة - المانيا الغربية - اسرائيل - فرنسا *

ومنذ استقلال السودان كانت سياسة الاحزاب السودانية الرجعية الشمالية هي نفس سياسة الاستعمار القديم ، وفي ظل حكمها بقيت مشكلة الجنوب قائمة دون العمل من اجل حل ديمقراطي لها ، فبقيت مشاكل التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وظل مستوى المعيشة منخفضا الى ادنى حد والتمايز في الاجور بين الشماليين والجنوبيين * واستمرت هذه الاحزاب في عدم احترام الاوضاع والسياسات القومية الخاصة بالجنوب - وقد التفت القيادات الجنوبية التقليدية منذ الاستقلال مع الدوائر الرأسمالية والاقطاعية الشمالية وشاركوهم العمل مع دوائر الاستعمار القديم والحديث - ففي ١٩٥٨ مثلا تحالف القادة الجنوبيين مع حزب الامنة ، حيث وقفوا مع الحكومة الرجعية تحت قبة البرلمان الى جانب قبول المعونة الامريكية * وبعد ثورة أكتوبر

اقتربت لحظة استقلال السودان ، وخاصة بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

عندما

في مصر، أخذت الادارة الاستعمارية ترقب كل خطتها للفصل الجنوب نهائيا عن السودان * ورغم كل محاولات الجانب البريطاني في المفاوضات مع الجانب المصري للحصول على وضع خاص للجنوب وسلطة خاصة للحاكم العام ، فان المفاوضات انتهت الى توقيع اتفاقية القاهرة في ١٩٥٣ والتي بمقتضاها قام الحكم الذاتي في السودان * وعندئذ أخذت السلطة البريطانية تجمع قوى وعناصر سياسية من الجنوب باشراف الارشاليات التبشيرية لتعدهم ليكونوا نواة حركة انفصالية * وعندما بدأ تطبيق الحكم الذاتي في ١٩٥٤ ، وبدأت عملية سودنة المؤسسات والجهزة والوظائف والمناصب السودانية ، لم يكن هناك أي جنوبي مؤهل لتولى أي مركز أو منصب رئيسي في الجنوب ، فتولى الشماليون الوظائف التي كان يتولاها البريطانيون من قبل ، وبذلك جاء يوم الاستقلال والجنوب في وضع متخلف عن الشمال ، ولقد استفاد البريطانيون من هذا الوضع في اثاره الاحقاد ضد الشماليين باعتبارهم المسئولين عن هذا الوضع * واستغلوا المواقف السلبية لحكومة اسماعيل الازهرى الاولى ، والتي اشترك فيها عدد من الجنوبيين في اثاره التمرد الجنوبي الاول في

في ١٩٦٤ تمكنت الأحزاب الرجعية من ضم بعض السياسيين الجنوبيين من جبهة الجنوب وغيرهم الى الجبهة الرجعية التي اجهضت ثورة اكتوبر .

لقد رفضت جميع الحكومات الوطنية التقليدية بكل فرقها واحزابها ان تعترف منذ الاستقلال في ١٩٥٦ بحقيقة موضوعية في السودان ، وهي أنه يعيش في السودان مجموعتان قوميتان أساسيتان العرب وغير العرب - أو افارقة الشمال وافارقة الجنوب - بينهما فوارق ثقافية وتاريخية وحضارية تقاس بالآلاف السنين . لقد ظلت هذه السياسة التقليدية تسعى الى العمل على احتواء مجموعة قومية لمجموعة قومية أخرى ، مستخدمة في ذلك كل وسائل القهر ، ومنتجة نفس السياسة الاستعمارية السابقة للاستعمار البريطاني القديم ، والتي كانت تستهدف فصل الجنوب عن الشمال ، وهي نفس السياسة التي عمل ويعمل لها الاستعمار الحديث بعد الاستقلال . ولقد استمرت هذه القيادات والحكومات التقليدية تعالج مشكلة الجنوب على أنها قضية خلاف ديني وليست قضية سياسية ذات ابعاد قومية ، والتقت بذلك مع سياسة الهيئات التبشيرية الاوروبية والعاملة وفق مخطط استعماري . وكما يقول جوزيف قرانق وزير شئون الجنوب بعد مايو ١٩٦٩ وحتى يوليو ١٩٧١ في محاضرة القاها في قاعة مجلس النواب البريطاني في ابريل ١٩٧٠ - « ان مشكلة الجنوب ترجع أساسا الى عدم وجود المساواة بين الشمال والجنوب بسبب عدم تكافؤ التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . ان كل أسباب تسردى العلاقات بين الشمال والجنوب إنما تعود لهذا السبب » .

وهكذا التقت رجعية الشمال زراعية وتجارية وقبلية ، مع قيادات الجنوب الرجعية والعاملة مع كل دوائر الاستعمار العالي بلافتات كنسية أو افريقية زائفة - وعملت على استمرار الصراع بين الشمال والجنوب على أساس أنه صراع بين العرب والافارقة ، بين المسلمين والمسيحيين - هذا في نفس الوقت الذي لايشكل فيه المسيحيون غير نسبة ضئيلة في الجنوب .

ومنذ قيام الحكم الذاتي في يناير ١٩٥٤ وحتى نوفمبر ١٩٥٨ سيطرت على الحكم في السودان الاجزاب الطائفية الممثلة لملاك الارض الكبار ولكبار التجار والمقاولين وزعماء القبائل ، ولم يكن يهم هذه الفئة من الحكام غير مصالحهم الانسانية والاستغلالية والمرتبطة بالاستعمار ، فلم يستطيعوا حل قضية الجنوب على أساس حل التناقض الناجم عن الوضع غير المتكافئ بين الشمال والجنوب ، وقد شارك سياسيون جنوبيون في فساد الحكم

ليحققوا مكاسب خاصة بهم ، وباع النواب الجنوبيون أنفسهم ومواقعهم لأحزاب الشمال الرجعية والطائفية - وفي نفس الوقت بسعوا أنفسهم للقوى الاجنبية . ان مطلب ممثلي الجنوب في البرلمان في ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ عند مناقشة قرار الاستقلال في البرلمان بالاتحاد الفيدرالي - والذي كان يعنى من وجهة نظرهم مزيدا من الوظائف العالية للجنوبيين وتعيين ثلاثة محافظين جنوبيين للمديرية الثلاث . وقد عبرت عن هذا المطلب الاحزاب الجنوبية الناشئة في هذه الفترة ، الحزب الليبرالي - والاعضاء الجنوبيين المنضمين للوطني الاتحادي ، وكذلك الاعضاء المستقلين .

وبقيام الحكم العسكري - ديكتاتورية عبود - في نوفمبر ١٩٥٨ - مورست سياسة قمع وبطش بالجنوب ، فحرم الحديث عن « الحكم الاتحادي » - الفيدریشن - وحاولت حكومة العساكر أن تفرض الاسلام بالضغط على زعماء القبائل والسلاطين ، وهي محاولات فشلت . وفي ظل القهر العسكري هاجرت مجموعات من السياسيين الجنوبيين ونظموا احزابا وتنظيمات سياسية خارج البلاد - الاتحاد الوطني - حزب سادو - جبهة تحرير انزانيا . وبمساعادات مادية وعسكرية من الكنائس والمانيا الغربية واسرائيل والمخابرات الامريكية ، بدأوا حرب العصابات من حدود السودان المشتركة مع اثيوبيا واوغندا والكونغو في ١٩٦٣ .

وبعد ان اطاحت ثورة اكتوبر ١٩٦٤ بديكتاتورية عبود ، وجاءت حكومة تضم بين صفوفها ممثلي الجبهة التقدمية من شيوعيين ومثقفين يساريين وتجار وعمال ومزارعين - صدر برنامج حول الحكم الذاتي المحلي بالنسبة للجنوب ، ووقفت العمليات العسكرية ضد المتمردين ، ودعت الى عقد مؤتمر مشترك بين الشمال والجنوب لمناقشة القضية . وتمسك قطاع من الجنوبيين بالانفصال - جماعة افري جادين - بينما ترددت قطاعات أخرى - بقيادة وليم دينق - بين الاتحاد الفيدرالي والانفصال .

ونجحت الثورة المضادة في اجهاض ثورة اكتوبر ١٩٦٤ - الامر الذي أدى الى فشل مؤتمر المائدة المستديرة ، وانحياز أكبر الكتل السياسية الجنوبية - جبهة الجنوب - الى قوى اليمين السوداني . ويتولى تحالف ملاك الارض ورجال الاعمال بعد انتخابات ابريل ١٩٦٥ السلطة أصدروا أوامره للجيش باستئناف الاعمال العدائية في الجنوب ، وهو الامر الذي كان يريده المتمردين ، وأحرقت قوات الحكومة مدينة جوبا ،

فان الظروف الموضوعية تحتم أن تكون قضية تحرير الجنوب هي جزء من النضال الوطني الديمقراطي العام في جميع أجزاء بلاد السودان ، ولما كانت قيادات الجنوب التقليدية في غالبيتها العظمى قيادات متحالفة مع الاستعمار قديمه وحديثه وهي -تفسيها- قيادات التمرد ، وترفع شعارات انفصالية تغلفها بشعار حق تقرير المصير ، ان القوى التقدمية والثورية والمنظمات الجماهيرية والنقابات العمالية والحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي وحزب الجنوب الديمقراطي وحركة الضباط الاحرار قد قدمت البديل لشعارات الرجعية وفي مواجهتها : « الحكم الذاتي الاقليمي لجنوب السودان ، في اطار الوحدة الوطنية لكل السودان ، وحق شعوب الجنوب في تطوير ثقافتها وعاداتها وقسماتها القومية الاخرى » (١)

حل تقدمي وعقبات في التطبيق

في ٢٥ مايو ١٩٦٩ - استولى على الحكم تنظيم الضباط الاحرار السوداني بقيادة اللواء جعفر نميري - وانشئت وزارة للجنوب تولاهها جوزيف قرنق . وفي ٩ يونيو ١٩٦٩ أعلنت الحكومة الجديدة « أن ثمة فوارق تاريخية وثقافية بين الشمال والجنوب » . وان « وحدة البلاد يجب ان تبنى على ضوء هذه الحقائق الموضوعية » . وان اعداء الشمال هم في الوقت نفسه اعداء

وقتل المثات ، وشمل الارهاب قرى الجنوب ومدنه . ولما أعلن الجنوبيون استعدادهم لقبول حكم اقليمي ذاتي ، رفضت حكومة التحالف الرجعي ، واستمرت حروب الجنوب تستنزف الملايين من خزائنة الشمال المفلسة ، ووجدت حركة في الجيش معارضة لاستمرار الحل العسكري لمشكلة الجنوب - وكان من أبرز ممثليها وقادتها الضابط فاروق حمد الله - أول وزير للداخلية بعد مايو ١٩٦٩ .

موقف القوى التقدمية

وعلى النقيض من موقف رجعية الشمال ورجعية الجنوب ودوائر الاستعمار القديم والحديث ، كان موقف القوى التقدمية ، وقد أسست القوى التقدمية موقفها على أساس نظرة الاشتراكية العلمية للمشكلة القومية ، وعلى ضوء تطورات العصر وظروف السودان بصفة خاصة . ان مشكلة الجنوب في جوهرها هي مشكلة تأخر وفقر واضطهاد قومي نجمت عن ظاهرة النمو غير المتساوي للاقتصاد الاستعماري وشسبه الاستعماري ، الامر الذي أدى الى نشوء عدم مساواة اقتصادية وسياسية وثقافية بين الشمال والجنوب ، وأن مشكلة الجنوب هي جزء لا يتجزأ من المشكلة العامة التي تواجه أولئك الذين يرغبون في احداث تغيير اجتماعي في السودان ، ومن ثم

[١] ١- أعلن الحزب الشيوعي السوداني في برنامجه : « نحو تعزيز الاستقلال والديمقراطية والنسليم » - برنامج ١٩٥٦ - « اعطاء المديريات الجنوبية الثلاث حكما داخليا مؤسسا على مجلس تمثيلي لكل القبائل بنسبة عددها لتنظيم شئونها الداخلية مع وجود تمثيل ديمقراطي لها في المجلس النيابي المركزي والحكومة المركزية ومساعدتها بمساعدة فعالة من الخزينة العامة لتطوير ورفع مستوى معيشتها » .

٢- أعلن حزب الجنوب الديمقراطي الذي تأسس في يوليو ١٩٦٦ : « ورغم ان حقيقة الاسباب الرئيسية لمشكلة الجنوب تكمن في الاستعمار الجديد ، والتطبيق الجبري لديمقراطية غربية عقيمة واضفاء طابع بيروقراطي على أجهزة الدولة ، فان الجنوب يجب أن تكون له مكانة خاصة في تطبيق ديمقراطية حقيقية نظرا للاختلافات العرقية والتاريخية وغيرها بين شقي البلاد ، وبصفة أساسية يجب الاعتراف بما له من خصائص مميزة وهذا يتحقق فقط بالاعتراف للجنوب باستقلال ذاتي اقليمي في اطار من السودان موحد وتطبيق ذلك . ولذا فإننا سنطالب بان ينشأ في الجنوب [باعتباره اقليما واحدا] مجلس تشريعي وهيئة تنفيذية موازية لهيئات سلطات كافية لتسيير الامور المحلية في الجنوب ، وتفصيل هذه الخطة نجده في برنامجنا وعلى ذلك فان القضاء على النظام البيروقراطي للادارة العامة والبوليس وعلى نظام الزعماء المعينين ذلك النظام الوراثي الطسويل الامسود واستبدال كل ذلك بهيئات منتخبة هو جوهر الحل السياسي لمشكلة الجنوب » نشر النص الكامل لبرنامج الحزب الجنوب الديمقراطي في الطليعة عدد سبتمبر ١٩٦٩ .

٣- وأعلن الحزب الشيوعي السوداني في برنامجه المقرر في مؤتمره الرابع : « تحالف قوى الثورة السودانية في الشمال مع شعوب وقبائل جنوب البلاد على أساس ديمقراطي ومناهض للاستعمار بقيام حكم ذاتي في الجنوب تحت قيادة جنوبية ربطت مصيرها بهذا التحالف »

برنامج الحزب الشيوعي السوداني الخرطوم - أكتوبر ١٩٦٧ - ص ١٩

٤- وأعلن اتحاد القوى الاشتراكية : « مواجهة مشكلة الجنوب بشقيها الوطني والديمقراطي وذلك باتخاذ الاجراءات الكفيلة بوحدة البلاد والنهوض بحريتها الوطنية وقفل السبل التي يتدخل بها النفوذ الاجنبي في شئون بلادنا ، وفي نفس الوقت مواجهة هذه المشكلة باعتبارها قضية ديمقراطية تشكل جزءا من الثورة الديمقراطية في بلادنا . ان الاحزاب التقليدية التي تتساجر بقضية الجنوب وتفسد الحياة السياسية في هذا الجزء من الوطن مسئولة عن التسدهون الراهن هناك . نحن نرى أن يوقف هذا الميث وأن يجري اصلاح ديمقراطي للوضع في الجنوب وذلك بقيام حكم ذاتي للجنوب يطور من ثقافته ويبنى وحدته مع الوطن السوداني على أساس الرضا والتعاون » .

ميثاق اتحاد القوى الاشتراكية الخرطوم - ابريل ١٩٦٨ ص ٣٠

الجنوب • ان عدونا المشترك الذى يجب أن نوحده جاهدنا جميعا لسند الطريق أمام مخططاته ومؤامراته هو الامبريالية والاستعمار الذى يستغل الشعوب العربية والافريقية • وقررت الحكومة أنه من أجل الاعداد لليوم الذى يستطيع فيه شعبنا فى الجنوب ممارسة حقه فى الحكم الاقليمى •

١ - استمرار ومد فترة قانون العفو العام •

٢ - وضع برنامج اقتصادى اجتماعى ثقافى

للجنوب •

٣ - تعيين وزير لشئون الجنوب •

٤ - تدريب كادر متمرس لتولى المسؤولية •

وأقرت الحكومة برنامجا للعمل تضمن نقطتين بالإضافة الى النقاط الأربع السابقة :

١ - انشاء لجنة خاصة بالتخطيط الاقتصادى للجنوب •

٢ - ميزانية خاصة بالجنوب •

وبذلك انتصر الحل الذى قدمته قوى الاشتراكية العلمية « فى السودان والذى رفضته القوى التقليدية فى السودان • ولكن الطريق الى تطبيق هذا الحل كان صعبا (٢) • فالاستعمار القديم والحديث والرجعية لم تكن بغافلة عن النتائج التى ستترتب على تطبيق مثل هذا الحل الثورى ، ليس بالنسبة للسودان وحده - ولكن بالنسبة للقارة الافريقية كلها - ان أن نجاحه يعنى امكانية تعايش القوميات الافريقية العديدة فى اطار الوطن الواحد ، وبداية انتهاء عصر التقسيم الداخلى لافريقيا - على أسس قومية وعرقية ودينية - افريقيا الوثنية وافريقيا المسلمة وافريقيا المسيحية ، وافريقيا العربية وافريقيا الزنجية •

ومن ناحية أخرى فان اعلان أى حل لمشكلة الجنوب لا يمكن أن ينعزل عن برنامج للتطور الاجتماعى والاقتصادى وتبنى خطة للتنميتها والقضاء على التخلف - وبذلك يفقد الاستعمار التربة الصالحة لاستمراره - التخلف - الامر الذى ادى بقوى الاستعمار العاملة فى القارة ، تواجه هذا الموقف بمخطط مضاد • فبعد أن كانت قوى التمرد قد فقدت الكثير من قدراتها العسكرية وخاصة فى فترة التعاون الكامل بين حكومة الثورة

المضادة فى الشمال والدوائر الاستعمارية الغربية وخاصة الولايات المتحدة والمانيا الغربية ، فانه بعد اعلان التاسع من يونيو ١٩٦٩ الخاص بالوصول الى حل سلمى لقضية الجنوب - نشطت هذه الدوائر ، وعادت للعمل بقدرة عسكرية مكثفة ، ودخلت اسرائيل الى الميدان بهدف فتح جبهة داخلية فى افريقيا تغرق فيها مجموعة حركة التحرر الوطنية فى المنطقة - بهدف تشتيت قواها وتوزيعها •

وهكذا وجدنا أنه فى الفترة من يوليو ١٩٦٩ حتى نهاية العام اتسع نشاط المتمردين بدرجة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ التمرد • فشهدنا زيادة نشاط ما سمي « بحكومة النيل الانتقالية » والتى كانت قد تأسست فى مارس ١٩٦٩ برئاسة الآن غوردون الذى كان قد انشق من قبل على افرى جادين رئيس حكومة جنوب السودان الانتقالية •

دور اسرائيل ومؤسسات

التبشير الاجنبية

وقد جاء تشكيل حكومة النيل نتيجة للخلافات والصراعات القبلية والاطماع الشخصية ، الصراع بين القبائل النيلية نفسها الدينكا والباريا وشبه الباريا • وقد غدت الدوائر الكنسية الغربية هذا الصراع ، وعمل مع هذه الحكومة المرتزقة الفرنسى كابتن آرماند وهو من بقايا مرتزقة بيافرا • ونجد كذلك حكومة انيدى الانتقالية وقد قامت هذه الحكومة فى يوليو ١٩٦٩ بانشقاق الجناح المسلح فى حكومة افرى جادين والمعروف باسم الانيانيا وقد تأسست هذه الحكومة بقيادة الجنرال أميديو تافانج ، الذى اعلن انه اختار اسم انيدى لان اسم النيل يرتبط بالعرب فى الشمال ، واسرائيل دور بارز فى تأسيس هذه الحكومة ، ويشترك فى قوات الانيانيا العقيد جيمس لورو وهو الذى يتولى الاشراف على مد المتمردين بالسلاح وقد تلقى تدريبه فى اسرائيل وزارها فى ١٩٦٩ للحصول على مزيد من العون ، وحكومة انيدى هذه هى التى كان يتعاون معها المرتزق الالماني الغربى شتاينر •

ونشطت فى هذه الفترة مجموعة تعمل مباشرة مع اسرائيل يقودها الكولونيل جوزيف لافو ، وهو من زعماء الانيانيا - وكان على اتصال مباشر مع

بجنيف ، ومجلس المهاجرين الدانمركى ومجلس المهاجرين النرويجى .

لقد كانت هناك أهداف عديدة من هذا النشاط الاستعماري المكثف في جنوب السودان ، من بينها : استخدام استمرار الحرب في الجنوب كوسيلة لاستنزاف أكبر جزء من ميزانية الحكومة السودانية ، لينفق على العمل العسكري بدلاً من إنفاقه في خطط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . ان ازدياد نشاط المتمردين يزيد من الاحتكاك والصدام بين السودان والدول الافريقية المجاورة مما يضعف التضامن والوحدة داخل منظمة الوحدة الافريقية ، استخدام أوضاع القتال المرهقة في الجنوب كعامل للضغط على حكومة مايو - التي أعلنت انتهاج خط عربى افريقى معاد للاستعمار والصهيونية ، والتي أبدت تعاوناً مع مصر ، واتجهت الى التعاون مع المعسكر الاشتراكى ، والتي بدأت فى الداخل تعتمد أساساً على القوى الثورية والمنظمات الجماهيرية الديمقراطية - اتحادات العمال والمعلمين والنساء والمزارعين . الخ - بينما أخذت تضرب بعنف الطائفية والرجعية ومنظماتها الحزبية ومؤسساتها القبلية والاجتماعية .

ان استمرار التمرد في الجنوب في هذه المرة كان يستهدف الحيلولة دون استمرار الثورة بأفائها الاجتماعية والتحررية والديمقراطية - بينما تعاون اليمين الرجعى الجنوبى - مع يمين ورجعية الشمال بعد أكتوبر فى اجهاض أكتوبر ، فقد استمر التمرد بعد مايو متعاوناً مع اليمين المضروب لاجهاض مايو ، لقد كان هدف الثورة المضادة واحد بعد أكتوبر وبعد مايو - وكل ما تغير هو التكتيك ومخططات الاجهاض والاستيعاب والاحاطة . لقد دخلت كل قوى الغرب المضروبة بعد مايو ميدان العمل بكل ما تملك من خبرة وامكانيات فى اجهاض الثورات . وكانت ألمانيا الغربية والمخابرات الامريكية والبريطانية فى عمل مستمر من أهم ركائزه استمرار التمرد لارهاق الرجال واستنزاف طاقاتهم - ولعرقلة أى تطور ديمقراطى وثورى ، ولاتاحة الفرص لقوى اليمين حتى وهى تضرب بعنف - فى أبا - أن تستمر فى نشاطها ، ولتحطم وحدة قواها الثورية ، ولتفرق فى صراعات دموية ، وليكسر عمودها الفقرى الذى لا يمكن له ان يستقيم دون تحقق وحدته مع حركة التحرر العربية وفى مقدمتها مصر وحركة الثورة العالمية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى .

وان تبنيت القوى الثورية لهذا المخطط منذ البداية ، فقد عملت على مواجهته - بالعمل السياسى والعسكرى - قال جوزيف قرنق فى مؤتمره الصحفى فى ١٠ ابريل ١٩٧٠ فى لندن .

اسرائيل تمدد بالسلاح والمال ، وتقوم بتدريب رجاله فى معاهدها العسكرية وتقيم له المعسكرات والمطارات ، وعاد لاقو من اسرائيل فى ١٩٦٩ بعد أن درس مع الاسرائيليين مخططاً كاملاً للعمل ، وعند عودته كان معه مدربان اسرائيليان وطبيبة اسرائيلية ، ثم أخذت بعد ذلك تفرغ الى المنطقة أعداد كبيرة من العسكريين والفنيين الاسرائيليين . لقد ازداد نشاط اسرائيل أكثر من أى وقت مضى فى ١٩٦٩ لاشغال الفتنة فى جنوب السودان كجزء من مخططاتها العدوانية ضد الشعوب العربية وكجزء من استراتيجيتها المتعلقة بالقتال فى الشرق الاوسط وباعتبارها رأس حربة للاستعمار الحديث فى افريقيا .

وارتبط التمرد فى جنوب السودان بنشاط متعدد النواحي حيث مارست هيئات عديدة أخرى النشاط الاستعماري التخريبي متخفية خلف لافتات الدين أو تقديم العون للاجئين . وفى الجنوب عملت أكثر من أربعة عشر هيئة كنسية ودولية : المنظمة البروتستانتية الالمانية ، والوكالة الامريكية الدولية للتنمية ، والوكالة الكاثوليكية للمساعدات ، وهى مؤسسة تتبع الكنيسة الكاثوليكية ولها فروع فى معظم الدول الغربية والولايات المتحدة ، والمجلس العالمى للكنائس ، والمجلس الوطنى للكنائس فى الولايات المتحدة الامريكية وهو يتعاون مع القس دون ماكور الذى تقدم له عوناً خاصاً لتنظيم وتدريب المتمردين ومدعمهم بالسلاح ولتوصيل العون المادى للسياسة الجنوبية ، ومؤسسة كاريكاس الدولية وهى مؤسسة فرنسية تابعة للكنيسة الكاثوليكية ، وسبق لهذه الهيئة أن قدمت أسلحة ونخيرة للانفصاليين فى بيافرا ، ورابطة كنائس السودان وتضم القساوسة المبعدين من السودان وبعض كبار الموظفين البريطانيين المحالين الى المعاش ممن سبق لهم الخدمة فى حكومة السودان ومقرها بريطانيا . ومجلس الكنائس باندريس ايبيا برئاسة القس دون ماكور ، وكنيسة الالباء الفيرونيين وتضم القساوسة الذين كانوا يعملون فى منطقة الزاندى ويرأسها المطران دومينكو فرارا ومجال نشاطها بين اللاجئين فى الكونغو كينشاسا وجماعة الاكسيون ميدكو وهى هيئة المانية غربية يرأسها الدكتور ديفريش لوبا ومقرها فرانكفورت ، وجمعية مساعدة افريقيا وهى هيئة كاثوليكية المانية غربية (فرانكفورت) ولجنة الانقاذ الدولية ومقرها لندن وهى تتعاون كذلك مع القس دون ماكور والذى حصل من هذه الهيئة على طائرات صغيرة ليتجول بها بين معسكرات المتمردين واللاجئين ، واللجنة الدولية الجامعية لبادل الصداقة (بليدن - هولندا) وجامعة اليسوعيين بانتريب ببلجيكا والهيئة العالمية لخدمة الجامعات

« ولكي نضع عملية الحكم الذاتي المحلى موضع التنفيذ فاننا قد قمنا باتصالات مع القادة السياسيين الجنوبيين الذين يعيشون خارج البلاد خاصة أولئك الذين يعيشون فى أوغندا . وفى شهر يوليو الماضى قمت بزيارة لكمبالا واجريت مناقشات مع ممثلى مختلف «حكومات المنفى» والتقيت بالسيد بقوردون ماير من « حكومة النيل المؤقتة » وبالسيد افرى جادين من حكومة ازانيا ، وبعدد كبير من الجنوبيين الآخرين . ويستمر فى حديثه قائلاً : « لقد دعوناهم بالفعل وبصورة علنية لان يعودوا لوضع تفاصيل الحكم المحلى » .

ومع استمرار العمل السياسى - استمر العمل العسكرى حيث وجه ضربات متتالية فى أواخر ١٩٧٠ واول ١٩٧١ لجيش الانيانيا وقيادته الالمانية الغربية - الاسرائيلية - عندما اعتقل المرتزق الالمانى الغربى رالف شتاينر .

ونشأت المنظمات الجماهيرية والديمقراطية - لمواجهة النشاط الاستعماري على النطاق الدولى . وبمبادرة من اتحاد نقابات عمال السودان وسكرتيه العام تم الاتفاق مع الاتحاد العالمى للنقابات ، على عقد اجتماع نقابى دولى ينظمه المجلس العام للنقابات فى السودان والذى يضم اتحاد عمال السودان واتحاد الموظفين واتحادات المعلمين . وقد انعقد المؤتمر ٢١ وفداً يمثلون مختلف بلاد العالم فى ١٩٧١ فى الخرطوم . وقد اشترك فى هذا المؤتمر ٢١ وفداً يمثلون مختلف بلاد العالم فى أوروبا الغربية وافريقيا والبلاد الاشتراكية . كما اشترك فى المؤتمر الاتحاد العالمى للنقابات واتحاد نقابات عموم افريقيا ، والاتحاد الدولى للنقابات العمال العرب ، والمجلس المركزى للنقابات السوفيتية ، وأعلن المؤتمر فى بيانه الختامى : « اذ نلاحظ فى اعجاب وتقدير عظيمين الدور الذى تقوم به الحركة النقابية السودانية وعلى رأسها المجلس العام للنقابات بالسودان وخاصة دوره الايجابى حيال قضية جنوب السودان ومجهوداته لتأسيس حركة نقابية وديمقراطية فى جنوب السودان تلتصق وتتفاعل مع الحركة النقابية والديمقراطية بالشمال وكذلك فى دعمه الايجابى لوقف السلطة الثورية بالسودان من قضية الحل السلمى الديمقراطى الذى اتخذته سياسة ثابتة لها . »

« فنعلن نحن المؤتمرين بعد اطلاعنا على الوثائق والمعلومات والحقائق التى قدمها لنا المجلس العام للنقابات بالسودان والمداولات التى جرت اثناء جلسات المؤتمر والتى شملت مناقشات موضوعية هادفة وصريحة نعلن :

١ - مشكلة جنوب السودان هى من صنع الاستعمار ، وان تطوراتها وتعقيداتها نتجت أساساً بسبب التدخل المستمر من جانب القوى الاستعمارية بهدف خلق قاعدة للاستعمار تكون مصدر تهديد لجميع شعوب القارة الافريقية وخلق عازل بين الحركة السياسية فى البلاد الافريقية ويهدف لتفتيت الوحدة الوطنية للشعب السودانى ولتكون عائقاً للتطور الاقتصادى والاجتماعى لذلك الجزء من الوطن السودانى . ولقد لقي مئات المواطنين السودانيين بسببها الموت والتشريد .

٢ - ان الحل الديمقراطى السلمى - الحكم الذاتى - الاقليمى فى اطار السودان الموحد - بمحتواه الديمقراطى التقدمى الذى أعلنته السلطة الثورية السودانية . . وتأييده الحركة النقابية والذى يشمل برامج للتطور الاجتماعى لذلك الجزء ليلحق بركب الشمال وتدريب الكوادر من أبناء الجنوب لتحمل مسئولياتهم . . وخلق حركة ديمقراطية فى الجنوب متفاعلة وملتصقة برصيفتها ذلك الحل الذى اتخذته السلطة التقدمية بجمهورية السودان الديمقراطية سياسة ثابتة معلنة وجادة نحو الجنوب ، وشرعت فى تنفيذها وخاصة التنمية التى اختطتها لذلك الجزء من القطر والخطوات التى اتخذت لاستقرار المواطنين ، كل ذلك يمثل قاعدة سليمة لحل مشكلة الجنوب حلاً سلمياً وعادلاً يحفظ للبلاد وحدتها ويؤمن استقلالها ويؤكد تطورها .

٣ - ويدعو المؤتمر كافة المخلصين من أبناء جنوب السودان المقيمين خارج القطر أن يعودوا الى الوطن للمشاركة فى عملية البناء والاستقرار .

٤ - ينادى المجتمعون بأن تتضافر جهود العاملين الافارقة وفى مختلف بلاد العالم لكشف نشاط الاستعمار ، والاستعمار الحديث والصهيونية العالمية وتوضيح مخاطرتهم لشعوبهم .

٥ - يدين المجتمعون النشاط والتدخل الاستعماري والامبريالى والصهيونى فى جنوب السودان ويناشدون جميع تنظيمات العاملين بالبلاد الافريقية . وفى مختلف بلاد العالم أن يتعرفوا على حقائق هذه القضية ويؤكدون انهم بدورهم سيستغلون كافة الوسائل المتاحة لهم لتعريف جماهير تنظيماتهم وشعوبهم بها ، ويلعبون دوراً أساسياً فى توضيح الابعاد الحقيقية لقضية التمرد بجنوب السودان باعتبارها مشكلة تهدد استقلال أى قطر افريقى .

ومن بين هذه العوامل تصاعد النضال العربي الافريقي ضد اسرائيل - واسرائيل هي القوة الرئيسية خلف جوزيف لاقو (وليس جوزيف لاقو ممثلا لكل الجنوب ولكنه قائد أخطر منظماتها العسكرية « الانيانيا ») . واتجاه بعض دول الحدود الى تصفية الخلافات بينها لتواجه الاخطار التي تهدد نظمها - فالنظام الاثيوبي وقمته التقليدية وبما لها من نفوذ شخصي على كثير من الزعامات الافريقية ، في صراع داخلي معقد ، المصالح ، والقواعد الامريكية وسيطرة المخابرات الاسرائيلية على أجهزة أمنه ، وانتفاضة الفلاحين المسلحة والحرب التحريرية في اريتريا ، وقد ظهرت صفوف قيادتها في العام الماضي من اليمين الرجعي والعنصري أثر المؤتمر الاخير لجبهة التحرير الايتيرية . واوغندة تواجه معركة مع شعب الباجندا ، والسيطرة الاسرائيلية على مرافق البلاد أصبحت تمثل خطرا يهدد وجود نظام عيدي أمين نفسه . وتشاد تواجه صراعا داخليا يتحول الى حرب أهلية ، وعدد من القبائل في افريقيا الوسطى وكينيا تتجه لحمل السلاح كمتمردي الجنوب *

ومن هذه العوامل أن عددا من البلدان الغربية مثل المانيا الغربية ، والتي كانت تمد المتمردين بكل انواع العون ، أصبحت تفضل ضمنا لمصالحها أن توقف هذا العون ، وأن تضغط على قوى التمرد ، وأن تقبل العمل مع الحكومة المركزية وترضى بالحل السلمي (٤) و (٥) *

جاء في تعليق للكاتب المصري المتخصص في الشؤون الافريقية د . عبد الملك عوده بجريدة الاهرام : « هذه التغيرات في داخل القضية صاحبها تغير في موازين القوى السياسية في الدول المحيطة جغرافيا بالسودان ، فلقه تمت شبكة واسعة من الاتصالات المتبادلة بين الخرطوم

وكان التحرك السوداني - قد تمكن في مايو ١٩٧١ ، وبعد رحلات لزيارة أوروبا قام بها جوزيف قرنق وزير الجنوب السوداني حينئذ ، وإميل الير الوزير الجنوبي الاخر في الوزارة السودانية - حاليا نائب رئيس الجمهورية ووزير الجنوب ، قد تمكنا من الاتصال بكثير من التجمعات في الدول الاسكندنافية والتي كان هدفها جمع المال لمساعدة اللاجئين الجنوبيين في البلدان الافريقية المجاورة * ونتيجة هذه الاتصالات والنشاط الدولي - اضطر مجلس الكنائس العالمي الى ارسال وفد مكون من افريقيين وآخر من امريكا اللاتينية - لزيارته الجنوب . وقد ابدى هذا الوفد الرغبة في المساعدة على حل مشكلة الجنوب والمساهمة في التنمية وخلق علاقات حسنة مع حكومة السودان واللاجئين والمواطنين الجنوبيين الذين يحملون السلاح . وقد كان من العوامل الهامة التي دفعت مجلس الكنائس العالمي الى احداث تغييرات في موقفه - انفضاح المخطط الاستعماري الخاص بالجنوب عالميا بعد القاء القبض على المرتزق الالماني الغربي رالف شتايتز ، وانفضاح علاقة اسرائيل الوثيقة بحركة التمرد في الجنوب * فجاء التكتيك الجديد لمجلس الكنائس العالمي حتى لا يؤدي الموقف الى انفضاح طبيعته الامبريالية ، وعجزه عن مواصلة دوره كمؤسسة تعمل لحساب الدوائر الامبريالية في البلدان النامية وبلدان التحرر العالمي تحت اللافتة الدينية (٣) *

واخيرا ووسط ظلال قائمة عديدة امكن في فبراير الماضي التوصل الى اتفاق مع المتمردين - بمقتضاه

[٣] من الملاحظ أن الكنيسة الكاثوليكية بدأت تغير من مخططاتها في المجالات الدولية حتى تتمكن من الاستثمار في نشاطها الاستعماري المفضوح في بلدان العالم الثالث - وقد حدث ذلك بالنسبة لنشاطها في الحركة النقابية الدولية - عندما غير الاتحاد الدولي للنقابات المسيحية اسمه الى الاتحاد الدولي للعمل

[٤] عقد مندوبو مجلس الكنائس العالمي الذين اشتركوا في محادثات اديس أبابا مؤتمرا صحفيا في جنيف أكدوا فيه أنهم سيوجهون نداء الى دول العالم كلها لتقف مع السودان ، وهو يعمل لبناء وحدته ومستقبله ، كما أنهم سيوجهون نداء آخر الى جميع المؤسسات الدولية يحفزونها لتقديم العون للسودان [الصحافة السودانية - ١٩٧٢/٢/٢] .

[٥] أعلنت المانيا الغربية غدا اعلان الاتفاق عن تقديم قرض للسودان قدره ٥٥ مليون مارك ألماني .

وعواصم هذه الدول * ونشير بالذات الى مؤتمر تجمع دول شرق وسط افريقيا في الصومال الذي حضرته ١٦ دولة في النصف الثاني من اكتوبر ١٩٧١ ، وكان هدف المؤتمر هو تنمية علاقات حسن الجوار والتعاون المتبادلة بين دول المنطقة خلال تبادل غير رسمي للآراء والرأي الراجح أن المؤتمر اتاح الفرصة للاقترب من نقطة التفاهم ، كما أن الاتصالات والزيارات بين الخرطوم واديس أبابا أسهمت في التقارب * ولكن التغيير في سياسة أوغندا الخارجية يمثل الحركة الاخيرة في اتجاه الجماعات الجنوبية للالتقاء حول مائدة المفاوضات .

« ان التغيير في موازين القوى السياسية في هذه الدول المحيطة ليس حدثا طارئا أو مجردا - انما هو تعبير عما يعيش في أعماق مجتمعاتها من مشكلات وتعقيدات وعما تحس به من آثار للصراع والتنافس الذي جاء به النفوذ الاجنبي الى بلادها تحت شعار مساعدة الجنوبيين ودعم قضيتهم » .

وكانت اللقاءات والمفاوضات التي بدأت منذ اكتوبر ١٩٧١ بين مندوبي حكومة جمهورية السودان الديمقراطية والمتمردين عبر الحدود وفي البلدان المجاورة قد انتهت الى قبول المتمردين الحوار على أساس السياسة المعلنة من قبل الحكومة السودانية في ٩ يونيو ١٩٦٩ والقائمة على أساس الحكم الاقليمي في اطار السودان الموحد .

وانتهت المفاوضات في نهاية شهر فبراير ١٩٧٢ الى قبول ممثلي التمرد في جنوب السودان للحكم الاقليمي على أساس لجنة الاثنى عشر المنبثقة عن مؤتمر المائدة المستديرة (١٩٦٥) والذي مثلت فيه كل الاحزاب السودانية حينئذ (٦) .

واثر الاتفاق الذي توصل اليه في اديس أبابا في السابع والعشرين من فبراير الماضي اعلن رئيس جمهورية السودان وقف إطلاق النار في الجنوب ، وأصدر « قانون الحكم الذاتي الاقليمي للمديريات الجنوبية لسنة ١٩٧٢ ، ليعيد العمل به من اليوم الثالث من شهر مارس ١٩٧٢ . ووفق هذا

القانون : « تصبح المديريات الجنوبية للسودان اقليما يتمتع بالحكم الذاتي الاقليمي في نطاق جمهورية السودان الديمقراطية ويعرف (باقليم جنوب السودان) : المادة (٣) و « تكون لاقليم جنوب السودان أجهزة تشريعية وتنفيذية تمارس الاختصاصات والسلطات التي يحددها هذا القانون » المادة (٤) .

وحدد القانون عددا من المسائل القومية التي لا تخضع للاختصاص التشريعي والتنفيذي لاقليم جنوب السودان، فنصت المادة (٦) على انه : « لا يجوز لمجلس الشعب الاقليمي ، او المجلس التنفيذي العالي أن يصدر تشريعا ، أو يمارس اية سلطة بشأن المسائل ذات الطابع القومي المذكور فيما بعد : أولا - الدفاع الوطني . ثانيا - الشؤون الخارجية . ثالثا - العملة والنقد . رابعا - النقل الجوي والنقل النهري عبر القطر . خامسا - المواصلات السلكية واللاسلكية سادسا - الجمارك والتجارة الخارجية ما عدا تجارة الحدود والتجارة في بعض السلع التي تعينها الحكومة الاقليمية بموافقة الحكومة المركزية سابعا - الجنسية والهجرة . ثامنا - التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . تاسعا - التخطيط التربوي . عاشرا - المراجعة العامة .

ومنح القانون مجلس الشعب لاقليم جنوب السودان السلطة التشريعية في ذلك الاقليم : « يمارس مجلس الشعب الاقليمي الذي ينتخبه المواطنون السودانيون الذين يقيمون في اقليم جنوب السودان السلطة التشريعية في ذلك الاقليم (مادة ٧ فقرة (١)) وتحدد هذه السلطات التشريعية في - حفظ النظام العام والامن الداخلي ، وإدارة الاقليم وتنميته ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا (المادة ١٠ الفقرات من أ الى د) ونص القانون على اسناد السلطة التنفيذية الاقليمية الى مجلس تنفيذي عال يباشرها نيابة عن الرئيس (مادة ١٦) ، ويعين رئيس المجلس التنفيذي العالي بقرار من رئيس الجمهورية (مادة ١٨) . ومنح القانون سلطات لمجلس الشعب الاقليمي في فرض الرسوم والضرائب وكافة الموارد المالية (الفصل السابع - المواد ٢٤ ، ٢٥) .

[٦] بعد ثورة اكتوبر ١٩٦٤ عقد مؤتمر المائدة المستديرة من ١٦ الى ١٩ مارس ١٩٦٥ واشتركت فيه احزاب : الوطني الاتحادي - الشعب الديمقراطي - حزب الامة - جبهة الهيئات - الاتحاد الوطني الافريقي السوداني [سائو] - والحزب الشيوعي السوداني - جبهة الميثاق - جبهة الجنوب - وشخصه مندوبون من الدول الافريقية ومصر ، وأعلن المؤتمر : - ضرورة تحقيق الوفاق الوطني . - أن الاختلافات في وجهات النظر لا يتعذر حلها . - أن الطرق السلمية هي السبيل الوحيد لحسم تلك الخلافات . واتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات لاعادة الاحوال في الجنوب الى الاوضاع العادية ، ورفع حالة الطوارئ واستيعاب حكم القانون . واوكل مؤتمر المائدة الى لجنة من اثني عشر عضوا بحث الوضع الدستوري والاداري للبلاد والذي يضمن مصالح الجنوب الخاصة ومصالح البلاد العامة . وقد اقترحت اللجنة مشروعاً لقانون الحكم الشعبي الاقليمي لكل السودان .

وعن القوات المسلحة وتشكيلها نص القانون على أنه لمواطني إقليم جنوب السودان نسبة من مجموعة قوات الشعب المسلحة وذلك بإعداد متناسب والحجم السكاني لإقليم جنوب السودان (المادة ٢٦) وتعنى هذه المادة قومية الجيش وقومية قيادته ، وتمثيل الجنوبيين بنسبة قبائلهم .

وكفل القانون - حرية التنقل لكافة المواطنين المقيمين بإقليم جنوب السودان مادة ٢١ - وبذلك تنتهى كل آثار قوانين الاستعمار البريطانى عن المناطق المغلقة . كما كفل لكافة المواطنين المقيمين بإقليم جنوب السودان الفرص المتكافئة فى التعليم والتخديم والتجارة ومباشرة أى مهنة مشروعة - مادة ٢٢ فقرة (١) - ونص على أنه « لا يجوز المساس بحقوق المواطنين المذكورة فى البند - ١ - من هذه المادة بسبب العنصر أو الأصل القبلى أو الدين ، أو مكان الميلاد ، أو الجنس - » مادة ٢٢ فقرة (٢) .

وحدد القانون فى المادة (٢٣) ان جوبا عاصمة للإقليم الجنوبي ومقرا للهيئتين التنفيذية والتشريعية .

ان وقف الدماء التى استمرت تتفجر فى جنوب السودان سبعة عشر عاما متواصلة ، ووقف تخريب المدارس والمستشفيات ومنع رياح التطور من أن تهب على جنوب السودان ، واستمراره فى وضعه المتخلف حيث يعيش الانسان فى القرن العشرين عيشة انسان الغابة منذ عشرات الالوف من السنين . ان وقف اطلاق النار فى جنوب السودان هو انتصار للانسان وهزيمة للاستعمار القديم والحديث، ان هزيمة الانفصاليين هى هزيمة لصانعي الانفصالات ، والثورات المضادة فى افريقيا . يقول جوزيف قرنق فى محاضرتة فى أبريل ١٩٧٠ السابق الاشارة اليها : « لن نقبل الانفصال فى عالم يقترب من بعضه فى كل يوم . يكفى ما عانته الدنيا من انقسام فى كوريا وفيتنام والهند وفلسطين وبيافرا وكل الامم البشرية التى نشأت عن هذا وما أحدثته من توتر . على الذين يقومون بتسليح المتمردين ان يدركوا هذا ، ولكننا مقتنعون بأن الشعوب فى كل مكان سوف تعرف الحقيقة . كل الشعوب بصرف النظر عن اجناسها واللوانها ومعتقداتها الدينية كلها طيبة وتحب الخير للآخرين » .

ان تحقيق الحكم الذاتى لإقليم جنوب السودان - انما يتحقق بالمواجهة الثورية الجادة لكل مخططات الاستعمار القديم ، ولكل نشاط الاستعمار الحديث واسرائيل فى افريقيا - « انه رغم تأكيد الشعب السودانى من هزيمة كل مخططات الامبرياليين ، فان افضل سلاح هو ان نحقق الحكم الذاتى الاقليمى ، وان تنجز المشروعات الاقتصادية والاجتماعية فى الجنوب ، ان ذلك سوف يدفع جماهير الجنوب لتكون ضد الاسلحة الامبريالية (٧) » .

وانه فى نفس الوقت الذى تتوقف فيه طلقات الرصاص فى جنوب السودان باعلان قانون الحكم الذاتى والاتفاق مع المتمردين والوكالات والهيئات الغربية والكنسية العاملة فى افريقيا - فان التطبيق الامثل لنظام الحكم الذاتى سيتوقف على مدى الديمقراطية الحقيقية للنظام السودانى . هذه الديمقراطية التى لا يمكن الحديث عنها مع غياب الوجود الحقيقى للمنظمات الديمقراطية والجماهيرية وفرض القيود عليها . ان خلوا الميدان فى جنوب السودان من المنظمات الديمقراطية والجماهيرية والثورية سيفتح الطريق واسعا امام المنظمات والهيئات الكنسية والغربية ، وامام المؤسسات القبلية المتخلفة التى ارتبطت كياناتها العسكرية والسياسية بدوائر استعمارية واسرائيلية ورجعية . والخطر الاخر الذى يواجهه هذا القانون فى التطبيق هو ما يسمى بالاتجاه الافريقى المستقل عن الاتجاه العربى . ان اى بعد عن الشمال العربى - هو فى الحقيقة جزء من استراتيجية الاستعمار الحديث لعزل حركة التحرر الافريقية عن أكثر أجزاء الثورة الوطنية التقدمية تقدما . اعنى حركة التحرر العربية وفى مقدمتها الحركة الوطنية المصرية بافاق عدائها العميق للامبريالية وكل مشروعاتها . ان ما يسمى بالافريقية الخالصة - البعيدة عن ما يسمى «بالعروبة» وخاصة بالنسبة لبلدان شرق ووسط افريقيا هى جزء من المشروع الاستعماري القديم المعروف بالحزام الافريقى - الذى هزمه نضال الشعب السودانى متضامنا مع نضال الشعوب العربية الافريقية طيلة السنوات الماضية . ان عودة شعار الافريقية الخالصة يهدد بعودة مشروع الحزام الافريقى ، وبازدياد نشاط قوى الثورة المضادة ، ونمو الاتجاهات الرجعية المدعومة من الغرب الاستعماري ، وتساعد اعمالها لضرب القوى الثورية والوطنية الديمقراطية .

[٧] جوزيف قرنق - مقاليه عن « مؤامرات الامبريالية ضد السودان » - العدد ٢ من آفاق جديدة التى يصدرها

مجلس السلم العالمى .

أردن الملك

الوجه

الأخر

لاسرائيل



أثار المشروع الذي تقدم به الملك حسين أخيراً عن إنشاء ما يسمى « بالملكة العربية المتحدة » على ضفتي نهر الأردن الشرقية والغربية ، جدلاً شديداً في العالم العربي ، نظراً لما ينطوي عليه مثل هذا المشروع من أثار ضخمة وأخطار لا على قضية الشعب الفلسطيني فحسب وإنما على المعركة الشاملة التي تخوضها الأمة العربية اليوم ، ضد العدوان الاسرائيلي - الامريكى ، والتي يتوقف على نتائجها مصير هذه الأمة في الفترة التاريخية الراهنة ، فأما النجاح في تصفية المؤامرة الامبريالية الحالية ، والحفاظ على الاستقلال الوطنى للدول العربية المستقلة وتطويرها فى اتجاه ديمقراطى شعبى ، وأما العودة مرة أخرى الى حظيرة التبعية الاستعمارية ، حيث تنتقل سلطة اصدار القرارات السياسية المتعلقة بمصير الشرق العربى ومستقبله من العواصم العربية وشعوبها الى تل ابيب وساداتها من الامبرياليين الامريكيين والغربيين .

ولذا ، ونظراً للأهمية غير العادية للخطوة « الاردنية » الاخيرة ، رأت الطليعة ان تخصص الدراسة الرئيسية لهذا العدد لتتبع حقيقة الدور الذى



قامت به المملكة الأردنية الهاشمية منذ أن أسست باسم أماره تسمى الاردن حتى الآن لا بالنسبة لقضية الشعب الفلسطيني فحسب ، والتي اتضح دورها فيها بجلاء منذ أحداث سبتمبر ١٩٧٠ ، وإنما بالنسبة لقضية تقدم المشرق العربي عامة وطموحه ونضاله من أجل الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي . وعديد من هذه الصفحات التي تقدمها الطبيعة عن دور الدولة الأردنية ودور « قادتها » و « اشرافها » و « ملوكها » إنما يستهدف ادخال عدد من الحقائق والوقائع - التي اصبحت فترة في دائرة الماضي والتاريخ الى دائرة الضوء الكاشف في الفترة التاريخية الراهنة ، حتى لا تنقطع الصلة بين ماضي هذه الدولة وحاضرها وحتى يتضح الاتساق التاريخي والمنطقي في حقيقة الدور الذي يقوم به هؤلاء الملوك والقادة والاشراف في تاريخ التطور الوطني والتقدمي للعالم العربي . ذلك ان الصراع حاليا في هذا العالم هو بين خطين : فاما ان يخضع العالم العربي ويركع امام تل ابيب ، واما ان يكون لهذه الامة من الفترة السياسية والاقتصادية والعسكرية ما يكفل لها - على أقل تقدير - الحفاظ على استقلالها وحماية ترابها الوطني ، فضلا عن تحقيق آمالها في التحرر الاقتصادي والاجتماعي .



الحركة الوطنية

في مواجهة

المخططات

الامبريالية

وديع أمين

على تزكية وترشيح الشريف حسين بن علي « أمير الحجاز » ، وذلك نظرا لمكانته الدينية والسياسية بين العرب ، وقاريخ أسرته العريقة الذي يزعمون انها تمتد الى أسرة بني هاشم في صدر الاسلام . ومن ناحية أخرى فهو يمثل أملا عربيا في الخلاص من الاستبداد والاستغلال العثماني ، وتلتف حوله الزعامات العشائرية والاقطاعية في المنطقة ، وكانت خطة بريطانيا تهدف الى تجنيد الشريف حسين وأولاده ومن ورائه الأمة العربية لخوض الحرب ضد تركيا ، على أساس وعد منها بمنح العرب الاستقلال وتعيين الشريف حسين ملكا على الأمة العربية فور انتهاء الحرب .

كما تكشف الوقائع التاريخية ان الاسرة الهاشمية كانت تعلم بموضوع الاتفاقية البريطانية الفرنسية السرية لتقسيم البلدان العربية ، وانه في شهر مايو عام ١٩١٧ زار جده كل من مبارك سايكس وزير خارجية بريطانيا وجورج بيكو وزير خارجية فرنسا على رأس وفد رسمي واجتمعا بالشريف حسين ليشرحا له مضمون الاتفاقية وانها لا تتعارض مع اتفاقية مكماهون التي عقدت معه من قبل . وكان بطلا الاتفاقية قد مرا بمصر اثناء رحلتهم الى جدة ، وقد خطب جورج بيكو في جمع من السوريين المقيمين في القاهرة ، وعلن ان الحلفاء اختاروا فرنسا وصية على سوريا . مما أثار شكوك السوريين ، واخذوا ينتقدون الشريف حسين وتعاونهم مع الحلفاء ويطالبون

ان تضع الحرب العالمية الاولى اوزارها وهزيمة تركيا والماديا ، كانت الاحتكارات البريطانية والفرنسية قد توصلت الى اتفاق بشأن تقسيم البلدان العربية الخاضعة للاستعمار العثماني وقتئذ ، وفقا لما عرف باتفاقية سايكس - بيكو في منتصف عام ١٩١٦ .

قبل

وكانت بريطانيا زعيمة الاستعمار العالمي تخطط قبل هذا التاريخ لاعادة رسم خريطة منطقة الشرق الاوسط من جديد بما يتمشى مع مصالح احتكاراتها للسيطرة على المنطقة ونهب ثرواتها ، ولم يكن الامر يتطلب سوى وجود الادوات او الاشخاص الذين يقبلون التعاون مع بريطانيا العظمى والقيام بدور الواجهات العربية في المنطقة التي كانت تنفذ تحت وصاية الاستغلال والاستبداد العثماني .

بطل من صنع المخابرات

ونشط رجال « المكتب العربي » بدار العتمد البريطاني بمصر ، الذي كان يدير جهاز المخابرات البريطانية في منطقة الشرق الاوسط في ذلك الوقت تحت اشراف السير هنري مكماهون المعتمد البريطاني ، في البحث عن الممثلين الذين يمكن الاعتماد عليهم في تنفيذ المخطط البريطاني . ولقد اجمعت الدراسات وتقارير المخابرات البريطانية

تضاف الاضداد

وقد تم اعداد لقاء بين الزعيم الصهيوني الدكتور حايم وايزمان وبين الامير فيصل نجل الحسين والقائد العام للجيش العربي بترتيب من الجنرال اللنبي القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الاوسط، حيث تم اللقاء بين الزعيمين الصهيوني والعربي في مقر قيادة الامير فيصل في العقبة، وبحضور الكولونيل جويس القائد البريطاني الذي قام بدور المترجم بين فيصل ووايزمان.

ويتحدث وايزمان عن هذا اللقاء التاريخي فيقول: « وفي اليوم الثاني اجتمعت بفيصل وكان محاطا بمقاتليه كما كان عنده الكولونيل لورنس، وسألني اسئلة كثيرة عن البرنامج الصهيوني ووجدت انه يعلم الشيء الكثير، وكانت فلسطين وشرقي الاردن حينذاك قطرا واحدا، واكدت له ان هناك مجالا واسعا في البلاد اذا تمت المشاريع الانشائية، وان العرب سيستفيدون كثيرا ووجدت ان الامير كان موافقا على آرائي كل الموافقة، وقد اكد لي لورنس ذلك كتابة فيما بعد ».

« وكانت الحرب لا تزال قائمة وفي حالة حرجة » وقد يظن ان الحديث لم يكن هاما او ان فيصلا لم يعتبره جديا وان سلوكه كان نتيجة الاداب العربية المعروفة. لكن الزمن اثبت فيما بعد انه كان جادا وصادقا في قوله لي انه يرغب رغبة اكيدة صادقة لان يقوم تعاون صحيح بين العرب واليهود في مؤتمر الصلح القادم، وان مصير الشعبين مرتبط بالشرق الاوسط ويجب ان يعتمد على حسن نوايا الدول الكبرى ».

« ودام الحديث ساعتين » وقد علمت فيما بعد ان الشريف حسين لم يعترض على ما ابداه فيصل من آراء، ووضعت هذه المقابلة مع فيصل أساس صداقة مدى الحياة بيننا. وقابلت الامير فيما بعد مرات كثيرة في أوروبا، وقد نشأ عن مباحثاتنا عقد اتفاق وضعه الكولونيل لورنس ووقعه الامير فيصل كما وقعته انا. وقد نشر هذا الاتفاق في مناسبات كثيرة، وفي وثائق انجليزية وفرنسية دبلوماسية « (٤) ».

بتخلي الحركة العربية عن مساندة بريطانيا، وخشي الشريف حسين من تناقل العرب اخبار المؤامرة وفساد سياسته مع بريطانيا، وبعث اليهم برسلة يطمئنهم ويكذب هذه المعلومات. غير ان تتابع الحوادث بعد ذلك قد دعم من شكوكهم في خديعة الحسين، كذلك عمل الحسين على منع الوطنيين العرب من متابعة القضايا القومية وحصرها كلها في يديه. وفي ذلك الوقت نقلت صحف القاهرة في شهر نوفمبر ١٩١٧ خبر وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا للمليونير الصهيوني روتشيلد بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، كما اخذت الانباء تتحدث عن اتفاقية سايكس-بيكو وقد فشلت كل المحاولات البريطانية لتكتم هذه الاخبار أو تكذيبها (١).

وتؤكد الوقائع مرة اخرى مدى انغماس وتواطؤ الاسرة الهاشمية في المؤامرة الاستعمارية والاشتراك في تنفيذ وعد بلفور. وقد لعب الكوماندور هوجارث احد المسؤولين في المكتب العربي بالقاهرة دورا هاما في التفاوض مع الشريف حسين واقناعه باهمية وعد بلفور: « وان الوعد لا يعرض العرب لحكم اليهود قط » وأخذ يصور له حسنات وهمية يجنيها العرب من تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، منها ان صداقة الصهيونيين للعرب تتيح للهاشميين صداقة دول كثيرة تخضع للنفوذ الصهيوني. وان يهود أوروبا وأمريكا سيهاجرون الى فلسطين ويستغلون ثرواتهم لاستغلالها في البلاد واشراك العرب بارباحها، وقد وافق الحسين على الفكرة واعلن ترحيبه باليهود في كل البلاد العربية. ولكن هوجارث لم يكتف سخريته من حماس الحسين، وقال ان عميد الهاشميين وافق على مشروعه دون ان يعرف شيئا عن واقع فلسطين الاقتصادي « (٢) ».

وقد كتب الحسين نفسه مقالا في جريده « القبلة » التي تصدر في مكة بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩١٨، يمتدح فيه الهجرة اليهودية الى فلسطين ويشيد بأثرها في تطوير البلاد ويعلن تشجيعه لها، ولم يجد الحسين في مقاله فرقا بين اليهود والصهيونيين، ولم يجد في الصهيونية الا حركة سامية لا اعتراض عليها (٣).

[١] « الهاشميون وقضية فلسطين » تأليف: الدكتور انيس صايغ - منشورات جريدة المحرز والمكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٩٦٦. ص ٦٢ - ٦٦.

[٢] المصدر السابق ص ٦٧.

[٣] المصدر السابق ص ٦٨.

[٤] « مذكرات وايزمان » - ترجمها عن العربية والانجليزية، نخبة من الشباب الفلسطيني - الناشر: رشاد الشهابي - مطبعة نهضة مصر - ص ٨٥ - ٨٧.

١٥ - ٢ - ١٩١٩ - وزارة الخارجية البريطانية
٣٧١ - ٤١٥٣ (٦) . وأصدر المؤتمر ميثاقاً قومياً يتضمن البنود الثلاثة الآتية : - رفض وعد بلفور والحركة الصهيونية والانتداب البريطاني
٢ - اعتبار فلسطين جزءاً من سوريا وتسميتها سوريا الجنوبية ٣ - استقلال فلسطين التام ضمن الوحدة العربية الشاملة .

وفي السابع من يونيو عام ١٩١٩ عقد المؤتمر السوري الأول في دمشق ، وضم ٨٠ مندوباً منهم ٢٠ من فلسطين ، حيث وافق المؤتمر على الميثاق القومي للمؤتمر الفلسطيني ، بالإضافة إلى : رفض الانتداب الفرنسي على سوريا ، والاستعانة بأمريكا التي لا مطامع استعمارية لها إذا كان لابد من تطبيق الانتداب أو الاستعانة ببريطانيا ويرفض أن يكون مثل هذا الحق لفرنسا ، وإقامة حكومة ملكية ديمقراطية وتعيين فيصل ملكاً على سوريا .

واخذت بريطانيا تسحب قواتها من سوريا تنفيذاً لاتفاقية سايكس بيكو ، بعد أن تم تصفية الخلاف بين بريطانيا وفرنسا حول ولاية الموصل الغنية بالبترول التابعة لسوريا . وتنازلت فرنسا ببريطانيا عن ولاية الموصل وضمها إلى العراق الخاضع للاحتلال البريطاني ، وذلك في مقابل حصول فرنسا على حصة من بترول الموصل . . . وسافر الأمير فيصل إلى فرنسا للتفاوض بخصوص تنفيذ « مطالب الشعب السوري » في الاستقلال ووحدة أراضي سوريا الطبيعية (سوريا ، لبنان ، فلسطين) . . . ولكنه عاد باتفاق وقعه مع كليمنصو رئيس وزراء فرنسا قبل فيه الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان ، كما قبل تجزئة البلاد إلى لبنان وسوريا وفلسطين ، وقبول الوضع الخاص لبريطانيا في فلسطين ، وبرر فيصل خيانتة بأنه رضوخ للظروف القاهرة . ورفض الشعب الخضوع لهذا الاتفاق ولو أدى ذلك إلى الاشتباك مع بريطانيا وفرنسا ، وفي ١٤ - ٧ - ١٩٢٠ أرسل القائد الفرنسي إلى الملك فيصل إنذاراً يقضي بتسليم سوريا لفرنسا ، وقبل فيصل الإنذار رغم رفض الشعب له ، وطلب المؤتمر الوطني السوري من فيصل الحضور لتوضيح موقفه ، وأصدر بياناً اعتبر الحكومة القائمة غير شرعية ، وأصدر فيصل هو الآخر مرسوماً ملكياً بتعطيل جلسات المؤتمر لمدة شهرين وبدأ في تنفيذ الإنذار الفرنسي « (٧) » وهب الشعب السوري

وقد تم التوقيع على الاتفاق بين الزعيمين العربي والصهيوني في لندن بتاريخ ٢ - ١ - ١٩١٩ ، ومن بين المواد التي تضمنها الاتفاق « عند إنشاء دستور إدارة فلسطين تتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧ ، ويجب أن تتخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع ، والحث عليها بأقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الاسكان الواسع والزراعة الكثيفة (٥) » .

سيطرة الاقطاع على

الحركة القومية

كانت الحركة القومية العربية في ذلك الوقت مفتتة وموزعة بين الجمعيات الإسلامية والمسيحية العديدة ، التي يتزعمها الاقطاعيون وزعماء العشائر الدينيين ، وطبقة الوجهاء والاعيان ، والذين كانوا يحتكرون العمل السياسي في كافة مدن وأقضية الشام . وكانت هذه القیادات بحكم انتماءاتها الطبقية وايدولوجياتها الاقطاعية والدينية المحافظة عاجزة عن القيام بدور فعال ومؤثر في الكفاح . ولقد اقتصر كفاح هذه الجمعيات على اقامة المهرجانات والقاء الخطب التي تهاجم الصهيونية ، وارسال البرقيات إلى قنصليات فرنسا وبريطانيا وإلى قائد قوات الحلفاء في مدينة القدس للاحتجاج على تدفق المهاجرين اليهود ، وذلك بالإضافة إلى اعمال المقاومة الضعيفة المتفرقة والانتفاضات الجماهيرية الفاشلة . . ثم تطور هذا الشكل من الكفاح فيما بعد إلى صورة أخرى هي المؤتمرات السياسية ، وكانت معظم قيادات هذه المؤتمرات من أعضاء تلك الجمعيات الإسلامية والمسيحية السابقة .

وعقد المؤتمر الفلسطيني الأول في مدينة القدس في فبراير عام ١٩١٩ : « ويستفاد من تقرير أعده المكاتب « كامب » من دائرة المخابرات البريطانية عن المؤتمر أن ١١ مندوباً من بين مجموع المندوبين البالغ عددهم ٢٧ مندوباً كانوا موالين لبريطانيا ، وكان اثنان منهم موالين لفرنسا ، واثنان آخران ليست لهما ارتباطات سياسية معينة . أما الباقون وعددهم ١٢ مندوباً فقد كانوا من انصار الوحدة العربية » (ج . ن . كامب ، المؤتمر الفلسطيني

[٥] « الثورة العربية الكبرى في فلسطين » . تأليف : صبحي ياسين ، الناشر النادي الفلسطيني العربي بالقاهرة ص ١٣ .

[٦] « تاريخ فلسطين الحديث » . تأليف : الدكتور عبد الوهاب كيالي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، نوفمبر ١٩٧٠ ص ١٢٥ .

[٧] « إلى أين يتجه الأردن » تأليف : سمير التداوي ، الناشر ، الدار المصرية للكتب ، ص ٩ - ١٠ .

للدفاع عن استقلاله ووحدته ولمواجهة زحف الجيوش الفرنسية ودارت معارك بين قوتين غير متكافئتين وانتهت باستيلاء الفرنسيين على سوريا ، وما صاحبه من انتكاس الحركة القومية العربية .

موظفون في وزارة

المستعمرات البريطانية

ان خيانة فيصل نجل الشريف حسين وغدره بالحركة القومية العربية ، لم يكن يعنى سوى نهاية فصل ، وبداية فصل جديد من تاريخ خيانة الاسرة الهاشمية .

ففى عام ١٩٢٠ قام ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانى « بتعيين » فيصل ملكا على العراق عقب استفتاء نظمته المخابرات البريطانية ، وفى العام التالى قام تشرشل بتعيين الامير عبد الله نجل الشريف حسين وشقيق فيصل اميرا على اماره شرقى الاردن ، بعد اقتطاع الجزء من الاراضى الواقع شرقى نهر الاردن من اراضى فلسطين لتكون اماره مستقله .

وهكذا وجد الحكم الاردنى منذ البداية على حساب قضية فلسطين ، مما ادى الى خلق ترابط وثيق بين الاردن وفلسطين او اسرائيل فيما بعد فى خدمة الاهداف الاستعمارية فى منطقة الشرق الاوسط .

ان تقسيم البلدان العربية بين الاستعمار البريطانى والفرنسى ، قد ادى بالتالى الى تفتيت الحركة القومية العربية فى المنطقة ، واصبح على كل من هذه الحركات ان تستقل بنفسها داخل حدودها الجديدة التى فرضتها القوى الاستعمارية واقرها مؤتمر الصلح وعصبة الامم فى ذلك الوقت .

ولقد كانت هناك عوامل عديدة تحكم طبيعة الحركة الوطنية فى الاردن ، نتيجة عدم وجود قاعدة اجتماعية جماهيرية ، بسبب تميز هذا الجزء من الارض الواقعة شرقى نهر الاردن عن بقية اجزاء بلاد الشام كصحراء واسعة ، ووجود مجتمع قبلى عشائرى حيث يعيش حوالى ١٠٠.٠٠٠ شخص معظمهم من البدو الرحل ، وحيث تسود العلاقات الاقتصادية المتخلفة القائمة على تربية الماشية والابل ، والزراعة البدائية التى تعتمد على الامطار ، ولقد ادى هذا الوضع

الاقتصادى والاجتماعى الشديد التخلف ، الى انعدام الظروف الموضوعية لنشوء الحركة الوطنية فى الاردن فى ذلك الوقت .

وفى ظل هذه الظروف الملائمة تحدد دور الامير عبد الله منذ توليه اماره شرقى الاردن فى عام ١٩٢١ ، فى العمل على حراسة المصالح الاستعمارية فى المنطقة ، ومنع النشاط المناهض للوجود البريطانى والصهيونى والفرنسى من الاراضى الاردنية ، « وذلك بعد تكرار هجمات عرب منطقة عجلون على المستعمرات الاسرائيلية فى وادى بيسان فى عام ١٩٢٠ ، وتصدى القوات البريطانية للمهاجمين ، وسقوط الشهداء الاردنيين » وتجريد حملات القمع ضد عرب الكورة بزعامة الشيخ كليب الشريعة فى مايو عام ١٩٢١ ، ثم فى عام ١٩٢٢ بمشاركة الانجليز . وتجريد حملة لاعتقال القائمين بمحاولة اغتيال الجنرال جورو الفرنسى من الوطنيين السوريين عام ١٩٢١ ، وتراجع السلطة الاردنية عن ذلك ازاء ثورة عرب شرقى الاردن فى وجه محاولة السلطة بقيادة سعيد خير ومثقال الفايز وحديثة الخريشة وصايل الهشوان ، غير ان الامير عبد الله صمت على الموضوع ثلاث سنوات وقام عام ١٩٢٤ بنفى القائمين بالمحاولة . وتجريد حملة على السرك والطفيلة عام ١٩٢٢ ، وشهد العام نفسه محاولة ملاحقة الزعيم السورى سلطان الاطرش ورجاله بعد لجوئهم الى الاردن . وقمع حركة الاحتجاج الوطنية التى تزعمها سلطان العدوان عام ١٩٢٣ . وطرد الوطنيين السوريين من الاردن ونفيهم الى خارجة عام ١٩٢٤ بعد ان اشتدت حركة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسى فى منطقة حوران وجبل العرب . وقال الامير عبد الله فى تقرير هذا التصرف آنذاك فى خطاب له : « ان الذين يشجعون رجال العصابات او يقبلون حمايتهم فى هذه المنطقة انما يخونون انفسهم ويلادهم ونحن لا نريد ان نكون خطرا على غيرنا » ، وقمع ثورة وادى موسى عام ١٩٢٦ ، والتى انفجرت بعدما انتشر بين العشائر هناك انباء اخضاع الاردن للمستعمار الاجنبى ، (٨) .

تكوين الطبقات الاجتماعية

وظهور المعارضة الوطنية

وشهد الاردن عقب الحرب العالمية الاولى تطورات هامة نتيجة ربط الاردن بالسوق

[٨] « معضلة الاردن » بقلم : عبدالرحمن غنيم ، مجلة الطلائع ، تصدرها منظمة الصاعقة الفلسطينية ١٩٧٠/١٠/٢٦ .

الرأسمالي العالي، ونخلق المجتمع الجديد على الأساس الرأسمالي والتبعية للاحتكارات البريطانية، والتي تمثلت في: «زيادة المساحة المزروعة لتمويل الجيوش البريطانية المربطة في المنطقة، نمو قطاع الخدمات، نشوء الأجهزة الحكومية، ازدياد عدد المدارس في المدن الرئيسية لسد احتياجات وظائف الدولة، ظهور قوى أمن وبوليس داخلي وفصائل عسكرية ذات تركيب عشائري، مد خطوط مواصلات، إعادة تقسيم البلاد إدارياً» (٩) * وقد ساهمت هذه التغييرات في تطوير وصياغة بنية المجتمع الاقتصادية، ونشوء وتكوين الطبقات الاجتماعية ذات المصالح المتعارضة فيما بينها، وتوفر بذلك الأساس المادي والحرك للتطور الاجتماعي، ونمت الطبقات مع النمو الاقتصادي والاجتماعي في البلاد، والاحساس بوطاة النفوذ والسيطرة البريطانية على البلاد *

وكان ذلك باعثاً على ظهور المعارضة الوطنية في البلاد عام ١٩٢٨، عندما اخذت بريطانيا تشدد من قبضتها وسيطرتها على البلاد وتخفي صفة الشرعية على وجودها في الاردن، عن طريق توقيع معاهدة مع الامير عبد الله، تقضي بمنح امانة شرق الاردن الاستقلال الذاتي، وتكوين مجلس تشريعي وبقاء الجيوش البريطانية، ومنح المعتمد البريطاني حق اصدار القوانين وتنفيذها، والاشراف على مالية الدولة، وتولي الحكومة البريطانية التمثيل السياسي لشرق الاردن لدى البلاد الاخرى *

ولم تكن هذه المعارضة ذات طابع جماهيري واسع، وكانت تتكون من الشخصيات البارزة من المثقفين البرجوازيين الذين تلقوا العلم في سوريا وتأثروا بالحركة الوطنية هناك، ومن بعض العناصر الاقطاعية وزعماء العشائر «والتي كانت تعاني من الاستعمار البريطاني والعناصر الرأسمالية من العرب التي جاءت الى الاردن في ركاب الاستعمار البريطاني وتعاونوا معه، وكان الشعار الرئيسي للحركة الوطنية هو «الاردن للاردنيين» وكانت الانتهازية تنخر في صفوفها مما سهل على الاستعمار البريطاني تحطيمها وابسرام المعاهدة» (١٠) *

وبالاضافة الى هذا لم تكن السلطات البريطانية تستطيع ان تخول دون تفاعل الاردنيين مع اخوانهم الفلسطينيين على النحو الذي تم من مشاركة الاردنيين في المؤتمر الفلسطيني الذي عقد اثر هبة البراق في فلسطين في شهر اغسطس عام ١٩٢٩: «وقد علق المعتمد البريطاني على مشاركة الاردنيين في احد تقاريره بقوله: لقد ابقى شرق الاردن بمنأى عن اضطرابات شهر اغسطس لانه لم تكن هناك خطة معدة للعمل، ولكن اذا نظمت في المستقبل اضطرابات اخرى ضد اليهود، فانني اخشى ان لا تلقزم البلاد الهدوء كما فعلت في السابق» (١١) *

وكان استمرار هذه الحوادث باعثاً على تنبيه الانجليز بالنسبة للمستقبل، والخوف من تصاعد الحركة الوطنية، ومن ان تنتقل الى الاردن عدوى الثورة الفلسطينية التي كانت تنذر بالانفجار في ذلك الوقت، فقامت في عام ١٩٣١ بتعيين الضابط البريطاني جلوب قائدا لقوات البادية (وقد أصبح قائدا عاما للجيش الاردني فيما بعد) وقام جلوب بتنظيم وتوسيع قوات البادية «الفيلق العربي» واذكاء روح العداء بين القبائل العشائرية ضد الجماهير الشعبية في المدن لضمان ولائها في مواجهة الحركة الوطنية «واصدر قانون العشائر الذي يجعل العشائر مسئولة امام قائد الجيش وحده، وسلب الحكومة سلطة الاشراف عليها، ووضعت ميزانية خاصة للجيش يشرف على تنفيذها قائد الجيش بالاتصال مع وزارة الحربية البريطانية» (١٢) *

ولعبت قوات البادية أو الفيلق العربي دوراً خطيراً في قمع الثورة الفلسطينية خلال أعوام ٣٦ - ١٩٣٩ وقمع ثورة العراق ضد بريطانيا عام ١٩٤١ وكذلك تولى مهمة حراسة خطوط انابيب البترول والمنشآت العسكرية وخطوط المواصلات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية *

ومرت فترة طويلة قبل أن تعود الحركة الوطنية الى الظهور من جديد، وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية، التي كانت من أثارها ان ساهمت الى حد كبير في نمو المجتمع الاردني وظهور كيان الرأسمالية المحلية من فئات التجار، والمقاولين، والرأسمالية الكبيرة (الكومبرادورية) من المستوردين وكلاء الشركات الاحتكارية

[٩] «التعليم والانتاج في الاردن» بقلم: عصام أحمد، مجلة دراسات عربية، نوفمبر ١٩٧١، ص ١١.
[١٠] «الاردن ومؤامرات الاستعمار» تأليف: صوان الجاسر، ونعمان أبو ياسم، الناشر: الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ص ١١.
[١١] «فتح» الجريدة المركزية للجنة التحرير الفلسطينية ١٠/٢٧/١٩٧١.
[١٢] صوان الجاسر، ونعمان أبو ياسم، مصدر سابق، ص ١٢.

البريطانية ، وكان من آثارها أيضا ان خلفت وراءها جيش كبير من العمال والموظفين العاطلين بعد زوال فترة الرخاء والرواج المصطنع خلال سنوات الحرب .

الخيانة الهاشمية وتقسيم فلسطين

فى شهر مارس عام ١٩٤٨ نشرت الجريدة الرسمية نصوص المعاهدة البريطانية الاردنية الجديدة والمعدلة للمعاهدة البريطانية الاردنية التى ابرمت عام ١٩٤٦ . وقد نصت المعاهدة الجديدة على بقاء القوات البريطانية فى عمان وغيرها من الاماكن ، وعدم اتخاذ الاردن أية خطوة الا بعد مشاورة الحكومة البريطانية . وكان اعلان تفاصيل المعاهدة سببا فى تفجير غضبة الجماهير الاردنية بقيادة عناصر من مثقفى الطبقة الوسطى الصاعدة ، ووقوع الاضطرابات والمظاهرات فى المدن الاردنية ، احتجاجا على المعاهدة التى تجعل من الاردن مستعمرة بريطانية .

وكانت لهذه المعاهدة نتائجها الخطيرة فى التمهيد لمأساة فلسطين بعد ذلك ، والتى انتهت بتقسيم فلسطين وفقا لحدود وقف اطلاق النار ، والتسليم بقيام دولة اسرائيل فى الاراضى التى احتلتها ، وضم الضفة الغربية الى شرق الاردن لتصبح جزءا من المملكة الهاشمية : « وذلك رغم المعارضة الشديدة للعناصر الوطنية الفلسطينية لقرار الضم ، اذ رأت فيه تصفية فعلية لقضية فلسطين واجراء لحماية اسرائيل » (١٣) .

وقد صبح ما توقعته القوى الوطنية الفلسطينية من خيانة الملك عبد الله ، وهو ما كشفت عنه الوثائق التاريخية التى نشرت بعد ذلك حول « الاجتماع السرى الذى تم فى ١٢ - ٤ - ١٩٤٨ فى مشروع روتنبرج بجسر الجامع بين الملك عبد الله وموسى شرتوك الزعيم الصهيونى وبحضور محمد الشقيطى قاضى القضاة فى الاردن وسكر المعروف باسم ابو يوسف مدير مشروع روتنبرج وقائد عصابات الهاجاناة الصهيونية فى المنطقة ، وذلك قبل الغاء الانتداب البريطانى على فلسطين فى ١٤ - ٥ - ١٩٤٨ . وما اتفق عليه فى ذلك الاجتماع وهو قبول الطرفين لمشروع التقسيم والعمل على تنفيذه - ثم الاجتماع السرى الثانى الذى تم فى مساء يوم ١١ - ٥ - ١٩٤٨ بين جولدا مائير والملك عبد الله فى قصر محمد الضباطى مدير الخاضعة الملكية بالقرب من عمان » (١٤) .

ظهور الاحزاب الوطنية

وكان لنتيجة ضم الضفة الغربية والحاقها بالمملكة الاردنية ، اثار هامة بعيدة المدى على الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الاردن ، وتضاعف عدد السكان مرتين ، كما كانت له اثاره الايجابية على نمو وتطور الحركة الوطنية وانتعاش التجارة واشتداد مساهمة الطبقة البورجوازية الوطنية التى اخذت تلعب دورا متزايدا فى الحركة الوطنية ، وانتعاش الحركة الثقافية ، واتساع الطبقة العاملة ، وظهور الحركة النقابية والتنظيمات العمالية والطلابية ، والتوسع فى ادخال الشباب الفلسطينى فى الجيش الاردنى ، وظهور احزاب عقائدية تشمل الضفتين الغربية والشرقية مثل حزب البعث العربى الاشتراكى والحزب الشيوعى (١٥) وظهور الحزب الوطنى الاشتراكى فى عام ١٩٥٤ ممثلا لمصالح البورجوازية الوطنية ، وكان للحزب الشيوعى الاردنى الذى يتمتع بتأييد واسع بين جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وبين الطلاب واللاجئين دورا أساسيا فى الحركة الوطنية ، وتوحيد القوى الوطنية والديمقراطية وتحديد الشعارات الأساسية للحركة الوطنية سواء ما تعلق منها بالغاء المعاهدة البريطانية ورفض الاحلاف العسكرية وجلاء القوات البريطانية ، او تلك التى تتناول القضايا الداخلية كالحكومة الوطنية ، والحريات الديمقراطية والدفاع عن مصالح الجماهير الشعبية ورفع مستوى معيشتها ونشر الفكر الاشتراكى العلمى بينها ، والتضامن مع حركة التحرر العربية ، والدعوة الى الوحدة العربية على أساس التحرر والديمقراطية وقد أكدت تجربة السنوات الطويلة الماضية انصهار وحدة سكان الضفتين من خلال النضال المشترك ضد القوى الرجعية والامبريالية والصهيونية .

الصراع بين أمريكا

وبريطانيا على الاردن

وشهدت الفترة التالية لحرب فلسطين وقيام دولة اسرائيل ازدياد نشاط الاستعمار الأمريكى بصورة واضحة فى منطقة الشرق الاوسط للحلول محل الاستعمار البريطانى القديم فى الدول العربية ، وذلك عن طريق برامج المساعدات والمعونات الأمريكية ، واستقطاعات الاحتكارات

[١٢] صوان الجاسر ، ونعمان ابوباسم . مصدر سابق . ص ١٥ .

[١٤] مذكرات عبدالله التل . تأليف : عبد الله التل . ص ٦٥ - ٦٦ .

[١٥] صوان الجاسر ، ونعمان ابوباسم . مصدر سابق . ص ١٥ - ١٦ .

الامريكية التسلل الى الاردن في أعقاب حادث اغتيال الملك عبد الله على يد المناضل الفلسطيني محمد عشق في شهر يوليو عام ١٩٥١ في ساحة المسجد الأقصى ، وتنصيب ابنه طلال ملكا على الاردن ، وكان معروفا بعدائه للانجليز والجنرال جلوب باشا قائد الجيش الاردني واخذ طلال يعمل على استبدال الاستعمار البريطاني بالاستعمار الأمريكي ، وفتح أبواب الاردن أمام الاحتكارات الامريكية متخفية وراء مشاريع النقطة الرابعة للمساعدة الاقتصادية والفنية ، ودخل خبراء الاحتكارات ومعهم خبراء وكالة المخابرات المركزية وخبراء البنتاجون العسكريين الامريكيين ، وبحجة عمل الدراسات وجميع الاحصائيات اخذوا ينتشرون في جميع أركان البلاد وأجهزة الدولة .

وقد احدثت سياسة الملك طلال في الاتجاه نحو الولايات المتحدة والتمرد على بريطانيا ، ازعاجا داخل الاسرة الهاشمية التي تدين بوجودها للاستعمار البريطاني ، فكانت ان تعاونت في عزل الملك طلال والمجيء بابنه الصبي حسين خريج كلية ساند هيرست الحربية البريطانية في شهر مايو عام ١٩٥٣ ملكا على الاردن ، واعتبر هذا الاجراء انتصارا للنفوذ البريطاني في الاردن .

هزيمة حلف بغداد في الاردن

واخذت بريطانيا تعد لربط الاردن بحلف بغداد ، ومن ثم راحت تعمل على تكييل القوى الوطنية في الاردن عن طريق القوانين التعسفية مثل قانون الدفاع المعدل ، وقانون الصحافة ، والاحزاب ، وقانون مكافحة الشيوعية المعدل ، بغرض تهديد الجماهير وأرهابها ، وتم التصديق على هذه القوانين من مجلس الشيوخ ، بالرغم من معارضة البرلمان الشديدة لهذه القوانين الجائرة والمناهضة للحريات ، ثم قامت وزارة توفيق أبو الهدى بحل البرلمان في منتصف عام ١٩٥٤ ، وتعطيل الصحف ، واجراء حركة اعتقالات واسعة شملت الكثير من اعضاء الاحزاب الوطنية والتنظيمات الشعبية ، تمهيدا لاجراء انتخابات جديدة في ظل الارهاب وانعدام الحريات الديمقراطية ، وبالرغم من ذلك استطاعت الجماهير ان توصل الى داخل البرلمان بعض العناصر الوطنية والديمقراطية والمعادية للاستعمار .

ولم تعد المؤامرة لجر الاردن الى حلف بغداد خافية على الشعب الاردني ان حضر في ذلك الوقت جلال بايار رئيس جمهورية تركيا ورسول الحلف الى الاردن لاجراء المباحثات وعرض شروط الانضمام الى الحلف ، فقبل بالاضراب العام والمظاهرات الصاخبة من الجماهير . وكان من الواضح اصرار بريطانيا على فرض الحلف

على الشعب الاردني بالقوة ، وعزل الاردن عن حركة التحرر العربي وتطويق سوريا ومصر بهدف الضغط على كل منهما للدخول في الحلف .

وتاهبت جميع القوى الوطنية والتقدمية لمواجهة الموقف واستطاعت الحركة الوطنية ان تجتذب اليها العديد من ضباط وجنود الجيش من الوطنيين الاحرار ، واتخذت الحركة الوطنية في ذلك الوقت مظهر الثورة العامة في كافة مدن الضفتين الشرقية والغربية ، وخرجت الجماهير الغاضبة من العمال والطلبة والنساء تواجه في اصرار رصاص بنادق ومصفحات الفيلق العربي من قوات البادية بقيادة الجنرال جلوب البريطاني وهاجمت الجماهير الثائرة قنصليات انجلترا وامريكا وفرنسا وتركيا ، واعتدوا على السفير البريطاني ، وسقط مئات القتلى والجرحى في عمان والقدس ونابلس واريحا والخليل وبيت لحم ، واعتقال الالف من المواطنين . . . وعند ذلك لم يجد الملك حسين مفرأ أمام ثورة الجماهير التي كانت تتسع باستمرار من ان يحنى رأسه أمام العاصفة خوفا من ان يكلفه عناده عرش أسرته ، والتراجع مؤقتا في انتظار فرصة اخرى . .

واعلن الملك حسين تراجعاً عن فكرة الانضمام الى حلف بغداد ، واقالة وزارة هزاع المجالي ، وطرد الجنرال جلوب والضباط البريطانيين من الاردن ، والموافقة على الغاء المعاهدة البريطانية الاردنية ، وكذلك الرضوخ لمطلب الجماهير بحل البرلمان الذي جاء عام ١٩٥٤ وزيفت فيه الانتخابات ، والدعوة لاجراء انتخابات عامة في شهر اكتوبر عام ١٩٥٦ وفشلت كل محاولات الملك والرجعية لخداع وتضليل الجماهير . وقد جاءت هذه الانتخابات بأغلبية من الحزب الوطني . وتم تشكيل الوزارة الاردنية الجديدة برئاسة سليمان النابلسي زعيم الحزب الوطني .

وقامت حكومة النابلسي الوطنية بأعمال ايجابية كثيرة مثل طرد الضباط البريطانيين من الجيش ، والغاء المعاهدة البريطانية والغاء المعونة البريطانية واستبدالها بالمعونة العربية بموجب اتفاقية التضامن العربي ، وتوقيع التحالف العسكري الثنائي مع مصر ، واطلاق الحريات العامة ، والغاء القوانين الرجعية والمقيدة للحريات والمنافية للديمقراطية ، والشروع في تطهير الاجهزة الحكومية من أعوان الاستعمار والرجعية واستبدالهم بعناصر وطنية ويسارية ، وتحقيق اشراف الحكومة على مشروعات النقطة الرابعة والحق اموالها بميزانية الدولة ، وتجريد الخبراء الامريكان من سلطاتهم الادارية ، ومنع استقدام الخبراء الامريكان في المستقبل الا بموافقة الحكومة ، واطلاق حرية التجارة مع جميع الدول ، وتبادل التمثيل السياسي مع بعض الدول الاشتراكية ، واتباع سياسة الحياد الايجابي .

الاستعمار الامريكى وراء

الثورة المضادة

وكانت هذه الانتصارات الوطنية اكبر من أن تتحملها أعصاب الاستعمار والرجعية وهما يشاهدان تقلص نفوذهما ومصلحتهما في الاردن ، وراح الاستعمار الامريكى يعد للتدخل في الاردن وفرض مشروع ايزنهاور ، عن طريق الاستعانة بقوى الثورة المضادة في الداخل ، وهو الاسلوب المميز لوكالة المخابرات المركزية الامريكية في قلب الحكومات الوطنية .

وشرع الملك حسين في تنفيذ المخطط الاستعماري ، وأعلن في العاشر من ابريل ١٩٥٧ اقالة وزارة سليمان النابلسي متذرعا بوجود وزيرين أحدهما بعثي والآخر ماركسي ينتمى الى تنظيم الجبهة الوطنية . وأصدر الملك بعد ذلك بيانا ندد فيه بالشيوعية والنشاط الشيوعي في البلاد وطالب بالضرب بيد من حديد على كل من يدين بهذه المبادئ ، وكانت تلك هي اشارة الهجوم ، وبعدها تحركت جميع قوى الثورة المضادة السراي وشيوخ العشائر وقوات البدو والحزب الدستوري الاقطاعي بزعامة سمير الرفاعي رئيس الوزراء السابق ومستشار شركة التابلاين الامريكية والاخوان المسلمين وحزب التحرير الاسلامي وعملاء المخابرات الامريكية والبريطانية في أجهزة الامن والمخابرات الاردنية في الجيش وفلول عصابات القوميين السوريين الذين كانوا قد هربوا الى الاردن في تلك الايام بعد فشل المؤامرة الامريكية على سوريا .

وفي الخارج احتشدت قوات حلف بغداد في العراق وتركيا على حدود سوريا لتهديدها ومنعها من التدخل لمساندة الحكم الوطني ، كما احتشدت القوات الاسرائيلية على حدود الاردن ، وتجمع الاسطول السادس الامريكى في ميناء بيروت وأعلن قائده « أن أسطوله مستعد لشق طريقه الى الاردن اذا اقتضى الامر » .

ونجح الاستعمار وقوى الثورة المضادة في الاطاحة بالحكم الوطني والعودة بالاردن مرة أخرى الى أحضان الرجعية والاستعمار ، وإعلان الأحكام العرفية وتعطيل البرلمان وحل الأحزاب الوطنية ونقابات العمال واتحاد الطلبة ، وفصل مئات الموظفين والقبض على عشرات الضباط الاحرار ، وزج بالآلاف من المواطنين في السجون والمعتقلات ، وسيق عشرات المواطنين والضباط الوطنيين الى ساحات الاعدام داخل معتقل الجفرة والعبدلي وفي الميادين العامة ، وقامت قوات البدو بحصد أرواح المواطنين المتظاهرين في الشوارع برصاص مدافعها ، كما راحت عصابات الاخوان المسلمين وحزب التحرير الاسلامي والقوميين

السوريين النفاشيين - تقتال العناصر اليسارية والتقدمية واشساعة الارهاب والذعر بين المواطنين . وأسفر الانقلاب عن أهدافه بإعلان عن قبول مشروع ايزنهاور والدخول في الاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط ، والغاء جميع الاصلاحات والانجازات التي تمت على يد الحكم الوطني من قبل .

إن الدروس المستفادة من تجربة انتكاسة الحكم الوطني في الاردن ، تمثل أهمية كبيرة بالنسبة لقوى التحرر الوطني العربية بالنظر لما ترتب على سقوط الحكم الوطني من نتائج وخيمة على الحركة الوطنية في الاردن مازالت تعاني منها حتى اليوم . وهو أن السبب في هذه المأساة يقع أساسا على عاتق الحزب الوطني الاشتراكي المتمثل بمصالح طبقة الرأسمالية الوطنية الاردنية ، نتيجة طبيعة هذه الطبقة المزدوجة وهي العداء للاستعمار من ناحية والخوف من الجماهير من ناحية أخرى ، « واستفزازات الجناح اليميني في الحزب بزعامة انور الخطيب للأحزاب التقدمية ، واتصالاته المشبوهة بالسراي خلال الازمة » (١٦) وهو ما انعكس على سياسة الحزب الوطني الاشتراكي في الحكم ، وفشله في الاحتفاظ بالسلطة على رأس وزارته والاستناد الى الأغلبية الوطنية والديمقراطية داخل البرلمان والتفاف الجماهير حول الوزارة ، والتسليم بأوامر الملك حسين في اقالة الوزارة . وقد اتسم موقف الوزارة منذ بداية الازمة التي استمرت حوالي أربعة شهور بالتردد في اتخاذ موقف واضح إزاء استفزازات الملك حسين والتحركات المشبوهة للقوى الرجعية ووضع حد لها قبل أن يستفحل الخطر ، كما يرجع الى قصور النظر وغشور السنته والنهوين من قدرة الاعداء ، وعدم ادراك حقيقة ابعاد المؤامرة الاستعمارية الرجعية وطبيعة الظروف التي تجتاحها البلاد ، والمهام التي تتطلبها مرحلة التحرر الوطني وما تتطلبه من السياسة الصريحة الواضحة والثبات في العداء للاستعمار والرجعية .

الاردن في قبضة الاستعمار الجديد

وكان لابد من مرور وقت ليس بالقصير لكي تستجمع الحركة الوطنية قوتها من جديد ، ويسترد الشعب الاردني أنفاسه ويضمد جراحه عقب الهجمة الشرسة للاستعمار الامريكى وقوى الثورة المضادة ، وأن يناضل بأشكال النضال المختلفة وممارسة مختلف الضغوط خلال السنوات التالية ، من أجل وقف أعمال التنكيل ضد القيادات التقدمية والوطنية ، وإطلاق سراح آلاف المعتقلين والسجونيين السياسيين من أجل المصلحة الوطنية .

وقد استهدفت سياسة الاستعمار الجديد بعد عام ١٩٥٧ عزل الرأسمالية الوطنية عن بقية أجزاء الحركة الوطنية في البلاد ، وذلك عن طريق اشراك الفئات العليا من هذه الطبقة في السلطة ، ومنحها بعض الامتيازات المادية عن طريق الحماية الجمركية وانشاء بنك التنمية الصناعية والقروض والتسهيلات المالية ، وتسهيل اقامة صناعات تعتمد على مواد نصف مصنعة في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، كما حرصت على تحييد الاقسام الاخرى من الرأسمالية الوطنية بمدىها بتيسيرات في عمليات التجارة والتوزيع .

وأدت هذه السياسة الى احداث تغيير في ميزان القوى الطبقي في المجتمع نتيجة انتقال الفئات العليا من الرأسمالية الوطنية الى مواقع اليمين والتحالف مع طبقة الاقطاعيين والرأسمالية التجارية « الكومبرادورية » مما انعكس على تشكيل الوزارات والجيش والامن والبرلمان ، والى تعزيز مواقع البورجوازية البيروقراطية في أجهزة الدولة ، في ظل غياب الديمقراطية وانعدام الحريات العامة ، وسياسة العداء للجماهير الشعبية ، والتكثيف بالقوى الوطنية والتقدمية ، الامر الذي تسبب في انزال أفدح الاضرار بالمصالح الوطنية ، نتيجة اهمال الخطر الاسرائيلي ، وعدم القيام بتعبئة وتسليح الجماهير في الضفة العربية ، والانعزال عن حركة التحرر العربية ، مما أدى الى تسهيل مهمة العدوان الاسرائيلي الامبريالي في يونيو عام ١٩٦٧ .

وقد نشأ عن ظروف العدوان الصهيوني الامبريالي في يونيو عام ١٩٦٧ وضع جديد امام القوى الوطنية داخل الاردن ، ويتمثل في ظهور ذراع من التناقض بين السلطة الاردنية والاحتلال الصهيوني للضفة الغربية وجعل التناقضات الطبقيّة في الداخل تتراجع الى الخلف أمام متطلبات المرحلة الجديدة في النضال ضد العدو الاسرائيلي الامبريالي من أجل تحرير الارض .

وقد كشفت السنوات الماضية منذ عدوان يونيو عام ١٩٦٧ ، مدى عجز السلطة الحاكمة في الاردن عن مواجهة متطلبات المعركة الوطنية لتحرير الجزء المحتل من أرض الوطن ، واستمرار السلطة الاردنية في تعميق التناقضات مع الجماهير التي راحت تعبى قواها للعمل من أجل تحرير الارض المغتصبة ، وواصل النظام الاردني الهجمات المسعورة ضد المنظمات الفدائية الفلسطينية ومنع نشاطها من الضفة الشرقية ، وشن حملات ضارية ضد القوى الوطنية الاردنية التي تفت الى جانب العمل الفدائي وتسانده ، وتتعرض بسبب ذلك للاعتقال والفصل من الوظائف ، وقد بلغ عدد المفصولين والمسرحين من الجيش وأجهزة الامن وبقية أجهزة الدولة من العناصر الوطنية الشريفة منذ حرب يونيو حتى الان ما يزيد عن خمسة آلاف شخص . وحيث تواصل السلطة الاردنية سياسة

ما قبل حرب يونيو من العداء للشعب والقوى الوطنية وتقوية ارتباطها بالامبريالية الامريكية ، وممارسة الاتصال بالمسؤولين الاسرائيليين في محاولة للوصول الى اتفاق منفرد مع اسرائيل وتوجيه طعنة الى ظهر الشعوب العربية وعلى حساب الثورة الفلسطينية التحررية ، الامر الذي يكشف بجلاء عن خيانة الطبقات الحاكمة من الاقطاعيين والرأسمالية الكبيرة . هذه السياسة التي بلغت اوجها وذروة ضراوتها في مذبحسة « ايلول » ضد حركة المقاومة الفلسطينية .

ان الوضع الراهن في الاردن ، يوضح ان الفئات العليا من الرأسمالية لم تعد تواجه حالياً تناقضات ومشاكل داخلية حادة ، ومن ثم لا تجد سبباً ملحاً يدعوها الى مهادنة الحركة الوطنية ، فضلاً عن أنها تخشى من تحول الحركة الجماهيرية في المستقبل الى المطالب الاجتماعية ، مما يعرض مصالحها المأمنة حالياً الى الاخطار ، مما يتيح لطبقة الاقطاعيين والرأسمالية الكبيرة المرتبطة بالاحتكارات الاستعمارية وعلى رأسها العرش الهاشمي التفريط في المصالح القومية واجراء صلح منفرد وتسوية استسلامية مع العدو في المستقبل ، ومن هنا لا يجب اغفال مثل هذا « التمايز والتفاوت » داخل الطبقة البورجوازية الوطنية ، واستبعاد الامكانيات النضالية القائمة لهذه الفئات ، الا أنه في نفس الوقت يجب وضع هذه الامكانيات في حجمها الطبيعي في حسابات القوى الوطنية في الداخل ، وباعتبار ان البورجوازية الوطنية لا تشكل قوة أساسية من الجبهة الموحدة المعادية للاحتلال . اذ يبرز في هذا المجال دور الطبقة العاملة والبورجوازية الصغيرة والمتقنين والطلبة في الحركة الوطنية .

النضال ضد التحالف

الامبريالي الصهيوني

ان تجربة السنوات الماضية لم تضعف من الروح النضالية المتميزة للشعب الاردني ، بل انها قد زادت من اصراره على الصمود ومقاومة العدوان والمخططات الصهيونية والامبريالية في الضفتين الشرقية والغربية ، وفرض اشكال الكفاح المناسبة التي تتلاءم مع ظروف ومتطلبات هذه المرحلة من أجل توحيد جميع القوى الوطنية والتقدمية في الضفتين الشرقية والغربية لتعزيز صمود الجماهير ومواصلة النضال لهزيمة العدوان .

وقد شهدت السنوات الماضية تجارب عديدة في اشكال الكفاح لعل أهمها هي تجربة « التجمع الوطني » في الضفة الشرقية في شهر مارس عام

هاما فى تطوير الكفاح ضدّ العدوان الاسرائيلى فى الضفة الغربية وقطاع غزة خلال الفترة الماضية *

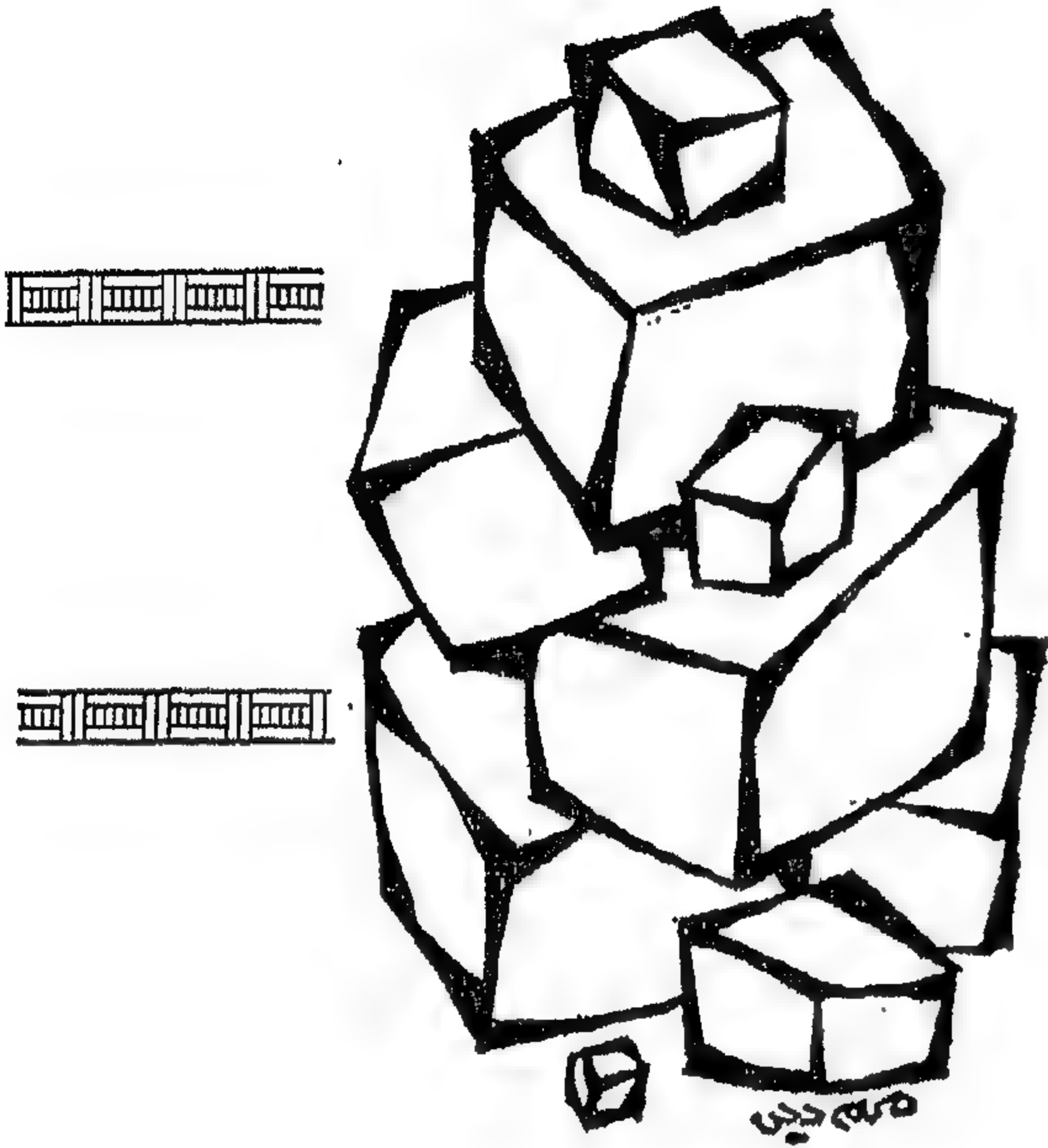
ولقد تميزت السنوات الاخيرة بازدياد نشاط الاحزاب والتنظيمات الوطنية والتقدمية فى تعبئة الجماهير ، كما وان الانتفاضات الشعبية وقصص البطولة التى تصنعها الجماهير فى الضفة الغربية ، وتصاعد الكفاح المسلح فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، قد ساهم فى انضاج الظروف لقيام تعاون حقيقى ووحدة نضالية بين كافة الاحزاب والتنظيمات الوطنية والتقدمية ، وضرورة نبذ الخلافات الثانوية فيما بينها وطرحها الى الخلف فى هذه المرحلة المصيرية ، والعمل على مواجهة الاخطار الكبرى التى تحيق بالاردن حاليا من جانب التحالف الامريكى الصهيونى ، وعجز السلطة الاردنية عن مواجهة مسئوليتها الوطنية فى تحرير الارض المحتلة ، وقطع الطريق على اى محاولة للخيانة *

ويجرى فى الاردن حاليا حوار بين جميع الاحزاب والقوى الثورية لتكوين جبهة شعبية ثورية على اسس ثورية واهداف واضحة ، وتحديد طبيعة العلاقات بين الجبهة وبين حركة المقاومة الفلسطينية *

١٩٦٨ ، وتضم كل الاتجاهات الوطنية والنفابات المهنية وممثلين عن المقاومة الفلسطينية ، وتسم اختيار سليمان النابلسى رئيس الوزراء الاسبق امينا عاما * وقد اظهرت السنوات الماضية تعثر هذه التجربة فى التطبيق نتيجة مضايقات السلطة الحاكمة ومنعها من عقد المؤتمرات ومزاولة النشاط والتهديد المستمر باعتقال الاعضاء ، مما ادى الى انسحاب معظم العناصر اليسورية والاشخصيات العامة من أعضاء البرلمان والوزراء السابقين ، ثم انسحاب ممثلى المقاومة ، وبتزايد الدعوة الان الى ضرورة عودة التجمع الوطنى بصيغة جديدة تضمن وحدة كافة القوى الوطنية والعمل الفدائى بشكل يخدم متطلبات المرحلة الراهنة *

والجبهة الهامة الثانية ، هى تشكيل «جبهة المقاومة الشعبية» فى الضفة الغربية بمبادرة وقيادة الحزب الشيوعى الاردنى فى منتصف عام ١٩٦٩ ، وتضم ممثلين عن كافة الاحزاب الوطنية والتقدمية والمنظمات الشعبية فى الضفة الغربية ، وتتولى تنسيق الكفاح ووحدة العمل مع «الجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة» وقد لعبت جبهة المقاومة الشعبية والجبهة الوطنية المتحدة دورا





قصة التكوين

ثروت كاتبة

يقضى بالغاء التشكيلات الادارية العثمانية ، واستحداث تشكيلات جديدة • وفيه قسمت شرقي الاردن الى لوائى الكرك والبلقاء • • وربطت هذه الالوية مباشرة بالحاكم العسكرى العام • كما أنشأت الحكومة مجلسا للعشائر ، أسندت رئاسته للشريف محمد على بدوى لحل الخلافات الناشبة بين العشائر ، حسب التقاليد المرعية (١) •

الا ان الاحوال ظلت مضطربة فى هذه المنطقة طوال العهد الفيصلى • حيث أخذ البدو فى مهاجمة أسلاك البرق وخطوط السكك الحديدية وموظفى الحكومة • ومقاومة أوامر القاء القبض والامتناع عن دفع الضرائب (٢) مما دفع الجنرال اللذبي فى فلسطين الى ارسال مجموعة من الضباط الانجليز الى شرقي الاردن • وسحب هؤلاء السلطة شيئا فشيئا من موظفى فيصل ، وبما ان سقطت حكومة فيصل فى دمشق ، حتى كانت شرقي الاردن تدار بكاملها بواسطة الضباط الانجليز ، وتولى

تكن شرقي الاردن قد عرفت بهذا الاسم حتى بعد الحرب العالمية الاولى بسنوات قليلة ، اذ كانت ابان الاحتلال العثمانى مجرد جزء من سوريا ولم تكن لهذه المنطقة أهمية تذكر سوى كونها طريقا للحج ، وكانت « متصرفية الكرك » هى المنطقة الادارية الوحيدة فى المنطقة التى عرفت فيما بعد بشرقي الاردن •

وطوال فترة حكم فيصل بن الحسين لسوريا (١٩١٨ يوليو ١٩٢٠) ظلت هذه المنطقة تابعة له • وقد تولى جعفر العسكرى ادارتها بادية الامر بصفته القائد العام للقوات العسكرية فيها • وعين العسكرى حكاما عسكريين فى المقاطعات تساعدهم قوات عسكرية لحفظ الامن والنظام •

وفى ٢ نوفمبر ١٩١٩ صادق فيصل على قرار كان قد اتخذه « مجلس المديرين » فى دمشق ،

[١] منيب الماسى وسليمان موسى [تاريخ الاردن فى القرن العشرين] عمان ١٩٥٩ ص ٨٢ - ٨٧ •
[٢] المصدر السابق ص ٩٤ •

هؤلاء رياسة « الحكومات المحلية » فى منطقة شرقى الاردن (٣)

وعقب طرد فيصل من سوريا أطلقت بريطانيا يد فرنسا فى سوريا مقابل :

١ - عدم مطالبة فرنسا باذخال ولاية الموصل ضمن الحدود السورية .

٢ - اطلاق يد بريطانيا فى فلسطين .

٣ - وضع العراق تحت الانتداب البريطانى .

٤ - ابقاء شرقى الاردن تحت الاحتلال البريطانى (٤)

وفى ٢٢ نوفمبر ١٩١٩ ، أصدر الحاكم العسكرى فى دمشق على رضا الركابى ، بيانا جاء فيه أن « الجيش البريطانى سيحافظ على مواقعه الاصلية فى حوران والكرك ، ولا ينسحب منها » (٥)

ومعروف أن بريطانيا قد اعتمدت فى انتدابها على شرقى الاردن على نص المادة ٢٥ من صك الانتداب على فلسطين . وهو انتداب يصفه كامل حلة بأنه « من الباطن » وبناء على اتفاق سايكس - بيكو السرى ، فان شرقى الاردن كانت ضمن منطقة التنفيذ البريطانى .

وفى ١٦ اغسطس ١٩٢٠ ابلغ هربرت صمويل المندوب السامى البريطانى فى فلسطين الملك فيصل أن بعض مشايخ شرقى الاردن زاروه وطلبوا منه انشاء ادارة بريطانية فى شرقى الاردن ، كما زعم له أنه قد وردته بعض الرسائل من وجهاء شرقى الاردن بنفس المعنى ، مما دعاه الى دعوة زعماء شرقى الاردن الى مقابلته فى مدينة السلط يوم ٢١ أغسطس للتشاور فى هذا الموضوع (٦)

وقد التقى صمويل فعلا بالزعماء الاردنيين فى الموعد المضروب ، وأوضح لهم أن بريطانيا تنوى اقامة ادارة فى شرقى الاردن منفصلة عن فلسطين ، وعليه تم تأليف حكومة محلية فى كل من **السلط والكرك** يدير شئون كل منها احد رجال الادارة البريطانيين يلقب بالمعتمد ، يعاونه مجلس استشارى من وجوه وأعيان المنطقة .

وبسبب الخصومات العشائرية مع بعض عشائر البلقاء (منطقة عمان الآن) لم يحضر زعماء عشائر عجلون اجتماع المندوب السامى . وفى ٢ سبتمبر ١٩٢٠ اجتمع زعماء عجلون بالميجور سميرست ، نائبا عن صوميل ، وقد تم الاتفاق فى هذا الاجتماع على تشكيل حكومة من لواءى الكرك والسلط وقضاءى عجلون وجرش تحت الانتداب البريطانى ، وأن يتخاير سميرست مع المندوب السامى لبحث أمر تنصيب أمير عربى على رأس هذه الحكومة بناء على طلب الزعماء . وأن لا تقوم لهذه الحكومة أية علاقة بحكومة فلسطين وأن يوكل أمر الهجرة اليهودية وبيع الاراضى لليهود لحكومة البلاد مع تشكيل جيش وطنى ، وأن تكون تجارة شرقى الاردن مع فلسطين حرة (٧) .

وبعد ذلك نشأت حكومات محلية فى السلط والكرك واربد . أما معان فقد ضمتها حكومة الحجاز الهاشمية اليها ، فى أواخر ١٩٢٠ الا أن الأوضاع ظلت مضطربة فى داخل الاردن ، بسبب دأب القبائل على شن غاراتها ضد بعضها البعض ، وعجز الحكومات المحلية عن جباية الضرائب ، ودفع رواتب الموظفين والجنود . وعندما أوفد المندوب السامى الكابتن براتقون لانشاء الجيش فى شرقى الاردن ، ثم سرعان ما خلفه الكابتن فردريك بيك .

وفى ٢١ نوفمبر ١٩٢٠ ، دخل الأمير عبد الله ابن الحسين معان ، بعد أربعة اشهر من سقوط حكم أخيه فيصل فى دمشق .

التأسيس

تمكنت من الأمير عبد الله الغيرة ، حين بلغته انباء رغبة السوريين تنصيب أخيه الصغير فيصل ملكا على سوريا . ونشط عبد الله فى التحرك وسط العراقيين الموجودين فى الحجاز وسوريا ، فى محاولة منه للوثوب على عرش العراق . وبناء على طلب من عبد الله ، الح فيصل على زعماء حزب العهد العراقى الموجودين فى دمشق على ضرورة مطالبتهم بأخيه عبد الله ملكا على العراق . وفعلوا قرر زعماء العراق فى دمشق يوم ٨ مارس العمل من أجل استقلال العراق والمناداة

[٣] كامل حلة [التطور السياسى فى المملكة الاردنية] ١٩٦٩ ، جامعة القاهرة ، رسالة ماجستير ص ٢٣ .

[٤] أمين سعيد [الثورة العربية الكبرى] القاهرة ١٩٣٤ ، ج ٢ ص ٨٩ .

[٥] المصدر السابق ، ص ٩٣ .

[٦] المصدر السابق ، ص ٦ ، الجزء الثالث .

[٧] أمين سعيد ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٨ - ٩ .

ديسمبر الى تثبيت الحدود بين مناطق نفوذهما في الشرق العربي .

والح فيصل على عبد الله كي يلزم جانب الاعتدال ، والا يريك « الحكومات المحلية » (١٢) ومع ذلك واصل عبد الله « مشاغباته » ، وغادر يوم ٢٨ فبراير معان الى عمان بالقطار . وقوبل الامير وحاشيته بالترحاب الشديد من الاهلى والمسؤولين الانجليز على السواء وذلك فى المحطات التى كان القطر يتوقف فيها (القطرانة وزيزيا) ، وفى عمان استقبله جمهور كبير من أرجاء شرقى الاردن يوم ٢٠ مارس ، وبعد ايام اخذ الامير عبد الله فى اصدار الاوامر من عمان ، وانتهى بذلك عهد الحكومات المحلية .

وفى ٥ مارس ١٩٢١ ، عين عبد الله ، عونى عبد الهادى رئيسا لديوانه ، وكان هربرت صمويل قد اوفد عبد الهادى الى عبد الله فى معان عشية سفره الى عمان ، ليطلب اليه التريث فى موضوع السفر الى عمان . وفى اليوم القالى لتعيينه ، سافر عبد الهادى الى القدس حاملا لصمويل رسالة من عبد الله يرجوه فيها مساعدة رئيس ديوانه على مقابلة ونستون تشرشل ، وزير المستعمرات البريطانى ، الذى كان سيصل بعد ايام الى القاهرة ، وفى الرسالة تأكيد من عبد الله بأنه سيلتزم الهدوء ، وبعد اسبوع عاد عبد الهادى الى عمان ، ومنها سافر الى القاهرة صباح ١٦ مارس ، حاملا رسالة من الامير عبد الله الى تشرشل ، يؤكد فيها الامير أنه جاء الى المنطقة ليقوم بالنيابة عن اخيه فيصل بادارتها ، وعاد الامير ليؤكد لتشرشل تجنبه أى عمل يعكر صفو الامن (١٣) وقد طلب تشرشل من عونى عبد الهادى ابلاغ عبد الله ضرورة الحضور الى القدس لمقابلة تشرشل فيها .

ومن المعروف أن تشرشل كان قد وصل الى القاهرة فى ١٠ مارس ليرأس مؤتمرا خاصا ، عقد فيما بين ١٢-١٤ مارس لدراسة مشاكل الشرق الاوسط عموما والعراق وشرقى الاردن بصفة خاصة ، بعد انفجار ثورة العشرين فى العراق ، وما ترقب عليها من مشاكل لسلامبراطورية

بعبد الله ملكا عليها (٨) ، الا ان نشوب ثورة العشرين فى العراق حال دون تنفيذ مقررات الزعماء العراقيين ، مما دفع عبد الله الى شد الرحال للقاهرة فى اواخر ابريل ١٩٢٠ ، مستجديا من اللورد اللنبى ، المندوب السامى بالقاهرة ، تنصيبه على عرش العراق ، الا أن المندوب البريطانى رده بخشونة (٩) مما دفعه الى العودة نكة فى منتصف مايو . واستقالته فى اول يونيو ١٩٢٠ من وكالة الخارجية ، وهو المنصب الذى كان يشغله فى حكومة والده بالحجاز .

وبعدها تجددت الحملة لتنصيب عبد الله على عرش العراق . وفى ٢٨ يونيو ١٩٢٠ ، نادى قادة الثورة العراقية باستقلال البلاد وتنصيب الامير عبد الله على عرشها ، وبعد اربعة ايام وقع شيوخ الرمثية والسماوة فى العراق عريضة تتضمن مبايعة عبد الله . ثم تبعهم شيوخ عشائر حزام آل حسن والنواشير (١٠)

وبسقوط حكم فيصل فى سوريا ، كف زعماء العراق عن المطالبة بعبد الله ، وأخذوا فى المذااة بفيصل ملكا عليهم . واتخذ المجلس الحربى للثورة العراقية قرارا بذلك فى ١٠ أكتوبر ١٩٢٠ وعندها اختار الحسين بن على ابنه عبد الله ليكون وكيل اخيه فيصل فى حكم ما حول سوريا من الاراضى التى لم يحتلها الفرنسيون وفى ٢١ نوفمبر ١٩٢٠ وصل عبد الله ، على رأس حوالى مائتى فارس الى معان ، بعد أن عينه والده أميرا عليها (١١)

وأخذ عبد الله بمجرد وصوله الى معان فى تحريض السنوريين على الفرنسيين ، واعسدا بنجدتهم أن هم ثاروا ضدهم ، وبأشر عبد الله اتصالاته بالسوريين وزعماء العشائر فى شرقى الاردن لهذا الغرض . وقد أدت هذه المناورات من جانب عبد الله الى قلق فرنسا وحشدها لقواتها فى جبل الدروز وحروران ، وأجرت فرنسا اتصالات عاجلة بالانجليز لوقف حركة عبد الله . فكان أن استدعى كيرزون وزير خارجية بريطانيا آنذاك الامير فيصل الى لندن فى أوائل ديسمبر ١٩٢٠ ، وأبلغه استياء حكومته من تصرفات اخيه عبد الله وسارعت الحكومتان الفرنسية والبريطانية فى ٢٣

[٨] أنيس صايغ [الهاشميون والثورة العربية الكبرى] دار الطليعة ١٩٦٦ - ٢١٧ - ٢١٨ وأمين سعيد المصدر السابق الجزء الثانى ، ص ٣٥ - ٣٧ .
[٩] [مذكرات الملك عبد الله] ص ١٥٢ .
[١٠] فريق المزهراى فرعون [الحقائق الناصعة فى الثورة العراقية] ج ١ . ١٩٥٢ ، بغداد ص ١٧٧ و ١٨٩ - ١٩١ .
[١١] كامل خلة ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .
[١٢] [مذكرات الملك عبد الله] ص ١٥٦ - ١٥٧ .
[١٣] كامل خلة ، المصدر السابق ، ص ٧١ - ٧٢ .

البريطانية وقد أوصى مؤتمر القاهرة أن يقرأس
الامير عبد الله ادارة حكومة عربية تدير شرقي
الاردن (١٤)

وبعد ارفضاض مؤتمر القاهرة ، توجه تشرشل
وبعض أعضاء المؤتمر الى القدس ، حيث وصلوها
فى ٢٤ مارس ١٩٢١ واستدعى صمويل الامير عبد
الله فوصلها بعد ثلاثة أيام من وصول تشرشل
اليها . وكان لورنس قد أسر اليه وهو فى طريقه
للقدس بخبر تنصيبه اميرا على شرقي الاردن ،
طالباً منه العمل على أحباط الحركات الثورية فى
سوريا . وطلب من تشرشل اسداء النصيح لاختيه
فيصل كى يترك سوريا ويتوجه للعراق ، ليرشح
نفسه ملكاً عليها . ويقول عبد الله فى مذكراته أن
تشرشل طلب « ان ابقى انا فى شرقي الاردن على
تفاهم مع الفرنسيين ، فأسير الناس سيرة تبتعد
عن تحديهم . وهنا طلب عبد الله من تشرشل
استمهاله لاستفتاء مراقبيه فى أمر توليه اماره
شرقي الاردن باعتبارهم « زعماء البلاد » وكانت
موافقتهم على تنصيبه بالاجماع (١٥)

وقد خرج عبد الله بعد اجتماعه الاول بتشرشل
ليقول لرئيس ديوانه « ان تشرشل قصم
ظهري » (١٦) فقد أملى تشرشل على الامير
الهاشمي كل ما أراد من شروط دون مقاومة تذكر
من جانب الامير الهمام !

وهكذا أصبح عبد الله اميرا لشرقي الاردن —
تحت الاختبار لمدة ستة أشهر — يعاونه بعض
الموظفين والضباط الانجليز . ويتعهد الامير بعدم
الاعتداء على سوريا او فلسطين ، وان يتعاون مع
المندوب السامي بفلسطين ، وان تنشئ بريطانيا
قاعدتين جويتين فى عمان والكرك ، وأن تقدم
مساعدة مالية للامارة (١٧)

وفى ١٠ أبريل ١٩٢١ بعث عبد الله برسالة
لوالده الحسين بن علي ، أخبره فيها أنه قد تولى
امارة شرقي الاردن نيابة عنه ، وأنه قبل « الخطط
السياسية المعقولة التى رسمتها بريطانيا » لتعذر
استرجاع سوريا بدون معونة دولية ، ولعجز
الشعب السوري عن انجاز ذلك « ولعدم امكان
رجوع فيصل الى سوريا برضى من فرنسا » (١٨)

وقام رشيد طليح بانشاء الجهاز الادارى فى
الامارة بتكليف من عبد الله ، ثم تولى رئاسة أول

حكومة لشرقي الاردن فى ١٢ أبريل ، وعينت
بريطانيا المستر ابرامسون معتمدا لها فى عمان
وفى يد المعتمد البريطانى كانت تتركز كل
السلطات .

وفى ١٨ أبريل ١٩٢١ زار هيربرت صمويل عمان ،
وصحبه فى الزيارة ديدس ، السكرتير العام
لحكومة فلسطين ولورنس وادوارد هاي . وفى
ديوان الامير الهاشمي القى صمويل خطاباً فضح
فيه الهدف من اقامة الامارة ، حيث أشار الى مهمة
المعتمد والموظفين البريطانيين هى « المحافظة على
النظام والامن العام » وطالب بتكوين قوة
احتياطية « تستخدم مع الجندرية فى توطيد سلطة
الامير » ووعد بأن تقدم بريطانيا عند الضرورة
طائرات وسواها من المعونة الفنية لاغراض
محلية . . . ولكبج جماح كل من يعكر صفو الامن فى
الاراضى المجاورة غرباً وشمالاً » . ورد الامير عبد
الله شاكرًا لصمويل ثقته ، مؤكداً له « أن الامة
العربية ستبرهن على أنها قادرة على تحقيق الامال
التي وضعت فيها ، وأنها جديرة بكل مساعدة
تقدمها لها حليفتها الكبرى » . وغنى عن القول أن
« الامة العربية » عند عبد الله هى سموه الكريم (١٩)
وبقيامها أدت شرقي الاردن أجل الخدمات
للاستعمار والصهيونية .

● فتوسطها بين البلدان العربية (العراق
وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر والسعودية
والكويت) مكن الاستعمار من السيطرة على طرق
المواصلات المختلفة بين البلدان المذكورة ، وتأمين
خطوط البترول الممتدة من الكويت الى لبنان ومن
العراق الى فلسطين والتي تمر بشرقي الاردن .

● قام الامير عبد الله ، الملك فيما بعد ، ومن
بعده حفيده حسين ، والحكومات الاردنية
المتعاقبة ، والجيش العربى ، بدور الهراوة ضد
حركات التحرر الوطنى فى المنطقة لحساب
الاستعمار والصهيونية

● قيام حكومة شرقي الاردن حمى الصهيونية
فى فلسطين من غزوات البدو الاردنيين التى كانت
متوقعة الحدوث فى حالة عدم قيام حكم مستقر فى
شرقي الاردن .

● أدى عبد الله أجل الخدمات للاستعمار
الفرنسى ، بخنقه الحركات الثورية فى سوريا .

[١٤] ر. بولارد [بريطانيا والشرق الاوسط] الطبعة الانجليزية ، ص ١١٢ — ١١٤ .

[١٥] [مذكرات الملك عبد الله] ص ١٥٧ — ١٥٨ .

[١٦] كامل خلة ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .

[١٧] خير الدين الزركلى [هامن فى عمان] ص ٤٩ .

[١٨] وثيقة نشرها كامل خلة ، المصدر السابق ، ص ٤٤١ .

[١٩] [مذكرات الملك عبد الله] ص ١٥٨ — ١٥٩ .



ملاحم الخريطة الطبقية

في

الأردن

عبد العال الباقوري

رسالة «عبد الله بن الحسين» في ١٦ مارس ١٩٢١ - بعد أيام من دخوله الى عمان - الى تشرشل ، وزير المستعمرات البريطاني وقتئذ. تعهد عبد الله في هذه الرسالة أنه لن يقوم بأي عمل يعكر الصفو بين منطقة شرق الاردن وبين فلسطين أو سوريا . (١) وكان هذا التعهد بعض ما دفع ثمنه لبقائه حاكما لشرق الاردن .

أما أهداف بريطانيا ، التي حركتها الى تنفيذ هذا المشروع ، فكانت متعددة ، ما بين سياسية مثل تنمية الصداقة الهاشمية . . واستراتيجية تتلخص في ضمان الحفاظ على الطريق البري الذي تسيطر عليه بريطانيا بين البحر المتوسط وخليج البصرة ، الى جانب أسباب أخرى يقف على رأسها : رغبة بريطانيا في أن لا ترى أي قوة أخرى ، منافسة لها ، تفرض نفوذها على هذه المنطقة (٢) وتحقيقا لهذا ، حرصت بريطانيا على أن يظل الاردن كيانا هزيعا وضعيفا خاصة من الناحية الاقتصادية ، ليظل في حاجة دائمة الى المعونة والمساعدات ، والهبات البريطانية ، وليبقى بالتبعية في قبضة السيطرة البريطانية ، التي أخذت شكل الاستعمار

الكيان الاردني نجاحا منقطع النظير - ولابد من الاعتراف بهذا - في تحقيق الاهداف ، وفي أداء المهام التي خطتها ورسمها صانعوها

نجاح

وضاموا بقائه من القوى الاستعمارية والامبريالية . . وقد ارتبط تاريخ هذا الكيان المصطنع اكبر الارتباط واثقه بالسياسة الاستعمارية في المنطقة العربية عموما ، منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، والقضاء على ممتلكات «الرجل المريض» وتقسيم هذه الممتلكات بين القوى الاستعمارية الكبرى ، والعمل على خلق الدولة الصهيونية . . واذا كان خلق الكيان الاردني مشروعا بريطانيا في الاصل فان تنفيذه خدم المصالح الاستعمارية والامبريالية الاخرى مثلما خدم المصالح البريطانية أصلا .

ومع التسليم بأن شرق الاردن لم يكن بعيدا عن المطامع التوسعية الصهيونية ، منذ البداية ، فان خلق هذا الكيان - المستقل والمصطنع - خدم الصهيونية في فلسطين ، حين تكفل بحمايتها من غزوات البدو من الجهة الشرقية ، مثلما ساعد على استقرار النفوذ الفرنسي في سوريا ، أكدت هذا

[١] كامل محمود خلة : التطور السياسي في المملكة الاردنية ١٩٢١ - ١٩٤٨ . بحث للماجستير ، غسير

منشور ، جامعة القاهرة ، كلية الاداب ٦٨ - ١٩٦٩ . ص ٧٢ ، ٧٩ .

[٢] Lenczowski, George. The Middle East in World Affairs. Cornell University Press, New York, Third ed., 1966. p. 447.

المباشر، رغم الغطاء الشكلي المسمى بالانتداب • واعتمدت بريطانيا في هذا على وجود « هيئة بريطانية » تآلفت من المعتمد البريطاني والموظفين البريطانيين الذين أشرفوا على جميع شئون إدارة منطقة شرق الاردن (٣)

مجتمع شبه عشائري

وصحب هذا ارتباط الاردن اقتصاديا (لأول مرة) بالسوق الرأسمالية العالمية ، مما هيا لحدوث مجموعة من التغيرات الطفيفة في بنية المجتمع (٤) : اتساع السوق ، التحول من نظام الاكتفاء الذاتي البسيط الى المبادلات واستخدام النقد ، زيادة الرقعة الزراعية ، نشوء الاجهزة الحكومية ، مد خطوط مواصلات ، ظهور قوى الامن والبوليس • الخ • ورغم أهمية هذه التغيرات وغيرها الا انها لم تؤد ، في مجموعها ، الى تغير كفي في هيكل الانتاج الاردني ، ولا في وسائله ولا في العلاقات الانتاجية السائدة التي تنشأ عنه وتترتب عليه • ان يمكن القول ، ان شرق الاردن ، بقي - بصفة عامة - وحتى بعد الحرب العالمية الثانية مجتمعا شبه عشائري وشبه اقطاعي ، يعتمد على زراعة بدائية ، مع بذور تطور رأسمالي في مجتمع مستعمر ، وخاضع لعلاقات وقوانين السوق الرأسمالية العالمية ، وهي بذور لن يقيض لها النمو ، الى حد ملموس ، الا في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وبعد ١٩٤٨ بالذات حيث اتسع نطاق السوق بسبب ضم الضفة الغربية وما ترتب على هذا الضم من نتائج مختلفة ، ومتعددة الوجوه •

وحيث استقر النفوذ البريطاني في شرق الاردن ، كانت تسوده وتسيطر عليه العلاقات العشائرية وما يصحبها من غزوات وقلاقل ، تجعل من كل عشيرة كيانا خاصا ، له قوته الذاتية ، التي تخضع لتحكم زعيم العشيرة ، الذي لم يكن يتردد في أن يستخدم قوته ضد « السلطة المركزية » ، فهو لم يتعود وجودها ، ولا يقبل بسهولة الخضوع لها ، كما أن العشيرة لا تعرف سيذا آخر سوى زعيمها • ولذلك لم تحاول السلطات البريطانية

نزع هبة الزعماء والوجهاء العشائريين • وانما عملت على ابقائها سواء في الريف أو البادية ، في الريف ، حيث يوجد انصاف البدو الذين يسكنون الخيام ، ويحافظون على أسلوب حياتهم القبلي ، وفي البادية حيث البدو الرحل الذين يعيشون على تربية الماشية ، بينما اعتمد عدد قليل منهم على الزراعة ، التي يأنف البدوي من ممارستها ، ويرى فيها عملا منحطا ، حتى أنه كان يستأجر « مزارعين آخرين للقيام بها في ارضه » وهكذا أصبح شيوخ العشائر وسطاء بين الافراد والدولة ، يجنون مكتسبات مادية ضخمة ، نتيجة مشاركتهم في النظام الاوتوقراطي (٥) •

ولكن هذا لم يحل دون حدوث عملية تحول من البداوة الى الزراعة • ومن العشائرية الى الاقطاع • ومن المهم أن نلاحظ أنه في المرحلة الاولى للتحول من البداوة الى الزراعة ، بينما استمر الفرد البدوي في ممارسة نمط حياته العادي ، فان شيوخ القبائل ورؤساءها تحولوا شيئا فشيئا الى « اقطاعيين » يملكون أو يشرفون على ارض يؤجرونها (٦) ، هذا بينما يقف البدوي الراغب في التحول الى الزراعة عاجزا عن تمويل العملية الانتاجية الزراعية ، وكان هذا العامل أحد الاسباب التي قللت من سرعة وتيرة التحول الى الزراعة • فحتى عام ١٩٣٥ كان عدد البدو في الضفة الشرقية يقدر بـ ٢٠٠٠٠٠ بدوي (٧) • ولكن لم يأت عام ١٩٣٨ - حتى كان لدى كل عشيرة قسم خاص من الارض تقوم بزراعته ، وفي عام ١٩٣٩ ، كما يؤكد جلوب ، لم تكن توجد عائلة بدوية في مشرق الاردن لا تملك نصيبها من محصول القمح (٨) ومع هذا ، وفي ظل سياسة الاستعمار البريطاني وسياسة الحكم الاردني في الحفاظ على نفوذ شيوخ العشائر ، فان كل قبيلة كان لها طابعها الخاص في القبول بالتوطن ، والميل الى نوع خاص من الاستقرار ، مما أبقي العلاقات العشائرية حية ومستمرة ، لم تنزع كئيرا • وحيث ان العلاقات بوسائل الانتاج هي العلاقة الرئيسية التي تحدد الفوارق الطبقيّة ، ففي مثل

[٣] كامل خله ، مرجع سابق • ص ٣٩ •

[٤] مصام أحمد : العلم والانتاج في الاردن • دراسات عربية ، السنة الثامنة ، العدد الاول ، نوفمبر ١٩٧١ •

ص ١١ •

[٥] كامل خله ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ •

[٦] خليل هندي : التعبئة الاردنية ضد المقاومة الفلسطينية قبل هجمة سبتمبر ١٩٧٠ • شئون فلسطينية ،

العدد ٤ ، سبتمبر ١٩٧١ •

[٧] Ronik off, A. Transjordan An Economic Survey, Economic Research Institute of

The Jewish Agency for Palestine, Jerusalem, 1946. p. 50.

[٨] خليل هندي ، مرجع سابق • ص ٤٩ • كان عدد السكان لا يتجاوز ٢٠٠ ألف نسمة •

هذا المجتمع الريفي - البدوي لم تكن الفوارق الطبقيّة واضحة بشكل حاسم ومحدد ، لأن وسائل الانتاج الزراعي المستخدمة وقتئذ وسائل بدائية ومتخلفة للغاية ، والزراعة تعتمد على المطر الذي تختلف كميته من عام لآخر ، الى جانب ضعف التربة الزراعية ، مما خفض انتاجية الارض ، وجعلها تتقلب من عام لآخر .

ومن جانب آخر ، لم تعرف الاردن - حتى قيام الحرب العالمية الثانية - الصناعة بمعناها الحديث ، مع استثناء بعض «مصانع» السجاير ، والى حد ما الكحول التي انشئت بمعونات حديثة ، ملكها البريطانيون ، وكان عدد العاملين في صناعة السجاير ٢٥٠ عاملا . وما عدا ذلك ، فحرف أو ورش صغيرة ، اعتمدت في الاساس على منتجات زراعية (٩) ومحصلة كل هذا ، ضعف الاقتصاد الاردني ، بحيث لم يستطع العيش الا على المساعدات والقروض والمنح الاجنبية ، التي كانت تربو على الموارد المحلية . ولم تهدف هذه المعونات البريطانية الى تطوير اقتصاد الاردن وانما استهدفت في الاساس تثبيت النفوذ البريطاني سواء من خلال فرض اشرافها التام على القوات العسكرية في البلاد ، أو في فرض الرقابة المالية (١٠) .

وفي ظل هيكل اقتصادي مثل هذا ، يبرز دور التجارة الخارجية ، وبالذات الواردات ، مما أدى الى نمو البورجوازية التجارية ، التي نمت في اكناف التعامل مع السوق الاجنبي والشركات الاجنبية ، وهو ما أعطاها طابعها الكومبرادوري والعميل .

واذا كانت ظروف الحرب العالمية الثانية قد ساهمت في نمو وتطور مجتمع شرق الاردن بما أتاحت من امكانية النمو في الصناعة الاردنية ، وظهور قوى اجتماعية جديدة في ظل تشديد السيطرة الاستعمارية لقبضتها على المراكز الرئيسية لاقتصاديات البلاد ومرافق التجارة ، فان التأثير الاكبر في المجتمع الاردني انما جاء بعد ١٩٤٨ ، وبالذات بعد ضم الضفة الغربية ، اذ أدى هذا الى آثار عميقة في الاوضاع الاردنية : اتساع المساحة ، وزيادة السكان وما عكسه هذا من اتساع السوق الداخلي ، كما كسب شرق الاردن من مأساة فلسطين : « استثمارا لمواهب سكان قسم كبير من فلسطين ، وافادة من رأسمالهم الكبير ، من علم وثقافة وخبرة ورصيد وطني ، ومعرفة ادارية ونمو اجتماعي ورفق حضاري



عبد الله بن الحسين



فوزي الثاني



حسين الثاني

وأموال ، الى جانب استثمار أرض فلسطين الطيبة الغنية الخصبة اذا ما قيست بأرض شرق الاردن

[٩] Banikoff. op. cit., p. 61 - 62.

[١٠] كامل خله ، مرجع سابق ، ص ٢٥٣ . فيما بين ٣٧/٣٨ و ٤٧/٤٨ كانت الميزانية الاردنية تعاني عجزا سنويا بلغ في المتوسط ٤٥ ٪ ، مدته المساعدات البريطانية . عصام أحمد ، مرجع سابق ص ١١ - ١٢ .

مشدودة في ثقافتها. وآفاقها لاصولها العشائرية -
الاقتصادية « (١٣) » .

● ومع عدم حدوث تطور اقتصادي سليم ظل الاقتصاد الاردني مشدودا الى الاعتماد على المساعدات الاجنبية التي ظلت تربو على الموارد المحلية . وحدث تغير في مصدر هذه المساعدات ، فاحتلت الولايات المتحدة الامريكية المركز الاول - بدلا من بريطانيا - في تقديم المساعدات للاردن . ولم توجه هذه المساعدات الى احداث تنمية حقيقية حتى في اطار المفهوم الرأسمالي ، بل وجهت أساسا الى الانفاق على الادارة ، وأجهزة الامن ، وكل ما يدعم النظام القائم .

● وادى هذا الى نتيجة بالغة الخطورة على مجمل الاقتصاد الاردني ، حيث تراجع نصيب القطاعات الانتاجية الصناعية والزراعية في الدخل القومي ، لصالح بروز دور الخدمات (١٤) والتجارة في الدخل القومي ، كما يتضح من الجدول التالي :

السنة	الصناعة	الزراعة	الخدمات
١٩٥٤	٦	٢٩	٥٥
١٩٦٦	١٢	١٩	٦٦

وأصبحت التجارة قطاعا رئيسيا في الاقتصاد الاردني ، ويكاد تصل نسبة الدخل التجاري الى اجمالي الدخل القومي الى الخمس . وبذلك أخذ قطاع التجارة « موقعا قائدا للقطاعات الاخرى ضمن بنية الانتاج في الاردن منذ اوائل الخمسينات مكرسا بذلك توجهات الطبقة السائدة ذات الطبيعة الكومبرادورية » (١٥) .

على ضوء هذه الخلفية العامة ، يمكن تحديد بعض ملامح التكوين الطبقي في الاردن :

البدو والجيش والنظام

لا يزال البدو يمثلون قوة بشرية هامة في الاردن ، اذ يقترب عددهم من ١٠٠ ألف حاليا

الصحراوية الجافة في غالبيتها « (١١) » . وبعبارة موجزة ، وان كانت لا تلخص كل الآثار الهامة لضم الضفة الغربية ، فان الاردن ضم منطقة أصبحت تساهم بحوالي ٣٦ في المائة من اجمالي الناتج المحلي . وعكس ذلك نتائج عديدة على هيكل الاقتصاد الاردني - الفلسطيني وعلى التكوين الاجتماعي في البلاد .

المعالم الرئيسية

وحتى تتضح صورة الواقع الاردني الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، يجب ان نرصد بعض المعالم الرئيسية التي رسمت تطوره منذ ضم الضفة الغربية ، حتى الان ، فهذه المعالم - بالإضافة الى ما سبق - هي التي تساعد في تحديد بعض ملامح التكوين الطبقي في الاردن .

وبإدنى ذي بدء ، فان التطور الذي شهدته البلاد ، كان محكوما بشروطين أساسيين :
الاول : هو استمرار الخضوع للاستعمار الاقتصادي وسياسيا ، بل وتعزيز السيطرة الامبريالية .

الثاني : حدوث درجة ما نحو التطور الرأسمالي ، ولكن في اطار بنية اقتصادية اجتماعية متخلف في بلد مستعمر أو شبه مستعمر .

في اطار هذين الشرطين تم التطور في الاردن : عملت السياسة الاستعمارية على تدعيم النظام الاقتصادي ، وعرقلة التقدم الصناعي الذي اقتصر على نشوء صناعات استهلاكية خفيفة ، مع بعض الصناعات التحويلية ، اذ نشطت البرجوازية الاردنية - الفلسطينية في مجالات الاستثمار التجاري والعقاري ، واسهمت - تحت مظلة الحماية الحكومية والتسهيلات والمساهمات المادية - في اقامة الصناعات التي سمح بها وضع البلاد في اطار علاقات السوق الرأسمالي العالمي (١٢) « وقد شدد النشاط التجاري والعقاري والاستثمارات الصناعية الممكنة بعض الفئات من القوى التقليدية في الضفة الشرقية فاندفعت نحو الاستثمار الجديد للثروة مع بقائها

[١١] انيس صايغ : فلسطين والقومية العربية . مركز الابحاث ، بيروت ، أكتوبر ١٩٦٦ ص ٩٨ - ٩٩ .

[١٢] عصام أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

[١٣] نفس المصدر .

[١٤] « ارتفاع نصيب قطاع الخدمات يعني ما يتسم به هذا القطاع في البلاد العربية من انخفاض مستوى الانتاجية وشيوع البطالة المقنعة ، على الاخص اذا قورن بالصناعة التحويلية ، وتعكس ظاهرة ارتفاع نصيب الخدمات ندرة الارض ورأس المال ، كما هي الحال في مصر والاردن ، أو تضخم الجهاز الحكومي كما هي الحال في مصر ، وإلى درجة أقل في سوريا أو ميل عريق الى حرفة التجارة ، كما هي الحال في لبنان وسوريا وإلى درجة أقل في الاردن » . د. جلال أمين : مذكرة التطور الاقتصادي في البلاد العربية . [استنساخ] كلية الحقوق ، جامعة عين شمس [١٥] الدراسات العليا ، ١٩٧١/١٩٧٠ .

[١٥] عصام أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

حسب بعض التقديرات . وإذا كان رعى الماشية هو العمل الانتاجي الغالب على نشاطهم ، الا أنهم يزاولون الى جانبه بعض الاعمال الزراعية ونشاطات اخرى مثل البناء ، والمحاجر والخدمات ، (خصوصا الحراسة) (١٦) .

ونظرا لان النظام اعتمد منذ قيامه على استرضاء البدو ، وعدم استثارة عداواتهم ، فانه حرص على ربطهم به اقتصاديا ، حتى اصبح يشكل فعلا المعول الاقتصادي للبدو بمجموعهم . وقامت سياسة النظام هنا ، والتي رسمها الخبراء البريطانيون وعلى رأسهم جلوب ، على توفير « مورد رزق » دائم لهم ، اتخذ شكل هبات ومنح مالية تدفع للشيوخ أو رواتب تدفع لمن يخدمون في الجيش ، الذي اعتمد في بنائه على البدو ، فصاروا أساسه وقوته الغالبة . واستفاد النظام من ذلك : اتقى شر البدو من جهة ، وكرس ولاءهم الاعمى له ، لان البدوى بطبعه وضيق آفقه لم يعد يرى في الجيش سوى قبيلته ، ولم يعد يرى في الملك سوى شيخ هذه القبيلة التي يدين لها بكل ولاءه ، وبكل طاعته واخلاصه . ولم يعد الجيش جيشا « للاردن » أو حتى للنظام بقدر ما أصبح جيش الملك ، والملك وحده ، يوجهه فيطيع ، ويأمره فيطيع . وفي سبيل تأكيد هذا الولاء وتعميقه « يحافظ النظام بل ويعزز موقع الجيش المتميز اقتصاديا واجتماعيا ، فراتب الجندي الاردني مرتفع جدا بالمقارنة مع رواتب الجنود في الجيوش العربية الاخرى ولا يفوقه سوى راتب الجندي الكويتي . كما تقدم لافراد الجيش تسهيلات اقتصادية واجتماعية متعددة (١٧) ولذلك أصبح نصيب الانفاق الدفاعي يفوق أي نصيب آخر في الميزانية العامة وهو يتراوح في الفترة من ٥٧ - ١٩٦٨ - ما بين ٤١ و ٥٢ في المائة » اي أن الجيش ينفق أو يكاد أكثر من كل الوزارات ودوائر ومؤسسات وسلطات الدولة مجتمعة » (١٨) . واستنادا الى ما سبق « يمكن الافتراض أن الجزء الأكبر من الانفاق الدفاعي يصرف على الاجور وغيرها من المصاريف المحلية » . واصبح « جيش البدو » هو الابن المدلل للنظام ، وحارسه الامين في نفس الوقت ، بحيث لا يألوا النظام جهدا

في « ضمان سيطرة العنصر البدوي على الوحدات الضاربة » داخل الجيش . ويقف هذا سببا أساسيا وراء عزوف النظام عن فرض التجنيد الاجباري لان مثل هذا النظام سيخل بتركيبة الجيش ويتكوينه البدوي ، وهو ما لا يريده النظام . وحين فرض النظام التجنيد الاجباري بعد ١٩٦٧ ، لم يجرؤ على الاستمرار فيه ، فألغى هذا النظام عشية مذبحه سبتمبر ١٩٧٠ .

هذا من ناحية البدوي العادي الذي يرى في الجيش « ملجأه الوظيفي الوحيد » الذي أدى به الى الارتباط بالنظام والاعتماد عليه . ولم تختلف علاقة شيوخ عشائر البدو في علاقتهم بالنظام كثيرا عن ذلك ، الا من ناحية الوسيلة التي ربطتهم بالنظام وثقت علاقتهم به . فقد حرص النظام على عدم اضعاف هيبة شيوخ العشائر ، وانما أبقى هذا النفوذ ودعمه ، وجعل من الشيوخ وسيطا بينه وبين الفرد البدوي العادي ، ومنح هؤلاء الشيوخ امتيازات خاصة ، اذ منح أبناءهم الاولوية في نيل المناصب الحكومية العالية ، وساعد النظام في تحويل شيوخ العشائر الى طبقة من الاقطاعيين الذين أقطعهم مساحات واسعة من الاراضي الزراعية ، وجعلهم شركاء في الحكم من خلال تعيينهم في مجلس الاعيان - أحد مجلس البرلمان الاردني - وفي الوزارات ووظائف الدولة الهامة .

وباختصار لازال التكوين البدوي العشائري يلعب دوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الاردن ، وإذا كان الدور الانتاجي للبدو - في تربية الماشية - قد تزعزع ، فان البدوي تحول الى فلاح شبه مستقر ، ولكن التحول الاعمق في الحياة البدوية هو ارتباط البدو بالنظام ، واعتماد الجيش عليهم في بناء قوته الضاربة ، هذا بينما تحول شيوخ القبائل وجهائهما ليكونوا طبقة الاقطاعيين وكبار الملاك العقاريين الى جوار الاسرة الحاكمة .

في الريف

انحطت مكانة الزراعة في اقتصاد الاردن ، وتدنت مساهمتها في الدخل القومي ، وهي

[١٦] خليل هندي ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

[١٧] نفس المصدر .

[١٨] المصدر السابق ، ص ٣٥ .

مساهمة منخفضة أصلاً بسبب غلبة الصحراء ، وقلة الموارد المائية ، وعدم انتظام المطر ، وفقرة التربة ، وبدائية أساليب الزراعة وأدواتها .

فقد احتلت « الخدمات » المركز الأول في الدخل القومي ، وجاءت الزراعة في المركز التالي ، وبعد أن كان القطاع الزراعي يقدم العمل لأكثر من ٤٠ في المائة من القوى العاملة ، أصبح يستوعب فقط ٢٥ في المائة من هذه القوة ، وقل اعتماد الريفيين على الزراعة ، ووجهوا أنفسهم إلى العمل في أجهزة الدولة والجيش والهجرة إلى الخارج (١٩)

وشهدت السنوات الحديثة نمواً في القطاع الزراعي ذا طابع رأسمالي ، مع تركيز الملكية في الاستثمار الرأسمالي الزراعي . وساعدت الحكومة والخبرات الأجنبية على تشجيع هذا الاتجاه . وبدأ التوسع في استخدام الآلات الزراعية الحديثة ، ففي عام ١٩٦٤ أصبح يوجد في البلاد ١٨١٥ جراراً ، وهو رقم يعادل أربعة أضعاف عدد الجرارات في ١٩٥٦ . وبذلت جهود حكومية - بمعونة أجنبية - لتوفير المياه من خلال مشروعات السدود والقنوات مثل مشروع قناة الغور الشرقية ، وحفر الآبار « مشروع مياه الأزرق » . وبالنسبة لأراضي الغور الشرقي أصدرت الحكومة « قانون قناة الغور الشرقية » قسمت بموجبها الأراضي إلى وحدات زراعية تتراوح مساحتها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ دونم (٢٠) وقامت بتوزيعها على الملاك الأصليين ومزارعين آخرين .

ونتيجة لهذا التطور ، أصبحت أشكال العمل الزراعي في الريف الأردني متعددة وتجمع بين بعض أشكال الاستغلال الرأسمالي والقطاعي ، مع غلبة هذه الأشكال الأخيرة .

ومن الصحيح أن « المعيار السليم لتحديد أية فئة اجتماعية ليس حجم الملكية الزراعية بقدر ماهو أسلوب استخدام القوى العاملة ، بالإضافة إلى معرفة نوع العلاقات الإنتاجية بين مختلف الفئات الاجتماعية في القرية » . ولكن يبقى لحجم الملكية الزراعية وزنها واعتبارها في تقسيم الطبقات الاجتماعية وتحديداتها .

ويأتي في مقدمة هذه الطبقات طبقة كبار الملاك الزراعيين الذين تحتل الأسرة الهاشمية مكاناً

بارزاً داخلها . بجانب شيوخ العشائر الذين أصبحوا من كبار الملاك الزراعيين . فالأسرة الهاشمية تستولي على معظم الأراضي الخصبة في البلاد ، ويبلغ مجموع الأراضي التي يملكها الملك حسين وحده أكثر من مائة ألف فدان (٢١) وهناك عدد من الحيازات يبلغ عددها ٢٢ حيازة يملك صاحب كل منها ١٠ آلاف دونم فما فوق و ٤٥ حيازة يملك صاحب كل منها ما بين ٢٠٠٠ ، ٥٠٠٠ دونم ، و ٤٢١ حيازة يملك كل منها ما بين ألف و ٢٠٠٠ دونم .

وإذا كان المالك الكبير يقوم بزراعة جزء من أرضه مباشرة ، ويستخدم فيها الأيدي العاملة الزراعية مقابل أجر مدفوع ، فإن أسلوب الاستغلال الغالب هنا هو تأجير الأراضي عن طريق المشاركة أو المحاصصة وهي محاصصة ظالمة للمستأجر الذي يتحمل في الغالب نصف النفقات ، أو كلها مقابل جزء من المحصول لا يتعدى النصف في الغالب . ويبقى بعد ذلك ، أن تأجير الأرض مقابل « أجر نقدية » مدفوعة أسلوب معروف ومستخدم .

وطبقة كبار الملاك الزراعيين ، بجانب البورجوازية الكبيرة الكومبرادورية والفئات العليا من البورجوازية الوطنية ، تمثل التحالف الحاكم والمسيطر ، والمستفيد من بقاء الأردن في إطار السوق الرأسمالي العالمي .

أما طبقة أغنياء الفلاحين ، فتتوسع وتتوسع مستفيدة من الحماية الحكومية والإجراءات التشريعية التي تدعمها « في مجالات التسويق والإقراض والاعفاء من الرسوم الجمركية على الآلات والموارد الزراعية » وتميل بالتالي إلى اتباع أساليب رأسمالية في زراعتها التي تستخدم الآلات الحديثة ، وتعتنى بزراعة المحاصيل القابلة للتصدير كالخضروات والفاكهة ، مع إقامة مزارع للدواجن والمواشي ، وهي مجالات أحرزت درجة من التوسع في السنين الأخيرة . وتم هذا التوسع على حساب فئة الفلاحين المتوسطين الذين يعانون من فروق الإنتاجية بين أملاكهم وأملاك أغنياء الفلاحين ، وهي فروق نتجت عن حرمانهم من التمتع بفوائد الإجراءات الحكومية التي تمت غالباً لصالح فريق أغنياء الفلاحين .

[١٩] عصام أحمد ، مرجع سابق ص ١٧ .

[٢٠] راشد البراوي : « اقتصاديات العالم العربي من الخليج إلى المحيط » ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .

١٩٦٤ . ص ١٥٤ .

[٢١] . وديع أمين : « تطور الحركة الوطنية في الأردن » ، الطليعة ، السنة الثالثة ، مايو ١٩٦٧ ، ص ٨٨ .

وتأتى بعد ذلك طبقة الفلاحين الفقراء الذين قُتد هور أوضاعهم « بفعل تراكم سننى الجفاف التى تؤدى الى تضخم ديون الفلاح نتيجة انحسار دخله فى هذه السنوات » مما يؤثر على دخله فى سننى الخصب . ويدفع كل هذا الفلاحين الى استئجار الاراضى والعمل اضافة الى الملاك الكبار » (٢٢) .

وفى أسفل قاعدة الهرم الطبقة فى الريف تعيش طبقة « العمال الزراعيين » الذين لا يملكون أى قطعة من ارض ولا تتوفر لديهم من وسائل الانتاج سوى قوتهم الجسدية ، ولا يجدون أرضا يستأجرونها . فيبيعون قوة عملهم لكبار الملاك وأغنيائهم ، ومتوسطيهم فى بعض الاحيان . ولكن فرص العمل المتاحة أمامهم تضيق وتقل ، فيعانون من البطالة ، ولا يجدون مقرا سوى الهجرة الى المدينة ، أو الى الخارج . وتزداد أزمة العمال الزراعيين مع كل عدوان صهيونى جديد ، يترتب عليه نزوح أعداد كبيرة من الفلسطينيين الذين يزاحمون هؤلاء العمال الزراعيين فى الحصول على فرص العمل المتاحة .

فى المدينة

تحتل الصناعة المرتبة الرابعة بين القطاعات التى يتكون منها الدخل القومى فى الأردن . وأهم سمات القطاع الصناعى فى الأردن هى غلبة انتاج السلع الاستهلاكية ، مع وجود عدد من الصناعات الاستخراجية لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة (٢٣) تهيمن عليها البرجوازية الكبيرة وتحقق من خلالها أرباحا طائلة . وهى طبقة تعيش على العمالة لرأس المال الاجنبى ، والنمو فى حضنه وإطاره . مما أبقى الصناعة الاردنية بعيدة عن النمو نحو تطور انتاجى حقيقى من خلال انشاء صناعات ثقيلة أو متوسطة مستقلة عن العلاقة والارتباط بالسوق الامبريالى العالمى ، ومتجهة الى كفاية حاجة الاستهلاك المحلى .

وقد تأكد طابع هذا التطور منذ أواخر الخمسينات ، منذ ١٩٥٧ حين وجهت السلطة الرجعية ، الحاكمة ضربتها الى الحركة الوطنية بعدها « تحررت البرجوازية الاردنية - الفلسطينية الكبيرة - من كل القيود والاعتبارات المحلية الشعبية واتجهت نحو الامبريالية وخاصة الولايات المتحدة وألمانيا الغربية (بالاضافة الى الحليفة

التقليدية بريطانيا) واضعة الأردن تحت رحمة السيطرة الاقتصادية والسياسية ، حاجبة عن البلاد كل امكانية لتطور اقتصادى واجتماعى وطنى مستقل . وقد انهالت على الأردن المساعدات والهبات المجانية التى بلغت خلال السنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٧ أكثر من ٥٩٠ مليون دولار أنفقت على الادارة والجيش وأجهزة القمع ، وعلى مشاريع غير انتاجية ، دون أن تؤدى الى احداث تنمية حقيقية فى ميادين الانتاج .

وقد كرست السلطة تعميق هذه الاتجاهات جميعا ، سواء عن طريق مساهمتها فى رموس أموال الصناعات الجديدة والقائمة (٢٤) أو عن طريق تشجيع استثمار رأس المال الاجنبى ، وصدر القانون الخاص بذلك وينص على معاملة رأس المال الاجنبى معاملة رأس المال المحلى ويمنحه نفس الامتيازات والاعفاءات ، فقد نص هذا المشروع على :

● معاملة رأس المال الاجنبى المستثمر فى أى مشروع ، سواء أكان استثماره مستقلا عن رأس المال المحلى أم بالاشتراك معه ، معاملة رأس المال المحلى .

● ضمان الحكومة لرأس المال الاجنبى المتمتع بجميع الاعفاءات والتسهيلات التى تمنح له بمقتضى قانون تشجيع الاستثمار ، وضمان عدم نقصان هذه الاعفاءات والتسهيلات أو المساس بها بمقتضى أى تشريع لاحق .

● تتمتع رموس الاموال الاجنبية بالتسهيلات والاعفاءات التى نص عليها القانون المذكور فى حالة استثمارها فى أى من المشاريع التالية :

١ - أى مشروع صناعى يزيد من المقدرة الانتاجية للمملكة .

ب - أى مشروع سياحى تفره سلطة السياحة وتزيد كلفته عن خمسين الف دينار .

ج - أى مشروع اسكان تصادق عليه مؤسسة الاسكان . وتزيد كلفته عن ٥٠ ألف دينار .

د - أى شركة مساهمة للاستثمار المالى . تساعد على تنمية الدخل القومى ويزيد رأس مالها .

[٢٢] خليل هدى ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

[٢٣] عصام أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

[٢٤] فى أوائل عام ١٩٦٨ بلغت مساهمة الحكومة الاردنية فى الشركات الصناعية مبلغ سبعة ملايين و ٥١٣ ألف دينار ، وكان عدد هذه الشركات ٢٠ شركة ، رأس مالها ٢٢ مليوناً و ٢٧٨ ألف دينار .

المدفوع عن الخمسين ألف دينار ، وتقتصر أعمالها على المشاريع المحددة في البنود ١ ، ب ، ج ، د ، هـ ، ز ، ح ، ط ، ي ، ذ ، الالف واللام ، وتستثنى من ذلك البنوك المرخصة .

وقانون مثل هذا اذا يخدم الاستثمارات الاجنبية ، انما يخدم أيضا البرجوازية الكبيرة الكومبرادورية ، ويعمق من التحالف بينهما . وهذا ما دفع بقوى الاستعمار الجديد الى تشجيع هذا الاتجاه ، من خلال زيادة معونتها المالية للنظام ، وهى المعونة التى استخدمت فى موازنة الميزانية العامة ، وتوجيه الانفاق العام الى التركيز - بجانب الادارة العامة ومصروفات الدفاع - على « الانفاق الواسع على تحسين وسائل المواصلات وتقديم القروض للمزارعين والصناعيين ، وتشجيع التحويلات الرأسمالية فى الزراعة » ثم تسهيلات البيع بالتقسيط .

وتم ذلك كله لصالح البرجوازية الاحتكارية الصناعية ، والتجارية ، والمالية ، كما أنه أفاد الفئات العليا من البرجوازية الوطنية المتوسطة ، وجعلها تتخلى عن تحالفها السابق مع الطبقات الوطنية والكادحة . وتنقل مواقعها الى الدوران فى اطار النظام القائم والارتباط بالتحالف الحاكم والمكون من كبار الزراعيين والبرجوازية الاحتكارية .

وبجانب الاجنحة الثلاثة الرئيسية التى تكونت منها البرجوازية الكبيرة وهى الاجنحة المالية والصناعية والتجارية ، تما جناح آخر وهو البرجوازية الكبيرة البيروقراطية من كبار الموظفين فى أجهزة الدولة « الذين يستغلون مراكزهم فى تسهيل أعمالهم وصفقاتهم وتحقيق الثراء غير المشروع على حساب أموال الشعب » (٢٥) . وعلى سبيل المثال ، أصبحت الرشوة والمحسوبية من مستلزمات التوظيف فى الاردن ، وغدت ظاهرة سياسية ملموسة « أن شهادة المدرسة والرشوة عدتا الوظيفة سواء بسواء » (٢٦) . وقس على « التوظيف » - بمعنى تسهيل الحصول على وظيفة فى أى من المجالات الحكومية أو العامة - كل ما يتعلق بشئون الحياة عند الطبقات الكادحة التى لا تستطيع أن تحصل على حقوقها « القانونية » والمنصوص عليها فى الدستور ، الا بعد أن تدفع .

وفيما عدا الشرائح العليا من البرجوازية الوصية المتوسطة ، بقيت الفئات الاخرى من هذه الطبقة مترددة متذبذبة ، قلقة ، لا تستطيع أن تحسم مسألة الولاء لمن : التحالف مع الحكم الذى لم يمانع فى أن يلقي لها ببعض فئات الفوائد ، أن تتقدم للتحالف مع الطبقات الشعبية والكادحة . وقد عمقت نتائج عدوان يونيو من هذه الازمة ، خاصة بعد ضيق السوق فى وجه هذه الفئات ، من ناحية ، وهنا سارعت الدولة لانقاذها من خلال الميزانية العامة ، خاصة بعد أن ضاق نطاق الانفاق ، وحصل الاردن على تعويضات عربية .

وعلى الرغم من ذلك ، تظل الطبقة البرجوازية الوطنية المتوسطة - بما فى ذلك شرائحها العليا - طبقة غير مبنوس منها ، بالنسبة لتحالف القوى الوطنية لانها فى النهاية طبقة لم تفقد طابعها الوطنى - المرتبط بمصالحها - الذى يجعلها تعرف وتوقن بخطورة الاحتلال وخطورة الاطماع الصهيونية التوسعية التى تمثل خطرا عليها وعلى مستقبل نموها . كما أن هذه الطبقة لا تثق فى النهاية بطبقة كبار الملاك العقاريين وعدم قبولها لاي تسوية يترتب عليها التفریط فى مصالح البرجوازية الوطنية المتوسطة .

البرجوازية الصغيرة : وهى تشمل فى المدن الاردنية الحرفيين وصغار المثقفين : مدرسى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية ، والطلاب ، والفئات المتوسطة والدنيا من الموظفين الحكوميين (وعلى الرغم من أنه يمكن اعتبار سكان المجتمعات من النازحين والملاجئين ، يمكن اعتبارهم بصفة عامة من أشباه البروليتاريا ، الا أنهم قد يكونون أقرب الى البرجوازية الصغيرة خاصة من ناحية العقلية والتفكير) . ومن الناحية السياسية ، وفى ظل ظروف الاردن ، لعبت هذه الطبقة وتلعب - كما فى بقية البلاد العربية - دورا نشيطا فى الحياة السياسية ، وفى تكوين الاحزاب ، بما فى ذلك الاحزاب اليسارية .

وفى ظل ظروف النضال الوطنى والكفاح ضد الاستعمار والاحتلال الصهيونى ، فإن موقع هذه البرجوازية الصغيرة هو التحالف مع الطبقات الشعبية والكادحة من العمال والفلاحين .

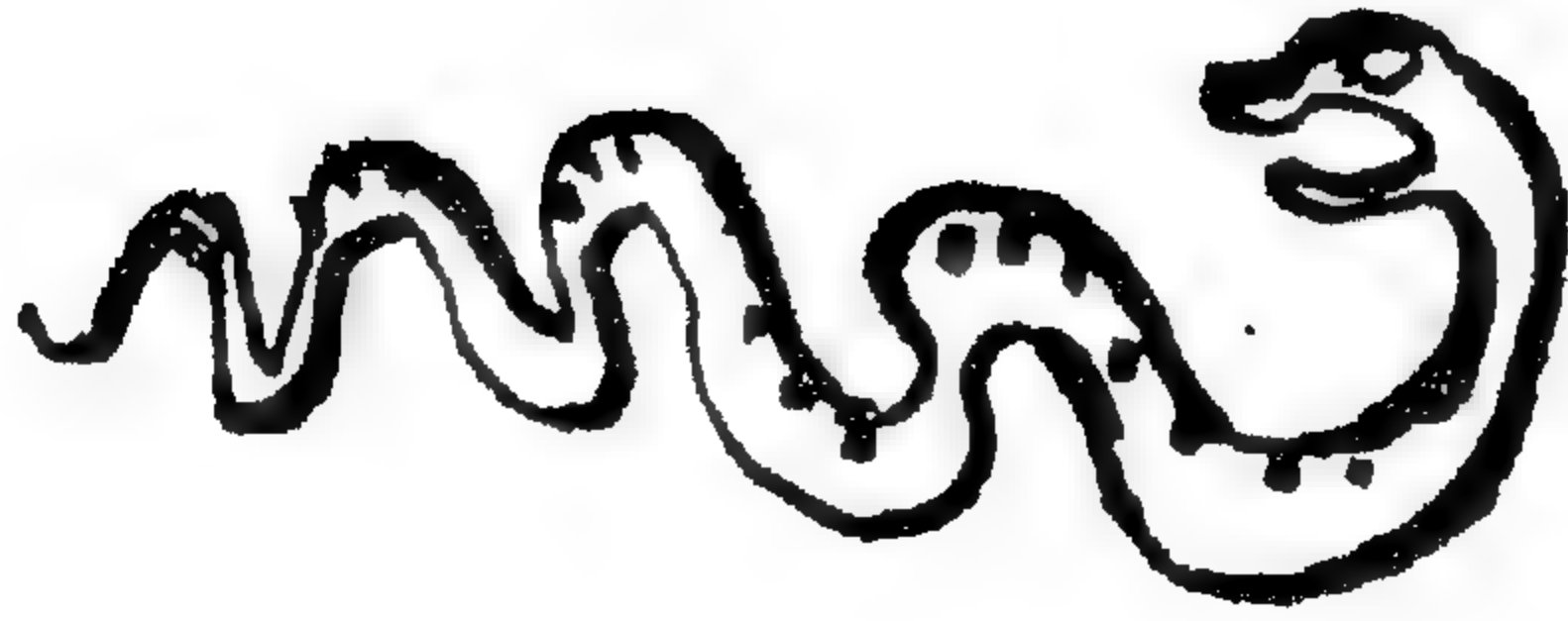
[٢٥] وديع أمين ، مرجع سابق ، ص ٨٨

[٢٦] عصام أحمد ، مرجع سابق ، ص ٢٣

البروليتاريا: الطبقة البروليتارية طبقة ضعيفة في الاردن ، ذلك أن العمال الصناعيين ، وهم الجناح الحيوى فيها ، يمثلون فئة صغيرة ، بسبب ضعف الصناعة الاردنية ، وقلة عدد العاملين في كل وحدة صناعية ، فعدد الصناعات التى يتجاوز عدد العاملين فيها ٥٠٠ عامل ، عدد ضئيل للغاية ، وفى المتوسط العام نجد أن عدد العاملين فى الصناعات لا يزيد عن ١٠ عمال . بالاضافة الى أن نسبة البطالة مرتفعة ارتفاعا كبيرا ، حتى أنها تقدر بحوالى ثلث القوة العاملة . وتؤدى عمليات النزوح الى زيادة حدة البطالة ، وتنافس أعداد كبيرة من العمال على العمل الواحد ، بجانب الهجرة الكبيرة من الريف الى المدينة . وكل هذا يزيد من قوة جيش العمال الاحتياطي . ولكن هذه الزيادة « لها انعكاساتها على أوضاع الطبقة العاملة ، وجماهير الكادحين فى المدن . فمن جهة ، تزيد من قوتها العددية ، ومن جهة أخرى تسهم فى تدهور أوضاعها بسبب التنافس فى سوق العمل وسوء الأحوال المعيشية وغلاء أجور المساكن بسبب الطلب المتزايد عليها ، الناجم عن الهجرة فى الأحياء الشعبية ، ولكن المحصلة النهائية لذلك كله تكون لصالح أصحاب الأعمال

الذين يقدمون أرخص الاجور وأدناها ، ويجدون من يقبلها ، خصوصا مع ضعف التنظيمات النقابية العمالية ، وهو المضعف الذى آل بها الى الخضوع لسيطرة الحكومة بعد أن حلت فى أكتوبر الماضى الاتحاد العام للعمال الاردنى وكافة التشكيلات النقابية للعمال فى الاردن ، وشكلت لجنة ادارية للاتحاد برئاسة وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل .

وفى ظل الظروف الراهنة ، وهى ظروف صعبة ومعقدة تجد الطبقة العاملة الاردنية نفسها - رغم ضعف تكوينها - أمام مسئوليات متعددة اجتماعيا وسياسيا ووطنيا ، تتطلب منها النضال على أكثر من جبهة فى نفس الوقت . ولكن يأتى على رأس هذه المهام التى تواجه العمال الاردنيين وكل الكادحين من الفلاحين والقوى الوطنية الاخرى ، مهمة تكوين وبناء الجبهة الوطنية الديمقراطية ، جبهة توضع فى مقدمة مطالبها وأهدافها مطلب العمل الدءوب لتحرير الارض المحتلة وما يفرضه هذا من واجب العمل على تخليص البلاد من ربقة السيطرة الامبريالية ، ومن تحكم الطبقات الاقطاعية والبورجوازية الكبيرة الكومبرادورية ، صنيعة الاستعمار وعميلته فى نفس الوقت .



الواقـع
والآفاق

الضفة الغربية



هالة جمال الدين

الحرب ، وموقعها في المخططات والمشاريـع
الاسرائيلية •

٣ - قطاع غزة ، وشمال سيناء •

٤ - منطقة شرم الشيخ في جنوب سيناء ،
ويطلق عليها المحتلون اسم منطقة « شلومر » •

يقول ديان : « تحت تصرفنا الآن ، وقت ،
ومناطق ، وصلاحيات سلطة ، وعليـنا أن نستغل
الثلاث » (١) •

ويعنى ديان بقوله هذا ، أنه لابد من استغلال
الوقت وصلاحيات السلطة لفرض واقع جديد في

أن انتهت حرب يونيو ١٩٦٧ ، حتى
قامت السلطات الاسرائيلية بتقسيم
المناطق المحتلة الى أربع وحدات
ادارية ، وعين على رأس كل وحدة

حاكم عسكري ، وهى :

١ - الجولان •• التى عوملت منذ اليوم الاول
وكأنها جزء من اسرائيل • فالغى فيها العمل
بالقانون السورى والعملة السورية ، وأحل محلها
القانون والعملة الاسرائيلية ، وسار العمل حينئذ
لاستيطان الهضبة السورية •

٢ - الضفة الغربية •• وهى التى ستتناولها
دراستنا ، من حيث تغير الاوضاع فيها بعد

المناطق المحتلة لطمس معالمها العربية ، وتغييرها بشكل يقرب اسرائيل من الوضع الذي تطمح اليه . ويعنى ديان ، مهندس سياسة فرض الامر الواقع ، انشاء المستوطنات والمدن الاسرائيلية . ودمج المناطق المحتلة فى الاقتصاد الاسرائيلى وانشاء القواعد والمراكز العسكرية وفى توسيع شبكة الطرق والمواصلات .

وبالفعل رقى الكولونيل « شلومر جازيت » عقب حرب يونيو ١٩٦٧ الى رتبة جنرال ، وترك عمله كمعاون لرئيس المخابرات الاسرائيلية ، ليصبح المسئول الاول عن السياسة الاسرائيلية فى الاراضى المحتلة . وهل يعد واحدا من كبار الاختصاصيين فى العالم فى الشؤون العربية . ويمكن القول أن سياسة ديان ومساعدته جازيت تقلخص فى ترك حرية شكلية للفلسطينيين فى الضفة الغربية ، شريطة أن تظل ظروف الامن متوفرة فيها ، وهما فى نفس الوقت يدركان تماما ان الفلسطينيين لا يحبون الصهاينة ولن يحبونهم ابد الدهر .

وقد كان على الحكومة العسكرية الاسرائيلية منذ الاشهر القليلة الاولى التى أعقبت الاحتلال ، أن تواجه مهمتين اولويتين واساسيتين فى المناطق الالهة بالسكان هما :

- أولا : تهدئة الاوضاع
- ثانيا : اعادة تنشيط الاقتصاد

تهدئة الاوضاع

فى الاشهر الاولى التى تلت الاحتلال الاسرائيلى ، قابل السكان العرب سلطات الاحتلال بمحاولة عصيان مدنى ، تمثلت فى اغلاق المدارس والاضرابات والامتناع عن دفع الضرائب ومقاطعة البضائع الاسرائيلية وحملات التحريض وتوقيع عرائض الاحتجاج والاستنكار . وكان رد الفعل لدى حكومة الاحتلال تجاه حركة عصيان السكان العرب ، هو الرد التقليدى لسلطة احتلال فاشية عسكرية ، حيث قامت على الفور بسجن ونفى العناصر التى اعتقدت السلطات أنها وراء حملة العصيان هذه . وقامت بانزال القوات العسكرية الى الشوارع بقصد الارهاب وقمع المظاهرات وفرضت منع التجول وعمدت الى عمليات التفتيش المقصود منها العقاب والازعاج ، والى محاولة شراء هملاء لتخريب الحركة فى الداخل .

وهكذا تم لسلطات الاحتلال ، كبت وتطوير محاولة العصيان المدنى . ولم تسمح لها بأن تنفجر وتتصاعد الى عصيان مدنى حقيقى وعنيف ، مساعدتها فى ذلك ظروف ذاتية ترجع الى عجز القيادات السياسية التقليدية فى الضفة الغربية ، تلك القيادات التى نشأت ونمت فى ظل الانتداب البريطانى والحكم الاردنى ، ثم الانفصام التام بين تلك القيادات وبين سكان المدن وغيابها أصلا عن الريف ، علاوة على اجراءات الاحتلال الاسرائيلى التعسفية . وعلى سبيل المثال فقد بلغ عدد المبعدين فى عام ١٩٦٩ ، وحده ، ١٣١ شخصا (٢) . وسرعان ما استطاع الحكم العسكرى الاسرائيلى بتصفية مظاهر محاولة العصيان تدريجيا . فانتظمت الخدمات البلدية وافتتحت المدارس . وانخفض معدل الاضرابات وازدادت الضرائب المجموعة فى الضفة ، عاما وراء عام .

سلطات الاحتلال

والمقاومة الفلسطينية

لم يكن التحدى الاكبر ، والاهم ، لسلطات الاحتلال فى حقيقة الامر متمثلا فى تلك القيادات السياسية التقليدية . وانما تمثل اساسا فى منظمة فتح المنظمة الفدائية الوحيدة الموجودة آنذاك فى الضفة الغربية والتى رأت ان الكفاح المسلح هو الوسيلة الوحيدة للنضال الفلسطينى . ونفذت فتح الى الاراضى التى احتلت منذ عام ١٩٤٨ . وأعلنت منظمة « العاصفة » الجناح العسكرى لفتح عن نقل قيادتها الى المناطق المحتلة ، لتواصل عملياتها ضد العدو فى الداخل ، فى محاولة لنقل مركز ثقلها الى داخل وعمق الوطن المحتل . ولعله أصبح من المعروف أن « ابو عمار » كان من بين الاشخاص الذين انتقلوا للضفة الغربية عام ١٩٦٧ للاشراف على بدء العمل المسلح ضد الاحتلال .

وإدركت اسرائيل منذ البداية ، ان الكفاح المسلح - لا يمكن ان ينمو ويشد ويحقق اهدافه ، الا اذا نجح فى تعبئة الشعب للقتال ، وتوفير الحماية للمقاتلين . وبالتالي فإن المجال الحيوى للمقاومة الفلسطينية المسلحة هو الشعب الفلسطينى . ومن هنا أدركت ان عاملا أساسيا ووحيداً يمكن أن يرجح كفة الميزان الى جانب العمل الفدائى ، الا وهو موقف وعلاقة مجموع السكان العرب بخلايا الفدائيين . وبالتالي اعتمدت اسرائيل سياسة قوامها عزل الفدائيين عن

مجموع السكان العرب * ولجان التحقيق ذلك الى وسيلتين :

الوسيلة الاولى : وهي مباشرة وآنية ، وتتخلص في « الترهيب والترغيب » التي تمثلت في ايقاع العقاب القاسي والسريع بالفدائيين والمشاركين في التنظيم أو عمليات المقاومة في جهة ، واعطاء السكان امتيازات مثل حرية الانتقال والتجارة وحرية الكلام الشكلية من جهة أخرى . وقد اعتمدت سلطات الاحتلال سياسة نفس البيوت كوسيلة أساسية من وسائل الردع ، تعطى نتائج عملية بالنسبة لارهاب المجموع ، أكثر من المنفى والسجن . وقد عبر شلومر جازيت عن ذلك بقوله : « عمود من الدخان يستطيع كل واحد أن يراه ويسمعه ويفهم منه ما يجب أن يفهم » (٣) . ولم يقتصر نفس البيوت على بيت الفدائي أو الذي ساعده وأواه ، بل تجاوز ذلك الى نفس البيوت في المنطقة التي وقعت فيها العملية الفدائية . وهو ما أطلق عليه ديان « عقاب الجوار » . وقد بلغ عدد البيوت التي تم نسفها ، حتى تاريخ ١ - ١٢ - ١٩٦٩ ، ٥١٦ منزلا (٤) .

الوسيلة الثانية : انعاش اقتصاد المناطق المحتلة ورفع المستوى المعيشي للسكان . وهي وسيلة أكثر جذرية وتعطي نتائجها في مدى زمني أوسع . وتهدف إسرائيل بذلك الى توثيق روابطها بالمناطق المحتلة وتنشيط الاقتصاد وامتصاص أسباب السخط في المناطق المحتلة . وبالتالي يستكين الاهالي ويكفوا عن التفكير في مقاومة الاحتلال . وتدرجيا تتطلع إسرائيل الضفة الغربية . ولتحقيق ذلك عمدت إسرائيل الى عدة اجراءات :

١ - سياسة فتح الجسور التي قالت عنها مجلة « إسرائيل وايكونوميست » في عددها الصادر في نوفمبر ١٩٦٩ أنها « قد ساهمت أكثر من أي اجراء آخر في حل المشكلة الاقتصادية واعادة الحياة في الضفة الى مجاريها الطبيعية » . وتم عبر هذه الجسور المفتوحة ، وتسويق الفائض من منتجات الضفة الغربية في الاسواق المعتادة لها في الاردن والبلاد العربية . كما سمح أيضا باستيراد البضائع عبر هذه الجسور . وكما ذكر « رافي كو » مندوب جريدة الفيجارو الفرنسية الخاص في إسرائيل فإنه « في كل يوم تقوم نحو مائة سيارة كبيرة من كويتية وعراقية وأردنية وسعودية بحمل الخضار والفواكه من الضفة الغربية . وكل ما يفعله السائقون هو تبديل لوحات سياراتهم في المناطق الاسرائيلية » (٥) .

٢ - السماح للعمال العرب بالعمل في الأراضي التي احتلت عام ١٩٤٨ ، خاصة وأن الاقتصاد الاسرائيلي يشكو من نقص كبير في الايدي العاملة بسبب التعبئة العسكرية القائمة منذ الحرب من جهة ، ومن جهة أخرى فان الانتعاش الاقتصادي وازدياد القوة الشرائية لدى السكان العرب ، يفتح للصناعات الاسرائيلية سوقا جديدة . كما أن هناك هدفا أساسيا آخر وراء رفع إسرائيل للمستوى المعيشي للسكان العرب وتطوير الاقتصاد ، وهو تجنب الاضطرابات الاجتماعية الواسعة التي يمكن ان تنشأ في المستقبل نتيجة الفرق الواسع بين المستوى المعيشي لسكان المناطق المحتلة وسكان إسرائيل .

وهناك في الواقع خلاف بين قادة إسرائيل حول مسألة دمج اقتصاد المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي ، وحول تشغيل العمال العرب داخل إسرائيل . فموشى ديان وزير الدفاع يؤيد هذا الاتجاه ويدعو اليه ، بينما نجد منحاس سايير يتصدى له ويعارض تلك السياسة خوفا على الصبغة اليهودية لدولة إسرائيل ولحماية العمل العبري من الطوث .

٣ - التخطيط الزراعي : بحيث تحول المنتجات الزراعية في المناطق المحتلة الى منتجات ملائمة للاحتياجات المحلية واحتياجات إسرائيل ثم تعمل إسرائيل على تغيير الحاصلات الزراعية بحيث تتفق مع امكانيات التصدير لإسرائيل والبلدان الاجنبية ، خشية حدوث هزة اقتصادية عنيفة في الضفة الغربية ، في حالة ما اذا أغلقت الجسور . ومثل هذه الهزة تفجر الاوضاع وتهدد بالتسالي ما تسمى إسرائيل الى تحقيقه .

ومن الجدير بالذكر أن الميزان التجاري يجري لصالح إسرائيل . فبينما تعدل الضفة الغربية ميزانها عن طريق تسويق الفائض في منتجاتها الى الاردن والدول العربية ، وعن طريق الخدمات التي تصدرها الى إسرائيل المتمثلة في العمال العرب والخدمات السياحية والحوالات المالية الواردة من الخارج والمبالغ التي تدفعها الحكومة الاردنية لبعض أهالي الضفة . كما أن العلاقة بين الاقتصاد الاسرائيلي النامي والمتطور واقتصاد الضفة الغربية المتخلف هي علاقة تبعية اقتصادية وخاصة وان السلطة المنظمة بين الاقتصاديين هي سلطة احتلال معينة بأن يظل اقتصاد الضفة يتخلفا وتابعة لاقتصادها المتطور .

[٣] شئون فلسطينية - العدد الاول ص ٨٤

[٤] نفس المرجع السابق

[٥] الفيجارو ١٩٦٨-١٩٦٩

الافغان على امتداد نهر الاردن لتحويل بقدر الامكان دون توغل الفدائيين العرب الى المناطق العربية المحتلة ، الى جانب المستوطنات المقامة في سيناء والمتمركزة على امتداد المحور الشمالي في منطقة شرم الشيخ .

العامل السياسي : ان بناء شبكة من المستوطنات في المناطق المحتلة أمر على جانب كبير من الهمية في الصراع العربي الاسرائيلي . فهذه المستوطنات تعتبر ورقة لها وزنها في حالة التفاوض على تسوية مع العرب . فيفضل هذه المستوطنات تخلق اوضاع جديدة في المناطق العربية المحتلة ، وهذه الاوضاع الجديدة هي التي تقرر الحدود الجديدة . وعلى حد تعبير ديان « ان المكان الذي نقيم فيه مستوطنة او ممتلكا لن نتحرك منه » (٦) .

العامل الاقتصادي : ليس هناك شك في ان المستعمرات الاسرائيلية الجديدة ستعمل على ايجاد موارد اقتصادية جديدة لاسرائيل . وعلى سبيل المثال فاسرائيل تسعى من وراء استيطانها لهضبة الجولان الى تحويل الهضبة جرمتها الى مزرعة ابقار تكفي حاجة اسرائيل من اللحوم الطازجة (٧) .

العامل النفسي : تعتقد اسرائيل ان وجود مستوطنات اسرائيلية في المناطق المحتلة ، من شأنه جعل السكان العرب يحسون بالوجود الاسرائيلي وبالتالي يبدؤون بالتآلف مع الحكم الاسرائيلي الجديد .

موقع الضفة الغربية

في المشاريع الاسرائيلية

وعلى ضوء ما تم اقامته من مستوطنات اسرائيلية في الاراضي المحتلة ، يكون الجزء الخاص باقامة المستوطنات الدفاعية الاسرائيلية في مشروع ايجال ألون قد تم تنفيذه . وهذا المشروع الذي يحمل اسم ايجال ألون ، « يدعو الى ضم هضبة الجولان ، ومنطقة القدس ، وغور الاردن وشاطئ البحر وشرم الشيخ » (٨) . ويتلخص مشروع ألون في الامتناع عن ضم المناطق التي تقسم بتجمعات سكانية عربية باستثناء وادي الاردن الذي تقل فيه كثافة السكان العرب ، حيث يطالب ألون باستيطانه وجعله قطاعا دفاعيا . ويقول ايجال ألون في مشروعه ان نهر الاردن والخط الذي يقطع البحر الميت في الوسط ، يجب

وازاء تلك الاجراءات الاسرائيلية ، وازاء هذا الرخاء الاقتصادي أو « شهر العسل المؤقت » الذي تعيشه الضفة الغربية ، وازاء قسوة وشراسة أدوات القمع الاسرائيلية للفدائيين الفلسطينيين تمكنت سلطات الاحتلال من تحقيق هدفها الاول في تهدئة الاوضاع في الضفة الغربية ، تمهيدا لاقتلاعها . واذا جاز لنا ان نستعير تشبيهه الرعيم ماوتسي تونج « فان الاسماك لم تجد بعد مياها لها داخل الاراضي المحتلة » .

عقب ذلك بدأت مرحلة جديدة تابعت فيها اسرائيل مخططاتها وعملياتها لضرب قواعد المقاومة الفلسطينية الموجودة خارج الاراضي المحتلة . سواء بطريق مباشر بمعنى ان تشن هجوما واسعا على قواعد الفدائيين ، كما حدث في غاراتها المستمرة على قواعدهم في الاردن . وكما يحدث حاليا في غاراتها المتلاحقة على قواعدهم في جنوب لبنان ، أو بطريق غير مباشر بواسطة بعض الانظمة العربية كما حدث في الاردن . وامام توالي الضربات المتلاحقة لقوى المقاومة الفلسطينية في الداخل والخارج ، وحالة التردى التي تعيشها الانظمة العربية بسبب حالة اللاسلم والحرب ، وأخطاء المقاومة التي كثيرا ما تحدثت عنها وامام عدم قدرتها على تطوير نفسها ، بدأ السكان العرب في المناطق المحتلة يشعرون باللامبالاة وبالا حباط مما أخذ يسهل كثيرا خطوات سلطات الاحتلال الاسرائيلية لاقتلاع هذه المناطق .

المستوطنات الاسرائيلية

يدور الصراع العربي الاسرائيلي في حقيقة الامر حول الارض ، وتلجأ اسرائيل الى الاعمال الاستيطانية التي بدأت بشكل ملحوظ في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، ومازالت مستمرة في فلسطين واجزاء في الاراضي العربية المحتلة . وهناك عدة عوامل تقف وراء عملية الاستيطان الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة :

العامل القومي : وهو الهم ويعنى بالنسبة للنزعة الصهيونية الاستيلاء على مزيد من الارض .

عامل الامن : فقد بنيت هذه المستوطنات على امتداد خط وقف اطلاق النار مع سوريا لتشكل سورا دفاعيا يقى الجبهة الخلفية من المستوطنات . كما شيدت مستوطنات الناحال في

[٦] « خريطة جديدة » ص ١٦٤

[٧] « دافار » ٢٣-٧-١٩٦٩

[٨] « هعولام هازية » ٤-٨-١٩٧٠

[٩] « شئون فلسطينية » العدد الاول ص ١٨

أن يكون الحد الفاصل بين إسرائيل والأردن (٩) كما تضم إسرائيل قطاعا مسافته ١٥ كيلومترا على طول وادي الأردن حتى البحر الميت على شريطة ألا تضم هذه الأراضي إمامي عرب ، ولا تشمل حدود شمال البحر الميت مدينة أريحا لاعتبارات سكانية مع ضم طريق البحر الميت - القدس إلى إسرائيل - كذلك ضم جبل الخليل بسكانه الذين يبلغ عددهم ٨٠ ألف شخص لأن ذلك يضمن حماية القدس ولوجود إمكانات الاستيطان ، علاوة على الأماكن المقدسة ثم إعطاء ممر في منخفض الأردن إلى المملكة الهاشمية بحيث يضمن للأهالي العرب الارتباط بالمملكة الأردنية ، وبحيث يسمح لإسرائيل السيطرة على هذا الاتصال في حالة تعرضها للخطر . (١٠)

ويتسم مشروع ألون بالمرونة فهو يحاول دائما ادخال تعديلات عليه حسب ما يتلاءم مع الأحداث المتغيرة والمستجدة .

هذا بينما نجد موسى ديان على الطرف الآخر، فهو لا يكتفى بمستوطنات ألون الدفاعية ، وإنما يطالب أيضا بإقامة مدن يهودية في الضفة الغربية في أماكن مشرفة على الطرق الاستراتيجية . حيث أن المدن تضم سكانا أكثر وتحتل أراضى أقل وتمتلك قدرة دفاعية أكبر .

الانتخابات البلدية

في الكتاب الذي ألفه شمعون بيريز - وزير الاستيعاب والاستيطان الاسرائيلي - بعنوان «حروبنا الثلاثة مع العرب» يقول بيريز في الفصل العاشر ما يلي بالحرف الواحد :

« هناك ثلاث مرشحين لحلل السلام في الشرق الأوسط بعد حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ » .

الاول : الأردن التي يميل الى الولايات المتحدة الأمريكية .

الثاني : مصر

الثالث : المليون ونصف فلسطيني في المناطق المحتلة .

« بالنسبة للأردن نحن لا نستطيع أن نستجيب

لطلباتها بالانسحاب من الضفة الغربية » كما أن القول بتجريد الضفة الغربية من السلاح هو قول مرفوض تماما ، لأن ذلك يعتمد على قوة الدولة الموقعة ، وهنا لابد أن نذكر أن منظمة فتح «التخريبية» لاتأخذ الاذن من الملك حسين .

يتضح من كلام بيريز أن إسرائيل تدرك أنه لا يوجد هناك حل للمشكلة دون موافقة الطرف الفلسطيني وهذا الاعتقاد الاسرائيلي متطابق تماما مع الاعتقاد الأمريكي الذي تمثل في تقارير بعثة فيتر للسلام ، واقتراحاتها التي نصت على ضرورة موافقة الطرف الفلسطيني على أي شكل من أشكال التسوية .

لكن السؤال الذي يواجه الاسرائيليين الآن هو : من هو الطرف الفلسطيني الذي يمكنهم أن يحصلوا على موافقته . بالطبع لا يمكن أن يكون هذا الطرف محتلا في منظمات المقاومة الفلسطينية . ومن هنا جاءت فكرة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية ، وذلك لخلق ممثلين جددا للشعب الفلسطيني داخل المناطق المحتلة ، فتبرزهم بشكل واضح ، ثم تنقلهم من مرتبة القيادات البلدية إلى القيادات السياسية ليكونوا بمثابة بديل عن قيادة المقاومة الفلسطينية .

وهنا لابد أن نلقى ضوءا يسيرا على مفهومين اخذا يتضحان بجلال قام في أساليب العمل الصهيونية والامبريالية العالمية في مواجهة القضية العربية :

المفهوم الاول : حربية الحرب . أي دفع الانظمة العربية في مواجهة بعضها البعض ، أما عن طريق إثارة النزعات الإقليمية ، وأما عن طريق فتح الابواب أمام تجزئة القضية الواحدة . ومثال ذلك ما حدث عندما أقدم الحكم الأردني على ضرب الثورة الفلسطينية في الأردن . بالإضافة إلى الخلافات الدائرة بين الانظمة ذات الأراضي المحتلة من قبل إسرائيل .

المفهوم الثاني : فلسطين الصراع . وذلك يدفع جهات فلسطينية إلى مواجهة بعضها البعض بدلا من مواجهة الكيان الاسرائيلي ، وذلك بهدف تحويل الثورة الفلسطينية إلى مجرد طرف في الساحة الفلسطينية ، وليست قائدة لهذه الساحة والممثل الوحيد والشرعي لها .

مستقبل الضفة الغربية

انقسمت حكومة الائتلاف الاسرائيلية بضد مستقبل الاراضي المحتلة بعد حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ الى فئتين : الفئة الاولى ، تمثل دعاة الضم الكلي ، وتطالب بابقاء المناطق المحتلة تحت الحكم الاسرائيلي ، وعلى رأس هؤلاء كتلة حيروت - الاحرار المتطرفة والمعروفة باسم جاحال ، وهي تدعو الى عدم تصور اعادة شبر واحد ، ويجيء معهم وزير الدفاع موشى ديان الذي يعمل من خلال ايمانه بأن احتمالات السلام بعيدة . وعليه فهو يؤيد سياسة الامر الواقع ، كما نجده يؤيد فكرة اقامة ادارة مدينة مستقلة في مدن الضفة الغربية وقراها .

الفئة الثانية : تمثل دعاة الضم الجزئي ، التي تدعو الى اعادة بعض المناطق العربية المحتلة مقابل سلام دائم مع العرب . ومن أشهر هؤلاء أبا اييان عضو حزب « المباي العمل » ووزير الخارجية الذي يتسم بالرونة والليونة فهو يحسب الحسابات للاعتبارات الدولية والضغط الخارجي وهو مستعد لدفع ثمن عال مقابل الحصول على السلام .

ولكن رغم اشتداد الخلاف بين هاتين الفئتين ، في الثلث الاخير من عام ١٩٦٨ ، حول مصير المناطق المحتلة ، الا ان الغالبية العظمى تؤمن أنه لا مناص من ابقاء المناطق التالية الى الابد ضمن حدود دولة اسرائيل : قطاع غزة ، العريش وضواحيها ، هضبة الجولان ، القدس الشرقية وضواحيها ، الخليل والقرى العربية المحيطة بها ، قلقيلية .

ويتحدث ديان عن مستقبل الوضع السياسي للضفة الغربية المحتلة بقوله ، أنه لا يهمله كثيرا اذا اختار سكانها أن تكون جزءا من الأردن مع شيء من الاستقلال الذاتي ، أو اختاروا لها البقاء مستقلة . . أوقروا بكل بساطة أن تكون جزءا من الأردن ، ولكن بشرط أن تقبل مطالب اسرائيل التي يصوغها بالشكل التالي : « أولا أن يكون لنا ، كحق وليس كمنحة ، أن نزرع ، ونعيش ، ونستوطن . ثانيا : أن يكون لنا قواعد عسكرية هناك ، وأن يكون الجيش الاسرائيلي قادرا على العمل بحرية ، سواء في الحرب الصغيرة الان ضد الفدائيين ، أو في حالة وقوع حرب أكثر شمولاً ، ويجب أن تكون قادرين على منع دخول أي جيش عربي للضفة الغربية » (١١) .

وقد عمد الاحتلال الاسرائيلي الى استغلال ردة الفعل الفلسطينية العنيفة ضد الحكم الاردني ، بعد مجزرة يوليو ١٩٧١ ، واستثمارها لمصلحته . . . بدأ المخطط على النحو التالي :

١ - مرحلة جس النبض . . .

٢ - مرحلة الدعوة الصريحة التي بدأها موشى ديان عندما حضر مؤتمرا لرؤساء البلديات عقد في منطقة رام الله في شهر اغسطس الماضي .

٣ - مرحلة الدعاية الاعلامية ، حيث اخذت الصحف الاسرائيلية الناطقة بالعربية ، أمثال جريدتي « الانباء » و « القدس » ، تدعو لاجراء الانتخابات البلدية . كما سخرت الاذاعة والتلفزيون الاسرائيلي سلسلة في البرامج واللقاءات للدعاية لمسألة اجراء الانتخابات .

٤ - التهديد الخفي ، حيث اخذ الحكام العسكريون في المناطق المحتلة يتصلون بالشخصيات المعروفة والمنافذة للانتخابات ، ويهددونها .

٥ - العنف المباشر . حيث قامت سلطات الاحتلال باعتقال اعداد من المواطنين العرب المعارضين . وفرضت حظر تجول كسامل على قرية سلواد لانها شنت حملة ضد الانتخابات .

أهمية الانتخابات البلدية

ان عدد الذين يحق لهم الانتخابات لا يتجاوز الثلاثين الفا حسب القانون الاردني الذي يسمح للرجاء فقط بحق الانتخاب فوق سن ٢١ ، ويستثنى النساء ، ويعطى حق الانتخاب فقط لمن يدفعون ضريبة الاملاك ، وبهذا يحصرهم في طبقة أو فئة معينة من الشعب : وفي الواقع ان الانتخابات البلدية في حالة نجاحها ، سوف تكون بمثابة مدخل لاجراء ولانجاح انتخابات نقابية « عمال . . معلمين . . تجار الخ » . وفي النهاية يتكون بنيان سياسي بشكل ما ، تحت زعامة تقليدية من فئة الوجهاء تكون مرتبطة بسلطات الاحتلال وموالية لها ، وبالتالي تكون اقرب الى التطويق والتسوية والتسيير في خطة تخدم المخطط الاسرائيلي الرامي الى تكريس الاحتلال . وليس من الخفي أن جزءا من المخطط الاسرائيلي يرمى لاقامة حكم ذاتي أو كيان فلسطيني مرتبط باسرائيل .

وفي مناسبة اخرى تحدث ديان قائلاً « أن اسرائيل تستطيع البقاء في جميع هذه الاراضي المحتلة بشرط أن يكون الجيش الاسرائيلي هو القوة الوحيدة في هذه الاراضي بحيث يستطيع التوجه الى أى مكان يريد دون أى قيود سواء كان ذلك في نابلس أو الخليل أو في جنين » (١٢) .

أما ايجال آلون نائب رئيسة الوزراء ، ووزير شئون الهجرة ، فمشرّعه يقلّص في عدم ضم المصطفى المكثلة بالسكان العرب ، باستثناء وادي الاردن حيث يطالب آلون باستيطانه وجعله قطاعاً دفاعياً . فآلون يعتقد أنه في حالة ضم المناطق المحتلة سيصبح عدد السكان العرب خلال ٣٠ سنة مساوياً لعدد السكان اليهود ، مما يهدد بانفجار القوازن السكاني لصالح العرب .

أما الخطوط الرئيسية لمشروع حزب المساواة فتركز حول النقاط التالية :

● ان اسرائيل والاردن ، تشكلان فلسطين الكاملة ولذلك فإن أية تسوية سلمية تعتبر حيوية لكليهما . ويعتقد المابام أنه قد آن الاوان لتسوية شاملة مع الاردن تتضمن تعديلات في الحدود الدفاعية لصالح اسرائيل ، وتضمن سيادة اسرائيل الكاملة على القدس ، واعادة الضفة الغربية للاردن .

● ان المستقبل المشترك بين اسرائيل والاردن ، سيكون حيوياً لحل مشكلة اللاجئين . وستقوم العناصر الدولية بتزويدها بالاموال اللازمة لحل المشكلة .

أما شمعون بيريتز « وزير الاستيعاب والاستيطان الاسرائيلي » ، فيتحدث في منطلق أنه لا يوجد هناك حل للمشكلة دون موافقة الطرف الفلسطيني . واعتقاده هذا متطابق تماماً مع الاعتقاد الأمريكي الذي ينص على ضرورة موافقة الطرف الفلسطيني على أى شكل من أشكال التسوية . ولو علقت الولايات المتحدة الامريكية أهمية ملحوظة على عقد مؤتمر « بيت سامور » فقد شوهد قنصل أمريكا في القدس يتجول في بيت سامور يوم انعقاد المؤتمر لكي يقف عن كثب عما يدور هناك . وقال للصحفيين « أنه مهتم للغاية بهذا المؤتمر » (١٣)

ففي ١٨ - ٨ - ٧٦ عقد في بيت سامور مؤتمر مغلق حضره ٢٤ شخصاً يمثلون البلديات والمجالس المحلية في الضفة الغربية المحتلة ، استغرق ثلاث ساعات ، خيم عليه جو من التحفظات الاسرائيلية والاردنية ، وخرج المؤتمر بقرارين : ١ - انتخاب بعثة من ثلاثة أشخاص ، والحافها بالبعثة المتبقية عن اجتماع رؤساء الغرف التجارية في القدس . ٢ - تداء الى الدول العربية ، بإلغاء القيود المفروضة على صادرات الضفة الغربية .

وقد طرح بعض رؤساء البلديات أثناء الاعداد للمؤتمر مواضيع ملحة من بينها اجراء انتخابات بلدية في الضفة ، وسياسة النظام الاردني تجاه المقاومة الفلسطينية ، واقامة جامعة في الضفة الغربية . ولكن رغم كل بيان المؤتمر الختامي من أى من هذه المواضيع ، الا أنه ذكر « أن رؤساء البلديات عينوا لجنة تنفيذية كخطوة أولى نحو انشاء برلمان انتقالي » وهي أول محاولة هامة يقوم بها رسميو الضفة الغربية لتنظيم بنيان سياسي منذ حرب ١٩٦٧ . وقد منحت اللجنة التنفيذية سلطة الاتصال بالاسرائيليين للحصول على اذن باشاء برلمان ، وبالاتصال بمختلف الفئات السياسية في الضفة الغربية لكي ترسل مندوبين الى المجلس وفسر المراقبون هذا التطور بأنه قد يكون الخطوة الاولى من أجل التمتع بحكم ذاتي مستقل » (١٤)

الدولة الفلسطينية

كثر الحديث في الاونة الاخيرة في المناطق المحتلة ، وفي مختلف الاوساط الفلسطينية الموجودة بالخارج ، حول الدولة الفلسطينية أو الكيان الفلسطيني . ومع أن الدعوة قديمة الا انها تعززت بفضل عوامل أربع :

١ - الضربات المتلاحقة ضد المقاومة الفلسطينية وما رافق تلك الحملات من أعمال وحشية قوت من فكرة الدولة الفلسطينية .

٢ - خيبة أمل سكان المناطق المحتلة عامة في الانظمة العربية التي لم تقرن تغنيها بصمود المناطق المحتلة . وتبشيراتنا المتلاحقة بالتحريض ، بالعمل الجاد .

[١٢] صحيفة معاريف . العدد ١٠٠٣٧٧٠ - ٢ - ١٩٧٠

[١٣] معاريف [٧١ - ٨ - ١٩]

[١٤] جريدة « العمل » اللبنانية ٢١ - ٨ - ١٩٧١ .

٢ - الوهن الذي ذب في حركة التحرر العربي *

٤ - حالة الانحسار التي تمر بها المقاومة الفلسطينية وعدم تخطيطها لمرحلة الانحسار هذه *

ومن بين الداعين للكيان الفلسطيني محمد أيو شيلباية أحد محرري صحيفة القدس التي تصدر في القدس العربية ، حيث جاءت دعوته في كتاب صدر مؤخرا في الضفة الغربية بعنوان « لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة » يدعو فيه الى اقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس العربية ، والقدس اليهودية عاصمة لاسرائيل دون وجود حاجز بينهما . ويدعو الامم المتحدة ومجلس الامن ودول العالم أن تقوم بحماية الدولة الفلسطينية في أية تدخل مدة عشر سنوات على الأقل . كما يطالب الدول العربية بتمكين اللاجئين من العودة الى اراضيهم *

المقاومة ومشروع

الدولة الفلسطينية

ليس هناك شك في أن مستقبل ومصير الضفة الغربية المحتلة وثيق الارتباط ومرهون بالمواجهة العربية مع اسرائيل ، سواء كانت هذه المواجهة مستأخذ طريق الحل العسكري * أو الحل السلمي . والدعوة الى اقامة الدولة الفلسطينية ، وهي دعوة قديمة كما ذكرت ، ستكون أيضا جزءا في إطار التسوية العربية الشاملة في حالة حدوثها . الا أن حركة المقاومة الفلسطينية لم تتخذ بعد وجهة نظر واضحة ومحددة . فقط كانت محل حوار وبحث ونقاش *

ويقول « أبو اياد » أحد قادة فتح بعد أن تحدث

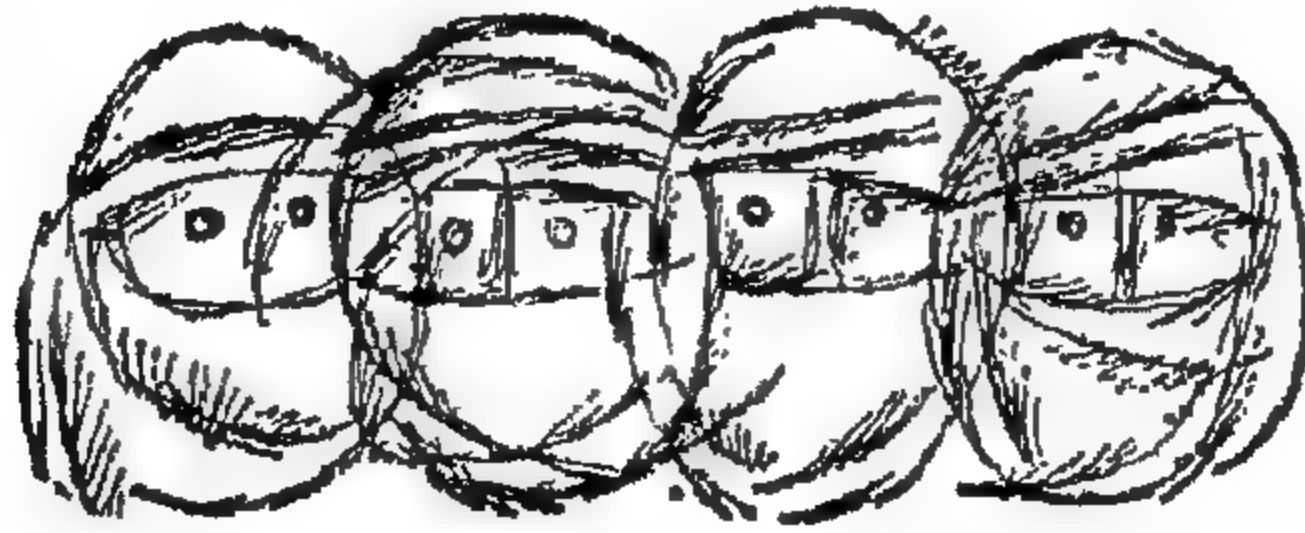
عن مؤامرة النظام الاردني على حركة المقاومة ، وعن عقدة خوف الشعب الفلسطيني من العودة الى الحكم الاردني :

«تشكل كل هذه العوامل تيارا داخل الضفة الغربية يستغله عملاء أذكىء لمحاولة ايجاد الحلقة أو تهيئة الحلقة المطلوبة في حالة التسوية السياسية التي ترغب فيها اسرائيل . وهي حلقة الشعب الفلسطيني بحيث يوقع هو على قرار انهاء قضيته وهو شيء أساسي بالنسبة لمخططي الحل السلمي » . ويضيف قائلا « الحل المطلوب وليس الحل المعروض ، والذي يتضمن أن يكون للفلسطينيين نوع من الحكم الذاتي الذي لا يعبر عن شيء الا مجرد أن يكون أداة بيد اسرائيل لتقول ان القضية سويت وأنهيت » (١٥) *

ويقول الدكتور « جورج حبش » امين عام الجبهة الشعبية حول نفس الموضوع « وفي هذه الحالة نمارس فعاليتنا القتالية ضد هذا العدو مهما كان شكله ، مثلا هناك مقاومة في غزة تقاوم الاحتلال الاسرائيلي . واذا حصلت تسوية سياسية المهم أن تبقى المقاومة في غزة سواء لتقاتل الاحتلال الاسرائيلي أو النظام الرجعي العائد الى غزة أو لتقاتل «دولة فلسطينية» رجعية اذا جاءت كمحصلة للتسوية السياسية » (١٦) *

وبعد *****

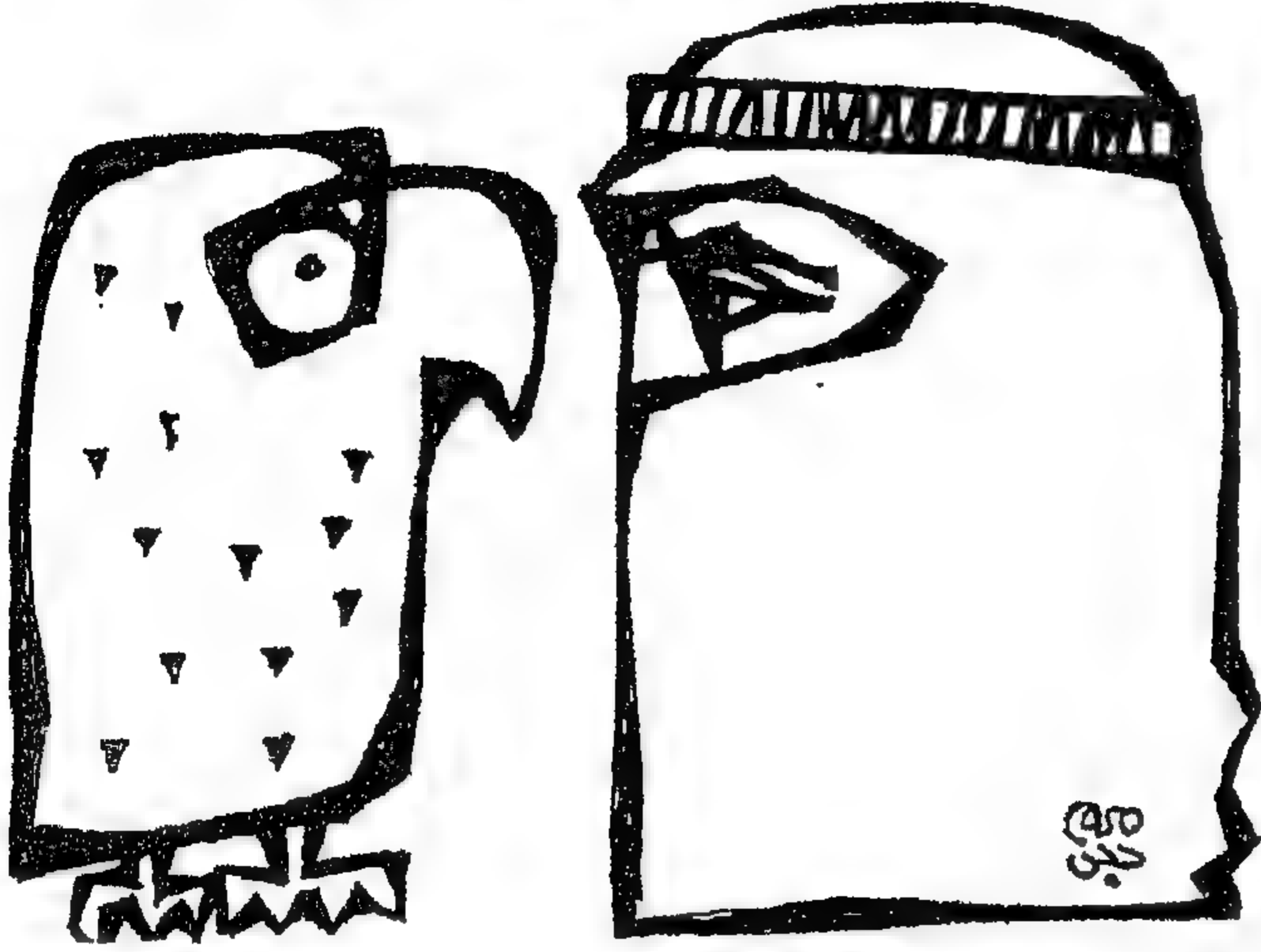
فانه اذا حدث وتخلت اسرائيل عن بعض الاراضي التي احتلتها بعد ١٩٦٧ ، فإن تخليها سيكون شكليا محضا نظرا لاصرارها على تسواجدها العسكري في المناطق المحيطة بالاراضي التي تنوى الانسحاب منها وهو ما كشفت عنه بوضوح ، تصريحات العديد من كبار قادتها *



[١٥] مجلة شؤون فلسطينية العدد ٤٣ - ٤٤

[١٦] نفس المرجع العدد ٤ ص ٢٩٧

الأردن والمقاومة وجهها لوجه



تجارب

٧ سنوات

تؤكد :

لا مجال للتعايش

احسان بكر

ماذا حدث في الاردن اطول جبهات المواجهة مع العدو، وما هي مخططات النظام ليس من أجل تقييد العمل الفدائي، أو انهائه كلياً من الاردن، بل وصولاً الى اتفاق منفرد مع العدو الاسرائيلي؟

ثلاثة أقسام يتعرض لها هذا المقال بالبحث والدراسة . الاول : شريط سريع لتلاحق الاحداث بين النظام الاردني وحركة المقاومة الفلسطينية . . الثاني : محاولة لتقديم الاجابة على السؤال المطروح وهو كيف تمكن النظام الحاكم في عمان من تنفيذ مخططاته السوداء وما هو الاسلوب الذي اتبعه المخطط الاردني للتعبئة ضد حركة المقاومة الثالث : ما هي آفاق المستقبل بعد كل ما حدث وجرى . .

هذه الدراسة تعتمد على مجموعة من الدراسات التي خرجت من مركز الدراسات الفلسطينية

لوجه عبر ٧ سنوات كاملة من النضال الدامي سقط خلالها مئات الشهداء وآلاف الجرحى وعشرات عشرات المعتقلين . بداية بعمالي

الانطلاق الاولى لحركة المقاومة في الفاتح من يناير ١٩٦٥ ومرورا بعام الهزيمة في الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، ووصولاً بتجدد الانطلاق والمسد الجماهيري الواسع لحركة المقاومة وعشرات الازمات الدامية مع السلطة الحاكمة التي جسدتها مذابح ايلول « سبتمبر » ١٩٧٠ الاسود ومذابح جرش وعجلون، ونهاية بوصول الوساطة المصرية - السعودية الى طريقها المسدود . .

٧ سنوات من محاولة التعايش مع النظام الحاكم في عمان كانت محصلتها الاخيرة : لا مكان للتعايش بين النظام العميل والحركة الثورية للشعب الفلسطيني .

وجهها

ولقاءات مباشرة مع زعماء الثورة الفلسطينية وزعماء الحركة الوطنية الاردنية ثم على المعيشة اليومية للعمل الفدائي لكاتب المقال مع رجال المقاومة الفلسطينية في قواعدهم الفدائية على طول خطوط المواجهة في الاردن وسوريا ولبنان .
أولا :

أولا : السلطة والفدائيون

شريط كامل للأحداث

لماذا تردت العلاقة بين النظام الهاشمي الاردني وحركة المقاومة الفلسطينية حتى وصلت الى تلك القناعة التي تسيطر على جميع الفلسطينيين بأنه لا مجال للعيش بين النظام والمقاومة ؟

عرض موجز لشريط الاحداث منذ يونيو ١٩٦٧ وحتى اعلان فشل الوساطة المصرية السعودية منذ شهور قليلة يوضح كل شيء .

فحتى قبل هزيمة الخامس من يونيو ١٩٦٧ وعندما انطلقت الطلائع الاولى ممثلة في حركة فتح في الفاتح من يناير ١٩٦٥ كان الاردن البلد العربي الذي امتلأت معتقلاته وسجونته بالفدائيين والثوار بل ولقد تمادت السلطة في اجراءاتها التعسفية الى حد القتل لكل ثائر يعود من الارض المحتلة .

ومنذ الخامس عشر من يونيو ٦٧ كانت كل مجموعة فدائية تقع في يد رجال الامن العام أو المخابرات أو الجيش تلاقى السجن والتعذيب ثم لا يفرج عنها الا بعد تقديم تعهد بعدم العمل من الاراضي الاردنية . .
والملك حسين نفسه قال في تصريح شهير له :
« مجرم كل من يحاول أن يضرب في الارض المحتلة »

أول أزمة مع النظام :

بعد تواجد الفدائيين في قاعدتهم في « الكرامة » وتحديدًا في يوم ٢ فبراير ١٩٦٨ قامت قوات من الجيش والامن العام بمحاصرة هذه القواعد وبدأت باطلاق النار على الفدائيين . ولولا تحرك الجماهير للوقوف بين الفدائيين والقوات المهاجمة لحدثت المجزرة .

في ٢ نوفمبر ١٩٦٨ احتل الجيش عمان وحاصر قواعد الفدائيين في الأغوار في محاولة لضرب الثورة . ويومها لم يكن للعمل الفدائي ما يسمى بالاختطاف أو الجرائم التي يدعيها النظام . . ولولا تدخل بعض الدول العربية وضموم المقاومة لتمكن الجيش يومها من سحق الفدائيين وتصديهم .

في ١٠ فبراير ١٩٧٠ فوجئت قيادة المقاومة بمجموعة من القرارات التي تقيد حرية العمل الفدائي وتسلبه كافة حقوقه المتفق عليها . وبدأت السلطة بتنفيذ القرارات مباشرة دون اعلام مسبق لقيادة المقاومة وكادت الأمور أن تصل الى حد الصدام العنيف يذهب ضحيته الالاف لولا ضبط النفس فانتهت المؤامرة باتفاق على عودة الاوضاع الى ما كانت عليه . لكن السلطة لم تلتزم واستمرت في تنفيذ مخططاتها فأنشأت « الشعبية الخاصة » وكانت لها ثلاث مهمات رئيسية :

● إثارة النزعات الاقليمية في صفوف الشعب الواحد ، وفي صفوف القوات المسلحة عن طريق افتعال حوادث باسم الفدائيين وارتيكاب جرائم خلقية باسم المقاومة .

● اشاعة جو نفسي ضد الفدائيين بين المواطنين والقيام بتصرفات من شأنها أن تساعد على تثبيت هذا المناخ المعادي ضد الفدائيين .

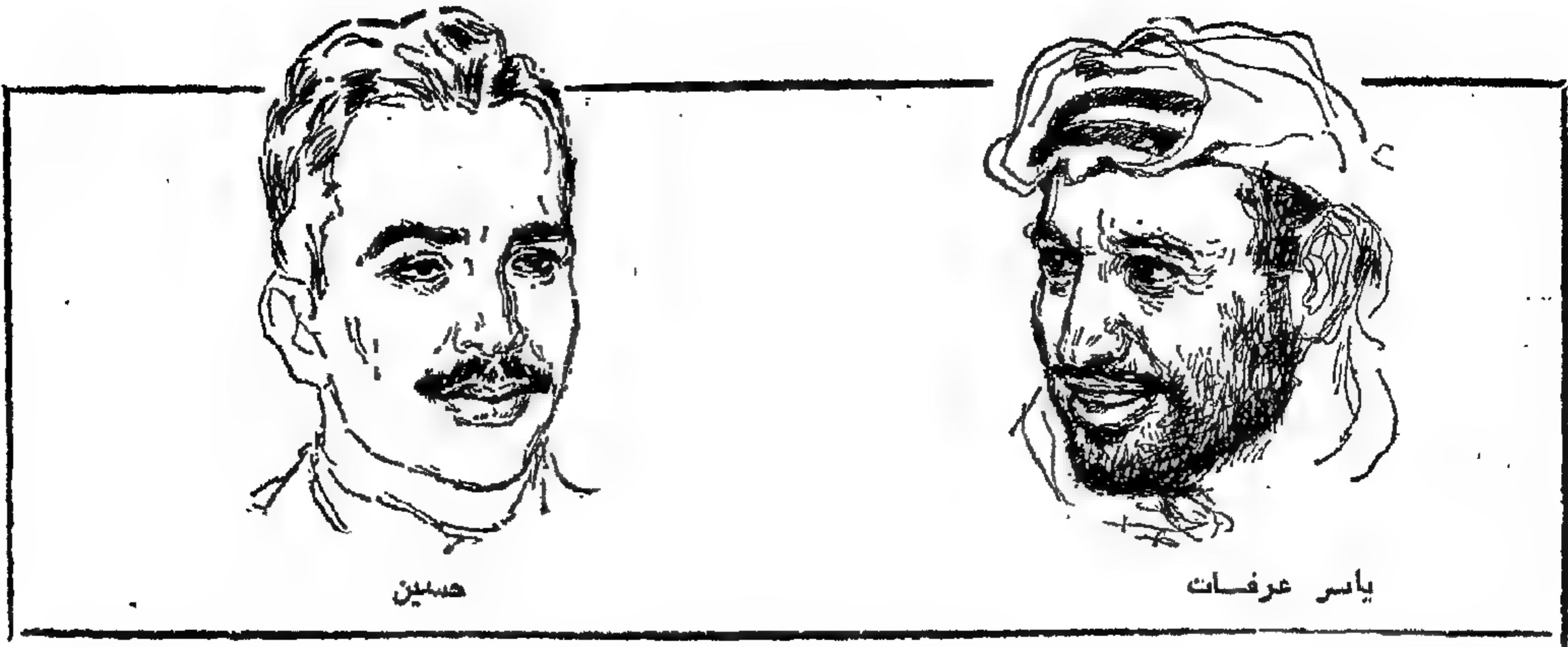
● دس العناصر التابعة للشعبية في وسط الفدائيين للتخريب من الداخل وللقيام باغتيالات داخل صفوف الثورة وخارجها .

(ولخطورة مهمة هذه الشعبية التي لعبت دورا كبيرا في أحداث ٧ يونيو ١٩٧٠ ، فقد كان اتصالها بشخصيا بالملك حسين ورأسها الشريف ناصر بن جميل خال الملك وقائد الجيش وقتئذ وصمت لعضويتها كبار رجال المخابرات وضباط الجيش والامن العام) .

ثم جاءت حوادث السابع من يونيو ١٩٧٠ . وكانت المحاولة الجادة والصميمية من قبل النظام الاردني لضرب حركة المقاومة . فقد افتعلت الشعبية الخاصة « وقوات الصاعقة الاردنية » التابعة لها عدة حوادث ألقت مسئوليتها على العمل العدائي فبدأت معارك عنيفة بين الجيش والفدائيين . ثم انتهت المعارك الدامية بخضوع السلطة وطرد المسئولين عن الازمة وهما الشريف ناصر بن جميل والشريف زيد بن شاكر .

(أثناء هذه المعارك في الاردن اجتمع مؤتمر القمة في طرابلس وحضره وقتها القائد الخالد جمال عبد الناصر حيث قرر المؤتمر ايفاد أربعة ممثلين عن الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وليبيا والسودان وهم الدكتور حسن صبري الخولي والسيد قائد احمد والرائد محمد نجم والرائد عامون عوض ابو زيد ، وانتهت جهود الوسطاء الاربعة بتوقيع اتفاقية ١٧ يوليو ١٩٧٠ التي وضعت حدودا للسلطة الاردنية وحدودا للعمل الفدائي) .

وما كادت هذه الاتفاقية الاخيرة توضع للتفويض حتى بدأت العراقيل والسدود تقف في طريقها . وبدأت ولاول مرة في تاريخ المنطقة



تخترق الشوارع والاحياء تضرب وتقصف بمدفعتها الثقيلة وتحركت أفواج المشاة ورجال البادية والحرس الملكي تعتقل وتقتل وتذبح كل فلسطيني حسب هواها وعصبيتها وتعبئتها القاتلة الحاقدة واستمرت المجزرة أكثر من عشرة أيام دامية .

وأخيرا توقف القتال ووقع الملوك والرؤساء العرب اتفاقية القاهرة في ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠ وذهبت اللجنة العربية العليا الى عمان برئاسة الباهي الادغم وفي ظل اللجنة تم التوقيع على اتفاقية عمان وملحقاتها بين الملك وياسر عرفات . وفي ظل اللجنة العربية احتلت القوات الاردنية مواقع كثيرة لم تكن قد سيطرت عليها أو استطاعت الوصول اليها أثناء القتال .

وفي ظل اللجنة العربية نفسها جرت مجازر جرش والهملان والبقة والمفرق واربد . وفي ظل اللجنة أيضا جمعت أسلحة الميليشيا والتي تنص عليها الاتفاقات . ثم انسحب الباهي الادغم . وعاد الحديث عن مشكلة الامن . ولم يكن امام المقاومة لتفادي مجزرة جديدة سوى اتخاذ سلسلة من الاجراءات العسكرية الذاتية في عمان . وعلى غير ما اتفق عليه دخل الجيش الى عمان وفتشها بيتا بيتا وأخيرا انتقل الفدائيون الى الاحراش . الى جرش وعجلون . تركوا المدن . حملوا سلاحهم . أغلقوا مكاتبهم في العاصمة وانتقلوا الى الاحراش الى عجلون ودبين والاغوار .

كل الحجج سقطت ، وكل الادعاءات تهاوت . والرجال جميعهم في الاحراش المواجهة لاسرائيل .

مجزرة جرش نهاية الوجود

الفدائي العلني في الاردن

ماذا حدث في الاحراش ؟ وما هي قصة المجزرة « الجريمة » ؟

محاولات قتل جماعية للشعب الفلسطيني بقصف المخيمات والاماكن الاهلة بالسكان بالمدفعية لساعات طويلة مما اضطر قيادة حركة المقاومة الى طلب عقد جلسة عاجلة لمجلس جامعة الدول العربية تقرر على أثرها ايفاد لجنة عسكرية برئاسة السفير أمين الشبلي - مندوب السودان لدى الجامعة العربية الى عمان . لكن اللجنة العربية ووفد المقاومة ووفد حكومة عمان وكان السيد عبد المنعم الرفاعي وقتها رئيسا للحكومة لاحظ أن الملك حسين لا يريد أي نقاش مع المقاومة وأنه ينوي توجيه ضربة قاصمة للفدائيين في كل أماكن تواجدهم .

بداية مذابح أيلول

■ في يوم الثلاثاء ١٥ سبتمبر ١٩٧٠

عقد اجتماع مشترك ضم الحكومة واللجنة العربية والمقاومة وخرج الجميع باتفاق تام حول كافة القضايا المطروحة . وأعلن راديو عمان وفي الساعة الحادية عشرة مساء نصوص الاتفاق مع الفدائيين والبرنامج الزمني الذي ينظم تنفيذه .

وفي الوقت الذي كان فيه راديو عمان يذيع اتفاق الحكومة مع الفدائيين كان النظام العميل يرتب أشياء أخرى . ففي قصر الحمر كان الملك حسين مجتمعاً بأركان حربه للتخطيط لحملة أيلول « سبتمبر » السوداء .

■ وفي اليوم التالي الأربعاء ١٦ سبتمبر أعلن اقاله الحكومة الوطنية برئاسة عبد المنعم الرفاعي وتشكيل حكومة عسكرية برئاسة العميد محمد داوود وبدأت الحملات المسعورة عبر الاذاعة تطالب الفدائيين بتسليم أسلحتهم .

■ في تمام الخامسة من مساء يوم الخميس ١٧ سبتمبر ١٩٧٠ بدأت هجمة « أيلول السوداء » بكل شراستها . المدفعية تطلق نيرانها على عمان وعلى كل ناحية منها لا تفرق بين قاعدة وبيت . بين فدائي ومواطن . وبدأت الدبابات الاردنية

من يخرج أما أن يعيدوه إلينا ثانية أو يعقل أو يطلق عليه النيران .

الامر الذي لفت نظر الجميع هو ان الوية الدروع الاردنية ونحوها من ١٦ بطارية من المدفعية الثقيلة قامت بمناورة في مناطق شمال شرق الزرقاء وكانت المناورة عبارة عن تطبيق عملي للعملية المنتظرة وهي ضرب القواعد الفدائية . هذه المناورة جرت على أرض منطقة مشابيه لارض العمليات المخطط لها ولكن بدون وجود الاحراش .

على اي فلقد انتهت المناورة التي اشرف عليها الامير الحسن يوم ١٠ يوليو وعادت القوات المشتركة الى مواقعها الجديدة حيث فرضت الحصار الشامل على جميع مناطق الفدائيين وقتها سيطروا بالنيران على جميع مصادر المياه واغلقت الطرق والوديان وطوقت المنطقة بثلاث فرق عسكرية لكي تواجه ما لا يزيد عن ٣٥٠٠ فدائي بأسلحتهم الخفيفة .

وجاء فجر ١٣ يوليو . على وجه التحديد الرابعة صباحا . قصف مدفعي كثيف شمل وغطى كافة مواقع العمل الفدائي داخل الاردن بدون استثناء . مرة ثانية يثور سؤال . . فمن يديهيات حرب العصابات ان لا تحدث مواجهة بين فوتين غير متكافئين . . بمعنى ان التهامكم مع القوات الاردنية . ٣٠ ألف جندي . هو بمثابة اناقة الفرصة لهم كاملة لايادة الفدائيين . فكيف تمت المواجهة غير المتكافئة سواء بالنسبة لعدد الافراد المهاجمين ، أو لمستوى التسليح وغير ذلك .

■ حقيقة ما تقول ، كحرب عصابات كان يفترض ان لا نصمد في وجه مثل هذا الهجوم . والمفترض نظريا هو ان نغير مواقعنا وننتقل الى مواقع اخرى وننفذ الالتهام .

ولكن الى اين نستطيع ان نذهب . . الجيش بقواته الكثيفة فرض « حصار كماشة » على كل المنطقة ومن جميع الاتجاهات . . فلم يبق هناك قطعة ارض لم تغط بقوات عسكرية الا الخلف . . الا الارض الاسرائيلية . فالى اين كنا نستطيع ان ننسحب . هنا سقطت نظرية حرب العصابات ولم يبق امامنا سوى المواجهة مهما كانت الخسائر . .

حتى الفدائيون الذين استطاعوا ان يتسللوا الى القرى الاردنية واجهتهم قوات الجيش الشعبي الاردني وذبحتهم . الجرحى منهم ذهبوا قبل ان يصل الدواء اليهم . . التموين والمياه قطعت عنهم أكثر من اسبوع . كانوا امام خيارين اما التسليم والذبح . . واما القتال حتى الموت ، ولقد اخترنا الطريق الثاني .

حد منهم يحكى القصة كما عاشها ليلة بليلة « أبو المعتصم » أحد المسؤولين العسكريين عن بين قابله في دمشق وكان قد اسقط ل من الحصار ووصل الى دمشق ليرفع الى ياسر عرفات .

خطت الدولة للتصفية ابتداء من أول يونيو . . قسمت مرحلة التصفية الى ٣ مراحل . . شملت كل شهر يونيو والثانية من أول يوليو ١٢ يوليو والمرحلة الاخيرة للتصفية بدأت يوم وليو .

أت مرحلة التصفية الاولى بفرض حصار ، وواسع على أغلب مواقع المقاومة وبدأت اية المتقطعة على مواقع الفدائيين . ثم اقتطعت ثا لاثارة سكان هذه المناطق على الفدائيين تنزاف وارهاق العمل الفدائي في نفس الوقت كل داورية كانت تخرج لقطع النهر تجاه من المحتلة كان يحدث الاحتكاك بينها وبين ش . . اما الرماية على افراد الدورية اثناء رر أو اعتقال الفدائيين بعد العودة .

يثار سؤال هام : لقد زرت كل هذه المواقع ، عليها بقدسي . . هناك التقيت بياسر عرفات اتلين . . هي أماكن محصنة . فكيف حدثت بفة بهذا الشكل ؟

حقيقة ما تقول ، جرش تتوافر فيها بوط الاساسية لحرب العصابات . قالها لى . المعتصم . هذه المناطق قريبة من مناطق العمق الاراضى المحتلة . فمن جرش نفذنا عمليات تل . والقدس ونهاريا واريحا . غابات واحراش لة بها طرق متعددة تسهل عملية التحرك الى ام والخلف باتجاه فلسطين استحكامات طبيعية ل الجبال ومصادر المياه والتموين قريبة منا . نية القاهرة وبروتوكول عمان حددا لنا تواجدنا هذه الاماكن . الاتفاقية حددت الطريق العام درعا الرمثا جرش الصويلح وكل ما يقع غرب الطريق هو مناطق تجمع لنا . وطوال هذا هر استمر الجيش في الرماية المتفرقة على اعد ثم بدأت تعزيزات الجيش تصل حول عدنا . هي في النهاية عملية تضيق ومنع ترك الفدائي تماما . .

لم كانت المرحلة الثانية من التصفية . لقد بدأت أول يوليو واستمرت حتى الثانى عشر من و . فماذا حدث ؟

لتعزيزات العسكرية اكتملت . . اكثر من فرقة كرية تمركزت حول القواعد وبدأ الحصار ق . ومعناه عدم السماح بالدخول أو الخروج قا حتى التموين والاسعافات الطبية منعت عنا بلغنا رسميا ان الطريق الوحيد الموصل لنا وهو ر « أم الرمان » أصبح ممنوعا كلياً علينا . كل

مجموعة من الفدائيين نفذت ذخيرتها فلم يكن امامها الا دخول الارض المحتلة والاستسلام الى قوات الاحتلال . لقد فضلوا - وبالبشاعة ان يستسلموا لاسرائيل على ان يستسلموا للذبح لدى حكام عمان .

حتى محيم غزة للاجئين - في جرش - قصفت المدفعية الثقيلة يوم ١٦ يوليو ، وتمت عملية ابادة شاملة لجميع القواعد المحيطة به ، ثم تعرض العشرات من سكانه للذبح الجماعي والتقتيل .

وجاءت البعثة العسكرية السورية يوم ١٧ يوليو . واخذوا ينادون علينا بمكبرات الصوت ، البعثة السورية تناديكم . لقد توقف القتال . لتخرجوا من مواقعكم للانتقال الى مواقع جديدة لتواجه العمل الفدائي : غرب منطقة اشتافينا وغرب قرية برمة والكرامة وارميمين وفعلا خرجنا من مواقع الحصار تحت اشراف السوريين للانتقال الى القواعد الجديدة .

وعندما تم خروج جميع الفدائيين - وكان عددهم نحو ٢٣٠٠ فدائي ادعى قائد الجيش عدم قدرته على توزيع جميع الفدائيين على مناطقهم الجديدة المتفق عليها مع السوريين . وطلب نقل الفدائيين الى الفرق ليوم واحد ومن هناك يتم توزيعهم على قواعدهم الجديدة .

فماذا حدث في الفرق ؟

هناك مورست على الفدائيين كل عمليات الارهاب . قسموهم الى مجموعات نقل اغلبهم الى المعتقلات بحجج مختلفة .

وفي يوم ٢٠ يوليو اجتمعت البعثة السورية بوصفي التل وطلبت منه عودة الفدائيين الى مواقعهم الجديدة والمتفق عليها فرفض بحجج مختلفة وتذرع بأن التحقيق لم ينته بعد مع عدد من الفدائيين الذين زعم أنهم مطلوبون بتهم وجنابات مختلفة فانسحب الوفد السوري .

وفي المعتقلات قام رجال المخابرات بسحب كل هويات وبطاقات الفدائيين منهم . رحلت مجموعة الى سوريا وأفرج عن مجموعة أخرى والمجموعة الثالثة تم اعتقالها . والمجموعة التي أفرج عنها تعيش تحت تهديد الاعتقال في أية لحظة بحجة عدم وجود اثبات شخصية .

ما جرى في سبتمبر « أيلول » ١٩٧٠ كان مذبحة واسعة دبرها النظام الاردني لحركة المقاومة راح

نضحياتها عشرون الفة قتيل وجريح . ووقتها قدمت الحجج والادعاءات . قبل أيلول لم يكن هناك « صيغة » تنظم العلاقة بين السلطة والمقاومة . هكذا قالوا . قبل أيلول كانت هناك أطراف تعمل لقلب نظام الحكم . كان هناك الحاد وخروج على القوانين . هكذا ادعوا . قبل أيلول كانت هيئة الدولة غائبة وسيادتها على أراضيها غير موجودة . هكذا زعموا . لكن أحداث جرش وعجلون وضمت خاتمة أخيرة لاحتمال التعايش بين المقاومة والنظام الحاكم في عمان . ففي شهر ابريل ١٩٧١ انتهى الوجود العسكري للمقاومة في عمان . وقبل ذلك بشهر سقطت اربد والسلط والفرق ثم جاء شهر أغسطس ١٩٧١ لتبدأ معارك جرش وعجلون ثم ينتهي وجود الثورة الفلسطينية العسكرية العلني في الاردن وليدخل الصراع مراحل جديدة .

وقامت محاولات عربية للوساطة وعقد مؤتمر جدة أكثر من جلسة ليواجه أخيرا الطريق المسدود فالاردن او بالتحديد النظام الحاكم في عمان لا يريد مقاومة فلسطينية مهما كانت الاتفاقات او الالتزامات العربية التي التزم بها ملك الاردن امام الملوك والرؤساء العرب .

وتفشل محادثات جدة ثم يعقد مجلس الدفاع العربي جلساته في القاهرة ويأتي وصفي التل الى مصر متحديا كل المشاعر العربية . ويسقط وصفي التل صريحا على ابواب فندق شيراتون بعد ان نفذ فيه الفدائيون حكم الاعدام الذي اصدره الشعب العربي كله .

وتنتهي الجهود والوساطات والمؤتمرات لاعادة النظام العميل الى التزاماته العربية . وتظل القضية قائمة . هناك في الاردن أكثر من مليون فلسطيني لا يطلبون سوى حرية العمل لاستعادة اراضيهم السليبة . ولكن هناك في الاردن أيضا نظام عميل كرس كل رسالته من اجل الاستسلام وتنفيذ مخططات اسياده في واشنطن .

ويبرز السؤال : كيف تمكن النظام الحاكم في عمان من تنفيذ مخططاته السوداء لانهاء الوجود الفدائي من كل الاردن . وكيف نجح في ذلك ؟ هنا نصل الى الجانب الثاني من الموضوع وهو كيف خطط النظام العميل لضرب العمل الفدائي .

ثانيا : التعبئة الاردنية

ضد المقاومة الفلسطينية

لقد شنت السلطة الاردنية حملة تعبئة شديدة ومركزة ومخططة ومدروسة ضد حركة المقاومة

الفلسطينية ، ولئن كانت هذه الحملة قد اشتدت في أواخر عام ١٩٦٩ ، وتصاعدت باطراد الى أن انفجر الصراع حادا ومدمرا في هجمة « أيلول الاسود » سبتمبر ١٩٧٠ ، الا انها كانت قد دخلت مراحلها التمهيديّة بعد معركة الكرامة في ٢١ مارس ١٩٦٨ ، حين بدا واضحا للنظام ان حركة المقاومة الفلسطينية تستقطب اهتمام الجماهير ودعمها بصورة متزايدة ، وأن كل يوم جديد من حياة المقاومة يضيف الى قوتها قوة ويشل أكثر فأكثر أجهزة القمع التي يعتمد عليها النظام .

لقد قامت السلطة بحملة دعائية وتحريض كثيفة ضد المقاومة في صفوف الجيش الاردني وبين البدو ، وعلى الرغم من أن هذه الحملة بلغت ذروتها في الفترة ما بين حزيران « يونيو » وأيلول « سبتمبر » ١٩٧٠ وما بعد أحداث أيلول ، الا انها تعود في اصولها الى الفترة التي تلت حرب يونيو ١٩٦٧ مباشرة ، بل وترجع في بعض هذه الاصول الى ما قبل حرب الخامس من يونيو . وقد استخدم النظام الاردني في دعايته وتحريضه وسائل متعددة تتراوح ما بين الكلمة المكتوبة والكلمة الحاكمة والصورة الشائعة . . وفي مقابلة اجراها صحفيان امريكيان مسبح اللواء معن أبونوار مدير التوجيه المعنوي في الجيش الاردني ومستول الحرب النفسية فيه يقول أبو نوار : « اننا نستطيع أن ننشر شائعة في عمان خلال ساعتين فقط لتنتقل من ثم الى باقي المملكة » . وتلعب الشائعات دورا فعالا ، لانها تتوجه الى اوساط تسود فيها الامية ولان البدوي والى حد ما الفلاح يتقبل الشائعات ويتناقلها ، فالبدوى محدث بارع وتستهويه الرواية ونقل الاخبار .

وفي بحث أصدره مركز الابحاث الفلسطينية عن « التعبئة الاردنية ضد المقاومة قبل هجمة أيلول سبتمبر ١٩٧٠ » يقول الباحث خليل هندی أن مواد الاعلام المكتوبة والمذاعة لم تتعرض علنا للعمل الفدائي قبل أزمة يونيو ١٩٧٠ فقد كانت الدعاية المضادة للعمل الفدائي تعتمد حينذاك على الشائعات « والفكرة اليومية الرسمية » وهي سجل للأحداث يوزع على الضباط الاردنيين في وحداتهم العسكرية ويقرأ على الجنود ، بينما لعبت وسائل الاعلام العلنية دور تعزيز مكانة الجيش ومنزله الادبية والمعنوية . وبالقاء نظرة فاحصة على جريدة « الاقصى » وهي الجريدة الرسمية للجيش الاردني يمكن استخلاص الاتجاهات الرئيسية للدعاية والتحريض ، وابرز هذه الاتجاهات التركيز على مدح الجندي ، واستثارة النعرة الاقليمية ، ودفع الجنود الى الاحساس بأن كرامتهم مجروحة وذلك بترويج قصص مختلفة هي معظمها عن الاهانات التي يوجهها الفدائيون

للجنود ولكرامة الجيش ، واستخدام الدين لحض الجنود بالحق على العمل الفدائي ، ونشر شائعات عن فضائح مزعومة ارتكبها الفدائيون ، ومحاولة ربط المقاومة بالعدو الاسرائيلي في ذهن الجنود .

والامثلة على ذلك كثيرة ومتعددة :

■ فلابد من أن يكون هناك مخطط لاستثارة النعرة الاقليمية والتفرقة بين الاردني والفلسطيني . فالاردن بلد الاردنيين ، أما الفلسطينيين فدخلاء ، وهم لا يشعرون بالانتماء للاردن وهم سبب البلاء وسبب الخراب والدمار ! هكذا صورت السلطة الامور لجنود وضباط الجيش الاردني .

ففي جريدة الاقصى الناطقة باسم الجيش نجد بتاريخ ١٢ - ١٠ - ١٩٧٠ في الصفحة الرابعة ما يلي :

« من أطفأ النور في عمان ؟ من قتل الحركة في بعض شوارع العاصمة ؟ وجاء الجواب فورا . هم الخفافيش التي تكره النور وتخافه . أبناء الظلام الذين خططوا ورسموا في سراديب جهنمياتهم . . وهنا سطعت من اعماق حقيقتهم لن انساها : حقيقة الانتماء . فالذين جذورهم ضاربة في اعماق تربة هذا البلد منذ فجر التاريخ عبر جهودهم وعرقهم لبنائه لن تطاوعهم قلوبهم على كسر قنديل زهرة في أرض هذا البلد . . هؤلاء لن تطاوعهم قلوبهم على كسر قنديل زهرة في السلط ومعان والطفلة لانهم من تراب هذا البلد ومن مائه شربوا وتحت حرارة شمسهم نضجوا وترعرعوا » .

الامر لا يقتصر أيضا على كون الفلسطينيين دخلاء على الاردن ، بل انه يتعدى ذلك . فالفلسطيني أيضا لا يتحلى بالخصال الحميدة فهو يقابل المعروف الذي أسداه له الشعب الاردني بالاساءة والاحسان بالجنود !!

وفي جريدة الجيش نفسها نشرت الاقصى بتاريخ ٢٥ - ١١ - ١٩٧٠ عمودا بتوقيع « جندي أردني من أصل فلسطيني » يقول : « والله أن هذا الشعب الاردني عظيم ونبل وشجاع وشهم . . والله انه ما صنع لشعب أكثر منه لقضية فلسطين ولم يحب شعب آخر أكثر منه شعب فلسطين » . وبعد أن يلفت النظر الى أن الشعب الاردني « اقتسم » مع الشعب الفلسطيني « الخبز والماء والهواء والارض والمأوى والتراب والعمل والرزق والحياة والايام حلوها ومرها . . وقدم له الشهداء الابرار شهيدا بعد شهيد فلم يبق بيت أردني واحد الا ومنه شهيد » يقول : « ان الذي وجدناه هنا في الاردن نحن الفلسطينيين لن نجده في أي دولة على وجه

هذه الأرض * وأبسط مبادئ الأخلاق أن لا يسىء
إحد إلى الأردن * . أن من يعتدى على الأردن قولا
أو عملا عميل صهيوني مأجور ، أو إسرائيلي معتد
غاشم * .

وبعد أن تستتير دعاية السلطة النعرة الاقليمية
تلقى بمسؤولية ذلك على الفلسطينيين فتتهم جريدة
الجيش « فتة ضالة » بأنها تنشط و « تثير الفرقة
وتغذى النعرة وتوقظ الحقد وتؤجج لهيب الاقلية
الضيقة هادفة من ذلك الى تصديق الوحدة الوطنية
وتعزيز الصف الواحد » .

بل ان الحرب النفسية التي شنها النظام ضد
الفدائيين امتدت الى محاولة ايها الجيش ان
الفدائيين يتعمدون اذلاله واهانتته * فدأبت « الفكرة
اليومية » على ايراد عدد هائل من الحوادث يوميا
عن فدائيين اهانوا جنودا أو قتلوههم أو جرحوهم
أو جردوهم من سلاحهم أو طردوهم من الاماكن
الهامة . وكانت الفكرة تؤكد على حوادث تجريد
الجنود من سلاحهم لان ذلك يستثير في الجندي
البدوي احساسا بجرح عميق في كبريائه لان
السلاح الفردي بالنسبة للبدوي جزء منه ولا تكتمل
رجولته وقروسيته الا به * . بل وعمدت أجهزة
التعبئة المعنوية الى ايها الجنود بأنهم لا محالة
سيتمرضون للاذى اذا ذهبوا الى المدن وخاصة
عمان العاصمة * . وكانت تنصيحهم بأن يستبدلوا
ثيابهم العسكرية بثياب مدنية اذا أرادوا الذهاب ،
ثم عمدت في النهاية الى منع اجازات الجنود
بحجة الحفاظ على سلامتهم * وقد أثار كل ذلك في
نفوس الجنود شعورا بالمهانة والحقد ، ولعل هذا
هو ما يفسر سلوك الجيش سلوكا وحشيا في عمان
بعد كان الجنود يظنون بأنهم يثأرون لانفسهم من
المدينة التي صور لهم انها « طالما أذلتهم
واهانتهم » .

استخدمت السلطة ايضا سلاح الدين في تعبئة
الجيش ضد حركة المقاومة ، وذلك أدراكا منها
بسيطرة الدين سيطرة بالغة على الاوساط التي
يجسد منها الجيش الاردني مادته البشرية . وقد
صورت دعاية النظام للجنود ان صراع السلطة مع
المقاومة إنما هو صراع بين الالحاد والايمان ، وقد
استفادت من ذلك الى حد ما من المفاجأة التي
كانت بعض المنظمات تطرح بها التزامها الفكري
بالماركسية والحملة التي قامت بها هذه المنظمات
في عيد لينين الثوى * .

وانذكر هنا حوارا دار بيني وبين الدكتور عبد
المنعم الرفاعي رئيس وزراء الأردن الاسبق في
منزله بجبل عمان عشية مجازر سبتمبر ١٩٧٠ *
قال لي الزعيم الوطني الاردني وهو يبتسم : « هل

تعلم ان الاردن كان أكثر الدول احتفالا بذكرى لينين
* . هل تعلم أن الندوات عقدت في الاذاعة والتلفزيون
تمجيذا للزعيم الشيوعي الكبير * ثم هل تعلم أن
الاعلام الحمراء رفعت فوق بعض مساجد عمان
وان صور ماركس ولينين غطت مسجد الحسين
الكبير في قلب العاصمة * ولما سألنا ما هو سر هذا
الانقلاب المفاجيء قالوا لنا ماذا نفعل : الفدائيون
مسيطرون على كل شيء في الاردن حتى على
الاذاعة الرسمية ، !! * .

لقد صورت الدعاية الرسمية للجيش الماركسية
انها الحاداء وفسقا واباحية وتهتكا * وقامت السلطة
عشية أحداث ايلول « سبتمبر » بتذكير الجنود
بأنهم مسلمون وبأن من واجب المسلم أن يقاتل
الملاحدين ، فوزعت على كافة المسلمين في الجيش
نسخا من القرآن الكريم بحجم الجيب ووجه رئيس
أركان الجيش بتاريخ ١٥ سبتمبر رسالة يتحدث
فيها عن اهداء « كل ضابط وضابط صف وجندي
أثمن أمانة وأعزها » وهو القرآن « ليضعها كل
واحد منكم في جيبه الايمن ويضع شهادة تعيينه في
جيبه الايسر » * وكانت دائرة التوجيه المعنوي قد
شنت في صفوف الجيش حملة ضد « الالحاد »
واستخدمت في ذلك الأئمة الملاحقين بالوحدات
العسكرية فكان هؤلاء يلقون في الجنود دروسا
ومواعظ تحض على محاربة الالحاد والملاحدين لئلا
يودي الالحاد بالجميع الى التهلكة ولئلا يكون
الجميع فتنة للذين كفروا * .

وفي جريدة الجيش الاردني بتاريخ ٢٦
اغسطس ١٩٧٠ نجد قصة قصيرة تلقي ضوءا على
المنحى الذي نحتته الدعاية المضادة للمقاومة
الملحدة في صفوف الجيش * هذه القصة على شكل
حوار يختلط فيه صوت الجندي بصوت شاب
« انيق » جاء ليحدثه عن الوطنية :

« الجندي يصلي : الحمد لله رب العالمين ،
الرحمن الرحيم . . . »

وقاطعه الشاب : ما سمعت ان ماركسيا قال * .
وارتفع صوت الجندي : اياك نعبد وايساك
نستعين * .

قال الشاب : أما انجلز فقال * . . .

وغردت تلاوة الجندي : قل أعوذ برب الناس *
وقال الشاب : شو يدك بهالحكي * الدين الفيون
الشعوب * .

وارتفع صوت الجندي مصليا : مسن شي
الوسواس البناس * . . .

قال الشاب : الرجعية هي اللي * . . .

ويكمل «الجندي ضلالتهم ثم يستدين ويهدد الشباب بأنه سيستخدم القوة فد «نهض الشباب ونقض سرواله الخشيق ودفع غرقه الطويلة عن جبينه المغندر وانسحب يهز ردفه هزا واختفى برقة ودلال» . «وبقي الجندي جالساً ورفع يديه الى السماء وقال : «يا رب انصر الحسين وجنوده . . جنود محمد على الصهيونية والصهيونيين والكفار الملحدين» .

اذن ، المقاومة تتحدث عن الوطنية والرجعية ولكنها لا تفعل ذلك الا لتنشر الماركسية والاحاد ! ونردعها يجب ان تستخدم القوة والنصر المؤزر في جانب المؤمنين بصورة أكيدة فالملحدون مخنثون وحرب المؤمنين ليست على الصهيونية والصهيونيين فحسب ، بل انها تشمل أيضا الكفار والملحدين !

وقد ركزت دعاية النظام على هذا الجانب خلال احداث ايلول الدامية ذاتها مصورة المعركة التي تدور رحاها على أنها معركة بين الاحاد والايمان . وبعد مجازر ايلول القى النظام بوزر المجزرة وتبعتها على الملحدين . فتقول الاقصى جريدة الجيش في ١٢ اكتوبر ١٩٧٠ في الصفحة الاولى : «وقعنا في الفخ» فخ ايلول «عندما اشعل الملحدون العاملون في الظلام الفتنة العمياء في اردننا الصامد» . ففي ايلول تحركت عناصر الشر الموحدة فنفذت مخططات واسعة النطاق أدت الى قاليب الرأي العام العالمي كله ضدنا . . وليس الملحدون مسئولين عن احداث ايلول فحسب ، ولكنهم مسئولون أيضا عن بقاء الاحتلال حيث هو . فتقول جريدة الجيش على الصفحة السادسة من العدد نفسه «هيهات أن يعود الوطن الذبيح والاقصى الجريح ويلتئم الشمل ما دام هناك من يعيث في البلد خرابا وفسادا ليخدم حفنة من الناس باعت ضمائرهم للشيطان ولزمرة من الملحدين الحاقدين المارقين» . ثم تحاول دعاية السلطة أن تصور «النصر» الذي أحرزه النظام في ايلول على أنه ليس الا فعل ايمان . . فيقول المشير حابس المجالي القائد العام للجيش في رسالة وجهها الى عموم الرتب في القوات المسلحة بمناسبة عيد الفطر : «أحيي ايمانكم بمعتقدكم وبرسالكم السامية التي تحملونها والتي بقيت وستبقى راسخة في نفوسكم تتحدى كل حملات التشكيك والاحاد والجحود» .

والاسر المثير للدهشة والغريبة أن النظام الاردني العميل ، حاول في دعايته المضادة ضد العمل الفدائي ربط حركة المقاومة بسالعدو الاسرائيلي . . فقد عمدت دعاية السلطة في صفوف الجيش الى القول أنه على الرغم من «التناقض الظاهري» بين حركة المقاومة واسرائيل الا أنهما في الواقع وجهان لعملة واحدة ! فالمقاومة

أو على الاقل أجزاء منها تعمل لصالح اسرائيل ومخططات اسرائيل . ويجد هذا الخط الدعائي أصوله في الحملات التشكيكية التي كانت تشن على العمل الفدائي قبل حرب ١٩٦٧ عندما كان يقال ان العمل الفدائي يهدف الى «توريث الدول العربية» في حرب مبكرة مع اسرائيل تستطيع اسرائيل فيها احتلال اراض عربية جديدة . وقد اعتمدت دعاية السلطة الاردنية العملية الفكرة الاساسية التالية : تقوم حركة المقاومة بخلق تناقضات في الجبهة العربية فتضعفها وهي في ذلك متواطئة مع اسرائيل ، أو على الاقل تخدمها . يقول الملك حسين في رسالة وجهت الى عموم الرتب في الجيش بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٧٠ : «ثبت لي بما لا يدع مجالا للشك أن قوى الاعداء التي دست في الصفوف من دست وهيأت بيننا من هيأت لتنفيذ أغراضها ومراميها . . كانت وراء الاستقرايات التي تعرضنا لها في الشهرين الماضيين في القوات المسلحة والصفوف الخلفية سواء بسواء . .» . وبعد مذابح ايلول سبتمبر عمدت دعاية السلطة الى تصعيد اتهامها فلم يعد العمل الفدائي يعمل لصالح اسرائيل بل أصبح اسرائيليا . ففي ١٨ نوفمبر ١٩٧٠ كتبت «الاقصى» الجريدة الرسمية للجيش تحت عنوان «الكذبة العظمى» تقول : ليس صوت فلسطين ذلك الذي يذاع من دمشق ، يجب التدقيق على موجاته والتأكد من أنه لا يصدر عن اذاعه سرية اسرائيلية تهدف الى ايجاد فتنة جديدة في وطننا الحبيب . ويتهم المقال اذاعة صوت فلسطين بالعمالة ويقول ان من يدعى أنه عربي ليس عربيا ابدا بل اسرائيليا بكل ما لهذه الكلمة من معنى فابحثوا عنه وامنعوه .

خلاصة القول

ان مخططا مدروسا قد تم وضعه لضرب وتصفية العمل الفدائي لا من المدن فحسب ولا من القواعد المتقدمة للفدائيين فقط ، ولكن من كل المملكة الاردنية الهاشمية لتبقى اطول خطوط المواجهة مع اسرائيل هامة لا حياة فيها . . ثم لكي تتيح الوضعية الجديدة الفرصة كاملة أمام حكام عمان في الوصول الى تسوية منفردة مع اسرائيل . .

ثالثا : العمل الفدائي

وآفاق المستقبل

وماذا بعد . هل انتهى العمل الفدائي تماما من الاردن . . والى اين يسير الصراع ؟ ماذا بعد ٧ سنوات من محاولات التعايش مع النظام العميل في عمان ؟

رغم ان خسائرننا كبيرة وبالغة . . الا ان زاد الشعب الفلسطيني لن ينفذ ابدا . فاذا كان الملك حسين قد نجح فى تصفية الثورة او وجودنا العسكرى العلنى فى الاردن فانه ابدا لن يستطيع افناء شعبنا . قالها لى ياسر عرفات قائد الثورة الفلسطينية . ان الثورة لن تنتهى ابدا طالما كان هناك فلسطينى واحد قادر على حمل السلاح .

حقيقة اننى متفائل . فرغم قساوة المرحلة التى اجتزناها ولا زلنا نجتازها . ورغم شراسة الهجمة التى تعرضنا لها فاننى اقرر ان اوضاع حركة المقاومة تحسنت الان كثيرا وكثيرا بخلاف كل توقعاتهم . لقد استطعنا بنجاح ان نصمد ١٢ شهرا نواجه التصفية العسكرية والسياسية بل ونواجه خطر افناء الشعب الا اننا لا زلنا نقف رجالا نمثل حيوية الشعب الذى رفض التشريد وقاوم التصفية .

ان الاعجاز فى حركة المقاومة الفلسطينية يرجع لاكثر من سبب :

● كان الشعب الفلسطينى حتى لحظة الانطلاقة فى يناير ١٩٦٥ مسلوب الارادة تماما مبعثر الوجود فاقد الامل .

■ وكانت الانطلاقة تعنى تسليح الجماهير ، وهذه اول تجربة فى عالمنا العربى بعد نكبة عام ١٩٤٨ توضع فيها حرب التحرير الشعبية على المحك .

■ وكانت الانطلاقة ايضا تعنى تعبئة وتنظيم الجماهير وهو هدف متقدم على هدف التسليح ونجاح حرب الشعب مرهون بمدى تعبئة وتنظيم هذه الجماهير .

■ وكانت الانطلاقة محاصرة بحقول الالغام التى لا خيار امامها من تطهيرها تحت اقصى الظروف واكثرها خطورة .

ومرت الثورة حتى حرب يونيو ١٩٦٧ بتجربة مريرة قاسية تأكدت خلالها حتمية المحافظة على نقاء الارادة الثورية وفرزت التجربة الاصدقاء من الاعداء وافرزت الطليعة الثورية المقاتلة . ثم اتت حرب يونيو ٦٤ ومع كل ما رافقها من الم ودموع ومرارة وفقدان لباقي الاراضى الفلسطينية ولاراضى عربية جديدة ، ولكن الثورة تمكنت من ان تقفز فوق كل الجراحات وان تجدد انطلاقتها بعد مرور اقل من ثلاثة اشهر على الهزيمة العربية الساحقة وان تواصل مسيرتها عبر ظروف القاهرة . ان الثورة لن تنتهى ابدا ولا بد من ان يعود للاردن وجهها العربى كقاعدة آمنة للثورة وللجماهير .

الحقيقة المسلم بها ان لا مكان للتعاضد بعد الان بين النظام العميل وحركة المقاومة ، وخطورة الموقف كله تكمن فى اندفاع النظام الحاكم فى عمان نحو عقد صلح منفرد مع اسرائيل اذا لم تستخدم كافة الامكانيات الموجودة والمتاحة ليس من اجل منعه فحسب من اكمال هذه الصفقة وانما بالاجهاز عليه لتوظيف كافة الامكانيات العسكرية والجغرافية والبشرية فى الاردن لخوض المعركة كاملة مع العدو . هذه القناعة تترسخ تماما بين كوادر وتيارات حركة المقاومة الفلسطينية ويبقى السؤال كيف يكون التنفيذ وكيف يمكن مواجهة خطورة المرحلة القادمة ؟ .

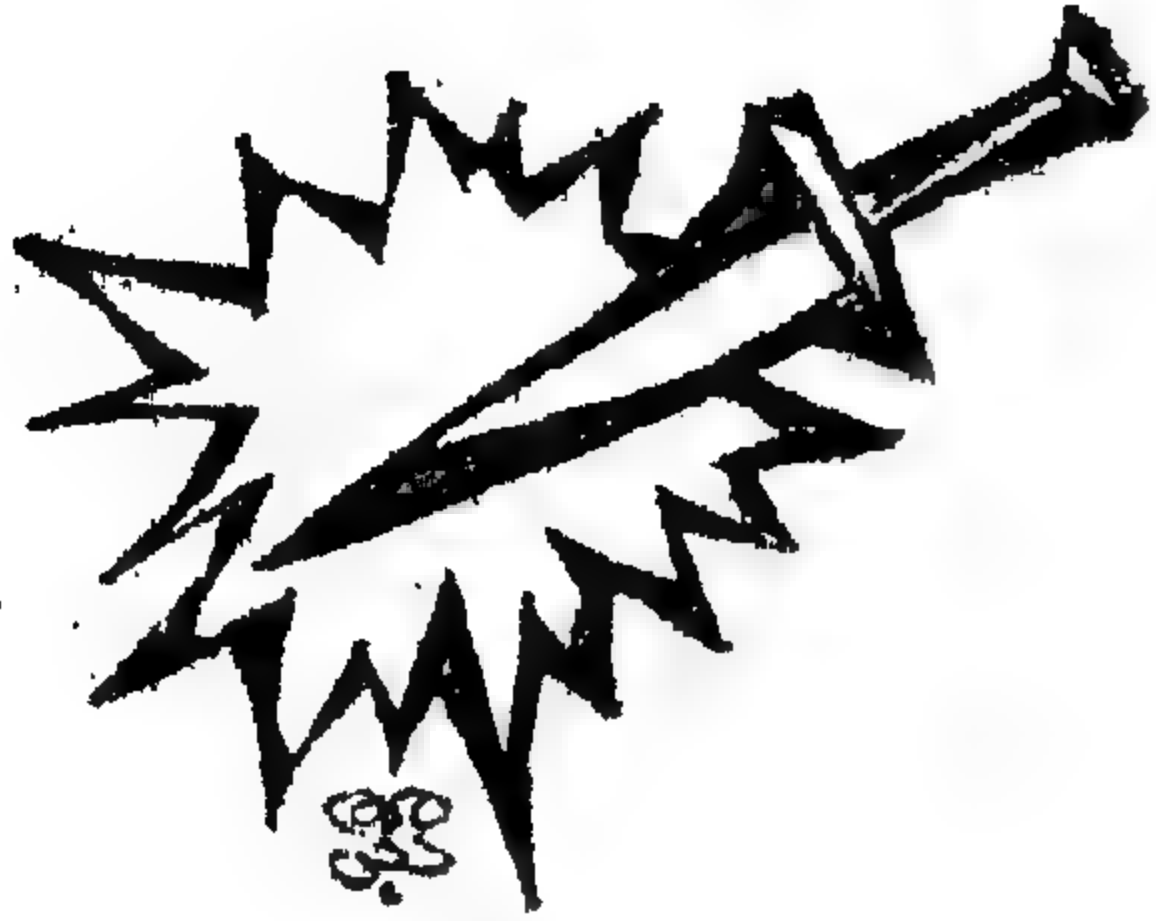
فى اعتقادنا ان التحرك الثورى فوق الساحة الاردنية لابد وان يضع فى اعتباره بعد استيعابه للحقائق السابقة تحقيق ما يلى :

١ - اعادة خريطة الصراع داخل الاردن الى وضعها الطبيعى بتشكيل جبهة وطنية عريضة من كافة القوى الوطنية التى تتناقض مصالحها المرحلية والاستراتيجية مع النظام الحاكم . فلقد بات واضحا ان النظام يحاول صرف شكل الصراع داخل المجتمع الى صراع عمودى بين اردنى وفلسطينى ، وهذا يتطلب العمل بنشاط على الاتحادات والنقابات والجمعيات وشد كل القوى للتوحيد ضد العدو الصهيونى وضد النظام المتآمر الذى يقف بين كل الجماهير وبين تحقيق اهدافها فى التحرير الوطنى والتقدم الاجتماعى .

٢ - العمل داخل صفوف الجيش الذى يعيش هذه المرحلة اوضاعا غير طبيعية ودفعه بكافة الوسائل سواء من داخله او من خلال تسخين حرارة المواجهة مع العدو ليلتفت الى الخطر المحقق بالوطن ويتحدى مجموعة الخونة والجلادين من كبار الضباط ومن اعمدة السلطة ذاتها .

٣ - توجيه مزيد من الاهتمام الى مشاكل الجماهير وقضاياها اليومية وطرح البرامج التى تتجارب مع هذه القضايا وتحل مشاكلها .

غير ان مجموعة هذه النضالات - على اهميتها - تبقى وتظل - نضالات قاصرة عرجاء ما لم تعتمد على غطاء عسكرى شامل تدفع فيه الثورة والقوى الوطنية بكافة امكانياتها فعبر هذا اللهب لتصبح مجموعة النضالات الاخرى وتصبح جملة الاوضاع فى الاردن مهياة لاقامة حكم وطنى ثورى يشارك بمسيرة التحرير حتى النهاية ، ويخوض معركة الصراع من اجل التغيير ، ومن اجل اقتلاع كافة الركائز الامبريالية فى المنطقة .



الملكة

العربية

المتحدة

في اطار المخطط الامبريالى الصهيونى

فيصل حورانى

ولكن وضع مثل هذا المشروع لم يتم ، وما قيل بشأنه قيل فى معرض الاشاعات والتهم ليس غير . وقد حال بين المقاومة وبين التوصل لمثل هذا المشروع تردى الوضع العربى بصورة عامة ، وخلافاتها فيما بينها ، وكثرة الضربات التآمرية التى تلاحقت ضدها لتحول بينها وبين محاولة التقاط النفس والتفكير الهادئ .

أيا كان الامر فان المسألة من جانبها الفلسطينى ظلت غائمة ، وبعض القيادات التى تحركت بعد مذبحه أيلول - سبتمبر داخل الضفة الغربية وتحرك اليوم قاييدا لمشروع حسين لا تملك ان تدعى لتمثيل الفلسطينيين ، ما دامت لم تقف فى اى يوم من الايام فى صف الكفاح الوطنى الدامى الذى خاضه هذا الشعب ، وما دامت لم تنشط من جديد الا على حساب هزيمة شعبيها والضربات القاسية التى وجهت لقيادته المخاربة . اى ان هذه القيادات المحلية المعزولة ليست قادرة على ممارسة التأثير الواسع على رأى العام الفلسطينى داخل او خارج الاراضى المحتلة .

واذن فان الملك حسين قد استغل غياب القيادة الوطنية الفلسطينية عن ساحة العمل فى الضفة الغربية ، وامتناع قيادة المقاومة من تقديم تصورهما لمستقبل الضفة الغربية . . استغل هذا وذاك وقدم مشروعه العتيق الذى اثار فى العالم العربى من

الحوار الذى دار حول مشروع الملك حسين حجما من اهتمام الرأى العام العربى فاق كل ما هو متوقع .

استغل

وبعث هذا الاهتمام ان مشروع الملك بصرف النظر عن الاقلية التى أيدته والاعلبية التى عارضته ، قد نبه الاذهان مرة واحدة الى حقيقة كان لابد من الانتباه اليها منذ مذابح أيلول - سبتمبر سنة ١٩٧٠

هذه الحقيقة تتعلق بمستقبل الاراضى الفلسطينية التى سيتم تحريرها من سلطة الاحتلال الاسرائيلى ، بعد ان وضع الملك حسين بسلوكه ذاته ، حاجزا بينه وبين الشعب الفلسطينى غير قابل للتجاوز ، وبعد ان سقطت الشعارات المتزايدة من ساحة العمل الفلسطينى وأصبح التفكير بتحرير الاراضى المحتلة سنة ١٩٦٧ غير معرض للاتهام بالخيانة .

وقد كان على منظمات المقاومة الفلسطينية وهى الممثلة كلها فى منظمة التحرير المعترف بشرعية تمثيلها للشعب الفلسطينى ، كيان على منظمات المقاومة ان تضع هى مشروعها او تصورهما او برنامجها لمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة بعد تحريرهما ومستقبل العلاقة بين ضفتى الاردن ، بل أن يكون هذا المشروع ذاته أحد الاهداف التى تعبا الجماهير من اجل النضال لتحقيقها .

أقصاه الى أقصاه ضجة لم تهدأ بعد .

ويستجيب المشروع ، استجابة زائفة هذه المرة ، لرغبة فلسطينية صميمة في إقامة كيان مستقل للشعب الذي نزف دمه جيلا وراء جيل كي يحظى بمثل هذا الكيان ، والاستجابة الملكية لهذه الرغبة زائفة لان الكيان الذي يقوم في ظل الاستسلام لاسرائيل ، لا يمكن أن يكون كيانا فضلا عن أن يكون كيانا مستقلا .

الكيان الفلسطيني يمكن أن يقوم ، وان يكون مستقلا ومعبرا عن مطامح الشعب الفلسطيني حين يأتي تتويجا للكفاح الوطني وتعبيرا عن نصر حققه هذا الكفاح ، وليس في الجو افق لاي نصر الا اذا كان الملك قد تلقى وعدا بأن تنسحب اسرائيل من بعض أراضى الضفة الغربية ، وتهيأ لان يصور ذلك بأنه نصر عظيم !

ثم أن التوقيت الذي اختاره الملك لعرض مشروعه لا يدعو للاطمئنان . وهذا التوقيت يشي برغبته ورغبة الذين تعاون معهم في جعل المشروع وسيلة أخرى من وسائل التخريب داخل الصف الفلسطيني والصف العربي . فعرض المشروع الممكن لمستقبل الشعب الفلسطيني بعد مذابح المقاومة وفي وقت لا يبدو فيه الوضع العربي في احسن حالاته يؤكد نية واضعيه في أن يصبح الخلاف حوله وسيلة لمزيد من التمزق داخل الصف الفلسطيني ، ولمزيد من الفرقة داخل الصف العربي .

ان المراقب يمكن أن يستعيد الاجراء التي اعقبت تقديم مبادرة روجرز ، ومع الفوارق الملحوظة ، يكتشف تكتيكا واحدا في الحالتين : تقديم مشروع يبدو حلا لمشكلة متأزمة ثم ترك الخلافات تمزق الصف العربي وتثير مزيدا من التناحر بين اطرافه لتصبح هذه الخلافات هي الاساس من غير ان يكون مقدم المشروع ، وهو في الحالتين واحد فيما يبدو ، ملزما بأي شيء بعد ذلك .

وقد اراد الملك ، وارادت واشنطن التي ايدت مشروعه ، ان يوجد سببا آخر للانقسام في العالم العربي حول مشروع أبسط ما يقال فيه انه لن يحسم المسألة شديدة الأهمية التي يتناولها وهي مستقبل الشعب الفلسطيني .

ففيما يتعلق بالفلسطينيين لا يكتفى المشروع بان يقسمهم الى فلسطينيين داخل الارض المحتلة ، وآخرين خارجها ، بل الى فلسطينيين في الضفة الغربية وآخرين في الضفة الشرقية ، فلسطينيين مع المقاومة وآخرين ضدها ، فلسطينيين مع مشروعى الملك وآخرين ضده .

ويبدو فضلا عن هذا وذاك ان واضعى المشروع قد وضعوه وعينهم على مصر : لقد اكدت مصر على الدوام التزامها بوحدة قضية المجابهة العربية لعدوان حزيران ، اكدت هذا من خلال شعارين واضحين : المطالبة بالانسحاب من كامل الاراضى

العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ ، والمحافظة على الحقوق الوطنية لشعب فلسطين العربى .

ومشروع الملك لا يشير فقط الى حل اردنى - اسرائيلى (حل منفرد) بل يشير فضلا عن ذلك الى اجهاض مسألة المطالبة بحقوق شعب فلسطين واختزال هذه الحقوق لتتصر في خاتم ذاتى داخل ما يمكن ان تتنازل عنه اسرائيل من اراضى الضفة الغربية .

وهذا يعنى ان المشروع ينسف الشعارين الاساسيين اللذين تمسكت بهما مصر والدول العربية الاخرى التي ايدت سياستها ، ويطمع الذين وضعوا المشروع - كما اشار لذلك العديد من المراقبين في الخارج ، يطمعون في التأثير على نماسك الجبهة المصرية وصلابتها في وجه المناورات الاستعمارية .

التأثير على هذه الجبهة بوسيلتين :

الاولى : أن الحل الاردنى - الاسرائيلى المنفرد بما يشتمل عليه من تزييف لمطالب الشعب الفلسطيني ولحقوقه الوطنية ، سوف يضعف الجبهة العربية المناهضة للعدوان ، ويؤثر تأثيرا شديدا سلبيا على مقدرة مصر السياسية فضلا عن المقدرة العسكرية العربية .

ومثل هذا التأثير يحصل سواء سمحت اسرائيل بتنفيذ المشروع ، أو كان عرضه مجرد وسيلة لاثارة الخلاف كما حصل بالنسبة لمبادرة روجرز .

والثانية : ان المشروع بما ينطوى عليه من معريات تيسر لانتشار الروح الاستسلامية يقدم نموذجا لحل مصرى - اسرائيلى منفرد أيضا ، ويطمع واضعو المشروع بالتالى ، في ان يحدث انشقاق داخل الجبهة المصرية نفسها بين مؤيد لمثل هذا الحل ومعارض له .

كل هذه الاثار السلبية لمشروع الملك تضعنا أمام السؤال التالى ماهو البديل ؟ والاجابة ليست شديدة العسر كما يبدو .

فبديل الاستسلام هو الصمود ، وبديل التواخي هو الاستعداد ، وبديل الكيان الزائف للشعب الفلسطيني ، الكيان الثورى الذى يصنعه بكفاحه وثورته التحررية ، والقوة الممثلة لهذا الكفاح . . القوى التى تتصدى لقيادة شعب فلسطين . كانت وما تزال خطابة بقول كلمتها صريحة من غير جمجمة بشأن مستقبل الاراضى الفلسطينية التى يمكن ان يتم تحريرها في ظل شعار ازالة آثار العدوان

ولو أن هذه القوى قد قالت كلمتها من قبل لقطعت الطريق على مناورة الملك حسين وتخريبه السياسى بعد جرائمه الدموية ، اما وانها لم تفعل حتى الان فهل من المعقول أن تبقى صامتا الى الابد بشأن هذه المسألة المصيرية ، أم ستكتفى بأن تقول : لا . . وتضيف بذلك « لا » جديدة الى سلسلة اللاءات السابقة التى لم تمنع الكوارث



يكتب هذا المقال للطليعة
خالد الحسن أحمد مؤسس
منظمة فتح وعضو اللجنة
التنفيذية لمنظمة التحرير
الفلسطينية •



لماذا نرفض المملكة العربية المتحدة



خالد الحسن

بلقور، بينما الحقائق والوثائق التاريخية تثبت،
أن إنشاء الامارة وتعيين عبد الله أميراً عليها،
كان بعد الموافقة التي أبلغها عبد الله إلى تشرشل
على السياسة البريطانية والفرنسية والصهيونية
في المنطقة أي على قيام دولة إسرائيل •

● وقال الملك حسين، ان الجيش العربي
الاردني أنقذ ما عرف بالضفة الغربية من الاحتلال
الصهيوني، والكل يعرف كيف سلم عبد الله منطقة
اللد والرملة إلى الصهاينة، وكيف تنازل عن
منطقة المثلث في مفاوضات رودس إلى الصهاينة
وفق مفاوضات مسبقة مباشرة وشخصية مع
زعماء الصهاينة أشار إلى وقائعها ووثائقها المقدم
عبد الله التل في مذكراته المشهورة عن خيانة الملك
عبد الله وتواطئه مع الصهاينة والبريطانيين •

١٥ - ٣ - ١٩٧٢ ، التي الملك
حسين خطابه الذي أعلن فيه
مشروعاً اسماء مشروع المملكة
العربية المتحدة ، وقد انقسم

بتاريخ

الخطاب إلى شقين ، مقدمة تاريخية ، ومشروع
« المملكة العربية المتحدة » .

أولاً - المقدمة :

١ - لقد تضمنت مقدمة المشروع سرداً مقلوباً
وكاذباً لحقائق تاريخية أصبحت معروفة لدى
الكافة من أجهزة رسمية وشعبية ، وحتى لدى
المواطن العادي في طول البلاد وعرضها • وعلى
سبيل المثال لا الحصر نورد النقاط التالية :

● لقد قال الملك حسين أن إنشاء إمارة شرقى
الاردن كان انقاذاً لأرض هذه الإمارة من وعد

● وقول الملك حسين ، بأن الجيش الاردني انقذ القدس التي عرفت فيما بعد بالقدس العربية .
والكل يعرف أن الجيش لم يتحرك للاشتراك في معركة القدس الا بعد أن قام المرحومان رياض الصلح وجميل مردم بزيارة الامير عبد الله بعد منتصف الليل وهددوه بنفض موقفه علنا اذا لم يتحرك الجيش الاردني الى القدس . ثم يأتي المقدم عبد الله التل ، قائد منطقة القدس في تلك الفترة ليفضح التواطؤ الذي كان قائما على القدس ، والطريقة التي تخطى بها هذا التواطؤ ، عندما استغل الامر الشكلى للامير عبد الله وتمكن بمساعدة القوات الفلسطينية والعربية المتطوعة من انقاذ المدينة القديمة . وكان بالامكان تحرير القدس كلها لولا صدور اوامر الامير عبد الله بايقاف المعركة والاكتفاء بالقدس القديمة .

● ثم تحدث الملك حسين عن الاجراءات التي تمت لتوحيد الضفة الغربية مع الضفة الشرقية بينما الجميع يعرف :

أ- ان الزعماء الفلسطينيين الذين زاروا الامير عبد الله في قصره جعلوا شرط الوحدة أن يتعهد الامير بالعمل لتحرير ما احتله الاسرائيليون من فلسطين . ولكنه رفض اعطاء هذا التعهد فغادروا قصر عبد الله دون أن يبايعوه اميرا عليهم .

ب - ان ضم الضفة الغربية الى امانة شرق الاردن ، كان تأمرا على القضية الفلسطينية ، الامر الذي دفع الجامعة العربية ، في اجتماع خاص عقد لهذا الموضوع ، الى اصدار قرار بعدم الاعتراف بهذا الضم واعتبار الضفة الغربية وقطاع غزة ، والحمة امانة لدى الدول العربية الثلاث (سوريا ، مصر ، شرق الاردن) وهذا القرار لا يزال قائما حتى الان .

● ثم تحدث الملك حسين عن المساواة في الحقوق والواجبات بين ابن فلسطين وابن شرق الاردن ، والكل يعرف الحقائق التالية :

أ- ان ابن فلسطين كان ولا يزال مواطنا من الدرجة الثانية فيما عرف بالملكة الاردنية الهاشمية ، في مجال الوظائف والممارسة الفعلية لتطبيق القانون ، واصبح من التكرار القول بأن الممارسة العملية كانت بسيطرة اقلية حول الملك حسين وعائلته ، على أغلبية سكان المملكة الاردنية الهاشمية .

ب - ان الاضطهاد الذي وقع على أبناء فلسطين في هذه المملكة وصل الى حد جزاء أبناء نابلس وراء الخيول الى الزرقاء ، وموت العديد منهم على الطريق .

ج - ان التخطيط النضالي والاقتصادي كان مقصورا على الضفة الشرقية ومنع قيام أي مشروع تزيد تكاليفه عن عشرة آلاف دينار في الضفة الغربية .

● أما ما حاول الملك حسين أن يظهره من حرص على القضية الفلسطينية ، وتحرير فلسطين فانه أمر يدعو الى السخرية ، أن يصدر هذا الكلام عن مسئول لا تزال يديه ملطخة بدماء الشعب الفلسطيني ، ليس من خلال مذابح أيلول وجرش وعجلون فحسب ، وانما عبر تاريخ علاقة هذه العائلة بالشعب الفلسطيني وبالنضال الفلسطيني منذ عام ١٩٢١ حتى الان مروراً بمسرحية حرب حزيران التي أعلن فيها حسين نفسه بأنه خسر ٢٥ ألف جندي ليتبين بعد ذلك أن عدد شهداء هذا الجيش لم يتجاوز العشرات بسبب تخطيط القيادات الاردنية العليا التي أرادت ابعاد هذا الجيش عن القتال .

● هذا فضلا عن أن الهدف الاساسي من انشاء امانة شرق الاردن وضم الضفة الغربية اليها ، وتحويلها الى مملكة ، كما أثبتته الوقائع والوثائق والاتصالات الاسرائيلية مع الامير عبد الله منذ ١٩٣٠ ومع الملك حسين قبل وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ كانت تهدف الى :

أ - اذابة الشخصية الفلسطينية النضالية .
ب - انهاء وجود شيء اسمه الشعب الفلسطيني واعطائه اسما آخر .
ج - الاسهام الفعال في تنفيذ مشاريع أمريكا والعدو الصهيوني في توطين الفلسطينيين لانهاء مشكلة الشعب الفلسطيني خارج وطنه .

د - دفع العناصر المتمردة علنا على هذه السياسة الى مغادرة المملكة الاردنية بوسائل الارهاب المختلفة المشهورة التي مارسها ويمارسها الملك حسين وقبله الملك عبد الله على أبناء فلسطين .

٢ - وخلاصة القول حول هذا الموضوع ان علاقة عبد الله والملك حسين وعائلته باسرائيل وبلاستعمار كانت علاقة تنطلق من محور التآمر على القضية الفلسطينية وعلى الشعب الفلسطيني في سبيل البقاء ملكا على عرش ملكي قائم على جماجم أبناء فلسطين ، وفي مملكة يبنيها من المساعدات الاستعمارية السخية التي تعطى له ثمنا لهذا التآمر الذي لا يختلف عليه اثنان في الاما العربية .

٢- ومن هنا ، فإن أي تحرك عملي أو لفظي للملك حسين وبطانته لا يمكن أن ينظر اليه الا بمنظار الشك والريبة ، فضلا عن الخيانة والتآمر ، خصوصا اذا كان هذا التحرك يتصل بالشعب الفلسطيني وبالقضية الفلسطينية .

ثانيا - مشروع « المملكة العربية المتحدة » :

● لا نريد الخوض في مناقشة تفاصيل مواد المشروع الاثنى عشر ، لان مثل هذه المناقشة لا يمكن أن تجري الا اذا توفرت شروط عدة أهمها :

١ - ظروف طبيعية أهمها الجو الديمقراطي الحر البعيد عن ظروف الاحتلال والارهاب .

٢ - توفر حسن النية لدى مقدمي المشروع .

٣ - توفر الثقة التامة بين الاطراف المعنية .

● وهذه الشروط غير متوفرة اطلاقا ، ومن هنا كان لابد من حصر البحث في أهداف هذا المشروع ونتائجه ، ولإجراء بحث هادئ وموضوعي لهذه الأهداف والنتائج كان لابد من التطرق الى :

١ - الظروف والتحركات المتصلة بتوقيت اعلان المشروع .

٢ - نتائج المشروع في المجال العربي .

٣ - نتائج المشروع في المجال الفلسطيني .

٤ - نتائج المشروع على الوحدة الوطنية الاردنية الفلسطينية .

الظروف والتحركات المتصلة

بتوقيت المشروع

● على الساحة الاردنية :

١ - بعد كارثة حزيران ١٩٦٧ ، لم يكن بإمكان نظام الملك حسين في الاردن أن يستمر في ضرب الثورة الفلسطينية بنفس الاسلوب الذي اتبعه لضربها منذ ١ - ١ - ١٩٦٥ ، فقد تفككت أدوات قمع الدولة وأصبحت الجماهير الاردنية بذهول من هول الكارثة ، أنقذتهم منها الثورة الفلسطينية ، التي استمرت وحدها في كفاحها المسلح ضد العدو الصهيوني ، الامر الذي دفع بالجماهير الاردنية الى حماية واحتضان الثورة الفلسطينية جنبا الى جنب مع الجماهير الفلسطينية فشكلت سدا قويا ضد رغبة الملك حسين في ضرب الثورة الفلسطينية (قبل معركة الكرامة) أما بعد معركة

الكرامة ، فقد انضم الجيش الاردني الى صفوف الجماهير يحمي الثورة الفلسطينية ويساعدها ويساندها رغم أوامر القادة الكبار لهذا الجيش وأوامر الملك نفسه .

ب - ولمواجهة هذا الموقف انشا الملك جهازا خاصا اسمه (الشعبة الخاصة) تقوم بالتنسيق عبر الملك شخصا مع أجهزة المخابرات الملكية والامريكية بما يلي :

١ - شق جماهير الضفة الشرقية وجذب اكبر قدر ممكن منها الى جانب الملك ضد الثورة الفلسطينية .

٢ - شق الجيش الاردني وجذب اكبر قدر ممكن منه الى جانب الملك ضد الثورة الفلسطينية ودفعه الى المطالبة بضرب الثورة .

٣ - وعندما نجح في ذلك ، مستغلا اخطاء بعض فصائل المقاومة وقيام اجهزته بممارسة مشينة باسم العمل الفدائي ، خطط لمذبحة ايلول ١٩٧٠ التي سقط فيها حوالي خمسة الاف شهيد واكثر من خمسة عشر الف جريح .

٤ - وبذلك حقق انفصالا قائما على الحقد والثار بين الفلسطينيين والاردنيين زاد في تكثيفه وتوسيع شقته بمذابح جرش الاولى ثم مذابح جرش وعجلون في شهر يوليو - تموز ١٩٧١ ، ثم في عمليات الارهاب والسجن والاعتقال والتعذيب والقتل غير المعلن واصدار احكام الاعدام العفوية لكل من تعاطف مع الثورة الفلسطينية في الضفة الشرقية .

٥ - كما صاحب ذلك عجز عربي كامل في ردع الملك حسين وبطانته من ممارسة هذه المذابح بالاضافة الى اعلام بذىء وحاقد مارسه اذاعة عمان ضد الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية ، الامر الذي خلق جوا نفسيا فلسطينيا عفويا بالغ الالم يكاد يصل بهم الى اليأس من الموقف العربي تجاههم ، والى التحول باتجاه تفكير ذاتي لحماية انفسهم وحل مشاكلهم بمعزل عن الجهد العربي والتعامل العربي .

ج - في هذا الجو اخذت المخابرات الاردنية والامريكية تطرح فكرة (الدولة الفلسطينية) كمخرج يتجاوب مع الواقع النفسي الفلسطيني الدولة هي المخرج من واقعهم والملاجأ من ظالمهم ، اما اجهزة الاعلام الاردنية العلنية فاخذت تنهم الفلسطينيين والثورة الفلسطينية بانها تريد الدولة

الفلسطينية وفصل وحدة الشعبين الاردني والفلسطيني ، لخلق ردة فعل مضادة تغذي الاقليمية الفلسطينية وتزيد في اليأس الفلسطيني ، يساعد على ذلك الهجمات الاسرائيلية المتوالية على قواعد العمل القدامى في سوريا ولبنان ، والعجز العربي في مواجهة ذلك كله ، بعد ان فرضت ضربة الملك حسين للثورة الفلسطينية الاتجاه الى اعادة بناء ذاتها فظهرت وكأنها ساكنة عن الحركة الثورية ضد العدو الصهيوني ، هذه الحركة النضالية المسلحة التي اعتادت الجماهير في الارض المحتلة قبل مذابح ايلول الاحمر .

د - في هذا الجو النفسي الذي استغرق التخطيط له وممارسته ست سنوات كاملة ظهر الملك حسين فجأة بمشروعه ليروم الفلسطينيين بأنه يتجاوب مع مشاكلهم ورغباتهم العفوية من خلال حكم ذاتي تحت سيطرته وليبرر لعمالته المرتزقين على موأئده خيانتهم الجديدة تحت ستار ما يسمى بالحكم الذاتي ، وليضع الشعب الفلسطيني في مصيدة الخيانة كما سيظهر ذلك في جزء آخر من هذه المذكرة ، تماما كالجلاد الذي يعطى المجلود قليلا من الماء ليتمكن من جلده اكثر واكثر .

هـ - وهنا لا يمكن ان نفصل توقيت اعلان المشروع عن الانتخابات البلدية التي يجريها العدو الصهيوني المحتل في الضفة الغربية - حيث نلاحظ الحوادث والنتائج التالية :

١ - اعلنت سلطات احتلال العدو الصهيوني عن عزمها لاجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية .
٢ - باشر الاعلام الاردني موقفا مضادا من هذه الانتخابات فاحجم عملاء الملك حسين في الضفة الغربية عن التجاوب مع الانتخابات الى جانب الموقف الوطني الحقيقي الذي وقفته جماهير الضفة الغربية .

٣ - كان هذا الرفض الملكي بداية مرحلة من المفاوضات بين الملك حسين وبين سلطات الاحتلال الصهيوني مباشرة تم عن طريق عملاء الملك في الضفة الغربية (انور نسييه وغيره) انتهت بموافقة الملك حسين على اجراء الانتخابات البلدية في الضفة الغربية فصمتت وسبات الاعلام الاردنية العلنية عن مهاجمة الانتخابات . هذا وقد كانت مواقف الملك حسين وسلطات الاحتلال اثناء المفاوضات كما يلي :

١ - موافقة الملك على التفاوض المباشر مع سلطات العدو الصهيوني لحل قضية الشرق الاوسط على ان يتسبق ذلك قيام الجانب الصهيوني بتقديم خارطة تبين الاجزاء التي ستعود من الضفة الغربية عند تنفيذ الحل المزعوم لتسهيل عملية التنفيذ ، وقد قدمت للملك حسين بالفعل خارطة

حدد عليها مشروع ايجال الون وقد وافق الملك على هذه الخارطة .

ب - وافق الملك على المشروع الاسرائيلي الخاص بالقدس على ان يؤجل اعلان ذلك لوقت آخر .

ج - اصرار سلطات الاحتلال الصهيوني على وجود طرف فلسطيني يوافق على مشروع الملك ، وموقف عربي موافق ايضا على مشروع الملك المبني على مشروع ايجال الون (وهذا يفسر تحرك الملك في الساحة العربية) .

د - ان يطرح الملك مشروعه في الوقت المناسب (بعد انتهاء الانتخابات البلدية) والخروج منها بصيغة تمثيلية تمكن من ايجاد الطرف الفلسطيني الذي يقبل بمشروع الملك القائم على اساس مشروع ايجال الون بعد ان يكون قد تم ضرب الثورة الفلسطينية نهائيا .

٤ - قام الملك بطرح مشروعه ليكون البرنامج الانتخابي العلني لعمالته في الانتخابات البلدية وطرحه قبل انتهاء عملية الانتخابات من باب التمويه حتى لا يكون الربط بين المشروع وبين مؤامرة الانتخابات البلدية اكثر وضوحا ومن هنا نستطيع ان نفهم معنى تصريح انور نسييه (بعد اعلان المشروع) عندما قال بأنه لم يفاجأ بالمشروع ولكنه فوجيء بتوقيته اعلانه .

● الساحة الدولية :

١ - منذ مدة ، والرسميون الامريكيون يعلنون ان تحقيق سلام دائم في الشرق الاوسط لا يتم الا برضاء الفلسطينيين ، وهذا يعني ضرب ارادة النضال الفلسطينية بضرب العمل القدامى الفلسطيني ، وقيام صيغة فلسطينية تكون طرفا في التسوية (مشاريع فيشر الامريكي ، الذي يمثل مشروع الملك حسين احداها) .

٢ - اشار الرئيس نيكسون في تقريره الى الكونجرس الامريكي الى الشعب الفلسطيني بطريقة جديدة عندما قال :

« ولا يزال الشعب الفلسطيني مشتتا في كل انحاء العالم العربي ، يضغط بكفاحه ، من اجل الحصول على وطن ، على ضمائر وسياسات الحكومات العربية ، مما يزيد التوترات تفاقم داخل الدول العربية ، وبينها (اسرائيل) . ان الحكومات المستقرة والمعتدلة مهددة من قبل حركات هدامة ، بعضها يلقي العون والمساعدة من الخارج » .

وهذا يعنى :

أ - أن نيكسون يريد أن يؤمن وطننا ما للشعب
لفلسطينى .

ب - أنه يريد أن ينهى حالة الضغط التى
يمارسها النضال الفلسطينى على ضمير الامة
العربية وحكوماتها .

ج - أنه بذلك يلغى حالة التوتر فى المنطقة ،
ويساعد الحكومات المعتدلة على الاستقرار بعد
انتهاء الحركات الهدامة (الثورة الفلسطينية) التى
هى السبب فى ذلك كله ، والتى يجب انهاءها (عن
طريق الملك حسين والعدو الصهيونى) .

٣ - أبدى روجرز ارتياحه لنتائج الضرب
المواصل للثورة الفلسطينية .

٤ - أعلن حسين عن مشروعه .

٥ - أرسل الملك حسين وفودا الى الدول العربية
لشرح المشروع وأخذ الموافقة .

٦ - أعلن الملك حسين عن رحلته القريبة الى
الولايات المتحدة حاملا معه كما يأمل :

أ - موافقة بعض الدول العربية على المشروع .
ب - نجاح مرشحيه فى الانتخابات البلدية فى
الضفة الغربية كضمان لتمثيله للفلسطينيين عبر
مشروعه .

ج - موافقة العدو الصهيونى على أساس نتائج
المفاوضات التى تمت بين الملك حسين وبين سلطات
العدو الصهيونى والتى أصبحت مكشوفة بشكل
ظاهر لكل عين .

٧ - سيقوم نيكسون بزيارته للاتحاد السوفيتى ،
وقد أصبحت المشكلة الفلسطينية مطروقة ومعه
مشروع للتنفيذ ، وبذلك يسهل حسين مهمة نيكسون
فى موسكو على أمل الاتفاق على حل مشكلة الشرق
الاوسط بما ينهى القضية الفلسطينية نضاليا ،
ووفق الرغبة الامريكىة الاسرائيلية ، ويكون خلال
ذلك قد تم انجاز الاهداف الاساسية الصهيونية
التالية :

أ - ضرب الثورة الفلسطينية فى الاردن عن
طريق الملك حسين (وقد تم) .

ب - ضرب الثورة الفلسطينية فى لبنان عن
طريق الاعتداءات الاسرائيلية ، ولا تزال هذه المهمة
تحت التنفيذ .

ج - حل المشكلة الفلسطينية بوطن ما ، وهو
مشروع الملك حسين .

د - اجهاض الحالة النفسية النضالية للشعب
الفلسطينى كنتيجة لكل ذلك أو بمعنى آخر تصفية
الارادة الشعبية الفلسطينية .

٨ - عشية اعلان الملك حسين لمشروعه :

أ - قال جوزيف سيسكو بان احتمالات السلام
فى الشرق الاوسط لا تزال بعيدة ولكن فى استطاعة
المرء أن يتوقع نوعا من التحرك فيما يتعلق
بالاردن .

ب - وقال روجرز : أنه مطلع على تطورات
الشرق الاوسط المتعلقة بالملك حسين . وقال . .
هناك تطورات فورية ستوضح القضية .

٩ - فور اعلان الملك حسين لمشروعه أعلن
روجرز بأن أمريكا لم تفاجأ بالمشروع وأنها ستقدم
بتقديم رد مؤزّن عليه فى الوقت المناسب (قبيل أو
بعد رحلة نيكسون الى موسكو) .

١٠ - وقال المعلقون السياسيون الاسرائيليون
فى تل أبيب أن سيسكو - مساعد وزير الخارجية
الامريكى - قام هو أيضا بدور أساسى فى
الاتصالات بين الاردن واسرائيل وفى بلورة الافكار
التى اشتمل عليها مشروع الملك . . و اضافوا . .
أن هذا المشروع ، من اهدافه ، الضغط على مصر
من أجل التوصل الى حل جزئى لفتح قناة
السويس .

١١ - أما الدوائر الامريكىة ، فقد وصفت
مشروع الملك حسين بأنه خطوة جريئة نحو السلام
(الامريكى طبعاً) وقالت رويتر ، ان الرسميين
الامريكيين حرصوا كل الحرص على عدم التعليق
على المشروع حتى لا تثار الشكوك حول الملك
حسين .

١٢ - أما رونالد زيجلر ، المتحدث باسم البيت
الابيض الامريكى - فقد قال أن زيارة الملك حسين
القادمة لواشنطن ستشمل محادثات مفصلة حول
الخطوة التالية (لاعلان المشروع) .

١٣ - أما النيويورك تايمز الوثيقة الصلة
بوزارة الخارجية الامريكىة ، فقد قالت « ان
مشروع الملك حسين يستحق بالتأكيد الاهتمام به
باعتباره امكانية متاحة من أجل التوصل الى
السلام فى الشرق الاوسط » وقالت أيضا : ان
الفلسطينيين بفضل مكانتهم فى المملكة العربية
المتحدة ، قد يحصلون على صوت قوى فى

مفاوضات السلام التي لا ترى إسرائيل أنها ممكنة
الامع عمان فحسب ، *

وقالت أيضا :

« ان بعض الزعماء الفلسطينيين المتطرفين
(الثورة الفلسطينية) استنكروا مشروع الملك
حسين باعتباره مؤامرة تستهدف خلق حركة
المقاومة وتصفيه القضية الفلسطينية ، وهذه هي
في الواقع أكبر ميزة في المشروع لانها تزيل
العوائق التي اعترضت طريق السلام لمدة تزيد على
عشرين عاما .

١٤ - من كل ما سبق ، ومما سيظهر تباعا من
المواقف الامريكية والاسرائيلية والبريطانية يتضح
تماما التخطيط الامريكي الاسرائيلي في مشروع
الملك حسين واهداف هذا المشروع التأميرية لضرب
واجهاض وقتل :

١ - الارادة النضالية العربية من اجل
التحرير .

٢ - ارادة الثورة الفلسطينية وارادة الشعب
الفلسطيني النضالية المسلحة وتصفيه القضية
الفلسطينية والشعب الفلسطيني الامر الذي يفرض
على كل مواطن ومستول رفض مشروع الملك حسين
واحباطه ومواجهته بكل قوة .

موقف سلطات العدو الصهيوني

١ - قبل اعلان الملك لمشروعه باسبوع فصلت
سلطة الاحتلال الصهيوني غزة عن قيادة شمال
سيناء ، والحققت بالضفة الغربية ، وفي هذا تمهيد
للاشارة غير المباشرة التي وردت في مشروع الملك
حسين عن غزة .

ب - بعد اعلان المشروع ، ظهرت ردود فعل
اسرائيلية رسمية معارضة بعنف من حيث اللفظ ،
وبليونة من حيث المضمون لمشروع حسين :

١ - فقد انصب اعتراض جولدا مائير مثلا على
ان المشروع لا يمكن تنفيذه ، الا بموافقة
(اسرائيل) وبمفاوضات مباشرة معها ، وكجزء
من خطة السلام .

٢ - اما رئيس لجنة الامن والشئون الخارجية
في الكنيست وعضو حزب المابام فقد اعترض على
المشروع لانه ذكر القدس عاصمة للضفة الغربية ،
وان لفظ الضفة الغربية اتى شاملا بينما العدو لن
يتنازل عن كل اراضي الضفة الغربية .

٣ - اما يوري افنيري ، فقد قال انه يوافق على
اي حل على اساس استفتاء الشعب الفلسطيني
(انتخابات الضفة الغربية) وقال أيضا بشأن

مشروع الملك حسين هو مشروع ايجال آلون ، وفي
اليوم نفسه نشر في مجلته هاعولام هازيه خارطة
توضيحية لمشروع آلون (!!) .

٤ - اما ايجال آلون نفسه ، فقد قدم مشروعه
الى الكنيست لآخذ الموافقة عليه معطيا ان هذا هو
اسبب وقت لتنفيذ مشروعه ، وبالتالي تتم موافقة
العدو الصهيوني على مشروع الملك حسين تحت
ستار الرفض التكتيكي الاسرائيلي كما حصل
باسسبة لمشروع روجرز تماما .

ج - فاذا ربطنا ذلك كله باللقاءات الاسرائيلية
مع الملك حسين ، وبالموقف الامريكي وبالانتخابات
ابديه في الضفة الغربية وموقف الملك حسين منها
بعد المفاوضات التي تمت مع العدو الصهيوني
بشأنها ، امكنا الوصول الى قناعة لا تقبل الشك
بان مشروع الملك حسين هو مشروع اسرائيلي ،
امريكي ينفذه الملك حسين لصالح الوجود
الاسرائيلي والاستعمار الامريكي .

د - كما امكنا ان نقول ان ثمننا ما سيدفع الى
الملك حسين قد يكون في اعادة فتح ملف مشروع
مبتور للهلال الخصيب ، ولكن هذه المرة لصالح
قصر الملك حسين في عمان بدلا من قصر الملك
فيصص الثاني في بغداد ، خصوصا اذا اردنا ان
نفهم سر الذرم الامريكي في تسليح جيش الملك
حسين لدرجة ان مدى سلاح الدبابات (م ٦٠)
الذي سلح بها الجيش الاردني تفوق مدى سلاح
الدبابات في العالم العربي وخاصة سوريا
والعراق بنسبة ثلاثة اضعاف ، واذا اردنا ان نفهم
ايضا المهام التي قام بها الملك عبد الله بضرب كل
الحركات المضادة للاستعمار ، البريطاني في
العراق والمحاولة التي قام بها الملك حسين لضرب
سوريا بعد هزيمة حزيران ، اخذين بعين الاعتبار
التطور الذي طرأ على اولويات مهام الجيش
الاردني كما نشرته مجده الجيش الامريكي نقلا عن
قيادة الجيش الاردني العليا كما يلي : « قبل عام
١٩٦٧ كانت الاولويات هي اسرائيل (!) سوريا
والعراق الامن الداخلي بعد عام ١٩٦٧ حتى ايلول
اصبحت الاولويات هي الامن الداخلي اسرائيل (!)
سوريا والعراق ، بعد مذابح ايلول وجرش
وعجلون اصبحت الاولويات هي سوريا
والعراق ، الامن الداخلي ، اسرائيل (!) .

نتائج تنفيذ مشروع الملك

حسين في المجال العربي

ان نجاح مشروع الملك حسين ، او حتى عدم
تراجع الملك حسين عن مشروعه سيؤدي الى
النتائج التالية في المجال العربي :

١ - تشجيع بأدرة الانفraz في القضايا القومية المصرية .

٢ - ضرب الموقف العربي الموحد الذي هو أكثر ما يكون ضرورة للامة العربية في ظروفها الراهنة وهي تواجه الاستعمار العالى والصهيونية العالمية في معركة تقرير المصير العربي كله وذلك اذا ما وافقت بعض الدول العربية على مشروع الملك حسين .

٣ - ان قضية فلسطين شعبا ووطنا ، هي القضية المفجرة والموحدة للنضال العربي في صراعه مع الصهيونية العالمية والاستعمار العالى .

ان مشروع الملك حسين يهدف الى عزل هذه القضية عن المسرح العربي تمهيدا لاعطائها حقنة الموت وبذلك فان هذا المشروع اذا نجح ، يفرغ وحدة النضال العربي المتفجر من مضمونه الاساسى ، ويثبت الوجود الاسرائيلى في فلسطين ويحول العلاقة المصرية السورية بالوجود الاسرائيلى الى مشكلة حدود محلية تفقد حتى زخمها العالى في معركة العرب ضد الاستعمار العالى ، وبذلك يكون مشروع حسين اذا نجح قد حقق للاستعمار ما فشل في تحقيقه مشروع تمبلر وحلف بغداد ومشروع ايزنهاور ومشروع حلف شرق البحر المتوسط وغيره من المؤامرات الاستعمارية على الامة العربية .

٤ - ان عزل القضية الفلسطينية عن المسرح العربي ، مع ترسيخ الوجود الاسرائيلى وتسهيل امتداداته السرطانية في الامة العربية ، من خلال مشروع الملك حسين سيؤدى الى عزل (مصر) عن النضال العربي ، وفرض سياسات اقليمية متنافرة في الواقع العربي ، وبذلك يتم اجهاض المسيرة التحررية العربية في المرحلة الراهنة على الاقل ، اخذين بعين الاعتبار قيام العدو الصهيونى بمصادرة اراضى رفح لاقامة حزام امن مكمل لمشروع آلون يفصل بين فلسطين عن سيناء .

٥ - ان نجاح هذا المشروع يعنى بالضرورة انعزال مصر وسوريا والعراق عن الاردن بسبب الموقف الخائن للملك حسين وهذا يعنى انتهاء أى أمل فى شىء اسمه الجبهة الشرقية أو التعاون العسكري العراقى السورى الاردنى .

٦ - وهذا بدوره سيولد صراعا محليا عربيا يحول الجهد العربى عن المعركة الاساسية منع العدو الصهيونى ويفرض واقع الاستسلام العربى على ارادة النضال والتحرر العربية .

٧ - ان الدول العربية الوطنية التى قبلت بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كانت تقرن موافقتها على هذا القرار بتمسكها بحقوق الشعب الفلسطينى فى

وطنه وبحقه فى تقرير مصيره وبحقه فى النضال المستمر حتى التحرير .

ان نجاح مشروع الملك حسين ، وعدم تصدى الدول العربية له سيؤدى بالطبع الى تخلى هذه الدول ايضا عن التزاماتها تجاه الشعب الفلسطينى والثورة الفلسطينية الامر الذى يضع كل من يوافق على هذا المشروع فى موقف الخيانة للشعب الفلسطينى والتآمر على حقوقه .

٨ - ان مشروع الملك حسين (اذا نجح) يمثل تنفيذا لمشروع ايجال آلون ، أى تنفيذ قرار مجلس الامن بالمفهوم الاسرائيلى ، أى الاستسلام للارادة الاسرائيلية فى المنطقة أى خيانة الامة العربية ، فضلا عن خيانة الشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينية .

٩ - ومن هنا ، كان لابد للدول العربية ان ترفض مشروع الملك حسين وتفرض عليه سحبه أو تتخذ الاجراءات اللازمة ضده ، والا فان من يوافق على المشروع ومن لا يعمل لافشال المشروع ، يقف الى جانب حسين واسرائيل ضد مصالح الامة العربية والشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينية .

١٠ - ان الملك حسين انما يستغل العجز العربى عندما قدم مشروعه وعندما يعمل على انجاح هذا المشروع ، والموقف العربى مطالب باثبات العكس .

نتائج تنفيذ المشروع

فى المجال الفلسطينى

اما نجاح مشروع الملك حسين ، او حتى عدم تراجعه عنه ، سيؤدى الى النتائج التالية بالنسبة للشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينية :

١ - ان الملك حسين يحاول بمشروعه تنظيم العلاقة الدستورية بين الشعب الفلسطينى والشعب الاردنى فى ظل عرشه ، وهو بذلك يقوم بحركة التفاف كبيرة ، حول حقيقة الصراع بين الشعب الفلسطينى والملك حسين ونظامه فيحوله من صراع حول حق الشعب الفلسطينى فى النضال المسلح ضد العدو الصهيونى الى صراع بين فلسطينى واردينى ، والى مناقشة فى اوضاع دستورية . بينما الواقع يتطلب العمل النضالى من أجل التحرير . وهذا يعنى الهاء مقصود للشعب الفلسطينى عن قضيته ونضاله ، وتحويل انظاره الى شكل علاقات دستورية لا صلة لها بالمرحلة النضالية .

١ - ازدواجية التمثيل الفلسطيني *

ب - استمرار ممارسة الملك حسين تمثيله لابناء فلسطين في المجتمع الدولي وخيانتهم باسمهم *

ج - خلق حالة تناقض بين وجود حكومة قطرية فلسطينية وبين كون (فلسطين) عضوا في جامعة الدول العربية من خلال منظمة التحرير وقرارات الجامعة العربية ومؤتمر القمة العربي الثاني الذي اعتبر منظمة التحرير هي الممثلة الوحيدة للشعب الفلسطيني . ان بداية الصراع حول هذا الموضوع ، تعني بداية صراع فلسطيني عميق بضرب ابناء فلسطين بعضهم ببعض من خلال التسلط الملكي فيصرف بذلك ابناء فلسطين عن واجبهم الحقيقي في النضال ضد العدو الصهيوني *

٦ - ان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني امر اقرته :

١ - ارادة الشعب الفلسطيني ونضاله وضحاياه وشهداءه *

ب - قرار هيئة الامم المتحدة في دورتها عام ١٩٧٠ التي اقرت ايضا شرعية نضال هذا الشعب حتى يحقق حقوقه الوطنية *

ج - قرارات الجامعة العربية وبروتوكولها الخاص بفلسطين *

د - قرارات مؤتمر القمة الاسلامي ووزراء خارجيته وميثاق التضامن الاسلامي الذي ضم ٢٣ دولة *

هـ - اعتراف عدد كبير من الدول الصديقة بمنظمة التحرير كممثلة للشعب الفلسطيني ، وفي طليعتها الصين *

٧ - ان مشروع الملك حسين ، هو عدوان صارخ على الشعب الفلسطيني ، وعلى حق هذا الشعب في تقرير مصيره لان تقرير المصير لا يتم بارادة ملكية سامية !! وانما يتم على الارض الفلسطينية المحررة التي يمارس عليها شعب فلسطين سيادته بحرية *

ومشروع الملك حسين بالتالي : هو محاولة واضحة ، لسحب الاعتراف الدولي والعربي وغير العربي من الثورة الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني ، هذا الاعتراف الذي حققه شعب فلسطين بنضاله وشهداءه وضحاياه *

٨ - ان مشروع الملك حسين اذا نجح ، سيحول القطر الفلسطيني الى جسر عبور اسرائيلي الى شرق الاردن ومنها الى العالم العربي في المجالات الاقتصادية والسياسية ، ومن هنا ، فان مشروع

٢ - ان انشاء قطر فلسطيني له حكومة ، واخذ اردني له حكومة ، ثم حكومة مركزية اردنية فلسطينية ، انما يهدف الى ان يشترك الفلسطينيون بشكل رسمي من خلال (حكومتهم !!) بالمفاوضات المباشرة او غير المباشرة مع العدو الصهيوني لتنفيذ قرار مجلس الامن او غيره من القرارات التي تهدف كلها الى الاعتراف بشرعية الوجود الاسرائيلي في قضية فلسطين وهذا يعني :

١ - ان يشترك الفلسطينيون رسميا في خيانة وطنية ، يخطط لها الملك حسين ، ويخرج منها بريئا ، لان الفلسطينيين قد وافقوا على التسوية من خلال (حكومتهم !!)

ب - ان الوجود الصهيوني في اسرائيل يهدف بوضوح الى الحصول على سلم اسرائيلي مدعوم بشرعية الوجود والبقاء المعترف بهما عربيا وفلسطينيا ، والعدو الصهيوني يدرك ان الشرعية الحقيقية التي تمكنه من الوجود السلمي والبقاء السلمي ، هي الاعتراف الفلسطيني به ، وهذا الاعتراف الفلسطيني بشرعية الوجود والبقاء يتم وفق خطة الملك حسين عن طريق الحكومة المركزية الممثلة للحكومة القطرية الفلسطينية التي خطط لها مشروع الملك حسين *

٣ - ان نجاح هذا المشروع ، الذي يحتاج الى قتل الثورة الفلسطينية والموافقة العربية ، يفرغ كل النضال العربي والفلسطيني منذ عام ١٩٢٠ حتى الان من مضمونه ويحول كل الشهداء والضحايا والتضحيات البشرية والمادية التي بذلت لمحاربة الخطط الاستعمارية للمنطقة والوجود الصهيوني فيها الى كم مهمل ، وكأنا نقدم الضحايا لنمارس الخيانة *

٤ - كما ان نجاح هذا المشروع ، وبالتالي نجاح حسين والعدو الصهيوني في أخذ الاعتراف الفلسطيني بشرعية الوجود الصهيوني ، يفقد الشعب الفلسطيني باجياله الحاضرة واللاحقة حقها الدولي في النضال من أجل تحرير الوطن ، ويصبح مثل هذا النضال اعتداء على شرعية دولة صهيونية أخذت الاعتراف بها دوليا وعربيا ثم فلسطينيا ، أي سقوط الحق العربي الفلسطيني في فلسطين بأرادة فلسطينية واجهاض الثورة الفلسطينية بارادة عربية وأداة فلسطينية *

٥ - ان انشاء حكومة قطرية فلسطينية ، هو في الحقيقة انشاء سلطة فلسطينية رسمية تقليدية عميلة في موقف مضاد لسلطة الشعب الفلسطيني الثورية الممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالتالي فان نجاح مشروع الملك حسين يؤدي الى :

والتفاعل معها الى جدل بين نظري دستوري لا علاقة له بالمرحلة النضالية الراهنة .

آثار المشروع على الوحدة

الفلسطينية الاردنية

لقد مارس الملك حسين عملية شق الوحدة الفلسطينية الاردنية الجماهيرية (من خلال المذابح التي قام بها ضد الشعب الفلسطيني في الاردن) تحت شعار وحدة الشعبين .

لقد أنشأ الملك حسين بمشروعه حكومة فلسطينية وأخرى أردنية تحت شعار وحدة الشعبين ، في الوقت الذي كانت تهتف فيه الجماهير الفلسطينية المذبوحة في عمان ومخيمات اللاجئين حول عمان بهتاف شعب واحد لا شعبين تعبيرا عن ايمانها الصادق بالوحدة الحقيقية ، وليس بالوحدة الانقسامية التي يريدها الملك حسين .

ان مشروع الملك حسين يكرس الانقسام بين الشعبين ويكرس الحقد والكراهية ويتناقض مع ارادة الجماهير الفلسطينية والاردنية التي تريد تنظيم علاقاتها مرحليا وفق الشكل التالي :

١ - وحدة النضال الى ان يتم التحرير .
٢ - بعد التحرير يتم تحديد العلاقات الدستورية بين أبناء فلسطين وأبناء شرق الأردن وفق الاسس التالية :

أ - وحدة الضفتين على أساس وطني ديمقراطي .

ب - عدم المساس بالحقوق الوطنية التاريخية لشعب فلسطين في كامل التراب الفلسطيني .

ج - عدم المساس بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين الخاصة بكفاحه المسلح حتى تحرير كل الوطن الفلسطيني .

د - المساواة الحقيقية في الحقوق والواجبات بين مواطني الضفة الشرقية والضفة الغربية على أساس حكم وطني ديمقراطي دستوري .

هـ - ان يتم ذلك كله ومن خلال استفتاء جماهيري حر بمؤسسات ديمقراطية حرة .

من كل هذا نخلص الى أن مشروع الملك حسين مشروع تأمرى تصفوي لا يستهدف الشعب الفلسطيني وحده ، وإنما يستهدف الأمة العربية وتطلعاتها لتكون (المملكة العربية المتحدة) قاعدة للاستعمار الأمريكي وجسرا للصهيونية مع كل ما تمثله من عنصرية وتوسع ، وهذا يحتم على الأمة العربية أنظمة وجماهير ان تتصدى لهذا المشروع وأن تنهى تأمر الملك حسين على الأمة العربية والشعب الفلسطيني .

الملك حسين (اذا نجح) لا يضع الشعب الفلسطيني في موقع الخيانة مع نفسه فحسب ، وإنما يجعله أداة لخيانة الأمة العربية ، وهذا ما لا يمكن للشعب الفلسطيني ان يرضاه أو يقبل به .

٩ - ان الملك حسين بمشروعه ، إنما أراد ان يثبت أنه المتحدث الرسمي باسم الشعب الفلسطيني باعتباره ملكا لما سمي بالمملكة العربية المتحدة ، التي تحكم بحكومة مركزية ، فيها حكومة اسمها حكومة القطر الفلسطيني .

ان هذا أمر مرفوض . . فلا أحد يتكلم باسم الشعب الفلسطيني الا قيادته الثورية .

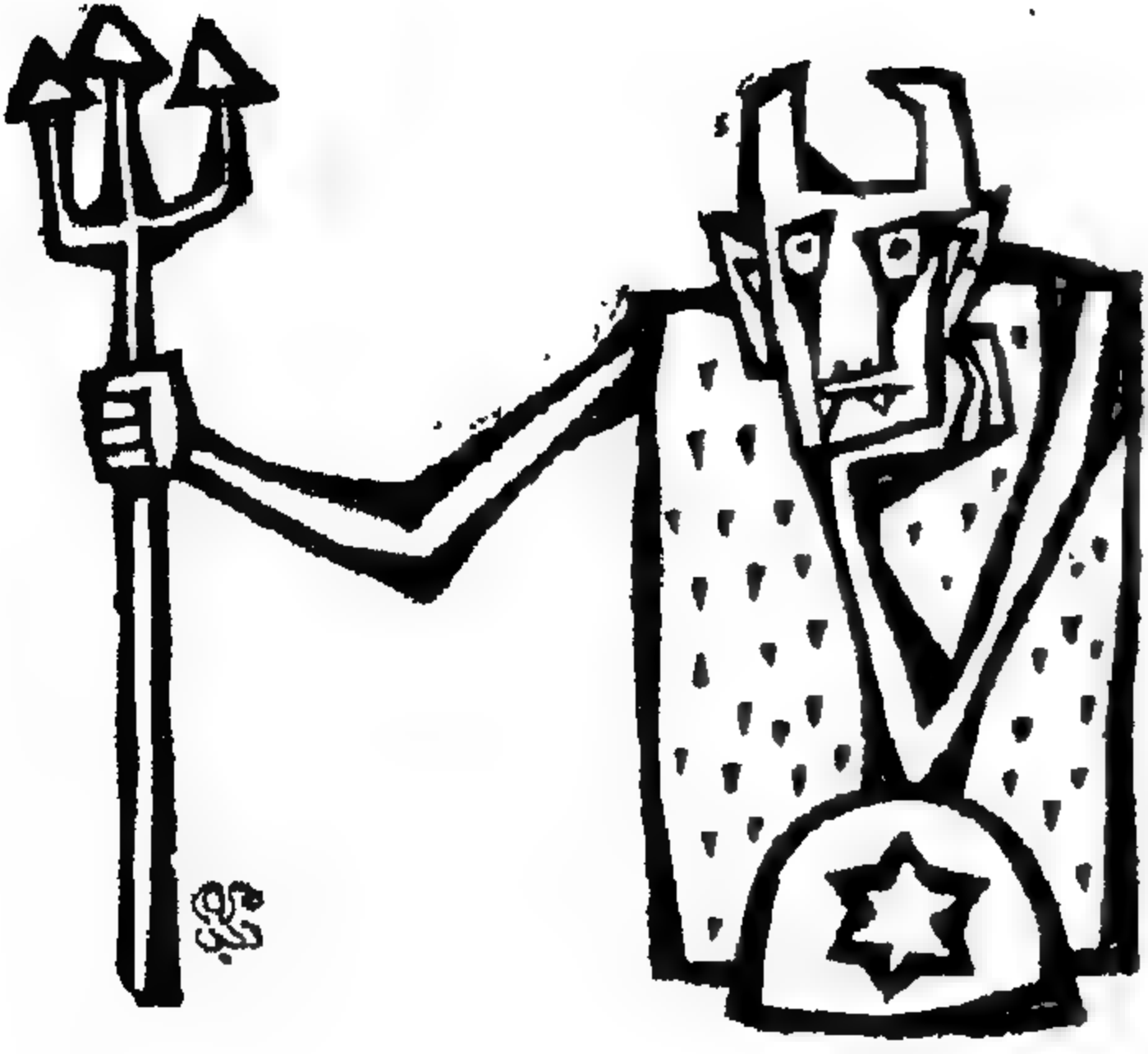
١٠ - ان مشروع الملك حسين يؤدي الى اشتراك الشعب الفلسطيني ليس في قرار مجلس الامن فحسب وإنما في تفسيره الاسرائيلي أيضا ، كما يؤدي الى استيطان الفلسطينيين في الاماكن المقيمين بها ، ولذلك يسهم الملك حسين في انجاح مشاريع الاستيطان التي ارادتها ويريدها العدو الصهيوني والاستعمار العالمي ، ولكن هذه المرة يمال فلسطيني وارادة فلسطينية .

١١ - ان مشروع الملك حسين يضع الملك حسين في موقع متقدم على (اسرائيل) والاستعمار الأمريكي في خيانة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية ويعطى المبررات كلها لتحويل النضال ضد هذا الملك من خلال النضال ضد مشروعه ، في وقت يجب فيه تحويل كل البنادق العربية والفلسطينية الى العدو الصهيوني .

١٢ - ان مشروع الملك حسين ، ان يعترف شكليا بالشعب الفلسطيني ، الا أنه يصادر ارادة هذا الشعب من خلال مشروعه الذي نصب فيه من نفسه ملكا على الشعب الفلسطيني ، خصوصا عندما الملح الى ان قطاع غزة سيكون جزءا من المشروع ، وان حكومة القطر الفلسطيني ، هي حكومة الفلسطينيين في مشارق الارض ومغاربها .

١٣ - والملك حسين بمشروعه هذا ، ومصاديقه هذه الارادة الفلسطينية ، إنما يقوم بحركة أجهاض والتفاف خائنة ، ضد الحق التاريخي للشعب الفلسطيني في وطنه وحقه الوطني في الاستمرار في النضال المسلح من أجل تحرير هذا الوطن .

١٤ - ان طرح الملك حسين لمشروعه في هذا الوقت هو بالاضافة الى النخاسة الكامنة فيه ، إنما يهدف الى خلق بلبلة فلسطينية وعربية في مناقشة الموضوع من زاوية دستورية بدلا من الزاوية النضالية ، مستهدفا بذلك تحويل التفكير الفلسطيني والعربي من دعم الثورة الفلسطينية



المؤسسة الحاكمة

في
اسرائيل

د • سعد الدين إبراهيم

الداخل؟ أى هذه المتناقضات أساسى، وأيهما ثانوى؟ أى هذه المتناقضات تحول كيفيا أو كميا الى مزايا؟ وأى هذه المتناقضات انفجر، أو ينفجر الان، أو قابل للانفجار فى المستقبل؟ هذه واسئلة مثلها تشكل ما يعرف بالتغير الاجتماعى» (الباثولوجيا الاجتماعية) اذا كان التغير سلبيا، أو «التقدم» اذا كان التغير ايجابيا».

رابعا: ما هى طبيعة وشكل القيادات الحاكمة أو النخب المسيطرة (Ruling Elites) فى المجتمع الاسرائيلى؟ ما هى خلفيتها التاريخية والطبقية؟ ما هى ملامحها الاجتماعية وخصائصها النفسية؟ ما هى أساليب هذه القيادات فى التحكم والضبط الاجتماعى؟ ما هى أساليب التعامل ودرجات الانفتاح بين هذه النخب والقطاعات الأخرى فى المجتمع الاسرائيلى؟ هذه واسئلة مثلها تشكل فى مجموعها ما يعرف بدراسة «المؤسسة الحاكمة».

فى هذه الدراسة سنحاول أن نعالج المجموعة الأخيرة من الاسئلة، وهو ما أمتلحنه على تسميته بموضوع المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل • لقد تعرضنا وتعرض آخرون للمجموعات الثلاث

وغم

وجود بعض الدراسات العربية الجادة عن اسرائيل كدولة ذات سياسة خارجية واقليلية معينة، يفتقر الفكر العربى الى دراسات متعمقة فى المجتمع الاسرائيلى من الداخل • فى هذا الصدد، نحتاج الى اجابات علمية تقريرية لاربع مجموعات من الاسئلة:

اولا: ما هى القيم والمثل والمعايير التى تحكم وتسود المجتمع الاسرائيلى؟ ما هى نظرة هذا المجتمع الى الواقع بأبعاده الماضية والحاضرة والمستقبلية؟ هذه واسئلة مثلها تشكل فى مجموعها ما يسمى «بالايديولوجية».

ثانيا: ما هو التركيب المادى والسكانى والطبقى للمجتمع الاسرائيلى؟ ما هى النظم والمؤسسات الاجتماعية التى خلقت لتوائم بين الايديولوجية من ناحية وبين التركيب المادى والديموجرافى والطبقى من ناحية أخرى؟ كيف تشكل النظم والمؤسسات نفسية الجماعة والفرد وتؤثر فى سلوكه؟ وكيف تتشكل النظم والمؤسسات بالجماعة والفرد فى اسرائيل؟ هذه واسئلة مثلها تشكل فى مجموعها ما يعرف «بالبناء الاجتماعى».

ثالثا: ما هى متناقضات المجتمع الاسرائيلى من

الاولى من الاسئلة فى مواقع أخرى (١) . ولكن حتى فى معالجة موضوع المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل فلا بد من المساس بين الحين والآخر - بالموضوعات الثلاث الاولى .

الخلفية التاريخية للمؤسسة الحاكمة

لا يمكن فهم الخلفية التاريخية لافراد المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل الا بتتبع المراحل التى مرت بها عمليات الهجرة والاستيطان فى فلسطين . هناك سبع موجات من الهجرة اليهودية تمت فى خلال الثمانين سنة الاخيرة . وتختلف كل موجة عن الاخريات فى جوانب عدة : منها حجم كل موجة ، الوطن الاصلى ، الظروف التى أحاطت بأفراد كل موجة قبل هجرتهم الى فلسطين ، المستوى المهنى والتعليمى والمالى السائد بين أفراد كل موجة . الخ هذه المتغيرات لعبت دورا حاسما فى تحديد شكل القيادات واتخاذ القرارات الكبرى التى أثرت وما تزال تؤثر على يهود فلسطين واسرائيل : فى علاقاتهم الداخلية ، فى علاقاتهم بيهود «الدياسبورا» ، فى علاقاتهم بالعرب فى فلسطين وخارجها ، وفى علاقاتهم بالعالم عموما .

١ - أهم موجات الهجرة السبع - فيما يتعلق بموضوعنا - هى الموجتين الثانية والثالثة (بين ١٩٠٥ و ١٩١٤ ، وبين ١٩١٧ و ١٩٢٣ على التوالي) . أما الموجة الاولى فكانت قد بدأت حتى قبل انعقاد المؤتمر الصهيونى الاول (بال ١٨٩٧) وقبل انشاء المنظمة الصهيونية العالمية . هذه الموجة الاولى لم يكن لها كثير من الوزن عدديا أو تنظيميا ، ولكن أهميتها كانت فى المقام الاول معنوية ورومانتيكية فهى تمثل أول مجهود جماعى من الشبيبة اليهودية فى التمرد على قيم ومعايير جيل آبائهم فى أوروبا ، وفى سعيهم لتكوين مجتمع طوباوى جديد . وتعرف هذه الموجة فى التاريخ

الاسرائيلى الحسديت باسم البليوم (٢) لم يتجاوز عدد أفراد هذه الموجة ثلاثمائة ، معظمهم من الشباب الروسى الذى فر هربا من اضطهاد حكم الكسندر الثالث ، قيصر روسيا ، فى ذلك الوقت (ثمانينات القرن التاسع عشر) . وبعد مدة قصيرة من وصولهم الى فلسطين تحطمت آمالهم واحلامهم على صخور متعددة ، أهمها برود استقبالهم من جانب الجالية اليهودية التى عاشت فى فلسطين لمئات السنين (والتي تعرف باسم الياشوف القديم) . وكان حجم هذه الاخيرة حوالى ٢٥٠٠٠ نسمة ، وكانت علاقاتهم بعرب فلسطين علاقة مودة وتبادل مصالح ، كما كانت معظم قيمهم ومعايير حياتهم اليومية مشابهة تماما لما كان سائدا بين الاغلبية العربية . بالنسبة لهذه الجالية اليهودية ، مثل أفراد موجة البليوم كانوا مصدرا للتوتر ليس فقط بسبب توقعاتهم العالية ، ولكن ايضا لانهم سرعان ما بدأوا ينظرون للجالية اليهودية نظرة احتقار واستعلاء ، الى جانب ذلك كان الحساد معظم مهاجرى البليوم مصدر استنكار وازعاج من جانب الياشوف القديم . لذلك انتهى الامر بأفراد هذه الموجة من المهاجرين الى العزلة الاجتماعية ، كما عرفت الامراض والايئة بعدد غير قليل ، وعاد بعضهم الى أوروبا من حيث جاءوا ، أما الذين بقوا منهم فى فلسطين فقد عاشوا على صدقات ومساعدات مالية اتتهم من اغنياء اليهود فى أوروبا (وخاصة من فرنسا وانجلترا) . وبدون هذه المساعدات ما كان من الممكن للأقلية الباقية أن تستمر على قيد الحياة (٣) . هذه الحقيقة - المساعدة الخارجية - تمثل خاصية أساسية طبعت وما زالت تطبع كل المجهودات الصهيونية الاستيطانية فى فلسطين الى يومنا هذا .

٢ - موجة الهجرة الثانية ، أتت هذه الموجة الى فلسطين فى أعقاب المؤتمر الصهيونى الاول ، وكنتيجة جزئية لمجهودات المنظمة الصهيونية العالمية التى انشأها ذلك المؤتمر . ونقول كنتيجة

[١] راجع فى هذا الصدد العديد من نشرات ومطبوعات : مؤسسة الدراسات الفلسطينية فى بيروت ، معهد الدراسات الفلسطينية فى بيروت ، مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بصحيفة الاهرام فى القاهرة . كذلك تعرض الكاتب لبعض ملامح المجتمع الاسرائيلى فى مقال بعنوان « ملامح المجتمع الاسرائيلى » فى مجلة دراسات عربية ، العدد ٨ ، السنة الخامسة [يونيو ١٩٦٩] ، كما تعرض على الدين هلال لبعض هذه الاسئلة فى مقال بنفس العدد بعنوان « اسرائيل مجتمع عسكري » ص ٣١-١٧ .

[٢] هذا الاسم (Biluim) هو اختصار لمنظمة « بيت يعقوب » التى انشأها الطلبة اليهود فى جامعة كركوف الروسية فى أوائل سنة ١٨٨١ ، وقد تكونت لهذه المنظمة فروع أخرى بين الشبيبة اليهودية فى شرق أوروبا فى السنوات التالية . من بين أعضاء هذه المنظمة أتى كل افواج اليهود الجماعية الى فلسطين فى منتصف الثمانينات من القرن الماضى .

[٣] زاد من عدم قدرة أفراد موجة البليوم على الاكتفاء الذاتى عاملين : أولهما أنهم كانوا ذو خبرة محدودة فى فلاحه الأرض اذا ما قورنوا بالعمال الزراعيين العرب وقتئذ ، وثانيهما تعودهم على مستوى معيشى عال نسبيا منذ كانوا فى روسيا . وعدم استعدادهم للتنازل عن هذا المستوى . وبالتالي لم تكف الاجور أو الدخول التى حصلوا عليها من عملهم لاشباع حاجاتهم ، لذلك كانت الصدقات الخارجية هى الوسيلة الوحيدة لرأب هذا العجز .

جزئية ، لان العامل الرئيسى فى هجرة هذه الموجة كان جو العسف والاضطهاد الذى ساد روسيا القيصرية عقب هزيمتها فى الحرب مع اليابان . ومع هرب مئات الالوف من اليهود الروس ، استطاعت المنظمة الصهيونية ان تحول منهم جوالى ٢٥٠٠٠ شخص الى فلسطين (اما الاغلبية فتد آثرت ان تهاجر الى غرب اوربا وامريكا) ورغم قلة عدد من ذهبوا الى فلسطين (بالمقارنة الى من ذهبوا الى اماكن اخرى) الا انهم يمثلون قفزة نسبية ، ادت الى مضاعفة عدد اليهود فى فلسطين (من ٢٥٠٠٠ نسمة الى ٥٠٠٠٠ نسمة فى المدة ما بين ١٩٠٠ و ١٩١٤ .

ولاهمية هذه الموجة فى التاريخ الصهيونى والاسرائيلى ، ولاهيتها فى موضوع المؤسسه الحاكمة ، يجدر ان نتوقف قليلا لنفحص بعض خواصها الاجتماعية والنفسية . فهذه الخواص - كما سيتضح فى سياق هذه الدراسة - تفسر كثيرا من الغاز السلوك السياسى للقيادات الحاكمة فى اسرائيل حتى يومنا هذا .

ينحدر معظم افراد الموجة الثانية من اصول يهودية روسية وشرق اوروبية . وهم فى ذلك يشبهون افراد الموجة الاولى . غير انهم كانوا اقرب الى قيم ومعايير المجتمعات اليهودية المتخلفة (الجيتو Ghetto او الاشطانتل Stedtl) ، كما كانوا اقل تعليما ونفعا (معظم افراد الموجة الاولى كانوا من الشباب الجامعيين) . ومع ذلك تعرض معظم افراد الموجة الثانية لتأثيرات فكرية اشتراكية من ناحية ، وصهيونية من ناحية اخرى قبل وصولهم الى فلسطين . من بين افراد هذه الموجة او من ابناءهم نجد الغالبية العظمى من القادة الاسرائيليين الفعليين الى يومنا هذا - رغم ان حجم هذه الموجة كما قلنا لم يتجاوز الثلاثين الفا ، ورغم ان الموجات التالية كانت اكبر حجما ، واكثر علما وثقافة (باستثناء الموجة السادسة وهم اليهود الشرقيون) .

وساعد افراد هذه الموجة على لعب دور حاسم فى تشكيل المجتمع الاسرائيلى عوامل متعددة . اول هذه العوامل ذكريات مذبحه كيشنيف فى سنة ١٩٠٥ بواسطة الحكم القيصرى ضد يهود المدينة

والمناطق المجاورة . هذه الذكريات ولدت بينهم شعورا عارما بوحدة الالام ، وبوحدة المصير . وثانى هذه العوامل التجانس الحضارى (Cultural Homogeneity) ، فهم يتحدثون لغة واحدة ، يفكرون بطريقة متشابهة ، وتجمعهم وحدة العادات والتقاليد . ثالث هذه العوامل هو حجمهم الكبير نسبيا ، مما وفر لهم قدرا اكبر من المساعدة المتبادلة ، وقدر اوفى من « الاكتفاء الذاتى » عن افراد الياشوف القديم والسكان العرب .

ومنذ البداية شغل افراد هذه الموجة المراكز الحساسة فى المؤسسات الصهيونية التى كانت موجودة او التى انشئت فيما بعد . كما اصروا منذ البداية على ان تكون لهم الكلمة العليا فى تصريف وتوزيع الاموال التى تجمعها المؤسسات الصهيونية فى الخارج . وكان من جراء ذلك ان طبقة مختارة (Elite class) بدأت فى الظهور منذ منتصف العشرينات . هذه الطبقة (٤) تكاد تكون كلها من يهود اوربا الشرقيين الذين وفدوا على فلسطين بين ١٩٠٠ و ١٩١٤ ، (او من ابناءهم فيما بعد) .

وقد تعرض بعض افراد هذه الموجة للاضطهاد التركى اثناء الحرب الاولى ، مما دفع كثير منهم الى الفرار من فلسطين الى الخارج - وخاصة الى مصر حيث التحق عدد منهم بالقوات الانجليزية . وقد عاد هؤلاء الى فلسطين مع جيوش « اللبى » بعد ان اكتسبوا خبرات ومهارات عسكرية قيمة . وقد ساعدتهم ذلك - فيما بعد - فى تكوين الهياكل والمنظمات الدفاعية الصهيونية فى فلسطين . ومن ناحيه اخرى قربت خدماتهم اثناء الحرب بينهم وما بين سلطات الانتداب فى فلسطين .

٢ - الموجة الثالثة للهجرة . وقد وفد افراد هذه الموجة الى فلسطين فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، وخاصة بعد صدور وعد بلفور (ما بين سنتى ١٩١٨ و ١٩٢٢) . حجم هذه الموجة يقدر بحوالى خمسين الفا ، معظمهم من اوربا الشرقية (وخاصة روسيا وبولندا) . وهم يكادوا يطابقون الموجة الثانية من حيث الخلفية الطبقيية والتجانس الحضارى وقلة التعليم والثقافة (٥) .

[٤] استخدمنا لمصطلح « طبقة » هنا ليس استخداما ماركسيا بحتا ، فمفاهيم الطبقات فى اسرائيل تجاه وسائل الانتاج ليست قطعية فى معظم الحالات . ولكن هذا لا يمنع وجود طبقات متميزة على اساس التحكم [وليس ملكية] وسائل الانتاج ، وعلى اساس الوعى الانتمائى لفئة معينة . Class Consciousness .

[٥] نرجو الا يستنتج القارىء ان افراد المؤسسة الحاكمة جهلة لجرد انهم لم يدرسوا دراسات جامعية ، او يستنتج انهم معدومى الاطلاع . الواقع انهم بقرون ويطلعون على نطاق واسع ولكن يغيب عن هذا الاطلاع الاطبار المرجعى الانسانى Humanistic Frame of Reference وهو الشيء الذى يكتسبه الفرد من خلال الدراسة الجامعية

الخامسة (١٩٣٢ - ١٩٣٩) التي وفدت من ألمانيا هروبا من الحكم النازي . فأفراد هذه الموجة كانوا أكثر السكان اليهود في فلسطين تعليما وثروة على الإطلاق ، وكان منهم العلماء والاساتذة والفنانون والمهنيون — وبعضهم ذو شهرة عالمية . ولكن كل هذه الخواص الايجابية لم يشفع لهذه الموجة بيم يساعدها على اخذ مكانتها القيادية التي كانت تستحقها في الهيكل الاجتماعي الاسرائيلي . باختصار ، كانت الفئة المهيمنة قد أحكمت قبضتها على مصائر الامور بالنسبة لليهود فلسطين ، والمؤسسات الصهيونية في الداخل والخارج وكل من أتى بعدها ، مهما كانت كفاءاته واستعداداته ، لابد ان يخضع لشروطها ، وأن يقبل الامور على ما هي عليه ، وأن يقبل أكثر من ذلك دوره كما تحدده له هذه الفئة في وسط أو في أدنى الهرم الاجتماعي .

أما **الموجة السادسة** ، ومعظمها من اليهود الشرقيين (وخاصة يهود شمال افريقيا والدول العربية) قداميات قاعدة الهرم الاجتماعي منذ قدومها الى فلسطين (ما بين ١٩٤٨ و ١٩٥٥) . وهي أكثر فئات المجتمع اليهودي تعرضا للتفرقة من حيث الوظائف وفرص التعليم ، ومن حيث شغل أي مراكز مهمة في المؤسسات الاسرائيلية الحكومية أو غير الحكومية .

أبعاد المؤسسة الحاكمة

قد يكون من المفيد عند هذه النقطة ، ان نحدد بمزيد من التخصيص أبعاد المؤسسة الحاكمة في إسرائيل . من هم الذين يكونون في مجموعهم هذه المؤسسة ؟

لقد قرنا — لأغراض هذه الدراسة — ان نجمع معلومات (data) عن حوالي ١٥٠ شخصية اسرائيلية لعبت ، ومازالت تلعب ، أدورا مهمة في تسيير دفة الامور في المجتمع الاسرائيلي . ولان اسرائيل مجتمع فريد في كثير من الوجوه ، كان لابد من تحديد معايير خاصة لاختيار هذه الشخصيات . من هذه المعايير مثلا موقع الشخصية في صنع القرارات الكبرى ، وموقع الشخصية في تنفيذ هذه القرارات . هذا المعيار ليس بحد ذاته فريدا أو وقفا على المجتمع الاسرائيلي . ولكن الفريد حقا انه في كثير من الاحيان كان صانع القرار ومنفذه هو نفس الشخص أو الاشخاص . كذلك من الفريد — مثلا — ان قادة الاتحادات العمالية أو الجيش في اسرائيل يفكرون بنفس الاسلوب الذي يفكر به رؤساء الشركات الكبرى أو الدبلوماسيين . وبالتالي فقد أتضح لنا أثناء الدراسة أن العقلية واسلوب

لذلك نجد درجة عالية من التعاطف بينهم وبين أفراد الموجة الثانية منذ البداية . وحيث أن أفراد هذه الاخيرة كانوا — في ذلك الوقت — قد وطدوا مراكزهم القيادية العلوية ، وحيث أن المؤسسات الصهيونية الوليدة كانت تنمو بسرعة فقد أتى أفراد الموجة الثالثة مكملين لعناصر الموجة الثانية في كل الوجوه . وبطريق القزاج ، والمشاركة في السلطة ، ثم الانصهار بسرعة بين أفراد الموجتين من الناحية الاجتماعية . وبالتالي نجد مع نهاية العشرينات أن عناصر هاتين الموجتين قد أصبحت وحدة عضوية متماسكة في أعلى قمة المجتمع اليهودي في فلسطين . أما في وسط هذا الهرم الاجتماعي وفي قاعدته — في ذلك الوقت — فكان هناك المهاجرين من أوروبا الغربية وأفراد الياشوف القديم (الجالية اليهودية الاصلية) . فيما بعد صعد أفراد الياشوف القديم درجة أو درجتين ليخلو قاع الهرم لليهود الشرقيين (الذين وفدوا بعد انشاء إسرائيل) . وظلت هذه هي الصورة تقريبا حتى الوقت الحاضر .

٤ — الموجات التالية للهجرة . سنجمل الحديث عن الموجات التالية (الرابعة حتى السابعة) في جزء واحد من هذه الدراسة ، لانها رغم أهميتها الديموجرافية والاقتصادية والاجتماعية في الهيكل الاسرائيلي ، فهي ذو وزن محدود من الناحية القيادية . ولا نجد في قمة المؤسسة الحاكمة أي عدد يذكر من أفراد هذه الموجات أو من أبنائهم .

الموجة الرابعة مثلا (١٩٢٣ - ١٩٢٦) وفدت الى فلسطين في خلال مدة زمنية قريبة جدا من الموجة الثالثة ، ولكن الاختلاف الطبقي والحضاري عن أفراد هذه الاخيرة أدى بالموجة الرابعة الى الضياع ، أو الانزواء ، أو التحلل (Disintegration) . كان أفراد هذه الموجة من البولنديين وينحدرون من الطبقات البورجوازية ، والبورجوازية الصغيرة . كما كان منهم عدد وفير من الجامعيين والمهنيين . ولكن حين حاول أفراد هذه الموجة شق طريق مستقل في فلسطين مثل فتح محلات أو مزاولة مهنة خارج الهستادروت (الذي كانت نواته قد تكونت بالفعل) فانهم لاقوا صعوبات جمّة — ليس من جانب السكان العرب في المقام الاول ، ولكن من جانب أفراد الموجة الرابعة . أما بالخضوع وملء الطبقات الصهيونية (التي شغل مراكزها الحساسة أفراد هاتين الموجتين) . وبالتالي انتهى الامر بأفراد الموجة الرابعة اما بالخضوع وملء الطبقات الوسطى والدنيا في هذه المؤسسات ، أو بترك فلسطين كلية (الى وطنهم الاصلى أو الى الولايات المتحدة) .

ونفس الشيء تكرر بالنسبة للموجة

الصغيرة • وما ينطبق على المثقفين ورجال الدين ينطبق عليهم •• أي أنهم يبرزون على المسرح بين الحين والآخر فقط لدى الحاجة اليهم في حسم موقف حرج قد تتعرض له المؤسسة الحاكمة - مثل الحاجة الى أصواتهم لتحقيق أغلبية نيابية ، أو وزارة ائتلافية • وفي هذه الحالات ربما تدعن المؤسسة الحاكمة لبعض مطالبهم - خاصة اذا كانت هذه المطالب لا تؤثر على الصورة العامة أو على نفوذ المؤسسة الحاكمة الكلى على المجتمع الاسرائيلى •

الملامح الاجتماعية والخصائص

النفسية للمؤسسة الحاكمة

ماهو النموذج النمطى لاعضاء المؤسسة الحاكمة (Typical Profile) هو شخص تنطبق عليه الصفات السبع التالية :

● وفد الى فلسطين فى موجتى الهجرة التاسية (١٩٠٠ - ١٩١٤) أو الثالثة (١٩١٧ - ١٩٢٣) ، أو ولد لأسرة هاجرت الى فلسطين ضمن هاتين الموجتين •

● ولد فى أوروبا الشرقية ، أو فى فلسطين ، ولكن والديه جاءا من أوروبا الشرقية (روسيا، بولندا، أو الاقاليم السلافية الاخرى) •

● عاشت أسرته قبل هجرتها الى فلسطين (سواء قبل أو بعد ولادته) فى أحد الاحياء ، أو القرى اليهودية المقفلة (Ghetto or Stedtle)

● انحدرت أسرته من طبقة عاملة حرفية ، أو برجوازية صغيرة •

● لم يحصل الا على قدر متوسط من التعليم (معظمه من مدرسة زراعية متوسطة) •

● التحق بالهاجاناه أو البالماخ فى شبابه ، أو خدم فى صفوف الجيش الانجليزى لفترة أو لاخرى قبل أو أثناء الحرب العالمية الثانية •

● عاش لفترة أو لاخرى فى أحد المستعمرات الصهيونية (Kibbotzim) •

ومن الطبيعى أنه حين نرسم « نموذجاً نمطياً » لفئة معينة (مثل الفئة الحاكمة فى اسرائيل) فلا يعنى ذلك أن كل الصفات تنطبق على كل أفراد هذا الفئة مائة فى المائة • وانما يعنى أن معظم الصفات

التفكير هو الجامع المشترك الاعظم بين قيادة مؤسسات قد تبدو متعارضة أو متباينة فى معظم المجتمعات الاخرى • من هذه الوجدانية فى العقلية والتفكير يمكن - مثلاً - تفسير لماذا نجد قائداً عسكرياً مثل اتزاك رابين يتحول الى دبلوماسى بين يوم وليلة •

من المعايير الاخرى التى حددت اختيار شخصيات الصفوة الحاكمة فى اسرائيل درجة التسلط التى تمارسه هذه الشخصيات على اتخاذ القرارات ، حتى وهى خارج الحكم • فمثلاً النفوذ الذى تمتع به افراد مثل « بن جوريون » و « هوتنر ديان » وهما خارج الحكم ، لم يقل كثيراً عما كان عليه وهم فى داخل الحكم • نفس الشيء لا يمكن أن يقال عن شخصية مثل « موسى شاريت » أو « ناحوم جولدمان » ، (الاول شغل لفترة منصبى وزير الخارجية ورئيس الوزراء ، والثانى منصب رئيس المنظمة الصهيونية العالمية)

المائة وخمسون شخصية - التى على أساس دراستها بنينا معظم التعميمات - تشمل أولئك الذين شغلوا مناصب وزارية ، قادة الهستادروت ، قادة القوات المسلحة (رتبة بريجادير جنرال ورتبة جنرال) ، قادة المؤسسات الاقتصادية ، وقادة الاحزاب الكبيرة فى داخل الكنيست أو خارجه •

هناك ملاحظتين على هذه القائمة :

أولاً : لا ندعى أن القائمة شاملة ومانعة لكل الشخصيات الرئيسية المؤثرة ولكنها تشمل معظم هذه الشخصيات •

ثانياً : هناك تداخل كبير بين المناصب التى شغلتها معظم هذه الشخصيات (نفس الشخص قد يكون قد شغل مناصب فى القوات المسلحة ، ومجلس الوزراء ، والهستادروت ، والشركات الكبرى فى أوقات متفرقة) • بل أن هذا التداخل يعتبر القاعدة وليس الاستثناء فى اسرائيل •

يغيب عن هذه القائمة فئتان أو أكثر من الفئات المهمة فى أى مجتمع : كبار المثقفين والعلماء ، وكبار رجال الدين • وسنتحدث عن هاتين الفئتين فى موضع آخر • ويكفى أن نقول هنا ، أن أفراد هاتين الفئتين رغم الوظائف الاجتماعية التى يؤدونها لا يتمتعون بكثير من القول فى تحديد السياسات ، أو اتخاذ القرارات الكبرى ، الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو ظرف التنافس بين جناحين أو أكثر داخل المؤسسة الحاكمة • وهنا قد يستعين أحد هذه الاجنحة بفئة أو بأخرى لتغليب وجهة نظره •

كذلك يغيب عن هذه القائمة قادة الاحزاب

ظلت حيطان « الجيتو » عالية وأبوابه مغلقة إلى عشرينات القرن العشرين .

ومن المهم هنا أن نفهم ماذا يعنيه « الجيتو » من الناحيتين الاجتماعية والنفسية : « الجيتو » هو حي تسكن فيه أحد الاقليات الدينية أو الاثنولوجية أو العنصرية . هذا المركز السكني قد يكون طوعية ، أي برغبة أفراد هذه الاقلية ، هي حالة يهود شرق أوروبا لم يكن الأمر - في معظم الأحيان - رغبة أو طوعية ، وإنما كان مفروضاً من قبل الاغلبية أو من قبل الحكام . وفي معظم الحالات كانت تحيط بهذه الأحياء أسوار وحيطان عالية - الدخول والخروج منها محدوداً إن لم يكن معدوماً . وفي الحالات النادرة التي يتجول فيها أحد أفراد الاقلية خارج هذه الأسوار فإنه لا يحس بالأمان التام . العالم خارج هذه الأسوار عالم غريب (يختلف عما هو داخل الأسوار) ، عالم لا يمكن أن يأمن له : فهو بارد على أحسن الأحوال ، ومعاد وشرير على أسوأها . أما الطمأنينة والدفع فهما فقط داخل الأسوار . وحتى هذه الطمأنينة في الداخل فليست مطلقة . فبين الحين والآخر قد يقتحم العالم الخارجي أسوار « الجيتو » لينهب ، ويعتقل ، ويعذب ، من هم داخل الأسوار . وبالتالي ، فالانعزال داخل الأسوار لم يكن مادياً فحسب ، ولكن كانت له مضاعفاته الاجتماعية والنفسية . الواقع بالنسبة لأفراد « الجيتو » هو أقلية تحيط بها أغلبية معادية . السور أو الحائط يفصل بين عالم الشر والغربة والعداء من ناحية ، وعالم الأمن واللفة والدفع من ناحية أخرى . الواقع بالنسبة لهم - إذن - هو أبيض وأسود .

من المهم هنا أن ندرك أن هذا الانقسام في النظرة إلى الواقع ، كان يغذيه ، ليس فقط موقف الاغلبية وحكامها ، ولكن أيضاً التنشئة الاجتماعية والدينية داخل « الجيتو » . فالدين ورجاله وجدوا في هذا الوضع ضماناً لعدم الانصهار والذوبان . وبالتالي - ضياع اليهودية ديناً وثقافة . كما كان العداء خارج الأسوار (سواء حقيقية أو متصورة) من أهم عوامل التضامن والجماعية داخل الأسوار ، ومن أهم العوامل التي ربطت الفرد بالمجموع ، فالأول كان اعتماده كلياً على الثاني لتحقيق حاجاته المادية والاجتماعية والنفسية وبدون المجموع لم يكن للفرد أي بديل غير عالم عدواني خارج الأسوار . هذه الحقيقة كانت

تنطبق على معظم أفراد هذه الفئة . في كلمات أخرى ، هناك أفراد في المؤسسة الصهيونية الاسرائيلية لا تنطبق عليهم كل هذه الصفات أو حتى معظمها .

من الأمثلة البارزة لعدم انطباق هذه الصفات « أبا إيبان » : فهو من أهل غرب أوربي ، ولم يهاجر إلى فلسطين إلا في مرحلة متأخرة نسبياً ، وذو ثقافة وتعليم عال (جامعة كمبريدج) . الخ . ومع ذلك وجدنا من تحليل معلوماتنا عن المائة والخمسين شخصية ، أن الصفات السبع التي أوردناها تنطبق على حوالي ٨٠ في المائة من هذه الشخصيات .

والآن دعنا نحلل بشيء من التفصيل بعض الصفات المتقدمة حيث أنها ذات وزن ثقيل في التشكيل النفسي للقادة الاسرائيليين .

١ - ذكر كاتب اسرائيلي حديثاً ، أننا لو رسمنا دائرة قطرها ٦٠٠ كيلو متر حول مدينة بنسك (Pinsk) الروسية ، فأننا نجد الأصول المكانية لمعظم القادة الاسرائيليين أو لأبائهم (٦) هذه المدينة تقع في أوكرانيا في أقصى غرب الاتحاد السوفيتي (كما نعرفه اليوم) وقرية من حدود بولندا ورومانيا والمجر ويوغسلافيا وأهمية هذا العامل الجغرافي تتضح أكثر إذا ما قرناها بالظروف الزمانية والاجتماعية التي سادت هذه المنطقة من شرق أوروبا وقت هجرة هؤلاء القادة الاسرائيليين أو أسلافهم .

كانت الاقاليم المحيطة بمدينة بنسك مركز تجمعات يهودية كبيرة في أواخر القرن الماضي والعقود الثلاثة الأولى من هذا القرن . وكانت هذه التجمعات تختلف عن التجمعات اليهودية المماثلة في غرب أوروبا من عدة وجوه : أولاً - الاضطهادات المستمرة من جانب القياصرة الروس ضد الاقليات عموماً ، واليهود بصفة خاصة . وقد بقي الوضع على هذا الحال - في الواقع - إلى نشوب الثورة البلشفية (١٩١٧) . مثل هذه الاضطهادات كانت قد اختفت (أو قلت إلى حد كبير) ضد اليهود في غرب أوروبا منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . وباختفاء الاضطهاد والتفرقة في غرب أوروبا تكسرت الحواجز التي كانت تفصل بين اليهود وغيرهم ، مما سهل عمليات التفاعل والانصهار الاجتماعيين . أما في شرق أوروبا ، فقد

من أهم ميكانيزمات الضبط الاجتماعي داخل
« الجيتو » .

هذه التنشئة الاجتماعية بكل خيوطها النفسية
ظلت العامل المؤثر الأول في حياة الرعيل الأول من
القادة الصهاينة . لقد نقلوا معهم (من شرق
أوربا) الى فلسطين تصورههم للواقع بحديه :
الابيض والاسود ، عالم الخير وعالم الشر ، الأول
داخل الاسوار والثاني خارج الاسوار . هذه
النظرة الى الواقع لوئت سلوك مهاجري الموجتين
الثانية والثالثة ، وطبعت سياسات قاداتها
- وبالتالي المجتمع اليهودي في فلسطين - بطابع
ما زال سائدا الى يومنا هذا . وأبلغ انعكاس لهذا
السلوك وهذه السياسات يتجلى في الآتي :

● انشاء المستعمرات والمستوطنات التي شابها
في كثير من الوجوه « الجيتو » الذي عرفوه
وعاشوا فيه في شرق أوربا . فمعظم هذه
المستعمرات ذات أسوار وأبواب . وفي المدة ما
بين ١٩٠٠ و ١٩٤٨ كانت بمثابة الجزر التي يحيط
بها بحر الاغلبية العربية في فلسطين . ومنذ
البداية ، شب حتى من ولد من الاجيال التالية في
فلسطين ، معتنقا نفس النظرة ، والعقيدة ،
والاحساس ، تجاه عالم ما هو خارج الاسوار .
صحيح لم يطلق الصهاينة على هذه المستعمرات
نفس الاسم (الجيتو) ، ولكن المفهوم
(Concept) لم يختلف . صحيح لم تكن
الاغلبية العربية في البداية معادية لمن هم داخل
الاسوار ، ولكن شعور عدم الثقة بأى « غريب » كان
قد تعمق وأستشرت جذوره في هؤلاء اليهود
النازحين . وكان تعريف « الغريب » بالنسبة لهذا
النوع من اليهود بسيطا وقاطعا : كل من يعيش
خارج أسوار المستعمرات . حتى يهود الياشوف
القديم (الذين عاشوا لمئات السنين في فلسطين
قبل موجات الهجرة الحديثة) كانوا محل عدم ثقة
من صهيونى المستعمرات .

● بعد انشاء اسرائيل ، أصبحت الدولة
الجديدة كلها بمثابة جيتو كبير . كل من خارجها
« غريب » لا يطمأن اليه . وبالتالي نجد استمرارا
لنفس العملية النفسية التي يشير اليها علماء
النفس بالتشريط (Conditioning)
فتصور القادة انعكس في كل سياساتهم الخارجية
(مثل الدفاع والحرب) وسياساتهم الداخلية
(مثل التعليم والدعاية وغسيل المخ . الخ) .
لقد أرسيت قواعد هذه السياسات منذ مرحلة
مبكرة في التاريخ الصهيونى بفلسطين بواسطة
القادة الذين أتوا (أو أتت أسرهم) من أوربا
الشرقية . وكما أشرنا سابقا ، لم يكن بوسع من
أتوا من أماكن أخرى (مثل أوربا الغربية والبلاد
العربية) أن يغيروا من هذه السياسات . ورغم

عدم تعود الكثيرين منهم (وخاصة يهود أوربا
الغربية) على حياة الجيتو وما يرتبط بها من
تصورات ومشاعر وعقد ، إلا أنهم وأبنائهم
تعرضوا للبرامج الصهيونية (Zionaization)
والمذهبة (Indoctrinization) وغسيل المخ
(Brain-Washing) من اللحظة
التي وطأت فيها أقدامهم أرض فلسطين ، سواء قبل
أو بعد انشاء اسرائيل .

● أحد الانعكاسات الأخرى لعقلية الجيتو ،
وما ترتب عليها من سياسات ، هو الممارسة المبكرة
للتعصب والتفرقة ضد السكان العرب منذ انشاء
الهستادروت (بل حتى قبل انشائه حين كان
النشاط النقابى مقصورا في اتصالات
الزراعيين) . فمنذ وفود الموجة الثانية (١٩٠٥ -
١٩١٤) ويهود أوربا الشرقيين يرفعون شعار
« العمل لليهود فقط » . وطبقوا هذه
السياسة في المؤسسات الصهيونية الجماعية ، كما
فرضوها فرضا على المؤسسات اليهودية الخاصة
التي كانت قد أنشئت حتى قبل قدوم الصهاينة
(مزارع ومحلات كان يملكها أفراد من الياشوف
القديم) . وطبيعى أدت هذه السياسة الى بطالة
أعداد كبيرة من العمال العرب . . . وكانت بداية
شعور العداوة من جانب هؤلاء الاخيرين نحو
اليهود النازحين من أوربا الى فلسطين .

٢ - أحد الملامح البارزة لأفراد المؤسسة
الحاكمة في اسرائيل هو انحيازهم من طبقة عاملة
حرفية ، أو برجوازية صغيرة ، وعدم حصول
أغليبتهم على تعليم عال في شبابهم . الذين شبوا
منهم في أوربا الشرقية حصلوا على تعليم متوسط
أو دون المتوسط . ومع ذلك تعرضوا لمجموعتين من
القراث والافكار السياسية :

المجموعة الاولى : هي الفكر الصهيونى الذى كان
ما يزال وليدا ، ولكنه يعج بالحماسة والعاطفية
والرومانتيكية .

المجموعة الثانية : هي الفكر الاشتراكى بالوافه
المختلفة (من الماركسية الى الفوضوية الى
الغنايبية) .

ولان تعليمهم كان متوسطا أو دون المتوسط في
ذلك الحين ، فان وعيهم لكل من التراثين كان
قطعيا (Dogmatic) وغير نقدى . وبالتالي
حين جاءوا الى فلسطين جاءوا بافكار نصف
مهضومة ، أو بالاحرى ، نصف مطبوخة (وخاصة
فيما يتعلق بالافكار الاشتراكية) . وفي فلسطين
حاولوا تهجين الصهيونية والاشتراكية . فأخذوا
من الاولى العصبية « القبلية » بما تحمله من أفكار

تفوقية (Supremacist) ، وأخذوا من الثانية الجماعية (Collectivism) ، وتمجيد العمل اليدوي ، في حين تركوا أو اسقطوا الاخوة العمالية البروليتارية (Proletariat Brotherhood) التي كانت بالضرورة - ستنتوي على أخوة عربية يهودية بين أفراد الطبقة العاملة بصرف النظر عن الدين أو العنصر - وكانت نتيجة هذا التهجين - بالتالي - قسومية شوفينية « اشتراكية » وبالفعل ، ومنذ البداية ، استبعد العنصر من التنظيمات العمالية (الهستادروت) ، ومن المستوطنات والقرى الجماعية - وكلاهما المفروض فيه تطبيق « للاشتراكية » !

كذلك كان للملامح التي أوردناها من قبل (الخلفية الطبقية والتعليمية) مضاعفات أخرى في تشكيل نظرة واتجاهات أفراد المؤسسة الحاكمة . والمصطلح الذي يصف كل هذه المضاعفات هو الفصام (Schizophrenia) والتأرجح (Ambivalence) نحو الفئات التالية : المتعلمون وذو الثقافة العالية ، يهود غرب أوروبا ، واليهود الشرقيون الذين هاجروا إلى فلسطين وإسرائيل ، واليهود الذين ما زالوا يعيشون خارج إسرائيل (الدياسبورا) .

● بالنسبة لذوى التعليم العالي (الجامعي وما بعد الجامعي) هناك شعور بالحب والكرامية في آن واحد من جانب أفراد المؤسسة الحاكمة . فهم يدركون أهمية التعليم والعلم الحديث والتكنولوجيا في بقاء وازدهار المجتمع الإسرائيلي ، وتبذل المؤسسة الحاكمة مجهودات وأموال طائلة لجلب الفنيين والمهنيين من يهود « الدياسبورا » إلى إسرائيل ، أو لتدريب وتخريج أكبر عدد منهم في إسرائيل نفسها . وفي نفس الوقت هناك شعور بالازدراء نحو هؤلاء المتعلمين تعليماً عالياً . قد يكون مصدر هذا الشعور مبالغة القيادة الإسرائيلية في تقييم خبراتهم العملية وتجاربهم الحياتية . ف رغم أن معظمهم ذو تعليم متوسط (بما في ذلك بن جوريون ليفي أشكول) إلا أنهم لا شك ينظرون إلى أنفسهم بزهو واعتزاز : ألم يبنوا مجتمعاً جديداً ؟ ألم ينشأوا دولة حديثة ؟ ألم ينتصروا في كل الحروب التي قادوها ؟ من ناحية أخرى قد يكون مصدر شعور الازدراء نحو المتعلمين هو التعويض النفسي (Compensation)

لقد عرف عن ليفي أشكول - مثلاً - أنه في كل مرة يرشح له بعض الأسماء يشغل وظيفة هامة

قوله « لا تذكرنا لى شهاداته العلمية ؟ هل كسب قرشا من عرق جبينه (٧) أو قوله : « هل المرشح واحد منا ؟ » أي أن المرشح الامثل في نظره ، أما أن يكون رجلاً عملياً ذو خبرة حياتية ، أو على الأقل أن يكون من الرمح الشرق أوسط .

هذا النوع من التفكير والعقلية يفسر - مثلاً - لماذا كان أفراد من حزب المعارضة من قبيل م . يائاتي و م . تابنكين أقرب إلى قلب ليفي أشكول من أشخاص كابا ايبان و ا . روبين - وهم أعضاء في حزبه (الماباي) ولكنهم على درجة عالية من التعليم ومن أصل غرب أوسط .

« يائاتي » و « تابنكين » كانا يتحدشان نفس اللغة ويفكران بنفس العقلية لانهما أتيا من نفس الخلفية الطبقية والحضارية والتعليمية التي أتى بها ليفي أشكول (شرق أوروبا) تعليم متوسط . خبرة عملية في بناء المجتمع الصهيوني .

هذا الاتجاه الفصامي نحو المتعلمين (حب وازدراء في نفس الوقت) أدى إلى حصر المتعلمين في المستوى الأوسط من الناحية القيادية . وما زالت الأبواب نحو المستوى القيادي الأعلى موصدة في وجوههم . وبالتالي فأنقى ما يمكن وصفهم به هو أنهم أما بيروقراطيين (ليس بالضرورة بالمعنى السلبي) ، أو تكنوقراطيين في أجهزة الدولة . أما قيادة المؤسسات فما زالت مقصورة على نفس الفئة (التي أتت من شرق أوروبا قبل سنة ١٩٢٠) أو على أبنائها . وفي الحالات التي تتطلب تعليماً عالياً فإن هذه الفئة تفضل أن ترسل أحد أفرادها إلى الخارج أو إلى الجامعة العبرية للحصول على هذا التعليم . وليس من الغريب أن تجد الحديدين منهم يلتحقون بالجامعات وهم في سن متأخرة نسبياً . من الأمثلة العديدة : « زهاى تروور » (أحد رؤساء الأركان ، من أصل بولندي ، التحق بجامعة سيراكيوز وحصل على درجة في الإدارة العامة ، وأصبح مديراً لشركة ميكوروث - من أكبر شركات إسرائيل) ، « حاييم بارليف » (من أصل يوغسلافي ، درس في الجامعة العبرية والولايات المتحدة) ، « موشى جورين » (من أصل بولندي ، ودرس في الجامعة العبرية) ، « ايجال ألون » (درس في أكسفورد) . وهكذا . لقد التحق هؤلاء بالجامعات . ومعظمهم في سن الأربعينات أو الثلاثينات .

جوريفتال) ، وحتى قى :هالفة مشح وناؤة غير آ حساسة .

أما شعور الازدراء نحو اليهود الشرقيين فهو لا يحتاج الى دليل أو توضيح . فالتفرقة والتعصب ضدهم ينعكسان في أحوالهم المادية والاجتماعية ، وهم قى أدنى درجات السلم الاجتماعى فى اسرائيل (باستثناء الاقلية العربية طبعاً) . والمؤسسة الحاكمة فى ورطة حيال اليهود الشرقيين . فمن ناحية تجد نفسها مجبرة على تطبيق شعار العودة بالنسبة لكل اليهود (ومنهم الشرقيون) لأن ذلك الشعار هو التبرير الوجودى (Raison d'être) لدولة اسرائيل . فى نفس الوقت اليهود الشرقيون يمثلون مشكلات اجتماعية عاتية : فهم يختلفون عن كل من يهود أوروبا الشرقية (المؤسسة الحاكمة) ويهود أوروبا الغربية (المهنيين والطبقة فوق المتوسطة) على السواء من الناحية الحضارية . كذلك هم أدنى مهارة من الغربيين : ماديا وتعليميا ومن حيث المهارات التكنولوجية . وتحتاج عمليات أقليمتهم وغسيل مخهم (طبقا للمخطط الصهيونى) أموالا طائلة - لا يمكن توفيرها الا باقتصاصها من مخصصات الحرب أو على حساب الطوائف الاخرى الأكثر تميزا . أحوال اليهود الشرقيين - هى باختصار - أحوال مزرية ، وتمثل لغما اجتماعيا كبيرا فى اسرائيل . والطريقة الوحيدة التى نجحت بها المؤسسة الحاكمة فى تأجيل انفجار هذا اللغم كان دائما بتوجيه المرارة والغضب اللذين يحس بهما اليهود الشرقيون نحو الاقلية العربية ، أو نحو العالم العربى . ولكن هذه الوسيلة تنكشف بين الحين والآخر ، ويدرك اليهود الشرقيون بالتدريج ان عدوهم الاول هو الظلم الاجتماعى والتفرقة العنصرية - كما تجلى ذلك حديثا فى ظهور حركة «الفهود السود» الاسرائيلية .

● بالنسبة ليهود «الدياسبورا» نجد النظرة الفصامية التارجحية من جانب المؤسسة الحاكمة أكثر بروزا نحو هؤلاء الذين مازالوا يعيشون فى أوروبا الغربية ، والأمريكيتين ، واتحاد جنوب افريقيا . وفى هذه البلاد تعتبر الجاليات اليهودية على درجة عالية من الثراء والتعليم والخبرة المهنية والفنية . من حث الشعار الصهيونى الداعى لتجميع اليهود من أماكن الشتات ، فإن

● بالنسبة ليهود أوروبا الغربية ، قاننا نجدة نفس النظرة الفصامية - علاقة الحب والازدراء فى نفس الوقت . المؤسسة الحاكمة تريد لهم وترغب فى هجرتهم الى اسرائيل ، لانهم : أولا ، يضيفون الى الحجم السكانى للمجتمع ، وثانيا ، هم على درجة عالية من المهارة المهنية والفنية فى كل ما يحتاج اليه بناء دولة عصرية . ومع ذلك هناك شعور بالازدراء نحوهم من جانب هذه المؤسسة . فيهود أوروبا الغربية لم ينشأوا فى حضارة الجيتو . وبالتالي لا يشتركون مع يهود أوروبا الشرقية فى كراهيتهم لعالم ما هو خارج الاسوار بنفس الدرجة . هم أكثر انفتاحا ، واقل قطعية ، واخف عصبية وشوفينية . ويقدر ما تحس المؤسسة الحاكمة بحاجاتها اليهم ، يقدر ما تحاول أن تحد من صعودهم الى المناصب القيادية الرئيسية . وبالتالي ففى أى منافسة بين اثنين على منصب مهم ، ولكن احدهما اصله من أوروبا الشرقية والثانى اصله من أوروبا الغربية ، فللاول الغلبة التحيز هناك دائما ، وان كانت المؤسسة الحاكمة تحاول دائما تغطيته .

من الامثلة الصارخة على هذا التحيز الحالة التالية : «سامويل دينار» (من أصل كنسدى) حاول لعدة سنوات الحصول على تعاون وزير المالية «بنحاس ساپير» لفتح مصنع تغليف الحمضيات - وهى من الأنشطة الاقتصادية الرئيسية فى اسرائيل ، ولكن دون جدوى . فى نفس الوقت حصل «افرايم الين» (من أصل أوربى شرقى) من «بنحاس ساپير» على تعاون لا حد له فى صناعة ذو مستقبل غير مضمون (مصنع للسيارات) - وهو المصنع الذى أعلن افلاسه بالفعل هذا العام بعد خسارة تقدر بـ ١٠٤ ملايين ليرة اسرائيلية (٨) .

من الغريب أيضا فى هذا الصدد أن نجد يهود ألمانيا - رغم ضخامة عددهم (٢٠٠.٠٠٠) ، وارتفاع درجة تعليمهم ومهاراتهم - معزولين تماما عن مستوى صنع القرارات الكبرى فى اسرائيل . قد يصل بعضهم الى أعلى المناصب القضائية (المحكمة العليا) أو الجامعية أو الخدمة المدنية ، ولكن ليس الى المستوى الوزارى - فهذا الأخير منصب سياسى يرتبط مباشرة باتخاذ القرارات العليا . وبالتالي لم يكن مصادفة أنه حتى سنة ١٩٧٠ لم يصل من هؤلاء اليهود الالمان الى منصب وزير سوى شخص واحد فقط (جورج

[٨] خلق على هذا الموضوع وغيره عددا من الكتاب الاسرائيليين فى الصحف الاسرائيلية ، انظر مثلا تعليق أمنون روبنشتاين فى صحيفة هآرتس بتاريخ ١٢/٣/١٩٧١ .

على وعد بلقون والذي شغل منصب أول رئيس جمهورية في إسرائيل) لعدم هجرته لفلسطين إلا في أواخر الأربعينات (١١) * ليس معنى هذا أن عزرا لم يقدر الخدمات الجلية التي قدمها عمه للحركة الصهيونية * ولكنه الفصام - مرة أخرى - الحب والازدراء في آن واحد .

باختصار ، لعل القارئ يرى في هذا الجزء من الدراسة كيف أثرت الملامح الاجتماعية لأفراد المؤسسة الحاكمة على تشكيل نفسية أفراد هذه المؤسسة ، وعلى اتجاهاتها (attitudes) وطريقة ادراكها للواقع ، على رؤيتها (Vision) للعالم ومكوناته ، على تقييمها للدور الذي لعبته وما زالت تلعبه ، وبالاخص على سلوكها نحو الفئات اليهودية الاخرى في داخل وخارج إسرائيل .

أسلوب المؤسسة الحاكمة

في القيادة والتحكم

مع وفود الموجة الثانية (والى حد ما الموجة الثالثة) من المهاجرين الى فلسطين ، هيمنت عقلية معينة على تسيير مقاليد الامور بالنسبة لليهود ، قبل وبعد اعلان إسرائيل * هذه العقلية هي ما حاولنا تشريحه - خلفية وملامح - في الاجزاء السابقة من هذا البحث .

وفي هذه الفقرة سنتعرض بشيء من التفصيل لاسلوب المؤسسة الحاكمة في ممارسة الضبط الاجتماعي (Social Control) ، ولسلادوات والوسائل التي تستعين بها لتأكيد سيطرتها ، ولتأمين رؤيتها المذهبية من الاستمرار في الحاضر والمستقبل .

١ - دور الهستادروت : لعب الهستادروت - وما زال - دورا رئيسيا في خلق الهيكل الصهيوني ، وفي تدريب قيادات المؤسسة الحاكمة ، وفي تمكين هذه المؤسسة من احكام

المؤسسة الحاكمة لا تفتأ عن الضياع والشكوى والتوبيخ لهؤلاء اليهود لفشلهم في القدوم الى أرض الميعاد * وقد تصل درجة الهجوم من أفراد المؤسسة الحاكمة الى حد اتهام هؤلاء اليهود بعدم اليهودية - كما فعل بن جوريون منذ عدة سنوات (٩) * في نفس الوقت اذا هاجر بعض هؤلاء الى إسرائيل فانهم يحجرون عن الوصول الى المناصب العليا التي تؤهلها لهم مواهبهم وخبراتهم - هذا من ناحية ، من ناحية أخرى ، فإن المؤسسة الحاكمة تحتاج الى بقاء هذه الاقليات في مواطنها الاصلية (على الاقل في الوقت الحاضر) لسببين مهمين : أولا ، لان هذه الاقليات بدخولها العالية تعتبر من اهم مصادر المساعدة المالية لإسرائيل (والتي تقدر سنويا بحوالى بليون دولار من التبرعات) * وبهجرة هذه الاقليات - وبالتالي فقدان المجالات التي من خلالها يولدون هذه الدخول العالية - ستحرم إسرائيل من مورد رئيسي * ثانيا ، وجود هذه الاقليات في المجتمعات الغربية يتيح لإسرائيل ممارسة الضغط السياسي على حكومات الدول الغربية - وبالتالي على موافقها الدولية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي * والدور الذي يلعبه اليهود في الولايات المتحدة - مثالا - كجماعة ضاغطة (Pressure Group) على كل رئيس أمريكي (منذ ترومان الى نيكسون) وعلى شيوخ ونواب الكونجرس أمر لا يحتاج الى دليل .

وهكذا نجد شعور الفصام والتأرجح ، علاقة الحب والكراهية ، من جانب المؤسسة الحاكمة تجاه يهود الدياسبورا * وما الصراع بين قادة المنظمات الصهيونية خارج وداخل إسرائيل الا مظهرا لهذه الفصامية * والمتتبع لامور الصهيونية وإسرائيل قد يجد فيما ذكرنا تفسيراً للاحتدام بين ناحوم جولدمان (رئيس المنظمة الصهيونية العالمية السابق) والمؤسسة الحاكمة في إسرائيل في السنوات الاخيرة (١٠) ، كما يذكر مثلاً على لسان «عزرا وايزمان» وزير النقل الحالي وأحد قادة سلاح الطيران السابقين) احتقاره لعمه «حاييم وايزمان» (الذي حصل من إنجلترا

[٩] انظر في هذا الصدد تصريحاته التي نشرتها مجلة التايم (Time) الامريكية في عددها الصادر في ١٨ أكتوبر ١٩٧١ ، ص ٤٦ .

[١٠] لمزيد من التفاصيل حول الصراع بين يهود أوروبا الشرقيين ويهود أوروبا الغربية والولايات المتحدة انظر مثلاً :

Moshe Menuhin : The Decadence of Judaism in our Time, Institute For Palestine Studies, Beirut, 1969, pp. 83 — 88.

Elmer Berger : « Disenchantment of a Zionist », Middle East Forum, April, 1962.

[١١] انظر سيرة عزرا وايزمان في كتاب D. Lankin et al. (editors) : Generals of Israel, Hader Publishing House, Ltd., Tel-Aviv, 1968, pp. 67 — 75.

كتاب الفصل عن عزرا وايزمان هو ايلي لاندو (Eli Landau)

قبضتها على مقاليد الأمور • أنشئ الهستادروت بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة ، وهو عبارة عن اتحاد نقابات عمالية • ولكنه ليس كأي اتحاد نقابي عمالي في أي بلد آخر • بل أنه عملاق اجتماعي متعدد الوجود والوظائف ، وما النشاط النقابي التقليدي إلا واحداً فقط من هذه الوجوه والوظائف . الهستادروت عبارة عن شركة مساهمة (لكل عضو فيه من الناحية الاسمية جزء أو سهم متساو) ، وهو أيضا منظمة للمساعدة المتبادلة (وخاصة من ناحية الرعاية الصحية والاجتماعية) ، وأخيرا هو تنظيم سياسي (نظريا يمثل العمال وصراعهم الطبقي) • وأهم من ذلك كله أن الهستادروت لم يتغير - بناء أو وظيفة - منذ انشائه منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ، وأن كان بالطبع قد اتسع ونما حجمه • هذا العملاق الاجتماعي ، هو الجهاز الذي من خلاله بدأت المؤسسة الحاكمة تمارس سيطرتها على المجتمع اليهودي في فلسطين ، والذي من خلاله استمرت في هذه الممارسة • لا شك - بالطبع - أن الهستادروت يقدم خدمات عديدة لأعضائه ، ولكنه في نفس الوقت يجعل الحياة لمن ليس عضوا فيه جحيما لا يطاق ، أو على أحسن الأحوال يجعل معيشتهم باهظة التكاليف • ومع الاعتماد الكلي للأعضاء على الهستادروت جعل من السهل على قادته (الذين هم في نفس الوقت المؤسسة الحاكمة) السيطرة شبه الكلية على سلوكهم السياسي والاجتماعي • ولكي تتضح الصورة ، دعنا نذكر بعض جوانب الاعتماد (من جهة الأعضاء) ، وبالتالي جوانب التحكم (من جهة القيادة) :

● في أمور الصحة والخدمات المتعلقة بها ، فإن اعتماد العضو يكاد يكون كلياً • فمن خلال التأمين الصحي يستطيع الفرد أن يحصل على العلاج والدواء في العيادات والمستشفيات المنبثقة عن الهستادروت • ولهذه النقطة أهمية خاصة ، إذا علمنا أنه في معظم أنحاء البلاد لا تتوفر أي خدمات صحية بديلة لتلك التي يقدمها الهستادروت ، بمعنى آخر إذا لم يكن الفرد عضواً في الهستادروت فإن فرصة الحصول على رعاية صحية تكاد تكون معدومة • وحتى في الأماكن القليلة التي تتوفر فيها بدائل لخدمات الهستادروت (كالعيادات والمستشفيات الخاصة في المدن الكبرى) فإن الحصول على هذه الخدمات يكون باهظ التكاليف بالنسبة حتى للأسر ذات الدخل فوق المتوسطة (فما بالك بمتوسطي الدخل أو الذين أقل من المتوسط) •

● المشروعات الاقتصادية التي يملكها ويديرها الهستادروت تمثل القنطرة الثانية التي ربطت الجماهير اليهودية بالمؤسسة الحاكمة • لقد اتسعت وتشعبت هذه المشروعات لدرجة أن أصبح

الهستادروت هو أكبر مستخدم في فلسطين • وإسرائيل منذ أوائل الأربعينات حتى الآن • إلى جانب ذلك يملك الهستادروت ثاني أكبر البنوك في إسرائيل (بعد البنك المركزي) ، ويهيمن على كل الصناعات الثقيلة ، ويسيطر على جزء وفير من التجارة الداخلية ، ويكاد يتحكم كلياً في أعمال التصدير والاستيراد • وحتى الشركات ذات الشأن التي لم يكن يملكها الهستادروت في البداية استطاع أن يضعفها أو يحطمها (من خلال حث أعضائه العاملين فيها على الإضراب) حتى آلت ملكيتها كلياً أو جزئياً إليه • ومن الطريف أن أحوال العمال في مثل هذه الشركات لم تتحسن بعد انتقال ملكيتها إلى الهستادروت • المهم هنا ، أن ندرك أمرين : أولهما أن فرص العمل في إسرائيل بالنسبة لأي فرد أو مجموعة من الأفراد أصبحت رهنا برضاء الهستادروت • وثانيهما أن هذا الأخير هو صاحب العمل وممثل العمال في نفس الوقت (وهو موقف أشبه بشخص يمثل دور القاضي والمحامي والمتهم في آن واحد) • !

● الهيمنة الاقتصادية التي يمارسها الهستادروت (وبالتالي المؤسسة الحاكمة) على الاقتصاد الإسرائيلي أدت (بصورة تكاد تكون أوتوماتيكية) إلى هيمنة سياسية • فالتحكم في أرزاق القطاع الأكبر من المجتمع ، وفي فرص الخدمة الصحية والرعاية الاجتماعية ، تؤثر بشكل محسوس على سلوكهم الانتخابي • ولذلك لا عجب أن نجد حزب الماباي (الذي يؤيده الهستادروت) متربع على عرش السلطة منذ انشاء إسرائيل إلى الوقت الحاضر • ووجود « الماباي » في السلطة ، أدى بدوره إلى تدعيم الهستادروت • وبالتالي أصبحت العلاقة بين الهستادروت والماباي علاقة عضوية ، طابعها الدعم المتبادل • فالحكومة تعطى لشركات ومشروعات الهستادروت الأولوية في عقود المبيعات والمشتريات ، في تنفيذ المشروعات (شركة « سوليل بونيه » التي يملكها الهستادروت) ، وفي الحصول على أذن الاستيراد والتصدير • وأحيانا تدخل الحكومة في مشروعات اقتصادية مشتركة مع الهستادروت - كما فعلت في حالة شركة « زيم » للملاحة والنقل البحري • أكثر من ذلك ، التواطؤ المستمر من الحكومة تجاه الشركات التي يملكها الهستادروت • فحين فشلت شركة « سوليل بونيه » - مثلاً - في أعمال مشروع بناء ميناء أشدود في الوقت المحدد (طبقاً للعقد) فإن الحكومة لم تطلبها بأي تعويضات أو غرامات • (من التي نص عليها في التعاقد) • قارن هذا بموقف الحكومة من شركات أخرى محلية (لا يملكها الهستادروت) أو أجنبية • فحين تأخرت شركة أعمال البحر الميت في الوفاء بما نص عليه العقد لعدة شهور ، فإن الحكومة نفذت كل العقوبات

المنصوص عليها إلى آخر حرفة بما في ذلك مصادرة معدات الشركة وتغريمها بمبالغ طائلة (١٢) . من الناحية المقابلة ، فإن الهستادروت وشركاته لا يضمنون على الحرب الحاكم بالاموال التي يحتاجها في حملاته الانتخابية (ولا بأصوات العاملين في هذه الشركات بالطبع) . من الامثلة الشهيرة لذلك ما كشفت عنه الصحف أخيرا من أن العجز المالي الضخم في شركة «دان» لا توبيسات النقل كان سببه الأول التبرع بنفس هذا المبلغ لنشاط حزبي سياسي . وطبعا الشركة نفسها كانت مطمئنة لتعويض هذا العجز اما من خلال مساعدة من الدولة (على حساب دافع الضرائب) ، او من صندوق «النسداد اليهودي المتحد United Jewish Appeal» (الذي يجمع مئات الملايين من الدولارات سنويا من يهود الدياسبورا) . ونفس الشيء اتضح في التحقيقات الاخيرة حول افلاس مصنع السيارات «أوتو كارز» . فقد ظهر من شهادة «الجنرال مدير عميت» أن مبالغ كبرى قد دفعت (بواسطة ادارة الشركة) لأغراض حزبية (١٣) .

باختصار : الهستادروت يمثل أداة فعالة ، من خلالها استطاعت المؤسسة الحاكمة أن تسيطر على أرزاق ومقدرات قطاعات كبيرة من المجتمع الاسرائيلي . وقد ترتب على هذه السيطرة نفوذ سياسي ضخم مكن حزب هذه المؤسسة من التربع على عرش السلطة منذ تأسيس اسرائيل الى الان . وبوجود الحزب في الحكومة فإنه يرد جمائل الهستادروت بكرم وسخاء . وأدق وصف لهذه التركيبية هو أن كلامن المabay والهستادروت يمثلان جناحي المؤسسة الحاكمة (بأصلها الشرق أوسطي) . والعلاقة بين الجناحين عضوية من حيث الوظائف ، وانسيابية من حيث الجمائل والقيادات . أما علاقة الجناحين بال جماهير فهي علاقة فوقية تحكمية .

٢ - الامتصاص ، الشراء ، والعزل : فسي محاولتها لابقاء الهيمنة والسيطرة على مقدرات المجتمع الاسرائيلي ، تراعى المؤسسة الحاكمة المحافظة على الشكل الديموقراطي (وليس روح الديموقراطية) . لقد ناقشنا في الفقرة السابقة الدور الذي يلعبه الهستادروت في احكام هذه السيطرة حيث أن غالبية العاملين في اسرائيل هم أعضاء فيه . ولكن هناك قطاعات مختلفة في اسرائيل ليست منضوية تحت لوائه ، في حالة هذه

القطاعات فإن المؤسسة الحاكمة تحاول إما امتصاصهم (absorbition) شرايهم (buying off) من خلال بعض الوظائف أو المحاسب المادي ، او عزلهم (Isolating) ومطاردتهم (Harassment) - وذلك اذا ما حاولت هذه القطاعات أن تثور او تخلق المصاعب امام المؤسسة الحاكمة .

● في حالة القيادات الفردية التي ليست من اصل شرق أوسطي ولكنها نجحت في الظهور على مسرح الرأي العام ، والتي يبدو أن طموحها ذا درجة عالية ، فإن المؤسسة الحاكمة تفتح أمامها الباب - ولكن بحساب شديد - لتندمج الى هذه المؤسسة . في مثل هذه الحالات المحدودة فإن شرط الولاء المتناهي للمؤسسة الحاكمة ومبادئها ورؤيتها للواقع لا بد من التأكيد عليه . هذا التأكيد مارسته المؤسسة الحاكمة خاصة مع بعض يهود أوروبا الغربية الاقذاذ مثل آبا ايبان ، وموشى شاريت ، وبنحاس لافون . ولكن اذا ما حاول أحد هؤلاء أن يكون سيد نفسه ، وأن يمارس سلطاته الرسمية بالطريقة التي يميلها عليه ضميره ، فإنه سرعان ما يجد نفسه خارج الدائرة الحاكمة بسرعة ، وقد يطويه النسيان الى الابد . هذا هو ما حدث لموشى شاريت (ثاني رئيس وزراء لاسرائيل) حين حاول جادا - من وجهة نظره - أن يستكشف امكانيات الصلح مع العرب في منتصف الخمسينات . وهذا ما حدث مع بنحاس لافون (الذي كان وزيرا للدفاع في وزارة شاريت) حين أصر على الا يملأ عليه أحد خارج الوزارة (مثل بن جورريون في ذلك الوقت) آراءه الخاصة . والذي لم يدركه كل من شاريت ولافون - في ذلك الحين - هو ان تلك لم تكن آراء خاصة لشخص واحد مثل بن جورريون ، ولكنها كانت آراء المؤسسة الحاكمة التي كانت تقبض على كل خيوط السلطة الحقيقية في يدها .

● في الحالات المشاغبة التي تتصدي لفضح المؤسسة الحاكمة أو احراجها ، فإن هذه الاخيرة تحاول شراءهم (أو رشوتهم) بأن تعينهم في بعض الوظائف غير الحساسة ولكن ذات المرتبات المرتفعة نسبيا . هذا - مثلا - ما فعلته مع قادة تمرد البحارة التجاريين في سنة ١٩٥٢ ، ومع زعيم وادي صليب ، واثنين من زعماء عمال أشدود . وهو نفس الشيء الذي فعلته أخيرا مع بعض زعماء الفهود السود (حيث عينت عددا

[١٢] انظر مقال روزنويج وتامارين [مصدر مثير اليه سابقا] ، ص ٣٠ .

[١٣] انظر ملخص ما نشره الصحف الاسرائيلية في نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، العدد ٤ ،

السنة الثانية ، يناير ١٩٧٢ ، ص ١٥ .

الذي تكون في إسرائيل حديثاً) . لللاحقة واضطهاد عناصر اليسار الجديد (١٤)

المؤسسة الحاكمة والمتقنون

لم يكن للمتقنين أي تأثير يذكر على مجريات الأمور بين يهود فلسطين قبل إنشاء إسرائيل . ونعني بالمتقنين (Intellectuals, Intelligentsia) أولئك الأكاديميين (أساتذة الجامعات) والمفكرين (الادباء والكتّاب والفنّانيين) . بعد إنشاء إسرائيل ، زاد وزن هذه الفئة عددياً ولكن تأثيرها على المجتمع ككل ما يزال محدوداً . وداخل فئة المتقنين في إسرائيل - اليوم - نجد عدة اتجاهات واختلافات . أي أنهم لا يكونون جماعة واحدة ، متجانسة الرأي ، أو متشابهة في انطلاقاتها الايديولوجية .

هناك جماعة كانت قد تكونت في الجامعة العبرية حول الفكر اليهودي الكبير «مناوتن يوبير» ومازال تقليدها مستمرا بعد وفاته . كانت بداية هذه الجماعة من خلال «رابطة السلام» Birt Schalom التي ترعها - إلى جانب يوبير - مفكرون آخرون مثل «يهودا ماجنس» (أول مدير للجامعة العبرية) و«أرنست سيمون» (العميد السابق لكلية التربية بنفس الجامعة) . لقد قصدت رابطة السلام للدعوة نحو الإخاء العربي اليهودي في فلسطين ونبتذ التفزقة العنصرية والدينية ، وهاجمت ممارسة التمييز والطرده للعمال العرب من المؤسسات والمزارع اليهودية - وهي السياسة التي اتبعتها الهستادروت منذ العشرينات (كما أشرنا في عدة مواضع من قبل) . لقد كان - ومازال - أعضاء هذا التيار يرون أنه لا مستقبل لليهود في فلسطين على حساب حقوق شعب آخر ، ونبهوا إلى أن الأساليب الصهيونية التي اتبعت في ذلك الحين ستؤدي إلى اشغال المنطقة كلها في صراع دموي قد يستمر إلى عشرات السنين . ولكن تأثير هذه الجماعة كان ومازال محدوداً للغاية . ولذلك لم تغير صيحاتهم ونداءاتهم من تصميم المؤسسة الحاكمة على تنفيذ ما يروق لها من سياسات . وإن كان بسبب هذا التيار ، حاولت المؤسسة أن تحافظ على شكل وصورة الديمقراطية إن لم يكن روحها .

هناك جماعة ثانية يمكن أن نطلق

منهم في دائرة الهجرة ووزارة الشؤون الاجتماعية) وقد تأخذ عملية الشراء والرشوة شكلاً آخر فيما يتعلق بقطاعات أو كتل سياسية أو اجتماعية كاملة في إسرائيل - مثل حالة المؤسسة الدينية والمثنيين . فرغم أن معظم أفراد المؤسسة الحاكمة أنفسهم ليسوا مثنيين ، والبعض منهم ملحدين ، إلا أنهم يدركون أهمية أرضاء الأرثوذكسية اليهودية لاعتبارات معنوية أحياناً ، ولاعتبارات سياسية وانتهازية أحياناً أخرى . فإلى جانب إعطاء المؤسسة الدينية الإشراف على بعض نواحي التوجيه المعنوي في القوات المسلحة والمدارس ، فإن الأحزاب الدينية تحصل بين الحين والآخر على مناصب وزارية ، وامتيازات اقتصادية ، كلما احتاجت المؤسسة الحاكمة لأصوات نوابهم في الكنيست أو كلما احتاجت إليهم لتكوين حكومات ائتلافية (تظل الاغلبية فيها بالطبع للمؤسسة الحاكمة) .

● العزل (Isolation) هو سلاح تلجأ إليه المؤسسة الحاكمة مع بعض الأفراد والجماعات التي يصعب امتصاصها أو شرائها . وما يقصده بالعزل هنا خلق جفوة عاطفية ونفسية شديدة بين هذه الجماعات من ناحية والمجتمع الإسرائيلي اليهودي من ناحية أخرى . وبالتالي فإن هذه الجماعات إما أن تصبح فريسة لعداوة المجتمع كله ضدها ، وإما يتجاهلها المجتمع تجاهلاً تاماً - وبذلك تفقد أية إمكانية للتأثير السلبي في قوة المؤسسة الحاكمة . وهناك أمثلة عديدة لهذا الأسلوب في تعامل المؤسسة الحاكمة مع مثل هذه الجماعات . في أواخر العشرينات حينما بدأت بعض الجماعات الشيوعية اليهودية في كشف أساليب الهستادروت فإن أفرادها حرموا من الخدمات الصحية ، وطردها من أعمالهم . وحين حاولوا تكوين مشاريعهم الاقتصادية خارج الهستادروت فإنهم اتهموا بالعداء للصهيونية وفكرة الوطن القومي (National Home) واستعديت معظم قطاعات المجتمع اليهودي آنذاك ضد جايوتنسكي وأتباعه حتى أسكتوا ، أو لفهم الضياع والنسيان . كذلك نجد نفس الأسلوب متبعاً في الوقت الحاضر مع جماعات اليسار الجديد (وخاصة حزب الماتزين) ، فهناك التلميح الدائم بأنهم عملاء أو خونة أو جهلة أو أطفال - وهذه كلها تهمة تحد من فعاليتهم في التأثير على الرأي العام في داخل إسرائيل . إلى جانب ذلك تشجع المؤسسة الحاكمة الجماعات اليمينية المتطرفة (مثل فسرع عصبية الدفاع اليهودية Jewish Defense League

[١٤] انظر مقال عوزي بنجامين عن هذا الموضوع في صحيفة هآرتس الإسرائيلية بتاريخ ١٩٧١/١٢/٣

أو ملخصة في نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية [المصدر المذكور أعلاه] .

عليها « الأكاديميون بلا أيديولوجية » (Apolitical Academicians)

ومعظم أفراد هذه الجماعة يتركزون في الجامعات الحديثة العهد (مثل جامعة تل أبيب) . ويستمد هذا النوع من الأكاديميين مراكزهم ونفوذهم لا من شهرتهم الفكرية داخليا أو عالميا ، وإنما من صلتهم التكنوقراطية بالمؤسسة الحاكمة . فهم يأتسرون بسياسات المؤسسة الحاكمة ويقدمون لها المشورة الفنية بلا أسئلة أو نقد . ولا تهتم هذه الجماعة - من قريب أو بعيد - بالمضاعفات الاجتماعية أو الانسانية لأي سياسة أو مشروع مادامت مراكزهم غير مهددة . وبالتالي فالحالة الوحيدة التي يرفعون فيها أصواتهم هي حالة المساس بمراكزهم ، وفي الآونة الأخيرة حينما بدا لهم أن بعض الاساتذة والعلماء اليهود من الجامعات الغربية على وشك الهجرة الى إسرائيل ، فإن احتمال المنافسة بات يقلقهم . وبالتالي فقد بدأوا حملة مغطاة - ولكنها منظمة - ليس فقط لمنع هؤلاء من مزاحمتهم ، بل وتطفيش الموجودين منهم بالفعل . وقد علقت الصحف الإسرائيلية في السنتين الأخيرتين على هذه الظاهرة (١٥)

هناك جماعة ثالثة من الأكاديميين تتركز في معهد وايزمان العلمي (Weizman Institute) ومعظم أفرادها من جيل الصبرا (الذين ولدوا في إسرائيل) . وقد حاز بعض أفرادها شهرة عالمية في مجال البحث العلمي . هذه المجموعة تشبه - على السطح - المجموعة الثانية من حيث اللايديولوجية (Apolitical) ولكنها تختلف في أنها ليست ذراعا طبعيا للمؤسسة الحاكمة ، كما أنها ليست بالضرورة ضد هذه المؤسسة . باختصار فقد أفرادها ثقتهم بأمانة العمل السياسي : وما تطلوبه عليها الممارسة السياسية في إسرائيل من انتهازية ورياء . ولذلك فإن معظمهم قد انصرف للبحث العلمي لوجه العلم . وهذا وضع لا يمكن أن تبنى المؤسسة الحاكمة أحسن منه : فهم لا يسبون صنادعا لهذه المؤسسة ، وبالتالي فهي تتركهم وشأنهم .

المؤسسة الحاكمة والمستقبل القريب

إن عددا كبيرا من أفراد المؤسسة الحاكمة في إسرائيل قد تجاوز سن الستين ومعظمهم لا يتقاعد إلا وهم في السبعينات (بن جوريون أعلن تقاعده منذ عدة قصيرة فقط وهو في الثمانين ، ومات ليفي أشكول رئيسا للوزراء وهو قريب من السبعين ، وجولدا مائير رئيسية الوزراء الحالية يزيد سنها

على الواحد والسبعين ، وبنحاس سابير قس منتصف الستينات) . وقد أثبتوا قدرة فائقة على الاستمرار . فمعظمهم يشغل مناصب هامة في الحركة الصهيونية (وفي أجهزة الدولة فيما بعد) منذ الثلاثينات أي أن بعضهم قد مكث في المؤسسة الحاكمة لمدة تربوا على الأربعين عاما . ولذلك فإن أعدادهم في نقصان مستمر أما بالشيوخوخة وأمراضها ، وأما بالموت . لذلك يجدر بنا أن نتأمل المستقبل القريب للمؤسسة الحاكمة في إسرائيل .

إلى أي مدى ستكون استمرارا - في أفكارها ونظرتها للواقع - للمؤسسة الحالية ؟ ما هي العوامل المؤثرة في الإبنية الاجتماعية لإسرائيل والتي يمكن أن تؤثر على عناصر المؤسسة الحاكمة في المستقبل ؟

وهنا فقط سنذكر بعض المؤشرات العامة التي لا بد من أخذها في الحسبان عند أي تنبؤ عن المستقبل :

أولا : ستكون معظم عناصر المؤسسة الحاكمة في المستقبل من جيل الصبرا الذين ولدوا على أرض فلسطين . المؤسسة الحالية - كما ذكرنا تكرارا - تسودها عناصر شرق أوروبية (من أصل روسي وبولندي) ، هاجرت الى فلسطين قبل سنة ١٩٣٠ . وتؤكد ظواهر كثيرة أنه من بين جيل الصبرا ، هناك فئة احتمال صعودها أكبر من أي فئة أخرى - وهي الفئة التي تنحدر من نفس الأصل الشرق أوروبي . ورغم ولادة هذه الفئة في فلسطين إلا أنها نمت وتدرجت في أخضان تقاليد حضارية شرق أوروبية نقلتها أسرهم الى الوطن الجديد ، كما أنها تشربت كثيرا من العقلية وأساليب الممارسة السياسية عن طريق القيادات الحالية . ولذلك ستجد هذه الأخيرة أنه حين يحين الوقت لتسليم القيادة العليا ليد جديدة فإن هذه الفئة هي الأقرب الى قلبها وعقلها ، وهي التي تعكس شبابهم ورؤيتهم . وبالفعل نجد أن عناصر الصبرا الوحيدة التي صعدت الى مناصب وزراء وجنرالات آتت أسرهم من شرق أوروبا (آلون وديان وعزرا وايزمان مثلا) .

ثانيا : رغم التشابه الكبير بين هذا النوع من الصبرا والمؤسسة الحالية في العقلية وفي نظرتهم الفصامية للواقع ، فإنهم سيكونون أقل رومانتيكية من الجيل الذي سبقهم ، وأقل اشتعالا بالحماسة والخطابية وصنع الشعارات . هذا الاختلاف لا يعنى أنهم سيكونون أقل تعصبا أو تصميميا في تنفيذ المخطط الصهيوني . ولكنه اختلاف تمليه طبيعة المجتمع الاسرائيلي المتغيرة (عما عهدته المؤسسة الحالية) .

نحو العدو الخارجى ، والثانى الحصول على اراض وموارد جديدة ، وبالتالى خلق فرص اقتصادية واجتماعية أمام اليهود الشرقيين . ومن معلوماتنا عن المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل فاننا نميل الى الاعتقاد بأن الحل الاخير هو ما ستلجأ اليه هذه المؤسسة .

خامسا : من التغييرات المهمة فى المجتمع الاسرائيلى (وخاصة منذ حرب ١٩٦٧) نمو ما يسمى « بالمركب العسكرى الصناعى » وهو تحالف وتحالف بين العسكريين والرأسماليين الصناعيين . هذا التحالف يمثل بالفعل قوة اجتماعية ديناميكية صاعدة فى اسرائيل . ليس جديداً - بالطبع - على اسرائيل أن يكون للعسكريين دور هام فى المؤسسة الحاكمة . ولكن الجديد هو اختراق رأس المال الخاص والرأسماليين - من خلال العسكريين - الى مستويات القيادة العليا بالتدريج . فالى سنة ١٩٦٧ كان رأس المال الخاص قادراً بدور ثانوى أو حتى هامشى ، تاركاً قيادة الاقتصاد الاسرائيلى لتحالف الدولة والهستادروت . ولكن منذ حرب يونيو فإن نهم العسكريين لاسلحة جديدة ولعدات الحرب فى ازدياد هائل . ولما كانت احد الملامح لعقلية الجيتو التى تسيطر على المؤسسة الحاكمة (ومنها العسكريين) لا تثق فى أحد خارج الاسوار (بما فى ذلك حلفاء اسرائيل) ، فانها تريد كل شيء داخل الاسوار - فى هذه الحالة انتاج السلاح ومعدات الحرب محلياً . ولم يأخذ القطاع الرأسمالى كثيراً من الوقت فى الاستجابة لهذا النهم ، فبدأ توا فى توسيع ما كان موجوداً وانشاء العديد من الصناعات العسكرية الجديدة بتشجيع ومباركة الجنرالات الاسرائيليين . أكثر من ذلك فإن عدداً كبيراً من الضباط المتقاعدين ، اما كونوا شركات لانتاج السلاح أنفسهم ، أو دخلوا شركاء مع رأسماليين محليين وأجانب لنفس الغرض ، وتعتبر شركة « ماشياك » (Mashak, Inc.) مثلاً بارزاً لهذه الظاهرة الجديدة . هذا « المركب العسكرى الصناعى » الذى ينمو بسرعة مذهلة يشابه فى معظم الوجوه مثيله فى الولايات المتحدة - بل وبدا فى التعامل مع هذا الاخير (١٦) . ولا شك فإن من مصلحة هذا « المركب » استمرار حالة الحرب لان فيها استمراراً لنشاطه الاقتصادى وأرباحه . ولذلك فاننا ننتبأ بأن المؤسسة الحاكمة فى المستقبل ستطغى فيها عناصر هذا « المركب » بأكثر من أى وقت مضى .

ثالثاً ، من أهم جوانب هذه الطبيعة المتغيرة زيادة تصنيع المجتمع الاسرائيلى . فحينما أتى أفراد المؤسسة الحاكمة الى فلسطين كانت الزراعة هى السائدة من ناحية ، وكان شعارهم كرواد - من ناحية أخرى - هو تمجيد العمل الزراعى والاشتراكية الزراعية . لم يبق من ذلك المجتمع الا قطاعاً لا يتجاوز العشرين فى المائة اقتصادياً وسكانياً ، ولم يتحقق من حلم الاشتراكية الزراعية الا « الكيبوتزات » التى لا تضم أكثر من خمسة فى المائة من السكان . معظم النشاط الاقتصادى الحالى (وفى المستقبل) هو نشاط صناعى وإدارى على درجة عالية من التعقيد . هذه الخاصية الجديدة تستلزم مهارات قيادية مختلفة عما عهدناه فى المؤسسة الحالية . وبقدر ما تكتسب العناصر الصاعدة فى المؤسسة الحاكمة هذه المهارات ، بقدر ما ستتمكن من تسيير الامور داخلياً . ومن المحتمل فى فترة الانتقال (خلال السبعينات) أن يكون هناك توتر ومنافسة بين من سيستمر فى الحكم من جيل ما قبل ١٩٢٠ وهذه القيادات الصاعدة .

رابعاً : من التغييرات الاساسية التى لم يدركها المؤسسون منذ ربع قرن ، ان اليهود الشرقيين سيصبحون أغلبية سكانية فى الربع الاخير من هذا القرن . وحتى حينما اتضحت هذه الحقيقة فى خلال الستينات فإن قدراتهم الخلاقة المحدودة - من ناحية - وتعصبهم وتعاليمهم - من ناحية أخرى - لم يمكن المؤسسة الحالية من حل مشكلاتهم الحضارية والاجتماعية والاقتصادية فى وقت مبكر . ولن يكون أمام الاقراء الجدد فى المؤسسة الحاكمة فى السنوات المقبلة الا ثلاث احتمالات فى معالجة قضية اليهود الشرقيين : اخضاعهم بالقسر مع شراء زعمائهم ورشوتهم (وهو الاسلوب الذى اتبعته المؤسسة الحالية) ، أو الحل الجذرى للمشكلة - وهو ما سيتطلب بلايين الليرات التى لا يمكن توفيرها الا بتغيير عسكرية (Militarism) المجتمع الحالى ، ووقف التحيز ومحاربة اليهود الغربيين (فى الوظائف والمساكن مثلاً) هذا الحل سيجعل اسرائيل تفقد ميزاتها التفوقية فى المنطقة ، وبالتالى احتمال وجودها فى المستقبل . وهذا أمر بعيد اللجوء اليه . الاحتمال الثالث فى معالجة قضية اليهود الشرقيين هو استمرار سياسة الحرب والتوسع . ذلك سيتيح للمؤسسة الحاكمة شيتين على الاقل ، أحدهما تحويل نقمة اليهود الشرقيين

[١٦] أذاعت محطة التلفزيون كولومبيا (Columbia Broadcasting System, CBS)

فى نشرة اخبارها بتاريخ الجمعة ١٤ يناير ١٩٧٢ ان شركات انتاج الطائرات العربية الامريكية [لوكهيد على الاخص] بصدد توقيع عقود مع بعض الشركات الاسرائيلية لانتاج هذه الطائرات فى اسرائيل ، نفس الخبر نشرته صحيفة النيويورك تايمز (New York Time) فى عددها يوم ١٥ يناير ١٩٧٢ .



اليمن

بين طريق التطور الرأسمالي

واللارأسمالي

قدم الدكتور محمد علي الشهاري
الدراسة التالية الى المؤتمر الخامس
للجبهة القومية ، وقد تقرر ضمها
لوثائق المؤتمر .

الدكتور محمد علي الشهاري

تقف التيارات والمنظمات السياسية الهزيلة التي
نشأت في عدن بعد الحرب العالمية الثانية ، والتي
كانت تمثل الاقطاع والكمبرادورية عند حد المطالبة
بشكل من أشكال الاستقلال الصوري لمستعمرة
عدن ، أو لها وللمنطقة المحمية من حولها ، وتكوين
دولة « الجنوب العربي » وهو الاتجاه الذي تبنته
السلطات الاستعمارية في آخر الامر ، لتحقيق بذلك
هدفين في وقت واحد :

أولهما - تكريس انفصال اليمن الجنوبية عن
اليمن الشمالية ، وتوجيه ضربة قاتلة للحركة
الوطنية اليمنية الناشئة التي طرحت قضية الوحدة
اليمنية بقوة وحدة ، نتيجة تكوينها الوطني اليمني
الاصيل الممثل في تركيبها العضوي المتميز ، المشكل
من قوى اجتماعية وسياسية شعبية ووطنية من
شمال البلاد وجنوبها ، ونتيجة بنيتها الطبقية

الانتماء الواحد الى الوطن
الواحد والشعب اليمني الواحد فان
طبيعة الحكم السائد في كل من
شطري اليمن الممزق كان ولا بد أن
تترك تأثيرها على نشاط القوى السياسية هنا
وهناك .

برغم

انفصالية وراؤها الاستعمار

فحيث كان يتحكم الاستعمار البريطاني في
جنوب البلاد منذ الربع الثاني للقرن التاسع عشر
والذي لعب - حسب تخطيط امبريالي مدروس -
دورا حاسما في تكريس وتأكيد وتعميق التجزئة
الاقطاعية ، والانفصالية السياسية ، والنزعات
الاقليمية ، والصراعات الطائفية ، والنعمرات
العرقية ، والخلافات القبلية ، لم يكن مستغربا أن

المتحركة قبة « كذولة حضارية » لا يمكن لليمن أن تخرج من جمودها وتخلقها بدون مساعدتها ، ولا يستقيم سيرها في طريق « النهضة والرقى » بدون الاعتماد عليها ، وطلب قيادتها لخطاها .

انعطاف تاريخي في اتجاه الوحدة

وعندما نشبت الثورة اليمنية في صنعاء في ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وأجهزت على النظام الامامي والملكي وأعلنت الجمهورية ، فإن أحد مبادئها الستة المتعلق « بالوحدة الوطنية » لم يتسع ليشمل النص على « الوحدة اليمنية » .

غير أن هجمة الاستعمار البريطاني على الثورة ، وأنخرط قوى الشعب اليمني من صعدته الى عدن في صفوف المدافعين عنها ، قد أحدث « نقلة حاسمة » في مجرى الاحداث كلها ، وأعاد ترتيبها من جديد ، وتصنيف كل شيء حسب طبيعته الجوهرية والاصيلة ، وجعل من الساحة اليمنية - ولا سيما بعد قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ضد الاستعمار البريطاني وركائزه في جنوب البلاد ، انطلاقا من أرض جمهورية صنعاء وبلاستناد الكامل اليها ، كقاعدة خلفية وثيقة لها ، وبالاغتماد على دعمها ودعم الجيش العربي القوي لها - جعل منها ساحة نضال واحدة ، امتزج على ترابها - ولاول مرة منذ تاريخ بعيد - الدم اليمني ، والتقى على صعيدها الثوار من كل مكان ، وتحولت الى جبهة ثورية واحدة فسي مواجهة جبهة الاستعمار والرجعية ، وتحققت بذلك وحدة كفاحية عملية مخضبة بالدماء ، وغدا أمرا منطقيا وطبيعيا ان يشير الميثاق الوطني للجبهة القومية التي تشكلت من تحالف قوى طبقية وسياسية متعددة ، والتي قادت حركة الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني وعملائه ، والصادر في ٢٢ يونيو ١٩٦٥ الى ان « الجبهة القومية انما تعمل من أجل تحقيق المجتمع المستقل الموحد المتحرر عبر ثورة وطنية ديمقراطية » (٢) .

انتكاس حركة التوحيد الوطنية

وكان في الامكان أن تسير الامور في مجراها الطبيعي ، وأن تؤدي عملية التواصل الوطني ، والتفاعل الثوري ، والوحدة النضالية المعتمدة على

العملية والطلابية ، (١) ، وبفضل المساهمة التقدمية لقياداتها الديمقراطية والثورية ، هذه الحركة التي تفجرت في منتصف الخمسينات تحت تأثير حركة التحرر العربي ، وتحت تأثير الانجازات الثورية الهائلة ، والتحديات القومية الشجاعة التي قادتها بصورة خاصة ثورة ٢٣ يوليو في مصر بزعامة بطل الامة العربية الفذ جمال عبد الناصر .

ثانيهما - معارضة واستغلال شعار الوحدة العربية الذي طرحته الحركة القومية العربية ، عن طريق اقامة دولة « اتحاد الجنوب العربي » التي تجمع مختلف الامارات والسلطنات والمشيخات ، التي كانت تنتشر ما بين المحميات الشرقية في حضر موت ، والمحميات الغربية في السواحي التوسع ، والتمهيد للاعتراف باستقلال سياسي شكلي ، تكون السلطة في ظله في يد القوى العميلة المحافظة ، من الاقطاع والكبرادورية ، وتنزع الامبريالية بذلك شكلها الاستعماري القديم ، لابسة حلة الاستعمار الجديد .

انعزالية وراءها الاستبداد

ومن ناحية أخرى فإن الشطر المستقل من البلاد ، والذي كان في الواقع شبه مستعمر من الناحية الاقتصادية وساحة صراع لاهب بين قوى الاستعمار القديم والحديث ، وبالذات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، فإن قوى المعارضة اليمنية التي جسدها « حزب الاحرار اليمنيين » المشكل - من حيث الاساس - من الجناح الاقطاعي المعارض ، ومن العناصر الكبرادورية الفاشئة والطامحة ، لم تتضمن كل برامجها السياسية اكثر من القضاء على « الاستبداد » ، واحلال حكم « الطبقة » محل حكم « الفرد » ، واقامة سلطة « الاسر » مكان سلطة « الاسرة » وتوزيع صلاحيات « الامام » المطلقة والمركزة على الارستقراطية اليمنية كلها ، وعلى جميع رجالات الاقطاع وحلفائهم ، ولم تشر هذه المعارضة لا في برامجها المتنوعة ، ولا باقوال زعمائها بكلمة « سوء » واحدة الى « الاستعمار » ولم تلتفت هذه الحركة التقليدية الى قضية الوحدة اليمنية على الاطلاق ، بل انها نظرت الى الاوضاع في جنوب البلاد باعترافها مثلا يجب أن يحتذى ، حتى بالنسبة لشمالها ، كما نظرت الى الامبريالية البريطانية

[١] انظر : ماضي وحاضر نضال الطبقة العاملة اليمنية « عبر الجوى » الثقافة الجديدة ، عدن ، ١١/١٠ ،

١٢/١٩٧١ ص ١١ فما بعد ، ٢٢ فما بعد .

[٢] برنامج مرحلة استكمال حركة التحرير الوطني الديمقراطي ص ١١

العربية - تحت وطأة الهجوم الامبريالى الصهيونى الرجعى - وبالذات بين القوى الوطنية والتقدمية ، الذى بلغ حد الاشتعال والانقسام وبسبك الدماء - تعززت مواقع الرجعية العربية فى مشرق الوطن العربى ومغربه . وفى الجزيرة العربية بصورة خاصة ، وعاشت الرجعية اليمنية عصرها الذهبى الذى لم تحلم به قط من قبل ، بعد سقوط حكم الامامة ، حيث « استفادت قوى الرجعية العربية من المظلة التى نشرتها الدبلوماسية الامريكية ، فشطت هذه القوى القبلية وشبه الاقطاعية التى عزلتها الثورة العربية ، وشرعت مرة أخرى تحاول ان تزكى نفسها كقيادات كان التاريخ قد وضعها منذ زمن بعيد فى متحفه » . ولقد تمكنت هذه القوى الرجعية من أن تعاود تأثيرها السبى والصار على حركة التحرر العربية سواء بالعمى المكشوف والسافر الذى اتخذ شكل تدخل واعتداءات مسلحة على الثورة فى جنوب اليمن ، أو سواء عن طريق التسلسل الاقتصادى فى بعض البلدان العربية » (٢) وتحولت جمهورية اليمن الديمقراطية الى شبه جزيرة تحيط بها أمواج المد الرجعى الاستعمارى من جهات الشرق والشمال والغرب ، حيث شكلت الانظمة الرجعية الموالية للاستعمار من حولها جزءا أساسيا فى سلسلة الطوق الامبريالى الصهيونى المضروب من حولها ، والممد من الخليج العربى الى ارتيريا ، وبذلك « تزايد نشاط الانظمة القبلية ، وشبه الاقطاعية المتعاونة مع أمريكا فى الشرق العربى ، وقد امتد هذا النشاط الى منطقة الخليج والى اليمن ، ليستكمل حلقات ابعادها وعزلها عن ركب الدول العربية الوطنية والتقدمية ، وليحولها الى قاعدية للهجوم على الثورة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية » (٤)

انتهازية البورجوازية الصغيرة

وليست القوى القبلية والاقطاعية والكمبرادورية اليمنية هى المسئولة وحدها عن دفع الامور الى هذا المنزلق الخطير ، فإن عناصر مثقفة ذات مواقع حساسة ، تنحدر من برجوازية المدينة الصغيرة والريثة تتحمل قسطا من المسئولية غير قليل ، فهذه العناصر وازاء الهيمنة الاقتصادية والسيادية السياسية للقوى العشائرية الاقطاعية ، وتمشيا معها فى الركب ، وتحولا طوعيا من قبلها الى مجرد مطية من مطاياها ، وتنفيذا لأمرها ومخططاتها المشبوهة اخذت - تطبيقا لمفهومها

أرضية واسعة وعميقة وأصيلة من وحدة التاريخ والوطن والشعب والوجدان وكل عناصر الوحدة الوطنية والقومية الى اتضاح وبلورة أسس الوحدة اليمنية ، وتحقيقها سياسيا ودستوريا . فور نيل اليمن الجنوبية استقلالها السياسى وامتلاك مصيرها وإرادتها ، لو لم يحدث العدوان الصهيونى الاستعمارى الرجعى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ تأثيرات بعيدة المدى فى مسار الثورة اليمنية بمجملها ، حيث اضطرت قوى الثورة العربية الى سحب الجيش العربى من صنعاء للدفاع عن قاعدة الثورة فى القاهرة ، فى ظل تبدلات فى المواقع السياسية غدا بها التيار اليمنى فى الجبهة القومية ذو العقلية الانفصالية - الذى كان كرد فعل لخطوة دمج الجبهة القومية دون موافقة جماعية فى جبهة التحرير فى مطلع ١٩٦٦ قد عزز سيطرته القيادية من جديد بأسم اثبات وجود الجبهة القومية المستقل ، والحفاظ على كيانها الذاتى - غدا هو المهيمن على تنظيم الجبهة القومية ، وعلى جنوب البلاد أيضا بعد الحصول على الاستقلال عام ١٩٦٧ ، كما غدا بها التيار التقليدى المحافظ القبلى والاقطاعى فى شمال البلاد ، المدعم من البرجوازية الكومبرادورية ، الذى كان قد نما منذ عام ١٩٦٢ - برغم الضربات السياسية المتعددة والمتقطعة وغير المخططة وغير الثابتة التى كان قد تعرض لها نموا عاصفا - هو المتحكم الفعلى فى حركة الصراع ، بحيث لم يأت انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الذى قادته هذه القوى الا اعلانا خارجيا للرأى العام عن احتلاله لخشبة المسرح السياسى بالكامل فى الداخل .

وذلك هو مغزى ما عبر عنه « برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى الديمقراطى » للجبهة القومية فى ص « ٣١ » من انه « لولا الظروف الموضوعية السائدة فى الشمال والجنوب عند استقلال الجنوب ، تلك الظروف التى شكلت عوائق آتية لكان من الضرورى قيام الكيان اليمنى بتحقيق الوحدة اليمنية التى ظلت وما زالت أمل الشعب اليمنى فى الشمال والجنوب » .

مد استعمارى - رجعى كاسح

وابان فترة انحسار المد الثورى العربى ، وخلال سننى الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية ، وازدياد نشاط الاستعمار الامريكى فى المنطقة ، واحتدام التناقضات الثانوية بين قوى الثورة

[٣] من الدفاع الى الهجوم على مواقع الاستعمار الجديد ، أبو سيف يوسف ، الطليعة القاهرية ١/١/٧٢ ص ٢٤

[٤] المصدر السابق ص ٢٦

ومن هنا فهو كثيرا ما يظهر احتقاره واستهائه بالجماهير، نتيجة لعقده النفسية الدفينة، ورغبته العارمة في الانفصال عن مجتمعه القديم والتمسح بمجتمع القلة المالكة، (٧)

من ارسنقراطية قبلية الى

ارسنقراطية اقطاعية مالية

وكما ان بعض الاقطاعيين وملاك الاراضى قد يتحولون الى رأسماليين في الوقت ذاته، مكوّنين مع أصحاب الاعمال طبقة رأسمالية، فان القمم القبلية والعشائرية والاقطاعية في اليمن التي كدست أموالا طائلة عن طريق استغلالها فترة الحرب الوطنية ضد الاستعمار والرجعية، وتحولها الى مجرد صفقة رابحة بالنسبة لها، قطعت ثمارها باليمن والشمال، ومن اليمن واليسار، والتي نتيجة اتصالها وتعاونها مع الرجعية العربية، وموالاتها للامبريالية كسبت أموالا اضافية جديدة، قد أخذت منذ حين تدفع بهذه الاموال في اتجاهات مختلفة، بشراء الاراضى الواسعة، وزراعتها بالوسائل الحديثة والطرق الرأسمالية، واقامة العقارات السكنية في أكثر من مدينة، والاشتراك في المشاريع المختلفة، وتحويل قسم كبير منها الى البنوك الاجنبية، منفصلة بذلك عن قاعدتها القبلية والعشائرية، ومتميزة عنها اجتماعيا وطبقيا، ومكتسبة سطوة من جهات الدولة، وليس لمجرد الرابطة القبلية كما كان الامر قبل ذلك، ودافعة بالمجتمع في اتجاه الانقسام والصراع والعداء الطبقي الحاد لأول مرة في تاريخ البلاد.

وفي خط مواز لتحول الارستقراطية القبلية الى قوى اقطاعية - مالية صريحة، أخذت البرجوازية اليمنية والكمبرادورية منها بصورة خاصة، تركز على شمال البلاد بعد ان فقدت حصنها العتيق في عدن على اثر الضربات التي لحقت بها على يد الثورة اليمنية الديمقراطية هناك.

انقسام اليمن الى

نظامين اجتماعيين متعارضين

ونتيجة عملية الاستقطاب الاجتماعية السريعة

الغريب والمتخلف عن العمل السياسي من انه لا ضوابط مبدئية له، وانه يجسّر الاخذ بالشيء ونقيضه في وقت واحد، من حيث ان «الحياة السياسية» والسياسة ليس فيها اختيار لجعلها مثالية، أو مكيافيلية، فالسياسة «قد تضطرنى أن أسلك طريقا لا أرضاء، وأبتعد عن موقف أريد اتخاذه» (٥) أخذت تتنكر لاصلها الطبقي المباشر في المدينة، وتفتش عن اصولها القبلية القديمة، قائلة: «فكلنا أبناء قبائل تسكن الجبال» ومؤكدة انتماءها الى قبيلة «بنى يهلول» ورافضة وجود أى صراع سياسى أو اجتماعى فى البلاد «فليس بين عاقلين من اليمن خلاف» كما تقول، ورافضة لاي عمل سياسى أو تنظيمى أو حتى وطنى بحث، بزعم انه «إذا كانت السياسة تعنى الاحزاب والايديولوجيات والمناورات فاعتقد انها ترف لبنا فى حاجة اليه» ومتنصلة بذلك عن ماضيها شبه الحزبى حتى ولو «اتهمنى المثقفون فى اليمن وغيرها بالانحراف عن الخط التقدمى» ومبررة الدور التكميلى المدان الذى لعبته فى رآب الصدع، وجمع الشمل بين الفريقين الاقطاعيين اليمنيين المتخاصمين من جهة وبين الاقطاع اليمني والاقطاع العربى من جهة أخرى بقولها ان ذلك كان «سببا مباشرا فى نجاح المساعي التي أدت الى وقف نزيف الدماء فى اليمن، وتحقيق الوحدة الوطنية» وزاعمة أن «القات» - وليس التخلف الحضارى الشامل - هو «مشكلة المشاكل فى اليمن» ومصورة - لسذاجتها السياسية وتواضع مفاهيمها وقصور طموحاتها - ان مجرد دخول «الاسانسير» الى بعض المباني الحكومية يعتبر من «ملاحم القرن العشرين» ومعززة ومباركة للتحالف الاقطاعى - الكمبرادورى، ومدارية لسطوته وجبروته بتأكيدهما أن «هناك ولا شك تجار ومشايخ أثروا من الحرب، ولكن بمجرد استقرار الأمن وتوقف القتال بدأوا يستغلونها فى المشاريع الاقتصادية والزراعية، ولعل اضعف الشخصيات فى اليمن هم الحكام» (٦)

ان هذا الانحدار البشع الى تركات العمل الرجعى الصريح، وهذا التعالى على الاصل الطبقي المتواضع وهذا الزهو المصطنع، والتميز المقتل على فئة المثقفين التي تنتمى اليها وبالتالي على الجماهير الشعبية، وهذا السلوك الانتهازى، ان كل ذلك يعود الى أن بعض عناصر «المثقفين من أبناء البرجوازية الصغيرة يريد أن يخرج على طبقته، وأن يلتحم بالفئات العليا من المجتمع»

[٥] روزاليوسف ١٩٧٢/١/١٠ . من تصريح لمحسن العيلى رئيس حكومة

[٦] صباح الخير القاهرية ١٩٧١/١١/٤ ص ٢٢ - ٢٤ من تصريح للعيلى .

[٧] الفئات الوسطى فى الدول النامية، د. جمال مجدى حسنين، الكاتبة القاهرية ١٩٧٢/١/٢٢ ص ٢٩

حدة التناقضات الطبقيّة فيها ؟ وتفاقم الصراع الاجتماعي ، وتضاعف غنى أغنيائها وفقير فقرائها ، وتعمقت تبعيتها الاقتصادية والسياسية للاستعمار الجديد ، وعانت من الانقلابات العسكرية الدموية المدبرة من قبل الامبريالية ، واضير الاستقلال الوطنى والسيادة القومية فيها .

طريق التطور الرأسمالى

طريق الارتباط بالرأسمال الاجنبى

ومع ذلك فان هناك من يرى من بعض المثقفين المترفين الممثلين للجزء الاعلى المترهل والمتفسخ من البرجوازية الوسطى اليمينية أن طريق التطور الرأسمالى الذى سارت فيه اليمن الديمقراطية - ومن قبلها مصر ، وسوريا ، والجزائر ، وغيرها من الدول العربية ، والدول الاخرى حديثة الاستقلال فى آسيا وافريقيا - ليس مرفوضا فحسب ، وانما هو طريق « الطائشين » و « الضالين » وأن طريق التطور الرأسمالى المعتمد على التعاون مع الرأسمال الاجنبى هو الطريق الصحيح والوحيد الذى على كل الدول النامية - وعلى اليمن بالذات - أن تندفع فيه بكامل قوتها ، ممزقة أى خيوط انعزالية ما تزال تشدها الى الخلف .

« فالمشاهد - كما يرى هؤلاء - فى بعض هذه البلاد النامية أنها تتخذ فى بعض الاحيان سياسات لا تتفق مع مصالحها الاقتصادية ، اما بقصد التقليد غير المحسوب ، او بغرض المزايدات المذهبية ، او تصفية الخصومات الشخصية ، واما بسبب عدم ادراك ابعاد المصلحة الوطنية التى ينبغى السعى الى تحقيقها والتى لا تختلف فى جوهرها عن المصلحة الاقتصادية العامة ، والتى كما تصاب بمرض المراهقة السياسية فانها تعاني فى بعض هذه المجتمعات من الجمود الانطوائى ، ومن الافراط فى الحذر من التعاون الاقتصادى الدولى اللزم لدفع تيار التنمية والتقدم » مما يحرمها « من فرص الانتفاع بأساليب الحضارة الحديثة ووسائل الانتاج المتطورة ، ومن رؤوس الاموال اللازمة لكل عمليات الاستثمار والتنمية ، الامر الذى يشترط اول ما يشترط ان يفتح المجتمع بعقليته وسياسته وتشريعاته وروحانية صدره الاجتماعى على كل ما ينفع فى تحريك طاقاته المهمة واستثمار موارده المعطلة » (٨)

والعاصفة ، والتمحور السياسية القاطعة والمشاركة انقسمت اليمن جغرافيا وطبقيا افقيا ورأسيا الى نظامين اجتماعيين متعارضين كل التعارض ، نظام يسير فى طريق التطور الرأسمالى فى الشمال ، ونظام يسير فى طريق التطور للرأسمالى فى الجنوب ، أحدهما يندفع - باسم تحقيق النهضة والتطور - فى اتجاه التعاون وبدون تحفظ مع الاوساط الغربية ، ويدفع بالبلاد الى التبعية الاقتصادية والسياسية للامبريالية وتوابعها فى المنطقة ، والاخر يمضى قدما فى اتجاه تحرير الاقتصاد الوطنى من كل ارتباط اجنبى ، ويعمل على اقامة الاسس الصناعية والزراعية والتجارية لاقتصاد متطور نامض مستقل ، عن طريق أحداث ثورة زراعية فى الريف ، وتأميم البنوك والشركات واقامة قطاع عام ، وتخطيط الاقتصاد الوطنى ، ومن خلال التعاون الكامل والبناء مع المعسكر الاشتراكى .

جانب ضد التطور

وأخر مع التاريخ

وفى مثل هذه الحتبة التاريخية من حركة الثورة العربية والعالمية ، والتى تتميز بانهايار الانظمة الامبريالية وركائزها ، وانتصار الاشتراكية والديمقراطية ليس من التجاوز القول بأن احد النظامين يسير فى الطريق المسدود ، ويصطدم بالحائط الاصم ، ويسبح ضد التيار مباشرة ، بينما يسير الاخر فى اتجاه التطور وضمن سياق حركة التاريخ ، ويسبح مع التيار تماما .

فعلى عكس الدول الوطنية حديثة الاستقلال التى اختارت طريق التطور للرأسمالى ، والتعاون مع الدول الاشتراكية ، وحققت خلال بضع سنين تقدما هائلا فى كل مجال ، واقامت اقتصادا وطنيا متطورا متحررا ، وسلكت سياسة وطنية مستقلة معادية للامبريالية والاحتكارية والانظمة الرأسمالية والسابقة على الرأسمالية - كما يتمثل ذلك فى جمهورية مصر العربية وغيرها من الدول العربية التقدمية - فان الدول النامية الاخرى التى مضت بعد الحرب العالمية الاولى فى طريق التطور الرأسمالى لم تعجز فحسب عن ايجاد قاعدة صناعية وتكنيكية لاقتصاد وطنى متقدم ، يلبي حاجات البلاد المختلفة ، ويحقق النهضة المطلوبة والتطور المنشود ، ويقضى على تركة التخلف الثقيلة والضرارية ويشدها فى اتجاه التقدم الحضارى المتصل والشامل ، وانما ازدادت

مع الغرب ضد الشرق

وقطعا لكل شك ، ومنعا لكل وهم بأن الانفتاح الذى يقصد اليه هؤلاء قد يشمل الدول الاشتراكية ، ولا يخص الدول الرأسمالية وحدها ، فانهم يسارعون الى نفى كل شبهة ، وإزالة كل ظن ، وفى لهجة لا تخلو من التحامل على المعسكر الاشتراكي وايدىولوجيته ، والاهابة بقوة النظام الاقتصادي والتكنيكي الغربى وايدىولوجيته ، «واذا كان هناك فى دنيا العرب من هم فى أقصى اليسار يرفضون عقائديا المفاهيم القومية لامثنين وراء (مثالية) الوحدة العالمية للبلوريتاريا فانهم فى عصرنا المتطور يبدون وكأنهم يعيشون فى زوايا نظريات القرن الماضى قبل أن تتطور مع طفرة الاقتصاد العالمى ، وتطور الاستراتيجية الدولية التى لا تسقط من حسابها كل ذرة رمل فى هذا العالم » وأكثر من ذلك فانهم - وفى هذا الوقت العصيب والدقيق الذى ارتبط فيه مصير حركة التحرر العربى بمصير الحركة الاشتراكية ، وبلغ التحالف بين الثورة العربية ذات التجسأ الاشتراكي ، وبين الثورة الاشتراكية العالمية حد عقد معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر والاتحاد السوفيتى يدعون وبحماسة منقطعة النظير الى ادارة الظاهر لكل تعاون واتحالف معه ، وكل تعاون أو تحالف مع القوى الصديقة والحليفة الاخرى «ونحن فى الوطن العربى الكبير - كما يرددون - نحتاج الى كيان عربى كبير يمثل مصلحتنا ويحدد حجم فاعليتنا ، وحجم تأثيرنا ، ونحن فى سبيل ذلك يمكننا أن نعتمد على أنفسنا فلسنا فى حاجة الى نابليون ، أو قيصر ، أو موسولينى ، ينصر المسلمين ، أو غير هؤلاء يحمون الطوائف الدينية الاخرى » (٩)

وتزيد مثل هذه العناصر - التى ما تزال تفكر بعقلية « الطوائف والعروق » وما تزال سجيئة المفاهيم الضيقة والبالية والرجعية والمستهجنة ، ولم تهضم بعد منطق الوطنية والقومية - تزيد الامر وضوحا عندما تنتزع من ترسانة مفاهيم البرجوازية الغربية الشائخة والمحترضة بعض أسلحتها المستهلكة والصدئة ، وتهاجم بها المعسكر الاشتراكي ، والفكر التقدمى الذى يجتاح الانسانية كلها ، وتدعو الى أن « يتحرر الثوار والتقدميون من المعتقدات الشمولية المنقولة من المجتمعات الاخرى ، والتى تزعم لنفسها صفة الدوام ، عندما تفسر الانسان والطبيعة تفسيراً نهائياً ، يدعى

غيبية لاهوتية جديدة بأسم العلم أو بأسم الثورة والتقدمية » . ذلك لأنه ليس هناك حقيقة ثابتة على الإطلاق - كما يتخيلون - وليس هناك قانون موضوعى قط ، وليس هناك نظرية صحيحة ابداً ، بل ليس هناك فرضية مؤكدة وثابتة ، وليس هناك معسكر صديق يمثل جانب الخير ، والعدل يمكن الاعتماد عليه ، والتعاون معه من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية ، والتطور الاجتماعى « فان التجارب الاجتماعية - كما يكتبون - لا تستطيع أن تؤدى الى خلق بديهيات اجتماعية مماثلة للبديهيات الهندسية ، ومجمل البديهيات المستخلصة من علم الاجتماع أن الحقائق الاجتماعية غير ثابتة بل متطورة ومستمرة فى التطور ، أى أن الفرضيات الاجتماعية متحركة ، وبالتالي لا تخضع لاحكام هندسية ثابتة وبديهية » . وتأسيسا على ذلك فانه من الغرابة بمكان أن ينقسم العالم ، وتفرز فئات وطبقات المجتمع الى قوى تقدمية وقوى رجعية ، « فسمعنا - كما يسطرون فى دهشة عجيبة وذبول غريب - عن اليمين واليسار ، ثم سمعنا عن اليمين ويسار اليمين » . وسمعنا عن يمين اليسار ، ويسار اليسار ، وكل مجموعة تجد المقاعد السياسية محجوزة ، تبتكر لنفسها اجتهادات جديدة ، ثم تطرحها فى شعارات ، وتلقى بها فى السوق ، وتحديدا لموقعهم الطبقي والسياسى المشبوه والمدان من هذا الصراع فانهم يبادرون - رغم الادعاء الظاهر والمقصود بنكران هذا الانقسام الطبقي - الى قلب الحقائق وتشويه الوقائع ، وجعل الصبح ليلا والليل نهارا ، متخذين بذلك جانب اليمين ، مستخدمين أساليبه الديماجوجية ، مصوبين رؤوس سهامهم الى القوى اليسارية ذات الاتجسأهات « الحزبية » والمدمعة « بالتيارات الفكرية الجدلية » المستوردة والتسى يختفى وراءها التأثير الخارجى « والاستعمار بأنواعه ، والنفوذ الاجنبى بكل صوره ، والتكتلات الدولية على اختلاف مذاهبها » (١١)

الحذر من الامبريالية

عصبية اقليمية

من ذلك كله يتضح « أن المدافعين عن طريق التطور الرأسمالى المشين يلجأون لذلك ، وبشكل متزايد الى طرق منحرفة ، الى البراجماتية المكشوفة والتجريبية » (١٢) .

[٩] قومية الارادة ، د. عبدالرحمن البيضانى ، اخبار اليوم ١٩٧١/٩/١١

[١٠] الدين والتقدمية - د. عبدالرحمن البيضانى ، اخبار اليوم ١٩٧١/٦/٥

[١١] قومية الفكر ، د. عبدالرحمن البيضانى ، اخبار اليوم ١٩٧١/٨/٢٨

[١٢] التطور غير الرأسمالى فى آسيا وأفريقيا ، ماله وما عليه ، مشاكله وابعاده ، لوثر راثمان هارتموث

شيلنج ، الطليعة القاهرية ١٩٧١/١١/١١ ص ٥٩

نفسها بنفسها ، مهما طال عليها الزمن ، لأن حالة التخلف تلتهم كل مدخرات المجتمع ، وتمنع من تكوينه فائض للاستثمار ، فإن « القضية النفسية » قابلة للحل التلقائي الذاتي بنمو الوعي الثقافي والادراك السياسي ، واتساع البعد الاقتصادي مع استمرار الحاج الرغبة في التطور والحقا يركب الحضارة العصرية ، ذلك أن تطور الظروف الاقتصادية العالمية قد أصبح على درجة عالية من التداخل والتشابك ، بحيث لا تستطيع الدول النامية أن تتجاهل حتمية الاستفادة من الآلة الاقتصادية الدولية أن هي أرادت أن تجلس على مائدة العصر ، وبالسير في طريق التطور الرأسمالي ، وبالارتباط بعجلة الاحتكارات الامبريالية الساحقة ، وبميكانيكيها الآلية والدولية الجهنمية ، وبرهن مصير البلاد لاستثماراتها النهم ، وأرباحها الجشعة ، وأسواقها العالمية الضاغطة ، وبالتخلي عن كل النزعات المعادية للاستعمار ، وبالسير « بغير صراعات فلسفية ، ومزايدات نظرية » وبدون الاسترشاد بأي مفهوم سياسي ، أو قيم مثالية ، أو مبادئ اجتماعية يمكن حينئذ وحينئذ فقط أن « نتخلص من مفاهيم الفقر وثقائده التي خلقتها ظروفه » (١٣) .

وفي هذا الاتجاه المدمر نفسه وتحت راية مثل هذه المفاهيم الخطرة والتي تفصح بنفسها عن الجهة التي استقيت منها ، وصيغت لخدمتها ، أخذت القوى الاقطاعية والبورجوازية تدفع باليمن الشمالية معرضة مستقبل اليمن كلها لمخاطر هزيمة ، وغواقب وخيمة .

طريق التطور غير

الرأسمالي طريق التحرر

غير أن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التي قطعت اشواطاً هامة وحاسمة في طريق الديمقراطية الوطنية والتطور اللا رأسمالي ترفض بحسم مثل هذه المفاهيم البورجوازية التي يروج لها ممثلو الاتجاه الرأسمالي في التطور ، ودعاة التعاون الاقتصادي والسياسي مع الاحتكارات الامبريالية وذول الاستعمار ، وذلك ادراكاً منها « أن الاهداف الاقتصادية الاجتماعية للتطور غير الرأسمالي ترتبط بالضرورة بفرض قيود على الرأسمالية المحلية الى اكبر درجة ممكنة » مع ضرورة « الاستفادة الكاملة من امكانيات رأس المال الخاص ، لتعجيل بنمو وتطور الاقتصاد الوطني ، وعلى سبيل المثال في تجارة التجزئة ، حيث يكون من المهم تجنب الاخلال بنظام التمويل

ولذلك فانهم - انطلاقاً من موقع « الكوزموبوليتية » اللاوطنية - يرون ليس العزة الوطنية نوعاً من الغرور الذاتي ، وفي التمسك بالاستقلال السياسي الكامل شكلاً من أشكال التعصب الاقليمي والانغلاق على النفس ، وفي الاصرار على التحرر الاقتصادي ابتعاداً عن فهم متطلبات الواقع ، ومقتضيات التطور ، وثعالبها فجاً على الآخرين ، وذلك كله - من وجهة نظرهم - « مشكلة استعلاء على الظروف الموضوعية وتقدير ساذج للقدرة الذاتية ، مما يخلق اعتقاداً وهمياً بإمكانية التعامل مع الغير على أساس من هذا الاستعلاء وتلك القدرة ، وخلال الانفعال الذاتي ونشوة الاعجاب بالنفس تفقد الشعوب النامية امكانية الاستفادة من اقبال الغير على التعاون من أجل تطوير ظروف هذه الشعوب التي ينبغي تطويرها » والحال أنه لا بد من اكتساب صداقة القوى ذات الامكانيات الرأسمالية ، وتقديم تلك التنازلات اللازمة التي من شأنها أن تجتذبها الى استثمار امكانياتها في المناطق المتخلفة « بالتعاون في جوهره - كما يقولون - مبادلة منافع ، ولذلك يترتب على الدولة التي تريد أن تتبادل مع الغير لتحصل منه على منفعة أن تغري هذا الغير بمنفعة مقابلة ، وهي لا تغريه بذلك الا اذا اقنعت به إمكانية حصوله عليها ، وبغير ذلك ليس هناك ما يلزم الغير على اجراء عملية التبادل مع هذه الدولة » ولزيد من التوضيح فإن « المنظرين » الجدد لاتجاه الرأسمالي يحددون لب المسألة في التالي : « فالمشكلة تتلخص في أن استثمار موارد المجتمع للطبيعية والبشرية يحتاج الى رأس مال بالقدر الكافي الذي يسمح بحجم الاستثمار الأمثل اقتصادياً ، وبالمدى الذي يضع المجتمع على عتبة التقدم والعصرية ، وأن معظم المجتمعات التي تزخر بالموارد الطبيعية والبشرية المتعطشة الى الاستثمار تعاني من افتقار هذا القدر الكافي من رأس المال » وحتى بعد التحرر من الاستعمار القديم فإن المجتمعات النامية لا تلبث أن « تصطدم بمشاكل التنمية الاقتصادية ، ومعضلاتها التي من بينها حتمية توفيسير رؤوس الاموال اللازمة لتطويرها » وإذا كانت « تسود هذه المجتمعات مخاوف من مبدأ الاستعانة برؤوس الاموال غير المحلية » فإن القضية لا تعدو أن تكون « حالة نفسية » هي عقدة الخوف من نتائج الاستعانة برؤوس الاموال الصديقة : « وهي عقدة هيئة قتراجع الى الخلف أمام الحاجة المناسبة الى « رؤوس الاموال الصديقة » للدول الامبريالية حيث أنها حاجة موضوعية و « حالة مادية هي انعدام القدر الكافي من رؤوس الاموال لاحداث التطور العصري » وبما أن « المشكلة المادية لاتحل

الذي يمكن أن يؤدي الى عدم الاستقرار السياسي» (١٤) .

فعن الموقف من الرأسمال الوطني والرأسمال الاجنبي ، يقول الامين العام للجبهة القومية عبد الفتاح اسماعيل ان تحرير الاقتصاد الوطني ، وقيام القطاع العام لم يكن تحريراً للوطن فحسب « وانما هو في نفس الوقت تحرير للرأسمال الوطني .. من تبعية الرأسمال الاجنبي ، وانه على الرأسمال الوطني ان يساهم مساهمة فعلية ، لا عن طريق الجري وراء الارباح السريعة ، وعن طريق مزيد من مشاريع الخدمات ، وانما يساهم مساهمة فعلية من أجل انجاح خطة التنمية الصناعية والزراعية ، وفي نفس الوقت من أجل الاسهام في تيام المؤسسات الانتاجية » ويقدر ما يترتب علينا ان نشجع ، وان نتيح له مجالاً واسعاً للمساهمة « وأن نحميه من الرأسمال الاجنبي ، والشركات الاجنبية في الخارج » ، فان العناصر الرأسمالية التي لا تستجيب لذلك ، وتؤثر عرقلة عجلة التطور اللارأسمالي وتضريب الاقتصاد الوطني ، والاساءة الى التجربة الديمقراطية « يجب أن تواجه بعنف ، وتواجه مواجهة حازمة ، وتضرب بقوة ، لانها في الاخير تعرقل الاقتصاد وتضرب الاقتصاد ولا ريد ان تخضع ايضاً لقيادة الدولة او القطاع العام للاقتصاد الوطني وتحويل الاقتصاد الى اقتصاد انتاجي » (١٥) .

أسلوبان لحل الازمة المالية

ويتضح الفارق بين النهج الرأسمالي العاجز ، والنهج اللارأسمالي القادر في كيفية مجابهة وحل المشاكل الداخلية - حتى فيما يتعلق بـ « اسلوب معالجة الازمة المالية في كل من شطري البلاد » . فبينما لجأ احدهما الى اسلوب الاستدانة والاعتماد على « الاصدقاء والحلفاء » من اصحاب رأس المال بشكل مستمر ، مما شدد من ارتباط البلاد بالدول الدائنة ، فان احدهما وهو - عدن - التي جعلت الامبريالية من اقتصادها والمنطقة المحيطة بها « اقتصاد خدمات يعتمد ٨٠ في المائة منه بدرجة اولى على الوجود الاستعماري » (١٦) ، والتي وقعت نتيجة البطالة العمالية التي عمت آلاف العمال بعد انسحاب القاعدة البريطانية ،

ونتيجة اغلاق قناة السويس ، وانخفاض ادخل الميناء الذي كان أهم مورد على الاطلاق - تحت وطأة ازمة مالية واقتصادية خانقة - واجه هذه الازمة بمثل هذا المنطق الوطني المستنير الذي عبر عنه نائب رئيس الوزراء للشئون المالية والاقتصادية محمود عبد الله عيشيش بقوله : « ومعالجة الازمة المالية جزء لا يتجزأ من مواجهة الرجعية والامبريالية ومخططاتهما فبجانب الاستنزاف المالي الذي ينتج نتيجة للمخططات الرجعية ، فان عدم معالجة قضايانا المالية يضع علينا عبئاً ضخماً تراهن الدوائر الاستعمارية عليه .. علينا ان نعي جيداً ان حل المشكلة المالية لن يتم بمعجزة من السماء ، ولن يتم من خارج هذا البلد ، ومن خارج صفوف هذا الشعب ، ومهما كانت صداقاتنا مع بعض البلدان .. علينا ان نعتمد في الاساس على أنفسنا في حل هذه المشاكل ، ولا بد من تقديم التضحيات من أجل تحقيق ذلك » (١٧) .

طريقتان للاستثمار

ثروات البلاد

وبينما لم يستطع أحد الشطرين أن يحصل من الدول الغربية والعربية الصديقة ذات الاتجاه التقليدي على أكثر من مساعدات وقروض زهيدة يذهب معظمها الى جيوب بعض الافراد الميسرين ، ودون أن يدفق أي منها في أي مشروع انتاجي حقيقي - وفق التخطيط الاستعماري المدروس المستهدف عادة ودائماً ابقاء البلدان المرتبطة به مجرد سوق لمنتجاته - وكان آخر هذه المساعدات « ٤١ مليون ريال سعودي (حوالي ٩ ملايين دولار) » ستوجه لبناء « المستشفيات والعيادات الطبية والمساجد » على أن تصرف تحت اشراف « مكتب سعودي خاص في صنعاء » (١٨) فان حكومة اليمن الديمقراطية التي توجه بلادها في ضوء مفهوم سياسي تقدمي وضعت خطة سريية ، وشرعت في اقامة المشاريع الاقتصادية والصناعية والزراعية المختلفة ، وفي مد شبكة مواصلات واسعة ، بالتعاون الكامل مع دول المعسكر الاشتراكي .

وفي الوقت الذي تقدمت فيه أعمال التنقيب عن المعادن في اراضي اليمن الشعبية - وبالذات في حضرموت - والذي تقوم به شركة مختلطة يمنية -

[١٤] لوثر رايمان ، المصدر السابق ص ٦٨ .

[١٥] مسودات العمال العدنية ١٩٧١/١٠/٣ من حديث لعبد الفتاح اسماعيل الامين العام للجبهة القومية .

[١٦] برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطني للجبهة القومية ص ٥٠ .

[١٧] جريدة ١٤ أكتوبر العدنية ١٩٧١/٨/٢٦ م .

[١٨] مجلة الحوادث اللبنانية ١٩٧١/١٢/١٧ م ص ١٦ .

ملامح دولة وطنية ديمقراطية

ان قوانين التأمين الراديكالية ، والسيطرة على مقاليد التجارة الخارجية والداخلية ، واجراءات اصلاح الزراعي الجذرية ، واقامة المزارع التعاونية والنموذجية والجمعيات التعاونية ، وتخريب وبرمجة الاقتصاد الوطني ، واطلاق المبادرات الجماهيرية ، وتفجير الانتفاضات الفلاحية ، وسلك الفلاحين في اتحاد عام ، وتنظيم الحركة الشبابية ، والطلابية ، والنقابية ، والنسائية ، والتحرك النشط للصوافز الاجتماعية ، واذكاء الحس الطبقي ، وتاصيل الروح الوطنية ، وبث الوعي السياسي ونشر القيم والمفاهيم التقدمية ، وتعميم الثقافة الانسانية والعصرية ، واقامة الميليشيا الشعبية ، وتسييس مؤسسات الجيش والامن ، وتطوير وتنوير الاجهزة الادارية ، وتعميق مجرى الثورة الديمقراطية ، وتأهيل الكوادر القيادية ، وتوسيع الممارسات الديمقراطية ، وشارك الفصائل الثورية خارج التنظيم السياسي الحاكم في مسئولية الحكم ، سواء على المستوى التنفيذي او التشريعي ، واجراء حوار واسع وصبور معها من اجل خلق وحدة ثورية متينة ، وتحالف وطني مكين معها ، تمهيدا لبناء حزب اشتراكي على النطاق اليمني ، يهتدى بنظرية الاشتراكية العلمية ، وانشاء اوثق العلاقات المثمرة والبناءة مع المعسكر الاشتراكي ، ومع دول وحركة التحرر الوطني العربية والعالمية . ان كل ذلك وغيره من الاجراءات والاعمال الايجابية على النطاق الداخلي والخارجي ، المستهدفة انضاج وبلورة العوامل الموضوعية والذاتية ، الطبقيّة والسياسية ، لانجاح حركة التحرير الوطنية الديمقراطية اليمنية لتؤكد مدى صدق واصالة وعمق التوجيه الثوري لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في طريق التطور غير الرأسمالي ، وتوضح الاشواط الهامة والحاسمة التي قطعها عليه .

في عشية المؤتمر

الخامس للجبهة القومية

ولتنظيم وتوحيد قوى التقدم ، وتعميق مسيرة الثورة أكثر فأكثر ، ودفعها خطوات أوسع وأبعد الى الامام في اتجاه التطور اللارأسمالي اقترت القيادة العامة للجبهة القومية في دورتها العادية المنعقدة ما بين ٢٧ - ١١ - ١٩٧١ - ١ - ١٢ - ١٩٧١ م مسودتي البرنامج السياسي للثورة الوطنية الديمقراطية والنظام الداخلي للجبهة القومية ، توطئة لعرضهما على مؤتمرها الوطني

جزائرية ، فان شركة أخرى مماثلة لم تستطع ان تحقق في الجمهورية العربية اليمنية نفس الخطوات من النجاح ، بفعل المقاومة الاستعمارية الضارية التي بلغت حد شراء كثير من الذمم بغية احباط مهمتها ، تنفيذ المخطط امريكي من نسج شركة (أرمكو) يقضى بمنع أي دولة ، أو شركة ، أو أي جهة عربية أو صديقة من استثمار النفط والمعادن اليمنية المطمورة لصالح الشعب اليمني ، من أجل ابقائها احتياطيا للشركات الامريكية وحدها دون غيرها ، وبدون اسهام أي طرف آخر ، في الكشف عنها حتى يخين أوان ذلك في ضوء ووفق خطة استراتيجية بعيدة المدى .

طريق مفتوح وطريق مسدود

ويمكننا القول منذ الان انه اذا كان السير في طريق التطور الرأسمالي قد افضى فقط بالنسبة لبعض البلدان المتخلفة الى تعقيد حياتها الاقتصادية ، وتفاقم مشاكلها الاجتماعية دون ان تستطيع اقامة قاعدة اقتصادية رأسمالية متقدمة ، ودون أن تستطيع التغلب على تناقضاتها الداخلية المحتدمة ، سواء بامكانياتها الخاصة أو عن طريق ارتباطها بعجلة التبعية الامبريالية والاحصلاف العسكرية فان ذلك برهان صادق على أن طريق التطور الرأسمالي بالنسبة لليمن يعتبر طريقا مسدودا تماما ، رغم الرغبات الذاتية الجامعة للبورجوازية اليمنية والطبقة الاقطاعية وقوى الرجعية العربية والاستعمار ، لدفعها في هذا الاتجاه ، لتشتد ، وتستعص معضلاتها الاقتصادية والاجتماعية على الحل ، ولتثقل أكثر فأكثر ثرثرة التخلف الحضاري المزمع التي تنوء تحتها البلاد ، ولتكون في وضع المنبت الضائع في متاهة لا معالم لها ، والذي لا أرضا تطع ، ولا ظهرا يبقى !

ولذلك يمكننا الحسم أيضا بأن طريق التطور اللارأسمالي الذي سارت فيه الدول العربية الثورية بخطوات ودرجات متفاوتة ، هو طريق التطور الموضوعي والتاريخي الوحيد والمفتوح أمام الثورة اليمنية ، رغم حالة الجزر الثوري الذي أصيب به أحد شطري اليمن ، وأن جمهورية اليمن الديمقراطية التي ارتادت آفاق هذا المستقبل المنظور والموثوق والاكيد ، ووضعت اقدامها على طريقه بالفعل ، تمضي - مجسدة اتجاه حركة التحرر الوطني اليمنية كلها ، وصيرورتها التاريخية - بخطوات عملاقة في طريق الخلاص الوطني ، والتحرر الاقتصادي ، والتقدم الاجتماعي ، والحرية الديمقراطية والنهضة الثقافية والفنية والعلمية .

العام الذي حدد يوم ٢ - ٣ - ١٩٧٢ موعداً لانعقاده .

وقد وصف البلاغ الصحفى الذى اذيع بعد انفضاض هذه الدورة المؤتمر القادم بأنه - نظراً لانعقاده بعد الانتصارات التى حققتها حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م التصحيحية ، التى أسقطت الجناح اليميني فى الجبهة القومية ، ودفعت بالبلاد فى الاتجاه اليسارى التقدمى - « سوف يشكل منعطفاً تاريخياً جديداً ، لا للثورة وتنظيمها السياسى القائد ، ولا للحركة الوطنية اليمنية لحسب ، بل للشعب اليمنى بأسره ، (١٩) » .

ولذلك يغدو واجباً وطنياً الاسهام فى اثارة بعض القضايا أمام المؤتمر والمتعلقة بمسيرة الثورة ، والذى تتطلب مزيداً من الدرس والتعميق والتأصيل ، فى ضوء المنهج الوطنى الديمقراطى الذى اختاره التنظيم السياسى سبباً له ، وحتى « يشكل خطوة نوعية للعمل السياسى فى البلاد » كما أشار الى ذلك رئيس مجلس الرئاسة سالم ربيع على فى كلمته التى القاها فى ٢٩ - ١١ - ١٩٧١ م بمناسبة الذكرى الرابعة للاستقلال ، (٢٠) ، ومن أجل ضمان التقدم فى طريق التطور غير الرأسمالى بنجاح ، وخلق الشروط الموضوعية والذاتية المتكاملة ، الكفيلة بالانتقال الى مرحلة بناء الاشتراكية ، وخلق الحزب الاشتراكى القادر على انجاز هذه المهمة فى ظل وطن يمنى ديمقراطى موحد .

لماذا الجبهة القومية ؟

١ - بما أنه من المسلم به تلقائياً ، والمقطوع به علمياً أن الشكل يتبع المضمون كقانون موضوعى ، فإنه يغدو مهما التوقف مرة أخرى أمام التسمية الكلاسيكية للجبهة الحاكمة فى اليمن الديمقراطية ، واثارة التساؤل من جديد عن مدى سلامة وصحة الاستمرار فى تسميتها « الجبهة القومية » سواء من الناحية النظرية أو العملية .

وإذا كان مفهوماً وبديهياً أن يسمى التجمع الثورى الذى قاد النضال المسلح بهذا الاسم إبان فترة انتماء قياداته الأساسية الى (حركة القوميين العرب) فإنه يبدو غير مفهوم وغير منطقى البقاء عند هذه التسمية فى الوقت الذى يعلن فيه زعماء اليمن الديمقراطىة بلهجة الحسم والقطع - على لسان الأمين العام للجبهة بالذات - « انفصالنا عن

حركة القوميين العرب .. ذلك أن الجبهة القومية تجاوزت حركة القوميين العرب من حيث نضالها التحررى ، ومن حيث مضمون هذا النضال ، ولم تعد لنا أى علاقة تنظيمية أو فكرية تربطنا بها على الاطلاق ، سواء قبل انقسامها ، أو بعد انقسامها » (٢١)

وضرورة تغيير اسم الجبهة القومية تأتى من زاوية بديهية ، وهى أن اليمن الديمقراطية لا تشكل « أمة » بعينها على حدة ، ولا (قومية) بذاتها منفصلة حتى يكون لها تنظيمها « القومى » الممثل والمجسد لها ، بل ولا يدعى أحد فيها على الاطلاق أنها تشكل شعباً ، أو اقليماً أو قطراً ، متميزاً بذاته ، متفرداً بسماته ، مستقلاً بخصائصه ، وإنما يسلم الجميع وبلا استثناء بأنه جزء من الشعب ، والاقليم والقطر اليمنى ، الذى هو بنفسه جزء من الأمة والقومية العربية .

وتبدو منطقية تعديل اسم الجبهة القومية من جهة أخرى ، من ناحية أن السلطة الثورية ترفض بقوة ، وتسخر بحددة ، من تلك المعزوفة الديماجوجية التى كان يطلقها بل « يلحنها ويفغنيها » الجناح اليميني المسقط من ان « كل الشعب جبهة قومية » كما ترفض - انطلاقاً من تسليمها بأن الاشتراكية ايدولوجية طبقية عمالية وليست قومية - ما كان قد نص عليه برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى الديمقراطى إبان الحكم السابق عن الايمان « بالوحدة القومية الاشتراكية » (ص ٣٢)

ويتحتم تبديل مثل هذا الوصف لسبب جوهري آخر ، هو أن القيادة الوطنية تجرى حواراً بناءً منذ فترة لضم الفصائل الثورية الاخرى ، التى طالما طالبت بهذا التبديل من أجل خلق افضل وأنسب اطار تتحول به الجبهة الى تحالف وطنى ديمقراطى ، أشمل وأكثر تجسيدا لخريطة الواقع الوطنى والثورى .

على أن عضو اللجنة التنفيذية ورئيس مجلس الرئاسة سالم ربيع على ، لم يقل ذكر المبررات التى تدعو للاستمرار فى الحفاظ على التسمية السارية للجبهة : « لقد اخترنا « الجبهة القومية » لتكون الاطار الواسع للتحالف . » بصرف النظر عن

[١٩] الثورى المدنية ١٩٧١/١٢/٧

[٢٠] مكتب الاعلام ، عدن ١٩٧١/١٢/٤

[٢١] روزاليوسف ١٩٧١/١٢/٢٠ ، يلاحظ ان الحركة « الام » ذاتها تطورت وتحولت الى تنظيمات يسارية « قطرية » مختلفة .

بالمظهر الخارجى ، والتسميات غير الدقيقة ، يبلغ حد الميتافيزيقية التى ترفض العلم ولا تقبل النقاش او (الجدل) .

أن من دواعى ومبررات بديل التسمية القائمة للجبهة هو أنه بالرغم مما يعلن عن أنها « ضرورة مرحلية » إلا أنها باعتبارها أوسع قاعدة للتحالف ستستمر حتى بعد بناء الحزب الاشتراكي ، وتحت قيادته ، حيث « يجب ألا يتبادر الى أذهاننا أن الحزب الطليعى المنشود سيأتى بديلا للجبهة القومية » كما صرح الأمين العام للجبهة عبد الفتاح اسماعيل (٢٢)

ضرورة البحث عن

تسمية علمية

ان اقدام بدون تردد ولا تلوؤ ، لامبرر ولا معنى له على استبدال تسمية الجبهة القومية بتسمية علمية معبرة صحيحة ، تستكمل بعدا جديدا من أبعاد حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ، وتجسد حقيقتها الوطنية « المحدودة » جغرافية اليمن الديمقراطية ، وتفصح عن أفقها الديمقراطي الواسع الذى يتخطى - بالفعل واقع اليمن القائم كلها ليتصل برحاب الفكر الوطنى والديمقراطى العالمى خارج « الإطار القومى العربى » لهو من باب الزجوع الى النفس ، والصدق مع الذات وليس فيه أى اجحاف بماضى الجبهة ، أو اغتئات على حاضرها ، أو اعتراض لمسيرتها التاريخية ، وليس فيه كذلك أى مساس أو تطاول على قيمتها وقدرها ، أو اقلال أو انتقاص من شأنها ، وحقيقة أمرها ، وليس فى ذلك أيضا أى ضغط لحجمها ، أو تقليص لمداها ، كما أنه لا ينطوى على تنازل لخصم ، أو تجاوز لحد ، أو خروج على مألوف !

ولن تكون الجبهة بدعا بين الجبهات والنظميات الثورية التى تخلع - عندما تعى ذاتها جيدا - لباسها الفضفاض ، وترتدى الحلة الملائمة تماما لحجمها ، والتى لا تثقل خطاها ، ولا تقيّد حركتها ، وإنما تكسبها مقدرة مضاعفة على المضي قدما فى مضمار السباق ، وحلبة التقدم ، وإنجاز مهام مرحلة التطور اللارأسمالى واقتحام مرحلة البناء الاشتراكي .

وأى تفكير أو موقف غير ذلك يصر على النمساك الذى يبلغ حد التعصب « بقشور الاشياء » وعلى التثبيث الذى قد يصل الى حد العمى « بقالب

قيادتها مرحلة النضال ضد الاستعمار وسيطرتها على السلطة .. ومن هنا نشعر - بالمقابل - أنه ليس بالبساطة التى يتصورها البعض القبول بغير هذا الاسم الذى ناضلت الجماهير تحت رايته ، غير أنه يردف على الفور « ولكن أود أن أقول أننا برغم ذلك لسنا حريصين على الاسم ، فالهم هو المضمون الذى يكفل مصالح الطبقات وتلبية طموح الكادحين فى هذا المجتمع » (٢٢)

تبعية الشكل للمضمون

وذلك هو لب القضية وجوهرها ، فالهم - بدون أدنى شك - هو المضمون المجسد لقانون الجدول الموضوعى ، والمعبر عن حركة الطبقات الشعبية ، والمتسع لتطلعاتها التقدمية ، والموجه لها صوب الديمقراطية والاشتراكية ، والذى يساعد بدوره وينم على التحرر من الشكل والقوالب الكلاسيكية والفضفاضة والجامدة والمتزمتة ، وغير الموحية بمحتواها الاجتماعى ، وغير الدالة على اتجاهها السياسى الحقيقى .

ولن نخسر الجبهة القومية شيئا ، بتغيير تسميتها الى تسمية واقعية منطقية صحيحة ، تعكس تخطيها لمرحلة سلفت وتزكى وتكرس ما آلت اليه فعلا ، بعد التطورات المطردة والبالغة الاممية فى بنيتها الايديولوجية والتنظيمية وفى ذهنيته السياسية . ولن يتأثر ماضى الجبهة الكفاحى المجيد بهذا التعديل من قريب أو بعيد ، حيث غدا هذا الماضى العظيم جزءا من التاريخ الثورى لليمن كلها ، وحيث غدت مآثره الوطنية تحتل صفحات بارزة فى سجل النضال الوطنى للشعب اليمنى . ذلك أن تبديل اسم الجبهة القومية لا يعنى الا شيئا واحدا ، وهو أنها دخلت مرحلة جديدة فى كفاحها أكثر تقدمية وأدعى الى التحرر - حتى عن هذا الطريق - من الجوانب السلبية للمرحلة السابقة على حركة ٢٢ يونيو التصحيحية التى علفت بعض آثارها باسم الجبهة القومية أيضا ، عندما كانت واقعة تحت هيمنة الجناح اليمينى « القومى » المسقط ، ولا يعنى الا أن هذه المرحلة الجديدة أقتضت اسما يدل على المسمى ، ووصفا يليق بالموصوف ، ذلك أن القضية ليست بالفعل تشبثا باسم ، أو تخليا عن اسم ، وإنما هى - فى حقيقة الامر - أخذ « بالعلمية » ووقوف عند حدودها ، التى ترفض المسلمات المطلقة ، وهو قبول بمقتضياتها حتى فيما يتعلق بالقوالب والاشكال والتسميات ، دون جمود عقائدى شكلى ، وتمسك

أسمى « ضابط » وتسمية قومية « قاصرة » لتنظيم سياسي عُدت قامتة - من حيث المضمون والهوية - في حجم العمالة وأخذ يتطلع - بفعل قانون التطور الحتمي - الى اكتساب « الصفة الاممية » ليذكر - في عناده وتصلبه غير المعقول ، وغير المقبول ، وغير المبرر - بتلك العادة الصبغية القديمة السيئة التي كانت تقضى بوضع أقدام الاطفال في « أحذية حديدية » دون أن تزايلها قط - لمنعها من النمو والاكتمال !

اليقظة من طغيان ايديولوجية

البورجوازية الريفية

٢ - أنه من الاهمية القصوى بمكان - الى جانب العمل من أجل ترصين « التحالف الوطني بين الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين والبرجوازية الصغيرة » باعتباره « الأساس السياسي المنيع للثورة الوطنية الديمقراطية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية » كما جاء في ص ١٦ من الدستور - اعطاء درجة عليا من الانتباه واليقظة ، بالأ تطفئ على هذا التحالف ايديولوجية وسيكلوجية وسلوكية الفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة الريفية ، التي مهما بلغت ثورتها - نتيجة الاضطهاد الطبقي والتاريخي الذي لحق بها فأنها مشدودة بحبال مرئية وغير مرئية ، وثيقة وعتيقة ، الى أوضاع ما قبل الاشتراكية والرأسمالية ، مما يحتم تقدير مركزها ودورها في الصراع الطبقي تقديرا سليما لا تجاوز فيه ولا قصور ، حيث أنها باعتبارها - طبقة مضطهدة - تلعب دورا رئيسيا خلال التحالف في النضال الوطني والديمقراطي والاشتراكي ، وحيث أنها باعتبارها - برجوازية ريفية ذات ايديولوجية قروية في آخر الامر - غير قادرة أن تكون هي القوة الطليعية والقيادية والرئيسية للتحالف الثوري ، كما أنها تفتقد البعد الاممي في التفكير ، نتيجة لوضعها الطبقي الخاص .

ان مما يدعو الى التنبيه بقوة الى ذلك ، ان برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي الذي أقرته القيادة العامة للجبهة القومية في دورتها العادية التي انعقدت في الفترة في اكتوبر ١٩٦٨ - تصدت في ص ٨ عن « فقراء الفلاحين ، والفلاحين المتوسطين ، وهم يشكلون غالبية جماهيرنا الشعبية ، وأكبر القوى الثورية » فهم قوة الثورة الاساسية ، حيث أن انطلاق الثورة من الريف أكسب هذه الطبقة في مناطق معينة وعيا بمصالحها « في الوقت الذي يتحدث فيه عن الطبقة العاملة النامية بلهجة التقليل من شأنها ، والتهوين من أمرها ، ووضعها خلف طبقة الفلاحين ، بحجة أنه ليس هناك طبقة عاملة صناعية ، بفعل اقتصاد الخدمات الذي كان سائدا

في البلاد ، ولعدم وجود وسائل انتاج حديثة ، وإن « مجموع العمال الصناعيين قليل جدا » وأنه « لغلق قناة السويس فإن عدد العمال قد تناقص » ، و « أن الوعي الطبقي لم يحقق في صفوف هذه الطبقة » و « أن هذه الطبقة متأثرة بدرجات متفاوتة بانتماءاتها الاجتماعية القبلية والفلاحية » وأن هذه الطبقة لم تشكل في موطن تواجدها في المحافظة الاولى وقسم من المحافظة الخامسة ، غير « دعامة قوية من دعائم الثورة الشعبية المسلحة » .

ان فقرة خطيرة كهذه ينبغي أن تعاد صياغتها جذريا في البرنامج الجديد ، وأن تقلب رأسا على عقب ، ذلك أن طبقة الفلاحين أكثر تأثرا بالاضحاح والعقلية القبلية من الطبقة العاملة ، وأن قيمها الخاصة ، ومقاييمها الذاتية ، وتصوراتها الايديولوجية النابعة من وضعها الطبقي ، أكثر تأثيرا فيها نفسها ، وسلوكها هي منه على الفئات الاخرى ، وبالذات الطبقة العاملة ، التي عاشت في حدن ضمن ظروف مادية جديدة نسبيا ، وعلاقات اجتماعية مختلفة الى حد كبير عن تلك التي كانت قائمة في الريف ، مما جعل تفكيرها أكثر تفتحا واستنارة وجعلها أكثر قابلية وسرعة ، بل وسبقا الى تبني وطرح وممارسة الشعارات والافكار والمفاهيم الثورية ، الوطنية والاجتماعية ، التي قدمتها اليها بداب ووعي الطلائع الاولى ذات الفكر الاشتراكي العلمي ، منذ مطلع الخمسينات .

ان مما يدعو الى التشديد على ذلك هو أن هناك اتجاهات فعلية داخل الجبهة القومية تشير الى الميل الى ترجيح كفة الفلاحين على كفة جميع قوى التحالف الطبقي والسياسية ، وانها تمارس - من الناحية العملية وتحت تأثير ايديولوجيتهم وسيكلوجيتهم ، سلوكا يطفئ على الايديولوجيات الاخرى ، ونمط السلوك الذي تقضى به ، رغم تبنيها النظري للفقرة الواردة في الدستور في ص ١٦ والقائلة « ويتمو تصاعديا الدور التاريخي للطبقة العاملة ، لتصبح في النهاية القيادة الطبقي في المجتمع » .

ايديولوجية قروية

وان مما يدعو الى التمعن في الامر أكثر من ذلك أن هناك « منظرين جددا » لهم علاقة مباشرة بالجبهة القومية يريدون أن يرقوا بمستوى دور الفلاحين الى ما هو أكثر من مستوى دور الحليف الطبقي للطبقة العاملة ، ليس بالنسبة للمرحلة الحالية من تخلف وسائل الانتاج فحسب وانما على امتداد المستقبل كله ، ويريدون أن يرتفعوا « بنظريتهم » هذه الى درجة أن تكون « نظرية » للبلدان النامية كلها في محاولة لدفع دور الطبقة العاملة وطلائعها الاشتراكية ، الى الوراء !

الجديد وقوانين السوق الرأسمالية العالمية ، كل ذلك قد أحدث تحولات ملموسة في مواقع الطبقات في البلدان المتخلفة ، وهذه التحولات الملموسة في المواقع تفرض تحولا ملموسا في شكل الثورة ومحتواها وقواها الحركة ، ونوع التحالفات التي تحتاجها ، والتي لا تحتاجها .

مركز الطبقة العاملة القيادي

ان رد الاسبرجيه العلمية - كما يفهمها العلماء الاشتراكيون على مثل هذا « التحريف » لها ، وجهة نظرها ازاء هذه القضية الهامة والاساسية هو كالتالي : « فيما يتعلق بدور الفلاحين تواجه الحركة الثورية على الدوام في البلدان ذات الاتجاه الاشتراكي مفهومات زائفة . ويتمثل أحد تلك المفهومات في اساءة تقدير الحركات الفلاحية ، وفي الخط من طبقة الفلاحين الى طبقة لا مبنية اجتماعيا ، وغير ثورية في الاساس ، أو الاكتفاء بمجرد اعلان وحدة القوى الديمقراطية الثورية دون السماح لحركة الجماهير الفلاحية بالتعاون بروعي في عملية التحول . أما المفهوم المقابل فيتمثل في المبالغة في دور الحركة الفلاحية باعلان انها القوة الثورية الوحيدة حقا ، ودفع الفلاحين لمركز التحكم في العملية الثورية ، وهذا المفهوم ينكر الدور التاريخي للطبقة العاملة في النضال من أجل القضاء على ظروف الاستغلال ، ويعود السبب في عدم قدرة الفلاحين - حتى فقراهم - على ممارسة ما هو أكثر من دور الحليف ، بل وعدم قدرتهم على لعب دورهم هذا بدون مساعدة الطبقة العاملة العملية والايديولوجية ، ومساعدة طلائعها الاشتراكية التي أن هناك نماذج مختلفة من السلوك » التي يمكن أن تمارس تأثيرا كابحا على الحركة الثورية للطبقة الفلاحية « تنبع من » أن الطبقة الفلاحية كطبقة اجتماعية تأثرت لدرجة كبيرة بظروف سابقة على الرأسمالية ، تعمل بداخلها - حتى لفترة طويلة من التطور غير الرأسمالي - تناقضات تحركها القبلية ، أو المقاطعة ، أو الطائفة ، أو العرق ، أو الدين ، وقد تتطور الى قبلية ، وتمايز ، وانفصالية ، ما لم تحل هذه المشاكل خطوة خطوة » (٢٤) .

دور الطبقة العاملة خلال

مرحلة التحرر الوطني

وخلال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي يحتل العمال فيما يسمى « بالعالم الثالث » - ولا سيما

وتلك هي الثقلية الزراعية بعينها ، وذلك هو الحصاد المنتظر والبدهي للأوضاع القبلية - الفلاحية ، وذلك هو الانعكاس الطبيعي والمنطقي للايديولوجية الريفية للبرجوازية القروية .

دلالة مسأواة دور

الفلاحين بدور العمال

أو ليس ذلك هو ما تنطق به بوضوح وسطوع مقالة أحد مناضلي جيش التحرير الشعبي للجبهة الشعبية لتحرير الخليج في مجلة الجبهة الشهرية (٩ يونية - مارس ١٩٧١ حول الثورة والثورة المضادة) الصادرة من مكتبها في عدن من « أنه بالنسبة للفلاحية من البلدان المتخلفة فإن نظرية وفلسفة الطبقة العاملة لم تعد أكثر ، نظرية وفلسفية للطبقة العاملة وحدها . وليس للطبقة العاملة الناشئة في هذه البلدان ، أو بالأصح ليس « لممثليها » حق الادعاء وحدهم تمثيل هذه النظرية والتحدث باسمها . وكما لم يعد من حقها تماما ادعاء القدرة على تمثيل « الطليعة الثورية » بمعزل عن الجماهير الواسعة من فقراء الفلاحين ودورها البارز في صنع المستقبل ومركزها من العمل الثوري » .

وتبدو بصمات الكاتب الفرنسي ريجي دوبريه الذي زامل المناضل التقدمي الشهير والخبالد جيفارا خلال سنين كفاحه في أمريكا اللاتينية قوية واضحة مما جاء في المقال من أن « العمال والفلاحين هم الذين قاموا وسيقومون بالثورات الجذرية في البلدان المتخلفة ، هم قاعدة الثورة وجماهيرها العريضة ، ومن بينهم » جميعا « تنبثق الطليعة الجذرية أو « القيادة السياسية والعسكرية » وليس هناك تقسيم عمل في « الثورة بين هاتين الطبقتين بالذات ، هذه تفرز الطليعة ، وتحتكر امتياز التجديد باسم النظرية الثورية ، والاخرى تمشي من ورائها وتشكل من حولها الجماهير » هذه معادلة يطعن اليوم في صحتها واقع الكثير من البلدان المتخلفة في المستعمرات ، وأشباه المستعمرات » .

واسترسالا في انكار دور الطبقة العاملة القيادي ، ودور فصائلها الطليعية الريادية ودون محاولة لاستقراء تجربة شي جيفارا نفسه ، وتجربة اليسار الجديد بأجمعه ، واستخلاص النتائج المنطقية من ذلك كله - يمضي المقال في « التنظير » مؤكدا « أن واقع هذه البلدان وخضوعها الطويل تحت السيطرة الأجنبية للاستعمار والاستعمار

في هذه الحقبة التاريخية التي تشهد انهيار
الأنظمة الاستعمارية وأقول نجم الرأسمالية ،
وانتصار الاشتراكية وصعود نجم البروليتارية
العالمية - مكانة خاصة ومتميزة في التحالف
الديمقراطي - حتى من الناحية الموضوعية البحتة
ومن زاوية الامكانية التاريخية المجردة ، وأيا كان
مستوى وعيهم ، وعددهم ، من حيث « أن الطبقة
العاملة هي أكثر القوى نشاطا وتقدمية في النضال
من أجل تحقيق التقدم الاجتماعي » والطبقة
العاملة هي التي تدفع سواء تلقائيا أو بدرجة
تزايد من الوعي ، خاصة حيث يتوافر لديها حزب
ماركسي لينيني ، نحو المحافظة على الاتجاه المعادي
لرأسمالية في نظرية وتطبيق القيادة الديمقراطية
الثورية وتعميقه ، وتناضل بشكل بناء ضد توافه
البرجوازية الصغيرة وأوامها ، (٢٥) .

و « تعتبر الطبقة العاملة في « العالم الثالث »
أيضا فصائل طليعية للكادحين ، والأكثر اصرارا
في النضال من أجل الاشتراكية وفي سبيل مصالح
الشعب » . للطبقة العاملة في قسم من البلدان
السائرة في الطريق للرأسمالية ، وبصورة
خاصة العربية منها ، تجارب غير قليلة في النضال
الاقتصادي السياسي وتقاليد ثورية مجيدة » (٢٦)
وكم كانت جريدة ١٤ أكتوبر العذنية محقة عندما
كتبت في ٢١ - ١٢ - ١٩٧١ بمناسبة قرب انعقاد
المؤتمر الخامس للجبهة القومية بلهجة الحسم
واليقين : « ومن المسائل المحلولة هي أن الطبقة
العاملة تقف ليس فقط في مقدمة الطبقات الكادحة
من حيث موقعها التاريخي ، ومن حيث طبيعة
مصالحها ، بل وقائدة لها ، وبالتالي فإن فكرها هو
بالضرورة الفكر القائد ، ومن ثم فإن المثقفين بقدر
ما يكونون مرتبطين بالطبقة العاملة ، وملتزمين
بفكرها ، يكونون بوصلة شعوبهم » .

ضرورة اقامة

تحالف وطني متين

٣ - أن الجبهة مدعوة للسير بخطى حثيثة -
انجازا لمهام مرحلة الثورة الديمقراطية ، وتقديم
صوب مرحلة الثورة الاشتراكية - في استكمال
الحوار الدائر مع فصائل العمل الوطني ذات
النحى الديمقراطي والاشتراكي ، والتي أشار البلاغ

الصحفي الذي أذيع في ٧ - ١٢ - ١٩٧١ بعق
انفضاض اجتماع القيادة العامة للجبهة الى أنه
حقق حتى الآن نتائج ايجابية . ان مما يسهل أمر
المضي قدما في هذا المجال ، أن « الشبيبة » ذات
النهج الماركسي اللينيني الصريح ، و « حزب
البعث » الذي - كما بدا من نشراته وأقوال
عناصره - أعلن انحيازه الى الاشتراكية العلمية ،
قد وافقا على الانضمام ضمن اطار الجبهة ، دون
أن ينسيا اظهار تفضيلهما لان تغيير الجبهة
القومية من اسمها ، وأكدوا استعدادهما - تمهيدا
لحل تنظيمهما نهائيا - للعمل منذ الان في اتجاه
بناء حزب اشتراكي يمتنى يتبنى نظرية الاشتراكية
العلمية وينشئ أوثق العلاقات مع الحركة العمالية
العالمية وأحزابها ودولها الاشتراكية .

ولان هذه الاطراف ، مع غيرها من القوى
الوطنية غير المنظمة ، مجتمعة - وليس بعضها أو
أحدها - تمثل الواقع الثوري والاجتماعي القائم
بالفعل ، وتشكل الاعمدة الطبقية والسياسية المكيئة
التي بها ومنها يمكن أن يبنى حلف وطني متين ،
وتقام جبهة تقدمية راسخة ، ينبثق من حضنها
وأثناء نضالها المشترك الدؤوب حزب اشتراكي
يمنى ، فانه يصبح من المحتم - ومهما كان حجم
ودور الجبهة القومية في النضال - التقدم ودون
تريث نحو بناء هذا الحصن الوطني والتنظيمي
الذي بدونه تبقى قوى الثورة نهب الخلافات
الجزئية ، والتناقضات الثانوية ، وتصبح فريسة
لغرور المزايدات البرجوازية الصغيرة والزهو
والادعاء والاعجاب بذاتها ، بحق أو بدون حق .

ضرورة تغليب روح

الوحدة على روح الخلاف

ولان « التطور غير الرأسمالي يتطلب اعترافا
بحتمية وحدة العمل بين الطبقة العاملة والفلاحين
باعتبارهم نواة الجبهة المعادية للامبريالية » فانه
يتطلب بالتالي « وجود علاقة جدلية من الوحدة
والصراع بين التيارات الثورية في التحالف ،
تدافع عنها طبقيا البروليتارية والفلاحون
الكادحون من ناحية والبرجوازية الصغيرة
والمثقفون الديمقراطيون من ناحية أخرى ، وان
نجاح الاتجاه الاشتراكي يتطلب سيادة مواقف
الوحدة في النضال المعادي للامبريالية ، وكما

[٢٥] المصدر السابق ص ٦٤

[٢٦] التطور الرأسمالي وبعض المسائل المتعلقة به ، ر . أوليانوفسكي ، ترجمة الدكتور أنور دلو ، جريدة الثوري

العذنية ١٩٧١/١٢/٢١

والتعدد ، وهي أدنى الى الوحدة الايديولوجية ،
مبا الى التباين الايديولوجي ، فانه يمكننا ان
نقول حينئذ مع الامين العام لتنظيم الجبهة القومية
عبد الفتاح اسماعيل : « لا يوجد أي مبرر لتعدد
أدوات العمل الوطني ، التي تؤمن بفكر واحد ،
وتستند على خلفية طبقية واحدة ، وتنطلق من
برنامج واحد ، ومهام موحدة » ونؤكد حينئذ معه
بقوة أن النشاط التنظيمي والوطني الموحد قد بلغ
الآن من النضج والاكتمال حدا أنه لن يكون منذ
الآن « على أساس جبهة يحتفظ كل باستقلاليتها
ضمن اطارها ، بل على أساس اطار يكون لكل
الاعضاء فيه حقوق متساوية » ومن خلال العمل
الواحد في الاطار الواحد يمكننا أن نفرز أفضل
العناصر كنواة للحزب الطليعي » (٢٩)

من التحالف الوطني

الى الحزب الاشتراكي

ان مما يحتم تناول القضية التنظيمية على هذا
التحو ومعالجتها في مرونة ، ودون محاولة للقفز
على الحواجز الطبيعية ، وحرق المراحل
التاريخية ودون ما اعطاء تجربة العمل المشترك
الفرص الكافية لان تنضج على نار هادئة ، عبر
الكفاح اليومي المتصل ، والتماريز الثوري
المستمر ، والتفاعل الديمقراطي الكامل ، والمنزه
من شبهة أي ضغط أو اكراه ، أو استعجال أو
ارتجال - هو أن للقضية - خلال المرحلة الانتقالية
الى المجتمع الاشتراكي - مرحلة الديمقراطية
الوطنية - جانبان يتبادلان التأثير ، الايجابي
والسلبي في وقت واحد ، حتى يتحقق للايجابي
الانتصار على السلبي ، وأن هذه العلاقة الثنائية
والجدلية تأتي من طبيعة المرحلة المعقدة ذاتها ،
ذلك أن « للاشتراكية العلمية تأثير قوى على
ايدولوجية الديمقراطية الوطنية ، الا أنها بالتأكيد
ليست مصدرا وحيدا لارواء ايدولوجية قوى
الديمقراطية الوطنية ، التي تناضل في سبيل
التطور اللارأسمالي . هناك الى جانب الاشتراكية
العلمية تأثيرات واضحة للفلسفة البرجوازية
وسوسيولوجيتها ، سيما في وجهات النظر
التقليدية ، وذلك « أن التقدم في الطريق اللارأسمالي
مرتبط بالتغلب على التناقضات الشديدة ، بالنضال
ضد الاتجاهات المعاكسة في الاقتصاد والسياسة
والايدولوجيا والثقافة . في اطار مثل هذه
التناقضات ستتراكم التغييرات الكمية التي

أوضحت الاحداث بجلاء فان أي محاولة لزيادة
الخلافا بين التيارين الثوريين انما يعنى خدمة
للامبريالية » وفي قلب العملية الثورية التنظيمية
القائمة على التعدد في اطار التوحيد وأثناء وحدة
العمل ضد الاستعمار والرجعية واستكمال الثورة
الديمقراطية ، تعزز أواصر الوحدة الايديولوجية
والسياسية بين مختلف أطراف التحالف ، ومن
القمة الى القاعدة ، وتتساقط العناصر المتخلفة ،
وتتشكل الكوادر التقدمية التي يتكون منها في آخر
الامر الحزب الاشتراكي اليمني ، ذلك ان « انتقال
القوى التقدمية للديمقراطية الثورية الى مواقع
الاشتراكية العلمية هو عملية طبيعية كذلك ،
وقسمة بارزة في تحديد ملامحهم الايديولوجية .
ولا بد من التأكيد على أن الاتجاه نحو الكيف
الايدولوجي الجديد يحدث في ظروف معقدة
لتخلف اقتصادي يصعب تخطيه ولبناء اجتماعي
ما زال غير ناضج ، وخاصة وجود غالبية عديدة
من الفلاحين ، وضعف البروليتاريا حتى الآن ،
بالاضافة الى وجود أشكال تقليدية وعنيدة من
الوعي تحت تأثير حياة ثقافية شوهها الاستعمار ،
وقوى كل شيء للنضال ضد الانحرافات
الايدولوجية التي يشجعها الامبرياليون » (٢٧)

التعدد في اطار التوحيد

ان التقدم صوب هذا المنحى التاريخي لا تحدثه
ظروف اليمن الديمقراطية وحدها ، وانما
مقتضيات الثورة اليمنية والعربية أيضا ، ولا
يسرى على اليمن وحدها ، وانما على كل قطر
عربي ، « وليست هناك مهمة ملحة سوى مهمة
العمل على توحيد كل قوى الثورة العربية ، قوى
الاشتراكيين ، والوحديين ، والبعثيين
والشيوعيين . . . فان هذه القوى التقدمية - خاصة
تلك القوى التي تتواجد في السلطة - يجب أن
تنطلق في تعاملها مع بقية فصائل الثورة من
ضرورة احترام الاستقلال وحل التناقضات من
خلال حوار ديمقراطي بين كافة القوى والطبقات
الاجتماعية التي تقف في الجبهة المعادية
للامبريالية والصهيونية والرجعية » (٢٨)

وبعد المرور بمثل هذه التجربة من العمل
السياسي الموحد تحت هذه الصيغة أو تلك من صيغ
التحالف الوطني التي تتوثق أثناءها علاقات
سياسية وتنظيمية ونضالية مشتركة ، هي أقرب
الى الاستقطاب والتوحيد منها الى التفرق

[٢٧] لوثر رائمان ، المصدر السابق ص ٦٦

[٢٨] أبو سيف يوسف ، المصدر السابق ص ٣٩

[٢٩] الثوري ١٢/٢١/١٩٧١

تستطيع تهيئة القاعدة لاجل التغييرات النوعية - الانتقال الى بناء المجتمع الاشتراكي - على اساس الاشتراكية العلمية * ان هذه التغييرات والقفزات النوعية تعنى ان طريق التطور للاراسمالي قد قطع وانتهى « (٣٠)

ضرورة وضع استراتيجية

لثورة اليمنية

٤ - انه تنبغى الاشارة هنا الى انه - انجاحا لمسيرة الثورة الديمقراطية في اليمن الشعبية نفسها - ان الاوان لان تقف السلطة الثورية في عدن امام قضية استراتيجية الثورة اليمنية وقفة حاسمة حازمة ، وان تحدد بوضوح لا لبس فيه - لاسيما وهي بصدد اقرار برنامج عمل وطني جديد - اسس وطرق تحديد وحدة البلاد في ظل جمهورية يمنية موحدة ، وطنية ديمقراطية * ان الذي يلزمنا بالتشديد على ذلك الان هو امن وحماية الثورة اليمنية في آخر موقع تحصنت فيه ، وضرورة توفير الشروط اللازمة لتقدمها صوب انجاز مهامها التاريخية التي لن يكون في الامكان تحقيقها لظروف داخلية وخارجية ، جغرافية واقتصادية في شطر دون شطر *

الوحدة اليمنية أولا

ويدفعنا الى ذلك الاضطراب الذي يبدو في مواقف بعض زعماء الجبهة احيانا ازاء هذه القضية * فبينما ينص دستور اليمن الشعبية في صفحة ١٧ على ان « تعمل الدولة على ايجاد ظروف مناسبة لاقامة يمن ديمقراطي موحد كخطوة نحو خلق ظروف موضوعية ، لتحقيق وحدة عربية ديمقراطية » يصرح الامين العام للجبهة بان اليمن الديمقراطية مستعدة للانضمام الى اتحاد الجمهوريات العربية ، حتى قبل تحقيق الوحدة اليمنية ، « ونحن نتطلع من عدن الى اليوم المرتقب الذي تنضم فيه جمهوريتنا الى الاتحاد الوليد ، وهذا يتوقف على توحيد الرأي داخل الاتحاد ازاء هذا المطلب » (٣١) وهو اقتراح - اذا ما حاز صدوره حقا - فوق انه يلقي المعارضة من داخل دول الاتحاد التي ترى ضرورة تحقيق الوحدة اليمنية أولا ، فانه يتنافى مع ماهو مفهوم ومعروف عن تفكير الامين العام ازاء قضية الوحدة ، ولا يتفق مع الرأي العام الجماهيري ، وانما من شأنه

ان يضع في يد العناصر الاقطاعية اليمنية سلاحا قاطعا لمهاجمة قوى الثورة ، ويعطيها وقودا اضافيا لنيران دعايتها الموقدة التي لا تكف عن اشغالها وادارتها ضد هذه القوى الوطنية الى حد اتهامها « بالانفصالية » والتي يصرح ممثلوها البارزون - في اسلوب اعلامي مدروس ومخطط - في معرض اجابتهم على تساؤل عن زمن انضمام اليمن الى اتحاد الجمهوريات العربية - بقولهم : « عندما تتحقق الوحدة الاقليمية بين الشمال والجنوب » (٣٢)

طريق الوحدة اليمنية

ان طريق الوحدة اليمنية هو طريق النضال المشترك بين قوى الثورة اليمنية مجتمعة والتي تختلف في اصولها الطبقية ، وتياراتها الايديولوجية ، واتجاهاتها الحزبية ، وتنظيماتها السياسية في شمال البلاد عن جنوبها ، ان لم تكن امتدادا لبعضها البعض ، « فالحزب الديمقراطي الثوري اليمني » في الجمهورية العربية اليمنية ينحدر من نفس الصلب الذي انحدرت منه « الجبهة القومية » ويتجه صوب نفس الوجهة السياسية والتاريخية التي تتجه هي اليها ، « وشبيبة » الشمال لا تستقي من غير النبع الذي تستقي منه « شبيبة » الجنوب « وبعث » صنعاء ليس شيئا غير « بعث » عدن ، « وظواهر » الانقسام والاختلافات التي بدت على السطح بين « فرعى » كل تنظيم من هذه التنظيمات اخذ يحل محلها منذ فترة الوثام والالتحام ، ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة للعناصر الوطنية والديمقراطية غير المنظمة هنا وهناك *

جبهة وطنية على نطاق اليمن

لذلك يبدو مفهوما تماما ان أى توحيد للقوى الثورية اليمنية على نطاق الجنوب هو دفعة أكيدة لوحدة نفس القوى على نطاق الشمال ، بل ان تحقيق الوحدة الوطنية في عدن يعنى بالضرورة تحقيقها في صنعاء *

اكثر من ذلك يمكننا القول ان الاتفاق على صيغة التحالف في اليمن الديمقراطية يجعل من هذا التحالف لبنة أساسية في بناء الجبهة الوطنية الديمقراطية الممتدة على نطاق اليمن كلها ، وجزءا لا يتجزأ منها ، وأنه من بطن هذه الجبهة في حالة

[٣٠] ر . اوليانوسكي ، المصدر السابق *

[٣١] روزاليوسف ١٩٧١/١٢/٢٠

[٣٢] روزاليوسف ١٩٧١/١١/١١ من نصريح للقاضي عبد الرحمن الايرياني رئيس المجلس الجمهوري اليمني

و « بأنه لا يمكننا تحقيق استراتيجية الثورة اليمنية وبناء الاشتراكية في شطر من الاقليم ، لان الامكانيات البشرية والمادية محدودة في الشطر الواحد ولكنها عظيمة في الشطرين معا ، وتلك هي خصوصيتنا الرئيسية ، ، ولاننا » نعتبر أن تحقيق استراتيجية الثورة في شطر من الاقليم نوعا من النرجسية والاهام » (٣٣) .

ان ما هو مطلوب - في ضوء ذلك - من المؤتمر الخامس للجبهة القومية الذي ينبغي أن يشترك في حضوره ممثلو مختلف الاطراف الثورية اليمنية اغناء لجو الحوار فيه والقاء لبذور الوحدة الوطنية والفكرية من خلاله - مزيد من البلورة والتحديد والحسم والتفصيل لهذه المنطلقات السلمية التي تضمنها برنامجها السابق ، ويتحدث عنها زعماء الجبهة بين حين وآخر تمهيدا لوضع ذلك في برامج عملية وخطط تنفيذية تسهم جميع الفصائل الثورية - وفي اطار من العمل الجبهوي الموحد على اتساع اليمن كلها - في رسمها والاضطلاع بوضعها في الممارسة .

مصر مركز الثقل للنضال العربي

٥ - إنه اذا كانت اليمن الديمقراطية قد حددت على لسان رئيسها مركز الثقل في حركة التحرر الوطني العربية ، معتبرة مصر هي هذا المركز باعتبارها - كما يقول سالم ربيع علي في احدي برقياته الى الرئيس أنور السادات - « معيارا للحركة التقدمية في الوطن العربي ، سلاح الثورة العربية ، والانسان العربي الجديد ، ضد اعدائه الامبرياليين والصهاينة » (٢٤) واذا كانت قد دعت على النطاق العربي - كما صرح الامين العام للجبهة القومية عبد الفتاح اسماعيل - الى قيام الجبهة العربية التقدمية التي تناضل ضد اعدائها الرئيسيين ، الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية « على » أن تكون القيادة للقوى التقدمية ، في « معركتنا القومية المصيرية » وعلى أن يمهّد لذلك بقاء « تمهيدى لتناقش تفصيليا قضايا المرحلة الراهنة للثورة العربية ، وبالتالي كيفية التنسيق في النضالات المشتركة التي تتفق عليها ، وهي بداية ضرورية قد تؤدي الى رباط عربي أكثر تماسكا بقيام الجبهة نفسها وتحديد مهامها » (٢٥) واذا كانت قد حددت موقعها ازاء نضال « العالم الثالث » والتزمت - كما جاء في صفحة ١٨ من الدستور - بأن تعاضد و « تساند حركات التحرر الوطني ضد الاستعمار والامبريالية » اذا كانت قد فعلت ذلك كله فانها - وهي التي تعلن تبنيها

قيامها والتي تجمع كل فضاءات الثورة اليمنية من عدن الى صعدة ، ومن رحم الثورة الديمقراطية التي تشترك في قيادتها كلها - لتثبيت مواقع الحكم الوطني الديمقراطي في عدن ، وللقضاء على الاوضاع القبلية والاقطاعية والكمبرادورية في المناطق الاخرى من البلاد - سيولد الحزب الاشتراكي اليمني ، وستولد الوحدة اليمنية وترتفع اعلامها في ظل جمهورية وطنية ديمقراطية ، تكون بالفعل خطوة حاسمة في اتجاه الوحدة والثورة العربية .

أو ليست مثل هذه المعاني مما يمكن استخلاصه أيضا من الفقرات التي وردت في « برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي » ص ٣١ - ٣٢ حيث تشير موضحة العلاقة الجدلية لهذه القضية الوطنية بقولها : « ويقدر ما كانت ثورتنا ونجاحها مرتبطا بعلاقتها وتأثرها بالدرجة الاولى بنجاح الثورة وقيام الجمهورية العربية اليمنية ، وكذلك بنجاح الثورات العربية وخطها التحرري التقدمي في الوطن العربي ، فان مصيرها مرتبط ببقاء الجمهورية ونجاح الخط التحرري التقدمي في اليمن الشمالية وتحقيق الوحدة اليمنية ، وبنجاح الثورة والتحرر والتقدم في الوطن العربي » وبقولها : « ولا يقف السير في طريق استكمال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي عند هذا الحد فقط ، بل أن هذا الطريق سيقود بالضرورة الى أن تقف قوى الثورة في اقليم اليمن شمالا وجنوبا لتصنع وحدة اداة العمل الجماهيري القائدة والطليعة لشعب اليمن ، والقادرة على تحقيق وحدة التراب اليمني شمالا وجنوبا » .

ضرورة حفر وارتياك سبيل

الوحدة الوطنية واليمنية

ولقد أشار الامين العام للجبهة القومية عبد الفتاح اسماعيل الى الوضع الطبيعي والصحيح للاشياء عندما شدد على « وحدة الشعب اليمني قضية ومصيرا ، وعندما أكد « أننا نعتبر أن جماهير الشعب اليمني هم اصحاب المصلحة الحقيقية في الثورة اليمنية ، ولا بد لهم أن يتحدوا في نضالهم ، وأن وحدة نضال الشعب اليمني مسألة ضرورية لاننا في الاخير لانؤمن بالحوار والحدود » وعندما جزم « بأنه لا يمكن أبدا تحقيق استراتيجية الثورة اليمنية كاملة الا بتحقيق وحدة الاقليم اليمني » ووحدة القوى الثورية في الاقليم

[٣٣] ١٤ أكتوبر المدنية ١٩٧١/١٢/٣٠ ، الثوري ١٩٧١/١٢/٢١ ، الحارث المدنية ١٩٧١/١٢/١٥

[٣٤] الجمهورية القساهرية ١٩٧١/٥/٢٤ .

[٣٥] روزاليوسف ١٩٧١/١٢/٢٠

للاشتراكية العلمية كما نص على ذلك دستورها في أكثر من مكان ، وكما يؤكد زعماءها في أكثر من مناسبة انتماءها « وانحيازها الى المعسكر الاشتراكي » (٣٦) كما جاء في حديث لرئيس الوزراء على ناصر محمد ، مطالبة بأن تحسم الجدل المحتدم داخل صفوف الجبهة القومية والمتعلق بتحديد مركز الثقل ، ورأس الرمح ، وقاعدة وطليلة حركة الثورة العالمية .

التناقض الرئيسي

على النطاق العالمي

فليس هناك خلاف في صفوف الجبهة حول طبيعة التناقض الرئيسي على النطاق العالمي ، باعتباره قائما بين المعسكر الاشتراكي وحركة التحرر الوطني والقوى العمالية في العالم ، وبين المعسكر الاستعماري . غير أن القضية التي ما تزال تؤثر على وحدة الجبهة السياسية والايديولوجية والتنظيمية هي الاتفاق على تحديد « محور » الجبهة الثورية العالمية المناوئة للجبهة الامبريالية العالمية .

لقد غدا في حكم البديهيات لدى كل الناس انه مثلما تشكل الولايات المتحدة الامريكية بامكانياتها الهائلة حصن الرجعية الدولية وذراعها الممتدة وأطرافها الجارحة ، التي تنشبها في أجساد الاوطان والامم المكافحة من أجل حريتها ، فإن الاتحاد السوفيتي ، بلد الاشتراكية الاول ، الذي حنكته التجارب النضالية الطويلة والعميقة المقدسة ، وأنضجت حزبه الطليعي الاممي شمس الايديولوجية الاشتراكية خلال العقود المتتالية من السنين ، هو المؤهل اقتصاديا وعسكريا وسياسيا ، والمهيأ تاريخيا وموضوعيا وعمليا لان يكون على رأس القوى المتصدية للغول الاستعماري الامريكي والجامه ، وردعه ، وايقافه عند حده ، والقضاء عليه آخر الامر ، كما تبرهن وتبشر بذلك كل التجارب العملية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والى اليوم ، وكما تؤكد ذلك الشواهد الحية والعاشية في برلين ، وكوبا ، والشرق الاوسط ، والهند الصينية ، وشبه القارة الهندية .

معاهدات صداقة وتعاون

مع الاتحاد السوفيتي

ومن أجل ذلك عقدت الدول الوطنية معاهدات

صداقة وتعاون مع - مثلما فعلت مصر والهند - تعزيز جبهتها الداخلية وتقوية مراقبتها في النضال التحريري ضد الامبريالية الامريكية وحلفائها . ولقد أخذ الجميع يلتمسون لمس اليد الاهمية الفائقة لمثل هذا التحالف التعاهدي في لحظات الخطر ، والنصر المبين الذي يمكن أن يتحقق تحت لوائه .

وعن الدور الخاص والرئيسي الذي يلعبه الاتحاد السوفيتي في جبهة الثورة العالمية تحدث عضو اللجنة التنفيذية ورئيس الوزراء على ناصر محمد بقوله : « ان للعلاقة بين شعب اليمن الديمقراطية والاتحاد السوفيتي جذورا تاريخية ، مرتبطة بقضية الصراع الحتمي بين المعسكر الاشتراكي وفي مقدمته الاقتصاد السوفيتي والمعسكر الامبريالي » ، كما جاء في تصريحه الذي نشرته جريدة ١٤ أكتوبر العدنية في ١٠ - ١١ - ١٩٧١ .

ضرورة تحديد مركز الثقل

في حركة الثورة العالمية

والسؤال هو ما اذا كانت الجبهة القومية قد التقت وجهتها النظرية من القمة الى القاعدة على مثل هذا التقييم الصائب والسليم . ان ذلك يعني حينئذ انها قطعت شوطا جديدا وهاما في مضمار تحقيق رؤية ايديولوجية وسياسية موحدة ازاء قضية من أهم القضايا النظرية .

غير أن القضية ليست نظرية فحسب وليست حلقة أساسية في المفهوم الاممي الاشتراكي المكتمل الوضوح والنضج فقط ، ولا يعتبر الاتفاق عليها من باب الترف أو مما يمكن تأجيله أو اغفاله أو تجاهله ، وانما هي في الواقع أيضا وحتى بالنسبة لليمن الديمقراطية قضية عملية ونضالية ويومية في وقت واحد ، فالتمييز بين الحليف الرئيسي ، والمساعد ، والثانوي والقوى والضعيف ، والمتهاك ، كالتمييز بين العدو اللدود ، والشرس ، والخطير ، والخضم الضعيف ، والمستهلك . القضية مبدئية من جهة ، وعملية من جهة أخرى . وان ما ينبغي أن تواجهه اليمن الديمقراطية اليوم قبل الغد هو : كيف وبالاعتماد على من ستواجهه « الحصار الامبريالي

والصهيوني ، المضروب اليوم حول حصن الثورة في عدن ، والممتد من أطراف الخليج العربي ، مروراً بشمال البلاد وانتهاءً بأريتريا (٢٧) .

التفاف الغول الأمريكي

من حول عدن

فاستكمالاً لحلقات هذا الخصار الذي يستهدف ضمن ما يستهدف تهديد الثورة اليمنية ذاتها أعلنت مؤخراً وزارة الدفاع للولايات المتحدة الأمريكية نفسها أنها - بعد اتفاقها مع البحرين في ٢٣ - ١٢ - ١٩٧١ على اتخاذ القاعدة البحرية التي انسحبت منها القوات البريطانية محطة بحرية دائمة لقواتها وأسطولها - قررت إجراء «عمليات بحرية بصورة دورية في المحيط الهندي ... للمساعدة في إقامة وجود أمريكي في هذه المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة» وأن أحد الأسباب إلى ذلك «اكتساب مزيد من الخبرة العملية بالمحيط الهندي ، وملء الفراغ الذي خلفه انسحاب القوات البريطانية من المنطقة» مما دعا صحيفة براغدا السوفيتية إلى الإسراع بإمالة اللثام عن الهدف من ذلك كله بقولها : «أن الخطط الأمريكية لاستخدام القاعدة البريطانية السابقة في البحرين تؤكد مخططات واشنطنون البعيدة المدى التي تستهدف مد جناح حلف شمال الأطلسي من البحر الأبيض المتوسط إلى إسرائيل» (٢٨) بل وإلى الجزيرة العربية أيضاً !

شروط النجاح في إقامة

صرح الديمقراطية والاشتراكية

وليس هناك من يشك في أن الصين الشعبية دولة اشتراكية صديقة وحليفة ومناوئة

للامبريالية ، ولكن ليس هناك من يشك أيضاً في أن قدراتها العملية لا تمتد ، أو لا تستطيع الامتداد على اتساع جبهة المواجهة العالية والتصدي لمختلف المصاعب العدوانية والتآمرية التي تثيرها الامبريالية الأمريكية في كل مكان ، والتي ينهض لمجابهتها بفاعلية وحسم الاتحاد السوفيتي بالذات ، مؤكداً بذلك دوره العالمي المتميز الذي لا ينزع .

أن مصير الثورة في اليمن الشعبية ، وقطع طريق التطور اللارأسمالي ، وتحقيق جمهورية اليمن الموحدة الوطنية الديمقراطية ، بل ومصير الثورة اليمنية والعربية والعالمية ، متوقف على ترصين الجبهة الوطنية في كل بلد ، وجبهة الثورة العالمية على الاطلاق ، التي يقف في طليعتها بحق وعن جدارة الاتحاد السوفيتي .

وان اخضاع هذه الملاحظات الانفة الذكر للمناقشة والدرس اللازمين ، وأعطائها الاهتمام الكافي والمفترض - ولا سيما في هذا الوقت الذي يتجه فيه التنظيم السياسي الحاكم في عدن إلى عقد مؤتمره الخامس الذي ستكون مهمته الاولى اقرار برنامج جديد لحركة التحرر الوطني اليمنية ، من شأنه أن يساعد على توحيد الرؤية السياسية والايديولوجية لمختلف فصائل الثورة اليمنية ، وتحقيق طموح الجبهة بأن يكون برنامجها الجديد - بحق - «برنامجاً لقوى الثورة بأسرها» كما أكد رئيس مجلس الرئاسة سالم ربيع علي (٢٩) . وتحويله إلى وثيقة نظرية وتاريخية لا تحدد وتبلور فقط - وبالمطلق العلمي الصارم - معالم طريق التطور اللارأسمالي ، وأسس وأسلوب تحقيق دولة اليمن الموحدة الوطنية الديمقراطية ، وإنما تستشرف وتنير آفاق المجتمع الاشتراكي الديمقراطي اليمني المنشود .

[٢٧] انظر مقال اعصار امبريالي صهيوني حول حصن الثورة في عدن ، د. محمد علي الشهاوي ، الطليعة

١٩٧١/١٢/١٢

[٢٨] الاهرام ١٩٧٢/١/١٠

[٢٩] جريدة ١٤ أكتوبر العدنانية ١٩٧١/١١/٣٠

● جمهورية مصر العربية ●

خسوار مباشر
وحلول فورية

● الأردن ●

الملك حسين يصرب
مشروع ألون

● عدن ●

المؤتمر الخامس
للجبهة القومية

● الاتحاد السوفيتي ●

اعلان متسبق
بالتزامات محددة

تقارير خاصة :

الانشقاق الثالث
في الجبهة الشعبية

مؤامرة اطلنطية جديدة
للقضاء على استقلال قبرص



كبيراً من هذه المشروعات قد توقف عدة سنوات بسبب نقص المعدات أو الاعتمادات بينما تفاقمت المشاكل بسبب الزيادة في السكان .

حوار مباشر وحلـول قـورية

على امتداد شهر مارس الماضي - قام الدكتور عزيز صدقي ومعه ثلاثة من نوابه وثلاثة عشر وزيراً آخرين بجولة واسعة في المحافظات شملت حتى الآن محافظات كفر الشيخ والمنوفية وقنا وأسوان .

وكان رئيس الوزراء قد أعلن ان الهدف من هذه الزيارات هو التعرف على مشكلات المواطنين على الطبيعة والاستماع الى آرائهم وفتح الحوار المباشر مع الجماهير ووضع الحلول الفورية في معظم الحالات - وبدء دراسة الحلول اللازمة للبعض الآخر والتي لا تتوافر حالياً امكانيات حلها .

وفي كل اللقاءات الجماهيرية التي عقدها الدكتور عزيز صدقي مع المواطنين في مواقعهم - حرص على أن يؤكد « أن الحكومة الحالية جاءت لتعد الدولة لمواجهة الشاملة - وهناك أمل لا بد أن نحققه مهما صادفنا من صعاب وتضحيات - وهو أن نسترد أرضنا » .

وأكد الدكتور عزيز صدقي في كلماته « ان قدرات مصر الانتاجية تمكنها اليوم من أن تعطى المعركة كل مستلزماتها بأولوية مطلقة وتمكننا أيضاً من حل الكثير من مشكلات الجماهير على أساس أن حل هذه المشكلات في حد ذاته من أهم عوامل التعبئة والحشد للجبهة الداخلية » .

وحرص رئيس الوزراء أن يشهد خلال زيارته لكل محافظة عرضاً شاملاً لأجهزة الدفاع المدني ومتطوعيه وكذلك بعض التجارب الحية لمواجهة نتائج الغارات .

وقد كشفت الجولة التي قام بها الدكتور عزيز صدقي ونوابه والوزراء أنه بالإضافة الى المشكلات الخاصة ذات الصلة المحلية التي يعرضها بعض المواطنين فان هناك مشكلات عامة تعاني منها كل المحافظات من بينها مشكلة استكمال وتطوير مرافق الخدمات خاصة استكمال بناء المدارس والمستشفيات والمساكن وتحسين مياه الشرب ورصف الطرق وإنارتها ووسائل المواصلات والنقل البري ومشكلة الصرف والمجاري - وان بجانب

ووافق الدكتور عزيز صدقي رئيس الوزراء على الاعتمادات المطلوبة كما تقرر اعطاء أوليات مطلقة للمشروعات التي بدىء في تنفيذها - على أن يحدد توقيت زمني للانتهاء منها . ومن أبرز القرارات التي اتخذت في هذه اللقاءات وعلى ضوء ما تمت مناقشته خلالها - تخصيص ٢٥ مليون جنيه لاستكمال معامل الجامعات على أن يتم ذلك قبل بدء السنة الدراسية القادمة . وكذلك تحديد حد أدنى لاجر العامل في القطاع الخاص بـ ٣٠ قرشاً وتطبيق قواعد الاجازات المعمول بها في القطاع العام وكذلك بالنسبة لساعات العمل .

كما وعدت الحكومة بتوفير الاعتمادات اللازمة للإنارة ورصف الطرق وبحث تخفيض أسعار استهلاك الكهرباء . وكذلك دراسة تخفيض اجارات المساكن عن طريق توفير المعدات من حديد تسليح ومواد بناء وجعل الاستهلاك على ٣٠ عاماً بدلاً من ٢٠ .

واعطى الدكتور عزيز صدقي عناية خاصة لمشكلات الفلاحين وأعلن أن الدولة سوف تتحمل أى زيادة في تكاليف رى الفدان اذا زادت عن عشرة جنيهات للفدان مما يحمل الدولة ٣٠٠ ألف جنيه ورفع سعر الطن من القصب ١٠٠ مليم ، مما يحمل الدولة ثلاثة ارباع مليون جنيه لمصالح زراع القصب . وأعلن رئيس الوزراء - انه خلال فترة لا تتجاوز الشهرين سوف تتم مراجعة كل أوضاع بنك التسليف التعاوني في الريف وأوضاع الجمعيات التعاونية الزراعية ومديونيات الفلاحين - وعلى ضوء هذه المراجعة ستوضع اقتراحات محددة تحقق الحل الحقيقي لمشكلات الفلاحين وسوف توضع صيغة جديدة تتيح لهذه الجمعيات أن تكون معبرة تعبيراً حقيقياً عن مصالح الفلاحين كما ستتخذ الاجراءات اللازمة لتلافي كل سلبيات نظام التسويق التعاوني والعمولات وتحديد رتب القطن وانتقد الدكتور عزيز صدقي شركات تجارة القطن ومحاولتها تحقيق المزيد من الارباح على حساب الفلاحين بانقاص رتب القطن . وأشاد الدكتور عزيز صدقي وهو يفتتح خطاً جديداً للإنتاج بمصنع السكر بقوص - أشاد بدور العمال في زيادة الإنتاج بوصفه دعامة حقيقية لتحقيق النصر مؤكداً على أن العمال والفلاحين ومختلف طوائف الشعب هم ركيزة الوطن لتعبئة امكانياته بحيث يصبح الشعب كله عملاً حقيقياً لقواته المسلحة .

قضايا قديمة

ومقتـرحات جديدة

يعيش الاتحاد الاشتراكي العربي هذه الايام - المحاولة الرابعة لجعله تنظيما سياسيا فعالا معبرا عن تحالف قوى الشعب العاملة - وتقود هذه المحاولة الجديدة لجنة العمل الوطني للاتحاد الاشتراكي العربي وهي اللجنة التي كان المهندس سيد مرعي السكرتير الاول للجنة المركزية قد أعلن عن تشكيلها من عشرين عضوا - خمسة منهم من أعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وخمسة آخرين من أعضاء المؤتمر القومي للاتحاد والعشرة الباقين من الشخصيات العامة - كما أعلن أيضا عن تشكيل تسعة لجان استشارية تضم ١٧٠ عضوا لمعاونة اللجنة في مهمتها .

وكان المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي قد كلف السكرتير الاول للجنة المركزية بتشكيل هذه اللجنة وحدد مهمتها بوضع تصور شامل ودليل مفصل لاسلوب عمل الاتحاد الاشتراكي على ضوء ما كشفت عنه التجارب الماضية من نواقص وقصور في نشاط الاتحاد وضيق اوعيته عن استيعاب حركة الجماهير ومطالبها وآمالها . ودعا المؤتمر لان تقوم اللجنة باعداد دراسة شاملة لتحديد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والسلطات التنفيذية والقضائية والقطاع العام والمنظمات العمالية والطلابية والمهنية والشبابية وكذلك تعديل قانون الاتحاد الاشتراكي بما يتواءم مع النتائج التي تصل اليها اللجنة .

وقد بدأت اللجنة عملها بدراسة ورقة عمل قدمها المهندس سيد مرعي وضمنها الدراسات والاجتماعات والمناقشات التي اجراها خلال الشهرين السابقين - كما تضمنت مجموعة هامة من التساؤلات وعدد العرض الذي قدمه السكرتير الاول في ورقة العمل السلبية التي غلبت بالفعل اسلوب عمل الاتحاد الاشتراكي ومنها :

● الاسلوب المكتبي والعزلة عن الجماهير

● انكماش الضمانات الديمقراطية داخل التنظيم

● طغيان النواحي الشخصية على الجوانب الموضوعية في تقييم الافراد

● تسلل بعض العناصر الانتهازية - والطفيلية الى بعض المراكز القيادية .

● عدم وجود خطة عمل

● ضعف خطوط الاتصال والروابط التنظيمية

● اضطراب وغموض العلاقة بين التنظيم والجهات التنفيذية والمنظمات الجماهيرية المعاونة .

● اخفاء الحقائق عن الشعب وعن قيادات التنظيم والتناقض الشديد بين الاهداف المعلنة والقدرة والامكانيات المتاحة .

● المراهقة الفكرية

● اعتبار التنظيم جهازا لتفسير وتبرير اعمال السلطة التنفيذية .

وارجع السكرتير الاول للجنة المركزية هذه السلبيات الى خطأ في التصور العام للاتحاد الاشتراكي يتمثل في نقطتين اساسيتين :

● ان الاتحاد الاشتراكي جهاز للسلطة وليس تنظيم لقوى الشعب العاملة ، وخلال المسار الطويل للاتحاد كان يؤكد على هذه الحقيقة عمليا بوضع الشعب في الاطار الذي تريده السلطة

● ان الاتحاد الاشتراكي حزب وليس تحالفا - ومحاولة فرض وحدة قامة مصطنعة في جميع المصالح التي يعبر عنها التحالف .

وفي هذه النقطة طرح السكرتير العام تصوره عن قيام نوعين من المصالح داخل الاتحاد : مصالح موحدة ذات وزن قومي شامل لا خلاف عليها بين قوى التحالف - مثل تحرير الارض المحتلة واستمرار التطور على الطريق الاشتراكي والتعزيز الدائم للديمقراطية وسيادة القانون ومحاربة البيروقراطية - ومصالح خاصة لكل قوة اجتماعية داخل التحالف والتي يجب الا تتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومي الشامل

وتأسيسا على ذلك يجب ان تكون النظرة لفكرة الالتزام بحيث لا يكون كالاتزام المطبق داخل التنظيمات الحزبية وان يعاد النظر في صياغة هذا التصور وتحديد كيفية التعبير عن هذه المصالح

وطرح السكرتير الاول في ورقة العمل - قضية العضوية في الاتحاد وهل تفتح امام ذوي النشاط السياسي السابق والعقائديين - فيؤدي دخولهم الى الاتحاد الى مزيد من التناقضات - ام يتكون خارج الاتحاد ، وعندئذ يمكن ان تنشأ تنظيمات اخرى مواجهة للاتحاد الاشتراكي ، كما طرح السكرتير العام قضية الشكل التنظيمي الهرمي الحالي للاتحاد الاشتراكي ومدى كفاءته في استيعاب الحركة والاتصال والربط .

كما طرح تصوريين للتنظيم الشبابي اما ان يكون تنظيميا منفردا بكوادره ولجنته المركزية او يكون بوجود ممثلين للشباب في مختلف مستويات الاتحاد الاشتراكي .

وطالب السكرتير الاول للجنة بأن تقدم نقاطا عملية محددة وليس مجرد قواعد نظرية عامة في قضية تحديد العلاقة بين الاتحاد والمؤسسات والاجهزة التنفيذية والتشريعية والتنظيمات المعاونة والصحافة - كما طالب بضرورة وضع منهج محدد وأسلوب يضمن تحقيق المضمون الحقيقي لما يعنيه ان الاتحاد الاشتراكي هو السلطة العليا التي تتبع منها كل السلطات :

وأعلن السكرتير الاول للجنة المركزية ان اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي لا تعني اجراء انتخابات جديدة وان لجان الاتحاد الاشتراكي الحالية سوف تستمر في عملها ولكنها ستكلف بواجبات ومهام جديدة .

كما أعلن المهندس سيد مرعي ان هناك تفكيراً في ايجاد سكرتيرين مساعدين الى جانب السكرتير الاول وإلى اعادة النظر في نظام الامانات الفرعية الحالية والاتجاه الى تشكيل مجموعات خبرة تعمل مع الامانات وتشكل من الكفاءات المتخصصة التي تستطيع ان تقدم اراء مدروسة في كافة القضايا كما تجرى الان دراسة اقتراح بضم اعضاء من غير اعضاء المؤتمر القومي العام الى المؤتمر وإلى لجان الاتحاد الاشتراكي في المراكز والاقسام لزيادة فاعلية العمل السياسي والاستفادة بجهودهم السياسية ومن المعتقد ان مدى النجاح الذي يمكن ان تحققه المحاولة الجديدة لجعل الاتحاد الاشتراكي تنظيميا فعالا سوف يتوقف على مدى الانفتاح العام والتجاوب مع الاتجاه الديمقراطي الواضح في صفوف الشعب ، ويعزز هذا ويدعمه سيادة مناخ ديمقراطي هام في البلاد .



■ الوطن العربي

تجارب تنظيمية جديدة

أعلن في سوريا قيام الجبهة الوطنية التقدمية ، ويتردد في العراق ، منذ سنوات أصوات تدعو إلى

ضرورة اقامة جبهة وطنية ، وفي القاهرة أعلن مؤخرا تكوين « لجنة العمل » ، واللجان الفرعية التي تتولى الاعداد لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكي العربي من الداخل « تنظيميا وفكريا » .

وقد ترددت الدعوة لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكي ، في الدورة الطارئة الاخيرة للمؤتمر القومي العام . إذ أكد الرئيس السادات في خطابه أمام المؤتمر أنه من الضروري ان تتنوع الاجتهادات بيننا ، كما أنه من المصلحة ان تدور المناقشات على ارضنا بغير حواجز . وركز الرئيس على تعزيز وتأكيد وحدة قوى الشعب العامل في مصر ، وذلك عن طريقين :

الطريق الاول : هو طريق الحوار الحر النزيه والمسئول وعن طريق التفاعلات الديمقراطية .
والطريق الثاني : هو طريق زيادة التلاحم مع قوى الجماهير على اتساع الامة العربية « فوحدة القوى الثورية العربية هي امتداد عضوي على اتساع العالم العربي كله لوحدة القوى الثورية داخل هذا الوطن المصري » .

وفي ضوء هذا ، طرح المهندس سيد مرعي في بيانه أمام المؤتمر القومي ، فكرة اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي من الداخل ، وهي فكرة يمكن تلخيصها في عبارة موجزة هي أن يصبح الاتحاد الاشتراكي اتحاد اتجاهات وقوى عوضاً عن كونه اتحاد أفراد ، من الناحية التنظيمية ، بحيث يتاح لكل قوة من قوى الشعب العاملة منبرها الخاص داخل الاتحاد الاشتراكي ، لتعبر عن مصالحها وافكارها الخاصة في اطار « المصالح الموحدة ذات الوزن القومي الشامل والتي لا خلاف عليها بين مختلف قوى التحالف » .

وتحقيق هذا التصور ، وتحويله الى واقع سيكون « نقلة » كبيرة في حياة الاتحاد الاشتراكي العربي . ولكن هذه « النقلة » ستظل بعيدة الى حد غير قليل عن الجبهة الوطنية التقدمية التي قامت في سوريا ، وعن الدعوة والخطوات التي اتخذت لاقامتها في العراق .

وأسلوب « الجبهة الوطنية » ليس اسلوباً جديداً كلية في الحياة السياسية العربية ، فقد جرت تجربته في أكثر من بلد عربي في فترة الخمسينات ، وجملت بعض الاحزاب السياسية العربية لواء الدعوة الى اقامة الجبهات الوطنية منذ الاربعينات .

ففي سوريا ، اتخذت الجبهة الوطنية عام ١٩٥٦

— تقارير الشهر —

وتبادل الأفكار والخبرات في سبيل حشد الجماهير وتعبئتها وقيادتها على الطريق الصحيح لتحقيق النصر .

انطلاقاً من هذا الإدراك - مع تفاوت في الدرجة - عادت تتردد مرة أخرى الدعوة إلى إقامة الجبهات الوطنية ، في أكثر من بلد عربي ، في سوريا ، وفي العراق .

ففي سوريا ، ومنذ أحداث نوفمبر ١٩٧٠ ، وضح اتجاه نحو لقاء القوى التقدمية ، السورية وبرز هذا في أول بيان أصدرته « القيادة القطرية المؤقتة » لحزب البعث ، وتطور هذا الاتجاه إلى إجراءات عملية ملموسة في تشكيل الوزارة وفي تعيين مجلس الشعب وفي الاستفتاء حول الرئاسة .

● ضمت أول وزارة شكلت بعد أحداث نوفمبر ٢٦ وزيراً ، كان نصفهم من البعثيين ، بالإضافة إلى الرئيس ، والنصف الآخر من « الاتحاد الاشتراكي العربي » (السوري) ، والوحدويين الاشتراكيين ، والاشتراكيين العرب ، والحزب الشيوعي ، والمستقلين . وعندما أجرى تغيير وزارى - بعد انتخاب الفريق الاسد رئيساً للجمهورية - احتفظ بالتوزيع السابق وبنفس النسب تقريباً .

● أعلن بيان ١٦ نوفمبر عن تشكيل مجلس الشعب في خلال ثلاثة أشهر من ممثلى البعث والمنظمات الشعبية والنقابية وممثلى القوى التقدمية ، ليضع الدستور الدائم ، إلى جانب ممارسة السلطة التشريعية . وفي ٢٢ فبراير ١٩٧١ - عيد الوحدة - عقد المجلس أول اجتماع له . وقد ضم أغلبية بعثية (٨٥ مقعداً) ، بينما نالت القوى السياسية الأخرى ٤٠ مقعداً فقط ، وخصص ٤٨ مقعداً للتنظيمات النقابية والمهنية ، وهؤلاء لهم انتماءاتهم الحزبية إلى هذا الفريق أو ذاك ، بحيث يتم نوع من التوازن بين البعثيين والتنظيمات السياسية الأخرى .

● عند إجراء استفتاء الرئاسة اتفقت الأحزاب المؤتلفة في الوزارة ، والممثلة في مجلس الشعب ، على أن تعمل تنظيماتها وقواعدها عملاً متوحداً ومنسقاً في الدعوة إلى انتخاب الفريق حافظ الاسد .

وكانت هذه الأعمال خطوات على طريق نمو وبطورية الدعوة إلى إقامة الجبهة . وكانت تصريحات الرئيس الاسد تؤكد الالتزام ببناء

شكلا مفككا ، اعتمد على التعاون داخل البرلمان بين ممثلى أكثر من حزب سياسى : ممثلى حزب البعث العربى الاشتراكى ، وممثل الحزب الشيوعى السورى ، وممثلة جناح من الحزب الوطنى ، وممثلة فئات من البورجوازية الوطنية المعارضة للاستعمار ، وبعض الشخصيات المستقلة . وبعد العدوان الثلاثى ، تألفت لجنة عليا للتجمع الوطنى ضمت ممثلى الأحزاب والفئات المذكورة ، كما ضمت ممثلين عن الجيش . وأثبتت هذه التجربة أهميتها من خلال الدور الكبير الذى لعبته ، في الحياة السياسية السورية ، حين قادت أوسع قطاعات الجماهير وعبأتها في التصدى للمؤامرات الاستعمارية التى كانت تدور حول سوريا ، قبل وحدة ١٩٥٨ ، وهى مؤامرات حاكتها ودبرتها القوى الامبريالية والدوائر الاستعمارية ممثلة في حلف بغداد والقوى الرجعية السورية التى قبلت التعاون معه .

كانت تجربة التجمع الوطنى تجربة ناقصة . كانت بناء علوي ، بسبب رفض بعض قواها أن يتم بناؤها من أسفل لتعتمد على ركيزة جماهيرية صلبة . ومنذ عام ١٩٥٨ تعرضت الحياة الحزبية السورية لحالة من القوضى اسكتها عن القيام بأى دور فعال . وكانت بعض فصول هذه المرحلة فصولاً دامية ودموية ، عدا بعض مظاهر من « التعاون الشائك » بين حزب البعث الحاكم بعد ٢٢ فبراير ١٩٦٦ وبعض القوى الأخرى ، فضلاً عن التجربة الفاشلة التى أعقبت مارس ١٩٦٣ . ثم جاءت هزيمة ١٩٦٧ ، لتؤكد - فيما أكدته - ضرورة العودة إلى إقامة جبهة وطنية ، باعتبارها الطريق الوحيد فى مثل هذه الظروف لتوحيد فضال الطبقات والأحزاب الوطنية والتقدمية فى الكفاح من أجل التحرير والديمقراطية . وبقيت الجبهة شعاراً يرتفع قليلاً ويختفى كثيراً .

وفي نفس الفترة تقريباً ، شهد العراق تجربة « جبهة الاتحاد الوطنى » التى كانت أداة سياسية لثورة ١٩٥٨ .

قامت هاتان الجبهتان بينما كانت حركة التحرر الوطنى العربية تعيش حالة مد عارمة ، فى نضالها ضد الاستعمار والقوى العميلة له فى المنطقة . ودفعت الانتصارات بالقوى الوطنية والتقدمية إلى التجمع والاتحاد لمواجهة المخاطر ، وصد الإخطار ، وتحقيق المزيد من المكاسب . ويصبح هذا التجمع أكثر إلحاحاً فى ظل الأزمات والهزائم . إذ يصبح من الضرورى تلافى الخلافات الثانوية والداخلية من خلال النقاش والحوار ،

الجبهة الوطنية منذ وصول البعث إلى الحكم في يوليو ١٩٦٨ ، بل وقبل ذلك في المؤتمر القومي التاسع لحزب البعث « العراقي » حين نبذ المؤتمر فكرة الحزب « القائد » ودعا إلى قيام جبهات شعبية تقوم على تحالف الأحزاب التقدمية قوطيا وقوميا .

وظل البعث يردد هذه الدعوة بعد وصوله إلى الحكم ، ودعا إلى « حوار » مع الأحزاب والقوى الأخرى ، بعد أن اتخذ بعض الإجراءات التي طمأننت هذه القوى وشجعته على قبول الحوار . ومع أن البعث كان يقدم رجلا ويؤخر أخرى على طريق الدعوة إلى الجبهة ، وحتى على طريق الإجراءات التي كان يتخذها إلا أن التنظيمات السياسية الأخرى قبلت الدخول في الحوار ، ورحبت به ، وطال الحوار أكثر مما يجب وتراجعت « الإجراءات المطمئنة » وحلت مكانها إجراءات عكسية توسع من هوة الخلاف ، ولا تساعد على تقدم الدعوة إلى قيام الجبهة .

● وزاد من هوة الشك ما تردد بعد انعقاد المؤتمر القومي العاشر لحزب البعث ، ففي هذا المؤتمر تراجعت الدعوة إلى إقامة الجبهة الوطنية ، وعاد إلى الظهور مرة أخرى الحديث عن الحزب القائد ، وبعد اتفاق ١١ مارس ١٩٧٠ مع الأكراد ارتفع شعار تأخي الحزبين : حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الديمقراطي الكردستاني . وتم تجاهل الأحزاب السياسية الأخرى .

ولكن الصفاء البعثي - الكردي لم يستمر طويلا . فارتفعت من جديد الدعوة إلى الجبهة ، مشروطة بأن يحدد « البعث » الأحزاب التي تدخلها ، وهي « الأحزاب التي تؤمن بثورة ١٧ تموز وأهدافها » أي الأحزاب التي تقبل قيادة البعث ، وبالميثاق الوطني الذي طرحه ، بعد طول تردد . وعاد الحوار من جديد . وقبلت الأحزاب الأخرى أن تعيد الكرة ، وأعلن بعضها قبول الميثاق أو تأييده رغم بعض التحفظات الخاصة بقصر العمل السياسي داخل الجيش على حزب البعث فقط ، وكيفية بناء حكومة الجبهة وغير ذلك . وقد نوقش الميثاق على نطاق واسع جماهيري ، وأثيرت نقاط الخلاف ونقاط الالتقاء وأدخلت عليه تعديلات .

ولا شك أن تعدد هذه المحاولات « الجبهوية » في أكثر من بلد عربي ، يعكس حقيقة جوهرية ، تأكدت منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ ، وهي أنه لم يعد

الجبهة ، كما كانت تعكس مرحلة النمو التي وصل إليها البناء . فهو في فبراير ١٩٧١ يقول : « ستناضل من أجل تعميق لقاء القوى التقدمية ونحن نسير على هذا الطريق بخطى متزنة ، وسوف نحقق الوصول إلى صيغة الجبهة التقدمية » . وفي تاريخ لاحق يقول : « إن الجبهة الوطنية التقدمية في مراحلها المختلفة ستكون في النهاية الصخرة القوية التي تدفع بعملنا الوطني ، وفي مجالات مختلفة ، أشواطاً بعيدة نحو التقدم والرفاهية » .

ومهد كل هذا للخطوة الأخيرة في الاتفاق بين التنظيمات السياسية المختلفة ، على إقامة الجبهة وهكذا تشكلت في مايو الماضي لجنة تحضيرية لدراسة صيغة الجبهة ، ووضع مشروع لميثاقها ، وقد تولته لجنة فرعية . وكانت هذه المرحلة من أشق المراحل ، واحتدم الخلاف حول نقاط محددة مثل مدى حرية التنظيمات الأخرى في العمل السياسي داخل الجيش ، وداخل الطلاب ، وبعض نقاط فرعية أخرى ، أمكن في النهاية التغلب عليها .

وعبر هذا الطريق من الاتفاق والاختلاف ، ومن التنازلات من قبل هذا الطرف أو ذاك ، تم الاتفاق على إعلان الجبهة ، وتشكيل مكتبها السياسي ، وإعلان ميثاقها .

وقد حدد الميثاق مهمة الجبهة في تعبئة الجماهير من أجل معركة التحرير ، وتحقيق الوحدة العربية ، وإقرار مسائل السلم والحرب والسياسة الاقتصادية وتوجيه الخط السياسي والإعلامي واستكمال المؤسسات الديمقراطية والدستورية .

ويحظى حزب البعث بالأكثوية في الجبهة وفي كل مؤسساتها . فالمكتب السياسي للجبهة - وهو قيادتها - يتكون من ١٧ عضواً ، منهم تسعة بعثيون من ضمنهم الرئيس ، وثمانية عن الأحزاب الأخرى ، عضوان عن كل حزب . هذا بالإضافة إلى أفراد البعث بالعمل السياسي داخل الجيش وبيزن الطلاب . ولا تخفى أهمية دور الجيش في الحياة السياسية السورية ، في ظل الضعف والقصور الذي تعانيه الأحزاب السياسية هناك مع السماح لبقية أحزاب الجبهة بمزاولة نشاطها العلني ، وحرية نشاطها الخاص ، مثل إصدار الصحف التي تعبر عن وجهة نظرها .

أما في العراق ، فقد ترددت الدعوة إلى إقامة

تقارير الشهر

ومائة جريح * وقدرت هذه الدوائر خسائر القوات الاسرائيلية بأحد عشر جريحاً .

وبعد انسحاب الجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان عادت قوات الجيش اللبناني لاحتلال مواقعها هناك ، بعد أن كانت قد هجرتها منذ معركة العرقوب عام ١٩٦٩ .

وبعد انسحابها ، وجهت اسرائيل انذارا الى حكومة لبنان بمعاودة الهجوم في حالة استمرار هجمات المقاومة من الاراضي اللبنانية .

ونسبت وكالة اليوناييتدبرس لسلباء ، الى المصادر السياسية اللبنانية قولها أن حكومة لبنان ستعمل على حياد منطقة الجنوب درءاً لانتقام الاسرائيليين ، وأنها ستعيد النظر في اتفاق القاهرة الذي كان قد وقعته عام ١٩٦٩ مع قيادة المقاومة . وازاء كل ذلك تفجرت في لبنان مظاهرات صاخبة نددت بالعدوان وبالصمت العربي . كما خرج طلبة جامعة دمشق الى الشوارع مطالبين بحكومتهم بالتحرك . وفي ١٢ مارس صرحت مصادر لبنانية مطلعة أن وجود الجيش اللبناني في الجنوب سيحقق مهمة مزدوجة ، وهي منع المقاومة من قصف الاراضي الاسرائيلية من داخل الاراضي اللبنانية ، وحماية السكان اللبنانيين !

وكانت جريدة الاتحاد ، الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راجح) ، قد نشرت مقالا ، في ١٨ يناير الماضي ، لصليبا خميس ، عضو المكتب السياسي للحزب ، أوضح فيه أن من أهداف العمليات العسكرية للجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان « اشراك الحكومة اللبنانية - بمساندة الضغط الاسرائيلي من الجنوب - في عملية تصفية شاملة للعمل الفدائي في لبنان ، كما حدث في الاردن » . واغراق لبنان في حرب داخلية لضرب القوى الوطنية والتقدمية ، واخراج الاردن من الصف العربي » . ويؤكد موسى ريان أن هدف العمليات هو « ابعاد الفدائيين من جديد الى الداخل » . وفي حديث له مع بعض المراسلين الاجانب حدد ضابط اسرائيلي هدفان للهجوم الاسرائيلي على جنوب لبنان وهما « كسر ظهر الفدائيين » وتحويل وجود الفدائيين من مشكلة اسرائيلية الى مشكلة لبنانية داخلية .

● وفي الخامس من مارس الماضي أعلن السيد حسين الشافعي ، نائب رئيس جمهورية مصر العربية - في المنيا - « أن العمل الفدائي في سيناء يجب أن يكون مكملا للعمل الفدائي في بقية الجبهات العربية » . وإذا كانت هناك محاذير

في مقدور جناح من احدى الطبقات ، أو في مقدور طبقة واحدة بكل أجنحتها وفئاتها ، أن تتحمل وتفي بالتزامات واحتياجات النضال العربي وطنيا وقوميا . وسيفرض هذا الواقع ، بشكل أو آخر ، وطبقا للظروف الخاصة في كل وطن عربي ، المخرج المناسب والمؤدي الى قيام صيغ جبهوية أكثر تقدما وأكثر شعبية من تلك الصيغ التي شهدتها بعض الاقطار العربية في ظروف الخمسينات ، وهي صيغ لا بد أن تتيح حرية الحركة والنشاط السياسيين أمام أوسع الطبقات الوطنية وأقدرها على تحمل اعباء النضال العربي ، في مرحلة المواجهة الضارية ضد الاحتلال الصهيوني - الاستعماري . إذ لا بد من اليوم عن أوسع مشاركة جماهيرية على المستوى العربي ، ولا بد من نضال الجماهير ، ولا عن حماسها ، خاصة في اوقات الازمات .



● الصراع العربي الاسرائيلي

تطورات وتحديات جديدة

في الايام الاخيرة من فبراير وعلى امتداد مارس الماضيين ، وقعت أحداث وتطورات هامة في مجال الصراع العربي الاسرائيلي .

● ففيما بين ٢٥ - ٢٨ فبراير شنت القوات الاسرائيلية هجومها الثاني والثلاثين على جنوب لبنان ، وهو أكبر هجوم لها منذ حرب ١٩٦٧ على تلك المنطقة ، مستخدمة الطائرات والدبابات والجرارات ، حيث استخدمت تلك الاخيرة في شق طرق جديدة لتسهيل تحرك القوات الاسرائيلية في المنطقة مستقبلا ، و « خلق ظروف تسهل معها المراقبة والسيطرة عند الضرورة » على حد تعبير جريدة هآرتس الاسرائيلية .

وقد عجزت القوات الاسرائيلية عن أسر أي فدائي فلسطيني ، بسبب البسالة النادرة التي أبداهما الفدائيون في مقاومة العدوان الأخير . وتقدر مجلة نوفيل اوبزيرفاتير (عدد ٦ - ٣ - ١٩٧٢) خسائر الفدائيين بمائة شهيد ومائة وخمسين جريحاً . في حين قدرت الدوائر الاسرائيلية خسائر الفدائيين بخمسين شهيدا

محسوبة في تقديرات المعركة العسكرية فلا ينبغي ان يكون هناك معاذير أو محاذير للعمل الفدائي ، وفي ٩ مارس أعلن الفريق حافظ الأسد ، رئيس الجمهورية السورية ، قبول سوريا لقرار مجلس الامن ، وان تحفظ بضرورة استعادة جميع الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، وعدم التفريط في حقوق شعب فلسطين .

● وفي المجال الدولي وقع حدثان هامان : كان الاول حين كشفت صحيفة ديلي اكسپريس اللندنية المحافظة ، في ٦ مارس الماضي عن قرب انتهاء المفاوضات بين بريطانيا واسرائيل لبناء غواصتين لاسرائيل في مصانع فيكرز البريطانية . وبذا تكون حكومة المحافظين البريطانية قد كسرت قرار حظر ارسال الاسلحة لمنطقة الشرق الاوسط والذي كان قد اتخذته حكومة العمال قبل حوالي اربعة اعوام . وقد رفض متحدث باسم الخارجية البريطانية وآخر باسم السفارة البريطانية في القاهرة والمسئولون الاسرائيليون نفى أو تأكيد الخبر . وبعد يومين أعلن أن الغواصتين ستزودان بمعدات الكترونية متطورة ، تحول دون الكشف عنهما ، وتساعد على قيامهما بعمليات الاستطلاع بعيدة المدى ، وان ثمن الغواصتين ١٢ مليون جنيه استرليني بالإضافة الى مليوني جنيه ثمن الشبكة الالكترونية ، وان اسرائيل ستتسلم الغواصتين في بداية العام القادم .

وفي ١١ مارس أعلن عبد الخالق حسونة ، أمين عام الجامعة العربية ، أن الصفقة تضم ثلاث غواصات وليس غواصتين . وفي نفس اليوم قدم كمال رفعت : سفير مصر في بريطانيا ، احتجاجا الى الخارجية البريطانية باسم كل السفراء العرب بشأن هذه الصفقة . وفي اليوم التالي أعلن عبد القادر حاتم ، وزير الثقافة والاعلام المصري ، أن الصفقة ستزيد التوتر في الشرق الاوسط . ويؤكد بعض المراقبين الغربيين أن الحكومة البريطانية ترى « من الضروري عدم استثناء شركات الاسلحة البريطانية في سوق مهمة » !

أما الحدث الدولي الثاني في مجال الصراع العربي الاسرائيلي ، فكان القرار الذي اتخذته اللجنة السياسية للجامعة العربية ، في الحادي عشر من مارس الماضي ، والقاضي بأن تتخذ الدول العربية ، التي سبق وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية « ما تراه مناسبا بشأن إعادة هذه العلاقات » . وقد وافق على هذا القرار كل مندوبي الدول العربية ، مع تحفظ مندوبي سوريا والعراق واليمن الديمقراطية . أما الدول التي لم

تجدد علاقاتها الدبلوماسية بعد ألمانيا فهي السعودية ومصر ولبنان والعراق وسوريا . أما الكويت فلم يكن بينها وبين ألمانيا الغربية علاقات دبلوماسية ، كما لم تكن اليمن الديمقراطية قد حصلت على استقلالها بعد حين قررت الدول العربية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية ، عام ١٩٦٥ ، بعد تبادل الاخيرة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل .

وبعد ...

فان جملة هذه الاحداث والتطورات تشكل تحديات جديدة ، تضاف للتحديات القديمة ، تواجه المجلس الوطني الفلسطيني ، والمؤتمر الشعبي الفلسطيني المزمع عقدهما ، في القاهرة ، في السادس من ابريل الحالي .



■ الاردن

الملك حسين يعرب مشـروع آلـون

في عددها الصادر يوم ٧ مارس الماضي ، أزاحت جريدة هآرتس اليومية الاسرائيلية الستار عن اجتماعات خمسة كانت قد عقدت منذ عام ١٩٦٩ بين الملك حسين والمسئولين الاسرائيليين ، وقامت وكالة المخابرات المركزية الامريكية بتدبير بعضها . وقالت الصحيفة الاسرائيلية أنه في هذه الاجتماعات تقرر اقامة ٢٧ مستعمرة شبه عسكرية لاسرائيل على الارض العربية على طول نهر الاردن ، مقابل إعادة الضفة الغربية للملك حسين ، وابقاء القدس موحدة مع رفع العلم الاردني على المقابر وأماكن العبادة فيها !

وفي منتصف الشهر الماضي ، أعلن الملك حسين عن مشروعه الرامي الى أن تحل « المملكة العربية المتحدة » محل « المملكة الاردنية الهاشمية » ، من اقليمى شرقى الاردن والضفة الغربية ، على أن يتولى الملك حسين حكم الاقليمين ، مع اعطاء الفلسطينيين حكما ذاتيا في الضفة الغربية ، وابقاء الباب مفتوحا أمام أى جزء من فلسطين للانضمام الى المملكة الجديدة ، والمقصود هنا هو قطاع غزة . حيث تتوقع صحيفة جويش كرونيكل الصهيونية البريطانية ، في عددها الصادر في ١٧ - ٣ « أن تصبح الحكومة المحلية للضفة الغربية محورا لامانى الفلسطينيين في قطاع غزة المنعزل حتى الان » بعد « مناقشة مصير غزة في مفاوضات السلام » .

— تقارير الشهر —

أنه « ربما يكون هناك إجماع في إسرائيل حول هذا المشروع ، خاصة في الدوائر العليا ، » وإذا أصبح هذا المشروع جزءاً من سياسة إسرائيل العملية ، فسوف يكون هوشى ديان واحداً من أشد معارضيهِ ، في الوقت الذي يبدو فيه إيجال آلون من أشد مؤيديهِ . وتضيف الصحيفة اللندنية « أن مشروع الملك لم يكن أكثر من بالون للدعاية » وأنه لم يشر إلى « حقيقة أن هذا المشروع لا يمكن تحقيقه دون موافقة إسرائيل » . وتشير جويش كرونكيل إلى أنه « قد يكون من الممكن التوفيق بين احتياجات إسرائيل وأفكار الملك حسين » ووصفت مقترحات الملك بأنها « تشكل مقدمة شجاعة للحوار مع إسرائيل » . وأن الملك قد « قلل من أهمية القدس في تفكيره الجريء » !!

أما الولايات المتحدة ، فقد بدأت جميع محطات الاذاعة والتلفزيون فيها ، نشراتها الاخبارية ، عشية نشر الملك لمشروعه ، بإعلان « اتمام اتفاق سرى شامل بين إسرائيل والمملكة الهاشمية » . إلا أن عبد الحميد شرف ، ممثل الاردن الجديد في الأمم المتحدة ، سارع إلى تأكيد أنه « ليس هناك أي أساس للاتفاق خارج قرار مجلس الأمن » !! وتؤكد لوموند ، في افتتاحيتها الصادرة غداة اعلان المشروع الهاشمي ، أنه « من الصعب بالنسبة لواشنطن أن ترفض مشروع الملك حسين كلية » . فبهذه الطريقة سيتمكن الملك من القضاء على نفوذ منظمات المقاومة !

أما الدوافع التي تقبع وراء تقديم الملك حسين لمشروعه ، فترى صحف الغرب أنها تنحصر فيما يلي :

● يحاول الملك بمشروعه اقناع أهالي الضفة الغربية بعدم تخليه عنهم * والتأثير لصالحه على سير انتخابات البلدية التي تجريها السلطات الاسرائيلية يومى ٢٨ مارس و ٢ مايو القادم في عشر مدن في الضفة الغربية ، وتعزيز فرص المرشحين الموالين له ، بعد عجزه عن وقف الانتخابات ، وهي الانتخابات التي تهدف إسرائيل من ورائها إلى خلق « قيادة » فلسطينية توافق على تقديم تنازلات للمحتلين الاسرائيليين . وتدلبل جويش أوبزيرفر على دافع الملك حسين بهذا بالتوقيت الذي اختاره الملك لطرح مشروعه ، أن جاء خطابه قبل ساعات فقط من اقفال باب الترشيح لهذه الانتخابات .

● جذب الفلسطينيين - وأبعادهم تماماً عن المقاومة .

وقد تفجرت المظاهرات في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان والضفة الغربية وقطاع غزة ، منددة بمشروع الملك . ووصف أنور الخطيب ، أمين القدس السابق والمقيم حالياً في عمان ، بأن مشروع الملك يذكره بمؤتمر لزعماء المهنود الحمر يناقشون فيه أيهم يجب أن يستعيد نيويورك من البيض ! وأصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بياناً رفضت فيه المشروع ، ووصفت المملكة الجديدة بأنها « كيان هزيل ساوم حسين إسرائيل ليكون شريكاً فيه » وأن كانت قد نهبت إلى « أن المخططين الامبرياليين كثيراً ما يتقدمون بمشروعات بالونية تستهدف دراسة نفسيات الشعب الفلسطيني وقماداته ، بينما يكونون غير جادين فيما يقدمون » . وطالب بيان منظمة التحرير بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وأنه « في توفر أجواء الارهاب والظلم والتعسف في الضفتين الشرقية والغربية » لا يكون هناك من رأى في تقرير المصير إلا رأى حركة المقاومة . واتهمت المنظمة في بيانها الملك الهاشمي بأنه « يلعب في المنطقة العربية دور الوسيط لفك عزلة إسرائيل » . وأكدت اللجنة « أن التناقض القائم في الاردن ليس بين أردنى وفلسطينى ، وإنما هو قائم بين النظام العميل المتواطىء والشعب المناضل » .

وبعد بيان اللجنة التنفيذية بيومين ، أصدرت فتح بياناً أعلنت فيه أن الإطاحة بالنظام الهاشمي هو هدفها المرحلى . كما قرر المجلس الثورى لحركة فتح تكليف اللجنة المركزية للحركة بتوجيه الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربى ، وقد جاءت ردود الفعل الفلسطينية هذه معاكسة لما توقعته جريدة لوموند الفرنسية ، في اليوم التالي لصدور المشروع ، من أن الفلسطينيين سيحتفون « مشروع حسين أقل ضرراً من واقعهم وعلى أنه هدنة أو مرحلة نحو عودة الامون إلى مجراها الطبيعي بحسبة نهائية » .

وفي إسرائيل سارعت جولدا مائير إلى التظاهر بمعارضة المشروع الهاشمي ، بدعوى عدم تضمينه « السلام » ! وترجع جويش كرونكيل وجويش أوبزيرفر ولوسوار البلجيكية (اعداد ١٧ - ٢) اهتمام رئيسة وزراء إسرائيل برفض المشروع ، إلى خوفها من انفجار الائتلاف الوزارى الاسرائيلى ، حيث يرفض الحزب الوطنى الدينى ، المساهم فى الوزارة الاسرائيلية ، التنازل عن (الاراضى التاريخية) لإسرائيل . أما السبب الثانى فهو علم مائير بأن موافقتها ستضعف موقف الملك بين العرب . وأكدت لوسوار أن « معارضة إسرائيل للمشروع لا تستبعد معها تعدد الاتصالات بين الحكومتين » . فى حين ترى جويش أوبزيرفر

- خشية الملك من أن يشكل الفلسطينيون خطراً عليه ، بعد أن يستعيدوا قوتهم مستقبلاً .
- كسر طوق العزلة المفروض حول الملك من بعض الانظمة العربية .
- التلويح للدول العربية المعارضة للملك بأن الاردن لديه أوراق رابحة .
- محاولة وراثة زعامة العالم العربي .

وترجع صحيفة لوسوار البلجيكية (١٧ - ٣) اهتمام الملك بالضفة الغربية ، الا أنها « لا تقدم للضفة الشرقية مواردها الزراعية فحسب ، بل تمددها بالمواد اللازمة لصناعاتها الصغيرة » كما تشير الصحيفة الى أن الفلسطينيين قد أضفوا على المملكة نوعاً من الديناميكية الجديدة ، بعد انضمامهم اليها . وتري جورنال دي جنيف ، في عددهما الصادر في ١٦ - ٣ « أن الطابع الغامض وغير الفعال لمقترحات الملك حسين يدل على أن الموضوع هو مجرد حركة جس نبض الفلسطينيين والاسرائيليين والمصريين والدول الكبرى » . أما تريبيون دي جنيف ، الصادرة في نفس اليوم ، فتشير الى أن الملك « يعقد آمالاً على مشروع ليس في إمكانه أن يحوله الى واقع » . وأنه « اذا سنحت الفرصة لاستعادة الضفة الغربية المحتلة من اسرائيل ، فإن عمان ستكون في وضع سياسي أفضل من مواجهة الفلسطينيين » . أما اذا تطور الامر على عكس ذلك وبشكل يترقب ضم الضفة الغربية نهائياً الى اسرائيل ، فإن الملك حسين سيكون قد أنقذ أهم شيء في نظره ، وهي مملكة شرق الاردن » .

■ لبنان

معركة الحريات في لبنان

ما زالت المعركة الداخلية في لبنان محتدمة حول مشروع القانون الخاص بتنظيم الجمعيات والاحزاب السياسية الذي يهدف الى تقييد حرية العمل السياسي لمعظم فئات المواطنين وهي تشد اليها اهتمام المراقبين والرأي العام العربي ، نظراً لارتباط هذه المعركة بالصراع الذي يدور في منطقة الشرق الاوسط ، بين قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية وبين حركة التحرر الوطني العربية بفصائلها المختلفة .

ان الظروف التي ارتبطت بظهور هذا المشروع

توضح الى حد بعيد الهدف من إصداره في الوقت الحالي . ذلك أن الهجوم الاسرائيلي على جنوب لبنان في أواخر شهر فبراير الماضي ، والذي ذهب ضحيته عشرات من المواطنين والفدائيين ورجال الجيش اللبناني ، قد أثار من جديد حملة انتقادات واسعة من جانب الجماهير والاحزاب الوطنية والتقدمية والمنظمات الشعبية على موقف الدولة السلبى تجاه الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ، وكانت أن تجددت معه المطالب الشعبية القديمة بشأن تسليح جنوب لبنان ، وتطبيق قانون التجنيد الاجبارى - الذى يعد مطلب رئيس للشباب - وضرورة الاعتماد على الاتحاد السوفيتى في تسليح الجيش اللبناني ، وفتح معسكرات التدريب للشباب ، وعلى حد تعبير صحيفة « المحرر » اللبنانية : « ان سياسة لبنان الذين شرعوا لحماية مصالحهم وأشخاصهم ما زالوا حتى يومنا هذا يرفضون تعزيز قدرة البلد ككل لحماية لبنان وأرض لبنان » . وقد أعلنت جميع الاحزاب الوطنية والتقدمية عن تأييدها للمقاومة الفلسطينية ، « وتحذير السلطات من التعرض للفدائيين تجنباً لحدوث مشاكل في لبنان لا يعرف أحد نتائجها » ، والتمسك باتفاقية القاهرة في نوفمبر عام ١٩٦٩ ، والتي تنظم العلاقة بين لبنان والمقاومة نصاً وتطبيقاً .

وقد فوجئت الاوساط السياسية في لبنان عقب الهجوم الاسرائيلي ، بمجلس الوزراء يصدر قراراً بمشروع القانون الجديد بتنظيم الجمعيات والاحزاب السياسية ، واحالته بصفة مستعجلة الى مجلس النواب ، كما بدا من التصريحات الرسمية أن النية تتجه الى اصدار المشروع بمرسوم جمهورى قبل مناقشته داخل مجلس مما يعد خرقاً صريحاً لمبادئ الدستور .

ويتضمن مشروع القانون ما يلى :

- يحظر الانتساب الى الاحزاب على الموظفين والمستخدمين والمتعاقدين فى الادارات العمامة والمصالح المستقلة وسائر المؤسسات العمامة الرسمية والبلديات والشركات والمؤسسات التى تتولى مرفقاً عاماً .

- يحظر على الطلاب القيام بأى نشاط سياسى فى مؤسسات التعليم .

- يمنع تأسيس أى حزب سياسى يثبت أنه مرتبط أو على اتصال بحزب غير لبنانى .

- يمنع أعضاء مجالس ادارة الشركات أو مديريها أو رؤسائها من رئاسة الاحزاب .

- يحظر على التلاميذ والطلاب القيام بأى نشاط سياسى .

تقارير الشهر

قضية بسيطة • الفريقان مقتنعان بأن المعركة ستقع بينهما ، ولكن الشيوعيين واليساريين يحاولون تأخيرها بانتظار الوقت الملائم ، والدولة تستعجلها •

وشنت القوى الوطنية والتقدمية حملة عنيفة ضد المشروع ولكشف وفضح النظام اللبناني « الذي يقوم على أساس الاقتصاد الحر ، وسيطرة البنوك والشركات الامريكية على الاقتصاد اللبناني ، بالتعاون مع البورجوازية التجارية الكومبرادورية من كبار المستوردين وكلاء الشركات الاستعمارية ورجال البنوك اللبنانيين • الامر الذي جعل من لبنان سوقا لتصريف البضائع الاجنبية التي يستوردها كبار التجار بما قيمته ملياري ليرة في السنة ، ويعيدون تسعيرها ويجنون من ورائها الارباح الفاحشة على حساب صغار التجار والمستهلكين ، مما يعوق تصنيع البلاد واستيعاب الالف من الايدي العاملة العاطلة ، ويدفع بالشباب وأصحاب الكفاءات العلمية الى الهجرة الى الخارج •

كما نظمت الاحزاب اليسارية والمنظمات العمالية والطلابية مظاهرات ومسيرات كبرى في بيروت وغيرها من المدن اللبنانية للاحتجاج على المشروع ، وعقدت الاجتماعات الجماهيرية في المدن والقرى للتقديد به وشرح الهدف من اصداره في هذه الظروف الدقيقة التي يجتازها لبنان ، وطالبت بسحب المشروع •

واصدر ممثلو ٢٧ حزبا وهيئة ومنظمة وطنية بياناً نددوا فيه بالمشروع ووصفوه « بأنه معاد للديمقراطية وأشد تخلفاً من القانون العثماني ، ويشكل تحدياً لتطلعات الشعب اللبناني ، ومحاولة العودة بلبنان الى أسوأ عهود الكبت ، ويتعارض مع حقوق الانسان العالمية والمعاهدات الدولية للحقوق المدنية والسياسية ومحاولة لكم أي صوت معارض وللتصدي لأي نشاط سياسي أو فكري أو اجتماعي ، ويهدد باقامة نظام بوليسي أو دكتاتورية مدنية لن يرضيها شعبنا الذي يطمح الى اقامة حياة سياسية ديمقراطية تستند الى احترام كرامة المواطن وحقوقه •

وأعلن نقولا شاوي الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني : « ان انطلاق الحركة العمالية والشعبية دفاعاً عن مصالحها وانطلاق الجماهير اللبنانية بالتلاحم مع الاخوة الفلسطينيين وقضيتهم العادلة دفاعاً عن سلامة الارض اللبنانية في وجه الاطماع الصهيونية وقضائنا مع الاشقاء العرب ، اثار ردود الفعل المثثثة لدى القوى الرجعية الداخلية ولدى الامبرياليين وعملائهم ، لان نضال

يعتبر حزبا سياسيا كل جمعية ذات هدف سياسي •

يعاقب بالسجن والغرامة كل من يخالف احكام هذا القانون ، وخاصة كل من يعمل على الابقاء على جمعية تقرر حلها أو قدم لها مساعدة للاستمرار بعملها أو عقد اجتماعاتها ، أو من يجعل محله مكانا لعقد اجتماعات لاعضاء جمعية منحلة •

تمنح الجمعيات القائمة بتاريخ نشر هذا القانون مهلة ستة أشهر ، والاحزاب السياسية مهلة ثلاثة أشهر ، لتسوية اوضاعها وفقا لاحكامه والا اعتبرت منحلة حكما • ويعلن عن الحل بمرسوم بناء على اقتراح وزير الداخلية •

يلغى المشروع جميع الاحكام المخالفة لاحكام هذا القانون •

ويهدف هذا المشروع في الاساس الى قطع الطريق على الاحزاب اليسارية في الانتخابات العامة في لبنان والحد لها يوم ١٦ ابريل الحالي ، والمقصود بذلك هم الشيوعيون ، والناصريون ، والبعثيون ، والقوميون ، والتقدميون الاشتراكيون ، وغيرهم من القوى السياسية •

والجدير بالذكر أن قرار الترخيص للاحزاب اليسارية ومن بينها الحزب الشيوعي اللبناني ، كان قد أصدره كمال جنبلاط وزير الداخلية في نهاية عهد الرئيس السابق شاول حلو ، وقد اثار القرار في ذلك الوقت ثائرة الاحزاب اليمينية التي كانت تحتكر العمل السياسي العلني في الساحة اللبنانية ، كما تعرض هذا القرار لانتقاد السفارة الامريكية في بيروت وهجوم الصحافة الامريكية في ذلك الوقت •

والمعروف أن هناك لجنة وزارية كانت قد تشكلت في عهد الرئيس الحالي سليمان فرنجية لاعادة النظر في قرار الترخيص للحزب الشيوعي والاحزاب اليسارية الاخرى ويبدو أنه كان ينتظر الفرصة المناسبة لاجراجه الى حين الوجود • وتردد أن المشروع قد تم اعداده في القصر الجمهوري ، كما يستدل على ذلك من انتقادات الرئيس سليمان فرنجية للقوى الوطنية والتقدمية التي تهاجم المشروع • ونذكر مجلة « الحوادث » اللبنانية (١٠ - ٣ - ١٩٧٢) في مجال الحديث عن المشروع : « بأنه يوضح موقف الدولة من الشيوعيين واليساريين والحقده العميق الذي تكنه الدولة للهؤلاء ، وإلى حساسية الدولة ضد الشيوعيين واليساريين ورفضها الاعتراف بوجودهم • والشيوعيون واليساريون يعرفون هذا الواقع • والقضية المعلقة بينهم وبين الدولة هي

الانتخابات القادمة ، يعتبر أن موضوع التدخل والانحياز قائم فعلا ، ومما دفع بوزير التخطيط في الوزارة التي يرأسها صائب سلام الى الاستقالة احتجاجا على هجوم رئيس الوزراء على كمال جنبلاط .

وقد أعلن كمال جنبلاط زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي بهذه المناسبة : « أننا مستعدون بكل احتمال ، ولن نسمح بأن تعود البلاد الى الوراثة ، واننا لن نسمح بأن تقرر السفارة الاميركية واتباعها ما يجب علينا أن نفعله وما لا نفعله في هذا البلد » .

يصحب هذه الحملة اجراءات الاعتقال والمطاردة للشباب الوطني التقدمي في جنوب لبنان ، واعتقال أحد النواب المرشحين من الشباب ، وقيام الاضرابات والمظاهرات الشعبية في الجنوب استنكارا لهذه الاعمال من جانب السلطة ، والمطالبة بالكف عن هذه الاعمال التعسفية ضد الشباب الوطني التقدمي .

كما اخذت هذه القوى التي تعمل على تصعيد الازمة تمارس ارهابها ضد الصحافة . وقد اتخذ مجلس نقابة الصحافة قرارا تضمن « تأكيد موقف الصحافة بالدفاع عن حرياتها ، والوقوف صفا واحدا في وجه كل محاولة ارهابية قد تتعرض لها الصحف ، كرد على موقف أو آراء سياسية لها ، والتحذير من نتائج هذه المحاولات الارهابية ، وان الصحافة متضامنة في الدفاع عن حريتها وكرامتها ومجاهدة أي ارهاب من أي جهة أتى » .



■ ليبيا :

تطور أيجابي في السياسة الخارجية

يرى عديد من المراقبين ان الزيارة التي قام بها الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة الليبية للاتحاد السوفيتي في أواخر فبراير وأوائل مارس الماضيين ، تعد من أبرز التطورات الايجابية في السياسة الخارجية للجمهورية العربية الليبية في الفترة الماضية . ذلك « أن توثيق العلاقات في المجالات المتعددة مع الاتحاد السوفيتي يتفق — حسبما أوضح الرائد جلود نفسه في حديثه لصحيفة أوفستيا السوفيتية في ١٥ مارس الماضي — مع مصالح جميع القوى الثورية في الشرق الاوسط » .

القوى الشعبية بقيادة القوى التقدمية والوطنية يقطع الطريق لاتخاذ لبنان نقطة ضعف لخرق الجبهة العربية » .

ووصف الحزب التقدمي الاشتراكي ما جاء في المشروع بشأن منع النشاط السياسي في مؤسسات التعليم ، ومنع تأسيس أي حزب سياسي يثبت أن له ارتباطا بحزب غير لبناني : « بأن منع التلاميذ والطلاب من النشاط السياسي في مؤسسات التعليم المهدف منه الحد من النشاط الطلابي وقمع كل تحرك محق أو مطلب مشروع ، وإن المطلوب هو توفير توعية سليمة للطلاب تمهيدا لتأهيله التحقيق واجبات المواطنة الصالحة » . وإن منع تأسيس أي حزب سياسي يثبت أن له ارتباطا أو على اتصال بحزب غير لبناني بدون تحديد أبعاد هذا الاتصال ، يخفي وراءه نية خطيرة تكمن في ضرب الحريات الديمقراطية ، والحد من انتشار الاحزاب التقدمية في عصر هو عصر تلاق بين نضالات الشعوب والاحزاب والتكتلات الاجتماعية وشمولية الاعلام والفكر وانتشاره ، وإن التطور الحتمي لسنن التاريخ يثبت أن أي نظام لا يعترف بإمكانية تطوره وانتقاده يحمل حتما في طياته بذور هدمه وانهيائه » .

كذلك أعلنت الاتحادات الطلابية الجامعية والثانوية في البيانات العديدة التي صدرت بهذه المناسبة عن اصرار الحركة الطلابية على تمسكها بحقها في المساهمة في القضايا المصيرية القومية ، والتمسك بتنظيماتها التي أوجدتها بجهدا ونضالها . ودعا رئيس الاتحاد الوطني لطلاب الجامعة اللبنانية جماهير الطلاب الى : تعزيز الجامعة الوطنية ، وصد المؤامرات عنها ورفض تحويلها الى مؤسسة خاضعة للنظام اللبناني ومتطلبات السوق ، والكفاح من أجل جامعة وطنية حقيقية ومعصمة للثقافة الوطنية .

ويبدو من اتجاه الاحداث في الوقت الحالي ، أن الامور آخذة في التعقيد بين القوى الوطنية والتقدمية وبين السلطة مع اقتراب موعد الانتخابات ، وأن هناك اتجاه داخل السلطة يعمل على تصعيد الازمة : ويستدل على ذلك من انفجار الموقف بين صائب سلام رئيس الوزراء وبين الاحزاب الوطنية والتقدمية ، يكشف عنه الهجوم المستمر من جانب رئيس الحكومة على كمال جنبلاط ، مما يدعم شكوك الاحزاب الوطنية والتقدمية المعارضة والجماهير المؤيدة لها في نزاهة وحياد الحكومة في الاشراف على عملية الانتخابات القادمة ، والتي تعتبر أن ما يصدر عن لسان رئيس الوزراء وهو وزير الداخلية في نفس الوقت ، ومرشح مع غيره من أعضاء الوزارة في

— تقارير الشهر —

تأييده للموقف الحاسم الذي تتخذه الحكومة الليبية بالنسبة للشركات البترولية الاحتكارية، وقبول بريجنيف وكوسيجين وبودجورني دعوة الحكومة الليبية للقيام بزيارة رسمية لليبيا في موعد يحدد فيما بعد .

وجاء في البيان المشترك السوفيتي الليبي كذلك أن المحادثات دارت في جو من الصراحة والتفاهم المتبادل « وتناولت المسائل المتعلقة بتنمية العلاقات الثنائية بين البلدين والمسائل الدولية ذات الأهمية المشتركة » وندد الطرفان فيه بشدة « بالعدوان الأمريكي على فيتنام ولاوس وكمبوديا باستئناف الغارات الجوية على جمهورية فيتنام الديمقراطية » . و « أعلن تصميمهما على مواصلة مساندة الكفاح البطولي لشعوب الهند الصينية » .

وليس ثمة شك في نظر عديد من المراقبين أن التقارب السوفيتي - الليبي فضلا عن أنه يعزز قدرات ليبيا على استثمار مواردها البترولية وعلى مواصلة موقفها الحاسم من شركات البترول الاحتكارية الدولية يساعد على مزيد من الاتساق والوحدة في الموقف العربي العام ، وبخاصة لاتحاد الجمهوريات العربية في مجال التنسيق مع القوى الحليفة للعالم العربي في معركته الراهنة ضد الصهيونية الاسرائيلية والامبريالية الأمريكية .

□

■ عدن :

المؤتمر الخامس للجبهة القومية

خلال الفترة من ٢ - ٦ مارس ١٩٧٢ انعقد في عدن المؤتمر الخامس للجبهة القومية ، وهو أول مؤتمر ينعقد على هذا المستوى منذ تسلم الجناح اليساري في الجبهة السلطة على اثر الحركة التصحيحية الناجحة التي اسقط بها المجموعة اليمينية في ٢٢ يوتية ١٩٦٩ ، وأجرى على اثرها سلسلة من التحويلات الاجتماعية الراديكالية ، والاجراءات الاصلاحية الجذرية التي احدثت تغييرات هيكلية في البنية الاجتماعية ، دفعت بالمجتمع خطوات حاسمة في اتجاه ترسيخ قواعد دولة الديمقراطية الوطنية ، ووضعته في موقع بارز من الجبهة الثورية العربية المتصدية للاستعمار والصهيونية والرجعية .

كما جاء انعقاد هذا المؤتمر بعد انتصارات

وليس ثمة شك في أن تأكيد الرائد جلود في حديثه المذكور على حقيقة « أن الاتحاد السوفيتي يبذل جهودا ضخمة من أجل فصرة قضية العرب المعادلة ومن أجل رفع مستوى الطاقة العسكرية والاقتصادية للعرب في سبيل تصفية آثار العدوان الاسرائيلي » إنما يعكس مزيدا من التفهم الايجابي من جانب الثورة الليبية وقيادتها لحقيقة الدور الذي يقوم به الاتحاد السوفيتي في مناصرة حركة التحرر والتقدم العربي . ويرى عديد من المراقبين أن هذا التفهم سيساعد دون شك على تعميق وترثيق عرى الصداقة العربية السوفيتية ، وعلى ازالة العديد من العقبات والعوائق التي تحول دون تقدم هذه العلاقات على نطاق عربي شامل .

وقد اشترك مع الرائد جلود أيضا في محادثاته مع الزعماء السوفيت الرائد مصطفى الخروبي عضو مجلس قيادة الثورة الليبي ومساعد رئيس أركان حرب القوات الليبية المسلحة وصاحب الوفد أيضا السيد أشرف مروان سكرتير الرئيس السادات لشتون المعلومات . وجدير بالذكر أن محادثات الرائد عبد السلام جلود في موسكو قد تركزت بصفة خاصة على الموقف في الشرق الاوسط حيث ندد الجانبان في البيان المشترك الذي صدر عقب المحادثات « بسياسة اسرائيل المتوسعية » وأكدوا « ضرورة الجلاء التام عن كل الاراضي العربية » وأدانا « مساعدة الامبريالية الامريكية لاسرائيل عسكريا واقتصاديا وسياسيا » .

وأعرب الجانبان السوفيتي والليبي في بيانهما كذلك عن مساندتهما لكفاح الشعب العربي الفلسطيني من أجل استعادة حقوقه الشرعية ، وابرزا « الأهمية الكبرى للصداقة بين الاتحاد السوفيتي والقوى التقدمية العربية » . وفيما يتعلق « بمشكلة الامن في البحر المتوسط » طالب الجانبان « بتصفية كافة القواعد الامبريالية في هذه المنطقة وأشارا « الى أن مرحلة جديدة قد بدأت في العلاقات السوفيتية الليبية بعد الثورة الليبية في سبتمبر ١٩٦٩ » .

وقد وقع الجانبان اتفاقا للتعاون الاقتصادي والفني بين ليبيا والاتحاد السوفيتي ، وصفه المراقبون في موسكو بأنه من « أهم الاتفاقات التي عقدتها ليبيا مع دولة اشتراكية » . وذكرت وكالة قاس أن الاتفاق يقضى بتعاون البلدين في التنقيب عن البترول واستخراجه وتكريره وتوليد الكهرباء ، والتنقيب عن الثروات المعدنية والغاز في ليبيا علاوة على تدريب الكوادر الوطنية الليبية . كذلك فقد أعلن الجانب السوفيتي عن

وقد خيب المؤتمر الامل الاستعمارية والرجعية الخبيثة التي انعقدت - ولاسيما بعد فشل كل خطط وأعمال العدوان والتدخل الخارجي - على احتمال ان تؤدي الاجتهادات الفكرية المتعددة داخل الجبهة القومية الى انقسام يشقها من النصف - كذلك الانقسام الذي حدث لمؤتمر زنجبار في مارس ١٩٦٨ بين تيار يميني أراد الاستعمار الجديد التفاد من خلاله لوسط سيطرته على البلاد ، وتيار يساري ، هو الذي تغلب في آخر الامر ، وهو نفسه الذي أثبت في المؤتمر الخامس مدى تماسكه ، وصلابته ، ونضوج وعيه ، وقدرته على تحويل التنوع الفكري الى خيوط ذهبية في نسيج الاتجاه الثوري الموحد الغايات *

والى جانب الموافقة على التقرير السياسي أعاد المؤتمر - الذي بلغ عدد مندوبيه ٧١ من ممثلي الشعب والروابط والجيش والشرطة ، وجهاز أمن الثورة - النظر في بعض أوضاعه التنظيمية ، ونظامه الداخلي وخطه الفكري ، حيث انتخب لجنة مركزية من ٣١ عضوا (بدلا من القيادة العامة) مع مرشحين (احتياطيين) عددهم ١٤ عضوا ، وحيث قامت اللجنة المركزية بدورها بانتخاب مكتب سياسي من ٧ أعضاء (بدلا من اللجنة التنفيذية) وأمين عام - عبد الفتاح اسماعيل - وأمين عام مساعد - سالحريبيع علي - من بين أعضاء المكتب السياسي ، ولجنة رقابة ،

متلاحفة حنفها ثورة ١٤ أكتوبر ضد قوى المرتزقة في البلق ، ونفاق ، وقموض ، وعرمة ، وثرمد ، ومحيراس ، كان آخرها ذلك الانتصار الحاسم الذي سجلته عشية انعقاد المؤتمر - وبالذات في ٢١ - ٢ - ١٩٧٢ - على تلك الحملة الضارية المكونة من ألفى مرتزق ، التي دفع بها الاستعمار والرجعية العربية واليمينية ضد المحافظة الرابعة « بيحان » بقيادة أبرز وأخطر رأس مرتزق اصطدم به الجيش المصري فور وصوله اليمن عام ١٩٦٢ لنجدة الثورة اليمنية ، وعرفه الشعب اليمني منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر - وهو الشيخ الاقطاعي الكبير علي بن ناجي الذي كان من ضحاياها في صروح والعرقوب الضابطان المصريان المقدامان جميل الوقاد ، وعبد المنعم سند ، كما كان من ضحاياها أحد المع واشجع وأبرز قادة الثورة - علي عبد الغني - وكان علي بن ناجي من أوائل من اعتمدت عليهم الرجعية العربية والاستعمار في قيادة الثورة المضادة ، نظرا لعمالته الممتدة حتى الخمسينيات ، والذي كان من أبرز القسوى الاحتياطية التي ادخلتها الدوائر الاجنبية لتحيكها واستخدامها في اللحظات الحرجة ، حيث وقع هذا العميل المرتزق الخطير هذه المرة مع مشايخ اقطاعيين آخرين أمثال : الهيال ، وحننش والزائد ، والقاضي ، وحوالي ٦٥ مرتزقا في شر أعمالهم ، ولقوا حتفهم ، ونهبت سياراتهم وأسلحتهم الامريكية ، كما عثر على وثائق خطيرة في حوزتهم *

تعليق

نحو معالجة ثورية لقضايا التعليم

كبيرة من أبنائه عن الحصول عليه لعدم اتساع المدارس الابتدائية لقبولهم . ولكننا نقع في خطأ كبير اذا بدانا محاولات حل مشاكل التعليم الابتدائي بنقل بعض نظار المدارس الابتدائية ومدرسيها لانهم لا يؤدون واجباتهم ، لان نقل المعلمين لا يجب ان يكون عقوبة لهم لانهم سيذهبون الى مدارس أخرى بها تلاميذ آخرين نحرص على مستواهم التعليمي حرصا لا يقل عن حرصنا على الاولين ، كما ان هذه الحملة قد تعطي انطباعا للبعض ان سبب تدهور مستوى التعليم الابتدائي هو اهمال بعض المعلمين والنظار ، وهذا الانطباع يساعد على اخفاء المشاكل والاسباب الحقيقية التي أدت ولا زالت تؤدي الى هبوط مستوى التعليم الابتدائي . فاذا كان الفصل في المدرسة الابتدائية يكس فيه ثمانون تلميذا ، وكان التلميذ لا يبقى بالمدرسة سوى ثلث النهار او نصفه وبعثى في نفس الوقت من سوء التغذية خصوصا بعد ان حرمت وزارة التربية من التغذية المدرسية ، واذا كان التلميذ في الريف يعيش في قرية تظلمها الامية وفي منزل يستنشق فيه الجهل ، فاذا كان هذا وغيره يمارس اثره في التعليم الابتدائي فهل يحق لنا ان نغاجا بالهبوط الشديد

يحفل التعليم مكانة هامة من بين القضايا التي تواجهها جميع الدول التي تسعى من أجل التقدم باعتباره حجر الزاوية في عملية البناء الاقتصادي والاجتماعي ، ولذلك يعتبر التقدم الذي يحرزه التعليم في بلد ما أحد مقاييس التقدم في هذه البلد وقد احتلت قضية التعليم مكانة هامة في عمليات الصراع الاجتماعي سواء قبل الاحتلال أو أثناء السيطرة الاستعمارية أو بعد الاستقلال حيث كان الصراع حول قضايا التعليم يكاد يكون في بعض الفترات هو محور الصراع بين القوى الوطنية وبين الاستعمار . ومنذ قيام الثورة أخذت مشاكل التعليم تبرز للمقدمة في بداية كل عام دراسي وعند حدوث أي تغيير وزارى ، ونقدم وزارة التربية والتعليم لها بعض المسكنات والمهدئات ، وبعض الحلول الجزئية المؤقتة لتتوارى فترة ثم تعود مرة أخرى بصورة قد تكون أكثر حدة .

وفي هذه الايام تبرز مرة أخرى قضية التعليم الى المقدمة وتبدو حركة تهدف الى القيام بمحاولات لوضع حلول لمشاكله المختلفة ومن أجل تطويره . وقد اعطت المحاولة الجديدة أهمية كبيرة للتعليم الابتدائي باعتباره التعليم الذي يقتصر عليه تعليم الاغلبية الساحقة من أبناء الشعب وتميز نسبة

— تقارير الشهر —

ولكشفت المخططات الاستعمارية والرجعية التي ظهرت بواورها وتذرها قبل وبعد انعقاد المؤتمر ، والمستهدفة الاعتداء على الجمهورية الفتية ، والقضاء على ثورتها ، وبغية تعزيز التعاون الثورى مع هذه الدول فى اتجاه اقامة جبهة عربية تقدمية ، فى مواجهة الاستعمار والصهيونية والرجعية ، طاف - ابتداء من ٩ مارس ١٩٧٢ - عضو المكتب السياسى ووزير الداخلية محمد صالح مطيع بكل من سوريا والعراق ، والجزائر ، وليبيا ، ومصر ، حاملا رسائل خاصة الى رؤساء هذه الدول من رئيس مجلس الرئاسة - الامين العام المساعد للجبهة القومية - سالم ربيع على .



■ الاتحاد السوفيتى :

اعلان مسبق بالتزامات محددة

يعتقد المراقبون السياسيون ان الخطاب الذى القاه ليونيد بريجنيف السكترير العام للحزب الشيوعى السوفيتى ، فى افتتاح المؤتمر الخامس عشر لاتحاد نقابات العمال السوفيتية ، لم يكن

وسكرتارية للجنة المركزية ، ولجنة للحزب الطليعى .

كما اقر المؤتمر النظام الداخلى الجديد للجبهة القومية التى صعدت الى مستوياتها العليا عناصر جديدة ، وبرنسامج العمل الوطنى الذى اعتبر « برنامجا استراتيجيا للجبهة القومية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية » وجزءا أساسيا من استراتيجية الثورة اليمنية التى ينبغى أن يضطلع بوضعها الحزب الطليعى الاشتراكى اليمنى الذى تتجه النية منذ الان الى بناء لبناته الاولى . ولم يغفل المؤتمر عن توجيه نداء خاص بالقضية الفلسطينية ، وآخر خاص بشعوب الهند الصينية .

وبالوحدة التنظيمية والسياسية والنضالية التى أسفر عنها المؤتمر الذى حضره « ممثلون لقوى التحالف الوطنى الديمقراطية من منظمة السلفى للشبيبة ، والبعث العربى الاشتراكى ، وممثلون عن القوى الوطنية ، والديمقراطية ، وممثلون عن الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج ، والحركة الوطنية فى الجزيرة العربية تدخل الجبهة القومية مرحلة جديدة من الكفاح الثورى تقف على رأس مهامها مسألة بناء جبهة وطنية ديمقراطية وحزب طليعى اشتراكى على النطاق اليمنى كله .

ومن أجل اطلاق زعماء الدول العربية الوطنية على سياسة اليمن الديمقراطية فى ضوء الوثائق التاريخية التى أقرها مؤتمر الجبهة القومية ،

تقدم التعليم ، ولا زالت المواقف موجودة ويعانى منها نظام التعليم .

ان مشكلات التعليم المصرى ذات جذور اجتماعية وتاريخية عميقة لا يمكن اقتلاعها الا بثورة تعليمية تقيم نظام التعليم وسياسته على اسس جديدة ، ليصبح تعليما فى خدمة قوى الشعب العامل ، تعليما فى خدمة الريف من أجل تقرب الهوة بين المدينة والقرية حتى تصل القرية الى مستوى المدينة ، تعليما يتيح أعظم الفرص لآبناء العمال والفلاحين .

أما اذا اقتصر المحاولات على مجموعة من الاجراءات الجزئية أو الاصلاحات التى لا تمس جوهر النظام التعليمى ، فانها لن تقدم للتعليم الكثير وسوف تضاف الى المحاولات الكثيرة التى سبقتها تلك المحاولات التى لم تستطع أن تلحق نسبة الامية بعد عشرين عاما من الثورة من سبعين فى المائة من تعداد الشعب المصرى والتى لم تتمكن من زيادة نسبة الاستيعاب فى المدارس الابتدائية من خمس وسبعين فى المائة من الاطفال الذين بلغوا سن الاكراه بعد مرور ما يقرب من نصف قرن على صدور قانون التعليم الاكراهى .

ممدوح عبد الرحمن

فى مستوى هذا التعليم وتتعجب لانه يخرج لنا فى كل عام مئات الالوف من الاميين لينضموا الى جيش الامية . وهل تكون بداية العلاج هى نقل بعض المسالمين المقصرين فى التعليم الابتدائى .

كما أننا نقع فى خطأ لا يقل عن الاول اذا تصورنا أن ربط التعليم الثانوى بالتعليم الجامعى يتحقق اذا اخترنا رئيس لجنة امتحان شهادة الثانوية العامة من بين رجال الجامعات ، وأن ربط التعليم الفنى بالانتاج من الممكن أن يتم عندما يصبح رؤساء لجان امتحانات الشهادات الثانوية الفنية من بين رجال أجهزة الانتاج . فقد قامت وزارة التربية والتعليم بإنشاء مجالس استشارية مركزية لأنواع التعليم الفنى فى عام ١٩٥٦ وكان من بين أعضاء هذه المجالس عمداء الكليات ورجال من أجهزة الانتاج وبالرغم من ذلك لم يتحقق الربط المطلوب . كما أن الدولة فى العام الماضى قد دعت الى عقد مؤتمر « التعليم فى الدولة العصرية » وجندت له جميع الكفاءات الفنية والادارية والاقتصادية والتربوية ، وقد بذلت كثير من الجهود المخلصة من أجل ايجاد حلول للقضاء على معوقات

الغربية بسبب موقفها العدائي من معاهدة عدم الاعتداء التي وقعتها حكومة فيلي برانت مع الاتحاد السوفيتي . وقال بريجنيف انه اذا كان خصوم المعاهدة يريدون مناقشة تعديلها فيما يتعلق بحدود الدول مع أوروبا ، فانه « لا يوجد ولن يوجد احد يناقش هذا الامر » .

ووصف بريجنيف الموقف في الشرق الاوسط بأنه « يهدد بانفجار الحرب في المنطقة » وأوضح أن سبب هذه الخطورة هي « رفض اسرائيل التي تساعد وتقدمها الولايات المتحدة ، الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة » . وحذر من أن ذلك « لا يمكن أن يستمر الى ما لا نهاية » . إن السياسة الذين يتمتعون بعقول متزنة لا يمكن أن يأملوا أن ترضخ الدول العربية لاحتلال أراضيها » . وعن علاقات القوى في المنطقة أوضح بريجنيف « أن قوة الانظمة التقدمية والتعاون بين العرب والقوة الدفاعية للدول العربية » هي العوامل التي ستحدد في المدى البعيد اتجاهات القوى في الشرق الاوسط . وأشار في هذا الصدد الى « أن صداقة الاتحاد السوفيتي وتعاونيه مع الدول العربية التقدمية يزداد دائما قوة بساطراد » . وإن التعاون الاقتصادي والدفاعي أخذ في الاتساع ، والتفاعل السياسي يزداد عمقا » . وقد اهتمت الدوائر الوطنية والتقدمية العربية بتصريح بريجنيف « انه يمكن القول الان بكل تأكيد أن العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والاصدقاء العرب لم تكن من قبل أبدا بمثل ما هي عليه الان من العمق والشمول » . وربطت هذه الدوائر بين هذا التوضيح وبين توضيحات مماثلة للرئيس أنور السادات ، باعتبارها جميعا رد على « دعايات التخريب » التي تروج لها الدوائر الرجعية واليمينية للدس بين شعبي البلدين وتشويه مواقف ومساعدات الاتحاد السوفيتي للشعوب العربية وخاصة في مصر .

ومعروف أن بريجنيف قد أشار الى الاتفاقية الأمريكية اليونانية الخاصة بقاعدة بيريه ، والى « المحاولات الوقحة » للتدخل في شئون قبرص ، والى « الضغط السافر » الذي يمارسه حلف الاطلنطي ضد مالطة ، باعتبارها جميعا « مصدرا جديدا للتعقيدات » وإن الاتحاد السوفيتي يتابع مع أصدقائه « هذه المؤامرات بيقظة لكي نواجهها بالرد اللازم خاصة أنها تقع في منطقة تقع على أطراف الحدود الجنوبية للأسرة الاشتراكية » .

وتحدث بريجنيف عن زيارة نيكسون للصين ، على أساس « أن إعادة العلاقات بين البلدين الى

مجرد كلمة عادية لافتتاح مؤتمر كبير » . فقد تضمن الخطاب خطوطا عامة لموقف الاتحاد السوفيتي ازاء المشكلات الدولية المعاصرة . ومما يكسب هذا الخطاب أهمية خاصة في نظر المراقبين ، زمنه السياسي . حيث أنه أول خطاب للمستول الأول في الحزب السوفيتي بعد الزيارة التي قام بها الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون الى بكين ومحادثاته مع الرئيس الصيني ماوتسي تونج ورئيس الوزراء شيواين لاي . كما أنه يسبق الزيارة التي يزعم نيكسون القيام بها الى موسكو في مايو القادم .

ويصور بعض المراقبين ما جاء في خطاب بريجنيف بأنه اعلان مسبق برأي الاتحاد السوفيتي في القضايا التي سوف تطرح على مائدة المحادثات مع نيكسون ، يعنى بريجنيف بابلاغه مقدما . ويصوره بعض مراقبي « العالم الثالث » ، بأنه « اعلان التزام مسبق » من جانب الاتحاد السوفيتي ، يحدده أمام الرأي العام العالمي وبخاصة أمام دوائر العالم الثالث السياسية التي تترقب هذه الزيارة باهتمام بالغ . ويشير هؤلاء المراقبين - في هذا الصدد - الى قول بريجنيف بأن الاتحاد السوفيتي يرفض أي اتفاق مع أمريكا « على حساب دول أخرى أو حقوقها المشروعة أو مصالحها » .

وقد تناول بريجنيف في خطابه ٧ قضايا هامة ، احتلت فيه قضايا الأمن الاوربي والشرق الاوسط والعلاقات مع كل من الصين وأمريكا ، مكانا بارزا .

وبالنسبة الى الأمن الاوربي ، أكد بريجنيف على دعوة الاتحاد السوفيتي الى « عقد مؤتمر لكل الدول الاوربية » بهدف تحقيق فكرة التعاون بين الدول الاوربية « على أسس محددة تساعد على تسوية المشاكل الاوربية » . والجديد في هذا المجال أن بريجنيف قد حدد أنه « قد أصبح ضروريا الان مسألة موعد انعقاد هذا المؤتمر وتحديد خطوط عمله الرئيسية بشكل مشترك » . كما أن بريجنيف قد حدد بوضوح أنه « لا يمكن أن تعود الامور الى طبيعتها في أوروبا دون الاعتراف بألمانيا الديمقراطية كدولة اشتراكية ذات سيادة » . وقد استرعى انتباه المعلقين للشئون الاوربية التحذير الذي وجهه السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي الى المعارضة في ألمانيا

— تقارير الشهر —

الشعبية « كنتيجة » للنضال التحرري لشعب شرق البنغال . وقال ان تأييد بنجالاديش والتعاون معها « يصدر عن السياسة المبدئية للحزب الشيوعي والدولة السوفيتية » . وفي نفس الوقت اشار الى ان الاتحاد السوفيتي « يريد ان يحتفظ بعلاقات طيبة مع باكستان التي لا يفصل بينها وبينها أى منازعات أو تصادم فى المصالح » .

وفى مجال قضية نزع السلاح ، ذكر بريجنيف الخطوات التي قام بها الاتحاد السوفيتي باعتبارها « جزء هام من الخط السياسى السوفيتي السلمى المعادى للامبريالية فى العلاقات الدولية » .

ويعكف المسئولون الامريكيون على دراسة وتحليل خطاب بريجنيف الذى أعلن رأيه فى كل القضايا قبل زيارة نيكسون . ولعل ذلك ما يفسر — فى رأيهم — قول المتحدث بلسان الخارجية الامريكية « لقد قرأنا خطاب بريجنيف باهتمام كبير » . والجدير بالذكر هنا ان وليام روجرز وزير الخارجية الامريكية قد أوضح فى تصريح له ان واحدا من الاسباب التي قرر نيكسون من أجلها السفر الى موسكو ، هو « ان يحاول ان يوضح للسوفيت اننا لسنا لدينا نية خلق أية عداوات مع الاتحاد السوفيتي » .



■ إيطاليا :

الحصان القوى فى سباق الانتخابات الإيطالية

تجرى الانتخابات العامة الإيطالية يوم ٧ مايو القادم ، متقدمة عن موعدها بعام كامل ، وذلك بعد ان تحطم ائتلاف أحزاب اليسار والوسط — الذى حكم البلاد زهاء عشر سنوات — على صخور الازمات السياسية المتوالية ، والعجز عن اتخاذ اجراءات جذرية للتغيير الاقتصادى والاجتماعى .

والاطراف المتصارعة فى انتخابات إيطاليا المقبلة تتمثل فى ٩ أحزاب سياسية ، اثنان منها يوصفان عادة بأنهما « العملاقين » ، وهما : الحزب الشيوعى الإيطالى — أكبر الأحزاب الشيوعية فى العالم غير الشيوعى — والحزب

منجراها الطبيعى هو بلا شك أمر طيب » ولكنه أضاف أنه رغم التعدد الواسع فى الآراء والتكهنات حول هذه الزيارة فإن الكلمة الحاسمة « للأعمال الحقيقية التي سيستخلص منها الاتحاد السوفيتي النتائج العملية المناسبة » .

وقد دعا الزعيم السوفيتي الى اقامة علاقات بين الاتحاد السوفيتي والصين . وقال « ان الممثلين الرسميين الصينيين يصرحون أمامنا بأن العلاقات بين بلدينا يجب أن تقوم على مبادئ التعايش السلمى ، وإذا كانت حكومة بكين لا تقبل أكثر من هذا فى علاقاتها مع دولة اشتراكية ، فإننا على استعداد لتنمية العلاقات فى الوقت الحاضر على هذه الاسس أيضا » . ثم أضاف « اننا نترجم كلماتنا الى مقترحات ملموسة وبناءة تتعلق بعدم الاعتداء وعدم اللجوء الى القوة وبتسوية مشكلات الحدود وبتحسين العلاقات على أساس أكثر منفعة للطرفين » . ومن الجدير بالذكر أن وقدما سوفيتيا برئاسة ليونيد إيشيف نائب وزير الخارجية السوفيتي ، قد وصل الى بكين فى أعقاب خطاب بريجنيف ، لاجراء محادثات لم يذع عن نتائجها شئ حتى مثول هذا التقرير للطبع .

وعن العلاقات مع أمريكا ، التي ستتضمنها المحادثات التي ستجرى فى موسكو فى أواخر الشهر القادم (٢٢ مايو) مع الرئيس الأمريكى نيكسون ، أوضح بريجنيف ان تحسن العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة أمر ممكن بل ومرغوب فيه « طالما كان ذلك لا يتم على حساب أى بلد ثالث ولا يضر بالحقوق والمصالح المشروعة لاي بلد » . ويعتقد المراقبون السياسيون ان فى ذلك « الالتزام المسبق » زده مباشر على مسا روجته له بعض الدوائر الرجعية عن احتمالات « المساومة على حساب الغير » فى محادثات موسكو — واشنطن المرتقبة .

ومن الملاحظ أن الموقف فى آسيا قد حظى باهتمام الزعيم السوفيتي فى خطابه . فقد أكد ان اتجاه واشنطن نحو « فتنة » الحرب انما يهدف الى استبدال الزى العسكرى الأمريكى البالى بالزى العسكرى للجنود العملاء . ولكن الخط السياسى يظل هو نفس الخط الأمريكى . ثم أضاف « ان الشعب السوفيتي يقف بكل قوته الى جانب شعوب الهند الصينية وأنه سيفى بواجبه الاممى حتى النهاية » . ثم أشار بريجنيف الى قيام « دولة مستقلة جديدة هى جمهورية بنجالاديش

من طرده من مالطة — بأنه لا ينصح إسرائيل بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، لأن وجودها فيها يخدم حلف الاطلنطى ، على حين ان الحلف لن يستطيع ان يتدخل لمصلحة إسرائيل عسكريا بطريقة مباشرة . وهو يقف ضد حيزاد ايطاليا ، ويرى انه « يؤدى الى دمار حلف الاطلنطى واوروبا والعالم المتحضر كله » .

والادميرال بيرينديلى فى النهاية ليس اكثر من نموذج واحد لزعامات الحزب الفاشستى الجديد وافكارها وأهدافها بالنسبة لايطاليا ومنطقة البحر الابيض المتوسط واوروبا . وقد اتضح ادراك القوى التقدمية ذات القواعد الجماهيرية العريضة فى ايطاليا ، لخطر نمو الحزب الفاشستى الجديد اثناء المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعى الايطالى ، الذى عقد فى منتصف مارس الماضى . وكان أبرز تحذير من هذا الخطر ، ذلك الذى وجهه لويجى لونجو السكرتير العام للحزب الشيوعى الايطالى فى خطاب الوداع أمام المؤتمر ، الذى أُنْتُخِبَ بعده رئيسا شرفيا للحزب ، وانتخب فى منصب السكرتير العام بعده انريكو برلينجير . . . فقد دعا لونجو الى « وحدة جميع القوى الشعبية الديمقراطية لمواجهة أية انتفاضة فاشستية » ، وأعلن ان الفاشستية لا ينبغي ان تظهر من جديد فى ايطاليا .

والواقع ان الحزب الشيوعى الايطالى — الذى جاء مؤتمره العام قبل أقل من شهرين من موعد الانتخابات البرلمانية — بعد القوة الأساسية التى تقود النضال ضد الفاشستية والقوى الرجعية الأخرى ، التى تريد ان تظل جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الايطاليين داخل دوامة الاستغلال الرأسمالى ، ليس للرأسمالية الايطالية وحدها ، وانما للاحتكارات الرأسمالية الأوروبية الاوسع ، والاحتكارات الرأسمالية الأمريكية الاضخم . وهى نفس القوى التى تسعى — فى مجال السياسة الخارجية — الى استمرار اخضاع ايطاليا لاهداف حلف الاطلنطى وقيادته العسكرية والسياسية الأمريكية ، رغم كل ما أصاب ايطاليا من اضرار ، من جراء ارتباطها بعجلة هذا الحلف منذ قيامه ، ورغم افلاس كل الحكومات المتعاقبة التى التزمت به .

وقد أوضح الحزب الشيوعى الايطالى ، فى مؤتمره الأخير ، انه لا يهدف — والانتخابات العامة على الابواب — الى العودة لاسلوب الجبهة الشعبية ، فى دعوته الى تكاتف القوى اليسارية والتقدمية ضد الاخطار الداخلية والخارجية

المسيحي الديموقراطى ، الذى يعانى من تناقض استناده على التأييد الدينى ، ورغبته فى الوقت نفسه فى ان يبدو مستقلا عن نفوذ الفاتيكان وتوجيهاته . أما الاحزاب الأخرى ، فيتقدمها حزب ذو وزن متوسط فى الحياة السياسية الايطالية ، هو الحزب الاشتراكى الايطالى ، وتليه احزاب صغيرة الحجم لا يتجاوز عرض قاعدتها الجماهيرية نسبة ١٠ ٪ من أصوات الناخبين . وهذه الاحزاب هى : حزب الاشتراكيين المثقفين على الحزب الاشتراكى الايطالى ، والحزب الراديكالى والحزب الجمهورى ، وحزب الملكيين ، وأخيرا الحزب الفاشستى الجديد ، [الذى يحمل رسميا اسم حزب الحركة الاجتماعية الايطالية] .

ورغم ان هذا الحزب الأخير يأتى فى ذيل قائمة الاحزاب السياسية فى ايطاليا ، من حيث الشعبية ، الا ان الدوائر المختلفة تبدى اهتماما كبيرا بنشاطه ، وتتوقع ان يقوم بدور له دوى خاص فى الانتخابات الايطالية القادمة ، بعد ان تمكن من تحقيق مكاسب لا يستهان بها فى الانتخابات البلدية فى العام الماضى .

ومن الامور الغريبة ، ان القانون الايطالى ينص على ان محاولة احياء الفاشستية جريمة بعاقب عليها ، ورغم ان الحزب الفاشستى الجديد لا يخفى نزماته الحقيقية ، الا ان الوضع السياسى فى ايطاليا ، وضعف الحكومات المتتالية وتأثيرات حلف الاطلنطى والولايات المتحدة — فى ظل هذا الوضع السيئ — قد سمحت بوجود هذا الحزب ونموه ، الى حد أصبح يشكل الان خطرا لا يستهان به . وقد افترضت أخيرا حقيقة موقف حلف الاطلنطى من الحزب الفاشستى الجديد فى ايطاليا ، ودفاع الحزب أساسا عن ربط ايطاليا باستمرار بعجلة الحلف ، عندما أعلن ادميرال جينو بيرينديلى ، الذى استقال فى الشهر الماضى من منصب قائد القوات البحرية لحلف الاطلنطى فى جنوب ايطاليا ، ترشيح نفسه لعضوية البرلمان الايطالى عن الحزب الفاشستى الجديد « مؤيدا لحلف الاطلنطى » . وكان بيرينديلى نفسه قد طرد من مالطة ، وطردت قيادته كلها منها ، على اثر تولى دوم منتوف رئاسة الحكومة فى الجزيرة فى العام الماضى ، لما هو معروف عن بيرينديلى من ميول فاشستية واضحة ، ولما هو معروف من ارتباطاته الوثيقة بالعسكرية الأمريكية ودورها فى أوروبا .

ويجدر بنا ان نشير الى ان بيرينديلى ايضا هو نفسه الذى صرح لمراسلة اسرائيلية — قبل ايام

— تقارير الشهر —

وفى النهاية ، فان العوامل التى ستحدد اتجاه الناصحين الايطاليين ، انما تتمثل فى المشاكل الاساسية التى تعانى منها ايطاليا : البطالة والانكماش الاقتصادى ، قانون الطلاق ، وطلب تغيير البرامج التعليمية فى المدارس والجامعات ، فان هذه العوامل تشكل الخلفية الاساسية فى ذهن الناصحين الايطاليين فى لحظة البحث عن حكومة قوية وقادرة على التغيير .

□

■ الهند :

انتخابات ما بعد الحرب

اتجهت كل الاراء تقريبا الى تفسير فوز حزب المؤتمر الهندى بزعامه انديرا غاندى بساغلبية ساحقة فى انتخابات الولايات بأنه رد فعل لما حققته سياسة حكومة انديرا غاندى فى قضية بنجالاديش ، بجانبها العسكرى - الذى يتمثل فى الانتصار الحاسم والسريع على باكستان - والسياسى الذى يتمثل فى قيام دولة بنجالاديش نفسها حليفا وصديقا للهند محل « باكستان الشرقية » .

ورغم الاجماع على هذا التفسير الا أن بعض المراقبين - يرون أن الناخب - بطبيعة - عملية الانتخاب نفسها - يبحث عما هو آت بالدرجة الاولى . ومن هنا فلا يمكن أن يعزى نجاح حزب المؤتمر الهندى الى معركة بنجالاديش وحدها . وانما يجب البحث عن عوامل هذا النجاح ومداه فى برنامج حزب انديرا غاندى أساسا . فان الاهداف الاقتصادية والاجتماعية فى هذا البرنامج هى المحرك الاساسى للناخب الهندى فى الوقت الحاضر . وبإيجاز فان اهتمام الجماهير الهندية - كما عبرت عنه نتائج هذه الانتخابات - موجه بالضرورة الى ما سيكون أكثر منه بما كان .

وبهذا المعنى فان نجاح انديرا غاندى فى دعم مركزها السياسى واتجاهها فى معالجة المشاكل الهندية هو فى انتخابات الولايات الهندية امداد للنجاح الذى حققته فى انتخابات البرلمان الهندى (الاتحادى) منذ عام ولم تكن بعد قد حققت ما انتهت اليه معركة بنجالاديش . وفى نتائج المعركتين الانتخابيتين وقف الناخب الهندى الى جانب انديرا غاندى ضد المعارضة اليمينية التى تقف ضد

المحقة بايطاليا ، انما هو يعنى أن الموقف ككل ، يقتضى حدوث « تحول سياسى جوهري فى التيارات الكاثوليكية ، من أجل التفاهم مع القوى الاشتراكية والشيوعية » ، مع تأكيد الاستقلال الذاتى للجميع ، والحفاظ على هذا الاستقلال .

والواقع ان الحزب يواجه تحديات ضخمة فى الظروف الراهنة ، لا تتمثل فى القوى الرجعية ، كالحزب الفاشستى الجديد فحسب ، بل تتمثل فى الانشقاقات الجزئية فى صفوف اليسار الايطالى ، الى حد ان احدى الجماعات المتطرفة المنشقة التى اطلقت على نفسها اسم « جماعة البيان » [المانيفيسستو] ، قررت ان تخوض الانتخابات القادمة ، ليس ضد الاحزاب اليمينية ، وانما ضد الحزب الشيوعى الايطالى . وتمثل التصدييات الراهنة أمام الحزب الشيوعى الايطالى أيضا ، مع اقتراب موعد الانتخابات العامة ، فى انعكاسات الموقف الدولى ، وخاصة النزاع السوفيتى - الصينى على موقفه . ولعل هذا هو الدافع الواضح وراء النداء الذى وجهه انريكو برلنجير السكرتير العام الجديد للحزب الشيوعى الايطالى الى الاتحاد السوفيتى والصين ، بأن تعيدا اقامة العلاقات الطبيعية بينهما ، وقوله ان الامر الجوهري هو « وحدة القوى المعادية للامبريالية » فى العالم .

ان الاحتمالات الان - برغم كل التحديات والمصاعب الراهنة - تشير الى أن الحزب الشيوعى الايطالى - الذى حصل فى الانتخابات الماضية عام ١٩٦٨ على أكثر من ٨٥ ملايين صوت - سوف يتمكن فى الانتخابات المقبلة من دعم مركزه فى البرلمان الايطالى ، ومن المتوقع ان يقود الحزب الشيوعى ائتلافا من اليساريين وحدهم ، يشكل الحكومة فى ايطاليا بعد عشرات من التجارب الفاشلة من حكومات « اليسار الوسط » . فالحزب ، حتى فى تقدير المراقبين الغربيين « أقوى الاحصنة فى سباق الانتخابات الايطالية » .

وعلى الجانب الآخر ، فان الحزب المسيحى الديموقراطى ، يخوض الانتخابات هذه المرة منقسما على نفسه ، بدرجة خطيرة ، لم تحدث طوال العشرين عاما الماضية ، حيث تؤيد بعض جماعته محاولة الدخول فى « اتفاق انتخابى » ، حتى مع الحزب الشيوعى ، بينما ترى جماعته اليمينية المتطرفة ، عقد مثل هذا الاتفاق مع الحزب الفاشستى الجديد .

المؤتمر وحكومته المركزية وحكوماته الاقليمية ، وانما يكاد يكون من المؤكد ان تعتمد كل العناصر المنهزمة الى خلق المشاكل واقامة العقبات امام التغيير الاقتصادي والاجتماعي المطلوب . ولن يتردد بعض هذه الاحزاب اليمينية - وهو ما حدث فعلا اثناء الحملة الانتخابية الاخيرة - في اتباع اسلوب المزايدة في قضايا مثل الحرب والحكم الذاتي لبعض الولايات .

لقد تمكنت انديرا غاندي خلال الفترة الاخيرة - منذ انشقاق الجناح اليميني المحافظ الممثل لمصالح الاغنياء عن الحزب في عام ١٩٦٩ - من تحقيق عدد من المكاسب الهامة للجماهير في مقدمتها تأميم البنوك الخاصة التي كانت خاضعة لسيطرة الاحتكارات الداخلية أو الخارجية ، وتأميم شركات التأمين واعطاء الحكومة سلطة مصادرة الممتلكات الخاصة دون دفع تعويضات تحقيقا للمصلحة العامة وتحقيق أكبر أرقام للانتاج الزراعي وخاصة في المواد الغذائية بشكل استطاعت معه الهند الاستغناء عن وارداتها من هذه السلع من الولايات المتحدة خلال العام الماضي ، وتوفير مبالغ ضخمة من العملات الاجنبية التي كانت تدفع لها .

والان - بعد انتخابات الولايات الاخيرة فان حكومة انديرا غاندي تضمن قدرا أكبر من التعاون والالتزامات من جانب حكومات الولايات ، وهو أمر يمكنها من المضي في تنفيذ اهدافها التي وصفها البرنامج الانتخابي لحزب المؤتمر بأنها « استكمال الثورة الاجتماعية بالوسائل الديمقراطية » .

التغيير الاقتصادي الاجتماعي وتعرقل الاتجاه نحو حماية مصالح الفقراء من العمال والفلاحين الهنود ضد طبقات الاقطاعيين والنبلاء والامراء القدامى وكل فئات الاغنياء . لقد اعطى الناصبون اصواتهم لبرنامج الاصلاح الزراعي ولقوانين الغاء امتيازات الامراء وبرنامج تطهير صنفوف الحكومة - وحزب المؤتمر نفسه - من العناصر التي ترعى مصالح الاغنياء وتريد أن تفرض على الحكومة والمؤتمر سياسة محافظة مشلولة الحركة .

ومما لا شك فيه أن حزب المؤتمر وحكومة انديرا غاندي يواجهان الان مسئوليات مضاعفة : زاء مشكلات الهند الاقتصادية بعد اعباء الاجتيا بنجالاديش ثم اعباء القتال في ديسمبر الماضي ، والضغط الاقتصادي التي مارستها الولايات المتحدة بسبب معارضتها لموقف الهند من بنجالاديش وحصول حزب المؤتمر على الاغلبية السكيرة في الولايات الهندية - وبينها ولايات لم يكن له فيها نفوذ في الماضي القريب على الاقل - يعطى فرصة حقيقية لتشكيل حكومات قوية ملتزمة ببرنامج الحزب الاقتصادي والاجتماعي ، حكومات قادرة على مواجهة تشبث الاغنياء بامتيازاتهم الضخمة التي تعد من مخلفات المجتمعات القديمة . واذا كانت الاحزاب اليمينية التي تمثل مصالح الاقطاعيين والاغنياء في الولايات قد منيت بهزائم « مهينة » في الانتخابات الاخيرة فان هذا لا يعنى أن الطبقات والفئات التي تمثلها زعامات هذه الاحزاب قد أصبحت في حالة استسلام امام حزب

الانشقاق الثالث في الجبهة الشعبية

تقرير خاص

الذي نشرته قيادة اليسار في الجبهة الشعبية . وقد جاء اعلان « اليسار » لاستقلاله في نفس اليوم الذي عقدت فيه الجبهة الشعبية مؤتمرها الوطني الثالث ، في مخيم البداوى للاجئين بشمال لبنان ، والذي استمر أربعة أيام .

ومن المعروف أن الجبهة الشعبية كانت قد تأسست في نوفمبر ١٩٦٧ ، من ثلاث منظمات هي : جبهة تحرير فلسطين الذي يقودها احمد جبريل ،

في السادس من مارس الماضي ، أصدر الجناح الذي يصف نفسه باليسارية ، بيانا أعلن فيه انشقاقه عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وبهذا البيان يخرج الى العلن خلافا ظل قائما في الجبهة منذ ما يقرب من عامين . وقد جاء هذا الانقسام عقب اجتماع عقده هذا التيار من ٤ - ٧ فبراير الماضي ، وأقر فيه « استقلال اليسار عن اليمين تنظيميا وأيديولوجيا » على حد تعبير البيان

— تقارير الشهر —

طغى عليها السلوك اللامسئول للعناصر المصابة بمرض اليسارية الطفولي ، وأشار الناطق الى « الدوافع المشبوهة والنوازع الذاتية الانتهازية التي تحركها » . وأوضح ان ظاهرة الخلافات في الرأي داخل الجبهة « ظاهرة طبيعية في منظمة برجوازية صغيرة تخوض النضال الثوري في ظروف الهجمة اليمينية الامبريالية الصهيونية الصعبة » .

وانتهى حزب العمل الى ادانة الانشقاق « مهما كانت دوافعه » هذا في الوقت الذي أعلن فيه ناطق باسم قيادة فرع لبنان لحزب العمل الاشتراكي العربي ، تأييده للقيادة اليسارية للجبهة وبادانته لتصريح الناطق بلسان الحزب . ويجيء هذا الانقسام في حزب العمل ، نتيجة تركيب هذا الحزب ، الذي كان قد نشأ قبل اكثر من عام ، من جناحين في الجبهة الشعبية « اليساري » الذي انشق أخيراً ، و « الوسط » الذي يقوده جورج حبش .

وفي نفس اليوم أصدرت « اللجنة المركزية للجبهة الشعبية - فرع سوريا » ، و « مقاتلي الجبهة الشعبية - قواعد الجولان » وفرع « الجبهة الشعبية » في معسكر نهر البارد بلبنان و « القطاع العسكري للجبهة الشعبية في لبنان » و « اللجنة التنظيمية للجبهة الشعبية في الأردن » و « التنظيم الطائفي للجبهة الشعبية في لبنان » بيانات مقتضبة أعلنوا فيها تأييدهم المطلق للقيادة المنشقة .

وفي « الدستور » الذي أصدرته قيادة اليسار ، إشارة الى أن انشقاق الجبهة الديمقراطية قد أوجد فراغاً تنظيمياً وقيادياً داخل الجبهة عبيء بالقيادات اليمينية .

ويرى دستور يسار الجبهة أن عمليات خطف الطائرات تولد « انطباعات خاطئة في الخارج ، وتطمس الاهداف الحقيقية للجبهة وطبيعتها اليسارية ، وبالتالي فإن هذه العمليات ، اعلامياً ، كانت تخدم اليمين وأفكاره » . وأوضح البيان ان يسار الجبهة كان قد تصدى لهذه العمليات بالمعارضة الشديدة ، وذلك في اجتماع اللجنة المركزية للجبهة الشعبية ، المنعقد في ٥ نوفمبر ١٩٧١ ، لكن اللجنة المذكورة خرجت بقرار وسطي يقضى بوقف خطف الطائرات في هذه المرحلة .

ثم ينتقل الدستور الى حركة المقاومة ، فيصفد قيادتها بأنها « برجوازية صغيرة ، تسير في الخه

ومنظمة أبطال العودة الذي يقودها فايز جابر ، والجناح الفلسطيني من حركة القوميين العرب والمعروف باسم شباب الثار .

وفي صيف ١٩٦٨ انشق أحمد جبريل بمنظمته ، مختاراً لها اسم الجبهة الشعبية - القيادة العامة . وفي فبراير ١٩٦٩ انشق تاييف حواتمة على رأس مجموعة يسارية من القوميين العرب : معلناً قيام الجبهة الشعبية الديمقراطية . كما وقعت محاولة انشقاق ثالثة في صيف ١٩٧٠ ، قادها أبو رأفت ، المسؤول العسكري للقطاع الجنوبي في الأردن آنذاك ، الا ان المحاولة باءت بالفشل .

وقد وصف بيان الانشقاق مؤتمر الجبهة بأنه « لا يمثل الواقع العملي لتواجد القوى الثورية داخل الجبهة » . ويشكل مظاهر يمينية فاضحة تحاول تركيع اليسار وتصفيته وفرض استمرار القيادات اليمينية على الجبهة . وأشار بيان « اليسار » الى أن قيادات وقواعد الجبهة كانت قد « طالبت بتأجيل المؤتمر وطرح وجهات النظر المختلف عليها والاحتكام الى القواعد » . الا ان « اليمين » أصر على عقد اجتماعه وبذلك شكل خرقاً صارخاً لارادة قواعد الجبهة وكوادرها . وأدان البيان مؤتمر « اليمين » ، وأعلن مقاطعة « اليسار » له ، وعدم اعترافه بشرعيته ورفض التزامه بقراراته . ودعا البيان فروع الجبهة الى استنكار المؤتمر المذكور .

وكان الغموض قد اكتنف موقف جورج حبش أزاء الانشقاق ، خاصة بعد اشتراكه في مؤتمر « اليسار » و « اليمين » على السواء . ومع ما عرف عنه من مساندة التيارين المتصارعين داخل الجبهة .

الا أنه في اليوم التالي لصدور بيان الانشقاق بدد جورج حبش هذا الغموض حين أصدر تصريحاً صحفياً مكتوباً أوضحت فيه أن ممثلي قيادة فرع الجبهة الشعبية في سوريا وعنصرين من القيادة السياسية للجبهة قد تغيبوا عن المؤتمر . وأكد أن الجبهة ستواجه « الظروف الموضوعية والذاتية الصعبة التي تمر بها حركة المقاومة برؤية علمية بعيدة عن النهج اليميني المتحجر من ناحية والانتهازية اليسارية من ناحية أخرى » .

وقد صرح ناطق بلسان حزب العمل الاشتراكي العربي : والذي يتولى أمانته العامة جورج حبش ، بأن « ظاهرة الصراعات التي عاشتها الجبهة

التي تطرحها فإن هذه الوحدة لن تكون هي الامر الاهم ، انما انقاذ الثورة يصبح هو الامر الاكثر اهمية » ويشير بيان القيادة اليسارية الى ان اليمين وضع يسار الجبهة الشعبية أمام خيارين « اما الاستسلام لسياسته وبالتالي انتظار المزيد من الهزائم ، واما التمرد على هذه السياسة . ولقد اخترنا طريق الاستقلال الكامل عن اليمين سياسيا وتنظيميا وأيديولوجيا والعمل تحت اسم (الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين) .

وقد سيطر موضوع « انشقاق اليسار » على جو المؤتمر الوطني الثالث للجبهة الشعبية . وقد طرحت في المؤتمر وثيقتين تضمنتا أسس الخلاف ووجهات نظر الطرفين . قدم الاولى جورج حبش وهي دراسة « حول الازمة التنظيمية في الجبهة » في حين عارضها الجناح اليساري بدراسة عن « أزمة المقاومة » .

ويعيد جورج حبش الازمة التنظيمية للجبهة الى خمسة عشر سببا ، أهمها مايسميه « بالظاهرة اليسارية » وفي رايه انها متأثرة بنشأتها البرجوازية ، وبترسيمات معينة ، كما انها متأثرة بطبيعة البيئة التنظيمية التي لم توفر لها الدعاية القيادية اللازمة ، بل مارست تجاهها موقفا متشنجا يلتقط أخطاءها ويحاكمها من خلال هذه الأخطاء . ولذلك لا يمكن اعتبارها يسارا مكتملا . ويرى حبش أن أبرز وأهم خطر للظاهرة اليسارية ، يتعلق بالجانب التنظيمي ومسألة تحول هذه الظاهرة الى حزب . أما خطأها الاساسي ، فهو في عدم تنبهاها الكافي لخطورة المراهقة اليسارية والنزعة الانتهازية اليسارية ، وبالتالي عدم تصديها بالاجراءات التنظيمية لمثل هذه الظاهرة .

ويرى اليساريون في دراستهم المقدمة الى المؤتمر « أن أزمة الجبهة الشعبية ناتجة عن الصراع بين وجهتي نظر داخل الجبهة حول فهم المرحلة الجديدة وطبيعة مستلزماتها . وجهة نظر تقول أن سلسلة التطورات التي قادت الى النتائج انتهت ، وأن تجاوز هذا المأزق مرهون بمدى التغييرات التي يمكن احداثها في تركيب وتكوين المقاومة الراهن . ووجهة نظر اخرى تقر بأن النتائج التي انتهت اليها المقاومة كانت نتائج حتمية ومنطقية الا انها لدى معالجة أزمة الجبهة الحالية ، ولدى اقتراح الحلول ، تغفل الاهمية التي تحتلها هذه التطورات » .

وتقول نشرة « الشرارة » التي يسيطر عليها

الذي تسير عليه الانظمة العربية ، وتساعد ، بالتالي ، على تنفيذ التسوية السلمية ، وتصفية العمل الفدائي !! ويصل يسار الجبهة الشعبية من ذلك الى معارضة « ادماج كل المنظمات الفدائية » وينادي بالابقاء فعليا على ظاهرة الكفاح المسلح ، وخلق أوضاع عربية ثورية « لان من الأخطاء الاساسية لحركة المقاومة نظرتها الى تحرير فلسطين في شكل معزول ومنفصل عن الأوضاع العربية المحيطة بها » . ويطالب اليسار في دستوره بالتصدي لكل المشاريع التصفوية والحلول السلمية . كما يطالب بالعمل لاسقاط النظام الاردني . أما الامر الغريب غير المفهوم فهو مهاجمة دستور اليسار للاتحاد السوفيتي ، بحجة تأييده للحل السلمي !!

وفي العاشر من مارس عقدت القيادة اليسارية مؤتمرا صحفيا في مكتبها ببيروت . عرضت فيه مراحل الصراع الدائر في الجبهة . وأظهر البيان الذي تلاه سالم درودنة ، القائد العسكري للجبهة الشعبية في جنوب لبنان ، ان الصراع بين اليمين واليسار في الجبهة قد تركز بشكل أساسي حول الموقف من الوحدة الوطنية « حيث أن سياسة اليمين تجسدت في مجموعة من المواقف الذاتية انطلاقا من الصراع الشخصي اللامبدئي مع التنظيمات الرئيسية الاخرى » في حين « انتهج اليسار سياسة تقوم على الدعوة الى انشاء تحالفات وطيدة مع القوى اليسارية والتقدمية وكل الفصائل الوطنية والشريفة » . أما القضية الثانية التي تركز حولها الصراع فكان الموقف من النظام الاردني ، فبالرغم من اعلان اليمين « حرية اللفظية والتوترة داخل اجتماعات القيادة السياسية على السلطة الرجعية ، الا أنه كان يتصدى بعنف لاي عملية تعبئة وتحريض منظمة تهدف الى تعرية النظام الرجعي العميل متذرعا بحجة أن الوقت لم يحن بعد لمواجهته » . أما خطف الطائرات فكان الموقف الثالث الذي تركز حوله الصراع داخل الجبهة . انه يرى الجناح اليساري أن الضجة التي خلفتها عملية خطف الطائرات في سبتمبر ١٩٧٠ ، محليا وعربيا وعالميا ، ساعدت في خلق الظروف السياسية المناسبة للنظام الرجعي لتنظيم مذابح سبتمبر ١٩٧٠ المعروفة ويؤكد درودنة أن الموقف من الانظمة البرجوازية الصغيرة وحركة التحرر الوطني العربية كان ، أيضا ، مثار خلاف بين التيارين المتصارعين .

وانهى سالم درودنة بيانه مؤكدا أن « وحدة الجبهة عندما تكون ثمنا لقدرتها على ان تلعب دورا متناسبا مع متطلبات المرحلة والمهام

تقارير الشهر

المقاومة» . ونفى أن تكون الجبهة الشعبية تعتمد أسلوب الانقلابات العسكرية ، وأن كانت الجبهة « ليست ضد تفتيت المؤسسات العسكرية في الانظمة الرجعية » . وعن الانظمة التقدمية العربية قال « اننا نعتبر هذه الانظمة غير تقدمية » بل برجوازية صغيرة .. آخذة في التحول الى أنظمة رجعية » .

وفي الرابع عشر من الشهر نفسه عقد جورج حبش مؤتمرا صحفيا في بيروت شن فيه هجوما عنيفا على المنشقين . ونفى حبش أن تكون الجبهة الشعبية هي التي خطفت طائرة الجامبور الألمانية في فبراير الماضي الى عدن . كما استعرض نتائج مؤتمر الجبهة الاخير ، والذي كان قد أعيد فيه انتخابه أمينا عاما للجبهة ، بالاجماع .

وقد أكد كمال ناصر ، المتحدث الرسمي بلسان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، حياد المنظمة حيال الازمة . وأشار الى أن ما يحدث داخل الجبهة يجرى وفقا لقواعد الديمقراطية . وحذر من الانزلاق الى أعمال العنف .

أما الجبهة الديمقراطية ، فقد كذبت في بيان أصدرته مساء ٨ مارس ، ما أذيع من أنها حرّضت على الانقسام . وأكدت أنها تعتبر الازمة « من المسائل الداخلية للجبهة الشعبية » . ومما تجدر الإشارة اليه ان النشرة الاعلامية للجبهة الديمقراطية كانت قد نشرت بيان الانشقاق في حينه .

عبد القادر ياسين

يساريو الجبهة في فرع لبنان ، في مقال لها بعنوان « اليمين واليسار في الجبهة الشعبية » . أن يمين الجبهة « يحاول أن يبتز أية محاولة لدفع التنظيم وابة خطوة الى الامام مهما تكن متواضعة . باستهتاره وعبثه وهزئه بالنظرية الثورية » ، وتتهم النشرة اليمين بحجب « المخصصات عن المقاتلين » .

وفي ١٢ مارس نشرت صحيفة النهار اللبنانية حديثا صحفيا لمسئول كبير في الجبهة الشعبية ، على حد وصف الصحيفة ، أرجع فيه الانشقاق الى « شعور الذين اختاروا الانشقاق بأنهم يريدون أن يبدأوا من جديد » . واتهم المسئول دولة عرسنة وتنظيما فدائيا بتشجيع هذا الانشقاق . ونفى المسئول - الذي يرجح أن يكون غسان كنفاني رئيس تحرير صحيفة الهدف - عن المنشقين صفة اليسارية وأضاف « وكنا نفضل لو أنهم بقوا داخل الجبهة الشعبية وعملوا من الداخل من أجل تحويل الجبهة الى منظمة أكثر يسارية ، ومن أجل القضاء على بعض الجيوب اليمينية فيها . وكنا نفضل لو أنهم تقدموا ببرنامج معين وطرحوه على المناقشة في المؤتمر الوطني الثالث » . وأكد أن الجبهة تتحول الى حزب ماركسي . واعتبر قطب الجبهة خطف الطائرات « تكتيكا نضاليا لا استراتيجية أساسية » . والانشقاقات في الاحزاب لا تتم حول قضايا تكتيكية ، بل حول خطة استراتيجية . وأكد أن الجبهة ترفض دمج المنظمات الفدائية وتطالب « بجبهة تضم كل قوى اليسار في حركة

مؤامرة أطلنطية جديدة للقضاء على استقلال قبرص



السابقة ، ولكن بين نظام الحكم العسكري في أثينا وبين الرئيس الاسقف مكاريوس الذي تؤيده جموع الشعب في قبرص . واتهمت مذكرة الحكومة اليونانية الاسقف مكاريوس بأنه استورد - بطريقة غير مشروعة - كمية كبيرة من الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا . معرضا بذلك سلامة الجزيرة للخطر ، واتهم الرئيس القبرصي أيضا بأنه رفض تسليم الاسلحة للحرس الوطني (وهو تحت اشراف أثينا) . ومع

تطورت الاحداث بسرعة خلال الايام الماضية في جزيرة قبرص بعد الانذار الذي قدمته حكومة اليونان في منتصف الشهر الماضي الى الاسقف مكاريوس على يد سفيرها في نيقوسيا قسطنطين بنايوتاكوس ، وقد جاء الانذار اليوناني في شكل مذكرة تهديد تأمر الرئيس القبرصي باسم « أثينا » بتجريد شرطته ومؤيديه من السلاح وتشكيل حكومة اتحاد وطني . . هكذا بدأت الازمة الجديدة في قبرص ، ليس بين اليونانيين والأتراك كالازمات



الاسقف مكاريوس

اجتماع مجلس وزراء حلف الاطلنطي في لشبونة في شهر يونية الماضي ايضا ، فقد ذوقشت مشكلة قبرص بالتفصيل ، وبدا نوع من التلاقى بين الحكومتين التركية واليونانية ، هدفه في النهاية تلافي الخلافات بين تركيا واليونان التي تضعف الجناح الجنوبي الشرقي لحلف الاطلنطي ، وبغض النظر عن تقسيم الجزيرة او وحدتها ، دون أي اعتبار لرأي جماهير الشعب في قبرص . وهنا ظهرت معارضة الرئيس مكاريوس لموقف الحكومتين العسكريتين وأعلن رأيه أثناء زيارته للاتحاد السوفيتي والتي جاءت في نفس الفترة التي عقد فيها اجتماع مجلس وزراء الحلف ، وأعلنت الحكومة السوفيتية تأييدها لموقف مكاريوس ، ومعارضتها ضد أي محاولة أجنبية لفرض حل على قبرص .

ويتضح دور اليونان أكثر في المؤامرة ، ومن خلال اصرارها على تشكيل حكومة « وحدة وطنية » فالهدف من وراء ذلك - كما ذكرت مجلة فيوسنيتسمان البريطانية في الاسبوع الماضي - هو انه يتعين على مكاريوس ان يعطي نصيبا من الحكومة للعناصر الشديدة الولاء لجريفاكس - الذي وصل الى قبرص منذ شهر سبتمبر الماضي ويعيش متخفيا في الجزيرة - ولماذا يستبعد من هذه الحكومة ممثلي الحزب الشيوعي القبرصي

طلب المذكورة الرغبة في تشكيل حكومة اتحاد وطني ، الا أنها اشترطت استبعاد اليسار منها (نال ٤٢ في المائة من الاصوات في الانتخابات الماضية) والاشتراكيين واغلبية الديمقراطيين الذين لا يشكلون قسما من « العالم الوطني » الذي ورد ذكره صراحة .

وتطورت الاحداث بعد ذلك بسرعة مذهلة في الجزيرة الصغيرة ، ففي نفس الاسبوع طالب اساقفة الكنيسة اليونانية الارثوذكسية ، في المجمع المقدس الذي عقد في نيقوسيا الاسقف مكاريوس بالاستقالة من منصبه ، وملات المظاهرات الشوارع تعلن تأييدها للرئيس القبرصي وتهتف بسقوط المؤامرة الجديدة التي تحركها في الظلام الولايات المتحدة الامريكية ومن ورائها حلف الاطلنطي ، واتضحت خيوط المؤامرة أكثر بعد الاتفاقية الاخيرة بين أمريكا واليونان الخاصة بتسليم ميناء بيريه اليوناني لأمريكا لكي تستخدمه كقاعدة دائمة لسفن الاسطول السادس . وبعدها بأيام يصرح رئيس وزراء تركيا « الحكومة العسكرية الاخرى والعضو في حلف الاطلنطي » لوكالة الاسوشيتدبرس انه بإمكان السفن الحربية التابعة للاسطول الأمريكي السادس والمتجولة في البحر الابيض المتوسط أن ترسو مستقبلا في الموانئ التركية !

ان الموانئ التركية التي اعلن رئيس الوزراء التركي فتحها من جديد لسفن الاسطول الأمريكي السادس كانت مغلقة منذ سنتين بفضل المظاهرات الضخمة المعادية لأمريكا في كل من اسطنبول وأنمير ، ولكنها فتحت الان كنتيجة لاستخدام أساليب القمع التي تم اجرائها ضد القوى الديمقراطية في البلاد .

ويظهر التواطؤ التركي اليوناني من أجل القضاء على استقلال الجزيرة وتقسيمها في حديث جورج بايا دوبولس رئيس الحكومة العسكرية في اليونان لصحيفة « ويلييات » التركية والذي اجراه معه السيد توكز - صهر عصمت اينونو - في شهر يونية الماضي وقد أكد فيه رئيس الحكومة اليونانية أن الشيء الاساسي ليس قبرص بل الصداقة والتحالف بين اليونان وتركيا ، وان القضية القبرصية يجب أن تجد حلا في نطاق الحوار بين أثينا وأنقرة ، وأنه مستعد لفرض ارادته على نيقوسيا ، وبالقوة عند الحاجة .

ويتأكد التعاون التركي اليوناني بعد ذلك في

— تقارير الشهر —

له ، ثم تعلن بلا أدنى حرج بأنه اتفاق من أجل السلاح !

ولكن هل سينجح تنفيذ مثل هذا المخطط بهذه السهولة ؟ • هناك أكثر من جهة ستقاوم بعنف تقسيم الجزيرة ، وقدما لشخصيتها :

— فالرئيس مكاريوس سيرفض بلا شك أى مشروع يهدف الى تقسيم الجزيرة أو يمس وحدتها ، وجميع تصريحاته السابقة منذ توليه الحكم تعلن صراحة عن ذلك ، وهو على استعداد لتحدي أعدائه والوصول معهم الى أقصى مدى ، كما يعبر آخر تصريح أدلى به « فى سبيل حرية قبرص ساقبل المساعدة من أى مكان ، ومن أى نوع ، ولاي مدى متاح » •

— ان الحزب الشيوعي القبرصى الذى حصل على أكثر من ٣٥ فى المائة من الاصوات فى الانتخابات الاخيرة ، سيقاوم بعنف مشروع التقسيم ، خاصة ان الاحزاب الشيوعية ليست لها أى وجود قانونى فى كل من اليونان وتركيا ، بل ان الحكومتين جعلت من القضاء عليها هدفا أساسيا فى سياستها الداخلية • هذا بالإضافة الى القوى الوطنية الديمقراطية المتحالفة مع الحزب والناهضة لفكرة الارتباط بالحكومات الرجعية الاستبدادية المتواطئة مع الامبريالية الأمريكية •

— الموقف الدولى الراهن • • فتقسيم الجزيرة بين تركيا واليونان ، أو ضمها لليونان سيؤدى الى تقوية مركز حلف الاطنطى فى البحر المتوسط ، ومن الطبيعى أن يقف الاتحاد السوفيتى معارضا لهذا الاتجاه تؤيده جميع الدول الاشتراكية والدول العربية التى تمتد على ساحل البحر المتوسط من المغرب الى لبنان ، والتى تكشف لها حقيقة المخطط الأمريكى فى المنطقة خاصة بعد عدوان ١٩٦٧ على الدول العربية ، ومساندتها لاسرائيل فى هذا العدوان •

— هناك أيضا دول عدم الانحياز ، التى لن تقبل تقسيم الجزيرة ، وفقدان عضويتها فى الامم المتحدة ، لأن ذلك يعنى خروج جمهورية قبرص من مجموعة عدم الانحياز ، بعد أن اشتركت قبرص اشتراكا ايجابيا فى مؤتمرات دول عدم الانحياز الثلاثة فى بلجراد سنة ١٩٦١ ، والقاهرة سنة ١٩٦٤ ، ولوساكا سنة ١٩٧٠ •

مصطفى سامى

الذى حصل على ٣٥ فى المائة من الاصوات فى الانتخابات الاخيرة • وحتى فكرة الاتحاد مع اليونان « اينوسيس » وهى حلم جريفاً واعوانه فى الجزيرة الذين لا يتجاوز عددهم ٢ فى المائة من القبارصة اليونانيين ، هذه الفكرة لا تجد الآن أى صدى من مختلف جموع الشعب القبرصى خاصة بعد اتخاذ حكومة اليونان العسكرية مراقفها العدائية تجاه العناصر الوطنية والتنكيل بأى معارض لسياساتها ، وتختتم المجلة البريطانية تعليقها بتساؤل : من يميل طواعية الى الانضمام لحكم ديكتاتورى ؟

وحتى لو كان الانضمام مع اليونان قضية شعبية ، فإنه لم يعد اقتراحا عمليا منذ فترة طويلة ، إذ عند اول اجراء بتنفيذه ستتحرك الاقلية التركية فى الجزيرة لمنع قيام مثل هذا الاتحاد ، فالقبارصة الاتراك الذين وصل عددهم حوالى ١٢٠ ألفا (مجموع تعداد الجزيرة يزيد عن ٦٠٠ ألف) لا يريدون أن يصبحوا أقلية داخل أقلية عندما تصبح قبرص خاضعة لحكم اثينا ، ومن جهة اخرى لن يسمح الرئيس مكاريوس لنفسه أن يصبح حاكما اقليميا لقاطعة يونانية ، بالإضافة الى سياسة عدم الانحياز والبعد عن الاحلاف التى ينتهجها منذ توليه الحكم فى صيف عام ١٩٦٠ ، كل ذلك سوف ينتهى فى حالة انضمام قبرص الى اليونان ، فستحول الى جزء صغير من حلف الاطنطى •

أما وصول جريفاً الغامض الى الجزيرة ، فهو حلقة اخرى من حلقات المؤامرة الاطنطية للقضاء على استقلال الجزيرة وتقسيمها طبقا للمخطط الأمريكى ، فالسرية التى تحيط بوجوده ، رغم مايشاع أن بابادوبولوس رئيس وزراء اليونان يعرف مكانه وكذلك الاسقف مكاريوس وقد كتبت بعض الصحف القبرصية بأنه يقيم فى ثكنات الضباط اليونانيين فى الجزيرة • والعمل الذى ينسب للقيام به والذى لم يعلن للصحف عن حقيقته حتى الآن يمكن أن يؤدى الى حرب أهلية اخرى بين القبارصة اليونانيين والاتراك ، وسيتبع ذلك دخول القوات التركية لمناصرة الاتراك فتستولى على جزء من الجزيرة ، وتدخل القوات اليونانية تحت ستار حماية اليونانيين ، فتستولى على جزء آخر من الجزيرة وتعلن كل من الحكومتين التركية واليونانية تمسكهما بضم الجزء الذى استولت عليه قواتها ، ويتم بعد ذلك الاتفاق بين حكومتى اثينا وأنقرة ، وتؤيد الولايات المتحدة ومن ورائها حلف الاطنطى هذا الاتفاق الذى مهدت له وخططت

تساؤل حول سياسة الأسعار ؟

الاقمشة كما علمنا قد اتخذت من قبل جميع شركات النسيج ، وأبلغت تليفونيا الى المؤسسات والشركات التجارية . وقامت هذه الشركات بدورها بتعديل أسعار جميع الاقمشة الموجودة لديها — رغم أن هذه الاقمشة التي رفعت أسعارها موجودة لدى هذه الشركات قبل ما قبل من زيادة سعر تكلفتها المفاجيء ، هذه الزيادة التي أعطى تفسير لها بأنها لتغطية ماتحقق مؤخرا للعاملين كرفع الحد الأدنى للاجور وتقرير طبيعة العمل .. الخ

والان نضع بين أيديكم بعض النماذج من الاقمشة التي ارتفعت أسعارها :

صرح الدكتور عزيز صدقي رئيس الوزراء في الثاني من مارس الماضي ، بأنه ليست هناك أية زيادات في الأسعار ، وإنما على العكس ، سيتم تخفيض الأسعار كلما كان ذلك ممكنا .

وقد أكد السيد الدكتور فؤاد مرسى وزير التموين في سلسلة متتالية من الاحاديث الصحفية والتليفزيونية — ان اتجاه الوزارة هو عدم رفع الاسعار ، وإنما هناك عمل جاد لتخفيضها ، وأى سلعة لا يكون في الامكان تخفيض سعرها ، فسيظل سعرها ثابتا عند حده الحالي .

ولكن المستهلك المصري فوجيء في الاسباع الماضية ، بأن أسعار الاقمشة قد ارتفعت ، والامر المحير حقا ان القرارات التي اتخذت برفع أسعار

البيع بعد التعديل	البيع قبل التعديل	التكلفة بعد التعديل	التكلفة قبل التعديل	الصنف
مليم جنيه	مليم جنيه	مليم جنيه	مليم جنيه	
اصناف اسكو				
٢٠٦ر-	٢٨٠ر-	٢٦٠ر-	٢٤٠ر-	بويلين ٣٤١
٢٧٤ر-	٢٤٠ر-	٢٣٠ر-	٢١٠ر-	» سادة ٣٤٥
٣٠٦ر-	٢٨٠ر-	٢٦٠ر-	٢٤٠ر-	» كاروه ٣٥٢
٢٣٠ر-	٢٠٠ر-	٢٠٠ر-	١٧٥ر-	» محمر ٣٥٧
٢٨٢ر-	٢٦٠ر-	٢٤٠ر-	٢٢٥ر-	كستور مضلع
١٧٨ر-	١٦٥ر-	١٦٠ر-	١٥٠ر-	زهرة سادة
١٧٨ر-	١٦٠ر-	١٦٠ر-	١٤٥ر-	قيل اسود ٧٩٦
٢٣٠ر-	١٩٥ر-	٢٠٠ر-	١٧٠ر-	بويلين مشجر ٨٠٦
٢٠٧ر-	١٧٩ر-	١٨٠ر-	١٦٠ر-	قيل اسود ٨٠٦
٢٧٤ر-	٢٤٢ر-	٢٣٠ر-	٢١٥ر-	بويلين مشجر ٨٢٣
١٧٨ر-	١٥٥ر-	١٦٠ر-	١٤٠ر-	بركال مشجر
اصناف حلوان				
٢٧٤ر-	٢٦٢ر-	٢٣٠ر-	٢٢٠ر-	كستور فائلة
٢٠١ر-	١٧٨ر-	١٧٥ر-	١٦٠ر-	لبرك مطبوع ٨٠ سم
٢٨٢ر-	٢٦٢ر-	٢٤٠ر-	٢٢٠ر-	كريب قمصان سادة
٢٨٢ر-	٢٦٢ر-	٢٤٠ر-	٢٢٠ر-	بويلين محمر سادة ٩٠ سم
٢٦٨ر-	٢٣٦ر-	٢٢٥ر-	٢٠٥ر-	» مطبوع لانجريه
٢٩٤ر-	٢٨٢ر-	٢٥٠ر-	٢٤٠ر-	كستور مضلع
للشركة الاهلية				
٢٩٤ر-	٢٨٢ر-	٢٥٠ر-	٢٤٠ر-	لبنوه لكسترا مطبوع الاهلية
٢٩٣ر-	١٨٥ر-	٢٠١ر-	١٧٥ر-	كورد الاهلية مطبوع
١٩٠ر-	١٤٨ر-	١٦٥ر-	١٣٣ر-	قوال مطبوع
٢٣٠ر-	٢١٦ر-	٢٠٠ر-	١٩٠ر-	قوال ابيض عريض
١٥٧ر-	١٤٤ر-	١٤٠ر-	١٣٠ر-	قوال ابيض كنز
١٩٠ر-	١٧٨ر-	١٦٥ر-	١٦٠ر-	كشمير اسود
١٧٨ر-	١٥٦ر-	١٦٠ر-	١٤٠ر-	بركال مطبوع الاهلية
١٩٠ر-	١٨٥ر-	١٦٥ر-	١٦١ر-	بويلين ٤٥ مقلم
٢٥٦ر-	٢٥٠ر-	٢٢٥ر-	٢٢٠ر-	كستور فائلة الاهلية
١٧٢ر-	١٥٠ر-	١٥٥ر-	١٣٥ر-	لبرك ٢٦٠٠ مطبوع
٢٥٢ر-	٢٤٢ر-	٢٢٠ر-	٢١٠ر-	بيكة زهرة الاهلية
شركة السيوف				
٢١٣ر-	١٧٨ر-	٢٨٥ر-	١٦٠ر-	جكار ٣٦٥ السيوف

اصناف كفر الدوار	التكلفة قبل التعديل	التكلفة بعد التعديل	البيع قبل التعديل	البيع بعد التعديل
١٢٨/١	٣٦٠-	٤٠٠-	٤٣٨-	٤٨٨-
١٢٨/٤	٣٧٠-	٤١٠-	٤٥٠-	٥٠٠-
٢٤٤/٦	٢٨٠-	٣٠٠-	٣٣٠-	٣٥٤-
٢٥١/٧	٢٧٠-	٣٠٠-	٣٢٤-	٣٥٤-
٣٢٢/٦ مطبوع	٢٩٠-	٣٠٠-	٣٤٢-	٣٥٤-
" ٣٣٦/٦	١٦٠-	١٦٥-	١٧٨-	١٩٠-
٣٥٩/ الوان حريمى	٢٣١-	٢٤٠-	٢٧١-	٢٨٢-
٣٥٩/ن الوان حريمى	٣٣٠-	٣٥١-	٣٩٠-	٤٢٦-
٣٩٦/١	٣٠٥-	٣٣٠-	٣٦٠-	٣٩٠-
٤٩٠/١	٢٧٠-	٣٠٠-	٣١٨-	٣٥٤-
٤٩١/٢	٢٤٥-	٢٧٠-	٢٨٨-	٣١٨-
٥٠٥/٣/٤	٢٥٠-	٢٨٠-	٢٩٤-	٣٣٠-
٥٥١/٨	٢٠٠-	٢١٠-	٢٢٠-	٢٤٢-
٦٧٠/٣	٢٨٠-	٣٠٠-	٣٣٠-	٣٥٤-
٦٧٠/ب	٢٠٠-	٢٣١-	٢٣٠-	٢٧١-
٦٧١/١	٢١٠-	٢٥٠-	٢٤٢-	٢٩٤-
٦٧١/٢	٢٥٥-	٢٨٥-	٣٠٠-	٣٣٦-
٦٧١/٤	٢١٠-	٢٥٠-	٢٤٢-	٢٩٤-
٦٧٥/١	٢٣١-	٢٥٠-	٢٧١-	٢٩٤-
٦٧٥/٣/٤	٢٣٥-	٢٥٠-	٢٧٦-	٢٩٤-
٦٧٦/١/٢	٢١٠-	٢٤٠-	٢٤٢-	٢٨٢-
٦٧٦/٣/٤/٥	٢٥٠-	٢٦٥-	٢٩٤-	٣١٢-
٧٢٠/٨	٢٤٠-	٢٥٠-	٢٨٢-	٢٩٤-
٧٣١/١	٢٦٥-	٢٨٥-	٣١٢-	٣٣٦-
٨٤٨/١	٢٨٠-	٢٩٠-	٣٣٠-	٣٤٢-
٨٤٨/٢	٢٤٥-	٢٦٥-	٢٨٨-	٣١٢-
٨٥٠/١/٢/٣	٢٤٥-	٢٦٥-	٢٨٨-	٣١٢-
٨٥٠/٧	١٤٥-	١٥٥-	١٦١-	١٧٢-
٨٠٤/٢	١٦٥-	١٧٥-	١٩٠-	٢٠١-
٨٠٤/٣	١٣٠-	١٤٠-	١٤٦-	١٥٧-
٨٠٤/٤	١٥٥-	١٦٠-	١٧٢-	١٧٨-

وهكذا يحق للمستهلكين أن يبدوا دهشتهم وتعجبهم ، فبينما كل أجهزة الاعلام تؤكد لهم كل صباح ومساء أن الاسعار ستخف ، فاذا بهم ودون سابق انذار يفاجأون بالارتفاع فى اسعار كسائهم بهذه النسبة العالية .
على أية حال ، نأمل ان يعاد النظر فى هذا القرار طبقا للسياسة المعلنة .
عيد المنعم الغزالي

ننشر فى العدد القادم الجزء الاخير من :

٨٠ شهرا من حياة الطليعة

« الموقف من البورجوازية الوطنية »

مناقشات مفتوحة

الطبقة الوسطى في مصر

علق أحمد صادق سعيد
على مقال د. رفعت السعيد :

اطلعت بمزيد من الاهتمام على المقال الممتاز الذى نشرته « الطليعة » للدكتور رفعت السعيد فى عدد مارس الماضى، وفى رأى فعلا أن موضوع نمو القطاع الخاص بفئاته الاجتماعية المختلفة يستحق سلسلة من الدراسات الواقعية والاقتصادية والنظرية ، لأنه يشكل عنصرا من العناصر الأساسية التى تتحدد على أساسها استراتيجية الثورة المصرية . وأود أن أنتهز هذه الفرصة لأبدى بعض الملاحظات السريعة فى هذا الشأن .

١ - درس الدكتور رفعت اتجاهات الصعود فى الطبقة الوسطى فى الظروف الحالية ،

وقع خطأ مطبعى فى مقال « الطبقة الوسطى ودورها فى المجتمع المصرى » عند رصد ارقام الحصة النسبية للقطاع الخاص فى صناعة الغزل والنسيج من اجمالى الانتاج الصناعى .

وصحة الارقام هى :

عام ١٩٦٧/٦٦	٢٧ر٨ %
عام ١٩٦٨/٦٧	٢٣ر٩ %

وهى اتجاهات موجودة بالفعل ؟ ولكنه لم يشير الى أن هناك أجزاء منها تهبط باستمرار الى مصف البورجوازية الصغيرة فى المدن والريف ، لأنها لا تستطيع مقاومة المنافسة ازاء الكبار ، وليست لها « العلاقات » الاجتماعية وغيرها التى تمكنها من الوصول الى موارد المال والخامات اللازمة .

٢ - فيما يختص بميدان الزراعة ، فعلىنا أن نلاحظ النمو الضخم والسريع للزراعة الكثيفة ، زراعة الخضر والفواكه وتربية الدواجن الخ ، وهى زراعة رأسمالية من حيث مبالغ الاستثمارات والدورة السريعة للرأسمال . وهذه الانواع لا تحتاج الى مساحات كبيرة من الارض ، بل تكون الخمسين فدان قطعة كافية لجنى الارباح الطائلة . ولم تنفع حتى الان جميع المحاولات لفرض « تسعيرة ودية » على هذه المنتجات . وفى اعتقادى أن هذه النقطة هى المنبع الاساسى لنمو الطبقة الوسطى فى مصر فى الفترة الاخيرة بعد قوانين اصلاح الزراعى ، خاصة وانها لا تواجه أى منافس لعدم وجود قطاع عام زراعى ذى ثقل حتى الان ، وان مشاريع انشاء الشركات الزراعية ذات الطابع الحكومى مازالت فى طور الهدف .

٣ - وأخيرا ، فهناك نقطة أساسية لم يلتفت اليها الدكتور رفعت السعيد ، وهى الفكرية السائدة بين العديد من أعضاء الاتحاد الاشتراكي والقائلة باستمرار « التوازن » بين القطاعين العام والخاص فى الاقتصاد المصرى ، مما يدعوهم الى تأييد « الحماية » المستمرة للقطاع الخاص وبالتالي للطبقة الوسطى النامية . غير أن تجارب بلاد العالم الثالث وبلدان المعسكر

الاشتراكي على اختلافها أثبتت بصورة خفية أن ذلك التوازن وهم طيب لا يمكن أن يتحقق في الحياة العصرية التي تتميز بالحركة المستمرة ، فلا بد من أن ينمو أحدهما على حساب الآخر . فأما أن ينمو أحدهما على حساب الآخر . فأما أن ينمو القطاع العام ويتحول أكثر فأكثر إلى قطاع اشتراكي من حيث ادارته واستناده إلى التنظيم الجماهيري والاشتراكي ، وفي هذه الحالة يتقلص القطاع الخاص حتما ، وتستوعبه شيئا فشيئا التنظيمات الاقتصادية المشتركة بينه وبين الدولة أو التنظيمات التعاونية الاشتراكية ، وهذا هو الطريق إلى الاشتراكية في نهاية الامر . وأما أن يترك القطاع الخاص ينمو رغم كل القيود ، فيمتص لصالحه ربحية المشاريع العامة ، وهذا هو طريق التاميمات التي نفذتها بعض بلدان أوروبا الغربية ، كما أنه كان الطريق الذي أدى في بعض أقطار العالم الثالث إلى الانقلاب على السير نحو الاشتراكية وتحويل الدفة نحو التطور الرأسمالي مرة أخرى .

هذا من الناحية الاقتصادية البحتة . غير أن النتائج الفكرية والسياسية لهذه التطورات من أشد الأمور أهمية في الظروف المصرية التي يجتازها وطننا الآن ، وإذا كنا لا ننكر المشاعر الوطنية على الطبقة الوسطى المصرية بأكملها ، فليس من المصادفات الغربية في الوقت نفسه أن تصدر اليوم من بين صفوفها الدعوة السافرة إلى إيقاف التطور الاشتراكي ، وإلى تقييد الديمقراطية على الجماهير العاملة — فلاحين وعمالا وبورجوازية صغيرة ومثقفين — وإلى فتح أبواب « الاتصالات » مع الاستعمار الأمريكي أو الالتقاء مع إسرائيل في منتصف الطريق مع تضيق نطاق التعاون مع الاتحاد السوفيتي .



كتب خليل علي حيدر من الكويت ،
تعليقا على مقال فهمي هويدي عن :

التوسع الإيراني في الخليج العربي

لقد حوى عددكم الأخير ، الصادر في مارس ١٩٧٢ ، عددا من المقالات والبحوث الجيدة ، عن أوضاع الخليج العربي ومشاكله ، كان من جملتها مقال فهمي هويدي عن التوسع الإيراني في الخليج العربي ، أحببت هنا — بصفتي أحد الكويتيين ذوي الأصول الفارسية — أن أبين له بعض الأمور ، التي ربما لم تسمح له الظروف بأن يطلع عليها ، وبعض الملاحظات على ما أرى أنه

قد جأته التوفيق في استيعابها ؟ أملا أن يقبلها مني بصدر رحب ، وروح تقدمية حقيقية .

١ — يوجد نوعان من الهجرة الإيرانية إلى الخليج [أعنى دول وامارات الخليج العربية] ، جماعات هاجرت إلى هذه المناطق منذ أكثر من قرن ، إلى نصف قرن ، فرارا من الأوضاع الفقيرة والاقتصادية ، ولأسباب أخرى ، برغبتها ، وليس بناء على سياسة مرسومة مدبرة . [إذ كانت تحدث هجرات عربية مماثلة للشاطيء الإيراني أيضا ، ولنفس الظروف] . . . وهؤلاء لا يمكن بأي شكل من الأشكال اعتبارهم إيرانيين ، لأنهم — بحكم طول مدة بقائهم في الأرض العربية ، وارتباطهم الاقتصادي بها ، وخضوعهم لنفس التمايزات الطبقيّة التي يتعرض لها أخوانهم ذوي الأصول العربية ، بالإضافة إلى عشرات المؤثرات الأخرى — ولكونهم يحملون الجنسية العربية — لابد من اعتبارهم جزءا من الشعب العربي في الخليج ، لهم ما له من حقوق ، وعليهم ما عليه من واجبات . . . هذه هي الجماعة الأولى . أما الجماعة الثانية فهم المتسللون الإيرانيون ، الذين لا يختلف أحد على خطورتهم بالنسبة للمستقبل السياسي والوطني في المنطقة .

٢ — أن التمييز بين هاتين الفئتين لا يجب أن يكون — وهو ليس كذلك في الواقع — مبني على العواطف ، بل هو عين الديالكتك .

فلا يعقل — جدليا — أن تخضع جماعة ما للتطورات الموضوعية المختلفة ، وتتصارع بين صفوفها شتى أنواع التناقضات ، وتبقى هي هي ، والا فكيف يمكن البرهنة على قوانين علم الاجتماع وجدلية التاريخ ؟

٣ — لا أختلف مع الأخ فهمي ، في أن قوانين الجنس في امارات الساحل متسامحة وسهلة التجاوز إلى حد كبير ، ولكن لا أعتقد أن هذا يصدق على الوضع في الكويت مثلا ، حيث لا تمنح المادة الأولى [أقصد الجنسية وفق المادة الأولى] ، إلا للذين تثبت الأدلة تواجدهم في البلاد منذ عام ١٩٢٠ .

ولا أختلف مع الأخ فهمي ، في أن ثمة سوء تطبيق وتجاوز لهذا القانون [هذا جائز ولكن لا دليل على صحته أو بطلانه حتى الآن] ، إلا أن هذا يجب ألا يوهمنا أن عدد هذه التجاوزات كبير وشامل .

٤ — يقول السيد فهمي عن « الوضع » في الكويت : توجد جالية إيرانية غنية وقوية ، لها من يمثلها في مناصب الحكومة ، بل أن اثنين من ذوي الأصل الإيراني دخلا مجلس الأمة الكويتي السابق

بالانتخاب . ومطلع هذه الفقرة لا يتفكر على معطيات الفكر العلمى الجدلى فقط ، ولا يتعارض مع الحقائق الموضوعية والتاريخية فحسب ، بل يتنافى — فيما أعتقد — مع أبسط معطيات الفكر القانونى والحقوقى ، الذى لم ينبغ فيه أحد كنبوغ اخوتنا فى مصر منذ أيام رقاعة رافع الطهطاوى ، فبالإضافة الى أن الايرانيين فى الكويت ليسوا من نوع واحد [وهذا ما بينته فى مطلع الرسالة] ، فانهم أيضا ليسوا جميعا أغنياء ، كما أنهم بالتأكيد ليسوا أقوياء .

ان مقال السيد فهمى لا يزيد ان يصورنا على شكل جماعة الزردشتيين فى بومبى ، أو « اليهود » فى أمريكا . وهذا ما يرفضه واقع الحياة فى هذا البلد . . .

ان ما أشار اليه الاخ فهمى بـ « الجالية الايرانية » ، انما هو وضع فى غاية التعقيد ، وبحاجة الى دراسة تحليلية دقيقة .

هـ — جاء فى برنامج العمل الوطنى الديموقراطى للجهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربى ما يلى :

« ان الاستعمار البريطانى والرجعية العربية والايرانية ، يحاولون بشتى الوسائل تزييف طبيعة الصراع فى المنطقة ، لتحويله من صراع ضد الوجود الاستعمارى وعملائه الطبقيين ، الى صراع ثنوينى بين العرب والاقليات القومية التى توافدت على ساحة عمان والخليج العربى ، مع اكتشاف النفط ، ويفتعلون ويسعرون العداء بين العرب والايرانيين » . . . [الطبيعة الكويتية — العدد ٣٦٤] .

لقد اوضحت الحركة الوطنية والقومية فى الكويت موقفها من قضية الهجرة كالاتى :

[أ] الموقف من الكويتيين من أصل فارسى :
اننا نعتبرهم جزءا من الشعب الكويتى ، وهم يخضعون لنفس التمايزات الاجتماعية القائمة فى الكويت ، بينهم الفئات التى ارتبطت مصالحها بالاحتكارات الاجنبية ، وبالإمبريالية وعملائها فى المنطقة ، وهناك الفئات الأخرى التى تسعى للتحالف معها ، وتعبئتها من أجل التطور الوطنى للبلاد . أما الآراء المتعصبة ضد الكويتيين من أصل ايرانى ، فقد شجبناها ، سواء داخل البرلمان أو عبر مجلة الطبيعة [الكويتية] .

[ب] الموقف من المتسللين الايرانيين : ان هذه القضية معقدة ، نحن واثقون ان ٩٩٪ من هؤلاء ، هم كادحون ، يبحثون عن العمل ولقمة العيش التى حرمهم منها نظام بلدهم . ولكنهم

— بحكم مستوى وعيهم السياسى المتدنى — يمكن أن يقوموا فريسة للنشاط التخريبى المضلل للرجعية الايرانية ، ويشكلوا احتياطيا لها ضد مصالح البلدان التى يعملون فيها .

اننا فى الوقت الذى نطالب فيه بوقف التسلل ، نعمل ، وبالتعاون مع العناصر والقوى الايرانية التقدمية ، من أجل عزل وفضح النشاط الرجعى للحكومة الايرانية بين أوساط المتسللين ، وتحويلهم — وهم الفئات الكادحة — الى احتياطى للحركة الشعبية ، وامتدادا للحركة التقدمية فى بلدهم ، ونؤكد هنا ، مرة أخرى ، على مسئولية العناصر التقدمية الايرانية فى تحقيق هذا التحول ، ونؤكد أيضا الموقف الحازم ضد التسلل ، وأيضا ضد المخططات المعادية التى تستفيد من هذا التسلل .



كتب مصطفى الزهرى
من الدار البيضاء — المغرب عن

تكامل الفلسفة والسياسة

بدا التفكير الفلسفى عند اليونان فيزيقيا — يرصد ظواهر العالم الخارجى ، محاولا صياغة قوانين « كلية » تفسر ماهية الوجود المادى . وهى صورة ثقافية على ما فيها من تنظير للاستنتاجات العلمية الاولى ، تجسد الفعالية المباشرة للحركة الفلسفية آنذاك . واستمرت الفلسفة — لما يقارب القرنين — تنزع نزوعا علميا فى تحليلاتها . الى أن جاء سقراط فأنسناها [أى صيرها ذات طبيعة انسانية] وجعلها تتخذ موقفا أخلاقيا ووجوديا ازاء الازاء السياسية ، والاهتمامات اليومية للإنسان الاغريقى ، وحتم سقراط بالتالى على نفسه أن يحدد موقفه السياسى — بأن يقول كلمته تجاه الصراع الايديولوجى لحزبى الديمقراطيين والارستقراطيين فكانت كلمته : كلمة حرة ، ذات الافق الفلسفى ، والمضمون السياسى . . . ويومها نضجت الفلسفة ، وأدرك الفيلسوف أنه من أحق وأسبق الناس الى ضرورة التمرس بالواقع والالتزام بقضايا المجتمع والسياسة : هكذا كان افلاطون — أبوالتخطيطات السياسية والاقتصادية ومبتكر المناهج البيداغوجية . ومكافيلى داهية الدبلوماسية ، ورسول فكرة القوميات الاوربية . وهوبز داعية الحكم المطلق ، والمؤسس الاول لفلسفة تنازع البقاء . . . وجوك لوك الديمقراطى الثورى . بل ان الميرح الاغريقى نفسه كان يتجه فى أرفع

نماذجة القبطية اتجاها سياسيا مباشرا غسدة
أحد أقطابه الاوائل : اريستوفانيس ، الذى كان
لا يتخرج عن انتقاد الاوضاع الاجتماعية
والسياسية ، فى شكل « المهاة الساخرة » .
الفيلسوف اذن لم يعد ذلك « الشيخ » المحايد
الشيروفرينى المغمم بعشق حقيقة « الحقيقة »
الذى لا يمل العدو لاهتا وراء المطلق والهوية
من خلال تفكيره الماورائى . وانما أصبح يقيم
الدليل العينى على كسونه مفكرا ديناميكيا ،
يتخذ المواقف باستمرار ازاء مشاكل الانسان
والحضارة والمجتمع ، ممارسا وظيفته
المشروعة ..

من أدب وثقون وعلوم إنسانية - كمترحيات بريخت مثلا ، « والوجودية الماركسية » عند ميرلوبونتي ، و « كخصائية » أما نويل مونى . . وهذه كلها اذ تدافع عن كرامة الفرد ازاء قهريات المجتمع ، اعتبرت الفلسفة أداة في خدمة « العمل » . بل ان فلسفة « الاستطيقا » نفسها رغم مفاهيمها الجمالية الصرفة ، فانها لم تهيب دخول غمار الشؤون السياسية ، وذلك على يد مؤسسها في العصر الحديث جورج لوكاش .

واليوم ونحن على ابواب القرن الواحد والعشرين ، لازالت « السياسة » - ان تصورا أو ممارسة - تعد من بقايا المواضيع الطوطمية من مسها فهو هالك . فالاباء يخشون على ابنائهم من عواقب التدخل في هذا العالم الخيف الاسود الذي هو السياسة . والاطفال والزوجات يخافون على أزواجهن وآبائهن مغبة أن يقذف بهم في غياهب السجون . ولسان حال الجميع يقول مع المازني : « لعن الله السياسة والسياسيين والروس والأمريكيين [عوض اليابانيين] والناس أجمعين » . وهذه صورة قومية دالة على أعراض مرض « الحبس الذهني » - الذي هو من أشيع وأشنع العاهات الذهنية للعقلية العربية التقليدية . فنحن نفكر في « أشياء » ونخاف التفكير في « أشياء » أخرى . جاهلين ان السياسة « علم » قبل أي اعتبار ، ولها رجالها العلماء .

فالبشرية اليوم تعيش مدة « وقف التنفيذ » %
وناقوس ابادتها قد يدق بين عشية وأخرى :
ومن هنا كان هذا « القلق » بمفهومه الوجودى -
يساور كل فرد يتحرك فوق هذا الكوكب المتفجر .
فالتفكير السياسى المعاصر ، سواء من الوجهة
العلمية أو الفلسفية [الايديولوجية] أو الفنية
[المسرح الطلائعى مثلا] هو ظاهرة ثقافية
حضارية حتمية ، ومن المواد الغذائية اليومية

لعمرك كل انسان متنازع... والتفكير السياسي مهما كانت طبيعته الايديولوجية - فانه بحكم التحامه العضوى مع المشاكل اليومية لحضارة القرن العشرين ؛ وبحكم خصائصه الحركية لا مناص من أن يجد صدى واهتماها وتواجدا لدى كل « الشباب » المثقف وغير المثقف نظرا لما يتمتع به « الشباب » من امكانيات بيولوجية وفكرية ديناميكية تحفزه على معانقة كل ما هو عملى ابتكارى ايجابى فى كل من المجالين النظرى والتطبيقى . وهذا من سمات التفكير الفلسفى الثورى الحديث الذى يجد فى السياسة الثورية رافدا خصبا له .

نستخلص من هذا التحليل المقتضب لمفهومى « الفلسفة » و « السياسة » انهما كصورتين ثقافيتين لاي تجمع انساني - سارا دوما على درب التكامل الوظيفى ؛ ولم يتعارضا موضوعيا الا فى تصورات بعض الناس .

لقد التصقت الفلسفة بالسياسة منذ اربع قرون قبل المسيح أيام سقراط .



حول مشروع الملك حسين

جاءنا من المجلس القومى للسلام بجمهورية مصر العربية البيان التالى

فوجيء الراى العام العربى بمشروع الملك حسين لاقامة ما يسمى بالملكة العربية المتحدة الذى يتضمن انشاء اتحاد فيدرالى بين الضفتين الشرقية والغربية للاردن .

ويأتى هذا المشروع فى ظروف سياسية بالغة الصعوبة تواجه النضال العربى عامة ، والنضال الفلسطينى خاصة .

فالامة العربية وهى تواجه صراعا مصيريا يستهدف ازالة آثار عدوان ١٩٦٧ وضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى وفى مقدمتها حق العودة للوطن وتقريره مصيره عليها .

والامة العربية وهى تستشعر ضرورة توحيد كل جهودها من أجل تحقيق هذا الهدف ومن أجل مواجهة المخطط الامبريالى الصهيونى الموجه ضد الامة العربية جميعا وليس ضد الفلسطينيين وحدهم .

ومن هنا فان انفراد الملك حسين باتخاذ قرار يخص الشعب الفلسطينى والارض الفلسطينىة والمستقبل الفلسطينى ليس مجرد انكار لابطس حقوق شعب فى تقرير مصيره ، وانما هو تفتيت لوحدة الصف العربى وخروج على اجماع الامة العربية .

ان جوهر أزمة الشرق الاوسط كلها يكمن فى ضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى وليس فى تجاهل هذا الحق .

يكمن فى هزيمة مخطط العدوان وليس فى التهاون مع المعتدين .

يكمن فى توحيد صفوف العرب فى مواجهة العدو الواحد وليس فى بذر بذور التفارقة وتكريس الدعوة لها .

ومن هنا فان انصار السلام المصريين يرفضون مشروع الملك حسين ويدعون الامة العربية كلها الى رفضه . والى مواصلة النضال موحدة الصفوف من أجل ازالة كل آثار عدوان ١٩٦٧ ومن أجل ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

المجلس القومى للسلام



الطرق الاقتصادية لرفع كفاية الانتاج القومي

مكتبة
الطلبة

يكان يكون الاقتصادى السوفيتى ليبرمان من أشهر كتاب الاقتصاد السوفيت لقرأ العربية ، ولقد ساهمت مجلة « الطلبة » فى تقديمه الى القارئ العربى بنشر مقالين له : « حول الخطه والربح والعلاوات » (مارس ١٩٦٥) ، و « حول مفهوم الربح بين الاشتراكية والرأسمالية » (يونية ١٩٦٦) .

و ي . ج . ليبرمان (Liberman E.G.) من - مسوالين ١٨٩٧ . حصل على درجة D.Sc. فى العلوم الاقتصادية عام ١٩٥٦ . عن بحث بعنوان « طرق رفع ربحية المشروعات الاشتراكية » ، وهو أستاذ العلوم الاقتصادية بمعهد اقتصاد خاركوف التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية .

واود قبل ان تعرض لمضمون العمل الحالى - الذى يعتبر احدث انتاج علمى له - ان اقف فى البدايه حول ظاهرة الاهتمام الزائد من جانب اجهزة الدعاية البرجوازية باعمال ليبرمان ، وتشويه افكاره الاقتصادية ، وهى ظاهرة لابد ان يتعرف عليها القارئ العربى ، طالما أنه قد تعرف

تأليف

ي . ج . ليبرمان

عرض

حلمي سنلام

على انتاج هذا الكاتب ، وبالتالي أصبح طرعا في القضية ، وهي ظاهرة تناولها ليبرمان بنفسه بالبحث ، في تقديم كتابه .

الدعاية البرجوازية ... وليبرمان

لقد تمعدت أجهزة الاعلام البرجوازية ، ومازالت تعتمد تشويه الاراء العلمية لعدد من العلماء الاقتصاديين - السوفيت ، في متابعتها لخطوات الاصلاح الاقتصادي في الاتحاد السوفيتي . ويتخذ هذا التشويه اتجاهاين رئيسيين : اولهما تصوير الاصلاح على أنه تابع من آراء اقتصادية فردية ، وثانيهما تشويه الفكر الاقتصادي للاصلاح .

فعلى الجانب الاول ، ضخمت الصحافة البرجوازية - على غير ما أساس - دور ليبرمان في عملية الاصلاح الاقتصادي ، في محاولة لتشويه حقيقة أن هذه المهمة الضخمة شاركت فيها أعداد هائلة من الشعب السوفيتي ، وأن مساهمة ليبرمان فيها لا تعدو - كما يقول هو نفسه - دوره كواحد من عديد من الاقتصاديين الذين ساهموا بفكرهم في التطوير . لقد نبعت الحاجة الى تطوير النظام الاقتصادي منذ المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ، والذي جاء احدا قراراته مؤيدا الى أن يقوم نظام التخطيط وتقييم الاداء على أساس توفير مصلحة مادية للمشروعات والعاملين فيها في انجاز واجبات أكبر من الخطة وفي تحقيق أقصى انتشار للخبرة الانتاجية المقدمة . وكان أن بدأ الحوار حول الاصلاح الاقتصادي على مستوى جماهيري واسع ساهمت فيه الصحف ومختلف وسائل الاعلام ، وشاركت فيه مختلف المستويات من علماء الاقتصاد ومديري المشروعات والعمال السوفيت . فلقد تلقت جريدة « برافدا » وحدها حتى نهاية عام ١٩٦٢ ما يزيد على ألف مقال حول هذا الموضوع ، هذا عدا المواد التي تلقتها ونشرتها صحف « ايفستيا » ، و « العمل » ، و « الصحيفة الاقتصادية » ، و « الشيوعي » ، و « قضايا الاقتصاد » وغيرها . وجاء التقرير الختامي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي المقدم الى المؤتمر الثالث والعشرين للحزب مؤكدا على ضرورة التغيير الجذري في طرق الاشراف والتخطيط الاقتصادي .

وفي نفس الوقت دار فيه هذا الحوار الواسع أجريت عدة تجارب اقتصادية وعلى الاخص في

صناعة الملابس بدأت عام ١٩٦٣ في اتصادين صناعيين هما « البولشفيتشكا » في موسكو ، و « ماياك » في جوركي ، وبرزت نتائج هذه التجارب (١٩٦٣ - ١٩٦٥) بوضوح تام سلامة اتجاهات الاصلاح الاقتصادي . وفي أكتوبر ١٩٦٤ تجمعت كافة النتائج والبيانات والاراء في دور انعقاد اللجنة المركزية للحزب ، وفي عام ١٩٦٥ شكلت لجان خاصة لدراسة الاقتراحات المختلفة ، وعلى أساس ذلك كله أعدت قرارات سبتمبر ١٩٦٥ ، الصادرة عن اللجنة المركزية للحزب ، والمنظمة للاصلاحات الاقتصادية .

وكان دور ليبرمان في هذا الحوار القومي الهائل كعالم اقتصادي - على حد تعبيره - مجموعة المقالات والكتابات التي كان أهمها ما نشر بالبرافدا « حول الخطة والربح والمكافآت » ، و « مرة أخرى حول الخطة والربح والمكافآت » . هذه بالدقة الاجراءات التي تمخضت عن الاصلاحات الاقتصادية السوفيتية - حوار جماهيري واسع ، لجان اقتصادية متخصصة ، تجارب اقتصادية عملية ، لجان حزبية وقرارات قومية - اما المعلقون البرجوازيون فقد اكدوا ، وما زالوا يؤكدون ان الاصلاح الاقتصادي السوفيتي يتم - على حد تعبير ليبرمان نفسه - « بفضل اليد الخفية لليبرمان » .

وعلى الجانب الآخر تولت أجهزة الدعاية الغربية تشويه أفكار الاصلاح الاقتصادي ، بما فيها أفكار ليبرمان نفسه ، فصوروها على أنها « عودة الى الرأسمالية ! » و « عودة الى فكرة الرأسمالي وجهاز السوق » ، و « استخدام الاداة الرأسمالية للتنمية الانتاج - الربح » ، فضخمت - على غير ما أساس - دور الربح في الاصلاحات الاقتصادية . لقد عبرت كلمات تقرير اللجنة المركزية للحزب (١) عن الاصلاح الاقتصادي بأنه « انعكاس للظروف المتغيرة للاقتصاد الاشتراكي ، وللنمو المتصاعد للانتاج الاشتراكي الحديث ، وللتغيرات النوعية في هيكله ، ومقتضيات الثورة العلمية - التكنولوجية » . ويتلخص جوهر الاصلاحات الاقتصادية في « تقوية دور الطرق الاقتصادية للإدارة ، واكتمال التخطيط القومي ، وتوسيع نطاق استقلال المشروعات وحوافزها ، وادخال واستكمال مبادئ الحساب الاقتصادي » .

وبالنسبة لأفكار ليبرمان فهو لا ينكر دعوته الى استخدام الربح كمؤشر لتقييم اداء المشروعات -

(١) تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي بمناسبة مرور خمسين عاما على ثورة أكتوبر الاشتراكية، موسكو ، ١٩٦٢ .

وهو في هذا لم يخرج عن الافكار الاقتصادية الرئيسية الماركسية اللينينية - ولكن على أساس تحقيق أهداف الخطة من حيث كمية ، وجودة المنتجات ، وتواريخ الانجاز (٢) . وهو في مقال آخر (٣) يؤكد : ان الربحية في ظروفنا لا تعتبر المؤشر الوحيد لقياس الكفاية ، فقبل كل شيء يجب تقييم نشاط المشروع على أساس مدى انجازه للتعاقدات المخططة من حيث الكمية ، واصناف ، وجودة المنتجات ، ومواعيد الانجاز ، ويعتبر التعاقد على أساس الاتصال المباشر بين الموردين والمشتريين أساس التخطيط ، وانجاز هذه الخطط من جانب المنتجين (الموردين) يجب أن يولد الربحية » .

الخصائص العامة للإصلاحات

الاقتصادية السوفيتية

ان نجاح تطبيق الإصلاحات الاقتصادية يعتمد بدرجة أساسية على الوصول الى المزيج الأمثل بين الإدارة المركزية من ناحية ، والاستقلال الاقتصادي للمشروعات من ناحية أخرى ، كذلك يعتمد على تدعيم أنظمة الحوافز المادية والمعنوية ، والاستخدام الاشتراكي للعلاقات السلعية - النقدية وما يرتبط بها من مفاهيم اقتصادية (الأرباح ، الاسعار ، الائتمان وغيرها) ، والتي تأخذ مضمونها اجتماعيا جديدا في ظل الظروف الاشتراكية .

ويلخص ليبرمان الاتجاهات الرئيسية للإصلاح الاقتصادي في الآتي :

١ - رفع المستوى العلمي للتخطيط ، والوصول به الى أقصى اكتمال ممكن ، وتقوية دور الخطط طويلة الاجل ، والانماط في التخطيط .

٢ - استئصال الاجراءات الزائدة (غير الضرورية) للنشاط الاقتصادي للمشروعات ، ومدها بالاصول اللازمة لتنمية وتطوير الانتاج .

٣ - تقوية وتطوير الحساب الاقتصادي ، ودعم دور الاسعار ، والأرباح ، المكافآت ، والائتمان في الحفز الاقتصادي للانتاج .

٤ - الاتجاه الى مبدأ إدارة الفروع الصناعية (مجموعات المشروعات المتجانسة) .

وتعرض المؤشرات الاقتصادية التي تغيرت تبعا للإصلاحات الاقتصادية ، والتي يمكن تلخيصها في اتجاه عام نحو تقليل المؤشرات المخططة المحددة بواسطة المستويات الاعلى في هيكل الاقتصاد القومي ، وتوسيع الاستقلال الاقتصادي للمشروعات . ولقد أدى ذلك بدوره الى تغيير « موقع المشروع الاشتراكي » ، وأعطى مديره الكثير من السلطات ، بشكل يصبح معه المشروعات مصلحة أكبر في انجاز مستويات أعلى من الاداء المخطط ، ويتيح بالتالي استخدام كامل للمكانيات والموارد المتاحة للمشروع . ويتحقق ذلك من خلال نظام موحد للتخطيط والحفز الاقتصادي للمشروعات ، بشكل يضمن تعظيم الدخل القومي للبلاد ، وبذلك تتلاقى بشكل أكبر مصالح المجتمع ، ومصالح المشروعات ، ومصالح كل فرد من العاملين .

كذلك أعيد النظر في نظام مدفوعات ومقبوضات المشروعات الى ومن ميزانية الدولة بشكل يحفز على زيادة الانتاجية ، فأصبح تمويل الاستثمارات الرأسمالية للمشروعات يتم بشكل رئيسي عن طريق المصادر الخاصة للمشروع (تمويل ذاتي) أو الجهاز المصرفي دون الاعتماد على ميزانية الدولة . وفرضت مدفوعات للخزانة عما في حوزة المشروع من اصول مما يحفز على الاستخدام الصحيح والاقتصادي الكامل لها . لقد نظمت المدفوعات بشكل يتيح للمشروع الذي يعمل بكفاءة تحقيق ربح كاف لتشجيع العاملين (مكافآت) ، ولتغطية باقى الالتزامات المخططة ، وكلما ازدادت كفاءة المشروع في تحقيق أهداف الخطة ، كلما زاد ما يتلقاه من أرباح ، وزاد ايضا ما يتبقى في حوزته منها .

وينبئ ليبرمان الى أهمية عدم تدخل التعليمات المركزية في طرق وقواعد توزيع المكافآت على العاملين بالمشروعات ، بل على كل مشروع تبعا لظروفه أن يعد لائحة بنظام توزيع المكافآت على اسس معينة ، يختار منها على سبيل المثال : رفع مستوى جودة المنتجات ، والاقتصاد في استخدام الخامات ، وابتكار منتجات جديدة .

مفهوم الربح في ظل الاشتراكية

يختلف الربح في الاشتراكية من حيث مضمونه اختلافا جذريا عن الربح في الرأسمالية حيث أنه

(٢) ليبرمان ، « حول الخطة والربح والمكافآت » ، البرافدا ، موسكو ، ٩ سبتمبر ١٩٦٢ .
(٣) ليبرمان ، « مرة أخرى حول الخطة والربح والمكافآت » ، البرافدا ، موسكو ، ٢٠ سبتمبر ١٩٦٤ .

يعكس علاقات الانتاج الاشتراكية ، وأذا كان الربح هو الهدف والمحرك الوحيد لصاحب المشروع الرأسمالي ، فهو في الاشتراكية ليس الهدف الاساسي للانتاج القومى . ان هدف الانتاج في الاشتراكية هو الاشباع المتزايد لحاجات الافراد الشخصية والمشاركة (الاجتماعية) . وكرد من ليبرمان على المعلقين البورجوازيين الذين تحدثوا عن الاتجاه الجديد للعودة الى الرأسمالية يورد ليبرمان حديث لينين عن الربح ، وأنه اذا كان يعود للمجتمع لا للرأسماليين فهو ميزة اقتصادية من وجهة النظر الشيوعية (٤) .

كذلك يورد ملاحظات لينين على كتاب بوخارين « اقتصاديات فترة الانتقال » الصادر عام ١٩٢٠ ، فقد كتب بوخارين يقول : ان هدف الرأسماليين هو الانتاج من أجل الربح ، أما هدف الانتاج الاشتراكي فهو اشباع الحاجات الاجتماعية ، وكان تعليق لينين : « الربح أيضا يشبع الحاجات الاجتماعية حينما تؤول القيمة الفائضة الى كل الكادحين ، واليههم فقط ، وليس الى طبقة الملاك » (٥) .

ولقد أشارت قرارات اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ومجلس وزراء الاتحاد السوفيتى فى ٤ اكتوبر ١٩٦٥ « حول اكتمال التخطيط وتقوية الحفز الاقتصادى للانتاج الصناعى » الى انه :

« من الضرورى تقوية دور الارباح فى الحفز الاقتصادى للمشروعات وزيادة المصلحة المادية لفرق العمال ، وللعمال كأفراد فى تحقيق احسن نتائج العمل ، ويجب أن ترتبط مقادير الارباح التى يسمح ببقائها فى حوزة المشروع بتحسين النتائج الاقتصادية المالية للمشروع » .

ان المصلحة الاقتصادية للأفراد والمجتمع بشكل عام تقتضى اتباع نظام للحفز المادى ، غير أن هذا النظام يجب أن توضع له الحدود التى تضمن أن يؤدى الى الآثار الاقتصادية المرجوة . فعلى سبيل المثال الكل متفق على تشجيع خفض تكلفة المنتجات ، غير اننا يجب ان ننتبه الى ان خفض التكلفة يمكن أن يحدث على حساب انخفاض مستوى جودة المنتجات ، او انتاج منتجات غير مطلوبة من المستهلك . ولذلك يجب الانتباه الى أن الربح يمكن أن يتأثر بعوامل لا علاقة لها بكفاءة

المشروع مثل تغيرات الاسعار ، والوزن النسبى الكبير للمنتجات الجديدة المحققة لربح غير عادى ، وغيرها . ويرى ليبرمان انه لا يجب تخطيط الربحية عموما كمؤشر مستقل ، ولكن كملاقة او نسبة الى تكلفة المنتجات (معدل ربحية) .

فالربح فى ظل الاشتراكية هو تعبير نقدى عن فائض الانتاج ، وعلى ذلك فهو لا يتوقف فقط على مقدار العمل المبذول ، بل يتوقف بدرجة كبيرة على انتاجية هذا العمل المبذول . من هنا نجد من الملائم نسبة الربح الى قيمة الاصول التى أعطت الامكانيات الاقتصادية لحدوث معدل انتاجية العمل . ويؤكد ليبرمان على أن هذه الافكار تختلف بشكل جذرى عن النظرية البورجوازية لعوامل الانتاج الثلاثة المنتجة للقيمة (الارض - رأس المال - العمل) ، والتى خلقت لتبرر حصول الرأسماليين وملاك الاراضى على نصيب الاسد فى القيمة المنتجة بواسطة العمل ، والعمل فقط .

نحو اكتمال التخطيط المركزى

ان الادارة المركزية للاقتصاد القومى تعتبر أحد الخصائص الاساسية للاقتصاد الاشتراكي ، وتنبع من الملكية الجماعية لادوات الانتاج . ان كثيرين من خصوم ونقاد الاشتراكية قد انتقدوها من زاوية أن المركزية تولد بالضرورة البيروقراطية ، ولكنهم تناسوا أن المركزية السائدة فى الاقتصاد الاشتراكي هى « المركزية الديمقراطية » . و « المركزية الديمقراطية » هى النقيض لـ « المركزية البيروقراطية » ، وهنا يورد ليبرمان قول لينين : « الاشتراكية لا تخلق بتعليمات من أعلى ، وروح الاشتراكية بعيدة تماما عن الميكانيزم البيروقراطى . الاشتراكية الحية ، الخلاقة هى من خلق الجماهير الشعبية نفسها » (٦) .

والمحافظة المستمرة على الاساليب الديمقراطية فى الادارة هى الطريق الوحيد للتخلص من مظاهر البيروقراطية . ويذكر ليبرمان ان « كل نظام الادارة السوفيتى من أعلى الى أسفل يتبع النظام المركزى ، وفى نفس الوقت فالادارة من أعلى الى أسفل هى ادارة شعبية تمارس على أساس الديمقراطية على كل درجة من درجات السلم الادارى » .

والديمقراطية بالطبع لا تعنى الهروب من

(٤) الاعمال الكاملة للينين ، الطبعة الروسية ، موسكو ، الجزء ٤٥ ، صفحة ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٥) الملاحظات اللينينية ، الجزء التاسع ، موسكو - ليننجراد ، ١٩٣١ ، صفحة ٣٨١ - ٣٨٢ .

(٦) لينين ، الاعمال الكاملة ، الطبعة الروسية ، الجزء ٣٥ ، صفحة ٥٧ .

المسئولية الفردية ، مسئولية كل مدير ، وكل منفذ ، فعملية اتخاذ القرارات الادارية تنقسم على كل مستوى ادارى على أساس جماعى ، ولكن بمجرد اتخاذ القرار يصبح ملزما للمديرين ، والمنفذين على جميع المستويات الادارية ، بصرف النظر عن موقف هذا الشخص أو ذاك عند مناقشة القرار ، وبصرف النظر عن المركز الوظيفى له .

فى الدوائر الاقتصادية الغربية كثيرا ما يثور الحديث عن « اشتراكية السوق » ويرى ليبرمان أنها فكرة لا تختلف مطلقا عن نموذج المشروعات الرأسمالية الخاصة . ويربط الاقتصاديون فى الغرب بين فكرتى « الاهتمام بالمستهلك » و « الاعتماد على جهاز السوق » ويرى ليبرمان أنهما مختلفتان تماما ، فالفكرة الاولى ملائمة تماما ، ومطبقة فى ظل الانتاج الاشتراكى ، فبعد بناء قاعدة متينة للصناعة الثقيلة تقاربت معدلات انتاج معدلات السلع الاستهلاكية مع معدلات انتاج وسائل الانتاج فى أعوام ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ . لكن فكرة « الاعتماد على السوق » من شأنها أن تحول المشروعات الاشتراكية الى مشروعات كل منها يعمل على أساس السوق دون أية تعليمات مخططة مركزية ، ويفقد بذلك هيكل الانتاج الاشتراكى أهم سماته ، سيفقد هذا الحشد الانتاجى لتحقيق اهداف المجتمع الاشتراكى ، وعلى ذلك فانكار التوافق الاوتوماتيكى بين الانتاج والاستهلاك على أساس جهاز السوق مرفوضة تماما فى النضال من أجل رفع كفاية الانتاج الاشتراكى ، لقد أصبحت هذه الافكار مرفوضة من أى راسمالى حديث حيث ثبت عدم إمكانها العملى .

ويتساءل ليبرمان عن المقياس الصالح للتعبير عن مدى اكتمال الخطط الاقتصادية ، ويناقش الكتاب الآراء العديدة المختلفة حول هذه القضية ، والتي يدور أغلبها حول التوافق بين اشباع الاحتياجات الاجتماعية والفردية . ويرى ليبرمان أن مقياس الربحية يمكن استخدامه فقط اذا عبر الربح عن القيمة الجديدة المخلوقة كنتيجة لنمو انتاجية العمل . وعلى ذلك يجب أن يعزل عند تحديد الربح لهذا الغرض تأثير زيادات الاسعار دون رفع جودة المنتجات .

الطرق الاقتصادية

للتأثير على الانتاج

يرى ليبرمان أن الطرق الاقتصادية المؤثرة على الانتاج وكفايته يمكن أن تنقسم الى اتجاهين رئيسيين : الحفز الاقتصادى ، والاسعار . ويوضح الارتباط بينهما فى أن أساس الحفز هو

ضرورة تقييم الارتفاع المستمر فى جودة المنتجات عن طريق ضمان زيادة ربحية الانتاج ، وهو ما يتطلب بدوره سياسة مرنة للاسعار . أن التأثير الهادف على الانتاج يتحقق بربط مخصصات الحوافز للمشروع ، ولجماعات العاملين ، وللأفراد بمدى تحقيق أهداف الخطة المحددة لهم . ويؤكد ليبرمان على أهمية أن يتم هذا الربط على أساس الشرائح التصاعدية ، فليس من المعقول أن يسوى فى العقوبة - بتخفيض مخصصات الحوافز - بالنسبة لعجز فى تحقيق الخطة بنسبة ٢٠ فى المائة ، آخر بنسبة ٢٠ فى المائة ، ويقترح قياس مدى انجاز الخطة على أساس المنتجات المباعة فقط .

هذا بالنسبة لحجم الانتاج ، أما بالنسبة لتشكيلة المنتجات فيلعب الدور الرئيسى هنا معدلات الربحية المخططة لكل نوع من المنتجات بحيث يصبح المشروع ذو مصلحة مادية فى انتاج ذلك النوع ذو الاهمية النسبية على المستوى القومى . ويدعو ليبرمان الى تبسيط طرق حساب مخصصات الحوافز ، ويقترح توحيدها فى مخصص واحد للحفز الاقتصادى على أن يقسم عند الاستخدام بنسب محددة الى : مخصص الحوافز المادية ، ومخصص الخدمات الثقافية الاجتماعية وخدمات الاسكان ، ومخصص تنمية الانتاج .

ثم نأتى الى الشق الثانى من مشكلة الحفز الاقتصادى وهى « توزيع الربح » وقد أدى النظام الجديد الى استخدام توزيع الربح كأداة للحفز الاقتصادى عن طريقين :

١ - تحديد مدفوعات للميزانية العامة (الخزانة) عن اصول المشروع بنسب تتراوح بين ٣ فى المائة و ٩ فى المائة من قيمة هذه الاصول ، ومدفوعات اخرى على شكل عوائد لعوامل مختلفة .

٢ - ترك نصيب أكبر من الارباح حرا فى حوزة المشروعات .

ويتناول كتاب ليبرمان الاسعار ، وعملية التسعير باعتبارهما الجانب الآخر من الطرق الاقتصادية للتأثير على الانتاج ، ورفع كفايته فيعرض بالتفصيل لوجهات النظر المختلفة فى تحديد الاسعار . وهناك اتفاق عام على أن الاسعار لكى تؤدي دورها الاقتصادى جيدا يجب أن تولد مع الخطط على أساس نفس المبادئ والعوامل . وهناك فيما يتعلق بالتسعير ثلاث وجهات نظر : الاولى ترى أن أساس التسعير يجب أن يكون « المنفعة الاجتماعية » للسلعة ، والبعض الآخر يرى أن هذا الأساس يجب أن يكون « النفقة الضرورية الاجتماعية » المنفقة على السلعة ، ويؤيد ليبرمان وجهة النظر الثالثة التى تنادى بتحديد الاسعار على أساس حساب مشترك للمنفعة الاجتماعية وللنفقة الضرورية الاجتماعية مع استخدام موازنات الفروع الاقتصادية .

وثائق

ميثاق الحرية

برنامج المؤتمر الوطنى الافريقى لجنوب افريقيا

أقر هذا البرنامج فى مؤتمر
الشعب الذى عقد فى كيب —
تاون فى ٢٦ يونيو ١٩٥٥



تأسس حزب المؤتمر الوطنى فى جنوب افريقيا عام ١٩١٢ وكان تأسيسه
بمنابة اعلان عن توحيد مختلف قبائل جنوب افريقيا فى أمة واحدة .

ويلعب هذا الحزب دورا قياديا فى الحركة الوطنية . وقد كانت قضية
الوحدة الوطنية اهم قضية شغلت قيادة الحزب ، فسعى الى توحيد التنظيمات
الديموقراطية فى البلاد : كحزب المؤتمر الهنـدى الافريقى ، وحزب منظمة
الشعوب الملونة . وقد تمت الخطوات النهائية لهذه الوحدة عام ١٩٤٧ ، عندما

وافق حزبي مؤتمر « ناتال » و « ترانسفال » الهنديين على التعاون مع حزب المؤتمر الوطني في كل الامور التي تمثل مصالحهم المشتركة ، ثم انضمت لهذه الاتفاقية منظمة الشعوب الملونة ، وشكلت المنظمات بعد ذلك ما أصبح يعرف باسم مؤتمر التحالف ، الذي ضم المؤتمر الوطني والمؤتمر الهندي ومنظمة الشعوب الملونة ومؤتمر الاتحادات المهنية ومؤتمر الديموقراطيين ، الذي ضم بعض الاعضاء من البيض ، الذين استنكروا سياسة حكومة جنوب افريقيا العنصرية ، وابدوا استعدادهم لان ترتبط مصالحهم بمصالح الشعب الافريقي .

وفي مواجهة نمو الحركة الوطنية ، سنت حكومة جنوب افريقيا قانون « المناطق المعزولة » ، فقرر حزب المؤتمر الدعوة الى عقد مؤتمر لشعب جنوب افريقيا « يصوغ خطة عمل واضحة » تتناسب مع مستوى الطغيان والقهر المسائد في البلاد .

وفي يونيو سنة ١٩٥٥ ، عقد في « كليبتون » مؤتمر شهده ٣٠٠٠ مندوب ، يمثلون الهيئات السياسية والثقافية واعمال التعدين والزراعة والمهنيين ورجال الدين . وفي هذا المؤتمر ولد « ميثاق الحرية » ، الذي اقر نهائيا في المؤتمر السنوي الذي عقد في « اورلاندو » عام ١٩٥٧ ، واصبح برنامجا للحزب . وقد حدد الميثاق اساس الديموقراطية الوطنية ، التي تهيء الفرصة لشعب جنوب افريقيا في حياة حرة وكريمة . ويعد هذا الميثاق من اهم وثائق الحركة الوطنية الافريقية .

ونتيجة للتعاون الواسع الذي تم بين حزب المؤتمر الوطني والحزب الشيوعي لجنوب افريقيا [١٩٢١] في معارك ١٩٥٧ و ١٩٥٩ ، انشق بعض اعضاء المؤتمر الوطني على الحزب ، وكونوا حزب مؤتمر عموم افريقيا ، بزعم ان حزب المؤتمر الوطني « يخضع لنفوذ الشيوعيين والهنود » ، وكان السبب الحقيقي للانشقاق ، هو معارضتهم لميثاق الحرية ، وخاصة ثلاث فقرات فيه ، هي : « . . ان جنوب افريقيا ملك لكل من يعيشون فيه من السود والبيض » ، « . . ستعاد الى الشعب الثروة القومية وكل ما ورثه جنوب افريقيا من ثروة معدنية في الارض والبنوك والصناعات الاحتكارية . . وستنقل ملكية ذلك كله الى الشعب » ، « سوف تنتهي القيود المفروضة على ملكية الارض على اساس عنصرية ، وسوف يتم توزيع الارض من جديد فيما بين كل الذين يفلحونها ، من اجل القضاء على الفقر والجوع » .

ولم يجد المؤتمر الوطني امامه سوى طريق الكفاح المسلح ، في نفس الوقت الذي يواصل فيه تحريك الجماهير لشن معارك سياسية جماهيرية .

ونظرا لانه لا توجد اراض افريقية مستقلة على حدود جنوب افريقيا ، يبدأ من فوقها الكفاح المسلح ، تشارك المؤتمر الوطني في عام ١ٹ٦٧ ، مع حزب اتحاد شعب زيمبابوي الافريقي [زابو] ، اعلان بدء الكفاح المسلح في روديسيا ، وشاركت قواته مع قوات زابو في العمليات المسلحة منذ ذلك الوقت .

وفيما يلي تنشر « الطليعة » نص « ميثاق الحرية » : برنامج حزب المؤتمر الوطني لجنوب افريقيا .

اننا نحن شعب جنوب افريقيا نعلن الى كل شعبنا والى كل شعوب العالم : ان جنوب افريقيا هي بلد كل هؤلاء الذين يعيشون على ارضها .. سودا وبياضا ، وانه مامن حكومة تستطيع ان تدعى انها تحكم هذا البلد حكما عادلا طالما انها لاتمثل ارادة كل هؤلاء السكان ان شعبنا قد استلبت منه ارضه التي ولد عليها ، واستلبت مع الارض حرية وسلام وامن هذا الشعب بواسطة حكومة تقوم على الظلم وعلى التفرقة وانعدام المساواة .

وان وطننا لن يتمتع مطلقا بالرغاهية والحرية الا اذا تمتع كل شعبنا بالعيش في اخاء وتال كل افراد حقوقا متساوية وفرصا واحدة في العيش .

وانه لا يمكن ضمان حقوق المواطنة وحق المولد للجميع بغير تفرقة من اللون او الجنس او السلالة او العقيدة بغير قيام دولة ديمقراطية تستند على ارادة كل الشعب .

ولهذا فاننا نحن شعب جنوب افريقيا السود والبيض على السواء نعلن معا ، وعلى قدم المساواة اننا جميعا نتبنى ميثاق الحرية ، ونعاهد انفسنا على النضال المشترك والمتواصل والذي لا يدخر وسعا ولا يضمن باى جهد ولا بايه تضحية من اجل تحقيق هذه المطالب الديمقراطية .

ان يحكم الشعب نفسه بنفسه :

بان يكون لكل رجل وامرأة حق التشريع والترشيح لكافة الاجهزة التشريعية .

وان يكفل لكل انسان حقا متكافئا في الاسهام في ادارة البلاد .

وان تكفل الحقوق على قدم المساواة لكل المواطنين على السواء بغض النظر عن الجنس والسلالة واللون .

وان تقام اجهزة ديمقراطية للحكم الذاتي للاقلييات وان تسود الديمقراطية كافة الاجهزة الاستشارية وكافة المجالس وفروع السلطة .

ان تنال كل المجموعات الوطنية

حقوقا متساوية :

بان يكون هنا تمثيلا متكافئا في كل اجهزة الدولة والمحاكم والمدارس لكافة المجموعات الوطنية والاجناس .

وان تكفل لكل مجموعة الحق في استخدام لغتها الخاصة ، وفي تطوير ثقافتها الخاصة بها وتراثها وعاداتها .

ان يحرم القانون اى امتهان للكرامة الوطنية لايه مجموعة من هذه المجموعات ان يعاقب القانون اية دعوة عنصرية او محاولة لممارسة التفرقة العنصرية بأي شكل من الاشكال .

ان تلغى كافة القوانين والاساليب التي تكرس التفرقة العنصرية .

ان يحصل الشعب على حقه

في الثروة القومية :

ان الثروة القومية لوطننا ، وكل خيرات وخير ارض جنوب افريقيا هي ملك للشعب كله ويجب ان تعود اليه .

ان الثروة المعدنية التي في باطن ارضنا ، والبنوك ، والصناعات الاحتكارية يجب ان تصبح ملكا للشعب كله .

اما كافة الصناعات الاخرى والمتاجر فانه يتعين توجيهها لتسهم في خدمة رفاهية الشعب .

ان تكفل التجارة في اى مكان لاي مواطن ، وان يكفل لكل المواطنين الحق في ممارسة اية مهنة او حرفة او صناعة او تجارة .

ان توزع الارض على من يفلحها :

يجب ان تلغى كافة القيود العنصرية على ملكية الارض ، وان يعاد توزيع ملكية كل الاراضي الزراعية على هؤلاء الذين يفلحونها .

وعلى الدولة ان تقدم للفلاحين مختلف المساعدات والبذور والجرارات وان تبني السدود لتحسين التربة .

يجب ان يكفل لجميع العاملين في الزراعة حرية الانتقال .

يجب ان يعطى لكافة المزارعين الحق في الإقامة في اى مكان يختارون . يجب ايقاف هليجات نهب قطعان الماشية المملوكة للرعاة ، وان تلغى اعمال السخرة ، وسجون المزارع .

ان يكون الجميع متساوون

امام القانون :

يجب الا يسجن انسان او يعتقل او تقيد حريته بغير محاكمة عادلة .

ولا يمكن ادانة اى انسان بمجرد امر اداري يصدره احد المسؤولين . ويجب ان يكون القضاة ممثلين لكافة المجموعات الوطنية .

لاتوقع عقوبة السجن الا في حالة الجرائم الخطيرة التي ترتكب ضد الشعب ويجب ان يستهدف السجن اعادة تثقيف الانسان وليس الانتقام منه .

يجب ان يسمح للجميع على قدم المساواة بالانتساب الى القوات المسلحة والبوليس ، ويجب ان تكون هذه المؤسسات عوناً للشعب وحاميا له .

يجب الغاء كافة القوانين التي تستند الى التفرقة العنصرية على اساس الجنس او اللون او العقيدة .

ان يتمتع الجميع بحقوق

انسانية متساوية :

اذ يجب ان يكفل القانون لكل انسان حق الخطابة والتنظيم والاجتماع والنشر والتعبير عن الراى والعبادة وحق تعليم الابناء .

ويجب ان يحمى القانون حرمة المساكن من انتهاك البوليس لها .

ويجب ان يكفل حق الانتقال من الريف الى المدينة ، ومن مقاطعة اخرى ومن جنوب افريقيا الى الخارج ، لكافة المواطنين بغير قيود .

ويجب ان تلغى كل القوانين الخاصة بتصاريع المرور والاقامة ومختلف القوانين التي تعوق المواطنين من التمتع بالحقوق السابق الاشارة اليها .

كفالة حق العمل

والضمان الاجتماعي :

لكل العاملين الحق في تكوين نقاباتهم وفي اختيار مندوبيهم ، وفي عقد اتفاقات عمل جماعية مع اصحاب العمل .

ويجب ان تعترف الدولة بحق الجميع وواجبهم في العمل ، وان تؤمن المواطنين ضد البطالة .

اجر متساو للعمل المتساوى سواء بالنسبة للبرأة والرجل او بالنسبة للاجناس المختلفة .

4 ساعة عمل في الاسبوع ، حد ادنى للاجور على النطاق القومى ، اجازة سنوية مدفوعة الاجر ، مع كفالة حق جميع العمال في الاجازات المرضية ، وحق جميع العاملات في اجازات وضع مدفوعة الاجر .

يجب ان يتمتع عمال المناجم ، والخدم وعمال المزارع بكافة الحقوق التي تكفل للعاملين .

و «الجيتو» والغاء كل القوانين التي قد تؤدي الى تفتيت الاسر .

من أجل السلم والصدقة :

ان تكون جنوب افريقيا دولة كاملة الاستقلال ، تحترم حقوق وسيادة الامم الاخرى .

وان تناضل دولة جنوب افريقيا من أجل استقرار السلم العالمى ، ومن أجل ان تحل مختلف المشكلات العالمية من خلال المفاوضة وليس الحرب .

ان يمان السلم والصدقة بين الشعوب من خلال ضمان الحقوق المتساوية والمفرص المتكافئة للجميع .

يجب ضمان الحرية وحقوق تقرير المصير لشعوب المحميات الثلاث : باسوتولاند ، بيشوانالاند وسوازيلاند .

يجب الاعتراف بحق جميع شعوب افريقيا فى الاستقلال والسيادة ، وان يكون هذا الاعتراف هو أساس العلاقة والتعاون معها .

والان فليرتفع صوت كل انسان يحب شعبه ويحب وطنه ، ليرتفع صوته مع صوتنا .

« تلك هى الحريات ، التى سناضل من أجلها ، صفا واحدا طوال حياتنا . . حتى ننتزع حريتنا كاملة » .

من أجل مسكن آمن

ومريح لكل مواطن :

يجب ان يكفل لكل انسان الحق فى الإقامة فى اى مكان يختار ، وان يوفر له المسكن المريح والامن اللازم لإقامته هو واسرته .

وان توضع كل الوحدات السكنية غير المستعملة فى خدمة الشعب .

يجب ان تخفض الاجارات واسعار المساكن ، وان يكفل الطعام لكل مواطن وان نحمى الشعب من اخطار المجاعة . ويجب ان تضع الدولة خطة شاملة للصحة الوقائية .

يجب ان يكفل للجميع العلاج الطبى المجانى وحقوق العلاج بالمستشفيات مجانا مع كفالة وعناية خاصة للامهات والاطفال ان تتخلص من معسكرات الإقامة ، وتحل محلها احياء سكنية جديدة تزود بالطرق ووسائل النقل والانارة ، والملاعب والكنائس ومراكز الخدمة الاجتماعية .

يجب ان توفر الدولة رعايتها للشيوخ والتبامى والعجز والمرضى .

يجب ان يحصل الجميع على حقهم فى الراحة والاستمتاع باوقات الفراغ . ويجب الفاء معسكرات الإقامة

يجب تحريم تشغيل الاطفال والتشغيل الجماعى والعمل بالمقولة .

ان نفتح أبواب العلم والثقافة :

على الحكومة ان تكتشف وان تنمى وتشجع الجهود القومية لتطوير حياتنا الثقافية .

ويجب ان يكفل للجميع الاطلاع على كنوز الثقافة الانسانية ، وذلك باتاحة حرية تبادل الكتب والافكار والنشرات مع مختلف بلدان العالم .

ويجب ان يكون الهدف الاساسى للتعليم هو تحقيق الشخصية بروح الحب للشعب وثقافته الوطنية واحترام الاخوة الانسانية والحرية والسلم .

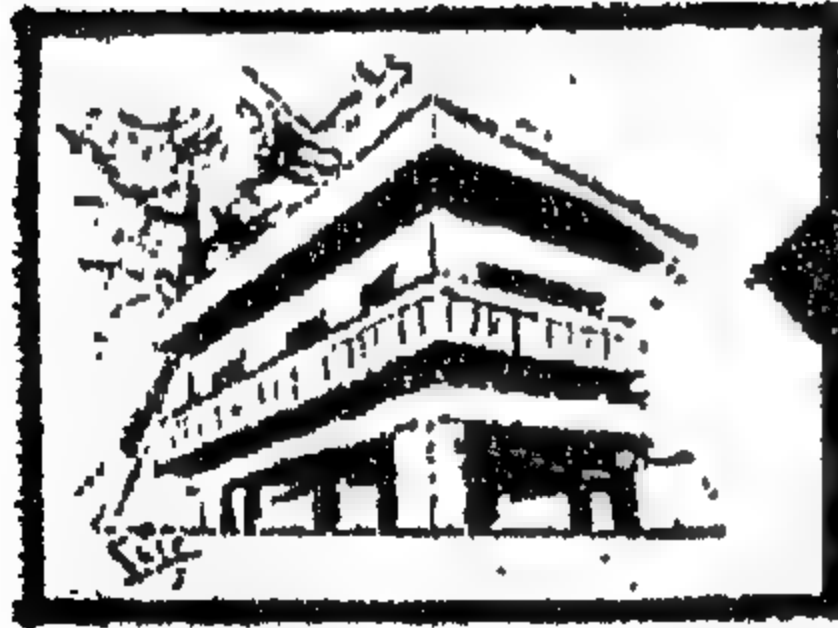
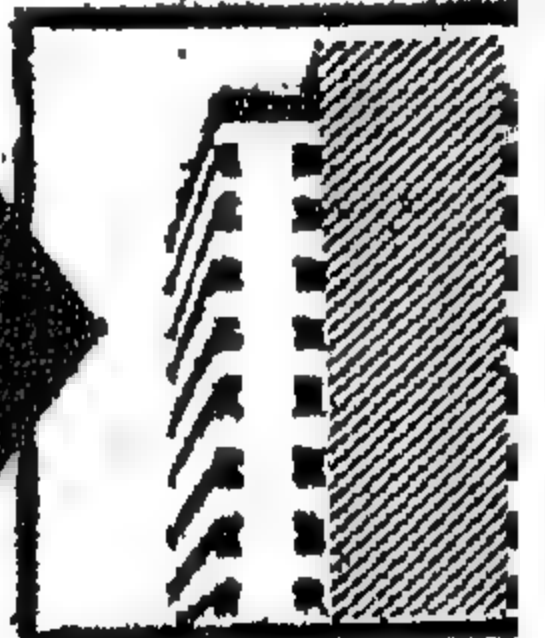
ويجب ان يكون التعليم حرا ، والزاميا ومكفولا لكافة الاطفال على السواء ويجب ان تفتح ابواب التعليم العالمى والتدريب الفنى تماما أمام الجميع ، وان تقدم الدولة المنح والتسهيلات الدراسية على أساس من الكفاءة وحدها .

ويجب ان توضع خطة قومية شاملة لحو امية الكبار .

ويجب ان يتمتع المدرسون بكافة الضمانات المتاحة لختلف المواطنين .

ويجب الغاء كافة اشكال التفرقة فى الحياة الثقافية والرياضية والتعليمية .

لبناء عمارة سكنية على ارضك



لتعليق عمارة القائمة

البنك العقاري المصري

يقترضك بتيسيرات لاحدودها وسيد تسديد الأقساط فى المواعيد التى تناسبك

الرأسعظم : اتصل بالمركز الرئيسى : ١١ من الشهرى ميدان مصطفى كامل - ٢٥ من غير الخائن شروق / القاهرة

..والآن...
نفرتي
..املى

عبرتها الزمنية
الجديدة

٢٠ سيجارة
سوبر ١٠٠ املى
٢٥ قرشا



إنتاج :
شركة النصر للدخان والسجائر

الطليعة

ملحق الأدب والفن

المعد الرابع — أبريل ١٩٧٢

البحث عن منهج
لنقد الشعر الحديث

بين أحزان فانت حمامة
وأفراح « المعظم عماشة »

يشرف على التحرير :

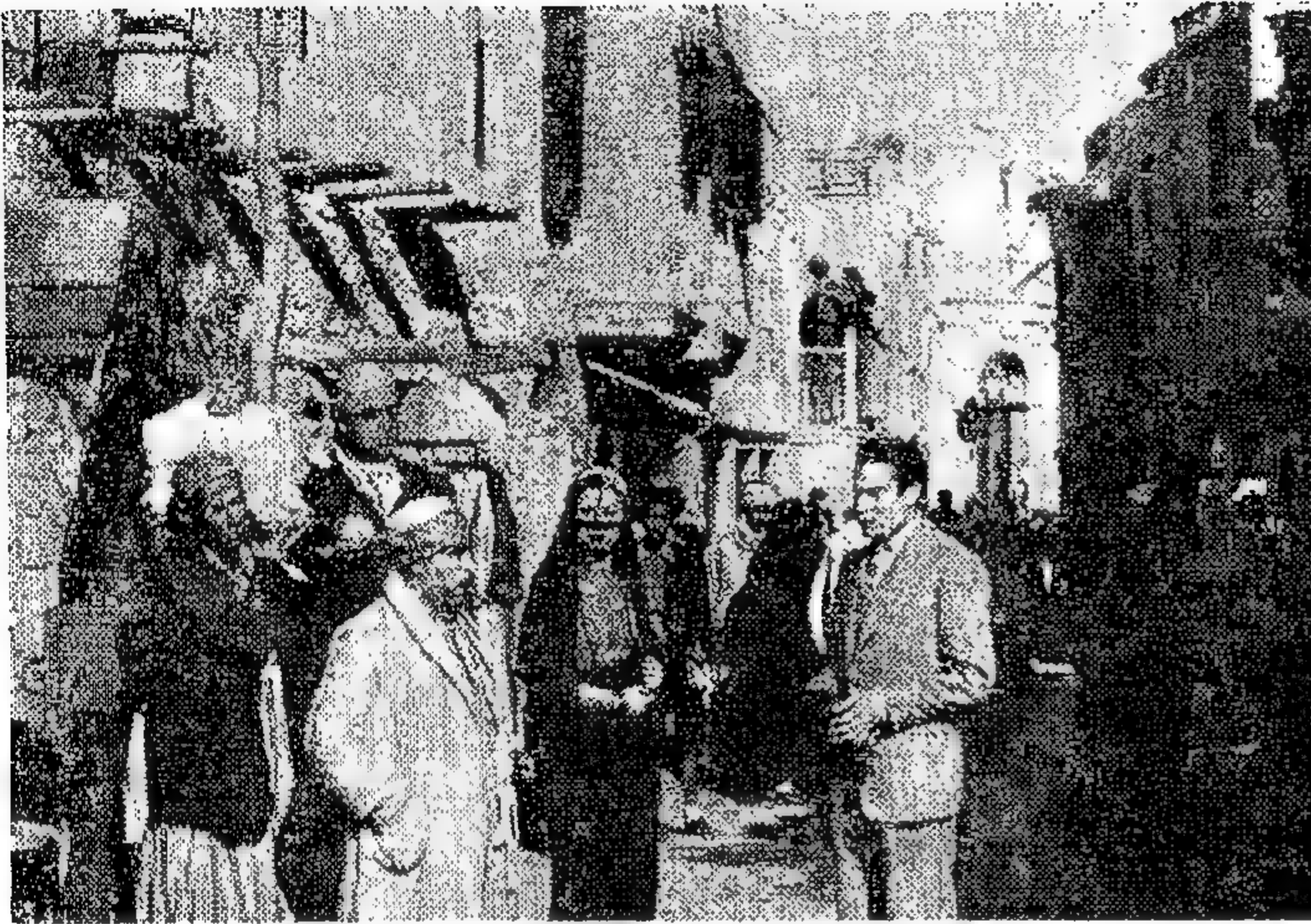
د. لطيفة الزيات

غالى شكرى

محمود درويش

سمير فريد

صبرى حافظ



لقطة من فيلم « السوق السوداء » للمخرج كامل النلمسانى
أحد رواد المدرسة الواقعية فى السينما المصرية

فى هذا العدد

بليفتون : بين احزان مابن حمامه وافراح « المعلم عماشة »

البحث عن منهج لنقد الشعر الحديث

« الدراسة »

كلتمان عن كامل النلمسانى

« كنب جديدة » اتجاهات التجريب فى مسرح القرن العشرين

موسيقى : رسالة موسيقية من أجل بناء البشر

قصة قصيرة : كومبارس من زماننا

رسالة موسيقية

من أجل بناء البشر

والتفيس عن الانفعالات المختلفة ومساعدة الطفل المنطوي على التحرر وسط المجموعة ، مع الانتباه ، والتركيز لمسايرة السرعات المختلفة للموسيقى .
٢ - الهدف الموسيقي وهو الاحساس بالتباين في السرعات المختلفة للاداء الموسيقي المتميزين الثالث : تسميع الاطفال بعض المقطوعات الموسيقية مع سؤالهم عن احساسهم العام تجاهها ، وذلك يحقق : ١ - الهدف التربوي ، وهو تنمية القدرة على الاستماع الواعي ، وغرس عادات سلوكية سليمة للاستماع عند الطفل وهذا يوجب التركيز ايضا . ٢ - الهدف الموسيقي : وهو تكوين عادة الاستماع الى الموسيقى ونقدها ، والتعرف على الانواع الراقية في الاعمال الموسيقية ، والتدرج بالاطفال الى مستوى التذوق المبني على الفهم والادراك .

■ نتائج التجربة : اولاً : ان التربية الموسيقية تؤثر في مكونات التكيف الشخصي للطفل ، ويتركز التغير الدال في مجالات احساس الطفل بقيمته ، وشعوره بالانتماء ، وتحرره من الميل الى الانفراد ، مما يبين ان للموسيقى دور في ابراز شخصية الطفل ، وزيادة شعوره بكيانه او ارتباطه بمن حوله ثانياً : اما عن تأثير الموسيقى في التكيف الاجتماعي للطفل ، فقد اثبتت التجربة عدم وجود تغييرات دالة نتيجة دروس التربية الموسيقية التي قدمت لهم ، فلم تؤد التجربة الى تغييرات دالة في التكيف الاجتماعي ، ولا في مكونات اعتراف الطفل بالمستويات الاجتماعية او اكتسابه لمهارات اجتماعية ، او علاقته بأسرته ، او علاقته بالمدرسة ، او بالبيئة المحلية . كان العنصر الدال الوحيد هو تحرر الطفل من الميول المضادة للمجتمع .

■ ان اختيار - الباحثة - موضوع دور الموسيقى في تربية الطفل ، ليكون مادة لرسالة الماجستير ، يشير الى وعي - الباحثة - بنوع الدراسات - الضرورية - للتنمية الثقافية - وبناء البشر - في مجتمعنا . ولا شك ان - الباحثة - قد فتحت بدراستها الموسيقية الجادة ، الطريقة أمام الموسيقيين الافاضل ، المشتغلين بالتدريس في معاهدنا الموسيقية للنزول الى ميدان - الدراسة - والبحث الموسيقي - والمشاركة الخلاقة في تعميق برامج التربية لاطفالنا من أجل التقدم وتحقيق حياة افضل على طريق المستقبل .

سليمان جميل

- الباحثة - عينة للدراسة - من مدرسة ابتدائية عادية - وأفراد العينة من تلاميذ من الجنسين اعمارهم من ٩ الى ١٠ سنوات ، ووضعهم الاجتماعي ينتمي الى الطبقة الوسطى ، والطبقة العمالية . والهدف من اختيار هذه العينة للدراسة هو الاجابة على الاسئلة الاتية كما حددتها - الباحثة - « هل للتربية الموسيقية أثر في تربية الطفل بوجه عام ؟ » ، « هل تدريس برنامج معين في التربية الموسيقية للاطفال - المرحلة الاولى - يكسبهم بعض الانماط السلوكية الجديدة ، ويغير بالضرورة من بعض صفاتهم الشخصية ؟ » « هل ممارسة اطفال في سن التاسعة او العاشرة للموسيقى تؤثر في اكتسابهم بعض الصفات الشخصية كالاتزان الانفعالي . وتحمل المسؤولية ؟ » تقول - الباحثة - هذه هي المشكلة بوجه عام . أما البرنامج الموسيقي الذي أعدته - الباحثة - لتطبيقه على - افراد العينة - واستخلص النتائج ، فهو يشمل على :
اولاً : دراسة العلامات الموسيقية الابغائية .
ثانياً : الصولفيج (للغناء) .
ثالثاً : التذوق الموسيقي .
رابعاً : الاناشيد .
خامساً : الباندا او الفرقة الموسيقية .
سادساً : الالعاب الموسيقية .

■ ومن التمرينات التي قدمتها - الباحثة - كأمثلة لتنفيذ البرنامج الموسيقي . ٠٠ التمرين الاول : دخول الاطفال على « مارش » ٠٠ وهذا يحقق هدفين : ١ - الهدف التربوي وهو تعليم الاطفال النظام ، واحترام الغير . ٢ - الهدف الموسيقي وهو الشعور بالوحدة الزمنية الموسيقية . التمرين الثاني : الجري الحر مع متابعة الموسيقى من حيث السرعة والبطء في أي مكان في الحجرة ، وهذا التمرين يحقق : ١ - الهدف التربوي وهو الانطلاق

■ قرأت - رسالة ماجستير في الموسيقى - نوشت في المعهد العالي للتربية الموسيقية في الشهر الماضي ، واستحقت درجة الامتياز . وموضوع الرسالة هو - دور الموسيقى في تربية الطفل - ولقد تقدمت بهذه الرسالة السيدة - نفيسة حسن زغلول - المتفخصة في تدريس مادة التربية الموسيقية ، والعزف على البيانو - بدرجة أستاذ مساعد - في المعهد العالي للتربية الموسيقية . وتشتمل الرسالة على قسمين ، تناولت - الباحثة - في القسم الاول : « الاطار النظري » تحت عنوان - دور الفن في التربية وعالجت هذا الموضوع في ٤ فصول : ١ - ماهية الفن . ٢ - الوظيفة الاجتماعية للفن . ٣ - دور الموسيقى في العمل الفني . ٤ - منزلة التربية الموسيقية بين الاهداف التربوية .

أما القسم الثاني : فقد تناولت فيه - الباحثة - الدراسة التجريبية في ٣ فصول : ١ - المشكلة . ٢ - المشكلة وفروض البحث (التجربة ، أدوات التجربة ، البرنامج الموسيقي) . ٣ - النتائج (تصحيح الاختبارات ، المعالجة الاحصائية ، تفسير النتائج) . ■ ولقد قدمت - الباحثة - في القسم النظري عرضاً عاماً لتاريخ الفن - نشأته وتطوره - ومدارسه الفلسفية - وبلورت - الباحثة - بوضوح أهمية الوظيفة الاجتماعية للفن وهي تقول في سطور الرسالة « والفن للفن او الفن فيسر الهادف مثله مثل مفهوم العلم للعلم نظرية مثالية لا تعنى في التحليل الا ترف يقوم على الصنعة ، وليس له أبعاد اجتماعية ٠٠ » والفن الذي لا يخدم الحياة لا يرضى به الا القلة المترفة مادياً وفكرياً ، وهي عادة لا تمثل المجتمع بأماله وتطلعاته ٠٠ .

■ أما الباب الثاني في الرسالة والخاص بالدراسة التجريبية فقد اختارت

بين أحزان فانت حمامة وأفراح المعلم عماشة



فانت حمامة

د. عبد الوهاب المسيري

المرقص ليراقص زوجته أو خطيبته أو أخته ، ولكنه لا يجزئ على أن يطلب من حسناء تجلس بجواره مراقصته ، بل انه لا يمكن أن تحدثه نفسه بمراقصة زوجة صديقه ، فالبيت الغربى لم ينتقل بمواقفه الاجتماعية ، ان اختلاط القشرة الغربية بالجواهر الشرقى هو أحد الموضوعات الأساسية فى « مغامرات عماشة » ، اختلاط عالم متقدم فيه طائرات وشرا شون وأشياء أخرى عديدة لا حصر لها تلخبط الخ بعالم العقاريت والكنز والاسياد الذين يسكنون تحت الارض والحوارى المنعزلة عن العالم . والمعلم نفسه هو البورجوازية المصرية التى تتحرك بحذر شديد من الادخار للاستهلاك . فهو يترك الحارة ليسهر فى المطاعم واللوكالات ، وحينما يرتكب أفعالا فاضحة تضر بالمظهر فاننا كمتقربين نتعاطف معه لانه لا يزال يتعلم - مثلنا - ان عماشة المتخلف البلدى يحررنا من مخاوفنا ، من عالم الاستهلاك « الهائى » ويسدعونا لاقتحامه ، دون خوف أو وجل .

والمعلم هو التناقض المجسد بين القشرة والجوهرة : فهو دكتاتور أبوى متخلف فى تفكيره ، يحشق « مهلبية » ويريد شراءها ، وهو فى علاقته مع « نفوسة » (النصف المشطش) و « سكر » (الطيبة الطيبة) معلم مصرى أولا وأخيرا ، ولكنه فى الوقت ذاته يسافر « ثمامورك » ويلبس الزى الاوروبى بل ويتكلم الانجليزية (وإن كان على طريقته

ليس الزواج (أو تربية العيال ، كما هو الحال مع صبيين صديقى بطل الادخار فى الميلودراما القديمة) انما هو ان تفرش شقة فيها فريجيدير (وياجيدا لو كانت مستوردة) وشخصيات « مغامرات عماشة » كلها شخصيات عملية لا تضع وقتها فيما لا يفيد ، فهى دائما وراء الريح المباشر والسريع . فعزت لا يأكل ليؤلف بل يؤلف لياكل (أو ليفرش شقة) . وكل العماشيين لا علاقة لهم بالكرامة : مسعد على استعداد دائم لان ينفذ بجلده ، وعزت مستعد لان يبيع نفسه لمن يدفع الثمن ، أما شوكت الذى لا يكن الا الاحتقار لعماشة فهو يعمل سكرتيره الخاص « ودع الخلق للخالق » ، وقرقر دائم البحث عن سيجارة . حتى المعلم نفسه ، ذلك الدكتاتور المهيب (سيد عبد الجواد الكوميدى) هو الآخر يلجأ للمراوغة والتدليس حتى يحصل على ما يريد . أين هذا من صولات وجولات أنور وجدى ويحيى شاهين ويوسف بك وهبى وخديثهم عن شرف الفقير وغنى النفس ، لقد ظهر سانجو بانزا لان الفارس القديم يبعث على الضحك والراء .

برغم كل هذا التقدم وبرغم كل هذه الاخلاق العظيمة التى تشبه من بعض الوجوه اخلاقيات البورجوازيات الغربية ، يشعر أعضاء طبقتنا المتوسطة فى أعماق أعماقهم بانهم شقيون (بل بلدى !) . يذهب الرجل المصرى الى

إذا كانت ميلودرامات فانت حمامة وكوميديات الريحاني تعد تعبيراً عن وجدان اسبائنا ، فسان « مغامرات عماشة » تصور عالم الطبقة المتوسطة المصرية فى واقعها الجديد . . . والطبقة المتوسطة المصرية (بل والمجتمع المصرى كله) قذف بهما بغتة فى عالم غير مألوف لهما . الطبقة المتوسطة كانت فى « حالها » مواظبة على عملها ، تذهب الى المكتب يوميا وتعود منه ، ولا تجلس على القاهى وتدخر القروش لتربية الاولاد ، رفجاة وجدت نفسها ، وبسرعة مذهلة ، تأخذ فى التحول وتشتري تليفزيونات تقدم لها الرقصات الشرقية والغربية ، وتعرض لها آخر الازياء يوميا وفى عقر دارها ، فترتبك قيمها وتختل معاييرها وتسرع بالذهاب الى شوارع الشوارع والهيلتون لساكنة ركب التطوير . لم يعد الادخار فضيلة الفضائل كما كان الامر فى الماضى ، فقد حل محله فضيحة « الظهور بالمظهر اللائق » و « حسين المستوى » ، أو كما تقول مرثى الصحفية المودرن فى إحدى اغنيات « مغامرات عماشة » : « تويست تويست تويست بقينا خلق هائى سوبرقص فى البيت » . فيرد عليها مسعد ، المخرج المودرن : « البدلة بفتحيتين - وبقالنا قطعتين » والدنيا عال العال ، وليسقط الادخار ، يقول عزت الكائنات المسرحى فى المسلسلة ، وفيلسوف الاستهلاك ان أهم شيء لشباب العالم



محمد رضا « المعلم عماشه »

الخفى لبعض شخصياته ولكنه غير قادر على مواجهة هذا الاعجاب (على عكس موقفه الواضح من الجنس) • ولعل عدم وروح الرؤية النقدية نتج عنه أيضا أن المسلسلة كانت في الواقع مجموعة من الحلقات التي تشبه فوازير رمضان ، الهدف منها التسلية المباشرة • وبالفعل أكد لنا كاتب المسلسلة أنها ليست سوى « برشامة لطيفة تساعد على هضم الكنافة والقطايف » • ولذا نجد أن الإيقاع العام للمسلسلة بطيء للغاية ، تماما مثل الدواء المهضم • ولعل من أهم العيوب الفنية في المسلسلة عنصر الميلودراما الدخيل الذي يتمثل في شخصية « قفة » • فهو ليس من العماشيين بحتا ، إذ أنه مخلص أخلاقي مدخر يؤدي عمله ، ورغم أنه تلفحه لفحة عماشية في منتصف المسلسلة تحت تأثير اللعوب سيده إلا أنه يضيق منها ويعود لسابق عهده • أن معظم الشخصيات مسطحة بما في ذلك المعلم عماشه نفسه ، وأن الأغاني والرقصات ليس لها علاقة مباشرة بأحداث المسلسلة ، وأن النهاية كانت ميكانيكية فرضت فرضا من الخارج

ولكن على الرغم من ذلك نجحت المسلسلة لأنها في رأيي تجاهلت كثيرا من تصوراتنا الفكرية أو الأيديولوجية عن الواقع وجابته مباشرة ، وحاولت وصفه بدقة تنم عن بصيرة حضارية • كما أن المسلسلة عالجت كثيرا من القيم التي استجذت في مجتمعنا دون أن تنتقيد بتصوراتنا الأخلاقية • أن « مغامرات عماشه » دراسة فيما هو كائن ، وليس فيما يجب أن يكون ، وهي لهذا حررت كثيرا من المتفرجين من مخاوفهم وعدم تقبلهم لذواتهم •

العامة • أما في عالم عماشه فيختلما الحابل بالنابل ، ولا ندري من هي العذراء ومن هي العسالة ، فمرفت الصحفية ترتاد نفس الأماكن التي تذهب إليها مهلبية ، كما أنهما يفكران بنفس العقلية ويتخذان نفس المواقف ويصدران نفس الأحكام • بل أنه في أحد المناظر يجلس المعلم عماشه « يعنبر » لهما « ويعنبران » له على قدم المساواة بل أن المعلم حينما يختطف قبلة من مرفت فهي لا تصفعه بالقلم على طريقة العذراوات المتوترات أمثال فائق حمادة ، بل تنقسم في منتهى الهدوء ، محتجة احتجاجا في غاية الرقة •

ويبدو أن هذه المسلسلة التليفزيونية لاقت نجاحا كبيرا ، فما السر في ذلك ، خاصة وأن بها عيوباً فنية وفكرية عديدة ؟ ولعل أهم العيوب الفكرية في نظري هو أن المؤلف والخرج رغم أنهما يعالجان مادة لها دلالة حضارية فأنهما لا يكشفان عن موقفهما منها ، بل يتخذان موقفا هو أقرب إلى الوصف منه إلى « التقييم » • ولا بأس من اتخاذ مثل هذا الموقف على شرط ألا تبقى هذه الوصفية على السطح ، وهذا عادة ما يحدث أن لم يصاحب الوصف رؤية نقدية أخلاقية (بالمعنى العام للكلمة) • وقد تسبب عدم وجود مثل هذه الرؤية النقدية في أن المتفرج فقد الاحساس بالاتجاه ، كما أن المشاهد كثيرا ما يفشل في تحديد موقفه من التفاصيل المختلفة بل ومن بعض الشخصيات الأساسية • فانتهازية عزت الراضحة هي موضوع اعجابنا ورفضنا التام في نفس الوقت ، وهذا يرجع إلى أن الكاتب نفسه يكن نوعا من الاعجاب

المتخلفة وبالفهولة) • ورغم أن الفلسفة التي تسود « مغامرات عماشه » فلسفة بورجوازية (الكنز) كما يخبرنا عماشه ، هو تعب أجداده ونتاج ادخارهم وعريهم وحرمانهم ، ولبيب هو الصبي الذي أصبح معلما ، (البطل البورجوازي الذي لا نظير له) إلا أن عماشه في الوقت ذاته لا يدفع أجرا لعماله لأنه يدير محله بطريقة بدائية ، كما أن علاقته بعماله علاقة أبوية لا دخل للنقود فيها (وأصدق مثال على هذا هو « قفة » الذي يتفانى في خدمة المعلم دون مقابل) •

العمل الفني • • والمتلقى :

هذه هي بعض التناقضات التي نصورها ، أو ربما تقع فيها ، « مغامرات عماشه » ولكن الشيء الجديد حقا في هذه المسلسلة هو طريقة معالجتها للجنس ، ففى هذه الحلقات احتفاء بالجسد دون أى حرج أو تحفظ • كانت بورجوازية الادخار تخاف الجنس لأنه مكلف ولأنه يهدد ترابط العائلة ، أما بورجوازية الاستهلاك فهي لا تخشاه قط بل ترحب به وتسمح للبنسات أن يلبسن « المينسى » (وأن كان لا داعى « للميكرو » لأنه أقصر من اللازم ويتنافى مع تقاليدنا الإسلامية) ، وأن يتبعن آخر موضة « البوردا » (أكثر المجلات انتشارا بين فتيات الجامعة) •

في « مغامرات عماشه » لا يوجد أثر للخوف القديم من الجنس ، والمقدمة الغنائية ترسم لنا الإطار الذي ستدور فيه الأحداث : عماشه تزوج وطلق عدة مرات ، ولا يزال « آل آيه » عنده غراميات هذه « آل آيه » تهديء من روعنا كثيرا ، وتعطى ضمايرنا التقليدية أجارة والشخصية الرئيسية عماشه ، ذلك الرجل المراهق الذي في داخله طفل عمره ١٤ سنة على حد قوله ، هو مجموعة من الدوافع الجنسية غير المنضبطة التي تقتحين الفرص للأفصاح عن نفسها بصورة ما • ويحيط بالمعلم كركبة من الشخصيات المرحلة التي يحركها الجنس • سيده مثلا على استعداد دائم لأن تستخدم محاسنها لتذليل ما يجابهها من مصاعب • ومهلبية بأغانيها العديدة التي لا تشعرك بالذنب هي تجسيد للجنس الخالص • وسهير زكى هي مثل الرمز الحي والمتحرك لهذا الموقف الجديد من الجنس • أين هذا من فريد الأطرش الذي روى لنا الرعب عليه اللعنة ؟ وأين هذا من عاشق الروح الذي يتالم في صمت رهيب ويسفح الدمع السخين ؟ في عالم الميلودراما القديم كانت الخطوط الفاصلة بين الأخيار والأشرار واضحة بيضاء ، وكانت النهاية الأخلاقية تكافئ العسذراء وتعاقب

كامل التلمساني



كلمات عن

[خطوات من الريادة الى الشهادة]

٤ - البوسطجي ١٩٤٨
٥ - كيد النساء ١٩٥٠
٦ - أنا وحبيبي ١٩٥٣
٧ - الاستاذ شرف ١٩٥٤
٨ - مدرسة البنات ١٩٥٥
٩ - موعد مع ابليس ١٩٥٥
١٠ - الناس اللي تحت ١٩٦٠

وفيها جميعا حاول أن يثشق طريقا للاتجاه الواقعي في السينما المصرية ، بقدر ما أتيج له من هجم المشاركة .

على أن كامل التلمساني لم يكن مجرد فنان تشكيلي حين يرسم أو مجرد فنان سينمائي حين يخرج وبتنح ، وإنما كان داعية ومبشرا وصاحب رسالة . وفي كتابيه « سفير أمريكا بالألوان الطبيعية » - ١٩٥٧ - و « عزيزي ثارلي » - ١٩٥٨ نستطيع أن نحصل على جوهر هذه الرسالة التي يمكن بلورتها في أن الفن العظيم هو الفن الذي ينبع من الجاهير ، وأن الفن الرديء هو الفن الذي يصدر عن أعداء التقدم .

وقد ترك كامل التلمساني أرض بلاده عام ١٩٦٠ في ظروف مريرة وعاش في لبنان الى يوم وفاته حيث عمل مستشارا فنيا لشركة اخوان رحباني التي أنتجت أفلام فيروز الثلاثة « بيع الخواتم » ليوسف شاهين و « سفر بريك » و « بنت الحارس » لهنري بركات .

مات كامل عن ٥٧ عاما بعد ست سنوات من رحيل زميله رمسيس يونان وبعد أسبوعين فقط من سقوط زميله فؤاد كامل وقد توقف جانبه الأيسر عن الحركة ، ربطت بينهم بداية مشتركة ، وننتهي بهم خاتمة غريبة : الموت - أو السقوط - فجأة ، وفي سن واحدة ، وفي ظروف شخصية وموضوعية - مريرة .

وأجدني أتساءل : ما حكاية هذا الجيل ، الذي قرسم قصة حياته خطوات ثابتة من الريادة .. الى الشهادة ؟

غالي شكري

الذي لعبناه في ربط الفن بالمجتمع من ناحية ، وفي ربط الفن الادبي ببقية الفنون من ناحية أخرى . وكان التجديد - أقصى آيات التجديد - هو الالتزام الاساسي لهذه المجموعة من الشباب . ومن ثم كان طبيعيا أن تكون « السريالية » . بالذات هي مدخلهم الى التجديد الثوري للفن ، لانها - على صعيد الفكر - كانت تجديدا ثوريا للحياة .

وبالرغم من أن كامل التلمساني كان واحدا من ألمع رواد الفن السريالي في مصر ، فإنه مال ميلا واضحا منذ منتصف الاربعينات الى السينما .. لقد بدأ حياته بها مساعدا في الاخراج والمونتاج والانتاج ، وكانت حصيلة الختامية هي هذه الافلام :

- ١ - السوق السوداء ١٩٤٥
- ٢ - البريمو ١٩٤٧
- ٣ - تسمشون الجبار ١٩٤٨

لم أره في حياتي قط ، ولكني ماجلست مرة الى زميله الراحل رمسيس يونان أو زميله المريض فؤاد كامل حتى كان هو ثالثنا بذكره التي لا تموت - رغم البعاد - في قلوب رفاقه الرواد الذين شقوا لانفسهم قرب نهاية الثلاثينات طريقا صعبا ومجهولا .. كان الفن المصري شبه معزول عن التيارات الحديثة التي يضطرم بها العالم الخارجي حتى أقبل هؤلاء الفرنسيان يمزجون الفكر الثوري بالفن الجديد ، مزجا يدفع غائلة التخلف الحضاري المرعب والتقاليد غير الديمقراطية في أسلوب الحكم .

وكان كامل التلمساني عضوا بارزا في جماعة « الفن والحرية » وأسرة تحرير مجلة « التطور » .. وبالرغم من كل التحفظات التي يمكن رصدها على الخط الفكري العام لهذه الجماعة وتلك المجلة - إلا أنه لا سبيل الى انكار الدور الريادي



٢٠ سنة على اخراج « السوق السوداء » الذي يعالج بصدق وواقعية مشاكل مجتمعنا

[أثر من رماذ

أذكر أنها صبيحة يوم من أيام الجمعة سنة ١٩٥٠ يوم أن ذهبت لأول مرة الى بيت الفنانين أنا وصديقي الفنان عبدالرازق شمهده . صعدنا الى الزقاق الضيق المنهدر ، وتأكدنا أن المنزل رقم ٥ .

طرقنا اليد الحديدية المثبتة بالباب المتآكل الضخم . يد شدت الحبل «السقاطة» ، فدفعنا الباب ودخلنا ، فناء المنزل الحجري نضج بشمس صباح وهمام يعط ويظهر بصورة لا تنقطع ، وتمثيل مبعثرة في أرجاء المكان ، بعضها مهشم وبعضها يغطيه براز الحمسام . وقفنا ننظر وفجأة اكتشفنا امرأة بدنة ذات ميتين ضيقتين يغطيها الكحل ، لكنهما يمان عن الذكاء ، تجلس على عتبة حجرة مظلمة . تساءلت المرأة ، فأجبنا أننا نريد أن نستاجر حجرة . فسالت في خبث « فنانون أنتم ؟ » فأجبنا بأننا طلبة

في كلية الفنون الجميلة . وشغلنا عنها بالنظر الى أغوار ظلمة الحجرة خلفها ، إذ شدتنا لوحة تمثل وجه فتاة يبرز من ارض جرداء وتتحداه أشجار عارية . سألنا لمن هذه اللوحة . أجابت المرأة وهي تتحامل على نفسها لتقف متثاقلة « أنها للفنان كامل التلمساني الذي كان من أوائل القساطين في هذا المنزل ، فأبدينا إعجابنا .

• • •

زعت المرأة رافعة رأسها الى أعلى ومغطية عينيها بكفها لتجنب الشمس « استاذ ضياء . استاذ ضياء . » وقبل أن تسأل ، عقت المرأة « انه زوج أخت الفنان رمسيس يونان وهو الذي سيؤجر لكم الحجرة بالنيابة عنه ، انه هو غالب في فرنسا . » استمرت المرأة تزق حتى جاءها صوت من مشربية

بأعلى الدار « أيوه ياهندية » . فصاحت المرأة البدينة « فنانون يريدون تأجير حجرة » ولم تنتظر الجواب بل أشارت الى الدرج الذي يجب أن نصعده . الدور الثالث والآخر . الرسم الذي على اليسار . الرسم الذي استخدمه كامل التلمساني ورمسيس يونان وبأوى اليه حينذاك الرسام ضياء . الشمس تنساقط من خلال المشربيات في دوائر متتالية على الوسائد الحربية وعلى الحصير في أرضية المكان . أنت الجدران مغطاة بأعمال الرسام ضياء لكننا استنطقنا أن نميز بينها ثلاثة أو أربعة لوحات للرسام كامل التلمساني ، لها نفس طابع اللوحة الذي أسفل الدرج بحجرة هندية . وجوه وأجساد تضيع في جو سريالي وفي أبعاد ميتافيزيقية .

وهكذا كانت أول معرفتنا برائد من رواد الحركة السريالية في مصر ، تلك الحركة التي اقترنت بنضالنا الاشتراكي او بالحركة الشيوعية . كما أطلق عليها البوليس في ذلك الوقت . لكن بالنسبة لنا كان أحد الافراد المنهدين ، القلقين القلائل الذين استطاعوا أن ينقلوا بذور تيسار معاصر عالمي ، دفع بالفن التشكيلي ليسبق الادب في مصر عشرات السنوات .

• • •

أحيانا ما يسحق الزمن والظروف فنانا ، ويمضي عنا ، ثم نسمع نعيه . لكن من العار ومن الجبن ألا نقف ، وكل صراحة وشجاعة نصرح أن كـلا منا يحمل جزءا من رواد ذلك الذي احترق ، وأنه من الجائز جدا ، وفي ظروف غير التي مر بها ، كان سيكون أيف تانجي آخر أو فيكتور برونر .

حسن سليمان



لقطة من فيلم « السوق السوداء » من اخراج الفنان كامل التلمساني

لنقد الشعر الحديث

البحث
عن
منهج

صبرى حافظ

قد

يبدو عنوان هذه الدراسة ظموحا أكثر مما ينبغي لدراسة فى هذا الحجم .. لأنه يثير بداءة كل القضايا النظرية التى طرحتها حركة من أخصب الحركات الأدبية فى تاريخنا الحديث .. ألا وهى حركة التجديد التى انتابت جوهر القصيدة منذ ما يقرب من ربع قرن من الزمان والمعروفة بحركة الشعر الحديث ، ولأن دراسة تريد أن تزعم لنفسها أنها تبحث عن منهج نقدى جديد أو تبلور مجموعة من القيم والمفاهيم الجمالية والفكرية لنقد هذه الحركة الشعرية لأبد وأن تلجأ الى اثبات مقولاتها الجديدة من خلال تمحيص المقولات القديمة ونفيها ، ولأبد وأن تتبنى خلال عملية التمهيص تلك مفهوما معينا للحدثة وللتجديد وأن تعتق تصورا للضرورات الحضارية والفكرية والجمالية التى انبثقت عنها التجربة الشعرية الجديدة والمعالجات النقدية التى صاحبته . ولأبد وأن تطرح كل هذه القضايا والتصورات أمام القارئ قبل أن تصحبه معها فى رحلة البحث عن المنهج الجديد . وهذا ما لا يمكن أن يتوفر لدراسة فى هذا الحجم الصغير وإن سعت الى الاحاطة ببعض جوانبه .

من هنا فإن هذه الدراسة لن تدعى لنفسها القدرة على أن تستنفد - لا من وجهة النظر المنهجية ولا على الصعيد التاريخي - المشاكل التي تثيرها • ولن تستطیع التوقف أزاء ما تعتقد أنه قد أصبح لدى القارئ الذي تطمح في مخاطبته نوعاً من البديهيات • والا استغرقتها محاولة تفنيد هذه البديهيات حتى اغرقتها • ولكنها - أي الدراسة - ستحاول أن تطرح مجموعة من القضايا والأفكار النقدية التي تنطوي بدورها على مفهوم معين للشعر والحدائق • والتي تبلور من خلالها مشاركتها في البحث عن منهج لنقد الشعر الحديث • منهج يتخلق من خلال المعيشة الآمنة لنصوص هذه الحركة وانجازاتها • ومن الغم الدقيق للوعي الخاصة للشعر كجنس أدبي له خصائصه الفريدة وتاريخه الطويل • ومن استيعاب الكثير من قضايا هذه الحركة الشعرية ومشكلاتها النقدية على صعيد البناء والرؤية • ومن احتكاك بالمدارس والمناهج النقدية الحديثة التي بلورت مجموعة من الاسهامات الهامة في تحليل القصيدة الشعرية والكشف عن كنوزها وخباياها • ولا تطمح هذه الدراسة في الوصول إلى منهج شامل لنقد الشعر الحديث وأن كانت هذه غايتها البعيدة • بل كل ما تطمح في تحقيقه هو

اثارة قضية حاجتنا إلى منهج نقدي يشارك بفعالية في بلورة قضايا الحركة الشعرية الجديدة ويساهم في حل بعض مشكلاتها • أقول يساهم في الحل ولا أقول يطرح حلولاً • لأن الحلول مرهونة في النهاية بالمغامرات الإبداعية / بالاستقصاءات النقدية • وكل مما تستطيع الدراسات النقدية هي تنبيه الشعراء إلى الدروب التي تفضي إلى المفاضات للجرء حتى لا يملعوا السبيل فيها • وإلى الدروب التي تعد المغامرة فيها بشيء من الحصاد حتى يغلب السبيل ولا تزعم هذه الدراسة - كما قد يوحي عنوانها للبعض - أنها تنطلق من الفراغ أو أنها ترفض كل التناولات النقدية لحركة الشعر الحديث • لأنها في الواقع تقيم بناءها فوق الأرض التي صاغت لها المحاولات السابقة • ولأن الدراسات النقدية (١) التي حاولت أن تحيط بإبعاد الحركة الشعرية الجديدة وأن تتناول • حصادها وقضاياها كانت من وجهة نظر هذه الدراسة محاولات هامسة في طريق البحث عن منهج لنقد الشعر الحديث • محاولات تقاوت قدرتها على الانجاز ومساهمتها في بلورة هذا المنهج الذي يرتفع انجازه النقدي إلى مستوى الانجاز الشعري للحركة الجديدة ومعاناتها • وهي محاولات جنح أغلبها إلى الجانب

الوصفي من العملية النقدية وكان تصديها من المعيارية ضئيل للغاية • وإذا كان النقد الأدبي الحديث معياراً بقر ما هو وصفي فإن على هذا المنهج الجديد أن يعرض جنوح الدراسات السابقة إلى المنحى الوصفي بنوع من التأكيد على الجوانب المعيارية • وسوف ينضح لنا بعد قليل أن التأكيد على الناحية المعيارية في المنهج النقدي الذي تبنته عنه ليس ناجماً فقط عن فرقة تعويضية تسعى إلى رآب صدوع المحاولات النقدية السابقة ولكنه أيضاً وليد حاجة حتمية ترتوي من طبيعة الصورة التي الت إليها القصيدة الحديثة وتستجيب لها • وإذا كانت حركة الشعر الحديث ذاتها قد ظهرت قلبية لمجموعة من الضرورات الجمالية والفكرية والحضارية منذ ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً • فإن البحث عن منهج نقدي لهذه الحركة وليد مجموعة جديدة من الضرورات • بعضها مبني على الضرورات السابقة وبعضها الآخر متجاوز لها • وإذا كانت هذه الدراسة ليست المجال المناسب للحديث عن الضرورات التي اثبتت عنها حركة التجديد الشعري فإنها النسب المجالات للحديث عن الضرورات التي تستلزم البحث عن منهج متكامل لنقد الشعر الحديث • ولنبداً بأولى هذه الضرورات •

١ رحلة القصيدة الجديدة نحو التركيبية

وتلحت أهم هذه الضرورات ملامحها من تلك الرحلة الطويلة التي قطعتها التجربة الشعرية الجديدة • فبعد أن استبدل الشاعر العربي الحديث مفهوم التجربة الشعرية بالمفهوم القديم عز أغراض القريض قطع بهذا المفهوم الجديد رحلة طويلة امتدت من القصيدة الغنائية البسيطة ذات الصوت المفرد والإيقاع المفرد حتى القصيدة التركيبية ذات البناء المكثف والأصوات المتداخلة والإيقاعات المتناغمة والمستويات المتعددة من المعنى مروراً بالقصيدة القصصية ذات النفس القصير • وهي شيء غير القصيدة الملحمية رؤية واسلوباً • والقصيدة الغنائية التي تنطوي على أكثر من صوت واحد والقصيدة الدرامية وغير ذلك من الأنواع التي استوعبت في بنائها بعض مظاهر التجربة الشعرية الجديدة لفترة ثم ضاقت عليها فتجاوزتها لوعاء أكثر اتساعاً أو حاولت أن تجري داخل بنية

الوعاء القديم بعض التعديلات حتى يستطيع أن يستوعب الروافد الجديدة للتجربة • فبعد أن كانت القصيدة الجديدة مجموعة من الاستطرادات النظمية العذبة والصور الشعرية النسيقة أصبحت بناء تركيبياً معقداً تستخدم مجموعة كبيرة من الأدوات والوسائل البنائية التي تصوغ مسار الحركة الشعرية في القصيدة الجديدة • وهي حركة تعتمد على نوع من التتابع الكيفي السدي ينهض على المفارقات وعلاقات التماثل والتضاد والجدل المستمر بين الصفات والخصائص النوعية المختلفة • وذلك بعكس المرحلة الأولى من تاريخ القصيدة الحديثة • حيث كانت الحركة الداخلية للقصيدة تنهض على أساس من التتابع المنطقي والتسلسل السببي الذي تؤدي فيه المقدمات إلى النتائج وفقاً لاستطراد منطقي متكامل •

حتى في نطاق التنوع والتعدد • بينما تلجا القصيدة الحديثة في مسيرتها الأخيرة إلى نوع جديد من الحركة أدبية لا يتم وفقاً للمنطق الصوري ولكن طبقاً لديالكتيك شديد التشابك والتعقيد • يتم فيه حوار جدلي عميق بين الجزئيات المختلفة للعمل الشعري • ويفتقد فيه المتلقي خاصية الإشباع المستمر لتوقعاته ذات الطابع الاستطرادي • ويجد نفسه معه أزاء نوع جديد من التلقي الفعال الذي يتطلب جهداً ومشاركة لم يعتدهما من قبل • ولذلك فإنه يطلب من القارئ الذي من دوره - كما يقول سانت بيك - أن يعلم الآخرين كيف يقرأون • أن يساعده في هذا المجال • وأن يقدم له مجموعة من المفاتيح التي تيسر له ولوج عالم الشاعر الحديث •

وقد كان من الطبيعي أن تقطع القصيدة الجديدة في ربع قرن من الزمان هذه

(١) مثل (قضايا الشعر المعاصر) لنازك الملائكة (شعرنا الحديث إلى أين ؟) لغالي شكري و (الشعر العربي المعاصر) للدكتور عز الدين اسماعيل و (الشعر العربي الحديث وروح العصر) لجليل كمال الدين و (قضية الشعر الجديد) للدكتور محمد التويهي و (البحث عن الجذور) لخالد سعيد •

جديدة في تناولها * لأن طبيعة المنهج الذي كان قادرا على استيعاب كل قضايا القصيدة الحديثة في مرحلة الغنائية البسيطة لا تجعله قادرا على تلبية جميع متطلبات القصيدة التركيبية أو استنفاد كافة مشكلاتها * بل إن وجود القصيدة التركيبية الجديدة التي جوار الأشكال الأولى من القصيدة الغنائية يؤدي بدوره إلى تفاعل الشكلين معا والتي تبادل التأثير والتأثير بينهما * ومن هنا فإن القصيدة الغنائية هي الأخرى قد جنحت نحو نوع خاص من التراكيب والتعقيد يتناسب مع طبيعة منطلقها ورؤيتها * فمالت إلى استخدام أكثر من صوت واحد * وكثفت عن الاستطرادات والاسترسال الغنائية * وعمدت إلى التركيز والتكثيف * ومن هنا فإن استقصاء قضايا القصيدة الحديثة غنائية كانت أو تركيبية يتطلب منا بحثا جادا عن منهج وعن أسلوب نقدي جديد * كما أن ضرورة التعرف على مراحل وتدرجات ورواد الرحلة التي قطعتها هذه القصيدة خلال ربع قرن من عمرها تتطلب البحث عن هذا المنهج النقدي * فضلا عن أن الرغبة في استشراف آفاق المستقبل بالنسبة لهذه الرحلة تتطلب هي الأخرى منا بحثا جادا عن هذا المنهج النقدي *

نازك
الملائكة



ادونيس



عبد الوهاب
البياتي



رؤى القصيدة ومعناها هو الذي استلزم أسلوبا جديدا في معالجتها ووجهة نظر

الرحلة الهامة في طريق النضج وإن لم تقطع الطريق إليها في خط مستقيم * بل تطلب الأمر مجموعة من التدرجات واجتياز المضائق العسرة * مما يجعلنا نجد أكثر أشكال القصيدة الحديثة جدة وتراكبا وتعقيدا تكتب مع أكثر أشكالها بساطة وسذاجة وغنائية في الوقت نفسه * وتعثر كل منهما على إصدااء حقيقية لدى قراء متفاوتي الحساسية والثقافة * القول كان طبيعيا أن تقطع القصيدة الحديثة هذه الرحلة * لأن شكل المعاناة يختلف باختلاف الأزمنة * ولأن حساسيتنا تتغير باستمرار كما تتغير الدنيا من حولنا * فحساسيتنا ليست كحساسية الصينيين أو الهنود * وليست أيضا كحساسية إجدادنا منذ مئات السنين * ولا حتى نفس حساسية آبائنا * ونحن ذاتنا لسنا على ما كنا عليه منذ سنة مضت * ولعل هذا أمر واضح * أما ما لم يتضح تماما فهو أن هذا يعني هو السبب الذي لا نملك معه التوقف عن كتابة الشعر * (٢) والذي لا يملك معه شعرا بالتالي التوقف عن التطور والتغير حتى يتمكن من استيعاب ذلك التغير المستمر في الحساسية والتعبير عنه * ومن مواكبة الوجدان القومي في رحلته الخاصة للاحقة التطور الحضاري في عصرنا *

وهذا التغير المستمر في شكل القصيدة ومعناها والذي ينطوي بدوره على تغير في

٢ جمهور القصيدة الجديدة بين المد والجزر

رقعة ضيقة من الجمهور الجديد * ويقدر جدة الرؤى وتشابكها وخصوبتها تكون كثافة البناء وتعقيد وهي خاصية تصوغ حتمية ضيق رقعة الجمهور في لحظة ميلاد المغامرة الجديدة *

وإذا عدنا إلى التجربة الشعرية الجديدة سنجد أن القصيدة التركيبية - وهي انضج مراحل القصيدة الجديدة وأكثرها استجابة للتغيرات الدائمة في الحساسية واستيعابا لاطالاتها الوليدة ، من أقل أنواع القصائد الجديدة حظوة بالجمهور * بينما نجد أن القصيدة الغنائية ما زالت قادرة بعذوبتها وسهولتها معا على الاستئثار بالنصيب الأكبر من جمهور الشعر الحديث * وهذه في حد ذاتها ظاهرة صحية ، لأن من شأن الشاعر الذي يجمع حوله بسرعة فائقة جمهورا

أنواع الشعر استحقاقا لكلمة الشعر وهو أقلها حظوة بالجمهور في لحظته الانية * صحيح أنه يكتسب بمضي الزمن وبرسوخ التغيرات الجديدة في الحساسية مزيدا من الجمهور ، إلا أن الشاعر الحقيقي ما يلبث أن يبرح هذه الرقعة الواسعة من الجمهور * في مغامرته لاستشراف التغيرات الجديدة في الحساسية ، وهي لما تزل تذرا تلوح في الأفق البعيد * وحينما يستجيب لاطالات هذه الحساسية الجديدة يجد رقعة الجمهور الواسعة وقد ضاقت من جديد * وتظل جوقة الشعراء - من متوسطي الموهبة - تعمل على توسيع هذه الرقعة وتستفيد من تمامها * بينما يواصل الشاعر الحقيقي الرحيل صوب رؤى جديدة وحساسية جديدة وبالقالي

إذا كان الشعر ريادة ونبوءة وبشارة ورؤيا ، فإنه بذلك يكون أكثر الأشكال الفنية حساسية للتغير المستمر في الحساسية * واسرعها استجابة لتلك التغيرات وتعبيرا عنها * وهذا هو ما يجعله أكثر الأشكال الفنية اصطداما بالذهنية السائدة في التلقي * واشدها عراكا مع ما اعتاد عليه الجمهور واستقر عليه مرغه * وهو لذلك من أقل الفنون الأدبية حظوة بدائرة واسعة من الجمهور * وقد يسارع البعض إلى المبادرة بالاحتجاج على هذه المقولة * لذلك فأنني أحب أن أزيد هذا الأمر أيضا * فالشعر الذي أقصده هو ذلك الذي يستجيب للحساسية المتغيرة دوما والذي يصدم باستجابته تلك الذهنية السائدة في التلقي * وهذا النوع من الشعر هو الموجود

(٢) ت. س. البوت (المهمة الاجتماعية للشعر) من (مقالات في النقد الأدبي) ترجمة د. لطيفة الزيات * مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ص ٥١ *

يستطيع الشاعر أن يمارس دوره في
الريادة والاستشراف والرؤيا .. لأن
بشارة الشاعر أن لم تجد ولو عدد قليل
من الأذان الصاغية لها ما تلبث أن تتحول
إلى نذير بموت الشاعر نفسه .. ومن
هنا كان تأكيد البيوت الحاد على ضرورة
هذه الدائرة من الجمهور مهما ضاقت
رقعتها .. لأنها وحدها الضمان الأول
لاستمرار مسيرة الشاعر والشعر معا ..
ومن مسئولية النقد أن يرقب دائرة
الجمهور الطليعي تلك وأن يحول دون أن
يتحول جزرها إلى جفاف كامل أو يتحول
مدها إلى بحر من الابتذال والسوقية ..
وأن يحافظ على هذه الدائرة الطليعية ،
ينميها باستمرار ويمكنها من مواكبة
الخطوات الجديدة لمغامرة الشاعر
التعبيرية .. ولما كان جزر هذه الدائرة في
واقع حركتنا الشعرية الجديدة يكاد
يتحول إلى جفاف كامل ، فإنه بذلك
يصوغ واحدة من الضرورات التي تحدثنا
نحو البحث عن منهج نقدي يكفل لهذه
الدائرة الوجود والتطور ، ذلك لأنه - كما
يقول ستانلي هابسن - كلما اتسعت
الهوة بين الأدب وذوق الجمهور ، تصبح
لهمة الناقد التي تتطلب منه أن يكون
جسرا بين الأثر الغامض والقارئ أهمية
كبيرة ..

ت . س .
البيوت



شيلي

ساربر

الرأى وقدرة على تذوق الجديد .. لأنه
بدون هذه الدائرة الضيقة من الجمهور ..

كبيرا من الناس أن يثير فينا التشكك ..
فهو يجعلنا نخشى ألا يكون قد أتى
بجديد .. وأن يكون قد اقتصر على إعطاء
الجمهور ما تعود عليه .. أى ما تلقاه من
قبل من الجيل السابق من الشعراء ..
ولكن من الأهمية بمكان أن يكون للشاعر
في زمنه جمهوره الحق مهما ضاقت دائرة
هذا الجمهور .. ويتبغى أن توجد دائما
دائرة من الرواد ، قادرة على تذوق
الشعر ، مستقلة الرأي ، تسبق زمانها أو
تتمتع باستعداد أكبر للتذوق الجديد .. ولا
يعنى تطور الثقافة أن يصل كل شخص
إلى المقدمة لأن ذلك يعنى ألا يتقدم أحد ..
وانما يعنى الاحتفاظ بفئة متقدمة جنباً
إلى جنب مع التيار العام لجمهور قراء لا
يتخلف سوى جيل أو ما يقارب ذلك ..
وستنقل التغيرات والتطورات في
الحساسية التي تظهر بآدى الأمر بين
قلائل إلى كتاب أكثر شعبية .. وتترك
بذلك أثرها التدريجي في اللغة .. وعندما
تثبت دعائم هذه التطورات يتطلب الأمر
خطوة جديدة للأمام (٣) يواصل بها الفن
جنوحه الدائم إلى استيعاب حركة الحياة
الدائبة التطور .. ويجد النقد لزاما عليه
إزاعها أن يعمل على تكوين وخلق هذه
الدائرة الهامة والضيقة من الجمهور الذي
يتمتع بحساسية مرهقة واستقلال في

٢ غموض القصيدة الحديثة وغناها بالتأويلات

ورغبتها في اقتناص ذلك التغير المستمر
في الحساسية والتعبير عنه هي التي
ندفعها صوب التركيب والتعقيد .. لأن
على الشاعر - كما يقول البيوت - في ظل
حضارة كحضارتنا أن يميل إلى الصعوبة
والتعقيد .. فحضارتنا تتسع لتضم تنوعا
وتركيبا .. وهذا التنوع والتركيب لابد
وأن يفرز نتائج متنوعة ومعقدة إذا ما
تأثرت بحساسية رقيقة .. ولابد للشعر
أن يصبح أكثر شمولا وإحياء ، وأكثر ميلا
إلى عدم المباشرة حتى يتمكن من الخروج
من اللغة بالمعنى ولو اضطر في سبيل ذلك
إلى انتزاع المعاني انتزاعا أو تعبير
إطاراتها (٤) ومغامرة الشاعر مع
اللغة ورغبته في أن يصبح شعره أكثر
شمولا وإحياء وأكثر ميلا إلى عدم
المباشرة هي التي تدفعه إلى استخدام ما
يسميه جون كروانسونم باللغة البدائية
وهي اللغة التي إذا حاول الكلام فيها
أن يكون فكريا أو عقليا اضطر أن يكون
صوريا أو محسوسا .. فهمل فيها الكلمات
إلى أن تكون (جذرية) بمعنى أن كلا
منهما يعنى شيئا كاملا أو حدثا

من الفنون الأخرى دون التخلي عن
الإنجازات البنائية الشعرية التي تتواءم
مع تجربة قانونها الأساسي هو التعقيد لا
التبسيط .. وبنائها الغالب هو التركيب
في الداخل .. بل لقد غامرت القصيدة
الحديثة بهذه الإنجازات المعروفة مثل
الاستعارة والإيقاع والتضمين وغيرها
مغامرات طموحة .. فاستحال التضمين
مثلا في القصيدة الجديدة إلى وسيلة
بنائية شديدة التكتيف لأن الشاعر الحديث
قد صاغها من دمج بين الصورة والكنية
والرمز بصورة يثرى معها التضمين
للقصيدة بعدة مستويات من المعنى تزداد
ثراء وخصوصية بقدر توفيق الشاعر في
دمج هذه الوجوه المتعددة للتضمين
بعضها في البعض الآخر بطريقة يستحيل
فصلها .. لأنه أن عجز عن ذلك الدمج
الكامل يظل تضمينه صورة أو كناية أو
رمزا .. ولا يستطيع التفاعل مع الدلالات
المتعددة لهذه الوجوه واستحضار فقل
الرؤى التي يجتليها الشاعر إلى قصيدته
من آفاق ميتولوجية أو شعبية أو دينية أو
فكرية أو ما شابه ذلك ..
ومغامرة القصيدة الدائمة مع الشكل

الشعر بنيان .. وهو كينيان له طبيعته
النوعية الخاصة .. لكنه ككل الإبنية الفنية
يحاول دائما الانفلات من أسار الموروث
الثابت والتمسك من قيوده التي تحد مع
حركته .. ويحاول في الآن نفسه الاستفادة
من كل الإنجازات البنائية التي حققتها
الفنون الأخرى أو التي خلفها طابع العصر
فوقها .. ونزوع القصيدة الدائم نحو
الكمال وتوقها إلى استيعاب أكبر قدر من
الرؤى والأصوات ، وإلى الدخول في
تعقيدات العالم المعاش للانفلات منها وخلق
قوانين شعرية تماثلها تعقيدا وشمولا هو
الذي يدفعها إلى انتهاج أسلوب البناء
المتراكب وإلى استخدام الكثير من
الوسائل البنائية المستعارة من الفنون
الأخرى كالقطع والمزج والحوار واللعب
بالنغمة الواحدة في مستويات لحنية
متعددة ، وخلق التأثير من خلال احتكاك
الصفات الكيفية المتضادة ، والمناجيات
الذاتية والمنولوجات والانتقال بين الأزمنة
والامكنة والموتجات واستخدام الإقنعة
والاحالات إلى الأساطير والموروثات
الشعبية والذهنية وغير ذلك من الأساليب
البنائية التي استعارت القصيدة معظمها

(٣) ت . س . البيوت (المهمة الاجتماعية للشعر) ص ٥٣

(٤) د . لطيفة الزيات (مفهوم المفارقة في النقد الحديث) بحث باللغة الإنجليزية - مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٣

كاملا (٥) وهذا ما يجعلها قادرة على الإحياء والشمول معا وحرب الشاعر من أجل أن يعيد إلى اللغة هذا البعد الصوري الذي فقدته من طول استعمالها للنثرين بمنطق استدلالى وتجريدى معا . وتعامله معها بمنطق استعماري مغاير إلى حد كبير للمنطق السائد ، هو الذى يجنح مع الميل إلى التعتيد والتراكم بالقصيدة الجديدة إلى نوع من الغموض وخاصة بالنسبة للمتلقى الذى يساهم يوميا فى تجريد اللغة من بعدها الصوري ذلك .

وهذه اللغة التى يستعملها الشاعر تزعج علماء السمانيات - علم المعاني - أزعاجا كبيرا كما يقول كينيث بيرك . وتصدم القارئ الذى يريد الوصول إلى تأويل لهاثى لى عمل مبنى من الكلمات . لأنها تضعه فى مواجهة واحدة من الأفكار الأساسية لمدرسة الصورة فى علم النفس والمعروفة باسم الجستالت، حيث لا تعرف هذه المدرسة بوجود الصورة المصرفة ، أى بوجود الصورة التى يثبت فيها افتباها بالنسبوى على الصفات كلها . بل الأمر بالعكس . إذ اثنا لاستحوذ على صورة الشيء إلا فى أثناء عملية تبينه . ولأنه لا يبينه إلا برؤية صفة سطحية ما طاغية عليه . أو صفة واحدة أوجه ذات قيمة ظاهرة . حينئذ تدرك صفات الشيء الأخرى على نحو يشبه (التوارى) . كما نحصل على تفاصيل الهوامش بالنظر من زاوية العين ، أو بتسليط البصر مباشرة عليها . ولكن لبرهة قصيرة . ولعل هذه هى الطريقة التى يستخدمها الشعر . أنها طريقة اللامباشرة إلا أنها قد تكون الطريقة الوحيدة لإدراك جمال الدنيا وروعها وحيويتها الوهاجة (٦) فالشعر يرينا الأشياء بطريقة توفقنا معها أن ما حسبنا أننا عرفناه حق المعرفة ما زال جديدا كل الجدة بالنسبة لنا . وينبهنا إلى بقية الصفات التى كنا حردنا بطريقة التوارى . ويشككنا فى تأويلاتنا النهائية للأشياء وفى فهمنا الراسخ للأحداث ويصحبنا فى مغامرة جسورة مع تأويلات جديدة ورؤى جديدة . أنه يرد للأشياء والوقائع بكارتها وقدرتها على

الإحياء . ويرد لنا حس الدهشة الذى افقدتنا إياه الحضارة الحديثة بحساباتها الصارمة وتعقيداتها وجفافها . لأن الشعر يزين حجاب الالفه السدى يقف بيننا وبين الوجود . ويجرد إماما عيوننا الجمال النائم الذى هو روح النور بكل صوره . ويرفع اللثام عن الجمال المخفى وراء استنار الالفه والاعتقاد . ويجعلنا نحصي الأشياء المعقدة كأنما لم نشهدنا من قبل على الإطلاق (٧)

ومن أن أعلن بوجدلين قبل أكثر من قرن من الزمان أن وظيفة الشعر هى استخراج الدهش الذى يغمرنا ويرينا كالفضاء من اليومى التافه والمبتذل وأن الشاعر الحقيقى هو من يعرف كيف يتنزع من الحياة الحاضرة وجهها الملحمى وأن يكون نجسدا لعصره ، والشعر بوصفه المغامرة من أجل تحقيق هذه المهمة . ويجاهد الشعراء من أجل إحلال هذا الفهم الجديد للشعر مكان المفاهيم الأخرى له . ومن أجل ألا يكون الشعر وصفا ولا روائيا بل - كما يقول مالارميه - إباحيا . وأن يتكلم المرء كشاعر يعنى أن يكتب بالتلميح عن الأشياء أو أن يستخرج صفتها التى تجسم فكرة ما . وليس للقارئ أن يقاد بيده إلى موطن فكرة الشاعر الدقيقة . بل عليه أن يجد الفكرة التى يتضمنها حقل القصيدة الضبابى . وأن تقوده علامة لا تبرك إلى أحد الامكنة . حيث تختبئ أو تفتح فكرة هى عامضة لأنها مركبة . وكل قارئ يجد ما يناسبه فى هذه الفكرة المركبة . وفقا لخياله ونفسه وزمته أو بيئته . ويكون القارئ أمام القصيدة كاستمع إمام الموسيقى (٨) وهذا الموقف الجديد للقارئ إزاء العمل الشعرى ولابد تلك التغيرات التى انتابت موقف الشاعر من الشعر جملة وفهمه الجديد لوظيفته الفنية والاجتماعية . وإذا كان الشاعر قد حارب من أجل تأكيد هذا الموقف الجديد وهذا الفهم الجديد فإن على المتلقى هو الآخر أن يخوض حربا مشابهة ليخلص نفسه من أسار الفهم المدرسى للشعر كفى

قائم على النظم وكرسالة قائمة على مجرد التعبير عن الواقع . ولكى يدرك أن قيمة الشعر ليست فى كونه جزءا أو صورة عن العالم الحقيقى - بالمبدول للنساع لهذه العبارة - بل هى فى كونه عالما قائما بذاته كاملا ومستقلا (٩)

من هذه النقاط كلها . استخدام الوسائل البلاغية المستعارة من الفنون الأخرى . وتطوير الأدوات الشعرية القديمة وتركيزها وتكثيفها . وجنوح القصيدة نحو التعقيد لاستيعاب التعقيد الحضارى لعصرنا . والمتزاع اللغة من أطرافها والميل إلى استخدام الكلمات الجذور واللغة البدائية . والرغبة فى إيقاظ حس الدهشة فى أغوار المنحرج ومنحه الرؤيا - حسب تعبير بولايوار - . وهى أضواء البكارة على الحياة والأشياء . والميل إلى الإحياء والبعد عن الأفكار ومحاولة أخفائها فى طيات القصيدة حتى يتمكن الشعر - كما يقول برادلى - من أن يخلق عالما مستقلا له كينونته الخاصة . من كل هذه العناصر يولد غموض القصيدة الحديثة . وهو غموض لا تستأثر به القصيدة التركيبية وحدها ولكنه يشيع فى القصائد الحديثة . ولا يتجم هذا الغموض عن كل العوامل التى ذكرتها فحسب . ولكنه يزداد ثغلا وضبابية بفعل عنصر آخر هو اعتياد المتلقى على زاوية أظلم جامدة أو بالاحرى خاطئة للقصيدة . وهو عنصر يعتبره رزوننتال المسئول الأول عن هذه الظاهرة . « لأن الغموض الذى نسمع الكثير عنه ليس غموضا فى الحقيقة . ولا ينجم من القصيدة نفسها . وما يجعل القصيدة تبدو صعبة إنما ينجم عادة عن الزاوية التى ينظر إلى هذه القصيدة منها (١٠) وبحسبنا عن منهج جدمر لنقد الشعر الحديث نابع أيضا من ضرورة بلورة زوايا صحيحة للنظر إلى القصيدة الحديثة . تضع القارئ أمام مدخل الصحيح لها ثم تتركه يستجيب لتأثيراتها بالطريقة التى تتواءم مع قدراته وثقافته . فهذه الطريقة يشارك النقد فى إسقاط دعوى الغموض التى الصقت بالقصيدة الحديثة .

٤ الحاجة إلى مراجعة الحصاد الشعرى والنقدى

عمرها . فالطريق الذى انتهجه عيد الوهاب البياتى فى تطوير تجربته الشعرية وتنميتها منذ (ملائكة وشياطين) عام ١٩٥٠ حتى (قصائد حب على بوابات

الحصاد الشعرى والنقدى لحركة الشعر الحديث . وأولى هذه الظواهر الثلاث هى غياب الخط التطورى الواضح لمسار هذه الحركة الشعرية خلال ربع قرن من

الضرورة الرابعة التى تستلزم البحث عن منهج جديد لنقد شعرنا الحديث تصوغها ظواهر ثلاث ، تشارك معافى إبراز تفاصيل تلك الحاجة إلى مراجعة

- (٦٥) جون كرورانسوم (الشعر كلفسة بدائية) ضمن كتاب (الإديب وصناعاته) ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، منشورات مكتبة منيمية ببيروت ، ص ٩٩ ، ١٠٥ .
(٧) شيللى (دفاع عن الشعر) ضمن كتاب (النقد الرومانى) نيويورك ، ص ٦٤ .
(٨) فليب فان تيفيم (المذاهب الأدبية الكبرى فى فرنسا) ترجمة فريدانطونىوس ، منشورات عويدات ، بيروت ص ٢٨٠ .
(٩) رسترفور هاملتون (الشعر والتأمل) ترجمة د . محمد مصطفى بدوى ، وزارة الثقافة بالقاهرة ص ١٣٣ .
(١٠) م . ل . روزنتال (شعراء المدرسة الحديثة) ترجمة جميل الحسنى ، المكتبة الاهلية ببيروت ، ص ١٤ .

يرتدى فيه المنطلق السياسي ليس المسوح ،
وان اختلفت مسمياته .. فهي القضية
الاجتماعية تارة وهي ظاهرة الحزن وهي
قضية الاغتراب ثالثة وهي الالتزام رابعة
... الى آخر هذه المسميات .. وهناك
منطلق آخر * يبدو للوهلة الاولى انه
تقيض هذا المنطلق ولكنه في النهاية يتفق
معه من حيث الجوهر * انه يستبدل
القضية الفكرية سياسية او اجتماعية او
نفسية بالقضية الفنية * ويرتد الى نوع
من السلفية الشكلية الجديدة تريد في
بحثها عن أسس معيارية موسيقية
القصيدة الجديدة ومبناها أن تضع على
مغامرة الشاعر مجموعة من القيود ذات
المنطق الخليلي * وترى الاكتفاء بالنقطة
العروضية التي حققتها بدايات القصيدة
الجديدة * بدعوى انه لا يمكن لعصر
واحد ان يستوعب اكثر من ثورة
واحدة * وان هذه الثورة على عروض
القصيدة القديمة هي التعبير الحقيقي عن
روح العصر وان ما عداها تمرد فوضوي
لا معنى له .. وكل هذه المصطلحات
النقدية والشعرية - ولم اذكر منها سوى
مجرد امثلة - في حاجة الى التريث عندها
وأعادة النظر فيها حتى لا يتحول بعضها
الى قيد على حركة الشعر والنقد في
طموحها معا لاستيعاب الحساسية
المتغيرة لعصرنا .

عباس
المعتمد



طه
حسين



محمد
مندور



الوضوح النظري الذي يفيد منه بقية
الشعراء .
اما الظاهرة الثانية فهي تبلور مجموعة
من المصطلحات النقدية والشعرية التي
تكاد تصبح قيدا على حركة التجديد .
تشهدنا الى سلفية جديدة وجمود من نوع
جديد . وتدور بالكثير من القمصائد
وبالكثير من المراجعات النقدية في دافئتها
المكرورة . وتبلور مصطلحا شعريا يكاد
من كثرة استعماله والالاحاح عليه يتحول
الى عدد من الكليشيات المموجة .
تتكرر فيها بعض المقررات والتراكيب
اللفظية حتى تكف عن الدلالة والايحاء .
وتلج فيه بعض الصور او تتلاحق بطريقة
محفوظة تفقد معها فعاليتها وتأثيرها . اما
على الصعيد النقدي فان هناك مجموعة
من المنطلقات المكررة في تناول التجربة
الشعرية . بدا بعضها * من تصور
وجود مجموعة محدودة من التأويلات
السياسية للتجربة الشعرية يقبس الناقد
وفقا لها حظ هذه التجربة من الاخفاق او
التوفيق . ودخول الناقد الى عالم الشاعر
عبر هذا التصور المسبق وغير الشعري
دائما ما يحول دونه ورؤية القصيدة
بشكل حقيقي ، ودائما ما يجهض ايحاءات
القصيدة وفعاليتها بين يديه . وهناك
عدد من التنويعات على هذا المنطلق

العالم السبع [عام ١٩٩١] يختلف عن
الطريق الذي سارت فيه تجربة بدر شاكر
السياب الشعرية منذ (ازهار ذابلة)
عام ١٩٤٧ حتى آخر ديوان اصداره قبيل
وفاته وهو (شناسيل ابنه الحلبي) عام
١٩٦٥ . كما يختلف هذان الطريقان عن
الطريق الذي انتهجه أدونيس (على
احمد سعيد) لبلورة كشوفه
واستقصاءاته الشعرية منذ (قالت
الارض) عام ١٩٥٠ حتى وقت بين
الرماد والورد) عام ١٩٧١ . واذا كان
ثمة ما يجمع هذه الطرق الثلاثة فهو
للتشوف لارتداد بقاع جديدة والتسوق
للاقتراب من جوهر الشعر والتجديد .
وهذه الشهوة العارمة للمغامرة مع
الشعر هي التي توهم الصلة بين الديوان
الاول والديوان الاخير لكل شاعر من هؤلاء
الشعراء الثلاثة . وهي التي تجعل
مغامرة كل شاعر نسيجا وحدها . وان
جنحت مغامرات الشعراء جميعا الى
تطوير بناء القصيدة وتركيبها وفق رؤى
الشعراء واستجاباتهم لحساسية اللحظة
الحضارية التي يعيشونها وهذا ما
يجعلنا نعثر على خطوط تطورية تكاد
تساوي مع عدد الشعراء الممتازين ومع
تنوع رؤاهم .

صحيح اننا نستطيع رصد بعض ملامح
التطور الذي حققته هذه الحركة كما
نستطيع العثور على بعض علاماتها
البارزة . لكننا لا نصل الى هذه الملامح
او تلك العلامات الا بعد السير في
مجموعة من الدروب المتشعبة
والمتعرجة . وكثرة هذه الدروب المتعرجة
هي التي تستلزم التوقف حيالها والتعرف
من خلال دراستها على الروايف الناضبة
والمناهل الواعدة بالعطاء . وذلك حتى
لا تضطر كل شريحة جديدة - ولا أقول
جيل جديد - من الشعراء
ان تبدأ المغامرة من اولها وان تعيش
بنفسها مرة اخرى جفاف الروايف الناضبة
حتى تتيقن من عمقها . بل نجد الارض
امامها محروسة ومدروسة فتدخر كل
طاقاتها للاستقصاءات الواعدة بالخصوبة
والتراء . ولا يعني هذا اننا نطالب
بتوفير مجموعة من الوصفات الجاهزة
التي تكفل للشاعر التقدم وللشعر التجريب
والازدهار . فهذا ابعد شيء عما نقده .
بل واكثر الامور عدا للبحث المنهجي
السليم وللمغامرة الشعرية التي لا تكف
عن الحلم والطموح . ولكن كل ما يعنيه
هو ان يشارك هذا المنهج الجديد في
ارهاق قرون استعمار التجربة الجديدة
حتى نستطيع التمييز بين ما يدفعها الى
الامام وما يشدها الى الخلف وان يمنح
حدس الشاعر المرفه بصيرة عقلية
يخرج بها من دائرة الحدس المبهمة التي لا
يستشعرها غير شاعرها وحده الى مجال

الظاهرة الثالثة التي تشارك مع غياب
الخط التطوري الواضح لحركة الشعر
الحديث وتبلور مجموعة من المصطلحات
الشعرية وتعدد مباحثها واساليبها .
على حرية التجديد ، هي وفرة الدراسات
النقدية التي تناولت حصاد هذه الحركة
الشعرية وتعدد مباحثها واساليبها .
وتتراوح هذه الدراسات شعولا بين
المراجعة السريعة لشاعر او لديوان ،
والدراسة المنهجية الشاملة لانجازات الحركة
باكملها وتتفاوت عمقا بين الملاحظات النقدية
الخلاقة التي تكشف عن بصيرة عميقة
وحس بالشعر شفيف والتهويمات الساذجة
التي تلج الى القصيدة وقد حجب عنها
الافكار المسبقة وزاوية النظر الخاطئة ما
فيها من كنوز . وبرغم وفرة هذه
الدراسات فان النماذج الجيدة منها قليلة
للاغاية * واسهامها في توسيع آفاق
القصيدة الحديثة ضئيل الى اقصى حد .
وان كان من المجحف ان ننكر دورها في
سد الفجوة بين القصيدة الجديدة
والقراء . وفي مساعدتهم على تذوق
الشعر الحديث بصورة افضل وتمكينهم
من دخول عالم التجربة الشعرية له .
واذا كانت اغلب هذه الدراسات قد
وضعت معظم نتائجها في اطار عدم اليقين
متعلقة بقصر عمر القصيدة الحديثة وبقلة
نماذجها الجيدة من ناحية * او بتحول
هذه النماذج وتطورها الدائم من ناحية

* مثل كتاب « الشعر العربي الحديث وروح العصر » لجليل كمال الدين
* مثل كتاب « قضايا الشعر المعاصر » لنازك الملائكة
* مثل كتاب « شعرنا الحديث الى أين » لفاطمة شكرى ، وكتاب « البحث عن الجذور » لخالدة سعيد .

أخرى • فإن انقضاء أكثر من ربع قرن من الزمان من جهة ووفرة الدراسات النقدية التي حاولت الإقتراب منها من جهة أخرى تتطلب منا ضرورة التريث إزاء هذا

الكم الكبير من النتائج التي وضعت بين أقواس من التحفظات أو في إطار من عدم اليقين • اتعرف أيها ثبت للتجربة وأيها تساقط على طريقها • ولنشكل من هذه

الطوابت رقعة صغيرة من الأرض المنهجية التي يمكن أن تنطلق من فوقها محاولة جادة للبحث عن منهج لنقد شعرنا الحديث •

٥ توزع الدروب بجيل الستينات من الشعراء

لا شك أن قضية المجالية في حركة الشعر الحديث من القضايا الخلافية الشائكة • لأن محاولة مجموعة قليلة من شعراء جيل الرواد لتجاوز إنجازاتها وتطوير رؤاها جعل من الصعب القول بوجود جيلين متميزين ، بالمعنى الاصطلاحي لا الزمني فرؤى بعض الشعراء الرواد أكثر تقدما ومعاصرة من رؤى الكثير من شعراء الستينات وإن كان هذا لا ينفي أن لبعض إنجازات الجيل الجديد سمات وملامح متميزة • والذي يجعل القضية أكثر غموضا وتعقيدا هو توزع الدروب بالجيل الثاني أو الجديد من شعراء حركة الحداثة في شعرنا العربي • والذين اصطلاح على تسميتهم بشعراء الستينات • بصورة يصعب معها العثور على اتجاهات أو تيارات واضحة يتطوى تحتها الشعراء في مجموعات متميزة • اللهم إلا في مجال التأثير بشاعر من شعراء هذه الحركة الكبار ، وأدونيس هو أكثر الشعراء الكبار تأثيرا في جيل الستينات ، سواء أكان هذا التأثير في مجال الرؤية أو في نطاق المفردات والتراكيب والبناء • وإذا كان هذا التفرد علامة صحة على صعيد ما • فإنه عرض خلل على صعيد آخر • هو علامة على صعيد الصوت الشعري المتميز الذي لابد أن يميز كل شاعر ، والتوق إلى الانقلابات من أسرار القوالب الجامدة الذي لابد أن يصاحب كل مغامرة حقيقية لاستشراف الشعر • ولكنه علامة خلل إذا ما أخذنا في الاعتبار أن الشعر صدور عن حساسية معينة - ولا أريد أن أضيقها وأقول عن واقع حضاري معين - واستيعاب لها • ولابد أن تظل حساسية اللحظة الواحدة بادية - ولو - في الخلفية البعيدة لإبداع مرحلة معينة • وهي تتبدى غالبا من خلال عدد من التنبؤات التي ندعوها بالتيارات والاتجاهات • وقد يكون افتقار هذه التيارات والاتجاهات هو الشكل الذي تعبر به حساسية اللحظة الحضارية الراهنة عن نفسها ، وهذا ما أميل إليه • غير أن هذا يحتاج منا بحثا عن منطلق جديد غير منطلق القوالب المحفوظة التي حاول النقد بها أن يضع شعراء المدرسة الحديثة في أطاراتها من رومانسية وواقعية اشتراكية ، ورومانسية اشتراكية

ورعزية وغير ذلك من القوالب والأسماء •

وقد حاول (البيان الشعري) الذي هدمته مجلة (الشعر ٦٩) وهو الوثيقة النظرية الوحيدة لعدد من شعراء الستينات • أن يقدم تحليلا نظريا لهذه الظاهرة من خلال طرحه مفهومه عن الشعر وعن دور القصيدة في العالم • ويرى هذا البيان • أن القصيدة تبدأ تعاملاتها مع العالم من خلال افتراض جوهرى ذي أهمية خاصة هو أن العالم ناقص وكذلك الموجودات والأشياء • وأنها ليست تعاملات مع ما هو وجود زمني أو لحظي من جهة أو وجود نهائي مطلق من جهة أخرى بقدر ما هي تساؤلات وجودية غير انائية أمام وهم الانقضاء المطلق للعالم • وأن الشاعر ينتمي إلى حلم البشرية العام الذي لا يمكن أن يتحقق في أي زمن • ويصبح مستقبليا على الدوام بحكم تطلعاته غير النهائية • ومع ذلك لا يوجد قانون في العالم كله يحرم الشاعر من استغلال علانته اليومية الإنسانية • بل على العكس من ذلك يأخذ الشاعر كل مادة شعره من العالم • ولكن عالم الشاعر ليس هذا العالم المرنى الذي تسوده قوانين منطقية فحسب • وإنما هو العالم المرنى مضافا إليه العالم اللامرنى والعالم الشخصي والأجيال والأزمنة • وعالم الشاعر وفق هذه الرؤيا عالم مصاغ صياغة خاصة داخل حلم يوحد كل الموجودات في لحظة واحدة ويهدمها في لحظة واحدة أيضا • • • • • ولولج منطقة الشعر أشبه ما يكون بولوج مدينة أسطورية مسحورة غامضة • كل شيء فيها يكتسب براعته خارج المعرفة المسبقة مع الوعي بوجود قوة حامية تسيطر على المدينة المقيدة إلى الأبد • والشاعر الذي يقتحم بوابة هذه المدينة لا يمكن أن يدخلها كمقاتل أرضي يسعى لانقاذ المدينة من سيطرة الساحر المختفي وراء ستارة قوته • وإنما كضيف مبهور واقع هو الآخر في أسر سحر البراءة ، والحقيقة التي تغير ألوان الأشياء • تصلبها في الزمان • توقف الزمان وتمزج الحلم بالواقع والمثال بالديكتيك والحياة بالموت • وهو يكتب الشعر من خلال صبوة الروح للتماس مع تلك الحقيقة التي تعذب كيانه • قال الشاعر الحقيقي هو

الذي يحاول الوصول إلى الحقيقة بطريقته الخاصة مع الاحتفاظ باحترام خاص لكل الطرق التي تساعد على الوصول • • إلا أنه عبر اختراق هذه العوالم المتناقضة يجب ألا يسقط في أسرها ذلك لأن مهنة الشعر ترفض أي عبودية مقننة • • أن الشاعر الحقيقي هو الذي يحاول فهم العالم ويرفض في الوقت نفسه الإيغال داخل وهم الحياة • • يرفض أن يجعلنا جزءا مشتركا في طقوس هذه الحلقة غير المؤكدة • • وإذا كان الحلم هو جواد الشاعر إلى العوالم غير المرئية فإنه في الوقت ذاته صوت الرفض والتحدى للبؤس الذي يغمر العالم • أنه صوت الشاعر الذي يحتج ضد كل ما هو بربري ومعاد وخالف للعذاب • ورغم أن الشاعر صوت كل الأجيال والعالم فإنه في الوقت نفسه صوت عصره وأمته وشعبه أيضا [١١] •

من خلال هذا الموقف السريع لاهم الأفكار التي تضمنتها هذه الوثيقة النظرية التي بلغت حدا كبيرا من العمق والنفاذ والتشويش نضع يدنا على الكثير من الملامح التي صاغت رؤية الشاعر الحديث في الستينات • فهو في ضيقه من النماذج الشعرية المسكورة ينزع إلى البحث عن حقيقة مفارقة للعالم ثم يعود إلى تأكيد ضرورة الانطلاق من هذا العالم الذي يراه غارقا في الوهم والنقص وغير مؤكد • والحقيقة التي تجاهلها هذا البيان وإن لم يستطع التملص من قبضتها ، هي أن تشوف شاعر الستينات إلى حقيقة مفارقة لعالم الواقع من احساسه بفقدان السيطرة على مقدرات واقعته المحلي • • ومن تعطل فعلياته للتغيير إزاء واقع باطش غارق في التخلف على جميع المستويات ولكنه شديد التقدم في الأخذ بأحدث أساليب القمع التي أنتجت الحضارة الحديثة أو الحضارة العميقة حسب تعبير ماركوز ، ومن تلك الفجوة الكبيرة بين تالقي صورة الحلم العربي في الأربعينات والخمسينات ويشاعة هذه الصورة حينما ارتدت جسد الواقع في الستينات • • • • • فما هي كل الأفكار التي نادى بها جيل الحلم والنبوءة وقد استحالت إلى مسوخ شوهاء مفرغة من المعنى • • وما هي الكلمات التي سفحت في سبيلها أطر الأعمار تتحول إلى حبال

تلتف على رقاب هذا الجيل الجديد وتحكم قبضتها عليه لتحوّله الى انسان ذى بعد واحد (١٢) لا يفكر ولا يحل ولا يعارض لان هذه الامور تورد التهلكة . وعليه الانصياع الى كل ادوات الحضارة الذرائعية وتأكيد اغترابه ان اراد لنفسه النجاة التى تستوى فى النهاية مع الموت .

ووعى جيل الستينات بتفاصيل هذه الصورة وعجزه عن المبادرة الى تغييرها هو الذى يدفعه الى تقنيّ احتجاجة عليها فى صور بالغة التشابك والتعقيد حتى تصبح بالغة التخفى . وخلال عملية

التخفى الجماعية تلك حاول كل شاعر ان يهوه ملامحه وان يرتدى اكثف الاقنعة وابعدها عن اشارة الريب . ومن قواعد لعبة التخفى تلك انها برغم جماعيتها تعتمد كل الاعتماد على وسائل فردية الى اقصى حد . تتم فيها عمليات تحويل - بالمصطلح النفسى والفكرى - لا حصر لها ، تشكل التعدد الذى ينطوى فى آخر الامر على الوحدة . فكلها محاولات تستهدف المجاهرة باشياء لا يستطيع الفنان ان يعبر عنها بشكل مباشر . وتبغى الافلات بالادب من قبضة المراقبة والمساءلة دون ان يضحى بطاقته النقدية

الخالقة . وبين الرغبة فى الاضطلاع بدور نقدي واضح والخوف من الفردى فى فوهة الصمت الفاغرة فيها تنسعت منطلقات الشاعر الى استشراف حساسية اللحظة والتعبير عنها . وتمايزت بصورة يصعب معها الحديث عن مجموعة من الاتجاهات او التيارات وهذا ما يتطلب منا تناولا تقريبا جديدا يتخلق فيه الاسلوب والمنهج من خلال المعايضة الكاملة لرؤى الجيل الجديد والفهم العميق للمناخ الحضارى الذى صدر عنه . وللمفهوم الجديد الذى يطرحه لطبيعة الشعر ودور الشاعر .

٦ استشراف الآفاق الجديدة

اذا كانت الضرورات السابقة ذات طابع تاريخى وفنى فان هذه الضرورات ذات طابع حضارى بكل ثقل الكلمة السياسى والاجتماعى والاقتصادى والفكرى . الخ . ومن هنا فان هذه الضرورة ظلت كامنة تحت قشرة حديثنا عن الضرورات السابقة . تطل برأسها على استيحاء لحظة وتختفى لحظات . فى جنوح القصيدة نحو التراكم . وفى استيعابها للحساسية الجديدة وملاحظتها لتفتتها وتغيرها . وفى غموض القصيدة الجديدة وتصور رجل الستينات المميز لها . فى كل هذه الضرورات كانت تلوح وتختفى الرؤى الجديدة التى تصاغ من جماعها هذه الضرورة . كان هناك دائما ذلك التوق العارم الى استشراف الافاق الجديدة . وذلك الضيق المتبرم برسوخ الاوضاع القديمة وزحف الرؤى والتصورات السلفية وهى تكبل باغلالها الجديدة مطامح تلك المغامرة التى تطمح الى ان تفسر العالم وتغيره كما يرى بدر شاكى السياب ، والى ان تجعل ما يفلت من الادراك العقلى ، مدركا او ان تكشف عن عالم مجهول لم يعرف بعد كما يرى ادونيس ، (١٣) فتحيلها الى شيء مهدر ممجوج لما قد للفعالية كاغلب الاشياء فى عالمنا العربى . وكان هناك دائما الحلم بدور جديد للشاعر وبفهم جديد للشعر يرتد به الى الدور الذى اضطلعت به عرافه دلفى فى اساطير العالم القديم . دور النبوة والاستشراف والرؤيا . وكان هناك دائما الحنين الى ارتياد المطلق والبحث عن الحقيقة والتوحد مع سر الخلق وفعل الكينونة وكانت هناك ايضا الشهوة العارمة للكشف والمغامرة فى البقاع المجهولة وللتعبير عن أدق تذبذبات

الوجدان العربى فى تشوفه لاكتشاف الذات والطريق . لكن لم يكن واضحا الى جانب كل هذا ان التوق العارم الى استشراف الافاق الجديدة ليس ترفا محضا ، ولكنه ولبد طبيعى للظروف الحضارية التى عاشتها الامة العربية فى الستينات . لان « الصفات النوعية لمجتمع من المجتمعات تتطابق بدقة مع بعض التراكيب الخاصة بلغة معينة ، وغير القابلة للترجمة » (١٤) والتى نسميها شعرا . ولان تشوف الشعر الى استشراف الافاق الجديدة كان جزءا من التشوف الجمعى الى تجاوز الواقع الذى انجب النكسة بكل ما فى هذا الواقع من جهل وحماسة ، وتجوف وزيف وفساد . بكل ما فيه من قشور مظهرية واذاعات بليغة وخطباء مزعجين وانتهازيين . ولان تشوف الشعر لارتداد هذه الافاق الجديدة تابع من رغبته فى المساهمة فى تعويض انعدام التوازن فى واقعنا الراهن - كما يقول موندريان - والعمل على خلق هذا التوازن وعلى تصحيح قبه المائل . واذ كانت هذه الرغبة قد وجدت فى الشعر تعبيرا موفقا عنها فان ذلك راجع الى طبيعة الظروف التى عاشها مجتمعنا العربى طوال السنوات العشر الماضية والتى تقع هزيمة حزيران الدامية فى منتصفها تماما .

ولن نتحدث هنا عن سنوات ما قبل الهزيمة ولا عن ارهاصاتنا التى تجددت فى الكثير من الاعمال الادبية الناضجة قبل وقوعها بسنوات . ولكنى ساكتفى فقط بدور سنوات ما بعد النكسة فى ارهاق حسنا بالحاجة الى المراجعة الشاملة لشئى الثابت والرواسخ فى واقعنا . وبالحاجة الى ان نجعل هذا التاريخ

الدائم - يونيو ١٩٦٧ - علامة فارقة فى حياتنا . فنطلق بعده الى افاق جديدة وقد اخذنا من وقائعنا ابلغ الدروس والعبر . وقد انعكس هذا فى توق الجيل الجديد من الكتاب الى طرح رؤاه واعماله بعيدا عن حماية الجيل السابق ومفاهيمه . فكانت مجلة (٦٨) فى القاهرة ومجلة (الشعر ٦٩) و (الكلمة) فى العراق برغم كل ما قد فاذخه عليها تعبيرا عن هذه الرغبة وتأكيدا لها . تعبيرا يحمل فى طوابعه ضيق الجيل الجديد من تلك الازدواجية المروعة التى ألفها جيل الاربعينات . ويشير الى رغبة هذا الجيل فى الانفلات من قبضة ما رسخه جيل الاربعينات فى واقعنا من قيم وتقاليد تصوغ تناقضاتها كل تناقضات السنوات التى كانت أحداث يونيو تعبيرا عن ذروة صراعاتها .

ولكن أهم ما يشير اليه جنوح جيل الستينات الى الانفلات من قبضة رؤى الاجيال السابقة ومفاهيمها هو ان ثمة تغييرا جذريا فى حساسية اللحظة قد حدث . وان هناك مفهوما جديدا للادب والحياة قد بدأ يتخلق تحت قشرة المفاهيم القديمة ويجاهد للتخلص من قبضتها ولتخلص وجهه من ملامحها . واخذ هذا المفهوم الجديد وهو يرى الرغبة المخلصة فى التغيير التى انطلقت بعد النكسة تمسخ باسم التغيير ذاته يضيق بتلك المقولات الراسخة عن كون الفن تعبيرا عن الواقع . ويحاول ان يحل بدلا منها مجموعة من المقولات الجديدة التى ترى ان الفن تغييرا وان الفن تمردا وثورة وان الفن نبوءة ورؤيا . فمن خلال تلك المقولات وحدها يستطيع الفنان ان يترجم ضيقه بالحلول التى تطرحها الطلائع السياسية للمعضلة القومية الى

(١٢) راجع هريوت ماركوز (الانسان ذو البعد الواحد) ترجمة جورج طرايشى ، منشورات دار الاداب ، بيروت .

(١٣) خالد سعيد (البحث عن الجذور) منشورات دار مجلة شعر ، بيروت ص ٨ .

(١٤) جان بول سارتر (اورفيوس الاسود) ضمن كتاب (ادباء معاصرون) ترجمة جورج طرايشى دار الاداب ،

بيروت ، ص ٩٠ .

مصطلحات جمالية محضة . وهذه المصطلحات الجمالية الجديدة هي تعبير الفنان عن احساسه بالظروف الحضارية التي يعيشها أو هي الافراز الطبيعي لتناقضات هذه الظروف . ولذلك فإنها تتطلب منها تناولا نقديا جديدا . لا يرى في حنين الشاعر الى استشراف الافاق الجديدة وإلى تخليص الفن من التبعية الممجوجة للواقع نوعا من الهروب من الواقع أو التعالى عليه . ولكنه ينفذ من

خلاله الى طبيعة رؤى الفنان لهذا الواقع لا في لحظة السكونية الراهنة ولكن في صيرورته وحركته الدائمة . وفي نهاية حديثي عن الضرورات التي نستلزم بحثنا عن منهج لنقد الشعر الحديث أحب أن أشير الى أن كل ضرورة من هذه الضرورات لا تعمل بمعزل عن الأخرى ولكن في تشابك كامل مع غيرها من الضرورات . بالدرجة التي تجد معها من زاوية معينة للنظر أن كل واحدة من

هذه الضرورات إنما تنطوي في الواقع على الضرورات الباقية . وإن تناولنا لكل واحدة بمعزل عن الأخريات إنما كان لإبراز الدور الذوقي لها ولتبسيط الدراسة . وهذا ما قد يفسر بعض التكرار الطفيف الذي يطل بين لحظة وأخرى وإن حاولت دائما في هذه المحاولات أن اكبح جماحه ولا استسلم لأغراءاته حتى احتفظ للدراسة بالتركيز والوضوح معا .

٧ البحث عن جذور تراثية للمنهج الجديد

إذا كانت حركة التجديد في القصيدة العربية قد انطلقت من استيعاب تراث القصيدة القديمة شكلا ومضمونا ثم انطلقت به في مغامرة تعقد تزاوجا بين أفضل ما في القصيدة العربية وأرقى إنجازات القصيدة الإنسانية وخاصة الأوروبية منها . فإن على المنهج الجديد أن يعقد هو الآخر تزاوجا بين أفضل أساليب نقد الشعر في أدبنا القديم وبين أكثر مناهج النقد الأوروبي تواؤما مع طبيعة القصيدة العربية الحديثة . وقد يتصور البعض أنه ليس في تراثنا النقدي القديم ما قد يفيد الناقد الحديث وقد تفقدت رؤاه وثقافته وتساقطت بين يديه ثمار الكثير من المعارف بالحضارة الإنسانية وبالنفوس البشرية معا . غير أن التريث أزاء بعض الدراسات اللامعة في نقد الشعر العربي القديم ما يلبث أن يكشف عن مدى ما في هذا التصور من خطأ . حيث تتضمن فهما نقديا عميقا للشعر كان له طبيعته النوعية الخاصة ومبناه الفريد . وحيث تشيخ بعض دراساته إلى كشوف العقل العربي المبكرة في ميدان النقد . فالنقد الأدبي سابق عند العرب للتاريخ الأدبي . (١٥) وهذا سبق يؤكد المنحى الفنى المبكر للنقد قبل أن تسيطر عليه النزعة التاريخية . لذلك نلهم في أول الكتب النقدية التي ألفت في تاريخ الأدب العربي وهو (طبقات الشعراء) لابن سلام الجهمي مجموعة من القيم النقدية الهامة يجملها الدكتور مندور في البديرية والممارسة وإدراك أهمية تحقيق صحة النصوص وصحة نسبتها ومحاولة تفسير الظواهر الأدبية وتعليلها بالرجوع إلى مجموعة من العوامل التاريخية والبيئية . وبلورة مجموعة من المبادئ العامة التي يمكن اتخاذها كأساس للمفاضلة مثل كثرة شعر الشاعر وتعدد أغراضه وجودته .

ولقد أخذت هذه القيم النقدية في الاتجاه نحو النضج والعمق والتحدد بعد ذلك لدى ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) ثم بدأت تميل إلى المنهجية والمعارضة لدى ابن المعتز في كتابه (البديع) وقدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) حتى وصلت إلى ذروة النضج من حيث التحليل والمقارنة في الوزنات والخصومات والسرقات وغير ذلك من الدراسات النقدية التي تعتمد على أسس منهجية راسخة وعلى معرفة وثقافة شعرية شاملة . ثم تعددت بعد ذلك كتب النقد وأساليبه وإن اندرجت كلها تحت خمسة أنواع : « أحدها يصنف الشعراء القدامى إلى طبقات . والثاني التعريف بالشعراء والترجمة لهم دون تصنيف . والثالث المراد كل بيئة من البيئات الكبرى المعاصرة للمؤلف بقسم من أقسام الكتاب . ونضيف الآن إليها نوعين آخرين أحدهما يمثل عناية المؤلف ببيئته ومن فيها من أعلام الأدب . والثاني يصور الاتجاه الموسوعي أو المعجمي في التعريف بالسابقين من الأدباء والعلماء إلى عصر المؤلف ، (١٦) وفي كل هذه الدراسات النقدية استطاع نقد الشعر في تراثنا القديم أن يبلور له مجموعة من الخصائص المعيارية والمنهجية ومجموعة من القيم الجمالية تتبدى بشكل واضح في كتابي (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر و (الصنعتين : الكتابة والشعر) لأبي هلال العسكري .

ففي (نقد الشعر) لأبي الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ نعر على أول تشريع فلسفي للأدب كما يقول الدكتور طه حسين (١٧) « فنحن عندما نقرأه نحس من أول فصوله أننا بازاء روح جديد لا عهد لنا بمثله من قبل » روح ينزع نحو التقرير العلمي والتحديد الفلسفي ويحاول أن يبلور قيمة

ومقاييسه من خلال استقراء شبيه علمي يعتد على البصيرة النفاذة والحس المرهف . . . انظر مثلا كيف يعرف الشعر وكيف يحلل تعريفه له فاستجد ذلك شيئا لقريرا محضا فهو يقول « أنه قول موزون مقفى يدل على معنى » . فقولنا : قول ، دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر ، وقولنا : موزون يفصله مما ليس بموزون إذ تان من القول موزون وغير موزون ، وقولنا : مقفى : فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع . وقولنا : يدل على معنى ، يفصل بين ما جر ، من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى . مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى . . . فإذا كان قد بين أن الشعر هو ما قدمنا ، فليس من الاضطرار إذن أن يكون ما هذه سبيله جيدا أبدا ولا رديا أبدا : بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران : مرة هذه وأخرى هذه على حسب ما يتفق . فحينئذ يحتاج إلى معرفة الجيد وتمييزه من الرديء . (١٨) إذا كانت هذه العبارة التي اقتطفناها من بداية الفصل الأول في كتاب قدامة تدل على منتهى التفكير الفلسفي - كما يقول طه حسين - فإنها تكشف أيضا عن بصيرة نقدية تعرف أن تحديدات الشكل الخارجى لا تكفى لسبر أغوار العمل الفنى . بل يظل هناك ، مع توافر كل شروط الشكل عمل جيد وآخر رديء . وفي محاولة طموحة للوصول إلى مجموعة من المعايير والخصائص التي تميز العمل الجيد من الرديء يقدم قدامة تحليلا باهرا للقصيدة العربية يكشف قبل أكثر من ألف عام أن الشعر بنيان وأن الطريق الصحيح لاكتشاف القصيدة هو التحليل المنهجي لمكوناتها ولتراكيها ولطريقة صياغتها لصورها . لذلك فإنه يخصص القسم الأكبر من

(١٥) د . محمد مندور (النقد المنهجي عند العرب) مكتبة النهضة المصرية ، ص ٥ .

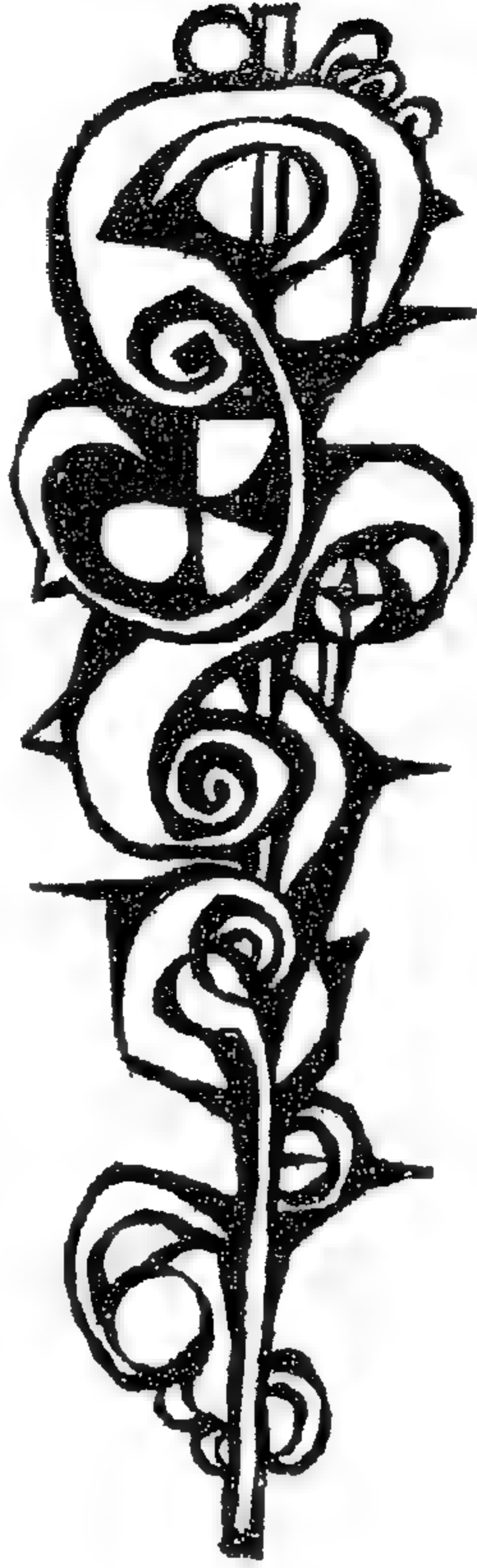
(١٦) د . محمد خلف الله أحمد (الإسلام والحضارة) وزارة الإرشاد القومي ، القاهرة ص ٨٦ .

(١٧) طه حسين (البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر) مقدمة تحقيقه مع عبد الحميد العبادي

لكتاب [نقد النثر] المنسوب لقدامة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ص ١٦ .

(١٨) أبو الفرج قدامة بن جعفر (نقد الشعر) تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ص ١١ .

كتابه للجانب الوصفي من عملية التحليل تلك ، ويعتمد في البداية على تقسيمها إلى أقسام أربعة من حيث اختلاف مكونات القصيدة الأربعة من لفظ ومعنى ووزن وتقنية واتساقها في بيان بريد متكامل . وهذه الأقسام هي : اختلاف اللفظ مع المعنى ، واختلاف اللفظ مع الوزن ، واختلاف المعنى مع القافية (١٩) ويبدأ قدامة بعد ذلك حديثه عن هذه الأقسام الأربعة بشكل نظري وتطبيقي معا . يفصل في البداية فكرته ثم يورد بعد ذلك مجموعة من الشواهد التي لا تجعل حديثه مجردا والتي تساهم في تقريب استقصاءاته النظرية إلى الإذهان . وفي الفصل الثاني الذي يخصصه لنوعت مكونات القصيدة يتحدث عن نعت اللفظ ونعت الوزن ومنه الترصيع ونعت القوافي . ويكشف خلال هذا الحديث عن رؤى وقيم جمالية على درجة كبيرة من النضج والجمال . ثم يفرز المعاني المعاني بابا إضافيا يفصل فيه المعاني وفق ما تعارف عليه العرب من أغراض الفريض فيذكر نعت المديح ونعت الهجاء ونعت المراثي ونعت الوصف ونعت النسيب ونعت التشبيه . ثم ما يلبث أن ينتقل بعد ذلك من الكلليات إلى الجزئيات أو من الوصف إلى التحليل فيتناول صحة التقسيم داخل القصيدة الواحدة وصحة المقابلة وصحة التفسير . ثم يعود إلى الأقسام الأربعة التي ذكرناها من قبل فيترى عدد كل قسم منها محلا . فيرى أن لاختلاف اللفظ مع المعنى عدة وجوه إيجابية هي الإشارة والارداف والتثنية . وعدة وجوه سلبية هي المعاكسة والاخلال . وأن لاختلاف اللفظ مع الوزن وجها إيجابيا أساسيا يمكننا أن ندعوه بالمصطلح المعاصر الحتمية لأنه يتجلى في « أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم تضطر بإقامة الوزن إلى نقصها عن الواجب ولا إلى الزيادة فيها عليه . وأن تكون المعاني أيضا مواجهة للفرص لم تمتنع عن ذلك وتعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته » (٢٠) دائما - لاختلاف اللفظ مع الوزن - عدة وجوه سلبية هي الحشو والتثنية والتثريب والتغيير والتعطيل . وأن لنعت اختلاف القافية وجهان إيجابيان هما التوشيح والإيغال ووجهان سلبيان هما تكلف في طلب القافية أو أن يؤتى بها لكي تكون نظيرة لأخواتها في السجع . ويستمر قدامة بهذا الأسلوب التحليلي في حديثه المدعم بالأمثلة والشواهد عن عيوب اللفظ وعيوب الوزن وعيوب القوافي - مثل التجميع والاقسواء والإبطاء والاسناد - وعيوب المعاني وغير ذلك من



أغراض الشعر وضروبه .

وقد أطلت في عرض النقاط الأساسية لكتاب قدامة حتى أوضح إلى أي مدى جنى نقد الشعر العربي القديم إلى استنباط منهجه في تناول القصيدة من معانيه للقصيدة نفسها ومن احساسه بالنوعية الخاصة للشعر . ولز استسلما لأغراءات الحديث عن الشواهد المتعددة على عمق انجازات العقل العربي في مجال نقد الشعر لكان علينا أن نكتب كتابا وخاصة إذا ما أضفنا إلى حديث النقاد عن الشعر حديث الفلاسفة القدامى كحديث ابن سينا عن المدركات الحسية والمدركات المعنوية في القصيدة وتحليله لما يمكن أن نسميه بالمصطلح المعاصر سيكلوجية العملية الإبداعية . خلال ملاحظاته الهامة عن عملية الخلق الفني

للقصيدة وهي لما نزل كيانا غامضا في نفس الشاعر . أو حديث ابن خلدون عن علاقة البيئة بالصورة التي يتبدى فيها الأدب في عصر معين وعمق فعالية هذه البيئة في صياغة صور أدبية ذات طابع خاص . أو حديث غيرهما من الفلاسفة كالفارابي وابن رشد والنقشيري وغيرهم . لكنني أحب هنا أن أشير إلى مواصلة أبي هلال العسكري لتحليلات قدامة واستقصاءاته مستفيدا من كتاب ابن المعتز عن (البديع) . . مبلورا مجموعة من الأفكار البهيمية عما نسميه الاستعارة بالمصطلح المعاصر . وهي بتعريف ريتشاردز « الوسيلة العظمى التي يجمع الذهن بواسطتها في الشعر أشياء مختلفة لم توجد بينها علاقة من قبل . وذلك لأجل التأثير في المواقف والدوافع . وينجم هذا التأثير عن جمع هذه الأشياء وعن العلاقات التي ينشئها الذهن بينها . وإذا فحصنا أثر الاستعارة جيدا وجدنا أن هذا الأثر لا ينشأ عن العلاقات المنطقية المتضمنة إلا في حالات قليلة جدا . أن الاستعارة هي وسيلة شبه خفية يدخل بواسطتها في نسيج التجربة عدد كبير من العناصر المتنوعة » (٢١) .

وإذا حاولنا أن نقارن هذا التعريف الحديث للاستعارة لا بالفصل الأول من الباب التاسع والذي كرسه أبو هلال العسكري للاستعارة والمجاز ولكن بالباب التاسع بأكمله والذي عدد فيه العسكري خمسة وثلاثين ضربا من ضروب البديع . وجدنا أن حديث العسكري عن البديع ينطوي على مجموعة كبيرة من الجزئيات التي يمكن أن نقيم على ضارها مفهوما للاستعارة يقترب إلى حد كبير من تعريف ريتشاردز لها . . لأن فنون البديع التي حصرها العسكري في « الاستعارة أو المجاز والتطبيقي والتجنيس والمقابلة وصحة التقسيم وصحة التفسير والإشارة والارداف أو التوابع والمماثلة والغلو والمبالغة والكنائية والتعريض والعكس أو التبديل والتثنية والترصيع والإيغال والتوشيح ، ورد الإعجاز على الصدور والتحميل أو التثمين والانتفاف والاعتراض والرجوع وتجاهل العارف أو مزج الشك باليقين والاستطراد وجمع المؤنث والمختلف والسلب والإيجاب والاستثناء والمذهب الكلامي والمجاورة والاستشهاد والاحتجاج والتعطف والمضاعفة والتطرين والتلفظ » (٢٢) تتضمن من الجزئيات ما يشهد نظاما حديثا في الاستعارة بمفهوميها الحديث كإدراكنا المعنى داخل التجربة الشعرية . غير أن أبا هلال العسكري لا يهدف إلى هذه الفكرة من خلال

(١٩) نقد الشعر ، ص ٢٠

(٢٠) نقد الشعر ، ص ١٦٥ .

(٢١) ٢٠٢ ريتشاردز (مبادئ النقد الأدبي) ترجمة د . محمد مصطفى بدوي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، ص ٣١٠ .

(٢٢) راجع أبو هلال العسكري الصناعيين / الكتابة والتشعر تحقيق محمد أمين الخانجي ، مطبعة

صبيح بالازهر ، القاهرة ، الباب التاسع ، من ص ٢٥٧ - ٤١٧ .

مصطلح نفسي كما يفعل ريتشاردز. ولكن من خلال منطلق لغوي يعمد الى تحليل علاقات الالفاظ فسي تجاورها وتناقرها ووجدلها . وكأن ابا هلال العسكري قد تصرف قبل ألف عام وفقا لقولة ريتشاردز بالكمور « لا يكتب الشعاع افكارا بل الفاظا » وهي المقولة التي أسس بالكمور وفقا لها منهجا متميزا في تحليل التجربة الشعرية (٢٣) وإذا نظرنا وفقا الى انجازات ابي هلال من خلال منطلق معاصر في تحليل الالفاظ سنجد انه لم يقدم تحليلا لغويا فحسب ولكنه أشار الى نوع من تحليل المعنى داخل العمل الشعري فيه الكثير من العمق والحدادة .

وقد اردت من حديثي عن قدماء والعسكري ان أشير - مجرد إشارة لا تدعى الإحاطة الكاملة بل تكتفي بادل الامثلة - الى أن في نقدنا العربي الكثير من القيم البناءة التي لابد ان تلتفت اليها ونحن نبحث عن منهج نقدي جديد . ولا يعني التفافنا اليها أننا ننقل عنها بلا روية أو تبصر . وإنما الذي يعنيه أن نأخذ منها ما كان لصيقا بطبيعة القصيدة العربية وأن نمرره عبر معارفنا العصرية حتى يأخذ شكلا يتواءم مع عصرنا دون أن يفقد صلته بالماضي . وفي حديث ابي هلال عن البديع الكثير من الملاحظات التي

يمكنها ان تساهم في بلورة مفهوم خاص للاستعارة في القصيدة وبناء خاص لفكرة المفارقة التي يرى النقد الحديث انها العصب الرئيسي للبيان في مختلف الاعمال الفنية . وإذا كانت هذه الملاحظات تستطیع ان تقدم لنا عوناً مباشراً ونحن نطور منهجنا لنقد القصيدة الحديثة ، فإنها من وجهة ثانية للنظر تقدم لنا عوناً آخر غير مباشر ولكنه أجل نفعاً وأبلغ فائدة . لأنه عون منهجي يضع ايدينا على حقيقة هامة اكتشفها النقد العربي منذ أمد بعيد . وهي ضرورة توافق المنهج النقدي مع مناهج التفكير الشعري السائدة أو ضرورة تولده منها . فنركز النقد العربي على تناول اللغوي للقصيدة كان ابن أسلوب الإبداع السائد للقصيدة كعمل بلاغي بالدرجة الاولى . وقد استطاع توافق المنهج النقدي مع الفهم السائد للقصيدة ان يقدم مجموعة من الخدمات الجليلة للقصيدة وصلت بهادرجة عالية من التالى والتباور اللغوي . ولا يعنى هذا التوافق تبعية من النقد للعمل الإبداعى . ولكن مشاركة منه في ترسيخ منهج التفكير الشعري وتعميق ابعاده . فالمنهجان معا وليدا مجموعة من العوامل الحضارة اعم منهما وأشمل وأكثر تجذرا في الواقع الذى انجبهما معا . وهما يتبادلان التأثير والتأثر ويتفاعلان فيجعل كل منهما الآخر

ويطوره . وهذه الحقيقة المنهجية التي تقدمها لنا الدراسات النقدية القديمة هي أهم ما يجب ان نضعه نصب أعيننا ونحن نشرع في البحث عن منهج جديد . فمن خلال هذه الحقيقة يمكننا ان نفرز عطاء هذه الدراسات فنأخذ منه ما يفيدنا ونترك ما لا فائدة لنا منه . وحتى الجزئيات التي ستأخذها علينا ان نخضعها للنظرة الحديثة كما ذكرت وان تطورها وفقا لها دون ان نفقدها أصالتها وتجذرها في العقل العربي . حتى نستطيع ان نخلق من خلال التزاوج بين هذه النظرات الاصلية في قرائنا والمحاولات المنهجية النقدية في عصرنا منهجا جديداً يستطيع ان يستشرف ابعاد التجربة الشعرية الجديدة في حاضرها وصيرورتها معا . هذا المزاج وحدها هي القدرة على ان تمنحنا منطلقاً نقدياً لا يفرق في شكلية المطلقات القديمة . ولا تعميه سياسية المطلقات المعاصرة عن تناول التجربة الشعرية كمخلوق عضوي له حيويته وضابحة الفريد . ولا بد اذا اردنا ان نتعرف عليه حقيقة ان نجهد اذفسنا في العثور على الطريق الصحيح الذى سيغضى اليه وعلى المفاتيح التي يمكن ان تليّن أمام حركتها أبوابه المغلقة . فهل ترانا نستطيع ؟ ! هذا ما سنحاوله في النقادة القادمة .

٨ سمات المنهج الجديد وملامحه

إذا كانت الضرورات التي استلزمت ميلاد القصيدة الجديدة قد ساهمت في صياغة الطابع الخاص لهذه القصيدة وبلورت ملامحها . فان الضرورات التي تستلزم البحث عن منهج جديد هي التي تشارك في خلق سمات هذا المنهج وتحديد ملامحه . ومن هنا كان ضرورياً ان نقرئ طويلاً عند هذه الضرورات . لأن تريتنا عندها في الحقيقة ليس الا تريتنا عند هذا المنهج نفسه ، ولكن بطريقة غير مباشرة ، ولأنها تنطوى على أهم سمات هذا المنهج وملامحه . وإذا كان علينا هنا أن نتناول هذه السمات بشيء من التحديد فلأبد أن نحفظ بداءة ازاء ما قد يبدو لأول وهلة وكأنه تصيد قطعى صارم . فنحن نطرح في هذا الجزء من الدراسة تصورا للمناقشة ولا نقدم نتائج نهائية لا ياتنها الشك ولا تقبل الاجتهاد . وهو تصور قابل للتعديل والتطور بالحذف وبالإضافة على حد سواء . ذلك لأنه ليس ثمة منهج نهائى واحد يقدّر ما أنه ليس ثمة تجربة شعرية نهائية . فلأبد ان يكون هذا المنهج منفتحاً

بقدر انفتاح التجربة الشعرية وقابليتها للإضافة والتطوير . وان يكون قادراً على استيعاب مغامرات القصيدة مع التجديد ومطامحها مع التغيير . وان يوطىء الأرض الجديدة أمام المغامرة الشعرية ويفتح أمامها الافاق الجديدة . وهذا التفاعل المستمر بين المنهج النقدي والتجربة الشعرية هو الذى يدفعنا الى القول بأنه لابد أن تتنوع أساليب تناول النقدي - فى داخل إطار منهجى رحيب - بقدر تنوع أساليب التفكير الشعرى وتعدد ما . فان كل أسلوب متميز في التفكير الشعرى يطرح على الناقد منهجاً متميزاً في تناوله .

ولا يعنى هذا التعدد أننا قد نجد انفسنا فجأة في متاهة منهجية تقضى بنا الى القول بان لكل قصيدة منهجاً خاصاً في تناولها وان كان في هذا القول قدر من الصحة اذا أخذنا كلمة المنهج بمعناها الضيق . لأن تعدد القصائد داخل أسلوب معين للتفكير الشعرى وفهم معين للتجربة الشعرية يقابله تعدد التطبيقات داخل أسلوب منهجى واحد لا تتعدد المناهج

النقدية نفسها واساليب التفكير الشعرى لا تتغير الا بصعوبة وعلى فترات متباعدة . وهذا ما يدفعنا الى القول بضرورة العثور على مجموعة من النحيدات المنهجية تدوم طوال دوام أسلوب التفكير الشعرى الذى رافقته وتخلقت من خلال معاشته . لأن كل منهج نقدي ينطوى على تصور معين للفن . وهذا التصور المعين للفن هو ما نسميه في الشعر بأسلوب التفكير الشعرى لأن أسلوب التفكير ينهض بدوره على تصور لوظيفة الشعر ولدوره وللعوامل المشاركة في صياغة التجربة الشعرية . من صور والفاظ وتراكيب ومواقف وإيقاعات . الخ . لذلك فان أسلوب التفكير الشعرى بهذا المعنى يكون مرادفاً للمدرسة الشعرية أو للحركة الشعرية والمدارس والحركات الشعرية - فى تاريخ الشعر الانسانى كله - تعد على الاصابع . لأن أحداث تغيير جذرى في أسلوب التفكير الشعرى يحتاج الى ثورة والثورات الحقيقية في عالم الادب قليلة أو بالأحرى نادرة . . . فناريخ الادب لا

يعرف سوى بضع ثورات كبيرة ومجموعة مماثلة من الانتكاسات على كل ثورة جديدة وأعادة بعث رفاة الثورة السابقة مع تغييرات طفيفة .

وقد كانت حركة الشعر الحديث ثورة حقيقية في تاريخ القصيدة العربية لأنها طرحت أساليباً للتفكير الشعري يختلف عن الأسلوب السائد في القصيدة القديمة . وهي ثورة بدأت بشاعرها وأصحاباتها مع ما اصطلاح على تسميته في نقدنا الحديث بمدرسة الديوان (٢٤) ثم مع إسهامات جماعة أبوللو في الشعر العربي . ففي الديوان وأبوللو البذور الأولى لبعض عناصر التفكير الشعري التي تبلورت واكتملت مراحل نضجها مع حركة الشعر الحديث . لأن الأسلوب الجديد للتفكير الشعري لا يولد فجأة بل يحتاج إلى عناء طويل . ولقد صادفت البذور الجديدة التي ألفتها مدرسة الديوان وجماعة أبوللو أرضاً قاحلة في القصائد التقليدية التي كتبها شعراء أبوللو والديوان . وظلت تعاني من الشحوب حتى التقطها شعراء المدرسة الحديثة ونقلوها إلى الأرض التي سرعان ما ازدهرت فيها ونمت . وقد تبلورت هذه البذور في عدة أفكار أساسية هي فكرة التجربة الشعرية ، والبنیان العضوي للقصيدة ، وأهمية التوازن بين ضرورات الإيقاع والحتمية في بناء التجربة الشعرية ، وتحرير الشاعر من الفهم القبلي لوظيفته في المجتمع مع التركيز على ذاتيته بفهم رومانسي ينتمي في الغالب إلى الرومانسية الانجليزية عند وردزورث وشيللي لا عند كوليريدج وكيتس .

وقد جاءت القصيدة الحديثة فهيأت لهذه الأفكار الأرض التي ترعرعت فيها وازدهرت . وأن حاولت العودة إلى الفهم القديم لدور الشاعر باعتباره صوت القبيلة ومغنيها والمعبر عن هواجسها وصبراتها والمستشرف لرؤاها . وحتى يضطلع الشاعر الحديث بهذه الوظيفة المعقدة كان عليه أن يخلص لقضية الشعر ذاتها ، لأنه بدون الإخلاص لقضية الشعر لا يمكن أن يكون ثمة إخلاص للقضية أخرى . أو بالأحرى لا يمكن أن نحس نحن - كمتلقين - بهذا الإخلاص مهما توفر للشاعر أطياف النوايا . وأخذ النقد يحاسب الشاعر لا على مدى اضطلاع بكافة أبعاد هذه الوظيفة المعقدة ولكن على مدى توقيفه في أن يكون الصوت السكوني لمهوم القبيلة السياسية دون بقية الوظائف الأخرى . ومن هنا دار الشعر في دائرة مغلقة لسنوات عديدة . وكان للنقد دور كبير في تكريس هذا الدوران وفي تطويل أمده . لكن الشعر ما لبث أن تجاوز هذه الكيوية . وما نحن نستشعر عبر عدد كبير من الضرورات الحاجة إلى منهج نقدي جديد لا يقف عاجزاً أمام تردى الشعر في التماهات والدوائر المغلقة . بل يساهم

بفعالية في تطوير التجربة الشعرية وتوسيع أفقها . منهج لا يستوعب هذه الضرورات - التي سبق أن تناولناها بشيء من التفصيل - في سكونها وأذيتها ولكن في استمرارها وحيرونها .

وإذا كانت القصيدة التركيبية هي أحدث مراحل القصيدة الجديدة فإنها ليست مرحلتها الأخيرة . فلا بد أن هناك أشكالاً جديدة لم يسفر عنها المستقبل بعد . وعلى هذا المنهج أن يتخلق من هذه الضرورات وأن يترك الباب مفتوحاً بل ومستعداً لتقبل التغيرات الجديدة في شكل القصيدة وأسلوبها .

وقد لاحظنا أن رحلة القصيدة تتجه صوب التركيب . وطالما أن القصيدة تجنح نحو التركيب فإن من الضروري أن يجنح المنهج النقدي بالقدر نفسه نحو التحليل . فليس باستطاعة المنهج الوصفي أن يستوعب قضايا القصيدة الجديدة وليس بمقدوره النفاذ إلى أغوارها . بل لابد لهذا الأمر من منهج تحليلي يميل إلى المعيارية . ويستفيد من الإنجازات النقدية القديمة وخاصة من تركيزها على التحليل اللغوي للقصيدة ومحاولتها إضفاء طابع معياري على هذا التحليل . لذلك فلا بد أن يوجه المنهج الجديد عناية خاصة إلى دور الكلمة في العمل الشعري . فالشاعر الحديث لا يتعامل مع الكلمة كرمز أو كإشارة يراد بها الدلالة على شيء ما . ولكنه يتعامل مع الكلمة كجسم كامل له طبيعته الجرسية الخاصة . الخافضة الهامسة أو الصاخبة المتفجرة أو الكظيمة المدممة أو المهممة المبهمة . يتعامل مع كل عضو في جسد الكلمة الحي . مع حروفها الصامتة أو الصائتة ، الساكنة أو المتحركة . فالكلمة لدى الشاعر جسم حي يتفجر تحت يده الساسة باضعاف الحياة التي يتفجر بها لدى الناثر ، ويتشبح بجمالية فريدة وتنبثق منه دلالات وعلاقات منشائية وشديدة التعقيد . إذ تثرى الطبيعة الاستعمالية للكلمة كجسم في القصيدة ، الكلمة في حد ذاتها بدلالات وإيحاءات تفوق طاقة الكلمة ذاتها وتفيض على هيكلها المحدود المألوف المتعارف عليه بمعان جديدة . أو بمعنى أدق بظلال وتنويعات جديدة على نفس المعاني القديمة . فالشاعر ينتزع الكلمات من محدودية معانيها القاموسية ويغامر بها في بقاع جديدة حتى ترد لها المغامرة بعض بكارتها وبدايتها وسحرها . ومن هنا تصدق كلمة سارتر القائلة بأن : « الشاعر يخدم الكلمات قبيل أن يستخدمها » لأنه يثرى الكلمة بهذه الإضافات الجديدة . ويعقد علاقة وثيقة بين جرسها ومعناها سواء أكانت هذه العلاقة تجاوباً أو تناقضاً ، مرافقة أو مفارقة . لأنه يشد الانتباه من جديد إلى الكلمة كصوت بدلا من الكلمة كمعنى فحسب . وإلى ذلك الشيء الثانوي الهام

الذي نسي أو تجاهل عندما جنح استعمالنا للكلمات إلى الجانب الاستدلالي الذي يحول الكلمة إلى رمز وإشارة . . . إلى شيء لا إلى كائن حي حسيء بالامكانيات . أنه يخلص الكلمة من أمتهاات النثر اليومية لامكانياتها الخلاقة ومن طمسه المتعمد للكثير من ملامحها ودلالاتها .

وعلى هذا المنهج الجديد أن يبادر عند تناوله للتجربة الشعرية بالتعرف على مدى اقتراب الشاعر من هذا بالاستخدام الشعري للكلمات وبدراسة الكلمات الأثيرية لدى الشاعر وطريقة استعماله لها . ثم يتتبع المصادر التي استمد منها هذه الكلمات وقراءتها . وعلى الناقد أن يحلل الاستعمالات المختلفة للكلمات الأثيرية لدى الشاعر ، وأن يطور هذا التحليل إلى أقصى حد بأن يتتبع مثلاً المعاني والإيحاءات المتعددة للفظ واحد أثرت في عدد من القصائد والاستعمالات بصورة تصبح معها اللفظة الميتة المحدودة المعنى والدلالة في النثر مرتكزاً لرؤية شعرية للحياة ولتصور فلسفي عن الماهية أو الكينونة أو الإنسان . فالشاعر محاولة - عبادهما الألفاظ السحرية - للإيحاء بالكينونة من خلال التلاشي الإهترأزي للكلمات وبواسطتها . فالشاعر بمزيداته على عجزه اللفظي ويجعله الكلمات مجنونة ، يوحى اليها من وراء هذا الهرج والمرج الذي ينعم من تلقاء نفسه بكثافات ضخمة صامتة . وما دما لا نستطيع أن نصمت فعلياً أن نسمع الصمت باللفة (٢٥) وإيحاء الكلمات بالكينونة من خلال ما يدعو سارتر بالتلاشي الإهترأزي للكلمات ، ينتقل بنا قوا إلى تطور الكلمات كأصوات وكرموز معا وهي تتلاشى بصورة اهترأزية كتلاشي الدوائر التي يحدثها سقوط حجر في الماء . ثم تترك مساحات أو بالأحرى كثافات من الصمت العامرة بالإيحاءات والرؤى . وعلى الناقد أن يترجم هذه الكثافات الصامتة إلى أفكار وأشياء محسوسة من خلال دراسته للطبيعة الشعرية للكلمات في القصيدة ، وللشكل الذي توجد عليه الكلمات فيها . فإن هناك فارقاً كبيراً بين سيطرة الكلمات الإيجابية على عمل شعري أو سيطرة الكلمات السلبية المسبوقة دائماً بادوات النفي . لأن شكل الكلمة في الشعر لا ينطوي على معنى فحسب وإنما أيضاً على احساس وموقف .

من هنا كان لا بد للمنهج الجديد أن يعطي الكلمة أهمية كبيرة . . . لأن دراسة الكلمات في الشعر هي الطريق الحقيقي إلى كل ما في عالم الشعر من رؤى وإيحاءات وإحاسيس . فبالكلمات وحدها يبني الشاعر تجربته ويصوغ لنا عالمه . وخلال هذا البناء يحوّل الشاعر الكلمات بنوع خاص من المعنى بصورة تصبح

(٢٤) لا اعتبرها مدرسة بالمعنى الذي أشرت إليه ولكن هذا اصطلاح على تسميتها .

(٢٥) سارتر (أورفيوس الأسود) ص ٩٣ .

بعضها ، والكلمات مشحونة بالمعنى داخل القصيدة ولكنها ليست مشحونة بالمعنى خارج القصيدة ، أو بالأحرى أنها مشحونة في القصيدة بنوع خاص من المعنى : معنى يشق طريقه مباشرة إلى ما نسويه القلب ، ونعنى بهذا عضو المعرفة الذى يأخذ المعانى حية كاملة لا مقصورة مقسمة إلى تجريدات ممضوغة (٢٦) . ويذهب ريتشاردز إلى أن هذا الاستعمال الشعري للكلمات أكثر قدرة على الوصف والتحديد ، « فالوسيلة التى يستخدمها الشاعر ، نغمات صوته والإيقاع الشعري ، تؤثر في نزعائنا وتجعلنا تصطبغ الأفكار المعينة التى تحتاج إليها من بين ذلك العدد المائج المبهم من المعانى الممكنة والأفكار التى يذهب إليها المعنى . وهذا هو ما يمكن أن يفسر لنا السبب فى أن الأوصاف الشعرية تبدو أدق من الأوصاف النثرية غالباً . فاللغة إذا استعملت استعمالاً منطقياً علمياً تعجز عن أن تصف منظوراً طبيعياً أو وجهاً إنسانياً . أنها لكى تؤدي هذا تحتاج إلى جهاز هائل من الأسماء والألفاظ التى تدل على الظلال والفروق الدقيقة التى تحدد الصفات الفردية الخاصة . ولا تحوى اللغة مثل هذه الأسماء ولا تلك الألفاظ . لذلك وجب استخدام وسائل أخرى » (٢٧) وهذه الوسائل هى ما يلجأ إليها الشاعر عندما يتيح للقارئ أن يصطبغ المعنى الدقيق المطلوب من بين عدد غير محدود من المعانى الممكنة التى تحتوى عليها لفظة أو عبارة أو تركيب معين من الكلمات .

لذلك لابد للمنهج الجديد أن يتناول كلمات القصيدة بعيداً عن الأساليب السيمانتية فى تحليل الكلمات . لأن الكلمة فى الشعر تحاول دائماً التملص من تجديرات علماء السمانتيات - علم المعانى - لتسترد البكارة وبراعة الرؤيا كما يقول مالا رمية . وعلى هذا المنهج الجديد أن يحارب باستمرار من أجل تنمية ذوق فعال فى القراءة . يعايش الكلمات وينصت لظلالها وإيحاءاتها قبل معانيها المجردة ذوق يستبدل القراءة - المشاركة والقراءة - المعاناة بالقراءة - التلقى أو القراءة - الاستسلام ، التى ذمتها النماذج القديمة من القصائد باستعمالها للكلمات كدالات نهائية لا تقبل أكثر من تاويل واحد . والحقيقة أن هذه مهمة فى غاية الصعوبة . نيس على المتلقى الذى تعود على نمط معين فى الاستجابة للعمل الفنى طوال سنوات ، وهو نمطاً زالت عشرات

العوامل السياسية والاجتماعية تشارك فى تأكيده . ولكن أيضاً على الناقد الذى عليه أن يستعمل الكلمات فى عملية التحليل نفسها بطريقة مضادة للطريقة التى يطمح إلى تربيتها فى المتلقى . لأن الناقد فى عملية التحليل يستخدم الكلمات استخداماً نثرياً . ويحاول أن يقدم مجموعة من التحديدات لاشياء تسعى بطبيعتها إلى التملص من كل تحديد . كما يحاول أن يستخدم اللغة بطريقة مضادة لاستخدامات الشاعر لها .

فاهم الصعوبات التى يواجهها الشاعر عند استخدامه للكلمات هى : « أن اللغة عنصر على شائع . وهى بالضرورة أداة خشنة لأن كل إنسان يتناولها ويعالجها حسب احتياجاته ويميل إلى الالتواء بها حسب شخصيته . أن اللغة مهما تكن شخصية ، وطريقة التفكير بالكلمات مهما تكن قريبة إلى نفوسنا ، فإن لها مع ذلك أصلاً ذعياً ، ولها غايات عملية خالصة . ومن هنا فإن مشكلة الشاعر هى أن يستخلص من هذه الأداة العملية وسيلة لخلق عمل هو فى جوهره غير عملي » (٢٨) وهذه المهمة الصعبة التى يتصدى لها الشاعر هى نفسها مهمة الناقد . ولكن فى الطريق المضاد . أن على الناقد - أو بالأحرى على المنهج النقدي الجديد - أن يسير نفس مسيرة الشاعر ، ولكن فى الطريق المضاد . وهو فى سيره بعكس اتجاه الشاعر لئلا يحصر على ألا تكون مسيرته ضد مسيرة الشاعر بل لابد أن تكون معها . لذلك فإنه يزاء أسلوب للتفكير الشعري يجنح نحو التركيب يشيد منهجاً نقدياً يعتمد على التحليل . وإذا كان التحليل عكس التركيب بالمعنى المجرد فإنه هنا نوع من إعادة التركيب ولكن بشكل له نوعيته الخاصة . شكل لا يرى اللغة من منطلق نثري جاف ولكن يراها - كما يقول كينيث بيرك - نموذجاً من العمل وهى كوسيلة للعمل قابلة لأن تؤدي مرة ومرات ، « فحين نعد اللغة وسيلة للمعرفة يكون نظرنا إليها من زاوية استمولوجية أى سيمانتية فنراها من زاوية علمية . وحين نعدنا نموذجاً من العمل نراها من زاوية الشعر . لأن القصيدة فعل . فعل رمزي أداة الشاعر الذى صانعها . فعل ذو طبيعة تمكنا نحن القراء من أن نؤديها مرة أخرى اذ تبقى فى أيدينا فى صورة مبنى أو شيء » (٢٩) . والظن للغة على أنها نموذجاً من

العمل وضرب من ضروب الفعل هو الذى يتيح لنا التعرف على المهمة الحقيقية للكلمة الشعرية « فمهمة الكلمة الشعرية ليست محاكاة الأشياء والتشكل طبقاً لها . بل مهمتها على العكس تفجير تعريفاتها وحدودها النفعية ومعانيها التقليدية الشائعة الاستعمال المستخلص منها امكانيات غير متوقعة وآمال ومعان كاملة مدعشة تملأها فى طياتها . تحول الوقائع المعروفة بإبذالها الشديد إلى مادة تخلق الأساطير » (٣٠) وإذا كان المنهج النقدي الجديد يدرك هذه الوظيفة الهامة للكلمة الشعرية . ويعرف أن الشاعر يتعامل مع الكلمة بمنطق مغاير للمنطق المألوف ، ومن زاوية تجعلها أكثر قدرة على الوصف والتجسيد من اللغة العلمية ذاتها . فإن عليه بعد هذا الإدراك أن يوجه جل اهتمامه إلى الكلمات فى القصيدة كما سبق أن أشرت وأن يتبع المصادر التى استمد منها الشاعر كلماته . « إذ يجرى فى كل كلمة بسطرها عقل تخيلي - كما يقول رسكن - تيار سفلى مخيف من المعانى . كما أن لكل كلمة ظلاً ظلياً عليها الأماكن العميقة التى قدمت منها ودليلاً يشير إلى مصدرها . وغالباً ما تكون معانيها غامضة غير صريحة لأن من يكتبها لا يعيا بالشرح المفصل لأنه يرى الأعمال بوضوح تام . وإذا أردنا أن نركز على المعانى ونقتفى أثرها فلا بد من أن نقودنا دائماً وبأمان إلى عاصمة مملكة الروح ، ومن هناك نستطيع أن نتتبع جميع الطرق والممرات المؤدية إلى أبعاد شواطئها » (٣١) .

وعلى هذا المنهج الجديد أن يبحث بالإضافة إلى كل ما سبق عن مدى التواء بين طبيعة الكلمة وطبيعة القصيدة ككل . فلا بد أن تكون ظلال المفردات وأصواتها وإيحاءاتها شديدة القرب من جوهر المناخ العام للتجربة ولا يعنى هذا القرب ضرورة الالتصاق اللزج بالمعنى العام للتجربة . فربما يكون التناثر والتعارض وسيلة ملائمة لتحقيق الاقتراب من مناخ التجربة أكثر من الاستطرادات الروتينية . فالكلمات نفسها مبنية بناء مزدوجاً . أنها أصوات تعتبر رموزاً للمعانى ، وهى أيضاً رموز للمعاني تعتبر أصواتاً . وأنت لا تستطيع أن تستعملها بأحدى الصفتين دون أن

- (٢٦) أرشيبالد ماكليس (الشعر والنثر) ترجمة مسلمى الخفراء الجيوسى ، منشورات دار القطة العربية ، دمشق ، ص ٢٢ .
(٢٧) ١٠١ ريتشاردز (العلم والشعر) ترجمة د . محمد مصطفى بدوى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ص ٤٤ .
(٢٨) بول فاليري (الشعر الصاقي) مقال ضمن كتاب (الرؤيا الإبداعية) ترجمة أسعد حليم ، منشورات مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ص ٢٤ .
(٢٩) ديفيد ديتشس (مناهج النقد الأدبي) ترجمة د . محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت ، ص ٤٨٨ .
(٣٠) روجيه جارودى (واقعية بلاصاف) ترجمة حليم طوسون ، دار الكتاب العربى بالقاهرة ، ص ٢٨ .
(٣١) ت ١٠٠ هيوم (الكلاسيكية والرومانسية) ضمن الجزء الثانى من كتاب (أسس النقد الأدبي الحديث) ترجمة هيفاء هاشم ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ص ٩٠ .

تستعملها بالصفة الثانية (٣٢) وهذه الطبيعة المزدوجة للكلمات تجعل الأمر على درجة من الصعوبة لأن الكلمات كاصوات قد تحقق اقترابا من مناخ التجريد في حين أن هذه الكلمات نفسها كرموز للمعاني قد تتناثر مع هذا المناخ .. فقليلة هي الكلمات التي تتطابق أصواتها مع معانيها . لكن على الشاعر أن يحقق نوعا من التوازن ، الذي يضع في اعتباره هذه الطبيعة المزدوجة للكلمات ، بين طبيعة الكلمات ومناخ التجربة الشعرية .

وأذا كان على المنهج الجديد أن يلتفت إلى هذا التوازن فلأن هذا هو بداية الطريق نحو توازن من ذوع أكثر تعقيدا يهتم هذا المنهج به .. وهو توازن تتوافق فيه الصور الجزئية حسا وشعورا وصوتا وملامحا مع الصورة الكلية للقصيدة ومع طبيعة المناخ العام للتجربة الشعرية ككل .. بمعنى أنه لابد أن يلتفت هذا المنهج إلى شيء أكثر تعقيدا من الوظيفة الدلالية للصورة .. فالصورة هي القصيدة ليست دلالة فقط كما أن الكلمة فيها ليست دلالة فحسب . ولكنها حس وشعور وصوت وتكوين وكيونة . وهي في تكاملها الحي ذلك لابد وأن تكون موظفة بكافة أبعادها تلك في داخل التجربة الشعرية .. ولا يعني هذا البحث عن التوازن الأجهاز على مفهوم المفارقة وعلى عناصرها في القصيدة . ولكنه يعني الوعي الحاد بطبيعة الكلمة الشعرية والصورة الشعرية .

وقبل أن نستطرد في الحديث عن الصورة علينا أن نقرئ قليلا عند نقطة يجب أن يوليها المنهج الجديد نوعا خاصا من الاهتمام . وهي نقطة ترتبط بطبيعة نظرتنا إلى الكلمات .. هذه النقطة هي التكرار .. وعلى المنهج الجديد أن يتناول التكرار من أربع زوايا .. الأولى زاوية موسيقية ترى أن التكرار - سواء أكان تكرار كلمات أم أبيات بأكملها - يحدث أثرا موسيقيا .. ويخلق مجموعة من المحاور أو المراكز التي تغير من شكل التجربة وتدور بها بضع دورات كاملة أو منقوصة على صعيد الإيقاع الموسيقي .. وقد يكون لهذا الأثر الموسيقي الذي يحدثه التكرار دور بنائي في بلورة التجربة وتكثيفها . كما يمكن أن يؤدي إلى العكس .. وعلى المسافة الممتدة من الدور البنائي ونقيضه يقف منهجنا الجديد ليحدد مدى توفيق الشاعر أو أخفاه في اللجوء إلى التكرار من هذه الزاوية .. أما الزاوية الثانية فهي لفظية .. لأن تكرار كلمات معينة له دور في إضاعة التجربة وتعميقها . إذ يشير الإلحاح على بعض الكلمات داخل تراكيب ثابتة أو متغيرة إلى أشياء لا تستطيع التجربة

الشعرية الإيحاء بها دون هذا التكرار .. وعلى المنهج الجديد أن يحاول التعرف على مدى توفيق الشاعر في تكراراته أو أخفاه فيها من هذه الزاوية .. أما الزاوية الثالثة فهي قاموسية فالتكرارات تشارك في صياغة قاموس الشاعر وتضع أيدينا على الكلمات الأثيرة عنده - وقد أشرنا من قبل إلى أهميتها - وتوحى لنا بطبيعة موقفه من الكلمات وبتنوع الاشتقاقات التي يفضلها وبحركة الأفعال التي يلجأ إليها وبأزمته . واهتمام منهجنا الجديد بهذه الأشياء ليس ترفا ولكنه سبيلا إلى الكشف عن فكر الشاعر وعن موقفه ورؤيته . أما الزاوية الأخيرة فهي زاوية منطلقية .. يبحث فيها هذا المنهج علاقة التكرار لدى شاعر معين بتراث التكرارات في الشعر الحديث وبمنطلقه وسط هذا التراث .. وهو من هذه الزاوية يطرح في دراسته لهذه الزاوية المنطلقية في التكرار على نفسه تساؤلات من نوع .. هل يشكل هذا الاستعمال للتكرار استمرارا لسلوك السائد في المدرسة الحديثة ؟ أم إضافة له ؟ أم تكوّن عنه ؟ أم أن الشاعر يطرح فهما جديدا للتكرارات ؟ .. وما مدى تواءم هذا التكرار مع طبيعة التجربة الشعرية التي يستعمل كأداة من أدواتها ؟

نعود بعد حديث التكرار من جديد إلى الصورة .. والصورة تلك الاداة التي تعرض تركيبا ناشئا من فكر وعاطفة في لحظة زمنية (٣٣) على درجة عظيمة من الأهمية في الشعر إلى الحد الذي يعتبرها معه البعض تعريفا للشعر .. فيقال إن الشعر تعبير بالصورة أو أنه تفكير بالصورة وتعبير بها . وفي النشر مواقف نموذجية معينة . وترتيب للكلمات بتحريك ألياً عبر تركيبات أخرى كما يحدث في العمليات الجبرية . أما الشعر فيمكن اعتباره من ناحية واحدة على الأقل مجهرا لتجنب خاصة النشر تلك . إذ أنه ليس لغة تصورات بل لغة محسوسات منظورة . وهو تسوية توصلت إليها لغة الحدس التي تنقل أحاسيس جسمية . ومن ثم فإنه يختار نوعا وصورا واستعارات فنية ، لا بسبب جدتها وقد تعبنا من القديم ، بل لأن النعوت القديمة لم تعد تعبر عن الأشياء المادية وأصبحت تمثل تناقضات مجردة . والشاعر يعرف أنه لا يمكن نقل المعاني المنظورة إلا باستعمال وعاء المجاز الجديد بصوره واستعاراته . أما النشر فأناء قديم ترشح منه المعاني . والصور الشعرية ليست مجرد أخيلة بل هي الجوهر الأساسي لما ندعوه بلغة الحدس . فالشعر يسير على قدميه فيجوب بك الأرض كلها . أما النشر

فقطار يوصلك إلى مقصدك » (٣٤) والصورة بهذا المعنى تصبح جوهر كل عمل شعري ومن هنا فإن على المنهج الجديد أن يوليها قدرا من العناية يتناسب مع أهميتها الكبيرة تلك . وأن يعتبرها المدخل الحقيقي إلى قضايا البناء والمعنى في عالم القصيدة . فإن الطريقة التي يبنى بها الشاعر صورة وتنوع علاقات التضاد والتماثل بين جزئيات الصورة الواحدة وبين الصور الجزئية كلها لا تشف فقط عن منهج في بناء الصورة وإنما عن أسلوب في التفكير والتعبير وموقف من العالم .

كما أن الطريقة التي تتلاحق بها الصور وتتتابع .. هي التي تبني المفارقة التي يعتبرها عدد كبير من النقاد المحدثين مثل بروكس وبن وارن وومزات وتيت وليفيز وغيرهم جوهر كل عمل فني . خاصة وقد حطمت اللغة القوانين الكلاسيكية واتجهت نحو اللاوعي والعناصر الوحشية حتى تشيع أدراكا جديدا هافلا بالقلق . ولم تعد الأفكار تتجلبب بالشعر ولم تعد الرشاقة أو الحكمة من صفات الشعر التي تثير الإعجاب . وإنما أصبحت الصور تتتابع وتتلاحق ، وكأنها تجري في حلم مخيف بعيد عن المنطق (٣٥) وإذا كان هذا التلاحق والتتابع للصور في الشعر الحديث وثيق الارتباط بطبيعة العصر وإيقاعه ، فإنه بذلك يكون واحدا من السبل التي تكشف بها حساسية اللحظة عن نفسها ولذلك لا نستطيع أن نخفله بأي حال من الأحوال في تخطيطنا المبدئي لهذا المنهج . بل علينا أن نوجه إليه عناية خاصة تمكننا من النفاذ عبره إلى الكثير مما في عالم القصيدة الحديثة من رؤى وأفكار لأن معنى القصيدة الحديثة ومعناها يعتمدان على طريقة تتابع الصور فيها ، وعلى نوعية العلاقات بين هذه الصور . فالشاعر الحديث يوحد بين أجزاء قصيدته من الداخل . بسبب المعنى الواحد الشامل الذي هو موضوعه . وينتهي حين يتكامل على صفحة الورق وفي البصيرة تكاملا يكاد يكون جبريا في استدارته العضوية على نفسه (٣٦) فالقصيدة الحديثة جسم عضوي مصاغ من مجموعة من الأعضاء أو الجزئيات هي الصور . وطريقة تداخل هذه الصور وتعاقبها هي التي تمنحنا في النهاية الصورة الكلية لهذا الجسم القادر على الفعلية والتأثير أو العاجز عنهما .

من هنا يدلف هذا المنهج إلى نقطة جديدة هي طبيعة البناء في القصيدة الحديثة . هذا البناء الذي لاحظنا ميله إلى التراكم والتعقيد وجنوحه إلى التركيز والتكثيف . هذا الجنوح هو الذي جعله يعمل إلى استخدام الكلمات

(٣٢) أرشيبالد ماكليس (الشعر والتجربة) ص ٣٨ .

(٣٣) ف. مائيسن (النوت) الشاعر النقاد (ترجمة د. احسان عباس ، المكتبة العصرية ، بيروت)

ص ١٣٧ .

(٣٤) ت. ٠٤ هيوم (الكلاسيكية والرومانسية) ص ٩٤ .

(٣٥) أرنست فيشر (ضرورة الفن (ترجمة أسعد حليم ، الهيئة المصرية للنشر ، القاهرة ، ص ٢٢٤ .

(٣٦) جبرا إبراهيم جبرا (الرحلة الثامنة) المكتبة العصرية ، بيروت ، ص ١٧ .

بالطريقة التي تناولناها من قبل .. وهو الذي دفعه الى اعتماد الصورة بنية عضوية اساسية لبناء تجويته الشعرية .. فالقصيدة الحديثة - كما يقول فروست - تجربة وليست مجرد نقل للتجربة . وهو الذي ارفع احساس الشاعر بالشكل ، لا كشيء مجرد ولكن كمعنى ورؤيا . فشكل القصيدة الحديثة هو معناها ورؤيتها وعمقها من العالم . لان الشكل فيها ليس وعاء للمعنى ولكنه المعنى ذاته في شكله الشعري وفي جنوحه الى التجسد والكيونة . ولان المنهج النقدي الذي يريد ان يستوعب قضايا القصيدة الجديدة يفهم الشكل بهذا المعنى ، فانه يراه اوفق الطرق لبلوغ عالم القصيدة ولاستكناه اسرارها . ومن هنا فانه يعمد الى تحليل البنيان فتتساقط مع عملية التحليل ثمار المعنى بين يديه . وبهذه الطريقة يمكن للمنهج النقدي ان يمسد الفجوة بين القصيدة والجمهور بشكل فعال .. لا بين هذه القصيدة المحددة التي يتناولها بالنقد القاري .. ولكن بين القصيدة الجديدة ايا كانت والجمهور . لانه وهو يقود القاري في شغاب القصيدة وفق منهج تحليلي ، يربى لديه عادة التحليل نفسها . ويستثير فيه نوعا جديدا من القراءة هي القراءة - المشاركة والقراءة - المعاناة والقراءة - الحضور الفعلي في قلب التجربة والعالم . اما المنهج القديم الذي كان يكتفى بأن يقدم له النتائج النهائية لمعيشة الناقد للقصيدة ، دون الطريقة التي وصل بها - الناقد - الى هذه النتائج ، فانه كان الابن الشرعي لمادة القراءة - التلقي أو القراءة - الاستسلام . وكان واحدا من العوامل التي اكبتها وكبرستها .

وعلى هذا المنهج الجديد ان يولي جزئيات البناء اهتماما كبيرا . وان يدرس طبيعة اسلوب الشاعر في البناء بالاجاب او البناء بالسلب . في التأكيد عن طريق اليقين المباشر أو التأكيد عن طريق النفي . وهل النفي عنده وسيلة لافضاء مجموعة من التصورات والاحداث بعيدا عن عالمه ، أم هروبا من فظاظة الموجودات المباشرة . أم هو طريقته للتخلي عن الافكار العيانية او عن الموجودات الحسية ، والانفلات من اسار احدهما بتأكيد تضارته نقبضه وعمقه وذاعريته في أن ؟ ان هذا الاسلوب لا يكشف فقط عن منهج الشاعر في التصور والتفكير ، ولكنه يهتك في نفس الوقت الكثير من الاستار التي يغلف بها عالم المعنى ومستوياته المتعددة عنده . وعلى المنهج الجديد أيضا وهو يدرس البناء من هذه الزاوية أن يتعرف على منطلق الشاعر في توثيق العلاقات بين الجزئيات

وفي قصبة لعراها . وعلى توافق هذا المنطلق مع الاسلوب الذي اختاره للبناء بالسلب أو بالاجاب . وحين ينعت هذا المنهج شاعرا بالتشقت فان عليه ان يفرق بين التشقت حين يكون خطأ وبين التشقت حين يكون جوهر التجربة نفسها .

ولا يستطيع المنهج الجديد أن يدرس هذه الجزئيات في معزل عن جذورها التراثية .. لان القصيدة الواحدة تجمع بين نوعي الذاكرة التاريخية والشخصية . والماضي والحاضر فيها يثير كل منهما الآخر . بل ويمكن القول انهما يشكل كل منهما الآخر . وكان ثمة مؤلف واحد يعمل خارج حدود الزمن . ان تاريخ الشعر حي مائل في قصيدة كل شاعر وكذلك الانغام والالحان التي يتردد صداها في سنواته المبكرة الاولى .. ويسعى الشعر الحديث دائما لاعادة الاتصال الحيوي بكل ما اوتر عن الماضي من ولع بالاساطير او تفكير في الخرافات او تمجيد للقوة او اكتشاف للمزيد من المعاني

الجديدة الواسعة [٢٧] فلا يمكننا لذلك ان نغفل عند تحليل التجربة الشعرية هذا الجدل المستمر بين الذاكرة التاريخية المتمثلة في كل الرياح التي تهب على القصيدة من الماضي ، والذاكرة الشخصية المتبلورة في رؤى الذات الشاعرة وهي تحاول ان تتخلص من اسار هذه الذات وتهرب عنها . فالشعر الحديث يعمد الى طرح النزعة الذاتية ، والى خلق مسافة بين الشاعر - الذات والذات التي تتردد في شعره . ومن هنا لجأ بعض الشعراء الى الاسماء المستعارة والى التخفي خلف ملامح الاقنعة . وعملية التخفي بقدر ما تنطوي على اخفاء للذات فانها تشير الى نوع من التأكيد عليها . ومن هنا يظل الصراع بين الذات ورياح الماضي متفاعلا في كل قصيدة . ليهب تفاعله العمل الشعري مزيدا من الرهافة والتألق . بصورة يرى معها اليوت « ان خير أجزاء القصيدة بل واكثرها تميزا ، هي تلك التي تؤكد فيها آثار أسلافه الموتى من الشعراء خلودها في أقوى صورة » (٢٨) ليس فقط لان هذه الاجزاء هي قمة تفاعل الذاكرتين التاريخية والشخصية ، ولكن أيضا لان في هذه الاجزاء تكتسب رواسب التجربة التي جاءت عن طريق الذات بعدا تاريخيا يثريها . وتكتسب الروافد القرآنية حضورا ينقذها من الاندثار والموت .

من هذه النقطة ندلف الى الايقاع ليس باعتباره الاوزان الموروثة التي يصلصل بها صوت رياح الماضي ، ولكن باعتباره الروح النفسية الأكثر شمولا من مجرد الاوزان .. باعتباره نوع من الخيال الاسمي يدعو مايسن بالخيال

السمعي وهو « احساس بالمقطع والايقاع يتغلغل بعيدا وراء مستوى الفكر والشعور الواعيين ، منمشا كل كلمة ، خاتبا الى أشد الاشياء البدائية والمنسية ، عائدا الى الاصل ، راجعا بشيء ما ، ياحنا عن البداية والنهاية . احساس يعمل من خلال المعاني على وجه اليقين او لا يستطيع أن يعمل دون معان - بالمعنى المألوف . ويمزج القديم والمنسى والورث الجديد والمدهش ، وأشد الدهنيات قدما وأشدها تمدينا » (٣٩) واذا أخذنا الايقاع بهذا المعنى الشامل فاننا سنجد أنه مشتبه بالكثير من القضايا والافكار الهامة في النقد الحديث . مشتبه بفكره المفارقة كأساس للبنيان في العمل الشعري . ويفكره كولبريدج الرائعة عن وظيفة المخيلة الثانوية في التأليف بين مجموعة من الخصائص الكيفية المتضادة . وبفكره البحور والعروض والقوافي في نقد الشعر العربي القديم . ولن يعزل المنهج الجديد الايقاع عن أي من الافكار العديدة التي يتفاعل معها . ولن ينزع أي من هذه القضايا بعيدا عنه ، بل سيدرسه في القصيدة بهذا المعنى الشامل الذي يثير الكثير من الافكار ، ويضيء عددا من الابعاد في التجربة الشعرية .

ولكن عليه أن يوجه عناية خاصة الى نقطة من النقاط التي اهملها كلية نقد الشعر العربي الحديث الا وهي القافية . واذا كانت القافية قد عادت من جديد لتحتل مكانا بارزا في الشعر الاوربي المعاصر كما تقول اليزابيث درو ، أصبحت القافية هذه الايام تحتل مكانا هاما . بعد أن تجددت وأنتعشت بفضل التثامها مع ايقاع الكلام البسيط . وازدادت عمقا باستعمال القافية النصفية والقافية الداخلية وتقنية المقاطع غير المرتكزة . وای تنويع آخر يلزمه شعراؤنا المبدعون » (٤٠) . اقول اذا كانت القافية تحتل مكانا في الشعر الاوربي الحديث ، فان الاولى يها أن تضطلع بدور افعل في شعرنا الذي يملك ميراثا هائلا من القوافي ، والذي ألزم بعض شعرائه العظام انفسهم بما لا يلزم في هذا المضمار . فكانت لهم بذلك تجارب على درجة كبيرة من النضج والاهمية . لذلك فان المنهج الجديد يولي هذه الجزئية من الايقاع عناية واضحة فيدرس في القصيدة دور التقفية ومدى سيمتريتها أو تسيبها أو اعتمادها على الاستطرادات . بل ويذهب الى أبعد من ذلك قليلا فيتعرف على مدى علاقة السيمتريّة أو العفوية في التقفية بطبيعة التجربة الشعرية وبطبيعة رؤية الشاعر للعالم الذي يقدمه . وليس عليه ان يدين منهج معين في التقفية العفوية أو المتعملة ، الا وفق منطق ينبع من داخل التجربة الشعرية ، ولا يسقط

(٣٧) م . ل . روزنتال (شعراء المدرسة الحديثة) ص ٢٢ و ٢٣ .

(٣٨) ت . س . اليوت (التقاليد الموهبة الفردية) ضمن كتاب (مقالات في النقد الادبي)

(٣٩) ف . ا . مانيسن (اليوت) للشاعر الناقد (ص ١٧٤) .

(٤٠) اليزابيث درو (الشعر ، كيف نفهمه وننطقه) ترجمة د . محمد ابراهيم الشوش ، منشورات مكتبة مينة

بروت ، ص ٤٨ .

تصوراً مسبقاً عليها • فعليه أن يستمد أدلته أو- اطراءه من دراسة ما إذا كانت القافية تخالق مهاور للتجربة الشعرية تدور في اطرها وتلم شعبتها • أم أنها تعمد الى بعثرة جزئياتها • ربما توافقا مع طبيعة التجربة التي قد تكون مفككة أو مبعثرة • أو حتى توافقا مع رؤية الشاعر لتجربة متماسكة التفاصيل • وأكثها تلوح لعينيه الحساستين مفككة الاوصال مهزقة •

وليس على هذا المنهج ان يتوقف عند الثقافة الخارجية وحدها بل عليه ان يوجه اهتماما ملحوظا الى الانواع الأخرى من الثقافة الجديدة • فهذه الثقافة هي التي تتواءم مع تجربة في تعقيد تجربة الشاعر الحديث • وهي ثقافة تتجاوز الثقافة الخارجية لتندغم في داخل البيت نفسه فتصيح ثقافة داخلية • وعلى المنهج الجديد أن يدرس هذه الثقافات الداخلية ومدى تلقائيتها أو منطقيتها أو افتعالها • وهل يلجأ الشاعر لها بشكل متعمد أو يحرص عليها • وهل تثري هذه الثقافة موسيقى التجربة الشعرية ؟ وهل ثمة ضرورة لها ووظيفة ؟ وإذا كان الامر كذلك فما علاقة هذا بطبيعة التجربة الشعرية سواء أكانت غنائية أو درامية ؟ فقد يتوافق نوع معين من الثقافات الداخلية مع القصائد الغنائية • وقد يثرى نوع آخر منها بعض التجارب الدرامية بامتدادات ورؤى • غير أن

الثقافة الداخلية ليست هي الثقافة الجديدة وحدها • بل ان هناك الثقافة النصفية وقافية المقاطع غير المرتكزة وقافية المواقف وغير ذلك من الانواع الجديدة التي ما تزال في حاجة الى مزيد من الدرس والتبلور • • لان هذه الاشكال من الثقافة هي الاشكال التي تتوافق مع القصيدة التركيبية باصواتها المتداخلة ومستوياتها المتعددة من المعنى • ويستخدم الشاعر الحديث هذه الانواع الجديدة من الثقافة لبنى لعمله ذاكرته الداخلية • تلك الذاكرة التي تسقط من مسيرتها بعض الاشياء • وتؤكد بعضها الآخر وتنميه • ولتخلق له منطقها الخاص • الذي قد يكون مفارقا أو مناقضا للموقف السائد أو المألوف ولكنه فادر على التساوق مع نفسه وعلى خلق الايقاع الداخلي الخاص به • • فبهذه الطريقة الناضجة تستطيع القصيدة ان تعبر - كما يقول جارودي - عن شكل للوجود الانساني في العالم •

من خلال كل هذه النقاط يمكننا أن نبلور مجموعة من الخطوط العامة للمنهج نقدي جديد • لا يدعي الاصاطة ولا الشمول • ولا يفترض أنه نهائي لا يقبل أي اضافة أو تعديل • ولكنه يرى أن الشعر جنس فني له طبيعته الخاصة وسبيله الفريد للحديث عن الواقع واستشراف المستقبل • وهن خصوصية هذه الطبيعة وتفرد هذا السبيل يحاول

متهجئا الجديد أن يثحث سمائه وأن يهدد ملامحه • فيجعل مبنى التجربة الشعرية سبيبه الى معناها • ويعتمد على التحليل بشكل أساسي ويعوض جنوح المناسج الراهنة الى الجانب الوصفي • بتركيز على الجانب المعيارى من العملية النقدية • فإذا فطرنا عبره بعد ذلك الى كل مجموعة من القصائد • كمجموعة ذات عدد من المراكز التي تدور حولها الافكار الرئيسية بصورة مستمرة • في الوقت الذي تسير فيه القصائد كلها الى الامام كعمل جامع متكامل • اذا فعلنا ذلك فلن نصادف أية صعوبة في الاحاطة بالخطوط العريضة لما يفعله الشاعر • وإذا ما امسكنا بهذه الخطوط • فليس من المحتمل أن تبعدنا عن جوهر القصيدة المسائل السطحية التي تصيب البلية حتى أوفر الناس حظا من الثقافة • • مثل الاشارات الى الكتب المقدسة وغير المقدسة • والاستخدامات المتعددة للأساطير ولابطال الميثولوجيا الدينية والانسانية • والتوريات والكلمات المأخوذة من اللغات الأخرى • والمقاطع المنتزعة من الاغنيات الشعبية أو القديمة وغير ذلك من الاشارات • لان التجربة وقد فتحت أبوابها لاستقبالنا سنضى لنا كل هذه الرموز والاشارات وستدلف بنا الى عالم الشعر الرحيب • • فنبلغ معه حافة المجهول ونرى ما لا يرى ونسمع ما لا يسمع كما يقول رامبو •

حوار الاصدقاء

في العدد القادم

حول الابحاث التي أقيمت في المؤتمر الثامن للادباء العرب واصلتنا في اللحظة الاخيرة كلمة من الاستاذ خلدون الشمعة • لذلك اضطررنا الى تأجيل كلمة الاستاذ عبد العزيز الدسوقي حول القضية نفسها لتتشر الكلمتان معا في العدد القادم •

كوميبارس من زماننا

سعيد

(١) مجرد أمثلة :

لا يعرف احد من هو مالك هذه العمارة بالضبط . فصاحبها الاصلى رجل فوق الستين وان كان يبدو أصغر من ذلك بكثير . تاجر [خردة] أو [حديد مستعمل] كما يكتب على الايصالات وعلى مكتبه أسفل العمارة ، ولكن مطلقته الشابة [التى تشاهد معه كثيرا رغم الطلاق] تدعى أن العمارة باسمها . وقيل أن سبب اللبس أنه كتبها باسم طفلها الصغير ، وقيل أن ابنائه من ذيجات سابقة ينازعون فى ذلك أمام المحاكم ، وهم يبعثون للسكان بين الحين والآخر بانذارات قانونية مطبوعة بضرورة دفع الإيجار فى الحكمة . لكن السكان فى جميع الأحوال كانوا يدفعون للربوب ويتسلمون الايصالات دون أن يهتموا بمتابعة الخلافات القضائية بين الملاك .

كان هناك ما يكفى السكان من المشاغل فكل المناعب المتناثرة فى العمارات المشابهة توجد هنا مكثفة ومركزة . المياه تنقطع باستمرار لأن موتور الخزان الذى فى أعلى العمارة يتعطل دائما . . . الاسانسبر لا يعمل الا نادرا [والعمارة بالمناسبة من اننى عشر دورا] . . . السلالم قدرة على مدار العام ، ونور السلم لا وجود له . . . الخ . وقد تعددت الحوادث فى العمارة بسبب ذلك : تزلزل كثير من على السلم وأصيبوا ، وخرج البعض الى اعمالهم وأجزاء من دقونهم مخلوطة وأجزاء أخرى نامية المشعر تجمدت فيها بقايا الصابون ، وأصيب عريس فى الدور الحادى عشر بهبوط فى القلب ونسب ذلك الى أن الاسانسبر ظل متعطلا ثلاثة أشهر كاملة وغير هذا كثير .

كان طبيعيا إذن أن تكثر شكاوى السكان لقسم البوليس والجهات المختصة ولكن هذا لم يكن صحيحا . فبرغم كل الخلافات المائلية كان المتنازعون على العمارة يقفون جبهة واحدة أمام السكان

— يتزعمهم المالك الاصلى الذى كانت له طريقة فريدة فى الحديث وفى التعامل . أولا يلتقى بالسكان المشاقب ويقول له مثلا — كما قال لى بلهجة سريعة جدا يصعب أن تتابع معها تسلسل أفكاره :

— انظر . . أنت معك حق . . ومن ينكر ؟ . . من يتحمل أن يبقى فى عمارة بلا ماء ؟ قال سبحانه وجعلنا من الماء كل شيء حي . احكى لك حكاية :

زوجتى الثانية يرحمها الله كانت تشكو من امساك غريب ولم تترك مستوصفا او حكيما . اقسم لك حدث هذا ذات مرة : ظلت عشرة أيام دون أن تعمل اى مجلس . لا تؤاخذنى أنا راجل غير متعلم . من أيام الكلمتين فى كتاب البلد لم اتعلم شيئا . لا تؤاخذنى . هل تعرف كيف صرف ربنا منها ؟ . . لن تصدق . أيامها كنت انا اعمل فى مخازن شركة الترام ، وكان لى صديق كيمسارى ابن حلال . . أيام أن كان الترام يمشى فى شارع فؤاد . . طبعاً أنت لا تذكر هذه الايام . الجيل الجديد ياعم . يا بختكم . تليفزيونات وميكروباسات وفساتين مريانه واستفقر الله . ماذا قال الكيمسارى ؟ . . قال تشرب كربين من الماء على غيار الريق . . أى والله : ماء لا خير . وبعون الله صرف ربنا عنها . لكنها ماتت بعد ذلك . اعمار با سيدى . . نتدخل فى حكمته ؟ . . كلنا سمعنا . ماذا كنت أقول ؟ . . الدنيا كلام فارغ . لا تستحق أن نخلف مع بعضنا . هل أعرف أنا أو تعرف أنت ماذا يمكن أن يحدث لنا غدا . . لا . . بل بعد ساعة واحدة ؟ . . ابداء . عن نفسى أنا هددنى السكر ولم أعد أجيد للدنيا طعاما . نحمدته على كل حال . الاثنى جارك المهندس الزراعى كان حتى لا يرمى السلام اذا رأتى . لماذا يا ابن آدم ؟ . . ماذا ستأخذ من الدنيا غير الكلمة

الحلوة . . . أقول لك اصبحنا صديقين جدا بعد أن زرته فى المستشفى حين وضعوا رجله فى الجبس . مسكين . كلنا مساكين والله لو فهمنا لقصرنا الشر وتعاملنا بالكلمة الحلوة . كل شيء فى الدنيا تحله الكلمة الحلوة . . .

وبالطبع فهمت أنا الرسالة التى ضمنها هذا الحديث الطويل والاشارة للمهندس الزراعى . كنت مثل جميع السكان اعرف اسلوبه الموجه فى التعامل مع أصحاب الشكاوى . امام باب الشقة بالضبط ينتظر السكان حوالى عشرة من العمالقة مسسلحين بالمعنى يضربونه ببراعة تامة هو ومن يجسر أن يطل برأسه من باب شقته . وفى قسم البوليس كان يستحيل على المضروب أن يقول أنه يعرف من ضربه أو أن يثبت أن صاحب العمارة هو الذى سلطهم عليه . وبالتدريج تعلم السكان الا يلجأوا للقسم ، الذى قالوا — من يأسهم وعجزهم — أن صاحب العمارة واصل اليه بطرقه الخاصة ، وأن هذا هو السبب فى أن كل الشكاوى ضده تطبخ هناك وأنه يطلع منها كالشعرة من العجين .

(٢) ما حكاه لى المهندس الزراعى فى شقته بعد أن شرب أربع زجاجات من البيرة :

تقول كل التفاصيل ؟ . . كلها ؟ . . سأحاول . بدأت المسألة بحكاية نافهة جدا . أنت تعرف اننى أمثل أحيانا فى التليفزيون فى أدوار صغيرة . عدت مرة فى الثانية صباحا ، وكان الجو باردا . أراد المخرج — الله يضرب بيته — أن يعمل بروفة فى هذا الوقت الشاذ . لم يكن هناك أى داع لوجودى والله ، لكنه أمر على حضور الممثلين جميعا . كان كل دورى أن أمر أمام البطل وهو يجلس مخمورا على المسائدة فانظر له باحتقار وامصص شفتى وأنا



محمّد حجي

محرقاً من فوق وواشعاً عند قدميها ' و [بلوزة] خفيفة كالقميص الرجسالي ازرارها مفتوحة عند الرقبة والصدر وتكشف جزءاً محترماً من ثدييها [أنت تعرف كم هي جميلة بجسمها الرياسي المرن وشعرها الاسود الطويل الذي تتركه يتهدل على وجهها دائماً كممثلات الاغراء] . دون مقدمات قالت انا جئت اليك لانك مثقف وستفهمني ، أنت تعرف ان اهلي ارغموني على الزواج من هذا الحيوان ولكنني نفدت بجلدي . جلست امامها مثلثها ومتصلبا . فضحكت وقالت خذ راحتك ولا تجلس هكذا كالنمليذ المؤدب . ضحكت انا ايضا ونظرت لها وكان شعرها يغطي وجهها فمدت اصابعها الطويلة البيضاء ورفقته ثم مشطته للخلف في بطن ، وتمهيت وقتها لو أمسكت يدها وغصت بيدي في بحر شعرها او لو قبلت هذا العنق الطويل النظيف . جميلة جداً الله يخرب بيتها . . . تقول انه مخروب بالفعل ؟ ابدا وصدقني عرفت انها عادت له ، في

ناس محترمون وليس منشردين باتون مع الفجر ، وانني احسن الى ان اسكن في نمارع الصوامم . قال ايضا انه لن يفتح الباب لخلوق بعد ذلك في هذا الوقت . استشهدت بالعسكري الذي كنت قد دخلت معه عتبة سجنائي كاملة في انظار فتح الباب ، فقال هو - الله يتكد عليه - انني يجب ان اشكو في القسم ، وانه سيشهد معي . في الصباح ذهبت الى القسم وقدمت شكوى وقلت ان طبيعة عملي ان اتأخر وان البواب داب على معاكستي ، وان الساكن يجب ان يكون حراً في العودة الى بيته في اي وقت . الخ . واستشهدت بالعسكري .

في المساء رن جرس الباب وحين فتحت وجدت من تسمونها مطلقة صاحب العمارة واقفة على الباب وحدها ، وقيل ان افتح فهي بكلمة كانت قد دخلت واغلقت الباب تدثها لجمرة الجلوس وانا مرتبك واقول اهلاً وسهلاً . . اهلاً وسهلاً . جلست وكانت تلبس بنطلونا

اهز رأسي لليمين والشمال . تحتاج الى بروفة . . خمس بوان على النسيانته والله . جعلني اعيرها عشرين مره - ربنا ينقم منه . لم نجمعه طريقتي في المصمصة . عندما كنت في مريق النمبل بالكلية كنت احلم انني سامبل ذات يوم ادوار شكري سرهان واهز الدنيا . مضت خمس سنوات وانا مقيد في النلبفرون باسم كومبارس صامت . هذا ما اخذناه من الفن . احارب الان لاصبح كومبارس متكلم . وعدني مخرج ابن حلال ان يتوسط لذلك . عدت في الثانية صباحا كما قلت لك وكنت جائعاً وبردان فوجدت باب العمارة مقلقا . ظلمت اطارق الباب اكثر من ساعة والله - ولم يفتح البواب . لاحظ ان هذه لم تكن اول مرة برغم تملقي له وبرغم انني لا أقصر معه في البقشيش ابدا . جاء عسيكري الداورية وتجمع ناس امام العمارة وحدثت ضجة واخبروا تكريم سيادته وفتح الباب . قبل ان انطق بكلمة قال الملعون ان العمارة بسكتها

[ملحوظة : يبدو أن هذا التصريح الأخير وكثيرا من التفاصيل فى هذه الرواية من وحى خيال صديقى المهندس الكومبارس وذلك لمدة تناقضات واضحة فيما سبق وفيما يلى من قصته . ويبدو أنها زارته بالفعل ، وأنها طلبت منه سحب الشكوى بلباقة وبابتسامة مشجعة كعادتها ، وأنه اشتهاها وهذا كل ما فى الامر - ولكن ربما أيضا يكون هذا كله قد حدث]

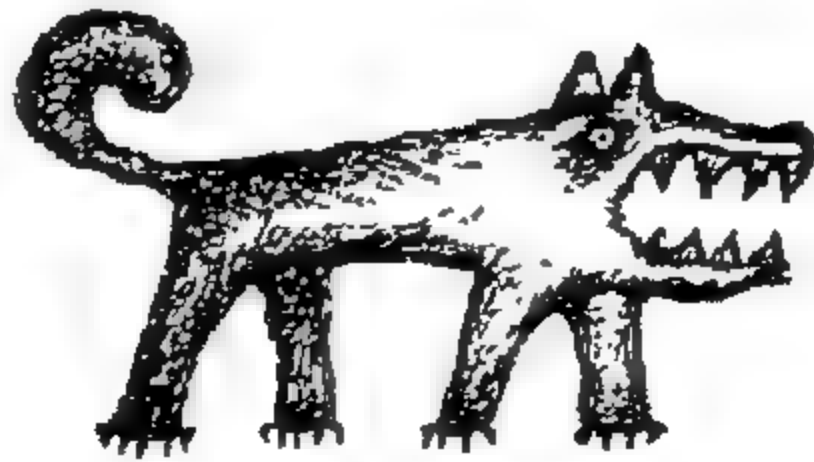
أقول لك الحق اننى كنت مستعدا لحظتها أن أسحب روحى من جسدى من أجلها لا أن أسحب الشكوى وحدها . ولكنها بعد أن انصرفت فكرت : كيف أسحب الشكوى ؟ كيف أحتمل أهانة البواب لى ؟ .. والمهم ماذا أفعل وأنا مضطر بالفعل للمودة بعد منتصف الليل فى كثير من الأحيان ؟ .. وفكرت أنها لو جاءت مرة ثانية فسامعرض عليها المشكلة وأطلب منها أن تتوسط عند البواب وأنا مستعد بعد ذلك لسحب الشكوى . مضت ثلاثة أيام دون أن تاتى ، وفى مساء اليوم الثالث حدث ما تعرفه .

التفاصيل أيضا ؟ .. أى تفاصيل يا اخ ؟ .. كانوا يسدون باب شقتى حين عدت بالليل وقاموا بواجبهم . الحمد لله أنهم كسروا ساقى وحدها . لو شوهوا وجهى لضاع مستقبلى كممثل ناشئ . لم يكن أى مخرج سيسندعينى الا فى دور مساعد رئيس المصابة الذى تملا الجروح وجهه ، اليس كذلك ؟ .. هاها .. ها ..

حين انتهى جارى المهندس . الكومبارس من قصته عرضت عليه اقتراحى . قلت له أن سبب كل ما حدث ويحدث فى العمارة أن كل ساكن يتصرف بمفرده ولهذا يسهل ضربه ، ولكن لو اجتمعنا جميعا وتقدمنا بشكوى موحدة للقسم وللمحافظة مثلا ...

صرخ المهندس فى وجهى قائلا .. شكوى ؟ .. مرة ثانية ؟ .. ابعد عنى الله يرضى عليك . ماذا تريد أن يحدث لى بعد ذلك ؟ .. ربما أنت لا تخاف الآن معك أربعة زملاء فى شقتك ، ولكن أنا أسكن وحدى . ربما يقتلوننى فى شقتى فى المرة القادمة . من سيهتمهم . من سيتعرف على القاتل ؟ .. سيكون أول وآخر كلام على فى الصحف [العيور على جثة موظف

لم أقل لها ذلك بالطبع وضحكت ضحكة غامضة فقالت وهى تضع يدها على بطنها ألم أقل لك ؟ ثم سالتنى هل تصلح للتمثيل فى التليفزيون . تطلعت الى بنظرة ثابتة دون أن تحرك وجهها لارى أن كانت تصلح وكانت البلوزة قد عادت تنفتح على سعتها دون نظام . فقلت أنها بالتأكيد مكسب للتليفزيون . سالتنى هل اساعدها فى ذلك فقلت أنني تحت امرها . ضحكت ضحكة قصيرة وقالت أهلى يقتلوننى لو مثلت ، ثم عادت للاسترخاء وسالتنى هل سأسحب الشكوى أم لا ؟ .. كانت تبدو شاردة ، تنظر بعيدا ، ومدت يدها ففتحت زرارا آخر عند بطنها وبدأت تتحسس لحمها العارى وتطبل عليه ببطء . قالت اننى لا يجب أن أصابى البواب لأنه متضابق بالفعل من العمارة ويهدد بتركها ، وشعرت بالدوار من شدة رغبتى فيها وأنا جالس أمامها أتابع يدها المخفية تحت البلوزة ، أشاهد ثديا واحدا ، وأسمع طبلها على لحمها المشدود .. قلت دون أن اعى أنه لا توجد أزمة فى البوابين ، فانثضت فجأة واخرجت يدها المخفية ولوحيت بها نحوى وهى تقول أنها لا تريد أى بواب ولكنها تريد هذا البواب بالذات .. ألم أفهم ؟ .. أنه يحمىها من مؤامرات الخنزير ويطلعها على تحركاته وأوراقه أولا بأول وهى مخطئة إذ ظنت أنني متقف وأننى سافهم ، بل هى نادمة لأنها باحت لى بأسرارها وهى كانت معجبة



بى وكانت تثق بى ولكنها الآن تعرف أن كل الرجال مثل بعضهم وأنه لا فائدة منهم . قمت مفزوعا وأمسكت يدها وقلت أنني سافعل كل ما تريد وأنا آسف لما حدث وأنا تحت أمرها وأنا أقبل رأسها لتسامحنى . وقبلت رأسها ، ثم قبلت خدها ، ثم منقها ولا أطيل عليك . فى هذه الليلة نمت معها .

داخل شقته [لا يا عم .. ابعده عنى ارجوك .. دعنى فى هالى .

قلت له لاشجعه اننى حصلت بالفعل على توقيعات عدد من السكان واننى استشير محاميا فى ذلك فقال اننى لو جمعت توقيعات الشارع كله او البلد بحالها فلان احصل على توقيعه . وقال فى النهاية قبل ان اتركه :

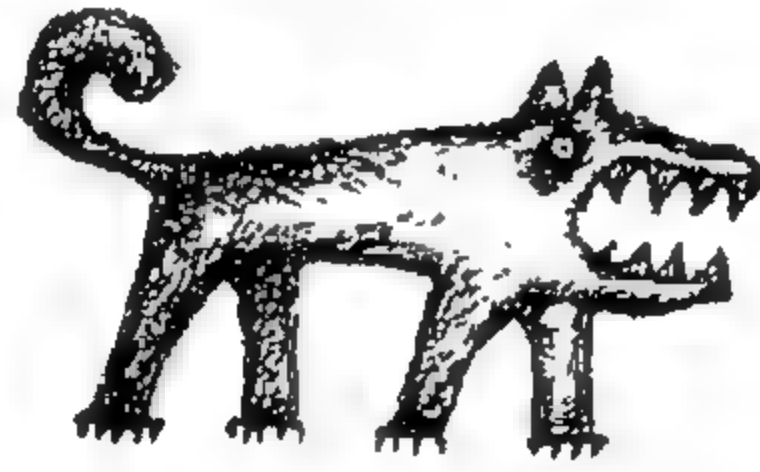
ابعده عنى يا عم . ملعون ابو الجدة . اريد ان اكل عيش .

لكنه بعد منتصف الليل بكثير طرق بابى وقال انه يريد ان يوقع على الشكوى فجعلته يوقع .

(٣) ما قاله صاحب المماردين طلبنى فى مكتبه وبعض دروسه الاستفادة من تاريخ حيساته :

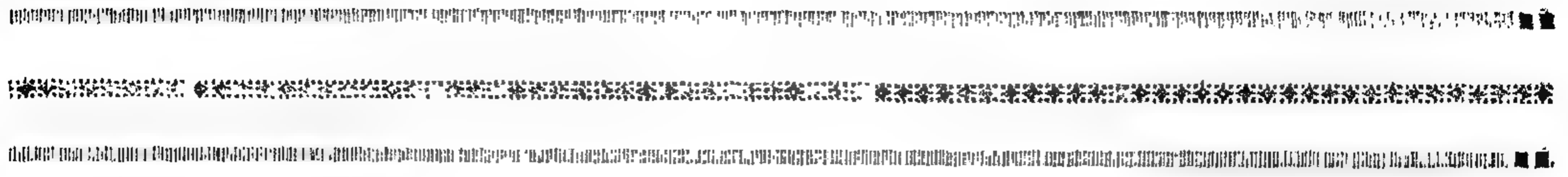
وبعدها فى شقة العزاب ؟ .. يا سيدى انا عملتها خدمة والله . هذه هى الشقة الوحيدة التى اجرتها بالقرعة وتوبة . سنقول اننى اكسب منها اكثر من الشقى الاخرى ؟ ابدا والله يا سيدى لبس هذا هو الغرض . انا قلت موظفين صغار - ولا تؤاخذنى - مرتبهم على قد حالهم . قلت خدمة . لا تؤاخذنى يا سيدى .. انا كنت اسكن مع ام عيالى وحيالى فى غرفة فوق السطح وكان السقا يجرى لنا بالماء .. الصفيحة بلملم . لم نكن نشكو ولم نكن نعرف الخزان ولا مولور الخزان ولا كل هذا الهم الثقيل . ومع ذلك انا قصرت فى شيء ؟ .. ابدا والله . انظر : هذا يا سيدى عقد موتور جديد للخزان . على رأى المشل لو صبر القائل . ماذا ستكسب من الشكوى . ما الداعى لتعب القلب ؟ .. انا سألت السكان جميعا فقالوا انهم لا يريدون شكوى ولا تعب قلب ولكنك اخرجتهم . لماذا يامسدى لا خذها منى نصيحة . لا تدخل قسم البوليس شاكيا او مشكوا . انا فى سن والدك واعرف الكثير . خذها منى نصيحة . افعل مثلى . انا عندما يصبح الامر ضروريا جدا ابعت المحامى او البواب او اى مخلوق لكنى لا اذهب برجلي . خذها منى نصيحة : احكى لك حكاية . من عشرين سنة او اكثر ، كنت اشترى صفقات حديد كبيرة من مخازن الجيش الانجليزى . كنا نكسب ذهبيا ولا الحاجة للعمارات يا سيدى . رأينا اياما - ما علينا -

المهم ، ايامها حصلت حكاية الفدائيين والشوشرة ايامها التى تعرفها . طبعا انا لا دخل لى فى هذه الامور . طول عمرى والحمد لله بعيد من السياسة . حتى عند ما كانوا ايام زمان يجمعون تبرعات للحزب كنت اقول ابعدها عنى ، والحمد لله نفعت بعد ذلك . لم يجدوا اسمى فى اى حزب . المهم كنا ايامها ندخل [كامبات] الانجليز ونخرج منها لنهين اعمالنا . ايامها كان هناك مزاد كبير على صفقة لو وفقتى ربنا فيها لما احتجت لشيء بقية عمرى ، وهب هب قبض على الانجليز . لماذا يا اولاد الحلال ؟ قالوا اننى اساعد الفدائيين واننى انا الذى دللتهم على مخزن الذخيرة الذى نسفوه . انا ؟ ياناس ايدا والله . ولا دخل لى بهذه الامور . استلمونى بالضرب ويشاء ربك حين بداوا الضرب ان يدخل [ماجور] انجليزى كبير معه اوراق ويقول [ستوب] . اخذنى فى مكتبه وشربنا الشاي مع بعض وطيب



خاطرى ، وقال انهم عرفوا ان واحدا ممن كانوا فى المزداد غدى اراد ان يتخلص منى لياخذ الصفيحة لنفسه . لم يقولوا لى على اسمه ولكنى عرفته . اندرى حكمة ربك ؟ .. اخذ الصفيحة لنفسه فعلا لاننى كنت محبوسا فى الكامب ساعة المزداد ، ولكن ربنا استلمه بالمرض ومات بعد سنة واحدة . ربنا برحمه . اندرى ماذا اظن ؟ .. اظن انه دفع رشوة لضابط انجليزى حتى يفرض على . ضباط الانجليز كانوا اكبر مرتشين صدقتى وهم الذين علموا اولاد العرب . المهم راحت هذه وجاءت بعدها المصيبة الثقيلة واسمع . ايامها الحكومة التى كانت تساعد الفدائيين غضب عليها الملك وطردها وجاءت حكومة جديدة ضد الفدائيين . بدأوا يقبضون على الفدائيين وبدون مناسبة قبضوا على . لماذا يا اولاد الحلال ؟ قالوا انت كنت تساعد الفدائيين وحتى الانجليز قبضوا عليك . ياناس

يهديكم برضكم افهموا الحكاية ، لافائدة . اخذونى فى [البوكس] الى القسم . عندما دخلت اول شيء رايت عسكرى يضرب رجلا بحزامه السميك والرجل يصرخ ويحاول ان يحمى وجهه . قلت يا فتاح يا عليم ، ولكنه ظهر من احد المكاتب ضابط كبير وزعن فى العسكرى [يا ولد ، الباشا الوزير لا يحب الضرب . عندنا تعليمات بعدم الضرب] ثم دخل مكتبه وترك العسكرى يضرب الرجل . مع ذلك قلت خير ، مادام الباشا الوزير لا يحب الضرب فعلى الاقل لو ضربنى احد ساذكرهم بتعليمات الوزير واخلص نفسى . حاولت ان اكلم احدا فى القسم وان اشرح لهم الحقيقة لكنهم قالوا انه لاشان لهم بى وان كل مهمتهم ان يوصلونى لشيء اسمه القسم المخصوص . لم اكن سمعت فى حياتى بهذا القسم وباليمنى ماسمعت . اخذونى الى هذا القسم ولفت نظرى اننا لم نر فيه جنديا ولا ضابطا . ممرات طويلة خالية كانك فى غير مستشفى درجة اولى . لاتسمع صوتا لاحد ادخلونى فى زنزانه وتركونى فيها نهارا بطوله لم يسأل عنى احد . كدت اموت والله يا ابنى فى هذه الساعات . صليت لربنا ان ينجينى وصليت ، ثم بدأت انظر من ثقب الباب ولكنى لم ار اى شيء سوى الظلام . وضعت اذنى على الباب فلم اسمع صوتا . مر الوقت طويلا ولم يسأل عنى احد وخطر ببالى انهم نسونى هنا وانهم سيتركونى حتى اموت فبدأت أصلى من جديد . فى هذه اللحظة سمعت فجأة صرخة لايمكن ان اصفها لك . حين كنا صغارا فى البلد كنا نسمع صرخة نرتجف منها ، وكان اهلنا يقولون لنا انها صرخة الذئب الجائع . كنا نبكى حين نسمعها وكان اهلنا يخفوننا بها . من بعيد سمعت هذه الصرخة مرتين فجريت نحو الباب والصقت اذنى . دقيقة ، دقيقتان ، لاشيء . بعد نصف ساعة وانا واقف واذنى على الباب قلت لنفسى ربما لا يكون هناك صوت . ربما هى تهيزات لان الليل قد اتى ولاننى طول النهار بمفردى دون نوم او طعام . وبعدت عن الباب فسمعتها مرة اخرى عالية جدا كانت فى الزنزانه نفسها ، فبدأت انا ايضا اصرخ ، وبدأت ادور فى الزنزانه واتادى ياناس ولكن لا احد يرد على ، وبعد زمن طويل اكتشفت ان هذا الصوت لم يعد موجودا واننى انا



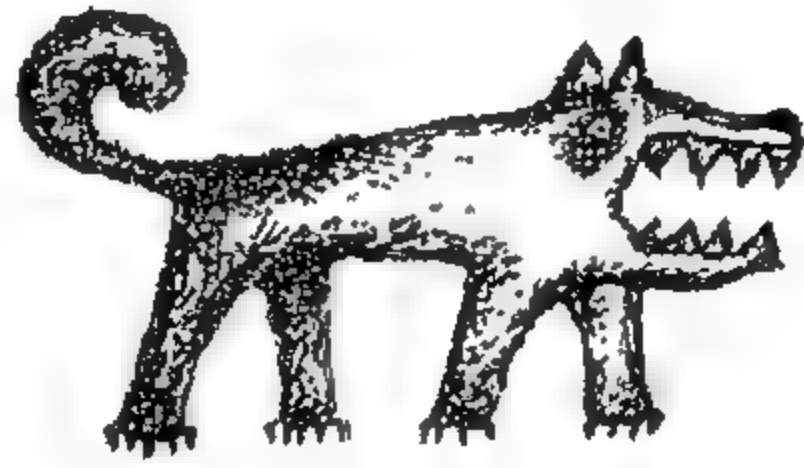
وحدى الذى اصرح واخبط الجسدان ،
فجلست فى ركن من الزنزانة وبكيت .
الحقيقة يا ابنى انهم عندما جاءوا بعبد
ذلك ليأخذونى لم اكن استطيع ان اقوم
على رجلى فجسرونى جراً الى مكتب
التحقيق .

سألنى الضابط عن الخدائين فحكيت
له الحكاية كما حكيتها لك بالضبط ،
ولكنه لم يكن ينظر فى وجهى ابداً بل
يدخن سيجارة وينظر للحائط وحين
انتهيت قال لى بهدوء :

انا اعرف امثالك من اولاد الكلب ،
لا ترفع معهم الفوق . اخذت اقسام له
ان هذه هى الحقيقة لكنه قال للحراس
خذوه ليتفرج ثم هودوا به .

ماذا اقول لك ؟ .. من يومها وانا
مدبى بالسكر . كانوا يحملونى تقويماً
وتحن نزل السلم وانا لا اكف عن القسم ،
واحكى الحقيقة للحراس ، فمضيت ادهم
على وجهى ومرة على راسى ، وقال اتنى
لو سبحت فى بعد ذلك فلن يكفبه ان
يشرب من دمي . كنا نقف امام باب مغلق
فقال ادهم ان الامم ان يكتموا فى
وبالفعل حدث ذلك رغم اننى اقسمت انى
سأسكت . بعد ذلك فتحوا الباب
وادخلونى . لا اذكر كل ما رايت ..
انتظر .. نعم .. اول شيء اذكره ..
اول شيء رايت ثلاثه شبان معلقين من
ارجلهم بجوار بعضهم مثل ذبيحة الجزار
.. كانت رؤوسهم قرب الارض زرقاء
ناظرة المروق ورقابهم منتفخة هكذا ..
كانت اجسادهم تنطوح قليلاً وتخرج من
خلوئهم حشرات كخوار الذبيحة قبل
موتها .. تعرف ذلك ؟ .. حين تهدد
الذبيحة تماماً .. هكذا . لا اذكر ان
كانت عيونهم مفتوحة ام لا .. جرنى
الحراس الى زنزانة اخرى اول ما رايت
فيها كلباً بهذا الطول والله يا ابنى -
فى حجم البغل الصغير - ثم رايت شاباً
عازياً تماماً مصلوباً على خشبتين
متقاطعتين ، وسباقاه مفتوحتان ،
وكان رجل يمسك الكلب بسلسلة طويلة
ويناديه باسم لا اذكره ، ثم يرضى السلسلة
فيندفع الكلب نحو الشاب وينهش فخذ
المضمور بالدم فيحرك الشاب رأسه ويهز
معليه بجسمه كله وهو يزوم ويتهدد .
لم يكن يصرخ . لكنه كان يزوم . وكان
صاحب الكلب يقول لكلبه كفى .. كفى
ياميزو .. نعم .. تذكرت - كان اسم
الكلب ميزو .. يقول له كفى والكلب

مستمر فى نهشه حتى يجذب صاحبه
السلسلة بشدة . انتهت الى رجل آخر
يقف والعرق يغمر وجهه - تقدم من
الشاب بعد ان ابتعد عنه الكلب رفع
رأسه المحنية عن صدره وقال له تكلم ..
تكلم يامجرم والا جعلناه يلتهم مضوك ،
لن تصبح رجلاً ابداً . لكنه لم يتكلم وانا
واقف . ربما كان مغشى عليه . كان يزوم
فقط . ترك الرجل العرقان رأس الشاب
فسقطت على صدره والتفت الى . قال
وهو يضحك ضحكة قصيرة [اهلا ..
آنت الذى ستعرفنا غداً] دع ميرو
يتعرف عليه [.. اطلق الاخر السلسلة
فاندفع نحوى الكلب واخذ يتشممنى بانفـه
الملوث بالدم وينهش نيابى وانا اقتربت
بالحراس الذين معى ، احاول ان اخفى
وراءهم والكلب يجذب ثوبى وهم مضحكون .
وانا ابكى والكمامة على فى لا استطيع
ان اصرخ ، واخبر اجدب صاحبه السلسلة
وقال [هذا هو النعارف ياميزو . غداً
تصبحان صديقين] كان يخاطب الكلب
وهو يخطب على رقبته .



ماذا رايت ايضا ياسيدى ؟ .. لا داعى
للحكايات .. ولكن لا ، بل انتظر ..
لا بد ان احكى لك هذه . كانت اخر
ما شاهدت .. رايت الكثير ، لكن هذه
كانت اخر ما شاهدت .. فى غرفة
واسعة كان فى وسطها شيء كغطس
الدهام البلى ممثليء بالماء وتطفو فوقه
الواح الثلج .. كان يقف رجل بداه
مفيسدتان خضف ظهره بجسـل
طويل - كان يمسكه اثنتان
من ذراعيه ورجل اخر يجلس على ركبـيه
ويذلك رجله بشيء كالشمع .. بعد
ذلك صب على رجله شيئاً من زجاجة
كانت بجواره ومد يده لاهـد الاثنتين
الواقفين فناولوه علبـة كبريت . زحف على
ركبتيه بعيداً عن الرجل المقيد حتى صار
على بعد ذراع منه . ثم اشعل عود
كبريت ومد يده وبسرعة من رجل الى
آخر اشعل النار . جرى الاثنان الاخران

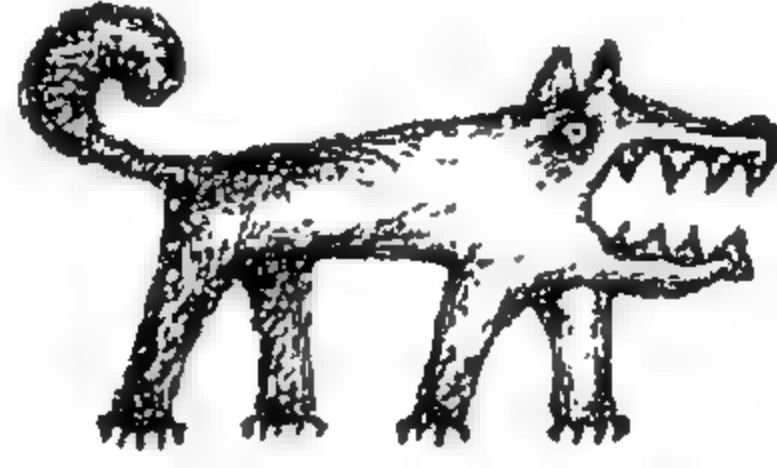
بعيداً بسرعة وببد كل منهما سوطوراحا
بضريان الرجل المشتعل الساقين الذى
بدأ يصرخ .. كان يقول ياكلاباب ..
اه ياكلاباب .. راها بضريانه على
ظهره والرجل يرفع ساقا بعد الاخرى .
عن الارض بسرعة وهو يتجه نحوهم
لكنهما يحيطان به عن بعد وبضريانه
على ظهره لينجيه الى الامام .. الى وسط
الزنزانة .. واخيراً مهمت ما كالتوا
يهاولون عمله .. اخيراً نجحوا فى ان
يجعلوا الرجل يقفز الى المغطس الثلج
انكفاً على وجهه فيه .. وسمعت صوته
وهو يشوق .. وسمعت صوت المساء
على النار - تششى .. تششى ..
وسمعت شهقات الرجل تكرر فى الماء
ورأيت واحداً يمل بسرعة ويجسـدبه
من كتفه ثم غبت انا عن الدنيا ..

حين افقت فى الليل كنت فى زنزانتي
وكنت اشعر بعطش شديد وبحرق فى
فمى . هذا هو اول السكر كما تعرف
صرخت اطلب الماء ولم يرد احد . حين
قمت ارتطمت رأسى بالحائط وهـذه
من رحمة ربنا .. فقد اغشى على مرة
ثانية ولم افق الا فى الصباح حين دخل
الحراس على فى زنزانتي . لم اكن
استطيع ان اقوم . كانت تشفى وارهاق
ولسالى كقطعة الخشب فى فمى . جرنى
الحراس من تحت ابطى حتى غرفة
التحقيق دون كلمة . حين دخلت ووجدت
الضابط على مكتبه تلمصت من مـدى
الحارسين .. فجأة لا ادري من أين
جاءتنى هذه القوة .. خلصت ذراعى
منهما بالفعل ثم ارتفعت على بطنى امام
الضابط وامسكت بحدائه واخذت اقبله
قام مفزوما وهاول ان ينزع رجله من
بين يدي لكن ابداً .. كانت روحى فى
هذا الحذاء .. تندهش لهذا ؟ ربنا
يا ابنى لا يريك .. انظر .. مضمت
عشرون سنة على هذا وانظر هذا العرق
فى وجهى . تحسس يدي . ربنا يمسحك
لماذا جعلتنى احكى هذا كله ؟ والله
انا لا احكى هذا ابداً .. لماذا ؟ حين
نجح الحراس فى ان يحملونى - ويفكوا
بدي من حدائه قال الضابط لماذا فعلت
هذا يا حاج ؟ .. لم يكن هناك داع لهذا
انا طلبتك لاقول لك صدر امر بالافراج
عـنك .. امر بالافراج ؟ كم يوماً بقيت ؟
.. يوماً واحداً .. ليلة واحدة .. ساعات
.. ولكن تعرف يا ابنى ؟ .. عمري كوم
وهذه الساعات كوم ..

واهرز راسي . عملنا مليون بروقصة
والوزير يتحدث وأنا اهرز رأسي . . في
الدنيا ملك بهذا الشكل ؟ . . حفظت
كل كلمات الوزير والله . . حفظتها
احسن منه . . استمع اليها ارجوك . .
انت الملك - وأنا الوزير اقف امامك
هكذا واقول . . استمع من فضلك . .
- زعموا ان قديرا كان فيه ثلاث سمكات
. . كيسه واكيس منها وعاجزة . . وكان
ذلك الغدير لا يكاد يقربه احد ويقربه
نهر جار فانفق ان اجتاز بهذا النهر
صيادان فابصرا الغدير فتواعدا ان
يرجعا اليه بشياكهما فيصيدا ما فيه من
السمك . فسمع السبكان قولهما . .
فاما اكيسهن لما سمعت وارتابت بهما
وتخوفت منهما خرجت من المكان الذي
يدخل فيه الماء من النهر الى الغدير .
واما الكيسة فاتها مكنت مكانها حتى
جاء الصيادان فلما راتهما وعرفت ما
يريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخل
الماء فاذا بهما قد سدا ذلك المكان
فحينئذ قالت فرطت وهذه
عاقبة التفريط ، فكيف الحيلة على هذه
الحال ؟ . . غير ان العاقل لا يقطع من
منافع الراي ، ولا يياس على حال ،
ولا يدع الراي والجهد . ثم انها تباوتت
فطقت على وجه الماء منقلة على ظهرها
تارة وتارة على بطنها فاخذها الصيادان
فوضعاها بين النهر والغدير فوثبت الى
النهر فنجت . . واما العاجزة فلم تزل في
اقبال وادبار حتى صيدت .

هل سمعت ؟ . . بذمتك كل هذا
كلام يقوله ممثل واحد ، وبهذه اللغة . .
اى اخراج هذا ؟ ا اخراج نلثة . . اسمع
ما اقترحته على المخرج . قلت له اندخل
انالكسر المثل وتشوق المتفرج [ودون
خروج على النص لاحظ ذلك] اقول
للوزير مثلا : فلما سمعت اكيسهن ماخلا
واتابت بهما وتخوفت منهما ماذا فعلت ؟
ثم اقاطعه مرة ثانية واقول : والكيسة
ماذا فعلت لما راتهما وعرفت مايريدون ؟
وفي المرة الثالثة اقول كلمة واحدة :
والعاجزة ؟ . . هذا كل اقتراحي . .
هل هو كفر ؟ . . نترك مثلا واحدا
يقرف المتفرجين كل هذا الوقت ؟ . .
كلامى انسا يعنى هو الذى سسهد
التلفزيون ؟ باناسى انا حفظت الدور كله
لماذا لا اتكلم ؟ .
اعطنى الورقة الله يرضى عليك . .
اريد ان اشطب اسمي .

المخرج ومقابلة مع صاحب البيت . .
المخرج ومقدور عليه ولكن صاحب البيت :
قل لى ماذا فعلت له ؟ وجدته غاضبا
جدا . لم اره فى حياتي بهذا الشكل
هل صحيح انك طلبته هو واولاده فى
القسم ليقعوا تعهدا بعدم التعرض
لك ؟ . . عجيب ! وبماذا سينفعك
التعهد . احسن لك تحصن شـقتك
بمدفع . احسن لك تثبيت خارج البيت
او ان تعزل من العمارة . احسن لك
ان تمزق هذه الشكوى وفى داهية كل
الاسانسيرات والمياه فى العالم . هات
هذه الشكوى من فضلك . اريد ان



اشطب توقيعى . لا تعمل بطلا على
حسابي . ماشانى انا بكل هذا المهم ؟
لماذا لم اتعلم من كل ما حدث ؟ لماذا
تعذبتى ؟ . . حين تركتني فى المرة
السابقة لم استطع ان انام طول الليل
وظل ضميرى يؤنبني . اقول لنفسى هل
انا جبان ؟ . يجب ان اوقع مثل باقى
السكان . لم استطع النوم حتى جئت
اليك ووقعت . لماذا ؟ - ملعون ابو
الضمير . ملعون ابو الكرامة . هي
التي ضيعتني اليوم ايضا . قلت للمخرج
اننى لا بد ان اتكلم . المشهد يحتم على
ان اتكلم . لكنه رفض . صممت فسحب
الدور وهدد بانه سيرفع امرى لادارة
التلفزيون لوقفى عن العمل ، يجب ان
اوسط احدا للمخرج وللمدير ايضا
ربما يوقفونى ستة اشهر فى هذه
الحركة . جدعنة وخراب بيوت . ساكل
كرامة ستة اشهر ان شاء الله . لا بد
من واسطة كبيرة . ومع ذلك فانا لم
اخطئ والله . اسمع ما حسدت .
اسمع واحكم . . فى البرامج التعليمية
لبسوتنا ملابس تاريخية ويتحدث الوزير
مع الملك . . انا الملك اجلس على
عرش كسر وفوق راسى عمامة ثقيلة
كالدامية (المفروض تاج طبعا ولكنهم
جهلة) يتحدث الوزير الى وانا ابتسم

حين خرجت عرفت المسألة . زوجتى
ام العيال دفعت مبلغا كبيرا جدا لرجل
مهم فى الوزارة وبالتليفون امرهم بالاخراج
عنى . . دفعت كل ما كان معنا . وما
بقى صرفته على العلاج والله . .
الحمد لله على كل حال . . والان تحدثنى
عن العمارة ؟ . . اى عمارة ياسيدى ؟
تغور العمارات والمال وتعود لى صحتى
انا على العموم لا شئ لى فى هذه
العمارة . اخذها الاولاد . . هنيئا لهم
يا سيدى . انا لا اريد شيئا من الدنيا
ماذا كنا نقول من اصله ؟ انظر كيف
يجر الكلام بعضه ؟ ربنا يسامحك . .
آه . . انا لا احب ان ادخل اقسام
البوليس . طبعا هذه الحكاية كانت من
زمان والدنيا الان حرية والحمد لله
ولكن ماذا افعل فى طبيعى ؟ . لا احب
ان ادخل الاقسام . . المحامى بقول
عندى عقدة نفسية . يلهف نصف اموالى
ربنا يجازيه ويقول عقدة نفسية . ربنا
يسامحه . . ما علينا . . المهم من يوم
ان نجاني ربنا من هذه المصيبة وانا
لا افعل شيئا الا بمشورة المحامى . .
لا ابيع الا وهو معنى . . لا اشترى
الا ورجلى على رجله . . لا ارفع اصبعى
الا باذنه . هو الذى يشير على بكل
خطوة . . والحمد لله لم يحدث شئ
الا انه ينهينى . ينهب يا سيدى ولكننا
لم نعرف طريق الاقسام . والان تريد
انت ان تجرنى للقسم ؟ لا . . لنجرنى
فالعمارة ليست باسمى ولا دخل لى بها
العمارة باسم الاولاد . . تصرف انت معهم
او هم يتصرفون معك . انتم احرار .
انا لا ادخل لى بشئ ابدا . ومع كل
يابنى انا راى ان تقصر الشر . هم
اولادى وانا امرقهم . لا يراعون اباهم
نفسه . ما قولك ، انا استطيع ان اربحك
عندنا عمارة اخرى . ليست عمارتى
والله ولكننى اريد ان اخدمك . هناك
شقة بمنافعها من غرفة واحدة واجارها
معقول . ما قولك ؟ استطيع ان اساعدك
لتاخذها وتبعد عن هذه العمارة بمشاكلها
وكل من فيها . ما قولك ؟ - لا داعى
لان تعيب قلبك بالشكاوى والتوقعات
وكل هذا المهم الثقيل . دخلنا اصحاب
ونخرج اصحاب . ما قولك ؟ .

(٤) المهندس - الممثل يقوم بزيارة
مفاجئة ويدلى بموعظة ختامية :
هذا يوم نكد من اوله . مشاجرة مع

كتب جديدة

« أن تكون تجريبيا يعنى أن تقوم بغزو المجهول » وكل هؤلاء الفنانين حاول أن يجد فى فن المسرح امكانيات جديدة : هى عند ستانيسلافسكى أهمية الممثل ، وعند ميير هولد أهمية المخرج ، وعند اييا أهمية الأضواء ، وعند بسكاتور وبريخت أهمية التعليم والتأوير ، وعند ارتو أهمية أن يعبر المسرح عما لا تستطيع الكلمات .

هؤلاء ومن جاء بعدهم : جروتوفسكى فى بولندا ، وبيتربروك فى إنجلترا وبيتر شومان وجوليان بيك ومارتا جراهام ونيكولايس فى أمريكا .. هم أهم المجربيين فى مسرح القرن العشرين .

ويحاول هذا الكتاب (١) أن يعرض لمحاولاتهم جميعا ، فطبيعى أن يقتصر على التعريف والتلخيص وأن يضيق عن استيعاب كل تجارب المسرح الطليعى فى العالم ، مؤلفه ناقد ومخرج ، أشرف حينما على مسرح تجريبى فى لندن ، وهو يناصر الآن فى جامعات أمريكا .

اتجاهات التجريب

فى مسرح القرن العشرين

تشيكوف ، وأغلق مستديو مسرح الفن أبوابه ، وفشلت عروض « ميتزلنك » - احس ستانيسلافسكى أنه يقف على مفرق طريق ، ومن قلبه الحيرة والياس نظر الفنان العظيم الى خبرة ثلاثين عاما من التمثيل والافراج والادارة فحلها واستخلص منها ما عرف بعد ذلك بنظام ستانيسلافسكى لاعداد الممثل . ان جيزرى جرتوفسكى - أكثر الشخصيات التى تعيش اليوم تأثيرا على المسرح المعاصر يعترف بدين هذا المسرح لستانيسلافسكى : « ان دراسته المثابرة ، وتجسيده الدائم والمنظم لوسائل

دياجيليف ، بافلوفا ، شاليبييتى وغيرهم » وبقي من ستانيسلافسكى شيان : اهتمامه بالقاء الضوء على تكنيك الممثل ، تم مرونته وفهمه الخلاق لعنى « الحسنى » على المسرح ، ورغم النجاح العظيم الذى حققه « مسرح الفن » (خاصة فى تفسير أعمال تشيكوف) فان ستانيسلافسكى لم يحس يوما بالرضا عن عمله ، كان يعتقد ان فن المسرح يتطور بخطى ابطأ من تطور الرسم والنحت والموسيقى ، وكان يخشى ان يقع المسرح فى أسر « واقعية ضيقة » لا يتجاوزها ، وفى صيف ١٩٠٦ - بعد ان فشلت ثورة ١٩٠٥ ، ومات انطون

● المشهد الروسى : بزوغ التجريب وأفوله

(١٨٦٥ - ١٩٢٩)

ومهما كان الخط الذى تبدأ منه فلا بد ان يقودك الى الفنان الروسى العظيم كوفستاتيتنى ستانيسلافسكى ، كان واحدا من جيل العمالقة الذى أخرجته أحشاء روسيا القيصرية منذ منتصف القرن الماضى ، مباشرة بضرورة قيام مجتمع جديد : دستوففسكى ، تولستوى ، جوجول ، تشيكوف ، تشايكوفسكى ، كورساكوف ،

(1) James Roose-Evans, Experimental Theatre from Stanislavsky to Today, Studio Vista, London, 1970.

ملاحظته ، وعلاقته الجدلية بعمله ، تجعل منه مثالا ونموذجا لى .

١٨٧٤ - ١٩٤٠

لكن طاقة التجريب الحقيقية فى المسرح الروسى هى فسيفولود ميير هولك . ولعل أهم ما كان يشغل ميير هولك شيئا : الاول أن الممثل ليس سوى جزء من الصورة أو التكوين المسرحى الكلى ، انه ليس سوى دمية فى نهاية الامر (وقد خلط الممثلين بالدمى فى أكثر من عرض) ، والثانى هو كسر الحاجز بين الخشبة والجمهور ، فبنى معمرات جانبية ودرجات تصعد من الصالة للخشبة ، وحرك الممثلين وسط هذا كله . وبعد ثورة ١٩٠٥ طرحت قضية مشاركة الجمهور فى العرض على نطاق واسع ودارت حولها مناقشات طويلة ، وفى ١٩١١ قدم ميير هولك اخراجا بالغ الجراءة لدون جوان (موليير) كانت مساهمته فى هذا النقاش : ألغى ستائر المسرح واضرب الخشبة وجعل البرواز المسرحى على شكل شبه دائرى ، وأبقى أنوار الصالة مضاءة كي يحتفظ بجو قاعة الرقص ، واتخذ الملقنون أماكنهم خلف ستائر من طراز لويس الرابع عشر ، والخدم فى بزاتهم الرسمية يهيئون مقاعد السادة ، وغلمان سود يروحون ويجيئون ، والخشبة مضاءة بشموع من شمعدانات ضخمة ، كان العرض كله انتصارا لفكرة « مسرحية المسرح » وتحديا لتقاليد مسرح الفن التقليدى .

وازدهرت الجماعات المسرحية التجريبية ازدهارا عظيما بعد ١٩١٧ ، وبفضل ميير هولك أصبح مسرح الثورة فى روسيا مسرحا طليعيا ، وفى ١٩٢٧ كان فى روسيا ٢٤ ألف جماعة مسرحية تجرب وتبتكر فى الورش والاستديوهات والمعامل ، « ولم يحدث فى بلد آخر من بلاد العالم أو فترة أخرى من فترات التاريخ أن حظى المسرح التجريبى بمثل ما حظى به فى عهد لينين من دعم أدبى ومادى » ، وبين من تأثروا بميير هولك ، وهذا المناخ التجريبى المنفتح نيكولاى افريونوف الذى قدم فى ١٩٢٠ عرضا يمدح أحداث الثورة اشترك فى تقديمه أكثر من ثمانية آلاف شخص وعزفت أوركسترا من خمسمائة عازف أناشيد الثورة ، وعلى المسرح انتصبت شجرة ضخمة للحرية التقت فى ظلها كل الامم ، ومن حولهم جنود الجيش الاحمر يستبدلون بأسلحتهم المطارق والمناجل .

وحول هذا التاريخ بدأ ميير هولك يطور نظريته فى تدريب الممثل ذات الطابع « البيو - ميكانيكى » ، فهو يعتقد أن الممثل يجب أن يكون رياضيا ولاعب أوكربات و « ماكينة حية » ، فحقيقة العلاقات الانسانية والسلوك الانسانى يمكن التعبير عنها بالخطوة والحركة والإيماءة أكثر من التعبير عنها بالكلمة . وفى عروضه التالية حرك ميير هولك ممثليه كما يحرك اللاعب عرائسه فى المكان ، واستخدم الابنية المتحركة والحوائط المتحركة والستائر التى تدور حول محاور و خشبة المسرح المقسمة الى دوائر متحدة فى المركز ويمكن لكل منها أن تتحرك وحدها . كان ميير هولك يهدف

لأن يحقق للعرض المسرحى هذا « الاستمرار » الذى تحققه السينما ، وسبق كلا من يسكاتور وجان لوى بارو فى استخدام الفيلم كجزء من العرض المسرحى ، كان ميير هولك - كما وصفه الفنان الفرنسى شارل ديبلان - شاعر المسرح استطاع أن يخلق من مفردات الحركة والإيقاع لغة مسرحية .

على أن اعظم عروضه الاخيرة وأكثرها إثارة للنقاش كان « المفتش العام » لجوجول . أباح ميير هولك لنفسه أن يغير فى النص : فجعل أحداث المسرحية تدور فى موسكو لا فى قرية بعيدة ، واستبدل بالعمدة جنرالاً . وهكذا . وجعل التمثيل يدور على مصطبة مسحوبة على شكل شبه دائرة ، يفتح حولها خمسة عشر بابا ، وحين يتقدم المسئولون لرشوة المفتش المزيف - سرا - تفتح جميع الابواب مرة واحدة ، ونرى فى كل باب مسئولاً يقدم الرشوة . وحين يخرج هذا المفتش مصمولا على محفة تهبط ستارة ببضاء مكتوب عليها بحروف ذهبية نبا وصول المفتش الحقيقى ، وبارتفاع هذه الستارة لا نرى على المسرح مسئلا واحدا ، بل نجد بدلهم دمية تقف جامدة تصور المشهد الأخير .

وفيما بين ١٩٢٠ و ١٩٥٢ خيم على

روسيا شبح الستالينية فذوى التجريب فى الفن والمسرح ، وفى ١٩٢٢ شنت « البرافدا » حملة واسعة النطاق على اتجاهاات الفن التجريبى ووصفتها بالتحلل ، وفى ٢٨ أغلق مسرح ميير هولك ولم يجد سوى ستانيسلافسكى يلحقه بوظيفة فى « مسرح الفن » ، لكن ستانيسلافسكى مات فى السنة نفسها ، وفى يونيو ٢٩ حضر ميير هولك مؤتمرا للمسرحيين هاجم فيه ما يحدث فى المسرح الروسى ووصفه بأنه شيء لا علاقة له بالفن ، ودافع دفاعا حارا عن حق الفنان فى التجريب ، بعدها بثلاثة أيام ألقى القبض عليه ونقل الى أحد المعسكرات فى القطب . هل مات ميير هولك فى معتقله ثم انتحر ، لا يعرف أحد اجابة على السؤال .

ولم يكن ميير هولك وحده ، كان ثمة

الكسندر تايروف (١٨٨٥ - ١٩٥٠) ومسرحه « التاليفى » . لم يكن تايروف يرى أن الممثل دمية فقط بل كان يرى أن المسرح فن قائم بذاته ، لذلك كان يدرب جماعة ممثليه على أن يرتجلوا حول فكرة ما ويطوروها أمام الجمهور على نحو ما يحدث فى « الكوميديا ديلارتى » ، وكان يرى أن المسرح « التاليفى أو التوليفى » هو ما يضم فى جماعة واحدة كل امكانيات فنون الباليه والاوبرا والمسبك وقاعة الموسيقى والدراما ، وكان اهتمامه ينصرف أولا الى تحقيق جماليات العرض المسرحى حتى اتهمه نقاده بأنه يهتم بشكل العمل دون مضمونه ، لكنه كان يرى الموسيقى أرقى الفنون وانقاها ، لذا فهو يحاول أن يخلق للعرض موسيقاه :

الإيقاع هو أهم ما يشغله ، الحوار يجب أن يقطع وينغم ويغنى ويؤدى . ومساحات المسرح يجب أن تستغل لخلق علاقات بينامية بالمكان ، والاضاءة يجب أن توظف توظيفا خياليا ، وحركة الممثلين يجب أن تعمم كما تعمم خطوات الراقصين ، والخشبة المسطحة يجب أن تحطم بالمستويات والدراجات والتكوينات التجريدية .

لكن تايروف لم يستطع أن يستمر طويلا . كان ثمن بقاء مسرحه أن يتنازل عن كثير . وفى ١٩٤٦ قدم اخراجا لنورس تشيكوف ، وصف بأنه لم يكن صيغة نورس لكنه كان أغنية وداع : فى ٤٩ أغلق مسرحه ، ومات فى العام التالى .

بقى على المسرح الروسى انفسان : فاجتاجوف وأوخلبكوف . كان الاول أحد ممثلى « مسرح الفن » وأقرب تلاميذ ستانيسلافسكى اليه ، لكنه استطاع أن يمزج - على نحو خلاق - بين نظام ستانيسلافسكى وتجريبية ميير هولك ، بين الصدق - بمعناه السيكولوجى - والاهتمام بفنية العرض المسرحى ، كان منهجه شاعريا لكنه لم يكن مغرقا فى رومانسية تايروف . كان فاجتاجوف مريضا بلا أمل فى شفاء ، لهذا كان يصير دائما على أن العرض المسرحى يجب أن يدخل البهجة لقلوب الناس والا فهو « وسيلة مبتذلة لقضاء وقت الفراغ » . وحين كان الفنان الفرنسى افتونفى أرتو لا زال يصور أفكاره حول مسرح القسوة ، كان أوخلبكوف يقدم عروضها تحقق ما نادى به المسرحى المجنون بعد ذلك . كان أوخلبكوف يعيد وضع علاقة الممثلين بالجمهور فى كل عرض على نحو حديد . استخدم التصميمات الدائرية والمربعة والمثلثة والمعيقة وذات المساور كى يعين هذه العلاقة فى كل عرض بما يحقق تصويره لضرورة استخدام كل العناصر المسرحية من أجل أن يصبح المشاهد جزءا مما يحدث فى المسرح . ان جروتوفسكى يستخدم الاسلوب نفسه من أجل الهدف نفسه ، ونظرة الى تخطيط مكان الممثلين من الجمهور عند أوخلبكوف وجروتوفسكى تكشف تائر الأخير بهذا الفنان الروسى العظيم . كذلك استخدم أوخلبكوف عدة منصات يدور فوقها الحدث حتى يمكنه اجراء « مونتاخ » أو تقطيع سينمائى على المسرح . لقد وجدت أفكاره عن علاقة الممثلين بالجمهور امتدادها عند جروتوفسكى ، أما أفكاره عن ضرورة مواصلة البحث والتجريب حتى بعد ليلة العرض الاولى فقد وجدت استمرارها عند المخرج الانجليزى بيتر بروك .

• • •

• • • المشهد الأدبى • • التجريب والتراث

وكانت أوروبا أيضا تموج بسلسلة متصلة من التجريب . جوردون كريدج (١٨٧٢ - ١٩٦٨) يحلم بمسرح

جديدة يعبر عن الانفجالات بالحركة وحدها ، لا داعي لوجود مسرحية أو حبكة ، المهم وجود حركة مترابطة ومتنازرة للصوت والضوء والمجموعات . ليس الممثل كل شيء كما كان عند ستانيسلافسكى ، وليس دمية كما عند مييرهولد ، لكنه أصبح « عقبة وعيبا شقيا » . وإذا كان لابد من وجود الممثلين فمن أجل أن يتحركوا لا أن يتكلموا . لأن التمثيل هو الحدث ، والرقص هو الشعر فى الحدث ، وانولف ايبا (١٨٦٢ - ١٩٢٥) مهتم بالاضاءة أكثر من أى عنصر مسرحى آخر ، ويرى أن الجرح العام للمسرحية لا يمكن تصويره إلا باستخدام حركة الاضواء على مناظر بسيطة غير مجسدة مرسومة بالوان محايدة . لم يكن ايبا أول من استخدم الظل على المسرح لكنه أول من وضع للاضواء المسرحية نظرية كاملة . ويبقى الأثر الحقيقى لجاك كوبو (١٨٧٨ - ١٩٤٩) فى جماعاة الممثلين التى كونها ببساطتها. التمامة فى تقديم أعمالها والتصاقها الوثيق بقرينة الأرض التى خرجت منها ، أن كل فنانى المسرح الفرنسى الكبار اليوم هم من أفراد هذه الجماعة ، جان لوى - بارو ، لوى جونغيه ، شارك ديبلان ، جان فيلار ، هيشيل سان ديفيس ، جاستون باتى .

ولم تكن أفكار انتوينيى أرتو (١٨٩٦ - ١٨٤٨) عن المسرح الذى يصدر الحقيقة الداخلية أصيلة كلها ، فقد سبقه إليها فنانون مثل ايبا ومييرهولد ورينهاردت ، لكن أهميته فى أنه أعاد اكتشاف هذه الأفكار لنفسه وللمسرح الفرنسى . ومن المهم - بالنسبة لارتو - أن نؤكد هذه الحقيقة : أن الجرح الحقيقى هو الذى يبلى فوق ما هو قائم ، هو الذى يعرف جيدا ما الذى تحقق وما الذى يريد أن يضيفه إليه ، والفنانون الجربون الخلاقون - مثل بريخت وجروتوفسكى - لا ينكرون صلتهم بالماضى ، لأن معرفة ما تحقق فى أماكن مختلفة وأوقات مختلفة يعطى احساسا راسخا بمعنى التراث واستمراره ، وحين قال أرتو : أننا لن نستعيد فن المسرح الا اذا قدمنا للمتفرج المكونات الحقيقية للحلم ، هل كان يعرف ما قاله ستانيسلافسكى منذ بداية القرن : يجب أن يصور المسرح الحياة ، لا كما نراها فى الواقع . بل كما نراها - على نحو غامض - فى الأحلام ؟ لكن من الحق أن نقول بأن أرتو - حين كتب ما كتبه قبل أكثر من ربع قرن - كان يتمرد على لون معين من ألوان الاداء المسرحى هو المرجوح فى « الكوميديى فرانسيز » مسرح خاضع تماما للكلمات وسيطرة المؤلف ، وكان يريد أن يستبدل بشعر الالفاظ شعر المكان مستخدما عناصر مختلفة : الموسيقى والرسم والرقص والفنون الحركية والميم والاداء الصامت والايماة والغناء والتعويذة والطقس والاضاءة والتشكيل البدائى .

ولا شك فى أن دور بريخت

(١٨٩٨ - ١٩٥٦) يتجاوز دون كل من ريهاردت (١٨٧٢ - ١٩٤٢) وبسكاتور (١٨٩٢ - ١٩٦٦) فما يبقى من ريهاردت هو أنه الذى طور فكرة المسرح الشامل - بعد مييرهولد وقبل بيتر بروت . أما بسكاتور فهو واضع نسخة المسرح المحمى ، والمسرح التسجيلى ، وهو - بتعبير بريخت - صاحب أكثر المحاولات جراءة لاضفاء طابع تعليمى وتويرى على المسرح . وبقي دور بريخت أكبر منها لأنه - كما يقول كينيث كيدان - « مرة واحدة فى كل جيل يعرف العالم طريقة جديدة لرواية الحكاية ، وفى هذا الجيل فإن بريخت هو رائد الطريقة الجديدة » . كاتب مسرحيا ومديرا لبرلين انسامبل .

وربما كان نجاح بريخت وفشله - كما يقول واحد من دارسيه - فهو أن كل ما حاول أن يقضى من خلاله على « سحر » المسرح تحول سحرا بين يديه : أضواء الخشبة التى يجب أن تغرب بنا بعيدا عنها تشي بكل عشق بريخت للمسرح ، والتدخل فى الحدث يكتسب ايقاعا بحيث يصبح نمطا شعريا يلغى الهدف من استخدامه . أن نجاح بريخت وفشله يمكن تلخيصهما فى جملة واحدة : أنه قد حظى بأعجاب واحترام هؤلاء الذين احترف احتقارهم : الشعراء والمثقفون والغرب ، وفشل فى أن يجد جمهوره بين هؤلاء الذين كان يعتقد أنه يكتب لهم : الطبقة العاملة والحزب والشرق .

● جروتوفسكى : نحو مسرح فقير.

يختفى معمل جروتوفسكى المسرحى فى برلندا خلف زجاج نظارته السوداء ، لكن جروتوفسكى من أهم الشخصيات المؤثرة فى المسرح المعاصر ، أن لم يكن أهمها على الإطلاق . تجاربه مصدر أفكار بيتر بروت والمسرح الجديد فى إنجلترا ، وكل حركات المسرح الطليعى فى أمريكا . يبدو أن جروتوفسكى قد طرح على نفسه السؤال الاساسى : ما هو المسرح ؟

وفى البحث عن الاجابة تبين أن المسرح يمكن أن يوجد بلا مكياج أو ملابس أو ديكور ، أو مؤثرات صوتية وضوئية - لكنه لا يمكن أن يوجد دون علاقة الممثل بالمتفرج فى المسرح « الحى » وهو يرفض تماما التصور التقليدى للمسرح ويراه قائما على مرض سرقة فنى ، أما المسرح الشامل فليس عنده سوى لغو شامل . أنه باختصار يرفض كل أشكال المسرح عدا مسرحه هو « المسرح الفقير » : يرى جروتوفسكى أن تغيير أماكن الممثلين والجمهور يقدم تنويعات لا نهاية لها على علاقة الممثل بالمتفرج ويرى أن فى جسد الانسان عددا لا يحصى من « الشركات الرنانة » ورغم أنه يرى أن النحت والادب والرسم والاثاث والاضاءة والاخراج كلها من سمات المسرح الغنى أو المترف الا أن كل عرض من عروضه يحمل بصمات

المخرج وتضمن الأزياء وبقية خصائص ما يسميه « الاثاث النظرى » ، كما أن كل عرض من عروضه يعتمد على نص مكتوب .

لكن ممثلى جروتوفسكى لا يستخدمون قطع الاثاث وبقية العناصر استخداما طبيعيا ، بل بالتخيل التلقائى المميز للأطفال ، فأرض المسرح يمكن أن تكون البحر أو القارب أو المائدة أو الزنزانة ، وما يفعلونه يختلف تماما عما يحدث فى « مسرح الشرق » حين تصبح الأرض هى البحر بهدف تقدم الحدث ، كلا ، البحر عندهم هو الأرض ، كجزء من براما داخلية ، فجروتوفسكى حريص على أن يعرض ممثلوه أمام الجمهور عملياته الروحية والنفسية العميقة ، وعن طريق سنوات التدريب والتكنيك الجسدى المنظم يصبح الممثل على درجة من اكتمال الوعي وأرهافه وحدته بحيث يتفتح تلقائيا أثناء العرض « بحيث يعطى نفسه بكل خصوصياتها وأعماقها عطاء كاملا واثقا مثل عطاء الحب » .

الممثل عند جروتوفسكى مبشر ، يخلق الفعل الدرامى ويقود الجمهور اليه فى الوقت نفسه « هنا عنصر جديد على المسرح ، توتر نفسى عميق قائم بين الممثل والجمهور : الاول يحاول أن يخضع الثانى ويأسره ويقضى على أية مقاومة عقلية لديه ، والثانى يقاوم سحر الكلمة والحركة ويستنجد بالمنطق ويلوذ بدفاع أخير حين يسقط عنه درعه الاجتماعى المصنوع » . وهدف المسرح عند جروتوفسكى - وهدف الفن كله - هو أن « نعبّر حدودنا ونتجاوز قيودنا ونملا خواءنا ونحقق أنفسنا » ، والمتفرج يعى - شعوريا أو لا شعوريا .

أن هذا العرض الذى يراه بدعوه لأن يفعل الشيء نفسه ، وهذا ما يثير دائما معارضته أو سخطه ، لأن جهده اليومى منصرف كله لاختفاء حقيقة نفسه ، لا عن الآخرين فقط بل عن نفسه بالذات . وإذا كان بريخت مهتما بأن يدفع الجمهور الى التفكير فسان جروتوفسكى مهتم بأن يحدث له ازعاجا على أعماق مستوى ممكن ، من هنا يحتاج جروتوفسكى متفرجا من نوع خاص : لديه احتياجات روحية عميقة ويريد فعلا - عن طريق مواجهته لهذا العرض - أن يحلل نفسه ، ويلعب الالتصاق الفيزيقي بين الممثلين والجمهور دورا فى تسهيل عملية التحليل النفسى الجماعى . هل هو مسرح للنخبة فقط ؟ يجيب جروتوفسكى بوضوح : « نعم لسنا مهتمين بمسرح هب ودب من المتفرجين ، نحن مهتمون بلون خاص منهم فقط » .

ويبدأ جروتوفسكى عمله بأن يتناول أسطورة (قومية أو دينية) أو موقفا يتضمن فعلا جعلته التقاليد من الحرمات ، ثم يبدأ فى مواجهته

ومهاجمته ، والكفر به ، والتجديف أمامه ، وهو أثناء ذلك يربطه بخبرة حياته التي هي بدورها الخبرة الجماعية في عصرنا (هي عند جروتوفسكي على سبيل المثال : التاريخ المأسوي لبولندا) وربما كانت هذه المواجهة ذاتها هي ما هدفت الي تحقيقها عروض اخرى مثل « الصبح المبكر » لادوارد لوند ، و « أوديب » لبيتر بروتوك ، و « فراكتشين » للمسرح الحي ، كذلك أعمال مارتا جراهام حول الاساطير الاغريقية .

وما قاله ستانيسلافسكي من ضرورة وجود فنانين جدد لكل فن جديد يقوله جروتوفسكي على نحو اخر : « يجب أن يكون الممثل قادرا على أن يعبر بالصوت والحركة عن تلك الدفقات الانسانية الصغيرة التي تتذبذب هناك على الحد الفاصل بين الحلم والحقيقة ، يجب أن يكون قادرا على أن يبني لغته التحليلية الخاصة من الاصوات والايماءات كما يبني الشاعر العظيم عالمه من الكلمات » .

● المشهد الأمريكي : مجتمع ممزق ، وفن مفقت

واذا كان كريج يطالب بمسرح تعبر فيه الحركة فقط عن الانفعال فان الرقص الحديث - خاصة عند فنانين مثل مارتا جراهام والوين نيكولايس - هو الذي فتح افقا جديدا للتعبير بالحركة ، ولان نقاد المسرح لا يزالون مرتبطين بفكرة ان المسرح للكلمات لم يستطيعوا ان يقدروا قيمة ما اضافته الرقص لفن المسرح في القرن العشرين .

كانت ايزادورا دثكان اول من ربط الحركة بالعاطفة واكتشفت قدرة الحركة على أن تخلق اشكالها الجديدة اذا كانت انفعالا قويا ، كان رقص ايزادورا تعبيرا عن الحياة « لان الحياة هي الجذر والرقص هو الزهرة » . بفتح طريق الكشف في « الانسان الداخلي » - وكانت ايزادورا تسميه « الروح » - لكن مارتا جراهام - أعظم الراقصين في هذا العصر - استطاعت أن تتجاوز هذا الفهم لما يعنيه هو « الكائن الخفي » الجسد الكامن تحت الجلد والعضلات ، فكل رقص هو ذرع من رسم القلب ، او هو الخط البياني الذي يحدد ارتفاع حرارة جسد محموم ، لهذا حاولت أن تبتكر التكنيك الذي ينقل رؤية داخلية كاملة .

جوهر الرقص الحديث أن تصدر الحركة عن الفكرة ، والخطوة عن العاطفة ، وما يميزه عن الباليه هو أن الباليه يهتم بالخط والنمط - أي الجماليات الخارجية ، بينما يهتم الرقص بخبرة الحياة الأساسية ذاتها ، ان الحركة عنصر أساسي في وجودنا . ونحن حين نقفز فرحا أو نتطوح حزنا فان حركتنا تنبع عن حالة انفعالية عميقة ،

ورغم أن هذه الحركة تبدو غير معقولة الا انها تحمل بداخلها السمات الأساسية في الخبرة ذاتها ، لن تكون ابدا حركة جمالية أو ممثلة . والرقص الحديث يحاول أن يعبر بالحركة عما لا تستطيع ان تبلغه الكلمات ، انه يكتشف أرضا جديدة للحركة الممكنة - بل والتي تبدو مستحيلة بالنسبة لما تطلبه الخيلة المنطلقة من الجسم . وقد أثبتت مارتا جراهام ان عملها متطور ومستمر ومتنوع ، فهي تاتي في كل سنة بجديد في تطوير اسلوبها كلما اكتشفت امكانيات الحركة للتعبير عن موضوعات جديدة : رقصات للشهوة والاحتجاج والتمرد ، للممارسات الدينية ، من الفركلور الأمريكي للمسخرة للتعبير عن دور المرأة كفنانه ودورها كامرأة ، واهم اعمال مارتا هي تلك التي تتخذ موضوعاتها من الاساطير الاغريقية حسب فهم جماعي لها . واعمالها دائما - باستثناء عدد من رقصاتها المنفردة - تدور حول حكاية ما ، لانها تعتقد - على عكس الوين نيكولايس - ان الكلمات يمكن أن تنقل شيئا من فنها . وهي تلخص عملها : « حاولت دائما أن أقدم صورة الانسان وهو يناضل من أجل اكتماله ، من أجل أن يبلغ ما يمكنك أن تدعوه صورة الانسان في عين الله ، انني اهتم بهذه الصورة أكثر مما اهتم بصورة الانسان عن نفسه » .

يختلف عنها الوين نيكولايس في فهمه لوظيفة الرقص الحديث . فهو يرى أن الرقص حركة تتجه نحو بلوغ مستوى أكثر تجريدية ورياضية ، ويرى أن الرقص قد استهلك نفسه في تصوير العلاقة بين الانسان والانسان . فلماذا لا يهتم بعلاقة الانسان بالموضوعات والاشياء ؟ ، ولكي يساعد نيكولايس راقصيه على الابتعاد عن التعبير الذاتي ، اصطنع لهم أقنعة وقطعا منحوتة بحيث يتنكرون فلا يبدون كبشر ، ويلبسهم بحيث يبدون كاشكال ، ويحركهم حول الخشبة بحيث يبدون كقطع الاثاث الحي . ان رقصاته لا تعبر عن عواطف ولا تتخذ مراقف ، انها هي الوسيلة والرسالة ، والحركة هي الهدف والسبب . ورغم أنه لا يصمم رقصاته حول موضوعات أو قضايا بعينها الا أنه يعتقد أن الجمهور سيجد في عروضه كثيرا مما يرتبط بالهموم المعاصرة اذا أطلق لخياله العنان . « اننا مهتمون بوجودنا في الفراغ ، مهتمون بالعلاقات بما حولنا ، اننا لم نعد نثق بقدرة حاسة واحدة ، ونريد لحواسنا جميعا أن تتأثر لتكشف الحقيقة » .

وأعمال نيكولايس - مثل أية أعمال فنية تجريدية - يمكن أن تقبل على مستويات متعددة ، لكن الخبرة ضرورية على أي مستوى منها ، وأعمال نيكولايس لا يمكن وصفها أو التعبير عنها الا

برؤيتها ، حتى الصورة الفوتوغرافية لا تنقل منها الكثير ، لان نيكولايس - وكذلك مارتا جراهام استطاع كل منهما أن يصل للغته المسرحية الخاصة التي تحيط بحركة الجسم الانساني .

لفنانة المسرح الانجليزي جوان ليتلوه كلمة تقول فيها : « الدنيا مليئة بالمسارح خارج خشبات المسارح ، ويبدو أن هذه الكلمة وجدت تطبيقها الحرفي عند بيتر شومان ، فنان المسرح الأمريكي الذي كون جماعة « مسرح الخبز والدمية » قبل عدة سنوات . لقد جاء بالناس الى المسرح حين خرج اليهم يطوف شوارع نيويورك مع أفراد فرقته يحملون الدمى الضخمة ويقدمون أعمالا مسرحية قصيرة عن القضايا المعاصرة . ويعتقد شومان أن معظم حركات المسرح الطليعي حريصة على أن تهين الجمهور وتصدمه أكثر من حرصها على التواصل معه . ويقول : « انك لا تستطيع أن تصدم الجمهور بمجرد اعتقارك له ، وأفضل أشكال المسرح الحديث هو ما يتطور عن الاشكال التقليدية ، ان المسرح يحقق نجاحه اذا كان له معنى عند الناس » .

ويعتقد شومان أن أفضل الجمهور هم هؤلاء الذين لا يذهبون الى المسرح لهذا خرج بفرقته الى الشوارع . وتمتاز الفرقة بمرونة خاصة ، فعدد أفرادها يتراوح بين خمسة عشر ممثلا ومائة ممثل حسب احتياج العرض ، وهم لا يقبضون أجورا ، ولا يتقاضون من متفرجيهم في الشوارع شيئا ، أما اذا قدموا عروضهم في مكان مغلق فهم يتقاضون دولارا عن كل متفرج . وكل الاماكن ملائمة لهم عدا خشبات المسارح التقليدية لانها « مريحة جدا ومعروفة جيدا وتقاليدها تزعجنا ، فالناس يخدرون فيها ويفقدون انتباههم من اللحظة الاولى ، أما حين تستخدم المكان الذي يتصادف أن توجد فيه فانك تستخدمه كله : بدرجاته ونواحيه وشوارعه وأبوابه . يجب أن نقدم مسرحياتنا في أي مكان يتيح لنا استخدام الدمى » .

وهم يقدمون الخبز لجمهورهم خلال العرض أو بعده ، ويعتبرون هذا شيئا أساسيا « لاننا نحب أن نبدو قادرين على اطعام الناس » ، والحقيقة أن الطعام يلعب دورا هاما في عروضهم : فهو أحيانا يعطى الانطباع بالمشاركة في وليمة ، وأحيانا يضعون في صدر المائدة هندا أحمر مثيرين كل أحاسيس العشاء الأخير للمسيح .

ولن تجد بيتر شومان يهاجم جمهوره على نحو ما يفعل جولييان بيك ومسترحة « الحصى » . أن بيك يهاجم جمهوره لانه يعتقد أن الدولار الذي دفعه كل منهم يكفي لاطعام عائلة بأكملها في إحدى دول العالم الفقيرة ، أما شومان فلا يتقاضى من جمهوره قليلا أو كثيرا .

وحيث جاءت الفرقة الفرقة الى لندن في ٦٩ كان أفراد الفرقة يوزعون تذاكر المسرح على الجمهور بلا مقابل ، وبعد أن امتلأ المسرح كله لم يردوا المتفرجين بل كانوا يدبرون لهم الأماكن حتى فوق خشبة نفسها . وبدأ جماعة الخبز والدمية تهيئة الجو قبل بدء عرضها ، فيخرج أفرادها الى الشوارع في ملابس بيضاء ، يضع بعضهم مناديل ملونة حول رؤوسهم ، أو يلبسون تشكيلة متنافرة من أغطية الرأس ، يدقون الطبول وينفرون الدفوف وينفرون في الأبواق ويضع بعضهم أقنعة ضخمة ، وهذا أحدهم يضع قناع خنزير ضخمة يعابث الناس ويرقص في إشارة المرور ويبادل كلبا أزجته الضجة النباح ، وتنتقل عدوى المرح من الجماعة الى الذين يريدون أن يشاهدوا عروضها فينضمون اليهم ويبسألون الممثلين الحديث حتى يصلوا جميعا مكانا ملائما لتقديم العرض فيضع الممثلون أدراجهم القليلة ويشرعون في أداء تمثيلياتهم القصيرة عن حرب فيتنام .

دون عدوان موجه ضد الجمهور ، يصدق ويمرح وبساطة ، تقدم جماعة الخبز والدمية « مسرحا فقيرا » بالفعل ، مسرحا له طابع القداسة ، انهم لا يستخدمون سوى الملابس البسيطة وبعض الستائر والادوات المعدنية القليلة ، وهم يلبسون كما ما تقع عليه أيديهم بعفوية كعفوية الاطفال ، ولا نستطيع أن نعتبرهم محترفين بأي معنى من المعاني ، انهم لا يقدمون عروضاً صعبة متحذقة ، بل يقدمون أعمالهم ببساطة معتمدين على الصدق الداخلي في أن ينقل للجمهور ما يريدون أن يقولوا .

وليست أعمال مسارتا جراهام ونيكولاس وشومان هي كل مظاهر التجريب في المسرح الأمريكي ، فعمل هذا المسرح أن يكون اليوم أكثر مسارح العالم امتلاء بالتجارب الجديدة ، وكلها تجارب متأثرة بما ذكره أرتو عن « مسرح البيئة » ، بمعنى أن « بيئة » كاملة يجب أن تخلق من أجل تقديم كل عرض على حدة . فمسرحية الان كايرو « ١٦ حادثة في ٦ أقسام » عرضت في ثلاث حبرات متجاورة تفصل بينها حوائط من البلاستيك ، ويغير المتفرجون أماكنهم أثناء الاستراحة ، ومسرحية روبرت ويتمان « القهر الأمريكي » عرضت أمام متفرجين يجلسون في ستة أنفاق متجاورة تواجه مكانا دائريا يقدم فرقة العرض ، وفي مسرحية جيم دين « حادثة سيارة » يجلس المتفرجون في بيئة كاملة البياض ، ويلبس الممثلون اللون الأبيض ويطلبون الى المتفرجين أن يحضروا بقبعات وجاكيتات بيضاء كي يتكاملوا مع العرض ! هدف هذا كله هو محاولة ايجاد علاقة جديدة بين الانسان والفضاء في

عصر الفضاء : « تريد خبرة جديدة ؟ بانفضاء ، ارتفاعه وعمقه واتساعه ، ثقله وكثافته ، حميمته وتباعده » ، وربما كان جون كيج (صاحب العرض الموسيقي ٢٣ الذي يظل فيه العازفون صامتين لمدة أربع دقائق وثلاثين ثانية ، مفترضاً أن الاصوات العرضية المتجمعة عن زحزحة المقاعد والتنفس والهمسات وضجيج الشارع .. مستخلق موسيقاها - ربما كان كيج هو المسئول عن استخدام « الصدفة واللاتحديد » في الموسيقى والكتابة والمسرح . كلنا يعرف الارتجال على المسرح من حيث أنه وسيلة الوصول الى أقصى درجات التلقائية والصدق في الاداء ، لكن قليلين هم الذين يعرفون مفهوم « اللاتحديد »

« indeterminacy » الذي يمنح الحرية كاملة للمؤدي سواء كان راقصاً أو عازفاً أو ممثلاً - في أن يختار بديلاً عما حدده له مصمم الرقصة أن المؤلف الموسيقي أو المخرج ، ولأن المؤدين يتصرفون كل « بطريقة ولا يتفاعلون مع اختيارات زملائهم فلن يتم هذا الأخذ والعطاء المميز لتجربة الارتجال . في أحد أعمال « المسرح الحي » وزعت على الممثلين - بطريقة عشوائية - قصاصات من الورق تحمل تعليمات مسرحية مختلطة (مثال : قبل أقرب امرأة اليك - استخدم ثلاثة موضوعات في تناول يدك في فعل واحد ..) وأدى الممثلون هذه الأفعال داخل نسيج العرض كله !

والسمة المشتركة في المسرح الطبيعي الأمريكي هي أنه يرفض رفضاً تاماً كل وسائل التكنيك الدرامي التقليدية : خط الحدث ، التصوير الطبيعي ، الحبكة ، التشويق ، التنوير .. الخ « في القرن الثامن عشر كنا نرى مسرحاً أكبر من الحياة » ، وفي القرن التاسع عشر رأينا مسرحاً « صادقاً مع الحياة » ، وفي القرن العشرين نسريد « مسرح - الحياة - المعيشة - الان » . ان في طبيعة هذا الجيل التمزيق والتفتيت وقطع الاستمرار ، واستقبال فيض الحواس المتعددة في وقت واحد . وطبيعي أن ينعكس التمزق القائم في المجتمع الأمريكي على الفن فيجعله فناً مفتقناً ، وطبيعي كذلك أن يهتم المسرح بمساعدة الأفراد على اخراج صراعاتهم وخيالاتهم الخاصة (واخراج الاساطير الخاصة هو اهتمام فنانة المسرح الأمريكي آن هيلبرين التي تقول : « انني أرى الفنان الان في ضوء جديد ، لم يعد هذا البطل الوحيد المنفرد ، لكنه أقرب لان يكون دليلاً يؤدي عمله أمامنا كي يوقظ جذوة الفن في نقوسنا نحن ، وهذا معنى المسرح المخصب » Seminal Theatre

أما المسرح الحي فقد أصبح من سمات المسرح الأمريكي وأهم ظواهره : جماعة

مسرحية جواله تضم الممثلين ونسبهم وأطفالهم - بلغ عددهم في آخر تعداد حوالي الأربعين - يقودهم جوليان بيك وزوجته جوديث مالينا ، طافوا أوروبا كلها في أربع سنوات قضوها مبعدين عن الولايات المتحدة بأمر السلطة ومحاصلي الضرائب . في جماعة المسرح الحي تلتقي ثلاثة احتياجات رئيسية لتصبح احتياجاً واحداً : أنها تعيش لتقدم عروضها ، وهي تقدم عروضها كي تعيش ، ولحظات العرض هي أشمن وأروع ما في حياتهم الجماعية من لحظات . ترى جماعة المسرح الحي أن المسرح التقليدي جدير بالرفض لانه « حذاء المجتمع » يلعب دوراً واحداً هو تفرغ توتر الجمهور كي يواصل مألوف حياته البرجوازية . تقول جوديث مالينا : « لابد من التغيير ، ان حضارتنا كلها تسير في سبيل الضمار لا البناء » قد أصبحنا متروكي الرأس وبالثقافة ، منفصلين كل الانفصال عن أجسادنا ومشاعرنا الحميمة ، حتى الحب - أعظم إمكانات الانسان الكامنة - أصبح شيئاً مجرداً ، لو كنا بشرًا لما استطعنا أن نطيق وقوع الظلم في العالم » ، ويكمل جوليان بيك : « اذا استطعنا أن نجعل المتفرج يتألم في مكان عام ، فقد تكون هذه بداية رجعه لنفسه الحقيقية ، ساعتها لن يعود لارتكاب العنف ولن يسكت على ارتكابه » . في ٦٨ صرخت جوديث مالينا فوق خشبة مسرح صغير في نيويورك : « انني أطالب بكل شيء » ، أطالب بالحب الكامل ، لطالب بانتهاء كل صور العنف والقسوة : المال ، والجوع ، والسجون ، وارشام الناس على قبول ما لا يريدون . اننا نستطيع أن نحصل على الجرات والخبز والفرح معا . انني أطالب بكل هذا .. وأريده الان . » وانتهى العرض بمظاهرة في شوارع المدينة تقودها هي وجوليان بيك .

ولا تنتهي مظاهر التجريب في المسرح .

الى أين يؤدي هذا كله ؟ يرى هذا المؤلف أن الثلاثين عاماً الباقية من عمر القرن العشرين قد تحمل في ثناياها تغيراً خطيراً : فترات عمل أقصر تعني أوقات فراغ أكثر ، وهذه بدورها تقتضي تغيراً في وظيفة الفن وهدفه . « ربما خرجت فنون الرقص والدراما عن أيدي الراقصين والممثلين لتعود الى أيدي الناس » وربما خرج الممثل عن دوره كبطل وحيد ليلعب دور المعلم للناس ، مادام هدف الفن عند فنانيين مثل جروتوفسكي ومارتا جراهام والوين نيكولاس وبيتر شومان هو أن تتجاوز حدودنا ، وتتخطى قيودنا ، ونملا خواعنا ونحقق أنفسنا .

فاروق عبد القادر

مطابع الأهرام التجارية

الاحداث

طريق السلام والتعاون

السنة الثامنة - مايو ١٩٧٢

الاتحاد الاشتراكي .. وقضية التحالف

النصوص الكاملة لتقرير السكرتير الاول
ومحاضر جلسات لجنة العمل واللجنة السياسية
.. وتعليقات على المناقشات

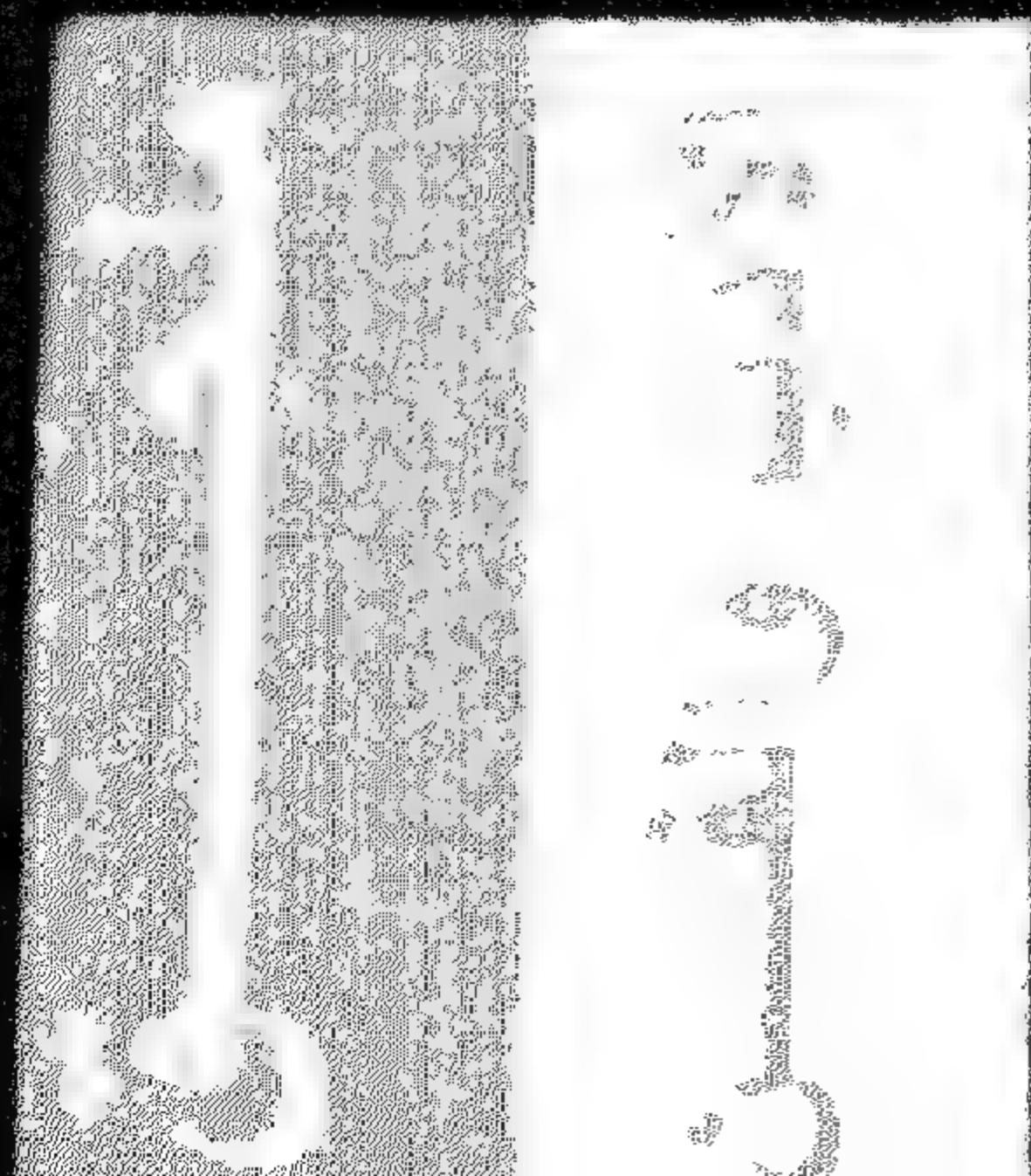
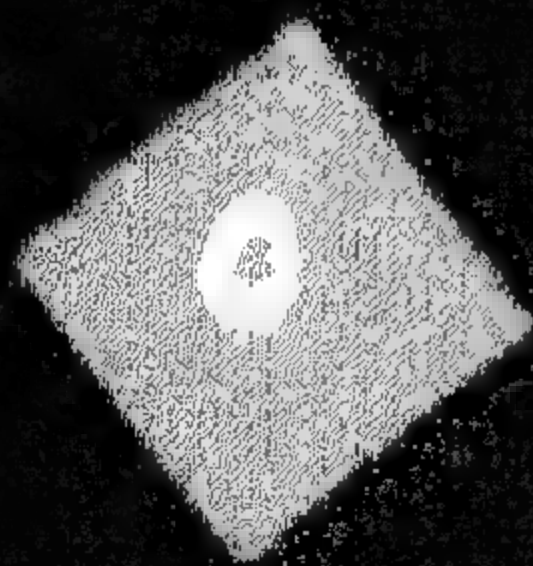
فلسطين .. قضية مصرية .. و « مصر » قضية عربية

الصناعة النفطية في العراق واثرها في الاقتصاد الوطني

لبنان - الانتخابات .. بين السياسة والطائفة

موقع اغتيال « كرومي » من محاور الصراع في تنزانيا

خارج



محمد الخفيف



تقدت «الطليعة» واحدا
من أبرز مؤسسيها
ومفكريها .. الدكتور
محمد الخفيف .

ولم يكن محمد الخفيف
مجرد مفكر ثوري بل كان
أيضا — وفي الأساس —
مناضلا ثوريا ، ولهذا فقد
كان الاحساس بالخسارة
الجسيمة في فقدته شاملا
لجميع القوى الوطنية في
مصر والعالم العربي .

وأن «الطليعة» لتعرب
عن عميق امتنانها وشكرها
لكل من واساها من
الاصدقاء ومثلى القوى
التقدمية واتحادات الكتاب
والمجلات الشقيقة في مصر
والبلاد العربية والبلدان
الاشتراكية .

وسوف تقدم «الطليعة»
لقرائها في عددنا القادم
ملفا كاملا عن تاريخ ونضال
وأفكار محمد الخفيف .

أن «الطليعة» ميدان مفتوح لكل رأى
حر ، وفي اعتقادنا أن تفاعل الآراء
الحرّة على اختلافها هو وحده الذى
يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده
فكرة أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح «الطليعة»
صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها
— مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى
أطلقه فولتير في القرن الثامن عشر
« قد اختلف معك في الرأى ولكنى
على استعداد لأن أدفع حياتى ثمنا
لحقك في الدفاع عن رأيك » ؟ .

تفسح « الافتتاحية » مكانها في هذا
العدد للكلمة التي الفاها لطفى الخولى
باسم الاتحاد الاشتراكي العربى من المؤتمر
الشعبى الفلسطينى الذى انعقد بالقاهرة
من ٦-١٠ أبريل ١٩٧٢ .

« فلسطين » قضية مصرية . . و « مصر » قضية عربية . .

ليس هذا أول مؤتمر يعقده الشعب الفلسطينى ؟ منذ ان احتلّ وطنه احتلالا
استيطانيا بقوة الغزو الصهيونى - الامبريالى ، وشرد أهله فى متاهات العالم .

ومع ذلك ، فيجب أن نعترف ان الاحتلال ما برح قائما منذ ما يقارب من ربع قرن ،
بل وازداد توسعا . . لكننا نخطئ اذا لم نر فى نفس الوقت الوجه الآخر من الصورة ،
وهو استمرار حيوية وصمود الشعب الفلسطينى ضد الاحتلال والتشريد معا ، وتفجر
حركته التحررية الوطنية المسلحة على نحو أقوى - نسبيا - من كل التجارب
السابقة .

وليست هذه أول مرة نقف فيها على المنابر أمام أنفسنا ، ونتعاهد على توحيد قواتنا
المفتتة - فلسطينيا وعربيا - لخوض معركة التحرير ضد الصهيونية والامبريالية
والرجعية الخائنة .

ومع ذلك ، فيجب أن نعترف ان هذه الوحدة النضالية الفلسطينية العربية ، ظلت
فى أغلب المواقف ، مجرد شعار لم يتحقق عمليا ، ولو على مستوى الحد الأدنى
المطلوب . ولكننا - أيضا - نخطئ اذا لم نر فى نفس الوقت الوجه الآخر من
الصورة ، وهو ان الجماهير الشعبية فى كل موقع من وطننا العربى ، تتحرك
- بدرجات وصور مختلفة - من خلال المعاناة الطويلة القاسية ، مكثفة ضغطا
هائلا من أجل وحدة النضال الفلسطينى العربى .

ولم يعد فى قدرة أى حزب أو تنظيم أو نظام ثورى مسئول ، ان يتجاهل هذا الضغط

الجماهيري ، أو يتهرب منه ، والا حكم على نفسه بالانعزال تاريخيا عن مسار الثورة ، وفقد منابع قوته الاساسية ، وتخطاه العصر .

وليست هذه أول مرة نجتمع فيها — منذ هزيمة سنة ١٩٦٧ — لنصارع أنفسنا ، بأنه مع الطبيعة العامة والخاصة للعدو الذي نواجهه ، لا مفر من القتال التحريري ، وان ما أغتصب بالقوة لا يسترد بغير القوة .

ومع ذلك ، فيجب ان نعترف ان حديثنا عن القوة استهلك وقتنا وقوتنا معا ، فلم نمارس عملا من أعمال القوة المؤثرة استراتيجيا ضد العدو ، وأفسحنا مجالا واسعا لما يسمى « بالحل السلمي » ، وحيدا ومجردا ، لم نجن من ورائه — بعد خمس سنوات — غير السراب ، والاحساس المرضي بالعجز . لكننا نخطيء اذا لم نر في نفس الوقت الوجه الاخر من الصورة ، وهو دفع اسرائيل وأمريكا نحو عزلة سياسية دولية لم يسبق لها مثيل — نسبيا — منذ نشب الصراع العربي — الاسرائيلي . فضلا عن استخدام عنصر الوقت — بدرجات متفاوتة من الجدية — في بناء القوات المسلحة العربية عامة ، والمصرية خاصة ، وذلك بعون شريف ومنزه من الاتحاد السوفيتي .

وليست هذه أول مرة ، نتهم فيها الملك حسين ونظام حكمه ، بخيانة الوطن ، أردنيا وفلسطينيا وعربيا .

ومع ذلك ، فيجب أن نعترف اننا بقينا نلدغ من نفس الجحر عشرات المرات ، وغلطنا — لسبب أو لآخر — أيدينا عن ترجمة الاتهام الى عقاب واقعي ، حتى أقدم الملك — ممثلا لمصالح الانهزاميين في بلادنا العربية ، وبالتواطؤ المكشوف مع العدو — على اعلان ما أسماه « مشروع المملكة العربية المتحدة » . وذلك بهدف طعن حركة التحرر العربي والفلسطيني من الظهر ، وفتح طريق الاستسلام للعدو بأبعاده الصهيونية والامبريالية والرجعية . لكننا نخطيء اذا لم نر في نفس الوقت الوجه الاخر من الصورة ، وهو ان هذا المشروع الهائسي — الاسرائيلي — الامريكي ، قد كان نقطة الطفرة التاريخية التي نقلت حالة الموقف العربي المائع والمشلول ، من مستوى التراكم الكمي لظواهر جزئية منفصلة ، الى مستوى التغيير النوعي الذي تحكمه ظاهرة عامة مكتملة الابعاد . واقصد بهذه الظاهرة العامة المكتملة الابعاد ، هو ان الموقف من مشروع الملك حسين ، قد أعطانا ، لأول مرة ، بصورة مادية وملموسة وحادة ، معيارا قاطعا للقياس السياسي القومي ، سواء على مستوى الافراد ، أم الجماعات ، أم الاحزاب ، أم الطبقات ، أم الحكومات . وبأعمال هذا المعيار ، أصبح في امكاننا — دون ما أي خطأ في الحساب — أن نفرز الخونة عن الوطنيين في كل موقع من وطننا العربي .

واخيرا ، ليست هذه أول مرة ، نتلاقى فيها ، لنعلن بأقصى ما في حناجرنا من طبقات الصوت ، تأييدنا ودعمنا للثورة الفلسطينية المعاصرة .

ومع ذلك ، فيجب أن نعترف أننا — بدرجات متفاوتة — وقفنا غالبا موقف المتفرج ، أو على الاقل العاجز ، أمام المذابح البشعة التي تعرض لها رجال المقاومة وشبابها على أرضنا العربية . لكننا نخطيء اذا لم نر في نفس الوقت الوجه الاخر من الصورة ، وهو امتزاج عوامل صمود المقاومة ، واستمرار الثورة ، زمنية السنوات الخمس ، بتجاربها الدامية ، ومعاناة الجماهير الشعبية — عربيا وعاليا — حتى غير المنظمة أو المسيسة ، منها لالام وآمال المقاومة . . أقول ان امتزاج هذه العوامل بعضها ببعض ، قد استولد من أحشاء حركة التحرر العربية والعالمية حقيقة موضوعية ، وهي أن المقاومة الفلسطينية ليست مجرد رد فعل عابر قصير العمر ، وإنما هي ثورة شعبية أصيلة ، لم يعد من الممكن تصفيتها الا بتصفية حركة التحرر العربية والعالمية . وهذا

أمر مستحيل تاريخيا . من هنا غدا الموقف العملي من الثورة الفلسطينية بذاتها
— في واقعنا العربي والعالي — معيارا ماديا قاطعا للقياس السياسي القومي
والاممي ، نستطيع باعماله — ودون ما أي خطأ في الحساب — ان نفرز الثوريين كলামا
وضجيجا ، عن الثوريين الحقيقيين ، نظرة وممارسة مسئولة .

وهكذا — أيها الاخوة — بعد خمس سنوات من هزيمة قومية لم يوقعها العدو بنا
— رغم عدم الاستهانة بقوته — بقدر ما أوقعناها نحن بأنفسنا ، فائنا نمتلك في أيدينا
بوضوح شامل وعميق ، معيارين ماديين للقياس السياسي والنضالي لحركتنا .

صحيح انه وجدت من قبل عشرات المعايير ، ولكنها لم تكن بمثل هذا التحديد الدقيق
الذي يتميز به كل من معيارى اليوم . ولقد نسائل أنفسنا — اذا واتقنا شجاعة مواجهة
النفس ، ولا مفر من ان تواتينا — هل كان لابد من مرور خمس سنوات بطولها
وعرضها لتكتشف هذين المعيارين ؟ .. لماذا تأخرنا الى هذا الحد ؟ .. أسمح لأنفسى
بأن أعطى اجابة صريحة ، وهى ان تأخرنا جاء نتيجة تخلفنا جميعا ودون استثناء
— على المستوى النظرى التحليلي والممارسة العملية — لما أسميناه بالحركة التقدمية
والثورية . ان التخلف ليس ظاهرة خاصة بالحركة الرجعية وحدها . ان التخلف
ظاهرة تصيب أيضا الحركة الثورية ، عندما تحاول ان تفرض على الواقع تصورات
ذهنية ، الواقع نفسه ليس مهيا لها بعد ، أو تحمل قواها مهمات فوق طاقاتها
الحقيقية ، قبل أن تعتمد الى تنمية هذه القوى ماديا وفكريا وتنظيميا . كذلك تبرز
ظاهرة التخلف في حياة الحركة الثورية عندما تتخاذل عن توجيه ضربتها في أضيق
حلقات سلسلة القوى المعادية ، أو تضحي بهدف استراتيجى أصبح في دائرة الممكن ،
من أجل كسب تكتيكى صغير .

لا أريد ان أسترسل كثيرا حول هذه النقطة — رغم أهميتها — ولكنى أود ان أؤكد
على ان تراث الفكر والتجارب الثورية ، ضرورة كل الضرورة لتكوين المناضل الثورى ،
ولكنها فى النهاية لا تسلحه بحلول جاهزة للاستعمال ازاء مشاكل وقضايا حركته
ونضاله ، وخاصة فى البلدان التى اصطلحنا على تسميتها باسم « العالم الثالث » ، أو
التي كانت تسمى من قبل بشعوب المستعمرات ، وانما هى فقط تقدم له كشفا لرؤية
واقعه . ومن خلال الالتحام الواعى بهذا الواقع ، يستطيع ان يستنبط نظرية الثورة
واساليب ممارستها فى نفس الوقت . ولعل لينين — الذى أظن ان احدا لا يشك فى
ثوريته — لم يكن مخطئا حينما وجه تحذيرا مباشرا الى الثوريين فى شعوب
المستعمرات ، الذين يكتفون بحفظ النصوص الثورية ، ويعمدون الى فرضها قسرا على
واقعهم الذى يطرح مشاكل جديدة تماما على تراث الفكر الثورى . وعليهم هم
— وحدهم — من خلال التحامهم الثورى مع هذا الواقع ، ان يستنبطوا الحلول الثورية
لهذه المشاكل الجديدة . ففى تقريره الى المؤتمر الثانى لعامة روسيا للمنظمات
الشيوعية لشعوب الشرق ، فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ ، أكد بالحاح على أن الظروف
الخاصة لهذه الشعوب ، تواجه الثوريين بمهمات لم يواجهها غيرهم من الثوريين من
قبل فى العالم كله ، ولن يجدوا لها حولا جاهزة فى الكتب الثورية . وان عليهم هم ان
يشحنوا فكرهم الثورى لاستنباط الحلول على ضوء معطيات الواقع .

فى أى كتاب ثورى فى التاريخ .. فى أى تجربة ثورة تحرر وطنى فى التاريخ ،
وحتى يومنا هذا ، يستطيع الثوريون العرب ان يجدوا حلا لقضية مثل قضية توفير
أرض انطلاق وحركة لثورة ، تنبع من خارج أرض الوطن الاصلى ، وهى قضية
القضايا للثورة الفلسطينية ، وسمة أساسية تنفرد بها عن كل ثورات التحرر الوطنى
فى التاريخ . اننا نحن الثوريين العرب — فلسطينيين وغير فلسطينيين — الذين علينا
ان نتصدى لهذه المشكلة الجديدة كل الجدة ، ونقدم لها حلا واقعا ثوريا . ولا نهرب
منها الى شعارات التأييد العامة المجهلة . ان التحامنا بالواقع ، واستعدادنا لان نتعلم

عن بعضنا البعض بتواضع ثورى ؟ أصبح ضرورة لتصحيح خط مسارنا الثورى المشترك .

ان نسلحنا الواعى بالمعيارين الموضوعيين اللذين تبلور عنهما واقعنا المعاصر ، يعنى ان الظروف الموضوعية تعلمنا مرة أخرى — ولعلها الاخيرة — درس التجربة الانسانية والمحلية القاسى . وهو انه — فى مواجهة الاحتلال الاستيطانى الامبريالى — لا بديل عن حرب تحرير شاملة نستخدم فيها — ماديا وسياسيا ومعنويا وتنظيميا — كل الطاقات الكامنة فى الجماهير الشعبية وقواتها المسلحة النظامية والفدائية . وذلك من خلال استراتيجية ثورية ذات أساس واقعى ، تأخذ فى اعتبارها التناقضات القائمة بين ايجابياتنا وسلبياتنا . بل ان حل هذه التناقضات المعاصرة لواقعنا ، لا يمكن ان يتم بصورة جذرية ، الا من خلال عملية التحرير نفسها . لانه بها نتحرر من عجزنا وجبننا وانحصارنا فى دائرة ردود الفعل .

هل نحن قادرون على ممارسة حرب التحرير واقعيا اليوم ؟

يقال لنا : لا . . . استكملوا استعداداتكم الى اقصى حد قبل ان تخوضوا معركة التحرير ، والا وقعتم فى هوة مغامرة جديدة ، فعدوكم اقوى منكم عسكريا وتكنولوجيا .

ونحن نقول : صحيح ان عدونا ما زال اقوى منا ، نسبيا ، عسكريا وتكنولوجيا ، ولكن مسافة الفرق فى التفوق تتضائل . وفى كل حركة تحريرية ضد استعمار أو احتلال ، كانت قوى الاستعمار والاحتلال دائما اقوى بدرجة كبيرة من حركة التحرير . ومع ذلك فان الانتصار دائما — رغم فداحة التضحيات — كان لصالح حركة التحرير ، لا للاستعمار أو الاحتلال .

والاحتجاج بضرورة الاستعداد الى اقصى حد قبل خوض المعركة ، معناه الانتظار على الاحتلال الى اجل غير مسمى . لانه لا يوجد حد معين يمكن ان يقال له — عمليا — هذا هو الحد الاقصى من الاستعداد . ان المطلوب من الاستعداد هو الحد الأدنى ، ماديا ومعنويا ، فى اطار ارادة قتالية . ولا ينكر أحد ان هذا النوع من الاستعداد قد أصبح قائما ومتوافرا . وهو كاف لبدء حركة تحرير وطنية مسلحة . وليس هذا مجرد افتراض نظرى ، وانما هو أيضا محصلة كل تجارب التحرير الوطنية المسلحة ، ليس فقط عالميا ، بل وفى واقعنا العربى فى الجزائر واليمن ومصر وغيرها .

اما التهديد بشبح المغامرة ، فمردود عليه بأن حركة التحرير ليست مجرد قتال نظامى تقليدى ، وانما هى فى ظروف واقعنا ، يجب ان تكون مزيجا مخططا بين قوى الجماهير المنظمة ، التى اقصيت تماما عن المشاركة خلال حرب سنة ١٩٦٧ ، وبين الجيوش النظامية وحرب العصابات الفدائية .

ويقال لنا : انكم اذا أشعلتم نيران الحرب ، فستخسرون ما كسبتموه — بعد جهد طويل — من تأييد الراى العام العالمى لقضيتكم .

ونحن نقول : نعم . . . يجب ان نحرص على تأييد الراى العام العالمى . ولكن الحرص عليه لا يعنى ان نكتف حركتنا بالشلل الذاتى ، والا فقدنا قضيتنا نفسها ، وأصبح كل ما كسبناه من الراى العام العالمى بلا جدوى . بل أكثر من ذلك ان حالة العجز التى نظهر بها حاليا أمام العالم ، تحول تأييد الراى العام العالمى الى نوع من الرثاء ، وهذا أول مرحلة من مراحل فقدان فاعلية التأييد العالمى . ان هذا التأييد لن ينتج أثره ، طالما ظللنا مقيدين الى سلاسل العجز ، ولا نهب الى مقاومة الاحتلال بالقوة المسلحة ، ذات العقل الاستراتيجى المخطط لاهدافه ، مرحلة بعد مرحلة ، بدقة واقعية . والا

فكيف يمكن تصور أن يساعد « الصديق » من لا يساعدون أنفسهم أولا وقبل كل شيء .
ويقال لنساء : لماذا تصرون - ايها المصريون - على تحرير كل الاراضي العربية
المحتلة ، وتربطون مصيركم بمصير شعب فلسطين . انكم لم تجنوا من وراء العرب
غير الخسارة المستمرة والهجوم على محرييتكم . دعوا كل هذا واغسلوا ايديكم من
العرب وفلسطين ، تستردون كل سيناء دون تعب .

ونحن نقول ان مصر لا تستطيع - مصيريا ، وتاريخيا ، ومصلحة ، ولغة ،
وتكويننا نفسيا - وحضاريا - الا ان تكون جزءا لا يتجزأ من الامة العربية . بل ان مصر
اذا انكمشت داخل حدودها ، فقدت كل قيمتها حتى كمجرد مصر . وان فصل مصر عن
الامة العربية عامة ، وفلسطين خاصة ، هو ضربة استعمارية موجهة ضد مصر قبل ان
تكون موجهة ضد الامة العربية وفلسطين . ومن هنا فان المشاعر القومية للشعب
المصري واحدة ، وبنفس الدرجة ، ازاء الجولان ، وفرة ، ونابلس ، والقدس ، وحيفا ،
وسيناء .

ونقول أيضا : ان مصر قد تكشف لها عمقها وقلبها وفكرها العربي بعد هزيمة سنة
١٩٦٧ ، أضعاف أضعاف ما كان قبل سنة ١٩٦٧ . لقد استشهد من أبناء مصر خلال
حرب سنة ١٩٦٧ ، وما بعدها ، أكثر من ثلاثين ألفا من الجنود . واذا علمنا ان هؤلاء
الجنود قد نبتوا في ارض مصر ، وبالذات من ريفها ، وان الريف المصري يضم
٤٥٠٠ قرية ، فان معنى ذلك انه من أجل فلسطين وعروبة مصر ، قد استشهد من كل
قرية ما بين ٦ و ٧ من زهرة شبابها . وهكذا فان فلسطين وعروبة مصر قد نبتت لهما
في كل قرية من قرى مصر شجرة رواها الدم . . ماذا يعني هذا - ايها الاخوة - يعني ان
فلسطين أصبحت في ضمير شعبنا ، قضية مصرية . ومصر أصبحت في نفس الوقت
قضية عربية . وبقدر عروبة مصر ، تكون مصر أكثر مصرية .

ان شعبنا ، بقواه الوطنية والتقدمية ، من خلال تحالف قوى الشعب ، وبقيادة
وطنية عربية مجرية ، يتصدى بكل قوته للانفصاليين والترددية والانهمامين ، ويشكل
اليوم من خلال بناء الاتحاد الاشتراكي ، جبهته النضالية المقاتلة .

ونحن نؤمن - علميا وتاريخيا وموضوعيا - ان طريقنا الوحيد ، بعد كل التجارب ،
هو طريق حرب التحرير .

ومن هنا ، فيجب ان نعمل بأقصى قدر من الطاقة ، والاحساس بالمسئولية ، نحو
توفير المناخ الصحي الثوري لحرب التحرير وامتلاك أسلحتها الاستراتيجية .

وفي هذا المجال ، نركز قوا نا حول النقاط الآتية :

أولا : بناء وحدة القوى الوطنية والتقدمية في كل بلد عربي ، بحيث تنبع منها ،
وبأسرع وقت ، وحدة العمل الثوري العربي ، من خلال تنظيم واستراتيجية مشتركة
تصوغها الارادات الحرة لكل الفصائل الوطنية والتقدمية لحركة التحرر العربي ،
دون استثناء .

ثانيا : تحديد العدو بالاحتلال الاستيطاني الصهيوني والامبريالية العالمية ، وبالذات
الامبريالية الامريكية .

ثالثا : تحديد حلفاء حركة التحرر العربي - على ضوء الخبرة والتجارب المتعددة في
حركة التحرر الوطني العالمية والبلدان الاشتراكية ، وبالذات الاتحاد السوفيتي ،
وقوى التقدم والحرية والسلام في العالم ، بما في ذلك اليهود الذين يعادون - قولا
وممارسة - الصهيونية ، كحركة استعمارية عنصرية ، ويعترفون بالحقوق القومية
للشعب الفلسطيني .

رابعاً : صياغة الاقتصاد القومى ، على أساس اقتصاد حرب ، وتوزيع التضحيات اجتماعياً . وفى سبيل ذلك ، فإن أعباء الحرب قد قفزت بضريبة الدخل للفرد فى بعض الشرائح الى حوالى ٤٠ ٪ ، وهى أعلى نسبة فى تاريخ البلاد العربية .

خامساً : استخدام سلاح البترول العربى استخداماً جديداً ومخططاً ضد العدو بأبعاده المختلفة .

سادساً : المساندة المادية والمعنوية دون ما تحفظ للثورة الفلسطينية ، والاعتراف بحقها القومى المشروع فى استخدام الاراضى العربية الاستراتيجية من حول العدو ، وحماية ظهرها من كل الخونة أيا كانوا . والتخطيط المشترك معها فى خوض معركة التحرير ، باعتبارها طرفاً أصيلاً وأساسياً .

لا أريد ان أطيل عليكم . . ولكننى أريد ان أؤكد لكم ان القرار الحاسم الذى أعلنه أنور السادات باسم شعبنا وقواه الوطنية والتقدمية أمام مؤتمرهم ، بقطع العلاقات مع النظام الاردنى العميل ، ليس الا خطوة أولى . ولا أغالى ، اذا قلت انها الخطوة المتواضعة فى الطريق الذى صمم شعبنا وقيادته على سلوكه ، أيا كانت التضحيات .

لقد قال لكم السادات — باسم شعب مصر — اننا ضد التعامل فى سوق الرقيق السياسى ، الذى يحاول ان يستغل تناقضات المرحلة الراهنة من حياتنا العربية . وأريد ان أقول لكم ان السادات ، وهو ابن لمصر ، تربى سياسياً ونضالياً ، من خلال حركة التحرير المسلحة ضد الاحتلال البريطانى لمصر فى الأربعينات ، خاض ويخوض على رأس وحدة القوى الوطنية والتقدمية ، معركة شرسة ومتعددة الجوانب ، ضد كل من يحاول ان يتعامل مع سوق الرقيق السياسى وعناصره الانهزامية فى مصر ، وفى غير مصر .

ان مصر العربية الثورية التقدمية والمقاتلة ، تعود اليوم اليكم بكل جماع شعبها وجيشها ، عبر صراعات تخسم ، وأهداف تحدت ، وجراح لا تزال دامية ، وتفتح أبوابها دون ما عقد او حساسيات ، أمام جميع فصائل وأحزاب وتنظيمات القوى الوطنية والتقدمية فى كل أرجاء الوطن العربى ، وتضع فى موضع القلب الثورة الفلسطينية وشعبها الصامد .

لنواجه حقيقة واقعنا بكل أبعاده فى شجاعة . . انتم فى حاجة الى مصر الديمقراطية والتقدمية المقاتلة . . ومصر أيضاً فى حاجة اليكم جميعاً . وهذا هو جوهر واقعنا . فلنبن وحدتنا وحركتنا ومستقبلنا ، على أساس هذا الجوهر .

واذا كانت التجارب الفادحة الثمن قد علمتنى ، كما علمت غيرى من أبناء جيلى ، أن ننبذ هواية الدق على طبول الكلمات الكبيرة الرنانة ، وان لا أتمسك بما فى بلادى وواقعى من سلبيات ، فأنى أظل ملتزماً بدائرة الاحساس بالمسئولية ، حينما أقرر لكم ان مصر الديمقراطية التقدمية المقاتلة ، يتنامى اصرارها على ممارسة مسئولياتها وواجباتها ، محلياً وقومياً وعالمياً ، رغم كل ما هنا وهناك من عقبات .

باختصار — أيها الاخوة — طريق شعب مصر — اليوم — هو طريق معركة التحرير .

الحق الحولى

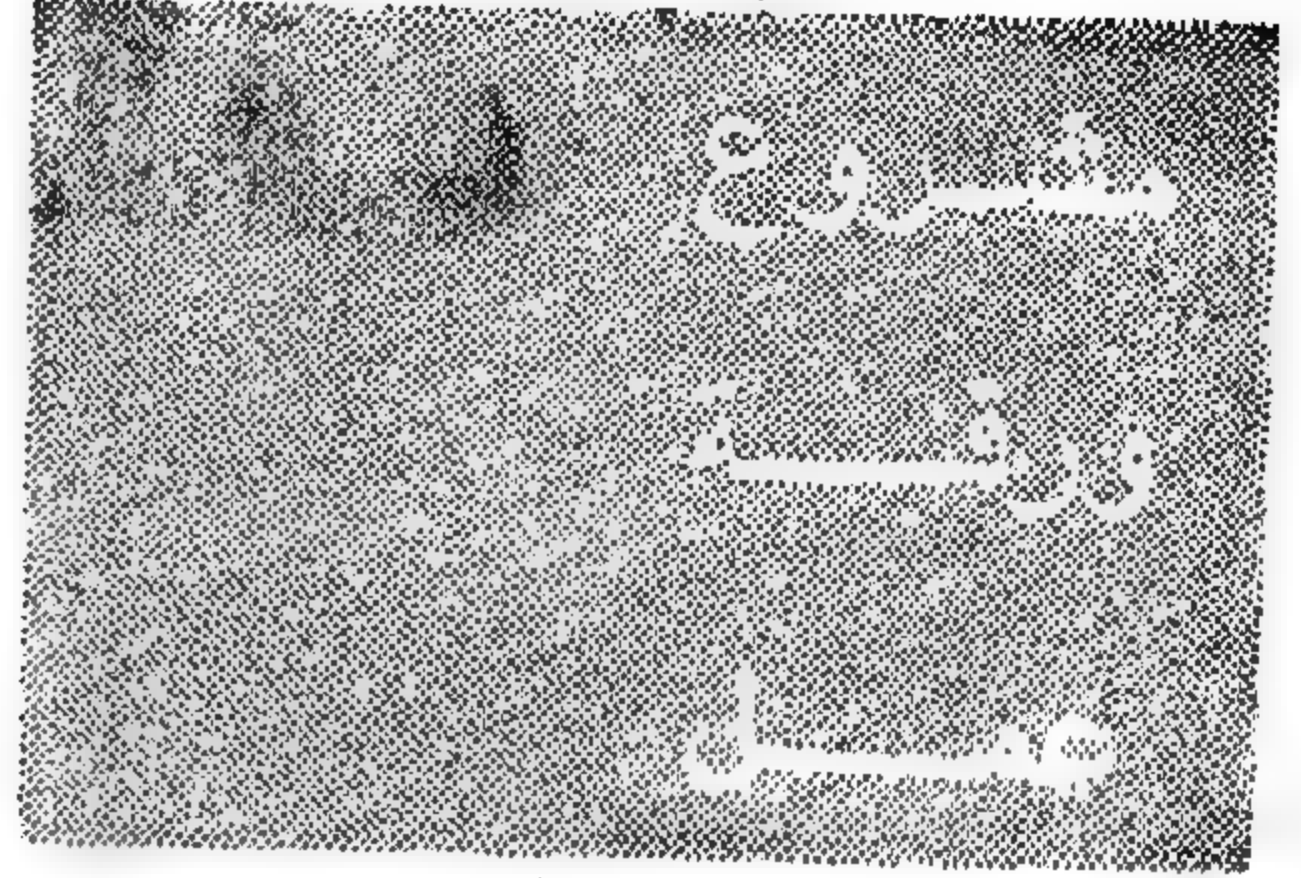
الاتحاد الاشتراكي وقضية التحالف

النصوص الكاملة
لمحاضر جلسات
لجنة العمل
واللجنة السياسية

التنظيم السياسي ؟ كان ولا يزال ؟ محورا من محاور اهتمامات
« الطليعة » منذ صدورها . فالتنظيم السياسي ، الذي يعد حتى الآن ، احدى
« مشكلات » التجربة المصرية للعمل الوطني والاجتماعي ، هو — في نفس
الوقت — يشكل ضمانا أكيدا لابد من توفيره ، حماية للتجربة وتطويرا لها .

بهذا الفهم ، تنشر « الطليعة » اليوم ، بتصريح خاص من السكرتير الاول
للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ، نص « ورقة العمل » التي قدمها
السكرتير الاول . . ونص محاضر الجلستين : الاولى والثانية « اللجنة العمل »
ومحضر « اللجنة السياسية » .

وههدف « الطليعة » من ذلك ، هو التعريف المباشر باتجاهات المناقشة ،
ووجهات النظر التي جرت في اللجنتين ، مساهمة في الحوار الذي تشهده
أرض مصر اليوم حول هذه القضية الحيوية . كما تنشر « الطليعة » عددا من
التعليقات التي تمثل وجهة نظر كتابها حول ما جاء في محاضر الجلستين ،
اسهاما في الجهود التي تبذل ، من أجل الوصول الى نتائج ايجابية . .



قدمه المهندس سيد مرعي السكرتير الاول للجنة المركزية

لماذا شكلت لجنة العمل

والجان الاستشارية ؟

منذ وكلت الى مسئولية السكرتير الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ، تزايد عندي الشعور بأن الوقت قد حان لكي نقف وقفة تأمل وتدبر ، في محاولة جادة وصادقة للإجابة عن سؤالين أساسيين :

الاول : هل حقق الاتحاد الاشتراكي الآمال التي علقها عليه القيادة وال جماهير ؟

الثاني : اذا لم يكن التنظيم السياسي قد حقق هذه الآمال ، فما هو السبيل الى تصحيح الوضع ، بحيث توفق الجهود المبذولة من أجل إقامة تنظيم شعبي قادر على التعبير عن الجماهير وتمثيل مصالحها ، وبحيث لا يفقد المواطن المكثرت كل أمل في أسهامه في تحمل مسئولية بلده في تلك الفترة الحرجة من تاريخنا ؟

وقد حرصت - منذ البداية - على طرح هذا الموضوع على ممثلي قوى الشعب العاملة ، الذين

التقيت بهم في مناسبات عديدة ، استطلاعاً لرأيهم ، ودعوة لهم للمشاركة الايجابية في الوصول الى تصور تتفق عليه جميعاً للصيغة المثلى لتحركنا في المرحلة المقبلة ، ثم سنحت الفرصة لتوسيع دائرة هذا الحوار في المؤتمر القومي العام الثاني للاتحاد الاشتراكي العربي ، الذي عقد في ١٦ فبراير سنة ١٩٧٢ ، فعرضت على ممثلي قوى الشعب العاملة الخطوط العامة لتصورى للمنهج الذي أطرحه للنقاش .

وفي الكلمة التي تفصل السيد رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكي العربي بتوجيهها للمؤتمر ، أفرد سيادته جانباً بارزاً لضرورة البحث عن الصيغة الملائمة لقيام الاتحاد الاشتراكي بدوره ومسئوليته ، وحدد الرئيس خطوطاً رئيسية أربعة ، يجب أن نلتزم بها اذا كان للتنظيم ان يحوز ثقة القاعدة العريضة من جماهير شعبنا المناضل :

① جشد طاقة جماهير شعبنا ، وذلك عن طريق وضعها في الصورة دائماً .

② ادارة الحوار الديمقراطي بين قوى الشعب العاملة ، لكي تتحقق عن هذا الطريق مشاركتها الايجابية في النضال

الشامل لامتنا .

٣ فتح أبواب الاتحاد الاشتراكي ليكون مجالا للتفاعلات الصحية بين كل القوى الشعبية .. وتكون كل خطوة الى الامام متصلة بعملية ديموقراطية سليمة .

٤ اعداد الجماهير نفسيا وذهنيا ومبدئيا لتقبل مسئولياتها ، على ان يكون واضحا ان الناس يحملون مسئولياتهم اذا امسكوا بأيديهم حقوقهم ، بما في ذلك حقهم في توجيه السلطة الوطنية ، وهي لا تعبر ، ولا يمكن ان تعبر الا عنهم ، وعنهم وحدهم والا فقدت اهليتها وشرعيتها .

وبعد ان تدارس اعضاء المؤتمر القومي وتناقشوا على مدى ايام ثلاثة ، انتهوا الى ان الممارسة العملية خلال المرحلة الماضية قد كشفت عن قصور الاطار الحالي للاتحاد الاشتراكي من مجابهة المتطلبات المتزايدة للمرحلة القادمة وتلبية حاجات الجماهير ومطالباتها الملحة بأن يكون تنظيمها السياسي المنبثق عنها والنابع من ارادتها في خدمتها دائما ، وكلفت باتخاذ الخطوات اللازمة لتعديل القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي ، حتى يكون الاطار التنظيمي قادرا على تحقيق المضمون ، وبحيث تشارك الجماهير في صنع القرارات المتصلة بمشاكلها ومتطلباتها .

وايمانا من ممثلي قوى الشعب العاملة بضرورة اتباع منهج علمي للممارسة السياسية ، يضمن تحديد الاسس التي تحكم الاتحاد الاشتراكي في المرحلة المقبلة ، فقد طلب المؤتمر اعداد دليل مفصل للعمل السياسي لاجزاء الاتحاد في مختلف المستويات التنظيمية ، على ان يتم اعداد هذا الدليل في اطار ميثاق العمل الوطني وبيان ٣٠ مارس والدستور وبرنامج العمل الوطني ، وعلى اساس تبني الاتحاد الاشتراكي لطالب وآمال قوى الشعب العاملة ، وحتى يتحول ذلك الدليل الى برنامج عمل حي ، يلتزم بتطبيقه وتنفيذه التنظيم السياسي ، وتتولى الجماهير مراقبة تنفيذه .

اقترح المؤتمر تكوين لجنة عمل من بين اعضاء الاتحاد الاشتراكي ، تكون مهمتها معاونة الامانة العامة في وضع هذا الدليل ، وعهد الى المؤتمر بتشكيلها وبتحديد مهمتها .

وقد حرصت في تشكيل هذه اللجنة على اداء الامانة التي حملني اياها المؤتمر ، فجمعت فيها

اكفأ العناصر داخل اللجنة المركزية والمؤتمر القومي والشخصيات العامة التي يعبر فكرها ونشاطها عن تحالف قوى الشعب العاملة تعبيرا صادقا وامينا ، وشكلت الى جوارها لجان فرعية استشارية تعاونها في اداء مهمتها ، وتعد لها الدراسات النظرية والميدانية التي تعينها على اداء مهمتها ، فتكون بمثابة لجان خبرة واستشارة ، تعمل من خلال اللجنة الرئيسية ، وبالتنسيق معها .. وانني لموقن انني جمعت في اللجنة ومروعها طاقات فكرية وتنظيمية وحركية ملتزمة بالشعب ، ومؤمنة بالعمل من اجله الى غير حد ، ولست اريد ان ابالغ فاقول ان هذه هي الفرصة الاخيرة التي تمتحن فيها قدرتنا على ان نكون صادقين مع انفسنا ، مدركين لمسئوليتنا ، ولكن يكفي ان اقرر ان فشلنا هذه المرة في الاستجابة للمطلب الملح للجماهير لاعادة بناء تنظيمها السياسي على اساس سليم ، سيكون انتكاسة بالغة ، وحد لثقتها في كل قيادة تتصدى للعمل الوطني .

ان نظرة على الاتحاد الاشتراكي منذ حسدور قانونه في ٨ ديسمبر سنة ١٩٦٢ حتى الان ، تكشف انه عجز عن ان يقدم للجماهير الاطار الذي تستطيع ان تعبر من خلاله عن آمالها وآلامها ، والاداة التي تمكنها من القيام بدورها الرائد في تغيير وجه الحياة على ارض مصر الخالدة ، ورغم بعض الايجابيات التي حققها قيام تنظيم سياسي ذي مضمون عقائدي وفكري تقدمي ، فقد غلبت السلبيات أسلوب عمله ، وبدأ هذا بالذات في النواحي الاتية :

١ اتجاه التنظيم الى الاسلوب المكتبي البيروقراطي ، واقامة الحوائل بينه وبين الجماهير ، بدلا من السعي اليها في مواقعها والانفتاح عليها .

٢ انكماش الضمانات الديموقراطية داخل التنظيم ، كحق ممارسة النقد والنقد الذاتي وجماعية القيادة .

٣ طغيان النواحي الشخصية على الجوانب الموضوعية في تقييم الافراد واختيار القيادات .

٤ تسلل بعض العناصر الانتهازية والرجعية الى صفوف التنظيم ومراكز القيادة ، وتسخيرها لامكانيات التنظيم ، لتحقيق مآربها واطماعها على حساب مصالح الجماهير .

٥ عدم وجود خطة عمل ذات برنامج وواجبات محددة يسير التنظيم على هداها مما ترتب عليه تمبيع المسئولية وانكماش

عنصر المحاسبة والتقييم الموضوعي

للقیادات .

٦ ضعف الروابط التنظيمية وخطوط الاتصال بين كثير من مستويات التنظيم .

٧ اضطراب العلاقة بين التنظيم السياسي وأجهزة السلطة التنفيذية والتشريعية من ناحية ، وبين التنظيمات الشعبية والاتحادات النقابية والقطاع العام وتعاونيات الفلاحين ... الخ .

٨ إخفاء الحقائق عن الشعب وعن قيادات التنظيم .

٩ اغراق الجماهير في الأمل ، والتناقض الشديد بين الأهداف والقدرة والإمكانات المتاحة ، بما يفقد التنظيم ثقة الجماهير .

١٠ المراهقة الفكرية وتجهيد الكفاح الوطني بتفسيرات وقوالب تعوق تقدمه ، وتحد من قدرته على الانطلاق .

١١ اعتبار التنظيم نفسه جهازا للتفسير وتبرير أعمال السلطة التنفيذية ، مما يجعله يتحمل مسؤولية تصرفات وقرارات لم يشارك في صنعها ، أما تملقا للسلطة أو تظاهرا بالمشاركة في الحكم .

وفي تقديري ان هذه السلاييات ترجع أساسا الى عاملين :

الاول : خطأ في التصور العام للاتحاد الاشتراكي :

هل هو جهاز للسلطة ، أم جهاز للشعب ؟

ان كل وثائقنا الثورية منذ الميثاق حتى الدستور ، تؤكد ان الاتحاد الاشتراكي جهاز للشعب ، يمارس بواسطته سلطاته ، ولكن الواقع عكس ذلك تماما ، فهو خلال مساره الطويل يؤكد انه جهاز لخدمة السلطة ، او لوضع الشعب في الاطار الذي تريده السلطة تماما ، فهو دائما يفسر قرارات السلطة ويدافع عنها ، حتى تلك القرارات التي يفاجأ بها ، ويعلم عنها في نفس الوقت الذي تذاغ فيه على المواطنين ، ولذلك فهو يبدو دائما كأنه أحد أجهزة السلطة ، والتنظيم - أي تنظيم - اذا تحول لجهاز سلطة ، غرق في النفاق السياسي ، وتحاشى ذكر الأخطاء ، وعجز عن تحقيق أهداف الشعب ، الا بالقدر الذي تمنحه له السلطة ليحاول

ان يمسك الجماهير في قبضة يده .

الثاني : ان ينظر للاتحاد على انه حزب سياسي

رغم ان الوثائق الثورية تنفي ذلك نفيا قاطعا ، وتعلن في صراحة ان الاتحاد الاشتراكي تحالف وليس حزبا ، وقد ترتب على تلك النظرة الخاطئة محاولة فرض وحدة تامة مصطنعة في جميع المصالح التي يعبر عنها الاتحاد ، وتفسير الوحدة الفكرية المطلوبة على انها الالتزام بأوامر وتفسيرات التنظيم ، مهما كان الاختلاف بينها ، وهنا تكون النتيجة اما مسايرة التنظيم عن غير اقتناع ، أو اتخاذ موقف سلبي منه ، وكلا الموقفين يفقدان التنظيم مضمونه السياسي وحيويته ، ومدى الايمان به . ان تجاهل وجود مصالح خاصة بكل فئة من فئات تحالف قوى الشعب العاملة ، قد جعل الجماهير تنفر من الاتحاد الاشتراكي ، وتحدث خارجه بل وتهاجمه ، لانه تحول الى جهاز للقمع لها ، وان كان القمع سلبيا ، بدلا من ان يكون جهاز استيعاب لكل الآراء ، مهما كانت متناقضة .

مهمة لجنة العمل

من كل ما تقدم ، يمكن ان نخلص الى ان اللجنة مكلفة بانجاز خمس مهام رئيسية ، هي :

[أ] إعادة النظر في قانون الاتحاد الاشتراكي بطريقة جذرية .

[ب] إعادة النظر في البناء الداخلي للاتحاد الاشتراكي وأساليب عمله .

[ج] تحديد علاقة التنظيم بالمؤسسات والأجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية .

[د] تحديد علاقة التنظيم بالجماهير ، وهنا تبرز نقطتان :

١ - أسلوب الانفتاح الكامل على

كافة قوى الشعب العاملة .

٢ - أسلوب تحقيق الديمقراطية

عن طريق مشاركة الجماهير

في التوجيه والرقابة .

[هـ] اعداد دليل عمل فكري وتنظيمي للاتحاد

وفي كل هذا ، فان اللجنة لا تنتقص من الهياكل القائمة للتنظيم ، بل انها تضيف اليها قوة وتستمد منها القوة والرأي والخبرة ، وأرجو ان يعكس أسلوب عمل اللجنة هذا الالتزام بإطارات التنظيم

سابقة ، لابد من تقسيمها والاستفادة منها ، ومن هنا فلا بد أن تكون الوثائق المتضمنة لهذه المحاولات محل دراسة اللجنة وتحليلها .

الثاني : انه طالما ان مهمة اللجنة شاملة لكل ما يتصل بالتكوين الداخلي للتنظيم وأهدافه وطبيعته وعلاقاته بالاجهزة الاخرى ، فانه يكون منطقيا الا يرد على هذه المهمة قيد الا المبادئ الاساسية الواردة في الوثائق الثورية الاربع الاساسية :
« ميثاق العمل الوطني ، وبيان ٣٠ مارس ، والدستور وبرنامج العمل الوطني » .

مهمة اللجنة في تحديد

الاطار الفكري للتنظيم

[أ] طالما اننا نبدأ من منطلق ان الاتحاد الاشتراكي هو تحالف لقوى الشعب العاملة ، وليس حزبا ، فالنتيجة المنطقية هي تصور قيام نوعين من المصالح داخل الاتحاد :

١ - المصالح الموحدة ذات الوزن الشامل ، والتي لا خلاف عليها بين مختلف قوى التحالف ، مثل تحرير الارض المحتلة واستمرار التطور على الطريق الاشتراكي ، والتعزيز الدائم للديموقراطية وسيادة القانون ، ومحاربة البيروقراطية في اجهزة الدولة والقطاع العام .

٢ - المصالح الخاصة لكل قوة اجتماعية داخل التحالف ، والتي لا تتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومي الشامل ، والتي لا يكون في تحقيقها انحراف عن طريق التحول الاشتراكي والديموقراطي السليم

[ب] واذا سلمنا بذلك ، فانه يمكن تصور قيام التناقض بين مصالح هذه القوى ، وكل المطلوب من صيغة التحالف ، هو ان تحول هذا التناقض الى حوار سلمي لا ينفجر في صراع دموي .

القائمة ، سواء على المستويات المركزية او الاقليمية او المحلية ، لان هذه اللجنة هي جزء من التنظيم ، وليست كيانا قائما بذاته او مستقلا عن التنظيم .

أسلوب عمل اللجنة

[أ] يمكن تصور أسلوبين :

الاول : ان تتجه اللجنة كلها الى تناول المهام السابقة ، واحدة بعد الاخرى .

الثاني : ان توزع اللجنة العمل بين أعضائها ، عن طريق تكوين لجان فرعية داخلية ، تتولى كل منها دراسة احدي هذه المهام وعرض نتيجة الدراسة على اللجنة .

[ب] كذلك هناك أسلوبان متصوران لتحديد علاقة اللجنة باللجان الفرعية :

الاول : ان تضع اللجنة دراسة مبدئية تتضمن تصورا عاما وخطوطا رئيسية لكل من المهام السابقة ثم تعهد بجزء منها الى كل لجنة من اللجان الاستشارية الفرعية .

الثاني : ان يتم العمل أساسا في اللجان الفرعية ، ثم تتولى اللجنة العامة بعد ذلك تجميع الدراسات والاقتراحات ، والتنسيق بينها في صورة تقرير نهائي خاص بكل من المهام الرئيسية المشار اليها .

[ج] أما فيما يتعلق بأسلوب اتصال اللجنة بأجهزة وتنظيمات الاتحاد ، فأحب أنؤكد ضرورة استعانة اللجنة في عملها بالعناصر ذات التجربة في الممارسة اليومية ، للعمل داخل الاتحاد [أعضاء الأمانة العامة وأمناء المحافظات ، حتى على مستوى الوحدة الأساسية] .

[د] ان عمل اللجنة يحكمه اعتباران متكاملان :

الاول : ان عملية اصلاح التنظيم السياسي ، وتدعيم قدرته ، وتصحيح علاقته بال جماهير ، لا تبدأ من فراغ ، وانما هي استكمال لمحاولات عديدة

[ج] ويترتب على ذلك أيضا ، اننا لا يمكن أن نطبق داخل التنظيم فكرة الالتزام بالمعنى الذى تطبق داخل الاحزاب ، طالما ان القوى الداخلة فى التحالف تعبر من خلال التنظيم عن نوعين من المصالح : المصالح القومية الموحدة ، والمصالح الخاصة لكل قوة اجتماعية ، والمطلوب منا فى هذه المرحلة هو ان نحدد : كيف يتم هذا التعبير عن المصالح ؟ .. وما هى حدوده ؟ .. وما هو القدر المطلوب من الالتزام ؟ .. هل تنفق على حد أدنى له ... ؟

[د] وإذا كانت المرحلة الحالية تقتضى التعبئة الشاملة ، وحشد طاقات جماهير الشعب فى النضال من أجل التحرير ، فان تحقيق الوحدة الوطنية فى اطار التحالف يصبح مطلبا قوميا ملحا ، أكثر منه فى أى وقت مضى .

[هـ] وبالتوازي مع هذا ، فاننى أرى ان من المهم ان تبرز اللجنة — فى هذه المرحلة — انه ليس ثمة ردة عن طريق التحول الاشتراكي ، باعتبار انه الطريق الذى ارتضته جماهير شعبنا المناضل لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وانه الضمان للقضاء على الاستغلال وتذويب الفوارق بين الطبقات .

[و] ومن الضروري — فى المجال النظرى — ان نصل الى تحديد أكثر للعلاقة الواقعية بين الاشتراكية والحرية والديموقراطية ، فهذه — فى نظرى — من القضايا التى يمكن ان نصل الى كلمة سواء فيها ، ونصل الى تصور مشترك عنها ، يكون أساسا ومنهجيا للعمل السياسى ، وبغير هذا التحديد الفكرى لمثل تلك القضايا داخل وخارج اطر التنظيم ، يكون من الصعب ان يثير ولاء الجماهير وارتباطها الفكرى والعاطفى .

مهمة اللجنة

فى المجال التنظيمى للاتحاد

يمكن ان نطرح فى هذا الصدد قضايا رئيسية :
الاولى : العضوية فى الاتحاد :

وهنا يرد سؤال ملح ، تؤثر الاجابة عنه — الى حد كبير — فى الدور الذى يقوم به التنظيم وسط الجماهير :

وفعاليته فى التعبير عنها ، وهذا السؤال هو :

هل نفتح بسبب العضوية لجميع العناصر فى مجتمعنا أم لا .. ؟

وبعبارة أخرى : هل نجعل الباب مفتوحا أمام العناصر التى ابقيت بعيدة عنه لنشاط سياسى أو عقائدى اعتبر اتجاهها غير متسق مع منهج الاتحاد ، فكرا وحركة ؟ .. اننا اذا فتحنا الباب أمام هذه العناصر ، نكون قد سمحنا بمزيد من التناقض الفكرى والحركى داخل التنظيم ، ومن ناحية أخرى ، اذا ابقينا هذه العناصر خارج الاتحاد فاننا ندفعها الى التجمع خارج التنظيم والتحرك بعيدا عن اطره الواعية .

ويتصل بالعضوية أيضا نقاط أخرى :
ما هى ضمانات منح العضوية وسحبها ؟ .. هل هى ضمانات سياسية ؟

الثانية : التركيب الهرمى للاتحاد :

هل يمثل التركيب الحالى الوسيلة المثلى للحركة ؟

هل يضمن هذا التركيب سرعة تبادل المعلومات من القاعدة للمستويات الاعلى وبالعكس ؟

هل يضمن هذا التركيب مشاركة القاعدة الجماهيرية العريضة فى اتخاذ القرارات داخل التنظيم ؟

هل هناك اختناقات فى التركيب الهرمى القائم ؟

وما الوسيلة لمعالجة هذه الاختناقات ؟

الثالثة : التنظيم الشبائى :

ان الفترة الماضية قد أظهرت ايجابيات وسلبيات التنظيم الشبائى ، فمن الناحية الايجابية ، نجد ان التنظيم قد تمكن من تقديم اطار تنشط من خلاله عناصر شبائية كثيرة ، وتلقى فيه نوعا من الثقيف والاعداد للعمل العام ، ومن الناحية السلبية ، نجد ان الثقيف قد انقلب الى تلقين جامد لا يقوم على الحوار والافتناع ، كما ان الالتزام قد انحرف ليصبح ولاء شخصيا ، سرعان ما يتحول الى شللية تهدد طاقة الشباب ، وتقصد أخلاقياته ، وتسبب الى رؤيته للعمل العام فى وقت نحن أشد ما نكون فيه حاجة الى طاقة الشباب الخلاقة ، فكان ما لاحظناه من خروج بعض العناصر التى دربت داخل التنظيم

الرابعة : أسلوب العمل داخل الاتحاد :

أن أسلوب العمل داخل الاتحاد يحتاج - في تقديرى - الى تطوير شامل ، اذا كان هدفنا هو دفع عجلة الاتحاد الى الامام ، والمطلوب من اللجنة هو التوصل الى نقاط عملية محددة ، وليس مجرد قواعد نظرية عامة ، تهدف الى تحقيق ما يلي :

- زيادة كفاءة أجهزة الاتحاد .
- القضاء على البيروقراطية والعمل المكتبي .
- ضمان سرعة الاتصال بين مختلف مستويات الاتحاد وأجهزته .
- عدم تشتيت الموضوعات او تنازع الاختصاص حولها .
- ويهمنى - بصفة خاصة - في هذا الصدد ، أن تعالج اللجنة النقاط الآتية :

① تنظيم التبادل السريع للمعلومات بين القاعدة الجماهيرية وقيادات الاتحاد . ولكي يكون هذا التبادل منتجا ومؤثرا ، يجب أن يتوفر لدى القيادات في المستويات المختلفة ، المعلومات الكافية عن الاوضاع الداخلية والخارجية ، والخطوط السياسية ولذلك فانه يكون من المتعين ان تمد جميع أجهزة الدولة الاتحاد بالمعلومات والاحصائيات اللازمة ، سواء عن الانجازات الماضية ، او المشروعات السياسية المستقبلية .

② خلق الجهاز القادر على جمع المعلومات وتحليلها ، حتى تصل الى القاعدة مدروسة وليست في صورة المادة الخام .

③ تنظيم قياس الرأى الصام بطريقة علمية غير عشوائية ، تعتمد على العمل العلنى الظاهر ، لا المباحثى أو المكتبى ، وهنا يمكن ان تؤدي اللجنة خدمة كبيرة ، ان هى استطاعت ان تحدد الخطوط العريضة لهذا العمل [القياس العلمى للرأى العام] .

④ ضمان وسائل فعالة للاتصال السريع بين اللجنة المركزية ولجان المحافظات ، وقد تكون أفضل الوسائل فى هذا الصدد هى المبرقة « التيكز » .

⑤ تنظيم عمل اللجان داخل الاتحاد ، وضمان انتظامها فى عملها ، سواء من حيث انعقادها ، او مباشرتها لصلاحياتها .

⑥ ايجاد نظام مبسط وعملى للمتابعة داخل الاتحاد ، ويهمنى - بصفة خاصة - متابعة تنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر القومى ، حيث لا تكون جلسات هذا المؤتمر مجرد ساحة للقاء الكلمات وتبادل الرأى ،

الشبابى عليه ، وانغماسها فى صور شتى من النشاط غير الملتزم .

ومنذ جمدت الاوضاع فى منظمة الشباب ، نشأ فراغ كبير فى صفوف الشباب ، فكرا ونشاطا وفى غيبة التنظيم الحركى الواعى ، تمكنت عناصر سيئة من استغلال الفراغ وتضليل قطاعات كبيرة خصوصا داخل الجامعات ، واصبحت القاعدة الشبابية العريضة فى حيرة من أمرها ، بين تنظيم راكد خامل ، وفئة مضللة مثيرة .

وقد دعا كل هذا الى اعادة النظر فى الوضع ، وانتهى البحث - بعد استشارة القاعدة الشبابية - الى وجوب اقامة تنظيم شبابى قوى داخل الاتحاد الاشتراكي ، وصدرت بذلك توصية من المؤتمر القومى العام : « تكوين تنظيم شبابى ينبع ديموقراطيا من الشباب أنفسهم ، ويصبح أحد أجنحة الاتحاد الاشتراكي ، تنعكس فيه بصدق وموضوعية ، ارادة وآمال الشباب من مختلف المواقع الاجتماعية فى تحالف قوى الشعب العاملة ، متطهرا من سلبياته الماضية ، محافظا على ايجابياته » .

واذا استقر الرأى على اعادة تكوين التنظيم الشبابى ، فهناك اسئلة لابد من الاجابة عنها ، حتى تكون خطوات اعادة البناء رشيدة ، قائمة على أساس سليم ، لان مجال الشباب يضيف بكثرة التغيير وعدم الاستقرار :

أولا : هل يعتبر التنظيم الشبابى تنظيما موازيا للتنظيم الام ، تكون له كوادره القيادية ولجنته المركزية ، كما هو الحال فى منظمات الشباب فى الدول الاشتراكية ؟ .. أم هل يكتفى بتمثيل الشباب فى لجان الاتحاد الاشتراكي على المستويات المختلفة ، ويكون التنظيم الشبابى اذن جزء من التنظيم الام ، وليس موازيا له ؟

ثانيا : ما هو الاسلوب الامثل للبرنامج التثقيفى للشباب ؟ .. وهنا أذكر أن الجانب العقائدى والفكرى يحتل بالنسبة لقطاع الشباب أهمية خاصة ، باعتبار أن الانتماء للقوى الاجتماعية المختلفة لا يتحدد بشكل واضح فى مرحلة الشباب ، ومن ثم يكون جسر الارتباط بالتنظيم هو المضمون الفكرى والمنهج العلمى الذى يقدم .

نعود الى الوضع الذى كان قائما من قبل ، حين كانت توجد فى الجامعة ثلاثة تشكيلات ينخرط فيها الشباب ، وهى : وحدة الاتحاد الاشتراكي - منظمة الشباب - اتحاد الطلبة ؟

وانها تصبح خلايا عمل وانجاز تتفاعل مع الجماهير وتستجيب لمطالبها .

مهمة اللجنة في تحديد دور

الاتحاد في العمل الجماهيري

وهنا نجد ثمة أسئلة جوهرية قد يترتب على الإجابة عنها مستقبل الاتحاد ونظرة الجماهير له في الفترة المقبلة :

- ما هو جوهر الاتحاد ؟
- هل هو سلطة ؟ .. أم انه مجرد جهاز لخدمة الجماهير ؟
- واذا كان كذلك .. فأين يقع بالنسبة للسلطات الأخرى القائمة في الدولة ؟
- وما هو معنى كونه سلطة ؟
- ما هي حدود وضوابط هذه السلطة ؟
- وما هي محاذير النظر الى الاتحاد ؛ على اعتبار انه سلطة ؟
- وكيف يمارس الاتحاد سلطته ؟
- وما هي الضمانات لعدم إساءة استعمال السلطة ؟

ان القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي الصادر في ٩ مايو سنة ١٩٦٨ ، ينص في مقدمته على ان الاتحاد هو الطليعة الاشتراكية التي تقود الجماهير وتعبّر عن ارادتها ، وتوجه العمل الوطني ، وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره في خطه السليم في ظل مبادئ الميثاق ، وعندما نص هذا القانون الاساسي على أهداف الاتحاد ، كان آخرها : « نقل سلطة الدولة الى المجالس المنتخبة تدريجيا » .

ودستور جمهورية مصر العربية ينص في مادته الخامسة على أن « الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم السياسي الذي يمثل تحالف قوى الشعب العاملة من الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، وهو أداة هذا التحالف في تعميق قيم الديمقراطية والاشتراكية وفي متابعة العمل الوطني في مختلف مجالاته ، ودفع هذا العمل الوطني الى أهدافه المرسومة . ويؤكد الاتحاد الاشتراكي العربي سلطة تحالف قوى الشعب العاملة عن طريق العمل السياسي الذي تباشره تنظيماته بين الجماهير وفي مختلف الأجهزة التي تضطلع بمسؤوليات العمل الوطني » .

فما هي سلطة الاتحاد الاشتراكي طبقا لهذه النصوص ؟

وما هو المقصود بالعمل الوطني ؟ هل المقصود هو العمل السياسي ؟ أم العمل التنفيذي ؟ أم هل تعبئة الجماهير من أجل المعركة ؟

ان تصوري لجوهر الاتحاد الاشتراكي هو انه السلطة العليا التي تنبع منها باقى السلطات وبغير ذلك يصبح النص على « سلطة الاتحاد الاشتراكي » خاليا من أى مضمون حقيقى ، وبغير هذا التحديد الدقيق نكون قد وضعنا التنظيم السياسى بين شقى الرمح :

أجهزة الدولة المختلفة لا تسلم بأنه السلطة العليا الام .

والجماهير تنتظر منه كل شيء وتعتبره مسئولا عن كل شيء ، فينتهى به الامر الى أن يصبح مشجبا تعلق عليه أخطاء الإدارة .

وبغير هذا الفهم المحدد تبقى علاقة التنظيم السياسى بالأجهزة والمؤسسات القومية والتشريعية علاقة مائعة يكتنفها الغموض ويحكمها التنازع والمزاج الشخصى أو المصلحة الفردية . واذا انتهينا الى هذا التصور ، فلا بد من وضع الضوابط لتلك السلطة في اطار التنظيم الداخلى للاتحاد وأسلوب عمله ، حتى نضمن ألا تتحول « السلطة » الى « تسلط » فردا أو مجموعة أفراد داخل التنظيم وحتى لا تقوم مراكز قوى تختلس السلطة من قوى الشعب العاملة وتستغلها لمصلحتها هي .

هل تكفى الضمانات القائمة وتشكيل الاتحاد بالانتخاب الحر للحيلولة دون إساءة استعمال السلطة ؟ أم أنه يلزم ايجاد ضوابط جديدة ؟

وفي مجال العلاقة بين التنظيم السياسى والمؤسسات القومية تبرز :

١ - العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والسلطة التنفيذية على المستوى القومى والمحلى :

① ان الاتحاد الاشتراكي باعتباره البوتقة التي تتجمع فيها قوى الشعب العاملة هو أقدر الاطارات على تمثيل الشعب ازاء السلطة التنفيذية ومن ثم يجب البحث عن صيغة يتمكن بها الاتحاد من ابلاغ الجهاز التنفيذي رأى - الشعب في الامور المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية .

② ومن اللازم في هذا المجال التوصل الى أسلوب أكثر فعالية لضمان استجابة الجهاز التنفيذى لمطالب الجماهير كما يعبر عنها الاتحاد الاشتراكي ، فإذا طالب الشعب بزيادة امكانيات وفعالية الدفاع المدنى ، أو طالب بعدم فرض ضريبة جديدة أو بتخفيض أسعار بعض

ان هيئته البرلمانية [مجلس الشعب] وهنا نجد أن الأشهر الأخيرة قد شهدت حديثاً متصلاً حول هذا الموضوع بسبب الظروف المحلية الخاصة ببعض أعضاء مجلس الشعب ، مع أن المنطق أن يكون مستقراً أن مجلس الشعب هو أحد أجهزة الاتحاد وأجنحته ، وليس تنظيماً موازياً ، لأنه في غيبة الأحزاب التي يلتزم بها النواب فكراً ومنهجاً وحركة ، يصبح من الضروري أن يرتبطوا بالتنظيم الشعبي وبقراراته . ففي ظل نظامنا الاشتراكي ، لا يكون عضو مجلس الشعب ممثلاً للمصالح المحلية في الدائرة التي انتخب فيها فقط ، بل أنه ممثل لتحالف قوى الشعب العاملة كلها يلتزم بالدفاع عن مصالحها ، وعلى هذا الأساس يجب أن تقوم العلاقة بينه وبين التنظيم الذي يمثل هذا التحالف . وهنا تثار عدة نقاط :

● ما هو دور الاتحاد الاشتراكي في الترشيح لمجلس الشعب ؟

● ما هو دور الاتحاد في عملية التشريع ؟

● هل يلتزم الأعضاء بما يكون للاتحاد من آراء ومواقف في تشريعات معينة ؟

② **الصلة بين التنظيم الأم والمجالس الشعبية** ، أن المجالس الشعبية وسيلة فعالة لضمان مشاركة قوى الشعب العاملة في تقرير شئونها ، ويمكن إذا أعطيت لها فرص النجاح — أن تصبح وسيلة الربط بين التنظيم الشعبي والجهاز التنفيذي على المستوى المحلي ، إذا كان يراد لهذا الربط أن يتم على أساس مؤسسات وليس على أساس علاقات شخصية أو صلات فردية ، وإذا كانت الديمقراطية تتحقق فعلاً بزيادة سلطة الأجهزة المحلية ، فإن هذا يقتضي جهداً متصلاً لزيادة هذه السلطة على المستويين التشريعي والتنفيذي ، وفي هذه النقطة يمكن أن تعالج لجنة العمل :

● الوضع القانوني والدستوري للمجالس الشعبية .

● تقنين العلاقة بين التنظيم الأم

السلع ، فما هي الاداة لضمان استجابة الوزارات المختصة لذلك ؟ ③ ما هو نوع « الرقابة » التي يباشرها الاتحاد الاشتراكي على عمل السلطة التنفيذية ؟ اننا لا نريد للاتحاد أن يصبح هو السلطة التنفيذية ، ولكنه يجب أن يملك وسائل الرقابة على عملها باسم الشعب ، والمهم هنا ليس هو خلق « جهاز » جديد للرقابة يضاف الى الأجهزة العديدة القائمة حالياً ، لأن هذا بذاته قد لا ينتج شيئاً يذكر ، بل المهم هو التوصل الى أسلوب لممارسة هذه الرقابة .

④ وعندما يعقد الاتحاد الاشتراكي مؤتمرات في المحافظات ، فما هو الضمان لأن تشعر الوزارات المختصة بما يدور في التجمعات الشعبية على هذا المستوى ؟ أنه يمكن أن يوضع نص صريح ويتطلب من الوزراء حضور مثل هذه المؤتمرات متى دعوا لذلك من أمين الاتحاد الاشتراكي في تلك المحافظة .

⑤ ومن الضروري أيضاً تحديد العلاقة بين أمانة الاتحاد الاشتراكي في المحافظة والجهاز التنفيذي والاداري بها ، لأن يترك هذه العلاقة قائمة في إطار « التنسيق بين التنظيم الشعبي والجهاز التنفيذي » يترتب عليه كثير من التخبط والغموض ، إذ الملاحظ أن هذه العلاقة تحكمها حتى الآن الاعتبار الشخصية والظروف الخاصة في كل ملاحظة والفهم الخاص لقادة الجهازين الشعبي والتنفيذي لطبيعة هذه العلاقة . ما هي سلطة التنظيم الشعبي على مستوى المحافظة ؟ ان الامكانيات لازالت في يد الجهاز التنفيذي والتنظيم الشعبي — على أحسن الفروض — يستطيع أن يقوم بدور « القوة الضاغطة » على المستوى المحلي وقد تستجيب الإدارة لضغطه أو لا تستفيد حسب الظروف الخاصة فما هو الضمان لذلك ؟

ب - **العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والمؤسسات التشريعية :**
وهنا تثار نقطتان :

① **الصلة بين التنظيم الأم وجهازه التشريعي على المستوى القومي :**

وهل هناك سبيل للتظلم إذا رفض الترخيص بذلك ؟
أن وضع ميثاق شرف للصحافة خطوة
تقدمية هامة ، ولكن هذا لا يجنب على
معظم الاسئلة السابقة ولا بد من الوصول
إلى صيغة أكثر وضوحا وتحديدًا للعلاقة
بين التنظيم الأم والصحافة .

مهمة اللجنة في تحديد دور

الاتحاد في العمل الجماهيري

إذا كان الاتحاد هو تحالف قوى الشعب
العاملة ، فإن من الطبيعي أن يتم العمل الجماهيري
كله من خلال الاتحاد ، حتى لا تقع الجماهير
في فراغ ، وحتى لا تتسلل إلى العمل الجماهيري
عناصر غير ملتزمة بالمصلحة الحقيقية للشعب ،
ولتحقيق ذلك ، فإنه يجب الإجابة عن الاسئلة
الآتية :

① كيف يكون التحرك الجماهيري للاتحاد ؟
هل يقتصر ذلك على عقد المؤتمرات على
المستويين القومي والمحلي ؟ هل يقتصر
على التحرك من خلال مجلس الشعب
والمجالس الشعبية ؟ أم أن هناك صورا
أخرى من التحرك الجماهيري يمكن أن
يلجأ إليها الاتحاد ؟ تفرض أن هناك
قضية رأى التنظيم السياسي أن يتخذ
فيها موقفا محددا فما هو السبيل إلى
اتخاذ هذا الموقف :

هل يكتفى بمجرد إصدار بيان أو وثيقة ؟
أم أنه يمكن أن يلجأ إلى تحريك الجماهير ؟
وما هو الضمان لأن يتم هذا التحرك
داخل أطار المشروعية وعدم الاثارة ؟
وهل يستطيع الاتحاد أن يلجأ إلى صحيفة
يتخذ منها منبرا للدعوة لموقفه ؟

② ما هي الترجمة العملية لبنى الاتحاد
الاشتراكي لمطالب الجماهير ومشاكلها ؟
ان المشكلة في هذا الصدد تكمن في أن
معظم الشكاوى التي تتقدم بها الجماهير
لتنظيمها السياسي تتطلب اجراء معيناً من
الاجهزة التنفيذية ، وطالما لم يكن الاتحاد
متمتعا بصلاحيات معينة لمحاسبة الاجهزة
التنفيذية في هذا المجال ، فمعنى هذا
أن أى جهاز للشكاوى يقيمه الاتحاد سوف
يصبح مجرد اضافة لجهاز ادارى يحيل الاوراق
إلى الجهة المختصة التي تملك التصرف في
الشكاوى كما لو كانت قد قدمت إليها أصلا ،
وبذلك لا يكون هناك أى وزن اضافى لالتجاء
الجماهير لتنظيمها المعبر عن ارادتها .

والمجالس الشعبية .
● تحديد اسلوب العمل بين المجالس
الشعبية والاجهزة التنفيذية
المحلية .

③ الصلة بين المجالس الشعبية ومجلس

الشعب : أن مجالس الشعب
ليست إلا صورا مصغرة من مجلس
الشعب نفسه ، والمجالس المحلية
أقدر الاجهزة على التصدى للشئون
الخاصة بكل محافظة لأنها تعيش
مشاكل المحافظة وأوضاعها في كل
لحظة ، ولذلك فأننى أرى أن يكون
لها حق اقتراح القوانين والتشريعات
ج - العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي
والمنظمات النقابية والتعاونية
والجماهيرية الأخرى :

ان وثائقنا الأساسية لم تبين العلاقة بين
الاتحاد الاشتراكي والتنظيمات التعاونية
والنقابية ، فلم ينص الميثاق ولا القانون
الاساسى للاتحاد الاشتراكي العربى على
أن هذه المنظمات جزء من الاتحاد واكتفت
النصوص ببيان أن الاتحاد الاشتراكي لا
ينفى وجود هذه التنظيمات ، كما أن
الدستور [مادة ٥٦] كرس حق للمواطنين
فى انشاء النقابات والاتحادات على اساس
ديمقراطى سليم ، ولكن يبقى التساؤل عن
العلاقة بين الاتحاد وهذه المؤسسات :
هل له دور فى الترشيحات للمراكز
القيادية لها ؟ ان القاعدة التي يجب أن
تستقر هى حرية المنظمات الجماهيرية
فى اختيار قياداتها .

وهل يملك الاتحاد على هذه التنظيمات حق
التوجيه والرقابة ؟

وفى هذا الصدد تبرز نقطة هامة فيها
يتعلق بعلاقة الاتحاد الاشتراكي بالصحافة ؟
ان الاتحاد الاشتراكي هو مالك للمؤسسات
الصحفية ، ولكن ما هى النتائج القانونية
والعملية لهذا الوضع ؟
هل يرسم الاتحاد السياسة العامة لكل
صحيفة ؟

وماهى سلطته على مجلس ادارة الصحيفة ؟
وما هى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي
والعاملين فى دور الصحف ؟
وما هى العلاقة بين الاتحاد وبين نقابة
الصحفيين ونقابات العاملين ؟

كيف نضمن أن تصبح الصحف معبرة عن
تحالف قوى الشعب العاملة بمختلف اتجاهاتها ؟
كيف يمارس الاتحاد الاشتراكي حقه فى
الترخيص بإصدار صحيفة ؟

اجتماع الأمانة العامة للجنة المركزية بأعضاء لجنة العمل للاتحاد الاشتراكي

يوم ١٣ مارس ١٩٧٢

اجتمعت الأمانة العامة للجنة المركزية في الساعة السادسة والنصف من مساء الاثنين الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٧٢ بالسادة أعضاء لجنة العمل للاتحاد الاشتراكي العربي برئاسة السيد المهندس سيد مرعي السكرتير الأول للجنة المركزية وحضور كل من :

الدكتورة عائشة راتب - خالد محيي الدين - الدكتور محمد حافظ غانم -
الدكتور عبد العزيز كامل - الدكتور أحمد السيد درويش - عبد اللطيف بلطية
- الدكتور اسماعيل غانم - المهندس إبراهيم نجيب إبراهيم - الدكتور جابر
جواد عبد الرحمن - المهندس أحمد عبد الآخر - مسعد القمامي - محمد مهدي
سومان - الدكتور أحمد كمال أبو المجد - المهندس إبراهيم شكرى - كريمة
السعيد - محمد على شتا - محمد عثمان اسماعيل - الدكتور محمد إبراهيم
ذكروى - الدكتور حسن اسماعيل - عبد الحليم الجندي - المهندس سعد
مجرس - المهندس طاهر أمين - الدكتور إبراهيم أبو المنجا - الدكتور جمال
العطيفي - الدكتور أحمد الشرياضي - الدكتور عبد الحميد حسن - ثابت السفري
- محمد عبد الحكيم موسى .

● السكرتير الأول

بسم الله الرحمن الرحيم تبدأ الاجتماع الأول
للجنة العشرين وأتينا نرحب بكم باسم الاتحاد
الاشتراكي .

وأننى اعتقد أن المهام الأساسية لهذه اللجنة
هى مهام كبيرة جدا وهى فى المقام الأول تنقسم

الى قسمين أساسيين : قسم تنظيمى لعمل
اللجنة نفسها والصلة بينها وبين اللجان التسع
المتفرعة والتي من المحتمل أن تزداد بلجنة أخرى
للحرفيين ، فقد طلب بعض السادة فى الرأسمالية
الوطنية أن تكون لهم لجنة ومن هنا جاءت فكرة
تسمية اللجنة باسم لجنة الرأسمالية الوطنية
وهى تنقسم الى قسمين : الحرفيين من ناحية
والرأسمالية الوطنية من ناحية أخرى .



المهندس سيد مرعى



د. اسماعيل غانم

الموجودة لدى أعضاء اللجنة او قد تقيد تفكيرهم بالرغم من اننى قلت وصرحت للصحفيين ان هذه الورقة لن تؤثر وهى قابلة للتعديل ، كذلك فانها لن تمثل الا رأى السكرتير الاول ولكنها فقط تعطى لنا نقاطا معينة يمكن ان نبدا منها .

اما الفريق الثانى فيرى ان تقدم ورقة العمل لانها تفتح أبواب الحوار وتسهل لنا عملية البدء فى العمل باللجنة .

وسيعرض اليوم شيئان .. الاسلوب التنظيمى للجنة ، ثم هيكل التساؤلات او الهيكل العام فى صيغة تساؤلات وهو موجود امامى الان ، وفى الحقيقة لقد ساعدنى فى اعداده الدكتور حافظ غانم والدكتور كمال أبو المجد والدكتور أحمد الحفنى وهو فى الواقع ليس مجرد تساؤلات فحسب بل انه يمثل رؤوس مسائل او موضوعات .

وقبل ان نبدا عملنا اود ان اقول ان الاتحاد الاشتراكى بالصورة التى نحاول ان نصل اليها قد وضعت له مبادئ كثيرة ، هذه المبادئ يمكن ان ترسم لنا خط سير العمل فقط واننى اقول « خط سير العمل فقط » ولا اقول انها ترسم لنا خطة عمل كاملة .

واننى اقول ان مهمة هذه اللجنة لن تكون مهمة كلامية ، بل اننا سننتهى فى كل اجتماع لها بنتيجة فى تفكيرنا وفى طريقة عملنا بحيث يكون هناك اتجاه هو ان كل كلمة نقولها هنا نريد ان نراها تطبيقا عمليا يطبق فى الاتحاد الاشتراكى حتى يمكن ان نصل الى تحقيق الاهداف التى وردت فى قرارات المؤتمر القومى والتى جاءت فى الاحاديث المختلفة للسيد الرئيس .

وفى الحقيقة اننى مكلف من السيد الرئيس بان احييكم جميعا وانقل تحيته اليكم وسوف يجتمع بكم سيادته فى القريب العاجل ولكنه لم يحدد اليوم بعد ، ونحن نمهد لكى لا يقتصر هذا الاجتماع على لجنة العشرين فقط حتى يتسع ويشمل اللجان التسع المتفرعة من لجنة العشرين .

الموضوع الاول كما ذكرت هو فى الحقيقة موضوع تنظيمى يبحث كيفية عمل اللجنة وطريقة الاجتماعات التى ستعقد ، وهل تنقسم اللجنة الى لجان فرعية او انها تظل كما هى الان ؟ ثم ما هى الصلة الرئيسية التى بينها وبين اللجان الفرعية ؟ وما هى طريقة مناقشة الموضوعات المختلفة ؟ هل تناقش هذه الموضوعات على مستوى هذه اللجنة أولا ثم تناقش على مستوى اللجان الفرعية التسع ؟ او انها تناقش فى اللجان التسع أولا ثم تناقش فى لجنة العمل ؟

هذه هى النقاط الاساسية التى سنتحدث فيها .

بعد ذلك ، هناك شكل ورقة العمل .. وفى الحقيقة اننى قمت باعداد ورقة وستكون جاهزة باكر [1] .

لقد رأى بعض الاعضاء الا نقدم هذه الورقة لكى نعطي الفرصة كاملة فى ابداء الرأى بينما رأى الاخرين ان تقدم هذه الورقة .

الفريق الاول يرى انه عندما تقدم ورقة عمل من السكرتير الاول الى اللجنة فقد تغير الافكار

● السكرتير الاول :

تصورى فى الحقيقة هو التصور الاخير ؟ وهو أن تستمر لجنة العشرين فى اجتماعاتها ، كذلك فإنه حتى اذا عمل التقسيم فسوف لا يتعارض ذلك مع اجتماعات لجنة العشرين .

الفكرة بالنسبة للجان التسع انها تكون لجان فرعية تمثل لنا قاعدة جماهيرية كبيرة فهى فى الحقيقة جاءت من قاعدة جماهيرية قائمة ومع احترامى للجنة العشرين فان لهذه اللجان التسع اهمية كبيرة لدرجة ان المواطن العادى قد شد انتباهه كثيرا وجود هذه اللجان أكثر من لجنة العمل ، ومثلا نحن نعمل مع القيادات الجماهيرية الموجودة بالنقابات وغيرها ، فاذا ما تغير النقيب فى احدى هذه النقابات فانا نعمل مع النقيب الجديد ذلك لانه منتخب والذى أحدث التغيير هو قاعدته الجماهيرية وهى التى أنتت به وبالتالي فانا نعمل معه .

لذلك فأننى أرجو ألا نبت الآن فى الشكل الموضوعى ولكن نبدأ بالببت فى الشكل التنظيمى .. وهذا بالطبع متروك لكم .

ان الصورة التى فى اذهاننا هى ان نخرج بأسلوب للعمل فتمكن من تطبيقه وتنفيذه من الناحية العملية ، بمعنى انه اذا أتى شخص وقال اننا نريد أن ندعم الصلة بين الاتحاد الاشتراكي وبين القواعد الجماهيرية وسكت ، فان ذلك غير كاف ولا نقبل مثله ، ولكن اذا جاء آخر وقال ، يجب أن يكون فى الاتحاد الاشتراكي انفتاح على الجماهير وأن يكون مبرا حرا للجماهير ، فهذا رأى سليم ومقبول لانه حدد طريقة معينة لتقوية الصلة بين الاتحاد الاشتراكي وبين الجماهير . وهذا هو الطريق الذى يوصلنا الى ما نريد والذى نريد أن نسير عليه .

وعلى ذلك فانا اذا ما قرأنا قرارات المؤتمر التومى والنقاط التى وردت فى كلمتى فى هذا المؤتمر ، واستزدنا على هذا بنقاط جديدة فان ذلك يمكن أن يعطينا صورة عن شكل العمل .

كذلك فإنه اذا ما تم التقسيم فان ذلك لا يمنع من استمرار اجتماعات اللجان التسع بحيث ينقل عنها الينا وينقل منها اليها ، وهذا بلا شك يكون ترجمة لعمل اللجنة واللجان المتفرعة .

اذا وافقتم حضراتكم فانا نأخذ خطوة الى الامام وندخل فى الجزء الثانى .

● المهندس طاهر امين

ان اجتماعنا اليوم أساسا هو لتقييم الاتحاد الاشتراكي . وبهذه المناسبة فان لدينا أفكارا

وأرى أن نبدأ بالنقطة الاولى ، وهى الشكل التنظيمى لعمل اللجنة ، وهذا الموضوع يقسم الى قسمين :

القسم الاول : هل تقسم اللجنة الى اقسام تتلاءم مع اللجان المتفرعة ؟ والقسم الثانى ان ترسموا لنا طريقة عمل اللجان التسع . وفى الحقيقة اننا بالنسبة للجان التسع ، لابد أن نكون مشدودين دائما بقاعدة جماهيرية معينة ، فمثلا النقابات العمالية قيادات انتخبها قواعدها العمالية ، والنقابات المهنية منتخبة أيضا وهى تمثل قاعدة جماهيرية ، كذلك التعاونيات الزراعية وهكذا وبالتالي فان عملنا عندما يكون مشدودا بالقاعدة الجماهيرية فإنه يكون مشدودا بأرض الواقع ، فاذا ما أتمنا هذه الورقة فانا نستطيع أن نصل الى النتيجة التى نريدها . والان الموضوع مفتوح للمناقشة فى الجزء الاول ، وهو الاسلوب التنظيمى للجنة .

● الدكتور اسماعيل غانم

بالنسبة للسؤال الاول وهو هل تقسم اللجنة الى عدة لجان أو أنها تعمل ككل دون تقسيم ؟ فأننى أرى أن تعمل اللجنة ككل ومن خلال عملها يمكن أن نحدد أو نقسمها الى لجان ، ولكن أمر تقسيم اللجنة الى لجان قبل أن نجتمع ككل أمر صعب وقد لا يحالفه التوفيق .

● الدكتور جمال العطيفى

المفروض أن اللجان التسع تمثل قوة معينة ، هى الفلاحين والعمال والنقابات ، والذى نريد أن نركز عليه هو أن هناك موضوعات نوعية يجب أن نطرحها على اللجنة ونحدد بشأنها أسئلة معينة يتم تبادل وجهات النظر حولها مع اللجان الفرعية ، واننى أتصور أنه يمكن تقسيم لجنة العشرين والامانة الى لجان فرعية للاستماع ، بمعنى أن كل اثنين أو ثلاثة من أعضاء هذه اللجنة يجتمعون مع لجنة فرعية يقومون بطرح هذه الاسئلة عليهم ويستمعون الى آرائهم ، ثم نجمع حصيلة الاجابات عن هذه الاسئلة والآراء وتأتى الينا هنا فى اللجنة العامة .

● الدكتور ابراهيم أبو النجا

أرجو أن تستمر اجتماعاتنا بهذه اللجنة وفى الوقت نفسه ، اذا أراد أحد الاعضاء أن يجتمع مع لجنة فرعية فلا مانع ، ولكن بحيث يكون مختصا بنقل رأى اللجنة الاستشارية الى اللجنة العامة .



د. جمال العطيفي



طاهر أمين

طاهر أمين ، وتشكيل هذه اللجنة وتحديد مهمتها منصوص عليه في القرار الخامس كما يلي :
« وحتى يتحول ذلك الدليل الى برنامج حي يلتزم بتطبيقه التنظيم السياسي ، وتتولى الجماهير مراقبة تنفيذه ، يقترح المؤتمر تكوين لجنة عمل من بين أعضاء الاتحاد الاشتراكي ، وعلى تلك اللجنة مساعدة الامانة العامة في وضع دليل العمل السياسي ، ويعهد المؤتمر الى السكرتير الاول للجنة المركزية بتشكيلها وتحديد مهمتها .
اما الموضوعات الاربعة التي تختص بها هذه اللجنة فهي :

■ الموضوع الاول :

هو الاطار الحالي للاتحاد الاشتراكي وعجزه عن مواجهة متطلبات الجماهير ومتطلبات الحالة الحاضرة التي نمر بها مما حدا بالمؤتمر الى ان يعهد الى السيد السكرتير الاول للجنة المركزية باتخاذ ما يلزم لتعديل القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي حتى يكون الاطار التنظيمي قادرا على تحقيق المضمون

كثيرة حول التنظيمات السياسية التي بدأت بهيئة التحرير ثم الاتحاد القومي ثم الاتحاد الاشتراكي في دوره الاول ثم في المراحل التالية .

لذلك فانه يجب ان يكون هذا هو المدخل الاساسي الذي نبدأ على اساسه عملنا في هذه اللجنة ، كذلك فلا بد ان نتكلم بصراحة كاملة عن كل الاسباب التي أدت الى فشل هذه التنظيمات

هناك عيوب وهناك اخطاء ، وهناك انتقادات يجب ان نبينها ، ومدخلنا في هذا هو ان نتصارع جميعا وان نضع امامنا كلمة واحدة هي « مصر » .

انني ارى ان نفرد مجموعة من الجلسات والاجتماعات المختلفة نعرض فيها الاسباب التي أدت الى فشل كل التنظيمات التي مرت على مصر ابتداء من هيئة التحرير حتى الان . . . وانني اعتقد ان هذا هو المدخل الاساسي الوحيد الذي يجب ان نبدأ به خاصة واننا جميعا عاصرنا هذه التنظيمات ونعلم عنها الكثير .

فأرجو واعرض الامر على اللجنة - ان نفرد عدة اجتماعات نتصارع فيها مصارحة كاملة في ذكر الاسباب التي أدت الى فشل كل التنظيمات السابقة .

● الدكتورة عائشة راتب

بالنسبة لما ذكره السيد المهندس طاهر أمين فقد عبرت سيادتكم عنه في المقال الذي نشر بجريدة الاهرام عندما ذكرتم سلبيات الاتحاد الاشتراكي ولكن للأسف العدد الذي نشر فيه هذا المقال ليس موجودا معي الان .

وانني اقول ان هذه السلبيات لو اننا ركزنا على علاجها وتخلصنا منها فان ذلك سيوفر لنا كثيرا من الجهد ، وفي الحقيقة أشكر السيد السكرتير الاول على هذه المصارحة وانه لأول مرة تذكر سلبيات الاتحاد الاشتراكي والعيوب التي تشكو منها الناس .

وفي الحقيقة انني كنت أود ان تبدأ سيادتكم بها كمقدمة لعمل اللجنة وهي على ما أذكر تقع في تسع نقاط منها عدم الاكتراث والتكاسل وغيره .

● الدكتور محمد حافظ غانم

انني سأحدث في المسألة التنظيمية وهي مرتبطة بموضوع عمل اللجنة ، فبالنسبة للموضوع الذي أثاره السيد المهندس طاهر أمين فأتنا لو راجعنا قرارات المؤتمر القومي في الدورة الاخيرة فسوف نجد ان اللجنة مكلفة بأربعة موضوعات من بينها الموضوع الذي أثاره المهندس

نستطيع أن نقول انها فشلت أو اخفقت ، ولكننا نستطيع أن نقول أنها قصرت في بعض الاشياء المتعلقة بمطالب وحقوق الجماهير .

كذلك فقد كان في تصوري أن لجنة العشرين ستكون لجنة مساعدة للسيد السكرتير الاول للجنة المركزية لكي يضع ويستكمل ما هو ناقص في تنظيماتنا السياسية وهي المحرك والعقل المفكر ، وبالتالي فأننى اعتقد انه لا يجب تقسيم هذه اللجنة الى عدة لجان .. وذلك مراعاة لوحدة الفكر كى تتصدى لمطالب الجماهير ولا بد أن يكون هناك قدر معين من التجاوب بين اعضاء هذه اللجنة .

وبالنسبة لما طرح في هذه الجلسة من أننا مختارون ولسنا منتخبين ولا بد أن نلتحم مع اللجان الفرعية ، فأننى أقول أننا جميعا قد مررنا بالتنظيمات السياسية في جميع أشكالها الحزبية فشلا أو نجاحا ، وثىء آخر هو أن هذه اللجان اذا لم تكن نحن موجودين فيها فسوف لا تحرم بل وعلى النقيض من ذلك فربما تكون هناك حرية أكثر على مستواها الحالى لما نعلم وبها لا نعلم

لذلك فأننى أرجو أن تكون هذه اللجنة « لجنة العشرين » لجنة دائمة ، مساعدة للسكرتير الاول للجنة المركزية وأن تكون لها نفس اختصاصاته ونفس مقوماته التى لا تتجزأ .

● المهندس ابراهيم نجيب

في تصوري أن الاربعة موضوعات التى وردت في قرارات المؤتمر القومي العام يجب أن تناقش في جميع اللجان الفرعية - بمعنى أن تجتمع كل لجنة فرعية على حدة ثم نعرض عليها النقاط الاربعة ، أو الموضوعات الاربعة المشار اليها .. ومن خلال هذه المناقشة سنتنازل بلا شك السلبيات التى ظهرت والتى أشار اليها المهندس طاهر أمين .

في رأى أن يكون اجتماع لجنة العشرين كلها مع كل لجنة تناقش الاربعة موضوعات وتبحث مع كل لجنة وجهات النظر المختلفة والآراء حول هذه الموضوعات - وعلى ضوء هذه المناقشة تستطيع بلا شك أن تصل الى النتيجة التى تريدها .

● الدكتور محمد دكرورى

في الحقيقة بالرغم من أن هذه الموضوعات الاربعة تتناول أشياء أساسية هامة الا أنها تمثل جزئيات قد لا تمثل الكل الذى يجب أن تتضمنه مهمة هذه اللجنة . ذلك لأن الموضوعين الاول والثانى يكاد أن يكونا موضوعا واحدا .

وبحيث تشارك الجماهير في صنع القرارات المتصلة بالمشاكل ..

■ الموضوع الثانى :

موضوع متصل بالتنظيم نفسه « الاطار الخاص بالتنظيم » وكيف يمكن أن يكون تنظيم الاتحاد الاشتراكي على أساس أنه منبر حر معبر عن ازادة الجماهير بالاسلوب الذى تراه قوى الشعب العاملة .

■ الموضوع الثالث :

متصل بعلاقة التنظيم بالسلطات والاجهزة التنفيذية والتشريعية والشعبية .

■ الموضوع الرابع :

متصل بالفكر التنظيمى والمنهج الفكرى وفي تصوري انه عندما نحاول أن نقسم اللجنة الى لجان فلا بد أن نراعى أمرين هما :

الامر الاول ..

أن تكون هناك لجان موضوعية هامة تختص كل منها بموضوعات معينة من الموضوعات التى وردت في قرار المؤتمر والموضوع الذى اثاره الدكتور طاهر أمين هذا بالإضافة الى اللجان الأخرى .

الامر الثانى ..

متابعة عمل اللجان الاستشارية النوعية المشكلة بقرار من السيد السكرتير الاول وشكرا .

● الدكتور احمد السيد درويش

بالنسبة لتنظيم عمل اللجنة من الناحية التنظيمية ومن الناحية الموضوعية فإن الناحيتين متصلتان ببعضهما البعض ولا يمكن فصلهما .

وبالنسبة للتنظيمات السابقة فبالرجوع الى التجارب التى مرت بها هذه التنظيمات فأننا لا



د. عائشة راتب



د. محمد حافظ خانم

اننى اتصور ان اى تنظيم فى الدنيا يرتكز
اساسا على ثلاث نقاط اساسية هي :

- فكر يحدد هذا التنظيم .
- أهداف تنبع من هذا الفكر .
- ثم أسلوب فى منهج العمل .

وهذا من شأنه ان يؤدي الى تسلسل الفكر
أما ما عدا ذلك فانه يعتبر تجزئة تعسفية للفكر
تحول دون تسلسل الفكر .

لذلك فأننى لا اتصور ان لجنة ما تقوم بدراسة
أسلوب العلاقات نفسها ما لم تكن قد وصلت
الى تحديد الاهداف الرئيسية لها .

وعلى هذا فأننى اقترح ان تستمر هذه اللجنة
فى اجتماعاتها الى أن تطرح الفكرة ككل والى أن
تصل الى وحدة تصور لهذه المهمة ، ثم بعد ذلك
يمكن أن يكون التقسيم أو التوحيد ، وكيف تكون
العلاقة بين هذه اللجنة وبين اللجان الاستشارية
بل وبين القيادات السياسية الموجودة فى
المحافظات .

أرجو ان نعتبر ان هذه النقاط الاربع هي
الاساس فى بحثنا ، لأنها لا تمثل الاساس العلمى
لتنظيم نحن نبحث عن زيادة فاعليته واعادة
التنظيم فيه .

النقطة الاخيرة هي اننى أرجو الا نتسرع فى
تجزئة اللجان البرعية الان ..

... الدكتور عبد الحميد حسن

أمامنا الان أكثر من ورقة عمل اولها بيان
السيد السكرتير الاول فى المؤتمر القومى والثانية
قرارات المؤتمر القومى .. الخ .

لقد تفضل السيد السكرتير الاول فى بداية
حديثه وقال ان هناك ورقة عمل موجودة واننى
اتصور انه لا يجب ان نبدأ من فراغ وأن ورقة
العمل المعدة من جانب الامانة العامة يجب ان
تقوم بدراستها لأنها تمثل وجهة نظر معينة .

واننى اقترح ان نبقى على هذه الورقة طوال
شهر مارس حتى تتم دراسة هذا الموضوع
بعد ذلك تعود لجنة العشرين وتجتمع مع اللجان
كلها وتطرح عليهم ورقة العمل لأخذ آرائهم وعمل
التنسيق اللازم بين اللجنة وبينهم على أن
ينتشروا داخل الجمهورية ، ثم يلتقوا بعد ذلك

كما قال المهندس ابراهيم نجيب وتجتمع لجنة
العشرين مع كل لجنة على حدة .

وبعد ان نحسم كل امورها ونلتقى بها ، بعد
ذلك تدعى اللجنة العامة الموسعة ويطرح
عليها ما انتهت اليه اللجان المختلفة كلجنة
الشباب والعمال .. الخ بهذه الصورة اعتقد
اننا نكون أكثر موضوعية ونجد مساحة من الوقت
لكى نعد ورقة عمل للجنة الاستشارية بدلا من
أن يكون النقاش من هنا وهناك ولا ننتهى الى
نتائج محددة .

• الدكتور عبد العزيز كامل

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتقد انه يمكن الاستفادة من أية تجربة سابقة
مهما كان نصيبها من النجاح والفشل وجعلها
قوة دافعة الى عمل احسن مما كان ، وبذلك
لا اتصور أن كل ما بذل من جهد كان جهدا
ضائعا لا فى ذاته ولا فى تقييمه ، وربما كنت فى
هذا انطلق من المبدأ الاسلامى المعروف ، لأن
الاسلام يعتبر نفسه انه دين انزل من عند الله

منا يعتمد على ذاكرته الخاصة ولا يكون لدينا في الواقع دراسات موضوعية أصيلة نستطيع أن نقيم عليها عملية التقييم الخاصة بنا ، وبالتالي يحدث نوع من الانفصام التاريخي بين مراحل العمل في الاتحاد الاشتراكي ، هذا الانفصام التاريخي ينبغي أن يقضى عليه وأن يوجد الاتصال ، لأن أية حضارة من الحضارات ، وأي عمل ناجح من الأعمال ينبغي أن يكون قائما على الاستمرار وعلى أسلوب واضح من نقل الجهد من يد إلى يد اعترافا بجهد مضى وبناء في نفس الوقت .

هذا الانفصام من الممكن أن يحدث تاريخيا ، ومن الممكن أيضا أن يحدث بين القاعدة والقيادة ، ولكن طبيعة العمل الناجح أن يكون فيه الاتصال باتجاهين :

أن يكون اتصالا من القاعدة إلى القمة ، ومن القمة إلى القاعدة . والمشكلة في مجتمعنا تتأثر إلى حد بعيد بظاهرة أشار إليها الأهرام باختصار وهي ظاهرة المجتمع الزراعي القائم على نظام الري المركزي .

والواقع — وسيادتك من كبار المتخصصين في الزراعة — لو أخذت نهر النيل ورياحاته وترعه فانه يمكن أن تعتبرها مرة الجهاز التنفيذي ، ويمكن أن تعتبرها الجهاز السياسي في نفس الوقت ، وهناك النيل ومن الممكن أن يكون الحاكم في نفس الوقت .

أن نظامنا نظام مركزي من أقدم عصور الحياة نظام وحدة ونظام توحيد ، وبهذا أعطى الأجهزة التنفيذية من أعرق عصور الحياة في مصر سلطة بدلا من التهوين بشأنها ، ولا يمكن لإنسان أن يتصور أن مجتمعنا يعيش أسبوعا دون حكومة ولكنه يمكن أن يعيش شهرين دون اتحاد اشتراكي ، فهل نحن نحاول إيجاد جهاز نبحت له عن وظيفة ، أو أن هناك وظيفة تفرض نفسها على ذلك المجتمع وينبغي أن ننشئ لها الجهاز .

لا يمكن لإنسان أن يبرر وجود الحكم ، فالحكم قائم ، ولا وجود للوزارات فالوزارات قائمة ، ولا وجود سلطة تشريعية ، فالسلطة التشريعية قائمة ، ولكن المشكلة هي مدى احساس هذا المجتمع بوجود هذا التنظيم السياسي وفاعليته .

هذه في الواقع نقطة من النقاط التي تحتاج منا إلى وقفة طويلة ، وأعتقد أنه يمكن أن تقترب إليها بالطريقة الآتية :

تبارك وتعالى متمما لآبادنا ، فلم يأت الإسلام ويعتبر نفسه سفر التكوين بالنسبة للاديان السابقة بأي حال من الأحوال ، ولا شك أن الأخوة الذين جلسوا في هذه الأماكن قبلنا بذلوا ما استطاعوا من جهد ومنهم من أصاب فله أجره ومنهم من أخطأ فحسابه عند من يتولى ذلك الحساب .

هناك أربع مراحل رئيسية مر بها العمل :

المرحلة الأولى : في الاتحاد الاشتراكي وكان يتولاها السيد / حسين الشافعي .

المرحلة الثانية : تولى أمرها السيد / علي صبري
المرحلة الثالثة : تولى أمرها السيد / عبد المحسن أبو النور .

وهذه هي المرحلة الرابعة التي نعمل فيها الآن .

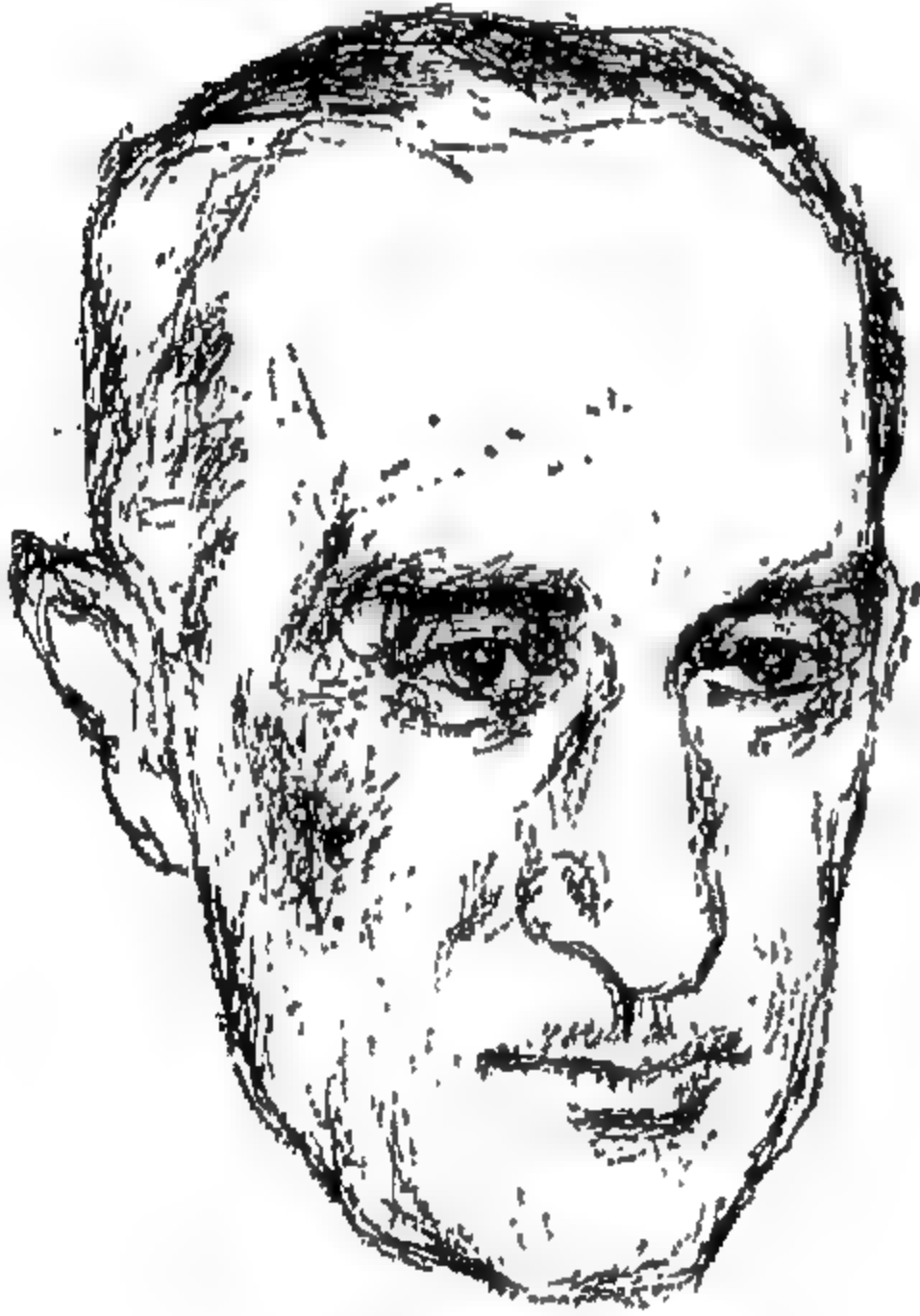
فإذا أخذنا أمانة مثل أمانة الدعوة والفكر وهي الأمانة التي عملت بها فقد تعاونت أثناء عملى بها مع السيد / كمال الدين رفعت ثم السيد / محمد فائق ثم السيد / ضياء الدين داود ، ثم السيد الدكتور جابر جاد عبدالرحمن — ونرجو الله أن يمن عليه بالصحة والعافية ، ولكن مع هذه المراحل أرجو أن أسجل ظاهرة تعتبر من النواحي التي أرجو أن نعنى بها جدا ، وهو ما يمكن أن نسميه فقدان التوثيق في الاتحاد الاشتراكي ، ماذا أقصد من فقدان التوثيق ؟

على سبيل المثال في مجلس الشعب عندما نبحت عن مضبطة أى جلسة من الجلسات أو محضر لجنة فنية من اللجان نستطيع أن نجد هذه الأوراق مهما كان العمق التاريخي الذي نبحت عنه ، بينما إذا كان أحد ابنائنا يريد عمل رسالة ماجستير أو دكتوراه عن الاتحاد الاشتراكي ويحاول البحث عن الأوراق اللازمة لهذا في الاتحاد الاشتراكي فلا يجد هذه الأوراق ، وقد سبق أن ذكرت هذا للسيد الدكتور جابر جاد عبد الرحمن — والسيد / ضياء الدين داود من قبل ، وأيضا السيد / محمد فائق ، وكانت هناك أعمال كثيرة وجهود كثيرة ولكن مشكلة التوثيق في الاتحاد الاشتراكي مشكلة ينبغي أن نعنى بها حتى نستطيع أن يكون حكمنا حكما صادقا .

وبضياح هذه الوثائق وعدم العثور عليها أو إخلاء المكاتب استعدادا لفوج جديد يأتي بعد فوج قديم يذهب ، فإن الذي يحدث أن كل إنسان



د. احمد السيد درويش



المهندس ابراهيم نجيب

ما ينقصنا في الاتحاد الاشتراكي - وهذا داء قديم - اننا ننظر الى ذلك المجتمع ونقترب اليه من زوايا مختلفة ، والى اليوم اذا ما اردنا ان نبحث عن كتاب واحد يبين تاريخ هذه الامة بتكون من ٥٠٠ صحيفة ونعطيه لشباب ليعرف ما هو التاريخ المصري فلن نجد هذا الكتاب ، ولو اردت ان نعطيه كتابا آخر من ٥٠٠ صحيفة لتعطي له تحليلا ولا أقول تشريحا للمجتمع المصري فلن نجد هذا الكتاب ، وما دام الكتاب عن ذلك المجتمع وتكوينه وعراقته واصبغته مفقودا وعن جغرافيته مفقودا فان معنى ذلك ان كل انسان منا له تصور معين في ذلك الشعب ، وبعد ذلك يحاول ان ينطلق من ذلك التصور .. ما انعكاس ذلك على الاتحاد الاشتراكي ؟

يأتى انسان منا له ثقافة معينة ولتكن هذه الثقافة مأخوذة من جامعات الشرق أو الغرب أو دراسة محلية أو تأثر بفلسفة أو أيولوجية معينة فإذا به يأتى بهذا الفكر الذى فى رأسه ومن موضع القوة الذى هو فيه ومن مكان التوجيه سواء أكان فى المعاهد الاشتراكية أو فى المنظمة أو فى أمانة الدعوة والفكر أو فى الصحف ، يأتى بذلك كله ويحاول أن يفرضه على الناس ، أن الجماهير فى هذه الحالة ننظر اليها ونحن نجلس على كرسي الاستاذية فى المعهد الاشتراكي ، اننا نمثل الاتحاد الاشتراكي وان ما نقوله هو الحق والذى نقوله هو التوجيه وكلمة [هذا الكلام نازل من فوق] ، فأتى لا أدري الى اين يصل هذا الفوق ؟ أتى اعرف ان أعلى فوق هو ربنا سبحانه وتعالى وبعد ذلك أى شيء يمكن أن يكون درجات تحت .. هذا هو الواقع ..

وعلى سبيل المثال يأتى الطالب من الريف أو المدينة وله قيم يعيش بها وعندما نوجهه بشعر أن هناك نوعا من الانفصام بينه وبيننا ، ما الذى يحدث عندما يشعر بهذا الانفصام ؟ أنه يرى أن هذه هى الحكومة والدولة والسلطة التى أمامه ، فيطوي على نفسه ويبدأ يمارس عمله فى الاتحاد الاشتراكي عملا وظيفيا بحثا يتقى به أى شر يمكن أن يصاب به ويستجيب لنا استجابة عادية دون أن يكون هناك تفاعل حقيقى .

بعد ذلك كما نعلم أن المصري يجيد من السلبية إذا أراد . يستطيع أن يعاسك سنوات وسنوات وقلبه مغلف ، فهذا انسان يحمل فى عروقه دما ظل يجري مالا يقل عن ٨٠٠ سنة وتعود أن يعامل الحكام من أول خوف الى حشيشوت الى كليوباترا الى كافور الاخشيدى الى صلاح الدين الايوبى الى شجرة الدر .

ومن هنا عندما يشعر بأنه بعيد عنا يتفوق ؟ وكثيرا ما كنت أجد من اتصالاتى فى محاضراتى للشباب أنه أحيانا يفتح وأحيانا يغلق قلبه ، واعتقد ان السيد الدكتور أحمد كمال أبو المجد يستطيع أن يتكلم فى هذا باستفاضة من واقع حوار مع الشباب أكثر منى .

اذن ماذا نأتى الى هذا الشباب وهذه القواعد الشعبية ثم نتصور ما ينبغي أن يقال لها أو نعطيها ، نهل حاولنا وهل نستطيع فى هذه المرحلة أن نأخذ الطريق العكسى وأن نبدأ بأن نسألهم ماذا يريدون منا وأن يتحول العمل لا أقول فى الامانة العامة فقط ولا أقول فى اللجنة الفنية فقط ولا أقول فى اللجان الاستشارية فقط ، وانما فى كل مراحلنا الى أوراق نقدمها اليهم وفيها أسئلة محددة مختارة على أساس علمي ، ما الذى ثرونه من أخطائنا ؟ وماذا يريدون منا ؟ وما اقتراحاتكم من أجل المستقبل ؟

فإذا ما قسمنا عمل الاتحاد الاشتراكي في هذه المرحلة الى هذين القطاعين اعتقد اننا يمكن ان نقوم بمجهود كبير ، لان الذي كان يحدث ان عمل الاتحاد الاشتراكي كان يغلب عليه الطابع الذي يمكن ان نسميه الطابع القبلي ، ان يأتي انسان ومعه قبيلة من الناس او يتهمون بأنهم قبيلة هذا الرجل ، فإذا ما تغير ، تغير الجميع معه دون ما اختيار ودون ما سؤال ، حتى ولو كان طابع أحدهم انه رجل فني ورجل شغال ليس له أية علاقة بأي شيء ..

من هنا اذا قسمنا العمل بهذه الطريقة فاننا يمكننا ان نستعين به ، وهناك تجربة مررت بها سيادتكم وتعرفها أكثر مني وهي تجربة مجلس الأمة ، ان هناك أجهزة فنية ثابتة موجودة في المجلس ، أيضا يوجد أجهزة سياسية موجودة في المجلس وكذلك في رئاسة الجمهورية أجهزة بهذا الشكل ، في أي حزب سياسي في العالم فهناك مجموعة من الخبراء الثابتين الذين ليست لهم أية علاقة بتيارات التوجيه ، فعندى الماكينة وعندى البوصلة فالبوصلة توجه وتبين الطريق ولكن كل المطلوب من الأجهزة نفسها هو الدقة في الانتاج ، واعتقد ان نحاول هذه المرة ان ننفذها .

فيما يتعلق بالاجتماعات أتصور ما يأتي :

ان ورقة العمل التي أعدتها سيادتكم شيء كريم جدا ، وتوزيعها واجب لانه من الضروري ان نراها جميعا ، ولا اعتبرها ورقة عمل فقط ولكنها عبارة عن كلمة موجهة وهي ما يمكن ان نسميها في المؤتمر بالكلمات الرائدة ، كيف يكون ذلك ؟

سوف تحضر سيادتكم أفكارك وكل انسان منا يحضر أفكاره ثم نجتمع كل هذه الافكار ، ثم نقترح الوسائل التي يمكن ان نجتمع بها أفكار الآخرين ، وبعد ذلك يتطلب الامر ان نجتمع معا لنعرض هذه الافكار ، لاننا اذا افترقنا وحدة الفكر فلا يمكن ان نقدم للناس هذه الوحدة ، ونحن لا نتكلم عن فكر نمطي بحيث ان جميع الناس تتشابه ، لان هذا الشيء مضاد لطبيعة البشر ، وحتى شقى الانسان في أي عملية تشرحية لا يمكن ان يتشابه ، وكما ان عدم التماثل في شقى الانسان غير قائم فيمكن جدا ان يكون لدينا آراء مختلفة ، ومن الممكن جدا ان تكون لدينا زوايا مختلفة من الرؤية ، ولكني اعتقد ان كل هذه الزوايا توجه على شيء واحد وهو مصلحتنا في هذه المرحلة المصيرية .

اعتقد اننا لو بدأنا هذه المرحلة بهذا الشكل نستطيع ان ننجح ، ليس شرطاً ان يقول الشخص اسمه او بلده ، بل اعطى له كل اجراءات التأمين التي تؤخذ في أي استفتاء شعبي ، لا نريد منه الا ان يقول الحقيقة ، وتجتمع دراستنا على اساس علمي موضوعي ، ثم بعد ذلك نأخذ هذه النتائج التي تقوم بتحليلها مجموعة مختارة على اساس سليم ثم نعمل لها تقييماً ..

ما الذي نريده ؟ هناك اهداف قد لا تراها هذه النظرات الجزئية وهي موجودة عندنا وهناك آراء جزئية لا يمكن ان تكون فكرة كلية سليمة الا اذا كانت بين أيدينا ولكي يكون هناك تفاعل متبادل بين القيادة بالفكر الكلي المتكون فيها وبين القاعدة بالفكر الجزئي الموجود عندها ، وان يكون هناك استقراء واستنباط يسيران في اتجاهين متبادلين فلا بد ان آخذ منهم وأعطيه فأسمح لدورة الدم الحي ان تسري بيني وبين الأجهزة الموجودة في الاتحاد الاشتراكي .

واعتقد ان تعاوننا في هذه المرحلة الاولى يكون قائماً على هذا الاساس ، احياناً يجد الانسان منا انه يعمل في الاتحاد الاشتراكي وحياناً يجد نفسه ترك الاتحاد الاشتراكي لا يعلم متى يأتي ولا متى يذهب .. لماذا ؟

اني أتصور ما يأتي :

أتصور ان القيادة السياسية لها حق -التفجير في أي لحظة لاعتبارات تراها هي ، ولكن اعتقد ان تكوين الاتحاد الاشتراكي في هذه المرحلة اذا ما أردنا له استمراراً ينبغي ان يتميز فيه شقان :

الشق الفني البحث او النوع التكنولوجي للبحث والدراسات والاحصاءات والتقييم وهو عبارة عن العقل الثابت والكمبيوتر العلمي الموجود داخل الاتحاد الاشتراكي ، وهذا ليس له علاقة بالعمل ، أكثر من انه عبارة عن جهاز فني ثابت ، كما هو موجود امام سيادتكم في الامانة أجهزة علمية تستفيد منها .

بعد ذلك هناك الافراد الذين لهم الوزن السياسي والذين هم محل ثقة القيادة المسؤولة في مرحلة من المراحل ، من الممكن ان هممل هؤلاء الاشخاص بطبيعة تكوينهم فني في المكاتب هؤلاء الاشخاص يجلسون في الظل وليس لهم دخل بالضوء وليس لهم علاقة بالحياة العامة ، كل مهمتهم تحضير العمل الفني الذي يطلب منهم .



د. محمد دكرورى



د. عبد العزيز كامل

اذن سوف يشهد التاريخ على هذه اللجنة نجاحا كان أو فشلا ، وأتمنى أن يكون نجاحا .
أكرر مرة أخرى أنه يجب أن نعرف الأرض التي نقف عليها ، أن الأرض التي نقف عليها أرض ليس لها ثقة في العمل السياسي ، والمهمة التي أتينا من أجلها هي إعادة الثقة وبناء اتحاد اشتراكي جديد ، لا أريد أن أكون متشائما وليس من طبعي التشاؤم ، ولكني أؤكد لسيادتك أنك إذا طلبت من أي منا أن يكتب الورقة الموزعة علينا ما هو الاتحاد الاشتراكي فأننا سوف لا نخرج بشيء موحد ، فمنا من سيكتب تحالف قوى الشعب العاملة ... الخ .

ليس هناك مفهوم موحد وفي هذه الحالة سوف اضطر الى أن الجأ الى بعض التنظيمات السياسية التي لا أنتهى اليها ، ولكن التي أشهد لتنظيماتها بشيء من النجاح كالشيوعيين والاخوان المسلمين ، أن نجاحهم كتنظيم سببه

الكلمة الأخيرة التي أود أن أتكلم فيها هي أننا مع كل هذه الدراسة ينبغي أن يكون معنا مقياس وهو ما اعتبر أنه يقربنا من النصر أو يبعدنا عنه .

فلا أود في هذه المرحلة أن نضيع في تيه من الآراء النظرية ، وفي ضروب من الفكر التي تبعد بنا عن الواقع ، وتمثل دورا من التسبب الفكري الكاذب في مجتمع هو أشد ما يكون إلى كل دقيقة من وقته ، وإلى كل قطرة من عرقه ، وإلى كل قرش من ماله .

لذلك أرى أن نحدد هدفنا الذي نريده ونحدد أسلوب الوصول إليه . وأرى أن المعركة هي المقياس وأن الحشد هو المقياس ، وأن الشيء الذي يؤدي إلى تجميع وإلى توثيق الروابط وإلى دفع من أجل المعركة هو ما نريده - وأي شيء يؤدي إلى فرقة أو خلاف أو إلى إضعاف الروح المعنوية فليس هذا ما نريده .

بل دعم للجبهة ، ودعم للقاعدة ، ودعم ما بين الجبهة والقاعدة ، دعم للقاعدة الاقتصادية من أجل المعركة نفسها وشكرا .

● المهندس طاهر أمين

لأول مرة أختلف مع أستاذنا الدكتور عبد العزيز كامل عندما قال أن المراحل السابقة من العمل السياسي لم تكن جهدا ضائعا ، في رأيي أن محصلة العمل السياسي في الفترة السابقة كانت نتيجتها سلبية مما يلقي عبئا أكبر على هذه اللجنة ، الثقة مفقودة والجهاهير تنتظر منا الكثير ، ولو كانت نقطة بدايتنا أنه ليس في الامكان أحسن مما كان فلا اعتقد أنه سيكتب للجنة النجاح بالمرّة ، هناك قصور والجلسة الأولى تحدد لنا معالم سيرنا ، لايعينني الأشخاص الذين ذكرهم الأخ الدكتور عبد العزيز كامل فيها يختص بأنهم كانوا مشرفين على الاتحاد الاشتراكي ، فليس هذا موضوعنا وليست رئاسة العمل السياسي هي كل شيء ، ولكن رأيي الشخصي هو دمج هذا العمل بالفشل ، وإذا كان رأيي يمثل رأي المجموعة فهذا موضوع آخر ، وهذه نقطة أساسية لكي نسير على هدى .

نريد أن نحدد حجم المهمة الموكلة إلينا ، وما هي تطلعات الجماهير إلى هذا العمل ، وأظن أن هذه أول مرة يتخذ فيها أمين أول الاتحاد الاشتراكي مثل هذه الخطوة الجريئة ، لإنشاء مثل هذه اللجنة تساندها لجان استشارية ، وعند استقراء الاسماء المكونة لها فاني اعتقد انها لم تخل من كفاءة من كفاءات العمل النقابي والسياسي والمهني وخلافه .

الاجتماعات التي عقدت منلت سؤالا مباشرا وكنت اتكلم في التنظيم وسلبيات التنظيم وايجابياته وطريقة هذه الايجابية ومن سألني هذا السؤال بوجود معنا في هذا الاجتماع وكان سؤاله ..

هل يراد اقامة تنظيم قوى او لا يراد اقامة تنظيم قوى ؟

الى هذه الدرجة وصل التفكير بالنسبة للتنظيم السياسي انه ككيان أصبح محل تساؤل ، وكان السيد الامين محقا في هذا السؤال .. لماذا كان محقا ؟ . لان الاتحاد الاشتراكي في فترة من فترات حياته كان له نشاط معين ، هذا النشاط ربما كان في الاتجاه الصحيح او لم يكن في الاتجاه الصحيح الا انه نوع من أنواع النشاط ثم اخذ هذا النشاط في الانحسار .

اود ان اكون واقعيا في تفكيري ، ان النقطة التي اثارها الاخ طاهر والتي اخذت كل المناقشة هي سلبيات التنظيم — دون المساس بأي شخص — فلا أمس أي شخص ولكني آخذ كيانا قائما امامي ، وأفكر كمواطن عادي لم تكن له صلة بالاتحاد الاشتراكي قبل ذلك ، انما له صلة بسياسة عامة بمجريات الدولة .. وأسأل نفسي سؤالا بسيطا .. هل الاتحاد الاشتراكي كان سلبيا او لم يكن سلبيا ؟ وهل الجماهير كانت سلبية بالنسبة للاتحاد الاشتراكي او لم تكن سلبية ؟ ما هو وزن وثقل الاتحاد الاشتراكي في الحياة الجماهيرية العامة ؟

هذا السؤال أيضا سألته لامناء المحافظات مجتمعين ، وسألته على طريقة تصويت مجلس الشعب برفع الايدي وطلبت من الحاضرين ان من يقل ان هناك انفصالا بين الاتحاد الاشتراكي والجماهير وما بين الجماهير والاتحاد الاشتراكي يرفع يده والجميع رفعوا ايديهم وهم الامناء القائمون على العمل فعلا .

اذن فان الدكتور عبد العزيز كامل يعارض في هذه النقطة الاخ طاهر امين لان هناك انفصالا بين الاتحاد الاشتراكي والقاعدة الجماهيرية ، وأن هناك انفصالا أيضا بين القاعدة الجماهيرية والاتحاد الاشتراكي محصلته النهائية هي عدم الثقة ، وحتى نستعيد الثقة فهذا امر ليس سهلا .

وعلى ذلك فان جميع التعليقات على كلمتي التي قلتها عن الاتحاد الاشتراكي انها مجرد كلام معسول ، ولكن العبرة هي كيف يطبق .

اني اوافق السيد الدكتور عبد العزيز كامل على رايه عن السلبية التي يتمتع بها الشعب والتي اعتبرها نوعا من أنواع المقاومة للامور

شيء واحد هو وضوح الرؤية ووضوح الهدف سواء اكان هدفا جيدا ام هدفا غير جيد ، انهم يعرفون ماذا يفعلون ، ولماذا يحاربون ومن اجل من ؟ ولماذا يضحون بانفسهم ، وهم على استعداد لان يقبض عليهم في سبيل هدف معين .

اذن هناك هدف معين واضح ، وكرر القول ان هذا الهدف في اوساطنا في الاتحاد الاشتراكي **غير واضح** ، وانما نجد شعارات تبادلها الجميع ، واعتقد ان السيد السكرتير الاول للاتحاد الاشتراكي قد اشار في احاديثه الصحفية القيمة التي يجب ان تضم الى الوثائق التي توزع على هذه اللجنة — فقال الاتحاد الاشتراكي ، ما هو مضمونه ما هو مفهومه ، ما هو الشيء الذي أضحي فيه بنفسه في سبيل ان انجح الاتحاد الاشتراكي ، هذا الشيء ليس معروفا لى شخصا ، وانما اعترف بهذا — وقد اكون شاذا في هذه المجموعة ولكني آمل ان يكون من الزملاء من يشاركني في هذا الرأي .

اذن اساسنا التصريح الكامل ، والاسماء التي ذكرت لا تعنينا في شيء بان زيدا من الناس كان على رأس الاتحاد الاشتراكي في يوم من الايام ، ولا يجوز ان بنسب له النجاح او الفشل ، فنقول ان فلانا هو الذي انجح الاتحاد الاشتراكي او افشل الاتحاد الاشتراكي .

وكما سبق ان ذكرت ان اساسنا هو عملية المصارحة الكاملة بكافة المساوئ وكافة العيوب وما اود ان اضيفه ان جميعا مارس العمل السياسي منذ بدئه في هيئة التحرير واني اضم صوتي الى ما قاله السيد الدكتور احمد درويش في حديثه اننا لسنا منزهين عن الخطأ ، ولكن كنا اطرافا فيه سواء اطرافا ايجابيين او اطرافا سلبيين .

● السكرتير الاول

لي تعليق بسيط وهو اني ارى ان المنطلق الذي ننتقل فيه يجب ان يكون :

اولا : منطلقا واحدا ، المنطلق هو الصورة العمالية للاتحاد الاشتراكي ، وهو حصيلة التجارب السابقة التي اشار اليها الدكتور عبد العزيز كامل وعلق عليها الاخ طاهر امين للتجارب التي سبقت في الاتحاد القومي وفي هيئة التحرير هذا المنطلق لابد ان نتكلم فيه بشيء من الصراحة لاني سئلت من أحد السادة الامناء في وقت من الاوقات وفي اجتماع عام وانا اتدارس معهم في

الوحدة لان هذا يفيدنى سياسيا ، واذا كان لدى خبير مطلع على العلاقة بين ليبيا ومصر وسوريا اطلاقا كاملا من الناحية العسكرية ومن الناحية الشعبية .. الخ ويكتب ورقة معينة فى هذا ورقة صريحة ١٠٠٪ ، قد تعدل فى تفكيرى كسياسى او لا تعدل ، هذا أمر ، انها يكون موجودا داخل الاتحاد الاشتراكى .

ولكن السؤال لا يزال قائما ، وهو اننا اذا كنا نجابه فى محصلة الاحداث التى تمت او التكوينات التى تمت كتنظيمات جماهيرية ، اذا كنا نواجه الان محصلتنا النهائية وكلنا متفقون على انه لم تعد هناك ثقة كاملة بيننا وبين الجماهير فلماذا ؟

هذا هو المحور الاول الذى ينطوى تحته وجوب دراسة السلبيات السابقة لا بغرض انتقاداتها فحسب بل بغرض اخذ العظة منها ، بمعنى اننا عندما نقترح ، اقتراحا جديدا قد عمل به فى الاتحاد القومى ، او فى هيئة التحرير مرة من المرات ولم يؤد الى نتيجة ، اذن يجب ان نعدل عنه ، وبالتالي فان السلبيات جزء فعلا للدراسة .

وفى مشروع الورقة التى اعدتها فى هذا الوقت فصل كامل عن السلبيات كما هى وكما نتصورها وموجودة بالفاظ فيها شئ من القسوة ، وبهنا فصل ايضا عن تنظيمات الاحزاب الشيوعية مأخوذة عن بعض البلاد بالنسبة للاحزاب الشيوعية وبعضها للاحزاب الرأسمالية .

ان الصعوبة التى نعانى منها تستدعى قدرا كبيرا من التأمل والتفكير لاننا لو اخذنا البلاد الغربية كمقياس فان علينا ان نفهم ما هو الحزب فى البلاد الغربية ؟ الحزب فى البلد الغربى يمثل طائفة ولا اقول طبقة ، يمثل طائفة معينة تربط مصالح مجموعة من الناس تحت فكر معين يخدم مصالح هؤلاء الناس ، والمثل على ذلك حزب العمال البريطانى او حزب المحافظين او الاحزاب الايطالية او احزاب امريكا نفسها .. الخ ..

وفى الدول الاشتراكية او الدول الشيوعية فان الحزب يكون مربوطا بفكر معين يربط تكوين حزب ، اما فى تنظيمنا فى الاتحاد الاشتراكى نقد اخذنا شكلا آخر وهو تمثيل قوى الشعب العاملة وجاء الميثاق فى البسبب الثامن وعالج هذا الموضوع باتساع ، وفى الواقع ان الاراء الموجودة فى الميثاق خاصة بطريقة تنظيم الاتحاد الاشتراكى او بطريقة التكوين الخاص بقوى الشعب العاملة احسن ما يمكن ، الا انها من الناحية التطبيقية قد افترقت الى تطبيق يتلاءم مع مدلول الالفاظ او مدلول الجمل التى وضعت فى هذا الميثاق .

التى يغضب منها الناس ، ولا اعتبرها ظاهرة رديئة ، لان هذا الشعب يكون ايجابيا جدا عندما يقتنع بأمر من الامور ، ان شعبنا كان ايجابيا جدا فى حرب سنة ١٩٥٦ ، كان ايجابيا الى حد لا يمكن ان يتصوره انسان ، وقد عشنا معه الفترة وراينا كيف كان هذا الشعب ايجابيا ، فعندما يوجد هدف واضح امام الشعب يكون ايجابيا طالما انه قد اشترك فى صنع القرار او فهم مدلول القرار ، وانما عندما لا يفهم مدلول القرار او لا يشارك فى القرار لهذا يتوقع على نفسه والتاريخ يثبت هذا فى مراحل مختلفة لا اود ان ادخل فى مجالها .

اذا كان هذا هو الوضع الذى نقابله ، فان الطرق التى تمت حتى الان ولا نقول انها كاملة ، الا انها تبين خطأ معيننا اخذ الاتحاد الاشتراكى وليس هذا دفاعا عن الاتحاد الاشتراكى فى صورته الحالية ، ولكنى اضع صورته الحالية امامكم جميعا للتشريح ولا اضعها امامكم للمدح ولا للثناء ، ماذا فعل الاتحاد الاشتراكى فى الفترة الجديدة ؟

اعتقد ان جميع منظماتنا السابقة وهى هيئة التحرير والاتحاد القومى لم تعمل بالسياسة كسياسة الى اليوم ، هذا هو اعتقادى وقد اكون مخطئا ، ورأى ان هذه المنظمات قد قامت بعمل تنظيمى لترجمة قرارات السلطة التنفيذية . او لترجمة اتجاه عام ، انما لم تقم بعمل سياسى ، لان مفهومى للعمل السياسى قريب جدا فى جزء كبير مما قاله الدكتور عبد العزيز كامل وهو منطلق الخبراء فى السياسة ، خبير السياسة يعطى لك نوعا معين من الاراء ، وقد يتبنى السياسى هذا الراى فى وقت ما وقد لا يتبناه فى وقت آخر ، على حسب الظروف الموجودة .

فى الحوادث الاخيرة التى تجرى الان والتى اشرت الى بعضها فى حديث فى جريدة الاهرام كالاتراف بينجالاتش او الهجرة من الاتحاد السوفيتى الى اسرائيل او الاعتداء على لبنان او اجتماع كاجتماع رؤساء الدول العربية كل هذه أحداث .

وعلى سبيل المثال فى الاتحاد الاشتراكى نأخذ اجتماع الرؤساء بالامس كمثال حتى لاننا متخلفون - وهذا ما سيجعلنا فى الواقع نضغط على لجنة العمل هنا ضغطا كبيرا فى الفترة القادمة لان الجماهير سوف لا تنتظر مدة طويلة حتى تبلور الامور وعلينا ان نبلورها فى مدة قريبة - لو اردت ان اعلق سياسيا عليه فانى اضخم من اجتماع الدول العربية الثلاث ، واضخم من دول

سبق ان تعرض له الدكتور كمال ابو المجد وانا معه ايضا في فترة حركة الطلبة حينما تساءلنا عن ممثلينا فلم نجد سوى الدكتور كمال ابو المجد الذي ارسلته ليتصل بالطلبة .

انني لا اسال عن تنظيمات في هذا الوقت ولا انادي بالتنظيم الطليعي ، ولكن يجب ان ننهي الى شكل ما يمثل قيادة معينة . . قد تعارضنا هذه القيادة ، ونحن نرحب بأن تطرح علينا الراي المعارض وتقول لنا ان رايا ما خطأ ، وبالرغم من هذا فمانتي متفائل ولست متشائما ، فاذا وصلت الى قيادات سليمة في جميع المجالات فان هذا هو المطلوب ، لاننا اذا نظرنا اليوم الى القيادات العمالية هل هي تمثل العمال . . ؟ اذا كانت تمثل العمال فقد نجحنا ، واذا كانت لا تمثل العمال فعلا فاننا نكون قد بدانا بداية غير سليمة وهذا خطر جدا لاننا لن نجد من نعتمد عليه عند الحاجة وايضا القيادات التعاونية للفلاحين . . هل تمثل الفلاحين فعلا ؟ وهذا سؤال آخر - فاذا كانت القيادة تمثل الفلاحين فعلا وتمثل اراءهم فعلا ففي هذه الحالة نكون في الطريق الصحيح مهما عارضت القيادات التعاونية ، ومهما جاءت القيادات التعاونية والقيادات العمالية مجتمعة وقالت انها لا ترضى ولا تقبل قرار الاتحاد الاشتراكي الخاص بكذا ، في هذه الحالة يكون لدى من سعة الصدر وقبول التغيير وقبول المفهوم طالما انه يحكمه الوثائق الاساسية الخاصة به .

لدينا وثائق اساسية، وفي راى انها وثائق ضخمة انما اهملت ودخلت في مجال النسيان ، ولو اعيدت قراءة الوثائق وهذه الوثائق يتمعن ويتفصيل لاستفدنا منها الكثير : اذن البداية هي كيف استفيد من السلبيات ، وانني اوافيق على ان نتخذ منها عظة .

النقطة الثانية هي انفصال الاتحاد الاشتراكي عن القواعد الجماهيرية الطبيعية وماهي نتيجته ، بعد ذلك طريقة الاملاء من فوق ونتيجته ما نحن فيه الان ، الاملاء عن تصرفات موجودة من السلطة التنفيذية في امر من الامور قد لا يقتنع به بعض من يجلس على المنضدة ، ورغم ذلك يتحتم عليه ان يدعو لهذا الراي والنتيجة هي الفشل وعدم النجاح مهما اوتى من بلاغة وقوة تعبير ، وذلك لانه غير مقتنع بهذا الراي فانك تستطيع ان تقنع الناس برأى ما اذا كنت انت مقتنعا به .

الدكتور طاهر يطرح سؤالا . . لماذا نجح الاخوان المسلمون او الشيوعيين في الاقتناع ؟ لان الاخوان او الشيوعيين يبنون فكرة معينة واعتقد

اذن من اين نبدأ ؟ في تصوري اننا نبدأ من هذا الكلام كله ، وبعد ان نستمع الى الاراء سألوا على حضراتكم الورقة التي تجمع رموس الموضوعات ، وهي عبارة عن السلبيات السابقة . . وما هي تكوينات الاتحاد الاشتراكي . . وما هي الصلة بينه وبين الجماهير ، بعد ذلك نجد ان هناك تساؤلات ليس لها رد ، وكما ذكرت في بداية حديثي انه سيكون هناك عنوان لموضوع مسياتي منه الرد .

وفي اعتقادي ان الاسباب الاساسية التي تجمعت عنها سلبيات الاتحاد الاشتراكي ارتبطت بطبيعة عمل الاتحاد الاشتراكي ، ولا اود ان نرجع للتاريخ الماضي حينما تكون النظام الطليعي والطريقة التي تكون بها ، وحينما تكون التنظيم السري والطريقة التي تكون بها والاثار التي ترتبت على ذلك ، ويمكن ان نناقش هذا الموضوع لاننا سوف نتعرض للتنظيم الطليعي ضمننا عند الحديث عن اسلوب عملنا وهل هو ضروري ؟

وقبل ان يتكون التنظيم الطليعي والحق لا بد ان يقال كان الاتحاد الاشتراكي سلبيا ، وفي اعتقادي ان تفكير الذين تبنا فكرة تكوين التنظيم الطليعي كان سليما ، فهم كانوا يريدون ان يحركوا الجهاز كله ، وبالتالي لم يكن التفكير خطأ ، لكنهم لم يتمكنوا من تحريك الستة ملايين ، فقد فكروا في تحريك الجماهير بواسطة تكوين نظام طليعي يقود العمل ، وهو كتفكير حزبي سياسي يكون تفكيراً سليماً ، ولكن يخيل الى انه من الأخطاء الكبيرة التي وقعنا فيها في تنظيماتنا السياسية اننا بعدنا عن القاعدة الجماهيرية الطبيعية .

فعلى سبيل المثال في الانتخابات النيابية نجد ان بها عشرة اشخاص ممتازين ، وهنا نجد تصهبا من الاتحاد الاشتراكي ان ثقيبا ما لا بد ان ينتخب وهنا يكون التنظيم السياسي قد وقع في مأزق كبير جدا . . لماذا ؟ لان امامي عشرة ممتازين فلماذا يلتقي الاتحاد الاشتراكي ثقله على فرد ، وهناك امثلة صارخة في هذا ولا اود ان اذكر اسما ، فقد املت بعض اسما على النقابات وبالتالي اضطرت ان تنتخبهم - وهذا واضح ايضا من كلام الدكتور عبد العزيز كامل ومن الحديث الذي ادليت به في جريدة الاهرام بالنسبة للسلبية - وبذلك نجد ان النقابة كلها قد عزلت ، فيما مجهزة هذا بالنسبة للتنظيم السياسي حينما تأخذ فردا بجانبك وتترك المجموع . . لان هذا الفرد ان يستطيع ان يحرك امدا ، وحينما تأتي ازمة سياسية وتريد ان تستعين فيها بقاعدة شعبية عريضة فلن تجد بجانبك سوى فرد واحد ، كما

وآمن بهذه الفكرة بحيث إذا جلس مع أربعة أو خمسة أفراد يمكن أن يناقشهم ويدافع عن وجهة نظره .. فهل هذا يحدث في الاتحاد .. طبعا لا .. فما يحدث هو أنه ينتقد « منه فيه » .. هذه الصورة يجب أن تنتهي ، يجب أن تكون مجموعة معينة تعتنق فكرة معينة وهذا سبب في أنني ذكرت في خطابي وفي المعالجة الأخيرة التي نشرت في « الأهرام » أنه لا بد أن يكون هناك دليل .. وماذا نعني بالدليل « أنني متصور انكم عاصرتم التطور الاشتراكي الأخير ، ولم يكن هناك دليل يربطنا جميعا بتفكير معين ، وكما ذكرت سابقا أول سؤال سأله الحزب الشيوعي الإيطالي عند زيارته لنا هو ، قال أين الايديولوجية الخاصة بكم وهل لكم ايديولوجية ؟ نحن لا نفهم هل انتم اشتراكيون أو شيوعيون أو رأسماليون . ومن الطبيعي اننا نستطيع الرد حينما يكون امامنا دليل عمل سياسي مطبوع بالانجليزية والفرنسية والايطالية يبين بوضوح خطنا الاشتراكي ، ويبين المنجزات الاشتراكية التي تمت ، ويبين فلسفة اشتراكيتنا كما هي وكما نتمنى أن تكون في المستقبل ، في هذه الحالة يمكن أن نقول هذه هي ايديولوجيتنا في الاشتراكية .

لا يوجد بلد اشتراكي اليوم — على مدى علمي — يتبنى نظاما اشتراكيا كاملا مثل ما يتبناه بلد آخر .. هناك اختلاف .. فحينما نتناول الاشتراكية الزراعية في بلغاريا نجد انها تختلف عن بولندا وعن ألمانيا الديمقراطية وتختلف اختلافا كبيرا عن الاتحاد السوفيتي ، وكلها بلاد اشتراكية ، لكن يجمعها مبدأ واحد كبير هو عدم الاستغلال وعدم تكوين رأس مال في يد معينة ، لكن المزارع الجماعية موجودة والمزارع التعاونية ، ومن الجائز أن تكون مزارع فردية بتحديد حد أقصى للملكية ، هذا كله جائز في النظم الاشتراكية ، فإذا ما تبيننا نحن نظاما معيناً يجب علينا أن نستهدف دليلا للعمل السياسي .

ان الصورة تكون ابشع على مستوى الوحدات الأساسية ، فعندما نأخذ وحدة أساسية على مستوى القرية أو على مستوى المصنع نجد ان هناك انفصالا آليا على مستوى هذه الوحدة الأساسية ، فنجد في القرية عند الترشيع ان الجماهير مقبلة على عملية الترشيع ، ونجد عناصر ممتازة تنتخبها الجماهير انتخابا حرا دون تزوير وقد كانوا يمثلون قيادات فعلية قبل انضمامهم للاتحاد الاشتراكي انما كان مفهومهم للقيادة واضحا امامهم .. فعندما تحدث معركة أو انقسام بين الناس يلجأ الناس اليهم للبت في هذه الامور .. ولكن عندما ينتخب هذا الشخص في

الوحدة الأساسية للاتحاد الاشتراكي نجد ان الصلة بينه وبين الجماهير تنفصل بعد شهر أو اثنين وعندما نسأل اهل القرية أو المصنع يقولون ان هذا الشخص أصبح لا يمثلنا .. لماذا ؟ في رأيي ان هذا ناتج عن سببين : فلا المهمة واضحة امام اللجنة الأساسية ولا المهمة واضحة امام الجماهير الذين انتخبوه .

وباستعراض سريع يمكن أن نشبه هذا بطبيب يعالج حالة قائمة ، هذه هي الحالة التي نحن فيها بكل صراحة ، اذ نجد انفسنا تائهين مع العمال وكذلك مع الطلبة والمثقفين والمهنيين ومع الفلاحين .. فكيف تكون تنظيمنا إذن .. ؟ هذه هي الصورة الواقعية ، وعلى ذلك في تصوري انه لكن نضع ايدينا على الطريق فعلينا ان نشير رؤوس موضوعات في هذه الجلسة .

فإذا ما اتفقنا عليها ولن تخرج عن الكلام الذي ذكرته فأننا بعد ذلك نتقدم في الجلسة القادمة بورقة العمل الذي سأقدمها مع الاوراق التي وردت من امراء المحافظات وسنقدمها ايضا ثم نتناقش جميعا بحيث تكون ورقة العمل في شكل واحد .

لماذا ذكرت أنني متفائل على الرغم من صعوبة العمل ؟ لانه بالتجربة البسيطة التي تمت وبالتجارب السابقة للانسان في النظم الحزبية تبين أن هناك أمرا واحدا هو الذي جعل هناك صلة وهو سياسة الباب المفتوح وسياسة النقاش المفتوح وهو الأساس الأول : فلو جاء شخص من الخارج سواء كان عاملا أو فلاحا أو طالبا أو حضرت مجموعة الى هذا الاتحاد الاشتراكي لكي تعبر عن رأي معين ثم تجد الباب مغلقا امامها انتهى الامر ، ولكن اذا وجدت الباب مفتوحا امامها وناقشت تكون قد خطونا خطوة الى الامام .

وإذا كان الاتحاد الاشتراكي حساسا بالدرجة التي لا يمكن لاية مجموعة من الناس تمثل طائفة من الطوائف وتريد أن تتناقش بحرية وتنتقد وتنتقد ثم تجد ان الاتحاد الاشتراكي يغلق الباب امامها يكون في هذه الحالة قد عزل نفسه .

وهنا يجب ان يسأل الاتحاد الاشتراكي نفسه هل هو سلطة ؟ أو هو تمثيل لقوى الشعب العاملة ؟ اذا كان تمثيلا لقوى الشعب العاملة إذن من الواجب ان يعبر عن رأي هؤلاء .. وكيف يعبر عن رأي هؤلاء ؟ انه يعبر عن رأيهم طالما انه ينطوي تحت الوثائق الأساسية التي تتبناها الدولة الى ان تتغير ، فمن المفروض ان الميثاق سنة ١٩٧٠ يغير ، ولكن الوقت الآن ليس

النغمة في هذه المرحلة من مراحل العمل في الاتحاد الاشتراكي ينبغي ان تنتهي ، وعلينا ان نستشرف على مرحلة جديدة قائمة على اطلاق طاقات الامل والخير والتفاؤل ، والامل في نصر الله سبحانه وتعالى من غير ان ندخل في نزعات التعذيب النفسي .

هذه هي النقطة الاساسية التي اردت ان اقولها فيها يتعلق بالمنطلق الفكري فيها . ونحن محتاجون في الواقع الى ما يسمى بصناعة الانسان الجديد كما جاء في برنامج العمل الوطني وهذه التجربة تمر فيها دولتنا كما تمر فيها اية قوى تريد ان يكون لها وجود في هذه المنطقة بما في ذلك الوجود الاسرائيلي نفسه .

فنحن نعلم من اواخر القرن التاسع عشر ان اسرائيل قد بدأت في تكوين نوعية خاصة لتحاربنا بها ، بمعنى انها وضعت نظاما لتربية شبابهم ونظام المحارب المزارع الذي اخذوه من نظامنا المصري القديم لرمسيس الثاني فوجدوا نوعية بشرية خاصة محاربة يدوية عنيفة من اجل الحرب

وهنا حينما اريد تربية الشباب في منظومة الشباب في الدعوة والفكر .. ماذا اريد منه : ليس هناك عبارة عن اهداف انسانية مطلقة ولكن هناك عبارة عن اهداف مرحلية تطلب من شباب معين في فترة زمنية معينة في وطن معين يؤدي الى هدف معين فمن اجل ذلك ينبغي علينا في المرحلة المقبلة ان نكون على علم بما نريد بالتحديد ومتى وكيف نصل اليه .. هذه هي الصورة التي ينبغي ان نتجه اليها اليوم . ولكي اصل الى هذا الهدف ماذا اطلب ، انني اتصور شيئين اساسيين :

الاتحاد الاشتراكي لا يختلف عن النهر ، عبارة عن مجرى زائد ماء ، او اي نظام كهرباء اسلاك زائد طاقة ، فنحن نريد جهازا به طاقة تسير فيه ، هذا الجهاز ينقسم قسمين .. جزء منه يتعلق بالجانب الفكري التوجيهي ، والجزء الاخر يتعلق بالجانب التكنولوجي الخاص بنا . اذن الجهاز يوجد فيه قطاعان بعد ذلك ماذا نريد ان نعطي من دم الحياة لهذا الشباب الذي نريد ان نعمل معه :

من اين تأتي المشاكل ، انها تأتي من عدة صلات .. صلة الجهاز السياسي بالقاعدة الشعبية وهي اولى المشاكل ، وبعد ذلك صلة هذه القواعد الشعبية بالمجتمع الكبير ، بمعنى ان عضو الاتحاد الاشتراكي ليس معناه ان يعلق على صدره وساما معين يعطى له حقوقا بالنسبة لاي مواطن آخر .

مناسبا لكي تناقش الميثاق نظرا للظروف الحاضرة ولكن اذا رأى الاتحاد الاشتراكي في وقت من الاوقات ان الميثاق ينظر فيه ويتغير يكون هناك وثيقة قد تغيرت ، مثلا من الجائز ان يتغير الدستور وكذلك بيان ٣٠ مارس وبذلك تكون هناك خطوة الى الامام على صورة من الصور .

كلمة اخيرة اود ان اقولها وهي في غاية الاهمية ماهو الدور الذي يمكن ان يؤديه الاتحاد الاشتراكي بالنسبة للسلطة التنفيذية ، ليس فقط بالنسبة للسلطة التنفيذية لكن بالنسبة لاعلى مستوى رئاسي في هذا البلد حتى رئيس الجمهورية نفسه وليس معنى هذا ان الاتحاد سيملي على رئيس الجمهورية ، لكن اود ان اصل الى ان يكون رأى الاتحاد الاشتراكي في موضوع من الموضوعات او في كل الموضوعات الهامة لدى السيد رئيس الجمهورية فيكون لديه رأى جماهيري يمثل موضوعا من الموضوعات قبل ان يأخذ قرارا فيه ، بمعنى ان السيد الرئيس حينما يكون امامه موضوع من الموضوعات ويريد ان يبت في هذا الموضوع يقرأ عدة اوراق ويقرأ ايضا ورقة الاتحاد الاشتراكي ثم يبت كما يشاء وكما يريد .

بهذه الصورة مكتملة مع بعضها اعتقد انها حينما نعلنها الى الجماهير مع وجود نوع من التوثيق والتدعيم في الصلة الشعبية بصفة عامة نكون قد خطونا الخطوة الاولى بالنسبة لعمل الاتحاد الاشتراكي ، وهذا هو التصور .

● الدكتور عبد العزيز كامل

اعتقد اننا نمر بعد النكسة نفسيا في مرحلتين اساسيتين واود ان اكون واضحا فيهما ، ويمكن لهاتين المرحلتين ان يوضحا المنطلق الفكري الذي نريده .

المرحلة الاولى التي مررنا فيها يمكن ان نسميها مرحلة تعذيب الذات ، كانت نوعا من الفكر السائد الموجود عند الافراد ، فقد حدثت نكسة فبدأنا في عملية لوم شديدة لانفسنا بأننا اخطأنا كأننا نريد ان نعذب انفسنا لما حدث ، ومن الممكن جدا ان نلوم انفسنا على اخطائنا لكن من المفروض ان تتحول هذه الجهود من سياط تضرب بها انفسنا الى قوى تدفعنا الى ان نعمل ، لهذا كان لابد ان تنتقل من مرحلة تعذيب الذات الى مرحلة دفع الطاقات الحية لكل افراد المجتمع وقواه للبناء من اجل النصر الجديد ونستطيع ان نجد هذا في كلماتنا وفي خطبنا في اننا بعدنا عن المولى سبحانه وتعالى وانه فعل فينا هذا لاننا نستحق هذا ، واعتقد ان هذه

يعيش أي إنسان فينا ، وعليه ضغط ٧٦ سنتيمتر
زئبق فوق جسده وهو لا يحس بهذا الضغط إلا
إذا صعد إلى فوق أو نزل إلى تحت .

هذه قضايا كيف ادرسها إلا إذا توافرت لدى
جميع المعلومات ؟ ، وكيف أعطى القائد المسئول
رأيا معينا في قضية سياسية ولا يوجد لدى كل
هذه المعلومات .

هذه قضية ينبغي عليها تقييم الجهد العربي كله
وعلى تقييم الجهد العربي ينبغي موقفي إلى حد
كبير جدا من معركة المصير .

وهناك وظيفة مهمة جدا ينبغي ان نعلم بها —
ونحن نعمل في هذه المرحلة — ففي المدينة اليوم
ومع نمو المدن تفكك جميع روابط العائلة ، وهذه
قضية قائمة ، أما الريف فما زال فيه تماسك ،
أذن كل إنسان يعيش اليوم قد لا يعرف جاره ،
فهذه المدينة يفرض عليها في ظرف معين ان تقابل
قضية اليوم مثل عدوان أو هجوم والحاجة إلى
التجاء الناس إلى المخايء أو إطفاء حرائق موجودة
أذن ينبغي ان تكون في المدينة روابط جديدة لتحل
محل الروابط التقليدية القديمة التي كانت موجودة
في الريف ، ولا يمكن ان تقوم هذه الروابط على
أساس من الجوار العادي وليس هناك من بديل
للروابط القديمة التقليدية في القرية إلا عن طريق
جهاز سياسي متكامل وقوى يربط كل هؤلاء الناس
ببعضهم البعض ، بحيث يشعرون في أنفسهم أنهم
في حاجة إلى ان يتعارفوا ، فحينما تأتي غارة
على ناحية معينة ويحدث شيء أكون على علم انه
على بعد أربعة أمطار من المنزل هناك طبيب يسكن
بجوازي ، وأعرف على الأقل ان بجانبى تومرجى
أو وحدة أو حنفية حريق استطيع ان استعمالها
وهنا يبدأ الناس يحسون بحاجتهم إلى التعارف
ويتجمعون مع بعضهم البعض ، فلما شعرنا الناس
بأن هذه القضايا متعلقة بصيانة أنفسهم وأزواجهم
وأولادهم وحياتهم اليومية ، وجعلناهم وحدات
حية من أجل المعركة لا يمكن لنا عيل الكثير .

بعد ذلك تكلم السيد السكرتير الأول عن تجارب
الأحزاب المختلفة وأذكر انه من سنة ٦٣ و ٦٤
و ٦٥ و ١٩٦٦ تمت لقاءات في الاتحاد الاشتراكي
تقريبا مع جميع الأحزاب السياسية الخارجية ،
واعتقد أن السيد خالد محيي الدين يعلم ذلك جيدا
لكن وثائق هذه اللقاءات لا تدرى أين نجدها ؟
وصدرت كتب مطبوعة ولدي نسخها جميعا عن كل
هذه اللقاءات والأنظمة الداخلية لكل هذه الأحزاب
أين هذه الوثائق ... ؟

فربما ما كان هناك من أخطاء وكل ما هنالك من

كيف تكون صلة الجهاز السياسي بالجهاز
التنفيذي على المستويات المتعددة ؟ كيف تكون
صلته بالرئاسات ؟ وصلة القيادات الاقليمية وصلة
القواعد ؟ صلة الجهاز السياسي بالجهاز التشريعي
على المستويات المركزية والمحلية ؟ وصلة الجهاز
السياسي برئاسة الدولة ؟ هذه هي الجوانب
الرئيسية التي ينبغي ان تكون موجودة .

ماذا اتصور من الصلة ، فعلى سبيل المثال
الصلة بقيادة الدولة اليوم من الصعب علميا في
اية قضية ان نقول ان هذه القضية صحيحة أم خاطئة
فكلمة صحيح أو خطأ أصبحت علميا غير صحيحة
لان كلمة صحيح أو خطأ يمكن استعمالها في
المدرسة في مسألة حسابية يحصل الطالب على
مجموع ، ولكن القيادة اليوم عبارة عن فن اختيار
بين بدائل متعددة وليس أكثر من ذلك ، وحينما
ترجع لاي كتاب في الفكر الحديث أو الفكر
الاستراتيجي بالذات يمكن ان يعطيك في القضية
الواحدة عشرة بدائل وأحيانا يعطى عشرين بديلا
وهي هذه الحالة تكون مهمة الجهاز السياسي ان
يضع دراسات مستفيضة لموضوع معين ويضع
البدائل المتعددة للقائد المسئول ، وعلى القائد في
هذه الحالة ان يختار من هذه البدائل الموجودة
أماه ، ولا يمكن ان نضع هذه الأشياء سواء على
الصعيد المحلي أو على الصعيد الخارجي إلا اذا
كانت مصادر المعرفة متوفرة ، فهذه مسئولية
خطيرة من مسئوليات السكرتير الأول للاتحاد
الاشتراكي وهي كيف يمكن ان تتوفر مصادر
المعرفة المختلفة لهذه الأجهزة المتنوعة لكي تدرس
هذه القضية .

وأود ان اعطى مثالا لقضية واحدة ، وهي
قضية ما يمكن ان يسمى باقليمية الفكر في الأنظمة
التقدمية العربية ، نجد اليوم ان كل نظام تقدمي
عربي له ايدولوجية خاصة ، وبدأت تحدث صراعات
كثيرة جدا بين هذه الأنظمة التقدمية ، حتى انه في
الشرق العربي اليوم أصبح بين الأنظمة الرجعية
من النفاهم والتواطؤ ما لا يوجد بين الأنظمة
التقدمية ، والذين يدعون التقدمية أصبح كل
إنسان فيهم يعمل لنفسه مركز قوة ويريد ان
يستقطب الآخرين إليه ، كل واحد منهم يعمل
لنفسه ميثاقا وفكرة فكيف يكون وضعنا حينما
نعمل مع هؤلاء ؟ كيف يمكن لنا ان نقوم بعملية
حشد من أجل قومية معركة ومن أجل حشد قوى
عربية ، سنوف نقابل كل هذه الايدولوجيات
المتعددة ، وهناك عملية التمزيق والتجزئة التي
حدثت في الفكر التقدمي العربي اليوم . هل هي
مجرد صدف تاريخية ؟ هذه عملية مقصودة ، يمكن
ان يتحرك فيها الإنسان دون ان يعي بالضبط كما

وارجو ان يعذرني السيد الدكتور عبد العزيز
اذا كنت استعمل تعبيراته .

اننى اريد ان يكون الاتحاد الاشتراكي مسموع
الكلمة فى كل سلطة وفى كل مكان .

قلنا انه يجب ان يتعد الاتحاد الاشتراكي عن
السلطة التنفيذية وعن السلطة التشريعية ولكن
يجب ان يمارس سيطرة الشعب على كل شىء
اذا كان ممثلا للشعب .

السيد السكرتير الاول يقول « كيف يعمل
الاتحاد الاشتراكي وهذا هو الذى يهمنى كثيرا الان
اذا لم تكن سنحارب العدو اليوم فعلى الاقل يجب
ان نحارب السلبيات والاطفاء فى الداخل .

**قضية الاتحاد الاشتراكي اساسا هي تعميق
الاشتراكية فعلا وعملا ، اما كون ان الامر
يقتصر على الدراسة فقط ، فان هذا يعنى ان
الاتحاد الاشتراكي يضيف الى الاوراق المقدسة
او التى لاتجدها تلالا اخرى من الاوراق كذلك
فاننا نضيف الى ذلك تقرير الميثاق لان تقرير الميثاق
هو الذى اعتمد به الميثاق ، وهذا التقرير لم نقرأ
منه شيئا لانه لم يطبع ولم يوزع ، تقرير الميثاق
هذا كان يشمل ماجاء فى بيان ٣٠ مارس قبل
ان يصدر بيان ٣٠ مارس بستة اعوام .**

القضية العامة التى تشغلنا الان هي ان نعطي
للشعب الثقة فى نفسه او فى تنظيمه وان نبين له
مزايا الدستور الذى صدر وبه قدر من التقدم
لم تبلغه البلاد من قبل .

كذلك ارجو ان يكون محلا للكلام ايضا ان يختار
الاتحاد الاشتراكي فى ذاته اعضاءه ممن يكونون
قدوة فى مثلهم وان يكون دعاة فى الريف قدوة
ايضا لان الناس لا يعرفون الا من هو محل ثقة
عندهم .

وارجو ان نستمر فى اجتماعات هذه اللجنة .
وارجو الا نسال كثيرا ماذا تريد منا مصر ، فقد
علمنا وكلنا نعلم ماذا تريده منا مصر ، انها تريد
النصر ، اما كل تمهيع وكل سكوت وكل تخدير
بالكلام الطيب والكلام الكثير فان من شأنه ان
يبعد الناس عن المعركة ويبعدنا عن النصر .

لذلك فاننى ارجو ان نستمر فى اجتماعاتنا وان
نحدد مسائلنا دون ان نقصرها على الاهداف
والمسائل التى ذكرها الدكتور حافظ غانم والتى
ذكرتها الدكتورة عائشة راتب بل نفتح الباب
كاملا لكل المسائل وكل الموضوعات التى تهمنى
كتنظيم سياسى من ناحية وكمواطنين من ناحية
اخرى . . وشكرا . .

سلبيات فى المراحل الماضية لا يمكن ان اضيع
اى عمل مخلص فى اى موقع حيث يكون فالرجل
الصالح يترك الاثر الصالح حيث يكون ويمكننا ان
ناخذ كل هذه الخبرات الموجودة ونجمعها ونستفيد
منها ، واعتقد اننا فى صدد البحث عن وظيفة
للاتحاد الاشتراكي مع ان الوظيفة قائمة فعلا .
والعمل ضرورة حتمية ، انما المهم هو الاسلوب
الذى يجعل الناس يقبلون على هذا العمل
اقبالهم على الروابط الطبيعية التى كانت موجودة
فى القرية والروابط الانسانية بحيث يتحركون من
اجل مصلحة مشتركة وليس هناك مصلحة تجمعنا
اكثر من المعركة اليوم .

اننى اتحدث عن الاشياء التى صانت هذه
الحضارة رغم ما قاساه اهلها وعلى مدى هذه
السنين الطويلة .

● الدكتور عبد الحليم الجندى

السؤال المعروض هو : هل تنقسم اللجنة الان
او انها تنقسم بعد قليل ؟ لاجدال انه من الواضح
الان بغد هذه المناقشة انه يجب ان تستمر اللجنة
كما هي حتى نتفق على مايجب ان نعمله ، ولا
جدال ايضا اننا نريد تقديم ورقة العمل الموجودة .

الشىء الذى نريد ان نؤكد ان نركز عليه هو
تحديد واجبات الاتحاد الاشتراكي بل وتعريف
الاتحاد الاشتراكي وتوضيح وظيفته . فالاتحاد
الاشتراكي قوة كبيرة فى هذا البلد ولايجب ان
يعطل كما حدث فى الماضى . كذلك فيجب ان نكون
صرحاء مع انفسنا فى ذكر الاخطاء واسباب
الفشل الذريع الذى لحق بالاتحاد القومى كتنظيم
سياسى ، واذا كنا حكماء فلنكن حكماء ودقيقين
فى التعبير عن فشلنا فى الماضى ولنسكن ايضا
دقيقين فى علاج الاخطاء .

ان سلبيات المواطن المصرى ترجع الى انه محكوم
بالعدو وبالدخيل دائما ، ومن هنا كان المواطن
المصرى سلبيا ، ولكن بعد ان اصبح يحكم باهله
وبابناء وطنه فلا بد ان يكون ايجابيا وان يقاوم
السلبيات .

الاتحاد الاشتراكي مطالب ومكلف بأسلوبه
الحالى ان يعمق المفاهيم الاشتراكية وان يدفع
القوى الوطنية لان تعمل وان تأتى بالكثير .

علينا كذلك ان ننقل الى الجماهير كل ذرة من
تراث هذا البلد بحيث يصبح كل مواطن على علم
ومعرفة بتراثه وحضارته .

● خالد محيي الدين

بعد ان استمعت الى هذه المناقشات شعرت اننا بدأنا ندخل في صميم عمل اللجنة مسرع ان الموضوع الذي طرح هو كيف تعمل اللجنة ؟

واننى ارى ان تستمر اللجنة في الانعقاد في الفترة الاولى لكي تناقش القضية العامة وهي الاتحاد الاشتراكي وكيف يصبح تنظيمها فعلا ويبتعد عن هذا القصور الذي حدث في الماضي وفي الحاضر ، وربما نصل من خلال هذه المناقشات الى ان التجارب التي خلت قبل كانت كلها غير موفقة .

اذن فالنقطة الاولى : هي اننا نريد ان نحدد موضوعات النقاش كما وردت ، لقد قيل ان اوعية الاتحاد الاشتراكي في الوقت الحالي اصبحت لا تستطيع ان تستمر في عملها ، وان التنظيم عاجز عن ان يفتح على الجماهير .

الموضوع الثاني : هو تعميق الطابع الديمقراطي — ومعنى هذا ان هناك قصورا في هذه الناحية ويظهر ذلك في موضوع علاقة التنظيم السياسي بالتنظيمات الجماهيرية الاخرى وبمجلس الشعب والنقابات والهيئات والمنظمات ... الخ ..

وانه لكي ننجح في هذا لابد من اسلوب جديد .

واننى ارى ان نبدا عملنا بالنقاش الواسع بحيث يقول كل منا رايه بصراحة كاملة ، اما اذا كان هناك اتفاق على ان هناك ورقة عمل فهذه الورقة لا تفرض علينا ، ولكنها تكون بمثابة شيء نبدأ او ننطلق منه فقط .

كذلك فلا بد ان تكون هناك تحديد للموضوعات التي ستناقش في كل جلسة ولا بد ان نبدا كل جلسة بورقة عمل محددة بها الموضوعات التي ستبحث ، وعلى سبيل المثال يحدد لنا من الان موضوعات البحث في الجلسة القادمة موضوع ان اوعية الاتحاد الاشتراكي اصبحت سلبية وذلك حتى يستطيع الفرد منا ان يفكر في هذا الموضوع قبل انعقاد الجلسة ويكون قد توصل الى فكر معين بشأنه .

بعد ذلك بالنسبة للسؤال الذي طرح ، هل اللجنة ستقسم وتوزع على اللجان التسع ، ام اننا نلتقي بها مجتمعة او نلتقي بكل لجنة منها على حدة .

أعتقد ان التقاعنا بها مجتمعة في المرحلة الاولى او في الفترة الاولى قد يكون امرا صعبا ، ولكن المهم هو ان نبدا الان مناقشة هذه القضية على

الاقل كحد ادنى ثم بعد ذلك نكون قد توصلنا الى اشياء نزل بها الى هذه اللجان .

● الدكتورة عائشة راتب

الموضوع اساسا هو كيف نحدد دور كل فرد في هذا المجتمع وكيف نعرف كل فرد بما هو مطلوب منه ، فاذا اخذنا على سبيل المثال طالب الجامعة الذي يعتبر من ابناء الثورة ومن مواليدها وهو ايضا نتاج هذه الثورة ، انه تلقى كلاما من الثورة في التعليم الابتدائي وتلقى كلاما من الثورة في التعليم الاعدادي والثانوي ، ثم تلقى بعد ذلك كلاما عن الثورة في الجامعة ولكنه لم يستطع حتى الان ان يحدد ما هو المطلوب منه .

اذا انتقلنا من هذا المثال بالنسبة للطلبة الى الجماهير فاننا نجد نفس الكلام بالنسبة للاتحاد الاشتراكي العربى .

● السكرتير الاول

لدى فكرة بالنسبة للتنظيم الشبابى وهي ان نبدا بعقد لجنة التنظيم الشبابى لان التنظيم الشبابى اثير الان وان هناك ، دواعى تجعلنا نسارع في البت فيه .

● الدكتورة عائشة راتب

اذن فلاحظ انه من الصواب ان نبدا بزرع الايمان في الناس ، فاليهودى الصهيونى لم يهتز ولم يفقد ايمانه بالصهيونية عندما حدثت لها نكسات متتالية .

لذلك فعلى ان نبدا بزرع الايمان في الناس ووسيلة ذلك هي ان نزل الى هؤلاء الناس ونستطلع رأيهم في طريقة الزرع .

في تقديرى ان الاتحاد الاشتراكي ليس محتاجا لكلام دون عمل كثير ولكن الاتحاد الاشتراكي في تقديرى يحتاج لعمل دون كلام كثير وهذه هي النقطة الرئيسية التي يجب ان نركز عليها .

كذلك ماهو مفهوم العمل السياسى ، في مفهومى ان العمل الاجتماعى عمل سياسى وان العمل الثقافى ايضا عمل سياسى ، واننى اعتقد ان الاتحاد الاشتراكي اذا قام بهذه الاعمال ووضع يده في كل شيء فاننا سوف نصل الى قلوب الناس وهذا ما رايناه في البلاد الاخرى وهو كيف يحرك التنظيم السياسى كل فئات الشعب ويربط بين المواطنين وبين سياسة الدولة ككل .

● السكرتير الاول

اسمحوا لي ان نبدأ من النقطة التي ذكرها الاخ خالد والتي ائنت عليها الدكتور عائشة وهي أن نخطو خطوة الى الامام بأن نبين رؤوس الموضوعات ..

بالنسبة لما اعدده الدكتور حافظ غانم فقد اطلعت عليه ، ولو سمحتم فسيتلو على حضراتكم ما اعدده الا اذا كان هناك تعليق آخر ..

والواقع انني لم ابدأ بما اعدده الدكتور حافظ لانه كان لابد من الاستعراض الاول السدي عبر عنه الاخ خالد ، وانني متصور ان الاستعراض الاول سيتكرر معنا كثيرا وهذه علامة لا نخشى منها حتى ولو خرجنا قليلا عن جدول الاعمال لان المأمورية كبيرة وهدفنا هو ان نصل الى نتائج ..

وقبل ان يتكلم الدكتور حافظ غانم هناك نقطة ذكرتتها الدكتور عائشة واود ان اركز عليها ، وهي ان هناك اجتماعات كثيرة عملت في الاتحاد الاشتراكي من مفكرين مثلنا ويمكن ان يكون بينهم من هو احسن منا ، بجانب نقطة للتوثيق التي اثارها الدكتور عبد العزيز كامل وانني متفق معه تماما ، والنقطة الخاصة باللجنة السياسية وتنشيطها سوف نتكلم فيها حينها يأتي دورها ولو انها وردت ضمن الاستعراض العام ، وفي ذهننا اجراء عملية توثيق ومحاضر تشابه محاضر مجلس الشعب .

هناك نقطة اخرى اود ان اقولها بصراحة لانني سئلت فيها ، يقول البعض انه عندما يتسولي المسؤولية شخص ما فانه يحاول ان يهدم كل ما وضعه المسئول السابق من انظمة ، وعندما يتغير هو يحدث نفس الشيء ، واود ان اجيب على هذه النقطة بصراحة ، ففي اسلوب عملنا نريد ان ننهي الى وثيقة معينة ، ولهذا تجدون انني ذكرت في خطابي في المؤتمر القومي العام بأننا نريد دليل عمل سياسي واسلوب عمل ، وهذا الدليل وهذا الاسلوب عندما تنتهي مراحله - وقد تنتهي في اللجنة المركزية او في المؤتمر القومي - فان هذا سيمثل الاسلوب مع وجود طاقم الخبراء الذي سوف نتكلم فيه ويصبح هناك اسلوب عمل واملى ان يكون ناجحاً بعض الشيء بحيث لو تغيرت المناصب الكبيرة في الاتحاد الاشتراكي - وهنا يتحقق كلام الدكتور عبد العزيز كامل - فلا يتغير اسلوب العمل في الاتحاد الاشتراكي بتغيير الاشخاص .

واذا سمحتم فسوف يتكلم الدكتور حافظ غانم ليعطي فكرة عن رؤوس الموضوعات وهي لاتمثل

ورقة عمل ، ولكنها تمثل بعض المبادئ أو الفكرة العامة التي سوف ينحصر النقاش فيها ، وسوف نوزع على حضراتكم ورقة العمل في الجلسة القادمة اذا ما انتهينا من اعدادها ان شاء الله .

● الدكتور محمد دكروري

طالما ان ورقة العمل ليست جاهزة وكما ذكر الاخ خالد ان ورقة العمل حينما تصل الينا قبل الاجتماع يكون كل منا على علم بالنقطة التي ستثار فان هذا سيمكننا من ان نكون جاهزين للنقاش

ولذلك اقترح بأننا نترك هذه الجلسة الاولى لكل شخص يعطي انطباعاته وتصوره على ان نوزع ورقة العمل بعد ذلك بحيث نكون جاهزين في الجلسة القادمة بأن نبدأها بهذه الورقة .

● السكرتير الاول

لو سمحت لي يادكتور ، فمع احترامي لهذا الرأي لدى مائع واحب ان توزع عليكم في وقت مبكر حتى تكونوا جاهزين بالرأي فيها ، واذا انتهت في جلسة فيمكن اعطاؤكم صورة وللمكاتب ايضا صورة اخرى ، ان سبب استعجالي على عمل المجالس المتخصصة هو انها سوف تعطينا نوعا من الاستفادة في ورقة العمل التي سأقدم بها اليكم .. فهل الصورة التي تقدم بها الدكتور حافظ يمكن ان تبني عليها ورقة العمل او ان هناك تصورا آخر ؟

● الدكتور محمد دكروري

معنى هذا ان هذه ليست ورقة العمل .

● السكرتير الاول

انها لا تمثل ورقة العمل ولكنها تذكرة معروضة للمناقشة وسوف يقرأها عليكم السيد الدكتور حافظ غانم ويمكن ان تبدى عليها ملاحظاتكم ، واذا كان لديكم مقترحات تريدون اضافتها لورقة العمل القادمة فيمكن اضافتها ، وفي الجلسة القادمة ستوزع عليكم هذه الورقة .. وبالإضافة الى ذلك فسيزع عليكم تلخيص لورقة عمل السادة ابناء المحافظات كما جاءت دون ملاحظات مني عليها سوف اقدمها لكم عن تصور الاشخاص الذين يعملون في الحقل ، وعلى سبيل المثال امين محافظة لديه معوقات سوف يكتب عن هذه المعوقات ، ولكنها لاتمثل امامك ورقة العمل ، الا ان المعوقات التي سيذكرها قد لا اكون انا على علم بها .

اثن سيوزع عليكم ملخص ما ورد من السادة

امناء المحافظات ، وستكون اجتماعاتنا المقبلة اجتماعات موسعة . .

وسيكون الاجتماع الاول الموسع لهذه اللجنة مع اللجان الفرعية برئاسة السيد الرئيس وغالبا سيكون يوم السبت القادم ، وأنا نصير جدا للاجتماعات الموسعة لاننا سنسمع اشخاصا يتكلمون كلاما قد يغير كلامنا .

الا انى مع الاخ خالد واخواننا الذين تكلموا بأن نأخذ خطوة الى الامام بحيث يوجد ما ندافع عنه امام اللجان الفرعية ، والا ستكون المناقشة الموجودة مماثلة للنقاش الذى يدور فى هذه الجلسة .

واود ان اركز فى مناقشة اللجان الفرعية على نقطة اساسية وهى ان اسمع من النقابات المهنية ما هو الشيء الذى تريده من الاتحاد الاشتراكي ، وقد ذكرت فى كلمتى اننا لانصاير الحركة الذاتية للنقابات المهنية ، ولكن يهينا ان تحدد النقابات كيفية الحصول على صداقة الاتحاد الاشتراكي ، هذا هو الكلام الذى من المفروض ان اثيره .

واذا سمحتم لى سييدا السيد الدكتور حافظ غانم بقراءة المذكرة التى اعدتها فى هذا - فهل توافقون على ذلك ؟

(موافقة)

● الدكتور حافظ غانم

اولا : تتناول المذكرة طبيعة اللجنة ووظيفتها ؛
① هناك قراران يحددان طبيعة عمل اللجنة ووظائفها :

[ا] قرار المؤتمر القومى العام فى دورته الخاصة فى فبراير سنة ١٩٧٢ .

[ب] المادة الثانية من قرار السكرتير الاول للجنة المركزية بتشكيل لجنة العمل .

② فوض المؤتمر القومى العام ، السكرتير الاول للجنة المركزية فى تشكيل لجنة العمل وتحديد مهمتها [البند الخامس من الفقرة ثالثا من قرارات المؤتمر] .

③ وضع المؤتمر القومى العام بعض الضوابط التى تحكم العمل فى مجال التنظيم وردت فى البنود ١ و ٢ و ٣ و ٤ من الفقرة ثالثا من قرارات المؤتمر وهى :

[ا] لما كانت الممارسة الفعلية خلال المرحلة الماضية قد كشفت عن قصور الاطار

الحالى للتنظيم عن مجابهة المتطلبات المتزايدة للمرحلة القادمة وتلبية حاجات الجماهير ومتطلباتها الملحة فى ان يكون تنظيمها السياسى المنبثق عنها والنابع من ارادتها فى خدمتها دائما ، فـان المؤتمر عهد الى السكرتير الاول للجنة المركزية باتخاذ اجراءات تعديل القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكي العربى حتى يكون الاطار التنظيمى قادرا على تحقيق المضمون ، وبحيث تشترك الجماهير فى صنع القرارات المتصلة بمشاكلها ومتطلباتها .

[ب] اعمالا لمبدأ تعميق الطابع الديمقراطى للتنظيم السياسى وجعله منبرا حرا معبرا عن ارادة الجماهير بالاسلوب الذى تراه قوى الشعب العاملة ومن خلال الحوار البناء الذى يتم فى جو منظم وايماننا بأن الحوار الديمقراطى الحر دعامة اساسية من دعائم الدولة العصرية وضرورة اساسية لصالح المجتمع فانه من الضرورى ان تفتح ابواب التنظيم السياسى امام قوى الشعب العاملة كلها بالشكل الذى يجعله الاداة الشرعية القادرة على التعبير عن رأى الجماهير .

[ج] انطلاقا من ان التنظيم السياسى هو القاعدة الاساسية التى تنبثق منها جميع الاجهزة فى الدولة باعتبار انه الوعاء الذى تتفاعل داخله ارادة الشعب والذى يعبر عن مصالحه فقد رأى المؤتمر ضرورة تنسيق العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي العربى من ناحية وبين الاجهزة التنفيذية والتشريعية والقطاع العام والتعاونيات الزراعية والنقابات والاتحادات المهنية والعمالية والطلابية والتنظيمات النسائية وكافة الجهات والاجهزة التى تتصل بمصالح الجماهير من ناحية اخرى وذلك بما يخلق وحدة متكاملة بين اجهزة الدولة كافة .

[د] وايماننا بضرورة اتباع منهج علمى للممارسة السياسية وتحديد القواعد الرئيسية العامة التى تحكم الاتحاد الاشتراكي فى حركته ، فقد طلب المؤتمر اعداد دليل مفصل للعمل

السياسي لاعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي في مختلف المستويات التنظيمية وان يتم اعداد هذا الدليل في اطار ميثاق العمل الوطني وبيان ٣٠ مارس والدستور، وبرنامج العمل الوطني على اساس تبني الاتحاد الاشتراكي لمطالب وآمال تحالف قوى الشعب العاملة .

٤ بتاريخ ١٩٧٢/٣/٩ صدر قرار السكرتير الاول للجنة المركزية بتشكيل لجنة العمل وتحديد مهمتها على ضوء قرار المؤتمر القومي العام ، وكذلك اصدر سيادته قرارا بتشكيل اللجان الفرعية لمعاونة لجنة العمل

وقد روعي في تشكيل لجنة العمل ان تضم ممثلين للجنة المركزية وللمؤتمر القومي العام ولشخصيات عامة لها فكرها المعبر عن تحالف قوى الشعب العاملة وتجربتها في مجال العمل الوطني ، كما رئي في تشكيل اللجنة الفرعية المعاونة تمثيل كافة الخبرات التي تتصل بعمل هذه اللجان .

وقد حدد قرار السكرتير الاول مهمة لجنة العمل على النحو الاتي :

[ا] مهمة تتصل بالتنظيم نفسه وهي اعداد دليل العمل السياسي لاعضاء التنظيم والذي يتضمن :

- ١ - منهج التطور الاشتراكي .
- ٢ - بيان للمنجزات الثورية يوضح فلسفة الاشتراكية العربية والتطبيق المصري لها .
- ٣ - مهام وواجبات اعضاء التنظيم .

[ب] مهمة تتصل بعلاقة التنظيم مع الاجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية وهي تتضمن :

١ تأكيد ان التنظيم هو القاعدة الاساسية التي تنبثق منها جميع الاجهزة في الدولة « ان صيغة الاتحاد الاشتراكي هي اكثر الصيغ ملاءمة لحشد القوى الشعبية بواسطة الديمقراطية وعلى اساسها وهي تجسيد حي وضحى لغلى ان تكون الثورة للشعب وبالشعب ، ثم انها الضمان بعد ذلك لتجنب دموية الصراع الطبقي ولكفالة فتح اسرع الطريق واكثرها امانا الى التقدم » .

ولقد اكد المؤتمر القومي العام في دورته الخاصة قصور التنظيم الحالي عن مواجهة متطلبات المرحلة القادمة ، ومن الطبيعي ان تكون مهمة حشد كافة جماهير الشعب في النضال من اجل التحرير وتحقيق الوحدة الوطنية مهمة رئيسية في المرحلة المقبلة وهذا يستدعي دعم التحالف بين قوى الشعب العاملة في اطار فكر اشتراكي واضح المعالم يعلى من شأن المصلحة القومية مع مراعاة المصالح المشروعة لكل قوة من قوى التحالف .

ومن ناحية اخرى - فان وضوح الفكر الاشتراكي وتطبيقاته في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ضرورة لدعم عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتنشيط كافة قوى الانتاج الوطنية .

٢ في مجال الهيكل التنظيمي للاتحاد الاشتراكي .

١ - ان الاتحاد الاشتراكي ليس حزبا يمثل مصالح طبقة معينة بل هو تحالف لقوى الشعب العاملة لتحقيق الكفاية والعدل ولتذويب الفوارق بين الطبقات .

وقد جاء في مقدمة القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي .. « ان الاتحاد الاشتراكي العربي هو الطليعة الاشتراكية التي تقود الجماهير وتبر عن ارادتها وتوجه العمل الوطني وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره في خطه السليم في ظل مبادئ الميثاق وهو الوعي الذي تلقي فيه مطالب الجماهير واحتياجاتها .. ويضم الاتحاد الاشتراكي العربي كت تنظيم سياسي شعبي قوى الشعب العاملة ، ويتمثل فيه تحالف هذه القوى في اطار الوحدة الوطنية ، وهو ليس تحالفا بين طبقات ، بل قوى العاملة تتداخل فيما بينها طبقيا ، ولهذا فهو ليس تحالفا مؤقتا ، بل من الممكن استمراره حتى بعد الانتهاء من تذويب الفوارق .

٢ - خلق وحدة متكاملة بين كافة اجهزة الدولة .

٣ - تحديد نوع علاقة التنظيم بكل جهاز تنفيذي وتشريعي وشعبي .

[ج] مهمة تتصل بعلاقة التنظيم مع الجماهير وهي تتضمن :

- ١ - أسلوب الانفتاح الكامل على كافة قوى الشعب العاملة .
- ٢ - أسلوب تحقيق الديمقراطية عن طريق مشاركة الجماهير في التوجيه والرقابة .

ثانيا : أسلوب عمل اللجنة :

يثير البحث في أسلوب عمل اللجنة ما يلي :

- ١ - أسلوب اتصال اللجنة بالأجهزة الأخرى للاتحاد الاشتراكي .
- ٢ - هل تعتبر اللجنة جهازا للرقابة وتقييم نشاط الأجهزة العاملة في الاتحاد الاشتراكي بشأن أجهزة الرقابة في التنظيمات الحزبية .
- ٣ - هل يتضمن انشاء اللجنة تعديلا في الكيان الحالي للاتحاد الاشتراكي العربي
- ٤ - هل تكون نقطة البداية تطوير ما هو قائم لأعضاء الاتحاد الاشتراكي قوة أكثر او إعادة كاملة للتنظيم .
- ٥ - صلة لجنة العشرين باللجان الفرعية الاستشارية .

ثالثا : متطلبات المرحلة القادمة في مجال التنظيم السياسي :

■ في مجال الفكر الاشتراكي :

تتجه البلاد الاشتراكية حينما تخوض معارك التحرير الى حشد كافة القوى الوطنية عن طريق السعى لتحقيق وحدة وطنية في مواجهة العدو وقد عني برنامج ٣٠ مارس بذلك بالنص على : «انه من الضروري والحيوي حشد كل القوى الشعبية وبوسيلة الديمقراطية وعلى أساسها وراء أهداف نضالنا القريبة والبعيدة أي وراء واجب المعركة وراء امل اتمام بناء المجتمع الاشتراكي الذي حققنا منه كثيرا وينبغي أن نحقق منه أكثر .

وهذا التحديد لطبيعة التحالف يجعل من المتعذر من الناحية التنظيمية اقتباس الهيكل التنظيمي للاتحاد الاشتراكي العربي من الهيكل التنظيمي لحزب سياسي ، والا تعذر تطبيق فكرة التحالف وتنشيطها .

ويجب ان يكون اساس تنظيم علاقات قوى التحالف تأكيد الديمقراطية وسيادة القانون ، وقد جاء في برنامج العمل الوطني ان « سيادة مبدأ الديمقراطية في الحياة الداخلية للتنظيم ان أسلوب

الحياة والعلاقات داخل أي تنظيم سياسي هو الذي يحدد بالنتيجة أسلوب تعامله وعلاقته بالجماهير ، ان تنظيمها يقوم على الدكتاتورية والفرض واصدار الاوامر دون مناقشة ، لا يمكن بحال من الاحوال ان يكسب الجماهير ولا يمكن الا ان يتعالى عليها ولن تقبل الجماهير هذا التعالي منه بطبيعة الحال فتنفذ من حوله . ان التنظيم السياسي بالنسبة للجماهير كالنبات للارض الطيبة ان اجثت منها ذبل ومات كشجرة خبيثة اجثت من فوق الارض مالها من قرار ، ان الديمقراطية تعني حرية الرأي والتعبير لكل عضو ولكل مستوى ولكل قوى من قوى التحالف ، وايجاد الظروف الملائمة لممارسة هذه الحرية كما تعني حق النقد وممارسة النقد الذاتي ، ان الديمقراطية هي الضمان الوحيد ضد ظهور مراكز القوى وضد الشللية وضد الولاء لفرد أو مجموعة من الافراد ، ان الديمقراطية هي الطريق الى جماعية القيادة فليست جماعية القيادة في جوهرها سوى اتخاذ القرار على اساس من الخبرة الجماعية للاعضاء ولا سبيل الى هذا الا بفتح باب الحوار حرا حول القضايا المثارة امام جميع المستويات ، ان الديمقراطية هي المناخ الذي تنربى فيه العناصر القيادية الجديدة ، انها باختصار جسد التنظيم وروحه .

وكما ورد تأكيد مبدأ سيادة القانون في بيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطني ودستور جمهورية مصر العربية .

■ في مجال علاقة التنظيم بالسلطات التشريعية والتنفيذية والشعبية .

[١] ينبغي تحديد معنى السلطة التي يمارسها الاتحاد الاشتراكي العربي وتأكيد ان لها طابعا سياسيا وليس تنفيذيا ، وان هذا الطابع هو الذي يجعلها اعلى السلطات لانها تملك التوجيه والرقابة على غيرها من السلطات . ويتم ذلك في ضوء ما نصت عليه المادة الخامسة من الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية من ان الاتحاد الاشتراكي العربي هو التنظيم السياسي الذي بتنظيماته القائمة على اساس مبدأ الديمقراطية تحالف قوى الشعب العاملة من الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، وهو اداة هذا التحالف في تعميق قيم الديمقراطية والاشتراكية وفي متابعة العمل الوطني في مختلف مجالاته ودفع هذا العمل الوطني الى اهدافه المرسومة .

القادمة ورقتان فقط ولا نقدم الحصيلة النهائية لأنني في حديثي تعرضت الى تقسيم الاتحاد الاشتراكي نفسه كصورة من الصور وهي داخلة في التفصيل النهائي كما اتصوره .

وبناء على ذلك فاني استسمحكم في ان مذكرة السيد الدكتور حافظ غانم سوف تقدم ، وسوف تقدم معها ايضا مذكرتي — وهي لاتمثل ورقة العمل — ونجعل ورقة العمل للمرحلة الثالثة لأنني ربما اضيف او اغيرها بناء على التساؤلات الموجودة في الورقة الثانية والموجودة كرؤوس مواضيع في المذكرة المقدمة من السيد الدكتور حافظ غانم فهل توافقون على هذا وايضا ما يرد من املاء المحافظات سيوزع مع ورقة العمل .

« موافقة »

● المهندس سعد هجرس

ليس هناك ما يمنع ان تتاح لنا الفرصة للحصول على ورقة العمل او الورقة التي تتضمن افكار السيد السكرتير الاول والورقة التي طرحها السيد الدكتور حافظ غانم وليس هناك ما يمنع ايضا من تقديم الاوراق التي وردت من السادة املاء المحافظات ، وبالنسبة للجلسة القادمة فان الموضوعات التي ستعرض كثيرة وتتناول عناصر كثيرة جدا ، لذلك فاني اميل الى راي الاخ خالد محيي الدين في ان نتفق على ان نبدا بنقطة معينة في الجلسة القادمة نبحثها ونجهز فكرنا بالنسبة لها نظرا لتشعب الموضوع .

● السكرتير الاول

لا اعلم اذا كان هذا الكلام صوابا او خطأ ؟ والواقع انني لا استعجل هذه النقطة ولكن اود ان نتناقش بعض الشيء ، خاصة وان مناقشاتنا اليوم ليست خارج الموضوع واري ان يكون لديكم اوراق لانها تمثل تفكيرا معينيا ولكنني افضل عندما نتناول ورقة كالورقة التي تقدم بها السيد الدكتور حافظ غانم لتكون موضوعا للمناقشة ولانمستك بدليل العمل ، بعد ذلك يتطور الى الخطوة التي ذكرتها وننتهي المناقشة وندخل في كيفية اعداد دليل العمل السياسي وماهي الصلة الى كذا وكذا . ومن الجائز ان يرد في المناقشات آراء جديدة ، ومن المحتمل ان يكون راي احد الحاضرين هو ان الاتحاد الاشتراكي في صورته الحالية من احسن ما يكون وانه لا حاجة الى التغيير .

● الدكتور عبد الحميد حسن

اذا وضعنا ورقة العمل فهل تكون نهائية ؟

ويؤكد الاتحاد الاشتراكي العربي سلطة تحالف قوى الشعب العاملة عن طريق العمل السياسي الذي تباشره تنظيماته بين الجماهير وفي مختلف الاجهزة التي تضطلع بمسؤوليات العمل الوطني وبين النظام الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي شروط العضوية فيه وتنظيماته المختلفة وضمانات ممارسة نشاطه بالاسلوب الديمقراطي على ان يمثل العمال والفلاحون في هذه التنظيمات بنسبة خمسين في المائة على الاقل .

[ب] ينبغي تحديد معنى الخدمات التي يؤديها الاتحاد الاشتراكي وبيان اسلوب تقديمها ولقد وردت الاشارة الى هذا الدور في قرارات المؤتمر القومي وفي برنامج العمل الوطني .

[ج] ينبغي اعطاء الاتحاد الاشتراكي العربي في المرحلة المقبلة مهمة نضالية تدعمه وتختبر قياداته ومن المهام التي اقترحها برنامج العمل الوطني ولم يبدأ تنفيذها بعد ، محو الامية وتنظيم الامرة وذلك بالاضافة الى التوعية بخصائص المرحلة الحالية ، والتوعية بالتنمية الاقتصادية والمشاركة فيها ، وبناء الانسان الجديد .

● السكرتير الاول

سوف تطبع الورقة التي تقدم بها السيد الدكتور حافظ غانم وتوزع عليكم وبالتالي نبدا منها الجلسة القادمة وهناك ايضا ورقة عمل جاهزة امامي وسوف تقدم اليكم بشككين ، ورقة منها تطرح الموضوع ثم تطرح التساؤل وهما متشابهتان ، وقد جاء بورقة التساؤل :

هل حقق الاتحاد الاشتراكي الاماني التي علقها الجماهير عليه ؟

ثم حدد طاقات الجماهير ... الخ

وبها تكملة للنقاط التي وضعها السيد الدكتور حافظ غانم الا انها خطوة الى الامام لانها تركّز على هذه النقاط وتضع التساؤلات عنها .

وهناك ورقة اخرى تعطي رأيا آخر وهذه الورقة محددة بها السلبيات والايجابيات ، وقد اشار ايضا الى جميع النقاط التي تناولناها اليوم بما فيها الوثائق وخلافه ، واري ان تقدم في الجلسة

● السكرتير الاول

لا اتصور ان تكون هناك ورقة عمل نهائية الا عندما تقرها اللجنة المركزية .

● الدكتور عبد الحميد حسن

اذن ليس هناك مانع من ان نخرج ورقة العمل في الجلسة القادمة وهي ورقة عمل الامة العامة

● السكرتير الاول

هذه الورقة تنقصها نقطة واحدة ، وهي ورقة عمل امناء المحافظات وسوف ارسلها لكم ، ايضا سوف ارسل لكم ورقة عمل اللجنة التي عمل فيها السيد الدكتور حافظ غانم والسيد الدكتور اسماعيل غانم والاخ الدكتور الحفنى والدكتور احمد كمال ابو المجد والدكتور جمال العطيفى وهي موضوعة على شكل موضوع وتساؤل لكى تعمل حوارا ، واستطيع لنفسي ان انتظر الى الجلسة القادمة بحيث يكون لدى ورقة العمل ومن المحتمل ان اترفيها انا بنفسي .

● الدكتور عبد الحميد حسن

هناك ردود كثيرة على التساؤلات التي وردت في ورقة العمل وهي الورقة التي اعلنت من عشر سنوات ،

● السكرتير الاول

سوف يوزع ايضا موضوع تقرير الميثاق الخاص بلجنة المائة ، وسوف يطبع في المطبعة على ان يتولى السيد المهندس احمد عبد الاخر هذه العملية وبذلك يوزع في الجلسة القادمة بيان السيد الدكتور حافظ غانم والتقريين وهذا المشروع وايضا تقرير السادة امناء المحافظات .

● الدكتور محمد حافظ غانم

اذا وزع التقرير المشترك الذى اشترك فيه الدكتور اسماعيل غانم والدكتور العطيفى والدكتور محمد كمال ابو المجد وانا فان هذا التقرير كاف لاننا متفقون عليه .

● السكرتير الاول

اننى اعلم انكم متفقون عليه وهذا لا يمنع ايا من السادة الاعضاء من ان يتقدم لهذه اللجنة بأية ورقة عمل اذا اراد واخص بالذكر السيد الدكتور محمد دكرورى لانه عمل بالاتحاد الاشتراكى مدة طويلة وكذا الاخ محمد عثمان والاخ احمد عبد الاخر او اى شخص آخر على ان تعرض على اولا اية ورقة تقدم .

● الدكتور عبد العزيز كامل

ارجو ان يتبع في التوثيق مايتبع في هيئة الامم المتحدة بأن اى ورقة تخرج لا بد ان تأخذ رقما .

● السكرتير الاول

سوف نعمل ذلك وارجو ان يتولى السيد المهندس احمد عبد الاخر انشاء امانة لهذه اللجنة وليست سكرتارية بحيث انها تقوم بعملية الترتيم ويكون لدينا الوثائق ونبدأ عملية التوثيق من الان .

● الدكتور محمد دكرورى

ارجو من سيادتكم ان تفسح صدركم على اعتبار ان البداية عادة تكون صعبة ، ولو بدأنا على الطريق الصحيح منذ البداية لوفر ذلك علينا جهدا كبيرا ، ومما لاشك فيه ان توزيع هذه الوثائق يعطى ابعادا جديدة لكل منا ، ولكنى اتصور ان مهمة اللجنة تدخل في مرحلتين :

المرحلة الاولى ، هي مرحلة تشخيص المشاكل الموجودة ، فقد لا تكون المشاكل الموجودة مشكلة قنوات اتصال او علاقات بقدر ما هي فلسفة التنظيم نفسه . . فهل يمثل اسلوبا امثلا لربط الجماهير وتحريك الجماهير ؟

وهل هي صيغة نابغة من الجماهير ، أم صيغة مفروضة على الجماهير ؟

وعلى سبيل المثال : اذا ما أردنا أن نقول التعريف العلمى للحزب السياسى فهو لا يمثل طبقة ولكن يمثل مجموعة من الافراد تجتمع حول هدف . وقد تكون طبقات وليس بالضرورة طبقة انما لابد أن يكون هدفا والهدف لا يرتبط به الا من يعيه .

هل حزب الكثرة يتضمن بالضرورة أن أعضائه يعون هذا الهدف ويرتبطون به ، على سبيل المثال فان الاتحاد الاشتراكى يضم ستة ملايين ولا اتصور بين يوم وليلة ، أو فى فترة ثلاثة شهور يمكن بأسلوب ترميم ما هو قائم أن نضمن أن نصل الى النتائج المرجوة ، بعد ذلك يأتى المناخ الذى نعمل فى ظله بالنسبة لهذه الجماهير وبالنسبة لهذه اللجنة والظروف التى تحيط بالوطن داخليا وخارجيا ، هذه تمثل ضوابط على التفكير والحركة ، وما أخشاه اننا نجرى من الان فى محاولة ترميم ما هو قائم بصورة قد تخيب آمال الجماهير .

هناك أزمة ثقة موجودة اليوم من الجماهير فى القواعد الشعبية وقد وصلت الذروة اليوم

استخلاص بعض النقاط اثناء المناقشة لكي
أطرحها على المناقشة العامة .

● محمد عبد الحكيم موسى

في الواقع .. هذه الجلسة تحتاج الى سعة
صدر لكي يمكن أن نقول كل ما لدينا من أفكار .

وبالنسبة للمقال الذي أدليت به سيادتكم
الى جريدة « الاهرام » فأنني كنت اليوم في
طنطا واعتقد ان احسن ما أقدمه لهذه اللجنة
هو ان انقل اليها ما رأيته وما سمعته من
الجهاهير ، فعندما قرأت الجاهير هذا المقال
حدثت مناقشة كبيرة جدا وكان احسن ما ورد
في هذا المقال وشد انتباه الجاهير وأخذ
مجالا كبيرا من النقاش هو ما قلته سيادتكم من
أن الاتحاد الاشتراكي كانت مهمته أن يبرر أعمال
السلطة التنفيذية ، وهذا الكلام في الواقع
ادخلنا في نقاش طويل وجاءت تساؤلات كثيرة
مؤداهما أنكم كثيرا ما تكلمتم عن الاتحاد الاشتراكي
وكثيرا ما قلتم سنعمل وسنعمل الى آخرها ثم
في النهاية يسمح هذا الكلام كله وتنفيذ ارادة
السلطة التنفيذية . كذلك فأنني أرى الا نتأخر
كثيرا عن اللجان الفرعية في الاجتماعات لانهم
يمثلون النقابات وغيرها من الجهات المتعددة
وأنا اعرف منهم أشخاصا يتولون ماذا سنعمل
وماذا يمكن أن نقوله وما الذي سيقول لنا السيد
السكرتير الاول ، وما هو العمل الموكل اليها
وما هي طريقة العمل ، ربما كانوا يريدون
الظهور أمام نقاباتهم ، فمثلا عضو اللجنة
الزراعية يريد أن يظهر أمام جمعيته بأنه قال
كذا وكذا لكي ينقل الرغبات ، وهؤلاء في الحقيقة
متصلون بجهاهيرهم ، ومتصلون بالشعب .

● السكرتير الاول

اولا اذا كنتم أنت والاخ محمد دكروري تطلبون
منى سعة الصدر فأنني كذلك أطلب منكم سعة
الصدر ، والان هناك ورقة معينة معدة ولقد
قرأت الاوراق التي وردت من أمانات المحافظات
وهناك أشياء كثيرة لا أوافق عليها ، كذلك هناك
اجزاء غير واضحة بهذه الاوراق ومن واجبي أن
أضعكم معنى في الصورة كاملة وسوف توزع
الاوراق التي اتفقنا عليها وسيجرى توزيعها
باكرا أو بعد باكرا ان شاء الله .

وبالنسبة للاجتماع القادم فأنني أرى أن يعقد
يوم الاحد القادم صباحا .. فهل السادة اساتذة
الجامعات يوافقهم هذا الموعد .

● الدكتور محمد دكروري

في الحقيقة لو كان الاجتماع في المساء لكان

ويطالبون اليوم أو كادوا يقولون كما ذكرت الدكتورة
عائشة أننا نجتمع لكي نشغل تفكير الناس لمدة
شهرين أو ثلاثة ، وبعض الناس ذهبوا الى انه
استعادة انتخابات الاتحاد الاشتراكي .

فاذا كنا سنجتمع لكي نضع صيغا نظرية
جديدة نضيفها الى الفكر النظري الذي تم في
الراحل السابقة والذي يمثل قطعا فنية من الفكر
النظري والصياغة العظيمة في اللغة ، فأنني
أرى بهذه اللجنة أن تنتهي الى هذا .

ولذلك فأنني أقول أننا اذا كررنا هذا الوقت
وتكلم كل منا بجرأة وبإخلاص وبأمانة تتناسب
مع المرحلة التاريخية التي نجتازها اليوم نكون
قد انطلقنا لعملنا .

وأرجو من سيادتكم أن تفسح صدرك جلسة
واثنين وثلاثة ، حتى ينتهي كل منا من أن يقول
كل قصوره .

● السكرتير الاول

اننى لا أرى أن هناك تعارضا ، فان ماذكرته
سليم وأننى أوافق عليه ، انما لابد ان كلامك
سيتضمن نقاطا معينة لانك سوف لا تتكلم من
فراغ ، لانك سوف تتكلم مثلا في التنظيم كموضوع
أو تتكلم في أسلوب العمل كموضوع ، اى انه
لابد أن تكون هناك موضوعات سوف تتكلم فيها .

● الدكتور محمد دكروري

اننى حينما أبدا بدليل العمل كيف اسير .. ؟
بمعنى أن تسلسلى في التفكير كيف يسير ؟ لابد
أن أشخص الاول ، بمعنى أن الدكتور درويش
كطبيب ان لم يأخذ كل أبعاد المرض لا يستطيع
أن يعالج .. ؟

● السكرتير الاول

لو لاحظت كلامى في البداية تجد أننى لم أقل
أننا سنأتى في الجلسة القادمة ونبدأ في دليل
العمل السياسى لم أقل هذا أبدا ، ولكننى أقول
ان هذه أفكار موجودة سنتناولها ككل ، ومن أجل
هذا لن نسلبك حقل في الجلسة القادمة ولك أن
تتناول هذا ككل ، ولكن المهم أن اخذ من كلامك
نقطا معينة لكن أضعها أمام اللجنة كنقاش اى
أنك تستعرض استعراضا كاملا وتأخذ منه
النقط حينما نتكلم في فلسفة التنظيم .

حينما نتكلم عن فلسفة التنظيم فقد يضاف الى
ذلك تفصيلات معينة حتى يمكن النقاش فيها ،
ولكننى لم أغلق باب المناقشة في الاستعراض
العام ، وأنت متحرر فيه تحررا كاملا ولك أن
تبدى رأيك كما تشاء ، ووظيفتى ستكون هي

افضل لجموعة كبيرة كذلك بالنسبة ليوم الاحد فائنى ارى ان الفترة طويلة وتتباعد فلا مانع اذا كانت الاوراق متوزع باكر يكون الاجتماع بعد باكر .

● السكرتير الاول

فى الحقيقة اننى اعطى فرصة على احتمال أن يكون اجتماع السيد الرئيس يوم السبت فيوم الاحد معقول .

● الدكتور محمد دكرورى

وجهة نظرى هى أن سيادتكم قد تسمع مايمكن أن تنقله للسيد الرئيس .

● السكرتير الاول

اننى غير متصور اننا سنناقش السيد الرئيس فى هذا الاجتماع لاننا لم ننته بعد الى رأى ، وأنا بهذا لا أمنع المناقشة مع السيد الرئيس ، فالسيد الرئيس أعطانا حرية العمل فى هذا الموضوع بناء على قرارات المؤتمر كاملة . واننا سنستمع منه الى كلمة فى هذا الاجتماع ، ومن الجائز أن أقول كلمة أعبر فيها عن خط سير اللجنة ، واذا كانت هناك تساؤلات بسيطة فلا مانع من طرحها على السيد الرئيس ولكن فى الفترة الحالية فائنى لا أتصور أن نفتتح نقاشا عاما مع السيد الرئيس فى هذا الموضوع .

● الدكتور محمد دكرورى

فى الحقيقة انا متفق مع سيادتكم ولكن قد نستطيع أن نستغنى عن هذا بأن ننقل اليه فكرة عن الفكر الموجود .

● السكرتير الاول

هذا الفكر طرح على السيد الرئيس قبل الخطاب الذى القيته وقبل قرارات المؤتمر ، الا اذا كنت تريد أن تستزيد أو تستوضح عن شىء فى قرارات المؤتمر أو تضيف الى كلمتى شىئا وفى هذه الحالة يحسن أن تقول لى عليها أولا وقد أضيفها الى ما سأقوله فى كلمتى ، كذلك اذا كان لاحد من حضراتكم أية ملاحظات بالنسبة لقرارات المؤتمر أو بالنسبة للخطاب الذى القيته فلأمانع من الاتصال بى وأنا أضيف ذلك فى الكلمة التى سألقاها فى اجتماع السيد الرئيس .

والفكرة فى اجتماع السيد الرئيس انه سيطمئنكم مع اللجان التسعة على اتجاهاته

بمعنى انه سيتكلم ويقول اتجاهاتى كذا واتجاهات الاتحاد الاشتراكى كذا وعليكم أن تضعوا هذا فى أسلوب عمل وهذا هو تصورى عما سيقوله السيد الرئيس .

● الدكتور محمد دكرورى

ان النقطة التى نود تحديدها هى من أين ننطلق ؟ هل ننطلق مما هو قائم الان ، او اننا مفوضون بأن نتعمق لى تغيير الشكل القائم .

● السكرتير الاول

يمكنك أن تغير قانون الاتحاد الاشتراكى نفسه ولكن لا يمكنك أن تغير الميثاق فى هذه المرحلة أو بيان ٣٠ مارس أو الدستور .

● الدكتور محمد دكرورى

هل هناك صياغة أكثر مناسبة للاتحاد الاشتراكى وبالعمل السياسى يمكن أن نصل اليها ؟

● السكرتير الاول

فى داخل قانون الاتحاد الاشتراكى ممكن بحيث نحسن ما هو قائم .

● الدكتور عبد الحليم الجندى

الاتحاد الاشتراكى شىء أكبر من أن نغيره .

● السكرتير الاول

انا لا أرجو أن نصل الى هذا ، ولكنى أرد على الدكتور محمد ، هل نستطيع أن نغير الدستور .

● الدكتور محمد دكرورى

نستطيع أن نوصى المؤتمر القومى بأن هناك احتياجا لتعديل الدستور فى مادة معينة من أجل أمر معين .

● السكرتير الاول

نحن نفكر أولا من أين نبدأ ، المفروض أن هناك صيغة قائمة ، ونحن نبدأ من موانيق يجب أن نعترف بها على ماهى عليه ، الميثاق وبيان ٣٠ مارس والدستور وبرنامج العمل الوطنى اى أربعة نقاط أمامنا .

● السكرتير الاول

اساسنا الان هو الدستور والميثاق وبيان ٢٠ مارس وبرنامج العمل الوطني ، ويعنى ذلك أن الخط الذى نسير عليه خط واسع جدا ، وعندما نتعرض لاسلوب اللجنة المركزية مثلا يمكن أن نبحث هل اسلوب عملها الحالى اسلوب حزبى أو اسلوب تنظيمى يؤدى الى نقاش موضوع معين ؟ ، رأى الشخصى انه لايعنى بالفرض . وعلى سبيل المثال عندما يناقش الوزراء فى اللجنة المركزية أو أن يدور أى نقاش فيها فنحن لا نعلم الموضوع الذى سيدور حوله النقاش ، ونجد أن العضو يرفع يده طلبا للكلمة ويقول التمح أو الفول أو المدرسة . الخ . وفى هذه الحالة الوزير يجمع معلومات من ذهنه فقط للإجابة عن التساؤل .

لا يمكن أن يكون هناك أسلوب عمل سياسى يتم بهذا الشكل .

فى مجلس الشعب وضعت اللائحة التى حددت نظاما للتساؤل والاستجواب والنقاش وما الى ذلك ، كل هذا سوف نتعرض له بحيث تصبح الامور واضحة فى كل المستويات .

● الدكتور محمد دكرورى

إذا افترضنا أننا نتكلم من التنظيم بشكل حزبى فان هذا الموضوع يحتاج الى نقاش طويل . وما أود أن أقوله أننا سوف لا ننطلق الى المنطلق الذى قد يكون قد تبادر الى ذهن البعض ، ولكننا فى ظل المعركة وفى ظل الظروف الراهنة تكون المعركة والنصر هى منطلق تفكيرنا فى اعادة الفعالية فى الاتحاد الاشتراكي فى هذه المرحلة . ويعلم الناس جميعا انه لا يغيب عن فكرنا أن فى الاتحاد الاشتراكي وصيافته الموجودة بعض الثغرات التى قد تضعفه ، وما نريد أن نصل اليه هو اعطاؤه أكبر فعالية ممكنة ، وأن لنا لقاء بعد النصر باذن الله .

● السكرتير الاول

نحن متفقون على ذلك .

● المهندس سعد هجرس

ان ما سمعته من السيد الدكتور محمد دكرورى أن هذه اللجنة تقوم بعملية ترميم للاتحاد الاشتراكي وانى لا أرى ذلك فليس عمل اللجنة ترميما للاتحاد الاشتراكي ولا تجويد

الذى يمكنك تغييره فقط هو قانون الاتحاد الاشتراكي . ولكن عندما نغير قانونا لابد أن يكون هذا التغيير مستندا الى الدستور نفسه . وعندما تصدر قانونا فيجب أن ينبع هذا القانون من الدستور . فما رأى الاخ عبد الحليم الجندى فى هذا من الفاحية القانونية .

● الدكتور عبد الحليم الجندى

لا ، ان قانون الاتحاد الاشتراكي ليس كالقرارات قانونه بجانب الدستور مما جعل ان هناك رأيين : رأى يرى بأنه يمكن أن يعدل ويصدر ويتصرف فيه من رئيس الجمهورية وهذا يضعفه ويجعله أقل من القانون العام ، ورأى يقول انه قانون تأسيسى مثل الدستور ويؤكد أننا فى اتجاهنا الحالى متجهون نحو اخضاعه للدستور .

● السكرتير الاول

لا ، المادة [٥] من الدستور تقول : الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم السياسى الذى يمثل بتنظيماته القائمة على اساس مبدأ الديمقراطية تحالف قوى الشعب العاملة من الفلاحين والعمال والمثقفين . الخ . وهو أداة لتعميق قيم الاشتراكية والديمقراطية فى متابعة العمل الوطنى فى مختلف مجالاته ودفع هذا العمل الوطنى الى اهدافه المرسومة ويؤكد الاتحاد الاشتراكي العربى . الخ .

● عبد الحليم الجندى

يمكن أن نعيد صياغة الاتحاد الاشتراكي .

● محمد على شتا

لا توجد صيغة من صيغ المعارضة فى الاتحاد الاشتراكي ويجب أن توجد صيغة من صيغ المعارضة فى الاتحاد الاشتراكي .

● السكرتير الاول

ان الاسلوب الذى نسير عليه مناقشاتنا الان فيه معارضة .

● محمد على شتا

لقد أردت من سؤالى تحديد مدى مجال الحرية فى التعبير .

الاتحاد الاشتراكي ؟ ان عمل اللجنة عملية انشائية ، اى ان اللجنة تنشئ هيكلا جديدا ونظاما جديدا من خلال قانون ومن خلال قانون عمل عملية جديدة .

● السكرتير الاول

لا ، ليس الامر كذلك .

● الدكتور عبد الحميد حسن

بمناسبة اجتماع السيد الرئيس بنا ؟ فان لدى نقطة ارجو ان يتفضل السيد النائب بتوصيلها للسيد الرئيس وهى ان يرفع شعارا يلغى به شعار ان الاتحاد الاشتراكي يخدم ولا يحكم ؟ لان هذه الصورة ما زالت الاجتهادات تفسرها بطرق مختلفة ولن يحسمها غير سيادة الرئيس شخصيا .

● السكرتير الاول

اعتقد يا اخ عبد الحميد ما زال الوقت مبكرا فى ان اطلب هذا من السيد الرئيس وما سوف نطلبه من السيد الرئيس هو ان يعطينا توجيهها عاما .

على سبيل المثال اريد ان ينطلق الاتحاد الاشتراكي وان يفتح الاتحاد الاشتراكي على الجماهير ، ولا اتصور ان يقول السيد الرئيس فى الاجتماع الاول خلاف هذا .

بعد ذلك لنا لقاءات مع السيد الرئيس ؟ وعندما تنتهى الى قرار فى شعار « يخدم ولا يحكم » بعد ان نناقشه وننتهى فيه الى توصية معينة فاننا نقدمها للسيد الرئيس ونقول له هذه ورقة عملنا ونناقشه فيها ويناقشنا فيها .

ولقد كان من السهل ان تجتمع لجنة العشرين مع سيادته فى اى وقت ولكنى كنت حريصا بالنسبة للاجتماع الاول الذى يتم مع هذه اللجنة ان تكون معنا اللجان الفرعية التسع حتى تتاح

لسيادته الفرصة بان يجتمع باللجان العمالية والمهنية والفلاحين ويبين لهم سياسته ، بالإضافة الى هذا فان السيد رئيس الجمهورية يعطى لنا دفعة ، وتعلمون ايضا انه مهتم ومن جانب آخر تعرفون الخط الذى يسير فيه .

ورجائى ألا نرهق سيادته فى النقاش فى الجلسة الاولى لاننا لن ننتهى الى رأى ، وارى ان نستمع الى سيادته فقط فى هذه الجلسة ، ومن لديه من حضراتكم فكرة جديدة يريد ان يضيفها الى قرارات المؤتمر ، او الى خطابى فليتكلم ويعطيها لى وسوف أبحثها لانه لا يكون فى هذا الاجتماع سوى كلمة ألقيا ثم يتكلم بعد ذلك السيد الرئيس .

● مسعد التهامي

بالنسبة للتنظيمات النقابية والقوانين التى تحكمها فهناك ثغرات فعلا فى هذه القوانين التى تجعل الربط بينها وبين الجماهير .

● السكرتير الاول

كل هذا سيرد يا اخ مسعد .

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

بالنسبة للوثائق فقد سبق أن ذكرت أن هناك وثيقة أصدرها المؤتمر القومى سنة ١٩٦٨ عن علاقة الاتحاد الاشتراكي بالسلطة التنفيذية وعلاقة الاتحاد الاشتراكي بمجلس الشعب .. الخ . وهذه الوثيقة بها قواعد موضوعية .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

توزع الوثيقة التى وضعت سنة ١٩٦٨ والتى يشير اليها السيد الدكتور جابر جاد عبد الرحمن سوف توزع عليكم هذه الوثائق وسوف يكون اجتماعنا الساعة ١١ صباح الاحد القادم . والسلام عليكم ورحمة الله .

« وانتهى الاجتماع فى الساعة ٥.١٥ ا.م » .

الاجتماع الثاني للجنة العمل

يوم ١٩ مارس ١٩٧٢

اجتمعت لجنة العمل في الساعة الحادية عشرة من صباح الاحد الموافق ١٩ مارس سنة ١٩٧٢ برئاسة السيد المهندس سيد مرعي السكرتير الاول للجنة المركزية وحضور السادة أعضاء الامانة العامة للجنة المركزية * وحضور كل من السادة :

خالد محيي الدين - الدكتور محمد حافظ غانم - الدكتور عبد العزيز كامل -
الدكتور أحمد السيد درويش - عبد اللطيف بلطية - الدكتور اسماعيل غانم -
المهندس ابراهيم نجيب ابراهيم - الدكتور جابر جاد عبد الرحمن -
المهندس أحمد عبد الآخر - مسعود التمامي - محمد مهدي شومان -
الدكتور أحمد كمال أبو المجد - المهندس ابراهيم شكري - كريمة السعيد - محمد
علي شتا - محمد عثمان اسماعيل - الدكتور محمد ابراهيم ذكوري -
الدكتور حسن اسماعيل - المستشار عبد الحليم الجندي - المهندس سعد
هجرس - المهندس ظاهر أمين - الدكتور ابراهيم أبو النجاس - الدكتور جمال
الغظيفي - الدكتور أحمد عبده الشرباصي - ثابت السفري - محمد عبد الحكيم
موسى ؟

ولم يحضر الاجتماع :

● الدكتورة عائشة راتب

● الدكتور عبد الحميد حسن

● السكرتير الاول للجنة المركزية

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتقد انه قد وزعت عليكم الاوراق التي طلبتموها في الاجتماع الماضي كما اعتقد ان التوزيع تم في وقت مبكر حتى تتمكنوا من قراءتها ،

وارجو ان تكونوا قد قرأتم التقرير الذي تقدمت به ، وهو يركز على ثلاثة أو أربعة اتجاهات ،

وفيه نقاط كنساولات معينة في صلب الموضوع وفيه نقاط أخرى عبارة عن وقائع معينة ، وقد احدثت تغييرا في هذا التقرير عقب لقائي بكم ، فقد كان التقرير مقديا على اساس ورقة عمل كاملة ، كما تبينتها من نتيجة النقاش والحوار الذي دار في الماضي ولكنني فضلت ان يتخذ التقرير الشكل الذي يتخذه الان بحيث يكون تقريراً كاملاً ، وعلى ذلك نفتح النقاش في هذا التقرير حتى نخطو خطوة الى الامام ، وخاصة ان هذا التقرير

قد عالج جميع الموضوعات المختلفة التي قد تدور في اذهان البعض ..

قد نختلف في الاجابة على سؤال من الاسئلة ، فيطرح للنقاش ، والمفروض اننا عندما نناقش هذا التقرير ، فان السكرتارية سوف تقوم بالكتابة والاستعراض ، وعندما تنتهي اللجنة الى قرار يصبح هو رأى اللجنة ويفرغ في التقرير النهائي .

ونشعر اليوم اننا يجب ان نسرع الخطى من اجل اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي .. واود ان انبه الى ان اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي لا تعنى اعادة انتخابات الاتحاد الاشتراكي ، ولكنها تعنى تغيير اسلوب العمل في الاتحاد الاشتراكي بما يتلاءم مع القرار النهائي الذي ستصدره اللجنة في هذا الشأن .

هذه ناحية ، والناحية الاخرى نرجو ان ننتهي من التقرير سريعا ليعرض على اللجنة المركزية في اول اجتماع لها او ربما ثاني اجتماع اذا كانت سوف تعقد بشكل سريع .

كما ان المؤتمر القومي سوف يعقد في ٢٣ يوليو .. ولا بد ان نكون جاهزين قبل ذلك ، ونريد ان ندخل المؤتمر القومي وقد أعدنا الترتيب بعد اقرار اللجنة المركزية للتغييرات الموجودة .

ولو سمحتم لي نبدأ استعراض التقرير ، كما استسمحكم ايضا ان يذاع هذا التقرير لان مهمتنا ليست هي ان ننفر بآرائنا ، وانما وظيفتنا هي ان يشاركنا الرأي العام في كل مايجرى من الامور ، ونظرا لانه ليست هناك امور سرية فقد سمحت لرجال الصحافة ان يحضروا هذه الجلسة حتى يعيشوا في الجو الذي نحن فيه ..

اذا بدأنا التقرير نجد في الصفحة الاولى منه سؤاين اساسيين :

الاول : هل حقق الاتحاد الاشتراكي الامل التي علقتها عليه القيادة وال جماهير ؟

الثاني : اذا لم يكن التنظيم السياسي قد حقق هذه الامل ، فما السبيل الى تصحيح الوضع ، بحيث توفق الجهود المبذولة من اجل اقامة تنظيم شعبي قادر على التعبير عن الجماهير وتمثل مصالحها ، وبحيث لايفقد المواطن كل امل في اسهامه في تحمل مسؤولية بلده في تلك الفترة الحرجة من تاريخنا ؟

من الواضح ان هذين السؤالين لم يترددا عندنا ، ولكنهما طرحا في اللجان التي عقدت قبل انعقاد المؤتمر ، وحقيقة لم تكن هذه اللجان تمثل اللجنة المركزية ، وانما كانت تمثل قوى معينة من

قوى الشعب العامل مثل النقابات المهنية ومجموعات الطلبة والعمال والفلاحين الذين التقينا بهم .

كما نشير الى كلمة السيد رئيس الجمهورية التي حدد فيها خطوطا اربعة يجب ان نلتزم بها وهي في الصفحة الثانية :

اولا : حشد طاقات جماهير شعبنا ، وذلك عن طريق وضعها في الصورة دائما .

ثانيا : ادارة الحوار الديمقراطي بين قوى الشعب العاملة لكي تحقق عن هذا الطريق مشاركتها الايجابية في النضال الشامل لامتنا .

ثالثا : فتح ابواب الاتحاد الاشتراكي ليكون مجالا للتفاعلات الصحية بين كل القوى الشعبية وتكون خطوة الى الامام متصلة بعملية ديمقراطية سليمة .

رابعا : اعداد الجماهير نفسيا وذهنيا ومبدئيا لتقبل مسؤولياتها ، على أن يكون واضحا أن الناس يحملون مسؤولياتهم اذا امسكوا حقوقهم بأيديهم ، بما في ذلك حقهم في توجيه السلطة الوطنية ، وهي لاتعبر ولايمكن ان تعبر الا عنهم ، وعنهم وحدهم ، والا فقدت اهليتها وشرعيتها .

ثم بعد ذلك يشير الى قرارات المؤتمر القومي .. ثم الاشارة الى تكوين اللجان ومتابعة تكوين هذه اللجان .

ثم تعرض التقرير بعد ذلك لنقطة شائكة وهي سلبيات الاتحاد الاشتراكي ، وفي الواقع لقد حددنا هذه السلبيات كما تصورتها المجموعات التي اجتمعنا بها ، ونحن نفتح المناقشة في هذه النقطة بالذات لان مايبقى بعد ذلك هو عبارة عن قرارات صدرت فعلا سواء من المؤتمر القومي او بتوجيهات من السيد رئيس الجمهورية او وردت في خطاب السكرتير الاول للجنة المركزية في المؤتمر القومي الماضي ..

واود قبل ان نبدأ مناقشة السلبيات ان انبه الى اننا لانقول ان اخواننا في العهود الماضية في الاتحاد الاشتراكي لم يبذلوا جهدا .. ابدا اننا نقول انهم بذلوا جهدا معينا .. ولكن ماحصله هذا الجهد ؟ هل حققت النتيجة التي نتصورها كتتنظيم سياسي او لم تحقق ؟ ليس هذا لوما لاحد ، ولكنه تقرير وقائع عن محصلة عمل معين ، ونريد ان نقيم هذه المحصلة بصفة مستمرة في اطار حزبي او تنظيم سياسي يجب ان يراجع نفسه في كل فترة من الفترات .

وليس هذا عيبا ، ولكن العيب ان يكون هناك خطأ نستمر فيه ، اذ انه عندما يكون الحق واضحا ،



خالد محيى الدين

- ٦ ضعف الروابط التنظيمية وخطوط الاتصال بين كثير من مستويات التنظيم .
- ٧ اضطراب العلاقة بين التنظيم السياسى واجهزة السلطة التنفيذية ، والتشريعية من ناحية وبين المنظمات الشعبية والاتحادات والنقابات والقطاع العام وتعاونيات الفلاحين . الخ .
- ٨ اخفاء الحقائق عن الشعب وعن قيادات التنظيم .
- ٩ اغراق الجماهير فى الامل ، والتناقض الشديد بين الاهداف والقدرة والامكانيات المتاحة ، مما يفقد التنظيم ثقة الجماهير .
- ١٠ المراهقة الفكرية وتجميد الكفاح الوطنى ، بتفسيرات وقوالب تعوق تقدمه وتحد من قدرته على الانطلاق .
- ١١ اعتبار التنظيم نفسه جهازا لتفسير وتبرير اعمال السلطة التنفيذية مما يجعله يتحمل مسئولية تصرفات وقرارات لم يشارك فى صنعها اما تملقا للسلطة او تظاهرا .
- بقيت نقطة وهى انه ينظر الى الاتحاد الاشتراكي على انه حزب سياسى رغم ان جميع الوثائق تبين انه يمثل قوى الشعب العاملة .
- وبذلك فان الجزء الاول بالنسبة للسلبيات هو الذى نفتتح النقاش فيه ، فاذا كان لاحد من الاعضاء اعتراض عليها ، او اضافات عليها فيمكنه ان يذكرها . حتى تكون هذه السلبيات تشخيصا للحالة التى نصلها حتى نتقدم خطوة الى الامام لعلاج هذه الحالة .

• خالد محيى الدين

لا اعرف كيف ستتقدم اللجنة فى عملها ، واننى

والنتائج واضحة فمن الممكن بل من الواجب علينا كتنظيم سياسى ان نجتمع من وقت لآخر لى نبحث ونقيم ما هو خطأ وما هو صواب .

وهذا هو الاساس فى جميع الاحزاب السياسية فى العالم والا حدث انفصال بين التنظيم السياسى والجماهير لعدم التقييم .

ان مطالب الجماهير بالنسبة لمشكلاتهم متحددة . . كما ان مطالب الجماهير الى التقدم متجددة ، والدولة يجب ان تكون متطورة ومتجددة وكل هذا تجديد فى اسلوب العمل يجب ان نقابله من ناحية اخرى بتجديد فى عمل التنظيم السياسى نفسه بالنسبة للجماهير . . بمعنى اننا يجب ان نعيش مع الجماهير مشكلاتها اليومية ، لاننا اذا عشنا فى الماضى انفصلنا عن الناس ، واذا عشنا فى مشكلات اليوم نندمج بالناس ، واذا عشنا فى مشكلات الغد فاننا نستشف المستقبل للجماهير ، وهذا هو مانطلبه من اندماجنا مع الجماهير ، ومن هذا المنطلق نتكلم عن السلبيات . .

اول بند فى السلبيات صفحة « ٣ » يقول :

١ اتجاه التنظيم الى الاسلوب المكتبى البيروقراطى ، واقامة الحوائل بينه وبين الجماهير بدلا من السعى اليها فى مواقعها والانفتاح عليها . والمثال على هذا سوف يرد بعد ذلك فى ترجمة القرارات التى تصدر من جهات اخرى ، وان الاتحاد الاشتراكي كان يجد نفسه ملزما بصفة مستمرة ان يترجم هذه القرارات للجماهير ، وبالتالي تفقد الثقة فيه اذ قد يكون فى هذه القرارات ما هو غير جماهيرى ، او غير نابع من الجماهير ، ولذلك فان توجيهاتنا التى تنزل بصفة مستمرة الى كل الاجهزة هى ان تكون قراراتنا ممثلة لراى الجماهير .

٢ انكماش الضمانات الديمقراطية داخل التنظيم كحق ممارسة النقد والنقد الذاتى وجماعية القيادة .

٣ طغيان النواحي الشخصية على الجوانب الموضوعية فى تقييم الافراد واختيار القيادات

٤ تسلل بعض العناصر الانتهازية الى صفوف التنظيم ومراكز القيادة وتسخيرها لامكانيات التنظيم لتحقيق مآربها واطماعها على حساب مصالح الجماهير .

٥ عدم وجود خطة عمل ذات برنامج وواجبات محددة يسير التنظيم على هداها ، مما ترتب عليه تمييع المسئولية وانكماش عنصر المحاسبة والتقييم الموضوعى للقيادات .

ارى ان تقرير السيد السكرتير الاول يعتبر بداية عملنا ، ويمكننا ان نبدأ به النقاش كورقة عمل ، وان هذا التقرير يثير فعلا عديدا من القضايا والتساؤلات ، واننى ارى بالنسبة لطريقة العمل قبل ان نبدى الراى فى الموضوع ان نتأكد أولا عما اذا كانت التساؤلات والقضايا التى اثارها التقرير هى كل التساؤلات ام ان هناك اضافات عليها .

ولى شخصا بعض الاضافات على هذه القضايا والتساؤلات .

وبعد ذلك نحدد التوجيهات العامة التى سوف تحكم عملنا ، لانه كما ورد فى التقرير هناك قضايا ذات وزن قومى شامل يجب الا نختلف عليها ، وان كان قد يحدث خلاف فى تفسيرها لكن القضايا الاساسية فى الميثاق وفى برنامج العمل الوطنى وبيان ٢٠ مارس والدستور .. هذه كلها توجيهات عامة لاداعى للخلاف عليها .. انن نحدد هذه التوجيهات التى تحكم عملنا ، وبعد ذلك فمن المفروض ان تنزل التساؤلات والقضايا الى اللجان الفرعية بعد ان نبدى رايا فيها لكى تبدى هذه اللجان رايا فيها مع جماهيرها بحيث نرد على هذه التساؤلات فى وقت محدد وفى جدول زمنى معين .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ليس هناك خلاف فى هذا ، وعندما تنتهى اللجنة من هذا التقرير - وهذا ماارجوه ان يتم على وجه السرعة - سوف نجمع اللجان الفرعية كما اتفقنا فى الاجتماع السابق ، فعندما اثنا هذا الموضوع قلنا اننا يجب الا ننزل الى اللجان الفرعية من فراغ ، ولكن الصورة التى نكاد نجمع عليها اليوم هى انه عقب مناقشة كل جزء والانتهاء الى راى معين فيه ، فان هذا الجزء يصبح جاهزا للعرض على اللجان الفرعية التى سوف تعقد اول اجتماع لها يوم الثلاثاء القادم حيث تجتمع لجنة الشباب ، وسوف نسارع بعقد اللجان الفرعية التى شرحتها فى الجلسة الماضية .

كما اتفقنا مع امناء المحافظات على عرض هذا التقرير عليهم ليناقشوه ويرجعوا فيه الى جميع القواعد السياسية ، وسوف يعاد التقرير اليكم مع كل الملاحظات التى تبدى فيه .

واذا استدعى الامر ، فسوف نعقد اجتماعا مشتركا بين لجنة العشرين واللجان الفرعية .. او بين افراد من لجنة العشرين واللجان الفرعية حتى يتبلور شكل التقرير ، لاننى اشعر ان هذه البلورة سوف تقدم تصورا الى لجنة العشرين .

ولكن قبل ان نبدأ فى التساؤلات يجب ان نبحث عن الطريقة التى نوحدها بها هذه التساؤلات وما هى المواقع الرئيسية التى نريد ان نتفادها مستقبلا وكيف يمكن ذلك ، ولذلك ارجو ان نبدأ بنقطة السليبيات كمنطلق ثم ننتقل بعد ذلك الى باقى النقاط .. لان التقرير بعد ذلك يناقش تساؤلات . وفى صفحة « ٢٢ » يضع التقرير نوعا من التوجيه ، ليسد هذه الخانة .

● د. محمد حافظ غانم

لاشك اننا يجب ان نحدد بعد دراسة التقرير ما اذا كان التقرير قد احتوى فعلا على كل القضايا المثارة بشأن الاتحاد الاشتراكى .. ام ان هناك قضايا أخرى ، ومن الضرورى أيضا ان نحدد التوجيهات الرئيسية والقواعد العامة الملزمة التى يجب ان تحكم عمل اللجنة حينما تسعى لحل هذه القضايا ، وان طريقتنا كما عرضها السيد السكرتير الاول ليس هناك فرق بينها وبين اقتراح الاخ خالد محيى الدين .. لاننا لكى نقوم بابداء الاجابة على التساؤلات التى طرحت لابد لنا من قراءة التقرير ككل ، وهذا هو الواقع .

● الدكتور احمد الشرباصى

لى ملاحظة اولى تتعلق بنقطة نظام وانا فيها متسائل ومقترح ..

فما مدى الحكمة من الراى القائل بان تكون اعمال لجنة العمل متاحة للنشر ، وقد تكون هناك وجهة نظر اخرى فى ان تظل هذه الاعمال وخصوصا تقرير السيد السكرتير الاول مقصورة على أعضاء اللجنة حتى نصل الى بلورة مافيه ، وبعد ذلك من الممكن ان نعرضه على الراى العام ليأخذ فرصته فى التعليق عليه او الاضافة اليه ، ولكن وجود **العنصر الاعلامى** من الان فى مناقشات اللجنة قد يعطل اعمال اللجنة او قد يفتح عليها ابوابا اخرى للنقاش .

نقطة اخرى .. اننى لاحظ ان الامانة قد وزعت علينا ثلاثة اعمال .

الاول : عبارة عن ورقة عمل من امناء الاتحاد الاشتراكى فى كل من القاهرة والجيزة والقليوبية

الثانى : ورقة عمل كما تصورها السيد الدكتور محمد حافظ غانم .

الثالث : ورقة مقدمة من السيد السكرتير الاول .



د . أحمد عبده الشرباصي

بالنسبة لأوراق العمل الثلاثة . . اننى لا أريد أن انفرد بتقرير ، وعلى ذلك فقد لجأت الى بعض السادة الأمناء لهذا العمل ، وقد قدمت تقرير السادة الأمناء كما جاء دون أى تعديل ، علاوة على اننى اتصور أن بعض السادة أعضاء اللجنة سوف يكون لهم رأى معين عندما يعرض هذا الموضوع .

وفى تصورى أن التقرير النهائى هو حصيلة عمل هذه اللجنة ، وإن ما قدم ليس ورقتى فقط ، ولكن يمكنكم أن تنقلوا من تقرير الأمناء كما تشاءون أو تقرير الدكتور حافظ غانم . . المهم هو أن نستكمل صورة الوضع كاملا .

● الدكتور أحمد السيد درويش

اعتقد أنه يجب النظر على وجه السرعة فى هذا الامر خصوصا وأن الاحوال التى نمر بها لا تحتل أى تأجيل ، ونرى أن السلطة التنفيذية فى بلدنا غير مرتبطة بحكم القرارات الموجودة قبل ذلك لا بالاتحاد الاشتراكي ولا بالسلطة التشريعية ، وفى بعض الاحيان تصدر تصريحات وبيانات تخالف السياسة التى اتفق عليها الاتحاد الاشتراكي فى المؤتمر القومى ، والتى نوقشت فى اللجنة المركزية .

فمثلا عندما يصرح وزير الزراعة بأنه لن يوسع الرقعة الزراعية ، وهذا ما نسميه بالتوسع الأفقى ، ولكنه سوف يطبق التوسع الرأسى ، هذه السياسة قد تكون سليمة وقد تكون العكس ، ولكن هل يصح لرجل تنفيذى أن يغير سياسة الدولة ؟ . .

هذا هو مجرد رأى . . وقد يقال انه أعلم وأنه على حق ، ولكننا رسمنا سياستنا وبنينا السد العالى ، وقلنا للنجماهير اننا سوف نوسع الرقعة

وقد لاحظت أن هناك قدرا كبيرا جدا مشتركا بين الورقات الثلاثة . . وعندما نجد أن احداها قد تفردت بشيء لم يرد فى ورقة السيد الأمين العام نتساءل عن مدى صلاحية المزج بين الثلاث ورقات بحيث ننتزع من ورقة الأمناء ما يمكن اضافته الى ورقة الأمين الاول أو ننتزع من ورقة الدكتور حافظ غانم ما يمكن اضافته الى ورقة الأمين الاول ، وبهذا الأسلوب يمكن أن نقوم بالعمل المسند الى اللجنة ، وتكون الديمقراطية الشاملة قد توفرت فى البحث ، وإذا وجدنا أن الورقات الثلاثة متفقة فى الكل ، فإن هذا هو الأنسب ويعطينا نوعا من الاطمئنان .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

بالنسبة للجزء الاول . . فإن الامر مطروح للجنة ، فإذا فضلت الا ينشر شيء عن اعمالها فهى حرة فى ذلك ، ولكن كما ان لكل شيء مزايا ومضار فإن النشر ايضا له مزايا ومضار فمن مزايا النشر فى طرح ورقة العمل انه يتيح نوعا من الحوار كما يقدم نوعا من العمل الذى تقوم به اللجنة حتى تنتهى الى قرار . . لان هذا القرار قد لا يتضمن مبرراته امام الرأى العام .

كما ان الضرر يحدث عندما نناقش فى نقاط يعرفها الناس عن طريق النشر ثم تحذف عند اتخاذ القرار ، ولذلك فأننى اطرح عليكم هذا الرأى بالنسبة للجزء الاول ونحن نرحب بالاستماع الى آرائكم بالنسبة للنشر سواء اذا كان هناك من يعارض أو يؤيد لهذا الرأى .

● الدكتور جمال العطيفى

افضل ان نفوض سيادتكم لتحديد حدود النشر . . لان الجماهير يجب ان تعرف ماذا نعمله ، ولكن قد تكون هناك بعض المناقشات التى قد يكون من المصلحة الانذاع ، ولذلك يحسن ان نفوض سيادتكم لتقدير حدود النشر .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

هل توافقون على هذا الرأى ؟

« موافقة عامة »

اذن نرجو من اخواننا الصحفيين مغادرة القاعة . . وسوف التقي بهم فى المكتب بعد انتهاء الجلسة لاعطيهم ملخصا لما دار . .

النقطة الثانية كما قال الدكتور الشرباصي

الزراعية (١٥٠ أو ٢٠٠) ألف فدان ، وقد لا يتعارض التوسع الأفقى مع التوسع الرأسى فى النتيجة .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لى نقطة نظام .. لقد دخلنا فى تفرعات .. ما صلتى بالسلطة التنفيذية ؟ اننا اليوم عندما ندخل مثلا فى مجال مؤسسة الادوية بالنسبة للتصنيع الداخلى والخارجى ومداه ، والنخامات الموجودة ، والنقد غير المتوفر ، وما هو الجواء الذى يجب أن ينزل الى السوق وغيرها من الامور التى تثير اشكالا شعبيا كبيرا .. لو فرغنا بهذا الشكل بداعى السرعة فسوف ندخل فى منزلق خطير ، ولكن الذى تروونه بالنسبة لصلتنا بالسلطة التنفيذية وتصدرن به قرارا يتبنى من اللجنة المركزية ويراه السيد الرئيس .. هذا هو القاعدة التى يجب أن نسير عليها وتحتها تعالج جميع النقاط الفرعية التى نتكلم عنها ..

ولكن ليس من المعقول أن نطلب اليوم من السلطة التنفيذية الا تصرح الا بما ورد فى الخطة .. مع اننا قد نستند فى ذلك على ما جاء فى الميثاق وفى بيان ٣٠ مارس وفى برنامج العمل الوطنى .. كل هذه الوثائق قد أشارت الى عرض الخطة ولكنها لم تستند الى واقع .. أو الى قرار جديد من اللجنة المركزية يعدد جميع هذه القرارات .

فى رأى أن جميع هذه النقاط الفرعية تأتى تحت عنوان السلطة التنفيذية ، ولا يمكن أن نبدأ التقرير بتحديد علاقاتنا بالسلطة التنفيذية والا فاننا سوف نضطر الى تحديدها أيضا بالنسبة للسلطة التشريعية .

● الدكتور أحمد السيد درويش

اننا نطالب بتنفيذ ما جاء فى برنامج العمل الوطنى فيما يتعلق بالاتحاد الاشتراكى ..

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ولكن هذه المواد غير معمول بها .

● الدكتور أحمد السيد درويش

إذا كانت غير معمول بها فهذا أمر ثانى .. وهذا يضعنا الآن أمام أحد أمرين .. اما أن يتوقف العمل ، واما أن نعمل ارتجالا وعفويا ، وأن ظروفنا تستدعى أن نسير ، فإذا كنا نتعمل

الانتظار اليوم ، فهناك قضايا تطرح علينا كل يوم .. هل نتوقف لنتنظر حتى نرسم التنظيم كله ثم نوافق عليه الناس أو لا توافق ؟ ..

اننا من الان يجب أن نستعمل النظام الموجود الذى اسىء استعماله فى الماضى فى بعض الاحيان - بتصوير معين فى العلاقة بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والاتحاد الاشتراكى والمؤسسات .. على أن نعد التصور الصحيح من الان لكى نجابه ونقابل الاحداث التى تفرض علينا يوميا وكل ساعة .

اننا لا نقبل أن نضل ساكتين أو نقول أى كلام ، واننا قبل أن ننقد من سبقونا ، يجب علينا أن نبدأ من الان عملا تنظيميا على احسن ما يكون النظام حتى لا ننتهم ثانيا ممن يأتون بعدنا بأن عملنا كان سلبيا .

● المهندس طاهر أمين

اننى اتفق فى الراى مع السيد خالد محيى الدين فيما ذكره من أن ورقة العمل المقدمة من السيد السكرتير الاول للجنة المركزية تمثل ما يجيش فى قلوبنا جميعا حول أسلوب عمل اللجنة ، ولكن لى نقطة أخرى أود أن اطرحها .. وهى أن السيد السكرتير الاول للجنة المركزية بدأ فى مذكرته بسؤالين رئيسيين هما :

الاول : هل حقق الاتحاد الاشتراكى الامل الذى علقته عليه القيادة وال جماهير ؟

الثانى : اذا لم يكن التنظيم السياسى قد حقق هذه الامل فما هو السبيل الى تصحيح الوضع ؟ الخ ولكن هناك سؤال يجب الاجابة عنه قبل هذين السؤالين وهو :

ما هو الاتحاد الاشتراكى ؟ وقد يبدو غريبا أن يصدر هذا السؤال من عضو فى اللجنة المركزية وعضو فى لجنة العشرين ، ولكننى لا أتكلم عن نفسى أو عن أعضاء لجنة العشرين وانما أتكلم عن الاربعة والثلاثين مليونا الذين يقيمون فى هذا البلد .. وانى أؤكد لسيادتكم أن الفرد العادى فى وطننا لا يعرف ما هو الاتحاد الاشتراكى فعلا ، فلقد أغرقنا انفسنا فى شعارات عديدة مثل تحالف قوى الشعب العامل .. الخ . واعتقد أنه طالما لم يوضح بأسلوب سليم ما هو الاتحاد الاشتراكى الذى نحن بصدد تقويسه فلا أمل فى النجاح .

اذن علينا أن نحدد لكى يكون مفهومنا ليس من القلة المثقفة فقط ، بل يكون مفهومنا فيها واضحا بلغة عربية سهلة تعدد الواقع الاساسى الذى يحكم

ولكنني كنت قد انتهيت في الاجتماع الماضي ، حيث طرحت سؤالاً هو هل نحن منطلقون أو مفوضون أو لدينا معطيات معينة نبدأ منها في إعادة البناء .

وفي ظل هذا التصور يجب أن تكون لدينا خطتان :

خطة أولى قصيرة الامد لاننا في ظروف يحكمنا فيها مناخ سياسي وعسكري وظروف خسارية وداخلية ، كما اننا محكومون أيضا بوثائق تحدد حركتنا ولا يجوز الخروج عنها فلا بد من تحديد الشكل القادم للاتحاد الاشتراكي في المدى القصير من خلال هذا الاطار .

خطة ثانية طويلة المدى وذلك اذا كانت هناك اراء ومنطلقات أخرى قد تخرج عن حدود ما رسمته هذه الوثائق ، فلا بد أن نبدأ في إعادة النظر في الوثائق نفسها ، ومن ثم يمكن أن ننطلق من هذا الى إعادة النظر مرة أخرى في صورة التنظيم نفسه ، وهل هو حزب من عدمه ؟ وما هو شكل النظام الحزبي . . . وجميع القضايا المطروحة الان ؟

لذلك فأنني اتفق مع الدكتور أحمد الشرباصي في النقطة التي ذكرها الان بالنسبة للصحافة ، لان هناك فريقين :

الفريق الاول وهو يمثل كثرة تكاد تكون غير متفائلة لانها تتصور اننا نستهلك المرحلة القادمة قولا لا فعلا ، كما تتصور ان الجدية حتي الان على مستوى الدولة لم تأخذ الدرجة المطلوبة ، وأملها ضعيف جدا في انه يمكن أن ينبثق الامر عن شيء جديد .

والفريق الثاني عبارة عن قلة مبصرة ربما كان ينتهي آمالها أن يأخذ الاتحاد فعالية نسبية بحيث يستطيع مواجهة المرحلة التي نجتازها .

لكن في تصوري ان يكون هدف اللجنة نفسها هو محاولة جمع الشمل ودفع العمل الوطني بأقصى درجة ممكنة في اطار المتاح لدينا حاليا ، اما ان نتفرع ونتشتت وننزع في أفكار وآمال واتجاهات مختلفة في هذا الوقت فان هذا يعتبر مضيعة للوقت خاصة ونحن كلجنة عمل عشرون عضوا ولدينا عدة لجان أخرى كما ان هناك أمانات قبي الحافظات .

انن لابد من تحديد مستوى الطموح في عملنا ، ولذلك اتصور ان ورقة العمل التي وضعها السيد

الاتحاد الاشتراكي ، وعلى ذلك يكون السؤال عن ذلك مطروحا قبل السؤالين اللذين طرحهما السيد السكرتير الاول ، وعلينا ان نجيب عليه ولو استغرق وقتنا بالكامل لكي يكون العضو في هذه المؤسسة السياسية على علم تام بماهية هذه المؤسسة من كافة النواحي وليستطيع أن يقلها للقواعد ويعمل على ترسيبها في أفكارها .

● د . محمد ابراهيم دكروري

الاحظ ان المناقشة تدور حول نقطتين رئيسيتين :

النقطة الاولى ، وتتصل بالشكل الخارجي بالاتحاد الاشتراكي وصورته .
والنقطة الثانية ، خاصة بمهمة الاتحاد الاشتراكي في هذه المرحلة التي نجتازها .

وقد وردت مهمة اللجنة في خمس نقاط رئيسية في الصفحة السادسة وأرى أن هذه النقاط الخمس ترد على النقطتين اللتين أثارهما الاخوة .
فالنقطة « أ » تنص على إعادة النظر في قانون الاتحاد الاشتراكي بطريقة جذرية .

والنقطة « ج » تنص على تحديد علاقة التنظيم بالمؤسسات والاجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية .

وفي تصوري ان هذه النقاط ، تتصل من ناحية الشكل الخاص بالاتحاد الاشتراكي نفسه ، فقد تكون الدراسة طويلة الامد بعض الشيء ، تعرض على المؤتمر القومي باعتبار أنه السلطة القادرة على أن تعطي صورة وتفويضا بشكل ما يلتزم به .
كذلك ما جاء في « ب » وهو إعادة النظر في البناء الداخلي للاتحاد الاشتراكي وأساليب عمله ، وتحديد علاقة التنظيم بال جماهير واعداد العمل الفكري والتنظيمي للاتحاد . . الخ .

فان هذا كله يتصل بالعمل اليومي للاتحاد الاشتراكي ، ولذلك فان تصوري ان هناك مهمة أخرى للجنة قد يكون الاسراع فيها ألزم من الأخرى ، وهي عملية دفع النشاط في اطار ما هو قائم وما هو داخل سلطات اللجنة المركزية لاعطاء فعالية أكثر للاتحاد الاشتراكي في المرحلة القادمة .

كذلك فان ما أثاره السيد طاهر أمين هو كلام يتردد في الشوارع وفي الحقل وفي كل مكان لان الصورة المتبعة التي عليها التنظيم السياسي حتي الان هي التي تؤدي الى زيادة الاجتهادات والتفسيرات ووضع الناس في متاهات . . والاراء كثيرة حول هذا .

السكرتير الاول - ولو انها فى بعض مواقع منها قد تثير التطلع الى امل اكبر فى إعادة النظر للاتحاد - الا انها فى حاجة أيضا الى تحديد المدى الذى يمكن ان تذهب اليه وبداية المنطلق الذى يجب ان نبدأ منه .

فنحن لا نبدأ من فراغ ، فهناك كيان قائم فعلا ، وكما اتفقنا فى الجلسة الماضية فالمطلوب ان نعطي ماهر قائم - فى حدود ما يحكمنا من وثائق ، اكبر فاعلية فى المرحلة القادمة ، فليكن هذا التصور هو ما نتفق عليه ثم ننطلق بعد هذا الى تفسير مهمة اللجنة وطريقة اتصالها باللجان الاخرى وحركتها نحو المستقبل .

● الدكتور جمال العطيفي

فى الواقع ارى اننا قد بدأنا بقراءة ورقة العمل ، وقراءة السليبيات أولا . . . ثم طرح سؤال عما اذا كانت هناك اضافة أو ملاحظات على هذه السليبيات ، ثم تطرقت المناقشة بعد هذا الى موضوعات أخرى .

فمثلا بالنسبة للموضوعات التى يثيرها السيد الدكتور احمد درويش ، فهى - الواقع ان لجنة العشرين لم تحل محل اللجنة المركزية فى المرحلة الحالية ولكن لها مهمة محددة ، وكثير من أعضاء لجنة العشرين ليسوا أعضاء فى اللجنة المركزية ذاتها .

فإذا كنا سنعود للحديث فى موضوعات لم تتناولها ورقة العمل المطروحة ، فكأننا سنعود مرة أخرى لمناقشة الاسلوب الذى نبدأ به مع اننا قد اتفقنا على ان نبدأ بمناقشة ورقة العمل والسليبيات أولا ، ثم ننتقل للتصور العام للاتحاد الاشتراكي .

وبالنسبة لسؤال الاخ طاهر امين (ما هو الاتحاد الاشتراكي) فاعتقد ان هذه هى مهمتنا التى سنقوم بها فعلا ، وانى اتصور ان أهم جزء فى التقرير هو صفحة (٥) وهو هل الاتحاد الاشتراكي جهاز للسلطة أو جهاز للشعب ، وهل هو حزب سياسى أو تحالف لقوى الشعب العاملة ؟

اما بالنسبة للسليبيات فاعتقد اننا متفقون عليها ، ولقد تحدثنا فيها كثيرا فى الجلسة الماضية ، ولا اعتقد - على الاقل بالنسبة لى - ان هناك اضافة لما ورد فى ورقة العمل وكذلك بالنسبة لزملائى أيضا لاننى ارى انه لم يتناولها أحد .

فلو بدأنا مباشرة فى الصفحة الخامسة وهى

المسألة الاساسية فى الواقع ، لاننا نقول اننا اذا اجبنا عن هذين السؤالين ، فالباقي كله بعد ذلك نتائج .

فلو قلنا بأنه ليس سلطة دولة ، فسترتب على هذا نتائج ، فهل سيكون معنى هذا ان الجهاز الحكومى - مثلما يقال دائما - هو الشعبنة التنفيذية ، ومجلس الشعب هو الشعبنة التشريعية أو الجناح التشريعى كما يقال ، وهل يكون العمل السياسى عن طريق الاتحاد الاشتراكي ؟

كذلك السؤال الاخر : هل هو حزب أو تحالف قوى الشعب العاملة ؟ فإذا لم يكن حزبا . . هل يكون هناك التزام داخلة . . والى أى درجة ؟ وهل يفتح ابوابه للجميع من عدمه ؟ هذه كلها نتائج .

كذلك بالنسبة للانضمام الى عضويته ، هل هو اختياري أم اجباري ؟ فمن المعروف ان القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكي ينص على انه اختياري ، لكن من الناحية الواقعية فهو انضمام اجباري لان كل شخص مضطر للانضمام للاتحاد الاشتراكي حتى يستطيع ممارسة اعمال معينة ، فمثلا لا يستطيع ان يرشح نفسه لمجلس الشعب الا من كان عضوا فى الاتحاد الاشتراكي ، كذلك لا يجوز الترشيح لمجلس النقابات الا لاعضاء الاتحاد الاشتراكي ، بل ان نقابة المهن الزراعية بالذات تنفرد بحظر حضور الجمعية العمومية الا للمعصو العامل فى الاتحاد الاشتراكي ، ونتيجة لهذا نجد ان معظم الناس ينضمون للاتحاد الاشتراكي ليس لايمانهم به ، ولكن لاضطراهم لهذه العضوية ليصلوا الى مراكز معينة على البلاد . . فهذه قضية أخرى مطروحة .

واتصور ان نبدأ الان بالاجابة عن السؤال الاول والثانى ومناقشتهما .

● الدكتور عبد الحليم الجندي

فى الواقع ليس لدى ما اضيفه الى كلام السيد الدكتور جمال العطيفي ، لكن لدى نقدا خفيفا جدا لصديقي الدكتور محمد دكرورى .

فالجهاز القائم هو صورة من تأليف الاتحاد الاشتراكي لجهازه وليس ملزما لذاته فهو يخضع لقانونه الذى يجب ان يطرح نفسه للبحث . لان قانون الاتحاد الاشتراكي هل هو قانون تأسيسى أم قانون اساسى ؟ وهل هو قانون عمومى ؟ وهذا أيضا سيرد أثناء الدراسة فليتركه الى وقتها .



عبد الحليم الجندى



د. جابر جابر

العمل الوطنى ، وانه ليس المطروح الان النظر فيما وراء هذه الوثائق الموجودة الان .

ان فلسفة الاتحاد الاشتراكي مشروحة فى ميثاق العمل الوطنى فهو تحالف لقوى الشعب العاملة ، وهو ليس حزبا سياسيا ، ولا اعتقد ان هذه المسألة مطروحة الان مادمننا نتقيد بميثاق العمل الوطنى الذى شرح كنه وفلسفة الاتحاد الاشتراكي ، ثم جاء الدستور وحدد أيضا معالم هذا الاتحاد الاشتراكي ، فليس فى معرض النص أى اجتهاد ، فالنصوص موجودة وكل ما فى الامر ان نحاول ان نتكشف الاسباب التى قلبت القواعد المكتوبة الواضحة الى مجرد حبر على ورق ، فاذا عرقنا هذه الاسباب فلنحاول ان نعالجها .

اما بالنسبة لما أشار اليه الدكتور الشرباصى فنحن نوافق عليه ، لا لتقليل الاعلامية فنحن احوج ما نكون لان يشترك الناس الذين لا يصدقون نبروا ان هنا صدقا وان هنا عملا جادا ، لكن اقتراح الدكتور الشرباصى قد انتهى نهاية جميلة جدا بأنه ترك للمسيد السكرتير الاول ان يحدد ما ينشر وما لا ينشر .

ولذلك فانى اتصور ان جميع ورقات العمل هي ورقة عمل لنا بما قد يضاف اليها ، وتفتح الابواب ما أمكن ليعرف الناس ، كما اتصور ايضا ان عملنا الاكبر والسريع يجب ان يكون فى اللجان الفرعية ، فبعد ان نتفق اتفاقا مؤقتا وليس نهائيا على هذه النقاط المثارة ، سندخل بها الى اللجان الفرعية ، ثم نعود مرة ثانية بها الى هذه اللجنة لتنسيقها . الخ وشكرا .

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

يبدو لى ان التساؤلات التى اثبتت الان قد سبقت اثارها جميعها قبل ذلك ، وكلها لقيت ردودا مكتوبة حاسمة .

اما ما هو الاتحاد الاشتراكي ؟ فقانون الاتحاد الاشتراكي يرد على هذا ، والدستور الدائم لجمهورية مصر العربية يرد على هذا ، وبالنسبة للعلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والهيئات الاخرى مثل مجلس الشعب ، السلطة التنفيذية ، والتنظيمات الجماهيرية . فلقد اثير هذا السؤال منذ سنوات ورد عليه بردود حاسمة وقواعد واضحة مكتوبة ، ولكن القانون شئ والواقع شئ آخر ، فاذا كنا نريد حقا ان نعمل عملا جديا فلا بد من اجراء مسح شامل للقواعد التى وضعت من قبل وسطرت بوضوح من الذين اشتركوا فى العمل السياسى ، وان يطلع السادة اعضاء لجنة العشرين على هذه القواعد ، ثم نتحرى عن الاسباب التى أدت الى ترك هذه القواعد وجعلها حبرا على ورق ، لان هناك مواقف تتخذ سواء من هنا أو هناك .

واعتقد ان ميثاق العمل الوطنى وما أشار اليه الدكتور محمد دكرورى من ان وثائق العمل الاربعة التى يجب ان نتقيد بها هي - ميثاق العمل الوطنى ، الدستور ، بيان ٢٠ مارس ، برنامج

التنفيذية أو هل هو جهاز للحكومة أو جهاز للشعب ؟

انما يجب الا نبدأ التساؤل بما يقيد ان السلطة ليست للشعب ، لان السلطة هي السلطة الشعبية ، وهذا هو المقصود .

فاما ان تعدل السلطة ونضيف اليها (التنفيذية) واما نقول سلطة الدولة وبهذا يكون النص واضحا ، وهي مسألة صياغة ومحدودة الاهمية ، انما لا يمكن القول ان السلطة غير شعبية .

وبالنسبة للملاحظة الثانية ففي الواقع اقترح ان نضيف الموضوع الذي اثاره الدكتور جابر جاد لانه من العوامل الاساسية في سلبيات الاتحاد الاشتراكي وعدم وضوح العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وبين الاجهزة التنفيذية والشعبية .

وهذه السلبيات ترجع أساسا الى عاملين ، فلو قرأنا هذين العاملين نجد انهما لا يغطيان الموضوع الذي اثاره الدكتور جابر جاد ، ولا بد في هذا الموضوع ان تكون الوثائق الخاصة به موجودة أمامنا ، فاذا كنا فعلا نريد تلخيص تفصيلات السلبيات في عوامل ، فاعتقد ان علينا ان نضيف العامل الثالث وهو (عدم وضوح العلاقة) وهو موضوع مهم جدا حيث كان مطروحا منذ فترة طويلة وشكرا .

● المهندس سعد هجرس

في الواقع ، اعتقد ان كلام السيد الدكتور جابر صحيح تماما ، فان الوثائق الاربعة تؤكد حق الاتحاد الاشتراكي في فرض سلطته على كل نواحي الحياة في الدولة .

ولو رجعنا للدستور نجد انه قد ورد به عن الاتحاد الاشتراكي انه أداة هذا التحالف في تعميق القيم الديمقراطية والاشتراكية ، كما ينص على انه من حق الاتحاد الاشتراكي متابعة العمل الوطني في مختلف مجالاته ودفع هذا العمل الوطني الى أهدافه المرسومة ، كما يقول ان الاتحاد الاشتراكي أو التنظيم السياسي له مسؤولية في تطبيق أحكام الدستور بما يحقق أحكام المادة الخامسة من الدستور ، وترتبط بذلك دراسة ومناقشة وإبداء الرأي ووضع القواعد الرئيسية

وقد وزع على حضراتكم محاضر اللجان التي نظمت هذه المسائل ونظرت فيها ، والقواعد التي اقترها المؤتمر القومي في هذا الخصوص ، فلو سمحتم بالاطلاع عليها لكى نرى ما اذا كانت هذه القواعد تكفى بالمراد أم أن بها قصورا وكيف يمكن معالجته ؟ فاذا كانت هذه القواعد تشفى الغليل فلماذا اذن لم تطبق ولم تدخل في حيز التطبيق ؟

فاذا امكن ان نلتزم بهذه المواثيق فان هذا يؤدي الى الوصول الى نتائج في وقت قصير ، ولكن اذا بدأنا المسائل كلها من الصفر وطرحنا كل ما بذل في الماضي من جهود وتركناها جانبا ، فاني متأكد اننا سنصل الى هذه القواعد بالذات .

فلنلق نظرة على هذه القواعد فربما تساعدنا على اكتشاف الاسباب التي أدت الى عدم الاخذ بها ، اذا كانت هذه القواعد لم تعد متمشية الان ويجب ان تعدل على ضوء ظروف جديدة . . . ربما كانت هذه هي الطريقة المثلى لبحثنا بدلا من ان نفرق في بحر من الجدل وبحر من النقاش وشكرا .

● الدكتور حافظ غانم

لقد طلبت الكلمة لكى أتحدث في الصفحة الخامسة ، وهي التي تعتبر في الواقع الصفحة الرئيسية في التساؤل عن سلبيات الاتحاد الاشتراكي ، ولي ملاحظتان :

الاولى : خفية وتتعلق بطريقة صياغة البند الاول أو العامل الاول .

والثانية : اننى اقترح اضافة عامل ثالث الى العاملين الاول والثاني .

فالصياغة الحالية للعامل الاول تقول : خطأ في التصور العام للاتحاد الاشتراكي ، وليس لدى اعتراض عليها ، اما السطر الثاني يقول « هل هو جهاز للسلطة أو هو جهاز للشعب ، وفي الواقع ان الصياغة بهذه الصورة غير واضحة فلماذا لا يكون هناك اتحاد اشتراكي ؟ ولماذا لا تكون هناك ديموقراطية ؟ يجب ان نسلّم ان السيادة شعبية وأن السلطة شعبية ، وهذا مذكور في كل الوثائق ان السلطة عندنا سلطة شعبية ، انما صياغة هذا السؤال تكون أدق حينما نقول هل هو جهاز للسلطة

وممارسته لوظائفه بالاسلوب الديمقراطي وانبثاقه عن الجماهير وتمثيله لامانيها وتعبيره عن ارادتها تحقيقا لمبدأ سيادة الشعب .

ومعنى ذلك أن الاتحاد الاشتراكي هو الرأي المفكر لهذه الدولة والرأي الذي يعبر عن أمانى هذه الدولة ومطالب هذه الجماهير ، فله سلطة التوجيه والرقابة والاشراف على سلطات الدولة .

وهنا يثار السؤال الذي طرحه الدكتور جابر جاد . .

هل هذه القوانين تتفق مع الواقع فعلا ؟ اننى اتفق معه بانها لا تتفق وهذا يرجع الى أن العلاقة التى بين الاتحاد الاشتراكي وسلطات الدولة والاتحادات النسائية والشبابية والنقابات المهنية واتحادات العمال فى علاقة شاعت معالمها وليست محددة وليست واضحة ، ومن هنا يجب التركيز حتى يسترد الاتحاد الاشتراكي قوته ويكون له كيانه واحترامه ، ويكون فعلا ما قيل فى شأنه فى مواثيقنا واقعا عمليا ، فلا بد من تحديد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وبين هذه السلطات تحديدا قائما على الوضوح والصرحة والبساطة حتى يمكن أن يتفهمها الاربعة والثلاثون مليوننا من المواطنين .

وبعد تحديد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وبين سلطات الدولة التنفيذية والتشريعية ، وسلطات الدولة الادارية واتحاداتها ونقاباتها ، يجب أن يكون هناك من الضمانات ما يمكن من تحقيق فاعلية هذه العلاقة واحكامها ، وبذلك تكون الضمانات من أهم ما يكون .

ولكن كون أن نظل نقول كلاما جميلا وقولا منبثقا عن ارادة وعن اخلاص وطنى فى وثائقنا ثم نجده حبرا على ورق فان هذه نقطة الارتكاز التى يجب أن نركز عليها ونعطيها كل الاهتمام . واعتقد أن جزءا كبيرا من السليبيات الاحدى عشرة راجع للسبب الذى ذكرته .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

أود أن نعود مرة أخرى للصحيفة رقم (٥) فالبند الاول لا يختلف إطلاقا عن الكلام الذى ذكره الدكتور جابر جاد ولا يختلف عن الكلام الذى ذكره المهندس سعد هجرس الا فى نقطة واحدة وهى

للقوانين التى أشار اليها الدستور - مع العلم أن كثيرا من هذه القوانين لم يصدر بعد ولم يؤخذ رأى الاتحاد الاشتراكي ولجنته المركزية فيها .

وربما يتولى الدكتور جمال العطيفى هذا الموضوع داخل مجلس الشعب . لان الدستور مرتبط بتسعة وأربعين قانونا قد تهدر الدستور وقد تؤدى الى اهتزاز احكامه .

وحينما ننظر الى الاتحاد الاشتراكي داخل برنامج العمل الوطنى نجد انه ينص على « أن تقوم قوى الشعب العاملة بالدور الاساسى فى عملية البناء من خلال تنظيمها السياسى وتحت قيادة التنظيم السياسى » . وحينما نرجع للميثاق نجد أنه يحدد دور الاتحاد الاشتراكي تحديدا واضحا وصرحيا ، فهو ينص على أنه « لا بد أن تتأكد باستمرار سلطة المجالس الشعبية المعبرة عن ارادة الشعب على أجهزة الانتاج وفوق سلطة الأجهزة التنفيذية والادارية ، وذلك حتى تمنعها من الانحراف وتباعد بينها وبين محاولة أن تجعل من نفسها بيروقراطية » .

وقانون الاتحاد الاشتراكي نفسه ينص على أن الاتحاد الاشتراكي يجب أن يكون أمينا وقادرا على المحافظة على مبادئ الثورة الستة والاندفاع بها الى الاهداف الكبرى التى حددها الميثاق ، والاتحاد الاشتراكي هو الطليعة الاشتراكية التى تقود الجماهير ، وتعبّر عن ارادتها ، وتوجه العمل الوطنى ، وتقوم بالرقابة الفعالة على مصير ركبته فى الخط السليم .

كما ينص على أنه « السلطة الشعبية ويقوم بالعمل القيادى والتوجيهى والرقابة التى يمارسها باسم الشعب ، بينما يقوم مجلس الامة وهو سلطة الدولة العليا ومعه المجالس النقابية والشعبية بتنفيذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكي ، فقانون الاتحاد الاشتراكي ألزم مجلس الشعب بتنفيذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكي العربى ، كما ينص على قيام الاتحاد الاشتراكي بدوره القيادى وتحمله المسئوليات الطليعية ووقوفه حارسا على الضمانات التى كفلها الميثاق

انه لم يشر حرفيا الى الدستور والى الميثاق على اعتبار اننا نريد أن نضع أيدينا على الواقع ، فقد جاء بهذا البند أن جميع وثائقنا الثورية منذ الميثاق في الدستور تؤكد أن الاتحاد الاشتراكي جهاز للشعب تمارس بواسطته السلطات ، لكن الواقع عكس ذلك .

بعد ذلك يعطى تشخيصا : لماذا كان الواقع عكس ذلك ؟ فيقول انه خلال مساره الطويل يؤكد انه جهاز لخدمة السلطة أو لوضع الشعب في الاطار الذي تريده السلطة تماما ، فهو دائما يفسر قرارات السلطة ويدافع عنها حتى تلك القرارات التي يفاجأ بها ويعلم عنها في نفس الوقت الذي تذاع فيه على المواطنين ، ولذلك فهو يبدو دائما كأنه أحد أجهزة السلطة ، وأي تنظيم إذا تحول جهاز سلطة غرق في الففاق السياسي وتحاشى ذكر الأخطاء ، وعجز عن تحقيق أهداف الشعب إلا بالقدر الذي تملكه أو تحتمه له السلطة ليحاول أن يمسك الجماهير في قبضة يده .

هذا هو نص المادة كما جاء في مشروع ورقة العمل وليس لدى مانع من أن نستطرد في الجزء الاول ونقول ماذا قال الدستور ؟ وماذا قال قانون الاتحاد الاشتراكي ، وماذا قال الميثاق ؟ وماذا قال بيان ٣٠ مارس أيضا ؟ وانما في النهاية تستند الى الواقع الذي أشار اليه الدكتور جابر ، هذا ما كان واقعا وما زال واقعا ولو أننا نتحاشاه ولعلكم تلاحظون أننا لم نتعرض لجميع القرارات التنفيذية في الفترة الماضية لا مؤيدين ولا معارضين ، لأن جميع هذه القرارات لم يؤخذ رأي الاتحاد الاشتراكي فيها ، وبالتالي فنحن نقف هذا الموقف الى أن نتبين الخطورة التي يمكن أن تأتي ، لأننا اليوم أمام أمر من اثنين : - وفي هذا رد على ما ذكره السيد الدكتور أحمد درويش - هذان الأمران هما :

أما أن يؤيد الاتحاد الاشتراكي هذه القرارات أو يعارضها ، وهذا جائز قانونا احكاما مواد الدستور والميثاق وبيان ٣٠ مارس .

ولكن هل تكون هذه هي بداية عملنا أو أن تكون البداية أن نقر الوقائع الموجودة في الدستور والميثاق أن ننبه الأذهان اليها ثم لا تكون مطبقة في الواقع .

ولقد اشرت اليها ، ولا يمنع ذلك إطلاقا أن نستطرد فيها عند كتابة التقرير النهائي ولكن معنى هذا أن نقول للناس اننا لم نأت بجديد - كما أشار

الى ذلك السيد الدكتور دكروري ، فنحن نأخذ ما قاله الميثاق ، وما قاله بيان ٣٠ مارس وما جاء بالدستور ونجدد أذهان الناس .

وأذكر انني في الفترة الاخيرة وردت الى ذهني بعض نقاط صرحت بها عندما توليت العمل في الاتحاد الاشتراكي عن الصلة بينه وبين الأجهزة التنفيذية ، وعندما رجعت الى مواد الدستور والى بيان ٣٠ مارس وجدتها أقوى مما قلت لأنها صيغت بعبارات أقوى مما ذكرت .

لذلك فاني أرى أن البند الاول ليس متعارضا لانه يتكلم عن الواقع ، وحينما نتصور اننا نسير في العمل ونقول ان وثائق الثورة قد نصت على كذا وأن الواقع يغير هذا ، والنتيجة انه اعمالا للدستور واعمالا للميثاق فانه يجب على السلطة التنفيذية أن تستطلع رأي الاتحاد الاشتراكي عندما تشرع في اصدار قانون من حيث الفكرة ، لأن هناك فرقا بيننا وبين الجهاز التشريعي عند النظر للقوانين .

فإذا ما وصلت اللجنة الى قرار في هذا الشأن نكون بذلك قد خطونا خطوة الى الامام ، بعد ذلك توضع الصيغة مستندة الى الوثائق السابقة ومستندة الى أرضية الواقع من ناحية التطبيق ، بأن الحكومة لا تصدر قانونا الا بعد أن تحصل على موافقة اللجنة المركزية أو الامانات عليه ، وهذا أيضا موجود ولكننا نقره كواقع ، هذا موجود فعلا في صياغة عامة ولكن ما نريد أن نستوضحه هو هل يعرض على الامانات ، أو هل يعرض على اللجنة المركزية ؟ وهل يمكن عقد اللجنة المركزية بصفة مستمرة أم نكتفي بالعرض على الامانات ؟ وهل تعرض كل القوانين ؟

هذا هو المفروض على اللجنة أن تتناوله ، اما اذا قلنا أن الميثاق ينص على كذا والدستور يقضي بكذا وهي وثائق تنادي بمبادئ أقوى بكثير من تصريحات السكرتير الاول ولكن كيف يمكن أن ينطبق هذا وما الوسيلة العملية لتطبيق ذلك ؟

● الدكتور اسماعيل غانم

لدى تساؤل بسيط لأن هناك كلمة ذكرت لم أكن أعرفها وهي أن هناك الزام للحكومة بعرض أفكار القوانين على اللجنة المركزية ، ولا أذكر إطلاقا أن ثمة وثيقة من الوثائق التي قراتها ورد فيها هذا المعنى .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لا يوجد فعلا ، ولكن هناك ناحيتين ، ناحية

نطاق لبدء الرأي فيه ، وكذلك قد يكون هذا ما حدث بالنسبة لقانوني الاسكان والعمل ، هذه أمثلة لثلاث جهات أرادت التعاون مع الاتحاد الاشتراكي ، وكان من الممكن أن استأثر بقانون التعاون وأصدره ولم يكن الاتحاد الاشتراكي يفرض على هذا ولكن ما أود أن تتناوله اللجنة هو ما ذكره الدستور والميثاق وما ورد ببيان ٣٠ مارس ، وايضا من بعض الامثلة السابقة ، وبأن ناتى بالقوانين الى أرض الواقع بناء على الدستور والميثاق ، ولكن كيف ناتى بها الى أرض الواقع ؟ هذا هو السؤال ؟

● الدكتور محمد دكروري

بالنسبة لعرض بعض القوانين على اللجنة المركزية فقد كان هذا نوعا من الجهود الشخصية أو التصرف الشخصي الذي كان لا يخضع لاي نوع من الالتزام اطلاقا ، بالإضافة الى هذا ان الاتحاد الاشتراكي كان يعيش دائما في ظل أنه اذا كان أقوى من الحكومة لجأت اليه واذا كان العكس كانت لاتهتم برأي الاتحاد وهذه عملية عشوائية .

وانى اتصور أننا في مقطع تاريخي ، ونحن نعد لهذه الصلة ونضع تقاليد للمستقبل ، ولكن هناك بعض النقاط البسيطة أود أن أضعها أمام اللجنة حتى لا نتشعب .

فكما ذكرت لسيادتكم نحن لا ننشئ سلطات ، فسلطات الاتحاد موجودة ولكن نريد أن نمارسها من خلال قناتين :

القناة الاولى : ان نحول ما جاء في الوثائق الاربعة الى صيغة قانونية تنفيذية ثم الى أسلوب تطبيقي لهذا التنفيذ ، ولذلك فاني أقول اذا ذكرنا ما هي اللجنة فأننا لا نختلف بأن هناك سلبيات متعددة ، وقد تناولتها في هذه الورقة .

هناك أيضا شيء لاختلاف عليه وهي ان مهمتنا هي تدعيم الاتحاد الاشتراكي ، وانى أعود وأركز على هذه النقطة وأقصد بها الاخ عبد الحليم الجندي أو غيره ممن قد لا تكون الصورة التطبيقية لمهمة هذه اللجنة متوفرة لديه .

نحن لا ننشئ اتحادا اشتراكيا جديدا ، ولدينا معطيات وملزموون بأن نبدأ بها ونتحرك من خلالها ، المعطيات هو أن نزيد من فعالية الاتحاد الاشتراكي من خلال ما هو قائم ومن خلال ما ورد في هذه المرائيق بقدر ما تسمح به هذه اللوائح المعطاة أمامنا .

هناك نقطة ثانية وهي : ان ورقة العمل ليست

النص والتشريع ، ثم الناحية التطبيقية ، جميعنا متفقون أن النصوص الموجودة كافية وسوف لا ناتى بجديد ، ولكن الواقع يخالف هذا .

وحيثما أقول عرض فكرة القوانين على اللجنة المركزية فهنا أعطى مثلا للواقعية بهذا الاقتراح الجديد ، وقد يكون بالعرض على الامانات أو يكون استطلاعا لرأينا بصورة من الصور ولكن لم يحدث في تاريخ اللجنة المركزية على ما أذكر أن الحكومة عرضت مشروعا جديدا كفكرة ما عدا قانون التعاون الزراعي .

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

لقد عرض قانون المساكن ، وقانون العمل أيضا حينما كنت مقررا للشئون القانونية في الاتحاد الاشتراكي ، وليس النص ضروريا كما ذكر السيد الدكتور اسماعيل غانم وليس هناك الزام .

واسمحوا لي أن أوضح ما هو الاتحاد الاشتراكي ؟ الاتحاد الاشتراكي يتمثل فيه جميع قوى الشعب وهو يحتوى السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية ، فمجلس الشعب هو الجناح التشريعي للاتحاد الاشتراكي ينظر مشروع القانون ويحدد معالمه لان القوانين ليست الا تعبيرا عن ارادة الشعب ، والشعب ممثل في الاتحاد الاشتراكي - إذن لابد للشعب بواسطة الاتحاد الاشتراكي أن يقول قوله في كل قانون لانه هو الذي سيحكم بهذا القانون .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

هل يحصل ذلك ؟

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

نعم كان هذا يحدث .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لنتكلم بصراحة ، لقد اصدرت الحكومة الحالية جملة قوانين متتابعة أو جملة قرارات ، هذه القرارات قد تكون عظيمة جدا ، ولكن أليس الاتحاد الاشتراكي بمعزل عنها ؟

هذا ما أود أن تتناوله اللجنة ، وعلى سبيل المثال قانون التعاون ، لقد شعرت بأن هذا القانون يمس مجموعة كبيرة من المواطنين فتقدمت للاتحاد الاشتراكي بهذا القانون وطلبت عرضه على أوسع

بالضرورة متضمنة كل شيء فقد ضمنتها سيادتك قدرا أكبر، وأرجو أن لا نستغرق الوقت في مناقشة كل نقطة لأن هذه النقاط ستكون من مهمة بحث المواضيع التي وردت كمهام .

ويهمنا أن نتفق هل تكون مهمة اللجنة ككل أو شخص لجانا متفرعة من هذه اللجنة ، لأنني أخشى أن يستطرد في الحديث وننتقل من موضوع الى موضوع دون ما ترابط في المناقشة .

وأرجو الا ننتقل من موضوع قبل أن ننتهي منه حتى يمكن أن نتفق فيه على فكر وعلى رأي ، اما أن اتكلم في موضوع ثم يعقبني الاخوة وكل يتكلم في موضوع آخر ، فمع أن كل الموضوعات ترتبط بالهدف الكلي للعملية الا أننا من الناحية التنظيمية للمناقشة نبذل جهدا ضائعا .

وأرجو اذا ما أثيرت نقطة أن نلزم أنفسنا بالمناقشة فيها ولا ننتقل منها الى نقطة أخرى قبل أن ننتهي منها ، وأرجو من سيادتك أن تلزمنا بهذا في مناقشاتنا حتى يمكن أن يكون جهدنا مستثمرا فحما ذكر السيد الدكتور درويش بأن الوقت ليس في صالحنا ونريد أن ننجز مهمتنا بأسرع وقت ممكن وشكرا .

● الدكتور جمال العطيقي

في الواقع نحن نتكلم في النقطة الاولى وهي هل الاتحاد الاشتراكي سلطة دولة أو تنظيم سياسي ، ولم نخرج عن هذه النقطة ، لقد مضت نصف ساعة ونحن نتكلم عن علاقة الاتحاد الاشتراكي بالسلطة التنفيذية والتشريعية وهذا السؤال نفسه هو نتيجة الاجابة على السؤال الذي طرحته ورقة العمل . هل الاتحاد الاشتراكي تنظيم سياسي أو سلطة دولة ؟

نحن لا نريد تحويله الى سلطة دولة - وسبب السلبيات الحقيقي في المدة السابقة أنه تخول فعلا الى سلطة دولة ، واذا كانت مهمة مجلس الشعب ستكون مجرد تسجيل لما تقرره اللجنة المركزية وإن الحكومة تنفذ تفصيلات تقررها اللجنة المركزية وتتخذ شكل قوانين ، فهذه الوجهة معناها أننا نوجد ازدواجا في العمل ونكرر الاجهزة ، وبهذا يكون الاتحاد الاشتراكي قد خرج عن دوره وتعلم الكسل وهذا ما كان موجودا قبل ذلك ، وسوف لا ينزل وسط الجماهير ، وسوف لا يعمل بالعمل السياسي .

أن واجبنا أن أضغط على الحكومة بالعمل السياسي ولا أضغط عليها بأن أقول لها أنا قررت

هذا القانون ولا بد أن يسير بشكل معين ، ولكن اضع لها الاطار العام للسياسة العامة وعندما نجد أن الحكومة أصدرت قانونا لا يرضى عنه الاتحاد الاشتراكي ننزل بياننا نهاجم فيه هذا القانون وقد نسقط الحكومة اذا اقتضى الامر عن طريق لفاعليتنا في المجلس الشعبي وعن طريق أعضاء الاتحاد الاشتراكي الذين ينتمون اليه في تنظيمات وليس عن طريق العمل المباشر الذي يحولني الى سلطة الدولة .

هذه النقطة في الواقع في غاية الدقة وأعتقد أنها سبب جميع المشاكل وحتى الآن هناك مشاكل عملية ، على سبيل المثال كيف يتم ترشيح رئيس مجلس الشعب ؟ هل يستطيع كل عضو أن يرشح نفسه لهذا المنصب ؟ هذه صورة غريبة وصعبة ، فالإتحاد الاشتراكي يرشح شخصا ويقول لهم انتخبوه وهم ليسوا راضين عنه ، لقد واجهتنا هذه المشكلة منذ أسبوعين حينما ناقشنا موضوع انتخاب العشرين عضوا بالمجلس الاتحادي ، هذه هي مشاكل بالنسبة للواقع العملي وتفصيلاته .

وعلى سبيل المثال فإن السيد رئيس الجمهورية هو الذي يختار رئيس الوزراء ، فهل يمكن أن الزمه برئيس وزارة معين ، وهل هو يستأذني في اختيار رئيس وزارة ؟ أو اني أعمل عن طريق العمل السياسي وهو يختار الوزارة ، واذا وجدت أن هذه الوزارة تعمل بالطريق السليم عن طريق العمل السياسي ، وعن طريق النشاط السياسي بين الجماهير ، فأنتي -أأخذ موقفا منها ، وأأخذ أيضا موقفا من مشروعاتها ، وهذا ما كان يحدث قبل ذلك حتى بالنسبة للنقابات ، فإن الاتحاد الاشتراكي كان يقرر أن زيدا من الناس نقيب لنقابة من النقابات ، وبذلك فإن المحافظين كانوا يأتون بأعضاء النقابة ويدفعون لهم الاشتراكات ، ويقولون لهم بأن هناك توجيها بانتخاب فلان ، وعليكم أن تنتخبوه وينتهي الامر على ذلك بدلا من العمل السياسي نفسه نحو اقناع الناس .

هذه النقطة أساسية وما لم ننظر اليها بوضوح فسنظل في السلبيات ، وليس السبب في ذلك أن الاتحاد الاشتراكي كان ضعيفا بل على العكس فإنه كان أقوى من اللازم ، وكان عيب الاتحاد الاشتراكي قبل مرحلة ١٥ مايو وبعد ١٥ مايو بقليل أنه كان أقوى من اللازم وأنه كان يتدخل في كل شيء وكان لا يجري أي شيء الا عن طريق الاتحاد الاشتراكي بوسائل ادارية وبيروقراطية والاوامر وليس بوسائل العمل السياسي ، ومن أجل هذا كانت الجماهير لا تثق فيه ، وكان كل شيء يتم بالامر وبالنفق .

كل ما يمس مصير البلاد أو الجماهير الذين يعيشون فيه -

وبالنسبة لمن الذي ينفذ القرارات ؟ فان القرارات التي يصدرها المؤتمر القومي العام باعتباره السلطة السياسية العليا ، يقوم مجلس الشعب وهو الجناح التشريعي للتنظيم السياسي باصدار التشريعات التي يستلزمها تنفيذ القرارات ومراقبة تنفيذها ، كما تقوم الحكومة وهي الجناح التنفيذي للتنظيم السياسي باتخاذ اجراءات التنفيذ الفعلي لتلك القرارات عن طريق اجهزتها المختلفة ، وهذا هو التسلسل .

لقد عرفنا بذلك الجهة التي ستصدر القرارات ومن اين ستأتي لنا هذه القرارات ، ومن الذي سيتفقدونها ومن الذي سيتابعها وكيف يكون أسلوب المتابعة .

تقوم أجهزة التنظيم السياسي عن طريق معاشية الجماهير والالتحام بها للتعرف على سير تنفيذ القرارات وانعكاساتها على الجماهير ومدى تقبلها لها ، وتجميع نتائج الدراسة والبحث والتحليل للمعرض بالرأي على المؤتمر القومي العام أو اللجنة المركزية في الفترات ما بين انعقاد المؤتمر ليصدر قراره بالتأييد أو الالغاء .

أعتقد أننا اذا ما وضعنا كل هذا الكلام وشرحناه للجماهير والتزمنا به فانه يمكن تغطية كل السلبيات التي تعرضنا لها .

● السمكثير الاول للجنة المركزية

لو سمحتم اود أن نرجع الى نقطة النظام التي ذكرها الدكتور دكروري ، وانني أرى أن المناقشة التي دارت حتى الان كلها وقد وضعت اما بشكل تحليلي ، واما تساؤلي في الورقة المقدمة

وبالنسبة للنقاش الذي يجري كله فانه يستند الى نقطتين أساسيتين :

النقطة الاولى : ما المواقف ؟

النقطة الثانية : التطبيق العملي والسلبيات التي نشأت من التطبيق العملي .

ان المذكرة المقدمة قد تعرضت للسلبيات كموضوع ، وقد كنا بدأنا بمناقشة هذه السلبيات ، فهل هناك اضافة جديدة بالنسبة لهذه السلبيات ؟

● خالد محيي الدين

بالنسبة للسلبيات اود ان اضيف مسألة افتقاد النجوى

ولكن لكي تقتنع الجماهير بالعمل السياسي فهذه نقطة جوهرية ، واعتقد انه اذا ما استغرق بحثها جلسة أو اثنتين أو ثلاث جلسات ، نكون بذلك قد حللنا جميع المشاكل .

● المهندس ابراهيم نجيب

أعتقد أنه قد وضح لنا جميعا الان ومن جميع الوثائق التي أمامنا أن الاتحاد الاشتراكي هو السلطة الشعبية العليا وليس في ذلك نقاش ، وكل هذا مثبت ومؤكد في جميع هذه الوثائق ، والنقطة التي توجد كل هذه السلبيات هي كيف يمارس الاتحاد الاشتراكي هذه السلطة بمعنى هل يمكن لأي شخص أن يصدر قرارا أو يقوم بالتفتيش أو يراقب ، كيف يمكن للاتحاد الاشتراكي أن يمارس سلطته العليا ، بعد ذلك كيفية الوصول الى القرارات ، ثم ما هي الجهة التي تصدر القرارات ، لقد ذكرنا أن الاتحاد الاشتراكي هو السلطة الشعبية العليا ، كيف يمارس هذه السلطة ؟ كيف يصل الى القرارات التي تمثل هذه السلطة ؟ وما هي الجهة التي تصدر هذه القرارات ؟ وما هي الجهة التي تنفذها وما هي الجهة التي تتابعها ؟

واذا ما وضعنا جميع هذه النقاط يمكننا أن نغلب على كل السلبيات التي مضت . ولقد اجتهدت من نفسي وكتبت دراسة بسيطة عن كيفية ممارسة الاتحاد الاشتراكي لسلطته العليا ورأيت أن ذلك يتم باصدار القرارات في كل ما نصل بمصير البلاد ومصالح الشعب وعلى الاخص في المبادئ الأساسية للمجتمع ، والسياسة الداخلية والخارجية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وبالنسبة لكيفية الوصول الى القرارات ، نقول أن الاتحاد الاشتراكي هو الذي سيضع القرارات في كل هذه المسائل التي تهم مصير الشعب ، كيف الوصول الى هذه القرارات ؟ .. بالتعرف على رغبات الشعب واحتياجاته ومشاكله وامكانيات البلاد الطبيعية والبشرية والاقتصادية والاضاع المحيطة والعالمية ، ثم دراسة كل هذه البيانات وتحليلها وبحثها واقتراح القرارات القيادية المناسبة في كل موضوع .

فالقرارات القيادية التي تم الوصول اليها نتيجة الدراسات والأبحاث تعرض وتناقش في المؤتمر القومي العام أو اللجنة المركزية، أو اللجنة التنفيذية العليا في فترات ما بين انعقاد المؤتمر لتحديد القرار المناسب وقراره واصداره وبالتالي يكون المؤتمر القومي العام هو الذي يضع القرارات في

المركزية ، وسأضرب أمثلة على ذلك ، ثم بعد ذلك سأقدم تصوري للجنة المركزية وعمل اللجنة المركزية .

على سبيل المثال عندما تقرر اللجنة المركزية ألا ترفع الاسعار عن الاسعار الحالية ، فعلى الحكومة أن تباشر هذا على أساس أن الاسعار لا يجب أن تزيد ، وعندما تقرر اللجنة المركزية ذلك فإنها لا تذكر التفاصيل ، إذ أن هذا ليس من عملها لأنها لا تتدخل في التفاصيل من حيث هي بل يكون ذلك عن طريق الاستيراد أو بزيادة انتاجية أو بتخفيض الاجور أو بزيادة القوى الشرائية أو بتقليل القوى الشرائية ، قد تناقش هذا الموضوع لجنة من لجان اللجنة المركزية وتنتهي فيه الى قرار عام تعرضه على اللجنة المركزية حيث أن التفاصيل لا تخصها بل تخص السلطة التنفيذية .

على سبيل المثال أيضا قرار آخر ... تحسين مستوى معيشة الفلاحين بتقليل الفئته الاجارية بأن تكون خمسة أمثال الضريبة بدلا من أن تكون سبعة أمثال الضريبة ... فرضا - فهذا قرار عام تصدره اللجنة المركزية لاحساسها بأن الفلاحين مرهقون ، ونرى أن تصدر هذا القانون من أجلهم .

وإذا قيل أنه يجب أن يعاد النظر في أسعار الحاصلات الزراعية على شكل معين لكي تصدر اللجنة المركزية هذا القرار فلا تصدره من فراغ فلها لجان متخصصة تدرسه دراسة شاملة ، ثم تخرج بقرار عام معين هو الذي يعرض على اللجنة المركزية .

ثم تتبنى اللجنة المركزية هذا القرار العام وتناقش تفاصيله ، ولكن عندما تنتهي اللجنة المركزية تصدر مادة واحدة ، ومثالا على ذلك الدستور والقوانين النابعة من الدستور ، ان الدستور عندما يضع مادة فإنه يضع صياغة عامة فقط ولكن لا بد لكل قانون يصدر أن يتبع مستندا الى الصياغة الموجودة في الدستور ، ولا يمكن أن نسن قانونا مخالفا للدستور والا حكم بعدم دستوريته ويسقط القانون اصلا لعدم دستوريته .

وما نود أن نصل اليه هو شكل معين في اللجنة المركزية ، وهو أن القرارات التي تعرض على اللجنة المركزية أو المؤتمر القومي عند تبني سياسة معينة - وسوف أعطي تصوري لعمل المؤتمر القومي - فإن اللجنة المركزية تصدر سياسات شبه تفصيلية لمبادئ عامة وضعها المؤتمر القومي ، إذا كانت هذه المبادئ مستمدة بالنسبة لتحسين احوال الطبقة العاملة أو منحهم شيئا من المكاسب التي تسير من الخط الاشتراكي ، فإذا كانت

الديمقراطية العام في المجتمع وداخل الاتحاد وضرورة عدم محاسبة أعضاء الاتحاد الاشتراكي على مناقشتهم التنظيمية داخل الاتحاد ، بحيث تكون هناك حصانة للعضو وان أي كلام يقوله داخل لجان الاتحاد الاشتراكي لا يحاسب عليه .

ومن بين السلبيات أيضا أسلوب العمل والمناقشة ، وأسلوب العمل في التحضير للمؤتمرات ، ففي جميع التنظيمات في العالم لا بد أن ينزل تقرير اللجنة المركزية للقواعد قبل عرضه على المؤتمر القومي بشهور لكي تناقشه الجماهير أولا .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

هل هناك أية مناقشة بالنسبة لسلبيات أخرى قد يمكن أن تنتقل منها الى موضوع آخر ؟

(ولم يطلب أحد المناقشة) .

اذن هذه السلبيات تشخص لنا الحالة القائمة .

ننتقل بعد ذلك الى الصحيفة الخامسة ، ان البند الاول منها الذي أشار اليه السيد الدكتور جابر جاد عبد الرحمن ، والسيد المهندس سعد هجرس ، وانني أوافق على رأيهما اذا وافقت اللجنة بالأنا نكتفي بأن نقول ان كل وثائقنا الثورية منذ الميثاق في الدستور تبين كذا ... ولكن نذكر المواد التي تبين الارضية حتى لا يبدو أننا منطلقون من لا شيء ، واننا منطلقون من وثائق ، وأن تذكر لجنة الصياغة ان مواد الدستور وقانون الاتحاد الاشتراكي نصت على أشياء معينة علما بأن لدينا تفويضا بتعديل القانون نفسه ، ولا يمنع هذا اطلاقا أن نأخذ من القانون الحالي مادة من المواد التي قد لا تكون موجودة في القانون الجديد .

ان البند الاول يعطى تصورا ، هذا التصور يأتي في نقطة - هل الاتحاد لخدمة السلطة ؟

لقد أثار الدكتور جمال رأيا بالنسبة للاتحاد الاشتراكي واللجنة المركزية ، وأود أن أتحدث عما يحدث في العالم بالنسبة لسياسة اللجنة المركزية والمؤتمر القومي ثم نعطي تصورا .

الحقيقة ليس في تصوري أن الاتحاد الاشتراكي يخلق مجلس الشعب بأي شكل من الاشكال لأن في هذا ضررا كبيرا جدا ، وفي تصوري أيضا أن الاتحاد الاشتراكي لا يخلق السلطة التنفيذية في قرار تتخذه أو قانون تصدره طالما أن هذا القانون قد ورد في أطواره العام في اللجنة

الصورة التي ستقوم بعملها اللجنة المركزية ملزمة في شكلها العام - وليس شكلها التفصيلي - للمجلس التشريعي والسلطة التنفيذية اذن ما الذي يعمل عليه المؤتمر القومي وما الذي تعمله اللجنة المركزية؟ وما هي الوسيلة العملية لتطبيق هذا؟

الواقع أن نظام التخطيط هو الأساس الذي يجب أن نبدأ منه إذا لم تكن الخطة موجودة يكون نظام الميزانية هو الأساس الذي يجب أن ننطق منه ، وفي هذا الكلام رد على ما ذكره الدكتور درويش .

أتصور بالنسبة للميزانية أن هناك فكرة بالآتمته من شهر يونيو الى شهر يناير وليس لدينا علم بالميزانية ولا بالتجديدات الموجودة فيها ، وبالتالي نرى اعتمادات كثيرة تصدر من وقت لآخر ونحن بمعزل عنها ، فلو أن هذه الميزانية معروفة لدينا منذ البداية وأقرت من المؤتمر القومي كميزانية ، وهذا هو الجزء الاضعف ، والجزء الاقوى هو الخطة ، وقد نص برنامج العمل الوطني على ضرورة عرض الخطة عليه ، وليس هذا الكلام جديدا ، وإذا ما قرر التنظيم السياسي على مستواه من اللجنة المركزية الى المؤتمر القومي عند عرض هذه الخطة أنها ليست كاملة ويريد أن يدعم الحكم المحلي لأن تدعيم الحكم المحلي كموضوع يسير جنباً الى جنب مع نشاط الاتحاد الاشتراكي ، وإذا لم يدعم الحكم المحلي تدعيماً كبيراً فسوف تظل رسالة الاتحاد الاشتراكي كتتنظيم تائهة مع المركزية ، ولكن عندما تخصص مبالغ معينة في الخطة لكل محافظة من المحافظات فإن نشاط الاتحاد الاشتراكي على مستوى هذه المحافظة وعلى مستوى المجلس الشعبي سيعم دون أن نتحرك من هنا .

فإذا قلنا أن محافظة الشرقية تقرر لها عشرون مليون جنيه هذا العام للخدمات ممثلة في اقامة عشر مستشفيات وخمس مدارس ٠٠٠ الخ ضمن الاطار العام للخطة ، فسوف يتناول المجلس الشعبي هذه المبالغ مع السلطة التنفيذية والمحافظ اماكن انشاء وحجم هذه المدارس ، وأيضا يناقش أعضاء المجالس الشعبية الذين هم جزء من الاتحاد الاشتراكي أو لجان الاتحاد الاشتراكي تناقش هذا ، بهذا نعطيهم المادة المربوطة ضمن التنظيم العام للدولة في شكل الخطة ، وفي نفس الوقت تكون الرقابة موجودة للمجالس الشعبية ، ويكون نشاط الاتحاد الاشتراكي هناك نظاماً قائماً .

اذن فاني أخلص من كل هذا ، بأن اللجنة المركزية أو تنظيم الاتحاد الاشتراكي لا يريد أن يصادر تحرك ثلاث جهات ٠٠٠ لا يريد أن يصادر

حركة مجلس الشعب لأن حركة مجلس الشعب جزء من حركتنا ، وإذا نشط النقاش داخل مجلس الشعب بشكل كبير وصريح داخل المواثيق الأساسية الموجودة فلا يضيرنا ذلك في الاتحاد الاشتراكي طالما أنه يسير مع الخط العام ، نحن لا نقول أن رأي عضو يريد أن يتكلم في مجلس الشعب يستأذن الاتحاد الاشتراكي والا نكون بذلك كمن يقتل مجلس الشعب أصلاً ولكن الذي يهمنا هو أن يكون هو المناقشة الوحيدة المفتوحة ، لأن المناقشة في اللجنة المركزية ليست مفتوحة ، ولو فتح النقاش في اللجنة المركزية وسجل في الجرائد والاذاعة وأذيع في وقته كما يحدث في مجلس الشعب فإن هذا سيمتص مجلس الشعب ، لاني ألاحظ أحيانا أنه يحدث نقاش في اللجنة المركزية وحتى في الاحيان السابقة كان أقوى بكثير من النقاش الذي يحدث في مجلس الشعب ، وكان هذا يحدث في مدة الرئيس جمال عبد الناصر ، وانما كان النقاش مقفولاً .

اذن لا تصدر الحركة الذاتية لمجلس الشعب ، ولا تصدر الحركة الذاتية للنقابات ، ولا تصدر أيضا الحركة الذاتية للسلطة التنفيذية طالما أن الثلاثة مرتبطون معي في خط عام أو إطار قرره اللجنة المركزية .

ولكن متى نتحرك؟ ٠٠ إذا تكلم احد اعضاء مجلس الشعب وقال كلاما يخرج عن قرار اللجنة المركزية ٠٠٠ فانه لابد أن يكون هناك دور معين للاتحاد الاشتراكي ٠٠ ما هذا الدور؟ لنفرض ان احد اعضاء مجلس الشعب طالب بزيادة الحد الاعلى للملكية الزراعية ، أو طلب عضو آخر الغاء تحديد القيم الاجارية لدى الزراع - نحن نعتبر هذا خروجاً عن المواثيق ولا بد أن يتحرك الجهاز السياسي في هذا .

وبالنسبة للسلطة التنفيذية ، لنفترض انها اصدرت قراراً أو قانوناً نشعر أنه خارج القرارات العامة التي اصدرتها اللجنة المركزية أو يمس ميثاقاً من المواثيق الموجودة ، أو لا يستند الى رغبة جماهيرية ، هذه هي الثلاث نقاط التي يتحرك فيها الاتحاد الاشتراكي .

يجب على الاتحاد الاشتراكي أن تكون له رسالة معينة أيضاً بالنسبة للحركة الذاتية للنقابات ، فلا يمكن أن نسير في النظام الذي أشار اليه الاخ جمال العطيبي بأن املى على النقابة نقياً معيناً ، فقد كانت هذه من الاخطاء الكبيرة جداً التي وقع فيها الاتحاد الاشتراكي في نظام وحداته ، في أن يقول هذا الشخص ملقزم وعلى ذلك فإني

للسنا حزبا سياسيا ، وهذا يأتي في السياق العام وهذه نقطة لها أهميتها لأن هناك أقاويل كثيرة بين الناس بأنه من الافضل أن يكون الاتحاد الاشتراكي حزبا وبداخله احزاب معارضة ، وهذا هو السبب في وضع النقطة الثانية ، بعد ذلك نضيف النقطة الثالثة التي ذكرها الدكتور جابر وهي عدم وضوح الصلة بين الاتحاد الاشتراكي وبين الأجهزة التنفيذية وعدم تنفيذ القرارات السابقة .

بعد ذلك تأتي النقطة الخاصة بالسيد الدكتور حافظ غانم ، والتي تنحصر في أنه هل هو جهاز للسلطة أو جهاز للشعب ، لكن الدكتور حافظ يرى أن تكون السلطة التنفيذية أو سلطة الدولة أو لا تكون السلطة وفي الواقع أن وضعها كسلطة دون أن تشير إلى السلطة التنفيذية أو سلطة الدولة اعتقد أن ذلك يعطينا المعنى الذي نريده بشكل أقوى . لأنني اتصور أن الاتحاد الاشتراكي هو جزء من سلطة الدولة طالما أنه يمثل قوى الشعب العاملة ، ولا اتصور أن تكون الدولة في واد والاتحاد الاشتراكي في واد آخر لأن المفروض أن الذي يرسم سياسة الدولة ، هو الاتحاد الاشتراكي .

● الدكتور جمال العطيقي

أن سلطة الدولة منظمة في الدستور ، والاتحاد الاشتراكي له قانونه ويستقل بوضعه وليس الاتحاد الاشتراكي منظمة في الدستور .

● الدكتور ابراهيم أبو النجا

لبي سؤال واحد ، وهو هل هناك نص صريح في الميثاق أو الدستور على أن الاتحاد الاشتراكي ليس حزبا سياسيا . انني قرأت الميثاق والدستور فوجدت أن الدستور يقول أن الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم السياسي . وقد ورد هنا عكس ذلك بأنه أداة سياسية ، لماذا نهرب من كلمة حزب ؟ أن أي تنظيم سياسي عبارة عن حزب . وكون أننا نقول أنه تحالف فهذه طريقة تكوينه .

لقد قرأت أيضا تاريخ الصين ، أن حزب الصين مكون من تحالف خمس فئات كهذه الفئات تماما أولها الفلاحون وثانيها العمال . وهكذا ، فكون أننا نقول أنه تحالف فهذه طريقة تكوينه . وبما أنه تنظيم سياسي . إذن فهو حزب .

وأيضا يتضح من ورقة العمل أننا نهرب من كلمة حزب ، والنتيجة أما مسايرة التنظيم من غير

ارشح ، وهذه هي الاضطرابات التي عانينا منها في الفترة الاخيرة سواء على مستوى النقابات المهنية أو على مستوى الاتحادات الطلابية ، وهي أن ترشح شخصا باعتباره ملتزما سائرا معك في الحظ تماما ولكننا نعرضه على فئة من الناس . . وتكون محصلة ذلك أن تنفصل عنك كل النقابة ويصبح هذا الشخص لا يمثل الانفسه .

انني لا اصادر الحركة الذاتية للنقابات ، ولكن النقابات بحكم قانون النقابات ، وتطويره ينقسم عملها إلى قسمين وقد أشرت إلى هذا في خطابي قسم يمس مصالح النقابيين انفسهم المنتمين اليها ، انما يجب في نفس الوقت أن ينظر إليه من مصلحة الدولة ككل ، بمعنى أننا عندما نقرر الدولة بدل طبيعة العمل ، فمن مصلحة النقابة أن تجتمع وتقرر أن يكون بدل طبيعة العمل بنسبة ٥٠ في المائة وليس من مصلحتها أن تكون بنسبة ١٠ في المائة ، ومن هنا يكون هناك نوع من الالتزام لدى النقابات عن طريق سياسي بالاجتماع المستمر مع النقابات وتبصيرها بميزانية الدولة وانها لا تتحمل ذلك مثلا . وما يخرج عن ذلك لن يطبق ويكون هذا نوع من الاستشارة .

وهذه هي طبيعة العمل السياسي وكل هذه المسائل تعطينا الصورة التطبيقية التي أرى أننا إذا ناقشناها وركزنا عليها يمكننا أن نصل وإذا ما تناولنا البند الاول ثم بعد ذلك نعقب على النقطة التي أثارها الدكتور حافظ غانم ، فإن البند الاول يقول - أن جميع الوثائق تقول كذا والواقع يقول عكس ذلك ، لماذا لا يقول الواقع كذا ؟ - لأن لذلك سببين من الاتحاد الاشتراكي نفسه وسببا آخر من الحكومة .

بالنسبة للسبب الذي جاء من الاتحاد الاشتراكي نفسه فلأنه تبني اشخاصا معينين أو طليعة معينة كي يركز عليها كتنظيم داخل التنظيم ، هذه الفكرة اذا ما توقفت في وقتها كان من الممكن الموافقة عليها ، الا انها في تطبيقها العملي اثبتت عدم نجاحها ، وبالتالي فاني كتنظيم لا اصادر الحركات الذاتية للنقابات أو الاتحادات ، ومن انتخبوا لا خلاف عليهم طالما كانوا اعضاء في الاتحاد الاشتراكي وإذا كان لنا عليهم ملاحظات فلا يكون عضوا عاملا في الاتحاد الاشتراكي ، على أن تكون الملاحظة مقيدة بوضع معين ، هذا هو الجزء الاول .

وبالنسبة للجزء الثاني من الصحيفة رقم (٥) التي تشير إلى شيء كلنا متفقون عليه وهو أننا

ولم يكن الحزب الشيوعي قد ظهر ، وحينما بدأ الحزب الشيوعي في الظهور تكونت جبهة من الحزب الشيوعي البلغاري واتحاد المزارعين ، ومازال اتحاد المزارعين ممثلاً في الوزارة ومازال هناك أفراد من الحزب الشيوعي البلغاري ممثلين في الوزارة ومازال هناك أفراد من الفنيين الذين لا ينتمون لا إلى الحزب الشيوعي ولا إلى حزب اتحاد الزراع ممثلون في الوزارة ويقال أن الوزارة أداة حكم نضع فيها من الناس من هو فني يمكنه أن يعمل طالما أنه رجل وطني ولا ينتمي إلى حزب ، عندئذ هناك الحزب الشيوعي وهناك حزب المزارعين وهناك الجبهة التي تجمع الاثنين وهناك الوزارة التي يتمثل فيها أي من هؤلاء أو من الخارج .

فحينما نقول أن الاتحاد الاشتراكي حزب .. كيف هذا ؟ أنت تجمع مصالح - وهذا ما يعنيه في الاتحاد الاشتراكي - قد تكون متضاربة إنما نحاول أن نحوى هذه المصالح تحت إطار واحد وهو الذي يبين التحول الاشتراكي الذي تسير فيه والتآلف بين المجموعات المختلفة ، ويمكنك أن تعمل بأسلوب حربي إنما لا يمكنك أن تسميه حزبا ، هذا هو التصور .

● الدكتور أحمد كمال أبوالمجد

لدى مسألة واحدة أود أن أتكلّم فيها ، وهي هل الاتحاد الاشتراكي هو السلطة أو جهاز للشعب ، في تصوري - كما ورد في ورقة العمل - أنه خلال المسار الطويل للاتحاد الاشتراكي تأكد أو بدا كما لو أنه كان جهازاً لخدمة السلطة .

إن التحليل في تصوري يرجع إلى وضع تاريخي معين وهو أن الدعوة لإلغاء التنظيم السياسي وارتصام اليه في تاريخ الثورة جاءت فعلاً من موقع السلطة الفعلية ، دعى اليه من موقع الحكم والاستجابة له حدثت إلى حد كبير علاقته بالسلطة .

الامر الثاني أن هناك قضية معضلة في تاريخ الثورات وهي أن مجلس قيادة الثورة ظل بعد انشاء معظم المؤسسات الدستورية يشكل الثقل الحقيقي في النظام السياسي ، بحيث لا يغير من الوضع إطلاقاً أي تنظيم تفصيلي لعلاقات هذه الأجهزة بعضها مع البعض ، وبالتالي ظلت القيادة الثورية في موقع المسؤولية عن عملية التغيير الاجتماعي ، وتعطى لنفسها الحق الثوري في التدخل فوق الأنظمة والمؤسسات الدستورية .

اقتناع واتخاذ موقف سلبي منه ، نحن حينما نقرر حرية النقد وحرية المناقشة داخل التنظيم على كل المستويات فسيكون هناك رأي ثانى موجود ، وإنما الرأي يتخذ بالغالبية ، فليس هناك بأس من أن يكون هناك حزب وتكون دولة من الدول التي تتخذ نظام الحزب الواحد .

● السكرتير الأول للجنة المركزية

إن الكلام الذي ذكرته وارد حرفياً في البند الثاني .. أن ينظر للاتحاد على أنه حزب سياسي رغم أن الوثائق الثورية تنفي ذلك نفياً قاطعاً وتعلن في صراحة أن الاتحاد الاشتراكي تحالف وليس حزبا .

● الدكتور إبراهيم أبو النجا

الأول يقول خطأ في التصور ، وقد قرأته على أنه خطأ .

● السكرتير الأول للجنة المركزية

سأقول لك السبب ، والمفروض أنه مكتوب هنا على أنه خطأ ، وتصورك تصور سليم وسوف نرد عليه .

إن الفكرة في الحزب لها تاريخ ففى تكوين الامانات الأولى عدد انشائها نوفس هذا الموضوع باتساع امام الرئيس جمال عبد الناصر وقد ذكرت هذا الكلام أثناء تلك المدة وقلت لماذا نخفى وجوهنا وحينما نرجع للمضابط نجد أن هذا الكلام موجود فيها لماذا لا نقول أن هذا حزب ونعمل من منطلق حربي . لكن الرئيس جمال رد على ذلك وقال لا يمكن أن نقول أن هذا حزب لأنه جبهة لأنك تمثل قوى لم ترتبط مصالحها مع بعضها ارتباطاً كاملاً ، والحزب هو مجموعة من الناس يمثلون طائفة معينة وليس طبقه معينة يجمع بينها مصلحة واحدة ، هذا هو تعريف الحزب .

وسأعطى أمثلة على ذلك سواء في البلاد الغربية أو الشرقية ، فبالنسبة لحزب العمال البريطاني فله فكر معين يحاول أن يطبقه ، ويجمع كل هذه المجموعة القائمة ولا ينتمى اليه إلا من له مصلحة في هذا .

وفي بلغاريا أيضاً نجد أن الحركة الاستقلالية البلغارية بدأت من حزب المزارعين الذي يمثل اتحاد المزارعين ، وهو الذي تحمل العبء الأكبر



د. كمال أبو المجد



محمد مهدي شومان

اساسا بتصاعد القرار من القواعد الجماهيرية ولذلك فهذه نقلة أرجو مما يطرح بعد ذلك - حتى عمل هذه اللجنة - كيف يكفل له بعد ذلك ان يأخذ مساره الديمقراطي بأن يبدأ مرة أخرى من القواعد متجها الى القمة وشكرا *

● محمد مهدي شومان

في تصوري أن السلبية التي يعاني منها التنظيم السياسي - وقد كثر الحديث عنها خصوصا في هذه الايام - ومن خلال التجربة الطويلة التي مر بها التنظيم في أشكاله المختلفة - أعتقد أن أساسها هو الفراغ القائم بين الجهاز التنفيذي وبين التنظيم السياسي ، فعندما يقال أن مجلس الشعب يقول أن التنظيم السياسي ليس له فاعلية ، وكذلك النقابات تقول أن التنظيم السياسي ليس له فاعلية فإن مرجع

وحتى اكون محددا أشخاص مجلس قيادة الثورة الاول أيا كانت مواقعهم في النظام، ظلت لهم الكلمة العليا فوق كل إطار قانوني أو سياسي وهذا يجعلني أقول أن علاقة التنظيم بحكمها أربع نقاط *

ارادة القيادة الثورية واستعدادها الحقيقي لتفويض جزء من اختصاصاتها الدستورية والسياسية ، أو جزء من المادة الخام للسلطة للتنظيم السياسي *

المقضية الثانية التي أشار اليها الاخ خالد محيي الدين فعلا وهي ضمانات الممارسة الديمقراطية والحرية داخل التنظيم وخارجه كمناخ سياسي عام *

الامر الثالث الذي أشير اليه هو ضبط العلاقات بين التنظيم وبين المؤسسات المختلفة *

وهناك قضية أخيرة وهي قضية المركزية الديمقراطية في التنظيم ومركزية الديمقراطية لها شقان ، شق بأن القرارات تصعد من القاعدة الى القمة ، وشق ثان وهو أنه حين يصدر هذا القرار ديمقراطيا فإن على القمة أن تلتزم به *

وفي الممارسة حدث تنفيذ لشق واحد من هذا وهو الشق النازل ، بمعنى أن القرارات من أعلى يلتزم بها باسم المركزية الديمقراطية ، وهذه مركزية ، وليست ديمقراطية *

وهناك واقعة تاريخية وهي أن الرئيس السادات في الاجتماعات الاولى للجنة المركزية الحالية حرص حرصا واضحا جدا على تأكيد أنه لا يوجد فعلا مجلس قيادة الثورة لأنه منذ سنة ٥٦ انتهى قانونا ، وأن اختصاصاته قد انتقلت الى التنظيم السياسي وقمته اللجنة المركزية . فإذا اردنا أن نبني على هذا فهو يشكل العنصر الاول وهو الارادة الصادقة للقيادة الثورية في أن تفوض جزءا من المادة الخام للسلطة الى التنظيم السياسي *

يبقى بعد ذلك أن نعمل بقضية ضمانات الحرية داخل التنظيم بتقنينها في منابعها الاخيرة كالقوانين الجنائية وكلجنة النظام في الاتحصاد الاشتراكي لان الجزاء في النهاية أما أن يكون جزاء جنائيا يتمثل في الحبس او ما هو فوق ذلك وأما يتمثل في فقدان حق العمل السياسي من خلال الفصل *

هاتان هما القضيتان ، قضية القوانين الجنائية التي تعامل المتهمين ، وقضية القوانين السياسية التي تنظم الحريات ، وقضية التنظيم السياسي الذي يعالج جزاءات التنظيم السياسي على افراده *

ان قضية ضبط العلاقات قضية كبيرة ، وقضية المركزية الديمقراطية قضية ممارسة تحتاج الى تركيز من خلال العمل اليومي بأن تكون العبرة

ذلك لعدة عوامل اذا راجعنا انفسنا سنعرف
اساسها *

ان التنظيم السياسي كما حدده الميثاق هو
الطليعة التي تقود الجماهير وتعبّر عن ارادتها ،
ولا يمكن ان يكون التنظيم السياسي قائدا صالحا
الا اذا امكنه ان يعبر التعبير الحقيقي عن ارادة
الجماهير ، والتعبير الحقيقي لا يمكن ان يكون
تعبيرا صحيحا الا اذا كان لهذا التعبير فاعلية
بمعنى انه عندما يتبنى مشكلة او قضية للجماهير
ويحاول حلها كتنظيم سياسي فاذا لم يحم بحل
القضية او المشكلة لا يكون تعبيرا وبالتالي لا
يصلح ان يكون قيادة ومن هنا بدأت السلبية *

ان التنظيم السياسي يتبنى قضايا الجماهير لكنه
لا يمكنه تنفيذ قراراته التي يصدرها لانه ليست
لديه الامكانيات وكل ما يمكن هو الفكر والرأي
والعمل بين الجماهير ، لكن التنفيذ يحتاج الى
امكانيات وهذه الامكانيات لا تملكها الا الدولة
والحكومة نفسها ، فعندما يقرر التنظيم السياسي
قرارات ثم لا يجد لها تنفيذ فهي مردودة عليه
وبالتالي ينادى الشعب بأن التنظيم السياسي ليست
له فاعلية *

ان النقابات والهيئات وكل التنظيمات تقول ليس
للتنظيم السياسي فاعلية .. لماذا ؟ - لان النقابات
لها مطالب فالعمال يريدون علاوات واجازات ..
فمن الذي يملك تنفيذ هذا ؟ هي الدولة .. هي
الحكومة ، عندما يتبنى الشعب قضية للعمال او
يتبنى التنظيم السياسي قضية للعمال ويقول رأيه
فيها ولا تنفذ ، ان النقابات العمالية تقول التنظيم
السياسي ليست له فاعلية *

ليس هناك فراغ بين النقابات ولا بين التنظيمات
ولا بين التنظيم السياسي ، ويمكن المشاركة الفعالة
مع كل هذه التنظيمات لانها اساسا تنظيمات نابعة
من التنظيم السياسي ، لكن الفراغ القائم بين
الحكومة وبين التنظيم السياسي راجع الى ان
الحكومة هي التي تملك الامكانيات *

كيف نجتمع بين الحكومة وبين التنظيم
السياسي ، وبين الجهاز التنفيذي وبين التنظيم
السياسي ؟ ..

نحن في مجتمع اشتراكي يعتمد على التخطيط ،
دولة مؤسسات وليست دولة افراد ، ولا أتصور ان
مجتمعا اشتراكي لا يعرف فيه التنظيم السياسي عن
خطة الدولة شيئا ، والدولة تخطط قم تنفذ
بقدرتها *

في فترة معينة بدأت الدولة تترك التنظيم
السياسي ان يتحرك واذا به يتحول الى مكاتب
لاستقبال شكاوى الجماهير ، وبدأت الشكاوى
تضغط على التنظيم السياسي خلال هذه المرحلة
حتى أرقق التنظيم فعلا ومرضى في الطريق ، ولم
يتمكن من انجاز هذه الشكاوى ، وكان كل ما
يحدث هو ان يتقدم المواطن بشكوى للاتحاد
الاشتراكي ولا يتم فيها شيء ، ثم يتقدم للجهاز
التنفيذي فيجد انه يبت فيها ، اذن أصبح بذلك
التنظيم السياسي أمام الجماهير ليست له فاعلية
تماما *

وعندما يشير التنظيم السياسي ويوجه الى
الحقيقة ترتفع الاصوات بأن هذا تدخل من التنظيم
السياسي *

ان التنظيم السياسي لا يريد ان يتدخل
ولا يريد ان يقال عنه انه سلطة بمعنى انه
متسلط ، ولكن يريد ان يقال عنه انه سلطة تمثل
سلطة الشعب صاحب الحق *

واعتقد ان السبيل للوصول الى هذا هو ان
تضع الدولة خطتها بالمشاركة مع التنظيم
السياسي ، بحيث تعرض على التنظيم ويناقشها
ويلتزم التنظيم والحكومة معا على انجاز هذه
الخطة ، لان التنظيم السياسي يمثل الجماهير
 ويعرف ماذا تريده الجماهير ، والدولة لديها
الامكانيات التي تنجز مطالب الجماهير ،
فالجهازان يشتركان معا في وضع الخطة ، وعندما
توضع الخطة يلتزم بتنفيذها *

وعندما تطالب الجماهير بشيء خارج عن ارادة
الحكومة وعن ارادة الدولة فهنا يكون دور التنظيم
السياسي في ان يتصدى للجماهير ويبين لها
الامكانيات الموجودة بحيث لا تفرق الجماهير في
امل لا يمكن تحقيقه ، وهذه هي المشكلة التي كانت
تصادفنا *

فعندما يشترك الاتحاد الاشتراكي مع الدولة في
الخطة يكون للتنظيم السياسي دوره والحكومة لها
دورها في الانجاز ويكونان ملتزمين تماما ، لان كلا
منهما لم يخرج عن الخط الذي وضع بالاشتراك مع
الآخر فاذا شذت الحكومة فان الاتحاد الاشتراكي
ينبها الى الخط الذي اتفق عليه ، وهذا هو
التوجيه المطلوب من التنظيم السياسي ، وفي هذه
الحالة يكون التنظيم السياسي معبرا عن رغبة
الجماهير وتكون قيادة التنظيم قيادة صالحة لان
كل مطلب للجماهير يتم بالتنفيذ مع الحكومة في
اطار الخطة التي وضعت *

● السكرتير الاول للجنة المركزية

أود أن أوضح نقطة وهي أن كلام الاخ شومان ينصب كله على النقطة « جـ » من الصفحة السادسة ، وأود أن أعود الي ما هو معروض الان وهو البند الاول والثاني من الصحيفة الخامسة وهو هل الاتحاد الاشتراكي جهاز للسلطة ام جهاز للشعب ؟ - هل هو حزب سياسي ام ممثل لقوى الشعب العاملة ؟ مع اضافة ضمانة الممارسة الديمقراطية داخل التنظيم او خارجه ، وأرجو من السادة الاعضاء ان نتكلم في هذه النقطة لان النقطة التي ستترد بعد ذلك في الصحيفة السادسة تغطي جميع ما دار من كلام وهو اعادة النظر في قانون الاتحاد الاشتراكي ، واعادة النظر في البناء الداخلي ، وتحديد علاقة التنظيم بالمؤسسات والاجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية وهو ما تناوله الاخ شومان في كلمته ، ثم تحديد علاقة التنظيم بالجماهير وهنا تبرز نقطتان ، أسلوب الإنتاج الكامل على الجماهير ، أسلوب تحقيق الديمقراطية ، وهي النقطة التي اشرنا اليها قبل ذلك ، ولا نريد - كما نبهنا الي ذلك الدكتور دكروري - أن نتناول نقطا من الاول والاخر وأرجو أن نبدأ بنقاش النقاط الواردة في أول ورقة العمل .

لقد أثرت امامنا نقطة موضوعية من الدكتور حافظ ومن الدكتور كمال أبو المجد ولا بد ان تبث فيها حتى ننتهي من الصحيفة الخامسة .

النقطة التي أثرت من الدكتور حافظ غانم هي تعريف السلطة ، وكذلك النقطة التي أثرت من الدكتور كمال أبو المجد ملخصها أن يريد تفويضاً من السلطة باختصاصات الاتحاد الاشتراكي ، ما هو التفويض المطلوب من السلطة ؟ ان لدينا التفويض الكامل من الدستور ومن بيان ٣٠ مارس والميثاق وكلما نقول أن كل هذا لم يطبق ، وبناء عليه هل اطلب من السلطة الان أن تعطيني تفويضاً جديداً ؟ من المفروض أن أضع التفويض الذي أخذته من السلطة موضع التنفيذ ، لذلك أرجو من السادة الاعضاء ان يقتصر نقاشنا على النقطتين الاولى والثانية ، وإذا وافقتم على اضافة النقطة الثالثة وهي ضمانة ديمقراطية النقاش داخل أو خارج الاتحاد الاشتراكي ولو أن هذه سوف ترد بعد ذلك فلا مانع من أن نضعها هنا ، ولكن نقاش هذه الموضوعات فقط .

● خالد محيي الدين

سوف أتكلم في النقطة الاولى من الصحيفة

الخامسة ، أما النقطة الثانية فاني أرى ان تفرد لها جلسة خاصة ، لانه على أساس تحديد شكل الاتحاد الاشتراكي حزبا او تحالفا سوف تتحدد أشياء كثيرة وهي شكل العضوية وشكل الانضمام ، وشكل الديمقراطية .

سوف أتكلم في النقطة الاولى وهي هل الاتحاد الاشتراكي جهاز للسلطة ام جهاز للشعب ، وهذه النقطة سوف تؤدي بنا الى النقطة الثالثة التي ذكرها الدكتور حافظ غانم عن موضوع العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والحكومة ومجلس الشعب .

ففي الحقيقة اردنا أم لم نرد ، وبصرف النظر عما هو وارد في الدستور وفي كل الوثائق ان الاتحاد الاشتراكي تنظيم سياسي للسلطة ، هذه هي الحقيقة التي لا فرار منها ، لانه هو التنظيم السياسي للدولة وليس تنظيم الحكومة ، فمن الملاحظ ان الدستور يفرق بين الدولة والحكومة ، لان هناك رئيس الدولة ثم رئيس الحكومة ، والحقيقة ان الاتحاد الاشتراكي هو تنظيم السلطة أو تنظيم الدولة ، وهو التنظيم الوحيد المانع لقيام أية تنظيمات أخرى ، وأن احد اهدافه الأساسية أن يقوم ليمنع أية تنظيمات أخرى ولا يعيبه أن يكون تنظيم سياسي للحكومة أو للدولة لان هناك احزابا سياسية او تنظيمات كثيرة تعبر عن سياسة الدولة والحكومة ولا تجعل منها احزابا ضعيفة ، وانما ما يجعل منها احزابا قوية أو ضعيفة هو أسلوب ممارسة عملها السياسي بين الناس ، فإذا كانت تنفذ هذا بأسلوب السلطة فتفرض او تهرر باستمرار فذلك يضعفها ام تمارس عملها كتتنظيم سياسي بأن تكون قيادة تنناقش الموضوعات . ولو كان الاتحاد الاشتراكي يعقد الاجتماعات ويناقش السياسة ويتخذ موقفا يلزم به الحكومة على قدر قوته وعلاقته بالجماهير وولاء الجماهير له ، تصبح للاتحاد الاشتراكي قوة .

والمشكلة الحقيقية التي تواجه الاتحاد الاشتراكي في مصر ، أن علاقته بالجماهير وقسوته السياسية ضعيفة لانه حينما انشأ وقد ذكرت هذا الكلام في اللجنة التحضيرية لمؤتمر سنة ١٩٦٨ انه تنظيم « كسول » لان جميع الاعضاء يأتون اليه رغم انهم ، فلكي يلتحق الشخص بنادي من النوادي لابد أن يكون عضوا في الاتحاد الاشتراكي ، ولكي يرتقي الى الوظائف العليا لابد أن يكون عضوا في الاتحاد الاشتراكي ، والواقع أن أمين المحافظة او المركز لا يبدل أي جهد لكي يقنع أي مواطن بفكر الاتحاد الاشتراكي لانه سوف يأتي اليه قسرا بحكم الظروف ، ان الجهد المبذول للعمل السياسي غير موجود لان الناس مفروضون عليه كأعضاء ، ولا يحاول ان يكسب الاعضاء بالاقناع ، ولو ان أمين

ان يمارس دوره في أن يحاسبه أو يفصله اذا كان للاتحاد الاشتراكي قوة سياسية بين الجماهير

● المهندس أحمد عبد الآخر

قد لا يكون الوزير عضوا في الاتحاد الاشتراكي فلنفرض أنه في موقع من المواقع وجدنا فردا غير ملتزم بالخط السياسي وليس عضوا في الاتحاد الاشتراكي . فكيف نوقع الجزاء عليه ؟

● خالد محيي الدين

ان ما أقصده هو أن سلطة الاتحاد الاشتراكي غير موجودة الا على أعضائه ، واذا كان يشترط في عضو مجلس الشعب أن يكون عضوا في اتحاد الاشتراكي فكيف يكون الوزير غير عضو ؟ .

ان واقع الحال هو أن الوزراء ورئيس الوزراء أعضاء في الاتحاد الاشتراكي ، وانني أقصد أن الحساب الموجود أو المتاح لدى الاتحاد الاشتراكي هو حساب الأعضاء ، ولا يستطيع الاتحاد الاشتراكي أن يحاسب الحكومة ، كما لا يستطيع أن يحاسب مجلس الشعب أو يعمل شيئا فيه الا عن طريق هيئته البرلمانية .

ولذلك فليس صحيحا ما يقال بأن الاتحاد الاشتراكي سلطة ، فهو ليس سلطة ، ولكن رئيس الجمهورية هو رئيس الاتحاد الاشتراكي كما أن رئيس الوزراء وأغلب الوزراء أعضاء في اللجنة المركزية ، والمفروض أن اللجنة المركزية هي التي تحاسب الوزراء ورئيس الحكومة .

النقطة الثانية في محاسبة الأعضاء أنه بقدر ما للاتحاد الاشتراكي من ثقل سياسي وجماهيري تحدد سلطاته ودون ذلك لا يمكن أن نمنحه أية سلطات مهما كتبنا على الورق لان السلطة التنفيذية لا زالت في واقع الامر كما قال السيد السكرتير الاول لها تقاليد ترجع الى خمسة آلاف سنة ، وما زال العمل السياسي في مصر لم يتخذ هذا الوضع ، وهو لابد أن يتبع أسلوب اقتناع الناس وجمعهم حوله وكسب الرأي العام .

● عبد الحليم الجندي

كلنا نريد أن نبني للاتحاد الاشتراكي فاعلية اكبر ، وكلنا نريد أن يتخذ الاتحاد الاشتراكي هذا الحق من المؤسسات والنظام الدستوري الذي نعمل في حدوده ، والميثاق وما تلاه بعد ذلك .

المحافظة أو المركز شخص جماهيري وله علاقة حتى ولو لم يكن منصوبا عليه في الدستور ولا في الميثاق أنه ذو سلطة سيكون نفسه سلطة ، لان مأمور المركز أو رئيس المدينة لا يمكنه أن يتجاهل هذا الوضع ، وهذه هي الحقيقة ، ولا نهرب من أنه تنظيم الدولة والتنظيم الوحيد المانع لقيام التنظيمات الأخرى ، ولكن الخطأ في أسلوب ممارسة الاتحاد الاشتراكي لدوره السياسي بأن ينزل الى الجماهير ويعرض رأيه ، كما أن لديه الصحافه .

على سبيل المثال فان مشكلة علاقة الاتحاد الاشتراكي بالصحافة ، ففي الماضي كان يريدان يدير الصحافة من هنا ، وهذا ليس ممكنا ، ولكن لو ان الاتحاد الاشتراكي بالأعضاء الموجودين في الصحف ينشئ علاقة سياسية وفكرية معهم يمكن أن يسير الصحافة بحكم الولاء السياسي الموجود ، اذن الاتحاد الاشتراكي تنظيم سياسي شعبي للسلطة أي أنه ينفذ اموره بالضغط وبالفرض ، اذن هو في الحقيقة بصرف النظر عما هو وارد في الدستور ليس سلطة وهو قيادة سياسية وهو عمل بين الجماهير بأسلوب معين لانه لو كان سلطة - فلا بد للدستور - كما ذكر الدكتور جمال العطيفي - أن يفرد له بابا يحدد فيه سلطته .

لقد أثير في اللجنة المركزية الماضية حق الاتحاد الاشتراكي في محاسبة الحكومة واعتقد ان السيد السكرتير الاول للجنة المركزية وأنا عارضا هذا الرأي لان الاتحاد الاشتراكي لا يملك أن يحاسب الحكومة ، وأنه اذا اراد أن يحاسب الحكومة فلا بد أن ينظم طريقة المحاسبة ولا بد أن ينص على ذلك في الدستور ، لان محاسبة الحكومة في مجلس الشعب منظمة بطريقة معينة ، فيوجه العضو السؤال ثم يلي ذلك الاستجواب وهذا ما لم ينص عليه بالنسبة للاتحاد الاشتراكي .

ان الاتحاد الاشتراكي ليس له سلطة على مجلس الشعب ومجلس الشعب هو مجلس الشعب ، والسلطة التنفيذية سلطة تنفيذية وليست جناحا له انما الاتحاد الاشتراكي له سلطة سياسية على أعضائه وهذا الموضوع أيضا نوقش في اللجنة المركزية الماضية . اذ ان الاتحاد الاشتراكي لا يحاسب فقط الوزراء أو الحكومة ولكنه يحاسب أيضا أمناء المحافظات . . . اذن هو يحاسب أعضاء فقط ، وان سلطته الوحيدة التي يملكها هي فصل العضو ، فالوزير يحاسبه كعضو ، فاذا لم يلتزم الأمين أو الوزير أو رئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية بالخط السياسي للاتحاد الاشتراكي ، فان المفروض على الاتحاد الاشتراكي

أولاً - ان الاتحاد الاشتراكي من غير سلطة لا يعتبر حزباً ولا يعتبر اتحاداً اشتراكياً ، وإنما هو تجمع ضعيف بدون أسنان .

ثانياً - ان كلمة السلطة قد تعبنا منها وتضايقنا نحن رجال القانون - من كثرة تكرارها ، انها لم تعد سلطة بمعنى الشيء النازل من السموات الذي يملك ويحكم ، ولكن أصبحت المؤسسات في خدمة الشعب ، ولم تعد السلطة تملك فرض ارادتها على الناس ، وان ما تملكه هو في حدود القانون وفي حدود اختصاصاتها ، ولا أريد أن نتوه في بحر السلطة وما اليها ، ولكن اسمحوا لي أن أتكلم بحرية أكثر .

إننا لا نريد من أحد أن يمنح أحدا اختصاصات ، ولكننا نريد أن تتبع السلطات من مؤسساتنا الدستورية ومن نظامنا الدستوري ، وأن مجلس الشعب والسلطة التنفيذية والجهاز التنفيذي كله يجب أن يكون خاضعاً للاتحاد الاشتراكي .

وفي الحقيقة ان تاريخ الاتحاد الاشتراكي ليس معروفاً الا للقليل ، وقد خرجنا بصيغة الاتحاد الاشتراكي لانه التعبير التنظيمي لكلمة تحالف ، وإذا بحثنا عن مصدر كلمة تحالف . نجد اننا في بادئ الامر بحثنا عن صيغة في الاتحاد القومي ، ولكنها لم تنجح ، وبعد قوانين ١٩٦١ كان لابد أن نقيم التحالف ، وان قوانين ١٩٦١ عندما صدرت لم تفرضها قوة عاملة منتصرة ، ولو أن هذا قد حدث كما هو الوضع في الاتحاد السوفيتي أو بولندا . لورد في الدستور النص الاتي : العمال يديرون الدولة ولهم الرقابة . الخ . كما أنها لم تصدر نتيجة تحالف طبقة عاملة منتصرة مع سائر القوى العاملة للفلاحين والعمال ثم انتصروا وفرضوا علينا نظامهم كما حدث في تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦١ ، ولو أن هذا قد حدث لكان النص في الدستور أو الميثاق على أن قوى الشعب العاملة تديرها وتقودها القوى التقدمية من العمال والفلاحين .

ولكننا خرجنا بصيغة مختلفة تماماً ، فلم تفرض طبقة عاملة أو قوة عاملة علينا شيئاً ، وإنما نحن اجتمعنا وتحالفنا ، وكانت صيغة موفقة جداً في ميثاق ، وعندما اجتمعنا لم نجتمع كطبقة منتصرة ، ولكن كخمس قوى عاملة ، وكان المثقفون هم الذين صاغوا هذه الصيغة في فكرة مشروع الميثاق الذي قدم كتقرير للمؤتمر القومي لقوى الشعب العاملة ، فليست هي قوة واحدة اذن ، وإنما هي بصياغة الميثاق تحالف القوى العاملة للشعب ، وصدر

دستور ١٩٦٤ ويقول قولاً منقولاً من الميثاق . ان الاتحاد الاشتراكي هو الممثل لهذه القوى الشعبية الهائلة ، واطلاقاً لفاعليته فقد تحتم أن يتعرض الدستور الجديد لشكل التنظيم السياسي للدولة ، وضمان سلطات هذا الاتحاد الاشتراكي ، فنجد في باب (الدولة) قد نص في أول مادة منه على أن مصر جمهورية عربية يقيمها تحالف قوى الشعب العاملة . كما أن هذا الباب في جملة سبع مواد عبارة عن عشرين سطراً .

تحدث الدستور عن الاتحاد الاشتراكي في عشرة سطور منها . معنى هذا أن الدستور نص على الاتحاد الاشتراكي على أن يكون جهازاً كبيراً جداً قادراً على تحريك الدولة وفوق غيره من الأجهزة ، ولكن عندما يكون فوق هذه الأجهزة وليست له أسنان فإنه يكون جهازاً خائفاً . كما أنه تحت هذه الأجهزة لا تكون له فائدة .

ان الاتحاد الاشتراكي عندما يعطى قوة لكي يكون فوق هذه الأجهزة بنص الدستور فإن هذا يعتبر دفعا لامكانيات الثورة وتعميقاً للاشتراكية والحرية ، والديمقراطية ، ومتابعة العمل في الميثاق وفي كل النصوص الدستورية ، ومتابعة العمل في الأجهزة الحكومية ومتابعة العمل في الأجهزة التشريعية .

وانني لا أعرف حتى الان اذا ما كان هناك قانون للاتحاد الاشتراكي أم لا ، وهذه مسألة لا بد من البت فيها ، وان اساس تشكيل الاتحاد الاشتراكي على أي حال يجعله يسيطر سيطرة كاملة على مجلس الشعب .

اذن هو يتابع العمل في الأجهزة التنفيذية ويفرض عليها أن تعود الى المسار ، أو الى الطريق الذي تريده قوى الشعب العاملة لان الدولة أقوى من الملك ومن رئيس الجمهورية ومن أي جهاز آخر لانها تتكون من قوى الشعب العاملة الخمسة ، ولا يمكن أن يقال ان العمل السياسي تحت السلطة التنفيذية أو تحت السلطة التشريعية .

وفي الحقيقة ان الجهاز السياسي كان متعثراً في تاريخه لسبب بسيط جداً ، وهو أنه لا يمثل الشعب بقدر ما يمثل السلطة في الشعب أو على الشعب .

ومن الممكن أن توجد اليوم صيغة طيبة جداً عندما يجلس العقلاء لبحثوا العلاقة بين كل من السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والاقتصاد الاشتراكي . خصوصاً وان السلطة التنفيذية ليست كارهة للاتحاد الاشتراكي وليس بينهما

رجعتم لجميع النصوص الموجودة فستجدون أن هذه النصوص مصاغة بطريقة جيدة ، فمثلا يقال - وكما ذكر السيد خالد محيي الدين الان - ان السلطة التنفيذية جناح التنظيم السياسي ، فهل السلطة التنفيذية فعلا جناح من التنظيم السياسي ؟ انها جناح على الورق فقط وليست جناحا حقيقيا .

ثم مثلما ذكرت ان الصيغة التي يجب ان نضعها بالنسبة للسلطة التنفيذية وخاصة للعاملين بها ، فنحن قصد تعاملنا مع السلطة التنفيذية لفترة طويلة ونعرف المعوقات الموجودة بها ، ولا نريد تكرار مثل هذه المعوقات ، وطالما انك تعطيني اطارا معيننا فانا مسئول عن تنفيذ هذا الاطار لكنك لا تستطيع محاسبتى عليه يوميا وبصفة مستمرة .

ثم ماهى طريقة هذه المحاسبة فى اللجنة المركزية « مثلا ذكر السيد خالد محيي الدين أن الدستور قد نص على أن مجلس الشعب يحاسب السلطة التنفيذية ولكن لم يكتف بهذا ، وانما نص على تنفيذ هذه المحاسبة ، وهى اما بتقديم سؤال او طلب احاطة او طلب مناقشة او استجواب لكن لابد ان نذكر فيه نقاطا معينة مسلسلة بحيث لا يمكن ان ارفع يدي فى مجلس الشعب لكى اسأل أحد الوزراء سؤالاً معيناً ، اعتقد ان مثل هذا التصرف لا يجوز ، وقد عارضت محاسبة الوزراء فى اللجنة المركزية لان الوزراء يحضرون اللجنة المركزية وهم لا يعلمون ما الذى سيحدث فيها ، فكيف يشنى لوزير التربية مثلا اثناء حضوره الاجتماع أن يجيب عن سؤال ل أحد الاعضاء عن تجربة مدرسة معينة فى بلد معين . لكن ما يحدث فى مجلس الشعب هو ان يقدم السؤال مكتوباً ثم ترد الاجابة بعد اسبوع او أكثر بعد دراسته .

ومن هنا انتهى الى نقطتين :

النقطة الاولى وهى الواردة هنا ، فنحن لم نقل هل هو سلطة بل نقول هل هو جهاز للسلطة ؟ فاذا كان احدنا يرى ان الاتحاد الاشتراكي ملزم بحكم تكوينه أن يكون جهازا للسلطة بغير قراراتها بصفة مستمرة وتكون هذه هى وظيفته ، فيكون بهذا معارضا للنقطة الاولى ، ويقول نعم أنه جهاز للسلطة ويجب ان يرتبط بالحكومة وتكون الحكومة فوق الاتحاد الاشتراكي ، وان الحكومة عندما تصدر قرارا فيجب على أجهزة الاتحاد الاشتراكي وأجهزة التسيير الخاصة به ، ان تنفذ هذا القرار وتعمله .

طلاق ، وكذلك السلطة التشريعية ولكن كل ما ينقصنا هو الصيغة الصالحة .

اذن نحن متفقون تمام الاتفاق على ان مجلس الشعب سيكون مرجحا ، والسلطة التنفيذية أيضا ستكون مرجحة لو وجدت الصيغة الملائمة ، ولكن الذى حدث فى الماضى هو أنه وجدت صيغ غير مفهومة اضطررنا الى اعادة الانتخابات ، وسوف نضطر الى هذا دائما ما دمنا لا ننفذ الميثاق بدقة ، ولو اننا نفذنا الميثاق باخلاص ومارسنا القيادة الجماعية بلا دكتاتورية فى أى موقع ، فان كل شيء سيحل .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لقد نقلنا السيد عبد الحليم الجندى الى النقطة الخاصة بعلاقة الاجهزة بالمؤسسات ، وهى نفس الملاحظة التى ابداهها السيد محمد مهدى شومان ، ولو أنها مستفاضة بعض الشيء .

لكننى أريد الرجوع الى النقطة الاولى وهى :

هل الاتحاد الاشتراكي جهاز للسلطة او جهاز للشعب ؟

فنحن لم نقل هل هو يمثل سلطة او لا يمثل سلطة ، لكننا قلنا هل هو جهاز للسلطة ؟ او جهاز للشعب ؟

فهو قيادة سياسية معينة تكوينها تكوين معين ولها دور معين ، ونحن مكتفون بالنصوص الواردة لتحديد هذا الدور .

لكن المفروض هنا يقول بأن الواقع يغير ذلك على أساس انه كان يترجم آراء السلطة بصفة مستمرة ، وهذه هى النقطة المعروضة .

فهل هناك أية ملاحظات عليها حتى نستطيع الانتقال للنقطة أخرى . . لاننا سننتقل بعد ذلك لتحديد ما اذا كان الاتحاد الاشتراكي سلطة ام غير سلطة . وهو موضع تساؤل السيد عبد الحليم الجندى - ولو اننى متفق مع سيادته تماما فى تحليله .

وكما ذكرت فى بداية حديثى لابد من كتابة معادلة معينة توضح صلاتنا بالسلطة التنفيذية مأخوذة من المواثيق التى تنص على ان الاتحاد الاشتراكي يراقب ويتابع ، لكنه لم ينص على كيفية هذه الرقابة وهذه المتابعة ، فالمفروض أن يكون واضحا كيف يراقب وكيف يتابع .

فهل سيراقتب مثل اجهزة الرقابة مثلا : او كأجهزة النيابة الادارية ؟ فلابد من توضيح طريقة المراقبة ، وهذه من الاجزاء الناقصة ، لانكم لو



مسعد التمامي

تشير الى انه سلطة سياسية ، وهو ما نعتبره فوق كل السلطات ، ومن خلالها تستطيع ان تحرك السلطات بجميع الاجهزة الادارية والتنفيذية ، لتحقيق اختصاصاتها من ناحية رسم السياسة والرقابة والتنفيذ .

● الدكتور جمال العطيفي

لا يجوز أن نتسرع في التعبيرات ، ولا نقسول سلطة مؤقتة أو تحتية ، بل يجب أن تكون تعبيراتنا دقيقة .

● الدكتور أحمد كمال أبو المجد

في تصوري بالنسبة للأمر الاول ، فهو سؤال مطروح ليس فقط لأخذ رأينا فيما إذا كان جهازا للسلطة أو جهازا للشعب ، لانه واضح طبعا أن كل الموجودين في القاعة مسلمون بأنه أداه للشعب أو جهاز للشعب ، ولكنني كنت أتصور أن يدخل في مناقشة هذا الجزء محاولة تشخيص للانحراف الذي اشارت اليه ورقة العمل ، وهو أن التنظيم السياسي في بعض مراحله تحول الى جهاز معبر عن ارادة السلطة .

هذا ما أردت ايضاحه بالنسبة للتعبير الاول ، فلم أكن أتصور أو أقصد أن نطالب من السلطة تفويضا ، لكنني أريد أن أقول أنه حتى يتحقق عمليا أن هذا الانحراف لن يتكرر ، وأن معنى أنه أداة للشعب قد تحقق فعلا ، فيحتاج الأمر الى نية من القيادة الفعلية ، وهذه النية متوفرة حاليا بما أعلنه السيد رئيس الاتحاد الاشتراكي .

هذا فيما يختص بالبند أولا ، أما في البند ثانيا وفي النقطة الخاصة . هل هو حزب سياسي أو تحالف ؟

فهل هذا المفهوم موجود لديكم ؟

الاغلبية [لا] .

أذن فهو ليس جهازا للسلطة ، وكل ما نقوله هنا في هذا البند الاول « أن وثائق الثورة تنص على كذا ، وأن ما حدث في الاتحاد الاشتراكي في فترة من الفترات أنه اتجه الى شرح قرارات الحكومة ، وما زالت الحكومة تطالب بهذا وتسال لماذا لم يفسر الاتحاد الاشتراكي قرارات الحكومة ؟ »

وأنا أرد بأنني غير مستعد لتفسير هذه القرارات لأننا لم نشترك فيها من ناحية ومن ناحية أخرى فنحن نشعر أن الجماهير ربما تعارض جزءا منها ، وتقبل جزءا آخر ، فيجب ألا نضع أنفسنا في هذا الموقف ، لانه إذا كانت ورقة العمل هذه معدة وقرار اللجنة المركزية موجودا بصيغة معينة - فان للاتحاد الاشتراكي عن طريق أمانته أن يبدى رأيا في قرار حكومي اتخذ طالما أن للجماهير رأي في هذا القرار بحيث يكون رأي الجماهير ممثلا فيه حقيقة ، فغداة صدور مثل هذه القرارات مباشرة يصدر بيان من الأمانة العامة مباشرة بشأنها وبأننا لا نوافق عليها ، لكن هذا الأمر للأسف غير موجود ، وبالتالي تكون السلبية قائمة لأنك ترى قرارات دون التعليق عليها ، وكل ما نستطيع أن نفعله أننا لا نتكلم بصدد هذه القرارات سواء بالتأييد أو بالرفض .

لذا يجب أن تكون أماننا مادة من المواد الجديدة والتي لم تكن موجودة والتي من شأنها أن تلزم خطا معيناً . وهي التي أشار اليها السيد عبد الحليم الجندى بأن تضع هذه الصلة وهذه وأردت في الصفحة التالية .

وبناء على هذا ، فأنتني أقترح عليكم الموافقة الآن - ثم بعد ذلك مستعد الصياغة جميعها سواء بالتقديم أو بالتأخير - على أن الاتحاد الاشتراكي ليس جهازا للسلطة ، بل هو قيادة سياسية - كما ذكر السيد خالد محيي الدين وهو جهاز للشعب ، وظيفته واضحة ومحددة في وثائق الثورة ، ولكنها لن تكون لتفسير أعمال السلطة .

وهذا هو المعروض . . فهل هنالك ملاحظات على هذا الجزء ؟

« لم ترد ملاحظات »

● مسعد التمامي

بالنسبة لكلمة قيادة سياسية ، فنحن إذا رجعنا للوثائق والوثائق كلها، سنجد أنها جميعا

قوى الشعب المختلفة داخل التنظيم تعطى ولاءها للتنظيم مشروطة بموقفه منها ، بمعنى انه - وهذه نقطة اثيرها بمنتهى الصراحة - يأتي بيان السيد رئيس الجمهورية في ١٠ يوزير فترضى عنه فئات دون فئات ، وتحدد فئات أخرى موقفها من التنظيم السياسي ككل ، على أساس ان هذا البيان رد على خط معين ، او على أساس ان هذا البيان هو وحده المعبر عن تيار معين ، فهذه قضية تواجه أجهزة التنظيم المعبرة وقياداته لان الولاء للتنظيم أصبح مشروطا بموقفه من القرارات او من مصالحها الذاتية .

فكيف تحل القضية الاجتماعية، قضية التدريب في ظل هذا الامر ، وأنا لا أريد أن أطرح هذه النقطة الآن ، لكن ما أطرحه هو صيغته السياسية .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ان هذه العملية أساسية فعلا ، ولقد كانت في تفكيرنا منذ القاء خطابنا الاول وسترد فيما بعد ، وهذا ما قصدناه فعلا ، حينما طلبنا دليل العمل السياسي للاتحاد الاشتراكي ، فنحن نقصد أمرين بهذا الدليل - ولو أنني بهذا سأنتقل لنقطة واردة فيما بعد - هذين الأمرين هما :

١ - التطور الاشتراكي في مصر ، وما هي فكرته وما هي منجزاته وهذا عبارة عن كتاب أو نشرة والمفروض أن هذه اللجنة ستصدرها .

٢ - دليل العمل السياسي بحيث أنه حينما تعرض الحالة التي يذكرها الدكتور كمال أبو المجد وهي التي تمثل الفروق القائمة بين قوى الشعب العاملة داخل الاتحاد الاشتراكي ، أو ما يسمى بالمتناقضات بينها ، وهذه وردت أكثر من مرة ، كما وردت أيضا في خطابات السيد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كثيرا .

فبذلك يكون لدينا مدلول معين ، بحيث نستطيع محاسبة من يخرج عنه ، ونقول لمن يخرج عنه أنك قد خرجت عن دليل العمل المفصل في نقطة معينة أو خلافه ، ومن هنا تكون محصلة عمل اللجنة هي :

اولا - زيادة الفعالية للاتحاد الاشتراكي في المرحلة الحالية .

ثانيا - نظرة الى المستقبل .

ثالثا - دليل العمل السياسي .

رابعا - المنجزات الاشتراكية .

ثم بعد ذلك تعديل القانون اذا كان لا بد من تعديله .

فلقد اثير سؤال . . أولا ماهو الحزب في المصطلح الجارى ؟ ثم ماهى الفتايج العملية التي تترتب على اعتباره حزبا ، فالحزب حتى لغسة واصطلاحا أداة تعبير او أداة تقرير لفئة سواء كانت هذه الفئة تتحدد بفكر معين او بمصلحة اقتصادية معينة ، والواقع في الاتحاد الاشتراكي انه ليس كذلك ، فهو ليس تعبيراً عن فكر فئة معينة ، ولا عن مصلحة طبقية واحدة .

وفي الوقت ذاته فالنتيجة العملية التي تترتب على التشخيص أيضا تختلف فيما اذا كان حزبا واحدا أو حزبين . أو احزابا متعددة ، وهذا ما يحدد مكانه الدستوري . فاذا كان حزبا واحدا يكون له دور دستوري محدد جدا، ويمكن حينئذ ان تكون الأجهزة التنفيذية أذرع له أو أجنحة .

اما اذا كان حزبين فيتحدد دوره الدستوري أيضا بأن تختار منه الحكومة، كذلك يكون له دور دستوري معين خاصا بتسير الحياة السياسية وبقاء حزب في الحكم وحزب في المعارضة .

لكن اذا تعددت الاحزاب فتكون وسيلة للتنافس للوصول بمجموعة أو منفردة الى السلطة - لكن يبقى ان نكون للحزب وظيفه سياسية غير دستورية . وهي انه أداة للتعبير الشعبى عن الراى .

لكن الصيغة التي وصلنا اليها ، وبالرغم من عدم وثوقى كثيرا بجانب المدلول الاجتماعى للتحالف ، فهو أولا تنظيم واحد وتنظيم واسع جدا ، ولقد تصورته في وقت من الاوقات ، على أنه عودة جزئية الى ما نسميه بالديموقراطية المباشرة ، بمعنى ان تعبير الناس عن نفسها لم يعد يكتفى فيه بالنظام النيابى ، ولم يعد النواب وحدهم هم المعبرين عن الشعب ، وإنما أصبح التنظيم السياسى معبرا أيضا ، وغاية ما هناك انه نظرا لان النواب يجمعهم اطار دستوري متعارف عليه وله تقاليد ، فنستطيع ان نعطيهم سلطات محددة ازاء الأجهزة ، كسلطة الرقابة الممثلة في السؤال والاستجواب وما قد يترتب على الاستجواب من طرح الثقة بالوزراء منفردين أو مجتمعين ، بالإضافة الى الوظيفة التشريعية المحددة .

اما التنظيم السياسى الجامع لقوى الشعب العاملة ففي الواقع هو أداة لمعرفة وقياس الراى العام ونقله ليوجه ، ثم اذا أمكن ليراقب ، وهذا أصعب من خلال هذا التنظيم .

اما قضيته الاجتماعية كتحالف فهي تثير اشكالا غريبا جدا ، وأنا في هذه النقطة أطرح مشكلة ولا أقول رأيا - اذ يلاحظ في مواقف عديدة جدا أن



ابراهيم شكرى

يقال « أن رأى العمال فى هذه القضية هو كذا ..
وان الفلاحين رأيهم كذا .. وان رأى المثقفين أو
المهنيين فى نقاباتهم فى هذه القضية كذا .. أما
الطلبة فرأيهم كذا .. الخ ..

فكان يمكن أن يكون الاتحاد الاشتراكي هكذا .

لماذا ضعف الاتحاد الاشتراكي ؟ لأنه ليس هناك
جمعيات تعاونية فلاحية قوية ؟ كما أنه ليس هناك
نقابات للعمال الزراعيين قوية وفعالة وأساسية
تمثل فعلا هذه القوى الكبيرة الموجودة ، فالنقابات
الزراعية للعمال قد كونت على الورق فى ظرف
أسبوعين ، وما حدث فعلا هو أن إحدى
الوزارات - ولا أذكر إذا كانت وزارة الشؤون
الاجتماعية أو وزارة العمل - قد طلبت أن يكون
هناك ما يسمى بنقابات العمال الزراعيين لأنها
تهدف الى تكوين اتحاد عام لعمال الجمهورية ،
وهذا الاتحاد تنقصه هذه النقابات ، فلا بد من
وجودها حتى يتسنى تكوينه ، وهذا ما حدث فعلا
فى بداية تكوين هذه الجمعيات والنقابات ، لكن
للأسف مازال معمولاً به حتى الآن .

وطالما ان المهمة الاساسية للاتحاد
الاشتراكي - كما نعلم جميعا - هى دفع
وتعميق .. الخ ، فكان يجب عليه تكوين هذه
الجمعيات وهذه النقابات سواء كانت نقابات
عمالية أو مهنية تكويناً سليماً وصحيحاً ، ومن
خلال هذه التكوينات والتنظيمات الصحيحة يمكن
أن تكون هناك حصيلة قوية صحيحة تمثل فعلا
تحالف قوى الشعب .

هذه هى القضية ، ولذلك لابد أننا نضع من
الانظمة ومن الاساليب ما يوصلنا الى تكوين هذه

ولو اتبعنا كل هذا فعلا ، نكون قد أنجزنا عملاً
واضحاً وقائماً ، فالنقطة التى يثيرها الدكتور كمال
أبى المجد أنى هى نقطة أساسية مثل علاقاتنا
بالسلطة التنفيذية وباقى الموضوعات الأخرى ،
لكنها ستنتهى فى النهاية ببلورة كاملة بحيث أنه
حينما يتكلم السيد رئيس الجمهورية أو رئيس
الوزراء أو أحد أعضاء اللجنة المركزية ويعطى
صورة معينة ، نستطيع أن نفتح الدليل مباشرة
على هذه الصورة لنرى هل تسير مع الخط الممثل
للمواثيق الأساسية للثورة من عدمه .
وبهذا نكون قد انتهينا من البند الأول ، والبند
الثانى .

ونضيف ضمان الممارسة الديمقراطية داخل
التنظيم أو خارجه كبند ثالث .

● المهندس ابراهيم شكرى

فى الواقع لى ملاحظة خاصة بالبند الثانى
بالنسبة لصيغة التحالف : ففى الواقع هى صيغة
تكدت تكون أقرب صيغة لأن نستمر فى عملنا .
ولقد أثار السيد الرئيس أيضاً هذه النقطة فى
الدورة الاولى للمؤتمر القومى العام ، ولقد انتهى
قرار المؤتمر الى أن الاتحاد الاشتراكي هو تحالف
بالصيغة التى يمكن أن تستمر بها .

ليكن كل ما اريد قوله فى هذه النقطة هو هل
هذا التحالف شكلى ورسسمى ، أو تحالف حقيقى ،
وهل المقصود ان نوسعه ونصححه بحيث نقول أننا
تحالف قوى الشعب العاملة كلها ، بطريقة تؤدى بنا
فى النهاية الى أن الشعب لا يأخذ قراراً ولا يملك
أن يأخذ قراراً وحتى نصل فى النهاية الى أن يفقه
الشعب ايمانه بأن الاتحاد الاشتراكي يمثلته فعلا .
اذن فنحن موافقون على الصيغة لكن بالنسبة
لطريقة تنفيذها ، هل نتعامل مع هذه القوى العاملة
فرادى «أو عينات» «مينة» من الفلاحين وأخرى من
العمال وثالثة من المثقفين وهذه هى الفئات التى
يمكن أن نتصور أنها يمكن أن تكون قوة حقيقية ..
القوة الحقيقية لقوى الشعب . فالمفروض أن تكون
منظمة فى تنظيمات وتجمعات مختلفة ، ويمكن فعلا
أن تكون هذه هى الطريقة التنظيمية الصحيحة لكى
توصل رأى قوى الشعب العاملة الى هذا التنظيم
الام وهو تحالف قوى الشعب أو الاتحاد
الاشتراكي .

وإن نكن نرغب خاصة فى المرحلة الاولى وأنا
هنا أتحدث بصراحة تامة لأنه كان يخشى أن ننظم
الاتحاد الاشتراكي العربى كما يجب أن ينظم
باعتباره تحالفاً لقوى الشعب العاملة ..
هذا التحالف الذى يمكن بالفعل عن طريقه أن

معينة ويريدون أن يسمعوا بشكل معين ، وهذا الموضوع له فيه تحليل وسوف يأتي عندما نتناول طريقة العمل الداخلي للتنظيم السياسي . بمعنى هل تسير بنظام الامانات أم نغير نظامها أو هناك وسيلة أخرى . وما يظهر من كلام الاخ ابراهيم شكرى انما هو تفسير للنقطة الاولى بالنسبة للحزب وبالنسبة لتحالف قوى الشعب العاملة .

هل هناك أية ملاحظات على النقطة الاولى أو الثانية .

(لم ترد ملاحظات)

نتنقل بعد ذلك الى النقطة التالية في الصفحة السادسة وهي مهمة لجنة العمل ، وهذه المهمة تناولها البنود أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، هل هناك أية اضافة بالنسبة لمهمة لجنة العمل غير ما ورد في البند « هـ » .

في الواقع نحن نقوم بعمل دليلين . دليل العمل السياسي ، ودليل العمل التنظيمي ، دليل العمل السياسي يبين فلسفتنا الاشتراكية والمنجزات التي حققها ، أما دليل العمل التنظيمي فيبين الصلة التي بيننا وبين المجلس التشريعي . الخ

● الدكتور اسماعيل غانم

واضح أن الخمس النقاط هذه يمكن تقسيمها الى مسألتين رئيسيتين . بحث موضوعي ، وبحث تنظيمي أو شكلي .

البحث الموضوعي ويشمل إعادة النظر في البناء الداخلي ، والعلاقة بين التنظيم وبين المؤسسات ، وعلاقته بال جماهير ، ويأتي بعد هذا العمل الموضوعي الكلام في دليل العمل وقانون الاتحاد الاشتراكي وهذا متفق عليه .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

هذا صحيح ، فاذا ما اتفقنا على أن هذه هي النقاط يأتي بعد ذلك الاقتراح الاول الذي أشار اليه الدكتور دكروري .

● المهندس طاهر امين

اننى لاحظ ان بعض السليبيات التي وافقنا عليها ، علاجها لا يدرج تحت الخمس البنود التي ذكرت ، ويخيل الى انه لا بد من اضافة .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ما الذي تريد أن تضيفه .

التنظيمات القوية ، وكيف يمكن لها أن تشارك بفاعلية في تكوين الاتحاد الاشتراكي ، بحيث حينما يجتمعون يمكن القول بأن هؤلاء هم الذين يمثلون القوى الحقيقية لتحالف قوى الشعب ويمكنهم إذا أقرروا قرارا أو إذا انتهت تنظيماتهم انى تصعيد قرار معين فان هذا القرار نتيجة بحث هذه القواعد كلها وانها مؤمنة به أو منفذة له لو اريد للقرار أن ينفذ .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ان التصور الذي ابداه الاخ ابراهيم شكرى اعتبره من وجهة نظري تصورا قائما ، ولو اطلعنا على الاحاديث السابقة ، أو تصوري في خطابي والارتباطات التي جاءت فيه وكذلك القرارات التي صدرت من المؤتمر القومي نجد أنها تتمشي تماما مع كلام الاخ ابراهيم شكرى لكنه أعطى شيئا من التفصيل .

بالنسبة للصورة النهائية للاتحاد الاشتراكي فاننى متصور ان هناك منظمات جماهيرية تمثل منظمات وقاعدة جماهيرية فعلا ، تمثل النقابات المهنية والجمعيات التعاونية للفلاحين ، نقابات العمال الزراعيين ، النقابات العمالية ، الادباء والفنانين ، التنظيمات النسائية ، كلها بانتخابات موجودة من القاعدة بأشخاص لهم قيادة معينة وقد يتغيرون وأننى اعامل الموجود منهم ، وحينما يتغير أعامل الموجود الذى انتخب ، وان ما ذكرته بجانب النقطة التي ذكرها الاخ ابراهيم شكرى ولو أنها سوف تأتي بعد ذلك سوف نثبتها لاننا سوف نستعين بها بعد ذلك ، فى رأى أنها تمثل انفعالا كبيرا جدا بين الاتحاد الاشتراكي وبين جميع هذه المنظمات .

لقد حدث نوع من المعالجة ، فهل التقييم الخاص بالمعالجة كاف أم لا ؟

عندما فكرت اللجنة المركزية أن تقسم نفسها الى امانات مختصة ، ما هى الفلسفة من وراء هذا لا حينما انقسمت الى امانة النقابات المهنية ، امانة الفلاحين ، امانة العمال . ان الفلسفة التي كانت موجودة أن المفروض على مستوى الامين أن يرتبط مع جميع التنظيمات الخارجية بحيث ترتبط كلها مع اللجنة المركزية ، ولكن لسبب أو لآخر لم يتم هذا ، واعتقد أن ذلك لا يرجع الى عدم كفاءة القائمين على الامر فيها ، ولكن لسبب طبيعة المشكلة ، وهى ان النقباء كمنقباء يطلبون ان يبدوا وجهة نظرهم ليس على مستوى الامين فقط انما يريدون أن يبدوا وجهة نظرهم أمام لجنة

● المهندس طاهر أمين

لحالة ثم محاولة علاج هذه الحالة ، فإذا وجدت نقطة في هذا التشخيص فإننا يمكن أن نضيفها الى النقاط التي تناولها .

● الدكتور أحمد الشرباصي

الذي أشارك الاخ طاهر في أن يكون من مهمة اللجنة بيان الضمانات الكفيلة بعدم تكرار ما سبق أخذه على الاتحاد الاشتراكي من أخطاء ، بمعنى بيان وسائل الضمانات الكفيلة بالأ تعيدنا الى الماضي ، لأنه كما ذكر في الاجتماع الماضي إذا لم نوفق فسوف تكون انتكاسة عنيفة جدا .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

نضيف الملاحظة التي ذكرها الاخ طاهر وكذلك ملاحظة الاخ الشرباصي .

بعد ذلك ننتقل الى نقطة أسلوب عمل اللجنة ، ومعرض فيه رأيان : أما أن نناقش هذا على مستوى لجنة العشرين هنا ، وأما أن تبدأ اللجنة وتقسّم نفسها الى لجان بحيث يتناولون ورقة الاستعراض ويقدمون كلجنة ورقة تجمع ما بين ملاحظات أمناء المحافظات وملاحظات هذه الورقة .

وعلى سبيل المثال يمكن القول « إعادة النظر في قانون الاتحاد الاشتراكي بطريقة جذرية » وهذه تؤجل الان لحين وضع تصورهما ونرى ما يمكن تعديله ، ولا تسرع حتى يتسنى للجنة أن تنظر متحررة ، وأفترض أنه لا يوجد قانون الاتحاد الاشتراكي ، حتى إذا ما وضع الأسلوب تأتي بالقانون وننظر فيه هل يتفق مع ما ورد أم أن هناك نصوصا فيه يجب أن تتغير حتى يمكن تغيير القانون على أساسها .

● المهندس طاهر أمين

لقد دخلنا في ناحية تنظيمية ، ولا أعلم إذا كان يسمح لي أن أعود الى بعض الموضوعات التي سبق وناقشناها .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

تفضل

● المهندس طاهر أمين

فيما يختص بالسلبيات أرجو مناقشة موضوعية يمكن أن يدرجوا تحت السلبيات : الأولى - موضوع التفرغ السياسي .

ما هي الاساليب التي يمكن أن نطرحها ونحن اليوم نحدد مهمة وأسلوب عمل اللجنة . هناك أشياء كثيرة جدا اتسائية وأشياء معينة ، بمعنى أننا حينما نقول اليوم اغراق الجماهير في الامل والتناقض الشريف بين الهدف . الخ . ما هو البند التي تدرج تحته . ؟ أنها لا تدرج لا في قانون الاتحاد الاشتراكي ولا في البناء الداخلي وليس لها علاقة بأي شيء .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

إنها تدرج تحت أسلوب الانفتاح الكامل على كافة قوى الشعب العاملة .

● المهندس طاهر أمين

ليس هذا شرطا .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لا فحينما تحلل هذه النقطة وأنت تشرح ما هو الانفتاح . هل الانفتاح الكامل أنك تعطي الشعب أمانى لا تحققها . وهل الانفتاح الكامل أن تخفى حقيقة عن الشعب . وما هي طريقة الانفتاح هل تقوم بعمل اجتماعات دورية للنقابات ؟

● الدكتور عبد الحليم الجندى

أين تأتي القيادة الجماعية بالنسبة لاسلوب العمل ؟

● السكرتير الاول للجنة المركزية

القيادة الجماعية تأتي في أسلوب تحقيق الديمقراطية .

● المهندس طاهر أمين

نحن لا يضيرنا في هذه المرحلة لكي نغطي كافة السلبيات أن يكون من ضمن المهام الموجودة عندنا دراسة السلبيات الموجودة واقتراح الوسائل الكفيلة بالقضاء عليها .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ما هو المراد من ذكر السلبيات ؟ ليس المراد من ذكر السلبيات ابقاء الضوء على أنه لم يعمل شيء ، لكن المفروض في ذكر السلبيات أنه تشخيص

● السكرتير الاول للجنة المركزية

يمكن أن يندرج هذا تحت موضوع التنظيم .

● المهندس طاهر أمين

ليس لي السيد السكرتير الاول ان موضوع التفرغ السياسي يندرج تحت موضوع السليبيات .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

اذن أنت تعتبر التفرغ السياسي من الان كسلبية .

● الدكتور طاهر أمين

المقصود هنا هو عدم التفرغ السياسي وليس التفرغ .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

عدم التفرغ السياسي تعتبره من الان كسلبية ، قد يكون للبعض الآخر رأى آخر في هذا . . . وبالتالي اعتقد انه من الافضل أنه يندرج تحت المشاكل لأنه هنا كسلبية أو عدم سلبية مختلف عليه ، حتى النظام الطليعي نفسه البعض يعتبره سلبية كاملة والدكتور كمال أبو المجد له رأى يخالف هذا ، وبالتالي فقد تناولنا السليبيات التي لا يحدث عليها خلاف .

● الدكتور جمال العطيفي

بالنسبة للتنظيم ، مهمة لجنة العمل اقترح اقتراحا بسيطا في الصياغة ، سوف نقول في الميام الرئيسية . . . اعادة النظر في البناء الداخلي اولاً ، ثم تحديد علاقة التنظيم .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

سوف توضع في البند « أ » .

● الدكتور جمال العطيفي

تحديد علاقة التنظيم بال جماهير ، وفي ضوء هذا بعد شيئين . .

أ - دليل عمل فكري وتنظيمي للاتحاد .

ب - قانون الاتحاد الاشتراكي .

ونحن نناقش هذه المسائل لكي نصل الى

أمريين :

أ - قانون جديد للاتحاد الاشتراكي يستوعب النظر في البناء الداخلي ويستوعب الانفتاح على الجماهير .

٢ - دليل العمل الفكري والتنظيمي .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

في الحقيقة حينما تناقش أسلوب الانفتاح على الجماهير لا يمكنك أن تناقش هذا مناقشة كاملة الا اذا تعرضت للتنظيم الداخلي للاتحاد الاشتراكي ولا يمكن فصلهما عن بعضهما والا يصبح الانفتاح على الجماهير عملية نظرية ، فكيف نتوهم بعمل نقاش على الجماهير ؟ . .

وبالتالي مما هو النظام التي ستقيد به أسلوبك ؟

ولذلك اقترح تيسيرا لعمل اللجنة أن تشكل لجنة فرعية واحدة ولا تشكل لجنة لكل موضوع - وهذا معروض عليكم اذا وافقتم لماذا تشكل لجنة فرعية واحدة ؟ . .

لأنني متصور أن كل موضوع مرتبط مع الآخر ، فلو قسمنا الموضوعات فسوف تشتت العمى وترد لنا أوراق كثيرة وربما يكون بعضها متداخلا مع الآخر ، ولذلك اقترح تشكيل لجنة صغيرة وامامها المادة ، وهي عبارة عن التصور الموجود امامكم وفي التصور الموجود من الامانات العامة للمحافظات ، وأي تصور آخر يرد سوف أرسله فوراً للجنة دون أن أعلق عليه ، وبالتالي تصبح لدينا صورة معينة هي التي نناقش على أساسها وسوف تعمل هذه اللجنة الصغيرة لمدة اسبوع من اليوم أو خمسة أيام يكون عملها اعادة صياغة بحيث تجيب عن التساؤلات ، ثم يعرض تقريرها علينا .

هذه صورة من الصور ، أما الصورة الثانية فهي أن نناقش ورقة العمل هنا مادة مادة على مستوى لجنة العشرين ثم نرسلها للسكرتارية لتلخيصها ثم تعود اليها لمراجعتها .

والصورة الثالثة هي أن تشكل لجنة لكل موضوع . هذه هي الصور الثلاث المقترحة أعرضها على حضراتكم لاخذ الرأى على أي منها ، وفي تصوري أنه من الافضل أن تقوم لجنة واحدة بهذا العمل ، وسوف نناقش التقرير وليس التساؤلات ، واذا اردت أن نسير في النقاش ثم تبدأ لجنة الصياغة في عملها فهذا ممكن لكنني أرى أن هذا ربما يستغرق وقتاً أطول .

● المهندس سعد هجرس

انني اميل الى الرأي الاول وهو تشكيل لجنة فرعية واحدة لان الموضوع مترابط تماما في جميع نقاطه الخمسة ، ولكن قبل أن تبدأ اللجنة الفرعية عملها في الدراسة فانني أتصور أننا هنا في لجنة



أحمد عبد الآخر

الرابعة وهي لجنة التنظيم
● الدكتور اسماعيل غانم

أرى من الأفضل أن تكون لجنة واحدة لأن الفصل بين الموضوعات يكاد يكون مستحيلاً فإذا نظرنا إلى تحديد علاقة التنظيم بالمؤسسات والأجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية، وعلاقة التنظيم بالأجهزة الشعبية فمن المؤكد أن هذا سوف ينعكس على البناء الداخلي كما ذكر المهندس إبراهيم شكرى فيما يتعلق بتكوين الهيئات الشعبية التكوينية القوي الذي يمكنها بعد ذلك من المشاركة في تكوين الاتحاد الاشتراكي نفسه، وهذه فكرة مطروحة تؤثر على البناء الداخلي نفسه.

كذلك أسلوب تحقيق الديمقراطية عن طريق مشاركة الجماهير في التوجيه والرقابة، أن طريقة المشاركة لها صلة أساسية بعلاقة التنظيم بالمؤسسات والأجهزة التشريعية والتنفيذية، وأعتقد أنه يستحيل الفصل بينها كموضوعات مستقلة عن بعضها، ولا أعرف كيف يتحقق ذلك من الناحية العملية.

● المهندس أحمد عبد الآخر

نأخذ موضوعاً معيناً ولكن نفكر في الإطار العام في الموضوعات المطروحة، ففي لجنة البناء الداخلي للاتحاد نأخذ في عين الاعتبار الجزء المتعلق بعلاقتها بالتنظيمات الأخرى.

● الدكتور محمد ذكروري

أرى أنه يمكن التوفيق بين الجانبين، بأن يتولى شخص أو أشخاص محددين أعداد تصور سريع بورقة عمل لكل موضوع يعرض أمام لجنة واحدة، بمعنى أن أي موضوع من هذه الموضوعات يطرح

العشرين، لابد أن نعطيهم انطباعاتنا وافكارنا، وبالتالي نعطي أنفسنا فرصة جلوس أو اثنتين حتى يمكن أن نوفر للجنة كل هذا ثم تنفرد هي بعد ذلك.

● السكرتير الأول للجنة المركزية

لدى حل عملي في هذا، وهو أن الأوراق الموجودة لدينا جميعاً عبارة عن جزئين: جزء يعطى اتجاهها فكرياً وجزء عن التساؤلات، ومهمة اللجنة الفرعية التي سوف تختارونها هي الإجابة عن التساؤلات، وبجانب هذا أن كل من لديه رأي ينضم إلى اللجنة الفرعية ويقول رأيه تسهيلاً لنقاشنا، ومن ليس له رأي جديد، أو من رأى أن النتائج التي تناولتها ورقة العمل كافية وأن التساؤلات سيورد عليها فيما بعد فإن الرد على التساؤلات سيعرض عليه وربما يعدل أو يضيف.

● المهندس أحمد عبد الآخر

افنى أميل إلى أن كل موضوع من الموضوعات المثارة هنا يجب أن تشكل له لجنة، وتقطع كل لجنة شوطاً في النقاش وفي التصور ثم تنتهي إلى اللجنة الفرعية التي اشترت إليها سيادتك ويكون عملها تنسيق آراء هذه اللجان، وتنبثق اللجنة الفرعية من اللجان الصغيرة.

● السكرتير الأول للجنة المركزية

في رأيي أن كل من لديه ملاحظات يكتبها للجان الفرعية، وأود أن تنتهي إلى رأي حيث مضت علينا ساعتان ونصف ولم نتقدم خطوة إلى الامام بينما تصورنا جميعاً يكاد يكون واحداً.

على سبيل المثال ورد في أسلوب ورقة العمل أن عملية التنظيم السياسي وتدعيم قدرته وتصحيح علاقاته بالجماهير لا تبدأ من فراغ وإنما هي استكمال لمحاولات عديدة سابقة لابد من تقييمها والاستفادة منها، ومن هنا لابد أن تكون الوثائق المتضمنة لهذه المحاولات محل دراسة للجنة وتحليلها.

هذه العملية انتهت لأن الوثائق التي كانت لدينا وضعت عندكم منذ البداية وسرنا فيها، وبعض النقاط هي التي تحتاج لبدء الرأي أو قد تكون مخالفة في الرأي لبعض النقاط التي وردت هنا، لذلك فاني أفضل أن تشكل لجان نوعية كما ذكر الأخ أحمد عبد الآخر وهذا ممكن على أن تشكل أربع لجان، اللجنة الأولى لتحديد علاقة التنظيم بالمؤسسات، والأجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية، واللجنة الثانية لتحديد علاقة التنظيم بالجماهير، واللجنة الثالثة وهي محصلة عمل اللجنة الأولى واللجنة الثانية لاعادة النظر في البناء الداخلي للاتحاد الاشتراكي، واللجنة

لم تقتنع بوجهة نظر أحد الاعضاء ، فيكون للعضو في هذه الحالة أن يدافع عن وجهة نظره عند انعقاد اللجنة ، ومن المفروض أيضا أن اللجنة الفرعية ستد على هذه الملاحظات وفي هذه الحالة سيكون النقاش محصورا وواضحا امامنا في نقطة بحيث يمكننا أن نحدد رأي الاغلبية ورأي الاقلية .

● الدكتور عبد الحليم الجندي

ما هي قوة هذا التقرير فيما يتعلق باللجان الفرعية ؟ .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ان التقرير سيرد اليها هنا ، ويكون هو مشروع تقرير اللجنة الذي سيعرض على اللجان الفرعية حتى اذا جد جديد من اللجان الفرعية أو لم يجد جديد فيعرض بالتالي على هذه اللجنة للتنسيق .

● الدكتور عبد الحليم الجندي

هذا تصور ، وهناك تصور آخر بالنسبة لما ورد في الصفحة رقم ٧ « ويكون العمل أساسا في اللجان الفرعية ، ثم نتولى اللجنة العامة بعد ذلك جميع الدراسات والاقتراحات والتنسيق بينها في صورة تقرير نهائي خاص لكل من المهام الرئيسية المشار اليه » .

هذه الفكرة تجعلنا نتجه فوراً الى السؤال الآتي :

أيهما أفضل أن يكون لنا تقرير من خمسين صفحة ، أو عشرين صحيفة ووقفنا فيه عند أشياء أصبحنا مقيدين بها على الأقل في المرحلة الحالية ، أم تطرح هذه المسائل بسليباتها وبتطويرها على اللجان الفرعية ويكون منارجال في حل لجنة فرعية ونعرض عليهم فكريا اتفقنا عليه ، وربما يحتوي فكر هذا التقرير على الفين أو ثلاثة الاف كلمة ، أي عشر صفحات ونكون متفهمين لموافقنا بالضبط في جملتها ، ثم ننطلق الى اللجان الفرعية فنتردد آراء اللجان الفرعية التي تمثل ثقافات مصر جميعا ، وتحدد ما تريده في كل مجال ، وبعد ذلك ننسق بين كل آرائها ونرد الخطأ منها ونقبل الصواب منها ، ثم يبدأ العمل وربما نستغرق في العمل شهرا آخر لكي نضع هذه المسائل .

هذا مطروح وليس لي فيه رأي ، ولكني أرى أننا كلما بدأنا بعدد أكبر فان الحكومة كوزارة توافق عليه ، ومجلس الشعب كجهة منتخبة يوافق عليه أكثر لانهما سيريان أن هذا وارد عن كثيرين وليس من عشرين عضوا فقط ، والمسألة معروضة وأرجو أن نفكر فيها كثيرا قبل أن نرفضها وننتقيد بالاتجاه الخاص .

امام اللجنة المشكلة يكون امامها ورقة للعمل ، فاذا تكلمنا عن العلاقة مع المؤسسات الاخرى كائتقابات وغيرها ، فمن الممكن أن يتقدم الاخوة الذين لهم خبرة في هذا المجال بورقة واحدة كما ذكر الدكتور اسماعيل ، ولا بد أن يكون امام هذه اللجنة مجتمعة شيء نبدأ منه في التصور .

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

الواقع أنني أتفق مع الزميلين في أن تقوم لجنة واحدة في البداية باعداد الورقة النهائية التي يمكن ان تعرض على هذه اللجنة مجتمعة وبعد أن توافق هذه اللجنة ففي اعتقادي يبدأ التفرغ بحيث تقسم هذه اللجنة اما الى لجنتين كما اقترح الدكتور اسماعيل غانم للمسائل الشكلية ثم المسائل الموضوعية واما أن نكبر توزيع اللجان ونشرك بعد هذا التوزيع أعضاء اللجان الفرعية مع هذه اللجان المنبثقة من هذه اللجنة ، على أن يتم اعداد الورقة النهائية بواسطة لجنة فرعية واحدة .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

اقترح الان أن تشكل لجنة فرعية واحدة ، ويمكن لأي من السادة الاعضاء أن يكتب تصوره ويرسله للجنة أو تقوم السكرتارية بإرسالها لهذه اللجنة ، على سبيل المثال الكلمة التي قدمها المهندس ابراهيم شكرى للجنة ، والاعمال التنظيمية وشئون العضوية يكتبها الاخ احمد عبد الاخر ، والاخ محمد دكروري على سبيل مثال أيضا نكلفه بأن يكتب ورقة عن الوحدة الأساسية على مستوى القرية ، وكذا الاخ عبد اللطيف بطيعة نكلفه بأن يكتب ورقة عن الوحدة الأساسية على مستوى المصنع ، هذه الاوراق ترسل للجنة الفرعية ، وفي هذه الحالة فان اللجنة الفرعية سوف لا تبدأ من فراغ بل بدأت من هذه الورقة وورقة عمل الامانات بمعنى أن الاخ ابراهيم شكرى يتكلم عن الجزء الخاص بالنقابات المهنية أو النقابات عامة على اعتبار أنه ملائم لهذا الجزء ، والاخ شومان يتكلم بالنسبة للجمعيات التعاونية ، والاخ محمد دكروري والاخ محمد عثمان يكلمونا بالنسبة للوحدة الأساسية وتنشيطها كأسلوب عمل ، كل هذه الاوراق عندما تتجمع على هذه الورقة والاوراق الاخرى تعطى تقريراً ليس نهائياً ولكن على اعتبار أنه يرد اليها ونقرأه ونقرأ ما به من تساؤلات ، وأي أحد من السادة الاعضاء له ملاحظة على هذا يقدم ورقة ، وسوف أحدد موعداً لتقديم الاوراق ، بعد ذلك تصوغ اللجنة العملية كما تراها وتضع في الاعتبار جميع الملاحظات التي وردت اليها ، ونفترض أن اللجنة

● السكرتير الاول للجنة المركزية

الواقع أننا متفقون ولسنا مختلفين في أن الورقة لن تصبح نهائية قبل أن تبدى اللجان الفرعية آراءها .

وبالنسبة لكيفية العرض، فليس لدينا سوى هذه الورقة والورقتين الخاصتين بالأمانات، فالصورة الافتراضية أن تشكل لجان فرعية ونبدأ بعقدتها، في تصوري أن تجتمع اللجان الفرعية، وسوف احصر اجتماعاتها نيابة عنكم، ولو كان لدينا متسع من الوقت في اجتماعي مع إنياء المحافظات لناقشنا هذه الورقة معهم وعرضنا عليكم آراءهم فيها، ولكن للأسف فإن الوقت لم يتسع بالأمس لمناقشة موضوعات كثيرة في هذا الاجتماع، ولا مانع أن نعرض، ولكن ما هو ضرر العرض في هذه الصورة .

ضرر العرض في هذه الصورة أن اللجنة لم تبد رأيا معينا تعرضه على اللجان الفرعية حتى تبدى اللجان الفرعية ملاحظاتها عليه، بل سيأتي تصور من اللجان الفرعية وسوف لا يخرج عن النقاش الذي يجري في هذه اللجنة لأنكم بحكم اختياركم تمثلون المواقع التي اخترتم منها، هذا هو التصور، ولكن ليس معنى هذا التصور أنه تصور حقيقي ١٠٠ في المائة، ولكني أرى أن بإمكانكم إذا كان في لجنة من اللجان ومزودا بمشروع القرار فلا نتمسك به، فأنت تعرضه للنقاش لأنه لم يصبح قرارا نهائيا، نتمسك به .

وعلى سبيل المثال بدلا من أن نقول يجب أن تحدد السلطة التنفيذية في كذا وكذا وتعالج الموضوع بنفس هذه الحالة يكون هناك رسم طريقة معينة لتحديد السلطة التنفيذية تماما كالذي ورد في كلمة الأخ إبراهيم شكرى بالنسبة للنقابات والنشاط النقابي .

وعند الاجتماع بالنقابات المهنية يعرض السيد إبراهيم شكرى كمنسوب عن اللجنة تصوره على النقابات، ولنفرض أن النقابات رفضت ما عرضه، ففي هذه الحالة فإنه يستطلع رأى النقابات عما تريد، ثم يقدم لنا هذه الآراء .

هذه طريقة، أما الطريقة الثانية فهي أن نبدا بعرض هذا على اللجان، واتصور أننا لو بدأنا بعرض هذا على اللجان ستتفرع منا الموضوعات جدا ولا يمكن أن نحصرها في النهاية، ولذلك فاني أفضل الطريقة الاولى، وقد نوقش هذا الكلام في الجلسة الاولى للجنة .

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

اتفق مع سيادتك في أن تبلور المشروع لكي يعرض على اللجان الفرعية. وهنا أتساءل: هل اللجان الفرعية تنعقد فرادى كل لجنة على حدة أم

ننعقد حسب موضوع كل لجنة .

لقد اقترح الدكتور اسماعيل أن تكون هناك لجنتان وقد يقترح آخرون أربع لجان، هذه اللجان ستكون لجانا مرعية لهذه اللجنة وسيجتمع باللجان الاستشارية، فهل تجتمع بكل لجنة على حدة ثم تبدى كل لجنة رأيها في كل هذه الموضوعات المطروحة؟ اعتقادي أن هذا يمثل اردواجا كبيرا في العمل ومجهودا كبيرا قد يفوق الطاقه، ولذلك فاني أرى أن تزرع الجار الاستشارية العشرة حسب اختيار كل عضو على اللجان التي سنتفق على انشائها. لجنة للشؤون التنظيمية، ولجنة للمسائل الموضوعية، ثم بعد ذلك سيادتكم ستجتمع بهذه اللجان الاستشارية مع بعضها وتطرح بوجه عام هذا المشروع الذي قدمته لجنة العشرين وتذكر بعد ذلك أن هناك مسائل محل دراسة، ويترتب على هذا أننا سنشكل أربع لجان أو لجنتين ويوزع الاعضاء في اللجان الاستشارية باختيارهم .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لو سمحتم أريد أن اوضح نقطة بالنسبة لعملنا . . أننا نريد ورقة عمل وليست تساؤلات، وإنما تكون مبنية على ما يدور هنا، ومن الورق المقدم ومن أية ملاحظات أخرى للسادة الاعضاء يبدونها كتابة وليس ارتجالا . . . لان الفرد عندما يتكلم قد يلتقط فكرة أخرى لا يؤمن بها من زميل آخر، وبذلك فقد تكون هذه الفكرة ليست هي التصور الحقيقي لفكره . . بينما نحن نريد التصور الحقيقي، ولذا فأنني أؤيد الرأي الذي يقول بأن تشكل لجنة واحدة فقط من السادة الاعضاء، وسوف نحدد لها موعدا معينا كما سنطلب ممن له ملاحظة من السادة الاعضاء ان يقدمها في وقت معين ليس أكثر من يومين . . لاننا سوف نبدأ في عقد اللجان الفرعية برئاسة في هذا الاسبوع .

● الدكتور محمد ذكوري

انني اتصور أن اللجان التسع الفرعية هي لجان استشارية للجنة العمل، وأنه يعتبر مضيقا للوقت لو بحثنا نحن في قطاع النقابات العمالية أو المهنية أو الشباب . . ثم نعرض آراءنا في هذا الشأن على اللجان الفرعية المختصة، فيظهر لهم فكر جديد . . قد يكون مخالفا لفكرنا، ويعاد مرة أخرى إلى لجنة العمل، ولذلك فإن من رأيي أننا يجب أن نسير منذ البداية في خطوط متوازية بحيث تمثل هذه اللجان مكاتب استشارية للجنة العمل .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

هناك اقتراح آخر بأننا نجعل لجنتنا تتلاحم مع

اللجان الفرعية وهي تعد الورقة •

● الدكتور محمد دكروري

اننى أتصور أن يعرض الامر على اللجان الاستشارية أولا قبل ما يأتى الى هنا ••

● السكرتير الاول للجنة المركزية

يجب أن تعد الورقة أولا من اللجنة الفرعية ، وهذا يمكن أن يتم فى تصورى فى ظرف ثلاثة أو أربعة أيام لأنه ما زال أمامنا مراحل أخرى كما انها ليست الورقة النهائية .

المهم اننا فى ظرف خمسة أيام على الاكثر نكون قد أعددنا التقرير الاول •• ثم تبدأ اجتماعات اللجان الفرعية بعد ذلك عملا باقتراح الدكتور محمد دكروري •• أى أن الورقة تنزل من لجنة الصياغة الى اللجان الفرعية •

● الدكتور محمد دكروري

اننى أقصد أن هذه اللجان الفرعية يجب أن تتعايش معنا ، وتدخل فى خطة عمل اللجنة الفرعية •• لاننى أتصور أن يكون لها فكر جديد خصوصا وهي لجان أكثر تخصصا من اللجنة التى ستشكل •

● الدكتور اسماعيل غانم

اعتقد ان اللجنة الفرعية المزمع تشكيلها تطول مناقشاتها وقد تجد صعوبة فى القيام بعملها خصوصا نحن نرى أن البندين ج ، د عن علاقة التنظيم السياسى بالمؤسسات والجهزة التنفيذية وعلاقة التنظيم السياسى بالجماهير ، وما يتطلبه وضوح الرؤية فى هذه الامور من أن نبين هيكل الاتحاد الاشتراكي ، وقانون الاتحاد الاشتراكي ودليل العمل فيه ، فاننا نجد فى نفس الورقة ثلاثين سؤالا بالنسبة لتحديد علاقة التنظيم بالجماهير •• يخص اللجنة الفرعية منها ٢٦ سؤالا •

وأتصور أن اللجنة الفرعية لا يمكن أن تجيب عن كل هذه التساؤلات ولذلك فاننى أتصور انه من الممكن أن نجتمع لمدة أسبوع مع اللجنة الفرعية ، ونتناقش ونتبادل الراى بحيث ان اللجنة الفرعية عندما تخلو الى نفسها تكون قد خرجت بحصيلة ، وفى هذه الفترة ليس هناك ما يمنع من اتباع الخط المتوازي الذى يقول عليه الدكتور دكروري بأن نعرض على اللجنة الفرعية نفس الورقة وتعيش انطباعاتها بعد أن تأخذ انطباعاتها والحوار الذى دار هنا وبعد ذلك تقدم اللجان الاستشارية فكرها ، وقد يكون فكرها قاصدا ودقيقا لانهمسا تضم تخصصات •

وليس هناك ما يمنع من أن يقدم كل منا لها ورقا ، ولذلك فاننى ارى أن نؤجل تشكيل اللجنة الفرعية لمدة اسبوع نتناقش فيه هنا جلسة أو اثنتين ، وتكون اللجان الاستشارية تناقش ويدور فيها حوار وفكر لان البندين اللذين ذكرتهما فى بداية حديثي يتناولان أسئلة فى غاية الاهمية ، فلو اجابت اللجنة على بعضها اجابات صحيحة • وعلى البعض الاخر اجابات غير صحيحة فسوف يكون عملنا غير سليم •

● عبد الحليم الجندى

اننى ارى أننا لو أخذنا بهذا الراى فيجب على كل منا ابتداء من الاجتماع القادم أن يكذب فى كل المطروح أمامنا ولو (••) كلمة ••

● الدكتور محمد حافظ غانم

الواقع أن اللجان الفرعية هي لجان مشكلة على نطاق واسع من شخصيات لها وزنها فى مواقع عملها ، وفى مواقع الفكر ، واننى أتصور أننا لو أجينا مقدما عن كل هذه التساؤلات ولو كمشروع يبلور فكرا موحدا ، وقلنا أن اللجنة قد أقرت هذا المشروع وأرسلناه الى اللجان الاستشارية ، فسوف يكون هذا صدمة لها ••

ولذا فاننى افضل ان نتبع ما قاله الاخ عبد الحليم الجندى ، وأن الورقة المقدمة فى راىي سليمة جدا ، وتحتوى على تصور لكل المشكلات ، وعلينا ان نأخذ الراى فيها •• ومن الممكن ان نعتقد جلسة أخرى لاستكمال بحثها ، ولكن بعد ذلك تنزل الى اللجان الفرعية •

● السكرتير الاول للجنة المركزية

هل هناك ملاحظات على اقتراح الدكتور حافظ غانم ؟

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

معنى ذلك أن الدكتور حافظ غانم يريد أن يرجى كل شيء من أجل أن تقدم هذه اللجنة ورقة عمل ليست نهائية سوف يؤخذ فيها الراى بعد ذلك بينما يجب ان تقدم اللجان الاستشارية فكرا معيناً يعتبر لديها بمثابة نقطة انطلاق معينة فى بحثها ومناقشاتها •

● خالد محيى الدين

يمكن الاخذ باحدى الطريقتين ، اما الطريقة التى ذكرها د • حافظ غانم ، أو التى ذكرها د • جابر جاد عبد الرحمن • فإذا كلنت هذه الطريقة هي تقديم ورقة عمل

ليست واضحة ، أو ليس فيها رأى موحد بمعنى
اننا لو اختلفنا فى قضية - كما ذكر
المهندس ابراهيم شكري - على دور
الاتحادات داخل الاتحاد الاشتراكى فقد يكون
هناك رأى يقول بانضمام هذه الاتحادات كتنظيم
كامل للاتحاد ، وهناك رأى يخالفه ويطالب بابقاء
العضوية على ما هى عليه .
فيمكن عرض هذين الرايين امام هذه اللجان
الفرعية حتى لا يشعر بان هناك نوعا من فرض رأى
معين .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

حسنا لهذا الموضوع . نستطيع القول بأن
المعرض ثلاثة أوضاع سناخذ الآراء عليها وهى :
الوضع الاول : ان اللجان الفرعية تبدأ
نشاطها من الآن مستندة الى ورقة العمل هذه .
والوضع الثانى : ان تشكل اللجان الفرعية
معطلة بدون عمل الى ان نتم ورقة العمل (وهذا هو
اقتراح الدكتور جابر جاد عبد الرحمن) .
والوضع الثالث : هو اننا نسير فى الاتجاهين
فى نفس الوقت وهو ان نكون لجنة فرعية وتبدأ فى
اعداد تصور لها بناء على هذا النقاش .

على ان يكون تكوين هذه اللجان بعد الجلسة
القادمة ويستترك فيها بعض السادة اعضاء لجنة
العمل ممن يسمح وقتهم بذلك ، لكى يحضروا
اجتماعات اللجان الاستشارية ، واود ان يحضر
هذه الاجتماعات اكبر عدد ممكن منا .
وهذه هى الموضوعات الثلاثة المطروحة عليكم
لابدء الرأى فيها .

وأرى ان تبدأ من الآن بعقد اللجان الفرعية
الست ، بعد جلسة أخرى وبعد مراجعة هذه
الورقة ، على ان تعرض بشكلها الحالى مع ادخال
بعض التعديلات عليها ، ومع التساؤلات الموجودة
فيها حاليا ، ونضع شكلا معيناً ، ثم ننتهى فى
الجلسة الثانية او الثالثة الى تكوين لجنة فرعية ،
على ان تعرض ورقة العمل الموجودة حاليا على
اللجان الاستشارية .

● الدكتور احمد كمال أبو المجد

فى استفسار بالنسبة لتشكيل اللجان
الاستشارية ، فتشكيل هذه اللجان - كما نعلم
جميعاً - تشكيل نوعى .
فهل يا ترى فى هذه الحالة سناخذ رأى لجنة
الشباب بما يختص بشئون المهنيين .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

أننى أضع هذا الموضوع فى اعتبارى ، لاننا
سناخذ ما يختص بالتنظيم الشبابى فقط من هذه

الورقة وهو ما ساعرضه على لجنة الشباب فقط ،
وليس شينا آخر .
وساستكمل الصورة بأن اعرض على التنظيم
العمالى ، ما يخصه ، وكذلك الامر بالنسبة
للفلاحين . الخ ، ثم اجمع جميع اللجان
الاستشارية فى جلسة واحدة وأعرض عليها الآراء
ثم نجتمع جميعاً مرة أخرى .
لانه لا يصح موضوعياً ان تكون الآراء متداخلة
بل يجب ان تبدي كل لجنة رأياً فيما يختص بها
أولاً .

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

أننى اقترح توزيع اعضاء اللجان الاستشارية
العشر على أربع لجان او اثنين او ثلاث حسب
الموضوع ، وكل يختار اللجان التى يريد الانتماء
اليها .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

أننى أوافق على الجزء الثانى من حديثك ،
لكننى أعترض على الجزء الاول منه ، لأننى أرى
ان البداية الطبيعية هى التى ذكرتها ، والا تكون
فكرة تكوين اللجان الاستشارية قد غابت عنا .
فالبداية الطبيعية هى ان نعرض هذه التساؤلات
- كما هى امام اللجنة الفرعية المختصة أولاً -
بمعنى ان نطلب من النقابات المهنية مثلاً ان توضح
لنا الصورة التى تريد ان ترتبط بها مع الاتحاد
الاشتراكى بعد ان نكون قد أعطيناها ملاحظتنا
وفكرنا فى هذا الشأن .

كذلك الامر بالنسبة لباقي اللجان الأخرى .
وحيثما تبدي لنا هذه اللجان آراءها
الموضوعية ، كلجان استشارية لموضوع معين ،
فليس هناك مانع اطلاقاً من الأخذ بالرأى الذى
ذكرته .

لكن كل ما أريده ، هو ان اعدل فى اقتراحك بحيث
اجعل ما ذكرته كرقم «٢» يكون رقم «١»
والعكس .

لأننى حينما آخذ رأى كل فئة على حدة ،
فسأكون للنقابات المهنية تصور عام فيما يختص بها
كذلك الشباب والعمال والمرأة . الخ .

وكما ذكر الدكتور جابر جاد عبد الرحمن -
سيكون لدينا ورقة معينة تعرض على جمع معين ،
لابدء الرأى فيها ، فربما كان للشباب رأى فيما
إبداه المهنيين يمكن ان يسمع . . . وهكذا . . .
وهذه هى الصورة التى يجب الأخذ بها .

ولا نستطيع ان نترك اللجان الاستشارية دون
اجتماع هذا الاسبوع حتى اذا لم يرد فى تقرير
اللجنة فأنى استأذنكم بانى ساجمع هذه اللجان .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

هذه هي الصورة العملية ، بعد ذلك لا مانع أن نقدم لهم تقريراً أو مشروع قرار ، ومن الممكن أن نقدمه مجتمعين أو فرادى ولكن لابد أن نستمع لهذه اللجان ، ومن أجل هذا السبب عندما اقترحنا أن نعد لهم ورقة طلبت أن يتم ذلك في بحر ثلاثة أيام ، وسوف تجتمع هذه اللجان في الايام القادمة تباعاً ، وسوف نتقدم بهذه الورقة لهم وهذه الورقة لن تربطكم ولن تربطنا على العكس سنتزود منها وتفيدنا .

وهذه الورقة سوف توزع على الجميع بحيث تناقش كل جهة ما يخصها منها وفي النهاية يجتمع الجميع لمناقشتها معاً .

وهناك صورة أخرى أن يوزع على الشباب ما جاء في الشباب والعمال ما جاء في العمال . . . الخ .

الا ان هذه الصورة سوف لا تكون واقية .

لذلك فاني استأذنكم في توزيع هذه الورقة كما هي على اللجان الفرعية وتبدأ باللجان الفرعية ، ثم تقدم لكم هذه اللجان تقاريرها ، وتشكل لجنة الصياغة بعد أن يرد قرار اللجان الفرعية ، هذا بالإضافة إلى أن اجتماعنا مستمر ، وسوف نقول لهم ان هذه الورقة مجرد مشروع وأنتم تدرسونها معنا — فهل توافقون على ذلك .

« موافقة »

لذلك أرجو أن يوضع جدول متوالى لعمل اللجان الفرعية على أن يعلن هذا الجدول — وسوف نخطر السادة الاعضاء بمواعيد اللجان الفرعية ، ونرجو ضرورة حضور من تسمح له ظروف عمله بالحضور ، وان كنا نود حضورهم جميعاً ، وسوف ترسل دعوة لجميع أعضاء لجنة العشرين لحضور جميع اللجان ، وسوف يرسل لكم جدول كامل بموعد اجتماع اللجان الفرعية ، واجتماعات هذه اللجنة ، أيضاً لمدة خمسة عشر يوماً القادمة ، وسوف يرسل لكم أيضاً قران تشكيل اللجان الفرعية .

وأرجو من السيدين الدكتور حسن اسماعيل والدكتور اسماعيل غانم أن يحضرا لجنة الشباب باعتبارهما مديري الجامعات ويهتما رأيهما في هذه اللجنة .

وسوف نبدأ في الجلسة القادمة بالصفحة رقم ٧ التي تكلمنا فيها وفي نفس الوقت نرجو من السادة الاعضاء ان كل من لديه ملاحظة ان يعد ورقة عنها حيث ان هذا سيسهل مهمة السكرتارية .

والسلام عليكم ورحمة الله .

(انتهى الاجتماع حيث كانت الساعة ٥:٠٠ مساءً)

هناك امر من اثنين ، اما ان تسمحوا لي بأن اعرض عليها هذا التقرير ، واما ألا تسمحوا بعرضه فسوف اعرض التقرير ككلام ، انما لا استطيع عملياً ان اعمل اللجان الاستشارية هذا الاسبوع مطلقاً ، وسوف تنقل الصورة التي ستتّم من اللجان الاستشارية اليكم كتابة من محضر اللجان الاستشارية الذي سيوزع عليكم حتى يؤثر فيكم او تؤثرون فيه .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

اعتقد ان هذا يمكن ان يتم بعد ان يبدوا آراءهم الموضوعية في اللجنة الخاصة بهم ، لاننا اخترنا كل فئة لهدف معين ، فلقد اختير التنظيم النسائي لهدف ما ، كذلك التنظيم الشبابي والادباء والمفكرون . . . الخ ، فعلى الاقل يجب اعطاؤهم فرصة لابداء رأيهم في الموضوع المتعلق بهم — والامان اذا اختيرت تخصصات معينة للجان معينة .

وهذه الورقة ستكون شبه نهائية بحيث يقدم التقرير في مؤتمر عام لابداء الرأي عليه .

● د . محمد ابراهيم دكروري

واضح ان اللجان الاستشارية لها تخصص نوعي ، ويمكن ان تسهم في الفكر العام غير المتخصص .

ولقد كان في تقديري ان تتبادل الفكر في اول اجتماع فيها بيننا ، وارى ان يعقد اجتماع للجان الاستشارية مجتمعة ويسمع منها الآراء المختلفة في كافة المجالات بدون تقيد حتى بهذه الورقة ، بحيث تعطى فرصة لكل من يريد أن يبدي رأيه في أي موضوع يتصل بالاهداف الخمس المحددة ، لابداء رأيه فيها ، فاذا وجد أن هناك فكراً جديداً يمكن ان يضاف لما وصلت اللجنة فيضاف اليه .

هذا بالإضافة الى اشعارهم بالمشاركة الفعلية منذ اللحظة الاولى ، وأن ما سيعرض عليه بعد ذلك فهو نتيجة لما اعطاه . . . وربما تصل بذلك الى فكر أكثر .

يلي هذا ان التفريغ أو التقسيم له جانب متخصص ، فأرجو أن تجتمع اللجنة الفرعية التي اقترح تشكيلها مع اللجان المتخصصة لاننا اذا ذكرنا علاقة النقابات بالاتحاد الاشتراكي مثلاً ، فلا بد ان تجتمع لجنة النقابات المهنية ولجنة النقابات العمالية على هذا المستوى لسماع رأيهما في هذا المجال ، ثم بعد ذلك تعد الورقة وتعرض على لجنة العمل ، فاذا اقرتها تعود اليهم مرة أخرى لمناقشة هذا المشروع ، فاذا ما اقرتها تعود اليهم مرة أخرى لمناقشة هذا المشروع ، فاذا ما اقر من جانبهم يعود مرة أخرى للجنة العمل ويعتبر في الصيغة النهائية .

اجتماع اللجنة الفرعية للشئون السياسية

٢٦ مارس ١٩٧٢

عقدت اللجنة الفرعية للشئون السياسية اجتماعا بقاعة الامانة العامة،
وذلك في تمام الساعة الثانية عشرة ظهريوم الاحد الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٢
ورأس الجلسة السيد المهندس سيدمرعى السكرتير الاول للجنة المركزية .

وقد اعتذر عن الحضور كل من :

الدكتور رفعت المحجوب - بطرس بطرس غالى - احمد خيرت سعيد -
زينب السبكى - فوزى العمدة - رشدى سعيد - جمال حمدان .

وحضر الاجتماع كل من السادة اعضاء لجنة العمل :

خالد محيى الدين - ابراهيم نجيب - د. محمد دكرورى - محمد عثمان -
د. جابر جاد عبد الرحمن - مهدى شومان - عبد الحكيم موسى - عبد الحليم
الجندى .

وحضره من السادة اعضاء اللجنة المركزية : نظمى المكاوى - لطفى الخولى
- محمود ابو وافية - محمد شاهين - كما شارك فى المناقشة اعضاء اللجنة
السياسية السادة : مصطفى كامل مراد - موسى صبرى - د. جمال العطيفى -
د. عبد الرازق حسن - سعيد خيال .

● السكرتير الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد وزع على حضراتكم ملخص لورقة العمل ، عقب اجتماع لجنة العشرين ، وتقرر حسب الخطة التي وضعتها اللجنة ، ان يستطلع رأى اللجان الفرعية فى ورقة العمل ، كأسلوب عمل للاتحاد الاشتراكي .

وفى الحقيقة ، أود ان أنتهز فرصة اجتماعنا اليوم ، وأتكلّم فى ناحية تعتبر ناحية تكميلية مهمة جدا بالنسبة لعمل اللجنة السياسية ، فالتصور لعمل هذه اللجنة ليس واردا فى ورقة العمل ، ونحن نعتبر ان هناك قصورا كبيرا فى الناحية السياسية فى الاتحاد الاشتراكي ، بمعنى انه حينما تجرى أحداث معينة فى بعض مناطق العالم وخاصة فى المنطقة العربية ، أو منطقة الشرق الأوسط ، نجد انه حتى الآن لم تستكمل الاداة فى اللجنة السياسية الى الحد الذى يمكنها فيه ان تترجم خبرا ثم تحلل هذا الخبر ، ثم ينشر هذا التحليل على جميع المستويات ، ومحصنة ذلك ونتيجته ، ان أمناء المحافظات أو القيادة السياسية على مستوى المحافظات يقومون بتجميع آرائهم اما عن طريق الجرائد ، واما من الاذاعات ، وبذلك تكون كل التفسيرات اجتهادية .

لذلك أرجو ان أسمع من اللجنة رأيين أساسيين :

الاول : ما هى طريقة تنظيم اللجنة السياسية لكي تكون لجنة فعالة فى الاتحاد الاشتراكي ، وما صلة هذه اللجنة بلجنة الدعوة والفكر ، وهل هناك صلة موضوعية بينهما ؟

الرأى الثانى : ما هى طبيعة عمل اللجنة السياسية ؟

اذا نجحنا فى وضع هذا الاسلوب ، فمما لا شك فيه ان هذا سوف يدعم جانبنا كبيرا من تفكيرنا بالنسبة لاعادة النظر فى أسلوب عمل الاتحاد الاشتراكي .

ان هذا الموضوع ليس جديدا علينا ، لقد تداولت مع كثير من أعضاء اللجنة السياسية الموجودين ، وتكلمنا بصراحة فى هذا الموضوع ، بالنسبة للسلبيات والايجابيات الموجودة ، انما باعتراف الجميع ، فان اللجنة السياسية لابد ان يحدث فيها تغيير جوهري .

اننى اتصور ان اللجنة السياسية يجب ان تقسم الى اقسام معينة ، بحيث يجمع كل قسم من هذه الاقسام ، بجانب أعضاء اللجنة السياسية ،

عناصر من الخبراء ، يمكن نديهم من خارج الاتحاد سواء من وزارة الخارجية ، أو من الصحافة للاستعانة بهم بعض الوقت أو كل الوقت ، وذلك حتى يمكن ملاحظة الاحداث ملاحظة فعالة ، وحتى يمكن ان تضع اللجنة السياسية امام السيد السكرتير الاول ، بصفة مستمرة ، تصورها عن الاحداث يوما بيوم .

ان ما يحدث اليوم يخالف هذا ، فما يحدث هو عبارة عن عملية اجتهاد قائمة ، سواء على مستوى مكتب السكرتير الاول ، أو المكاتب الاخرى ، وتنصب عملية الاجتهاد على أخبار الجرائد والأخبار الخارجية .

لقد اتجهت الجرائد فى الفترة الاخيرة اتجاها سلبيا ، حيث بدأت تحلل الاخبار تحليلا موضوعيا من الناحية الجماهيرية ، فى الفترة الحالية ، كل منكم يشعر ان الجماهير أصبحت حساسة جدا للأخبار ، وحساسة بقدر كبير أيضا بالنسبة لتحليل هذه الاخبار ، وبالتالي ، حينما يأتى التنظيم وهو الذى يجمع قوى الشعب العاملة ، ولا يعطى رأيه فى أى موضوع من الموضوعات ، فهو بذلك يقع فى السلبية التى نشكو منها ، ويصبح كما كان فى الفترة الماضية .

كيف يمكن ان تقام اللجنة السياسية ؟ .. وكيف يمكن ان تزاوّل عملها ؟ .. وهل اقتراحى الذى أذكره معقول ؟ .. علما بأن هذا الاقتراح يكتمل بوجود صلة وطيدة وقوية بيننا وبين وزارة الخارجية ، وبيننا وبين مستشار السيد الرئيس للشئون الخارجية ، فقد تداولنا فعلا فى ذلك مع الاخ حافظ اسماعيل ، ومع الدكتور مراد غالب .

وان شئتم نبدأ النقاش بورقة العمل ، ونبدأ فى بحث دور اللجنة السياسية ، والتعرف على تصوركهم للعمل السياسى فى الاتحاد الاشتراكي ، فهذا جائز لاعتقادي ان العمليتين متممتان لبعضهما البعض ، لانه اذا خرجت ورقة من هذه اللجنة تنظم العمل السياسى ، فستضم الى التقرير الذى يعرض على لجنة العشرين ، وبالتالي اريد ان أستمع لكم فى هذين الموضوعين ، أو اذا كان هناك تفكير من أحد السادة فى طريقة اخرى لتناول هذا الموضوع ، فانى على اتم الاستعداد لان أسمعها .

فى الحقيقة ، هناك أسلوبان أود ان أعرضهما عليكم ، اذا استعرضنا أمانة الشئون السياسية وتنظيمها - وهو جزء من البرنامج وليس دخيلا عليه - وتوصلنا الى ورقة عمل عن تنظيم العمل السياسى ، واذا اعطانا الشباب ورقة عن التنظيم الشبابى . واذا اعطانا النقابيون والمهنيون ورقة



مصطفى كامل مراد

واما نتجاهل التعريفات العلمية للأحزاب ؟ ونقول انه تحالف ؟

أرجو ان تسمحوا لى ان أبسدى رأيى فى كل ما أثير حول هذا الموضوع ، فهذا من صميم عمل الاتحاد الاشتراكى وتكوينه وسلطاته ، فما نشعر به ، ويشعر الشعب به أيضا ، وليس هذا احساسا خياليا ، ولكنه احساس من الواقع . ان الاتحاد الاشتراكى جهاز للسلطة وليس جهازا شعبيا ، وعندما يذكر فى الدستور أو الميثاق انه أعلى سلطة فى الدولة ، فان هذا لم يتحقق عمليا خلال أحد عشر عاما بصورة ما ، فهذا يعنى ان السلطة تريد لهذا الجهاز ان يكون جهازا للسلطة ، والسؤال الان : هل نستطيع ان نحول جهاز السلطة الى جهاز شعبى ؟

هذا هو السؤال الاساسى الذى يطرح دائما ، والحقيقة ان جهاز السلطة يتحول الى جهاز شعبى عندما تبدأ أزمات ، بمعنى ان رئيس الاتحاد الاشتراكى عندما شغل سلطات على صبرى أو أخرجه من منصبه ، ثم عقد لقاءات مفترحة ، وجاءت قيادات الاتحاد الاشتراكى لتحاول ان تبرر هذا العمل الجماهيرى ، ثم عاد على صبرى الى منصبه بغير سبب مفهوم ، فأصبح الاتحاد الاشتراكى فى وضع مخجل أمام الجماهير .

التجربة الاخيرة التى حدثت عندما وقعت أزمة الطلبة ، فان الاتحاد الاشتراكى تحولت قاعاته الى ابواب مفتوحة للمناقشات والحوار ، ونحن لا نستطيع ان ننكر ان ما دار من هذه المناقشات ، ومن كل هذا الحوار ، كان دفاعا عن السلطة .

ان كلامى عن السلطة لا يعيب السلطة ، فنحن نقول ان سلطة وطنية شرعية منتخبة من الشعب ، لكننا حينما نتساءل عن كون الاتحاد سلطة او ليس بسلطة ، نقرر ان هذا الجهاز جهاز للسلطة ، رغم ما يقال من انه ليس جهازا للسلطة .

عن تنظيم النقابات المهنية ، كما يتصورونها ، وصلتها بالاتحاد الاشتراكى ، فسيكون فى النهاية لدينا محصلة ورقة العمل الكاملة ، وهذه طريقة للنقاش ، وهناك طريقة أخرى ، وهى اننا نتناول ملخص الورقة ونناقشه ، ونعطى رأينا فى كل الموضوعات ، وكذلك تفعل باقى اللجان ، للوصول الى رأى ومفهوم كامل لكل فترة عن أسلوب العمل السياسى فى الاتحاد الاشتراكى ، وبجميع هذه الآراء ، سنصل الى نفس الهدف .

فاذا اردتم ، هل نبدا هذه المناقشة بوضع التصور الملائم لآمانة الشؤون السياسية ، أو نبدا بورقة العمل .

فهل توافقون بأن نبدا بورقة العمل ؟

[موافقة]

● مصطفى كامل مراد

لى استفسار ، بالنسبة لعمل لجنة الشؤون السياسية ، هل المقصود به السياسة الداخلية والخارجية ، أم الخارجية فقط ؟

● السكرتير الاول

يمكن للجنة الشؤون السياسية ان تناقش السياسة الخارجية والداخلية ، وصلتها بالاتحاد الاشتراكى .

لقد وزع على حضراتكم ملخص لورقة العمل ، ويمكن ان يوزع الاصل لو طلبتم ، انما الملخص يعطينا نقاطا أسرع للنقاش .

والان نفتح باب المناقشة فى الورقة التى وزعت على حضراتكم .

● موسى صبرى

لقد كان لى حظ ان أقرأ ما دار فى لجنة العشرين من مناقشات ، والحقيقة من خلاصة هذه المناقشات ، يتضح ان السؤال المطروح هو : هل الاتحاد الاشتراكى جهاز للسلطة ، أم جهاز للشعب ؟

النقطة الثانية : ان جميع الاختصاصات والوصاف التى أعطيت للاتحاد الاشتراكى ، سواء فى الدستور ، أو فى المواثيق التى نلتزم بها جميعا ، كان هناك اجماع من الجميع على انها ليست أكثر من حبر على ورق ، وانها لا تمارس أى ممارسة فعلية .

النقطة الثالثة : التى أثارها المناقشات هى : هل الاتحاد الاشتراكى حزب ، أم تحالف ، وما مقتضيات كل منهما ؟ .. فهناك أحد اتجاهين ، ان نقول انه ليس حزبا ، وهو فى الواقع حزب ،



موسى هبى

.. لكن التناقضات الطبقية لا تصفى بالناقشة أبداً ، وهذه حقيقة علمية ، بعد ذلك ننظر داخل الاتحاد الاشتراكي ، نجد هناك ماركسيا ، اننى لو كنت ماركسيا مائة في المائة ، فسوف لا أعجبني ما ورد في الميثاق ، أو في برنامج العمل الوطني ، لأنه لا يحقق أهدافي ، ولو كنت - يمينيا - فإن الوجود في كل هذه المبادئ سوف لا أعجبني أيضا ، إذن الوجود في هذه المبادئ سوف أقومها كماركسي أو كيميني متحجر .

إذن الاتحاد الاشتراكي كتنظيم سياسي يضم من ؟ .. هل يضم الوسط بين هذا وذاك ؟ .. ما أود أن أقوله باختصار انه كتنظيم شعبي ، لابد أن يجذب الشعب الى مبادئ واضحة محددة ، يدافع عنها عضو الاتحاد الاشتراكي ، ويستमित في الدفاع عنها ، بحكم هذا التكوين ، وبحكم النظام والتحالف ، أن هناك تناقضات تجعل فعلا أن أي أمر يعرض على الاتحاد الاشتراكي ، يكون له اتجاه الى هنا وهناك ، واتجاه وسط ، ولا يتفق على هذا الأمر بالحوار ، بل لا يتفق أيضا على اتجاه واحد للحوار .. السلطة هنا تتدخل ، وهي شيء طبيعي ، ويتفق على رأي لا يرضى هذا ولا ذاك ، أنها تفرضه طبيعة التنظيم .

إذا كان الاتحاد الاشتراكي لا يضع القرارات السياسية ، وإذا كان الاتحاد الاشتراكي ليس له من سلطان على الجهاز التنفيذي ، لأنه لا يؤلف الوزارة ، ولا ينبثق منه الجهاز التنفيذي ، وإذا كان الجهاز التشريعي المنبثق من الاتحاد الاشتراكي له حقوق ليبرالية تتنافى تماما مع وضع التنظيم السياسي ، كل هذه التناقضات جذرية وأساسية ، وقد أبدو متشائما ، أنها ما أود أن أقوله عن اقتناع ، وكلنا في الفترة الأخيرة فكرنا في الاتحاد الاشتراكي كثيرا ، وبعمق ، أننا للأسف ندور في حلقة مفرغة ، وسنظل تلف وندور ، ويمكن أن تكون هذه كلها مجرد عملية ترميمات ، فالأساس المناسب ما زال غير قائم .

لماذا هو جهاز للسلطة ؟

أولا : في رأيي انه لا يمكن أن يتحول الى جهاز شعبي ، وهذا من طبيعة تكوينه .

ثانيا : من طبيعة نظامنا كله ، فهذا النظام حتى الآن ما هو إلا مزيج بين نظم مختلفة ، بمعنى أن في نظامنا خطأ ليبراليا ، يقابله خطأ اشتراكي واللقاء بينهما غريب ، تحدث فيه تناقضات ، وعندما نقول أن الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم الأم ، والسلطة التنفيذية هي الجناح التنفيذي ، ومجلس الشعب هو الجناح التشريعي ، ونجد أن الدستور يعطى لهذا الجناح التشريعي - والمفروض أنه منبثق عن الاتحاد الاشتراكي - حق الاقتراح بالثقة على الحكومة ، وعندما تثار أزمة في مجلس الشعب ، يمكن أن تتطور الى الاقتراح بالثقة على وزير أو على حكومة ، ويجتمع مجلس الشعب بشكل هيئة برلمانية في جلسة سرية لانقاذ الموقف ، ولا أستطيع أن أتصور أن مجلس الشعب في جلسة سرية يكون اسمه الهيئة البرلمانية .

وحيثما ننظر الى التنظيم السياسي الأم ، نجد أن لمجلس الشعب - وهو الجناح التشريعي والرقابي - حقوقا أكبر بكثير جدا من حقوق اللجنة المركزية ، وحيثما ننظر الى مدى الخبرة من خلال التجربة العملية .. ما عمل اللجنة المركزية لا .. تجتمع اجتماعات سرية ، تناقش فيها السياسة العامة للدولة ، وقد يصدر بيان أو لا يصدر بيان ، في حين أن حقوق مجلس الشعب حقوقا ثابتة ، منصوص عليها في الدستور ، ويمكن أن يصل بها مجلس الشعب الى تحدي الحكم القائم ، ثم نقول أن الحكومة هي الجناح التنفيذي ، لماذا كانت هي الجناح التنفيذي للاتحاد الاشتراكي فعلا ، فيجب أن يكون له ولاية عليها ، بينما الاتحاد الاشتراكي ، كتنظيم سياسي ، ليست له ولاية عليها ، لأن الدستور أعطى الحق لرئيس الجمهورية ، أو لرئيس الدولة ، فهو الذي يعين الوزراء ، وهو الذي يقيلمهم ، وكل هذه سلطات منصوص عليها في الدستور .

الأمر الحقيقي ، أننا في وضع هلامي ، ولا يمكن أن يقتنع المواطن أن هذا التنظيم تنظيم شعبي ، لأنني عندما أكون في تنظيم شعبي ، لابد أن تحكمني فلسفة سياسية معينة ، أدافع عنها ، أو أكافح في سبيلها ، ولكن في الاتحاد الاشتراكي ، حينما أدافع عن فلسفة سياسية ، فلن ، أو من أجل من ؟ .. أساسا التنظيم السياسي لا تحكمه مبادئ سياسية معينة ، بعد ذلك أفتح باب العضوية في الاتحاد الاشتراكي ، وأقول انه تحالف ، وأنا نصفي التناقضات الطبقية بالناقشة



محمد عبد الحميد شاهين

العرض على اللجنة المركزية ، ولكن الحكومة لا تعرض شيئا على اللجنة المركزية ، فماذا يعمل الاتحاد الاشتراكي في هذا الامر ؟

ان معظم قادة الاتحاد الاشتراكي ، وخاصة في الريف ، من المسلمين ، وذوى المظاهرات ، بينما نجد ان افاضل الناس الذين لهم وزنهم ، ولرايهم قيمته ، ولهم الاسلوب الرفي الذي بنادى به السيد الرئيس انور السادات باستمرار ، نجدهم سلبين ، مبتعدين عن الاتحاد الاشتراكي .

لقد سمي الاتحاد الاشتراكي عند نشأته بهيئة التحرير ، ثم سمي الاتحاد القومي ، ثم أصبح الاتحاد الاشتراكي ، فلماذا لا نسميه الان **الاتحاد الشعبي** ، لكي ننسى الناس كلمة الاتحاد الاشتراكي ، وحتى يجمع افراد الشعب جميعا ، بدلا من ان تقتصر العضوية على من يدفع الاشتراك ومقداره قرشان ، كما هو الان . . . هذا شيء . .

الشيء الثاني ، اري ان يكون هناك مجلس مركزي يجمع مندوبى النقابات والاتحادات ، الذين يمثلون فئات الشعب العاملة ، من عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية ، ومثقفين ، على ان يتم ذلك عن طريق الانتخاب الحر المباشر ، بحيث تنتخب كل فئة من يمثلها في المجلس المركزي ، حتى يجمع جميع القوى العاملة في البلد ، بحيث لا يكون ذلك منحصر في عشرة أو عشرين شخصا كما حدث في الانتخابات الماضية ، حيث ظهرت حالات شاذة ، اذ كنا نجد أمين الاتحاد الاشتراكي يدخل الانتخاب ، ويخرج منه صفرا ، ومع ذلك يظل أمينا للاتحاد الاشتراكي ، ومن المفروض ان أمين الاتحاد الاشتراكي تلتف حوله الجماهير ، وهذه الحالة توضح ضعف الاتحاد الاشتراكي ، وعدم فاعليته .

بجانب هذا ، لماذا لا يدخل العمود والعناصر المميزة للاتحاد الاشتراكي ، خاصة وانهم من قوى

كيف يقام الاساس ؟ . . هذا هو السؤال الكبير الذي يجب ان يطرح للبحث ، ولو اقتضى الامر تعديل الميثاق الوطنى أو الدستور ، هذا اذا اردنا ان نسير في حلول جذرية من الاساس لانه لا يمكن ان نبني على اساس متناقض متعارض

لقد فكرت في مسألة الحكومة ، وناقشت مسئولين في السلطة التنفيذية ، فكان رد احدهم انه كيف يكون مسئولا امام الاتحاد الاشتراكي ، وهو بحكم الدستور مسئول امام مجلس الشعب ؟ . . وكيف أعمل ورئيس الدولة قد كلفني بتأليف وزارة لتحقيق هدف معين ؟ . . وفي اطار هذا الهدف ، من الذي يحاسبني ؟ . . طبقا للدستور سيحاسبني - مجلس الشعب - ولكن الاتحاد الاشتراكي كيف يحاسبني ، وبأى حقوق مصوص عليها يتم هذا الحساب ؟ . . فاذا كان مجلس الشعب يحاسب ، والاتحاد الاشتراكي يحاسب ، فالاتحاد الاشتراكي له مستويات كثيرة ، فيها من التناقضات ما يحدث اهتزازا في الافكار ، ولا يمكن بعد تجربة احد عشر عاما ، ان يحدث هذا اذا لم تحل حولا جذرية أساسية ، سنكون بذلك سعيدين عما هو موجود في الدول الاشتراكية ، وعن الموجود في الدول الرأسمالية ، وهذه نظم متكاملة لم تبين من خيال ، ولم تبين على مراب ، ولا على فرد ، فالنظام الاشتراكي متسلسل في تكوينه السياسى ، وفي جهازه التنفيذى ، في كل نظرياته في العلم وفي غير العلم ، وفي التربية ، حتى في الرياضة ، وما حدث اننا اخترنا من هنا وهناك ، بالاضافة الى بعض تناقضات لا تنسجم الا بالسلطة ، التي تتدخل لفرض هذا الانسجام ، ومن هنا سيستمر الشك مهما فعلنا .

لذلك ، ونحن بصدد عمل قانون الاتحاد الاشتراكي ، لابد من تعديل جذرى في اساس التنظيم السياسى ، سواء قلنا عليه انه حزب ، او تنظيم سياسى ليست هذه المشكلة .

وخلاصة رايى ان الاساس اولا هو التغيير الجذرى ، ولو اقتضى هذا تعديل الدستور ، وتعديل المواثيق التى نقول الان اننا ملتزمون بها . . وشكرا .

● محمد شاهين

اود ان اعلق تعليقا صغيرا على كلمة الاخ موسى صبرى ، في الواقع ان الاتحاد الاشتراكي لا هو بحزب ، ولا هو بتحالف ، انما هو عبارة عن عملية تهجين ، للجمع بين مزايا النظامين .

ولكننا ، في الحقيقة ، لا نعلم ما هو وضع الاتحاد الاشتراكي ، فقد ورد في قانون الاتحاد الاشتراكي ان الحكومة لا تعمل اى شيء الا بعد

● السكرتير الاول

إذا سمحتم ، نقطة نظام ، في الحقيقة ان النقاط التي أثارها الاخ موسى صبرى ، هي نقاط متعلقة بشكل الموضوع ، من حيث هل الاتحاد الاشتراكي سلطة ، أم يمثل الجماهير ، وهذه نقطة أولى .

النقطة الثانية ، عن مهمة الاتحاد الاشتراكي ، كما تصورها ، فقد حلل ولم يعط اقتراحا .
الاخ محمد تكلم في موضوعات تفصيلية أكثر ، خاصة بطريقة التنظيم ، وعلى ذلك يهنا أن نسمع الآراء في الجزء الاول ، هل الاتحاد الاشتراكي سلطة ؟ .. هل يمثل الجماهير ؟ .. وإذا كان يمثل الجماهير ، فما هي طريقة تمثيله للجماهير ؟ .. على أن نضع في الاعتبار ما ذكره الاخ موسى صبرى .

وأود أن أستمع الى الآراء .

● محمد شاهين

إذا لم يكن سلطة فلن يوجد هناك من يتقدم له .

● السكرتير الاول

ان حزب الشعب ، الذي قام بتشكيله صدقي باشا ، في وقت من الاوقات في مصر ، كان يمثل سلطة ، ولم ينضم اليه أحد . الواقع ان الموضوع يتطلب ايضاحا أكثر ، ولا نريد الدخول في متاهات .. عندما نحلل ، يجب أن نحلل في إطار ينتهي الى اقتراح معين ، والإطار الذي يتضمن التصور هو الذي ستكون له فاعلية معينة للاتحاد الاشتراكي .. فما هي الطريقة التي توصل الى هذه الفاعلية ؟

الاخ موسى صبرى تصور رأيا ، ومن الحائز أن يكون سليما ، وهذا الرأي قيل في لجنة العمل ، الاخ دكروري أثار مثل هذه النقطة .

في الحقيقة ، مع توضيح هذه النقطة ، نود أن نضع ايدينا على الأصل ، حتى لا يتوه منا ، لاننا جادون في أن في هذه الفترة ، يجب أن يكون للاتحاد الاشتراكي فاعلية ، فمما لا شك فيه أن فاعلية الاتحاد الاشتراكي ترتبط بجهات متعددة ، وترتبط بالناحية الجماهيرية أولا ، ترتبط بصللة الاتحاد الاشتراكي بالسلطة التنفيذية ، كما ترتبط ايضا بصللة الاتحاد الاشتراكي بمجلس الشعب .

ان النقطة التي ذكرها الاخ موسى صبرى وردت في نقاش لجنة العمل في اجتماع من الاجتماعات ، والاخ خالد محيي الدين يذكر هذا ، عندما نوقشت نقطة ما اذا كانت اللجنة المركزية تسائل الوزراء أم لا ؟ .. ووجد انه لا يمكن للجنة المركزية ،

الشعب العاملة ، ولا مانع من ان يحاسب هؤلاء العهد عندما يثبت ضدهم أي انحراف ، كما انه لابد من أن نبث الشجاعة في الجماهير - والمقصود بالشجاعة ليس التناول - وذلك لمواجهة الانحراف الذي يجري في الريف ، حيث انه من المعروف ان أمين الاتحاد الاشتراكي في القرية يحصل على مزايا من الفلاحين في جميع البطاطس وخلافه ، وبالتالي فانه يسعى لهذا المنصب لمآرب شخصية ، مقدرا ما قد يحققه من كسب من وراء هذا المنصب .

وبالنسبة لمشروع ورقة العمل ، فالواقع اننا مررنا عليها مرورا بسيطا ، انما في تصوري ان الحلقة المفقودة ، هي ربط الاتحاد الاشتراكي بأجهزة الدولة ، وليست هناك حلقة تربط الاتحاد الاشتراكي بأجهزة الدولة ، الا اذا كانت المجالس الشعبية - وقد سميت بهذا الاسم لانها تضم جميع فئات الشعب العاملة - على مستوى المركز والمحافظات ، ومنتخبة انتخابا حرا مباشرا ، ثم يكون هناك المجلس الأم ، بعد ذلك يمكن ان يكون هناك سكرتير أول للمجالس الشعبية يناقش الحكومة ويحاسبها ، وهذا حل وسط .

ان كثيرا من أعضاء الاتحاد يسعون للسلطة ، عن طريق الاتحاد الاشتراكي ، بينهما أغلب الأشخاص الذين لهم الرأي الناضج ، بعيدون عن الاتحاد الاشتراكي ، فكثير من القيادات تسعى للانتقام من المواطنين المخلصين ، وكل فئة تسعى لحل مشاكلها ، ويتضح لسيادتك من واقع الزيارة التي قمت بها لمحافظتي أسسيوط وسوهاج ، ان جميع المواطنين لا يتكلمون الا في مشاكلهم الخاصة ولم يتكلم في الموقف السياسي سوى سببب الجامعات ، الذين ليست لهم مشاكل ، ومن هذا يتضح ان كل فئة تسعى لحل مشاكلها في المقام الاول .

هناك أيضا بعض الاتحادات والنقابات ، تطالب بوجود حزب للمعارضة ، اذا كنا نريد ان نسير على نظام اشتراكي ، ومعنى ذلك ان يكون الاتحاد الاشتراكي حزبا ، الا ان الاتجاه يقول اننا نبتعد من شكل الحزب ، فهل كلمة الحزب كفر ؟

فاذا كنا نريد ان نخلق شيئا من هذا المولود ، فالأمثلة كثيرة ، واذا كنا نريد ان نسير على نظام فهناك النظام الرأسمالي المتحجر المتعججه وبئس النظام ، او نسير على النظام اليساري المتهور المندفع ، وأرى ان الوسط هو الاديان السماوية ، فلماذا لا نتبعها ، وليس من الضروري ان نتبع حرفية الشرع فيما يتعلق بقطع اليد ، يجب ان نتطور ، لان كل شيء يتطور ، وليس معنى هذا اننا نسير على نظام الاخوان المسلمين ، فالأخوان كانوا فئة متطرفة .



محمود أبو وافية

على أسلوب السيد السكرتير الأول في العمل ، منذ ان تولى مهمته حتى الان ، هذه الملاحظة تركت في انه بدأ العمل بعيدا عن اللجنة المركزية وبعيدا عن الامانات الموجودة والقائمة فعلا ، وتشكل لجنة العشرين ، ثم شكل هذه اللجان الفرعية — ونحن احدى هذه اللجان — وأصبح الامر كما لو كانت اللجنة المركزية والامانات شيئا « مركونا » ، وليس له قيمة ، وانتسا تبدأ او نعيد تشكيل الاتحاد الاشتراكي من جديد ، وهذا الذي ظهر حتى الان — وهذا هو الملاحظ من وجهة نظري ، وقد اكون مخطئا — انما هذا انطباعي الشخصي ، ان السياسة الجديدة منذ تولية منصب سكرتير اول للجنة المركزية ، ان العمل يسير منفصلا عن اللجنة المركزية ، وعن امانات المحافظات ، وعن التشكيلات القائمة للاتحاد الاشتراكي بوجه عام .

في الواقع ، نحن ندور في حلقة مفرغة ، ونحن دون جميع الأحزاب في العالم ، ليست لنا عقيدة ولا ايدولوجية .. لماذا ؟ .. ان الحزب الشيوعي السوفيتي له وضعه في روسيا ، وفي كل دولة شيوعية ، الحزب له فكر موجود وقائم ومحترم ، ينفذ ويتطور باستمرار ، وقد تحدث احبانا صراعات بين الاحزاب الشيوعية ، مثل الحزب الروسي ، والحزب الصيني ، انما لكل منهما ايدولوجية قائمة ، ولا يدور في فراغ ، ولا يسأل هل هو سلطة ، أم ليس بسلطة ؟

فهذا غير وارد ولا موجود في العالم كله ، حزب العمال البريطاني قائم ، وله ايدولوجية ، وله أشخاص مؤمنون بهذه الايدولوجية ، ومنتحون طبقيا لهذه الايدولوجية ، يدافعون عنها باهتمام شديد ، وأصبحت جزءا أساسيا من حياتهم الفكرية والعقلية اليومية . حزب البعث السوري أيضا له ايدولوجية ، وفيه عقائدية ، وعلى هذا الأساس فيه ايجابية في العمل ، ومع ان الحزب عدده قليل الا انه أثبت وجوده في سوريا ، وأثبت ان له

بوضعها الحالي ، ان تسائل الوزراء ، لان الوضع في مجلس الشعب ، انه عندما يناقش ويسأل الوزراء ، يسألهم طبقا للأئحة معينة ، أوردت ما يتخذ حيال السؤال ، او طلب النقاش ، او تقديم الاستجواب ، فما هو الرابط لهذا كله عندنا ؟ .. وما هي طريقته ؟ .. هذا غير موجود في اللجنة المركزية .

ان القصور الذي حدث في اللجنة المركزية ، انه حدث تدخل فقد لهم ان رقابة اللجنة المركزية تمتد الى الموضوعات التفصيلية او الموضوعات التشريعية ، ولو اردنا ان نضع أسلوب عمل للجنة المركزية ، فيجب ان يكون في خطوطه العريضة ، وبالتالي ، يخل الى اننا نكون تدقيرنا اكثر من جوهر المشكلة .

ومع ذلك ، فالموضوع مطروح للمناقشة .

● محمود أبو وافية

في الواقع انني أؤيد جزئيا الاراء التي ذكرها الاخ موسى صبري ، وان كنت لن أتناول من وجهة نظري الجانب السلبي ، وبالعكس ، فاني أميل الى ان تتخذ المناقشة الجانب الجدي الايجابي مباشرة ، انني أخشى ما أخشاه هو ان يمتد بنا الاجتماع الى ما بعد الساعة الثالثة — وسوف نسمع ونقول آراء لها وزنها — ثم ينتهي هذا الاجتماع الى مجرد محضر ، وبعد ذلك تنسى الآراء التي قيلت ، ثم يحفظ المحضر ، ونحن للأسف الشديد قد درجنا على هذا ، فما لم نخرج من هذا الاجتماع بقرارات معينة ترفع الى السيد رئيس الجمهورية ، وتعلن باعتبار ان هذه لجنة سياسية أعتمد ان لن تكون لهذا الاجتماع فاعلية ، فالسنتين الطويلة التي مرت من عمر الاتحاد الاشتراكي حتى اليوم ، انقضت في مجرد تشكيلات ، ونعني بالتشكيلات دائما ، فحينما تكون هناك انتخابات نجد ان هناك اهتماما كبيرا من الجماهير ، وبالتالي يصبح العمل السياسي في نظرها ، فيه ايجابية ، وفيه اهتمام شديد ، وبمجرد ما ان تسفر الانتخابات عن مجموعة معينة من الناس يتولون بعض الاوضاع ، تعود الحياة الهائلة الى الاتحاد الاشتراكي ، وتعود الامور الى الموقف السلبي ، وعدم المشاركة اطلاقا .

ان الاسباب التي ذكرها الاخ موسى صبري ، هي اسباب وجيهة جدا ، لعدم فاعلية الاتحاد الاشتراكي ، وان مهمتنا كلجنة سياسية ، اننا نضع اساسا معيننا للاتحاد الاشتراكي كله ، لكي يعود اليه وزنه ، او يكون له وزن جديد في قيادة هذا الشعب .

وقبل ان ادخل في الموضوع نفسه ، لي ملاحظة

اننى عندما احضر المثقفين واسمهم قوة من قوى الشعب ، فهذا معناه ان تفتقر جميع قوى الشعب الاخرى الى عنصر المثقفين ، فمثلا أنا فلاح ولدى أرض زراعية ، وفى نفس الوقت مثقف ومتعلم ، فأننى اميل ان يقال عنى مثقفا ولا يقال عنى انى فلاح أو صاحب أرض ، بهذا الشكل انتمى الى طبقة المثقفين واميل فكريا الى هذه الطبقة ، هناك أيضا عامل ومثقف أو رأسمالى مثقف فكل مثقف ينسلك من قوى الشعب والمفروض انه محسوب عليها ، وعلى هذا الاساس فان قوى الشعب ستصبح فقيرة الى العنصر وتصبح متخلفة .

اذن لابد ان نقف عند هذه النقطة ونعيد النظر فيها وتكون لدينا الشجاعة لنقول هذا الكلام ، فاليثاق ليس قرآنا ، بل وضع كفكر بشرى والايام تتطور ، ويجب ان نعيد النظر فيه بادىء ذى بدء ، لانه يمثل آيديولوجيتنا .

ولذلك اقترح اقتراحا محددا ، ذلك اننى ارجو من السيد السكرتير الاول ان يعطيه ما هو جدير به من الاهتمام وهو :

① مبدئيا ، ان تعاد دراسة الميثاق ، ويعاد النظر فيه فورا كعمل نتفق عليه فكريا، ثم نبحث : اهو صالح للمرحلة التى نحن فيها أو ان الامر يتطلب اعادة النظر فى بعض بنوده .

② ليس بيننا اجنبى ، فكلنا مصريون ، ومهما كان انتمائنا الفكرى فاننى واثق كل الثقة بأن هذا الانتماء لن يؤثر بأى حال من الاحوال فى وطنية المصرى ولا فى انتمائه لقرب هذا البلد المصرى .

حينما نصل الى هذه النقطة سنصبح كلنا اخوة وعلى هذا الاساس سنكون متساوين فكريا ، وبهذا سوف نكون فعلا جديرين بهذه المسؤولية .

لى ملاحظة بالنسبة للمستويات الادنى فى الاتحاد الاشتراكي . لماذا لا تجتمع معها اللجنة ؟ لان الملاحظ أن اللجنة تجتمع مع نفسها ونحن نجتمع اليوم مع أنفسنا ، وربما كان هذا ما تتطلبه هذه المرحلة ، لكن ليس هذا هو العمل الاساسى ، فالعمل الاساسى أن تجتمع اللجنة مع قطاع من قطاعات الشعب وليس مع نفسها أبدا ، وقد بدأت شخصيا فى محافظة البحيرة كرئيس مجموعة اقليمية بتغيير النظام الذى كان يسارى ، وبدأت المجموعة الاقليمية تجتمع مع قطاع من قطاعات الشعب مثل العمال أو التجار فى ندوة ثم نحدد موضوعا معيناً بهم

هيمنة معينة على الشعب السورى ، وعلى تطور الاحداث . أما نحن ، فهناك عدم ثقة بيننا ، وبصراحة ، ليست لدينا ثقة لا فى الفكر الميئى ، ولا فى الفكر اليسارى ، بمعنى ان مواطننا من المصريين يفكر تفكيراً يسارياً نصفه بأنه شيوعى ، وبالتالي يصبح معقداً ممن يصفونه بذلك . وعلى هذا الاساس لا يوجد لدينا الاحساس الاخوى بالصدقة وبالتآلف ، وأيضا اذا ما وجد مواطن منادين أو آخر تفكيره الى حد ما رأسمالى . نجد اننا ننفر منه ، ومن هنا يكون التنافر بحكم طبيعة تشكيل التنظيم .

ففى اجتماع الهيئة البرلمانية فى شهر مايو سنة ١٩٦٥ ، والذى حضره المرحوم الرئيس جمال كان الاجتماع طويلاً جداً ، وأعدنا بعض الاسئلة فأجاب السيد الرئيس على بعضها ، وكان من بينها سؤال أذكره ، فقد قلت له بالنسبة لفكرة تحالف قوى الشعب الموجود فيه الرأسمالية الوطنية والمثقفون والجنود والعمال والفلاحون ، هناك تناقضات بين هذه الطوائف ، كيف نواجهه فى المستقبل احتمال أن يتحول هذا التناقض الى صراع طبقي ، وأجاب الرئيس جمال عن هذا السؤال بقوله : ان التناقضات شئ طبيعى وسنزيدها فى المستقبل بالحلول .

الواقع ان هذه التناقضات لا يمكن ان تحل الان ، لان هناك عدم ثقة بيننا ، نحن عبارة عن مجموعة افراد متنافرة لاتصل ببعضها ببعض وموجودون فى تنظيم واحد ، اننى اتكلم على مستوى القيادة لاننى اتكلم فى الراس وهى اللجنة السياسية ، هذا الراس اذا انصلح وانصلح تفكيرها فسينصلح كل الجسم وبذلك سيسير الاتحاد الاشتراكي ويعمل ، أما الراس هنا غير سليم وهناك اشياء كثيرة موجودة نريد ان نزيلها من أنفسنا أولاً ، ثم نوجد الثقة بيننا ونتفق على شئ ، ليكن كل انسان حراً فى تفكيره ، فمن الممكن اننى احب قراءة القرآن كثيراً وغيرى لا يحب هذا ، ويقرا كتباً لماركس ، ليس هناك مانع فى ذلك لان هذه ثقافة شخصية انها الخطير ان هذه الافكار وهذه الدراسات تؤثر على علاقاتنا كقيادة سياسية للعمل السياسى فى هذا التنظيم او هذا الحزب .

لذلك اننى اقول مبدئياً ان ايدولوجية الاتحاد الاشتراكي غير واضحة حتى الان ، ومن هذا المنطلق تأتى عدم سيطرة الاتحاد الاشتراكي على جماهير الشعب ، لانها عبارة عن قطاعات معينة فيها المثقفون ، وهم المقصودون بالذات على اساس أنهم وردوا فى الميثاق ، على أنهم من قوى الشعب ، واننى اقول أن هذا خطأ ، ويجب أن يعاد النظر ، لان معنى هذا

القطاع الذى نجتمع معه ونتكلم فيه ، وأثناء ذلك نعطيهم المفهوم السياسى فى هذه المرحلة، بمعنى أن نشرح لهم السياسة العليا للبلد ونحاول توضيحها لهم ، ونقول لهم ما يجب أن يقال وما يجب أن يعلن ، فمثلا : ماذا يقال اليوم فى الشارع ؟ هناك تساؤل عن طبيعة علاقاتنا بالاتحاد السوفيتى .. ولماذا نهرب من هذه النقطة ؟ ما أسرار علاقاتنا اليوم بالاتحاد السوفيتى ، الجمهور يريد أن يعلم ونحن نريد أن نفهم ، ولكن ليس لدينا معلومات ولا أدعى لنفسى معلومات وأقولها ، ومن ناحية أخرى ما طبيعة العلاقة بحزب البعث السورى ؟ ونحن فى سبيل عمل دولة الاتحاد ، وهناك كلام يقال مثلا كعملية متابعة عن موقف العراق ، وهناك كلام عن أن العراق تريد أن تنضم للاتحاد ، كلنا نقف اليوم خائفين ونقف موقف المتفرج ، إذن ، متى نكون إيجابيين ؟ ومتى نحس بمسئوليتنا ؟ فإن البشر لا يخلدون ، فيهم من يموت وفيهم من يتغير ، فيجب أن نعمل على أن يكون الخلود لتنظيم معين ، لحزب معين على أن يكون هذا التنظيم هو الذى يقود فعلا ، أما السؤال الذى وجهته سيادتكم : هل التنظيم سلطة .. ؟ - اننى لا أميل إطلاقا لاستعمال تعبير [سلطة] ، فالسلطة هى الحكومة ومجلس الشعب والقضاء . أما الاتحاد الاشتراكى فهو إرادة الشعب التى لا بد أن تكون فوق هذه السلطات ويجب أن يأخذ الاتحاد وضعه هكذا .. فهذه إرادة جماهير الشعب المختلفة التى من المفروض أن تخضع لها هذه السلطات ويكون لها أن تستدعى رئيس الوزراء ، وتستدعى رئيس مجلس الشعب وأعضاء مجلس الشعب . وهذه الجماهير تمثل البلد من أولها إلى آخرها ومنها ينتخب رئيس الجمهورية والذى من المفروض أن يرشح من اللجنة التنفيذية العليا، فمعنى هذا أنه أكثر من سلطة وليس مجرد سلطة .

• السكرتير الأول

إذا سمح الاخ محمود هناك ثلاث نقاط يجب الرد عليها : النقطة الاولى : الصورة بالنسبة للجنة المركزية والبعد عنها وعن الامناء .

بالنسبة لامناء المحافظات فكلهم بالكامل عقد معهم أكثر من اجتماع وقد وزع عليهم ورقة العمل الموجودة معنا ، ولهم معى اجتماع آخر هذا الاسبوع .

اللجنة المركزية ايضا ستعقد هذا الاسبوع بعد عودة السيد الرئيس من الخارج ، وكثير من أعضاء اللجان الفرعية أعضاء فى اللجنة

المركزية ، ولا يمكن أن نتصور أننا نقوم بعمل خارج اللجنة المركزية ، انما اذا كنا نقوم بعمل تمهيدى ، واذا كنا نريد تغيير أسلوب عمل اللجنة المركزية فهذا لا يضيرنا فى شيء ، فأنا لا أتصور مثلا اننا ندخل اللجنة المركزية ثم نفاجأ بسؤال من أى عضو من الأعضاء يبدأ من الزيت حتى تصرفات ملك الاردن ، لا يوجد لجنة مركزية فى العالم تسير بهذا الشكل ، وهذه من أسباب الاضطراب الاساسية التى تحدث فى اللجنة المركزية ، فإذا بدأنا بتغيير أسلوب عمل الاتحاد الاشتراكى عن طريق اللجنة المركزية كنا سندخل أيضا فى نفس المأهة ، وما حدث أننا احضرنا عددا كبيرا من الأشخاص يصل عددهم مائتين ، كل منهم مختار لموقع معين وله تأثير جماهيرى معين ، وله وزن معين ، وكل ما نطلبه منه هو الرأى فقط ، وهذا الرأى يترجم الى تقرير يعرض على اللجنة المركزية ولها أن تضيف اليه أو تحذف منه أو ترفضه كما تشاء ، لانها هى السلطة العليا . فلا يمكن بادئ ذى بدء أن نبدا باللجنة المركزية والا كنا نكرر نفس الذى حدث فى اللجنة المركزية الا اذا كان الاخ محمود يرى أن أسلوب العمل فى اللجنة المركزية الان هو الاسلوب الامثل ، وأنا شخصا لا أرى هذا الرأى ، بل اننى أتجاوز هذا وأقول عن أسلوب العمل فى المؤتمر القومى نفسه انه ليس أسلوب عمل لمؤتمرات قومية ، ففى جميع الاحوال يجب أن تقدم ورقة بموضوع معين لأعضاء اللجنة المركزية ليكون لهم متسع من الوقت للنقاش حتى اذا عقدت اللجنة المركزية برئاسة السيد رئيس الجمهورية وهو أعلى سلطة موجودة يمكن للأعضاء أن يتكلموا فى هذا الموضوع ويصلوا فيه الى قرار معين . أما الاسلوب الذى كان متبعاً منذ فترة تكوين الاتحاد الاشتراكى الى اليوم - وكما أشار الاخ موسى صبرى فلا تجتمع اللجنة المركزية أو المؤتمر القومى الا فى أزمة من الازمات ، وليس هذا أسلوب عمل شعبى ، كما انه ليس أسلوب عمل تنظيمى ، تجميع اللجان الموجودة اليوم هى لجان معاونة لوضع أسلوب ما ، هذا عن الجزء الاول من الحديث .

أما الجزء الثانى ، بالنسبة للايديولوجية ، فكما هو وارد فى خطابى فى المؤتمر القومى ، وردت نقطتان أساسيتان ، قلت فى أولهما أنه لا بد أن تنتهى الى وضع دليل عمل سياسى يمثل الايديولوجية المصرية والتى من المفروض اننا سنقدمها الى المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو القادم لتمثل الخط الاشتراكى المصرى ، وتمثل ما تم من منجزات ، وتمثل ايضا جميع الخطوات التى تمت حتى الان ، وهذا موجود وقائم ومحل نقاش ، ويمثل ايديولوجيتنا الفكرية .

العالم في بلد شيوعي او بلد اشتراكي يحدث فيه نقاش ، هل اسمى هذا النقاش تناقضا ؟ لا يمكن ان اسمى هذا النقاش تناقضا - والا فما فائدة الاحزاب السياسية ؟

ان التناقضات لاتخيفنا الى هذه الدرجة ، ثم اذا تصورت ان احد العمال من النقابات العمالية يريد ان يدافع عن مصلحة العمال ، لقد اشرنا الى هذا في خطابنا بأن هناك نقطتين ، الناحية القومية التي ترتبط بمصر في الظروف الحالية الحرجة التي تجتازها والتي تنصب اول ما تنصب على المعركة وأنه يجب ان تكون جميع النقابات المهنية وجميع التنظيمات السياسية تنصب في هذا الاتجاه ، وليس هناك خلاف على هذا بين مصري ومصري ، هذه هي النقطة الاولى ، النقطة الثانية اننا لم ننكر ان هناك مصالح شخصية - داخل هذه التكوينات وداخل هذه التنظيمات - تهم هذه الطائفة او تلك ، ولا يجوز ان نتغاضى عن هذا ايضا ، ولكن لا يمكن ان اقول ان هذا تناقض ، هذه طبيعة موجودة ويجب ان تستمر فعلى سبيل المثال عندما نقول ان هناك تناقضا بين العمال والفلاحين - فهل يوجد تناقض فعلا بين العمال والفلاحين ؟ ليس الموجود بين العمال والفلاحين تناقض . فالفلاحون عندما ينادون بتحسين مستوى معيشتهم ، او ينادون بتطبيق نوع من التأمين الصحى المطبق على العمال عليهم - هل نعتبر ان هذا تناقض ؟ لا يمكن ان نعتبر هذا تناقضا ، بل انى اعتبره رايًا ، ونقول للفلاحين انه لا يمكن ان يطبق عليهم التأمين الصحى في هذه الفترة بالذات ، لظروف معينة انما يجب ان يطبق التأمين الصحى على الفلاحين وبالنسبة لكلمة التناقضات التي استعملت ، فالرئيس جمال عبد الناصر عندما استعملها في وقت من الاوقات كانت في اعتقادي موجودة لانه استعملها في مقرة كانت القوانين الاشتراكية مطبقة حديثا ، وكان هناك اصحاب مصانع ورأسماليون ، وكان هناك ايضا التحرك الاشتراكي القائم على تحالف قوى الشعب العاملة ، في هذه الحالة يكون هناك تناقض حقيقي ، ولكن الان وقد امتت المصانع ومثلت العمال في مجالس ادارة هذه المصانع ، واصدرت قوانين تحديد الملكية وحددت الايجارات الزراعية واعطيت في هذا المضمار حقوقا للناس لهقيمتها بعد ذلك لا يمكن ان نقول ان هناك تناقضا ، أن التناقض عبارة عن طائفة تريد أن تأخذ من طائفة أخرى ، ولا يمكن ان نزن ان هذا موجود ، وأن وجد فليس على المستوى الذي يخيفنا .

النقطة التالية هي النقطة الخاصة بالميثاق :

بالنسبة للميثاق ، فما قيل بالنسبة له شيء ليس في موضعه ، لاننا نعتبر ان الميثاق شيء جدير بالاحترام ، والكلام في اعادة النظر فيه موضوع ثانوى .

بعد ذلك نتكلم عن التناقضات ونتكلم عن اليسار واليمين .

في الحقيقة ان هذه النقطة لا تقلقني بالصورة الضخمة التي ذكرت الا في نقطة اساسية وهي انه لا يجب ان يكون لدينا حساسية ابدأ ، ولا يجوز ان يكون لدينا حساسية ، اننا نتقبل فكرة وأردة من الماركسية طالما انه يمكننا ان نأخذ هذه الفكرة ونرى ان تطبيقها بالنسبة لمصر سيكون تطبيقا مفيدا ، فقوانين الاصلاح الزراعي وتحديد الملكية اعتبرت في وقت من الاوقات انها شيوعية ، فعندما صدرت قوانين الاصلاح الزراعي المصري اعتبرها القيادة الامريكيون بالذات كنوع من انواع الشيوعية ، وطالما دافعت عنها دفاعا كبيرا ، واذا بالامريكان يتطورون ويتبنون بانفسهم قوانين تحديد الملكية في اليابان حيث صدر حديثا قانون الاصلاح الزراعي في اليابان والذي حدد الحد الاعلى للملكية بسبعة افدنة .

اما التناقضات التي تشير اليها والسؤال الذي وجهته للسيد الرئيس جمال ، فاني لا ارى مثل هذا ، فما هي التناقضات الموجودة عندنا ، هل هي تناقضات بين الفكر الماركسي وافكار اخرى .. هذا محتمل .. ولكن يجب الانضيق بالفكر طالما انك تسمع من شخص ما انه حينما يفكر في الماركسية وفي نفس الوقت ينبع تفكيره من الوطنية المصرية ، ومصر فوق كل شيء ، فكيف اقول له انك خارج الموضوع ، وعندما يناقش فكرة من الافكار يقال له : هذا الشيء لا يمكن ان يطبق في مصر ، اما وعندما يأتي شخص ما بأي من الافكار اليسارية المتطرفة الهدامة الدخيلة ، فهذا شيء آخر ، وهنا اقول له .. لا .. ونرفض . اما اذا كونت فكرة لنفسك في اطار معين وتريد ان تدافع عن هذه الفكرة وترى انها في هدفها النهائي تناسب المصلحة ، فلا يجوز ان تضيق بهذا ابدا . ولا يجوز ايضا ان تضيق بفكر آخر يأتي من ناحية من النواحي يقول بأن تأخذ القرآن والدين الاسلامي .

ان التناقضات ليست بالحجم الضخم الكبير الذي يخيفنا من ان نقرب من الموضوع كما يتصور البعض وكما اشار الاخ موسى ، او كما ذكر الاخ محمد شاهين من انها مشكلة تناقضات .. هذا غير حقيقي ، ان اى حزب في

يوغوسلافيا جملة ، احزاب وطنية تخوض حرب التحرير ضد النازية متحدة في جبهة وطنية واحدة ، وبعد نهاية الحرب تحولت هذه الجبهة الى صورة من التحالف في تنظيم جماهيري يستوعبها جميعا ، وهو المسمى بالتحالف الاشتراكي ، ولقد سميناه نحن بالاتحاد الاشتراكي وذكرنا انه مبني على تحالف قوى الشعب العاملة ولكن هذا النظام له تكملة لم نأخذ بها ، وهي انه الى جانب هذا التنظيم الجماهيري الواسع ، بقي هناك الحزب الذي اطلق عليه [رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف ، ولقد حولوا اسم الحزب الى رابطة لانهم يريدون طبقا لنظريتهم ان يكون كل ما هنالك اجتماعيا ، والمجتمع هو الذي يسيطر عليه وليس الدولة ، ولكن الرابطة فيها الانضباط الحزبي ، كما بهما الايديولوجية المحددة ، وهي التي تقود العمل سياسيا ، الى جانب هذا التحالف الاشتراكي الذي يتسع للقوى المختلفة ، وللأفكار المختلفة التي تدور في الاطار المتفق عليه ، لقد نقلنا هذه التجربة بحذافيرها في الميثاق الذي اثار ايضا الى انشاء جهاز سياسي ، يعتبر تعبيرا لفكرة رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف ، ولقد كان المفروض ان يلعب هذا الجهاز دور الحزب ، ولكن للأسف لم ينشأ هذا الجهاز لوجود اختلاف جوهري بين التجريبتين ، لان رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف موجودة فعلا وقائمة ولها نظام قائم من قبل ان تتولى الحكم ، في حين انه بالنسبة لنا كان لابد من ان ينشأ هذا التنظيم او هذا الجهاز من مواقع السلطة ، لذلك فانه لم ينشأ حتى الان ، وأن خيل للبعض انه قد انشئ من خلال تنظيم سرى ، فليس هو الجهاز المقصود في الميثاق ، فلم يكن هناك بد من ان يستعير الاتحاد الاشتراكي بعض الاساليب المتبعة في الاحزاب فقط ، فبدأ المركزية الديمقراطية مبدأ أساسى في التنظيمات الحزبية ، ولكنه لا يتصور ان يطبق في تنظيم جماهيري واسع ، نحن نعلم بأنه يجمع مجموعة مصالح مختلفة وقوى مختلفة ، ولا يمكن اطلاقا ان نتصور ان مصلحة الرأسمالية الوطنية تتفق تماما مع مصلحة العمال والفلاحين

ومن هنا بدأ التناقض الحقيقى ، حينما حاولنا فعلا تطبيق قواعد الحزب في تنظيم جماهيري واسع ، يضم بطبيعته قوى متباينة تختلف في افكارها ، وانا لا أستطيع ان اتصور ان يكون هناك فكر واحد متفق عليه حتى مداه ، لكن هناك اطارا فكريا معيناً رسمه الميثاق وارتضيناه جميعاً — على الأقل في هذه المرحلة وهو :

— أن نحارب الاقطاع والرأسمالية المستغلة ، وأن يكون لنا خط عربى واضح ، الى جانب

ان الراى ذكره الاخ موسى ، والاخ محمود نوقش على اعلى المستويات ، والسيد الرئيس له راى فى هذا وربما يماثل راى الاخ موسى ، وراى الاخ محمود ، وقد ناقشنا ذلك فى لجنة العشرين ، ولكن تصورى اننا اذا بدانا الان فى مناقشة الميثاق فسوف ندخل فى مباحثات كبيرة جدا ، ان الميثاق عندما تقرؤه او اذا قرأت بيان ٣٠ مارس تجد ان كثيرا جدا من المبادئ التى وردت فى الميثاق او فى بيان ٣٠ مارس ملائمة واذا اردت ان تصيغها ثانية فسوف تصيغها بصيغة اخرى انما تؤدى الى نفس الهدف ، وهذا لا يعنى اطلاقا ان الميثاق لا يعاد النظر فيه ، لانه ليس قرأنا كما ذكرت ، وكان من المفروض ان يغير الميثاق سنة ١٩٧٠ ولكنه لم يغير بالنسبة للظروف الحالية . والسؤال هو — هل من المصلحة فى الوقت الحالى الذى نريد فيه ان نلم شمل الجبهة الداخلية ونجابه المعركة ان نفتح نقاشا فى موضوع من الموضوعات التى لم نطبق اغلبها . لم يطبق الاتحاد الاشتراكي ما ورد فى بيان ٣٠ مارس كاملا ، ولم يطبق ايضا ما ورد فى الميثاق كاملا ، وقد ذكرت فى لجنة العمل انى قرأت بيان ٣٠ مارس والميثاق لتحديد الراى فيه وكان موجودا معى الاخ جمال العطينى وقد كنت مندهشا لمضى كل هذا الوقت دون تنفيذ اغلب ما بهما .

لذلك فحينما نقول انه كسياسة قصيرة المدى على الاتحاد الاشتراكي ان يتحرك — ويجب ان تشعر الجماهير بهذا التحرك — مستندا فى ذلك الى مواثيق الثورة — فنحن فى هذا لا نخطئ . وبعد انتهاء المعركة ، يمكن تغيير مائرى تغييره سواء فى الميثاق أو فى بيان ٣٠ مارس — بشرط ان يكون هذا اسلوبا مطبقا ، وليس حبرا على ورق ، وهذه هى حقيقة الامر ، واعتقد اننى بذلك قد غطيت النقاط المختلفة .

● الدكتور جمال العطينى

فى الواقع اننى اود ان اعود الى التحليل الذى عرضه السيد موسى صبرى ووافقته على كثير مما جاء فيه ، كما لاحظ انه وكذلك السيد شاهين قد اشاروا الى ان نظامنا به نوع من الخلط بين الانظمة المختلفة .

ولو رجعنا فعلا الى الجذور الحقيقية لنظام الاتحاد الاشتراكي ، لوجدنا ان هذا النظام مأخوذ من نظام التحالف الاشتراكي فى يوغوسلافيا ، وربما ظللنا لسنوات طويلة لا نريد التسليم بهذه الواقعة ، لكنها الحقيقة ، وان كنا قد غيرنا فى الطريقة بما يناسب ظروفنا ولكن لو رجعنا للتطور التاريخى ، فسنبجد انه كانت فى

ديمقراطية الشعب العامل ، وأن نفتتح سياسة
عدم الانحياز .

وهذه كلها مجموعة افكار متفق عليها بين
قوى التحالف .

كما أن هناك أيضا مجموعة مصالح مشتركة
متفق عليها ، لهذا فإن هذه الفكرة البسيطة
هي أول نقطة يجب البدء فيها . عندما نريد فعلا
أن نضع الاتحاد الاشتراكي في إطاره الصحيح ،
وهي النقطة التي أشار إليها خطاب السيد
السكرتير الأول للجنة المركزية في اجتماع المؤتمر
الثقوي الأخير ، وأن كنت اختلف معه في نقطة
صغيرة وهي ما أشير إليه في خطاب السيد
السكرتير الأول من وجود مجموعة مصالح
موحدة ومشتركة متفق عليها وبطبيعة الحال في
مقدمتها تحرير الأرض ثم ورد من بينها التطور
الاشتراكي . فإني أفضل بدلا من هذا التعبير أن
يقال « المنجزات الاشتراكية » وهي المتفق عليها
وليس التطور ، لأننا نجد في التطور أفكارا
متباينة وغير متفقين عليها حتى الآن ، لأن هناك
أفكارا تريد أن تصل بالتطور الاشتراكي إلى
مداها العلمي وحتى نهايته ، أي الوصول إلى
الغاء الملكيات غير المستغلة وأن يكون أساس
ذلك هو نظرية فائض القيمة .

وهناك أفكار أخرى يرى أن هذه الاشتراكية
هي اشتراكية اسلامية يجب أن تتبع جذورها من
الاسلام ، كما أن هناك أفكارا ثالثة تسميها اشتراكية
عربية ، أو اشتراكية مصرية ، وكل هذا مقبول
ولكن لابد أن يكون هناك حد أدنى متفق عليه من
الأفكار التي وردت في الميثاق ، كذلك يجب أن
يكون هناك حد أدنى متفق عليه من المصالح
المشتركة . يجب أن يقوم الاتحاد الاشتراكي في
هذا الإطار ، بحيث يكون منبرا لجميع الأفكار
المختلفة ، وأن يدافع فيه عن المصالح العامة .

وهذا هو الطريق فعلا الذي يمكن به حل
جميع المتناقضات سلميا ، ولقد ظل هذا التعبير
الوارد في الميثاق حبرا على ورق دون ممارسة ،
بمعنى أن التجربة الأخيرة التي وقعت من عمال
القطاع الخاص في شبرا الخيمة ، كانت تجربة
واقعية بالفعل ، فإذا كانت فكرة المنابر موجودة ،
وإذا كانت التنظيمات الجماهيرية المرتبطة بالاتحاد
الاشتراكي تلعب دورها ، فإني أتصور أن
أصحاب الأعمال ، الممثلون في الغرف التجارية ،
والغرف الصناعية ، كانوا سيعبرون عن آرائهم
ومصالحهم من داخل الاتحاد الاشتراكي
ويدافعون عنها ، وهذا طبيعي ويجب التسليم
به ، فلهم مصالح فعلا ، وهذه المصالح مختلفة
تماما عن مصالح العمال والفلاحين الذين

يطالبون بحد أدنى للاجور ، ويتحدد ساعات
العمل ، كذلك بالنسبة لنقابات العمال والمنظمات
الجماهيرية التي تعبر عن مصالحها ، فمن هنا
نشأ فعلا فكرة المنابر في الدفاع عن المصالح
المختلفة داخل الاتحاد ، وأول فكرة أرجو طرحها
فكرة وجود قدر أدنى متفق عليه من الأفكار ومن
المصالح ، هو الذي يخول لنا جميعا أن نعمل
داخل إطار هذا التحالف رغم ما قد يكون بيننا
من خلافات فكرية أو خلافات مصلحة .

ومن هذه الفكرة يمكن أن نتدرج إلى الإجابة
عن بعض النقاط التي قد أثارت هنا ، خاصة
بعلاقة الاتحاد الاشتراكي بالسلطة فلا شك أن
هناك تناقضا واضحا - كما أشار السيد موسى
صبري - بين أن نسمى الحكومة الجناح
التنفيذي للاتحاد الاشتراكي ، وأن نسمى مجلس
الشعب الجناح التشريعي للاتحاد الاشتراكي ،
ثم بعد هذا تجد أن الدستور يضع تنظيمات
مختلفة ، إذا طبقت فعلا فإنها تتعارض مع هذا ،
وهذا وضع قائم فعلا ، ليس مرده إلى طبيعة
التنظيم السياسي الذي ارتضيناه ، إنما مرده
إلى سوء التطبيق وسوء الفهم الذي أدى إلى
سوء التطبيق ، وأنا شخصيا ضد فكرة اعتبار
أن الحكومة جناح تنفيذي وأن مجلس الشعب
جناح تشريعي ، إنما المفروض أن الاتحاد
الاشتراكي بنشاطه السياسي بين الجماهير
يستطيع أن يلعب دورا ضاغطا على الحكومة
من طريق أعضاء مجلس الشعب المنتخبين
والذين ينتمون إليه ، ويستطيع الاتحاد الاشتراكي
أن يلعب هذا الدور بفاعليته الحقيقية ونشاطه
السياسي الحقيقي .

بمعنى أننا إذا أردنا محاسبة أحد الوزراء
لا يكون هذا الحساب أمام اللجنة المركزية ،
إنما عن طريق مجلس الشعب ، فمن طريق
أعضاء الاتحاد الاشتراكي في مجلس الشعب
يمكن إثارة مثل هذا النقاش مع الحكومة ، وقد
يصلون إلى إسقاط الحكومة فعلا ، فالاتحاد
الاشتراكي يستطيع تعبئة الجماهير عن طريق
العمل السياسي وحده ، لا عن طريق العلاقة
العضوية بينه وبين الأجهزة الأخرى ، والتي كنا
نتصور في مرحلة سابقة أنها الحل الأمثل لكن
التجربة أثبتت أن النتيجة هي انعزال الاتحاد
الاشتراكي فعلا عن الجماهير ، فقد كانت قيادات
الاتحاد الاشتراكي تتصور أن من حقها أن تصدر
توجيهاتها أو قراراتها إلى السلطة التنفيذية
كلما عن لها .

إذن يجب التسليم بغير حساسية - ودون
أن يظن أن في هذا اضعافا للاتحاد الاشتراكي أو
تصفية له فلقد قيل مثل هذا الكلام - أن سر

من هذا هو ضمان عدم انتكاس الاتجاه العام نحو الاشتراكية .

ولا يعنى وجود الاتحاد الاشتراكي بهذا الشكل أن يكون جهازا للسلطة ، فهو جهاز شعبي يعبر عن اتجاهات مختلفة ، ومثلما ذكر السيد د. جمال العطيني ، ليس هناك اعتراض على وجود تناقضات بين الرأسمالية الوطنية والعمال والفلاحين ، لأن الرأسمالية الوطنية تعتمد على تشغيل العمال ، أو تشغيل الفلاحين ، وهناك تناقض واضح بين المالك والعامل ، وإنما كل ما اتجه اليه الاتحاد الاشتراكي أو الميثاق هو اذابة هذه الفوراق عن طريق الجدول والحوار الذي بموجبهما نستطيع تسيير أمورنا بأقل قدر من الخسائر وتجنب المتاعب ، لأننا إذا دخلنا في تناقض طبقى بالمعنى العلمى ، ووصلنا به الى مراحل النهائية فلا بد من تصفية طبقة ، وطبعاً نهاية مثل هذا الوضع وما يؤول اليه المجتمع من جرائه معروفة سلفاً .

لقد تكون الاتحاد الاشتراكي نتيجة تطور نستطيع أن نقول انه تم من أعلى ، مع الاستجابة الى المطالب من أسفل ، أو بمعنى آخر لم يكن نتيجة ثورة من أدنى تمثل مصالح طبقة معينة كالأحزاب الشيوعية مثلاً ، وبالتالي من خلال الحوار يمكن الوصول الى ما نطلبه ، ففي مرحلة ما كالمرحلة التي نمر بها ، ربما كانت الاستجابة لمطالب الرأسمالية الوطنية أكبر ، رغبة في تجميع القوى الوطنية ، وربما حقق لنا هذا ، التقليل لأكبر قدر من التناقضات الموجودة مثلما هو متبع فعلاً في سياستنا الخارجية حالياً من محاولة تجميع الصف العربى ، ولو كنا نفكر فعلاً على أساس مقترف لأمكن أن نأخذ في هذا التفكير اتجاهاً آخر ، وهذا كله يتم لتحقيق أكبر قدر من الصالح العام للمجتمع في هذه المرحلة ، ولينست المسألة أن نصل الى هذا الهدف في مدى خمس أو عشر سنين ، لكن المهم أن نصل الى الهدف بقدر أكبر من التفاهم وبإعطاء كل فرد نصيبه الطبيعى والمنطقى .

فالمشكلة في الواقع هي مشكلة السلطة ، فلو تصورنا أن الاتحاد الاشتراكي سلطة ، فستكون النتيجة أننا سنواجه بازدياد واجبة بين العمل التنفيذي الموجود في السلطة ، سواء كان في شكل شركة بها مجلس إدارة يقوم على تنفيذ سياسة معينة ، أو في مركز الوزارة من ناحية أخرى ، وهنا إذا أعطينا الاتحاد الاشتراكي سلطة ، فمعنى ذلك كما لمسناه فعلاً من خلال التجربة وجود تناقضات ، فمندوبو العاملين مثلاً في التجمعات الجماهيرية يجبون أى قرار

ضعف الاتحاد الاشتراكي هو أنه كان قويا أكثر من اللازم ، لا باعتياده على الجماهير بل قويا لاعتياده على أجهزة السلطة واتخاذ وسائل السلطة والوسائل الادارية في نشر أفكاره ، ففي اعتقادي أننا إذا تصورنا الأمر على هذا الوضع فعلاً ، فستكون الصورة واضحة جداً وبسيطة جداً ، فيسلم بأن الاتحاد الاشتراكي هو تآلف لأفكار متباينة ومصالح مختلفة ولكن هناك قدراً أوفى متفقاً عليه من هذه الأفكار والمصالح ، والعلاقة التي تقوم بينه وبين أجهزة السلطة الأخرى ، أساسها العمل السياسى وليس العلاقة العضوية أو العمل الادارى ، ومن هذا المنطلق يمكن أن يعدل قانون الاتحاد الاشتراكي بما يتفق مع هذه الأفكار .

• د. عبد الرازق حسن

لقد أثار السيد موسى صبرى مشكلة كنا نتصور أننا قد انتهينا منها منذ مدة طويلة ، وهذه المشكلة ترجع الى أساس المفاهيم ، فهل الاتحاد الاشتراكي حزب ؟

في الواقع أننا لا يمكن أن نسميه حزباً مهما كان تكوينه ، لأن الحزب هو عبارة عن تجمع لمجموعة من الأفراد تمثل مصالح طبقة معينة ، وتعمل عن طريق السيطرة على السلطة الى تحقيق هذه المصالح .

وكما ذكر د. جمال العطيني برغم أننا أخذنا التجربة اليوغوسلافية وطبقناها في مصر إلا أنها اتخذت أمام الجماهير شكل تحالف بين عناصر قوى الشعب العاملة الممثلة في العمال والفلاحين أساساً ، ثم المثقفين الثوريين والرأسمالية الوطنية والجنود .

وواضح أن الاتجاه لتسميته الاتحاد الاشتراكي ينبع من أن فكره وتطويره واتجاهه العام هو التحول الاشتراكي ، وهذا يختلف عما ذكره السيد محمد شاهين من أنه يمكن تسميته بأى تسمية مثل الاتحاد الشعبى ، لأن كلمة الشعب كلمة أوسع والتحديد فيها أصعب ، لأننا إذا سميناها تبعاً للأغلبية فسنجد أنه يمثل مصالح غير المصالح الموجودة فعلاً في الاتحاد الاشتراكي .

ولقد حدد الميثاق هذا الوضع — حقيقة أنه كان يمثل مرحلة لكن نسبة للظروف فما زالت هذه المرحلة مستمرة — وأن كان الاتجاه العام هو الوصول الى التحقيق الكامل للاشتراكية . ولضمان هذا التحقيق أخذ في الاعتبار بضرورة تمثيل العمال والفلاحين بنسبة نصف الأعضاء على الأقل في جميع المجالس الشعبية ، والفرض



د. عبد الرازق حسن

من وجود نظرة واحدة للموضوع دون أخذ النظرة الأخرى في الاعتبار خاصة في المراحل الحالية، التي نريد فيها زيادة الإنتاج وما يتطلبه من توضيحات من جماهير الشعب، فحينما نجد أن البيروقراطية تزداد والمواقف الانعزالية تحيط بنا، يكون لهم عذرتهم لأنهم غير ممثلين، وليس معنى عدم وجود الاتحاد الاشتراكي في السلطة إلا نحاسب أعضاءه، فالمفروض أن كلا منا في وحدة ما من الوحدات، بصرف النظر عن موقفه في الجهاز التنفيذي سواء كان وزيرا أو عاملا، فالمفروض أن يلتزم بما يتخذه الاتحاد الاشتراكي من قرارات، بمعنى إذا كان وزيرا وفي وحدة جماهيرية فليس معنى وجوده في السلطة بوصفه وزيرا أن يعنى من التزامه بما تراه السلطة الجماهيرية، فأنا لا أتصور أن يكون هناك تناقض بين الاتحاد الاشتراكي والسلطة التنفيذية، لأن المفروض أن السلطة التنفيذية هي جهاز للتنفيذ يختار بطريقة معينة، فإذا حدث التناقض فالمفروض أن ترجع للاتحاد الاشتراكي باعتبار أنه الجزء الأكثر تمثيلا للشعب والا فنحن نرتد لنوع ما من أنواع الغرض أو السلطة والسيطرة التي يصعب في ظلها بعد ذلك مساءلة مجلس الوزراء.

اذن فهذه المسألة تتبع أساسا من الاتحاد الاشتراكي، أما التساؤلات التي تثار في مجلس الشعب، فهي من نوع آخر، قد تكون في طريقة التطبيق أو التشريع القانوني أو الدخول في بعض التفاصيل التي تهم مسائل في طبيعتها قد لا تهم.

فمثلا بالنسبة لمشكلة خاصة بمصالح القوى الداخلة في نطاق الاتحاد الاشتراكي... فهل تثار في مجلس الشعب؟ وبأي شكل؟ هل في شكل سؤال، أو في شكل تمثيلها مع سياسة الوزارة من عدمه؟... اعتقد أنه لا يصح.

وهنا أيضا تجد أننا لا نغلب جانبنا على الجانب الآخر، فهم عليهم أن يضيفوا وهم في السلطة، فالسلطة في الواقع تمثل السياسة التي يضعها الاتحاد الاشتراكي - وهنا يمكن ألا يكون هذا التناقض موجودا أساسا بسبب بسيط وهو أن رئيس الجمهورية يقترح رئيس الوزراء على اللجنة المركزية، اذن فهذا الاقتراح تكون قد أخذت عليه موافقة اللجنة المركزية وبالتالي يكون من حق الاتحاد الاشتراكي أن يسحب هذه الثقة، لكننا نعطي رئيس الوزراء الحق في اختيار أعضاء الوزارة سواء نتفق على أن يعرض جميع هذه الاسماء على الاتحاد الاشتراكي، أو نعطيه فرصة أكبر في اختيار معاونيه، ثم بعد ذلك نسائله ليس من خلال التفاصيل لكن من خلال إطار العمل العام، إلا اذا وجدنا أن بعض التفاصيل يمكن أن تؤثر في الإطار العام وفي هذه الحالة يمكن مساءلته فيها، فهذه العملية تتم سواء عن طريق الوحدات الصغيرة مثل الاطارات التي يمكن أن تثار أو اثرت حول ادماج البنوك أو وجود مشكلة عمالية ما في شبرا الخيمة... الخ، فيمكن إثارة مثل هذه المشكلة من هنا كما يمكن إثارتها عن الطريق التشريعي عن طريق مجلس الشعب، أو عن طريق مجلس الأمة الاتحادي إذا ما استدعى الأمر، فهناك أكثر من منبر لإثارة هذه المشكلة، لكن لا يمكن أن يكون هناك غير جهاز واحد هو المسؤول عن التنفيذ، فإذا جعلنا الاتحاد الاشتراكي هو المسؤول عن التنفيذ، فكيف نحمله مسؤولية العمل؟ بالعكس فوجوده خارج العمل التنفيذي وتوجيهه لهذا العمل يعطيه من السلطات أكبر ما يمكن، هذا بالإضافة لمسألة أخرى وهي أن طريقة تشكيل الاتحاد الاشتراكي تختلف عن طريقة تشكيل المجالس التنفيذية، فنحن لا نشترط في مجلس الوزراء مثلا أن يتكون من [٥٠٪] من العمال والفلاحين، والباقي تمثله المصالح الأخرى، وفي نفس الوقت يمكن للاتحاد الاشتراكي أن يساهم في العمل - وهذه المسألة موضع مناقشة - بأن يكون له تمثيله الجماهيري والأحد حدث اختلال. ففي الظروف الحالية مثلا - نجد أن مجالس الإدارات تعمل دون مندوبي العاملين، واعتقد أن هذا من سلطة الاتحاد الاشتراكي وليس من سلطة الأجهزة التنفيذية، وهم موجودون فعلا، بالرغم من أن الأغلبية في يد المجلس التنفيذي باعتبار أربعة منتخبين وأربعة معينين ورئيس من جانب المعينين، لكن الجانب الآخر المفروض أن يقوم بعملية توازن يجب ألا نتجاهله ولا يجوز أن يكون للسلطة التنفيذية رأي في أبعاده، لأن معنى ذلك تغليب لرأي السلطة التنفيذية على سلطة الاتحاد الاشتراكي، وهذه المشكلة تتبع

إذا ما كشفت الصحافة خطأه . ان الصحافة لديها القدرة على إجراء تحقیقات ، ومقالات ... الخ .

يرتبط بهذا أيضا بعض الأجهزة التنفيذية التي تحتاج الى بعض الرقابة عليها ، وعلى سبيل المثال لا يمكنك أن تقوم بأي دراسة دون الرجوع الى الجهاز المركزي للتعداد والاحصاء ، ومن المفروض ان هذا الجهاز ييسر ما يلزم لذلك ، الا ان ما يحدث هو العكس اذ لا يمكنك أن تحصل على أي بيان من مكان ما الا بعد موافقة الوزير المختص ، واذا حصلت على البيان لا يمكنك أيضا أن تنشره الا اذا اتصلت بالجهاز المركزي ليوافق عليه ، وفي النهاية يصل بنا الامر اننا نأخذ البيانات من الجرائد الاجنبية وهذا عيب ، نحن نعيب على الصحف الفنية والعلمية انها تنحو نحو الدراسات الاكاديمية أو الدراسات الاجنبية ، ونسأل أين الدراسات التي تجرى عن بلادنا وعن مشاكلنا ؟ هذه الدراسات ليست موجودة ، وما نريده مزيدا من الحرية ، والحرية تقتضي اعطاء الامكانيات للدراسة ، على سبيل المثال كانت لدينا فكرة أن تجسري دراسة عن مدى تأثير القوانين الاشتراكية على منطقة ما ... فكيف تتم هذه الدراسة دون تجميع بيانات عنها ؟

من الممكن جدا عند مناقشة الوضع العلمي يتضح أن هذه الدراسة بنيت على أساس خاطيء ، ولكن عندما نجد أن العملية متنوعة منذ البداية فكيف تتم الدراسة ؟ ومن هنا فالصحافة كجهاز للاتحاد الاشتراكي من المفروض أن يكون لديها برنامج عمل لكي تدرس لنا في جميع هذه المجالات ، وبهذه الطريقة يمكن أن نصل ، ومن هنا تكون سلطة الصحافة أو صاحبة الجلالة أكثر ايجابية ، فهي في الواقع الممثلة الحقيقية للتحالف ، خاصة وأن الجماهير عندما تصادفها مشكلة تلجأ الى الصحافة فهي أقرب اليها من مجلس الشعب ، فهذا هو أسهل طريق لهم ، ورئيس التحرير لديه مدير صحيفة في كل منطقة يمكنه أن يخطر به كل شيء ، وبناء على ذلك فنحن لدينا فعلا أجهزةنا .

نخرج من هذا بأن الاتحاد الاشتراكي ليس حزبا ولا يمكن أن يكون حزبا الا اذا تبع من تفكير مصلحة طبقة معينة ، وهذا الوضع غير قائم في هذه المرحلة ، وهو ليس جهاز سلطة تنفيذية ، وإنما هو عبارة عن جهاز شعبي لتوجيه السلطة نحو المصلحة الحقيقية ، وتأكيدا لهذا يمكن أن ننشئ مدارس معينة وكليات معينة لتخريج الأشخاص الفنيين الذين يسيرون مصالحنا ، وليس معنى هذا اننا بعد أن نخرج مهندسا نوجهه للعمل بطريقة معينة نمليها عليه ،

لاي جهاز أن يسأل على أساس عملية تنظيمية أو يقترح على مجلس الوزراء تشريعات معينة ، انما الاتحاد الاشتراكي هو الذي يسأل في مثل هذه العملية ، لانه هو الذي يمثل مصالح قوى الشعب العاملة ، وليس من الضروري أن يكن الجهاز نفسه ممثلا لجميع هذه المصالح ، وبالتالي فليس هناك مشكلة اطلاقا ، فالاتحاد الاشتراكي بوضعه يستفيد من جميع الخبرات ومن جميع وجهات النظر ، ولا نستطيع أن نتصور كما يذكر السيد / محمد شاهين أن نجعله مثل [السنديكالية] وبمعنى آخر يضم كل من في السلطة ، كالعمد والمشايخ ورؤساء مجالس ادارات الشركات ، ونكون بذلك قد دعمنا قوتهم مرة أخرى ، لكن ما النتيجة ؟ النتيجة هي خلق تناقضات ، لان كل هؤلاء يصلون الى مراكزهم لظروف معينة ليست هي الظروف الاساسية في التمثيل للاتحاد الاشتراكي . فالمدير العام يجب أن تكون متوفرة فيه مؤهلات فنية معينة لكن ربما كان المؤهل السياسي في حاجة الى شيء آخر غير متوافر فيه .

والاتحاد الاشتراكي لديه قوته ، ففي يده الصحافة أما اذا كانت الصحافة تضعف أمام الاتحاد الاشتراكي وتلعب دورا لحساب الحكومة ، لان الاعلانات تصلها عن طريق الشركات ، فكما حدث في وقت ما أن نحو ٧٣٪ من حجم احدى الصحف كان عبارة عن اعلانات ودعاية لتشكيل وزارة ، ففي الواقع هذا اخلاص بالعمل ، لاننا يجب أن نعطي الوزارة الفرصة لتعمل ثم نحاسبها ، أما اننا نقرى على حسابها فهذا خطأ .

أما المناقشة التي يجب أن تدور فهي عن طريق الصحافة .

فالجماهير تتساءل : ما معنى حرية الصحافة ؟ معنى حرية الصحافة بهذا المفهوم أن تكون معبرة عن مصالح الجماهير الممثلة في تحالف قوى الشعب بلا استثناء سواء أكانت عمالا أم فلاحين أم رأسمالية أم خلافة ، واذا وجدنا ان الصحيفة ستزدحم ، فأعتقد أن التعبير عن آراء الناس أفضل من أن نشحن الصحف بصفحات الوفيات والاعلانات وخلافه ، وبعد ذلك نشكو من التناقضات ، ان بعض المشروعات يمكنها ان تخفى أخطاءها وانخفاض الإنتاج عن طريق اجور اعلانات ، وبناء عليه تؤخذ حصيلة الاعلانات في الحساب وتتهامون أو تسكت الجريدة من كشف الأخطاء ، ليس هذا هو المفروض ، فالصحافة من أخطر الأجهزة الموجودة ان لم أكن أعتقد انها أخطر من مجلس الشعب في المحاسبة ، فالوزارة أو المسئول يرد بسرعة



لطفى الخولى

الثانية ، بمعنى انها تخطت الاطار التقليدى لمحاولة الحصول على الاستقلال السياسى الى ضرورة الحصول على الاستقلال السياسى والاقتصادى ومن هنا كان صراعها مع الاستعمار والاستقلال فى نفس الوقت .

النقطة الثانية انها اول ثورة أيضا استخدمت أسلوب الانقلاب العسكرى فى أحداث ثورة دون أن تقع فى مهاوى الحكم العسكرى ، ومن هنا برز للوجود لأول مرة قضية كيف يمكن أن تؤدي الجيوش الوطنية دورا هاما فى تفجير الثورات الوطنية ، وأصبح ذلك بالتالى أحد السمات الرئيسية لما يحدث الآن فى معظم بلاد التحرر الوطنى .

النقطة الثالثة والايجابية هو انه بمقارنة جميع تجارب الثورات الوطنية التى حدثت فيما بعد ثورة سنة ١٩٥٢ ، والتى يشبهها السوفيت فيقولون : ان ثورة سنة ١٩٥٢ فى مصر بالنسبة للمعركة الوطنية فى العالم كله تشبه ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ فيما يتعلق بالبلدان الاشتراكية ، هذه الثورة قد أعطت بغض النظر عما نراه من سلبيات أفضل وأوثق تجربة — نسبيا — فى التطوير الزراعى والصناعى وبالتالى فى مجمل الانتاج فى الواقع الوطنى .

النقطة الرابعة والمهمة هى ما اتسمت به هذه التجربة من استقرار نسبى للسلطة الوطنية لم تحظ عسدد من بلدان التحرر الوطنى فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية فلم تشهده تلك الانقلابات العسكرية المتكررة بل وفى بعض البلاد العربية كسوريا والعراق .. الخ .

وفى رأى أن هذه هى الأرضية الايجابية التى يجب فى ضوءها أن ترى السلبيات فى التجربة المصرية . وأهم سلبية حقيقية هى عجز هذه التجربة عن إقامة تنظيم سياسى بنفس المستوى من النجاح الذى حققته فى

وتكون النتيجة اننا لم نصل وليست هناك فائدة من هذا المهندس ، الطريقة هى ان اضع له الاطار العام وفى النهاية أنا صاحب السلطة عن طريق المال أو خلافه .

كيف نحل مشاكلنا فى المرحلة الحالية ؟ ان التناقض موجود لان صورة الاتحاد الاشتراكي ليست واضحة ، وبعض الموجودين فى الاتحاد الاشتراكي يريدون أن يستمدوا السلطة وبعض الموجودين فى السلطة يقولون ان الاتحاد الاشتراكي يريد ذلك ، وبناء عليه يتهرب من المسئولية الملقاة عليه .

• لطفى الخولى

الحقيقة ان المشكلة فى المناقشة اليوم والمشكلة فى رؤية الاتحاد الاشتراكي ترجع الى ان كلا منا له تجربة ذاتية خاصة أو جزئية سواء على مستوى الفردى أو على مستوى وحدته أو على مستوى محافظته أو فى تجربة معينة ، والخطأ هو فى تعميم هذه التجربة الذاتية ، أو الإقليمية واعتبارها الظاهرة التى تحكم الاتحاد الاشتراكي ، لكن المهم فى العمل السياسى بصفة مستمرة هو تجميع كل هذه النظريات الجزئية أو التجارب الجزئية ، ودراستها ومقارنتها بعضها ببعض فى الظرف الحالى للخروج بخط عام أو بظاهرة عامة فى هذا الامر . وعلى هذا الاساس اعتقد اننا اذا استطعنا أن نواجه القضية المطروحة فى ورقة العمل المحددة المعروضة علينا بمنهجين علميين أساسيين فاننا نكون على الطريق الصحيح ، المنهج الاول هو محاولة تقييم التجربة المحلية للاتحاد الاشتراكي خلال أحد عشر عاما والظروف والتطورات التى مر بها ، والتحليل أو التقييم يستدعى ليس فقط رؤية السلبيات وانما أيضا رؤية الايجابيات ، والمنهج الثانى هو أنه من حصيلة ماخرج به من تحليل التجربة المحلية للاتحاد الاشتراكي فى اطار ما يمكن أن يسمى بالمنهج التاريخى العالى الخاص بتكوين التنظيمات السياسية والخبرة الانسانية الشاملة والتى أصبحت تراثا انسانيا من حقنا أن نستفيد به ، واذا لم نستفد به كنا كمن يفلق على نفسه الابواب ويتصور انه يستطيع أن يفعل كل شئ بنفسه .

على هذا الاساس سأعرض لمنهج التجربة المحلية من الناحية الكلية ، فاذا بدأنا فى رؤية ذلك فماذا نستطيع أن نجد ؟

نستطيع أن نجد أن هناك انتجازات ضخمة **واساسية وايجابية للتجربة المصرية** ، على الرغم من كل السلبيات التى واجهتها . فالتجربة المصرية مثلا فى سنة ١٩٥٢ هى اول ثورة حقيقية وطنية تقدمية فيما بعد الحرب العالمية

● السكرتير الاول

لقد ذكرت سيادتكم انه لو كان هناك تنظيم حقيقى لكان من الممكن تغيير الصورة .. ارجو ان توضح لنا هذه النقطة .

● لطفى الخولى

ماذا حدث .. ارجو ان نتكلم بمنتهى الصراحة والوضوح — اذكر انه قد وزعت علينا نشرة سرية من التنظيم الطليعى بأننا فى انتظار ان تقوم اسرائيل بأى هجوم ، لكى نلقنها درس العمر ولدينا من الامكانيات والقدرات التى نستطيع بها ان نضرب اسرائيل ، ومازالت محتفظا بهذه النشرة للتاريخ ، ولا اعلم اذا كان زملائي يذكرون هذا أم لا ؟

ولكن ماذا حدث — لقد حاولنا مناقشة هذا الامر ، فقليل ان هذه مسائل سرية ، حاولنا ان نقوم بنوع من التعبئة الشعبية لتنظيم امكانياتها للحرب ، والاسـتعداد لاماكان أن تحدث خسائر ، وبالتالي لابد من عملية تعبئة للجماهير واعداد الامكانيات لمواجهة الخسائر التى ستتم ، وبالتالي مشاركة الجماهير والشعب فى هذه العملية ، فلم يحدث لان الشعب ظل فى موقف المتفرج منتظرا انه سيدخل اسرائيل خلال ثمانى ساعات ، وبناء على هذا كله عبثت نفسيات الجماهير الشعبية ، بكل وسائل الاعلام وكل هذه الأجهزة تسميت بهذه الفكرة الساذجة الضيقة الافق ، ومن هنا فوجئنا بالهزيمة المروعة واصبح هناك انكماش ، واعتقد أن مثل هذا الانكماش مازلنا نعانى منه وهو أساس من أسس عدم الثقة الذى نعانى منه حتى الان ، أيضا لم يحدث اطلاقا ارتباط — وهذه نقطة يجب ان يأخذها الاتحاد الاشتراكى بعين الاعتبار فى وضعه الجديد — بين افراد القوات المسلحة وبين الفكر والاهداف التى يسعى من اجلها التنظيم السياسى فى ظل هذا الوضع ماذا تكون النتيجة ؟ فى الحقيقة انفصال تام بين القوى المقاتلة وبين جماهير شعبها ، وهذه نقطة اساسية فى هذا الموضوع ، فى غياب هذا كله ماذا يحدث ؟ الذى يحدث ان المعايير الذاتية ، والمعايير الشخصية تسود .. الاستلطاف وعدم الاستلطاف كلها معايير من الممكن أن تؤخذ فى الاعتبار لاننا لا نزال نعتبر ان المناقشة ليست اقناع واقتناع ، بل مباراة فيها هازم ومهزوم ، فاذا هزمت وجهة نظرى غضبت فى حين انه ينبغى ان ارضى لاننى استفتدت بعد أن وصلت للحقيقة ، والموضوع هنا هو أننا نأخذ المناقشة كنوع من الملاكمة أو نوع من المصارعة ، وليست كنوع من الاخذ والرد

المجالات الاخرى ؟ وفى تقديرى ان النقطة الاساسية فى هذا الامر هو انه مع الانجازات المستمرة التى تمت اصبح يتضاءل يوما بعد يوم دور التعبئة أو حرص السلطة الوطنية أو القيادة الوطنية على تعبئة القوى الشعبية مستفيدة فى ذلك برصيدها الوطنى الضخم وبالانجازات التى تمت الى ان وصلنا الى هذه الحالة التى عليها الاتحاد الاشتراكى .

النقطة الثانية فى السلبيات ، هى ان الاتحاد الاشتراكى لم يكن منذ ولادته حتى الان يمثل تحالف قوى الشعب العاملة فعلا ، ولم يكن جبهة ولم يكن اتحاد قوى ، بل فى الحقيقة كان حزبا يمثل تيارا محددا هو ما يمكن أن نسميه بالراسمالية البيروقراطية أو بالقوى البيروقراطية واصبح بالتالى يعكس اتجاهات ومصالح هذه القوى البيروقراطية التى عشت فى بعض مراكز السلطة بغض النظر عما لها من ايجابيات ومن سلبيات ومن وجهات نظر .. الخ ، لكن النتيجة أن الاتحاد الاشتراكى فى حقيقته كان تعبيرا عن مصالح هذه القوى بقاعدة مريضة صامتة ، قاعدة مشلولة جامدة لا تتحرك ، وعلقتنا لافئة الاتحاد الاشتراكى ، لكن كان تحت هذه اللافتة يوجد حزب لهذه القوى البيروقراطية ، ونتيجة لغياب قوى التحالف الحقيقية ، راحت القوى البيروقراطية يوما بعد يوم تستخدم فى العمل السياسى الاجراءات البوليسية ، وتحول التنظيم السياسى فى كثير من الحالات الى أن أصبح شرطة سياسية مهمته تقديم التقارير عن الناس ، وتقدير التقارير عن المناوئين .. الخ . وفتح الباب واسعا لدخول عناصر الانتهازية حتى أعماق اعماق الاتحاد الاشتراكى .

لا يعنى ذلك ان الاتحاد الاشتراكى لم يقم أيضا بايجابيات ، فبال تأكيد قد أشاع مناخا من العمل السياسى غير المنظم نتيجة للشخصية التاريخية والدور التاريخى للفرد ، وهذا معترف به فى الفكر الاشتراكى ، اقصد .. دور عبد الناصر الشخصى ، فقد اعتمد عبد الناصر أساسا على الجماهير الشعبية أو جماهير الشارع المؤمنة والواثقة فى قيادته ولكن غير المنظمة ، ونتيجة لهذا لم يكن هناك وضوح أو جهد يبذل من أجل تنظيم هذه الجماهير ، لتغدو بالفعل صاحبة السلطة .. وهنا تكمن قضية القضايا .

هذه القضية أصبحت مطروحة أساسيا بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ ، ووضح تماما انه لو كان لدينا بالفعل جبهة أو تحالف أو تنظيم حقيقى ، لكان من الممكن أن تتغير جذريا صورة سنة ١٩٦٧ ، هذا هو خطوط المنهج الاول .

النقطة الثالثة : انه اذا لم تكن هناك طبقة واحدة قادرة وحدها على قيادة المجتمع ، وبالتالي على تكوين حزبها والاستمرار في تطوير المجتمع قائدة للجماهير الشعبية كلها، هنا يصبح موضوع اقامة تنظيم يضم الطبقات الاخرى مع بعضها البعض أي الجبهة ، أو ما نسميه باتحاد القوى ضرورة واقعية ، وليس مجرد تصور الى ان هذا يصلح أو لا يصلح . في مصر الان وفي جميع البلاد العربية نجد ظاهرة انه لا توجد طبقة واحدة ، نتيجة لدرجة النمو الاقتصادي والسياسي والفكري والاجتماعي ، قادرة وحدها على أن تقود المجتمع نحو المتطلبات الأساسية لهذا المجتمع ، من رفع مستوى المعيشة والتطوير الصناعي ، حتى في الاطار الرأسمالي وليس في الاطار الاشتراكي . من هنا يفرض علينا الواقع قضية الجبهة أو قضية التحالف الوطني أو قضية صياغته في الاتحاد الاشتراكي .

ان الاتحاد الاشتراكي ليس هو التحالف ، هو الصياغة السياسية الهادفة لهذه الطبقات التي يجب ان تسير بالعملية والتطوير بما يحقق اهداف التحالف الوطني التقدمي .

النقطة الرابعة : هي كيف يتم التنظيم — عادة — سواء كان جبهة أو حلفا وهذه النقطة اشار اليها الاخ جمال العطيفي في التجربة اليوغوسلافية ، هذا يتم اساسا من موقع المعارضة للنظام القائم ، أي من موقع هدم النظام القائم من اجل الوصول الى نظام افضل، ومن هنا توجد معايير موضوعية اساسية لاختيار العناصر النضالية التي يمكن ان تلتحق بهذا الحزب أو التنظيم من اجل الكفاح ضد النظام المستغل القائم ، ومن هنا العضو لا يقدم اشتراكا فقط ولكنه يقدم حياته ، ويقدم مستقبله وبالتالي تكون لديه الحيوية والحرارة والارتباط والاندماج في هذا الحزب أو التنظيم .

ما حدث انه منذ سنة ١٩٥٢ بدأت التجارب الوطنية الجديدة والسلطات الوطنية الجديدة التي ظهرت تواجه مشكلة جديدة في العالم كله ، هذه المشكلة هي مشكلة ، كيف يمكن بعد ان وصلت طلائع السلطة الوطنية الى الحكم ان تكون تنظيمها السياسي من مواقع السلطة ، وبطبيعة الحال ما دامت هي في السلطة ، وما دامت هي التي تحكم فليس هناك بالتالي معيار تستطيع ان تحكم به على امانة أو جدية صلابه من يطلب الانضمام الى تنظيمها السياسي ، وهذه صعوبة ضخمة ، وهي احدي الصعوبات الأساسية في الاتحاد الاشتراكي والتي عبرت عنها ورقة العمل بقولها « طغيان النواحي الشخصية أو تسلل الكثير من العناصر الانتهازية

والاستفادة المتبادلة والتعلم بتواضع من بعضنا البعض ، كانت النتيجة أمام هذا كله فعلا أن كف الفكر المصري والبادرات المصرية التي عرف بها الشعب المصري طوال تاريخه من الابداع وعن المشاركة ، واصبحنا نجد الصورة .. الجماهير منتظرة في المقاهي وعلى سماعات الراديو اننا سندخل اسرائيل ، وبالتالي ردد بعض الناس قصة تقول ان الاسطول السادس يمكن ان يتدخل وكان ردهم « دعوا الاسطول السادس يدخل وبعد ذلك مسترون ماذا نفعل له ، انها استهانة ، فما نتيجة هذا ؟

نتيجة هذا ان الاتحاد الاشتراكي في الحقيقة وهذا مشار اليه في ورقة العمل وهذا مهم جدا اتجه الى الاسلوب المكتبي البيروقراطي وفي تقديرى ان هذه نقطة مهمة ، باننا نغلق الباب على الناس ونمنعها من ان تستخدم عقولها ، وهي اثنان ما اعطته الطبيعة للانسان من قدرة على المشاركة به ، بالاضافة الى انه ينتهى الى أوامر محددة تصدر من أعلى ولا توضع موضع المناقشة أو التقدير نتيجة الظروف المختلفة الموجودة فيه .. اذا وضعنا نتائج كل هذا في اطار المنهج التاريخي العلمي للتنظيم السياسي فماذا نجد ؟ نجد انه أخذا في الاعتبار أن الفرد وحده مهما كانت قدراته وامكانياته وكفاءته لا يستطيع في ظروف العالم المعقدة الا أن يطور المجتمع ، ولا بد أن يتجمع عدد من الناس حول افكار محددة واهداف محددة من اجل تحقيق هذا ، وذلك من بدء البشرية حتى الان ، وظلت هذه الفكرة تتطور الى ان اصبحت ما يسمى بالاحزاب في العالم الغربي ، أو في العالم الليبرالي أو في العالم الديمقراطي .. الخ ، وسموها في الواقع نوادي المناقشة ، لقد ذهبنا الى حزب المحافظين في انجلترا وفوجئنا بأن هذا الحزب ليس له تنظيم ، ليس له الا مكتب دراسات ومجموعات من بعض الاشخاص المرتبطين ببعضهم ببعض ، وحزب العمال مختلف ويحاول أن ينشئ تنظيمها .

متى بدأت فكرة ما يسمى بالتنظيمات الثورية ؟ لقد بدأت هذه الفكرة مع الاتجاهات الاشتراكية، ومن هنا تكونت بعض قواعد معينة للتنظيم اصبحت معترفا بها ليس فقط في البلاد الاشتراكية ، بل في البلاد الغربية والرأسمالية فنجد تنظيم حزب العمال في بريطانيا والحزب الاشتراكي في ايطاليا والحزب الديمقراطي المسيحي في ايطاليا ، بل ان حزب بورقوية وهو من أهم الاحزاب العربية من ناحية التنظيم نجح حتى الان في تنظيم الحركة الشعبية في تونس نتيجة التنظيم العلمي الحقيقي .

والرجعية الى صفوف التنظيم ومراكز القيادة
وتسخيرها لامكانيات التنظيم .. الخ . »

الاتحاد الاشتراكي سواء أكان في مركز قيادي أو
غيره .

النقطة الخامسة : هي القضية المثارة حول
السلطة — لماذا يتكون التنظيم ؟ يتكون التنظيم
أما في المعارضة من أجل إسقاط الحكم القائم
والاستيلاء على السلطة . لماذا يوجد التنظيم
بعد الاستيلاء على السلطة ؟ لممارسة السلطة .

لكن المحاسبة السياسية للوزير تعنى بالضرورة
إسقاطه من الوزارة أو تعديل الوزارة باعتباره
خارج عن الخط وكذلك فقدانه لعضويته بالتنظيم
أو اتخاذ أي إجراء تنظيمي آخر أخف .

النقطة السادسة : أننا لا يجب — في رأيي —
أن نخاف من تعبير السلطة بالمعنى السياسي ،
لكن القضية هي قضية التنسيق بين الأجهزة
المختلفة التي يجب أن تقوم بهذا العمل ، على
سبيل المثال مستشفى من المستشفيات ، ما يحدث
عادة أن يكون هناك قسم للرمد وقسم للصدر
وقسم للجراحة الباطنية ... الخ ، لكن هناك
إدارة في النهاية لها خطة هي التي تحكم وهي
التي توفر المتطلبات وتحدد كيفية النظام داخل
العمل ، لكن لا يمكن أن نكلف أحد أطباء العيون
بأن يقوم بعمل جراحة للزائدة الدودية ، أو أن
يعالج باطنياً ، هذا ليس ممكناً . وبالتالي تحديد
طبيعة عمل جميع هذه الأجهزة مهم جداً ، كيف
تحدد ذلك ؟ نحدده بإيجاد برنامج محدد ، ونحن
نخطط أحياناً بين برنامج الحزب أو التنظيم وبين
فكر الحزب أو التنظيم ، طالما أننا اخترنا أسلوب
التحالف أو الجبهة فلا يوجد فكر واحد سائد غير
فكرة واحدة ، هي أن هذه الطبقات التي تحالفت
قيماً بينها قررت أن تتعايش سلمياً وتعمل معاً
من أجل تحقيق أهداف محددة مشتركة بين
الجميع ، وأسلوب تحقيق هذا والمدى الذي
يجب أن نصل إليه لابد أن يطرح للنقاش العام
داخل هذا الاتحاد ، وما يتم عليه اتفاق الأغلبية
يصبح قرار التنظيم السياسي في هذا الغرض .

نقطة أخرى : يجب تحديد ماهية الطبقات
القائمة حقيقة في الاتحاد الاشتراكي ، نحن درجنا
على القول بأنها خمس طبقات ، وهذا يؤدي بنا
إلى النقطة التي ذكرها أحد الزملاء عن المثقفين
... الواقع أننا من ناحية الواقع ثلاث طبقات
فقط ولسنا خمس طبقات ، طبقة الرأسمالية
الوطنية ، طبقة العمال ، طبقة الفلاحين ، أما
المثقفون والجنود فليسوا طبقات على الإطلاق
وإنما هم فئات خاصة نتيجة عملهم المشترك ذي
الطبيعة الخاصة أصبحوا يكونون في المجتمع
وحدة ذات وزن خاص تؤثر في المجتمع ، ومن
هنا في الجيش تنعكس الطبقات الثلاث ولا يكون
طبقة واحدة ، إذا أصبح طبقة فهذا يكون خطراً
شديداً جداً ، كذلك فإن المثقفين ينعكس فيهم
تفكير ومصالح واتجاهات هذه الطبقات الثلاث ،
وإذا كنونا طبقة يكون ذلك في منتهى الخطورة
على قضية التحالف .

نحن هنا نواجه تعبير السلطة كتعبير لغوي
يعنى السيطرة والاستبداد ، وليس كتعبير سياسي
يهدف إلى ترجمة أهداف التنظيم ترجمة عملية
بعد أن يقع بها الجماهير ، التنظيم الذي لا
يمارس السلطة تنظيم فاقد لبرر وجوده ، من هنا
تصبح القضية هي في ماهية السلطة المطلوبة؟
وكيف يمكن أن تمارس ؟ السلطة — في تقديري
— هي أن يصبح التنظيم السياسي مصدر القرار
الأساسي لتوجيه المجتمع بجميع أجهزته من حكومة
وبرلمان ونقابات ومؤسسات ومخافظات ... الخ
وذلك من حول خط معين ، ومن الذي يقرر هذا
الخط ؟ يقرره التنظيم السياسي من خلال بلورته
الديمقراطية لإرادة الشعب ، ثم يتابع التنظيم
السياسي بأجهزة معروفة تماماً في كل تنظيم
سياسي لم تابعة إمكانيات هذا التنفيذ — هل هذه
السلطة تمارس بنفسها أعمالاً تنفيذية ؟
إنها لا تمارس عملاً تنفيذياً . وإنما هي تحدد
الخط الذي على المسئول التنفيذ أن يمارسه ،
ثم بعد ذلك يواجه المسئول التنفيذ بنوعين من
الحساب ، نوع دستوري أمام البرلمان أو مجلس
الامة ، ونوع سياسي تجاه التنظيم السياسي ،
بمعنى أن البرلمان يستطيع دستورياً أن يحاسب
الوزير أو الحكومة على أساس أنها اتخذت
قوانين مخالفة للدستور ، أو أن أحد أعضائها
غير كفء فنياً ، لاتخاذ إجراءات متضاربة مثلاً
أو غير مدروسة ، كل هذا من حق البرلمان
والمجلس الشعبي أن يحاسب هذا الحساب
الدستوري ، وهو الحساب الذي يدخل في
ميكانيكية وفنية عمل الوزير التنفيذي أو المسئول
التنفيذي ، لكن الاتحاد الاشتراكي أو التنظيم
السياسي عندما يحاسب الوزير يحاسبه محاسبة
سياسية ، بمعنى أن يقول له أنه في خطته التي
عرضها على الوزارة أو قام بتنفيذها خرج عن
الخط السياسي أو عن البرنامج المقرر أو عن
الأهداف الموضحة ، أو أنه حاول في وزارته أو
في العمل المسئول عنه أن يمنع العمل السياسي
أو يثير في جوانبه عراقيل ، وهذه المحاسبة لابد
أن تؤدي إلى نوع من العقاب ، بمعنى أن
الحساب الدستوري قد يجعل الوزير يفقد منصبه
كنه إذا لم يحاسب سياسياً يظل عضواً في

عنها ، وما أن نتصور أننا نقيم نظاما أبديا فهذا غير ممكن ، وبالتالي لابد أن نحدد - كما حدد الميثاق فعلا - مرحلة معينة ، هذه المرحلة يصلح لها هذا الأسلوب المعين من التنظيم ، وهذه الأهداف المعينة التي يجب أن يحققها التنظيم ففكرة الإبدية والاستمرارية دون تعديل ، دون مواكبة للحياة هي فكرة خطيرة وسوف تجمدا تجميدا كاملا ، وانتي أعتقد - ولعل هذا هو الأساس - في أن تكوين لجنة العمل وتكوين اللجان الاستشارية - وهو الموضوع الذي أثاره الأستاذ أبو وافية - بحيث أنها لاتقف فقط عند حد الحوار مع النفس ، ولا يصبح حوارا مغلقا داخل أعضاء التنظيم .

وأعتقد أنها فكرة مهمة وأساسية لدرجة أنه في بعض الأحزاب الثورية الآن تكون الجلسات علنية للجماهير ، الحزب الشيوعي الإيطالي ، وأيضا الاشتراكي يسمح لجمهور المنطقة أن يحضر اجتماعات حزبه ، يشارك ولكن لا يصوت على ما يقال ، فالحوار مع النفس هو حوار ضيق باستمرار ، أما الحوار مع الغير فهو يعنى .

فما أريد أن أخرج به الآن هو اقتراح الآتي :

① أن نعترف بالواقع القائم . أننا أمام ثلاث طبقات محددة وفئتين متميزتين لهما وزنهما الخاص في المجتمع ، وبالتالي لابد أن يتمثل داخل الاتحاد الاشتراكي بصياغة واقعية ، ومن الممكن أن نخصص جلسة خاصة لهذا النقاش ، بحيث يكون هناك منبر داخل الاتحاد الاشتراكي لكل من هذه الطبقات .

② يجب أن تعالج بهزيد من الجدية والعمق والتحليل قضايا المثقفين وقضية ارتباط الجيش بالتنظيم السياسي دون أن يخل ذلك بالانضباط والطبيعة الخاصة بالجيش وأسراره العسكرية .

③ أن يمارس العمل السياسي ، لا بطريق الانطباعات الذاتية والتجارب الجزئية ، إنما بطريق تجميع جميع الخبرات وتحليلها على أساس علمي وصولا إلى القانون العام الذي يحكم هذه المسيرة في ظروفنا التاريخية المحددة المعاصرة .

④ لابد من وجود جهاز رقابة ومتابعة على مستوى المجتمع ككل لقرارات وخطوط التنظيم ، أما أن يتم بطريقة مشتركة مع السلطة التنفيذية باعتبار أنها هي التي تقوم بتنفيذ هذه الإجراءات ، أو كما يرى

ومن هنا علينا أن نحدد داخل التحالف منابر سياسية - فكرية واضحة محددة لهذه الطبقات الثلاث ولا تضيق بها . وأن المحلة الداخلية أو المنبر الداخلي للاتحاد الاشتراكي يجب أن يعكس في حوار مستمر فكر جميع هذه الطبقات دون أي حساسية . وبطبيعة الحال هذا ينعكس على المثقفين .

النقطة الثانية ، هي أن هناك حدا أدنى من المعرفة الإنسانية العامة المشتركة في ظروف عصرنا لا نستطيع أن نقول أنه يتوافرها لدى إنسان العصر أنه أصبح اشتراكيا أو رأسماليا ولكن فقط أصبح علميا وابنا للعصر ، لا يستطيع مثلا أن أقول أن هذا [السكوب] اشتراكي أو رأسمالي . أن المعرفة الإنسانية المشتركة تعلن أن السكوب هو انشاء للشرب . ومن الممكن أن استخدمه في نظام رأسمالي كما استخدمه في نظام اشتراكي ، وإنما المهم هو طريقة الاستخدام ومن هنا تأتي أهمية الوعي التنظيمية والتسلسل التنظيمي واحترام لائحة التنظيم . هذه هي المعرفة العلمية للتنظيم يجب أن يتم فعلا على الأسلوب العلمي داخل الاتحاد الاشتراكي دون أي حساسيات ، ومن هنا فاني أختلف مع الزميل جمال العطيفي عندما قال أن المركزية الديمقراطية لاتصلح في الاتحاد باعتبار أنها أساليب الحزب . لا أني أقول أنها من الممكن أن تصلح ليس بمعنى استخدام حزبي وإنما بمعنى استخدام تحالف ، أي أنه لابد أن يكون هناك مركز ، يقرر ولا يرجع باستمرار في كل صغيرة وكبيرة إلى تحت ، بالإضافة إلى وجود قاعدة ديموقراطية تحكم كل التنظيم ، تناقش من أرضية القواعد باستمرار هذا العمل ، وبالتالي يمكن استخدام المركزية الديمقراطية هنا أو هناك .

هناك نقطة أخرى أثرت خلال العمل ، وهو أننا نتحدث كما لو كنا نريد دائما نظاما مؤيدا ، وهذا وضع غريب أن ننظر باستمرار إلى العمل السياسي بأنه عمل دائم بهذه الصورة ، بهذه الكيفية ، وبهذا الوضع إلى أبد الأبد ، هذا غير ممكن ، لم يحدث في أي تنظيم في العالم وإذا أخذنا الحزب الشيوعي السوفييتي نجد أنه غير من برنامج ومن لائحته مرتين أو ثلاث مرات أيضا حزب العمال البريطاني غير من برنامج ومن لائحته مرات ، ما الذي يجعله يغير ؟ الذي يجعله يغير هو ما تطرحه الحياة من قضايا ومسائل جديدة باستمرار لم يكن يتصورها ولم تكن قائمة عندما أقيم الحزب .

متطلبات الحياة العصرية والاجتماعية متجددة ودائمة التجدد ، ولابد أن نواجهها ولا نتخلف

فى بعض التنظيمات الأخرى بأن ينشأ جهاز رقابة يتطوع له من أعضاء التنظيم السياسى ومن أعضاء على مستوى فنى وخبرات من الجهاز التنفيذى تحت إشراف التنظيم السياسى وذلك لرقابة القطاع العام والتعاونيات ... الخ ، مع وجود مراكز علمية سياسية معينة تقوم بدراسات حقيقية .

⑤ عمل دليل سياسى تنظيمى للاتحاد الاشتراكى ، وهذا الدليل السياسى معناه تحديد كامل ودقيق لما نريد أن نحققه فى مدى خمس السنوات القادمة من حياة التنظيم مثلاً ، وهذا يستدعى دراسة وخبرة واستشراف لما يأتى فى المستقبل ، مثل قضية الاحتلال وما فيها من تناقضات معينة ، والقضايا الاجتماعية والاقتصادية المهمة الأخرى . وكذلك تحديد تنظيمى يحدد كيف يمكن أن يبنى داخل الاتحاد الاشتراكى - بجانب التنظيم الأبقى والاقليمى والجماهيرى - مراكز الخدمات السياسية والفنية والتنظيمية للتنظيم ككل .

وفى تصورى أنها ثلاثة مراكز رئيسية هى :

- مسئولية الفكر والاعلام والدعاية .

- مسئولية اللجنة السياسية والعلاقات الخارجية .

- مسئولية التنظيم ، وتدخل معها قضية الرقابة .

● محمود أبو وافية

لى استيضاح فى نقطة واحدة وردت على لسان الزميل لطفى الخولى وهو يستعرض تاريخ الاتحاد الاشتراكى عبارة « كف الفكر المصرى عن الإبداع » ماذا يقصد بها ؟ .

● لطفى الخولى

ردا على زميلى فانى أريد أن أتكم بصراحة ، ما حدث أن أعدادا غير قليلة من مثقفينا وخبرائنا الفنيين والعقول المصرية جمد نشاطها نتيجة الظروف غير الديمقراطية وحرية البحث العلمى ، وفى تقديرى لماذا لم يتكرر نموذج الدكتور مشرفة العالم الضخم العظيم الذى كان قريبا فى مستواه للعالم آنشتاين ، فى مصر . لماذا ... ؟ لأنه لم يتهاى المناخ ، سواء من الناحية المادية أو الحرية الفكرية . وفى العلم لابد أن نسمح للفكر والعقل أن يتعرض لكل ما قد يكون فى صورة مقدسة أو مسلمة كائنة ، سواء أخذنا به أو لم نأخذ ،

ولكى يغنينا ويفتح مجالات أرحب باستمرار .

من ناحية أخرى أن الجانب الإدارى البيروقراطى فى التجربة المصرية وهو أحد السلبيات تغلب بصورة ملحوظة على الجانب الفنى والعلمى ومن هنا تحول أعداد كبيرة من المثقفين والمفكرين ، نتيجة هذا الوضع الذى استمر طويلاً - وآسف أن أقول هذا الكلام - تحولوا إلى ما يشبه الترزية ، يفصلون ما يريدونه المسئول فى الجهاز ، وما تريده السلطة أو الحكومة . فالترزى على استعداد لأن يفصل المطلوب ... أيا كان رأيه فى هذا المطلوب وقناعته به .

أما أنه يبدع ويعطى تفصيلاً جديدة أو يناقش قضايا أساسية من وجهات نظر أخرى ... فهذا مفتقد فى حياتنا إلى حد كبير . وهو ما يجب أن نتصدى له بالعلاج الجذرى .

● سميد خيال

هناك أزمة فى الاتحاد الاشتراكى وهذه ليست أول مرة إنما ذلك تكرر ، فقد مرت به أزمات من قبل ، والأزمة التى يصادفها الاتحاد الاشتراكى ليست كتتنظيم ، ولكنها أزمة العمل السياسى والعمل الثقافى والفكرى ، أى أنها أزمة المجتمع المصرى ، وفى تطوره يتخطى مراحل وي طرح مشاكل ولا يجد التعبير ، أو لا يجد القيادة ، أو تهتز الثقة ، وعندما تأتى الأزمة يقول الاتحاد الاشتراكى اننى أبحث عن ذاتى مرة أخرى .

جاءت الأزمة وجرت أحداث ٣٠ مارس ، وكانت هناك أزمات أخرى حدثت فى الطريق فى ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ وهكذا ... ونحن الآن فى أزمة ، لكن رغم ذلك فى هذه المرة يشعر الإنسان بالثقة وبالأمل لأن ورقة العمل تناولت طريقة التفكير فى المشكلة بأسلوب صريح يعطى الإنسان ثقة وأمل فى أنه لو خلصت النوايا وكان الاحساس حقيقياً ، فيمكن لنا أن نصل إلى حل .

اننى لا أرى أن الأزمة أزمة أيديولوجيات ، وفى هذا رأى غير حقيقى لأننا لا نقاش أيديولوجيات .

هناك منابر فكرية متعددة موجودة ، لكن أيا منا لا يطرح نظريات إنما يواجه مشاكل يطرحها الواقع المصرى ، وليس مهما أن نقول من أين يأتى الإنسان سواء كان رأسمالياً أو أقطاعياً أو مثقفاً ... إنما المهم إلى أين هو ذاهب ، وهذا هو السؤال الذى يجب أن نسأله إلى أين نحن



سعيد خيال

تجاهلناها أو اعترفنا بها فهي فاعلة وقائمة
ومنتجة في المجتمع ولا نستطيع أن نصادرهما .
أن تجمع الطبقات أساسا هم طبقة الفلاحين
والعمال والرأسمالية الوطنية ، والمثقفين لهم
ذاتية وتميز ، ولهم مجال عمل وروابط ، لكن نجد
أنهم ينحازون الى فئاتهم .

أي تجمع طبقات لابد أن يكون له تعبيره
السياسي مستقلا ، طبقة العمال لها نظام نقابي
مكامل يصل الى الاتحاد أي نقابات العمال
المصريين ولكن ليس لها جهاز سياسي مستقل
وكذلك الفلاحين والرأسمالية الوطنية ، وفي
المؤتمر القومي نجد أننا لانعرف بعضنا بعضا
حتى في الانتخابات فان كل المرشحين يلبسون
نفس الجلباب ويرفعون نفس الشعارات ،
والسيد الرئيس يعلم هذا . فكيف اختار ؟ ليس
هناك من عمل وفكر سياسي في المجتمع المصري
بحيث يمكن به أن نميز به الناس وبالتالي
يرشحون الرجل الطيب أو الخدوم أو القريب
حتى أن المعايير كلها لاتنتج شيئا .

إذا توفر جهاز سياسي لكل طبقة فسوف
تتغير صورة أو تركيب المؤتمر القومي العام
والهيئات القيادية وهي اللجنة المركزية ونصل
الى الامانة العامة من موقع أن ممثلي العمال
والفلاحين والرأسمالية الوطنية ، وهنا اطرح
سؤالا ... هل نقوم بعمل احزاب وهذا سؤال
مطروح من كثير من المواطنين انه ليست هناك
فائدة ولابد أن نرجع للاحزاب ، وأننى أرى أن
هذا خطر شديد ، هل نسير في احزاب لكى
ننشئ تحالفا ، هذا غير معقول فمنذ عشرين
عاما لاتوجد احزاب فحينما نقوم بعمل احزاب
فهذه فكرة خطيرة حقيقة .

لدينا الاتحاد الاشتراكي تحالف ولدينا مواثيقه
وله اللجنة المركزية والامانة العامة وهي العنصر
الحركي الدائم ، اذن يمكن أن نمثل فى الامانة ،

ذاهبون ؟ نحن ملتزمون بوثائق الثورة
.. فما سبب الازمة اذن ؟ هل أسبابها السلبيات
التي ذكرتها وهي حقيقية ، وفي الحقيقة هي
ليست أسبابا ولكنها ظواهر .

ان اسباب الازمة فى تقديرى يرجع الى سببين:
سبب من الممكن أن نتعرض له وإذا نجحنا فى
علاجه فستكون هناك مرحلة مقبلة .. اذا اتضح
النجاح فى المرحلة الاولى وفى هذه الحالة من
الممكن علاج أو تعديل السبب الثانى حينما
نتعرض ، وأننى لا أود أن أتعرض للسببين وإنما
سأتعرض لسبب واحد .

السبب الاول : هل الاتحاد تجمع طبقات
أو تحالف طبقات .. ؟ أننى أرى أنه تجمع أفراد
أو تجمع احاد ، وبالتالي ستواجهه الازمات طالما
هو تجمع أفراد ، فما يحدث هو أنه تجرى
انتخابات فى الوحدات الاساسية يتصعد منها
افراد الى أعلى الى أن يتكون المؤتمر من ٢٠٠٠
فرد ، ومن الطبيعى حينما أكون فردا فى المؤتمر
والانسان بشر يطرح على نفسه تساؤلات كثيرة
أيا ترى يواجه ويقول الحقيقة أم يتقى أم يظل
هادئا ، وهنا تدخل المصلحة الخاصة ، وبالتالي
فهذه قضية لا يمكن علاجها طالما أن الاتحاد
الاشتراكي تجمع أفراد ، أما القول بأنه تحالف
ففى تقديرى أن التحالف هو تجمع كتل أو تجمع
طبقات أو هيئات أو فئات متميزة ، فالازمة
المطروحة الان فى المجتمع المصرى - وهذا
الكلام قيل من سنوات ومن عديد من الناس ،
وكتب هذا وراجعت كل هذا ، فوجدت أن
هذا الكلام قيل - عبارة عن اجتهاد فكرى ،
فالعمال يقومون بعمل اضرابات مثلا ، وفى
اثناء الانتخابات حدثت اضرابات فى الشرقية وفى
غير الشرقية ، اذن هناك أزمة تعنى أن الشكل
التنظيمى ليس معبرا ، ولا يعطى الفئات أو
الطبقات حرية التعبير وليس قادرا على جمعها ،
فيقال تجمع من أجل المعركة أو تعبئة ، كل هذه
شعارات فى فراغ ، طالما أن الاتحاد الاشتراكي
عبارة عن تجمع احاد أو أفراد وكل فرد له
مصلحة خاصة ، ولديه الواقع الذاتى لكن له
ضعفه .

وفى تصورى انه اذا جعلنا الاتحاد الاشتراكي
كما نصت عليه مواثيقه أنه تجمع طوائف أو
هيئات أو طبقات - ونحن نقول أنه ليست سيادة
طبقة على طبقة وهذا صحيح .. وهذه المرحلة
ليست مرحلة أفراد طبقة وهذا أيضا صحيح ..
لكن ليس معنى هذا ادماج الطبقات لان هذا
لا نرجوه ولا نستطيعه لان القوانين الاجتماعية
والقوانين الاقتصادية تؤتى نتائجها وأفعالها سواء

الفلاحين والعمال والرأسمالية الوطنية ، بحيث تكون تمثيلات مستقلة داخل اطار التحالف تختلف مصالحها وتتفق مصالحها هذا صحيح ، لكن دائما تصل الى قرار هو الحل الوسط . وهذا هو شعار المرحلة فما يتفقون عليه يوافق عليه ومالا يتفقون عليه نؤجله ونحاول الوصول الى الحد الأدنى من الاتفاق وبهذا الشكل يمكن القول انه يمكن حل التناقضات حلا سلميا ونستمر في السير ، أما فكرة الأحزاب فتختلف عن ذلك فما يحدث انه توجد مواجهة بين الطبقات وهذه ليست وارادة في المجتمع المصري .

هذا التحالف تحالف مصالح ، وهناك حد أدنى في ورقة العمل وهناك مسائل خلافية تحل بالاتفاق ، أو بالحل الوسط ، لكن ليست هناك الايديولوجية الواحدة ولا يمكن ان يحدث هذا ولو شئنا لانستطيع ، فمن غير المعقول ان تمنح أصحاب الارض بأن تكون الملكية عشرين فدانا بدلا من مائة ، وبالتالي لا يمكن ان تصل الى شيء الا اذا كانت لكل طبقة في الاساس تنظيمها السياسي ، فمثلا الرأسمالية الوطنية تدرس الواقع الاجتماعي وتخرج بخطة وتذكر انها رأت ان المصلحة تقتضي كذا .. وهكذا العمال والفلاحون ، ثم يعقدون اجتماعات مع السيد السكرتير الاول يصلون فيها الى قرار متفق عليه فاذا وصلنا الى هذا يمكننا ان نحل أزمة الاتحاد الاشتراكي وأزمة العمل السياسي في الوقت نفسه ونترك للطبقات أو للتنظيمات ان تناقش نظريا أو تناقش ايديولوجيات .

نحن لا نقول اخرجوا عن الميثاق أو الدستور أو بيان ٣٠ مارس ، اذا نجحنا في هذا يمكن ان نحل مشكلة السلطة ، وهذا هو العمل الجماهيري وكما قال أجدادنا الأمة مصدر السلطات وهي قضية لا تقبل الجدل ، ولا يمكن ان تكون السلطة التنفيذية فوق الاتحاد الاشتراكي ولا أي سلطة في الدولة ، فما دام الاتحاد الاشتراكي هو المعبر الحقيقي لمصالح الجماهير وهو ارادة الشعب فلا تعلو عليه ارادة ، ويترتب على هذا أننا وصلنا بالاتحاد الاشتراكي الى هذه الصيغة فسوف تتوفر القدرة الذاتية لكي يفرض ارادته ويمكن لرئاسة الجمهورية ان تمارس سلطتها من داخل الاتحاد الاشتراكي .

الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله في سنة ١٩٦٤ ذكر ان العمل الاداري لايجدى ولا بد من العمل السياسي ، لكن منذ ١٩٦٤ للآن نجد ان العمل الاداري هو السائد لانه اسهل ، فالحكومة تصدر قرارا فينفذ ، فلو بنى الاتحاد الاشتراكي نفسه من جديد ولا أقول تجري انتخابات جديدة ،

انما اذا عدل قانونه فسوف يصل الى التكوين الصحيح بأن يعطى الطبقات المتحالفة استقلالية سياسية في العمل السياسي في اطار التحالف ، شريطة ان مايتفق عليه لا بد ان ينفذ ، وهو الحل الذي يقبله الجميع وهو الوسط ، فربما لا نقبل ان نسير وراء خط الاشتراكية ، وفي هذه الحالة يكون هناك (فيتو) كما يحدث في مجلس الامن ، ان لدينا الميثاق ولدينا ٥٠ ٪ عمال وفلاحين ولدينا الرئيس ، أي انه ليس هناك خوف من هذا .

هذه هي فكرتي ببساطة دون اطالة ، ولكن ليس حل الازمة هو ان تشكل التنظيم الطليعي ، وأرى حتى لو تم تشكيله فسوف لا يحل الازمة ، وبالنسبة للحركة الجماهيرية والحركة الشعبية فلا اعتقد ان الجماهير سلبية فقد رأينا مراحل كثيرة على طريق التطور في مصر وكانت الجماهير اكثر ايجابية ، واذا ما أخذنا فترة تأميم القناة وما بعدها وجميع الاحداث التي تلتها يتضح من هذه الاحداث كلها ان الجماهير كانت معبأة من غير فتوى ، والعمال أيضا في الحركة كانت معبأة وجاهزة لها .

فلو بنى الجهاز السياسي الخاص بالعمال من القاعدة الى القمة دون خطر العمل السياسي عليهم ، كما لو بنى الجهاز السياسي لكل من الفلاحين والرأسمالية الوطنية ، ويتقابلوا جميعا في المستوى الاعلى لتمكنوا من حل مشاكلهم ولاختلف الوضع .

أما بالنسبة لمشاكلنا مع السلطة فانا لا أرى مشاكل مع الحكومة اطلاقا ، كما لايجوز الخلط بين المؤسسات الدستورية والمؤسسات الشعبية فاذا كانت القوى الوطنية منطلقة في الاتحاد الاشتراكي في حركتها السياسية والفكرية بحرية فستفرض وجودها على ممثليها سواء في المجلس الشعبي أو في غير المجلس الشعبي ولن تكون هناك حساسية ، لان الاصل هو ارادة الشعب المثلة في الاتحاد الاشتراكي ، ويجب هدم فرض أسماء مثل أمين فلاحين وأمين عمال .. الخ . بل هذه القطاعات من العمال والفلاحين هي التي تأتي بهم وعلينا احترام هذا الاختبار .

● السكرتير الاول :

في الواقع لقد اثار السيد/ خيال نقطة لا أريد ان أتركها تمضي دون مناقشة ، ولكن سأبدأ بنقطة اثارها الاخ لطفى الخولي في كلامه لاننى أرى اننا لو ناقشنا هاتين النقطتين معا ، فمن المحتمل ان يعطونا خطأ فكريا يمكن ان نخطو به خطوة الى الامام .

أو ثلاثة أو أربعة - يناقشونهم في مشاكلهم . وفي اعتقادي أن هاتين النقطتين تمثلان ركيزة كبيرة في عملنا ، وأنى لاتساع ما الذى كان يحدث في الماضي ؟ أن ما كان يحدث هو أن يتدخل الاتحاد الاشتراكي في تكوين النقابة نفسها ، وبالتالي كان يمكن أن يصل رئيس نقابة الى مركزه دون أن يكون موضع رضاء قاعدته الجماهيرية ، وهذا يؤدي بالتالى الى انفصال رئيس النقابة عن نقابته ، مما يترقب عليه الانفصال بين الاتحاد الاشتراكي والنقابات ، فلم كل هذا طالما أن النقابات جزء من الاتحاد الاشتراكي ؟ فإذا كنا نعلم جادين أن الاتحاد الاشتراكي يجب أن يمثل آراء قوى الشعب العاملة ، فكيف إذن لاتمثل آراء النقابات ؟ وكيف يمنع نقاش يخرج عن موثيق الثورة مثلا ؟

وانما أذكر هاتين النقطتين لكي تثبتان في السكترارية كنوع من أنواع تدعيم الاتحاد الاشتراكي نفسه بتدعيم الجبهات الجماهيرية التي أساسها انتخابي ، والتي دورها - ولو أنه تقليدي - إلا أنه يمكن أن يكون دورا ثوريا ، وفي هذه الحالة يمكن أن نستفيد منها فائدة كبيرة ، فالعامل ما زال يرى أن انتهاء الى النقابة وليس للاتحاد الاشتراكي ... فلماذا لا نستفيد من هذا الوضع ؟ دون أن يتعارض معى في أي أمر من الأمور ، لأننى لن أرجع الى انتمائه الى النقابة بل سأرجع الى انتهاء النقابة للاتحاد الاشتراكي ، وبذلك تحل هذه المشكلة ، فهي ليست بعيدة وليست منفصلة طالما نحن جادون في القول بأن الاتحاد الاشتراكي يجب أن يعبر عن آراء هذه الجماهير .

واننى أبرز هاتين النقطتين بالذات ، لأننا سنواجه بتساؤلات بعد ذلك عن ماهية المنبر ، وكيفية الحوار ، وماهية الصلة مع النقابة ؟ ثم هناك نقطة أخرى يجب أن نحذر منها ، وهي كيف نصل الى ما نريد دون أن نشعر النقابات اننا نريد احتواءها ، فهذه نقطة مهمة جدا ويجب التركيز عليها ، فيجب أن نوضح لجميع النقابات أنه ليس في النية احتواؤها ، بل الغرض هو تبادل الرأي والحوار معها ، وتوضيح الخط السياسى لها ، وأن تؤثر بما تقتنع به فعلا في سياسة الاتحاد الاشتراكي .

● سعيد خيال

ليست الازمة ازمة الاتحاد الاشتراكي ، انما الازمة هي ازمة النظام السياسى في مصر وازمة السلطة ككل ، لان هناك خطورة شديدة ، فطالما أن الاتحاد الاشتراكي معزول وفاقد لثقة الجماهير ، فسيؤدي ذلك الى أن يكون هناك نحو ألف أو ألفين

فالسيد / لطفى الخولى يرى ضرورة وجود منابر تعبر عن الطبقات ... وهذا تعبيرى أيضا .

والسيد خيال يرى ضرورة ترك حرية النقاش السياسى للمنظمات العمالية والفلاحين والرأسمالية الوطنية ... الخ .

ولقد ذكرنا في بيانات سابقة صدرت عن الاتحاد الاشتراكي ، اننا لانريد مصادرة الحركة النقابية أو الحركة الذاتية للنقابات ، ولقد دلت التجربة البسيطة الماضية في الفترة الاخيرة في الاتحاد الاشتراكي على فائدة كلام كل من السيد / لطفى الخولى ، والسيد / خيال .

كذلك ما حدث بالنسبة لموضوع الطلبة ، فانه لم يعالج الا بالانفتاح على الطلبة أنفسهم وتفهمهم ، كما تعزز كلمة السيد / خيال ما حدث مع كثير من الصحفيين فمثلا الاخ موسى صبرى كان دائم الاتصال بى خلال مشكلة الطلبة بالرغم من أنه لم تكن له علاقة مباشرة فيها ، لكنه كان ينقل لى صورة مباشرة عما يحدث داخل الجامعة ، كذلك الحال بالنسبة لغيره من الصحفيين والمحامين والهندسين ، فقد كانوا على اتصال بنا خلال هذه الفترة لنقل صورة لما يحدث ، كما دارت اجتماعات كثيرة في ذلك الحين بيننا وبين النقابات المهنية والصحفيين والمعلمين والمحامين ... الخ ، وأنا أؤكد أن هذا الانفتاح تولد منه الخطاب الذى التى في المؤتمر .

وانا ارى أنه لو أخذنا هذه النقطة كنقطة موضوعية ولو انفتحنا على هذه النقابات المكونة بالانتخابات فصلا ... انفتحنا على ما سماه السيد / لطفى الخولى بالمنابر للطبقات ، وإذا ما انشأنا النوادي السياسية - وهذا ما فكرت فيه بالامس فقط أثناء ذهابى الى حلوان - بحيث يدلى فيها كل من له رأى برأيه كالعامل والرأسمالية مثلا .

فكما ذكر السيد / د. جمال العطيفى أن الأمور تتخرج الى أن تصل الى حد الاحتكاك ، اذا ما كان التنظيم السياسى مازال غير فعال ... ويجب الاعتراف بهذا ، ولو حاولنا اخفاء هذه الحقيقة ، فلن نستطيع أن نقوم بواجبنا على الوجه الاكمل ، فلو شعر العمال بأنه من الممكن أن يدلوا برأيهم هنسا وبحرية كاملة ، كذلك الرأسمالية الوطنية - وليس شرطا أن يدلوا برأيهم أمام السكترير الاول ، بل يجب أن يكون هناك فى قمة الاتحاد الاشتراكي تنظيم ما ، قد يكون نظام الامانات وقد يكون غير هذا النظام ، فنظام الامانات أيضا محل نقاش ، لكن لابد من ايجاد تنظيم معين ، بحيث يكون هناك مسئولان

حول رئيس الجمهورية ، لكنه سيظل وحيدا بمفرده ، فالأحداث متلاحقة سواء كانت داخلية أو خارجية ، كما أنه قد تحدثت تفجرات حتى ولو كانت بسيطة مثل أحداث الطلبة ، إلا أنها ستؤدي الى تحول الموقف كثيرا .

في الواقع ليس الاتحاد الاشتراكي هو الذي سيواجه هذه الخطورة ، لكنه يحاول أن يساعد ويتقوى ما سيحدث ، فإذا أخذنا تاريخ الحركة الثورية أو حركة الرقض في مصر سنة ١٩٦٧ فسنجد أنها متتالية وسريعة الخطى ، ولا بد أن يأخذ السياسي هذا في اعتباره دون اغفال ، حتى لا يواجه بأزمة .

● السكرتير الاول

أن هذا هو المنطق الحقيقي الذي أرى فيه تنظيم الاتحاد الاشتراكي ككل ، فلقد كنا أمام أحد أمرين . . . أما أن نترك الاتحاد الاشتراكي كما هو وهذا الرضع أسهل لنا وللجميع ، أو نستند الى الجماهير وهذا يتطلب جهدا ، وقد رأينا أنه يجب أن يستند النظام الى الجماهير ، وإلا فإنه لن يعتبر النظام السليم .

وما ورد في كلام السيد : لطفى الخولى بالنسبة للفترة السابقة والفترة الحالية صحيح ، فالرئيس جمال عبد الناصر كان يؤدي هملين : الاتحاد الاشتراكي وتنظيماته من ناحية ، ومن ناحية أخرى وجوده مع الجماهير بصفة مستمرة يشرح للقاعدة الجماهيرية ما تريد ، فكان لا يكتفى بمجلس الأمة فقط ، بل كان يدلى بحديث للشعب من مجلس الأمة نفسه ، فمثلا خطبة شبرا المشهورة قيلت في اجتماع عمالي فلماذا لم يكتف بمجلس الأمة باعتبار أنه يمثل الأمة ، لقد كان يريد أن يصل للجماهير ووصل فعلا ، فهنا نرى أن سياسة الانفتاح مفيدة جدا ، وسوف تفيدنا ، وإننى أكرر هذه النقطة لأنها ستترد تحت عنوان (كيف تكسب الثقة ؟) لاننا لا يمكن أن نكسب ثقة العمال أو الفلاحين بمجرد المطالبة بها ، لان الجماهير خائفة بل أصبحت حساسة لدرجة كبيرة جدا لم المسها منذ بداية الثورة حتى الآن ، وهذه ظاهرة لا اعتبرها مطمئنة ، فالشعب أصبح حساس بالنسبة لاي خبر ينشر في الجرائد ، فمثلا طلبية الفنون التطبيقية أثاروا أزمة بسبب ما نشر في الاهرام من أن مجلس الدولة له رأى معين بالنسبة لهم ، ورأى مجلس الدولة استشاري طبعاً ، لكنهم تصرفوا تصرفاً اعتبر من المواقف الحميدة التي حدثت في الاتحاد الاشتراكي في الفترة الحالية فهم لم يتخذوا أى إجراء إلا أنهم اتوا الى هنا وسألوني عن هذا الموضوع ، ولقد أزلنا لهم هذا اللبس ولم يحدث شيء ، وهذه علامة جيدة على الطريق فعلا .

كذلك طلبية معهد التعاون اضربوا بناء على خبر صدر في إحدى الجرائد متعلق بنظام السنتين والاربع السنوات وهذا الموضوع بعيد عن الاتحاد الاشتراكي لكن لم يحل هذا الاضراب الا بعد أن ذهب اليهم ممثلون عن الاتحاد الاشتراكي وطلبوا منهم أن يتركوا هذا الاضراب ويأتوا للاتحاد الاشتراكي ، وسأقابلهم اليوم . . . وهذه جميعا علامات تعزز ما ذكره الدكتور خيال من أنه لو أغلقنا على أنفسنا فسنعزل ، أما إذا انفتحنا على الجماهير وحاولنا الاخذ والرد معهم وإجراء المناقشة والحوار ، وشعر هؤلاء الناس أن هناك قاعة تضمهم مع ممثليهم في الاتحاد الاشتراكي حيث تتضح مشاكلهم أثناء الحوار ويتم التوصل الى قرارات فستكون هذه الخطوة لخدمة النظام فعلا .

● مصطفى كامل مراد

شكرا للسيد السكرتير الاول للجنة المركزية على تذكره ايانا أخيرا بالنسبة لهذه اللجنة ولدى بعض نقاط أريد التعليق عليها ، فمن خلال التجربة التي مررنا بها في تنظيمات الثورة السياسية ابتداء من هيئة التحرير الى الاتحاد القومي المعين ثم المنتخب ثم الاتحاد الاشتراكي بمراحله الاربعة منذ سنة ١٩٦٣ وحتى اليوم تجمعت لدى بعض الاراء أود أن أعبر عنها . .

فبالنسبة للاتحاد الاشتراكي أولا . . هل هو سلطة ؟

طبعا المبدأ الديمقراطي المعروف عالميا هو أن الديمقراطية هي سلطة الشعب وتأتي هذه السلطة من أن الشعب هو صاحب المصلحة . . فلا بد أن يكون له السلطة والقدرة على التوجيه والتعبير عن رأيه أولا ، ثم رعاية مصالحه والتأكد من أن كل الأجهزة تسير طبقا لما يحقق مصلحة هذا الشعب . . فإذا كان الاتحاد الاشتراكي يعبر عن تحالف قوى الشعب العاملة فمما لا شك فيه أنه يجب أن يكون سلطة لكى يستطيع التعبير والممارسة والتطبيق بما يحقق مصلحة هذه الجماهير . . وهذا مبدأ متفق عليه . . فمعروف أن الديمقراطية هي سلطة الشعب .

لكن المشكلة التي مررنا بها في تجربة العشرين سنة الماضية هي كيفية تعبير الجماهير عن رأيها . . ففي الواقع أن تنظيمات الثورة السياسية لم تنجح حتى هذه اللحظة في توجيه الجماهير التوجيه الذي يعطيها الحرية في التعبير عن رأيها بلا خوف وبلا نفاق ، فمن النادر ما كان يقف انسان ويتكلم بشجاعة ويعبر تعبيراً حراً سليماً عن رأيه . .

وانا أعتقد أن هذا هو السبب في عدم تحقيق

أعضاء التنظيم أو وقفه دون قواعد مما يؤدي إلى إسقاط ثقة الناس في هذا التنظيم .

● السكرتير الأول

لو سمحت لي نقطة نظام ، لقد صدقته قرآن جمهوري بتكوين لجنة النظام بالاتحاد الاشتراكي ، وبالتالي لم يصبح من حق السكرتير الأول فصل أي عضو أو وقفه دون العرض على لجنة النظام التي يرأسها السيد رئيس مجلس الشعب .

● مصطفى كامل مراد

أنني أتفق مع رأي الزملاء في أن الاتحاد الاشتراكي يمثل ثلاث طبقات وهي العمال والذلاحون وأصحاب رؤوس الأموال الوطنيين . أما الجنود والمثقفون فينتسبون إلى هذه الطبقات الثلاث دون شك فالمثقف ما هو إلا شخص يتفاعل مع نشاط الجماهير ويؤثر فيها ويتأثر بها ، وهو على قدر من العلم يمكنه من استيعاب مشاكل الجماهير من خلال المناقشات ويؤثر فيها ، فالتناقض موجود بين هذه الطبقات بلا شك فالفلاح يهيم بيع المحاصيل الزراعية بأعلى سعر ، لكن العامل يهيم أن يحصل عليها بأقل سعر في حين أن الرأسمالي الوطني يهيم بتحقيق أكبر أرباح ممكنة سواء من الاستغلال الزراعي أو الصناعي أو التجاري ، وبالتالي يهيم إعطاء العامل أقل أجر ، في حين أن ما يهم العامل هو الحصول على أعلى أجر . وهكذا ، فالتناقض موجود ونحن في تنظيمنا السياسي نعمل على حله عن طريق الحوار الحر الصريح الذي يأتي بعد الطمأنينة ، فكيف يمكن أن تأتي هذه الطمأنينة إلى نفوس الناس ؟

أولا . . . لابد من رفع كافة المظالم التي وقعت على الناس بالطرق الاستثنائية - وهذا ما ذكرته للسيد الرئيس أنور السادات في مجلس الأمة السابق - لأن من يفصل أو يعتقل دون قانون تهدر كرامته . . . وهذا الإهدار سينتشر في المحيط الذي يعيش فيه هذا المواطن مما يؤدي إلى انتشار السلبية بعدم ادلاء الجماهير بآرائها الحقيقية في المشاكل . . .

أذن لابد من إعادة النظر وبأسرع ما يمكن في الإجراءات الاستثنائية التي اضطرت الثورة لاتخاذها في فترات معينة ، لحفظ حق المواطن في حريته وفي رزقه وفي ملكيته . . . الخ ، طالما أنها في حدود الميثاق والقانون .

ومهمة الاتحاد الاشتراكي واضحة جدا وهي تلقي رغبات الجماهير وآمالها في مناقشات حرة

التنظيمات السياسية لاهدافها أو عدم نجاحها النجاح الكامل لأن أي اجتماع أو جلسة سياسية ان لم يدر الحوار فيها على أساس الحرية المطلقة والطمأنينة الكاملة في التعبير عما يدور في أذهان الحاضرين ، فلن ينجح هذا الاجتماع ولن يعرف التصدي للعمل السياسي الاساسي الذي يبنى عليه سياسته ولا ما تريده الجماهير لأنه لا يوجد من يحكم لحسابه حتى الاتحاد الاشتراكي فهو سلطة مفوضة من الجماهير صاحبة المصلحة الاولى في كل ما ينم من شئون تنفيذية وتشريعية فاذا لم تستطع الجماهير أن تناقش أو أن تدلي برأيها في حرية كاملة ، فلن يمكن استنباط المبادئ التي ترسم عليها السياسة التي ستطرح فيما بعد على الجماهير للموافقة عليها .

فمثلا في التجربة الاخيرة الخاصة بالاتحاد الاشتراكي ، كنت عضوا في الامانة العامة المؤقتة ، واختلفت مع جميع أعضاء هذه الامانة . . . لأنني كنت ضد مبدأ الاعتراض . . . فمثلا بالنسبة لموضوع شهادات الاتحاد الاشتراكي . . . أرى أنه موضوع غريب جدا ، فكيف أطلب وأنا عضو عامل بالاتحاد الاشتراكي فعلا شهادة بذلك ، وممن ؟ ولن أطلبها ؟ وربما أحصل عليها أم لا ؟ ومن الذي سيعطيها لي ؟ ومن الذي يقرر أن أحصل على هذه الشهادة فهذا بيت القصيد ، لأنها ستكون بناء على تقدير شخصي ، وهذا التقدير يأتي نتيجة التقارير التي ترد من المباحث ، ونحن نعلم أن هذه التقارير كثيرا ما تجانب الحقيقة وبالتالي يكون الحكم مبنيا على أساس غير سليم ، وبالتالي تتشكك الجماهير في التعبير الحر عن رأيهم في اختيار ممثليهم .

فأنا عضو في الاتحاد الاشتراكي منذ تسع سنوات ويأتي شخص ما ويرفض إعطائي هذه الشهادة فبأي حق يتم هذا ؟ وأنا أعتقد أن هذه أكبر غلطة وقعت فيها الامانة العامة المؤقتة بأنها سارت على هذا الأسلوب الخاطيء في عملية إعطاء ومنع الشهادات للترشيح .

وهناك قيد آخر هو أنه يشترط أن يكون عضو مجلس الشعب عضوا عاملا في الاتحاد الاشتراكي ، فيتقدم للحصول على الشهادة ، ومن هنا تتدخل السلطة في العمل السياسي مما يؤدي إلى فقدانه لثقة الجماهير مهما فعلت بعد ذلك . . . ويقال أن محافظة ما تدار لحساب شخص معين . . . الخ ، وتبدأ تظهر مراكز القوى ولو أنها لن تظهر بعد ذلك اطلاقا .

لكن الأسلوب نفسه بعيد عن الديمقراطية التي تضمنها الميثاق وبيان ٣٠ مارس والدستور ، ثم بعد ذلك ما يحدث الآن من إسقاط عضوية أحد

صريحة حتى تتبلور هذه الآراء وحتى تتضح التناقضات التي تنتج عن هذا الحوار ، والتي على أساسها يمكن وضع أسلوب عمل توافق عليه الجماهير ، على اعتبار أنه تابع عن التعبير الحر لأرائها لأنه دون التعبير الحر لا يمكن الوصول الى ما نريد .

وبالنسبة لصحافتنا اليوم فهي غير حرة ، لأنها تخضع للسلطة التنفيذية ، ولقد تقدمنا بطلب مناقشة عامة في مجلس الشعب لسؤال الحكومة عن السبب في هذا .. لأنه لا يمكن إطلاقا أن يكون هناك تعبير حر وتكون الصحافة خاضعة لرقابة السلطة التنفيذية ، لماذا ؟

لان الصحافة هي أكبر منبر في الدولة ، فهي أوسع من البرلمان بمراحل لأنه لا يستمع الى البرلمان سوى مائتين أو ثلاثمائة عضو في حين أن ما ينشر في الصحف تقرأه الملايين فلا بد من حل قضية الصحافة وإخراجها عن السيطرة الحكومية بضوابط معينة بحيث لا تتعرض لمسائل الأمن القومي أو ما يتعلق بالأسرار العسكرية بما لا يمنع من التعبير عن رأينا في الصحف ..

فمصر للأسف لم يعد فيها فكر سياسي إطلاقا ، فأين الفكر السياسي والفكر الاجتماعي أو الفكر الاشتراكي الذي يجب أن ينشر في الصحف ، فهذه مسائل لا يمكن أن نتوقف ، بل لابد أن تستمر وتستمر في مصر وفي غيرها فلا يمكن بأي حال من الأحوال تثبيت عقول الناس عند فكر معين من الفكر الانساني ، فالكل يتطور ويجب أن يتطور لمواجهة المشاكل التي تستجد نتيجة التطور العلمي والتكنولوجي ولواجهة ظروف التغيير في أساليب الحياة البشرية ، وهذه مسألة معروفة ومتفق عليها ، فيجب أن تكون حرية الصحافة هي اول موضوع ينظر في الاتحاد الاشتراكي ، لأنها ملك للجماهير ويجب أن تكون حرة .

واعتقد ان هذا موضوع عميق ومعقد ولا يمكن تغطيته بحدِيثي الان لان هناك المشكلات المتعلقة بالصحفيين وبالكوادر الوظيفية ومرتببات الموظفين ومكافآتهم .. ففي بعض الاحيان يكون رؤساء التحرير أشد من الرقباء عنفا ، لانهم مازالوا يفتتروا للثقة في أنفسهم ..

فيجب أن يكون أول موضوع نهتم به هو حرية نشر آراء الجماهير في الصحف ، لان ما يحدث الان ، ان ما نذكره في مجلس الشعب من آراء عن وزير ما يرسل اليه لاخذ رأيه فيه لنشره من عدمه ، فالرقابة مازالت موجودة .. فلمصلحة من هذه الرقابة فنحن جميعا مصريون ونحكم بلادنا .. فلم

كل هذا ؟ هل هي لمصلحة فرد .. لا .. او لمجموعة أيضا لا .. لكن لمصلحة تحالف قوى الشعب العامل أي لمصلحة هذا الشعب الكادح كله هي التي يجب أن تراعى فلماذا الخوف ؟ ومن ؟ ولم التردد ؟ يمكن ترك الناس تتفاعل للتعبير عن رأيها بحرية وصراحة لخلق تنظيم سياسي قوى وبرلمان قوى يترتب عليهما حكومة قوية وصحافة حرة وتقدم اجتماعي واقتصادي وعسكري في كل المجالات .

لذا - فنحن نريد من الاتحاد الاشتراكي وتنظيماته ان تبرز ذاتية هذا المجتمع المكون من الطبقات الثلاث التي ذكرها الزملاء لأنها حتى هذه اللحظة لم تبرز البروز الكافي ، فهي مازالت بادرة ونحن نريدها ان تكبر وتقوى بحيث يشعر الشعب انه كريم في وطنه ولا تهتز هذه الوطنية في نفوسهم ، لأنه اذا شعر انه امن في وطنه على حقوقه وعلى ملكيته ، فهذا ما يوجد ذاتيته ، وما يدفع تحالف طبقات الشعب الثلاث الى العمل والى الايجابية ، لكن دون الاطمئنان وسيادة القانون بتنفيذها وممارستها فعلا وليس بأن نفاجا بأن هناك (١٨) قرارا صدرت من الحكومة منها ستة خاصة بالضرائب في ظل وجود برلمان له سلطة دستورية وتشريعية ورقابية على الحكومة ودون الرجوع اليه .

فبذلك تكون الحكومة قد فقدت ثقة الجماهير وثقة مجلس الشعب ، فلا يمكن أن تصنع السلطة التنفيذية ما تشاء دون الرجوع للجبهة التشريعية بحجة انها حكومة مواجهة ، بل لابد من ان تكون تصرفاتها في ضوء ما ورد في الدستور والميثاق وهذه المشكلة تنبع من اننا ننادي بالديمقراطية وبالدستور والبرلمان واتحاد قوى الشعب العامل ، لكن لا نطبق هذا ولا نمارسه ..

فمثلا كيف تتحمل الحكومة عبء تكاليف مقاومة ازمة معينة ، وفيها التزام مالي على الدولة ، يجب أن يدرج له اعتماد في الميزانية ، ويجب أن يؤتى بالايراد الذي سيواجه هذا الطرف دون اخذ رأي مجلس الشعب .. فهذا تصرف غير منطقي .. ولابد أن يوضع موضع الحساب ..

فاليوم المشكلة بسيطة وهي اعطاء الشعب حرية الفكر والحوار الحر والممارسة الديمقراطية السليمة .. فاننا نجد ان كل هذه المشاكل ستزول بسرعة اذا كان التنظيم السياسي قادرا وقويا ومحددا ، ويجعل ثقة الناس فيه قوية ولا نستطيع ان نزيد الانتاج الا بهذه الطريقة .. والاشتراكية هي الا مزيد من السلع والخدمات وتوزيعها توزيعا

اين الكوادر السياسية التي تربت على هذا العمل منذ عشرين عاما ؟ لقد بدأنا في البحث عن هذه الكوادر الان مرة اخرى .. هذا أيضا ليس معقولا ..

لابد أن تكون هناك قواعد في قوانين الاتحاد الاشتراكي تنظم العمل السياسي والوصول الى مستويات العمل السياسي في اللجنة المركزية ..

ان هيكل الاتحاد الاشتراكي لابد أن يعاد فيه النظر .. هناك أيضا تناقض غريب جدا في القانون ، إذ نص فيه على أن مدة لجنة الوحدة الأساسية سنتان ولجنة القسم أربع سنوات ولجنة المحافظة ست سنوات ..

معنى هذا أننا نجرى الانتخابات في الوحدة الأساسية بعد سنتين .. وتأتي لجان جديدة تنتخب مندوبين لها في مؤتمر القسم ، في هذه الحالة لجنة القسم لا تمثل المندوبين الجدد .. وبهذا يكون التنظيم كله متناقضا ومتضاربا مع بعضه البعض تضاربا كبيرا جدا ..

ان من الواضح ان الاتحاد الاشتراكي ليس حزبا أبدا لان الحزب يعبر عن مصالح طبقة ، ونحن نقول انه تحالف طبقات أو فئات الشعب العاملة ، ان الحزب قد لا يعبر عن مصالح طبقة في بعض الاحيان ، وقد ينشأ الحزب للدفاع عن فكرة معينة وحينما تنتهي هذه الفكرة أو يتحقق الهدف يحل الحزب ، ولكن غالبية الاحزاب تقوم على مصالح طبقة معينة ، والدفاع عنها ، ونحن ليس لدينا طبقات ، ولكن لدينا تحالف الطبقات ، هذه الطبقات متناقضة وإذا لم يكن هناك حوار حر بين العناصر الممثلة لهذه الطبقات داخل الاتحاد الاشتراكي بتنظيماته فسيظل التناقض قائما وسوف لا يزول هذا التناقض الا اذا كان هناك حوار حر ، وعلى سبيل المثال من الممكن الان ان نقد السكرتير الاول بكل حرية ودون أي عواقب ، وذلك على عكس ما كان في الماضي ..

نخلص من هذا انه دون الحوار الحر ونشر هذا الحوار في الصحف ، لا يمكن ان يأتي للاتحاد الاشتراكي فاعلية ، هذا بالإضافة الى أننا لا نحجز مطلقا على فكر الانسان بأن يقال أن هذا الشخص شيوعي .. أو نظرية كارل ماركس .. ان احسن فكر انساني ظهر في العالم هو نظرية كارل ماركس .. ولا أرى ان يقال على انسان شيوعيا لمجرد ذكره لنظرية كارل ماركس ويحبس ، أو ان يقال عن شخص انه يميني متحجر أو يساري

عادلا على المواطنين كل بحسب قدرته ولكل بحسب حاجته ، ولأن مشكلتنا هي أن نمنع ظهور طبقة جديدة وأن نمنع الاستغلال بأسلوب محدد منصوص عليه في المواثيق وفي الدستور ، بحيث يكون أسلوبنا في التطبيق الاشتراكي في هذه المرحلة متمشيا مع المبادئ التي وافق عليها الشعب في الميثاق ..

كما أنني ضد فكرة عدم النظر في تعديل الميثاق نظرا للظروف الراهنة ، فلماذا ؟ وقد قسامت انتخابات في ظل هذه الظروف .. فالمفروض أن يكون فيها فكر وتفاعل وتعبير لتحالف قوى الشعب العاملة عن أرائها ..

وانا أرى أننا في ظل هذه الازمة وفي ظل الصراع الدائر بيننا وبين الصهيونية العالمية ، يجب ألا ننسى أن هناك ميثاقا في حاجة الى التعديل ، كما نص الميثاق نفسه على أنه كل عشر سنوات يعاد النظر في مبادئه ..

أما بالنسبة لقانون الاتحاد الاشتراكي فإنه بحاجة الى تعديل كامل ، كذلك بالنسبة لطريقة تكوين الاتحاد الاشتراكي ومسألة الانتخاب على مراحل التي أصبحت نظاما قديما ، ولا يصح الأخذ بنظم تقاسمت ، فعضو المؤتمر القومي يجب أن يمثل من القاعدة للمؤتمر مباشرة دون اللجوء الى أسلوب الانتخاب على درجات ..

ثم نقطة أخرى وهي ضرورة ايجاد تقدير لجهود الناس ولخبرتهم السياسية فنحن نجد هناك نجما هياكلنا من السماء هبط على اللجنة المركزية مباشرة دون الرجوع لخبرته السياسية .. بهذا غير منطقي .. ولابد من التدرج في العمل السياسي ، بحيث أنه يشترط في عضو اللجنة المركزية مثلا أن يكون عضوا في لجنة أساسية لمدة سنتين ثم ينتقل للجنة القسم لمدة أربع سنوات ثم أربع سنوات أخرى بلجنة المحافظة .. بحيث أنه الى أن يصل الى اللجنة المركزية يكون له تاريخ سياسي ويكون معروفا بالاسم لكفاحه السياسي وماضييه الحافل واحتكاكه بال جماهير وممارسته للعمل السياسي ومعرفة رأى الجماهير من خلال الحوار السياسي الحر فهذا هو السياسي المصقول الذي يمكن أن يكون عضوا في اللجنة المركزية والذي يستطيع أن يساهم في وضع سياسة هذا التنظيم السياسي .. لكن الوضع القائم الان للأسف خطأ وان ما يعيننا في تنظيمات الثورة السياسية منذ هيئة التحرير انه كلما حاولنا الاصلاح اقتصر الامر على تغيير الموجودين ثم نأتي بجديد ..

محمود في كلمته بالا فنشعر اللجنة المركزية بانها منفصلة ، والواقع اننا لا نحب ان تكون اللجنة المركزية منفصلة ، ولكن في نفس الوقت ربما يكون لدى السيد الرئيس حديث سياسي يريد ان يلقيه في اجتماع اللجنة المركزية أو في اجتماع الهيئة البرلمانية ، وسيحضر اجتماع اللجنة المركزية السادة أمناء المحافظات ، وسيعقد اجتماع قبل نهاية هذا الاسبوع أو في الاسبوع القادم للسادة أمناء المحافظات حتى مستوى أمناء المراكز ، وسيكون هذا الاجتماع منفردا معنا أولا ثم يليه اجتماع السيد الرئيس مع السادة الأمناء ثم مع اللجنة المركزية ثم مع الهيئة البرلمانية .

والواقع اني سعيد بما يدار من نقاش في اجتماع اليوم ، وقد تركته يتشعب وقد يتساءل البعض . . لماذا تركته يتشعب هذا التشعب ؟ لاننا في الواقع في الجلسة الاولى اذا اردنا ان نحدد المتناقشين بنقطة معينة فلا يمكن ان يتضح الموضوع وضوحا تاما ، ولكن ابتداء من الجلسة القادمة ستبوب ورقة العمل التي وزعت عليكم الى ابواب معينة محددة . . بحيث عندما يتناقش احد من السادة الاعضاء يتناقش في نقطة معينة تنتهي منها الى قرار معين . .

وقد تركت هذه الجلسة كجلسة استعراضية ، ابدى فيها الكثير من الآراء القيمة ، ولكني مطمئن بما تم من نقاش في لجنة العشرين وما تم من نقاش في جلسة اليوم . ان الورقة التي قدمت اليكم فعلا مست جميع النواحي التي تكلمنا فيها سواء مستها بطريقة سؤال أو مستها بطريقة موضوعية ، واذا سمحتم فسوف نعقد اجتماعا للجنة السياسية قبل عقد اجتماع لجنة العمل ولا مانع ان يعقد اجتماع هذه اللجنة بعد الظهر حتى يمكن ان يتسع لنا الوقت للمناقشة ، واذا اردتم توزيع أية أوراق أخرى عليكم فنحن على استعداد لذلك كقرارات المؤتمر القومي أو أحاديث السيد الرئيس فجميعها موجودة لدينا ، ولكني اعتقد انكم اطلعتم عليها الا اذا اردتم اوراقا معينة فنحن أيضا على استعداد لذلك .

ونعطي الكلمة الان للاخ محمد عثمان محافظ بنى سويف .

● محمد عثمان اسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم . .

لاشك ان الديمقراطية وسيادة القانون والحرية بجميع ابعادها وخصائصها من المسلمات الواجب

متطرف لمجرد انه يقول كذا أو كذا - مع احترامي للتعبيرات - لكن الانسان كتلة من المشاعر والحيوية والتغيير ، ولا يمكن ان تحجر على فكر الناس . . على سبيل المثال ان شخصا يكتب مقالا عن الماركسية فلا ينشر . . لماذا ؟ في حين ان نظرية كارل ماركس تدرس في الجامعة وهي نظرية علمية ، لكننا نطبق بأسلوب معين ولينين طبق بأسلوب معين ، وماوتسي تونج طبق بأسلوب معين ، وعبد الناصر طبق بأسلوب معين ، وكل واحد يطبق بأسلوب يتمشى مع الاوضاع التاريخية والثقافية والدينية الموجودة في مجتمعه ولا يمكن ان تصب التطبيق الاشتراكي صبة واحدة ولكن لنا أساسيات في هذه الاشتراكية وهناك حد أدنى وهو سيطرتنا على أدوات الانتاج ، ونمنع ظهور طبقة جديدة ، ونقرب الفوارق بين الطبقات بزيادة السلع والخدمات وتوزيعها توزيعا عادلا .

وبالنسبة لموضوع زيادة السلع والخدمات فهو موضوع عميق جدا ، وللأسف الشديد ان الخطة التي تتبع لزيادة السلع والخدمات في هذا المجتمع خطة ليست مدروسة وليست اقتصادية علمية على الإطلاق ، وأرى ان الوقت لا يتسع للكلام في هذا الموضوع . . وشكرا .

● السكرتير الاول

الواقع ان الاخ محمد عثمان يطلب الكلمة ، وكذا الدكتور محمد دكروري ، ونحن متشوقون للاستماع اليهم ، الا ان الساعة بلغت الان الثالثة والرابع . . ولا نود ان نقسو على اللجنة . . هذا بالإضافة الى ان لدينا اجتماعا مع طلبة التعاون ، واعتقد ان نبدأ المناقشة في الجلسة القادمة بالاخ محمد عثمان والدكتور محمد دكروري على اعتبار انهما كانا يطلبان الكلمة ، وتصوري ان نعقد اجتماع اللجنة السياسية في موعد قريب لان النقاش الذي يثار في اللجنة الان يتمشى تماما مع النقاش الذي دار في اجتماعات لجنة العشرين ، ويهمننا ان نركز على نقط أكثر بحيث ان هذا يعطينا دفعة في لجنة العشرين . . هذا بالإضافة الى ان هناك نقطة تنظيمية ، وهي اننا نريد ان تنتهي من مشروع أسلوب العمل في الاتحاد الاشتراكي في موعد غايته منتصف شهر مايو ، نظرا لانعقاد المؤتمر القومي في ٢٢ يوليو ، وكما ذكرت فسوف تعقد في الايام القادمة اجتماعات للسيد الرئيس مع السادة أمناء المحافظات ومع اللجنة المركزية ومع الهيئة البرلمانية - كل هذا سيتم في فترة العشرة الايام القادمة . . وفي اجتماعات اللجنة المركزية سوف نقدم لها فكرة عن التطورات التي تمت . . وذلك من أجل الملاحظة التي اوردها الاخ



محمد عثمان اسماعيل

وسط الاتحاد الاشتراكي ، وهذا هو سبب عدم الثقة بين الجماهير وبين الاتحاد الاشتراكي ، لان فاقد الشيء لا يعطيه ولا توجد ثقة بين أعضاء الاتحاد الاشتراكي أنفسهم نظرا للأفكار المتباينة المتصارعة ، ولكي نحل هذا الامر حلا جذريا لا بد من وجود عقيدة محددة ثابتة محددة المعاني والاهداف ، نحن جميعا نطالب بالاشتراكية ، ولكن لاي مدى ؟

نحن جميعا نطالب بالاشتراكية ، وجميعا نرفض بأن نكون شيوعيين ، ولا شك في هذا ، وهذه هي حقيقة الشعب المصري .

هذا ما يجعل هناك نوعا من الانقسام بين الشعب أو الجماهير ، وبين التنظيمات ، وكل من يدخل الاتحاد الاشتراكي يدخل لمأرب في نفسه ، اما لنشر عقيدة معينة أو للحصول على مركز معين ، لاتنا اذا كنا نقول ان عضوية الاتحاد الاشتراكي اختيارية ، ولكن بعض الاجراءات التي تتخذ تجعل منها نوعا من الاجبار لان عضو النقابة لكي يكون عضوا في النقابة لابد ان يكون عضوا في الاتحاد الاشتراكي ، واذا وصلنا الى عقيدة مبلورة حقيقية وثابتة ومحددة الاهداف ، فمن يريد هذه العقيدة ينضم الى الاتحاد الاشتراكي ، وهنا يحدث التماسك ، ومن لم تعجبه هذه العقيدة يعطى رأيه ويكون هناك منبر مفتوح ، ولكنه لا يكون عضوا في هذا التنظيم فعلا ، المفروض فيه ان يكون متماسكا ويضحى من أجل هذه العقيدة - التي تبلورت ، والتي يجب ان تكون مصرية صميمة - بحياته .

نحن نقول الان اننا امام مرحلتين أو أمام ظروف معينة تستلزم ان نعالج الامر على

تواجدها في أي مجتمع يحترم انسانيته . ولكن اذا عدنا الى الذي طرح في البداية وهو . . هل الجهاز السياسي جهاز للسلطة أو للشعب ؟ فانا لا نجد مطلقا أي نوع من التناقض في اللفظين . . هو جهاز للسلطة وجهاز للشعب أيضا ، جهاز للسلطة اذا ما كانت هذه السلطة معبرة عن هذا الشعب متبينة لاماله ، عاملة على اصلاح كل ما يتطلبه الشعب

ما يدور من مناقشات حقيقية اذا تكلمنا بصراحة فيما يتعلق بالاتحاد الاشتراكي نجد اننا ندور في حلقة مفرغة ولا نلتمس موطن الساء الحقيقي . . هل الاتحاد الاشتراكي تحالف أو حزب ؟

اذا تكلمت بصراحة في هذا الخصوص أقول انه لا هو تحالف ولا هو حزب ، أقول انه تحالف قوى الشعب العاملة واتساءل : هل هناك تحالف بين القوى الواحدة من هذه القوى - عمال - فلاحين - مثقفين - رأسمالية وطنية - جنود ؟

هل هناك تحالف حقيقي بين أي قوى من هذه القوى ؟ أقول لا . . لا يوجد تحالف بين أفراد هذه الطبقات . . هل هو حزب ؟ يقال انه ليس بحزب لان مفهوم الحزب انه يمثل مصالح طبقة معينة وأنا أقول انه يمكن أن يكون حزبا ولا يمثل مصلحة طبقة معينة ، ولكن اذا وجدت عقيدة معينة يتجمع حولها هؤلاء الافراد ، بدليل . . هل كل شيوعي عامل أو فلاح ؟ قطعاً لا ، الاخوان المسلمون - وهي تجربة مرت ولاشك في الحياة المصرية - هل كان الاخوان المسلمون يمثلون طبقة معينة ؟ قطعاً لا ، وانما كان فيهم جميع أنواع وصفات الشعب المصري تجمعوا حول عقيدة معينة .

اذا استعرضنا الاتحاد الاشتراكي الحالي نجد انه مقسم الى أقسام طولية وعرضية . . اذا اعتبرنا الفلاحين والعمال والمثقفين قسم عرض نجد أن هناك أقساما طولية أيضا متصارعة في داخل كل قوى من القوى . . نجد تيارا يساريا وتيارا يمينيا وهؤلاء قلة وذاك قلة أيضا . . والقاعدة العريضة التي تمثل أكثر من ٨٠ في المائة وهو الخط الوطني مجال عمل للطرفين . . قاليساري يتخذ من الاتحاد الاشتراكي سلما ليصل بمبادئه على الاتحاد الاشتراكي كله ، واليميني يتخذ من الاتحاد الاشتراكي سلما ليصل به الى نصر مبادئه ، والطبقة الوطنية أو القطاع الوطني صائر وهو ولاشك يمثل ٨٠ في المائة على الأقل في

مرحلتين .. مرحلة أن نعيد النظر في مواثيقنا ويجب إذا ما فكرنا في عقيدة مصرية صميمة فعلا أن نحرر عقولنا من أى ورقة موجودة تكون تحت نظرنا فعلا ، ولكن تكون تحت نظرنا فعلا .

هذا حل مؤجل لاشك في هذا لان ظروف البلد حاليا لا تسمح مطلقا بمثل هذه الامور ..

اذن ماذا يستلزم الطرف الحالى لا يستلزم تجمع وطنى لهدف معين ، وهو لا شك هناك هدف وهو هدف التحرير باعتبار ان جزءا من اراضينا محتل ، لاشك انه لا يوجد أى خلاف بين مجموعة افراد أو فرد في مصر على هذا الهدف أيا كان فكره وأيا كانت اتجاهاته .

اذن ندعو في هذه الفترة الى تجمع وطنى وراء هذا الهدف مرحليا حتى نصل الى بلورة عقيدتنا ، وهذا موجود في بعض الدول ، روسيا في الحرب العالمية الثانية كانت هناك الدعوة الماركسية على أشدها ، ولكن عندما هوجم الاتحاد السوفيتى واجتاز الجيش الالماني الاراضى السوفيتية ركنوا مؤقتا كل دعوة عقائدية وبدأوا ينرفعون شمعار التراب السوفيتى « .. وفي ألمانيا كان الحزب النازى له مبادئه وعندما أراد هتلر أن يبنى ألمانيا أوقف تلك المبادئ وبدأ يضع شعار « ألمانيا فوق الجميع » .

نحن الان في ظرف لا شك أننا لا نحسد عليه وبلدينا في مهب الريح ، نريد تجمعا وطنيا وراء الهدف الاسمى الذى يتجمع حوله الجميع فعلا ، وهو تحرير الارض وتضارب هذه المشااكل والاضطراب التى تتعرض لها دولتنا بالكامل ، نريد أن يعمل العقل البشرى وهو اسمى ما منحه الله للانسان وليست الطبيعة كما ورد على لسان الزميل الاخ لطفى الخولى ، وأنا اعترض على هذا اللفظ بصراحه ..

العقل البشرى يعمل من الواقع المصرى ، واذا كان لابد من طرح مواثيق معينة وتكون تحت نظر العاملين من أجل مصر ، فلا بد وأن تكون الكتب السماوية أيضا وهى لا شك اسمى من هذه المواثيق ومن هذه النظريات ، أن تكون على الاقل مطروحة أيضا لآخذ ما يمكن تطبيقه منها واذا لم نجد التطبيق السليم فى الكتب السماوية فنلجأ الى النظريات الوضعية .

هذا ما أردت أن أتكلم فيه باختصار ، وسأقدم

الى اللجنة باذن الله يبحث كامل في هذا الخصوص .

● السكرتير الاول

هناك نقطتان ذكرهما الاخ محمدشاهين والاخ محمود ابو وافية وأود أن أنوه عنهما ، الاخ محمد شاهين يطرح موضوع المنبر الحر ، أيضا الكلمة التى ذكرها لطفى والدكتور الخيال ، وهو يرى أن يكون ذلك عن طريق المجالس الشعبية وتنظيم العضوية ، واقتراحه موجود ، وأستسمح اللجنة أن يضاف الى محضر الجلسة وهو :

أخى .. سيادة السكرتير الاول

الم تكن كلمتى باختصار تنصب على نقطتين وهما :

- (١) أن يتكون الاتحاد من مندوبين منتخبين انتخابا مباشرا حرا من بين النقابات والاتحادات .
 - (٢) أن يكون الربط بينها وبين السلطة هو المنابر التى سميتها المجالس الشعبية .
- اذن لماذا ركزت سيادتكم على ما ذكره الاخوين الدكتورين الخولى والدكتور الخيال .. وشكرا .

امضاء

محمد شاهين

هناك أيضا ورقة من الاخ محمود ابو وافية يقترح بالنسبة لللائحة الداخلية ويقترح وضع لائحة للجنة المركزية واللجان المنبثقة عنها تكفل ما يأتى :

- (١) أن لا يعقد اجتماع دون جدول أعمال .
- (٢) أن يكون من حق العضو تقديم سؤال أو اقتراح .
- (٣) أن تناقض تقارير اللجان باللجنة المركزية .
- (٤) أن تصدر اللجنة المركزية قرارات تكون ملزمة للسلطة .

وارجو أن يضاف هذا الاقتراح لجدول الاعمال .

أرجو الدكتور جابر جاد والاخ محمد أديس ، والاخ شومان أن يحضروا معى اجتماع التعاون الذى سيعقد الان .

وهى ختام كلمتى .. نشكر السادة الاعضاء ، وأرجو أن نستمع فى الجلسة القادمة الى السادة الذين لم يتكلموا فى هذا الاجتماع .. وشكرا .

(وانتهى الاجتماع فى الساعة ٣:٥٠)

نقدم فيما يلي تعليقات عدد من أعضاء أسرة تحرير
الطليعة على ورقة العمل والمحاضر المنشورة ، تتضمن وجهة
نظر كل منهم الخاصة حول بعض الموضوعات الأساسية التي
تناولتها اللجان بالمناقشة :

تعليق
على المناقشات

- مع الشعب .. بالديمقراطية د. محمد عجلان
- نقطة البدء : حركة الجماهير الشعبية أبو سيف يوسف
- التمايز داخل اطار التحالف الوطني ميشسيل كامل
- العلاقة بين الاتحاد
- الاتشراكي وسلطة الدولة عبد المنعم الغزالي

مع الشعب بالديمقراطية

د. محمد عجلان

ما حدث في الميثاق ، وفي بيان ٣٠ مارس ،
وبرنامج العمل الوطني ، والدستور ، ومع ذلك
غما كاد يجف مداد كل منها ، الا ويبدأ الاحساس
بان العمل في واد ، والناس في واد آخر . وتدور
الايام دورة لم تكن ابدا طويلة لنعود ننقاش ،
وتعود لجان لتجتمع ، وتعود آراء لتظهر ، كلها
تتحدث عن نقص الفاعلية ، وتنعي على السلبية ،
ويسعى الجميع لرأب الصدع ، وتبدأ السيرة من
جديد .

وتقول الحكمة ان « العاقل من اعط » ،
وتفترض قواعد التجربة والخطأ — وهي منطق
سار معنا طويلا — ان تتخلص التجربة الجديدة
من كل الاخطاء السابقة . ويستلزم المنطق العلمي

الاطلاع على محاضر لجنة العمل
واللجان الفرعية المنوط بها مراجعة
اوضاع الاتحاد الاشتراكي ، عن
جهد كبير ومخلص يبذله اعضاؤها
في محاولاتهم لتحديد نقاط البدء في تلك المراجعة ،
واسلوبها ، والاهداف التي يجب ان يرجونها منها .
وكله جهد صادق ، واجتهاد مشكور ، وان كان
ما اذيع منه حتى الان يرتبط في أغلبه بسلبيات
الماضي ، أكثر مما يضرب في اعماق المستقبل .

وأغلب الظن — ان سارت الامور سيرتها
الحالية — ان ينتهي النقاش يوما ما بمقترحات
معينة . وقد تعرض المقترحات للاستفتاء ، وتأتي
الاجابة بملايين من بصمات تقول « نعم » . ذلك

— ضمن ما يستلزمه — ان تستخلص من الحركة التاريخية وظواهرها ، قواعد تحكم حركتنا المستقبلية .

ولن نختلف طويلا في ان نذكر انه لم يتح لاي من الوثائق الاربعة ان تناقش المناقشة الواسعة الآمنة الحرة مع الشعب . وهنا نعني الشعب بملايينه كلها . لقد فرضت ظروف ظهور الميثاق ، من 'الاخذ بالطريق الى الاشتراكية بصورة فورية' ، لم يسبقها كفاح سياسي من اجلها ، يعمق مفاهيمها بين الشعب ككل ، او على الاقل بين طليعة قائدة منتشرة في بنيانه ، والفراغ السياسي الناجم عن حل الاتحاد القومي ، بعد ثبوت معاداته لاجراءات التأميم والمنعطف الجديد في حياتنا . اجبر كل هذا على ان يعقب الميثاق — وقد نوقش في مؤتمر وطني للقوى الشعبية — ترشيحات وانتخابات عديدة ، طمست كل امكانية للمناقشة المتأنية الواسعة مع جماهير الشعب ، حيث يلزم ان تبسط الصيغ العامة ، والاتجاهات العريضة ، والحبكة اللغوية الى مستوى المشاكل المحلية ، ومسائل الحياة اليومية . طمست الانتخابات امكانية هذا ، حيث اهتمت القيادات القديمة بتلمس اتجاه الرياح الجديد ، وتعديل الدقة لتركب الموجة الجديدة .

ولقي بيان ٣٠ مارس نفس المصير . لقد صيغ كمحاولة لحل أزمة داخلية . وفي ظروف الهزيمة العسكرية ، وكان المفروض ان يستغل بالمناقشة مع الشعب — ونكرر ما سبق بأن نعني الشعب بملايينه كلها — في نسج وحدة وطنية كاملة واعية . ولكن لجان الاتحاد الاشتراكي — وكانت المسئولة عن هذا — اهتمت بتشكيل الوحدات الجديدة ، وترتيب أمور الانتخابات حتى تستطيع في النهاية ان تفخر بما تفاعرت به فعلا ، من ان الانتخابات عندئذ قد جاءت بـ ٩٠ ٪ من نفس العناصر القديمة . ورضى أصحاب المراكز بما كان من نصيب لكل منهم ، وجاء الاستفتاء على البيان بـ ٩٩ ٪ ، واكثر من الموافقين ، بفضل « خبراء الحشد » . ولكن أصبح الصباح وكل في واد .

ولم تكن ظروف حركة التصحيح في ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، بحيث تعطى امكانيات أفضل مما كان . لقد أوجدت ضرورة عاجلة للء الفراغ السياسي ، وقرار مبدأ سيادة القانون ، بوضع الدستور مصدر القوانين . وكانت انتخابات جديدة ، واستفتاء جديد ، وتكررت الصورة السابقة ، لنعود للحديث عن عدم الفاعلية وانتشار السلبية .

وقد نعود لنسأل . . وماذا عن الفترات في غير وقت مظاهرات الانتخابات والاستفتاءات ؟ . . لقد عقدت اجتماعات عديدة على جميع المستويات وكانت دائما عامرة بالحضور ، بفضل « خبراء الحشد » . ولكن لعننا لا ننسى ان القوم كانوا دائما يسمعون ولا يتحدثون . وتلقى عليهم الخطب فينتعش فيهم الامل ويصفقون ، ولكنهم لا يجدون وقتا لدى هؤلاء الخطباء اذا بدأوا يشكون او يتكلمون . ذلك فضلا عن الصدق في الملاحظة التي أبدتها يوما الشيخ عاشور . وحتى حين بذل جهد واسع فعلا في نشر الميثاق ، فقد كان ذلك يتم في محاضرات وممسكرات ، بعيدا عن واقع الممارسة والاحتكاك مع باقي الجماهير .

والخلاصة من هذا ، ان نشاطنا السياسي ، وقرار وثائقنا الاساسية ، ظل يتم في غيبة من الجماهير العريضة الواسعة ، ودون اقتراب مثان منها ، ودون شرح صبور ، واستماع أكثر صبرا ، ودون نزول عن الصيغ العامة والاتجاهات العريضة ، والحبكة اللغوية ، الى مستوى المشاكل المحلية ، ومسائل الحياة اليومية .

السنا بعد هذا ننشر قدرا من النفاق ، حين نلوك بالسنتنا كثيرا ، تعبير الشعب القائد ، والشعب المعلم ، ثم لا نطلب من « القائد » هذا و « المعلم » ، أكثر من نعم عند الاستفتاء ؟

ومهما انتجت العقول ، وهي حبيسة الغرف المخفقة ، ومهما دبرت لصورة المستقبل ، ودبجت من عظيم الصيغ ، فلن يكون مصير الجهد أكثر من موقف الاب حين يخطط لابنه ويرسم مسنقلا زاهرا له ، ثم لا يناقشه معه . لقد صرنا — حسب قواعد التربية العلمية الحديثة — نناقش كل أمور ابنائنا معهم ، ونستلهم صبر ايوب كله لنقتنعهم ، بل ونتنازل عن بعض ما نؤمن به كسبا لرضاهم ، ثم نغفل هذا مع الجماهير الواسعة وهي صاحبة المصلحة الاولى في كل ما ندر ونبدج .

انا نتصور ، في ضوء الخبرات السابقة ، وخاصة والامر ليس بنفس العجالة التي مضت ، وفي ضوء الحاجة الملحة لتجسيد الوحدة الوطنية وقد اقترب موعد المعركة . نتصور ان المناقشة حول أزمة الاتحاد الاشتراكي ، يجب ان تخرج من حيز الاجتماعات الى دائرة الحقل والمصنع والمعهد والتجمعات الجماهيرية ، حيثما وجدت .

اليس الهدف ان نخرج بالجماهير من اطار السلبية الذي احتواها ويهدد بانقسام في حركتنا الوطنية ، ومن اطار اللامبالاة الخطيرة التي

يستطيع ان يمارسها الافراد . كما تستطيع ان تمارسها الفئات والطبقات ؟

واليس هذا هو تحريك فعلى الجماهير ، ووسيلة للتغلب على السلبية ، وبعد ذلك كله ، المجال الخصب لتوالد قيادات وعناصر جديدة ، تدفع بنفسها ، وتدفع بها الى مسئوليات العمل العام ، وتجديد الدم باستمرار ؟

ولكننا اذا آمنا بهذا الاسلوب لحل أزمة الاتحاد الاشتراكي - سواء كان ذلك فيما قبل انعقاد المؤتمر القومى ، او كتوصية منه بعد انعقاده - فانه لا يجوز ان يقف عند هذا الحد ، بل ان يصبح قاعدة للعمل مستمرة . واذا اردنا ان تشيع الديمقراطية فى حياتنا السياسية ، فلتكن هذه هى البداية .

وحتى تدعم الديمقراطية - كأساس ضرورى لبناء نسيج قوى للوحدة الوطنية - فان لذلك مظاهره الاخرى التى نقصت فى ممارستنا ، وطال غيابها ، ان تدعمها يتطلب منا العديد من التغييرات ، التى يجب ان نأخذ بها او نضمنها أى تعديلات لقوانين الاتحاد الاشتراكي ودليل عمله .

لم لا نأخذ ، بالاضافة الى ما هو قائم ، بفكرة مؤتمر الوحدة الأساسية ، الذى ينعقد بصفة دورية ، ويتم فيه ، بالاضافة الى عرض ومناقشة القضايا العامة ، عرض المشاكل المحلية ، وما قام به المستوى القيادى فى الموقع فى شأن حلها . وليكن مؤتمرا دوريا يحضره كذلك المسئولون التنفيذيون المحليون ، يعرضون جهودهم ، ويستمعون من الجماهير رغباتها ، ويتقبلون نقدها .

ولم لا يكون حقا للجماهير فى مؤتمراتها الاقليمية ، وحقا لمؤتمرات المستويات المختلفة فى الاتحاد الاشتراكي - سواء فى ذلك مؤتمر القسم او مؤتمر المحافظة ، او المؤتمر القومى العام ذاته - لم لا يكون من حق هؤلاء جميعا ان يجتمعوا اذا رأت أغلبية معينة منهم ذلك . ان خبرة السنوات الماضية قد أبرزت حقيقة انه كان فى يد المستويات المختلفة الا تنعقد المؤتمرات ثم لا محاسبة على هذا العدوان على قانون الاتحاد . وليكن حقا اذن للجماهير ، تستطيع به ان تشدد قياداتها اليها اذا ما انحرفت .

واذا كنا نقصد بهذا ان نحافظ على احساس كل مسئول منتخب بالولاء لقاعدته الجماهيرية ، وخضوع وجوده فى منصبه لموافقتها ورضاها ، فلم لا يكون للجماهير حق سحب الثقة من أى

تتبعكس فى مظاهر الحياة اليومية ؟ .. فاذا كانت تلك هى الغاية ، فلماذا لا يكون وسيلة لها طرح قضية التنظيم السياسى عليها ، ونندرج من هذا المنطلق حتى الايجابية الكاملة فى خطوات متسقة من أجل معركة التحرير .

فلتتعمد الاجتماعات فى كل موقع ومكان ، ولتبدأ بطرح نفس السؤال الذى طرح على لجنة العمل : هل نجح الاتحاد الاشتراكي ؟ .. وان كانت الاجابة بالنفى - وسوف تكون - فليكن سؤالان آخران ، أولهما : لماذا ؟ .. والثانى : وما الذى تريدون ؟ .. وليستمع المسئولون ويطلبوا الاستماع ، وليسجلوا ما تطلبه الجماهير ، ولا يهملوا منه شيئا ، وليكن جهدهم الخلاق بعد هذا ان يصيغوه نصوصا ودليلا للعمل وطريقا للحركة .

ولتكن المناقشات الواسعة الحرة - وفوق كل شيء - الآمنة . ولنستمع للشكوى ، ولنطلب الحل . وطبيعى انه لن نتحدث الجماهير بالشعارات العامة العريضة . ولن نستطيع تلك الصيغ العامة ، ولا الكلمات الكبيرة . سوف تعرض بالشكوى - وخاصة فى الريف ، حيث الس - ٢٥ مليون من المواطنين - من هؤلاء الذين ركبوا موجة هيئة التحرير ، وامتطوا الاتحاد القومى ، وسخروا الاتحاد الاشتراكي ، وتقاسموا المهدية والجمعية التعاونية والوحدة الاساسية ، والذين هم كفيلون بترويض أى تشكيك تفرزه مناقشات الغرف المغلقة . سوف تعرض بالشكوى فى المواقع العمالية ، للذين يستغلون مراكزهم للكسب الذاتى ، ولغرض صـور من الارهاب الفكرى ، ولغياب مظاهر الديمقراطية . سوف تعرض بالشكوى فى مواقع كثيرة ، من غياب الوحدة الاساسية فور الانتخابات ، ومن تعالى بعض من سعدوا بالتصعيد ، ومن تردب كلمات وأحاديث لا تتمشى مع ما يلهمون ويعيشون .

ومن الخطأ ان نطلب من الناس فى هذه المستويات ، الارتفاع الى مستوى الصيغ النظرية والقانونية . ان السياسة تبدأ عندهم من واقع المشاكل اليومية ، والتى يستطيع القائد السياسى منها ان يرسم بالامل الصورة السياسية للمجتمع ، وان يستنبط منها دليلا للعمل الثورى على كل المستويات ، يكون من جرائها جميعا حل أزمة الاتحاد الاشتراكي ، وتحوله الى وعاء يجمع كل الجماهير ، تبثه شكواها ، وتأخذ منه الحل ، ومن ثم تكون فى الوضع الذى تتلقى منه التوجيه .

وبعد .. أفليس هذا هو الممارسة الفعلية للديموقراطية فى صورتها الواسعة ، حيث

وابرازه دون ما اخلال بتنفيذ ما استقر عليه رأى الاغلبية . ان الضمان لكل عضو ان يستطيع ايصال رايه الى باقى الاعضاء ، ومنحه الحرية ، كل الحرية فى هذا ، لهو ضمان لاستمرار جذوة العمل السياسى متقدة ، واثرائه ، خاصة بين القواعد الواسعة ، حيث تنتشر نتيجة اليأس فى الاصلاح كل اتجاهات السلبية .

وأخيرا . . اليس غريبا ، فى مجتمع يتغير بسرعة ، ويتجه بخطوات مستمرة نحو البناء الاشتراكى ، وفى مجتمع عالمى يتغير هو الآخر بأقصى السرعة ، بما يعكسه ذلك من تعديل فى المواقف والايديولوجيات ، والاضاع السياسية ، وفى مجتمع لعبت عديد من الظروف فى تاريخه دورها ، فى ان ينظر للعمل السياسى كوسيلة للصعود ، بدلا من ان يكون سبيلا الى الخدمة ، وفى ان تستشرى الانتهازية فى عديد من أفراده ، الذين اعتادوا التصدى للقيادة ، وفى ان ينظر الناس للرجل فى السلطة نظرة المسيطر اكثر منها نظرة المنسق والمنظم لكيان ما فى حياتهم . . . نقول **اليس غريبا فى ضسوء كل هذا ، ان نأخذ بالمد الطويلة بين انتخاب وآخر ، بحيث ان بعض المستويات يمكن ان تظل ست سنوات دون تغيير .** ان ذلك ، ان جاز فى ظل اوضاع سياسية مستقرة ، أو فى نظام حزبى كامل ، فهو ما لا يجوز ان يكون فى ظل ظروف كالتى نعيشها .

والخلاصة ، انه اذا أردنا للعمل هذه المرة ان يأتى من الثمار ما لم تأت به أعمال مماثلة فى الماضى ، فقد وجب ان يبدأ من القاعدة العريضة الواسعة ، وان تكون التعديلات والتغييرات على هدى ما نستشعره من رغبات أصحاب المصلحة الاولى ، لجذبهم الى دائرة العمل السياسى ، بعد ان طال بعدهم عنها ، وان يستمر هذا الاتجاه ويتقدم ، مقرونا بالضمانات ، تلك التى أوردناها من حق الاجتماع ، وسحب الثقة ، واشاعة أسلوب المؤتمرات ، واتاحة الفرصة لكل الاراء ، وتكرار عرض المستويات القيادية على القاعدة فى فترات متقاربة .

مسئول منتخب . وان يكون تصويتها الحر حكما نهائيا فى ذلك . ان غياب حق سحب الثقة طوال المدة الماضية ، كان بكل تأكيد ، وراء نسيان الولاء للشعب ، والاتجاه به حيث السلطة ، او حيث المكسب الذاتى ، أو حيث المستويات العليا محسب .

وقد نضيف الى ذلك وتؤكد ، ضرورة اثبات حق الجماهير فى ان تسحب ثقتها او ان تسحبها من **أى مسئول تنفيذى** فى الموقع ، وان يحترم رأيها فى ذلك . وقد يظن البعض ان فى هذا اعتداء على السلطة التنفيذية ، او عدم استقرار لها . ولكن علينا الا ننسى ان هدف السلطة التنفيذية هو خدمة الجماهير ، ثم فلننتصور اثر هذا الحق مثلا على أعمال الوحدات المجمع ، والجمعيات التعاونية الزراعية ، وبنك التسليف وغيرها من الاجهزة التى علت الشكوى منها فى القرية .

ان اشاعة حق الاجتماع على كل المستويات ، وضرورة تنظيمه ، يستلزم حتى يصبح مثمرا من ناحية ، وحتى تأتى قراراته وتوصياته مدروسة ، وحتى تبقى جذوة الاهتمام السياسى قائمة ، ان يسبقه تحضير واسع له ، الامر الذى لن يأتى الا اذا التزمت كل المستويات بأن تتقدم الى أعضاء المؤتمر الذى تنبع منه ، وقبل اجتماعه بوقت كاف ، بما سوف يناقش فيه من مواضيع ، وان تنظم من أجلها اجتماعات تمهيدية ، تعرض فيها وجهات النظر ويتم تبادلها ، حتى اذا جاء وقت التصويت ، كانت نتيجته ممثلة بالفعل لرأى القاعدة ، وقرجيا بالاغلبية الحرة — وليس بالضغط او الترغيب او التهيب — لوجهة نظر اراء الاخرى .

ويرتبط بالتصويت واخذ الاراء ، ضمانات لابد من توفرها ، أبسطها ان يسمح لكل الاراء ان تعرض بنفس القدر ، وبكل المساواة . وان يفرد لكل منها ما يفرد للآخرى من وسائل للنشر والاعلام . وانه فى النهاية ، مع ما قد نطلبه من الناس من احترام رأى الاغلبية ، وربما الالتزام به ، ان يكون للاقلية دائما حق الدفاع عن رايها ،

نقطة البدء :

حركة الجماهير الشعبية

أبوسيف يوسف

التقدم الاجتماعى والاشتراكية . غير ان المحاولات التى تمت لم تحقق الهدف المنشود ، لاسباب لا داعى للافاضة فيها ، لاسيما وان « الطليعة » قد عرضت لها فى أكثر من عدد ، وفى أكثر من مقال .

بيد ان محاولات انهاض الاتحاد الاشتراكي — وان تعددت — ينبغى ألا تحجب عن أعيننا الامرين التاليين :

الاول : هو ان صيغة الاتحاد الاشتراكي — من الناحية النظرية — لم تزل سليمة .

والثاني : هو ان الوقت لم يفت بعد ، رغم ان وقتا ثميناً قد ضاع بالفعل ولا تزال الحياة تطرح فى بلادنا ، بشدة ، قضية الجبهة والحلف الوطنى والشعبى الذى يضمن احراز النصر على الحلف الاسرائيلي الأمريكى .

وربما يكون هناك أكثر من منهج للدخول الى موضوع انهاض الاتحاد الاشتراكي، وتحويله

التي بدأت داخل الاتحاد الاشتراكي بعد تكوين « لجنة العمل » ليست قرفا او تزييدا ، ولا يمكن ان تكون كذلك ، وليست صرفا للانتظار عن قضية تحرير الارض ، ولا يمكن — أيضا ان تكون كذلك — والسبب فى ذلك بسيط: وهو انه اذا كان هدف تحرير الارض يتطلب بناء القوة المسلحة الرادعة ، فان تحقيق هذا الهدف منوط بالتعبئة السياسية التى توحد بين الطبقات الشعبية والوطنية ، وذلك على طول الجبهة الداخلية وعمقها . ولا يستطيع ان يقوم بالتعبئة اللازمة لاحتراز النصر غير تنظيم سياسى يوحد وينظم جهود العمال والفلاحين والمتقنين والجنود والرأسمالية الوطنية .

ومنذ ٥ يونيو ٦٧ ، حظيت قضية بناء الاتحاد الاشتراكي ، وتصحيح مساره ، وأساليبه فى العمل ، بأعظم الاهتمام من جانب الجماهير ، وعلى الاخص ، من جانب كل القوى الوطنية والتقدمية الحريصة على تطور البلاد على طريق

المناقشات

وفى الصمود الذى قابل به الشعب غارات العمق على الاهداف المدنية . وفى بطولات العمال الذين أقاموا قواعد الصواريخ ، وبطولات الوف من عمال منطقة القناة واصلوا العمل تحت القصف المكثف وقذائف المدفعية الثقيلة . وفى رفض فلاحى منطقة القناة أن يهجروا أرضهم لحظة واحدة .

ولقد يضيق بنا المقام فعلا ، لو حاولنا ، أن نرصد ، وأن نحلل ، كل حركة جماهيرية وقعت فى غضون السنوات الخمس الماضية . وانما بكفى أن نقول : ان الحركة الوطنية لجماهير شعبنا لم تكف عن اظهار عزمها الذى لا يتزعزع عن تحرير الارض ، وعبرت عن ذلك من خلال مظاهراتها ، واجتماعاتها ، ومواكبها ، ودوائها ومؤتمراتها . الخ . وفى هذا كله ، ومن خلال هذا كله ، تشكل المناخ العام للمعركة . واهم قسماته :

١ ان اكثر المواطنين بعددا عن السياسة قد أخذت تجذبه معركة التحرير الى معترك العمل السياسى النشط ، ليشترك بالراى وبالعمل .

٢ ان الحماس الوطنى بقوته الخارقة ، هو الذى يمكن المواطنين البسطاء من أن يتحملوا اقصى التضحيات ، ويمكن الشعب العامل من أن يتخطى معدلات السرعة فى انجاز ما يطلب منه من أعمال .

٣ ان ثبات الامبريالية الامريكية فى دعم العدوان الاسرائيلى يوسع دائما دائرة الحلف الوطنى المعادى للاستعمار والصهيونية ، ذلك ان مواقف الامبريالية تبدد الاوهام ، وتقنع المزيد من الوطنيين الشرفاء بأن ما يطلبه العدو الامريكى انما يجرح الكرامة الوطنية ، ويهدد مصالح اوسع الطنقات فى مصر .

ان هذا المناخ الوطنى بكل قسماته هو الذى بتعين أن يزرع فى أرضه كل تنظيم سياسى بتطلع الى قيادة الجماهير .

فاذا انتظرنا بعد ذلك لتسابع حركة الجماهير من أجل تحقيق الهدف الثانى ، وهو المشاركة فى السلطة ، فسوف نتبين أن الجماهير ، قد ركزت على قضية التغييرات السياسية المطلوبة لتجاوز السلبات التى ساعدت ، بكيفية مباشرة أو غير مباشرة على وقوع هزيمة يونيو . ومن

الى نحالف وطنى شعبى واسع ، ومؤثر فى حياة البلاد . غير أن التصدى للفكر الرجعى الذى يحاول أن ينهى — عمليا — حقيقة الاتحاد الاشتراكى ، تحت دعاوى مختلفة ، ويعمل على نشر الشكوك فى المبادئ الاساسية التى تضمنتها وثائق ثورة يوليو . . نقول أن هذا كله يحتم أن نلتزم بمنهج محدد ، هو البدء من الواقع الوطنى فى بلادنا ، اى باستقراء وتحليل حركة الجماهير ، بعد ٥ يونيو ، ورصد اتجاهاتها . وهذا المنهج ربما تزكيه هذه الظاهرة وهو أن « الكل » قد بات يتحدث باسم الجماهير وباسم ارادتها !

والواقع الوطنى فى بلادنا ، بعد عدوان يونيو ، يضع أيدينا على حقيقة أن الطبقات الشعبية والوطنية وفى مقدمتها العمال والفلاحون والمثقفون ، قد شرعت تتحرك — ولا تزال — من أجل هدفين :

الهدف الاول والرئيسى : تحرير الارض المحتلة ، وذلك من منطلق الدفاع الحازم عن الاستقلال وخط البناء المستقل للاقتصاد الوطنى ، ورفض التنازلات امام الضغوط والمؤامرات الامريكية ، ومخططات التوسع الاسرائيلية .

اما الهدف الثانى : فهو تحقيق وتأكيد المشاركة المتزايدة للفلاحين والعمال والمثقفين فى السلطة . وهذا الهدف قد عبر عنه — كما نعلم — بيان ٣٠ مارس بعد حركة جماهيرية واسعة وبناءة من النقد والنقد الذاتى ، ركزت على اساليب التغيير المطلوبة فى قيادة الدولة ، وفى اسلوب عمل الاتحاد الاشتراكى .

هكذا ، ومن أجل تحقيق الهدف الاول والرئيسى ، وهو تحرير الارض ، قدمت الجماهير كل دليل على استعدادها الكامل للتضحية ، ولتحمل مشقات معركة مصيرية وضارية ، ظهر هذا ، عندما رفضت الحركة الشعبية الهزيمة ، وأكدت على استمرار المقاومة وعلى حماسية مكنتيات ثورة يوليو . وتأكد هذا فى مظاهرات عمال حلوان وطلبة الجامعات عام ٦٧ ، التى طالبت بعقاب صارم للمسئولين عن الهزيمة العسكرية . وتأكد هذا ايضا فى الجهد الخارق الذى بذل فى بناء القوات المسلحة على نطاق لم يحدث من قبل فى تاريخ بلادنا . وفى اندفاع الشباب للتطوع فى صفوفها وخدمتها . وفى البطولات التى تحملها ، ولا يزال يتحملها مئات الألوف من أسر الشهداء والمقاتلين والمهاجرين .

التحرر، واطارا لحلف يعكس الوزن الحقيقي ، والمصالح المتميزة ، لكل طبقة من الطبقات الشعبية والوطنية ، فانه يكون قد بدأ بالفعل يرسى بنيانه كتنظيم جماهيري ، قائد ، بنقدم حركة الجماهير ، وينظمها ، وينجز الطاقات الكامنة فيها ، من أجل دحر العدوان الصهيوني الامريكي ، ومن أجل بناء الدولة العصرية الديمقراطية .

وعندما نقول هذا الكلام ، فانما نستند الى تجارب تاريخنا القومي ، والى تجارب جميع البلدان التي ولدت وترعرعت فيها احزاب وتنظيمات ثورية وجماهيرية .

ففي بلادنا ، ولد حزب الوفد ، كتنظيم تلتف حوله اوسع الجماهير ، في اللحظة التي انطلقت فيها الحركة الوطنية المعادية للاستعمار البريطاني . وفي تلك اللحظة من المد الثوري قدمت قيادة الوفد لهذه الحركة الصاعدة الصغيرة التنظيمية التي أصبحت وعاء للحركة الوطنية ، اي لحركة الجماهير . ومنذ هذه اللحظة ولد الوفد كحزب جماهيري . واستمر على هذا ربع قرن او اكثر - ولا يغير من هذه الحقيقة ، ان قيادة ذلك الحزب لم تحقق المهام التاريخية الاساسية الملقاة على عاتقها ، خصوصا عندما عجزت - بعد الحرب العالمية الثانية عن الاستجابة لمطالبات موقف تاريخي وثوري حديد ، وحركة جماهيرية جديدة تتعارض مصالحها مع مصالح الطبقة القابضة على قيادته .

هنا ، ربما كان من الواجب ان نشير الى ان « مشروع ورقة العمل » المقدمة من السكرتير الاول للجنة المركزية قد نص على طائفة من الاهداف « ذات الوزن القومي الشامل » ، في مقدمتها : تحرير الارض . كما اكسد المشروع ايضا على ما دعا اليه الرئيس انور السادات من اعداد الجماهير لتمارس حقها في الرقابة وفي توجيه السلطة الوطنية ، وبحيث تشارك في صنع القرارات المتصلة بمشاكلها ومتطلباتها .

وهذا بلا شك هام جدا . والمطلوب الان ان يتقدم الاتحاد الاشتراكي من أجل أن يضع كل هذا موضع التطبيق .

وفي اعتقادنا ، ان هذا انما يتحقق عندما يؤسس الاتحاد الاشتراكي نشاطه اليومي على الاسس الرئيسية التالية :

❶ فكر واضح في القضية الوطنية ، يجسده المسلك اليومي لاوسع قطاعات الشعب .

أجل هذا طالبت بأن يتعمق اكثر فأكثر خط التحولات الاقتصادية والاجتماعية . وطالبت باعادة بناء التنظيم السياسي بالديمقراطية ، ونفذت ما في عمل الاتحاد الاشتراكي من نواقص . وطالبت بتنحية القيادات العاجزة ، والرجعية في الدولة والقطاع العام ، ودعت الى الحد من امتيازات البرجوازية . والى تعديل وتطوير عدد من القوانين المتعلقة بالحريات ، او المرتبطة بالقضايا الاجتماعية .

وفي هذا كله ، ومن خلال هذا كله برزت بعض المعالم الاساسية في مواقف الجماهير الشعبية : فاولا : حددت الجماهير ان الديمقراطية السياسية هي الوسيلة الى احداث التغييرات المطلوبة . لكن الجماهير لم تعط الديمقراطية هذا المضمون الديمقراطي الليبرالي الذي يتلاعب به اليمين الاجتماعي . بل طالبت بالديمقراطية السياسية لها ، كضمان يمكنها من الدفاع عن مكتسباتها ، ومن دعمها وتوسيعها ، وكوسيلة تمكنها من المشاركة مشاركة متزايدة في ادارة شئون البلاد .

ثانيا : برهنت الجماهير في اكثر من موقف ، وفي أكثر من مناسبة على أنها لا تفصل بين قضية التحرير ، وبين الدفاع عن حقوقها ومكاسبها . ومن هنا برز بوضوح ان تمسك الجماهير الشعبية بخط التحولات الاجتماعية هو موقف اصيل ، ليس من السهل على قوى الثورة المضادة ان تضللها او تسعدها عنه .

فاذا كان - بعد ذلك - هناك اساس لقيام وحدة وطنية جماهيرية صلبة ، فمن الواضح ان هذه الوحدة لن تقوم ، بكيفية راسخة ، الا على اساسين :

- تحرير الارض .

- والمشاركة المتزايدة من قبل العمال والفلاحين والمثقفين في ادارة شئون البلاد .

ومن هنا ، تطرح القضية بالنسبة للاتحاد الاشتراكي كتنظيم سياسي يسعى الى قيادة الجماهير ، ويعبر عن مصالحها ، على الوجه التالي :

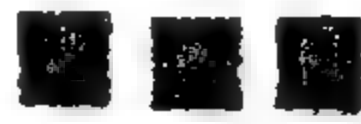
وهو انه : اذا استطاع الاتحاد الاشتراكي ، أن يقدم لحركة الجماهير - بإبعادها التي أشرنا اليها - الصيغة التي تجعل منه وعاء ، لحركة

المستقلة ، ويحثها بالقدوة والاقناع ، على القيام بهدورات خلاقة فى مجالات زيادة الانتاج ومكافحة الامية ورفع كفاءة الدفاع المدنى . . الخ . وتوسيع آفاق العمل التطوعى والاختيارى لحل المشكلات الذاتية فى القرى والاحياء والمدن .

٣) بناء ديمقراطى للاتحاد الاشتراكي يمكن الفلاحين والعمال والمثقفين ، وهم الغالبية العظمى من الشعب من أن يعبروا عن أنفسهم حرية ، من خلال منابرهم ، وذلك بقدر ما لهم من وزن اجتماعى حقيقى ، وبقدر ما لهم من مصالح خاصة يتعين تأكيدها وصيانتها ، وذلك وفقا لمبدأ المساواة فى التضحية بين الطبقات ، ووفقا لمتطلبات الوحدة الوطنية المقدسة بين هذه الطبقات .

ان هذا الفكر يعنى تعريف الجماهير بالعدو الاستراتيجى والعدو المباشر ، وبطبيعة المعركة وابعادها ويضع نضالنا فى مكانه من حركة الثورة العالمية ، ويحدد بحسم القوى الحليفة على المدى البعيد ، والقوى الصديقة على المدى القريب . وان يتم هذا كله ، بالكيفية التى تثقف الجماهير بحقائق الموقف ، وتؤهلها لمواجهة الحرب النفسية ، وترفع الانضباط فى صفوفها وتدعم أولا وأخيرا ثقة الشعب فى قواه الذاتية من حيث انه يستطيع بقواه أن يحرر أرضه ، ويهزم اعداءه .

٤) تعبئة حقيقية للجماهير ، وذلك بالعمل السياسى الذى يقوم به الاتحاد الاشتراكي فى داخل منظماتها النقابية والجماهيرية والوطنية ، بحيث لا يصادر حركتها ، بل يدعم كياناتها



التمايز داخل اطار التحالف الوطنى

ميشيل كاميل

لكن ، من الملاحظ أن مناقشات اللجنة قد تشعبت وتفرعت الى عديد من الموضوعات ، كان أبرزها علاقة الاتحاد الاشتراكي بالسلطة التنفيذية ، بالإضافة الى حوار مستفيض عن سلبات الماضى ، دون أن تتطرق بالقدر الكافى الى موضوع الاساس .

والهدف من دراسة اعراض المرض هو تشخيص الداء لتحديد نوع العلاج الذى يقضى

المؤتمر القومى اختصاصات لجنة العمل فى أربع نقاط ، الاولى والثانية منهما تتناولان « الاطار » الذى ثبت « عجزه عن مواجهة متطلبات الجماهير » ، وطالب

المؤتمر بتعديله « بحيث تشارك الجماهير فى وضع القرارات » وليكون « منبرا حرا معبرا عن ارادة الجماهير بالاسلوب الذى تراه قوى الشعب العاملة » [١]

حدد

(١) من قرارات المؤتمر فى دورته الاخيرة ، قام بتلخيصها د. محمد حافظ غانم .

في الموقف وطرحها كمهمة اساسية عاجلة وحاسمة وتركيز كل الجهود عليها وتجميع الرأي العام حولها وتعبئته بهدف التحرك في اتجاه انجازها .

ان التناقض الرئيسي الذي تسبب في الهزيمة وادى الى استمرار تردى الاوضاع وتدهورها ، هو التناقض بين طبيعة المرحلة التي تتطلب تنظيم جبهة من كل القوى الوطنية والتقدمية بلا استثناء وعلى اختلاف انتماءاتها الطبقية ، وبين طبيعة السلطة والمؤسسات التي تتميز بسيطرة فصيلة واحدة من القوى الوطنية وانفرادها بالحكم وتمسكها باقصاء القوى الثورية الاخرى . ولقد اتضح فشل اسلوب « الوحدة الوطنية » الذي يستهدف تحقيق الوحدة الفكرية والسياسية وصياغة برنامج التحالف من جانب فئة واحدة متميزة — جناح من الطبقة الوسطى — تعمل على فرضه على جميع الفئات والقوى الوطنية الاخرى وتستأثر بالسلطة واتخاذ القرار وتحديد البرنامج العام « الموحد للجميع » من موقع الوصاية على الجماهير والادعاء بحيادها وتساميها وارتفاعها فوق التناقضات والمصالح الطبقية ، وتمثيلها لها « في مجموعها » .

ان الحلقة الرئيسية في توفير متطلبات التحرك والسير قدما في طريق انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية والانطلاق الى آفاق التحول الاشتراكي تتمثل في المبادرة الى حل هذا التناقض . فلمدى طويل ظل هذا التناقض يشكل عقبة تعرقل مسيرتنا الثورية ، اما اليوم فقد أصبح هو المقتل الذي يهدد الكيان الوطني كله .

منذ هبة ٩ يونيو ١٩٦٧ ، وما تبعها من حركات وانتفاضات ثورية عديدة ومتنامية طرحت الجماهير الشعبية الكادحة شعارات « التغيير » و « نقل السلطة الى قوى الشعب العاملة » والمشاركة الفعلية في المؤسسات وصياغة القرارات ، واثاحة حرية التعبير لجميع الاتجاهات السياسية الوطنية ، ومن المشاهد أن هذه الحركة تنمو وتكتسب تأييدا ومساندة من القطاعات الشعبية العريضة .

والواقع أن هناك اتجاهات ثلاث تتصارع داخل الاتحاد الاشتراكي من منطلقات طبقية متباينة ومتميزة :

الاتجاه الاول منها يتمسك بمبدأ التحالف اى بالضمون الثورى لما جاء بوثائق الثورة ويطالب

عليه في ممكنه . هذه القاعدة العلمية تعتبر من البديهيات الاولى التي تسرى صلاحيتها في التطبيق على مجالات الحياة المختلفة ، والالتزام بها يجنب الانسان كثيرا من الالام والفاقد . واليوم اذ تجرى محاولة جديدة لتعديل القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكي العربى ، حتى يصبح « الاطار التنظيمى قادرا على تحقيق المضمون » اى بتحويله الى « تحالف وليس حزبا » (٢) ، نرى أن تفرق بحزم بين ما هو من الاعراض المرضية وبين ما هو اساسى وجوهري ، وان ذجنب الخلط بين النتيجة والسبب ، فان الحلول الجزئية « للسلبات » مآلها الفشل مثل مثيلاتها في التجارب العديدة السابقة ، في ظروف لا نملك فيها « ترف » الهروب من مواجهة المهام الملحة ، بعد ان بلغت الأزمة ذروتها .

ان تصور الاتحاد الاشتراكي عن تأدية دوره كتحالف لقوى الشعب العاملة كان يعزى دائما الى الاعراض الثانوية .. الافتقار الى كفايات قيادية ، الالتجاء الى اسلوب التعيين بدلا من الانتخاب ، تفشى الاساليب المكتبية ، والبيروقراطية ضرورة استكمال الاجهزة القيادية ، الحاجة الى تنظيم طليعى نشط ، خلل في تعريف العامل والفلاح ، تسلل العناصر الانتهازية ، ضعف الروابط التنظيمية وخطوط الاتصال ، اضطراب العلاقة بين التنظيم السياسى واجهزة السلطة التنفيذية والتشريعية ، تسلط بعض مراكز القوة .. الخ من اعراض ، هي رغم اهميتها « نتائج ثانوى » لمشكلة الاساس ، وجوهر التناقض الذى يأخذ بخناق التنظيم السياسى ، المحاولة التغلب على كل هذه السلبات دون أن يمس الجوهر ، قد يؤدى الى خلق « حزب » كفاء للطبقة السائدة اجتماعيا وصاحبة النفوذ في السلطة ومؤسساتها ولن يحيله بحال من الاحوال الى تحالف لقوى الشعب العاملة .

ورغم ضرورة التفرقة بين ما هو ثانوى وبين ما هو جوهري الا أننا لا نستهن بأهمية النضال للتخلص من الاعراض السلبية ، وخاصة كل ما يتعلق منها بالديمقراطية داخل التنظيم السياسى مثل التعديل التقدّمى لتعريف العامل والفلاح وتوفير ضمانات حرية التعبير والنقد .. الخ ، باعتبارها خطوات على الطريق تهيئ مناخا انسب لفاعلية متزايدة للقوى الشعبية الكادحة في كفاحها من أجل تحقيق المشاركة الفعلية في قيادة التحالف ، لكن ، لا يجب الاكتفاء بالكفاح في سبيل الجزئيات ، دون الامساك بالحلقة الرئيسية

(٢) من مشروع ورقة العمل المقدم من السكرتير الاول للجنة المركزية .

بتغيير الشكل — الاطار التنظيمى — الذى يتناقض مع تطبيق المبدأ ، فيسرى ضرورة تعدد المنابر واتاحة حرية التعبير الفكرى والسياسى والتنظيمى لكل القوى الوطنية أو السماح بتكوين « تنظيم سياسى لكل فئة من قوى الشعب العاملة » على أن تنضوى هذه التنظيمات تحت لواء الاتحاد الاشتراكى فى صيغة قريبة من صيغة الجبهة الوطنية « [٣] » .

الاتجاه الثانى يدعو الى تقديس الهيكل التنظيمى القائم ، أو الشكل — الوعاء — ويقاثل بضراوة من أجل تجميده والإبقاء عليه ، بل وتخليصه من « اليسار » فى نفس الوقت الذى يطالب فيه بتعديل الاساس الفكرى الذى وضع فى خدمته — تحالف قوى الشعب العاملة — واعادة النظر فى وثائق الثورة بهدف الاجهاز على ما تتضمنه من جوانب ثورية .

بينما **الاتجاه الثالث** ينادى بالإبقاء على الوضع كما هو فيما يتعلق بوثائق الثورة والصياغة التنظيمية للاتحاد الاشتراكى كمجرد « مجمع » يحشد داخله الافراد دون تمايز ، ووعاء ضخم هلامى مترهل يحتوى « الجميع » . وهنا ينصب الحديث على حرية « الفرد » فى التعبير — و « اطمئنان الانسان على كرامته ولسانه الذى ينطق به » وانهاء « موقف المواطن المتفرج ليحل محله المواطن المشارك » والاستمئانة « بكل صاحب رأى ، وبكل ذى خبرة » ، مع مجموعة من التعبيرات والصياغات « المرنة » حول **الانفتاح** على الجماهير وتدعيم الطابع الديمقراطى .. الخ

انها الاتجاهات الثلاث المتصارعة دوما والمنطلقة من مواقع طبقية متباينة ، رغم أن الاستقطاب المتزايد داخل المجتمع يدعم الاتجاه الاول والثانى ويرفع من مستوى الصراع بينهما .. الاول يبغي تطوير الاوضاع بما يخدم قضية التحرير والثورة الاجتماعية ، والثانى هدفه الانتكاس والردة ، والثالث يحاول تجميد الموقف وتثبيتته لتبقى السلطة ومؤسساتها حكرا للطبقة الوسطى ، ومما يؤسف له أنه يضم عددا من مدعى « التقدمية » يشنون حملة ضارية ضد فكرة التمايز بمفهومها السياسى ، ومن ثم فهم يكرسون سيطرة البرجوازية الوطنية .

والتحالف يتم بين قوى الشعب العاملة ، أى بين **طبقات وفئات اجتماعية ذات مصالح متميزة تجمعها وحدة الهدف فى مرحلة استراتيجية محددة** ، رغم تباين ايديولوجياتها

وتصوراتها الخاصة لاسلوب تحقيق الهدف المشترك وآفاق التطور بعد انجازه . ومن هنا فإن حشد الافراد فى وعاء تنظيمى واحد وحرية التعبير للمواطن يتناقض مع المفهوم السلمى والامين للتحالف الوطنى ، ويتعارض مع المضمون التقدمى لوحدة « القوى » الوطنية مع الاقرار بقانون الصراع الطبقي الذى يدور بصورة سلمية داخل اطار التحالف ، بل ان السبيل الامثل لتعبئة كل القوى الوطنية ، والضمان الوحيد لسلمية الصراع الطبقي بين هذه القوى يكمن فى اتاحة حرية التعبير « للطبقات » ، وحق التنظيم فى تشكيلات مستقلة « لكل فئة اجتماعية على حدة » ، يضمها جميعا وعاء تنظيمى لتحالف **جبهوى** ، يستمد صلابته من الاتفاق الواعى بين اطراف تدرك وتقرر لنفسها ومن واقع ارادتها الحرة ماهية حقوقها وواجباتها والتزاماتها .

ان قيام العلاقات بين قوى منظمة سياسيا وبقيادة طلائعها الواعية هو صمام الامن ضد تفجر الصراعات الثانوية بصورة ضارة تعلو على مستوى التناقض الرئيسى مع العدو ، فالخطر هنا مصدره الافتقار الى الوعى ، الذى يظل سائدا طالما حرمت بعض الفئات الوطنية من حق التعبير السياسى والتنظيمى عن وجودها وكيانها ومصالحها .

كذلك فان السلبية نتاج طبيعى للافتقار الى الشعور بالمشاركة ونتيجة الاحساس بأن القرارات تفرض من جانب واحد . كما أن احتكار فئة ما للسلطة يقود بالضرورة الى فرضها لما يتمشى مع مصالحها ، دون أن تدخل فى حسابها مصالح وارادة الفئات الاخرى ، وهو ما يؤدي بدوره الى التمزق وتفتيت الوحدة الوطنية وفشل جهود التعبئة القومية الشاملة ، وتلك هى المأساة التى عانينا منها طويلا ولن نجد فيها الحلول الجزئية .

وفى الوقت الذى نشهد فيه الاثار الايجابية للحركة الجماهيرية الواعية التى تنادى بالتمايز فى اطار الوحدة الوطنية ، ويكتسب هذا الخط تأييدا متزايدا من القوى الشعبية الكادحة بهدف كسر احتكار السلطة من جانب الطبقة الوسطى نجد اصواتا ترتفع نشاذا لتشجيع وترويج ان التمايز يشكل خطرا على الوحدة الوطنية ، ومما يؤسف له أن ينزلق « مدعو التقدمية » وبعض القوى اليسارية المضللة الى نفس الاتجاه وهم بذلك يعملون بالتضامن مع اصحاب

[٣] الاهرام فى ١٩٧٢/٢/٢٨ « مقترحات هامة تثيرها لجنة الفكر » وهو الراى الذى تقدم به ودائع عنه المرحوم الدكتور محمد الغفيف .

المصلحة على اجهاض حركة الجماهير من اجل تثبيت الاوضاع وتجهيدها والابقاء على افراد هذه الفئة بالسلطة .

ان التمايز هو واقع موضوعي قائم في المجتمع لا يمكن اخفاؤه او تجاهله ، بل انه يتزايد وينمو من خلال عملية الاستقطاب التي تجرى بصورة مضطردة .

ثم . . . هل حقاً لا يوجد في مجتمعنا فئة تملك حق التنظيم وحرية التعبير كطبقة ؟

الواقع يؤكد غير ذلك ، فالطبقة الوسطى لها حرية كاملة في التنظيم والتعبير والتأثير والتوجيه واتخاذ القرارات ، وتحتل المواقع القيادية في المؤسسات السياسية والاقتصادية ، ومن ثم ، فان اعداء التمايز ليسوا أمناء في عدائهم لكل تمايز ، بل انهم يعارضون ويعادون تميز الفئات الشعبية وحدها ، ويدعون الى حق التمثيل الاقتصادي الفئوي الضيق . . انهم يتبنون نظرية ثلاث من بيدهم زمام الامر .

من المتفق عليه ان الديمقراطية ذات طبيعة طبقية ، فهي أداة الحكم لفئة او تحالف جبهوي يعمل على شل النشاط السياسي للفئات الاجتماعية الاخرى المعادية ، ومن هنا فان تحديد الحريات وحصر حق التعبير والضمانات الديمقراطية في « الفرد » وحده و « المواطن » فحسب ، تشكل الخط النظري الاساسي الذي تدعو اليه البورجوازية لاضعاف خصومها ومحاصرة نشاطهم . والفرق بين حكم الطبقة الواحدة وبين خط التحالف هو بالذات الفرق بين حرية الفرد كمنطلق . . ام حرية الطبقة اساساً ، بالإضافة الى الحريات الفردية .

وهناك الراي القائل بتمثيل المنظمات الجماهيرية الديمقراطية - اتحاد العمال ، الاتحاد التعاوني ، منظمة الشباب ، اتحاد الطلبة ، التنظيم النسائي . . الخ . في الهيئات القيادية للاتحاد الاشتراكي . ولا شك ان تمثيل هذه المنظمات يعتبر من الخطوات الايجابية في اتجاه تحرير الطبقات الكادحة من الوصاية ، وهي خطوة تستحق التأييد والمساندة من كل القوى الديمقراطية والتقدمية . . الا انها تظل تدور في اطار الجزئيات التي تمهد ولكنها لاتحل قضية التحالف ، لذلك يجدر بنا الا نقنع بها . . لماذا ؟

● لان طابع هذه المنظمات فئوي اقتصادي ، فهي ليست ولا يمكن ان تقوم بمهام المؤسسات

السياسية ، اذ ان دورها لا يتعدى النضال الاقتصادي لتحسين شروط العمل ، لزيادة الاجر الخ ان تمثيل المنظمات الجماهيرية داخل الاتحاد الاشتراكي ينقل الصراع الاقتصادي الى داخل التنظيم السياسي ، ولكنه لا يحل مشكلة حرية التعبير النظري والسياسي ، بينما قضية التحالف - القضية المطروحة - هي بالذات في كفالة حق التعبير النظري والسياسي . وطالما حرمت الطبقات والفئات الشعبية الاخرى من حق ممارسة النشاط السياسي المعبر عنها فستظل مجرد توابع للرأسمالية تدور في فلكها ويظل التنظيم السياسي حزباً للفئة التي لها وحدها حق التعبير باشكاله الثلاث .

● ان قانون الجمعيات يمنع هذه المؤسسات الجماهيرية من الاشتغال بالسياسة ، حتى ان ممارسة اي منها للنشاط السياسي يعرضها للحل بقرار من وزير الشؤون الاجتماعية طبقاً لنص القانون .

● معظم قيادات تلك التشكيلات الاقتصادية تنتمي من ناحية اصولها الاجتماعية وأوضاعها الاقتصادية والمعيشية او اتجاهاتها الفكرية الى الطبقة السائدة اجتماعياً ، وبذلك فهي لا تعكس بأمانة المصالح الطبقيّة لهذه الفئات ، وسيظل هذا الوضع قائماً طالما انها محرومة من حق مزاوله النشاط السياسي .

● بعض هذه المؤسسات ليس له وجود فعلى [التنظيم النسائي] او تعرض للحل بقرار [منظمة الشباب] او لم ينشأ على أسس ديمقراطية [النقابات الزراعية] ، وقد اشار المهندس ابراهيم شكرى الى ان « النقابات الزراعية قد كونت على الورق » في ظرف اسبوعين بقرار من وزير العمل ويسيطر على معظمها مقالور الانفار وهي التي تضم اكبر فئة عاملة في مصر .

● أعظم قوى التحالف حجماً - الفلاحون من فقراء الريف والبرجوازية الصغيرة - محرمون من حق التمثيل الحقيقي داخل الاتحاد الاشتراكي بسبب التغيير الذي ادخل على قانون التعاون عام ١٩٦٩ ، وافرغه من محتواه الديمقراطي بالنص على رفع حصد الملكية الى ١٠ اكدنة لنسبة الثمانيين في المائة من أعضاء مجالس الادارة ، بالإضافة الى حرمان الاميين - الذين يشكلون ما يزيد عن ٩٠٪ من هذا القطاع - من الترشيح لمجالس ادارة التعاونيات .

ورغم ذلك ، فان الاخذ بأسلوب تمثيل المنظمات

تطرح المسألة الا بالشكل التالي « اما ايديولوجية برجوازية واما ايديولوجية اشتراكية . وليست وسطا بينهما (لان البشرية لم تضع ايديولوجية « ثالثة » ، اصف الى ذلك انه في مجتمع تمزقه التناقضات الطبقيّة، لا يمكن ان توجد ايديولوجية خارج الطبقات او فرق الطبقات » (٤) .

والرأى المعارض للتمايز — بل وبمض المؤيدين نظريا لضرورة التمثيل السياسي المستقل لمختلف الطبقات . . على ان يؤجل الى المستقبل — يدعم وجهة نظره بأنه لا توجد عليها تنظيمات سياسية عندنا ، فكيف بالله نفعل مثل هذه التشكيلات ؟ والرد على هذا الرأى يمكن ان نلخصه فيما يلي :

● ثبت فشل الصياغة الراهنة ، ولم تجدى الاصلاحات الجزئية التي سبق ان جربت المرة تلو المرة في عمليات اعادة البناء السابقة ، بل زادت الامر تعقيدا . مما يقتضى التصدى لمشكلة الاساس بالجرأة اللازمة ، ونبذ المنهج التجريبي الاصلاحى .

● والمشكلة أصبحت اليوم تمس كياننا الوطنى كله ، ولم تعد مجرد عامل مساعد أو قضية ثانوية ولكنها ضرورة من متطلبات تحرير الارض المفتصبة وحماية المكتسبات الثورية مما يقتضى تعبئة كل القوى الوطنية اى مشاركتها الفعلية فى السلطة ، ولا تصبح هذه المشاركة حقيقية ما لم يتوفر لها حق التمثيل السياسى فى القيادة العليا ، ومن هنا تصبح المسألة لا تتعلق بتساؤل هل يمكن ام لا يمكن ، بل تتعدى ذلك الاطار الى . . كيف ؟

● الظروف الموضوعية مهية لانبثاق هذه التشكيلات . وقد نضجت لميلاد صحى بعد ان أصبحت مطلبا جماهيريا يحظى بتأييد متزايد من قوى الشعب العاملة ، ترى فيه طريق الخلاص . ان الفرق بين الموقف الثورى المتسق مع متطلبات التطور والمهام المصيرية لنضالنا فى المجال الوطنى والاجتماعى ، وبين الموقف الاصلاحى تتمثل فى ان الاول يملك القدرة على خلق المؤسسات التى تخدم التقدم وتنفى باحتياجات الموقف دون ان تتجمد فى أطر بالية، ثبت عجزها مجرد انها الاشكال « القائمة » والاوزاع « المستقرة » .

الجماهيرية سوف يكون أحد العناصر الايجابية فى مجال العمل من أجل تحويل التنظيم الى تحالف ، اذا روعيت الجوانب الأخرى . وقد طرحت عدة اقتراحات حول أسلوب التمثيل والنسب المقررة له . وفضل هذه المقترحات نجدها فى الاتجاه الذى يدعو الى ضم التنظيمات الجماهيرية الديمقراطية ، التى تمثل فئات الشعب المختلفة الى الاتحاد على مستوى القيادات الاقليمية فى المحافظات والقيادة المركزية — اللجنة المركزية للاتحاد — على الا يقل ممثلو المنظمات الجماهيرية المنضمة للاتحاد عن ثلث عدد اعضاء لجنة المحافظة واللجنة المركزية ، وان يكون تمثيل المنظمات المختلفة حسب نسبتها العددية بشرط الا يقل ممثل كل تنظيم عن واحد ، وذلك مع الاحتفاظ بنسبة ٥٠ فى المئة للعمال والفلاحين . . وتقوم هذه التنظيمات بانتخاب ممثليها فى المستويات القيادية للاتحاد .

وهناك رأى يتصور ان حل القضية يتمثل فى تعديل جديد لتعريف العامل والفلاح « أقرب » الى التحديد العلمى لهما ، وان يمتد تطبيق قاعدة الـ ٥٠٪ الى جميع المستويات بلا استثناء . ولا شك ان تنفيذ هذا الاقتراح ايضا يعد من الخطوات التقدمية الهامة التى تدعم الحياة الديمقراطية ، ولكنها رغم ذلك تبقى جزئية لا تمس الاساس ، حتى اذا رفعت نسبة التمثيل عن ذلك، وبافتراض الاخذ بالتعريف العلمى السليم للعامل والفلاح ، فالمشكلة لا تتعلق بحجم التمثيل ، بل بنوعيته ، لان تضخم الحجم لا يحول « التعبير الاقتصادى » الى « تعبير سياسى » ، ولا يمكن ان يطور « حركة عفوية » الى « حركة واعية » .

اما الحزب الطليعى — سواء كان تكوينه سرا ام علنا — فلن يكون اكثر من تنظيم وطنى . . صورة مصغرة مكثفة للقوى التى تقوم بتشكيله واختيار افراده اى طليعة للفئة السائدة اجتماعيا . والقول بغير ذلك والتصورات الخيالية التى يشيعها البعض عن طابعه « الاشتراكى » ليست الا من قبيل التلويع بأمل زائف والتضليل بسراب خاسر ، ان التنظيم الطليعى الاشتراكى لا يمكن ان ينشأ الا بالارتباط العضوى بين النظرية الاشتراكية العلمية وحركة الطبقة العاملة . ثم . . اى ايديولوجية يتوقع هؤلاء لمثل هذا التنظيم الطليعى ، « فلا يمكن ان

النضال من أجل الاشتراكية ، لكن لنترك هذا الشعار لترفعه المنظمات السياسية التي تشكل داخل التحالف والتي ترغب في تبنيه والكفاح الحقيقي من أجله ، والتي يتسق هدف الاشتراكية مع طبيعة تمثيلها ومصلحتها ووعيتها . ليس ما نريده سراب اشتراكي وبلبله وديماغوجية ، فكر وتطبيق برجوازي مغلف في مقولات اشتراكية براقة ، بل نريد ان يدافع البرجوازي من رايه ويطرح افكاره وآراءه دون مواربة ، وان يعبر الاشتراكي عن معتقده ويناضل من أجل ترويجه . ومن خلال الحوار والنضال الفكري المفتوح الصريح داخل صفوف التحالف ستندعم الاتجاهات التقدمية والثورية ويكتسب الفكر الاشتراكي ارضية اكثر اتساعا وخصوبة ، مما يؤدي الى تغيير في وعي وبنية الاتحاد الاشتراكي وعلاقات القوى داخله وحينئذ ، وحينئذ فقط يتحول شعار بناء الاشتراكية من موقف لبعض التنظيمات السياسية داخل الاتحاد الاشتراكي الى هدف عام للتنظيم الجبهوي كله ، اذ يصبح الشعار معبرا عن المضمون الحقيقي للتنظيم ، بالنضال وحده ستتحول الاشتراكية من شعار في الاتحاد الاشتراكي الى شعار للاتحاد الاشتراكي .

ان البرجوازية — بما فيها الرأسمالية الوطنية — لا تنتحر وتلغى وجودها لتقيم نقيضها ، لا تقضى على كيانها لتسلم مقاليد الامور طواعية لاعدائها ، ومن ثم فهي لن تبني الاشتراكية . واسهام بعض قطاعات منها في عملية البناء الاشتراكي لن يتم بقيادتها بل هو رهن بقيادة الطبقة العاملة المنظمة سياسيا في تحالفها مع كل الفئات الشعبية والوطنية الاخرى . هناك المصالح الموحدة التي تلتقي عليها الغالبية العظمى من قوى الشعب العاملة ، الا ان هناك ايضا المصالح الخاصة لكل فئة اجتماعية داخل التحالف ، كما توجد زوايا مختلفة في الرؤية للنهج والاسلوب المؤدى الى انجاز هذه الاهداف وتباين التصورات لافاق التطور ما بعد تحقيق تلك المهام . وعلينا — ان كنا جادين — ان نقر بشرعية جميع هذه المصالح والاتجاهات الفكرية والسياسية ، وحقها في التعبير عن ذاتها . وهذا الحق يتضمن بالضرورة :

[١] حرية التعبير للطبقة أو الفئة الاجتماعية ككل ، وليس فقط للأفراد .

[٢] حق التنظيم المستقل داخل اطار التحالف — أو من أجل التحالف — لأن أي حديث عن حرية

وقد اقترح اسلوب النوادي السياسية [٥] كحل لمشكلة التعبير للاتجاهات الفكرية والسياسية المتباينة . والاخذ بهذا الاقتراح — وهو اضعف الايمان — يمثل خطوة في طريق تشكيل تنظيمات مستقلة للفئات المختلفة داخل الاتحاد الاشتراكي ، على ان تتاح لهذه النوادي حرية العمل ، وان يسمح لها بتكوين منابرها الصحفية والفكرية — ويمدها الاتحاد الاشتراكي بالضمانات والامكانيات — وبذلك يصبح الترابط والتفاعل بين هذه النوادي السياسية والتمثيل الجماعي للمؤسسات الديمقراطية الجماهيرية والنسبية المخصصة للعمل والفلاحين ، هي القاعدة التي تقيم عليها القوى الاجتماعية تنظيماتها السياسية . ويحق لهذه النوادي ان تتحول الى منظمات سياسية لها استقلالها الذاتي داخل اطار التحالف ، اذا زاد عدد الراغبين في الانتماء اليها عن خمسين الف مواطن من داخل الاتحاد الاشتراكي او من خارجه .

اذا لم يؤخذ بهذه المقترحات مجتمعة — باعتبارها السبيل الوحيد لتحويل الاتحاد الى تحالف — فسوف يظل الاتحاد الاشتراكي على ما عهدناه ، محتفظا بطبيعة الحزبي ، ممثلا لمجموعات صغيرة من الطبقة الوسطى المصرية . وحينئذ فإن القوى الشعبية العاملة التي نص الميثاق عليها : يصبح من حقها الشرعي ان تقيم تنظيماتها الوطنية الخاصة وان تعمل في نفس الوقت على ان يضمها جميعا جبهة متحدة حول الاهداف القومية الشاملة .

هناك شبه اجماع بين القوى الوطنية على المهام والاهداف التي تشكل اساس البرنامج الوطني الديمقراطي العريض ، وهو برنامج الحد الأدنى الذي تبناه الاتحاد الاشتراكي ويتضمن في الاساس حل القضية الوطنية وتحرير الارض المغتصبة ومتابعة خط العداء للامبريالية ، ودعم الحركة الثورية العربية في مواجهة التحالف الرجعي الاستعماري ومن أجل الوحدة والسير قدما في طريق التقدم الاجتماعي والاقتصادي وتعزيز الديمقراطية وتطوير القوانين والقوانين والتشريعات المقيدة للحريات . . الخ

والواقع انني اختلف مع القائلين بأن نضع مهمة بناء الاشتراكية كهدف للاتحاد في المرحلة الزاهنة ، لان هذا الهدف يتناقض جذريا مع مصالح بعض الفئات التي يضمها التحالف ، والتي تهيمن حتى الان على التنظيم السياسي . وليس معنى هذا الا يطرح هذا الشعار والايجری

التعبير اذا لم يتجسد في حق تشكيل التنظيمات الخاصة يصبح لغوا لا معنى له . وفي اطار التحالف يحق لكل انسان وطنى أن يناضل ويضحي أو يستشهد تحت الراية التي يختارها .

استثناء، وتجميع وحشد طاقاتها البناء ومبادراتها الايجابية الخلاقة هو على وجه التحديد في التمايز مع الاتفاق الواعى والالتقاء الموضوعى حول الاهداف المشتركة من واقع الارادة الحرة لقوى التحالف .

ان محاولة طمس التباين والتمايز أو الاقرار بهما نظريا دون السماح لها بالتعبير في قنواتها الطبيعية — فكرا وتنظيما — ليس هو مسيل الوحدة ، بل يقودنا الى الفرقة والتمزق والسلبية، ويفجر الصراعات الثانوية الضارة ، فالوحدة الوطنية تتحقق من خلال التباين ، والسبيل الوحيد الى خلق تحالف وطنى راسخ البنين والى التعبئة الشاملة لكل القوى الوطنية بلا

انها مشكلة الاساس والحلقة الرئيسية في الموقف، ان اردنا حقا ان نحول الاتحاد الاشتراكي الى اداة فعالة معبرة عن تحالف وطنى قادر على التصدى للمهام القومية الملحة ، وكل ما عداها — رغم اهمية — تفاصيل وفروع من الاصل واعراض مرضية لن يقضى عليها الا ضربة موجهة بجراة الى ممكن الداء .



العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وسلطة الدولة

عبد المنعم الخزالي

العمل من أجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لا يمكن أن يترك لعفوية رأس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة » و « خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم في جميع المجالات ، ويتحمل المسؤولية الرئيسية في خطه التنموية » و « وجود قطاع خاص يشارك في التنمية في اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال » . وأن الطبقة العاملة لا يمكن أن تساق بالسخرة الى تحقيق أهداف الانتاج » و « ضرورة وصول العمل الوطنى سليما الى أهدافه بطريق الديمقراطية » .

وعليه حدد ميثاق العمل الوطنى : ان الوحدة الوطنية التي يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب ، هي التي تستطيع ان تقيد الاقتصاد الاشتراكي العربى ليكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديمقراطية السلمية » .

وهكذا وجد الاتحاد الاشتراكي العربى على اساس أنه الشكل والاطار التنظيمى لهذا

ظل النظام الملكى السابق كسافة الدولة المصرية تمثل طبقة الملاك الاجانب وتحالف الاقطاع المصرى مع رأس المال ، وبعد الاستقلال وبعد

فى

اجراءات يوليو ١٩٦١ اعلن ميثاق العمل الوطنى « ان تحالف الرجعية ورأس المال المستغل يجب أن يسقط » ولا بد أن يفسح المجال بعد ذلك ديمقراطيا للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة ، وهى الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية . ان تحالف هذه القوى الممثلة للشعب العامل هو البديل الشرعى لتحالف الاقطاع مع رأس المال المستغل ، وهو القادر على احلال الديمقراطية السلمية محل ديمقراطية الرجعية . وهكذا فنحن أمام صياغة لسلطة دولة جديدة من المفروض ان تمثل هذا التحالف بأهدافه ، كما حددها ميثاق العمل الوطنى نفسه : « ضرورة سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج وعلى توجيه فائضها طبقا لخطة محددة » و « ان

ما زالت قائمة ومؤثرة ، ويحدد ذلك ميثاق العمل الوطني بقوله : « ان الرجعية ما زالت تملك من المؤثرات المادية والفكرية ما قد يغريها بالتصدي للتيار الثوري الجارف ، خصوصا في اعتمادها على القلول الرجعية في العالم العربي المستنودة من جانب القوى الرجعية » . ان اليقظة الثورية كفيلة تحت كل الظروف بسحق كل تسلل رجعي مهما كانت أساليبه ، ومهما كانت القوى المساعدة له » .

قالتا : ان تتحدد علاقة الاتحاد الاشتراكي بسلطة الدولة على أساس أن جماهير التحالف العاملة مصالح ومطالب عديدة يجب وأن يتصدي لحلها وقيادة التضال من أجل حلها في وجه أي لون من ألوان الاستغلال أو الظلم أو التشويه البيروقراطي . ومن ثم فهو من المفروض أن يكون قوة مناضلة ضد أي ظلم أو قهر يحيق بجماهير الشعب من قبل سلطة الدولة بكل أجهزتها - لا أن يكون مجرد سير ناقل لشكاوى الجماهير وغضبها ، أو مجرد ساع بريد يحمل هذه الشكاوى أو تلك دون قيادة وتنظيم أصحابها في عمل ثوري منظم وواع ضد المسؤولين عن الظلم أو القهر الذي حاق بهذا القطاع أو ذاك من الجماهير .

رابعا : ان العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وسلطة الدولة ، تقوم كذلك على أساس أن الاتحاد الاشتراكي يجب وأن يكون سلطة الشعب في ممارسته لرقابته للأجهزة التنفيذية والإدارية ، وأن يمارس هذه الرقابة عن طريق مجلس الشعب ، والمجالس الشعبية المحلية . وأن يجعل من هذه الرقابة سلاحا في أيدي جماهير التحالف لتسندته ضد جموح السلطة وأفرادها وأجهزتها . وأن يمارس النقد والنقد الذاتي لسلطة الدولة بكن حرية ويقظة ثورية من أجل انجاز الاهداف الوطنية والديمقراطية لحركة المجتمع الثورية . وعلى أساس قول الحقيقة كل الحقيقة لجماهير الشعب ، وحتى تكون لديها صورة كاملة لستوليائها بلوغا لأمالها .

ان الاتحاد الاشتراكي كسلطة لجماهير تحالف قوى الشعب العاملة ، يجب أن يتصدي لمستوليائه معتمدا على هذه الجماهير ، معترفا بأن التناقضات والصراع بين قوى التحالف حتمية وطبيعية ولا يمكن تجاهلها أو انكارها ، وأن نضالها من أجل تعبئة هذه الجماهير لا يمكن أن يتحقق الا على أساس انه ليس تنظيميا تابعا من السلطة ولا تابعا لها ولا مسيرا بأجهزتها ، انما هو نابع من ارادة جماهير التحالف كلها ، معبر عن كل قواه وطبقاته ، وليس عن ارادة قوة أو طبقة أو فئة وحيدة من قوى هذا التحالف .

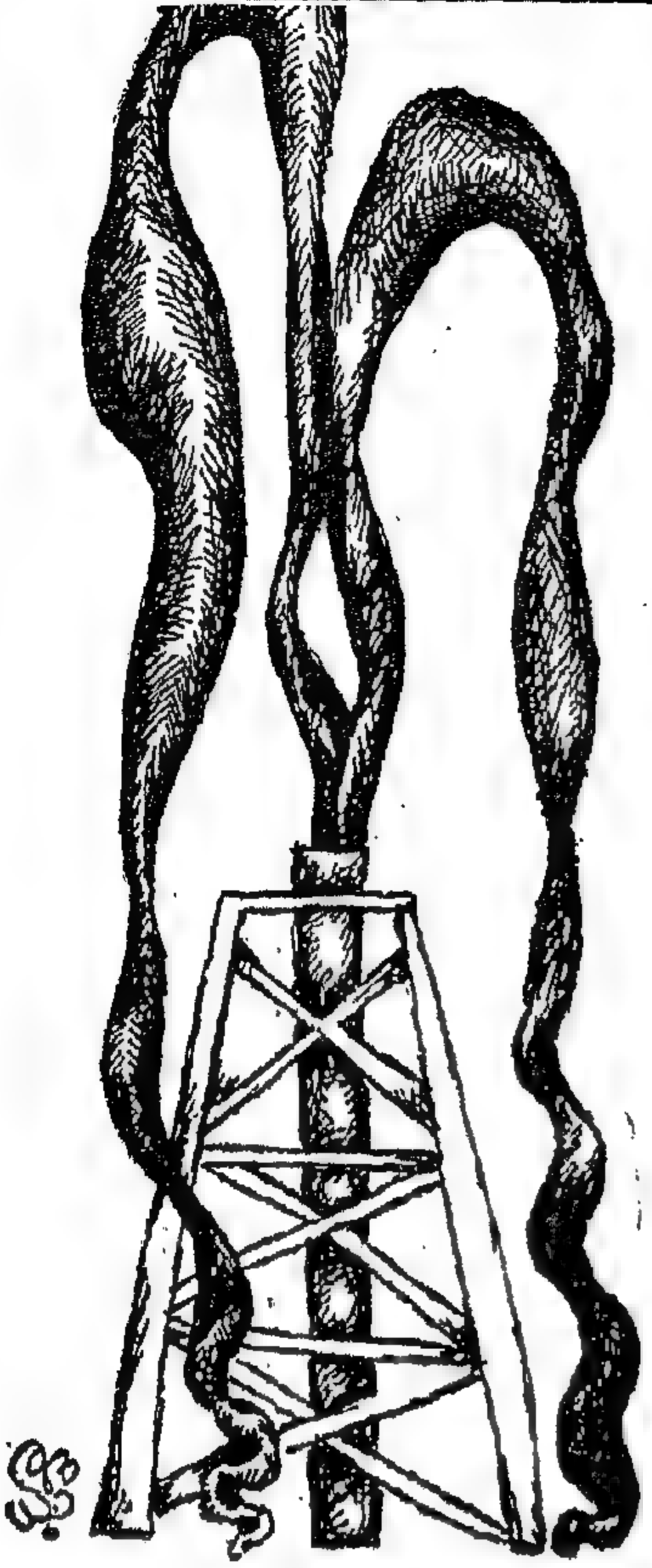
التحالف - ويعنى ذلك اول ما يعنى أن يكون الاتحاد الاشتراكي من صنع هذه القوى نفسها ، وأن يكون معبرا عن حركة جماهيرها ومنظماتها الديمقراطية من نقابات واتحادات ٠٠ الخ ، وعلى أساس أن يكون معبرا عن : أولا : الوحدة الوطنية للمجتمع ككل في نضاله ضد الاستعمار بأشكاله القديمة والحديثة ، ثانيا : أن يكون معبرا عن مجموع مصالح جماهير قوى التحالف بطبقاته وفئاته في الثورة الاجتماعية التي أصبح انجازها هو الضمان لأي تحرر وطني حقيقي . قالتا : ان يقود جماهير طبقات التحالف في وجه أي عسف أو ظلم أو استغلال أو افساد أو تشويه للديمقراطية وعدوان عليها ، وفي وجه أي محاولة من جانب الطبقات المالكة والرأسمالية الوطنية لالانفراد بسلطة الدولة أو بالعمل السياسي .

ومن هنا فان علاقة الاتحاد الاشتراكي بتحدد بسلطة دولة التحالف - دولة السلطة الوطنية - على الاسس التالية :

أولا : ان هذه العلاقة ليست علاقة تبعية أو خضوع ، فالاتحاد الاشتراكي ليس امتدادا بسلطة الدولة ولا يمكن أن يكون من صنع أجهزتها . فهو مستقل عن سلطة الدولة - أو يجب ان يكون كذلك ، مستقبلا بناء وحركة ، فعضويته ونظامه يجب ألا تخضع بأي شكل لأجهزة السلطة الخاصة والا فقد جماهيريته بين قوى التحالف الذي يمثلها .

وحركته من أجل تحقيق اهدافه يجب أن تكون معبرة عن رغبات وآمال الطبقات والقوى المتحالفة داخله . واستقلالية الاتحاد الاشتراكي تلك ان تعنى عدم التبعية والخضوع لسلطة الدولة فانها لا تنفى ان الاتحاد الاشتراكي له دور قيادي حيال سلطة الدولة نفسها . ويتحدد هذا الدور القيادي من كون الاتحاد الاشتراكي يجب أن يكون السلطة الممثلة للشعب ، والدافعة لامكانيات الثورة والحارسه على قيم الديمقراطية السليمة . وان قدرة الاتحاد الاشتراكي على ممارسة هذا الدور القيادي بالنسبة لسلطة الدولة انما تنبع من وجوب ممارسته لحرية الحركة دون قيود من سلطة الدولة او خضوع لها - تحت أي ستار - وحرية الحركة تلك تمثل صمام الامان لامن النضال الوطني كله وهي القدرة الوحيدة الكفيلة بخلق القوى الشعبية القادرة على الانقضاض على كل محاولة للتأمر والقيام بالتفاف يسلب الشعب ثمار نضاله الوطني والاجتماعي .

ثانيا : يجب أن تتحدد علاقة الاتحاد الاشتراكي بسلطة الدولة ، على أساس أنه تنظيم التحالف المطلوب منه أن يواجه الاتجاهات والقوى الرجعية الموجودة في سلطة الدولة . وهي اتجاهات وقوى



الصناعة النفطية في العراق

وأثرها في الاقتصاد الوطني

مهدي الحافظ

الخارجي « وما نجم عن ذلك من نمو طبقة ملاكي الاراضي وتغير اللوحة الطبقيّة في التركيب الاجتماعي للريف العراقي .

غير أن هذه الظاهرة ، ظاهرة الدور المحرك الذي لعبته التجارة الخارجية ، بدأت بالتقلص نسبيا ، مع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، واستهلال خمسينات هذا القرن ، وحلت محلها ظاهرة جديدة في الاقتصاد العراقي ، ألا وهي صناعة استخراج النفط الخام . ومنذ ذلك الحين ، بدأت هذه الصناعة ، تحتل مكانا حاسما في تطور الاقتصاد العراقي ، وتؤثر تأثيرا مباشرا وأساسيا على مجمل قطاعات الانتاج الوطني وفعاليات الحياة الاقتصادية في العراق . فيقول الدكتور توماس بالوك ، الخبير الاقتصادي البريطاني ، حول مراحل تطور الاقتصاد العراقي الحديث : « خلال المرحلة الاولى من تطور الاقتصاد العراقي الحديث [أي من فتح قناة السويس ١٨٦٩ وحتى الحرب العالمية الثانية] كانت تجارة العراق الخارجية مع الدول الرأسمالية وخاصة بريطانيا ، تلعب دورا محركا في الاقتصاد

نهاية القرن الثامن عشر ؟ ارتبط الاقتصاد العراقي ، بالسوق الرأسمالي العالمي ، وخضع لتقسيم العمل العالمي . ونتيجة

منذ

لذلك ، ازدهرت تجارة العراق الخارجية ، بالقياس لقطاعات الاقتصاد الأخرى ، وذلك خلال الفترة الواقعة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الثانية . وكان الدافع الرئيسي لتطور تجارة العراق الخارجية حينذاك هو تلبية حاجات دول المتروبول ، ولاسيما تزويدها بالمواد الزراعية الضرورية ، والمواد الخام اللازمة لتطوير الصناعة ، واستغلال السوق المحلية العراقية — رغم محدوديتها — لتصريف البضائع المصنعة والمستوردة من دول المتروبول .

إن الدور الهام الذي كانت تلعبه التجارة الخارجية قد أدى إلى نتائج اقتصادية واجتماعية بالغة على تطور الاقتصاد العراقي ، كان من أهمها ، خضوع الانتاج المحلي لحاجات السوق العالمية ، وتأثره بحالة الاسعار السائدة فيه ، ونمو طبقة البرجوازية التجارية ، وتوسع مساحة الاراضي الزراعية ، لسد حاجات المطلب

العراقي . وقد امتازت هذه الفترة بنشوء التنظيم التجاري الخاص في انتاج السلع وتبادلها من الناحية الاقتصادية ونمو طبقة البرجوازية التجارية من الناحية الاجتماعية . وصارت اسعار السلع المحلية تتأثر بتغيرات الاسعار العالمية ، واصبح الانتاج المحلي قابعا اكثر فأكثر الى تقلبات الطلب العالي ، وعلى هذا فقد كانت تجارة العراق حتى الحرب العالمية الثانية ، تلعب الدور الديناميكي الاول في تطور الاقتصاد العراقي . ومنذ سنة ١٩٥٠ بدأت مرحلة جديدة في تطور الاقتصاد العراقي ، حيث أصبحت صناعة استخراج النفط عنصرا رئيسيا محركا في الاقتصاد العراقي ، وصارت عائدات النفط مصدر التمويل الرئيسي للميزانية العامة الحكومية ومشاريع الاعمار وغيرها»

ان عام ١٩٢٧ يمثل حدثا هاما في تاريخ العراق الاقتصادي والسياسي الحديث . اذ بدأ لأول مرة في هذا العام ، تدفق النفط في بئر بابا كركر في كركوك الواقعة في شمال العراق الذي سجل بداية صناعة استخراج النفط الخام في العراق ، الواقعة تحت هيمنة احتكارات النفط الاجنبية هيمنة تامة . ولكن تصدير النفط الخام العراقي لم يبدأ الا في عام ١٩٣٤ .

وخلال الفترة السابقة لاتفاقية ١٩٥٢ بين الحكومة العراقية وشركة نفط العراق [واخوانها] كان حجم انتاج النفط العراقي حجما صغيرا ، وكانت معدلات نموه واطئة ، بالقياس الى مثيلاتها في الدول المجاورة كإيران والسعودية . ولذلك كانت عوائد الحكومة العراقية من انتاج النفط الخام وتصديره ، قليلة جدا ، وبالتالي ذات تأثير ضعيف على تمويل النفعاليات الاقتصادية . والجدول التالي رقم [١] يوضح مقادير إيرادات الحكومة العراقية من النفط خلال الفترة السابقة لاتفاقية ١٩٥٢ مع شركة نفط العراق .

جدول رقم [١]

السنة	ايرادات العراق من النفط الخام المصدر بالآلاف الدنانير
١٩٤٥	٢٧١٠
١٩٤٦	٢٨٢٤
١٩٤٧	٢٨٢٥
١٩٤٨	٢٢٧٠
١٩٤٩	٣٣١٨
١٩٥٠	٦٨٨٥
١٩٥١	١١٤٦٦٨

والملاحظ أن شركات النفط الاحتكارية ، عمدت الى عرقلة نمو انتاج النفط العراقي ، لا لاسباب تقنية وانما مراعاة لخططها الانتاجية في بقية

البلدان ، والمحافظة على ثلث العراق كاحتياطي لها في المستقبل ، كما اوضحت ذلك تجسرية السنوات اللاحقة . ان سياسة عرقلة تطوير انتاج النفط الخام في العراق خلال هذه الفترة قد ألحقت ضررا بالغ بالمصالح الوطنية العراقية ويتبين مقدار الغبن اللاحق بالعراق من جراء ذلك ، من الجدول رقم [٢] الذي يوضح كميات انتاج النفط في كل من ايران والسعودية والعراق خلال الفترة من ١٩٣٨ حتى ١٩٤٩ .

جدول رقم [٢]

انتاج ايران والعربية السعودية والعراق
للفترة ١٩٣٨ - ١٩٤٩ (بملايين الاطنان الطويلة)

السنة	ايران	العربية السعودية	العراق
١٩٣٨	١٠٠١٩	—	٤٣٢
١٩٣٩	٩٥٨	٥٣٠	٤٠٤
١٩٤٠	٨٦٢	٦٨٠	٢٦٥
١٩٤١	٦٦٠	٥٧٠	١٦١
١٩٤٢	٩٤٠	٥٩٠	٣٢٥
١٩٤٣	٩٧١	٦٤٠	٣٧٨
١٩٤٤	١٢٢٧	١٠٥٠	٤٢٥
١٩٤٥	١٦٨٤	٢٨٤	٤٦٢
١٩٤٦	١٩١٩	٧٩٩	٤٦٠
١٩٤٧	٢٤٨٧	١٨٩٥	٣٤٠
١٩٤٨	٢٤٨٧	١٨٩٥	٣٤٠
١٩٤٩	٢٦٨١	٢٣١٠	٤١٠

ويتضح من الجدول أعلاه أن كمية النفط المنتج في ايران عام ١٩٤٩ يبلغ أكثر من ستة أضعاف ما انتج في العراق خلال نفس السنة ، كما ان كمية النفط المنتج في العربية السعودية تبلغ أكثر من خمسة أضعاف ما انتج في العراق في السنة ذاتها .

غير أن حالة ضعف انتاج النفط العراقي لم تستمر من الناحية المطلقة ، ولكنها ظلت ملحوظة من الناحية النسبية ، بالقياس لانتاج النفط في الدول المجاورة ، ومن ناحية معدلات الانتاج كما سنأتى على معالجته في فقرة مقبلة من هذا الفصل . فقد حصلت تطورات هامة في صناعة النفط في المنطقة وفي العالم ، استوجبت زيادة انتاج النفط في العراق مع بداية الخمسينات من هذا القرن . وفي مقدمة تلك التطورات ، زيادة الطلب العالي على النفط ، نتيجة لتضاعف حجم الاستهلاك العالي بعد الحرب الثانية ، كما جرى تأميم النفط الإيراني في عام ١٩٥١ ، وتم التوقيع على اتفاقية مناصفة الارباح بين العربية السعودية وشركة [آرامكو] في الفترة ذاتها . وبالإضافة الى ذلك ، تم اكتشاف حقول هامة جديدة في

العراق [حقل الرميلة في عام ١٩٥٣ وهو من اكبر الحقول النفطية في الشرق الاوسط ، وحقل الزبير عام ١٩٤٨ وحقل بطة عام ١٩٤٨ .

ان تلك التطورات الهامة ، ونضال الشعب العراقي ، بمختلف قواه الوطنية ، قد أدى الى توقيع اتفاقية جديدة بين الحكومة العراقية وشركة نفط العراق - آ.بي.سي - واخواتها شركة نفط البصرة وشركة نفط الموصل وذلك في شباط ١٩٥٢ . وبموجب هذه الاتفاقية ، جرى تثبيت مبدأ مناصلة أرباح انتاج وتصدير النفط الخام بين الطرفين ، كما تعهدت الشركات بزيادة انتاج النفط العراقي ، فقد نصت المادة الخامسة من هذه الاتفاقية على ما يلي : « تتعهد الشركة العراقية بأنها ستنتج وتصرف كمية من النفط الخام لا تقل عن عشرين مليون وسبعمئة وخمسين ألف طن سنوياً اعتباراً من ١ كانون الثاني ١٩٥٤ . وتتعهد شركة نفط الموصل بأنها ستنتج وتصرف كمية من النفط الخام لا تقل عن مليون وربع مليون طناً سنوياً اعتباراً من ١ كانون الثاني ١٩٥٤ ، وتتعهد شركة نفط البصرة بأنها ستنتج وتصرف كمية من النفط الخام لا تقل عن ثمانية ملايين طن سنوياً اعتباراً من ١ كانون الثاني ١٩٥٦ ، ما دامت الاتفاقية المعدلة المختصة في كل حالة نافذة المفعول بعد ذلك . وتشمل كميات النفط المشار اليها أعلاه ، أي مقدار من النفط اختارت الحكومة أن تأخذه عينا بموجب أحكام المادة الثالثة من هذه الاتفاقية ولكنها لا تشمل ما يجهز من النفط لاحتياجات العراق بموجب اتفاقية الشركة العراقية المعدلة ،

ونتيجة لذلك ، وللعوامل التي أثبتنا على ذكرها قبل قليل ، تطور انتاج النفط الخام في العراق بشكل ملحوظ نسبياً . فبعد أن كانت كمية الانتاج تبلغ [١٠ر٤] مليون طن طويل ، أصبحت [١٨ر٤٥] مليون طن طويل عام ١٩٥٢ أي بنسبة أكثر من أربعة أضعاف . وبلغت [٣٠ر١٨] مليون في عام ١٩٥٤ و [٤١ر١٠] مليون طن في عام ١٩٥٩ ومن ثم ٦٤ر٤ مليون طن طويل حتى بلغ مقدار ٧٤ر٩ مليون طن طويل عام ١٩٦٩ . واستمر حجم الانتاج ووتيرة النمو بالازدياد نسبياً في السنتين الماضيتين رغم أنها لا تجاري وتائر النمو في بقية بلدان الشرق الاوسط .

ان هذا التطور الملحوظ ، في صناعة استخراج النفط الخام في العراق ، يشكل ظاهرة بارزة وأساسية ، من ظاهرات التطور الاقتصادي العراقي منذ بداية الخمسينات وتمخض عن تغيرات تركيبية أساسية في هيكل الاقتصاد

الوطني ، وجعل من عائدات النفط عصباً رئيسياً تتوقف عليه خطط التنمية الاقتصادية ، وميزانية الدولة العمامة ، وميزان المدفوعات والتجارة الخارجية . الخ . ولكون هذه الصناعة خاضعة خضوعاً تاماً لحاجات وسياسة شركات النفط الاحتكارية الأجنبية ، ومنفصلة انفصالاً تاماً ، عن قطاعات الاقتصاد الوطني العراقي ، فقد نشأت علاقات شاذة بينهما وبين الاقتصاد الوطني ، قائمة على تبعية الأخير للفوائد الناجمة عن تلك الصناعة . كما أدت من الناحية السياسية ، الى تحكم شركات النفط الأجنبية بشئون العراق ومصيره لفترة طويلة ، ولا سيما قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، والى خلق الكثير من المصاعب والمتاعب في طريق تحرره السياسي والاقتصادي حتى هذه اللحظة .

ولغرض تبين الاهمية الحاسمة لعوائد النفط في تطور الاقتصاد العراقي ، لابد من اعطاء فكرة عامة عن الملامح الرئيسية للاقتصاد الوطني في العراق :

١ - الملامح الرئيسية للاقتصاد الوطني في العراق :

العراق أحد البلدان النامية ، الحديثة الاستقلال . اقتصاده يتميز من ناحية بظاهرة التخلف الشامل ، ومن ناحية أخرى بظاهرة التبعية للاحتكارات الامبريالية الأجنبية ، وبالدرجة الاولى الاحتكارات النفطية . ان ظاهرتي التخلف والتبعية تركتا آثارها العميقة على مجمل الاقتصاد الوطني ، فأحسالت الى اقتصاد وحيد الجانب ، أو اقتصاد قائم على انتاج سلعة واحدة رئيسية ، وهي النفط ، وكذلك انعكستا في ضعف التطور الاقتصادي في البلد وفقدان توازن التركيب الاقتصادي ، وانخفاض نمو الدخل القومي الإجمالي للفرد الواحد ، واشتداد اختلال الميزان التجاري ، وتدنى نمو الصناعة وتخلف الزراعة . الخ . ورغم التطورات الهامة الحاصلة منذ ثورة ١٤ تموز الوطنية الديمقراطية ، ولا سيما التوجه نحو اجراء اصلاح زراعي ، فان علاقات الانتاج شبه القطاعية مازالت مهيمنة في الريف الذي يقطنه حوالي ٦٠٪ من سكان العراق .

ان فحص تطور الدخل القومي في العراق ، وتحليل عناصره ، من شأنه أن يساعد على توفير فهم أعمق لعناصر تركيب الاقتصاد العراقي ودور كل منها في التطور الاقتصادي الشامل في البلاد ذلك أن الدخل القومي كما هو معروف عنصر يلخص التطور الاقتصادي ، ويعكس الحالة السائدة في اقتصاد البلد المعين . والجدول رقم [٣] يمثل تطور الدخل القومي لمدة سنوات .

جدول رقم ٦
مجمّل الدخل القومي في العراق
١٩٦٦ - ١٩٦٢

السنة	بالاسعار الجارية	بالاسعار الثابتة - اسعار ١٩٦٢	مجمّل الدخل نسبة الزيادة %	مجمّل الدخل نسبة الزيادة %
	القومي	القومي	عن السنة	عن السنة
	بآلاف الدينائر	بآلاف الدينائر	السابقة	السابقة
١٩٦٢	٥٧٥٩٥٣	٥٧٥٩٥٣	٠٠	٠٠
١٩٦٣	٥٨٣٧٥٤	٥٧٤٧٠٢	١ر١	٠ر٠
١٩٦٤	٦٤٨٦٠٠	٦٢٨٨٦٢	١١ر١	٩ر٣
١٩٦٥	٦٩٢٤٥٤	٦٧٧٠٥٠	٦ر٧	٧ر٥
١٩٦٦	٧٣٤٩٤٦	٧٠٨٤٥٩	٦ر٢	٤ر٦

ويلاحظ من هذا الجدول ان معدل الزيادة المركب هو حوالي ٦ر٣٪ سنوياً بالاسعار الجارية و٣ر٥٪ سنوياً بالاسعار الثابتة . وبالطبع ان هذا المعدل يعتبر واطناً بالنسبة لحاجات التطور الاقتصادي في العراق ورفع مستوى معيشة السكان . . ولكن الحقيقة الاشد مرارة من ذلك هي ان الزيادة الحاصلة في نمو الدخل القومي في العراق ناجمة بالدرجة الاولى عن نمو صناعة انتاج النفط الخام ، ذلك القطاع الاجنبي الاحتكاري المهيمن على الاقتصاد الوطني كما يتضح من الجدول [٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧] ، والشروح القادمة المرافقة لها . كما يظهر من الجدول الخاص بـ [معدل الدخل القومي للفرد ١٩٦٦ - ١٩٦٢] ان هذا المعدل المحسوب لعدة سنوات منخفض نسبياً بالقياس الى مثيله في الكثير من البلدان ، وبالنسبة الى المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للفرد العراقي ومستلزمات رفع مستوى حياته ، كما حافظ معدل دخل الفرد على مستواه تقريباً ، ولم تطرأ زيادة ملحوظة عليه لسنوات عديدة .

ملاحظة :

١ - تم استخراج عدد السكان

للسنوات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ على اساس نسبة الزيادة ما بين احصائية النفوس لسنة ١٩٥٧ و ١٩٦٥ حيث كان معدل النمو المركب لمجموع سكان العراق ٢ر٤٪ سنوياً .

٢ - ضمن الاندثار بـ ٦ر٧٪ من مجمل الناتج القومي استناداً الى تقرير الدكتور خير الدين حسيب حول « تقدير الدخل القومي في العراق » .

ومن تقديرات الدخل القومي في العراق المذكور في الجداول اعلاه نخلص الى الملاحظات التالية :

[١] ان حصة استخراج النفط الخام بلغت قيمتها ٢٩٧١٢٩ الف دينار عام ١٩٦٦ بالاسعار الثابتة و ٢٩٨٦١٥ الف دينار بالاسعار الجارية لنفس السنة من اصل مجموع الدخل القومي لسنة ١٩٦٦ البالغ ٧٣٤٩٤٦ الف دينار بالاسعار

جدول رقم ٤
مجمّل الناتج القومي بأسعار تكلفة عناصر الانتاج الجارية
الدخل القومي بالاسعار الجارية [بآلاف الدينائر]

القطاع	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦
١ - الزراعة ، الغابات ، صيد الاسماك	١٤٨٦٠٢	١٣٧٥٨٤	١٥٢٩٤٤	١٦٢١٩٩	١٧٣٢٥٢
٢ - التعدين والمقالع	٢١٠٤٥٢	٢٣٩١٤٥	٢٧٠٧٢٨	٢٨٠٢٥٥	٢٩٨٦١٥
١ - استخراج النفط الخام	٤٧٢٩	٤٣١٠	٥٢٢٨	٤٥٩٤	٥١٨٨
ب - غيره	٢١٥١٨١	٢٤٣٤٥٥	٢٧٥٩٦٦	٢٨٤٩٤٩	٣٠٣٨٠٣
المجموع	٨٢٨٢	٨٠٠٧	١١٩٠٠	١٢٨٩٢	١٣٦١٦
٣ - الصناعة التحويلية					
١ - تصفية النفط					

ب - التمويلية					
٥٠٣٢٠	٤٦٥٤٧	٤١٠٧٨	٤٤٣٢٥	٤٥٢٢٦	عدا تصفية النفط
٦٦٩٣٦	٦١٤٣٩	٥٢٩٧٨	٥٢٣٣٢	٥٣٥٠٨	المجموع
١٩١٢٦	١٨٥٣٤	١٧١٥١	١٦١٢٠	١٥٧٢٣	٠٤ البناء والتشييد
١٢٠٤١	٩٥٥٣	٨٤٤٥	٦٧٤٢	٦٧٤٠	٠٥ الماء والكهرباء والغاز
					٠٦ النقل والمواصلات
٥٨٥٥	٥٩٥٣٩	٥٦٤٠٢	٥٢٩٩٦	٥١٦٢٧	والخزن
٥٦٨٥٢	٥٣٠٧٦	٤٥٥٢٠	٣٨٦١٠	٤٠٣١٨	٠٧ تجارة الجملة والمفرد
١١٩٦٧	٧٥٠٤	٧١٠٠	٨٤٥٧	٧٩٧٨	٠٨ البنوك والتأمين والاعمال
١٥٨٥٨	١٥٨٢٣	١٥٣٢٦	١٥٣٦٦	١٥١٧٢	المقاربية
٩٦٦٣٦	٨٩٤٨٠	٧٦٠١٦	٧٦٨٨١	٧٠٣٣٢	٠٩ ملكية دور السكن
٦٢٠٩٩	٥٨٨٢٦	٥٤٤٣٧	٤٣٤٧٦	٤٤٠٥١	٠١٠ الادارة العامة والدفاع
					٠١١ الخدمات
٨٧٣٥٢٦	٨٢١٩٢٢	٧٧٢٢٨٥	٦٩٢٠١٩	٦٦١٢٣٣	٠١٢ الناتج المحلي بـتكلفة
					عناصر الانتاج
١٣٨٥٨٠	١٢٩٤٦٨	١٢٣٦٨٥	١٠٨٢٦٥	٩٣٢٨٠	٠١٣ ناقصا عوائد عوامل
					الانتاج المدفوعة
					للمخارج
٧٣٤٩٤٦	٦٩٢٤٥٤	٦٤٨٦٠٠	٥٨٣٧٥٤	٥٧٥٩٥٣	٠١٤ مجمل الناتج القوي
					بتكلفة عناصر الانتاج
					(الدخل القوي)

جدول رقم (٥)

مجمل الناتج القوي بتكلفة عناصر الانتاج الثابتة سنة ١٩٦٢
الدخل القوي بالاسعار الثابتة (بالاف الدينار)

سنة ١٩٦٢ = ١٠٠

١٩٦٦	١٩٦٥	١٩٦٤	١٩٦٣	١٩٦٢	القطاع
١٥٥٦٤٢	١٥١٤٦٦	١٤١٤٢٠	١٣٠٣٧٣	١٤٨٦٠٣	٠١ الزراعة والغابات
					وصيد الاسماك
					٠٢ التعدين والمقالع
٢٩٧١٢٩	٢٧٨٦٨٢	٣٧٠٧٢٨	٢٣٩٣٨٤	٢١٠٤٥٢	أ - استخراج النفط
٥٠٥٩	٤٦٨٢	٥٤٢١	٤٥٠٣	٤٧٢٩	الخام
٣٠٢١٨٨	٢٨٣٣٦٤	٢٧٦١٤٩	٢٤٣٨٨٧	٢١٥١٨١	ب - غيره
					المجموع
١٣٣٣٦	١٤٨٠٣	١١٩٠٠	٨٤٨٩	٨٢٨٢	٠٣ الصناعات التمهيلية
					أ - تصفية النفط
٤٨١٤٥	٤٥١٦٧	٤٠٢٤٦	٤٤١٨٦	٤٥٢٢٦	ب - التمهيلية عدا
٦١٤٨١	٥٩٩٧٠	٥٢١٤٦	٥٢٦٧٥	٥٣٥٠٨	تصفية النفط
١٩١٢٦	١٨٥٣٤	١٧١٥١	١٦١٢٠	١٥٧٢٣	المجموع
١٢٠٥٢	٩٥٦٧	٨٥٢٨	٦٧٨٢	٦٧٤٠	٠٤ البناء والتشييد
٥٧٢١٢	٥٩٩٠٣	٥٥٧٥٥	٥٢٥٦٤	٥١٦٢٧	٠٥ الماء والكهرباء والغاز
٥٤٩٧٤	٥٢٤٥١	٤٣٦٥٥	٣٧٥٤٩	٤٠٣١٨	٠٦ النقل والمواصلات والخزن
					٠٧ تجارة الجملة والمفرد
١١٥٦٨	٧٤١٠	٦٨٣٧	٨٢٩٢	٧٩٧٨	٠٨ البنوك والتأمين والاعمال
١٨٣١٢٠	١٨٠٧٤	٥١٨٠٧٤	١٧٤٧٧	١٥١٧٢	المقاربية
					٠٩ ملكية دور السكن

٩٦٤٧٠	٩٠٠٨٠	٨٦١٠٢	٧٦٦٢٦	٧٠٣٣٢	١٠. الإدارة العامة والدفاع
٥٧٣٢٤	٥٤٩٢٧	٤٨٤١٥	٤٢١٧١	٤٤٠٥١	١١. الخدمات
٨٤٦٣٤١	٨٠٥٧٤٦	٧٥٣٧١٥	٦٨٣١٧٣	٦٦٩٢٣٣	١٢. الناتج المحل بتكلفة عناصر الانتاج
١٣٧٨١٠	١٢٨٦٩٦	١٢٤٨٥٣	١٠٨٤٦٦	٩٣٢٨٠	١٣. ناقصا عوائد عوامل الانتاج المدفوعة للخارج
٧٠٨٤٥٩	٦٧٧٠٥٠	٦٢٨٨٦٢	٥٧٤٧٠٢	٥٧٥٩٥٣	١٤. مجمل الناتج القوي بتكلفة عناصر الانتاج (الدخل القوي)

جدول رقم (٦)

النسبة المئوية لمساهمة القطاعات المختلفة في الدخل القوي			القطاعات
بالاسعار الثابتة	بالاسعار الجارية		
١٩٦٦	١٩٦٦	١٩٦٢	
٢٢٠	٢٣٧	٢٥٨	١. الزراعة والغابات وصيد الاسماك
٤١٦	٤٠٦	٣٦٦	٢. التعدين والمقالع
٠٧	٠٧	٠٨	أ- استخراج النفط الخام
٤٢٦	٤١٣	٣٧٤	ب- غيره
			المجموع
			٣. الصناعة التحويلية
١٨	١٧	١٤	أ- تصفية النفط
٦٨	٦٩	٧٩	ب- التحويلية عدا تصفية النفط
٨٧	٨٦	٩٣	المجموع
٢٧	٢٦	٢٧	٤. البناء والتشييد
١٧	١٦	١٢	٥. الماء والكهرباء
٨١	٨٠	٩٠	٦. النقل والمواصلات والتخزين
٧٨	٧٧	٧٠	٧. تجارة الجملة والمفرد
١٦	١٦	١٤	٨. البنوك والتأمين والاعمال العقارية
٢٦	٢٢	٢٦	٩. ملكية دور السكن
١٣٦	١٣١	١٢٢	١٠. الادارة العامة والدفاع
٨١	٨٤	٧٦	١١. الخدمات
١١٩٥	١١٨٨	١١٦٢	المجموع
١٩٥	١٨٨	١٩٢	من ناقص عوائد عوامل الانتاج المدفوعة للخارج
١٠٠	١٠٠	١٠٠	الناتج القوي (الدخل القوي) بتكلفة عناصر الانتاج

جدول رقم (٧)

معدل الدخل القومي للفرد ١٩٦٦-١٩٦٧

السنة	بالاسعار الجارية بآلاف دينار	بالاسعار الثابتة بآلاف دينار	عدد السكان	معدل دخل الفرد بالاسعار الجارية دينار	معدل دخل الفرد بالاسعار الثابتة دينار
١٩٦٢ مجمل الدخل القومي	٥٧٥٩٥٣	٥٧٥٩٥٣			
الاندثار	٣٨٥٨٨	٣٨٥٨٨			
صافي الدخل القومي	٥٣٧٣٦٥	٥٣٧٣٦٥	٧٤٠٠	٧٢٫٦	٧٢٫٦
١٩٦٣ مجمل الدخل القومي	٥٨٣٧٥٤	٥٧٤٧٠٢			
الاندثار	٣١١١١	٣٨٥٦٥			
صافي الدخل القومي	٥٤٤٦٤٣	٥٣٦١٣٧	٧٦٤١	٧١٫٢	٧٠٫٢
١٩٦٤ مجمل الدخل القومي	٦٤٨٦٠٠	٦٢٨٨٦٢			
الاندثار	٤٣٤٥٦	٤٢١٨٠			
صافي الدخل القومي	٦٠٥١٤٤	٥٨٦٦٨٢	٧٨٩٩	٧٦٫٦	٧٤٫٣
١٩٦٥ مجمل الدخل القومي	٦٩٢٤٥٤	٦٧٧٠٥٠			
الاندثار	٤٦٣٩٤	٤٥٣٦٢			
صافي الدخل القومي	٦٤٦٠٦٠	٦٣١٦٨٨	٨٢٦٢	٧٨٫٢	٧٦٫٤
١٩٦٦ مجمل الدخل القومي	٧٣٤٩٤٦	٧٠٨٤٥٩			
الاندثار	٤٩٢٩٨	٤٧٤٦٧			
صافي الدخل القومي	٦٨٥٦٤٨	٦٦٠٩٩٢	٨٥٤٢	٨٠٫٣	٧٧٫٣

حاجات البلد من السلع الزراعية وتوفير المواد الأولية للصناعات الوطنية وغير ذلك ، فان تطور هذا القطاع يبعث على الاسف منذ سنين كثيرة .
فمنذ الخمسينات لم يحقق قطاع الزراعة نموا محسوسا رغم الامكانيات الزراعية المتوفرة في العراق كمزارع المياه ، وتوفير التربة الصالحة للزراعة وكفاية القوة العاملة في الريف التي تشكل أكثر من ٧٠٪ من مجموع القوى العاملة في العراق .

وقد انعكست ظاهرة الجمود في الزراعة العراقية في حجم حصتها بالناتج المحلي الاجمالي . اذ كان ٢٩٫٣ بالمائة في عام ١٩٥٣ فأصبح ٢٣ بالمائة فقط في عام ١٩٦٨ . والانكى من ذلك ، أن تخلف الزراعة العراقية لم يؤد فقط الى عدم سد حاجات البلد ، بل ان حجم استيراد المواد الزراعية من الخارج قد ازداد في السنوات الاخيرة بحيث ان قيمتها بلغت ٢١ بالمائة من قيمة مجموع الواردات عام ١٩٦٧ . كما انها تعدت قيمة مجموع الصادرات المحلية باستثناء صادرات النفط . وبهذا أصبح استيراد السلع الزراعية عبئا جديدا على كاهل ميزان المدفوعات العراقية ، الذي تموله بالاساس الواردات الناجمة عن عوائد الحكومة من صناعة استخراج النفط الخام . وتعود أسباب تخلف الزراعة العراقية الى عدم كفاية رؤوس الاموال الموظفة في الزراعة ،

الجارية و٧٠٨٤٥٩ الف دينار بالاسعار الثابتة . او بكلمة اخرى تمثل ٤٠٫٦٪ من الدخل القومي بالاسعار الجارية و ٤١٫٩٪ من الدخل القومي بالاسعار الثابتة لسنة ١٩٦٦ . وبهذا فهي تملك حصة الاسد بالقياس لحصص عناصر الدخل القومي الاخرى . كما ان هذا القطاع يمثل القطاع الاقتصادي الاهم في العراق ، فهو يكون أكثر من ٥٠٪ من حجم الانتاج في البلاد وهذه الحقيقة تجعل صناعة استخراج النفط الخام تحتل المقام الاول في الاقتصاد الوطني في العراق . . . ولكن خطورة هذه الصناعة تكمن في أنها واقعة في قبضة الاحتكارات الاجنبية ، من حيث رأسمالها وتخطيط فعاليتها الانتاجية والتسويقية ، الامر الذي يضع الاقتصاد العراقي أمام مخاطر جدية باستمرار .

[ب] وتأتي الزراعة في المقام الثاني بعد صناعة استخراج النفط الخام من حيث حصتها في الدخل القومي ، اذ تبلغ ٢٣٫٧٪ منه بالاسعار الجارية و ٢٢٫٠٪ منه بالاسعار الثابتة لعام ١٩٦٦ . وقطاع الزراعة يعتبر القطاع الانتاجي الوطني الاول ، اذا ما استثنينا صناعة استخراج النفط الخام ، على اعتبار أنها صناعة اجنبية ومنعزلة عن تطور الاقتصاد الوطني كما أوضحنا سابقا . ورغم الاهمية البالغة ، لقطاع الزراعة ، بالنسبة لتطور الاقتصاد الوطني ، ولاسيما لسد

وبدائية الاساليب المتبعة فيها ، وببطء عملية
الاصلاح الزراعي وعدم اتمامها الى الان ،
وضعف مهارة القوة العاملة في الريف .

ويتضح من الارقام السابقة ان حصتي الزراعة
واستخراج النفط الخام تؤلفان ثلثي الدخل
القومي العراقي . وتتجسد خطورة ذلك في
حقيقة ان أحدهما واقع تحت سيطرة الاحتكارات
الاجنبية والثاني يمثل قطاعا انتاجيا متخلفا ،
وعاجزا عن سد حاجات البلد . وهذه الحقيقة
— فضلا عن عوامل أخرى — تؤكد حالة التبعية
والتخلف التي ينوء بها الاقتصاد الوطني في
العراق .

١ ج ا والصناعة في العراق هي الاخرى
صناعة ضعيفة . وتبلغ حصتها في الدخل القومي
— باستثناء تصفية النفط — نسبة ٧٪ تقريبا
حسب تقديرات الدخل القومي لعام ١٩٦٦ .
وهي بالاساس صناعة خفيفة واستهلاكية . ولا
توجد هناك صناعة ثقيلة اذا ما استثنينا صناعة
الاسمنت في البلد . وتتميز تجرية النمو
الصناعي في العراق بقلّة تراكم الراسمال
الصناعي . ومن أبرز الانجازات التي تمت في
ميدان التطوير الصناعي في الخمسة عشر سنة
الاخيرة ، هو ابرام اتفاقية التعاون الاقتصادي
والفني بين العراق والاتحاد السوفيتي في ١٦
آذار ١٩٥٩ ، والذي انطوت على بناء عدد من
المشاريع الصناعية الهامة . ومن الصناعات
العراقية البارزة هي صناعة البلاستيك والمنتجات
النفطية ، والعلف الحيواني ، ومشروعات التجميع
لاجهزة الراديو والتليفزيون والسخانات والطباخات
والزيوت النباتية ، والاسمنت والسجاير ،
والسكر والاحذية ، والمنسوجات الصوفية
والقطنية والمرطبات . الخ . ويستورد العراق
سلع استهلاكية تبلغ ٣٥ بالمائة من قيمة استيراداته
وسلع انتاجية تبلغ أكثر من ٥٠ بالمائة منها ،
مع العلم ان سلع الانتاج هذه تدخل في صناعات
استهلاكية لا تؤدي الى بناء اساس مادي تكتيكي
صلب للاقتصاد العراقي .

ولا شك ان ضعف الصناعة العراقية ، قد ترك
اثارا سلبية على مجموع الاقتصاد الوطني ،
ولاسيما فيما يتعلق بضعف نمو الدخل القومي
وقلة الاستخدام ، وازدياد العجز في الميزان
التجاري (اذا ما طرحنا جانباً قيمة النفط الخام
المصدر) ، واثقال ميزان المدفوعات ومن ثم ركافة
القاعدة المادية والتكنيكية لتطور العراق
الاقتصادي المقل .

٢ . — اثر عوائد النفط في الاقتصاد العراقي :
تؤلف عوائد الحكومة من ارباح صناعة
استخراج النفط الخام في العراق أكبر وأهم مورد
مالي للخزينة العراقية ومنذ عام ١٩٥٠ بدأت هذه

العوائد تلعب دوراً أساسياً وحاسماً في تمويل
الفعاليات الاقتصادية في البلاد ، ولاسيما ميزانية
التنمية الاقتصادية وميزانية الدولة العامة والتجارة
الخارجية ودعم ميزان المدفوعات . كما انها
اصيحت تؤلف جزءاً أساسياً من اجزاء الدخل
القومي في العراق . وفيما يلي نوضح دور عوائد
النفط في كل من هذه المجالات الحيوية في حياة
العراق الاقتصادية :

عوائد النفط والدخل القومي :

تؤلف عوائد الحكومة من صناعة استخراج
النفط الخام العنصر الاساسي والأكبر من الدخل
القومي في العراق ، ومن مراجعة الجداول السابقة
حول حسابات الدخل القومي ، وحصة القطاعات
المختلفة المكونة له فيه ، يظهر ان حصة عوائد
الحكومة من النفط تقرب من ٢٥ في المائة من
مجموع الدخل القومي . وهذا الرقم يمثل في الواقع
معدل النسب لعدة سنوات .

ورغم ضخامة حصة العوائد النفطية نسبياً
في الدخل القومي العراقي ، (حوالي الربع) ،
الا انها في الواقع تمثل نصف ما تجنيه صناعة
استخراج النفط الخام في العراق من
دخل ، وذلك من الناحية الشكلية
[بموجب اتفاقية مناصفة الارباح بين
الحكومة والشركات لعام ١٩٥٢] الا انها في
الواقع اقل بكثير من النصف ، كما يشير الكثير
من الأدلة والشواهد التي تؤكد تلاعب شركات
النفط وابتزازها للجزء الاعظم من ارباح هذه
الصناعة ، وتصديرها الى خارج العراق ، دون
ان يستفيد منها الاقتصاد العراقي اي شيء .

ومن مراجعة الجداول السابقة يلاحظ ان
الزيادة الحاصلة في نمو الدخل القومي العراقي ،
ناجمة بالدرجة الاولى عن تطورات انتاج النفط الخام ،
وبالتالي عن ازدياد الدخل المتولد عنها . وثمة
حقيقة أخرى وهي انه بالرغم من ان نسبة حصة
عوائد النفط في الدخل القومي جاءت بصورة
رئيسية نتيجة للزيادة المطلقة في كمية تلك العوائد
خلال السنين الماضية ، الا ان تقلص الانتاج
في بعض القطاعات الوطنية ، كالزراعة ، ترك
تأثيراً نسبياً في هذا المصدر . فنسبة مساهمة
الزراعة في الدخل القومي قد انخفضت بشكل
ملحوظ ، فبعد ان كانت مساهمة القطاع في
بداية الخمسينات تبلغ ٣٢ في المائة من الدخل
القومي ، تقلصت هذه النسبة الى ١٦ في المائة
في عام ١٩٦٣ .

والشيء الخطير في هذا كله ، هو ان نسبة
العوائد النفطية في الدخل القومي عرضة للتغير ،
بسبب الظروف الخاصة لصناعة استخراج النفط
الخام في العراق ذاتها ، والمتمثلة اساساً بخضوع
هذه الصناعة لاحتكارات النفط الاجنبية، وانعزالها

كلية عن الاقتصاد الوطني وتأثيرها المباشر وغير المباشر بهجريات الأوضاع السياسية والاقتصادية في العالم وفي المنطقة العربية . وآية ذلك ما حصل في أعوام ١٩٥٦ [حيث انقطع تصدير النفط بسبب العدوان الاسرائيلي - الاسرائيلي على مصر] و ١٩٦٦ [حيث تسدق ضخ النفط عبر انابيب النفط المسارة بالاراضي السورية بسبب الخلاف بين الحكومة السورية وشركة نفط العراق حول احتساب رسوم مرور النفط من الاراضي السورية] و ١٩٦٧ (حيث توقف تصدير النفط ايضا في الاثني عشر الاولى بسبب العدوان الاسرائيلي على البلدان العربية) . فهذه الاحداث برمتها احدثت تأثيرا سلبيا مباشرا على حجم الانتاج ، وبالتالي كمية العوائد الناجمة ، الامر الذي انعكس مباشرة على نسبتها في الدخل القومي العراقي ، كما يتبين من الجداول السابقة . وليس هناك من ضمان في عدم تعرض صناعة انتاج النفط الخام في العراق الى مخاطر مشابهة ، طالما انها في قبضة الاحتكارات الاجنبية ، المتداخلة مصالحها مع مصالح الدول الامبريالية ، والتي تقف بوضوح في خط اعداء حركة التحرر العربية كما برهنت تجارب جميع البلدان المنتجة والمصدرة للنفط في الشرق الاوسط وفي بقية اجزاء العالم الاخرى ايضا .

عوائد النفط وميزانية الدولة الاعتيادية

تعتمد ميزانية الدولة الاعتيادية اعتمادا رئيسيا على عوائد النفط . وقد ترسخت هذه الحقيقة منذ ١٩٥١ بصورة خاصة . اما قبل هذا التاريخ فالامر كان مختلفا نسبيا بسبب قلة عوائد النفط في تلك الفترة . فقد قدر متوسط عوائد النفط بـ ١٣ في المائة فقط من دخل الدولة خلال سنوات ١٩٢٤ - ١٩٥٠ . غير انه رغم قلة عوائد النفط في تلك الفترة الا ان الحكومة العراقية كانت في حاجة ماسة اليها دائما ، لتغطية جزء كبير من نفقاتها . لقد بلغ ما دفعته كل شركات النفط العاملة في العراق الى الحكومة العراقية منذ البداية وحتى ١٩٥٠ مقدار (٣٤٠٩٠٠٧٠٠٠٠ دينار) ، وهذا المبلغ يعادل تقريبا مجموع نفقات الحكومة العراقية على جميع برامجها العمرانية قبل سنة ١٩٥٠ والتي بلغت مقدار ٣٥٢١٨٦٥ دينار .

وبعد اتفاقية عام ١٩٥٢ بين الحكومة العراقية وشركات النفط الاجنبية ، وازدياد عوائد النفط ، تضاعف اعتماد ميزانية الحكومة على واردات النفط . فقد خصصت نسبة ٣٠ في المائة من عائدات الحكومة من النفط سنويا لميزانية الدولة الاعتيادية . وعقب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، رفعت

تلك النسبة الى ٥٠ في المائة لتغطية الاتفاق على التوسع الحاصل في قطاع الخدمات العامة ، وما خصص لتطبيق قانون اصلاح الزراعي الذي صدر بعد الثورة . وبذلك فقد اصبحت نسبة عوائد النفط ما يعادل ٤٦ في المائة من مجموع واردات الميزانية انذاك . لكن هذه النسبة لم تتوقف عند هذا الحد ، بل جرى زيادة ما يخص من عوائد النفط للميزانية بأساليب مختلفة خلال السنوات اللاحقة ، وكان يتم ذلك بطبيعة الحال على حساب ما خصص من عوائد نفطية الى تغطية نفقات خطط التنمية الاقتصادية في البلاد . فقد حصل ان منحت وزارة الدفاع بعض التخصيصات والسلف الاضافية كما حصل في عام ١٩٦٥ (سلفة ٢٥ مليون دينار وكذلك سلفة أخرى بمقدار ثلاثة ملايين دينار اضيفت لنفقات الميزانية) . ونتيجة لذلك اصبحت حصة عوائد النفط المخصصة للميزانية في تلك السنة ليس ٥٠ في المائة من العوائد كما هو مقرر قانونيا ، بل ما يعادل ٧٢ في المائة ، وبقي منها ٢٥٪ تقريبا لميزانية الخطة الاقتصادية في تلك السنة .

ان ظاهرة اعتماد ميزانية الدولة العامة على عوائد النفط ما زالت تمثل احدى الظواهر المرضية المزمنة الملزمة للاقتصاد العراقي . نتيجة لهذا الواقع ، اصبحت مصير الخدمات العامة الضرورية كالعليم والثقافة والصحة وغيرها ، ومستلزمات الدفاع الوطني . الخ . ورواتب موظفي ومستخدمى الدولة . الخ . متوقفة بصورة مباشرة على عوائد النفط . وكثيرا ما حصلت ازمات حكومية بسبب تأخر دفع عوائد النفط عن ميعادها ، الامر الذي سبب تأخير دفع الرواتب والاجور لموظفي ومستخدمى مؤسسات ودوائر الدولة ، واثار التذمر والاستياء في صفوفهم .

ورغم خطورة هذه الظاهرة لم تجر معالجتها حتى في السنوات الاخيرة ، بل استمرت عوائد النفط تحتل ذات المكان نسبيا بالقياس لموارد الميزانية الاعتيادية الاخرى . كما تشير ارقام الميزانية الاعتيادية لعام ١٩٦٨ في جدول رقم [٨] .

[جدول رقم ٨]

الميزانية الاعتيادية لعام ١٩٦٨

الايادات النسبة %		
[مليون دينار]		
٣٦٧	٨١٤	ايادات النفط
٦٣٣	١٤٠٥	الايادات الاخرى
١٠٠٠	٢٢١٩	مجموع الايادات

أما بالنسبة لعام ١٩٧٠/٦٩ فقد بلغت نسبة عوائد النفط بالنسبة الى موارد الميزانية الاعتيادية الاخرى حوالى ٣٧ بالمئة . وهكذا لا يؤكد فقط الدور الكبير الذى تلعبه عوائد النفط فى تمويل الميزانية الاعتيادية للدولة ، بل انه يبين أيضا عجز مصادر الإيراد الاخرى عن النمو بشكل يخفف ولو نسبيا من وطأة هذه الظاهرة على الوضع المالى فى البلاد ، الامر الذى يستوجب معالجة جديّة أيضا .

عوائد النفط وخطط التنمية الاقتصادية

ان العوائد المتحققة من عوائد النفط كانت ولا زالت تشكل أهم مصدر لتمويل خطط التنمية الاقتصادية فى العراق . وقبل عام ١٩٥٠ لم توضع برامج تنمية خاصة ومستقلة فى ميزانيتها . بل كانت المشاريع التى ينوى القيام بها تدخل ضمن ميزانية الدولة العامة . ومع ذلك يمكن القول ان مجموع النفقات الحكومية على جميع البرامج العمرانية الموضوعة حتى عام ١٩٥٠ كانت تعادل تقريبا مجموع ما استلمته الحكومة العراقية من عوائد من شركات النفط خلال تلك الفترة كما أشرنا الى ذلك قبل قليل . وعند تشكيل مجلس الاعمار فى ٢٥ نيسان ١٩٥٠ كهيئة خاصة مستقلة مسئولة عن اعداد وتنفيذ مشاريع الاعمار فى العراق ، خصصت جميع عوائد النفط لميزانية مجلس الاعمار وأصبحت العوائد مصدر تمويلها الوحيد تقريبا . وبعد سنتين خفضت تلك النسبة ، وأصبحت حصة مجلس الاعمار ٧٠٪ من عوائد الحكومة من النفط وخصص الباقى منها وهو ٣٠٪ الى الميزانية العامة لتغطية نفقات الدولة . بيد انه رغم ذلك التخفيض ، بقيت عوائد النفط تمول لوحدها ميزانية مجلس الاعمار ، الذى قام بوضع خطط اقتصادية .

وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، تم إلغاء مجلس الاعمار ، وحل محله جهاز جديد للتخطيط هو مجلس التخطيط كما أسست وزارة التخطيط . وفى كانون الاول ١٩٥٩ صدرت الخطة الاقتصادية المؤقتة لسنوات ١٩٥٩ - ١٩٦٣ . وكان المصدر الرئيسى لتمويل مشاريع تلك الخطة هو ما أرسد لها من عوائد النفط والذى بلغ ٥٠٪ من مجموع عوائد الحكومة من النفط . أما الخمسين بالمئة الاخرى فقد خصص للميزانية الاعتيادية للدولة كما أوضحنا مسبقا .

وفى نهاية عام ١٩٦١ صدرت [الخطة الاقتصادية التفصيلية] للسنوات الخمس [١٩٦١ - ١٩٦٦] لتحل محل الخطة الاقتصادية المؤقتة السابقة . وكانت عائدات النفط تشكل أهم مصدر لتمويلها . اذ بلغت نسبة عوائد

النفط ٥٥٪ من مجموع واردات الخطة الاقتصادية التفصيلية بما فيها القروض الاجنبية . . أما اذا استثنينا القروض فتبلغ العوائد ٨٠ بالمئة تقريبا من مجموع المصادر الداخلية ، كما يتضح من الجدول رقم [٩] .

جدول رقم [٩]

نسبة الرساميل المخمّنة والمقتضية من مصادر مختلفة كما جاء فى الخطة لسنوات ٦١ - ١٩٦٦

نوع الإيراد	النسبة المئوية	المبلغ بالدنانير
١ - من ضريبة الدخل على شركات النفط	٥٥ر٨	٢١٥٨١٠٠٠٠٠
٢ - من الدخل المضاف للمصالح الحكومية	٤ر٠	٢٢٨٠٠٠٠٠٠٠
٢ - من إيرادات مناهج الاعمار والخطة الاقتصادية المؤقتة والخطة التفصيلية	١ر٤	٨ر٠٠٠٠٠٠٠٠
مجموع الإيرادات الداخلية	٦١ر٢	٢٤٦٦١٠٠٠٠٠
٤ - الإيرادات من القروض الاجنبية	١٢ر٦	٧٧١٧٨٠٥٧٠
مجموع الإيرادات المخمّنة	٧٤ر٨	٤٢٣٧٨٨٠٥٧٠
الإيرادات المقتضية	٢٥ر٢	١٤٢٥٥١٠٤٣٠
المجموع	١٠٠	٥٦٦٢٤٠٠٠٠٠

أما فى الخطة الاقتصادية لاعوام ٦٥ - ١٩٧٠ ، فإن نسبة عوائد النفط بالقياس للمصادر الاخرى فى ميزانية الخطة هي اكبر مما كانت عليه فى الخطة السابقة . . اذ انها تبلغ ٧٠ بالمئة من مجموع المصادر الداخلية والخارجية [بضمنها القروض الاجنبية البالغة ٩٥ مليون دينار] و ٨٤ بالمئة باستثناء القروض الاجنبية . كما يتضح من الجدول رقم [١٠] .

جدول رقم [١٠]

ميزانية الاستثمار الحكومى المركزى بالخطة ٦٥ - ٦٦ - ١٩٦٩ - ١٩٧٠

الإيرادات	مليون دينار
١ - الفضلة التقديرية المدورة فى	٣٠٠٦٩٧
٢ - حصة الخطة بنسبة ٥٠٪ من ضريبة الدخل على شركات النفط	٣٩٠٠٠٠٠

السنوات للمصالح والمؤسسات العامة والمنشآت التابعة لها ٧٥٠٠

٩ - مساهمة المصالح والمؤسسات العامة والمنشآت التابعة لها في تمويل مشاريعها في الخطة المركزية ٤٤٥٧
١٠ - القروض الداخلية ١٠٠٠٠
١١ - القروض الخارجية ٦٠٠٠
١٢ - الموارد الأخرى ٥٠٠

المجموع ٥٣٦٩٠١

اثر النفط في التجارة الخارجية وميزان المدفوعات .

ان الدور الحاسم الذي يلعبه النفط في الاقتصاد العراقي يجد له انعكاسا مماثلا في ميدان التجارة الخارجية ، ولا سيما تجارة التصدير العراقية ، وفي دعم ميزان المدفوعات العراقي . فقد بلغ معدل نسبة قيمة صادرات النفط الخام حوالي ٩٣ بالمائة من اجمالي قيمة الصادرات العراقية للسنوات الخمسة عشرة الاخيرة . أما نسبة الصادرات غير النفطية الى اجمالي قيمة الصادرات فتبلغ نحو ٦ بالمائة الى ٧ بالمائة في الفترة الماضية . واغلب هذه الصادرات من المحاصيل الغذائية والمواد الخام . ولولا صادرات النفط الخام لاصيب الميزان التجاري العراقي بعجز مريع وخطير . والجدول رقم [١٢] يوضح دور النفط في حجم الصادرات واثره على الميزان التجاري العراقي .

كما ان ميزان المدفوعات في العراق ، هو الآخر يتأثر بالدرجة الرئيسية ، بعوائد الحكومة من صادرات النفط . وهي المصدر الاول والاكبر لايرادات العراق من النقد الاجنبي اللازم لتمويل استيراداته ، وتوفير ما يحتاجه من سلع انتاجية واستهلاكية من البلدان الاجنبية ، كما يتضح من الجدول رقم [١٣] .

• • •

وخلاصة القول ، ان النفط يلعب دورا خطيرا في تطور العراق . فهو عماد الاقتصاد الوطني ومحور الصراع بين الاحتكارات النفطية الاجنبية والحركة الوطنية الديمقراطية العراقية ، ولذلك فان تحرير صناعة النفط في العراق من السيطرة الاحتكارية الاجنبية يؤلف جوهر التحرر الاقتصادي وضمان صيانة وتوطيد الاستقلال الوطني ، ومفتاح ازدهار وتقدم البلاد . أما الطريق لتحقيق ذلك ، فستكون موضوع مقال قادم .

٣ - مساهمة مصلحة الموائع العراقية بتمويل مشاريعها الانتاجية ضمن الخطة ٨٠٠٠

٤ - الارباح الصافية للمصالح والمؤسسات الحكومية ٤٠٠٠

٥ - القروض الاجنبية ٩٥٠٠٠

٦ - القروض الداخلية ٣٠٠٠٠

٧ - الايرادات الأخرى ٣٤٧٠

المجموع ٥٦١١٦٧

وفي الخطة الاقتصادية الحالية لاعوام ١٩٧٠ - ١٩٧٤ يلاحظ أيضا اضطراب نمو نسبة عوائد النفط بالقياس للمصادر الأخرى ، بالمقارنة مع الخطط الاقتصادية السابقة ، الامر الذي يرمخ اعتماد عملية التنمية الاقتصادية على صناعة النفط الاجنبية في العراق . فقد بلغت نسبة عوائد النفط ٧٩ بالمائة من مجموع مصادر تمويل الخطة الحالية بما فيها القروض الاجنبية البالغة ٦٠ مليون دينار ، و ٨٩ بالمائة باستثناء القروض الخارجية كما يتضح من الجدول رقم (١١) .

جدول رقم [١١]

خطة التنمية القومية للسنوات ١٩٧٠ - ١٩٧٤ المالية [٢٠]

- ١ - حصة الخطة بنسبة ٥٠ ٪ من ٤٢٥٠٠٠ ضريبة الدخل على شركات النفط
- ٢ - حصة الخطة من مصادر الثروة المعدنية الأخرى ٦٠٠٠
- ٣ - استرداد القروض الممنوحة للمصالح والمؤسسات الحكومية ٣٠١٣
- ٥ - مساهمة المصالح والمؤسسات الحكومية في تمويل الخطة ٣٥٠٠
- ٦ - حصة الخطة من ارباح المصالح والمؤسسات والمنشآت التابعة لها ١١٣٥٠
- ٧ - استرداد المبالغ المصروفة من ميزانيات التنمية للمصالح والمؤسسات والمنشآت التابعة لها ٥٥٠٠
- ٨ - ٥٠ بالمائة من احتياطي [تخصيصات] الاندثار ٥٥٠٠

جدول رقم (٢١)
متغيرات التجارة الخارجية ١٩٥٧-١٩٦٦ بمليين الدينار الليبي

السنة	المستأد رات عدا النفط	صادرات النفط	الصادرات بـ فيها النفط	استيرادات	حجم الصادرات النفطية	حجم التجارة مع النفط	الميزان التجاري عدا النفط	الميزان التجاري مع النفط
١٩٥٧	١٢٨٨	١١٣,١٦	١٢٦,٠٤	١١٢,٠٥	١٢٤,٩٣	٢٣٨,٠٩	٣٩٩,١٧	١٣,٩١
١٩٥٨	١٤,٢٥	١٨٥,٢٤	١٩٩,٧٩	٩٩,٨٢	١١٤,٠٧	٢٩٩,٦١	٨٥,٢٧	٩٩,٩٧
١٩٥٩	١١,٤٧	٢٠١,٦٧	٢١٣,١٤	٩٤,٤٠	١١٠,٨٧	٣١٢,٢٤	٨٧,٩٣	١١٣,٧٤
١٩٦٠	٧,٩٨	٢٢٢,٦٣	٢٣٠,٦١	١٢٤,٣٥	١٢٢,٣٣	٣٥٤,٩٦	١١٦,٣٧	١٠٦,٢٦
١٩٦١	٧,٨٨	٢٢٣,٠٩	٢٣٠,٩٦	١٣٣,٣٣	١٤١,٤٠	٣٦٤,٤٩	١٢٥,٦٦	٩٧,٤٣
١٩٦٢	١٩,٣١	٢٢٣,٧٤	٢٤٣,٠٥	١٢٧,٧٣	١٤٧,٠٤	٣٧٠,٧٨	١٠٨,٤٢	١١٥,٣٢
١٩٦٣	١٦,٧٣	٢٥٨,٩٧	٢٧٥,٧٠	١١٢,٤٦	١٢٩,١٩	٣٨٨,١٦	٩٥,٢٣	١٦٣,٢٤
١٩٦٤	١٥,٢٩	٢٨١,٧٦	٢٩٧,٠٥	١٤٦,٧٤	١٦٢,٠٣	٤٤٣,٧٩	١٢١,٤٥	١٥٠,٣١
١٩٦٥	١٨,١٢	٢٩٢,٥٩	٣١١,٧١	١٦١,٦٧	١٧٩,٧٩	٤٧٣,٣٨	١٤٣,٥٥	١٥٠,٣٤
١٩٦٦	٢٢,٢٤	٣٠٨,٨٥	٣٢٤,٠٩	١٧٥,١٠	١٩٨,٣٤	٥٠٧,١٩	١٥١,٨٦	١٥٦,٩٩
١٩٦٧	٤٠,٦١	٢٧١,٩٥	٢٩٢,٦١	١٥٠,٣٩	١٧١,٠٥	٤٤٣,٠٠	١٢٩,٧٣	١٤٢,٢٢
١٩٦٨	٢٣,٠٣	٢٤٥,٠١	٢٦٨,٠٤	١٤٢,٣٦	١٦٦,٣٩	٥١١,٤٠	١٢٠,٣٣	٢٢٤,٦٨
١٩٦٩	٢٢,٠٠	٣٤٦,١٩	٣٦٨,١٩	١٥٥,٨٤	١٧٧,٨٤	٥٢٤,٠٣	١٢٣,٨٤	٢١٢,٣٥

لا تشمل أرقام إعادة التصدير
* توجد بعض النورق بين أرقام الصادرات وأرقام الواردات في هذا الجدول * بين أرقام الصادرات والواردات ميزان المدفوعات * وهي ناتجة عن التقديرية

● جمهورية مصر العربية ●

حول المؤتمر الشعبي
والمجلس الفلسسطيني

● لبنان ●

لبنان - الانتخابات
بين الطائفية والسياسية

● الاتحاد السوفيتي ●

هجرة اليهود السوفييت
السلح الذي ارتد
الى صدر اميرائيل

● فرنسا ●

فرنسا العمالية ضد
« التحالف الاوربي المقدس »

● فيتنام الشمالية ●

بين فشل الفتنمة
وانتخابات الرئاسة

● تقرير خاص ●

● موقع اغتيال « كرومي »
من محاور الصراع
في تنزانيا



تقارير الشهر



نقطة الانطلاق هى القضية الوطنية

دعا الرئيس أنور السادات الى سلسلة من الاجتماعات السياسية للقيادات السياسية والتنفيذية على كافة المستويات حيث قدم عرضا شاملا لأبعاد الموقف الراهن .

وقد شملت هذه الاجتماعات - اجتماعا موسعا للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي اشترك فيه الوزراء والمحافظين وأمناء الاتحاد الاشتراكي بالمحافظات والاقسام واجتمع مع الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي التي تضم جميع أعضاء مجلس الشعب ، كما التقى بأربعمئة من قيادات العمل النسائي وبعدها اجتمع الرئيس مع لجنة العمل الوطنى ولجانها التسع الاستشارية ومعهم رجال الاعلام والصحافة .

وأكد الرئيس السادات فى احاديثه المتتالية أن كل الحلول التى تتمشى مع المبادئ الأساسية التى لا يمكن لمصر أن تتنازل عنها قد أغلقت أبوابها أمام التعتن الاسرائيلى والموقف الاسرائيلى . وأن مصر حاليا ليس أمامها أى حل سلمى ، ولهذا لم يعد أمامنا من سبيل غير المعركة لاسترداد حقوقنا .

ودعا الرئيس السادات لأن تكون نقطة الانطلاق هى القضية الوطنية التى يجب أن يتجمع الشمل حولها - ورد بشدة على حملات التشكيك التى تهدف الى عزلنا عن صديقنا الرئيس - الاتحاد السوفيتى الذى يعاوننا سياسيا وعسكريا واقتصاديا .

وأعلن الرئيس السادات أنه ليس من المعقول مقارنة الاتحاد السوفيتى وهو صديقنا الرئيسى بموقف الولايات المتحدة التى تمد عدونا بالسلاح الذى يعينه على استمرار احتلال اراضينا .

واكد كذلك أنه لا وجه لمقارنة علاقاتنا بالاتحاد السوفيتى بالعلاقة الامريكية الاسرائيلية ذلك أن اسرائيل كما يصرح زعمائها هى خط الدفاع الاول عن المصالح الامريكية فى المنطقة وليس هذا دورنا مطلقا بالنسبة للاتحاد السوفيتى ، الذى ظل يقدم لنا العون والتأييد فى الوقت الذى نعلن فيه أننا حريصون على نظامنا الاجتماعى والاقتصادى .

وأعلن الرئيس السادات أن الاتحاد السوفيتى لم يطلب منا أية قواعد وليس له حاليا أية قواعد ولكننا منحنا الاتحاد السوفيتى التسهيلات التى تخدم مصالحنا .

وشملت احاديث الرئيس السادات الى القيادات السياسية والتنفيذية - الموقف العربى بعد مشروع

الملك حسين الذى وصفه الرئيس بأنه محاولة لتصفية القضية الفلسطينية - وأن موقفنا منه ليس جريلا وراء انفعال وانما على اساس مبادئنا التى نتمسك بها وهى أننا لا نقبل أى حل يفرط فى الارض العربية او يمس حقوق شعبنا فلسطينى - كما قال الرئيس ان الدول العربية وقفت موقفا موحدا فى رفض مشروع الملك حسين .

وأن الموقف العربى الآن فى أحسن حالاته - وأن الاتصالات الثنائية قد قربت مواقف الكثير من الدول العربية بما يحقق مزيدا من الدعم فالسعودية والكويت يساهمان معنويا وماديا فى الاعداد للمعركة والعراق تغير موقفه .

كما أكد الرئيس على أن جهود المقاومة جزء أساسى لا ينفصل عن الجهد المبذول للتحرير وأن دورها قائم رغم محاولة الملك حسين القضاء عليها .

وفى الحديث عن الاوضاع الداخلية دعا الرئيس السادات الى ضرورة الانتباه الى أن عناصر من اليمين وعناصر من اليسار تتجارب مع حملات التشكيك ، فتستتر الاولى وراء حماية الاستقلال الوطنى فى مواجهة ما يسمونه النفوذ السوفيتى - بينما تزعم الثانية أننا مترددون فى الاقدام على المعركة مع أن الاتحاد السوفيتى قد أمدها بكل ما تحتاج اليه تلك المعركة - وكلا الفريقين مخطيء .

وأشار الرئيس السادات الى أن مصر تمكنت من الصمود والتقدم خلال عشرين عاما بفضل الوحدة الوطنية بين أبنائها وأننا الآن أشد حرصا وتصميما على هذه الوحدة - وأن صيغة التحالف التى يقوم عليها الاتحاد الاشتراكي هى الصيغة التى نتمسك بها ، والتى نص عليها ميثاقنا ودستورنا و « من يخرج على هذا يكون خارجا على وحدتنا الوطنية ونحن لن نسمح باقامة أية تنظيمات خارج الاتحاد الاشتراكي » .

ونوه سيادته بأن اللجنة المركزية هى أعلى قيادة جماعية للتنظيم السياسى وهى المرجع الذى ترجع اليه لجنة العمل . .

كما أشار بجهود الوزارة وأسلوب انتقالها للشعب فى المحافظات وتصديها لمشاكل الجماهير على الطبيعة ، وطالب بضرورة اعطائها الفرصة لانجاز برنامجها .

وحذر من المبالغة فى وصف الاخطاء والانحرافات فى القطاع العام مذكرا بأن القطاع العام هو الآن قوام القوة الاقتصادية الذاتية التى تمكنا من الصمود ومن خوض المعركة .

وفى اجتماعه بالهيئة البرلمانية للاتحاد

حول المؤتمر الشعبي والمجلس الفلسطيني

فيما بين ٦ - ١٠ أبريل الماضي ، عقد المؤتمر الشعبي الفلسطيني [٤٠٠ عضو] اجتماعاته في قاعة اجتماعات مقر الجامعة العربية بالقاهرة ولم يتخلف عن الحضور الا من حالت السلطات الاردنية والاسرائيلية دون حضورهم . وهم مندوبو الضفتين الشرقية والغربية للاردن بالإضافة الى مندوبى قطاع غزة .

ومن المعروف ان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير كانت قد دعت لعقد هذا المؤتمر في ١٦ مارس الماضي ، لمواجهة مسألة الانتخابات البلدية التي تجريها السلطات الاسرائيلية في الضفة الغربية . وكانت اللجنة التنفيذية تهدف من وراء عقد هذا المؤتمر الى تأكيد كون منظمة التحرير هي الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطيني . الا ان اللجنة التنفيذية عادت وارجأت عقد المؤتمر

الاشتراكى طالب الرئيس - السادات الهيئة بشأن يمارس مجلس الشعب سلطته كاملة في الرقابة والتشريع مع مراعاة اولويات المعركة ، وأن يضع التقاليد البرلمانية السليمة في ضوء تحالف قوى الشعب العاملة *

وعرض الرئيس السادات على الهيئة البرلمانية تصوره لعمل مجلس الشعب - مؤكداً على أن اللائحة التي أعدها سيادته وقت رئاسته للمجلس عام ٦٦ - كانت استجابة لمتطلبات تحقيق الديمقراطية الحقبة وتمكين المجلس من ممارسة دوره في الرقابة والتشريع بالتعاون مع الحكومة ومع الاتحاد وضرورة اعطاء عناية خاصة للجان المجلس مما يقتضى تفرغ رؤساء اللجان لمسئولياتها . كما أن على اللجان أن تعقد جلسات للاستطلاع والمواجهة يشترك فيها المسئولون عن الدولة والمواطنون أصحاب المصلحة لتتوافر أمامها وجهات النظر .

تعليق

حول جرائم المال

هزمت الصحافة مؤخرًا بنشر العديد من وقائع الاستيلاء على المال العام حتى كاد ذلك يصبح باباً يومياً على صفحاتها . وليس ما نرجو التعليق عليه هنا هو صحة النشر من عدمه ، فالامر هنا يكاد يكون محسوماً اذا ما تذكرنا أن ما لا ينشر كله ، ينتشر بين الناس - على الأقل - بعضه ، وقد يضخمه النقل حتى تصبح الحبة قبة ، والفار في هجم القبل . ولكن ما نرجو أن يكون موضع التفكير لدى الكافة هو الظاهرة ذاتها ، لماذا تحدث وكيف وأخطارها ووسائل التغلب عليها . والحوادث قد تتنوع . فهي في صورة منها استغلال لغرات في القانون وفي الاجراءات للاستيلاء على ممتلكات الدولة - اراضي الاوقاف ، والاراضي الفضاء .. ومرة أخرى تزوير الاختام أو التوقيعات وصناعة المستندات المزورة ومن ثم الاستيلاء على اموال عامة - الخزائن السرية بوزارة الداخلية .. وفي صورة ثالثة تصوير ورقى لسير معين للأعمال بينما الواقع بعيد هناك يصب عائد في عدد من الجيوب - شركة بيع المصنوعات .. وفي صورة أخرى اتفاق بين الموردين وعدد من الموظفين على عمليات وهمية يدفع مقابلها من المال العام لتجد طريقها الى عصابة من الأبدى - صيانة سيارات إحدى شركات النقل العام - وفي صورة خامسة ، تلك التي يعجز فيها المدبرون على التزوير أو تصوير الأعمال بالصورة السليمة ، يكون المخرج بعد النهب افتعال الحريق لتتوارى في رماده الجريمة . قد تتنوع الحوادث وتتعدد بأكثر مما ذكرنا من الصور ، ولكن يظل الخيط الذي يربطها واحداً ، وهو استعمال المال العام وسيلة للثراء على حساب المجموع .

ولا يمكن أن ننظر الى هذه الحوادث على ضخامتها واجتذابها للنظر ، ونغفل واقعاً هاماً في الحياة اليومية بممارسة الناس في كل خطواتهم على درب الرزوتين لانجاز أعمالهم في الدوائر والدواوين ، حين يصطدبون بظاهرة الرشوة التي يدونها لن تتحرك الأمور ، وهكذا . تلك الظاهرة التي انتشرت حتى تكاد تصل الى نسب مئوية ثابتة من استحقاقات الناس أحياناً ، أو ضريبة تنفق مع مظهر صاحب الحاجة ومقدار ما يبدو عليه من ثراء ، والتي بلغ من انتشارها حد اضطرار رئيس الوزراء السابق الى الإشارة لها والتركيز عليها في خطاب من برنامج الوزارة الى مجلس الشعب .

واذا كانت الرشوة الصغيرة هذه أوشكت أن تصبح قاعدة للتعامل ، فهناك ظاهرة أخرى هي استغلال الموقع والمنصب للاستيلاء على المال العام واثراء البعض على حساب المجموع بطريقة غير مشروعة . وتصبح الظاهرتان وهما تنتشران بهذه الصورة السرطانية من أخطر ما يمكن على نظامنا الاجتماعي كله ، فهما أن لم يوضع لهما حد ، صارتا وثيقة اتهام لنظامنا الإداري من ناحية ، وافراغ لجهود الملايين من العاملين في جيوب البعض ، فضلاً عن الآثار الاقتصادية الناجمة عن اتفاق أوسع مما هو مقدر للاستهلاك ، وعن الآثار الاجتماعية التي يمكن أن تسببها بالتفاحة السيئة إذ تفسد كل ما في السلة منه .

ومع أن الوصول الى الأسباب في حالة الرشوة اليومية الصغيرة - وربما كان أفضل أن نسبها الاتاة - كان سهلاً فإنه قد يلزمنا في الحالة الثانية نوع من الدراسة العلمية الأوسع نسبياً لتشمل نوعية مواقع الحوادث - ما شمله التحقيق وما لم يشمل - وهو أكثر - والقائمين بها ، وما سهل لهم ذلك ، والمبالغ التي حصلوا عليها وكيف انفق . وغير ذلك من العوامل .

— تقارير الشهر —

مجموعة ضيقة من المستقلين باعضاء منظمات المقاومة : عندما التى دكتور فاضل زيدان [مستقل] كلمته والذى اشار فيها الى اخطاء وسلبات قيادة المقاومة ، وعندما اقترح عوده بطرس عوده [مستقل] بتخصيص ٥٠٪ من مقاعد المجلس الوطنى الفلسطينى للمستقلين . وكانت الجبهة الشعبية الديمقراطية قد طرحت مشروعا سياسيا ديمقراطيا للوحدة الوطنية ، حولته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الى مجلس التخطيط التابع لمركز الابحاث الفلسطينية الذى طرحه بدوره على المؤتمر .

ويتضمن المشروع اقرارا بصيغة الجبهة الوطنية المتحدة ، وتشكيل قيادتها على اساس التمثيل النسبى مع اندماج القاعدة والسماح بالانتماء التنظيمى للجان الفكرية المختلفة ، واصدار جريدة داخلية للجبهة المتحدة تطرح فيها وجهات النظر ويعم توزيعها على كل المؤسسات المشتركة فى الجبهة . وكان المشروع موضع مناقشات فى المؤتمر

الى ٦ ابريل . وواضح ان الحاجة الى تأكيد هذا التمثيل قد تزايدت بعد تقديم الملك حسين لمشروعه فى منتصف مارس الماضى . وكان واضحا حتى عشية المؤتمر ان «الحكومة المؤقتة» التى كانت فتحت قد ناقشتها فى لجناتها المركزية ومجلسها الثورى انها لن تطرح فى المؤتمر . وكان اتحاد الطلاب الفلسطينيين قد اصدر بياناً ندد فيه بمشروع الحكومة المؤقتة ، الا ان هناك اتجاهات لها وزنها تدعو الى ضرورة اعلان حكومة المنفى ، والارتباط بالخط الاستراتيجى لدول الاتحاد .

وفى خطابه داخل المؤتمر اتهم ياسر عرفات بعض الانظمة العربية ببناء محاور داخل العمل الفدائى لضرب هذا العمل عند الضرورة ! وفى داخل المؤتمر واللجان المنبثقة عنه [لجنة الوحدة الوطنية ، السياسية ، الوطن المحتل] طرحت الأمور ونوقشت بصراحة اكثر من المهودة فى مثل هذا المؤتمر او المجالس الوطنية السابقة وفى داخل لجنة الوحدة الوطنية اصطدمت

ولكننا مع ذلك قد نستطيع الزعم باستطلاع مبدئى ، وبناء على ما عرف بصورة عامة من الوقائع ، ان الاستيلاء على المال العام كان يحدث فى معظم الاحوال حيث يدخل القطاع الخاص مع القطاع العام فى المعاملات . انه هنا حيث يكون من السهل دائما الاغراء والتلويح بإمكانية السكسب العاجل السريع ، ومن تم الاتفاق على تدبير الأمور وتصويرها الصورة التى تخفيها ما أمكن عن طائلة القانون . وليس هذا الواقع بالامر الغريب . فالرأسمال الخاص فى بلد خرج منذ قليل من اسار السيطرة الاستعمارية ، حيث لم يكن للرأسمال الحلى — ما دون الكبير منه — الا أن يلعب دورا طفيفا فى الحياة الاقتصادية ، سوف يظل دوره هكذا ولفترة ، حتى يوضع له الاطار الصحيح داخل الخطة الاقتصادية العامة للنمو والتطور والاسهام فيها نريد من بناء شامل .

وحقيقة قد تلعب عديد من الاعتبارات دورها فى تشجيع الافراد على سلوك هذا المسلك مثل أن تكون ظروف الحرب — وقد فعلت هذا فى الكثير خبرنا من الدول — أو التطلعات الطبقة لدى البعض ، أو عقلية المجازاة فى الحياة الخاصة لمجتمعات قطعت شوطها فى النمو ، أو نقص الاحساس بالملكية العامة وضرورة المحافظة عليها للمصالح العام ، أو عدم الابتناء أصلا بالنظام الذى ننبه وهكذا . قد تلعب هذه جميعا دورا فى تهبة النفوس للانحراف ، ولكن تظل الحلقة الرئيسية هى أن يوجد المجال ليتم الانحراف . وتكون صلة القطاع الخاص بالقطاع العام هى «الكوبرى» الذى يعبر عليه هؤلاء الى جانب السرقه التى هى أقرب ما تكون اليوم الى الخيانة .

واذ نقابلنا هذه المشاكل نجد الدعوة الى تشديد العقوبة على اهدار المال العام . وهى دعوة لا بد أن تزكى وأن نتم . ولكن لعننا نذكر سابقة مماثلة فى مجال تجارة المخدرات . ان اكتشاف الصفقات فى القانون لهو أمر مسرور على الافراد من هذا النوع ، كما كان سهلا على بجار المخدرات التلاعب ببطان النفيس والقاء ظلال الشك على الاجراءات ، حتى يجد القاضى ما يضغط على ضميره حين تحدته نفسه بأقصى العقوبة . ولعل هذه الدعوة بتشديد العقوبة قدس . انما هما تماما أن نمارس الرقابة الشعبية — وربما المحاكمة — على اوسع مجال فى كل المواقع ولن يكون هذا وحده كافيا ، بل لا بد أن يسند انجساح متعاطف نحو رفع القدرات الاناجية — كما ونوعا — للبلاد فهى الزم ما يكون فى ظروف المعركة ، واللاحقة مطالب الجماهير ، حتى نسد للمعبد منها الفجوة القائمة فعلا على مستوى واسع بين الدخل ومستلزمات الحياة .

ولا بد أن يتحدد دور القطاع الخاص فى تلك القنوات التى تبعد به عن الدور الطبقي المعتاد ، ويتحول الى قوة تبنى فى صرح الانتاج ، وتكسب ما استطاعت عن طريق اجابى بناء .

وأن يصاحب هذا دور واع من ممارسة التوعية عن المال العام وحقه على الجميع ، وننذ التطلعات الطبقة بخفض مظاهرها فى حياة الافراد ، والارتباط بين كل الاعمال وأرواح ابنائنا على خط النار وتطهير ترابنا من رجس الاختلال ، وحثية ما ننتجه له من نظام اجتماعى وضرورة انعكاس قيمه فى سلوك الافراد .

د. محمد أحمد عجلائى

خطوة جديدة في العلاقات مع رومانيا

زار القاهرة في ٢ أبريل الماضي الرئيس نيكولاى تشاوشيسكو رئيس جمهورية رومانيا بصحبه وفد يضم ٥٠ عضوا .

وقد قام الوفد الرومانى بزيارة للاسكندرية والاقصر وأجرى محادثات سياسية هامة حضرها من الجانب المصرى الرئيس « أنور السادات » والدكتور « مراد غالب » والسيدان « حافظ اسماعيل » و « محمد عبد السلام الزيات » .

وقد أوضح الرئيس شاوشيسكو فى حفل التكريم الذى أقامه الرئيس السادات للضيف الرومانى « ان رومانيا طلبت وتطلب دائما أن يعمل المجتمع الدولى للوقوف فى وجه النظم الديكتاتورية والاستعمار العالى وضد استعمال القوة والاستيلاء على أراضى الغير » .

وقال شاوشيسكو « اننا فى بلادنا نلمس الجهود البناءة التى تبذلونها لتصفية آثار العدوان الاسرائيلى الامبريالى الذى وقع عام ١٩٦٧ ، ولقد كنا نتابع بالترحيب والتقدير الاقتراحات التى قدمتموها لحل قضية الشرق الاوسط وفق قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ فاننا ضد استخدام القوة فى العلاقات الدولية وضد السيطرة بالقوة على اراضى الغير ، لذلك فاننا نطلب بالحاح ان تنسحب اسرائيل من الاراضى العربية التى احتلتها ونعتبر ذلك أساسا لازما لكى يتحقق السلام فى الشرق الاوسط » .

وفى ٣ أبريل عقد الرئيسان السادات وشاوشيسكو اجتماعا مغلقا بعد اجتماع آخر حضره وفدا المباحثات مع الرئيسين واستمر حوالى الثلاث ساعات .

وقد أعلن أن المحادثات قد تناولت تطورات أزمة الشرق الاوسط ووسائل تدعيم العلاقات بين مصر ورومانيا كما شملت المحادثات تبادلا للوجهات النظر فى الموقف الدولى بشكل عام .

وقد عقدت اجتماعات منفصلة بين د . مراد غالب وزير الخارجية والسيد شاوشيسكو وزير خارجية رومانيا لاستكمال بحث المسائل العامة التى تهم البلدين .

كذلك اجتمعت قرينة الرئيس الرومانى بعدد من القيادات النسائية المصرية .

وأثناء زيارة الرئيس شاوشيسكو للاسكندريةلقى كلمة قال فيها « اننا نقدر جهود الرئيس السادات لكى ينسحب الاجانب من ارضكم لتستطيع بلادكم الحرة أن تبني حياتها الحديثة . وسوف تقدم رومانيا كل ما تستطيع من معاونة

الشعبى الفلسطينى واحيل الى اللجان الفرعية ، فتبنته اللجنة السياسية بعد اجراء تعديلات لاتمس الجوهر . أما فى لجنة الوحدة الوطنية فقد طرحت فتح برنامجا تنظيميا اضافيا مكونا من ثلاث نقاط :

• توسيع المجلس الوطنى الفلسطينى — أساسا من عناصر مستقلة .

• تحقيق وحدة عسكرية اندماجية خلال ثلاثة اشهر .

• تشكيل لجنة متابعة — المؤتمر الشعبى من ٢٢ عضوا لمتابعة تنفيذ الاتفاق .

وقد كسب المشروع تأييد المستقلين ، وأثار هذا الاقتراح الاضافى معارضة شديدة على أساس ان الهدف منه تفريغ الاقتراح الاصلى من محتواه . ويرى المعارضون ان هدف الاقتراح احتواء ومحاصرة وتصفية الاتجاهات اليسارية .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا انه ما من دورة من دورات المجلس الوطنى الفلسطينى اتسع الا وتمخضت عن قرارات ومشاريع للوحدة الوطنية بل وتعلن انجاز هذه الوحدة !

وفى المؤتمر ظهر الانقسام اشد ما يكون وضوحا بين جناحى فتح فى هذا المؤتمر وقد برر من خلال المناقشات كل من ناجى علوش ومخير شفيق وصلاح خلف [فتح] وأديب عبد ربه [الديمقراطية] .

كما لاحظ المؤتمر وجود خالد الحسن ، احد ابرز قادة فتح ، خارج قائمة الاجتماعات طوال الاجتماعات !

وبعد ان انتهت اللجان من اعداد تقاريرها ، انقض يمين فتح على التقرير السياسى ذا الطابع التقدمى فى محاولة لاجهاضه ، ووصف كمال عدوان [فتح] مشروع الوحدة الوطنية بأنه « برنامج تفريق » .

وفى ١١ أبريل عقد المجلس الوطنى [١٥١] عضوا] جلسته التى اقر فيها معظم توصيات المؤتمر الشعبى الفلسطينى ، وهى الخاصة بتوسيع المجلس ، ومشروع الوحدة الوطنية ، وتشكيل لجنة من ٢٢ عضوا لمتابعة تنفيذ مقررات المؤتمر الشعبى .

وايا كان الامر فإن المؤتمر والمجلس الوطنى قد نجحا فى صياغة أسس الوحدة الوطنية وأسس التعامل مع الجماهير العربية ، وبذا يكونان قد نجحا اكثر مما رسم لهما واكثر مما توقع لهما حتى الداعين لعقدتهما !

تقارير الشهر

المباحثات بين الرئيسين وقد أكد البيان أن إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط يقتضى تنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والقرار الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٧١ ، وضرورة الوصول الى حل لمشكلة شعب فلسطين بما يتفق وآماله الوطنية وحقوقه الشرعية .

كذلك أعرب الجانب الرومانى عن تقديره لجهود مصر للتوصل الى تسوية سياسية عادلة لازمة للشرق الأوسط .

وقال البيان انه قد تقرر اتخاذ الاجراءات الضرورية لتنفيذ مشروعات التعاون الاقتصادي بين البلدين وتشمل مجالات الصناعات الكيماوية والتعدين والزراعة ومواد البناء والمساعدات الفنية والتدريب المهني .

لتنفيذ قرار مجلس الأمن الخاص بالانسحاب وسوف يتحقق ذلك في وقت ليس ببعيد .

وأشاد شاوشيسكو بالاتصالات المفيدة التي تمت بين الحزب الشيوعى الرومانى والاتحاد الاشتراكى العربى .

وخلال اقامة الرئيس شاوشيسكو فى القاهرة استقبل « ياسر عرفات » رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وقد تناول البحث فى هذا اللقاء تطورات أزمة الشرق الأوسط .

وقد أذاعت وكالة الانباء الرومانية ان الرئيس الرومانى قد أكد لياسر عرفات تضامن الحزب والشعب فى رومانيا مع النضال العادل لشعب فلسطين وحل مشاكله بما يتمشى مع مصالحه الوطنية .

وفى نهاية الزيارة صدر البيان المشترك عن

تعليق

حل التناقضات الثانوية لمصلحة التناقض الرئيسى

ليس جديدا على العمال المصريين ان يكافحوا من اجل رفع مستوى حياتهم امام ما يواجهونه من ارتفاع للاسعار وتزايد متطلبات الحياة . فبما ان اصدر الرئيسى الراحل جمال عبد الناصر ١٩٦١ قرارات بعضها يتضمن بعض مكاسب للعمال طبقت على عمال الحكومة والقطاع العام ولم تطبق على عمال القطاع الخاص .

منذ ذلك الحين وعمال القطاع الخاص يطالبون بتطبيق تلك القرارات عليهم . ومساواتهم بعمال الحكومة والقطاع العام وكانوا دائما ينوون لتحقيق مطالبهم بالطرق السلمية والمشروعة عن طريق اللجان النقابية ووحدات الاتحاد الاشتراكى . والشكاوى لجهات الاختصاص .

اما اصحاب الاعمال فقد كان موقفهم الرفض المستمر ومحاربة تطبيق القوانين على عمالهم بنعتهم واصرار . وهذا امر طبيعى ومنطقى مادام تطبيق هذه القوانين على عمالهم يتعارض مع مايجتوه من ارباح ويحد من نمو رؤوس اموالهم الفنية فى الوقت الذى يخططون فيه لتحقيق أقصى حد ممكن من الارباح فى اقصر مدة من الزمن كما يقضى بذلك القانون العام لحركة رأس المال .

وهكذا استمر النزاع بين طرفي النزاع . العمال يطالبون بحقوقهم واصحاب الاعمال يرفضون بحزم واصرار . حتى جاءت حكومة الدكتور عزيز صدقى وقررت مساواة عمال القطاع الخاص بعمال القطاع العام وبأدركت اللجنة التشريعية بتقديم مشروع قانونين احدهما خاص بالحد الأدنى للاجور بحيث لا يقل اجر العامل الذى يزيد سنه عن ١٨ عاما عن ٢٠ قرشا فى اليوم .

والقانون الثانى خاص بالاجازات وقد اقربها مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة يوم ١٩/٣/١٩٧٢ . اما القرار الخاص بتحديد ساعات العمل بس ٧ ساعات كيوم للعمل فقد كان امره سهلا لاحتياج الى لجان ولاهيئات بل يحتاج الى قرار من وزير الصناعة .

ولقد وقع فى منطقة شبرا الخيمة احداث مؤسفة كان من الممكن تلافيها لو ان وحدات الاتحاد الاشتراكى تعاونت مع النقابة العمامة والاتحاد العام على تطويق الاشاعات التى روجها اصحاب الاعمال وبعض العناصر المغرضة .

لقد نجح اصحاب الاعمال ووكلائهم فى احداث حالة من التوتر فى احدى المناطق الصناعية والعمالة الهامة التى يجب ان يسودها الهدوء فى تلك الظروف .

وبحلول شهر يونيو من هذا العام يكون قد مضى على الاحتلال الصهيونى لجزء من قلب بلادنا خمسة اعوام وليس منا من يجهل ما يضره العدو وما يكرهه لنظامنا السياسى من كراهية وعداء .

ان هدف العدو ضرب ثورة ٢٣ يوليو وضرب ما نرب عليها من نهضة وطنية لتصنيع البلاد ، وضرب مكتسبات الشعب ومكتسبات العمال والاستيلاء على خاماتنا واسواقنا وسحق الرأسمالية الوطنية والقضاء على كل مانصبوا اليه من آمال وهذا ما يجعل العمال يطالبون اصحاب الاعمال بتقدير خطورة الموقف السياسى فى الوقت الحالى فلذلك عن تحويل مواقع الانتاج من مجالات لحرب العدو الى مجالات للحرب الداخلية بين مناطق القوى الوطنية .

ان عدوا شرسا لنا هو الصهيونية يؤيده عدو اشد منه شراسة للانسانية والديمقراطية والسلام هو الولايات المتحدة الامريكية قد تحرك للقضاء على النظام السياسى القائم وعلى ما نراه الشعب من مكتسبات ، والرأسماليون الوطنيون هم أول واكبر المستفيدين من هذا النظام بالنسبة لغيرهم من الطبقات .

محمد على عامر

كذلك أعلن البيان المشترك عن تضامن البلدين مع كفاح شعوب الهند الصينية .

وقد عقد الرئيس شاوشيسكو مؤتمرا صحفيا حدد فيه موقف بلاده من أزمة الشرق الاوسط وأعلن ان رومانيا لا تزود اسرائيل بالاسلحة وانها تعارض سياسة تزويدها بها .

وقبل أن يغادر شاوشيسكو القاهرة ، عاد الرئيس الى عقد اجتماع مغلق آخر بينهما استمر ٥٠ دقيقة .

والحقيقة أن هذه الزيارة ذات أهمية خاصة حتى في حدود العلاقة بين مصر والبلدان الاشتراكية ، ذلك أنها تمثل خطوة هامة في تعزيز التفاهم بين مصر ورومانيا بعد فترة اقسمت ببعض التباعد بعد عدوان ١٩٦٧ .

■ ليبيا

النظرية الثالثة لثورة الليبية

عقد في ليبيا في الفترة من ٢٨ مارس الى ٨ ابريل ، المؤتمر الوطني الاول للاتحاد الاشتراكي العربي واشترك فيه ٥٣٠ عضوا بينهم ٤٠ امرأة يمثلون كل فئات الشعب العاملة ، كما شهد ٧٢ وفدا يمثلون الدول العربية والافريقية والدول الصديقة .

والتقى الرئيس معمر القذافي خطابا سياسيا في افتتاح المؤتمر ، حدد فيه طبيعة الاتحاد الاشتراكي كتتنظيم جماهيري وليس تنظيما طليعيا ، يجمع الرأسمالية الوطنية والفلاحين والعمال والمثقفين والجنود « ينصهروا مع بعض في الاقتصاد الاشتراكي العربي ، وهي نظرية رائدة طبقتها مصر ، وبعدها ليبيا ، ثم السودان ، ونحن نتوقع أي بلد عربي يتحرر حينئذ نفسه على أساس تنظيم الاتحاد الاشتراكي » . ويقوم الاقتصاد الاشتراكي العربي في ليبيا « على أسس خلقية ومبادئ ثابتة من الاسلام والعروبة والايمان » .

وناقش المؤتمر عديدا من القضايا والافكار بناء على اقتراح الرئيس القذافي ، والتي تتعلق بمفهوم الحرية ، والديمقراطية في مرحلة التحول الثوري ، وعلاقة الاتحاد الاشتراكي بالمؤسسات الجماهيرية ، والنقابات المهنية والعمالية ، وعلاقة الاتحاد الاشتراكي بالسلطتين التشريعية والتنفيذية ، وعلاقة التنظيم بالصحافة ، وعلاقته بخطة التنمية .

وقد تشعبت المناقشات التي جرت داخل المؤتمر ، لتشمل جميع القضايا التي تشغل اهتمام

الشعب الليبي في هذه المرحلة ، من أجل القضاء على كافة مظاهر التخلف والخروج من العزلة الطويلة التي فرضها العهد السابق على الشعب الليبي . والتي تتعلق « بالعلاقة بين السلطة والجماهير ، وكيفية ممارسة الحرية والديمقراطية ، والاطرار أو مجموعة القوانين التي ترسم حدودها » .

وتواجه ليبيا في الوقت الحالي مثل معظم بلدان العالم الثالث مشكلة بناء جهاز الدولة ، وانعدام وجود الكوادر الوطنية المتمرسة ، خاصة وان الثورة لم تات ومعها التنظيم الخاص به لكي يحل محل جهاز الدولة الرجعي القديم ، وايضا غياب النظرية الثورية التي تحدد معالم الطريق ، وتنظم حياة المجتمع في النواحي السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية ، وصعوبة بناء تنظيم سياسي في الواقع الليبي ومواجهة أخطار البيروقراطية ، وغياب النشاط السياسي .

وتوضح خطب وأحاديث الرئيس القذافي في أثناء المؤتمر ، محاولته وضع ما يسمى « بالنظرية الثالثة » للثورة الليبية ، وهي تقوم على أسس وقواعد ثلاث « الاشتراكية » ، « الدين » ، « القومية » . وهذه الاشتراكية تختلف عن « الماركسية » ، والراسمالية . « واننا نرفض المنطق الذي يقول ان هناك اشتراكية واحدة فقط في العالم ، واننا نعتبر أنفسنا في معسكر اشتراكي ولسنا في معسكر شيوعي أو رأسمالي ، لاننا اكتشفنا ان كلا المعسكرين تقوده دولة كبرى ونحن نرفض أن تقودنا دولة كبرى ، واننا نعتبر الدين الاسلامي المحرك الاساسي للتاريخ ، وليس الصراع الاقتصادي كما يقول ماركس ، وان العامل الاقتصادي قد يأتي في المرتبة الثالثة أو الرابعة أو الخامسة وقد لا يظهر دوره بتاتا » . وأعلن الرئيس القذافي رفضه القاطع لفكرة تشكيل حزب معارضة ، وقال أن هناك اتجاه لبناء تنظيم طليعي داخل الاتحاد الاشتراكي من المثقفين الثوريين .

واصدر المؤتمر في جلسته الختامية قراراته وتوصياته والتي تتضمن : ان المعركة التي يخوضها العرب ضد تحالف الاستعمار والصهيونية هي معركة تومية يجب أن تحشد لها كافة الطاقات والامكانيات ودعا الى قيام حركة مقاومة فلسطينية واحدة والتزام ليبيا بالوقوف مع هذه الحركة الواحدة ورفض ما عداها ، والمطالبة بضرورة تحرير الارض المحتلة ، وحثمية الصدام المسلح مع العدو الاسرائيلي على أرض فلسطين ، والتنديد بأسلوب المزايدات والشعارات التي تمارسها بعض الدول العربية تهربا من قومية المعركة .

وأعلن المؤتمر : ان ثورة ليبيا تعتبر امتدادا طليعيا ونضاليا لثورة ٢٣ يوليو الام التي فجرها

— تقارير الشهر —

سنويا • ومن المعروف ان نيكسون كان قد طلب في فبراير الماضي زيادة المعونة العسكرية لعام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ بـ ٦٥٠ مليون دولار ، وصرح روجرز بأن هذه الزيادة « لمساعدة دول مثل الاردن على مواجهة مشاكل الامن الداخلي » .

وطالب الملك حسين من ليرد مزيدا من الدبابات الامريكية م - ٦٠ ومدافع م - ١٦ وعددا من الطائرات المقاتلة وطائرات النقل .

وفي عدد اول ابريل قالت « فيويورك تايمز » ان الولايات المتحدة ستبيع للاردن ما بين ١٢ - ٢٤ طائرة نفثة أسرع من الصوت من طراز ف - ٥ . وأضافت الصحيفة الامريكية ان امكانيات الفانتوم التي تتسلح بها اسرائيل تفوق بكثير امكانيات الطائرات ف - ٥ .

وصرح بعض المسؤولين الامريكيين في احاديثهم الخاصة أنهم يجدون في مشروع الملكة العربية المتحدة نقطة بداية مفيدة للمفاوضات بين الاردن واسرائيل بعد ذلك .

وقد أبدى كبار المسؤولين الامريكيين ارتياحهم لرغبة الملك حسين المعلنة في عقد صلح منفرد مع اسرائيل .

وعاد اسحق رابين ، سفير اسرائيل في واشنطن ، الى بلاده يوم ٤ ابريل الماضي ليعرض على جولدا مائير رئيسة الوزراء وأبا اييان وزير الخارجية الاسرائيلية ، تقريراً عن محادثات حسين في واشنطن . وكشفت الاوساط العلنية في اسرائيل ان الحكومة الامريكية لم تبحث مع الملك حسين مسألة الحدود بين المملكة المقترحة واسرائيل ، تاركة ذلك ليكون موضع بحث مباشر بين كل من الحكومتين الاسرائيلية والاردنية .

وقد ربط مصدر امريكي بين زيارة حسين وزيارة أبا اييان التي تمت في وقت متأخر من ابريل الماضي . باعتبار أن الزيارتين ترتبطان بمشروع الملك .

ومن المعروف أن زيارة الملك الهاشمي الى واشنطن قد تمت في نفس الوقت الذي حشدت فيه الاردن قواتها على الحدود الاردنية السورية ، في مواجهة التجمعات الفدائية في تلك المناطق .



■ لبنان

لبنان • • الانتخابات
بين الطائفية والسياسية

لعل انتخابات لبنان هي أكثر انتخابات العالم تعقيدا ، فهي تجري - وهي انتخابات سياسية -

القائد جمال عبد الناصر ، وأكد على التزام ثورة الفاتح من سبتمبر بمواصلة تحقيق الوحدة الادمجائية بين الاقطار العربية .

وعلى المستوى الداخلي قرر المؤتمر تفويض مجلس الثورة الليبي اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتحقيق التحول الثوري ، واكد المؤتمر ان « الجبهة الوحيدة المعادية للاستعمار من الشرق او من الغرب هي جبهة العالم الثالث » . وفي اطار هذا المفهوم اعلن الرئيس القذافي بعد انتهاء المؤتمر قرار ليبيا بسحب سفيرها في العراق ، كماطلبت الى العراق سحب سفيرها في ليبيا . وقد جاء في تفسير هذا القرار بوكالة الانباء الليبية أنه بسبب « توقيع الحكومة العراقية معاهدة مع الاتحاد السوفيتي مدتها ١٥ سنة ، الامر الذي يعد خرقا لميثاق الجامعة العربية وعودة العراق الى أيام نوري السعيد وحلف بغداد » !!



■ المملكة الاردنية

أمريكا تدفع الثمن

ترك الملك حسين عمان يوم ٢٦ فبراير الماضي ، بعد أن حرك بمشروعه الخاص باقامة المملكة العربية المتحدة مياه الوطن العربي التي طسال ركودها . وقد أذيع نبدأ سفر الملك بعد مغادرته العاصمة الاردنية بسبع ساعات ، كاجراء وقائي .

وقد توجه حسين الى السعودية ، حيث امضى فيها ليلة تشاور أثناءها مع الملك فيصل ، ثم تركها الى طهران حيث التقى فيها بشاه ايران ، وبعدها استأنف سفره الى اسبانيا ، حيث نقلته طائرة أمريكية الى واشنطن .

وفي الثامن والعشرين من فبراير اجتمع الرئيس الامريكي نيكسون بالملك حسين ، واقتصر هذا الاجتماع عليهما وعلى هنري كيسنجر مستشار الرئيس الامريكي لشئون الامن القومي ، ووزير الدفاع المستشار السياسي للملك الاردني .

وبعد الاجتماع الذي استمر ٨٠ دقيقة ، اعلن رونالد زيجلر ، المتحدث الرسمي للبيت الابيض ، أن الحكومة الامريكية ستفعل كل ما في وسعها لمساعدة الملك حسين .

ثم أجرى الملك محادثات تفصيلية مع وليام روجرز ، وزير الخارجية الامريكية ، واجتمع بعدها بلجنة الشئون الخارجية المنبثقة عن مجلس الشيوخ الامريكي .

وفي اليوم التالي اجتمع الملك الهاشمي بميلفين ليرد ، وزير الدفاع الامريكي ، ونسب الى الملك أنه طلب من ليرد زيادة قدرها ١٥ مليون دولار

على اساس طائفي بحت . والطوائف كثيرة جدا : ارثوذكس ، مارون ، ارمن ارثوذكس ، ارمن كاثوليك ، ارمن بروتستانت ، كاثوليك ، سريان كاثوليك ، سنيون ، شيعة ، انجيليون ، كلدان ، لاتيني . الخ والمجموع ٢٧ مذهباً (العمل ٦ نيسان - ابريل - ١٩٧٢) وقد جرى التقسيم وفقاً لتوزيع قديم للنسب لا يجرؤ احد على مجرد الدعوة لاعادة النظر ذلك ان مجرد اعادة النظر ، أو حتى التفكير فيها سوف يفجر الاوضاع الطائفية أو على الاقل هكذا يقولون .

والانتخابات كانت تجري دوماً في لبنان في اسار الطائفية والعائلات والتحالقات غير السياسية ، اما الان فان عنصراً جديداً يبرز هو « السياسة » . والسياسة ليست مطلوبة في الانتخابات وحدها بل هي مطلب من أجل تحويل كثير من الاحزاب من مجرد لافئات شبه سياسية لتجمعات طائفية الى تجمعات سياسية .

وقد اثار قضية « تسييس » الانتخابات اللبنانية ، وتحملت عبء الدفاع عنها قوى اليسار والتقدميين اللبنانيين التي حشدت قواها في معركة رفض قانون الاحزاب والجمعيات كمدخل « لتسييس » المعركة الانتخابية .

وفي ٨ آذار - مارس - عقد في مقر الحزب التقدمي الاشتراكي لقاء وطني حضره ممثلون لـ ٢٨ حزباً وهيئة ، من بينها الحزب التقدمي الاشتراكي - الحزب الشيوعي اللبناني - وحدة القوى الثورية الناصرية - حزب البعث - الحزب الديمقراطي - حزب الهانشاق - اتحاد الكتاب - اتحاد طلاب الجامعة - اتحاد الشباب الديمقراطي - جبهة التحرر العمالي . الخ وقد اصدر المجتمعون بياناً اذاعوا فيه قانون الاحزاب واعتبروه انتهاكاً للحريات والديمقراطية .

كذلك اصدر ٣٠٠ محام على رأسهم فقيس المحامين بياناً اذاعوا فيه هذا القانون ، ثم انتشرت الحملة لتشمل كثيراً من الصحف والمجلات ولتصبح محورا لحديث كثير من المرشحين - بين مؤيد ومعارض - الامر الذي اضفى على المعارك الانتخابية مسحة من السياسة .

وكانت القضية الثانية التي اسهمت في « تسييس » المعركة هي قضية ترشيح نقولا الشاوي « السكرتير العام للحزب الشيوعي اللبناني » فقد رفضت وزارة الداخلية قبول اوراق ترشيحه وضح لبنان كله يمينه ويساره محتجاً .

وكذبت جريدة الشعب تتهمة : « مرشح واحد ادخل الرعب في جهاز الدولة والحكم هو نقولا شاوي ، لماذا ؟ » لأنه ممثل حزب عقائدي .

والعقائدية هي بالفعل بعبع يخيف الفوضى (الشعب ٣٠ آذار - مارس - ١٩٧٢)

وكذب غسان تويني يقول « كنا نود أكثر من

مجرد السماح بترشيح السيد نقولا الشاوي : كنا نود تشجيع هذا الترشيح وتشجيع كل ترشيح مماثل . كنا نود ذلك لا لاننا شيوعيون . وانما لاننا نؤمن بالحرية وبأن الحرية أقوى ، وبأنها اما ان تكون لكل الناس أو لا تكون » (النهار ٢٨ آذار - مارس - ١٩٧٢)

واضطرت الحكومة الى قبول اوراق ترشيح « نقولا الشاوي » وانتهت معركة لتبدأ معركة أهم هي معركة نجاح أو فشل « الشاوي » . وفي طرابلس وقف كمال جنبلاط ليخطب في اجتماع انتخابي قائلاً « ان تأييدنا لنقولا الشاوي فيه معنى عربي قومي شامل بالنسبة لشعورنا بالوفاء للعهد الذي يعتنقه ، . ولينتصر نقولا الشاوي في طرابلس ، لأنه انتصار للوفاء العربي » (النداء ٥ نيسان - أفريل - ١٩٧٢)

والحقيقة ان كمال جنبلاط يلعب في الانتخابات الحالية دوراً بارزاً فقد أصبح هو وحزبه محورا تبلور حوله اليسار اللبناني وكل القوى التقدمية اللبنانية وكل اعداء قانون الاحزاب وكل القوى المناهضة للنموذج الأمريكي في لبنان .

وفي خضم المعركة الانتخابية زار كمال جنبلاط سوريا على رأس وفد من حزبه ليجري مباحثات مع حزب البعث السوري وليقابل الرئيس حافظ الأسد وعقب المباحثات صدر بيان مشترك بين الحزبين جاء فيه « . كما أعلن حزب البعث العربي السوري عن اغتباطه بالتعاون الوثيق القائم بين منظمة البعث العربي الاشتراكي في لبنان من جهة وبين الحزب التقدمي الاشتراكي وبقية القوى الوطنية التقدمية في لبنان من جهة أخرى من أجل الحفاظ على الحريات الديمقراطية وارساء دعائمها ، ولاسيما بعد المحاولات المشبوهة الرامية الى تقييد هذه الحريات ، والمتمثلة في مشروع قانون الاحزاب الاخير » (النداء ٣٠ آذار - مارس - ١٩٧٢)

وقد اعربت قوى اليمين اللبناني عن انزعاجها الشديد من تحركات جنبلاط في اطار وحدة اليسار اللبناني ، ذلك ان هذا التحرك يكسب اليسار ثقلاً جديداً ويضفي على معركته طابعاً ايجابياً . ويكسر عنه سور العزلة الذي نسجته الرجعية اللبنانية طوال سنوات عديدة .

بل ان كميل شمعون لا يستطيع ان يخفي مخاوفه فيصرح لندوب اذاعة قبرص « اننا نخوض المعارك على اساس الحفاظ على التقاليد اللبنانية والديمقراطية والحريات العامة والخاصة والمبادرة الفردية ضد الطغيان اليساري الذي يسعى الى تخريب الاسس السليمة التي يعيش لبنان في ظلها » (النهار ٦ نيسان - ابريل - ١٩٧٢)

ثم يركز الهجوم سافراً على جنبلاط فيصدر عدد

— تقارير الشهر —

فالمطائفية تطغى واليمين يتمسك بالمطائفية ويغذيها ويلعب بها ٠٠ بل ان المطائفية في يد اليمين تصبح بذاتها لعبة سياسية ٠٠

وتتميز الانتخابات اللبنانية بلعبة « اللوائح » اي القوائم وحول القوائم يدور صراع شديد ولقد تغيرت القوائم اكثر من مرة وانقسمت كثير من العائلات على نفسها وانقسم اليمين الى اكثر من « لائحة » في الدائرة الواحدة وكان ذلك كله تعبيرا عن ان معركة « التسييس » بدأت تحقق اولى نتائجها ٠

والمشكلات المطائفية معقدة فالارمن الذين كونوا جبهة من حزب الهانשאق والرامفوار وعدد من المستقلين بهدف محاولة استخلاص تمثيل لهم في الدائرة الاولى ببيروت وجدوا ان الطريق مسدودا امامهم فانسحبوا معلنين في بيان لهم « وجدنا انفسنا مدعوين الى معركة لا تمت بصلة الا الى طائفة واحدة من الطوائف الخمس الممثلة في الدائرة الاولى وهي طائفة الروم الارثوذكس فراينا من الافضل الانسحاب من المعركة » ٠

ومضى بيان الارمن - وهم طائفة ذات ثقل ليطالب هو ايضا بشعار سياسي هو « المطالبة بوضع قانون انتخاب حديث وديمقراطي يستطيع ان يحفظ لكل مواطن حقه وخطه في الانتخابات » (العمل - ٦ نيسان - ابريل - ١٩٧٢) ٠

ومع المطائفية والعائلية يكثر عدد المرشحين بصورة غير عادية ٠٠ وبعد الانسحابات العديدة التي حدثت في آخر لحظة ، بقي في بيروت ٦٤ مرشحا - ١٦ مقعدا ، في الشمال ٧٤ مرشحا لعشرين مقعدا ٠ (البيرق ٦ نيسان - ابريل - ١٩٧٢)

لكننا نخطيء لو تصورنا ان اليمين اللبناني يتبنى للمطائفية وتستتره خلفها يتعد عن السياسة ، فهو - في واقع الامر - يستخدم المطائفية استخداما سياسيا صرفا ، ففي كل دوائر لبنان يكرس اليمين هجومه على « الخطر اليساري » وعلى « حماية لبنان من خط اليسار » ولم تكن المعارك ضد جنبلاط والبيانات المشبوهة التي وجهت ضده الا احد جوانب « سياسة اليمين » ٠ اما في طرابلس حيث يركز اليمين كل جهده من اجل اسقاط نقولا الشاوي ، ويعتبر ذلك اهم معاركه فقد تنازل اليمين ليؤيد تجمعا يساريا ينافس « لائحة » نقولا الشاوي وهو التجمع الذي يتزعمه عبد المجيد الرافعي ، والسذي اعلن ان سيناضل من اجل « توطيد الحريات والديمقراطية ولاقرار سياسة وطنية تحريرية » ٠ (بيروت ٥ نيسان - ابريل - ١٩٧٢)

ويعلن مؤيدو لائحة نقولا الشاوي ومعهم جنبلاط

من رجال الدين بيانا يدينون فيه جنبلاط بل انهم يقتربون من تكفيره ، لانه عندما كان وزيرا للداخلية سمح بصدور كتاب الدكتور صادق العظم ولم يأمر بإبعاد المؤلف من البلاد ، وهاجموا زيارته للهند بل « الديانة » البوذية وعبدة الاصنام !!

ورد جنبلاط بعنف شديد على متهميه ووصفهم بأنهم رغم كونهم مشايخ لا يفهمون حقائق الدين الاسلامي وقال انهم مدفوعون من دوائر اجنبية ، واكد ان ٦ ملايين دولار قد طرحت في الاسواق للتدخل في الانتخابات وان مسئولا تسلم ٧٥٠ ألف جنيه من السعودية (الحرر - ٩ نيسان - ابريل - ١٩٧٢) ٠

ووصف جنبلاط هذه الحملة بأنها منظمة من قبل « ارباب السياسة الرخيصة في بيروت من المجرورين في تيار السياسة الامريكية السعودية ٠٠ »

ودافع عن كتاب د ٠ صادق العظم قائلا انه كتاب علمي صرف لا يمس من قريب ولا من بعيد اي معتقد ديني اسلامي كان أم غير اسلامي ٠٠

واضاف جنبلاط « انني اؤمن بحرية وبضرورة النقاش والنقد العلمي في جميع الامور والشئون الزمنية الدنيوية منها والروحية ٠٠ ولاخلاص من الانحطاط العربي المائل في الذهنية المسيطرة - زمنيا ودينيا - وهو اخطر من انحطاطنا السياسي والعسكري في مواجهة اسرائيل ، لاخلاص من عهد الانحطاط العربي المائل ، الا باعتماد مبدأ النقاش الموضوعي الحر ، وحرية النقد والقول والاعتقاد والنشر » (النداء ٦ نيسان - ابريل - ١٩٧٢)

وكانت النقطة الثالثة في « تسييس » المعركة الانتخابية اللبنانية هي المقاومة الفلسطينية والموقف منها ٠ وفي هذه النقطة يشعر اليمين اللبناني انه في مأزق حقيقي فهو عاجز تقريبا عن المناورة ، ويكتفى اما بتجاهل القضية او بترديد شعارات مثل ان « لبنان بلد غير محارب » ومن ثم فالحل كما يقول « ريمون اده » هو « القوات الدولية » ٠٠ فالقوات الدولية لو كانت موجودة لما تجرأت اسرائيل على اختراقها للوصول اليها (الصياد ٢ - ٩ آذار - مارس - ١٩٧٢)

ومطلب القوات الدولية يعنى قفل لبنان في وجه المقاومة الفلسطينية ، وهكذا يحاصر اليمين ويعرض نفسه لسخط الجماهير الواسعة التي تعطف على المقاومة ٠٠

وفي مجال « التسييس » فان اليسار هو الفائز ، فشعارات الحرية ٠٠ الديمقراطية ٠٠ القضية الفلسطينية ، هي الشعارات السياسية الاكثر رواجاً ٠

لكن « السياسة » ليست كل شيء في الانتخابات اللبنانية ، بل انها ليست الشيء الاكثر اهمية ،

ان لائحة الزاهي موزع بها من دوائر معينة لتفتت يسار طرابلس وسد الطريق امام شاوي .

ان هذا التقرير يكتب قبل اعلان النتائج الانتخابية ، وهو مجرد محاولة لاستعراض صورة الانتخابات وجوانبها المختلفة وليس بأية حال محاولة للتنبؤ بنتائج الانتخابات .

لكن السؤال الثير هو هل تنجح قوى اليسار اللباني بزعامة جنبلاط في « تسييس » نتائج الانتخابات كما نجحت في « تسييس » المعركة الى حد ما ؟ ربما كانت الاجابة بالنفي ، لكن المؤكد ان اليسار قد كسب الكثير من هذه المعركة وان لم يخرج منها بمقاعد كثيرة في البرلمان .

لقد كذب رفيق خوري يقول « في جميع العهود كان الذين يسألون عن اتجاه الريح يتلقون جوابا واحدا . اقرأوا نشرة مرصد المختارة ، وانظروا اين يقف كمال جنبلاط » (الصياد - ٦ نيسان - ابريل - ١٩٧٢)

فهل نصدق هذه النبوءة . وهل تكون النشرة الجوية لكمال جنبلاط دليلا على اتجاه الرياح في لبنان ناحية اليسار ؟

■ العراق

معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتي

أبدت الاوساط السياسية العربية والاجنبية اهتماما كبيرا بتوقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين العراق والاتحاد السوفيتي في بغداد في اوائل شهر ابريل الماضي ، ومدتها ١٥ عاما . خاصة وان هذه المعاهدة تتم في وقت يتعرض فيه العراق لضغوط ومؤامرات من جانب احتكارات البترول الاستعمارية ، واستفزازات من جانب ايران . وتعد هذه المعاهدة الثالثة من نوعها التي يعقدها الاتحاد السوفيتي مع البلدان النامية بعد مصر والهند في الفترة الاخيرة .

وكان الكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي قد زار العراق على رأس وفد كبير في ٦٠ تلبية لدعوة من الرئيس العراقي احمد حسن البكر للاشتراك في احتفالات بدء الانتاج للبترول في حقول الرميلة الشمالية . والمعروف ان الاتحاد السوفيتي قد ساعد العراق في تنفيذ هذا المشروع ، الذي تملكه شركة نفط العراق الوطنية . الامر الذي يعد حدثا اقتصاديا وسياسيا هاما في البلاد ، فانه لأول مرة يتم استخراج وطني كبير للبترول ، منذ

عام ١٩٢٧ وهو تاريخ ظهور البترول في العراق ، والذي تحتكر استخراجه وتكريره وتسويقه في العالم الاحتكارات الاستعمارية البريطانية والامريكية والفرنسية والهولندية ، وتنهب الارباح بمليارات الدولارات . هذا بالاضافة الى المساعدة السوفيتية في اعداد مئات الخبراء والعمال الفنيين العراقيين لانجاح المشروع

وقد وقع على المعاهدة كل من الكسي كوسيجين والرئيس احمد حسن البكر . وتهدف المعاهدة التي تتكون من ١٤ مادة الى تنظيم التعاون وتدعيم المصالح المشتركة بين العراق والاتحاد السوفيتي في المجال السياسي والاقتصادي ، ومجال التجارة ، والملاحة والفنون والعلوم والتكنولوجيا ، والثقافة ، وتعزيز القدرة الدفاعية ، واجراء مشاورات سياسية .

وتنص المعاهدة السوفيتية - العراقية ، على ان العلاقات بين البلدين سوف تتطور على اساس احترام سيادة كل دولة ووحدة اراضيها الاقليمية وعدم تدخل اي دولة في الشؤون الداخلية للدولة الاخرى . وان كلا من البلدين يعلن احترامه لحق سيادة كل بلد على مصادر موارده الطبيعية . وان الطرفين المتعاقدين سوف يتشاوران بشكل منتظم على مختلف المستويات حول كل القضايا الدولية الهامة التي تمس مصالح كلا الدولتين . وان اياهما لن يدخل في تحالفات ولن يشارك في اي مجموعة دولية تعمل او تتخذ تدابير موجهة ضد أي طرف من اطراف المعاهدة . وان كلا من الطرفين يتعهد بالا يسمح بأن تستخدم اراضيهم في اجراء أي عمل قد يسبب ضررا عسكريا للطرف الاخر .

وقد وصف الرئيس العراقي احمد حسن البكر المعاهدة بقوله : « اننا نقدر المساندة الهامة التي يقدمها الاتحاد السوفيتي الصديق للبلدان العربية والعراق ونعتبرها عاملا رئيسيا لرفع طاقائنا الدفاعية والاسراع في التقدم الاجتماعي والاقتصادي وتعزيز امكانياتنا في رد العدوان » . وتتضمن مساعدات الاتحاد السوفيتي للعراق في الوقت الحالي ، تشييد ٧٢ مشروعا في النواحي الاقتصادية الهامة من بينها مصنع لتكرير البترول في الموصل ، وخطوط انابيب البترول ، والمحطات المائية لتوليد الطاقة الكهربائية ، واستصلاح الاراضي ، واستخراج الثروة المعدنية ، وغيرها من المشاريع الصناعية الحيوية الاخرى ، وذلك من اجل تنمية وتطوير اقتصاديات البلاد ودعم الاستقلال الوطني للشعب العراقي .

وقد اصدر « الحزب الشيوعي العراقي » في الشهر الماضي في مناسبة الذكرى الثامنة والثلاثين لتأسيسه بياناً وصف فيه المعاهدة ، بأنها مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الاخوية بين الشعبين

— تقارير الشهر —

هذا السبيل فقد نظمت الجماعات الصهيونية المظاهرات ضد المسئولين السوفيت في عدد من عواصم الغرب ، وضد البعثة السوفيتية في الأمم المتحدة (وبوجه خاص ضد الكسي كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتي أثناء زيارته بكندا)

والهدف من هذا الزعم الثاني - المناقض للزعم الأول - أصبح يحكى الوهم على الاتحاد السوفيتي في حملة دولية تشكل جزءا من حملة العداء السوفيت التي أصبحت اسرائيل محرم بدور بارز فيها .

وتنطوي هذه الحملة عن هجرة السوفيت الى اسرائيل على تناقض اساسي آخر هو أن حكومه تل ابيب نشر سري أعضاء فاسد، من بين في الصحف باسم يهود العالم كله ويهود الاتحاد السوفيتي تمدهم ، في تدخل يتسم بالتبجح ، ولا يستند الى أي أساس في الشئون الداخلية لدول أخرى . وتنفذ اسرائيل والجهزة والمنظمات المؤيدة لها في العرب كل ما صدر من بيانات جماعية وفردية من جانب مواطنين سوفيت يدينون باليهودية ويعتبرون ادعاء اسرائيل التحدث باسمهم وعن مصالحهم بمثابة اهانة موجهة لهم ولوطنهم الاتحاد السوفيتي . وتغفل أيضا كل الحقائق الرسمية التي يذيعها الاتحاد السوفيتي عن هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل . وقد كان من أهم ما أذيع في الاتحاد السوفيتي في هذا الشأن أخيرا بيان سومييلين نائب وزير الداخلية - الذي تناول بوضوح الأسس التي بحكم بدت طلبات هجرة اليهود - وغيرهم على قدم المساواة من المواطنين السوفيت وعدد هذه الطلبات وعدد الذين هاجروا بالفعل ، وكذلك الحقائق عن طلبات العودة التي تقدم بها اليهود السوفيت الذين هاجروا فعلا الى اسرائيل ولم يحتملوا البقاء فيها .

لقد أوضح هذا البيان الهام أن السلطات السوفيتية تبحث طلبات الهجرة وفقا للقانون ، ومعتبر الآراء الدينية والرغبة في الالتقاء بالاقارب وتراث الماضي والسعى وراء المصالح الخاصة من الأسباب الرئيسية بطلبات السماح بالهجرة الى اسرائيل وأوضح أن تلمي اليهود السوفيت الذين سمح لهم بالهجرة الى اسرائيل خلال عام ١٩٧١ هم من المسيحيين والاطفال . مما يوضح أن اليهود السوفيت لا يشكلون الكتلة الأساسية من المهاجرين الى اسرائيل . وخلال كل الفترة منذ الحرب العالمية الثانية (وليس منذ نهاية حرب يونيو ٦٧ كما جاء ببعض الصحف) ترك الاتحاد السوفيتي الى اسرائيل حوالي ٢١ ألف شخص ، بينما يزيد العدد الكلي للأشخاص الذين هاجروا اليها عن مليوني شخص ، منهم ٨٠٠ ألف من البلاد العربية .

وعلى حين أعلنت السلطات السوفيتية صراحة أنها تفرض قيودا على هجرة بعض أنواع المواطنين

العراقي والسوفيتي ، وإن المعاهدة تمثل أحد الاهداف الرئيسية التي حققتها ثورة العراق .

كما جاء في بيان الحزب العراقي في ذكرى تأسيسه أن الحزب يواصل بذل كل ما في وسعه لإنشاء جبهة وطنية تشمل جميع الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية الأخرى في البلاد ، وتتصدى لكافة المؤامرات الامبريالية والرجعية الموجهة ضد حركة التحرر للشعب العراقي وشعوب البلدان العربية الأخرى .

■ الأرض المحتلة ■

هجرة اليهود السوفيت: السلاح الذي ارتد الى صدر اسرائيل

ارتكزت المحاولات الاسرائيلية والامريكية في الفترة الأخيرة لاحداث فجوة في العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والعالم العربي على قضية هجرة اليهود السوفيت بوجه خاص . وعلى الرغم من وجود تنسيق واضح بين الاجهزة ، والمنظمات الصهيونية في اسرائيل والغرب في تشديد هذه الحملة . إلا أن هذا التنسيق لم يستطع أن يحل عددا من التناقضات الخطيرة التي ينبغي أن تكون واضحة للذهن العربي ، اعتباره هو بالذات - وليس أي طرف آخر - المعنى بحملة هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل .

وأول هذه التناقضات ارتكاز هذه الحملة الصهيونية الغربية على أساسين : الأول الزعم بأن باب هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي الى اسرائيل قد فتح على مصراعيه في الأشهر الأخيرة . وقد رددت الدعايات الصهيونية والامريكية في هذا الصدد أرقاما بالالاف .

والواضح أن الهدف من ذلك اشعار العرب بأن الاتحاد السوفيتي - وهو مصدر التأييد الأول والاساسي لهم عسكريا واقتصاديا وسياسيا - يمد اسرائيل بالقوة البشرية اللازمة لها لتنمية امكانياتها المادية والعسكرية ضدهم في وقت تواصل فيه اسرائيل بكل عناد احتلال الارض العربية المحتلة ، وفي وقت يبذل فيه العرب كل محاولاتهم الممكنة لتعبئة امكانياتهم لمواجهة هذا الاحتلال في معركة التحرير .

أما الأساس الثاني فهو الزعم - في الوقت نفسه ومن خلال الاجهزة نفسها - بأن الاتحاد السوفيتي يخلق باب الهجرة أمام اليهود السوفيت ويفرض عليهم أوضاعا « مناقية لحقوق الإنسان » ويتبع ضدهم سياسة تنطوي على العداء للسامية . وفي

■ ألمانيا الغربية

« الانفتاح على الشرق »
بين ضفاف « الراين »
وضفاف « الفيل »

تصاعدت ، مع اقتراب موعد التصديق على معاهدة عدم الاعتداء ، المبرمة في أغسطس عام ١٩٧٠ ، بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا الاتحادية ، سخونة المناقشات حول هذه المعاهدة ، وذلك لان التصديق ، أو عدم التصديق عليها ، حينما تعرض على البرلمان الألماني الغربي في هذا الشهر ، سوف يحدد — في رأى جميع الدوائر المعنية — مستقبل الأمن والسلام الأوروبيين لفترة زمنية طويلة .

فالمعاهدة تمثل ، كما يقول عديد من المهتمين بشئون الأمن الأوروبي ، التوازن الوحيد الممكن والمحسوب بعناية لصالح الطرفين ، والذي يؤدي الأساس به الى تحطيم المعاهدة من الأساس .

ورغم ذلك ، فان قوى المعارضة في ألمانيا الاتحادية ، وعلى رأسها الحزب الديمقراطي المسيحي ، وما يسمى بالحزب النازي الجديد ، تحاول ان تلعب بهذه القضية الخطيرة ضد الحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم ، غير عابئة — على ما يبدو — بما يمكن ان يترتب على هذا الامر من نتائج وخيمة .

ويلخص المراقبون اهم ما تثيره المعارضة الألمانية من حجج ضد المعاهدة ، في انها :
أولا : تعترف بالحدود القائمة في وسط أوروبا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية — وهى الحدود التى أصبحت معترفا بها من جانب المجتمع الدولي كله — بينما المعارضة ترى ، تحت تأثير أحلام التوسع وشهوة الانتقام ، ترك هذه المسألة بالذات دون تحديد ، زاعمة ان تحديدها لا ينبغي ان يكون الا طبقا لمعاهدة تبرم بين ألمانيا الاتحادية وبين الدول الكبرى ، مع علمهم مسبقا بما يكتنف هذا المطلب من عقبات جسيمة .

ثانيا : ان المعاهدة تمثل ، من وجهة نظر المعارضة ، تخليسا من جانب حكومة برانت ، عن الدعوة الى ضم ألمانيا الديمقراطية تحت مظلة شعار الوحدة الألمانية . كما لا ترضى المعارضة بطبيعة الحال ، على ما نصت عليه المعاهدة من حق الشعب الألماني في تقرير طبيعة العلاقات بين الدولتين الألمانييتين ، طبقا لمبادئ القانون الدولي ، وبالاتفاق الكامل بين حكومتى وشعبى الدولتين .

السوفيت الى اسرائيل — مثل الافراد الذين تلقوا تدريباً عسكرياً أو الذين يرتبطون بأعمال تتعلق بمصالح الدولة ، فان الدعايات الصهيونية المركزة تحاول أن تنكر على الاتحاد السوفيتي حقه كدولة ذات سيادة في أن يراعى مصالحه أولاً . فنجد صحيفة « معاريف » الاسرائيلية تستنكر تصريحاً لالبرت أيفانوف المسئول السوفيتي عن الادارة المسئولة عن تصاريح الخروج في الحزب الشيوعي السوفيتي يقول فيه « ان القرار بالسماح لليهود بترك الدولة ليس من صلاحيات اليهود ، بل من صلاحيات الدولة السوفيتية ، وفي هذا الصدد تمنح وستمنح أولوية لمصالح الدولة »

وهكذا تقع الدعاية الصهيونية فريسة للتناقض بين « السلطات السوفيتية ترفض سفر اليهود الى اسرائيل » (معاريف) و « مشكلة اليهود يمكن ان تثير المتاعب للسلطات السوفيتية لسنوات طويلة » (التايمز البريطانية) و « السلطات السوفيتية تحاول ان تهون من عدد اليهود المسموح لهم بالهجرة » (نيويورك تايمز الأمريكية) .

على ان تناقضات الصهيونية والغرب فيما يتعلق بمسألة هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل ليست مجرد تناقضات في الخط الدعائي . انما هي تجاوزت هذا النطاق الى تناقضات حقيقية اربكت اسرائيل بدرجة لا يستهان بها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ودعائياً أيضاً .

ذلك ان نسبة اليهود السوفيت الذين ابدوا — بعد وقت قصير للغاية — رغبتهم في العودة الى الاتحاد السوفيتي بعد ان زالت عنهم أوام الارض الموعودة واللجنة الاسرائيلية . قد أخرجت اسرائيل والولايات المتحدة حرجاً شديداً فضلاً عن أن هؤلاء المهاجرين العائدين أنفسهم قد تحدثوا عن حقيقة اسرائيل بعد ان ذاقوا الطعم الحقيقي للحياة فيها . ووجدت اسرائيل نفسها تتصرف بما تتهم به الاتحاد السوفيتي وهو وضع القيود والعراقيل أمام اليهود الراغبين في العودة الى الاتحاد السوفيتي . وبدأ ذلك ينعكس بصورة واضحة في ازدياد عدد اليهود السوفيت الذين أحجموا بأنفسهم عند الهجرة الى اسرائيل رغم حصولهم على تصاريح بالهجرة .

ولقد سقطت — مع ظاهرة رغبة اليهود السوفيت في العودة الى وطنهم الحقيقي — اكذوبة الاشتراكية في اسرائيل . فان هؤلاء اليهود الذين عاشوا في وطن الاشتراكية الاول قد واجهوا مشكلات لم يعتادوا مواجهتها في الاتحاد السوفيتي ليس فقط مشكلات الحياة وضرورياتها وانما مشكلات اختلاف القيم الانسانية بين المجتمع الاشتراكي ومجتمع استغلال جماهير العمال لصالح البورجوازية اليهودية الاجنبية الامريكية والفرنسية والالمانية . الخ .

— تقارير الشهر —

الحدود ؟ فهذا الامر غير تاس للمناقشة اليوم ، ولا فى المستقبل . ان حدود البلدان الاشتراكية لا يمكن المساس بها ، وفى هذا الخصوص ، فان المعاهدة تعكس الواقع ببساطة » .

واضاف بريجنيف : « ولا يخفى معارضو المعاهدة انهم يريدون اضعاف سيادة جمهورية المانيا الديمقراطية ، وفى ذلك أيضا نجدهم يتمنون العودة الى الماضى . ان جمهورية المانيا الديمقراطية تتقدم بثبات على الطريق الاشتراكى منذ خمسة وعشرين عاما ، وهى تلعب دورا نشيطا فى الحياة الدولية الراهنة ، والذين لا يريدون ان يعترفوا بذلك ويخرجوا منه بالنتائج المناسبة ، انما يدفعون بسياساتهم الى طريق مسدود . . لقد حان الوقت كى يدركوا ان الوضع فى أوروبا لا يمكن ان يكون طبيعيا دون ان يأخذوا فى الاعتبار تماما وضع جمهورية المانيا الديمقراطية ، باعتبارها بلدا اشتراكيا مستقلا وذا سيادة » .

وقد رد بريجنيف أيضا على ما تزعمه المعارضة الالمانية ، من ان هدف سياسة السلام السوفيتية فى أوروبا ، هو تفكيك وحدة التكتل الاقتصادى والسياسى الاوروبى ، المسمى بالسوق الاوروبية المشتركة ، وكان الرد قاطعا فى وضوحه ، حيث أعلن بريجنيف ، لأول مرة ، ان الاتحاد السوفيتى لا يتجاهل على الاطلاق الوضع الذى تشكل فى غرب أوروبا ، وقال ان الاتحاد السوفيتى « يتابع عن كثب نشاط السوق المشتركة وتطورها ، وستتوقف علاقتنا مع الدول الاعضاء فى هذا التجمع على الدرجة التى ستعترف بها تلك الدول من جانبها بالواقع الذى تشكل فى القسم الاشتراكى من أوروبا ، وبشكل خاص مصالح الدول الاعضاء فى مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة » .

وبينما يشير المراقبون الى موقف فرنسا المؤيد لضرورة تصديق البرلمان الالمانى على المعاهدة ، فانهم يشيرون ، بنوع من التشكيك ، الى موقف الاحتكارات الامريكية وحكومة نيكسون ، التى تؤيد من طرف خفى نداءات المعارضة ومزاعمها ، كنوع من الضغط على الاتحاد السوفيتى .

ويؤكد المراقبون فى النهاية ، ان عدم التصديق على المعاهدة الالمانية - السوفيتية ، سوف ينسف الى فترة طويلة قادمة ، كل احتمالات السلام فى أوروبا ، وهى الاحتمالات التى ظلت البلدان الاشتراكية وجميع القوى الاوروبية المحبة للسلام تمهد لها الارض عبر السنوات الاخيرة .

وموقف المعارضة الالمانية ازاء المعاهدة ، هو جزء من موقفهم المعادى تماما لسياسة الانفتاح على البلدان الاشتراكية ، التى تتبناها حكومة برانت ، باعتبار ان هذه السياسة هى البديل الواقعى والموضوعى الوحيد للحرب الباردة ، ومن ثم احتمالات الحرب الساخنة أيضا بين الجانبين .

وتفصح المعارضة طبيعتها العنصرية والامبريالية ، حينما تقول على لسان « اريك يلو مفيلد » ، احد مخططى السياسة الخارجية فى الحزب الديمقراطى المسيحى : « ان سياسة التصالح مع الشرق لا تتقرر على ضفاف الراين ، وانما تتقرر على ضفاف النيل » ، مشيرا بذلك الى احتمالات الوصول الى تسوية بين الدولتين الاعظم [الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى] ، بشأن مشكلة الشرق الاوسط ، وهى محاولة مقصودة من الزعيم الديمقراطى المسيحى ، للايهام بأن مصير التقارب بين الشرق والغرب فى القارة الاوروبية يخضع لعوامل خارجة عن نطاق القارة الاوروبية . ، وهو تحليل زائف تماما .

كذلك لم تتورع المعارضة الالمانية - شأنها شأن كل الاوساط الرجعية فى مختلف انحاء العالم - عن استخدام التقارب الصينى - الامريكى كورقة فى موقفها المعادى للاتحاد السوفيتى ، فتقول المعارضة الالمانية ، على لسان فرانز جوزيف شتراوس ، زعيم الجناح البافارى المتعصب للحزب الديمقراطى المسيحى : « هل يتعين علينا ان نوقع المعاهدات مع الاتحاد السوفيتى ، فى الوقت الذى راحت فيه الولايات المتحدة تجعل من الصين متحدئا ندا لها ؟ . . ان المانيا يمكن ان تجنى الكثير اذا ما هددت الروس بالاتفاق والتفاهم مع ماوتسى تونج ، حتى تحصل على شروط اكثر عدلا !! »

ويتول المراقبون ان الموقف الحاسم الذى وقفه الاتحاد السوفيتى ازاء مناورات المعارضة الالمانية قد وضع قضية التصديق على المعاهدة فى وضعها الصحيح ، باعتبارها اختيار بين احتمالات اوسع للسلام والامن الاوروبيين ، وبين عودة الحرب الباردة من جديد ، وربما بشكل أكثر عنفا وحدة من أى وقت مضى .

فلقد أعلن ليونيد بريجنيف السكرتير الاول للحزب الشيوعى السوفيتى ، أمام المؤتمر الخامس عشر للنقابات السوفيتية فى مارس الماضى : « ان معارضى المعاهدة لن يجدوا طرفا آخر ليدخل معهم فى محادثات من أجل تعديل

الواحد والثلاثين في المائة الامر الذي يضر بهيبة الاستفتاء فضلا عن القرى التي ستتخذ موقف المعارضة الصريحة للاستفتاء وعلى رأسها الحزب الشيوعي .

وقد كان استخدام الاستفتاء سلاحا ذو حدين من جانب بومبيدو والديجوليين في صراعهم ضد قوى اليسار الفرنسي التي يتزعمها الشيوعيون والاشتراكيون ، فقد أدى من ناحية الى تكتين احزاب اليمين والوسط وراء قيامه البورجوازية الفرنسية من ناحية والى شق صفوف اليسار نتيجة للموقف المختلف الذي اتخذه كل من الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الاشتراكي من الاستفتاء من ناحية أخرى .

كذلك فان بومبيدو يعتزم استغلال نجاحه في الاستفتاء لتحقيق بعض أغراضه في السياسة الفرنسية الداخلية ، للتأثير على الانتخابات النيابية المقبلة في فبراير ١٩٧٣ ، ومحاولة الاتيان ببرلمان يضم أغلبية ساحقة موالية له . كذلك فقد يعمل على تجديد حكومة شسايان ديلماس التي تعرضت لمصاعب عدة ، كي تصبح أكثر قدرة على مواجهة النمو المتصاعد للحركة العمالية وبوادر اتساع جبهة العنف والازمات الاجتماعية في داخل فرنسا ، كذلك يستهدف بومبيدو مقاومة النفك المتزايد في جبهة السلطة ، وایجاد شروط افضل لاحتواء الضغوط الاجتماعية ، أو قمعها بقسوة ، وكلها شروط ضرورية كي تستطيع فرنسا الاحتفاظ بدور رئيسي داخل السوق المشتركة لا يهدده الاضطراب الذي تشكو بريطانيا منه مثلا . وفي هذه الناحية يكون الاستفتاء أحد المعالم التي تؤكد تزايد الطابع الرئاسي للحكم حيث يلجأ رئيس الجمهورية بالاستناد الى اكثرية شعبية مباشرة ، مستقلة عن توازنات البرلمان ، الى تركيز السلطات بين يديه ، في الوقت الذي يجري فيه التضييق على الحريات الفردية أكثر فأكثر ، الامر الذي جعل صحيفة مثل « لوموند » تطلق أكثر من تحذير بهذا الصدد .

أما المبررات الاوروبية للاستفتاء فتقوم على أساس اعتقاد بومبيدو بأن « بناء أوروبا مطمح قومي بالمعنى الحقيقي للكلمة » . و « أن انضمام بريطانيا والدانمرك وإيرلندا والنرويج للسوق سيعطي اتساعا وانطلاقة جديدة لهذه السوق » ، وأن « أوروبا يجب أن تتطور بالتدرج نحو اتحاد فيدرالى يحافظ على شخصية الامم التي يتألف منها » وأنه حسبما أوضحت صحيفة « لوموند » : « سيبلغ عددنا مجتمعين ٢٦٠ مليون

فرنسا العمالية ضد
« التحالف الاوربي المقدس »

دارت أعنف معارك الصراع السياسي الداخلي في فرنسا في الشهور الاخيرة حول الموقف من الاستفتاء الذي قرر الرئيس بومبيدو اجراءه بشأن توسيع نطاق السوق الاوروبية المشتركة والموافقة على انضمام بريطانيا وإيرلندا والنرويج والدانمرك اليها . على ان حدة هذه المعارك لم تتفجر فحسب من خلافات الاحزاب السياسية الفرنسية حول الموقف من سياسة بومبيدو الاوروبية ، وانما تنبع أيضا من الاهداف التي يسعى الرئيس جورج بومبيدو والديجوليون في فرنسا الى تحقيقها في مجال السياسة الفرنسية الداخلية .

وهذا الاستفتاء الذي يشترك فيه ٢٩ مليون ناخب وناخبة هو سادس استفتاء منذ قيام الجمهورية الخامسة عام ١٩٥٨ ، وأول استفتاء على « السياسة الاوروبية التي تتبعها فرنسا » . وقد قرر حزب « الاتحاد الدفاع عن الجمهورية » حزب ديغول وبومبيدو النصويت بنعم في الاستفتاء . وقرر اتخاذ نفس الموقف — حتى كتابة هذا التقرير — انصار الوسط الذين يلتفون حول جان لوكافويه ، والراдикаليون الاشتراكيون الذين يلتفون حول « جان جاك سرفان شرايبر » والجمهوريون المستقلون من انصار « فاليري جيسكار ديستان » و « حزب الوسط للتطور والتقدم » الذي يرأسه « جاك دوهاميل » ، كما يتخذ نفس الموقف أيضا ادمار فور رئيس الوزراء السابق ، تأييدا لبومبيدو في الاستفتاء وعدد من الشخصيات الفرنسية السياسية الكبرى .

واتخذ الحزب الاشتراكي الفرنسي بزعامة سكرتيره الاول فرانسوا ميتران ، موقف الامتناع عن التصويت . واتخذ نفس الموقف أيضا منديس فرانس رئيس الوزراء السابق . وكذلك عدد من الاقلية الراديكالية تمثلهم « المجموعة الراديكالية الاشتراكية للدراسة والعمل » أما الحزب الشيوعي الفرنسي فاتخذ موقف معارضة الاستفتاء والتصويت به « لا » .

وقد بذلت الحكومة الفرنسية والديجوليون عامة في الفترة الماضية كل جهودهم لتقليل عدد الممتنعين بعد ان بينت العديد من عمليات قياس الراي العام ان الامتناع عن التصويت يمكن أن يزيد عن نسبة

— تقارير الشهر —

ارتفاع الاسعار المتوقع هذا العام ، بعد الغاء عقود مكافحة ارتفاع الاسعار .

لقد دخل الحزب الشيوعي الفرنسي معركة الاستفتاء وقاتل في جبهتين ضد البورجوازية الفرنسية وضد نخائل الحزب الاشتراكي أمام هجومها ، وتفتيته لوحدة صفوف اليسار - ويكشف موقف الاشتراكيين من هذا الاستفتاء عن حقيقة الدور الذي يلعبه الحزب الاشتراكي في لحظات فاصلة لصالح استمرار ودوام نظام الحكم البرجوازي وقد أوضح الحزب الشيوعي الفرنسي بجلاء ان الاستفتاء مناورة سياسية يقوم بها بومبيدو لتمهيد الطريق أمام حزبه في الانتخابات المقبلة ، وأنه وسيلة يحاول بها بومبيدو التهرب من السخط الشعبي المتزايد ونحو اتحاد القوى الديمقراطية ، وأنه كما اوضحت « الاومانتييه في ١٩-٤ الماضي » مظهر من أخطر مظاهر التفويض الذي يطلبه بومبيدو ، فمن بين السلطات الأساسية للسيادة القومية التي سيتم التنازل عنها الى جانب النقد والميزانية ، نجد أيضا السياسة الخارجية والدفاع « ان الحزب الشيوعي يرفض باختصار أوروبا الصغرى هذه ، أرض الاحتكارات والمضاربين ورجال الاعمال » .

وفسرت صحيفة « الاومانتييه » أسباب أدانة الحزب الشيوعي لموقف الاشتراكيين فقالت « ان كل ما يضمف ولو بقدر يسير من المعارضة الواضحة الحازمة التي تتصدى لمؤامرة القوى الرجعية المتحالفة على النطاق القومي والأوربي ، يساهم سواء أراد أم لم يرد في خدمة هذا للحلف المقدس على حساب المصالح الشعبية والقومية » وتساءلت الاومانتييه « ثم بأي منطق في الواقع يمكن من ناحية تفسير ان « أوروبا التروستات » تلك التي يطالب بومبيدو بتفويض من أجلها ، ستسفر في كافة المجالات عن نتائج مدمرة للمعمال والديمقراطيين ، ثم يكون من نتيجة ذلك ، من ناحية أخرى ، اتخاذ موقف الامتناع عن التصويت في ٢٣ ابريل ، ليس هناك خيار فاما الكفاح أو الاستسلام لان الرأسمال الكبير لن يأخذ موقف الامتناع عن التصويت ، ففي كل انتخابات جرت وفي كل صراع ، اجتماعي دار ، فرضت البورجوازية قوانينها لانها هي التي تحكم ، واتخاذ موقف الامتناع عن التصويت معناه ببساطة وقوف المرء مكتوف اليدين أمام العدو الطبقي ، والتراجع امامه » بيد أن العمل والثوريون لم يقبلوا قط مثل هذا الاستسلام ، والتصويت بـ « لا » وحده ، هو الذي يجبر السلطة على أن تتحمل مسؤولياتها كاملة عن عملية من أكبر عمليات الخيانة القومية في تاريخنا » .

أوربي أي أكثر من الأمريكيين (٢٠٥ ملايين) وأكثر من السوفييت (٢٤٤ مليونا) . ولن توجد هناك أي قطاعات انتاج لن تبلغ فيها السوق الموسعة مرتبة الدول العظمى .

وتقوم معارضة الحزب الشيوعي الفرنسي للاستفتاء على تصور متكامل ، فهو لا يستطيع الا أن يجيب بالرفض على مسألة تتعلق بتوسيع السوق الأوروبية المشتركة ، لانه يعتبرها أصلا مركزا للاحتكارات . كذلك فقد أثار الحزب الشيوعي ضجة في بداية الشهر الماضي بإذاعة وثيقة لسيكو مانشولت رئيس لجنة بروكسل ، دعا فيها مانشولت « الى تشجيع تحديد النسل ، وإيقاف المعونات الاجتماعية للعائلات كبيرة العدد ، وتخفيض الاستهلاك المادي الى حد كبير في أوروبا الغربية » . وأوضح الحزب « ان بومبيدو الذي اقترح اختيار مانشولت لرئاسة لجنة بروكسل ينوي دفع فرنسا الى « أوروبا بائسة » . كما يرى الحزب أن سياسة بومبيدو لا تستهدف الا الحد من السيادة القومية ، والتخلي عن « استقلال » فرنسا .

وهناك حقيقة أخرى تتعلق بسياسة مانشولت الذي اقترح بومبيدو اختياره لرئاسة لجنة بروكسل في السوق المشتركة هي أن هذه السياسة ستؤدي فيما يتعلق بفرنسا الى ازدياد الهوة بين نوعين من الزراع ، الأول يزداد ثراء أكثر فأكثر ، والآخر يزداد أكثر فأكثر فقرا . والاكثر ثراء هم أساسا كبار زراع الحبوب والبنجر في حوض باريس والأوسط ، الذين يملكون مساحات واسعة وزراعات مريحة والذين استطاعوا بفضل مساعدة الدولة استخدام الاساليب الحديثة ، والفقراء هم مربو الدواجن والاعنام والعجول ومنتجو الالبان الذين يفتقرون الى المساحات الواسعة من الاراضي ، ولا يحظون بمساعدة الدولة . كذلك فسوف يصوت عدد كبير من التجار الصغار بـ « لا » على الاستفتاء برغم عدائهم للشيوعيين ، وذلك بسبب استياء هؤلاء التجار من المجمعات الاستهلاكية ، كذلك فقد أشارت « جوزيت أليا » في « توفيل أوبزرفاتور » في ٢٣ ابريل الماضي الى أنه من المحتمل ألا تصوت كتلة الحرفيين والتجار والفلاحين (٤ او ٥ ملايين صوت) وهم العمدة الأكثر رسوخا للنظام تصويتا جيدا هذه المرة . خاصة ومشكلة الفلاحين أكثر تعقيدا وأقل وضوحا ، « فالعمل يصبح شاقا أكثر فأكثر بينما يقل الاجر أكثر فأكثر » وقال أحدهم من بريتانى عن مانشولت « لا آجبه أنه يريد تصفية الصغار ونحن جميعا في بريتانى صغار » ، يضاف الى كل ذلك

أجمع عدد كبير من المراقبين السياسيين على أن الرئيس الفرنسي بومبيدو يواجه أخرج موقف الذي أجرى بشأن توسيع نطاق السوق المشتركة . فعلى الرغم من الجهود المستميتة التي بذلها الحزب الديجولي لتقليل عدد الممتنعين في الاستفتاء إلا أن مشروع بومبيدو لم يفرز بتأييد سوى ١٠٥ مليون صوت من مجموع الناخبين البالغ عددهم ٢٩ مليونا ، أي لم تزد نسبة الموافقين عن ٣٦ في المائة ، في حين بلغ عدد المعارضين والممتنعين الذين يمثلون في الأساس قوى الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي الفرنسي وبعض القوى الأخرى ١٧٥ مليونا من الأصوات ، الأمر الذي يعتبر تهديدا حقيقيا للديجوليين في أي انتخابات عامة مقبلة .



■ فيتنام

بين فشل الفتنمة وانتخابات الرئاسة

سندخل هجوم ثوار فيتنام ، الذي بدأ في آخر أيام شهر مارس الماضي — ولا يزال مستمرا بدفعات قوية — تاريخ الحرب الفيتنامية ، باعتباره واحدا من أعظم الأعمال العسكرية والسياسية للثورة الفيتنامية في نضالها ضد العدوان الأمريكي . ذلك أن هذا الهجوم ، الذي تتابع جماهير الشعوب في العالم كله تطوراته بأعجاب وتأييد ، لم يريك خطط الولايات المتحدة العسكرية في فيتنام فحسب ، بل إنه أربك من جديد خططها السياسية الحالية ، في وقت اعتقدت فيه حكومة الرئيس الأمريكي نيكسون ، أنها خفضت تأثير الحرب الفيتنامية على التطورات السياسية الأمريكية ، إلى أدنى حد ممكن .

والواقع أنه ، خلال الشهر المنقضى ، عاشت الولايات المتحدة — وحليفاتها حكومة سايجون — في محنة حقيقية أمام هجوم الثوار الشامل ، الذي استطاعوا به أن يتجاوزوا كل توقعات الأجهزة العسكرية المتقدمة للأمريكيين في فيتنام . ووجد نيكسون نفسه فجأة ، في وضع لا يختلف كثيرا عن الوضع الذي وجد سلفه جونسون نفسه فيه عام ١٩٦٨ . وإذا بالشعب الأمريكي يجد الحرب الفيتنامية تجثم مرة أخرى على حياته اليومية ، في

وقت كساد فيه أن يقتنع بما يعلنه نيكسون من أن دور أمريكا في حرب فيتنام يقترب من نهايته وأنها لن تعود تشكل موضوعا مؤثرا في انتخابات الرئاسة القادمة ، لأول مرة منذ ١٠ سنوات .

والحقيقة أن السؤال الأساسي الذي تردد بعد الأيام الأولى من هجوم الثوار الكاسح ، هو : **ما هدف هذا الهجوم ؟**

وقد ترددت بعض النظريات عن تحول الثوار من استراتيجية الحرب الشعبية ، إلى استراتيجية الحروب النظامية والهجمات الضخمة . . ويجانب هذه النظرية الصواب . . أولا : لأن مرونة الانتقال — في حروب التحرير الشعبية — من الهجمات المحدودة التكتيكية ، والهجمات ذات النطاق الواسع بقوة كبيرة ، هي أحد أسس استراتيجية حرب التحرير الشعبية . . ثانيا : أنه سبق للثوار أن أثبتوا قدرتهم على شن الهجمات « الثقيلة » ، سواء من حيث القوة البشرية ، أو قوة النيران نفسها . وبطبيعة الحال ، فإنه لا يمكن مثلا اعتبار معركة حصار قاعدة « كي سان » ، عام ١٩٦٨ ، مجرد عملية كمائن صغيرة . كما لا يمكن اعتبار معركة مدينة « هوي » عام ١٩٦٨ ، خلال هجوم رأس السنة القمرية « التيت » ، عملية تكتيكية صغيرة . ونفس الشيء يمكن أن يقال على معركة الطريق رقم [٩] ، وهي المعركة الضخمة التي انتصر فيها الثوار بأسلحتهم الثقيلة [وبينها الدبابات وبطاريات مدفعية الميدان والصواريخ] ، على عملية الغزو الأمريكي — الفيتنامي الجنوبي في لاوس ، في مارس عام ١٩٧١ .

ولكن الأمر الذي يمكن القطع به في الهجوم الأخير ، هو أنه يتميز بقوة فائقة ، ونطاق واسع للغاية ، ولكنه لا يشكل تحولا إلى استراتيجية جديدة . وإذا رجعنا إلى هدف هجوم الثوار — العسكري — يمكننا أن نقول :

أولا : الحقيقة أن الهجوم قد أدخل قوات الثوار على نطاق أوسع في المدن ومناطق الاحتشادات السكانية الكبيرة في فيتنام الجنوبية ، حيث الظهير الأول للثورة الفيتنامية ، وهو الشعب الفيتنامي نفسه .

ثانيا : أن هجوم الثوار قد فرض اختبارا قاسيا لسياسة « فتنمة الحرب » ، التي أراد بها نيكسون تحويل العبء البشري للقتال إلى قوات حكومة سايجون ، مع استمرار أمريكا في تحمل العبء المالي ، وعبء التسليح في هذه الحرب . ولقد

— تقارير الشهر —

الثورة موجودة في الجنوب لتبقى حتى ننصر ،
وان الشمال لن يكفي ، تحت اي ضغط عسكري ،
عن الاستمرار في اداء دوره في تأييد الثورة
عسكريا وماديا ومعنويا .

وهكذا استطاع هجوم الثوار ان يحقق هدفا
ثالثا ، هو كشف القناع عن وجه سياسة حكومة
نيكسون . وعاد العالم يعيش نفس الاوقات
العصيبة التي عاشها خلال سنوات تصعيد الحرب
في عهد جونسون . فان الاسابيع الماضية ، منذ
بدء هجوم الثوار ، قد كشفت السياسة الامريكية
من جديد على حقيقتها ، خاصة وان الهجوم جاء
بعد وقت قصير من قرار حكومة نيكسون بوقف
مبادرات السلام في باريس . وكانت هذه الخطوة
في ذاتها ، بداية محاولات جديدة من نيكسون ،
لاظهار « التشدد » في موقفه في فيتنام ، استنادا
الى تقديرات قادته العسكريين عن قوة جيش
سايجون .

■ الولايات المتحدة الامريكية

محاكمة للمجتمع الامريكي
في قضية انجيلا دافيز

« اننى بريئة تماما ، والاتهام الموجه الى لا
اساس له على الاطلاق ، لقد بنى الادعاء اتهماته
على اساس من الكراهية العنصرية والحققد
الشخصي على كل ما هو اسود في هذا
المجتمع » . واصيب المدعى العام بخرج شديد ،
عندما تاكد كلامها ، فقد وقفت واحدة من شهادات
الاثبات الثلاثة في القضية لتعلن في المحكمة . بان
ما ذكرته من قبل في التحقيقات الاولى من شهادات
ضد انجيلا كان تحت تأثير ممثلي الادعاء ، وأنه لا
يمثل الحقيقة على الاطلاق .

ان التهم الموجهة الى انجيلا دافيز هي الاشتراك
في حادث خطف قاض وثلاث محلفات اثناء قيامهم
بعملهم في بعض المحاكمات بمدينة سان جوزيه
بولاية كاليفورنيا ، وادى ذلك الى قتل القاضى
وثلاثة من رجال البوليس اثناء معركة بين الخاطفين
ورجال الامن ، ووجهت اليها ايضا تهمة حمل
السلاح الذي ساعد المتهمين في الاشتباك مع رجال
البوليس ، ووقفت انجيلا في المحكمة تدافع عن هذا
الاتهام في سخريه مريرة وتتساءل : « وكيف يمكن
للسود ان يعيشوا في مجتمع يناصرهم العداء دون
ان يحملوا سلاحا يدافعون به عن انفسهم ، اننى
أحمل السلاح ليس بهدف الجريمة ، ولكن لحماية

كانت كل تقديرات القادة العسكريين تحمل تأكيدات
مفرطة الثقة في مقدرة قوات حكومة سايجون على
ان تقف في وجه الثوار ، بل تجاوزت الحكومة
الامريكية هذا الحد في تقديرها لجيش سايجون ،
فعهدت اليه بمهمة مساندة الحكومة الانقلابية في
كمبوديا ، والتصدي للثوار في لاوس . ورغم ان
جيش سايجون لم يثبت نجاحا في كمبوديا او في
لاوس ، الا ان الولايات المتحدة اقنعت نفسها
بامكان الاعتماد عليه في تغطية هزيمتها بفطساء
سياسة « فتنة الحرب » . فقد كان من الضروري
— في مواجهة ضغط الرأي العام الامريكي والرأي
العام العالي — ان تتظاهر الولايات المتحدة
بالانسحاب والخروج من « ورطة » الحرب في
الهند الصينية . ولهذا كان حرص الامريكيين في
سايجون ، وفي واشنطن على السواء — خلال
الاسبوع الاول من هجوم الثوار — على ان يؤكدوا
ان القوات الامريكية المحاربة لن تعود الى فيتنام
الجنوبية ، نتيجة لهذا الهجوم .

ومع ذلك ، فان الاسبوع الثالث من الهجوم
لم يمض ، حتى كانت الولايات المتحدة — تحت
وطاة الضربات الساحقة التي تلقاها برنامج
« الفتنة » — تعود للتهديد — في تصريحات لوزير
دفاعها ملفين ليرد — باعادة قواتها المحاربة ،
واستخدام الاسلحة الذرية ، وقرض حصار بحرى
حول فينتام الديموقراطية ، وبث الالغام في ميناء
هايفونج الرئيسى فيها . والواقع ان هذه التهديدات
انطلقت بصفة خاصة ، بعد ان احست الولايات
المتحدة بان « الغارات الانتقامية » الكثيفة التي
شنتها على فينتام الديموقراطية ، بهدف « وقف
تقدم هجوم الثوار » في الجنوب ، لم تؤد الى نتيجة
سوى تصميم قوات الثوار على التقدم ، والحقاق
الهزائم المتتالية بقوات حكومة سايجون التي
تدعمها القوات الجوية الامريكية في جنوب شرق
آسيا كله ، بل والتي جلبت لها تعزيزات من اسراب
طائرات الفانتوم والقاذفات الضخمة من طراز
ب — ٥٢ ، من الولايات المتحدة ومن اليابان .

ولقد كشفت الهجمات الجوية الوحشية
للقاذفات الامريكية على فينتام الديموقراطية
— والتي احدثت صدمة حقيقية لدى كل شعوب
العالم ، بما فيها الشعب الامريكي نفسه — ان
الولايات المتحدة ، بحكوماتها المتعاقبة ، لم تستفد
على الاطلاق من دروس الحرب الفيتنامية ، على
مدى السنوات الاثنى عشر الماضية . فلا تزال
الولايات المتحدة تعتقد ان بإمكانها اسكات الثورة
في فينتام الجنوبية « بلوى » ذراع فينتام
الديموقراطية ، وكأن غارات السنوات الاربع
التواصل على فينتام الديموقراطية [١٩٦٥ —
١٩٦٨] ، لم تكن لاقناع الولايات المتحدة بأن

نفسى من المتطرفين البيض الذين يهددون حريتى وحياتى أينما ذهبت » .

وتضمن دفاع انجيلا دافيز الافكار الاساسية التى جاءت فى كتابها الذى صدر فى اوانل هذا العام ، وقفت تعبر عنها وهى داخل قفص الاتهام تدافع عن نفسها .

فى كتابها الذى صدر قبل شهرين من محاكمتها ، وتحت عنوان « المسجونين السياسيين والسجون وتحرير السود » كتبت انجيلا دافيز عن تاريخ نضال السود ضد العبودية فى الماضى ، وضد العنصرية الان ، وتعرضت لقضية السجين السياسى فى الولايات المتحدة ، والفرق بين خرق القانون من أجل مصلحة فردية ، وبين خرقه من أجل صالح الجماعة ، وأوضحت بعد ذلك كيف تلجأ السلطات العنصرية الى الصاق الجرائم بالمسجونين السياسيين للالقاء بهم فى السجون كمجرمين عاديين . وفى بداية هذا الشهر وفى قاعة محكمة « سان جوزيه » التى تحولت الى « قلعة أمن اليكترونية » بدأت محاكمة المناضلة السوداء الأمريكية وأستاذة الفلسفة - بتهمة « القتل والاختطاف والتآمر » . وهى واحدة من المحاكمات التى تكشف بوضوح المأساة التى يعيشها المجتمع الأمريكى وما يحكمه من تناقضات وصراع .

ولم تنته المحاكمة التى تتابعها انظار العالم بعد ، ولكن هل ستتحرك ضمائر المحلفين البيض بعدما سمعوه من وقائع تدينهم وتدين المجتمع العنصرى الذى ينتمون اليه ؟ لقد أعلن روجرز مكافى المزارع الأمريكى - قبل أسبوع من بدء المحاكمة - وهو الذى قدم مزرعته التى تبلغ مساحتها ٤٠٥ أفدنة رهينة فى مقابل الكفالة التى طلبتها المحكمة للأفراج عن انجيلا ديفيز ، أنه يتعرض هو وأسرته لحملة منظمة تستهدف تهديد حياتهم ، وقد اضطر مكافى الى أن يهرب مع أسرته من منزلهم فى مزرعته بسان جوزيه ، وقال مكافى ان الحملة بدأت منذ أن وقع على المستندات الخاصة بوضع مزرعته رهينة للمائة الف دولار التى طلبتها المحكمة كغرامة للأفراج عن انجيلا دافيز ، وتلقى بعدها سيلا من المكالمات التليفونية المجهولة تضمنت تهديدات له ولأسرته . دليل جديد أمام المحكمة لما يعاذه الزوج من ارهاب عنصرى فى المجتمع الأمريكى .

هل يختار الحزب الديمقراطى مرشحا ليبراليا للرئاسة ؟

فى الانتخابات « الاولى » التى جرت فى ولاية ويسكونش الأمريكية لاختيار مرشح الحزب الديمقراطى للرئاسة فاز السناتور ماكجوفرن بأعلى الاصوات (٣٠ فى المائة) ، وفاز ولاس العنصرى بالمركز الثالث (٢٢ فى المائة) ، فى حين لم يحتل همفرى مرشح الحزب فى انتخابات الرئاسة الماضية الا بالمركز الثالث (٢١ فى المائة) وجاء ماسكى فى المنزلة الرابعة (١٠ فى المائة) .

وجورج ماكجوفرن من زعماء الجناح الليبرالى فى الحزب الديمقراطى ومن دعاة انهاء الحرب فى فيتنام ، ويشترك فى ذلك مع روبرت كيندى ومكارثى وفولبرايت وكراستون . ويجمع معظم المعلقين والمتابعين لحركة انتخابات الرئاسة ، ان ما حدث فى ويسكونش من الارجح أن يتكرر فى باقى الولايات الاخرى التى تجرى فيها مثل هذه الانتخابات الاولى ، فهل يعنى ذلك أن فوز احد دعاة السلام فى فيتنام بافتراض ان النتائج فى باقى الولايات ستسير على هذا النحو فعلا - سيجعل المؤتمر العام للحزب الذى سيعقد فى ميامى بيتش فى يوليو القادم يختاره كمرشح له فى الرئاسة ؟

تجيب تجربة انتخابات الرئاسة الماضية التى تمت فى ١٩٦٨ على ذلك بالنفى . ففى حين حصل كيندى ومكارثى - وهما من دعاة السلام - على ٧٨ فى المائة من الاصوات - اختار مؤتمر الحزب الذى عقد فى شيكاغو هييبورت همفرى - نائب جونسون وشريكه فى مسئولية الحرب - وذلك لان حكومة جونسون تلاعبت فى اختيار مندوبى لجان الحزب الى المؤتمر العام بحيث جاءت الاغلبية فى جانب همفرى ، والاقلية فى جانب « الحمائم » او دعاة السلام ، بل ولم يثورع البوليس عن ضرب وتكسير ٢٠ الف متظاهر تجمعوا خارج قاعة المؤتمر ليطالبوا بالسلام ، حتى علق على ذلك السكاتب المسرحى ارثر ميللر وكان من مندوبى المؤتمر بقوله : « ان العنف الذى استخدم ، هو العلامة الاشد وضوحا على عجز نظام اجتماعى عن أن يعبر عن حاجات معينة ملحة » . ولقد كان استخدام العنف فى مؤتمر شيكاغو نتيجة خطة

— تقارير الشهر —

« الانفصاليين » من حضور المؤتمر ، وفي اتخاذ قرار بأن يصوت مندوبي كل ولاية في انتخابات ١٩٧٢ كيما يريد كل منهم والغاء نظام تصويتهم « كتلة واحدة » .

ولكن « مقرطسة » الحزب الديمقراطي مهمة صعبة فعلا . لان الاتجاهات المحافظة هي الاقوى بحكم الاوضاع الاجتماعية في مؤتمر ١٩٦٤ كان دخل نصف الاعضاء يزيد عن ١٥ مليون فرنك سنويا لكل منهم ، في حين كان ٣ في المائة فقط من الاعضاء يقل دخلهم عن مليون ، وكان ٢٠ في المائة من رجال الاعمال ، فضلا عن ارتفاع تكاليف « عضوية المؤتمر » . كما كان حوالي ٦٠ في المائة من اعضاء مؤتمر شيكاغو موظفون كبارا يدينون بمناصبهم لقيادة الحزب .

ومن جانب آخر فان نجاح جورج ولاس حاكم الاباما العنصري المتطرف الذي اعلن عقب هزيمته في ١٩٥٨ امام احد اعضاء عصابة كوكلوكس كلان انه لن يسمح لاحد أن يزايد عليه في التطرف العنصري ويفوز ، وان يتعهد بأن يبز الجميع في عنصريته ، وهذا النجاح يعتبر مؤشرا على امكانيات « الليبراليين » في العمل داخل الحزب . كذلك فان الموقف السابق المتخاذل للجناح الليبرالي في المرة الماضية ، زاد من انفصال السود عن الحزب وزيادة الاتجاهات الى « مقاطعة » الانتخابات ، وانقسامات المثقفين ، وسخط الفقراء على الحزب الذي يدعى تمثيلهم زورا .

وفي الناحية المقابلة فاز نيكسون في انتخابات ويسكونش الاولى بحوالي ٩٧ في المائة من اصوات الجمهوريين ، وبذا يضمن ترشيح الحزب الجمهوري له في الانتخابات القادمة .

والواقع ان عدد المشتركين في الانتخابات بالنسبة لمن لهم حق التصويت ينخفض بصورة مضطردة ، فقد بلغ ٦٢٨ في المائة في ١٩٦٠ ، و ٦٢ في المائة في ١٩٦٨ ، و ٦٠ في المائة بالكاد في ١٩٦٨ ، أما في ١٩٧٢ فيسيكون الانخفاض اشد كما يتوقع المراقبون . وقد فاز نيكسون في الانتخابات الماضية بما يوازي ٢٥ في المائة من اصوات الناخبين الامريكيين فقط ، ويدل هذا على مدى تمثيله للشعب الأمريكي الذي يملك حق التصويت . يؤكد مكانة الاستفتاء الذي اجراه معهد لويس هاريس قبل الانتخابات الماضية والذي اعلن فيه ٢٦ في المائة من المشتركين ان نيكسون ليس سوى « ممسحة للصحون » ، في حين اعلن ٣٧ في المائة أن همفري هو ايضا « ممسحة للصحون » .

اعدت مقدما لاستئصال كل شخص او تفكيك يعارض حكومة جونسون » .

وهكذا فضلت « ادارة » الحزب ان تفسامر بضياح الرئاسة من همفري بسبب تورطه في الحرب ، على أن تتيح للشعب الأمريكي مرشحا يدعو للسلام ، وان كان هذا المرشح لن يغير كثيرا من الاتجاهات الاساسية للسياسة الأمريكية في الداخل والخارج كما يقول الكاتب الفرنسي مارسيل روك مؤلف كتاب « هل هناك يسار امريكي ؟ » وقد ساعد على ذلك ان الجناح الليبرالي في الحزب — وان عارض الحرب — ليس مستعدا لاتخاذ موقف صلب الى النهاية . فقائد هذا الجناح وهو مكارثي اعلن عقب سقوطه وفوز همفري انه لن يؤيده الا بشروط ثلاثة هي : وقف الغارات على فيتنام فورا وبلا شروط ، واعادة تنظيم الحزب بطريقة ديمقراطية ، والعفو عن يرفضون الاشتراك في الحرب بوازع من ضميرهم . ولكنه فجأة تراجع وقرر تأييد همفري وحدد ان يتم اعلان ذلك في مؤتمر انتخابي لاحد المرشحين ، ولكنه عندما قوبل بهتاف ١٥ الف شاب بسقوط دعاة الحرب ومنهم همفري ، تراجع وأجل ذلك الى اليوم التالي ، حيث اذاعه في مؤتمر صحفي ضيق .

وتذرع « المستسلمون » من الجناح الليبرالي بحجج مختلفة ، منها انهم سيعملون « من داخل » الحزب على تغيير اوضاعه وانتظارا لانتخابات ١٩٧٢ . وقالوا أن فرص ذلك متوفرة . واستشهدوا على ذلك بالاتي :

● ان حملة مرشحهم مكارثي السلامية قد أجبرت جونسون على الانسحاب وعدم ترشيح نفسه .

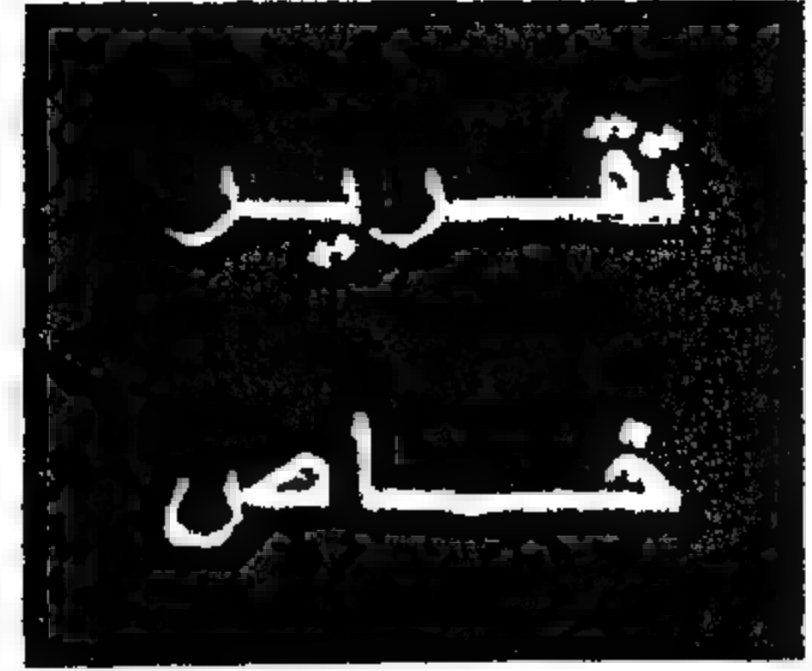
● ان انصار السلم فازوا في الانتخابات الاولى بالاغلبية ، مما يؤكد وجود قاعدة جماهيرية عريضة لاصلاح الحزب .

● ان خطة منع الحرب قد فازت بحوالي ٤٠ في المائة من الاصوات في مؤتمر شيكاغو نفسه والذي اقر تعيين همفري .

● ان عددا كبيرا من « الحمام » فاز في المجالس النيابية ويمكن الاستعانة بهم في اعادة التنظيم .

● ان الاتجاهات الديمقراطية قد نمت في الحزب وتجلي ذلك في منع المندوبين

موقع اغتيال « كرومي » من « محاور » الصراع في تنزانيا



حسين شعلان

الذي ينطبق على الدول الافريقية الاخرى . لكنه يعنى - آخر الامر - أن يقول إن هذه « اللغاز » ، تفيد أن اعمال الصراع السياسى قد احتدمت بصورة كبيرة وبكيفية خاصة .
مناخ خارجى ضاغط

فاحتدام الصراع السياسى ، قضية ترتبط في تنزانيا - مثلما في غيرها من الدول - بحدوث التطورات - ولسنا في صدد تقييمها - التي اثارت بتنزانيا أو في داخل البلاد . وأبرز التطورات ذات الدلالة التي جرت أخيراً من حول تنزانيا هي :

أولاً : محاصرة قوى حركات الكفاح المسلح الافريقى ، وذلك من قبل الاستعمار البرتغالى والنظم العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا . بدعم من قوى الاستعمار العالمى . وباختصار « حالة الجزر » الذى تعيشه الحركات الوطنية المسلحة في موزمبيق وأنجولا وروديسيا وجنوب افريقيا . وهى - بشكل عام - جزء من الحالة العامة لقوى الثورة في القارة الافريقية . ولما كانت تنزانيا واحدة من الاراضى التى يقيم عليها الوطنيون الافريقيون الذين يشنون حركات الكفاح المسلح هذه ، فمن الطبيعى أن تترك هذه « الحالة » بصماتها وانعكاساتها داخل تنزانيا نفسها . خاصة اذا وضعنا في الاعتبار « الاحصاءات المباشرة » التى نلصقها في أى حوار يجريه المرء مع العناصر القيادية لهذه الحركات ، والتى تلمح الى ما تسميه « بتقاعس » النظم في الاراضى الافريقية التى يتخذونها أماكن للانطلاق منها أو التدريب عليها . تجاه حماية حركات الكفاح المسلح أو على الأقل مساندتها ودعمها وتسهيل اعمالها بالقدر اللازم .

ثانياً : تطورات احداث اوغندا حين قضى انقلاب عيىدى أمين على حكم ميلتون أوبوتى الذى أقام في تنزانيا (لها حدود مشتركة مع اوغندا) هذه التطورات - ولسنا في صدد تقييمها - التي أشارت في ذهن قيادات تنزانيا بحكم قربها الشديد منها ، ما سبقها من تطورات مماثلة في غانا وفي مالي . الخ . وهى جميعها تعنى لقادة تنزانيا ضرورة الحذر واعادة النظر في طبيعة أجهزة الدولة ومؤسساتها . خاصة اذا وضعنا في الاعتبار

اغتيال عبيد كرومي ، النائب الاول لرئيس جمهورية تنزانيا وزعيم حزب الافروشيوازي وقائد حركة التحرر الوطنى والاجتماعى في زنجبار ، ليس أخطر الاحداث في تنزانيا - برغم أهميته ودلالته الكبيرة - ولن يكون أخطرهما على وجه الاطلاق . ذلك أن معدل « ايذاء » الاحداث وتطوراته تنبئ عن احتمالات تفوق - حجماً ودلالة - اغتيال عبيد كرومي نفسه .

اللغز الثالث

عندما تتكشف الاسرار الحقيقية لقصة اغتيال كرومي ربما تتضح الصورة الكاملة للموقف ، على أنسى لا اعتقد أن هذه الاسرار ستتكشف أو على الأقل سيعلن عنها . ففضلاً عن أن الاشخاص الاربعة الذين قاموا بعملية الاغتيال ، قد قتل منهم اثنتان خلال مطاردة سلطات الامن التنزانية لهم ، وانتحر ثالثهم باطلاق الرصاص على نفسه - حسب رواية سلطات الامن - وفرار الرابع فان عملية الاغتيال « الكبيرة » هذه لم تكن العملية الاولى في البلاد خلال السنوات القليلة الماضية .

ففي أواخر ديسمبر من عام ١٩٧١ ، اغتيل حاكم اقليم ايرنجا في تنزانيا ، وهو أحد القادة البارزين في حزب تانغو (الحزب الواحد الحاكم في تنجانيقا التى شكلت مع زنجبار جمهورية تنزانيا عام ١٩٦٤) الا أن الكشف عن الاسرار الحقيقية لاغتياله لم تتم بعد ، وظلت لغزا .

وفي فبراير ١٩٦٩ ، اغتيل ادواردو موندلاني قائد حركة الكفاح المسلح في مستعمرة موزمبيق ورعيم جبهة الفريلمو الذى لعب دوراً رئيسياً في حياة الجبهة سياسياً وفكرياً وتنظيمياً بل وساهم في تشكيل ودعم حركات الكفاح المسلح الافريقية في أنجولا وروديسيا . وبرغم اتهام دوائر المخابرات البرتغالية والالمانية الغربية والامريكية ، وهذا استنتاج طبيعى ومنطقي وسهل ، الا أن القصة والاسرار الحقيقية للقضية لم تتكشف بعد ، وظلت أشبه باللغز أيضاً .

على أن ذلك الرصد ، لا يهدف لان يقول بأن اسلوب الاغتيال هذا ، اسلوب « تنزاني » فى تصفية اعمال الصراع الوطنى والاجتماعى . وان كان هذا اسلوب غير مستبعد تماماً بنفس القدر

— تقارير الشهر —

اعتقد أنها « الاطار » الحقيقي لقصة اغتيال كرومي .

((سمات تنزانية)) ضمن

ظاهرة ((العالم الثالث))

يمكن حصر جوانب الصراع السياسي - الاجتماعي بتنزانيا في السنوات القليلة الماضية من خلال « محوريين » أساسيين : عملية التقدم الاجتماعي ، وعملية البناء الحزبي .

فبرغم الوحدة بين تنجانيقا وزنبار ، الا انه يمكن القول ان واقع ومعدل عملية التطور الاجتماعي قد قطعت في زنبار خطوات اسبق واعمق بكثير من مثيلتها في تنجانيقا . ويعود ذلك - في تقديرى - الى أن قيادة زنبار التقدمية كانت تتبنى برنامجا وفكرا أكثر وضوحا ونضجا فقد كان كرومي يضع ثورة زنبار في اطار انها « ثورة شعبية طبقية » تهدف الى تطبيق « الاشتراكية العلمية » وفق ظروف زنبار القومية . بينما يتبنى نيريري مفهوم « الاشتراكية الافريقية » وفق رؤيته لقراث ومعطيات « المجتمع الافريقى » ومن هنا كان الغرب يعتبر زنبار - فى أدبياته السياسية - « قاعدة للشيوعية فى افريقيا » بين اختلاف هذين المفهومين شهدت زنبار اجراءات اقتصادية واجتماعية أكثر عمقا وشمولا من تلك التى شهدتها تنجانيقا .

ومنذ تحول تنزانيا - ككل - تجاه « اليسار » باعلان أروشا التاريخى ، اتضح بشكل متزايد ، حاجة البلاد الماسة الى أهمية العمل لتحديد استراتيجية من أجل انجاز « البناء الاشتراكي » . فليس كافيا أن يتم الاعلان عن معارضة الاستغلال الرأسمالى رغم أهمية هذا الاعلان .

وبعد قيام « القطاع العام » وتوليده دورا قياديا فى الاقتصاد القومى فى أعقاب اجراءات التأميم ، عالجت قيادة تنزانيا مشكلة تطور الريف من خلال برنامج « قرية الوجود » (أى القرية الاشتراكية) ، كوسيلة لكبح جماح نمو الرأسمالية الصغيرة فى الريف ولتمكين الفلاحين من رفع مستوى معيشتهم عن طريق ادارة مشاريعهم الزراعية فى أشكال تعاونية ترفع من وضعهم الاجتماعى ووعيمهم السياسى . وخلال تطبيق هذه التجربة ، احتدم الصراع فى دوائر الحزب والدولة حول برامج هذه القرى .

ومنذ أواخر العام الماضى ، جرت مناقشات حادة وواسعة داخل أجهزة الحزب والدولة ، حول خطة التنمية . وكان السؤال الهام الذى تطرحه قوى « اليسار » فى تنزانيا يقول : القضية هى من أجل ماذا : ملكية الدولة ؟ ولصلحة من ؟ .

« حدة » المشكلة بشكل أخطر على أثر احتدام الموقف الى حد الاشتباك على الحدود فيما بين تنزانيا وأوغندا .

والمناخ الخارجى هذا ، ليس هو عنصر الضغط الوحيد أو حتى الأساسى على « الأعصاب » السياسية والتنظيمية فى تنزانيا .

((جغرافية الخصومة)) المتقلبة

فجرت أحداث أوغندا وانقلابها ، بعض الصراعات الداخلية فى تنزانيا فعلى أثر الانقلاب ، شكل الرئيس جوليوس نيريري رئيس الجمهورية وزعيم حزب تانو ، ميليشيا شعبية درءا لاية احتمالات منذرة ، وبعد شهور من الانقلاب ألقت طائرتان « مجهولتا الجنسية » منشورات فوق دار السلام (العاصمة) معادية للرئيس نيريري وللنظام ، بتوقيع أوسكار كامبونا السكرتير السابق لحزب تانو الذى انشق - بعد اعلان أروشا فى ١٩٦٧ - على الحزب وقيادته واقام فى لندن ليقود نشاطا سياسيا معاديا لنيريري . وتتردد الاشاعات أخيرا عن أن كامبونا يقيم الآن فى كينيا (شمال تنزانيا) ويتخذها مقرا لنشاطه . وفى نفس الشهر - ديسمبر - اغتيل حاكم ايرنجا أحد قادة تانو . (ورصد الحدثين لا يعنى هنا الربط بين مصادر حركتهما ، وإنما يهدف الى تبيان « ثقل » مشاكل الصراع) ويجب أن نرصد هنا كذلك ، ان محاولات فاشلة قد جرت لاسقاط عبيد كرومي - الذى ظل يمارس مهامه السياسية فى زنبار - فى نوفمبر من عام ١٩٦٨ ثم فى مايو من عام ١٩٧١ مما اضطر كرومي - وقتها - الى تشكيل « محاكم شعبية » لمحاكمة « المنحرفين » سياسيا واقتصاديا .

بعد هذه التطورات جميعها ، أعلن الرئيس نيريري فى فبراير ١٩٧٢ عن تغييرات واسعة فى القيادات السياسية والادارية العليا فى الدولة شملت حوالى ٥٠ اسما منها بعض الاسماء من أمثال : عبد الرحمن بابو وعبد الله قابسم هانجا الخ . الذين لعبوا أدوارا هامة فى الحكم سواء فى زنبار بعد ثورة ١٩٦٤ أو فى تنزانيا بعد الوحدة .

خلال هذه الأحداث - وبعدها - كانت دوائر الصراع والخصومات ، تتغير وتتبدل بين وقت وآخر . ولابد هنا من القاء نظرة كافية على « المحاور » الحقيقية للصراع السياسى والاجتماعى داخل تنزانيا والذى ترك بصماته - بالطبع - على الدوائر التنظيمية للحزب . هذه « المحاور » التى

الاشتراكية . وهو لا يطرحها بهذا التصدي الواضح ، ولكنه يطرحها بأساليب ملتوية وغير مباشرة .

وربما كان ذلك كله ، دافعا للزيارات التي يقوم بها الرئيس نيريري كثيرا الى المدن والاقاليم والريف خارج العاصمة . ولكن هل تستطيع هذه الزيارات أن تحقق ما يحققه الحزب ؟ ذلك هو « محور » الصراع الثاني .

فمن المشاكل التي تعانيتها تنزانيا بشكل خاص ومتميز ، مشكلة بناء قوة سياسية اشتراكية من بين صفوف « جبهة عريضة » - تانو - نظمت وفق صياغة اقتضتها مرحلة الكفاح من أجل الاستقلال الوطني . وباختصار تعاني مشكلة عدم وجود تنظيم طبقى يعمل كنواة من أجل انجاز البناء الاشتراكي .

ويدور الصراع فى هذا المجال بين مفهومين : حزب طليعى ؟ أم حزب جماهيرى ؟ وجوهر هذا الصراع - فى تنزانيا - خلاف بين فكرتين : « الصراع الطبقي » و « التعاون بين الطبقات » ، باعتبار أن الملك الكبار - للاراضى أو للمال - كانوا من الاجانب أساسا ولأن « الانقسام الطبقي » ظاهرة لم تعرفها المجتمعات الافريقية بشكلها التقليدى كما عرفت مجتمعات أخرى .

ومن المعروف أن كرومى كان من قادة اتجاه ضرورة بناء حزب طليعى قادر على مواجهة مسئوليات العملية الثورية لبناء الاشتراكية . وجدير بالذكر أنه كان قد اتخذ اجراءات عملية فى هذا الصدد بالنسبة لحزب الافروشييرازى فى زنبار ، وركز اهتمامه فى الفترة الاخيرة على تدعيم الحزب معتمدا على الشباب ، وأدخل أجهزة الحزب الى الجيش فى زنبار وفق خطته « لتسييس الجيش » . وقد لقي كرومى - بسبب ذلك - مقاومة شديدة ، وكان كرومى يذكر دائما بأحداث مالى وغانا وغيرهما من الدول الافريقية التي لم يستطع « الحزب الجماهيرى » فيها على مواجهة الانقلابات وتبددت كل صفوفه دون مقاومة تذكر .

ومن جهة أخرى ، لم يستجب الرئيس نيريري لاتجاه ضرورة بناء « حزب طليعى » برغم كل الالحاح الذى وصل الى حد الضغوط عليه . ويصر الرئيس نيريري على « الحزب الجماهيرى » ويعتقد أنه قادر على مواجهة متطلبات العمل الوطنى والاجتماعى معا . وآخر مخططات نيريري لتدعيم الحزب الجماهيرى ، هو نظام « خلية المنازل العشرة » الذى يعنى أن كل ١٠ منازل فى المدينة أو القرية ، تنظم خلية من خلايا الحزب ويتولى مسئوليتها عضو الحزب فى الحي أو المنطقة .

وكانت وجهة نظر « اليسار » ، ترى أن مسار اجراءات التأميم وخلق القطاع العام ، أفرز نوعا من « رأسمالية الدولة » اتسعت دائرتها وتزايد حجمها على حساب حاجيات الشعب بدلا من أن تخدمه . وتعددت الانتقادات - مثلا - لاتجاه الدولة الى بناء فنادق فاخرة ، وقيام « مؤسسه التجارة » (قطاع عام) ببناء مبنى عملاقا باهظ التكاليف بينما تعاني الجمهورية بحدة من مشكلة الاسكان . وان أعمال هذه المؤسسة - مثلا - ونتائج أعمالها لا تبرر بالمره الامتيازات الضخمة التي تغرق فيها . واضطر الرئيس نيريري الى أن يحث موظفى الدولة فى أحاديثه اليهم ، أن يعملوا « كاشتراكيين » ولا ينسوا أنه يجب أن يعملوا فى خدمة الشعب . كذلك تعددت الانتقادات لمؤسسات المال والمصارف ، تقول بأن أعمالها لا تقوم على أساس خدمة البناء الاشتراكي وانما على أسس رأسمالية بحتة .

وأبرز المآخذ على الاوضاع الاقتصادية - الاجتماعية فى تنزانيا ، تصب عند « فئات البيروقراطية » التي تتمتع بالقدرة على العمل ضد مصلحة ومشروعات « البناء الاشتراكي » بل وفى تحد له . وقد بلغت هذه الفئات البيروقراطية حدا من القوة ارتفعت معه أصوات - سواء داخل الحزب أو حتى داخل الوزارة - ضد ما أسمنه « بالتدخل البالغ فيه والمتزايد » من جانب الشعب وبعض أعضاء الحزب فى الشؤون الاقتصادية . ودعت هذه الاصوات الى ضرورة توفير كل صमानات الرقابة والسيطرة على المشروعات . لها ووصلت سطوة « البيروقراطية » حد أنها منعت أكثر من قرية فى البلاد من تشكيل « قرية أوجاما » على أساس أن التشكيل تم بمبادرة من الفلاحين لا بمعرفة الأجهزة : سواء أجهزة الحزب أو الدولة . والاغرب من هذا أن كثيرا من أعضاء الحزب يواجهون اشكالا مختلفة من المشاكل ومن الاضطهاد على أيدي هذه الأجهزة التي تعمل على أن يتم كل شيء ، وكل نشاط من خلال « ماكينة الدولة » أمام هذا الواقع ، وأمام حقيقة الامتيازات الضخمة التي اقتنصتها فئات وعناصر البيروقراطية ، برز هناك خطر جديد . فقد يئس الكثيرون - من اوساط الشعب والحزب نفسه - من جدوى « العمل الاجتماعى » و « النضال من أجل الاشتراكية » . وينتهى ذلك - آخر الامر - وللأسف - الى تشكيل ركيزة احتياطية ، من الناحية الموضوعية ، لاي تطورات أو تغييرات مضادة .

ولا يقف الخطر عند هذه الحدود ، بل يتعداه بشكل منذر حيث يبرز الان فى تنزانيا اتجاه له ثقله ، يرى ضرورة إعادة مناقشة قضية



جاءنا من د . عبد الرحمن البيضاني
التعليق التالي على المقال الذي نشر في العدد
الآخر من الطليعة « اليمن بين طريق التطور
الرأسمالي واللا رأسمالي » . وتنشر الطليعة
هذا التعليق ايمانا منها بحق المفكر في أن
يعبر عن وجهة نظره وأن يرد على ما يرد بها
عن آرائه ومواقفه .

تصحح ما أسستهد به د . الشـهـارى

بقلم الدكتور
عبد الرحمن البيضاني

الفكرى فكتب « ومع ذلك فإن هناك من يرى من
بعض المثقفين المترفين الممثلين للجزء الاعلى
الترهل والمتفسخ من البرجوازية الوسطى اليمنية
أن طريق التطور اللا رأسمالي الذى سارت فيه
اليمن الديمقراطية ومن قبلها مصر وسوريا
والجزائر وغيرها من الدول العربية والدول
الآخرى حديثة الاستقلال فى آسيا وأفريقيا ليس
مرفوضا فحسب وانما هو طريق الطائشين
والضالين وان طريق التطور الرأسمالى المعتمد
على التعاون مع الرأسمال الاجنبى هو الطريق
الصحيح والوحيد الذى على كل الدول النامية
وعلى اليمن بالذات أن تندفع فيه بكامل قوتها
ممزقة أى خيوط انعزالية ما تزال تشدها الى
الخلف » .

وبعد أن حدد الزميل صفتى البرجوازية
الترهلة والمتفسخة ظن أنه بوسعه أن يثبت ذلك
فاستشهد بفقرة من مقالى المنشور فى أخبار اليوم
بتاريخ ١٨ - ١٢ - ١٩٧١ تحت عنوان (الدولة
العصرية) فكتب نقلا عنى « فالمشاهد فى بعض
هذه البلاد النامية أنها تتخذ فى بعض الاحيان
سياسات لا تتفق مع مصالحها الاقتصادية ، أما
بقصد التقليد غير المحسوب ، أو بغرض المزايدات
المذهبية ، أو تصفية الخصومات الشخصية ، وأما
بسبب عدم ادراك أبعاد المصلحة الوطنية التى
ينبغي السعى الى تحقيقها والتى لا تختلف فى

نشرت مجلة الطليعة الغراء فى عدد أبريل
١٩٧٢ مقالا للزميل الدكتور محمد على الشهارى
تحت عنوان (اليمن بين طريق التطور الرأسمالى
واللا رأسمالى) واستشهد بفقرات من بعض
مقالاتى التى نشرتها مجلة أخبار اليوم القاهرية
الغراء . وحيث أن الزميل الكريم لم ينقل الفقرات
حرفيا من أخبار اليوم حتى يستقيم ويصح
الاستشهاد بها بل أضاف اليها عبارات غريبة عنها
ثم عجنها ليستخرج من المخلوط المشوه ما يستدل
به على أننى أقف معاديا للاتحاد السوفيتى وأننى
أدعو الى الانحياز الى الغرب ، رغم أن مقالاتى
تتحدث فى الدعوة الى الوحدة العربية القومية كى
يولد الكيان العربى الكبير ، ولما كان الانحياز الذى
يريد الزميل أن يلصقه بى لا يتفق مع أية عبارة
وردت فى مقالاتى فضلا عن أن الانحياز لا يستقيم
مع مبدأ عدم الانحياز الذى أدين له بالولاء ، ولا
يتناسب مع أساس القومية العربية التى انتمى
اليها بالعقيدة ، لذلك فاننى أستسمح القراء الكرام
فى أن أعيد على صفحات الطليعة الغراء نصوص
الفقرات المخلوطة والى جانبها النصوص الاصلية
المنشورة فى أخبار اليوم مع تاريخ نشرها كى
يرجع اليها من يشاء من القراء الافاضل ، ولا أنسى
أن أشكر أسرة مجلة الطليعة التى سمحت لى بذلك
مستهدفة كفاءة حرية الرأى .

اولا : بدأ الزميل فى مقاله بتحديد مكانى

جوهرها عن المصلحة الاقتصادية العامة ، والتي كما تصاب بمرض المرافقة السياسية فانها تعاني في بعض هذه المجتمعات من الجمود الانطوائى ، ومن الافراط فى الحذر من التعاون الاقتصادى الدولى اللازم لدفع تيار التنمية والتقدم « مما يحرمها » من فرص الانتفاع بأساليب الحضارة الحديثة ووسائل الانتاج المتطورة ، ومن رؤوس الاموال اللازمة لكل عمليات الاستثمار والتنمية ، الامر الذى يشترط اول ما يشترط أن ينفتح المجتمع بعقليته وسياسته وتشريعاته ورحابة صدره الاجتماعى على كل ما ينفع فى تحريك طاقاته المهمة واستثمار موارده المعطلة » .

يتضح من هذه الفقرة أنها الى جانب محاولة تحليلها لبعض اسباب التخلف فانها تشجع الدول النامية على التعاون الاقتصادى الدولى لتحريك طاقاتها المهمة واستثمار مواردها المعطلة ، ولم تنصح مطلقا لا بقصر هذا التعاون على الكتلة الشرقية ولا على الكتلة الغربية ، فليس ذلك موضوعها ، وليس من حقى عندما اتحدث عن التنمية الاقتصادية أن أشير على أية دولة باختيار الشرق أو الغرب ، كما أننى لم أحاول نصيحة أحد باتباع النظام الاقتصادى الحر أو الاشتراكى ، ولم أنصب نفسى عميلا لروسيا أو عميلا لامريكا ، لان الطبيب الذى يصف العلاج ليس من حقه أن يشترط له مصدرا معيناً وإنما يهيم فقط أن تتواجد فيه العناصر العلاجية اللازمة ، والا فانه يفقد صفته كطبيب ويصبح مجرد عميل لاحدى شركات الادوية .

ولا شك فى أن هذا المعنى الواضح الدلالة لم يفت الزميل الكريم ، الا أنه أراد أن يلويه بأسلوب لا يفوت على أى قارئ فقال : (وقطعا لكل شك ، ومنعا لكل وهم بأن الانفتاح الذى يقصد اليه هؤلاء قد يشمل الدول الاشتراكية ، وألا يخص الدول الرأسمالية وحدها ، فانهم يسارعون الى نفى كل شبهة ، وإزالة كل ظن ، وفى لهجة لا تخلو من التحامل على المعسكر الاشتراكى وأيديولوجيته ، والاهابة بقوة النظام الاقتصادى والتكنيكى الغربى وأيديولوجيته) .

وهنا استشهد الزميل الكريم بفقرة من مقال لى يظنها القارئ أننى نشرتها بعد الفقرة السابقة لان كلمة « يسارعون » التى وردت فى سياق خلط الزميل تدل على أننى أوضحت فى الفقرة التى استشهد بها أولا بضرورة التعاون الاقتصادى الدولى ، ثم اتبعت ذلك بمقال لاحق أحصر فيه هذا التعاون مع الكتلة الغربية . لكن ذلك لم يحدث مطلقا لان الفقرة التى استشهد بها أولا نشرت فى أخبار اليوم فى ١٨ - ١٢ - ١٩٧١ تحت عنوان « الدولة العصرية » بينما الفقرة التى استشهد بها ثانيا فانها قد نشرت قبلها فى ١١ - ٩ - ١٩٧١ .

تحت عنوان « قومية الارادة » وواضح اختلاف الموضوعين تمام الاختلاف مما يقطع صلة الاستشهاد من جذورها . ومع ذلك لنرى ماذا أسستشهد به فى تلك الفقرة الثانية ؟ . كتب نقلا عنى بعد المقدمة التى مهد بها للقراء ليدلهم على أنه سيأتى لهم بالدليل القاطع والبرهان الساطع على أننى من دعاة حصر التعاون مع الغرب فنقل ما يلى : « وإذا كان فى دنيا العرب من هم فى أقصى اليسار يرفضون عقائديا . المفاهيم القومية لاهئين وراء مثالية الوحدة العالمية للبلوريتارى فانهم فى عصرنا المتطور يبدون وكأنهم يعيشون فى زوايا نظريات القرن الماضى قبل أن تتطور الاستراتيجية الدولية التى لا تسقط من حسابها كل ذرة رمل فى هذا العالم » والواضح ان هذه الفقرة لا تقتصد عن مصادر التمويل مطلقا » .

ثم أضاف من عنده « وأكثر من ذلك فانهم وفى هذا الوقت العصيب والدقيق الذى ارتبط فيه مصير حركة التحرر العربى بمصير الحركة الاشتراكية ، وبلغ التحالف بين الثورة العربية ذات الاتجاه الاشتراكى وبين الثورة الاشتراكية العالمية حد عقد معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر والاتحاد السوفيتى يدعون بحماقة منقطة النظير الى ادارة الظهر لكل تعاون أو تحالف معه ، وكل تعاون أو تحالف مع القوى الصديقة والحليفة الاخرى » . وهنا أضاف بقية الفقرة من مقالى المذكور فقال نقلا عننا ما يلى :

« ونحن فى الوطن العربى الكبير نحتاج الى كيان عربى كبير يمثل مصالحتنا ويحدد حجم فعاليتنا ، وحجم تأثيرنا ، ونحن فى سبيل ذلك يمكننا أن نعتد على أنفسنا فلسنا فى حاجة الى نابليون ، أو قيصر ، أو موسولينى ، ينصر المسلمين ، أو غير هؤلاء يحمون الطوائف الدينية الاخرى » .

والواضح أن الزميل الكريم قد نقل هذه الفقرة مختصرة ومشوهة من مقالى المذكور ، ذلك لان المقال فى معرض حديثه ودعوته الى الوحدة العربية من الخليج الى المحيط استعرض تاريخ الامة العربية وكيف كانت الدول الاجنبية تمزق الوطن العربى وتقتسم أوصاله باسم حماية طوائفه الدينية فادعى قيصر ألمانيا ونابليون وموسولينى الاسلام وادعت بريطانيا حماية الدروز واليهود والموارنة مثل حماية تركيا للسنة وحماية ايران للشيعه فتمزق الوطن العربى ، الى آخر ما جاء فى ذلك المقال مما يمكن الرجوع اليه ، ثم استعرض المقال ظروف نشأة جامعة الدول العربية على يد المستر ايدن حتى جاء على ذكر اتحاد الجمهوريات العربية .

ولربما من المفيد أن ننشر كامل الفقرة التي استشهد بجزء منها الزميل الكريم حتى يكتمل المعنى في ذهن القارئ الكريم كي يتبين عدم جواز الاستشهاد المقصود ، فالفقرة الكاملة التي نشرتها في ذلك المقال كما يلي :

« وأخذ جنين الإرادة العربية القومية ينمو حتى انطلق عملاقا لحظة ميلاده .. وقامت الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا ، التي رغم نكسة الانفصال فقد عبقث المشاعر الوجدانية وزودت الأمة العربية بدروس مستفادة أعانتها كثيرا على ميلاد دولة اتحاد الجمهوريات العربية التي وضع دستورها الزعماء الأبطال الثلاثة السادات والقذافي والاسد .. مستفيدين من كل التجارب .. معبرين عن إرادة الأمة العربية .. مستلهمين مشروعهم من ضميرها وليس من العواصم الأجنبية .. لا يطمع أحدهم في زعامة .. ولا يسعى إلى عرش .. ولا يتطلع إلى تنصيب نفسه حاكما رغم إرادة الجماهير .. بل تنزه الثلاثة عن كل ما يتضاءل أمام التاريخ متشبثين بكل ما يفخر به .. والتاريخ لا يفخر إلا بمن يعمل للشعوب .. بإرادة الشعوب .. من يعمل بهدوء العلماء .. وطموح الثوار .. وصبر المناضلين .. ومع ذلك .. رغم ثقته في خطوتهم المعبرة عن الإرادة القومية ، فانهم طرحوها للاستفتاء الشعبي كي تقول الشعوب المعنية بالامر كلمتها فتعلن اختيارها وتمارس إرادتها .. وفتح دستور دولة الاتحاد طريق الانضمام إليه بعد أن أزال الحساسيات التي يثيرها أي اختلاف في الظروف الموضوعية السائدة في كل جزء من أجزاء الأمة العربية ، والتي تفرض اختلاف كل جزء في منهاج سياسته الداخلية واسلوب معالجته لمرحلة نموه .. فالذي يصلح تفصيليا للتنفيذ في جزء من أجزاء الأمة العربية قد لا يصلح بعينه وبذاته للتنفيذ في بقية الأجزاء .. مع الذقاء جميع الأجزاء على فكر مستخلص من الإطار العربي العام يتخذ من الشريعة الإسلامية مصدرا أساسيا للتفكير .. ومن تطور المجتمع والفكر معيارا متطورا للتطوير .. وبذلك يتسع المجال لانضمام المزيد من الأعضاء كلما استوفى العضو الجديد مؤهل العضوية .. ومؤهل العضوية أن تكون للعضو إرادة وطنية حرة يريد أن يشترك بها في صنع الإرادة القومية .. وهو لا يكون كذلك إلا إذا كان متحررا من النفوذ الأجنبي .. متحررا من الانطواء والاتكماش في الذات المتخلفين في النفس البشرية عموما منذ عهد الغاية .. ومتحررا من أثقال الشعارات التي أثبت العقل والتجربة عدم ملاءمتها .. بذلك يشترك الأعضاء المتحررون في تجسيد الامنية العربية والتعبير عنها بالإرادة القومية التي تسعى إلى خلق الكيان العربي الكبير في عصر الكيانات الكبرى .. وإذا كان هناك في

دنيا العرب من هم في أقصى اليسار يرفضون عقائديا المفاهيم القومية لأمثين وراء مثالية الوحدة العالمية للبلوريتاريا قانهم في عصرنا المتطور يبدون وكأنهم يعيشون في زوايا نظريات للقرن الماضي قبل أن تتطور مع طفرة الاقتصاد العالمي وتطور الاستراتيجية الدولية التي لا تسقط من حسابها كل نرة رمل في هذا العالم .. أن الاتحاد السوفيتي لم يصبح الاتحاد السوفيتي إلا بشعوبه ومساكناته الهائلة وكل مقوماته التي صاغت وحدة الإرادة السوفيتية .. وكذلك الصين بكل ما تمثله من بشر وأرض وإمكانات أخرى .. وأما البانيا فمع تقديرنا لمواقفها فانها بأقصى يسارها لا تزال هي البانيا بغير فعالية دولية .. مجرد صوت دولي كبقية أصوات هايتي ونيكاراجوا وترنيداد .. لا يتجاوز تأثيرها أي أثر يمكن أن تلعبه إمارة موناكو بأقصى يمينها .. والسبب واحد .. حجم الكيان .. الذي يحدد حجم الفعالية الدولية .. التي يتوقف عليها التأثير النهائي .. فالكيان يحدد المصلحة .. والمصلحة تفرض الصراع من أجل تحقيقها ثم الحفاظ عليها .. لذلك يوجد صراع بين الشرق والشرق .. بين الصين والاتحاد السوفيتي .. أي بين البلوريتاريا والبلوريتاريا .. كما يوجد صراع بين الشرق والغرب .. بين أوروبا الغربية والولايات المتحدة .. أي بين البورجوازية والبورجوازية .. أو بين الرأسمالية والرأسمالية حسب درجات التصنيف التي يحلو استعراضها .. وسيبقى الصراع يخفى ويظهر .. يتستر أحيانا ويسفر أحيانا أخرى .. ما دامت في الكون مصالح .. والصراع لا يحتاج إلى مجرد رغبة صراع ، وإنما إلى فعالية صراع .. لأن الصراع بدون فعالية صراع يصبح مجرد شعارات .. وخيال مراهقة .. وفقدان للذات .. وتكسير للرأس على صخور جبل .. ونحن في الوطن العربي الكبير نحتاج إلى كيان عربي كبير يمثل مصالحتنا ويحدد حجم فعاليتنا وحجم تأثيرنا .. ونحن في سبيل ذلك يمكننا أن نعتمد على أنفسنا ، فلسنا في حاجة إلى نابليون أو قيصر أو موسسولينى ينصر المسلمين .. أو غير هؤلاء يحمون الطوائف الدينية الأخرى .. نحن العرب الأخوة نحمل الإسلام والمسيحية .. نحمل الشيعة والكاثوليك والسنة والارثوذكس والموارنة والسندروز .. نحمل كل هؤلاء .. لاننا كل هؤلاء .. نحمل الإيمان وحرية العقيدة في بلادنا مهبط الديانات وموطن الرسل والأنبياء .. ثم بالعلم نصنع فكرنا .. فلا استيراد فكري .. ولا جمود فكري .. وإنما إمعان فكري .. إمعان في واقع كل جزء من أجزاء الوطن العربي .. إمعان في اختيار الحلول الملائمة .. الوطنية والقومية .. إمعان في التنسيق بين مصالحنا الخاصة ومصالحتنا القومية .. إمعان في صنع إرادتنا .. إرادتنا القومية .. »

هذه هي الفقرة الكاملة التي شوهها الزميل الكريم باقتطاف بعض اجزائها ثم عجنها بمقدمة من وحي خياله ، وهذه الفقرة لم تستهدف سوى دعوة العرب الى الوحدة العربية لخلق الكيان الكبير في عصر الكيانات الكبيرة ، وهي لم تشر لا من قريب ولا من بعيد الى الانحياز الى الغرب والاهابة - كما ذكر الزميل الكريم « بقوة النظام الاقتصادي والتكنيكي الغربي وايدىولوجيته » كما اراد الزميل الكريم أن يصوره من بنات اشعاره ، فهي فقرة منصبة على الدعوة الى الوحدة العربية القومية ، ولا شأن لى اذا كان الزميل الكريم ليس من دعاة الوحدة العربية القومية وانما من دعاة وحدة البلوريتاريا في العالم ، فله رأيه الذي احترمه ولى رأى القومى العربى الذى لن أكف عن الدعوة اليه .

ثانيا : استشهد بفقرة من مقالى المنشور في اخبار اليوم بتاريخ ٥ - ٦ - ١٩٧١ تحت عنوان (الدين والتقدمية) فادخل على كل عبارة من عباراتى عبارات من عنده حتى ظهرت الفقرة التي استشهد بها ونسبها الى كما يلي :

« ان يتحرر الثوار والتقدميون من المعتقدات الشمولية المنقولة من المجتمعات الاخرى ، والتي تزعم لنفسها صفة الدوام ، عندما تفسر الانسان والطبيعة تفسيراً نهائياً يدعى غيبية لاهوتية جديدة باسم العلم او باسم الثورة والتقدمية » ذلك لانه ليس هناك حقيقة ثابتة . على الاطلاق - كما يتخيلون - وليس هناك قانون موضوعى قسطنطين ، وليست هناك نظرية صحيحة أبدا ، بل ليست هناك فرضية مؤكدة وثابتة ، وليس هناك معسكر صديق يمثل جانب الخير والعدل يمكن الاعتماد عليه والتعاون معه من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعى ، فان التجارب الاجتماعية - كما يكتبون لا تستطيع أن تؤدى الى خلق بديهيات اجتماعية مماثلة للبديهيات الهندسية ، ومجمل البديهيات المستخلصة من علم الاجتماع ان الحقائق الاجتماعية غير ثابتة بل متطورة ومستمرة في التطور ، اى أن الفرضيات الاجتماعية متحركة وبالتالي لا تخضع لاحكام هندسية ثابتة وبديهية » .

والذى يثير الدهشة ان الزميل الكريم فضلا عن اضافته عبارات من عنده على العبارات المستشهد بها فانه حرص على أن يحشر عبارة المعسكر الصديق استكمالا للصورة التي اراد أن يصورها من بنات افكاره فلنا منه انه بذلك يخدم المعسكر الشرقى ، ولذلك فأننى انقل الفقرة الاصلية المنشورة في مقالى المذكور وهي كما يلي :

« وان تقدمية الميثاق العربى (المصرى) تتجلى في أن الفكر الثورى لم يتجاهل الواقع الموضوعى للامة العربية . . وانما تعمق في بحث وتحليل هذا الواقع الموضوعى العربى . . ليس من أجل الوصول الى تبريره كأمر واقع . . وانما للوصول

الى الحلول العلمية الصحيحة التي منع احتفاظها بجوهر الدين تكفل تغيير الواقع الموضوعى مع فتح حوار علمى لتطوير هذه الحلول ذاتها حتى يتحرر الثوار والتقدميون من المعتقدات الشمولية المنقولة من المجتمعات الاخرى والتي تزعم لنفسها صفة الدوام عندما تفسر الانسان والطبيعة تفسيراً نهائياً يدعى غيبية لاهوتية جديدة باسم العلم او باسم الثورة والتقدمية . لذلك أكد الميثاق العربى ان خصائص الشعوب ومقومات الشخصية الوطنية تفرض اختلافاً في منهاج كل منها لحل مشاكله . . وان التجارب الاجتماعية قابلة للدراسة المفيدة وليست قابلة لمجرد الحفظ عن طريق التكرار » . لكن الظاهر ان الزميل الكريم لم يسمع عن الميثاق العربى ، ولم يسمع عن علم الاجتماع . .

فهذه الفقرة مجرد شرح للميثاق العربى ، بل ان العبارة الاخيرة التي وردت فيها منقولة حرفياً من الميثاق العربى ذاته . ولا يزال الميثاق العربى موجوداً وقائماً . ولانزلت مقتنعا بهذه الفقرة التي اوردها لاننى لا ازال مقتنعا بان التجارب مستمرة والاستفادة منها مستمرة ، كما لا ازال مقتنعا بان العلم يتطور والمجتمع يتطور . فاذاً كان الزميل الكريم يعتقد أن كارل ماركس قد اغلق على نفسه باب العلم ثم مات ، واذة على البشر حنى يوم القيامة أن يرددوا ما قاله دون أدنى تفكير او اضافة او استفادة من التجارب فاننى لا أعلم ان ذلك يتفق مع طبيعة العلم فى شىء .

ثالثاً - استشهد بفقرة من مقالى المنشور في اخبار اليوم بتاريخ ٢٨ - ٨ - ١٩٧١ تحت عنوان (قومية الفكر) ففعل بها مثل ما فعل بالفقرات السابقة فكتب نقلاً مشوهاً عنى ما يلي ، « وتأسيساً على ذلك فانه من الغرابة ان ينقسم العالم وتوزع فئات وطبقات المجتمع الى قوى تقدمية وقوى رجعية ، فسمعنا عن اليمين ويسار اليمين ، وسمعنا عن يمين اليسار ، ويسار اليسار ، وكل مجموعة تجد المقاعد السياسية محجوزة تبتكر لنفسها اجتهادات جديدة ، ثم تطرحها فى شعارات ، وتلقى بها فى السوق » .

وحقيقة الفقرة المنشورة فى اخبار اليوم كما يلي : « فى القرن الماضى كان النفوذ الاجنبى يستغل الطائفية والعصبية الدينية فى الوطن العربى ، ولما اختفت هذه الظاهرة فى معظم اجزاء الامة العربية واخذت تختفى فى بقية اجزائها تحول النفوذ الاجنبى الى استغلال الحزبية التي اصبحت الاداة الجديدة والعصرية لاستمرار تمزيق الامة العربية . . فسمعنا عن اليمين واليسار . . ثم سمعنا عن يمين اليمين ويسار اليمين . . وسمعنا عن يمين اليسار ويسار اليسار . . وكل مجموعة تجد المقاعد السياسية محجوزة تبتكر لنفسها اجتهادات جديدة ثم تطرحها فى السوق . . ويستمر تمزيق العرب . . وتستمر طاحونة الخلافات غير الواقعية وغير العلمية تطحن

هذه كلمات الميثاق العربي بذاتها التي تقيدت بمعانيها في مقالاتي كلها ، والتي بسببها ، أي بسبب كلمات الميثاق ، وصفني الزميل الكريم باننى من المثقفين المترفين المترهلين المتفسخين البورجوازيين كنوع من الارهاب المعنوى الذى أشار اليه الميثاق العربى .

واما عن التعاون الاقتصادى الدولى فقد ذكره الميثاق العربى فى بابه العاشر بقوله : « ان التعاون الدولى من اجل الرخاء يصل بالسياسة الخارجية للجمهورية العربية الى الهدف النهائى الذى تسعى اليه سياستها الخارجية انعكاسا لنضالها الوطنى » ان شعبنا يمد يده لجميع الشعوب والامم العاملة من اجل السلام العالمى والرخاء الانسانى . ان التعاون الدولى من اجل الرخاء هو الامل الوحيد فى تطور سلمى يقرب ما ييسر مستويات الامم ، ويزرع المحبة بينها بدلا عن سموم الكراهية . »

كذلك استخدم الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير الدولة المصرى للتخطيط ، وهو من قادة الفكر التقدمى ، نفس الفاظى المنشورة بخصوص الاستعانة برؤوس الاموال الصديقة ، فقال سيادته فى حديثه المنشور فى الاهرام بتاريخ ٢٥ - ٤ - ٧٢ (اما فيما يتعلق برأس المال العربى والاجنبى فأننا يجب ان نتخلص من عقدة الخوف

بقيت نصيحة ..

ان عنوان مقال الزميل (اليمن بين التطور الرأسمالى والاراسمالى) عنوان غير علمى ، لانه لا يوجد تطور اقتصادى لا رأسمالى ، أى تطور بدون رأس مال ، ذلك لان التطور .. تطور .. أى انتقال من طور الى طور .. من حالة اقتصادية الى حالة اقتصادية أفضل .. وهو مالا يمكن حدوثه بغير الاستعانة برؤوس اموال لتطوير وسائل الانتاج وأساليبه وإدارته ، وما الى ذلك من جميع عمليات تحرك المجتمع نحو الافضل سواء فى ظل النظم الاقتصادية الاشتراكية او فى ظل النظم الاقتصادية الحرة . والنصيحة ان يكون عنوان الزميل (اليمن بين طريق التطور الاقتصادى الحر او الاشتراكى)

اما محاولة تأثير الزميل الكريم علينا بمعاهدة الصداقة التى أبرمها الاتحاد السوفيتى مع مصر فامر لا يقل غرابة .. ذلك لان عقد هذه المعاهدة لم يحرم مصر من الاحتفاظ باستقلالها وبحرية ارادتها وبحرية الحركة الفكرية البناءة على اراضيها ضمن الاطار الذى رسمه ميثاقها ودستورها ، كما ان عقد هذه المعاهدة لم يهدم الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يضم تحالف قوى الشعب العاملة ،

امكانيات العرب وتحسق قدراتهم وتقطع اواصر القربى بينهم فتعوق ميلاد الارادة العربية العملاقة .. ولقد تنبه لذلك دستور دولة اتحاد الجمهوريات العربية الذى وقعه الابطال الثلاثة السادات والقذافى والاسد .. فنصت المادة ٦٢ من دستور الاتحاد على تكوين جبهة من الدول الثلاث تعمل على (تحقيق التفاعل والترابط بين جماهير الشعب فى جمهوريات الاتحاد وترسيخ اسس الديمقراطية وقيمها وتوحيد منطلقات واساليب العمل السياسى فى الجمهوريات الاعضاء وخلق مناخ ملائم لقيام الحركة العربية الواحدة) وهذا المناخ المناسب يحتاج الى تعميم قدر مناسب من ادراك المبادئ الاساسية التى تحكم الاطار العام الذى يحيط بالامة العربية من الناحية الكلية .. ويختلف فى اجزائها من الناحية التفصيلية .. معنى ذلك .. اطار عام لكل الوطن العربى .. وانتباه خاص لظروف كل جزء من اجزائه .. ثم نظرية فكرية تشمل الاطار العام وتراعى الانتباه الخاص .. تستخلص من الظروف الموضوعية للوطن العربى .. تراعى تقاليده الايجابية وفى مقدمتها الايمان .. تقيس امكانياته الحقيقية فلا تتجاوزها ولا تنفacs عنها .. فالتخلف لا يحدث فقط من مجرد اهمال الامكانيات الموجودة ، وانما يحدث ايضا من تجاوز حدود هذه الامكانيات ، وتجاهل الحقائق الموضوعية التى تتحرك بمعدل سرعة تطور يتفق مع طبيعة هذه الامكانيات وطاقتها .

يتضح من هذه الفقرة انها اشادة بما انجزه دستور دولة اتحاد الجمهوريات العربية ، وانها استمرار لدعوتى الى الوحدة العربية القومية ، وانها تشجب التعصب الحزبى الذى يعوق تحقيق الوحدة العربية القومية ، وانها تحث على التفكير فى واقع الامة العربية ككل ، وفى واقع كل جزء من اجزائها كتفاصيل بغير مراعاة فكرية او جمود عقلى او كلمات محفوظة ورنانة كما نص الميثاق العربى (المصرى) حيث جاء فيه حرفيا فى بابه الثامن ما يلى « والمراعاة الفكرية خطر ينبغى التصدى له والقضاء عليه » ان الذين يجمدون الكفاح الوطنى بتفسيرات او قوالب تحد قدرته على الانطلاق ، او تشيع فيه روح الفرد انما يقللون من قوة المجتمع بقدر ضعفهم وعدم قدرتهم على التفكير الخلاق المنبعث من الواقع الوطنى . ان التقدم الوطنى لا تحققه كلمات محفوظة عالية الرنين . ان تحرير الطاقات الخلاقة لاى شعب من الشعوب يرتبط بالتاريخ ويرتبط بالطبيعة ويرتبط بالتطورات السائدة والمؤثرة فى العالم الذى يعيش فيه . ليس هناك شعب يستطيع ان يبدأ تقدمه من فراغ ، والاكان يتقدم الى الفراغ ذاته . ان الخطر فى المراعاة الفكرية فى هذه المرحلة انما يخلق نوعا من الارهاب المعنوى يعرقل التجربة والخطأ .

ولم يفرض على المفكرين العرب أن يصبوا مقولهم في قالب الشيوعي *

وقد أكد هذا المعنى الحر الرئيس القذافي في افتتاح المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي الليبي فقال بمناسبة عقد الاتفاق السوفيتي-الليبي : «أن العلاقات الليبية السوفيتية هي علاقات بين دولتين ، وأنه لا يسمح بأي نشاط شيوعي في ليبيا » *

على كل حال ..

إن مقالاتي التي استشهد بها الزميل الكريم لم تخص اليمن بالذات كما قال .. ولم تدع إلى الانحياز كما ادعى .. ولم تنصح بمصادر دولية معينة للتمويل كما حاول التشهير بها *

إنها ذات نعمان استمدت جذورها من الميثاق العربي ومن دستور دولة اتحاد الجمهوريات العربية *

وهي مجرد اجتهادات مبدئية وكلية معروضة

للشرح والتفصيل الذي يتقيد بأصول الاجتهاد ويستهدف نشر الوعي القومي ويؤمن بالسكان العربي الكبير *

وبعد ..

اننى اشكر الزميل الكريم لانه أوجد المبرر كي اتشرف بنشر بعض آرائى على صفحات الطليعة الغراء ..

وهي اراء لازلت اعتقد انها صحيحة .. من وجهة نظرى بطبيعة الحال ..

وقد اعدل عنها .. فى وقت قريب أو بعيد ..
عندما يظهر لى خير منها ..

ذلك .. لاننى أومن بتطور العلم ..

وأومن بالاستفادة من التجارب ..

بعد ان تجاوزت مرحلة المراهقة الفكرية *

بسبب نشر محاضر لجنة العمل واللجنة السياسية،
تمذر تقديم الجزم الاخير من « ٨٠ شهرا من حياة
الطليعة » الخاص بالموقف من البرجوازية الوطنية *
وسنقوم بنشره فى العدد القادم *

وثائق

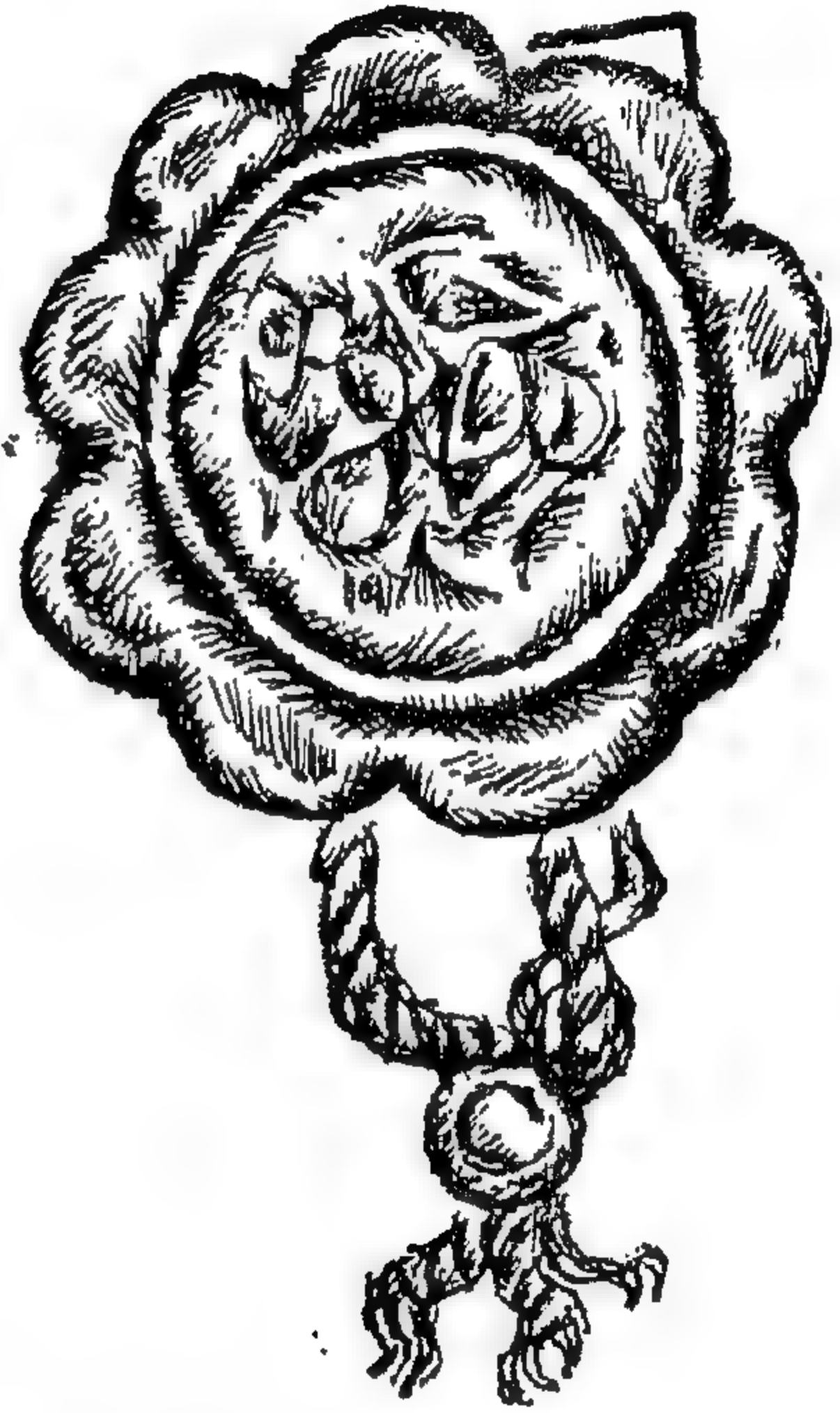
وثائق المؤتمر التأسيسي

للجبهة الشعبية لتحرير عمان

والخليج العربي المنعقد في

أهليش - المنطقة المحررة -

ديسمبر - ١٩٧١



تواصل « الطليعة » نشر وثائق حركات التحرر الوطني في العالم .
وفي هذا العدد تقدم « الطليعة » البيان السياسي الصادر عن المؤتمر
التأسيسي للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي الذي عقد في
ديسمبر ١٩٧١ في « أهليش » بالمنطقة المحررة .

ان « الطليعة » بنشرها لهذه الوثيقة انما تحاول أن تلقى الضوء
على أفكار ومواقف أحد الطلائع العربية التي تناضل بالسلاح وبالفكر
الحر من أجل تحرير أرضها من الاستعمار والرجعية والتخلف .

البيان السياسي للمؤتمر التأسيسي للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي

انطلاقاً من القناعات والمواقف المشتركة ورداً على مجمل المخططات الاستعمارية والرجعية في ساحة عمان والخليج العربي، وتوحيهاً لكل اللقاءات والخطوات العملية السابقة فقد عقدت قيادات الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل والجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي مؤتمراً توحيدياً في نهاية عام ١٩٧١ للتوحيد ودمج الجبهتين في جبهة واحدة لصب كل الجهود والطاقات من أجل تصعيد النضال ضد الاستعمار البريطاني وعملائه وخطوة أساسية هامة على طريق إقامة جبهة الشعب العريضة على امتداد ساحة عمان والخليج العربي.

ولقد وقف المؤتمر مطولاً أمام الترتيبات والترقيعات التي خلقتها الدوائر الاستعمارية في الآونة الأخيرة على ضوء الانسحاب البريطاني المزعوم والتحركات السياسية والعسكرية العلنية والسرية الواسعة، التي تقوم بها الامبريالية والرجعية وما تهدف اليه هذه التحركات والمخططات من عرقلة مسيرة الثورة الوطنية وتزييف لشعاراتها واهدافها ولتثبيت مواقع الامبريالية ومصالحها في هذه المنطقة.

انه أمام ازدياد الثورة الشعبية المسلحة وصدورها في اقليم ظفار وتنامي النقمة الشعبية والاند الثوري المتعاظم في عموم الساحة وخطورة ذلك على مجمل المصالح الامبريالية الواسعة والاضاح العنصرية المتخلفة في عمان والخليج العربي فقد طرح الاستعمار البريطاني مسألة انسحابه المزيّف منها ليتسنى له ترتيب ارضاعه واطعامه عملائه في هذه الساحة مستعيناً بالامبريالية الامريكية وصنائعها في السعودية وايران لمواجهة مجمل التطورات الثورية فيها.

ولقد نشطت كل القوى الاستعمارية والرجعية بشكل ملحوظ وكثرت الاجتماعات والوفود والزيارات المشبوهة التي قام بها العملاء والمندوبون الامبرياليون للمنطقة طيلة الفترة الماضية، كما تفتتت عبقريّة الامبرياليين في طرح العديد من المشاريع الاجرامية

لاحكام قبضتهم على شعبنا وملاحه بكل الوسائل من استلام مقدرات أسوره بنفسه .. وبعد أن تفاهم الامبرياليون ووزعوا الحصص بينهم والادوار على عملائهم أعلنوا عن الاستقلالات المزيّفة لكل من البحرين وقطر وسلطنة عمان واستمروا في ترقيع الاوضاع المهترئة في الجزء الشمالي من القطر العماني.

الا أن الدوائر الاستعمارية لم تكتف بتجزئة المنطقة وسلب خيراتها في الوقت التي تواصل فيه حرب الابادة ضد شعبنا في ظفار وانما عملت على تسليم جزء من ارضنا للحكم الاقطاعي العسكري الايراني العميل قبل لحظات من اعلان اتحاد العملاء المشبوه وقبل الاعلان الرسمي عن الانسحاب المزيّف لبريطانيا من المنطقة .. والامبريالية تهدف من وراء ذلك الى اثاره وتعميق الاحقاد الشوفينية وضرب الشعبين العربي والايراني بعضهما البعض الاخر وتزييف طبيعة المعركة الدائرة في المنطقة كما تهدف الى تحقيق المطامع التوسعية للحكم الشاهنشاهي وخلق مرتكزات قمعية في هذه الجزر لاستخدامها ضد شعبنا وحركته التحررية العارمة.

ان الاحداث والتطورات السياسية الاخيرة قد دلت باللمس ليس فقط على الارتباط العضوي بين الاسر العشائرية الحاكمة والاستعمار والرجعية العربية والايرانية وانما ايضا على خيانتها القائمة واستعدادها المستمر للتضحية بالمصالح القومية والتراب الوطني لرضاء لاسيادها الامبرياليين لتواصل مشاركتهم استغلال الشعب ونهب خيراته.

ولقد أولت الدوائر الاستعمارية « سلطنة عمان » أهمية فائقة نظراً لمواقعها الاستراتيجية ولاشتداد الثورة المسلحة في اقليم ظفار والابعاد التقدمية - الايديولوجية والاستراتيجية التي اكتسبتها بعد مؤتمر حميرين وأثر اندلاع الكفاح المسلح في عمان الداخل سارعت الدوائر البريطانية الى تنفيذ مخططاتها الجديد حيث قامت بتغيير سعيد بن تيمور بابنه قابوس وعملت على تجميع العملاء والمتساقطين بدأت حملة تضليلية واسعة لضرب الثورة من الداخل وسحب التأييد الجماهيري عنها وتزييف الشعارات الوطنية التي ترفعها .. الا أن صمود الثورة المسلحة في ظفار وقدرتها على احباط مؤامرة العملاء الانقسامية التي قامت في ١٢ سبتمبر ١٩٧٠ م والانتصارات التي حققها جيش التحرير الشعبي والمليشيا الشعبية ونهوض الحركة الجماهيرية في عموم السلطنة قد أجبر الدوائر الاستعمارية على كشف المزيد من مخططاتها القذرة حيث بدأت بارسال اعداد متزايدة من الجنود البريطانيين والمرتزقة لمصارعة الثورة.

ان الامبرياليين يدركون جيداً عمق التناقض الاساسي القائم بينهم وبين جماهير شعبنا الكاسحة وهم يعملون بشتى الوسائل على تدعيم جبهتهم وتخفيف حدة التناقضات بين صفوفهم عن طريق التهرب

المتزايد لثروتنا وفتح أسواق المنطقة للمزيد من الاحتكارات الرأسمالية وعن طريق التنازلات الشكلية فيما بينهم والتدخل الواسع والتشابك بين مصالحهم بعضهم البعض .. ان مجمل هذه المخططات الاجرامية انما يقم هيئها على عاتق جماهير شعبنا وخاصة فئاته الوطنية وطبقاته الكادحة والمسحوقة التي تعاني بشكل متزايد من القهر القومي والطبقي.

انه أمام وحدة الامبرياليين والرجعيين ومخططاتهم الشرسة في منطقتنا يترجى على قوى الشعب الكادحة وفئاته الوطنية أن تقف صفا واحدا للتصدي لهذه المخططات والدفاع عن التراب الوطني وتحرير المنطقة من الاستعمار القديم والحديث وتحقيق الاهداف الوطنية والديمقراطية التي قدمت من أجلها جماهيرنا الالاف من الشهداء .. وانه أمام وحدة الامبرياليين والرجعيين وجبهتهم الموحدة فان على قوى الثورة أن تتحد وتتضامن وتقيم الجبهة الوطنية الواحدة للتصدي لجبهة الامبرياليين والرجعيين والمغالل جهودهم.

انه أمام هذا الفهم العلمي والصحيح لطبيعة التناقضات القائمة على ساحة عمان والخليج العربي وقواه الاساسية والثانوية والتزاما بالمسئولية التاريخية التي تتحملها كل من الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل والجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي فقد عقد المؤتمر التأسيسي للجبهة الموحدة في احدى المناطق المحررة في اقليم ظفار، حيث ناقش المؤتمر مجمل هذه المسائل الملحة والخطوات العملية التي يجب اتخاذها.

وفي جو مفعم بسلايحية والروح الثورية العالية توصل المؤتمر الى القرارات والانجازات الهامة التالية:

١ - دمج الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل والجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي في جبهة واحدة تحت اسم « الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي ».

٢ - مناقشة وقرار برنامج العمل الوطني الديمقراطي والنظام الداخلي المقدم من قبل اللجنة التحضيرية.

٣ - انتخاب قيادة موحدة للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي. ان هذه القرارات والخطوات الثورية التي تم انجازها تشكل ولا شك مدخلا حقيقيا وثوريا لتكثيف كل القوى والفئات الوطنية المخلصة ورضها في جبهة متحدة عريضة لتعبئة طاقات الجماهير وامكانياتها للتصدي للعدو الاستعماري والرجعي. ان اقامة الجبهة الكفاحية العريضة على ساحة عمان والخليج العربي ومد الكفاح المسلح واعتباره الشكل الاساسي والاستراتيجي وتصعيد النضالات الجماهيرية الاخرى وتجهيز شعاراتها هي المهام الاساسية الاولى

سياسات التآمر والإرهاب والاستغلال على شعبنا .

ولقد قاوم هذا الشعب ببسالة في كل مكان غزو الإمبريالية البريطانية لأرضه كما قاوم من قبل وبفلس البسالة غزو الاستعمار البرتغالي والهولندي حيث قدم الآلاف من الشهداء في معارك رأس حديمه (١٨٠٦ - ١٨٢٠) والبحرين (١٩٥٧ - ١٩٥٨) وطهران (١٩٦٥) اصغافه الى الانتفاضات الجماهيرية الواسعة التي شهدتها كل الاقاليم مطالبه بحقوقه الوطنية والديمقراطية .

ان الطبيعة الانقطاعية والقبلية والاقليمية والهرججوارية احيانا السمي مثلتها قيادات انتفاضات الشعب طوال قرن ونصف من الزمن هي السبب الاول في انعكاس تلك الانتفاضات وتوقفها بين احرار النصر .

فلقد كانت تلك القيادات دائما تخون شعبه وتجر نصالاته البطولية في طرق خائنة واستسلامية وكانت تتواطأ مع الامبرياليين والرجعيين .

وبعد سلسلة طويلة من التجارب النضالية في مقاومه الاحتلال ومن خلال الدروس التاريخية الكبرى التي اكتسبها الشعب من تلك التجارب بما فيها من نقاط ضعف كبيرة ومن انتكاسات وخيانات ، اختطت جماهيرنا لنفسها ولاول مرة طريقا صحيحا جديدا كل الجدة وبدأت المسيرة الطويلة على هذا الطريق في يوم التاسع من يونيو عام ١٩٦٥ .

ان الامبريالية البريطانية لم تكتف بفرض السيطرة على شعبنا وبزرع قواعدها العسكرية في كل أرجاء الوطن ولم تكتف بعملية الاستغلال والاضطهاد وبتهب ثرواتها ومخزنها الوطنية كما لم تكتف بنحريل المنطقة الى سوق مفتوحة لبضائعها وبضائع شركائها من الدول الامبريالية الاخرى بل عمدت فوق كل ذلك الى تفتيت المنطقة سياسيا وتحولها الى مجموعة كبيرة من السلطنات والمشيخات والكيانات السياسية الهزيلة .

ان هدف الاستعمار البريطاني من هذه التجزئة هو اضعاف المنطقة وعزل جماهيرها بعضها عن البعض الاخر وزرع التناحرات المصطنعة والتعرات المحلية الاقليمية بين كل جزء واخر حتى يسهل له بذلك اخضاعها واستغلالها لاطول مدة ممكنة .

ان النمو المتعاظم للثورة الشعبية المسلحة في ظفار واندلاع العمل المسلح في عمان الداخل في يونيو ١٩٧٠ كامتداد لثورة التاسع من يونيو ١٩٦٥ مع تزايد السخط والنقمة الشعبية ضد الاحتلال والسيطرة البريطانية في جميع أرجاء الوطن قد دفعت بالامبريالية البريطانية الى انتهاج سياسة استعمارية جديدة تتمثل في تحديث وجودها الامبريالي في الجزء الشمالي من المنطقة عن طريق سحب بعض قواعدها وقواتها من الاقاليم

اقامة الجبهة العربية التقدمية لتعبئة الطاقات وتنسيقها بين القوى الثورية الدمية في الوطن العربي في مواجهة الهجمة الامبريالية الواسعة المستهدفة نصفي مواقع الثورة العربية وتكريس الانظمة الرجعية ومصالح الامبريالية العالمية في المنطقة العربية .

يعلن المؤتمر التأسيسي عن وقوفه الى جانب حركات التحرر الوطني في القارات الثلاث وعن وقوفه الى جانب قوى التقدم الاشتراكية في تضالها العادل ضد قوى الامبريالية والراسمالية العالمية .

برنامج العمل الوطني الديمقراطي المقرر في المؤتمر التأسيسي للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي

- ١ -

المقدمة

لقد كانت ساحة عمان والخليج العربي موضع اطماع المستعمرين في العصر القديم والحديث فنجبة لوقوعها الاستراتيجي الهام على خطوط المواصلات البحرية العالمية ولما تضمه أراضيها من ثروات معدنية كبيرة ياتي على رأسها البترول . فلقد تعاقب على استعمارها البرتغاليون والهولنديون حتى تمت السيطرة البريطانية على هذه المنطقة في نهاية القرن الثامن عشر .

ولقد كرست بريطانيا احتلالها العسكري للمنطقة من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي فرضتها على شعبنا بالتعاون مع الحكام والاسر العشائرية العميلة ، فمن معاهدة ١٧٩٨ في مسقط والمعاهدات التي تلتها والتي حولت السلطنة بموجبها الى مستعمرة بريطانية كاملة الى اتفاقيات الهدنة والصداقة المزيقة التي عقبتها مع امراء الساحل وقطر والبحرين والكويت انتهاء بالمعاهدات والاتفاقيات التي اعطت بريطانيا بموجبها الاستقلالات المزيقة واعطت بريطانيا الحق في التدخل لحماية هذه الاسر العشائرية وتثبيت مصالح وسيطرة الامبريالية على هذه المنطقة .

وهذا ان تمت للاستعمار البريطاني السيطرة الكاملة على ساحة عمان والخليج العربي الممتدة من ظفار جنوبا حتى الكويت شمالا - وهو يمارس اشبح

المطروحة امام الثورة في هذه المرحلة الخطيرة .

ان المؤتمر التأسيسي نجبه لشعبه لتحرير عمان والخليج العربي يحير جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والانتفاضات الجماهيرية الواسعة للفلاحين الفقراء والصيادين ويتشيد بموقف الثورة البطولي الصامد داخلها وخارجها الى جانب الثورة في عمان والخليج العربي . ويعلن عن وقوفه المطلق الى جانبها في وجه كل المخططات الامبريالية والرجعية التي تستهدف عرقلة مسيرة الثورة والاطاحة بنظام الحكم التقدمي فيها . كما يؤكد المؤتمر على ضرورة تطوير وتمتين العلاقات الكفاحية والتنظيمية بين التنظيمين الطليعيين - الجبهة القومية والجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي .

كما يحیی المؤتمر فضال الشعب اليمني في الشمال من أجل الاطاحة بالنظام الاقطاعي الرجعي واقامة يمن ديمقراطي موحد .

ويحيي المؤتمر التأسيسي - نضال الجماهير وقواها التقدمية في ساحة الجزيرة العربية لاسقاط الحكم الاوتوقراطي العميل فيما يسمى بالسعودية ويدعو الى تعزيز وتقوية العلاقات بين فصائل الثورة الوطنية الديمقراطية في شبه الجزيرة العربية .

كما يحیی المؤتمر نضال الشعب الإيراني ضد الحكم الاقطاعي العسكري العميل ويعلن عن وقوفه الى جانب قواه التقدمية وضرورة تعزيز العلاقات الكفاحية بين الشعبين العربي والإيراني لاسقاط كافة المخططات الامبريالية والرجعية المستهدفة ضربيهما وتعميق النزعات الشوفينية بينهما .

يعلن المؤتمر التأسيسي للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي عن وقوفه المطلق مع الثورة الفلسطينية المسلحة وقواها الوطنية ويرى ان وحدة العمل الفلسطيني والالتزام باستراتيجية الحرب الشعبية الطويلة الامد وتعبئة طاقات الجماهير الفلسطينية هي الطريق الصحيح للرد على مجمل الطول الاستسلامية والمؤامرات الرجعية والعميلة التي تستهدف تصفية الثورة الفلسطينية وتكريس الكيان الصهيوني .

ان ترابط الثورة في عمان والخليج العربي وفلسطين هو ترابط عضوي وتمتين ويؤكد على ضرورة تنسيق وتعبئة الجهود ضد العدو المشترك . ان القساعة الاستعمارية في فلسطين انما هي مخفر حراسة للمصالح الامبريالية في عموم الوطن العربي ومن ضمنها الثورة البترولية الهائلة في عمان والخليج العربي . ان المؤتمر التأسيسي للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي يؤكد ضرورة اقامة العلاقة الوثيقة بين قوى الثورة الفلسطينية الحقيقية والثورة المسلحة في عمان والخليج العربي .

يؤكد المؤتمر التأسيسي على ضرورة

الشمالية واعطائها استقلالاً شكلية زائفة كدول ناشئة بذاتها .

ان ما يسمى بدولة الامارات العربية المتحدة التي اقامتها القوى الامبريالية الانجليز - امريكية في الجزء الشمالي من عمان وبالتعاون مع عملائها الحكام الرجعيين ان هذا الكيان الزائف لا يخدم الا مصالح اصحابه من الامبرياليين والرجعيين وهو تشويه لفظ لرغبة جماهير الشعب ونضالها من اجل انهاء مأساة التمزق الوطني وتحقيق الوحدة .

انه بالرغم من كل ادعاءات ومظاهر الانسحاب البريطاني العسكري من الاجزاء الشمالية من ساحة عمان والخليج العربي وبالرغم من كل المحاولات والمخططات الامبريالية الرامية الى اضياف الطابع الوطني والديمقراطي على الاقاليم المحتلة وشبه المحتلة والانظمة الرجعية العيلية ، فان القوى الامبريالية وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية تحاول ان تشدد قبضتها أكثر على هذه الاقاليم في اشكال وطرق أخرى متعددة .

انه في الوقت الذي يقوم فيه الامبرياليون بسحب بعض قواعدهم العسكرية المكشوفة والعلنية ينشطون في العمل لارساء القواعد السرية وتعزيز القواعد المجاورة .

وانهم في الوقت الذي يقومون فيه بسحب بعض القطع من جنود الاحتلال يحاولون اضياف الطابع المحلي على الحرب ويعززون ويوسعون الجيوش المرتزقة ويزيدون من خضوعها لقياداتهم العسكرية الامبريالية .

انه في الوقت الذي تعلن فيه بريطانيا عن انسحابها العسكري من بعض الاقاليم يزداد حضور وكثافة القوات البحرية الامريكية في مياه الاقاليم ويزداد تعزيز الامبريالية الامريكية لجيوش الرجعيين الايرانية والسعودية اضافة الى تعزيزها لقواعدها الامبريالية في كل من الجزيرة وايران .

ان تسادى حكام المنطقة المحليين في عمالتهم وتواطؤهم مع اسبابهم الامبرياليين قد اوصلهم الى حد الاتفاق مع القوى الامبريالية على تسليم الجزر الثلاث ابو موسى وطنب الكبرى والصغرى للرجعية الايرانية التي قامت بانزال قواتها في هذه الجزر معولة ايها الى مخافر قمع ضد ارادة شعبنا ونقاط تحكم في مداخل الخليج العربي لمصالح القوى الامبريالية واحتكاراتها البترولية .

ان الدول الامبريالية لا تساوم على مصالحها وكذلك الرجعية المحلية المتعاونة معها .

ان الامبريالية الانجلو امريكية ومعها كل الرجعيين والحكام العملاء يحاولون اليوم وينشطون بعدة اشكال لاعادة تركيب الاوضاع العسكرية والسياسية في عموم ساحة عمان والخليج العربي والجزيرة العربية بالشكل الذي يتوافق ومصالحهم المشتركة امام المد الثوري

المتصاعد والنزعة الوطنية الديمقراطية العارمة والمتعاطمة في كل الساحة .

انهم لاشك سيسلكون كل الطرق الممكنة لحماية انفسهم وحماية مصالحهم وسيستخدمون كل الوسائل التي لديهم من حرب الابادة والارهاب الجماعي والقمع الى التنازلات الجزئية والاصلاحات والوعود والطلاوات الزائفة وهذه مسألة ملموسة تماما ومنطقية تماما .

ان شعبنا ايضا مضطر الى استخدام كل الوسائل الكفيلة بانتزاع حريته واستقلاله وانقاذ الوطن وهذه مسألة أصبحت ملموسة تماما للامبرياليين والرجعية وهي مسألة منطقية تماما في مفهوم الشعب .

- ٢ -

من هم اعداء الشعب ومن هي الطبقات الوطنية ؟

انه من فهمنا لطبيعة المجتمع في عمان مستعمر في بعض اجزاء منه وشبه مستعمر في بعض اجزاء منه وشبه اقطاعي نستطيع القول بان اعداء الشعب والثورة في المرحلة الراهنة هم الامبرياليون والاقطاعيون وسائر العملاء الخونة .

ان البورجوازيين الكمبرادوريين يتواطون مع الامبريالية والاقطاع ويشتركون معها في فرض الدكتاتورية والاضطهاد على شعبنا فهم لذلك يدخلون في عداد اعداء الشعب والثورة .

ان الطبقة العاملة والجماهير الفقيرة من الفلاحين الفقراء هي الغالبية الساحقة من الشعب وهي التي تعاني اكثر من غيرها من اضطهاد الامبرياليين والاقطاع والكمبرادور ، ومن هنا فان طبقتي العمال والفلاحين هما القوتان الاساسيتان المحركتان للثورة وتشكلان جسمها الاساسي والغالب .

ان البورجوازية الصغيرة في المدن والارياف تعاني ايضا من اضطهاد اعداء الثورة من امبرياليين واقطاع وكمبرادور ، ولذا فان البورجوازية الصغيرة تعتبر في غالبيتها حليفاً أساسياً للثورة ولطبقتي العمال والفلاحين الفقراء .

ان الاستعمار البريطاني والرجعية العربية والايرانية يحاولون بشتى الوسائل تزييف طبيعة الصراع في المنطقة لتحويله من صراع ضد الوجود الاستعماري وعملائه الطبقيين الى صراع شوقيني بين العرب والاقليات القومية التي تواجدت على ساحة عمان والخليج العربي مع اكتشاف النفط ويقتلون ويسعون العداة بين العرب والايرانيين .

ان الثورة تعتبر كل القوى التي تقف الى جانب المستعمر والامر العشائرية قوى عدوة لها بغض النظر عن انتماءاتها القومية ، كما انها تقف وتتناضل مع كل الطبقات والفئات الكادحة والمسحوقة في عمان والخليج العربي بغض النظر عن أي انتماء قومي كان وتدعو كل هذه الطبقات

والفئات الى المساهمة في الثورة والوقوف الى جانب القوى الوطنية العاملة على تحرير المنطقة من كافة اشكال الاستعمار والانظمة الرجعية .

- ٣ -

ضرورة اقامة وتوسيع الجبهة المتحدة العريضة

انه في مواجهة اعداء متعددين كالذين نواجههم ، ومن اجل احراز النصر عليهم في كل ساحة عمان والخليج العربي لا بد من استنهاض الشعب كله ضد الامبريالية وحلفائها الرجعيين من امراء وسلطانين واقطاع وكمبرادور . ففيما عدا الاقطاع والكمبرادور وسائر الخونة فان جميع الطبقات الاخرى والتي لها مصالح مشتركة في مقاومتهم جميعا ينبغي ان تتحد وتتضامن في جبهة واحدة عريضة .

ان الجبهة المتحدة هي جبهة تحالف كفاحي بين جميع الطبقات والقوى الوطنية في الشعب .

اننا بقدر ما نؤكد على ضرورة تحالف كافة الطبقات الوطنية واقامة جبهة الشعب العريضة على امتداد الساحة كشرط للانتصار على كافة اعداء الشعب وانزال الهزيمة الساحقة بهم في كل اقليم من ساحة عمان والخليج العربي نؤكد ايضا على ضرورة قيادة الطبقة الاكثر جذرية في المجتمع للثورة والجبهة كشرط اساسي لا بد منه لانجاز مهام الجبهة المتحدة العريضة واحراز النصر النهائي .

اننا بالنضال وحده نستطيع توحيد جميع القوى المناهضة للامبريالية والرجعية . ان مثل هذه الوحدة الكفاحية لا يمكن ان تتحقق اذا سعينا اليها بالتنازلات أو بالعمل السياسي الهين .

- ٤ -

اشكال النضال ضد الامبريالية وحلفائها الرجعيين

انه في مواجهة الامبرياليين البريطانيين والامريكية وحلفائهما الطبقيين الرجعيين لا بد للثورة في عمان والخليج العربي ان تكون ثورة شعبية واسعة مادتها الاساسية الجماهير صانعة الحضارة والتاريخ لاي مجتمع والحسن الحديدي لاية ثورة حقيقية .

وفي مواجهة اعداء كهؤلاء ومن اجل تحقيق دحرهم الى النهاية لا بد للثورة في عمان والخليج العربي ان تكون ثورة طويلة الامد وتبني استراتيجيتها وتكتيكاتها السياسية والعسكرية على هذا الاساس .

وفي مواجهة اعداء كهؤلاء ومن اجل تحقيق دحرهم الى النهاية لا بد للثورة في عمان والخليج العربي ان تكون ثورة مسلحة ، تستخدم بشكل جيد العنف الثوري في تحطيم العنف الامبريالي الرجعي .

انه بدون هذا العنف وبدون العمل على تدمير قوات العدو واجهزة قمعها لن يتمكن

اطلاقاً من انتزاع السلطة السياسية في
أى جزء أو إقليم من أقاليم عمان والخليج
العربي وتحقيق المحافظة على الثورة .

ان الاعداء متفهمون لاشك في أدوات
القمع على شعبنا المتخلف والمضطهد
والاعزل من السلاح ، ولكن هذا التلوق
هو لا شك أيضا تفوق مزقت سنتمكن
تدريجيا من ابطاله وتبديده بفضل جهودنا
الثورية ومشابرتنا على النضال الطويل .

ان الحرب الشعبية الطويلة الامد هي
الطريقة التي نستطيع بها تحويل قوة
العدو المؤقتة الى ضعف وضعفنا المؤقت
الى قوة متعاضمة باستمرار .

ان تأكيدنا على خط الكفاح المسلح
باعتباره الشكل الاساسي والاستراتيجي
في النضال وعلى ضرورة استخدام العنف
في كل الاقاليم لا يعنى اطلاقا اننا ينبغي
أن نعرض عن الاشكال الاخرى في
النضال .

ان النضال المسلح اذا لم تدعمه
نضالات باشكال أخرى متعددة لا يمكن أن
ينتصر .

ان هناك دائما عامل اساسي وعوامل
ثانوية مساعدة وينبغي أن نأخذ بهذه
العوامل دون أن نخلط بينها أو نعكسها .

ان الامبريالية وحلفائها من الحكام
المحليين وسائر الرجعيين يركزون أكثر
قوتهم ونشاطهم في المدن والمدن
الرئيسية ، لذا وبالمناطق البسيطة فان على
الثورة أن تركز على المناطق الريفية
والمناطق الريفية الأكثر تأخرًا وتعمل على
تحويلها الى قواعد انطلاق قوية والتي
مواقع ثورية كبرى في كافة المجالات .

ان هذا لا يعنى اطلاقا انه يصبح لنا أن
نهمل وضع المدن . فالثورة التي عليها
أن تنطلق من الارياف لا يمكن أن تستمر
وتنتصر ما لم يرافقتها ويدعمها
نضال ثوري في المدن وما لم يعتد النضال
الثوري ليضم كل الساحة بأريافها
الواسعة وبمدنها حيث توجد مراكز
وقواعد العدو الاساسية .

- ٥ -

الطبيعة التاريخية للثورة

ما هي طبيعة الثورة في عمان والخليج
العربي من مرحلتها الراهنة ؟

بما أن اعداء الثورة يتمثلون
بالامبريالية والاقطاع والطبقة
البورجوازية والكمبرادورية فان هذا يدلنا
على :

١ - ان الثورة ينبغي أن تكون وطنية
للاطاحة بالامبريالية وتحقيق الاستقلال .

٢ - وان الثورة ينبغي أن تكون
ديمقراطية جذرية لاطاحة بحلفاء
الامبريالية من أنظمة حكم عشائرية
أوتوقراطية ومن اقطاع وكمبرادور .

ان هذا يعنى أن الثورة في عمان
والخليج العربي هي ثورة وطنية

ديمقراطية ، وانه بدون القيام بمسورة
صحيحة بالمهام الديمقراطية الشعبية فان
الثورة ستجد نفسها عاجزة حتى عن
كسب المعركة الوطنية .

ان المهمتين الثورتين مرتبطتين
ببعضهما اشد الارتباط ، وايضا فان
الطبيعة الديمقراطية للثورة ينبغي أن
تكون مختلفة تماما عن طبيعة الثورة
الديمقراطية البورجوازية . ان لابد من
حل مهام الثورة الديمقراطية من مداخل
أكثر تقدمية وأكثر جذرية .

ان الديمقراطية التي تناضل من أجلها
الثورة وتطلع اليها الجماهير الغفيرة من
شعبنا هي لا شك ديمقراطية من طراز
جديد ، ديمقراطية جديدة وثورية .

- ٦ -

مهام الثورة الوطنية الديمقراطية

اولا : على الصعيد المحلي :

١ - تحرير المنطقة من كافة أشكال
الوجود الاستعماري وتحقيق الاستقلال
الناجز والقضاء على أنظمة الحكم
العشائرية الأوتوقراطية .

٢ - القضاء على التجزئة وتحقيق
وحدة المنطقة السياسية .

٣ - القضاء على الاقطاع بكافة أشكاله
وتوزيع الاراضي على الفلاحين المعدمين
وأقامة التعاونيات والمزارع الجماعية .

٤ - القضاء على العبودية وتصفية
كافة بقايا علاقات الرق .

٥ - بناء نظام سلطة الديمقراطية
الشعبية .

٦ - ابناء سيطرة واستقلال الطبقة
البورجوازية الكمبرادورية .

٧ - تصفية الاحتكارات الاجنبية بكافة
أشكالها .

٨ - تحرير السوق الوطنية من الارتباط
بمعدة السوق الرأسمالية العالمية .

٩ - بناء اقتصاد وطني مستقل ذو
قاعدة صناعية وزراعية ثقيلة .

١٠ - اطلاق حريات ومبادرات
الجماهير صاحبة المصلحة في الثورة .

١١ - تعبئة طاقات الشعب سياسيا
وعسكريا .

١٢ - بناء جيش ثوري قوي .

١٣ - العمل على إلغاء قوارق التخلف
بين الارياف والمدن .

١٤ - مكافحة الثقافة الاستعمارية
الرجعية وبناء ثقافة وطنية ثورية .

١٥ - العمل على تحرير المرأة من كافة
أشكال الاضطهاد السياسي والاجتماعي
والعائلي .

١٦ - محاربة الظلم الاجتماعي والعمل
على توفير العيش الكريم لكل مواطن .

١٧ - محاربة أسباب الفساد الخلفي
والاداري والسياسي .

١٨ - محاربة الجهل والمرض وكافة
مظاهر التخلف في المجتمع .

١٩ - ضمان الحقوق الكاملة للأقليات
والجاليات الاجنبية .

٢٠ - حرية العقائد والمذاهب الدينية .
ثانيا : على الصعيد العربي :

١ - تعزيز العلاقة الكفاحية بين الثورة
في عمان والخليج العربي والثورة في
اليمن الديمقراطية مع السعي لاقامة أرقى
أشكال العلاقة التنظيمية بين الثوريين
الطلبيين الجبهة الشعبية لتحرير عمان
والخليج العربي والجبهة القومية ومن
أجل اقامة جبهة واحدة عريضة على
امتداد ساحة عمان والخليج العربي
واليمن .

٢ - العمل على وحدة الفصائل الوطنية
التقدمية في الساحة العربية .

٣ - المساهمة الفعالة في حركة الثورة
العربية لانجاز مهام المرحلة الوطنية
الديمقراطية وبناء المجتمع العربي
الاشتراكي الموحد .

٤ - اقامة أوثق العلاقات مع الجماهير
الشعبية العريضة في الامة العربية
باعتبارها القوى الاساسية والحاسمة في
الصراع بين جماهير الشعب العربي من
جهة وبين قوى الاستعمار والصهيونية
والرجعية العربية من جهة أخرى .

٥ - تعبئة ولغضخ الانظمة العربية
الرجعية والعميلة لقوى الامبريالية
والصهيونية .

٦ - اعتبار وحدة فصائل العمل
الوطني الفلسطيني وشن الحرب الشعبية
الطويلة الامد ضد الصهيونية والامبريالية
العالمية ومصالحها في المنطقة هما الطريق
الصحيح الى تحرير فلسطين وانهاء
الكيان الصهيوني .

ثالثا : على الصعيد العالمي :

١ - اعتبار الثورة الوطنية
الديمقراطية في عمان والخليج العربي
جزء من حركة الثورة الوطنية
الديمقراطية العالمية .

٢ - الالتزام بدعم ومساندة نضالات
الشعوب في القارات الثلاث آسيا وافريقيا
وامريكا اللاتينية في صراعها العادل ضد
قوى الاستعمار والاستعمار الجديد
والكيانات والحركات العنصرية في
العالم .

٣ - الوقوف الى جانب القوى
الاشتراكية والتقدمية في العالم في
صراعها التاريخي ضد قوى الامبريالية
والرأسمالية العالمية .

« انتهى »

يمكنك أن تجعل
من مطهر النسيم
منفعة أطول
أكثر
نفرتي
١٠٠ مللى

عالمية في توليفتها.. فريدة في فكرتها وعطرها



انتجتها أحدث الآلات الإلكترونية

٢٠ سيجارة سوبر ١٠٠ مللى ٢٥ قرشا

إنتاج: شركة النصر للبخان والسجاير

رسالة
موسكو : هاملت الشهاب الغاضب

الطبعة

ملحق الأدب والفن

العدد الخامس - مايو ١٩٧٢

أدب الستينيات

تقييم شامل للموجة الجديدة

يشرف على التحرير :

د. لطيفة الزيات
غالى شكرى
محمود درويش
سمير فريد
صبرى حافظ



يوسف ادريس
وبيت من لحم



جون اسبورن
والمقاطعة الثقافية



يحيى الطاهر عبد الله
« الفخاخ منصوبة للمحبين »

في هذا العدد

« الدراسة »

أدب الستينات

- ملامح الوجه التراجيدى .. من دفتر الصمت الى كتاب الارض والدم .
- الرحلة الى ما وراء الواقعية .

- قصة قصيرة : « الفخاخ منصوبة للمحبين » .
- قصصيدة : سادت في الافق طيور عمياء .
- قصصيدة : العودة الى الرحم .
- رسالة موسكو : هاملت الشباب الغاضب .
- مسرح : المقاطعة الثقافية .. سلاح للشعب الاسود في نضاله .
- فن تشكلى : فكرة النقيض في أعمال ثروت فخرى .
- كتب جديدة : بيت من لحم .

أدب الستينات

نشرت

« الطليعة » عسام ١٩٦٩ مجموعات من الشهادات الواقعية للجيل الأدبي الجديد في مصر والوطن العربي . وقد كانت هذه الشهادات في مجموعها وخطها العام أقرب إلى « الوثيقة » التي أوضحت طبيعة التكوين الفكري والاجتماعي لأبناء هذا الجيل . ولكن الوثيقة الأدبية تظل ناقصة ما لم تكتمل بالانتاج الفعلي لهذا الجيل ، فالإبداع الفني هو التعبير الأكثر حياة وصدقاً من الكلمات التقريرية المباشرة .

لذلك ، فقد رأى « الملحق » أن يتابع ما بدأت « الطليعة » من قبل بمجموعة من الدراسات النقدية للانتاج الفني الذي تواضعنا على تسميته بأدب الستينات تمييزاً له عن أدب الاجيال السابقة ، فقد كانت « الستينات » هي المرحلة الزمنية التي تفجرت خلالها هذه الحساسية الجديدة في الخلق الفني عند الشباب . ولأن هذه الحساسية قد أبدعت آثارها الأدبية على نحو بالغ التعقد والتركيب ، نتيجة للتجربة الانسانية والاجتماعية المعاصرة التي عاشها هذا الجيل ، فإن أي حكم لها أو عليها لن يتم بصورة موضوعية أمينة الا اذا تعرفنا بشكل تفصيلي على مختلف الألوان والخطوط والظلال التي تتكون منها هذه الحساسية .

ومن هنا ، سيوالي « الملحق » تقييمه لابرز العلامات - في الشعر والقصة القصيرة - التي سجلها أدباء جيل الستينات على صفحة أدبنا الحديث . وفي هذا العدد ، نبدأ بدراستين ، أولاهما حول شعر محمد عفيفي مطر ، وقد نشر له الملحق قصيدة « اشتهاؤ الملكة » في عدده الاول . والثانية حول قصص يحيى الطاهر عبد الله ، وينشر له الملحق نموذجاً من انتاجه في هذا العدد .

فتفتخت في صورتى الفصول
وغسلت ملامحى بالجوع والحقول
فجئتكم لى أقول
أو أموت لو ظلت صامتا »

ملاحح الوجه التر اجدى

الى كتاب

غالی شکری

مطر يظل ، أبداً ، قائماً طالما اختفت تفاصيل الخط البياني لتطوره الشعري بين طيات القصائد التي لم ينشرها ، والقصائد التي لم يجمعها في دواوينه . لهذا السبب ، وبالرغم من التتابع الزمني المسجل في مجهولاته الشعرية الثلاث التي صدرت حتى الآن (١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٢) فإننا لن نتوقف طويلاً منذ فكرة التطور التاريخي للشاعر وأن احتجنا إليها بين الحين والآخر في بحثنا عن روافد شعره ، وبخاصة وأن هذا التسعير لا يعتمد على الحدث المعابر وأن تضمنه ، ولا على المناسبة المؤقتة وأن احتواها . . . يعني ذلك منذ البداية أن هذا نوع

أنضج وأزكى ثمارها ، فانه لا يحصل
على ذنب اللحظة الاثنية وحدها ، بل
على حرارة الزمن . ومن هنا ، كان
محمد عفيفي مطر ثرياً منا غاية القرب
اذ هو يمس جوهر الأثنياء فينا ومن
حولنا ، وهو بعيد عنا غاية البعد لانه
يمسك بنا في شعره سبيلاً يتفق وهذا
الجوهر العميق الشامل ولا يتفق مع
عادتنا اللسوية وتصوراتنا الذهبية
الدارجة ، ومآلفاتنا السريعة الوثوب
الى المخيلة السريعة الزوال ، وعواطفنا
المرهقة بالاثارة الوقتية المنحازة لكل
ما هو يسير المثال .

وحوارنا * مع شمس محمد عفيفي

انه يعطينا الشجرة بأكلها ، وعلى
مر الفصول كلها ، لا يتوقف عند موسم
بالذات يتناسب مع هوانا العابر ، ولانه
كذلك ، فان وسائل مواصلاته ايضا
لا تعتمد المؤشرات التى يسرها حياتنا
اليومية الالهة ، وانما تعتمد على طبيعة
الطريق الصعبة التى اختار السير فيها .
وهى طريق وعرة ، ولكن فى نهايتها
الشجرة كلها ، شجرتنا التى يكتفى
البعض أحيانا كثيرة برحيق أزهارها فى
فصل الربيع أو ببضع وريقات جافة
صقطت منها فى فصل الخريف . . أما
الفارس التادر على معاشتها فى كل
الفصول ، من أدق شعيرات جذورها الى

* في رحلتنا مع محمد عفيفي بطرأرجو القارئ متابعة البحث برفقة دواوين الشاعر لأننى لن أستشهد بأبيات من شعره كما جرت العادة إلا في أضيق الحدود (التي لا علاقة لها بمعنى الأبيات أو مضمونها أو دلالتها) بـ

من الشعر لا يؤرخ لشيء ولا يؤرخ به لشيء ، ولا ينبغي أن يستدرجنا هذا التصور الى القول بأن الشاعر يفتقد الحاسة التاريخية ، فالحق أن الزمن ، عنصر جوهري في بنائه الشعري . . . كذلك لا ينبغي أن يستدرجنا هذا التصور الى القول بأن الشاعر ليس معاصرا ، فالحق أن «العصر» عنصر جوهري آخر في بنائه الشعري . ولكن محمد عفيفي مطر ينظر في شعره الى الزمن والعصر نظرة تنسب الى «المطلق» ولا ترتبط بالنسبي الا في حدود ما تطلبه الصياغة الجمالية أثناء عملية الخلق الفني . غير أن أعبد هذه الصياغة لا تتخلى عن أسس الرؤيا الشاملة للشاعر ، فهي رغم الديكور المنسق من جزئيات عديدة تنهض على قواعد عامة وكنية .

الصوت الواحد . المتعدد الأصدا

و «الصوت الواحد» هو أول هذه التواعد . ولا شك أن أحد إنجازات الشعر العربي الحديث ما يسمى في نقدنا بتعدد الأصوات ، فالحوار بين الأنا والآخر قد خلص أهم نماذج القصيدة العربية الحديثة من الفئائية المسرفة ، واتجه بنائها الى الموضوعية ، وانعطف بنسجها الى الدرامية . ومن ثم كانت تلك السيرة البالغة التعقيد ، من البساطة الى التركيب ، وهي المسيرة التي يراها البعض «من الوضوح الى الغموض» ، شاعرا منذ « من دفتر الصوت » الى « ملامح من الوجه الاتبا دوتلبني » الى « كتاب الأرض والدم » لا يسقطهم رؤياه الحديثة للشعر والعالم من هذه الزاوية الجديدة ، فلا تعدد الأصوات في شعره وان اتخذ الحوار أحيانا أداة للتعبير ، سواء بصورة مباشرة في «حسن وجيلة» (١) و «من الحسن بن الهيثم» (٢) أو بصورة غير مباشرة كما في «الفلائية» (٣) . الحوار في هذه التصايد ليس أكثر من صوت واحد متعدد الأصدا ، فعالم محمد عفيفي مطر مونولوج جنانزي طويل ، ولكنه حين يلقي «الآخر» من ماله فهو لا يقدم «الذات» أو «صوته المفرد» ، بديلا . . . وانما هو يقدم لنا ممسوتا واحدا مشعا بأصدا موقلة في الماضي ثلعة من الحاضر قادمة من المستقبل في آن واحد . لذلك فهو «صوت مجسم» لا يمكن نسبته الى ذات الشاعر بمعناها الضيق ، والا جاء شعره غنائيا في جوهره ومبها تنقل من «البكائيات» الى

«المناجيات» الى «الابتهالات» . . ان هذه الاشكال الغنائية كلها تحتم وجود طرف «آخر» تستدر «الأنا» تماطفه أو مشاركته أو هي تتوسع منه خيرا أو تقوى شره . وفي جميع الأحوال تصاغ هذه الاشكال كأغنية فردية أو جماعية بسيطة في بنائها المنساب كالماء الجاري في النهر المنقسم ، موسيقاها بالغة الاتساق مع فورة الانفعال وهبوطه ، وصورها لا تخرج على ما تستطيع صفحة النهر وضوء الشمس التقاطه من مرئيات .

ان شعر محمد عفيفي مطر ليس متعدد الأصوات ، ولكنه أيضا ليس صوتا واحدا غنائيا بسيطا . انه لا يزال أحدا ولا يطلب جوابا من أحد . وانما هو يحاور نفسه حوارا تراجيديا معينا . . سواء استخدم فننير المتكلم أو ضمير الغائب أو ضمير المخاطب ، وأحيانا يستخدم الضمائر الثلاثة في قصيدة واحدة دون أن يغير ذلك ماهية «التأثر» ، فالضمائر لديه ليست رموزا لذوات ، وانما هي تجسيدات لارئة . . وصوته الواحد هو الوعاء المونولوجي لهذه الارئة ، نصب فيه همسات الماضي وهمسات المستقبل كأمسداء موصولة بذبذبات الحاضر وموجاته المضطربة . في « العرس العظيم » (٤) يتوجه بالخطاب الى «أيوب» دون أن يقصر مخيلتنا على شواهد الصبر التقليدية في القصة القديمة ، فالصبر - لفظا ومعنى - لا مكان لها في معجم الشاعر . . . وانما هو يقم لخطابه ديكورا من الحاضر الذي لم يره أيوب ، ديكورا استوحيت جزئياته المرئية من عالم الشاعر : مئذنة الضيف ومنصف الليل وهودج العروس والريف الصامت الى غير ذلك من اشارات مبنية الى الحاضر بغير أن يلفظ الشاعر بها شيء بصوت الحاضر . . وتبدأ معظم الابيات بحرف السين : تسبحط ، سيساق ، سقيد ، ستزف ، الى غير ذلك من الكلمات الدالة على المستقبل . وهكذا لا يصبح أيوب فناما للشاعر وانما هو صوت الماضي والحاضر والمستقبل ، صوت واحد ، ولكنه صوت مركب تعددت أصداؤه حسب معمار القصيدة . وهو معمار يتقنن الشاعر في تنفيره من قصيدة الى أخرى ، وربما من ديوان الى آخر ، ولكنه في النهاية مشروط بأمر واحد هو أن يفتح للصوت

الواحد أن تعدد أصداؤه ؟ وأن يجسم هذا الصوت معادل موضوعي . لذلك فهو حين يقول :

« تحلم الأرض بوجهي المتالم
وانا أصرخ في بطن الخليقة » (٥)

لايخطر ببالنا أن صاحب هذا القول هو الذات الانسانية المفردة لمحمد عفيفي مطر بالرغم من استخدامه المباشري لللفظة «أنا» في مقدمة البيت الثاني ، ذلك أنها هنا في إطار الصور المختسرة والتجربة الملتحفة بها وطريقة تركيبها ، تتم عن «الصوت الشعري الواحد» وقد انسلخ عن شخصية مساحيه الاصلى ، وأصبح له كيانه الموضوعي المستقل . وسوف نلاحظ ذلك دوما على بقية القصائد التي يكثر فيها استخدامه لكلمتي «أنا» و «أنتي» وغيرها من بدائل ضمير المتكلم . في أحد تماطع قصيدة «عذراء الصبت . والصبت» (٦) يبدأ المونولوج « لقد أحبت حينيك » بداية غنائية مشتهكة ، لولا البيت الثاني المعطوف « وأحبت التناديل التي تهب عبر شسوارع الموت » حينئذ يتوهم الببتان معا بصورة جديدة التفتت بتجربة ذات أبعاد تتجاوز الغناء .

وكثيرا ما اتهم محمد عفيفي مطر بقدرته على « توليد » الصور ، وأنه لا يستطيع أن يتجاوز خياله الخصيب لتطوّل منه القصيدة بغير داع بل يؤدي ذلك الى تكرار ملل لأن بدا له أنه فهم وتشتتت للحواس ينتهي بالغموض عند من . بدا له أنه لم يفهم . ويجب أن نسلم بطساقة الشاعر الهائلة وخياله الخصيب ، وليكن قول القصيدة أو نصرا لا يتأثر عند محمد عفيفي مفلس نتيجة خصب الخيال أو نظوبه ، وانما نتيجة تصميم البناء الشعري على نحو يسمح بتجسيم الصوت الواحد بأصداؤه المنعددة ووفق حجم التجربة التي يتخللها هذا الصوت . الصوت والتجربة متدما ، أما الصورة فنتيجة ، وليس العكس .

لا يدخل شاعرنا في حوار مع العالم ، وانما هو في حوار متواصل مع النفس . لذلك كانت تجربته الشعرية مونولوجية ولكن حان لنا أن نقينا : مونولوجا دراميا . والطابع الدرامي في شعر محمد عفيفي مطر لا ينشئ الى عالم الشكل ولا الى عالم الفكر ، ولكنه ينشئ الى طبيعة التجربة التي يتناولها بالنفسين

(١) من دفتر الصبت - ١٩٦٨ - منشورات وزارة الثقافة السورية - دمشق .

(٢) كتاب الأرض والدم - ١٩٧٢ - منشورات وزارة الاعلام العراقية - بغداد .

(٣) ملامح من الوجه الاتبا دوتلبني ١٩٦٩ - منشورات دار الاداب اللبنانية - بيروت .

(٤) من دفتر الصبت .

(٥) (٦٥) من دفتر الصبت .

من ناحية الشكل. فلما يلجأ الى الافئدة المسرحية ، بل انى أشك في استماتته بها ، وانما هي تجيء أحيانا كالمسلوب في التوزيع النغمي أو الصوري ومن ناحية الفكر فهو لا يرى التناقض بعينه الجدلي ثانونا لحركة التاريخ . انه يكاد يرى الدنيا كتلة سديمية مر الظلم والظلمة ، هكذا وجدت وهكذا استمرت وهكذا قيميا يبدو مستظلل . وانسانه - صاحب الصوت الشعري في تجربته ورؤياه - لم يعيش ولم يموت . تلك هي «القيمة» الرئيسية في معظم قصائده : انسان لا يعيش ولا يموت ، لا يعيش كما يشتهي ولا يموت بدلا من العذاب ، كذلك البطل المتعدد الوجوه في الاساطير اليونانية . ولكن محمد هنيئى مطر يخلق عنه كل أروية ميتافيزيقية وكل حتمية اجتماعية في نفس الوقت ، انه لا يعاني عبث الوجود والعدم ولا بطش الاقدار وحكم الالهة ولا ضرورة الطبيعة أو ضراوة البشر . . وانما هو يعاني منذ مولده - وحتى يموت - بشاعة الحصار المضروب حوله من الجوع والتهر. الجوع بكافة مستوياته ومعانيه ، والتهر بسفخه أشكاله ودلالاته . والسياق التاريخي لا يحد الشاعر الا بمزيد من الأدلة والشواهد ، ومن ثم فهو يرى «الشر» بما يسرى في شرايين السكون لا خلاص منه بالموت أو بالدين أو بالنضال أو بالحب . ولكن محمد هنيئى مطر لا يجعل من انتقائه هذا صوبرماتا يتعالى بمعذابه على بقية البشر ، انه ليس بطلا أو أسطورة ، وانما هو الانسان في كل زمان وكل مكان ، في عرائه المطلق أمام الذات . تصادف أن ينطق في شعر الشعراء يلعبان مصرى ، ولكنه كان يمكن أن يولد ويعيش ويموت في بلاد أخرى ، بل هو مولود وحى وميت في العالم أجمع ، تختلف ملامحه ربما ، غير أن جوهره لا يختلف . ولما كانت ملامح الصوت الشعري لمحمد هنيئى مطر هي ملامح مصرية ومعاصرة ، وجب أن نتأمل تكويناتها وتشابكاتها وأصولها . انهما ملامح الوجه التراجيدي الذي يخصصنا فيها يرى الشاعر .

هيكل القصيدة

ليست تنويعات مختلفة على شبة واحدة ، تلك المشابهات التي نعتز عليها في البناء الشعري لمحمد هنيئى مطر ، فهو لا يقترب من نسج الموال الشعبي ولا من مهود الموسيقى العربية ، وانما هو يقوم على أسس التناظر والتوازي

والتقابل والتناقض بالمعنى الهندسي لهذه الكليات . في قصيدة «صوتان عن الحق» (٧) تتفجج هذه الأسس في التوازي المقصود - والمحسوب سلفا - عن العراف والسيف ، بين النبي والسلطان ، ولكن هذا التوازي باسم الحق الواحد هو في حقيقته تقابل بين وجهتين مختلفتين ، ومن ثم يجيء المقطع الثالث وقد تحولت الصورة تدريجيا من التوازي الى التقابل الى التناقض بين الحق اذ «يموت» العراف والحق حين «يقوله» السيف . . وهكذا يترج القصيدة هذا التناظر الجاد بين حق وحق وبين تولد وفعل يتمزق بينهما الشاعر تمزقا مونولوجيا تراوحت أصداؤه بين العراف والسيف . في «عتم الأخضر» والتجسد (٨) يقوم البناء على الأسس نفسها ، ولكن في وضع مختلف ، فالصوت الواحد يستشعر التهر في مولد عينيه «أكرهني العالم أن أتجسد في مينين» ثم يفتح الشاعر أقواسا نظن لاول وهلة انها تقدم صوتا جديدا ، ولكن ما أسرع أن نستدل على أن الصوت الواحد مازال يتكلم :

«عذبنى أنى أملك هاتين العينين

عيناي السوداوان

في ليل القيسو الدامى شباكان

بثران انسكبت في أغوارهما

النيران

وتعارك صدر الأرض

وتصل الشمس

الصوت الاول - والواحد - هو هو لم يتغير ، ولكن صداه يتدرج بالصورة الشعرية من خطها العام ، منذ ولد برتديا عبيص الصوت وأكل الكعك الاسود في أمراس الموت . . يبدأ التسدرج بالمعنيين اللذين أكرهه العالم على أن يتجسد فيهما ، وأكرهه مرة أخرى ألا يرى بهما سوى القبر الدامى والبئر المشتعلة ، وكذلك قدماء : تمسرق احداها في الطرق الجبلية والآخرى تهوى في التبعان . هذا هو التناقض الاميل بين روحه وجسده ، بينه وبين نفسه ، فالتجسد ذاته هو الاشكال الدرامي ، والموت لايفضى الى حل مادام الميلاد قد حدث ، والاشكال الدرامي في التجسد أن الروح تحل الجسد على كتهبا ، وأن الجسد يحل الروح

على كتهبه . يعائنان أهوال « الحياة - الموت » في حوار مونولوجي متصل . وهو الحوار الذي يبدأ عادة بالصوت الرئيسي في صورة مقدمة ، وينتهي عادة بهذا الصوت في صورة خاتمة ، وكلتاها عيزانه عن غيره من الأصداه المتداخلة على طول القصيدة ، كان يبدأ «بوابة طليطلة» (٩) بصيبر المتكلم وارتفاع النبرة «لبست قناع التكر على أسوح ليل الدبنة» وينتهي من رحلته بوشم على يده «بكاء تجمد» . وبين البداية والنهاية يتمدد الصوت على مدارج المقطوعات الخمس حيث يفتح الشاعر أقواسه ، لا يستضيف بينها أصواتا جديدة ، وانما يمد حبال الصوت الواحد الى الامام وإلى الخلف ليستمع الى الماضي والحاضر والمستقبل بأذن ذلك الذي يخاطبه « . . لا أنت حتى - ولا أنت تدخل ملكة الميتين » . وهو الوجه الذي صادفنا من قبل في «الموت ليس واحدا» (١٠) لم يعيش ولم يموت ، وهو أيوب في «العرس العظيم» ، وهو غير ذلك من الوجوه والاسماء الخفية والظاهرة التي يتجسدها الصوت الواحد في شعر محمد هنيئى مطر .

ورحلة الصوت لا تتغير من حيث وجهتها الرئيسية في القصيدة ، انها تبدأ من « لحظة حضور » هذا الذي لا يحيا ولا يموت ، ثم تتوغل في ثنايا الزمن تارة الى الماضي وتارة الى المستقبل ، أحيانا يجيئنا الصدى بأسلوب الفلاش باك ، وأحيانا بأسلوب الحلم والسكرابوس . أى أن رحلة القصيدة في عالم محمد هنيئى مطر لا تعتمد «الرمز» بمعناه التاريخي ولا بمعناه الدارج ، انه لا يتخذ كغيره من التاريخ أو الاسطورة ديكورا برمز به الى الواقع ، فالمعادلة الفنية لا تستهويه بسجاواتها واستعاراتها وكناياتها . . وما نلتقي به في السياق من اشارات تاريخية وأسطورية لها علاقة بعنصر «الزمن» في بناءه الشعري ولا علاقة لها بفكرة التشبيه ، أنه يستحضر الماضي في مخيلتنا بعلماته الواقعية ، وكذلك يفعل مع المستقبل ، ولكنه لا يفصل بين الأزمنة الثلاثة فصلا ميكانيكيا ولا يضمها في إطار جدلي ، وانما هو يصهر أصداؤها جميعا في صوت واحد دافق بهذا المعنى : أن صوته وأن يكن صوتا واحدا فانه ليس صوتا مفردا ، انه على الصعيد البنائي صوت «مجسم» يعتمد التناظر والتقابل والتوازي والتناقض خطوطا عامة لهذا

(٨٧) ملامح من الوجه الانيا دولييس .

(٩) كتاب الأرض والدم .

(١٠) ملامح من الوجه الانيا دولييس .



مصطفى صادق الرافعي



محمود حسن اسماعيل



محمد غنفي مطر

للقهر في رؤياه الشعرية ليس رقيقاً للصمت والعصف والكبت بل المعنى السياتي المتداول ، وليس الأمير والشرطي أو السلطان والحارس طرفاً وحيداً في سياغة القهر الإنساني ، وإنما هاتين الحضارة البشرية بمختلف عناصرها التي طوشت صوته بصرخة المهد ووسادة اللحد . وما بينهما الجوع الرابض كالوحش عند مفصل المدينة ، يصطاد القادمين بأنبيائه ، ولكن الوحش في دنيا مطر ليس هو بالقطع وحش طيبة ، فهو لا يجهز على ضحاياه ولا يعتقبهم ، ليس لديه لغز يقدمه لهم ، من حله عاش ومن أخفق مات . أنه يطلقهم بين فكيه بين الحياة والموت . هل تتداخل خيوط الحياة بخيوط الموت في نسيج شعري واحد ، هو نسيج ثراجيدي دون ريب .

القهر = برة أخرى وثالثة ورابعة إلى مالا نهاية من المرات = لا يتخالف لمعنى شاعرنا سوطاً في بدي الحاكم يصيب المحكوم بالرعب ، ذلك تبشيط لا يرتضيه الشاعر لأنه لم ينظر إلى المشكلة من موقع «المتف» ودفاعاته الجردة عن حرية الفكر والضمير . كل ذلك قائم بالفعل ، ولكن مغشوباً بغيره من عناصر القهر الأخرى التي لا تميز فيها بين الأيدي القابضة على السوط ، سواء كانت للحاكم أو للمحكوم ، للفرد أو للمجتمع ، للطبيعة خارج حواشينا أو تحت الجلد في دمانا . شاعرنا لا يقيم حداً بين أصول القهر ومصادره ، فالزمن هو دوماً زمن القهر ، أيا كانت أمداؤه قادمة من بعيد أو من قريب ، من فوق أو من تحت ، من الداخل أو من الخارج ، من أعماق

كامل ذلك الذي «لم يمش ولم يمت» منذ سقطت عنه الحرية قبل مولده . على أن هذا لا يجرنا إلى القول بأن رفض الشاعر لعالمنا هو رفض ميتافيزيقي ، فهو لا يرفض الحياة وإنما هو يرفض القيم . أنه ليس شاعراً هديماً أو عبثياً أو وجودياً ، ولعل شهوة الحياة هي أقوى الشهوات المسيطرة على عقله ووجدانه ، وليس الانتحار الذي لا يخطر على باله بآية صورية من الصور . أنه وقد ولد فهو مرشح للحياة ، ولكن بأصاته . في إطار الحياة وليس خارجاً عنها أو متعالياً فوقها . أنه لا يفتشها . لا يعيشها على كافة المستويات التي عرفها «الإنسان» منذ بدء الخليقة ، هكذا يتوحد صوت الشاعر بصوت الإنسان ، صوت التاريخ بصوت العصر ، بصوت مصر بصوت العالم . وهي المعنويات التي تندرج من البدائية إلى أحدث منجزات الحضارة الحديثة . في عام ١٩٦٢ كان يقول «لو أنني حاولت في الظهر العبور من الرصيف إلى الرصيف» (١٢) وفي عام ١٩٦٥ كان يقول «لو نمت في مقبرتي القديمة» (١٣) وفي عام ١٩٦٨ ظل يقول :

«كلما شأغلت نفسي لأنام
خفت أن يسمعني الحارس
أحلم
برغيف الصاعقة

خفت أن يصبح ضوء الشمس
سيفاً للأمير
فأنا أحمل في كفي ظل
الجمجمة» (١٤)

البناء من أبسط الجزئيات إلى أشمل الكليات ، على مستوى اللفظ والوزن والصورة جميعاً (١١) . وهو على صعيد الرؤيا صوت «مشبع» بأصداه الزمن التداخلية لينا بينها على نحو بالغ التعقيد ، ولكنها تردد من مختلف الروايات ثيمة القهر الإنساني ، معاصراً كان أو قديماً أو متبلاً . فالماضي في شعر مطر ليس استشهاده تاريخياً «يدل» على صفحة مقولة حاضرة ، والمستقبل ليس نبوءة «مؤكد» للراهن . الأزمة الثلاثة «وجود» هي كامل ذو أبعاد مختلفة ، ندعوه صوتاً واحداً ذا أصداه متعددة . لذلك فإن بناء القصيدة ليس «منطقياً» بأي معنى للمنطق الخارجي ، لا يقوم لا على الاستدلال المجرد ولا على الاستشهاد المجسد ، لأنه لا ينهض أصلاً على فرض نظري متسبق أو «فرضية» تحتاج إلى البرهنة . كذلك فإن بناء القصيدة لا يحتاج إلى شفيح تصمي أو مسرحي تتجسد خلاله الحكاية أو الحدوتة حتى تستقيم الأحداث بدلولاتها وتسييل المؤليات بأبعادها . ولأن القصيدة في شعر مطر ليست قضية تحتاج إلى برهان ، ومن ثم لا ترتبط = مطلقاً = بالمجردات الفكرية ، فإنها أيضاً ليست «حدثاً» بالمعنى الأرسطي يحتاج إلى بداية وثرية ونهاية . ومن هنا لا يبعد الشاعر إلى مشجبه من خارج الشعر . أن قصيدته «أشكال لرامى» مركب من عناصر موقولوجية لا موقع فيها للباس أو للامل ، وإنما هي تحاور المشهد الشعري بأكمله مضلقتي «المواجهة» ، مواجهة الذات لنفسها ، وهي المواجهة التي تستقط المسئولية من

(١١) تشكل هذه الأسس الهندسية مجموعة من «التكوينات» يستجلبها الشاعر أصداه مسوتة من كسافة أرجاء المعمورة : من التاريخ والجمع والحضارة والحلم الإنساني . (١٢) (١٣) من دفتر الصمت . (١٤) ملامح من الوجه الإنيا نوقليسي

تلاحمت أفراسنا بالناسنة الشوهار

فانفتحت ما بيننا بوابة الابناء
ولدت لنا بنت قمينة بلا رحم
وولد محسرق العينين دونها
قلب ولا شفاه .

ان شهوة الخلق المحبطة هي الشهوة الطبيعية - وان فزعنا - التي تنمو تحت ظلال الموت ، وليست هذه الصور التي تبدو لنا كلوحة سريالية تقطع فيها حلقات الاندواء وتولد البنات بلا أرحام والاولاد بلا قلوب أو عيون أو شفاه ، ليست أكثر من الخصوبة الجائعة الى التحقق والابداع المحروم من الحضور والخلق الظاهري للولادة . انه في عبارة واحدة الوجود الغائب عن الوجود ، وجود ذلك الذي لم يعيش ولم يموت في الماضي ، ولا يحيا ولا يموت في الحاضر ، أما في المستقبل فهو يضم انبادوتليس ونيثشه الى صدره ضبا مبللا بفراغة الصخرة المنقودة (٢٠) . في قصيدة بقيمة الابوين والاجداد ، تكاد تكون «سلاحا» عنوانها «رقصة في آخر الاعياد» (٢١) يترادى للشاعر أن وحدة الانسنان والعالم - بعيدا عن فكرة سبينوزا حول وحدة الوجود - هي السفينة المبككة الابحار في نهر المستحيل : أن تجتمع أرحام النساء طرا في رحم واحد وأن تطول قنوات النطفة بطول الارض ، وأن يتخلق الجنين القادم في سنوات الصب ، ثم يرضع ويأكل من كل ثمار العالم الخطوة والمرتبة ، ويكبر ويعمل كل أعمال الانسان الرقيقة والمنحطة .. وعليه أن يقتني ميراث الدم فيتزوج من نفسه ويضمو بفرس يديه ، وحينئذ يتكلم « لغة واحدة » تخرس كل اللغات ويموت العالم ليولد «يرقم في شفتيك» .

علينا أن نلاحظ أن القصيدة كلها بنيت بضمير المخاطب ، انها صيرت الشاعر الى « طفل العالم والانسان » الرابض في مخيلته ، كنقيض للكائن الحال في جسده . مازال الصوت مونولوجيا ، ملامح الفجيرة تلون الصورة المضادة بالبهجة والاشراق ، ولكنها ليست ملامح مدينة غاضلة تحل مكان المدينة القاسية - في مصر أو في العالم - وإنما هي ملامح الوجود الغائب عن الوجود ،

ومعناه - الضدى - الرئيتي - للموت - يمسى هو والموت مظلة واحدة تلازم الانسان في دروب الحياة ، نتحجب عنه المطر والصاعقة الخضراء ، حتى البرق يثقل فوق رأس أيوب بلا شرارة ولا موسيقى . وربما كانت رؤيا ناتنازيه - تلك التي تجسدت لديه في خروج الابهوات من قبورهم - ومن بينهم أمه - والوراثة هنا ايماء مقصودة - تجر بقايا الكفن وتصرخ جوعا لكسرة خبز وحفنة ماء ، ولكنها الفانتازيا الناجمة - القائلة بديمومة الموت والجوع وصيرورتهما في صلب الحياة (١٨) - وبالرقم من أن الجوع يستتويته المختلفة يسيطر على العالم الشعري لحمد عيني مطر سيطرة تامة ، إلا أنه في جميع الأحوال لا يستهدف ديكورات البؤس وحدها - ماديا ومعنويا - أي أن انحطاط المستوى البشري للوجود الى المستوى الحشري للحياة ، ليس هو في ذاته «الغيب» الذي يجوف الكون من حضور الكينونة وامتلأها ، وإنما يتبل هذا الانحطاط والغيب في اقتيال شهوة الخلق وأحيائها . أن يكون الانسان انسانا . يعني أن يكون خالقا ، وخواء الحياة من الشروط الانسانية للوجود - يعني خواءها من شروط الخلق ، وهكذا يتوقف الانسان من أن يكون . ان خلا رهيا في تركيب عناصر الحياة يرفضها دائما للموت ، خلا في المجتمع والطبيعة - والحضارة على السواء من شأنه أن يقتل بذرة الابداع في الانسان ، أن يقتل انسانيته . في «الثلاثية» (١٩) وتحت عنوان «الحب - المصير» تمد أذرع الاضطراب الرئية لتخلق الخصوبة في اللحظة التي تبدو في أوج اكتمالها وريمان شبايها :

حببتي عيان تنظران في داخلها
نهدان غائزان في طنوايا
صدرها

لا يبرزان الاساعة الساعية
لا يملآن بالمصير الانسانية
الهزيمة

●●● ●●●
●●● ●●●

الاصاق أو ملك تنطوح الانبياء - والموت ليس ردينا للزمن ، ليس محطة وصول أو نقطة نهاية ، وهو ليس طرقا في علاقة جدلية مع الحياة ، وإنما هو كيان مادي محسوس يظل الحياة بلون المعثة :

«يماردني ، يقول: عرومك المسجاء في أرض متوجة على التيسبات وحفل زفافك المومود محتبس بأبوابي وملكك سوف يولد عبر أعتابي» (١٥) ويظل حلم الشاعر الأبدى أن يبحر «بين مدائن الموت» (١٦) . ولأن الموت على هذه النحو «السحاري» في نهر الحياة ، فالجوع هو انعكاسه الرئيسي على صفحة هذا النهر ، وهو جوع شامل شمول الموت والحياة كليهما ، انه ليس «الجوع الى» فقط ، ولكنه أيضا «الجوع من» ، انه الجوع سلبا وإيجابا ، جوع الفراغ والتخمة ، جوع القرية والمدينة ، جوع الروح والبدن :

«الجوع في القرى معشوشب
يخضر في حشائش
الجدائل
يصفر في السنايل
يسود في لفائف الاطفال
والوجوه

يبيض في حوائط المقابر
يطير حينما تفتسل السماء
ملونسا في تزج الامسائل
المظيرة

●●● ●●●
الجوع في المدينة
يصفر في انسكابة الجدائل
يخضر في المزابيل
يسود في حدائق الاسفلت
والسكوت

يبيض في القصائد المخنثة
يطين في شوارع الزجاج
والاحجار
ملونا في الصحف الفقيرة
معطرا بما يفوح من جوارب
الاموات في الظهيرة (١٧)
هذا الجوع الذي يكاد يصبح - بلنظرة

(١٦:١٥) من دفتر الصب :

(١٧) ملامح من الوجه الانبا دوتليسي :

(١٨) راجع قصيدة « بوابة مليلة » في صدر ديوان «كتاب الارض والدم» .

(١٩) ملامح من الوجه الانبا دوتليسي .

(٢٠) أرجو قراءة القصيدة بكاملها في « ملامح من الوجه الانبا دوتليسي » .

(٢١) استخدم كلمة « التضمين فوريا » في القصيدة « . وتعني اعياد الحصاد والخصوبة والربيع في اثينا القديمة » واستخدم كذلك تمييز « السنة الكبرى » وهي الفترة التي تقطعها التسمال حتى يصل الى مرحلة الاختراق ثم تعود دورة الكون والفساد مرة أخرى ، وهي فكرة « العود الأبدى » لنيثشه .

وجود الإنسان والعالم معا ، ذلك الرجوع بحضوره المتلى ، المنتش برعشة الخلق والابداع ليس خلما ولا يوتوبيا ، وإنما هو أحد عناصر « الأشكال الدرامي » المركب في الصوت المونولوجي المعذب .

موسيقى اللوحة .. والتمثال

لأن محمد عفيفي مطر لا يبنى في شعره مدينة فاضلة ، فهو لا « يبشر » ، إنه ليس داعية . لذلك تخلق من بنائه كافة أدوات الجهر والتقريرية والمباشرة . ولأنه لا يقيم هذا البناء من مواد تستفز الرغبة لدى الآخرين في الإسقاط ، فهو لا « يمثل » ، إنه ليس قناعا . لذلك تخلق رؤياه من كافة أدوات التشبيه والنقد والمقارنة . ولأن هذه الرؤيا تصلنا عبر حسنة الخصاص ، الصوت الواحد المتعدد الأصداء ، فهو لا « ينشد » ، إنه ليس راوية . لهذا يخلق هذا الصوت من كافة أدوات الحكى والذكر والترقيم والتثليل .

وإنما يقيم الشاعر لمونولوجه الجنائزي الطويل مهرجانا من الطبيعة بمختلف عناصرها التشكيلية واللونية والنعمية . وهو يقيم هذا المهرجان وفق هندسة معمارية دعناها بالتناظر والتقابل والتوازي والتناقض . معنى ذلك أن هناك تصورا هارمونيا في مخيلة الشاعر الابداعية يعادل موضوعيا فوراته الانفعالية المضطربة . وهذا التكافؤ الدقيق بين عاطفته ومجسماتها الشعرية هو الذي يحقق لمونولوجه الدرامي كينونته النوعية الخاصة ولا ينزلق به الى مستوى المذكرات الشخصية ، أو يتحول به الى القصيدة الغنائية . وربما أوجت عناوين ديوانه « من دفتر الصمت » و « كتاب الأرض والدم » بهذا المعنى المزدوج ، فالدفتر والكتاب يضمنان أوراقا « خاصة » حقاً ، ولكن صاحبها لا يودع فيها أسراراً « شخصية » . أن العناوين إشارة الى فكرة المونولوج لا الى فكرة المذكرات لأن الأوراق لا تسجل ذكريات مضت ، وإنما هي حوار متصل مع الذات ، ومواجهة حية تهاجرة ، كانت وما زالت وستبقى .

أمود الى القول بأن الشاعر يركب مونولوجه من عناصر الطبيعة بمعناها الواسع والبعيد كل البعد عن أية ظلال رومانسية . ونحن نستطيع أن نحصى على سبيل الرصد هذه المجموعة من الالفاظ في ديوانه الاول « الرغبة - الرعشة - الزيت - الفحم - الدخان - الجدار - الاسطورة - الشتائية - الابار - الاغوار - الصهد - الرمادية - العنقاء - حريان - الصاعقة » . وباستثناء أربعة ألفاظ ، ينتسب لشاعر منها الى الفكر المجرد كالاسطورة والعنقاء ، والاثنان الاخران الى الحالة

الخشبية كالزعفنة والمزق ؟ فإن بقية الالفاظ تنتمي الى عالم الطبيعة بجزئياتها وتفاصيلها ودقائقها الصغيرة . أما ديوانه الثاني ليضيف هذه المجموعة « الريح - اللبن - الخرافة - العراف - الثدى - النطفة - الليل - الحليب - الحلبة - السنبال - الجوع - الأرض - الملكة - الجبل - الموت - الحقول - الجيفة - السحر - الرعب - العاصفة - المتنوع - الكهانة - الدم - الرمل - الطلث - الطلح » وإذا لم نقس أن « الإنسان » هو من ثمار الطبيعة ، رغم خصوصيته المستقلة فإننا لن نجد في هذه المجموعة أكثر من ثلاث كلمات تنسب الى الفكر المجرد هي : الخرافة والكهانة والعراف ، وكلمتين اثنتين ينتسبان الى الوضع الانساني هما الجوع والملكة . أما المجموعة الثالثة في ديوانه الاخير فتتصيف « اللقاح - الجسد - النعامة - حبلى - الغابة - العنكبوت - الوشم - النطفة - الجنين - الرضاعة - الجبنة - الودد - العشب - الحفرة - الاشتعال - الصحراء - الشهوة - الشرارة - المهرة - النهر - العيون - الاصابع - الميراث - الفرق - الشق - الجذر - المثيرة - الطلث - الرحم - الحراس - الرؤوس - الطفوس - الريح - الداخل - التعاريج - الحصى - الصخر - السقوط - القناع - الشجر - العنقود » . وهنا أيضا باستثناء الفكر المجرد في كلمات السقوط والتنازع والوشم ، لن نجد سوى الطبيعة بتكويناتها ومتداداتها وحركتها ، حتى أن لفظ « السقوط » كلفظي الداخل والتعاريج ، هو حركة داخل الطبيعة قبل أن يستقل بدلالته المجردة .

ليس هذا بالطبع معجبا لغويا كاملا للشاعر ، وإنما نحن نضع أيدينا على العلامات البارزة في بنائه اللفظي حيث نكتشف أن القاسم المشترك الأعظم في هذا البناء هو « الجسد الانساني » بأجزائه وأوضاعه وصفاته وأحواله من ناحية ، و « المجتمع البدائي » بعلاقاته وأدواته وأجوائه من ناحية أخرى . وسوف نلاحظ اعتماده في اختياره لهذه الالفاظ على « الاسم » و « المصدر » وقلما يحولها الى صفات وأحوال ، ومن هنا كان ابتعاده المفرط عن أدوات التشبيه ، وابتعاده المطلق عن تنقيت اللفظ الى معان جزئية ، فهو يميل الى ما يسمى بالكلية الجذرية ، الكلمة - الصورة ،

الكلمة البدائية المشحونة بظلال « الأصل » والمشعة بنور يتجاوز هيكلها الحرفي . بل هي لا تتكامل ببعدها الصوري فحسب ، وإنما ببعدها النقي كذلك . والصورة والنغم كلاهما يولدان شرارة الفكر ، وليس العكس ؛ أن تتحول الكلمة الى شبح نظري مجرد كالارقام في لغة المعادلات الرياضية ، أو وسيلة مواصفات مبتكرة وغير مأمونة العواقب في لغة حياتنا اليومية . إن الالفاظ مثل الرعشة والشهوة والاشتعال والشرارة تحمل في « تكوين » حروفها صورا كاملة لوقدة الانفصال والتوتر ، ولكنها صور قريبة من أسلوب « البقعة » في التشكيل المعاصر ، وبالرغم من تجريدية هذا الأسلوب وعفويته ، فإنه تجريد حسي أن جاز التعبير ، حتى أن البقعة تحمل في طياتها إيقاعا يستكمل بحرف الشين - على سبيل المثال - ذبذبة التكوين المتوقد بالانفصال والتوتر . وكذلك فإن الالفاظ مثل الحفرة والمقبرة والشق والرحم والأرض والابار والاغوار ، ونقائضها مثل الودد والريح والجذر والرأس ، تشير الى أن الشاعر كما يستخدم الريشة في التصوير فإنه يستخدم الازميل في النحت ، إنه هنا ينحت بالالفاظ بكلاء كما صور هناك بقعا .. وإذا كانت تلك البقع الحسية قد جسمت - تشكيلا وموسيقى - لحظة الذروة في سياق الإشارة المونولوجية لدى الشاعر ، فإن هذه الكتل قد جسمت الاجهزة المولدة لهذه الكهرباء . ولم يبق أمامنا الا القول بأن الفعل الجنسي - فعل الاخصاب - هو الفعل الرئيسي في رؤيا محمد عفيفي مطر . وألفاظه الشائعة كاللقاح والحبلى والولادة والرضاعة ، وما يماثلها بحروف أخرى كالرغوة واللبن والفرق والتداخل والنطفة والثدى والحلمة والعاصفة والرمل تدل بغير جهد على هذا الفعل . ولكنه الفعل الناقص ، بالرغم من بلوغ الذروة ، فالنعامة والسحابة والطلح والحصى والصخر والجوع والموت والصحراء ، كلها الالفاظ تنسج في السياق خيوط العمق واليوار ، أنها شهوة الخلق المحبطة ، هي التي تدفع الشاعر الى التقاط مفرداته من دنيا الخصوبة وعالم الموتى معا . . . علينا أن نرصد ميله الحاد الى تغليب الالفاظ الأكثر حسنة وموسيقية على بقية المرافقات التي لم تكتسب لدى العين والاذن ، تلك الدرجة القصوى من التشكيل والايقاع . أنه يفضل - مثلا - استخدام لفظ العطش لا الظمسا ،

(٢٢) هنا يجب أن نذكر أنه كان لمحمود حسن اسماعيل اثره الواضح في تكوين الخيلة اللغوية لدى الشاعر .

وافظ النعش لا التابوت ، والميرة أو
الفرس لا الحبل (٢٢١) .



بريخت



سارنر

على أن الكنه وحدها ليست أكثر
من العنصر الاوى في بناء الشاعر
لربما ، في تجسيم مونولوجه الدرامى ،
ومصنفها من هيكلة القصيدة العباء
هى الذى يحدد أكثر فأكثر بقية العناصر .
الكنه عنده نعمة حبا وعلة حينما
آخر ، وهو فى ذلك بالغ التأثير بالفنون
التشكيلية . وهو يستخلص من الشكله
كل ما تملكه حروفها وتكوينها من إيقاع ،
وفى ذلك أيضا يتأثر بأبلغ التأثير بهارمونى
الموسيقى الحديثة . ولكنه قبل ذلك وبعده
يؤمن محمد عفيفى مطر أمنا جماليا
بأفكار الحلول والتناسخ وغيرها من
الأفكار التى يتيح له أن يؤنس الجمادات
وبالعكس ، أو أن يحول النباتات الى
حيوانات وبالعكس أيضا . . . انه بذلك
لا يؤمن بوحدة الطبيعة فحسب - وان
كانت هذه فكرة واردة على صعيد الذهن
- وانما يتيح لنفسه أقصى درجات التحرر
على صعيد الإبداع الفنى ، مبكسر عنق
البلاغة التقليدية من ناحية ، ولا يقع فى
جهود التشبيهات الذائعة المكرورة من ناحية
أخرى . وهو ، أولا وأخرا ، يصور
وينحت اللوحة والتماثيل وفق إيقاع
المونولوج الدرامى الذى يقوم بتجسيمه
ومن هنا كانت دقة شاعرنا باللفظة
الصرامة فى اختيار اللفظ بإيقاعه وصورته
الملازمين للانفعال ، نوعه ودرجته حدة
وعنفا .

هكذا نتردد فى ديوانه الاول هذه
المجموعة من الصور « حوائط الأحزان -
هدائق البكاء - دوامة اللهب - دوامة
الصمت - جزائر الظلمة - مدائن
الاعماق - مدائن الموت - مخاض
الشمس - مشنقة الشمس - شمس
الربيع - مخلب الصمت - مطر الصمت
- نهر الليل - نهر الموت - زهور
الموت - القمر الجليدى - الوجه المجذور
- الوجه الزهرى » والملاحظة الاولى على
هذه الصور أن بعضها مركب من عنصرى
الحس والتجريد كمخلب الصمت وشمس
الربيع ، وبعضها مركب من عناصر حسية
خالصة كالوجه المجذور ودوامة اللهب
والقمر الجليدى . والملاحظة الثانية أن كلا
النوعين من الصور يشع بقسوة الوجد
بين نقيضين ، حتى أن الشمس تتحول
مرة الى امرأة تعاني آلام الولادة ومرة
الى مشنقة ، فاذا قال فى إحدى قصائده
« خفت أن يصبح ضوء الشمس سيفا
للأمير » انضح معنى الربيع الكامن فى
الصور المختلفة للشمس . والملاحظة
الثالثة أن التناقض الذى يجمع بين كلمتى

- ذلك التناقض التراجيدى الهادى فى
ألوان الصوره وانغامها . ولكن هذه
المجموعة من الصور تستكشف بمسند
« أزمان » فى عصفه الدهور وحركة
الصعود والهبوط ودورة الكون والفساد ،
ان الزمن هنا لا يفيد مضمنا أن يكون
ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا ، لأن
الدهور تحولت الى « عصفه » ،
والتناقض أيضا هنا يتم لمصلحة الهبوط
والفساد ، لا لحساب الكون والصعود .
كذلك فإن هذه المجموعة من الصور
تستكشف بعد « المكان » فى مدينته
الشقوق ، مملكة الشقوق ، مملكة
الطوفان . هكذا يتم التوازن
الحكم بين الزمان والمكان . أما
الانسان فليس دونهما انساقا ، انه يكمل
الدورة ، فهو الزحمة المنهزمة ، والبحر
الابكم ، تطوله حبال النفى ، وفى أعراس
الردى باكل الكعك الاسود وتلك - من
جديد - هى نمرة « الشهوة الخلق المهيطة »
ذلك أن الفصل الحسى السائد على
مونولوج الشاعر هو فعل عاجز عن الفعل ،
رغم الذروة التى يبلغها دراميا بوقه
القهر عن الإخصاب . حينئذ تجسّم
المجموعة الثالثة من الصور من ديوانه
الأخير ، فخصيف « زهر الخيانة - الليلة
الصخرية - اللهب الليلى - مهرة الدماء
- الزهرات الدموية - الملكة المسدودة -
الغابة المينة ، الشقوق الحبالى - كتاب
الاشتهاء - صلوات الاشتهاء - أرحام
الحجر - القبر المهاجر - أقاليم
الحواس » . وهى لا تكاد تضيف الى
الصور السابقة ، فى بنائها اللفظى
وتكوينها التشكيلى وإيقاعها الموسيقى
الا تلك الملامح الختامية للوجه التراجيدى
الذى يطالعنا به محمد عفيفى مطر من
« دفتر » الصمت ، الى « كتاب »
الأرض والدم .



كما أن الشاعر يرفض من إنجازات
النمط الحديث تعدد الأصوات فى القصيدة ،
ويفضل استخدام الصوت الواحد المتعدد
الأصداء ، أى المونولوج الدرامى ، فانه
كذلك يرفض من إنجازات الشعر الحديث
البناء القصصى المسلسل وفق منطق
الحدوث المروية . لهذا لانخضع صوره
ومحتواته لاتساق طولى منسجم . انه
وقد بدأ بالكلمة - البقعة ، والكلمة -
الكتلة ، فانه ينطلق فى بناء عالمه بوحى
من تشكيل البقعة بألوانها وخطوطها
ومساحاتها لا بحكم الداعى اللفظى أو
النقى ، وكذلك بوحى من تكوين الكتل
بموادها وفراغاتها . . . ومن تزواج بقع
اللوحة ومعمار الكتلة بولد الهارمونى
الموسيقى الذى ينظم القصيدة من داخلها ،

الصورة هو تناقض فاجع ، لا يتم مطلقا
لمصلحة الشمس أو القمر أو الحدائق أو
الوجه البشرى أو النهر أو الزهور ،
بظلالها المسترخية على سطح المخيطة
اليومية . والملاحظة الرابعة أن غالبية
هذه الصور « مضاف ومضاف اليه » مما
يسمح لها بفكرة « النقص » غير المقاصرة على
الصفة والموصوف ، ويسمح لها بإيقاع
منسق مع البحر الوزنى ، وأحيانا مع
القافية وحرف الروى . ومن ديوانه الثانى
تضيف هذه المجموعة من الصور « اللغات
الحجرية - مخابر الرماد - عصفه
الدهور - رغبة الشمس - مدينته
الشقوق - مملكة الشقوق - مملكة
الطوفان - الصعود والهبوط - أعراس
الردى - أعراس الموت - الكون
والفساد - الزحمة المنهزمة - البحر
الابكم - الكعك الاسود - حبال النفى »
وهنا يتجاوز ثانية ما هو حسى جنبا الى
جنب مع ما هو مجرد فى الصوره
الواحدة ، كما توجد الصورة الحسية
الخالصة . كذلك يبقى المضاف والمضاف
اليه والصفة والموصوف ، وينضم الى
هذين التركيبين اللغويين العطف والمعطوف
كما هو الحال فى الصعود والهبوط
والكون والفساد ، ويبقى - وهذا هو الأهم

لا وفق مقاييس خارجية . هكذا لا تعود هناك علاقة سببية بين الكلمات بالمعنى الظاهري لعلاقة العلة بالمعلول ، وإنما علاقة الكلمة بموقعها من الشطرة ، ثم بحركتها في سياق القصيدة ، هي التي تحدد السبب الداخلي والعلة غير المرند في « تكوينها » على هذا النحو أو ذاك هي التي نمتدد وظيفتها التشكيلية والإيقاعية على السواء . ولعل هذا ما يفسر استخدام الشاعر لبعض الألفاظ المهجورة ، كما يفسر ميله الواضح إلى الاشتقاق [٢٣] ولأن « حضور » الكلمة يمتد في الماضي وبسبب المستقبل ، فإن الشاعر يكثر من استخدام الألفاظ المصارعة ، ولكنه يحصرها دوماً بحروف النفي والشك والتعني وما البهسا من أدوات لفظية تفيد تداخل الأزمنة رغم الحضور . مرة أخرى تتعدد الأصداص لصوت واحد وهو المونولوج الدرامي الذي يتخذ منه محمد عفيفي مطر شكلاً تراجمياً ثابتاً أقرب إلى الخط البياني الهابط انفعالياً . لذلك تتذلق قصائده على هيئة مخروطية أو عنقودية أو هرمية وهذه الهيئة أصبحت خطوطاً خارجية أو تصديداً وصيفياً ، وإنما هي جوهر الاتساق الفكري والانفعالي ، أنها فيه ممتددة . فشمسوه الخلق المحيطة بالجوع والقهر تبدأ من ذروة فعل الإخصاب ، وينتهي عند سفح العقم والبوار . ولكن فعل الإخصاب ليس فعلاً بسيطاً أحساسياً الجانب في رؤيا الشاعر ، وإنما هو ظاهرة بالغة التركيب ، أما العقم فيندرج إلى هاوية الاحادية والتجريد . الجسد الانساني والمجتمع البدائي لذلك ، هما العمود الفقري لمعجم الشاعر اللغوي حيث يصبح الفعل الجنسي تاجاً مخيم الزوال فوق عرشها وفي بئر بلا قرار .

في القصيدة الأولى من الديوان الأول يوزع الشاعر موسيقاه وفق المصطلح الجديد « وحدة النغمية » ولكنه ، أيضاً لا يستخدم بحراً وزنياً واحداً على طون القصيدة . المقطع الأول — مثلاً — على وزن « المتقارب » — فعولان — بينما المقطع الثاني على وزن « الرمل » — فاعلان — ثم يعود المقطع الثالث ومن بعده الرابع إلى « المتقارب » بينما تمضي المقاطع من الخامس إلى السابع على وزن « المتدارك » — فاعلن — ومن الثامن إلى العاشر ، وهو المقطع الأخير ، على وزن « الرجز » ، مستعملين . وفي كتب العروض يقال أن « تجزئة البيت بمقدار من التفاعل التي يوزن بها بعد معرفة كونه من أي البحر بوجه إجمالي . وقد يؤدي ذلك إلى تقسيم الكلمة الواحدة إلى قسمين أو زيادة شيء عليها مما بعدها

فتوصل به ويعتبران كلمة واحدة » (٢٤) وشاعرنا رغم خروجه على « العمود » يستغل هذه القاعدة الموسيقية إلى أقصى مدى ، لأنها تحقق له — بعد الإيقاع — شيئاً تشكيمياً يقصده قصداً . أن تقسيمه لامتدادات في القصيدة المنتار إليها داخل البحر الواحد بمجزوءاته وما يحتاج إليه من زخافات وعال ، يسلمهم هذا القصور القديم فيطبل المسافة ويفربها وبزواج ببر المسافين ، داخل ذلك الإطار الهندسي الصارم الذي دعونه بالتناظر والتقابل والتوازي والتناقص . أنه يوضع الألفاظ الواحدة حسب مكانها من الصورة المتبغاة وإيقاعها المستهدف ، حتى يسود من الشطرة الواحدة وموقعها من المقطع مائتصدة — أكاد أقول فالديوان — ذلك السياق الانفعالي المقصود ، هكذا يمتد — أصلاً — إلى استخدام أكثر من بحر واحد في القصيدة الواحدة ، وهكذا يختلف عدد التبدلات من مقطع إلى آخر وفق ما يربطه النسخة العاطفية من وعج مكافئها في ألوان الصورة الموسيقية وخطوطها .

في الديوان الثاني يستقر هذا القلب النقي ، ولكن الشاعر يضيف علامتين جديدتين — أولاهما هي القافية الداخلية والأخرى هي النبر أو ما يصرف في العروض الغربي بالكلمة والارتكاز . أنه حين يقول

ممرقا في الوضم الليلى

أو مفتسلاً في دمه البرى أو مغتربا متزلزلاً على حبال النفي أو منتظراً في السرج المنطفئة فهو إنما يقول بيتاً واحداً حاصرته قافيتان داخليتان من شأنهما تنظيم موسيقى البيت الواحد من الداخل والخارج ومن الناحية العروضية البحتة ، لا بد وأن بجيء بعد حرف الطاء في الكلمة الأخيرة حرف ساكن ، ولكن الضبط على أطاء فيما يعرف بالنبر — وهو صوت الحرف عند النطق — يحدث عملية أمالة وإطالة تجعل الحرف بين الساكن والمتحرك . وفي هذا الصدد لا يكاد السديوان الجديد يضيف شيئاً ، بل إن هذا الملاعب الوزني ، بحورا ونبرا وقواف داخلية ، ليست كلها كشوفاً خاصة

بمحمد عفيفي مطر فقد عرفها غيره من شعراء جيله والجيل السابق عليه . . وإنما أردت القول أنه في اللحظة التي نتطرق فيها الحساسية الشعرية لديه نحو أقصى درجات الحساسية ، فإنه لا يستنكف اللجوء إلى أدوات تعبيرية قديمة — كاستخدام بعض الألفاظ المهجورة تماماً — وتغيير وظيفتها الفنية في السياق الشامل للقصيدة . وهو السياق

الذي يبلور في الشكل المرئي المسبوع وفي الرؤيا الباطنية مجموعة من الخصائص البارزة أهمها :

● أن التجربة الرئيسية التي يتخلل انسيج الشعري بأكمله ، هي تجربة الانسان الذي لم يعش ولم يموت أو الذي نحنا وبموت محاصراً بئسجة خفية من القهر الإخطبوطي ، حيث تمتد أذرعه حتى جدار العالم الأصم خارج الانسان كما تمتد حتى أدق الشعيرات الدموية تحت الجلد داخله . لذلك فالتجربة في صميمها نراجيدية .

● ورغم يلوغها النام لاذرة ، فإن عوامل احباطها سرعان ما تهوى بهسا عبر منحنى سريع الانحدار يجسسه الشاعر في مونولوج درامي لا يشرك معه صوتاً في مأساته ، ولكنه يحتضن كل الأصداص التي شبع وتصب في التبار الشعوري الدافق . أن العالم من حوله كتلة سديمية غارقة في ظلمة لا تبين ، لذلك فهو لا يلجأ إلى الآخر ، أيا كان ، في الطبيعة أو في المجتمع .

● وتجربة محمد عفيفي مطر لا يحتمل الدوايل الفكرية المجرد ولا الانشاد الغنائي الصرف ، لأنه في بنائه لها يقم معادلاً موضوعياً يفيد من فكرة الحلول والانشاخ والتحول كما يفيد من الفن التشكيلي الحديث والموسيقى الهارمونية والمعبر الهندسي ، بحيث تجيء اللفظة كالشطرة فالمقطع كالقصيدة ، لا انفصال داخلها بين الانفعال والصورة والإيقاع ، وإن بدت من الخارج قريبة التقاطيع غامضة الملامح أن شعر محمد عفيفي مطر لا يطهرنا بالمعنى الارسطي للكلمة ولا يحررنا بالمعنى الذي يقصده سارتر ، ولا يعلمنا بالمعنى الذي نفهمه من بريخت . . وإنما هو يتوحد بنا — إذا ما ولجنا من نافذته السرية — ويحتقر أخطودا غائراً في روحنا ، تطل منه بين الحين والآخر على ذاتنا الاصيلية اطلالة المواجهة الشجاعة والحوار الأبدى مع النفس . وهي مواجهة « اشكالية » يتمص فيها صوت الشاعر صوتنا ، حتى ليبدو أن صوته واحداً ، نمارس خلاله نوعاً من التوترات الدرامية الشبيهة بالشعائر الدينية في طقوس السحر البدائي . . ولكن دون أن تكون هناك قوى مفارقة للطبيعة يتوجه إليها الانسان بالخطاب .

(٢٣) هنا يجب أن نذكر فضل مصطفى صادق الرافعي في « صنفرة » الكلمة عند الشاعر .

(٢٤) هيد السلام شرقي — المذكرات الواقية في علم العروض والقافية وفق المنهج الحديث — ١٩٤٩ .

الرحلة الى « ما وراء الواقعية »

ادوار الخراط

وأظن أن مصطلح « الواقعية الجديدة » الذي تردد كثيرا في جهود نقدية ما ، تهدف الى تسمية قطاع كبير من هذه الموجة الجديدة ، قاصر بلا شك عن الوفاء بالتسمية والتعريف ونيفاض ، اذا لم يكن يحمل اساءة وادانة ، نحن ندعونا القسرات الميزة للواقعية ، سواء كانت واقعية نقدية أو اجتماعية أو اشتراكية الى آخر هذه التصنيفات ، وظنى أن اطلاق صفة « الجديدة » على أعمال أدبية أو فنية ليس الا نوعا من التأكيد — بقصد أو غير قصد — أنها لاتأتى في حقيقة الامر بجديد ، أى أنها تطوير وتهذيب لنهج قديم استند أغراضه ومحاولة لاحتواء ظاهرة مثيرة تحيل تعديا أساسيا ، بمجرد إعادة تفصيل لاثواب كانت متسقة مع الماضي ولكنها فصاحت عن أن تحتوى المستقبل ، ولذلك فإن خروقا تتبدى على الفور ، ومن الحتمى أن تسقط الخرق القديمة من الجسد الفنى المحتشد بطاقات وأبعاد جديدة .

وفى ظنى أن تسمية « الواقعية الجديدة » هنا ليست الا اعلانا عن افلاس فى الغالب ، والافلاس قد يكون نقديا أو ابداعيا على السواء ، هى تسمية تكفى بأن تلاحظ — على المستوى الزمنى والتاريخى فقط — « ما بعد الواقعية » ولكنها لا تحاول أن تستكشف « ما وراء الواقعية » ، وإذا جاز التعبير ، فإن « البعد الميتاواقعى » أو بعد « ما وراء الواقعية » ليس مرتبطا ، بالضرورة ، بتعاقب زمنى ما . ولا يتسلسل مراحل تاريخية معينة .

ويفتت مع نزوات الثقافية والحرية والتمرد ، شكائيا واجتماعيا على السواء ، ويفوض فى أحشاء الحسنة ومتعات الجسد ، ويهاجم ، هجوم الماثقين ، كوابيس اللاعقل للشاخصة فى الظلمات الداخلية ، أو يغامر بالرهيل نحو اللامتناهى فى الإنسان وفى الكون . ومن المسلم به أن العلاقة الجدلية ثابتة بين هذين الموقفين الأساسيين ، وأن الدورة الدائرية تعمل مثلها سلبا وإيجابا ، لا بينها فقط ، بل بينهما — أو بين العلاقة بينهما — من ناحية وبين المركب الحفارى الاجتماعى والنفسى التى تظهر فيه هذه العلاقة ، ومن هنا جاء زمنا بأن الموجة الجديدة فى أدبنا منذ الستينات ، لم تكن رد فعل رومانى خالص — ولم يكن من الممكن أن تكون — هى ليست « رومانسية جديدة » ولكنها أولا وأساسا لم تكن « واقعية جديدة » .

ليست « واقعية جديدة »

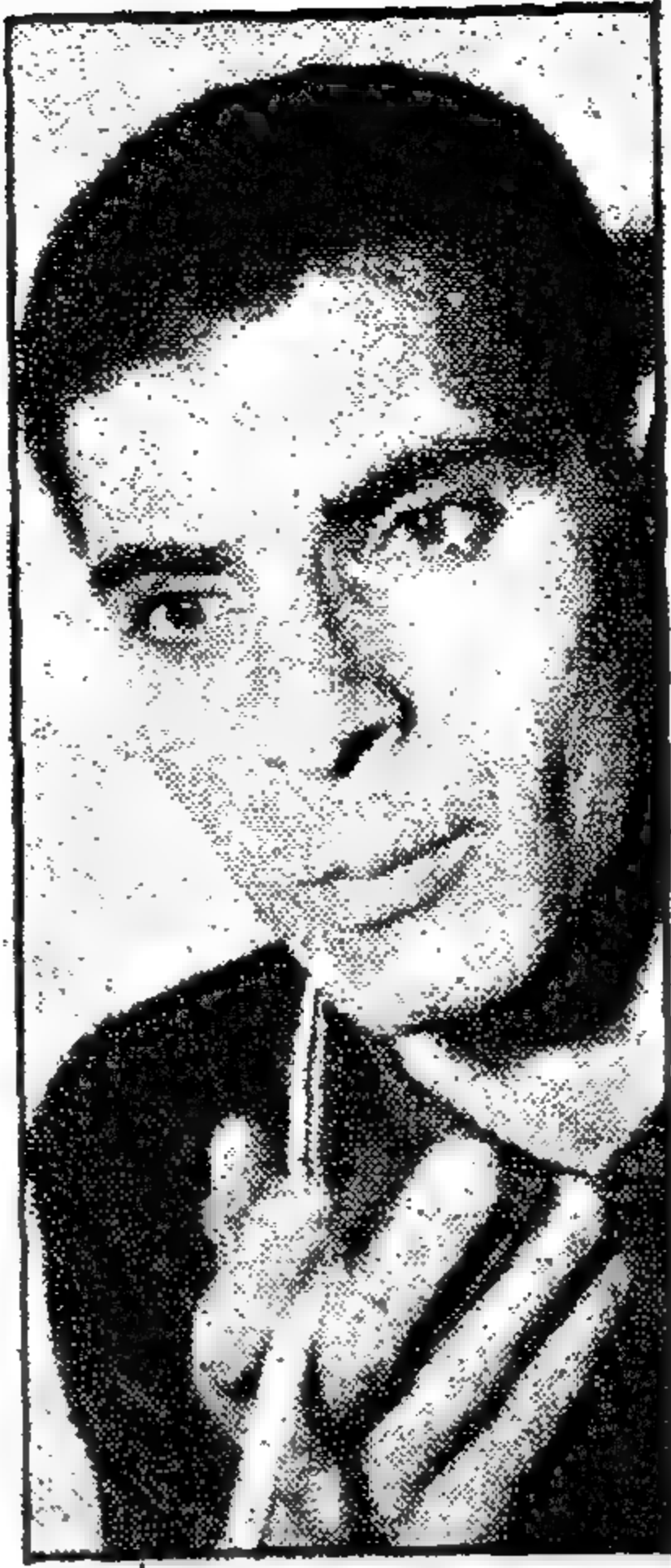
وإذا كان قد أطلق على هذه الموجة الجديدة ، حتى وقت قريب ، اسم « أدب الشباب » وحاول بعض الكُتّاب — ولهم كاتب هذه الكلمات — أن يصحح ذلك — وأعترف أنه تصحيح فيه كثير من سقم — بأن يسميها « أدب الشباب » أو الأدب الطليعى « الشباب » ، فقد كان من سوء الحظ أن ثارت زواجر خاضعية كثيرة نصيبها من التراب لكثير من بشرتها يربيع أو صيف جديد ، وأظن أن الوقت قد أوفى ، بل أوفى جدا ، لاستطلاع قسرات هذا الأدب الجديد ومحاولة تحديد الاصوات الاصلية فيه .

أن المدخل الى هذا الشتات من التأملات فى عمل يحيى الطاهر عبد الله هو التفرقة ، بدعا ، بين « ما بعد الواقعية » و « ما وراء الواقعية » . ولا حاجة بى الى أن اعود فافصل الكلام عن انحصار المد « الواقعى » عن أرض الأدب المصرى ، فى أواخر الخمسينات فنتك ظاهرة أصبحت من وقائع التاريخ الأدبى ، حتى لقد دعت ناقدا كبيرا واحدا ، على الأقل ، الى أن يبشر بعودة الرومانسية . وإن لم تكن قد تجسدت بشأته ، بمعنى مباشر ، فأظن أن « الموجة الجديدة » التى حملتها الستينات الى أدبنا وما زال مدها يؤذن بالتصاعد لتطوى على ثمرات تحتية من الزومانية بالمعنى العريض الشامل . هذا اذا أخذنا بالتقسيم الاساسى المصطلح عليه ، بين موقفين رئيسيين لا فى الأدب وحده بل فى خبرة الحياة كلها ، الموقف الكلاسيكى من جانب ويندرج تحته كل ما هو مترن ، مهندس عقلى ، شكلى ، معنى يدعم التراكيب الاجتماعية وهريس على تقنين العلاقات الاجتماعية فى شتى صورها ، قائمة كسائت ام قادمة ، ومظهر من لوائح الحبس العسكرية ، وسبحات الفيل وشبهات الادلاج الى أدغال النفس المخبوءة او الى مآهات الوجد الكونى ، والموقف الرومانى من جانب آخر وهو رد الفصل الدائم — كما كان أم متفجرا — ضد قيود العقل والمطلق المحسوب ، ضد المنهج المتدبر والقوانين الاستيطيقية المثلى ، الموقف الذى يميل بل يفرق تحت عبء الهوى والنشوة وينطلق بكشوف الحدس غير الجبر

● هناك ملاحظة أو اثنتان على أن أسجلها قبل أن أنتقل من هذه المقدمة وأخشى أن تكون قد طالت إلى حد ما .

من المفهوم بداهة أن هذه المصطلحات النقدية جميعها لم تجد في أدبنا المصري تحقيقاً كاملاً ومليئاً وتاريخياً ، أو إذا شئت لم تزدهر لها النماذج الطهور النقية ، وواضح أننا سواء في أدبنا أو في مجتمعنا نجتاز منذ عصر الأحياء عندنا ، مرحلة معقدة ومتشابكة ، وإذا كنا قد استعزنا « اللغة » الحضارية المعاصرة في الأدب أو النقد وفي سائر جوانب الحياة فقد احتفظنا أيضاً بتراكيب « لغتنا » القديمة ، العربية والفرهونجية بها ، وما زال الشادوف والساقية يتجاوزان مع الجرار والمضخة وما زالت لجة الجاز تتراقص ذبالتها الواهنة على الطبلية الخشب ، تحت جدار الموتور الكهربائي الهادر وبالقرب من التوربينات ومحولات الضغط العالي وأتران الصنوبر وتحت أزيز الكوبيت والميج ، ذلك يطبق على الأدب والجهود النقدية أيضاً - وأريد أن أقول أن هذا ليس عيباً على إطلاقه بل قد يكون وجه خصوبة وأصاله فريدة - أما الملاحظة الثانية فلعل مكانها ينبغي أن يجرى في صدارة أي جهد نقدي - ومن المؤسف أننا كثيراً ما ننسأما مع ذلك - من الأشياء القليلة التي أقطع بها أن كل عمل فني صحيح إنما يتجاوز هياكل وأعمدة المصطلحات النقدية ، أن كل تشكيل فني متحقق هو في النهاية كيان فني قائم بذاته ، معقد وجوهري ويتعدى كل تنميط أو نمذجة ، بل أن عيوبه الشكلية أحياناً ، قد تكون علة جماله الخاص وتفرده وهويته . وليس حديثنا عن التسميات والمواصفات النقدية إلا تقريباً من التقريب ، سواء كان ذلك من حيث المعايير الأسطيقية البحتة وهو المبدآن الحق للنقد الأدبي . أو من حيث إقامة وكشف العلاقات بين العمل الفني والظواهر الاجتماعية أو النفسية أو الفلسفية إلى آخره ، وهي العوامل المساعدة في الفهم والتذوق ، والاصل في ذلك كله هو استعماء العمل الفني الحق على الأملر والتقنيات ، وإملاكه خاصية الفرد وسسطة السر المرصود الذي لايفتح إلى محراب قدسه الخبيء .

● نشرت « ثلاث شجرات تثر برتقالا » المجموعة القصصية الوحيدة ليحيى الطاهر عبد الله في ١٩٧٠ ، وهي تضم اثنتي عشرة قصة قصيرة كتبت أولها « ملاحونة الشيخ موسى » عام ١٩٦٢ ونشرت في مجلة روزاليوسف ، وكتبت آخرها « جبل الشاي الأخضر » عام ١٩٦٨ ونشرت في « مجلة ٦٨ » وأعرف ليحيى الطاهر عبد الله ، بعد ذلك ، اثنتي عشرة قصة أخرى نشرت متفرقة في مجلات « المجلة » و « ٦٨ »



يحيى الطاهر عبد الله

و « النساء الأدبي » و « الهلال » و « الإذاعة » هي على التحديد : « ابتاعات بطيخة ومنظمة أيضاً » و « البحر » و « حج ببرور وذنوب مغنور » و « الجد حسن » و « فانتازيا العنف القبيح » و « الرقصة المباحة » و « الدفء والصندوق » و « الرسول » و « صلاة المغرب جنباً إلى مسجد عبد الله » و « أغنية العاشق ايليسا » و « البكاء والثالث » و « الجنة » قصة « أنشودة المطارد والمطر » التي نشرت بمجلة الإذاعة هي « الحركة الأولى » من قصة « معطف من الجلد للمطر » المنشورة في مجموعته ، أما قصة « الصندوق » التي نشرت في مجلة « نادى القصة » فهي الجزء الأكبر من قصة « الدفء والصندوق » المنشورة في المساء مع تصحيحات أسلوبية طفيفة وللكاتب قصتان أخريتان ، اندمجتا في روايته غير المنشورة « الطوق والاسورة » ، وبقي بعد ذلك خمس قصص لم أستطع الحصول عليها ، ولست أعرف ما إذا كان الكاتب قد أمهلها ، أم أدجها ، كما هي أو معدلة ، في قصص أخرى منشورة ، وهي وثقا لقائبة بخط الكاتب : رحلة السبع سنوات (روزاليوسف) طلب الام (الصرخة) بدرس التاريخ [٤] كسان محطة (الحقائق) جريمة قتل (الحرية اللبنانية)

● هل يمكن أن نستخلص شيئاً كثيراً من مجرد الإحصاء الكمي لعطاء كاتب ؟ أن أربعة وعشرين قصة (محققة) على مدى عشر سنوات ليست بالكَم الكبير ، فهل يلزم أن نقول أن البداهة هنا لاتعطي كبير وزن للإحصاء الكمي ؟

● ولابد أن تبدأ مصاحبة الكاتب في رحلته إلى ما وراء الواقعية بقصته الأولى المنشورة « طساحونة الشيخ موسى » ومن البداية ، وبمنظرة نلقها إلى الوراء من المواقع التي وصلت إليها رحلة اليوم ، سوف نلمح في هذه القصة بدايات اهتمامات الكاتب إذ يشد رحاله من نقطة العلاج الواقعي المؤلف والحكاية هنا حكاية اصطدام الواقع بخرافة ما على المستوى القريب المتناول - فالخوارجا نظير « تاجر القرية » والتصرف في تمويلها من شاي وزيت ومكر وغلال وما يستجد من أحوال « تد بني ملاحونا وجاء بمأكينة طحين نصفه مير ولكن « الشيطان ركب عقل القرية » بالخلق تعرف طول هيرما أن المكتة لا تدور إلا إذا أكلت لافلا متغيراً هو الذي يصرخ « توت .. توت .. توت » .. والامهات يفعلن كل شيء ولا المصيبة في الضنا ، ولكن الحل يأتي عن طريق موكب الشناعة الذي يقوده الخوارجا نظير القبطي فسارفا لتمام الشيخ موسى ولي القرية وواسع الدد الذي يدخل المكتة ، لماذا بكل شيء ينفك وتمر التروس في طحن مكتوم من قلة الزيت وتملو الصرخات : توت .. توت .. توت .. وتطلع زغرودة ويعلق الخوارجا نظير على اكتاف الزفة اللافتة التي تؤذن بانفكاك الرصد ودوران الحياة .. « طساحونة الشيخ موسى لصاحبها الخوارجا نظير .. وابنه منيد » ..

بين الواقع والخرافة

● ان القضية التي أومر أن لها مكاناً أساسياً في كل عمل ليحيى الطاهر عبد الله هي ، على وجه الدقة ، العلاقة الجدلية و « الميتاواقعية » بين الواقع والخرافة . وليس بالصعوبة على الإطلاق أن أول قصة منشورة له تعالج هذه العلاقة بالتحديد - ومن الواضح أن ذلك ليس إلا أيماءة ، وبذرة ، وما كان من الممكن أن تنبئها إلا من الموقع الذي بلغته رحلة الكاتب اليوم ، كان من المشروع جداً أن نرى هذه الحدوتة كلها نكتة اجتماعية وطريفة ، فليس في علاج الكاتب ، هنا ، على سطح القصة ، ما يوحي كثيراً بتطوره اللاحق ، اللغة بل الاداة التعبيرية كلها ما زالت متأثرة جداً بالأسلوب الواقعي الذي عرفناه في ركنام قصص وحواديت الخمسينيات « الواقعية » ، والاهتمام حسن النية بلا شمك ، وهناك روح من السخرية العطوف بالناس ونبرة التهمك الخفيف بهم ، والمسياق يسير في مجراه الخارجي ، إلا من اطلالة للحوار الداخلي القصيرة هنا أو هناك ، وليس في هذا كله من غريب على التكنيك « الواقعي »

● ومع « ليل الشتاء » يخطو يحيى الطاهر عبد الله أولى خطواته في عالمه

الخاص المتعدد في قصة قاحية وبنجرته
يده بأساليب التجديد في قصة القصة
القصيرة من ناحية أخرى .

وسوف أحفد تسببات هذا المالم
الخاص المتعدد على الفور ، هي تسببات
أخذت تزداد جلاء وتستثير وتتخذ حدودها
القاطعة عبر رحلة الكاتب كلها ، حتى
روايته الأخيرة غير المنشورة « العلوقة
والاسورة » . في هذا المالم سموت
نجد ، دائما ، مستويين : هناك العلاقات
الخارجية المتشعبة والمتعددة التي
يخطها الكاتب بنوع من الولع بل الوجد
لغرض الانتان في التقصي والمفاصلة ، على
المستوى الأول ، تلك العلاقات الاسرية
الشكلية المتقاطعة والمتواصلة : يحرص
الكاتب دائما على أن يرسم لنا شجرة
العائلة التي تصور قصته في فلكها ،
لا بد أن يذكرنا بأصل العائلة ونسبها ،
النجد واسلافه ، وإبائاه وأحفاده ،
الأعمام والأخوال ، والأمهات والعمات
والزواج والطبقات والأهالي بالفسدان
والعيراط والأثر بخصمه وتحت أنصبة
هذا هيكل شكل كامل للعلاقات الشرعية
محدد ومطوع بوجه ومحكم به بقوة
الحرف والقانون ، كأنما يوثق الكاتب
أن يضع حجة شرعية أو عقدا في
محنة أو « شباك الورثة » المروء .
ثم يرسم الكاتب ، في شرياته قصيرة
وقاطعة ، الموضع الاجتماعي لإبطاله ،
والموقع المادي لهم . ليس العالم هنا
خارجيا فقط ، بل أكثر من ذلك بكثير ،
أنه مسيئة ثابتة ، وفجريات جافة
كاملة البطالة ، هو معلومة « القانون »
القديم المسلم بها دون أدنى محاولة
للتكاد ، بل ليس هناك أدنى لومة
للمسألة فيها دع هناك الاحتجاج أو
الاعتراض والتمرد ، أهددة رقيقة جدا
لغرض تعريضها وحيلة جدا لانكاس منها .
« مرة بعد مرة بعد مرة » يجمع الكاتب
هذا البناء الضخم المحكم المسدود حول
سأله ، يدور به ، بسكم أغلاقه حوله
هون ثغرة يمكن أن تهب منها نسمة
سواء ، يسد كل منافذ فلا راد لحكمه .
ولكن في شفافية تامة ، ووضوح تام .
هذه أحكام القانون الاجتماعي تطبق على
سأله ، من الخارج ، حيث الشرع ،
والعرف ، وعلاقات النصب ، والمواضعات
الاجتماعية ، وحدود الانتماء الجامعة ،
فيم مسلم بها تكاد تكون بديهية ، ضاغطة
على الأخلاق .

● ولكن هذا هو الطرف الأول فقط
من تعامل جدلي شديد الخصوبة ، ففي
داخل هذا المالم ، وطول الوقت ،
وباتسار ثلاثي شديد الحرارة ، سوف
تجد العلاقة الحميمة - البيولوجية -
بين الأم والابن ، بين الجد والعنيدة ،
بين الأخ والاخت ، بين الأب والبنات ،
بين الولد وحاله ، بين المرأة وزوجها
الذي طلبها أو تملأ في شبكة بيتها ،

بين الشخصية والأرض والماء والسماء
الفرن وأقصان الشجرة ، المسافة
الحسية بل العنصرية المساختة . ومفد
قصته الثانية « ليل الشتاء » نجد
الأم التي ترمع الفطاء عن رأس ابنها وتقبله
وتحس في صميمها « شهوة التسمية »
بين الضلوع ورضاع البز وفطام الحمص
المعجون بالزبد ، وعبر الرحلة كلها
سوف يلاحظنا هذا الحنو الحس بسل
العزاة العسية والمساء الحسية في
داخل العلاقات البنائية المروعة من
الخارج .

في « الوارث » و « جيل الشاي
الآخر » و « السفى والمسدوق »
و « الجدحس » سوف نجد الأجسام
العارية والانتفاش في أحضان الأمهات
ودفن الرأس بين أمهاتهن مع كائنها
نحن على وشك الفسق بالحسارم -
والانداء المتفجرة أمام الأم في حرارة
تفتح المراجعة ، وهواء القرن الساخن
وانعكاس تيرانه على الانحاء المكشوفة
والشبق الحيواني للطفلة الأنثى أمام
أخيها الصغير ، وانهمار الدم الاسود
في أسواج النسل وطوقش الوقفاء
بالحاجات العسية جيمعا بين التيسات
وأبائهن وأجدادهن ، وهذه الرتبة
الفاجمة التي تربط بين الاسلاف والذرية
وأخوة الدم أمام سطوة نزعات الحس
التي لا تقاوم : نسوة القهر الداخلي
والخارجي معا ، وعذوبته المأسوسية
في آن واحد ، في التحسارم الاندلاء
والأسلاب وطرادها ، في تمسانها
وتنازرها .

البعد الميتافيزيقي

● من هنا ، بداءة ، يتبدى ذلك
البعد الميتافيزيقي ، تلك المصاحبة التي
تقع في « ما وراء الواقعية » ، في هذا
العالم الذي تحكه وثقلته ارادة مجردة ،
ارادة الأعراف والأحكام والقسمات
والأشياء ، ثم نحتدم في داخله مع بل
تكاد تعبر - دقات العلاقات البيولوجية
داخل هذه « العائلة المقدسة » التي
يتمثلها الكاتب من جديد ، على أرض
حصيد مصر ، المحرقة ، وفي عبقها
الخاص ذي النكهة الحريفة .

● ومنذ هذه القصة « ليل الشتاء »
نلمح ، كما قلنا ، بدايات الاهتمام بالتكنيك
التجريبي أو التجديدي ، ويهتني منذ
الآن أن تشير إلى أسلوب الحوار
الداخلي المروي بضمير الغائب ، واندخال
الحيل الشكلية في السرد : الاتواس
الاعتراضية التي يقصد بها إلى التقطيع
الزمني وإلى اندخال الماضي في صلب
المضارع واستهداف التبعيد والتغريب ،
● ومع « ثابيل الساعة الثانية »
شدا مجموعة من القصص القصيرة هي
على التعديد « ثابيل الساعة الثانية »
(١٩٦٣) و « ٢٥ البلقاجي » و « هيد
الخالق ثروت » (١٩٦٤) و « حصار

مروادة » (١٩٦٦) و « أفتية المسافر »
إيليا » (١٩٧٠) . وتمثل سلسلة من
الانطلاقات الجانبية ، في غير المسار
الرئيسي لرحلة يحيى الطاهر عبد الله
إلى ما وراء الواقعية ، فهي تخرج من
جادة النهج الذي يخوضه في فبشار
المواقع الذي يكثفها ، ومن ثم يثقلها
انتشاء ، في أرض حساسيتها الجديدة .
أعنى أن هذه الطائفة من القصص يمكن
تأ أن نسميها قصص المدينة ، أو
قصص الهموم الاجتماعية في المدينة ،
وفي قصصتي « الثلاث ورقات »
و « معطف من الجلد للبطر » أهداء
لهذه الهموم ، على أن قصة « ثابيل
العنف القبيح » تظل تسيج وحدها في
هذا السياق .

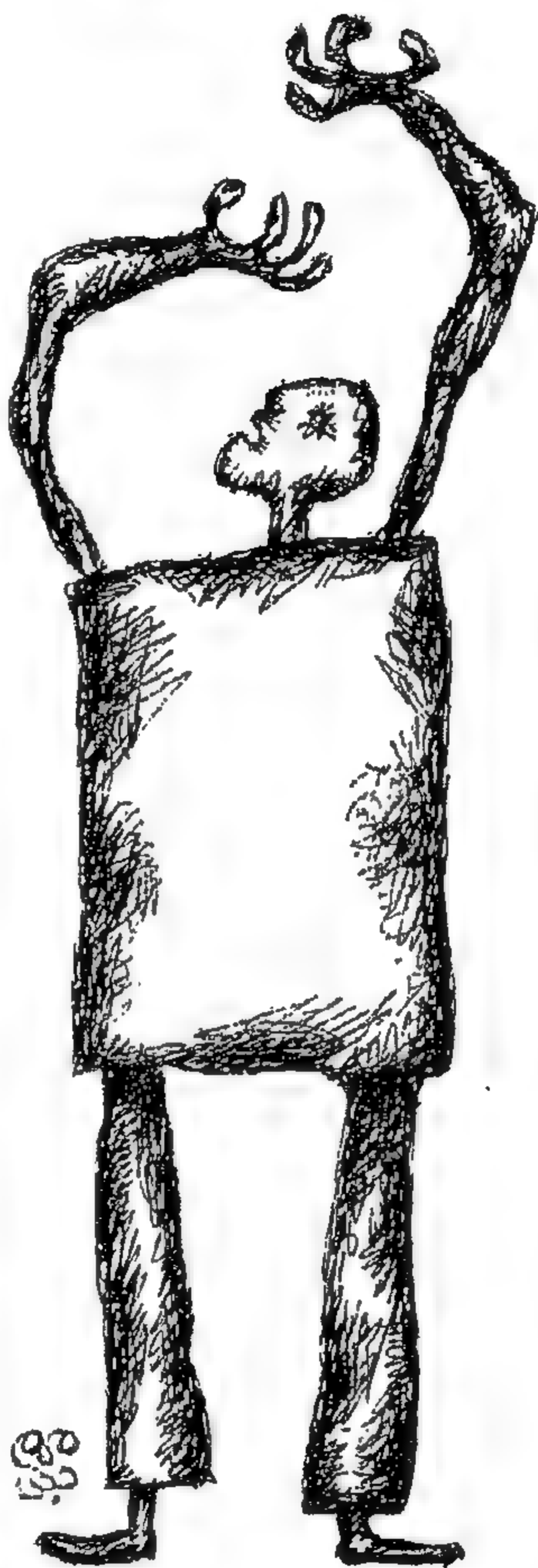
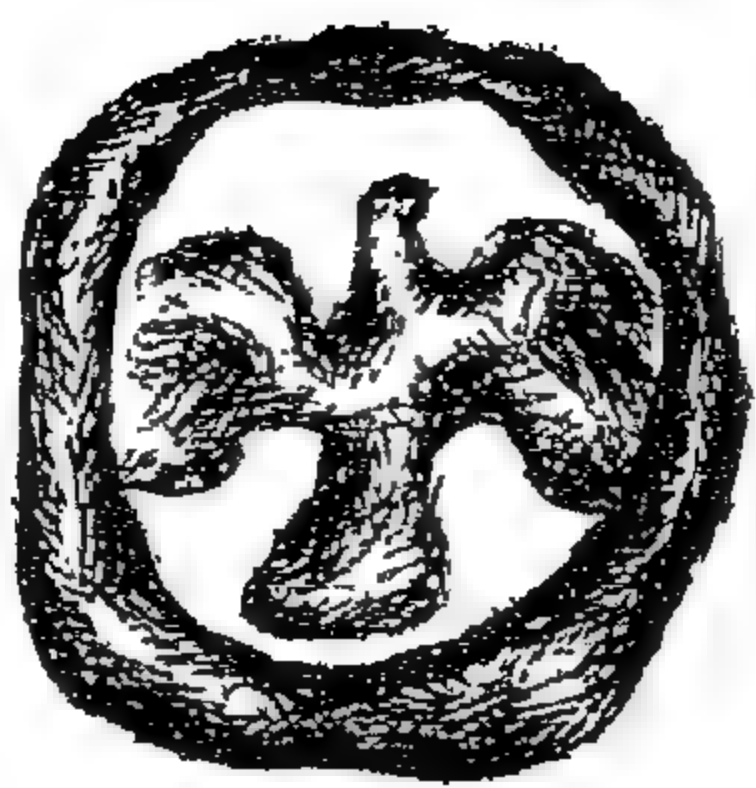
● ولست أزعم أنني أجد في هذه
القصص الأربع توفيقا كبيرا ، وأن
كانت كل منها مآخرة قائمة برأسها
في مبادئ التجريب التكنيكي ، ومازالت
فيها أهداء المنهج الواقعي القديم أو
الرؤية الواقعية القديمة ، بل أزعم
على العكس أن موهبة يحيى الطاهر
عبد الله الحقيقية - ولست أقصد مجرد
براعته التكنيكية أو حذقه صنعتية - بل
أعنى اهتمامه الفردي المثير - لا تفتح
ولا تزدحم في هذا الضرب من غروب
تمس التعليل الاجتماعي ، أنه قد
يكون مسئليا وطريفا - وهو كذلك على
الأرجح - في هذه القصص ، ولست
أظنه هنا يخضع لأغواء سهل ويسكنه
حقيم ، قد يكون ابيولوجيا ، وقد
يكون انعكاسا لخبرات الكاتب في
وسط ثروس المدينة الدوارة القاسية -
أجهزة الكاتب وبروقراطيات الضوئة
والدرجات والاستمارات وهود أيجسار
البيوت وخلو الرجل والهجرات ومسطحات
الأوتوبيسسات وشبمسوارح المسكنات
وأهلائك الراديو - ونلاحظ مع ذلك
أن طرسي التعليل الرئيسي في تكتيك يحيى
الطاهر عبد الله ما والاها المهوران
البنائيان لهذه القصص - على غرار
تصممه الأخرى - فهو يقيم الهيكل
الخارجي القانوني والأداس الحارم البارد
الكثير التفاصيل ، أنه يذكر لك بسلا
أجر عباس الدندراوى بالملم والمذاق ،
كما يقال . ويحدد لك مسار أوتوبيس
« ٥ » و « ١٥ » « وهما الوعيدان
الذان يوصلان لبوالاتي التكرور » وخطته
في ركوب أوتوبيس « ٦ » وبشمس
حسابات المسئلة بالضرب والقسمة
والطرح ، ويسوق إليك التفاصيل الباردة
المعراة - كأنها تقارير محاضر التحقيق
في الليابسة - عن الملابس وأوقات
الخصبور والانصراف وزملاء السمسار
والشمسبادات في المدارس والشرفيات
والمرتبكات والاعلام والأفسان ونشراكت
الأرضة الجوية ، ولكن هذا الهدد
من الإبنية الخارجية يخلق القصة هنا ،

آلة غفته ترجح جدا ، فلا تكاد تستشقق
الانسان من تحت ركام الدقائق التي
تستند نقيضها الضروري الحي ، فتتجسر
هنا الدماء ، وبقى صامدة ، انقضا
محزنة مصفوعة بأصلوب فكه ، لاتحمل
رسالة ، قسلا تهتز ولا توسع في العمل
الغنى عسارته الذهبية ، ويظل أكثر
قليل من مغامرة تكنيكية مجدية ، ولكنه
أقل كثيرا من عمل فني متحقق .

● وفي « قابل الساعة الثانية »
كمال أفندي يريد أجازة يومين ، ولكنه
لا يستطيع بشكل ما أن يقدم الطلب ،
ومن ثم فهو يأخذ يومين راحة ، بورقة
نظيفة يصفه تقول أشياء كثيرة . . . والحق
أن الكلام كثير جدا في هذه القصة .
وهو كلام يجري على نسق حوار داخلي
ونف مزروعة من حياة كمال وشذرات
من أحاديثه مع نفسه ومع الغير وخفقات
من ماضيه ومشاكله ، على صياغة من
تداعى السواطر والكلمات وتقاطع
الداخلي والخارجي وتعايش اللغة المحكية
والرسمية وتداخل التناسل والحيوي
وتعاقب المأثورات القديمة والطرف
الصحفية ، لكن ذلك كله يأتي في تجاور
مرسوم بفتقد التضارة الذاتية ويعوزه
التفوق الحار الذي تركز فيه الحياة
وترف أو تهضب وتعنف على السواء .

الحياة اليومية .. والأسطورة

● سوف نجد نفس التكنيك تقريبا
في « هصار طروادة » (١٩٦٦) ، مع
ادخال عنصر آخر هو عنصر حكاية
الأسطورة اليونانية . . . وأقول حكايتها
ولا أمتنى بذلك الأسطورة في حد ذاتها
بل أعنى حواديتها . . . والتكنيك هنا
يعنى بادماج هذه الحكاية اليونانية القديمة
في شبكة الحياة اليومية الشاهدية
المعادية ، بأسلوب السخرية الجاف
والهزل الأسلوبية التي يقصد بها كسر
أي شبهة في الاندماج أو التماثل . .
هنا يرمى الكاتب إلى خلق جو محايد
مفرغ والوصول إلى التباعد المفرق ،
حتى يصل إلى وقع حاد ومراجع . . .
ولكن الأسلوب التكنيكي يذوق المقصد
ويحبطه ، أن الاعتراضات بين القوسين ،
والإشارات إلى الاعلانات والخصائص
والملاحظات الفلسفية والتعليقات التي
تعمل في عليها اللغز الصراخ تضع
بين أيدينا في النهاية « موزاييك » قد
رسم ، وسطع ، بوهي وثقلا لخطه ما
مع لكن هذا الوهي نفسه موزق وفيه
نصام يحسب العمل الفني بشروح متقاطعة
تفطبا بديانه ، وهذه الخطه لنفسها خطه
عشية تعيش فسادا في الهيكل العضوي
للعملة ، أن القصة هنا لانبج في خلق
الحس بالتمزق والنصام والغثبة بقدر
ما تعاني لنفسها من سقم التمزق
والانقسام والتفتت . . . ولكن الكاتب قد
نضجت له أداة تمبيرية قوية وهو برغم



هنا موجودة وأن كانت أقل نضجا ، ولكنها
تبقى مجرد براعة وحذق شائق أحبانا
ولكنه بالتأكيد مفرغ من كل كشافه وجودية
عميقة الأصول .

● وسوف يعود الكاتب في ١٩٧٠ إلى
الأسلوب التبعدي والواقعي [البريختي
ربما] في « أغنية العاشق أيليا » ، وما
من شك في أن أحكام المصنعة هنا
أكثر تماسكا وثباتا ، وأن مسار التعليق
الاجتماعي أنكى وأوسع ، وأن الهم
الاجتماعي والسياسي أوضح وأنفذ ، وأن
التجاوب بين طسرى البناء الداخلي
والخارجي أوثق وأعمق معا ، أن القصة
هنا أكبر حظا من التوفيق الفني ولكنها
تبقى في ظني عملية عقلية مشربة بالتهكم
الخفيف العطوف ، هي عملية يجور فيها
الكاتب على اثنين ماضى موهبته ، واثنين
ماضى موهبته هو الحنو على الناس الذي
يدمجه في حشايهم . داخل أطارات
عالمه الخارجية المروضة بقهر اجتماعي
وكوني صارم . لا التعليق على بلاياهم
تعليقا بريختيا يتوخى فيه موقف التقريب
ويرصعه باللمحات الذكية اللامعة .

● قلت أن « تنازليا العنف القبيح »
[الهلال أغسطس ١٩٧٠] أصبح وحدها
في سياق « قصص المدينة » ، عند هذا
الكاتب . . . وقد أصبح البناء الفني مألوما إلى
تراكم التفاصيل الخارجية ويطاقت التعريف
الجافة ، والتعليقات الاجتماعية المحايدة
ولكن القصة . . . القصيرة جدا . . . تنتهي
نخاة بملائمة غير مفسرة وغين مبررة ولكنها
تبدو . . . في أطوارها المتأين المتعدد . . .
حتمية ، تنتهي بانتحام عنصر لا طبيعي
لا مكان له في الواقع المألوف اليومي . .
ولكنه مع ذلك يحتل بؤرة هذا الواقع
هذا عنصر « ميتاواقعي » . . . أن يطل
القصة الذي يشرب ويرى العالم كله من
وراء شفافية التبسيط الزجاجة ، بغين
غريبة ، ويعتد نفسه عن صفت زجاجة
البراندي وزجاجة السوداء ، والصداقة
المطلقة بين الفني الجميل اليوناني الأب
اللبناني الأم وصاحبه الإيطالي المعجوز
المصلي ، والمروحة العاطلة في البار
والاضطراب الذي تثيره ثلاث بنات لمين
اسماؤهن وصفاتهن ومكانتهن من المجتمع
يلبسن الميني جيب ، و « النور المدرية
يا الله هناك عند المنحنى . . . التسيور
المدرية جيدا يا الله . . . كل نمر يا الله
يقض بخاليه القوية على فتاة . . . لا
يلتهمها بعد . . . مطرح فتاته أرضا ويومض
فتاته حزبا . . . قابضا على لمة شعرها . . .
شعرها القصير يا الله . . . ويجرجرها
على الأرض . . . [التم جيسع كبير . . .
وتفرق الجمع وأتى الهدوء المألوف المعتاد] ،
. . . هنا يتحطم التغريب مرة واحدة ،
وتتوهج النعمة وبسرع الايقاع وتتهدج
النبرة . . . وتعود العلاقة الجدلية « العضوية
الخارجية » بحياتها وخصوبتها . . . ثم
يعود التباعد على هيئة تعليق هادئ
وخافت السخرية بين قوسين ، ولكن

الاشفاق الفني في القصة . . . كما أزم
. . . يترك في الفم مذاقا بالاحباط وفي
العقل حسا غائبا بالحصار والضيق في
قبضة « القاهرة » العصرية ، وتظل
طروادة وحكايات اليونانيين القدامى حيلة
استعارية أو حيلة تكنيكية لا أكثر .

● وفي « ٢٥ البلتاجي ٥٢ عبد الخالق
ثروت » [١٩٦٤] حيلة تكنيكية أخرى ،
أكثر سذاجة ربما ، وأقرب إلى المفاجأة
الميلو درامية ، إذ يجد موظفا يبلغ
الشرطة عن جريمة قتل ، وبعد قرشة
طويلة بالأسلوب الواقعي المألوف نصطدم
بنكتة . . . هل يقصد منها أن تكون مؤثرة ؟
والنكتة أن القاتل هو نفسه القاتل ، البراعة

العالم يبدأ. يكتسب معنا لا واقعي ، وتكرار الابتاع وتراوح النغمات يعطينا شيئا كالرقية .. كالسحر .. وتلك عن خاصيات أسلوب الكاتب في طائفة قصصه الريفية أو الصعيدية أو الإرضية ، و « الأورفية » .. سبها ما شئت .. « الاضواء على الاسفلت ظلم » الاسفلت الاسود .. اعمدة النور واتفة كالأرجال .. واتفة تستط الخلال على ارض الشارع البلبل الاسود الاسفلت اللامع » .. ثم يأتي القصير الأجر الذي يشير الى بطل القصة ، بصحيفة الصباح ، فيطبعه كما لو كان في حلم او كابوس لا يملك من امره شيئا وهو مع ذلك يعلم ، سلفا ان العنف والالم والانتزاس ، ولعله الموت .. الذي ينتظره .. وهو ينزل عالما سفليا يشعر فيه بالرطوبة ويشمم رائحة الرطوبة .. ويأتي التوقع بدقات مدوية بمساعدة .. ويأتي القصير الأجر ويضربه بعنف وحقد وكره .. « ربما يضربه القصير الأجر .. هذه المرة .. حتى الموت » .. هذه « الفانتازيا » من العنف القبيح .. على إيجاز تركيبها .. نافذة الأثر وحية في جوهرها الخرافي الذي ينبع من قلب الواقع المرير ويتجاوز الى بعد يكتسب فيه هذا الواقع عمقا مروعاً وثأباً ، حقيقة ، للقلب .. ان الرمي هنا يعمد العلاقة الاستعارية المباشرة ، الى اشباع مخاض من مخالط يسرى في فنيان بل يسرى في نسيج القصة كلها ، ويوحى - لكاتب هذه الكلمات على الاقل - بادانة نهائية للعنف الوحشي الذي عرفناه ونعمره جميعا في المناخ اللا انساني الذي تشيعه القصة وتفيضه الشخصيات .

القصص « الأورفية »

● قبل ان انتقل الى « القصص الارضية » بل « الأورفية » او قصص الصعيد ، عند يحيى الطاهر عبد الله ، وهي التي ارأها أجمل ما كتب ، والجمال ليس صفة مظهر بل صفة جوهر - أريد ان افرغ من امر قصة اجدها سيئة وهي مع ذلك القصة التي تجعل اسمها مجموعته الاولى والوحيدة حتى الآن : « ثلاث شجرات كبيرة تنمو برقتالا » ، والقصة طيبة النية محبودة المسعى جدا ، هي قصة نفاة فلسطينية صغيرة وابها ، امام الارض المفتصة التي لها فيها ثلاث شجرات الخ .. ، وقد قتل الاب ، وغاب الاخ ، والاسلاك الشائكة تنف بين اصحاب الحق وحقتهم .. هذا كله مشروع عظيم بغض النظر عن العواطفية « السنتيمالية » المتسللة الكامنة في مثل هذا الموتى والذي يجب على كل كاتب ان يحذر منها حذره من السهم الزعاف فهي السهم الزعاف حقا الذي يضرب بنبضة القاتل في حياتنا التومنية والفقيرة سواء ولكن الاداة التي تجعل هذا المشروع نخونه وتخلله ، هناك اولاً اللغة تراكيبيها المستحدثة التي يأتي فيها الفعل متأخرا

والمتعول به مبتدأ والخبر مقدما ، وهكذا ولم تكن النتيجة قلنا يريد الكاتب ان يحسنه فينا ، بل مجرد قلقة ، وهناك لاسلوب المزاميري - بل الاقتباسات لكاملة من مزامير داود ونصوص التوراة - ولم تكن النتيجة في صالح القضية - رعى هنا قضية عقلية منطقة منذ البداية على كل حال - القائلة بأن الضحايا اليوم يسوا شعب التوراة بل هم ضحايا الاغتصاب الذي اقتصره شعب التوراة ، بل كان ثم حس بالاصطناع والتقسابل الميكانيكي المقصود سلفا والموضوع وضعا بل يكاد يكون تقابلا مقصدا دخيلا ، ولم يكن الحلم الذي يأتي فيه كل شيء احمر الا استعارة لا اريد ان اقول جانبية وزهيدة الثمن بل اكتفى بان اقول غير مقنعة ، وسينائية جدا . ومع ذلك فهناك ايضا ارهاص - ارهاص نقط - بالحضور اللا واقعي في انفس الاب المقتول الذي تحدثه الام في الخيمة ، كما ان هناك بشاره بأسلوب الرقية التكرارية - الكلمات السحرية - في التغميم السردى والحواري على السواء .

● يبقى بعد ذلك اثبتن ما كتب يحير الطاهر : قصصه الصعيدية من حيث وصل الى ذلك البعد الذي أسسبه « الميتاواقعي » والذي ارأه كشفه الخاص واسهامه الخاص في ادبنا القصصى الجديد . وهذه الطائفة من « القصص - الكتشوف » تبدأ بقصة « محبوب الشمس » [١٩٦٤] اذ تناول ثلاث عناصر او موضوعات رئيسية : القرية ، والمحمول ، والولد الصغير « الابنيو » او مدو الشمس ، ومن خلال هذا النسيج تمتد خيوط الخرافة الشعبية الماثورة - ولكنها بقيت خرافة ماثورة اي مسطورة ، اي محكية بروية ، اي جادة ميتة منقولة نقلا ، ولم تتحول بقوة الفن الى القيمة الخرافية العضوية الحية التي سموت نجدها في قصة مثل « الجد حسن » . ونحن نجد زحمة تشابك هذه الخيوط عن شهر زاد والشاطر حسن وملك الجسان والرمانة المسحورة .. الى آخره ، زحمة لفظية لا أكثر . ومع ذلك فلم تنصهر العناصر الثلاثة في القصة ، ولا اهتز رحيق الحياة في خيوط الخرافة التي ظلت مضورة ضفرا اجنبيا عن الواقع وعما وراء الواقع معا ، فلم تتجاوز ولم تمتد حياة أعرق وانصر ، ولا كسأت اللغة هنا قادرة على استيعاب العناصر في وحدة مركبة عضوية راقية تمثلها وتشرها وتخلتها خلقا جديدا ، بل ظلت كسل المتومات منككة ، متجاوزة ، بل تلقى الجوان .

● ان قصص يحيى الطاهر عبد الله ، بغض النظر عن توقيتها الزمني ، فنظم في مجموعات ، او افلاك داخلية ، تتجارب فيها الرؤى بعضها مع البعض ، بل تتردد اسماء الاشخاص نفسها احيانا وتتصل بينها وشائج القرى في التصور

والتصميم واسلوب العجلاج والنسيج القوى . فاذا رأينا في القصص القاهرية مجموعة بذاتها ، وقصص الصعيد او الارض مجموعة اخرى ، ففي داخل هذه المجموعة الاخيرة يمكننا ان نثبت على الفور صلات الرحم الوثيقة ، اولا ، بين « الكابوس الاسود » و « الوارث » ، وثانيا بين « جبل الشاي الاخضر » و « الجد حسن » و « الرقصة المباحة » ، وثالثا بين « الف والصدوق » و « المهر » ثم « البكاء والثالث » و « الجثة » وبين « ايقاعات بطيئة ومنظمة ايضا » وآخرها بين ثلاثية « حج مبرور وذنب مغفور » و « الرسول » و « صلاة المغرب جماعة بمسجد عبد الله » ، ومعنى ذلك ، بالطبع أن هناك تجاوبا آخر ، أبعد نغمة وارق وصلا . بين هذه الثلاثيات والثلاثيات بعضها البعض .

الرؤى الخمس

● وبدخلنا مع يحيى الطاهر عبد الله في ارض ذلك البعد الآخر الذي عرفناه بالبعد « الميتاواقعي » او بعد « ما وراء الواقع » ، سوف نحاول ان نستكنه الرؤى ، او التيمات الاساسية في هذه الطائفة من القصص ، وسوف نسميها : اولا - الطقوس الجسدانية الميثية (الاسطورية) ، بما يقرب من عبادة الحس وتراويل اللذة التي يكن في قلبها الفساد والعطب . ثانيا - « عبود الجد » : العبود القضيبي الرازح السطوة وموضوع التمرد في آن معا . ثالثا - الموت ، كائنا خرافيا ومجنسا نجسدا انثروبومورفيا متأنسا وعضويا ، في قلب الحياة نفسها . رابعا - بأساة حلقة الثار الدائرية التي لا انفصام لها . خامسا - (النور الخرافي في مستوى الرؤيا الثاني . هذه التيمات الخمس - او الرؤى الحوادية الخمس - هي التي تسيطر على عمل الكاتب ، وهي التي تكسبه ما اسميناه بالبعد « الميتا واقعي » .

● ولزام على ان اكرر ان هذا العمل لا « يصدر » عن علاج واقعي ، في مستوى اول ، ليذهب بعد ذلك الى مسا « فوق الواقعية » كما يذهب السيرياليون منذ البداية ، اي ان الكاتب في مجوع نصصه الناصجة المتحققة ، لا يبدأ بفرضة واقعية تستخدم الادوات المعروفة من وصف للدقائق المترابكة ، والتقاط للجزئيات الدالة على الكل ، ونقل لتفاصيل الخبرة اليومية ، ثم يمضي بعد ذلك فينتقل الى مستوى ثان يقع « فوق » هذا المستوى من الرؤية الواقعية ، ويكشف لنا فيه عن الموت او الحب او المقت او المتسمة الحسية في النفس او في الخارج ، ليس هذا هو على الاطلاق تكنيك الكاتب ، انه كما قلنا ، يعود الى اقامة بناء شكلي ومجرد وصارم من العلاقات المفروضة فرضا ، منذ البداية ، انه لا يصف أحد

الاستقصاء في فضحه مثلا ولا يدخلنا
ادخلنا واعيا في حوار داخلي او
حواره مع الآخرين ، ولا يرفع لنا الديكور
الذي يتحرك فيه ، أي لا يعطينا « مادة »
الواقع بتضاريسه ، ووهاده ونجاهه ،
بل يعبد الى ذكر نسب الاشخاص وترايط
علاقاتهم الاسرية ويأتي بشذرات مترابطة
من الجواريات ، كما يضرب حولهم سياطا
يكاد يكون غير مرئي من الأدوات ، ويضج
حولهم عالما اجنبيا وقريبا عنهم ، تتخذ
فيه الاشياء وضعها ، كشيء ، وحضور
لها ثقل ، وجور ، لا تتزعزع ؛ أي انه
يقدم قشرة شكلية صلبة ، تبعد ، بهجرة
جمالها الشفاف المساطع ، من كساسة
الواقع واحتشاده وتذارته وجيشانه ، ثم
هو نجاة يكر هذه القشرة ، دون تهديد
بشرية واحدة ، لينتج لنا هذا العالم
الاخر الذي بدونه تصبح هذه القشرة
لفوا وعشا ، وهو عالم منير بالخراصة
المتجسدة والطقوس الجسدية ، ومعنى
ذلك ان يحيي الطاهر ليس كاتبا ميثيا
بأي معنى من المعاني ، وان الاشياء
وشخصه ليست « ميثية » بأي شكل
من الاشكال ، وان الاغتراب — أو
الاستلاب — عنده مبرر تبريرا
عضويا يتلاحم بالاغتراب نفسه ومن
ثم فهو ينشئ الاغتراب نفسه ، ويدخل
الناس والاشياء والخراصة في حلقة انتباه
وثيقة ضاغطة كأنها دائرة الرحم التي تغيب
فيها النطفة وبهوت الجنين ، وهي نفسها
فتحة القبر الذي لا يضم جثة بل يحتضن
جسدا وليدا من جديد قائما من الاموات .

ولعل هذا التذكير — في تصويري —
هو ما يميز هذا الكاتب ، ولعل فيه الهامه
الخاص : اقامة القشرة الشكلية من قلب
علاقات تهر خارجية ، وكسرهما نجاة
للدخول الى رؤيا خرافية أي « ميثية »
شاسعة وحارة ، ولعل من هذا التذكير
تنبع شاعريته الخاصة ، وصلابة لغته
واقصادهما اللذ ، دون ميوعة ، ودون
حشو ولا تزيد .

● « انهار جارية بدم النفس والولادة
وليالي الطهور والزفاف : تشق الدروب
الفارقة في العتمة ، وهواء القسط ونسج
الكلاب وهواء الذئاب وهديل الحمام والاه
والاي ولقيق الضفادع ونعيب البوم ..
لهور مسكوبة ولعاب وبصاق وبول وفيه
.. واجساد لرجال ونساء واطفال معلقة
شعورهم بأنواع شجرة الحشيش النورانية
السحب تنفث من مساهمها الابيض الرمادي
الاسود القرايب المغبر على الرحم الكبير
الفاخر ينز بالدم والقيح والصدید وترهى
داخله الديدان وتصور حوله الغربان
نامشة ناعقة وتقطر منه مياه الصوم
وتضربه الريح المتبانة والشمس الصفراء
.. وفم طفل يمتص لذي حاضن : يحيط
به ذباب البقر والجحر الوحش اللاسع
الطنسان .. »

هذه الفقرة الطويلة شيئا ما من قصة
« الكابوس الاسود » هي في الواقع

تقرير بلغة مباشرة — كلمة الرقى والاحجية
والسحر الشبيه بالسريالية — مما
اسميناها « بطوقس الجسد الميثية » ، وفي
عمل هذا الكاتب ، ولن يتكرر هذا
التقرير بصورته المباشرة بعد ذلك في عمله
بل سوف يتجسد بقوة الفن كقيمة مستقلة
ومندجة في العمل ذاته ، انما جاء ههنا ،
قيمة سوف نجد في « الوارث » ، وفي
« الجد حسن » ، وفي « الدنو الصندوق »
تبلغ اجمل تحقق لها ، فهذه القصة كلها
ليست الا احباء لطقوس الجسد ، دوران
المراة عند برهم ، وانفجار ادبيها
يما بين عزتين تفصل سواد الحلمتين
منها وسواد ما بين الفخزين مياه النيل
الدائنة في مشهد عناق اخير لا ينفصل فيه
الحب الوليد من الموت — موت البكارة
والدخول الى لقانة النساء — وهي نفسها
طقوس الصوم عن الطعام ، وامداد
صنوف الاكل بتمعة لا يخطئها الحس ،
واداء واجبات الوضوء ، والخلام من
نفية الجسد — الابريق والطست والمساء
تجهزه الحفيدة الصغيرة — اللحم الطلي
الانثوي الطرى الرقيق الذي ما بين يظهر
مرة بعد مرة في تمصن هذا الكاتب ، ان
التمعة بالحس عند هذا الكاتب من طراز
التمعة المصرية العريقة المصرية بجذورها في
اجسامنا وفي جسد قربنا ، منذ القرايب
التي قدمها اسلافنا الى الالهة الاولى —
آلهة الموت — من البط والور والفراخ
واخذ العجول الحراء والبصل الاخضر
والكرات والبيض الى قرايب الرحمة
والنور على قبورنا في اعيادنا . هذه
الحسية — او العباسية — بالذات
الارضية كانت ترتفع عند اهل الكرنك
التقديم — ومنهم صاحبنا — الى ذروة
طقسية فيها تقديس أولى صريح . وفي
هذه الطوقس يلعب التفتيش والبسط دورهما
العضوي المحتوم في تعاقب من اللذة
والعذاب لا يتنهي ، وسوف نرى ذلك في
« جبل الشاي الاخضر » وفي « الرقصة
المباحة » في نور مؤلم السطوع : مذاب
الحرمان الجسدي المنتعج ، كالجرح ،
على قسوة غير منهومة ، وتوحي بانها
لاراد لها ، ولا يمكن قهرها ، لانها اساسية
ولكن الحنو ، والرق ، اساسية ايضا ،
وللتعاضد العائلي — سلبا او ايجابا —
قوته التي تندرج في تعامل مستمر مع
القوة الاخرى .

هذا كاتب يعشق العضوي والحسي ،
والمتجسد ، ويعرف الثمن الفادح الذي
يقتضيه العشق الحسي ، كما يرسم
الطقوس التي يدور في فلكها التحقيق
والعقاب ، النزو الى اعلى على مسد
العرامة الفريزية ، ثم الهوى الى هبوط
الاجباط ووقوع قبضة المجتمع الذي ينكر
هذه العرامة حفاظا على مواضع قيامه
وتركيته ، وهو فوق ذلك كله يجدس —
ويضع — الايقاع المصوم العنيف لم
الرخي الدائلي للوقاء بهذه الطوقس ،
سواء في اللغة او الصورة .

● وفي « الجد حسن » على الاخص
و « جبل الشاي الاخضر » نجد هذا الذي
اسميناها « العبود السلفي القضيبى »
الرازح بثقله على عالم يحيى الطاهر
عبد الله والذي يعطى لهذا العالم مركزا ،
وبؤرة ، ومعنى . ان الجد هنا — ودائما
في كل هذا العالم المصمدي الحار — هو
الاله الشبتي الاولى الذي يحمل ويملئ
بذور الحياة كما يمسك ويضرب بمولجان
الموت . وما من سبيل الى ان نخطىء
ثنائية المشاعر نحو هذا الشخص
المهول : الحب — حتى العبادة تقريبا —
واليقين الكامل العميق المتخفي بسرائره
وشراسة عظمته تحت اقنعة الحب الذهبية
المشعة . ان صوت « الجد حسن »
زاهق له سطوة ، وسرعان ما تقدم اليه
القرايب ، في شهر الصوم ، وتؤدي تحت
تسميه المراسم . انه هو الذي يقول
بالقانون ، وبين بالمطايا ، ويؤذن ناديا
بالاشياء تكون . ويهني أن أمود ناكذ
العلاقة الشبكية الكاملة والقائمة ايدا —
كأنها علاقة الحارم — بين الاجداد وبنات
ابنائهم في هذا العالم الذي تتدقق
حسبته تحت قشرة التوانين الخارجية ،
تيارا يغرب بالدم والحنو والصنات
الذكرية — الانثوية ، ويضرب من حوله
سور من النسوة والعنة ايضا . ان
الكشف ومواجهة عين الصديق بلا خوف
من المواقفات الاجتماعية والاختلاصة
قيمة من قيم الفن الرابع ، هي قيمة
الحقيقة ، وهي أيضا قيمة خلقة رفيعة .

بل ان حضور هذا العبود المكين مائل
ومؤثر حتى عند غيابها ، في « حج
مبور » و « فنب مقبور » تدور طوقوس
التكريم — بل تكاد تكون مراسم الخالية
— للحاج عبد الكريم محمد — حتى في
غيابه ، وكأنها ساعى البريد الذي يحمل
البرقية منه ، لم يوجد أصلا الا ليبرش
بمقدسه ، وهودته بالسلامة من قبر
المصطفى — وكان قد زاره من قبل
مرات ومرات — وهذا التكرار هو ذاته
من التفات الطقسية سواء كان باللفظ
الذي يتردد كأنه لفظ الاحجسية ، أو
بالالعمال التي ما تلي تعود فحوى نفسها
من جديد ، وعندما يأتي حنى النقاش
ليرسم الجمل ويكتب بخط كوفي جميل
« يا داخل هذا الدار صلى على النبي
المختار » فهو انما يتم ميلا ولا يرسم
صورة أو يكتب خطا . وحتى عندما
تناول الحاجة أسماء زوجة الحاج
عبد الكريم البرقية من ساعى البريد ،
في تلك يدها اليمنى بالطرحة البيضاء
« فقد كانت تخافه على ابن آدم من الحية »
.. أي سطوة شبكية للحاج حتى في غيابه
في الارض المقدسة !

الموت : الطريف الآخر

● أما الموت في هذا العالم فهو الطرب
الاخر المحتوم من عملية جدلية
وسبقا واقعية لا تنتهي أبدا ، بين اللشوة

بالحياة وحبية نزول الموت . وليس الموت هو انتهاء يضع خاتمة لحياة فردية ، هو حلقة في سلسلة من الانفعال وردود الاعمال ، أو على الأصح سلسلة من الانتدار والانتدار المضادة . وهو بالطبع المحور الذي تجري حوله دورة الثأر والانتقام الإبدية ، دورة التحقق بالانتقام ، وتقديم التبريد بالنفسية . في قصة « الرسول » يأتي الموت كأنها هو ضيف خامس يرحب به « خليل » ويصحب له الشاي من الإبريق ، في كأس خامسة غير منظورة ، ينتظره كرجل ، لا يخاف ، « لأن الرجل لم يخاف أصبح أنثى » [ويعتذر من كلمة أنثى] ، وعندما تظفر السيوف الثلاثة للثأر الملهة على الطريق ، عادوا ينظروا لبعض من جديد . . . ان حضور الموت هنا ليس بحاجة الى كلمات ، ليس بحاجة الى كلمة واحدة . . . حضور أقوى من كل الكلمات . ولكنه في « الجد حسن » سوف « يأتي متذكرا في ثوب النوم الطويل » . . . يخالسه الفرد ويرميه بقتل لا يطاق . . . في رؤيا الظهيرة تلك التي تطارد . . . « ثلاث أرسل » . . . ثلاث شقيقات من بنات الجن اريدتهن السوداء قطعت منهن الرأس والقدم . . . قاعدات هناك تحت اشجار التبرحة وسط تلال المقابر . . . الرعي الكبير يعمل ولا يتوقف قط . . . والكلاب الضالة تموى والقطط الضالة تنوء والدم يختلط باللحم وشجر التبرحة يسقط الزهر تحت ضربات الريح الخفيفة وعيون الجنيات تلعب بثلج الجمر المتقد . . . »

● في قلب هذه الرؤيا السحرية ، بها فيها من تكرار في الكلمات والحاح في الصور ، هذه الرؤيا التي تأتي مرة أخرى في « المهر » وفي « الطوق والاسورة » في المنشورة ، الرؤيا التي نسميها القور الخرافي ، في قلب هذه الرؤيا يأتي الموت أسطوريا ومتجسدا في الوقت نفسه ، واقعا يمتد فوق كل تسجيل فوتوغرافي ، والموت قيمة ملحة في هذا العالم ووجوده ليس انتفاء للوجود ، انه ثقل فاعل فيه ، لانكاد نخلو منه نعمة من قصص هذا الكتاب ، سواء جاء بحضوره الخرافي ، متشخصا بذاته ، أو جاء في إحدى هريذات العنف القاتل الذي ما ينسى يتكرر في هذا العالم الوحشي المكتوم ، أو كان منتظرا ، في اليد حبل وفي العبيسكين [الثلاث ورقات] أو ماثلا حتى بعد مرور عامين من مجيئة [البكاء والثالث] أو على النور بغداد جاء ومضى [الجنة] وترك « جنة المقتول » واحدا من أجساد قليلة ممتعة على الرصاص ، من القلة المحكوم لصالحها بالخلود يتدلى من أذنه اليسرى قرط من الذهب النقي . . . انتزع منوة وترك ذلك الخيط من الدم الذي جهد وتحمم ، تحت الشهنش الاستوائية الحارة العابدية ، تحت طيور القبر

الضئيلة الحجم ، تحت ثلاث حداث حومت فوق المكان . . . هذه هي الرؤيا الخرافية السحرية مرة أخرى ، في ظهيرة كابوس ساطع النور . . . ولكن المقتول هنا هو تشخيص آخر للموت في ذاته . . . ولا تنسى طقوس الإعداد لمقدم الموت « بات سلاح البطلة ليلة في العراء تحت قبر مكمل داخل اناء فخاري مبلوء بالسم القاتل ورموم على سطح الاناء الخارجي حجبة ثور بدم ذبيحة بشرية » . . . ليست هذه الطقوس مجرد نتيجة للجهل والامية مثلا ، هي حدس عبق في الروح أو « الأيتوس » المصرية نفسها من ارتباط بل وجود مرتبط بذلك البعد الذي أسس به البعد « المتواقعي » ، وقد تتخذ هذه العبقرية المصرية الخاصة مسارات جديدة ، لا يمكن التنبؤ بها ، لكنها أبدا قائمة .

● ان الحس الإنسي بالعدل المحتوم هو بالطبع سر هذه الدورة الدائبة من القتل والقتل المضاد ، من الانتقام والمثأر التي نصطدم بها في قصة « المهر » وفي « الدف والصندوق » وفي « الرسول » ومن صدق حدس الكاتب ، أو من خبرته الحية المفتوحة على أهل بلده ، وحساسيته بخلجاتهم وانباطهم على السواء ، ان الصوت الصارخ في البرية الطالب دما يثن الدم المستوح هو دائما — كما ينبغي أن يكون — صوت الأم أو الزوجة المهذورة ، وان الابن المروضة عليه ندية الدم هو دائما التمثل الأوديبى — ومن الواضح فيها ظننت أن النمط قد لقيناه في تأملنا السابقة كلها — أي هو موضع الصراع بين التالي الجذول للاول ، للآخر ، للاصل ، للخصم . الأولى من ناحية ، وبين تأكيد الذات والضم بها عن الفقدان والذوبان في الصورة المؤلمة المحبوبة المبقوضة في وقت بها . . . هذا هو الموضوع الرئيسي لقصتي « المهر » و « الدف والصندوق » وله انمكاساته في العديد من القصص الأخرى .

الرؤيا الأسطورية للواقع

● ويبقى ما سببه يمتصر الخرافة في مستوى الرؤيا الثاني — بعد الحاجز الشفاف الأول من القشرة الخارجية — هذا المستوى الباهر الذي تبدو فيه شخص جنات القاع — أو النخلات الثلاث كأنها جنات الموت — كما يأتي فيه سيدنا الخضر أو الزائر الخرافي الماكر اللثيم المتكرف في صورته ، أو تقوم فيه أحيانا أعمدة النور على الاسفلت [في قصص المدينة] وشجيرات العدى أو أشجار التبرحة ، كما تروده القطط الضالة والكلاب الضالة والجمال والحداث واليوم وطيور القبر والذباب الأزرق الجسيم اللامع الطنان ، ويشته النيل ، النهر الأسطوري ، وتقبع فيه الأفران اللثيمة وتقتد العيون كالجمر وتغري الأجسام ويسيل الدم الأسود

من جروح الأرحام وثقوب الرصاص على السماء ، هذا العالم الثاني الذي تنكسر عنه جلدة العالم الأول المقتول — العالم الذي يأتي فيه الموت متجسدا أو تنفذ فيه الأشياء حدودها المألونة لا بأسلوب استبطان الذات والغوص في المناطق الغائبة من الوعي الداخلي ، بل بالانتفاخ على موجودات خارجة عن مجرد حدود الحلم ، نابضة من حلم جماعي موروث ومتجدد أبدا ، فهي ليست نهاويل وثهويات ، بل هي كائنات ساطعة القسبات لها قوامها المصدد البللوري الشديد الوضوح ، تحدثت من أصلاب الميثيات الجماعية من جيل الى جيل ، رؤى لها حضورها الذي لا يقبل الإنكار .

● وما لا يحتاج الى تأكيد أن عناصر هذه القيمات الخمس ، أو الرؤى الخمس ، ليست قطاعات منفصلة متخاصمة في صل هذا الكاتب ، فإذا كان يتغلبا يزن في تعادل بعض القصص ثقلا أكبر ، فذلك لا يحول دون اندماجها وتفاعلها وتجاوبها ، بتغيمات متفاوتة ، في نسج العمل القصصي كله .

● ان هذا الكاتب في حدسه بالعناصر الأولية الأساسية كما تقتضيها رؤيته للعالم ، يتجاوز المواضع والمصطلحات المكررة الرثة في القضية ، وفي الأخلاقيات ، على السواء ، يضيء في رحلته ، الى ما وراء الواقع ، كأنها رحلة البحار القديم الى بلاد « بونت » بحثا عن العتائق الثمينة ، ليصل الى حس بدائي ولهم وصف بقيم لا تقبل التفتين الاجتماعي — بل هي تصدر عنه لكي تنكسر — قيم مثل البحث عن حنو مهدد دائما بالسقوط ، والعذاب المتولد حتما من المتعة الأولية التي هي الحق المشروع للكائن الحي ، والشر الاصيل المكون في قوام الحياة ، والتبريد البدائي ضد التهر ، إذ يندمج للأعلى واللا وامن مع التفاصيل اليومية التي تسبح في ضوء مهندس شاعري رقيق الخطوط — مثل الصور القديسة الرشيدة القد المنحوتة على الحجر والصخر والباطمة بتورها الداخلي . تلك أيضا من خصائص لغته وأسلوبه التكنيكي فضلا عما أشرنا اليه فيها من النغمة الخرافية بتكرار الفاظ بعينها كأنها سحرية ، أو مسحورة ، مع ميزة الاقتصاد الكلي والنقاء من كل حشو ، والتطهر الحاد والدقيق في التعبير . وفي هذه الخصائص يتضح تصديق الشاعرية الخاصة لهذه اللغة ، وشفايتها .

هذا صوت متميز ومفرد من بين أصوات كثيرة — لكل منها قيمته — في مغامرات الموجة الجديدة التي ارتفعت في أدبنا القصصي منذ الستينات ، وفيما تحمله هذه الموجة من تحقيقات وإجازات ينبغي أن نعتز بها .

سادت في الأفق طيور عمياء

مريد البرغوثي

لان الاوضاع على ماهي
فاتها لن تبقى على ماهي
بريخت



يتكرر !
وهذا الراكض المشدود حول
مداخل القرية
يدق يدق ، والابواب موصدة ،
وفي كل النواخذ عشش النبت
الخبث الكالح اللون
وفي الوادي الفلسطيني
ينام الناس فوق حطام « عين
الدير »

وفوق الزعتر البري والموال
(الطلقة بين الفصنين
القتلى بين الاشجار)
وفي صبح ، توهمناه ، كان
الطائر الاعمى يحط على
السفرجلة العتيقة
وكان ينقل الخطوات بين الورد
والقتلى

(امنحنا الوجهة واثركنا
لا . لا تتركنا فوق حفافى
الجدران)

سادت في الافق طيور عمياء
حطت طارت حطت طارت طارت
حطت طارت حطت
وازداد القتلى بين الاشجار

خفتت موسيقى الاشياء
هدأت أصوات الكون
وها هو ذا يدق يدق —
يطلق صوته الدمى في الوادي
الفلسطيني .

من هذا الطارق ابواب الليل ؟
الاتى من اسئلة الكل ؟
هل يحمل اى جواب ، فعلا ،
موتا ، انهاضا ،
هل يحمل فى كفيه نبوءته ام
يحمل رأسه ؟
فى الحلم رأيت طيورا عمياء
ومحملة برسائل لا تقرا
وعدوا منتصب القامة

(وأبى يتساءل مبهوتا ، ان كان
عدوا أم لا) !
ومرايا خلف مرايا —
وامام مرايا —

وعلى الجنبين رأيت مرايا —
وأبى يتكرر فيها وحده
وعلت فى الساحة جدران —
ملساء مبعثرة التكوين
أخطو مذعورا فوق حفافها
وبكيت السقف ، بكيت الارض ،
تدليت —

صرت احتمالات
ثم راصلت النوم . .
وها هو ذا يدق يدق ، والوادي
يباغته انفجار السيل ،
ينقص السفرجل تحته
والتين والزيتون والخروب
وطاف الراكض المشدود حول
مداخل القرية ، و « عين الدير »
تحت السيل ، لا رعيان
لا قطعان

لا ناطورها الابدى حمدان
الوحيد العين !
وعشته التى لم يبتعد عنها
سوى ليزفه الاصحاب
يوم زواجه الرابع ، تبعثر قشها
القطبي وانحرفت
وظلت بندقيته معلقة على غصن
السفرجلة العتيقة !
[فى الافق طيور عمياء
وأبى : الامر النهى الجهل الوعد
يتكرر
يتكرر

الفخاخ منصوبة للمحبين

يحیی الطاهر عبد الله

— اولاد آدم —

يرمى الزغبى الحطب للنار لتساكن
فتتأجج وتضئ وجوه الرجال وتذبح
الظلمة فتتبع بأركان المكان القصية
ويقترب قشمر من النار فهو في حاجة
للدفء الكثير .. ويشرب الكل ثسايبهم
الساخن من أكواب الفخار بصوت ..

تكلم الزغبى ورد العدى كلامه :

« تم الطلاق .. واليهارجة كان
العريس .. المرأة تفعل ما تريد ..
مطاول ابن الحاج عطية تزوج من أم
ابني .. وابني تربى في بيت الحاج
عطية .. صار كبيراً بعد العمر الذي
مر .. صار الثور سمينا .. أطمعوه
ليكثر لحمه ودهنه .. متى
سيذبح ؟ »

رد قشمر : « صار رجلاً .. لقد
كبر ! »

صرخ الزغبى : « لماذا لم يحضر الى
هنا ؟ لماذا لم تجيء به أنت التي
هنا ؟ »

رد قشمر : « انه .. انه محب ..
و .. عاشق .. »

سأل الزغبى : « من تكون
المحب ؟ »

قال قشمر : « غثاة .. تسكن بrooms
الخليج الواقعة باملاك الحاج عطية ..
أنت مع الفجر الرحل .. »

— العدة —

ها هو بخرة ابن السبيل ، حافى
القدمين ، يطلع في مشيته ، محسني
الظهر ، يستند على فرع يابس من
الحطب ، بلحية طويلة لم يهاديها مشط ،
وعمامة خضراء كبيرة فوق الرأس ، ومن
رقبه تتدلى مسبحة كاملة : عدي حياتها
تسع وتسعون حبة ..

قشمر .. واللبلة زفت على مطاوع بن
الحاج عطية ، وما إذا يا رفيق الطريق
أحمل الخبر لسيد الجبل (ليكفر عن
سنوات الوهم والابتكار والمقاومة ، وما
هو يا ظله على الطريق يبغى الخلاص
بالتلاشي في الآخر) ..
سمع قشمر صيحة الجبل فخارقه ظله
وهرب :

« ما اقسى لحظات الخوف حين
يواجهها الإنسان بمفرده .. »

— صيحة الجبل —

يصبح الكشاف من مكنه اسفل الجبل
ويشهر سلاحه ، ويتلف آخر صيحة
الكشاف فيقبض على سلاحه ويصبح ،
ويرد الجبل وتردد رمال الصحراء صيحة
الرجال المتتابعة ، وتغوى الدئاب في
اليعبد ..

يتوك الحارس زميله أمام باب المقارة ،
ويمر محنى الظهر من سرداب كثير
التعاريج محفور ببطن الصخر ، ويهب
ست درجات حجرية ، ويقف أمام القاعد
على فرو من جلد الجاموس يتخلقه رجاله
الاشداء ، بينما القاعد يفرك راحتيه
ويمررهما فوق السنة المان فتصاعد من
بوثة نحاس كبيرة - يقول الحارس :
« رجل قصير وربعة شديد البنيان
غايته الجبل .. »

— المعبد —

ضحك الزغبى وصاح مهلاً ، وصاح
الجبل وصاحت الصحراء ، وصاح
الرجال :

« انه قشمر .. دعوه يمر .. »

تنحى الكشاف وأصبح طريقاً ورد
سلاحه الى غمده ، والزغبى باهلي الجبل
يصبح مرحباً فاتحاً ذراعيه لقشمر الذي
يعرج مع الطريق الوعرة صاعداً الجبل -
كانه الطاووس وقد ولي عيه نصف
الخوف ..

— مدخل —

هجم الكل - الا الضفدع والطاصوة
والكلاب وقشمر ..

— قاصد الجبل —

ما عاد بمقدور قشمر أن يتكر البرودة
التي حلت ببدنه ، وبات عاجزاً عن إيقاف
الرعدة السارية ، بساظرافه : « انها
صحوة القديم يا قشمر تلك التي تسوقه
سوقاً اليه وإلى الجبل .. »

الكلاب لم تنبح وتوقظ النيام ، فكلاب
الوادى جميعها تعرفه ، وان كانت الكلاب
بالليل لا تميز بعينها بين شخص وآخر ،
الا انها تملك الاتوف التي بها تشم رائحة
قشمر ..

— الرحلة —

قبر السماء العالي رمى بالضوء الفضي
فوق الرمال ، وخلق الظل الرمادي
لقشمر :

هذا الظل العجيب يسير اذا ما سار
قشمر .. ويقف متى وقف قشمر ..
ها هو قشمر الخائف يكلم ظله
العجيب :

« أنا صديق قديم للزغبى ساكن
الجبل .. أن أردت الحق كنت تابعه ،
ههه .. تلك علاقة قديمة كانت في الصغر
وتدرجت مع الايام وتلك كانت أيام ، حتى
جاء يوم أدار فيه الزغبى ظهره لي
وللوادى ويم وجهه شطر الجبل وكان قد
قتل الحاج عطية .. »

« في ذات اليوم ظننت اني قد ملكت
حريتي : ما دمت انفس .. وما دام
قلبي يدق دقاته المعتادة .. فلماذا اخاف
الزغبى ؟ .. هل جريت في يوم من الايام
قوة بدني يا قشمر ، وخضت مع الزغبى
معركة ؟ يا لله .. وكأنني كنت أملك تلك
القدرة على التفكير ! »

« يوم طلبت هي الطلاق من الزغبى
الغائب .. قلت : « هذا الامر لا يعنيك يا



اطل مطاوع وخلفه خلق كثير سدوة
فتحة الباب .
قال مطاوع : « كنت على يقين من
انك ستحضر بعد زواجي منها » .
وتقدم مطاوع ، وامسك بالساق
المسندة على الحائط ، ورفعها بيديه لفوق
ولوح بها في الهواء وصرخ في وجهيهما :
فترجع الزغبي .

— صانع الفاجعة يلم الخيوط —
صرخ مطاوع :

« ها انت خائف .. كان عليك ان
تتقدم الى حاملا اكفالك على كتفك بعد
قتلك لابي .. وكنت ساعق رقيبك ..
بدلان ان تحتني بالبحر .. كان عليك
ان تثق في عرف الرجال » .
وصرخ مطاوع في جمهرة المتفرجين :
« ها هو خائف .. ها هو الفار ساكن
البحر .. وها انا مطاوع ابن الحاج
عليه اعتق رقبة الزغبي قاتل ابي » .
وعاد يصرخ في الزغبي :

« لن تصود للجبل فالذئب تاكل
الخائف .. ولا انت خارج من بيتك
للوادي فالرجال هنا من طبعهم مطاردة
الفران والقرف منها ، هنا جحر ..
وتلك هي زوجتك التي لن تعلقها ولن
تطيقك .. تعلم كيف تستخدم سكينتك
حين تجوع وتطلب اللحم .. اما ابنك فهو
راجل خلف الفتاة الغريبة » .

— يستحق الجنون لانه الشخصية
الاخيرة —

كسر طوق الرجال ، وجرى حاملا فاسه
يلوح بها ، وهو يضحك ضحكة المنتقم
الجنونة فتردها الحوائط ويردها
الخلاء ، حتى بلغ شجرة الله
الثمرة (كانت بالضحي ترمى بظلمها
الكثير على ضريح الولي المجهول وعلى
الزير وعلى المصلي ، وقد تجردت الساق
الضخمة من لحامها) ورفع فاسه .
وصرخت الشجرة .

— قال : « هو يوسف الدعور ينادي
الناس من فوق جامع عبد الله للفجر » .
— اللقساء —

قالت : « لو عرفوا انك انت .. وانك
هنا .. لاتوا وقطعوا رأسك » .
رد بثقة : « لو عرفوا ، عساويني
حتى اعرفه » .

قالت : « اذهب وخذه من بيتهم قبل
ان يقتلوه » .
قال : « بلغني انه عاشق .. اريد ان
اراه واراه » .
وسالها : « لماذا طلبت الطلاق ؟ » .
قالت : « اردت ان اكسبون
محسنة » .

قال : « بالزواج من مطاوع ابن
الحاج عطية ؟ » .
قالت : « لو احبني سيرك لسي
ابني .. وها انت ترائي لابسة ثوبي
الاسود » .

قال : « كان بإمكانك ان تحمله وهو
صغير وتاتين الى الجبل » .

قالت : « الطريق الى الجبل وعسر
وطويل على امرأة .. وكانوا سيلحقون
بي .. وانت تتكلم عن الماضي » .

قال : « المرأة لو ارادت فعلت » .
وقال لنفسه : « وانا تركتها حبسلي
غير قادرة على الجهد » .

امسكت بضفيرة من شعرها ، ودس
هو يده تحت ثوبه واخرج سكينته قدمها
لها ، مدت يدها وتناولت السكينته وجزت
ضفيرتها وقدمتها له .

قالت : « عد الى الجبل .. ستجدهم
في بيتهم او تحت كروم النخيل .. انه
يشبهك .. لست في حاجة الى
معونتي » .

وقالت لسومه : « اتيت بالسكينة
لتقتلي » .

قال خجلا وهو يكذب : « اتيت
بالسكينة لادافع عن نفسي » .
— البيفة والمتفرجون —

— عائق —

دامه الليل ، وسمع نبح الكلاب
الجامعة الراقدة امام الدور ، وتلك التي
تسعى بين الدروب الضيقة ، فقرّر ان
يبعث ليلته على ابواب الوادي حتى تطل
عيون النهار .

— على ابواب الوادي —

انها شجرة التوت القائمة منذ الازل
المسماة بشجرة الله — تحتها زير به
ماء ، وهذا ضريح الولي المجهول الاسم ،
وتلك هي المصلي : مستطيل من الارض
مرفش بالحصى وحوط بسور قصير
ارتفاعه قلب طوب قائم .

بداخل الضريح مصطبة مفروشة
بحصيرة قديمة ، وفوق المصطبة كومة من
الاعطية القديمة ، ومن الكوة المحفورة
ببطن الحائط — تطل عين سوداء ولبة
جاز فتيلها قصير تزهر الدخان الاسود
وتطوح بالضوء الاصفر القليل والظلال
الرمادية الكثيرة .

— الحسلم —

الحاج عطية يتكلم من فوق سرجه .
والسمكة من البلبل — الزرق
النقي (منتفخة البطن ، بجنبها الايمن
زعنفة كانها جناح طائر ، وبجنبها الايسر
زعنفة كانها جناح طائر ، وباسفل البطن
ثقب) ، الحاج عطية يريد السمكة
لنفسه والزغبي يريد السمكة لنفسه ،
والحمار الابيض العالي الظهر رمى بالحاج
عطية ورمى بسرجه وركض في حقل
البرسيم الاخضر ، والسمكة بيد
الزغبي ، وضوء النار الاحمر صبغ
الكون ، ولا شيء اعلى من السنة الدخان
غير قامة الجبل المضيئة .

— النداء —

الصوت طلع من حلق مشروخ من
البرد ، ومن صدر تكومت فوقه طبقات
وطبقات من دخان المعسل المحترق .

مسرح



مسرح



مسرح



مسرح



المقاطعة الثقافية

مسرح التشويق

الأسود

في الثقافة

في أكتوبر ١٩٧١ ، أعلن واحد وأربعون كاتباً مسرحياً بارزاً في بريطانيا أنهم يرفضون « التصريح بتمثيل مسرحياتهم في أي مسرح ، تجري فيه التفرقة بين المخرجين على أساس اللون » والسبب في ذلك كما جاء في نص كلماتهم :

القيم السائدة بينها ، وأنها لن تحرك ولن تنشط سوى شبك الذكرك ، وغرور وأناية الطبقة الحاكمة » . ويخبر قائلا « أن لب المسألة هو أن الليبراليين في الغرب قد أدركوا أن المقاطعة لوحدنا لن تكون فعالة ولن تؤثر . ومثل ذلك أصابتهم الحيرة والارتباك ... ومن ثم بدأوا يتخلصون « لأنهم ليسوا على استعداد لان اعتماد لان يروا الخطوة التالية المنطقية » وهي تنظيم المقاومة المسلحة »

لا يجب أن ننسى المقاطعة الثقافية التفرقة وهي أقل ما يجب « بأن يمتنع علينا دعمها وتشجيعها » يجب علينا بذل مزيد من الجهد إذا كنا جادين حقاً ، وأن تساعد بكل طريق نستطيعه أولئك الرجال الذين تدعم صحتنا انهابهم في حين أنهم يقاتلون خلال الطريق الوحيد الذي ترك مفتوحاً أمامهم - طريق المصالح - من أجل الحرية والكرامة » .

وكما لو كان ماكجريث يتنبأ [مخبره كان منذ هيازيه في ٢ سنوات] بأنها اختتم حديثه بهذه الكلمات « لنأمل

ويليس » وهو مؤلف مشهور لمسرحيات التلفزيون « بياناً اقترح فيه أن الوظيف قد حان لكي يراجع كتاب المسرح موقفهم من عدم السماح بتقديم مسرحياتهم في جنوب أفريقيا . وقال أن المقاطعة « تضر كثيراً الشعب الذي نريد أن نساعد » وتوجد الابواب أمام الانسحاب الحر للانكار من الخارج » . واقترح أن يغير كتاب المسرح البريطانيون رأيهم ، ويصرحوا بعرض مسرحياتهم أمام جمهور متصل على أساس العنصر : « وأن ينجوا حقوقهم من التآلف » إلى انفسهم جميعات الفنانين الملونين في جنوب أفريقيا » .

الخطوة التالية المنطقية

ولم رد بطي نضم إلى اتصق حد على هذا الادعاء « أوضح جو ماكجريث الكاتب المسرحي الكبير « أن المسرحيات التي سيسمح بها النظام ستكون أساساً « المسرحيات التي تروج مميزات مسلية للغطات العليا من الطبقة الوسطى البيضاء » والتي يمكن وتقدم مجموعة

« أولاً لاننا نؤمن بأن الاسهام بأي طريقة في تطبيق نظام التفرقة العنصرية يعني الموافقة عليه .

وثانياً لان مقاطعة جنوب أفريقيا في ميداني الثقافة والرياضة « قد اظهرت دلائل نجاحها « ومن ثم يجب تدعيمها وتشجيعها لا اضعافها » .

وكان من الموقعين على هذا البيان جون بوين « ودافيد مرسى « وهارولد بنتر « وجون أوسبورن « وأدوارد بوند ولويس نيكوس « وايريس ميردوخ « ودافيد كوت « وجون ماكجريث « وج.ب. بريستلي « وجون هال ، وجون آردن « إلى جانب كثير من الوجوه البارزة الاخرى في المسرح البريطاني » .

لقد شمر هؤلاء الكتاب أنه من الحيوى والضرورى أن يمسدوا تأكيد موقفهم حينذاك « لان بعض الاصوات بدأت تطالب باعادة النظر في المقاطعة الثقافية » .

وكانت هذه القضية قد شارت للمرة الاولى عام ١٩٦٨ . عندما أصدر لورد

حفزت آلاف الشبان السود والبيض الى السير معا في شوارع جوهانسبرج وايادهم متشابكة معا ، تحديا للتمييز العنصري » .

ونحن وان كنا نؤمن بأن للفنان دورا مؤكدا يلعبه في تغيير المجتمع ، الا أننا نعتبر قول ويسكر هذا اقراعا في خيال وهمي . ذلك أن تحدى التفرقة العنصرية بالنسبة للافريقيين ومؤيديهم من البيض في جنوب افريقيا ، يعني نقط قبول مبدا الحرب وضرورتها . وكما أن الافريقيين في روديسيا برغبون في الإبقاء على العقوبات الموقعة على بلادهم على الرغم من أنهم يعانون منها اقتصاديا ، فإن الشعب الاسود في جنوب افريقيا يؤيد العزلة الدولية لبلاده . ولكن موقف فوجارد هذا انحرال عن موقف غالبية الفنانين المعادين للتفرقة العنصرية في جنوب افريقيا .

وقد رأينا مثل هذا الامر يحدث في الرياضة أيضا ، فقد قاوم المسؤولون السود عن الهيئات الرياضية في جنوب افريقيا كل الضغوط ، حتى في مواجهة مروض الحكومة بتقديم معونات كبيرة لتطوير رياضة عنصرية منفصلة لكل جنس بل لارسال فرق غير بنفساء الى الخارج . والامر مطابق لهذا فيما يتعلق بالمقاطعة الثقافية .

و « المؤتمر القومي الافريقي » يرحب به باسم شعب جنوب افريقيا الذي يواجه يوميا السجن والتمذيب والموت لمقاومته التفرقة العنصرية في كل أشكالها - بوقف أولئك الذين يؤكدون المرة ظو الاخرى موقفهم المبدئي من هذه القضية الحيوية . وهو يشجب الدعوة الى « إعادة التفسير » في المقاطعة الاقتصادية باعتبارها دعوة غير واقعية وخاطئة ، وينادي بدلا من ذلك بتذعيم المقاطعة وتوسيع نطاقها . وبين التطورات الأخيرة في مجال المستعبد والتطقيين ، أن هذه الدعوة تجسد استجابة قوية .



هارولد بانثر



جون اوسبورن

منفصل ، وعندئذ أمام جمهور أبيض . وفي تبرير هذا القرار ، أرسل أرفوود ويسكر خطابا الى الصحف يقول فيه « سأكون سعيدا لو أن مسرحياتي ، رغما من عرضها أمام جمهورين منفصلين

في الا يكون تشكير لورد ويليس حصول هذا الموضوع - ونحن نشفق كثيرا من أن يكون الامر كذلك - مقدمة مؤلف بتخذه الحكومة البريطانية ، بعد أن تبين عدم جدوى العقوبات التي وقعتها على روديسيا ، وأنها الخفت بالفعل ضررا كبيرا بالشعب الذي كنا نريد أن نساعد » .

ولكن رؤيا رجسلي يرى الموقف في ضوءه ، ولا « يتخلص » عندما يفكر مقتضياته . لأن النظام في جنوب افريقيا يشن الحرب بطرق كثيرة ومتنوعة . فهو يشن اربابا مسلحا سريحا ومسلنا ، يجد الشعب الافريقي الظهور ، ولكنه يسعى في الوقت نفسه وبشبات لفوض حرب كليات مأكرة بهدف التهاء عزلة جنوب افريقيا دوليا . وله في هذه الحرب حللاء اقوياء كثيرون في الغرب - في الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، والمانيا الغربية وفرنسا .

خيال واسم

وهو يستطيع أن يجذب الى جسواره ليسوا بالضرورة ، متفقين معه في كل اهدافه ومرامي . فذلك هو مثلا ضلال أثول فوجارد الكاتب المسرحي الجنسوب افريقي . فمع أنه مؤلف لكثير من المسرحيات العميقة التي تصور معدى العيب والرعب في مجتمع جنوب افريقيا ، الا أنه لا يستحق أن يعتبر متحدثا باسم السود في جنوب افريقيا ، كما يدمي بعض الكتاب البريطانيين .

ويكفي لتأكيد ذلك . أن نطلع على حديث أخيسر له في صحيفة « صنداي افريكان » ، قال فيه أن مستقبل بلاده « جنوب افريقيا » في أيدي سكانها ذوي الاصل الاوروبي .

ونتيجة لهذه الصفة التي يتم اسباغها زورا على أثول فوجارد ، قرر الكاتب المسرحي أرفوود ويسكر أن يعطيه حقوق عرض مسرحيته « المطبخ » في جنوب افريقيا - أولا أمام جمهور اسود

هذا المقال نشر في

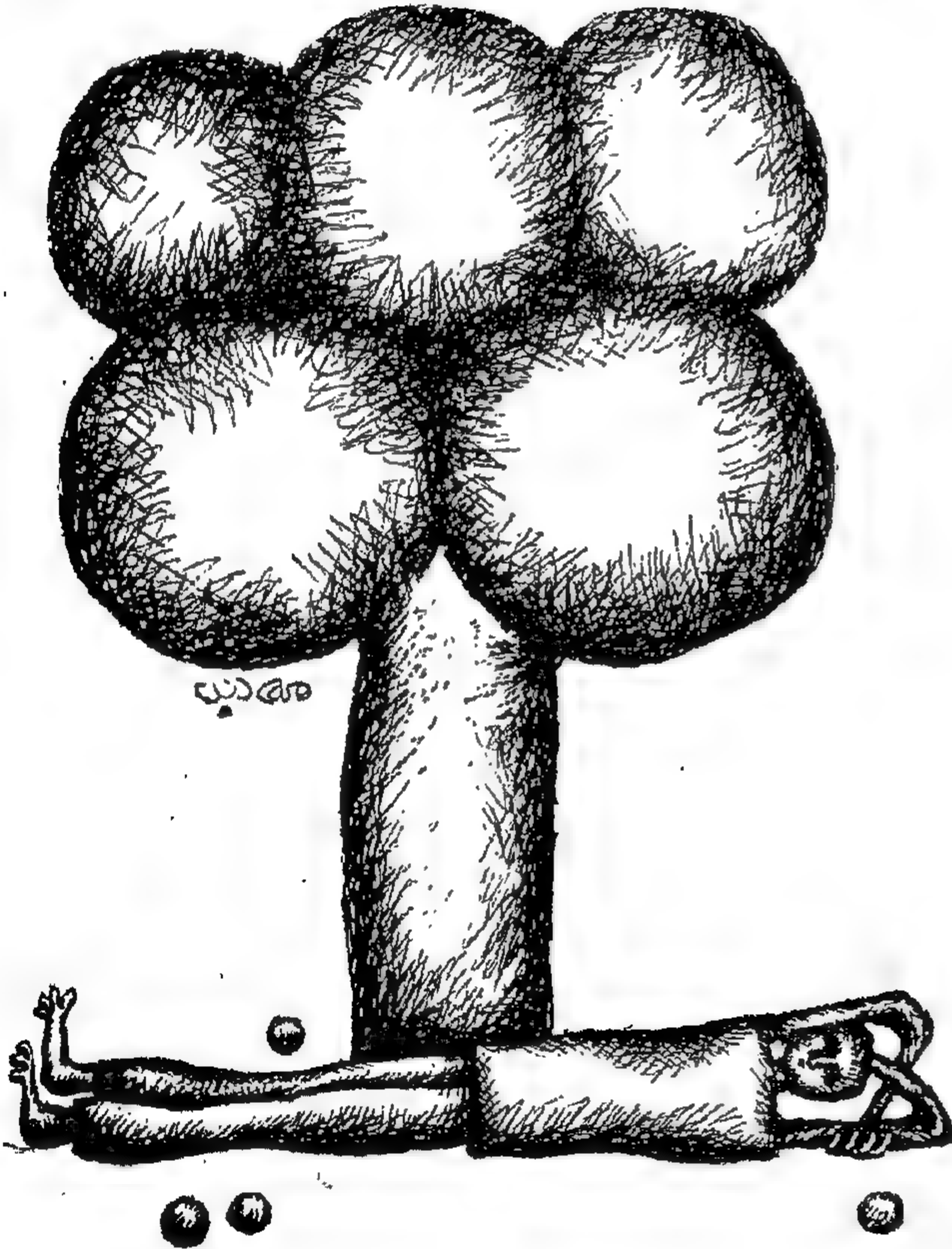
SE CHABA
Official organ of the
African national cong-
res South Africa.
Feb B. 72.

...قصيدة...

ينشر « الملحق » هذه القصيدة للشاعر المصرى أسامة الغزولى
وهي تحمل فى ثناياها تجربة جديدة فى الإيقاع حيث تتخلل
القصيدة عن « وحدة التفعيلة » التى عرفت كمصطلح موسيقى
للشعر الجديد .. والتجربة ليست جديدة على صعيد الشعر
العربى ، ولكنها تشكل مع مثيلاتها فى الشعر المصرى الحديث
ظاهرة جديدة ، جذيرة بالنظر .

العودة الى الرحم

أسامة الغزولى



الآن أرى كل شيء حيث يجب أن
يكون فى الحجرات
الفسحة

والأصابع التى كانت تتصارع
فى زمن الرغبة تتمدد الآن
هادئة

أذ رقدت يدك البيضاء الى جوان
يدى أذن - فأنا أستطيع
أن أبدا رحلتى الى أعماق
الحديقة

الى المكان القصى الذى كنت
أريد أن أقتحمه فى سنوات
الاحلام

سوف أمضى الى هناك هادئا
مجتازا كل الجذوع التى أفناها
لأنجول بين الأشجار الغامضة
الجهولة

حيث الأرض التى لم تطأها
الأقدام الثقيلة من قبل
ترى أى أقدام تلك التى مست
تلك الأرض

وذابت فى الظلال

كلما كنت أهم بالرحيل الى هناك
كان صوتك من ورائى
يعيدنى بنداؤه

الى دائرة الجدل الصاخب
حيث يدور الصراع وتنفور الدماء
الآن

لرغب مصيرنا الزجاجى
بعيدا عن كل التيارات الجامحة
سوف أسير الى هناك
وأنا أعلم أن السير
لن يبعث الدفء مرة أخرى
فى جسدى

انهارت جدران الذاكرة
واندفع السيل من كل المنافذ
الاصوات والازمان والوجوه
وكل شيء يرقد هادئا تحت الماء
هذا السيل الذى أنهى كل صراع
ونحن جالسان

رسالة موسكو

هاملت الشباب الغاضب

سميد خورانية

كل عرض لخرج مسرح « تاجانكا » يوري لوبيفوف « يقدر فنانة تنجازا واداءها الانجاز التسويقي » يقبله المخرجون التقليديون ممن تربوا على الطريقة السبانشكسكية في مسرح « مخات » و « مالي » و « باختانوف » لسماهم غضبا وازدراء ويعتبرون ما يشاهدونه تجديدا ومرطبة بل ومضيعة. بينما يبالغ الآخرون ، وجلم من الشباب فيعتبرون مسرحه حدثا تاريخيا وتطورا حقيقيا لبريخت ، ولكن الفنانين معاصرين بالادمان على مشاهدة عروض هذا المسرح ، ويا له من عيد حقيقي عندما يستطيع أحد أن يحصل على بطاقة في هذا المسرح الصغير نسبيا بالنسبة لمسرح موسكو الكبرى .

و « ثاروف » لوليف و « تناعة الضل » للكاتب البولوني ستافينسكي و « قلسيموا » لمايكوفسكي و « التي مري » قصيدة مسرحية لفورنسنسكي و « بوجاتشوف » ليسين و « الام » لغوركي و « والفجر » هادي « هنا » لفاسيليف و « ما العمل » لشرتشيفسكي و « الاموات والاحياء » لسيبولوف وأخيرا « هاملت » لشكسبير الى جانب بعض مسرحيات بنصبت من العرض بعد عرضها مرتين أو ثلاثا بأمر من الرقابة .

وهذه المسرحيات من أنفسها حتى أحدثها لا تزال تعرض منذ عشر سنوات حتى الآن بواقع عرض أو عرضين كل يوم .

● ● ●

اتهم لوبيفوف ومن قبله بيرخولد بأنه يعسر الأسماء والرموز المثلية بواقع الديكور والأشياء الأهمية العظمى ، حتى أنها في بعض الأحيان تغطي على الانسان . أن مسرحه مسرح ضربات متوالية يعتمد فيها التحليل النفسي العميق

فيه المسرح ، يأخذ معه جميع طلائع الصب المنتهى الذي اثرنا اليه وهم الآن هباء مسرحه الحقيقي .

ومثلو لوبيفوف هؤلاء ينعلنون أي شيء [وهي طريقة ستانسلافسكية] ، فهم يرمون في العزف والغناء [أجدهم فلاديمير غيسوتسكي زوج مارينا فلادى والذي لعب دور غاليليه في مسرحية بريخت] ودور هاملت في مأساة شكسبير ، معروف على نطاق الانجاز السوفييتي كله بأغانيه اللاذعة [وهم يرقصون كالمحترفين ، ويتغنون كلامي السيرك ، ويبارزون على طريقة باردليان ويتغنون من الأسماء وقهرىك العرائس ، انهم باختصار ما يطلق عليه [الممثل الكامل] .

وقد أخرج لوبيفوف حتى الآن المسرحيات التالية : « الرجل الطيب في ميزوان » و « حياة غاليلوفا غاليليه » لبريخت و « عشرة أيام هزت العالم » المأخوذة من كتاب الصحفي الأمريكي جون ريد

وهذا المسرح أحدثت مساهمات موسكو بهذا أكثر من عشر سنوات تقريبا ، كان لوبيفوف مخرجا مغرورا في مسرح باختانوف ، وعهد اليه بالاشراف على الصب المنتهى في الاستوديو التعليمي التابع للمسرح ، فأخرج مستعينا بهم - دون أن يلجأ الى أي ممثل محترف - مسرحية بريخت الشهيرة « الرجل الطيب في ميزوان » التي كانت بمثابة شهادة الدبلوم لهؤلاء الطلبة الناشئين .

وكان النجاح ماضيا . . « جوصر » مكان العرض بآلاف وآلاف من الطلبة والشباب أسابيع طويلة ، يقفون في طوابير رغم الثلج والصقيع حتى أن تتاح لهم فرصة مشاهدة العرض ولو واثنين وأستمر تقديم هذه المسرحية حتى الآن في مسرح « تاجانكا » .

وعندما رأت الدولة هذا النجاح أفردت للمخرج مسرحا خاصا به هو مسرح « تاجانكا » نسبة الى الحي الذي يقع

عليها بطريقة لا تتكرر معها تكررت العروض .

● ● ●

يقول الناقد السوفييتي الكبير المتخصص بشكسبير الكسندر انيكست « ان لكل انسان تقريبا موقفه الشخصي الخاص من مسرحية هملت ونجد هذا الموقف لدى لوبيموف مكشوفاً ، فقد اكتسبت التراجيديا والاصح أن تقول ، اعيد اليها طابعها عندما كانت تقدم في الميادين العامة وتجاهل المسرح البهجة والترف اللذين تنسم بهما القصور ، ورفض أيضا « اتيكيت » القصور ، وهذا موجه بشكل جدلي ضد عبودية الفنان الارادية او اللاارادية أمام حامل التيجان . وينزع عنهم لوبيموف حالات الجلال والعظمة ، ويؤكد فقط على صفات السلطة الواقعة فبصاحب كلوديوس دانسا حراسه الشخصيون ، وهو محاط بالوثائق ، ويخفي وراء الجدران المتينة » .

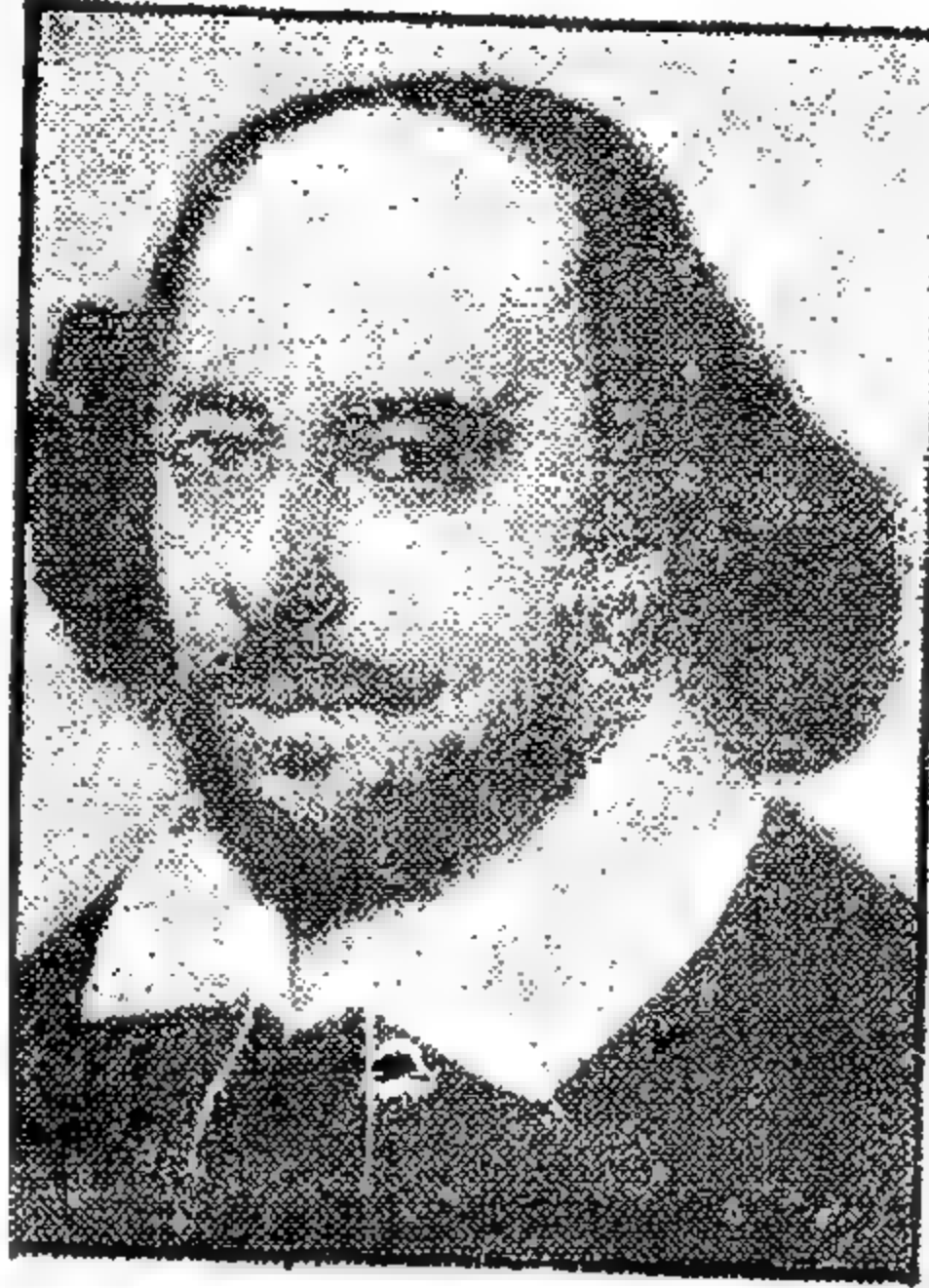
كانت احدي أهم الاعتراضات الغاضبة ضد هاملت لوبيموف قول بعض المشاهدين : حسنا لقد شاهدنا لوبيموف فأنشكسبير؟ ونفس الاعتراضات ثارت أمام كوزنتسيف عندما خلق لحية الملك لير الوقور .

وهنا يبرز هذا السؤال الدائم : هل المطلوب الامانة للتاريخ بحيث يقدم المخرج تريحة تاريخية للدانمارك في عصر ما ، أو لليونان في عهدها الذهبي ويقدم نفس الانكار « الثابتة » التي طرحها مؤلفو عصر ما ، أم أن تؤخذ هذه الانكار بضرورتها الجدلية المتحركة ، وتكون علامات على الطريق فتكتسب جدة ولعنا عصريين ؟ فإذا كان المطلوب الامانة فمكناها متصف التاريخ فهي لا تبني الا مجرد [أخذ العلم] بما كان . وبذلك يتخلى المسرح عن قيمته كمحرك وداعية لاكثر الانكار جدة ، ولطرح أشد المسائل الحاحا .

فكيف رأى لوبيموف هاملت ؟

انه هنا ليس ذلك « الأمير الطبيب » كما يدعو هوراشيو . انه غنى صريح ، صعب المراس يشبه « الشباب الغاضب » واقنع تحت دوامة هائلة من مختلف المشاعر ، ولكن ليس من بينها — وهنا الجدة — ذلك الشعور الذي بلغ مرتبة القديس : الشكوك ، والتسرد الهامتين .

انه ممثل سخطا على العالم الذي يكون « الشريف فيه » حسب واقع الاشياء واحدا من بين عشرة آلاف .



شكسبير

الصراع يحس أنه جزء منه ، وأنه داخل الحركة لا خارجها ، وهو مدمج في اللعبة وطرف فيها . ان مشاركته ليست في أن تطرح عليه الاسئلة بطريقة أصبحت تقليدية وتقول له ما العمل . . انها تتجاوز ذلك لتطرح هي نفسها الاسئلة ، وهكذا يتحول العرض المسرحي الى محاكمة داخلية وخارجية ، ذاتية في حالة من الوهم الكلي للانسان الذي يسعى دوما الى التفوق على نفسه . ومن هنا يفهم لوبيموف أن الممثل هو جزء من هذه الحركة ، قد يكون هذا الجزء أهمها ولكنه بالتأكيد ليس العنصر الوحيد ، انه يبدو لنا أنه هو محرك المسرحية وهو يندمج في هذا الدور بكل قواه ، ولكن الاصابع القادرة من ورائه أو العقل العظيم [الملم بكل شيء] . هو الذي يعين حدود هذه الحركة ضمن هذا العالم الصغير الكبير . . والممثل المنظم يتركه يتصرف واضعا في طريقه دوما القوى المضادة ، ومن هنا تبدأ حريته بمحاولته التغلب عليها . . وهذه الحرية في نظري هي أعلى بها لايقاس من حرية التعبير النفساني الحر للممثل الكلاسيكي المندمج ، ذلك انها حرية ديناميكية متطورة لا مرسومة حسب امعاد الدور المتكرر .

هل مسرح لوبيموف هو مسرح المخرج؟ نعم ولا . انه مسرح المخرج ، لانه يدير ببديه كل حركة الصراع ، وهو الذي يقدم رؤيته العامة للنص وتفسيره للكون والحياة . ولا . . لان الممثل نفسه يؤكد حريته من خلال الصدام الدائم مع القوى التي يطلقها المخرج والذي تبدو له وكأنه يكتشفها لأول مرة ويعمل فكره للتغلب

الذي يمنحه الممثل المندمج ليحل محله التأثير الحسي المباشر ، والاستجابة العقلية السريعة . فالمحاكمة ليست وليدة التأمل ، بل وليدة الاسئلة المحقة المطروحة في أوج توترها . ويستفيد لوبيموف بخياله الخلاق من كل منجزات الفنون والتكنيك المعاصر ، مع ميل واضح الى التفتيش في حشو خشبة المسرح بالاشياء الزائدة ، انه يستخدم أقل ما يمكن ولكنه يستغله استغلالا مدهلا ، فهيكل حربة التوري الخشبي . . وهو كل ديكور مسرحية « والفجر هادي هنا » — هو بيت وثكنة وحمام ، واضلاعه تفك لتتحول لخشبها الى غابة والى توارب ، وهو يفصل بينها بمسافة بسيطة لتعطي بعدا ثالثا يعين على تمثيل ذكريات النيات ومن على عتبة المصير المنجوع ، فتتحول الى بيت في مدينة ، وكوخ في برية . . وكل هذا دون أن نحس لحظة واحدة بالافتعال . ان روحا واحدة تلف العرض المسرحي كله من حركة الممثلين [التي لا تهدأ] الى أنفاس ظل في خلفية المسرح المظلمة .

والسؤال الآن يطرح نفسه ، وما هو دور الممثل إذن ؟ ذلك الدور الذي هو الاساس في المدرسة الروسية قديمها وحديثها ، هل هو قطعة ديكور أيضا تتحرك كما تتحرك الاشياء والتي يتسحب دورها [اللغوي أحيانا] في بعض العروض الى المؤخرة كما في مسرحية هاملت التي تلعب فيها المستارة الصوتية دورا أكبر من هاملت نفسه ؟

يعتبر لوبيموف — وهذا تفسير منا — أن خشبة المسرح يجب أن تؤدي وظيفة ديناميكية جدلية . ان الانسان يتحرك في « جو » يصادفه . والاشياء الطبيعية والعلاقات تضع أمامه دوما سؤالا يتحداه ويدعوه الى تجاوزه . وان الرموز المستعجلة من السقارة الى الكرسي الى الضوء والظل الى الالباءة والرقصة والاغنية كلها تمثل « وجودا » لا قبضة له بحد ذاته الا بالاضافة الى الآخرين ، وهو لا يكتسب معناه الا في حالة كونه حركة وتصادما ، كالنغمة الميلودية في السمفونية تكتسب انسجامها من تفاعلها والفنان عندما يكتشف حركة الحياة ، يعيد ترتيبها بطريقة انسانية عاطفة ويوزع الادوار بحيث يكثف الزمن والاحداث في لحظة فاصلة ، وهذه اللحظة التي تكون عادة في قمة التوتر ، يجب أن تؤدي الى اللحظة التالية التي هي أكثر غنى ، والتي تبعد عن سابقتها بالدرجة والنوع ، والمخرج المتابع بيقظة هذا

العاصف بين هملت وأمه عند قتل بولونيوس ، فقد جعل لوبيموف الام تطلّى وجهها بالمسحوق الابيض المعطر أثناء كلام هملت معها وهو عمل لا محل له هنا اطلاقا ولا تبرير له الا توجيه الظل طلى وجهها ليبدو كالجمجمة تعبيرا عن بشاعة تواجدها . وما معنى أن يأكل حنارو القبور البيض نصف المسلوقة كما في الواقع ويسربوا النودكا ويتلصنون حول القبر ؟

فاذا ما انتقلنا الى الاداء التمثيلي يتسع الشرح ، فهناك أساليب مختلفة في الاداء ابتداء من الصرامة والاعتساف بالحركة ورشاقته عند هملت مرورا بالسيكولوجية الرقيقة [ديبينوفا بدور أم هملت جيرترود] والميلودرامية التي أغرق بها لايرتس المسرح تاركا وراءه دائها الفعاعات . وانتهاء بالمبالغة النظة في الاداء [شتاينرايخ بدور بولونيوس] . ويظهر الممثلون المتجسسون بصورة غريبة فهم يبدون وكأنهم أعداء هملت وليسوا في صفه على أية حال ، وهم فارغون ، معجبون بأنفسهم ، ويمتلون بصورة غير طبيعية ومقصودة ، وهم واثقون من كمالهم . ان المبالغة البزلية تحول هذا المشهد الى نوع من المحاكاة المسرحية من طراز « القنشات » فهي مضحكة بحد ذاتها وتبدو وكأنها لا علاقة لها بأحداث المسرحية فضلا عن أنها طويلة جدا .

الى جانب ذلك كله وقع لوبيموف — وهو الخفى الحركة والعبقى الرمز دائما — في مبالغات عدة ، وكأنه كان يخشى ألا تقوم الحركة لعدم الى تفضيها غدت وكأنها درامات صغيرة غير مترابطة بصورة كافية. فيلوي الحراس الشخصيون للملك يدى أوليفيا المجنونة من وراء الستارة . ويمسكون — عبر الجدار — بلايرتس عندما يتعطش للانتقام من هملت ويمسك بسيفه . في هذه اللحظة التي يكون فيها مخليا بالملك يتأمران على كيفية القضاء على هملت ، ولا يمكن لاحد أن يراها أو يسمعها فالتدخل الرمزي هنا في غير محله . ثم ان النهاية وهي مشهد المبارزة قد فقدت جلاله ومأساويته بالجوء الى التكنيك حيث كان يجب اللجوء الى الواقع أو ظله على الأقل .

هذه بعض المآخذ على هذا العرض العظيم الذي أثار زوبعة من الغضب والاستحسان ولكن هذه المآخذ ، على جدية بعضها ، تعد من الجزئيات . ان هملت مسرح « تاجاتكا » ككل تعتبر مرضا ذا قوة تأثير كبيرة ويبحث على الحماسة والقلق .

بين الملك والشعب ، ولكنه حاجز غير متين . ففي أثناء الثورة التي يتوحد بها لايرتس تحصر الستارة كلوديوس الى الجدار مهددة ، وعندما يقسم المسرح الى جزئين ، فمعنى ذلك أن هناك معتكرين في أحدهما هملت وفي الآخر الملك وأتباعه .

ونقتبس هنا العبارة التالية عن أهمية هذه الستارة من مقال الكسندر انيكست « الدراما والفانتازيا » :

« والستارة هذه ليست خلفية ، بل وجه فعال للتراجيديا ، وهو وجه عظيم جدا ، وهو قوة هائلة تعذب هملت . والملك أيضا . فهي تدافع عن البعض وتبعد البعض الآخر ، ويتم خلف الستارة الإخفاء والتصنت ، ويتمسك بها الشخصوس ، كما يجدون فيها مسندا يقيمون من السقوط ، وهي تثقف المراقب أول الامر ، ثم تنفجر في خضم الصراع كالأعشى ، وبلا روح . . وأولى ضحاياها بولونيوس ثم أوفيليا فهي « نزيحها » من المكان ، وكذلك جميع المشاركين الآخرين في التراجيديا . وفي النهاية تسكنهم جميعا من خشبة المسرح ومن الحياة .

ان الستارة تمثل رمزا كثر الأبعاد للتقوى التراجيدية للواقع الذي يسحق الاخبار والاشرار دون تمييز .

والرمز الثالث الهام في المسرحية هو القبر . . فهذه الدخول الى المسرح يرى المتفرج في مقدمة المسرح هوة محفورة وتلان من التراب الحقيقي على جانبيها . وتدور جميع الحوادث تقريبا عند القبر المكشوف . وتقبل وقت طويل من مصرع كل بطل في التراجيديا مائه يرى ماذا ينظره . ويتحول سربر الملكة الى تابوت ، تدفن فيه أوفيليا فيها بعد ، كما يستخدم أيضا كمجرد مصطبة للجلوس . أما حنارو القبور فهم يتواجدون اما في مقدمة المسرح ، يحفرون القبر ، واما في القصر وهم يتحشون الباب الى مخدع الملكة ، كما يفتح الآخرون بوابة القبرة . وتتناقل الايدي الجماجم فيجب على المرء أن يفكر بالنهاية التي يؤول اليها لحظة الموت .



لا شك أن شاعرية التراجيديا الشكسبيرية تقوم على التناقضات وتعدد المشاعر الداخلية ، ومن هنا جاء غنى تنوع الاشكال والأساليب في العرض ، ولكن المبالغة فيها في بعض الاحيان أفقد العرض تسلسله المنطقي لعدم الانسجام في قرن الرمز بالطبيعة قد أصابه بشروح كبيرة في مشهد القيء

وهو ناقد البصيرة ، يرفع يده وحده ليحارب ضد عالم شرير ومضاد ، لكنه غير مجنون . . وهو يعرف هدفه منذ البداية . . انه الشر الممثل في شخص الملك ، وهو يحاول القضاء على الملعين والقتل فيعتبر نفسه الطرف الوحيد — حتى ان علاقته بأصدقائه ليست حميمة ويحس بوحدة تامة — ضد كلوديوس ومن يقف مع كلوديوس .

ويلاحظ انيكست أن عبارة « أكون أو لا أكون » لم تعد هنا مشكلة فلسفية ، وينتقل مفهومها من صيغة السؤال الى صيغة التعجب ويأخذ معنى حياتيا تماما : كيف أكون ؟ وكيف أناضل ضد كلوديوس والعالم الناسد المحيط به ؟

ان الذي يفجأ فعلا في تصوير شخصية هملت ، هو أن الموضوعات الفلسفية الشكسبيرية مفصلة بعنف عن عالم هملت الروحي . . انه يبدو مشغولا بالفضال ضد أعدائه فقط ، أما هذه الموضوعات فتوحى بها وتفسرها بإبداع وحدة العرض كله والرموز الثلاثة التي سندا في ذكرها في الديكور الغريب شديد الإيحاء الذي صممه الفنان بوروفسكى .

فالرمز الأول هو القضيان على الأرض ، ويضاء تحتها أحيانا ضوء أصفر باهت فتتراقص على وجوه ساكني ايلسنور ظلال هذه القضيان . . ان هملت حبيب « الدانمارك — السجن » البقيض الذي يحتوى على كثير من « الزنانات والسراديب » والرمز يذكرونا طوال المسرحية هو والجدار المسلد الخشن العاري في أقصى المسرح ، بهذا العالم الثقيل الذي يعيش فيه هملت ومن حوله .

والرمز الثاني وهو أهم رموز المسرحية والذي أصبح محور العرض ومحدد ميكانيكيته هو تلك الستارة الثقيلة البنية الغامقة المصنوعة من المسكوف الغليظ المحاك والتي تتحرك في كل الاتجاهات على طول المسرح وعرضه تنفذ من خلالها الأضواء لتلقى بظلالها على الجدار في أشباح مؤثرة في الوقت المناسب . وهي تتحرك الى مقدمة المسرح تارة فيبدو عندئذ بولونيوس ، وحتى الملك والملكة في مخادعهم الصغيرة « الزنانات » فالدانمارك سجن كبير ، وهم أيضا سجناء القيود التي خلقتهم بأنفسهم . وثارة تتحرك الى خلفية المسرح تاركة الخشبة عارية وكأنها صحراء قفراء لا يثبت فيها نبت ، وتتحرك طولانيا قانسمة الفراغ قسمين وعندئذ تهزول الشخصوس حول هذا الجدار الأملس . كما تستخدم كحاجز يفصل

بيت من لحم

مجموعة قصص

تأليف : د. يوسف ادريس
الناشر : عالم الكتب - القاهرة ١٩٧١

وهو قصص الخطيئة المتفق عليها التي تدور في صمت والجميع فاسدون وصامتون في (بيت من لحم) وهو قصص الارتباط بتلك الجثة العفنة التي تزكم رائحتها أنوف الجميع ، ولكن صاحبها مشدود اليها بأواصر حميمة في (الرحلة) وهو مطارق اليأس الكثيفة الثقيلة المخادعة وهي تشد بكل (حلاوة الروح) الى القيعان .. وهو قصص الافتراض المسبق للكذب وعدم التصديق والمبالغة في كل شيء في (سورة البقرة) وهو قصص رهيب تصوغ الغواية قضبانه اللامرئية في (اكان لايد يالى لى) وهو قبل كل هذا وبعده قصص عالم الاستثناءات الذي أحكم قوانينه على كل شيء . والذي زحف فيه القشور من الخارج حتى استكن في أغوار انسانيته . فقتل فيه الحلم والامل والمبادرة .

وانسان (بيت من لحم) هو انسان مرحلة التواطؤ الجبى والتحلل والخديعة .. وهو لهذا كله انسان عدم التحقق . أهدرت أجمل أحلامه بعد ما استحال الواقع في نظره الى كابوس طويل رازح . وشدته أنشودة التواطؤ والجسمت الى دائرتها الحلزونية التي لا نهاية لها . فما أن يتصور أنه قد تجاوزها وتخطى عثراتها حتى يجد نفسه يدور في مستقر آخر من مستوياتها . فوق بطل (سنوبزم) في احبولة عالم لا لائحة فيه ولا قانون . ووقع بطل (الخديعة) في أسوار تلك الرأس الخديعة الصبورة الملحة وهي تجبر الجميع على الاعتياد عليها ، وتفقدهم حسب الدهشة أو الاستنكار .. وما زال

البشرى الذي استعاض عن التحقق بالوقوع في أنشودة الخطيئة . وهي هنا خطيئة سافرة متفق عليها في صمت .. والصمت في هذه المجموعة صمت فعال ، لأنه لا يعنى الكف عن الكلام بقدر ما ينطوى على نوع من التواطؤ ، وعلى سلم شأنه من القيم الاجتماعية . انه صمت غريب . يخفى في طياته آلاف الاخطاء والخطايا . ويهدد بتناميه الحياة الهائنة في (بيت من لحم) ولا يكف حتى يلتهمها كلية . وحتى يخرس ما بها من أصوات بريئة .. يشركها في اللعبة الاثمة بين الاصبع والخاتم .. وكلما تحرك اصبع في الظلام وانزلق في قلب الخاتم اطفىء المصباح ، لأن اللعبة لا تكتمل فصولا الا في الظلام الكامل .. والظلام هو اللحن الاساسي الاخر في المجموعة وهو ظلام معنوي .. يدهم الانسان في رائحة النهس ، ويشرك فسوق عينيته في (سنوبزم) كدمة كبيرة زرقاء ، هي نصيب العين التي تصورت انها خلقت لترى ولتفهم ولتتساءل . ولأن صاحبها حاول أن يחדش جدار الصمت الرازح المشحون بالتواطؤ .

وانسان (بيت من لحم) واقع في قبضة قوة مخالطة لا ترجم ، تتحرك بالاشياء بعيدا عن قبضته وهو يجالذ للمساك بها . وتفك قبضته عن الاشياء التي تمكن من السيطرة عليها . ثم تتركه في مفاة من عدم اليقين لا يعرف معها ان كان عليه المضي في الطريق أم التوقف للبحث عن سبيل آخر . ويتحول العالم في وجهه الى قصص كبير .. هو قصص العادة في (على ورق سلوفان) وهو قصص الانصياع الاجباري للتواطؤ في (سنوبزم)

اذا كان العالم الذي نعتقه ، أو بالأحرى الذي نريده ، هو عالم المنطق والعدالة والخير والحرية ، فإن ثمة عالما آخر ملحق به هو عالم العبث والظلم والشر والاستبداد . عالم ينهض براءة على مجموعة من الاستثناءات . ثم ما يلبث أن يحكم القوانين المنظمة لهذه الاستثناءات ويشيد منها بقاء أكثر رسوخا واحكاما من العالم الذي نعتقه . عند ذلك يبتعد العالم الطبيعي عن المواجهة ، تخفيه الاستثناءات التي أصبحت قواعد . وتظل تطارده حتى لا يتجسد في اكتماله المبهر الا في الحلم وحده . ومن هذين العالمين المتعارضين ، عالم الكمال المهر وعالم العبث المسيطر ، يتكون عالمنا بازداوجيته المعقدة وتوازنااته المنحيرة . التوازن بين الخير والشر ، وبين العدالة والظلم ، وبين المنطق والعبث . ومن خلال اللعبة المعقدة لتبادل المراكز بين هذه الجزئيات المتعارضة المتصالحة معا ، يصوغ لنا الفنان عالمه الفني ورؤاه .

وعالم يوسف ادريس في مجموعته الاخيرة (بيت من لحم) واقع في قبضة هذه الثنائية المريبة .. تحكم فيه الاستثناءات قبضتها على كل شيء ، فيتراجع العالم الطبيعي الى الهامش ، ويتحول الى حلم بعيد المنال . ويتحول معه الانسان الذي يرى أن قوانين العالم الطبيعي هي القوانين الحقيقية ويتصرف وفقا لها الى شخص عصا في نظر الجميع . لأنه يتصور أن باستطاعته الافلات من اسار هذا العالم الاستثنائي المسيطر . وفي ظل هذا العالم المسيطر يصبح العالم مجرد (بيت من اللحم)

(جمال الكراسي) رازحاً حتى اليوم تحت ثقل الكرسي المعنوي الذي يبهظ كاهله منذ أيام بتاح رع حتى اليوم ، لا يصدق الدعاوى الكاذبة القائلة بأنه صاحب الكرسي لأنه وحده الذي يحس بالكرسي يثقل كاهله . ووقع المصلون في (إكان لأبد يا ليلي) في قبضة لحظة لا يستبينون فيها الصدق من الخديعة والغواية من الهداية والضلال . فمن الإيمان . وضاق بطل (ستورة البقرة) بذلك المناسخ الذي أهدر فيه كل يقين واستشعر فيه الكذب والمبالغة والادعاء ، ووقعت شخصيات (بيت من لحم) في براثن الصمت الخطيئة لأن الصمت نفسه في القصة كان الخطيئة أو كان وجهاً من وجوها . فقد أدار الكاتب بيدهما لعبة تبالل مستمر للمراكز . ومع الصمت كانت الحياة تموت بالتدريج وتخفي معها الكلمات والضججات . وبقيت شخصيات المجموعة تتردى في هذه الشراك وتعاين من هذا الصمت والتواطؤ . لتصوغ بمعاناتها المتعددة الروايد ملامح اللحظة الحضارية التي تمارس فيها هذه المجموعة فعاليتها .

(لبيت من لحم) من أحفل مجموعات يوسف ادريس اهتماماً بالقضايا السياسية ، في الوقت الذي تبدو فيه وكأنها أبعدنا عنها . لأن يوسف ادريس من أكثر فنانينا إقبالاً في الحسية . ومن أبعدهم عن التجريدات العقلية أو المعادلات الذهنية الباردة . وهو يرى أن الصورة الكلية للواقع متحققة في كل جزئية من جزئياته . وأن سبيل الفنان الحقيقي إلى هذه الصورة العامة هو تلك الجزئيات البالغة الخصوصية والقادرة على الإفضاء في كل لحظة تاريخية بزاوية جديدة من الخبرات الحسية ومن التصورات العامة في أن . ومن هنا فأننا نلمس خلف مأساة الدكتور عويس في « سوبرزم » أطياف « ساقنا نحن » نلمسها في صراعه المستميت من أجل لائحة أو دستور ينظم حياتنا . ونحسها في جبهة الأتوبيس وقد انعقد بينها تواطؤ صامت دارت فيه اللعبة القذرة تحت عيون الجميع ، أو بالأحرى بموافقتهم . وبدا وكأن الصمت المشحون بالتواطؤ هو القاعدة وأن أي خدش لجدار هذا التواطؤ الصلب يتردد على عالم الاستثناءات . وقد أحكم قبضته على كل شيء ، وأصبح ناموساً مقدساً لا يعترض عليه أحد . وأن الركب - أي الأتوبيس وربما الحياة نفسها - لا يمضي إلا إذا تخلص من التمرد على هذا الصمت المتواطئ أو الراغبين في استكناه سره . وأن الدكتور عويس في تمرد على هذا الصمت وفي اقتناعه بأن في إمكانه أن يفرض قانوناً أو لائحة تنظم بعض أجزاء هذا الواقع ، يلوح للجميع وكأنه شخص عصابي يثير الرضاء والسخرية ولم لا ؟

أن السبيل كما يبدو في قصتي (الرحلة) و (حلاوة الروح) هو الانفصال الكامل عن هذا العالم من خلال الصراع البطولي ضده . فبدون هذا الصراع لن نتمكن من التغلب على



د. يوسف ادريس

شد المياه الثقيلة إلى القيعان . وسبيل هذا الماء الثقيل في (حلاوة الروح) هي التجسيد الشعري لكل ميوعة قوانين عالم الاستثناءات وثقلها في نفس الوقت . فهي لا تنهض على أساس صلب ولكن لها برعم سيولتها تلك ثقل فادح . وإذا كانت مجالدة بطل (حلاوة الروح) ضد الغرق تبهظ الانفاس ، فإنها تشدنا إلى مجالدة بطل (الرحلة) للتملص من هذه الأوامر الحميمة التي تشده إلى تلك الجثة العفنة التي تزكم روائحها أنوف الغرباء ، ولكن حميمية علاقته بها تمنعه من ادراك مدى عفنها وتعفنها . فالغريب وحدهم هم القادرون على ادراك عفن هذا العالم والاحساس به . وأنساننا الغارق فيه المستنميت إلى قوانينه في حاجة إلى مجالدة كبيرة لادراك العفن وبالتالي للانفصال عنه . لأنه ينطوي على سلم كامل من القيم البالية التي وقع في شبكتها الإنسان . ويدرك الفنان أن التوضيحية بالقيم البالية لا تكتمل دون تشييد سلم جديد من القيم البناءة . وأن الصراع ضد تيارات هذا الكون الهبولى في (حلاوة الروح) لا يمكن أن يكلل بالنصر بغير لمسة التآزر الانساني التي تنتشل بطلها من الغرق . ويكتسب هذا التآزر بعداً أعمق في (الخدعة) حيث تواصل رأس الجمل أطلالها المزعج الملح لأنه ليس تمة احتجاج جمعي أو دهشة جماعية من ظهورها . ربما لو اندهشنا ، فقط اندهشنا ، كلنا اندهشنا كلما ظهر . لما ظهر ، (ص ٩٦) فافتقاد انساننا لحس الدهشة أفقده الكثير من روحه ومن إنسانيته معا . وأي محاولة فردية لانتشال الذات من حماة التردى في مهاوى الانصياع المطلق لهذا العالم المخائل عيث . لأن صلابة قوانينه لا تتحطم بغير تآزر جماعي في مواجهتها .

وتقدم لنا هذه المجموعة تفاصيل هذا العالم وسبيلها إلى تجاوزه من خلال بناء فني تتحول فيه الأساليب والأصوات البنائية إلى وجه أساسي من وجوه الرؤية . تصبح فيه أساليب السرد التقليدية بأفعالها الصارعة التي تجسد حضور العالم وتقاليدته الراسخة وجها

من وجوه فداحة ذلك العالم العبثي ورسوخه . وتصبح فيه أدوات الرؤية الكابوسية بمنطقها الغريب وأحداثها غير المتوقعة جزءاً من ملامح هذا الواقع الكابوسي الرازح . فالقصة لا تصور عتد الكابوس ولا تحدث عنه . ولكنها تتحول بنفسها إلى كابوس لا يفلت القارئ إلا بعد أن يقتنصه في شبكته . ويريه العالم غير أحداق ، فيخرج من التجربة مبهور الانفاس . ما زال في أغواره من لغته الغربية وملامحه الخاصة بميمس لا يبرحه . ويوسف ادريس يستخدم في بلورة هذا التأثير المدهش مجموعة من الأدوات البنائية المتعددة . بدأ من السرد التقليدي حتى أكثر الأساليب اللغوية غموضاً وشاعرية وإيحاء . يخلق تراكيب لغوية جديدة ، توازي استثنائيتها استثنائية هذا العالم الغريب . ويستخدم تكنيك الحلم أن الكابوس . ويعرب في جمل المنولوجات الفككة والمبدوعة بالضمير الأول عن حنين انسان هذا العالم إلى التحقق وتجاوز الاحباط . ويعكس الخروج في رحلات البحث عن الذات وعن الأشياء نوقاً إلى العثور على الذات المهدرة وعلى النحن الجماعية التي تتجاوز الانحراف عن الجوهر وتحطم جدران الصمت والخوف والغواية . ويشير لوبان الزمن وتداخل الأحداث إلى فقدان التتابع والاتساق . كما تؤكد الأحلام الخادعة ألا مهرب من الواقع لأنه ما عادت لديها فراديس تعرض بها نقص الواقع أو تخفف من حدة عبثيته . ولا تكفي هذه المراجعة السريعة لتعرف دلالات على كل الأدوات البنائية التي استعملها الفنان ، ولكنها فقط إشارة تؤكد وثاقة علاقة هذه الأدوات بنوعية الرؤى التي تطرحها المجموعة . بصورة تثرى معها الأدوات البنائية رؤى الكاتب وترهف عالمه وتشير إلى تعدد مستويات المعنى التي تبوح لنا بها الاقاصيص بعد كل قراءة جديدة .

وأخيراً لا يفوتني أن أشير في هذه المجموعة إلى ذلك الحب الغامر لصبر ، والتوق العارم للارتداد إلى جذورها الأولى ومنابعها الاصلية . وإلى هذا التيار المتدفق من الخبرة بدقائق الشخصية المصرية وبمكنسراناتها وأسرارها وملامحها النفسية . وإلى تلك الرغبة الواعية في استكناه كل همومها ولبس مواطن الداء فيها . والتعرف على ملامح صورتها في هذه اللحظة الحضارية من تاريخها . بصورة يمكننا معها أن نعتبر هذه المجموعة مصدراً من مصادر الحقيقة عند التعرف على طبيعة صورتنا وسنات مرحلتنا . بل هي مصدر لا يمكن الاستغناء عنه . لأنها تلمس مجموعة من الاوتار الدقيقة . وتضع يدها على مجموعة من التفاصيل الدقيقة التي تجسد المناخ العام الذي تدور فيه وقائع حياتنا وتتخلق عبره ملامح شخصيتنا الجديدة .

صبري حافظ

فكرة النقيض

في أعمال ثروت فخرى

إن محاولة اختراق الحصار القائم حول شخص الفنان ثروت فخرى تدفعنا بالضرورة إلى البدء في حوار مع الفنان ذاته ... فمنذ عام ١٩٧٠ وفكرة النقيض تلح على عقله ووجدانه .. لكن الأداء التكنيكي كان عائقا له إلى أن جاء معرضه الثالث في أبريل ١٩٧٢ متناولا فكرة النقيض وفي هذا المجال يقول عن أعماله « أنها محاولة لاستلهاام علاقة للنقيض المحتوم القائم بين الإنسان وذاته تارة ، وبين الإنسان وواقعه تارة أخرى ، من خلال ما هو وجداني وما هو عقلي بالدرجة الأولى » .

المعرض الأول كانت تلح عليه فكرة الانسجام داخل علاقته الخاصة المستلهمة من الفيزياء الرياضية المتغيرة بمثلثاتها الرياضية الخاصة ، وفي المعرض الثاني والثالث تناول فكرة النقيض ، ومن خلال التتابع كان هناك نمو لا يخطئه الوهم في الأداء التشكيلي وتناول الاجرومييات .

لكن فكرة النقيض وما تحمله من دلالات هي ثابتة أبدا ، ونجد صداها في العصر الحديث عند الفنان الانجليزي المعاصر فرانسيس بيكون .. وشكل تناول لها عند بيكون يتمثل بمنطلق يقترب منه ثروت فخرى وإن كان العنصر الانساني متسدا يكون أكثر قسوة وفجرا ودموية ولكن يصل ثروت فخرى إلى الخلاص من دائرة الفنان الانجليزي يجب أن يحقق النقيض من خلال التباين اللوني المصاحب لتوتر السطوح ونمو ملامسها إلى درجة تخرجها من جاذبية بيكون ... بالأسف إلى أن يترك للوجدان منتفسا إلى الحد الذي يتوازن فيه مع العقلانية الخاصة .. فمن خلال هذه الحالة يمكنه أن يحقق تلك السمة التي تخلق عوالم خاصة تتسح له مكانا بارزا في حركة التشكيل المعاصرة على اتساع رقعتها .

مصطفى مهدي

المحيط ، ليس نقط من خلال الادراك الوهمي لمسلك الفنان في تأليف علاقته داخل الصورة ، ولكنه يتضح كذلك من خلال التناول التكنيكي ... فالتناجد خلفيات الصورة مجرد حلول بلاستيكية تتميز بدرجة حادة من السكونين مقبلة بالحركة المنظمة لاتجاء الفرشاة التي تسعى إلى صقل السطح وتقتل كل مظهر للتوتر عليه .

ونجد النقيض في تناوله لعنصر المرأة « محور الاعمال دائما » كملائمة تحمل مظهر الكتلة في طريق تحولها إلى طاقة ، فهي دائما جلية ... أو يختل منها اللهب وصولا إلى حالة التفتت ، مضافا إلى ذلك تلك الحالة الدافقة من التوتر على السطح بما يحمله من دلالات تؤكد رجعا يؤثر على المشاهد ويخلق عنده حالة من القلق لا يفقده توازنه ، إنما يصل به إلى محاولة لانراك دلالة هذه العلاقة في تواجدها داخل مربعاته العشرية .

ومن ملاحظة خط النمو عند ثروت فخرى مروراً على أعماله في معرضيه الأول والثاني اللذين أقيموا بالقاهرة عام ١٩٧٠ ، ١٩٧١ يمكن أن نلمس تصورا للخطوة القادمة مسبقا بتحديد إيجابيات وسلبيات الفنان في

وأنطلاقا من هذا المفهوم السوامي لحساب شكل العلاقة بين الفنان ذاته وواقعه المعاش ، بدأ التمردى للسطح الأبيض المتماثل في أبعاده بلا إيهامات ... فكانت مساعلة التجسيد أو تحقيق البعد الثالث عنده غير مرتبطة بالمفهوم الرياضي ، وإنما كان عنصر اللون وجهه ومنطق توزيع العلاقات التشكيلية داخل الإطار ، هي البديل عن ذلك البعد الرياضي « المتشغل في أعمال عصر النهضة » .

ومن خلال رموزه التشكيلية التي لا تخرج عن المربع الذي يمثل حالة من الاستقرار النفسي والمثلث الذي يعادل حالة الاتحام ، والخط المذبذب الذي يعادل حالة اليقظة ذات الحركة العالية .. كل هذه العلاقات إما أن تتواجد منفردة أو مجتمعة ولكنها دائما تلازم شخصياته التي لا تخرج من حدود المرأة في حالة من الامتثال أو السقوط أو التوتر ... سواء منفردة بدور البطل داخل الإطار المربع المحاصر لها أو تتعايش مع شخصيات أخرى لنساء دائما تحمل دلالات مقشبهة وعنصر المرأة عند ثروت فخرى يمثل حالة من الاغتراب داخل الإطار الذي يحمل عنده دلالات الواقع ، ونلاحظ ذلك التماثل بين عنصر المرأة والاطياف

حول « التراث والمعاصرة »

عبد العزيز الدسوقي

والفلسفة والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وسائر ضروب المعرفة الانسانية ، وقبل هذه الكلمات مباشرة بينت ماذا أعني بالتراث وقلت « لقته كتب الاجداد والاسلاف كثيرا وأنتجوا يغزارة في كل مجالات المعرفة الانسانية » ولكن « بعض » هذا النتاج هو الذي صاغ عقل الانسان العربي وذوقه وضميره . وأثر على نحو ما ، في مسار التاريخ الانساني ، وألهم الحضارات الاخرى أجمل القيم وأنبأ العائى . « من » البعض « هو الذى انفلت من طوفان الزمن وكتب له البقاء وظل قادرا على الالهام والتأثير الى أيامنا هذه » .

هذا هو السياق الذى جاءت بعده كلماتى التى استند اليها الدكتور عبد القادر ، ولست أدري كيف أخذ منها هذا المعنى الذى أنتهى اليه « مع اننى حددت مفهومى للتراث تحديدا صارما » .

- فهو ليس كل ما كتب الاباء والاجداد ، بل الجاذب المضى مما كتبوا ، والذى أثر فى الماضى .
- والذى صاغ عقل الانسان العربي وذوقه وضميره .

- ولا يزال يؤثر فى الحاضر ويلهم الانسان العربى الجديد .

- ولا يقتصر على الادب « بل يتجاوز ذلك الى العلم والسياسة والاقتصاد والاجتماع » .

فهل بذلك « افترض للتراث وجودا ثابتا غير متصف بالحركة والامتداد والتجديد » كما يقول الدكتور عبد القادر ؟ لا أظن أن فى تعريفى ما يشير الى ذلك .

على اننى لم أقتصر على التعريف النظري « بل حاولت أن أتخذ - من حركات التجديد التى تمت فى الحياة العربية عبر التاريخ - تطبيقا عمليا وتخصيلا للمفكر النظري « واجتهدت عدة اجتهادات « قد يكون جائبى فيها الصواب ، ولكنها على كل محاولة مخطئة فى سبيل الكشف عن عملية التجديد الدائمة فى الحياة العربية » .

هو المفهوم الصالح لعرض قضية التراث والمعاصرة . ومن العجيب اننى اتفق مع الدكتور عبد القادر القبط فى تصويره للقضية على هذا النحو ، بل يكاد يكون تحديده للقضية « واردا بكلماته فى بحثى » .

والشئ الذى اختلف فيه مع سيادته ، ان يضع بحثى فى « حالة » الثبات والجمود ، مع أنه يتفق مع وجهة نظره أكثر مما يتفق بحث الدكتور عباس الجرايى كما سأوضح فيما بعد ، ومع أن كلمة الثبات « أو فكرة الثبات لم تخطر لى على بال وأنا أكتب البحث ، ولم يرد شئ من هذا فى أى جزء من أجزائه » بل دار البحث حول فكرة التطور والتجديد الدائم لتراث العربى وكيف كان يمتزج بالحياة المعاصرة ويكون معها « مركبا جديدا » يجمع اكمل وأنضج ما فى التيارين تيار الماضى وتيار الحاضر ، ولقد استعرضت بالتفصيل حركات التجديد الدائمة التى كانت تجمع بين الماضى والحاضر « وتحول قيم الماضى الصالحة ، بعد مزجها بقيم الحاضر الصالحة ، الى مركب جديد يثرى الحياة ويطور الانب » .

وتصورى لقضية التراث على هذا النحو ، واستعراض حركات التجديد التى جمعت بين الماضى والحاضر فى اطار جديد مشرقى - يؤكد - دون لبس - اننى بدأت من نقطة صالحة لعرض القضية ، وأن الدكتور عبد القادر هو الذى بدأ تطبيقه بداية غير موفقة - من وجهة نظرى - لأنه انتزع كلمات من البحث قلقتها فى وصف تحديدي للتراث وقال « أن التراث عند الاستاذ عبد العزيز الدسوقي هو اكمل وأنضج ما ورثنا عن الاباء والاجداد فى مجال الادب والفن والعلم والحضارة » وتصور اننى أعنى من الاكتمال والنضج « الانتهاء فى الماضى » مع أن سياق هذه الكلمات يخالف هذه الفكرة مخالفة تامة ، فقد جاءت بعد تعريفى للتراث لتؤكد أن التراث « لا ينفك عند حدود الانب بل يتجاوز ذلك الى العلم

المحدث الطليعة ملحقها الادبى الثانى للتعليق على مؤتمر الادباء القامان المنعقد فى دمشق فى أواخر عام ١٩٧١ ، وساركز ردى حول تعليق الاستاذ الدكتور عبد القادر القبط على الابحاث التى دارت حول موضوع « الاديب العربى بين التراث والمعاصرة » فهو تعليق لائق احتشد له كاتبه ، وتناول الموضوعات فى عمق ورحابة وفق واحترام شديد لآراء مخالفيه . وهذه حسنات تذكر للكاتب مهما اختلفنا معه بعد ذلك فى وجهات النظر والآراء التى انتهى اليها » .

بدأ الدكتور عبد القادر تعليقه بفكرة عامة حاول من خلالها أن يصنف الابحاث حسب مفهوم اصحابها الحضارى والفكرى ، وانتهى الى تحديد مفهومين اثنين للابحاث الاربعة :

١ - مفهوم ثابت جامد وهذه اللفظة الاخيرة من عندى فلم يستخدمها الدكتور عبد القادر مباشرة ، لانه « ينسب الى التراث صفة الثبات والانتهاج فى الماضى » .

٢ - ومفهوم متحرك متطور « لانه يضع التراث فى اطاره الحضارى ، الدائم الحركة والتطور تطورا يجمع بين التلقائية ، والوعى بطبيعة الواقع الذى يعيشه الفرد ، ووجوده الاجتماعى والفردى عبر التاريخ » .

ووضع بحثى وبحث الدكتور حنفى بن عيسى « فى المفهوم الاول » .

أما المفهوم الثانى فكان من نصيبه بحث الدكتور عباس الجرايى ، وبحث الاستاذ أحمد يوسف داود « وكان من الطبيعى أن يخالف الدكتور عبد القادر المفهوم الاول « مفهوم الثبات » ويعارض رأبى ورأبى الاستاذ حنفى بن عيسى لانهما لا يصلحان « نقطة بدء لعرض القضية » لانهما يفترضان على حيد قوله - « وجودا مستقلا ثابتا للتراث غير متصف بالحركة والامتداد والتجديد » .

وأن يساوق على المفهوم الثانى « مفهوم التحريك والتطور » لانه

حقيقية ،ومعركة تحتمل كل ما اجتاز المجتمع مرحلة من مراحل تطوره الحضارية الحاسمة تتجمع فيها تيارات التطور الممتدة حتى تقف وجها لوجه أمام التيارات القديمة تحاول أن تكتسحها من طريقها ،

ولم انكر ان الصراع بين القديم والجديد يشتعل دائما ، وان المعركة بينهما « كالظواهر الموسمية يتجدد الصراع حولها باستمرار » ولا تتجدد الحجج والافكار ، ذلك انها خصومة وهمية بمعنى انها لا تخضع للتحليل العلمي الصارم ، فالحياة تيار متجدد دائم الجريان لا تتوقف ، وما كان جديدا منذ لحظة يصبح قديما وماضيا وهكذا ولذلك فالحياة في حاجة الى تلازم القديم والجديد وامتزاجهما في عملية متوازنة وقد قلت « ان الحاضر ليس منفصلا عن الماضي وليس منقطعا عن المستقبل فالجميع تيار متدفق دائم الجريان » ، ولذلك لا أتفق مع الدكتور عبد القادر في أن هناك « مرحلة حاسمة » يتصور فيها التطور الى ثور هائج يجهز على القديم ويكتسحه من أمامه « أو تتجمع فيها تيارات التطور الممتدة وتقف وجها لوجه أمام التيارات القديمة » هذه صورة لا يمكن حدوثها أبدا لان التطور نهر دائم الجريان يمتزج فيه القديم بالجديد « والذين يقفون عند لحظة من لحظات الحياة يجمدون بها ويعزلونها عما قبلها وما بعدها ، يموتون وينعزلون عن تيار الحياة » سواء اكانت هذه اللحظة في الماضي أم في الحاضر .. الذين يعيشون في اللحظة الماضية يعيشون مع أكفان الموتى في أضربة باردة من الرخام .. ولكن الذين يجمدون اللحظة الحاضرة ويفصلونها عن الماضي والمستقبل هؤلاء يموتون وتبقى أجسادهم حارية في طريقنا بلا أكفان »

فالقول باللحظات الحاسمة التي تتجمع فيها تيارات الجديد وتقف وجها لوجه أمام تيارات القديم قول وهمي ، لان التيارات الاولى بعد لحظة تصبح قديمة ، وتبرز تيارات اخرى جديدة .. وانما التطور الحقيقي يأتي من امتزاج الجديد بالقديم .. قد تأتي لحظات تسود نزعة التجديد ، ولحظات تسود نزعة المحافظة ، هذا متصور ، أما لحظة التصادم هذه فوهمية كالخصومة بين القديم والجديد لان الحياة النفسية والاجتماعية والفكرية في حاجة الى تلازمهما ، لاننا ونحن نفكر في الجدينا فنحن نفكر فيه بالادوات والخبرات التي اكتسبناها من الماضي ، ولو تصورنا أن كل جيل يأتي يبدأ من جديد ، لظلت الانسانية حتى الآن تعيش في الكهوف ، لا بد إذن من امتزاج الجديد بالقديم والتراث بالمعاصرة ، واصطناع الخصومة بينهما وهم يقع فيه اناس نتيجة نقص في ثقافتهم أو اضطراب في ادراكهم لحقيقة التطور أو خلل في رؤيتهم الفكرية



د . عبد القادر القادر

الماضي أو ما تصور عن الاجداد دون تحديد ، ولكنه الجانب المضي منه الذي يكشف عن الظواهر الثقافية والحضارية التي وصلت على مر الاجيال عبر فترات طويلة تطورية كانت تتجدد فيها وتتجدد وتتغير بخصوبة وتلقائية متأثرة بما تعانق أو يعانقها من ظواهر ثقافية وحضارية اجنبية ، فواضح من هذا التعريف الذي يشبه تعريفى الى حد بعيد - انه يقتصر على الظواهر الثقافية التي « تتجدد وتتغير » بطريقة تلقائية بعد أن تعانق ثقافة العصر .. أما إننا فمن القائلين بالحاجة الى الحاسة الفنية والاشعور - في مزج الماضى بالحاضر وببعض الادراك والوعى للاديب المبدع ، والرعى الكامل والادراك العقلى مع الحاسة الفنية ، المناقد والمفكر .. في صياغة المركب الجديد . وأكدت ان الصراع بين القديم والجديد حسم في الماضي « بانتصار هذه التيارات التي كانت تجمع بين الماضي والحاضر في « مركب جديد » وانتهت تلك البدع المشاة والنزوات المنحرفة . وتجددت كل الدعوات التي حاولت وقف الحياة بكل مظاهرها الحضارية .. وسار الفكر العربى في طريقه المتجدد وسارت الاداب والفنون في طريق التطور الخلاق الذى قاده هؤلاء المبدعون والفكرين الذين يتذوقون تراث الماضى ويدركون عمق ما فيه من كنوز ، وفى الوقت نفسه يقفون على ثقافة العصر ويدركون ما يجيش به من تيارات واتجاهات ، فهل الذى يؤمن بكل هذا يمكن أن يوضع فى خانة « الثبات والجمود » ؟ فليس سامع الله الدكتور عبد القادر القط ظلمه للصديق

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

بعد ذلك انتقل الى ملاحظة اخرى الدكتور عبد القادر هو الذى بدأ تعليقه الخصومة بين القديم والجديد وهمية فقد أكد « أن الخصومة بين القديم والجديد

فاكدت أن الاديب والفكر والناقد لا يقفون حائرين بين التراث والمعاصرة بل كل واحد من هؤلاء له « حاسة فنية » تبرز الماضى بالحاضر ، وتكون منهما مركبا جديدا ، وهكذا تتطور الحياة . وفرفت بين الاديب المبدع وبين الناقد والمفكر فى هذه العملية ، فافترضت أن الاديب المبدع « يتحدد موقفه بين التراث والمعاصرة بطريقة تلقائية وبدون تردد » من خلال عملية معقدة يعمل فيها الانفعال العقلى الحار والادراك الوجدانى ، وبفضل ما أسسته « الحاسة الفنية »

أما الناقد والمفكر : فلهما مثل هذه الحاسة الفنية التى يتمتع بها الاديب المبدع ، ولكن يحتاج كل واحد منهما بعد ذلك « الى مجموعة من العمليات العقلية والتحليلية التى يدرك بها العمل الادبى والظروف المؤثرة عليه ، ويدرسون من خلالها التراث »

١ - دراسة عميقة واعية

٢ - ويتفحصون على ثقافة العصر وتياراته واتجاهاته

٣ - ويصوغون من هذين مركبا جديدا يدفع الحياة الى الامام .

فهل بعد ذلك يتصور الدكتور عبد القادر أنى أظن أن التراث شيء مستقل ثابت انتهى فى الماضى واكتمل ولا يؤثر فى الحاضر ؟

هل يظن بعد ذلك أنى أتصور أن تحركات التجديد ومزج الماضى بالحاضر تتم بالاشعور ومن خلال الحاسة الفنية والادراك عند المفكر والفنان ؟

ولهذا دهشت كل الدهشة عندما رايت الدكتور عبد القادر يوجه الى هذا الكلام « والقول بأن مزج الماضى بالحاضر يتم من خلال حاسة فنية بطريقة لا شعورية قد يصح فى لحظة الابداع الفنى عند الاديب . ولكن الاتجاه الى التجديد نفسه والى خلق هذا المركب الجديد من التراث وروح العصر ، لا بد أن يقوم على وعى بطبيعة التراث ، واختيار ما يصلح منه لطبيعة العصر الذى يعيش فيه الاديب بغض النظر عن وضع ذلك التراث وقيمتة فى المرحلة التاريخية التى وجد فيها . أما هذا المزج اللاشعورى فقد يتحكم فيه مزاج الاديب وطبيعة تعليمه وثقافته التى قد تقوده الى تأثر غير صالح بجوانب عتيقة من ذلك التراث »

أجل دهشت لاننى لم أقل غير هذا الذى قاله الدكتور عبد القادر ولكن بصورة أدق وأشمل ، وكان أولى به أن يقدم هذا الاعتراض على تعريف الدكتور « الجرايى » الذى يقتصر فى « مزج الماضى بالحاضر » على « التلقائية » فهو يقول فى تعريفه للتراث « ليس كل

حول

موضوع

الأداء الفني وحرية التعبير

خلدون الشمعة

سألنا إلى تصميم يشبه التحديق في سجادة : أن تتبع لون واحد يقترح تصميمًا وتتبع لون آخر يكشف عن تصميم آخر ..

وهذا يعني أنني عندما أتبع لونا معينا لا أنفي الألوان الأخرى التي تشكل الصورة وبالتالي فإن التهم التي تكيلها الدكتوراة من أن المدينة التي أدعو إليها (مستحيلة ولا إنسانية) .. هذه التهم لا تصبح بدورها (مستحيلة ولا إنسانية) فحسب ، وإنما تصبح فارغة من المعنى .

وعندما أتعرض في البحث للممارسة الشكل واللغة لدى الشاعر العربي وكيف أنها تذكرنا بالملامح التي رسمها (كانط) للمخيلة العربية ، نرى الدكتوراة أن مجرد قولها : « كأنما رأى كانط في المخيلة العربية بشكل الحجة التي لا تدحض » إنما يشكل دحضًا لا يدحض لهذه الفكرة .

والمشكلة أن الفكرة قد وردت بهدف الإشارة إلى أن تراثنا ينم عن خصب في المخيلة يؤكد على قدرة الكاتب العربي على الاسهام في عملية صنع الاشكال والتقنيات العالية . ولم ترد هذه الفكرة إطلاقا كحجة منفصلة مقطوعة الجذور في بيان يلقى الدفاع أمام المدعى العام .

ومرة أخرى تحاول الدكتوراة ادخال أقوال قسرا في عنق الزجاجة عندما تزعم أنني أرى أن الأسلوب : « لازم في الفترة الانتقالية التي يمر بها أدبنا العربي ولا ينبغي أن نخيفنا العقوبة المطلقة طالما لا تتحول إلى التزام سياسي » .

وأصل هذه الفكرة كما وردت في البحث : « ويجب ألا تفزعنا هذه الكلمة مادامت مشروطة بشرطها الفني الذي يجمع بين رقابة الناقد وحساسية القارئ وماضي الكاتب وقيم العصر » . غير أن الخطر يكمن في أن يكتسب الالتزام معنى سياسيا صارما يدفع بالحساسية الجمالية

ذاتها علوم معيارية ، أم أنها وصفية - هل تسمح لنا بإصدار أحكام نسبية تتصل بالقيمة أم أنها تخبرنا بما يحدث فقط ؟ ..

٢ - إذا كانت معيارية - أي إذا كان لدينا المقياس الذي يمكننا أن نصوغ على أساسه أحكام القيمة حول الأوضاع النفسية والاجتماعية للمجتمع - هل يمكن للأحكام التي تصدرها عن أوضاع أو أصول العمل الأدبي ، أن تنقل إلى العمل الأدبي نفسه ؟ ..

٣ - إذا لم تكن معيارية فأية قيمة يمكن أن تمثل الفرضية التي تتصل بالأصول السيكولوجية والاجتماعية لعمل مساء بالنسبة للناقد الأدبي ، باعتباره يتميز عن المؤرخ الأدبي ؟ ..

وإذا نحن تجاوزنا هذه الأسئلة التي تتصل بمعايير العلوم الانسانية وانتقلنا إلى « العسف » في استخدام هذه المعايير في حياتنا الأدبية ، أمكن أن نتضح الصورة المطلوبة .

أذ ليست المغالاة في البحث عن الاشكال والتقنيات الجديدة من قبل أن تستهلك التقنيات التقليدية إلا رد الفعل الطبيعي على العسف الذي شهدناه في فترة الخمسينات في الاعتماد على كل منهج من مناهج العلوم الانسانية على حدة (هذا إذا تجاوزنا مسألة ما إذا أمكن فعلا اثبات أن العلوم الانسانية هي في حد ذاتها علوم حقا) .. كأساس ضابط لعملية التقويم الأدبي ، ثم ألا تختلف - أختلافا زهيدا أو جسيما - القيمة السوسولوجية أو السيكولوجية أو التاريخية ، عن القيمة الأدبية ؟ ..

لو أن الدكتوراة قرأت ثلاثة أسطر بعد هذه العبارة : لا دركنا مما أعنيه بالضبط ، فقد أوضحت أن : « التواشج بين الشرط الانساني وبين الشرط الفني في عملية الخلق الإبداعي وثيق حتى ليكاد يستعصي على الفهم » .. وبالتالي فأنتي

يتطلق نقد الدكتوراة « لطيفة الزيات » للبحث الذي تقدمت به للمؤتمر الثامن للأدباء العرب من منطلق مغاير كليا للتصميم الذي ينهض عليه . فهي تفترض سلفا أن البحث « يبشر » . بينما هو في حقيقة الأمر « يشخص » ملامح الحد الأقصى للظاهرة الأدبية في تجلياتها المحلية خلال العقد الأخير من الزمن . وبين التشخيص والتشخيص فاصل عميق تلوى فيه أعناق الأفكار عنوة في أكثر الأحيان .

فالدكتوراة الزيات تفهم من عبارة : « التوق إلى استكشاف مدينة الأدب العربي الحديث التي لا يبهظ روحها الفني عسف المعايير التاريخية والسياسية والسيكولوجية ولا تمنح نفسها إلا لمخاتير الموهبة » .. الخ ، تفهم منها المطالبة بعزل الفنان عن بيئته . وهي في ذلك لا تميز بين عملية « تقويم » وعملية « تكوين » الأدب . ومن الواضح أنني إنما أتحدث عن المعايير النقدية التي تعقب عملية « التكوين » . فمن البدهي أن الإبداع الفني هو حصيلة (التفاعل بين الحقيقة الذاتية والحقيقة الموضوعية) .. وهذا يتصل بتجربة (التكوين) . أما مثار البحث فهو (عسف) المعايير : أي المغالاة في اعتماد معيار من معايير العلوم الانسانية في تقويم العمل الفني وليس في الكشف عن العناصر التي يتكون منها .

إن العلاقة بين علم النفس وعلم الاجتماع ونقد العمل الفني ، تطرح هذه الأسئلة الأولية الثلاثة (بلغة الناقد ديفيد ديتش) :

١ - هل العلوم الانسانية هي في حد

الى درجة من التوتر المشهور تتفاقم طردياً مع ازدياد حدة التوتر الاجتماعي والسياسي .

وبصرف النظر عن سوء قراءة النص هذه ، فإن هذا المقطع قد ورد في سياق وهو يعبر عن جانب من الصورة . ولا يجوز للناقدة الجلييلة بأي حال أن تحاول استنباط المعنى الكلي من معنى جزئي .

ومرة أخرى أكرر أنني لا أبشر وإنما اشخص . وما نراه الآن من جموح في البحث عن أشكال جديدة ، والتأثر بأشكال جديدة وافدة ، إنما يشكل الدلالة الأكيدة على أن التجربة الأسلوبية الراهنة (إنماذجها المتقدمة طبعاً) للكاتب العربي المعاصر ، ثقافية أكثر منها حياتية . والتأثر بالأشكال والتقنيات الوافدة معزولة عن (مهادها التاريخي والاجتماعي) (١) أمر يجب ألا يثير كل هذا الاعتراض من السيدة الناقدة . فهل تريد أن يتأثر الكاتب العربي بالتقنيات والأشكال الوافدة بالإضافة إلى مضامينها ؟ من الطبيعي أن يتأثر الكاتب بالرمزية - مثلاً - من خلال خصائصها النقدية وليس من خلال ملابساتها وظروفها التاريخية والاجتماعية . أم أن الدكتوراة تصر على أن تتأثر بالأشكال مع مضامينها فتتصرف البطل الريفي في (مدينة بلا قلب) وكأنه العاشق (بروفروك) على سبيل المثال ؟

ولا أدري كيف توصلت الدكتورة الى الجزم بأنني (أحارب) نظرية الاتباع الأدبية على الرغم من أن هذه الكلمة لم ترد في بحثي مرة واحدة . لقد استخدمت كلمة أشكال عشرات المرات .

ومن الطبيعي أن (هذه الأشكال) تعني أن هناك أشكالاً في الرواية وأشكالاً في القصة وأشكالاً في القصيدة . وهذا لا ينفي أساساً ما تزعمه الدكتورة من أن فهمي للشكل (متخلف) فحسب ، وإنما يؤكد على أن أحكامها متخلفة أو متسرعة في هذا المضمار أكثر مما ينبغي . فإنا حين نتحدث عن الشكل إنما أفعل ذلك باعتبارنا متجسداً في أشكال كثيرة ضمن النوع الواحد وليس كفكرة مجردة عن تطبيقاتها في الروايات والقصص والقصائد العالية . وهي عندما تريد تلقيني درساً في أن : « الشكل هو وسيلة الموضعية لاكتشاف وتقييم رؤيتنا الذاتية ، تنسى أو تتناسى اعتراضها السابق على قسولي بأن : « الأسلوب يصبح في الفترات الانتقالية وسيلة لاكتشاف الذات . . . ما دامت هذه الكلمة مشروطة . . الخ »

وحتى صوّالي : « من أين نبدا » . هذا السؤال الذي يشير الى بديهية استحالة التقدم في الفنون انطلاقاً من النتائج التي توصل اليها الآخرون ، أي تعذر وقوف الفنان العربي على

أكثاف (دوستريفسكي) أو (ديكنز) أو (منفواي) باعتبار أن عملية التطور في الفنون لا تنفصم عن شرطها الاجتماعي والتاريخي . . . هذا السؤال يصبح في تفسير الدكتورة : دعوة للأسقاط الكامل للفن . .

إن هذه الطريقة الغريبة في التعامل مع النصوص قاصرة عن مستوى النقد الحاد . فإذا كان البحث كما تقبل الدكتورة فسي مطلع نقدها للامحات : « يتناول علاقة الفنان بالعمل الفني . فإن من المؤسف أنها تحاول بحض ما ليس فقه . . ومن المؤسف أيضاً أنها تغفل أن وجود موضوع « الأديب العربي بين الالتزام والحصرية » يفترض أن تركز أبحاث « الأداء وحرية التعبير الفني » على ساحة أخرى من الدراسة لا يحتاج الكاتب فيها إلى رفع عقيرته بالكليشيهات الدوغمائية التي غرغها الاستعمال حتى أصبحت كالليونة المعصورة . .

ولكنها المزاودة الضريفة في مناج من الفكر لا أظن إلا أنه المعبر عن جانب من أشد عاداتنا الاجتماعية بؤساً وتخلفاً وفقداناً لحس الاتجاه . .

تعقيب

في تعقيبي على رد الأستاذ خلدون الشمعة على تعليقي على البحث الذي تقدم به الى مؤتمر الأدباء العرب حول موضوع « الأداء الفني وحرية التعبير » ساقص على الحديث عن الشكل ولن أدخل في الموضوع . فقد تباعدت الفترة الزمنية بين التعليق والرد على التعليق بحيث يستحيل على القارئ تبين وجه الحقيقة في الخلاف بيني وبين الأستاذ الشمعة ، وبحيث تصبح مثل هذه المحاولة مجرد اهدار لوقت القارئ لا ارتضيه ، ودفاع عن النفس لا أحسب أنني في حاجة اليه .

لقد اختلفت ، وما زلت اختلف مع الأستاذ خلدون الشمعة . واعتقد أن الاختلاف بيني وبينه اختلاف مبدئي ، وقد حرصت على دراسة بحثه دراسة وافية ، بل أقول مضنية ، وخرجت بنتائج

متكاملة ومثابرة من هذه الدراسة وحرصت على أن أحصر الخلاف في الحدود العلمية والموضوعية وفي نطاق الاحترام الواجب توفره بين ذوي الرأي . وأن اتهام الأستاذ خلدون الشمعة لي « بالتخلف » و « بالجهل » و « بالنعسف » و « باستنباط المعنى الكلي من معنى جزئي » و « بلوى اعناق الأفكار عنوة » لا يهمني في كثير أو قليل ، فمرد الحكم فيما أكتب ليس للأستاذ خلدون الشمعة وإنما للقارئ .

ولكن الاتهام الذي يهمني ويهم القارئ فعلاً ، هو الذي يرفعه خلدون الشمعة في وجه كل فاعل يفهم الأدب على أنه صياغة جديدة للواقع ، ويرى للأدب دوراً ولو في المدى البعيد ، في تغيير العالم .

إن اتهام كل دفاع عن دور الأدب في تغيير الحياة بأنه « المعبر عن جانب من أشد عاداتنا الاجتماعية بؤساً وتخلفاً وفقداناً لحس الاتجاه » واتهام كل من يفعل ذلك

يرفع « عقيرته بالكليشيهات الدوغمائية التي غرغها الاستعمال حتى أصبحت كالليونة المعصورة » ، إنما هو اتهام يكشف بوضوح عن موقف صاحبه من مجتمعه وقضايا هذا المجتمع . ولا ينعكس بحال على من يدافعون عن دور الأدب في صنع الحياة .

ولا يسعني إلا أن أقول : كفي أرهاقاً ! إن الاتهام بالغوغائية والدوغمائية لا يضيرنا . إنما نحترم الأدب أكثر مما تفعلون ، ونحمي حريته ونقدر متطلباته كعالم مستقل بذاته أكثر كثيراً مما تفعلون . ربما لانكم تعتبرونه اقراً أو ترفاً أو نتاجاً ذاتياً بحتاً . بينما نعتبره نحن نشاطاً إنسانياً فريداً في وجوده ، وفريداً في فعاليته ، وأن كانت هذه هي الغوغائية والدوغمائية فمرحباً بالغوغائية والدوغمائية .

د. لطيفة الزيات

(١) بدلت الدكتورة عبارة (المهاد التاريخي والاجتماعي) التي وردت في أكثر من موضع الى عبارة : (المهاد التاريخي والاجتماعية) وهي تظن أن كلمة مهاد جمع كلمة (مهاد) . . . والحقيقة أنها جاءت في صيغة المفرد وجمعها (مهادات) .

مطابع الأهرام التجارية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

طريق الماشية إلى الشكر التوري المعاصر

السنة الثامنة - يونيو ١٩٧٢

الاتحاد الاشتراكي وقضية التحالف [٢]

مناقشات لجان العمل والدعوة والفكر
والادباء والفنانيين والشباب
وتعليقات على اتجاهات الرأي

« الوجدان الانساني والحقيقة التاريخية
بعد خمس سنوات من الهزيمة

د. محمد الخفيف « ملف خاص »

البرنامج السياسي للجهة
الوطنية للاوس « الوثائق »

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

د. محمد الخفيف

شارك في تأسيس « الطليعة »

واسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى
حر ، وفي اعتقادنا ان تفاعل الآراء
الحرّة على اختلافها هو وحده الذى
يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة
فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة »
صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولهها
— مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى
أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر
« قد اختلف معك فى الرأى ولكنى
على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا
لحقك فى الدفاع عن رأيك » .

الوجدان الانساني .. والحقيقة التاريخية بعد خمس سنوات من الهزيمة

فى الوجدان الجريح لذات الانسان العربى ، يفور الشعور بأن « الهزيمة » لم تنزل بساحتنا الا أمس فقط . ومع ذلك فإن الحقيقة التاريخية ، بنت الواقع الحى الخارج عن حدود ذواتنا الوجدانية ، تؤكد - بحساب دورة الزمن - أنه قد مضى على « الهزيمة » خمس سنوات بالقمام والكمال .

هذا التناقض بين مشاعر الوجدان الانسانى ، وبين حقيقة الواقع التاريخية ، له - ككل تناقض فى حياتنا - ايجابياته وسلبياته .

من ايجابياته ، أن « الهزيمة » بكل مرارتها ، ما برحت ساخنة دامية ، تنكس بعنف جراح الكرامة الوطنية لذات الانسان العربى . ومعنى هذا أن « الهزيمة » بكل ثقلها ، لم تستطع أن تستوعب الانسان العربى فى قلبها ، أو « تستأنسه » لواقعها وقيودها . وذلك على الرغم من تعدد وتراكم محاولات الاستيعاب والاستئناس - المباشرة وغير المباشرة ، السلمية والعنيفة - ابتداء من قرار مجلس الامن بصياغته البريطانية المطاطة فى نوفمبر ١٩٦٧ حتى انتخابات الاحتلال الاسرائيلى البلدية فى الضفة الغربية فى ١٩٧٢ . مروراً بمبادرة روجرز ورحلاته السلمية الخادعة مع رفيقه سيسكو الى المنطقة ، وحملات الابادة الوحشية ضد المقاومة الفلسطينية ، ومشروع محادثات الخندق ، وأخيراً مشروع حسين - آلون الخاص بإنشاء ما يسمى بالملكة العربية المتحدة .

بل يستطيع المرء أن يؤكد - فى موضوعية باردة - من خلال جولة فى أعماق الطبقات الشعبية العربية ، أن الوجدان العربى اذا كان قد أحس الى ما قبل ١٩٦٧ بأنه فقد قطعة من أرض وطنه وقعت تحت الاحتلال الاستيطانى الصهيونى ، فإنه منذ عام ١٩٦٧ يحس بأنه فقد ذاته نفسها وأنه لن يستردها الا من خلال قهر الهزيمة والانتصار عليها .

والانسان العربى ، يرى بكل حواسه ، صورته المهانة وهو يطرق جميع أبواب الدنيا ، متسولاً استعادة أرضه المحتلة وكرامته الوطنية المنتهكة . ويتعطف عليه المجتمع الدولى بقرارات التأييد وبيانات المساندة التى تشيد بمواقفه السلمية . ومع ذلك فإن كل القرارات وبيانات المساندة والاشادة تتكوى تحت أقدام المحتل الامبريالى - الصهيونى بلا نتيجة .

والانسان العربى ، وهو يعيش واقعاً متخلفاً اقتصادياً يثور عليه حضارياً واجتماعياً ، يعى أن « الهزيمة » قد كبلت الى حد غير بعيد ثورته الحضارية

والاجتماعية ضد التخلف الاقتصادى ، وتغلب يده عن الاستثمار المطلوب فى عمليات التنمية الضرورية . وفى مصر مثلاً بلغ مجموع الانفاق على المجهود الحربى خلال الخمسة أعوام الماضية ٤٠٠٠ مليون جنيه . وذلك فى بلد ما يزال متوسط دخل الفرد السنوى فيه لم يصل الى ٦٠ جنيهاً بعد . لولا الهزيمة كان يمكن أن يواجه ثلاثة أرباع ما خصص للمجهود الحربى الى عملية التنمية ذات اللاحاق المتزايد . وهذا كله فضلاً عن تجميد لاقات أكثر من ٨٠٠ ألف شاب ، بينهم أكثر من ١٠٠ ألف من أصحاب الخبرات الفنية الجديدة فى خنادق الجبهة ، وكان يمكن لهذا الجهد الانسانى أن يثمر أرضاً خضراء اضافية ومصانع منتجة جديدة .

من هنا غان الهزيمة — سيولوجيا — هى طعام العلقم اليومى للانسان العربى . يبيت ويصحو مع الهزيمة تحت سقف واحد ولكنه لا يقبلها ، يعانى مرارتها ومهانتها وامتناعها لعرقه ولكنه يتكبر عليها ويرفضها . وهذا هو المصدر الجوهرى — وربما الخفى فى نفس الوقت — للصمود والمقاومة . بمعنى أن المقاومة هى الوجه الاخر للهزيمة نفسها . الارتباط بينهما حتى . وايضاً الصراع بينهما موضوع لا مفر منه . ولا حل — بالتالى — الا بالانتصار الجذرى لاي منهما على الاخر . وبتعبير آخر فان الانسان العربى بخوضه معركة التحرير الشاملة لا يحرر وطنه فحسب بل ويحرر فى نفس الوقت ذاته ويسترد لها غير مهانة ويحرر طاقاته المقيدة ليواصل عملية بنائه لحياة انسان التلث الاخير من القرن العشرين ، مادياً ومعنوياً .

معركة التحرير — فى هذا الضوء — ليست نوبة من نوبات الحماس العاطفى وانما هى احتياج موضوعى ملح ، لا بديل له . وطالما أن الامر هو على هذا النحو فان التضحيات ، التى لا مفر منها ، تهون ايا كان حجمها ونوعها . ولقد ترجم « السادات » اخيراً هذه الحقيقة عندما أعلن استعداد الشعب المصرى للتضحية بمليون شهيد فى معركة التحرير . وهو الاعلان الذى رأى فيه بعض الذين اتخذوا « مواقف المتفرجين » — فى الساحة الدولية — على ما يسمونه أزمة الشرق الاوسط ، مبالغة واستهانة بالحياة البشرية .

ودائماً ، المتفرجون على قضية من القضايا القومية التحررية ، يفشلون فى تلمس حقيقة احساس و ارادة أصحاب القضية أنفسهم .

يقول المثل العربى ، وله معان مشابهة فى التراث الانسانى كله : « من يده فى الماء ، ليس كمن يده فى النار » .

الانسان العربى ، يده فى النار منذ خمس سنوات . وليست هذه أول مرة يبىد شعب عربى استعداداه من أجل تحرير بلاده بالتضحية بمليون من أبنائه . لقد سبق لشعب الجزائر أن ضحى بالفعل — على مدى سبع سنوات ونصف — عمر كفاحه التحرير المسلح ضد الاستعمار الاستيطانى — بمليون شهيد .

والمسألة فى النهاية ، ليست الرغبة فى التضحية من أجل التضحية ، او ارتخاى الحياة البشرية . وانما المسألة ، أن طرد الاحتلال وقهر الهزيمة ، هما اللذان يفرضان قرصاً ، التضحية وارتخاى الحياة . كذلك فان المسألة هى فى أن تكون التضحية منتجة ولها ثمن . وفى خلال سنوات الهزيمة الخمس ، ضحى الانسان العربى بعشرات الألوف من أبنائه ، وخاصة الفلسطينيين ، فى مذابح الاردن بلا ثمن . ذلك أن المخطط الامبريالى — الصهيونى — الرجعى ، يستهدف ضمن ما يستهدف استمرار حالة الارهاب عن طريق اشعال المذابح ضد الوطنيين والمناضحين العربى عامة والفلسطينيين خاصة ، بين آن وآخر .

التضحية ، إذن ، واردة ومفروضة ، مع واقع استمرار الهزيمة ، فلا أقل من أن نقدم على التضحية خلال حركة تغييرنا لواقع الهزيمة . وبتعبير آخر فالانسان العربى يريد — الآن — أن يكون لتضحياته ، التى لا مفر منها ، ثمناً يوازنى حقيقتها .

بيد أن للتناقض بين مشاعر الوجدان الانساني ، وبين حقيقة الواقع التاريخية ،
سلبياته ايضا .

من هذه السلبيات ، بطء الحركة وتخطبها ، وأحيانا ترددها وعجزها عن
عبور المسافة بين مشاعر الوجدان وبين حقيقة الواقع .

وإذا حاولنا أن نحفر تحت هذه « الظاهرة » التي سيطرت على مسارنا
طوال خمس سنوات ، وصولا الى الجذور التي تفرضها ، فسوف نواجه العديد من
الاسباب . بعضها يتصل اتصالا مباشرا بمسئولياتنا وأسلوبنا في مواجهة قضايانا ،
وبعضها الآخر نناقش بشأنه المسئولية مع الظروف - المحلية والقومية والعالمية -
الشاقة والمعقدة بطبيعتها .

فهناك - تحت سطح الظاهرة - ذلك الاحساس الرهيب بالعجز والضعف الذي
هاجمنا فجأة مع الهزيمة التي لم تكن متوقعة ، أو على الأقل ، يمثل هذا الحجم
والاتساع والعمق ، وخاصة بعد أن عشنا سرى لشعارات اعلامية مخدرة ، تبشرنا
بدخول تل أبيب - بؤرة العدوان - في زمن لا يتجاوز ثمانى ساعات . (ولا أدري حتى
الان على أى أساس احتسب هذا الزمن) ولكن الذي حدث هو أن تل أبيب فى أقل من
ست أيام بسطت احتلالها على سيناء وغزة والجولان والضفة الغربية .

وكان رد الفعل الطبيعى أمام مفاجأة الهزيمة ووزنها الثقيل هو نوع من التوقع ،
مع محاولة إيقاف خطر امتداد الهزيمة - جغرافيا - الى أبعد مما وصلت اليه من
ناحية ومحاولة تجنيد قوى الرأى العام العالمى والشرعية الدولية - من ناحية
أخرى - لمساعدتنا ، بعد فقداننا قوتنا العسكرية ، لاسترداد ما اغتصب . وكان أن
مضينا على الطريق الذى أطلق عليه اسم « الحل السلمى » . ومع سلوك هذا
الطريق ، استبعد - فعليا - طريق حركة التحرير الوطنى الذى تسهم فيه القوى
الجهادية المنظمة جنبا الى جنب مع ما يتوافر لدينا من قوى عسكرية نظامية .

وزاد ، يوما بعد يوم ، اعتمادنا على الحل السلمى ، خاصة بعد أن كسبنا
عديدا من القرارات الدولية ومزيدا من تأييد الرأى العام العالمى . حتى بلغ الأمر حد
المراهنة على « الحل السلمى » بشكل جوهري . مما رسب لدى « العدو » قناعة
بأننا لن نحاربه . أو على الأقل مترددين فى مقاومة احتلاله بالقوة المسلحة ، فكان طبيعيا
أن ينعكس ذلك فى موقفه تصلبا وعنادا . وغذى موقفه هذا طبيعته العنصرية
التوسعية ، ومساندة الامبريالية الامريكية له ، وعدم قدرة المجتمع الدولى على فرض
قراراته عليه .

ومرت سنوات « الحل السلمى المزعوم » . كل سنة تلعب دور « الطعم »
للسنة التالية . وفى كل سنة تلوح فى الافق « آمال الحل » . ولكن ما أن تقترب
منها حتى نكتشف أنها مجرد « سراب امريكى - اسرائيلى » . ونصطدم فى النهاية
بحقيقة المطلوب على طريق الحل السلمى : الاستسلام الكامل . سياسيا واقتصاديا ،
محليا وقوميا للهزيمة . نرفض ، ولكننا ننظر الى الواقع فنرى المسافة التى تفصلنا
بين الرفض وتنفيذ الرفض قد امتدت واتسعت وتشعبت . ونظل ندور فى هذه
الحلقة المفرغة حتى يكمرها « السادات » ، باسم الشعب المصرى الذى يتحمل أكبر قدر
من المسئولية القومية فى مواجهة الهزيمة ، فيعلن فى ١٦ سبتمبر ١٩٧١ وقف الاتصالات
مع امريكا ، ويؤكد على ضرورة المعركة وقطع المسافة بين واقع الهزيمة ورفضها
الشعبى ، وبين العمل على تغيير هذا الواقع وتنفيذ الرفض .

وتحت سطح الظاهرة ايضا ، نكتشف عاملا هاما وأساسيا يعتمد فى تكوينه ضمن
ما يعتمد على عنصر الوقت ، وأقصد بهذا العامل إعادة بناء القوات المسلحة العربية
عامة ، والمصرية خاصة .

ليس فقط تعويضاً لما فقد - وهو كثير - وإنما بناء جديداً في نوعيته القتالية والاجتماعية والسياسية والفنية بحيث يواجه الجيش العنصرى القوى الذى يمتلكه العدو، ومن هنا كان مصدر التردد في خوض المعركة التحريرية، التى يعتبر الجيش أداة صدامها الرئيسية، قبل أن يصل البناء الى درجة الاطمئنان.

ولكن، كيف نقيس درجة الاطمئنان المطلوبة؟ من الطبيعى أن الجانب المهزوم يتطلب أعلى درجة ممكنة. بيد أن هذا الحذر، وإن كان مفهوماً بل ومطلوباً، إلا أنه من الخطر أن نصاب بمرض المبالغة ونطلب الحد الأقصى من الاستعداد. فليس هناك أبداً في مثل هذه الحالات حد أقصى. كل حد نصل اليه سيظل - في إطار التقييم - أقل من الحد المتصور والمأمول فيه. وهكذا فإن السير وراء نظرية الاستعداد الى الحد الأقصى، يعنى الانتظار على المعركة الى أجل غير مسمى، وبالتالي زرع التردد والعجز في قدرتنا على حركة عبور المسافة وتخطي الهزيمة. من هنا لا بد أن نستبدل نظرية «الحد الأقصى» بـ «الحد الأدنى»، طالما أن المعركة لن تكون مجرد معركة تقليدية بل معركة شعب وجيش في النضال عضوي نضالي، وخلال خوض مثل هذه المعركة، فقط، يمكن أن نصل مع تفجر مبادرات الجماهير والقوات المسلحة الى الحد الأقصى عملياً.

ولا نريد في هذا المقام أن نستعيد - من جديد - النموذج الفيتنامي. فليس من شك في أن نموذج معركتنا يختلف بالضرورة عن النموذج الفيتنامي في أمور عديدة تتصل بالواقع الجغرافي والسياسي والاجتماعي الذى لا يمكن تخطيه. ولكن ما نشترك فيه مع النموذج الفيتنامي، أو على الاصح ما نستخلصه منه من درس، هو أن فيتنام - موضوعياً - أكثر تخلفاً منا، وحجم ونوعية قوة العدو هناك أضخم من حجم ونوعية قوة عدونا. ومع ذلك فارادة القتال الواعية التى تلهم الشعب بقواته المسلحة في فيتنام أثبتت قدرتها على انزال هزائم تكتيكية واستراتيجية خطيرة بعدوها.

وفي حالتنا، فإن هزيمة تكتيكية واحدة، ذات وزن، نلحقها بعدونا كافية لأن تحدث تغييراً استراتيجياً في علاقات القوى، ينتج آثاراً مدمرة على العدو.

وتحت سطح الظاهرة، كذلك، نواجه تلك الفكرة الخيالية التى اسرت حركتنا وهي ضرورة حشد «كل» العرب في المعركة. ورغم كل الجهود الشاقة التى بذلت فقد ثبت أن من المستحيل مشاركة «كل» العرب في المعركة، ونحن نقول «المستحيل» بمعيار الفكرة الخيالية ولكن «المستحيل» في واقع الحياة العربية حقيقة موضوعية.

صحيح لا بد من تعبئة أقصى قدر من الطاقات العربية للمعركة. ولكن «أقصى قدر» لا يعنى «كل قدر».

لماذا؟

إن واقع الحياة العربية بتناقضاتها يكشف بوضوح أن ثمة قسوى ليس من صالحها تخطي الهزيمة وقهر العدو. ذلك أنها ترتبط ارتباطاً وجود وعدم مع الامبريالية ومع اسرائيل كقاعدة معادية لحركة التحرر العربى في المنطقة. والمثال الواضح على ذلك هو نظام الملك حسين والقوى التى يمثلها. لقد أثبتت الاحداث منذ ١٩٦٧ أنه لعب - لفترة طويلة نسبياً - دور الطابور الخامس في الجبهة العربية. وحسر النقاب أخيراً نفسه وأصبح امتداداً عضوياً لجبهة العدو، حتى أنه حارب لحسابها المقاومة الفلسطينية وجماهير الشعب الاردنى وارانة الصمود والتحرير للامة العربية.

ومن هنا كان - نظام الملك حسين والقوى التى يمثلها - منبع العجز الذى قياد ارادة التحرير العربى عن الحركة. ويصبح التخلص من العجز، يستلزم اول ما يستلزم اسقاط نظام الملك حسين والقوى التى يمثلها في الواقع العربى من حساب المعركة. بل وإضافته - واقعياً - لحساب العدو. وهذا يعنى التحرر من فكرة «كل العرب» في

المعركة والتوقف عن الحركة حتى يتم تجسيد هذه الفكرة . ولكن اذا لم تكن فكرة « كل العرب » ممكنة ومنتجة فما هي الفكرة البديلة ؟

الحق أن معركة التحرير المعاصرة وان ظل يحكمها قانون أن التناقض الرئيسي هو مع الامبريالية والصهيونية من ارضية وطنية اساسا ، الا أن ذلك لا يجب ان يغفل بصورة تامة البعد الاجتماعي ، ومن مواقع وطنية ايضا للمعركة . واقتصاد هنا بالبعد الاجتماعي في المعركة ، ان العداء التحرري ضد الامبريالية والصهيونية — قوميا — يعنى في نفس الوقت العداء للقوى الرجعية المتخلفة عن العصر ومتطلبات الحد الأدنى لمجتمع عربي انساني عصري . وتتمثل هذه القوى في الاقطاع والراسمالية الطفيلية غير المنتجة التي تتعيش عن طريق وكالتها للاحتكارات الاستعمارية ، وتغسود بالتالي ذيلها ، وخادما لمصالحها .

وبهذا الفهم لتفاعل البعدين ، القومي والاجتماعي ، فان معركة التحرير هي أولا واخيرا ، معركة القوى الوطنية والتقدمية العربية .

فالفكرة البديلة ، اذن ، لفكرة « كل العرب » هي فكرة كل القوى الوطنية والتقدمية العربية ، والتي يندرج في اطارها الرأسمالية الوطنية . ويصبح بالتالي الجهد المطلوب تحقيقه هو الدفع باستمرار نحو وحدة العمل والحركة لهذه القوى .

والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم ، بعد ٥ سنوات من الهزيمة هو: هل نستطيع الحركة لعبور المسافة بين مشاعر وجدان الانسان العربي وبين حقيقة الواقع التاريخية ؟

والحق ان هذا السؤال اذا كان يطرح نفسه من واقع الحياة ، فان السؤال الذي يجب ان نطرحه نحن على انفسنا ، بالمقابل: هل هناك بديل آخر عن الحركة ؟

« الحل السلمي » يقطع الطريق فيه ، على الراي العام العالمى والشرعية الدولية، التحالف الأمريكى — الصهيونى ، حيث يمتنحن خلاله كل قرار دولى .

واقع الاحتلال يزداد شراسة وعدوانا ، ويعمد الى تغيير الطبيعة العربية للارض والبشر .

الحد الأدنى من بناء القوات المسلحة قد تم التوصل اليه .

الارادة القتالية للشعب العربى عبرت عن نفسها أكثر من مرة بحسم وجلاء .

الطابور الخامس فى الجبهة العربية يتحرك لصالح العدو ماديا ومعنويا .

الثورة الفلسطينية — بعد طول معاناة — تجمع فصائلها فى جبهة وطنية متحدة .

القوى الوطنية والتقدمية العربية — بعد طول تفكك وبعثرة — تجمع احزابها وتنظيماتها فى جبهة مشاركة للثورة الفلسطينية .

علام الانتظار اذن على عبور المسافة بعد خمس سنوات ؟ خمس سنوات .. يختزلها الوجدان الى يوم اسود ، وتمدها مشاكل الهزيمة وتعقيداتنا ، وكأنها قرن كامل من زمان ، الوقت فيه حضارى القيمة والحساب .

الحق في الحوكمة

الاتحاد الأشترأى وقضية التحالف

قوبل نشر نصوص محاضر جلسات لجنة العمل واللجنة السياسية باهتمام كبير فى مصر والعالم العربى ، لما تتضمنه من تعريف باتجاهات الفكر المصرى داخل المؤسسات القائمة وبين القوى الممثلة فى قيادة التنظيم السياسى . وهو أمر بالغ الأهمية فى ظروف تصطبغ فيها هذه التيارات بالوانها المتميزة وتشق لنفسها قنوات واضحة المعالم . ومن ثم يصبح نشر الحوار المفتوح - لا الاكتفاء بإعلان القرار النهائى وحده - منطلقا للوعى بالواقع المصرى وسبيلا للامام باتجاهات حركته والقوى التى تتعامل داخل مؤسساته .

لذلك رأت « الطليعة » ان تتابع نشر النص الكامل لمحاضر جلسات لجنة العمل واللجنة الفرعية للدعوة والفكر واللجنة الفرعية للادباء والفنانين واللجنة الفرعية للشباب ، وخاصة وأنها تتميز بقدرا كبير من وضوح الاتجاهات وبلورة أدق لوجهات النظر من المحاضر التى نشرت فى العدد الماضى .

كما تنشر « الطليعة » عددا من التعليقات التى تمثل وجهات نظر كاتبيها ، حول ما جاء فى محاضر الجلسات ، وتدعو الاصدقاء الى المساهمة فى التعليق على ما تتضمنه المحاضر من افكار ، عملا على التوصل الى أكثر النتائج ايجابية فى مجال العمل السياسى .

اجتماع لجنة العمل

١٥ أبريل ١٩٧٢

اجتمعت لجنة العمل في الساعة الثانية عشرة
والدقيقة العاشرة من ظهر يوم السبت الموافق
١٥ أبريل سنة ١٩٧٢ برئاسة السيد المهندس
سيد مرعي السكرتير الاول للجنة المركزية .

ولم يحضر الاجتماع كل من :

● المهندس أحمد عبد الآخر

● د . ابراهيم أبو النجا

وحضر الاجتماع من غير أعضاء اللجنة كل من :

● لطفى الخولى ، محمد السيد أيوب ، د . محمد

القاسمي الطرشوبى ، سعد الدين وهبة ، محمد

حامد محمود ، سالم اليماني ، عبد الفتاح عزام ،

د . زينب السبكى ، سيد زكى .

● السكرتير الاول

خاصة ان يرسلوها الينا حتى يمكن ان نتقدم
بالتقرير النهائى قبل ١٥ مايو ، وقد تفضل كثير
منهم بتقديم شبه تقارير عن تصوراتهم للعمل في
الاتحاد الاشتراكي العربى .

ولتحقيق الترابط بيننا وبين أمناء المحافظات
فقد عقدنا اجتماعا معهم باعتبارهم في حقل
العمل ، واعطيناهم ملخصا لما يجرى عليه
العمل في اللجان الفرعية ، وقد جرى هذا أيضا
بالنسبة لأمناء المحافظات المساعدين وأمناء المراكز
والاقسام وذلك حتى يكونوا في الصورة أيضا .

وقد شكلت لجنة من بعض السادة أمناء

لقد تم في الفترة الماضية عقد كثير من اللجان
الاستشارية حضرها بعض السادة الاعضاء وذلك
بناء على القرار الذى اتخذ في لجنة العمل ،
وأرجو أن يكون قد وزع عليكم ما أسفرت عنه
هذه اللجان حتى تكونوا في الصورة ، وقد تناولت
نفس الموضوعات التى أثيرت في لجنة العمل ،
غير أنها كانت متميزة بأن كل مجموعة كانت
تناقش الامور من زوايا خاصة بها وليس بالشكل
العام الذى كانت تناقش به في لجنة العمل .

وقد رجونا السادة الاعضاء الذين لهم آراء

المحافظات وهم السيد/ سيد زكى والسيد/ عبد الفتاح عزام والسيد/ مسعد التهامي ، والمفروض أن تتقدم هذه اللجنة بورقة في هذا الشأن .

وقد قدمت بعض الاوراق المنفصلة من كل من السيد/ مسعد التهامي والسيد/ خالد محيي الدين والسيد / الدكتور كمال أبو المجد والسيد/ لطفى الخولى والسيد / المهندس ابراهيم شكرى ، والسيد/ الدكتور كامل ليلة والسيد / سالم اليماني والسيد/ عبد الحليم الجندي .

ورأى في هذه الجلسة — بعد موافقتكم — أن نعطي لكل منهم الفرصة لمدة ثلاث ساعة لعرض ملخص للتقرير الذى قدمه ، وذلك حتى تكون أمامكم عدة مشروعات .

ولقد قرأت المشروعات المقدمة لكن الوقت لم يسمح بطبعها وتوزيعها عليكم خاصة وأن بعضها يقع فى صفحات كثيرة ، وإذا رأيت ضرورة لتوزيعها عليكم فإنه يمكن تحقيق ذلك ، كما يمكن تشكيل لجنة فرعية منكم تتولى دراسة هذه المشروعات وتقديم تقرير مختصر عنها .

● الدكتور محمد دكرورى

من الناحية التنظيمية إذا أعطينا كل عضو من الأعضاء الاثنى عشر ثلاث ساعة لتلخيص مشروعه فإن هذا يعنى أننا فى حاجة الى أربع ساعات لجرد عرض المشروعات دون مناقشة رغم أن الامر — فى اعتقادى — فى حاجة الى مناقشة ، ولذلك فأننى أرى أن يعد ملخص لهذه المشروعات ويوزع على الأعضاء ، أو أن تشكل لجنة لدراستها ثم تقدم تقريراً لنا ليكون مدخلا للمناقشة .

● السكرتير الاول

كان هناك تصوران فى هذا الصدد ، الاول أن هناك حوالى عشر نقاط مشتركة بين جميع المشروعات ، وهى تتناول التعريف بالاتحاد الاشتراكي ، أغراضه وأختصاصاته وشروط العضوية وتشكيل اللجنة المركزية وديموقراطية التشكيل ، الخ ، وكل هذا وارد فى جميع الاوراق ، وكان يمكن أن نتناول كل بند من هذا ونناقشه .

أما التصور الثانى فهو أن تعد ملخصات توزع ثم تناقش ، أو توزع التقارير كاملة .

وقد فضلت الطريقة التى ذكرتها لكم من قبل

وذلك حتى يتاح لكل عضو قدم مشروعا أن يبرز أهم النقاط التى وردت فى مشروعه ، ويمكن بعد هذا أن يعد ملخص أو يعد تقرير خاص ثم يناقش .

وقد ترون أن التقارير متشابهة ، وهنا تشكل لجنة وتعد تقريراً عن جميع المشروعات ، ويمكن بعد أن يقوم كل عضو بتلخيص مشروعه فى هذه الجلسة أن يكون النقاش فى الجلسة التالية .

● عبد الحليم الجندي

أخشى أن نحن اتبعنا هذا الاسلوب الا نتمكن من تقديم المشروع النهائى قبل ١٥ مايو .

● السكرتير الاول

أعتقد أنه يمكن مد الموعد قليلا . على أن يكون انعقاد لجنة العمل اعتباراً من يوم السبت القادم مستمراً لمدة أسبوع ، وهذا يقتضى أن يتفرغ أعضاؤها لهذا ، وهكذا يمكن الانتهاء من عملنا مبكراً .

● الدكتور محمد حافظ غانم

فيما يتعلق باستعراض أفكار كل عضو ، أعتقد أن العشرين دقيقة مدة طويلة إذ يهمنى أن يبرز كل عضو الأفكار الرئيسية فقط على أنه إذا تكررت بعض الأفكار فإنه يجب عدم ذكرها ، وعلى ذلك فيمكن أن تكون المدة عشرة دقائق فقط .

● السكرتير الاول

اننى أوافق على هذا بأن يقتصر الاستعراض على الفلسفة العامة والنقاط الأساسية .

وبعد سماع كل هذا ، يمكن معرفة ما اذا كنتم تريدون الاوراق بالكامل أم تكتفون بملخصاتها .

ويمكننا الآن أن نبدأ باستعراض تقرير اللجنة المشكلة من بعض السادة أمناء المحافظات وهم السادة سيد زكى وعبد الهادى ومسعد وعزام .

● عبد الفتاح عزام

معى الان ورقة عن تصور محافظة الجيزة .

● السكرتير الاول

المفروض أنكم لجنة منتخبة من أمناء المحافظات لتقديم ورقة واحدة وليس عدة ورقات .

التنظيمي المقترح للاتحاد الاشتراكي فانه ليس هناك خلاف على ما قاله السيد السكرتير الاول من ان الاتحاد الاشتراكي هو صياغة للتحالف وليس حزبا ، وانه التنظيم السياسي الوحيد في البلاد .

ومن هنا ، كان الاتحاد الاشتراكي مسئولا عن ان يوفر المناخ والمنبر والاداة السياسية لكل القوى الاجتماعية ولجميع المواطنين الراغبين في ممارسة العمل السياسي دون استثناء .

ومالم يتحقق هذا ، فاننا نتبع ارضية لكل من يرفضه الاتحاد الاشتراكي أن يقيم تنظيمات أخرى علنية أو سرية .

والمناخ المطلوب توافره ، لابد وأن يتحقق على جبهتين ، جبهة سياسية وجبهة تنظيمية .

وهذا المناخ على الجبهة السياسية يتمثل في تحديد معالم خط سياسي ، تلزم به قوى التحالف ويتضمن هذا الخط أساسا :

١ - المبادئ التي نلتزم بها في التطبيق المصري العربي للاشتراكية .

٢ - كما يتضمن هذا الخط أسلوب ممارسة وتطبيق هذه المبادئ آخذين في الاعتبار التراث الروحي والنفسي والحضاري لشعبنا وأمتنا ، وهذه المبادئ في مشروع القانون الاساسي .

وعلى الجبهة التنظيمية ، فان نقطة البدء لتوفير هذا المناخ هي تنظيم أجهزة العمل السياسي اليومي للجنة المركزية بحيث يتم التعامل من خلال أجهزة مسئولة وليس من خلال أفراد ، فيتوقف العمل اذا ما غابوا أو مرضوا أو تركوا مناصبهم .

ولما كان العبء الاساسي في قيادة التنظيم يقع على عاتق السكرتير الاول للجنة المركزية ، فان ذلك يحتم أن يعاونه ويعمل تحت مسؤوليته عدد من السكرتيرين المساعدين من ذوي الخبرة الاساسية ، على أن يحدد لكل منهم دور واضح .

بجانب هذه القيادة اليومية تشكل القيادة السياسية من نوعين من الوعية السياسية ، لجان وأمانات ، اللجنة الاولى . . لجنة الشئون السياسية والعلاقات الخارجية ، وتختص بالشئون السياسية الداخلية والخارجية ، وتقوم بدراسة الاحداث السياسية العامة ومتابعة اتجاهاتها المحتملة ، وتعد الخطوط السياسية التي يتخذها الاتحاد ، وتمهد لهذه الخطوط ، وبعد صدورها تواليا بالشرح والمتابعة .

● عبد الفتاح عزام

الورقة التي معي عن تصور الجيزة وليس عن تصوري الشخصي .

● السكرتير الاول

لساذا لم تجتمع مع الامناء الثلاثة الاخرين لاعداد الورقة ؟

● عبد الفتاح عزام

لقد عدت من سوريا منذ فترة وجيزة ، وقد تم اعداد ورقة مشتركة منا بالفعل ولكنها ليست معي الان .

● السكرتير الاول

انك مدمو لهذا الاجتماع عن الامناء وبنساء على قرار سابق .

● عبد الفتاح عزام

أرجو تأجيل عرض ورقتنا لحين حضور السيد/ سيد زكي الذي سيتولى عرضها .

● السكرتير الاول

نبدأ بالسيد/ لطفي الخولي

● لطفي الخولي

يراعى التقرير الذي تشرفت بتقديمه أربعة مصادر أساسية وهي ورقة العمل التي قدمها السيد السكرتير الاول ، والمناقشات التي دارت في اجتماعات لجنة العمل ولجانها الفرعية وعلى صفحات الصحف ، التجارب الماضية بإيجابياتها وسلبياتها والخبرة الانسانية في مسائل التنظيم .

وقد قسم التقرير الى ثلاثة اقسام رئيسية :
أولا : الهيكل التنظيمي المقترح للاتحاد الاشتراكي ولجنته المركزية ، وذلك لمباشرة العمل اليومي .

ثانيا : تنظيم اللجنة السياسية والعلاقات الخارجية .

ثالثا : القواعد السياسية والتنظيمية للدليل .
وبالنسبة للنقطة الاولى المتصلة بالهيكل

كما تقوم اللجنة بمتابعة تطورات مواقف وسياسات واتجاهات التنظيمات السياسية في البلاد الأخرى ، وتنظيم الحوار معها .

اللجنة الثانية . . لجنة الشؤون التنظيمية ، وتختص بمباشرة العمل التنظيمي في الاتحاد بشقيه السياسي والتنظيمي ، فمن ناحية تعمل اللجنة على دعم مركز التنظيم في مختلف المواقع الجماهيرية وذات الثقل الخاص وتوثيق ارتباطه بالمنظمات والنقابات المهنية والعمالية ، وتعمل على توسيع قاعدة العضوية من خلال النشاط السياسي للاتحاد وحركته وسط الجماهير .

وتباشر من ناحية أخرى الجوانب الفنية في مسائل التنظيم مثل ضبط العضوية والاشتراكات ، وأجهزة الاتصال والسجلات العاملة ، والتسجيل الخاص بنشاط المستويات المختلفة والقيادات .

اللجنة الثالثة . . لجنة الدعوة والفكر والشؤون الدينية ، وتختص بأعداد ونشر البحوث والكتب اللازمة لتعميق وتأكيد المفاهيم الأساسية لمبادئنا . وشرح ومناقشة القضايا الفكرية المثارة على المستوى العربي أو العالمي من زاوية رؤيتنا وعلى أسس علمية ، وتتولى أعداد قيادات متخصصة في الدعاية السياسية من طريق الدوريات ، كما تعمل على إبراز وتعميق الجوانب النضالية والقيم المتوفرة في الدين وتعمل على تكوين دعاة دينيين متشربين بالوعي السياسي السليم .

وهناك لجنة يقترحها التقرير جديدة في العمل السياسي وهي لجنة الرقابة المركزية وتسهر على حماية التنظيم السياسي من عوامل التحلل والتسبب وذلك بالمتابعة السياسية لقرارات الهيئات القيادية وأسلوب تنفيذها في مختلف المستويات والتأكد من اتقادها مع الخط السياسي والتنظيمي للاتحاد ، كما تسهر أيضا على تنفيذ اللائحة بشكل خلاق وحى ، وتتبع حالات الخروج على النظام أو الانحراف أو الأضرار بمصالح الاتحاد ، وتقدم مثل هذه الحالات الى السكرتير الاول ولجنة النظام المركزية ، ولجنة النظام الان هي لجنة محاكمة وليست لجنة تقصى ، ويقترح التقرير أن يوجد على مستوى الاتحاد كله أمانات نوعية : أمانة الفلاحين ، أمانة العمال ، أمانة الرأسمالية الوطنية ، أمانة الحرفيين ، أمانة المهنيين .

كما يقترح التقرير أيضا وعاءين تنظيميين جديدين هامين في العمل السياسي :

وحتى يمكن تعميق الارتباط بين النظرية والتطبيق في نشاط الاتحاد الاشتراكي من ناحية ، والعمل من ناحية أخرى على تحصينه من خطر القوقعة الذاتية التي أصيب بها بدرجات متفاوتة في السنوات الماضية ، وضمان انفتاحه المتجدد والمستمر على الحركة المادية والفكرية والروحية للجماهير الشعبية في مجالاتها المتعددة .

على هذه الأرضية يقترح التقرير تنظيمين وعائين جديدين :

الاول . . مؤتمر دورى كل ثلاثة أشهر للكادر المسئول على جميع مستويات الاتحاد الاشتراكي يضم جميع أمناء المحافظات والاقسام والمراكز والبنادر يرأسه السكرتير الاول للجنة المركزية ويحضره السكرتيرون المساعدون لمناقشة المشاكل والقضايا العملية للنشاط السياسي التي يواجهها الكادر في المواقع المختلفة وتبادل الخبرات وتقييم الموقف على مستويات التنظيم المتعددة بالنسبة لاحتياجات ومطالب الجماهير وترتيب أولوياتها ، ومتابعة الجهد العملى المبذول من أجل تنفيذ قرارات التنظيم القيادية .

ويجوز للسكرتير الاول عند الاقتضاء أن يوسع من هذا المؤتمر فيدعو اليه بعض أمناء الوحدات الأساسية في مجالات الانتاج والخدمات والسكن ذات الوزن أو ذات الصلة المباشرة بالنسبة للموضوعات المطروحة على المؤتمر - وعند الاقتضاء - بعض السادة الوزراء أو المسئولين في الأجهزة التشريعية والتنفيذية .

وينتخب المؤتمر عند انعقاده لأول مرة لجنة تحضيرية يرأسها أحد السكرتيين الساعدين للسكرتير الاول تقوم بالاتصالات التنظيمية اللازمة لأعداد جدول الأعمال الخاص بكل مؤتمر على أن يخطر بها أعضاء المؤتمر قبل أسبوعين على الأقل من انعقاده .

وتستمر صلاحية اللجنة التحضيرية لمدة خمس مؤتمرات متتالية بما في ذلك المؤتمر الذى انتخبها ، وتخطر اللجنة المركزية ولجانها وأماناتها المختلفة بقرارات المؤتمر .

كما يجوز لهذا المؤتمر أن يقترح موضوعات لأدراجها بجدول أعمال الاجتماع التالى للجنة المركزية .

أما الوعاء الثانى المقترح فهو تطوير لفكرة اللجان الاستشارية النوعية التى شكلت لمساعدة

فكيف يمكن أن نقظم علاقة مستمرة مع كل العقول والطاقات المبدعة في الحياة والتي لا يمكنها ظروفها أن تكون في مواقع قيادية في التنظيم السياسي .

بالنسبة لتنظيم لجنة الشئون السياسية الداخلية والخارجية يقترح التقرير أن تشكل هذه اللجنة من خمسة مكاتب :

[أ] مكتب الشئون الداخلية :

ويتكون من شعبتين ، شعبة الشئون الداخلية وشعبة المتابعة لقرارات المؤتمر القومي العام ، فهذا المؤتمر يصدر قرارات وتوصيات كل ما يتخذ بشأنها أنها تنشر في الصحف ، وليست هناك لجنة لمتابعة هذه القرارات والتوصيات ، ومعرفة العقبات التي تعترض التنفيذ .

[ب] مكتب العلاقات الخارجية :

ويختص بمتابعة تطورات ومواقف واتجاهات وسياسات التنظيمات في بلاد العالم ، ويقترح التقرير أن ينقسم هذا المكتب الى أربعة شعب هي : شعبة للدول العربية ، وشعبة للدول الاشتراكية ، وشعبة لدول غرب أوروبا وأمريكا واليابان ، وشعبة لدول العالم الثالث ، وحركات التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

[ج] مكتب الخبراء المركزي :

ويتشكل من أربع شعب ، شعبة للمتابعة اليومية للأحداث السياسية وتقوم بعرض وتحليل الأحداث الجارية ، وتقترح الحلول لها ، وكذلك اعداد الدراسات الشاملة الرؤية للأحداث في تطورها وتربطها .

والشعبة الثانية تكون نواة لبناء مركز علمي لقياس الرأي العام واتجاهاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية حول مختلف القضايا .

والشعبة الثالثة للنشرات المركزية وتصعدن النشرات القليلة :

نشرة يومية اخبارية ، نشرة اسبوعية تحليلية لحركة الاحداث في مصر والوطن العربي والعالم ، نشرة شهرية عن قضية دولية مثارة ، نشرة شهرية عن قضية عربية مثارة ، نشرة شهرية عن قضية داخلية مثارة ، نشرة تنظيمية اسبوعية عن أعمال وأخبار الاتحاد الاشتراكي ، ومجموعة من المؤلفات السياسية تعتبر بمثابة مراجع للعمل

لجنة العمل وهو تكوين لجان رأى متخصصة تنبع من قطاعات الإبداع المادي والفكري في الحياة اليومية ، وتحون بمثابة نوافذ مفتوحة لاسظيم على مختلف الانشطة الجماهيرية واتجاهاتها وجسور لقاء وتفاعل بينها وبين المؤسسات النقابية والمهنية ذات التأثير في مجالاتها .

وتجتمع هذه اللجان بصفة دورية مرة كل شهر على الأقل وتناقش القضايا التي تندرج في محيط الاهتمام المشترك بين مؤسساتها وبين التنظيم وتقترح الحلول لها وتخطر بآرائها وقراراتها اللجنة المختصة المركزية المقابلة لها في هيكل التنظيم السياسي ، كما تبحث ما قد تحيله اليها احدى اللجان التنظيمية او السكرتير الاول من مشكلات تتطلب رأيها ، وقرارات لجان الرأي استشارية ، ولكن يجب على اللجنة التنظيمية اذا ما رأت عدم الاخذ بآراء لجنة الرأي أن توضح أسباب ذلك .

ويمكن أن تتكون لجان الرأي في مجالات التعاونيات الزراعية ، النقابات العامة للعمال ، النقابات المهنية ، اتحادات الكتاب والادباء والفنانين ، اتحادات وجمعيات العلماء ، اتحادات الطلبة ، الاتحادات والجمعيات النسائية ومشروعات القطاع الخاص والغرف الصناعية والتجارية .

وتتكون كل لجنة من رئيس وسكرتير الاتحاد أو النقابة أو الجمعية أو الغرفة بالإضافة الى خمسة أعضاء يعينهم السكرتير الاول ، وتنتخب كل لجنة مقررا ومقررا مساعدا .

ويشارك المقرر في أعمال اللجنة التنظيمية المقابلة ، كما يشارك أحد المسؤولين باللجنة التنظيمية في اجتماعات لجنة الرأي المقابلة .

وينعقد كل ستة أشهر مؤتمر لكل لجان الرأي برئاسة السكرتير الاول يشارك فيه السكرتيريون المساعدون ومسؤولو اللجان التنظيمية ، ويتكون من مقرري لجان الرأي لجنة تحضيرية دائمة لهذا المؤتمر تقوم بالاعداد لجدول أعماله .

والهدف من هذين المؤتمرين هو ألا نتكلم في مجردات ولكن نتكلم عن المشاكل الحقيقية للتنظيم كما يتصورها بعضنا من خلال تجارب وتكوين رصيد من الخبرة المشتركة ، لان الذي يحدث عادة هو أنه بعد مرحلة من فتح المناقشات والحوار تنقطع الصلة بين الاتحاد الاشتراكي والقوى الجماهيرية في الخارج .

التنظيمية لتحالف سياسي — اجتماعي بين ثلاث قوى اجتماعية محددة هي الفلاحين ، والعمال ، والرأسمالية الوطنية فضلا عن فئتين متميزتين بحكم طبيعتهما الخاصة ووزنهما ، بدور أساسي في حياة البلاد وتتمثل داخلهما القوى الاجتماعية الثلاث وهاتان الفئتان هما : المثقفون والجنود .

ثالثا : التحالف السياسي — الاجتماعي بين قوى الشعب العاملة على أساس :

١ — حماية الاستقلال الوطني السياسي والاقتصادي .

٢ — تحويل المجتمع من مجتمع زراعي متخلف الى مجتمع صناعي — زراعي متقدم وذلك من خلال خطة تنمية شاملة ذات أسس وأهداف اشتراكية وترعى في نفس الوقت مصالح الرأسمالية الوطنية ، بشرط ألا تتحول الى رأسمالية طفيلية غير منتجة أو كبيرة تضل الى درجة الاحتكار — لأنه بدون هذا نكون وكأننا لانرى حقيقة المرحلة التي نمر بها — فمن حق الرأسمالية الوطنية أن تنمو دون أن تصسبح رأسمالية احتكارية مستغلة تهدد استمرار التطور على الطريق نحو الاشتراكية .

٣ — الاعتراف من ناحية بالاختلافات والتناقضات الاجتماعية بين قوى التحالف المكونة للاتحاد الاشتراكي — والاتفاق من ناحية أخرى على أن الأسلوب لمعالجة هذه الاختلافات والتناقضات ، هو الأسلوب السلمي لا أسلوب العنف ، وذلك من خلال منسوخ ديموقراطي ، وباستخدام أقصى ما يمكن استيعابه من وسائل العالم والتكنولوجيا الحديثة .

٤ — تأكيد الوزن الخاص بالفلاحين بنسبة ٥٠٪ على الأقل ، وإذا كان هذا التأكيد يأتي ضمنا كميلا لاستمرار التطور نحو الاشتراكية فإنه يجب أن يكتسب بالترشيح السياسي وزنا نوعيا يمكنه من أن تكون ممارسته وإيمية ومدركة لمصالح الأمة ، وكل لا للمصالح الاقتصادية الضيقة فحسب .

رابعا : الاتحاد الاشتراكي يحتضن أفكار واتجاهات جميع القوى المعهالة وذلك بتنظيم الحوار فيما بينها ديمقراطيا وصولا الى الاتفاق على خطوة سياسية عملية واحدة يلتزم بها الجميع . ويتم على الاسس التي عرضتها وفي نفس الوقت يجب تحديد أهم المصالح الخاصة بكل قوة اجتماعية وترتيب أولوياتها بحيث لا تتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومي

والثقيف السياسي ، ويكون للنشرات مجلس تحرير مشترك . تشترك فيه مختلف أمانات الاتحاد الاشتراكي وذلك حتى يمكن عرض ما يتم انجازه داخل الاتحاد الاشتراكي خصوصا في العلاقات الخارجية ، وحتى تتوفر المادة الحقيقية التي يمكن من خلالها أن تعرضها أمانة الشؤون الخارجية في علاقاتها .

[د] مكتب الاتصال :

وتكون مهمته :

— الاتصال بالامانات النوعية ، اللجان الرئيسية للجنة المركزية .

— الاتصال بالمستويات التنظيمية عن طريق أمناء المحافظات .

— الاتصال بالمنظمات الجماهيرية والنقابية على أنواعها بواسطة لجان مشتركة .

— الاتصال بالجهاز التنفيذي عن طريق لجنة مشتركة من الجانبين .

— الاتصال بالهيئة البرلمانية عن طريق لجنة مشتركة من الجانبين .

ولضمان حيوية العمل وسرعة التحرك والمتابعة — يشكل « مجلس المكاتب » حيث تشكل اللجان السياسية مجلسا مشتركا للمكاتب ، من المسؤولين من المكاتب المختلفة .

وحتى تتوافر القيادة الجماعية للعمل في هذه المكاتب بخطة محددة يجتمع هذا المجلس دوريا ، ويختار مسئولا عن اللجنة السياسية من داخله — ويجتمع المكتب مع السكرتير الأول مرة كل أسبوع ويقدم له تقريرا شهريا بأعماله .

ولخدمة هذه المكاتب يلحق بها سكرتارية فنية وإدارية خاصة .

النقطة الثالثة في التقرير هي في الحقيقة محاولة لرصد القواعد الأساسية أو القواعد الرئيسية للدليل سياسيا وتنظيميا .

فالقواعد التنظيمية للدليل تحددها التقرير في خمسة نقاط هي :

أولا : أن الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم السياسي الوحيد في مصر . ومن هنا فإنه مسئول عن أن يؤثر المناخ ، والمنبر ، والأداة السياسية لكل القوى الاجتماعية ولجميع المواطنين الراغبين في ممارسة العمل السياسي دون استثناء .

ثانيا : أن الاتحاد الاشتراكي هو الضميمة

المشاركة في الاقتصاد الاشتراكي تعوق العمل السياسي .

وبالنسبة لنشاط الاتحاد الاشتراكي في الريف فالملاحظ أن العمل السياسي ينتهي عند لجنة المحافظة أو عند بعض أمناء الأقسام والبنادر ومن هنا تأتي أيضا أهمية المؤتمر الكادر الذي نقترحه - وأن علاج هذه المشكلة في رأي أنه يتطلب دعم الامكانيات المحلية بعناصر على درجة عالية من الكفاءة على أساس أن تكون هذه العناصر مختارة .. كذلك العمل على تخفيف العبء عن القيادات ، لأنه ليس من المعقول أن يكون هناك عضو في الاتحاد الاشتراكي لا يحرص على حضور الاجتماعات التي يدمى إليها ومن هنا تبرز أهمية الالتزام وأن هذا أيضا يدعو إلى ضرورة الاسراع في تربية مجموعات من الكوادر المتفرغة ذات التخصصات النومية المختلفة . وهذا في رأي أنه يبرز ضرورة بناء التنظيم الطليعي ، وكما قال السيد الرئيس وكما قال أيضا السيد السكرتير الاول للجنة المركزية فإنه لابد من وجود همود فقري للاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعي هو في الحقيقة همود الفقري الذي يقصد اليه كلا من السيد الرئيس والسيد السكرتير الاول على أساس أن يكون تشكيل وبناء هذا التنظيم علنا واشراك أعضائه في الاعمال والمهام التي تتطلبها طبيعة المرحلة التي نمر بها كالأعداد للمعركة .

هذه في الواقع هي أهم نقط في التقرير ، ثم ان التقرير يتعرض بعد ذلك الى كل من التنظيم النسبائي والتنظيم الشبائي ، وهما تنظيمان مستقلان ذاتيا لكل منهما كوادره ولجنته المركزية ويمثلان في نطاق المؤتمر القومي وداخل نطاق اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي .

• ايها السادة الزملاء ...

لا أريد أن أطيل عليكم ، ولكن هذه هي النقاط الأساسية التي يركز عليها التقرير . وشكرا .

• السكرتير الاول

نشكر السيد الاستاذ لطفى الخولي على هذا العرض ونستمع بعد ذلك الى عرض من السيد/ خالد محيي الدين للتقرير المقدم منه .

• خالد محيي الدين

في الواقع ... اعتقد ان الورقة المقدمة مئة

الشامل ، وبحيث لا يكون في تحقيق هذه المصالح انحراف عن طريق التطور نحو الاشتراكية بالطريق السلمي الديمقراطي .

خامسا : كذلك فاذا كان الاتحاد الاشتراكي هو الرأس المفكر في العمل السياسي الا أنه لا يجب أن يصادر الحركة الذاتية للنقابات والمنظمات الوطنية في مجالاتها الخاصة ، ولكنه في نفس الوقت لابد أن يرتبط بها ويعمل على تنسيق حركتها مع حركته من خلال أعضائه المشتركين في هذه النقابات ، ومن هنا جاء الاهتمام بلجان الرأي واللجان المعاونة للاتحاد الاشتراكي في الخارج .

لذلك فأنني اقترح للدليل قواعد تنظيمية من ست نقاط :

أولا : ضرورة أن تكون العضوية بالاختيار .

ثانيا : إلغاء العضوية المنتسبة فالانتساب يكون للحزب ولا يكون للحالف ونحن نقول أننا لسنا حزبا .

ثالثا : ضرورة الأخذ بمبدأ العضوية الجماعية للمنظمات والنقابات التعاونية والجهادية على أن تنتخب كل منظمة من هذه المنظمات ممثلها مع ضرورة الأخذ في الاعتبار ألا تقل نسبة العمل والفلاحين عن 50 في المئة .

رابعا : تقبل جميع العناصر في عضوية الاتحاد الاشتراكي بشرط قبولها لوثائق الثورة الأساسية والالتزام بالقانون الأساسي للاتحاد الاشتراكي .

خامسا : ضمانات منح العضوية وسحبها يجب أن تكون سياسية وتتمثل في الالتزام بمواثيق الثورة واتجاهاتها وقراراتها ، وقواعد القانون الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، وأن يؤكد القانون الأساسي الذي يجب ان يعدل على حصانة المناقشات في الاجتماعات التنظيمية ، وتنظيم اجراءات منح العضوية وسحبها .

سادسا : وفي الحقيقة ان النقطة السادسة ، تحاول أن تعالج الشكل الأساسي للتنظيم وهي تتمثل في عدم تواجد اللجان التنظيمية التي تجمع الخبرات المختلفة وتكثفها وتعممها ، ومن هنا تأتي أهمية مؤتمر الكادر الذي تقترحه والذي يمكن على أساسه أن يكون عدد كبير من العناصر التنظيمية المناضلة لمواجهة الموجة البيروقراطية في الاتحاد ، وهذه نقطة أساسية يجب أن نواجهها بصراحة وبشجاعة وانني قلت للسيد السكرتير الاول أن كميات الورق الموجودة في الاتحاد الاشتراكي وكميات القسوى البشرية

قد وزعت على حضراتكم ولذلك فأننى سوف
أتناول فى حديثى شرح جوهر الفكرة ..

فى الحقيقة ، لقد بدأت هذه الورقة بموضوع
إعادة تنظيم العمل فى الاتحاد الاشتراكى باعتبار
أن جو المعركة الذى نعيشه أو مرحلة الاعداد
لهذه المعركة الحتمية هى أنسب وقت لهذا العمل .
إن عملية إعادة تنظيم أسلوب العمل فى الاتحاد
الاشتراكى يجب أن تتبع فى فكرتها من الواقعية .

الفكرة الثانية هى أنه يقوم على أساس قبول
مبدأ التحالف وهذه هى نقطة الانطلاق التى عرفت
منها الهدف من التحرك لإصلاح بعض أوجه
القصور فى الاتحاد الاشتراكى .. ومن هذه
الفكرة ، فقد وافقت على أنه تحالف ، كذلك فإن
هناك قضايا تلتقى فيها القوى المتحالفة وقضايا
أخرى تختلف فيها هذه القوى المتحالفة وعلى
أساس هذه النقاط تتحدد قوى التحالف ، وأننى
ذكرت عدة نقاط على سبيل المثال نابعة من
اعتبار أن الاتحاد الاشتراكى هو تحالف يضم قوى
الشعب العاملة ، وليس حزبا ، وهو ما جاء
بالوثيقة التى قدمها السيد السكرتير الأول .

من هذه النقاط كيف نجعل من الاتحاد الاشتراكى
تحالفا للقوى وليس تحالفا للأفراد ؟ فى الحقيقة
لقد أخذت هذا من تجاربى الخاصة وتجارب أشخاص
آخرين وتجارب البلاد الأخرى ، فقد لاحظت أن
العلاقة تنتهى بهذا الشكل القائم بين التنظيم السياسى
وبين الجماهير فى حين أن العلاقة موجودة فى
النقابات المهنية ، والمفروض أن يكون الاتحاد
الاشتراكى قويا بقوة هذه الحركة الموجودة ولذلك
فأننى أقترح أن تكون العضوية .. عضوية من
نوعين عضوية فى محل السكن وعضوية فى
المنظمات أو النقابات وأقترح كذلك أن تمثل هذه
المنظمات فى لجنة المحافظة وفى اللجنة المركزية
بنسبة الثلث .

أما السبب فى أن يكون هناك نوعان من
العضوية فهو لأن بعض الناس منضمون إلى
منظمات والبعض الآخر غير منضمين إلى هذه
المنظمات ونحن نفترض دائما وباستمرار أن
للجانب المنضم إلى المنظمات حقوق كما أن للجانب
غير المنضم حقوقا أخرى كذلك ، وهذه فى الحقيقة
موجودة فى كثير من البلاد ، مثل بلغاريا
ويوغوسلافيا والمانيا الديمقراطية ، هذا مع عدم
الاخلال بنسبة الخمسين فى المائة الخاصة
بالعمال والفلاحين .

النقطة الثانية .. هى إتاحة حرية التعبير

وفى الواقع أننى قدمت بديلا لـ « يسمى
بالتنظيم السياسى فأننا نسميه » النوادى
السياسية » والهدف من النوادى السياسية هو
تجميع ذوى الراى الواحد لإبداء آرائهم والتعبير
عن وجهة نظرهم فى القضايا الوطنية . وفى
الواقع أننى لم أقترح كيف يمكن أن تكون هذه
النوادى السياسية ولكن عندما تقبلون سيادتكم
فكرة النوادى السياسية فأننى أقدم بورقة أخرى
تشمل كيف يمكن أن تكون هذه النوادى وكيف
يمكن أن تكون منضبطة ، وهذا يستتبع بالتبعية
موضوع الصحافة فإن هذه النوادى يصبح من
حقها أن تقوم بعمل نشرات دورية توزع باذن
بطريقة معينة .

النقطة الثالثة .. أنه مهما اتينا بالعمل إلى
هنا ومهما اتينا أيضا بالمنظمات الجماهيرية فلا
يمكن أن نفعل شيئا إلا إذا كنا نسير داخل الاتحاد
الاشتراكى فى الجو الديمقراطى .. لذلك فقد
أوضحت فى المذكرة المقدمة منى ضرورة إلغاء
كافة القوانين التى تجعل هناك قيودا على حرية
الناس بإصدار كافة الحقوق التى نص عليها
دستورنا الدائم والغناء القوانين المقيدة التى
صدرت قبل الثورة أو التى صدرت بعد الثورة
فى ظروف خاصة .

يستتبع ذلك بالتبعية حق المواطنين فى
دراسة القضايا الوطنية التى تمس مصير وطنهم
وحثهم فى التعبير عن آرائهم وعن وجهات
نظرهم بالنسبة لهذه القضايا .

وفى الحقيقة أننى ذكرت فى التقرير أننا
ننفل بعملية معينة ، ومثل هذه القضايا هى
التي يمكن أن تجمع اللجان لأنها النطاق الذى
يمكن أن تلتقى فيه الأحزاب ، وفى لبنان تجد
هناك لقاء مثلا على تطبيق قرارات الأمم المتحدة .

أننا نريد أن نجعل الاتحاد الاشتراكى تحالفا
يعبر عن تيارات مختلفة فى إطار ما هو مسموح
به فى المواثيق المعروفة .

وبالنسبة لموضوع العضوية .. فأننى أرى
أنه لا يجب أن تكون العضوية إجبارية وبهذه
المناسبة فهناك قضية يجب أن تراعى ، هى أنه
إذا ما أريد أن يرشح فى موقع القيادة لبعض
الأمور الحساسة فإنه يشترط لهذه القيادة
أن تكون مشتركة فى الاتحاد الاشتراكى ، فمثلا
عضو مجلس الشعب لا يمكن أن يصبح عضوا
به إلا إذا كان عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ،
وفى الحقيقة أن مثل هذا الموضوع أثير بالنسبة

أن وجدت والمسؤولين عن الخدمات ومجالس القرى بتدعيم قدرات القيادات بالقرية على تبني مشاكلها ، واحداث التغيير المطلوب في أسلوب عمل لجان الاتحاد الاشتراكي .

ولذلك فأننى اقترح أن يكون هناك نوع من الربط باستمرار في لقاءات جماهيرية سواء كان في البندر أو في القسم أو في المحافظة .

وبالنسبة للنقابات ودورها كمؤسسات مساعدة للتنظيم السياسى فان هذه النقابات يمكن أن تمارس دورها على كافة مستويات التنظيم السياسى وفى كافة المحافظات وان ذلك يمكن النقابات من ابداء رأيها فيما يحقق مصالح اعضائها من فئات التحالف أو فى تعارض مصالحها لتؤكد صورة التحالف . ويمكن بهذا أيضا أن نستفيد من الخبرات الموجودة فى النقابات المختلفة خصوصا النقابات المهنية وما يمثّلها من التنظيمات ، خاصة الخبرات الفنية التى يريدها الاتحاد الاشتراكي ، وهى فى هذه الحالة تقوم بتوعين من الربط فهى تعبر عن مصالحها وتعبر عما يمكن أن يكون لها من رأى داخل الاتحاد ، وايضا يمكن للاتحاد أن يستشيرها ويعرف رأيها فيما يعنى له من رأى خصوصا وأن الاتحاد أساسا مفروض أن يعرض جميع البرامج التى يتبناها على لجانه المختلفة ويجب أن يكون الرأى الفنى موجودا باستمرار داخل الاتحاد الاشتراكي .

بالنسبة لموضوع العضوية فنحن الان نحتم عضوية الاتحاد الاشتراكي لاي ترشيح فى النقابات المختلفة ، وهذا فى الواقع قضية يمكن أن تثير بعض المتاعب فى الاتحادات الدولية ، وأرى أن يكون العكس هو الاصح ، بمعنى أن عضوية النقابات والتنظيمات المختلفة سواء كانت تعاونية أم غيرها تكون وسيلة لان يكون هناك سبيل للترقية لعضوية الاتحاد الاشتراكي . وتصورنا أن يكون هناك عضوية عامة للانساب ، بمعنى أن كل من ينطوى تحت نقابات أو تنظيمات أو تعاونيات هم فى الواقع اعضاء منتسبين فى هذا التحالف الكبير ، فاذا أردنا للفرد فى التنظيم السياسى أن يأخذ دورا اكبر وينطوى تحت الطليعة القيادية الموجودة فى قلب هذا التحالف فيجب أن يكون هناك تركبة من نقابته أو من تعاونياته على أن هذا الشخص أدى دوره فى التنظيم التابع له وأنه يمكن أن يؤدي دورا فى التنظيم السياسى ، أى عكس ما هو معمول به الان لان هذا الشخص الذى يقدم على عضوية الاتحاد مختارا وفى نفس

لانتخابات مجلس الشعب وقال السيد الرئيس ان هؤلاء اشخاص منتخبون من جموع الجماهير فقالوا ان هذا الشرط لقبول الترشيح وليس خاصا بالعضوية .

أما بالنسبة للتفاصيل الخاصة بالتطبيق فانه يمكننى ان احدثها اذا ما وافقتم سيادتكم على هذا التقرير . وشكرا .

● السكرتير الاول

شكرا للسيد / خالد محيى الدين على هذا العرض .

والان نستمع الى عرض السيد / ابراهيم شكرى .

● المهندس ابراهيم شكرى

فى الواقع أن أساس الورقة التى أقدمها هو فكرة أن التحالف هو الذى يمثل الصورة الصحيحة بحق ، لاننا فى الحقيقة دائما وباستمرار نحاول أن نبحث عن مضمون التحالف الذى نتصوره فى أنه تحالف يمثل وحدة القوى العاملة .. وأنه مع ذلك يحتوى على تناقضات ويرغم أن هذا التحالف به تناقضات الا أنه يمكن باستمرار بحث هذه التناقضات عن طريق القوى الموجودة بداخله من نقابات عمالية أو مهنية ، وهذه النقابات فى الحقيقة هى المسئولة عن بلورة مصالح اعضائها وتناقضاتها ، لذلك يجب الاسراع فى تشكيل نقابات أو منظمات لكل الفئات التى ليس لها منظمات مثل الحرفيين وبعض المهنيين كالتجارىين والراسمالية الوطنية .. الخ .

كذلك فقد وجدنا انه من خلال الممارسة ضرورة الربط بين لجنة الاتحاد الاشتراكي وبين اللجنة النقابية الفرعية للمنشأة ومجلس الادارة .. وأنه لابد من أن يتم الربط بينهما على مستوى لجنة القسم أو المركز أو المحافظة بين اللجان النقابية العامة وبين لجنة الاتحاد الاشتراكي كما تم ذلك فعلا بالنسبة للجان المعركة حيث ضمت اليها القيادات العمالية والمهنية والتعاونية على المستويات المختلفة لاكساب تلك اللجان الفاعلية المطلوبة منها .

وبالنسبة للقرية فانه يمكن أن يتم الربط بين مجالس الجمعيات التعاونية الزراعية واللجان النقابية على مستوى القرية للعمال الزراعيين

الوقت يزكى من تنظيماته ، فإن هذا يؤدي هدفين :

- أن تحالف قوى الشعب هو الذى يقدمه .
- أنه هو الذى تقدم اختياريا ويزكى عن طريق عمله السابق .

وبذلك نحقق قول الميثاق أن نمو الحركة التعاونية والنقابية معين لا ينضب للسيادات الواعية التى تلمس باصابعها مباشرة اعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها .

أذن كان المقصود باستمرار ان التعاونيات والتنظيمات النقابية تكون وعاء يمكن أن يمد للاتحاد الاشتراكي وتنظيمه السياسى بالعناصر القيادية ، وما حدث هو العكس اننا فرضنا العضوية فى كل عمل نقابى وكل عمل مهنى بحيث أن هذه العضوية فقدت مضمونها من حيث ماهو الفرق بين شخص يريد فعلا أن يقوم بدور ويتقدم بعمل تطوعى عن شخص مفروضة عليه هذه العضوية ويحمل هذه العضوية لكى يؤدي دوره فى نقابته أو فى تنظيمه .

بجانب هذا فقد تصورنا ان هذا التحالف الكبير لا يمكن أن تكون له فاعلية فعلا إلا اذا كان يوجد تنظيم طليعى بداخله ، فلابد من وجود هذا التنظيم الطليعى الذى أشار اليه السيد الرئيس فى برنامج العمل الوطنى وقدم له فى هذه نقاط وتصور أنه من الضروري أن يقوم هذا التنظيم ، وأن يكون علينا وأن تكون عضويته فعلا سبيلا لظهور مدى كفاءة هذا العضو وأن يكون تكوينه على أسس يعرفها الكل ، ويعرفون السبب فى اختيار أى عضو فى التنظيم الطليعى .

أن هذا التنظيم ضرورى ولا يمكن أن يكون هناك عمل فعلى فى هذا التحالف الواسع الكبير إلا اذا كان بداخله هذا التنظيم .

بالنسبة للاتحاد الاشتراكي والسلطة ، فقد تناولتها هذه الورقة فى بعض النواحي ، فقد ورد فى الدستور أنه يؤكد أن الاتحاد الاشتراكي العربى سلطة تحالف قوى الشعب العاملة عن طريق العمل السياسى الذى تباشره تنظيماته بين الجماهير وفى مختلف الأجهزة التى تضطلع بمسؤوليات العمل الوطنى ، فإذا كان المبدأ الدستورى أن السيادة للشعب وحده وهو مصدر السلطات ويحمى الشعب هذه السيادة ، وأن الاتحاد الاشتراكي العربى يؤكد سلطة تحالف

قوى الشعب العاملة فإنه بذلك يمثل أعلى سلطة فى الدولة وبالتالي فهو مصدر السلطات والواقع فعلا أن الاتحاد الاشتراكي يمثل السلطة ويمكن أن نلصق عدة نقاط فى هذا التقرير .

الصورة الاولى ان رئيس الدولة هو رئيس الاتحاد الاشتراكي العربى .

الصورة الثانية بالنسبة للسلطة التنفيذية ، فقد أخذنا مبدأ أن اللجنة المركزية هى التى يعرض عليها اختيار اسم رئيس الحكومة لكى توافق عليه ، أذن هى بهذا تشارك فى اختيار من يقوم بقيادة السلطة التنفيذية ممثلة فى الوزارة .

• السكرتير الاول

هل تريد أن تقوم اللجنة المركزية باختيار الوزراء ؟

• المهندس ابراهيم شكرى

لا ، ولكنى أقول مبدأ أن يسمى رئيس الوزراء فى اللجنة المركزية وتوافق عليه فأنها فى الواقع تشارك فى اختياره ، أى أن الاتحاد الاشتراكي أيضا بالنسبة لهذه الناحية مشترك فى اختيار رئيس الوزراء .

وحتى بالنسبة للسلطة القضائية وهى إحدى السلطات بدأنا نأخذ بأن يكون هناك نظام قضائى يشترك فيه الاتحاد الاشتراكي باختيار عناصر شعبية تشارك فى القضاء .

بالنسبة للسلطة التشريعية فإنه لا يجوز الترشيح لمجلس الشعب إلا اذا كان المرشح عضوا عاملا فى الاتحاد الاشتراكي .

وبالنسبة للصحافة — وأنا اعتبرها سلطة رابعة — فالمفروض أن الصحافة مملوكة للاتحاد الاشتراكي .

أذن فإن الاتحاد الاشتراكي ممثل فى كل نواحي السلطات بل هو الذى يسميها بل يعتبر أنه لا يمكن أن يكون هناك تصور لهذه السلطات دون رأيه .

كل هذا يؤكد أن مصدر جميع السلطات هو الاتحاد الاشتراكي ، ولكنه محظور فعلا أن يتحول الاتحاد الاشتراكي إلى سلطة تنفيذية ،

وقد انتهينا من هذا التصور ، وانه بالرغم من انه سلطة ، الا اننا لا نريد ان يتحول الى سلطة تنفيذية .

وبالنسبة لتخصصي في امانة المهنيين فان هناك نقطة اخرى خاصة بعلاقة الاتحاد الاشتراكي بالنقابات العمالية والمهنية ، فأتصور الاتي :

١ - ان التنظيمات الشعبية وخصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية تستطيع ان تقوم بدور مؤثر وفعال في التمكين للديمقراطية السليمة .

٢ - ان القيادة الجماعية والقيادة السليمة تقوم على الاحساس الكامل بمطالب جماهير الشعب والتعبير عنها والعمل على حلها .

٣ - كذلك فقد جاء في تقرير اصدار الميثاق :

« وطبيعي ان يكون الاتحاد الاشتراكي العربي اطارا يجمع في داخله كل فئات الشعب وتنظيماته المختلفة ، وترتبطا على ذلك فان التنظيمات النقابية يجب ان يكون تشكيلها في اطار هذا الاتحاد الاشتراكي العربي . »

هذا ما جاء في تقرير الميثاق ، وقد دار كلام كثير حول دور النقابات وصلتها بالاتحاد الاشتراكي ، هل هي تنظيمات مساعدة ، هل هي تنظيمات استشارية ، كل هذه التعبيرات جاءت انما في الواقع ان الميثاق وفي تقرير الميثاق جاءت عبارات محددة لدور النقابات وهي كالآتي :

- طبيعي ان يكون الاتحاد الاشتراكي العربي اطارا يجمع في داخله كل فئات الشعب وتنظيماته المختلفة .

• اي تصور انه اطار يجمع في داخله جميع فئات الشعب وتنظيماته المختلفة ، وترتبطا على ذلك فان التنظيمات النقابية يجب ان يكون تشكيلها في اطار هذا الاتحاد الاشتراكي العربي .

- لان هذا التصور الذي جاء في تقرير الميثاق يجعل ان هذه النقابات والتنظيمات هي في داخل وهي صميم الاتحاد الاشتراكي العربي ، وليست تنظيمات مساعدة او استشارية ابدا ، ومن هنا نشأت فكرة الربط بين الاتحاد الاشتراكي والتنظيمات النقابية المختلفة على اعتبار انهما

فمع انه في الحقيقة سلطة الا اننا لا نريد ان يتحول الى سلطة تنفيذية ، ولكن سلطاته تكمن فعلا وعملا في تذييه لحقوق الجماهير ، وفي توجيه السلطة التنفيذية ، وفي متابعة اعمالها وفي ضمان نقل سلطة الدولة الى الجماهير عن طريق المجالس الشعبية نقلا فعليا ، وان تكون هذه الجماهير مرتبطة بقواعدها ملتصقة باهدافها وآمالها عاملة على تحقيقها مع ضمان ديمقراطية العمل في جميع مؤسسات الدولة والحفاظ على ان يتم العمل من خلال المؤسسات وليس من خلال افراد تحقيقا لجماعية القيادة ، وبالتالي فان سلطاته تعتبر كالآتي :

١ - تشكيل المجالس المتخصصة على المستوى القومي سياسيا وفنيا لكي تساعد على الحكم ، فانه الى جانب مجلس الدفاع القومي لابد من مجلس اقتصادي قومي يضم شعبا للتعليم والصحة وغيرهما مما يتصل بالخدمات ومجلس ثقافي قومي يضم شعبا للفنون والاداب والاعلام .

٢ - تشكيل المجالس الشعبية في المحافظات بالانتخاب الحر المباشر والتي يجب ان تتأكد سلطاته باستمرار فوق سلطة أجهزة الدولة التنفيذية .

٣ - العمل على ان ينقل الحكم المحلي سلطة الدولة وتدرجيا الى أيدي السلطات الشعبية لانها اقدر على الاحساس بمشاكل الشعب واقدر على حلها .

٤ - تجميع احتياجات الجماهير ومطالبها وضمان وضعها في خطة العمل الوطني مع اتاحة فرصة الشعب الكاملة للاشتراك في وضع الخطة ومناقشتها تأكيدا لسيادته مع اثارة حماس الجماهير لتنفيذ الخطة بعد ذلك .

٥ - موقعه المتميز من السلطات الاخرى يجعله مصدرها طالما حازت هي على ثقته وثقة الجماهير ولا سبيل الى قيامها اذا فقدت ثقة الجماهير التي يمثلها .

٦ - انه جهاز للشعب ولكنه لصيق بالسلطة مما يجعل الاتحاد الاشتراكي موضع مساهلة الجماهير المستمرة عن مطالبها العاجلة او الاجلة لقدرته على حسمها مع السلطة التنفيذية بما له من وسائل سبق ذكرها وهذا يضع عليه عبئا اساسيا بان يخطط لمشاكل الجماهير واحتياجاتها في اطار زمني ويتابع التنفيذ ليضمن سلامة التطبيق .

تمثل تجمعا ضخما لفئات الشعب ومن خلالها يمكن أن يدور الحوار حول مطالب الجماهير واحتياجاتها .

٤ - كما أن تشكيل النقابات والذي يقوم على أساس من الاختيار الحر مع اتباعها أسلوب جماعية القيادة في إطار ديمقراطي يجعلها قادرة على تجميع صفوف أعضائها والتعرف على حلول مشاكلهم .

٥ - تمثيل فئات الشعب في الاتحاد الاشتراكي العربي. يضمن نصف المقاعد للعمال والفلاحين حقيقة ولكنه لا يضمن تمثيل جميع نوعيات العمال والفلاحين أو المثقفين والرأسمالية الوطنية حيث يمكن أن تكون مشاكل كل نوعية مختلفة عن نوعية أخرى مما يجعل تمثيل النقابات النوعية يعوض هذا القصور والتمثيل .

وفي الحقيقة فهو يضمن نسبة ٥٠٪ من المقاعد للعمال والفلاحين إلا أنه بالرغم من ذلك فقد تغيب بعض النوعيات وبعض الفئات عن هذا التمثيل ، وإذا تصورنا على سبيل المثال العمال الزراعيين أو ما نسميهم عمال التراحيل أو نقابات عمال الزراعة ، يمكن ألا يتناسب عددهم لاء العمال الكبير مع عدد التعاونيين المنضمين تحت التعاونيات الزراعية ، بالإضافة إلى أن التعبير عن كلمة فلاحين تتسع حتى تشمل من يملك عشرة أفدنة ، ويمكن أن يتوه تشكيل قطاع كبير من العمال الزراعيين الذي أراد الميثاق وأرادت الثورة أن تجعل لهم مكانا ، وضمانا لوجودهم يمكن أن يكون تمثيلهم عن طريق تنظيمات النقابات الزراعية بطريقة أو بأخرى .

وأيا بالنسبة للحرفيين الذين يجب علينا تنظيمهم ، فمن المحتمل جدا أن جزءا من الحرفيين كعدد لا يمكن أن يصل إلى المستويات التي تستطيع عرض وجهة نظرهم إذا تركنا هذا للتمثيل العام .

أما إذا كان هناك نوع من التعاون بين التنظيمات النقابية المختلفة وبين تنظيم الاتحاد الاشتراكي فيمكن أن نضمن أن هؤلاء سيكون لهم الفرصة الكاملة في التعبير عن رأيهم داخل إطار التحالف الكبير ، ولذلك فإننا نقترح عدة أساليب بعضها جاء في حديث الأخ خالد وبعضها جاء في حديث سابق وتتلخص في :

١ - طالما أن النقابات تمثل هيئات استشارية للاتحاد الاشتراكي العربي فإنه يمكن تشكيل

مجلس استشاري من عدد من أعضاء مجالس النقابات العمالية والزراعية والمهنية يعاون اللجنة المركزية ويمدها برأيه في الموضوعات التي تبحثها .

٢ - يمكن أن يتبع الأسلوب الذي اتبع في تمثيل الوزراء والمحافظين وأمناء المحافظات الغير أعضاء باللجنة المركزية يضمهم إليها وذلك بضم النقباء لعضوية اللجنة المركزية .

٣ - يمكن ضم النقباء أو سكرتيرى النقابات المختلفة إلى الأمانة المختصة التي تمثل هذه النقابات مثل ضم رؤساء النقابات العمالية إلى أمانة العمال والتنظيمات الزراعية ورؤساء الاتحادات التعاونية الزراعية إلى أمانة الفلاحين والنقابات المهنية إلى أمانة المهنيين .

٤ - يمكن تكوين جمعية عمومية من مجالس إدارة النقابات للأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي برئاسة السكرتير الأول وعضوية أعضاء الأمانة العامة تجتمع لأخذ رأيها فيما يعرض على اللجنة المركزية من أحداث سياسية هامة أو لمناقشة الخطة .

٥ - يمكن اتخاذ أكثر من أسلوب من الأساليب المذكورة ، والواقع ونحن نحاول أن نناقش بعض الأفكار لا أريد أن نرتبط بصورة معينة ، والطريقة العملية قد تفضل صورة عن صورة ، إنما يجب أن نأخذ شيئا من هذا البحث يمكن أن يكون تحالف قوى الشعب موجودة فعلا باستمرار ، وتكون هناك حيوية في هذا التنظيم الذي نريد أن يعبر باستمرار عن مصالح هذه الجماهير .

النقطة الأخيرة التي نبحثها في هذه الورقة هي عضوية الاتحاد الاشتراكي فإن لدينا صورتين هما :

- أن تفتح العضوية على أكبر تصور ممكن وهو ما يحدث الآن وفي نفس الوقت فإن هذه العضوية الواسعة تفقد العمل وتفقد أهمية العضوية بحيث لم تكن النتيجة التي حصلنا عليها في السنوات الأخيرة لا تتناسب مع هذا الاتساع الكبير ، بالرغم من الصورة الموجودة فعلا بأن عدد أعضاء الاتحاد الاشتراكي خمسة أو ستة ملايين .

- ما أتصوره أن تكون هناك عضوية عامة يمكن أن تكون كعضوية منتسبة ، هذه العضوية المنتسبة يمكن أن يتمتع بها كل شخص منتظم في

اثر بين القاعدة العريضة التي يمثلها ، وقد اكدت هذا التصور لان بداية نشأة التنظيم اساسا تتبع من القاعدة التي صعدت كل هؤلاء الاعضاء ووصلت بهم الى قمة التنظيم ، لذلك لابد ان يكون كل الايجابية وكل العمل الجاد للقاعدة نفسها حتى تشعر الجماهير بفاعلية التنظيم ، واذا لم يكن هذا الاحساس متوقفا فالتنظيم كما ذكرت ليست له اية فاعلية .

اذا ما نظرنا الى التنظيم السياسي في شكله الحالي نجد ان جميع القواعد تشكو من التنظيم لانه متفوق ومغلق على نفسه وليست له اية ايجابية ، وكما ذكرت قبل ذلك فان هذا مرجعه الى الفراغ الموجود بين التنظيم السياسي نفسه وبين التنظيمات المساعدة وبين الاجهزة التنفيذية ، لان التنظيم له ان يقود وان يوجه وان يشرف وان يراقب ، لكن نتائج هذا كله ترتبط بالتنظيمات الاخرى ومدى تجاوبها مع هذا التنظيم ، وترتبط بالجهاز التنفيذي ومدى استجابته لقرارات التنظيم ، اذا لم يكن هناك تجاوب واستجابة فان التنظيم يدور في مكانه وهذا سبب كبير جدا من اسباب فقدان الثقة ما بين الجماهير وبين التنظيم .

ولهذا فقد اقترحت في تصوري ان تكون لجنة القرية لجنة موسعة تضم كل القيادات التنفيذية والنوعية التي تمثل النقابات والتعاونيات ، كما اقترحت ان تكون لجنة العشرة ليست هي عشرة افراد فقط لان هذه اللجنة لا يمكنها ان تكون من الاحوال ان تمثل الجبهة العريضة التي انتخبها .

فمن بين الوحدات ما يبلغ عدد اعضائها عشرة آلاف نسمة ، ولهذا فلا يمكن ان يمثل عشرة اعضاء هذا العدد ، لان المشاكل كسرة متجددة يوميا لاننا في مرحلة التحول وهذه المرحلة تفرض علينا اعباء كبيرة وجديدة يوميا ، واذا لم يكن هناك حل للمشاكل فانها تتراكم وينظر للتنظيم على انه تنظيم غير ذي فاعلية .

ان لجنة القرية لابد ان يكون حجمها اكر من ذلك ، واذا ما بحثنا عما هي الخدمات التي تهم الفلاح في القرية ، وما هي مشاكله التي يطالب بحلها والتي يتردد دائما على التنظيم السياسي من اجل حلها ، نجد ان هذه الخدمات هي الجمعية التعاونية والمدرسية والوحدة الصحية والوحدة الاجتماعية ومجلس القرية ، وجميع المنشآت التي ترتبط مصالحه بها .

ايضا العامل في موقعه في الحي او في المكان الذي يقيم فيه في المدينة له خدمات تؤدي

اي تنظيم يكون تحالف قوى الشعب ايا كان هذا التنظيم ، فيمكن ان يكون في النقابات العمالية او نقابات العمال الزراعية والتعاونيات الزراعية والنقابات المهنية ، ويمكن ان يكون في الجمعيات التي تقوم بدور اجتماعي ، كالجمعيات الخيرية او الانشطة المختلفة للشباب ، فكل هؤلاء يمكن ان يكون لهم صفة الانتساب في الاتحاد الاشتراكي العربي كتحالف كبير .

ثم يأتي الدور الاخر وهو دور الطليعة والتنظيم السياسي الذي سيقود هذه التنظيمات كلها ، فيمكن ان يزكوا عن طريق هذه التنظيمات ويكتسبوا العضوية العاملة بطريقة محددة بان يتقدم العضو بطلب العضوية العاملة فيزكى من الجهة التي يعمل فيها عن العمل الذي يمكن ان ينسب اليه ليشترط به العضوية العاملة ، وفي نفس الوقت تكون هناك لجنة يمكن ان تبحث ظروف كل عضو يتقدم ، ويمكن بهذا ان تكون الاتحاد الاشتراكي ، ونجمع بين صورتين ، الصورة الواسعة الكبيرة وانه يجمع اعضاء منتسبين عددهم كذا وهو تحالف قوى الشعب ثم عدد اصغر بكثير جاء طواعية وتقدم فزكى ، ويمكن لهذا الجزء الاصغر ان تكون له الفاعلية الكافية لقيادة التحالف الكبير .

هذه نقط اساسية وسوف توزع الورقة التي تقدمت بها على السادة الاعضاء .
وشكر .

● محمد مهدي شومان

الواقع ان الصيغة الملائمة لتنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي هي تحالف قوى الشعب العاملة ، فالتنظيم السياسي ليس حزبا وانما هو تحالف لمجموع هذه القوى ، وقد اتناول الموضوع من جزئية بسيطة وليس في الشكل العام كما تحدث السادة الزملاء ، هذه الجزئية هي التي نعيش فيها الان وهي القاعدة نفسها .

ان كل تصوري كان ينصب على التنظيم السياسي في القاعدة نفسها ، لانني اشعر ان التنظيم السياسي اذا نجح في قواعده ، نجح التنظيم في كامل مستوياته ، واذا لم ينجح التنظيم السياسي في المستوى القاعدي فلن يكون هناك نجاح للتنظيم مهما كانت مستوياته وقوة اعضائه .

اذا ما اخذنا تصورا للقرية وشكل التنظيم السياسي فيها حاليا نجد انه تنظيم ليس له اي

له ، وارتباطه بالتنظيم السياسى لابد ان يحل له مشاكله فى داخل هذه الخدمات ، كيف تربط بين قيادات هذه الاجهزة وبين التنظيم السياسى ، خاصة وان عدم الربط بين هذه الاجهزة والتنظيم السياسى كان سببا كبيرا جدا من اسباب عدم فاعلية التنظيم السياسى .

اعتقد انه لابد ان تضم جميع هذه القيادات الى لجنة العشرة فى القرية ، بمعنى ان تضم رئيس الجمعية التعاونية الزراعية ، ورئيس مجلس القرية وناظر المدرسة ، ودكتور الوحدة الصحية ، وجميع القيادات الممثلين للنقابات ، ويمكن ان ينضم رئيس اللجنة النقابية لعمال الزراعة او بالنسبة للعمال ، كل هؤلاء ينضمون الى لجنة القرية ، مع الاحتفاظ فى التصويت بنسبة الـ ٥٠٪ للعمال والفلاحين فى لجنة العشرة ، لان اللجنة ستزيد عليها نوعيات اخرى لذلك لابد فى التصويت ان يحتفظ بنسبة لجنة العشرة فقط لانها تحتفظ بنسبة الـ ٥٠٪ .

اذا امكن ان نضم كل هؤلاء للجنة العشرة نشارك معا فى مناقشة الخطط النوعية الموجودة للوحدة الصحية والمدرسة ومجلس القرية ، كل هذه الخطط لابد ان تكون فى التنظيم السياسى فى لجنة العشرة ، وتناقش فيها حتى نخرج بخطة موحدة ونلتزم جميعا بتنفيذها ، واعتقد ان هذا هو الاسلوب الذى يربط الاتحاد الاشتراكي بالاجهزة التنفيذية ويربط ايضا معنا التنظيمات المساعدة الموجودة على مستوى الوحدة نفسها . هذا الربط يؤكد فاعلية التنظيم ، لاننا عندما نجد ان هناك جهازا من الاجهزة التنفيذية لم يؤد دوره فى اى موضوع من الموضوعات التى درسناها واتفقتنا عليها ، فى هذه الحالة نجتمع جميعا ونحاسب هذا الجهاز ونرده الى الخط الصحيح .

لقد اقترحت فى تشكيل هذه اللجنة ان تشكل من اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكي على مستوى القرية مع ضم رئيس مجلس ادارة الجمعية التعاونية الزراعية بالقرية ورئيس نقابة عمال الزراعة ورئيس المجلس القروى والمشرف الزراعى وطبيب الوحدة وناظر المدرسة وامام المسجد وعضوين من العناصر النشطة الواعية من الشباب ، وعنصر نسائي .

على ان يكون امين لجنة الوحدة الاساسية هو امين اللجنة القيادية ، ومن داخل هذه اللجنة الموسعة يشكل مكتب تنفيذى من ثلاثة اعضاء يتناوبون العمل اليومى فى هذا المكتب ، ولابد ان يكون للوحدة الاساسية مقر دائم وموجود

اذ لا أتصور ان لا يكون لاي وحدة من الوحدات مقر وتجتمع فى فصل من فصول المدرسة ، واذا كانت المدرسة مشغولة بالعمل فلا تجتمع الوحدة الاساسية لعدم وجود مكان لها فى القرية ، لذلك فلابد من وجود هذا المقر الذى يعمل من داخله المكتب التنفيذى ويتناوب العمل فيه الاعضاء الثلاثة السابق ذكرهم ، فيتلقى هذا المكتب شكاوى الجماهير ويجمع كل مشاكلهم ويتعرض للعمل اليومى ، ويجتمع المكتب التنفيذى كل اسبوع ليناقد كل هذه الموضوعات ويعد جدول عمل اللجنة الموسعة التى تجتمع كل خمسة عشر يوما .

ويكون اعضاء اللجنة القيادية فيما بينهم لجان فرعية لكل قطاع من قطاعات الخدمات والانتاج فى القرية ، اى انه لابد ان تكون هناك لجان توعية من خلال اللجنة الموسعة ، لجنة للزراعة والتعاون ولجنة للصحة ولجنة للتربية والتعليم ، وكل هذه الخدمات لابد ان يكون لها لجان متنوعة ومنبثقة من اللجنة الموسعة .

وكما ذكرت ان المكتب التنفيذى يعقد اجتماعا كل اسبوع يستعرض فيه حركة العمل السياسى خلال الاسبوع ويقيم الايجابيات والسلبيات ، وتعد ايضا اللجنة القيادية اجتماعا كل خمسة عشر يوما تناقد فيه الموضوعات المعروضة عليها من المكتب التنفيذى ، ثم يعقد لقاء موسع مع جميع مجالس ادارات التنظيمات التعاونية والنقابية ومجالس القرى وغيرها من التنظيمات فى القرية كل شهر تدور فيه حلقة مناقشة تستعرض فيها مطالب ومشاكل الجماهير ، ثم يعقد لقاء مشترك بين اللجان القيادية والقرى ، ولجنة المركز لاستعراض انجازات ومطالب القرى .

لابد ايضا من توفير الامكانيات المساعدة للجنة مثل نفقات الانتقال او الاستقبال ، ولابد ان يكون للتنظيم كل ما يعينه ويساعده على حركة التنقل لحل مشاكل الجماهير ، وايضا لابد ان يتوفر الاثاث والادوات الكتابية .

هذا التشكيل على مستوى القرية واعتقد انه يمكن تطبيقه تماما على مستوى المركز ، اذ يوجد ايضا فى المركز مفتش الزراعة ومفتش الصحة والتموين وجميع الاجهزة ممثلة على مستوى المركز ، كما ان هناك لجنة الاتحاد الاشتراكي على مستوى المركز ، ويمكن ان تضم القيادات التنفيذية مع لجنة المركز مع القيادات النقابية ايضا على هذا المستوى ، وبفس اسلوب الذى يعمل على مستوى القرية يمكن ان يكون على مستوى المركز ، ويتم هذا بالتصعيد حتى نصل الى المستويات العليا .

أما المجلس التنفيذي وعلى رأسه محافظ الإقليم فقد اعتبرناهم أعضاء منضمين للجنة المحافظة يحضروا جلساتها ويشاركوا معنا خبرتهم في صنع القرار .

وتأكيدا لمعنى الانفتاح على الجماهير وضعنا أساسا جديدا لاجتماعات الهيئة البرلمانية بالمحافظة ، ذلك ، أن تجتمع الهيئة البرلمانية بحضور أمين المحافظة وفي اجتماع مفتوح كل أسبوعين يضم فئة من قوى الشعب العامل . . . التجار مرة ، والعمال مرة أخرى ، والفلاحين ثلاثة ليناقشوا معنا وبحضور المحافظ والأجهزة التنفيذية والمتصل عملها بهذه الفئة من قوى الشعب تناقش المشاكل والمقترحات في إطار سياسي .

وبالأمس القريب لم يكن قرار المجلس الشعبي عندنا بالغاء قرار وزارة الزراعة والمحافظة بحظر نقل وتداول محصول البطاطس إلا ثمرة لهذا الانفتاح على الجماهير وقد أحدث هذا القرار ارتياحا كاملا وتأييدا مطلقا لدى عشرات الآلاف من المزارعين .

• السكرتير الأول

لكن ليس لكم الحق في الغاء قرار وزارى . . .

• محمد حامد محمود

لقد نفذناه .

أما النقابات المهنية والغرفة التجارية والادباء والفنانين . . فقد اعتبرنا نقاباتهم لجانا معاونة داخل الاتحاد الاشتراكي تجتمع من داخله وتعطى بعملها وفننا زادا ، نستعين به في صنع قراراتنا ومن حسن الصدف أن المسئول عن هذه الأنشطة بالمحافظة هو رئيس شعبة النقابات المهنية هنا في الامانة العامة .

وبهذا نكون قد جمعنا في اعتقادنا بين الحسينيين والتنظيم الافقى والرأسى . وعلى مستوى البنادر والاقسام والمراكز اتبعنا ذات الشيء بربط كامل بين التنظيم السياسى والأجهزة التنفيذية وعضوى مجلس الشعب .

حتى في القرى ضممنا الى لجنة الوحدة ناظر المدرسة وطبيب الوحدة والمشرف الزراعى

ونظرا لانتشار مجالس القرى فقد أنشأنا مستوى جديدا في التنظيم يضم الامناء والامناء المساعدين للوحدات الواقعة في نطاق مجلس

اعتقد أن هذا الربط بين الأجهزة وبين التنظيم السياسى سيكون له أثره ويكون دفعة قوية للتنظيم السياسى والعمل السياسى في جميع المستويات المختلفة ، وبهذا يمكن أن نقضى على الفراغ القائم لان المشاركة في وضع الخطة وفي تنفيذها يختم انجاز كل قرارات التنظيم السياسى .

• السكرتير الاول

نشكر السيد مهدي شومان ويجب أن نهتم فعلا بما أشار اليه في شأن الاهتمام بالوحدة الاساسية .

• محمد حامد محمود

بسم الله الرحمن الرحيم . . . السيد السكرتير الاول . . . السادة الزملاء . . .

اسبحوا لي ان أعرض عليكم في عجالة قصيرة ، واقعا عمليا لما هو جار في محافظة البحيرة كتتنظيم سياسى ، حورنا في هيكله واسلوب عمله لغرض اسى ، هو الانفتاح على الجماهير ، ليكون الاتحاد الاشتراكي وفقا لمواثيق الثورة ولنص المادة الخامسة من الدستور ، سلطة تحالف قوى الشعب العاملة لتابعة العمل الوطنى في مختلف مجالاته ودفع هذا العمل الى أهدافه المرسومة ، محتضنا بين جناحيه السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية .

وبادىء ذى بدء يهمنى ان أوضح أساسا فكريا هو ان يكون تنظيمنا السياسى قائما على أسس من عقيدتنا الدينية ، وتراثنا الفكرى ، وواقع مجتمعنا المصرى ويترجم هذا في دليل فكرى يميز اشتراكييتنا المصرية المنبثقة من كل المعانى الانسانية الواردة في ديننا ، وعلى لجنة العمل أن تقنن هذا وتوضحه لتحيمه من انزلاقات فكرية قد ترمينا في أحضان يسار حاقد مغامر .

ومن هذا المنطلق بدأنا في البحيرة وعلى مستوى المحافظة بضم أعضاء مجلس الشعب واللجنة المركزية الى لجنة المحافظة وأصبح عليهم واجبات العضوية كاملة ولهم حق التصويت . . وبهذا ترتبط السلطة التشريعية ارتباطا عضويا بالاتحاد الاشتراكي ، ويكون نشاطها دائرا في فلكه ، ونوصى بضم أعضاء مجلس الشعب للمؤتمر القومى العام ، ومن جهة أخرى اعطينا لأعضاء مجلس الشعب واللجنة المركزية كامل حقوق أعضاء المجلس الشعبى بالمحافظة من سؤال واستجواب ومناقشة ، فحرصوا دائما على حضور جلساته وشاركوا في كل ما يدور بها .

القرية يرأسه أمين أكبر وحدة من هذه الوحدات ويضم رئيس مجلس القرية وأجهزته التنفيذية وفى هذا المستوى تصب المشاكل المصعدة من الوحدات لحلها أو لتصعيدها للمركز .

ومن هذا ترون حضراتكم أن التجربة التى نقوم بها فى محافظة البحيرة قد تستحق الدراسة لأن بها يحتضن تنظيمنا السياسى دون عقد أو حسابات أفكار القوى المتحالفة وينظم الحوار بينها دون مصادرة للحركة الذاتية للنقابات والاتحادات العمالية وتعاونيات الفلاحين .. بل ويمكن أن ينهض برسائله وتحقق أهدافه بمساعدة هذه التنظيمات ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

● السكرتير الاول

نرجو أن تطبع هذه الورقة وتوزع . ويقوم الآن السيد مسعد التماهى بعرض مشروعه .

● مسعد التماهى

وزعت على حضراتكم مذكرة لم أستطع أن أوجزها ، ولهذا فأتى أرجو أن نستعرض صفحاتها بإيجاز .

تعرضنا فى بداية المذكرة الى السلبيات التى تكلم عنها السيد السكرتير الاول ومنها أن بعض قيادات العمل السياسى كان لها تركيب ودافع اجتماعى جعلها غير مؤمنة فى داخلها بالخط الاشتراكى أو عاجزة عن استيعابه ، كما أن التنظيم السياسى ولد وهو يحمل بين طياته عوامل ضعفه ، وسيطرت مراكز القوى على التنظيم السياسى ، وانحرفت القيادات السياسية داخل الاتحاد الاشتراكى ، وضاع كل صوت للنقد الحر داخل التنظيم وبدأت عناصر طفيلية فى الظهور لتستفيد من جو النفاق الذى أحدثته مراكز القوى وتكونت داخل الاتحاد الاشتراكى طبقة عازلة حالت دون وصول مشاكل الجماهير .

ومن هذه السلبيات أيضا :

- عدم وجود كوادر ثورية داخل التنظيم .
- اضطراب العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وأجهزة السلطة التنفيذية .
- اتجاه الاتحاد الاشتراكى الى الاسلوب المكتبى .
- تعدد الاتجاهات الفكرية .
- انكماش ضمانات الديمقراطية .
- تعريف العامل والفلاح فتح الفرصة امام

عناصر غريبة من غير الفئتين لتتحم مواقع ليست من حقها .

— لم يستكمل الهيكل التنظيمى للاتحاد الاشتراكى .

— نشأ الخلط بين النقد المخلص والنشاط المعادى .

— تقاعس كثير من قيادات التنظيم عن التصدى للانحرافات .

— لجأت بعض القيادات الى أسلوب الاسكات بدلا من أسلوب الاقناع .

— عملت بعض القيادات بمفردها بتجاهلها الكفاءات الموجودة حولها .

— لم تعط الفرصة لبعض العناصر الوطنية لدخول الاتحاد الاشتراكى .

— واجه أعضاء الاتحاد الاشتراكى قيودا داخل التنظيم .

— عدم وضوح علاقات الاتحاد الاشتراكى بالتنظيمات المساعدة .

— عدم وجود نشرة داخلية .

— عدم وجود نشرة نظرية تفتح أبواب النقاش الفكرى .

— عجز الجهاز السياسى الذى انشأ داخل الاتحاد الاشتراكى عن القيام بدوره .

وقد تعرضت المذكرة الى لجنة العمل ومهمتها التى تنحصر فى أربعة دوائر رئيسية :

— اعادة النظر فى قانون الاتحاد الاشتراكى بطريقة جذرية .

— اعادة النظر فى البناء الداخلى للاتحاد الاشتراكى .

— تحديد علاقة التنظيم بالمؤسسات والأجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية والجماهيرية .

— اعداد دليل عمل فكرى وتنظيمى للاتحاد الاشتراكى .

وقد أكدت المذكرة ان الاتحاد الاشتراكى هو الصيغة الملائمة ، وأوردت مبررات هذا . ونحن نرى ان يكون الاتحاد الاشتراكى تنظيها سياسيا والا يكون معبرا عن مصالح طبقة أو فئة بعينها .. وهو بهذا لا يأخذ طابع الحزب ، لكنه يجب أن يتبع فى حركته أسلوب الحزب بخلق وحدة تنظيمية قوية تترابط بها مستوياته المختلفة ، كما أنه يجب أن يظل مبنيا فى أساسه على كونه مزيجا متكاملا من وحدات العمل | الوحدات الجماهيرية | والوحدات السكنية ..

وقد تعرضت المذكرة لعلاقة الاتحاد الاشتراكى بجهازه السياسى ، ونرى فى هذا أن الجهاز السياسى يتميز بطابع الطليعة الثورية ، وقد أكد

{ - يجب أن تقوم عملية التثقيف على أساسين : . الاول التمسك بأيدولوجية الاشتراكية العلمية . . وثانيا ربط المادة التثقيفية بالموقف النضالي والعمل المحدد .

وقد جرى العرف على أن عضو منظمة الشباب لا يزيد سنه على عشرين سنة على أن يكون هناك دائما التقاء هرمي .

كما تعرضت المذكرة لعلاقة الاتحاد الاشتراكي بالمنظمات بالاتحادات الطلابية عن طريق اشراك هذه الاتحادات في اللجان النقابية ، وكذلك علاقة الاتحاد الاشتراكي بالتنظيم النسائي وراينا أن التنظيم النسائي يعتبر تنظيما سياسيا له استقلاله وشكله الهرمي الموازي للاتحاد الاشتراكي . . ونكون نقطة الالتقاء معه عند قمة الهرم .

كما تناولت المذكرة علاقة التنظيم بالتنظيمات النقابية . . ونحن نعلم جميعا مفهوم عمل النقابة والتنظيم النقابي في المجتمع الاشتراكي .

وقد قارنت المذكرة اختصاصات لجنة الاتحاد الاشتراكي باللجنة النقابية ووجدنا الى حد ما أن هناك تداخلا في العمل فيما بينهما ، ويجب تحديد هذه العلاقة بحيث تكون واضحة ، ويجب أن تكون علاقة من جديد تظهر فيها الرابطة بين عضو الاتحاد الاشتراكي والعضو النقابي ، كما يلزم التنسيق بين الاهداف على مختلف المستويات بين التنظيمين حتى المستوى المركزي حيث امانة العمال ليتم الربط بين الاتحاد الاشتراكي والتنظيم النقابي ايا كانت صورته كالاتحاد العام والنقابات العامة المهنية والعمالية المحلية والعربية مع انشاء لجنة موسعة في امانة العمال تنظم العمل ككل ومهمتها مناقشة الخطط والاهداف للخروج بالقرارات والتوصيات التي يلتزم بها التنظيم السياسي والتنظيم النقابي ، كما يتم نفس الشيء على المستوى المحلي حيث يجري ربط وتنسيق العمل فيتم تشكيل لجنة مساعدة من أعضاء الاتحادات المحلية ومختارين من أعضاء اللجان الفرعية في المحافظات وعلى مستوى القسم والمركز تتم نفس الصورة .

وبهذا يتم انفتاح التنظيم السياسي ليضم التنظيم النقابي ويسيرا لتحقيق هدف واحد . .

وقد ورد بالمذكرة علاقة التنظيم السياسي بالسلطة التنفيذية ، فالاتحاد الاشتراكي هو تنظيم سياسي وشعبي تتمثل فيه ارادة الشعب وقوى التحالف الداخلة فيه وهي من هذه الناحية يعتبر بمثابة سلطة فوقية تعلو على سلطات الدولة المختلفة تنفيذية وتشريعية وقضائية .

الميثاق الوطني أن الجهاز السياسي هو العمود الفقري في جسم التنظيم السياسي فقال : -
« أن الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسي جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكي العربي يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات » .

ثم تعرضت المذكرة للعلاقة بين الجهاز السياسي والتنظيم السياسي ، ثم تناولت موضوع مقومات الاتحاد الاشتراكي وهي اربعة :

- ١ - نظرية ثورية . الاساس فيها الميثاق تضم اليه الوثائق الاخرى .
- ٢ - اللائحة التنظيمية وهي هنا قانون الاتحاد الاشتراكي العربي .
- ٣ - برنامج العمل الوطني .
- ٤ - الكادر السياسي .

ثم طرح سؤالاً هاماً هو : ما الموقف بالنسبة لعناصر الأقلية : ونرد على هذا السؤال بأننا في هذا المجتمع يجب أن نوسع الدائرة الوطنية بحيث تشمل كل المجتمع وتحشد كل القوى .

وعن موضوع التفرغ السياسي ، راينا أنه مهم جدا لتنشيط الاتحاد الاشتراكي على المستوى العام وأن الضرورة تستلزمه على أن يكون على اساس نوعي وأن يكون هو الاستثناء وليس القاعدة والألا يكون في الوحدات الانتاجية ما لم يكن لها ثقل عمالي فيجوز أن يتفرغ عضو واحد حيث لا يتصور أن يكون هناك عمل سياسي في مقر مطلق .

ولابد أن يكون للتفرغ نوعيات . . تفرغ سياسي يكون المتفرغون فيه من القادات السياسية ، تفرغ سياسي فني مهمته التخطيط والمتابعة ، وتفرغ اداري للاعمال الادارية .

وفيما يتعلق بعلاقة الاتحاد الاشتراكي بالتنظيمات المساعدة ، تناولت المذكرة علاقة الاتحاد بمنظمة الشباب بالتفصيل :

- ١ - ونميل الى اعتبار المنظمة تنظيما شعبيا مستقلا يقوده التنظيم السياسي وليس جناحا للشباب في الاتحاد الاشتراكي .
- ٢ - واعتبار المنظمة منظمة ديمقراطية أي جماهيرية .
- ٣ - يجب أن يقوم أسلوب العمل في المنظمة على المبادئ الديمقراطية .

فالسلطة السياسية سلطة تخطيط ومتابعة وتقييم ورقابة ، وهو الذى يوجه سير العمل الوطنى فى جميع الاجهزة والمؤسسات والتنظيمات فى الدولة بواسطة مؤتمره القومى العام وما يصدره من قرارات لكى يصل الى تحقيق الاهداف الكبرى التى حددها المجتمع .

ومن المعلوم ان اللجنة المركزية باعتبارها قيادة سياسية عليا هى التى تتولى متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر القومى العام والاشراف على العمل الوطنى فى جميع المجالات فيما بين ادوار انعقاد المؤتمر .

ومع ذلك فلا يصح ان تفهم العلاقة بين التنظيم السياسى والاجهزة التنفيذية والمنظمات الشعبية على انها فرضا للارادة ، وطريقا للتسلط بل يجب ان تفهم على انها مشاركة فى المسئولية وتعاون فى سبيل تحقيق اهداف المجتمع ، وحتى يمكن تجنب ما قد ينشأ من تناقضات يجب العمل على توفير بعض الضمانات الهامة ومنها :

١ - ان يكون للجنة المركزية الراى فى شغل المراكز القيادية والترشيح لها فى مختلف المجالات ضمانا للالتزام هذه القيادات بخط العمل الوطنى الذى يرسمه التنظيم السياسى لتحقيق اهداف المجتمع ويبدأ هذه القيادات من الوزارة الى المحافظين .

٢ - ان ترسم سياسة لاعداد العدد المناسب من الكوادر السياسية والفنية والادارية لشغل المراكز القيادية لتكون بمثابة قوى طليعية داخل اجهزة الدولة والمنظمات والمؤسسات المختلفة .

٣ - للجنة المركزية الحق فى مساءلة الوزارة والوزراء والمحافظين ومن ترى من القيادات التنفيذية العليا .

واللجنة المركزية عقد تعرضها بالمناقشة لاحد الموضوعات العامة سواء المتصل منها بالسياسة الخارجية أو الداخلية أن تستدعى الوزراء المختصين لاستيضاح سياسة الوزارة فى الامر المطروح للمناقشة .

وعلى الوزارة ككل أو أحد وزرائها قبل اتخاذ أى قرار فى موضوع يمس مصلحة الجماهير أو قطاع عريض منها - كأن تعتزم الوزارة مثلاً اتخاذ اجراءات تموينية معينة أو اصدار قرارات وزارية تنفيذية تنظم مسائل للعاملين كبذل طبيعة

العمل أو مناقشة مشروعات قوانين عمالية أو مشاكل ذلك من أمور - أن يتم عرض الموضوع على اللجنة المركزية لمناقشته للوقوف على رآى التنظيم فيه ومن هنا تلم بأسباب القرار وأهدافه قبل أن تصدر الوزارة أو الوزير المختص القرار .

ويحقق ذلك هدفين :

الاول .. امكان اللجنة المركزية الربط بين السياسة العامة للتنظيم وما يصدر عن السلطة التنفيذية من قرارات تمس مصالح الجماهير .

ثانياً .. ان تحيط اللجنة بأسباب القرار وأهدافه وبالتالي تكون على علم بخلفيته فتستطيع قيادات التنظيم أن تبصر الجماهير بمضمون القرار وبواعثه .

وفيما يتعلق بالادارة فى المؤسسات فقد تناولت المذكرة ذلك بالقول بأنه لا بد أن تمارس لجان الانتاج نشاطها فى الوحدات الجماهيرية حتى تستطيع أن تحقق الاهداف المطلوبة من ناحية الانتاج وتقضى على المعوقات ..

وتناولت المذكرة أيضا علاقة الاتحاد الاشتراكى بمجلس الشعب حيث قلنا أن مجلس الشعب ليس من منظمات الاتحاد الاشتراكى وأن العلاقة بينهما تتضح بما يقوم به أعضاء مجلس الشعب من تحقيق أهداف الاتحاد الاشتراكى بأسلوب العمل السياسى والجماهيرى للعمل على نقل آمالها ومطالبها ومشاكلها الى السلطة التشريعية

واعتقادي انه يمكن للقيادات التنظيمية بالاقاليم الاستفادة من لائحة المجلس فيما يختص باختصاصات المجموعات الاقليمية .

وكما قال الاخ حامد محمود فانه لكى يتحقق اشراك أعضاء مجلس الشعب فى العمل السياسى فانه يجب أن ينزلوا الى الاقاليم والى الجماهير ليمارسوا النشاط والمسئوليات المشتركة .

وعلاقة الاتحاد الاشتراكى بمجلس الشعب تتضح فى ضرورة توفر العضوية العاملة كشرط للترشيح لعضوية المجلس .. وكذلك الفصل من العضوية العاملة لعضو مجلس الشعب كوسيلة علاجية يتبعها التنظيم لحماية التنظيم السياسى والاجتماعى .

وكذلك اذا فقد العضو أثناء عضويته أحد الشروط أو الصفات التى نص عليها القانون أحال رئيس المجلس الامر الى لجنة الشئون التشريعية لبحثه وتقديم تقرير عنه للمجلس .. للفصل فى عضويته .. وبوسيلة أخرى يستطيع التنظيم السياسى أن يصل الى نفس النتيجة

السابقة باستعمال عشرين أو أكثر من قياداته داخل المجلس لحقهم في التقدم باقتراح طلب اسقاط العضوية عن أحد الاعضاء .

وقد تعرضت المذكرة الى أن الاتحاد الاشتراكي يستطيع أن يجعل الغالبية العظمى لاعضاء مجلس الشعب أن لم يكن جميع أعضائه هيئة برلمانية حقيقية له ونحن نميل الى أن تكون الهيئة البرلمانية مكونة من جميع أعضاء مجلس الشعب انما في بدايتها لابد أن تكون قاصرة على القيادات التنظيمية التي وصلت الى مجلس الشعب . . وبعد هذا يترك للاعضاء العاملين حرية التقدم بالطلبات حتى يكون الاعتماد على الكيف وليس على الكم وحده .

كما أن التنظيم السياسي يزيد من عدد أعضاء هيئته البرلمانية بجذب أعضاء مجلس الشعب الى مستوياته التنظيمية ، فقد يرى التنظيم أن عدد أعضائه القياديين الذين نجحوا في انتخابات مجلس الشعب ، والذين يشكلون هيئته البرلمانية ليسوا بالعدد الكافي ليجعلوا من السلطة التشريعية منفذة للسياسة التي يرسمها الاتحاد الاشتراكي بالقدر المطلوب ، وهنا يمكن للتنظيم أن يزيد أعضاء الهيئة البرلمانية وذلك بقبول أعضاء المجلس كأعضاء قياديين في المستوى التنظيمي الكائن بدوائهم الانتخابية اذا ما رغبوا في ذلك .

كما أن التنظيم السياسي يمكنه عن طريق هيئته البرلمانية التأثير في أجهزة المجلس الرئيسية فيمكنه أن يتحرك بالنسبة لانتخابات رئيس المجلس والوكيلين .

كما يمكن للتنظيم السياسي استخدام سلطة مجلس الشعب في تحقيق الرقابة الفعالة على سير العمل الوطني في خطه السليم ومحاربة الانحراف ، وذلك عن طريق استخدام الاستجواب وسحب الثقة .

كما يمكن للهيئة البرلمانية أن تتبنى قرارات المؤتمر القومي واستراتيجية العمل الوطني التي تضعها لجنته المركزية داخل مجلس الشعب .

كما يستطيع الاتحاد الاشتراكي عن طريق هيئته البرلمانية أن يستعمل حق مجلس الشعب في الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية ومساءلتها .

كما يملك الاتحاد الاشتراكي وسائل متنوعة أخرى في التأثير على السلطة التشريعية ، فيمكن لرئيس الجمهورية باعتباره رئيسا للاتحاد

الاشتراكي أن يعمل على توضيح سياسات التنظيم داخل المجلس ويمكن للمجلس الشعبي في المحافظة أن يدعم عمل الاتحاد الاشتراكي وذلك بفرض كل مطالب الجماهير عن طريقه . وتناولت المذكرة علاقة الاتحاد الاشتراكي بالصحافة ، ونقترح أن يكون الاشراف عليها عن طريق امانة الدعوة والفكر باللجنة المركزية ، وأن تشكل الامانة العامة لجنة عامة للصحافة من جميع رؤساء تحرير الصحف ورؤساء مجالس ادارة المؤسسات الصحفية لمناقشة كافة الامور التي تعنى الصحافة وتضع اللجنة المركزية تفسيرات محددة عن أبعاد الأمن القومي والناحية العسكرية والقيم الاخلاقية والالتزام بها .

كما نقترح أن يكون للاتحاد الاشتراكي حق حل مجلس الادارة وحق تنحية رئيسه أو بعض أعضائه في حالة وجود المبررات التي تدعو الى ذلك ، كأن توجد مخالفة من الصحافة لما يقره المؤتمر القومي العام أو السياسة التي نسير عليها ، فاذا كنا نتكلم عن الاشتراكية فلا يصح أن نسمح لها بأن تدعو للرأسمالية .

ويجب أن يقوم الاتحاد الاشتراكي بعملية مسح لكل الصحف والمجلات التي تصدر ، ويلغى الفث والمكرر والفساد .

ونظرا للضرورة الورقية التي تبرز من وقت لآخر . . نقترح أن يتم إلغاء الصحف الإقليمية والتي لا تخرج عن كونها صحافة دعائية وشخصية ووسيلة كسب رخيص . .

ان الاعلانات أسلوب من أساليب الصحافة الرأسمالية الا أنه موجود عندنا وهذا يهدد حرية الرأي ، وقد تكون هناك جريدة تحجم عن نشر نشاط الاتحاد الاشتراكي نتيجة وجود علاقات مادية مع الأجهزة التنفيذية أو انتماء هؤلاء المحررين اليها .

ولهذا نرى أن يكون توزيع الاعلانات عن طريق النقابة العامة مادامنا في مجتمع اشتراكي والصحافة مملوكة فيه للتنظيم السياسي .

كما نقترح الاستعاضة عن أسلوب النشرات التي يصدرها الاتحاد الاشتراكي ، وإعادة النظر في اصدار نشرة الاشتراكي في حجم كبير يليق بالتنظيم السياسي ويغطي نشاط الاتحاد الاشتراكي في المحافظات المختلفة .

وقد أفرد جانب خاص من المذكرة لذكر مجالات عمل التنظيم السياسي ، ويمكننا أن نحدد أساسيات هذا العمل في النقاط التالية :

- ١ - تدعيم بناء العضوية .
- ٢ - تجديد القيادات .
- ٣ - دعم النظام الداخلى .
- ٤ - تطوير اساليب العمل .

تجديد قيادات كل مستوى مطلوب واكتشاف واعداد العناصر النشطة وهذه فى اعتقادى ينبغى ان تكون لها ضوابط ثلاثة هى المعيار الفكرى والحركى والتنظيمى بحيث يكون لها انفتاح على كل القواعد الجماهيرية .

وبالنسبة لتطوير اسلوب العمل فلا بد ان يتم التطور بمعنى الا يرشح العضو الجديد لموقع قيادى الا بعد ان يمضى عاما كاملا فى موقعه . وبالنسبة لتعديل قانون الاتحاد الاشتراكى فقد تكلمنا عنه بايجاز .

وأما بالنسبة للعضوية فقد ذكرنا ان تكون هناك عضوية عاملة وعضوية منتسبة تليها كواد

فى ص ٧٠ منهج العمل - ويشمل عقد دورة من ثلاثة مراحل : المرحلة الاولى للعناصر النشطة عن طريق دورة مبسطة وهذه الدورة تصعد الى دورة تدريبية اكبر ، ثم بعد ذلك تدخل هذه العناصر النشطة فى دورة ثالثة .

فى ص ٧١ فاننا نتكلم عن الخطوات التنظيمية وفى ص ٧٢ تكلمنا عن الديمقراطية التنظيمية ونرى ان نبذل اللازم بوعى وحسم مع حفظ حق أصحاب الراى المخالف فيما يصدر بالاقاليم .

وفى ص ٧٣ النظام الداخلى للاتحاد الاشتراكى .. شبكة الاتصال داخل التنظيم .. التقارير الدورية .. طريقة الاستدعاء السياسى .

فى ص ٧٤ النشرات الدورية وما يجب ان تكون عليه .

فى ص ٧٥ الجانب التنظيمى .

فى ص ٧٦ ضرورة ايجاد منهج للتثقيف . وايجاد خطة متكاملة واعداد خطة جديدة للموجهين .. البدء باستثمار الجانب الدينى للجماهير .. اعداد المدربين والموجهين السياسيين مع ارتباطهم بأمانة الدعوة والفكر .. وضع تخطيط يشمل الهيمنة على قصور الثقافة .. الاهتمام بثقافة الطفل .

فى ص ٧٨ عملية قياس اتجاهاات الراى العام داخل التنظيم السياسى واهميته وخطورته

فى ص ٨٠ الالتزام السياسى .. فتكلمنا عن وسائل العمل السياسى ومواقع الاتصال

والتنظيم السياسى فى شتى المستويات المختلفة ووسائل الاتصال فى المواقع المختلفة من نشرات واجتماعات ولقاءات ولاسيما البدا الاخير الذى سته السيد السكرتير الاول ، وهو مبدأ اللقاءات الدورية ويمكن التوسع فى هذا وذلك بعقد اجتماعات مع مجلس الشعب واجتماعات مع التنظيم النسائى والتنظيم الشبائى والقيادات الاخرى مثل النقابات واتحاد العمال والتعاونيات على ان تتم هذه الاجتماعات برئاسة السيد السكرتير الاول .

فى ص ٨٢ مهام ودور الاتحاد الاشتراكى فى محو الامية وفى مجال رعاية اسر المجندين والمهجرين ، كذلك دور الاتحاد الاشتراكى فى التحرك الخارجى وعلاقته بالمنظمات وانه من الممكن ان نستفيد كاتحاد اشتراكى فى توضيح السياسة عن طريق هذه المنظمات وعن طريق المنظمات العمالية .

وفى النهاية .. اشكركم .

• السكرتير الاول

نشكر السيد مسعد على هذا التقرير وهو فى الحقيقة تضمن وجهة نظر جديدة .

والان نستمع الى كلمة صغيرة من الاخ الدكتور دكرورى ، ثم يتكلم الاخ كمال وهبة ثم الاخ الدكتور كمال ابو الجد .

• الدكتور محمد ابراهيم دكرورى

سأتناول فى حديثى نقطة واحدة هى بالنسبة لزيادة فاعلية العمل السياسى فى الاتحاد الاشتراكى من خلال واقع التجربة المصرية فى الواقع ، أن الجانب البنائى للاتحاد الاشتراكى فى صورته الموجودة الان لابد ان يؤخذ فى الاعتبار بشأنه أمران :

الاول : ماهو المطلوب من الاتحاد الاشتراكى ؟

الثانى : ما الذى يمكن ان يحققه ؟

وفى الحقيقة ان الاتحاد الاشتراكى فى الماضى لم تكن له اهداف محددة كما ان اسلوب العمل فيه لم يكن واضحا كذلك .. اللهم الا ما كان يقال من انه يخدم ولا يحكم وانه سلطة للاشراف واعداد الدولة للحرب دون تحديد واضح لحدوده وواجباته وحقوقه .

وفى الواقع اننى لا اريد ان ندخل فى متاهات

العمل السياسي كما يجب ، والمفروض أن أمين المحافظة هو المعلم السياسي للمحافظة أو للمركز .

وفي الحقيقة اننى اردت أن أركز على هذه النقاط لاننا كثيرا ما نخرج بفكر جديد وبقرارات مناسبة وسليمة وللأسف لم يكن ينفذ منها شيئا . اذن فالمهم كله .. هو كيف نخرج بتحديد أهداف ، وواجبات محددة ؟ ثم كيف يمكن تحقيق هذه الأهداف ؟ وشكرا .

• السكرتير الاول

نشكر الدكتور دكرورى .. وبقي الان التقارير التى ستوزع للمناقشة .
فى الاستعراض السريع الذى تم بالنسبة للتقارير فاننا نجد نقط التقاء كثيرة جدا بين هذه التقارير ، فالأخ دكرورى ركز على الوحدة الأساسية كما أن الأخ شومان ركز هو الآخر على الوحدة الأساسية كل منهما بالأسلوب الذى يراه ، مع اشتراكهما فى الإشارة الى ضرورة تنشيط الوحدة الأساسية .

كذلك فانه يكاد يكون هناك اجماع على تحالف قوى الشعب العاملة داخل الاتحاد الاشتراكي ، كما أنه يكاد يكون هناك اجماع أيضا على التنظيم النسائي والتنظيم الشبابي .

واننى أرى أن نعمل صياغة لجميع الاوراق التى قدمت والاوراق التى تقدم ، فنحن على استعداد لتلقى أية اوراق أخرى .

اننى اقترح أن نقوم بتشكيل لجنة تقوم بصياغة التقارير الموجودة ، على أن تعرض علينا فى اجتماعنا المقبل بمشيئة الله يوم السبت القادم .

ومن الان حتى يوم السبت هناك لجان فرعية تجتمع وبهذه المناسبة فهناك اجتماع مساء اليوم ومن يرى من حضراتكم أن لديه متسعا من الوقت ويرغب فى حضور لجنة اليوم فلامنع .

وستضع هذه اللجنة النقاط الأساسية وهى محددة فى .. تعريف الاتحاد الاشتراكي ، والدور الذى سيقوم به .. تشكيله ونظام العمل به ، السكرتير الاول وعلاقته بأجهزة الاتحاد ، اللجنة المركزية وصلتها بالحكومة والنقابات ، الامانة العامة .. اقسامها وفروعها ، ديمقراطية التشكيل .

بمعنى انها نقاط معينة تستطيع أن تدخل فى

النقطة التى أريد أن أركز عليها هى تحديد واجبات واهداف الاتحاد الاشتراكي تحديدا واضحا .

النقطة الثانية .. هى كيف يعمل الاتحاد الاشتراكي ؟

وفى تقديرى أنه يجب أن نركز على منطقتين : الاولى : منطقة الوحدة الأساسية وهى الخلية التى كلما كانت حية كلما نجح الاتحاد الاشتراكي وفى تقديرى كذلك أنه لا يجب أن نخلط بين لجنة الوحدة الأساسية وبين العناصر التى تنضم اليها كناظرة المدرسة وطبيب الوحدة .. ولكن للجنة أن تدعو فردا أو أكثر على اعتبار انهم يمثلون الجهاز التنفيذى للقرية أو حكومة القرية .

كذلك يجب أن يكون الوجود الاعتباري أو الوجود القانوني معروفا ، ولها مقر هو الوحدة وانه من الضروري أن يتواجد بهذا المقر شخص ما وهذا الشخص هل يكون أمين الوحدة أم الامين المساعد ، أم أى شخص آخر من أعضاء اللجنة ، فيجب أن يكون متفرغا بحيث يحدد لهذه الوحدة وقتا معيناً لحل مشاكل الجماهير .

كذلك فائنى استحدث مستوى هو بين الوحدة الأساسية وبين لجنة المركز ، هذا المستوى هو لجنة داخل مجلس القرية الذى يضم أكثر من قرية على أن يرأس هذه اللجنة قيادة مثقفة .

أما المنطقة الثانية .. فهى الامانة العامة .. قلت أن المنطقة الاولى هى الوحدة الأساسية ، والمنطقة الثانية هى الامانة العامة .. وفى تقديرى أن كل صور الامانة العامة التى شكلت فى الماضى كان من الممكن أن تنجح ولكن الذى كان يحدث هو أن الامانات الفرعية التى تتفرع من الامانة العامة ، كإمانة الفلاحين أو إمانة العمال أو غيرها كانت تتواجد كإطار بلا مضمون .. وفى هذا فائنى أقول يجب أن تحدد لهذه الامانات أنشطة معينة تقوم بها مجموعة سياسية من أعضاء اللجنة المركزية المنضمون الى هذه الامانة يعاونها مجموعة من الخبراء المتخصصين فى المجالات المختلفة المتصلة بنشاطات الامانة .

وفى رأى أن اللجنة المركزية ولجنة المحافظة هى أجهزة توصيل ، ولكن على مستوى الامانة ، قلنا ماذا تعمل لجنة الوحدة الأساسية وحددنا ذلك بأسلوب علمي ، وعلمناهم كيف يمارسون هذا العمل خاصة وأن — كما تعلم سيادتكم — جزءا كبيرا من أمناء المحافظات والمراكز لا يمارسون

بحثها أشياء كثيرة ، بحيث يكون التقرير مثلاً لكل وجهات النظر .

إذا كنتم موافقون على ذلك . . فلنبدأ في تشكيل اللجنة .

(وافق السادة الاعضاء على هذا الاقتراح مع تفويضهم للسيد السكرتير الاول أمر تشكيل هذه اللجنة) .

سيكون تشكيل اللجنة ممن يكون عندهم وقت . . وبهذا فانه سيكون لدينا في الجلسة السادسة صورة كاملة عن التقارير ، ثم اننا سنقوم بعرض هذه التقارير على المؤتمر الموسع الذي سيضم أمناء المحافظات وأمناء المراكز وكذلك على اللجان الفرعية ، ثم أقدم لكم بعد ذلك ملاحظات هذه اللجان لأقرارها بصورتها النهائية .

وما يهمني ذكره قبل اختتام هذه الجلسة انني كنت سعيداً في الواقع أن اللجان الفرعية في جميع مناقشاتها لم تخرج عن النقاش الاول الذي جرى في لجنة العمل الاولى ، وقد وردت نفس التساؤلات ونفس الموضوع وكرر ، وهذا يجعلنا نبدأ خطنا بوضوح .

الصورة التي نريد ان ننتهي بها في التقرير هو أن يكون لدينا تقريرين :

تقرير مطول ، وآخر عن الكلام الذي سنقول له الجماهير ، وهذا في غاية الأهمية لأنني لا أجد الحقيقة إذا قلت أن الجماهير تريد أن تفهم شيئاً معيناً عن الاتحاد الاشتراكي ، ولا بد أن نعطيها هذا الشيء ، والا كان موقفنا رد فعل غير مرض ، بالرغم من الجهود التي بذلناها في الفترة الماضية .

اني أقرأ حالياً كتاباً سياسياً يقول ان عنوان السياسة السلمية هي الصدق والتطبيق والثقة تحت هذا العنوان الذي هو الصدق والتطبيق والثقة نريد أن نخرج بورقة ، ولو كانت هذه الورقة ملخصة وتضرب على الوتر الحساس في تفكير الجماهير فاني أعتقد انها سوف تكون ملائمة أكثر من التقرير الكلي .

ان تصوري أن الرجل العادي ينتظر الآن ماذا سيفعل له الاتحاد الاشتراكي وسوف لا يهتم كثيراً بأننا وضعنا السلطة بين الاتحاد الاشتراكي والسلطة التنفيذية، وربما كانت النقطة التي أثرت عن ربط النقابات المهنية باللجنة المركزية لها تأثير أكبر في طريقة تفكير الجماهير .

الاخ خالد محيي الدين في استعراضه آثار نقطتين أو ثلاث نقط يمكن أن تشد الجماهير الى الاتحاد الاشتراكي ، وايضا الاسلوب الذي قدمه الاخ حامد محمود ربما يشد ايضا الجماهير .

والواقع اننا نعاني من فترة عن كيفية جذب الجماهير بشيء من الثقة نحو العمل في الاتحاد الاشتراكي ، ولكن من الناس ملاحظات على الاتحاد الاشتراكي كعنوان ، وتريد الجماهير أن تشعر بأن هناك تغييراً في هذا الكيان .

وعلى سبيل المثال لقد تعرض الاخ مسعود التمامي في تقريره الواسع لموضوعات Grave كما انه أخذ بعض الأمور Drastic ولا اوافق على نقط كثيرة مما ورد في تقريره ، ولو اني في الواقع كنت مسروراً لانه اتخذ هذا الطريق لكي يبين فكرنا معيناً وهو أن الاتحاد الاشتراكي هو كل شيء في البلد ويجب على الجهاز التنفيذي أن يقوم بعمل معين وعلى الوزير أن يقوم بعمل معين ، وذهب الى أكثر من هذا فجعل الوزير مسؤولاً أمام اللجنة المركزية .

● مسعود التمامي

على مراحل .

● السكرتير الاول

الواقع اني لا انتقد تقريرك بل على العكس فاني مسرور جداً - وهذه وجهة نظر .

وأيضاً هناك نقطة في تقرير الاخ لطفي لا اوافق عليها ايضاً ، ولكن في الواقع مسرور لانها تعطي وجهة نظر ولو أنك قدمتها Drastic ، هذا هو ما نريده بحيث نبحث الموضوع .

هذه هي الصورة التي امامنا حالياً وبها ثلاث نقاط ، واني أطلب من الاخ الدكتور محمد دكروري والاخ محمد عثمان وقد رجوتهما في هذا الموضوع مرتين من قبل أن يعملوا دراسة عن الوحدة الأساسية والتصور الذي ذكره الدكتور دكروري وما يأخذه على المجلس القروي تصور جديد ويهمني جداً حتى يمكن ان ننسق بينه وبين ما قاله الاخ شومان ، لان الوحدة الأساسية تمثل النشاط الحقيقي للاتحاد الاشتراكي .

في نهاية الاجتماع أشكركم جميعاً وسوف نخطركم بموعد الاجتماع القادم . . وشكراً .
« وانتهى الاجتماع حيث كانت الساعة الثالثة مساءً » .

اجتماع اللجنة الفرعية للدعوة والفكر

١٩٧٢/٣/٢٩

عقدت اللجنة الفرعية للدعوة والفكر اجتماعاً في الساعة ١١:٤٥ من ظهر يوم الاربعاء الموافق ٢٩ - ٣ - ١٩٧٢ وذلك برئاسة السيد المهندس سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية ..

واعذار عن الحضور كل من :

- احمد فراج
- د . رفعت الحجاب
- د . سليمان الطماوي
- د . طعيمة الجرف
- محمد عودة

- د . يوسف شوقي
- د . عائشة عبد الرحمن

وتخلف عن حضور الاجتماع كل من :

- د . بدوي عبد اللطيف

- كرم مطاوع

- محمد توفيق عويضة

وقد حضر الاجتماع من السادة اعضاء لجنة

العمل كل من :

- خالد محيي الدين

- عبد اللطيف بلطية

- ابراهيم نجيب

- عبد الحليم الجندي

وحضر الاجتماع من السادة اعضاء الامانة

العامه كل من :

- د . جابر جاد عبد الرحمن

- م . ابراهيم شكرى

- محمد مهدي شومان

- السيدة/ كريمة السعيد

وحضر الاجتماع من السادة اعضاء مجلس
الشعب بامانة الدعوة والفكر كل من :

- د . اماب اسماعيل

- د . زكريا البري

- د . محمد الخفيف

- محمد زيدان

- سعد زغلول

كما حضر الاجتماع من السادة اعضاء اللجنة
المركزية كل من :

- يوسف مكادي

- سعد هجرس

- د . زينب السبكي

وقد حضر الاجتماع من السادة اعضاء اللجان
الفرعية الاخرى كل من :

- الفريق عبد الرحمن امين

- د . محمد كامل ليلة

وكان الاجتماع كما يلي :

● السكرتير الاول

بسم الله الرحمن الرحيم ...

أبدأ كلمتى بالترحيب بكم فى الاتحاد الاشتراكى ، وفى الحقيقة ان لجنة الدعوة والفكر تعتبر من أهم اللجان التى ستساعدنا فى وضع أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى من ناحية ، ومن ناحية أخرى تساعدنا فى نفعه أساسية وهى رسم الخط الذى انتهى اليه قرار المؤتمر القومى فيما يختص بالتطور الاشتراكى الذى تم فى مصر ، وارجو أن أعرف رأيكم أولا فيما اذا كنتم ترغبون فى السماح للسادة الصحفيين بحضور هذا الاجتماع من عدمه .

[موافقة على حضور الصحفيين الاجتماع]
فى نقاشنا - كما هو وارد فى قرار المؤتمر القومى ، من المفروض أن نضع دليلا لتنظيم العمل السياسى ، وهذه ناحية اجرائية تنظيمية يجرى فيها تحديد مهمة الامين على مستوى المحافظة والامين على مستوى الوحدة الأساسية ، وهى مهمة يمدن أن تتولاها أجهزة التنظيم عندنا ، ونحن فرار المؤتمر القومى تضمن أيضا اشارة الى ضرورة وضع بيان عن الخط الايديولوجى والمجرات الاشتراكية التى تمت فى الفترة الماضية ، وما نعينه بالنظم الاشتراكية . ورغم أن هذا الكلام بديهى ومعروف ، ولكن للأسف ، وفى الزيارات الاخيرة كلها ، وفى مقابلاتى مع زعماء الاحزاب الاشتراكية الذين زارونا من الخارج ، كان سؤالهم التقليدى لنا : ما هو الخط الاشتراكى الذى تسيرون عليه ؟ نرجو ايضا احاله لنا ، وما هى الايديولوجية التى تتبعونها ؟ فنحن لا نعرفها .

ولهذا فان أول النقاط التى ستناقش فى هذه اللجنة ستكون عن الطريقة التى توصلنا الى تفسير وتوضيح خطنا الايديولوجى التى تسيير فيها الاشتراكية فى مصر ، على أن يوضح بها جزء من المنجزات الاشتراكية لاننا نلاحظ أن النشء الجديد الذى نشأ وترعرع مع الثورة بدأ ينسى الخطوات التى اتخذت . لانهم نشأوا فوجدوا أن العمال ممثلون فى مجالس ادارة الشركات ولهم نصيب فى ارباح الشركات ، وان هناك قوانين مختلفة للصالح الزراعى ، والتى صدرت فى اوقات مختلفة تحدد علاقة المالك بالمستأجر وتحدد أجر العامل الزراعى ، وأن هناك نظام للتأمين صدر فى هذا البلد كل هذا من الامور التى نود أن نتناقش فيها حتى نصل الى الصورة النهائية المرجوة .

باللجنة السياسية لا وهذا سؤال أسأله لنفسى بصفة مستمرة ، وعلى يجب أن يكون للدعوة والفكر الخط الاول ، ثم تكون وظيفة اللجنة السياسية هى متابعة الاحداث سواء بالتحليل أو بالاخبار حتى تكون لدى قيادات الاتحاد الاشتراكى صورة متكاملة للاحداث ، ام أن تكون الدعوة والفكر مرتبطة بالاحداث السياسية بحيث تؤثر فى طريقة التفكير نفسها وبطريقه بث الدعوة والفكر . هذه نقطة أيضا تطرح للنقاش .

وهناك نقطة ثالثة أهم من هاتين النقطتين اللتين تعتبران من صميم عمل اللجنة لانها من صميم عمل اللجنة أيضا وهى : ان تعطونا رأيكم فى ورفه العمل التى وزعت عليكم والخاصة بأسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى .

وعندما نقول تغيير أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى لا نقصد بذلك العدول بأى صورة من الصور عن المكاسب الاشتراكية التى تحققت حتى الآن بالعكس . فمن المفروض أن تدعم هذه المكاسب ، ولكننا نردد ان ندعمها ليس بالكلام فقط ولكن يجب أن ندعمها أيضا من الناحية العملية .

ولنأخذ يوغسلافيا مثلا ففى فترة من الفترات اعادت النظر فى استقلال المؤسسات وطريقة مباشرتها لمهمتها والمؤسسات الخاسرة والمؤسسات الربحية وما هو مقياس الربح وما هو مقياس الخسارة وما هو المقياس الذى يوضع للمؤسسات بالنسبة للتصدير الى الخارج .

فى تصورى أنه من النقط الأساسية التى يجب أن تطرح للجنة السياسية وكذلك للجنة الدعوة والفكر لتدعيم الاشتراكية ، وعندما نقول تدعيم الاشتراكية نعنى أنه يجب تدعيم أسلوب العمل فى المؤسسات التى انشأتها الدولة حتى يمكن التغلب على البيروقراطية الموجودة بها ، وحتى يمكن أن تقوم هذه المؤسسات بدورها الفعال ، بحيث لا يكون مقياسها فقط هو الربح والخسارة بل يعتبر هذا من المقاييس التى يقاس بها العمل داخل المؤسسات . هذا الكلام ليس جديدا لانه فى فترة من الفترات جمع الرئيس جمال جميع المؤسسات وبنافسوا فى هذا الموضوع باتساع ، ولكن ما زلنا نشعر بأن كثيرا من المؤسسات لا تدار بالطريقة التى تؤدى الى نتائج ايجابية ، وانما نجد أن البيروقراطية ما زالت تنفث ، وانه بالرغم من الشعارات التى رفعناها ضد البيروقراطية لم يتحقق منها شئ .

واعود فأكبر ان النقطة الثالثة هامة بالنسبة

النقطة الثانية ، ما هى صلة الدعوة والفكر

يستطيع الاتحاد الاشتراكي ان يلاحق الاحداث ملاحقة كاملة ، والعذر في هذا لنا في الاتحاد الاشتراكي قد يرجع الى عدم استكمال الاداة التي تعمل بها ، وهذا صحيح او أننا مازلنا نهاب التعليق على هذه الموضوعات كتنظيم سياسي بما نتصور .

كل هذه الموضوعات معروضة للنقاش ومنها ايضا الموضوع الاخير ، حينما نقول أننا نتبنى سياسة الانفتاح على الجماهير ، وحينما نقول ان الجماهير يجب ان تبدي رأيها ، وان الاتحاد الاشتراكي يجب ان يمثل هذا الرأي لانه يمثل الجماهير - فيجب ان يقابل هذا الانفتاح ايضا انفتاح خارجي ضخم على جميع الاحزاب الخارجية .

هذا الانفتاح كان موجودا مع البلاد الاشتراكية ، انما ملاحظتي عليه هي انه عندما التقيت ببعض القراء من الدول الاشتراكية علمت ان جميع الزيارات التي كانت تحدث ما هي الا للمجاملات - فهي زيارات مجاملة ونحن نود ان نغير ايضا من هذا الاسلوب .

والامر مطروح للنقاش . . فلا نريد عندما تسافر الوفود لمقابلة احزاب في الخارج ان تكون زيارتها للمجاملات ، وانما نود ان تكون زيارات مبنية على حقيقة معينة لنقاش معين . . ماذا نقول الدول واحزابها ، وماذا نقول نحن ؟ وماذا يكون خطنا وماذا يكون خطهم ؟ وماذا استفدنا منهم اقتصاديا وسياسيا ، وماذا استفادوا منا اقتصاديا وسياسيا .

ففي الواقع اننا نستطيع بهذه الزيارات ان نحقق أكبر قدر من الروابط التي تتم بين الحكومات لان الحكومات يكون لها موقف معين ، فالوزير حينما يسافر يكون له عمل محدد بتكليف معين لا يستطيع ان يخرج عنه حتى في النقاش - وهذا امر طبيعي - ومن الطبيعي ايضا انه اذا كنا نقول بسياسة الانفتاح مع الجماهير فيجب ان تكون هناك سياسة انفتاح خارجي وخاصة مع البلاد الاشتراكية بحيث تناقش الموضوعات الهامة بوضوح . . ما الذي كسبناه ؟ وما الذي كسبوه ؟ وبالتالي سيرسخ في ذهن رجل الشارع الفائدة التي تعود على الصداقة بمعناها العام وتتضح اهميتها للرأي العام .

وعلى ذلك ، ففي النية ايضا عقب عملية اغادة النظر في الاسلوب هذا ، ان تسافر وفود من الاتحاد الاشتراكي وسيكون اساسها لجنة الدعوة

لهذه اللجنة ، وانا اريد ان استطلع رأيها بالنسبة للملخص ورقة العمل الذي وزع عليها هذا الملخص قد توفش بتوسع في اللجنة السياسية ولكن لابد ايضا للاسباب التي ذكرتها في بداية حديثي ان يناقش في لجنة الدعوة والفكر .

في ختام كلمتي ملاحظة بسيطة اريد ان اقولها أننا نحس انه ضمن سبلبيات الاتحاد الاشتراكي الكبيرة - انه بالرغم من الجهود الذي قامت به أمامه الدعوة والفكر ، والجهود الذي حاول القيام به الدكتور جابر جاد عبد الرحمن الا أننا نجد ان هذا الجهود مازال مفصلا عن الجماهير ، اما منفصلا لتأخير وصول الاخبار السياسية الى الناس وتكون الناس قد جمعت فكرة معينة عن رأي معين من أجهزة الاعلام او من الصحف وبالتالي عندما تتحرك الدعوة والفكر واللجنة السياسية - واقولها ايضا ولا استطيع ان اضع حدا فاصلا بين اللجنتين - تصل الاخبار متأخرة ويكون الاتحاد الاشتراكي كجهاز سياسي لم يقم بمهمته في الوقت المناسب هذه ناحية ، ومن ناحية أخرى تأتي لجنة الدعوة والفكر دائما وتأخذ موضوعا واحدا تحس به هي ، او موضوعين تشعر بهما وتركز على ذلك ، بينما الموضوعات متعددة في اذهان الناس ولا تقتصر على موضوع واحد . فاحيانا تأتي وتركز على موضوع تركيزا كبيرا ، بينما تكون هناك موضوعات جديدة تهم الناس ومع ذلك نجد ان الاتحاد الاشتراكي لا يهتم بها ، والمثل على ذلك - بالامس شاهدت اوراقا صادرة من أمين دعوة وفكر في احدى لجان الاتحاد الاشتراكي عن الصداقة المصرية السوفيتية ورغم ان الورقة مكتوبة بطريقة جيدة الا اني استطيع القول أنها تقنيديّة بحتة لا تضيف للقارئ شيئا جديدا ، فكنا يعلم أهمية الصداقة المصرية السوفيتية في هذه المرحلة ، وكنا يعلم مقاومة الامبريالية لها في هذه المرحلة ، فحينما تقرأ الورقة فانك لا تستفيد منها شيئا ولا تتقنع القارئ ، ولم تأت بأى نقطة جديدة في حين ان القارئ في هذه اللحظة كان يفكر مثلا ، في نتيجة زيارة وفد العراق لمصر وعن النتائج التي ترتبت على هذه الزيارة فالأذهان تفكر كيف ان دولة مثل دولة العراق كان لنا منها موقف معين ، وكان لها منا موقف معين ، ثم جاء وفد من العراق رار سوريا وزار القاهرة ثم سكت الاتحاد الاشتراكي عن هذا تماما وتخرج منه ورقة عن الصداقة المصرية السوفيتية ، هذه الصداقة تكون ضمن خط عام ، وتكتب الورقة اذا كان هناك جديد تستطيع ان تقول في هذا ولا أقصد من هذا أننا ضد هذه الصداقة انما اود ان اكون موضوعيا في هذا .

اذن لابد من تغيير أسلوبنا لانه من الخطأ ان لا



د. محمد انيس

• الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

فى الواقع انبثقت امانة الدعوة والفكر والاعلام والشنون الدينية من التنظيم الذى اقيم للامانة العامة باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى صيف العام الماضى ، والقى على عاتق هذه الامانة مسئولية الدعوة والفكر والاعلام والثقافة والشنون الدينية .

هذه الامانة مكتبها الفنى يتكون من رؤساء الشعب الخمس مع بعض اساتذة الجامعة الذين تفضلوا مشكورين بالاشتراك فى هذا العمل والاعداد له ورسم الهيكل ، ووضع الخطة اللازمة لهذه الامانة ، وانتهت الى تقسيم هذه الامانة الى الشعب الخمس وهى شعبة الدعوة ثم شعبة الفكر ثم شعبة الثقافة ثم شعبة الاعلام ثم شعبة الشنون الدينية واختارت لرئاسة هذه الشعب اساسا بعض الزملاء من اعضاء اللجنة المركزية وشعبة الشنون الدينية اختارت لها فضيلة الاستاذ الدكتور زكريا البرزى رئيس قسم الشريعة بكلية حقوق جامعة القاهرة .

وتنطلق عادة أنشطة الامانة من شعبة الفكر اساسا ويرأسها زميلنا الدكتور محمد الخفيف وهو عضو اللجنة المركزية . وشعبة الفكر تهتم اساسا بالتحقيق على ضوء نظريتنا وايدىولوجيتنا . اذن لابد ان نتحد هذه الايدىولوجية حتى يمكن ان نعمق مفهومها لدى الطلائع ، ولدى الجماهير ، ولدى الموجهين السياسيين .

كما وان شعبة الفكر تختص بالتحقيق اساسا

والفكر واللجنة السياسية لتجوب البلاد الاوربية وخاصة البلاد الاشتراكية وسوف يكون لها نظائر من الناحية الاخرى بحيث تناقش كل الموضوعات سواء كانت ايدىولوجية او اقتصادية .

نخلص من كل هذا فى ان اماننا ثلاث او اربع نقاط للنقاش :

اولا : ورتة العمل الموزعة عليكم ورايكم فيها .

ثانيا : ماهى مهمة اوتصوركم لمهمة لجنة الدعوة والفكر .

ثالثا : ماهى الصلة بين لجنة الدعوة والفكر والشنون السياسية وطريقة ربطها . . . وهل نكتفى بضم اللجنتين الى بعضهما ام يجب ان يكون هناك امانتان اولجنتان ، اللجنة السياسية ولجنة الدعوة والفكر .

هذا هو محور النقاش واى نقطة تريدونها فى البداية نحن على استعداد لمناقشتها .

الرجاء الاخير ان تكون المناقشة هنا بغير حدود وبغير حواجز ، واى رأى يقال نحن على استعداد للاستماع اليه ، ونحن لن نكون رأيا فى أى شىء بحيث ندافع عنه والنقاش مفتوح .
وشكرا . . .

• الدكتور محمد انيس

اقترح ان تدور المناقشة اولا حول ما يسمى تجاوزا بعجز امانة الدعوة والفكر عن تحقيق اهدافها بالامثلة التى ذكرتها سيادتكم .

اننا نريد ان نعرف من البداية ماهى العوامل التى جعلت امانة الدعوة والفكر فى هذا الموقف ، وهو عجزها عن الوصول الى الجماهير - ونسمع رأى الدكتور جابر عن الاسباب التى جعلتها متخلفة هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لماذا كانت متخلفة ايضا عن تصور مهمتها .

كما اود ان اعرف رأى سيادتكم ورأى الدكتور جابر فيما يتعلق بمسألة العهد الاشتراكى او المعاهد الاشتراكية باعتبارها تابعة لامانة الدعوة والفكر .

وفما يتعلق بالتنظيم او الحزب الطليعى اذا كان هناك ثمة اتجاه او تفكير ، لماذا الرفض ولماذا الموافقة ؟

مع الشكر . . .

أما بالنسبة للمعاهد فهي حتى الآن لم تنشط في عملها وفي نظري أرى أنه يجب بحث هذا الموضوع والعودة الى التفكير ، وان يكون ذلك على ضوء تحديد مفهومنا . وايدولوجيتنا التي يجب أن تعتنقها الجماهير ، كما يجب على أمانة الدعوة والفكر أن تعمقها في نفوس الجماهير بمعنى أن هذه المعاهد لا تنطلق من فراغ ، إنما تنطلق بعد تحديد هذه الايديولوجية وتحديد معالمها ، لان مهمة الأمانة تبدأ بعد هذا التحديد ، وكل انطلاق لنشاط الأمانة إنما يتوقف على هذا التحديد بالذات .

لقد أثار السيد السكرتير الأول مسألة عدم ملاحقة الاتحاد الاشتراكي للأحداث ، وأريد أن أقول أن أمانة الشؤون السياسية هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن المسائل والأحداث السياسية سواء في الداخل أو في الخارج ، وان مهمة أمانة الدعوة والفكر والاعلام هي الاعلان عن أنشطة هذه الأمانة والأمانات الأخرى مثل أمانة العمل الوطني وأمانة المهنيين والعمال والفلاحين ، فهي تخدم كل هذه الأمانات وتعلن عن نشاطها وتساهم معها فيما تقوم به من أنشطة تتعلق بالدعوة والفكر ، فإذا كانت أمانة الفلاحين تجري دورة تدريبية للفلاحين فيما يتعلق بالشؤون السياسية والتعاون والاشتراكية الخ . . فينبغي أن تسهم شعبة الفكر في أمانة الدعوة والفكر في عمل هذه الخطط التدريبية . . ونفس الشيء بالنسبة للأمانات الأخرى لتحقيق الأهداف التي يقوم بها التنظيم ككل ، ويقوم في النهاية بمتابعة تنفيذ خطتنا السياسي الذي ترسمه القيادة السياسية .

• شكرا •

● أبو سيف يوسف

انني أقترح ان نبدا مناقشة ورقة العمل حيث انها هي التي ستحدد الخط الذي ستسير عليه لجنة الدعوة والفكر •

● السكرتير الاول

الحقيقة اننا دائما نعتبر الجلسة الاولى كجلسة استعراضية ، وقد حدث ذلك بالفعل في لجنة الشؤون السياسية ، ولذلك فاننا نجد موضوعات كثيرة تتداخل ، ونحن نستفيد منها .

ورقة العمل معروضة عليكم وسوف نتكلم فيها ، والامر مفروض للجنة ، فإذا أردتم أن تناقش ورقة العمل فقط كموضوع ، فهذا ممكن . . ولكنني أرى اننا عندما نستعرض استعراضا عاما موقف

على ضوء الايديولوجية المحددة وعلى ضوء الاشتراكية التي نسير عليها والديموقراطية التي نتصورها ، فهي أيضا تعنى بالتدريب والتثقيف على المستويات المختلفة . . فمنها تثقيف عام وتثقيف في معاهد لهذا الغرض على مستوى المحافظات ، ثم في المعهد الاشتراكي العالي الذي تحدث عنه زميلنا الدكتور محمد انيس . . وهذا المعهد كان يعمل من قبل ونجري الآن دراسة لافتتاحه من جديد بعد دراسة البرامج التي يمكن أن يعمل المعهد في نشاطها . ثم الاساتذة الذين سيتولون التدريس ثم اختيار الدارسين الذين يتلقون التدريب والتدريس في هذا المعهد العالي

• بجانب شعبة الفكر فإنه يوجد أيضا شعبة الدعوة ويرأسها زميلنا السيد الاستاذ سعد زغلول نصار وهو عضو اللجنة المركزية ، وهذه الشعبة تعنى بتكوين دعاة بالاشتراك مع شعبة الفكر والشؤون الدينية ، ثم أيضا تعمل على الدعوة لفكرنا وتنظيم الندوات واللقاءات واصدار النشرات غير الدورية والعمل على اخراج مجلة الاشتراكي التي كان يصدرها التنظيم في العهد الماضي •

وهناك شعبة ثالثة وهي شعبة الاعلام ويرأسها زميل لنا أيضا من اللجنة المركزية الاستاذ محمد ابراهيم زيدان وتعنى هذه الشعبة بمتابعة وسائل الاعلام المختلفة من اداعة وتليفزيون وصحافة ووكالات الانباء . . الخ ، حتى ترى ما اذا كان الخط السياسي الذي يقبضه التنظيم مطبقا من عدمه ، ومدى التزام هذه الوسائل الاعلامية لهذا الخط السياسي •

بجانب هذا توجد شعبة الثقافة وهي تضم الادباء والفنانين وتعنى بدراسة العلوم الاجتماعية والعلوم البحتة . لتري ما اذا كان في الامكان الاستعانة بالادب والفن والعلوم في تكوين خطنا السياسي وفي تجنيدهم من أجل المعركة ولخدمة المجموع على ضوء المفاهيم التي يؤمن بها هذا المجتمع •

يلي ذلك شعبة الشؤون الدينية التي يرأسها الاستاذ الدكتور زكريا البري ، وهذه الشعبة تعنى بدراسة الدين وتنقيته مما قد يعلق به من شوائب ، والعمل على تكوين الدعاة الدينيين بالاشتراك مع شعبة الفكر ومع شعبة الدعوة ، ونشر المفاهيم والقيم الدينية ، ان لا يخفى ان اشتراكييتنا وتنظيمنا الاقتصادي والسياسي يقوم على أساس التمسك بالقيم الروحية والقيم الدينية •

الاتحاد الاشتراكي ثم نتطرق الى العمل يصبح الموضوع اوسع .. اما اذا شئتم ان تناقش ورقة العمل فقط ، فليس لدينا مانع في هذا .



أبو سيف يوسف

العمل في صيغتها النهائية سوف يعقد اجتماع لجميع اللجان التسعة المتفرعة من لجنة العمل مع لجنة العمل نفسها ، ثم تعرض الورقة عليهم لبدء أي ملاحظات عليها لم يسبق ادراجها ، ثم تعرض بعد ذلك على اللجنة المركزية التي تعتبر السلطة العليا للاعتماد .

● الدكتور محمد الخفيف

في الواقع اذا سمحتم سيادتكم انني أريد أن أتكلّم في لجنة الدعوة والفكر ، ولكنني لا أستطيع الكلام الا اذا تطرقت الى البناء الذي نجلس فيه الان والذي يسمى بالاتحاد الاشتراكي بوصفها لجنة من لجان الاتحاد الاشتراكي ، والا فسوف ندخل في مقاهات وتساؤلات عما قامت به لجنة الفكر والدعوة ، وعن التصور أيضا .. الخ .. يهيا لي أنه من الطبيعي جدا عندما نتكلم عن مهام لجنة أو تصورنا لمهام لجنة أن نتصور أولا البناء الكلي الذي يشمل هذه اللجنة ، وهنا سأضطر لو سمحتم لي أن أعود الى ورقة العمل التي قرائتها في الصحف .

ان ورقة العمل فيها نقطة هامة وهي نقطة السليبيات ، وانني في الحقيقة موافق على جميع السليبيات موافقة تامة مع اختلاف في المسمى - اذا جان التعبير لغويا - فانني أسميها طبيعيات وليست سليبيات ، بمعنى أنها خصائص طبيعية بحكم طبيعة الاتحاد الاشتراكي من وجهة نظري ، ويخيل لي أن البعض منا في أحيان كثيرة عند تناول الاتحاد الاشتراكي سواء بالتحليل أو التقييم .. فتناوله كحزب ، رغم اتفاق الجميع على

لقد اتجهت اللجنة السياسية في اجتماعها السابق الى مناقشة موضوعات عامة كبيرة جدا - رغم أنني كنت أرى مناقشة ورقة العمل فقط - وانتهت في آخر الجلسة الى أن تناقش ورقة العمل بندا بندا في الجلسة القادمة .

والان بعد بيان الدكتور جابر اتضح لنا طريقة تكوين امانة الدعوة والفكر ، وهذا التكوين قد يكون محل نقاش وهذا ايضا ضمن ورقة العمل ، لان الفكرة في تكوين اللجان الفرعية اننا نستشير بكل لجنة في مجالها الخاص ثم نجمع جميع الآراء التي تقدم للجنة ، بحيث انها في النهاية يمكن ان تعدل في ورقة العمل او تجيب على بعض التساؤلات الموجودة فيها والامر مفوض لكم .

فاذا اردتم ان نبدا بورقة العمل فليس لدى مانع ..

● صلاح طاهر

ما مدى فاعلية مقترحات اللجان الفرعية ؟

انها غالبا تقدم توصيات ومقترحات تتجمع بعد أن تكون قد فحصت الامر من زواياه المختلفة ، وتريد أن يظهر الى الوجود ويكون له نتائج ، ونريد أن نعرف الى أي مدى وصلت هذه اللجان وما مدى ما حققته من نتائج ؟

● السكرتير الأول

ان الطريقة التي شكلت بها اللجان توضح الاجابة على هذا السؤال .. فحينما تم تشكيل اللجنة الاولى وهي لجنة العمل المكونة من عشرين عضوا قلنا أن هذه اللجنة لا بد وأن تكون مشدودة بلجان أخرى فرعية حتى يكون تفكيرها متبثقا من أكبر قاعدة جماهيرية وأن أي قرارات تصدر من اللجان الفرعية ترفع الى لجنة العمل ، وستؤثر قديما في الورقة النهائية التي ستكتبها لجنة العمل ، بمعنى أنه لو استقر رأي مثلا في لجنة الدعوة والفكر - وهذه تعطى ميزة أننا نقاش في الموضوع وليس في ورقة العمل - لا بد وأن يكون له تأثير في القرارات النهائية الصادرة من لجنة العشرين ، بمعنى أن اللجان الفرعية ليست استشارية فقط وانما هي تؤثر في ورقة العمل في النهاية .. بعد هذا المفروض أنه عندما تعد ورقة



صلاح طاهر

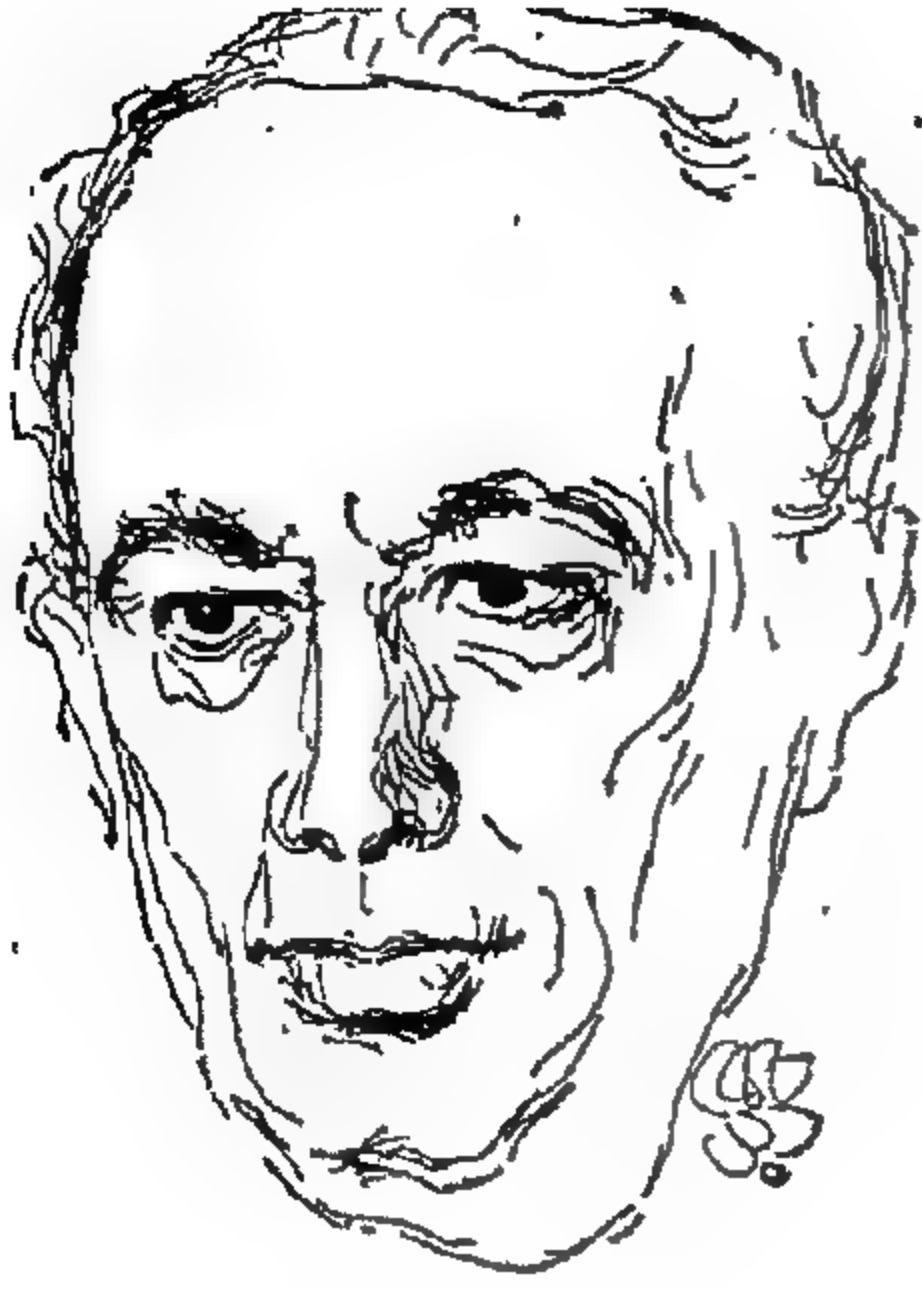
لحزب محدد شئنا أو لم نشأ ، أما أن يكون تحالف أو جبهة أو تجمع وتكون منظمة ، فهذا يعتبر أمرا غريبا جدا ، وهو يصبح أيضا أمرا غير وارد في مسألة أعداد الكادر . . . كيف يكون هذا ؟ أن يكون كادرا من تجمع أفراد ؟ أعد كادر تحالف ؟ وافتح معاهد لمن ؟ عندما جربنا المعاهد ما المقياس الذي كانت تقاس به ؟

ان كل انسان من ذوى النفوذ كان يرسل الى وانا كنت استاذنا في المعهد - يرسل « ثلثته » يختار بعض العناصر ويأتى الى ويقول صراحة في المعهد هؤلاء رجالى . . ما اخبارهم ؟ وماذا يعملون ؟ وكان الامر بمثابة أعداد افراد لخدمة أفراد آخرين ، وطبعا كانت لعبة مزدوجة وذات حدين لان أيضا من مشكلة الفكر أنه سلاح خطير لا يدخل (العقول) الا وبعضها لابد يتأثر به ، فطبعاً من وجهة نظر من كانوا يشرقون على المعهد من وراء ستار . فالمعهد الى حد ما قد خيب آمالهم وخارج أفرادا ليسوا منتمين الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، وكانت هذه هي المشكلة التي واجهتهم ، لكن في الاصل ، كان تكوين المعهد في رأى خطأ فلمن أعد الكوادر ؟ ، حتى الجهاز السياسى ، أو الجهاز الخاص الذى كون على أساس أنه تجمع أفراد ذوى صلة قرابة أو نسب مثلاً أو مصلحة معينة فى أن يسيطروا على الحكم وبالتالي أصبح المعهد لا يخدم هذا .

أما اذا قلنا بعد ذلك أن لجنة الدعوة والفكر لم تقم بدورها ، وأسمع ويتردد فى الآونة الاخيرة أن اشتراكيئنا وديمقراطيئنا وأشياء أخرى تنسب اليها ، لست أفهم معنى نسبة هذه الامور اليها ، ثم أسمع مرة أخرى نغمة الاشتراكية العربية وأشياء تعود للظهور مرة أخرى ، أنا أقول أن هذا أمر

أنه ليس حزبا . . طبعا . . اتفاق الجميع على أنه ليس حزبا . . أيضا له أصول مختلفة . . البعض يفزع من كلمة حزب ، ويقول الاتحاد الاشتراكي ليس حزبا . . البعض ينظر هذا ويقول أنه تحالف بين قوى ، والاصرح من هذا البعض يقول أنه تحالف بين طبقات ، واننى فى الحقيقة فى مفهومي الخاص ومن تجربتي فى الاتحاد الاشتراكي منذ انشائه - ودليلي على هذا أنه منذ انشائه وتوجد هذه الطبيعيات فيه لمدة عشر سنوات - وبالرغم من كل ما بذل من جهود من تغيير وانتخاب وتعيين والدمج بين الانتخاب والتعيين . . الخ أقول أنه ليس حزبا ولا اتحادا ولا تحالفا ، وانما هو مجرد (Political Plat Form) منتدى سياسى

اذا صح التعبير باللغة العربية ، يتجمع فرقة أو فيه أفراد وليست طبقات وليست قوى ، لأنه لو كان تحالفا فإن معنى التحالف أنه يوجد بين تنظيمات سياسية تمثل كل منها طبقة معينة ، وهذا ليس قائما فى الاتحاد الاشتراكي ، فهو ليس تحالفا وليس جبهة . . انما فى رأى مجرد تجمع أفراد ، وفى الحقيقة أن السيد السكرتير الاول قد صرح فى أكثر من مرة بأنه يجب أن تكون هناك قاعة مفتوحة فى الاتحاد الاشتراكي شبيهة (بالهايدبارك) يدخل فيها من يشاء ليغير عما يشاء ، وكنت فى الحقيقة سعيدا لهذا . لان هذا هو فعلا الشكل الطبيعى للاتحاد الاشتراكي القائد ، أما اذا كنا نرغب فى التغيير فإن هذه مسألة يمكن أن نناقشها . . فاذا كان هو تجمع أفراد ، فاندنى فى الحقيقة يحضرني هنا وصف للرئيس عبد الناصر قاله على هيئة التحرير ، وهو ينطبق أيضا على الاتحاد الاشتراكي فى رأى . . لقد قال « انها اقتراب غير منظم لمجموعة من الامانى من غير منهاج تفصيلي واضح ، تلتقى عنده حشود الجماهير على أساس فكرى محدد ، لتصبح أو تسير ارادة شعبية عميقة ومؤثرة » . . هذا الوصف ينطبق أيضا فى رأى على الاتحاد الاشتراكي ، وبمقتضى هذا الامر كذلك ، يصبح غير وارد على الاطلاق كثير من النقاط التى تثار فى الاجتماعات مثل المركزية الديمقراطية مثلا أو مثل الالتزام التنظيمى . . أو مثل الوحدة الايديولوجية ، وأنا لا أتصور وحدة ايديولوجية أو حدا أدنى منها ، حتى من تجمع أفراد . . طبعا الافراد كل منهم يأتى وله انتماءه الفكرى أو أصله الايديولوجى ، أما تصور حدوث وحدة ايديولوجية حتى فى مثل هذا التجمع فإنه يعتبر أمرا غريبا فى رأى بعض الشيء ، ويعيدا عن التصور ، لا يرد أيضا حتى اقامة منظمة أو تنظيم سياسى للشباب ، لأنه لا يمكن أن يوجد تنظيم سياسى للشباب أو منظمة سياسية لتجمع من الافراد ، بل حتى لا يمكن ان نقيمها لتحالف من التنظيمات . . المنظمة هي تنظيم سياسى شيائى



محمد الخفيف

على شهادات عضوية في الاتحاد الاشتراكي كي لا يرشحوا أنفسهم في مجلس الشعب .

فمن بين الافراد يعطى له هذه الشهادة ، من من افراد التجمع الذي له هذه السلطة فيقرر أن هذا يدخل الانتخابات وهذا لا يدخل ويكون عضوا في النقابة وهذا غير عضو ، وعلى أي أساس يتصرف هؤلاء وفي النهاية فهم حفنة من الافراد .

وهنا تثار قضية : ما هي علاقة الاتحاد الاشتراكي بالسلطة ؟ اي علاقة لم تكن الا علاقة مجموعة من الافراد على صلة بالسلطة . التي تريد السلطة . مهما قلنا ومهما وجهنا الاتهام الى الاتحاد الاشتراكي خلال العشر سنوات ، انه كان يعبر عن السلطة فهو بتكوينه هذا لابد أن يكون معبرا عن السلطة وتابعا لها لاننى لا أستطيع أن أفصل بين السلطة ، ومجموعة الافراد القيادية والموجودة والتي لها بحكم مناصبها واتصالها بالسلطة التنفيذية أن تقرر من العضو الصالح ومن غير الصالح ومن المنحرف وغير المنحرف ومن يدخل مجلس الشعب ومن لا يدخل ومن الذى يدخل النقابة ومن الذى لا يدخلها ومن يسافر ومن لا يسافر ، وهذه الاشياء هي التي تكون العلاقة أو الشكل التنظيمي للعلاقة بين التنظيم السياسي والسلطة ، وسيظل قائما طالما أنه تجمع افراد ، ولكن عندما يكون فعلا تحالف طبقات ويكون لكل طبقة تنظيمها السياسي المستقل داخل الاتحاد الاشتراكي الذى يعبر بصراحة وينضال بما في ذلك الرأسمالية الوطنية ، وفي هذا يمكن الكلام عن دور الاتحاد الاشتراكي تحالف حقيقي بين تنظيمات يصبح أيضا كلام في الخيال أن نفكر في وحدة أيديولوجية . أنا قد أتفق مع ما جاء من أن هناك

طبيعي جدا لان هذه المسائل فعلا . . خلال العشر سنوات ، لم تحسم ، وإذا كانت حسمت فلم تحسم الا بقرارات ادارية ، ولم تحسم بطبيعة تكوين الاتحاد الاشتراكي ، أنا شخصيا لا أتصور أن هناك اتحاد اشتراكي ومثلا يكون من قواه التي قبنى الاشتراكية ، ونقولها بصراحة ولو مرة في العمر - الرأسمالية الوطنية . . لماذا ؟ وليس هذا حقدا على الرأسمالية الوطنية وليس أيضا رفضا لدورها ، ولكن لكي تصبح الرأسمالية الوطنية نظريا ، يمكن أن تساعد في بناء الاشتراكية ، لكن لكي يصبح هذا الموقف النظري موقفا عمليا لابد فعلا من انتشار الافكار الاشتراكية خلال الطبقة العاملة والفلاحين في الريف ومن خلال تنظيم من خلال حزب ، ما الذي يكسب الرأسمالية الوطنية لبناء الاشتراكية ، ليست متصورا هذا اطلاقا بمحبة أو تحالف ، وأنها غير مستغلة . . الخ .

ومن الناحية النظرية فيمكن أن نكسب الرأسمالية الوطنية أو بعض قطاعاتها الى البناء الاشتراكي ، لكن هذه النظرية لكي تتحول الى عمل لابد من جهاز لقيادة هذا العمل ، وهذا الجهاز لا يمكن أن يكون الاتحاد الاشتراكي ، لا يمكن أن يكون تجمعا أو تحالفا أو اتحاد قوى الشعب بل لابد من جهاز آخر . . ويجب أن نفكر اذا كنا نريد اتحادا أو تحالف قوى فلابد من التفكير في أنه لكل قوة أو فلتسمها صراحة لكل طبقة ، تنظيمها السياسي المستقل . . فاذا كنا نخاف أو نخشى من كلمة حزب فيجب أن نفكر في تنظيم سياسي آخر . . لا أعرف . . قد يكون تنظيما سياسيا مستقلا داخل الاتحاد الاشتراكي . ومن هنا يمكن أن يكون الاتحاد الاشتراكي تحالف حقيقي بين تنظيمات مستقلة - وألا نظل نتكلم - وكل قوة وكل طبقة لها حرية التعبير عن رأيها ، كما ورد في برنامج العمل الوطني ، ولكل فرد ولكل قوة من قوى التحالف أن تعبر عن رأيها . . كيف يمكن أن يتم هذا ؟ فكلمة المنبر المستقل لكل طبقة . . كلمة لطيفة جدا ولكن كيف نتحقق ان لم يكن من خلال تنظيم سياسي لها . . لست أعرف . . خلال صحيفة ؟ فمن الذى يصدر هذه الصحيفة ؟ من يسيطر عليها ؟ أنا أقول أيضا أنه في مثل هذا الجو يصبح غير وارد أيضا مسألة اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكي لكل المناصب الانتخابية الاخرى . كالنقابات ومجلس الشعب لماذا ؟ على أي أساس نشترط عضوية الاتحاد الاشتراكي ؟ على أي أساس أحكم مجموعة صغيرة من الافراد يقرروا هذه العضوية ؟

ومن المفارقات الغريبة التي رأيناها أن بعض أعضاء اللجنة المركزية مثلا عجزوا عن الحصول

(رد بعض الاعضاء بأنها وصلتهم عن طريق البريد)

لى سؤال أوجهه للدكتور الخفيف حتى يتم هذا الاستعراض القيم ، وحتى نضع النقط فوق الحروف .

إذا كان الاتحاد الاشتراكي في شكله العام لا يمثل قوى الشعب العاملة كما قال الدكتور الخفيف ولا يمثل الا مجرد تجمعات أفراد ، هل يرى مثلاً ان تعود الاحزاب ثم تكوين جبهة منها هي الوسيلة المثلى .

● الدكتور محمد الخفيف

يمكن هذا فعلاً .

● السكرتير الاول

هذا اذن رأيك الذي ترمى اليه .

● الدكتور محمد الخفيف

لا .. أنا لا أرمى اليه .

● السكرتير الاول

أقصد استنتاجاً من الاستعراض الذي ذكرته .

● الدكتور محمد الخفيف

اننى أقول ذلك من أجل أن يكون صيغة مقبولة وصالحة ، لانه خلال عشر سنوات ثبت فعلاً انه أن الاوان لاعادة التفكير في هذه الصيغة ، لا بد من تحالف بين تنظيمات سياسية .

● السكرتير الاول

معنى هذا انه في تصورك أن تحالف قوى الشعب العاملة لا يتم الا بتكوين نوع من التنظيمات أو الاحزاب المتعددة ثم تنطوي جميع هذه الاحزاب المتعددة تحت جبهة واحدة والتي تسمى الاتحاد الاشتراكي .

● الدكتور محمد الخفيف

بشكل عام هذا هو تصوري .

● صلاح ظاهر

في تصوري فيما يختص بالالوان المختلفة للتفكير من جميع عناصر الشعب كما قال الدكتور الخفيف اقترح - كمجرد موضوع جانبي - أن

مصالح عامة تربط الطبقات ومصالح خاصة لكل طبقة ، لكن لا أدفق انه حتى حجم المصالح العامة يمكن أن يكون وحدة أيديولوجية فليس هناك ما يسمى بوحدة أيديولوجية بين طبقات من طبيعتها أن لها مصالح خاصة تتعارض بعضها مع البعض ، ان الذي سيسود من حيث الفكر أيضاً فكر المجموعة ذات الوزن المميز من الافراد داخل الاتحاد الاشتراكي شيئاً أو لم شيئاً .

لقد اذت أن أعرض هذا الموضوع - لاننى اعتقد أن امانة الدعوة والفكر لا تنشأ خطأ سياسياً وانما تخدم خطأ سياسياً ، ولكن خط سياسى من ؟ فى تناول هذه المسألة يجرنا الحديث الى مسألة أخرى ليست فى نطاقى أو ليست فى نطاق شجاعى لانها تتصل - بصراحة - بمسألة النظام السياسى فى البلد ككل ، بما الذى نريده من النظام السياسى ؟ يمكن الرئيس السادات أخيراً أراد أن يخطو خطوات أكثر فيجمع اللجنة المركزية ويعرض عليها كل شيء ، ولكن هذا قد لا يكفي لأن طبيعة تكوين الاتحاد الاشتراكي نفسه لا تساعد على هذا فتضطّر القيادة السياسية العليا بحكم الواقع وبحكم النظام السياسى القائم أنها تتفرد بانخاذ القرارات فى بعض الاوقات .

اذن فمناقشة دور الاتحاد الاشتراكي فى انه يسبق الحوادث ولا يكون تابعاً للسلطة ، كيف يسبق الحوادث ومن أين يسبقها ؟

السيد السكرتير الاول لا يلوم امانة الدعوة والفكر بالمثل الذى استشهد به .. فكيف أصدر كمانة دعوة وفكر بياناً عن زيارة وفد العراق ونحن نسب فى الطرق منذ أكثر من عام بنظام العراق وبعث العراق ، وفوجئت بوفد اتى لاجراء مفاوضات معنا .. كيف اتحمل كدعوة وفكر أن أصدر بياناً عن الوفد العراقى برأى .. أنا والله ليس عندي هذه الجرأة ، ولا امانة الدعوة والفكر كلها عندها هذه الجرأة ، لان الاتحاد الاشتراكي ككل ليس لديه الجرأة أيضاً أو لم تكن عنده القدرة ليقول هذا ، أو عنده الجرأة ، وأن مثل هذا ليس من وظيفته أو تكوينه لا يسمح له أن يقول هذا .

فالمسألة اذن - وأنا موافق على كلام الاخ أبو سيف - أنه فى كلامنا نتعرض لكل المسائل ولكن علينا أن نبدأ فعلاً بالمسائل الهامة التى طرحتها ورقة العمل واننى أسف أن أكرر اننى قرأتها فى الصحف ولم أقرأها فى هذا المبنى ولم توزع علينا قبل الاجتماع . وشكراً .

● السكرتير الاول

الم توزع على حضراتكم ورقة العمل حتى الان ؟ وكيف لم توزع ، مع اننى أصدرت تعليماتى بتوزيعها على كل اللجان ؟

تختار مجموعة من الشعب كل ثلاث شهور ليصوبوا آراءهم وأفكارهم في مكان ما ٠٠ في قاعة من القاعات ٠٠ لانه لاشك أن هناك عناصر من الشعب لها تفكير خاص ولها وزن ولها تنوع قد لا بخطر على بال الآخرين ، فلو أن كل هذه الآراء تجمعت من حين لآخر ثم فتغير مجموعة بأخرى من الأفراد كل ثلاثة أشهر أو كل ستة أشهر ، أعتقد أن هذا يجدي كثيرا وعلى الأقل تحصل على الأفكار التي لا يعلمها بقية الشعب ، وقد يحل هذا مشكلة الأحزاب ٠

● السكرتير الأول

هل هناك تعليقات أخرى ٠

هناك نقطة نود أن نوضحها أيضا استطرادا لكلام الدكتور الخفيف ٠

هل الاتحاد الاشتراكي بصورته الحالية يمكن أن يلعب دورا سياسيا أم لا ؟

ان الدكتور الخفيف استنتج أن الاتحاد الاشتراكي لا يمكن أن يلعب دورا سياسيا الا اذا مثل طبقات معينة في شكل تنظيمات وسلم بأنه قد تكون هذه التنظيمات تنظيمات حزبية ، وهذا طبعا متناقض مع النصوص القائمة ٠ ومع ذلك فيمكن أن نجنب هذه النصوص جانبا الآن ونتناقش موضوعيا ٠٠

في اعتقادي - وهذا هو رأي الخاص - أن الاتحاد الاشتراكي يمكنه أن يقوم بدور أكثر فاعلية بكثير جدا ٠٠

نريد أن نعرف ما هي الصورة ٠٠ الصورة في الاتحاد الاشتراكي الممثل فيه الطبقات العاملة كلها ، من فلاحين وعمال والرأسمالية الوطنية ، وتقال كلمة تناقضات بكثرة وأنه لا يمكن للاتحاد الاشتراكي أن يحل هذه التناقضات لانها تناقضات موضوعية في كلمتي التي أقيمتها أمام المؤتمر القومي أشرت الى هذا - بمعنى انه ليس جديدا - وقلت أن النقابات بالذات وهي تمثل تجمعات جماهيرية كبيرة يكون لها نوعين من الآراء نوع عام في السياسة العامة للدولة ونوع فيما يختص بها كطائفة أو كطبقة مثل العمال حينما يتحدثون عن بدل طبيعة العمل، أو تحسين مستوى المعيشة أو الفلاحين عندما يتحدثون عن التعاونيات وكيفية تطويرها ٠ الخ ٠

اننى أسأل نفسي دائما ما هو التناقض الموجود بين الطبقات العاملة؟ هل هو تناقض موضوعي، أم

هو تناقض مبنى على أساس حزبي داخل هذه التكوينات الجماهيرية ، فعندما ننظر الى الناحية الموضوعية ونرى الخط الذي سار عليه الرئيس جمال عبد الناصر في الفترة الاولى كلها سواء بالنسبة للفلاحين أو العمال ، وهم يمثلون الغالبية العظمى ونرى تطبيق هذا الخط ، فقد تكون من المميزات الاساسية للفترة السابقة من سنة ١٩٥٢ حتى اليوم ، اننا نجد أن التفكير السياسي كان مقرونا بإجراء عملي ، فكثير جدا من الأحزاب السياسية الخارجية ، والتي تدعى انها تمثل نظاما اشتراكية تكتفي بلافات أو يقط ثم تسير تحت هذه اللافات فترة طويلة دون أن تطبق شيء والمثل على ذلك في قوانين الإصلاح الزراعي المختلفة التي اتبعت في بعض البلاد ولم تطبق أو اتبعت للانتقام من شخص معين ولم تتبع كقانون كامل منفذ كما حدث في مصر ، أو كتمثيل العمال في مجالس الإدارة - أو حرية النقابات المهنية ، وإن الثغرة التي كانت موجودة في رأيي والتي كانت سببا في عدم فاعلية الاتحاد الاشتراكي الفاعلية التي يتصور الدكتور الخفيف انها تأتي من طبيعة شكل التحالف أو طبيعة مهمته ، ومن الجائر التفكير في هذا الكلام فقد كان هناك انفصال بين الاتحاد الاشتراكي والنقابات المهنية والنقابات العمالية ، هذا الانفصال في جزئه الأكبر الذي أشار اليه هو على أنه بطاقة العضوية أو تدخل الاتحاد الاشتراكي لاملأه نقيب معين على نقابة معينة ، سواء كانت عمالية أو مهنية أو تعاونيات زراعية ٠

الاسلوب السياسي عندما يصل الامر بالاتحاد الاشتراكي - هنا تأتي مجموعة الأفراد التي أشار اليها - فمثلا فيها هي التي تركزى شخصا معيناً لسبب أو لآخر ، وأن محصلة هذا النهائية تماما ، هي انفصال هذا التنظيم عن النقابة الموجودة ٠ وتصبح النقابة في هذه الحالة في جمعيتهما العمومية اذا جازت لنا هذه التسمية أو في قاعدتها الجماهيرية منفصلة عن النقيب وبالتالي منفصلة عن الاتحاد الاشتراكي والامثلة على ذلك كثيرة جدا ٠

وعندما نفكر في اسلوب أفضل ، فإن الاسلوب الافضل ليس في تعدد الأحزاب في الفترة الحالية على الأقل ٠

والضرر الذي أمامي - وهذا رأي شخصي أيضا - قابل للنقاش بأي صورة من الصور التي تريدونها ، والضرر اننا سوف ندخل في مناهات ضخمة جدا بالنسبة لتعدد الأحزاب ٠

فليس من الممكن أن نقرر في جلسة مثل هذه

الطلاب تمثل أيديولوجية معينة وفكرا معيننا وهناك طائفة كبيرة من هؤلاء الطلاب لهم رأى فى هذه التنظيمات ، ولهم تفكير معين وقد يكون هذا التفكير منصبا على خط معين ، وهو ما أشار اليه الدكتور جابر جاد فى حديثه ، وهو الخط الاشتراكي الذى اتبع فى مصر .. كيف أمكن للاتحاد الاشتراكي فى فترة العشر سنوات الماضية ان تدار اعماله مع احترامى لجميع الامانات من شخص واحد هو فى موقع الامين سواء على مستوى السكرتير او امين امانة ، لمجرد تفكيره الخاص وليس لمجرد صلاته بقاعدة جماهيرية كبيرة جداكى تؤثر فى تفكيره لكى ينقل صورة حقيقية عن احساس الجماهير .. هل هذا قد تم ؟ اننى اقول انه لم يتم .. ان ما تم ماهو الا تفكير تابع من السلطة بمعنى ان السلطة كانت تتخذ قرارا معيننا سواء كان جماهيريا او غير جماهيرى باحساس السلطة ، والسلطة سلطة وطنية ، وسلطة ترى ان فى هذا مصلحة البلد ، وانا لا أشك فى هذا انطلاقا ، ولكن أيضا كان يجب أن يكون هناك رأى للجماهير فى هذا الاتجاه ..

اذن الصورة التى أتصورها للاتحاد الاشتراكي فى عمله فى مستوياته المختلفة .. فى اللجنة المركزية .. فى المؤتمر القومى هى صورة نقاش مفتوح .. فمثلا بالنسبة لاسلوب عمل اللجنة المركزية فى الماضى .. ندخل اللجنة المركزية وفيها اعضاء من الحكومة ، ويدخل السيد رئيس الجمهورية الى اللجنة المركزية ولا يعلم أحد ما الذى سيثار فى اللجنة المركزية .. كيف يكون هذا .. ماهو الموضوع الذى ستناقشه اللجنة المركزية .. غير وارد .. فقد يثار أى موضوع ثم يدور نقاش عام حتى يشمل عشرين أو ثلاثين موضوعا ، وكان اجتماع اللجنة المركزية ما هو الا ندوة من الندوات السياسية .. هل هذا اسلوب حزبى متبع فى أى حزب من احزاب العالم ؟ .. هل حدث تهديد لدراسة أى نقطة معينة ، كما حدث مثلا فى برنامج العمل الوطنى .. هل قدمت دراسة قائمة موضوعية عن موضوع معين ثم يعرض على اللجنة المركزية ؟ لم يحدث هذا .. النتيجة ان اللجنة المركزية تكون فى واد والناس فى الخارج فى واد آخر .. اذن عندما اقول ان الاتحاد الاشتراكي يمثل قوى الشعب العاملة ، وان هناك تناقضات ولكن ليست بالحد الذى يدور فى أذهان الناس ، وليست كبيرة كما يخيل للبعض من أنها ستمزق قوى الشعب العاملة .. وفى رأى ان هذا الكلام غير صحيح ، فمثلا التناقضات الموجودة بين العمال والفلاحين .. ما هى هذه التناقضات ؟ هى تناقضات خاصة بمستوى المعيشة مثلا أو تناقضات خاصة بالاجور بالنسبة لزيادة اجر العامل الصناعى عن عامل الزراعة .. ماهى وسيلة

خلق الاحزاب ولا حتى جلسة على مستوى اللجنة المركزية ..

نقول اننا نريد خلق معارضة ، لان المعارضة لا تخلق من غرفة وكذلك الاحزاب ولكنها تخلق ببيانات معينة ، ولها برنامج معين ، والمعارضة تخلق لموضوع معين أو لخط سياسى معين ..

وان الثغرة الكبيرة التى كانت موجودة فى الاتحاد الاشتراكي بشعورى كرجل خارجى عن الاتحاد الاشتراكي - أنه - ومع احترامى للجميع ودون التعرض لاحد ، ولكننى فقط المس اسلوب - كان يقرر شئ من الاتحاد الاشتراكي فى داخل غرفة من الغرف من مجموعة من الناس ثم يتبنى هذا كسياسة وهذه المرحلة يستطيع الدكتور الخفيف ان يفسرها ، وظهرت التساؤلات والتعريفات ماهو الالتزام وما هو الالتزام والفارق بينهما ، وكل يصف نفسه بالالتزام ..

والشخص اذا جد الجد فنجد غير ملتزم باى أحد ابدا ، والنتيجة هى انفصال الاتحاد الاشتراكي عن الكل .. اذن ماهى الصورة البديلة لهذا ؟

فى رأى ان الصورة البديلة لهذا هى الانفتاح الكامل على الجماهير .. نحن لانستطيع ان نقول اننا هنا نمثل الجماهير كاملة .. بل اننا نمثل طائفة معينة ذات فكر من الجسائر ان يكون مختلفا .. ولكننا نتناقش من اجل ان نصل الى اسلوب معين .. اذا تركت نقابة من النقابات ان تختب بحريتها من تشاء كنقيب ، ونجح نقيب معين .. هذا النقيب ومجلس ادارة النقابة يجب ان يعتبروا عاملا مؤثرا فى سياسة الاتحاد الاشتراكي ، ونحن لم نقل عليه انه فرع من فروع الاتحاد الاشتراكي ، ولكننى اقول انه عامل مؤثر فى طريقة تفكير الاتحاد الاشتراكي ، فعلى سبيل المثال .. ما الذى جعلنا نفكر فى تغيير اسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكي ؟ هل هو اسلوب فردى .. بمعنى ان سيد مرعى جاء لينشئ شيئا جديدا ؟ اننى اؤكد لكم ان هذا خطأ ولم يكن فى فكرى اطلاقا منذ أن استلمنا العمل هنا ان نبدأ بشئ جديد لغرض تكوين لجان فقط ، ولغرض اثاره نوع من المناقشات .. ابدا ليس هذا هو المقصود .. لقد جاء هذا العمل وليد حركة الطلاب وجاء وليد أكثر من ٤٥ اجتماعا عقدتهم فى الاتحاد الاشتراكي فى المدة القصيرة الماضية ، لقد اجتمعنا مع النقابات المهنية ، وطلبنا منهم ان يقولوا ما يشاءون ، وتكلمت النقابات المهنية عن تود أن يكون فى الاتحاد الاشتراكي ، كما اجتمعنا دورها وما تراه ، وتود أن يكون فى الاتحاد الاشتراكي كما اجتمعنا بالطلاب .. والدكتور الخفيف على سبيل المثال لا تمثل شيئا .. ان هناك تنظيمات اخرى قائمة من

اشتراكية بالفعل ، هل اشتراكيتنا تمثل الاشتراكية الموجودة في الاتحاد السوفيتي في تفصيلاتها وليس في عنوانها ، في عنوانها فان جميع البلاد الاشتراكية تشترك في عنوان واحد وتتفق في هذا مصر ايضا وهو أنه لا استغلال لرأسمالية ، فتحت هذا العنوان توضع اشياء كثيرة جدا فيمكن ربط الاشتراكية في جميع البلاد الاشتراكية . . انما لو دخلنا في التفصيلات : فنثلا هل النظام الزراعي وأتكلّم في هذا أكثر لدرايتي به . المطبق في بولندا اليوم يماثل النظام الزراعي المطبق في الاتحاد السوفيتي ؟ الفارق كبير جدا فالاتحاد السوفيتي يسير الآن الى نظام المزارع الحكومية البحتة ، ويرى ان هذا النظام من واقع الارقام التي يذيعها يحقق تحسينا في ناتج المحصول ، وديين انهم استعملوا الميكنة الزراعية فيه واشياء أخرى ، وأنا في زيارة للمجر قلت لهم لماذا لا تتيحوا نظام المزارع الحكومية - ذلك لانهم في الواقع لازالوا يتبعون النظام التعاوني ويميلون اليه رغم انه يعتبر الخطوة الاولى التي سيقف تكوين المزارع الحكومية في الاتحاد السوفيتي فقلت لهم لماذا لا تطبقوا هذا النظام ليكون هناك تماثل ووحدة في الايديولوجية بينكم وبين الاتحاد السوفيتي ، والاجابة كانت لماذا نعمل هذا طالما انه ليس هناك نوع معين من أنواع الاستغلال .

والمانيا الديمقراطية . . ماذا في نظامها ويوغسلافيا والمجر وبولندا . . حتى في الصناعة نفسها هناك اساليب مختلفة فكيف تضيق في مصر من الاسلوب الاشتراكي الذي يمشي مع خطنا والذي نريده ولا نضيف بفكر ماركسي او تجربة من المانيا الديمقراطية او من بولندا .

والمثل على ذلك قائم في اصلاح الزراعي المصري الذي أخذ في جميع المجمعات الدولية بما فيها الدول الشيوعية نفسها كأساس معترف به كنظام اصلاح زراعي في ظروف مصرية ويعتبر نظاما ناجحا .

فحينما أقول انه خط اشتراكي مصري . . فلم أخطأ في هذا او خط اشتراكي عربي لم أخطأ ، لانه خط اشتراكي . اما حينما نسأل ما معنى خط اشتراكي مصري وعربي ؟

فانه للاجابة على هذا السؤال علينا ان ندرك ما هو الخط السياسي الذي يمثل خطا اشتراكيا ؟ اذا كان تمثيل العمال في مجالس الادارة ، ونصيبها في الارباح ، وملكية الدولة للمصانع لا يعتبر خطا اشتراكيا . . فما هي الاشتراكية اذن في هذا الموضوع ، واذا كان تحديد حد أعلى للملكية ، وتغيير هذا الحد في أي وقت من الاوقات لان الدستور والقانون يسمح بهذا التغيير . . واذا

تحسين القطاع الزراعي حتى يصل الى مستوى يقارب المستوى الصناعي . . هل هذا هو تناقض ؟ انه ليس تناقضا . انما هو تغيير في الاسلوب الاشتراكي الذي يجب ان نعمل به . . بمعنى أننا اذا رأينا ان طبقة العمال قد امتازت بامتيازات جديدة تزيد بكثير عن طبقة العمال الزراعيين مثلا ، فمن الواجب ان نواجه مشكلة عمال التراحيل . . وعندما نواجه مشكلة عمال التراحيل التي تهم الملايين من الفلاحين . . ما هو الدور الذي يلعبه الاتحاد الاشتراكي لمواجهة هذه المشكلة بدلا من ان يواجه مشكلات نظرية في أوراق لا أول لها ولا آخر . النتيجة هي انفصال الاتحاد الاشتراكي وأنا في تصوري ان الاتحاد الاشتراكي في عمله لا يضاد السلطة الوطنية ابدا ولا يجب ان يضاد السلطة الوطنية ، لانه من المفروض ان هذه السلطة الوطنية تنبع في صورة من صورها من الاتحاد الاشتراكي . واذا كان هذا غير موجود حاليا او لم يحدث من قبل فهذه ليست مشكلة طالما اننا نعتقد ان هذه السلطة هي سلطة وطنية . . ولكن الاراء التي تبدى عندما نجتمع مثلا مع الفلاحين على افراد ونسمع اسلوبهم في تغيير النظام التعاوني ، او نسمع ضجة عمال التراحيل والصورة التي يعيشون بها ، نتساءل ما هي الوسيلة الاشتراكية التي يمكن ان يتبناها الاتحاد الاشتراكي للتغلب على هذه المشكلة هل نسمى هذا تناقضا ، انني لا أسمى هذا تناقضا اطلاقا ، لان الاشتراكية متطورة بطبيعتها واللجنة المركزية وجميع المستويات في الاتحاد الاشتراكي لابد ان تعمل في تطوير الاشتراكية في حدود استكمال اشتراكي معين لطبقة من الطبقات ، اقول هذا حتى لا أتوه في ورقة معينة قد تكون مطولة ولا يمكنني ان اخرج منها شيء اتقدم به للجنة المركزية .

بالنسبة للجزء الاخير الذي اشار به الدكتور الخفيف حيث يتساءل فيه عن معنى الايديولوجية المصرية ، وما معنى خط مصري ، وما معنى خط عربي ، وما معنى اشتراكية عربية ؟

والسؤال المرادف لهذا ما هي الاشتراكية اذن التي تطبق في هذا الجزء من العالم ؟ هل يجب ان تكون مثلا هي الاشتراكية الماركسية كاملة هل هي الاشتراكية اليوغوسلافية بعد التغييرات في يوغوسلافيا هل هي الاشتراكية المجرية ؟ او هل هي الاشتراكية البولندية ؟ لماذا نحن في مصر عندما نتكلم عن الاشتراكية المصرية او الاشتراكية العربية يقال لنا على الفور ما هي الاشتراكية العربية ، وما هي الاشتراكية المصرية ؟ واذا استعرضنا البلاد الاشتراكية مثلا هل الاشتراكية المطبقة في المجر . . أولا ، هل المجر دولة اشتراكية أم لا وهذا هو السؤال الاول . . واذا اجزنا ان المجر دولة

كان الدكتور جابر أو سيد مرعى بعد هذه الجلسة ينقل الى أعلى مستوى في مصر خلاصة نقاش هذه اللجنة . فاعتقد أنه لن يضيق أحد بالمنافسة واعتقد أيضا أننا ننير السلطة في القرارات التي نتخذها ، ويجب أن تزول المحاسنة في هذه الناحية لأننا في هذه الحالة نعبر عن رأى عام ، فإذا وصلنا الى هذا فسوف نؤثر في السلطة وطريقة تفكيرها ، ونؤثر في القرارات التي تصدرها ، وإذا لم نصل الى هذا فسوف نكون جهازا أو سلطة جديدة أسمها سلطة الاتحاد الاشتراكي كما ولدت فترة من الفترات حيث كانت تمثل سلطة معينة . أنا أقول أن الاتحاد الاشتراكي ليس سلطة ولكنه قد يكون سلطة بمعنى أنه يعبر عن آراء الشعب والجمهير ، ولكن نحن نتكلم في حدود السلطة بمعنى الاملاء ، الاتحاد الاشتراكي في فترة من الفترات كان هو الذي يملأ . هل هذه صورة الاتحاد الاشتراكي لكي يمثل قوى الشعب العاملة ؟

في الواقع اننى لست متخوفا ، أما بالنسبة لتعدد الأحزاب . فإن الفترة الحالية بالإضافة الى تنافس الفكرة مع جميع المواثيق التي نسير عليها ، تكون غريبة جدا إذا ما ناقشناها في الوقت الحاضر .

بالنسبة لليأس من الاتحاد الاشتراكي ومن أنه لا يمكن أن يعمل عمل أكثر فاعلية . هذا اليأس على الأقل ليس موجودا لدى .

بالنسبة لابرار العيوب الموجودة في الاتحاد الاشتراكي ليس هذا للاستهانة بأحد بل هو كالدكتور الذي يكتشف أولا موضع الداء لكي يستطيع أن يقرر العلاج ، ولابد من معالجة الأمور بصراحة وقوة .

بالنسبة للانفتاح على الناس والانفتاح على الجماهير هذا هو الواجب ويجب أن يكون انفتاح كامل على الناس والتكوينات والتنظيمات المنتخبة منهم .

أما القول بأن التنظيم الطلابي مثلا . ماذا يمثل : الاجابة انه يمثل كثيرا جدا مثل آراء الطلاب من الناحية السياسية والاجتماعية ومستقبلهم ، ولا يمكن أن يهمل هذا . كيف يمكن أن يهمل شباب يتطلع الى مستقبل غير واضح أمامه . كيف يمكن أن يهمل شباب يعانون من الناحية الاجتماعية والاقتصادية . كيف يترك هذا الشباب على هذه الصورة من البلبلة ، ثم يكون الاتحاد الاشتراكي في موقف المتفرج .

كان تحديد الحد الأقصى للملكية ثم توزيع الارض على المزارعين ثم جمعهم في جمعيات تعاونية ثم جعلهم المسيطرون على أرضهم ونتائجها . . . الا يعتبر هذا خطأ اشتراكيا .

فما هو الدليل لهذا . . . قد يكون البديل لهذا هو المزارع الحكومية مثلا . . . حيننا نقاش هذا الموضوع اذا اقتنعنا به . . . ولا اعتقد ان هناك من يقول أننا نريد ايدولوجية تجمع الكل ، وأنا مع الدكتور الخفيف في هذه النقطة ، لأنه ليس هناك ايدولوجية معينة تجمع الكل ، لأننا نقول أننا لا نضيق بالحوار ، ونريد أن يقول كل فرد رأيه في اللجنة المركزية وفي داخل جميع مستويات الاتحاد الاشتراكي . إنما هناك خط اشتراكي معين في مصر ، وهذا الخط الاشتراكي المعين يحتاج اما الى استكمال ، واما الى تدعيم .

وهذه النقطة قد طرحتها في مقدمة حديثي .

فالخلاصة اننى أرى أنه كي يمثل الاتحاد الاشتراكي فعلا تمثيلا نابعا من القاعدة أنه يجب ألا نهمل التكوينات الجماهيرية الضخمة الموجودة بناء على انتخاب بين هذه الطائفة ، بمعنى عندما أقرر شيئا خاصا بالعمال فيجب أن نشترك فيه اتحادات العمال نفسها لأنها قائمة وكذلك النقابات أيضا . لماذا لا أقرر هذا الشيء بعد نقاش مع الاتحادات والنقابات ، وهذا أيضا بالنسبة للنقابات المهنية وكذلك الامر بالنسبة للمحامين والصحافة بنفس الأسلوب .

في الواقع أن التجربة الماضية التي أعود اليها لكي اختم كلمتي - في الفترة السابقة - قد افادتني فائدة كبيرة ، لأننا اجتمعنا مع نقابة المحامين وكان لهم آراء بناء طيبة ، كما اجتمعنا مع نقابة الصحفيين ، فأوضحوا لنا مشاكل الصحافة كما يرونها .

اجتمعنا مع تجمعات من الطلبة لا حصر لها . ليست في تنظيم من التنظيمات وسمعنا منهم آراء قيمة جدا تمكنا من القيام بدور فعال ، ولكن انعزال الاتحاد الاشتراكي عن جميع هذه الطوائف هو الذي يؤدي الى النتائج التي وصلنا اليها .

النقطة الأخيرة عن مساحقة الاحداث التي عبر عنها الدكتور الخفيف بأنه لا قدرة لاحد للملاحقة هذه الاحداث . . . لماذا لا لأنه لم توضع قاعدة معينة تبين سياسة الاتحاد الاشتراكي . . . اذا كان الدكتور جابر هو الذي يكتب رأيه ، أو سيد مرعى هو الذي يكتب رأيه ففي هذه الحالة قد يتخوف سيد مرعى من أنه يكتب رأيه وكذلك الدكتور جابر ، إنما اذا



سامي داود

● سامي داود

في الواقع أريد أن أنطلق في تعليقي الذي أقوله من نفس المنطلق الذي انطلق اليه السيد المسكرتير الاول في ورقة العمل ، وهو الالتزام بالوثائق الثورية الاساسية لدينا وبقرار المؤتمر القومي العام الذي أشار لاعادة النظر في قانون الاتحاد الاشتراكي . . . وأن الدكتور الخفيف قد قال كلاما له قيمة كبيرة جدا من هذه الناحية ، لان الميثاق عندما وصف الاتحاد الاشتراكي بأنه تحالف . . . وصفه بأنه تحالف لقوى الشعب العاملة ، ومعنى أن قوى الشعب العاملة تتحالف ، يعني أن تكون هذه القوى هي صاحبة اليد في ارسال من يمثلونها في الاتحاد الاشتراكي ، بمعنى أنه عندما يسكن هناك ضمان للعمال والفلاحين ٥٠ في المائة وهناك فئات أخرى موجودة في الاتحاد الاشتراكي ، وتكون هذه الفئات أو الممثلين أو الاعضاء القياديين المنتخبين يمثلون قوى الشعب ، فيجب على كل عضو من الاعضاء القياديين أن يعرف قاعدته بين قوى الشعب العاملة ، فهل العامل الذي يدخل الاتحاد الاشتراكي في منصب قيادي يستطيع أن يقول ، أو هل نستطيع أن نقول نحن أنه حضر من قاعدة عمالية طبقا لقانون الاتحاد ، وهل الفلاح كذلك نستطيع أن نقول أنه حضر من قاعدة فلاحية ينطبق عليها وصف الفلاح السياسي ، وهل المثقف أو الرأسمالية الوطنية تستطيع أن تدعى لنفسها هذا الادعاء ؟ في الواقع لا . . . لان الفلاح والعامل والمثقف والرأسمالي الوطني كل هؤلاء يأتون نتيجة لانتخابات عامة تحدث بين جماهير لا تتنوع بتنوع قوى الشعب العاملة ولا تتحكم في ارسال مبعوثيها أو مندوبيها القياديين إلى الاتحاد الاشتراكي ، من

وعندما يقترب من هذه المجموعات من الناس يقال مثلا التنظيم الشبابي واجب أم غير واجب . . . كيف ذلك اننا لا نقول تنظيما شبابيا بالاسلوب القديم ، ولا أي تنظيم لخدمة أي شخص معين ، وقد صرحت بهذا في حلوان تصریحا واضحا اننا لا نريد خدمة شخص معين . . . ولا الارتباط به على مستويائنا ، انما نريد الارتباط بنظام والارتباط بخط .

وهذا ما أردت أن أعلق به على كلمة السيد الدكتور الخفيف .

● الدكتور محمد الخفيف

في الواقع عندما أثرت موضوع الاشتراكية المصرية لم أثرها ضيقا بها ، لان العمل والسنين قد علمتني ألا أضيق بشيء ولكن كمثال بعد عشر سنوات رغم أنه جرى كلام كثير في هذه الموضوعات ومنها مثلا كلام الرئيس عبد الناصر عندما قرر وحسم بقرار من عنده أنه ليس هناك ما يسمى اشتراكية عربية ، وانما هناك تطبيق عربي للاشتراكية ، هذه المسائل تثار الان مرة أخرى - وهذا أمر طبيعي من وجهة نظري لان هذه المسائل لم تحسم الا بقرارات وانما لو حسمت بسياسة وفكر . . . لم أضيق بها .

مسألة التنظيم الشبابي ، لا أتصور أن هناك تنظيما سياسيا للشباب داخل تجمع أو تحالف لان التنظيم السياسي للشباب وظيفته الاولى هي التطوير والتغيير وهذا يحتاج الى تنظيم سياسي معين ليس هو التحالف أو الجبهة أو التجمع . . . ولكن لم أكن أقصد ألا ننشئ تنظيما ، لكن المقصود هو عن كيفية انشائه في هذا الوضع الذي نحن فيه - والاتحاد الاشتراكي مازلنا نناقش على صيغته في ورقة العمل الموجودة معنا ، والمقدمة من سيادتكم . . . كيف يمكن أن يقوم تنظيم شبابي ورغم نوايا الطيبة فلن ننتهى الا الى الوضع الذي كان عليه أولا ، من حيث ولائه لشخص معين رغم تصريحات السيد الرئيس وتصميمه على أنه لا يريد أن يحتوى الشباب . . . كل هذا حق وجميل . . . لكنه رغما عنا ، اذا بقي وضع الاتحاد الاشتراكي كما هو سيتطور التنظيم الشبابي الى تنظيم يحتوى . . . لمن ؟ هذه هي النقطة الغريبة . . . ولن يكون احتواؤه لنظام ولكنه سيكون احتواء لافراد . مشكلة في الواقع علينا أن نتصدي لها .



د. جمال الفندي

● الدكتور جمال الفندي

في الواقع سوف أتكلم كلاما بسيطا جدا . انى أقصرر أن الاشتراكية ما هي الاضمان لدر انسان لحيانه ومستقبله . . . لكن الفئات وكل الطبقات . . . هذا هو تعريف الاشتراكية في رأيي كما أفهمه ، والانسان لا يهتم بأى تنظيم الا اذا كان له فيه مصلحة ، فاذا لم يكن له مصلحة فلا يمكن أن يهتم به ، ونحن هنا في مصر في الواقع نجد أن هناك فئات مختلفة مثل العمال والفلاحين وغيرهما ، وهناك أيضا أغنياء . . . كل هؤلاء يجب على الاتحاد الاشتراكي أن يرمى مصالحهم ، وأن لنا تراث ، فعندما نقبض نظاما من الخارج ففي رأيي أن الاتحاد الاشتراكي يجب أن يأخذ في الاعتبار الاول صالح كل الطبقات بطريقة عملية بحيث يكون تمثيل الافراد يمثل صالح الفئات كلها ، وليست أفرادا معينة أو فئات معينة ، واذا تحقق هذا كان الاتحاد الاشتراكي دون شك مركز لاتحاد قوى الشعب العاملة ، لان الصالح العام ما دام ممثلا أو مرعيا يمكن أن نحقق الفائدة العامة ، هذا ما أردت أن أقوله باختصار .

● أبو سيف يوسف

إذا سمح لي مناقشة ورقة العمل فأرجو أن يسمح لي بمناقشة النقاط التالية :

- ١ - المناخ السياسى أو المناسبة السياسية التى يبنى فيها الاتحاد الاشتراكي .
- ٢ - التنظيم السياسى أو الطليعى داخل الاتحاد الاشتراكي .

هنا عندما تجتمع اللجنة المركزية أو المؤتمر القومى العام ، ويتكلم فيه أى عضو من الاعضاء فلا يستطيع هذا العضو أن يزعم انه يمثل قوة من قوى الشعب العاملة . . . هو حقيقة ينتمى الى قوة من قوى الشعب العاملة بحكم عمله كعامل ولكن الفكر الذى لديه ليس فكرا تكون فى داخل تنظيم عمالى وهو يمثل به هذا التنظيم ويلتزم به التزاما حقيقيا نحو هذا التنظيم ، وينتج من هذا أن الاتحاد الاشتراكي بالفعل أصبح عبارة عن تجمع أفراد وليس تحالفا بين قوى الشعب العاملة لان قوى الشعب العاملة ليست هي المسيطرة على انتخاباته ولا على الاعضاء الذين ترسلهم اليه . . .

الواقع أن هذا قد أثر لانه ليس هناك قوة وراء كل عضو متميزة ومتنوعة ولها فكرها وأن الميثاق الذى نلتزم به (وأنا سعيد جدا لان ورقة العسل أكدت وجوب الالتزام بالميثاق وكل وثائقنا الثورية) يعترف بوجود صراع طبقي ، وأن هذا الصراع الطبقي طبعى وحتمى . . . اذن القوى العاملة عندما تتصارع داخل الاتحاد الاشتراكي بالحوار الديموقراطى والسلمى حتى تحل مشاكلها يجب أن تكون مدعومة بقواعد جاءت لتمثيلها ، ولكن نظرا لان هذه القوى أو هؤلاء الممثلين الموجودين لا يرتكزون على فكر قواعد فلا دور لهم فى عملية الحوار السلمى لحل مشاكل الصراع الطبقي فى الاتحاد الاشتراكي . . . ونحن نقول أن هناك قوى مختلفة وهناك تنوع فكرى ولا يوجد وحدة فكرية ، وهذه حقيقة يجب أن نعترف بها رغم انه عندما ننظر الى نتائج أعمالنا القيادية فى الاتحاد الاشتراكي نجد أن جميع قرارات الاتحاد الاشتراكي منذ وجد حتى الان ، وجميع قرارات المؤتمر القومى واللجنة المركزية . . . الخ ، كانت تصدر بالأجماع . . . فأى وحدة فكرية أعظم من هذا ؟ اذا كانت كل القرارات تصدر بالأجماع كانه لا يوجد تنوع أو صراع طبقي أو أفكار منظمة يحملها ممثلو قوى الشعب العاملة الى داخل الاتحاد الاشتراكي ، واننى لا أقول هذا الكلام وفى ذهنى دعوة الى تشكيل أحزاب سياسية ، كما أنه ليس لدى اقتراح جاهز ، ولكن لا بد اذا كنا بصدد إعادة النظر فى قانون الاتحاد الاشتراكي بطريقة جذرية كما جاء فى ورقة العمل وإعادة النظر فى البناء الداخلى للاتحاد الاشتراكي ، لا بد أن نصل الى وسيلة تتحقق بها سيطرة قوى الشعب العاملة أو توجيه قوى الشعب العاملة ، وفكر قوى الشعب العاملة . . . كل قوة على حدة لن يمثلونها فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكي القيادية ابتداء من الوحدة الاساسية وعلى الاخص بالنسبة الى المستويات الاعلى . . . مستوي لجان المحافظات والمؤتمر العام .

وشكرا .

٣ - بناء الاتحاد الاشتراكي بالديمقراطية .

٤ - الاتحاد الاشتراكي كسلطة سياسية .

ففي النقطة الاولى وهي المناخ السياسي الذي يبنى فيه الاتحاد الاشتراكي ، القضية التي تركز عليها القيادة السياسية للبلاد والتي أشار اليها مشروع ورقة العمل هي بناء الاتحاد الاشتراكي ليكون حشدا لاوسع الجماهير في بلادنا . ومن الواضح أن تحقيق هذا الهدف ليس ولن يكون من المهام السهلة ، لا لان هذا التنظيم يبنى من مواقع السلطة فحسب ، بل وهذا هو الأساس لان صيغة الاتحاد الاشتراكي النظرية لم يتح لها أن ترتبط ارتباطا كاملا بحركات المد الثوري التي جرت في بلادنا في أكثر من مناسبة . وعلينا أن نستعيد تاريخنا القومي لنستخلص منه الدروس اللازمة .

فشعبنا قد عرف تجربتين لحزبين سياسيين استطاعا أن يحشدا أوسع الجماهير . الحزب الوطني الاول الذي قاد الثورة العراقية ثم حزب الوفد في ثورة ١٩١٩ . ان ما حدث بالنسبة لهذين الحزبين هو أنهما ولدا كحزبين جماهيريين في اللحظة المناسبة ، لحظة مد ثوري ، لحظة قدغق القوى الوطنية الى سلحة المعركة الوطنية المعادية للاستعمار .

ومن هنا تتحدد مشكلة تكوين الاتحاد الاشتراكي على النحو التالي :

وهو أن صيغته النظرية - رغم صحتها - لم تلتحم بحركة مد شعبي تجسد هذه الصيغة في اللحظة المناسبة وفي الشكل التنظيمي المناسب ، وذلك على الرغم من أن بلادنا شهدت أكثر من مرة أحداثا تاريخية تحركت فيها أوسع الجماهير أوسع حركة ممكنة تذكر على سبيل المثال هبة ٩ و ١٠ يونية ، والأحداث التي سبقت وأعقبها بيان ٣٠ مارس وغيرها من الأحداث .

ان هذه الحقيقة كان قد تنبه اليها الزعيم النخالد جمال عبد الناصر عندما أشار في بعض أحاديثه الى أن ظروف المعركة تقدم للاتحاد الاشتراكي فرصة نادرة لكي يبنى نفسه كتتنظيم تحتشد فيه أوسع الجماهير .

ومما تقدم نخلص الى هذه النتيجة وهي أنه لا طريق أمام الامانة العامة لبناء الاتحاد الاشتراكي كتتنظيم وحشد لاوسع الجماهير ، إلا اذا ربطت صيغة الاتحاد الاشتراكي ، وعملية بنائه بالواقع الثوري الذي تعيشه البلاد . هذا الواقع يدور حول محورين : محور رئيسي هو معركة التحرير ، ومحور ثان هو حركة الجماهير منذ ٥ يونيو

واتجاهها الى تأكيد حقها في المشاركة في السلطة ، وفي الرقابة والتوجيه ، هذا الحق الذي أشارت اليه ورقة العمل .

ومن هذا أيضا نخلص الى هذه النتيجة العملية ، وهي أنه اذا كان الاتحاد الاشتراكي مطالباً بأن يضع دليلا مفصلا للعمل السياسي ، فإن هذا الدليل يجب أن يركز في هذه المرحلة على المهمة الرئيسية مهمة تعبئة الجماهير من أجل تحرير الارض . وتصفية العدوان الصهيوني الامريكي . هذا الدليل سيحدد الاهداف والوسائل اللازمة لاقامة وحدة وطنية صلبة تضم كل القوى الوطنية والتقدمية .

هذا عن النقطة الخاصة بالمناخ السياسي الذي يجب أن يكون المدخل والاطار الحقيقي لكل عملية تستهدف حل المشكلات التنظيمية المعقدة في بناء الاتحاد الاشتراكي .

النقطة الثانية ، هي قضية التنظيم الطبيعي الذي ورد في الميثاق ، أنه لأبد وأن يقوم داخل الاتحاد الاشتراكي ، ان مشروع ورقة العمل لم يشر الى قضية التنظيم الطبيعي . وربما كان السبب هو اقتناع قيادة الاتحاد الاشتراكي بأن هذه القضية يمكن أن تؤجل - لاسباب تقدرها - الى ما بعد تصفية العدوان . ومع ذلك فاننا نعتقد أن ورقة العمل كان لابد وأن تشتمل - على الأقل - على تصور أولي للتنظيم الطبيعي ومكانه داخل الاتحاد الاشتراكي حتى وان كان الموضوع مؤجلا . وذلك لان نظرية التنظيم كما جاءت في الميثاق تستند الى دعامين مترابطين : التنظيم السياسي ، أو الطبيعي وهو قيادة الاتحاد الاشتراكي وتنظيم الاتحاد الاشتراكي باعتباره تحالفا يجمع الطبقات صاحبة المصلحة في استمرار الثورة .

القضية الثالثة : قضية بناء الاتحاد الاشتراكي بالديمقراطية . وفي هذا يمكن التأكيد على بعض النقاط :

١ - تساءلت ورقة العمل هل يفتح الباب أمام العناصر التي لها نشاط سياسي أو عقائدي مخالف ، ونعتقد ان هذه القضية محسومة ، فمن ناحية نرى أن القوى التي يستبعد عنها الميثاق من الاتحاد الاشتراكي هي طبقات القوى الاجتماعية التي طبقت عليها قوانين الاصلاح الزراعي وقوانين يوليو ، وذلك بسبب أن مصالحها لا تتفق مع مصالح تقدم الثورة .

ومن ناحية أخرى : الاتحاد الاشتراكي يقبل كل العقائديين الذين يلزمون قولاً وعملًا بالبادئ

وليس عن طريق الالتزام أو الاكراه بأي صورة من الصور . من هنا جان الوقت لالغاء الشرط الذي ينص على ضرورة عضوية الاتحاد الاشتراكي بالنسبة للذين يرشحون انفسهم لجالس هذه المنظمات الجماهيرية . وبالغاء هذا الشرط يحق للاتحاد الاشتراكي ان يكون له مرشحون في انتخابات هذه المنظمات ولكن دون ان يفرض هؤلاء المرشحين بقوة القانون .

واخيرا في موضوع بناء الاتحاد الاشتراكي بالديمقراطية اتفق كلية على ما جاء في مشروع ورقة العمل من ان الحاجة ماسة الى تغيير القانون الاساسي الحالي تغييرا جذريا في اتجاه تدعيم الديمقراطية الداخلية يكفي ان نقول ان القانون الحالي هو خليط من لائحة الحزب الطليعي ولائحة الجهة التي تضم عددا من الاحزاب .

وارجو ان اقدم وجهة نظر مفصلة في هذا الموضوع .

القضية الرابعة والاخيرة : الاتحاد الاشتراكي كسلطة : السلطة في اي مجتمع هي في النهاية تعبير عن قوة أو طبقة أو طبقات اجتماعية . وهذا التعبير يتخذ شكله التنظيمي والسياسي في شكل حزب أو جبهة تضم عددا من الاحزاب . والاتحاد الاشتراكي وفقا للميثاق هو الصيغة التي تضم تحالف الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والراسمالية الوطنية . وبهذا يكون الاتحاد الاشتراكي هو الصيغة التي تمثل السلطة السياسية العليا لتحالف هذه الطبقات . وهذه السلطة هي التي توجه مجموع العمل الوطني كله ، وهي بالتالي التي توجه السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية . وهذه القضية يجب ان تواجه بصراحة لان عدم الاعتراف بها يوقعنا في اخطار شديدة في مقدمتها فقدان او غياب القيادة السياسية مع ما يرتبط بهذا بالضرورة من ظهور مراكز سياسية موازية في الاجهزة الادارية او التشريعية ، ومع ما يترتب على ذلك من انهيار حتمي لفكرة التحالف .

وعلينا في النهاية الان نخشى من قيام الاتحاد الاشتراكي لسلطة حتى ولو أساءت التصرف لان البديل هو فقدان القيادة السياسية لمجموع العمل الوطني ، وهذا خطر . أما ان الاتحاد الاشتراكي قد يسعى استخدام السلطة فان هذا أمر وارد ولكن علاجه لايتأتى برفض سلطة الاتحاد الاشتراكي وإنما يتم من خلال البناء الديمقراطي الصحيح للاتحاد الاشتراكي ومن تصحيح أخطائه ، ومن تعبيره المشروع (الدائم عن حركة القوى الاجتماعية الداخلية فيه . وأما قيادته لمجموع العمل الوطني ولكافة المؤسسات فهي قيادة :

الاساسية لثورة يوليو ، كما جاءت في وثائقها الرئيسية . وهذا الالتزام يحتمل وجود اتجاهات عقائدية مختلفة ، تجتمع على حد أدنى من وحدة الفكر والعمل ، لكن هذا الالتزام لا يحتمل وجود نشاط سياسي مختلف أي معارض ومضاد لنشاط الاتحاد الاشتراكي ولاهدافه الاساسية .

٢ - في بناء الاتحاد الاشتراكي بالديمقراطية لأبد من ان يمكن الفلاحين والعمال وهم أغلبية هذا البلد من ان يحتلوا مكانهم وان يكون لهم وزنهم الحقيقي . لقد حدد الميثاق ان يكون لهم ٥٠ في المائة على الأقل داخل التنظيمات الشعبية . لكن هذا التوجيه تعثر في التطبيق بالتعريف الذي قدمته لجنة المائة للعامل والفلاح . ولقد صحح هذا التعريف عام ١٩٦٨ ، لكن لا يزال هذا التصحيح في حاجة الى ان يستكمل نهائيا من اجل وضع تعريف دقيق وعملي للفلاح والعمال ، لا يسمح للطبقات والطبقات الاخرى الداخلة في التحالف ان تسأخذ جزءا من نصيب العمال والفلاحين . (التعريف المفتوح : الفلاح هو من يفلح الارض بيده ويدخل تحت هذا التعريف من يملك أو يستأجر ٥ افدنة فاقل دون ان يستعين بعمل الغير - اما العامل فهو العامل اليدوي الذي لا يملك سوى قوت عمله .

النقطة الثالثة : تتعلق بدور الوحدة الاساسية . اذا اردنا ان نحدد احد الاسباب الجوهرية في اصابة الاتحاد الاشتراكي بامراض البيروقراطية والسلبية أمكن ان نقول ان هذا راجع الى الوجود الشكلي للوحدات الاساسية وتدهور الحياة السياسية في داخلها . فمع ان هذه الوحدات هي الخلقات التي تربط قيادة التنظيم بجماهير الشعب الا ان عملها لا يقوم على اسس ديمقراطية تمكن اعضاء الوحدة من التعبير عن ارائهم وتوصيل هذه الاراء الى المستويات الاعلى . يكفي ان نضرب على ذلك أنه لم يحدث في تاريخ الاتحاد الاشتراكي ان عقدت مؤتمرات الوحدات الاساسية قبل انعقاد المؤتمر العام . واذا حدث ان عقدت فانها تعقد لا لكي تناقش جدول الاعمال المطروح على المؤتمر القومي العام بل لكي تصدق بطريقة شكلية على قرارات ومواقف المستويات الاعلى .

النقطة الرابعة : تتعلق بالعلاقة الصحيحة التي يجب ان تقوم بين الاتحاد الاشتراكي وبين المنظمات الجماهيرية (اتحاد العمال - التعاونيات - اتحاد الشباب - اتحاد النساء . الخ) . هذه العلاقة الصحيحة تتمثل في ضرورة ان تكون هذه المنظمات مستقلة تنظيميا عن الاتحاد الاشتراكي وعلى الاتحاد الاشتراكي ان يوجهها سياسيا عن طريق اعضائه المنضمين على هذه المنظمات ،

سياسية في المحل الاولى لا تتطلب منه أن يقدخل تدخلا يوميا في أعمال السلطة التنفيذية والتشريعية ، ولكنه يستطيع ان يوجه السلطة التنفيذية والتشريعية من خلال قدرته على تحريك أو سيع الجماهير وتكوين رأى عام مستنير يستطيع ان يراقب ويحاسب . ان أى فكرة تذهب الى ان الاتحاد الاشتراكي لا يمثل السلطة السياسية العليا ، تنتهى بالاتحاد الاشتراكي إلى تنظيم منافس للتنظيمات النقابية والمهنية . وهذا الامر لا يخدم الاتحاد الاشتراكي ، ولا يخدم التنظيمات الجماهيرية .

● السكرتير الاول

لى تعليق بسيط على كلام الاخ أبو سيف لانه فى الحقيقة قد لمس المواضيع التى يمكن ان تؤدى فى النهاية للرد على السؤال الذى سألته الاستاذ صلاح طاهر بالنسبة لبعض النقاط التى يمكن ان نضمها لورقة العمل .

وليس لى رأى فى هذا ولكن لى سؤالين : سيادتكم أشرت الى مهمة الوحدة الاساسية والواقع ان هذه تسبب لنا مشاكل كثيرة واود ان نسمع منك لها تفسير لان الوحدة الاساسية على مستوى القرية تائهة ، ففي الانتخابات نرى اقبالا شديدا عليها من القاعدة الجماهيرية العريضة ، ويتم انتخاب الاصلح ثم يتلاشى كل هذا الاهتمام ، اننا نريد تصورا لعمل هذه الوحدة . وكما قلت بحق انه بغير تصور عمل الوحدة الجماهيرية فانه لا يمكن البناء فوقها والا سيكون البناء من فراغ الا اذا استكملنا من النقابات وغيرها ، لان الوحدة الاساسية هى التى تمثل الاغلبية العظمى فى الوحدة السكنية والوحدة الجماهيرية . نريد حضورك فى هذا .

السؤال الثانى : هو نفس السؤال الذى اشار اليه الاخ سامى داود ، فهو يتكلم عن اللجنة المركزية وفعاليتها وأشار الى أن الموجود قد يكون عاملا بالتعريف او فلاحا بالتعريف ايضا ولكنه لا يمثل ناحية جماهيرية فلاحية او ناحية جماهيرية عمالية : ويشتم من كلام الاخ سامى أنه يريد تمثيل بعض النقابات كنقابات داخل اللجنة المركزية عن ذلك ، اريد ان استمع الى تعليق لهاتين النقطتين ، لان ذلك من شأنه ان يربط أو يوضح نقطتين غامضتين علينا بالنسبة لعمل الوحدة الاساسية على مستوى القرية بالنسبة للناحية السياسية والجماهيرية .

● أبو سيف يوسف

فى موضوع الوحدة الاساسية يمكن الاساس فى

معالجته ، هو اننا ننظر الى العدد الضخم ويجب ان يكون عددها ضخم ممكن ان تكون الفين أو أكثر ولكن نعمل الى علاج هؤلاء الناس على اساس انهم كواد حزبية منتقاة لانها تستطيع ان تصمد لكل متطلبات العمل .

نحن نطلب من الناس كثيرا فعلا - وهذا الخطأ الموجود فى القانون الاساسى الذى يحدد ١٥ واجبا على عضو الاتحاد الاشتراكي لو طبقناها على مجموع اعضاء الاتحاد الاشتراكي سوف يخرج من الاتحاد الاشتراكي ثلثى عدد الاعضاء .

لذلك نرى أن تجتمع الوحدة الاساسية اذا كان جدول اعمالها فيه ما يمس مصالح جماهيرها وما يثير اهتمام هذه الجماهير .

النقطة الثانية : يجب ان تجتمع الوحدة الاساسية بأكثر الصور مرونة - بمعنى ان هناك تجارب لبعض الاحزاب الجماهيرية فى موضوع الوحدات الاساسية فى مناطق متخلفة . اثير انه ليس من الضرورى ان تجتمع الوحدة كل أسبوع ، بل من الممكن ان تجتمع كل شهر ويعرض عليهم فيلم وثائقي ، أو فيلم عام ، ثم يتكلم احد الافراد فى الموقف السياسى ، ثم تسمع مشاكلهم ، ثم تجمع منهم الاشتراكات التى يمكن ان يدفعوها .

وهذا طبعى جدا لاننا لا نستطيع ان نطلب من الشخص العادى فى الوحدة الجماهيرية ان يعطى أكثر من هذا وبعد شهرين ممكن ان تجتمع هذه الوحدة اذا وجدت امورا استلزمت ذلك .

وهناك فرق بين الوحدة الاساسية وبين مكتبها الذى يتولى العمل اليومى فيها .

بالنسبة لموضوع العمال والفلاحين فهو موضوع يحتاج الى دراسة وقد لا يكون لدينا تصور نهائى له ، ولكننى اعتقد انه من الممكن ان ابدأ فيه فهناك نوعان من العضوية :

أولا : عضوية عاملة يتقدم لها كل انسان اختياريا وفى أى وقت .

ثانيا : عضوية اخرى من الفلاحين والراسمالية الوطنية فهى عضوية جماعية لمنظمات جماهيرية .

● السكرتير الاول

اذا كان ممكن تعطى الورقة التى دوت فيها تصورك الى السكرتارية ، وشكرا .

● محمد محمود شعبان



محمد محمود شعبان

● محمد محمود شعبان

هل معنى هذا ان هذه اللجان مطلوب منها وضع هذه الاسس .

● السكرتير الاول

طبعا مطلوب من كل لجنة فرعية هذا وان كانت مهمة لجنة الدعوة والفكر أصعب بعض الشيء ، فبالنسبة للتنظيم الشبابي رفضت لجنة التنظيم الشبابي ان تضع نظاما للتنظيم الشبابي وحده وطلبت مناقشة ورقة العمل كلها .

وفي لجنة الدعوة والفكر واللجنة السياسية لابد في الورقة النهائية ان تقول رأيها في النقاط الموجودة هنا حتى يمكن نقاش هذه الاراء لانه كما ذكرت ان لجنة العشرين لن تستبد برأيها لانها سوف تتأثر بأراء اللجان الفرعية النوعية المتفرعة منها ، والا لما كنا شكلنا هذه اللجان الفرعية ، فللنقط التي أثرت كلها في ورقة العمل كتساؤلات ونريد ان نتناقش فيها ويكون للجنة رأى معين فيها .

● محمد محمود شعبان

والخط الايديولوجي أيضا ؟

● السكرتير الاول

والخط الايديولوجي ايضا ، فنحن نجمعه كله لان المفروض حسب قرار المؤتمر ان ننتهي الى امرين ذكرتهما ، في بدء حديثي وهما : دليل العمل

مما جاء في مشروع ورقة العمل ومما ورد في كلام السيد السكرتير الاول في الكلمة الافتتاحية ومما ذكر في المناقشات التي دارت حتى الان يتضح ان هناك ثلاثة أمور أساسية ليس لها وجود واضح :

الاول : في الخط الايديولوجي الذي تسير فيه الاشتراكية في مصر .

الثاني : أسلوب الممارسة الديمقراطية .

الثالث : العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والسلطات التشريعية والتنفيذية والتنظيمات الشعبية والنقابية والقطاع العام والتعاونيات الفلاحية وغيرها .

وفي رأيي فان هذه الاسس اذا وضعت فان الامانات واللجان قد لا تجد صعوبة في عملها ، وفي رأيي أيضا انه بدون هذه الاساسيات يكون عمل اللجان والامانات يدور في فراغ فعلى حتى تعديل القانون الاساسي والذي اعتقد انه لا يمكن اتمامه بدون ارساء هذه الاساسيات .

وشكرا .

● السكرتير الاول

في الحقيقة فان الاخ محمد يثير نقطة تناقشنا فيها بالامس وأنا متفق معه تماما ، اننا لن نذكر في تعديل قانون الاتحاد الاشتراكي الا بعد الانتهاء من جميع المناقشات ، حتى نرى ما الذي يمكن تعديله في هذا القانون ، وذلك سيكون آخر مرحلة ، فلو اتفقتنا على النقاط التي اثارها الاخ ابو سيف والاخ سامي الحاصبة بتمثيل قطاعات معينة على مستوى اللجنة المركزية ونقابات معينة ، اذا اتفقتنا على هذا فسوف نغير قانون الاتحاد الاشتراكي ، ولكنت تشير أربع نقاط ولم تقل لنا رأيك فيها مع انها مثارة في ورقة العمل في الصفحة السابعة حيث تثير موضوع العضوية في الاتحاد ، والتركيب الهرمي له ، وكلها اسئلة مفتوحة والتركيب الحالي نتيجة لمصدر الحركة وسرعة تبادل المعلومات من المستويات العليا وبالعكس ومشاركة القاعدة الجماهيرية العريضة في اصدار القرارات . الخ ثم التنظيم الشبابي وهذا صادر بقرار من المؤتمر القومي ، ثم أسلوب العمل داخل الاتحاد الاشتراكي نفسه .

ثم تحديد العلاقة بين الاتحاد وبين السلطة التنفيذية والتشريعية ، فكل هذا مشار كنقط للايضاح ، ولابد من أن توضع لانها المحور الاساسي لعمل الاتحاد الاشتراكي .



أحمد بهاء الدين

يلم الناس ويجمعهم ، واننى ايضا أقول اننى أتكلم
بنفسية معينة لاننى بكل صراحة حضرت مثل هذا
الاجتماع مئات المرات حتى ٥ يونيو ، فقد قررت
بعدها ألا أحضر أى اجتماع لانه عبارة عن
استهلاك للطاقة والنشاط دون أن يكون هناك
مضمون حقيقى لهذا ودون اتخاذ قرار بأى شيء .
ليس هذا بمنطق الفرد ولكن بمنطق الانفعالات ، فإذا
كان هناك رغبة فى أن يكون الاتحاد الاشتراكى
حقيقة مهما كانت نصوصه ، وعاء لتفكير الناس
فإذا كان الاتحاد قوة ضغط وليس قوة تنفيذ وله
رأى معين وهذا الرأى يوضع موضع التنفيذ ويكون
مفهوما ولكن حينما يأخذ الموضوع على أنه
اجتماعات لجان أو سرادقات أو شيء من هذا
القبيل فيكون كل هذا فى ناحية والقرارات الحقيقية
شيء آخر ، وهذا هو سبب سلبية كثير من الناس .

بصراحة لا أستطيع أن أقول بتعديل القانون
لاننى أزعم انه لم يوضع موضع التنفيذ وكذلك لا
أقول انه صالح أو غير صالح .

نقطة أخرى هل أسلوب الاجتماعات الجارى
سليم ، فمثلا فى المؤتمر القومى العام للاتحاد
الاشتراكى الذى يعقد كل سنة هل يمكن أن نقول أن
الصيغة التى يعقد بها هذا المؤتمر هى صيغة اعداد
حقيقى لاتخاذ قرار أو خطة أو شيء من هذا
القبيل ؟ طبعاً لا . فانا لا اتصور أن ينعقد مؤتمر
يتكون من الفين من الاعضاء فى حجرة ويناقش
مشاكل الارز والقمح وكل شيء . . . كان يمكن هذا
لو انه سبقه مؤتمرات كثيرة ومناقشة حقيقية .

أريد أن أقول انه من أجل هذا لم أطلب الكلمة

التنظيمى ، وهذا أمر سهل لاننا عندما نعد دليل
عمل تنظيمى للاتحاد الاشتراكى قانه يتم من خلال
لجنة من داخل الاتحاد الاشتراكى .

أما بالنسبة للخط الايديولوجى ومنجزات
الاشتراكية قانه سيعد كتاب يبين هذا الخط بياناً
كاملاً .

● أحمد بهاء الدين

ليس عندى ما أقوله ، لكن قد أكون فيما أقول
أعبر بنفسية معينة ، فمع تقديرى لكثير من
الملاحظات التى قيلت ، اعتقد أن المشكلة قد
تستدعى تعديل قانون الاتحاد الاشتراكى وهذه
مهمة كبيرة ، ولكنها ضرورية فى اعتقادى لأن
المشكلة منذ تأسيس الاتحاد الاشتراكى هى أن
قانونه بنصوصه كلها . . كانت حبرا على ورق .
وإذا كان هذا هو الامر فى كل مناقشة أخرى
فستكون غير مجدية فى الواقع .

فمثلا أنا حينما أود أن ادخل فى تنظيم سياسى
له قانون ، فمفهومى أن هذا القانون ينظم حقوقى
واجباتى وينظم مشاركتى فى العمل السياسى
وأشعر بهذا فعلاً . . وأن يكون لى دور مهما
كان . . فى لجنة صغيرة أم كبيرة وأن الاتحاد
الاشتراكى هو طرف فى رسم سياسة ، والاعضاء
العاملين فيه يتقدمون فى صقوفه بحكم تمثيلهم
وخدمتهم وكفاءتهم الى آخر هذه الاشياء . .

فهنا يكون هناك فهم وإيجابية من الناس تجاه
الاتحاد الاشتراكى ، لكن إذا كان الاتحاد
الاشتراكى مهما كانت نصوصه - وأنا فعلاً أقرر
هذا - فدساتير العالم فى الشرق والغرب جميعها
قد تكون متشابهة ، ولكن هل هذه الدساتير تطبق
أم لا ؟ هذا هو السؤال فى الواقع ، وهذا أيضاً
ينطبق على قانون الاتحاد الاشتراكى . فهل هو
ديكور أم مجرد وعاء لاستنفاد طاقة الناس ، أم هو
يشارك فعلاً كطرف فى رسم السياسة العامة ويمثل
رأى الناس تمثيلاً حقيقياً وفى درجة من المناقشة
والجدل ، وتتحدد المواقف تحديداً حقيقياً .

التجربة فى العشر سنوات الماضية شيء وما
يحدث شيء آخر ، فالقرارات سواء كانت سياسية
أو شخصية أو العادية تتخذ - بكل صراحة -
بواسطة وبمسئولية القيادة العليا باستمرار ،
فهناك سلطة تنفيذية تاريخية فى مضر قوية جداً
جداً نشعر أنها تستطيع أن تتخذ كل القرارات ،
وأن الاتحاد الاشتراكى يكفيه أن يبيشر أو يبرر أو

يتكلم ولا ينفذ، واننا بعد الفترة الماضية كلها نحاول ان نعمل شيئا تثبت به انفسنا امام الناس. واعتبر انه من الامور التي جعلت الاتحاد الاشتراكي (اذا لم أكن مخطئا في ذلك) يأخذ خطوة الى الامام هو انفتاحه على الناس واجتماعه في لجنة مثل هذه اللجان واجتماعه مع النقابات .. وحضرت اجتماعات النقابات المهنية ، وقد كان النقاش يدور على اوسع نطاق فيها نقد للاتحاد الاشتراكي نفسه .

وعلى ذلك فانني اقول ان الجدية يمكن ان تثبت بأمريين تثبت بطريقة الاسلوب العملي الذي سوف تنتهي اليه اللجان الفرعية ولجنة العشرين بحيث يمكن لاجهزة الامانات ان تطبقه ، ثم تنشأ أيضا من الانفتاح الكامل على الجماهير بمعنى ان يكون هناك اجتماعات دورية مع النقابات المهنية .

وبالنسبة لما قاله الاخ من انه يجب ان نحافظ على استقلال النقابات المهنية ، فنحن موافقون على هذا لان في كلمتي قلت اننا لا نصادر الحركة الذاتية في النقابات لانه كلما عقدت معها اجتماعات اكثر والتنظيمات اكثر كلما كان هناك متسع لعمل اكثر ولاراء اكثر ، تؤثر فينا وتقربنا من الجماهير .

● الدكتور عبد الملك عودة

لقد استمعت الى جميع الذين تكلموا وهناك امور كثيرة صحيحة ولا داعي على الاطلاق لتكرارها .

ولكني اشير الى بعض الملاحظات الاخرى قد لا تمثل كل المشكلة ولكنها من الضروري ان تطرح :

الملاحظة الاولى : خاصة بمجموعة القيم الاساسية الخاصة بالعمل السياسي في البلد .

في رأيي ان جزءا كبيرا جدا من الخلل في اساليب العمل وفي التنظيم وفي التصورات الادارية لادارة العمل في الاتحاد الاشتراكي ليست قاصرة على الاتحاد ولكنها جزء من الاطار العام .

والخلل العام الذي يشمل المجتمع كله المتمثل في الادارة الابوية وهذه موجودة في المصالح الحكومية وموجودة في الاتحاد الاشتراكي وهي تعني شعور مجموعة او قلة من الناس بانهم يفهمون مصالح الناس او انهم يعرفون كل شيء او انهم عبروا عن كل شيء ، هذا الاسلوب يمارس في الاسرة ويمارس في الاداة الحكومية وعند السادة

منذ البداية اريد ان اشعر بان التنظيم جماهيري .. ويابع من الجماهير .. وشكرا ..

● السكرتير الاول

مسألة مدى الجدية نسأل فيها في كل اجتماع ، وهي نشأت من شيئين من تجارب عديدة في الماضي ، وما أشار اليه الاخ احمد بهاء الدين من ان قاسون الاتحاد الاشتراكي لم يطبق وبيان ٢٠ مارس فيه اجزاء لم تطبق وكذا الميثاق نفسه . في الحقيقة هناك ثلاثة نقاط هامة اود تحديدها :

الاول : ان التنظيم السياسي يجب ان يكون متحركا بصفة مستمرة ، بمعنى ان ما نعمله اليوم نحن جادين فيه واملئ ان يكون شعور الاعضاء هو اننا جادون في اجراء هذا ، ومن اجل هذا فانني ارجو في كلمتي دائما على الاسلوب العملي لسبب ، وعندما اعال عن الوحدة الاساسية يكون في ذهني النتائج العملية التي تترتب على هذا التقرير ، لا اريد ان يخرج التقرير بسطريات فقط - لا لاذي ضد البطريات - ولكن لكي نستطيع التطبيق وهذا دليل على جدتنا في العمل والتفكير .

الثانية : كنا من وقت الى آخر نجرى تقييما للعمل السياسي ، ويجب ان يتم ذلك سنويا قبل انعقاد المؤتمر القومي بميزان قوى من الصراحة ، ما هي الايجابيات وما هي السلبيات ولا افتراض ان نطم العمل سوف ينجح ١٠٠ في المائة انما يستهدف هدف معين ثم نسير اليه بسببة مثوبة معينة الى ان تأتي ٥٠ او ٦٠ في المائة فنعتبر انفسنا تقدمنا انما اذا وصلنا الى ٢٠ او ١٥ في المائة فاننا نعتبر انفسنا لم نتقدم .

النقطة الاخيرة : بالنسبة للمؤتمر القومي وطبيعة عمله واللجنة المركزية وطبيعة عملها التي اشترت اليها في حديثي ولم اتحوز من ان اشير اليها ، لان المؤتمر القومي عندما ينعقد انما ينعقد لظروف معينة نزل فيها اوراق الى اللجان الاساسية فعلا ونوقش فيها بحرية وبالتالي يصدر المؤتمر قرارات فعالة لها قيمتها ، وليست هي الكشكول الكبير الضخم الذي تراه ، طبعا حينما نسأل أي انسان ونقول له هل انت جاد ام لا فسيقول انه جاد ولن يقول انه يهزل ، ولكن المهم ان تثبت اسلوب الجدية هذا امام الناس .. لان الشعور العام بين الناس ان الاتحاد الاشتراكي



د. عبد الملك عوده

الناس والتأقلم بالبيئة والشعور شعورا نهائيا بأنه أمين ويعيش آمينا لمحافظة معينة . أما اذا كان فقط عبارة عن فترة رسوب أو تجهيز من اجل الوصول الى العاصمة أو منصب آخر فهذا هو باب الانتهازية وهو مستشر في بناء الاتحاد الاشتراكي .

الملاحظة الاخرى على هذا هي تعريف السلطة . وان كلمة أن الاتحاد الاشتراكي سلطة يلزمه صدور تعريف شرعي رسمي ، فمجلس الدولة عرف الاتحاد الاشتراكي كما أن الاتحاد الاشتراكي عرف نفسه ثم عرفته الحكومة ، ومع ذلك ما زال هناك تضارب بين حدود عمله ، فيجب أن يقال أنه سلطة سياسية أو راسم سياسة لا يحمل مسؤولية صياغة التشريع لأن ذلك مسؤولية غيره ولا يتحمل مسؤولية تنفيذ لأن هذه مسؤولية غيره وكذلك لا يتحمل مسؤولية اصدار حكم قضائي وإنما هذه مسؤولية غيره أيضا ، وإنما هو يتحمل مسؤولية رقابة ولكن ليس من خلال أجهزة الرقابة الموجودة .

هذا الكلام لا يوجه للسكرتير الاول واللجنة المركزية وإنما يجب أن يوجه الى الاعضاء في الوحدات وفي المصانع وفي الحكومة والمصالح الادارية لمواجهة ما يجري يوميا من المشاكل والتعثر بين الصعوبات والشجارات بين اللجان وبين النقابات ورئاسات المصالح ومجالس الادارات وغيرهم . وحتى لا تلبس المصالح ويوضع فوقها الاتحاد الاشتراكي ثم ننقلب الى قضية ، وهذه النقطة أيضا يجب أن تتغير في السلوك والاداء اليومي ولا يكفي لهذا بيان أو

الوكلاء والوزراء ، وعند قيادات الاتحاد الاشتراكي ، وابتداء من العمدة حتى رئيس الوزراء بصرف النظر عن اسم انسان معين .

هذا الخلل استشرى في مصر وتمثل في مجموعات كثيرة من القيم ، فمن الامور الملاحظة أن حساسية الناس قد وصلت الى درجة أنهم يحسبون بداية الاجتماعات ونهايتها والتي أشار اليها الاسنان أحمد بهاء الدين فلا تجد اجتماعا يبدأ في موعده وينتهي الى عمل في موعد ملائم لعمل الناس وتفكيرهم .

واضرب مثلا فقد جاء في الصحف من مدة أن هذه الاجتماعات كانت سوف تبدأ هذا الاسبوع تم أجلت وأجلت . . هذا يعطي الناس انطباعا بأن الامور لم تتغير ، ويجب أن تتغير ، واننى اقصد من هذه الملاحظة أن نلحق تغييرا في مجموعات القيم والمبادئ التي تحكم العلاقات والعمل بين المؤسسات .

الملاحظة الثانية: خاصة بأدوات وانابيب الاتصال فانا لا نعتقد أن هذه الانابيب أو هذه الأدوات أو مسارات الاتصال من أعلى الى أسفل أو من أسفل الى أعلى سليمة وسريعة الاستجابة لآراء الناس ، فهذا السيل الشديد من الشكاوى وتظلمات الناس دليل على وجود خلل ما بالحكومة أو الاتحاد الاشتراكي ، وحتى نحن حينما نتكلم في التبرير لا نقنع الناس وهذه أيضا يجب أن تلاحظ وتدخل في الاطار .

الملاحظة الثالثة : هو التركيز الشديد في العاصمة حتى أكلت كل شيء حتى الاتحاد الاشتراكي ونشاطه او موظفيه ، والاستنزاق أيضا من حوله وأصبح مركزا في العاصمة ولا يذهب الى الاقاليم ولا يقيم فيها ولا يتفاعل معها الا على الورق .

فاذا قلنا . . جاهدنا فم، الله حق جهاده وادينا الواجب ثم انصرفنا . . هذه يجب أن نتعرض لها أيضا .

فهذه مجموعة قيم مترسخة من خمسة ألاف سنة منذ جلس فرعون الاول في هذا البلد ، وحكمها حكما مركزيا .

النقطة التالية كما أشار اليها الاخ أحمد بهاء هي مشكلة المركزية في مصر .

فبالنسبة لعملية الحكم اللامركزي في المحافظات ، وهي حتى الآن لم تنجح لان تعيين محافظ أو أمين في المحافظة لا يكفي ، إنما يجب أن يتفق معه أو يتبعه اجراءات كثيرة خاصة بإقامة

فاننى اقترح انه يجب أن ينص على توسيع هذه المنظفة أو الدائرة فى رسم السياسة ، لأن رسم السياسة قد يبدو سهلا بالنسبة للقضاء ، وذلك عن طريق خط سياسى بالنسبة للتشريع مثلا . . لكن رسم السياسة وتنفيذها فى دائرة الفكر والاعلام فهو أمر شاق ويجب أن يبسط فى تفصيلاته وفى اساليبه فأسلوب الوعظ والارشاد والدعوة الحالى أسلوب متخلف ، وأصبح لا يرضى أحدا ويثير السخرية والمكرفون من أجل ارضاء الناس لم يعد يأتى بأثر مطلقا أنا أدعو الاتحاد الاشتراكي ليغير هذه الوسيلة وليغنى عملية اقامة الشوادر والميكروفونات ويبحث عن طريقة أفضل يحقق بها نتائج ايجابية لان هذه العملية لها فئات تسترزق منها .

يجب أن نركز على تفصيلات واجراءات تنفيذ الخط السياسى للفكر والاعلام واعادة النظر فيه .

بعد ذلك تأتى ملاحظة خاصة بالوحدات الاساسية وبالمستويات واننى أدعو الى عمل تجربة وهى أن يعطى الناس حق المناقشة قبل اصدار القرارات وحق المساءلة بعد اصدار القرارات كتجربة فى جهة ما فالمسألة ليست فقط أن يقال لهم أو يطلب منهم أن يقولوا ، بل يجب أن نجرب ولو مرة واحدة مثل وزارة الزراعة التى تقوم بتجاربها ، وقد نبدا ذلك فى المحافظات ونقول للناس مقدما أننا نفكر فى صياغة قانون جديد للاحوال الشخصية مثلا أو مشكلة المخدرات وارجو أن تكون المناقشات فى نقطة معينة ثم نرفع من مستوى الى مستوى آخر ثم نناقش على أعلى مستوى ، ونعود بالملاحظات الى القاعدة مرة أخرى .

● السكرتير الاول

تعريزا لما ذكرته ارجو أن أوضح أن هذا قد حدث هنا فعلا فى ثلاث موضوعات منها : قانون التعاون حيث استفدنا استفادة كبيرة عندما جمعنا الاراء من القاعدة عن قانون التعاون الزراعى ثم عرض القانون بعد ذلك على جميع الوحدات الاساسية ، ولذلك فانه عندما صدر القانون وحتى فى مجلس الشعب درس دراسة مستفيضة واشترك فى ذلك الفلاحون وقد تكرر ذلك فى قانون العمل وعانون ايجارات المساكن .

● الدكتور عبد الملك عوده

لدى ملاحظتان اخريان : الاولى خاصة بالخط

(مانيفستو) وانما يجب أن نحاسب الناس على الاداء اليومي ، لان الاشياء الصغيرة مهمة قبل الاشياء الكبيرة لانها فى النهايه تتراكم وتكون الصورة الحقيقية عند الناس . . وان المواطن العادى لا يرى سيد مرعى أو عزيز صدقى أو أنور السادات يوميا فى تعامله وانما يرى عضو اللجنة والجندى وصراف القرية ومأمور الضرائب . . كل هؤلاء هم الصورة المباشرة التى يجب أن يجد لها حلا .

ملاحظة أخرى هى أن الاتحاد الاشتراكي مصاب بنفس المرض المصابة به الدولة كلها وهو أن القيادات تتكلم دون ورق مكتوب ويعد سلفا ، ولا يوجد سياسى فى العالم يتكلم بدون ورق مكتوب ومعد سلفا . ولذلك يجب أن نتعود على أن نتكلم من ورقة مكتوبة ويكتبها غيرنا ولا يعتبر هذا عيبا أو نقصا فى كفاءة الناس أو اهانة لهم أو بابا للنقد أو التشنيع بأن فلانا يكتب له ولكن يجب أن تكتب الورقة وتورع سلفا حتى يكون للناس استعداد لما يقال بطريقة محددة وأسلوب عملى بعيدا عن الأسلوب البلاغى فالأسلوب الانشائى والبلاغى الذى ما زال مسيطرا من الثلاثينات على العمل السياسى رغم التقدم الذى حدث فما زال العمل السياسى يتحرك فى اطار انشائى عام يفرقنا فى كلام وشعارات تتخذها الناس مادة للسخرية والنكات أو لا تجد وقت الجد تنفيذ أسلوب واحد سليم ينفذ ، مما يؤدي الى وجود مشاكل فى التطبيق وهذا يأتى أيضا من عموميات الشعارات والقرارات ، وهذه قد تكون وسيلة سهلة لهروب القيادات من المحاسبة حيث نجد أن اللغة العربية لغة ثرية تفرق الناس وتبسطهم والاذاعة أيضا تقول وتعيد فى أمور لا حصر لها ، أيضا . . كل هذا يجب أن يتغير .

ملاحظة أخرى خاصة بعلاقة الاتحاد الاشتراكي بالحكومة ، هذه العلاقة يجب أن تتحدد ، يجب أن يحترم الوزراء أماكنهم فوزارة الاعلام مثلا هى أداة لتنفيذ سياسة مرسومة فى قيادة الاتحاد الاشتراكي ومجلس الوزراء والبرلمان ويجب أن تلتزم بهذه السياسات ، وتأتى الصعوبة هنا عند ترجمة هذه السياسات حيث أن الترجمة تتم لالوف التفصيلات اليومية ومن هنا يأتى الخلاف وهذه مشكلة صعبة . وهنا تبرز مشكلة الدعوة والفكر بصرف النظر عن هذه الامانة الصغيرة أو الاجهزة الكبرى من صحافة واذاعة واعلام واتصال خارجي أو داخلي والتي تواجه يوميا بأشياء وتفصيلات لا أول لها ولا آخر . عندنا خط ارسال وعندنا خط اشتراكي وتمثيلات وتفسيرات . . الخ ولذلك

شعله العضو ، ويعطى الحرية في أن يناقش فإذا
أدين فيجب أن يعرف الناس لماذا أدين ؟
● السكرتير الأول

لقد تم تشكيل لجنة النظام هنا برئاسة السيد
حافظ بدوي لهذا الغرض بالذات ، ولم يصبح من
حق السكرتير الأول أن يفصل أى شخص بقرار
و نحن نعرض الأمر على لجنة النظام لأن ذلك من
اختصاصها .

● د. عبد الملك عودة

نقطة أخيرة ادعو للتفكير فيها وهي الانتقال
الزائد على هذه القيادات - وقد ضربت مثلاً بالسيد
حافظ بدوي وهو رئيس مجلس الأمة ورئيس هذه
اللجنة وقد يكون لجان أخرى فانا لاحظ أن لدينا
رغبة في استهلاك القيادات بمعدل كبير . . . وأما أن
نكون رغبتنا في هذا الاستحواذ على السلطة: أو
أننا - وقد نكون سوء الظن في هذا . . . علما بأننى
لا أرى إلا في حدود ما أعلم - وأما أننا لا نحترم
القاعدة العلمية المطبقة في العائمه . . . كل انسان له
قدرة معينة على العمل ولا بد أن يتمتع بإجازة
وراحة حتى يكون عنده طاقة فكرية متجددة، فإذا
كان مثقلاً بالأعباء من الصباح حتى المساء ، هذا
الرجل يجب أن يترك عمله ، وأنا أشك في قدرته على
اصدار الأحكام الصحيحة أو قراءة الورق بعد
مدة .

● السكرتير الأول

أنا أوافق على ما ذكرت حتى فيما يختص
بالسكرتير الأول كاملاً .

● د. عبد الملك عودة

أنا لعدم الإحراج قد ضربت بسيادتك مثلاً لأن
العامل يعمل ١٨ ساعة بدون أن يرى أولاده ،
وليس هذا من الشجاعة بقدر ما هو الخوف
من تكوين الصف الثاني . . هذه التهمة أيضاً
موجهة إلى القيادات السياسية والإدارية عموماً،
وهذا مرض عام في البلاد المتخلفة . . أننا لانرغب
في إيجاد صف ثان لكى يرثنا ، إنما التنظيمات
في كل الدنيا تحبذ إيجاد هذا الصف الثانى لكى يستريح
الذين تعبوا وفصلوا إلى سن الشيخوخة والذين
يشكرهم الوطن على ما أدوه من عمل .

● الشيخ محمد عبد الرحمن بيسار

في تصورى أننا اجتمعنا كى نبحث أو نعيد
النظر في ورقة العمل التى قدمها لنا السيد
السكرتير الأول ، ومن المناقشات البناءة التى
استمعنا إليها ، فقد أوضحت كثيراً مما كان غامضاً

السياسى والتصرفات السياسية ، فعندما أثير
موضوع العراق كنت أعتقد أنه بمجرد أن قررت
الدولة استقبال الوفد العراقى كان يجب أن يبلغ
فوراً السيد السكرتير الأول أو الامانة العامة وأن
يوزع تعميم داخلى على الناس ليعلموا هذا الخبر
سواء عن طريق الاداعة أو التليفزيون أو
الصحافة . هناك خلل شديد فى العلاقة السياسية
بين القيادة السياسية - مع أنها هى نفس
القيادة .

والقيادة السياسية تنظر بعينين فإذا نظرت إلى
السلطة التنفيذية ورئاسة الدولة فى رئاسه
الجمهورية . أو فى الخارجية أو فى مجلس
الوزراء تنظر بعين وإذا نظرت إلى الاتحاد
الاشتراكى كى تكون العين الأخرى لا ترى .

أنا أخشى ما أخشاه أننا نتوغل فى هذا المرض
ونصاب بانفصام الشخصية - الجماهير يجب أن
تعرف عن طريق التنظيم وليس عن طريق الاداعة
أو الصحف ، لأنها تعرف أن صدام حسين يزور
مصر إنما كان يجب أن يتم هذا أما عن طريق بجه
الدعوة والفكر فهذه مسئوليتها التنفيذية إنما يجب
أن تعطى بيان رسمى محدد وقد يكون ورقة
سرية . . . هذه ملاحظة يجب الأخذ بها لأن جزءاً
كبيراً جداً من التصرفات لا يقنع الناس . أو جزءاً من
الناس يقتنع عن طريق الاداعة والتليفزيون
والصحافة ، ولكن جزءاً آخر من الناس يجب أن نتكلم
معهم مباشرة عن طريق التنظيم وفى هذا مكاسب
كثيرة .

الملاحظة الأخيرة الخاصة بالأفراد واختيارهم
فالأجبات والمواصفات الموضوعية للعضو فى
الاتحاد الاشتراكى فى نظرى مواصفات مثالية لا
تتحقق . وأنا أخوف ما أخافه أننا نكون مثل
مواريتنا الفكرية التى تقول أننا نطلب الحاكم
المستبد العادل الذى نصفه انسان ونصفه نحاس ،
ونحن نطلب مواصفات فى مواطن غير موجود
ولهذا ننظر أن الصورة الانتهازية هى التى تبدو
عدد اختيار الأفراد . . كل واحد يلبس نفسه
المواصفات المطلوبة ، فإذا جاز الاختيار يعود إلى
طبيعته حسب تكوينه الداخلى وبالطبع ، ولا بد أن
نقر أن المجتمع له أمراض اجتماعية وأن العاملين
فى الحقل السياسى لا بد أن يكون فيهم نسبة
انحراف ويجب أن نقر بهذا وأن نتابعهم بالملاحظة
والمتابعة وبالفصل إذا استلزم الأمر .

ولكننى أطلب شيئاً هو أنه حينما يفصل انسان
أو يعزل يجب أن يصدر له قرار اتهام وهذا ليس
عيباً ، أما بالطريقة العاطفية فهذا ليس من
المصلحة فى شيء ويجب أن يلاحق الناس ببيان عما



الشيخ محمد عبد الرحمن ببصار

هذان اتجاهان متناقضان ، اننا نريد ان نحدد ماهى المهمة وماهى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وبين قوى الشعب ، وماهى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وبين الدولة وكذلك بينه وبين مجلس الشعب لان ممثل مجلس الامة هو ممثل لقوى الشعب بكل طوائفه . الاتحاد الاشتراكي أيضا ممثل ، قد يقال ان هذا فى مجال التشريع وهذا فى مجال الترجية ولكن . . الترجية لمن أهو الترجية لقوى الشعب العاملة الذى يفترض أنه يتحدث باسمها معبرا عن آمالها وأمانيتها ، أم أنه عبارة عن توجيه من الدولة أو توجيه لقوى الشعب نفسها أو الدولة نفسها لحساب مصالح قوى الشعب العاملة . . انا لا أقصد بهذا ان اضع حاجزا بين قوى الشعب العاملة وبين الدولة ، انما أريد ان أزيل اللبس الذى كثيرا ما يحدث ويدعو الى كثير من الاخطاء التى أشار اليها الأساتذة فى احاديثهم ، ففى الوحدات الأساسية التى تكلمتم عنها فى القرية تناقضات الوحدة الأساسية تنتخب انتخابا حرا ، وبنية بريئة من الفلاحين والعمال وتكون النتيجة ان الذى ينتخب بعد ايام يصبح مركز قوى ومركز استغلال لهؤلاء الناس الذين انتخبوه .

نحن نعرف ان السيد السكرتير الاول يفهم جيدا وكثيرا من الاشياء ، كلنا نعلمها ان الرجل الذى ينتخب فى لجنة الاتحاد الاشتراكي الأساسية يصبح تاجرا ومستغلا . . الدولة تدعو للنظام وتضع القانون يقصد به خير المجتمع والقوى الشعبية العاملة وتكون النتيجة ان هذا القانون يفسر بوجه آخر ، وعلى سبيل المثال عندما يقال ان الفلاح الذى يستغل هذا الموقف . . انه ليس الفلاح ولكنه امين الاتحاد الاشتراكي . . ورئيس الجمعية التعاونية

فى ورقة العمل ، كما فتحت أبوابا كثيرة للحوار الديمقراطية البناء الذى يقوم اساسا على نقد الذات قيل نقد الآخرين ، بمعنى ان ننقد أنفسنا أو اخطائنا وتصرفاتنا فى الماضى لكى نعرف موقعنا من الصواب والخطأ ، وموقفنا من الصدق والحق فاذا ما تبينا ذلك كله استطعنا ان نسير بايمان وبقوة وباخلاص الى اهدافنا القومية والسياسية العليا .

والذى استوضحته الان انه لا تزال هناك كثير من المفاهيم غامضة غير واضحة ، لاننا نتحدث حول هذه المفاهيم ، بعضنا يتحدث فى جزئيات تفصيلية لا أظن اننا استمعنا اليها الان ، وبعضنا يتحدث فى أشياء بعيدة عن تحديد المفهوم الذى وجدنا لنتحدث فيه . . هذه المفاهيم مثلا نتحدث عن الكيان العام للاتحاد الاشتراكي ، وعن الكيان العام للدعوة والفكر وتحالف قوى الشعب العاملة وأنا أريد قبل ان نتحدث عن مفاهيم تكتب وتسطر أو توجه شفاهة ان نحدد بيننا هذه المفاهيم وما مدلولها وأهدافها وما الذى ينطوى عليه ؟ وما الغرض منه ؟ ما هو الاتحاد الاشتراكي مفهومنا وهدفنا ؟ ونحن الان مختلفين حسبما سمعت هل هو عبارة عن ممثل لقوى الشعب العاملة أو هو تحالف لقوى الشعب العاملة ؟ وأنا افهم ان هناك فرق كبير بين ممثل لقوى الشعب العامل وتحالف قوى الشعب العاملة . فى الاولى تكون سلطة الاتحاد الاشتراكي وفاعليته مستمدة من القاعدة الشعبية الحقيقية التى تمثل مجتمعنا ، وليست مستمدة من الدولة أو من مراكز قوى أو قيادات قفزت الى هذا المكان ثم بدأت تستخدم سلطانها ضد قوى الشعب العاملة .

كنت أود ان اعرف عندما نقول الاتحاد الاشتراكي ممثل لقوى الشعب العاملة هذا نوع فان الاتحاد الاشتراكي منفذ لخط اجتماعي معين وهنا يكون نوع آخر .

أريد تحديدا . . كيف يكون الاتحاد الاشتراكي ممثل لقوى الشعب العاملة وفى الوقت نفسه موجه لخط سياسى معين ؟ قد يكون لم يؤخذ فيه رأى هذه القوى أو يكون مفروضا على هذه القوى .

يسمح لى السيد السكرتير الاول لقد تحدث سيادته عن عدم وجود تناقضات وأنا أقول ان هناك تناقضات فى هذه العلاقات . الاتحاد الاشتراكي أما ان يكون ممثلا لقوى الشعب العاملة ومعبرا عن يكون عبارة عن أداة ضغط على هذه القوى بوجه أمانيتها واراتها وعن الخط السياسى الذى تختاره وكذلك الخط الاجتماعى ، وأما يقوم بدور آخر بأساليب معينة وخطوط معينة فيعمل على ان تنفذ هذه الأساليب وهذه الخطوط رضيت بها ، أم لم قرص . .

فينقلب بعد ان كان معبرا عن امانيتهم وحاميا لهم
يصبح هو نفسه المستغل لهم .

التناقضات موجودة والثورة منذ نشأت ، نشأت
على جهاز اعلامى قوى ، وان التوعية لازمة ولا بد
ان يؤدى كل منهم واجبه .

النقطة الثانية : اننا نريد ان تكون هناك ثقة بين
القيادة وبين الشعب وبين كل الاجهزة الحاكمة ،
والثقة بالنسبة للصحافة ايضا فقد قيل عنها انها
ملك للشعب وملك للاتحاد الاشتراكي لكن اصبحت
محتكرة لطوائف معينة ولا يستطيع اى شخص ان
يعبر عن رأيه ولا أريد ان أدخل فى تفاصيل والى
هناك عشرات الموضوعات التى يمكن ان تطرح .

اما بالنسبة للاشتراكية فاذا ذكر كلمة للرئيس
جمال انه قال انها ليست مستوردة ولكنها عربية
وهى نابعة من طبيعته بلدنا ولهذا نستطيع ان نقول
انها قومية عربية أو نقول أنها اتحاد قومي يعبر عن
قومية الشعب .

اننا نريد ان نحقق خطا واضحا لمفهوم نحدده
ونخلقه ، اننا نتكلم كثيرا وأدوات الاعلام لم تتفق
على رأى ولا بد لنا من فكر موحد يجمعنا فى كل
النواحي وعلينا ان نتمسك بالوثائق السابقة
بجملتها حتى يتحقق هدفنا من وضعها .

وقد تكلم الدكتور عبد الملك عودة عن أسلوب
الوعظ والتخلف وانا أقول انه تقدم نسبيا وان
الذين يذهبون الى المساجد يشعرون بهذا من قيام
السيادة الوعظ بواجبهم خير قيام ونرجو ان نوفق
للمستقبل والنصر . وان يعمل كل منا جادا
مخلصا على تصحيح هذا الخطا واعتقد ان هذا
واجبنا جميعا فى موقعنا هذا وفى مواقفنا
المستقبلية ان شاء الله .

● د . محمد انيس

اننا لنرى ان هناك تصور ان للمناقشة ، التصور
الذى ذكره الدكتور الخفيف ، وهو ان نقطة البداية
يجب ان تكون على هذا النحو ، فمن أين بدأنا ؟
نحن بدأنا من انقطاع كما عبر الاخوان .. انقطاع
النفخ بين الجماهير والاتحاد الاشتراكي ، واظن ان
السيد السكرتير الاول قال اننا لا نستطيع القول
بخلق معارضة - هذا صحيح - ولكن المعارضة
موجودة فى الشارع وليس فى الاتحاد
الاشتراكي .

وهناك تصور ان : التصور الاول طرحه الدكتور
محمد الخفيف وهو ان علة هذا الموقف ترجع الى
التركيب الاجتماعى والحزبى للاتحاد الاشتراكي .
التصور الثانى الذى طرحته سيادتكم فى ورقة

العمل ، انا أقول انه يصح ان يوكل الى الدكتور
الخفيف بكتابة بحث الى هذه اللجنة خاصا بفكرته
وقد نعتنح اللجنة بهذا - واللجنة استشارية .

● السكرتير الاول

هنا نقطة نظام يا دكتور انيس - اللجنة ليست
اعلى من المؤتمر القومى واى بحث يخرج عن
قرارات المؤتمر القومى يكون خارجا عن الموضوع
واللجنة استشارية هى حدود قرارات المؤتمر
والدراسة المطلوبة تتعارض مع جميع النظم
المعمول بها وقرارات المؤتمر القومى .

وحينما نأتى فى هذه الفترة ونقول تعدد احزاب
فهذا وضع يخرج عن سلطتى وسلطتك : فنحن
مغيثون باسلوب عمل وندناش على مقررات
معينة .

هذه المقررات كيف تفتتح على الجماهير .. الخ

● الدكتور محمد انيس

نريد ان ننبه اللجنة الى انه قد يكون فى هذا
الطرح حل قضية الاتحاد الاشتراكي ، اما الاقتراح
الثانى الذى خاض فيه الاخوان فهو يدور حول
مشاكل كثيرة عرضت علينا فى هذه الورقة ، واذا
كان الاقتراح الاول مرفوضا من القيادة السياسية
ومن المؤتمر القومى العام فعلى الاقل ، وحتى تكون
المناقشة منظمة ، اننا نبدأ فى قراءة بند بند من
هذه الورقة ، ثم نقول رايينا فيها ،
ثم بعد ذلك اذا كانت هناك اية اضافة يمكن
اضافتها .

وان كنت متمسكا بان من حق الدكتور الخفيف
ان يطرح تصوره امام اللجنة ، ثم يرفع هذا التصور
الى السيادة السياسية العليا متمثلة
فى سيادتكم او اللجنة المركزية او المؤتمر القومى
العام .. وشكرا ..

● صلاح طاهر

استفسار عن مفهوم الاتحاد الاشتراكي كما هو
فى ذهنى .. هل هو بمثابة محطة ضخمة جدا من
الارسال والاستقبال كحلقة اتصال بين الشعب
والحكومة على اساس الا يكون هناك عزلة بين
الشعب والحكومة ، وعلى اساس ان يكون هناك
اتفاق فى السياسة والعمل بين الشعب
والحكومة .

● السكرتير الاول

لا .. المفهوم أكثر من هذا المطروح ، هو كما
أشار الاخ الدكتور انيس ، وهذا ما انتهينا به فى

قام الرئيس السادات بعد الهزيمة مباشرة - وكان في ذلك الوقت رئيسا لمجلس الشعب - بدعوة عدد من الكتاب والصحفيين الى اجتماع للتشاور ، وقد كان افضل المتحدثين في هذا الاجتماع على ما اذكر هو الاستاذ احمد بهاء الدين حيث ركز في حديثه عن الهزيمة على نقطة واحدة اعادها علينا اليوم لانها لا تزال قائمة ، وهي المشاركة في المسؤولية ، لانه اذا احست الجماهير واذا احس ممثلو الجماهير بأنهم يشاركون حقا وفاعلا في المسؤولية السياسية فسوف يتحملون نتائج هذه المشاركة . . .

وان التجارب من بعد عام ١٩٦٧ حتى الان لم تنجح في هذا ، وهذا يرجع في الحقيقة للظروف العامة في البلد التي زادت الامر بلبلة . . . وان المثل البسيط على ذلك هو لجان المواطنين من اجل المعركة . . . لقد شكلت لجنة عليا من خمسين عضوا مثلت فيها مختلف الكفاءات ، كما اعطيت لجان المواطنين من اجل المعركة في المحافظات اختصاصات لاعد لها ولا حصر ، قادرة على ان تعد افريقيا كلها للمعركة وليست مصر فقط ، ومع ذلك فقد اجتمعت هذه اللجان ثم انفضت . . . ثم انفضت اللجنة كلها دون نتيجة . . . وهناك امثلة عديدة على ذلك .

ان هناك موقفا خطيرا الان سببه هو حرب او لا حرب . . . هذا هو الاساس ، واننى ارى اننا نناقش مختلف الامور ساعات طويلة وقد نسينا فعلا الحقيقة الحاسمة الفاصلة في الموقف كله ، ولقد قلت كلاما مشابها لما قاله الدكتور الخفيف في اللجنة السياسية ، ولكننى لم انتهِ الى حل ، وقد راجعت نفسى كثيرا وانا افكر في وسيلة لتجميع واعادة الثقة ، واذا فكرنا اليوم في ايدولوجية الاتحاد الاشتراكي وفي كل هذه الجزئيات ، فاننا كأننا نفكر في وقت سلام ووقت طبيعي ، ولكن الظروف اخطر من ذلك بكثير ، وهناك سبيل واحد امام الاتحاد الاشتراكي كخط عام . . . اذا استطاع الاتحاد الاشتراكي في هذه المرحلة أن يكون تجمعا كبيرا بصرف النظر عن الخلافات التفصيلية . . . تحالف أو حزب فهذه ليست مهمة ، ولكن اذا نجح الاتحاد الاشتراكي في أن يكون تجمعا جماهيريا من اجل المعركة فان هذا سوف يوافق عمل اللجان الاستشارية وعمل لجنة العمل والخط الاساسي . . . لان الجماهير لابد أن تتجمع حول شعار المعركة أو لا معركة ، ولقد ثبت في خلال العشر سنوات الاخيرة أن الجماهير لم تتجمع حول شعارات الميثاق ، وقد يكون هناك اخطار في التطبيق لا يريد أن نناقشها تاريخيا ، ولكننى اقول اليوم والظرف عصيب وخطير ، والجماهير لا تصدق شيئا ،

اللجنة السياسية ، فعندما نستعرض ورقة العمل نجد ان بها اسئلة تركت للنقاش حتى لا تربط احد بمفاهيم . . . ففي الحقيقة ان الموضوع اوسع من ذلك ، ولا نستطيع القول بأن الاتحاد الاشتراكي هو جهاز ارسال واستقبال ، وقد يجوز أن تكون جزءا من مهمته هي النقل للجماهير وايضا النقل عن الجماهير . . . لكن مهمته اشمل من هذا سواء كان بالنسبة لبرنامج العمل الوطنى او بالنسبة للخط . . . الخ ، وانه في الجلسة القادمة بمشيئة الله سوف نتخذ نفس القرار الذى اتخذ في اللجنة السياسية حيث نأخذ الورقة بندا بندا حتى نستطيع بحثها .

● موسى صبرى

اننى ارى ان هناك موضوعا اساسيا يرتبط ارتباطا مباشرا بلجنة الدعوة والفكر وهو موضوع الصحافة ، وهو أنه في كل اللجان حدث حديث طويل عن الصحافة ، وفي الجامعة كان هذا الموضوع الاساسى وفي الشارع وفي الحقيقة في كل بيت .

لكن قبل ان اصل الى هذا الموضوع اريد ان ا طرح جزءا من مشكلة عامة . . .

اريد التعليق اولا على ما ذكره الدكتور الخفيف . . . لقد أشار انه خائف وهو لا يعلم أن هذا الكلام الذى ذكره وتفصيلاته سبق ان قيل في لجنة العشرين ، وكلامه ايضا في صورته العامة قلته في اجتماع اللجنة السياسية ، قد يكون ذكره من موقع ماركسى وانا ذكرته من موقع غير ماركسى ، فالمسألة فعلا هناك اتفاق عام عليها ونحن لا نريد ان ندفع السيد السكرتير الاول الى اليأس ونحن نشعر انه في هذا العمل يتحمل على عاتقه اكثر مما يتحمله بشر ، لانه يواجه بعد ان اخذ على عاتقه مسؤولية ما يمكن ان يقال اعادة الثقة في الاتحاد الاشتراكي ، وسيادته يواجه مسؤولية خطيرة امام الجماهير بحيث اذا انتهت هذه الاجتماعات وانتهت لجنة العمل واللجان الاستشارية واللجنة المركزية والمؤتمر القومى . . . الخ وعدنا من حيث بدأنا ستكون المسؤولية اخطر ، فالمواجهة العامة في الحقيقة هي اخطر من كل هذا وهي ازمة عدم الثقة . . . ليست ازمة عدم الثقة في الاتحاد الاشتراكي فقط وانما هي ازمة عدم الثقة في النظام ككل ويجب ان نواجه انفسنا بهذه الحقيقة الخطرة جدا .

هذا هو الاساس ، واننى اذكر انه بعد الهزيمة وعدم الثقة التى ترتبت عليها بعد ان كان الناس يتوقعون النصر في عدة أيام . . . في هذه الظروف

وتأخذ التصريحات والخطب الرسمية مأخذ شك رغم أنها ٠٠

إذا نجحنا في أن نجعل الاتحاد الاشتراكي يتحول فعلا الى تجمع جماهيري يوجه كل جهوده وسلطاته وكل نشاطه الى أن يصبح الشعب كله بكن فئاته وطبقاته وتناقضاته على الطريق نحو الهدف ، وتكون مهمة الاتحاد الاشتراكي والجهزة السياسية الاخرى مراقبة جدية التنفيذ يمكن القول اننا نسير فعلا في طريق المعركة ، فالناس دائما تسمع اننا نعد للمعركة بينما ترى مظاهر تتنافى تماما مع الاعداد للمعركة ، ومرة يقال اننا نريد نقشا وتوضيحات ولا نريد مطالب ، ثم ترى الجماهير أشياء أخرى كان يقال مثلا أن حل مشاكل الجماهير الاساسية يعتبر خدمة للمعركة وتصرف بدلات طبيعة العمل لفئات ، واننا لم نسمع في حياتنا طلبات مثل الذي نسمعه في هذه الايام ، كأننا نعيش في حالة سلام ، فاذا حدث تجمع حقيقي نحو هذا الشعار (شعار المعركة) حتى ولو أدى الامر الى أننا ندخل المعركة بعد خمس سنوات ، ولكن يكون هناك ثقة في هذا ، وأن يؤدي الاتحاد الاشتراكي هذا الدور بما فيه من تناقضات ٠٠

إن الجماهير تريد أن تتجمع حول شعار ثقة ومعركة ، وأن الصحافة مجنى عليها في هذا وملعونة ، وأن كل الاخطاء تعلق على شناعة الصحافة ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ اننى لا أقصد بهذا أن الصحافة ليس فيها اخطاء ، ولكن هناك اخطاء للعاملين في الصحافة وهي اخطاء لها اسبابها ، ولكن حتى الآن منذ أن أمت الصحافة أو منذ أن صدر قانون تنظيم الصحافة وعدل ، فمن المفروض أن يكون هناك علاقة ملكية بين الصحافة والاتحاد الاشتراكي ، ولكن هذه العلاقة لا توجد على الاطلاق ٠٠ ليس هناك حتى علاقة بين الصحافة والاتحاد الاشتراكي ، أو بين الصحافة والجههاز التنفيذي ولا تزال هذه المسائل خاضعة للتصرف الشخصي والاسلوب الشخصي ، وأن الصحافة هي الملوحة أخيرا ، وهناك أمثلة عملية على ذلك ٠٠ فمثلا في الفترة الاخيرة بالنسبة لمشروع الملك حسين ٠٠ أليس من المؤلم ألا يسمع المسئولون عن تحرير الصحف بتفاصيل هذا المشروع الا من اذاعة بغداد « حيث قامت اذاعة بغداد باذاعة تفاصيل المشروع في الوقت الذي أرسل فيه الملك حسين مشروعه الى جميع الحكومات العربية ومنها مصر ، وإلى جميع العواصم بينما نحن في أول يوم نذيع في الاذاعة عن بيان خطير للملك حسين ثم استنتاجات من وكالات الاجباء ، فهل يمكن لرئيس تحرير صحيفة أن يتصرف تصرفا شخصيا من وحي فكره الخاص في أسلوب إبراز

هذا البيان أو أسلوب عرضه ، وهل يعرض بلا تعليق ؟ أو يعرض عرضا هادئا ؟ أو يضمن اتهاما معيناً ؟ لم يحدث شيء ، ولم يحدث اتصال سواء بين الصحافة والاتحاد الاشتراكي أو بين الصحافة والجههاز التنفيذي ٠٠ والنتيجة أن صدرت الاخبار وقد أثرت أن تثري وعرضت الموضوع عرضا موضوعيا بلا تعليق ٠٠ أما الاهرام فقد عرضته وبه اتهام خفيف بالتواطؤ ، وفي ثانی يوم أعلن المشروع ٠٠

وما يهم في هذا هو أنه لم يسأل أحد رؤساء تحرير الصحف أو طلب عقد اجتماع لدراسة هذا الموضوع من جوانبه المختلفة ٠٠ لم يحدث شيء من هذا ، وانما الذي حدث هو أنه في ثانی يوم بعد اذاعة المشروع تلقينا تليفونا بأنه اذا كنا نريد أن نهاجم المشروع فلا مانع من ذلك ٠

وكذلك موضوع الوفد العراقي ، وأيضا أثناء حرب الهند وباكستان حدث مثل هذا في كل حدث سياسي أساسي مطلوب فيه رأى للقيادة السياسية وما يحيط بها من أجهزة سياسية ودستورية ، بمعنى أن تكون الصحافة في جانب بينما يطلب من المسئولين عنها أن يتصرفوا أيضا في نشر الرأى ٠٠

واننا نسمع كل يوم الآن من ينادى بحرية الصحافة ، بينما ليس معروفا الى أى مدى تكون هذه الحرية ٠٠ هل نستطيع الصحافة مثلا اذا أراد السيد رئيس الجمهورية استخدام حقه الدستوري في تشكيل وزارة جديدة ٠٠ هل نستطيع الصحافة نقد هذا التشكيل الجديد وأن تقول انه ليس هناك داع لهذه الوزارة الجديدة ، أو اذا استخدم رئيس الجمهورية حقه الدستوري في اخراج وزير من الوزارة ليصبح مستشارا لرئيس الجمهورية ٠

إن الناس تطالب أيضا بصورة غير محدودة بحرية الصحافة ٠٠ فمثلا قد حدث رأى عام في تكوين لجنة العمل ، وقيل كيف تكون هذه اللجنة من مهمتها اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي بينما يوجد فيها خمس وزراء خرجوا من الوزارة السابقة بحكم انهم غير صالحين للمرحلة القادمة ٠٠ مرحلة المواجهة ٠

كل هذه الامور تثار الآن بين الناس ، والناس تطالب من الصحافة أمورا ليس من السهل أو الطبيعي تنفيذها ، الا من خلال ما نتفق عليه وأن يكون الرأى معقولا ، فمثلا عندما يكتب كاتب ما يفهم منه اننا غير قادرين على المعركة وأنا لا أشك في اخلاص هذا الكاتب فيما يكتب لانه قد يكون مقتنعا بهذا الكلام ، أو قد يكون لديه من المعلومات ما يبرر هذا الاقتناع ، وقد يكون هذا الرأى يعبر عن شجاعة يعقدها عنده ، وقد تكون لدينا الشجاعة

الخاص بالاسس العامة للاتحاد الاشتراكي مع كل اللجان مجتمعة ، أم أن هناك عائق يعوق مثل هذه الفكرة ؟

أعرض هذا الاقتراح ، وأنا أشير الى أن تفكيرى انحصار وتفكير المجموعة التي تجلس هنا أنها تدور حول نفس الموضوعات وربما تتفرع الى تفرعات تختلف عن التفرعات التي تتفرع اليها مجموعة من الزملاء في لجنة أخرى .

وأقول أنه من حسن التخطيط لهذه المناقشة اما أن نناقش جماعة في صلب هذه المشاكل الواحدة التي تطرح على كل هذه اللجان أو على الأقل أن تكون محاضر اجتماعات اللجان الفرعية وهي تناقش هذه المشاكل مطروحة أمام هذه اللجان في اجتماعاتها الفرعية .

وشكرا .

● السكرتير الاول

في الحقيقة لقد فكرنا في هذا وأن أسلوب العمل في الجلسة الاولى عادة ما يكون أسلوبا استعراضيا كما حدث اليوم .

نحن لا نحب تقييد اللجان ولكن بمجرد أن تبدأ عملها سنهتم بالدخول مباشرة في ورقة العمل ، لاننا في الواقع نستفيد من النقاش الذي يجري ويحمل وجهات نظر مختلفة .

والنية في نهاية عقد جميع هذه اللجان كلجان متفرعة ، وأن توزع جميع محاضرها على جميع الاعضاء .

ثم نجتمع على هيئة جمعية عمومية لقراءة الورقة .

ورجائي للسادة الاعضاء أنه قبل انعقاد الجلسة القادمة والذي لن نتكمن من تصديده اليوم ، أن تكون ورقة العمل قد وزعت عليهم فعلا وهي تحتوي على أسئلة وتساؤلات ، وهذا اتجاه اتبعناه أيضا في لجنة العشرين بأنهم يدونوا لنا آراءهم فيما يختص بالنقط المثارة في ورقة العمل وترسل الى سكرتارية اللجنة قبل عقد الاجتماع ، والاسنجد اجتماعاتنا تكرارا لنقاش مستمر .

اما عندما تكون ورقة مكتوبة تحتوي على رأي العضو في موضوع معين فستعرض هذه الورقة وتوزع ، وقد اتجهنا في لجنة العشرين الى هذا . بحيث تكون الجلسة القادمة محددة بمواضيع معينة من واقع مشروع ورقة العمل المقدمة . وفي النهاية أشكر الاخوة الذين ساهموا في هذه المناقشة . . . وشكرا . . .

(وانتهى الاجتماع حيث كانت الساعة الثالثة بعد الظهر) .

ولكن ليس عندنا معلومات للنشر ، وفي نفس الاسبوع الذي تنشر فيه المقالة نقرا حديثا للسيد رئيس الجمهورية لصحيفة « نيوزويك » وينشر على الناس أن المعركة أقرب مما نتصور ، وبعد ذلك يأتي كاتب آخر لكى يدفع الناس ويشحنهم الى المعركة ، وقد يتهم بأنه رجل سطحي وأنه ينافق السلطة وهكذا . . .

إذا كنا نريد أن يتحول الاتحاد الاشتراكي الى تجمع جماهيري صادق ويواجه المرحلة الحظيرة وهي مرحلة عدم الثقة فعلينا أن نعقد جلسة خاصة لهذه اللجنة لدراسة شئون الصحافة وشئون الاعلام والاذاعة والتليفزيون ووسيلة ربطها ووسيلة عملها في اطار يمكن به تحقيق الهدف الذي يسعى اليه الاتحاد الاشتراكي ، لاننا اذا وصلنا بالاتحاد الاشتراكي الى طريقة كما نأمل ، فلا تتخيل أنه ينجح في هذا بغير صحافة واضحة الخطوط وواضحة التنظيم وواضحة المسئوليات والاختصاصات ، فما قد ينجح فيه الاتحاد الاشتراكي قد تفشله الصحافة .

● السكرتير الاول

أقترح عليكم الان أن يكون اجتماعكم القادم بمشيئة الله مع اللجنة السياسية ، لاننى أرى أن النقاش يكاد يكون سائرا في نفس الخط الذي تسير فيه اللجنة السياسية .

كما أننى أقترح عليكم ضم هذه اللجنة الى اللجنة السياسية على الأقل فيما يختص بأسلوب العمل .

بالنسبة للجزء الخاص بحرية الصحافة . . . في الواقع هو محل دراسة الان مع الدكتور جابر جاد في أمانة الدعوة والفكر ، لكن الموضوع أيضا يحتاج الى مناقشة على مستوى أكبر مثل مستوى اللجنتين مجتمعتين ويمكن أن نتناقش فيه عند اجتماع اللجنتين .

● الدكتور ايهاب اسماعيل

استاذن السيد السكرتير الاول للجنة المركزية في أن أبدى اقتراحا يتعلق بالعمل في اللجان بوجه عام .

هناك واجبان ملقيان على عاتق أعضاء اللجان الفرعية .

الواجب الاول يتعلق بالتصور العام للاتحاد الاشتراكي .

والواجب الثانى يبدأ الى خصوصية اللجنة الفرعية المشكلة ، فقد تصادف أن حضرت اجتماع اللجنة الفرعية للشباب وجدت أن كثيرا من وجهات النظر والتساؤلات التي تطرح تكاد تكون متطابقة ، مما يجعلنى أسأل هل من المناسب أن يبحث الشق

اجتماع اللجنة الفرعية للادباء والفنانين

أول أبريل ١٩٧٢

السيدة سناء جميل • كمال السلاخ • يوسف السباعي • محمود مرسى • عبد الرحمن الشرقاوي • الدكتور عبد العزيز الهماني • الدكتورة لطيفة الزيات • محمد زكي عبد القادر • صالح جودت .

وقد حضر الاجتماع كل من السادة

- صلاح غريب وزير القوى العاملة
- الدكتور محمد دكروري عضو لجنة العمل الوطني
- المهندس ابراهيم شكرى عضو لجنة العمل الوطني وأمين النشاط المهني
- الدكتور جابر جاد عبد الرحمن عضو لجنة العمل الوطني وأمين الدعوة والفكر والاعلام
- الدكتور احمد كمال ابو المجد عضو لجنة العمل وأمين الشباب
- السيدة كريمة السعيد عضو لجنة العمل
- عبد الحليم الجندي عضو لجنة العمل
- ثابت السفرى عضو لجنة العمل
- اسماعيل القاضي عضو اللجنة المركزية
- الدكتورة زينب السبكى عضو اللجنة المركزية

اجتمعت اللجنة الفرعية للادباء والفنانين في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين من صباح السبت الموافق اول أبريل سنة ١٩٧٢ برئاسة السيد المهندس سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية . وحضور السادة الاعضاء وهم :

- سعد الدين وهبه • ابراهيم الورداني
- محمد ثروت أياظه • السيدة امينة السعيد
- الدكتور حسين فوزى • الدكتور محمد خلف الله
- احمد • عبد العزيز الدسوقي • السيدة سميحة
- ايوب • السيدة فايدة كامل • احمد رشدي
- صالح • صلاح عبد الصبور • الدكتور عبد العظيم أنيس • أمير اسكندر • نجيب محفوظ
- أنيس محمد منصور • الدكتور لويس عوض
- صلاح أبو سيف • بدر الدين أبو غازي •
- الدكتورة سمير القلماوي • عبد الحميد جودة
- السحار • نبيل الالفى • مدحت عاصم • حمدي
- غيث • أحمد حافظ مظهر • أحمد عباس صالح

واعتذر عن الحضور كل من :

- سعد اردش • الدكتورة سمحة الخولى

والصورة التي وجدناها في لقاءات اللجان المختلفة التي دعوناها وهي اللجنة السياسية ولجنة الدعوة والفكر واليوم لجنة الادباء والفنانين وبعد ذلك لجان العمال .. الخ . هي انها تعطينا جملة آراء كثيرة جدا بها ردود على بعض التساؤلات في المشروع المقدم الى لجنة العمل والذي اعتقد انه وزع على حضراتكم .

وقبل ان ندخل في هذا المشروع ، هناك جزء من السلبات وانني اعتقد ان هذا الجزء وضع بالصراحة الكافية ليعالج الحالة القائمة الموجودة في الاتحاد الاشتراكي ، ثم هناك جزء من التساؤلات مركز في بعض الصفحات من التقرير الذي قدم بحيث انه اذا اجيب عن هذه التساؤلات او تم النقاش فيها فاننا نصل في النهاية الى حصيله تفكير مجموعات مختلفة هي في نهايتها تمثل الراي العام في مصر .

وقد نوقشت موضوعات كثيرة في اللجنة السياسية ولجنة الدعوة والفكر وهذه الموضوعات ليست مرتبطة ارتباطا وثيقا بورقة العمل ولكنها كانت في مجال الاستعراض العام أكثر منها في مجال الارتباط بما جاء في الورقة التي قدمت اليكم ، وليس لدينا مانع من طريقة اللجنة عند النقاش بأن تدخل في استعراض عام أو أنها تأخذ الورقة تفصيليا فالامر متروك تقديره الى اللجنة .

وقد فضلت اللجنتان السابقتان ان تدخلتا في استعراض عام ولكنهما انتهيا بعد جزء من الاستعراض العام الى العوده الى ورقة العمل ، فاذا لاحظنا مثلا في ورقة العمل في الصفحة الثانية منها عن السلبات « اتجاه التنظيم الى الاسلوب المكتبي البيروقراطي » انكماش الضمانات الديمقراطية ، طغيان النواحي الشخصية ، ضعف الروابط التنظيمية ، الى آخره ، نجد انها تمثل في الواقع الحالة التي نقابلها ، بعد ذلك هناك تصور عام عن طبيعة عمل اللجنة .

وبالنسبة للاسئلة فانها تبدأ من الصفحة الخامسة ، العضوية في الاتحاد ، الترتيب الهرمي للانحداد ، التنظيم الشبابي ، اسلوب العمل داخل الاتحاد ، مهمة اللجنة في تحديد علاقة الاتحاد والمؤسسات والاجهزة القومية والتشريعية الى آخره .

وفي الحقيقة ان لجنتي اليوم تتميز بصفة خاصة عن اللجنتين السابقتين وهي انكم كادباء

بسم الله الرحمن الرحيم ..

اجتماعنا اليوم في هذه اللجنة بالذات له مدلول معين وله أهمية خاصة بالنسبة للاتحاد الاشتراكي .

المعالجة التي سرنا فيها سواء في ورقة العمل التي وزعت على حضراتكم او في تفكيرنا لتغيير اسلوب الاتحاد الاشتراكي ، وتغيير اسلوب الاتحاد الاشتراكي لا يعني أبدا إعادة انتخابات او تكرار انتخابات سابقة ولكنه يعنى ان الاتحاد الاشتراكي في صورته النهائية يعبر لعلا عن آراء الجماهير ويتبنى آراء الجماهير على وضعها بحيث انه يأخذ من هذه الآراء أو بضيف اليها بحيث يكون ممثلا فعلا للقاعدة الجماهيرية .

ومن هنا جاءت قرارات المؤتمر القومي وما جاء بالكلمة التي ألقاها السيد الرئيس ، وكذلك الكلمة التي تشرفت بالقائها امام المؤتمر القومي انه لن نصل الى هذه النتيجة الا بسياسة انفتاح كاملة على القاعدة الجماهيرية .

ولكي تحقق سياسة الانفتاح ولكي تكون الصورة كاملة امام الناس بشكل عملي وليس بشكل نظري أو بالكلام خاصة واننا جميعا نعلم ان الجماهير أصبحت تضيف بالكلام الكثير في هذه الفترة وانني احس بهذا فعلا ، واحس كذلك فيما يختص بنا نحن في الاتحاد الاشتراكي ولكن كان لا بد من نقل الكلام الذي قلناه وكان لا بد من عقد اجتماعات مختلفة مع قوى الشعب العاملة أو مع الاشخاص الذين لهم تأثير جماهيري معين حتى يمكن ان نبلور السياسة التي ستصل اليها والتفكير الذي سيصلنا من مجموعة اللقاءات التي تتم والتي من شأنها تغيير اسلوب تفكيرنا وطريقة رسم السياسة بالنسبة للاتحاد الاشتراكي .

وعلى ذلك كونت لجنة العمل ، ثم اسرعنا بتأليف اللجان الفرعية حتى لا تحلق لجنة العمل في آراء فلسفية بعيدة ولكي تكون على اتصال وثيق بالقواعد الجماهيرية .

ولقد شكلنا اللجان الفرعية وراعينا في تشكيلها ان تشمل مجموعات متغيرة لها وزن لها اسم ولها تأثير على الجماهير .



ثروت أباطه

الاشتراكي عندما يتصرف لا يتصرف فقط من خلال الامانات الموجودة بل انه يتصرف في كل امر من الامور بعد الرجوع الى قاعدة جماهيرية هي بطبيعتها جاءت بالانتخاب وهي بطبيعتها تمثل الراي العام ، عند ذلك اذا وصلنا الى هذا نكون قد وصلنا الى انه عندما يتكلم الاتحاد الاشتراكي يكون قد اتصل قبل ذلك بالمجموعات المختلفة التي تمثل الراي العام .

اعود واقول ان هذه اللجنة بالذات تتميز بميزة كبيرة جدا وهي ان الادباء والفنانين هم القناة الموصلة للحقيقة التي يمكن ان تعكس الاراء السياسية ، فاي راى او نقد في جريدة من الجرائد يكون له اثر في الراي العام .

كذلك فان صورة كاريكاتورية بسيطة يكون لها اثر في الراي العام وكل رواية من الروايات التمثيلية يكون لها اثر في الراي العام ، وكل هذه الاثار قد تكون اكثر اثرا من كلمة يقولها السكرتير الاول او يقولها اى مسئول في الاتحاد الاشتراكي .

وعلى ذلك فاننا نريدكم جميعا معنا بتلوبكم وتفكيركم وبالصراحة الكاملة حتى يمكننا ان نرى الطريق الذى لا بد ان نسير فيه .
وشكرا .

● ثروت أباطه

أعتقد ان القيمة الحقيقية لاي تنظيم لا يمكن ان تكون الا باشعار المسؤولين بأن لهذا التنظيم قيمته ، وأعتقد كذلك ان الادباء والصحفيين

وفنانين يعتبرون حلقة الوصل ما بين السياسة التي تسير عليها الدولة ، وسياسة الاتحاد الاشتراكي أو سياسة الراي العام ، واذا قلنا ان هذه القيادات جميعها تمثل الراي العام فان حلقة الاتصال تكون نابعة من هذه اللجنة .

وبالنسبة لطريقة النقاش ، فالنقاش مفتوح بكل حرية ومستوزع على حضراتكم قرارات اللجنتين السابقتين بعد الانتهاء منها ، واستعراض عام ترون ان له أهمية واننا نستطيع ان نستفيد منه ، واننى لا اريد ان اتكلم اكثر من هذا خوفا من انه يقال ان المسؤولين يتكلمون كثيرا او غير ذلك ، وفي الحقيقة نريد ان نسمع لكم اكثر مما نتكلم .

وفي ختام هذه الكلمة القصيرة ، فنحن لا نضيق بأى نوع من النقاش وأى شيء تريدون التعبير عنه ونحن على كامل الاستعداد للاستماع والصحفيون موجودون معنا والنقاش مفتوح .

ولكن هناك نقطة وحيدة أحب ان أشير اليها ولو اننى لم أنبه لها في لجنة الدعوة والفكر ، وهي انه توجد موائيق معينة ، هي الميثاق ، وبيان ٣٠ مارس ، والدستور ، وفي ضوء هذه الموائيق الثلاثة نستطيع ان نتحرك كما نريد بما في ذلك تغيير قانون الاتحاد الاشتراكي نفسه ، وان الخروج على هذه الموائيق في هذه الفترة بالذات امر يجرنا الى الوقوع في متهاتات وهذا ما حدث في لجنة الدعوة والفكر ، ولكنه حدث مجازا او كفترة انتقالية او كيلا يقال اننا أمقلنا نقاشا معيناً ، فنحن نفتح النقاش حتى في خارج هذه الموائيق

فمثلا طلب في لجنة الدعوة والفكر تغيير الميثاق ، وقد كان من المفروض أن يتغير سنة ١٩٧٠ ، كما طلب إعادة النظر في بيان ٣٠ مارس ، بل طلب أكثر من ذلك من بعض الاعضاء النظر في تحديد ما المعنى من قوى الشعب العاملة .

واننى أرى ان هذه المناقشات في الحقيقة تخرجنا عن الاطار الموجود لان الذى يقرأ الميثاق لغاية اليوم والذى يقرأ بيان ٣٠ مارس لغاية اليوم والذى يقرأ الدستور يجد فعلا ان عندنا وثائق لو أحسننا تطبيقها على الصورة الواردة فيها أو على الصورة العملية التي تجذب الجماهير لأخذنا خطوة الى الامام .

تصورنا بالنسبة للجان النوعية المختلفة هي انها لا بد وأن تنتهى بعمل فروع لها تماثل تماما النقابات المهنية أو تماثل نقابات العمال أو تماثل نقابات تعاونية الفلاحين ، بمعنى ان يكون الاتحاد

انه بصفة مستمرة كان يترجم قرارات السلطة التنفيذية وكانت هذه الترجمة تابعة من فلسفة ان الاتحاد الاشتراكي هو الام وله جناحان هما السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، وبالتالي كان الاتحاد الاشتراكي يلاحق قرارات السلطة التنفيذية بالتفسير لدى الجماهير ، بمعنى ان الاتحاد الاشتراكي لم يصدر قرارات حتى الان ، وليس هذا مبداء ، ولكنه يعتبر ضمن سلبيات الاتحاد الاشتراكي ولكننا لم نشأ ان ندخل في هذا المضمار حتى نحدد تماما ما الصلة التي ستكون بيننا وبين السلطة التنفيذية ، وهذا ضمن المهام الاساسية في مجال تحديد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وبين السلطة التنفيذية وكذا تحديد الصلة بين الاتحاد الاشتراكي وبين مجلس الشعب .

وعندما تحدد هذه الصلة يمكن للاتحاد الاشتراكي ان يترجم آراء السلطة التنفيذية طالما انه قد شارك فيها على شكل او على آخر . والمثال على ذلك قائم في قانون التعاون الزراعي وقانون اجارات المساكن عندما بدى في اصدارهما ، فكر جديا على ان هذه القوانين وهي تمس مصالح قاعدة كبيرة جدا من الجماهير فلا يجوز لوزارة الزراعة مثلا في قانون التعاون ان تستأثر به بل يجب ان يطرح القانون على جميع القواعد الجماهيرية وهذا تم بالفعل وكان من الاسباب الاساسية لكي يكون التطبيق هو التطبيق الامثل .

وعلى ذلك فاني اضع مسألة القرارات تحت عنوان « ما الحدود التي يجب ان تكون ما بين الاتحاد الاشتراكي وبين السلطة التنفيذية وما بين الاتحاد الاشتراكي ومجلس الشعب ؟ » . وتصوري في هذا هو التصور الاول الذي اشرت اليه في بداية حديثي وهو انه اذا نجح الاتحاد الاشتراكي في ان يمثل آراء الجماهير في سياسة عامة ففى هذه الحالة فانه يعكس هذه السياسة سواء بطريقة ابداء الرأي او بطريقة مناقشتها مع السلطة التنفيذية او حتى مع مجلس الشعب هذا الى جانب ملاحظتين هامتين هما :

أولا : عدم مصادرة الحركة الذاتية الموجودة داخل النقابات لاننا لانريد ان نكرر صورة قديمة موجودة فيها وهي ان الاتحاد الاشتراكي يتسلط على نقابة من النقابات بصورة او بأخرى . ولكننا نريد ان نتكلم النقابات ونريد ان توضح النقابات رأيها ونريد ان تكون هناك اجتماعات مستمرة بيننا وبين هذه النقابات حتى يمكن ان نستشير برأي النقابات في عملية معينة وخاصة وان هذه النقابات كلها تأتي بانتخاب مباشر وان

يريدون ان يتكلموا اول ما يتكلمون حول حرية الصحافة وحرية النقاد وحرية المسرح ، وحرية السينما في الحدود التي لا تطغى على المصلحة العامة للبلاد فيما يتصل بالمعركة .

ولا شك ان هناك قيودا كثيرة على هذه الحرية وان هذه القيود لا ضابط لها بحيث اننا نحن الذين نكتب لا نعرف ماذا يمكن ان يقال وماذا يمكن الا يقال ؟

هذا بالنسبة للمقالة فاذا امتدت هذه الرقابة الى القصة وهي عمل فني محض ووصلت الحال الى ان بعض المسرحيات تعد وتجهز ثم ترفض . . فلا شك اذن ان هذا يقيد حريتنا في هذه المرحلة الحاسمة .

ليس ذلك فقط ، بل ان القيادات العليا تتخذ العديد من القرارات وتذيعها وتعلنها دون العودة الى أي جهاز شعبي كمجلس الشعب او الاتحاد الاشتراكي .

وانني اقول انه اذا كان هناك قرار تابع من ارادة الشعب فانه لا بد لهذه الارادة ان تكون واضحة ملموسة في تصويتها عليه ، فلا يعقل أبدا ان يصدر البيان في مسائل عليا تفصل بحياتنا وبالمحتلين الذين يحتلون أرضنا وتكون الاسئلة في مجلس الشعب عن السينما وانها خسرت ستة ملايين او ثمانية ملايين . . هذه مسائل غاية في التفاهة بالنسبة للمسائل العليا التي يتخذ فيها القرار فرديا .

واعتقد انه حين تتسعر التنظيمات بمختلف أشكالها ان لها كيانا حقيقيا وان لها كلمة مسموعة وأن المسؤولين يأخذون برأيها فانه في هذه الحالة سوف تعطى أكثر وأكثر وسوف تنشط أكثر وأكثر ، وتحاول بجدية ان تشارك فعلا في العمل الوطني وفي هذه الحالة كذلك فان دورها يصبح دورا فعلا ومفيدا .

● السكرتير الاول

لي تعليق على كلام الاخ ثروت . . هو في الحقيقة يمس ثلاث او أربع نقاط وهو كذلك يمس النقطة المتعلقة بحرية الصحافة وحرية المسرح ، والرقابة على القصة وقرارات القيادات العليا كما سماها والتي يقصد بها قرارات السلطة التنفيذية ، وانني أبدا بالنقطة الأخيرة الخاصة بالقرارات .

ان الذي كان يحدث في الاتحاد الاشتراكي

النقيب يتغير وأن من تنتخبه القاعدة الجماهيرية
فى نقابة من النقابات يعتبر فعلا ممثلا فى الاتحاد
الاشتراكى نفسه .

الصورة بالنسبة للسلطة التنفيذية لم توضح
بالكامل ولا بد فى هذا المجال أن نعالج بصراحة
ما يوجد من حساسية بين الاتحاد الاشتراكى
وبين السلطة التنفيذية وهذا مالا يجب أن يكون
بل حتى اذا وجد فانه يعالج على الانظمة الثابتة
الموجودة ، وهى ترجمة الراى العام بالنسبة
لمسألة من المسائل .

وبالنسبة لحرية الصحافة وهذا مطلب عام
لهذا الموضوع ، درس دراسة تفصيلية واعتقد
أن الدكتور جابر يستطيع أن يعطينا فكرة كاملة
عن المراحل التى تم فيها دراسة هذا الموضوع
والنتيجة شبه النهائية أو النتيجة التى وصلوا
اليها بالنسبة لحرية الصحافة .

وبالنسبة لحرية المسرح فقد كان اعتقادى انه
ليس هناك تدخل كبير فى الرقابة على الاشياء
المسرحية الى أن جاءت الروايتان الاخيرتان
اللتان اعتقد أن الاخ ثروت يشير اليهما بالذات
فى الفترة الاخيرة وهذه مسألة أرجو أن تترك
مؤقتا ثم نعود اليها فى النقاش لا لشيء الا لانها
مسألة متعلقة بموضوع معين ولكن لا شك أننا
بعد أن نستمع الى الدكتور جابر فى الجزء
الخاص بحرية الصحافة فانه من الممكن جدا
معالجة موضوع حرية المسرح أو الرقابة على
السينما بنفس الطريقة التى اتبعت فى حرية
الصحافة .

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

لعمل السادة اعضاء هذه اللجنة الموثرة
يتذكرون ما أبداه السيد الرئيس فى اجتماعه
مع مسئولى الاعلام سواء فى الاذاعة والتليفزيون
أم فى الصحافة من أن الدولة على استعداد كامل
لأن تقرر حرية الصحافة عندما يعلن ميثاق العمل
الصحفى وعندما يشكل مجلس أعلى للصحافة .

وانطلاقا من هذا التصريح اجتمعت امانة
الدعوة والفكر والاعلام والشئون الدينية بعقابة
الصحفيين التى قابلت هذا التصريح بالترحيب
الكامل ، وقد اجتمعنا معهم عدة مرات كما انهم
اجتمعوا مع السيد السكرتير الاول السابق
والسيد السكرتير الاول الاستاذ سيد مرعى فى
لقاءات عديدة وانتهينا فيها الى أن الصحفيين
أنفسهم سينتقدون بارادتهم بالتزامات معينة

يعانونها بأنفسهم فى مشروع ميثاق العمل
الصحفى وقد أعدوا هذا المشروع فعلا ، وقد
نوقش مرة ومرة وانتهينا من صياغته الاخيرة
وقدم للسيد السكرتير الاول ليتخذ الاجراءات
التالية لاعلان هذا الميثاق .

والميثاق فى ذاته التزام بقيم معينة فى اطار
الالتزامات العامة كما ورد فى ميثاق العمل
الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، وكما ورد فى
الدستور الدائم وفى برنامج العمل الوطنى .
هذا الاطار العام يمكن أن تتحرك منه كل
فئات الشعب وقد أعلن مجلس النقابة عندما
قدم مشروعه لأول مرة أننا نطالب عندما ملتزم
بالتزاماتنا السابقة بالتحديد الواضح للعلاقة
مابين النقابة وبين الاتحاد الاشتراكى ، ونطالب
بوضع لائحة للعمل الصحفى ، ونطالب بكذا
وكذا ، ولكننا قلنا انه لا يمكن أن يعلن الميثاق
بهذه الصياغة اذ أن آخره يبطل أوله وانتهينا
الى صياغة الميثاق فى شكل التزامات هى فى
جوهرها تتعلق بأداب مهنة الصحافة ، ثم اتفقتنا
على أن هذا المشروع يعرض على الجمعية
العمومية للصحفيين لتوصى بما يريدون أن
يشترطوه فى صلب الميثاق وهو تحديد العلاقة
بين الاتحاد الاشتراكى وبين الصحافة ، وهو
ما ينادى به الاتحاد الاشتراكى فعلا ، كما توصى
الجمعية العمومية للصحفيين بتشكيل مجلس
أعلى للصحافة .

وفى يوم الثلاثاء السابق ليوم الخميس الماضى
اجتمعت امانة الدعوة والفكر مع مجلس نقابة
الصحفيين ، ووضعت مشروعا مبدئيا للمجلس
الأعلى للصحافة .

وستكون كل المشاكل الموجودة فى الصحافة
موضع دراسة خلال هذا الاسبوع وقد تنتهى
من كل ما يتعلق بالصحافة لتقرير حرية الصحافة
كما قال السيد الرئيس ، فنعلن الميثاق ونحدد
العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين الصحافة
وغير ذلك من المسائل التى أشرت اليها الآن .

ومن الطبيعى أن ما يمكن أن يتصور بالنسبة
للصحافة يمكن أن يتصور أيضا بالنسبة لوسائل
الاعلام المختلفة ، وقد سبق أن وضع ميثاق شرف
للعاملين فى الاذاعة والتليفزيون وجاء هذا
الميثاق فى اطار مواثيقنا القومية ، ميثاق العمل
الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، والدستور الدائم ،
وبرنامج العمل الوطنى ، وأتينا نتشرف بعضوية
أغلبية السادة الحاضرين ونحن نرحب بعضويتهم
جميعا فى شعبة الثقافة التابعة لمانة الدعوة
والفكر والاعلام ، فهم بلا شك أهل خبرة ودراسة
بهذه المسائل ولا بد أن نعتزف بأننا لا نستطيع



فايدة كامل

ولكن مجلس الشعب من حقه أن يسأل وأن يستجوب الوزير ، ولكنه ليس شرطا أن يرجع أى وزير فى اتخاذ قراراته الى مجلس الشعب لانه مفوض بأن يتخذ القرارات الضرورية اللازمة والتي تتمشى مع مصلحة البلاد فى الامور التنفيذية .

وفيما يختص بموضوع الملك حسين فأننى أقول انه ليس من حق مجلس الشعب دستوريا وليس هناك الزام دستورى للوزارة فى ان تعود الى مجلس الشعب ولكن من حق مجلس الشعب ان يسأل وان يستجوب من يشاء .

● فائدة كامل

فى الواقع هناك نقطتان اود اثارتهما :
النقطة الاولى : بالنسبة لاسلوب العمل فأننى ارى عرض مشروع ورقة العمل على اوسع قاعدة ممكنة من خلال الاتحاد الاشتراكي لانها تتضمن مسائل هامة وحيوية تمس الاتحاد الاشتراكي من القاعدة الى القمة ، وهذا الاسلوب موجود فى نفس ورقة العمل ، واحد الاساليب المقترحة فيها عرض مشروع ورقة العمل على امناء المحافظات حتى الوحدات الاساسية نفسها .
ان تشكيل اللجان الاستشارية خطوة فعلية هامة ولكن لو امكن عرض هذا المشروع على اوسع نطاق من خلال الاتحاد الاشتراكي لوصلت كل لجنة من هذه اللجان الاستشارية الى فكر القاعدة العريضة وهو مايمكن ان نستفيد منه جميعا بالوصول الى الغاية المرجوة من التنظيمات الجديدة .

النقطة الثانية : بالنسبة لعلاقة الاتحاد

ان نحيط بكل شىء علما وان نعترف بأننا نضع الامر للمتخصصين فيه وكلنا نبتغى غاية واحدة وهدفاً اسمى واحداً وهو مصر ومصر وخدمة مصر وخدمة المصالح العليا لوطننا العزيز .

● ثروت اباضه

فيما يختص بحرية الصحافة فهذا مقنع ، ولكن هناك مسائل عليا . واسمحوا لى ان اضرب عن ذلك مثالا بمشروع الملك حسين الذى رفض دون ان يعرض على مجلس الشعب ، وقد يكون من غير المحتمل ان مجلس الشعب كان سيقبله ، ولكن الا يشعرونا عرض الموضوع على مجلس الشعب انه مجلس ينظر فى اهم ما يتصل بحياة الناس ، وانه عندما يرفض موضوعا فانه يرفضه على اساس مبادئ مدروسة ومعروفة ، واذا لم يبحث مجلس الشعب مثل هذه المسائل ففيم يبحث اذن ؟ ان هذا الموضوع اهم ما يبحث فيه ، ان الديمقراطية والدستور والميثاق وكل ما يدعو اليه الحكم الان يوجب ان يكون رأى الشعب ممثلا فى مجلس الشعب وممثلا فى الاتحاد الاشتراكي وهذا المنبع والمبعث الذى يصدر عنه رأى الدولة . وشكرا .

● فائده كامل

الواقع اننى اقر زميلى الاستاذ ثروت فيما عرضه ولكن فى الحقيقة هذا الموضوع عرض فعلا على مجلس الشعب ونوقش ولكن بعد ابداء الراى فيه ، وكان من الاجدر ان يعرض قبل البت فى الموضوع لانه فعلا كما ذكر الزميل موضوع حيوى وهام جدا ويهم الوطن كله اما من حيث عرض الموضوع على مجلس الشعب فقد عرضه السيد وزير الخارجية على المجلس ونوقش فيه .

● الدكتور محمد دكرورى

لدى توضيح لهذه النقطة ، فربما فى مرحلة ما بعد ١٥ مايو والاتجاه والامل فى العودة الى الاوضاع الطبيعية والدستورية والقانونية التى تحكم حياتنا كلها فقد تحتاج العلاقات والاختصاصات والواجبات الخاصة بسلطات الدولة الى توضيح .

وفى جميع النظم البرلمانية الدستورية ليس هناك اى الزام لرئيس الدولة او لاي وزير فى قطاع من القطاعات ان يعود فى كل قرار من القرارات التى يتخذها الى مجلس الشعب ،

في المحافظة والجهاز التنفيذي والاداري بها .
فالصورة الموجودة بوضعها الراهن لا تمثل
ورقة عمل بالمعنى المفهوم بقدر ماتمثل مجموعة
آراء عندما يرد عليها تكون شبه تقرير ، وهو
ما سيعرض على امناء المحافظات ، ومع كل فنهك
اجتماع مع امناء المحافظات يوم ٤-٤-١٩٧٢
ان شاء الله للمناقشة في معنى الموضوعات التي
يردت هنا .

**اما النقطة الثانية فهي تبين اللبس القائم ما بين
الاتحاد الاشتراكي كسلطة ومجلس الشعب كسلطة
اخرى ، لان مذكرته السيدة فايده كامل ينطبق
تماما على مجلس الشعب ، فاذا اردنا في الاتحاد
الاشتراكي تجميع كل شيء في ايدينا ، كالنقابات
ومجلس الشعب والحكومة . الخ ففي هذه الحالة
لا نستطيع القيام بمهمتنا ، لكننا نريد للنقابات
ان تقوم بدورها ونريد لمجلس الشعب ان يقوم
بدوره الوارد في لائحة المجلس الداخلية من حيث
السؤال والمناقشة والاستجواب ، وعقد هيئة
برلمانية . الخ .**

اما بالنسبة للجنة المركزية فهذا الدور غير
واضح وهذا مايؤدي الى دخولنا في اللبس الكبير
القائم ، فما دور اللجنة المركزية ؟ وما دور المؤتمر
القومي ؟

اذا نظرنا الى تجارب الاحزاب المشابهة في
الخارج وجدنا ان دور المؤتمر القومي او اللجنة
المركزية هو تبني سياسات عامة ، لانه لا يمكن بأي
حال من الاحوال ان يكون الاتحاد الاشتراكي
مسئولا مسؤولية تنفيذية ، والا يكون هناك تعارض
بين عمل الحكومة وبين عمل الاتحاد
الاشتراكي ، فلا يمكن القول بان الوزير عندما
يتخذ قرارا يجب عليه ان يستأذن الاتحاد
الاشتراكي ، لاننا في هذه الحالة نعطل الاداة
الحكومية عن اداء عملها ، لكن لابد ان يكون هناك
اطار عام لعمل اللجنة المركزية ، واطار عام لعمل
المؤتمر القومي .

ولزيادة التفسير اقول انني اتصور مثلا في
ظروف الحرب التي نمر بها حاليا ، نركز جميعا
على نقطة واحدة وهي تحرير الارض ، لكنني
اتصور اننا نضع نظاما يستتب لفترة معينة ، ولم
اقل يستتب الى الابد ، ومن النقاط التي تثار
وتهمنا في هذه اللجنة . هل تطور في الاتحاد
الاشتراكي يوميا . ؟

وفي الحقيقة انه اذا تجمد حزب سياسي على
موقف معين انتهى هذا الحزب ، فالتطور واجب ،
وهو علامة صحية وليس علامة ضارة ابدا ،

الاشتراكي بالاجهزة التنفيذية فانا ارى - وهذه
تجربة ايضا في بعض البلاد الاشتراكية - انه
لو كانت هناك لجان قنية متخصصة لمراقبة العمل
واتخاذ القرارات في المشاكل التي تصعد لها
عن طريق الاتحاد الاشتراكي ، وبعد مناقشة هذه
القرارات تصعد الى اعلى مستوى في الاتحاد
الاشتراكي ، ويكون لها الحق في طلب الوزير
المختص لحضور هذه المناقشة ، وفي هذه الحالة
أعتقد ان ما يتخذ فيها من قرارات يجب ان يكون
ملزما للوزير لانها نوقشت في حضوره وبناء
على مطلب جماهيري صعد من القاعدة ، وتمت
الموافقة عليه من اعلى سلطة في الدولة وهي
اللجنة المركزية ، كما يستطيع الوزير ايضا في
هذا الاجتماع ان يطعن وان يناقش هذا القرار ،
وان يلتزم به بعد هذه المناقشة .
وشكرا . .

● السكرتير الاول

لقد اثارت السيدة فايده كامل نقطتين هما :
عرض ورقة العمل على امناء والامناء المساعدين
وهي ترى انه في هذه الحالة تكون الصورة عملية
اكثر لانها ستكون نابعة ممن يمارسون العمل
نعلا .

ولكن في الواقع لا يمكن عرض ورقة العمل
في صورتها الحالية على السادة الامناء لانها عبارة
من تساؤلات .

ففي الصفحة السادسة في الجزء الخاص
بالعلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والسلطة التنفيذية
على المستوى القومي والمحلي نجد مايلي :

١ - البحث في صيغة يتمكن بها الاتحاد
الاشتراكي من ابلاغ الجهاز التنفيذي راي الشعب
في الامور المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية

٢ - التوصل الى اسلوب اكثر فعالية لضمان
استجابة الجهاز التنفيذي لمطالب الجماهير كما
يعبر عنها الاتحاد الاشتراكي .

٣ - ماهو نوع الرقابة التي يباشرها الاتحاد
الاشتراكي على عمل السلطة التنفيذية وليس
المهم خلق جهاز جديد للرقابة يضاف الى الاجهزة
العديدة القائمة حاليا ، بل المهم هو التوصل الى
اسلوب لممارسة هذه الرقابة .

٤ - ماهو الضمان لان تشجع الوزارات
المختصة بما يدور في مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي
في المحافظات ، وهل يتطلب الامر وضع نص
صريح بحضور الوزراء مثل هذه المؤتمرات اذا
دعاهم الاتحاد الاشتراكي للمحافظة للحضور .

٥ - تحديد العلاقة بين امانة الاتحاد الاشتراكي

القومى وهو اعلى سلطة سياسية فى البلاد بشىء ما لكننا نضع اطارا عاما له .

قلو نظرنا للمؤتمر القومى بوضعه الراهن نجد ان عدد اعضائه كبير جدا ، فيجتمع هذا العدد فى شكل مؤتمر ثم تتفرع منه لجان تعمل خلال يومين فى مختلف الموضوعات ابتداء من دراسة سعر القصب والاكثر من الثوم .. الى علاقتنا بالاتحاد السوفيتى والدول الاخرى ثم المعركة ، فهذه عملية ضخمة جدا لا يمكن فى ظرف يومين ان ينتهى من مناقشتها .

انن فان التصور للمؤتمر القومى عند انعقاده يكون لامرين :

١ - استطلاع سياسة عامة فى الفترة الماضية .

٢ - وضع سياسة عامة للفترة المستقبلية .

اما المسائل الاخرى التفصيلية فان لها الاجهزة التى تختص بالقيام بها . وبالنسبة لما جاء بكلمة السيدة فايدة كامل ماننا لانريد ان نصادر الحركة الذاتية للنقابات او لمجلس الشعب ، او للجماهير ، ولسكننا نريد ان تمثل لجماهير ورايها تمثيلا حقيقيا ، ونريد من السلطة التنفيذية ان تتأثر بآرائنا ، كما نريد ذلك من مجلس الشعب ، انما لانريد ان نحتوى هذه الاجهزة احتواء كاملا داخل الاتحاد الاشتراكي نفسه بما فى ذلك التنظيم الشبابى ، بل ان فى نيتنا ان يحتوى الاتحاد الاشتراكي داخل هذه التنظيمات ولا يعطى رايه فى سياسة عامة الا بعد مناقشة هذه السياسة بحكم طبيعتها فى المناطق المختلفة .

ومثلا على ذلك موضوع بدل طبيعة العمل فلو كان قد نوقش على مستويات الاتحاد الاشتراكي المختلفة ، لكانت آثاره افضل من آثار تطبيقه بقرار لانه كان سيدرس على الطبيعة وتبدى فيه مختلف الاراء ، وهناك امثلة كثيرة على ذلك .

● فائدة كامل

ان مشكلة الاتحاد الاشتراكي فى الحقيقة تنحصر فى انه لا يجد الحل النهائى فى حل مشاكل الجماهير ، فبعد تصعيده لهذه المشاكل على اعلى المستويات لابد ان يوجد لها حل جذرى ، حتى يكون للاتحاد الاشتراكي فاعليته .

اما الان فان المشاكل تعرض ولكن لا توجد لها حلول لان راي الاتحاد الاشتراكي غير ملزم ، ولا اقصد بذلك الغاء مجلس الشعب نهائيا ، بل على العكس ارى انه اذا كانت هذه المشاكل

فيجب التوقف بعد كل فترة من الفترات ، والنظر للوراء لمعرفة ماتم خلال هذه الفترة وتحديد السلبيات ومجابهتها بموضوعية حقيقية ، وتستمر المسيرة ، انما اذا تجهد حزب على نفسه ولم يتطور فانه بذلك يقضى على نفسه .

اذن فالمجهودات التى تبذل فى الاتحاد الاشتراكي من اولها الى آخرها سواء فى الفترة السابقة - فترة العشر السنوات الماضية بسلبياتها وايجابياتها - لابد وان تكون امامنا ، وبعد سنة ايضا لابد وان تكون امامنا وسيكون فيها سلبيات وايجابيات اخرى ، اما التجهد فهو اننا حينما نضع قرارا معيننا من اللجنة المركزية او من المؤتمر القومى يفهم منه انه سيكون خط سير الاتحاد الاشتراكي لفترة طويلة قادمة ، وهذا التصور فى الواقع تصور غير سليم .

ان ماذكرته السيدة فايدة كامل من ان الوزير يشترك ثم يناقش فى الاتحاد الاشتراكي ، يؤدى الى التساؤل عن مهمة مجلس الشعب ، لان مهمة مجلس الشعب هى السؤال . اما مهمة الاتحاد الاشتراكي فيها يختص بهذا الشأن فانا ارى مثلا انه عند عرض خطة الدولة وتقرير نسبة ٢٠٪ للخدمات ، فمن جق المؤتمر القومى ان يقرر فيها ما يخص المدارس والمستشفيات وتنتهى مهمة المؤتمر القومى عند هذا الحد ، وقد تجد السلطة التنفيذية بالاشتراك مع اللجنة المركزية تجاوز عض النسب حسب الحاجة وبعد ذلك يترك للسلطة التنفيذية ومجلس الشعب تنفيذ هذه الخطة المتكاملة .

هذه ناحية ، اما الناحية الاخرى التى نعمل على تحقيقها فهى وضع لائحة داخلية للجنة المركزية نفسها ، لاننا اذا نظرنا الى صورة العمل فى اللجنة المركزية نفسها ، وجدنا ان رئيس الجمهورية وهو اعلى مستوى فى البلد يحضر الاجتماع ، ويقابل عددا كبيرا من الاعضاء ، كما يحضره عدد من الوزراء ، ولا يعلم احد ما الذى سيثار داخل اللجنة المركزية ، قد يثار موضوع متعلق بالسياسة العامة وفى هذه الحالة يتولى السيد-الرئيس او الوزير المختص الاجابة عنه وقد تثار طلبات تمثل مشاكل جماهيرية وفى كلتا الحالتين لا يكون الوزراء مستعدين لها ، بينما فى مجلس الشعب مثلا عندما يطرح سؤال يرسل للوزير قبلها بفترة حتى يغد نفسه للاجابة عنه اجابة مدروسة ، كذلك الامر بالنسبة للنقاش .

لكل هذه الاسباب نرى ضرورة وضع لائحة داخلية للجنة المركزية ، ووضع اطار عام للمؤتمر القومى ، ولا نستطيع ان نقول وضع لائحة للمؤتمر القومى ، لاننا لانستطيع تقييد المؤتمر



سعد الدين وهبة

فى محطة باب الحديد لاقامة وداع شعبى لاهد
ضيوف القاهرة .

المهمة الثانية التى دعينا من اجلها دعوة عاجلة
كانت لتحويل برنامج العمل الوطنى - مع التناقض
الشديد بين الاستدعاء الاول والاستدعاء الثانى
الى برنامج تنفيذى لجمع آراء الجماهير من
مستوى الوحدات الاساسية لتصعيدها لوضع
الخطا العشرية التى سينفذ من خلالها برنامج
العمل الوطنى ، وطلب منا جمع آراء الجماهير
خلال خمسة عشر يوما ، ولم يمثل ذلك مشكلة
بالنسبة لنا لان الجماهير كانت تعلم بالضبط
مشاكلها ، وفعلنا احضرناها وجمعت فى اللجنة
المركزية، وكان مقرر امانة البرنامج فى ذلك الوقت
هو الدكتور فؤاد مرسى وهو عضو فى لجنة الخطا
فى ذلك الوقت فى مجلس الوزراء ، وتصورنا فعلا
ان الجماهير قالت آراءها فى مشاكلها ، ثم نجد
الان ان السيد رئيس الوزراء يجد نفسه مضطرا
للنزول الى الجماهير فى مواقعها بالمحافظات
للتعرف على المشاكل من الجماهير مباشرة ، فاذا
كانت الدولة قادرة على معرفة مشاكل الجماهير
بهذه الطريقة ، فما جدوى اجتماعاتنا فى الاتحاد
الاشتراكى ، وهل نجتمع كهواة للاجتماعات .

ان هذا ليس اول تنظيم سياسى منذ ثورة ٢٣
يوليو حتى الان ، وحينما نسترجع التاريخ البسيط
خلال مسيرة التنظيمات السياسية فاننا نضع ايدينا
على العيب فعلا ، لكننا لانصححه ففى ١٦ يناير
سنة ١٩٥٣ صدر قرار حل الاحزاب ، وفى ٢٣
يناير سنة ١٩٥٣ انشئت هيئة التحرير ورفع
شعار كلنا هيئة التحرير ، وانضم اليها رؤساء
مجالس الادارات جتبا الى جنب العامل ، ثم عجزت

تستلزم استصدار تشريع فان على مجلس الشعب
ان يضع هذا التشريع ، وكل ماهدف اليه ان
يكون للاتحاد الاشتراكى فاعليته فى حل مشاكل
الجماهير .

هذه ناحية ، والناحية الاخرى انه يمكن للاتحاد
الاشتراكى ان يتولى مهام محددة لها قيمتها
الجماهيرية مثل تنظيم الاسرة ومحو الامية ويكون
مسئولا عن تنفيذها بالكامل ولايعتبر هذا اعتداء
على السلطة التنفيذية او تدخلا فى عملها ، وانى
اعتقد انه لو نجح فى مثل هذه المهام ذات الثقل
الجماهيرى ، فانه يستطيع ان يتحرك بقدراته
تحركا له فاعليته .

والاحظ ان فى مشروع ورقة العمل مسائل
خاصة بالمجال التنظيمى والمجال الثقافى والمجال
السياسى ، وهى مسائل تفاقشى باستمرار فى
الاتحاد الاشتراكى ، فمثلا من المعروف ان للاتحاد
الاشتراكى سلبيات ولكن المهم هو كيفية معالجتها
وفى الحقيقة عندما ناديت بالعرض على القاعدة
لم اكن اقصد بذلك علاقة الاتحاد الاشتراكى فعلا
بالاجزة التنفيذية على المستويات العليا ، انما
هناك مسائل يهم القاعدة ان تبدى رايها فيها فعلا
ولها آراء سليمة تماما يمكن الاستفادة بها . . .
وشكرا . . .

● سعد الدين وهبة

من خلال ماذكره الزملاء ، انصورت ان المشكلة
الاساسية مشكلة نظرية تتفرع عنها كل هذه
المشاكل وهى . . . ما هو الاتحاد الاشتراكى ؟ فهل
يحتاج مجتمعنا فى هذه المرحلة الى تنظيم
سياسى بالشكل القائم حاليا فى شكل التحالف
الذى تشير اليه وثائق ثورة ٢٣ يوليو الاربعة ؟
ام ان المقصود والمطلوب هو استكمال الشكل
للدولة بوجود احزاب او تنظيمات سياسية كما
هو موجود فى الدول الشرقية او الغربية . . .

وفى الحقيقة اريد ان اتناول هذا الموضوع
بصراحة وانا اتكلم داخل الاتحاد الاشتراكى وانتخرف
بعضوية لجنة محافظة القاهرة . . .

فعندما استرجع نشاط الاتحاد الاشتراكى فى
الفترة الماضية ، ارانى نادما على كل وقت اقضيه
فى حضور اجتماعات الاتحاد الاشتراكى ، وفى
السنة الاشهر الماضية عهد اليها فى الاتحساد
الاشتراكى بمهمتين عاجلتين اما

المهمة الاولى استدعينا يوم جمعة من منازلنا
بشكل استنفاز سياسى وطلب منا حشد الجماهير

فهل التحالف هو تحالف بين طبقات.. لاننا اذا ذكرنا انه بين طبقات، فبالتالى سيكون هناك جزء تنفق عليه هذه الطبقات، كما ان هناك اعترافا بوجود صراع بينها الذى ذكر الميثاق انه لايجب ان يكون صراعا دمويا، بل يجب ان يحل بالحوار وبالوسائل السلمية.

فهل نحن مستعدون للاعتراف بأن هناك صراعا بين قوى التحالف لان بينها تناقضا، هذا هو السؤال الاول.

اما السؤال الثانى فهو ضرورة تحديد ماهية التنظيم السياسى وهل هو تحالف او انه تنظيم حاكم؟ فاذا كان تنظيمها حاكما فلا بد ان تنبثق كل القوى التنفيذية والتشريعية وغيرها من داخله.

او انه تنظيم موجه.. وماحدود التوجيه؟ هل توجيه ملزم او مجرد ابداء نصيحة؟

فالحكومة قادرة الان على ان تعرف مشاكل الجماهير وتعمل على حلها فورا دون الحاجة الى التنظيم السياسى، كما تستطيع النقابات ان تصعد مطالب العمال فى بدلات طبيعة العمل وغيرها، كذلك يستطيع التنظيم الشبابى ان يعبر عن الشباب، فهل التحالف مجرد تلفيق بين هذه العناصر او هو تنظيم له ايدولوجية معينة.

لكننا نجد فى ورقة العمل تساؤلا غريبا جدا هو [هل نفتح باب العضوية لمن يريد الانضمام للاتحاد الاشتراكي؟] وانا ارى ان فى هذا التساؤل تناقضا مع الميثاق الذى ينص على ان ينضم للاتحاد الاشتراكي القوى صاحبة المصلحة، اى ان هناك افرادا لايصح ان ينضموا للتنظيم، والا فنحن بهذا نغير الميثاق، ام اننا نشكل تنظيما سياسيا جديدا شبيها بالاتحاد القومى لانه مرفوع حاليا شعار الوحدة الوطنية التى يمثلها الاتحاد القومى اقرب تمثيل، لكن الاتحاد القومى الماضى فشل لانه لم تكن له ايدولوجية، لكننا الان لدينا مبادئنا الاربعة، فاذا كنا ننوى اعادة الاتحاد القومى فلنعترف بهذا صراحة، ونقول اننا سنغير الاتحاد القومى على ان يجمع جميع العناصر والقوى الموجودة فى المجتمع فعلا، بحيث لا يكون هناك تناقض وتكون هناك وحدة فكرية ووحدة وطنية ملزمة بطريقة الديمقراطية المركزية او غيرها.

وفى تصورى اننا يجب ان نرد على هذه التساؤلات اولا، فاذا اتفقنا عليها فلن يكون هناك وجه للخلاف اطلاقا سوا فى علاقتنا بالحكومة او علاقتنا بمجلس الشعب او علاقتنا بالصحافة او حرية الصحافة، او مايتخذ بالنسبة للقرارات

وفشلت واعترفنا انها ادت مهمة لاننا دائمان تواضع ونطلق على الفشل عدم نجاح او تأدية مهمة فى ظروف معينة، وهذا ايضا جزء من هروبنا من مواجهة فشلنا بصراحة.

ثم كوننا الاتحاد القومى، وانضمت اليه كل العناصر الموجودة فى المجتمع، وكانت فكرة الوحدة الوطنية موجودة فى ذلك الوقت، لكن بعد انفصال سوريا عن مصر سنة ١٩٦١ سقط الاتحاد القومى.. واعلن الرئيس جمال عبد الناصر على وجه التحديد ان اسباب فشل الاتحاد القومى هي:

اولا: عدم وجود ايدولوجية سياسية لقيادة الاتحاد القومى.

ثانيا: تسلل بعض العناصر الانتهازية فى الاتحاد القومى.

ثم بعد ذلك اجتمع المؤتمر الوطنى وانتهينا الى تشكيل الاتحاد الاشتراكي، ولو رجعنا الى الميثاق لمعرفة لماذا كون الاتحاد الاشتراكي نجد انه ينص على ان المجتمع كان به تحالف بين الرأسمالية المستغلة والقطاع، ولكن يجب ان يحل محله تحالف الطبقات صاحبة المصلحة فى هذه الثورة، ولقد سميناها قوى لاننا لانرتاح لبعض الالفاظ كالطبقات والاحزاب، فقلل انها قوى وهذه القوى تمثل تحالفا، وهذا التحالف هو التحالف الحاكم الذى يقوم بكل شئ، فهو صانع الاشتراكية، وينفذ خطة المجتمع.. الخ.

ولقد ذكر فى كل من بيان ٣٠ مارس والدستور وبرنامج العمل الوطنى - موضوع كامل - ان التنظيم السياسى هو التنظيم الوحيد السائد الذى يحقق اهداف المجتمع فى الاشتراكية، ولذلك قيل ان المؤتمر القومى هو اعلى سلطة فى الدولة. فكيف يمكن القول بأن الحكومة لاتخضع للاتحاد الاشتراكي: كذلك عدم احتواء النقابات داخل الاتحاد الاشتراكي طالما انه بحكم الوثائق التى ذكرت فى اول الجلسة اننا ملتزمون بها ولن نخرج عنها، هو القوة صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكي اى انه المجتمع كله.

وبناء على ذلك يجب ان تكون كل أنشطة المجتمع داخل الاتحاد الاشتراكي سواء كان نشاطا تنفيذيا تقوم به الحكومة، او تشريعيا يقوم به مجلس الشعب، وسواء كانت أنشطة تقوم بها وحدات داخل قوى التحالف كالنقابات او الاتحادات الزراعية او العمالية.. الخ.

وازاء هذه الحقائق مجتمعة لابد من الاتفاق على الفكر النظرى اولا لئلا نرى المدى الذى يمكن ان يوصلنا اليه.

الدستورية وهل تعرض على مجلس الشعب او من حق السلطة التنفيذية ان تتخذها اولا ؟

● الدكتور كمال ابو المجد

هناك عدة قضايا طرحت في هذا اللقاء وطرحت في لقاءات اخرى وهي تحتاج فعلا الى الصراحة، وسأشير الى ثلاث قضايا هي :

- ١ - قضية التحالف كصيغة .
- ٢ - فكرة الوحدة الوطنية .
- ٣ - قضية طبيعة الاتحاد الاشتراكي ككل .

واخيرا قضية العلاقة بين التنظيم السياسي والتنظيمات الاخرى .

فبالنسبة لقضية الصراع الطبقي نحن في عالمنا العربي - وآسف لاستعمال هذا التعبير - نكثف اكثر القضايا من خلال اللغة ، بمعنى اننا حينما نقول هل نقر الصراع الطبقي أو لا نقره ؟ فهذا تجاهل لطبيعة المشكلة ، لان بعض المشاكل الاجتماعية ما هي الا واقع اجتماعي لا ينتظر اقرار النحاس له أو عدم اقرارهم له ، فهناك فرق بين الواقعية الاجتماعية والموقف السياسي أو الاجتماعي ، اما وجود تجمع لاصحاب المصالح يشكل ائتلاف طبقة فهذه واقعية اجتماعية كذلك وجود صراع طبقي بين هذه الطبقات فهذا ايضا واقع اجتماعي لا يحتاج للموافقة عليه أو عدم الموافقة ، لكن الاختلاف بالنسبة للموقف السياسي والاجتماعي ، وكيف تناول جماعة معينة في زمان معين هذه الظاهرة الاجتماعية .

وحيثما تحدث الميثاق عن الصراع الطبقي تحدث عنه كواقعة تؤثر في سير المجتمعات، لكنني اذهب الى اكثر من هذا فأقول انه حتى الاسلام كنظام فكري يقر هذه الفكرة وان كان يسميها القدافع الاجتماعي ، انها الخلاف بين جماعة سياسية وجماعة اخرى يتبل في الموقف الذي تقفه ، ويحدد هذا الموقف فكر الانسان ، كما تحدد مجموعة من الظروف الموضوعية التي تتبادل التأثير بدورها مع فكر الانسان .

والصيغة التي وافق عليها الميثاق عبارة عن - موقف سياسي من ظاهرة اجتماعية ، وتقدير الميثاق ان التناقضات الموجودة بين الطبقات في مصر في اوائل الستينات تعتبر تناقضات ثانوية بالنسبة الى تناقضات اخرى اكثر جذرية كانت موجودة في اوائل الستينات .

وفي تقديري شخصيا انها الان اكثر وجودا في السبعينات وهي التناقض بين هذه القوى

مجتمعة والتخلف الحضاري الشديد الذي يحيط بهذه المنطقة ، ثم التناقض بين هذه الفئات كلها وبين الاستعمار العالمي والصهيونية .

اذن فالموقف الذي اتخذه الميثاق هو اقرار لواقعة اجتماعية وهي التناقض بين الطبقات واتخاذ لموقف سياسي معين واختيار صيغة التحالف .

وفي تقديري انه من غير المعقول الان ان يعاد النظر في صيغة التحالف كموقف اجتماعي ، ولكن كشف عند تطبيقها سياسيا وتنظيميا عن صعوبات عملية هائلة .

ولذلك فالمطروح - وهذا ما يفهم من قراءة ورقة العمل - هو كيف نوفق بين اختيارنا لصيغة التحالف وبين الصعوبات الضخمة جدا والتي تواجه هذه الصيغة في العمل الداخلي .

هذه قضية ، اما القضية الثانية فهي انني اتصور ان المشكلة لا تنتهي باختيار صيغة التحالف ، وبالتالي عندما نتساءل او يقول السيد السكرتير الاول او تقول ورقة العمل اننا لا نريد ان نحوى الناس ، فهذا ليس استدراكا لحق تحالف قوى الشعب في أن تكون حاكمة وانما هو التفات الى المفارقة التي وقعت بين هذه الصيغة التي تصور الامر كما لو كانت قوى التحالف حاكمة وبين واقع اقراره بغير مجاملة ، وهو ان السلطة الفعلية وخصوصا التنفيذية كانت حاكمة من وراء كل القوى الاجتماعية بل من وراء قوى التحالف مجتمعة والذي أعبر عنه أيضا في غير ترفق بأن السلطة السياسية الفعلية في مصر كانت منذ قيام الثورة اقوى من اطارها السياسي واقوى من اطارها القانوني ، وبالتالي لم تفرق كثيرا صيغة هيئة التحرير عن صيغة الاتحاد القومي عن صيغة الحزب الواحد لان القوى الفعلية كانت ستظل في يد مجلس قيادة الثورة الذي الغى قولا سنة ١٩٥٦ وظل فعلا يحكم .

ولكنني أتصور أنه قد جد جديد عندما قال السيد الرئيس السادات رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكي انه يعتبر أن مجلس قيادة الثورة قد انتهى وأن اللجنة المركزية معبرة عن مستوى قمى عال من تنظيم سياسي يضم التحالف - أصبحت هي مركز السلطة حقيقة هذا يقال لكن في العمل جاءت قيادات الاتحاد الاشتراكي وأصدرت ورقة عمل باسم الاتحاد الاشتراكي التي حددت الجماهير موقفها منه ، ليس لانه التحالف وانما لانه السنار الذي تمتد من ورائه يد السلطة التنفيذية .



د. حسين فوزي

فهذا لتعبيرنا عن الوحدة الوطنية وليس خروجاً عن صيغة التحالف ما تنطوي عليه ضمناً من اقرار التميز الط - الى ص - هلامية كصيغة الاتحاد القومي، انما هو تأكيد لثانوية المناقضات بين قوى أو طبقات الشعب العاملة لمواجهة التحدي الذي يزداد جذرية وأصالة وهو التناقض بين هذه الفئات مجتمعة وبين التخلف العلمي والحضاري وبين التناقض بين هذه القوى وبين الاستعمار العالمي والصهيوني .

وشكرا ..

● الدكتور حسين فوزي

الاحظ منذ بداية الجلسة الصعوبات القائمة ؟ وسيادة السكرتير الاول هو أول من صورها براء سليمة ، الصعوبة اننا نبدا بالكلمة وفي البدء كانت الكلمة وهي في الكتاب المقدس تعني كلمة الله ، انما البناء يجب ان يقوم على حقائق وعلى تجارب ، ويبدو اننا لا نريد ان نعمل بتجارب الشعوب بل نريد ان نبدا من الفراغ .

سأتناول الكلام بمعناه وبما هو أمامي ، فبالنظر الى الصحيفة رقم ٣ تحت باب « لماذا شكلت لجنة العمل » ففي تقدير سيادتكم أن هذه السلبيات ترجع أساسا الى عاملين :

الاول : هل هو جهاز للسلطة ، أم جهاز للشعب ؟

الثاني : نظرة البعض للاتحاد على أنه حزب سياسي ، رغم أن الوثائق الثورية تنفي ذلك نفيا قاطعا وتعلن في صراحة أن الاتحاد

اذن لابد أن ندخل هذا في حسابنا ، وأن نتحرر وأن نتحفظ وأن نحتاط ، وعلى سبيل المثال عندما نقول الان أن التنظيم السياسي له أن يدخل الجامعة ، حساسية طلاب الجامعة ليست لانهم يرفضون صيغة التحالف وانما لانهم لا يزالون يعتقدون - وتغيير هذا الاعتقاد يحتاج الى وقت - من بين أمور أخرى انهم محتاجون الى أن يطمئنوا الى أن الذي يقدم اليهم هو تحالف قوى الشعب وليس السلطة التنفيذية البوليسية ذات الارادة الحاكمة وذات الطريق الواحد .

اذن جزء كبير مما تطرحه ورقة العمل وتتحرك فيه كيف نحول المؤسسة المعبرة عن التحالف الى مؤسسة ذات ارادة متميزة من ارادة ما أسميه تجاوزا لصعوبة تحديده بمجلس قيادة الثورة وكيف نقنع الجماهير بذلك ؟

ثاني بعد ذلك القضية الثالثة اذا اتفق على صيغة التحالف ، واذا أمكن علاج السلبيات المتمثلة في أن جميع التنظيمات والمؤسسات التي كانت الى حد ما تتفاوت - مؤسسات شبحية ليبت لها ارادة ذاتية .

اذن من الطبيعي الان ان يعمل التنظيم السياسي وهو يعتقد انه على أبواب مرحلة جديدة يريد أن يكتب فيها ارادة ذاتية ، من الطبيعي أن ما يعينه على هذا هو أن يشغل نفسه بضبط العلاقات بينه كتنظيم سياسي وبين المجلس التشريعي .

وحتى مع التسليم بأن صيغة التحالف تجعله حاكما فهذه الحاكمة لا تعني الغاء المؤسسات الأخرى ، لان التنظيم السياسي المعبر عن التحالف مع كونه حاكما فهو تنظيم سياسي ارادته التي يعبر عنها هي الارادة السياسية ، لكن لهذا التحالف أيضا بطريق فني آخر ارادة تشريعية يعبر عنها في المجلس التشريعي وله أيضا ارادة تنفيذية يعبر عنها في الهيئة التنفيذية .

اني أقول هذا لانه حدث في مناقشات عديدة تصور أن هذه الحلول يستبعد بعضها الآخر ، أما أن يكون حاكما فلا بد أن تكون قراراته ملزمة بغير حدود ، أو أن نركز على بعض السلبيات ثم نخلص من هذا التركيز الى التشكيك في صيغة التحالف .

ووجهة نظري شخصيا هي أنني أعتقد مع التسليم بأن الصراع الطبقي حقيقة الا أنني أعتبر أن هناك نكسة فكرية ، فإذا كنا نقبل صيغة التحالف في الستينات ثم نرفضها في السبعينات

الاشتراكي تحالف وليس حزبا .. الخ ، وسوف
اناقش هاتين النقطتين :

بالنسبة للسؤال هل هو جهاز للسلطة أم
جهاز للشعب ؟ فرائى انه ليس جهاز للسلطة
ولا للشعب ، ولكنه يجب أن يكون صورة صادقة
لما يحدث بين الحجرات وبين النوادي وفى كل
مكان وأيضا بين أفراد الشعب ، يجب أن يكون
الاتحاد ممثلا لذلك وليس مجرد صورة لجمع من
الناس يتكلمون فى الوقت الذى يوجد فيه آخرون
فى حجراتهم أو فى نواديهم يتكلمون كلاما آخر
بل يجب أن يكون الكلام واحدا .

اذن هو جهاز للشعب ويجب أن يكون صورة
صادقة للشعب .. هذا أولا .

ثانيا : بالنسبة لما يقال عن الحزب السياسى
ووثائق الكلمة أو الوثائق الثورية ونقول بعد ذلك
ننفى .. ما معنى نفى ونحن أمام حقيقة مهمما
أطلقنا عليها من أسماء ، فأوافق على أن يكون
هذا الاتحاد الاشتراكى تحالفا وليس حزبا ،
ولكنى وقد سمعت كلاما عن الصراع أقول أنه
يجب أن يكون داخل هذا الاتحاد حزبيات -
تفسير لكلمة حزب - ولا أريد أن أقول أحزابا ،
لانه اذا لم نسبح داخل الاتحاد الاشتراكى بهذه
الحزبيات ، فلن يقوم فى الاتحاد الاشتراكى
الحوار الصريح الحر بين مجموعة من الناس
تفكر تفكيرا ومجموعة أخرى تفكر تفكيرا مضادا ،
ونطرح هذه المسائل بيننا كأننا فى بيوتنا لا علاقة
لنا بسلطة الدولة ولا بسلطة الحكومة ولا بمجلس
الشعب .

وعلى سبيل المثال فى البلاد الديمقراطية -
وأعلم أن الكلام عن البلاد الديمقراطية ذنب -
ماذا حدث وماذا يحدث فى البلاد الديمقراطية ؟
يحدث أن هناك مجلسا للشعب ، وهذا المجلس
يمثل السلطة التشريعية العليا والوزارة مسئولة
أمامه ويمكنه أن يسقطها وبعض المجالس هى
التي تعين الوزارة ويوافق رئيس الدولة عليها .

هؤلاء الناس الموجودون فى مجالس الشعب
أو البرلمانات مندوبون عن الجماهير يعلمون جميع
مشاكل الشعب ويتصلون به ، وعندما يذهب
النائب الى بلده لا يخفى عليه الشعب شيئا ،
لأنهم سوف لا يقولون أنه متصل بالجهات
الأخرى ، ولكن سوف تقول له الجماهير كل
ما فى قلبها سياسية أو فيما يتعلق بالمعيشة
أو فى أية مسألة .

فى هذه الدول الديمقراطية أهم شيء فيها

ليس البرلمان أو مجلس الشعب وإنما الصحافة
هى صوت الشعب قبل البرلمان وهى عنصر من
عناصر نقل آراء الجماهير من منازلهم ومن داخلهم
الى الآخرين ، ولناقشة الجماهير وللصحافة هناك
قيمة اعتبرها أعلى من البرلمانات ، فاذا قلت أن
هناك برلمانا بلا صحافة فليس له قيمة ديمقراطية ،
واذا قلت أن هناك صحافة حرة فيمكن الى حد
ما الاستغناء عن كل هذه المظاهر البرلمانية ، هذا
هو تصورى لما نسميه الاتحاد الاشتراكى ،
ولتسموه ما تسمونه ، فهو فى رأى حزب كبير
أو الحزب الواحد ونعلن هذا القرار ، ولا نخشى
أن يقال عليكم أنكم الحزب الواحد ، فليس هذا
حراما ، ولكن داخل هذا الحزب يجب أن تقوم
حزبيات ، أى أن يكون داخل الاتحاد الاشتراكى
الصراع الحقيقى وليس صراع نفاق .

لقد ورد فى الصحيفة الرابعة تحت عنوان
« مهمة اللجنة فى تحديد الإطار الفكرى للتنظيم »
أنه يوجد نوعان من المصالح داخل الاتحاد ،
مصالح موحدة لا خلاف عليها بين مختلف قوى
التحالف ، مثل تحرير الأرض وسيادة القسانون
« فبلا شك أن تحرير الأرض واجب ولكن ليس
معنى هذا ألا نتحدث فى وسائل تحرير الأرض ،
يحتاج الى أن نقول أننا جميعا نشترك فى تحرير
الأرض ، نحن لا ننام منذ خمس سنوات من أجل
تحقيق هذا الهدف ، نحن مرضى .. وهذا الشعب
مرضى الآن .. مريض بكل ما رايتهم عليه من
العلل ، والعلل ليست العلل العصبية ، وإنما
العلل هى السرقة والفسخ والكذب ، هذه مجموعة
أكاذيب ويجب أن تقضوا على هذه الأكاذيب ،
الاتحاد الاشتراكى هنا يجب أن يكون مجلس
الصدق ويجب أن يكون المجلس الذى يقضى على
حياة الأكاذيب ونحن نعيش فى دنيا الأكاذيب هو
والصحافة بلا شك .

وعندما تدخلون فى التفاصيل وتكلمون عن
حرية الصحافة ويقول الإخ جابر أنه جار إصدار
ميثاق شرف للصحافة ، وقد اشتركت فى عمل
الميثاق فى الإذاعة مع المجلس الأعلى للإذاعة
ولكن كل هذا ردىء .. وكل هذا تضليل
وتعطيل .

ان المؤتمر القومى العام يجتمع بضعة أيام
مرة أو مرتين فى السنة .. ماذا يعمل ؟ أن
الحركة يجب أن تكون يومية لأن الوثائق تسبقنا
وقد عقدت عدة اجتماعات للمؤتمر القومى ومضى
الآن خمس سنوات ولم يحدث شيء وهذا
لا يجوز .

هناك مصالح خاصة لكل قوى اجتماعية داخل

وهذا أقل من آمالنا ، ولكن في تقديري حسب الواقع أن جميع الآمال التي ترد إلينا هنا وتترجم في ورقة وتقرر من اللجنة المركزية لا يمكن أن تنفذ بنسبة ١٠٠٪ أو ٨٠٪ أو ٧٠٪ ، وكل ما يمكن قوله أنها تتحقق تدريجيا حسب عنصرين :

[١] مدى تجاوب الجماهير معنا .

[٢] مدى سعة تفكير القائمين على الأمر في الاتحاد الاشتراكي .

فبالنسبة للأمر الأول فلن تتجاوب الجماهير إلا إذا تحققت النقطتان اللتان ذكرهما السيد الدكتور حسين ، وأنا أوافقه عليهما وهو أن نكون صادقين وواضحين ، وفي نفس الوقت نكون على اتصال كامل بهذه الجماهير والا ننفصل عنها .

وعندما أقول صادقين وواضحين فمن الممكن أن نكون في السياسة صادقين وواضحين لأنه إذا طرأ أمر من الأمور يحتاج إلى ستار السرية فيجب أن نقول للجماهير أن هذا سر لا يمكن أن نتكلم فيه ، على سبيل المثال عندما يسأل مواطن ما قوة تسليح الجيش المصري ؟ نقول أن هذا سر ولا يجب إذاعته ولا يضيق الإنسان بهذا لأنه ليس من المفروض أن يعرف المواطن العادي عدد المدافع الموجودة في الجيش أو عدد الطائرات ، أيضا لا يهم أي فرد في قيادة شعبية أن يعلم هذا وإنما ما يهمه أن يعرفه هو هل الجيش مستعد أو غير مستعد في الشكل العام دون الدخول في التفاصيل .

كذلك عندما نسال ما الأسلوب الخارجي الذي سوف تتبعونه في مسألة معينة ؟ قد يكون هذا الأسلوب سرا في وقت من الأوقات وقد لا يكون سرا في الوقت الآخر ، وإنما لا يمكن أن تبني سياسة لاي دولة من الدول أو لاي حزب سياسي أو لاي مجموعة إلا على حقيقة ، ويتضح من التجارب السياسية الماضية في التاريخ كله أن رجلا سياسيا يمكنه أن يكسب موقفا معينا بناء على كلام لا يستند إلى حقيقة ولكنه قطعاً سيخسر في النهاية خسارة متوالية حتى يسقط نهائيا .

اذن إذا كان الاتحاد الاشتراكي في أسلوبه فعلا يتكلم بوضوح وبصراحة ويستند إلى حقائق موضوعية لا يخترعها بل يستقيها من الجماهير فإنه في هذه الحالة يتخذ الخط السليم وأنا أتفق في هذا مع الدكتور حسين فوزي .

النقطة الأخيرة فيما يتعلق بأنه شكل الحزب أو شكل التحالف ، أن التضارب الموجود في بعض الأسئلة الواردة في ورقة العمل هو لتفتيح

الاتحاد بحيث لا يكون في تحقيقها انحراف عن التحول الاشتراكي والديمقراطي السليم ، وأنا أقول التحول الديمقراطي والاشتراكي السليم — لان الديمقراطية يجب أن تسبق الاشتراكية تاريخيا على الأقل لأنها هي الكلمة التي سجلت وقدمت منذ جمهورية أثينا كالديمقراطية الاثينية والعالم يعيش التاريخ ولا يعيش اليوميات .

بعد ذلك المطلوب من صيغة التحالف أن تحول التنافس بين مصالح هذه القوى إلى حوار سلمي هذا ما نريده ، ولكن لا يوجد لهذا البلد حوار إلى اليوم ، كلنا نتكلم بمنولوج وكلنا نأتمر بأوامر فإذا أردتم أن تعالجوا مشاكلكم فعالجوها بالصدق والصراحة والشجاعة .. وشكرا .

● السكرتير الأول

من الصعب الرد على الدكتور حسين فوزي ولكن الواقع أننا متفقون معه في آراء كثيرة وسوف أبدا بالجزء الأخير من كلمته وهو المعالجة بالحوار ، هذه نتيجة أتت لنا نورا بعد الحركة الطلابية ، فعندما جاءت الحركة الطلابية وكانت مفاجأة بالنسبة لي أو بالنسبة لنا عقدنا اجتماعات متوالية ، وفي الحقيقة لم تكن هذه الاجتماعات في ذهني عقب أن أسند إلى منصب اللجنة المركزية ، ولكن الظروف اضطرتنا إلى عقد أكثر من خمسة وأربعين اجتماعا في فترة صغيرة ، وكانت حصيلة هذه الاجتماعات في حقيقتها هي الكلمة التي أقيمت في المؤتمر وهي ورقة العمل التي قدمت إليكم .

ان الدكتور حسين فوزي في اتجاهاته في الحقيقة يمثل الفكر الموجود في ذهن القائمين على الاتحاد الاشتراكي ، ولكن الدكتور حسين لم يجعلنا نضع يدنا على الأسلوب العملي لهذا ، أنني أوافقه تماما على أن الاتحاد الاشتراكي يجب أن يمثل الآراء الخارجية ، آراء الجماهير عامة ، وأعني بذلك الآراء خارج الاتحاد الاشتراكي ، وهي التي تقال في الشارع والنوادي والبيوت وفي كل مكان ثم لا تسمع في قاعة الاتحاد الاشتراكي ، وهذا ضرر سياسي كبير جدا وهو من أسباب خلق السياسة الانفصالية التي توجد بين جماهير الشعب والاتحاد الاشتراكي ، نحن نتمنى أن نصل إلى كل طائفة من الطوائف ولو استطعت لقلت إلى كل فرد من الأفراد ، واليوم الذي يستطيع فيه كل فرد أن يأتي إلى هنا ويعبر عن رأيه هنا بصراحة وأن يسمع نعتيره اليوم الذي تغير فيه شكل ومدلول الاتحاد الاشتراكي .

موضوعات بالنسبة لصورة التحالف وما سماه الدكتور حسين فوزى بالحزبيات الصغيرة داخل الاتحاد الاشتراكي لتمثل آراء معينة وحوارا معيناً واعتقد أن هذا من الممكن أن يرد ، بل نحن نرحب به ونرحب أن يحدث نقاش .

ولكن ما طريقة النقاش وما أسلوبه ؟ هل يكون على مستوى اللجنة المركزية بصفة مستمرة ؟ وهل نرسم السياسة الخارجية في خطوطها العريضة من اللجنة المركزية ؟ أو هل سنرسم السياسة من مستوى اللجنة السياسية ؟ وإذا كانت سنرسم من اللجنة السياسية كورقة تحضيرية .. هل يستعان بخبراء من خارج اللجنة المركزية أو المؤتمر القومي ؟ والمثل على هذا قائم بوضوح في الاتحاد السوفيتي فان اللجنة السياسية في الاتحاد السوفيتي أو أمانة الشؤون السياسية أو المكتب السياسي كما يسمى غالباً ليسوا جميعاً من أعضاء المؤتمر ولكن بعضهم خبراء من الخارج يبدون رأياً معيناً .

والمثل على هذا أيضاً قائم في بلغاريا ، فكما تعلمون أن حركة بلغاريا بدأت بحزب المزارعين ثم تلا ذلك الحزب الشيوعي وتكونت الجبهة البلغارية منها ، ونجد في التكوين الوزاري نفسه في وزارة بلغاريا أن عدداً من الوزراء — وفي اعتقادي أربعة أو خمسة — لا يمثلون الحزب الشيوعي وليسوا أعضاء في الحزب الشيوعي وليسوا أعضاء في اتحاد المزارعين وإنما اختيروا لخبرة معينة .

وبالنسبة لنا هل ترون أن نقوى اللجنة السياسية تقوية كبيرة حتى نستكمل ما سماه الدكتور حسين فوزى بملاحقة الأحداث بحيث يكون فيها أقسام مختلفة للشرق الأوسط والشرق الأقصى وأوروبا وكذا .. ؟ وهل نستعين بنظام الخبراء ؟ ثم ما التقرير الذي ترفعه اللجنة السياسية ؟ وهل التقرير الذي ترفعه هو الذي يناقش في اللجنة المركزية ؟ هذا أمر من الأمور التنظيمية سليم جداً ، وعلى سبيل المثال الاخ شروت تكلم عن موضوع الملك حسين ، والدكتور دكروري والسيدة فايدة كامل رداً من الناحية الموضوعية فيها يختص بمجلس الشعب .

أيضاً يهمنا ما رأى الاتحاد الاشتراكي كتثظيم جماهيري يعكس آراء الجماهير كما ذكر السيد الدكتور حسين فوزى في موضوع الملك حسين لأن الأسلوب الدستوري شيء وأسلوب شعور الجماهير شيء آخر ، وقد يكون أسلوب شعور الجماهير يناقض تماماً القرار الذي اتخذ ، ونحن

لا نضيق بهذا ، لأن واجبنا أن ننقل هذا الرأي إلى الجهات المسؤولة .

وهذا يؤدي بنا إلى نقطة أكثر دقة وهي كيف نقيس الرأي العام ، إلى الآن ليس لدينا وسيلة لقياس الرأي العام ، والوسائل الموجودة كلها وسائل اجتهادية ، أما مبنية على أجهزة الاستماع وأما مبنية على مجهودات شخصية ومن الخطورة بهكان أن نقرر أن الرأي العام يعتنق رأياً معيناً بناء على مجهود شخصي ، لأن هذا المجهود قد يكون سليماً وقد يكون غير سليم وقد يكون رأياً شخصياً وعبر عنه بأنه تعبير عن الرأي العام .

اذن لا بد أن يتكون في الاتحاد الاشتراكي جهاز فني كالمعاهد الموجودة في الخارج في البلاد المتقدمة لقياس الرأي العام ، بحيث يتولى هذا الجهاز قياس الرأي العام في أية مسألة من المسائل ، هنا يمكن أن يلعب التنظيم السياسي دوره الذي يمثل به الجماهير فعلاً ، ودون قياس الرأي العام فلا نستطيع حتى نحن كمجموعة مجتمعين في هذا الاجتماع أن نعبر عن الرأي العام في مسألة من المسائل وسوف يكون ذلك اجتهاداً ، وكل منا يعبر عن الرأي العام من موقعه ، وإنما لا يعبر عن الرأي العام على نطاقه الواسع .

اذن يكون من مستلزمات اللجنة السياسية أو أي لجنة أخرى أو أي أمانة أخرى وجسود جهاز علمي فني لقياس الرأي العام ، كل هذه الأمور مجتمعة والتي لخصها في تنظيم العمل في اللجنة المركزية في طريقة إدارة الحوار المفتوح الذي تنادي به في قياس الرأي العام تجاه مسألة من المسائل ، في أعداد رأي يمثل رأي الاتحاد الاشتراكي ، وفي هذه الحالة يمثل رأي القاعدة الجماهيرية كما ذكر السيد الدكتور حسين فوزى .

ومن هنا يكون هناك جهاز سياسي لتحالف قوى الشعب العاملة ولا نخاف من هذا أبداً ولا نخاف من أن العمال يبدون رأياً معيناً والفلاحين يبدون رأياً آخر ، والدليل على ذلك عندما اجتمعت مع النقابات المهنية — ولنا أيضاً اجتماع قريب معهم — جرى النقاش بيننا على أوسع مدى وفعلاً سمعنا آراء كثيرة مضادة ، وليس هناك ما يضير الجهاز السياسي في أن يسمع هذه الآراء ، بل بالعكس يضره إلا يسمعها لأنها تسمع في الشارع وفي البيت والنساذي ومع أي مجموعة منكم ، ولا مانع لأي مجموعة منكم عقب هذا الاجتماع أن تجتمع وتقيم ما دار في هذه الجلسة نفسها .

يشكو من أن الدولة لا تقدم له الخدمات والتسويق التعاوني الذي تقوم به الدولة يمثل أجحافا به ، العمال لهم مطالب في المصانع التي يملكها الشعب والطرف الثاني هو الدولة هو الشعب ، المشكلة الحقيقية اليوم هي مشكلة الحرب ، ليست الحرب بمعناها التقليدي ولكنها الحرب على الفقر والحرب على التخلف .

ان مشكلتنا ليست مشكلة فلسفات وأفلاظ وشعارات سئها الشعب وملها وكرهها ، الشعب يريد جدية وعملا وإيمانا وصدقا ، وليست مهمة الاتحاد الاشتراكي - في الصيغة التي حددتها الميثاق - مناقشة هذه الميثاق إنما نحن نناقض كيف يمكن أن يكون الاتحاد الاشتراكي - كما ذكرت سيادتكم - منبرا حرا للآراء الحرة يعبر بأمانة وجرأة وبصراحة عن الجماهير وآراء الجماهير ، نحن لا نريد التواء ولا نريد مداورة ولا نريد تكتيكات ، ولا بد أن نكون ببساطة هذا الشعب في مواجهة مشاكل هذا الشعب .

ان مشكلة الاتحاد الاشتراكي ليست مشكلة انشاء أحزاب للعمال والفلاحين ، ليست مشكلة طبقات وصراع طبقات ، إنما هي مشكلة تنظيم الحياة في مصر ، مشكلة تنظيم العلاقة بين السلطات ، مشكلة أن الالة الحكومية والشعبية لا بد أن يعاد تنظيم تروسها حتى يمكن أن نستفيد من الفقد الذي يفقده هذا الشعب ويزيد من تخلفه .

ان مشكلة الاتحاد الاشتراكي - وقد عشت هذه التجربة - هي مشكلة الممارسة ، لقد سألتني سيادتكم يوما ما قبل أن تكون أمينا للاتحاد الاشتراكي - سألتني عن رأيي وكيف يمكن أن نعالج القصور الموجود في الاتحاد الاشتراكي وأنني قلت لسيادتكم .. وهل يراد أن يكون في مصر تنظيم قوى ؟ لأنه لم يكن يراد أن يكون في مصر تنظيم قوى .

ان دور الاتحاد الاشتراكي دور آخر ، وهو دور مواز للحركة التنفيذية ، وهو دور رقابة الحركة اليومية والعمل اليومي للجهاز التنفيذي حتى يصبح هذا الجهاز جهازا فعلا يلبي مصالح وحاجات الجماهير .

ان مشكلة الاتحاد الاشتراكي هي أنه يمارس دوره فعلا ولكن بأسلوب عقيم .. إذا كان على مستوى القرية فإن الجهاز السياسي الموجود يمكن أن يعبر عن المشاكل وأن يحل ما يمكن حله وما لا يمكن حله يمكن أن يصعد حتى يصل إلى اللجنة المركزية .

ان الاهداف تكاد تكون متفقا عليها بيننا وبينكم وبين اللجان الأخرى جميعا ، ولكن الحقيقة بعد اجتماع لجنة العمل وبعد ثالث اجتماع ما زال الأسلوب غير مركز حتى الآن ، وما نطلبه أن يركز هذا الأسلوب بجدية بحيث إذا ما قراه رجل الشارع والعامل والفلاح يقول ان هؤلاء الناس جادون ، لأنني حتى الآن أعتقد تمام الاعتقاد - ولا يمكن أن أخدع نفسي - ان الجماهير تقول اننا لسنا جادين واننا ما زلنا نتكلم .

نريد أن نكون جادين في مرة من المرات بحيث نعرض اللائحة الداخلية للجنة المركزية ومن هنا نبدأ في جذب انتباه الجماهير بأن هناك تغييرا .

لقد أثير في اجتماع لجنة الدعوة والفكر موضوع تغيير تمثيل اللجنة المركزية على أساس أن تمثل فيها النقابات المهنية والمجموعات الجماهيرية كنقابات لا أفراد بحيث ننقل من تمثيل الأفراد إلى تمثيل النقابات ، هذا الأمر له مزاياه وله مضاره ، كل هذه المسائل يجب أن تركز والا سيكون من الخطر جدا على الاتحاد الاشتراكي أن نخرج بتقريرنا النهائي بموضوع انشائي ، بل سيكون في ذلك نسف لكل ما عملناه .

ان الخطاب الذي القيته في المؤتمر القومي لم يكن موضوعا انشائيا ، وتأليف اللجان بعد ذلك ووجودنا معا في الحواري ليس موضوعا انشائيا ، وفي الحقيقة نريد أن نصف كل هذه الاجتماعات في ورقة موضوعية تتصف بالجدية وتتصف بالصدق وتتصف أيضا أن نشد انتباه الجماهير حتى تعود الثقة بيننا وبين الجماهير .

● الدكتور محمد دكروري

لقد حضرت اجتماعات لجنة العمل الوطني والاجتماعات الفرعية ، وبحق أريد أن أقول أنني لم أنفعل بكلمة مثل كلمة استاذنا الدكتور حسين فوزي لأنها صدرت عن إيمان حقيقي وببساطة عادية وعبرت تعبيرا حقيقيا عما يمكن أن نسميه كلمة شعب مصر .

نحن لا نريد أن ندخل في متاهات فلسفية ، قد لاحظت منذ بداية اجتماعات اللجان الفرعية أن هناك كلاما من الطبقات وعن فائض القيمة وعن المراحل وخط فكري يريد أن يصل إلى مفهوم الصراع .

هل المشكلة التي تواجهها مصر اليوم صراع طبقات ؟ ما الذي يشكو منه الفلاح اليوم ؟ أنه



عبد العزيز الدسوقي

الشعب تخالف هذه الافكار التي توجد في الاتحاد الاشتراكي .

والقضية في نظري ليست كما يقول الدكتور الدكروري أنها قضية فلسفات لاننا في النهاية نأتى لهذه القضية ونأتى لها بفلسفات ، ولكن القضية هي كما قال الاخ سعد الدين وهبه بأن نضيف الى الاتحاد الاشتراكي حزبيات لاننا بلا شك في حاجة الى تمثيلها .

وهناك تساؤل آخر .. لماذا نبقى على صيغة هذا التحالف وقد كانت فكرة هذا التحالف كما تصورها القائد الراحل جمال عبد الناصر انه خوف من أن تكون هناك أحزاب متعددة ، حزب رجعي وحزب يساري وهؤلاء يتصلون بجهات خارجية وتضيع البلد .. فمن الأفضل أن يكون هذا التحالف الذي يضم قوى الشعب العاملة ولكننا في هذه الفترة وقد أصبحت الظروف مغايرة تماما للظروف السابقة وان هناك تيارات من شبابنا يخالفون كل المخالفة هذه التصورات الموجودة في الاتحاد الاشتراكي ، فهل في امكان هذه اللجان أن تنطلق في فكرها بعيدا عن هذا التصور القديم وتطوره ؟ .

نحن نفكر على المدى البعيد وعلى المدى الذي لا تكون فيه معركة لان المعركة اذا بدأت واشتعلت نيرانها فمن الممكن أن يتوقف كل شيء

اذن فليست المشكلة هي أن آتى واتحاور مع السيد السكرتير الاول للجنة المركزية ، وأخذ بعض الحريات للصحافة وغيرها لانه في الحقيقة في العشرين عاما الماضية تضخمت عضلات

وكما ذكرت السيدة فايدة كامل فيجب أن يكون هناك نوع من اللقاءات حتى يكون هناك نوع من الالتزام .

واننى انادى بأن يكون باللجنة المركزية جهاز لا يقل قدرة عن الجهاز التنفيذي ، وفي هذه الحالة يمكن أن يطرح هذا الموضوع في اللجنة المركزية في حضور السيد رئيس الجمهورية وهو رئيس الاتحاد الاشتراكي بحيث تصدر الدولة القرارات التي تلزم الجميع بالمحاسبة . أعود بعد ذلك وأقول ان القضية ليست قضية أحزاب ولكن الامر يقتضى أن نعالج الموضوع بصدق وأمانة وجدية .

● عبد العزيز الدسوقي

السيد السكرتير الاول للجنة المركزية .. أرجو ألا تضيق بتساؤلاتي أو بمعنى أدق ؟ أرجو ألا تضيق بتفكيرى بصوت عال ..

يبدو أن الافكار التي أثرت في هذا الاجتماع تدور حول قصور الاتحاد الاشتراكي القديم ، وفي رأيي أن هذا القصور القديم قد سقط منذ ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ عندما هزمنا وعندما كانت الاعلام تنكس في سيناء وفي هذه الحالة كانت تنكس اعلام القصور السياسي في هذه الفترة .

نعود الى هذه المواقف التي أعادت الى الاتحاد الاشتراكي الحياة ، فكما جاء في بيان ٣٠ مارس وفي هذه المواقف يبدو أن المشكلة ليست هي كيف نعطي الفاعلية للاتحاد الاشتراكي بصيغة جديدة فما أكثر الصياغات التي وضعناها قبل ذلك في هذه الفترة التي فسد فيها كل شيء .. ولكن المشكلة الآن كما تصورناها هي أن الاتحاد الاشتراكي ظهر معزولا كل العزلة من افكار الناس فالمسألة اذن هي الاستفادة بأراء وافكار الناس والمسألة كذلك هي في قيمة هذه الافكار ، ومن ثم جاءت هذه الصراحة التي نشعر بها والتي نشكر عليها المهندس سيد مرعى حيث يتساءل هذا السؤال الذي لم يعجب الاخ سعد الدين وهبه وهو كيف ندخل اشخاصا جددا في الايديولوجية .. ثم يستأنف السيد السكرتير الاول حديثه فيقول اننا لو أدخلنا هؤلاء فانه سوف يحدث صراع كبير ، وهذا صحيح جدا لانه نابع من التصور الحقيقي ، خاصة واننا في سنة ١٩٧٢ وبعد عشر سنوات من هذه الشعارات التي نحملها على ظهورنا فلا تزال هناك افكار تعيش في هذا



نبيل الالفى

نأتى بعد ذلك الى النقطة التى أثارها السيد السكرتير الاول وهى مرتبطة فى الحقيقة بقياس الراى العام ، فنحن حتى الان ليس عندنا جهاز علمى لقياس الراى العام ، فياحبذا لو كانت هناك أجهزة متخصصة ترى ردود الفعل امام الجماهير ، ومن خلال هذه الاجهزة المتخصصة سواء فى المسرح أو فى الصحافة نبدا فى قياس الراى العام ، واعتقد انه آن الاوان لان يكون بالجهاز السياسى عندنا مثل هذه الاجهزة حتى يكون الامر مبنيا على الحوار القائم بين الجماهير وبين الحركة السياسية .

• الدكتور محمد خلف الله احمد

فيما يتعلق بما أثاره السيد السكرتير الاول للجنة المركزية بالنسبة لقياس الراى العام فأننى أقول ان قياس الراى العام هو عملية علمية ، ولكن قبل ان نسعى الى قياس الراى العام فلا بد ان يكون هناك راى عام سليم مدرب وقوى حتى يصبح لجماهير الشعب وجودها . فهل هناك راى عام فعلا ؟

فى الحقيقة فان هذه النقطة بالذات تدفعنى بالحاح الى تصور طبيعة الاتحاد الاشتراكي فى المرحلة الحاضرة، وكلما أفكر فى تجاربنا السابقة التى مررنا بها وهى هيئة التحرير والاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكي، وكلما أفكر فى الفترة التى سرنا فيها فى تطبيقنا للحياة الاشتراكية التى ارتضيناها نظاما وفلسفة . . كلما أفكر فى هذه الاشياء جميعا أجد أن الوسيلة الاساسية للاتحاد الاشتراكي فى هذه المرحلة هى أن يصبح مدرسة سياسية وأن يصبح برلمانا جماهيريا حرا

السلطة التنفيذية وذبلت عضلات السلطة الشعبية ، ونحن فى الواقع نريد أن يتحول هذا التحالف الى جهاز سياسى ينظر الامور السياسية فقط فلا أريد أن يأتى الاتحاد الاشتراكي فيمحوا أمية بعض الناس أو أن يعطى بعض الناس خدمات معينة ولكننا نريد أن يتحول الاتحاد الاشتراكي الى مؤسسة سياسية تكون فى داخلها تيارات فكرية ومن الممكن أن تسقط بعض هذه التيارات الفكرية ، فقد سقط بعض هؤلاء وبعضهم حوكم دون أن يستفيد من هذه التجارب اذن الافضل أن تكون هناك تيارات فكرية فى الاتحاد الاشتراكي واذا سقط تيار منها يأتى غيره .

• نبيل الالفى

اننى ألتقط الخيط من بعض الكلمات التى قيلت وفى الحقيقة ان أى سياسة لاى شعب من الشعوب ينبغى أن تكون مرتكزة أساسا على عدة حقائق وهذا فى الواقع يساعدنا كثيرا اذا ما التزمنا بالنسبة للجهاز الذى يمارس العمل السياسى .

الذى الملح والاحظه هو أن الجميع يتكلمون حول فكرة الصحافة وهذا فى الواقع يأخذنا الى حقيقة أهمية المعارضة فى أى بلد من البلاد بصرف النظر عن النظام القائم فيها .

المفروض أن نتفق أولا على حقائق ، ثم نضع على أساسها الخطوط التى نسير عليها . . هل المعارضة ضرورية لاى مجتمع انسانى ؟ . . من وجهة نظرى فان المعارضة ضرورية جدا وذلك لانه دائما ما نلاحظ أن الاراء التى تدفعنا للتقدم ليست هى المتفقة معنا ولذلك فان المعارضة هامة جدا وليس من مصلحة أحد أن يبقى التنظيم السياسى كما هو لفترة طويلة .

اذن فالمعارضة مسألة ضرورية ، وكل نظام حكم لا يستطيع أن يستغنى عن نوع من المعارضة ولا بد وأن تكون هذه المعارضة متحققة .

كذلك فاننا نأتى الى حقيقة أخرى هى أننا اذا قلنا أن أى نظام حكم يترجم طموح الشباب فينبغى أن نتفق على هذه الحقيقة ونضع طموح الشباب فى مكانه ثم نبحث فى التطبيق ، وهذا التطبيق ضرورة كبرى بلا شك ، وفى هذه الحالة تتبلور عندنا حقيقة ثانية الى جانب الحقيقة الاولى التى أشرنا اليها وهى المعارضة وبعد ذلك نبدا فى تجميع مثل هذه الحقائق وهى لا تزيد عن ست أو سبع حقائق .



د. محمد خلف الله أحمد

تمر بهذه السهولة ، ففي تصوري على مدى السنوات التي قضيتها في السياسة وهي سنوات طويلة أن الرأي العام في مصر قائم وموجود وقوي وليس هذا غرورا ، ولكن شعوري وخاصة في الفترة التي تلت سنة ١٩٦٧ أنه بعد الهزيمة صار الرأي العام واضحا منذ وقتها وحتى الآن ، كذلك فأننى مقتنع بأن هناك رأيا عاما قويا يمكن أن توافق عليه القيادة السياسية .

● الدكتور محمد خلف الله أحمد

الذي أقصده هو تدريب وموالة تدريب الرأي العام وخصوصا عندما يشغل الرأي العام بالقضايا المصيرية ، ولا شك أن تنمية الرأي العام لا تأتي الا عن طريق الممارسة .

● نجيب محفوظ

يخيل الى أن الاتحاد الاشتراكي ليس هو المشكلة ولكنه قد يكون أحد أعراضها . نحن نقول أن مهمة الاتحاد الاشتراكي أن يتعرف على آراء الناس ولكنه سيجد آراء متناقضة فماذا يكون موقفه ؟ .

من حيث الواقع هناك مصالح متضاربة وهناك أيضا اتجاهات متغايرة ومختلفة وهذا يقتضى قيام أحزاب .

الشكل الاساسى للاتحاد الاشتراكي أنه تحالف لقوى الشعب العاملة ، ولكنه تحالف

.. هاتان الوظيفتان تصوران بلا شك العمل الحقيقى الذى يمكن أن يكون فى الاتحاد الاشتراكي .

اذن فنحن لا نشغل أنفسنا بالبحث عن السلبيات وغيرها ، والدولة مجالس شعبية وأجهزة تنفيذية وليس عندنا قصور فى هذه الناحية ، ولكن القصور هو فى الحقيقة فى الجهاز الذى يستطيع أن يتكلم من الشعب بحرية وبأى رأى ، فلو أمكن للاتحاد الاشتراكي أن يحقق لنا هذه الوظيفة فإن ذلك بصراحة هو عين النجاح .

إننا نريد أن يصبح عمل الاتحاد الاشتراكي هو العمل السياسى المحض ، فلا شك أننا باجتماعنا هنا اليوم وكل واحد منا يبدي رأيا ، وهذا الرأى يقابله رأى آخر أو فكرة أخرى تعدلها وبهذا الشكل يكون الاتحاد الاشتراكي موجودا وممثلا لجميع هيئاته ونقباته المختلفة ومنظماته الموجودة ابتداء من الوحدات الأساسية الى أن نصل الى اللجنة المركزية والى المؤتمر القومى وفى هذه الحالة يصبح الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم الأم الذى وراء مجلس الشعب والذى وراء الجهاز التنفيذى وهو الذى يدرّب لنا القيادات التى ستأخذ طريقها الى مجلس الشعب والى مختلف الأجهزة الموجودة .

كذلك فإن المناقشات التى تدور فى وحدات الاتحاد الاشتراكي والتى تحدث بطبيعة الحال لا بد أن تسجل ولا بد أن تصل أصدائها للرأى العام ولا بد أن تعرض اتجاهاتها العامة على المؤتمر القومى .

بهذه الكيفية يصبح الاتحاد الاشتراكي موجودا بالفعل ولا شك أن هذا الطريق سيؤثر تأثيرا قويا فى نجاح العمل بالتنظيم السياسى ، وعلى هذا الاساس فإنه يلزم لزوما ضروريا أن تصبح عضوية الاتحاد الاشتراكي مفتوحة من غير حجز ومن غير حدود لجميع المواطنين دون استثناء حتى نستطيع جميعا أن يفهم بعضنا البعض وحتى نستطيع الجماهير أن تفهم اتجاهاتنا التى نحاول أن نظهرها .

● السكرتير الأول

الدكتور الفاضل يتساءل ويقول .. إذا كنا نريد أن نقيس الرأى العام ، فهل لنا رأى عام ؟

وهذه النقطة فى الحقيقة لا أستطيع أن أتركها

نفس المعاناة القديمة حتى من جاره الفلاح الذي يمتلك الفدانين ، لان المورد لشراء ما يحتاجه في بعض الاحيان هو الفلاح الذي تمتنع بالأصلاح الزراعي .

وهنا تظهر مسألة أساسية ، وفي اعتقادي أن مثل هذه المسائل الأساسية لو وضعت في جوهريها أمام الاتحاد الاشتراكي وأمكنه بلورتها تكون أفضل وأجدي من غيرها .

ولا أعني بهذا أن موضوع محو الأمية أو تنظيم النسل ليسا ذوي أهمية بل هما موضوعان لهما أهميتهما القومية فعلا ، أما موضوع مثل حل مشكلة العمال الزراعيين فإنه قطعاً يعطى للاتحاد الاشتراكي نقطة من النقاط السياسية التي يمكن الارتكاز عليها .

وحقيقة هناك تناقض أو خلاف ما بين مستوى معيشة العمال ومستوى معيشة الفلاحين ، وعلينا أن نجتهد لنوصل الفلاحين الى مستوى معين ، ولكن هل نتصور حقيقة أن هذا التناقض خطير جدا يصل بنا الى الحد الذي نتخوف منه ؟ وندأب على الحديث بشأنه في مثل هذه الاجتماعات ؟

في تصوري أن المسألة لا تصل الى هذا الحد فلدينا خط اشتراكي ولكن للأسف هذا الخط لم يفلسف ، ومع أنني ضد مبدأ الفلسفة إلا أنه يجب فلسفته ، ونحن مقيدون بهذا الموضوع حيث أنه وارد ضمن قرارات المؤتمر القومي العام .

وقد رأينا عند زيارة السيد رئيسي الحزب الشيوعي الإيطالي أو رئيس الحزب الشيوعي اللبناني أو أعضاء معهد الاتحاد السوفيتي أن أول سؤال وجه إلينا هو ، هل لديكم أيديولوجية اشتراكية ؟ فنذكرها لهم ، فيقال وهل أنتم اشتراكيون حقيقة ؟ فنوضحها لهم ، ولكنني أسأل نفسي بصفة مستمرة عقب سماع مثل هذا السؤال عما وراءه ، ولقد اضطررت لأن أقول لأحد أعضاء وفد الحزب الشيوعي الإيطالي أنك سألته أكثر من مرة عن أيديولوجيتنا الاشتراكية . فما هي أيديولوجية الحزب الشيوعي الإيطالي ؟ أرجو أن تشرحها لي لأنني لا أفهمها .

وبالتالي فإن ما أتصوره - كما ذكر السيد الدكتور حسين فوزي - لا مانع إطلاقاً في داخل الاتحاد الاشتراكي من وجود آراء مختلفة بدون الحاجة لتسمية حزبياً أو أحزاب صغيرة أو شيء من هذا القبيل ، فيكون هناك رأي يمثل

مفروض ، ومن هنا فإنه لا يمثل التحالف ، وحتى الواقع لا بد أن تكون هناك أحزاب مختلفة .

اذن فإذا أردنا للشكل السياسي أن يكون على أفضل وجه ، فأمامنا حلان أن نرجع للحكم في الأحزاب أو نرجع برأي الدولة الى الشعب ويكون الحكم اشتراكياً ونطبق النظام الاشتراكي بحيث يقضى على هذه التناقضات بالقوة ، ولكن كوننا نجلس وتكلم ونقول ماذا نفعل بالنسبة للاتحاد الاشتراكي فأنني أرى أنه مهما عملنا فلن نصل الى شيء لأن كل من هم بداخله متناقضون وأنني أقول أنه يجب أن يحدث حوار حر بين الناس ، فلو حدث الحوار بين أناس متناقضين .

● السكرتير الأول

هل الحوار هو الخلاف الموجود الذي أشار إليه الدكتور دكروري والدكتور سعد ؟

وهل التناقض أو الخلاف الموجود بين الطبقات العاملة يصل الى الحد الذي يمثل التناقض الجوهري ؟

انني أريد أن أتصور، هل هناك خط اشتراكي اتبع من سنة ١٩٥٢ الى اليوم ؟

انني أرى قوانين تحديد الملكية ، وقوانين اشراك العمال في مجالس ادارة الشركات كذلك أرى الاتحاد الاشتراكي بما فيه من سلبيات عندما أرى الطبقة الرأسمالية أو الطبقة الرجعية مبعدة وهي لا تتعامل ولا تمثل جبهة الآن إلا في حدود الرأسمالية الوطنية - إذا أردنا أن نسميها - وفي الحدود الضيقة .

وهناك بحث صدر في جريدة الاهرام بهذا الخصوص في الحوار الذي تم بين محري الاهرام وأعضاء معهد الاتحاد السوفيتي وهو يبين عدد العاملين في القطاع الخاص وعدده العاملين في القطاع العام ، لكنه لم يوضح في هذه النقطة بالذات قيمة الثروة ولا قيمة المعاملات الموجودة في كل من القطاعين ، ورغم وجود هذا النقص فإن الاتجاه العام لهذا الخط بين تناقضات ، فمثلاً عندما تسألني عما فعله الخط الاشتراكي بالنسبة لعمال التراحيل وهم يمثلون عدداً ضخماً من الجماهير فإن الإجابة تكون سلبية مع أنه يجب أن تكون هناك خطة معينة لعمال التراحيل ، لأنك إذا نظرت في الإصلاح الزراعي مثلاً تجد أن هناك فلاها يمتلك فداناً ونصفاً أو فدانين وله ابن أو اثنان بالتعليم الجامعي وآخرون بالتعليم الثانوي ، وتجسد بجواره عامل التراحيل بوضعه السابق ، يعاني



حمدي غيث

ليتعلموا ويتخرجوا مهندسين، وهؤلاء سينضمون بطبيعة الحال الى طائفة المثقفين، وربما يعودون للعمل في العمل الريفي نفسه .

فاذا كنا نتكلم من التناقضات الموجودة بين طبقات الشعب العاملة ، فلماذا لا ننظر بأفق واسع ونحدد من هو العامل ومن هو الفلاح ؟ وبالتالي نقضي على جزء كبير من هذه التناقضات فتكون الطبقة المثقفة في تصور في هذه الحالة — فيها أستاذ جامعة نظري ، في حين يصبح زميل آخر له — كان معه في نفس الجامعة ولكنه يعمل في الحقل — عاملا مع العمال ، فما الذي يضيرنا من هذا النوع من التفكير .

هذا الكلام مجرد رأى قابل للنقاش دون الزام اللجنة بشيء .

● حمدي غيث

في الحقيقة أن الرأى الذي أردت عرضه الآن يكاد يكون قد استوفى من كل من الاستاذين سعد الدين وهبه ونجيب محفوظ لكننى أود التأكيد على ماقلناه .

فعندما طالبا بوضع فلسفة للاتحاد الاشتراكي أعتقد أن هذا طلب أساسى وجوهري جدا ولا يعنى هذا أنهما يدعونا أن نفرق أنفسنا في الفلسفات ومناهجها ، بالعكس فقد سمعنا من السيد السكرتير الاول الآن بأننا لا توجد لنا فلسفة ويجب أن نضع لأنفسنا فلسفة وهذا شيء جوهري جدا . لان الفلسفة هي المؤشر .

رأى العمال في موضوع معين ؟ وليكن مفهومنا لدينا أن شخصا ما يتزعم رأى العمال في اللجنة المركزية وآخر يمثل رأى الفلاحين ، وآخر للمثقفين . الخ فما الذى يضيرنا من هذا ؟ بل انى اعتقد انه بدون هذا لا يكون هناك كيان فعلى للاتحاد الاشتراكي .

هذا هو تعليقى الذى أردت أن أوضحه في هذا الخصوص .

أما الصورة الأخرى التى أعرضها وقد مسقت أثارها في لجنة الدعوة والفكر باتساع فهي انه قد قيل انه لا داعى « للافتة » الاتحاد الاشتراكي هذه وان الأفضل تعدد الاحزاب .

كما اثرت نقطة أكبر من ذلك وهي أن الاحزاب في مصر لا تحدد الا من خلال قوى الشعب العاملة فعلا ، وبداننا نسمع لأول مرة كلاما آخر يقول بأن الطبقات العاملة فعلا هي العمال والفلاحون فقط ، أما ما عدا ذلك من طبقات فلا تعتبر طبقات عاملة بل تعتبر فئة من الفئات .

وفي الحقيقة اننا نستمع لكل ما يشار ولم أعلق على هذه النقطة في الجلسة الماضية ، ولكننى ادخل في مناهات ، لانك حينما تذهب الى بلغاريا أو المجر أو بولندا وهذه كلها بلاد شيوعية — الا اذا كان في عرف البعض انها غير ذلك — فهذا موضوع آخر يمكن مناقشته — مستجد النظام الموجود في الجمعيات التعاونية في بلغاريا يعتبر المهندس الزراعي أو مهندس الكهرباء أو رئيس مجلس الادارة أو المثقف عاملا وبهذه الطريقة أمكنهم حل المشكلة حلا جذريا ووضعوا حدا لما نتحدث عنه من أن هذا ينتمى الى طبقة المثقفين ، وذلك ينتمى الى طبقة العمال مما أدى بنا الى الدخول في مثل هذه المناهات .

وقد يصل تفكيرنا لمثل هذه النقطة — طالما كان المهندس رئيسا للجمعية التعاونية وهو الذى يديرها في بلغاريا ، وهو المسئول عن انتاج المزرعة المعطاة للجمعية التعاونية أهدافا وتصديرا وكمية . بحيث اذا لم يحقق هذه النتيجة يفصل فورا ، أما طبقا لاسلوبنا فان المهندس هنا لا يعتبر عاملا ، ولا يجوز أن يتقاضى من أرباح العمال كما لا يجوز أن يتمتع بمزايا العمال . الخ فتكون النتيجة أنك وفقا لقانون الاتحاد الاشتراكي تعزل هذا المهندس عن أنه قوة أساسية من قوى الشعب العاملة التى لا يفرق عنها في شيء فهو ابن أحد أفراد هذه القوى ، تماما كالمثل الذى ضربته بفلاح الاصلاح الزراعي الذى أرسل أولاده الثلاثة للجامعة

وما الى ذلك ، وهذا ما أدى الى ان يتسلل الى التنظيم بعض أصحاب المصالح والتطلعات التي تتناقض تماما مع الفلاحين .

فكيف تتسلل هذه العناصر الانتهازية والرجعية الى صفوف التنظيم — كما هو وارد في ورقة العمل — ان لم يكن التنظيم في جوهره خلل ونقص لا فجوه التنظيم نفسه مختل بحيث يسمح بتسلل مثل هذه العناصر تحت ستار عضويتها في تحالف قوى الشعب العاملة .

فلا بد من وجود فلسفة — ولا بد من ان نعرف أولا كيف نصنع من هذا الاتحاد الاشتراكي قوة اشتراكية حقيقية ، ولا بد اذن من تحديد ماهية اشتراكيتنا وجوهرها وحقيقتها . كذلك لا بد من تحديد ماهية قوى الشعب العاملة التي يجب ان تضم في تحالف حقيقي ، وليس تحالفا بين افراد لانهم لا يملكون أكثر من مائة فدان مثلا أو ينطبق عليهم بعض القوانين التي صدرت في حلال مسيرة الثورة ، فهؤلاء هم الذين يمثلون تحالف قوى الشعب حاليا .

اننى اعتبر أن الاتحاد الاشتراكي بوضعه الراهن عبارة عن جمعية أو مجتمع لأفراد وليس لقوى شعب عاملة حقيقية ، أنهم لا يمثلون قوى ولا أفكارا متناقضة تناقضا سلميا وغير هدام ، وقد يوجد هذا التناقض داخل إطار الفكر الاشتراكي نفسه وداخل إطار المفهوم الاشتراكي لاجتماعنا — كما قد يوجد مثل هذا التناقض وهو يمثل الرأسمالية الوطنية الحقيقية التي لاتتناقض مصالحها تناقضا هداما مع الطبقة العاملة لا في التنمية ولا في توزيع الملكية الزراعية البسيطة التي تتناقض مصالحها تناقضا هداما مع مصالح الفلاحين .

ويمكن من داخل الاتحاد الاشتراكي نفسه تنمية قوة الطبقة العاملة بصفة مستديمة ، واذابة الفوارق بين هذه الطبقات بالطرق السلمية من داخل التنظيم السياسى الاشتراكي الحقيقى الذى يمثل تحالف قوى الشعب العاملة ، كما تذيب هذه التناقضات بالعمل السياسى السلمى المستمر .. وشكرا .

• الدكتور أحمد كمال أبو المجد

لا بد ان أعترف مقدما لان الحديث لا بد أن يكون فلسفيا في اجتماع الكتاب الادباء والفنانين دون أن يخل هذا مطلقا بما أشار اليه السيد الدكتور دكرورى من أن الجماهير لا تحتاج الى أن تستمع الى الفلسفة .

وهي المعيار الحقيقى الذى يصور كل خطواتنا وكل أعمالنا ، وهذه الفلسفة تنطلق من شيء بسيط جدا ، فنحن نقول مثلا ان الاتحاد الاشتراكي هو تحالف قوى الشعب العاملة بمعنى أن هذا الاتحاد لا بد وأن يكون اشتراكيا وليس اتحادا بين أحد ايا كان أو اشخاصا ايا كانوا .

اننا انفسنا نسميه الاتحاد الاشتراكي ، ولذلك فلا بد أولا من أن نقول ما الاشتراكية ؟ لانه لكي نقيم اتحادا بين القوى الاشتراكية في مجتمعنا لا بد من أن نقول أولا ما اشتراكيتنا .. وما سماتها الاساسية والجوهرية ؟ وما وجه الخلاف بينها وبين الاشتراكيات الأخرى ؟ وما الذى نريده بالضبط ؟ .

هذه هي الفلسفة اننى لا بد من أن نضعها لكي نعرف بالضبط ما الاشتراكية ؟ . بعد ذلك لكي نقيم الاتحاد الاشتراكي أو ننقل الى قوى الشعب العاملة لابد كخطوة ثانية من أن نضع فلسفة معينة لنا نحدد بها ما قوى الشعب العاملة التي يمكن أن تدخل في نطاق هذا التحالف لتكون الاتحاد الاشتراكي .

وبخلاف هذا كله سنظل طوال العمر نجتمع لكي نقول نريد أن نصوب نفسية وتكوين الاتحاد الاشتراكي ..

لانه اذا كان قد ثبت من التجارب الماضية أن الاتحاد الاشتراكي عندنا يقوم ويشكل ويظل سنة أو اثنتين أو ثلاث أو خمس يؤدي مهمته المطلوب منه تأديتها بعد ذلك نجد أن الاحداث والتطور الاجتماعى تتجاوزته فيدعونا الى اعادة التفكير فيه لكان هذا عملا صحيحا جدا .

لكن ما يحدث بالفعل انه قبل أن يقوم الاتحاد الاشتراكي نجد أن الجماهير تذهب الى صناديق الانتخابات وهي في شك من امكانية قيامه بتأدية مهمته ، فعنصر الشك وعدم الثقة موجودان منذ اللحظة الاولى لتشكيله ، نتيجة لعدم معرفة الناس بالاتحاد الاشتراكي وبفلسفته ، ان فلاحى القرية مثلا حينما يدلون بأصواتهم في الانتخابات فهم يدلون بها بحرية مطلقة وبدون تدخل من أى شخص ، لكنهم لا يعرفون بالضبط في أى اتجاه يدلون بأصواتهم ولا لى فكر يعطونها ، فهم ينتخبون بمطلق حرياتهم وبكامل ارادتهم لكن هذه الحرية حرية ناقصة لانها لا تعزز بالوعى الكامل ، ولا بفكر واضح فهي حرية عشوائية تعطى للجماهير لكي ينتخبوا من يريدون طبقا للعلاقات الشخصية أو لقوة شخصية المرشح

فتاريخيا حينما وقع الاتفاق على صيغة التحالف كان مرده عدة أمور منها الحرج الشديد في كل اشتراكية غير ملتزمة بالماركسية التراما كاملا سواء في التنظيم السياسي أو في تحديد الخط الاشتراكي ، ان قضية الاستقلال نفسها لا ترتبط بنظرية محددة ، فالامر سهل في الفكر الماركسي ، فالاستقلال يرتبط بفائض القيمة ، والنظام كله ينبغي أن يتجه للطاقة العاملة ، والتنظيم السياسي لا بد أن يعكس هذه القوى . وبذلك يكون حزباً للطبقة العاملة وتحل الأمور بهذه الطريقة .

ولم يكن هذا هو اختبار الشعب المصري في الستينات عندما اختار صيغة التحالف ، فهو لم يربط فكرة الاستقلال مباشرة بنظرية فائض القيمة وحدها ، فسار مضطرا الى معايير مرنة وأصبحت حاجته الى الديمقراطية أكثر من أي نظام يقوم على الماركسية ، لانه لا بد من أن يكون الشعب كله هو المعيار في تحديد أين ينتهي العدل ويبدأ الاستغلال .

مثلا درس السنوات الأخيرة وخصوصا بالتحديد الفترة التي انقضت ما بين وفاة الرئيس عبد الناصر — رحمه الله — ومايو وما حدث فيه من تغيير ، وهو درس تبينته القوى كلها ، وهو أن التطبيق الاشتراكي أيا كانت فلسفته وأيا كانت القوى التي تريد انجازها في خطر دائم بغير سيادة القانون وبغير الديمقراطية ، لان الذي حدث — كما ذكرت سيادتكم — أن هناك تحولا اشتراكيا واجراءات اشتراكية كبيرة جدا فكان المفروض أو المتوقع أن تستفيد قوى التحالف من هذه القوى الاشتراكية فلا تأتي بعد مضي هذه المدة وتتساءل عن جدوى صيغة التحالف ، لانه كان المفروض أن تقتنع القوى كلها بأن هذا الاسلوب من اساليب الاشتراكية مفيد لها أو يحقق مصالحها لكن الذي حدث فعلا أن أكثر الطوائف وأكثر القوى لم تقتنع بهذا جيدا لسببين :

١ — أن العائد العملي من عملية التنمية الاشتراكية بدد الكثير منه ، أما تبديدا فيه مسئولية ، وأما بدد لان المنهج لم يكن علميا في استخدام الموارد وفي توزيع العائد .

٢ — أن أكثر الاجراءات الاشتراكية وأكثرها خطورة لم يصدر عن التحالف ، فنحن لم نر في تاريخ الاتحاد الاشتراكي أنه أصدر قرارا مهما ، بل أن القيادة الثورية هي التي كانت تصدر هذه القرارات ، وجزء من هذا الواقع يصدق على مسائر المؤسسات كالمجلس التشريعي ، فالقرارات

الهامة كلها إما أنها نبعث من القيادة أو من الحكومة لكنها لم تنبع من الاتحاد الاشتراكي . فكانت محصلة هذا أن صيغة التحالف لم تستفد من الانجازات الاشتراكية فانتبه الفكر في قيادات الطبقة العاملة ولدى المفكرين الماركسيين ولدى المفكرين الليبريين في هذه الفترة ، الى أن قضية الديمقراطية هي القضية لان كل ضمان لرغيف الخبز يزول اذا لم تكن هناك ديمقراطية أو سيادة القانون ، وهذا ينعكس في كثير مما سمعناه في هذه الجلسة . وأريد أن أتوقف عند تعبير السيد الدكتور حسين فوزي لأنني معترض على كلمة «الحزبيات» اعتراضا موضوعيا ، فهي فضلا عن صعوبتها فإن المعروف أن الكلمة حين تدخل علما من العلوم تنتقل مضمونها اللغوي ويكون لها معنى مصطلحيا .

فالمعنى المصطلح لكلمة الحزب هو أن جماعة من الناس — سواء صغرت فكانت حزبيا أو كبرت فصارت حزبا — يعبرون أساسا عن مصلحة اقتصادية واحدة ، والاحساس الذي ولدته السنين الأخيرة في الوقت الحاضر ، وخصوصا في الفترة ما بين وفاة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومحاولة التغيير في مايو — باتنا ندفع ثمن الواحدية في التفكير ، لاننا لا نسمع الا ناقوسا واحدا فلا نعرف الا نغمة واحدة وكثير جدا من آفات التجربة في التنظيم السياسي هو ثمرة الواحدية والافتقار الى الرأي الآخر أو المعارضة بمفهومها السياسي .

ففي تحفظي بالنسبة لاعادة النظر في صيغة التحالف هو أنني لا أريد أن أربط الخروج من الواحدية الى التعدد ومن الفرد الى المبادرة ومن الرأي الواحد الى سماع الآراء كلها ، بالتركيب الاجتماعي للاتحاد الاشتراكي لأنني لو ذكرت أنني أعشق الحزبيات وأن الطبقات الاجتماعية في الاتحاد الاشتراكي هي التي تشكل خطوط المعارضة فأنني أقع في خطاين :

الخطأ الاول : هو أنني التزم بمالم التزم به من قبل من تصور وهو أن هذا التركيب الاجتماعي وهذه الخطوط هي إحدى خطوط التقسيم ولكنها ليست الخط الوحيد فسوف نجد في داخل الاتحاد الاشتراكي مواقف لأشخاص منتمين لقوى مختلفة ، وفي تقديري أن هذا كان دائما صحيحا تاريخيا وهو الآن صحيح موضوعيا ، فخط القوى والطبقات خط هام جدا ولكنه ليس الخط الوحيد فلا أريد اليوم — وأنا أعالج ضرورة — أن أتجاوز قدرها .

فالضرورة هي أننا نريد أن تنتقل من الواحدية

ولا يتمذهب ولا يجرى عليه الكفر والايمان .
ويترتب على ذلك انه اذا آمن من خلال
سيادة القانون فسيعبّر وهذا التعبير في الحقيقة
هو الذي يجعل للرأي العام مضمونا لان المجتمع
به نصف مليون ولا قيمة لتعبيرهم اذا كانوا
محرومين من مصدر الرأي .

ولهذا نقول ان المسألة ليست حرية التصور
فقط ، انما أيضا توفير مصادر المعرفة ، فنى
قوانين الصحافة وموثيقها تنص على انه لا يكفى
أن تعطى حرية التعبير فقط ، بل يجب أن توفر
لى مصادر الرؤية أيضا ، لان تعبيرى سيكون
عقيا اذا كنت محروما من هذه المصادر .

اذن فتصوري بالنسبة للرأي العام لا بد أن
يمر بهذه الثلاثة ، الامن من خلال سيادة القانون ،
التعبير من خلال ضمانات معينة للحقوق
السياسية ، ثم فى النهاية فصل الى عملية
التنظيم السياسى التى تنظم المشاركة .

هذه فى الواقع بعض أفكار حول الموضوع ،
انما جوهره فهو اننى ادعو دعوة محددة الى
الا تكون هناك حزبيات بالمعنى المصطلحى الذى
يربطها بالطبقات لان هذا أولا سوء قراءة
اجتماعية لواقع هذه المرحلة ، ولانه ثانيا نكسة
عما تم اكتشافه من أن لا اشتراكية بغير
ديمقراطية ولانه ثالثا غير صحيح تاريخيا أن
خطوط الفكر لا تلتزم دائما بحدود الطبقة .

والامر الثانى أن الرأي العام يحتاج الى أن
تظل تعدد ونؤكد أمن الانسان فى حياته وحرية
وعرضه وكرامته ورزقه واحاطة هذا التأكيد
بقدر من الضمان يتمثل — فى رأى فى النهاية
— فى الارتفاع بالضمانات الجنائية الى المستوى
الدستورى لان حرية التعبير تؤول فى النهاية
كما ازعم دائما — الى موقف فى محكمة أو فى
سجن ، فلا قيمة اطلاقا للضمان السياسى ان لم
يقخذ شكل الضمان الجنائى .

أما الامر الثالث وهو مهمة التنظيم السياسى
فهو تحويل هذا الامن الذى يصعد من هايد بارك
الى أن يكون أسلوب تغيير اجتماعى من خلال
المشاركة .

وهذه هى الدراسات الفنية فى هذا الشأن
وشكرا .

• د. سهير القلماوى

ان كثيرا جدا مما كنت أريد أن أقوله قد قيل

الى التعدد ، فلماذا التزم واحدية معينة فى
تصور التعدد وهى واحدية التصنيف الاجتماعى
الطبقي .

الخطأ الثانى : هو أن صيغة التحالف تهدف
الى تذويب الفوارق بين الطبقات — كما هو
وارد فى الميثاق — لكننى أخشى أننا لو جعلنا
حدود المعارضة وحدود التميز هى الحدود
الفئوية — كما ذهب البعض وقد اتفق معهم الى
أن المثقفين ليسوا طبقة — فقد تصيب هذا
التحالف بنكسة ، لان صيغة التحالف لدينا لو
عمقتها فى هذه المرحلة فنحن ننتكس بالاحساس
بأن قضية الاشتراكية وحدها لا تكفى وان كل
تطبيق اشتراكى فيه خطر ما لم يكن مقترنا
بسيادة القانون والديمقراطية .

وأريد أن اضع الامر فى اطاره الصحيح الذى
تكشفت عنه المرحلة ، كما لا أريد خلال هذه
المرحلة أن أعيق التميز الطبقي تعميقا يهدر
التناقض الاساسى بين هذه الطبقات كلها وبين
الاستعمار العالمى والصهيونية وقضية التخلف
ويردنا الى عملية صراع بين الطبقات هى فى
رأى مصادمة لحركة التاريخ وقراءته الحقيقية
فى هذه المرحلة ومضيعة لأهداف التناقض
الاساسى الموجود فضلا عن انها قد تضعيع
المكسب الذى بدانا نتجه اليه وهو أنه لا اشتراكية
بغير ديمقراطية — وانا فى هذا متفق مع
الدكتور حسين فوزى .

ثم تنتقل الى قضية الرأي العام وهذه القضية
انطلاقا من تصور السيد نبيل الالفى أن نبدا
بالاشياء الحقيقية ، فالانسان فى قضية الرأي
العام يحتاج الى ثلاث أمور اتصور أنها تتدرج
تصاعديا على النحو التالى :

١ — يحتاج الى أن يكون أمنا على حياته
وعرضه ورزقه وكرامته .

٢ — يحتاج الى أن يعبر تعبيرا حرا عن
نفسه وعن فكره .

٣ — يحتاج بعد هذين ونى مستوى أعلى —
الى أن يشارك فى المسؤولية .

ومن هنا فغير صحيح أننا كلما جئنا نتكلم عن
حرية التعبير قيل لنا ان المسألة ليست
« هايدبارك » وهى ليست كذلك فعلا ، ولسكنها
لن تكون برلمانا الا اذا كانت أولا « هايدبارك » .

فهناك حتمية منطقية لهذا التدرج ، فالخائف
لا يعبر وبالتالى لا حديث عن حرية التعبير بل
سيادة القانون ، والخائف لا يرى له فهو لا يتخلق



د. سهير القلماوى

الاشتراكى فى الوقت نفسه لى نقوم بتقييم علمى لكل التجارب التى مضينا فيها ومعرفة هل حقيقة التحرير فشلت ؟ .. وهل حقيقة الاتحاد القومى فشل ؟ .. وهل حقيقة الاتحاد الاشتراكى فى المراحل التى مر بها او فى دوراته المختلفة فشل ؟ .

كلنا نعرف النتيجة لكننا لا نعرف بدقة علمية ما هى الاسباب وكلنا نستطيع ان يؤيد ما جاء بورقة العمل هذه التى وزعت علينا وبها احصاء عن السلبيات ، ولكننى أشك كثيرا فى اى هذه السلبيات كانت مسئولة أكثر من سلبية أخرى ، فالتجربة لم تقيم تقييما علميا ينزل الى الشارع والحارة والقرية ويرصد علميا ويجمع هذه المعلومات لتكون تحت نظر أية لجنة وإى مستشار وإى خبير بحيث يستطيع أن يرى حقيقة ما وقع فعلا .

يقول سيادة الامين العام مثلا بعد القضاء على مظهر الاقطاع لا يزال هناك نوع من الاقطاع يمارس فى نطاق أضيق .. لماذا ؟ لان هناك قيما معينة موجودة فى القرية لم تعمل هيئة التحرير ولا الاتحاد القومى ولا الاتحاد الاشتراكى لا أقول على اقتلاعها انما على تحريرها ومحاولة توجيهها الوجهة التى يجب أن توجه اليها ، فلا يمكن أن يفرض على الشعب شيء من فوق ، ولا بد أن يخرج من القاعدة .

لكن لا يمكن أيضا لحاكم أن يترك الامر لمجرد القاعدة تقول ما تقول وتفعل ما تفعل لا بد أن يكون هناك نوع من الاطارات المعينة ونوع من الدراسات المعينة لاننا نعيش فى شعب فيه

بالفعل ، ولكننى ماضيف الى رأى زملاء هذه النقطة .

فى الواقع اننا لو نظرنا نظرة تاريخية بحتة لوضعنا فسنجد اننا أوجدنا فلسفة وأوجدنا مجتمعا وأوجدنا تنظيمات بعد الثورة ، كلها فى الحقيقة — لا أقول ليست طبيعية — ولكنها لم تأخذ المسار الذى سارت منه بلاد أخرى ركزت فيها هذه المعالم وهذه التنظيمات بسبب بسيط هو أن الشعب هو الذى كان قد قام بالثورة فيها

أما الواقع بالنسبة لنا هو أن الضباط الاحرار قد قاموا بثورة ٢٣ يوليو معبرين عن رغبة الشعب محققين آماله وأمانيه ، لكن الشعب نفسه لم يمحس فى تجربة ثورة وانما وجد الثورة معبرة عنه ففرح بها وشارك فيها بعد أن قامت ، ولا شك أنه أحاطها بكل ما يمكن أن تحاط به ثورة من حب واجلال وتضحية من أجلها .

فهذا الوضع — فى نظرى — هو مفتاح كل ما نحن فيه الآن ، لاننا احسبنا أن هناك أشياء جميلة جدا تعبر عن رغبتنا وعن أملنا ويمكن أن نحصل عليها وباستمرار دون مشاركتنا فيها أو دون أن تبذل دماءنا فى سبيلها ، ودون حركة نكتوى بنيرانها حتى نشعر بقيمتها الحقيقية .

فنحن على ابواب معركة وأخشى أن نخوض هذه المعركة ثم نخرج بالنصر لكن دون أن ننتهز الفرصة حتى فى هذا الموضوع بالذات، فالمعركة فى نظرى فرصة لتمحيص الشعب ، ومهمة الاتحاد الاشتراكى الآن هى أن يعد الشعب لى يمحس من خلال نيران المعركة ، وأرجو بعد النصر أن نكون فعلا قد اکتوينا بهذه النار وخرجنا أصلب عودا وربما أصفى معدنا وقد عرف بعضنا بعضا على حقيقته .

لقد عرفنا ، كم هى طاقة الشعب ، وكم هى معجزاته ومنجزاته ، وما يستطيع وما لا يستطيع وهذه فرصة أرجو أن تكون هى الشاغل الرئيسى للاتحاد الاشتراكى وهو أن يعد الشعب لخوض المعركة ، بهدف أيضا أن يكتوى هذا الشعب بنار معركة الت به كمصيبة لا شك فى ذلك ولكن رب ضارة لا بد أن تكون نافعة ، ولا بد أن نستفيد من هذا الظرف استفادة كاملة .

وهذا يتعين أن يقوم الاتحاد الاشتراكى فى الدولة التى أعلننا أنها دولة العلم والايمان بأن يتعرف وأن يعرف بمعنى قيام أجهزة بعيدة عن الاتحاد الاشتراكى لها ثقة الشعب وثقة الاتحاد

أما بالتصديق أو بالسخط ولكن لا نصنعها أو نشارك في صنعها .

وقبل أن يعرض مشروع الملك حسين وقبل أن نتحدث عنه الصحف كان يجب أن يكون الشعب كله مستعداً ، فهل طرح هذا الموضوع للمناقشة واستطلع فيه رأى الجماهير ؟ لو كلن تم هذا لكان هناك رأى جاهر أمام الحاكم .

بالنسبة لجهاز قياس الرأى العام فهو مسألة في غاية الخطورة كثيراً ما نقرنها بالمباحث العامة وبالمخابرات والأجهزة المماثلة ، وأرجو أن يكون ذلك بعيداً عن الاتحاد الاشتراكي ، إذ لا بد أن يكون مثل هذا الجهاز جهازاً طيباً بحتاً ، جهازاً علمياً تماماً لا يسيطر عليه أى جهاز له صلة بشكل رسمى وإنما هو جهاز — كما هو موجود فى جميع البلاد — بعيد كل البعد عن صفة الرسمية بحيث يستطيع فعلاً أن يقيس الرأى العام .

لقد ذكرت سيادتكم الآن أنك فوجئت بأحداث الطلبة ، ونحن أساتذة الجامعة لم نفاجأ بها إطلاقاً وإنما — وأقولها الآن — ستتفجر هذه الأمور بين أوساط الطلبة ما لم تعالج المسائل جذرياً ، هناك خطأ جذرى وأخطاء جذرية قد يستطيع الطلبة التعبير عنها وقد لا يستطيعون ، خاصة وأن الطلبة جمهور يتجدد كل عام ويأتى جمهور جديد ، إذن هى مشكلة شباب أكثر مما هى مشكلة طلبة جامعة القاهرة أو الاسكندرية أو عين شمس الآن ، هى مشكلة شباب يوجد تحت ظلم عوامل معينة وأنظمة معينة ، وقطعا — كما ذكرت — لم يفاجأ أساتذة الجامعة بهذا وإنما كنا نتوقع ذلك .

أذن المسألة ليست أن جهة معينة انفجرت أو غالت فى الانفجار ، المسألة أننا ننادى بالحلم ولكن مجتمعنا للآن لم يدرس علمياً ، وهو مالا بد من دراسته علمياً ، ولابد من أجهزة تجميع المعلومات بحيث نستطيع أن نبدأ بها بداية علمية صحيحة ، ولنعود مرة أخرى الى الاتصال المستمر بين من هم فوق ومن هم تحت ولا يمتنع الاتصال من فوق الى تحت ولكن لا يكون هو الغالب وإنما يكون الغالب من تحت الى فوق .

هناك أيضاً مسألة فرعية وهى مسألة الحقيقة التى تقال للشعب ، الواقع أن هناك الآن اتجاهات كبيرة يلمسه الشعب فى أن الحقائق تقال للشعب إنما بكل أمانة واخلاص أقول أن الشعب خصوصاً أوساط الطلبة يشعرون أن ما يقال

ما يقرب من ٨٠ ٪ أو ٧٠ ٪ أميين ، فإذا عبرت القاعدة عن نفسها وكما تفضل السيد السكرتير الاول وقال إن هناك رأياً عاماً ، نعم هناك رأى عام سليم ١٠٠ ٪ فى المشاكل العامة والمشاكل الجوهرية ورأى عام وجوه نقى الى أبعد الحدود ، ولكن هل هذا الرأى العام فعلاً وجه أو أعطى مواد معينة وأعطى التدريبات المعينة لتكون له عضلات أقوى من مجرد التفاعل فى القضايا الهامة .

وانى على ثقة انه بمجرد أن يدق ناقوس الخطر ويوم أن نشعر أن أول فتيلة القيت أو أول مدفع ضرب سيبدل الشعب الغالى والرخيص فى هذه المعركة دون أى تنظيم ودون الاتحاد الاشتراكي .

ولا شك أيضاً انى اذا عرضت مشروع الملك حسين على ريفى فى الارياف وفهمته ما هى القدس الخارجية دون تحيز لمجرد المعلومات سيعطينى رأياً سليماً ١٠٠ ٪ ، لكن هل عذا هو ما أطلبه من الرجل المكون للشعب المصرى ؟ .. أريد أن تكون له عضلات تفكير وعضلات وعى وعضلات انتباه وعضلات ترجمة آراء الى تعبير معين وإلى صيغة معينة ، فهو يتحسس حاجيات البيئة ولكنه عاجز عن أن يرسل للطريق السذى تلبى به حاجات هذه البيئة ، فليست حاجات البيئة ملايين من الجنيهات تعطى لبناء مدرسة أو تطوير مستشفى .. الخ ، ولكن الأهم من هذا هو لماذا لم نقم هذه المستشفيات للآن وما الذى جعل هذه المسائل البدائية — بعد عشرين عاماً من الثورة — مازالت هى احتياجات الشعب ؟ ما هو السبب الرئيسى ؟

أجد يومياً فى الجرائد محاكمة لرئيس مجلس إدارة شركة أو أبعاد مجلس إدارة شركة بأكمله ليست هذه أحوال فردية إنما هى ظاهرة عامة ، فهل فرست هذه الظاهرة على واقع الطبيعة ؟ هل درست أحوال الشركات ؟ هذا هو عمل الاتحاد الاشتراكي فى نظرى من الناحية العلمية ومن الناحية النظرية .

أما فكرة أن نبلور ما هى اشتراكيئتنا وفكرة أن نفلسف أهداف وتخطيط الفكر الاشتراكي أو العمل فى الاتحاد الاشتراكي بحيث يكون له خطة علمية ، أخشى ما أخشاه أن نعود مرة أخرى الى شكل ربما ديمقراطى أكثر الى فرض من فوق لتحت ، مرة أخرى لا بد أن تكون هناك فعلاً مشاركة شعبية لتجنب فكرة أننا باستمرار نجد الأمور جاهرة أو مسائل معدة نشارك فيها



أحمد عباس صالح

لذلك فاني أبدى اقتراحا محددا وهو لماذا لا تجتمع اللجان على شكل مؤتمر ؟ ولو أن عبارة مؤتمر كبيرة إلى حد ما ، ولكنه بشكل تنظيمي نسميه مؤتمرا المؤتمر ، وأمامه مهمة لجنة العمل وهي محددة بأربع نقاط أو خمس منها النقطة الأخيرة وهي أعداد دليل عمل فكري وتنظيمي .

ويعد الاجتماع الذي تجتمع فيه كل اللجان وتثار فيه الآراء في مناقشة عامة حول الموضوع كما سهاها السيد السكرتير الأول ثم ينقسم هذا المؤتمر نفسه إلى لجان كل لجنة تختص بنقطة من النقاط الفرعية الموجودة في مهمة لجنة العمل .

أعتقد في هذه الحالة أنه يمكن أن تختصر مدة الشهر وأن نصل إلى نتائج أسرع وأفضل ، هذا اقتراح أعرضه فيما يتعلق بالنقطة الشكلية .

وبالنسبة للنقطة الموضوعية فهي خاصة بالمناقشات القيمة التي دارت في هذا الاجتماع ، فأولا هو أن هناك نوعا من المجاملة أو أكثر من مجاملة بمعنى أن تشكيل كل لجنة قد مثلت فيها بذكاء القياسات المختلفة الموجودة في المجتمع المصري ، وبالفعل ففي هذه اللجنة تيارات مختلفة ، وباستعراض أسماء أعضاء اللجان الأخرى تجد أن فيها تيارات مختلفة .

أذن هنالك اعتراف واقعي باختلاف الآراء واختلاف وجهات النظر بدليل أننا عندما نشكل لجنة نراعي فعلا أن يكون هذا التمثيل موجودا وهذه خطوة ديمقراطية وعملية ، ولستكننا نريد

لهم ليس كل الحقيقة وهذا أيضا عيب هام ؟ إذ لا بد أن تكون الحقيقة وكل الحقيقة واضحة أمام الشعب .

وكما تفضلت سيادتكم هذه نقطة تسألون عنها ولكن الرد عليها لا يمكن أن يكون علنا ولا يمكن أن يقال ، ولكن بكل وضوح كم ذا من الاثاعات كم ذا من الاخبار الداخلية والخارجية تتداول ويسمعا الناس وهي محظور الاشارة اليها في الصحف الى الان واخبار داخلية .

هناك أيضا مسألة هامة وهي فكرة أن الاتحاد الاشتراكي لم يعد يكسب ثقة الجماهير ، فلكي يكسب الاتحاد الاشتراكي ثقة الجماهير — إلى جانب كل ما عرضه الزملاء — أرى أن يتحرر نهائيا من العمليات التي تدرس بأي تنظيم سياسي وهي حشد الجماهير — كما ذكر الأستاذ سعد الدين وهبه — لاستقبال أو لعدم استقبال أحد الضيوف في أي ظرف كان ، ولا بد أن نجعل الشعب يحتفل بمن يريد أن يحتفل به ، ويمتنع عن الاحتفال بمن لا يريد أن يحتفل به ، وإذا كان الزائر الكريم يأتي إلى مصر ولا يجد الشعب على جانبي الطريق يستقبله بالتهليل وبالاعلام فلا بد أن يعلم أن الشعب مشغول بكثير جدا من الأمور التي تمنعه من أن يقف في أي مكان ليهتف لاي زعيم كائنا من يكون . وشكرا .

● أحمد عباس صالح

في الواقع أريد أن أتكلم في نقطتين ، النقطة الأولى شكلية والنقطة الثانية موضوعية .

النقطة الشكلية .. هي أن تشكيل اللجان التي شكلت — وكنت من بين أعضائها — قام أيضا على فكرة الفئة ، بمعنى أن هناك لجنة للادباء والفنانين ولجنة سياسية ولجنة للدعوة والفكر .. الخ .. ، وفيما أعتقد أنه جزء من الخطة التي سرنا عليها بالنسبة لتجميع الفئات داخل الاتحاد الاشتراكي ، وإذا لاحظنا المناقشات التي دارت في هذه اللجنة فسنجد أنها لن تختلف عن المناقشات التي ستدور في أية لجنة أخرى من اللجان المختلفة والتي أسست على الأساس النوعي .

وفيما يدور أيضا أن هذا التشكيل مضيعة للوقت ، لأنني لاحظت أنه يبدأ من ٢٤ مارس أو ٢٦ مارس وتنتهي جميع اجتماعات اللجان كل على حدة يوم ٢٤ من أبريل أي أن كل لجنة على حدة تناقش لمدة شهر بالكامل نفس الموضوعات ولعلها تخرج بنفس النتائج .

الفكرة ، ولكن من تحويلها الى شيء مفترض الى شيء واقعي وحقيقي ، بمعنى أننا « نفك » الاتحاد الاشتراكي ، ومعنى « نفك » أننا لا نحله ولكن نعيده لاصوله بمعنى أن كل تيار داخل الاتحاد الاشتراكي يؤسس ويقام على الاساس الايدولوجي ، ثم يتم بين التيارات السياسية الفكرية التي سيسفر عنها هذا الاتجاه أن يكون نوع من الجبهة أو الوحدة الوطنية من فروع ثلاثة محددة .

وأقول بصراحة أن هناك تيارا اشتراكيا علميا السذي يقول عليه الدكتور كمال أبو المجد الماركسية ، وهناك تيار آخر يمكن أن يقال عليه التيسر اللبرالي على سبيل المثال ، ويمكن أن يكون بين الاثنين تيار وسط .

فما الذي يمنع أن ينشأ فعلا داخل الاتحاد الاشتراكي هذه التيارات وتحقق بشكل ديمقراطي باتجاه معين داخل اطار الاتحاد الاشتراكي ، وأن الجماعة الذين يسمون أنفسهم « ايدولوجية ماركسية » يكون موقفهم من الحركة محددا في نقاط معينة ، أيضا يكون موقفه ما يسمى باللبرالية محددا في نقط معينة ، ثم تجتمع هذه التيارات لتضع شكلا متفقا عليه أو نوعا من التنازلات المشتركة بمناسبة الظروف التي نجتازها وهي ظروف قضية التحرر الوطني .

وهذا سوف يحل لنا مشكلة حرية الصحافة إذ ما هي مشكلة حرية الصحافة ؟ هل بشكل مطلق أن الاتحاد الاشتراكي يملك الصحف ، كيف تدار الصحف ؟ وما الآراء التي تعبر عنها الصحف ؟ نحن بصراحة نجد أن الاهرام لا يختلف عن الاخبار ولا عن الجمهورية ولا عن المساء ... لماذا ؟ لأنه نوع من الخوف أو الاتفاق الضمني بأننا نكتب ونتكلم أو يحدث كما قال الدكتور حسين فوزي كلام في كلام ، لكن إذا قسمت الامانات وفترض هنا أننا سمينا الحزبيات التي ذكرها الدكتور حسين فوزي أمانات ، وكل أمانة لها منبر ولها صحيفة ، تختار صحيفتها والكتاب المعبرين عنها وتكون الجريدة لها لون ولها اتجاهات وليست في حاجة الى ضغط من الخارج أو الداخل أو أي خداع أو تفاهة في الحالة الاجتماعية التي نحن فيها .

بهذه الطريقة أيضا تحل مشكلة الصحافة لأنها في هذه الحالة تكون معبرة عن تيار واضح جدا وكل تيار له أهدافه ، وفي اطار الاتفاق بين هذه القوى على أساس أن أهم قضية وأخطر قضية نواجهها الآن هي قضية الاحتلال ، إذا أننا حاليا لا يمكن أن نتحرك وعلى سبيل المثال :

أن نأتي الى مرحلة أبعد وأكثر صراحة وهي فعلا أن يمثل الناس كتيارات .

وهنا أعود للنقطة الاولى الخاصة بالتنظيم ، فالاتحاد الاشتراكي يمثل بطريق فتوي ، وعلى سبيل المثال العمال والفلاحون والمثقفون والرأسمالية الوطنية ... الخ . هذا التمثيل قائم على الطبقة أو الفئة وهو في الواقع تمثيل غير سياسي ، ونحن نريد تمثيلا سياسيا بمعنى أن التجمعات الشعبية تتجمع وراء فكر سياسي وايدولوجية سياسية ، فكر معين متكامل له كل وجهة نظره وفلسفته من الممكن أن ينضم تحت هذا الفكر كل من يعتقد أو يؤمن بهذا الفكر سواء كان من طبقة العمال أو المثقفين أو أي طبقة أخرى .

على سبيل المثال نلاحظ في الاحزاب الشيوعية أنه من الممكن أن يوجد في الحزب مليونير ولكن له تاريخ في النضال الشيوعي ويعتبر من ائمة القيادات الحزبية ، وعلى العكس فمن الممكن أن نجد في تنظيم رأسمالي بعض الفئات العمالية ، أي أن التحديد الطبقي على أساس الفئة ليس تحديدا علميا في الواقع إنما هو افتراض لتعترض ... أن طبقة العمال بشكل مطلق هي ممثلة بفكر عمالي معين ، وهذه مسألة أشبه بالتنظيم النقابي منه بالتنظيم السياسي .

من هنا فإن ما طرحه الدكتور حسين فوزي وقال عنه حزبيات اعتقد أنه صحيح ، ولكننا نعمل تحفظا اعتقد أن السيد الدكتور حسين فوزي غير مخالف فيه وهو التحفظ الذي ذكره الزميل حمدي غيث أن التنظيم هو الاتحاد الاشتراكي وأننا اجتزنا مرحلة كما يقول الدكتور كمال أبو المجد - مرحلة التوافق أو الاتفاسق النسبي بين مصالح لا أقول طبقات أو فئات اجتماعية تمثل في فكرة الاتحاد الاشتراكي وبصحيح العبارة يكون فيه الرأسمالية الوطنية والمثقفون والعمال والفلاحون ... الخ .

أي نفترض أن هناك مصالح معينة تدرج تحت ما يسمى بالاتحاد الاشتراكي ، هذا الاطار الموجد من الأفضل أن نحفظ به بمعنى أن المرحلة الماضية تحددت أي أن يكون اتفاقا أو تحالفا بين هذه الطبقات المفترضة لأنه في الواقع لم يتكون كل تيار من هذه التيارات ، أو كل ايدولوجية أن صحت العبارة تكوينا طبيعيا إنما افترضنا أن المجتمع الذي يقبل التطبيقات الاشتراكية التي سرنا فيها في المراحل السابقة هم هذه الطبقات ونحن نريد أن نوافق على هذه

سابقة وهذا حادث الى حصد ما وتصورى انه حادث حتى الان، لان اللجان الثلاث التى عملنا معها حتى الان تتشابه وهى لجنة الشئون السياسية ولجنة الدعوة والفكر ولجنة الادباء والفنانين وطبيعتها تتشابه .

والواقع ان الفكرة ليست جديدة فقد كانت هناك فكرة بان تضم هذه اللجان الثلاث بالذات فى نقاش واحد ، ولكننا فضلنا هذه الطريقة لانها تجعلنا نستطلع العمق اكثر ، ثم بعد ذلك سنجتمع هذه اللجان الثلاثة .

أما لماذا لا نجمع جميع اللجان فى شكل مؤتمر فذلك لاننا على سبيل المثال عندما نناقش صلة النقابات العمالية بالاتحاد الاشتراكى نحس ان نسمع رأى النقابات العمالية كما هو ، ولا أريد أن يكون العامل قد تأثر بمجموعة فى المؤتمر أو يخجل من أن يقول رأيه ، ومن هنا نجتمع بالعمال ، وأيضا نستمتع الى الفلاحين فى التعاونيات ولكن فى النهاية سوف ينعقد المؤتمر هذه هى النقطة الاولى .

وبالنسبة للنقطة الثانية فرجاؤنا من السادة الاعضاء وهذا الرجاء قادم لاعضاء اللجنة السياسية وقدم لاعضاء لجنة الدعوة والفكر بأن يقدموا لنا آراءهم علوة على الاراء التى قدمت اليوم ، لان هذه الاراء جميعها مسجلة وتفرغها فى النهاية كتفريغ مجلس الشعب ، ومن له رأى فليقدم به مكتوبا ونحن نرحب بهذا الرأى ، وبعد ذلك سنجتهد فى اجتماع اللجان الثلاثة التى ستجتمع فى اجتماع واحد بمعد أن تنتهى من اجتماعات العمال والفلاحين .

ونحن نريد أن نصدر توصيات كما ذكرت سيادتكم تماما ، فاللجنة تملك اصدار التوصيات ولجنة العمل نفسها لا تملك الا اصدار التوصيات ولا أكثر من ذلك . . . والسكرتير الاول مكلف باعداد تقرير لا أكثر من هذا ، وتقديره فى هذه الحالة يعد ممثلا لرأى الاغلبية التى اشتركت فى هذه اللجان ، واعتقد أن هذا نظام يوافقك بأن نأخذ ثلاث لجان بدلا من أن نأخذ المؤتمر .

● سعد الدين وهبة

بالنسبة لرأى الاخ عباس صالح يمكن أن يعود بنا هذا الرأى الى الحديث لبداية الجلسة وربما يكون أيضا فى هذا الرأى رد على الدكتور دكرورى الذى ضاق بالفلسفات ثم ثبت أثناء الجلسة انها ضرورية جدا حتى يكون هناك مسار .

مسألة تعبئة الجماهير ، ان تعبئة الجماهير تحتاج الى عملية صريحة بأن نعبأ الجماهير على أسس وعلى برنامج ، لمن انضم أنا ؟ انى موافق على صيغة الاتحاد الاشتراكى ككل بمعنى مطلق ، وموافق على التحولات الاشتراكية . . . ولكن أين أنا ؟ لا بد أن يوجد شكل تنظيمى يمثل فيه الانسان ويتقدم الى الجهة التى يريد أن ينضم فيها الى هذا البرنامج ، وأن يكون عضوا منتظما فى هذا التيار وأن يكون أيضا له رأيه وله سلطة الاشتراك فى اصدار القرار وهو ما عبر عنه الدكتور كمال أبوالمجد بالمشاركة فطالما ليست هناك مشاركة وطالما أننا نتكلم فقط - كما قال الدكتور حسين فوزى - أننا نتكلم فى الحجرات وفى كل مكان ، لكنى أريد أن أكون موجودا بشكل ايجابى أعبر عن رأى ثم تؤخذ الاصوات على هذا الرأى ويصدر بشأنه قرار .

نحن لا نعلم ما هى حدود اختصاصات لجنتنا لان ، فمن الممكن ان تصدر توصيات ، ثم ما هو الشكل التنظيمى الذى تصدر به التوصيات ، وبطبيعة الحال نحن نعلم أننا لجنة استشارية وأن التوصية تقدم الى الجهة المسئولة التى تعمل بها أو لا تعمل بها ، لذلك لا بد أن نكتشف طريقة لننتهى الى شكل عملى وهو كيف نصدر توصيات محددة وما هو مصير هذه التوصيات ؟ هذه خطوة عملية وينبغى مبدئيا أن نناقشها قبل الخوض فى المناقشات فى المجالات الأخرى .

اذن حتى لا يتشتت الكلام فالخطوة الاولى انى أقترح أن يعاد تنظيم اجتماعنا وهو أن نجتمع فى شكل مؤتمر وأن المؤتمر يناقش شكله التنظيمى وهل سيشكل على أساس ثلاث أو أربع لجان وما هى موضوعات عمل اللجان ؟

ثانيا أن المسائل الموضوعية التى ستطرح أعتقد أنى متنازل عنها لانه اذا تم التشكيل على أساس هذا الاقتراح التنظيمى فمن الممكن أن تطرح جميع القضايا التى طرحناها على أساس أن هذه القضايا ستنتهى الى توصية أو الى أوراق عمل تقدمها ، وتوصى بأن يكتب كلام ويعرض فى شكل اقتراح أو تقارير وتؤخذ الاصوات عليه فى النهاية . وشكرا .

● السكرتير الاول

أود أن أرد على النقطتين اللتين اثيرتا ، النقطة الاولى التى أشار اليها الاخ وهى أن اجتماع هذه اللجنة قد يكون تكرارا لمناقشات

انه لا بد ان يكون هناك خلاف ، فعندما تنزل الاوامر من أعلى لكي تنفذ يكون موقفى أحد اثنين ، اذا كتبت متفقاً معها أنفذ واذا كنت غير متفق أكون سلبياً ، وجزء كبير جداً من سلبيات الجهاز السياسى فى الفترة الماضية ترجع الى أن هناك آراء فيها عنصر الالتزام ، فلما أن أكون منافقاً سياسياً وأسير مع كل رأى ينزل من قيادة التنظيم ، واما أن أتخذ موقفاً سلبياً وأقف موقف المتفرج ، .. إذن اعترافى بوجود خلاف فى الرأى هو الذى سيؤدى الى قيام حرية حقيقية داخل التنظيم بحيث يستطيع كل انسان أن يعبر عن رأيه .

انى أقول هذا وأنا مقتنع بأن التحالف هو أحسن صيغة يمكن أن توصلنا لاهدافنا ليس فى هذه الفترة فقط ولكن منذ بداية العمل بالميثاق ومنذ اقامة التنظيم ، ان الخطأ الذى حدث هو خطأ فى التطبيق اذا افترضنا أن كل الناس على رأى واحد وافترضنا أن هذا التحالف قد تم فعلاً وبالنسبة لما ذكره السيد السكرتير الاول عن المجتمعات الاخرى التى اعتبرت المهندس الزراعى عاملاً ولم تجد أن هناك تناقضاً بين المهندس والعمال الزراعى والفلاح فإن هذا قد نتج عن اننا لم ننجح حتى الآن فى خلال هذه السنوات العشر أن نذيب الفوارق بين الطبقات فاصبح الفرق كبيراً جداً فى بلدنا بين العامل والمهندس أو بين الفلاح والمهندس الزراعى ، أى أن هناك اختلافاً فى الحياة وفى المستوى المادى واختلافاً فى المستوى الثقافى لاننا فعلاً رغم وجود الانجازات الكثيرة لم نستطع أن نصل الى درجة اذابة الفوارق بحيث أن نقر بهم فكراً أو ثقافياً لبعضهم البعض ، وربما يمكن معالجة هذا باقتراح الدكتور خلف الله وهذا عنصر أساسى أو مهمة أساسية من مهام الاتحاد الاشتراكى فى عملية تنمية الوعى ، أو أية تسمية من التسميات .

إذن من وجهة نظرى فالتحالف صيغة مناسبة جداً لمجتمعنا وفى خلال هذا التحالف لا بد من الاعتراف بأن بين القوى آراء متعارضة ، وبين الأفراد أيضاً داخل القوى الواحدة ، واذا اعترفنا بهذا يكون من حق كل قوى داخل هذا التحالف أن تعبر عن رأيها بوسيلة تعبير سواء بشكل المؤتمرات أو عن طريق الصحافة أو بأى شكل من الأشكال ، ولكن لا بد أن نعترف بذلك وهذا هو الذى يسمى حق الفرد واستطاعته أن يشعر بدور الحرية الذى يستطيع به أن يعبر عن نفسه ويعبر عن القوى الاجتماعية التى ينتسب إليها دون أن نضخم فى الصراع ودون

ربما كانت كلمة فلسفات أكبر من اللازم والمطلوب ، أن فى أى تنظيم سياسى أو فى أى مجتمع أن يكون هناك اتفاق على هدف يوضع فى شكل نظرى ، وربما كانت كلمة نظرية ككلمة فلسفات كلمة عريضة الى حد ما ، نحن حقيقة لنا نظرية موجودة ، ونحن نقول أيضاً دون تفريعات كثيرة أننا اخترنا طريق الاشتراكية لتحقيق أهداف المجتمع واخترناها أيضاً اشتراكية من نوع خاص ، اشتراكية بالشعب أى من المفروض أن تشترك جميع الجماهير فى تطبيق الاشتراكية ، وربما اذا كنا قد اخترنا اشتراكية من نوع آخر كنا لا نحتاج الى تنظيم سياسى ، وبما أننا قلنا ان اشتراكييتنا يحققها الشعب ، إذن فنحن فى حاجة الى أن ننظم الشعب فى شكل معين يحقق الاشتراكية ، لان التنظيم بمعناه البسيط هو طريقة تحقيق أى هدف من الاهداف ، وقد اخترنا شكل التنظيم أيضاً عندما قلنا بالشعب وليس بالحكومة ، لان هناك مجتمعات أخرى تختار بأن تحقق الحكومة لها الاشتراكية .

وربما كان السبب الاساسى فى كثير جداً من الاخطار التى أشار اليها بعض الزملاء والتى أشارت اليها الدكتورة سهير القلماوى فى تطوير أو تطبيق النظام الاشتراكى هو أن الشعب غائب عن التطبيق الاشتراكى أو التنظيم السياسى غائب غياباً كبيراً جداً ويترك العبء كله للحكومة ولذلك تقع الأخطاء الكبيرة فى عملية التطبيق . وعندما نقول أن الشعب كله يشترك فى تحقيق هدف المجتمع الاشتراكى نقول ان الشعب عبارة عن قوى كما ورد فى الميثاق ، وفى التنظيم السياسى جابهنا هذه القوى وتجاهلنا وجود التناقضات التى تكلمنا عنها ، وهنا لا نريد أن نبالغ فى التناقضات ولا أقول انها تكون صراعاً خطيراً وتهدد كيان المجتمع ، ولكن لا بد أن نعترف بوجود هذه التناقضات ، لا بد أن اعترف اننا عندما نجتمع ببعض النقابات المهنية يقول أحد نقباء النقابات المهنية لا تمنحوا العمال والفلاحين نسبة الـ ٥٠ ٪ من مقاعد مجلس الشعب ، هذا معناه أن هناك رفضاً لحق من حقوق قوى الشعب الموجودة ، أى أن هناك خلافاً حتى فى المسائل الاساسية التى من المفروض أنها حسبت بالميثاق ووثائقنا .

إذن هناك خلاف وما دام هذا الخلاف موجوداً فلا بد أن يكون هناك تعدد للآراء وبالتالي فلا تكون هناك طريقة الالتزام التى سار عليها الاتحاد الاشتراكى فى الفترة الماضية ، فلاتكون هناك ورقة تنزل من الاتحاد الاشتراكى تلزم جميع الاعضاء بالتنفيذ ، لماذا ؟ لان المفروض

أن نتجاهل أيضا أن هناك تناقضا موجودا ،
وإذا كانت كلمة التناقض كبيرة الى حد ما نقول
أن هناك خلافا بين القوى الموجودة داخل
التحالف .

● الدكتور محمد دكرورى

انا مع الاخ سعد فى انى ضاقت بكلمة
الفلسفات ولو أن دراستى أصلا فلسفة ومبعث
ضيقي ربما يكون من ثلاثة مصادر :

المصدر الاول : انى عشت صناعة هذه
الفلسفات وتطبيقها وأتكم من واقع الممارسة .

المصدر الثانى : انى أشعر كابن من أبناء هذا
الشعب أتكم بصراحة وبصدق وباخلاص مايقوله
غالبية هذا الشعب على المصطبة وفى الدوار
وفى القهوة وفى النادي وفى المكتب .

المصدر الثالث : هو انه لم يكن هناك اخلاص
ممن اشتركوا فى تنفيذ هذه الفلسفة بالنسبة
لما جاءت به هذه الفلسفات ، أنا أقول قليل من
الفلسفة .

أنا لا أقول أننا نعيش بلا فكر يحكمنا وبلا
نظرية ، نحن لدينا جملة من الافكار تمثل حدا
أدنى من الاشتراكية ، أما الاختلاف فهو الحد
الاقصى الذى يختلف من فكر الى فكر .

هناك اشخاص يقولون أن الاشتراكية العلمية
معناها الماركسية وأن الاشتراكية الحالية هى
مرحلة من المراحل حتى يمكن من خلال المسيرة
بأسلوب أو بآخر أن تحقق الاشتراكية العلمية .

أن كلنا نعلم أن الصياغة الخاصة بالميثاق
صياغة مرنة ويمكن أن يفسرها كل منا حسب
انتماءاته الفكرية وحسب ميوله واعتقاداته
وحسب رؤياه لمصلحة هذا البلد .

وأخشى أن ننغمس فى متاهات الفلسفة ،
التي نعلم كلنا أنه يمكن أن نظل فى الحوار فيها
بدلا من الشهور سنوات ، خاصة مع الذين
صناعتهم الكلام أو الذين يعتقدون أنه من الممكن
أن تأتى سعادة الانسان بالفكر فقط ولا يكون
تصورهم أن هناك واقعا يحكم وليس عقيدة
تقيد الناس ، فنحن لا نرضى أن تكون لنا
عقيدة تقيدنا ، ولذلك فأننا نقول أننا شعب
به قطاعات كبيرة من الجاهير ، فما هو هدف
هذه الجاهير ؟ أننا نريد أن نخلق حدا أدنى

يمكن أن يعيش فيه المواطن كما يعيشه
الحيوان فى مجتمع متحضر ، الحيوانات فى
المجتمعات المتحضرة تعيش أحسن ما يعيش
الانسان المصرى .

اننا نريد أن يعيش المواطن المصرى عيشة
كريمة ويكون له حد أدنى من بيت يستتره ويأويه ،
حد أدنى من لقمة العيش وجد أدنى من العلم
والعلاج .

كيف يتحقق كل ذلك ؟ هل نشبعه بفقسه ؟
أو هل نعطى له فلسفة ؟ أو هل نعطى له عقيدة ؟
هل ندخله فى متاهات ؟ أننا نقول أننا متفتحون
بلا تعثر لكل فكر ولكل تجربة ولكن الذى يحكمنا
هو واقعنا وهو أرضنا وطبيعة شعبنا .

أن شعبنا يريد عملا كثيرا وليس كلاما كثيرا ،
وقبل أن يموت الرئيس عبد الناصر قال أننا
نريد عملا كثيرا وكلاما قليلا وكذلك الرئيس
السادات قال أمس فى القاعدة الجوية كنانا
فلسفات ونحن أمام معركة .

نحن كلنا أخوة وكلنا مخلصون لبلدنا ،
وكلنا نتناقش وكلنا نحاول أن نصل الى أنسب
الصور التى يمكن أن تحقق لمجتمعنا المستقبل
الذى يريده .

اننا فى هذه المرحلة محتاجون الى الوحدة
الوطنية ، فالمعركة قد تفاجأ بها فى أى لحظة
ولا يجوز من خلال الاختلاف فى بعض الافكار
أن تتفتت قوانا أو نزرع بعض الفكر احياء أو
تلميحاً أو تصريحاً مما يؤدي الى زيادة من
المشاكل التى نراها فى مجتمعنا اليوم والتى
بدأت تظهر فى بعض الفئات بصورة تلقائية أو
بصورة موحى بها أو بصورة متدخل فيها بطرق
كلنا لا نجهلها .

اننى أقول أننا لا يجب أن نفرق فى فلسفات
تستغرقنا ولا بد أن يأتى اليوم بعد أن نجتاز
هذه المرحلة لنجلس سويا ونعيد النظر فى الميثاق
فالميثاق ليس نظرية وهو مجموعة أفكار ، واننى
أقولها مقدما أن شعب مصر لا يختلف فى الحد
الأدنى للاشتراكية .

وبالنسبة لموضوع الطبقات فأننى لا أرى
الصراع بالصورة الملحة ، فالصراع الموجود اليوم
هو بين الشعب ونفسه ، بمعنى أنه ليس ممثلا
فى القوى الحاكمة ، ومهمة الاتحاد الاشتراكى
هى عملية التحسين فى العلاقة ، بمعنى أن
مجتمعنا فى القرية — وكلنا من الريف —
لا يشكو من الاقطاع والتسلط ، فلم يعد هذا
فى مجتمع مصر ، بل بالعكس أن أكثر شكواه من

نحصر الفكر وتبادل الفكر حتى نصل الى مستوى المعيشة التي نريد أن نحققه لشعبنا .

فيما يخص الايديولوجية والميثاق، ففي الحقيقة أن الميثاق له مصادر فكرية مختلفة ، وهو برنامج عمل المفروض أن تقبله كافة الاطراف ولكنه في الحقيقة بعد التجربة ثبت أن عددا من الطبقات لا تقبله ، فلو أننا بدأنا فعلا نعيد النظر في قضية الايديولوجية في المرحلة الحالية فأننا سندخل في صراع لأن هناك اتجاهات فكرية مختلفة حتى الميثاق نفسه به اتجاهات فكرية مختلفة لأن مصادره فعلا مختلفة .

لكن كما ذكرت الدكتورة سهير التلماوي فإن القضية الرئيسية التي تحمى أي تنظيم في العالم هي وضع هدف واضح ، فلو نظرنا الى جميع التنظيمات الموجودة في العالم نسنجد أنها بقيت في مراحل تحد ، فالحزب الصيني بنى في مرحلة المسيرة الطويلة ، والاتحاد السوفيتي بنى في مرحلة تطبيق الاشتراكية ، كما أن الأحزاب التي ظهرت في أوروبا كانت في معركة التحرر ضد الاحتلال النازي ، بمعنى أنه لا بد أن يكون هناك تحد ، ومثل هذا التحدي متوفر لدينا في الوقت الحاضر ، فأمامنا قضية المعركة وهي القضية التي تطرح نفسها الآن والتي تحتل الجانب الأكبر من تفكير الشعب المصري ، فإذا لم يستطع الاتحاد الاشتراكي أن يعبئ الشعب للمعركة ويبين له هل هناك حرب من عدمه ؟ فإذا كانت هناك حرب فيوضح له كيف سنحارب ومتى وماذا نفعل لكي نحارب ؟ أو لماذا نحارب أصلا ؟ فهذه هي القضية التي تطرح نفسها بصورة عاجلة والتي تؤكد أن هناك صراعا طبقيًا وهو موجود فعلا ولكن لا يشترط أن يتخذ مظهر القوة ، بل يمكن أن تكون له أشكال متعددة .

فالمشكلة التي تواجه مصر اليوم بمد مضى أربع أو خمس سنوات على العدوان هي أننا إذا قمنا قوتنا من الناحية العسكرية نسنجد أننا أقوى من سنة ١٩٦٧ ، لكننا أضعف سياسيا وسبب شعورنا بهذا الضعف هو أن الصراع الاجتماعي ينعكس على طريقة حل القضية الوطنية .

والمفروض في الاتحاد الاشتراكي كقيادة سياسية أن يحاول حل قضية انعكاس الصراع الاجتماعي على القضية الوطنية ، وهذه هي نقطة البداية التي نريد أن ننطلق منها ، فالصراع الاجتماعي يمثل المصالح الطبقيّة المتعددة الموجودة

بعض الفئات التي نشأت في ظل الخط الاشتراكي كذلك فإنه يشكو من الري ومن الوحدة الصحية ومن الجبهية التعاونية ومن المدرسة .

اذن فليست المسألة مسألة صراع طبقي ، فهذا غير موجود وأن المسألة كما قلت هي أن التنفيذ في مصر يحتاج الى نوع من العلاج .

كيف يأتي العلاج ؟ .. العلاج يأتي من طريق الاتحاد الاشتراكي وفي اعتقادي أن هدف المرحلة الحالية من هذه اللجنة — وهي جزء من لجنة العمل الموسعة — أن تبحث عن الصيغة المسكنة حاليا لنقدم بالاتحاد الاشتراكي في صيغة التحالف في هذه المرحلة ، ليزيد من كفاءته حتى يمكن أن تدخل في الهدف الأول وهو مواجهة الاحتمالات المقبلة .

لقد ندخل المعركة ، وقد نفاجأ بأن العدو يهجم علينا في أي وقت من الاوقات ، لذلك فأننا نريد شعبنا متماسكا له قيادة تقوده بأكثر قدر ممكن ، وتحت خطوط كثيرة من الكفاءة .

النقطة الثانية .. هي أن صيغة هذه اللجنة في هذه المرحلة ليست إعادة النظر في الايديولوجية .. لماذا ؟ لأن هذا لا يأتي في اجتماعات تتم خلال أيام ولكنه يحتاج الى وقت طويل وتجهز له أولا دراسات تطرح ونقاش لا بد أن يبدأ من رجل الشارع في القرية وفي المصنع وفي المتاهي وفي كل مكان ، وهذا ليس وقته .

نحن نقول « في حدود الموائيق التي تحكينا » نريد أن نعطي أكبر قدر ممكن من الفاعلية للعمل السياسي في المرحلة القادمة ولذلك فلا أنكر الفلسفة ولكني أنادي بالآلا تستغرقنا وتأخذنا في متاهات لأن الفلسفات لم تطعم شعبا في يوم ما ولم تسعد شعبا في يوم ما ما لم تكن هذه الفلسفة مطابقة تماما لارادة الشعب وقابلة للتنفيذ .

● خالد محيي الدين

في الحقيقة أن كلام الدكتور دكروري صحيح وأن شعبنا يريد أن يعيش عيشة كريمة ، ولكن لكي نحقق له البيت والكهرباء وغيرها فهذا يحتاج الى فكر ، فالمقصود بالفلسفة هي الفكر وعيننا أننا حاولنا أن نبذل جهدا في التطور المادي دون أن يصحب هذا التطور المادي تطور فكري ، فلا بد أن يشغلنا في هذه الاجتماعات الموضوع الفكري ولا بد من أن

فنحن لا نستطيع ان ننزع سلاحنا فى الفترة الحالية على الاقل .

ففى تقديرى ان هذه القضية هى القضية الرئيسية وهذا الموقف نتيجة لانعكاسات اوضاع اجتماعية ، وانا اتحدث عن واقع رضا من اننى ابن الطبقة الرأسمالية [البرجوازية] لكن فكرى مختلف واختلط بأوساط مختلفة .

هذه تساؤلات ليس فيها ما يعيب لكن المهم هو هل نستطيع الرد على هذه التساؤلات ؟ والدليل على هذا ان منروع الملك حسين لقي استجابة فى اجزاء واسعة من الراى العام وخاصة فى الطبقة الوسطى ، وجزء آخر من الراى العام ضد هذا المشروع لعدم ثقته بالملك حسين ، وهناك قلة تحلل الامور لان فى استطاعتهم ادراك الخطأ من الصواب خاصة وان بيان الحكومة الذى نشر خاصا بهذا المشروع عبارة عن مقالة - لا أكثر - فى جريدة لا تقنع وفى اعتقادى انه لو نشرت مقالة الأستاذ أحمد بهاء الدين لكانت أفضل .

لذلك ارى ان هناك فئة من الشعب خائفة من المعركة وترى ان المعركة تعنى الاستعداد لها بتسليح الشعب ، وهذا يؤدى الى ارتقاء اكثر فى احضان المعسكر الاشتراكى، وبالتبعية سنصل الى اليمين الشرقى ، وهذا الراى موجود .

ولكن يوجد راى آخر يرى اننا حتى لو انضمنا للمعسكر الاشتراكى ، فان القضية الوطنية اخطر من ان يشغلنا الخوف من مثل هذه القضية عنها ، وكل هذه الآراء موجودة فعلا بين الشعب فاذا لم تستطع القيادة السياسية للاتحاد الاشتراكى معالجة هذه القضية فما هى القضية التى سنتبناها اذن ؟

اننى ارى ان الصراع الطبقي يعكس اوضاعا معينة ، فعند مراجعة الموقف الاجتماعى والفكرى لمن يدلى بهذا الحديث اجد انه يختلف عن موقف العامل والفلاح .. اذ ان غالبية العمال والفلاحين تريد ان تجارب وتقاتل ، لكنها ايضا تريد ان تتأكد من انها ستكسب هذه المعركة .

وبالنسبة لموقف الاتحاد السوفيتى منا ، فهو لا يعطينا كل ما نحتاج اليه ، فما هو الطريق البديل ؟ هل نهاجمه ؟ أو نحاول تحسين العلاقة معهم ؟ هذا راى .

والراى الاخر يقول اننا سنكون ضحية الصراع

فى المجتمع ، لان وجهات النظر المختلفة الموجودة فى المجتمع منعكسة فعلا على القضية الوطنية ، وهذا ما نشعر به جميعا وما نلمسه فى كافة المجالات العامة كالبيوت والنوادرى والمقاهى .. الخ . وانا شخصيا كثيرا ما اسمعها .

● السكرتير الاول

هل هذا الاحساس بالنسبة للمعركة ؟

● خالد محيى الدين

نعم .. فهناك راى يتردد فى بعض اوساط المثلمين من الطبقة الوسطى والرأسمالية الوطنية تقول باننا يجب ان نعقد صلحا مع اسرائيل ، ويبررون هذا الراى بقولهم ما الذى يخيفنا من الصلح ؟ والحرب قضية صعبة والظروف التى نمر بها كما هو ملاحظ لاتبين اننا سنحارب على الاقل فى المدى القريب ، فنحن ننفق على الاستعدادات الحربية سبعمائة مليون جنيه سنويا ولم يتضح شىء حتى الان وهذه وجهة نظر ولا أقول انها صحيحة أم خاطئة .

وهناك راى آخر يقول بأن الاتحاد السوفيتى ليس حليفا حقيقيا بالنسبة لنا ، فهو يريد ان يتركنا هكذا - لا حرب ولا سلام - وبهذه الطريقة يمكن ان نتفاهم مع اسرائيل .

وراى ثالث يقول باننا يجب ان نبحث عن نزع سلاح مصر ونعلم للدول منذ الان انفسنا لا نريد ان يكون لدينا جيوش وتلتزم الدول الاخرى بالدفاع عنا لكى نخرج من هذه الازمة .

وهناك راى رابع يرى ضرورة الحرب ولا بد من خوضها لاننا اذا لم نحارب فان مستقبل الاجيال القادمة سيكون ضائعا .

وهناك راى آخر يقول هل نحارب ؟ فاذا لم نكن سنحارب فيجب ان نبحث عن طريقة سلمية .

وراى آخر يقول لا داعى لان نحارب بل يجب ان نستعد بصورة جديده حتى نصل الى حل سلمى بصورة اكرم .

اننى اوضح هذه الصور متوسما الحقيقة ، لانه يجب على الاتحاد الاشتراكى ان يحل ويواجه ويقنع الناس بموقفنا الحقيقى بالنسبة للمعركة وهل نحارب أو نستعد استعدادا كاملا حتى اذا اردنا الحل السلمى نفاوض من مركز القوة ؟

بالانتماءات الطبقة بينما اقول ان مثل هذه المراجعة لا يمكن أن تكون دقيقة في غيبة القياس العلمي .

وفي تصوري أنه يمكن أن يكون ادق عنها في هذه الجزئية التقسيم الذي ذكره السيد / أحمد عباس صالح ، وهو أن هناك انتماءات مذهبية وأشعر أن هناك فئات اجتماعية تخسر بالمعركة ولا تكسب ، في حين أن هناك فئات أخرى تكسب بالمعركة ولا تخسر أو على الأقل ليس لديها ماتخسره إذا لم يصيبها نفع من المعركة ، وكل هذا صحيح علميا أو مفهوم منطقيا ، ولكنني أخشى بصفة عامة أنه إذا ظللنا في الاستمرار على التفسير الواحدى للأمور وأن كل موقف لا بد أن يكون تفسيره في الانتماء الاجتماعي ، فأننا نحجر على حرية الجماهير في التعبير من حيث لا نشعر ، لأننى يمكن أن أكون مذهبيا ونفسا للتصنيف الطبقي أو بما يخالفه — كما ذكر السيد / عباس صالح — فقد أكون عاملا وعندى انتماءات طبقية ، أو أكون كالأستاذ خالد من أسرة غنية لكن ولائى وفكرى يكون لطبقة معينة .

ومع هذا أريد أن أقول أن تعقيد القضية يجعل المواقف محصلة أمور كثيرة جدا ، فإذا كان الأمر قبيل اتخاذ القرار أو بمناسبته فانه يؤدي إلى المسارعة إلى تفسير بأن يعكسه في مواقف اجتماعية ، ويضعف من هذه الخطورة غيبة جهاز اجتماعى راصد للقوى ومواقفها ، وأخشى أن يكون له ضرر بعض الشيء ، فقد يؤدي بى في قضية ما — وسأفترض فرضا جدليا — أنني راض عن مشروع الملك حسين لأسباب أو لآخرى ، ولل قضية كلها بعد أحجمت عن ذكره لأن مجاله هو الشباب .

وأتصور أن من أكر المعوقات الموجودة حاليا رغم التحليل الاجتماعى والسياسى أن الإنسان المصرى والعربى المعاصر محمل بمجموعة من العاهات نتيجة أوضاع اجتماعية واقتصادية معينة تعوق جدا تنفيذ أية مشروعات ، ويمكن تسميته باختصار بتربية الجيل أو باعادة صنع الشباب وما إلى هذا الكلام العام ، وهذا كله مقصود به تدارك مثل هذه الأمور .

لكن اليوم حينما تكون في ذهنى فكرة من هذه الأفكار فأتصور من موقع اشتراكي وليس سوفيتيا ، بل موقع اشتراكي صينى أو موقع اليسار الجديد — وله تصورات مختلفة عن موقف الاتحاد السوفيتى — وننظر إليه على أنه قوة لا تختلف كثيرا عن الولايات المتحدة ، مع

بين أمريكا وروسيا .. وهذه كلها آراء موجودة ولكن يجب مواجهة كل هذه المسائل بصراحة .. وتحديد الاتجاه الذى نسير فيه ، كذلك تحديد موقفنا بالضبط بالنسبة للمعركة ، وكيف نواجهها وما هو استعدادنا بالنسبة لها ؟ لأن الناس ترى مظاهر متعددة في البلد لا توحى أن المعركة جدية ، فإذا وجدت الناس أن الإجراءات جدية فعلا فأنها ستتحمّل الانتظار حتى ولو طال الأمد ثلاثين سنة .

وبجانب هذا يوجد الراى الآخر الذى يدعو إلى التقاهم ، وليس لى اعتراض فى أن أجد نفسى فى لحظة معينة مضطرا للتفاوض مع العدو ، لكن يجب أن اتفاوض معه من مركز القوة .. هذه أمثلة ، لكن القضية الأساسية أن هناك انقساما فى المجتمع تعكسه ظروف الموقف والأوضاع الاجتماعية ، فيجب أن يكون الجزء الرئيسى الذى تركز عليه القيادة السياسية هو هذه القضية .. قضية الفراغ .. فإذا استطعنا أن نعبد الشعب ونوحده فى هذه القضية فسنتظهر فى الاستعداد والعمل القوي والاتجاهات الحريصة على هذه المعركة .. ويمكن بعد ذلك أن تتضح حدود الوحدة الحقيقية فى المستقبل وأوجه اتفاقها واختلافها .

النقطة الأخيرة فيما يتعلق بما ذكرته سيادتكم عن المهندس فى بلغاريا ، ففعلا فى المجتمعات الاشتراكية التى انتهى فيها الموقف إلى الملكية يعتبرون المهندس كالعامل تماما ، لكن هناك قضية أخرى فى مجتمعنا حيث أن ٥٥ فى المائة أو ٦٠ فى المائة من الدخل ما زال يمتلكه القطاع الخاص ، فالقضية مطروحة والمصالح متعارضة وقد كان الهدف من فكرة الرئيس جمال عبد الناصر من تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠ فى المائة هو تعويضهم لعدم وجود أحزاب عمالية تستطيع تمثيلهم ، فوضع هذه الشروط ضمانة لتمثيلهم فى كافة التنظيمات .

● الدكتور أحمد كمال أبو المجد

أننى أتفق تماما مع ما ذكره السيد خالد محيى الدين على أن هناك انقساما حول المعركة، لكننى أختلف معه فى نقطة أشار إليها كل من الدكتور سهير القلماوى والدكتور محمد خلف الله ، فنحن نضطر أحيانا لغياب الوسيلة العلمية أن نقوم بعمل احصائى ضمنى .

فالسيد / خالد محيى الدين لم يتجاوز الحقيقة عندما أشار إلى وجود مثل هذه التيارات لكنه يقول أنه راجع هذا الأمر فوجد أنه يمكن تفسيره

● خالد محيي الدين

اننى لا أقصد الموقف الطبقي ، وانما اتول بموقف الانتماء الاجتماعى والانتماء الفكرى . فلقد ذكرت الاتجاه ولم أذكر الطبقة ، لان الموقف الاجتماعى يختلف عن الموقف الطبقي بالدليل الذى ذكرته ، وهذا رد عما قيل من ان المعركة الوطنية اكبر فعلا من الانتماء الطبقي ، ولذلك فنحن نريد ان نوحّد فى هذا ، فلسو كانت الحرب الوطنية فى الاتحاد السوفيتى قاصرة على الشيوعية فقط لانهم الاتحاد السوفيتى .

لذلك فانى اتول فى هذه القضية انه كانت هناك براعة من القيادة السياسية فى الاتحاد السوفيتى لانها رفعت شعار الحرب الوطنية العظمى واشتركت الكنيسة فى المعركة رغم موقفها منها .

ان الوضع فى المعركة يختلف عنه فى الحياة ، ففى الحياة يمكن ان يعيش الانسان تحت اى نظام لا يرتضيه ، انما بالنسبة للاستشهاد والتضحية فى المعركة فلا بد ان يستشهد الانسان تحت الراية التى يريدّها .

وهذه القضية لا بد من وضعها فى الاعتبار عند الاعداد للمعركة .

وشكرا .

« وانتهى الاجتماع فى الساعة العاشرة والنصف مساءً » . . .

اختلفى شخصيا عن اليسار الجديد فى هذا ، انما من الممكن جدا ان يكون موقفى من هذه القضية او مشروع الاردن او من المعركة نفسها يكون صادرا عن رؤية مذهبية وليس بالضرورة عن انتماء شخصى .

وكل ما اريده من هذا التعليق امرين:

احدهما يؤكد حاجتنا الى اجهزة راصدة .

والاخر هو خشيتى من ان يكون فى التزامنا بتفسير واحد للمواقف ما يهدد بأن يأخذ الحوار مداه .

● عبد العزيز الدسوقي

ردا على ما ذكره السيد / خالد محيي الدين عن ابناء من الفقراء والاجراء والعمال والفلاحين ومصادرى ليست كمصادر سيادته ، فاننا اجلس على هذه المقاهى الشعبية واحتك بعامة الشعب واحب ان اوضح لسيادته انه عندما تبدأ المعركة فعلا فانه سيجد ان الناس جميعا سيهرعون الى النضال والدفاع عن وطنهم .

ان ربط الاحساس بالمعركة وبمصير الوطن مرتبط بالطبقة الاجتماعية غير صحيح ، وهو نفسه يؤكد عدم صحة هذا التصور ، فالتراب الوطنى معتدى عليه ونحن جميعا بكل طبقاتنا وبكل فئاتنا سنقوم لدفع هذا العدوان . وعندما كان النازى يدوس التراب السوفيتى لم يقف الجيش الاحمر يدافع عن روسيا وانما وقفت جماهير الشعب الروسى التى هى اعمق واغزر من تصور فكرى معين يأتى فى زمان معين . وشكرا .

اجتماع اللجنة الفرعية للشباب

٢١ مارس ١٩٧٢

- الدكتور أحمد درويش
 - الدكتور محمد إبراهيم دكروري
 - الدكتور حسن اسماعيل
 - الدكتور عبد الحميد حسن
 - الدكتور اسماعيل غانم
- وقد تخلف عن الحضور من السادة أعضاء اللجنة :
- محمد حسن حلمي
 - الدكتور أسامة الباز
 - الدكتورة معتزة

عقدت اللجنة الفرعية للشباب اجتماعا بقاعة الامانة العامة وذلك في تمام الساعة الحادية عشرة صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢١ من مارس سنة ١٩٧٢ وذلك برئاسة السيد المهندس سيد مرعي السكرتير الاول للجنة المركزية الذي أُناب السيد الدكتور أحمد كمال أبو المجد أمين الشباب في رئاسة الاجتماع بعد بدء الجلسة لارتباط سيادته بمقابلة مع السيد الرئيس .

وقد حضر الاجتماع من السادة أعضاء لجنة العمل :

السكرتير الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

ان اجتماعنا اليوم يشمل نقطتين :

النقطة الاولى : خاصة بالشباب والتنظيم الشبابي والصورة التي طرحت على اللجنة بالنسبة للتنظيم الشبابي .

النقطة الثانية : وهي ورقة العمل المطروحة على حضراتكم وهي ملخص لتقرير لجنة العمل ، ويمكنكم ابداء الرأي في كل ما جاء بها ، حتى في المجالات التي تخرج عن مجالات الشباب ليكون هناك تآلف بين لجنة العمل واللجان المتفرعة الاخرى .

بالنسبة للجزء الاول سيحدثكم عنه الاخ الدكتور أحمد كمال أبو المجد وسيعطيكملخصا عن التنظيم الشبابي .

وفي رأينا أن الفترة الاخيرة قد أظهرت بوضوح وبعد الغاء التنظيم الطليعي أنه قد حدث فراغ كبير جدا لم يواجهه بأي نشاط من جانب الاتحاد الاشتراكي ، وخاصة أنه تبع ذلك الغاء وزارة الشباب وتكوين المجلس الاعلى للرياضة ، فهذا المجلس حديث التكوين ، ولذلك نحن نتصور أن التنظيم الشبابي يشمل ثلاث نقاط هامة هي :

- أولا : الناحية الاجتماعية
- ثانيا : الناحية الرياضية
- ثالثا : الناحية السياسية والتنشيطية

والثانية : هي طرح ما جاء فى ورقة العمل ، ثم نرى كيفية تنظيم عمل هذه اللجنة فى تناول هذه الاشياء .

والحقيقة أنه كان من الواجب أن أسجل أن اللجنة فى تشكيلها تضم خبرات متعددة كالتعدد ، ففيها خبرات لها فضل مشهود به فى قطاع الرياضة وقطاع التربية الدينية بالإضافة الى خبرات فى مجال العمل مع الطلاب من السادة أساتذة الجامعات ومن الطلاب الى جانب خبرات تنظيمية عملت فى أمانة الشباب وقبل ذلك فى منظمة الشباب .

وبذلك فاللجنة بهذا التشكيل الواسع يمكنها أن تغطى جوانب القضية الشبابية برمتها ، كما ستتاح لنا الفرصة لنستمع الى رأى وخبرة كل فى مجال تخصصه ، ومهمتى الرئيسية أن أعرض ما تم من العمل فى أمانة الشباب منذ تكوينها .

كونت أمانة الشباب بعد انتخابات الاتحاد الاشتراكى وانهقاد المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو الماضى ، ثم حددت مهمتان لأمانة الشباب فى تكوين الأمانة العامة للجنة المركزية ، هاتان المهمتان هما :

اعادة بناء التنظيم الشبابى ، وتنشيط العمل الشبابى بالتعاون مع الاجهزة المختلفة التى تشرف على قطاعات الرياضة والتربية والتعليم والتعليم العالى وغير ذلك من الانشطة التى تتصل بالشباب ، وكان أصعب ما فى المرحلة عملية اعادة بناء التنظيم الشبابى ، فلم تكن نبدأ من فراغ ، ولم يكن ذلك ميزة مع طول الخط ، لان الماضى كان محملاً بالتعقيد والظروف التى أحاطت به ، وقد اختلفت آراء الناس فى ذلك ، فكان الكثير من الناس يرون زاوية واحدة تحددت فى أذهانهم ومن خلال موقف معين .

وكان أول ما لاحظناه أننا ورثنا وضعاً تمثل فى :

— منظمة شباب موجودة فعلاً ولكنها مجمدة

بقرار .

— وزارة شباب دار الحديث حول بقائها أو

الغائها .

— تنظيمات مساعدة يثار الحديث حول حريتها

وجديتها .

وهناك عدد من التساؤلات تثار فى هذا الخصوص ، فأولا نرى أنه يجب المزج بين هذه النواحي الثلاث ، حيث أن الشباب لا يجب أن يعيش فى السياسة فقط بل يجب أن يعيش فى كل هذه النواحي بما فى ذلك شباب الريف على مستوى الجمهورية ، وأننا نأمل أن تشمل القرارات التى ستصدر جميع الجمهورية بما فيها المعاهد المختلفة أيضا .

ومن ناحية أخرى ، ما الصلة بين التنظيم الشبابى والاتحاد الاشتراكى ؟ ما تصورنا لها فى :

أولا : فى حالة اقامة وزارة الشباب .

ثانيا : فى حالة اقامة المجلس الاعلى للرياضة .

ثم هناك ناحية ثالثة ، وهى مجرد اقتراح وليست رأياً نهائياً ، وهى فى حالة اقامة وزارة شباب هل يمكن أن تعمل من خلال المجلس الاعلى للرياضة ، وكيف ؟

وبعد ذلك تنتظر أن تبدوا رأيكم فى كيف يمكن للتنظيم الشبابى أن يعبر عن نفسه باستمرار داخل الاتحاد الاشتراكى ؟

نقطة أخرى هى أنه من الضرورى أن يشكل التنظيم الشبابى من ممثلين حقيقيين لهؤلاء الشباب ، لأننا ليس لنا أشخاص معينون ، ولكن الشباب أنفسهم هم الذين يجب أن يختاروا من يمثلهم .

وأسف لأننى مضطر الان لترككم بعد هذه الكلمة ، نظراً لارتباطى بموعد مع السيد الرئيس وسوف أعود اليكم ، وأرجو للجنة أن توفق فى مناقشة ما يعرض عليها لأننا نشعر فى الواقع بوجود فراغ كبير بيننا وبين الشباب دون أسباب والاتحاد الاشتراكى فى هذا ليس له سياسة معينة الا السياسة التى تقرونها أنتم .

استسمحكم فى أن اترككم وشكراً .

❶ الدكتور كمال أبو المجد

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الحقيقة سأقوم بمهمتين رئيسيتين الان :

الاولى : وهى تقييم ووصف ما تم من خلال أمانة الشباب كجهاز للتنظيم السياسى من فكر وتخطيط .

خطيرة مازلنا نعاني منها أشد المعاناة وهي شق
أساسي فيما هو مطروح على سيادتكم في ورقة
العمل منها :

- علاقة التنظيم الشبابي بالتنظيم الام ، وأريد
هنا أن أعرض وجهة نظر أمانة الشباب في هذه
القضية فأقول أن التنظيم السياسي كان أقل كفاءة
من التنظيم الشبابي وقد عانت من ذلك المنظمة .

فتصورنا في أمانة الشباب أن انتخابات التنظيم
السياسي في كثير من الاحيان كانت تعبيرا عن
ظواهر عديدة بحكم أن التنظيم قد استجاب له كثير
من الناس في مواقع كثيرة ، رغم أنهم لا يؤمنون
بالعمل السياسي وليست عندهم خبرة به .

فالنمو بالنسبة لاعضاء التنظيم الام في مواقع
عديدة كان متخلفا عن التنظيم الشبابي ، بحكم أن
التنظيم الشبابي أقل عددا وأكثر انطلاقا بما له
من اعتبارات شبابية وغيرها ، فكانت النتيجة في
فترة زمنية قصيرة أن التنظيم الشبابي يعمل
ويتمرس ، وقد انعكس أثر هذا في صورة مشاكل
محددة في مواقع العمل فكان الشباب من أعضاء
اللجان في المستويات المختلفة يشكلون أحيانا فكرا
مختلفا في تعاملهم مع القيادات غير الشبابية ،
وقد وقعت منهم أخطاء لأن أكثرهم لم يتعلموا آداب
التعامل السياسي مما عقد الأمور أكثر ، وتفاقت
المشكلات التي هي في جزء منها تعبير عن
صراعات وفي جزء آخر منها تعبير عن الفجوة ،
بين جيلين لتنعكس اجتماعيا وسياسيا عند هذه
القضية .

وفتح الباب على مصراعيه بالتساؤل هل يكون
للتنظيم الشبابي قدر من الاستقلال والتكافؤ بأن
يكون مستقلا عن اللجنة المركزية (التنظيم الام) أو
يبدأ بتكوين هيكل للتنظيم الشبابي ، وهذا لا يمنع
الشباب من حضور اللجنة المركزية والمؤتمر
القومي ، وقد أصدر رئيس الاتحاد الاشتراكي
ورئيس الجمهورية قرارا بأن يقوم تنظيم موان
ومستقل ولا يزال هذا القرار حائرا في كيفية
تطبيقه عمليا ، ولا يزال هذا الجزء أشد تعرضا
للاخذ والرد والمناقشة .

واقترح أن يطرح على حضراتكم وأن يطرح على
القواعد الشبابية نفسها وعلى مستويات عديدة في
الاتحاد الاشتراكي لتحسم هذه القضية .

وكان واضحا بعد ذلك ، اعتبار مرحلي ، أن
كثيرين منا لم يسعدوا بأن يعمل معنا في أمانة
الشباب بعض الشباب القديم الذي درب في

وبدأنا وكان هذا طبيعيا بمحاولة لتقييم التجربة
الماضية ، ولم تكن بطبيعة الحال نقيم قطاع
الانشطة ، لأن ذلك لم يكن من اختصاصاتنا بحكم
وجوده في وزارة الشباب التي كانت موجودة ،
انما عنيانا عناية خاصة بالجانب السياسي المتمثل
في تجربة منظمة الشباب ، وكان هذا هو الثابت
من التجربة ، وهو الثابت من التقارير وبرأي
القطاعات العريضة التي اتصلنا بها ، سواء خلال
المراحل الاولى من التجربة أو بعد أن نزلت الى
ارض الواقع . وكان حصيلة هذا التقييم أن
التجربة لها جوانب جدية ايجابية ولها أيضا عدة
جوانب تحتاج الى مراجعة يمكننا أن نطلق عليها
لفظ السلبيات .

وكان علينا أن نقرر أمرين معا لأن المناخ النفسي
كان يضار بالتركيز على أي منهما .

فقد كان هناك عدة آلاف من الشباب تم تدريبهم
وتنظيمهم وخلق لهم نوع من الولاء لمنظمة الشباب
وحرك فيهم التفهم للقضايا العامة ، وكان ذلك
ايجابيا ولا يستطيع أحد أن يقرر غيره . وكون أن
التنظيم يجذب الناس بالولاء فهذه فكرة جيدة .

ومن الناحية الاخرى كان هناك قطاعات عريضة
من هذا الشباب بعيدة ، ولا تزال تشكل أفضل
خبرات تنظيمية موجودة في جمهورية مصر
العربية .

ومن ناحية ثانية حصل اعتبار جزئي وهو
حدوث اهتمام بالقضايا العامة سواء ما يتعلق
منها بالقضايا الداخلية أو بأوضاع الصراع
الاستعماري ، وصراع الكتل العامة .

والامر الثاني من القضية هو السلبيات ، أن
هذه المنظمة عانت من قضايا متعددة ، وفي مقدمة
هذه القضايا أن أسلوب التربية والتكوين كان
متعجلا وكان مشغولا بالكم عن الكيف . فلم تكن
التربية كافية ولم يكن التثقيف تثقيفا ، ولم يدبر شيء
مفهوم محدد ، وبدأ ذلك كله في صورة تعالي بعض
أعضاء المنظمة على غيرهم من الشباب ، ومن غير
الشباب واصطدم الشباب في مواقع عديدة من
مواقع العمل في المصانع والريف والجاسمات
والمدارس وفي سائر ادارات الحكومة .

ومن ناحية ثالثة ، في بعض مواقع العمل في
التنظيم الشبابي لم يكن هناك التزام كامل
بأخلاقيات العمل العام ، فشاعت في بعض المواقع
عمليات كتابة تقارير ثم عمليات ولايات فردية وكذا
ولايات شللية ، ثم كانت هناك مشاكل تنظيمية

- أما المشكلة الثانية ففي المواجهة مع العدو وهذا يحتاج الى اعداد وتربية سليمة .

فلم يكن مقصودا ان يكون تنظيم الشباب مجرد جناح سياسى للتنظيم السياسى يشغل نفسه بالحركة السياسية بل كان يجب ان يكون بيئة أو مكانا أو تنظيميا يدخل فى حياة الشباب لاعادة بناء الخصائص الذهنية والسلوكية للشباب المصرى بالتعاون مع المؤسسات التى لها القدرة على هذا ، مثل التربية والتعليم والتعليم العالى والجامعات والمجلس الاعلى للرياضة وأى مؤسسات أخرى ، وبعد تحديد هذا الهدف يمكن أن نبدأ بعملية انتخابية ، فطالما ان منظمة الشباب هى منظمة أساسية تحقق نوعا من الارتباط العاطفى والنفسى الشديد للشباب لابد من أن يسبق اعادة بنائها من من التدعيم ، وهذا التدعيم لابد أن تسبقه فترة تمهيدية سابقة لاعلان فتح باب العضوية السابقة لاي عمليات انتخابية . فمن الذى يحدد هذه الفترة ؟ وما الهدف منها ؟ وفى تقديرى ان الذى يستطيع هذا هو أمانة الشباب .

ان بناء هيكل التنظيم الشبابى فى صورته الكاملة يحتاج الى تدريب والتدريب يحتاج الى مدربين والمدرسين يحتاجون الى قسط من الاعداد ولهذا فقد بدأنا باعداد دورة تدريبية لاعداد الموجهين بحيث يكون بعضهم من العناصر التى وضعت موضع المسئولية الجزئية فى موقع من مواقع الاتحاد الاشتراكى والبعض الآخر من العناصر التى لم تكن لها صلة تنظيمية بالتنظيم الشبابى فيما مضى .

وبالنسبة للعناصر القديمة فقد رجعنا للسجلات الموجودة بمنظمة الشباب وهى سجلات ممتازة وجيدة للغاية قد تفوق مثيلاتها فى كثير من أجهزة الدولة وكانت هذه السجلات أساسا للاختيان المبدئى بالنسبة لهذه العناصر .

الاسلوب الثانى أننا لجأنا الى التنظيم السياسى نفسه ممثلا فى السادة الامناء كما لجأنا الى اسلوب آخر وهو الاتصال بالسادة مديرى الجامعات ليرشحوا عناصر تضم الى العناصر المرشحة لتكون وعاء يختار منهم الموجهين . وقد وضعنا لهم برنامجا ، ودعى عدد من المحضرين ،

وهنا أود أن أشير الى بعض النقاط وهى أن كثيرا من السادة المحضرين لم يكن اختيارهم خطأ فكثير منهم كان له سابق خبرة بالعمل مع الشباب والتنظيم الشبابى ، وله كفايات جديدة ، وفى

المنظمة وهذا مع الأخذ فى الاعتبار أن الشباب القديم الذى درب وثقف فى المنظمة كان أيضا مترددا فى قبول العمل معنا نظرا لما عاناه من التجربة الماضية من أن يرفع حيناً ويخفض حيناً آخر ، فببعض وجد ويعمل ويبنى ثم يقال له بعد حين أنه كان مرتبطاً بعناصر من عناصر التنظيم الأم ، وتكرر ذلك فى التنظيم الشبابى فى صورة هزات أكثر مما تكرر فى التنظيم الأم ، وعلى ذلك فلا بد من أن نحترم عواطف الآلاف من الشباب فالعملية هى بناء المجتمع العصرى على العلم والايمان .

ان جوهر المشاكل هو كيف نحافظ على العناصر التى تم تخريجها من المنظمة مع فتح الباب لعناصر جديدة فقد كان من الضروري أن يحتفظ بكثير من العناصر القديمة التى دربت والتى ارتبطت بتنظيمها بمنظمة الشباب والتى لم يكن عليها اعتراض ، فهذه العناصر التى يبلغ عددها ٢١٩ ألف شاب تم تدريبهم ، ولهم هياكل منتظمة فى ٢٥ محافظة كان من الخطأ الغاء كل هذا بجرة قلم كما كان يعنى استحالة ، ولقد احتفظنا بهذه العناصر وعقدنا سلسلة لقاءات مع العناصر التى سبق لها العمل فى منظمة الشباب ، ثم بدأنا فى تكوين مجموعات من الموجهين ، وجاء هؤلاء الموجهين من المحافظات معرضين وعازفين ولديهم حواجز نفسية ولذلك لم نكن نستطيع ان نفتح معسكرات لنواة من الموجهين استعدادهم مشكوك فيه الى حد كبير .

فبدأنا فى وضع خطة لاعادة بناء التنظيم الشبابى ، وكان حصيلة ذلك كله الاحساس بأهمية الاختلاف بين انتخابات التنظيم السياسى الذى يدخله الناس على علاقتهم وبينها فى التنظيم الشبابى الذى كانت الذية فيه أن يكون تنظيميا تربويا كما تبين أنه لم يتم تحديد كاف للهدف من اقامة المنظمة ، حتى الذين اتصلنا بهم من الاخوة القدامى لم يكن لديهم وضوح كاف لهذا الهدف .

لقد كانت المنظمة فى الماضى ما هى الا تنظيم لتدعيم عناصر معينة فى الاتحاد الاشتراكى ولقد كان طبيعيا ان نلزم انفسنا بضرورة تجديد هدف للتنظيم الشبابى فما نتصوره أن مصر فى هذه المرحلة تواجه مشكلتين هما :

- مشكلة بناء دولة عصرية علمية جادة ذات مؤسسات لها أهداف ولها قدرات معينة ، وتتبلور هذه المشكلة فى هدف محدد هو اخراج مصر من التخلف عن هذا الطريق العلمى . وهو الهدف الذى يتحمل الشباب تبعاته الجسيمة ، لان هذه المشاكل لم تحل على يد هذا الجيل حتى الان .

٨٠٠ ، ١٠٠٠ شاب لتسكن في هذه المراكز والاقسام والوحدات الأساسية ، يعقب ذلك مرحلة اعلان قيام المنظمة وفتح باب العضوية وهذا الموضوع كما هو مطروح على حضراتكم تجده مطروح ايضا على لجنة العشرين وعلى القواعد الشبابية وقد استقر الرأي على عرض ما سيتم الاتفاق عليه على القواعد الشبابية في المحافظات .

فبعد حوادث الطلبة كان لابد من اعادة بناء منظمه الشباب على اسس جديدة فقد كان واضحا ان التركيز في طلب السيد الرئيس الذي صدر في توصيات المؤتمر القومي ليس هو اعادة بناء التنظيم الشبابي ، لانه واجب فرضت فيه من اللجنة المركزية ولكن التركيز كان على كلمة (اسس جديدة) وهو ما لفت اليه الانظار نتيجة الحوار وتحرك الطلاب في الجامعات .

ان التنظيمات الشبابية تعاني من انفصالها عن القواعد ، ولهذا فاني لا اريد للتنظيم الجديد هذا الانفصال ولابد ان يتم اعادة بناء المنظمة بناء على رأي واختيار القواعد الشبابية ، وانني لا اقصد شباب الجامعات فقط لانهم جزء من الشباب الموجود في المصانع وياقي الشباب في كل مكان من مصر ، وقد دعاني هذا الى مزيد من التمثيل للاسس الجديدة وهي ديمقراطية العمل وتوفير الحرية حتى ينطلق الشباب ، لان الاحساس السائد هو ان الجيل المعاصر جيل متعب ومقيد بقيود عجيبة لانه جيل غير منطلق في البناء وفي العمل .

وليست هذه عملية تضارب نظري فحسب بل عمل لان العمل الوطني يحتاج الى جهود الشباب في هذه الامور ، ونحن نؤكد التزامنا بالخط النكري لقوى الشعب العاملة ، ولا يجوز ان ننحرف عن هذا الخط في ربط الشباب بمصادر القوة مثل التربية الدينية والتربية السلوكية ، وان نميز بين جوهر الاسلام وبين بعض الافكار البالية السائدة عنه .

وهذه كانت الاسس التربوية العامة اما الاسس التنظيمية فلم نوفق ولم نصل الى صيغة لاننا نريد ان نتجنب ما كشفت عنه التجربة الماضية ، والصيغة هي كيف سيكون هذا التنظيم ؟ وهذا نطرحه على حضراتكم ولا نريد ان يحرم التنظيم الشبابي في اطار التنظيم الفكري والعضوي بالتنظيم الام في ان تكون له حبكة ذاتية مع نوع من الولاء .

الوقت نفسه اعطينا لانفسنا الحق في ان نحدد لهؤلاء تصوريا لما نريد وكان ذلك مقبولا من جانب بعضهم وغير مرعوب من جانب البعض الاخر ، وقد اوضحنا لهم انه ليس من حق احد منهم ان يفرض تصوره الفكري على الشباب . واتفق على ان ما يعطى لا يخرج عن موافيق الثورة وميثاق العمل الوطني . وقد تابعت تنفيذ ذلك بنفسى ، ووجد ان اكثر المحضرين قد التزموا بهذا الخط .

وبالنسبة لقضية الثقافة في المرحلة السابقة فقد كانت كلها محدودة ولقد توقف كثير من الدارسين عند قدر معين وامحصر فهمه في قضايا الكثير منها فقد قيمته في الستينات ، ولابد من عرض فكر ومضمون يشد الوجهين انفسهم ولا تنحاز الى الشرق او الغرب لان الدنيا اوسع بكثير من هذا ، وفي هذا المجال طرحت ثلاث قضايا رئيسية :

الاولى : وهي التطورات التي حدثت عالميا .

الثانية : مشكلات العلاقة بين الدول النامية والدول المتقدمة .

الثالثة : التكنولوجيا والعلم الحديث .

وهي كلها ثقافة ارحب تجعل الشباب اكثر انفتاحا على النظريات الجديدة المعاصرة والقضايا الوطنية . وهذا جانب من مشكلة اعداد الموجهين ، والتي تعتبر اصعب بكثير من عملية اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي كله من القاعدة الى القمة ، لان هذا الاعداد يحتاج الى عناصر لها صفات معينة كما يحتاج ايضا الى فترات يخلو فيها الشخص الى نفسه بعد معايشة التنظيم الذي يعمل معه .

وسنبدا من يوم السبت القادم ٢٤ مارس في اعادة بناء الهيكل بعد ان تم اختيار العناصر المرشحة لاعادة بناء هيكل المنظمة ، واستكمال بنائها في المحافظات وقد بذلت في ذلك امانة الشباب جهدا كبيرا ، وستستغرق عملية بناء الهيكل ثلاثة اسابيع .

وحيث ان الموجهين لابد ان يكونوا على قدر معقول من التفاهم والتعاون لذا يجب ان يكون لامانة الشباب حق ابداء الرأي في هذه العناصر حتى تستطيع ان تؤدي مهمتها المركزية ، علما بانها ستختار من كل موقع .

اما عن الدورة الحالية فهي دورة تنظيمية وموضوعاتها في هذا المجال ، وبعد ذلك سيختار من المحافظات مجموعات تتراوح بين

وما هو الأسلوب الأمثل للبرنامج التثقيفي للشباب ؟

ونود أن نسمع الى آرائكم واقتراحاتكم بخصوص كيفية تدويل ورقة العمل .. فهل يرون عرض قضية الشباب أولا ثم نخرج الى باقى ورقة العمل ، او نبدأ بالنقطة الاولى فى ورقة العمل وندرسها بالتسلسل ؟
فلنستمع الى آرائكم :

● حسام عطوط

فى الواقع انى اعتقد ان تكوين اللجنة بهذا الشكل ليس شهابيا مع انها لجنة الشباب ، فوجود الاخ كمال ابو المجد ، والاخ الدكتور عبد الحميد حسن فيها لا يكفى ، واقتراح ان يمثل اتحاد طلاب الجمهورية فيها ، واذا لم يمكن ذلك فاندس اقتراح ان تنزل اللجنة الى القواعد الشبابية واقتراح ايضا ان تخرج اللجنة باختصاصات بوجهة نظر الشباب فى التنظيم الشبابى ككل ويجب ان يكون ذلك محل نظر .

● الدكتور احمد كمال ابو المجد

نناقش طلب السيد / حسام

● محمد عقل

بالنسبة لما اثاره السيد / حسام فان التمثيل فى اللجنة ليس فئات ، لان الطلاب جزء من الشباب ككل والموضوع ينحصر فقط فى اسلوب العمل الذى تتبعه اللجنة .

● مصطفى كمال

بالنسبة للتصور فهل نناقش قضية الشباب ام نناقش قضية التنظيم كله ؟ انا اعتقد ان قضية التنظيم الشبابى لا تنفصل عن التنظيم السياسى كثيرا ، بل بالعكس فان قضية التنظيم السياسى الام تؤثر كثيرا فى قضية الشباب . ولذلك ارى ان يتم تحديد دور التنظيم السياسى اولا مع تحديد هدفه وشكله واسلوب حركته وعلاقته بكل الاجهزة ثم نناقش بعد ذلك التنظيم الشبابى حتى نستطيع تحديد دوره فى اطار التنظيم الام .

● د. عبد الحميد حسن

فى البداية فاننى اطمئن الاخ حسام انه اذا لم يكن الشباب اكثرية فى اللجنة فانه من الناحية العملية فان الشباب يمثلون ايضا فى لجنة العشرين ذاتها وفى الامانة العامة وقد قدرت هذا

فنحن لا نريد له ان ينفصل عن قوى الشعب العاملة ولا ان يظل محكوما برأى جيل سابق ، فليس هذا من مصلحة التقدم فى شىء .

وهذه الموازنة مطروحة عليكم فكريا وتنظيميا وبالنسبة لشق الانشطة فقد تقرر الغاء وزارة الشباب فى وقت من الاوقات وكان معروفا انها تؤدي نشاطا فى ميدان الرياضة وقطاع خدمات الشباب ، وحينما الغيت الوزارة كان من السهل انشاء المجلس الاعلى للرياضة وبقيت خدمات الشباب موزعة بين جهات عديدة تختلف فى حركتها كل عن الاخرى ، بما ترتب عليه صعوبة اصدار اى قرار فى هذا المجال ، وفى رأى ان خدمات الشباب لا تؤول الى منظمة الشباب وانما تؤول الى الجهاز التنفيذى ولا بد ان أقولها بصراحة ان الغاء وزارة الشباب فى مصر قد مثل عقبة ، وترتب عليه ضرر جسيم للشباب ، وهذا امر لا يجب السكوت عليه ، ولا بد من وضع حاسم . والسيد عبد المنعم وهبى موجود . فكم من مرة نتصل به فى امر كان المفروض ان يحول الى وزارة الشباب بالاضافة الى ذلك ظل اختصاص امانة الشباب محدودا الى يومنا هذا بسبب الظروف اليومية التى شغلتنا وشدتنا اليها مما ترتب عليه تأخر عملية البناء تأخرا ليس هينا .

ونحن الان لدينا ثلاث قضايا ، فيوم ٢٤ الجارى يفتح معسكر حلوان الذى تم قبول شباب حلوان فيه باعداد أكثر من المطلوب وذلك حتى يتم اختيار افضل العناصر نتيجة التقييم النهائى والتقييم فى المعاهد الاشتراكية سيتم بثلاث طرق : اولها تقييم ذاتى يقيم به الشخص نفسه ، وتقييم من داخل المجموعة ، وتقييم يقوم به الموجهون له . والتقييم النهائى الناتج هو الذى يبقى فى سجلات امانة الشباب . وسيفتح المعسكر صباح يوم ٢٤ - ٣ وستكون فرصة طيبة ان تشرفوا الافتتاح .

وهناك عدة امور يجب بحثها هى :

علاقتنا بالتنظيم الام : قضية خدمات الشباب والجهات المشرفة عليها باعتبارها متممة للعمل السياسى .

ثم قرأ سيالته من صفحة (٥) من مشروع ورقة العمل الذوصية التى صدرت من المؤتمر القومى العام بتكوين تنظيم شبابى يتبع ديمقراطيا من الشباب انفسهم ويصبح احد اجنحة الاتحاد الاشتراكى .

هل تكون للتنظيم الشبابى كوادره القيادية ولجنته المركزية ؟ ام يكتفى بتمثيل الشباب ولجان الاتحاد الاشتراكى على المستويات المختلفة ؟ هل يكون جزءا من التنظيم الام او سيكون موازيا له ؟

الدور ، ولذلك لا يجب ان نفصل قضية الشباب عن قضية التنظيم السياسي ، لان الشباب هو الذي يمثل الاتحاد الاشتراكي ، بالتالي فانني اقترح ان نقسم انفسنا الى لجان فرعية متخصصة لكي نخرج بقضية الشباب كاملة ويبرر هذا الاقتراح ان الشباب ممثلين في جميع القطاعات والتنظيمات ، لذلك يجب ان تخصص كل لجنة من اللجان الفرعية المقترحة في قطاع معين .

● كمال ابو الخير

اؤيد الرأي الذي طرحه الدكتور عبد الحميد حسن من ناحية تقسيم السادة اعضاء اللجنة الفرعية الى لجان ومناقشة ورقة العمل ككل مع اعتبار اننا نتحرك داخل القواعد الشبابية بالذات لاخذ رأيها ومنها شباب العمال والجامعات والفلاحين على ان نفرد لقاء لشباب المنظمة القدامى حتى نستفيد من خبرتهم في المرحلة السابقة .

كما يجب التركيز على تجميع العمل الشبابي في مصر في اطار واحد ، والتركيز على العلاقات بين الاتحاد الاشتراكي ومنظمة الشباب والتنظيمات المساعدة الاخرى كاتحادات الطلاب ونقابات العمال . الخ

● احمد فراج

الحقيقة ان اشتراك اللجنة ككل في مناقشة ورقة العمل مسألة مفيدة، لان هذه الورقة تشكل الاطار العام الذي يمكن ان ننطلق منه لكي يبدؤ الى ان لجنة العشرين وقد وضعت ورقة عامة تشمل القضايا التي ينبغي ان تبحث بتوزيع جزيئات ورقة العمل هذه على اللجان الاستشارية وان لجنة الشباب قد تكون محتاجة اكثر الى التخصص في دراسة الجانب المتصل بقضية الشباب في ورقة العمل على اساس ان هذه اولوية اولى .

اما اذا قامت كل لجنة من اللجان الاستشارية بدراسة ورقة العمل ككل ثم انتقلت الى الجزء الخاص بها فقد تحتاج الى وقت طويل وقد لا تستطيع ان تتقدم في العمل بالمعدل الذي يساعد لجنة العشرين على انجاز المهمة الرئيسية الموكولة اليها .

واذا كانت ضرورة فلا بأس من العرض العام السريع لورقة العمل ككل ، على ان يكون تركيزنا على الجزء الخاص بالشباب .

● علاء قاسم

ارى ان نحدد اولاً مدة عمل اللجنة فاذا كانت



د. عبد الحميد حسن



كمال ابو الخير

المدة طويلة يمكن ان نبحث ورقة العمل بتفصيلها ونركز تركيزاً خاصاً على التنظيم الشبابي ، واذا كانت المدة قصيرة ففي هذه الحالة يمكن ان نمر مروراً سريعاً على ورقة العمل مع التركيز على التنظيم الشبابي .

● حسام عطوط

أرى أن نبدأ بدراسة التنظيم السياسي ككل على اساس انه لن يستغرق منا وقتاً طويلاً ثم نتفرغ بعد ذلك لدراسة التنظيم الشبابي .

ومن ناحية تقسيم اللجنة الى لجان فانني ارى ان عدد اعضاء اللجنة ليس بالكثرة التي تسمح بتقسيمها الى لجان .

● الدكتور كمال أبو المجد



أحمد فراج

الواضح في اختيار السادة اعضاء اللجنة أنه تمثيل لقطاعات الشباب المختلفة في مجلس الشعب والمؤتمر القومي العام واللجنة المركزية والمجلس الاعلى للرياضة والتربية والتعليم والتربية الحينية والجامعات والتعليم العالي . وبالنسبة لقطاع الطلاب اقترح ان يمثل ثلاثه من اتحادات طلاب الجمهورية ، والعقبة في هذا ان الوضع الطلابي بالغ التعقيد فهناك اتحاد طلاب الجمهورية القديم الذي اوشك ان تنتهي مدته ، وليس كل ما بينه وبين اتحادات الجامعات بهادى .»

ولعل ابدى ملاحظة بسيطة وهى ان قطاع الطلاب مع احترامى له لا يمثل الا نسبة ضئيلة من الشباب وان هناك قطاعات شبابية عريضة في مواقع العمل الانتاجى وفي الريف .»

● أحمد دمرداش تونى



أحمد دمرداش تونى

في الواقع لقد تفضل السيد امين الشباب بتلخيص ما يخص منظمة الشباب ، الا ان منظمة الشباب قد جصرت جهدها في ٢٠٠ الف شاب ، وهذا العدد لا يمثل سوى ١٠ في المائة من مجموع الشباب .

لا شك ان منظمة الشباب تقوم بدورها لانها تقدم الكوادر السياسية والطلّاع التي نحتاج اليها ، لكن اهم من ذلك هو ان نعنّى بباقي قطاعات الشباب ، وعلى سبيل المثال وزارة التربية والتعليم اذ تضم ٥ ملايين شاب ، اى ربع شباب الجمهورية

واذا رجعنا الى الاجهزة الخاصة بالشباب ولنبدأ من تاريخ قيام الثورة في سنة ١٩٥٢ ، وكان من اهدافها ان تضع الشباب موضع الاهمية الكبرى فانشأت المجلس الاعلى لرعاية الشباب ويمكن سرد تاريخ السلبات والايجابيات والمكاسب وما لم نستطع تحقيقه في فترة عمل المجلس الاعلى لرعاية الشباب ، ثم تكونت وزارة دولة للشباب ثم تكونت وزارات متتالية للشباب وبعد الغاء وزارة الشباب الاخيرة انشئ المجلس الاعلى للرياضة وهو يختص بالناحية الرياضية .

وكعضو لجنة اوليمبية دولية استطيع ان اقول ان السبب في عدم وصولنا الى المستوى المناسب هو انخفاض مستوى اللياقة البدنية بين الشباب . وقد لمس السيد السكرتير الاول نقطة جوهرية عندما قال بضرورة الاتجاه نحو الريف وشباب الريف ، والواقع يجب ان تعمم انشطة شبابنا على اوسع قاعدة .»

● الدكتور كمال أبو المجد

ان ما ينبه اليه الاخ الاكبر الاستاذ تونى من مراعاة عدم توقف النشاط بغرض البحث ، قد اثير في لجنة العمل وكان توجيه السكرتير الاول في

وباعتبارى مقررا للجنة الشباب في مجلس الشعب اقول اننا قد درسنا هذا الموضوع في مجلس الشعب ووضعنا بعض القرارات والتوصيات ورفعناها الى السادة المسئولين كما وضعنا بعض الدراسات لبدء النشاط الرياضي .

واخيرا انبه الى نقطة هامة وهى اننا لا ينبغي ان نجهد او نوقف نشاطنا في انتظار نتائج ما سيسفر عنه دراستنا ، بل يجب ان ندعم كل نشاط قائم .

● مصطفى كمال

في تصوري أننا كلجنة شباب يجب أن ندرس تنظيمًا متكاملًا من الناحية التنظيمية والفكرية والثقافية والسياسية . ونحن في محتوانا - ونحن نناقش التنظيم الشبابي - نمثل جميع اللجان الاستشارية الأخرى ولارتباط التنظيم الشبابي في قوته وفي عمله بقوة ومفهوم وعمل التنظيم الأم أرى ألا يبدأ العمل داخل لجنتنا إلا بعد أن تخلص جميع اللجان الاستشارية الأخرى إلى وضع تصور محدد وتتفق جميعها داخل لجنة العشرين إلى مفهوم عمل الاتحاد الاشتراكي .

وعليه أقول يجب أن يوضع أمامنا جميعًا تصور لما تنتهي إليه لجان العمل الاستشارية بالتحديد وأولا بأول .

وانني لا أرى أن ننقسم إلى لجان لنناقش ورقة العمل أو لكي نتحرك في ورقة العمل ، لأن تحركنا داخل ورقة العمل يمثل فكرا استشاريا أما أن يؤخذ به وأما لا يؤخذ به ، وإذا ما أعطى لنا خلاصة ما تصل إليه اللجان الاستشارية استطلعنا في ضوءه أن نحدد مفهوم العمل داخل التنظيم الشبابي .

ان نقاشنا لورقة العمل ككل لا يفيد القضية أساسا لكن الذي يفيدنا هو أن نوضح أمامنا جميع الدراسات التي تتوصل إليها اللجان الاستشارية الأخرى .

● الدكتور كمال أبو المجد

ان لجنة العشرين ستستمر في عملها وستبدأ اللجان الاستشارية في عملها تباعا فإذا أجلنا عمل لجنة الشباب هذه فستقوم اللجان الأخرى بعمل نفس الشيء .

الامر الثاني هو ضرورة أن تحاط اللجنة علما بما يجري في لجنة العمل واللجان الأخرى والواقع أننا لا نستطيع أن نتوقف لأن إضافة فكرنا إلى لجنة العشرين مطلوب .

والمطروح الآن هو ثلاثة أمور هي :

● هل نبدأ بمناقشة ورقة العمل بما فيها من قضايا .

● أم نركز على دراسة موضوع الشباب .

● أم نقسم هذه اللجنة إلى لجان فرعية تناقش كل منها موضوعا من ورقة العمل .

● مصطفى كمال

ان عدد أعضاء لجنتنا لا يسمح بتقسيمه إلى

هذا هو ضرورة تدعيم العمل القائم حتى يقف على قدميه ما هو افضل منه .

ويبين من حديث الاستاذ التوني ، ومن الحديث عموما ان الهيئات التي تعمل في قطاع الشباب لا تغطي كل قطاعات الشباب او انشطته ، وان هناك جزءا ساقطا من الاختصاصات الواجب تأديتها للشباب ولا تتولاها احدى هذه الهيئات وهذا الجزء يجب ان يتحول الى واقع يدعم حتى يعطى نتائج .

وارجو من الاستاذ التوني بصصفته مقررا للجنة الشباب في مجلس الشعب ان يضع بين يدي هذه اللجنة الدراسات التي تمت في المجلس سواء منها ما يتعلق بقطاع الرياضة او القطاعات الأخرى .

وبالنسبة لمنظمة الشباب فان نشاطها لا يقتصر على أعضاء المنظمة فحسب بل ان نشاطها موجه نحو شباب مصر كلها .
ومما يذكر ان وزارة التربية والتعليم تمضي مع الشباب فترات اطول مما نمضيه معها ولا بد ان يتم التنسيق بين الهيئات العاملة في حقل الشباب .

● السيدة سلوى رفعت

اقترح ان نعطي الاولوية لدراسة ورقة العمل بالتفصيل ثم ننقل الى التنظيم الشبابي فندرسه بتفصيلاته ايضا .

واذا كان للجنة حق اقتراح ضم بعض العناصر فانني اجد ان اللجنة ينقصها تمثيل الاجتماعيين من العاملين في حقل الشباب .

● الدكتور كامل ليلة

الاحظ ان العرض الذي عرضه السيد الامين ان المطلوب من اللجنة هو ان تبدي زاياها في وضع التنظيم الكبير وهو التنظيم الام ، وهذه مسألة بالغة الاهمية ، ولا تستطيع اللجنة ان تبدي رأيا سليما فيها الا بدراسة التنظيم الام من جميع نواحيه .

اذن لا بد ان تقوم اللجنة بدراسة ورقة العمل دراسة مفصلة حتى يتسنى لها الاجابة عن هذا التساؤل .

● الدكتور كمال أبو المجد

يقول الاستاذ كامل ليلة ، ان موضوع الشباب يرتبط بالتنظيم الام واتخاذ أي موقف في شأنه يقتضي دراسة كاملة وكافية لكل اوضاع التنظيم الام الواردة في ورقة العمل . هل هناك من حديث حول هذا الرأي ؟

لجان ومن المعروف كلما قل العدد كلما كانت هناك زوايا غير مرئية .

ومن المطلوب عندما نناقش التنظيم الشبابي أن نضع أمامنا التصورات التي وصلت إليها لجنة العشرين أولا بأول .

● عبد الواحد أحمد يصيلة

إننا عبارة عن لجنة استشارية للجنة العمل في قطاع معين هو الشباب وفي رأيي أن نهتم أساسا بالتنظيم الشبابي فيما يتعلق بعضويته وارتباط هذه العضوية بعضوية الاتحاد الاشتراكي أو التنظيم الام .

كذلك نستطيع أن نناقش أسلوب العمل مع التركيز على علاقة التنظيم الشبابي بالاجهزة التنفيذية والاجهزة المعاونة كالنقابات واتحادات الطلاب ثم دوره في العمل الجماهيري ففي رأيي أن نركز على موضوع الشباب ولا نضيع وقتنا .

● الدكتورة آمال عثمان

[كلية حقوق جامعة القاهرة] ،
في رأيي أن اللجنة اذا بدأت بمناقشة ورقة العمل تفصيلا ستستغرق وقتا طويلا مما يبعد اللجنة عن مهمتها الرئيسية التي هي أساسا مناقشة مسائل الشباب ، في حين أن ورقة العمل تعرض قضايا عامة لا يمكن مناقشتها في الزمن المطلوب .

لذلك أقترح أن تركز اللجنة عملها على مشكلة الشباب وتنظيم منظمة الشباب بوجه خاص على أن تتابع اللجنة ما انتهت إليه اللجان الأخرى في باقي القضايا حتى يمكن أن تنتهي إلى نتائج مقبولة في هذا الموضوع .

● الدكتور كمال أبو المجد

من باب التنظيم هناك رأيان نسمع كل منهما ، الرأي الأول : أننا نتناول ورقة عمل مكتملة مع التركيز على موضوع الشباب . والرأي الثاني : التركيز على الشباب ولا نمس أموراً أخرى فهل هناك أية اختصاصات لأي من الاقتراحين ؟

● أحمد فراج

هناك إضافة للاقتراح الثاني وهو أنه عندما نفرغ من قضيتنا الرئيسية وهي الشباب ليس هناك ما يمنع من أن نتناول بقية الأمور .

● عبد المنعم وهبي

هناك ثلاث نقاط يجب مناقشتها وهي :

١ - تدعيم المنظمة .

٢ - تدعيم الجهاز الام .

٣ - خدمات الشباب .

واقترح ان نبدأ باستعراض ورقة العمل بشكل عام مع التركيز على أنشطة الشباب .

وبالنسبة لخدمات الشباب فهناك أكثر من جهاز ، وأود أن أقول أن اللجنة الأولمبية بتشكيلها الحالي (غير سليم) وقد اقترحنا التعديل ، لأن اللجنة تتكون من ٣٢ عضواً ، ومن ضمن اختصاصاتها أنها مسئولة عن نشر الرياضة ، وهذا غير سليم أيضاً لأن اختصاص اللجنة الأولمبية في أي مكان في العالم يقتصر على النشاط الأولمبي وعدد أعضائها لا يزيد عن ١٢ عضواً فقط .

أما بالنسبة للمجلس الأعلى للرياضة فخدمات الشباب ما هي إلا إحدى الأنشطة المتعددة التي وقعت على اللجنة العامة الرياضية مباشرة ، ولجنة الشباب والاتحادات الرياضية يقيمها قطاع يسمى قطاع البطولة ، وهناك قطاع آخر وهو التربية الرياضية ويتضمن التربية والتعليم والتعليم العالي ، ثم قطاع العمال والفلاحين وهناك قطاعات أخرى منها أعداد القادة في شتى المجالات ثم قطاع الملاعب .

والمجلس الأعلى للرياضة عندما يباشر عمله فإنما يهدف أولاً إلى نشر الرياضة على مستوى جميع أفراد الشعب بما فيهم الشباب الذي يحتل حوالي ٦٠ في المائة - ٧٠ في المائة من المواطنين ويقتضي هذا ربطه بالبيئة أو العاملين في المصانع .

وقد أشار السيد السكرتير الأول إلى موضوع الأندية الريفية في الخطة العشرية فقد اقترح إنشاء ثلاثة آلاف نادٍ ريفي ، وعندما نوقش هذا الاقتراح قبل ووفق عليه ، كما اعتمد مبلغ ٢ ملايين من الجنيهات بحيث يخصص لكل نادٍ ١٠٠٠ جنيه على أن توفر القرية الأرض المطلوبة لهذا النادي . وتبرز نقطة هامة وهي : هل خدمات الشباب يتولاها جهاز واحد أم جهازان ؟ وهذا الموضوع لا بد أن يأخذ حقه من الدراسة لأهميته . وشكراً .

● الدكتور كمال أبو المجد

هناك الآن اقتراحان :

الأول : أن نناقش موضوع الشباب لأنه جوهري عمل هذه اللجنة .

الثاني : أن نناقش ورقة العمل موضوعاً موضوعاً وبالتفصيل .

● الدكتور كامل ليلة

في الحقيقة ان اللجنة التي نتشرف بعضويتها وضعها يختلف عن باقي اللجان الاستشارية الاخرى ، فهل ندوب في اللجان الاستشارية او نستقل عنها لا ونبدأ مهمتنا .

● الدكتور كمال ابو المجد

نعتبر هذا كلمة في جانب الاقتراح الاول ونستمع الى كلمة في جانب الاقتراح الثاني .

● احمد توني

اقترح ان ندرس موضوع الشباب وعلاقة منظمة الشباب بالتنظيم الام أولا ، ولا يمنع هذا من دراسة اي موضوعات اخرى حتى لا يضيع الوقت .

● الدكتور كمال ابو المجد

ارى ان نصوت على هذين الاقتراحين .

● احمد فراج

حتى يكتمل الاقتراح الاول وهو عرض ورقة العمل حكل . ارى ان يضاف اليه راي اخر هو ان تندمج هذه اللجنة في سائر اللجان الاستشارية الاخرى .

رسم مصينة الشباب لها الاولوية بالنسبة لنا على ما عداها من القضايا الموجودة في ورقة العمل .

● الدكتور كمال ابو المجد

يشرفنا بعض السادة اعضاء اللجنة العامة في هذا الاجتماع السيد الدكتور احمد درويش والسيد الدكتور محمد دكروري والسيد الدكتور حسن اسماعيل . ونود ان نستمع الى ارائهم بالنسبة لهذه القضية .

● الدكتور محمد دكروري

في تصوري ان لجنة العمل واللجان الاستشارية مجتمعة وحدة واحدة ، فلو ظروف الجمست وصعوبتها . . . لكانت هذه اللجان الاستشارية هي لجنة العمل ، واخلص الى ان لجنة العمل لها مسؤوليات محددة في انها تكاد تكون لجنة اللجان الاستشارية وهذا يعني ان اللجان الاستشارية مهمتها ليست تخصصية فقط وانما لها اختصاص عام ولهذا فينبغي على لجنة الشباب مناقشة كل القضايا من خلال اللجان الاخرى لمحاولة الاتفاق

على تصور عام لشكل الاتحاد يكون منطلقا للدراسة المتخصصة وهذا يكون اجدي .

ومعنى هذا انه في البداية وفي المراحل الاولى تخصص اللجان الاستشارية بعض الوقت لدراسة التصور العام في الموضوعات المختلفة في ورقة العمل ، على ان يكون هناك باستمرار حركة صاعدة من اللجان الاستشارية الى لجنة العمل ، وفكر ينزل من لجنة الى اللجان الاستشارية حتى يتفاعل الكل ، بمعنى ان نسير في خطوط متوازية لا متوالية ، وقد تفكر اللجنة في تصور التنظيم الشبابي سواء في درجة ارتباطه أو استقلاله قبل ان تتصور شكل التنظيم الام ، وهل هو تنظيم الكثرة أو هو تنظيم القلة المختارة ؟ .

كل هذه اسئلة اخشى ان يبذل فيها جهد يتكرر في باقي اللجان ، بل يجب ان تتكامل الجهود في الاطار العام للتنظيم السياسي ولتشكيل هذه اللجان .

● الدكتور احمد درويش

من مهمة هذه اللجنة ابداء الرأي في العموميات وايضا في الخصوصيات الخاصة بالشباب . ولا يمكن ان تعنى بالشباب فقط دون العناية بمجريات الامور في الوطن جميعا ، لان الشباب لا يمثل طبقة وانما يمثل قطاعا متاخلا في جميع الطبقات ، ويجب ان يقول الشباب كلمته بصراحة ، ومن هنا فان ورقة العمل تكون صالحة لان يصوت عليها للدراسة والتحصيص ولتأخذ فيها ما تشاء من وقت لان لجنة العشرين تعتمد على اللجان الفرعية لا لتنفيذ ما تقوله لجنة العشرين ، ولكني على ما اعتقد ان الرأي منعقد على ان يكون عمل لجنة العشرين هو محصلة اللجان الاستشارية .

من هنا فان التصويت غير وارد لان من مهمة اللجان وتشكيلها ان تقول كلمة عامة في الموضوعات المختلفة التي تمس جميع القطاعات .

● الدكتور أحمد كمال ابو المجد

هل نبدأ بالشباب أو بالقضايا الاخرى ؟

● الدكتور اهاب اسماعيل

اقترح ان تشكّل لجنة صغيرة من داخل هذه اللجنة تجتمع مع السيد امين الشباب وتقوم بوضع ورقة عمل فرعية نسير عليها ، حتى يمكننا ان نبدأ العمل .

● الدكتور كمال ابو المجد

هل يمتد عملنا الى دراسة كل القضايا الواردة بورقة العمل ؟

(موافقة بالاغلبية)

نوافى بما يجد من دراسات بحيث نستطيع ان نكون رأيا .

● أحمد تونى

أقترح أن ينحصر عمل اللجنة فى تخصصها ، وهو قضية الشباب فقط ، وعلى كل منا أن يقدم تصوره عن هذا الموضوع .

● الدكتور كمال أبو المجد

ان هذه اللجنة بالاضافة الى أنها لجنة استشارية الا أنها جهاز متخصص فى القضايا التى تتعلق بالشباب ، فالعملية ليست عملية دراسة دون حساب للوقت ، ولكن هناك عملا لابد وأن يتم ونحن كلجنة استشارية فى عمل الشباب فالقضية المطروحة الان هى توحيد قضايا الشباب فى مصر فما الوقت المخصص ؟ سؤال سنجيب عنه فى الاجتماع القادم ، ولكن عامة هناك عمل يجب أن يتم .

● حسام عطوط

بالنسبة لتشكيل لجنة أخرى فى تصورى أن ذلك سوف يدخل حسابات كثيرة ، والنقاش نفسه هو الذى سيحدد ورقة العمل الذى نسير عليها .

● الدكتور كمال أبو المجد

ان الموجود فى ورقة العمل هو الاتى :

وظيفة الاتحاد الاشتراكى وعلاقته بالاجهزة التنفيذية ، والتنظيم الداخلى وتعديل قانون الاتحاد الاشتراكى وموضوع الشباب ، واستقر رأى السادة الحاضرين على أن تشكل لجنة العمل من :

السيد / محمود مقلد .

السيد / د . اهاب اسماعيل .

السيد / د . على صادق .

السيد / حسام عجرود .

السيد / على قاسم .

وسوف نتصل بحضراتكم لتحديد ميعاد الاجتماع المقبل ان شاء الله .
وشكرا

وانتهى الاجتماع فى الساعة ١٢:٣٥ .

ويبرز سؤال الان هو كيف يتم هذا ؟
ان ورقة العمل الرئيسية حددت الامور التالية :

اولا - اعادة النظر فى قانون الاتحاد الاشتراكى .
ثانيا - علاقة التنظيم السياسى بالاجهزة التنفيذية .

ثالثا - الانفتاح على الجماهير .

وهناك أسلوبان محددان :

اولهما : هل نقسم ورقة العمل ونناقشها بندا بندا بطريقة متسلسلة ؟

والثانية : هل نتناول القضايا قضية بقضية .

حيث أن اللجنة الرئيسية ستعرض لكل هذه المسائل ، وبذلك نكون فعلا محتاجين للجنة داخلية .

● عبد المنعم وهبى

أرجو عند اعداد ورقة العمل أننا نتناول الرد على التساؤل الذى تقدمت به لجنة العمل عن العلاقة بين اللجان الفرعية واللجنة العامة ، فهل تدرس اللجنة هذا ثم تأخذ حصيلة هذه الدراسة وتجمع وترفع الى لجنة العمل ؟

● الدكتور كمال أبو المجد

اذا تناولنا موضوع الشباب نجد أن لجنة العمل حددت قضايا عامة ويبدو أنها بحاجة الى معرفة رأى اللجان الفنية فى هذه القضايا .

● علاء قاسم

حتى تكون دراستنا جادة فاننا نحتاج الى فترة من الوقت للاطلاع والدراسة ، كما نطلب توفير ورقة العمل الكاملة .

● الدكتور كمال أبو المجد

بعد هذا الاجتماع سنوفر ان شاء الله ورقة العمل لكل الاعضاء ولكن الاجتماع المقبل كيف سيكون ؟

هل سيحاول السادة الاعضاء الاجابة عن التساؤلات المطروحة ؟

● الدكتور عبد الحميد بصيلة

فى رأى أننا نبدأ بتشكيل لجنة صغيرة تفوض منا لعمل تصور لورقة العمل الكاملة حيث ان اللجنة تستمد عملها من هذه الورقة ، على أن

تعليق على المناقشات

التناقضات . .

بين الكلمات المتشابهة

د . رفعت السعيد

كهذا ؟ فحتى هؤلاء الذين يقولون أنه تحالف
يختلفون ، فالبعض يرى أن الصيغة الراهنة
للتحالف غير صحيحة ، فإنها « تحالف بين أفراد »
ولابد أن تصبح « تحالفا بين طبقات — سعد
الدين وهبه » . والشيوخ يبصار يجد فارقا كبيرا
بين أن يكون الاتحاد الاشتراكي « ممثلا لقوى
الشعب العامل ، وبين أن يكون تحالفا لقوى
الشعب العامل »

بينما يرى البعض الآخر « أنه ليس حزبا ولا
جبهة ولا تحالفا ، وإنما هو مجرد منتدى سياسي ،
... ليس تحالفا وليس جبهة ، وإنما في رأيي
أنه مجرد تجمع أفراد ... — د . محمد الخفيف » .
وينطلق الدكتور الخفيف من ذلك ليطالب بأن يكون
الاتحاد الاشتراكي « تحالف طبقات ، ويكون لكل
طبقة تنظيمها المستقل داخل الاتحاد الاشتراكي »
بينما يكتفى آخر « بحزبيات وليس أحزابا —

قد يبدو الأمر غريبا بعض الشيء ؟ أن تمضي
سنوات عديدة على قيام تنظيم سياسي والاتفاق
على صيغته ، ثم نكتشف أن ثمة خلافات جوهرية
حول كثير من المسائل المبدئية المتعلقة بشكل
التنظيم وأهدافه وأساليب عمله . .

لكن الخلاف قائم ، وهو واقع موضوعي ،
وما من جدوى لستره : بل أن كل ما نعاني منه
من تنافس الاختلاف في وجهات النظر نابع في
الاساس من محاولات سابقة لطمس أوجه
الخلاف . . ولم يعد ثمة مناص من أن نواجه
الموقف على حقيقته وبكل تناقضاته .

ويبتدىء الخلاف منذ النقطة الاساسية في
الموضوع كله . . ماهي طبيعة الاتحاد الاشتراكي
كوعاء سياسي ، ويثور السؤال التقليدي لحزب
أم تحالف أم جبهة ؟

غير أن الخلاف اعنف من أن يبسط في تساؤل

د. حسين فوزي « في حين يطالب **خالد محيي الدين** بالاعتراف بوجود تيارات سياسية واثابة الفرصة امام تكوين « نواى سياسية » تمثل هذه الاراء .

واذا جاز لنا أن نتتبع نقاط الخلاف بحثا عن الواقع الفعلى فثمة خلاف هام آخر حول طبيعة العلاقة بين قوى هذا التحالف ، .. فاذا قلنا ان التحالف يقوم بين طبقات « فبالثالى سيكون هناك جزء تتفق عليه .. كما أن هناك اعترافا بوجود صراع بينها .. فهل نحن مستعدون للاعتراف بأن هناك صراعا بين قوى التحالف لان بينها تناقضا ؟ » [سعد وهبه]

وتتطور فكرة تأكيد وجود الصراع الطبقي ليستخلص منها **احمد عباس صالح** ، رأيا محددا فهو يقول « نريد تمثيلا سياسيا ، بمعنى أن التجمعات الشعبية تتجمع وراء فكر سياسى وايدىولوجية سياسية ، فكر معين متكامل له وجهة نظره وفلسفته » .

ان فكرة التحالف رغم بساطتها ، ورغم انها تبدو بديهية ، الا انها تقودنا حتما - ومن خلال التحليل المنطقي - الى عدد من الضرورات يتلقت الكثير من المتناقضين بحثا عنها فلا يجدونها ..

فالتحالف بين طبقات .. اذن لابد له من ممثلين متميزين لهذه الطبقات ، ولكل طبقه فكر ورأى ومصالح .. اذن لابد من تنظيم علاقة حية ومتفاعلة بين آراء وافكار ومصالح طبقات التحالف ..

والتحالف بناء سياسى يقوم على أساس اقتناع حر والتقاء اختياري بين طبقات معينة لمرحلة محددة ، ومن أجل أهداف متفق عليها ، لكن **نجيب محفوظ** يلاحظ أن « الاتحاد الاشتراكي تحالف لقوى الشعب العاملة ، ولكنه تحالف مفروض ومن هنا لمانه لا يمثل التحالف »

لكن البعض يقبل التحالف ويرفض فكرة الصراع ربما تصورا لان الصراع عمل أخلاقى بين أطراف تحالف واحد . **والدكتور محمد دكرورى** يرفض القول بفكرة الصراع الطبقي قائلا « أن مشكلة الاتحاد الاشتراكي ليست مشكلة طبقات وصراع طبقات ، انها هى مشكلة تنظيم الحياة فى مصر ، مشكلة تنظيم العلاقة بين السلطات .. »

كذلك يمتد الخلاف الى تحديد فئات التحالف **فالدكتور الخفيف** يتساءل بشكل عابر : هل يمكن اعتبار الرأسمالية الوطنية ، أحد قوى التحالف

فى تنظيم يسعى لبناء الاشتراكية ؟ » وقد أوضح د. الخفيف انه لا يعترض على ممارسة الرأسمالية الوطنية لدورها الوطنى والنضالى ، لكنه فقط يتساءل عن مدى رغبتها فى الاستمرار فى معركة البناء الاشتراكي .

والحقيقة ان هذا التساؤل الغابر يثير قضية تستحق التأمل ، فالرأسمالية الوطنية التى أمكن جذبها تحت ضغط قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين الى تحالف ينشد الاشتراكية ، ليس من المتصور أن تبقى طرفا أصيلا فى هذا التحالف الاشتراكي الى الابد .. وهى لكى تبقى بجنب أن تطرا عليها تغيرات جذرية تمس تركيبها العضوى أساسا حاسما ، لقد تحددت قوى التحالف فى ظروف محددة ، وحصلت الرأسمالية الوطنية شكليا على جزء من سلطة التحالف لكنها استحوذت من الناحية الفعلية على أكثر مفاتيح السلطة الحقيقية ، ولعل هذا هو بالتحديد الذى يثير كثيرا من الشكوك والتساؤلات حول قيمة التحالف وجديته .

والتحالف أولا وأخبرا مسألة جدلية تخضع لعوامل موضوعية كثيرة ويتعين لكى تتعزز مسيرته فى اتجاه الاشتراكية ولكى يصبح قادرا بالفعل على انجاز مهام التحول الاشتراكي أن تزيد مشاركة العمال والفلاحين ، وأن يقل بنفس القدر ما استحوذ عليه الرأسمالية الوطنية من نفوذ .

هكذا تتحدد المعالم الأساسية للخلاف فى وجهات النظر ، لكن الشئ الأكثر خطرا فى هذه الخلافات هو محاولة تبسيطها أو كما يقولون تسطيحها ، ذلك انه فى وعاء مثل الاتحاد الاشتراكي يضم قوى سياسية واجتماعية وفكرية مختلفة بل ومتناقضة ، نجد أن التعبيرات اللفظية قد تتلاقى فى بعض الاحيان ولكن من منطلقات ولاهداف مختلفة تمام الاختلاف . فعندما يطالب **لطفى الخولى** بأن يكون « الاتحاد الاشتراكي مسئولا عن أن يوفر المناخ والمنبر والاداة السياسية لكل القوى الاجتماعية ولجميع المواطنين الراغبين فى ممارسة العمل السياسى » فانه يختلف فى الهدف والمنطلق عن شخص آخر يطالب « بأن توسع الدائرة بحيث تشمل كل المجتمع وتحشد كل القوى » أو عن شخص يطالب بآتاحة الفرصة « لآى رأى أيا كان » .

وربما استطاع **همدى غيث** أن يبين الفارق بين الفكرتين عندما أكد على حقيقة أن « هذا الاتحاد يجب أن يكون اشتراكيا ، وليس اتحادا بين أحد أيا كان أو أشخاص أيا كانوا » كذلك

يطالب سعد وهبه بالا ينضم للاتحاد « الا اصحاب المصلحة »

وهكذا فان الدعوة للانفتاح تنطلق من منطلقين مختلفين بل ومتناقضين ، فالبعض يطرحها كسبيل لتصحيح الموقف المتخذ من بعض القوى ، بينما يردد البعض الاخر نفس الكلمات تقريبا في محاولة لتبليغ الحذر الطبقي المفترض تواجد دوما ضد اعداء الاشتراكية .

ولعل موسى صبرى قد افصح - في موقع آخر من النقاش - من حقيقة التناقض بين الكلمات المتشابهة ، عندما اشار الى حديث د. الخفيف حول ضرورة تكوين احزاب في اطار الاتحاد الاشتراكي .

وهكذا فان الدرس الهام الذي يتعين علينا الانتباه له في حرص ونحن نستعرض الآراء التي تتداول في نقاش كهذا . هو ان الاتفاق اللفظي يجب الا يخدعنا ، فلنتأمل الكلمات والمواقف والمواقع الطبقي والفكرية فانها خير دليل يفسر المعاني الحقيقية للكلمات .

وثمة نقطة أخرى تركز حولها الجدل ، وهي علاقة الاتحاد الاشتراكي بالاجهزة المختلفة وبالسلطتين التنفيذية والتشريعية على وجه التحديد . .

يقول ابو سيف يوسف « الاتحاد الاشتراكي هو الصيغة التي تمثل السلطة السياسية العليا لتحالف هذه الطبقات . وهذه السلطة هي التي توجه مجموع العمل الوطني كله . وهي بالتالي توجه السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية » . لكن المهندس سيد مرعي السكرتير الاول للجنة المركزية ينسأ في أكثر من موقع كيف . . ؟ والى أية حدود ؟ . . وبأية ضوابط ؟ ان الحديث المجرد عن السلطة سهل للغاية لكن ممارستها في مواجهة قوى أخرى أكثر استقرارا وأكثر رسوخا مسألة أخرى تماما .

كذلك فان النقيض لهذا الرأي يتطرق الى حد أن يصبح الاتحاد مجرد « محطة ضخمة جسدا من الارسل والاستقبال كحلقة اتصال بين الشعب والحكومة » - صلاح طاهر . بينما يقول د. حسين فوزي انه يرى « أن يكون الاتحاد الاشتراكي صورة صادقة لما يحدث بين الحجرات وبين النوادي وفي كل مكان ، وأيضا بين افراد الشعب » . ويطالب د. محمد خلف الله احمد

بأن « يصبح الاتحاد مدرسة سياسية ، وان يصبح برلمانا جماهيريا حرا . . يتكلم منه الشعب بحرية وبأى رأى » بينما يرى سعد وهبه « أن الاتحاد الاشتراكي لم يكن يوما مركزا لسلطة فعلية ، ذلك ان السلطة الفعلية في مصر كانت منذ قيام الثورة أقوى من اطارها السياسي وأقوى من اطارها القانوني ، وبالتالي لم تفرق كثيرا صيغة هيئة التحرير عن صيغة الاتحاد القومي ، عن صيغة الحزب الواحد » . . وذلك لان القوة الفعلية كانت مركزة في مكان آخر .

وهذا في اعتقادنا هو الجوهر الحقيقي للمشكلة . . ذلك أن أى تنظيم سياسي يستطيع ان يتخيل لنفسه ما شاء من سلطات ، غير أن الفارق بين الخيال والواقع تحدده عناصر موضوعية يتعين مراعاة تغييرها قبل أى شيء آخر . . ذلك أن توزيع السلطة يتبع قانونا محددا يقول أن تتركز السلطة في جانب يحجبها عن الجانب الآخر ، ولا سبيل مطلقا لمنع هذا الجانب الآخر أى قدر اضافى من السلطة الا بتقليل تركزها في الجانب الاول ، والنقاش قد يدور لاشهر طويلة حول البحث عن سلطات الاتحاد الاشتراكي وتحديد اختصاصاته وعلاقاته ، لكن الكلمات تبقى دوما في اطار غير مؤثر مالم تلتق بعناصر موضوعية تضعها موضع التطبيق .

واذا كانت هذه العناصر الموضوعية لم تتوفر بعد فلا سبيل الا بايجاد مهرب ، وتبحث فائدة كامل عن المهرب الامن فتطالب الاتحاد الاشتراكي بأن يتولى « مهام محددة لها قيمتها الجماهيرية مثل تنظيم الاسرة ومحو الامية ويكون مسئولا عن تنفيذها بالكامل » .

والامر الان ينحصر في البحث عن واجبات لشغل فراغ يشمر به التنظيم السياسى . ولستنا ضد أن يهتم الاتحاد الاشتراكي بمثل هذه القضايا بشرط أن تكون سبيلا لعمل سياسى محدد يستهدف كسب الجماهير للعمل السياسى ذاته . . والا تحول الاتحاد الاشتراكي الى جهاز بيروقراطى خال من السياسة .

لكن عبد العزيز الدسوقي يرفض فكرة فائدة كامل ويتجه سريعا الى النقيض قائلا « نحن في الواقع نريد أن يتحول هذا التحالف الى جهاز سياسى ينظر الى الامور السياسية فقط ، فلا أريد أن يأتى الاتحاد الاشتراكي ليحوا أمية لبعض الناس أو أن يعطى بعض الناس خدمات معينة ، ولكننا نريد أن يتحول الى مؤسسة

.. ونبييل الالفى يقول « المعارضة ضرورية ، وكل نظام حكم لا يستطيع أن يستغنى عن نوع من المعارضة » .

وهكذا تظل قضية الحريات محورا تتجمع حوله كافة الاطراف ، ومطلبا شاملا للامة كلها ، ذلك أن التجربة العملية قد أثبتت - بما لا يدع مجالا لاي شك - أن افتقاد الحريات السياسية والفردية هو عنصر أساسى فى كل ما نعانى منه من ضعف العمل السياسى وسلبية كوابره .. ذلك أن العمل السياسى هو فى جوهره عمل اختياري وما لم يتمتع القائمون به بقدر كاف من الحرية والمشاركة والمسئولية والقدرة على النقد والتصحيح ، فإن السلبية والعزلة ستكون المصير الحتمى الذى يتجهون اليه ان أجلا أو عاجلا .

وأخيرا .. تبقى بعض الكلمات المبريرة ، تلخص كل صعوبة التجربة مثل عبارة مسعد وهبه « عندما استرجع نشاط الاتحاد الاشتراكى فى الفترة الماضية أرانى نادما على كل وقت أقضيه فى حضور اجتماعاته .. » .

وتساؤل أشد مرارة يردده د. محمد دكرورى « هل يراد أن يكون فى مصر تنظيم قوى ؟ .. » وبين مرارة الكلمات ومرارة السؤال تمضى تجربة الاتحاد الاشتراكى بحثا عن طريق .

سياسية » . وهذه محاولة للفصل الميكانيكى بين العمل السياسى المجرد وبين النشاط الجماهيرى لخدمة الاهداف السياسية . وهذا الراى يريد أن يسلب الاتحاد كل ما يعن له من قدرة على الاتصال بالجماهير وعلى ممارسة دور فعلى فى صفوفها . كذلك فأننا اذا ما أسقطنا من حسابنا واجبات الكادر السياسى فى ممارسة العمل اليومى لخدمة الجماهير فأننا نفقد التنظيم السياسى مقياسا هاما وأساسيا لتقييم الكادر .. ولا يبقى لنا الا مقياس تالف هو القدرة على الكلام المنسق وترديد شعارات براقة شبيعت منها الجماهير الى حد التخمة .

وإذا كانت الخلافات قد احتدمت حول كثير من القضايا الأخرى ، فإن نقطة واحدة تبقى محل اتفاق الجميع وهى « ضرورة الفاء كافة القوانين التى تجعل هناك قيودا على حرية الناس - خالد محيى الدين » .

.. « أعتقد أن الأدباء والصحفيين يريدون أن يتكلموا حول حرية الصحافة وحرية النقد ، وحرية المسرح .. ولا شك أن هناك قيودا كبيرة على هذه الحرية ، وأن هذه القيود لا ضابط لها بحيث أننا نحن الذين نكتب لا نعرف ماذا يمكن أن يقال وماذا يمكن ألا يقال - ثروت أباطه » .



عن قضية الديمقراطية والمشاركة فى السلطة

محمد حلمى ياسين

وفى كل الحوار المنشور وغير المنشور - يمكن للانسان أن يجد العديد من النقاط الايجابية ، ولكن أغلبه يكشف المواقع الفكرية والولاءات الطبقية لأصحابه .

وإذا استبعدنا ذلك النفر من ذوى المراكز السياسية أو الوظيفية - والذين لا خبرة لهم بقضايا التنظيم السياسى من قريب أو بعيد - وهم لا يزيدون خلال مشاركتهم فى أعمال هذه اللجان عن أى مواطن بسيط تسعى لقياس وجهة

تعكس المناقشات الدائرة فى لجنة العمل ولجانها الاستشارية صورة حية لما يموج به المجتمع المصرى اليوم من أفكار وصراعات .

وهذا الحوار ليس الا جانبا من حوار أوسع وأكثر شمولاً وأكثر التصاقا بالواقع تشهدده الكثير من اجتماعات لجان الاتحاد الاشتراكى ، فقد حصلت بعض لجان المحافظات والاقسام على ورقة العمل - وقامت بطبعها وتوزيعها وجرت حولها مناقشات .

نظرة ومشاعره ازاء نشاط التنظيم الخارجى وسط الشعب - بل اننا قد نجد لدى المواطن الشعبى البسيط من الحس وصدق الشعور ما يجعل حكمه أكثر صحة من هؤلاء وربما كان أكثر فائدة على ضوء نتائج العمل نفسه لو وجد مكانهم فى لجنة العمل ولجانها الاستشارية عدد من قيادات لجان الاقسام .

وقد نتفق أو نختلف مع الافكار والمقترحات التى قدمتها مثلاً اللجنة المشكلة من بعض امناء المحافظات ولكن الامر الذى لا شك فيه ، انها تعبير عن مشاكل ومعاناة حقيقية ووجود بعض امناء الاقسام النشطين فى اطار لجنة العمل وفى ذلك الوقت المبكر من المناقشات كان يغنى المناقشة من واقع التجربة الحية .

إذا استبعدنا هؤلاء النفر من التقييم - فسوف تجد ان المساهمين فى الحوار الجاد يمثلون عدة اتجاهات :

١ - اتجاه يحاول تجميع حدود كل شئ حققته أو أكدته مسيرة الثورة وتحت شعارات « رفض النظريات » فانهم يطرحون شعار الوحدة الوطنية ودون أدنى صعوبة تكتشف انهم لا يتحدثون عن وحدة قوى الشعب العاملة ، وانما يتحدثون عن الوحدة الوطنية كما مثلها « الاتحاد القومى أقرب تمثيل » .

٢ - ان أصحاب هذا الاتجاه يريدون أن يتخذوا من قبول صيغة التحالف تكة للعودة الى صيغة كالاتحاد القومى - بينما ان هذا القبول هو فى الحقيقة « تأييد لتأنيوه التناقضات بين قوى الشعب العاملة لمواجهة التحدى الناجم من تناقضها الاساسى مع الاستعمار العالمى والصهيونية - ولا يمكن أن يعنى باى حال العودة الى صيغة هلامية كصيغة الاتحاد القومى .

٣ - اتجاه يحاول وتحت جانب آخر من الشعارات والجمال المكررة والرنانة عن الجماهير والالتحام بها . وحل التناقضات ودعم القدرات يحاول هذا الاتجاه الاستمرار فى أسلوب الحلقة المفرغة ولا يأخذ فى اعتباره دروس السنوات الماضية وتجارب التنظيم السياسى خلالها .

فالتقترحات توسيع الوحدة الاساسية فى القرية بضم الطبيب وأمين الجمعية والمأذون الشرعى - لن يؤدى الا لمزيد من التفكك والصراعات - وبعض هؤلاء يعرفه الفلاحون كمستغل لهم .

لقد خاض الاتحاد الاشتراكي من قبل خلال سنوات ٦٦ ، ٦٧ تجربة ما سمي باللجان القيادية - التى تشكلت فى الوحدات الانتاجية من بقايا لجنة العشرين القديمة واللجنة النقابية ورؤساء الاقسام ورجال الادارة وتعثرت التجربة حتى تم تشكيل المكاتب التنفيذية .

وأى محاولة لادخال الاداريين والتنفيذيين بحكم وظائفهم فى لجان الاتحاد خطأ جسيم نتيجته الوحيدة المزيد من الشلل وسيطرة ادارية وروتينية والشكل الوحيد الممكن هو عقد الاجتماعات الدورية المشتركة بين الجانبين .

ومن واقع التجربة فان صعوبات وتعقيدات شديدة تعرق فاعلية الصلة بين لجنة الاتحاد والادارة - والاجتماعات الدورية المنظمة على مستوى الوحدات يجب ان تعقد فى فترات متباعدة نسبياً (كل ثلاثة شهور مثلاً) بينما يجب ان يتم على مستوى لجنة القسم اجتماع لرؤساء ادارات الوحدات التابعة للقسم مرة كل شهر وبانتظام - وفى هذا اللقاء تختفى الى حد كبير سلطة وهيمنة الادارات ويكون البحث والمناقشة ذات طابع سياسى وعام ولايسيطر عليه جو الصراعات الشخصية .

اما فى القرية فان تدعيم اللجان لن يكون الا عن طريق تنشيط العمل السياسى فى التعاونية وفى محو الامية وفى خدمة البيئة وفى الدفاع عن مصالح الفلاحين وحل مشكلاتهم - ومن يبرر فى هذه المجالات فان مكانه فى القيادة المحلية - يصبح امراً طبيعياً .

٤ - اتجاه ثالث حاول بالاستناد الى التجارب الماضية بايجابياتها وسلبياتها والخبرة الانسانية فى قضايا التنظيم - حاول هذا الاتجاه ان يقدم افكاراً ومقترحات لاعادة تنظيم المستويات القيادية وبشكل خاص اللجنة المركزية واجهزتها - وابتدع اشكالا تنظيمية تضمن الربط المباشر بين القيادة المركزية والقيادات الفعلية الوسيطة ، وكذلك مقترحات بشأن دعم دور الوحدات الاساسية عن طريق دورية مؤتمراتها ، وجدية هذه المؤتمرات وعلى اساس ان يوفر الاتحاد الاشتراكي للراغبين الامكانيات اللازمة .

٥ - اتجاه رابع يرفض صيغة الاتحاد الاشتراكي من أساسها ويتجاوزها الى ضرورة قيام تنظيمات حزبية تتحد فيما بينها فى جبهة - وبالرغم من ان مهمة اللجنة محددة وملقزمة

الاتحاد الاشتراكي . وليس من نقطة كانت موضع اتفاق عام بين معظم المتكلمين بصرف النظر عن الارضية السياسية التي ينطلقون منها .

لقد عبر الكثيرون عن « اننا كلنا نتدخل بموانع وخذنا نأتمر بأوامر » وان رهض بعض المواطنين للاتحاد الاشتراكي يرجع الى أنهم محتاجون الى ان يطمئنوا الى ان الذي يقدم اليهم هو تحالف قوى الشعب وليس السلطة التنفيذية البوليسية ذات الارادة الحاكمة وذات الطريق الواحد » وان الاراء التي تقال في الشوارع والنواصي والهيئات والبيوت وفي كل مكان لاتقال في قاعة الاتحاد الاشتراكي وان القرارات سواء كانت سياسية او شخصية او عادية تتخذ بواسطة ومسئولية القيادة العليا باستمرار وتقال سلطة تنفيذية تاريخية في مصر قوية جدا تشعر بأنها تستطيع ان تأخذ كل القرارات وان الاتحاد الاشتراكي يكفيه ان يبشر أو يبرر أو يلم الناس ويجمعهم .

وبينما تقف القوى الشعبية عاجزة عن القفز فوق الحواجز والموانع الموضوعية ، نجد ان قوى اليمين تندفع بكل شراسة مستخدمة في اندفاعه كل المراكز السياسية والاقتصادية التي تحتلها في الدولة والقطاع العام والخاص - تندفع من أجل تحويل الفرص المتاحة للحوار الديمقراطي في ظل سيادة القانون - تندفع من أجل تحويل ذلك الى رده عن طريق التطور الاجتماعي والديمقراطي ونكوص عن المكتسبات الثورية ، واستطاعت هذه الفئات ان تكون اعلا الاصوات ضجيجا وجذبت اليها العديد من العناصر التي وصلت الى مراكزها في التنظيم السياسي او في مجلس الشعب بسبب خلق الانتخابات من العمل السياسي .

لقد اضطر الرئيس السادات أن يتدخل في الحوار الدائر ليعيد التوازن بين مختلف القوى كما حدث في خطابه يوم ١٠ يونيو وخطابه يوم ١٥ مايو .

ان التأكيد الوحيد المقبول الذي يستطيع ان يمنح صيغة التحالف ضمان الاستمرار والنجاح هو توافر المناخ الديمقراطي العام ، واتاحة حرية التعبير لكل القوى داخل التحالف حوار ديمقراطي .

ان الديمقراطية هي الوسيلة الوحيدة لدعم وتوسيع النشاط السياسي للجماهير من أجل نقل مركز الثقل داخل التحالف الى الطبقات والفئات الشعبية ، وهي السبيل لتمكين الجماهير الشعبية من أن تتصدى لهجمات عناصر اليمين التي تسعى للانقضاض على مكتسبات الثورة ، وفرض رده عن طريق التطور الديمقراطي والاجتماعي .

بالمواثيق الاساسية للثورة وهي كلها تؤكد تحالف قوى الشعب العاملة ، وبالتالي فان هذه الفكرة خارج دائرة النقاش - بالرغم من هذا فان صوت هذا الاتجاه كان واضحا ومتميزا ، وفرض نفسه على المناقشات .

ولقد امكن الوصول خلال النقاش الى نقاط اتقان عديدة وكلها نقاط ايجابية وبناءة - ولاشك ان اعادة تنظيم اللجنة المركزية ولجنتها السياسية والامانة وانشاء مؤتمر الكادر والعضوية الجماعية للنقابات والمنظمات الجماهيرية العمالية والمهنية والغاء الانتساب ، ودعم مؤتمرات الوحدات ودوفير امكانيات العمل للجان الوحدات كل هذه اقتراحات سوف تدمج العمل للامام ، وسوف تبقى ذات أثر محدود سرعان ما يتلاشى وتتجاوزها الحركة الشعبية ، ثم نعود لنطرح من جديد ما العمل للخروج بالاتحاد الاشتراكي من مشكلته ؟ اذا لم يحسم الموقف من قضيتين اساسيتين :

١ - قضية الديمقراطية بشقيها - توفير المناخ الديمقراطي العام في البلاد وممارسة الديمقراطية داخل التنظيم السياسي ذاته .

٢ - قضية دعم العمل السياسي الجاد لنقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة .

ان صيغة الاتحاد الاشتراكي كإطار لتحالف قوى الشعب العاملة التي قدمها القائد الخالد جمال عبد الناصر في الميثاق بعد نكسة الانفصال وفي مرحلة حضور شديد للحركة الثورية . والتي صدر بيان ٣ مارس في الاساس من أجل نقل السلطة بالديمقراطية الى تحالف قوى الشعب العامل . ان هذه الصيغة ما زالت هي الصيغة الملائمة ولكنها تمتحن اليوم امتحانا قاسيا في ظل حركة الجماهير المتدفقة نحو ساحة النضال السياسي والاقتصادي

لقد عبرت هذه الحركة الجماهيرية عن نفسها وبوسائلها في كل موقف من خارج الاتحاد الاشتراكي ولم يستطع الاتحاد الاشتراكي ان يوفر للطسلا ب أو للعمال فرص النشاط أو التعبير السياسي والدفاع عن مطالبهم ودفعهم بعجز هذا للحركة من خارجه .

والحركة الجماهيرية تزداد اتساعا وتتميز بالاصرار على حرية التعبير والتنظيم للدفاع عن مكتسباتها .

ان الجماهير الشعبية لا تستطيع ان تعبر عن نفسها في ضوء العلاقات ، والاسلوب السائد في

تحالف قوى الشعب العاملة في اطار الاتحاد الاشتراكي ، مازالت الصيغة الصالحة - وهي من أكثر النقاط التي قدمت فيها اقتراحات من أهمها :

- حق كل فئة في انتخاب ممثليها للمستويات القيادية .
- انشاء نواب سياسية لكل جماعة أو اتجاه
- الاتفاق الضمني على شخصيات تعتبر قائدة لاتجاه معين داخل مؤسسات الاتحاد .
- حرية النشر واصدار الصحف .

وبدون الديمقراطية سوف تتبدد كل المحاولات المبذولة لتنشيط الاتحاد الاشتراكي وسوف لا تستجيب الجماهير الشعبية اذ لم تجد في رحابه حرية التعبير دون خوف أو مساءلة ، وتوفير الحق المتميز لكل فئة داخل التحالف في أن تعبر عن مصالحها الخاصة في اطار المصالح القومية العامة المتفق عليها .

وهذه النقطة الاخيرة هي أكثر النقاط أهمية الان ، حيث يطرحها الذين ما زالوا يؤمنون بأن صيغة



ترجيح المصالح المشتركة على المصالح المتميزة

محمد سيد أحمد

الثورة الكبرى ، وطنيا (في أعقاب حرب السويس) واجتماعيا (في أعقاب اجراءات يوليو ١٩٦١) . فقد استطاعت الثورة في ذلك الوقت أن تجذب أوسع الجماهير للالتفاف حول قيادتها ، حتى أن انبثاق « تنظيمات بديلة » لم يكن يشكل تهديدا جديا لصيغة التحالف التي وجدت تعبيرا مركزا لها في الميثاق ، وحاول « الاتحاد الاشتراكي » تجسيدها في التطبيق .

ولكن ظروف نكسة ١٩٦٧ اقتضت أن تولى هذه القضية ما تستحقه من اهتمام . وكان بيان ٢٠ مارس تعبيرا عن هذه الضرورة . وأثبتت التجربة أن مراكز قوى قد نشأت ، وكانت وسيلة « بالاكراه » للحفاظ على وجود تنظيم واحد فقط ، بدلا من ايجاد هذا التنظيم الواحد بأسلوب الاقتناع والارتضاء وحده . وفي وقت تقتضى سيرة الثورة تغليب « الديمقراطية » كأساس لاستمرار انطلاقتها ، وإزالة العوائق التي صاحبت نشأة مراكز القوى ، أصبح من الأهمية بمكان أن تدرس صيغة التحالف بمزيد من التمعن ، خاصة في وقت دلت فيه مناقشات لجنة العمل على أن « وجود » الاتحاد الاشتراكي بين « القواعد » وبين « الجماهير العريضة » يكاد يكون أمرا منعدما ، وبرزت فعلا في التطبيق محاولات لاقامة « بدائل » .

والعودة الى أساسيات القضية : أرى أهمية تركيز الاضواء على الحقائق التالية :

أولا : هناك تسليم بأن « قوة التحالف » تتسع لعدد من الطبقات الاجتماعية . ومهما بذل من جهود لاذابة الفوارق المادية بينها ، فهي ما مازالت قائمة ، ولهذه الطبقات مصالح متميزة ،

لقد تشعبت مناقشات لجنة العمل واللجان الفرعية الى كثير من القضايا الفنية والتفصيلية حول إعادة بناء الاتحاد الاشتراكي . وهذا لا شك مطلوب لتخطي الصيغ العامة وحدها ، والتوصل الى هياكل وأشكال قصاصح للتطبيق . غير أن الذي أرى ابداء بعض الملاحظات حوله ، يتعلق بالقضية الأساسية ، قضية « صيغة الاتحاد الاشتراكي كتحالف لقوى الشعب العاملة » ، وهي قضية تناولتها المناقشات ، ومع ذلك أرى أنها مازالت تحتاج الى تأكيد بعض المعاني بشأنها .

فأى تنظيم سياسي اذا أراد أن يشمل حركة المجتمع السياسية والاجتماعية ، وأن يتسع لكل أوجه نشاطه ، يضع كهدف أمامه أن يصل الى هذا الحد من الاكتمال بحيث يكون في التطبيق فعلا « تنظيما طليعيا » يقود حركة المجتمع ، وتحولاته السياسية والاجتماعية . ولكن اذا غضضنا النظر عن هذا « الهدف الأقصى » ومدى بلوغ التنظيم عناصر هذا الاكتمال في التطبيق ، فهناك « شرط أدنى » لابد من توافره ، وبدون هذا الشرط الأدنى ، يدل التنظيم على أنه لم يفلح في تبرير وجوده كتشريع واحد يشمل كل حركة المجتمع ، وهذا الشرط الأدنى ، هو أن للتشريع من « وجود » على اتساع المجتمع ككل ، وبين الجماهير في كل مجالات عملها وحياتها ، على نحو لا يترك مجالا لأن يزاحمه بديل ، أو على نحو لا تجد الجماهير حاجة الى اقامة بديل .

وربما وفقت الثورة لعدد من السنوات في ألا تجعل من هذه الرؤية للقضية مشكلة تقسم بصفة الأهمية القصوى والالحاح ، خاصة بعد انجازات

المحركة الوطنية لاسترداد الارض المصرية والعربية ، ولنصرة قضية شعب فلسطين العربى ، وثيقة الارتباط بالمنطلق التقدمى للثورة المصرية ، ولحركة التحرير العربية عموما ، واتجاهها الى الاشتراكية ، والى توثيق صلاتها بكافة القوى العالمية المعادية للامبريالية . ولم يعد ممكنا فى هذا العصر محاربة الاستعمار بصوره الجديدة ، من منطلق رأسمالى وطنى ، كما كان الامر فى بداية هذا القرن ، ذلك أن النضال ضد الاستعمار والامبريالية اكتسب فى عصرنا حتما طابع النضال ضد الرأسمالية ، ويحتم الانطلاق فى طريق ينبذ الرأسمالية كشرط للتنمية ، وكشرط لصون الاستقلال الوطنى واطراد دعمه .

ثم أثبتت التجربة أن الحشد الشامل لطاقات المجتمع ضد العدوان ، وتحمل التضحيات التى تقتضيها المعركة ، تقتضى الغلبة داخل المجتمع سياسيا وفكريا لقوى الشعب العاملة ذات المصلحة الاصلية فى ازالة كل أوجه الاستغلال الرأسمالى ، صاحبة التصميم والمصلحة - فى السير بمعركة التحرير - وطنيا واجتماعيا - الى نهاية المطاف .

ثالثا : ان التنظيم السياسى قبل السلطة التنفيذية ، وقبل مؤسسات الدولة الاخرى ، هى أكثر القنوات قدرة على التعبير عن حركة الجماهير وتطلعاتها ، وهى الاداة الاولى فى ضمان سيطرة الشعب على مقدراته ، وسلطة الشعب العامل حقيقة بقدر ما يكون تنظيمه السياسى فعالا . وحيوية التنظيم السياسى وكفاءته واستقراره وازدهار بنيانه رهن اتصاله الوثيق بالواقع داخل حركة الجماهير التى تتركز عندها تعبيرات عن « حالتها الثورية » قبل أن يكون رهن التفنن فى الاتفاق على وسائل فنية لتنشيط جهاز التنظيم بعيدا عن حركة الجماهير وعن « حالاتها الثورية » . وهى « وسائل فنية » تستمد ملامحها فى الأرجح من الوسائل المتبعة فى الاجهزة التنفيذية .

ومواقع متميزة فى المجتمع وفى عمليات الانتاج ، ولها رؤية متميزة ، وفكرية متميزة ناجمة عن تمايز مصالحها ومواقفها : ذلك مع افتراض حقيقة أن ما لها من مصالح مشتركة يفوق فى الاهمية هذه المصالح المتمايزة . وترجيح المصلحة المشتركة هو الذى يعتبر حجر الزاوية فى امكان قيام تحالف ، وفى امكان قيام تنظيم واحد لها . ولكن أشارت كلمات المتحدثين الى وجود « تناقضات » أكيدة بين هذه القوى المتحالفة .

ومجرد التسليم بوجود « تناقضات » يتسلسل منه منطقيا التسليم بأن الغلبة لقوة من هذه القوى ، وفكرية هذه « القوة » على فكريات القوى الاخرى . وقد أكدت وثائق الثورة - وبحق - أن الرأسمالية الوطنية - على سبيل المثال - ضمن قوى التحالف . ولكن ينبغى الإشارة الى أن الرأسمالية الوطنية ، تتعارض فكريتها بداهة مع منطلق الاشتراكية ، ووجودها ضمن قوى التحالف رهن أن فكريتها ليست الفكرية الغالبة . بل لابد أن تكون فكرية الطبقات ذات المصلحة الاصلية فى السير بعملية التحول الاشتراكى الى متنهاها ، هى الفكرية الغالبة ، والقوة الاساسية فى التحالف . وقد أراد الميثاق أن تكون الغلبة داخل التحالف لهذه القوى ذات المصلحة الاصلية فى الاشتراكية ، والكفيلة بالنضال من أجلها الى نهاية المطاف . وقد وضع الميثاق مقياسا من ناحية الكم لضمان الغلبة لهذه القوى ، بأن اشترط أن يكون للعمال والفلاحين ٥٠ فى المائة من مقاعد جميع الهيئات التمهيلية المنتخبة . ولكن هذا المقياس الكمى يتعين أن تصاحبه ضمانات نوعية . وهذه الضمانات النوعية رهن بتعريف العامل والفلاح ، ورهن أيضا بنوعية ممثليهم ، ومقدار قدرتهم على التعبير عن مصالحهم الاصلية .

ثانيا : الطابع الوطنى للمواجهة مع إسرائيل ، وما يقف وراءها من قوى الامبريالية العالمية ، لا يغير من أساس هذه المعطيات . ذلك أن

• • نقطة البدء • •

تحديد طبيعة التنظيم السياسى

عبد اللطيف حنفى

١٩٦٧ : أهمية هذا القرار الجديد انه يأتى فى وقت يتسائل فيه شباب مصر كلها - وفى الثلب منهم شباب الفئات والطبقات الكادحة - عن طريق يخرجون به من تلك الازمة الخائفة التى تقيد

أهمية المناقشات التى جرت اخيرا داخل اجهزة الاتحاد الاشتراكى العربى حول قضية الشباب انها أقرار جديد يتفاقم الازمة التى تعانيتها حركة الشباب المصرى منذ ما بعد هزيمة يونيو عام

حركتهم وتحيلهم الى كيانات فردية محاصرة وممنوعة من الفعل المؤثر لصالح الوطن وقضاياها .

وتكشف القراءة المتأنية لمحضر اجتماع لجنة الشباب الذي تنشره « الطليعة » في هذا العدد ان ثمة احساسا عاما باهتزاز الثقة بين حركة الشباب المصري وبين السلطة السياسية ، وقد كانت اشارة السكرتير الاول للجنة المركزية الى هذا المعنى بالغة الوضوح حينما قال « اننا نشعر في الواقع بوجود فراغ كبير بيننا وبين الشباب دون اسباب » ومع ذلك فمن غير المعقول ان يكون اهتزاز الثقة الى هذه الدرجة مجرد جزء من المزاج الحاد لعدد محدود - قل او كثر - من شباب مصر ، وانما هو في التقدير الصحيح نتيجة حتمية للكيفية الغربية التي عولمت بها حركة الشباب المصري من جانب السلطة السياسية وبصفة خاصة خلال السنوات الخمس الاخيرة .

ويكفي ان نلقى نظرة سريعة على ما اصاب منظمة الشباب الاشتراكي وهي التي كانت تمثل خيذاك حجر الزاوية في حركة الشباب المصري لنعرف الى اي حد كانت تلك الحركة ضحية للازمات التي تعرض لها نظام ثورة ٢٣ يوليو ، والى اي حد اجبرت على ان تدفع الثمن من رصيد وجودها داخل المجتمع كما وكيفا . وطبيعي انه يستوى هنا في النظرة الكلية ان تكون اسباب ما اصاب المنظمة قد اتت من داخلها او من خارجها او من الاثنين معا .

فقبل النكسة قدر للمنظمة التي ولدت رسميا يوم ٢١ يوليو عام ١٩٦٦ ان تنشأ في مناخ تميز باحتدام الصراع بين اجنحة السلطة وان تتأثر بمقتضبات هذا الصراع الى درجة عرقلت اهتمامها بالاهداف التي كان من المفروض طبقا للوثائق الرسمية انها اقيمت اصلا لتحقيقها ، وتحولت المنظمة في النهاية الى جزء من هذا الصراع ، ومن يومها ظل هذا هو القانون المسيطر على وجودها ، وبعد النكسة . . وبينما المجتمع كله يموج بدعوة التغيير ، انفجرت مظاهرات الشباب والعمال في فبراير ١٩٦٨ تعبيرا عن هذه الدعوة ، وسرعان ما نشطت كل القوى والاجهزة والافراد الذين خسافوا على مواقعهم وامتيازاتهم غير الطبيعية في مجتمع يعاني مرارة الهزيمة ، ويطالب بالاستعداد الجدي للتحرير ، وتحالفوا جميعا للصاق « تهمة ! » تفجير هذه المظاهرات بالمنظمة ونجحوا في استصدار قرار بتجميد نشاطها على الفور .

وبعد ذلك بعام حينما جرى التفكير في اعادة بناء المنظمة في مارس ١٩٦٩ لم يكن الامر كله

سوى اعاده صياحه لقرار التجميد تجعله - بعد الطلاء الحديد - اخف وطأة على النفوس ، وبشرط ان تخضع المنظمة لنفس القانون القديم كجزء من الصراع بين اجنحة السلطة ، ثم بعد وفاة عبد الناصر . . انتفض الشباب المصري وقلقه مع قلب مصر كلها ينصب الى بيانات اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي وهي تؤكد ان البديل الموضوعي لجمال عبد الناصر هو تدعيم دور وسلطة المؤسسات السياسية والدستورية . ولم يكن كثيرا ان يامل الشباب في ان ينعكس هذا الامر على حجم الدور والامكانيات المعطاه لمنظمتهم . ولكن سرعان ماتبين ان هذه البيانات البديعة قد تمزقت اربا تحت وطأة الصراع على السلطة .

وفي ١٥ مايو عام ١٩٧١ حسم الرئيس انور السادات هذه الجولة من الصراع معلنا اتجاهنا الى تصحيح الاوضاع ، وصدر برنامج العمل الوطني في يوليو محيلا قضية الشباب مرة اخرى الى اللجنة المركزية مع مطالبتها بأن « تولي اهتماما سياسيا خاصا بهذه القضية وان تشرع على الفور في تكوين المنظمة » وانشئت امانة جديدة للشباب وشرعت في تكوين المنظمة من جديد ، وحتى الآن - وكما هو واضح من المناقشات المنشورة - فليس حظ التجربة الجديدة بأفضل من حظ ما سبقها من تجارب . وهكذا تراوحت الكيفية التي عولمت بها حركة الشباب المصري بين القمع والتميع ، ومحاولات الاحتواء على امتداد سنوات ما بعد النكسة . فلم تكن القضية ادنى هي غموض الهدف الذي اقيمت من اجله منظمة الشباب وانما القضية الحقيقية هي اننا لم نمكن المنظمة في اي وقت من ان تتحرك باضطراد نحو الهدف الذي كان مفروضا ان تتحرك نحوه ، ومن المفارقات المريبة ان يحدث ذلك بينما يرى الشباب وطنه وقد تكالبت عليه مؤامرات الامبريالية والصهيونية من الخارج ومناورات الرجعية من الداخل بخبث وشراسة لم يسبق لهما مثيل . ولا اظن انه يكون غريبا - بعد ذلك - ان يفقد الشباب ثقته فينا وفي كل ما نلقى اليه من عقائد ونظم وشعارات ، ولا غريبا ايضا ان يظل فقدان الثقة سمة مهيمنة في اوساط الشباب المصري طالما اننا غير قادرين على ان تصنع من عناصر الواقع الموضوعي القائم حوله مايولد الثقة في نفسه من جديد ، اقصد صراحة وباخلاص شديد ان علينا ان نصحح انفسنا واساليبنا وان نخبر صدقنا فيما نرفعه من شعارات ومدى ملاءمتها للواقع القائم قبل ان نتصور للحظة واحدة امكانية الوصول الى جسر

من الرهن بحل قضية الطبقات التي يثمنون اليها .
نظاما انه لم يتحقق لهذه الطبقات وجود حقيقي
ومعترف به في اجهزة السلطة فان البحث عن
سياسة ثورية في مجال الشباب يبقى مجرد امل
عزيز تحول دوله اضعف العقبات .

المسألة الثانية ، هي ان الشباب ، ولنتفق على
تحديدهم من حيث السن بأنهم افراد المجتمع الذين
تتراوح اعمارهم بين ١٤ - ٣٠ سنة ، الشباب
بهذا التحديد السنى ليسوا كتلة بشرية صماء
متطابقة المصالح والاتجاهات اى انهم - بتعبير
آخر - ليسوا قطاعا اجتماعيا افقيا متجانسا
داخل الهرم الاجتماعى ، وانما هم قطاع رأسى يمثل
جميع القوى والفئات والطبقات على اختلاف
مصالحها واهدافها اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا
.. فكلية الشباب بهذا المعنى تنطبق على ابناء
الفلاحين والعمال جنبا الى جنب مع ابناء الاقطاعيين
والرأسماليين والتكنوقراطيين ، وتشمل المعلمين
مع الاميين ، والذكور مع الاناث والطلاب مع
الخريجين والمتزوجين مع غير المتزوجين .. الخ
وقيمة هذا التحديد أنه ينحى جانبا كل
المفاهيم المثالية التي تقتزن عادة بكلمة الشباب
ويجرنا مباشرة الى ارض الواقع اى الى حيث
يجب ان تكون نقطة البدء .

ومما لاشك فيه ان ابناء هذه المرحلة السنية
بمآلهم من خصائص بيولوجية وسيكولوجية معينة
هم اكثر فئات المجتمع تمردا على الواقع القائم
ورغبة في تغييره ، واكثرهم في نفس الوقت تأثرا
بما يعطى لهم من سياسات او قيم او افكار ،
وهذا الامر يجعل منهم بالطبيعة قوة راديكالية هائلة
« اى قوة راغبة في التغيير الجذرى لما هو قائم »
دون ان يجعل منهم بالضرورة قوة ثورية متجانسة
ذات متهاج علمى موحد يقود خطاها على الطريق
الصحيح . ومعنى ذلك انها يمكن ان تكون اداة
للردة الى الخلف اذا ما استطاعت القوى المعادية
للتقدم داخليا وخارجيا ان تنفذ اليها ، كما انها
في نفس الوقت يمكن ان تصبح ارادة تغيير ثورى
اذا ماتم تسليحها عن طريق التربية السياسية
المنظمة برؤية علمية للواقع الذي تعيش فيه
وبرنامج ثورى لتغييره الى الامام .

ويترتب على ذلك مادامنا نعترف للشباب بهذه
الخصائص المتميزة ان نعترف له ايضا بحقه
في بناء تنظيمه المستقل والموازى للتنظيم الام من
القاعدة الى القمة فذلك هو المنطق والصواب .
ولين يستعصى علينا بعد ذلك ان نضبط العلاقة

من الثقة بيننا وبين الشباب ، وتقديرى ان هذا
هو المدخل الوحيد الصحيح - في الظروف الراهنة
- الى مناقشة جادة ومثمرة لقضية الشباب
المصرى . ولعل ذلك يتفق - من زاوية محددة -
مع الاتجاه الذى عبر عنه احد اعضاء لجنة
الشباب حينما قال « ان قضية التنظيم الشبابى
لا تنفصل عن التنظيم السياسى كثيرا ، بل بالعكس
فان قضية التنظيم السياسى الام تؤثر كثيرا في
قضية الشباب ، ولذلك ارى ان يتم تحديد قضية
التنظيم السياسى اولا مع تحديد هدفه وشكله
واسلوب حركته ، وعلاقته بكل الاجهزة ، ثم ناقش
بعد ذلك التنظيم الشبابى حتى نستطيع تحديد
دوره في اطار التنظيم الام » وهذا صحيح فانتسا
لاستطيع ان نبدأ من حيث يجب ان تكون النهاية .

وعلى أية حال فان هناك عددا من المسائل يتعين
على العمل الشبابى في بلادنا - لكى يكون عملا
علميا - ان يضمها موضع الاعتبار .

المسألة الاولى : هي ان قضية الشباب داخل
نطاق اى مجتمع مثلها مثل كل القضايا الاخرى
لا يمكن ان تطرح الا على اساس طبقي . وهذا
- في الواقع - هو ما تفعله السلطة السياسية
الرأسمالية وهو ايضا ما تفعله السلطة السياسية
الاشتراكية رغم اختلاف المنطلق الطبقي في الحالتين
وبديهي ان طرح القضية على هذا النحو لا يتنافى
مطلقا مع ظروف مجتمعات الثورة الوطنية في
العالم الثالث بل انه يعد بالنسبة لها ضرورة
لضمان استمرار الثورة وانتصار اهدافها . فرغم
ان الصراع ضد الامبريالية العالمية يفرض نفسه
هنا كتناقض رئيسى ، الا ان هذا الصراع نفسه
من حيث الجوهر هو صراع طبقي خارجى لا يمكن
حسمه بنجاح الا بانتهاج سياسة طبقية واضحة
في القضايا الداخلية ، تقوم على تقليص
اظهار المصالح الطبقيية المحلية المتحالفة
- في كل مرحلة تاريخية - مع العدو
الامبريالى . ذلك ان المشكلة تطرح نفسها دائما
في شكل التساؤل التالى .. اى الطبقات والفئات
الاجتماعية هي المعبر الموضوعى عن المصلحة
الوطنية في هذا الصراع خلال كل مرحلة ؟ فليست
هناك في التحليل العلمى مصلحة وطنية صماء .
لا ترتكز على اساس طبقي محدد . وعموما فانه
يترتب على هذا الفهم - بالنسبة لقضية الشباب
- نتيجتان محددتان هما اولا : ان تجريد القضية
من اساسها الطبقي وطرحها على انها عملية صراع
بين الاجيال فقط هو تجريد غير علمى وثانيا :
ان قضية الاغلبية من شباب العمال والفلاحين
والفئات الكادحة بشكل عام تظل في اى مجتمع

والخطوات التكنيكية والاستراتيجية وينبثق عن
أيديولوجية ثورية واضحة .

ثانيا : كادر سياسي مدرب ومتمرس .

ثالثا : هيكل قيادي متدرج ومتناسب مع ظروف
عمل التنظيم وحجم عضويته .

رابعا : لائحة او قانون اساسي يحكم العلاقات
داخل هذا الهيكل القيادي على أساس من المركزية
الديمقراطية .

ومن هنا فاننا لانستطيع ان نطلق على اي عملية
حشد سياسي تتم لهدف او لآخر اسم التنظيم الا
اذا اردنا ان نخضع انفسنا ، وعلى الجانب المقابل
فان الالتزام الصارم بهذه الحقائق العلمية سوف
يقودنا بالحثم الى حلول مناسبة لكل القضايا التي
تبدو مستعصية مثل قضية الكم والكيف ، واسلوب
التجنيد للعضوية ، والديمقراطية داخل التنظيم ،
وعلاقة التنظيم بال جماهير ، وغيرها من القضايا
التي يطرحها العمل المستمر . كذلك فان هذا
الالتزام نفسه هو الوقاية والعلاج الوحيديين من
امراض التنظيمات الفاشية وفي مقدمتها الشكالية
والارهاب الفكري والبدني على السواء ، والشكالية
في العمل .

بقيت نقطة اخيرة . . ان موقف السلطة
السياسية ازاء الشباب في اي مجتمع هو معيار
متكامل للحكم على طبيعة هذه السلطة ومدى
قدرتها على الاستجابة لامال التقدم التي تتوق اليها
الاجلبية الكادحة من جماهير الشعب . وقد قال
جمال عبد الناصر يوما « ان المهمة الاساسية التي
يجب ان نضعها نصب عيننا في المرحلة القادمة
هي ان نهيئ الطريق لجيل جديد يقود الثورة في
جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية
.. واذا تأخر وصول هذا الجيل الى مواقع القيادة
او اذا وصل باقل من الاستعداد المطلوب للمهمة
الكبرى فسوف تكون هذه مسئولية جيلنا الذي
يسجل على نفسه انه عرف كيف يبدأ ولم يعرف
كيف ينتهى » .

وتقديري ان القضية في تطورها لم تعد - منذ
سنوات - قضية جيل يحكم له او عليه ، وانما
تخطت ذلك لتصبح القضية هي انقاذ الوطنية
المصرية المطعونة في الصميم ، تلك الوطنية ذات
الانتماء العربي والافاق التقدمية التي آن لها ان
تخرج من المازق .

بين التنظيميين - بشرط الا يتم ذلك كما حدث
في الماضي على حساب تنظيم الشباب ، فقد آن
الوان ليتعين على الاتحاد الاشتراكي ان يثبت
وجوده كتتنظيم قائم باسلوب آخر غير اسلوب
شل فاعلية وحركة ما يحيط به من منظمسات
جماهيرية .

المسألة الثالثة : هي ان عملية التربية السياسية
المنظمة للشباب عملية شاملة وليست عملية
جزئية . فاعداد الجيل الجديد مهمة تشترك فيها
الاسرة ونظم التعليم السائدة واجهزة الاعلام
والثقافة على تعددها ، كل ذلك تحت الاشراف
الواعي لتنظيم سياسي شباي محكم البناء ،
وتنصرف هذه النقطة بشكل مباشر الى قضية
العلاقة بين تنظيم الشباب وبين غيره من الاجهزة
العاملة في هذا الحقل . وتقديرى هنا انه لابد
من الاقرار بحق التنظيم الشباي في الاشراف على
تلك الاجهزة على اساس من التعاون في سبيل
انجاز الهدف المطروح فلا معنى لان نقيم تنظيما
سياسيا للشباب ثم نتركه بعد ذلك تائها وسط
عديد من الظروف المعوقة لاراي له فيها ولاسيطرة
له عليها من اي نوع . ان هذا التنظيم سوف
يتحول مهما ادعينا الى تنظيم ورفى وحيد الجانب
غير قادر على الامتاع ، ومن ثم غير قادر على تجميع
الشباب من حوله . ومما لاشك فيه ان الاقرار
بهذا الحق للتنظيم الشباي او عدم الاقرار به
يرتبط كليا وجزئيا بمدى قدرة الاتحاد الاشتراكي
على تأكيد وجوده عمليا كسلطة قائمة لجهاز
الدولة باسم تحالف قوى الشعب العاملة ، ومن
هنا تنبع صعوبة هذه المسألة وخطورتها في آن
واحد باعتبارها قضية التنظيم السياسي في مصر
كلها .

المسألة الرابعة : انه فيما يتعلق ببناء التنظيم
الشباي ذاته ينبغي ان نوقن بأن عملية التنظيم
الشاجحة ليست مجرد عملية حشد لبضعة مئات
او آلاف من الشباب داخل عدد من الوحدات
الاساسية واصطناع هيكل قيادي متدرج لهم ، وانما
التنظيم في حقيقته عمل علمي متكامل يستفيد من
علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الادارة وعلم
الاقتصاد السياسي ويوظف حقائق وقوانين هذه
العلوم في ترسيخ وجوده داخل القطاع او الفئة
او المجتمع الذي يعمل فيه ، كذلك فان التنظيم
كما تعلمنا التجارب النورية لابد ان تتوافر له
اربعة عناصر متكاملة :

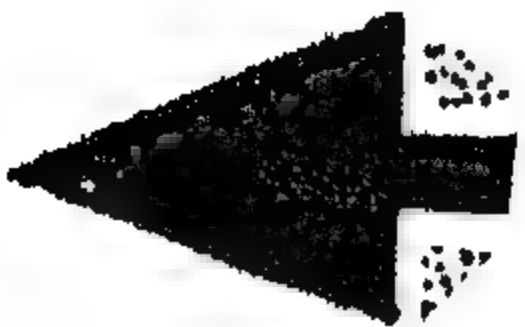
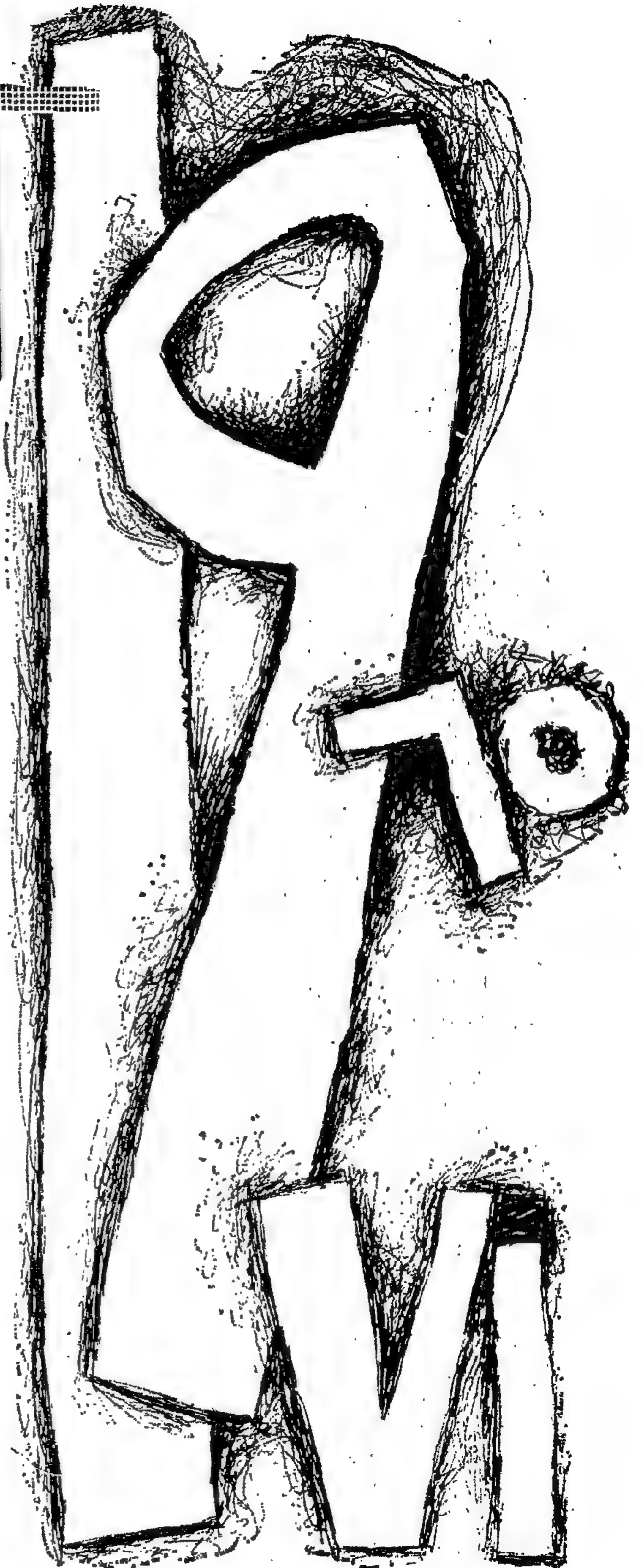
اولا : برنامج عمل محدد يتضمن الاهداف

٨ شـهرا

من حياة الطليعة

تقدم الطليعة في هذا العدد آخر الموضوعات الأساسية التي تناولها كتابها خلال ثمانين شهرا منذ تأسيس الطليعة ١٩٦٥ ، وتعرض في هذا العدد تطور رؤية كتابها ومواقفهم من « البورجوازية الوطنية » - الطبقة المتوسطة والبورجوازية الصغيرة ، سواء في المدينة أو الريف . كما تعرض أيضا لآراء كتاب الطليعة ومواقفهم من « الطبقة الجديدة » والآثار التي نجمت عن وجودها ، على البنيان الاقتصادي والسياسي للمجتمع . كما تعرضت الطليعة كذلك لقضية من أهم القضايا التي تتعلق بالتطور القومي عامة ألا وهي دور البورجوازية الوطنية في تحالف قوى الشعب العاملة .

وبهذا الموضوع تكون الطليعة قد اختتمت عرضها النقدي الشامل منذ بداية تأسيسها لآراء ومواقف كتابها من القضايا والمشاكل التي احتلت مكان الصدارة في مجال التطور الحالي والمقبل لمجتمعنا نحو آفاق أكثر تقدمية .



المواقف والاتجاهات [العرض العام]

الموقف من البورجوازية الوطنية

عرض : خيرى عزيز

بالابتعاد عن النشاط الطفيلي • (المضاربة على الاسعار ، التخزين ، الاقراض الربوى النسخ) • والابقاء على النشاط الانتاجى فى مجالات الزراعة والصناعة • والنقل ، والتوزيع ، فى اطار اهداف الخطة ، ومع احترام القوانين المنظمة لتداول السلع والمحدد لاسعارها •

— التنفيذ الامين لكل التشريعات العمالية بما يضمن للعمال حقوقهم التى يقرها لهم القانون • كاملة غير منقوصة •

وتعرضت « الطليعة » فى نفس هذا الكراسى للمجالات التى يمكن أن تلعب فيها الرأسمالية الوطنية دورا مفيدا • وأشارت الى « أن الرأسمالية الوطنية تقوم على وحدات انتاجية صغيرة ومتوسطة • ولهذا فهى لا يمكن أن تحل المشاكل التى يبدو القطاع العام — فى نظر البعض — عاجزا عن حلها ، انها لا يمكن مثلا أن تقدم حلال جذريا لقضية زيادة الصادرات ، لان الزيادة الجدية والمنظمة للصادرات تفترض

دراسة شاملة للأسواق الخارجية ، وأذواق المستهلكين فيها ، واقامة علاقات مستمرة معها • واغراقها احيانا بكميات ضخمة من السلعة محل التسويق ، وهذا كله لا يتيسر للرأسمالية الوطنية ، ومن ناحية اخرى نهبت « الطليعة » فى الكراس ايضا الى انه « يجب الانساع على نشأة روابط مصلحية بين رأسماليين وطنيين وشركات احتكارية كبرى لنجنب الرأسمالية الوطنية من الوقوع فى الاستعمار الجديد ، كذلك لا يتصور أن تحصل الرأسمالية الوطنية مشكلة الاسكان الشعبى ، كما أنها لا تستطيع زراعة الارض المستصلحة ، زراعة

تناولت الطليعة موضوع « البورجوازية الوطنية » فى الطبقة المتوسطة والبورجوازية الصغيرة » فى ٢٢ مقالا موزعة على مختلف أعدادها • تعالج خمسة من هذه المقالات الوضع الطبقي للبورجوازية الوطنية ، وسيطرتها الاقتصادية ودورها فى تحالف القوى الوطنية •

تعريف الرأسمالية الوطنية

بالنسبة لتعريف الرأسمالية الوطنية أوضحت « الطليعة » مفهومها عن هذه الطبقة ، وموقعها الاقتصادي فى الانتاج القومى ، والمجالات التى يمكن أن تلعب فيها دورا ايجابيا • وبرزت حقيقة « أن أصحاب الوحدات الانتاجية المتوسطة والصغيرة التى تنتج فى ظروف ليست متطورة تكنولوجيا ولا اداريا ، يكونون عادة أقدر على ادارتها • ومن ثم فدور الرأسمالية الوطنية له أساسه الاقتصادي ولا تمليه فقط اعتبارات سياسية » (١) •

وطرحت « الطليعة » هذا السؤال :

« من هو الرأسمالى الوطنى ؟ وأجابت : « انه الرأسمالى الذى تتوافر فيه الشروط الاتية » (٢) :

— العداء الاصيل للاستعمار والاستعمار الجديد ، ليس فقط كموقف سياسى ، ولكن لان مصالحه الاقتصادية تتعارض مع مصالح الاستعمار وعملائه •

— الاسهام الفعال فى التنمية الاقتصادية ، وذلك

[١] كراس الطليعة : التعيين الاقتصادية • مشاكل وحلول مقترحة عدد سبتمبر ١٩٦٨ •

[٢] نفس المرجع •

آلية متقدمة تكنولوجيا ، تنتج للتصدير وتصنع جزءا من منتجاتها ، وعلى العكس تلعب الرأسمالية الوطنية بالفعل ، دورا هاما في الانتاج الزراعي والحيواني في الاراضي القديمة . كما أنها يمكن أن تلعب دورا حاسما في الإسكان « فوق المتوسط » ، وفي عدد كبير من الصناعات التكميلية والخفيفة (التهيئة والتغليف ، والصيانة ، والإحذية ، والإثاث الخ ، ويجب أن تستمر في دورها في تجارة التجزئة » .

وفي موضع آخر توجز « الطليعة » في مقال لعادل غنيم تعريفها للرأسمالية الوطنية بقولها : « ان الرأسمالية الوطنية ، هي الرأسمالية المنتجة المعادية للاستعمار ، والتي تساهم في البناء الاقتصادي ، في التصنيع ، وفي بناء الاشتراكية ، طريق الوطنية الجديدة » (٣) .

الا أن الطليعة قدمت في مقال لمصطفى طيبة (٤) نقداا لتعريفات الشائعة عن الرأسمالية الوطنية في بلدنا ، وبدأ تحديدها لهذه الطبقة يتخذ طابعا أكثر عملية فاشارت الى أن « تعريفات الرأسمالية الوطنية في بلدنا ، لا تفرق بين الرأسمالية الصغيرة والمتوسطة ، وتضع الاثنين في كومة واحدة ، ويؤدي ذلك الى اخطار جسيمة » . فحين نضع التاجر الصغير والحرفي الكادح جنبا الى جنب مع كبار التجار الجشعين ، فلا شك أن هذا الوضع يتيح للفئات النامية من الرأسمالية فرصا ذهبية لاحكام قيادتها على قوى ثورية تتفق مصالحها مع كل خطوات الثورة ، وهي البورجوازية الصغيرة ، ومن جهة أخرى تجعل هذه التعريفات من مالك الـ ٢٥ فدانا ، فلاحا كادحا ، وتجعل من التاجر الصغير الفقير رأسماليا ، في الوقت الذي تبلغ فيه ثروة الاول آلاف الجنيهات ، ولا يزيد رأس مال الثاني عن بصع عشرات من الجنيهات » .

ويستكمل د . اسماعيل صبرى عيد الله التعريفات التي قدمتها الطليعة وقدمها الكتاب الآخرون فيقدم حدودا واضحة للرأسمالية الوطنية كما يراها في القطاع الزراعي ، يقول د . اسماعيل صبرى عيد الله : (٥)

« من يحوون أكثر من خمسة أفدنة يعد ضمن الرأسمالية الوطنية » ويشير بعد ذلك إشارة لها مغزاها « وهنا يجب أن نؤكد أن صفة الرأسمالية

الوطنية ليست عيبا . فالرأسماليون الوطنيون إحدى قوى الشعب العاملة ، ولهم مكانهم هي تحالف تلك القوى ومن تم فليس ما يدعو الى النهرب منها . كذلك لا ينبغي أن نأخذ بالمفهوم الساذج الرأسمالي ، فلا نعد من الرأسماليين الا كل يمسى واسع الثراء . والتعريف العلمي للرأسمالي هو انه الشخص الذي يملك من وسائل الانتاج ما يزيد عن قدرته على العمل بيديه ، وما يجعله بالتسالي يعتمد على عمل الغير ، الاجير ، ويمكن بعد ذلك أن يكون الرأسمالي صغيرا ، او متوسطا ، او كبيرا على حسب مقدار ما يملك من وسائل الانتاج ، وهي هي الزراعة الارض أساسا ، وقد دلت التجربة على ان تعريف لجنه المانه قد أدى عمليا في أغلب الاحوال الى أن تكون المقاعد في الهيئات المنتخبة عن الريف شئ يد الرأسمالية الوطنية وحدها تقريبا . فنصفها بين من يحوون ١٥ فدانا او أقل ، والباقي الآخر بين من يحوون أكثر من ذلك . وهي مجلس الامه جاء ممثلو الفلاحين - وبما عدا - عدد محدود من المنتجين في مناطق الإصلاح الزراعي ممن يملكون أكثر من خمسة أفدنة ، أي من الرأسمالية الوطنية » .

وتعرض ميشيل كامل للظروف الدولية الجديدة التي احاطت وتحيط بنشأة « البورجوازيات الوطنية » في البلدان حديثة الاستقلال ، والعوامل التي أبرزت جوانبها الايجابية في بعض مراحل تطور هذه البلدان وأوضح (٦) :

« أن هناك فروقا أساسية بين بورجوازية بلدان الغرب والبلدان حديثة التحرر ، كما أن ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية ، والتغيرات التي طرأت على توازن القوى على النطاق العالمي . والانتصارات التي أحرزتها القوى الاشتراكية ، كل هذه العوامل قد أبرزت الجوانب الايجابية للرأسمالية الوطنية خاصة في مرحلة المد الثوري وتساعد مستوى واتساع نطاق حركة التحرر الوطني » .

« وهناك عناصر أخرى ساعدت على تدعيم الجوانب الايجابية ، تتمثل أساسا في رفض الشعوب لطريق التطور الرأسمالي ، وانتشار الفكر الثوري والوعي الاشتراكي ، الى جانب تضائل فرص التراكم الرأسمالي للبورجوازيات الوطنية الجديدة بالاساليب التقليدية ، أي عن طريق السلب

[٣] « أضواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية » عادل غنيم ، يونيو ١٩٦٦ .

[٤] « الديمقراطية في المناقش النظرية والتطبيق » مصطفى طيبة - يونيو ١٩٦٦ .

[٥] حول تعريف العامل والفلاح : لكي نصون الدعامة الرئيسية للديموقراطية الشعب العامل مايو ١٩٦٨ .

[٦] مشاكل القوى الاجتماعية داخل التحالف الوطني - مايو ١٩٦٩ .

والنهب الاستعماري أو بواسطة منافسة عمالقة الاحتكارات الغربية ، إذ أن تلك المنافسة تتطلب رؤوس أموال ضخمة للغاية نتيجة تمركز رؤوس الاموال في الغرب ، ومستوى تكتيكي مرتفع وكلاهما غير متوفر » .

وأشار في نفس المقال الى أن : « السلطة كانت السبيل الى اثراء الرأسمالية الوطنية ، ويعزى الى ذلك كثرة الانقلابات والصراعات الدموية على السبيل في البلدان حديثة الاستقلال » . وأوضح أنه « إذا جاز لنا أن نعتبر المعادلة التقليدية في تطور الرأسمالية هي : « رأسمان + سلطة = مزيد من رأس المال » ، فإنه يمكننا أن نقول أنه في البلدان النامية أصبحت تحت وطأة الظروف المحلية والدولية الراهنة نتركز في (السلطة + رأس المال = مزيد من رأس المال) أي أن التراكم ينحصر في موقع السلطة . وتبرز هذه المعادلة في أوضح صورها في البلدان المتخلفة نسبيا في تطورها الاقتصادي ، حيث كانت الرأسمالية ضعيفة لا تمثل وزنا يذكر في الحياة الاقتصادية والسياسية ، ولكنها تنطبق أيضا على البلدان التي سبق أن حققت تطورا رأسماليا واضح المعالم » .

أخطار التحول الى رأسمالية طفيلية

وفد اتفق كتاب الطليعة على التحذير من خطر تحول الرأسمالية الوطنية عن دورها الانتاجي الايجابي المتسق مع تطور الخطة ، الى رأسمالية بيروقراطية تشكل عاملا استغلاليا وظلما اجتماعيا من ناحية ، وعاملا معرقلا لخطة السمية القومية من ناحية أخرى . وقد أشار الدكتور عبد الرازق حسن الى هذين النمطين في صفوف « البورجوازية الوطنية » وحذر من الاتجاهات الطفيلية المستغلة فقال : (٧) « لقد سار قسم من القطاع الخاص في طريق العمل الجاد في مجال الصناعات الصغيرة وتجارة التجزئة والخدمات ، غير أن هناك قسما آخر استغل ظروف التنمية وما يرتبط بها من نقص في بعض المواد ، وزيادة القوة الشرائية في المجتمع ، واتخذ لنفسه سبيل الربح السريع . عن طريق أعمال المقاولات من الباطن ، ومقاولات عمال التراهيل ، والمضاربة على المنتجات ، واستغلال نقص بعض السلع وتصريف منتجات رديئة أو بيعها في السوق السوداء بأسعار عالية ، وقد اكتسب هذا البعض اسم الرأسمالية الطفيلية تفرقة له عن الرأسمالية الوطنية » .

وأشار الى أنه « من أهم مجالات الاستغلال الجديدة التي فتحت لتشرئب اليها تطلعات بعض عناصر القطاع الخاص ، هي الاسكان ، وتجارة قطع الغيار ، والخضر ، والفاكهة وصناعة الالبان والنقل باللواري ، وهي المجالات التي ما زال نشاط القطاع العام فيها محدودا » .

ونبه الدكتور عبد الرازق حسن في نفس المقال الى أن « الخطر يكمن في الرأسمالية المستغلة ، الرأسمالية الطفيلية التي تتوسل في الرأسمالية الوطنية ، ولهذا كانت قاعلية سيطرة القطاع العام ، وتأكيد هذه السيطرة على أدوات الانتاج ، وعلى القطاع الخاص نفسه ، مسألة يجب أن تنال منا كل اهتمام ، حتى لا يصبح هذا القطاع عنصرا مناوئا للقطاع العام ومعرقلا لقاعليته » .

وأكد نفس المعنى الدكتور محمد أحمد عجلان (٨) حين أوضح « أن الرأسمالية الوطنية التي لا تستطيع أن تطور نفسها كل يوم ، وأن تضيق للمستوى الانتاجي للمجتمع ، لابد أن تنتهي الى طريق مسدود يوم تبلغ التنمية في المجتمع ، المستوى الذي يجعل هؤلاء وما يملكون ، مخلفات من عصر متخلف انتاجيا ، وبالتالي تتم مع الزمن تصفيتهم » .

وبهذا الصدد أيضا ، أشار عادل حسين في مقاله بعنوان « الاستمرار في الثورة الاجتماعية هو الحل الاساسي لمواجهة العدوان » (٩) الى : « أن الانحراف الاكبر هو فيما يسمى بالطبقة الوسطى ، ابتداء من اعيان الريف ، الى التجار ، الى المقاولين ، الى بعض اصحاب المهن الحرة ، الى كبار المديرين والفنيين ورجال الدولة . هذه الطبقة حصلت على دخل يزيد جدا عما تستطيع ، لقد حصلت على مستوى معيشي يقارب المستوى المقارن في الدول الغربية ، مع أن متوسط الدخل عندنا منخفض جدا ، اذا قورن بمتوسط الدخل في هذه الدول » .

وأضاف الكاتب : « لقد حصلت هذه الطبقة على الامتيازات الهائلة تحت شعار أن اشتراكيتنا لها وضع خاص ، وتحت شعار أن الاشتراكية عندنا لن تضحي بهذا الجيل ، على اعتبار أنها وحدها هذا الجيل . ويعلم الله أن مثل الاشتراكية - أي اشتراكية - من واقعنا أو غير واقعنا بريئة من هذا الكلام العجيب الذي فتح الباب على مصراعيه أمام

[٧] خريطة الاقتصاد القومي بين القطاع العام والقطاع الخاص . يونيو ١٩٦٦ .

[٨] دور القطاع العام في التنمية . يونيو ١٩٦٧ .

[٩] عدد الطليعة الصادر في سبتمبر ١٩٦٧ .

تطلعات المواطنين من كل الطبقات ، وأصبح التنافس المحموم من أجل الأثراء السريع غولا مخيفا يغتال أى محاولة لزيادة المدخرات القومية ، ولتحقيق تنمية اشتراكية جادة » .

وأشار عادل حسين فى نفس مقالته الى ما جلبته هذه الاخطاء على النموذج الذى اتخذته تجربتنا موضحا « أن هذه الاخطاء جعلت النموذج الذى أقمناه بعد يوليو ١٩٦١ ، لا يتطابق بالدقة مع النموذج المتكامل للتنمية الاشتراكية » وأوضح « أن النموذج المتكامل يقوم على عدد من الدعائم ومن أهمها عدم وجود أقلية ثرية تتحكم فى مواقع الإنتاج ، فتمنع التخطيط وتبدد جزءا من الفائض الاقتصادى فى مشروعات غير ضرورية ، أو فى استهلاك ترفى »

واستكمل ميشيل كامل اشارات كتاب الطليعة المتعددة الى خطر تحول قطاعات فى الرأسمالية الوطنية الى النشاط الطفيلى فأوضح (١٠) : « أن الطبيعة المزدوجة للطبقة المتوسطة تجعلها تتأرجح فى مواقفها بين الارتباط بقوى الشعب العاملة ، وبين الاندفاع وراء تطلعاتها الرأسمالية ، وهيئتها على المواقع الرئيسية للسلطة ، يهدد بتحويل قطاع منها الى فئة مستغلة تتعارض مصالحها مع مصلحة جموع الشعب وتخرج عن إطار التحالف الوطنى » .

وقد أشار عادل غنيم إشارة لها مغزاها ، إذ أوضح (١١) أنه نظرا لأن « الادارة ، أو البيروقراطية هى التى تتخذ القرارات الاقتصادية ، وهى التى تتصرف فى الفائض الاقتصادى باسم المجتمع ، لذا تنشأ من هنا موضوعيا ، امكانية احتكار البيروقراطية للسلطة السياسية والاقتصادية ، وحصولها على امتيازات اقتصادية ، وعندئذ تتحول البيروقراطية الى طبقة بالمعنى الكلاسيكى ، بالرغم من عدم ملكيتها القانونية لوسائل الإنتاج » .

ظهور الطبقة الجديدة

وتعريفها وخصائصها

وقد اتفق كتاب الطليعة فى التنبه على خطر تحول الرأسمالية الوطنية الى رأسمالية طفيلية

وتحول هذه بالتالى الى طبقة جديدة . وقد جلت كتابها مفهوم هذه الطبقة وماهيتها فأوضح عادل تحقيق (١٢) : « ان الطبقة الجديدة هى تلك الفئات الاجتماعية التى تنشأ وتتشكل داخل البيروقراطية خلال عمليات التحول الاجتماعى والاقتصادى والتكنولوجى (الاصلاح الزراعى ، والتأميم والتصنيع) ، وتضم الكوادر الادارية والفنية والعسكرية التى تحتل مراكز القيادة فى الدولة ، وفى الانتاج ، وتتمتع بدخل مرتفع بالنسبة لجموع العاملين ويسمىها البعض « الصفوة » » .

وأشار الى الظروف التى تهيء المناخ الملائم لتفريخ ونمو الطبقات الجديدة بطرق طفيلية وغير مشروع فى المجتمعات النامية . وأوضح (١٣) « ان القاعدة الاقتصادية للمجتمعات النامية تتميز بوجود قطاع خاص رأسمالى واسع نسبيا ، وخاصة فى الزراعة والتجارة الى جانب القطاع العام ، ولهذا فالطبقات الجديدة فى تلك المجتمعات يمكنها ان تستثمر فى المشروعات الخاصة ، فائض دخلها المرتفع ما تحصل عليه من ثروات غير مشروعة ولذلك يشكل القطاع الخاص فى اقتصاديات تلك البلدان ، الاساس الموضوعى لتحول الطبقة الجديدة فيها ، الى طبقة رأسمالية بالمعنى الكلاسيكى » .

وأوضح نفس الكاتب « ان نتائج الصراع الطبقي ، هى التى تجدد فى النهاية طبيعة ودور رأسمالية الدولة فى تلك البلاد ، وما اذا كانت ستصبح اداة لتنمية الرأسمالية ، او طريقا الى الاشتراكية ، وفى هذه الظروف ، تكتسب قضية الطبقة الجديدة أهمية حاسمة بالنسبة لمسار الثورة الاجتماعية ذاتها ، نظرا للمركز القيادى الذى تحتله تلك الطبقات فى مؤسسات الدولة والإنتاج » .

وفيما يتعلق بالريف اشار الكاتب (١٤) الى ان « البرجوازية الريفية تمكنت نتيجة لتزايد وزنها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى فى الريف من أن تدفع بأبنائها الى المراكز القيادية والادارية داخل مجالس القرى والمدن والمحافظات ، فضلا عن وحدات الاتحاد الاشتراكي والتعاونيات ، وهكذا تكونت فى الريف طبقة جديدة قوامها الكادر الادارى والسياسى من أبناء الأغنياء الفلاحين » .

ويشكل أكثر تحديدًا على الواقع المصرى أوضح عادل

[١٠] حماسة وتعميق الثورة : مسئولية الشعب * يناير ١٩٦٨ .

[١١] فى مقال « حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر » فبراير ١٩٦٨ .

[١٢] حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر * فبراير ١٩٦٨ .

[١٣] فى نفس المقال السابق .

[١٤] فى نفس المقال السابق .

غنيم في مقالة : « حول قضية الطبقة الجديدة في مصر » (١٥) « ان الطبقة الجديدة في مصر هي تلك الفئة الاجتماعية التي تتولى الوظائف العليا في ادارة الدولة والقطاع العام والنايعة من اصول برجوازية صغيرة ومتوسطة ، والتي تكونت تاريخيا خلال عمليات التصنيع والتحول الاجتماعي ، والتي تملك سلطة اتخاذ القرارات الاقتصادية ، وهي تحصل لنفسها على امتيازات اقتصادية في صورة مرتبات مرتفعة ، وبدلات تمثيل . ومزايا عينية متنوعة » .

وتشكل الطبقة الجديدة في رأيه « القيادة الادارية والفنية الحقيقية للتنمية الاقتصادية في المرحلة الراهنة ، وهي كفة اجتماعية غير متجانسة ، لا في تركيبها الاجتماعي ، ولا في تكوينها المهني والايديولوجي ، وان كانت لها علاقات متشابهة بوسائل الانتاج ، في حدود الاطار القانوني للتأميم وملكية الدولة لوسائل الانتاج ، فهي التي تحدد طريقة التصرف في الفائض الاقتصادي المتولد في قطاع الدولة (بما تتخذه من قرارات استشارية او قرارات تتعلق بالعمالة والاجور) وتحديد حجم الاجور وفئاتها . وتلعب دورا خطيرا في اعادة توزيع الدخل القومي فهي التي تقوم بوضع الخطة الاقتصادية القومية ، وتقر في ذلك مهمة توفير الامكانيات المادية والبشرية اللازمة لتنفيذها ، وهي في النهاية التي تتابع تنفيذها » .

وربط مصطفى طيبة في مقاله « الديموقراطية في الميثاق بين النظرية والتطبيق » (١٦) بين ظهور الطبقة الجديدة بتطلعاتها الطبقية ، وبين الثغرات القانونية التي تتيح لها النمو والتقدم والمتمثلة في التعريفات غير السليمة للعامل والفلاح .

واشار في نفس مقاله الى ان « ما حذر منه الميثاق حين قال : « ان القيادات الجديدة لابد لها ان تعي دورها الاجتماعي ، وان اخطر ما يمكن ان تتعرض له هذه المرحلة هو ان تنحرف متصورة انها تمثل طبقة جديدة حلت محل الطبقة القديمة وازدثت اليها امتيازاتها » .

وقد تعرض عادل غنيم لكيفية نشوء الطبقة الجديدة في مصر فاشار الى (١٧) ان نشاط الدولة بعد تمصير وتأميم الشركات والبنوك الاستعمارية لم يعد مقصورا على الخدمات ، بل أصبحت الدولة تملك جانبا هاما من وسائل الانتاج والتمويل ، واخذت تدخل بصورة متزايدة في العلاقات

الاقتصادية ، وتسيطر على قسم هام من الفائض الاقتصادي ، وبهذا أصبح للدولة قاعدة اقتصادية مستقلة عن الرأسمالية . وقد أدت هذه التحولات الى تغيير في تركيب ووظيفة البيروقراطية ، ونشأت بيروقراطية اقتصادية جديدة (بيروقراطية القطاع العام) وتتكون من أعضاء مجالس ادارات البنوك والشركات المؤممة . وتشكلت من كادر عسكري واداري ذي اصول برجوازية صغيرة ومتوسطة ، وأصبحت تتمتع بدخل مرتفع (المرتبات العالية ، والمزايا العينية والبدلات التي يحصل عليها أعضاء مجالس ادارات الشركات والبنوك) ويمكننا ان نقول : « ان هذه الفترة كانت البداية الاولى لتكوين الطبقة الجديدة في مصر » .

وأوضح الكاتب مدى سيطرة واتساع البيروقراطية فابرز في نفس مقاله حقيقة أن القطاع العام أصبح يملك ٨٥ في المائة من وسائل الانتاج ، خارج الزراعة (في الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٤) كذلك بلغ الانفاق العام للدولة في ميزانية ١٩٦٦ - ١٩٦٧ على سبيل المثال ، ١٢١٦ مليون جنيه ، انفق منه في الداخل ١٢٠٠ مليون جنيه ، تشكل ٦٠ في المائة من الدخل القومي الكلي ، ويقدر بـ ٢١٠٠ مليون جنيه . وهكذا أصبحت الدولة عاملا جوهريا في عملية تكرار الانتاج والتوزيع الاجتماعي ، ومن ثم أصبح للبيروقراطية كقوة اجتماعية وزن خطير في حياة البلاد الاقتصادية والسياسية .

وقد اشار الكاتب اشارة لها مغزاها الهام وهي : أنه « مع هذا لا تزال البيروقراطية المصرية تلعب دورا هاما في النشاط الاقتصادي ، فهي تملك ٩٠ في المائة من الاراضي الزراعية وتسيطر على ٧٥ في المائة من التجارة الداخلية فضلا عن دورها الاساسي في قطاع التشييد » .

خصائص الطبقة الجديدة

وتركيبتها الايديولوجية

واشار عادل غنيم في نفس مقاله (١٨) الى الاتجاهات الرئيسية داخل هذه الطبقة ف أوضح « أنه يمكننا ان نتعرف داخل الطبقة الجديدة على أربعة اتجاهات رئيسية :

١ - الاتجاه الاول : ويرى ان العنصر

[١٥] عدد فبراير ١٩٦٨

[١٦] عدد يونيو ١٩٦٦

[١٧] حول قضية الطبقة الجديدة في مصر . فبراير ١٩٦٨

[١٨] حول قضية الطبقة الجديدة في مصر . فبراير ١٩٦٨

وبالإضافة الى كافة الخصائص السابقة أشار ميشيل كامل (١٩) الى ان قوى الرأسمالية الجديدة فى البلدان المتخلفة تتجه الى : « العمل على ابعاد الجماهير الشعبية عن السلطة وعزلها عن العمل السياسى . وهى تحت ضغط الجماهير الشعبية قد تلجأ الى استخدام شعارات ثورية تفرعها من مضمونها فى سجال التطبيق ، واقتباس عبارات متناثرة من فاموس البسار . بن والتقاط بعض افكار ومعطيات الفكر المعبر عن أيديولوجية بقيصتها الاجتماعى - الطبقة العاملة - ومزجها بمفاهيم اخرى تقسد من فاعليتها ونستنزف قواها » .

الحجم الاقتصادى للبورجوازية

الوطنية والطبقة الجديدة

فيما يتعلق بهذه النقطة أشار عديد من كتاب الطبيعة ، وبصفة خاصة عادل غنيم (٢٠) الذى اشار الى اتجاه حركة هذه الطبقة نحو النمو المتزايد وبالنسبة للفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٥ أشار الى « ان البورجوازية المصرية نمت خلالها نمواً سريعاً وملحوظاً » وأشار كذلك الى ان تلك الفترة شهدت أيضاً « تفاقم الطابع الطفيلى للاستغلال الرأسمالى » وأورد الكاتب إشارة الرئيس عبد الناصر الواضحة الى تلك التطورات السلبية والنزى جاء فيها « ان الرأسمالية الوطنية وقصاع الرأسمالية الوطنية هى بلادنا كبر من ١٩٦٠ اكبر مما نتصور . ازاي كل التنمية وكل التجارة وكل الخطة قطاع الرأسمالية الوطنية بيزيد ويترك فى ايده فلوس كثير » (٢١) .

« وأورد الكاتب مقارنة بين تطور استهلاك السلع المعمرة (التى تعد مؤشراً لاستهلاك الطبقات البورجوازية) واستهلاك السلع غير المعمرة (الشعبية) خلال الخطة الخمسية الاولى ، وذلك لايضاح مدى ما طرأ على دخل الفئات البورجوازية من ارتفاع خلال تلك الفترة ، فأوضح ان « استهلاك الثلاجات الكهربائية زاد بنسبة ٢١٥ر٥ فى المائة والغسالات بنسبة ٢٩٠ر١ فى المائة والسخانات بنسبة ١٥٤٣ر٩ فى المائة والبتاجاز بنسبة ١١٧ فى المائة والراديوهات الكهربائية ٦٥٢ر٢ فى المائة (سلع معمرة) أما السلع غير المعمرة فقد زاد استهلاك القمح بمقدار ٢٩ر٤ فى المائة ، والذرة الشامية ٤ر٩ فى المائة والفول

والتكنولوجيا هما السلاحان الرئيسيان لقهر التخلف المادى والثقافى الذى تعاني منه البلاد ، ويؤمن بدور « الصفوة » من التكنوقراطيين والاداريين الحاسم فى اجراء التغيير الاجتماعى والاقتصادى والتكنولوجى . وهذا الاتجاه لا يؤمن بالجماهير ، وبدورها فى صنع التاريخ ويهون من قيمة العمل السياسى الجماهيرى ولا يرى ضرورة لبناء حزب ثورى جماهيرى ويخشى الديمقراطية ويرى انها قد تعرقل عملية التصنيع والتنمية الاقتصادية التى ينبغى ان تعتمد فى انجازها على مركزية بيروقراطية قوية » .

وأوضح ان هذا الاتجاه يرفض الرأسمالية كطريق للتطور والتصنيع ، غير انه يرى الاشتراكية مجرد تأميم بلا ديموقراطية ، وهو لا يمانع فى توسيع القطاع العام دون اطلاق مبادرة الجماهير ، وحياتها فى النقد والتنظيم . والاشتراكية فى نظر اصحاب هذا الاتجاه ، حل عملى لقضية تكنولوجية ، هى قضية تصحيح البلاد . وعماد هذا الاتجاه القيادات التكنوقراطية ، وهو فى مجموعته اتجاه محافظ ويفضى موضوعيا الى رأسمالية الدولة البيروقراطية .

والاتجاه الثانى : وهو وان كان يتفق مع الاتجاه الاول فى موقفه من الجماهير ، ومن قضية الديمقراطية وفى الايمان بدور جهاز الدولة الادارى فى انجاز التصنيع ، الا أنه يختلف عنه فى موقفه من تغيير العلاقات الطبقيّة القائمة ، فهو يرى الاكتفاء بما تم من تأميمات واصلاح زراعى ، ويرى تجميد الثورة ، وهو يؤمن بأهمية القطاع الخاص الرأسمالى ، ويعمل على تشجيعه وتوسيعه وتعزيز مواقفه ، ويحاول وضع القطاع العام فى خدمة القطاع الخاص ، فهو يعمل على خلق رأسمالية دولة بيروقراطية تخدم التطور الرأسمالى .

والاتجاه الثالث : ويؤمن بالاشتراكية العلمية وبالديموقراطية ، وبأهمية وضرورة مشاركة الجماهير فى ادارة شئونها ، ويطالب باستمرار الثروة الاجتماعية وبضرورة تعميقها ، وهذا الاتجاه يمثل اقلية تافهة داخل الطبقة الجديدة التى تعمل على هضمه واستيعابه .

والاتجاه الرابع : ويضم العناصر البيروقراطية التقليدية وهو جناح متخلف لا يؤمن بالاشتراكية على أى صورة من الصور ، ويحيى الرأسمالية ومثله الأعلى للرأسمالية الغريبة ، وخاصة الرأسمالية الامريكية ، وليس لهذا الاتجاه وزن كبير داخل صفوف الطبقة الجديدة .

[١٩] فى مقاله : مشاكل القوى الاجتماعية داخل التحالف الوطنى مايو ١٩٦٩ .

[٢٠] فى مقاله : « أضواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية » يونيو ١٩٦٦ .

[٢١] من خطاب الرئيس عبد الناصر فى السويس ٢٢/٣/١٩٦٦ .

بنسبة ٣٥ فى المائة والاقمشة بنسبة ٢٦٫٧ فى المائة والأحذية بنسبة ٦٠ فى المائة .

ويصور ذلك تضخم الاستهلاك القومى (استهلاك الفئات البورجوازية) ويشير بجلاء الى أن تلك الفئات هى التى لعبت الدور الرئيسى فى تفاقم مشكلة تزايد الاستهلاك خلال الحطة الخمسية الاولى .

نمو الرأسمالية الزراعية

وأشار الكاتب الى أن نفس الفترة شهدت نمو طبقة اغنياء الفلاحين (الذين يزرعون الارض التى يحرزونها ملكا او ايجارا من ١٠ - ٥٠ فداناً زراعية راسمالية ، واتساعها وتزايد وزنها فى المجتمع . فتخفيض القيمة الاجارية ادى الى تخفيض الربح العقارى الذى يدفعونه الى ملاك الاراضى ، وادى ذلك الى توسيع استثماراتهم فى الريف ، كما تمكنوا بالتحالف مع كبار الملاك (قبل ١٩٦١) من السيطرة على الجمعيات التعاونية الزراعية .

وأوضح أن « أبرز مظاهر نمو الرأسمالية الريفية ارتفاع عدد الملاك من ٢٠ الى ٥٠ فداناً من ٢٢٠٠٠ سنة ١٩٥٢ الى ٢٩٠٠٠ سنة ١٩٦٤ . وزاد نصيبهم من ملكية الاراضى الزراعية خلال تلك الفترة من ٦٥٤٠٠٠ فدان الى ٨١٢٠٠٠ فدان ، أى ١٣ر٣ فى المائة من مجموع الاراضى الزراعية واتساع المساحة التى تزرع على أسس رأسمالية (وانكماش الاجار والمزارعة) وبلغت المساحة التى يسيطر عليها الرأسماليون الزراعيون ١٢ مليون فدان أى حوالى خمس الاراضى الزراعية ، وتم ذلك على حساب صغار الفلاحين من المستأجرين . كذلك فان المساحة المخصصة للحدائق والبساتين وهى زراعة رأسمالية من الدرجة الاولى قد تضاعفت تقريبا من ١٩٥٢ - ١٩٦٤ فارتفعت من ٩٤٠٠٠ فدان سنة ١٩٥٢ الى ١٧١٠٠٠ فدان سنة ١٩٦٤ .

كما ازدادت الارباح الزراعية التى آلت الى الرأسمالية الزراعية من ٣٠٧ مليون جنيه سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠ الى ٣٦٠٩ مليون جنيه فى آخر سنوات خطة (١٩٦١ - ١٩٦٥) . وتملك الرأسمالية الريفية ١٢ر٦٧٢ جرارا أى حوالى ٨٢ فى المائة من مجموع الجرارات العاملة فى

الزراعة المصرية (الجمعيات التعاونية لا تملك غير ١٠٨٠ جرارا) . (الطاقة اللازمة لميكنة الحرث فى مصر تقدر بـ ١٧ر٠٠٠ جرار) وما يحدث فى مجال الحرث ، يحدث أيضا بالنسبة لالات الري .

كذلك فضح السكاتب لجوء الرأسمالية الريفية لكافة الوسائل التخريبية لتنمية مصالحها . كاستغلال جرارات الجمعيات التعاونية فى زراعتهم مستفيدين بالسعر الرخيص ، وتعطيل جرارات الجمعية اذا ما نافست جراراتهم .

مظاهر نمو الطبقة الجديدة

تناولت الطليعة هذه المظاهر فى الفترة من ١٩٦٢ - ١٩٦٣ الى ١٩٦٦ - ١٩٦٧ فأشارت أولا : الى « تطور حجم الوظائف العليا ، اذ قفز عدد الوظائف العليا فى قطاعى الخدمات والاعمال (بدون الشركات التابعة للمؤسسات العامة) فى ٤ سنوات من ١٩٦١ - ١٩٦٢ الى ١٩٦٦ - ١٩٦٧ ، من ٩٦٧ الى ١٥٤٤ وظيفة عليا ، أى بزيادة قدرها ٩١ فى المائة ، كما ارتفعت الوظائف التخصصية المساعدة للوظائف العليا بنسبة ٤٥ فى المائة ، والفنية بنسبة ٣٨ فى المائة ، والتنظيمية والادارية بنسبة ٤٥ فى المائة والكتابية بنسبة ٢٨ فى المائة فى حين انخفض عدد الوظائف العمالية بنسبة ٤ فى المائة خلال تلك الفترة » (٢٢) .

وأشارت ثانيا الى أن دخل الطبقة الجديدة قد تضاعف خلال الفترة المذكورة . وفى قطاع الخدمات (باستثناء الادارة المحلية) زاد دخل الطبقة الجديدة خلال الاربع سنوات المذكورة بنسبة ٢٥٠ فى المائة ، وفى قطاع الاعمال الحكومى (المؤسسات العامة وحدها دون الشركات التابعة) زاد الدخل فى الفترة من ١٩٦٢ - ١٩٦٣ الى ١٩٦٦ - ١٩٦٧ بنسبة ٢١٥ فى المائة ، وزاد دخل افراد الطبقة الجديدة فى قطاعى الخدمات والاعمال بنسبة ٢٣٠ فى المائة » (٢٣) .

وأبرزت الطليعة بصفة خاصة مظاهر نمو الرأسمال التجارى والطفيلى على نحو اخص وهو الذى يعمل فى مجال التجارة الداخلية وسجرة الجملة الداخلية على نحو أكثر تحديدا فأشارت (٢٤) الى « أن القطاع الخاص الرأسمالى يسيطر على

[٢٢] حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر . هائل غنيم . فبراير ١٩٦٨ .

[٢٣] نفس المرجع السابق .

[٢٤] فى مقال « أضواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية » عادل غنيم . يونيو ١٩٦٦ .

تجارة الجملة ، والقسم الأكبر من تجارة التجزئة ، ويقوم رأس المال التجارى الخاص بدور الوسيط بين القطاع العام (الدولة) كمنتج ومستورد من ناحية ، والشعب كمستهلك من ناحية أخرى ، بل ويقوم أيضاً بمختلف عمليات الوساطة بين وحدات القطاع العام ذاتها عن طريق عقود التوريد (المناقصات والمزايدات العامة) ومن المعروف أن جانباً هاماً من المخزون السلعى (الانتاج + الاستيراد) يتركز فى أيدى نجار الجملة الذين يلعبون دور الوسيط بين وحدات الانتاج والاستيراد من ناحية ، والسوق من ناحية أخرى ، ومن هنا كان دورهم الحاسم والمسيطر فى السوق الداخلى ، وفى حركة الاسعار ، ذلك أن أحوال التجارة الداخلية تتوقف الى حد كبير على من الذى يسيطر على تجارة الجملة ، وفى أى اتجاه تميل .

« ويصل حجم التعامل فى سوق الاقمشة فى الأزهر والحمزاوى الى ١٢٠ مليون جنيه سنوياً (فى شتاء ١٩٦٦) » . وتصيب القطاع العام منها لا يتجاوز ٨٥ مليون جنيه ، هو حجم تعامل الشركة العامة الوحيدة للتجار بالجملة فى قطاع المنسوجات . ولذا كان طبيعياً أن يقف القطاع العام عاجزاً عن تحقيق التوازن فى السوق والسيطرة على الأسعار .

وأشار نفس المقال الى « أن البورجوازية التجارية وخاصة فئاتها العليا (تجار الجملة) حققت أرباحاً فاحشة خلال السنوات الأخيرة ، ليس فقط نتيجة للعوامل التى أشرنا إليها ، وإنما أيضاً وبالدرجة الأولى عن طريق عمليات المضاربة المحمومة فى السوق السوداء » .

وقدم الكاتب بعض النماذج من السوق السوداء بالنسبة لمستلزمات الانتاج ، فأوضح أن « سعر طن الصاج ارتفع من ٩٨ جنيه الى ١٧٠ جنيه ، وازنك الألواح قبيعه الدولة بـ ٣٢٥ جنيه للطن وبيعه تجار الجملة فى السوق السوداء بـ ٧٠٠ جنيه للطن » . كذلك أشار الكاتب الى أن « السوق السوداء كان لها آثار سياسية مخربة وانعكاسات ضارة على مجموع الاقتصاد القومى ، فهى تؤدى الى ارتفاع تكاليف الانتاج ، وارتفاع نفقات المعيشة وزيادة أعبائها على الطبقات الشعبية ، الامر الذى لابد وأن يؤثر على المكاسب الاشتراكية التى حصل عليها الشعب العامل » .

وأبرز الكاتب التأثيرات السيئة للسوق السوداء

على الحرفيين ، فأوضح « أن السوق السوداء جذبت عدداً كبيراً من الحرفيين الى شواطئها ، هجر الحثيرون العمل المنتج الشريف الى المضاربة غير المشروعة ، ففى مستلزمات الانتاج التى يحصلون عليها وفقاً لنظام الحصص والتراخيص » .

كذلك أشار الى أن « الراسخون التجارى لا يكتفى باستغلال جماهير المستهلكين ، وإنما يقوم أيضاً باستنزاف القطاع العام ذاته من خلال عمليات التوريد على اختلافها » . وقد بلغت توريدات القطاع الخاص للقطاع العام من مختلف السلع ٢٠٠ مليون جنيه خلال الخطة الخمسية الأولى . وتكمن المشكلة فى « أن القطاع العام يبيع ما يسجه ويسورده بالسعر الرخيص فى السوق ، ثم يعود فيتسويه من القطاع الخاص بالسعر الخيصى ، وكثيراً ما يضطر للشراء من السوق السوداء . ويبتك التسليف يبيع البذرة وزكائها الى تجار القطاع الخاص ، والتجار يبيعونها الى ترحلات الزيوت ومعاصر الزيوت فى القطاع العام ، وفروق الاسعار كبيرة » .

وأشار الكاتب كذلك الى « أن عمليات المضاربة والسوق السوداء ، ليست هى المظهر الوحيد للمعيبات رأس المال التجارى ، فهناك أيضاً عمليات التهريب والتجارة فى السلع المهربة التى نشطت فى السنوات الأخيرة » . وأن تجارة التهريب تعد إحدى المتهورات الخطيرة التى ينفذ منها رأس المال التجارى ليخرب اقتصادنا القومى ، ويزيد من حدة مسكبه الاستهلاك » .

وقد أشارت الطبعة فى فبراير ١٩٦٨ (٢٥) الى أنه قد برزت خلال الفترة من ٦١ - ٦٢ الى ٦٦ - ١٩٦٧ ظاهرتان رئيسيتان :

الأولى : اتساع ونمو الراسمالية الطفيلية وخاصة فى قطاعى تجارة الجملة والتشييد (مقاولى الباطن) . وقد قام القطاع الخاص بتنفيذ ٧٠ فى المائة من اجمالى عمليات التشييد التى تبلغ قيمتها ٧٠٠ مليون جنيه ، وتكون ٤٧ فى المائة من اجمالى استثمارات الخطة الخمسية ١٩٦١ - ١٩٦٥ ، فى حين لم ينفذ القطاع العام سوى ٣٠ فى المائة من تلك العمليات .

الثانية : هى النمو المذهل والتوسع غير العادى لبيروقراطية الدولة ، والقطاع العام فى أعقاب التأميم ونتيجة للاسراف فى انشاء الهيئات

والمؤسسات العامة ، ومن ثم تضخم عدد الوظائف العليا في قطاعي الخدمات والاعمال (الحكومي) وتزايد العبء المالي للإدارة . وشهدت تلك الفترة حركة هجرة واسعة من الحكومة (قطاع الخدمات الحكومي) الى شركات ومؤسسات القطاع العام سعياً وراء الامتيازات الاقتصادية (المرتبات المرتفعة وبدلات التمثيل ، والمزايا العينية على اختلافها ، وجريا وراء فرص الترقى السريع . كما نشطت خلال تلك الفترة العناصر الفاسدة داخل القطاع العام لتكوين الثروات غير المشروعة مستغلة مواقعها منه ، ومن خلال الصفقات التي يعقدها القطاع العام مع القطاع الخاص . واستخدام القطاع الخاص تلك العناصر في محاولته الدعوية لنهب واستنزاف القطاع العام وتخريبه من الداخل .

وسمى الكاتب هذه الفترة وهي الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٧ « فترة النمو السرطاني للطبقة الجديدة » كما أشار الى أن الترابط الجدلي لهاتين الظاهرتين يعكس تفاعلاً الطابع الطفيلي للرأسمالية . وأشار أيضاً الى ما قاله الرئيس عبد الناصر أمام مجلس الأمة سنة ١٩٦٤ حين أوضح : « أن البيروقراطية في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ستعمل على أن تحصل بكل الوسائل على أكبر قدر من السلطة حتى تستطيع أن تقوم بدور حاسم في الانتاج وفي العلاقات الاجتماعية ، وأن تحتكر هذا الدور ، وتستطيع البيروقراطية بفضل هذا الاحتكار أن تأخذ مكان الرأسمالية في المجتمع الرأسمالي »

كما أبرز الكاتب (٢٦) أيضاً الاتجاه المتزايد نحو القيادة التكنوقراطية والتخصص الفني العالي للقيادات الادارية ، وأشار الى أن الحاصلين على مؤهلات عالية - دكتوراه وماجستيراه في قيادة الجهاز التنفيذي (وزارة سنة ١٩٦٤) تبلغ نسبتهم ٧٥ في المائة تقريبا من مجموع القادة بالدولة في هذا المستوى .

وقد أشار عادل غنيم (٢٧) الى التأثير الذي يحدثه نمو الارباح التجارية على مستوى معيشة العمال والفلاحين ، فأوضح : « أن الربح التجاري باعتباره جزءاً من فائض القيمة ، لا يتولد من عملية التداول السلعي بل في الانتاج المادي من عمل العمال والفلاحين في الصناعة والزراعة ،

ومن ثم فارتفاع الاسعار وتضخم الارباح التجارية لابد وأن يؤدي الى انخفاض الدخل الحقيقية للعمال والفلاحين ، وإلى استنزاف القطاع العام ويؤثر على حجم الاستثمارات في الخطة الاقتصادية ، وطالب الكاتب بضرورة تأمين تجارة الجملة وإعادة صياغة تجارة التجزئة على أسس جديدة تعاونية » .

وبنفس الصدد أشار الى قطاع التشييد (المقاولات) ، وأوضح : « أن رأس المال العامل في قطاع التشييد رأس مال تجاري ، والسلعة التي يبيعها هي قوة عمل الحرفيين والعمال ، والشكل القانوني لهذا النشاط هو عقود المقاولات على اختلاف صورها ، وأشار الى « أن عدد المقاولين يبلغ ٢٠٠٠ مقاول ، (٢٨) » .

وأوضح كذلك « أنه برغم تأمين الحكومة لشركات المقاولات الكبرى ومساهمتها بنسبة ٥٠ في المائة في معظم شركات المقاولات ، إلا أن تأمين المقاولات لم يتحقق بصورة فعالة ، إذ تحول الى مجرد تأمين للمكاتب والموظفين ، ولم يكن تأميناً لقطاع التشييد في واقع الامر ، - لأنه أبقى على المقاولين من الباطن وعلى نشاطهم الواسع . وفي الخطة الخمسية من سنة ١٩٦١ الى سنة ١٩٦٥ قام القطاع الخاص (كما ذكرنا) بتنفيذ ٧٠ في المائة من اجمالي أعمال التشييد ، ولم ينفذ القطاع العام غير ٣٠ في المائة فقط » .

وتعليقا على كافة هذه التطورات أشار ميشيل كامل (٢٩) الى « أن هذا التراكم «المرضى» والنمو السرطاني يمثل خطراً على الثورة الاجتماعية ، ويهدد الجسد كله ، لأنه يعني أن بعض مؤسسات السلطة ما زالت تتحكم فيها بعض القوى التي تخدم حركة النمو الرأسمالي نقيض التطور الاجتماعي الثوري وتنتمي اليها ، وأن قوى الشعب العاملة الاصيل ما زالت مبعدة عن التحكم في مسار الثورة » .

اتساع قاعدة البورجوازية الصغيرة

واستكمالا لدراسة كافة شرائح البورجوازية الوطنية ، بحثت الطليعة وضع البورجوازية الصغيرة في اقتصاد البلاد الصناعي والزراعي ، واتساع قاعدة هذه الطبقة . فأشار الدكتور فؤاد

[٢٦] في نفس المقال السابق .

[٢٧] في مقاله : أضواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية . يونيو ١٩٦٦ .

[٢٨] في نفس مقاله السابق .

[٢٩] في مقاله : مشاكل القوى الاجتماعية داخل التحالف الوطني : مايو ١٩٦٩ .

البرجوازية الصغيرة والتحول

الثورى الى الاشتراكية

وقد حددت الطليعة فى مقال « ميشيل كامل » مشاكل القوى الاجتماعية داخل التحالف الوطنى (٢١) موقفها من النظريات القائلة بإمكانية قيام البرجوازية الصغيرة باعتبارها أقصى اليسار الراسمى بقيادة عملية التحول الثورى الى مجتمع اشتراكى ، على اثر انتشار رتصاعد حركة المد الثورى الوطنى على نطاق العالم 'جمع بعد الحرب العالمية ، ثم نتيجة الطابع الاجتماعى الذى اتسمت به هذه الحركات . وقد أوضح ميشيل كامل ان تجربة الشعوب وخاصة خلال السنوات الاخيرة ، اثبتت فساد هذه النظرية وزيفها بعد الانهيارات المتلاحقة المفجعة للامظمة الوطنية التقدمية التى تولت البرجوازية الصغيرة والوطنية قيادتها فى آسيا وافريقيا ، فهى لم تعجز عن اداء مهام التحول الاشتراكى فحسب ، بل وحلقت من الثغرات وتسببت فى قدر من التفسخ مكن قوى الثورة المضادة من القيام بمذابح مروعة ضد شعوبها . والسبب فى هذا يرجع الى وضعها البينى المتناقض ضد الاستعمار والراسمالية الكبيرة وبقياء الاقطاع فى نفس الوقت الذى تخشى فيه الشعب وتستشعر الخطر منه وتعمل على عرله والاستئثار بالسلطة واحتكار القيادة وصياغة القرارات بما يتمشى مع مصالحها مما يؤدى الى تفويت الوحدة القومية والقضاء على أى صورة فعالة للتحالف الوطنى .

واوضح ميشيل كامل ان هذه الطبقة بحكم وضعها الاجتماعى لا مجال لبقائها مستقلة او مستقرة ، اذ سرعان ما تتجه الى تحقيق امانيتها وتطلعاتها الطبقيّة فى التطور لتبلغ منزلة البرجوازية الكبيرة ، أو تنقسم على نفسها ، وتتفتت بحكم حركة الاستقطاب الحتمية ، فتميل بعض فئاتها الى اليسار لتتضم الى موكب الثورة - فى حالة وجود قطب ثورى له وزنه - بينما تنحاز فئات أخرى منها الى اليمين وتعاوى الثورة . وبطبيعة الحال فان اتجاه الحركة يتوقف على الظروف السياسية الخاصة بكل بلد على حدة ، بالإضافة الى موقع كل فئة من السلم الاجتماعى ، فالبرجوازية الصغيرة اكثر ميلا الى الالتقاء بالتيار الثورى من الراسمالية الوسطى ،

مرسى (٣٠) الى انه : (فى بلادنا توجد نسبة ٦٠ فى المائة من الاراضى الزراعية فى حيازة فلاحين يملك الواحد منهم خمسة أفدنة فأقل ، ويمثلون ٩٥ فى المائة من عدد الملاك . وتشكل المصانع التى يعمل بها اقل من عشرة عمال ٩٣ فى المائة من مجموع المصانع ، ويشغل بها ٢٧ فى المائة من مجموع العاملين فى الصناعة ، ويكشف تعداد ١٩٦٤ المنشور فى عام ١٩٦٧ عن ان عدد المنشآت الصناعية التى يعمل بها اقل من عشرة يبلغ ١٤٤٠٥٦ منشأة ، وتبلغ قيمة الانتاج فيها ١٤٢ مليون جنيه من جملة قيمة الانتاج الصناعى البالغة ١١٠١٠ مليون جنيه . اما التجار فنجد ان عددهم الاجمالى ٧٥٠٠٠٠ تاجر ، لا يدخل منهم فى عداد الممولين من الناحية الضريبية سوى ٢٨٢ ألفا ، كما أن ٥٧٠٥٠٠ ممن يعدون من الممولين يقل دخلهم السنوى المعلن عن ٢٥٠ جنيه ، أى ان حوالى ٧٤ فى المائة من مجموع التجار يدخلون فى عداد صغار التجار . ومعنى هذا : « ان البرجوازية الصغيرة تضم ٩٥ فى المائة من مجموع ملاك الاراضى ، و ٦٠ فى المائة من مجموع مساحة الاراضى ، و ٦٣ فى المائة من مجموع المصانع ، و ٧٤ فى المائة من مجموع التجار » ناهيك عن ابنائها من المثقفين والمتعلمين ، العاملين فى أجهزة الدولة والقطاع العام » .

وقد حدد الدكتور فؤاد مرسى فى نفس مقاله الموقف الذى اجمع كتاب الطليعة على تحديده من البرجوازية الصغيرة فى مقالاتهم ، فاكد الدكتور فؤاد مرسى « ان الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية لا يتم الا تحت قيادة الطبقة العاملة ، وعلى البرجوازية الصغيرة بالذات ان تدرك هذه الحقيقة النظرية والضرورة العملية ، فلن يقضى على استغلال الملكية الخاصة الا بقيادة الطبقة الوحيدة المجردة من الملكية » .

« وان انتصار الثورة الاشتراكية رهن بوحدة الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة ، وبخاصة الفلاحون ، هذه الوحدة التى تشكل نواة التحالف الطبقي العريض للقوى الاجتماعية التى تقبل التحولات الاشتراكية ، ومثالها الاقسام المتقدمة من الراسمالية الوطنية » .

« وفى هذه الحدود ، يمكن ان تلعب البرجوازية الصغيرة دورا حاسما فى التحول الاشتراكى ، ثم فى بناء الاشتراكية : وعندئذ فان النجاح فى كسب البرجوازية الصغيرة السى قضية الاشتراكية ، يكون هو العامل الحاسم فى نجاح النضال من اجل الاشتراكية » .

سيطرة البورجوازية الوطنية

على التحالف

وقد اشارت الطليعة منذ نوفمبر ١٩٦٧ بوجه خاص الى خطر سيطرة الطبقة المتوسطة على التحالف ، فأوضحت في كراس الطليعة في نوفمبر ١٩٦٧ في قسم «نظرات في الوضع الداخلي الراهن» انه :

« بينما كانت قوى الثورة وقيادتها تؤكد على ضرورة نقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة جميعها بلا استثناء ، فلقد ظلت قيادات الدولة والجيش والقطاع العام تنتسب في غالبيتها على المتنفذين والطبقات الوسطى والصغيرة ، بحيث كاد الاتحاد الاشتراكي نفسه وهو مجرد تجمع أو تحالف على المستوى الوطني ان يتحول الى حزب لتلك الطبقات . وفي الوقت ذاته ، لم تصل الجهود التي بذلت لتكوين حزب اشتراكي طليعي يوحد في صفوفه كل القوى الاشتراكية الى نتيجة حاسمة بعد .

« ان السلطة قد ظلت بأيدي بعض الطبقات الثورية لا بأيدي كل الطبقات الثورية . وتلك الطبقات التي كان ابناءؤها يمسون بزمام السلطة لم تكن مقتنعة بالتحول الاشتراكي ولا متحمسة للدفاع عنه ، ولا معنية بانجازه .

اما الدكتور جمال العطيفي فيعترف بالدور الذي يمكن ان تقوم به الرأسمالية الوطنية داخل التحالف ولكنه يرفض قيادتها للتحالف . يقول في مقاله : « التحالف والحزب » (٢٢) : « انشاء الحزب الطليعي المعتمد على طليعة الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين لا يلغى الدور الهام الذي يمكن ان تقوم به فئات التحالف الاخرى في بناء الاشتراكية . ان هذه الفئات ومنها الرأسمالية الوطنية ، تقوم بدور هام في الانساج وتؤدي خدمة هامة للمجتمع . ولكن الذي نرفضه ان نسيو ايدولوجية الطبقة المتوسطة ، وأن يصبح لها قيادة التحالف ، وأن تصبح بذلك عقبة في تطوير علاقات الانتاج في المجتمع الى علاقات اشتراكية .

وحلا لهذا الاشكال يقترح ميشيل كامل في مقاله « حماية وتعميق الثورة مسئولية الشعب » عدد يناير ١٩٦٨ : « أن تصبح الطبقة المتوسطة شريكا في السلطة ولا تنفرد بها ، وليس هذا الشرط

ضمانا لقوى الشعب العاملة فحسب ، بل هو أيضا ضمانا للبورجوازية الوطنية نفسها في مستقبل أكثر استقرارا وأمنا ، وحياة أطول أمدا » .

وفيما يتعلق بالتأثير الذي تحدثه البورجوازية الوصية والقطاع الذي تحول منها الى طبقة جديدة على التنظيم السياسي أوضح مصطفي طيه (٢٢) في مقاله « الديمقراطية في المشرق بين النظرية والتطبيق » « ان هذه الطبقة قد أصبحت « طبقة عازلة » تحول دون تدفق العمل الثوري ، وتجمد وصول نتائجها الى الجماهير التي تحتاج اليه » كما قال الميثاق . معنى ذلك أنها تعمن على ابعاد الشعب عن ممارسة حقوقه المشروعة التي نص عليها الميثاق . وتحال على ذلك بانساب متعددة ، فهي تغلب الاسلوب الاداري في حل مشكلات الجماهير ، على الاسلوب السياسي . ذلك ان العمل السياسي يحفز الجماهير ويوعىها بحقوقها ، ويمثل ذلك خطرا على مصالح هذه الطبقة .

ومع تطور حركة البورجوازية الوطنية في المجتمع اقتصاديا وسياسيا أكد ميشيل كامل في فبراير ١٩٧١ (٢٤) « أن الرأسمالية الوطنية حريصة على الانفراد بالسلطة بحكم طبيعتها » اللاديمقراطية « وبسبب موقفها البيني في عداؤها للامبريالية من جانب ، وخوفها من الجماهير المنظمة من جانب آخر » . وقال « ان الاتجاه السائد بين البورجوازية الوطنية - طالما كانت لها اليد العليا في السلطة - هو استدعاء الجماهير وقت الشدة لتناضل وتقاتل وتضحى من اجل حماية « السيادة الوطنية » ثم تسارع الى تسريح هذا الحشد عندما تطمئن لقدرتها على الاستمرار ، وهي بذلك تتجنب الاثار الاجتماعية والسياسية بعيدة المدى ، التي تقترب على تنظيم الجماهير خشية بلورة ارادتهم الجماعية وممارستها ، مما يهدد بزعة نفوذها » .

وحاول د . رفعت السعيد (٢٥) أن يذكر بعض وسائل الطبقة الوسطى في فرض سيطرتها على تحالف قوى الشعب العامل فأوضح « ان بعض أفراد الطبقة الوسطى يريدون أن يفرضوا لانفسهم ما يمكن تسميته « بارزدواج الشخصية الطبقية » أي أن يحصلوا على كل المميزات الاقتصادية والاجتماعية التي تتيحها لهم اوضاعهم الاجتماعية ، وأن يحصلوا في نفس الوقت على ما للطبقة العاملة والفلاحين من حقوق سياسية

[٢٢] نوفمبر ١٩٦٧

[٢٣] عدد يونيو ١٩٦٦

[٢٤] بعض ملاحظات حول منهج العمل الوطني لدعم الجبهة الداخلية

[٢٥] في مقاله : نظرية التحالف بين الفكر والتطبيق . فبراير ١٩٧١

شرعتها الثورة ليس مجرد منح هذه الجماهير حقوقها وإنما - وفي الأساس - تحقيقاً لفائدة مؤكدة لمسيرة الثورة » . وأوضح الكاتب أن « المسألة هنا ليست مجرد أنانية فردية أو حتى طبقية وإنما هي أخطر من ذلك بكثير فهي تفرض على التحالف شكلاً لا يتسق مع طبيعته وتبطل عن أطواره القوى ذات المصلحة الأساسية في استمرار الثورة » ، ومن ثم فإن الإطار التنظيمي للتحالف لا يتعرض فحسب لسيطرة قوى سياسية متخلفة ، وإنما - وهذا هو الخطر الأكبر - يتعرض أيضاً لتباعد القوى الأكثر ثورية عنه - وعلى أية حال فقد كانت نتيجة ما جرى من مناقشات ومساجلات أن وضع تعريف مطاط مكن إحدى قوى التحالف من أن تحصل لنفسها بغير حق على الثقل الأساسي في الإطار التنظيمي للتحالف » .

كذلك ففي الوقت الذي أوضح فيه د . رفعت السعيد في نفس مقاله : « أن كبار الموظفين ورجال الإدارة يستولون على الغالبية العظمى مما أتاحته الثورة من فرص أمام العمال ، كي يمارسوا مشاركتهم في السلطة » أوضح أيضاً بالنسبة للقوى : « أن الممثلين التقليديين للآسي الغنية ، وأغنياء الريف قد حولوا النسبة التي يتيحها الميثاق للفلاحين ، إلى غنيمة لهم » .

وقد أكد « ميشيل كامل » في مقاله « بعض ملاحظات حول منهج العمل الوطني لدعم الجبهة الداخلية » (٣٦) بعض النقاط النظرية فيما يتعلق بالاشكال التي تلجأ إليها البورجوازية الوطنية في بلدان العالم الثالث لتأكيد سيطرتها الطبقية وأشكال هذه السيطرة ، فأوضح : « أن التجارب التقدمية جميعها أوضحت أن القوة القيادية في الجبهة أما أن تكون البروليتاريا أو البورجوازية الوطنية ، والفارق الوحيد بين الحالتين هو أن البروليتاريا تعلن عن وضعها القيادي وتمسكها به ، بينما تحاول الرأسمالية الوطنية إخفاء موقعها القيادي بمسميات براقية . ولقد ظهرت صيغة جديدة للتحالف في بلدان العالم الثالث تتمثل في تنظيم « الأفراد المجريين » لا الفئات الاجتماعية المتميزة داخل الوعاء التنظيمي الواحد ، وتمسك بالسماح بالتعبير الفردي دون التعبير الجماعي لكل من القوى المتحالفة ، وهي الصيغة التي تنمو وتمهد لتحويل التحالف إلى تنظيم حزبي » .

وأوضح ميشيل كامل : « أن صمام الأمن خمد تحول الجبهة إلى حزب طبقى يمثل فئة معينة ، يحتكر السلطة و « يلحق » الفئات الأخرى به ببعثتهم كأفراد مجريين ، الضمان الوحيد لحرية التعبير والصراع السلمى البناء بين قوى الشعب

العاملة هو في أن تفتح لكل فئة أن تعبر عن نفسها - فكرياً وتنظيمياً - داخل إطار الاتحاد الاشتراكي ، ملتزمة ببرنامج التحالف - الميثاق وبينان ٣٠ مارس وتحقيق أهدافهما » .

وأضاف « أن صياغة وإقرار برنامج مرحلي مشترك - موقف وسط للتحالف - أمر ممكن وضروري من أجل دعم التحالف الثوري للقوى الوطنية » . أما التوصل إلى أيديولوجية مشتركة فينعارض مع أي منطق علمي أو واقعي . أن سيطرة طبقة على أخرى لا يتمثل فقط في السلطة السياسية والاقتصادية ، بل في عملية الاحتواء الفكري الذي يضيف الشرعية على « أيديولوجية المجتمع كله » أو « الفكر الموحد » لجميع قوى الشعب العاملة » ! .

وانتقد ميشيل كامل « النظرة التي ترغب في رفع « نسبة الاستغلال » عن قطاع من الرأسمالية أو أسلوب من الانتاج الرأسمالي ، وهي نظرة تتعارض مع الاشتراكية ، وتهدف إلى تمكين الأسلوب الرأسمالي في الانتاج » ، ذلك « أن كل ملكية خاصة لأدوات الانتاج ، وخاصة المصنوع منها باستخدام العمل الاجير ، تحتوى على عنصر الاستغلال » .

كذلك أشار إلى « محاولات اظهار التأميم في حده ذاته أو مجرد وجود القطاع العام دليلاً على الاشتراكية ، وتصوير الهيكل التعاوني في أي شكل وجد عليه بأنه تعاون اشتراكي ، بينما هو يعنى الملكية المشتركة لأدوات الانتاج أو وسائل الانتاج وتوزيع عائدها على أساس كمية العمل الذي يقدمه كل عضو بالتعاون » . وهناك الجهود التي تبذل لابران التخطيط الموجه بما يوحي بأنه التخطيط الاشتراكي . الخ . . . وهي جميعاً افكار أقل ما يمكن أن يقال عنها انها مثار للبلبله ليست في مصلحة التطور إلى افاق أبعد من الثورة الوطنية الديمقراطية » .

الطبقة الجديدة والعدوان

وتطور الثورة

وقد أوجزت الطليعة تحليلها لموقف الطبقة الجديدة من العدوان وتطور الثورة في الكراس الذي نشرته في نوفمبر ١٩٦٧ بعنوان « نظرات في الوضع الداخلي الراهن » وقد جاء بهذا الكراس بصدد النقطتين المذكورتين ما يلي :

« ان الطبقة الجديدة هي المسئول الاول عن نواحي الضعف التي ادت الى الهزيمة . . بيد ان مسئلة هذه الطبقة مازالت هي كيف نعيش ، وكيف نحافظ على موقعها الممتاز على الرغم من الهزيمة . . لكن الامور ليست بهذه البساطة فقد ادت الهزيمة الى شرح في النظام بمعنى تحلل الطبقة الجديدة ، لقد انقسمت الى جناح يريد قلب النظام عسكريا محتفيا وراء الدعوة للديمقراطية البورجوازية وتعدد الاحزاب ، وهو يريد الانتكاس اجتماعيا بالثورة وتلمس حل المشكلة بالتفاهم في نهاية الامر مع الغرب » .

« والجناح الثاني شعاره الاساسي هو الدولة الحديثة القائمة على العلم والتكنولوجيا والتي يحكمها بالطبع التكنوقراطيون والتي تقضي على التخلف الحضاري الصارخ بحيث تعيش الجماهير الشعبية داخليا في مستوى لائق دون تطلع الى مواقع القيادة ، وهذه الدولة الحديثة لابد ان يكون نظامها الاقتصادي هو رأسمالية الدولة البيروقراطية . ولذلك فليس المطلوب الغناء التاميمات جملة وتفصيلا وانما الغناء بعضها فقط ، والاحتياطي المباشر لهذا الجناح هو البورجوازية الوطنية الليبرالية ، وبصفة خاصة في المهن الحرة » .

« اما موقف هذا الجناح من العدو فانه أكثر تعقيدا . فهو يبدأ باتجاه يساري مغامر يريد استئناف القتال في اقرب وقت ، دون ان يستعد البلد والجيش استعدادا جديا ، ولكنهم في الواقع غير راغبين اطلاقا في جولة عسكرية جديدة يمكن ان تهدد مواقعهم ، ثم يبادرون بالقاء مسئولية استجالة استئناف القتال على الاتحاد السوفيتي بحيث يتسنى لهم ان يعلنوا انه لا مفر بالتالي من التفاهم مع الغرب في اطار انقاذ حقوق مصر الاساسية ، ومن الطبيعي ان يكون هذا الاتجاه من اقل الاتجاهات ايمانا بالقومية العربية بل تشتد بداخله النزعة الانعزالية » .

« والجناح الثالث هو الجناح الذي يتخذ شعاره الرسمي المحافظة على الثورة وموقفه العملي هو العداء للطبقة العاملة ومعاداة الشيوعية ومهاجمة الاتحاد السوفيتي . وهو لا يفعل شيئا من أجل تعبئة القوى الشعبية الكفيلة بزجر المغامرين والانقلابيين » .

كما اشار ميشيل كامل في مقالته « بعض ملاحظات حول منهج العمل الوطني لدعم الجبهة الداخلية » (٣٧) الى اتجاه البورجوازية الى التركيز

على الجيش النظامي فقط لازالة آثار العدوان وفان : « ان بعض قوى التحالف - او بالاحرى البورجوازية الوطنية بالذات - حاولت ان تصور المعركة على انها الحل العسكري وحده ، وان تحدد نطاقها على خط القتال ، وقواها بأنها الجيش النظامي دون غيره ، وكان هدفها من ترويج هذا المنطق الحرص على امتيازاتها خشية ان تمسها متطلبات التعبئة الاقتصادية الشاملة اذا ما امتدت المعركة الى « الجبهة الداخلية » .

واشار الكاتب الى انه « رغم ان الجماهير الشعبية قد رفضت هذا الاتجاه منذ اللحظة الاولى ، فقد تمادت البورجوازية في الدعوة له الى الحد الذي أصبح يهدد المصالح الوطنية ، فهو يؤدي الى فقدان اليقظة ضد احتمالات تطور الموقف بحصر نطاق الخطر في منطقة محددة صورا استحالة تجاوزها » .

واشار ميشيل كامل في مقاله الى تجارب العالم الثالث ونواقصها في هذه الناحية فأوضح « ان تجارب العالم الثالث عامة اثبتت ان ادراك أهمية التعبئة الجماهيرية الواسعة والثابتة ، عادة ما يظل محصورا في دائرة الشعارات لا تنتقل الى مجال التطبيق العملي الا في ظروف تأزم الموقف ، وعندما تحقق الاخطار بالنظام القائم لتهدد كيانه كله ، وعندئذ تتم تعبئة عاجلة يعوزها الاستقرار ، طابعها معنوي اثارى أكثر من تنظيمي مخطط مستقر . لذلك فان هذه التعبئة سرعان ما يصيبها التفكك والتمزق بمجرد زوال الخطر المباشر او تصور زواله ، هذا الاسلوب من التعبئة اثبت قصوره عن القدرة على التصدي للتحديات ، وادى الى سقوط أنظمة وطنية تمسكت باتباع هذا المنهج في العمل » .

الموقف من البورجوازية الوطنية

ومواجهة الطبقة الجديدة

حددت الطليعة في كراسها الذي نشرته في نوفمبر ١٩٦٧ بعنوان « نظرات في الوضع الداخلي الراهن » المبادئ التي تخدم العلاقات التطبيقية داخل تحالف قوى الشعب العامل . وتعكس هذه المبادئ موقف الطليعة من الطبقة المتوسطة والصغيرة والطبقة الجديدة ، كطبقات تشكل جزءا من تحالف قوى الشعب العامل . وقد

أوضحت الطليعة موقفها في هذا الكراس على النحو التالي :

« أن نقطة البدء في الصراع الطبقي داخل حقوق قوى الثورة هي ضرورة التسليم بأن هذه القوى ، قوى اجتماعية متعددة وليست قوة واحدة يمكن أن تنفرد بالثورة ، والنقطة التالية هي ضرورة التسليم ، بأن التحالف الذي يجمع قوى الثورة ينطوي بالضرورة على تناقضات يجب أن تتم معالجتها على أرضية الاشتراكية ، أي على أساس تذويب الفوارق بين الطبقات ، والنقطة الثالثة هي ضرورة التسليم بأن حل هذه التناقضات يجب أن يتم بطريقة سلمية ، أي على أساس الديمقراطية » .

وأوضحت الطليعة في الكراس : « أن المرحلة الانتقالية تفترض تنازلات متبادلة من كافة الطبقات الثورية من أجل السير في طريق الاشتراكية في اتجاه خلق وتطوير علاقات إنتاج اشتراكية وبالتالي :

١ - فلا يمكن أن ترفض طبقة تقديم التضحيات الضرورية والأفراد بالامتيازات الاجتماعية » .

٢ - ولا يمكن أن تكون تضحيات طبقة فرصة نادرة لا ثراء طبقة أخرى والتسلق على السلم الطبقي » .

٣ - ولا يمكن أن تحتفظ الطبقة بمكانها في التحالف الثوري سياسيا إذا تخلت عن دورها الثوري اجتماعيا » .

٤ - ولهذا يمكن أن تفقد الطبقة مكانها في تحالف قوى الشعب ، إذا فقدت وظيفتها الثورية » .

ونبه محمد سيد احمد الى نقطة هامة فيما يتعلق بالموقف من الرأسمالية الوطنية فقد أشار (٢٨) الى أنه « ينبغي التنبيه الى أن انتهاج طريق العداء للرأسمالية ، لايعنى بالحثم تصفية فئة الرأسمالية الوطنية . وإنما يفترض تطوير القطاع العام وتنمية كفاءته في الانتاج بمعدل يفوق معدل تطور القطاع الخاص والعمل على تأكيد هيمنة القطاع العام على الاقتصاد القومي في مجمله بصور متنوعة بما في ذلك القطاع الخاص » .

لكن الطليعة حددت في كراسها بعنوان « نظرات في الوضع الداخلي الراهن » (٣٩) موقفا أكثر تحديدا حين أشارت في نفس الوقت الى أن « مهمة

الديموقراطية هي نقل البلاد أكثر فأكثر الى الاشتراكية ، ومعنى ذلك الحد من تطور الرأسمالية باطراد لا تنميتها » . ان مهمة الديموقراطية هي انهاء المرحلة الانتقالية بانجازها ، لا بالعدول عنها .

وقد حددت الطليعة موقفها الاقرب الى التكامل بالنسبة لقطاع الرأسمالية الوطنية في « دوسيه للمؤتمر القومي » نشرته في عدد يونيو ١٩٦٨ ، فقد أوضحت بالنسبة للقطاع الرأسمالي الوطني :

« انه لا ينبغي أن تكون الدعوة لتشجيع القطاع الخاص ، ستارا للهجوم على القطاع العام » . فالقطاع الرأسمالي ليس قادرا على حل مشكلات التنمية ، والا لما كان هناك داع للتأميم والحديث عن حتمية الحل الاشتراكي . ولكن القطاع الرأسمالي الوطني له دوره في التنمية الذي يمكن أن يلعبه في الصناعة والزراعة وتجارة التجزئة ، وذلك في كل المشروعات الصغيرة والمتوسطة التي لم تبلغ من الحجم ما يبرر تأميمها . كما يجب مقاومة اتجاه رأس المال الخاص نحو الربح السريع عن طريق النشاط الطفيلي الذي لا يسهم في زيادة الانتاج (أعمال الوساطة وعفود التوريد ومقاولات الباطن ، المضاربة والتخزين) ، كذلك :

- يجب تحقيقا للطمأنينة لدى الرأسمالية الوطنية ، تحديد المجالات التي يجب أن ينشط فيها رأس المال الخاص تحديدا واضحا » .

- تأمين القطاع الرأسمالي ضد التأميم في حدود رأس مال معين أو عدد معين من العمال » .

- توفير قطع الغيار اللازمة له وتوفير الائتمان المصرفي » .

- ربط وحدات القطاع الرأسمالي بوحدات القطاع العام بروابط تجارية منتظمة تضمن استمرار تشغيل كل الطاقات الانتاجية » .

الا أن الطليعة نبهت في « الدوسيه للمؤتمر القومي » الى أن : مطالب الرأسمالية الوطنية في القطاع التعاوني ، ينبغي ألا تغطي على مشكلات الالوف من صغار المنتجين في الصناعة الحرفية ، وفي تجارة التجزئة ، ومسؤولا لا يمكن حل مشكلاتهم ، الا عن طريق الجمعيات التعاونية الانتاجية التي يقترن نجاحها بشرطين :

١ - ألا تسيطر عليها عناصر الرأسمالية

الوطنية ، وهذا ما يمكن ضمانه باشتراط حد أقصى لعدد العمال لدى من ينضم للجمعية (١٠ عمال مثلا) .

ب - ألا نحصص لاجراءات بيروقراطية حكومية ، وهذا ما يدواهر اذا ترك لأعضائها فرصة ادارتها بسبيل ديموقراطية » .

اما بالنسبة لمجابهة الطبقة الجديدة وتصفيقتها فقد حدد عدوان عادم دى معسالة ، حور قصية الطبعة الجديدة في مصر « فبراير ١٩٦٨ عددا من السطح الاساسيه او جرها فيما بيني :

اولا : « النضال من اجل استمرار الثورة الاجتماعية اى من اجل ادايه الفوارق بين الطبقات - وهذا يقتضى :

- اجراء اصلاح رراعى جذرى يفوض بهائيا تأسيس البيروقراطية والطبقة الجديدة فى الريف .

- تامين تجارة الجملة وقطاع التشييد .

- تصفيه امتيازات البيروقراطية العليا فى البيوت والمطاع العام بتحقيق المرتبات العليا وانحاء بدلات الدمثيل والمرايا العينية .

ثانيا : النضال من اجل تطوير سلطه الدولة : وهذا يقتضى اطلاق حرية النقد ، وتوسيع الديموقراسيه ، اى تطوير السبته بحيث يعبر عن الطبقات صاحبه المصلحة فى الاشتراكية من العمال والفلاحين والمتقنين النوريين .

- تطوير علاقات الانتاج داخل مؤسسات القطاع العام ووحداته بحيث تلعب الطبقة العاملة دورا متزايدا فى ادارته ، والانتقال من المشاركة التبدلية الى صور ديموقراطية جديدة من المشاركة الفعالة فى الادارة .

ثالثا : اتخاذ اجراءات تنظيمية « تتمثل فى :

- اعادة النظر فى الهيكل الادارى والتنظيمى القائم للقطاع العام (قطاع الاعمال) ولجهاز الدولة (قطاع الخدمات) والعمل على تبسيطه وتخفيض عبئه المالى على الانتاج .

- اعادة تخطيط القوى الوظيفية ، واعادة توزيعها على الانشطة المختلفة بحيث يوضع الشخص المناسب فى المكان المناسب ، وحتى تضمن الاستخدام الكامل للكفاءات الفنية التى تملكها .

رابعا : وفى المجال السياسى والايدولوجى :

- الاهتمام بالتربية السياسية والتثقيف الاشتراكى للكوادر الادارية والفنية العليا .

- تحقيق الاتساق والتكامل بين خطط التعليم على كافة مستوياته ، وخطط التنمية الاقتصادية .

- النضال من اجل محو الامية ، واعتبارها قضية قومية ملحة .

- محاربة الاسراف وتبديد الموارد والسيطرة على الانفاق العام .

- ان يطبق قانون الكسب غير المشروع بطريقة سياسية تعتمد على مشاركة الجماهير أكثر من الاعتماد على الاجهزة الادارية . فالجماهير اقدر دائما على كشف الاحرفات .

وعنى رجه العموم . فقد اجمع كتاب الطبيعة بالنسبة بطبقة الجديدة على ضرورة النضال لمجابهتها وتصفيقتها . وقد استشهدوا عديدا من المرات فى هذا الصدد بالموقف الذى حددته الرئيس « عبد الناصر » فى ١٩٦٤ ، واورده مصطفى طيبه فى مقاله « الديموقراطية فى الميثاق بين البصرية والتطبيق » (٤٠) وقد حدد الرئيس عبد الناصر موقفه بكل وصوح بهذا الصدد حين أشار انه :

« لا ينبغي لنا مهما كان النقص ان نسمح بظهور طبقة جديدة نظن ان الامتيازات اربث لها بعد الصيغة العديمه . وعلينا ان نقاوم مثل هذا الانحراف وننور عليه اذا اقتضى الامر ، ونجرده من اى سلاح يكون قد حصل عليه ، فان هذا السلاح سوف يتجه لحظة توافيه الفرصة الى طعن تحالف قوى الشعب العاملة » .

ملف

الطليعة

د. محمد الخفيف

ذكرى المناضلين هي دوما ذكرى ملهمة معينة لا ينضب من زاد الفكر والثورة والعمل . بهذا المعنى ودون التلغف بثياب رومانسية نقول أن محمد الخفيف لم يمت ، لأن المثل القذ الذي ضربه في حياته لن ينتهي بوفاته . . وإنما سيظل أبدا تراسا يضيء الطريق الوعر السدى أسهم مع السكثريين في شقه بالاضافر ، طريقنا الوطني نحو التحرر والتقدم الاجتماعى والسلام .

ان أبرز ما سيبقى في مخيلة الاجيال المعاصرة لمحمد الخفيف ، هو تلك الوحدة العميقة بين فكره وسلوكه . . لقد كان نموذجا رفيع المستوى لهذا التكوين الثورى المنسجم ، يقول ما يعتقد انه الحق ، ويسلك وفق ما يقول . ودفع محمد الخفيف مع غيره من المناضلين الشرفاء ثمن هذه الرؤية للعمل السياسى ، دفعة على كافة المستويات ، الشخصية والعامة ، الروحية والجسدية . وليس من شك في ان وفاة الخفيف في هذه السن المبكرة وعلى هذا النحو المفاجيء وعلى أثر تعب القلب المزمن ، تعد تعبيراً تراحيدياً دائماً على فداحة الثمن الذى يمكن فى دنيانا أن يبلغ الذروة .

ان شخصية الخفيف ستكون ميدانا خصبا لدراسة المرحلة الثورية التى خاضها شعبنا وقد انعكست على حياة رجل شجاع ضحى من أجل مبادئه حتى النفس الأخير . . ارتبط بالجهاد فى واقعها اليومى وعانى معاناتها وعبر بلسانها واستشهد أخيرا وهو ينادى لها بالحرية فى صياغة مستقبلها وتنظيم حركتها . ولعل أروع احتفال بذكرى الخفيف هو أن نمضى فى تجسيد أحلام هذا الشعب المناضل وأن نقطع شوطا فى الطريق الوعر الذى اختاره لتحقيق هذه الأحلام .

واسرة « الطليعة » التى كان الدكتور محمد الخفيف واحدا من أبرز مؤسسيها ، تشعر بخسارة جسيمة فى فقدته لا يجدى معها العزاء . . وربما كانت سلوانا الحقيقية هي أننا نؤمن إيمانا عميقا بأنه اذا كان الصوت قد رحل فالصدى باق بيننا يذكرنا كل لحظة بخطورة المسؤولية وشرف حملها والاستشهاد فى سبيلها .

الطليعة

د. همدود القويصنى

أسرة تحرير الطليعة

قام بإعداد الملف



سيرة نضال

علي تصريح السير صيمويل هور وزير المستعمرات البريطاني ، يعلن أن مصر اجدي مستعمرات التاج البريطاني . وانتفض الشعب المصري يرفض هذا التصريح ، ويتظاهر الطلبة معلنين استنكارهم . . . وينجذب صاحبنا لهذا التيار ، ويقف متعجبا لما كان يلقى عليه من دروس التاريخ وما كان يعرفه من أن مصر دولة مستقلة ، قد حصلت على استقلالها بعد ثورة ١٩١٩ على يد سعد زغلول . واندفع بين صفوف الطلبة والشعب يرفع صوته « الجلاء التام أو الموت الزؤام » . . « يسقط الاستعمار » . . « تحيا مصر حرة مستقلة » ويتابع أخبار مظاهرات الطلبة في القاهرة ، ويسمع انباء

لقد حمل أول ابريل من هذا العام نبأ وفاة «الدكتور محمد الخفيف» ، ولم يرض الناس بقبول تصديق هذا النبا ، وأصرروا على نكرانه . ولكن الحقيقة كانت اقوى من مشاعرهم وإصرارهم . . . اذن لقد مات محمد الخفيف . . . مات أحد الذين اسهموا في صنع تاريخ شعبهم وبلدهم بكل ما في العقل من فكر ، وبكل ما في القلب من عاطفة ، وبكل ما في النفس من جراحة .

تفتح محمد الخفيف وهو في سن السادسة عشرة وكان طالبا بالمدرسة الثانوية سنة ١٩٢٦

سرت بين الشباب الذي كان يبحث لنفسه عن طريق للتعبير عن أفكاره وآماله .

لقد استعرض محمد الخفيف تلك الفترة التي لهثت فيها الجماهير وراء سراب القيادات الحربية ووعودها لتتأرجح بين فئات الحرمان ولتحتجز عنهما كل حرية ، الا حرية التصديق والتأييد لخادعها الذين حالوا بينها وبين فاعليتها في النضال الوطنى الديموقراطى ، واستخدمتها مطية وسلما نحو كراسى السلطة ومقاليدها . وابتدعت محمد الخفيف مع الجموع حوله ليجد « الجبهة الوطنية » وقد تفتتت متكالبه على تخاطف الفتات الذى سمح به الاستعمار ، وبصرف النظر عن تفاوت قدر التكالب والخيانة وأحتفاظ حزب الوفد لمرحلة ببعض مظاهر وخواص الجبهة الوطنيه ، فلقد أضاع بافتقار قيادته الى الفاعلية وعجزها عن قبول تبعات ضرورة المجابهة الثورية وتخطى آثار كوميدى الكراسى الموسيقية وميع كفاح الجماهير ونضالها ، فضاعت جهودها لانفرادها بالقدرة على ربط جموعها الى فترة أطول . ولكن سرعان ما استنفذت هذه القدرة ، وانكشف افلاس هذا التحالف الجماهيرى الرخو خلال الحرب العالمية الثانية . وتأكدت الجموع من استحالة قيادته لتطوير ثورى تحريرى على المستوى الوطنى والاجتماعى . فأقامت حركتها الجماهيرية بشكل تلقائى باهر وصلت الى قمته تحت قيادة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ - وكان محمد الخفيف من أبرز العناصر الشبابية التي اشتركت فى نشاط دار الابحاث العلمية التي كان لها ودار نشر الثقافة الحديثة والفجر الجديد وأم درمان دورا طليعيا وأساسيا فى الدعوة للفكر الاشتراكى العالمى ، لقد عمل الخفيف فى دار الابحاث العلمية فى هذه الفترة مع أبرز العناصر المناضلة من أجل الاشتراكية مثل شهودى عطية الشافعى ، هذه العناصر التي آمنت بالطبقة العاملة وبنظرتها - الاشتراكية العلمية .

لقد كان المكان الطبيعى للمناضل الذى صقلته تجربته الوطنية ، وانضجته ثقافته الماركسية ، وطورته ارتباطاته بالجماهير ، وعلاقاته الوثيقة بالطلبة والعمال ، والعمل بينهم . . . لقد كان الموقع الطبيعى له أن يكون فى قيادة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال . وهكذا انطلق محمد الخفيف بكل ما يملك من قدرات ، وتفجرت امكانياته الواسعة . . . يعمل فى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، يسهم فى تنظيماتها ، ويخطط تحريكها ، ويفنى نفسه فى نشر الثقافة التقدمية بين أفرادها ، يلقي المحاضرات ، ويقوم الندوات ، وينتشر بين صفوف العمال والفلاحين ، يدعو للفكر الوطنى

استشهاد عبد الحكيم الجراحى وعبد المجيد مرسى . . . فينفعل بهذا المد فى الحركة الوطنية . . . ويؤمن وهو فى مقتبل عمره تاريخ النضال لشعبه ، وينظر فيما حوله بين الاحزاب السياسية القائمة فى ذلك الوقت ، ويجدها تختلف على مفاهيم لم يستطع لها تفسير ، فالكل فى نظره لا يعبر عن مصالح أهل قريته وبلده . . . وتفكر شفتاه عن ابتسامة ضعيفة من الامل فى تكوين ما أسموه « الجبهة الوطنية » بين هذه الاحزاب التي أجرت المفاوضات مع الانجليز بشأن الجلاء وانتهت الى اعلان معاهدة سنة ١٩٣٦ .

وكبر الخفيف وهو مازال يتأمل « هل يمكن أن تكون المفاوضات مع المستعمر سبيلا لتحقيق الاستقلال ؟ » « وهل يمكن لهذه القيادات السياسية أن تعبر عن مصالح الجماهير المصرية العريضة » . . . ويشب مع الايام وتزداد معه هذه التساؤلات . . . وينضج فكره فى أحضان الحركة الوطنية المجردة . . . ويؤمن بضرورة جلاء القوات البريطانية عن أرض البلاد . . . فليدافع عن أرض الاباء والاجداد . . . ويستعرض تاريخ شعبه والحضارة التي خلقها على أرضه منذ فجر التاريخ ويتابع تطور الانسان المصرى منذ عهد الفراعنة حتى اليوم .

وفى الجامعة وقد التحق بها فى كلية الطب ، وأمضى فترة السنة الاعدادية بكلية العلوم بالعباسية أمام ثكنات الجيش البريطانى ، وكانت الحرب العالمية قد أعلنت . . . وبدأت القوات البريطانية أمامه فى غدوه ورواحه الى كليته . . . وحلا له يوما أن يتعرف على أحد الضباط الانجليز . . . واستمع اليه فى اهتمام . . . لقد بعثت الصدفة اليه بهذا الضابط - الذى كان يكره الحرب ولا يقر منطق الاستعمار - لقد كان الضابط من المثقفين القلائل الذين تأثروا بالفكر الاشتراكى العالمى . . . فأعجب صاحبا بهذا الضابط وتوطدت أواصر الصداقة بينهما ، وتبادلا المناقشات ووجهات النظر وتفتح ذهن محمد الخفيف على فكر جديد يشكل لديه جنيئا جديدا . . . وأمدته الضابط ببعض الكتيبات والمطبوعات التي تتحدث عن الماركسية ، وانقطعت الصلة بينه وبين الضابط الذى رحل الى جبهة القتال بالصحراء الغربية . ولكن الخفيف ظل يستعيد ما دار بينه وبين ذلك الضابط من أحاديث وما تناول من أفكار ، وعكف يعيد قراءة تلك الكتيبات والمطبوعات التي تركها له . وشغف محمد الخفيف بهذا المنهج الجديد فى تشكيل الفكر السياسى ، وفى تلك الفترة من الاربعينات التي دارت فيها الحرب وما بعدها ، ما لبث هذا الفكر أن وجد طريقه الى عدد من الطلبة والمثقفين ، وأصبحت المناقشات العلمية فيه ظاهرة

الجديد ذى المضمون الاجتماعى ، يعتبر النضال ضد الاستعمار والامبريالية نضالا ضد كل أنواع الاستغلال ، يؤمن أن المضمون الوطنى لم يعد مجرد الدفاع عن أرض الأباء والاجداد ، وإنما هو كفاح من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية للطبقات العاملة والمنتجة فى هذه الأرض ، عرف طريقه الى التنظيمات الشيوعية السرية ، ولكنه فى ذات الوقت كان يعمل بنشاط فى العمل الجماهيرى العلنى .

وفى أغسطس سنة ١٩٤٥ وقد استسلمت القوات النازية بألمانيا والفاشية بإيطاليا ، وتاهب العالم لسماع نبأ اعلان نهاية الحرب وبدء السلام ، اذا بالولايات المتحدة الامريكية تطلق أول القنابل الذرية على هيروشيما ونجازاكي فى اليابان ، ويفزع العالم أجمع من هول التخريب ومداه ، ويمسك الناس بأنفاسهم يترقبون نهاية هذا العالم وفناء الحياة كلها . ان هذا السلاح الرهيب هو اليوم فى يد أكبر قوة للعدوان بعد القضاء على الفاشية والنازية ، ان هذه القوة الجبارة التى أعلنت الامبريالية الامريكية امتلاكها كانت من أكبر الدوافع التى أدت ضرورة النضال ضدها ووقف نشاطها وسيطرتها . من هنا ، انطلق محمد الخفيف داعيا من أجل السلام ، مشاركا فى تجميع رأى العام حول ضرورة النضال ضد الاستعمار من أجل تحقيق السلام على الأرض .

على أية حال ، فقد كانت الفترة التى انقضت من حياته ، وهو بعد طالب بالجامعة زاخرة بالاحداث المحلية والعالمية التى أثرت فى فكره وعقله ، وانفعل بها وشكلت له منهجا علميا آمن به طول حياته ، وهو بعد طالب بالجامعة زاخرة بالاحداث الناس . . وعمل من أجلهم . .

وفى سنوات الدراسة التى قضاها بكلية الصيدلة ، كان الطالب محمد الخفيف منطلقا بين زملائه يداعبهم فى مرح وحبور . . لما تمتع به من خفة الروح وقدرة فائقة على اطلاق النكتة ، فلم يتزك مناسبة تمر او حادثة الا ويعلق عليه بلفشته الساخرة التى لا تخلو من تعبير أو معنى . . ولقد أكسبته هذه السمة شهرة واسعة بين أقرانه وزملائه ، وجمعتهم حوله ، فأفاد من ذلك فى نشر فكره الجاد وفلسفته الماركسية التى تأثر بها الكثيرون . . وكان يجيد تقليد أساتذته فى الكلية ، وكثيرا ما ألقى نكاته ومداعباته فى المهرجانات والحفلات التى كان يقيمها الطلبة للترويح عن أنفسهم ، كان محل حب الجميع وتقديرهم ، أساتذة وطلابا ، واشترك بقسط موفور فى نشاطات اتحادات الطلبة ، وشهد اتحاد كلية الصيدلة نشاطا ملحوظا لم يعهده فى تلك الكلية من قبل ، وكان أول من أصدر مجلات للطلبة فيها . ولقد تجاوز نشاطه حدود كليته ، فكان ضمن طليعة

الطلبة الذين أسهموا فى انشاء رابطة الطلبة المصريين التى لعبت دورا هاما فى الحركة الوطنية فى تلك المرحلة ، وكان أحد الذين أصدروا مجلتهم « الرابطة » ، التى كانت تعتبر مذبرا للتعبير عن آمال الطلبة المصريين وأفكارهم السياسية التقدمية التى جمعت حولها لفيقا كبيرا من الطلبة . وفى مواجهة الارهاب الاستعماري المنكى كان نشطا فاعتقل فى ١٩٤٨ فى الهاكسب والطور ولم يخرج من المعتقل الا فى آخر ١٩٤٩ .

وتخرج الدكتور محمد الخفيف من كلية الصيدلة سنة ١٩٤٦ وعمل لفترة قصيرة بصيدلية مستشفى النيل الجامعى . . وفى خلال تلك المدة المحدودة شاعت الاقدار أن تسوق له من الاحداث ما يطلعه على انهيار النظام الاجتماعى الذى كنا نعيش فيه ، فالمستشفى يموج بالطباء والمرصات يفترض فيهن خدمة المرضى المترددين على المستشفى بعياداتها الخارجية فى كافة تخصصات الطب والجراحة ، وكانت هذه المستشفى الجامعية هى المنفذ الاساسى للمرضى الفقراء من هذا الشعب . ولقد أدرك بنفسه ومن خلال عمله مدى التفسخ والتدهور الذى وصلت اليه الحال فى هذه المستشفى . ورغم كل الاضواء التى كانت تلقى على هذا الوضع فى بعض الصحف والمجلات ، ورغم وضوح هذه الظاهرة لكل أبصار المسئولين ، فى الحكم الا أن شيئا جادا لم يحدث لانقاذ الموقف . وأيقن محمد الخفيف وهو يخطو أولى خطواته فى حياته العملية أن الانفصال تام بين الدولة وأجهزتها وبين طبقات الشعب الكادحة والفقيرة ، وأيقن بأن هذه الدولة ليست دولتهم ، وأمن بضرورة النضال والمثابرة من أجل تحطيم تلك الدولة ، وحلم بدولة تمثل ملايين العمال والفلاحين الذين سحقهم الاستغلال والسيطرة من الرأسمالية وبقايا الاقطاع المدعمة بقوى الملكية والاستعمار .

وذات يوم ، كان عليه أن يحضر الى المستشفى فى الصباح الباكر لاستلام اللبن الذى يوزع على المرضى ، وتقدم بكل نشاط وجد وقام بإجراء التحليلات السكيمياوية لهذا اللبن ، وأذهلته المفاجأة - ان قد وجد أنه لا يحتوى الا على نسبة ضئيلة من الدسم - فقرر رفض استلامه . هاج وماج ، وأخذ عينة منه لارسالها لمعامل وزارة الصحة لتحليلها ، وأخطر المسئولين بالمستشفى ، ونكبهم نصحوه باستلامه ، وأصر هو على الرفض . وكم كانت دهشته كبيرة عندما تلقى نتيجة تحليل معامل الوزارة بأن اللبن مطابق للمواصفات وأن نسبة الدسم فيه قد تجاوزت الحد المألوف !! وهذا أسقط فى يده ، فقد هالته الحقيقة ، كل شيء خرب ، وأن قدرة المتعهد المالية هى التى

تملك الازادة ، ان من يملك المال هو الذى يسيطر على كل شئ فى هذا البلد ، ان المحاولات الاصلاحية مهما بلغت من اخلاص وصدق لا تستطيع ان تحقق أملا أو تغير وضعاً ، ان المحاولات الفردية والاجراءات الاصلاحية لن تكون طريقه فى نضاله ، ان الطريق الوحيد أمامه هو طريق الثورة الوطنية الديموقراطية ، ان تجميع الجماهير وتجنيدهم للكفاح الثورى هو السبيل الذى لا سبيل غيره لايجاد تغيير لنمط الحياة وعلاقات الانتاج فى هذا المجتمع ، لقد آمن بأهمية النظرة الشاملة واحداث التغيير الجذرى .

وهكذا سار فى الطريق .. ترك العمل بالمستشفى ليتيح لنفسه فرصة الانطلاق فى العمل السياسى وثقل فى أعمال مهنية متعددة فعمل مديرا لبعض مخازن الادوية ، واشتغل لدى أحد وكلاء شركات الادوية الاجنبية « الفيترس » الذى كان معظم نشاطه التجارى فى استيراد سجاير « كرافن » .. وغيرها ، ولكنه كان يتشبث بتجارة الادوية رغم أنها لا تمثل الا فرعا عارضا من فروع نشاطه .. وتوقف لحظة ليجد تفسيراً لذلك ، واجتمع ببعض رفاقه من الصيادلة ليكونوا قريبا من الصيادلة الاحرار ، يناضلون من أجل تخليص مهنة الصيدلة من هذه الفئة القايضة من الوكلاء وأصحاب مخازن الادوية . وتدارس تجارة الادوية والمسالك التى كانت تسير فيها . ويظل يشارك فى جمع المعلومات والحصول على المستندات التى يمكن أن تدل على هذه فئة ..

لقد كان استهلاك الدواء فى بلادنا فى ذلك الوقت لا يزيد عن خمسة ملايين من الجنيهات يمثل الانتاج المحلى منها نصف مليون جنيه أى ما يعادل ١٠ فى المائة من مجموع الاستهلاك - وكان انتاجا هزيعا محصورا فى عدة مصانع قليلة ليس لديها القدرة الفنية ولا الطاقة الانتاجية اللازمة .. ونظر حوله فوجد أن الاعتماد الاساسى فى العلاج هو على ما تسقوده حفنة المستوردين منه بغير رقابة أو اشراف من أحد . وقد كان متوسط نصيب الفرد من الدواء سنويا لا يتجاوز ٢٢ قرشا وهو رغم قلته الواضحة ، فلم يكن يحصل عليه فعلا سوى القادرين على تحمل أعبائه المالية وظل السواد الأعظم من الشعب محروما منه .

تأمل الدكتور محمد الخفيف هذه الظاهرة ، وقرر أن يتعاون مع رفاقه من الصيادلة على النضال من أجل تصحيح هذه الاوضاع ، ورسم الجميع خطة للعمل ، قاموا بحصر شامل لوكلاء الشركات الاجنبية الذين ألفوا فيما بينهم « اتحاد مستوردي الادوية » ليزيدوا من قوتهم ويتمكنوا من

فرض استغلالهم للمرضى من هذا الشعب .. عكفوا على دراسة كافة الادوية المستوردة وفصائلها وأسعار بيعها للجمهور ومدى ما تخضع له من رقابة علمية أو مالية . واستمرت دراستهم طويلا ، وما أن انتهت هذه الدراسة حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. فوجدوا فى هذا الحدث فرصة ليقدموا دراسة موضوعية لمجلس الثورة . وعن طريق أحد صيادلة الجيش الذين شاركوا فى جماعة الضباط الاحرار ، وأحمد رفاق محمد الخفيف فى طريق نضاله وفكره تمكن الصيادلة الاحرار أن يجدوا مجالا لنضالهم فى هذا الحقل ..

لقد عرضت الدراسة صورة واقعية لتجارة الادوية فى البلاد ، وكيف انها فى أيدي حفنة من الوكلاء الكومبرادور الذين لا تمثل تجارة الادوية بالنسبة لهم الا جزءا يسيرا من نشاطهم الاستغلالى .. فسلفاجو من أكبر تجار القطن ، ثابت اخوان من أكبر تجار الاسمدة ، ومعتوق من أشهر تجار الخمور ، وريمون حمصى التى ذاعت شهرته فى المقاولات وأعمال البنوك ، وجرين تاجر الادوات الكهربائية .. وغيرهم .. كل هؤلاء كانوا أيضا يسيطرون على تجارة الادوية فى مصر . وأوضحت الدراسة الاسباب التى دفعت هؤلاء القوم الى الاصرار على الاتجار فى الادوية رغم أنها لا تمثل نشاطهم الرئيسى ، ذلك أن الادوية كانت إحدى السلع التى تخضع للتسعير الجبرى ، ولذا عنت الدراسة بمتابعة كيفية تحديد هذه التسعيرة عن طريق أجهزة الدولة ، فتبين أن لجنة التسعيرة العليا بوزارة التموين هى التى تقرر ذلك ، وكل مهمتها هى أن تطلع على الفاتورة الصادرة من الشركة الاجنبية والموثقة من الغرفة التجارية فى بلد المنشأ وتضيف اليها نسب الربح المحددة للمصيديات ومخازن الادوية والوكلاء ، وأن كل الجهود التى كانت تبذلها لتخفيض أسعار الادوية للجمهور كانت تنحصر فى تخفيض نسب الربح لتلك الفئات الثلاث . وهنا أوضحت الدراسة التى شارك فيها الدكتور الخفيف بقسط كبير أن المشكلة كل المشكلة تتبلور فى قيمة الفاتورة الصادرة من الشركة المنتجة بالخارج . وقد أثبتت الدراسة بالبراهين والوثائق أن المستورد كان يتفق مع الشركة الاجنبية بالخارج بإرسال الفاتورة اليه بأضعاف قيمتها الحقيقية ، وكانت هذه الفاتورة تمر على لجنة التسعيرة كوثيقة لا تقبل الشك ، ويتم على ذلك تحويل قيمتها بالخارج بالعملات الاجنبية وتحصل الشركة الاجنبية على القيمة الحقيقية وتودع الباقي لصالح الوكيل فى البنوك الاجنبية . وهكذا كشفت هذه الدراسة عن أوسع طريق

لتهريب الاموال خارج البلاد بكلّ شرعية القوانين وأجهزة الرقابة والمحاسبة فيها . وأوضحت الدراسة وسائل التلاعب فى زيادة الاسعار باستجلاب بعض الرسائل الصغيرة بالطائرة وتحليلها مصاريف كبيرة تضاف الى تحديد سعر بيعها للجمهور ، ويسرى هذا السعر على الكميات الكبيرة المخزونة لديه .

من خلال الخبرة التى حصل عليها الدكتور الخفيف وزملاؤه ، والنظرة العلمية المتأمله أمكن عرض المشكلة بأسلوب علمى يحدد مظاهرها ويحصر بالتحديد أوجه القصور فيها ، ويقترح الحلول ، ولم يكن الحل المناسب غير تأمين استيراد الادوية ، وهنا تبرز خبرة التحريك الثورى لدى الخفيف فيوضح لزملائه أن رفع هذا الشعار الآن قد لا يجد مجالا للتنفيذ ، فلنحقق هذا الهدف على مراحل . واقتراح أن تعرض الدراسة أهمية الغاء فئتي المستوردين وأصحاب مخازن الادوية باعتبارهما فئتين دخيلتين على مهنة الصيدلة ، وقصر حق الاستيراد والتوزيع على الجمعية التعاونية لتوريد وانتاج الادوية ، على أن يتم الاستيراد بطريق المناقصات العلمية للاصناف بأسمائها العلمية وليس بشهرتها التجارية ، وأن تطرح هذه المناقصة على دول العالم المنتجة للدواء من الكتلتين الشرقية والغربية معا ، وأن يتم الحصول على احتياجاتنا منها طبقا لاقل الاسعار وأفضل الاصناف كما يظهر ذلك التحليل العلمى الذى يستلزم ضرورة احكام الرقابة على كل ما يسمح بتداوله من الادوية .

وتم عرض الدراسة على الجمعية العمومية لنقابة الصيادلة وأقرته ، واستمرت دراسته فى لجنة مشتركة شكلت لهذا الغرض من وزارتي الصحة والتموين ومن أحد صيادلة الجيش وأحد قادة الثورة . ورغم كل الجهود التى بذلت على الاقتناع ، الا أن الظروف التى كانت تمر بها الثورة فى سنواتها الاولى لم تتح لها أن تقوم بالتنفيذ ، فلم يهدأ الدكتور الخفيف ورفاقه ، وظلوا فى كل مناسبة يذكرون بالمشروع ويطالبون بضرورة تنفيذه حتى أنه قد حصل على موافقة الجمعية العمومية للصيادلة ثلاث مرات متتالية ، وبرغم كل الحرب التى كانت توجه ضده من اتحاد مستوردي الادوية ومن بعض المحيطين بهم .

ولذا كان أول قرار صدر لتأمين الاستيراد ذلك الخاص بالادوية سنة ١٩٦٠ وتبعه القرارات العامة سنة ١٩٦١ وما بعدها .

وهذا يدل على ان الخفيف لم يكن من رافعى الشعارات ، ولكنه كان معنيا بالدراسة التفصيلية

لواقع بلاده ، يضع الحلول الجذرية لها ويؤمن بمرحلية التنفيذ مع تطويع القدرات وبتث الروح الثورية فيها للقيام بها .

وفى أثناء العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ ، حددت ادارة التعبئة بعض مصانع الادوية المحلية ذات الاصل بالمجهود الحربى ، وعين الدكتور محمد الخفيف مديرا لاحدى هذه المصانع ، فعمل ما وسعه الجهد على اعادة تخطيط الانتاج فيها ، وقام بترشيد الاداء وزيادة الانتاج ورقع مستوى كفاءته ، واغتنم هذه الفرصة للبحث والدراسة الشاملة فى كيفية النهوض بهذه الصناعة الوطنية . ووضع جذور فلسفتها التى تعتمد على كيفية تنميتها وذلك بالسعى لمنع استيراد كل ما يمكن تصنيعه محليا بالكمية اللازمة والجودة المطلوبة وتحت رقابة علمية محكمة . وتعاون مع بعض زملائه من الصيادلة الوطنيين التقدميين الذين آمنوا بما آمن به ، وعملوا سويا من أجل تحقيق هذا الهدف الوطنى .

وفى عام ١٩٦١ حينما أعلنت الثورة المصرية قراراتها التى اتخذت طابع تصميمها على السير فى طريق النمو غير الرأسمالى للتنمية كان الدكتور محمد الخفيف أحد الذين قدموا الثورة المصرية فى عهدها الجديد للعالم كنمط للثورات الوطنية الديمقراطية للدول النامية ، وسخر قلمه وفكره لشرح ميثاق العمل الوطنى والفلسفة الاشتراكية التى تبدو فى ملامحه . وأشهد انى أحد الذين تأثروا بمقالات الرجل فى تلك الفترة ، فقد كانت ثقتى بفكره وأمانته مع نفسه دافعا لى أن أعيد التفكير فى تحليلى لهذه الاجراءات ، لقد كانت مقالاته فى صفحة الراى « بالاهرام » مجالا كبيرا للنقاش ربما أسهمت فى معارضته فى البداية ، ولكن سير الحوادث بعدها وبعد قرارات أغسطس سنة ١٩٦٣ قد ساعدت على اقتناع معارضيه بالفكر الذى طرحه فيها من قبل .

واستقر عمل الرجل المهنى عندما عين مراقبا عاما لجهاز التصنيع بالمؤسسة المصرية العامة للادوية ، فمن خلال هذا الموقع استطاع أن يسهم فى وضع تخطيط شامل لعملية صناعة الادوية فى بلادنا ، فلقد كان من الرعيل الاول لبناء هذا الصرح الذى نما وتطور حتى حقق اكتفاء وصل الى أن أصبح الانتاج المحلى اليوم يغطى أكثر من ٨٧ فى المائة من الاستهلاك ، وانكمش نصيب الواردات من استهلاكنا الى ١٣ فى المائة فقط . لقد تحقّق الحلم الذى طالما داعبه فى مستقبل عمره .

وهكذا .. فانتى أكاد أحس أن كل مريض يحصل على دوائه ، وكل انتاج يتحقق فى قطاع الادوية ، وكل نجاح تحرزه شركاتها انما هو محمد الخفيف ..

كان محمد الخفيف احدى الخفقات الوطنية التى دبست فى شعبنا منذ الثلاثينات حتى اليوم .. ان طرد الاستعمار والقوات البريطانية من ارضنا

واقامة الصناعات كدعامة للاستقلال الوطنى وبناء اقتصاد مستقل يملكه قوى الشعب والسعى لتحقيق الديمقراطية الاشتراكية .. كل ذلك وغيره من انجازات الشعب المصرى العظيم ، هو ثمرة التضحيات الكبيرة التى بذلها جنود الفكر الثورى فى بلادنا ، ومن بينهم هذا الجندى الباسل الذى وقف فى ساحة القتال من اجل الحرية ماصلا حتى النفس الاخير .

محمد الخفيف

مناضلا فى صفوف الفكر الثورى

لعل أبرز ما فى حياة محمد الخفيف النضالية هو تلك الوحدة العميقة بين فكره وسلوكه ، ان تجربته الثورية ظلت دوما ثمرة متجددة الشكل والمحتوى لذلك التفاعل الحى الخلاق بين الفكر والعمل . ولقد شارك الخفيف فى « صفحة الراى » بالاهرام مشاركة ايجابية بناءة على جبهة الفكر الوطنى والاشتراكى ابان مرحلة من ادق المراحل التى اجتازتها بلادنا .

كانت قوانين يوليو التى فتحت الافاق نحو التحول الاجتماعى فى مصر قد صدرت ، وصاحب صدورهما بالضرورة مد وجزر بين الافكار التقدمية والافكار الرجعية ، ذلك لان « خلا » فى البناء الاجتماعى كان على وشك الحدوث بانهياب بعض الشرائح الطبقية وبزوغ قوى اجتماعية جديدة . وفى نقاط التحول دائما يحتاج الفكر الثورى الى أقصى درجات الانتباه واليقظة والصفاء العقلى ، حتى يتأتى لمساهمته بأن تفعل فعلها فى اتجاه التقدم التاريخى .

العمل أئمن وأسمال

من هنا ، كانت نقطة انطلاق الخفيف عام

١٩٦١ أن يؤكد على قيمة « العمل » فى حياتنا الجديدة ، بعد أن ظلت هذه القيمة مهدرة آجالا طويلة فى ظل سيادة المنطق الرأسمالى على التفكير المصرى العام . 'هكذا نراه - فى ذلك الوقت - يقول : « ان قانون اشراك العمال والموظفين فى مجالس ادارة الشركات يعد فى نظرى أخطر القوانين الثورية جميعا . ولئن عرفت ثورتنا فى ميدان السياسة الخارجية بالحياد الايجابى وعدم الانحياز ، ولئن تميزت فى المشكلة الزراعية بقانون اصلاح الزراعى والجمعيات التعاونية الزراعية ، ولئن ارتبطت فى عالم الاقتصاد بالتأميم والقضاء على رأس المال المستغل ، فانها دون شك ستعرف فى ميدان العلاقات الانسانية بثورة اشراك العمال والموظفين فى مجالس ادارة الشركات » [١] . ثم يرد على أولئك الذين يخشون اشراك العمال فى مجالس الادارة بحجة أنه رغم تدريب العمال مهنيا ، الا أنهم يفتقرون الى فهم الادارة واساليبها الفنية ، يرد على هؤلاء بأن العمال من أكثر فئات الشعب تفهما للعمل الادارى ، لانهم عاشوا على مر السنين والاجيال من عنت الادارة وعسلها ، بل وخاضوا المعارك تلو المعارك ضد أساليب الادارة الرأسمالية ، فمن أحق منهم بالمشاركة فى

قولى المسئولية . ان ممارسة العمل من ناحية ؟ والاستفادة من خبرة الاعضاء الاخرين فى المجالس من ناحية أخرى يؤمن للادارة الجديدة سيرا حسنا ويوفر لهذه الادارة مضمونها السياسى الجديد . ولا ينسى محمد الخفيف فى هذا الصدد ان يحذر العمال المنتخبين لعضوية مجالس الادارات من الوهم الذى يصور لهم انهم قد اعتلوا « مراكز » جديدة تميزهم عن غيرهم من العمال ، ان هذا الوهم كفىل بأن ينعكس بهم وبالكيب السياسى الذى حققته طبقتهم . انهم ليسوا فئة مختارة أو صفوة ممتازة ، وانما هم ممثلون لاحلام وآمال أوسع وأكبر من طموحاتهم الشخصية .

ويركز بعد ذلك على مشكلة اختيار المديرين فى مرحلة الانتقال الى الاشتراكية ، فالكفاية العلمية والفنية والخلقية كلها أسباب وجيهة فى اختيار هذا دون ذاك ، ولكن يبقى المعيار الاساسى والحاسم هو الايمان بالاشتراكية ، فكرا وتطبيقا . ان الفكر والعمل وجهان لعملة واحدة ، فلا ينبغى أن نخطئ منذ البداية بخلق فجوة بين التخطيط والتنفيذ [٢] .

ويوالى محمد الخفيف على صفحات «الطليلة» اهتمامه بقضية توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة منطلقا من أن « الادارة » أحد الميادين الواسعة للصراع الاجتماعى بين قوى الثورة والثورة المضادة ، لذلك فان انتصار قوى الشعب فى هذا الميدان من الشروط الجوهرية لنجاح التحول الى الاشتراكية . . ذلك ان الانتاج هو مفتاح تحقيق اهداف التنمية ، وبالتالي فهو عملية سياسية وادارية معا ، ان ايجاد حل لكل مشاكل ومعوقات زيادة الانتاج ، هو من عمل الادارة ، ولكنه فى نفس الوقت عمل سياسى بالدرجة الاولى . ان توفر الخبرة التكنيكية فى الادارة الحكومية ، لم يكن مشكلة فى مصر الرأسمالية الخاضعة للنفوذ الاجنبى ، ولكن المشكلة ان هذه الخبرة ظلت اسيرة المصلحة الاستعمارية والرأسمالية المحلية امدا طويلا ، بحيث سادت عقلية تهجير المال لا العمل . ومنذ أصبحنا مطالبين باقتصاد مستقل عن طريق التصنيع ، وجهازنا الادارى ليس مؤهلا بعد بقدر كاف لانجاز المهام الملقاة على كاهله ، وذلك لبعده التاريخى عن الرقابة الشعبية والبرلمانية . . فاننا - بعد

الثورة - مواجهون بالمشكلة على نحو جديد هو سد نقص الخبرة ، وأن يكون جهاز الادارة فى خدمة الجماهير . ان المستويات الادارية العليا فى مؤسساتنا وشركاتنا لا تمثل سوى المثقفين أو الجنود ، والمنتخبون انفسهم غالبيتهم من الجنود ، والنشئة الطبيعية هى ضيق القاعدة الاجتماعية للادارة . ولعل الشكوى الدائمة من المديرين فى حق العمال واتهامهم بالكسل والتمارض ، مردها الحقيقى ، هو أن العامل لم يشعر بعد بأنه مالك فعلى لوسائل الانتاج ، اننا نطالبهم بالواجبات دون أن نعمق فى وجدانهم مانحهم لهم الملكية العامة من حقوق المساواة فى المعاملة ، حرية التعبير دون اضطهاد ، الاجر على قدر العمل كما ونوعا . والقضية - اذن - هى فى توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة بالعمل الديمقراطى الذى يضمن اشراك أكبر عدد من العاملين ضمانا للاستفادة من خبراتهم ومقاتتهم [٣] .

ويحدد الخفيف معالم هذا الشكل الديمقراطى الذى يسميه « جماعية القيادة » ويقترح صورة عملية لهذا الشكل بأن يعقد اجتماع عام لكافة العاملين بالشركة كل ثلاثة اشهر بدعوة من مكتب تحضيرى منتخب يمثل الادارات المختلفة . وفى كل اجتماع من الاجتماعات الاربعة على مدى العام ، تناقش انجازات الدورة الماضية ونواقصها وتنشر القضايا المطروحة والحوار الذى دار حولها فى مجلة داخلية تكون بمثابة منبر للرأى وأداة للتشقيف والتنظيم [٤] .

ان هذا البرلمان الصغير للشركة أو المؤسسة هو الضمان الوحيد لرقابة شعبية حقيقية تحل مكان المفهوم التقليدى للرقابة الحكومية ، رقابة تمنع الاخطاء لا تقصدها ، رقابة تتوحد فى جهاز واحد ولا تتعدد فى أجهزة بيروقراطية معوقة ، رقابة لا ينكتل فيها المعينون جانبيا والمنتخبون جانبيا آخر [٥] . ولعل التنظيم السياسى هو صمام الامن القادر على توجيه الادارة فى القطاع العام توجيهها يمنع تحول المديرين والمسؤولين بالشركات الى فئة مستغلة منعزلة عن الشعب تنكتل وتترابط حول مصالح فئوية خاصة [٦] .

ويركز الخفيف الضوء على احدى عينات الادارة المنحرفة ، وهى عينة شائعة الى درجة

[٢] الاهرام - ١٩٦١/٥/١ .

[٣] الطليعة - العدد ٢ - ١٩٦٧ .

[٤] الطليعة - العدد ٥ - ١٩٦٧ .

[٥] الاهرام - ١٩٦٢/٤/٨ و ١٩٦٢/٥/١١ .

[٦] الاهرام - ١٩٦٤/٣/٢٤ .

الخطر وقد سماها « مرقس الرشوة » ، انه يرى هذا المرض وليدا طبيعيا لتعدد الجهاز الحكومى وتراكم لوائحه ، الامر الذى يؤدى تلقائيا الى تعطيل مصالح الجماهير « التى لاتدفع » فالرشوة هنا هى المفتاح غير الصحى لفتح الابواب المغلقة على الاوراق والمصالح المرهونة بالروتين وقيوده البيروقراطية . والحل هو تعديل جذرى فى لوائح الجهاز الادارى للحكومة والقطاع العام جنبا الى جنب مع التربية الاشتراكية الحققة [٧] .

البناء الاشتراكي

وحدة الفكر ووحدة التنظيم

لا سبيل الى تربية اشتراكية بغير تنظيم سياسى قوى وفعال يقيم الاشتراكية فى القلب والوجدان جنبا الى جنب قيادتها المادية فى الاجهزة والمؤسسات ، ان تغيير العلاقات الاجتماعية بين البشر ، يصاحبه بالضرورة والحتية تغيير فى القيم التى تحكم هذه العلاقات . هكذا ينتهى محمد الخفيف الى ان البناء الاشتراكي السليم يعوزه تنظيم قادر على توحيد الفكر ، كما يحتاج فى هذا الفكر الى التنظيم الذى يتجسد خلاله حركة حية فاعلة [٨] . وقد كان انشاء « المؤسسة الاقتصادية » ملها للخفيف لان يوضح ان هذه المؤسسة لا تهدف محسب الى احلال الرأسمال الوطنى محل الرأسمالى الاجنبى ، ولا تهدف فى الوقت نفسه الى عمل اشتراكي ثورى يملك فيه الشعب وسائل الانتاج ، وهى ايضا ليست شكلا من اشكال رأسمالية الدولة . انها مزيج مركب من العناصر الثلاثة ، تعكس فى طريقها بنائها الادارى والاقتصادى والسياسى طبيعة الايديولوجية التى سادت آنذاك والتى تمثلت تنظيميا فى « الاتحاد القومى » . وهى ايديولوجية تطمح للاستقلال الاقتصادى والصناعة الوطنية ، والسبيل اليهما وحدة كل القوى الوطنية . غير ان الخطأ الذى وقعت فيه هذه الايديولوجية ابان هذه المرحلة ، انها لم تحدد « القائد لمن ؟ » ، ومن ثم فازت الرأسمالية بنصيب الاسد [٩] . واقبلت قوانين يوليو - يقول الخفيف - تستهدف صراحة ودون التواء سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، وان تجنى الفئات الكادحة من هذا الشعب ثمرة كدها الاقتصادى وكفاحها السياسى

الطويل . ولقد اقبل الميثاق فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ صياغة نظرية تعبر عن هذا التحالف السياسى الجديد ، تعبر عن مرحلة مختلفة كيفيا عن مرحلة « المؤسسة الاقتصادية » [١٠] . والقطاع العام هو النواة الاقتصادية لهذا التحالف الجديد ، هو اداة قوى الشعب العامل فى السيطرة على وسائل الانتاج . لذلك لا ينبغي تحت أى ظرف من الظروف ، ان نسمح للرجعية ان تمارس نشاطها فى ظل القطاع العام ، كما انه لا ينبغي ان نتجاهل التفاعل الديمقراطى بين العاملين فيه [١١] .

ولما كان « الاتحاد الاشتراكي » هو الصيغة التنظيمية التى عبر عنها الميثاق فكريا ، والقطاع العام اقتصاديا ، فقد تابع محمد الخفيف هذه التجربة الجديدة بالتأمل والدراسة والنقد ، هكذا نراه فى وقت باكر ، وتحت عنوان « الاسس الفكرية للاتحاد الاشتراكي العربى » يقول انفسا لسنا بعد فى مجتمع اشتراكي ، انما فى مجتمع التحول والانتقال ، وفرق كبير بين المجتمعين ، على كافة المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، سوف نكتشف بين صفوفنا الكثيرين من الادعياء والانتهازيين وأصحاب المصالح الضيقة ، سوف نكتشف روااسب فردية ورجعية متأصلة او متكيفة لسرقة مكاسب الشعب . ولكن الهدف من تنظيمنا السياسى الجديد لا يحيد عن مستوى بصرنا ، انه الانتقال الى الاشتراكية ، وهذا يستدعى تجريد الرجعية من كافة أسلحتها ، خصوصا الفكرية منها ، وذلك بالصراع الديمقراطى القادر على تثبيت التيار التاريخى المتقدم . الى ان يقول : « تنظيمنا اذن يجب ان يكون تنظيميا جماهيريا يمتد الى حيث تكون الجماهير منظمة بحكم طبيعة عملها او بحكم مواطن اقامتها ، بعيدا عن كل عناصر التفكك والطائفية والانقسام ، وبعيدا عن الاجهزة الادارية بكافة اشكالها [١٢] .

وبعد اربع سنوات من صدور الميثاق وثلاث سنوات من التجربة العملية راح الخفيف يناقش الى أى مدى استطاع الاتحاد الاشتراكي - بوصفه تحالفا لقوى الشعب العاملة - ان يجسد سلطة الشعب ، وما هى العقبات والصعاب التى كانت بمثابة حجر عثرة فى وجه تنظيمنا

[٧] [٧] الاهرام - ١٩٦٢/٤/٧ .

(٨) الاهرام - ١٩٦٣/٥/٢ .

[٩] [٩] الاهرام - ١٩٦٣/٩/١١ .

(١٢) الاهرام - ١٩٦٣/٩/٢٩ .

[١١] [١١] الاهرام - ١٩٦٣/٩/١٤ .

(١٢) الاهرام - ١٩٦٣/٩/٢٩ .

السياسي . وهو يقرر منذ البداية أن الاتحاد الاشتراكي ليس حزبا * وانما هو تنظيم جماهيري واسع ، وقد أدى هذا الاتساع لأن يكون التنظيم مسرحا للتناقضات بين القوى الاجتماعية المختلفة ومجالا للانحرافات البيروقراطية واحتكار صفوة المثقفين للعمل السياسي ، وزاد الأمر تعقيدا أن الأصول التاريخية لكل فئة قد لعبت دورا في تكوين التكتلات الضيقة الأفق غير الممثلة لفكرة التحالف وجوهرها ، ومن ثم لم تتح هذه الظروف للاتحاد الاشتراكي أن يكون سلطة الشعب العامل كما أراد له الميثاق ، ويضع الخفيف يده على تمطين من العوامل التي ساعدت على تفكك التنظيم فكريا وسياسيا : النمط الأول تنظيمي ، وهو نجاح عدد كبير من الموظفين في الجهات الادارية والسلطة التنفيذية بحكم مناصبهم ، فقد انتقلت معهم الى التنظيم صيغة عملهم الاداري والتنفيذي من ناحية ، وغابت بمجيتهم الوجوه الحقيقية المعبرة عن أطراف التحالف . هذا بالنسبة للجان العشرين ، أما لجان المحافظات فقد « اختير » ممثلها ولم ينتخبوا . كذلك فقد تم تشكيل القيادة اليومية على أساس نوعي ، بينما بناء التنظيم يقتضي تشكيلها جغرافيا ، وهكذا جاء الوزراء وكبار المسؤولين غير المتفرغين للعمل السياسي على قمة التنظيم دون دراسة عميقة لطبيعة الاتحاد وتكوينه ، أما النمط الثاني فهو فكري ويتمثل في عدم وضوح العمل السياسي أثناء فترة الانتقال حيث يتطلب التنظيم مضمونا فكريا جديدا للعمل السياسي ينتقل به وبالجماهير من الحركة العفوية التلقائية الى الحركة الواعية بأهداف الانتقال الى الاشتراكية . لقد أسهم غياب هذا المضمون في غياب الاهداف والمهام وتحديد قوى الثورة وقوى الثورة المضادة وما يستتبع ذلك من وضوح لقضية الوحدة الوطنية والصراع الطبقي لأن عدم وضوحهما يطمس الحدود بين الشعب وأعدائه ومن شأنه أن يقود العمل الوطني الى مآهات .

وينتقد الخفيف بعد ذلك تعريف العامل والفلاح الذي وضعته لجنة المائة ويراه مناقضا للهدف ، ويدعو لأن يقتصر تعريف الفلاح على من لا تزيد

ملكية الواحد منهم على خمسة أفدنة وهم يشكلون ٩٤ ٪ من ملاك الاراضي ، أما العامل فهو من كان يعمل عمالا يدويا أو غير يدوي ، فنيا أو غير فني بشرط أن يكون هذا العمل مصدر دخله الوحيد . . وهذا لا يعني اخراج الباقين من التحالف بل يعني ردهم الى قواهم الحقيقية كمثقفين أو رأسمالية وطنية ، ثم يشير الى تشكيل الامانة العامة وقضة التفرغ للعمل السياسي ويرى أن هذا الطريق هو الذي سيبرز العناصر القادرة على تكوين الجهاز السياسي ، وفي هذه النقطة يوجه الانتباه مركزا على العناصر الشابة ، سواء كانت عمالا أو فلاحين أو طلبة أو مثقفين [١٣] .

وعلى اثر هزيمة ١٩٦٧ كتب الخفيف تحت عنوان : « ٩ يونيو يعني استمرار الثورة الاشتراكية » يقول أن الاصوات التي ارتفعت عام ١٩٥٦ بالتخلي عن الثورة الوطنية هي نفسها الاصوات التي ترتفع الآن بالتخلي عن الثورة الاشتراكية ، بالرغم من أن أصحاب هذه الاصوات هم الذين أمادوا من الثورة لا لانهم أصحاب مصلحة حقيقية فيها ، ولكن لظروف خاصة يخشون معها أن استمرت الثورة ان تزول هذه الظروف فيقل ما حصلوا عليه من امتيازات ، ولعل أهم الدروس المستفادة من تجربة الهزيمة فيما يرى الخفيف أن نعيد مسح مجتمعنا طبقيا لنحدد بصورة بالغة الوضوح من تكون قوى الثورة والثورة المضادة . والمعيار الوحيد للتفرقة هو استمرار الثورة الاشتراكية ، وما تفرضه هذه الثورة من تضحيات على من يتصدى لقيادتها [١٤] . ويستكمل الدكتور الخفيف تصوره التنظيمي لاستمرار الثورة الاشتراكية بقوله ان تحديد قوى الثورة لا يؤدي تلقائيا الى وحدتها ، ولا يكفي أن نكون جميعا أصحاب مصلحة حقيقية في الاشتراكية . وانما يجب أن يجمعنا الحد المعقول من الوحدة الفكرية ، والوحدة الفكرية لا تبدأ الا من خلال الالتقاء حول خط سياسي واحد وبرنامج عمل واحد ثم الاشتراك في تنفيذه . ولكي يتوافر الشرطان لابد وأن يتوفر شرط ثالث هو الوحدة التنظيمية : الحزب . ومن يقف مع الاشتراكية حقا يجد نفسه بالضرورة الى جانب وجود

* في هذه النقطة يجب أن نورد رأيا للخفيف حول « الحزب والطبقة » نشره بصفحة الراي في الاهرام [١٩٩٣/٥/١] يقول « أن كان الاصطلاح - حزب - من الوجهة التاريخية ومن الوجهة الاكاديمية ان جاز التعبير يعني القيادة السياسية لطبقة معينة دون باقي الطبقات في المجتمع الا انه لاسباب مختلفة منها تعدد أشكال الكفاح الوطني والسياسي وتعدد أساليب التحرر الاجتماعي وتأثر المثقفين بأكثر من تيار فكري وفلسفي أصبح يطلق في البلدان السائرة على طريق التحرر على أية جماعة من أصحاب الفكر الذين يربط بينهم تأثير فكري واحد وهي في أغلب الحالات لا تمثل طبقة معينة بل تمثل رأيا أو اتجاهها سياسيا معيناً ازاء حل مشكلات المجتمع أما بالتفاف الفئات الشعبية حول هذه الجماعات أو بشكل أكثر صراحة على الاقتناع ومدى ما تظهره تطورات الأحداث من سلامة اتجاهها ثم مدى ما يتمتع به أفرادها من منزلة شعبية نتيجة مواقف اتخذوها في معركة الحرية والديمقراطية»

[١٣] الطبعة - عدد ٦ - ١٩٦٦ .

(١٤) (الطبعة - عدد ١٠ - ١٩٦٧ .

مريض القرية والفرسان الثلاثة

لم يقتصر محمد الخفيف بطبيعة الحال على معالجة القضايا السياسية العامة — فى الفكر والتنظيم — وإنما كانت خبرته الطويلة فى حقل صناعة الدواء من أهم العوامل التى مزجت أفكاره السياسية بأرض الواقع الحى، وفى نقطة بالغة الحساسية، هى حاجة المريض الى الدواء .

وقد كان الفلاح الفقير هو النموذج المباشر أمام عينيه لغياب الرعاية الطبية وحجبها عن المواطنين غير القادرين على العلاج الخاص . هكذا راح يهاجم بضراوة وعنف ضياع المريض فى ريفنا على أيدي ثلاثة هم حلاق الصحة والتومرجى والصيدلى . وكشف أستار الصورة المزعمة الشائعة للعلاج الحر بالقرية ، وأيد اقتراحا بشأن « العلاج التعاونى » تقوم به الجمعيات التعاونية الزراعية إذا لم يكن ميسورا للأن [١٨] إنشاء جمعيات خاصة بالخدمات الطبية . كذلك يمكن إقامة صيدليات تعاونية بالريف ، ثم طالب الأجهزة الحكومية أن تقوم بدورها فيما يتعلق بتنفيذ ما تصدره الدولة من قوانين لحماية المواطنين ، وحدد الدور الذى ينبغى أن تقوم به كل من نقابتى الأطباء والصيدلة فى الحفاظ على شرف المهنة ومعاقبة المستغلين الذين يسيئون إليها . ثم كتب تحت عنوان « دواء يستهدف الشفاء ولا يريح » [١٩] يقول ان الدور العاجل للمؤسسة العامة للأدوية هو أن تعمل على أن يسير الاستيراد فى اتجاه عكسى مع التصنيع بحيث يقل ما نستورده بمعدل النمو فى الإنتاج المحلى مما يستدعى وضع خطة سنوية تحصر احتياجاتنا فى عام وتحدد القدر الذى يمكن للصناعة المحلية أن توفره مع مراعاة معدل نموها ثم تقوم المؤسسة باستيراد القدر الباقى « ولا ينبغى أن يسمح إلا باستيراد الاحتياجات الفعلية ومن المصانع المشهود لها بالدقة والكفاءة ، فالسبعة عشر ألفا من أصناف الادوية التى نستوردها والتى ان نقص بعضها ارتفعت الأسعار بالشكوى من نقص الدواء يمكن بل يجب أن تقلص الى مئات » . وطالب باستمرار رقابة الدولة فى شئون الدواء لانه من الخطورة أن تنتقل الرقابة الى أيدي من تستهدفهم الرقابة . ان رقابة الدولة يجب أن تظل تابعة لوزارة الصحة، رقابة فعالة منتجة لا رقابة لتصيد الأخطاء ، أو تعرقل سير الإنتاج . وليس من المعقول — يقول الخفيف —

الحزب .. حزب الثورة . والحزب هو الذى يكتشف عناصر القيادة ويحدد قوى الثورة ويوحدها ويقود العملية الخشمة لاستيلاء الثورة على أجهزة الدولة من أجل بناء المجتمع الاشتراكى [١٥] .

وعندما بدأت عملية تجديد الاتحاد الاشتراكى بواسطة الانتخاب ، كتب محمد الخفيف يقول ان « إعادة بناء » الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب ، ليست كما يريد البعض أن يصورها مجرد عملية تطوير أو تدعيم أو اصلاح ، ان العملية يجب أن تكون نقلا فعليا للسلطة — كل السلطة — الى الشعب ، ووضعها فى يده وتكريسها لتحقيق مصالحه . انها عملية ذات شقين : أولهما الواجهة العريضة التى تضم قوى الشعب العاملة كلها ، وثانيهما اقامة التنظيم الطليعى القادر على قيادة التفاعل الديمقراطى نحو هدف ندويب الفوارق بين الطبقات . ان الدعامات الاجتماعية والاقتصادية للتحويل الى الاشتراكية تغل تائهة وسط خضم من التناقضات ، والديمقراطية أيضا تغل عرجاء بقدوم واحدة ولا يضمن أحد أين يذهب عائد العمل الوطنى ولا كيف يوزع اذا لم يتم بناء الاتحاد الاشتراكى وتنظيمه الطليعى بهذا المعنى . واللبنة الاولى لاقامة هذا البناء هى الديمقراطية فى انتخاب ممثلى هذا الشعب ، ان الانتخاب نفسه يظل شعارا جميلا بلا جدوى اذا لم يتجسد فى شكله الديمقراطى السليم . أى أن تتم عملية الانتخاب فى ظروف صحية لا غنت فيها ولا تدخل ولا ارهاق ولا اكراه « ان حجر الزاوية فى الديمقراطية هو حرية الراى ، وأولى فرص ابداء الراى حرا هى فرصة الانتخابات » [١٦] . ان حشد جماهير الشعب لانتخابات حرة سوف يستلزم استخداما حرا لادوات الديمقراطية من الاجتماعات الى الملتقيات الى المجالات والصحف والمنشورات العلنية .

أما التنظيم الطليعى — فى رأى الخفيف — فانه الثمرة الطبيعية لكفاح الطبقات الشعبية كفاحا ديمقراطيا عادلا داخل التنظيم السياسى ، ان هذه الطبقات وحدها ستفرز الكادر القائد لعملية التحويل الى الاشتراكية ، هدفها الرئيسى . لذلك فان قيادات العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين هم المرشحون بحكم الطبيعة الطبقيية لتكوين الكادر الاشتراكى المرتبط ببناء الاشتراكية ارتباطا مصيريا [١٧] .

[١٥] الطليعة — العدد ١١ — ١٩٦٧

[١٦] الطليعة — العدد ٨ — ١٩٦٨

[١٧] الطليعة — العدد ١ — ١٩٦٩

[١٨] كتب المقال فى صفحة الراى بالاهرام بتاريخ ١٣/٥/١٩٦١ .

[١٩] الاهرام — ٢٨/٨/١٩٦١ .

بل انة جريمة ترتكب في حق شعبنا ان تقولى الدولة قطاع الدواء ويظل الحال كما كان عليه من حيث العبث وارتفاع الاسعار « على مؤسسة الادوية ان تضع في المقام الاول من اهتمامها ملايين الفلاحين والعمال الذين ظلوا لسنوات طويلة يقاسون من استغلال تجار الدواء وصناعه، وعليها تقع تبعة كل مريض يحتاج الى دواء فلا يجده أو يجده ولا يستطيع شراءه لارتفاع سعره » .

الشباب : ضمان استمرار الثورة

من الاهتمامات « الواقعية » التي شغلت حيزا ضخما في تفكير محمد الخفيف وعمله السياسي قضية الشباب ، وفي هذه القضية أيضا زواج الخفيف بين الفكر والعمل ، فكان يستلهم آراءه النظرية من خضم التجربة العملية وسط الشباب سواء في الاتحاد الاشتراكي أو في المعهد العالي للدراسات الاشتراكية . هكذا نراه تحت عنوان « تنظيم الشباب سياسيا ضمان استمرار الثورة » [٢٠] يؤكد ان اتصال الاجيال في النضال رغم تعدد مراحلها هو سر التقدم الانساني، وانه بغير استمرار النضال يتوقف التقدم . ثم ينبه الى ان الوعي بأهمية اعداد الشباب كان ولا يزال وعيا طبقيًا ، فالدولة ايا كانت رأسمالية أو فاشية أو اشتراكية تهتم باعداد الشباب اعدادا يتلاءم مع طبيعتها وايدولوجيتها . فالفرق هائل بين دولة تجمع شبابها حول اهداف عنصرية توسعية رجعية استغلالية وبين دولة تجمع شبابها حول هدف القضاء على كافة اشكال التوسع والاستغلال والعنصرية . ولكن الدولتين كليهما تجمعان على ان « الشباب » هو عصب حياتهما السياسية ، وفي بلاد كبلادنا تجتاز مرحلة الانتقال الى الاشتراكية تزداد أهمية الشباب في عملنا السياسي اضعاضا مضاعفا ، ويرى الخفيف بشكل حاسم ان عبء التحول الاجتماعي في وطننا يقع عبئه الرئيسي على كاهل الجيل الجديد ، ومن هنا كان اعداده سياسيا لتحمل هذا العبء مهمة وطنية عاجلة وملحة ولا تحتمل التأجيل أو الاستخفاف . ان حجر الاساس في توحيد هذا الجيل هو توقيده مع الجماهير ، توقيده مع الكتل البشرية العاملة ، وتوقيده مع مصالحها في بناء الاشتراكية . . هكذا يكتسب الجيل الجديد همزة الوصل بين الفكر والعمل الثوريين همزة الوصل هذه هي الوعي والصلابة والقدره الخارقة على النضال مهما كانت التضحيات . ان طيبة القلب والرياضة البدنية ورحلات

الكثافة لا تخلق في مجموعها شابا ثوريا ، لانه ينتمى الحلقة الرئيسية في تكوين هذا الشاب وهو الوعي السياسي الذي لا سبيل الى اكتسابه الا بالعمل المنظم ديموقراطيا ويستهدف اقامة الاشتراكية . حينئذ تصبح الرياضة والكثافة والحفلات وسائل لا غايات ، وهنا يشرح الخفيف لابناء الجيل الجديد وثبات الشباب المصري قبل الثورة حتى يصل بين التراث الثوري للاجيال التي كانت شبابا يوما ما والاجيال الجديدة . بل هو ينقل اليهم خبرات الشباب في بقية الدول ويشير الخفيف الى ان مراكز تجمع الشباب من الممكن ان تصبح بوتقة لانصهار الوعي الطبقي حين يضم هذا التجمع أبناء مختلف الطبقات وتصبح التربية الاشتراكية هي الاطار الذي يشيع بين الشباب رغم تباين انتماءاتهم الاجتماعية قريبا جديدة من خلال العمل المشترك والقيادة الجماعية وممارسة النقد والنقد الذاتي .

ومن الطبيعي ان يركز الخفيف على « منظمة الشباب » كوعاء تنظيمي للجيل الجديد ، له استقلاله وخصوصيته، ولكنه متفاعل ديموقراطيا مع الجهاز السياسي القائد للاتحاد الاشتراكي بوصفه أعلى شكل قيادي في التنظيم . ولكي تمارس المنظمة دورها القيادي يجب ان يكون لها الاشراف الفعلي على كل نواحي نشاط الشباب وخاصة فيما يتصل بالاعداد العقائدي والتنظيمي « والا تعددت القيادات وانقسم الشباب فرقا تتصارع حول افراد » . وفي هذا الصدد طرح للمناقشة بضع نقاط حول : تحديد المراحل العمرية التي تندرج في خانة الشباب ، وهل يبدأ الاعداد بالنسبة لها جميعا في وقت واحد أم يبدأ في اختيار بعضها ، وما هي الاسس التي يتم بواسطتها الاختيار ، وكيف يتم الاعداد، ومن يقوم به ؟ وما مدته وتحدث الخفيف طويلا عن حالة الفراغ السياسي في المعاهد والجامعات بحيث أصبحت « الاتحادات » مجرد واجهة شكلية تجر اليها الانتخابات بعض الوجوه الهاوية للمناصب ، ومن هنا لم يكن يصل الى المراكز القيادية للشباب سوى العناصر غير القادرة على تحويل النشاط الطلابي الى نشاط سياسي . وهو اذ يقترح اعمارا للشباب تتراوح بين ١٥ و ٢٥ عاما ، فإنه يقترح أيضا فكرة « الرواد » بين ٢٥ و ٣٥ عاما وهم العناصر التي يمكن اكتشافها في مجالات الانتاج حيث تستطيع ان تكون على اتصال بالشباب ، وأن تتعرف على عناصره القيادية . وقد وجه الخفيف العديد من الانتقادات الجذرية الى منظمة الشباب - وهو

و دستورية تتفق عليها الشسعونب مجرد أوعية
و شرايين تحمل هذا المد الثورى وتحميه . ينبغي
أن تكون وحدتنا المقبلة أمرا مختلفا عن وحدة
١٩٥٨ ينبغي أن تكون وحدة اشتراكية [٢١] .
ومن أجل هذا الهدف فهو يدعو الى تقوية ودعم
الوحدة بين القوى التقدمية الطليعية فى الوطن
العربى ، انها قوة الثورة التى ستصوغ بتجربتها
على الصعيد القومى ملامح الوحدة القادمة ،
وحدة كل الثوريين العرب [٢٢] .

• • •

وبعد ، فليست هذه الكلمات الا عرضا موجزا
لمساهمة الدكتور محمد الخفيف فى تاريخ فكرنا
الوطنى والاشتراكى ، وربما كان الزمن قد
تجاوز هذه الفكرة أو تلك ، ولكن يبقى للخفيف
هذه القدوة المشتعلة بروح الخلق والابداع ،
الروح التى لم تنفصل لحظة واحدة عن حياة
شعبنا ، ولم تتخل لحظة واحدة عن الارتباط
بمسير أمته ، رغم كل المرارة والغناء والتضحية
بالذات حتى النفس الاخير .

فى أتون التجربة — ولكنه دوماً كان يصنظم
بالقوى المعوقة والمعادية لاي تغيير . لقد كان
إيمانه الكبير بالشباب ، من أهم المحاور الفكرية
التي شغلت وجدانه السياسى طيلة العمر ،
وكان يود لو أنه استطاع أن يصنع شيئا عن
طريق التنظيم السياسى ، ولكن المناخ المهيمن
على كافة مراحل حياته حال بينه وبين تحقيق هذا
الامل .

المضمون التقدمى للوحدة العربية

كان محمد الخفيف مناضلا مصريا ، ينتمى
لمصر عقلا ووجدانا ومصيرا ، وينتسب لمصر حتى
فى أدق التفاصيل التى تميز حياة المصريين فى
أحزانهم وأفراحهم وأشواقهم . ولكن هذا
الاحساس المصرى ، لم يحل دونه واكتساف
الوحدة العربية كتيار تاريخى وكرؤية للمستقبل ،
أنه يرى فى آلام الكادحين العرب من الخليج الى
المحيط ظهيرا لوحدة عربية تقدمية تتخذ من
الاشتراكية مضمونا ، ومن أية أشكال قانونية

محاضرات المعهد العالى

للدراستات الاشتراكية

اختيار اعضاء الجهاز السياسى والتلقائية
والمكتبية فى تكوين الكادر ، والقيادة السياسية
والعلاقات التنظيمية ، ومشاكل تكوين الكادر
الاشتراكى ، ومفهوم الديمقراطية ، وقراءات من
ابواب الميثاق ، وفى خطب الرئيس جمال عبد الناصر
هذا الى جانب خمس محاضرات رئيسية تندرج
جميعا تحت باب التنظيمات السياسية والجماعية .

وتنقسم المحاضرات الرئيسية الى قسمين : قسم
يتسم بالطابع النظرى ، والاخر بالطابع التطبيقى ،
اذ ترمى المحاضرة الاولى — عن الدولة ، والثانية
عن الثورة من منطلق مادى جدلى — الاسس

لعب محمد الخفيف دورا بارزا فى
مجال التثقيف والتربية الفكرية
والسياسية ، مما يصعب معه حصر كل
أوجه نشاطه سواء بين الشباب فى المراحل التمهيدية
لبناء المنظمة الخاصة بهم أو فى المعهد الاشتراكى
ومئات المحاضرات التى القاها والندوات التى
شارك فيها . ولذلك رأينا أن نقدم مجرد نموذج
للجانِب التثقيفى فى حياة د. محمد الخفيف فى
المعهد العالى للدراستات الاشتراكية ، ويشمل
المنهج الدراسى الذى قدمه على دراستات فى
اعداد وتربية الكادر للجهاز السياسى ، وكيفية

النظرية التي يستحيل بذونها فهم مضمون التنظيمات السياسية كجزء لا يتجزأ من التنظيم الاجتماعي والاقتصادي ، نابع منه ومؤثر فيه .
بينما تعرض المحاضرات الثلاث الباقية ، مستندة الى هذا الجانب النظري للتنظيمات السياسية ، وتحالف قوى الشعب ، والتنظيم السياسي الطليعي في محاولة للتصدي للواقع العملي ودراسة جوانبه ، والوصول الى تعريفات محددة لتنظيماته السياسية ، وتبين الاسباب والوسائل التي تضمن تطويرها وحمايتها ودفعها في الطريق السليم .

وتعرض محاضرة الدولة لتعريف الدولة للرأي السائد لدى فقهاء القانون الدستوري في الدولة الرأسمالية الذين يذهبون الى « أن الدولة ضرورة اجتماعية ، وأنها مجموعة من الافراد تجمعهم في اقليم أو اقاليم معينة سلطة مركزية ذات سيادة وشخصية معنوية من أجل غاية واحدة هي حفظ النظام الداخلي والدفاع الخارجي » . وبالتناول التاريخي للمجتمع الانساني البدائي ، وبالظروف الموضوعية التي اوجبت ظهور الدولة ، وللتطور التدريجي من دولة المجتمع العبودي ، الى دولة الاقطاع الى دولة رأس المال ، قد خص المحاضرة فساد هذا التعريف ، وتوضح هدف الرأسمالية من الترويج له ، وتبرز دور الدولة كجهاز قهر طبقى مهمته الإبقاء على الاستغلال ، وتركيب الدولة الذي يقوم على تفرغ عدد من افراد المجتمع لمهمة حكم الآخرين مستخدمين مختلف الاجهزة والوسائل التي يمدهم بها المستوى الذي وصل اليه تطور العلم والفكر في ارتباطه بتطور المجتمع ، وترصد مضمون الدولة وان تعددت أشكالها من ملكية الى جمهورية الى ديكتاتورية الى ديمقراطية وان كان الشكل الاخير أفضل من حيث يتيح فرصة أكبر للتغيير ، وتعبير الدولة والنظم السياسية النابعة منها عن الاوضاع الاقتصادية السائدة فيها والمصالح المتحركة في هذه الاوضاع السياسية .

ويتوقف المحاضر عند مضمون الدولة في مرحلة التحول نحو الاشتراكية . وشكل الدولة هنا يختلف من بلد الى آخر وفقا للظروف الموضوعية لكل من البلدان ولكنه يتفق من حيث هو مضمون طبقى . وهذا المضمون يعنى « أنها أساسا وبالدرجة الاولى اداة الطبقات الشعبية صاحبة المصلحة في التحول الاشتراكي ضد الطبقات الاستغلالية التي تم خلعها من السلطة » . وهذه الطبيعة للدولة تواجه مهام خطيرة يلخصها المحاضر فيما يلي :

اولا : سحق كل محاولة من جانب الطبقات الاستغلالية المخلوعة من أجل تقويض النظام

الجديد أو تخريبه أو التآمر عليه بهدف العودة بالمجتمع الى ما كان عليه من أوضاع اجتماعية استغلالية . ولقد أثبت التاريخ أن مرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية يشهد فيها الصراع بين الطبقات المخلوعة وقوى الشعب العاملة على الرغم من وصول الأخيرة الى السلطة لأن الطبقات الاستغلالية تعلم تمام العلم أنه كلما تدعم النظام الجديد ، وكلما أحرز نجاحا ، كلما التفت حوله جماهير الشعب وبالتالي تقل وتضيق فرص العودة بالمجتمع الى الوراء . ولما كانت الطبقات الاستغلالية قد تم خلعها كطبقات من السلطة فإنها تلجأ الى وسائل أخرى . . التشكيك . . تخريب الانتاج . . تعطيل تنفيذ قوانين الدولة الجديدة ثم التآمر ، ثم التحالف مع القوى الرجعية العالمية والاستعمار . . وهي تعتمد في ذلك على حقيقة موضوعية هي أنه في مرحلة التحول تعيش القيم الجديدة جنبا الى جنب مع القيم القديمة التي تخدم النظام القديم . . والقيم القديمة أطول عمرا بكثير وأقوى رسوخا ، كما وأن الدولة في مرحلة التحول مضطرة اضطرارا الى أن تعتمد على بعض الفئتين وذوى الخبرات الذين نشأوا وتربوا في ظل النظام القديم . . وتبرز أهمية هذه النقطة بشكل خاص اذا تذكرنا أنه الى يومنا هذا بدأت عمليا التحول الاشتراكي في الغالبية العظمى من الحالات في بلاد متخلفة اقتصاديا ، وبكل ما يقبع التخلف الاقتصادي من تخلف اجتماعي وثقافي وتخلف في التكنيك والعلم .

ثانيا : تنظيم الحياة الاقتصادية للمجتمع وارساء اسس الاقتصاد الاشتراكي . . لأنه قبل التحول الاشتراكي كان اساس العلاقات الانتاجية في جميع مراحل المجتمع هو الملكية الفردية لوسائل الانتاج وان اختلفت صور الاستغلال المترقب على هذه الملكية ، وان اختلفت القوى المتصارعة من تنظيم اجتماعي الى آخر . ولكن العلاقات الاشتراكية تقوم على أساس نقيض تماما للملكية الفردية لوسائل الانتاج فهي تقوم كما نعلم على أساس سيطرة القوى الشعبية على هذه الوسائل عن طريق الملكية العامة لها وهو الامر الذي لا يمكن ان يحدث في ظل المجتمع القديم لان حدوثه يعنى أنه فنى عليه . لهذا فان الدولة في مرحلة التحول الاشتراكي تواجهها مهمة أساسية وجوهرية هي تنظيم الحياة الاقتصادية للمجتمع وارساء علاقاته الانتاجية على أساس سيطرة قوى الشعب على وسائل الانتاج .

ثالثا : تعبئة الجماهير الشعبية عن طريق اجهزة الاعلام المختلفة ، عن طريق المنظمات الثقافية والتعليمية لقضية الاشتراكية .

رابعا : حماية مصالح قوى الشعب العاملة التي

تبنى الاشتراكية والضرب على أيدي كل عايت أو متآمر عليها .

خامسا : تدريب جيل جديد من الفتيين والحبراء المرتبطين بقضية الاشتراكية . هذا بالطبع الى جانب المهمة الكبرى ، مهمة حماية المجتمع الجديد من أي عدوان خارجي قد تشنه ضده الرجعية العالمية . وليكن ماثلا أمام أعيننا باستمرار قول الميثاق :

« ان الرجعية تملك وسائل المقاومة ، تملك سلطة الدولة . فإذا انتزعت منها لجأت الى سلطة المال ، فإذا انتزع منها لجأت الى حليفها الطبيعي وهو الاستعمار » .



وفي محاضرة الثورة ، يتعرض المحاضر تاريخيا للثورة كالوسيلة الوحيدة لاسقاط الدولة وانتقال السلطة من يد طبقة الى طبقة أخرى . والدولة كهدف مسألة أساسية في كل ثورة ، « كما وان الثورة تكون عملية استيلاء على الدولة من أجل هدم العلاقات الاجتماعية القائمة وإنشاء علاقات اجتماعية جديدة تخدم مصالح القوى الجديدة التي قامت بالثورة » . والثورة دائما في أي مرحلة من مراحل التاريخ عمل تقدمي ، يتبدى في تقدم أسلوب الانتاج والفكر ومستوى الانسانية بوجه عام وهي من حيث تهدم القوى القديمة والعلاقات الاجتماعية التي تخدمها من أجل إقامة علاقات جديدة تخدم قضية ، ويضرب المحاضر بالثورة الفرنسية مثلا ، فهي لم تقض على الاستغلال ، ولكنها حين قضت على العلاقات الاقطاعية واستبدلتها بالعلاقات الرأسمالية دفعت بعجلة التطور الى الامام .

وتتوقف المحاضرة عند تعريف الثورة ، فليست كل عملية استيلاء على الدولة ثورة فقد لا يخرج الاستيلاء على السلطة عن كونه انقلابا وأن تخفى تحت اسم الثورة ، والمحك هو تغير العلاقات الاجتماعية لخدمة قوى اجتماعية جديدة تدفع بالتطور التاريخي الى الامام :

« والانقلاب في أساسه وسيلة من الوسائل التي تلجأ اليها الطبقات الحاكمة أو قواها لعرقلة حركة تغيير المجتمع ولكتب القوى الجديدة - وذلك عندما تحس ان الموقف السياسي قد نازم الى درجة تهدد بالانفجار » . وأن نظام الحكم قد انفضح أمره أمام القوى الشعبية بحيث أصبح لا بد من اجراء تغيير بأي شكل من الاشكال . ولما كان تغيير اساس المجتمع أمرا لا يمكن أن يدور بطبيعة الحال بأذهان الطبقة الحاكمة فانها تسارع الى تغيير أشخاص

الحاكمين محاولة ايها الجماهير الشعبية بأن الخل في أشخاص الحكم وليس قس أسس الحكم .

الانقلاب إذن محاولة لمنع تجمع الجماهير الشعبية حول قضية تغيير العلاقات الاجتماعية ، محاولة لمنعها من الالتفاف حول القيادة الثورية التي تتأدى بالثورة على المجتمع القائم . . . وتتم عملية الانقلاب بطرق مختلفة تختلف باختلاف ظروف المكان والزمان . . .

ولكن الانقلاب في جميع حالاته ، ومهما اختلفت أساليبه ووسائله ، مدنيا كان أم عسكريا ، وعسى الرغم من وصف القائمين به له بأنه ثورة (فلا يعقل بطبيعة الحال أن يفصحوا عن حقيقته) يظل هدفه واحدا لا يتغير الابقاء على العلاقات الاجتماعية القائمة وبذل كل المحاولات لوقف تيار التغيير ، وهو في جميع الحالات مؤيد من القوى الرجعية المحلية والعالمية على حد سواء » .

ويعرض المحاضر لتعريف الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية ويبرز القوى صاحبة المصلحة في الحاليتين . وفي حالة الثورة الاجتماعية يحدد نوع التغيير الاجتماعي المستهدف نوعية القوى المنضمة الى الثورة ، أما الثورة الوطنية فينسع اطارها لتشمل كل القوى الاجتماعية فيها عدا القوة التي ترتبط مصالحها ارتباطا مباشرا ببقاء الاستعمار بشكل من الاشكال . والثورة الاشتراكية ثورة اجتماعية هي الاساس وسكنا تنفرد عن بقية الثورات الاجتماعية بمهام القضاء على جميع صور الاستغلال وأساليبه فضاء حقيقيا ، وبالبدا فور توليها السلطة بوضع أسس لعلاقات اجتماعية جديدة مستأصلة تماما للعلاقات القديمة ، والاستبعاد الفوري لكل الطبقات القائمة على الاستغلال ، وبالقيادة الثورية النابعة من صفوف الجماهير الواقعة تحت الاستغلال .

وينتقل الدكتور محمد الخفيف الى استعراض الظروف المهيئة لقيام الثورة ، ثم ينتقل المحاضر ، بعد أن ينتهي من هذا الاستعراض التاريخي الى المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية . والى

التغييرات التي أدت الى ظهور النظام الاشتراكي كقوة عالمية صاعدة ، والى نمو حركة التحرر الوطني العالمية وبروزها جذبا الى جنب كقوة ضاغطة على الاستعمار العالمي والى انفضاح الديمقراطية الغربية وانكشاف خضوعها الكامل للاستعمار العالمي . والى تقدم العلم وانفتاح الافاق الواسعة للتقدم والانتاج أمام البشرية والى سقوط الحواجز بين بلدان العالم فعليا وفكريا نتيجة لتقديم المواصلات والاتصال . الامر الذي

ترتب عليه التحام الثورة الوطنية والثورة الاشتراكية :

« فهذه الظروف الجديدة جعلت من المحتم ان يطرح كل شعب يثور ضد الاستعمار هذا السؤال الهام : وماذا بعد طرد الاستعمار ؟ »

هل تنتهى القضية الى مجرد استبدال مستغل اجنبى بآخر قومى ، أم أن القضية هى فى الأساس القضاء على الاستغلال ؟

وكان حتما فى ضوء الظروف العالمية التى ذكرناها ، وفى ضوء ظروف التخلف القاسى التى يعانى منها كل بلد مستعمر ، أن تكون الثورة الوطنية ضد الاستعمار جزءا من الثورة ضد الاستغلال .

وفى محاضرة التنظيمات السياسية يتناول المحاضر التعريف العلمى لكل من الجبهة والحزب . وهو يتبع صراع الطبقة العاملة ضد الرأسمالية فى مراحلها المختلفة . ليجلخص الى تعريف الحزب بأنه « التنظيم السياسى القيادى لطبقة من الطبقات يقودها فى كفاحها المستمر من أجل تحقيق هذه المصالح ثم الحفاظ عليها » . فبداية هذا الصراع بداية عشوائية أخذت شكل تدمير الآلة ذاتها ، ثم تبلور الصراع ليوجه الى صاحب الآلة لا الآلة ، وخرجت الحركة النقابية الى حيز الوجود من نطاق المنشأة الى نطاق المجتمع ككل لتضم عمال جميع المهن ضد الرأسماليين بوجه عام ، ولا يلبث العمال ان يدركوا ان الحركة النقابية ، وإن حققت بعض المكاسب ، قاصرة عن تحقيق كل المكاسب ما دامت الرأسمالية مدعومة بالدولة وأجهزتها وقوانينها . وتكتسب هذه الحقيقة وضوحا أكبر ، والمحاولة المبررة للحصول على حق الانتخاب وانترشيح هدفها بالنسبة للعمال . فالرأسمالية بملكيتها لوسائل التأثير فى رأى العام ، وبوعيتها السياسى المتقدم على رعى العمال وبمنظوماتها السياسية المتمرسية ، وبالقيود التى تضعها على عملية الانتخاب والقرشيح تحول دون الطبقة العاملة والوصول الى المجالس النيابية وتحد من مدى هذا الوصول بحيث يصبح عديم الجدوى . وأخيرا بتوصل العمال الى حقيقة وجودهم كطبقة يتحتم أن يكون لها تنظيمها السياسى القيادى .

« ان العمال خلال كفاحهم الطويل وبظهور الفكر الاشتراكى اكتمل لهم آخر الامر وعيهم الطبقي فأدركوا أن معركتهم مع الرأسمالية ليست معركة نقابية اقتصادية فى الأساس بل معركة سياسية وأن مصيرهم مرتبط بالقضاء على النظام القائم على الملكية الفردية وأن هذا أمر لا يمكن أن يتم الا بوصولهم الى السلطة والعمل على الوصول الى

السلطة عمل سياسى يستلزم قيادة سياسية خاصة ، يستلزم أن يكون لهم حزبهم الذى يوجههم من أجل تغيير علاقات الانتاج لمصلحتهم وذلك ازاء حزب الرأسمالية الذى يعمل من أجل الإبقاء على علاقات الانتاج على ما هى عليه .

الحزب ان هو تنظيم سياسى يمثل مصالح طبقة من الطبقات ويقودها فى كفاحها المستمر من أجل تحقيق هذه المصالح ثم الحفاظ عليها . ولكن هل يعنى هذا الكلام أنه يضم جميع أفراد هذه الطبقة ؟ كلا بطبيعة الحال فهو يضم منها فقط تلك العناصر الأكثر وعيا بمصالح الطبقة . والابعد نظرا والاوسع افقا ، والقادرة على الحركة ، والعمل السياسى ، أى العناصر القيادية .

وكون الحزب قيادة طبقة ، لا يعنى ألا تضم صفوف الحزب الا أفراد الطبقة التى يمثلها ، أو أن يقتصر نفوذه السياسى على هذه الطبقة دون غيرها ، فمصالح الطبقات المالكة (الرأسمالية) الذبيرة والوسطى والصغيرة وملاك الارض (والطبقات الغير مالكة (عمال الصناعة ، والزراعة ، قد تتشابه أحيانا ، وقد تتعارض أحيانا أخرى ، ولا تتعدد الاحزاب ، والامر كذلك بتعدد الطبقات ، وإنما تعددها رهين بوعى كل طبقة من الطبقات ، وبما تتمتع من قوة وتنظيم يتيح لها اشياء حزب . كما أن الحزب صاحب المصلحة فى التغيير لا بكفى بتجربك الطبقة التى يمثلها ، بل يعمل على تعبئة جماهير من الطبقات الأخرى التى تعاني بدورها من النظام القائم ، فالرأسمالية عبأت عند نشأتها الفلاحين ضد الاقطاع ، وعبأ الحزب الشيوعى فى روسيا فقراء الريف والحرفيين وهو ممثل الطبقة العاملة . ويحرص محمد الخنف على التحذير من مكن الخطر الذى ينطوى على خديعة تحرف الجماهير الشعبية عن مسيرتها وتكرسها لخدمة مصالح متعارضة مع مصالحها :

« ان الاحزاب التى تمثل مصالح الطبقات المالكة مضطرة تحت ضغط الحركة الشعبية الى رفع شعارات تضلل بها جماهير الشعب والى القيام ببعض الإصلاحات عند وصولها الى الحكم لتحرف الجماهير عن طريق الثورة وهى عن هذا الطريق وعن طريق ملكيتها لوسائل الاعلام والنشر تنجح فى أن تحظى بتأييد بعض الفئات التى قد تتعارض مصالحها معها تعارضا أساسيا ، يساعدوا على ذلك أن تكون الحركة شعبية مفتتة ومنخفضة الوعى وغير منظمة تحت قيادة سياسية واعية . »

ومرد الحكم على هذا الحزب أوذاك ، ليس فى الاسم الذى ينتحله لنفسه ، أو الشعار الذى

يرفعه ، وانما فى الطبقة التى ينتمى اليها ويقودها ، هل هى طبقة صاعدة أم هابطة صاحبة مصلحة فى التغيير أو فى تجميد الوضع على ما هو عليه . وما أكثر ما يكون الاسم مضللاً :

« أن اسم الحزب لا يدل على طبيعته دائماً ، وانما المفصل هو قيادته والى اية طبقة تنتمى ، فصدقى جلال الشعب كان يسمى حزبه حزب الشعب ، ومحمد محمود الذى عطل الدستور كان يسمى حزبه الاحرار الدستوريين ، وهتلر كان يسمى حزبه الحزب الاشتراكي الوطني ، وحزب العمال البريطاني يضرب الشعب العربى فى اليمن وعدن ، وحزب جى موليه الاشتراكي اشتراكى فى العدوان علينا فى سنة ١٩٥٦ » .

وبعد أن ينتهى محمد الخفيف من تعريف الحزب ، تعريفًا علميًا سليماً ، ينتقل الى تعريف الجبهة ، وتتكون الجبهة حين « تجداكثر من طبقة أن هناك هدفاً مشتركاً لها وأن تعارضت باقى الاهداف ، وأن من المصلحة لها جميعاً أن تتحد فى عمل مشترك من أجل تحقيق هذا الهدف دون أن يعنى هذا بطبيعة الحال أن الاختلاف أو التناقض حول باقى الاهداف قد زال أو اختفى » . وقيادة الجبهة هى الشكل التنظيمى الذى ينظم العمل بين الاحزاب الممثلة لهذه الطبقات ويقود التحالف بينها . وهذا التحالف بالطبع تحالف مرحلى ينقضى بانقضاء الهدف المحدد المشترك الذى يقوم من أجله . وقد ينتهى قبل انتهاء هذا الهدف أن لم تكن القيادة من الوعى بحيث تنظم التناقض والصراع الطبقي داخل الجبهة بصورة لا تؤدى الى تصدع هذه الجبهة والامر ليس بالامر السهل ، فالاتفاق حول الهدف لا يعنى بالضرورة الاتفاق على الوسائل ، فكل طبقة محكومة بأسلوبها فى التفكير وبمصلحتها الخاصة :

« وهنا تبرز بشكل أكثر وضوحاً الخلافات الطبقيّة لأن أسلوب العمل وتحديد الطرق والوسائل يرتبط لدى كل طبقة بأفكارها التى هى فى الأساس تعبير عن مصالحها الخاصة » . موقف كل منها من الدولة مثلاً ، موقفها من الأسلوب ، الثورى أم الاصلاحى ؟ .. ما تريد أن يكون عليه الموقف بعد تحقق الهدف المشترك ، والى أى مدى يمكن أن يلعب طريق الوصول الى الهدف دوراً فى تشكيل الموقف بعده والى أى مدى بالتالى يخدمها هذا الطريق أو يضربها » .

والجبهة التى تضم احزاباً تمثل طبقات شعبية تكون أكثر تماسكاً واستقراراً من جبهة تضم طبقات مستغلة ومستغلة ، لأن التناقضات هنا تصبح تناقضات ثانوية لا جذرية ، ولأن الهدف

المشترك لا يتعارض تعارضاً جذرياً مع بقية أهداف كل طبقة على حدة . فالتناقض حول باقى الاهداف هو الخطر الحقيقى الذى يهدد جبهة من الجبهات .

وبعد أن يعرض محمد الخفيف لتعريف كل أنواع الجبهات التى يتغاير شكلها وأسلوب عملها بتغاير أهدافها ، وبعد أن يضرب الأمثلة المستمدة من التاريخ العالمى والعربى التى تساند تعريفاته يختم محاضراته بتعريف مفهوم الرجعية والثورية فى ارتباطها بالتنظيم السياسى المنطلق الجدلى المادى . ويرجع الى التطبيق كالمحل الحقيقى لقياس مدى ثورية تنظيم من التنظيمات . فثورية الرأسمالية ثورية مرحلية لا تلبث أن تنقلب الى رجعية ، وتوعية هذه الثورية كقضاء الى جانب ثورية الطبقة العاملة ، فسوقف أى تنظيم سياسى من أى مشكلة تحدده أساساً موقف طبقته من قضية التطور . ويتخذ محمد الخفيف من قضية المرأة مثلاً :

« لنأخذ مثلاً قضية المرأة فى بلد متخلف شسبه اقطاعى .. لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون موقف الحزب الاقطاعى الذى يمثل كبار ملاك الارض من هذه القضية هو نفس موقف حزب الرأسمالية الناشئة . ان الاقطاعى ينظر الى المرأة من خلال علاقات الاقطاع ، من خلال عقلية الحريم . من خلال تبعية الارض ومن عليها له .. انه لا يمكن أن يفكر فى أن تتحرر المرأة من قيودها انه ينكر أن يكون للرجل غير المالك حقوقاً ، فهل يمكن أن يفكر فى أن يكون للمرأة حقوقاً ، على العكس من ذلك نجد الرأسمالى .. انه يرى التطور مرتبطاً بخسر العلاقات الاقطاعية بكل ما تتضمنه من قيود .. انه يرى فى المرأة قوة بشرية تمثل تقريباً نصف عدد القادرين على العمل .. ولقد أمكن للمرأة فعلاً فى ظل الرأسمالية أن تحظى بحقوقها كاملة . نحن اذن أمام موقفين من نفس القضية : موقف رجعى وموقف ثورى .. ولكن .. لندناول نفس القضية فى مجتمع رأسمالى متقدم .. ولنرى كيف يكون موقف كل من الاحزاب الرأسمالية بوجه عام والاحزاب الاشتراكية .. ان القضية فى هذه الحالة لم تعد قضية حقوق فقد حصلت المرأة فعلاً فى مثل هذا المجتمع على كل حقوقها ولكن القضية هى قضية النظرة الشاملة الى المجتمع كبناء متطور الى الاشتراكية والى المرأة كجزء أصيل من أجزاء هذا البناء جزء من كل لابد وأن يلعب دوره فى التطور .. ولن يمكن للمرأة أن تلعب دورها فى التطور اذا ما ظلت رغم تحررها الاقتصادى تابعة للرجل معنوياً .. اذا ما ظل المجتمع ينظر اليها رغم خروجها الى العمل على أنها أساساً وسيلة متعة وانجاب .. هنا يكون الموقف الرأسمالى رجعياً والموقف الاشتراكي ثورياً » .

وفى محاضرة تحالف قوى الشعب يذهب محمد الخفيف الى أن تحالف قوى الشعب ولد بصورة

جنيقية على مدى التاريخ النضالي لمصر الحديثة ونما نموا ملحوظا في السنتين السابقتين للثورة ، ووجد هذا التحالف قيادات وقتية ، وان لم يجد التنظيم السياسي الدائم الذي يستوعبه ويقوده .

« لقد هبت الجماهير في ١٩٣٥ تدعو الى الوحدة الوطنية من أجل الاستقلال ولكن الوحدة الوطنية انتهت الى أن تكون جبهة من الاحزاب وفعت معاهدة ٢٦ . وهبت الجماهير مرة أخرى في ١٩٤٦ تطلب طرد الاستعمار وتقف في وجه حلف صدقي — يبين عن طريق الكفاح المسلح ، واستفادت من تجربة ١٩٣٥ فكانت « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال كقيادة مستقلة ، اثبتت فاعليتها لمدة ، ولكنها عجزت عن الاستمرار ، فمن ناحية تكتلت ضدها الاحزاب الرجعية وأجهزة الدولة من خارجها عن طريق التنكيل والارهاب والخداع ومن داخلها عن طريق التخريب بواسطة عناصرها التي تسلمت الى صفوفها ، ومن ناحية أخرى ظلت اللجنة مجرد جهاز قيادي لا يرتبط بالجماهير بمستويات تنظيمية قوية ، قيادة موحدة وجماهير مشتتة وقد تميزت هذه الفترة بمحاولات متتالية لتكوين تنظيمات وطنية سرية ، وكانت هذه « التنظيمات السياسية لا تعبر عن مصالح الطبقة الحاكمة ، لكن فاعلية هذه التنظيمات كانت في معظم الاحيان محدودة أو سلبية بسبب تحفظ الطبقة الحاكمة عليها من ناحية ، ومن ناحية أخرى لان هذه التنظيمات حركتها دوافع انفعالية عاطفية » (مشروع التنظيم الشعبي ٢ يوليو ٦٢) .

ان السنتين السابقتين للثورة [١٩٥٠ — ١٩٥١] حافظتان بالاحداث التي تثبت عن يقين فقدان جماهير الشعب ثقته تماما في الاحزاب السياسية الرجعية كما تثبت احتدام الصراع الطبقي والتحام الصراع ضد الاستغلال الداخلي بالصراع ضد الاستعمار . من أجل التحرر ، لقد وقع خلال ١٩٥٠ وحدها ٤٩ اضرابا عماليا . عمال البيبسي كولا ، الشركة المتحدة للغزل والنسيج ، شل ، شبرا الخيمة ، العنابر ، الترسانة ، المطبعة الاميرية ، سائقو وعمال السيارات وتضامنت معهم ٤٢ نقابة تمثل جميع عمال النقل المشترك . ولم تقتصر حركة الاضراب على العمال ، فاضرب المعلمون والاطباء والصيادلة . بل اضرب الكونستبلات ، بل لم يقتصر الامر على المدن والعمال والموظفين ، بل بدأ الصراع أيضا في الريف . ففي يونيو ١٩٥١ بدأ الفلاحون في كفور نجم حيث كان يملك محمد علي ٧٠٠٠ فدان بالشكوى من ارتفاع الايجار فلم يستجب لهم أحد فبدأت حوادث حرق المحاصيل وماكينات الري ورد البوليس بحملة ارهاب ، كانت قمتها قتل زعيم الفلاحين « عناني احمد عواد » وفي بهوت وقد هجز الفلاحون عن سداد الايجار اقتحم

رجال « البدر اوى » بيوتهم ينهبون متاعهم وتخربتهم فتجمع أهل القرية حول قصر البدر اوى يشكون مقتل أحدهم ، قنار الفلاحون وقذفوا القصر بالحجارة واشعلوا النار في اجران القمح . . . وفي « أبو الغيط » طرد ٥٠٠ مستأجر من أراضي الاوقاف ليستأجرها صهر وزير التموين فنشبت معركة قتل فيها البوليس ١٢ فلاحا . .

وفي ٨ أكتوبر ٥١ وتحت ذروة الضغط الشعبي المتزايد اضطرت حكومة الوفد الى إلغاء معاهدة ٢٦ فانطلقت المظاهرات وارتفع شعار مقاطعة الانجليز وكان أول من استجاب للشعار عمال منطقة القنال والمعسكرات البريطانية ، وبدأ تنظيم كتائب التحرير ، وفتحت مكاتب التطوع ومراكز التدريب وتطوع بعض الضباط لتدريب الكتائب ومدها بالسلاح ثم ابتداء نشاط الكتائب في معسكرات الانجليز بالقنال في أواخر أكتوبر .

أردنا بهذا العرض الموجز أن نوضح فقدان جماهير الشعب لثقتها في الاحزاب التقليدية وفي نفس الوقت عجز التنظيمات اليسارية السرية عن أن تكسبها الى صفها ، بالرغم من أنها لعبت دورا أساسيا في انتشار الافكار الاشتراكية وطبع النضال الوطني بالطابع الاجتماعي لا بين المثقفين فحسب بل بين العمال والطلبة أيضا ، وعندما قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — التي تكونت قيادتها مستقلة وبمغزل عن دائرة الاحزاب — لم يكن أمام الاحزاب الا أن تقف مشلولة تفرك عيونها وقد أذهلتها المفاجأة أما الجماهير فقد اندفعت في حماس تلفت حول الثورة التي طردت الملك بعد ٣ أيام فقط من قيامها وهي تحس أنها لأول مرة في تاريخها أمام قيادة شعبية حقيقية . وكان ان شيعت الجماهير غير آسفة الاحزاب الى مآواها الأخير .

على طول هذا التاريخ ، كان هناك تحالف طبيعي — وان كان بشكل جيني — بين قوى الشعب العاملة ممثلة في الفلاحين والعمال والمثقفين والحرفيين وصغار البرجوازية يشترك — بكل قواه في أتون الحركة الوطنية والاجتماعية كتحالف يزداد بنمو الحركة تمانيا واستقلالا في مواجهة تحالف الاقطاع والرأسمالية المستغلة والاستعمار وقيام ثورة يوليو انضمت قوة شعبية جديدة ، قوة الجنود ، كان انضمامها هو العامل الحاسم في بدء انهيار تحالف الرجعية ليقوم مقامه تحالف الشعب .

وقبل ان يعرض محمد الخفيف بالدراسة للتنظيمات التي تلت ثورة ١٩٥٢ وهي هيئة التحرير والاتحاد القومي ، والاتحاد الاشتراكي العربي ، يتطرق الى « ظاهرة التنظيم السياسي الواحد » في البلاد حديثة التحرر مرجعا هذه الظاهرة الى اسبابها في الظروف العالمية في النصف الثاني من القرن العشرين ، وفي الظروف المحلية العامة للبلاد الافريقية ، ومجلا لطبيعة هذا

التنظيم السياسي الواحد من حيث تكوينه وطلبعته ،
ومشيرا الى المخاطر التي تحقيق بمثل هذا التكوين .
والانجاء الى التنظيم السياسي الواحد جاء
نتيجة لادراك الشعوب النامية بأن قضية التحرر
الوطني والتحرر الاجتماعي قد تلاحمت بحيث
أصبحت قضية واحدة ، وأن التحرر الوطني مرتبط
ارتباطا لا ينقسم بالتنمية الاقتصادية وصولا الى
المجتمع الاشتراكي ، وأن عملية البناء الاشتراكية
انما هي عملية تتسم بالمرونة ، تستفيد بالتجارب
الاشتراكية السابقة ، ويتوقف نجاحها في ذات
الوقت على ارتباطها بظروف واقعها ، وتكتيلها
لجهود جميع القوى صاحبة المصلحة في
الاشتراكية . وقد جاء هذا الإدراك تدريجيا في
آعقاب الحرب العالمية الثانية ، نتيجة لتوطيد أركان
النظم الاشتراكية في العالم ، وتعدد طرق الوصول
اليها باختلاف الظروف من بلد الى آخر . ولسقوط
الحواجز بين الامم فعليا وفكريا ، وانفصاح ارتباط
الديمقراطية الغربية بالاحتكار والاستعمار
وممارستها للتفرقة العنصرية واهدار كافة الحقوق
الانسانية .

وبينما مهدت الظروف العالمية لادراك حقيقة
التحام الثورة التحررية بالثورة الاجتماعية كانت
الظروف المحلية العامة للبلاد الافريقية ، تزيد من
هذا الادراك وتشير الى ضرورة ايجاد تنظيم
يسبوعب المتناقضات ويدفع في اتجاه تحقيق
الثورية معا التحريرية والاجتماعية ، ويلخص هذه
العوامل في النقاط التالية :

١ - وجود بقايا من كافة المراحل الاجتماعية
التي مرت بها البشرية وعدم تبلور الطبقات
بالصورة المعروفة في المجتمعات التقليدية ، واهم
ناتج هذا الوضع هو ضعف الرأسمالية المحلية .

٢ - سيادة الروابط القبلية وما تسببه من
اضعاف للتناقضات بين القوى الاجتماعية التي لم
تستخدم كما قلنا ابعادها بعد ، واستغلال الاستعمار
هذه الظاهرة في تكوين احزاب عميلة لم تلبث ان
اتضح خيانتها فأنصرفت الجماهير عن فكرة
الاحزاب .

٣ - نتيجة للقبلية والضعف الرأسمالية ولانتزاع
الاجانب للأرض ، ام تتأصل روح الملكية الخاصة .

٤ - الاستغلال الاستعماري في أبشع صوره
الى درجة اباداة السكان الاصليين .

٥ - التخلف الاقتصادي الاجتماعي الرهيب في
عصر تم للانسان فيه ارتياد الفضاء .

٦ - ظهور المثقفين المعنقين للأفكار الاشتراكية
كأهم قوة اجتماعية الى جانب العمال في الدول
التي نمت فيها الصناعات الاستخراجية ،
والفلاحين في الدول التي انتزع فيها الاجانب
الأراضي الخصبة . بعد أن طردوا الوطنيين
منها .

والتنظيم السياسي الواحد في البلاد الافريقية لا
هو بالحزب ولا هو بالجبهة لعدم تبلور الظروف

الموضوعية التي تتيح وجود حزب أو جبهة احزاب
تمثل كل منها طبقات تعي دورها وعيا كاملا ، وهو
تحالف شعب يجمع الجماهير حول اهداف عامة او
على الاصح حول هدفين أساسيين هما التحرر تم
التنمية الاقتصادية والاجتماعية . ومن ثم فهو
« تنظيم مفتوح لجميع افراد القوى التي تريد
التحرر السياسي والاجتماعي » . ملايين الناس من
الفلاحين والعمال والحرفيين والمثقفين وشيوخ
الفسلاحين والعمال والحرفيين والمثقفين وشيوخ
القبائل والطلبة » . وطلبعه هذا التنظيم بحكم
تقافتهم التي وفرت لهم فرص الاتصال باستجواب
الآخري من ناحية وبحكم اهمية دورهم وعملية
التنمية من ناحية أخرى ، وأن كان هذا لا يمنع من
أن تنازعهم القيادة في بعض الحالات عناصر من
العمال او الفلاحين او رؤساء القبائل حسب وزن
كل من هذه القوى .

ويشير محمد الخفيف الى المخاطر التي تلازم
تنظيما سياسيا هذه طبيعته التكوينية ريلخص
الوضع فيما يلي :

هذه الطبيعة التكوينية للتحالف الشعبي
تجمله :

١ - معظمه جماهيري واسع أكثر منه تنظيم
سياسي طليعي بمعنى الكلمة ، وهذا يعني العمومية
في البرنامج والتساهل في شروط العضوية .
والأسراف يعنيان بالتالي غياب خط سياسي شامل
وعدم الالتزام الحزبي الدقيق فيصبح هناك احتساب
سوى أن يفتح الباب امام العناصر الانتهازية او
حتى عناصر من القوى المعادية لقوى التحالف .

٢ - مسرعا للتناقضات بين القوى الاجتماعية
المختلفة ، فإن لم يوجد « جهاز » يتحكم في هذه
التناقضات ويعمل على توجيهها وتصنيفها فان
هناك خطر بأن يتحول العمل السياسي الى صراع
حول المطالبات الاقتصادية ، وأن تتحول التناقضات
الطبيعية من قوى التحالف (طبيعية بحكم المرحلة)
الى تناقضات رئيسية أو صراع عدائي هتفتت
التحالف مما قد يعطها الفرصة للرجعية من
جديد .

٣ - مجالا للانحرافات البيروقراطية واحتكار
صفوة المثقفين للعمل اعتمادا على ضعف باقي
القوى وعدم وعيها الامر الذي يهدد بظهور طبقة
بيروقراطية جديدة تستأثر بأكثر قدر من ثمار
النضال الشعبي على حساب باقي القوى .

ولا منجاة لمثل هذا التنظيم السياسي الواحد الا
بتوفر تنظيم سياسي طليعي ، مكون من الثوريين
الاشتراكيين من العمال وممن تخلوا عن اصولهم
الطبقية الضيقة ليتبنوا قضية الاشتراكية . ولابد
وأن يكون لهذا التنظيم الطليعي خطه السياسي
المحدد وبنائوه التنظيمي المحكم ونظريته الاشتراكية
الثورية :

« وليس هناك من سبيل لوقوف في وجه هذه
الآخطار جميعا الا بأن يكون للتحالف ، كجزء لا

يتجزأ منه وفي نفس الوقت متميز عنه ، تنظيم سياسي طبيعي له لأبعثه الخاصة وبرنامجها التفصيلي وخطه السياسي الدقيق وبقاؤه التنظيمي ونظريته الثورية ، تنظيم يقود التحالف ويوجهه كجيش واحد نحو هدف واحد ، يكون الحارس ضد البيروقراطية والانحراف ، والمنسق للسياسات المضادة ، والمجمع للتناقضات في بوثقة العمل السياسي ، والسيف البتار للمتسللين من الانتهازيين واعداء التحالف . وهو بهذا الوضع لا يمثل التحالف بين القوى الاجتماعية بل يمثل قيادة هذه القوى بمعنى أن أعضائه وان انتمى كل منهم طبغيا الى قوة من القوى الاجتماعية للتحالف إلا أنهم قد تخلوا عن أصولهم الطبغية الضيقة لميحازوا الى قضية التطور الاشتراكي الرحبة ، تخلوا عن الخاص من أجل العام ، اننا لا نوصف عضو هذا الجهاز بأنه ممثل الفلاحين أو العمال أو المهنيين الخ . بل نصفه بأنه أحد القادة الاشتراكيين ، أحد طلائع الاشتراكية ، أحد الذين ارتبط مصيره الخاص بل وارتبطت حياته بمصير الاشتراكية ، ومن هنا فليس شرطا أن يضم هذا الجهاز أعضاء من جميع القوى كما وأن من الطبيعي أن يكون أعضاؤه من أبناء القوى الأكثر استعدادا للبذل والتضحية من أجل انتصار الاشتراكية الى درجة التضحية بالحياة .

وبعد ان يتناول المحاصر بالتحديد تجربة التنظيم السياسي في ظل الثورة مستعرضا لطبيعة تكوين هيته التحرير ، والاتحاد القومي ، والاختفاء التي تشابت هذا التكوين ينتقل الى تعيين تجربة الاتحاد الاشتراكي العربي بعد سنتين من انشائه ويرى أن غياب الجهاز الطبيعي بالشكل الذي عرفه يفتح الباب أمام احتمال طغيان المصالح الخاصة لكل طبقة من طبقات التحالف على المصالح المشتركة لهذه الطبقات ، وان التعريف القائم لمن هو الفلاح ومن هو العامل يندر بانفصال «التطبيق عن النظرية» فنجد أنه بينما نادى نظريا بأن يكون المركز القيادي في التحالف للفلاحين والعمال إذ بهذا المركز ، عمليا ، مشاغ بينهم وبين غيرهم . ويشير في هذا الاتجاه الى أن ٩٤ في المائة من الملاك لا تزيد ملكية كل منهم على ٥ أفدنة . ويتساءل ان كان هذا الوضع يتفق مع تعريف الفلاح بأنه من لا تزيد حيازته ملكا أو ايجارا ، على ٢٥ فداناً . ويضيف الا يكون الاقرب الى الواقع أن يعتبر حائزا أكثر من ٥ أفدنة من الرأسمالية الوطنية .

وتعرض محاضرة التنظيم السياسي الطبيعي لنوعية هذا التنظيم والطرق الكفيلة بارسائها على أسس سليمة ، ويبرز حرية المناقشة والنقد والنقد الذاتي كأساس للالتزام ثم يعرض لبعض التصرفات التي تهدد وحدة مثل هذا التنظيم ومنها الشبيلية والطائفية ، وتغليب الخاص على العام والمغامرة . وفي معرض التعريف بالتنظيم السياسي الطبيعي أو

الجهاز السياسي للاتحاد الاشتراكي العربي يخرج المحاضر بالتعريف لطبيعة هذا التنظيم بتحديد نوعيته ونوعية المهام المناطة به ، فالتنظيم السياسي الطبيعي ينتمي الى الاتحاد الاشتراكي ، ويتميز في ذات الوقت عليه ، ويرجع تميزه الى ضرورة ضمه لاصلب « عناصر التحالف وأعلاما وعيا وأكثرها قدرة على الحركة بصرف النظر عن انتمائها الى هذه القوة أو تلك من قوى التحالف » . ولابد لملل هذا التنظيم من أن يشكل وحدة تنظيمية لا تنقسم حتى يتمكن من القيام بدوره القيادي في خضم المتناقضات ، وحتى يتاح له اخضاع المصالح الضيقة لكل قوة من قوى التحالف للمصالح الراسعة التي تتطلبها قضية البناء الاشتراكي . كما أن هذا التنظيم لابد بالضرورة وأن يكون أعلى جهاز سياسي منظم حتى يتمكن من ادراج نشاط مختلف المنظمات الشعبية في مجرى واحد يخدم البناء الاشتراكي .

ولذلك فالتنظيم السياسي الطبيعي ليس حزبا بالمعنى النظري للحزب ، ولكنه حزب من الناحية التنظيمية والعقائدية : حزب اشتراكي .

يتضح مما سبق أن الجهاز السياسي للاتحاد الاشتراكي بوصفه التنظيم السياسي الطبيعي ليس حزبا بمعنى أنه لا يمثل طبقة معينة ولكن في نفس الوقت لكي يصبح هذا الجهاز جهازا قياديا طليعا بحق لابد - كما ذكرنا أن تتوافر له الصفات الثلاث الأساسية التي ذكرناها . وهذه الصفات لا تتوافر عن طريق الصدفة ولا عن طريق الذيات الحسنة بل لابد من أسس تنظيمية معينة ، لابد من مقومات ومن أسلوب عمل معين . . . اننا نريد جهازا موحد الفكر ، موحد العمل ، مرتبطا بالجماهير قادرا على قيادتها . . . ان لا يكون من بناء تنظيمي معين . . . لابد من خط سياسي . . . لابد من أسلوب للعمل واسلوب لتربية الأعضاء . . . لابد من لائحة لكي يصبح هذا الجهاز « كتيبة » منظمة مترابطة ملتزمة . . . بهذا المعنى يمكن القول بأن الجهاز السياسي للاتحاد الاشتراكي وان لم يكن حزبا من الناحية الطبيعية إلا أنه حزب من الناحية التنظيمية والعقائدية . . . « حزب اشتراكي » كما سماه الرئيس في مناقشات الامانة العامة .

وكان الخفيف يقبل على النشاط العملي ، يوليه كل جهده ، ويمتلك قدرة خارقة على استخلاص النتائج من واقع الممارسة ، ويستخدم الجرأة والشجاعة التي يتحلى بها للاعلان عن رأيه ، لذلك نجده في أيامه الاخيرة يقدم مقترحات هامة في لجنة الفكر وينادي بضروره تعدد المنابر واتاحة حرية التعبير الفكري والسياسي والتنظيمي لكل القوى الوطنية ، والسماح بتكوين « تنظيم سياسي لكن فئة من قوى الشعب العاملة ، على أن تنضوي هذه التنظيمات تحت لواء الاتحاد الاشتراكي في صيغة قريبة من صيغة الجبهة الوطنية » .

● جمهورية مصر العربية ●

المؤتمر الرابع
للمجلس المصرى للسلام

● لبنان ●

المؤتمر الشعبى العربى

● اليمن الشعبية ●

مؤامرة بريطانية :
القوى الرجعية
والجنرال « جراهام »

● ألمانيا الغربية ●

انتصار « لهجوم السلام »
السوفيتى فى أوروبا

● فيتنام الشمالية ●

سقوط « كوان ترى »
بداية النهاية
وسقوط « هوى »
النهاية نفسها

● الولايات المتحدة ●

إطلاق الرصاص على ولاس
يسهل له طريق الرئاسة

● تقرير خاص ●

● ماذا بعد أن قدم

الاتحاد العام للعمال

برنامجا للعمل فى
أول مايو ١٩٧٣ ؟

تقارير
الشهر

نجاح في موسكو
وفى العواصم العربية الثلاث

من أجل توفير أكبر قدر من الوضوح والتحديد في العلاقات العربية السوفيتية ، ومن أجل الوصول الى حد مشترك من الاتفاق حول عمل عربي موحد — قام الرئيس أنور السادات بجولة واسعة زار خلالها موسكو والجزائر وتونس وليبيا .

وعلى كثرة ما قام به الرئيس السادات من رحلات وزيارات خارجية فان رحلاته الاخيرة قد حظيت باهتمام عالمي كبير وشهدت انتباه المراقبين والمعلقين .

فرحلة الرئيس السادات الى موسكو جاءت في ذروة حملة تشكيك واسعة قادتها وخططت لها الدوائر الاستعمارية ، وغذتها اسرائيل والرجعية — وكانت هذه الحملة الشرسة تهدف الى ضرب العلاقات العربية السوفيتية وتخريبها واشاعة روح الشك والعداء لأكبر وأقوى وأخلص أصدقائنا .

وركزت الحملة نيرانها في عدة اتجاهات — فمن ناحية الاتحاد السوفيتي لا يعطانا السلاح وهو لا يوافق على قيامنا بالعمل العسكري لتحرير الارض المفتوبة ومن ناحية أخرى فالاتحاد السوفيتي يؤيد حالة اللاحرب واللاسلم ، وهو في سبيله للاتفاق مع أمريكا من خلال زيارة نيكسون للاتحاد السوفيتي ومن ناحية أخرى هناك جفوة بين قادة الاتحاد السوفيتي والرئيس السادات .

وجاءت وقائع زيارة الرئيس للاتحاد السوفيتي لتكشف عمق واصالة العلاقات العربية السوفيتية ولتوجه ضربة قاصمة لحملة التشكيك المسمومة .

لقد حرص الرئيس السادات في أول كلمة عامة يلقها في موسكو أن يرجع العلاقات السوفيتية المصرية الى جذورها الحقيقية — جذور النضال المشترك نحو الاهداف المشتركة .

لقد أعلن الرئيس السادات في مستهل زيارته الرابعة للاتحاد السوفيتي « لم أكن أستطيع الحضور الى موسكو هذه المرات العديدة ، كما لم تكن حركات التحرير في العالم تتمكن من النجاح ، لولا المسؤولية الكبرى التي يتحملها الاتحاد السوفيتي تجاه حركة التحرير العالي — وانه لو

لم تظهر الكتلة الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية في مواجهة القوى الاستعمارية والامبريالية كعامل متوازن — لما كان للشعوب الصغيرة والدول المكافحة من أجل استقلالها وتقدمها — قدرة أن تشق طريقها تحت الشمس وتبنى مكائنها اللائقة بين الدول .

ولم تكن المباحثات صعبة او متعثرة بل كان هناك اتفاق واسع على كافة القضايا ، وأكد كوسيجين في خطابه أن العمل الذي أنجزته المباحثات في ساعات قليلة يمكن أن يتم في ظروف أخرى في أقل من ثلاثة شهور .

وقد أثار البيان المشترك الذي صدر عقب انتهاء المباحثات ردود فعل حادة وواسعة وبشكل خاص داخل اسرائيل وفي الاوساط الرجعية والدوائر الاستعمارية .

لقد أكد البيان المشترك على « أن الوضع في الشرق الاوسط يتسم بتزايد مؤامرات القوى الامبريالية التي تستهدف تقويض الحركة التقدمية في بلدان العالم العربي — وإلى فصل هذه الحركة عن حلفها الطبيعي والامين وهو الاتحاد السوفيتي وسائر بلدان الاسرة الاشتراكية » . وأبرز البيان أن هناك اتفاقا تاما حول « أن التطورات التي حدثت في الشهور الاخيرة تظهر بجلاء أن الاوساط المعادية لحركة التقدم في العالم العربي وعملائها لم تتوقف عن ممارسة بخططاتها الرامية الى قهر ارادة الشعوب العربية واحباط التسوية السياسية العادلة واجبار هذه الشعوب على الاستسلام امام المطالب الامريكية — وأن للدول العربية التي تعرضت للعدوان كل الحق في استخدام مختلف الوسائل لاسترداد الاراضي العربية التي اغتصبتها اسرائيل » ، كما أكد الجانبان « على ضرورة الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل نتيجة لعدوانها وتأمين الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي » .

وعلى ضوء ما قدره الجانبان رايًا انه من الضروري أن يستعرضا من جديد الاجراءات الرامية الى الدفاع عن الحقوق والمصالح المشروعة للشعوب العربية وخاصة عن طريق الاستمرار في تدعيم القدرة العسكرية لجمهورية مصر العربية — واتفق الجانبان على مواصلة تدعيم التعاون العسكري بينهما .

واختتم البيان المشترك بتأكيد الجانبين على « أن الصداقة الثابتة بين الاتحاد السوفيتي ومصر ليست عاملا مرحليا ، وانما هي عامل

دائم يحدد نطسوير العلاقات بين اول دولة اشتراكية فى العالم وجمهورية مصر العربية التى تتقدم على طريق التحول الاشتراكي .

وقد ركز المراقبون الانتباه على فقرات بعينها من البيان المشترك — تلك التى تحدثت عن حق الدول العربية التى تعرضت للعدوان فى استخدام مختلف الوسائل لاسترداد اراضيها التى اغتصبها اسرائيل وربطها بالحديث فى البيان المشترك عن دعم قدرات مصر العسكرية ثم اغفال البيان المصرى السوفيتى لاي اشارة الى احياء مهمة يارنج — والتى كان الطرفان قد دعيا بعد زيارة الرئيس لموسكو فى فبراير الماضى الى احيائها باستئناف يارنج اتصالاته مع الاطراف المعنية .

ووصف البيان المشترك فى الصحف والاذاعة الاسرائيلية بأن نهجته تتسم بالتهديد وتهدف الى الضغط على الولايات المتحدة مع اقتراب زيارة نيكسون لموسكو وان البيان كشف تأييد السوفيت لموقف أكثر تشددا من جانب القاهرة .

وجاءت رحلة الرئيس السادات الى الجزائر وتونس لتبدأ صفحة جديدة من العلاقات فى نطاق تعميق التضامن العربى وتوفير افضل ظروف ممكنة لكى يتحقق الهدف الذى أعلنه الرئيس السادات وهو أن تكون كل الامة العربية فى المعركة .

وكان لقاء الرئيس السادات بالرئيس بومدين — أول لقاء لهما بعد تولى السادات رئاسة الجمهورية — وجاء هذا اللقاء بعد فترة فتور سادت العلاقات الجزائرية المصرية منذ ما بعد العدوان عام ٦٧ .

وتحول اللقاء الى مؤتمر قمة ثلاثى باشتراك الرئيس الليبى معمر القذافي فى المباحثات .

واكد الرئيس السادات فى الجزائر « اننا قررنا وارتضينا المعركة ونحن نعلم انه لا سبيل سواها لان ماأخذ العدو بالقوة لن يسلمه الا بالقوة . واننا نعلم اننا لم ولن نقف بمفردنا فى المعركة واهص هنا الجزائر التى وقفت الى جانبنا ابان العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ .

وأعلن الرئيس الجزائرى هوارى بومدين أن مستقبل الامة العربية كلها يتوقف بادىء ذى بدء على تحرير الارض المحتلة ولا بد من أن تكون المواجهة فى مستوى المعركة، وتكون القدرة المصرية بكل ما لديها من امكانيات ووسائل مؤثرة فى الكفاح المشترك فتحرر الارض وتطهر المقدسات ويتمكن الشعب الفلسطينى من استرجاع بلده ودياره .

واكد الرؤساء الثلاثة فى بيانهم على أن كفاح الشعب الفلسطينى يمثل عاملا أساسيا فى كفاح الامة العربية ، ويعتقدون بأن دعم المقاومة الفلسطينية ممثلة فى منظمة التحرير واجب قومى ومسئولية تقع على عاتق الجميع وقرروا تعبئة كل الطاقات وتجنيذ كل الامكانيات لخوض المعركة الحتمية المصيرية وأعلنوا عن يقينهم بأن القوة الذاتية للامة العربية عندما تلقى بكل ثقلها فى المعركة قادرة على مواجهة أعدائها والتغلب على مخططاتهم العدوانية وتحقيق النصر .

وقد شد انتباه المراقبين اشتراك قائدى البحرية والطيران المصريين فى المباحثات مما أكد أن مباحثات عسكرية قد تمت خلال الاجتماعات — وهذا ما أكده عبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر .

وفى تونس أكد الرئيس السادات على « ان الاخوة العربية تقتضى منا التباحث والتشاور وتبادل الراى والفكر لما فيه صالح العروبة جمعاء ولتنسيق الجهود من أجل تنمية العلاقات وتوثيقها بين بلدينا فى كافة المجالات .

وأشار الرئيس بورقيبة الى الاراء التى سبق أن أبداهام عام ١٩٦٥ بشأن حل قضية فلسطين ، وأضاف انه حدث منذ حرب ٦٧ أن تغير الوضع تغييرا كبيرا اذ لم تعد القضية محصورة فى تحرير فلسطين ومساعدة اخوان لنا امتهنوا بأبشع أنواع الاستعمار ، بل أصبحت القضية أكثر تشعبا باتساع جوانبها الى أرض عربية أخرى هى جزء من أوطان عربية مجاورة لفلسطين من حق كل الدول المعنية بالذات أن تعمل جهد طاقتها فى سبيل استخلاصها .

والمح بورقيبة الى انه كان يشك فى نجاح الحرب الكلاسيكية لمعالجة هذه القضية الجديدة ، ومع ذلك فقد حرص على أن يؤكد « أن أهل مكة ادرى بشعابها » ونحن معكم فى السراء والضراء نؤازركم ونبارك جهودكم ونقرر مساعدكم الرامية الى تحرير أرضكم المحتلة .

وحصل بورقيبة الدولتين الاعظم المسئولية وطالبهما بالتدخل والوساطة بعد أن بذلت مصر كل ما فى وسعها لتسهيل الحل وخلق الجو الملائم . . واكد البيان المشترك أن من مصلحة وأمن الولايات المتحدة الامريكية على وجه الاخص اقتناع اسرائيل بضرورة الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة قبل حدوث ما من شأنه أن يخلق أزمة حادة .

— تقاير الشهر —

الدولة لتصفية الحراسيات — وراحوا يشنون هجوما شاملا على كل ماحقته الثورة، ويشكون في « التجربة الاشتراكية » ، ويحاولون تحميلها كل الاخطاء التي حدثت خلال مرحلة التطبيق ، وظنوا أنه تحت شعارات الديمقراطية والوحدة الوطنية ، فإن الارض والمصانع والاسهم والسندات يمكن ان تعود لأصحابها .

وأعلن الرئيس : « اذا كانت هناك اخطاء وقعت — وقد وقعت فعلا اخطاء — فقد كنا نصفي امتيازات طبقية ، ولم تكن نصفي كرامة الانسان . . التعويض أمر هام ويمكن ، اما ان يتصور البعض انها ردة أو هجوم على تجربتنا الاشتراكية وأن تعود المصانع ، وأن تعود الارض أو السندات فهو واهم . . اننا في مجتمع لا يمكن ان تكون فيه قيمة الا للعمل وحده ، وليعمل من يريد ان يعمل في ظل قوانين المجتمع ومبادئه . . ولكن ليعرف الجميع اننا لن نعود الى امتيازات الطبقة ، ولن نعود الى عصر يسيطر فيه رأس المال . . ولن يكون هناك رجوع في سيادة الشعب على وسائل الانتاج » .

كما فضح الرئيس السادات في خطابه ، تحرك بعض العناصر ، من الذين كان لهم دور سابق في قيادة الثورة وتم اعفائهم من مراكزهم ، أو تجاوزتهم الثورة خلال مراحل تطورها المختلفة . . فضح تحرك هذه العناصر لهدم الوحدة الوطنية ، الممثلة في تحالف قوى الشعب العاملة ، والغاء المؤسسات السياسية والدستورية .

وكشف الرئيس أسرار تحركين لهذه العناصر . . تحرك قديم قامت به عقب وفاة الرئيس جمال عبد الناصر [خلال فترة الاعداد للانتخابات] ، عندما تقدم السادة : عبد اللطيف البغدادي ، وزكريا محيي الدين ، وكمال الدين حسين ، بعريضة يطلبون فيها اعادة تشكيل مجلس قيادة الثورة ، متجاهلين المؤسسات ، وعملية البناء الكاملة التي تمت بعد ثمانية عشر عاما . . وأكد الرئيس السادات ان البلد « فيها مؤسسات ، وفيها نظام ماشي ، وفيها عملية بناء كاملة تتم خلال ١٨ سنة » . . لا وصاية تفرض على البلد بأن يتشكل مجلس ثورة جديد] .

كما كشف النقاب عن تحرك جديد لهذه العناصر « بعد ان دوروا على شوية ناس يمشوهم معاهم » . . وهذه العريضة الجديدة التي قال الرئيس انهم يوزعونها سرا ، تتضمن ما تقوله امريكا واسرائيل عن الاتحاد السوفيتي .

وربط الرئيس السادات بين رفض مصر للعروض الامريكية ، التي لا تستهدف سوى تحقيق أهداف اسرائيل ، وارغام العرب على

ولم يلاحظ أن تركيز الرؤساء على قضية تصفية العدوان وبناء الجهد العربي المشترك لم يشغلهم عن تأكيد تأييدهم لحركات التحرر في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية وتأييدهم للمبادرات الرامية لعقد مؤتمر للامن الاوربي ومساندتهم الثامة للكفاح العادل الذي تخوضه الشعوب في الهند الصينية وتضامنهم مع جمهورية فيتنام الديمقراطية .



تحيات لثوري البليلة والفتن

استقبلت القوى الوطنية والديموقراطية في مصر والعالم العربي ، بالترحيب ، خطابي الرئيس السادات في عيد العمال ، وفي الذكرى الاولى لحركة التصحيح .

وسجل المراقبون — على اختلاف اتجاهاتهم — ان الخطابين اتسما بالقوة ، وبالمواقف والاجابات المحددة على الاسئلة والشائعات التي تشنها حملة التشكيك الضارية — تلك الحملة التي تخطط لها وتديرها الامبريالية الامريكية وتغذيها الصهيونية وتروج لها الرجعية العربية والمحلية — بهدف تقويض ثقة العرب في انفسهم وفي امكانية النصر ، وبهدف تخريب وضرب العلاقات العربية — السوفيتية .

لقد أكد الرئيس ان المعركة هي الاطار الوحيد الذي نستطيع ان نتحرك في اتجاهه ، وحدد في خطابه ثلاثة مرتكزات أساسية للعمل من أجل المعركة .

- الوحدة الوطنية لقوى الشعب العاملة .
- عمل عربي موحد ، مهما اختلفت الانظمة .
- العداء للاستعمار ، والصداقة مع كل الذين يؤازرون حقنا ، وفي مقدمتهم الاتحاد السوفيتي ، الذي يعتبر دعمه تأكيدا حقيقيا للحصول على القوة اللازمة لتحرير ارضنا .

وحرص الرئيس السادات ، وهو يجسد للشعب ما يعنيه بالوحدة الوطنية لقوى الشعب العاملة — بأنها ليست وحيدة الانتهازية ، ولا الاستغلال ، وانها لا تعني امتيازات طبقية ، ولا امتيازات لفئة من الفئات — كما حرص على ان يدفع عن الوحدة الوطنية كل المحاولات الرامية للثقل منها ، تحت أي مزاغم أو صور .

ووجه الرئيس في خطابه ضربة عنيفة لمزاعم المتشككين والمتريصين — الذين استغلوا اتجاه

ومهما ادعى لنفسه — وانه لا عمل الا من خلال التنظيم السياسى والمؤسسات — وان ابواب الاتحاد الاشتراكى ، ومجلس الامة مفتوح امام الجميع — وان الحوار الديموقراطى مع اى رأى مهما كان — امر حتمى ، ولا بد ان يجرى دون اى خوف .

وفى مجال العمل العربى ، أكد الرئيس السادات على انتماء مصر العربى ، وان الوحدة هى المصير ، وهى المستقبل « والعدو يريد تمزيق العالم العربى ، فأمريكا والاستعمار واسرائيل والصهيونية ، كلهم يريدون حصار مصر وعزلها عن المشرق العربى ، حتى ينفردوا بها » .

واستعرض الرئيس التحرك الواسع الذى قام به فى العواصم العربية — خلال الاسابيع الماضية — مؤكدا ان هذا التحرك — هدفه الاساسى كان — ولا يزال — ان نجد قاعدة صلبة واحدة لعمل عربى موحد ، فى هذه الظروف التى تجتازها امتنا العربية » .

الاستسلام ، وبين حملة التشكيك الواسعة ، التى بدأت منذ نوفمبر الماضى ، وبلغت ذروتها ابتداء من شهر يناير من العام الحالى ، وبين التحرك الداخلى الذى يقوم به بعض المتشجنين ، الذين ابتدوا يركبوا الموجة ويتشنجوا .. وأعلن الرئيس « ان الدنيا اتغيرت علشان أعلنت انى قطعت الكلام مع أمريكا .. علشان أعلنت انهم كدابين مخادعين ، غشاشين » . وتساءل الرئيس : « طيب انا انهم ان الثورة والتشنج والانفعال يبقى على أمريكا ، اللى بلا حياء ولا خجل واقفة تقول بادى فانتوم ، وبادى تصنيع ، وتطلب فتح القناة واسرائيل قاعدة على الضفة الثانية ونفاوضها .. التشنج يبقى على أمريكا ، مثر على الصديق الوحيد اللى واقف معنا ، ويبنى السد العالى وبنسأخذ منه السلاح ، ويساعدنا سياسيا ، وعلاقتنا شريفة « الند للند » .

واشار الرئيس السادات الى ان وحدة البلد ، ومصير البلد فوق كل فرد ، مهما كانت قيمته ،

تعليق

لحساب من يعمل المشككون .. ؟

الصديق الوحيد ، واقف معنا سياسيا وفى المصالح الدولية ، واقف معنا اقتصاديا بنينا السد العالى فى عشر سنوات ، واللى عايز بتفضل يروح حلوان - السد العالى كان بيشتغل فيه ٢٠ ألف عامل . والسد العالى الثانى بيشتغل فيه ٢٥ ألف عامل ... مجمع الحديد والصلب فى هذه اللحظة اللى باتكلم فيها بيشتغل ٢٥ ألف عامل فى الموقع مين بيساعدنا فى هذا .. ؟ الاتحاد السوفيتى .. وقال — كل هذا بمشى وحيلة تشكيك فى صداقتنا بالاتحاد السوفيتى فى الفترة الاخيرة أمريكا واسرائيل بيثوا فى المنطقة حملة التشكيك . الاتحاد السوفيتى مثر عاذكم تعاربوا .. الاتحاد السوفيتى عايز لا حرب ولا سلم . الاتحاد السوفيتى عايز قواعد فى البلد . الاتحاد السوفيتى عايز امتيازات . الاتحاد السوفيتى عايز مثر عارف انه .

لقد وضع الرئيس فى خطابه الاخير ممباسا صاحبها لاختبار وطنية « الزائدين والمضاربين » فى سوق السياسة المحلية . وحدد ذلك المقاس باختصار وبساطة شديدتين ، فى موقف هؤلاء وأولئك من الاتحاد السوفيتى . ومن أمريكا لان الاتجاهات المعادية لصداقة الاتحاد السوفيتى والموالية فى نفس الوقت للاستعمار القديم والجديد لم نعد مشبوهة فحسب بل أصبحت مكشوفة ومذانة .

وذلك يبدو واضحا من البيان المشترك الذى صدر عن قيادة الاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر ووفد الحزب الشيوعى السوفيتى برئاسة « بونو ماريوف » سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى أثناء زيارة هذا الوفد لمصر .

اعرب ممثلو الجانبين عن ادانهم لسياسة العداة للشيوعية على أساسى أن هدفها هو تقسيم القوى الثورية واضعافها . وانها سياسة « تحقق مصالح الجماهير » وانما هى أداة للاستعمار والرجعة .

لقد ثبت من خلال الخبرات الذاتية والتجارب المره للشعوب المناضلة من أجل حقها فى الحرية والحياة ، ان محاولة وصف هذه العلاقات التى تقوم دائما وايدا على قدم المساواة

من حق اى مواطن أن يسأل نفسه او يسأل غيره هذا السؤال :

لحساب من يعمل المشككون ؟ ومن المستفيد من حملة التشكيك الخطيرة . التى تقودها أجهزة الدعاية وإدارة المخابرات الأمريكية فى الخارج وتساندها مجموعة المتشجنين والموتورين فى الداخل ؟ هل لحساب مصر ومصالح شعبها ان ينفذ المتشجنون والمشككون مخطط العدو الهادف دون أدنى ريب الى زعزعة ثقة جماهير الشعب المصرى فى قدرتها على النصر . وقدرة قيادتها السياسية وقواتها المسلحة على تحرير الأرض .

هل يستفيد الشعب المصرى حقا وهو يستعد لخوض معركة المصير . معركة الموت او الحياة من حملة التشكيك المركزة فى هذه الايام بالذات بكل عنف وقوة ضد الاتحاد السوفيتى وصداقته الشريفة لنا وللدول العربية ؟

أم تستفيد أمريكا واسرائيل وحدهما من هذه الحملة المضارية .. ؟

ذلك هى القضية الرئيسة المنارة اليوم باعتبارها استراتيجية وسياسة خبيثة لقوى الاستعمار والرجعية العالمية تنبأهما بصدق واخلاص جميع القوى الاجتماعية التى فررت ان تنوقف عن المسيرة ، وان تتراجع عن مسرح التاريخ . هذه القوى هى التى عناها الرئيس انور السادات وخاطب فصيلة منها من فوق منصة مجلس الشعب يوم ١٤ مايو . بعد أن تولى بنفسه كشفهم امام الشعب العربى حتى غراهم علنا من الملابس الوطنية الزائفة .

وكان الرئيس واضحا كل الوضوح فى خطابه عندما تساءل عن هدف أمريكا واسرائيل من أول المعركة فى ١٩٦٧ كان ايه .. ؟ ثم اجاب سبائته على السؤال قائلا : « هدف اساسى لازالت اسرائيل وأمريكا تعمل عليه . ولا زالت اسرائيل تحرص علنا وعالميا وفى الصحافة العالمية عليه . هو أن يوقعوا بيننا وبين الاتحاد السوفيتى ويسفزوا أمريكا وحلف الاطلنطى علنا علشان يخوفونا ونقطع علاقتنا بالامحساد السوفيتى ليه .. ؟ »

— تقارير الشهر —

وتابع الرئيس الصعوبات والمعوقات التي واجهت وضع هذا الشعار موضع التنفيذ الفعلي — معوقات طبيعية ومعوقات مقتعلة — « تحت زعم تعارض الاشتراكية مع حرية الفرد » .

وأبرز الرئيس السادات أن هناك بعض التجاوز خلال التطبيق في العمام المنقضى ، ولكن علينا — منذ الآن — أن نضع ضوابط للسلوك ، إلى جانب نزاهة التصرفات ، ونزاهة النوايا :

أولا : تدعيم المؤسسات ، وتنمية دورها ، واتاحة الفرص لكل انسان أن يساهم بما يستطيع

ثانيا : عدم اجبار أحد على مواصلة المسيرة ، طالما أنه قد تعب ، أو غير مقتنع بما تفعله الثورة

ثالثا : رسم الحدود الفاصلة بين مختلف المؤسسات ، وبشكل واضح .

وأكد الرئيس على أن السلام الأمريكي الذي يمارس في فيتنام ضد مبادئنا ، والسلام الأمريكي كما تنطق به إسرائيل ضد مبادئنا ، بل هو ضد حياتنا .

وكشف الرئيس آخز محاولة قامت بها أمريكا — وكانت تتضمن اقتراحين — مفاوضات مباشرة مع إسرائيل ، وفتح قناة السويس ، مع بققاء إسرائيل على الضفة الشرقية .

ونفى الرئيس المزاعم من وجود قواعد سوفيتية أو شروط ، أو تدخل من جانب الإتحاد السوفيتي .

وحرص الرئيس السادات في حديثه ، بمناسبة مرور عام على حركة التصحيح — وتصفية مراكز القوى — على أن يركز على أهمية إقامة الديمقراطية السلمية .

كبيرا أو صغيرا في تصدير الثورة إلى روسيا القيصرية وعلى عكس الماركسيين يؤمن الامبرياليون وفلاسنتهم بنظرية تنوق الجنس ! وحق سيادة الاجناس المنقوة على الاجناس المتخلفة . كما أن النظام الاقتصادي والاجتماعي الغربي الرأسمالي « الحر » هو الذي يقنن حق استغلال الانسان للانسان . على عكس نقيضه النظام الاشتراكي الذي يجر ثورة الانسان ضد الاستغلال .

وانطلاقا من هذه النظرية أعطى الاستعماريون لانفسهم حق تصدير الثورة المضادة . والاطاحة بنظام الحكم الوطنية واستبدالها بأنظمة ديكتاتورية عميلة . تعادى مصالح شعوبها بقدر ما تكنه من ولاء لمصالح الاستعماريين . كل ذلك يتم تحت شعار حماية الشعوب من الخطر الشيوعي !!

لكن عالم اليوم يشهد تطبيق النظريتين في الهند الصينية على أرض لاوس وكومبوديا وفيتنام . واندحار الثورة المضادة المصدرة من فرنسا سابقا والمصدرة من الولايات المتحدة لاحقا رغم ما تملكه أمريكا من امكانيات ضخمة ونوق الضخمة يؤكد صحة النظرية الماركسية العلمية كما يؤكد في نفس الوقت فشل النظريات الاستعمارية وافلاسها .

لكن بعض الناس يتساءلون : هل يتراجع المشككون من اغراضهم ؟ الجواب عندي ! ان المشككين لن يستفيدوا أبدا من دروس التاريخ ولن يتراجعوا عن تفكيرهم . لكنهم في الغالب سوف يغيروا تكتيكاتهم . ويطوروا من أساليبهم وذلك لانهم ليسوا مجموعة من العصاة يمكن بالعقاب ردعهم . وليسوا مرضى يمكن علاجهم ولا هم مجرد مخطئين يمكن إلثاثير عليهم واقتناعهم من طريق المنطق والحوار . أنهم في الحقيقة اصحاب مصالح مشتركة مع القوى المعادية ، وتلاحم القوى الوطنية مع القوى الاشتراكية العالمية وعلى رأسها الإتحاد السوفيتي ضد القوى المعادية يمثل تهديدا مباشرا لمصالحهم الحيوية .

محمد علي عامر

بين الاطراف المعنية بأنها « احتلال روسي » ، هي محاولة لتفطية الاستعمار الأمريكي الجديد وتحويل الانظار عنه إلى خطر موهوم ، وهي محاولة سخيفة لتجويل وجه « الغولة » قبل زفازها على الضحايا في ثوب العروس . وانجاز تلك المهمة الغربية من نوعها . وسط ضجة مقتعلة تطنى اثناءها دقات الطبول وصيحات الدراويش على أصوات الاستغاثة الصادرة من أفواه ضحايا الغولة . كما ثبت أيضا أن الرقص على نفقات حرب الارهاب الاحمر والانحلال والاحاد في الإتحاد السوفيتي .

هذه المزاعم تكشف عن قننى قاعدة فكرية تنطلق منها مصالح رأس المال الاحتكاري في صراعها ضد حركات التحرر الوطني والديمقراطية والسلام .

وأصحاب هذه المزاعم لا يستلمعون أن يتعلموا من أذهان الناس ما يقرأونه في صحافتهم عن تقنين إبادة الشذوذ الجنسي بانجلترا ، ولزواج الرجال بالرجال في أمريكا . ونشوء الخنيسة وانتشارها من العالم الحر . لقد قرر الأستاذ محمد حسنين هيكل — وهو ليس شيوعيا — في رده على الرئيس ميمر القذافي بندوة الاهرام الأخيرة [أن أمريكا نبتت قارة بأكملها هي القارة الأمريكية وأبادت سكانها الاصليين الهنود الاحمر] أن موسولينى وهتلر وجونسون وليكسون وغيرهم من سفاحى التاريخ ينتمون إلى العالم الحر ولا ينتمون للعالم الاشتراكي .

ويحلو لدعاة الهزيمة والفرود من مزايدين ومشككين أن يتجاهلوا — مع أنهم لا يجهلوا — أن الثورة ليست بضجاعة تصدر

كما يحلو لهم أن يتجاهلوا أن الماركسيين عموما يعارضون تصدير الثورة من بلد إلى آخر ، على أساس مفهوم علمى للقوانين الجدلية أنهم يؤمنون بأن أى ثورة اجتماعية إنما تنبثق من داخل المجتمع نفسه بفعل « قوانين الحركة » الجبرية كما حدث في ثورة أكتوبر المجيدة ، حينما انفجرت من أحشاء النظام القيصري ذاته دون تدخل خارجي . حيث لم يكن في العالم آنذاك دولة اشتراكية يمكن أن يقال إنها لعبت دورا

المؤتمر الرابع للمجلس المصري للسلام

في ١٧-١٨ مايو الماضي عقد المجلس المصري للسلام مؤتمره الرابع، وقد رأس الجلسة الافتتاحية السيد صلاح هدايت وزير الدولة الاتحادي .

فألقى كلمة رحب فيها بالحاضرين ثم قدم لهم السيد المهندس سيد مرعي السكرتير الأول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي الذي ألقى كلمة هامة وجه في بدايتها تحيات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي إلى المؤتمر وإلى المنعدين .

وقال المهندس سيد مرعي في كلمته : « إن النضال من أجل السلام هو غاية ما يشرف به الإنسان من عمل وأنبى ما يهدف إليه من غرض، ذلك أن الداعين للسلام والمدافعين عنه هم حراس على القيم الانسانية والتراث الحضاري »

ومضى المهندس سيد مرعي قائلاً : « إن سلاحنا الذي نحمله في أيدينا دفاعاً عن وطننا وعن أمتنا ، هو معركتنا التي نخوضها ونستغل نخوضها بكل الإصرار والعزم من أجل تحرير الأرض ، وهذه المعركة هي في جوهرها نضال حقيقي من أجل السلام ذلك أنه لا سلام ولا أمن في ظل العدوان وفي إطار انتهاك حريات وحقوق الشعوب . »

وقال المهندس سيد مرعي « إن شعبنا ليذكر لأبنائه من أنصار السلام وأعضاء المجلس المصري للسلام أنهم كانوا أكفاء ، وأمناء على الرسالة النبيلة والمسئولية الكبيرة التي حملوا لواءها ، قدموا لقضية وطنهم وأمتهم جهداً مشكوراً وعملًا جليلاً بالغ الفائدة . »

ثم قدم خالد محيي الدين السكرتير العام للمجلس المصري تقريراً سياسياً للمؤتمر ناقش فيه باستنفاضة تطورات الموقف السياسي العالمي والمحلي .

وتناول خالد محيي الدين في تقريره التطورات التي طرأت على الموقف العالمي فيما يتعلق بقضايا الأمن الأوروبي والمشكلة الألمانية . وقال : « إن قضايا الأمن الأوروبي تهيأ هنا في مصر . . . لأن إقرار السلام في أوروبا وخلق المناخ الملائم لإنهاء حدة التوتر فيها سوف يتيح الفرصة لخلق مناخ هادئ في الجناح الجنوبي لأوروبا وهو الجناح المطل على خوض البحر الأبيض المتوسط »

ثم تحدث خالد محيي الدين في تقريره عن زيارة نيكسون للاتحاد السوفيتي وقال : « إن لقاءات القمة كانت على الدوام مطلباً أساسياً

لحركة السلم العالمية » وقال : « إن الاتحاد السوفيتي وأسرة البلاد الاشتراكية في تمسكهم بسياسة التعايش السلمي بين المعسكرين لم يفرطوا قط في مصالح الشعوب المناضلة من أجل حريتها واستقلالها . »

وحكي خالد محيي الدين نضال شعوب الهند الصينية ونضال شعوب أفريقيا وشعوب أمريكا اللاتينية المتصاعد ضد الاستعمار والامبريالية . وبعد . . . انتقل التقرير إلى دراسة تفصيلية للوضع العربي والمشكلات التي تواجهه وإلى القضايا الخلافية التي تثار بين قوى حركة التحرير العربية وقال : « إننا نعرب عن تأييدنا الكامل للجهود الإيجابية الناجحة التي يبذلها الرئيس أنور السادات في توحيد الصف العربي وحشد الجهود العربية في معركة التحرير ونعرب عن ارتياحنا التام لنتائج رحلته الأخيرة إلى الجزائر وتونس وليبيا . »

ثم تحدث التقرير عن العلاقات المصرية - السوفيتية فقال : « إننا نلاحظ أنه بالرغم من كل المؤامرات وكل الشائعات المدبرة فإن العلاقة المصرية السوفيتية تتعزز وتتقدم . . . إن علينا أن نعي - من منطلق الإخلاص للوطن ، ومن منطلق التفهم الجاد لطبيعة المعركة التي تواجهنا - بضرورة تعزيز الصداقة المصرية السوفيتية وتطويرها وصيانتها من مؤامرات الأعداء . ولقد كان توقيع معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية خطوة هامة نحو تعزيز هذه الصداقة ووضعها في أطارها الصحيح . »

وتحدث التقرير عن المؤامرات الاستعمارية والرجعية التي تحاك لشق الصف العربي وضرب الفصائل الثورية فيها وأشار إلى محاولات تصفية المقاومة الفلسطينية فقال :

« إن واجباتنا تتحدد من خلال مخططات العدو . . . العدو يريد أن يقسم صفوفنا فلنؤخذ نحن صفوفنا على نطاق الأمة العربية وعلى نطاق مصر . . . العدو يريد أن يطيح بمنجزاتنا الثورية وأن يفقد مصر دورها الطبيعي فلتتمسك بثورتنا وبثورتنا ويدورنا . »

ثم تحدث التقرير عن دعاوى بعض العناصر بالتقارب بين أمريكا تحت ستار اتخاذه موقف معتدل فقال : « إن أمريكا لا تريد منا موقفاً معتدلاً ولا تقارباً ، إنها تريد إعادة مصر إلى دائرة نفوذها ، تريد سلب استقلالنا وحريتنا ومواردنا واستوائنا ، تريد أن تتخلص من ثورتنا وإنجازاتنا الاشتراكية وعزلنا وشل دورنا في جميع الأمة العربية على طريق النضال من أجل الحرية والاستقلال وتصفية مواقع المستعمرين » .

— تقارير الشهر —

وفى ١٩ مايو عقد اجتماع لمثلى حركات السلام فى كل من مصر وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين واليمن . وحضر الاجتماع كمراقب ممثل الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية بالمغرب . وقد جرت مداوالات طويلة حول أهمية التنسيق والتعاون بين حركات السلام العربية . من أجل مزيد من الجهد فى القضية المشتركة قضية ازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

وقد أسفرت هذه المداوالات عن اتفاق وجهات نظر المجتمعين حول القضايا موضوع النقاش .

وقد اتفق المجتمعون على اصدار عدد من التوصيات من بينها توصية تؤيد عقد مؤتمر العدل والسلام فى الشرق الاوسط المزمع عقده فى ايطاليا فى نهاية هذا العام ، باعتباره « يخدم أهداف النضال العربى » ودعت مسائر القوى السياسية العربية الى مضاعفة نشاطها لكسب المزيد من التأييد لهذا المؤتمر .

واتفق المجتمعون أيضا على توجيه رسالة الى حركة السلم اللبنانية يعربون فيها عن تأييدهم لنضال الشعب اللبنانى « من أجل الحفاظ على حرياته الديمقراطية وتوسيعها » .

كذلك أعرب المجتمعون فى وثيقة خاصة عن تحيتهم للذكرى الاولى لتوقيع معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية « تلك المعاهدة ذات الأهمية الكبرى فى توطيد الصداقة والتعاون بين حركة التحرر الوطنى العربية وقوى التقدم والاشتراكية فى العالم وفى دعم الضهود العربى ومعركة التحرير » .

وايد المجتمعون أيضا الدعوة لعقد المؤتمر الشعبى لنصرة الثورة الفلسطينية الذى تقرر انعقاده فى بيروت فى النصف الثانى من سبتمبر ١٩٧٢ .

كذلك ناقش الاجتماع تطورات الموقف فى العراق على ضوء بيان الحكومة العراقية حول تصرفات احتكارات البترول، ووجه الاجتماع بترقية الى المجلس الوطنى للسلم والتضامن بالعراق يعربون فيها عن تضامنهم مع موقف العراق من شركات البترول الاحتكارية .

كذلك وجه الاجتماع بترقية للملك حسين يستنكر فيها القبض على عيسى مدانات سكرتير لجنة السلم الاردنية ويطالب بالافراج عنه وعن كل المعتقلين السياسيين .

وناقش الاجتماع أيضا المؤامرات الاستعمارية والرجعية ضد جمهورية جنوب اليمن الديمقراطية

وبعد أن استعرض التقريرين رميد حركة المجلس المصرى للسلام خلال العام الماضى على المؤتمر اقرار برنامج عمل للعام المقبل . .

وبعد أن استعرض التقرير رصيد حركة المجلس المجلس العالمى للسلام ولجان السلام فى فرنسا والاتحاد السوفيتى والمجر وبلغاريا وايطاليا ، وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان واليمن .

وقد عبر المتحدثون فى كلماتهم عن تحيتهم للجهود الخلاقة التى يبذلها المجلس المصرى للسلام للدفاع عن قضايا الامة العربية وكسب الانتصار والاصدقاء لها . .

وأعرب المتحدثون فى كلماتهم عن تأييدهم للنضال العربى لازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

ثم بدأت بعد ذلك أعمال لجنتى المؤتمر . . اللجنة السياسية واللجنة التنظيمية . وقد أعدت اللجنة السياسية سلسلة من القرارات تعلن عن وقوف أنصار السلام المصريين الى جانب نضال شعوب فلسطين وفيتنام والخليج العربى فى كفاحها من أجل حريتها . وادان أحد القرارات المذابح التى تشن ضد مسلمى الفلبين ، وقد وافق المؤتمر على هذه الوثائق .

كذلك قرر المؤتمر ارسال برقية تحية وتأييد للرئيس أنور السادات معلنا أن المجلس المصرى للسلام يؤيد قيادة الرئيس السادات « للشعب المصرى وهو يواصل طريقه من أجل تأكيد الحرية والديمقراطية وسيادة القانون ومواصلة التحول الاشتراكى » .

كذلك وجه المؤتمر بترقية تحية الى قواتنا المسلحة بالجبهة معلنا وقوف أنصار السلام المصريين صفا واحدا الى جوارهم فى معركة التحرير .

ووجه المؤتمر أيضا بترقية شكر للسيد المهندس سميد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى على مساندته لحركة السلام فى جهودها .

وكانت اللجنة التنظيمية قد تبنت عددا من القرارات التنظيمية ضمنها فى تقرير تلاه أمام المؤتمر مقرر اللجنة الاستاذ حسين فهمى .

وقد وافق المؤتمر بالاجماع على توصية اللجنة التنظيمية باعادة انتخاب خالد محيي الدين سكرتيرا عاما للمجلس لمدة ثلاث سنوات أخرى ووافق بالاجماع على توصية اللجنة بانتخاب سكرتارية دائمة جديدة للمجلس ، وعلى ضم عدد من الاعضاء الجدد للمجلس .

الشعبية واعرب عن تضامن انصار السلام العرب مع كفاحها ضد هذه المؤامرات .



■ بيروت :

المؤتمر الشعبي العربي

في الفترة من ٧ - ١١ مايو الماضي انعقد في بيروت اجتماع تحضيرى حضره ممثلون عن الاحزاب والمنظمات الوطنية والتقدمية ، تنفيذا لقرار المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي كان قد انعقد في القاهرة من ٦ - ١٠ ابريل ١٩٧٢ حول تنظيم مشاركة القوى الوطنية والتقدمية العربية في الثورة الفلسطينية ومساندتها بمختلف الوسائل .

وقد اشترك في هذا الاجتماع ، سعد مجبر عن الاتحاد الاشتراكي العربي (ليبيا) - كمال ناصر ، تيسير قبعة ، نايف حواتمة ، عبد الوهاب كيالي ، توفيق الصفدي عن منظمة تحرير فلسطين - بكر القادري عن الكتلة الوطنية المغربية ، محمود الروسان عن الجبهة الوطنية الاردنية ، محمد ناصر عن الجبهة القومية باليمن الديمقراطية ، وعبد الخالق السامرائي عن حزب البعث العربي الاشتراكي بالعراق - وفواز صباغ عن حزب البعث العربي الاشتراكي بسوريا - وعن الاحزاب اللبنانية ، نقولا الفزلي وبشارة وهج عن حزب البعث اللبناني وعاصم قلنصوة عن منظمة حزب البعث ، وفديم عبد الحميد عن الحزب الشيوعي اللبناني ، وجوز مغيزل عن الحزب الديمقراطي ، ومحسن دلول و خليل احمد خليل عن الحزب التقدمي الاشتراكي وهاني فاخوري عن الحركة اللبنانية لمساندة فتح وهاشم علي محسن عن حزب العمل الاشتراكي العربي ومحسن ابراهيم عن منظمة العمل الشيوعي ونخلة مطران عن اتحاد الشيوعيين اللبنانيين ولطفى الخولي عن الاتحاد الاشتراكي العربي (مصر) - واعتذر محمد شريف وسعدية ممثل حزب جبهة التحرير الجزائري لاضطراره للوجود في الجزائر خلال زيارة الرئيس السادات لها ، وقد أعلن موافقته على كل نتائج الاجتماع .

وقد تقرر العمل من أجل ، حماية القضية الفلسطينية ومقاومة كل مشاريع التصفية الصهيونية والاستعمارية والرجعية والتي تستهدف وجود الثورة الفلسطينية والحقوق القومية لشعب

فلسطين في تحرير كامل ترابه الوطني ، ومقاومة وفضح كل المحاولات الرامية الى عزل المقاومة عن الجماهير الشعبية أو منهضة مبادرات القوى الوطنية والتقدمية الهادفة لدعم المقاومة في مختلف الاقطار العربية . الدعم الايجابي للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية في نضالها الوطني الديمقراطي لاسقاط نظام الحكم العميل في الاردن وتحويل هذا القطر الى قاعدة آمنة للثورة الفلسطينية . على أن تناضل الجبهة المشاركة بالإضافة الى ذلك في سبيل محاصرة هذا النظام وتضييق الخناق عليه من الخارج .

وأعلن البيان الختامي للاجتماع قراره بالدعوة لعقد مؤتمر شعبي عربي لنصرة الثورة الفلسطينية في النصف الثاني من سبتمبر من العام الحالي في بيروت ، تشترك فيه كافة القوى الوطنية والتقدمية العربية ، ويدعى اليه بصفة مراقبين عدد من الشخصيات العربية وعدد من الاحزاب والمنظمات الصديقة في العالم ، وبذلك سيشارك في المؤتمر حوالي ٦٥ حزبا وهيئة وتنظيم بالإضافة الى مراقبين من البلدان الاشتراكية ومن كل حركات التحرر ومن المنظمات العالمية - الاتحاد العالمي للنقابات ومجلس السلم العالمي واتحاد الصحافة العالمي .

وقرر الاجتماع التحضيرى مبدأ تكوين الجبهة العربية للمشاركة في كفاح الشعب الفلسطيني على الصعيد القومي وفي مختلف الاقطار العربية ، وتشكيل أمانة دائمة للجبهة على أن يقرر المؤتمر ذلك بصورة نهائية وقد شكلت أمانة تحضيرية للجبهة ، تجتمع ببيروت كل أسبوعين .

وخلال انعقاد الاجتماع في بيروت - وقع المشاركون على بيان استنكروا فيه تدابير نيكسون ضد فيتنام الديمقراطية ، وقد توجه وفد من الاجتماع لتسليم الاحتجاج للسفارة الامريكية ببيروت ، وقد جاء في البيان : « ان الاحزاب والقوى التقدمية العربية المجتمعة في بيروت بمناسبة اللقاء التحضيرى للمؤتمر الشعبي العربي لدعم الثورة الفلسطينية ، تعبر عن استنكارها للقرار القرصني الذي اتخذه الرئيس الامريكي نيكسون ، وتؤكد تضامنها المطلق مع شعب فيتنام البطل » وثقتها التامة ، بانتصاره في نضاله من أجل قضيته العادلة .

كما أصدر الاجتماع بيانا حيا فيه عملية اقتحام مطار اللد . . . وقد جاء في هذا البيان : « ان

الحرية للمناضلين في الأردن

اذاعت وكالات الانباء ان السلطات الاردنية اعلنت المناضلين الاردنيين عيسى مدانات وفايز الجبالي ، وكانا يستعدان للسفر الى القاهرة لحضور اجتماعات المجلس القومي للسلام .

ولقد اثار هذا التباث شعور الاستياء العميق في صفوف جميع الوطنيين والتقدميين العرب ، الذين يقدرون لعيسى مدانات وفايز الجبالي كفاحهما الوطني الطويل ودورهما الطبيعي في الحركة الوطنية الاردنية ، ضد الاستعمار الجديد وضد الصهيونية والرجعية ، ومن اجل الاستقلال والتقدم .

ولا يملك الانسان الا أن يربط بين هذا الاعتقال التعسفي وبين النضال المتزايد الذي تخوضه القوى الثورية في الاردن ضد المشروع الذي عرف بمشروع الملك حسين ، هذا المشروع الذي رفضته اوسع الاوساط الشعبية والوطنية في العالم العربي .

لذلك ، يحق لكل من عرف مواقف عيسى مدانات وفايز الجبالي في الحركة الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية أن يقلق أشد القلق على مصير هذين المناضلين .

ان « الطليعة » وهي تحتج اشد الاحتجاج على اعتقال عيسى مدانات وزميله ، تطالب بالافراج عنهما ، كما تطالب — في الوقت نفسه — بتوفير طاقات الضمانات التي ينص عليها ميثاق حقوق الانسان حماية لسلامة هذين المناضلين في معتقلهما .

وفي الوقت نفسه ، تؤكد الطليعة أن مثل هذه الاجراءات التعسفية لن تحل أزمة الاردن الذي بات يتردى في مصاعب وسلبات شديدة خصوصاً بعد أن سلك الحاكمون فيه مسلك المتصفيات الوحشية للمناضلين الفلسطينيين وضرب كل القوى الوطنية والثورية فيه .

الطليعة

الاحزاب والقوى التقدمية العربية المجتمعة في بيروت بلحضير للمؤتمر الشعبي العربي وبناء سبيلهم العربيي :تشاركه للتورق الفلسطينيي .اذ تحمل العدو الصهيوني وحلفاءه ، خاصة ، الصليب الاحمر الدولي مسوويه كل ماقد يترتب مستقبلا عن جريمة اقتحام الطائرة على ابطالنا الاربعة تعلن اعجابها الحاربالانتصار الرائع الذي حققه الشهيدان على طه وعبدالعزیز الاطرش والمناضلتانريما عيسى وتيرين هيسه في غزو مطار اللد ، والدخول في معركة مكشوفة مع العدو ، رافعين رايه المناومه عديا بكل شرف وبطولة ، واضعين العالم كله امام عداله قضيه شعب فلسطين ، مؤكدين له ان هذا الشعب لن يهزم وفيه امثال هؤلاء الابطال الذين وضعوا ، بعمليتهم الشجاعة هذه ، القضية الفلسطينية على حقيقتها في الصراع الدائر بين اصحاب الارض الشرعيين وبين المغتصبين المحتلين »

كما أصدر الاجتماع بيانا شجب فيه العدوان البريطاني على جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية - : « ان الاحزاب والقوى العربية التقدمية التي اشتركت في اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الشعبي للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية اذ تستنكر هذا العدوان السافر على اراضي اليمن الديمقراطية وتندد بالمحاولات الاستعمارية والرجعية المستهدفة حرية وسيادة شعب عربي تهيب بكافة المنظمات العربية والصديقة في العالم الى التضامن مع شعب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في نضاله من اجل حماية استقلاله ومنجزاته والدفاع عن سيادته القومية » .

ويعتبر هذا الاجتماع - انتصارا هاما في مجال تحقيق وحدة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في العالم العربي - فمنذ ندوة الاشتراكيين العرب بالجزائر - مايو ١٩٦٧ - والملتقى الفكري العربي بالخرطوم - مارس ١٩٧٠ - وكل هذه اللقاءات تنهى حوارها بمجرد بيان ختامي يدعو الى الوحدة ، دون التوصل الى انشاء كيان عملي يجسد هذه الوحدة . ان الخطوة الكبيرة التي نوصل اليها هذا الاجتماع باعلان قيام الجبهة العربية للمشاركة في كفاح الشعب الفلسطيني ، وتشكيل امانة دائمة لها ، تعتبر من اهم الخطوات الجادة والايجابية في مجال توحيد القوى الوطنية والتقدمية في العالم العربي في نضالها ضد العدوان الامبريالي الصهيوني ، ومن اجل التحرر الوطني الديمقراطي .

■ اليمن الديمقراطية :

مؤامرة بريطانية :
القنوى الرجعية
والجنرال « جراهام »

يتابع المراقبون في العالم العربي باهتمام كبير انبياء الاعتداءات التي تشنها الطائرات البريطانية على حدود جمهورية اليمن الديمقراطية من داخل سلطنة مسقط وعمان ، والتي اخذت تتصاعد خلال الشهور الاربعة الاخيرة ، ثم محاولة انزال قوات المرتزقة في اراضي اليمن الديمقراطية في اوائل الشهر الماضي .

وكانت الحكومة البريطانية تحاول اخفاء وتكتم هذه الاعتداءات ، الا ان استمرار وتصاعد العمليات العسكرية وسقوط القتلى البريطانيين ، قد ادى في النهاية الى انفضاح هذه الاعتداءات ، التي تستهدف اسقاط النظام التقدمي في اليمن الديمقراطية ، وتجسد في نفس الوقت تأييدا وتشجيعا من جانب القوى الرجعية في المنطقة .

وقد اعترفت بذلك اخيرا الحكومة البريطانية ، وذلك فيما اعلنته في ٥/١٢ عن مقتل بعض العسكريين التابعين لسلاح الطيران البريطاني اثناء الغارات على حدود اليمن الديمقراطية ، مما دعا صحيفة « الجارديان » البريطانية في عددها بتاريخ ٥/١٢ الى تحذير الحكومة البريطانية من خطورة التمادي في الحرب في جنوب الجزيرة العربية بقولها : « ان التورط البريطاني اعماق بكثير مما تكشفه علنا » ، ويزداد الامر خطورة اذا كانت المسألة تتعلق بأراضي دولة اخرى ومجالها الجوي ، ومن المؤكد ان الامر كان كذلك في يوم ٥/٦ الماضي .

وقد اتهمت حكومة اليمن الديمقراطية الطيران البريطاني المتمركز في سلطنة مسقط وعمان بشن الغارات على اراضيها ، كما دعت الجامعة العربية الى عقد اجتماع لبحث استمرار العدوان البريطاني على اراضيها من داخل اراضي سلطنة مسقط وعمان ، كذلك قدمت سلطنة مسقط وعمان احتجاجا الى الجامعة العربية ضد ما وصفته بأنه نشاط مضاد تقوم به حكومة اليمن الديمقراطية ، وقد اعربت الملكة السعودية عن مساندتها لاحتجاج سلطنة عمان ضد اليمن الديمقراطية .

وترجع اسباب الخلاف بين جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وبين سلطنة مسقط وعمان في الواقع ، الى اختلاف النظام السياسي في كلا

البلدين ، وكانت حكومة اليمن الديمقراطية قد تقدمت بطلب الى الجامعة العربية في مارس ١٩٧١ . تعارض فيه انضمام سلطنة مسقط وعمان الى الجامعة العربية ، مستندة في ذلك الى ميثاق الجامعة الذي يعطى الدول المستقلة فقط حق الانضمام للجامعة العربية ، « وترى اليمن الديمقراطية ان مسقط وعمان لا تزال منطقة خاضعة للاستعمار والنقوذ البريطاني وتنتشر فيها القواعد العسكرية البريطانية ضد سيادة وحرية البلاد العربية المجاورة ، وخاصة اليمن الديمقراطية وموجهة ضد حركة التحرر في عموم الجزيرة العربية ، وان الاستعمار البريطاني لا زال جاثما في مسقط وعمان على صدر الشعب المناضل رغبا عن القرارات العديدة التي اصدرتها الجمعية العمومية للأمم المتحدة باعطاء شعب عمان المناضل حقه في تقرير مصيره ، وادانة المحافل الدولية لاستمرار الاحتلال وسياسة قهر الشعب وزرع القواعد الاجنبية هناك ، وفرض الصمت على النضال المسلح للشعب في مسقط وعمان وعمليات الابادة الوحشية التي تقوم بها الطائرات البريطانية والمرتزقة ضد السكان الامنيين » . [صحيفة ١٤ اكتوبر العدنية ، ١٥ مارس ١٩٧١] .

وقد نشرت صحيفة « الموند » الفرنسية في منتصف عام ١٩٧١ عدة تحقيقات لمراسلها ايريك رولو عن الوضع في منطقة ظفار ذكر فيها : ان العاصمة صلالة معزولة تماما وتحيط بها الاسلاك الشائكة ، وتتولى القوات العسكرية حراسة مداخل المدينة ، ويخضع الخارجون منها والداخلون اليها للفتيش الدقيق ، وتتعرض القرى الطبقارية المنتشرة في السهول بين الجبال لقصف وحشي بالقنابل بصفة مستمرة ، الذي تقوم به طائرات السلاح الجوي السلطاني التي يقودها ضباط بريطانيون ، وأنه على الرغم من العمليات العسكرية الجوية والبحرية المتصاعدة والحرب النفسية التي توجهها محطة الاذاعة البريطانية في صلالة ضد الثوار الظفاريين ، وضد الشيوعية والاحاد ، فان قوات الثورة تسيطر الان على ثلثي ظفار ، بينما تسيطر قوات السلطان على المنطقة الساحلية فقط .

وقد اخذت بريطانيا في تصعيد عملياتها العسكرية ضد ظفار منذ شهر اكتوبر الماضي ، وتكثيف الغارات الجوية على القرى والمدن الحرة ، وقتل النساء والاطفال والشيوخ ، بهدف ان يؤدي ذلك الى تخويف الاهالي ودفع الثوار الى ترك الاراضي الحرة ، الامر الذي بدأ يثير نوعا من الاحتجاج المستمر داخل بريطانيا نفسها ، فتقول الاوبرفر البريطانية بتاريخ ١٩/١/١٩٧٢ ، « وحتى الان فان بريطانيا وحدها هي المتورطة

— تقارير الشهر —

«قتال في الهند الصينية لصالح الشيوعيين منذ بداية هذه الحرب • وقرى عديد من الدواوير الغربية نفسها أن الحصار والقصف الأمريكي الوحشي قديوثر، ولكنه لن يمنع انهيار جيش سايجون في نهاية الامر •»

وقد أشارت صحيفة «نيويورك تايمز» امريكية في تقرير لها من هايفونج الى أن المسئولين الفيتناميين الشماليين صرحوا بأنه تم تطهير ميناء هايفونج من الالغام الأمريكية ، وأن حركة الملاحة قد استؤنفت فيه ، وأوضح مدير ميناء هايفونج «لانطوني لوييس» مدير تحرير «نيويورك تايمز» «أن نيكسون عاجز عن منع السفن الاجنبية من دخول هايفونج أو الخروج منها» • ومن ناحية أخرى أكدت المصادر المحايدة في هايفونج أن السفينة «فرايدين» التي ترفع علم ألمانيا الديمقراطية قد دخلت ميناء هايفونج في الاسبوع الثالث من مايو الماضي • وكان قد أذيع في سايجون قبل ذلك على لسان المصادر العسكرية الأمريكية أن الولايات المتحدة «سحب قوة العمل البحرية الخاصة التي كانت تتولى الحصار البحري لموانئ فيتنام الشمالية بعد تغميمها ، وذلك برغم وجود وحدات الاسطول السابع في المياه الفيتنامية عامة واشتراكها في سير القتال • وفي نفس الوقت زادت الوحدات البحرية السوفيتية التي ترابط بالقرب من مدخل خليج تونكين فأصبحت ٨ سفن بينها ٥ مدمرات وغواصة صاروخية • وأكد الدبلوماسيون السوفيت في بكين تأكيداً له مغزاه حين صرحوا في ١٩ مايو الماضي بأن الاسلحة الحديثة التي يزودالاتحاد السوفيتي هانوي بها ، تجد طريقها الى فيتنام الديمقراطية برغم الحصار الذي تفرضه الولايات المتحدة على الشواطئ الفيتنامية • وقالت رويتر أن قطارين سوفيتيين محملين بالمعدات العسكرية ، وصلا الى هانوي عبر الصين في الاسبوع الثالث من مايو الماضي •»

وفيما يتعلق بموقف الاتحاد السوفيتي من الحصار الأمريكي البحري لموانئ فيتنام الشمالية ، نجد أنه وإن كان قد طلب من واشنطن في بيانه الحازم فك الحصار البحري حول فيتنام قورا ، وعلم وقتذاك عن اتجاه كاسحات الغام سوفيتية بسرعة الى موانئ فيتنام لتطهيرها ، إلا أن الاتحاد السوفيتي لم يلجأ الى الاعمال الاثارية ردا على الخطوة الأمريكية ، والحقيقة أن الاتحاد السوفيتي لا يحتاج الى عمليات مثيرة خطيرة كالمواجهة البحرية بينه وبين الولايات المتحدة في جنوب شرقي آسيا ، في الوقت الذي تحرز فيه الثورة الفيتنامية هناك الانتصارات لتل

في عمان في عمليات قتالية حقيقية ، فالبريطانيون يقدمون الاسلحة والضباط والجنود للتدريب وتثنية المشورة ، بل وقيادة القوات العربية المحلية ، وإن وزير دفاع سلطان عمان الجنرال جراهام والضباط والموظفون البريطانيون يشكلون جزءاً قوياً من حاشيته •»

كذلك تتحدث صحيفة الجارديان البريطانية ، بتاريخ ١٢/٥/١٩٧٢ عن الوجود البريطاني في عمان بشيء من التفصيل فتقول : «أن هناك اتفاق بريطاني مع سلطان مسقط وعمان يمنح بمقتضاه بريطانيا قواعد في صلالة ومصيره في ظفار مقابل تقديم بريطانيا مساعدات عسكرية وتدريب قوات السلطان ، كما توجد في مسقط ثلاث فئات من العسكريين البريطانيين ، الفئة الاولى الضباط المتقاعدون المرتزقة وكانوا من قبل ضباطا في القوات الملكية البريطانية ، والثانية من الضباط والافراد الذين يساعدون السلطان وفقاً للاتفاقية ، والثالثة وتضم الذين يساعدون في تدريب قوات السلطان ويخضعون لانصراف وزارة الدفاع البريطانية ، وتضم كتيبة القوات الجوية المكلفة بالدفاع عن صلاله كما تضم ايضا قوات جوية خاصة •»

ويعتقد المراقبون ان العدوان البريطاني ضد اليمن الديمقراطية من داخل اراضي سلطنة مسقط وعمان المجاورة هو محاولة لتوسيع نطاق الحرب التي تشنها ضد ثوار ظفار الى داخل اليمن الديمقراطية ، وذلك ضمن المخطط الامبريالي الرجعي لتصفية حركة التحرر الوطني في الجزيرة العربية ، وجرد اليمن انديمقراطية الى معارك عسكرية واستنزاف قواها واعاققتها عن الاستمرار في تنفيذ خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وذلك بهدف اسقاط النظام التقدمي في البلاد وارجاعها مرة ثانية الى حظيرة الاستعمار •



■ فيتنام :

سقوط «كوآن تري»
بداية النهاية
وسقوط «هوى»
النهاية نفسها

ازداد الاعتقاد لدى عديد من الدوائر السياسية والعسكرية في العالم بأن الحصار البحري الذي فرضته الولايات المتحدة الأمريكية على فيتنام الشمالية لن يحول دون تقدم قوات التحرير في الجنوب ، ولن يغير بحال الخط المضطرد لسير

الأدبيات ، خاصة اذا تبين عمليا أن الفيتناميين قادرون بفضل المساعدة السوفيتية على تطهير مواليهم من الالغام الامريكية ، فضلا عن إمكانية امداد فيتنام بالمساعدات العسكرية عن طريق الجو وعن طريق الصين وهي إمكانية أشارت وكالات الأنباء العالمية الى أنها أصبحت حقيقة واقعة . كما ترى موسكو أنها ليست بحاجة لان تدفع بالعسكر الشيوعي كله الى حرب مع الولايات المتحدة ، في الوقت الذي ظهر فيه أكثر من أى وقت مضى أن فصيلة واحدة من فصائل الحركة الشيوعية العالمية الا وهي حزب العمال الفيتنامي وقواته المسلحة وقوات جبهة التحرير في الجنوب اثبتت وقوتها الفاتكة على هزيمة الامبرياليين الامريكيين وعمالهم هزائم عسكرية منكرة ، وهكذا احبط الاتحاد السوفيتي محاولة نيكسون ايجاد مخرج من ورطته في فيتنام ، بتحويل الحرب الدائرة هناك ، الى مواجهة امريكية سوفيتية ، قد تتضمن حلا سريعا له عن طريق تخويف العالم بخطر الحرب العالمية ، الامر الذي يدفع بالمجتمع الدولي الى التدخل لحل المشكلة . ذلك أن الاتحاد السوفيتي يرى أن عليه امداد هانوي وجبهة التحرير بالاسلحة وترك أمر المعركة لهما « وعلى نيكسون مواجهة ذلك اذا استطاع » على حد تعبير الصحفي الامريكي جيمس رستون في ١٤ مايو الماضي .

وفيما يتعلق بخط السير العسكري للقتال فمن الملاحظ ان الولايات المتحدة قد استعاضت عن قتالها البري في فيتنام بحربها الجوية المكثفة في الالوة الاخيرة بصفة خاصة ، ولكن المشكلة التي لم تستطع الولايات المتحدة ان تدركها هي ان القوة الجوية تستطيع ان تحول لفترة دون فقدان الارض ، ولكنها لا تستطيع لها أى أرض قد تفقدها ، والملاحظ بوجه عام في الفترة الاخيرة ان قوات عملائها هي التي تفقد المساحات ، بل والمدن . وفي الفترة الحالية يلقي الامريكيون كل اسبوعين قدرا من القنابل اكبر من الذيلقى على بريطانيا في الحرب العالمية الثانية كلها ، ومع ذلك يطالب المسئولون في الحكومة الامريكية بضرورة تشديد القصف أكثر على فيتنام الشمالية في الوقت الذي تركت الحرب الجوية وراءها ١٠ ملايين حفرة قنابل في فيتنام الجنوبية ، ودمرت نصف غابات صنوبر وأكثر من نصف غابات المنجروف . وعلى ذلك فقد أشارت « الصنداي تايمز » البريطانية في ٧ مايو الماضي الى أن « القصف الاستراتيجي لفيتنام الشمالية كان أكثر عجزا باللغة العسكرية من القصف التكتيكي لفيتنام الجنوبية » .

وهناك عدة أخطار تحقّق بحكومة سايجون التي فقدت قدراتها الادارية في مناطق عديدة ، إذ أدى عجز الحكومة الى فرار مئات الالاف من سكان فيتنام الجنوبية الذين يهيمنون على وجوههم في الطرق تحت وابل القنابل ، فهناك خطر قطع الطرق المؤدية الى سايجون سواء من لوك او غيرها ، ثم هناك خطر شيطار فيتنام الجنوبية الى قسمين والذي تحقّق جانب كبير منه ، ففي مرتفعات انام خلت مدن كورنتوم وبلينكي وغيرها من المدن حتى الساحل من سكانها ، وتصدعت الادارة وانسحبت الحاميات الصغيرة وسيطرت قوات الفيت كونج على ثلث اقليمين دينه ، وكان ذلك على حد قول الجنرال ابرامز رئيس البعثة العسكرية الامريكية أخطر تهديد بالنسبة لفيتنام الجنوبية . اما الخطر المباشر الذي يتهدد القوات الفيتنامية الجنوبية فبتمثل في محاصرة مدينة هوى ومحاولة اسقاطها من جانب قوات التحرير . وهي خطوة بالغة الاهمية في تطور سير الحرب ، فقد يعمد نيكسون بعدها الى تدمير سدود النهر الاحمر بما يترتب على ذلك من فيضانات وخسائر ضخمة في أرواح المدنيين . وان يكن التأثير العسكري لهذه الخطوة ضئيلا في نظر عديد من المراقبين ، او أن يقبل نيكسون استبعاد حكومة الجنرال ثيو من سايجون والتفاوض حول اقامة حكومة ائتلافية في سايجون يشترك فيها الشيوعيون ، وذلك اذا فتحت له جبهة التحرير هذا « المخرج » فيما لو نجحت في اسقاط هوى . وعلى أية حال فسيواجه نيكسون عندئذ بأصعب اختيار منذ بداية الحرب الفيتنامية ذلك ان اسقاط مدينة هوى العاصمة الامبراطورية القديمة لفيتنام ، والذي يبدو احتمالا قويا الان ، سوف يكون ضربة قاضية للمكانة السياسية والعسكرية لحكومة سايجون . ذلك ان كلمات احد مستشاري الرئيس ثيو نفسه ، قبل سقوط كوان ترى بثلاثة أيام لها مغزاها الكامل بهذا الصدد ، حين قال انه « اذا ما تم الاستيلاء على « كوان ترى » فإن ذلك يكون بداية النهاية ، ولكن اذا سقطت مدينة « هوى » فستكون النهاية » .

■ المانيا الغربية :

انتصار « لهجوم السلام »
السوفيتي في أوروبا

اجتازت سياسة « الانفتاح على الشرق » التي بدأها فيلي يرافنت مستشار حكومة المانيا الغربية الازمة الحادة التي تعرضت لها خلال

— تقارير الشهر —

الوحيد للخلاص من مؤثرات اوضاع ما بعد الحرب العالمية الثانية ، والخلاص من احتمالات تجدد الصراع وويلات الحروب في القارة الاوروبية مرة اخرى .

ثانيا : الموقف الصلب الذي اتخذه الاتحاد السوفيتي ، برفضه القاطع مناقشة أى تعديل لنصوص معاهدته مع المانيا الغربية .

ثالثا : تطلع القوى — داخل المانيا الغربية — الراغبة في اقرار السلام وتخفيف التوتر في أوروبا الى توسيع نطاق الوئام بعقد معاهدات مماثلة مع باقى دول أوروبا الشرقية ، وخاصة تشيكوسلوفاكيا . باعتبار أن تعويق التصديق على المعاهدتين مع موسكو ووارسو كان كفيلا بنفس الجهود للتوصل الى اتفاق مع براج وبودابست وباقى عواصم أوروبا الشرقية .

على أن هناك ظاهرة ملفنة للنظر تؤكد وجود قوى يمينية متطرفة تريد أن تحتفظ بمواقفها التقليدية بما تنطوى عليه من عداوة للاتحاد السوفيتي وباقى الدول الاشتراكية في أوروبا ، ونعنى بها مفاجأة امتناع الغالبية العظمى من مجموعة المعارضة عن التصويت على المعاهدتين رغم أن زعيم المعارضة رينر بارترزل كان قد طلب الاقتراح بالموافقة بعد أن تأكد له عدم شعبية سياسة معارضة الانفتاح على الشرق ، بل أن ١٠ من أعضاء المعارضة ذهبوا الى حد التصويت ضد المعاهدتين خروجاً على نداء زعامة حزبهم .

وقد أوضح **الفجانج ميسفيك** زعيم المجموعة البرلمانية للحزب الحر الديمقراطي أمام البرلمان أن الاحداث التى شهدتها أجزاء أخرى من العالم خلال الاسابيع القليلة الماضية [وكان يعنى التصعيد الأمريكى للعدوان ضد فيتنام وما أثاره من توتر عالى واحتمالات خطيرة للمواجهة] قد دلت على أنه لا يمكن حماية السلام إلا عن طريق الاستعداد للتعاون وإعادة أسس التفاهم وأكد ميسفيك أن إعادة التصالح والمصالحة بين المانيا الغربية ودول أوروبا الشرقية يعتبر فاصلا هاما وإيجابيا . كذلك أوضح زعماء الحزب الاشتراكي الديمقراطي [حزب برانت] فى كلماتهم أمام البرلمان قبيل التصديق ، وخلال المناقشات مع زعماء المعارضة — أن المعاهدتين

محاولات الحصول على موافقة مجلس البرلمان الالماني الغربى على معاهدتي نبذ استخدام القوة مع كل من الاتحاد السوفيتي وبولندا .

وباجتياز هذه الازمة الحادة وتصديق البرلمان بمجلسيه على المعاهدتين يكون الطريق قد فتح أمام خطوات جديدة امام تطورات ملائمة لتخفيف حدة التوتر في أوروبا ، والقضاء على المشكلات المعلقة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وهى المشكلات التى وقفت دائما حجر عثرة امام الامن والسلام في أوروبا وحالت دون قيام تعاون مثمر بين الدول الأوروبية وخاصة بين دولتي المانيا — الاتحادية والديمقراطية .

وقد بذلت المعارضة اليمينية في المانيا الغربية جهودا مستميتة حتى آخر لحظة ضد المعاهدتين الموقعيتين مع الاتحاد السوفيتي وبولندا للحيلولة دون التصديق عليهما او للتوصل — على الاقل — لتعديل نصوصهما بما يتفق مع اغراض القوى التى تحكمها عقلية العداوة للاتحاد السوفيتي والتى تتطلع للحظة الانتقام لهزيمة النازية الالمانية في الحرب العالمية الثانية .

وقد شهدت المانيا الغربية في الفترة التى سبقت التصديق على معاهدتي نبذ استخدام القوة صراعا حادا بين سياسة الانفتاح على الشرق التى يدافع عنها الحزب الاشتراكي الديمقراطي والحزب الحر الديمقراطي المؤتلفين فى حكومة برانت — وسياسة الحفاظ على التوتر في أوروبا التى يدافع عنها بوجه خاص الحزب المسيحي الديمقراطي ، والحزب المسيحي الاجتماعى ، وبصفة اخص جناح **فرانز شتراوس** [وزير الدفاع السابق] فى مقاطعة بافاريا . وقد لعبت عدة عوامل موضوعية دورها فى النتيجة التى انتهت اليها هذا الصراع ، وهى موافقة « البوندستاج » على التصديق على معاهدة موسكو بأغلبية ٢٤٨ صوتا ضد ١٠ اصوات وامتناع ٢٩٨ نائبا عن التصويت ، وموافقته على التصديق على معاهدة وارسو بأغلبية ٢٤٨ صوتا ضد ١٧ وامتناع ٢٣١ نائبا عن التصويت . وأهم هذه العوامل ما يلى :

اولا : موقف غالبية الراى العام الالماني الذى مارس ضغطا حقيقيا على المعارضة بتأييده لسياسة خلق جسور مع الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية ، باعتبار أن ذلك هو السبيل

■ الولايات المتحدة :

إطلاق الرصاص على ولاس
يسهل له طريق الرئاسة

يبدو أن إطلاق الرصاص على جورج ولاس حاكم ولاية الاباما العنصري وأحد مرشحي الحزب الديمقراطي لانتخابات الرئاسة ، جاء لصلجته تماما . ففي أثناء تواجده في المستشفى ، فاز في ولايتي ميريلاند وميتشجان على ماكجوفرن وهفري وأعلن سكرتيه أنه سيخوض انتخابات الرئاسة ولو على كرسى متحرك ، وبالفعل فقد جذبت إليه أصابته بشلل نصفي تعاطف فئات جديدة من الأمريكيين ، علاوة على من كان ولاس قد نجح فسلا في اجتذابهم إليه بوسائل متعددة ، في الانتخابات الماضية في ١٩٦٨ والتي صوت له فيها ١٠ ملايين ناخب ، وفي الحملة الحالية .

والواقع أن ولاس رجل دعاية ناجح فعلا ، وهو في سعيه لاكتساب الشعبية أشبه ببوجداد ذلك السياسي الفرنسي الذي كسب صغار دافعي الضرائب منذ سنوات بالتضليل أساسا ، فهو يعتمد أن يخطيء في قواعد اللغة ويستخدم اللفاظ السوقية ويروي النكت ، ويؤكد أنه يختلف مع « أولئك الناس جيدي التربية في المؤسسة الحاكمة » ، ويحاول اقناع الصغار أنه « مثلهم » وأنه سيدافع عنهم ، في حين أن الآخرين يتخلون عنهم .

ولاس ابن مزارع من الاباما ، درس القانون . وعند إعلان الحرب في ١٩٤١ كانت سنه ٢٠ سنة ، فخدم في الطيران ، وبعد انتهائها شرع يعمل بالسياسة ، وانتخب في ١٩٤٦ عضوا بـ برلمان الولاية ، وفي ١٩٥٨ تقدم لانتخابات منصب المحافظ ، ولكنه فشل لان منافسه وهو عضو في الكوكلوكس كلان ، فاقه في عنصريته . واستخلص ولاس درس العمر ، وأكد لانصاره « لقد تفوقوا على هذه المرة في عنصريتهم ، ولكن هذا لن يحدث مرة أخرى » . وفي ١٩٦٢ أصبح حاكما لولايتيه ، وهي من أشد ولايات « الجنوب العميق » عنصرية . وفي هذا المنصب تاوم بالقوة أوامر الحكومة الاتحادية بقبول حفنة من الطلاب السود في جامعة توسكالوزا ، واستخدم قوات الولاية ضد المظاهرات المعادية للعنصرية . وفي ١٩٦٤ حاول التقدم لانتخابات الرئاسة ، ولكن جولد ووتر

مع موسكو ووارسو قد خلقتا الشروط والاحتياجات اللازمة للتعايش السلمي وإمكانية التعاون بين الدول الأوروبية ، وفي مجال العمل من أجل إعادة العلاقات الى طبيعتها بين المانيا الشرقية والغربية .

وقد أصبح في حكم المقرر أن يؤدي التصديق على معاهدتي نبذ استخدام القوة الى سلسلة من الاتفاقيات والاجراءات المنتظرة التي تسهم بدورها في تخفيف حدة التوتر في أوروبا وفي العالم .

١ - أن يوقع الاتحاد السوفيتي على البروتوكول النهائي الخاص بالاتفاقية الموقعة بين الدول الأربع الكبرى بشأن برلين ، وهو البروتوكول الذي يضمن الترتيبات الخاصة بتأمين المواصلات بين المانيا الغربية وبرلين الغربية والتي تقع داخل اراضي المانيا الديمقراطية

٢ - أن يوافق الاجتماع القادم لمجلس حلف الأطلسي - الذي سيعقد في بون لأول مرة منذ ١٥ عاما - على الاستعدادات لعقد مؤتمر الامن الاوروبي ، الذي يعتبر اقتراح عقده مساهمة أساسية من جانب الاتحاد السوفيتي لاقرار السلام في القارة الأوروبية . وقد كان حلف الأطلسي يضع كعقبة أمام عقد هذا المؤتمر شرطه الخاص بضرورة وجود اتفاقية بشأن برلين .

٣ - أن تسير بنجاح المفاوضات - التي بدأت مراحلها التمهيدية فعلا - بين المانيا الغربية وتشيكوسلوفاكيا لعقد معاهدة لنبذ استخدام القوة بينهما . وهي خطوة يتوقع أن تتلوها خطوات مماثلة مع بلغاريا والمجر .

وعلى الرغم من التصريحات المواتية التي أدلى بها المسؤولون الأمريكيون على اثر التصديق في بون على معاهدتي موسكو ووارسو ، والتي اعتبرت هذا التصديق خطوة ايجابية لاقرار السلام في أوروبا ، إلا أن هذه التصريحات الأمريكية تخفي شعورا بالمرارة نتيجة فقد الولايات المتحدة لما كانت تعتقد أنه « ورقة للمساومة » خلال محادثات نيكسون مع الزعماء السوفيت . ذلك أنه لم يكن خافيا أن الولايات المتحدة كانت تعلق أملا على تأجيل التصديق على المعاهدتين الى ما بعد زيارة نيكسون لموسكو ، حتى تحتفظ بهذه النقطة لتساوم بها في المحادثات مع الاتحاد السوفيتي .

تقارير الشهر

وكان ولاس في بحثه عن الشعبية يهاجم مجموعة معينة من أصحاب الملايين ويسكت عن مجموعة أخرى . فكان يهاجم روكفلر وفورد وكارنيجي وميلون ويقول « انهم حققوا ثرواتهم من التهرب من الضرائب ، في حين ان الصغار تتحطم رؤوسهم في الحوائط وهم يبحثون عن الطريقة التي يدفعون بها ما يستحق عليهم » ويسكت عن اصحاب الملايين في الجنوب الذين يمولونه . وولاس حذر في المشكلة الفيتنامية ، لا يجرؤ على ادانة التفاوض ولكنه يؤكد « اذا كان العدو لا يرغب في التفاوض بروح طيبة ، واذا كانت حياة وأمن قواتنا مهددة ، فيجب البحث عن حل عسكري حاسم » ، اما نائبه لانتخابات الرئاسة فكان جنرال الطيران المتقاعد كورتس-ليمي ، الذي يطالب بقصف هانوي وهايفونغ وزيادة القوات العسكرية في فيتنام خاصة الطيران والبحرية ، وكان يؤكد انه ليس ضد استخدام الاسلحة الذرية ويتعجب من « فوبيا الخوف الذري » ويقول « ان الموت الذري افضل من الموت بطعنة سكين صدى » . وبالفعل وجد حزب ولاس مساندة كبيرة من الجماعات العنصرية والرجعية والمتطرفة مثل « البيرثست وغيرها » وحصل ولاس على أصوات انصار جولد ووثر ، وتوجد قاعدته الاساسية في ولايات « الجنوب العميق » كما حصل على أصوات كثير من الديمقراطيين الذين خابت توقعاتهم بالنسبة لجونسون ، بل وعلى أصوات العمال الذين سمعتمهم العنصرية ، ففي استقصاء تم في مصنع سيارات « بويك » في فلنت قرب ديترويت بين ٨٠٠ عامل ، حصل ولاس على ٤٩ في المائة من الاصوات وحصل همفري على ٢٩ في المائة ونيكسون على ١٢ في المائة . كما صوت لولاس الامريكيون الذين شعروا بالاحباط نتيجة لهزيمة بلادهم في فيتنام .

وفي الانتخابات الحالية رأى ولاس ان يرشح نفسه عن الحزب الديمقراطي ، مستغلا المشاعر العنصرية لدى كثير من الامريكيين ، ومشاعر السخط لدى الراغبين في الانتصار في فيتنام . واذا ما قدرنا ان قيادة الديمقراطيين لن ترضى بأن يمثلها رجل مثل ماكجوفرن في الرئاسة لميوله السلامية - حتى لو فاز في الانتخابات التمهيدية كما فعلت مع مكارثي في الانتخابات الماضية لادرشنا أن فرص ولاس كبيرة جدا في مواجهة همفري ، الذي يعتبره كثير من الامريكيين « ممسحة صحن » وانه مسئول وشريك لجونسون في سياسته الماضية .

فاقه في عنصريته وعدوانيته ، وهو ما يعتمد عليهما ولاس بدوره .

وفي انتخابات الرئاسة في ١٩٦٨ ، بدأ حملته الدعائية قبل الآخرين بشهرين ، وجاب معظم الولايات لينظم ما أسماه « الحزب الامريكى المستقل » ، وكان كل يوم يزور عدة مدن ، ينظم له انصاره فيها لقاءات تعقد في قاعات كبيرة ، تعزف فيها « أوركسترا الحزب الامريكى المستقل » مارشات عسكرية ثم تغنى الاختان تايلور ، مونا وليزا ، « فالس جورج ولاس ، الذي تقول كلماته : « قفوا جميعا لامريكا ذات العلم الاحمر والابيض والازرق » .

« صوتوا لولاس الذي سيقاثل من اجلكم » .

« انه سيفلق بسيفه هام الشيوعيين واصدقائهم المستقرين » .

« انقصوا فالس جورج ولاس يا اصدقاءى الحلوين » .

ثم يصرخ أحدهم بصوت جهورى « هاهو الرجل الذى ستنخبونه رئيسا للولايات المتحدة » ويتقدم هذا ليجلس خلف منصة مدرعة واقية من الرصاص ، لا تظهر منها سوى رأسه الذى تغطيها خزتيا الميكروفونات . وفي كل مكان كان ولاس يكرر نفس الكلام ، فيبدأ بتهنئة رجال البوليس ، وانصاره كثيرون بينهم ، بل ويطالب بحكمهم للبلاد « لا ادرى لماذا يحد رجال البوليس نشاطهم على أعمالهم الحالية . انهم اذا حكموا هذه البلاد لمدة عامين فقط ، فسيضعون حدا للمخربين » .

والمحربين المقصودين هم السود ودعاة السلام في فيتنام . وعندما كان هؤلاء يعترضون طريقه كان يعدهم بقوله « بعد ٥ نوفمبر - موعد اجراء الانتخابات - سأمنعكم من الصراخ . وعندما أصبح رئيسا أعدكم بأنه اذا رفع أحدكم علم الفيتكونج أو جمع النقود أو الدم وغيره للعدو ، فسأضعه في الظل في سجن جيد . واذا نام أحدكم امام سيارتى ، فأعدكم بأنها ستكون آخر مرة يفعل فيها ذلك » .

وكان ولاس يتباهى باحتقاره للمثقفين « المؤدبين اكثر من اللازم » ويقول « ان الاساتذة الجامعيين ذوى عقول فارغة ، لا يعرف الواحد منهم ما يفعله بدراجة . واى سائق بسيط للسيارات يعرف ما يفعله اذا شاهد حادثا ، ولكن خريج الجامعة يكتفى برفع ذراعيه الى اعلى ويسقط مريضا » ، أما الموظفون فيعد بالقاء معداتهم في المجارى .

ماذا بعد أن قدم الاتحاد العام للعمال

تقرير خاص

برنامج العمل في أول مايو ١٩٧٢ ؟

العاملة في مجال اختصاصاتها - لتستطيع قيادات العمل الإداري والنقابي وأن تتدارس أولا بأول التطبيق السليم لقرارات القيادة السياسية والتنفيذية وأن تجد الحلول السريعة لجميع مشاكل الجماهير العمالية .

سادسا : العمل على زيادة الانتاج بنسبة ٥ في المائة عن المستهدف في الخطة لتكون زيادة الانتاج ودعه كما وكيفا عاملا حاسما في معركة المواجهة المصرية مع العدو الامبريالي والصهيوني .

سابعاً : دعم التنظيم النقابي وعضويته ، بتوفير حرية الحركة للتنظيم وتخليصه من كل القيود الإدارية التي كانت تعرقل نشاطه ، وتحد من مقدراته التنظيمية على ادارة اموره ، وتحقيق استقلاله الذاتي . واستعادة لثقة جماهير العمال في تنظيمهم النقابي .

ثامناً : دعم الديمقراطية النقابية ، بفتح قنوات الاتصال بين قواعد التنظيم وقياداته . وتحقيق ذلك عن طريق عقد مؤتمرات ثقافية تبحث قضايا الانتاج والثقافة العمالية والتأمينات الاجتماعية .

قاسماً : اقامة الاتحادات المحلية في المحافظات ومناطق التجمعات العمالية الكبيرة .

عاشراً : العمل على رفع المستوى الفكري لاجضاء التنظيم من خلال التثقيف العمالي ومحو الامية .

حادي عشر : الاهتمام بالتضامن العمالي العالمي في النضال ضد الامبريالية والاحتكارات العالمية والصهيونية - ومضاعفة الجهود في هذا المجال دعماً لعلاقات العمال المصريين وارتباطاتهم بعمال العالم ومنظماتها النقابية .

ثاني عشر : دعم الوحدة والتضامن مع العمال العرب باعتبارها سلاحاً فعالاً في النضال ضد المؤامرات الامبريالية والصهيونية وعملائها من الرجعيين العرب .

هذه هي المبادئ التي استخلصناها من خطاب الاتحاد العام للعمال في عيد أول مايو - والتي طرحت كبرنامج عمل للاتحاد التزم به على الملأ من جماهير العمال . وهو برنامج يعكس تطلعا قساليا من قبل قيادة الاتحاد العام للعمال - لتغيير

في الاحتفال بعيد أول مايو في الاسكندرية قدم السيد / صلاح غريب بصفته رئيسا للاتحاد العام للعمال برنامجا للعمل ، التزم به الاتحاد أمام جماهير العمال المصريين . وفي امكاننا أن نلخص هذا البرنامج في مجموعة النقاط التالية :

اولاً : أن النضال من أجل تحرير الارض العربية المحتلة مرتبط كل الارتباط بالنضال من أجل اتمام عملية التحول الى الاشتراكية . فلا حرية حقيقية بدون عدالة اجتماعية ، ولا يمكن أن تبني الاشتراكية الا في مجتمع حر .

ثانياً : النضال ضد الرجعية العميلة والتي تهدف بتحركاتها الاخيرة في نشر الاكاذيب وتزييف الحقائق والهجوم على كل المنجزات الوطنية التقدمية - أن قتال من تحالف قوى الشعب العاملة ، ومن وحدة الجبهة الداخلية التي هي درع النضال العسكري ضد العدوان الامبريالي الصهيوني .

ثالثاً : تحقيق المشاركة الايجابية لجموع العمال في ادارة منشاتهم ، حتى تطلق كل طاقاتهم الابتكارية الخلاقة ، لزيادة الانتاج وتحسين نوعياته وخفض تكلفته مع التنفيذ الاكمل للخطط الاقتصادية ، وتدعيم الايمان بالملكية العامة لوسائل الانتاج ، والتخلص من بقايا العقلية الادارية القديمة ، والتمسك بتجربة اشتراك العمال في مجالس الادارة باعتبارها جزءا أساسيا من عملية التحول الى الاشتراكية ، ودراسة ايجابياتها وسلبياتها لتأكيد سيطرة قوى الشعب على وسائل الانتاج وحماية لها من الانحرافات البيروقراطية وضمانا لحسن تطبيقها لخطط التنمية الاشتراكية .

رابعا : العمل من أجل أن تكون لكل وحدة انتاجية خطتها المعروفة جيدا لكل العاملين فيها ، من خلال مناقشة مستفيضة وواعية ، في المنظمات الجماهيرية داخل الوحدة ، وأن يتم تقييم سنوي لنشاط الوحدة ، وأن يكون هذا التقييم أساسا للترقيات والعلاوات والحوافز المادية والمعنوية ، التي يحصل عليها جميع العاملين في الوحدة من رئيسها الى أصغر عامل بها .

خامساً : تشكيل لجان مشتركة على مستوى الوزارات والمؤسسات بينها وبين النقابات العامة

— تقارير الشهر —

هدفا خاصا بعمال الزراعة والقراحييل من أجل حقهم في أن يعيشوا كبشر في النصف الثاني من القرن العشرين *

الملاحظة الرابعة : أنه في مجال التضامن العمالي العالمي - كنا نتوقع أن تحدد قيادة الاتحاد في مخططاتها طبيعة نشاطها القادم في هذا المجال - على أساس ، أنه في مجال النشاط الدولي هناك فرق دولية - عمالية مختلفة - نحن نعمل من أجل كسبهم جميعا نصف قضيتنا الوطنية ، ولكننا ويجب أن نفرق بين هذه الاتحادات الدولية * على أساس في مجال الحركة العمالية الدولية توجد اتحادات ترتبط قياداتها مع الدوائر الإمبريالية والصهيونية ، وبالنسبة لهذه الاتحادات فنحن نسعى أساسا لكسب قواعدها إلى جانب قضيتنا العادلة ، فتحركنا الدولي حيال هذه الاتحادات سيتطلب مخطط خاص * وهناك الاتحاد العالمي للنقابات والذي ينظم أغلب عمال العالم النقابيين حيث يضم تنظيمات تمثل حوالي ١٤٠ مليون عامل - هو اتحاد ديمقراطي معاد على أسس مبدئية ونضائية للإمبريالية وللاحتكارات وللنظام الرأسمالي العالمي وللصهيونية ، وقد آن الأوان لأن نحدد علاقتنا بحسم مع الاتحاد العالمي للنقابات ، وضرورة ارتباطنا به ، وخاصة وأن معظم الاتحادات العربية قد حسمت هذه القضية خلال السنين القليلة الماضية ، وأصبحت عضوة عاملة فيه - اتحاد عمال سوريا - اتحاد عمال العراق - اتحاد اليمن الشعبية - اتحاد عمال الأردن - الاتحاد الوطني للعمال والمستخدمين بلبنان - اتحاد عمال السودان - اتحاد عمال اليمن الشمالية * وفي مجال التضامن العمالي العالمي نلاحظ أن قيادة الاتحاد العام فاتها الإشارة إلى ضرورة تنشيط عملنا وتضامنا في المجال الأفريقي حيث ازداد النشاط الاستعماري والإسرائيلي في السنوات الأخيرة داخل الحركة النقابية الإفريقية وهو نشاط لم تواجهه بعمل جدي حتى اليوم ، اللهم إلا بقرارات عظيمة وخطب رنانة *

وأخيرا - فإنه إذ نجيب قيادة الاتحاد العام للعمال لطرحها برنامجا للعمل في أول مايو نلتزم بالتضامن من أجله - نقول ماذا بعد أن قدم الاتحاد هذا البرنامج هل من خطط عملية ، وجدية في التنفيذ ، وممارسة يومية وصولا إلى تحقيق هذا البرنامج * وثلك حتى يأتي أول مايو في العمام القادم فتوقف قيادة الاتحاد العام للعمال لتقول لمن التزمتم أمامهم لقد أنجزنا ما وعدنا ، وحققنا ما أعلننا *

عبد المنعم الغزالي

الأوضاع السائدة حيث السلبية والبيروقراطية في التنظيم النقابي المصري ، وانعدام استقلاليته ، وقصور حركته الاجتماعية والفكرية والسياسية *

وحول هذا البرنامج نبدي عددا من الملاحظات التي نرى أن توضع في الاعتبار إذا ما قدر لهذا البرنامج أن يخرج إلى حيز التنفيذ والتطبيق *

الملاحظة الأولى : أن البرنامج كان يجب وأن يتضمن التزاما حاسما بالعمل الجدي من أجل إصدار تشريع العمل الجديد ، هذا التشريع الذي ناقشته مؤتمرات عديدة منذ عام ١٩٦٨ ، والذي أوجبت ظروف تطور المجتمع المصري منذ اجراءات يوليو ١٩٦٠ وصندوق ميثاق العمل الوطني في ١٩٦٦ ضرورة صدوره ، حيث أن تشريع ١٩٥٩ لم يعد يتناسب مع مرحلة التطور تلك ، وهو لا يعبر عن علاقات العمل الجديدة التي نشأت بهذه الاجراءات ، وأصبح يمثل قيادا على التطور ذاته ، وحاجزا يحول دون ممارسة العمال ومنظماتهم النقابية للدور الطبيعي المنوط بهم في مرحلة انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية ، وصولا إلى مرحلة التحول الاشتراكي *

الملاحظة الثانية : أنه في مجال دعم حركة النقابات ونشاطها وزيادة قدرتها التنظيمية وديمقراطيتها النقابية - فإنه يجب العمل من أجل : ١ - زيادة نشاط النقابات في مجال الخدمات الصحية والاجتماعية والإسكانية إلى جانب الخدمات الفكرية ، وتحويل أكبر قدر من المصروفات الادارية في النقابات لينفق في هذه المجالات * ب - محاسبة القيادات النقابية القديمة والتي لفظت معظمها جماهير العمال في انتخابات العام الماضي - هذه القيادات التي بددت ممتلكات نقابات العمال وميزانياتها ، وأثرت ثراء فاحشا من الفروخ التي دفعت للنقابات من العمال - وأن انجاز هذا الواجب أصبح ضروريا حتى لا تتكرر المأساة ويجازي كل قائد نقابي أفسد حياة نقابائنا على ما قدمت يداه * وأن تحقيق ذلك هو الذي يجعل حديثنا عن الديمقراطية النقابية حديثا جديا وليس مجرد شعار يردد وتلوكه السفننا لاستهلاك محلي *

الملاحظة الثالثة : أن هذا البرنامج كان يجب وأن يتضمن تأكيدا على ضرورة العمل من أجل مساواة عمال القطاع الخاص والذين ما زالوا عننا كبيرا ، واستغلالا شديدا بعمال القطاع العام في كثير من الميزات التي حصل عليها هؤلاء بعد اجراءات يوليو ١٩٦١ ، في مجالات ساعات العمل ، والاجور ، والتأمينات الاجتماعية ، وحماية حقهم في العمل * وكذلك كان يجب وأن يتضمن البرنامج

وثائق

البرنامج السياسي للجبهة الوطنية للاوس

أقره المؤتمر غير العادي للجبهة الوطنية

للاوس في ٣١ أكتوبر ١٩٦٨ بالاجتماع

(نيولاو هاكسات)

البرنامج السياسي لجبهة تحرير لاوس ،
نموذج رائع لمراعاة الخصائص القومية عند
وضع خطط العمل الوطني والاجتماعي ، بما
يضمن استجابة صادقة لتطلعات واحتياجات
الجمهير ، ومن ثم يكفل تحول هذه الخطط الى
أهداف خاصة لكل مواطن من المواطنين على
حدة ، وبالتالي ضمان مشاركته بوازع ذاتي
في العمل لتحقيق ما تحويه من أهداف وآمال

والطليعة اذ تنشر هذا البرنامج ، تدعو الى
دراسته بتأمل وعمق ، لمعرفة الطريقة التي
استطاعت بها الجبهة أن تكون خير معبر عن
آمال شعب لاوس ، وأن تتضمن الثقافة حولها .



بعد النهاية الظاهرة لتساومة شعب لاوس بقومياته المتعددة للاستعمارين الفرنسيين وللدخل الأمريكي ، حصل شعب لاوس من جديد على الاعتراف بسيادته واستقلاله ووحدته وتكامل أراضيه . وكان لذلك الانتصار دلالة وأهميته التاريخية الكبرى ، إذ فتح أشد الافاق اشراقا ، لشيد وطننا وشعبنا حياة جديدة ملؤها الحرية والسعادة .

ومع ذلك ، وبعد فترة قصيرة من توقيع اتفاقيات جنيف ، وانتهاء السيطرة الاستعمارية الفرنسية ، جاء الامبرياليون الأمريكيون باندخلهم وعدوانهم الى بلادنا . وكان هدفهم الاساسي هو تحويل بلادنا الى مستعمرة لهم وقاعدة عسكرية تحت تصرفهم . ولكي يحققوا هدفهم هذا اشترى ضامير العملاء والدمى وسعوا لكسب مساندتهم ، وجعلوا من قوات وحكومة فينيتان ادانهم الطبعة ، وفي نفس الوقت استغلوا الطغمة العسكرية النابالندية واقاموا قواعدهم العسكرية في بايلاند ليخسروا منها نقطة ونوب يواصلون منها « حريهم الخاصة » ، ومطامعهم الاستعمارية الجديدة وعدوانهم ضد بلادنا . وخلال الاعوام الاربعة عشرة الاخيرة ، نسلخوا عن طريق ما يسمى « المساعدة » الاقتصادية والعسكرية الى كافة احاء بلادنا ، وحولوا المنطقة الى سيطرة عليها حكومة مينيتان الى مستعمرتهم الجديدة . وفي نفس الوقت جاهوا « بمستشاريهم » واسلحتهم ، وحرصوا خدمهم واتباعهم على تنشيط عمليات التجنيد العسكري ، وعلى أن يزبدوا « الجيش الوطني » المزعوم لبيستمر في حربهم العدوانية ضد بلادنا ، ولخمدوا حركة نضال شعبنا من اجل الخلاص الوطني ، بطريقة تزداد قساسة وبربرية يوما بعد يوم . كما انشأوا اخيرا وحدات « القوات الخاصة » التي يسيطرون عليها مباشرة ، واستخدموا قواهم الجوية في قصف القنابل واطلاق النيران على بلادنا بوحشية ، ناشرين الموت والدمار بين مواطنينا . لقد انتهكوا اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٢ حول لاوس ، وكذلك الاتفاقيات التي عقدت بين الاحزاب السياسية في لاوس ووطاوها باقدامهم ، واستغلوا خدمهم واعوانهم في نصف حكومات الاتحاد الوطني والتي كان يشترك فيها ممثلو الجبهة الوطنية للاوس ، وممثلو القوى الوطنية المحابدة وشخصيات وطنية اخرى ، وخربوا تنفيذ سياسة الوفاق والتوحيد الوطني وكذلك طريق السلام والاستقلال والحياد ، الذي نادى به الجبهة الوطنية للاوس .

وفي المنطقة التي تسيطر عليها حكومة فينيتان ، يدفع الامبرياليون هذه الاخيرة الى ابيع مختلف السياسات غير الوطنية والمعادية للشعب بطريقة يزداد ضررها واتساعها يوما بعد يوم . لقد داسوا باقدامهم الحريات الديمقراطية للسكان . ويتعرض الوطنيون لاعمال القمع والاضطهاد والنظام والامن غير مكفولان ، أما حقوق الاستثمار التجاري فمركزة بين ايدى عدد قليل من الحكام . ويتناقص الانتاج ويتدهور ، ويفقد « الكيب » قيمته ، كما أن مستوى معيشة السكان يتدهور أكثر فأكثر ، ويزداد تشجيع الفساد والحلل ، وبمسخون اعدادا كبيرة من الشباب ويحرقونه عن الطريق السوي ، ويتهكون الدين البوذي انتهاكا خطيرا ولحقون به كفرا من الاذى ، وفي كثير من الاماكن تحولت المعابد الى اماكن للتجارة وللترويج لاسلوب الحياة الأمريكي لقد داسوا بالاقدام على الميراث الثقافي للبلاد ، وكذلك على عاداتها وتقاليدها الجبيلة والرائعة . ويزداد اتساع وانتشار ذلك المجتمع المضطرب والفساد الذي نشبع فيه السرقة والبلطجة والسكر وتعاطي المخدرات والفساد القمار والمراهات السرية والبغاء .

ومن البديهي تماما أن الامبرياليين الأمريكيين ، الذين اعتدوا عمدا وبسوء نية على بلادنا ، هم العدو الأشد خطرا على شعب لاوس بكل قومياته ، كذلك فإن الحكام خدم الامبرياليين الأمريكيين خونة أمتهم الذين باعوا لبيكونوا لانفسهم ثروات وأموال ، والذين خانوا عمدا وبسوء نية وطنهم وشعبهم ، هم أيضا اعداؤنا الالاء .

أن شعبنا المحب للسلام والمنتطلع الى أقصى قدر من الاستقلال والحرية ، لن يكف أبدا عن التمرد مرة ثانية على حياة العبودية .

ومنذ بداية عام ١٩٥٦ ، أعلنت الجبهة الوطنية للاوس أمام شعبها وأمام العالم كله هدفها السياسي الذي يتمثل في بناء لاوس مسالمة ومستقلة ومحابدة وديمقراطية وموحدة ومزدهرة ، وللإسهام في إعادة السلام الى ربوع الهند الصينية وإلى جنوب شرق آسيا وإلى العالم كله والحفاظ عليه . وعلى أساس الخط السياسي للخلاص الوطني « وبناء البلاد الذي نادينا به ، مع وضع تطورات الموقف الحالي في البلاد في الاعتبار ، وضعت الجبهة الوطنية للاوس مختلف السياسات التالية تجسيدا للهدف السياسي المذكور عليه .

ولقد حقق نضال شعبنا ضد الامبرياليين الأمريكيين واتباعهم نجاحات كبيرة متعددة في الاربعة عشرة عاما الماضية . إذ حررنا ٢/٣ الاراضي الوطنية ونصفي سكان بلادنا ، وتوسع القوى الوطنية بلا انقطاع أو توقف ، وفي منطقتنا المحررة ، نواصل تنفيذ هدفنا السياسي

المذكور عايلة بصورة ممتدة . إذ يتدعم ويرسخ التطور الاقتصادي والثقافي يوما بعد يوم ، وتتدعم وحدة مختلف القوميات أكثر فأكثر ، ويقوى النظام والامن ، وتتخذ الحياة المادية والروحية للسكان وجهة جديدة ، ويترتب على كل هذا ازدياد وامتداد نفوذ وشهرة الجبهة الوطنية للاوس سواء في داخل البلاد أو في العالم الخارجي .

لقد أوقع النضال العنيد والباسل لشعبنا هزائم كثيرة بالامبرياليين الأمريكيين وخدمهم ، هزائم عسكرية وسياسية على حد سواء . ومع ذلك فهم بكاثرون ويصرون على مواصلة مؤامراتهم في العدوان والخيانة الوطنية . وفي الوقت الحاضر ، وازاء قرب الاندحار والانكسار الكامل في جنوب فينيتان والهزائم المتزايدة الوطاة في بلادنا ، يحاول الامبرياليون الأمريكيون أن يدعموا اتباعهم وأن يزيدوا قوتهم ، وأن يقيموا بصورة محسومة ما بسوونه « خطهم للدفاع عن الميكونج » ، ويحاولون أن يعتمدوا على الطغمة العسكرية النابالندية لتوسيع حروبهم العدوانية ضد بلادنا ، ويحاولون كل جهودهم للبقاء على التوتر في الهند الصينية وفي جنوب شرق آسيا .

لقد حقق شعبنا بكل تأكيد انتصارات كبيرة متنوعة ، ولكن هذا لا ينفي أن وطننا وشعبنا يجسد نفسه في الوقت الحاضر في موقف خطير ، يتطلب عملا عاجلا ازاء المناورات المذكورة عليه للامبرياليين وخدمهم .

ولهذا السبب فإن المهمة القسورية والعاجلة والمقدسة لمجموع شعبنا بكل قومياته ، ومعتقداته وانتماءاته السياسية هي ما يلي :

● الوحدة والنضال معا للاحاق الهزيمة « بالحرب الخاصة » وبالاستعمار الجديد الأمريكي ، وللاطاحة بشارتي الوطن ، خدم الأمريكيين ، بهدف بناء لاوس مسالمة ومستقلة ومحابدة وديمقراطية وموحدة ومزدهرة ، وللإسهام في إعادة السلام الى ربوع الهند الصينية وإلى جنوب شرق آسيا وإلى العالم كله والحفاظ عليه .

وعلى أساس الخط السياسي للخلاص الوطني « وبناء البلاد الذي نادينا به ، مع وضع تطورات الموقف الحالي في البلاد في الاعتبار ، وضعت الجبهة الوطنية للاوس مختلف السياسات التالية تجسيدا للهدف السياسي المذكور عليه .

النقطة الاولى :

● تدعيم وحدة كل الشعب ، والعمل على دعم الجبهة الوطنية الموحدة وتوسيع

* حملة لاوس

* نهر ينسج من التبت ، وينساب عبر الصين وفييتنام وكمبوديا لبحر الصين الجنوبي

نطاقها وتعبئة كل قوى البلاد بجمعية ونشاط لدرء عدوان الامبرياليين الامريكيين والاطاحة بالخونة خدمهم واتباعهم .

● توحيد كل الفئات الاجتماعية ، كل القوميات ، وكل العقائد الدينية ، وكل الاحزاب السياسية ، وكل التنظيمات ، وكل القوى والشخصيات الوطنية من انصار السلام والديمقراطية والذين يوافقون ويؤيدون النضال المعادي للامريكيين ، بهدف بناء لاوس مسالمة ومستقلة ومحيدة وديمقراطية وموحدة ومزدهرة .

● احترام العرش .

● توسيع وتدعيم كتلة التحالف النضالي بين الجبهة الوطنية للاوس والقوى الوطنية المحيدة .

● تحية وتأييد القوى والشخصيات المختلفة ، من المثقفين والطلاب والضباط والجنود في الجيش والبوليس ، والموظفين العاملين في الادارات المدنية والعسكرية لحكومة فينتيان ، الذين يؤيدون النضال المعادي لامريكا من اجل الحرية والديمقراطية والعدالة .

● الاستعداد للتعاون بروح وعقل متفتحين ، وعلى قدم المساواة ، مع كل القوى وكل الاشخاص الذين ينفصلون عن المنظمات التي يسيطر عليها الامريكيون وخدمهم ، لينضموا الى الجبهة الوطنية للاوس او للقوى الوطنية المحيدة ، او يوحدا عملهم مع احدى هاتين القوتين بهدف النضال ضد الامبرياليين الامريكيين وخدمهم .

النقطة الثانية :

● تحقيق المساواة في كافة المجالات ، والتضامن والعون المتبادل بين مختلف القوميات بهدف النضال معاً ضد الامريكيين من اجل الخلاص الوطني وبناء حياة جديدة ملؤها السعادة المشتركة .

● القضاء على الكراهية والاحكام المسبقة والازدراء والصراع الذي نشره الامبرياليون الامريكيون وخدمهم ، والقضاء تدريجاً على الهوة القائمة بين مختلف القوميات . كل القوميات سواسية في الحقوق والواجبات في كافة المجالات ، وعليها جميعاً وبصفة خاصة واجب اقامة الوحدة بهدف النضال من اجل الخلاص الوطني ضد الامبرياليين الامريكيين وخدمهم وأن يتعاونوا فيما بينهم ليتقدموا معاً وليشيدوا معاً وطناً موحداً .

● مساعدة مختلف القوميات بنشاط ، خاصة الاقليات القومية ، على تنمية الاقتصاد القومي ، ونشر الثقافة وتحسين ظروف المعيشة المادية والروحية ، والاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها الرائعة وبالشكل السديدة لقنونها وآدابها ، ومساعدة مختلف القوميات ، خاصة

الاقليات القومية ، على النضال ضد الامراض الضارة ، وعلى الحفاظ على النوع لكي يتاح لهم الاسهام في زيادة عدد سكان الوطن .

● تدريب وتكوين عدد كبير من الكوادر ومن المثقفين من الاقليات القومية ، بهدف توفير الظروف التي تكفل لكل القوميات أن تحقق في كل يوم تقدماً جديداً ، وأن تسهم في ادارة وتسيير الشؤون الادارية والحكومية للبلاد .

النقطة الثالثة :

● احترام الدين البوذي والحفاظ عليه وتوحيد مختلف الاديان للاسهام في تحقيق وحدة كل الشعب وفي دعم القسوة الوطنية للمقاومة المعادية للامريكيين من اجل الخلاص الوطني .

● مقاومة ومعارضة كل الدسائس الخربة والهادمة للامبرياليين الامريكيين وخدمهم ، ضد الديانة البوذية ، خاصة تحريفهم وتشويههم لمبادئ البوذية ، ومعارضة ومقاومة سيطرتهم على الكهنة الذين يجبرونهم على العمل في سبيل غاياتهم الاجرامية ، ومعارضة تدنيهم وانتهاكهم لحرمة المعابد البوذية والتي جعلوا منها أماكن للترويج لحضارة وثقافة منحرفة ومفسدة ، وعملهم على اشاعة الفرقة بين مختلف الطوائف البوذية . معارضة ومقاومة دسائس الامبرياليين الامريكيين وخدمهم التي تهدف الى بذر الشقاق بين مختلف الاديان .

● احترام الدين البوذي والحفاظ عليه ، والحفاظ على الطهارة والصرامة وعلى حرية ممارسة الكهنة لشعائهم وقيامهم بالتبشير ، وصون المعابد البوذية ، ودعم الوحدة والعون المتبادل بين الكهنة البوذيين ، وكذلك بين أتباع مختلف الطوائف البوذية ، ودعم وتقوية التضامن بين القسوس وبين اتباع الاديان الاخرى .

النقطة الرابعة :

● ضمان الاحترام الكامل لحقوق السكان وحياتهم الديمقراطية ، وتوفير الظروف التي تتيح لهم أن يطوروا كل يوم حقهم في أن يكونوا سادة بلادهم ومصائرهم .

● ضمان حرية الانتخاب والترشيح لكل مواطن لاوس من الجنسين ، وحرية عقد الجمعيات وتكوين الجماعات ، وحرية الاجتماع وحرية التظاهر ، وحرية الكلام وحرية الصحافة والنشر ، وحرية الاعتقاد وضمنان حرمة الجسد لكل مواطن في لاوس ، وحرمة املاكه الخاصة ، وحرمة الاموال المنقولة والثابتة وسرية المراسلات وحرية الانتقال ، وحرية العمل وحرية السكن .

● مقاومة ومعارضة كل سياسات ومناورات خدم الامبرياليين الامريكيين ، التي تهدف الى اعتقال وسجن وقمع ونهب السكان ، خاصة سياسة التفرقة العنصرية والقمع والارهاب التي يمارسونها ضد المواطنين ، وسياسة تكديس واعتقال السكان بهدف انشاء ما يدعى « مراكز اللاجئين » وقرى الاتحاد ، ومنساقق التنمية « وغيرها ، وسياسة اجبار الناس على الانخراط في الجيش لخدمة مناورات عدوان الامبرياليين الامريكيين ، ولحماية المصالح الشخصية لخدم الامريكيين واستئثارهم بالقدرات المادية والبشرية للشعب . المطالبة بتصفية كل « مراكز اللاجئين » وكذلك تصفية كافة اشكال الرقابة والتقييد على حريات الناس فيها يسمى « قرى الاتحاد » ومناطق التنمية « وغيرها ، والتي تتناقض تماماً مع مصالح الشعب . المطالبة باطلاق سراح الوطنيين المسجونين .

النقطة الخامسة :

● تحقيق المساواة بين الجنسين ، وتطوير دور وقدرات النساء في كل مجالات النضال المعادي للامريكيين من اجل الخلاص الوطني ، وفي بناء البلاد .

● تحقيق المساواة بين الرجال والنساء في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وتشجيع ومساندة ومساعدة النساء على الاسهام في مختلف نشاطات النضال من اجل الخلاص الوطني وبناء البلاد ، وبذل أقصى اهتمام بحماية صحة النساء ، ووقاية النساء الحوامل ، والامهات المرضعات والاطفال .

● الفاء كافة المراسيم والقوانين التي تزدري وتقهر النساء ومساعدة النساء بصورة نشيطة وتشجيعهن بكل الطرق على التعليم الثقافي والسياسي وكذلك في دراستهن لمختلف الفروع المهنية الملائمة بهدف اتاحة الفرصة لهن للاسهام بجدارة في النضال المعادي للامريكيين من اجل الخلاص الوطني وبناء البلاد .

● بذل أقصى عناية بتدريب وتربية الكوادر النسائية ، بما فيها كوادر الاقليات القومية ، بهدف تعبئة كل القوى النسائية في العمل الثوري المشترك للامة جمعاء .

النقطة السادسة :

● تشكيل حكومة وطنية للاتحاد الوطني تكفل السيادة الوطنية وتخدم مصالح الشعب .

● مقاومة ومعارضة استيلاء الامبرياليين الامريكيين وخدمهم على الجهاز الاداري والحكومي لفينتيان ، والذي

خولوه إلى جهاز الخدمة السياسية
الاستعمارية الجديدة العدوانية .

● تشكيل حكومة ديمقراطية للاتحاد
الوطني ، تكون المثل الحقيقي لمصالح
شعبنا المتعدد القوميات بأسره وللأوس
المستقلة ذات السيادة ، وتطبيق سياسة
بناء البلاد عبر طريق السلام والاستقلال
والحياد والديمقراطية والوحدة والازدهار

● انتخاب الهيئات الإدارية على مستوى
القرية والكوميون ، واختبار ونمسين
الوطنيين الحقيقيين الذين نذروا أنفسهم
للمشعب في مختلف المستويات الإدارية ،
خدمة لمصالح الوطن والشعب .

● انتخاب برلمان حقيقي بالاشتراح
الشامل ، ليمثل مصالح مختلف القنات
الاجتماعية لشعبنا المتعدد القوميات ،
بمقتضى القانون الانتخابي الصادر في
١٩٥٧ .

● تعليم العاملين في الحكومة وبصفة
منتظمة حب الوطن والارتباط بالشعب ،
وروح المسؤولية ، وكذلك تدريبهم على
التخصصات المطلوبة في عملهم في كل
المستويات والمصالح . اعادة واستئصال
كافة أنواع سلب أموال السدولة
واختلاسها ، وكل استبداد للسلطة ،
وكذلك كافة أعمال القهر والاستغلال .

النقطة السابعة :

● انشاء قوات مسلحة وقوات أمن
وطنية وشعبية حقا ، قادرة على الدفاع
عن الوطن وعن أمن الشعب وسلامته .

● مقاومة ومعارضة وضع الامبرياليين
الامريكيين وخدمهم لايديهم على القوات
المسلحة وقوات البوليس في فينيان ،
والتي حولوها الى قوات مرتزقة واداة
للعنوان ضد بلادنا ، ومعارضة ومقاومة
انشاء واحداث فصائل السكوماتدور
« القوات الخاصة » التي تستخدم في
نشر الاضطراب والتهب في صفوف
شعبنا .

● انشاء قوات مسلحة وطنية مشكلة
من قوات نظامية ، وفرق اقليمية ،
ومبليشيا ، وفرق « حرب العصابات »
وقوات بوليس شعبي ، تذر نفسها
لخدمة الوطن ، وتحوز قوة قتالية كبيرة ،
وتستطيع انجاز مهمتها في تحقيق الخلاص
الوطني والدفاع عن البلاد .

● تعليم كوادر ومقاتلي القوات المسلحة
وقوات البوليس حب الوطن والارتباط
بالشعب ، وروح النظام وخدمة الشعب
بطريقة منتظمة . السهر والاعتناء بالتدريب
التكتيكي والتكتيكي وبالتفكير للكوادر
والمقاتلين وكذلك بطرق معيشتهم المادية
والعنوية ، والعناية بالجرحى ومشوهي
الحرب ومساعدة أسر من جادوا بحياتهم .

النقطة الثامنة :

● اقامة وتطوير اقتصاد ومالية قوميين
ومستقلين ، وتحسين مستوى معيشة
الشعب وتحقيق ازدهار وتقدم بلادنا خطوة
خطوة .

● الغاء كافة اشكال التدخل والتقييد
والاجبار التي يمارسها الامبرياليون
الامريكيون ، وبصفة كافة اشكال الاحتكار
والاستغلال الاقتصادي التي تقوم بها
السلطات وخدم الامريكيين . الغاء نظام
الاستيلاء على الاراضي والمياه والغابات
وكذلك مختلفات نظم « كوانج لام »
[شكل من اشكال الاستغلال القطاعي]
والقيام بحملة لتخفيض ايجارات الاراضي
واسعار استئجار المواشي ومعدلات
الفائدة .

● اقامة اقتصاد ومالية مستقلين
ومزدهرين ، يشملان الصناعة والزراعة
والغابات والتجارة والنقل والمواصلات
والقناة والعمل ، على اساس من تنمية
الطاقات الكامنة لثروانا الطبيعية وبروح
« الاكتفاء ذاتيا اعتمادا على قوانا
الخاصة » ، في محاذاة البحث عن مساعدة
خارجية لاتقترن بشروط سياسية ، بهدف
سد احتياجات نحسين مستوى معيشة
شعبنا وبناء بلادنا .

● تطوير الزراعة والغابات بشتات
واسنمرار ، وعلى الدولة ان تتيح للفاس
وان تساعد على البدء في تطوير
الذي الزراعي ، وتطوير اساليب الزراعة
وتربية الماشية ، واستغلال منتجات
الغابات مع حماية هذه الاخيرة ، ومساعدة
الاقليات القومية في المناطق الجبلية
على الاستقرار في اكثر المناطق ملائمة
لتطوير واستقرار الانتاج الزراعي .

● اقامة وتطوير الصناعة بصورة
نشيطة ، وانهاض المهن الحرفية من عثارها
وتوسيع نطاقها ، باستخدام الاشكال الثلاثة
التالية : مشروعات الدولة ، وشجيع
المشروعات الخاصة او المختلطة .

● تطوير وتنمية التجارة الداخلية في
محاذاة تطوير التجارة الخارجية ، وعلى
الدولة تنظيم لداول وتوزيع السلع ،
وتشجيع ومساعدة تجار القطاع الخاص ،
خاصة في توسيع نطاق التجارة ومده
الى الاماكن النائية والمتفرقة ، وفي نفس
الوقت تطبيق سياسة جهركية سلمية
وتنظيم التجارة الخارجية .

● اقامة اقتصاد ومالية مستقرين وعاملة
مستقلة ، وتطبيق سياسة عادلة ومعقولة
للضرائب ، وسياسة توفير هازمة وسياسة
سليمة للأسعار تتيح تحسين وتشجيع
الانتاج ، وضمان تنفيذ ميزانية الدولة
بما يكفل لها المساهمة في تحسين ظروف
معيشة الشعب .

● تطوير طرق النقل والمواصلات في

كل البلاد وبصفة خاصة زيادة انشاء
الطرق وتوفير وسائل النقل في المناطق
الجبلية . وعلى الدولة ان تستثمر وان
تشجع المشروعات الخاصة على تنمية
وتطوير النقل والمواصلات لتسهيل انتقال
السكان وحفز الانشطة الاقتصادية
والثقافية .

النقطة التاسعة :

● تطوير ثقافة وتعليم لهما طابع وطني
وتقدمي ، ورفع المستوى الثقافي والعلمي
وتطوير الصحة العامة وتحسين الحالة
الصحية للسكان .

● النضال ضد الثقافة المخرفة والمفسدة
عبر الاصيلية وضد التعليم المسموم ،
الذي يهدف الى خدمة السياسة
الاستعمارية الجديدة للامبرياليين الامريكيين

● حفز حركة تعليم الاميين بهدف
الاستئصال التدريجي للامية بين السكان
واقامة وتطوير مدارس التعليم الابتدائي
والثانوي ، واقتراح وتطوير المدارس
التكنيكية والمهنية وانشاء مختلف فروع
التعليم العالي خطوة بعد اخرى ، ووضع
المواد والبرامج ذات الطابع الوطني
والتقدمي على ان يكون التعليم بلغة
لاوس في كل المراحل وفي كل الفروع ،
وتوجيه التلاميذ والطلاب الذين يدرسون
بالخارج وبصورة صائبة ليصبحوا عناصر
صالحة قادرة بدورها على خدمة الوطن .

● تطوير ادب وفن لها طابع وطني
تقدمي ، والحفاظ على العادات والتقاليد
الرائعة للأوس وكذلك على الآثار التاريخية
لمختلف القوميات . والقيام بحملة لبناء
حياة جديدة . ومساعدة بعض القوميات
على خلق لغتها الخاصة المكتوبة مع ترويج
ونشر لغة لاوس القومية بصورة نشيطة
وشاملة . ومساعدة المثقفين والفنانين
ورجال الادب على تطوير ملكاتهم وطاقاتهم
لخدمة الوطن والشعب .

● تدريب وتثقيف الكادر الصحي ،
في محاذاة اقامة نظام من المستشفيات
والمستوصفات ، ودور رعاية الامومة
ومراكز توزيع الادوية يصل حتى اقصى
الاماكن النائية .

● القيام بحملة لتطوير حركة الوقاية
الصحية ، والحماية الطبية ، والنضال
ضد الاوبئة ، والتعليم الطبي والرياضة
وفي نفس الوقت ، السيطرة على بعض
الامراض الخطيرة [كالمالاريا ، والزهرى
والبرص ، ووفيات الاطفال] ، وذلك
للحفاظ على الجنس وزيادة عدد سكان
البلاد .

النقطة العاشرة :

● ضمان حقوق ومصالح الشعب ،
والسهر بوعي ويقظة على ظروف
معيشته ، ومساعدة ضحايا مختلف

الحوادث والكوارث : وتحقيق العدالة والتقدم الاجتماعي .

● السهر على تمكين فلاحي مختلف القوميات من زراعة أراضيهم « مزارع الارز » وتقديم المساعدات من ادوات الحراثة وغيرها الى الفلاحين الفقراء والمعدمين ، وتقديم العون والارشاد لكل الفلاحين فيما يتعلق بزيادة الانتاج والارتقاء الثقافي ورفع مستوى المعيشة .

● كفالة حقوق العمل للعمال والطبقة العاملة في المراكز الحضرية . ويتعين بالنسبة للعمال بصفة خاصة ، اصدار قانون العمل وتطبيق نظام للضمان والتأمين الاجتماعي ، وقيل كل شيء وضع نظام عادل للاجور ، وتقرير يوم عمل ذي ثماني ساعات ويوم راحة اسبوعية .

● زيادة وتطوير دور وموقف الشباب من الجنسين في النضال من اجل التحرر الوطني وبناء الوطن . وبذل اقصى اهتمام لضمان حقوق ومصالح الشباب من الجنسين في كافة المجالات ، حتى يستطيع ان يبذل كل جهوده ويقدم كل طاقاته في انجاز مهامه في خدمة الوطن والشعب .

● تحديد عمل مناسب للموظفين والكوادر والمستخدمين لدى الدولة كما في المشروعات الخاصة ، وزيادة قدراتهم الثقافية والمهنية باستمرار ، ووضع نظام عادل للاجور .

● توفير العمل للشباب ورجال القوات المسلحة الذين تركوا الجيش ليتاح لهم ضمان حياتهم .

● القضاء على خطر القحط الذي يهدد بعض الاقاليم وتطوير العون المتبادل بين مختلف القوميات ، وفي الوقت نفسه على الدولة تنظيم الرعاية الاجتماعية لمساعدة ضحايا الكوارث الطبيعية والقحط وبصفة خاصة ضحايا الحرب .

● بذل الرعاية والعون لضحايا الامراض الاجتماعية ، واتخاذ الاجراءات الوقائية الملزمة ضد الرذائل الاجتماعية ، اعادة تربية الاشخاص الذين اصابوا بعسوى الثقافة المتحرقة ، ومساعدتهم على ان يكسبوا عيشهم ، وعلى العودة الى الطريق السوي والاسهام في بناء الوطن .

النقطة الحادية عشرة :

● حماية مصالح مواطني لاوس في الخارج وضمان الحقوق المشروعة للرعايا الاجانب الذين يقطنون لاوس .

● حماية مصالح مواطني لاوس في الخارج من اي اذلال او قهر ، وضد اي مصادرة ليس لها ما يبررها .

● معاملة كل الرعايا الاجانب الذين يحترمون سيادة لاوس معاملة شريفة

وعادلة ، وتوفير الحماية لمصالحهم المشروعة ، وتقديم العون والمساعدة لهم في حالة تعرضهم للصعاب ، وتقديم الشكر والعرفان لهم لمساهماتهم الحميدة في اقامة علاقات الصداقة مع بلادنا ومساهماتهم في الدفاع عن لاوس وبنائها .

النقطة الثانية عشرة :

● اتباع سياسة خارجية محبة للسلام ، مستقلة ومحيدة ، اقامة علاقات التضامن والصداقة مع الشعوب والحكومات المحبة للسلام والعدل في العالم .

● مقاومة وهزيمة كل محاولات التدخل والعدوان على بلادنا بكافة صورها ، من قبل الامبرياليين الامريكيين وقوى العدوان الاخرى .

● اتباع سياسة خارجية مستقلة تهدف الى صون السيادة الوطنية والاستقلال والوحدة والتكامل لاراضي لاوس .

● التعايش سلبيا وفي اطار الصداقة واقامة علاقات دبلوماسية مع كل البلدان التي تلتزم باحترام استقلال وسيادة وتكامل اراضي لاوس .

● تدعيم وتقوية التضامن والصداقة والتعاون على قدم المساواة على المدى الطويل مع الامة الفيتنامية وامة خبير في النضال المشترك ضد الامبرياليين الامريكيين المعتدين من اجل الخلاص الوطني ، وصون الاستقلال والسيادة القومية وبناء الوطن .

● قبول المساعدات غير المقسونة بشروط من كافة البلدان دون تمييز بسبب نظامها السياسي والاجتماعي ، وفق مبدأ المساواة والقائدة المتبادلة .

● الاحترام والتطبيق الدقيق لاتفاقيات جنيف حول لاوس والمعقودة في 1954 و 1962 ، واحترام المعاهدات والاتفاقيات المعقودة مع كل البلدان والتي تتفق مع مصالح لاوس .

● الغاء كافة النصوص في المعاهدات التي لا تتفق مع مصالح امة لاوس .

● الابتعاد عن الاشتراك في أي تحالف عسكري ، وعدم السماح لأي بلد باقامة قواعد عسكرية اجنبية على اراضي لاوس او استخدام اراضيها في العدوان على بلد آخر وعدم الاعتراف بحماية أي كتلة او تحالف عسكري عدواني .

● تدعيم التضامن والصداقة مع كل الشعوب المحبة للسلام في العالم .

● مساندة ودعم حركة التحرر الوطني في بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

● مساندة وتدعيم كل حركات النضال من اجل السلام والديمقراطية والتقدم الاجتماعي لشعوب العالم .

ان الاهداف السياسية والسياسات الانتقالية عشرة الكبيرة المذكورة عالية، تتفق تماما مع التطلعات الوطنية وتحمي وتصور بصورة كاملة مصالح الوطن ومصالح كل الفئات والقوميات في شعب لاوس بأسره .

والجبهة الوطنية للاوس تدعو كل الموظفين والكوادر والمثقفين في كافة الهيئات وتهيب بكل القوات والجيش ، وكل فئات شعبنا المتعدد القوميات ، وتدعو كافة الشخصيات الوطنية والمحبة للسلام ، الى تدعيم التضامن فيما بينهم للنضال بحزم لاجبار الامبرياليين الامريكيين على وقف كافة اعمال التدخل والعدوان ضد بلادنا ، وسحب المستشارين والعسكريين والاسلحة ومعدات الحرب الى خارج لاوس وترك شعب لاوس يعيش حياة ملؤها السلام وبناء البلاد في طريق السلام والاستقلال والحياد والديمقراطية والوحدة والازدهار .

وطالما ان الامبرياليين الامريكيين وخدمهم لم يتخلوا بعد عن رغبته في العدوان والخيانة الوطنية ، وطالما استمروا في تخريب سلام واستقلال وديمقراطية ووحدة لاوس وأصروا على سد الطريق امام تحقيق الاهداف والسياسات المذكورة آنفا على النطاق الوطني . فاننا مصممون هيبعا بثبات وحزم على تدعيم التضامن الوطني فيما بيننا وجعله اشد قوة وثماسكا ، للنضال من اجل وتدعيم المنطقة الحرة وجعلها قاعدة ونقطة انطلاق اشد قوة وباسا ، لتخطيم مناورات الامبرياليين الخبيثة وتحقيق النصر الكامل عليهم .

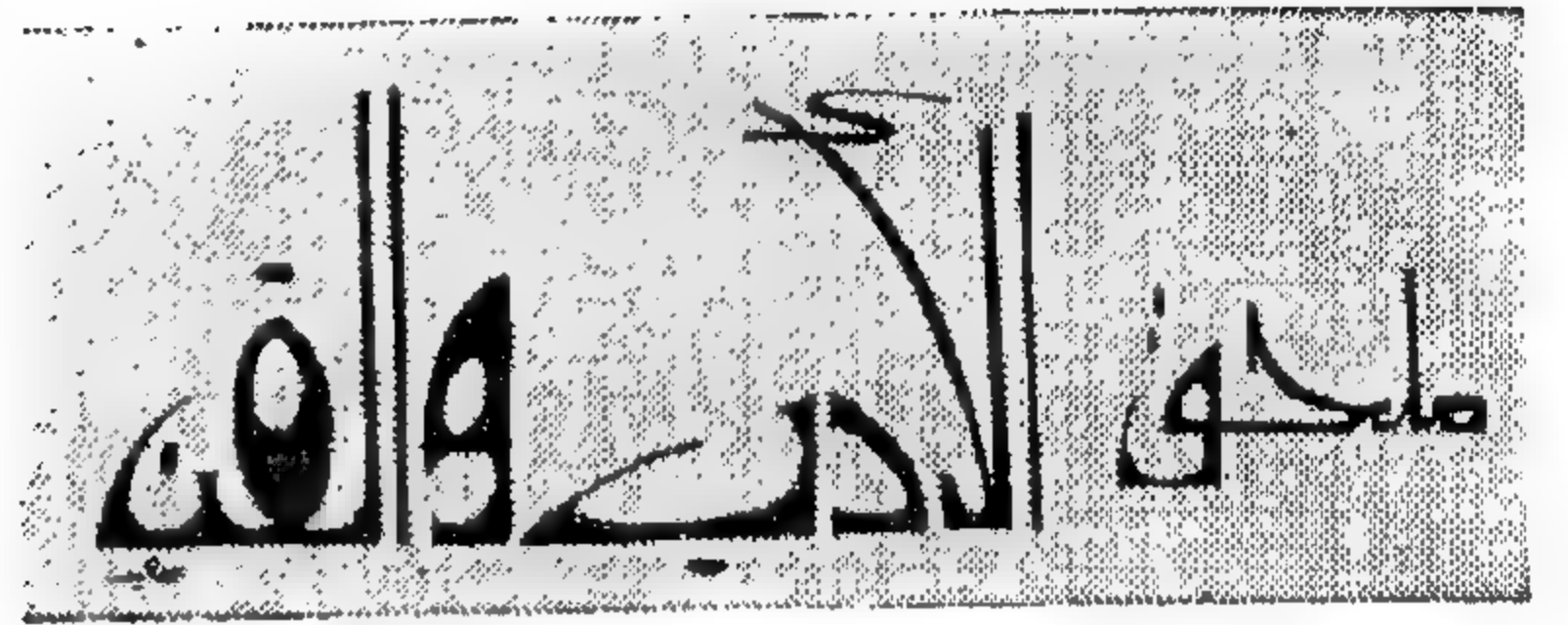
ان الجبهة الوطنية للاوس تدعو كافة الشعوب والحكومات المحبة للسلام والعدل في العالم ان يساندوا بنشاط النضال المعادل لشعب لاوس ، وتهيب بهم ان يتخذوا الاجراءات اللازمة لوضع حد لكل اعمال التدخل والعدوان التي يقرنها الامبرياليون الامريكيون في لاوس ، لكي يتركوا لشعب لاوس يقرر بنفسه شئونه الداخلية الخاصة .

ان النضال العادل لشعب لاوس الذي يحظى بتأييد ودعم نشيط من الشعوب المحبة للسلام والعدالة ، سينتصر بكل تأكيد !

كما ان البرنامج السياسي للجبهة الوطنية سيتحقق حتما لاشك في ذلك !

وعلى شعب لاوس ان يوحد صفوفه وقواه ليناضل بحزم ضد الامريكيين ، من اجل الخلاص الوطني وبناء لاوس محبة للسلام ومستقلة ومحيدة وديمقراطية ومزدهرة !

الطليعة



العدد السادس — يونية ١٩٧٢

خوفاً من عبد الحميد
«رسالة بغداد»

أدب الستينات (الحلقة الثانية)

- ③ تعليقات زرقاء الإمامة على بجين العصر
④ السوحيه .. والفتن

يشرف على التحرير :

د. لطيفة الزيات

غالى شكرى

سمير فريد

صبرى حافظ



صلاح عبد الصبور



أحمد حجازى

في هذا العدد

(الحلقة الثانية)

ادب المستنجات

● تعليقات زرقاء السمامة على جبين العصر

● الوجه .. والقناع

قصة قصيرة : « الفلانة »

قصيدة : عن الموت والطقوس الاخيرة في بلاط شهربار

رسالة بغداد : خوفا من غد لا تريده

سينما : ابزنشتاين

مسرح : مغامرة راس المملوك



أدب الستينات

يواصل

الملحق في هذا العدد دراسته التي بدأها في العدد الماضي عن جيل الستينات ٠٠ وهي دراسة تستهدف اكتشاف رؤى وتصورات هذا الجيل الجديد الذي قطع رحلته مع المعرفة والتكوين خلال الخمسينات ، ثم حاول مع بدايات الستينات أن يطرح معاناته ورؤاه في أعمال متفرقة يتحسس من خلالها الطريق لاستكناه الذات القومية ٠٠ فلما تجاوز منتصف الستينات أخذ يجمع هذه الاعمال المتفرقات في دواوين شعرية أو مجموعات قصصية ، تطرح على أفق الادب المصري استجابات جيل جديد للحساسية الجديدة التي تخلقت خلال رحلة حلم الشخصية المصرية بالاستقلال وهو يجابه مشكلات التحقق ٠

ويهدف الملحق من خلال هذه الدراسة الى تقديم رؤى هذا الجيل بدراسته لاعمال « عينة » ممثلة لاغلب تياراته ومبلورة لاهم رؤاه وأبرز انجازاته ، دراسة تحليلية تؤمن بأن الادب مصدر من مصادر الحقيقة وشاهد رائع على النبض العميق للخطوة الحضارية التي يصدر عنها ٠ وتستطيع لذلك أن تستخلص منه صورة للامع الشخصية المصرية في هذه المرحلة الهامة من تاريخها وأن تتعرف على صبواتها وهمومها وأن تستشرف مستقبلها ٠

واذا كانت هذه الدراسة قد قدمت في عددها السابق تناولا نقديا لاعمال الشاعر محمد عفيفي مطر والقصاص يحيى الطاهر عبد الله فانها تقدم في هذا العدد دراسة لاعمال الشاعر أمل دنقل والقصاص جمال الغيطاني لتضيف من خلالهما مجموعة جديدة من الملامح والابعاد للصورة العامة لرؤى هذا الجيل وانجازاته ، ولتستكمل الرحلة في بقية اجزاء هذه الدراسة في الاعداد القادمة ٠



أدب الستينات .. تقييم شامل للموجة الجديدة

ايتهما النبيية المقدسة ..
لا تسكتي .. فقد سكت سنة فسنة
لكي أنال فضله الامان
قيل لي « اخرج »
فخرست .. وعميت .. واثمتت بالخصيان
« أمل دنقل »

تعليقات زرقاء اليمامة على جبين العصر



غالى شكرى

ما أيسر أن نقرأ شعره ونردده ونلقّبه أحيانا ، ولكننا ما لم نغض البصر عن صورته المثيرة ونلوى الأذن عن موسيقاه العذبة لن نحصد أنضج الثمار المخبوءة في ثنايا اللفظة الطازجة وطوايا اللحظة العابرة . ان أمل دنقل شاعر خادع للوهلة الاولى - التي يتوقف عندها لاسف القطاع العريض من القراء والنقاد - فهو يبهرك بمجموعة ماثلة من التوابل الجاذبة للحواس الخمس ، ولكنك لاونجوت بعينك من الاحداث الحريفة التي اختارها ميدانا لابداعه الفنى لاستطعت أن تجنى ما هو أروع من أزمة الضمير والاحساس بالذنب وغيرها من المشاعر التي يهلل لها البعض كلما قرأوه ، وهم بذلك يظلمون الشعر والشاعر ولا ينصفون أنفسهم من الوهج الذي يوقعهم في المصيدة والغشاة التي تجرهم الى الشباك .. عنيت مصيدة المشاركة السطحية والتلقى الساذج . انها شعرة رفيعة حقا ، تلك التي تفصل شعر أمل دنقل في غالبية عن « نظم » النواح الحزيراني المزيف ، ولكن تبين هذه الشعره والامساك بها هو الذى يحصل بيننا وبين السقوط فى القفح المنسوب سلفا .. سواء من طريقة بناء الشاعر لرؤياه ، أو من طبيعة المناخ الذى يظل حياتنا بغمامة ثقيلة لا تمطر ، أو من شسدة اسرافنا فى استعذاب الالم على أيدي أشباه الشعراء .



أمل دنقل

انسجام العلاقات بينها انسجاما بصريا
وسمعيا تعرفه الطبيعة وراء كل قوض
وعشوائية .

اصوات لها قاريخ

بالرغم من أن العلاقة الجدلية بين
الرفض والمفروض حلقتها الرئيسية هي
الرفض ، فإنه ليس من المحتم لهذه العلاقة
أن تتناسب طرديا أو عكسيا بصورة
جبرية . غير أننا على صعيد الجمال
نتلمس اختلافا واضحا بين تجربة الرفض
وتجربة المفروض ، أيضا كانت الاسباب
التي تربط بينهما سلبا وإيجابا . ولربما
كانت تجربة المفروض التي يتناولها شعر
أمل دنقل بالتجسيد الفني أكثر أو أقل
دلالة على ماهية الرفض ، ولكن ما
يعني هنا هو مدى وفاء الشاعر
بالتزاماته الفنية نحو هذه التجربة التي
اختارها - وعاشها - دون غيرها .
اننا نصادف في المقطع السادس من
«يوميات كهل صغير السن» (٢) ذلك الذي
يطرق باب صديقه في منتصف الليل «كل
الابواب ، العلوبة والسفلية تنفتح الا
بابه» وكذلك في المقطع الأول من
«حكاية المدينة الفضية» (٤) يطرق
باب المدينة يطلب ظلا «قل كلا» . ربما
كانت هاتان هما صورتان المباشرتان
لوضع «المفروض» في شعر أمل دنقل ،
ولكن هذا الوضع يتخذ عيدا من الصور
على طول هذا الشعر تتركز عادة في
«انعكاس» فعل الرفض على ذات
المفروض وتفاعلهما ، على غير النحو
الذي كان يمكن أن تؤدي إليه تجربة

وطريقة الشاعر في بناء رؤياه هي
المدار الذي سنتحرك حواليه برفقة ديوانى
أمل دنقل «البكاء بين يدي زرقاء
اليمامة» (١) و «تعليق على ما حدث»
(٢) ولعلنا لا نجانب الصواب اذا قلنا
أن «التجربة» في هذا الشعر من
عناصره البارزة ، أى أنها من العوامل
التي وجهت الشاعر نحو هذا الأفق دون
ذاك من آفاق الرؤيا الحديثة . والتجربة
التي أركز عليها هنا لعلنا لا علاقة لها بما
اعتدنا تسميته «القضية» أو «الموضوع» ،
وانما هي وثيقة الارتباط بالتسيج الذي
تتشابك خيوطه من دورة الفن والحياة ،
وهي الدورة السابقة على الابداع الفني
مباشرة وفيها تتلاقى جدليا كل مافدعوه
بمعاصر الموهبة والثقافة والبيئة والوراثة
والتكوين النفسى والانتماء الاجتماعى .
على ذلك أقول أن تجربة أمل دنقل تكاد
تكون نقیضا لكلمات الانجيل في معايرة
اليهود «ان الحجر الذي رفضه البناعون
قد صار رأس الزاوية» إشارة الى
موقفهم من المسيح ، موقف الرفض الذي
تطرف بهم واستدرجهم الى صلبه ، ولكن
ها هو ذا يقوم من بين الاموات صاعدا
الى ابيه الذي في السماء ، وهما هي دعوته
تبقى من بعده يلتف حولها المؤمنون رغم
الاهوال حتى ليصبح اسمه شاهدا
تاريخيا على ظلم أولئك الذين رفضوه .
تجربة شاعرنا المعاصر تقف على الطرف
النقيض من تجربة هذه الاسطورة الشعرية
القديمة ، لان الحجر الذي رفضه البناعون
- فى عصرنا الحديث كما يراه أمل
دنقل - لم يصبح حجر الزاوية ، وانما
ظل حجرا فقط منذ أصابته عينا ميدوزا
بنظرتها السحرية ومنذ تحولت امرأة
لوط الى عمود من الملح . الانسان
«المفروض» هو تجربة الشاعر حقا ،
ولكن دون ذلك التفاضل الخفى الذي قد
يداعب المفروض يوما بأن يصير أكرم
الاحجار في رأس الزاوية .
هذه التجربة هي التي وجهت الشاعر
نحو أفق محدد في الزمان والمكان من
آفاق الرؤيا الشعرية الحديثة . هذا
الأفق هو الترحل خارج الذات فى الفضاء
المحيط بها ، وهو الفضاء الذى ينعكس
مناخه - غياب الحرية - على الذات فتقيم
حوارا مع العالم ، ولكنها تضع لهذا
الحوار نقطة الانطلاق ونقطة الختام .
لذلك كان حوار أمل دنقل فى جوهرة
حرارا مقطوعا ، يتناقض خلاله الحس
الغنائى الذى تجسده الانا مع الحس
الدرامى الذى يجسده الآخر . ولأن الواقع
الخارجى هو دنيا الشاعر ، فان اصوات
هذا الواقع تتعدد تعددا مذهلا يكاد
يجعله أغنى شعرائنا بالاصوات المتباينة ،
ولأن الواقع الخارجى هو دنيا الشاعر
مرة ثانية ، فان صورته تخضع لشبح

«الرفض» حيث ينفرد صوته ويتفخّم
وتسيطر على أفقه موضوعات الرفض فى
هيئتها المجردة ورؤاها الشبئية الطاقية
على سطح الواقع وإيقاعها العالى الرنين
غير المتصل بالفتحات الدفينة فى عمق
الأعماق . شاعرنا يجسد «وقع»
الرفض على الذات بغير انفصال عن
الموضوع ، لذلك يقيم حوارا مع العالم ،
تتعدد الاصوات فى شعره دون أن يفقد
صوته ، حتى ولو كان هذا الصوت صمنا
بين صوتين ، أنه «حاضر» حتى فى
غيابه . ولأن «الذات» محور رئيسى فى
قصيدة أمل دنقل فإنها تجيء فى الغلب
قصيدة غنائية ، ولكن تعدد الاصوات فى
عالمها يتحول بها من البساطة الى
التركيب ، يتحول بها الى الدرامية ،
ويزيد من قدرة الشاعر على الانسلاخ عن
ذاتيه - لا عن ذاته - خلال عملية
الخلق . هكذا تتمتع قصائده بقدرة من
الموضوعية الفنية من شأنها تقليب
الظاهرة موضع الرفض على كسافة
الوجه ، والابتعاد - من ثم - عن
النظرة الاحادية الجانب . هكذا ايضا يزدى
تعدد الاصوات بالضرورة الى تعدد
الصور من مقطع الى آخر فى القصيدة
الواحدة حسب الزاوية التى يرى منها
الصوت المتكلم ، للدرجة التى يبدو فيها
كل مقطع وكأنه قصيدة واحدة . وهنا
يبدأ الصوت الرئيسى دوره كخيوط واحد
ينتظم هذه الاصوات والصور جميعها فى
نسق واحد هو الإيقاع الشامل للقصيدة .
ولأن هذه الاصوات فى شعر أمل دنقل هي
اصوات «الخارج» ، الذى تقيم معه
الذات حوارا ، فهي اصوات واضحة
ومتميزة ، انها ليست مرآيا خارجية
لصوت الشاعر الداخلى ، وانما هي
اصوات مستقلة متكاملة الملامح
والسمات ، لهذا فهي ليست آئنة وان
تبدت لنا فى شكلها ، كما انها ليست
أخيلة حلم فى البقطة أو المنام وان تشكلت
أحيانا بوحى من فن الكاريكاتير أو من
نسيج الكابوس (٥) . ولأن الصورة فى شعر
أمل دنقل تابعة فنيا لمصادرهما الصوتية ،
فاننا نلاحظ على كل صورة بمفردها بكل
مقطع على حدة انسجاما يكاد يكون
منطوقا ، يتسلسل عبر حدوده مروية
بضمير الصوت المتكلم أو الغائب أو
المخاطب . زمن القصيدة له كينونته
المستقلة اراديا عن أزمنة الاصوات التى
تتحرك داخلها ، بل ارد أن أقول أن حركة
القصيدة تغاير حركة هذا الصوت أو
ذاك ، انها حركة الوعي الذى يتولد خلال
تلقينا للقصيدة كلمة كلمة ، وزمن
القصيدة لذلك هو هذا التفاعل غير المرئى
بين تكوين القصيدة والتجربة التى
يتناولها الشاعر بالتجسيد . وتجربة
الانسان المفروض ، على شمولها ، هي

[١] صدرت طبعته الاولى عام ١٩٦٩ عن دار الاداب اللبنانية - بيروت .

[٢] صدرت طبعته الاولى عام ١٩٧١ عن دار العودة البيروتية .

[٣] من «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة» .

[٤] من «تعليق على ما حدث» .

(٥) لا أقصد بالكابوس هنا ذلك النسيج العلمى غير المستويات ، فالشاعر لا يستخدمه بهذا المعنى فى «بناء»

قصيدته وانما هو يلجأ الى ما يثيره اللفظ من أحياء الرعب المتواصل عبر الليل والنهار .

تجربة زمنية ، لا جدوى من اغفال « التوقيت » بين عناصرها الهامة . ولكن هذا لا يعنى مطلقا أن أمل دنقل يكتب مادرجيا على تسميته بشعر المناسبات (٦) . كذلك « النظم » الذى كتبه غيره غداة الهزيمة ، وإنما المناسبة فى شعره « حدث » يتصل الوثيق بالاتصال بتجربته وتجربة عصره العربى الحزين . غير أن هذا الحدث ، مهما كانت عظمتة ، يحدد للقصيد دائرة لا تتجاوزها ، ولا يعنى هذا مرة أخرى أن الأثر العام للقصيد مهدد بحدود هذه الدائرة . أن هذا الأثر يعتمد - قوة وضعفا - على المدى الذى تصل إليه بصيرة الشاعر ، أى على طبيعة الرؤيا التى ولدتها تجربته ، وطريقة بنائها . وفى شعرنا المعاصر نعرف عددا من الشعراء « يتكلمون » عن المطلق والميتافيزيقا « كلاما » لا يتمدى أثره بحال دائرته اللفظية المجنطة ، كما نعرف عددا آخر من الشعراء الذين ينطلقون فى شعرهم من حوادث جزئية ، مادية ومحسوسة ، ولكن أثرهم يتجاوز تلك الدائرة الضيقة الى أفاق أكثر رحابة وعمقا . وليس ذلك بالطبع قانونا ، فالعكس صحيح أيضا . بل أن مخاطرة التعامل الشعري مع الحوادث العابرة هي الأكثر رجحانا . ومن هنا كانت الأهمية البالغة للتأكيد على أن شعر أمل دنقل فى أغلبه الأهم قد نجا من هذا الزلق الخطر .

والاصوات التى يمرج بها عالم الشاعر لها تاريخ ، ليست كلها بهذا المعنى الحيوانا « تاريخية » وإنما قصدت أن لها تراخيا مع تجربة « المرقوض » عبر التاريخ الإنسانى عامة وتاريخنا القومى خاصة والتاريخ الشخصى على وجه أكثر خصوصية . أن أمل دنقل لا يحدثنا عن المرفوضين ، وإنما هو يحدثنا عن نفسه بصفته واحدا منهم . هكذا تكتسب القصيد فى شعره بعدها العام من خلال ذلك الجدل الدائر بينه وبين خمسين اسما أسطوريا وإواليا ، قديما وحديثا ، معروفنا ومجهولا . وهى أسماء قد يجيء ذكرها عابرا وقد يجيء عنوانا لحسب وقد يجيء على شكل تعريضة أو على هيئة اللعنة أو من قبيل الأرهاب أو الخواية أو الحبش . والحوار مع هذه الأسماء يتشكل وفق البنية الخاصة لكل قصيدة ، فهو حينما مناجاة أشبه بالصلاة ، وهو أحيانا مقاضاة أشبه بالادعاء ، تارة يعلو الصوت من فوق مثذبة وثارة ينخفض كأنه حساب المكين فى جوف مقبرة أو هو يستتر بالهمس السحري كما فى طقوس العبادات القديمة ، أو يندغم فى غيره من الاصوات الملتبسة فى مظاهره ، هو طائر

يغنى « صولو » وكورس يعلق عليه دون أن يراه ، هو سؤال وجواب أو سؤال يجيب على سؤال أو جواب يسأل الجواب . هذه الأسماء هي دون ترتيب خاص « مازن جودت أبن غزالة - سبارتاكوس الاسكندر - سبزيق - قيصر - هانيبال - الشيطان - الحسين - الحجاج - ابن سلول - زرقاء اليمامة - سليمان - زياد بن أبيه - المعبدان - بنلوب - أحمر - أوزوريس - هاتور - ايزيس - يوسف - زيلخا - العزيز - أبو موسى الأشعري - المنبى - كافور - سيف الدولة - خوله رجاء - آدم - هيلانة - الله (أو الرب) - الحسن الاعصم - قطر الندى - خمارويه - أم كلثوم - رباب - شهر زاد - شهریار - برور - الثناء - ابن هند - الخنساء - أسماء - شجرة الدر - نجم الدين - لويس التاسع - صبيح - صلاح الدين - عبدالناصر - أبو الهول » . ان هذه « الشخصيات » الخمسين لا تترادف عدد الاصوات التى تضطرم بها دنيا الشاعر أو تجربة المرقوض ، فبعضها مجرد ظلال لشخصيات لا يأتى ذكرها علنا ، وبعضها الآخر يتكامل صوته مع الحدث والمكان والصورة والايقاع وغير ذلك من أدوات تجسيم « الحضور » . وإنما هذه الأسماء مجرد اشارات الى مصادر الاصوات التى يحاورها الشاعر من موقع اللحظة التاريخية التى يعيشها فى إطار تجربة « الرفض » . بعض هذه الاصوات يقف موقف الشاعر والبعض الآخر يقف على الطرف النقيض ، والبعض الذى يقف معه لا يصدر بالضرورة فى وقفته عن نفس الإلهام الذى يدفع الشاعر الى الرفض . وتعيد الاصوات فى شعر أمل دنقل يتخذ اشكالا أربعة رئيسية هي الحوار والاقنعة والتضمين والاستعارات التراثية . وتتخذ هذه الاشكال بدورها ستة أوضاع رئيسية هي : ● صوت من الداخل وآخر من الخارج فى وقت واحد ● صوت من الامام والآخر من الخلف وثالث بينهما صامت . ● صوتان على جانبي صوت صامت . ● صوت لغير الشاعر يتقمص لسانه وينطق به . ● صوت رئيسى واصوات ثانوية . ● اصوات مدغومة نلج فى وقت واحد كسكان برج بابل . ● والعلاقة الجدلية بين أحد الاشكال الأربعة لتمدد الاصوات وبين أحد الأوضاع الستة التى يتخذها الصوت هي التى تحدد لنا حركة القصيدة ، زمنها الداخلى . هذا الزمن الماكس لطبيعة التجربة ومكوناتها الأساسية .

الرفض : لماذا وكيف ؟

فى « بكائية ليلية » (٧) يتوجه الهدف

بين صوت الشهيد وصوت الشاعر ، موت الاول كان جوابا على سؤال المبر الذى عاشه معا ، رصاصته كانت سؤالا اجاب عليه الصوت الثانى بسؤال جديد : « أسقط فى عارى بلا جراك »

أسأل أن كانت هنا الرصاصية الاولى ؟
أم أنها هناك ؟ !

هكذا تولد التناقض رقم وحيدة الهدف ، وهما صوتان مستقلان ، ولكن أحدهما ينبع من الداخل والآخر من الخارج ، بينهما « حوار » ولكنه حوار التناقض ، وهو فى صميمه حوار مقطوع باستشهاد الصوت الاول وحيرة الخبي الصارخ فى البرية . كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٦٨ ولكنه قبل ذلك بست سنوات كان صوت شهيد آخر هو سبارتاكوس يتقمص صوته على نحو يضئ لنا حيرته وعذابه . أن وضوح الهدف البعيد قد يفضى الى الشهادة ولكنه بالقطع ليس حلا جاهزا أو ضريا من المعجزات . أنه فى « كلمات سبارتاكوس الاخيرة » [٨] يجسد لنا نجاتيف الصوت أن جاز التعبير ، فهذه الكلمات تعلم ابنه « الانحاء » ، وهو هنا يستعير من الانجيل تطويب المسيح للدعاء لانهم يرثون الارض . ويضيف ما يقلب الآية فيما يشبه المعارضة الشعرية « لانهم لا يشفقون » . أن صوت سبارتاكوس الحقيقى هو القائل :

« معلق انا على مشائى الصباح
وجبهتى - بالموت - محنية
لأننى لم أحنها .. حية !

وحين يصل بنا الشاعر الى « قرطاجة » التى كانت ضمير الشمس وتعلمت الان معنى الركوع ، نستبعد روما من خيالنا ويحل « الوطن » مكانها ، ويتلاشى ثقمص الصوت القديم ليحل مكانه الصوت الجديد :

« فخلف كل قيصر يهتوت
قيصر جديد !

وخلف كل نائر يموت : أحزان
بلا جدوى .. ودعوة سدى !
هذان الصوتان لا يلى غزالة وسبارتاكوس يفرقان بين ميدانين للنضال من أجل الحرية : أحدهما يقول بحرية الحدود والآخر بحرية الانسان ، وكلاهما يبلغ به وضوح الهدف درجة الاستشهاد ،

(٦) هذه التسمية تحتاج الى مراجعة شاملة ، فإذا كان المقصود هو ذلك « النظم » الذى غرق فيه جانب كبير من الشعر العربى ويتميز بقسودته الخاوقة على الزوال السريع ، فإن هذا ليس شعرا ، أما اذا كانت « المناسبة » هي الدافع النفسى أو الديكور الخارجى للقصيدة ، فإن ما تولد عنها هو الجدير بالنظر فيما اذا كان شعرا أم لا بغض النظر عن هذا الدافع أو هذا الديكور .

[٨٠٧] من « البكاء بين يدي زرقاء اليمامة »

في « ظمأ .. ظمأ » (١٢) غير أنها تؤدي دورها في تحريك الصمت الواقع بين صوتين على جانبي الشاعر ، وهما صوتان ندان لبعضهما البعض من زاوية الرؤية التي اختارها ، زاوية التساوي المطلق بين اتقنمين ، بدليلهما عند هذا الصمت :

« أهلى الغرباء .. »

عثروا بي مع الصبح ، أهذى
بغيبوبة الموت ، محتقن الوجه ،
خاوى الوفاض

يتفتت حلقي لقطرة حب ..

غير ان الينابيع جفت بعيني ،
والبحر غاض ..

والشطوط العراض ..

تتناهى ..

ويهوى البياض ! ..

وتتداخل الاصوات تداخلا مذهلا في « العشاء الأخير » (١٤) ولما ندين من بينها اصوات أولئك الفرسان الذين غدوا مع أيام الرعب شاميل حوجة ينطق منها يوم الخوف حتى أن أوزوريس لم يعد قادرا ، كما أن أيزيس لم تعد قادرة ، على بحث الحياة في المومياء التي جفت في شرايينها ينابيع الحياة . وكما كانت « كلمات سبارتاكوس الأخيرة » و « الأرض والجرح الذي لم يفتح » نبوءة بما كان تقمصها الشاعر صوت الشهيد الروماني رارتدي قناع الحجاج ، فانه قبيل الهزيمة بثلاثة أشهر كتب قصيدته حديث خاص مع أبي حسي الأشعري ، فيستعير وجهه تارة ويستعير نشيد الانشاد تارة (أخرى ويأخذ في قلبه وجهي العملة فلا يرى - أو لعله حينئذ يرى بوضوح - هذه الرؤيا : عام تحترق فيه السنايل والضروع ويلقى الأطفال الثرى وتنقلب العيون والافواه مصديد الصمغ وتاكل الامهات أطفالهن . لقد حاول الاشعري أن يرد للمؤمنين الرأي والبيعة فخلع خاتمه وسيدده . ولكن الخدعة كانت بانتظاره على يدي الطرف الآخر الذي ثبت خاتمه وسيدده . هكذا ينعكس صوت الاشعري القديم على ذلك الذي شاهد « الجريمة » في عصرنا ، ولكنه لم يعد قادرا على تحمل اعباء الشهادة ، فسار ولم يهتم ، ثم يفتح الفم : على غير هذا النحو بعض « مذكرات المتقبي » (١٥) ولكنها



صلاح عبد الصبور

أنا الذي أقصيت عن مجالس
الفتيان :

أدعى الى الموت .. ولم أدع
للمجالسة « (١٠) »

هكذا تتضح تجربة الرقص قصيدة بعد قصيدة ، فاستعارة عيني زرقاء اليمامة تدفع الشاعر لأن يرى الهول قبل وقوعه ، ولكن صوته يتبدل في هواء الذين لا يسمعون الا أنفسهم ، فهم يرفضونه وقت أن يكون ثمن القبول هو احتمال النصر ، وهم يقلبونه بعد أن صفوه من الداخل تصفية اليمامة ثمنها المحتم هو الهزيمة . والهزيمة ليست تاريخا محددا بيوم ، وإنما هي رؤيا شاعرنا تاريخ موصول قبل وبعد ، كما تلحظ في تلك المفارقة الصارخة بين « السويس » و « القاهرة » في قصيدته التي دعاها باسم المدينة الأولى (١١) ، والمفارقة وحدها هي التي تحرك الموجة الدرامية في القصيدة رغم غنائيتها المرفقة .. على النقيض من « أيلول » (١٢) التي تندغم فيها الاصوات اندغاما يحتمل التناغم والتنافر كالسنة تبللت فوق برج بابل ولكنها تعزف في بلبلتها لحن الفجيعة المدمرة . وفي « يوميات كهل صغير السن » يتصدر الصوت الرئيسي قيثاره الشاعر ، ولكنه يفسح مكانا سخيا لمجموعة من الاصوات الثانوية التي بانلها الرقص حتى مات العالم في قلبه . والتضمين ليس اقوالا ماثورة عن اصوات مضت ، وإنما قد يلجأ الشاعر الى « التضمين » باصوات لا يعرفها سواه كما

ولكن صوت الشاعر المعذب بمعنى الحرية لا يتسق مع الصوت الاول ولا مع الصوت الثاني مكتفيا برسالة يوحنا المكدان غير ناس أن رأسه - مع هذا - قدمت على طبق ! المهم انه رغم أن قصيدة « كلمات سبارتاكوس الأخيرة » تتقدم القصيدة الاولى بست سنوات ، فانها جاءت أكثر تركيبا ، فربما كان تبادل الحوار بين صوتين في « بكائية ليلية » أحدهما داخليا والآخر خارجي أقل تعقيدا من حالة « التقمص » التي جاءت عليها القصيدة الاخرى . ذلك أنه ليس تقمصا تقريريا مباشرا ، وإنما هي حالة يترك فيها القناع بصمته على الوجه بحيث يستوجب الأمر تبين ملامح الوجه الاصيل من الوجه المستعار . ان كتابة هذه القصيدة له دلالة على أصالة الصوت الدامي في باطن الشاعر ، ويتكامل عمق هذه الدلالة حين يكتب عام ١٩٦٦ « الأرض والجرح الذي لا يفتح » (٩) حول تلك التي « لا النيل يغسل عارها إلقياسي .. ولا ماء الفرات » ، وهو على طول هذه القصيدة يستجلب اصواتا ثانوية لا حصر لها من قيصر الى الحسين الى قريش والانسار ، ولكن أبرز الاصوات هو ذلك الصوت الذي يصاحفنا ثلاث مرات فقط كأنه « مرتيل » بين مقاطع القصيدة ، صوت الحجاج وقناعه المهزوز . وتكاد الخاتمة - مع ذلك - أن ترادف نهاية سبارتاكوس في تساؤل الشاعر الذي يبدو لنا كصوت ثانوي « يا أرض ! هل يلد الرجال ؟ » . تتكامل دلالة القصيدتين في أن الشاعر بعد هزيمة ١٩٦٧ لم يفتح رؤياه بل كان امتدادا أصيلا وصارفا لتجربته قبل كارثة حزيران ، بل نتجاوز هذا المعنى القريب ونقول أن هذه التجربة تعكس خللا مزمنيا في كيان الوطن سابقا على الهزيمة وتاليا لها . لذلك كان صوت الشهيد وصوت النبي وصوت المستبد البادل وغيرها من الاصوات التي مثلتقى بها هي مجموعة من الاختيارات المفروضة من جانب « الواقع » الخارجى بحيث « يرى » الشاعر - أو لا يرى - انطلاقا ؟ - سوى الظلمة المظلماء التي تعبر عنها وقفته العزلاء أمام زرقاء اليمامة « بين السيف والجدار » والعزلة هنا هي الصمت بين صوتين ، أحدهما أمامه ينادي النبوة المقدسة الا تصمت لان صمته الحلويل كلفه أن يؤم بالخصيان ، والصوت الثاني من خلفه يجهر زاعقا :

« دعيت للميدان ! »

أنا الذي ما نذقت لحم
الضأن ..

أنا الذي لا حول لى ولا
شأن ..

(٩) من « البكاء بين يدي زرقاء اليمامة »

(١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣) من « البكاء بين يدي زرقاء اليمامة »

(١٤ ، ١٥) من « البكاء بين يدي زرقاء اليمامة »

تقضى الى النتيجة عينها ، فحالة التقمصن التي تصبغ فيها صوت الشاعر متلبسا بقناع المتنبي يتبادل فيها الصوتان حوارا مع عالمها :

« عيد بأية حال عدت يا هيد ؟ »

بما مضى ؟ أم لارضى فيك تهويد ؟

« نامت نواظير مصر » عن عساكرها

وحاربت بدلا منها الاناشيد :

ناديت : يا نيل هل تجرى المياه دما

لكى تفيض ، ويصحو الاهل ان نودوا ؟

« عيد بأية حال عدت يسا عيد ؟ »

ان هذه الاشكال الصوتية واوضاعها في ديوان الشاعر الاول لا يكاد يطرا عليها أى تغيير فى ديوانه الثانى من حيث المنهج الفنى فى التعبير ، ولكننا سنحاول متابعة تجربة المرفوض حتى « نهاية المساء » البارزة فى الديوان الثانى بروزا شديدا .

نهاية المرفوض .. لا نهاية المرفوض

بالرغم من أن أمل دنقل يقلب كافة أوجه الظاهرة بما يستضيفه من أصوات خارجية ، فإن حوارها معها مقطوع بتلك الظلمة الداجية على عالمه ، بحيث أنه رغم تمسسه - وتحسنا معه - هذا الوجه أو ذاك ، فإنه لا يرى ، ولا نرى معه ، سوى اللون الواحد لكافة الوجوه ، اللون الاسود الذي تبدو معه كما لو كانت وجها واحدا يطالعا في صرخة الطفل الذي يفتح عينيه على مرأى الجنود ، (١٦) ، وفي انتظاره خلف النوافذ الزجاجية يرقب عند المغرب الشاحب و طائر الغائب (١٧) والحيرة بين السيف والحيلة لانقاذ قطر

الندى (١٨) ، والطيران الذي يلاحق الحمامة البيضاء فوق قبة الجامعة ورأس الجسر حتى يرى جناحها عند الفجر ملقى « على قساعة التمثال فى المدينة (١٩) » ، والجندي العائد بساق صناعية من ميدان لم يعرف الحرب (٢٠) والرسائل البديلة للقتال « نبلغها أهلنا فى بريد الاذاعة » (٢١) . تلك هى النهاية التي يصل اليها المرفوض مع نفسه من ناحية ، وبين نفسه والعالم من ناحية أخرى . لذلك كان الحوار الذي يتخلل القوام الغنائى للقصيد حوارا مقطوعا ، لا يصل الى أقصى مداه ، سواء باللقاء بين التقائض أو الانفصال الكامل بينها . غير أن الشاعر كان أمينا حين جعل هذه الخاتمة ذات التنوعات المختلفة ، نهاية للمرفوض لا نهاية للرفض ، فالدورة الجبلية من هذه الزاوية تظل أبدا مفتوحة .

وربما كانت ثيمة « المرأة » فى شعر أمل دنقل من أقدر الثيمات التي بلورت هذه الرؤيا فى تجارب جزئية خصبة . اننا نخالط المرأة فى شعره حاضر وغائبة فى حوالى ثمانى قصائد على الأقل . انها فى « يوميات كهل صغير السن » (٢٢) صرت مشروخ تتقاسمه الرغبة والرفض ، فتحل مكانهما الوحدة المروعة التي يعانيتها الكهل منذ انفردت بالغرفة . وفى « موت مغنية مغمورة » (٢٢) صوت مذبذب على مائدة اللقمة غير الميسورة . وفى قصيدة « الموت فى لوحات » (٢٢) لا تفاجئا احدى ابنتى لوط بمضاجعته ، ولكنه يفاجئنا بعد أن « اختلجت فى طينها بشارة التكوين » بموته . وفى « بطاقة كانت هنا » (٢٢) لا تنجو الحبيبة من مدينة الخراب حتى اذا غابت وأضاعت عنوانها ، لأن طفلها قادم من انقاض هذه المدينة . وفى « الحزن لا يعرف القراءة » (٢٣) يعود الصوت المذبذب ليرطب الندى المزيف حبلا انقطعت للابد . وفى « بكائية الليل والظهيرة » (٢٢) تتقاسم الصوت المرأة الافعى ووجه الراهبة ، والمفارقة تدوب مع طلاء عيني الأولى ومضاجعة الأخرى لصورة العذراء . و « فى الوقوف على قدم واحدة » (٢٣) تنكره دون أن يصيح الديك مرة واحدة ، وفى « رباب » (٢٣) تحرص عليه لدرجة الهرب منه . هذه المرأة ذات الالف وجه ، رافضة ومرفوضة ، هى ثيمة « عاكسة » لوضع المرفوض من مختلف الزوايا ، فهو ليس مرفوضا

رفضنا مجردا « من القيم » ، وليس مرفوضا رفضا محمدا « بالانتماء » ، وانما هو مرفوض رفضا شاملا من اكبر العموميات الى أدق الخصوصيات . ولعل هذا ما يفسر لنا طبيعة الصورة الشعرية عند أمل دنقل ، فهى صورة مطروقة بالصوت من ناحية ، وبالحدوتة من ناحية أخرى ، وبالفكرة من ناحية ثالثة ، لذلك تجرى فى غالبيتها صورة عقلية ومنطقية ، وبالتالي فجزيئاتها مختارة من مستوى الوعى .

هكذا يبدأ الشاعر تركيب الصورة من الكلمات ذات البعد الواحد ، بل انه يجرى الكلمة اذا احتوى تكوين حروفها على أكثر من بعد من أية احياءات غير مباشرة ، يجردها من ثيابها الاسطورية أو التاريخية اثناء السياق . لهذا قلما يلجأ الى الصورة المكثفة المكونة من كلمتين مثلا ، وانما هو يعمد الى تعرية المفردات بقسوة بالغة ، تبشر القول حقا ، ولكنها تجرح بلا شفقة أو تردد . حينئذ تحتاج منه الصورة فى أغلب الاحيان الى بناء يشغل حيزا واسعا من الكلمات ، فهو لا يحتاج الى ايجاز الصورة أو اختزال تركيبها اللغوى رغم الطول المتوسط لقصائده . انه يكثر مثلا من استخدام أسماء الامكنة حتى يرتبط زمان الصورة الجسم فى خيالنا عبر الصوت أو الاصوات الحاضرة فى القصيدة بالمكان الذى تتحرك داخله . ان خمسا وعشرين مكانا على الأقل نلتقى بها فى المدن والاحياء والاقطار التي تتجول فيها أصوات الشاعر وقد انسقت ذنوباتها مع صور هذه الامكنة : « القدس - الاردن - القناطر الخيرية - ارم العماد - بابل - دمشق - طيبة - المنصورة - حطين - النقب - القاهرة - روما - قرطاج - المزة - باب زويلة - السويس - الاسكندرية - سدوم - الاربعين - طروادة - حلب - اريحا - بيزنطة - بور توفيق - السرق » . وسوف نلاحظ أن أسماء الامكنة كأسماء الشخصيات التي أشارت الى مصادر الاصوات ، تنتمى الى الواقع والاسطورة ، الى التاريخ الشخصى والتاريخ الوطنى والتاريخ الانسانى . وهى باعتبارها « مكانا » تختلف علاقتها بالقصيدة عن علاقة الشخصيات من حيث أنها عناصر أولية فى تركيب الصورة ، بينما أسماء الشخصيات عناصر أولية فى تركيب الصوت ، ولكنهما معا يشتركان فى سمة أساسية هى أنها ليسا رموزا « الى » ولا كنساية « عن » ، وانما هما حضور واع مستقل فى تجربة

[١٦] قصيدة « فى انتظار السيف » بديوان « تعليق على ما حدث » .

[١٧] قصيدة « فقرات من كتساب الموت » بديوان « تعليق على ما حدث » .

[١٨] قصيدة « الحداد يلقى بقطر الندى » بديوان « تعليق على ما حدث » .

[١٩] ، (٢٠) قصيدة « صفحات من كتاب المصيف والشتاء » بديوان « تعليق على ما حدث » .

[٢١] قصيدة « مبهمة عصرية » بديوان « تعليق على ما حدث » .

[٢٢] هذه القصائد كلها فى ديوان « البكاء بين يدي زرقاء اليمامة » .

[٢٣] هاتان القصيدتان من ديوان « تعليق على ما حدث » .

المرفوضين ورؤياه للعالم • الصورة أيضا لها كينونتها النوعية المستقلة عن رؤية الشاعر وبصره ، وما يحيط به من مرقبات في الواقع المادى المباشر ، ولكنها تتكامل مع حركة القصيدة في رؤيا شاملة لهذا الواقع تستكشفها بصيرته بعيني زرقاء اليمامة في لغة الاسطورة ، أو الاشعة في لغة العلم • وتلك هي المفارقة الاولى في نظام الكلمات عند أمل دنقل ، انه يستخدم لغة الحياة اليومية على نسق مغاير لما تعارف البعض على نسبته الى الواقعية الاشتراكية ، وانما هو يستدرج بهذه اللغة الوجدان الاجتماعى العام الى أعماق أبعد غورا من الهتاف السطحي الساذج (٢٤) • هكذا لا يستنكف الشاعر أن يستخدم تعبيرات مثل « أقراص منع الحمل - الآلة الكاتبة - شرائط التسجيل - اللغائف القطنية - الخزائن الحديدية - زجاجات الخمر الفارغة - مفارش الموائد - زجاج الباب - الحطام الخشبي ، جنباً الى جنب مع تعبيرات تحتل المجاز والاستعارة والتشبيه مثل « النهر الدموي - زناة الترك - الراية المنكسة - النبوءة الدموية - أروقة الاشباح المزدحمة - الرايات المتكددة - النبض الوحشي - مقبرة الصمت - حبال الصمت - كوب الصمت المكسور - الازمنة الهيشم - زمن السكنة - الزمن العنيد - الزمن الضائع - بحيرة اللهب - مركبة الزرقعة اللهبية - كوب اللهب - اللحظة المتهبة - المنحدر الثلجي - رحلة السراب - محابر الضياع - مدينة الخراب - الوطن العدو - مجلس الاموات - أمراء المدينة - مبخرة الرعب - الخبز الحجري - حرب تحت الجلد - الرغرة الجوفاء - فراش الهم المضمور - الاميرة المغلولة - كبد الاشياء - بحيرة الزئبق » • هذه كلها ، كما قلت ، مجموعة من التعبيرات ، وليست صوراً بحد ذاتها ، وانما قصدت أن الشاعر يستخدم التعبيرات المتداوله جنباً الى جنب مع التعبيرات غير المباشرة باعتبار أنه ليست هناك كلمة شعرية وأخرى ليست كذلك ، وانما نظام الكلمات في القصيدة هو الذى يكسبها طاقتها الشعرية • على أن هذا لا ينفي الدلالة الخاصة لاكثره من استخدام هذه التعبيرات دون غيرها ، كذلك انحدت البرحى من المفردات « المذيع - الرضاصة - المشتقة - المجريدة - الموت - الفناء - الجمجمة - الصحراء - البحر - العنكبوت - الحبال - الدم - النياشين - السلطان - العار - الليل - الأعدام - الاطفال - العيف - الرمال - الجدار - الحمل - الجوع - الجيل - الدخان - الثوب - الخف - السم - الأرض -



أحمد عبد المعطى حجازى

الرماد - العجوز - القواقع - السماء - المقابر - الفقاقيع - العطش - الرياح - النباح - العواء - الجسد - الدوائر - الذراع - الشفاء - الذباب - الشرطي - الشهيد - المرأة - الفرسان - الخصيان - الحمامة - المسدس - الوطن - النيل - القنبلة - الجثث - المهزوم • ان هذه المفردات لا تأتي هكذا مصادفة في القصيدة من قبيل التداعى أو الاضطراب الوزنى أو لزوم القافية أو استكمال حرف الروى ، انها تجيء وفق تصور معاش لتجربة المرفوض الذى يتخذ رفض الواقع له « شكلاً » عملياً هو اعتقال اللسان وحصار الامعاء في مواجهة الدعارة عقلاً وبدناً ، حسداً وروحاً • لذلك يجسء العمود الفقرى لمعجم الشاعر من مفردات « الحرية » في حضورها وغيابها والنضال معها وضدها والاستشهاد من أجلها والموت دونها وبلا شئ ، على كافة المستويات والواجه المجردة والمجسدة ، الفردية والاجتماعية •

ينهج الشاعر في تركيب صورته نهجا موازيا لاسلوبه في تركيب الصوت على نحو يهدف بعضاً من قصائده بجو المعادلات الذهنية ، وأحياناً يختفى هذا التوازى تماماً مما يهدف بعضاً آخر من القصائد بالغنائية الخالية من الحس السدراى المركب • وهو الحس الذى نستشعره فى معظم قصائده الكبيرة مثل « كلمات سبارتاكوس الأخيرة » و « العشاء الأخير » و « حديث خاص مع أبى موسى الأشعرى » و « من مذكرات المتنبي فى مصر » و « يوميات كهل صغير

السن • • وفى هذه القصائد وغيرها يبنى أمل دنقل صورته الشعرية يستلهم من يبحث عن قطة سوداء فى غرفة مظلمة : جثة الشهيد « تسقط فى ظلال الضفة الأخرى » وترجو كفننا • (٢٥) و « البحر كالمصحاء لا يروى العطش » (٢٦) والقاهرة - على النقيض من السويس - « تضىء فيها الواجهات فى الحوانيت ، وترقص النساء •• على عظام الشهداء » (٢٧) ويطرز الصوت بصورة المرفوض حين يموت ، بالحدونة المروية بضمير التكلم ، بالفكرة ، هكذا :

•• واحتفظت باسمائه ••

كل يوم اذا طلع الصبح : أخذ واحدة

أقذف الشمس ذات المحيا الجميل بها ••

وأردد : « يا شمس ، اعطيك سنته اللؤلؤية ••

ليس بها من غبار •• سو نكهة الجوع !

رديه ، رديه •• يرو لنسا الحكمة الصائبة »

ولكنها ابتسمت بسمة شاحبه ! •

ان المرفوضين ليسوا جميعاً من الراضين ، ولكن الشاعر بتركيزه على عناصر الواقع الخارجى انما يركز فى الوقت نفسه على المرفوض الذى تصدر مكونات وضعه من خارجه ، فهو ليس مرفوضاً لأسباب ذاتية (أخلاقية ، بيولوجية •• الخ) وانما لأسباب موضوعية كامنة فى البناء الاجتماعى والسياسى الذى يسكن داخله • وهذا هو الوجه الايجابى فى تجربته ، ولكن هذا المرفوض يكتفى بالتفسير دون التغيير (تغييره هو لا تغيير المجتمع فتلك مهمة غيره من المواطنين ، وان كان تغييره الداخلى غير معزول عن تغيير الواقع الخارجى) وهذا هو الوجه السلبي فى تجربته • والايجاب والسلب يتجاوران فى بناء الصورة الشعرية فيما يعرف بالمفارقة التى تقيم بدورها

[٢٤] هنا يجب أن نذكر الأثر الإيجابي الفعال لشعر صلاح عبد المصبور الباكر ، خصوصاً قصيدتيه الرائعتين « رحلة فى

الليل » و « الظل والصليب » .

[٢٥] من قصيدة « بكائية ليلية » بدبوان « البكاء بين يدي زرقاء اليمامة »

[٢٦] من قصيدة « كلمات سبارتاكوس الأخيرة » بالديوان المذكور .

[٢٧] من قصيدة « السويس » بنفس الديوان .

حوارا - وان يكن مقطوعا - بين الذات والعالم .. وهذا مرة أخرى هو التوازي المحكم بين الصوت والصورة في بناء القصيدة ، انهما يتآزران معا في تجسيم الحيرة الضارية بين حرية الحدود وحرية الانسان ، بين حرية الفرد وحرية المجتمع . والشاعر يكاد يهيس بانه لا انفصال بين دائرتي الحرية ، ولكنه يحدس بغياهما معا وضياح المرفوضين لا ثوريتهم .. فالضياح هو الثمرة المرة لثلك الحيرة المروعة .

ايقاع الرفض بين

التعويذة والحكمة

يبدو شعر أمل دنقل في جملته « صرخة فزع » من هول الحلم الكابوسي المتحقق على أرض الواقع جحيما بغير مطهر ولا فردوس . والشاعر لا يجمع انقاض الارض الخراب ليبنى مدينة جديدة ، ولكنه يكتفى بالتعديق والتعريض على صرخة واحدة هي « لا » . هذا يفسر لنا انه يستخدم الكلمة ذات البعد الواحد في بناء الصورة الشعرية ، وكذلك التعبيرات الدارجة على لسان الحياة اليومية ، والتعابير غير المباشرة ذات اللحن الجنائزي ، لكي يجسم ملامح الوجه الدميم الجدير بأن يكون هو الوجه المرفوض - وهو مرفوض بالفعل ! - لولا أن الانسان والمجتمع والحضارة قد هيأت له مكانا يرفض منه - هو ؟ - الآخرين الذين يجراون على قوله « لا » . ان الوجه القبيح الذي يجيد الشاعر تصويره ليس مقصورا على رمز بشري بعينه (٢٨) ، وانما هو يتجاوز هذا المعنى القريب الى دلالة أوسع تشمل خواء المجتمع ، و « بنائيه » الذين يهدمونه . تلك هي المفارقة التي يصوغها أمل دنقل بمهارة بالغة ، ان الحجر لم يرفضه البنّاءون ، وانما رفضه الهدّامون ، فلم يصر رأسا - ولا ذيلا - للزاوية ، وانما ظل حجرا في صمته - وصراخه - شهوة التحقق ، شهوة التخليق في بنساء قرفضه الانقاض . هكذا يصبح الحجر المرفوض طرقا والانقاض المتراكمة طرفا آخر ، والصراع بينهما هو ذلك « المشهد » المساري حقا ، ولكنه يحول دوننا والتظهير او التثوير ويبقينا على حافة « التمرد » ممزقين ضائعين .

من هنا (٢٩) يبني الشاعر تجربته على وسائل الموت (عن بطولة أو ذالة يستوى الامر) ، يبنينا أحيانا ديا لوجيا موحد الصور ، وحد الايقاع ، كما في « كلمات سبارتاكوس الأخيرة » حيث يسيل الصوت الذي تقمص الشاعر جاريا في نهر تشبك الرثايات على صفحته المنسابة مع ذبذبات الريح اللعونة فتتهز ذوائر صغيرة أو كبيرة ، ولكن هذا الاهتزاز لا

والمشهد وسبارتاكوس والقيصر في كافة المقاطع لا يتغير خلالها سوى ذلك الحوار المكتوم بين الشاعر والثائر حول مصير الراكعين والرافقين ، حوار ينهل ايقاعه من « الرجز » ، بسرعه المتمايلة ، ولكنه حين يبدأ المزج الاول :

« المجد للشيطان .. معبود الرياح

من قال « لا » في وجه من قالوا « نعم »

من علم الانسان تمزيق العدم

من قال « لا » .. فلم يمت ،

وظل روحا عبقرية الالم » .

فكانما نبدا رحلتنا معه بفاتحة جديدة مرتمة وفق الاثر العام لرحلة سبارتاكوس مع الشهادة ، بينما يجيء المزج الثاني « معلق أنا على مشانق الصباح » على نفس البحر الوزني ولكن بعد أن نالت منه الصورة الجديدة « اهتزاز » ، نغمية « متغلغل » تتساق مع طبيعة مشهد الموت . ان طبول الرقص التي تستفز النغم المقاتل ، تعود فترقب أوتارها مع النهاية الفاجعة . وفي « الارض » والجرح الذي لا ينفخ ، يلعب الشاعر لعبة مزدوجة ، فالقصيدة كلها على بحر الكامل تتخللها ثلاث فقرات من مجزوء السريع ، ولكنك تستطيع إعادة ترتيب الابيات بحيث يمكن تنسيق الايقاع على وزن الهزج . وهكذا يحرك الشاعر من الانضباط النغمية في اطار الصورة التي قد تختار لرؤيتها وضعا مختلفا عن الوضع الذي آثره الشاعر . غير أنك في جميع الاحوال ستلتقي نفس الاثر العنام للقصيدة . ولعل قصيدة « أيلول » من أبرز نجاحات الشاعر التي قابل فيها بين الصوت والجوقة الخلفية ، فالصوت يمضي في كافة الفقرات على وزن المتدارك ، بينما تهتف الجوقة بمجزوء السريع ، فيما عدا الفقرة الأخيرة التي يتصل فيها الصوت بالجوقة على وزن المتدارك .. ذلك لان الحوار بين الصوت والجوقة قد « انتهى » بالاتفاق رغم كافة الذبذبات المتوترة التي دارت رحاها على طول القصيدة : الاتفاق ليس وزنيا فصص ، انه التثام الصورة وتوافق الفكرة ، فالجوقة تنشد « هذا العام - أعطينا جرحانا آخر ما يملكه الصيف من الانسام - وبقينا في العهد المختنق البصوح - لكننا مسن كل ضريح - ننتظر الريح » وفي مقابلها

ثمنا يترنم الصوت « ننتظر الريح - من كل ضريح » (٣٠) . وفي « يرميات كهل صغير السن » يتبادل المتدارك مع الرجز مقاطع القصيدة ، اتساقا مذهلا مع طبيعة الصور الشعرية المتغيرة من مقطع الى آخر .. انه هنا لا يبني ديكورا موحدا ، وانما يبني للمقطع الواحد ديكوره الخاص من جزئيات حياة - أو موت - ذلك الكهل الصغير السن ، داخله وخارجه . وتتزاحم الاصوات هنا وهناك ، ولكنها تتعاون في استحضاره الصورة المواتية لحركة القصيدة من رخاوة المسجي على سريير الالام الى تلك الاجلام الراقصة في عيني الغمضتين أو في قاع الكاس . حين يبدأ المقطع الاول « اعرف أن العسالم في تلبس مسات » يصبح المتدارك طليقة المقطع حتى « لا يبقى منه سوى جمجمة وعظام » ، هو البحر الملائم . وحين يبدأ المقطع الثاني « تنزلقين من شعاع لشعاع » ، تفسح الرخاوة النائمة مكانا للحلم الراقص « الرجز » ، وهكذا يلينا عدا المقطعين المتتاليين (٣١ ، ٣٢) حيث يتتالي معهما المتدارك ، فالقدمة التي يتحسس فيها ذقنه الطافحة بشررا وجراحا تنتهي به :

« في الشوارع »

اتلاقي - في ضوء الصباح -

بظلي الفارع :

نتصافح .. بالاقدام » .

ثم يبدأ الرجز فتساوئه من جديد « حبيبتى في الغرفة المجاورة » مع خطوات حلم جديد ، يستيقظ منه وهو يطرق باب صديقه في منتصف الليل بلا أمل (متدارك) ، ويعود الرجز حين تدق اصابعها على الالة الكاتبة ، وهكذا يظل تبادل الايقاع مع تبادل الصور التي يللم جزئياتها الصغيرة كلمة كلمة من مفردات معجم الانسان المرفوض ، معجم حياته اليومية ، الباطنية والواقعية معا . وحين يختفي الحلم الراقص من القصيدة كلها يسود المتدارك قصيدة « ظنا .. ظنا » ، بغير زحاف يلجأ اليه الشاعر كثيرا ، أو يسيطر الكامل كما هو الحال في قصيدة « الحزن لا يعرف القراءة » ، حيث لا يختلف الحلم عن الواقع ، أو يستعصى على المرفوض كل شيء حتى الحلم الجميل . ان صرخة الفزع في شعر أمل دنقل ليست فصص نتيجة التضاد الفاجع بين الحلم والواقع ، انما أحيانا كثيرة رابضة في « الحلم » الكابوسي ، الذي

(٢٨) كما هو الحال مثلا في قصيدة صلاح عبد الصبور الشهيرة « عودة ذي الوجه الكئيب » .

(٢٩) بالرغم من أنني رجو القارئ أن يرافق البحث منذ البداية مع ديواني الشاعر ، الا أنني أكره الرجاء بالنسبة لهذا الجزء من البحث .

[٣٠] التقطيع هو إشارة الى تنظيم الشاعر للأسطر ، ولا علاقة له باكتمال البيت من عدمه .

الثالثة مباشرة ، فالعلم الذي
تكتسبه ٠٠ على سرادق العزاء ، الخ

أما أسلوب أمل دنقل في استخدام
القافية فلا يحتاج الى استشهادات
بمعناها ، انه يحاور بها ويداور لمجرد ان
ينسق ايقاعها مع الصورة والصوت
والفكرة . وهذا موقفه أيضا من حرف
الروى (٢٢) . أن الشاعر بموهبته
الفريدة يستغل هذه الأدوات التراثية
استغلالا حديثا يواكب تجربته ورؤياه ،
ولا ينزلق الى ثورع من السكاسيكية
الجديدة ٠٠ تماما كما هو شأنه في
استعارة الاصوات والصور من معرض
التاريخ الانساني ، لا يرمز بها لشيء
معاصر ، ولا يقصد بها العودة الى
التراث ، وإنما هو يستشعر في حضور
هذه الوجوه - قديمة أو حديثة - وجودا
يماظر وجوده ، أيا كان التطابق أو
التضاد ، فالحوار بينه وبين العالم هو
لب اللباب .

ان شعر أمل دنقل لا يعزينا
بملكوت على الارض أو في
السماء ، انه لا يصوغ لنا بديلا
من الواقع أو الوهم . وهو
أيضا لا يستفز رغبتنا في
نهش الذات واستعذاب الألم ،
ولا ينحدر بنا الى هاوية اليأس .
وانما هو يوقظ فينا غريزة التحدي
لذلك الصراع الدامي في عيوننا
بين الاطلالة على الحدود والنظر
داخلها ، بين اعداء الوطن
والوطن - العدو ، لعنا نعثر على
ذلك التركيب الواحد المبقرى الذي
يستطيع أن يحررنا منها معا
برصاصة واحدة قادرة على
اصابة الهدف المزدوج ٠٠ حينذاك
لا يصبح الموت بلا ثمن ، وانما
يمسى بديلا رائعا لضياح
المفوضين ، حينذاك أيضا تقبل
النهاية الحقيقية للدماة والتعب

الى غايتها يساعدها حرف الروى الذي لا
يستهن الشاعر بحيويته الدافقة (٢١) .

على لسان السكاري نسمع هذه الاغنية
القصيرة التي تنتصف قصيدة
« ظمأ ٠٠ ظمأ ، وفيها يقولون « يا
عيون النساء - اعطري اعطري - من ترى
تشتري خنجرى - لتخبئه في حقيبتها - ثم
تبقر بطن غريمها المومياء ، والاشطر
الخمسة تجيء هونا ضمن اصوات
أخرى أغلبها منفرد بضمير التكلم . لهذا
لا يتكرر « الموتي » مرة أخرى على طول
القصيدة ، لان الشاعر لم يستهدف به
تعزيمًا سحريا بقدر رغبته في تلوين
الاصوات المتداخلة مع صوته حتى لا تفقد
استقلاليتها ٠٠ على النقيض من الفقرة
الخماسية أيضا في « بكائية الليل
والظهيرة » حيث تتكرر مرتين - بمجزوء
السريع - هكذا « يادقة الساعات - هل
فاتنا ٠٠ ما فات ؟ - ونحن ما زلنا ٠٠
- اشباح آمنيات - في مجلس
الاموات ؟ ! » ثم قبيل النهاية « يا آخر
الدقات - قرلى لنا من مات - كي نحسى
دمه - ونختم السهرات - بلحمه
نقات ! » . وقضى قصيدة « من
مذكرات المتنبي » على وزن الرجز الذي
يقرأ لنا كالسريع ، فاحيانا « مستعلن
مستعلن مفعولا » ثم تتغير التفعيلة
الثالثة الى « فعلن ، أو فعل » وهكذا
الى أن يتداخل صوت المتنبي مع صوت
العصر والشاعر فيتحوّل الوزن الى البسيط
« عيد باية حال عدت يا عيد - بما
مضى ؟ أم لارضى فيك تهريد ؟ » وفي
« الحداد يلبق بقطر الندى » تقاسم
الجوقة تعليقاتها مع صوت المغنى -
مجزوء السريع - مرده أقوالها أربع
مرات تبدأ مولولة « قطر الندى يا خال -
مهر بلا خيال » وتنتهي دامية « قطر
الندى يا مصر - قطر الندى في الاسر ،
وفي قصيدة « الموت في الفراش » يبدأ
البيان ببحر الرمل « أيها السادة لم يبق
اختيار - سقط المهر من الاعباء ، -
وانحلت سيور العربة - ضاقت الدائرة
السوداء حول الرقية - صدرنا يلحمه
السيف ، - وفي الظهر الجدار ، أما
المقطع الاول فمن الرجز (وهو هنا يجسد
رقصا حزينا كرقصة الموت) يليه المقطع
الثاني بالتدارك حيث مشهد الموت في
الحياة وقد آلت نهايتها الجنائزية السريعة
في ابتاعات « سرحان يا سرحان » وهكذا
الى نهاية القصيدة في المقطعين الثالث
والرابع حيث يسودهما الرجز ويتخللها
مجزوء السريع . بل ان الشاعر يعتمد في
« لا وقت للبكاء » الى تبادل الرجز « لا
وقت للبكاء » مع السريع في الشطرة

يماظر الواقع . من هنا كانت بعض
قصائده نبوءة وبعضها الآخر مواكبة
وبعضها الاخير تسجيلا ، ولكنها جميعا
قصائد تاريخية حميمة الصلة بالواقع
الذي تعايشه تجربة المرقوض . تبدو كلها
قصيدة واحدة صحيحة المقدمات صائبة
النتائج ٠٠ وان كانت الصحة والصواب
هنا نسبيان في علاقتهما بالواقع الخارجى
ورجعات النظر الاخرى ، ولكنهما مطلقان
في علاقتهما ببناء القصيدة وتجسيرة
شاعرها ، بمعنى آخر هي تحمل في
ثناياها صدقا فنيا لا غش فيه بغض
النظر عن مطابقتها أو معارضتها للصدق
الاخلاقي .

قلت ان الصورة الشعرية عند أمل دنقل
في جوهرها صورة عقلية ، أى ان
عناصرها مأخوذة اساسا من مستوى
الروى ومرتبطة وفق منطق محدد ، ولكن
هذا الانسجام ينطوى بالضرورة على
عنصر « المفارقة » الذي يجيء مثيرا
للتوتر الدرامى ومحولا للتأثير الغنائى
الدافق الى صورة مركبة . في
قصيدة « الوقوف على قدم واحدة »
يرشف صاحب الصوت من « كوب
الصمت المكسور » ويطارد « فراش
الوهم المخمر » أى ان المفارقة تبدأ من
المفردة ذاتها ، ثم تتكامل مع المقطع
بكاملة حين يخفى « عورة هذا المتسول
الامير - وهو يحاور الظلال من شجيرة
الى شجيرة - يطالع الكف لعصفور
مكسر الساقين » . هكذا تنسجم مفردات
الصورة من خلال المفارقة التي تبدأ من
أدق التفاصيل الصغيرة الى الهيكل
الشامل للقصيدة ، موحيا بذلك التناقض
الناجم الصارخ في قلب الواقع
المحسوس ، المادى المباشر والمعنوى
المجرد على السواء . هذه المفارقة لا
تتخذ طريقا الى الصورة الشعرية عن
طريق المفردات والتعبيرات المكونة للشطرة
فالمقطع بالقصيدة فحسب ، وانما هي
تتخذ طريقا موازيا لمجموعة المرتبات
والجزئيات والدقائق المادية هو طريق
الايقاع . والشاعر هنا يلجأ الى نافذتين
أساسيتين هما : ● التقاطع الحاد بين
النغم الرئيسى في القصيدة والفقرات
القصيرة التي تتخلل المقاطع على
هيئة « حكمة » أو « تعويذة » يتمتم
بها أحد الاصوات كنوع من « الاصرار »
أو « الترحم » أو مصممة الشفاه ،
أو « الغمغمة الدامعة » التي غير ذلك من
اشكال الرقص الهامس أو الزاعق لما يقال
أو ما لا يقال . ● والنافذة الثانية هي
استخدامه المتقن للقافية المتساوية
والمترادفة التي تتيح للصورة الشعرية
ايقاعا يشحن حركة القصيدة بقوة دافعة

[٢١] هنا يجب تسجيل فضل احمد عبد المعطى حجازى في ريادته لاستخدام هذه الأدوات التي تبدو في مظهرها
محافظة استخداما حديثا .
(٢٢) أرجو في هذا الصدد مراجعة ماجاء في بابى « الروى » و« مايلزم القوافى من الحركات » في « كتاب القوافى » لآبى
الحسن سعيد بن مسعدة الألفى - تحقيق الدكتور عزة حسن - مطبوعات مديرية احياء التراث القديم بوزارة الثقافة
السورية - دمشق - ١٩٧٠ .

الوجه والقناع



فاروق عبد القادر

ليلية • القسم الأخير من أعماله هو ما اختار تجربته خارج هذين الإطارين ، ويضم قصصا أربعة : أيام الرعب ، منتصف ليل الغربة ، البلاد البعيدة ، الحصار من ثلاث جهات •

ولنبدأ بالقسم الأول :

الحركة في الزمن : من المستقبل للماضي

ان « أوراق شاب » تختلف عن بقية قصص هذا القسم في أنها ترتحل إلى مستقبل بدل أن ترتد للماضي ، لكن هذا فارق شكلي تماما ، مجرد تغيير في اتجاه لحركة ، ويبقى قناع المستقبل واهيا رقيقا ، يقوم على تصور انساني شامل يفقد كثيرا من التفاصيل • يعثر الناشر على هذه الأوراق قرب مدينة صغيرة في الصعيد • وتشير إلى أن بلادنا كانت تعاني مشاكل مع دولة صغيرة اسمها اسرائيل •• لم تصلنا عنها غير معلومات بسيطة •• وذلك قبل انتصار الاشتراكية في كوكب الأرض •• هذا تصور الكاتب للمستقبل في النصف الثاني من ٦٧ •

انني المفضل اعتبار جمال الغيطاني كاتباً من كتاب ما بعد ٦٧ • ليس مبعث هذا التفضيل أن الكاتب نفسه قليل الاحتفال بما كتبه قبلها ، ولا لأن هذا الذي كتبه كان شبيهاً أشبه بالتخطيطات المبدئية أو تمرينات الأصابع • يسلط فيها الكاتب عدسته على الجوانب المعتمسة المتأكلة التي يعيش فيها البسطاء والمنسحقون في أسفل السلم الطبقي للمجتمع •• (١) ولكن لأن ما حدث في تلك الأيام من يونيو ، وما بعدها : كان الهم الرئيسي الذي شغل به جمال الغيطاني في معظم ما كتبه بعد ذلك ، وحتى الآن • كانت الهزيمة هي الكلمة الأولى في الصفحة الأولى من مجموعته الأولى ، منها يبدأ كل شيء واليه ينتهي ، هي زاوية الرؤية التي يشكل الكاتب مآرته وفقاً لها ، وهي نقطة انطلاق لاستدعاء لحظات مشابهة من جوف التاريخ •

الغيطاني ، حتى كاد أن يرتبط به ويصبح سمة مميزة لنتاجه ، يضم قصص : أوراق شاب ، المقتبس من عودة ابن اياس ، هداية أهل الوري ، كشف اللثام ، وكلها في مجموعته الأولى ، ثم اتحاف الزمان ، دمة الباكى ، غريب الحديث ، أخبار حرب الكفرة ، الغول • ويمكن ان نضم اليه كذلك قصتي بكاء الحزين ، وناطق الزمان • القسم الثاني يضم هذه القصص التي بدأ جمال الغيطاني نشرها ابتداء من يوليو ٧٠ ويحاول فيها أن يقدم لنا من التسجيل الفني لبعض ما دار على جبهة القتال قبل وقف إطلاق النار في الشهور الأخيرة من ٧٠ ، ويضم قصص أجازة ٧٢ ، عصفور الشتاء ، المساجر ، شكاوى الجندي الفصيح ، أرض - أرض ، مناجاة

نشر جمال الغيطاني بعد مجموعته الوحيدة « أوراق شاب عاش منذ ألف عام » - والتي تضم خمس قصص - ستة عشر قصة قصيرة وروايتين ، لكن هذه القراءة قاصرة على قصصه القصيرة فقط ، تستبعد منها واحدة لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بأحدى روايته فلا يمكن مناقشتها دون التعرض لها (٢) • والناظر في هذه القصص يمكن أن يميز بين أقسام ثلاثة : القسم الأول يحاول فيه الكاتب استحضار قناع من التاريخ أو المأثور (تاريخ مصر السلوكية بوجه خاص) : شخصية أو عصرا أو واقعة ، ومن خلال هذا الاستحضار يحاول الكاتب إسقاط هموم الحاضر على صورة الماضي (أو المستقبل) • يضم هذا القسم أكثر من نصف ما كتبه جمال

[١] راجع : عبد الرحمن أبو عوف ، البحث عن طريق جديد للقصة القصيرة المصرية ، القاهرة ، ٧١ ، ص ١١٧ •
[٢] مضبوطات الدكتور جعفر البيباني ، مجلة « المجلة » ، يوليو ٧١ •

هذا ما يقوله الناشر ، فماذا تقول الأوراق نفسها ؟

شذرات متتابعات يكتبها شباب يعيش في مدينة بعيدة عن القتال ، ويتابع أخبار المارك التي تدور على الأرض المصرية ، يقرر بعد الهزيمة أن يأتي إلى القاهرة ليرى ما يمكن عمله . يلتقي في القاهرة ببعض أصدقائه يثرثرون أثناء الشرب عن ضرورة النزول للناس ، ويلتقيون أخبار الثورة الثقافية البعيدة . في قمة عجزه يتبنى أن ينسحب من الحياة ، وأمام الفندق يلتقي بصديق يخبره أن صديقا لهما قد سافر إلى الاسماعيلية ، فتحمس الشاب للسفر مثله : « بالتأكيد ستجني ليالي مشحونة بما أنا في حاجة إليه .. »

وإذا كانت مذكرات الشاب لا تقول لنا عنه شيئا سوى أنه وحيد وعاجز ، يحس طعم الهزيمة مرا في قمة ولا يستطيع شيئا ، فإن هذه الشذرات المتتالية التي يقوم عليها بناء القصة تضيق إلى وعينا معرفة به وبعالمه . أنها قصة لا تقوم على وحدة البناء قدر ما تقوم على وحدة الانطباع ، من هنا تصبح هذه الشذرات ضرورية بقدر ما تسهم في أحداث هذا الانطباع الواحد : لا بمعنى ما ينطبع في فوسنا منها بل بقدر ما نستطيع نحن - متلقي القصة ومعاصري صاحب الأوراق - طبع أنفسنا عليها . تضم الشذرات اثنتان مختلفتان : نشيدا لسيد درويش وأغنية لام كلثوم وشكوى « الاله رع إلى ايزيس » (لعلها شكوى ايزيس إلى الاله رع) ، وفقرة من التاريخ (أغلب الظن أنها لابن اياس) ، وأخرى من أسطورة عن بناء الهرم ، وآية من القرآن وخطبة استسقاء وبعض ما نشرته الصحف في الأيام الأولى من يونيو ومقطوعة من شعر سيد حجاب . صحيح أن الكاتب يريد لهذه الشذرات كلها أن تخلق لدينا انطباعا واحدا : أن مصر تمر بمحنة وشعبها قد يرب على اجتيازها . لكن قارئ القصة لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الاحساس بأن الكاتب لم يبذل عناية كبيرة في انتقاء التفاصيل واستبعاد تلك التي تختزل دلالتها في تفاصيل أخرى (ما ضرورة خطبة الاستسقاء وكثير مما نشرته الصحف في الأيام الأولى من يونيو ؟) ، رغم هذا .. فإن قصة « أوراق شباب » تحوي الكثير مما يفصله جمال الغيطاني في أعماله التالية بعد : فيها هذا الحنين الطاغى للخروج من أسر واقع راكد ، وفيها هذه الوحدة العاطفية العميقة والتوق العارم إلى الحب ، وفيها هذا الاحساس بالظلم الاجتماعي كما تعبر عنه صورة واحدة يعينها تتكرر دائما : الاب الذي يموت أو يرحل تاركا أسرته تواجه رياح الحياة وحدها ، ومن حيث البناء فيها هذه الطريقة التي ستلازم الكاتب في معظم أعماله بعد ذلك : الفقرات المتتالية التي تهدف لرسم انطباع واحد ، ومن



جمال الغيطاني

ومرة أخرى يرى الشيخ ابن اياس هوم بطل جمال الغيطاني : الحب الذي لا يكتمل نتيجة العجز أو الخيانة ، فالفتى يحب الفتاة لكنه لا يستطيع أن يلقاها أو يحدثها أو يتزوجها فيكتفى بشكوى حبه البائس للشيخ ، والأسرة الفقيرة تنزع في مواجهة الحياة بعد أن رحل عائلها لغير عودة ، وتلك المشاهد الصغيرة التي تراها عينه في طرقات القاهرة ، حتى هذا المذبذب العجوز ، على رأسه الطرطور الاخضر يتهم الشيخ بأنه جاء يبنى بالحسين شرا ، سنرى هذا المذبذب مرارا حتى يتخلص منه جمال الغيطاني بأن يفرد له قصة كاملة .

ومرة أخرى يبني الكاتب قصته من المقتبسات المتتالية كي تحدث انطباعا الواحد ، لكن القارئ قد يرى في بعض هذه المقتبسات تزييدا واضحا ، ويبدو أن هذا يسعى إلى بناء القصة كلها .. هذه « النبرة » التي فيها عجائب ومروعة للمؤمنين ، والتي يمكنك أن تلقاها كاملة في أي من كتب الماثثر عن القيامة والشقاة .. ما ضرورتها وماذا يراد بها ؟ أن يوما سيجيء يقتص فيه للمظلوم من ظلمه ؟ أم أننا خير أمة أخرجت للناس ؟ .. ولأن ابن اياس هو الذي يتحدث بنفسه فسنعرف هذه الجمل التي تصحبنا طويلا في أعمال جمال الغيطاني ، هذه اللزمات الأسلوبية مثل : « والله لو رأها واحد من أهل زمانى لتشف جلده ومات رعبا وراح على نفسه » ، و « ارتجت البيوت رجا مهولا وكانت هملوعى تنخلع من الخوف » و « الخدمة حولى كهواء بلدة نزل فيها الرباء » ، ... الخ .

لكن « هداية أهل الورى » تخلق من عيوب هذه الطريقة في البناء . وإذا تجاوزنا بداية الأوراق وتلك الشذرة الطويلة عن معنى السجن في اللغة ، فسندرى في القصة أفضل نموذج لما قدمه جمال في مجموعته الأولى ، ترسم لنا الأوراق قائد السجن الرهيب في احساسه بأهمية ما يفعل ، وتشفيه الخفى والمعلن في كل من يأتي إلى المقشرة وممارسته القتل بهدوء كامل ولطاردة لحظة تسجر عارضة ارتسم لنا جلادا لكنه ضرورى في هذا العصر . أن القصة لا تقف عند تصوير نفسية جلاد من الجلادين « خلق منها اختيار هذا العصر دراسة لنموذج بشرى لا لجسد مجرد من الافراد » (٢) أن صورة الجلاد بالآخرى ، جزء من صورة العصر ، في احساسه الذي يؤكد دائما بأنه « لا يعلو انسان في بر مصر والعرب والعجم على المقشرة » ، وفي تتابع مجيء الفلاحين إلى السجن بدل العربان المتمردين ثم هرب هؤلاء والقبض على جماعته من الباعة بدلهم ، وفي توالي سقرط الامراء وتتابع مجيئهم إلى المقشرة .. في كل هذا مايوحى بأن الكاتب أراد أن يرسم صورة

حيث الصياغة فيها هذا الاستبعاد شبه الكامل لحروف العطف ، والتركيز في خلق الحركة داخل القصة - في الوصف أو في السرد - على التتابع المتوالى للجمل - القصيرة غالبا - سواء كانت تعكس تصعيدا لحالة شعورية ، أو تتابعها لجوانب الحدث الذي تقوم عليه القصة ، كأنما تأخذ الجمل بعضها بخناق بعض ، وتتوالى ، مراكمة تأثيرها ، حتى تأتي جملة في النهاية كالتقاط الانفاس بعد شوط لاهث .

القصة التالية هي مقلوب القصة الأولى ، هي الصورة في المراة المقابلة ، عودة الحركة إلى الاتجاه الذي سيفضله الكاتب بعد ذلك ، ومحاولة لارتداد هذه الأرض ، واللحظة التي يلتقي فيها الزمانان وينطبق القناع على الوجه أتم انطباق هي أن يأتي الشيخ المؤرخ ابن اياس - شاهد دخول العثمانيين مصر ولعبهم بالسيف في رقاب أهلها - إلى القاهرة ذات يوم من أيام يونيو ، لكنه - ابن اياس لا الكاتب - يستدعى من التاريخ لحظة أخرى أكثر بعدا : خروج رجال مصر مع الملك المعظم قطز لمجاهدة التتار . الموضوع هو هو : مصر في مراة الزمن ، في امتدادها عبر العصور ، عبر لحظات الانسحاق والهزيمة ونقص النيل ونزول الرباء وندرة الاقوات وهجوم الكفرة واللعب بالسيف في رقاب الامنيين . ومن وراء القصة كلها يتردد - كاللحن الخافت - ماثور ديفي آخر هو لقاء موسى والخضر وانطلاقهما معا حتى إذا ركبا في السفينة خرقتها ولقيا غلاما فقتله ووجدا جدارا بهي أن ينقض فأقامه . يقول الخضر - على لسان الشيخ القاعد أمام الازهر يلقو من غير ملل - : « هذا فراق بينى وبينك » ، فمن ينبئ الشيخ ابن اياس تأويل ما لم يسطع عليه صبورا ؟

عصر كامل ، وإذا وضعنا في الاعتبار أن هذه القصة كتبت بعد ٦٧ هـ وسقوط دولة المماليك ، التي اعتبرت مسئولة عن بعض أسباب الهزيمة رأينا كيف يتحقق الهدف الذي يسعى إليه الكاتب : الاغراب من أجل الاقتراب ، الارتحال إلى التاريخ بهدف إسقاط صورة الحاضر على تراثه .

وقد تكون صورة الحاضر واقعا أو أمنية . وفي « كشف اللثام » يسقط الكاتب تصويره للتأثر الذي يريده أن يقوم في لحظات الهزيمة فيدعو الناس إلى رفضها ومواجهة المحتل والعميل ، ومحدث لابن سلام عند دخول العثمانيين هو ما حدث لمصر كلها ، أنه شاهد على ما فعله العثمانيون بأهلها وأنطقته شهاده بالشعر فأبكى الناس وأجرو النعم لكنه لم يكن بهذا يل واجه المحتسب - عميل العثمانيين بعد أن كان صاحب السلطان الغوري - وعنفه حتى شجع الناس على الوقوف ضده وضد رجاله ، وإعدام ابن سلام يستمد جمال مادته - وكثيراً من جعله - من وصف ابن آيس لإعدام واحد من أشجع سلاطين المماليك وأتبعهم هو طومان باي (٤) ، لكن ابن سلام يلعب دوراً آخر كذلك : أنه الصورة الأولى لناطق الزمان ، وطيفاً منتصف الشاكي والشيخ علاء الدين في المغول ، أنه تجسيد أحلام المصريين المحبطة في العدل والحرية .

والشخصية التي يختار الكاتب أن ينظر من خلالها صورة العصر في قصته التسالية (٥) هي شخصية جلبي (مزين) فقير ، والقصة هي صعود هذا الجلبي إلى السلطة ثم سقوطه منذ أصبح جليبا للسلطان الغوري ثم قائما عن حي الحسينية فماتوا بحسبة القاهرة وذلك من خلال اشتراكه في لعبة السلطة الدائرة حول السلطان وقامره مع بعض الأمراء ضد بعضهم الآخر حتى « علا نجمه وسطع مسعده وقرب وعده » ، لكن الدائرة تدور ، ويأتي من يس له عند السلطان ولا يقول لنا القصص ما حدث بعد ذلك لكننا نعرفه .

هذه القصة نموذج مصغر «ماكيت» لهذه القضية التي شغلت جمال الفيطاني أكثر من غيرها : الصراع الدائر على السلطة بين أمراء المماليك ومن يلوذ بهم ، فرق رؤوس الناس وعلى حسابهم ، وهذا الجلبي الفقير هو البذرة التي ستتم بعد ذلك لتلا صفحات روايته الطويلة « الزيني بركات » محتسب القاهرة الذي يرد باسمه وأوصافه في أعمال مختلفة للكاتب ، والأسلوب هو هو : ذلك النثر الذي عرفته الكتابة في مصر المملوكية بمترادفات

المتوالية ولازماته ومفردات قاموسه ، لكن هذه القصة تفلح - أكثر من غيرها - في تصفيته وتخليصه من الاخطاء والشوائب ، وتفلح كذلك في أن تنقل لنا صورة للقاهرة القديمة بمآذنها ومساجدها وبيوتها وأسواقها وطرقاتها ، تلك المستقلة تحت أقدام قلعة يدور فيها ومن حولها ومن أجل الصعود إليها صراع وحش بين الأمراء المماليك يلقون لمن يلوذ بهم الفتات . أما الناس فيقع عليهم أثر هذا كله : زيادة في الكوس ، وتضييقا في الرزق ، وروسا معلقة ، أو جثثا مرسطة على أبواب القاهرة السبعة .

الاسلوب والبناء •• والغرائب ••

في تلك القصص كان الكاتب يحقق درجة من السيطرة على أسلوبه هذا الذي استخلصه لنفسه من كتابات مؤرخي مصر المملوكية (وابن آيس على نحو خاص) كان يسيطر على هذا الأسلوب - رغم بعض الهنات في استخدام الالفاظ والتراكيب - لكنه لم يكن واقعا في أسره ، كان يستمد منه عناصر لتحقيق رؤيته ولم يكن يتغني لذاته أو طرافته . لكن القصص التالية في هذا القسم تميل أكثر إلى الوقوع في أسر الأسلوب بخصائصه المتعددة : السجع المقصود والمترادفات والتقديم والتأخير وحين يقع الكاتب في أسر أسلوب ما يضيع منه الاقتصاد الضروري لبناء قصة قصيرة ، ولعل هذا يتمثل في قصتين من قصص هذا القسم أكثر من سواهما : « دمع الباكى على طيفاً منتصف الشاكي » (٦) ، و « أخبار حرب الكفرة » (٧) .

القصة الأولى تضم تيمتين من اهتمامات الكاتب : الصعود إلى السلطة والقامر من أجل المال والنفوذ من ناحية ، وشوق جماهير المصريين إلى صياغة مثال يحقق آماله في العدل والأمن من الناحية الأخرى . كان طيفاً فارساً من فرسان قلاوون ، استطاع أن يفود جنده لاقتحام قلعة من قلاع الكفرة . فجعله السلطان نائباً للسلطنة ، يحكم في المظالم الكبيرة ، ويكفل حقوق المؤمنين واليتام ، لكنه لم يسر سيرة سواه من الأمراء ، بل جعل يدفع الظلم عن المظلومين ويعمل على انصافهم . طبعي أن تتعلق به العامة وأن يدس له الأمراء والقضاة عند السلطان الجديد حتى يدس له السم ، أما العامة فقد صنعوا له بعد موته تماثيل من السكر علقوها في البيوت والخانات •• ولو حاقت بواحد

منهم مظلمة صباح : والله أتى ذاهب إلى قبر طيفاً أشكو له الحال ، ولو كان بعيداً أرسل له الرقاع •• •

لكن في القصة وقوعاً في أسر هذا الأسلوب . انظر إلى خصائصه كيف تجتمع في فقرة واحدة : « وجفت اللسان بما جرى وكان ، صار العامة في الأسواق ، والذعر وأسافل العياق ، وأوباش الناس الشلاق لا يلوكون إلا ما جرى •• وكلما قابلت انسان (كذا) بادرك بسؤال : هل دريت بما كان ؟ والحق معهم . فلم يحدث في سالف العصور والأزمان ، أن أميراً أقل رتبة من أمير عالي الشأن ، يجبره على التراجع في أمر كان ، ولم يعد في حسيان » ، ونحن نجد كذلك : « ارتجفوا ، ارتعبوا ، تفهقوا ، استندركوا فارطهم •• » ، ونجد : « أما الجديد فبالقطن المندوف أشبه ، وإلى رسم الصابون أقرب » ، ولا يكفى الكاتب بالسجع المتكلف وإهالة المفردات والتقديم والتأخير دون ضرورة ، والركاكة البادية في الأسلوب بوجه عام ، بل يعمد إلى إيراد لغز لغوي منظوم ، تماماً كما كان يفعل شيخه ابن آيس حين لا تخلص صفحات تاريخه من شعر سخيف ينظمه أو يحفظه !

في القصة الثانية - بالإضافة لاسر الأسلوب - تعقيد في البناء لا حبر له ، يبعد بين القصة وهدفها وهو أحداث انطباع موحد تحشد له الجزئيات وتساقي التفاصيل ، وتكاد التجربة نفسها تخفى وسط تهويش المقاطع المتداخلة . هذه قصة تستطيع أن تجتري عنها بعنوانها : « أخبار حرب الكفرة » ، وحديث سعيد بن واصل الشافعي ، مع إيراد أحواله وآماله ، وكذا ما جرى له ، وهو من صفار العسكر المقيمين بالقلعة التي يحاربون منها الكفرة ، وفيه هوامش عن كل ما وقع ودار ، وجاء عنه في الكتب والأسفار •• بعد هذا العنوان « الموسوعي » تأخذ الفقرات عناوين أخرى مسجوعة كذلك ، وتتقاطع فقراتها وتتداخل ، ويمضي بناؤها على النحو التالي : فقرة تقطع استمرارها فقرة أخرى ، ثم تعود للأولى لتقطع مرة ثانية ، وهكذا حتى الفقرة الأخيرة وهي غير معنونة ، تقطع استمرارها فقرة معنونة ، وتعلق عليها فقرة أخيرة •• أي تعقيد في البناء لا مبرر له •• ولا يؤدي إلا إلى البعد بالتجربة وراء عقبات متوالية : من عناوين مسجوعة إلى فقرات متقاطعة إلى خروج عن السرد إلى الأخبار وعن الوصف إلى التعليق وعن الذكريات

[١] راجع تفاصيل إعدام طومان باي على باب زويلة في تاريخ ابن آيس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القاهرة ١٩٦١ ، الجزء الخامس ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

[٥] اتحاف الزمان بحكاية جلبي السلطان - المساء ، ٢٨/٣/٦٩ .

[٦] الهلال ، يونيو ١٩٦٩ .

[٧] الهلال ، أغسطس ١٩٦٩ .

في مقاطع متتالية تراوح بين الماضي والحاضر تماضي المدينة في السلم وفي أيام الحصار ، وحاضرها المنتهك المستسلم . كما يقبدي لوعي شاب من أهلها اشترك في المقاومة وكان قريبا من قائدها ، الشيخ علاء الدين ، وهو الآن صامد للتعذيب لا يبوح بما يعرف عن كثر من المدينة ومضايء سلاحها . وملاحم البطل هي هي ملاحم سعيد بن واصل في « حرب الكفرة » والشيخ علاء الدين صورة جديدة من ابن سلام وذائق الزمان ، لكننا نرى في صمود البطل للتعذيب وفرار الشيخ من أجل استمرار المقاومة أملا في الخلاص .

بقيت من قصص هذا القسم قصتان ، تضم كل منهما الحاضر والمآثور الديني في إطار واحد . الأولى هي « دكاء الحزين في مشهد الحسين » (١١) ، والثانية « فاطم الزمان » (١٢) . الأولى هي أخبار هذا الزاهد العابد الوهاب نفسه وعمره لمقام سيد الشهداء . وهو الآن يرى خطرا يتهدد مقام الحسين ، ثمة

أغراب يلوحون في الأفق يندرون بالخطر ولو أنهم نالوا الحسين بسوء فيستدقق الفساد لينمر كل شيء . أصبح الحسين هنا رمز كل ما يتهدد مصر بالضياح .

ونحن نرى هؤلاء الاغراب من خلال خيال الزاهد المضطرب الغارق في ذكريات طفولته وحب الخائب ، ومناجاته التي لا تنقطع لسيد الشهداء . (هذه المناجاة التي تتردد بعض جملها بالنص في أعمال أخرى ، أخبار علي بن الكسيح ، ر . طيغنا منصف الشاكي) .

والقصة تضم موضوعين اشيرين عند الكاتب : حي الحسين الذي يتردد كما هو في قصص أخرى عديدة ، في الحقيقة لا تخلو قصة من قصص جمال الغيطاني من ذكر الحسين ، حتى تلك التي تدور في مدينة بالصعيد يرد فيها سؤال عنه ، والثاني هو دلالة الامام نفسه : الشهيد من أجل الحق ، لكن القصة تفرق في هذه

المناسبة الطويلة التي لا يفعل فيها الكاتب سوى أن يمدده فيستخلص بعض ما يردده المسريدون في الانشيد والاذكار : « يا نور العين ، يا غربتى في الحواري ، يا من عرفته وعرفني ، يا مؤنسى في البلاد الغربية ، يا ابن أسد الله الغالب ، يا ابن الصفا والمروة ، يا ابن مكة ومنى . . . » ولا يفلح الكاتب في أن يرسم لنا ملامح هذا الزاهد في خصوصيته وتفرد ، كما نجح في أن يرسم ملامح ابن سلام أو طيغنا أو علي بن الكسيح ، وجاءت ذكرياته نسخة مكررة من ذكريات الطفولة الضائعة لابطال آخرين ، وجاءت هذه السيرة العظيمة المتدفقة لتشتت - بمراعاتها المتتالية -



ادجار آلان بو

وفي أن تقدم تصويرا لنموذج «نفسى فريد» .

مرارة الهزيمة . .

والخلاص بالمقاومة . .

في القصص السابقة كان جمال الغيطاني يختار القاهرة القديمة - في الزمان والمكان - مجالا لاستحضار لحظات الماضي ، لكنه في قصته التالية يمعن في الرحيل في الزمان والمكان كذلك ، فيختار مدينة تبدو ذات طابع اسطوي لكنها كانت موجودة يوما من أيام التاريخ . في القصص السابقة كان الكاتب يختار القاهرة القاهرة المعاليك والعثمانيين ، لكنه هذه المرة يختار غزة آخرين يمدون لهم بقربى وثيقة هم «المغول» (٩) . ويبدو أن الجو العام للقصة وتفاصيلها مستمد من المعارك التي دارت بين قوات جنكيز خان و (محمد) خوارز مشاه سنة ١٢١٨ م وما بعدها . (يبدأ أحد مقاطع القصة على هذا النحو محدد زمنيا : بعد مئة عام من هجرة مولانا وحيينا محمد ، أي حوالي ١٢٢٠ على وجه التقريب) .

والنقط من هذه الفترة اسم مدينة « اوزور » ، وقتل خوارز مشاه لرسل جنكيز خان الثلاثة ، ثم فراره أمام قواته . وكانت جيوش الشاه تعلم علم اليقين أن المغول لن يبقوا عليهم ، من هنا أبدت ثباتا وشجاعة فائقتين في الدفاع عن الحاميات المفسدة المختلفة . . (١٠) . اختار الكاتب حامية مدينة « أوترور » ومقاومتها ثم سقوط المدينة في أيدي المغول وما لقي أهلها من أهوال . والقصة مروية كلها

الى التشرح والتفسير ؟ وإذا استطاع القارئ متابعة هذه القصة المجهدة وإعادة بنائها في نفسه فسيجد لها هون من أن تحتل هذا كله : مقاتل حاء القاهرة في أجازة قصيرة ، يقضى وقته مع أمه وأصحابه ، ويزعجه أن أصحابه - والناس في الأسواق كذلك - لاهون عن الحرب رغم أن بينهم وبين القلعة التي تحميهم من ويلاتهم مسيرة نهار واحد . لكن هذه التجربة التي اختارها الكاتب لقصته تكاد أن تضيق ملامحها تماما تحت ركام التعقيد في البناء والتزييد في الاسلوب . هذه التجربة نفسها ستكون موضوع قصة تالية له ، ولعل النظر في القصتين أن يكون هو النظر في الوجه والقناع معا .

أغرى الاسلوب الكاتب مرة ، وأغراه تعقيد البناء أخرى ، وأغراه الولع بالغرائب والطرائف تالفة . هذه الأخيرة تمثلت في « غريب الحديث عن علي بن الكسيح » (٨) . أن عليا بن الكسيح - القزم المقعد نديم الملوك - يطوف يومه كله بقصور الامراء والأسواق وبيوت العامة لا يروى دونه باب ، على هذا الذي لا يستطيع الحركة الا محمولا على كتف خصي متين البنيان أهده له أحد الامراء به شبق الى المعرفة : « أتمنى أن أوقف جميع الرجال والنساء في شوارع قسبة القاهرة صفا واحدا ، أطوف عليهم ، أسأل كلا منهم عن حاله وماله ، خنائاته ومصالحاته ، أكله ، شربه ، نومه ، تفاصيل حياته مع امراته . . . » لكنه يستخدم هذه المعرفة للرقعة بين الامراء ويلعب دورا ماكرا في إثارة البغضاء بينهم ، ولا يقتصر شره على الوقعة بين الامراء ، بل يتجاوزهم الى عامة الناس . . . وحين أفرخت إحدى مكائده الاضطراب في المدينة هرع العامة الى بيته ، وخيل اليه أنهم واقفون على سره وأنهم جاءوا للفتك به . لكنه اكتشف - لدهشته الشديدة - أنهم ما جاءوا الا ليطلبوا اليه أن ينشف لهم .

في هذه اللحظة انفجر غلامه باكيا وظل بكأوه يتزايد ، لماذا بكى ركين . . هذا الشاهد الصامت على ما يجري ؟ هذا الخصي الذي يشارك سيده وحمولته العبث ساجسك الجوارى ؟ هل سئم اللعبة الرذولة أم أن له ضميرا يهتز رغم كل شيء ؟ وهذا الشر الذي ينضج من ابن الكسيح . . . أهل تعويضه عن عجزه وتشووه ؟ انتقامه من عالم وسسمه بالعجز ؟ . . . أهو قبس الخارج والداخل ؟ . . . أهو رمز المعرفة العينية حين تستخدم للشر ؟ . . . تتجج القصة - رغم استغراقها في سرد تفاصيل الخلاف بين الامراء حتى يكاد معناها يستغرق على القارئ - في أن تثير هذه الاسئلة ،

[٨] ملحق جريدة الاخبار ، ٦٩/٧/٦ .

[٩] روز اليوسف ، ٧٠/١/٢١ .

[١٠] كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومليح البعلبكي ، الجزء الثاني ص ٢٦٦ .

[١١] المجلة ، يوليو ٧٠ .

[١٢] المساء ، ٦٩/١٢/١٩ .

الانطباع الواحد الذي يهدف الكاتب اليه في قصته كلها : الاحساس بوجود خطر يهدد مصرًا كلها لانه يهدد مقام سيد الشهداء .

هذا المهدي المنتظر ، هذا الامام المستتر ، الذي سيأتي الى الدنيا بعد ان يبلغ أمرها حدا لا حد بعده ، فيعلم أيامها عدلا وسلاما بعد ان ملئت ظلما وجورا . هذا التجسيد لامل الانساني في العدل والحرية ، سنراه الآن نفسه بعد ان طرف الكاتب حوله طويلا ، فقدمه مرة في صورة ابن سلام وثانية في صورة طيغنا وثالثة في صورة علاء الدين . هذه المرة يأتي بأسسه وصفاته : ناطق الزمان ، يلتقي به بطل القصة فيعرفه ، والصباح يخطر طفلا واسع العينين ، ويطلب اليه الامام ان يصاحبه ، من أجل اضاع الفتى ما اضاع ، وحين يختلي به في حجوة الصغيرة يبوح له الامام بعذاباته طول السنين . . . الان وجب الحذر فقد كثرت الاعداء . . . كأنهم هؤلاء الذين رأهم الزاهد يتهدون ضريح الحسين ، ويتوحد ناطق الزمان بعذاب ابن سلام فيقول للفتى : « هنا في مصر ، منذ أربعمئة وسبعين سنة قبض عليه العسكر » ، انه هو تاريخ دخول العثمانيين مصر ، وهو يقول كذلك انه قضى بمصر زمنا قبل مائة عام ، بالضبط قبل انكسار عرابي ، لا يضارع حزنه على هذا الانكسار سوى حزنه على قتل الحسين في كربلاء ، واجتياح المغول لخوارزم والشام ، ودخول سليم الاول أرض مصر ولعبه بالسيف في رقاب أهلها . هذه أحزان ناطق الزمان ، وهي كذلك لحظات التاريخ التي دأب جمال الغيطاني على استحضارها واسقاط ملامح الحاضر على ضامتها . لكن المطاردة تشتد حتى تضطر ناطق الزمان للتستتر من جديد ، وتنتهي بلوعة حارقة من جانب الفتى الذي تضاعفت أحزانه الى جانب أحزان ناطق الزمان ، وما أحزنه - في نهاية الامر - سوى تلك الأحزان التي يعرفها أبطال جمال الغيطاني بغير استثناء : الحب الخائب والاسرة المترحة في مواجهة الحياة ، والبحث اليائس عن طفولة ضائعة .

هل كان جمال الغيطاني يودع بهذه القصة عالمه التاريخي والاسطوري الذي صاحبه طوال هذه الفترة من عمله الفني ؟ (نشرت آخر قصص هذا القسم في يوليو ٧٠ وفي الشهر نفسه نشرت أولى قصص القسم التالي) . لكن في هذه القصة الأخيرة تركيزا وتكثيفا لعالمه كله ، لكل اللحظات التي استدعاهها من قلب التاريخ ، ولكل الرحلات التي قطعها أبطال آخرون على أرض مصر ، ولكل

العذابات التي عانى منها الشاب في بحثه المضني عن الحب والعدل والحرية ، أفاد هذا العالم جمال الغيطاني قدر ما تهدده خطر الوقوع في أسر بحيت لا تخرج شياكه بصيد جديد ، وفي هذا القسم كله يتبدى لنا صراع الكاتب مع مادته كي يمتلكها بين يديه ، ويختار منها ، وينتقى بحيث ينتظم لقصته عالمها المحكم ، تتساق في التفاصيل طبعا لتخطيط بخضع لارادته كل شيء . كان الكاتب ينجح في عمله أحيانا (هداية أهل البري ، كشف اللثام ، اتحاف الزمان ، المغول) ، ويسقط في أسر مادته أحيانا أخرى (دمة الباكي ، أخبار حرب الكفرة ، غريب الحديث) ، وإذا كان « كل اختيار يقوم به كاتب القصة القصيرة ، يحتوى على امكانية قالب جديد . كما انه يحتوى على امكانية اخفاق كامل » (١٢) فان جمال الغيطاني قد استطاع - وراء النجاح والافراق - أن يستخلص لنا القاهرة قديمة ، تستلقي ما بين القلعة وباب الفتوح ، وتضم بين أبوابها السبعة هؤلاء الذين اضطربت بهم الحياة قبل أكثر من أربعمئة سنة من تاريخنا ، لكن ذلك لم يكن هدفه ، لم يكن هدفه استجلال هذا العالم وبعث الحياة فيه قدر ما كان اخضاع تفاصيله لرؤية مصرنا ، وأبرز ما في هذه الرؤية عنده هو تلك اللحظات المثقلة بمرارة الهزيمة ، الحبلى بأمل الخلاص بالمقاومة .

المقاومة . . على

أرض الواقع

وإذا كان جمال الغيطاني يبحث عن دلائل المقاومة في صفحات التاريخ ، فما هي تتفجر هديرا ودنيا على أرض الواقع . والحقيقة أن هذا الكاتب أفسد كثيرا من عمله الصحفي الذي جعله يتردد على جبهة القتال ويشهد شيئا مما يدور فيها أثناء اشتعالها بالمعارك في ٦٩ والشهور الاولى من ٧٠ ، وهما هو يبادر الى تقديم نوع من التسجيل الفني لما يحدث على الجبهة ، ولن يقاتلون فيها . لازال بناء القصة عنده - بوجه عام - يقوم على محاولة خلق انطباع موحد من خلال المقاطع المتتالية ، لكن هذه المقاطع ستتردد - منذ الآن - بين الداخل والخارج على نحو مزدوج ، فالداخل هو داخل الذات وداخل البلاد معا ، والخارج هو خارج الذات وأرض المعارك معا .

بعبارة أخرى ستقوم هذه القصص على التناقض بين الجبهة والمدينة من ناحية ، والتقابل بين ما هو داخل الذات من ذكريات وأفكار ومشاعر وما هو خارجها

من تفصيلات وأحداث ووقائع من الناحية الأخرى .

في « اجازة ٧٢ » (١٤) يرجع المقاتل من الجبهة في زيارة قصيرة ثم يعود . يعمق التقابل بين الحديث الذي يتبادلونه الاصدقاء في المقهى والذي يتبادلونه الرفاق في اللجأ ، بين الثرثرة والنمزوات الصغيرة والشك وعدم اليقين واللامبالاة من جانب ، والاخلاص الرجولي والامنيات البسيطة والارتباط بالأرض والواقع وممارسة الحرب عملا يوميا من الجانب الآخر ، وحين يحدث الهجوم الجوي على جزيرة شمسوان الصغيرة (هل كان الكاتب بحاجة لان يطلق البطل وزملاؤه على كل موقع من الجزيرة اسم مدينة مصرية كي تصبح الجزيرة تلخيصا لمصر كلها ؟) يذكر البطل ما رآه في القاهرة : « الحياة تتراصل على نحو رخي هادئ » ، ولقاء السحاب يتحقق ، وناصية سليمان عامرة ، والالوف تنفق في شارع الهرم ، والمدير يموت مع صاحبه في البانيو ، والصديق يطلب مزيدا من البراندس ، وتحت غطاء جوي كثيف تمكن العدو من انزال جنوده فوق الجزيرة ودارت معركة حامية . صمت مدفع بطل القصة فاستسلم ، طلبوا اليه أن يتقدم نحو القنار ليرى ان كان بداخله أحد من رفاقه فيقنعهم بالتسليم . بقية القصة ترويها برقية طيرتها وكالات الانباء : « عاد الجندي المصري ليقول لهم انه وجد المبنى خاليا ، وعلى الفور توجه ضابط اسرائيلي وعدد من الجنود لاحتلال المبنى ، وما كادوا يدخلون حتى فوجئوا بالنيران تنهال عليهم من مدفع رشاش ، كان بالداخل جندي مصري جريح أثر أن يقاتل حتى النهاية بعد أن رفض زميله خيانتة . هذه البرقية الموجزة هي النواة الصلبة للقصة ، وحين حاول الكاتب أن يصوغها رجع الى ملامح بطله الدائم : بحبه الخائب ، وجولاته في القاهرة القديمة ، ورجوعه - وراء شتى المعاذير - لتاريخ مصر الملوكي . هكذا اضاع الكاتب خيوطا ثمينة من أجل ان يقدم ملامح بطله المألوف ، ولم نعرف عن المقاتلين الباقين شيئا بالكاد سوى أسمائهم .

اللامح نفسها أيضا نجدها عند بطل « عصفور الشتاء المهاجر » (١٥) تحاول القصة أن تجعل لكل من مقاطعها عنوانا نابعا من التجربة نفسها ، فالقطع الاول عنوانه الرصد ، والاستطلاع ، والثاني يريد حربي ، والثالث قطاع ، والاخير أمر . جندي رايش في خندقه يرصد طفلة صغيرة تجري بكل نزع العمر الصغير وفرحته فيرى نفسه في طفولتها ، يرى - مثل بقية الأبطال - طفولته

[١٣] فرانك أوكوتور ، الصوت المنفرد - ترجمة د. محمود الربيعي : القاهرة ، ٦٩ ، ص ١٩ .

[١٤] النساء ، ٧٠/٧/٢٤ .

[١٥] المجلة ، نوفمبر ٧٠ .



سيد درويش

في اتجاه الازمة ، ويسير الخط الثاني في عكس اتجاهه ، يتباعد الخطان تماماً في النهاية ، فيصيح المقاتل بالمدير في لهجة غيظ وحنق ، على حين يمرح السكرتير وصديقه في مياه البحر على رسال المختزه ، وأغنية تتردد من الراديسر المفتوح : زى الهوا .. زى الهوا .

ومثل السينما المصرية ، لا تخلو قصة جمال الغيطاني - على احكام بنائها - من ميلودرامية واغتيال بهدف الاصلاح على المشاعر . انظر الى هذه الجمل من خطاب المقاتل الاخير الى المدير : « أنت هجوم صاعق على نهاية عمر أبى ، أنت طيران منخفض لا تنذر لكك تحرق آمال أختي وتغير على البهجة في عيني أمي ، أنت جنزير يدهس مرارتي ، أعددت كميناً ناجحاً لم يخطئ لحياتي .. » ، الست ترى في هذه الجمل - ومثلها يتردد في القصة - محاولة لصب التجربة في قالب اصطلاحى تضيق به ويبدو الكاتب من ورائها ؟ ألن نستطيع نحن أن نتلقى تجربة المقاتل ونشارك في الاحساس بها لو خلت من اصطلاحات الحرب ؟ وبقدر ما يبدو المقاتل صادقاً مقنعاً وهو يحكى عن أسرته البعيدة بقدر ما يبدو شديد الاتضاع حين يضع نفسه في مواجهة مديره : « لم أمش مع فتاة ترتدى جاكيت شمواه في محطة الرمل ، لم أجلس الى أنثى تدهن جفنيها باللون الأزرق ، لم أدخل الفنادق الكبيرة ، لم اهتفل بالكريسماس في شقق بها سلام داخلية .. الخ .

في القصة الثانية مزج بين خواطر الصحفي الذاهب لزيارة الجبهة وخواطر الضابط الذي قضى الليل بصحبته ، وجمل الحوار القليلة المتبادلة بينهما ، انعكاس ما يحدث في الخارج على مشاعرهما المتبادلة . لم تفلح القصة في وصف مشاعر الصحفي قدر ما أفلحت في وصف مشاعر الضابط وخواطره : في أشد لحظات الخطر يرى الطفل الذي يحاول ركوب المصعد فتنهزه السيدة ، وحين يموت رجاله الثلاثة يظل لديه احساس يقينى بأنه لا بد سيلقاهم في مكان ما ، وحين يتذكر أمه يندهش : كيف لا يذكرها كثيراً ساعة الخطر ؟ وحين يزداد دوى الانفجارات في الخارج تزداد مشاعر الرجلين حميمية وتماعداً ، وتأتي نتائج الاستطلاعات مباشرة فيبهج الضابط لانه أنجز عمله .

لقطات متسايعة ترسم ريبورتاجاً قصصياً مكتوباً يتدفق وعذوبة .

على أن افضل قصص هذا القسم - وواحدة من افضل قصص جمال الغيطاني على الاطلاق - هي قصته « أرض - أرض » (٢٠) في التاسعة والنصف

البطل يقدم جمال الغيطاني قصته التسليتين : « شسكاوى الجندي الفصيح » (١٧) ، « مناجاة ليلية تحت هدير المدافع » (١٨) في القصة الاولى تبلغ درجة استفادة الكاتب من أسلوب التقطيع السينمائي غايته ، أن بين هذين القنئين كثيراً من أوجه التشابه ، فكل منهما فن حر لم تثقله بعد التقاليد ، وكل منهما يكشف عن وعى بالذات وعن قوانين داخلية تنظمه .. فقطعة الورق الصغيرة التي يحملها الهواء على طول شارع صباحي خال ، والفتاة المنكبة على شغل الابرة في محطة قطار ، والام التي تنتظر عودة ابنها اللامى بعد سهرته الطويلة .. في كل هذه اللحظات شيء لا يرى ، شيء دقيق ينزلق الى وعى القارئ حاملاً اليه مذاق الضياع ، أو الفراغ ، أو البأس .. (١٩) وفي شسكاوى الجندي الفصيح يحاول جمال الغيطاني أن يستفيد من تكنيك السينما في التعبير بالصورة وفي تقطيع المشاهد المتتالية . ان المشاهد المتتالية هنا لا تحاول أن تخلق انطباعاتاً وأحداً بقدر ما تحاول أن تسير بالحدث الذي اختارته في خط واحد تتلو فيه النتيجة السبب . والمقنة التقليدية في قصص جمال الغيطاني تفلح مكانها لبداية الحدث الذي ستعمل المشاهد المتتالية على تطويره : مقاتل أوقفت الشركة التي يعمل بها صرف مرتبه بعد أن استدعى للجيش وهو يكتب شكوى لمدير الشركة ويرجو السكرتير ألا ينسى عرضها عليه . بعد هذا المشهد تتتابع المشاهد لتسير في خطين مترابطين : رسائل المقاتل من الجبهة ولهجه تعنف وتزداد حدة بقدر ما تتأزم مشكلته الموضوعية واحاسيسه تجاهها ، ثم هذه الرسائل نفسها يستخدمها السكرتير مادة لنسج الشباك حول زميلته الحسنة ، الخط الاول يسير

الضائعة التي يبحث عن استردادها : « أوشك في لحظات كثيرة هنا على استرداد طفولتي ، أدنو منها مع يقيني أنها وهم لم أعشها ، والا قل لي .. أين هي ؟ » ، وهو يربط في رسائله وذكرياته بين هذه الطفلة وعصفورة وحيدة حومت حول الموقع عدة مرات من قبل ، وفتاة ضائعة في قريته كانت آخر وجه في وداعهم حين ارتعدوا عنها وأول وجه تذكره في المدينة . وتصبح الصغيرة تميمية الموقع ويرى فيها القائد ملامح ابنه البعيد ، المقطع الاخير من القصة « أمر » من الكاتب - الخالق الى عناصر الطبيعة كلها بأن تتوقف عن الحياة وأن تدور عكس دورتها المعتادة « لأن ما ذاقته سماء (اسم طفلة) ، ما رآته ، فيه الام الكون المقبلة لمدة ألف ألف عام ، » ، إذن « لتقص الكلمات ، وتحجب الشمس وراء غيوم ويفسح الطريق لحداد أبدي .. مياه الأنهار تصير بنية اللون ، جيرية القوام ، ترسل الى الفراغ عطناً ونقناً .. أو أحزان عشاق ثوبج عن نفسها (كيف يستقيم ؟) ، فالنساء جميلات مستباحات والعيش نعيم طري (مرة أخرى : كيف يستقيم ؟) ، لا فرحة بلقاء ولا بهجة بعودة الاسرى الى الديار بعد غيبة طويلة ، عيون البشر وسط رؤوسهم فلا يعرف الانسان أمه من أبيه أو بنيه ، يخرج السجناء ، ترفع آلات التعذيب ، تفتتح عصابات المعتقلات (مرة ثالثة : كيف يستقيم ؟)

ان هذا المقطع الاخير زاعق جداً ، زائف جداً ، يحيلنا لرومانسية غريبة لا تتسق وبناء القصة الواقعي القائم على محاولة خلق الانطباع الواحد من خلال انتقاء تفاصيل الواقع والداخل وسوقها معا ، وقصة من هذا النوع « لا تبدأ من فكرة مثالية ، بل تبدأ من الواقع الخارجى ، ولا ترى قيمة لاشارة العاطفه ، بل تضبطها وتحكمها لتحويلها الى موقف ناقد ، أما القصة الرومانسية فانها ، على العكس ، تخاطب خيال القارئ وعاطفته أولاً ، (١٦) ان هذا المقطع لا يتناقض مع بناء القصة فقط لكنه يتناقض في داخله أيضاً ، فثمة بعض الجمل تفقد دلالتها تماماً ، وأخرى تثير حالة شعورية مناقضة للحالة التي يحاول بقية المقطع إثارتها ، ويقع هذا الجزء من القصة في الاضطراب والتناقض فيهنز البناء كله ، وتترك القصة عند القارئ شيئاً بين الموقف النقدي المكتمل من ناحية ، ومحاولة اشارة الانفعال ، على نحو صارخ ومفتعل ، من الفساحية الأخرى .

وعلى النحر نفسه من البناء ذى المقاطع المتتالية الذي يقوم على التقابل بين أرض القتال وواقع المدينة التي جاء منها

[١٦] د. شكري محمد عياد ، القصة القصيرة في مصر : دراسة في تاصيل فن أدبي ، ٦٨/٦٧ ، ص ٤٤ .

[١٧] الهلال ، أغسطس ٧١ . [١٨] العمال ، ٧٢/٢/٢٤ .

[١٩] عن : H.E. Bates, The Modern Short Story, A Critical Survey, p. 21 .

[٢٠] روز اليوسف ، ٧١/١٢/٧ .

من كل هباح تمقى تفاصيل الحياة في دورتها المألوفة ، غير أن هذه اللحظة تنف عند بطل القصة وراويها جامدة ثابتة ، خارج الزمن ، ما الذي حدث في التاسعة والنصف فأوقف تدفق الزمن؟ يقول مصطفى أبو القاسم انه كان في الزقازيق ، وحين رجع الى السويس وجد امه واخوته السبعة قتلى تحت أنقاض بيتهم نتيجة الضرب بصاروخ أرض - أرض ، جازهم الفلاح الفقير عبد المنعم أبو العطا هو الشاهد الحى الوحيد على ما حدث ، لكنه منذ هذه اللحظة يعيش غيابا متصلا عن الواقع ، فقد أصبح أبكم وأعمى ، هذا الشاهد الوحيد الحى يجب أن يتكلم ، الى المستشفى في الزقازيق أخذه ، كشف الطبيب المتعجل على بطلته وظهره ، لم ينظر الى رأسه المكفنة بالأربطة ، قال : اذهب به الى مصر ، حاول أن يقابل مدير المستشفى فلم يفلح ، شكيا لأمور المركز فقال له : تعال بكره ، عاد بعد المنعم الشاهد الحى الأبكم وأقساما معا ففى بيت هجره أصحابه : « طوال الوقت حديثى الى عبد المنعم أبو العطا ، انظر الى عينيه المنمضتين ، هو لا يسمع ولا يرى ، إنما أثق انه يرانى ويصغى الى .. »

والقصة هي مونولوج مصطفى ، يرويه لنا بصوت محايد ، أخذ جمال الغيطانى عن أسلوبه القديم أفضل خصائصه : أن يروى أشد الأحداث هولا بأسلوب بسيط لا مبالغة فيه ولا احتفال ، ومونولوجه يسير متسقا ، هادى المظهر لكنه يشى بنفس تتلوى وتحترق ، انظر اليه حين هاج فيه الطبيب الشاب : « أمشى يا ولد ، نحن فى مستشفى اميرى وليس مستشفى للأمراض العقلية » وأما مصطفى أبو القاسم لست ولدا ، أنا مدرس من كفر عامر ومعنى دبلوم معهد المعلمين ، وأنا الذى أزعق فى وجوه التلاميذ : يا ولد ، وليس الطبيب ، غير أننى حفت ، فانا وعبد المنعم بلا سند ، بلا غطاء ..

وعن الخط الرئيسى للقصة يتفرع خط آخر مرار ، عن التجار الفقير الذى هجر المدينة ، ثم عاد اليها يلتقط رزقه من هنا وهناك ، جاءت زوجته وابنتاه لزيارته ، وجاء الصاروخ فى التاسعة والنصف وتطايرت شظاياها ، شطرت جسد زوجته شطرين وقتلت ابنتيه ، ظل الرجل صامتا يومين يدخن ، وقام مرة ليزور قتلاه ، قرأ عليهم الفاتحة ، ثم تمعد فى هدوء ومات ..

فى هذه القصة الممتازة لا افتعال ولا ضجيج ولا محاولة لاثارة العواطف ، الامر مروحى بهدوء وحياد ظاهرين ، وبين الكاتب وقصته مسافة قائمة تتيح لها أكبر قدر من

التأثير ، التفاصيل كلها خاضعة لتخطيط دقيق فلا تتدفق أو تفلت من سيطرة الكاتب . استطاعت هذه القصة أن تحقق هدفها الطموح فتكشف بشاعة الحرب وتعرض نماذج لهؤلاء الذين يكتسبون نازما ، وأهم من ذلك أنها استطاعت أن تبرز - وهذا أهم ما حاوله جمال الغيطانى فى هذا القسم من قصصه القصيرة - التناقض القائم بين العالمين : عالم الذين يكتسبون ناز الماساة وعالم الذين يقفون لاهين عنهم لا يقدمون لهم الكثير .

الجماعة المغمورة ..

فى الحصار والرعب

أربع قصص فقط هى التى حاول فيها جمال الغيطانى أن يجد تجربته خارج صفحات التاريخ أو جبهة القتال . كل من هذه القصص الأربعة تقوم على شخصية مازومة ، يلتقطها الكاتب فى قصة أزمتها ، ويرجع بنا لضرب فى جذور تاريخها الخاص أو عالمها النفسى ، ثم ترد مرة أخرى للحظة الازمة . أبطال القصص الأربعة يشتركون فى ملامح واحدة : هم جميعا موظفون صفار ، يعيشون حرمانا عاطفيا قاسيا ، فى قلب كل منهم ورقة حب ذابلة ، ذبل الحب فى عالمهم ورحل الاصدقاء ، وكل منهم يعيش الحصار ، يطارده اعداء حقيقيون أو وهميون ..

فبطل « أيام الرعب » (٢١) يطارده ثار قديم ، وقد جاء القاتل الى المدينة يبحث عنه ليقتله ، من هنا تبدأ أيام الرعب . يظل البطل لاثبا بين حجرته الصغيرة فى إحدى الحواري الى جوار الحسين وبين المقهى والميدان والضريح ، منقطعا عن عمله ، مجتريا ذكرياته ، وخوابره ، لا يعرف متى يباغته قاتله وكيف يقتله . الوحدة كاملة - والرعب مطبق كقفص حديدى . والحياة تواصل مألوف إيقاعها لا مبالية بما يتهدده . فى وجه هذا العانم اللامبالى ، فى وسطه ، لابد أن يوجد شخص ما يحميه ، انتبهى يا غياة الرؤوس السوداء ، يا معرض العيون المتزجرجة الزجاجية ، تسلق النافورة ، وخلع جاكنته ملوحا ببطاقته الشخصية ثم قذفها ، فليأخذها عويضة ، خلع ثيابه كلها ، دفن رأسه فى صدره وانحنى حتى كان جسمه أن يتقوس ، وسمع عويضة يشق الزحام واثقا ، ثقيل الخطى ، لا يوقفه أحد ..

لكن المشكلة فى هذه القصة القصيرة (التى تتجاوز كلماتها الستة آلاف كلمة) أن الكاتب ينسج فيها ملامح

بطله نسجا روائيا خالصا ، انه لا يكتفى بأن يحدد ملامحه فى صور قليلة موحية ، لكنه يحددها من خلال سرد التفاصيل ، مئات التفاصيل عن طفولته وأبيه وقريته البعيدة وحبه الخائب وصديقه الراحل وجوئه الى ضريح الحسين ومناجاته له طلبا للامن .. الخ . أن هذا التفصيل كله قد يتقبله قارئ الرواية (وقد يطالب به) ، أما القصة القصيرة .. فرغم كل ما أصابها - ريصيها - من تطور فيبقى صحيحا ما قاله واحد من كبار كتابها هو ادجار الان بو : « فى بناء القصة كلها لا يجب أن تكون هناك كلمة واحدة لا ترتبط - على نحو مباشر أو غير مباشر - بنخطيط القصة المسبق .. » (٢٢) ، أن الأفكار لا تتشكل وفقا للحوادث ، لكن الكاتب يعتمد الى تأثير واحد يريد أن يحدثه ، ويروح ينتقى من الاحداث والتفاصيل ما يساعد على ايجاد هذا التأثير . لكن جمال الغيطانى فى هذه القصة بعيد عن مثل هذا التخطيط ، لذا نأتى النهاية دوعا من الاستسلام غير المبرر ، لأن الكاتب لم يهدف منذ البداية لاحداث هذا التأثير ، لكنه كان ينسى محطته تماما وهو ينساق الى تفاصيل حب البطل أو سفر صديقه أو حياته فى القرية البعيدة ..

وملامح القاتل طالب الثار أكثر تأثيرا من بطل أيام الرعب . أن هذا القاتل كما يتجسد فى وعى الضحية وفى كلمات أهل القرية يقف بين المستوى الواقعى والرمزى : هو الفاتك الكاسر ، قاتل الاطفال دون رحمة ، لا يفلت امرأة اعجبته ويمرغ رؤوس الرجال فى الدل ، يعذب ضحيته قبل أن يمد يده لقتلها فى اللحظة التى يختارها ، انه يد قدر قاهر تمعد لتبطش بما تريد دون تردد . لو أن الكاتب ركز قصته حول هذا الضار الواحد وانتقى من التفاصيل ما يخدمه لجنب قصته هذا الترهل الذى أصاب بعض اجزائها ولاختار لها النهاية التى تنسق وملامح بطلها ..

سنلتقى بصورة هذا القاتل مرة أخرى فى القصة التالية « منتصف ليل الغربة » (٢٣) . فى مدينة صغيرة من مدن الصعيد يراوح البطل بين حياته الراكدة فيها وذكرياته عن مدينته البعيدة المليئة بالصخب والحياة والجماليات ورائحة البحر ، وتستخدم القصة كل وسائل القص : اليوميات والرسائل والمونولوج والوصف والمعلومات . فى يومياته يستعيد الفتى قصة حبه العريقة بأول أنفاس الشباب ، وكلما أوغل فى ذكرياته بدت له المدينة أكثر وحشة ورتابة وخمودا ، لا يعرف فيها سوى هؤلاء الموظفين الذين يبادلهم عداهم منذ اليوم الاول ، ولا يبقى له سوى أن يجلس على

[٢١] مجموعة : « أوراق شباب .. » .

[٢٢] راجع : د. شكرى عياد ، المرجع السابق : ص ٢٣ .

[٢٣] المساء ، ٦٩/٢/٢١ .

رصيف المحطة ، يرى القطارات والفتيات ويفرق في ذكريات حبه • ثم يبدو لنا خفير الاستراحة التي يببت فيها الفتى وحده : طويلا صامتا ، متجهما ، جامد النظرات ، من قلب الوحدة عرض عليه الفتى أن يببت معه وسيؤجده على ذلك • • • وفي قلب الليل وجد عبد المقصود « يلامس جسمه ، يده الخليفة الخشنة تسد فمه ، أنفاسه ساخنة لزجة تشعير ما وراء أذنه ، واليد الأخرى تمتد الى بنطلون بيجامته ، الحجرة تفرق في زيت لزج » ، بعدها تسلل عبد المقصود شيئا فشيئا حتى امتلك حياته كلها : تاريخه وخطاباته ونقوده وكتبه وخلجات نفسه ، خطاب حبيبته ظل الشيء الوحيد الذي يكتبه بعيدا عنه ، أرسل لها خطابا واحدا كصرخة غريق ثم كعب • • • يخاف أن يرى سامية فجأة ، ستعرف كل شيء ، فربما أخذها من يدها وذهب بها اليه • يقف الفتى أمام محل بيع أدوات الحلاقة ، ربما ليشتري شفرة وربما ليشتري زجاجة عطر ، « صاحب المحل يقول له وعيناه محمقتان الى السماء : أن المطر لا ينزل هنا أبدا » •

قد كان يمكن لهذه القصة أن تكون ما أرادها الكاتب : تعبيراً عن الوقوع في قبضة قهر قوى شامل لا سبيل الى الهرب منه ، لولا أننا لا نستطيع أن ندفع عنا هذا التساؤل : هل اغتصب بطل القصة أم لبي نداءا كامنا في أعماقه ؟ من البداية نرى في حديثه عن نفسه عبارتين تلفتان النظر : « عند عبوري حديقة الاستراحة الجرداء تيقنت أن هناك من يرقبني • • • أشعر ظهري » ، وهو يقول في ذكرياته عن حبيبته : « قلت لن أجد مثلها ، لو أني خلقت بنتا لتمنيت أن أكون هكذا » ، ثم هو الذي يعرض على خفير الاستراحة أن يببت معه ، وفي آخر ليلة « وكان عبد المقصود وحشا فاقد الرعى آله حتى صرخ » ، بعدها • • • تمنى الفتى أن يوقظه ليجاذبه الحديث ، هذه القصة ليست وقوع فتى في قبضة القهر قدر ما هي تصوير نفسية فتى يتمنى الاغتصاب وقد اغتصب • كان حائل الرجولة عبئا يثقله ويقف به دون أشياء كثيرة : دون أن ينقل لمديره ما يقوله عنه مرءوسيه ، ودون أن يحمل مسئولية حبه البعيد ، باختصار : دون أن يلقي عبء وجوده كله على الآخر (٢٤) • • • اننا نقف أمام نهاية القصة المراوغة ونصن لا نعرف : أهو جاد في أن يضع نهاية لحياته أم سيقنع في النهاية بزجاجة العطر ؟

لعلها هذه المدينة نفسها التي عاش فيها هذا المدرس العجوز الذي لا نعرف له اسما ، بطل « البلاد البعيدة » (٢٥) قضى

في هذه المدينة الصغيرة خمسين عاما لم يبرحها : صغيرا يمشي الى جوار أبيه على رصيف محطاتها ، وعجوزا في الخمسين لازالت تسليته الوحيدة أن يراقب القطارات ويتأمل • اختاره الكاتب في لحظة « نموذجية » بعد تربيته لهذا الرجل الذي ألقى في حياته الرائدة حجرا حين حدثه عن أسفاره البعيدة ، ثم تركه وبه شوق لا يرتوي الى البلاد البعيدة •

ان هذا الحلم المتردد في أعمال جمال الغيطاني تفتت بين يديه حين حاول أن يجعله في قصة واحدة فدلقة دلقا على الورق : لا الشخصية مقنعة ولا اللحظة كذلك • هذا الرجل الذي يعيش أعزب في الخمسين لأنه يرتبك في حضرة الفتيات فيكتفي منهن بالنظر العاجز ، هل عاش هذا الرجل خمسين عاما من عمره لا يبرح قفصه الحديدي ثم انبعثت أزمة وجده كله لان عابرا قال له عدة ملاحظات عن ساندوتش الشاورمة في بيروت وحسناء أسبانية التقى بها في سفينة ؟ ولان البطل (أو الكاتب ؟) لا يعرف هذه البلاد البعيدة معرفة كافية تتيج له أن ينتقى من التفاصيل ما يجعل حلمه بالارتحال صادقا ومقنعان تصوره لهذا العالم يقع بين حدين : بقايا متلكئة لرحلات خرافية قام بها السندباد من ناحية ، وصور محدودة لتلك الحياة تتمثل في بيوت محدبة السقف وفسوة جميلات مستباحات وزخافات فوق الجليل ومظلات ملونة على رمال المصايف وقناديق معلقة في الغابات الكثيفة • من الناحية الأخرى •

القصة الأخيرة التي كتبها جمال الغيطاني « الحصار من ثلاث جهات » تشي باستفادته استفادة واضحة من مجموع ما كتب • أنها تكاد تخلو من عيوب هذا القسم من القصص الذي تنتمي اليه • ان فارقا فنيا ملحوظا يفرق بين هذه القصة وسابقاتها • لكن طريقة البناء هي الشذرات المتفرقة التي تبدو بلا معنى حتى تتكامل القصة كلها فتصفي المعنى على هذه الشذرات • واحد من هذه « الجماعة المفمورة » - على حد تعبير أوكونور - التي اختار جمال الغيطاني أن يعبر عنها : صفات الموظفين المسحوقين بين قسوة الواقع وطموح الأحلام • يسكن حجرة دون مستوى الأرض ، يعيش حياته وجها مع الناس يتبسط معهم • لكنه ان خلا الى نفسه عاش حلم عظمته بعد أن يعلن رسالته ويظهر للناس • (هل يرى نفسه ناطق الزمان الذي سيظهر بعد طول تسيتر واختفاء ؟) ، في الليل يفكر في أعدائه ويضع خططه ويكتب رسائله لزعماء

العالم ويصورون ما سيكتبه عنه مؤرخو سيرته بعد اعلان رسالته • لكن الحصار يشد حوله ، فيتخلى عنه اقرب أصدقائه • وقائد قواته في المستقبل ، والشيخ صاحب البيت يطالبه بإسلاء الحجرة التي لم يدفع إيجارها ، حوصر الزعيم من الجهات الثلاثة ولا بد أن يقود المعركة الأخيرة بنفسه • لابد أن يلجأ للجواهر : « يرفع الشيخ عاشور عصاه ويبدأ الهجوم المعلن ، لكنه يحيط قضبان النافذة بذراعه ، باليد الأخرى يفتح أول صفحات الملف الأحمر »

• • • • • اصغروا الى قراراتي • • • اصغروا الى ما • • • • •

وتحار في نهاية القصة : اتيسم أم تحزن وعصا الشيخ تنهال على آخر صورة تتردد لناطق الزمان في أعمال جمال الغيطاني ، هذا المثلث الصغير السحوق ، لم يتجاوز مرتبة عشرة جنديات وأربعين قرشا « لهذا يملأ قلبه حب لمعذبي العالم » • ومن أجلهم يحلم بهذه اليوتوبيا الجديدة ، يقضي فيها على « الفقر واللام والمضارف » • يضاعف أجور العمال ويجعل لكبار السن مكانا لا يتألمون فيه • ان التناقض بين حياته الملقاة تحت الاقدام - فضلا ومجازا - وبين رسائله الى زعماء العالم وقراراته وخططه هو ما يشيع في القصة هذه الفاكهة القاتمة ، هذا الضحك المندى بدموع العجز • • • لشد ما قسا جمال الغيطاني على آخر صورة تهدت لامامه المستتر ، لبحثه عن نموذج يجسد أحلام الملايين في العدل والحب والحرية ؟

• • •

تلك قراءة في قصص جمال الغيطاني القصيرة من ٦٧ الى الان ، لم تحلق فوق هذه القصص قدر ما حاولت أن تصحب الكاتب في ابداعه عملا بعد آخر ، هدفها التعرف على أبعاد عالمه ، وأسلوب بذائه الفني ، وما يريد أن يقوله من وراء أقنعة المتعددة • لكن هذه القراءة تبقى ناقصة لسببين : الاول انها لم تتعرض لروايتيه : « الزينى بركات » قصة استحضاره لتاريخ مصر المملوكية ، وتصويره لهذا النموذج الذي غش به وقدمه في بعض قصصه القصيرة ، و « الزويل » التي ارتحل فيها الى أرض أسطورية جديدة ليقول لنا من خلالها شيئا عن حياتنا المعاصرة • السبب الثاني أن جمال الغيطاني مشروع يتحقق مع كل عمل جديد ، بشرت رحلته مع القصة بعطاء وفير ومتنوع ، ولعله يحرص على أن يظل دائما قادرا على العطاء ، وقادرا على أن يحتفظ بمسافة قسائمة بين الكاتب والقصة ، بين الذات والنموذج •

[٢٤] ربما يتفق هذا التفسير مع تشبيهات البطل التي تعكس كلها طابعها « فها » - اذا استخدمنا تعبير التحليل النفسي ، فالعينان في لون غسل النحل ، والشفقان كالفراولة ، والهواء له طعم القرنفل ، أقطف الفراولة والكهثرى واشرب عصير المشمش • الخ •

[٢٥] النساء ، ١١/٧٠ •



عن الموت والطقوس الأخيرة



في بلاط شهباز

احمد عنتر مصطفى



[١]

... وانت ترقصين في العراء
لمسى الدثار ..
فهذه الرياح جامحة ..
ورقصك انتحار ..
.....
.....
سماك ، وانفراجة الاغراء ،
وانبثاق الفجور من نهديك ،
واسستكائة الضعاف في عينيك
لا ترد جائعا ..
فلتحذري عيون شهباز ..
ان اصبحت خناجرا ..
او انشبت في لحمك الطرى
نظرة اشتهاه اظاقرا ..
تهيج في مسروقك الانوثة
المحبومة ..
تفجر الزوابع ..
فتسقطين دونما اراده ..
وتجهضين بالمات قبل لحظة
الولادة ..
وتتركين وجسك النبی في
التراب ضارعا ..
.....
.....

[٢]

يظل ذلك الاسى مقدر ..
سادام في جبينك الشرقى
ينحت المكتوب والقدر ...
ترقصين .. ترقصين ..
ترقصين ، والالم ..
يهد سيفه النارى فوق عمرك
الوردى ، والغناء متصله ..
وانت في تهوية النغم ...
تعايق خفقة الالهيب في
الوتر ..
تسامرين شهباز قصة ،
ولا يصيد جفنه الرقاد ..
أواه شهباز ..
مايمنع الرجال والفرسان في
بغداد ..
ان يضرموا الجحيم في الرماد
ويتركوا الوقوف والذهول
عند باب القصر ..
تتوجت اسواره باللف جثة
شعورها مهذله ..
مايمنع العيون أن تصير في
بغداد ..
نوافذ الرصاص والمقاومة ..
فتحرق الدموع والمساومة ..

[٣]

تمر الف ليلة .. وليله ..
والليلة الخمسون بعد الالف
قد تمر ياأميرتى الاسيره ..
يهلل البلاط لارتعاشة
الضفيرة ..
ويقتلون بالسكوت غيله ..
.....
عيونهم تغوص في الرياش
والوساد ..
ويحلمون كل ليلة أن يدرك
الصباح شهباز ..
ماذا اذا خلف الصباح
موعدا ..
وبح صوت الديك فارتمنى

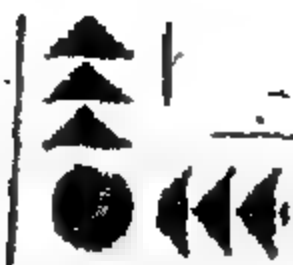




على الفضاء مجهدا ..
 وردد الصدى ..
 رنين وقع السيف أو تكبيرة
 الجبلاد .. ؟؟؟
 أواه شهر زاد ..
 ..
 الليلة الخمسون بعد الالف
 قد تمر ، تنتهى هنبالك

الطقوس ..
 أخاف أن تراق فوق ظهرك
 الكنوس ..
 أخاف من تشاوب الأضواء فى
 محاجر الشموع ..
 فيجهد الشعاع لأهنا ..
 على قم الشنوس ..
 ويستظل فى جيبك السواد

وينثنى مقهقها - كالوتت -
 شهريار صارخا :
 السيف يا جيلاد ..
 [() () () () () ()]
 [() () () () () ()]
 أواه شهر زاد ..
 أواه شهر زاد ..
 أواه شهر زاد ..



[الموقف في الفن]



ايزنشتاين

سينما ايزنشتاين

رضوى عاشور

كان يدور في شوارع موسكو حائرا ، وغاضبا أيضا ، كان حبه « عاصفا وماساويا » حبه الاول والذي ظل معه حتى مات . كان في الثانية والعشرين وكان يعمل في مسرح العمال الاول . وفي ليلة من الليالي سقطت تفاحة نيوتن التي كشفت له عن كل شيء : طفل في السابعة ، ابن احدى العاملين بالمسرح يجلس يشاهد المسرحية . نظرت اليه وصدمني التعبير الذي على وجهه . لم يكن يعكس فقط التعبيرات التي تظهر على وجوه شخصيات المسرحية واحداثها بل كل ما كان يدور على الخشبة في تلك اللحظة » [مذكرات مخرج سينمائي] « موسكو ، ص ١٢ » ان الامر خطير ، بل انه فظيع ان الفن يستطيع بالخيال وليس بالفعل ان يجعل الانسان يعيش اعمالا بطولية ، يفعل بشدة ، يتخلص من غرائزه الدنيئة ، يكون وطنيا ، لكن دائما بالخيال وليس بالفعل . ان هذا اكثر من خدعة ، فالمتفرج يرضى نوازعه عن طريق الفن [الخيال] . اذن لماذا يقوم بأى شيء ان كان يستطيع في مقابل مبلغ صغير ان يرضى نفسه دون التحرك من مقعده الوثير في المسرح .

في المشاهد هذه الاحاسيس او الصالة النفسية التي تؤثر على تجربته بكل عنصر [يكون محسوبا بدقة رياضية ، ومؤكدا] يستطيع ان يؤدي الى صدمات انفعالية معينة ينظمها شكل بالذات هو العمل الفني في كلفه ، وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي نستطيع عن طريقها ان نجعل النتيجة الايدولوجية محسوسة « [ايزنشتاين ، بقلم ماري سيتون ، نيويورك ، ١٩٦٠ ، ص ٦١] ، ويستخدم ايزنشتاين مونتاج الاثارة في فيلمه الاول الاضراب [١٩٢٤] الذي يدور حول الصراع بين اصحاب المصنع وإدارته

المقبلة « ان الغضبية من الممكن ان تلعب دورا صديقا للثورة وليس معاديا لها ، فبدلا من ان « ينسحب » الفن من المتفرج انفعالاته او « يظهر » منها كما يوجهه هذه الانفعالات نفسها الى الجهة المرفوعة فيها [ا] ويقتضي ايزنشتاين كل الوسائل التي تجعله يحقق هذا الغرض وربما من اهمها ما اسماه في بداية حياته الفنية « مونتاج الاثارة » ثم أطلق عليه فيما بعد « المونتاج الذهني » . وهو يكتب في مجلة ليف LIFE في موسكو عام ١٩٢٣ : « ان الاثارة .. هي كل لحظة شديدة العدوانية واقتصاد كل عنصر يثير

قرن ايزنشتاين ، الثوري الشاب الذي التحق بصنف الثورة البلشفية منذ أيامها الاولى ان يهدم الفن ، ان يقضى عليه ، وكانت خطته ان يسيطر عليه أولا ، ان يكشف اسراره ويرفع عنه اقنعه ثم يوجه له الضربة القاضية [ا] ولكن في الطريق ، تصادق مشروع القاتل ومشروع القتل ١ [انظر نفس المرجع] »

ويذكر التاريخ ان الرجل الذي اراد ان يقتل الفن قدم اعمالا هي انفسج نماذج المرحلة في الفن السينمائي ، فلتدرك كيف الثوري الشاب اثناء متابعته « تصحيفه

والسلطة من جهة والعمال من جهته
أخرى .

تكنيك ثوري

يبدأ الفيلم بكلمات للينين تقول : أن الطبقة العاملة بدون تنظيم لانساوى شيئا وانها بالنظم تساوئ كل شيء ! ونلاحظ هنا ان العبارات المكتوبة التي تظهر بين الحين والآخر في افلام ايزنشتاين الصامتة تعتبر وسيلة مساعدة في توصيل رسالته ، ثم يقدم لنا المخرج الاركان الاساسية في الصراع ، المديرين ، العمال والعملاء : المخبرين . يستخدم المخرج الاسلوب الكاريكاتوري في التعامل مع اعداء الثورة ، المدير بدين ، ثقل الحركة ، انه « فمط » يثير الضحك ، العمال ايضا صورة نمطية typical وجوه نحيلة نسبيا لكن قوية ، شعور مجوشة .. الخ .. المخبرون يطلق عليهم اسماء : الثعلب ، الكلب ، القرد ، البومة . ويعبر عنهم بهذه الصور . انهم ينخبون هنا وهناك ، يلتقلون الصور ويبلغون عن كل تحرك للعمال . ينفجر الصراع حين ينتحر احد العمال احتجاجا على انتهاه بالسرقة ، تبدأ الدعوى للاضراب .. ثم الاضراب ، ويصير ايزنشتاين مجموعاته بمهارة بالغة وترن التليفونات مملنة النور لدى الكار : المدير ، اصحاب الاسهم ، البوليس .. الخ ، العمال في الجانب الاخر يجمعون ويتناقشون ، يحددون مطالبهم : العمل ثمان ساعات ، زيادة الاجور بنسبة ٣٠٪ وأن تحترمهم الادارة وتعاملهم بشكل مهذب . المطالب يمسح بها المدير حذاه .

.. وبدأ السلطة في الضرب . اولا بشكل غير مباشر عن طريق ترك العمال للجوع وادخال عناصر مندسة ومخبرية بينهم ثم حين تفشل السياسة الاولى توجه عليهم خراطيم المياه اثناء تجمعهم ، يلاحقون في كل مكان ، خيول السلطة والبنادق تقتحم عليهم بيوتهم ، تضرب ويعنف ، جندي يحمل طفلة صغيرة في يده ، ثم ، من الدور الثالث يلقي بها . ويستل المشهد بين حركة الخيول والجنود وسط العمال ، وبين صورة بقرة تدبح .. السكين يحز في رقبتها أكثر .. والجنود تحاصر الناس ، والدم ينسال قزيرا من البقرة المذبوحة ، وينتهي الفيلم بمشهد قتلى كثيرين جدا ، تملأه كلمات . تقول ان هذه الاحداث حدثت في اكثر من مكان في روسيا .. «أيها البروليتاري .. تذكر!» ففي حين ان البروليتاري او المضطهد عموما الجالس في صالة العرض سوف يشعر بالتعاطف والانتماء لعمال الفيلم

الذين يمثلونه في نفس الوقت السذى يقدمون له نموذجاً يحتذى به في طريقة القيام باضراب ويكتفون شعورهم بالقهر ، فان أناسا آخرين ينمون لطبقات مختلفة سوف يجدون انفسهم متعاطفين مع هؤلاء العمال نتيجة للصدات المسكرة التي يواجههم الفيلم بها .

فيلم الثورة

كان فيلم المدمرة بوتكين هو ما اراد ايزنشتاين ان يساهم به في الاحتفال بالذكرى العشرين لثورة ١٩٠٥ ، فكر في بداية الامر ان يكون الفيلم عن الثورة « عموما » لوحة بانورامية من ثمانية اجزاء كتب السيناريو الخاص بها بالتعاون مع نينا اجازدانوفا ، ولكنه اكتشف كأي فنان اصيل ان التركيز على « الجزء » المثل « لكل » يمنحه إمكانية لن افضل ، وكان ان اختار حادثة واحدة من احداث الثورة هي انتفاضة بحارة المدمرة بوتكين وصورها في مدينة اوديسا ، المسرح الحقيقي لاحداث الانتفاضة ، وعلى « الحوار بين الانا عشر » وهي المدمرة المطابقة لبوتكين لتلعب الدور الرئيسي في الفيلم .. اختصر الممثلين الى اقل عدد ممكن ، ولم يكن هناك ستوديو على الاطلاق وبأقل قدر من استخدام المكياج والديكور ويعيد الفيلم بناء احداث الانتفاضة متوقفا بالوقائع التاريخية باستثناء نهاية الفيلم . ففي حين أن ثورة ١٩٠٥ انتهت بالفشل وسلمت بوتكين للحكومة القيصريه واعدم بعض بحارتها وهرب البعض الآخر ينهى ايزنشتاين فيلمه وبوتكين تشق عذاب البحر ، ترتفع مقدمتها لتحتل الشاشة تماما ، موجية بالنصر ، ويقول ايزنشتاين « لقد كنا مبررين في انتهاء الفيلم بانتصار المدمرة لان ثورة ١٩٠٥ رغم انها غرقت في الدماء ، الا ان التاريخ سوف يذكرها كحقة منصرة وبشير لاننتصار ثورة أكتوبر » [مذكرات مخرج سينمائي ، موسكو ، ص ٢٩] . ان ايزنشتاين وهو يعيد بناء احداث انتفاضة بوتكين ، وهو يعمل على المشاركة في احتفال تومي بمرور عشرين عاما على ثورة سنة ١٩٠٥ لا يقدم عملا دعائيا بل عملا فنيا يقصد وراءه فنان شديد الوعي بمتطلبات نفسه وبامكانياته ايضا . انه يؤمن « ان السينما تستطيع ان تقدم مساهمة اكبر وتأثيرا اقوى بتقديم المادة والشيء وليس بتقديم الاحاسيس . وبهذه الطريقة فان الانطباع يكون « فزيولوجيا » فلنأخذ مثلا مشهد القوزاق وهم ينزلون ببسط على سلالم اوديسا يطلقون النار على الجماهير . ان المزج الواعي للرجل والصلال والدم

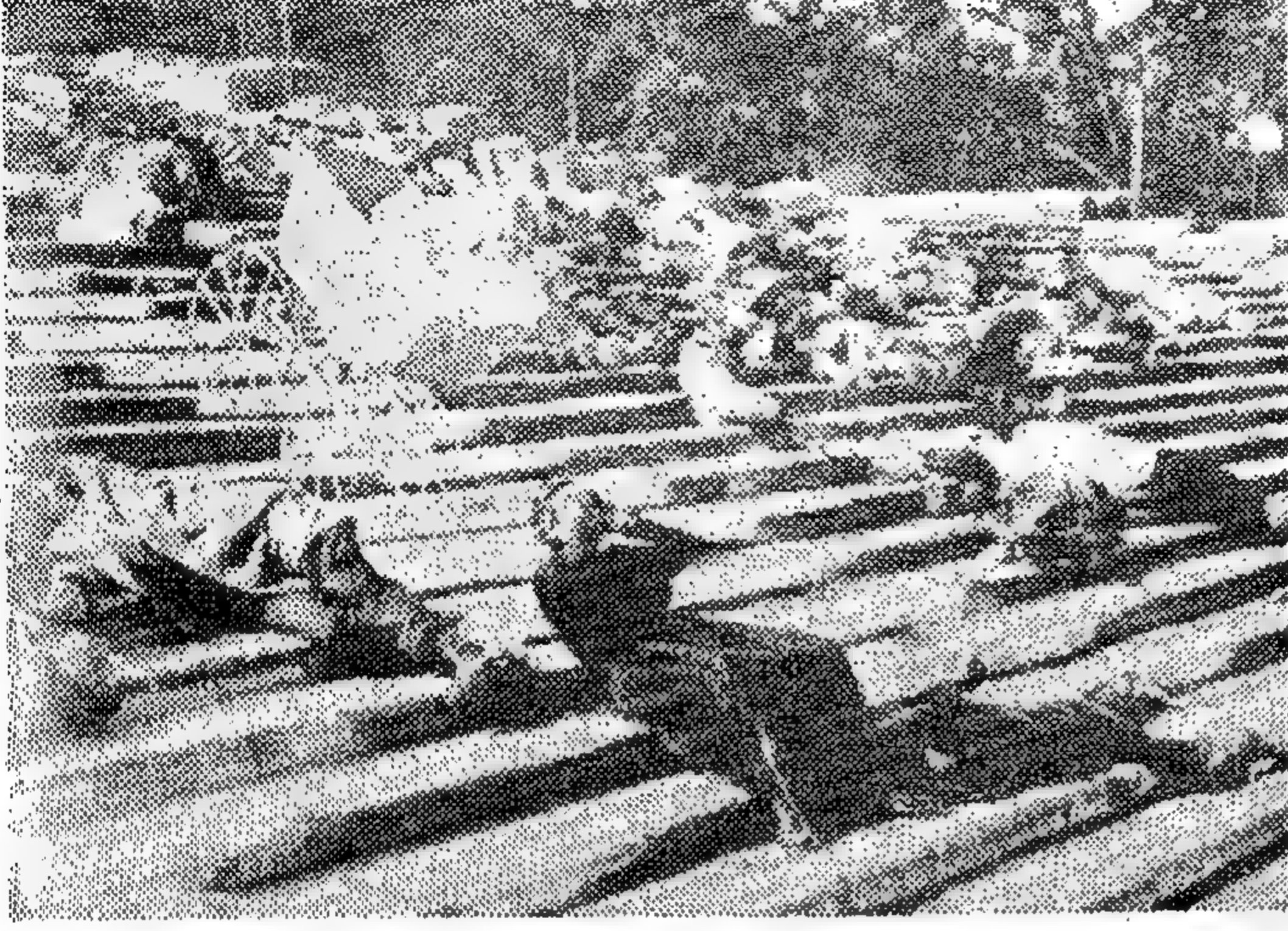
والناس يؤدي الى تأثير بعينه . من أي نوع ؟ ان المقترح لا يتصور نفسه في اوديسا سنة ١٩٠٥ ولكن كلها دقت احذية الجنود الثقيلة واقتربت فان المقترح ينكبش جسديا . انه يحاول ان ينجو من دائرة الرصاص وكلها تدرجك عربة الطفل فان المقترح يثبت في مكانه لانه لا يريد ان يسقط في البحر » [من مقابلة مع ايزنشتاين نشرت في مجلة نيشن

nation في نيويورك في ٩ نوفمبر ١٩٢٧ نقلها من كتاب ماري سيتون ص ٧٨] ان مشهد سلالم اوديسا الذي يشير اليه ايزنشتاين يعتبر من النماذج الناضجة جدا للفن السينمائي . والرائع ان التأثير السذى يتركه في المقترح نتيجة لتخطيط مسدروس من قبل المخرج ووعي حاد بالامكانيات الكامنة في البناء الفني يكتب ايزنشتاين في مقال بعنوان « الوحدة العضوية » ، والتعاطف ، pathos في بناء بوتكين « سنة ١٩٢٩ موضحا استخدامه للحركة في هذا المشهد «لترك جانباً حالة الذعر التي تجتاح الجماهير في هذا المشهد ولترك كيف تستخدم الحركة وهي احدى الوسائل البنائية التركيبية في الفيلم للتعبير عن ازدياد حالة التوتر .

اولا لقطة قريبة من الوجوه المتدفئة بشكل فوضوى ، ثم لقطات طويلة لنفس المشهد .. ان الحركة الفوضوية تملأها لقطات تبين اقدام الجنود وهم ينزلون السلم بشكل ايقامى منظم ..

.. يسرع الايقاع ثم ، في الوقت الذي تصل فيه الحركة لاسفل الى نهايتها تنقلب الية فجأة وبدلا من اندفاع الناس هابطين ترى وجها وحيدا لام تحمل ابنها الميت ببطة وجلال تصعد الدرج .. ثم مرة اخرى تفرز الى الاتجاه المعاكس ، حركة الى الاسفل

.. يسرع الايقاع وعجاة لقطة للجماهير المتدفئة تملأها لقطة لعربة طفل تدرج على السلم ، ان الامر اكثر من مجرد ايقاعات مختلفة بل تفرز في طريقة النقل من الجرد الى المسند وهي تعطي مظهرا آخر من مظاهر الحركة لاسفل . ان اقتراب الكابيرا بالتالي يليه لقطات طويلة (الاندفاع الفوضوى لجبهة من الناس يتبعها خطوات منتظمة للجنود) . مظهر من مظاهر الحركة (الناس تركض ، تسقط ، تتعثر على الدرج] العودة الى عربة الطفل وهي تدرج على السلالم ، النزول يتلوه الصعود . العديد من موهات ينادى عديدة تملأها طلعة واحدة من مدح واحد من



مشهد سلالم أوديسا من فيلم بوتيمكين

مدافع المدمرة « [مذكرات مخرج سينمائي ، ص ٥٩] .

الموقف المنحاز

ان ايزنشتاين يعيد خلق الاشياء من وجهة نظر ماركسية وأفلامه كلها بلا استثناء تنطلق من إحدى المقولات الأساسية للجدل وهي صراع الاضداد. في الاضراب [١٩٢٤] يكون الصراع بين اصحاب المصنع والسلطة من ناحية والعمال من ناحية أخرى ، وفي بوتيمكين (١٩٢٥) يكون بين البحارة واهل اوديسا من جانب والضباط على ظهر السفينة وعسكر السلطة من الجانب الآخر . وفي أكتوبر [١٩٢٧] الذي اعده ايزنشتاين للمساهمة في الاحتفالات بالعيد العاشر للثورة يحتدم الصراع بين البلاشفة وبين الحكومة المؤقتة وكل من يساندونها . والصراع هو أيضا الثيمة الأساسية في الكسندر نفسكي [١٩٢٨] وايفسان الرهيب [الجزء الاول ١٩٤٥ - الجزء الثاني ١٩٤٦] ويعبر ايزنشتاين عن فكره الماركسي بحساسية ووعي فنان كبير فهو كما اشرنا من قبل من هذا النوع من الفنانين البعيدين كل البعد عن التلقائية، اذ يتبنى كل عمل من اعماله بوعي مهندس معماري ويخلق كل مشهد وفي ذهنه امكانيات ردود الفعل لدى المتفرج، وهو يهتم بالجاليات الى الحد الذي دعا بعض نقاده في الاتحاد السوفيتي لاتهامه بالاهتمام بالشكل من اجل ذاته خاصة بعد غلبه أكتوبر ولكن ذلك لم يكن صحيحا اذ كان يؤمن « بان المضمون الايديولوجي كان وسوف يظل دائما أساس أية جاليات تضمن لنا السيطرة بالوسائل التكنيكية الجديدة، ان وسائل التعبير المتطورة ابدا سوف تخدمنا كوسيلة لتجسيد افضل وجهات النظر وهي الافكار السامية للشيوعية » ولقد حاول ايزنشتاين ان يستخدم هذه الوسائل التعبيرية ومسولا الى المضمون وتوضيحا له اكثر من ذي قبل في فيلم أكتوبر (١٩٢٧) ولكن الفيلم استقبل بالبرود واتهم المخرج باستخدام وسائل تمثيل « ذاتية » وبأن فيلمه « صعب » ويتناول فيلم أكتوبر الاحداث العنيفة التي مرت بروسيا ما بين شهر فبراير ١٩١٧ حيث تم اسقاط القيصر نيقولا الثاني في شهر نوفمبر عندما استولى البلاشفة على الحكم . ويعتمد الفيلم اساسا على تسجيل الاحداث

واقعية في هذه الفترة . يبدأ بعملية ربط رأسها بمندبل ، تتساقط تمثال القيصر الضخم وتربطه بالحبال والعمال الواقفون عند اسفله يشدون فيسقط التمثال جزءا وراء جزء ، ويكون الحكم القيصر قد سقط في روسيا . وتبدأ الجاهير - صانعة الثورة - الشوارع بالنصر وأيضا مهم البرجوازيون يفحكون فلم في الخير نصيب ، بل انه النصيب الاوفر . تتشكل حكومة مؤقتة برئاسة كرنسكي ، حكومة برجوازية .

تمثال القيصر الذي حطمه العمال في أول الفيلم تعود له أجزاءه جزءا وراء جزء فعود كما كان . لا فرق حقيقيا بين القيصر والحكومة المؤقتة . البلاشفة يدعون الى مؤتمر . لينين يمسك بيده القيادة . يقرر أن يتم الاستيلاء على الحكم يوم ٧ نوفمبر . يرسل البلاشفة رجالهم الى القصر الشتوي مقر أعضاء الحكومة المؤقتة وحين يتم الاصطدام بين البلاشفة ومن وكل اليهم بحراسة القصر ويتضح أن الحكومة المؤقتة سوف تخسر المعركة يقرر اعضاؤها أن يتشخوا بكرامة . ومرة أخرى يستخدم ايزنشتاين أسلوبه التمبيري الساخر فالحكومة المؤقتة معاطف خالية « تجلس » على الكراسي

وتبعات على رؤوس غير موجودة . . ويسقط القصر الشتوي وتنتقل الحكومة المؤقتة وتعلن أول دولة اشتراكية في العالم وعلى عرش القيصر يجلس طفل صغير ابن أحد العمال أو العاملات . . . يضحك . . . وكما اسهت افلام الاضراب [١٩٢٤] وبوتيمكين (١٩٢٥) وأكتوبر (١٩٢٧) والخط العام * (١٩٢٩) في خدمة قضية الثورة فلقد اراد ايزنشتاين بيلمه الخامس الكسندر نفسكي (١٩٢٨) ان يذكر روح النضال ضد الغزو الألماني الذي كان على الابواب . وكان فيلم الكسندر نفسكي هو أول فيلم ناطق لايزنشتاين ، وكانت أغنيات الكورال وموسيقى بروكليف تلعب دورا محوريا في الفيلم . اذ « لم تكن تكلم » كما قال ايزنشتاين عنها « بأن تكون ايضا مصاحبا للحدث بل انها تتقدم صورة رائعة للحركة الداخلية للظاهرة وبناؤها الديناميكي الذي يجسد الشغف الكامن في الحدث ومعناه » [المرجع السابق ص ١٦٣] ان الكورال في أول الفيلم حين تهب جموع الشعب الروسي للدفاع عن أرض الوطن يضيف للصورة القوة الكامنة في قوة شعب يرتفع صوت الكورال : « قم أيها الشعب

* القديم والجديد ، أو الخط العام يدور حول الصراع في القرية الروسية بين الحياة القديمة ، ورسائل الحياة الحديثة ، وللأسف لم أشأ ان أحدث عن هذا الفيلم لأنه لم تفتح لي فرصة مشاهدته .

أن تطيع راهباً .. أفن .. احكم
وحدك .. ملعونا .. ؟
أيفان : من هو ؟

إن الفيلم يدور أولاً وأساساً حول شخص أيان مما جعل أحد النقاد الفرنسيين يقول أن الفيلم يبدو وكأنه دفاع عن الحكم المطلق مع حكم أيان وحكم نشتالين [أنظر : إيزنشتاين ، ليون موسينك ، باريس ، ١٩٦٤ ، ص ١٦٦] ولقد كان فيلم أيان حين عرض على الجمهور مثيراً للدهشة فعلاً إذ أن إيزنشتاين في أذهان الناس هو أحد آباء الواقعية في السينما الروسية، وهو في هذا الفيلم يقدم لهم جواً يقترب من أجواء الأساطير ، الشخصيات كلها ، وأولها شخصية أيان يتجسأون حبسها حجم الإنسان العسادي ، وتقول ماري سيتون في هذا الشأن إن المواطن الحركة للشخصيات أقرب في طبيعتها إلى المأساة الإغريقية والوجوه لها صلة الانتع في حين أن كل حركة من الحركات تحمل إحياءات رمزية (ص ٤١٢) ولقد حاول إيزنشتاين في هذا الفيلم أن يستغل كل الوسائل الفنية الممكنة للوصول إلى تجسيد رؤيته . فالناحية التشكيلية متطورة إلى حد مذهل والفيلم يقدم لنا نموذجاً نريداً على التساؤل بين إيزنشتاين ونصوره الذي قال عنه « لا أعتقد أن المعلم رأى دليلاً مماثلاً على وحدة الرؤيا والاحتساس والتجريب كالتي بنى وبين «تيسه» [١] مذكرات مخرج سينمائي من ١٩٤٧] . كما تعمق موسيقى بروكوفيف دلالات مشاهد الفيلم على تنوعها ، كذلك كلمات الاغاني وبعض المقاطع المأخوذة من العهد القديم .

إن الفرق بين إيزنشتاين والشخصية الذي راعته قدرة الفن على التأثير في الناس إلى درجة الرغبة في تحطيمه وإيزنشتاين مخرج أيان الرهيب مارق ضخم .. ولكن دائماً وعبر كل هذه التطورات كان إيزنشتاين يتمتع بخيال الفنان الجامع وبدقة العالم . يدرس وبأسهاب كل صغيرة وكبيرة تتعلق بفن في الوقت الذي يجرب من خلال تعامله اليومي مع مادته . ولقد ظل إيزنشتاين على مدى تعامله مع نفسه صاحب أيديولوجية ونكر ثوري يؤمن بأن الفن أولاً وأخيراً تجسيد لموقف .



لقطات من فيلم
الكسندر نفسكي

والفيلم الذي يليه أيان الرهيب . ولقد رسم إيزنشتاين شخصية أيان بتوفيق كبير ، فهو مزيج من وجود أسطوري وإنسان يعانى الوحدة والعزلة وتهفو روحه إلى رفيق . إن العنف المتجسد في قراراته التي يتخذها للوصول إلى هدفه والتي أدت إلى تسميته «بالرهيب» يتوازن مع أيان الذي يضع رأسه على صدر انستاسيا ، أو يقف عاجزاً أمام جسدها المسجى ، أو ذلك المشهد الذي يحاول فيه أن يقترب من صديقه الراهب فيليب فيرفضه ، أن يحاول أيان أن يظهر له المودة ، أن يحتضنه ، يكاد يتوسل إليه طالباً صداقته « أنا لا أطلب كهيصر .. لا تتركني في وحدتي .. كن معي » يقول أيان « لقد كانت لي صديقة شابة .. انستاسيا .. (زوجته) ولقد تتركنتي .. وكان لي صديق عزيز .. ولقد خانتني » وينفض فيليب ، ينصب جسده في جود يرفض التواصل « أنك لا تريد

الروسي العظيم به الصراع مجيد حتى الموت » ثم يفتح الصوت تدريجياً ويصبح أكثر نعومة وحناناً يجسد الشعر الكامن في حب انتان لأرضه ، أنها الأم « وعروس » هي الفتاة الروسية ذات العينين الصافيتين والجذيلتين يتزوج منها أكثر الرجال شجاعة في ميدان القتال . والفيلم يتخذ شكل الحكاية الشعبية في بساطة حبكة . أنها «حكاية» عن شعب روسيا يذهب إلى القتال وحسين ينتصر تطلق الآلات الشمسية ، المزامير والطبول سريعة راقصة كأنها بيلوانات وأطفال تضحك .. أنه النصر وطبعاً للنصر ثمن ... الفتاة ذات الجذيلتين تحمل مشعلاً في يدها تبحث عن الأحياء بين شجدها الوطن وصوت امرأة يغنى في البعيد توياً وهادئاً : « من يموت يكون له المجد الأبدى - ومن يحيا يكسب الشرف والفخر » وتستقبل نوفوجورود أبناءها شهداء ، ورجالا منتصرين وتستقبل أعداءها أسرى ونفسكي القائد يلمس بكنه رؤوس الصغار يحملهم على كتفيه وبين ذراعيه وتعود الموسيقى الشمسية مرة أخرى ضاحكة راقصة تقول بالنصر .. وينتهي الفيلم بكلمات نفسكي «أيها الشعب الروسي إن استسلمت لعدوك فنصيبك الموت . من يأت إلينا بالسلام نستقبله بالسلام ، ومن يأت بالسيف يموت بالسيف ، من يأت بالسيف يموت بالسيف » . لقد أراد إيزنشتاين في هذا الفيلم أن يسهم بفنّه في دحر غزو كان على الأبواب ، أن يفيلم يذكي روح المقاومة ويعلمها فلقد اختار إيزنشتاين كما قال هو نفسه أن تكون « الوطنية » هي موضوع هذا الفيلم « ونلاحظ أن الأسلوب الذي عبر به عن موضوعه هذا يختلف عن أسلوبه في أفلامه السابقة فهو يستخدم وسائل السينما التقليدية . هناك حكاية ، وشخصيات ، وماكياج وديكور ، وهناك أيضاً بطل فرد . صحيح أن البطل الحقيقي في الفيلم هو الشعب الروسي لكن البطل الأوحد في أفلام الاضراب وبوتكن واكتوبر كان الشعب ولم يكن هناك أي بطل فرد على الإطلاق ولا حتى شخصيات أساسية تلعب أدواراً محورية في الفيلم ، كانت الجماهير هي الأساس المحرك للحدث ولم يكن للفيلم قصة بالمفهوم التقليدي أو حبكة . ولكننا نلاحظ في نفس الوقت الاهتمام بالجانب التشكيلي الذي بلغ درجة مذهلة في هذا الفيلم



مغامرة « رأس المملوك »

بهاء طاهر

مرتجل وغنى يؤدى فى النهاية الى هذا الاحساس العميق بجماعيتنا وبطبيعة قدرنا ووحدته « ولكى يحقق ذلك الحلم — كما يعبر عنه فى تقديم مسرحيته — فانه يبدأ عمله بداية مفرقة فى الواقعية : مجموعة من الناس يجلسون على مقهى يلعبون الررد ، يدخلون النارجيلة ، يتبادلون احاديث منقطعة ، يستمعون الى الاغاني فى الراديو ، ويحولون المؤثر الى مزيد من الاغاني حين يحين موعد نشرة الاخبار .. جماعة واقعية نعرفها جيدا لانها نحن * ويصر سعد الله على الا يبدأ العرض الا بعد ان تتولق الالفه ويترسب ذلك الاحساس بالتوحد بين الصالة وجمهور المقهى على الخشبة . وبعد ذلك حين يبدأ العرض فسوف نكتشف ان هذا التوحد هو المستوى الاول للاندماج وان ثمة مستويات اخرى عديدة سنظننا . فالعرض يبدأ حين يقبل [مؤنس الحكواتى] الذى طال انتظار رواد المقهى له . وهم يطمعون فى ان ينشد لهم « سيرة الظاهر » — [ايام البطولات والانتصارات . ايام الامان وعز الناس] ولكن ذلك الحكواتى قصصه لا تاتى الا فى « اوان » — وترتيب حكاية الظاهر الباهرة لن ياتى الا بعد حكايات اخرى موجودة فى الكتاب . وحكاية الليلة هي حكاية المملوك جابر — ذلك الذكر النهاز للفرس الذى عاش فى بغداد فى عصر فتنة واضطراب . عصر كان عامة الناس فيه « يتفرجون على مايجرى لكنهم لايتدخلون فيما يجرى » ونحن نرى هؤلاء الناس يعبرون عن ايمانهم حين انفجر الصراع بين خليفة بغداد ووزيره . هم يتحركون بين رواد المقهى حين ياتى دورهم فى الحكاية يحملون قطع الديكور

جدال اهم عمل مسرحى ، كتب حتى الان عن مأساة ٥ يونيو . وقد مضت سنوات على كتابة هذه المسرحية ، ومضى اكثر من عام على نشر « رأس المملوك » ومازال هذان العملاقان — حتى فى صورتها المطبوعة — بعيدين عن تناول المثقف العربى المعادل خارج سوريا * فهل هو مطلب مستحيل ان نتطلع لا الى نشرهما فقط — بل والى عرضهما على المسرح ؟ ..

هذا سؤال مطروح على من يريد فهم امور المسرح .. اما اقصى ما نستطيعه فى هذا الحيز فهو ان نتعرف معا على بعض ملامح « رأس المملوك » . واود فى البداية ان اعطى تفسيراً سريعاً للنعيم الذى ذكرته عن حفلة سمر : انها اهم عمل مسرحى عن المأساة ليس فقط لبراعة الحرفة المسرحية او جرأة الموضوع الذى نقدمه وانما لانها اساساً مسرحية نحاصر الجمهور بمسئوليته المباشرة حصاراً لا سبيل الى التهرب منه . هي مسرحية لاتبرر ، ولا تفلسف ، ولا تتباكى ، ولا تبشر ، ولكنها بكل بساطة تنقل واقع الهزيمة على المسرح وترفعه مرآة تكشف وتفضح مانود لو ننساه . ومن هنا يصبح التداخل او بالاحرى الاشتباك بين خشبة المسرح والصالة — ضرورة حتمية وليس ضرورة تكتيكية . ففي نهاية [حفلة سمر] تنسى انك تتعامل مع مسرحية وتكتشف انك منغمس فى قلب تاريخ جى يواجهك بمسئوليتك المحددة . وهذا هو نفس الهدف الذى يسعى اليه سعد الله ونوس فى مسرحيته الثانية رأس المملوك !

« أحلم بمسرح تمثلى فيه المساحتان عرض تشترك فيه الصالة عبر حوار

فى انشاء لقاء مع الكاتب الجزائرى مولود معمري ، وكان يتحدث عن رواية جديدة له — طرأت على ذهنه فكرة ، فقال لى وهو يضحك ضحكة قصيرة متعجبة ان مسرحيته الاخيرة ترجمت الى سبع عشرة لغة ، وقدمتها عدة مسارح اوربية [من بينها مسارح بوفوسلافيا] ولكنها لم تقدم ابداً فى اى بلد عربى . تطلع الى متعجبا ومستفهما فغيرت مجرى الحديث .

ماذا يمكن ان أقول ؟ .. نحن نعقد مؤتمرات ثقافية صاخبة فى مصر وفى سوريا وفى العراق وفى كل بلد عربى — نناق عليها بسخاء وتكلم فيها بسخاء عن الوحدة الثقافية ، وعن الفكر العربى الجديد ، وثقافتنا بين الوحدة والتنوع .. الخ الخ . وبعد ان تنتهى هذه المناوئين الضخمة والاسماء الثقافية يعود كل شئ الى اصله ، وانما بعد ان تتضخم ملفات الابحاث والدراسات التى لا يطلع عليها احد ولا يفيد منها المثقف العادى . ولست اطالب بالطبع بنص المؤتمرات والندوات الثقافية العربية ذات الشعارات الطموحة ، فلعل لها فائدة ما ، انما اتمنى ان تنم الى جانبها انجازات اقل طموحا وذات فائدة مباشرة . اتمنى بالفعل ان تتبادل البلاد العربية ثقافاتنا بدلا من [او الى جانب] عقد المؤتمرات من التبادل الثقافى .

هذه بعض خواطر حددتها فى النفس قراءة مسرحية « رأس المملوك جابر » المسرحية الطويلة الثانية للكاتب السورى الشاب سعد الله ونوس . وقد كتب كثير من النقاد هنا عن مسرحية « ونوس » الاولى [حفلة سمر من اجل ٥ حزيران] — هذه المسرحية المدهشة التى تعد دون

إذا تدحرجت الرؤوس
واستقبلكم الموت على عتبة صبح
كئيب
إذا هبط عليكم ليل ثقيل وملىء
بالويل

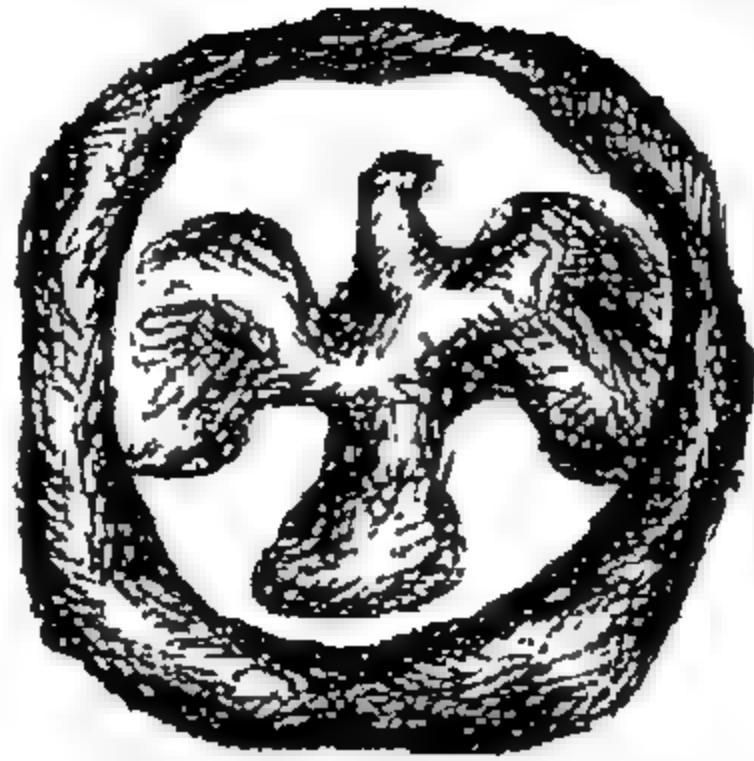
لا تنسوا أنكم قُلتُم يوما :
فخار يكسر بعضه .. ومن
يتزوج أمنا نناديه عمنا .

ثم لا تنتهي المسرحية هكذا - يخرج
الممثلون ويتأهب الحكواتي للانصراف ، أما
زبائن المقهى فيفكرون قليلا ثم يملنون
سخطهم على هذه القصة وعلى عم مؤنس
الحكواتي . ما هذه الحكاية ؟ - واين
هى من حكاية الظاهر ببيرس ؟ .. يجب
أن يحكيها لهم غدا . فيرد « لا أدري -
ربما الامر متعلق بكم »

ولكن - هل نأمل أن جمهور الصالة
قد أصبح يدري ؟ .. ربما !

هذه اطلالة على عالم يسعد الله
وتوس فى رأس الملوك . ليس عرضا
أو تلخيصا للمسرحية بل مجرد محاولة
لتبين تلك المستويات المتعددة التى يهدف
من خلالها أن يقيم علاقة اشتباك بين
جمهور الصالة وبين العرض المسرحي .
وهو بدرك كما يقول فى مقدمته للمسرحية
أن هذا لا يمكن أن يتأتى بأى محاولات
شكلية فى « التكنيك » وإنما بعناصر
أخرى جوهرية منها « ارتباط الموضوع
ب حياة المتفرج ومشاكله » .

ورغم أن تجسيرة العرض المسرحي
وحدها - وليس القراءة - هى التى
يمكن أن تثبت مدى نجاح هذه المحاولة -
الا أننا نستطيع أن نجزم بأن المؤلف قد
حقق على الأقل هذا الهدف : ارتباط
الموضوع بحياة أعرش قطاع من المتفرجين
هناك ملاحظة أساسية واحدة انتهى لو
تداركها الكاتب عند عرض المسرحية أو
طبعا طبعة ثانية - وأعنى بهما أن
الواقعة الرئيسية - واقعة خلاقة شعر
الرأس والكتابة عليها انتهاء بجز الرأس
- واقعة معروفة تماما لنسبة كبيرة من
الجمهور لشيوعها فى التاريخ القديم .
وبذلك فإن توقع النهاية قد يفسد ما برهن
اليه من تدرج الإدراك والتعرف . وهو
يستطيع بشئ من التصرف وتحسين
التفاصيل أن يتدارك هذا كما قلت . ولكن
مرة أخرى فإن العرض المسرحي وحده -
هو الذى يثبت مدى أهمية هذه الملاحظة .
فلنأمل أن نرى هذا العرض .



جابر ليقرأ الرسالة - ويفهم أن الوزير
سيفتح له أبواب بغداد من الداخل ،
ثم يهز بعد ذلك رأس الملوك جابر نفسه
استجابة لحاشية كتبها الوزير على الرأس
الحليق ، حتى يدفن معه السر .

ويتذر زبائن المقهى لهذا المصير الذى
أصاب بطلهم ، ويتذمرون أكثر حين يرون
ما يحدث لرفاقهم عامة بغداد بعد اجتياح
جيوش ملك العجم للمدينة وأعمالهم
القتل وهدم البيوت وهك الاعراض .

ويقول الحكواتي فى ختام قصته
« انتشر الموت كالهواء - لقي كثيرون
حنفهم دون أن يعلموا ما يجرى حولهم
.. وفى ذلك اليوم هبط الليل على بغداد
مبكرا ومثقلا بالويل والاهوال » وفى
النهاية ينهض الممثلون القليلي - بين
أيديهم رأس الملوك جابر ويخاطبون
الزبائن وجمهور الصالة :

من ليل الويل والموت والجثث
نحدثكم
تقولون فخار يكسر بعضه
ومن يتزوج أمنا نناديه عمنا
لا أحد يستطيع أن يمنعكم من
أن تقولوا ذلك

لكل واحد رأى وتقولون هذا
رأينا ..
لكن إذا التفتكم يوما ووجدتم
أنفسكم غرباء فى بيوتكم
إذا عضكم الجوع ووجدتم
أنفسكم بلا بيوت

والأكسسوار الخاصة بمشاهدهم ويمثلون
أدوارهم * ونحن نسمعهم ونسمع أيضا
تعليقات رواد المقهى على أعمالهم [وسوف
يستمر هذا المنهج طوال المسرحية]
نرى العامة يسعون الى تخزين ما يكفيهم
من الخبز خلال جولة الصراع بين الخليفة
ووزيريه لئلا يجابههم الموت فى الطرقات
حين يبدأ الصدام . من بينهم مسوت
يسأل عن سر هذا الصراع فيجيبونه أنهم
لا يعرفون * وحين يقول لهم « أراكم
تفسون أيها الناس الطيبون أنها يتعاركان
فوق رؤوسنا » يكون ردهم ولهذا خبر
مانفعله أن نخفى رؤوسنا بين اكتافنا ..
ننظر ونرقب النتائج .. ومن يتزوج أمنا
نناديه عمنا . »

وزبائن المقهى يتعاطفون تماما مع هذا
الموقف « هذا والله عين الصواب ..
هذا مقال من يريد راحة البال » وهذه
الخصاصة التى يجدها زبائن المقهى ليست
غريبة بالطبع على جمهور الصالة المتوقع .
وليس غريبا أيضا أعجابهم بما سيحدثه
الملوك جابر من براعة وفطنة . أنه
مملوك الوزير ولكن ولاده الاول يصلحته
فما ان عرف بأمر الصراع بين الخليفة
ووزيريه حتى قال « لكل عملة وجهان .
والمهم أن تميل فى الوقت المناسب الى
الوجه الكاسب » . وهو يتحين الفرصة
ليخرج من المحنة فائزا بأكبر المغام
وسرعان ما لواتيه هذه الفرصة مالمخلفة
واخوه قد هشا كل قواها لمواجهة الوزير
وبعنا يطلبان المدد من ولاية الاقاليم ثم
اغلقا كل أبواب بغداد ومنافذها مخافة
أن يبعث الوزير بدوره طالبا المدد .
والوزير يريد بالفعل مددا من ملك العجم
الاجنبى « منكم بن داود » - ولكن كيف
يطلبه وأبواب بغداد يستحيل ان تفتح
منها رسالة . هنا يتقدم جابر ويعرض
خدماته وحيله على الوزير الماهر : أن
يخلق له رأسه ويكتب الرسالة التى يشاء
ثم ينتظر الى أن ينمو الشعر مرة أخرى
فيطلقه الى هدفه . ويسعد الوزير بهذه
الحيلة ، وبعد جابر بما يشاء : حاربة
جبهة ومالا وغبرا ، ومنصبها رفيعا .
وكما يسعد الوزير يسعد زبائن المقهى
لمستقبل جابر الذى أحبوه - جابر بطل
زمانهم وخلاصة عصرهم . وتتسالى
صناعات الحماس له كصياحات التشجيع
لابطال أفلام المغامرات . ومثل هؤلاء
الابطال ينطلق جابر على حصانه مسرعا
مسرعا ، ناجيا من حراس الابواب ،
متفنيا بحظه السيفيد مصارعا الزمن
ليصل الى حليف سيده فى موعدة ،
وينجح فى هذا . ويجز ملك العجم شعر

خوفا من غد لا نريده

حسن مسليمان

•• ومع مؤتمر الوائسظي الاول للفن التشكيلي ببغداد ؟
ومعرض الفنانين العراقيين ، تكشفنا الامور ببساطة ووضوح .
فمشكلة الفنان التشكيلي ببغداد لا تخرج عن مأزق وقع فيه زميله
فنان القاهرة من قبل . وما دامت الامور قد تكشفنا ببساطة
ووضوح ، فلزاما علينا ان نتحدث ببساطة ووضوح .

وبالتراث ••••• لكن كيف يقاوم الرجل
الثقاف بتركيبته المعقدة ان يقتل فنا
شعبيا بسيطا ، وشعنا بين من الرجل
السيط وبين من يبدعه من هو خارج
نطاق دائرته . ثانيا : اليس من الخطأ
ان ننظر الى التراث وكأنه شيء متجمد ،
معا عليه الزمن ويتصل هنا • التراث
كأي شيء له دوام الاستمرار وبذلك
مقومات التطور والنمو •• نحن أنفسنا
جزء من ذلك الشيء الذي يسمى بالتراث .

وما دامت الجموع لم تتكون لها بعد
وجهة نظر سليمة بالنسبة للفن ، علينا
اذن ان نجد الاسباب ونعمل على تغيير
هذه الحالة ، بأن نرفعهم الى مستوا
والا فستظلهم بادعائنا الهبوط لمستواهم
نحاول الارتفاع بهم تاركين لهم الفرصة
والحرية كي يصوغون قيمهم ويبدعون
فهم •

● بدلا من التقسيم المصطلح عليه
من فن معاصر وفن متخلف اصغر على كتابة
فن جيد وفن ردي • اوافق معه •• لكن
اليس من السهل في نطاق تقسيم مثل
حديث ورجعي ان تتسلل كل القيم الزائفة
والسطحية بواسطة الانتهازيين والمرترقة ؟
بينما العكس بالنسبة لتقسيم صريح
وواضح ومحدد مثل فن جيد وفن ردي •

اذا سئلت انتكر الامكانيات التي يمكن
ان يحققها فن يملك التقنيات السياسية
والشعبية ؟ اجيب بأن مثل هذا الفن
ات لامحالة ، لكننا يجب الا نلج في
طلية والبحث عن وسائل متعقلة لتحقيقه •

بناضل ••••• بل نلعم وتلعم جانب الصدق
والاخلاص حتى كاد ان يختفي وراء
افتعال المعاصرة ، مخططا هذا الافتعال
بالنمرة الكاذبة لاهياء التراث • وهكذا
وقع الفنان العراقي في نفس الحفرة التي
سبقه اليها زميله المصري •

● وقد تردى ادعياء التجديد في خطأ
جسيم ، حين اقبلوا حدودا ، تفصل بين
النزعات الحديثة في الفن وبين مظاهر
ومقومات الابداع الفني السابقة مدعين
انها لا تمت الى المعاصرة • الفنان الحق
في اي مجتمع هو معاصر رغم انفسه
ومخلص لذاته ولن حوله ولعشيرته ،
فتضايه قضايامه ، بل هو مخلص كذلك
للعالم اجمع وللتاريخ وللمستقبل ، هذا
ان كان مخلصا وصادقا مع نفسه • الا فضل
ان يقام فاصل بين الفن الجيد والفن
الردي ، فالتامة حدود للمقاييس الفنية
ليس امرا مينا لنا بالنا بمن يتشدقون
بانهم مجددون ، يعتقدون على ظواهر
تاريخية سطحية ، وغالبا ما تنقسمهم
الثقافة الفنية والحس الرفيع •

ولماذا الافتعال ؟ اي فنان حقيقي
بعد سنوات قليلة من ممارسته فنه
سيكتشف انه يبدع فنا معاصرا واقليميا
وانسانيما حتى بسميه وراء الحقيقة
المجردة •

● يقولون ان من يتذوق الحساب
الدقيق في العمل الفني قلة قليلة من
خاصة الخاصة • ومن الخطأ افتراض
درجة كبيرة من الوعي الثقافي لدى
الطبقة المكافحة التي لم تتبلور بعد ،
لذلك يجب الارتباط بالفن الشعبي

ثرت وكان احدى لن ان اصبت •••••
لكن ما اكون •• ولا نطلع الى طمح من
الزبل وفئات الخبز تطفو فائعة على
سطح مياه دجلة الهائلة •

• ثرت •• فلا زال رفيف العيش بالنسبة
لملايين الملايين من البشر مشكلة • النظافة
والقسوة والموت تدفعنا لمقاومتها ،
وتزيد حساستنا لكل ما هو ضروري وبهم
كي نجعل الحياة افضل واعمل ما هي
عليه • ونؤمن بالاشتراكية ، وبضرورة
تطبيقها كنظام اجتماعي في آسيا وأفريقيا ،
وبالاهري في بلادنا العربية ، ونعرب ان
الصراع من اجل التقدم بالنسبة للأجيال
القادمة في كلا القارتين معركة حياة
او موت • ورغم ايماننا بان الحياة
لا تتحدد بتحقيق الخبز والرعاية الطبية
للجميع ، فلا زالت النقطة التي يجب
ان تبدأ منها مشاكل السياسة ،
وينتشها الفكر والفن • بالنسبة لي -
في الجوع لا اكرو ولا اكل •

• وفي رختها نسيت اغلب الشعوب
العربية • ان الفقر لا زال موجودا ، فخلا
الفكر العربي من أي اثر المناقشة لعنة
الميش • وبما ان الانتاج الفكري للشعوب
الفامية والمختلفة تقليد يتبع اساليب
الغرب ، فلا تجزية ان نجد فنا يناقش
للشؤون والخرائز المكبوتة ولا تحس معه
بالضغط الاقتصادي والاجتماعي ، هكذا
كان نتاج فناني مصر ، وهكذا رايت اعمال
فنانين بغدادا ، اخيرا •

لا وجود لفنان يحدد شخصيته الفنية
لاخلاصه مع نفسه وايمانه بضرورة ان
يكون هناك طعام لكل فم ويمكن لسك

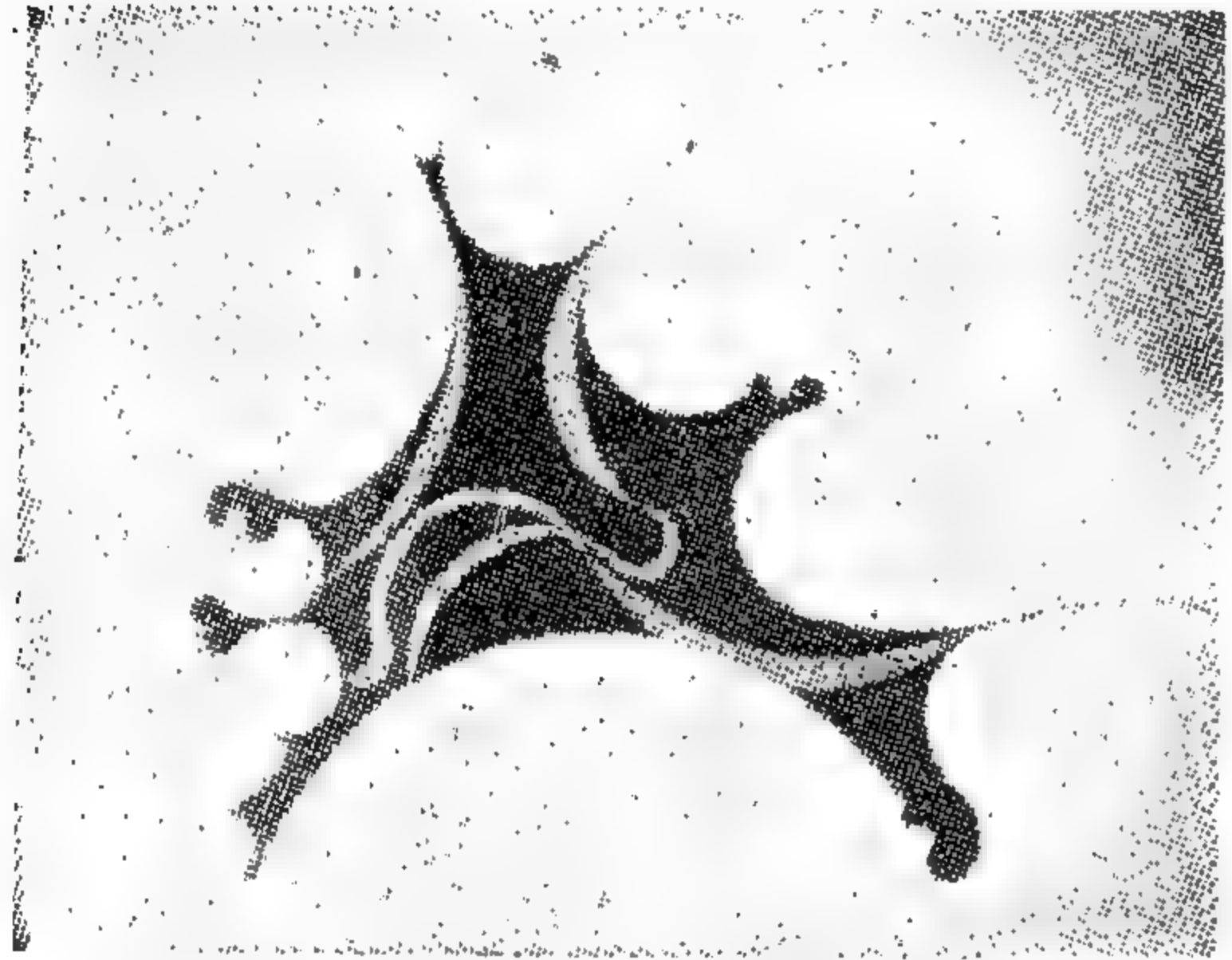
إن الفن الذى تطالبون به الآن ليس اشتراكيا أو شعبيا أو فنانا ، بقدر ما هو فن يخضع لزيغ وظروف الطبقة المتوسطة الصغيرة - وهى الطبقة التى تبع منها أغلبية المسيطرين الآن على الفكر بيننا . إذن انتم تطالبون بفن طبقي يعتمد على قيم زائفة ومشوهة ، ويرضى طبقة معينة ، ودون أن يمس ببناءها النفسى أو يثقلها . فلتغير الفنانين الى اشتراكيين . المشكلة تتركز فى الرجل نفسه ، وليس العمل الفنى ، المشكلة هى المعنى وليست الأغنية . فإى رغبة للتغيير فى حد ذاتها لا تستحق الكثير من الاهتمام ، ما لم يدرك صاحبها كيف يتم ذلك ولصالح من سيكون التغيير . كما أن دفع الفنانين للاشتغال بالسياسة يزيد التناقض فى أعمالهم . والعكس كلما كان الفنان واعيا ومتفهما لمعالمه السياسية كفنان لاكسياسى كلما قلت هذه التناقض فى أعماله .

لذلك لم يكن قريبا أن يفتعل الرسام العراقى القضايا السياسية ومشكلة الشرق الأوسط والتأزم الذى يعانيه الإنسان الأوروبى فى مجتمع الآلة ، ويدفن فى أعماله انسان « قمبر على » والصراخ . والتشنج بكرلاء والنجد عويلا وبكاء . فلم نشعر فى أعمالهم بالناس وبخصوبتهم وعقبتنا دونهم وقوة ارتباطنا بهم ، أى بكلمات مقتضبة لم أشعر بانسانية العمل الفنى .

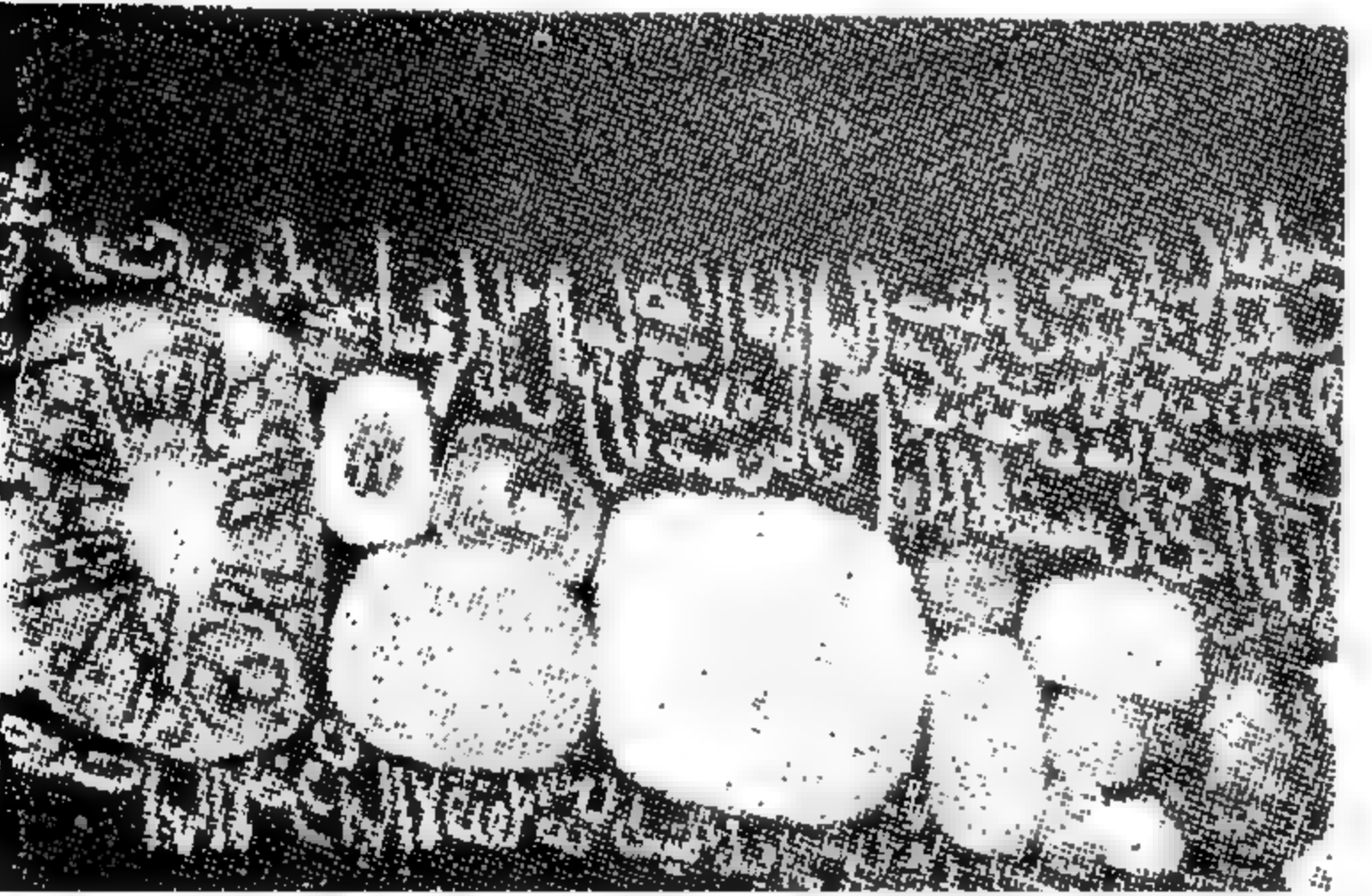
نعيش فترة تحول ، والعالم كله يعيشها هذه حقيقة لا جدال فيها . فهنا المادى للتاريخ سيكتفى من تغيير الحاضر ، والتأزم مستويانا من المستقبل الذى سنخلقه ، لكن لا أستطيع كفنان أن أعمل وأعيش فى ضوء يسلط على أحد ، لابد أن أعمل فى ضوء أحاسيسى ومشاعرى أنا وبالنسبة للفنان لا يوجد ما يسمى بمرحلة تحول - يمكن أن يتشدد بها فنان أو مدع - فهو فى بحثه وراء الكمال يواجه موضوعه كأنه خالد لا زمن له . وكفى خبر انصار التجديد مجرد التجديد الكثير لعدم اعترافهم بهذه الحقيقة البسيطة ... فحتى فى مرحلة التحول تهرم الرجال وتموت ، وتولد أطفال ، وينمو نبات ويذوى آخر . تشرق الشمس دائما من نفس المكان الذى اشرقت منه منذ آلاف السنين . السياسى أحيانا ينسى مثل هذه الأمور لكنى كرسام أبدا . أبدا . أننا بشاؤوننا فى أية قيمة من قيم الفن . الحقبة والخالدة وصفحنا عن إنتاجنا الزائف والمفتعل بحجة مرحلة التحول ، أننا بهذا نتهاون فى انسانية الإنسان نفسه ، وكفى هو فى حاجة الى



اسما عيل الشيخ



فقيبة الشيخ نورى



فريا الثواب

نربط الإنسان بأرضه ليصنع غده ؟؟ ويتهاون الفنان فى موقفه القبادى خادما القوى المسيطرة من البرجوازية الصغيرة ومدعيا فى نفس الوقت أنه مخلص لقضايا السياسية ومجدد ومحافظ على التراث ، هل لنا حينئذ أن نأبل فى هذا الغد ؟؟ لا . لا . لا . واقولها بصراحة ان الموقف قد تحدد الآن : بخصية الصراع للقضاء على غد لا نريده .

انسانيتنا وعمقه ، ومع رسام بمرحلة تحول ويخلق غدا . اشياء بسيطة هى التى تكون صرح انسانيتنا وعمقه ، ومع رسام الشرق الأوسط لم أشعر به بسيطا ونقيا وواضحا . لم أشعر فيه ومعه بابتسابة طفل وليد أو نضارة بنت صغيرة . أو ضغطة يد جيبية ، أو شمسنا وهى ظهرت فى وجوهنا وليلنا وهى حنوعنا . كيف لن نستطيع أن

الغلام

بقلم : سعيد حورانية

الثلاثة ويسلمه لزيون سكران لا يدري
الطبخ من البطيخ ينجاهله ... وعندما
راى أن عودا ثالثا يشتعل
زهف مبتعدا مرسلًا ذلك الصوت العجيب
الذى كان يثير فضول الثلاثة وسرورهم.
قال صاحب المظلة :

— ولى الله يزحف... هذه معجزة ..
— لقد عشت ورايت الزحف المقدس
— هذه معجزة شعبية حقيقية ...
التصر للشعوب .

وزحف الغلام غير بعيد واستند الى
جدار القهوة واقعى يحلم فى سسكون
الليل بعينين مفتوحتين ... وسدر على
نقطة مضيئة واحدة تبدو بعيدة ...
وكان من الصعب أن تعرف أنه نائم
أو صاح [بعض الحيوانات تنام مفتوحة
العيون] لم تطرف عيناه ، لم تعبدا عن
شيء ...

أخريس : " رجله ثقيلة مدورة كخف البعير
ولم يمر مرة الا والنداءات تندفق عليه
... كأس شاي للمبروك ... خذ
لك ها الفرنكين ...
تجسسى أحد الجالسين وقال بصوت
ضعيف :

— حرام يا اخوان ... عطيل وصغير
وعارف ربه ... طوا عنه !!
ونظر اليه أحد الثلاثة :
— اسكت انعل أبوك
واللهجة الغريبة بعثت الرعب فى
القلوب ، وصبى القهوة وزع الشارات
اللاسلكى المحذرة الى العيون المتسائلة
برفع الجواجب والهمز ... وسكت
الجميع وتحديث الازاكيل .

وعندما راى الغلام العاجز أن العالم
قد تغير رغم أن الساعة هى الثانية
عشرة ليلا والقهوة هى القهوة ، وصبى
القهوة الذى يصاحبه دائما فى الساعة

ذمر الغلام وقفز : ولكنه نسي قدميه
المشوهة فسقط سقطة اليمه ، انتهى
مرسلا صوتا حيوانيا ، ثم رفع يميلين
دون اهداب ونظر بدهشة الى الثلاثة .
رمقوه بسرور وفضول ... وبعد احدثهم
مظلتهم فسحب رجله السلية .

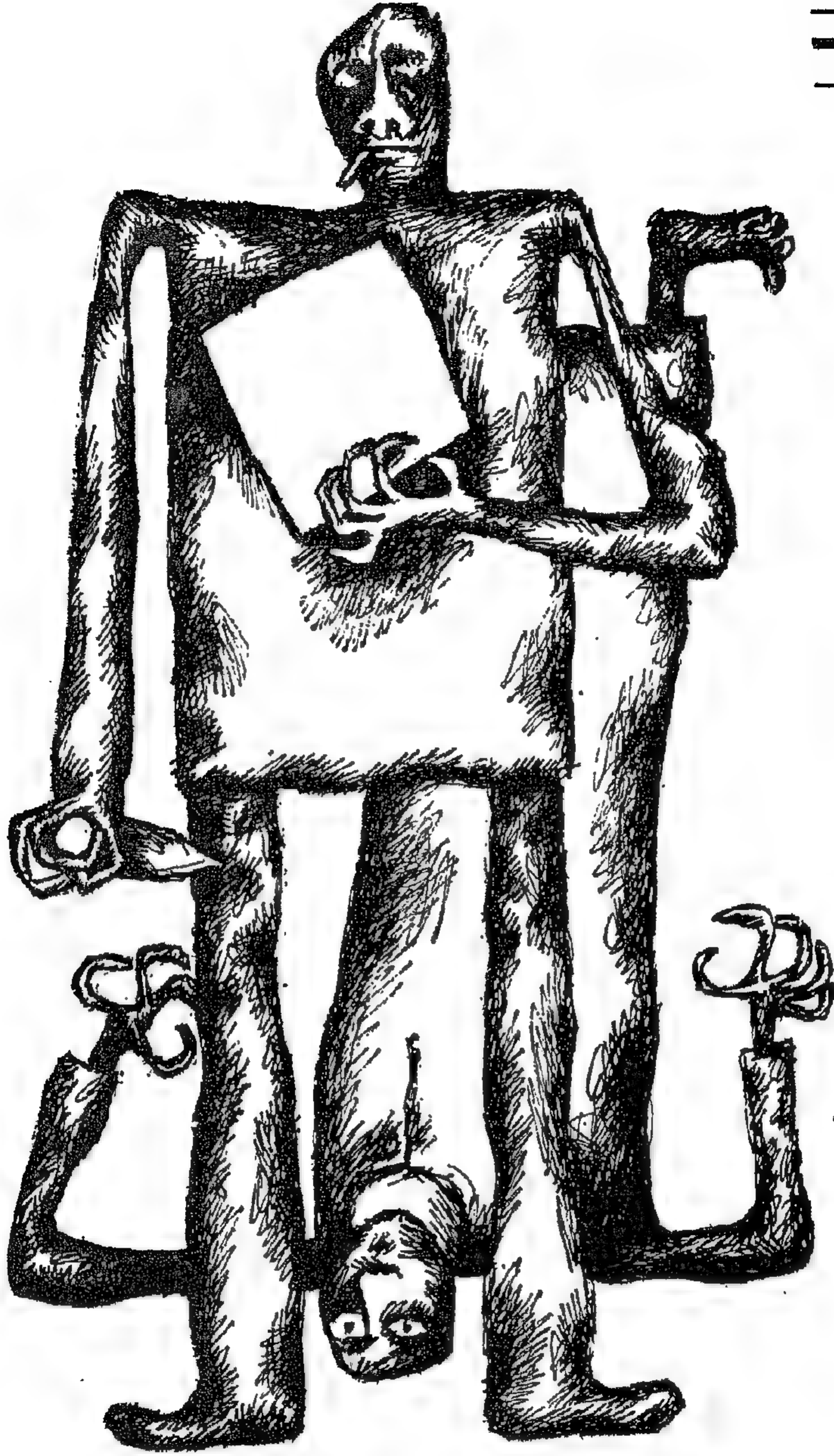
— وقف ياولى الله ... الغلهمان
ملائكة .

وطار عود كبريت ثان مشعل فاصاب
الراس بدقة ، فهب مجنوننا ولكن
المظلة الممسكة بقدمه أوقعت به مرة أخرى
وامتدت اليه مرة ثانية كحربة .

— قلت لك وقف ياولى الله ...
قول الله ...

على رصيف القهوة الذى يعج بالناس
اجال عينيه الهملتين وارسل الصوت
الحيوانى مرة أخرى .

هذه ملكته ... عشر سنوات يتسكع
حول قهوة المرجة هذه ، احلط ، احلط



وملّ الثلاثة وصرخ أحدهم

— الشاي يا حلو

— بنامروا أمر

وطار بلا أجنحة كالألعاب سيرك يحمل

صينية تتراقص ببهارة

— فنجان مرة

— على رأسى

وفى مواجعتهم كان بناء ضخم مظلم

تضوء منه عدة نوافذ تغبش زجاجها

— ماذا يفعلون هناك ؟

— يقرأون أشعار الجواهرى

ودق براس مظلته ثقبا فى حرق

الرصيف .

● ● ●

للسماء هنا معنى آخر ... لا زرقة

تفترس العين ؟ ولا غيوم تضغط على

القلب ... انها سماء حقيقية ...

واسعة ... ليست مرسومة بين قضبان

وليست شهية وبعيدة كامرأة جاره .

وحتى مأخوذا بما يشبه الذعر فى هذا

البهاء الالهى المستباح ، فى هذا الكنز

الذى أصبح له فجأة ... كانت حربة

غيوم تمتد حتى نهاية الشوط ، ثم تكبو ،

عليها أرضه وأرض الآخرين ، بحس
بصلايتها جزءا من اضلاعه ، وبامتدادها
امتدادا لجسده ، كان قانونا يلزم له
أن يكتشف كل يوم سرا من أسرار
المستغلة ... أه يا زمان الصبا
الروحي !!

هوت مطرقة فوق سندان لم يصهر
ولم ينق من الشوائب فتفتت ... أصبح
الكاس حمايا تركيا بذره يغطي ولكنه
لا ينظف ولا يدقى ، كل الطرق تؤدي
الى روما ، وكل جرعة تقود الى الهاوية
وهو يستعجلها ويستعجلها وبدفع العربة
التي ضلت الطريق بخيلها المذعورة
المجنونة العيون ، ولكن النهاية تأتي بلا
أى مجد ، كل القوى تتصاعد من بسر
الذات العكرة أخذا مواقفها القتالية
دون قفازات ، وعندما تاكل بعضها
تلتفت باحثة عن الآخرين .

وحين يدلف الحارس بعصاه المهذبة
ونظرتة الحذرة الخائفة ، كانت الجثة
المتفخة من لسع السموم تسير وهي
تمسح الأرض ، لوقع أقدامها صوت
أصم كصوت سقوط ثمرة نخرها الدود
على أرض رملية ...

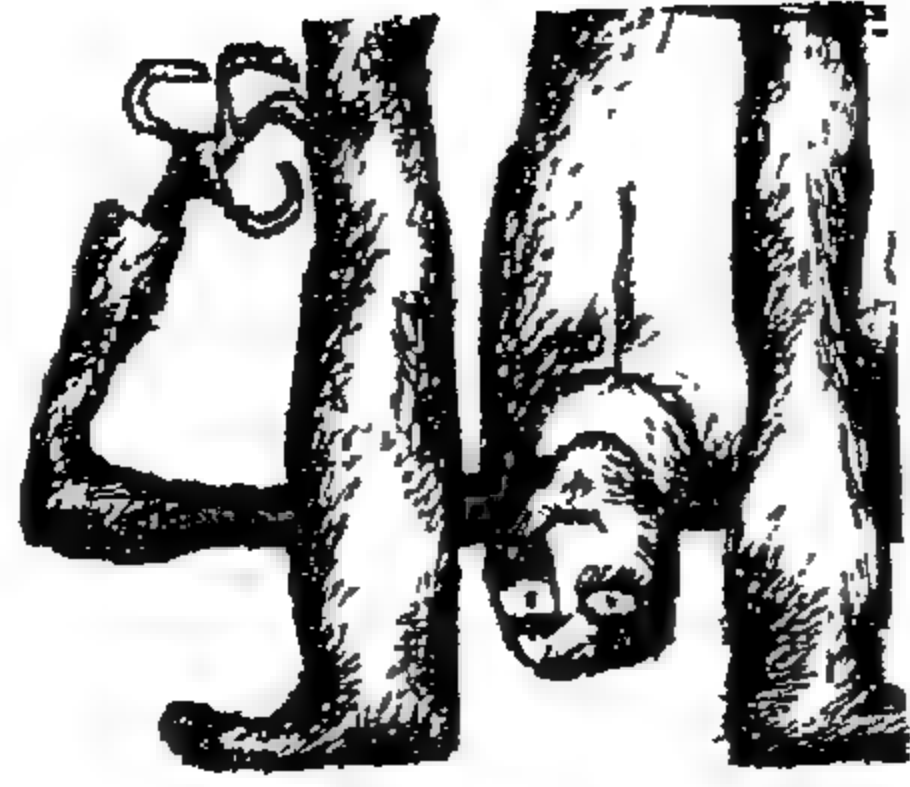
ويدلف الى القهوة متظاهرا بالتواضع
ويجلس على كرسي منغل ، وينتظر
الصوت المرحب المبالغ في التوجيب كما
ينتظر بالضبط شهقة سلوى في نرفانا
لذتها :

— كاس شاي ثقيل للاستناد ...
أهلا أستاذنا .
— الشاي يا ورد
— بتمروا أسيادي

عندما كان جسم سلوى يتكسر ويرتعش
بين يديه ثم ينطفئ كموثورات البيرة
في الزجاجه جارية اثر جارية ، أيقن
أن هذا الجسد قد اجتاحتته مواصف
أخرى حينما كان حبيس القمقم ، ولم
يسأل رغم أن من حقه أن يسأل ...
أليس فارس الأفكار التقديمية ؟ وانكمش
في عناد داخل قوقعة كبرياء مهلهل ،
لم يبال حتى بمعرفة الشخص ... تمدد
ممتعما ... هذا زمن الخيانة
فلماذا لا تخون ؟ والوحدة قتل مضم
بطيء كعذاب الزنانة ... ولكن
جسدها كان أمامه حقيقة مجسمة ...
كان جسد امرأة دافئا بكل ما فيه من
خصوصية وألفة ، واشتعل فيه الغضب
حتى رؤوس أظافره ، لقد كان ضياع
هذا الجسد كضياع المبدأ ، لم يعد
مصنوعا لأجل النور بل لليل ... أين
قرأ ذلك ؟

— هل كانت المرأة الاولى التي عرفتها
عاهرة ؟

—
— هم شعرت بعد ذلك .



الحراس بعصيم المهذبة ويتحنخون
ناظرين بحذر وخوف الى السكاري الذين
يعتبرون — شأنهم في ذلك شأن
الطباء والشعراء والاسكندر ونابليون—
يعتبرون التفكير في الوقت مضية
للوقت ... يقطع الطريق الى القهوة
في الشوارع المظلمة .. أن سلوى
ستنتظره دون ريب شأنها كل ليلة
وهو لا يريد أن يصل اليها سكرانا ...
سيشرب الشاي والقهوة المرة مع الهيل
ليصحو وليثبت لها أنه فحل من الفحول
وأن الرجولة لم تغادر نصفه الاسفل
على الأقل .

تقول له بحيرة : اسكر معي ..
أن الويسكي المعتق عندي أفضل من
مرقك الوطني اللعين ، لم يبق لك من
الوطنية الا الاخلاص للصناعة الوطنية
... كيف تفهم أنه يريد أن يسكر مع
الأخر ذلك الذي كتب معه ذات ليلة
فاوستيه عقدا أكثر أحكاما من الزواج
الكاثوليكي ؟ .. ميزته العظيمة أنه من
المستمعين العظام ، وحينما يثرثر ويثرثر
كان الآخر يجيب بحاجيته وحركات وجهه
استنكارا أو تذكيرا . الى الجحيم بكل
المرايا ، المثلية واللامرئية . وكان
الشيء الوحيد الذي يقهره به هو أنه
دوما يدفع الحساب .. وكان الآخر
يصمت ويحدق فيه بعينين زجاجيتين .

لقد مرت سنوات ضوئية ... منذ
أن كان يضع أمامه كأس العرق ويتأمل
الحبيبات الحليبية بنوع من الوجد . كل
قطرة كوكب مليء بالأسرار يدور حول
سعد الحياة ودفتها وعنفوانها ،
كانت الطقوس في اخلاصها أشبه بدِين
بدائي تدور حول بركان مشتعل ،
وكان الرفاق حولها ، وكانت الدنيا
حولها تضرب بكأسه في رنين أشبه
بأجراس تروبيكا روسية تنطلق في سهوب
ثلجية عاتقه حولها هالة من البخار
وزخم اقتراس الطبيعة وقوة الرواد .

وكان السكاس تتويجا وتوافقا وسلاما
مع الذات ، وكانت الجلسة كلها ريشة
ملونة في قوائم الكون .. كان الشجر
شجيرته ، والأرض التي يضرب قدمه

لعبة أسهم نارية ؟ .. قية ؟ واستند
على حائط القهوة هشاً بحالة انعدام
الوزن ، وبدت المرئيات دون هوية
كفقاات الصابون ... الحياة تولد ،
الحياة تموت ، ولكنها لا تشعر بالقيامه
... والعالم جملة واحدة في الفم ،
جملة تتحدى كل القواعد ولكن لها
نكهة البكارة . وأحس بأن يده ترتفع
وأظافره تنفوس في لحم العالم ...
لم يكن طريا ، لم يكن قاسيا ، ولكنه
كان ينزلق كالزهر المصقول ... وكانت
الاشياء تضحك بود ، والجدار يتضخم
وسكين مرهقة الزرقة تهتد وتفصله
عن الآخرين ... برفق .. برفق ..
برفق . وتهوى كأنه ضاجع مرات ...
خرقة معقبة تمنى أية عانس أن ترفعها
بيرقا . وبدا له أنهم لم يعطوه شيئا
سوى هذه النساء ، وسوى المرور بين
اشارات المرور عندما يشتمل الضوء
الأخضر ، وسوى أمه التي ماتت ،
واخته التي تزوجت دارا جعلتها تنضج
بالنصائح ، وأبيه الذي أتم عدته ثلاثة
أشهر بعد موت أمه واستعدت لزيارة
وراء القضبان كما يستعد للحج .
هدايا عظيمة للجواز الشبوس الندي
شبع بجزمة من الحشائش وأخذ يمارس
الثورة السرية كالعادة السرية ويرفس
الهواء رأسا قوسا من الأصوات
المغيرة .

كيف يمكن للإنسان أن يصبح قاسيا
الى هذا الحد ؟ مم يهرب ؟ وإلى أين ؟
تحت أي لحم كانت مخبئة هذه البرائن ؟
وكيف تطلع الا بقسامة أنياب الذئب
الكاسر ؟ تأمل هذه الوجوه الشبابية ،
وهذه التشنجات المستقبلية ، وتساءل عن
المسرة التي أحسوها وهم يعذبون هذا
الغلام العليل . ولكنهم هناك كانوا
يقتلون .. سلسلة جهنمية مسبوكة
بالحد الذي ياكل نفسه ، وبصق
[البصقة الرخوة لا تصيب الا وجه
صاحبها] كذلك قال أبوه .

أنه يحب قهوة المرجه هذه ، قهوة
اللوطيين والسياسيين وهواة القوم في
الهواء الطلق . أروع ما فيها أن
الراديو يسعل بخفوت في مكان ما في
زواياها فلا يسمع احد صرير الاسنان
المنحورة ، ولا قعقة طبول الرواد ،
ولا أصوات السوبرانو الثورية المدربة ،
قهوة شعبية ليس هذا عظيمها ؟
وفي مكان من زواياها كان يجلس ذات
يوم راوي عنقرة وأبي زيد على دكة
مطرزة بالأغاني ... ولكن المجوزات ماتت
ذات يوم في التواليت بالسكنة القلبية
بعد أن ترك عنقرة في الاسر ، وحفظ
له المستمعون الجليل وتركوا مكانه فارغا
بجلبته التاريخية الثقيلة وآمنوا بأنه
سيبعث ذات يوم ويقوم من بين الأموات
ومن القهوة بالذات .

وعندما ينتهي وقت الفجارات ويلوح

— بالفخر
— بانك رجل
— باننى لست امرأة

اين قرا ذلك ايضا ؟ .. ولكن باى حق يتهم ؟ ومن هو فى نهاية المطاف ؟ انه ما صنعه فحسب... مجرد متخاذل !
اى عقل مسيحي اخترع هذه الكلمة الرخوة ؟ فليغض النظر عن امجساد الرجولة ، وليجد له ملجأ فى ملسكوت الليل الذى لا يرحم عند شخص ليست فى عينيه تلك النظرة التى يطالعها بها وجهه كل صباح ... ولكن ... ولكن لم يكن قد حدث شيء بعد ... لم يكن قد حدث شيء بعد ... لم يكن قد حدث شيء بعد ... عندما كانت ...

عندما ارادت ان تقبله انتفض ... لم تكن تلك عاداتها حينما ينطفئان . ترى هل احسبت بشيء ؟ ان كل خلية من جسد المرأة تملك شك وحذر محقق مهابسي ، انها تمنص الاحساس بمجرد الملازمة كتلك النباتات الاستوائية اللدنة .. اذار فمه ناحية الجدار واطبق شفثيه بعزم ، كل ما تبقى من قوته مجمع فى هاتين الشفتين المزهومتين ، وعندما كان جسمه يتهالك ، كان فمه مستعدا لان ييصق لعنة ، انه يدرك بشكل ما ان حياته وخلصه متعلقان بهذا الفم ، بهذا الفم فقط الذى يمكنه ان يكفر ولكن اين الكلمات ؟ اين الكلمات يا يوحنا فم الذهب ؟ كيف يمكن ان تتحول كل كلمة الى تابوت يضم جثث الافكار الثقيلة ؟

عندما جاءه صوتها فى التليفون فكر بذعر : حتى انها لم تدهش ، لم تستغرب ... كأنها كانت تنتظر هذه المخابرة على موعد ، وكأننا افترقنا البارحة على أمل اللقاء فى الغد وكأنه لم يخطف منذ سنتين أمام عينيها بالذات ويحمل كتلة دامية :

— أهلا ... كيف الصحة ... مشتاقة كثيرا ... انتظرك مساء ... يا حبيبي هل يمكن ان يتوقف الزمن ، حمس لها انها لم تسأل ... لقد شبع من الاستجاب ، ولو رأى فى وجهها آية بارقة تشير الى المعانى الممنوعة للبس معطفه بهدوء وغادرها الى الابد .

جلسا يتحدثان فى الحديقة الصغيرة وكانت الافكار تنطابح ثم تحط اثلا كالقراش على ضوء الصباح الشاعري . تاوحت وهى تذكر احد الرفاق المقتولين ... تدهجرت من عينيه الدموع ثم تشنج كطفل . على هذه الصخرة ابني كنيسة ثم قتلوه فى روما وذهب الزلزال بالصخرة ... ولكنها ستترسو ، ولكنها ستترسو فى مكان ما وستبنى عليها

القلمنة ... انتصوريين ؟ وغص ... انتصوريين ... البارحة فى طلعة الجسر النقيت بـ [...] وحينما رأتى ... وحينما رأتى ... تراجع كأنها رأى الشيطان نفسه ونظر فى كل الاتجاهات وقد أصبح كتلة من الحذر ثم استدار وركض ... نعم ركض واختفى فى أعماق الليل ، كيف يمكن ان يصبح الدم ماء ، والتاريخ لحظة ، والانسان ظريفاً منتناً ؟
ارجوك يا حبيبي ... كفانا عذاباً !! ونظر اليها بوحشية كأنه يستشف النفاق فى وجهها ، ولكن وجهها كان صادقا الى اعماق بصراته ... كفانا عذاباً قالت ... لم تقل كفالك عذاباً ، وارتاح .. ولكنه فكر بتبرير اليم انه ليس حزن شخص هوى ... انه حزن جماهير .. جماهير يتحدث الاوصياء الاوفاد بلسمها كل يوم .. جماهير ... يادومة الحزن العظيم لفئتي بردائك المخلى الاسود .. جماهير .. جماهير ..

والتقت كالمسحوق ... وأمد اليأس بغضب مستमित وصاح بصبي القهوة :
— قل للمبحون ابن المبحون ان يخفف راديو الترانزستور ويسمع وحده ... والتفت نحو الثلاثة ، والتقت عيناه بست عيون تقذف الشرر .

● ● ●

اسرع خطوه فاسرعت الخطوات وراعه ، تذكر الرعب الاسود نفسه منذ سنتين ، هل سيفربونه الان وفى هرض الشارع ؟ ليحذر الازقة المظلمة فقد تشق صدره موسى مرفسة ، ولن تبلغ صرخاته الببوت الدائمة ، ولن تضاه نافذة واحدة من اجله ولن يطل رأس . وحتى الحراس تعلموا الا يتدخلوا فيما لا يعنيههم ... فى الشوارع العريضة المضادة يستطيع ان يلم السابلة وأن يصنع فضيحة . لو أمكنه ان يصل الى أى تليفون ويتصل بسلوى ، ولكن أية دكان لا تزال مفتوحة ؟ نام الجميع نوما ثقيلا ماعدا مظار الشرطة واقبية المباحث وسجون الدولة وسلوى سمع الصوت الحيوانى مرة أخرى . هل يلحق به القلام العليل ايضا ؟



انه لقال قىء ، لقد متع بيده على رأسه وهو يقامر المقهى ونفحه بليرة .. أهو تعويض عن قسوة القدر أم لوم البشر ؟ وحدقت فيه العينان ولكنه لم ير فيهما معنى للشكر وانما للذمر . ولماذا يصرخ ؟ هل ضربه الثلاثة ؟ هل خلعوه الليرة ؟ ترى هل ارتككب بعيله هذا غلطة مجهولة ؟

اسرع من جديد فاسرعت الخطوات وراعه فى جلبه . ماذا ينتظرون ؟ هناك رجلان قادمان فليلتجى اليهما : معكم كبريت يا اخوان ؟ نحن لا ننحن يا اخ . الطقس حلو وبدع يا اخوان !! .. والعرق لذى يا اخ . لنبتشى معا . وتحدث يا اخوان !! والعرق لذى يا اخ . لنبتشى معا وتحدث يا اخوان !! هذا شرف عظيم ، ولكننا ذاهبون للشغل ... بخاطرك يا اخ ...

كان التكميات قد انقطعت ، طول عمرها اكثر من الهم على القلب ، ولكن الشارع لا يطالعها باى ضوء سيارة ...

الشارع العريض كاد ينتهى ، ولا بد له من ان يتحرف الى اليسار ويدخل فى الزقاق المظلم . ماذا يجرى لو انه عاد ارجاه وظل يتسكع فى الشارع حتى انبلاج النهار ؟ السساعة الان الثالثة . ساعة ونصف وتمتلىء الشوارع بالعمال والباعة . انه لا يخشى الاعتقال ولكنه يخشى الفقر . وسيروح رخيصة دون فائدة ، وسينتهى خيرا فى الجريدة : تعرض جماعة من الاشقياء للاستئاذ فلان . او جريمة اخلاقية غامضة .. اللعنة ، لماذا يلحق به القلام ؟ يجب ان يلتجى الى حارس ولكن اين الحارس ؟ هنالك كوخ فى منتصف الزقاق ماذا استطاع بلوغه نجا . بدأت خطواته بقفز ثم بدأ يركض وانفاسه تتلاحق . أصبح فى الزقاق الان ... مائة متر وسيصل الى الحارس ويطلب حمايته ... قفزت الخطوات من ورائه وسمع الصوت الحيوانى وبدأت المطاردة ... وصاحت اصوات : وقف يا جواد . أصبحت كسل قوته فى قديمه ، واخذ يجرى . وما هو الكوخ ولكن ابن الحارس ؟ وهنت قواه عندما رأى القفل على الباب ... الحارس فى جولته الليلية المعتادة ، لعله يشرب الشاي فى مكان ما او يسترق النظر من خصاص النوافذ المضادة ؟ وسمع من ورائه صفارة فاستغرب ... هل يطارده الحارس ايضا ؟ وجاوبت الصغير صفارات اخرى ... صغير من كل مكان ما أروع التنظيم ! وكان قد انقطع نفسه عندما وقعت على رأسه خبطة ، وتدفقت الدماء فى فمه وقامت عيناه :

طفلى ، ولكن كفى أمكنك أن تحول كل هذا الجمال الى هذه البشاعة ؟ [كان الضابط النازى يعزف على البيانو وهو يأمر بحرق الناس] لا بأس .. ولكن ماذا يقول هذا الحارس اله القوة هذا ؟

— لاجل الشرف سيدى أنا بذاتى ما رأيته ولكن الاخوان ..

أسكنه أحد الثلاثة وتقدم من الحطام الواقف ونظر اليه نظرة مواربة ، وبحركة مسرحية مد يده الى جيوبه وألقى على الكرسي بشئ ثم بأخر ، وتوالى التفتيش وتكدست الاشياء .

— انظر أى أفندى رائع ... لص ثياب .

— على جبل غسيل !

وأعادته الدهشة تماما الى الواقع وفتح عيونه على سمعتها ... أزواج من الجوارب رطبة مفسولة ناشفة رطبة ثياب وبياضات أنتزعت من جبل غسيل فى شرفة بيت .. شئ فى معدته أخذ يصعد الى حلقه ... قوة لا تدافع أخذت تهز كيانه كله [راينساح الواطى يقفز الى الشرفة] القوة تتصاعد وتتصاعد [صرخت المرأة هرامى] وصلت الى أقصى الفم [قفز وأخذ يجرى] انطلقت لا تقفها سدود وضحك وضحك وضحك .. ومن خلال دموعه فكر بارتياح .

— اذن ليست جريمة سياسية ... سأعامل اذن كإنسان .

وفى تلك اللحظة ، سمع الصوت الحيوانى مرة أخيرة يعوى ويعوى ، كان احدا ينتزع أمعاء بطنه .

وفكر أن سلوى تنتظره اليوم وغدا وبعد غد . وبعد أن تذرف الدموع سيطالب جسدها الغارب بمن يخفف عنه الوحدة ويبعد شبح اليأس . قال له أبوه كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا مكتوب على ورق الخيار تصحو الليل وننام النهار . وكيف سيستقبله الرفاق بعد أن تركهم ؟ عندها يبدأ السجن الحقيقى ... السجن الرهيب ... السجن الذى ...

ودفع دفعة كانت تطيح به لولا أن أدرك مسند كرسي فتشبت به ، كانت يده تعود اليه ويجرى دمها فى الاوردة والشرابين كنه حطم مساريه ، ومددها على ذراع المقعد كجثة وسمع الحارس يقول : .

— أنا بذاتى ما رأيته لكن الاخوان ..

وركز فكره متناسيا الالم ... هم يدور الحديث ؟ ولكن الاشياء أخذت تتراقص ، كان اثر الخبطة لا يزال يدوى بين صدفيه ويحرك فيها أبخرة العرق ... هاول أن يجلس ، والتوت قدماه وتخاذلنا وهو يتهاوى على المقعد ، ولكن ضبطة عظيمة أيقظته وأمسكته أيد عنيفة حاقدته وأسندته ، وضربت قدم الكرسي بعنف فابتعدت كانت كأنها تضرب كرسي المشنقة . والسكرانكتور ليس ضحكا خالصا ولا مأساة قاطعة ونظر أمامه الى الضابط ... يا الله ما أصفه ! منذ عشر سنوات على الأقل كان تلاميذه أصغر منه ... وجه حليق رغم منتصف الليل كأنه يتهاى ليلية حب .. كيف يمكن لهذه الأصابع الرقيقة أصابع عازف البيانو هذه أن تمتد لتضرب إنسانا ؟ ابتسم له فتحوّلت السحنة الناعمة الى وجه مفترس ... لن تخيف أحدا يا

وسمع أصواتا من هنا وهناك ، وامتدت اليه أيد كأنما لتعانقه وشعر بها تتحسس جيوبه وبدنه وأحس بأنه ينتفخ كالبالون . كان يتداول من يد الى أخرى وبحك كملة زائفة . وعندها احتج أسدنته أصوات غاضبة ولوحات القبضات أمام وجهه وسمره الحارس من يده بحركة مدرية وأمسكه آخر من الثانية . واطمان ... ماذا فصل فى نهاية الامر ؟ سيعرف ضابط القسم تفاهة المسألة وظلها عندما يرى هوية الثلاثة . هذه ليست المرة الاولى التى يقبضون بها على الناس بطريقة مزاجية . ولكن ماذا بها على الناس بطريقة مزاجية . ولكن ماذا لو قالوا أنه يوزع مناشير ؟ وسيدون أيديهم الى جيوبهم ويسحبون منشورا مهيا لئلا هذه المناسبات . أو لعلمهم دسورا شيئا فى جيوبه ؟ لو يخفى هذا الحارس العملاق من قبضته ، أنه يعصر يده كما لو كانت ليمونة قاسية ... عند ذلك لن يفعل ضابط القسم شيئا وإنما يرفع ساعة التليفون بذكر ويدبر رقما خاصا أمامه دوما عين ساهرة الاسم فسلان ... وتوسع عيناه عندما يسمع رد الفعل ... مفهوم سيدى ، نعم فلان ، توزع مناشير . حسالا سيدى .. لا ليس معه سلاح ... الآن فوراً ... احترامى ... ويقف ويتحسس مسدسه فالامر خطير . والدولة بحالها تهتم بهذا الصعلوك المضلل الجرم الذى يقف ساكنا كأنه لا يعرف ماذا ينتظره .

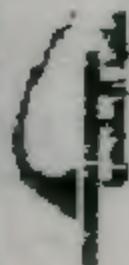
لم يعد يسمع صوت الفلام . فهل شل وهرب عندما رأى الممعة ؟ وتمنى أن يرى هاتين العينين اللتين تجعد فيها الذعر مرة أخرى . اذن لمسا أحس بهذا الثقل المرهق الذى يسحق جسده كله . وأصاخ ولسكنه لم يسمع الا اللغة الغريبة والسباب الحائق .

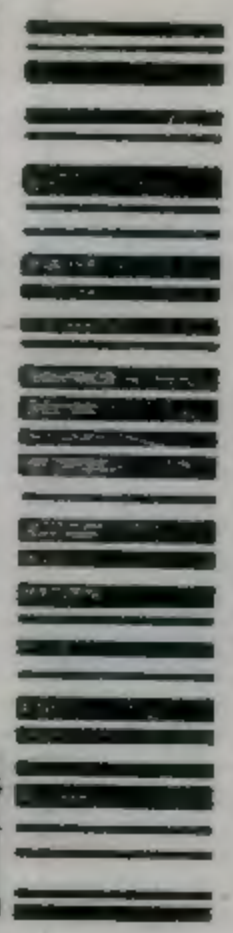
محمود درويش

يعز على هيئة تحرير « الملحق » ألا يتيسر للزميل الشاعر محمود درويش استمراره فى العمل معنا ، وذلك بانضمامه الى مركز الدراسات الفلسطينية فى بيروت . واننا اذ نعتز بالفترة القصيرة التى أمضاها معنا نرجو له فى عمله الجديد كل تقدم وازدهار .

« هيئة التحرير »

مطابع الأهرام التجارية

 Библиотека Александрина



0535795